دليل الخليج

القسم التاريخي

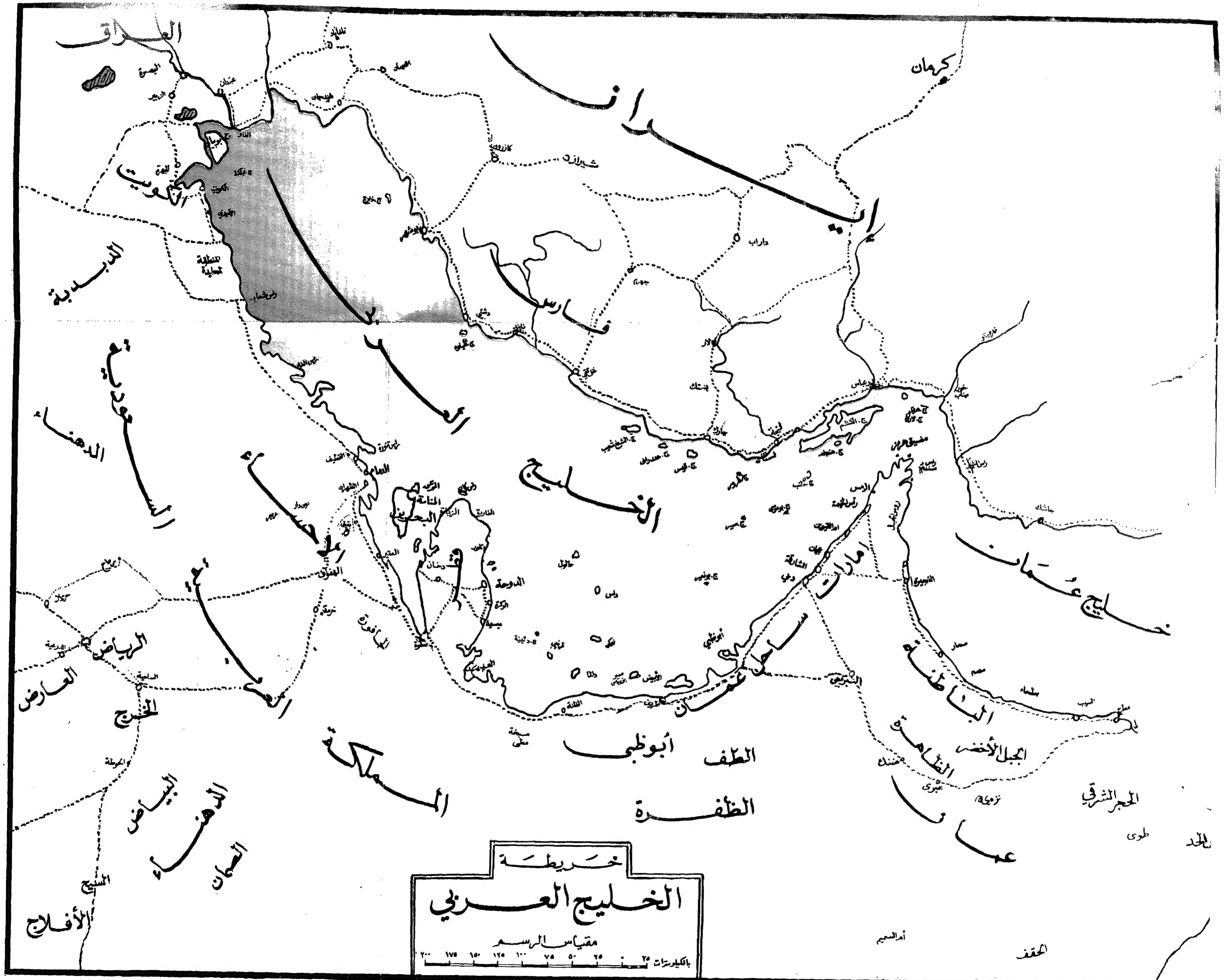
الجزء الأول

تأليف ج. ج. لوريمر

طبعة جديدة معدلة ومنقحة
أعدها قسم الترجمة
بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر

طبع على نفقة
الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر

Bibliotheca Alexandrina
0119251



مطابع علي بن علي - الدوحة

دليل الخليج

القسم التاريخي

953
ل و د
١٢٦٤٢٨ 1/14

الجزء الأول

تأليف : ج . ج لوريمر

طبعة جديدة معدّلة ومنقحة
أعدها قسم الترجمة
بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر

طبع على نفقة
الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر

مقدمة

لقد أولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ،، عناية عظيمة لرعاية التراث الثقافي والمحافظة عليه والمساعدة على نشره ، ودأب على تشجيع العلوم والفنون والآداب والبحوث العلمية مؤكداً في توجيهاته السامية على الموضوعية والدقة والأمانة العلمية ، ومن هنا كانت تعليماته باعادة ترجمة « دليل الخليج » الذي يعتبر من اضخم المؤلفات واهمها عن تاريخ المنطقة وجغرافيتها.

ويسر الذين اضطلعوا باعادة الترجمة ان يغتنموا هذه المناسبة للاعراب عن عظيم عرفانهم وعميق تقديرهم للرعاية الكريمة التي شمل بها حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى هذا المشروع العلمي ، سائلين الله سبحانه ان يمد في عمر سموه وأن يسدد خطاه لما فيه خير البلاد والعباد .

مكتب حضرة صاحب السمو

أمير دولة قطر

« ملاحظـــة »

لقد وضع هذا الكتاب حوالى نهاية القرن المـاضى وتضـمن ملاحظات وآراء وتعابير تحمل راى المؤلف وحده ، وهى بذلـك لا تقيد حكومة قطر بحال من الاحوال ، ولا تعبر عن وجهـات نظرها .

مقدمة ناشر الطبعة الانجليزية

يتكون دليل الخليج وعمان ووسط الجزيرة العربية من قسمين :

القسم الاول : ويتضمن تاريخ منطقة الخليج وما حولها من الاقطار .

القسم الثاني : وهو معجم جغرافي للمنطقة .

ولقد تم نشر القسم الثاني في عام ١٩٠٨ — أما القسم الأول فقد كاد مؤلفه لوريمر ينهي إعداده للمطبعة عندما عاجلته المنية في أوائل سنة ١٩١٤—حين لم يكن قد بقي من الكتاب سوى المقدمة والفهرس اللتين أنجزهما موقع هذا التقديم ل. بيرد وود . ولقد وضعت مذكرة مستقلة لشرح النهج الذي اتبعه المؤلف في وضع حروف انجليزية نظيرة للحروف العربية والمشار اليها في آخر فقرات تقديم القسم الثاني ، وجعلت تسهيلا لتجليد الكتاب ملحقاً رقم (اس) يظهر على الصفحة ٢٧٣٧ من النص الانجليزي للقسم الثاني .

وقد اعد لوريمر شرحاً كاملا لاقسام الجزء الثاني ومحتوياته جعله في المقدمة ولم يبق غير عمل نفس الشرح والتبويب للجزء الأول .

ولقد تم تقسيم القسم الاول الى اثني عشر باباً على أسس جغرافية يتناول الباب الاول منها منطقة الخليج بعامة ، ثم تشرح الأبواب اللاحقة أجزاء المنطقة على التوالي ابتداء بعمان ثم ولايات الساحل الغربي للخليج — ووسط الجزيرة العربية — والعراق التركي ثم مناطق الساحل الشرقي للخليج ، وتنتهي بالباب الخاص باقليم مكران .

وقد قسم كل باب من الابواب الاثنى عشر المشار اليها الى فترات زمنية قد يستغرق بعضها عصر شاه او سلطان او حاكم او نائب ملك ممن حكموا المنطقة — وفي بعض الحالات كان لا بد من جعل التقسيمات على أساس أحداث بارزة في تاريخ المنطقة .

وقد جعلت موضوعات كل فترة من تلك الفترات متشابهة في تناولها ابرز تطورات تلك الموضوعات البارزة اياها خلال الفترة موضوع البحث.

وينتج بالضرورة من هذه الطريقة التي نهجناها ان موضوعاً بارزاً خلال عهد أحد الحكام قد لا يكون له تكملة او ملحقات في العهد الذي يليه مباشرة ، ولو أنه كثيراً ما يحدث ان تكون له ذيول هامة وملحقات واضحة بعد في باب لاحق .

وقد أعطيت الفترات المختلفة في كل باب ارقاماً خاصة — كما قسمت كل فترة بدورها الى رؤوس موضوعات — وكل موضوع اشير اليه بحرف خاص .

وعند استئناف الكتابة عن موضوع معين في فترة من الفترات التالية يضاف مباشرة لهذه الغاية بحروف مائلة تحت عنوان الموضوع رقم الفترة والرمز الخاص بعنوان الموضوع الذي ترد فيه التكملة . وعلى أية حال فيجب ان نذكر انه بالرغم من أن النظام المطبق هنا قد أمكن الاعتماد عليه في أغلب الابواب والفترات الا ان بعض الوقائع الخاصة خلال القسم الاول — وعلى الاخص السياسة البريطانية والعلاقات الخاصة بها — ترد متشابكة ومتداخلة في التاريخ العام للولاية بحيث لا يمكن تحديد أو تقسيم فتراتها الى موضوعات مستقلة ، وفي مثل هذه الحالات يكون تتبع موضوع ما بالمطالعة العامة للكتاب .

وبالاضافة الى الاثني عشر بابا المشار اليها أعلاه — يشتمل القسم الاول على عدد من الملاحق — كتبها المستر لوريمر — وهي تشمل عموماً موضوعات لها أهميتها الخاصة بمنطقة الخليج كما تشتمل على مجموعة من شجرات الانساب للاسر الحاكمة في دول المنطقة .

ويوجد كذلك جدول للابواب والفصول والملاحق وشجرات الانساب في الصفحة (٥) والجدول المفصل لمحتويات الكتاب في

الصفحة «٩» (١) .

ولتسهيل ربط القسم الاول بالقسم الثاني — فقد تم تقسيم القسم الاول الى ثلاثة أقسام : القسم الاول ويشتمل على الابواب التسعة الاولى أي أنه يشمل التاريخ العام لمنطقة الخليج وتواريخ منطقة عمان والولايات العربية على الشاطيء الغربي للخليج ووسط الجزيرة العربية والعراق التركي — وهو ما يسمى حقاً الجزء العربي من الكتاب .

أما القسم الثاني فيشتمل على بابين أي أنه يشتمل على تواريخ الساحل الفارسي والجزر — وتاريخ مكران وبعبارة أخرى يشتمل على الجزء الايراني من الكتاب .

وتسهيلا لعمل مراجعي النسخة الانجليزية وضع في مقدمة المجلدين الاول والثاني قائمة تفصيلية بالمحتوى والفصول المختلفة .

أما المجلد الثالث فيشتمل على الجداول التفصيلية وشجرات الانساب والخرائط ..... الخ .

ل. بيرد وود

سملا في ١٠ أكتوبر ١٩١٤

---

(١) الاشارة هنا تتعلق بالاصل الانجليزى من الكتاب .

دليل تاريخى للخليج(١) وعمان ووسط الجزيرة

الفصل الاول

التاريخ العام لمنطقــة الخليج

« تاريخ الخليج منذ ظهور البرتغاليين فيه سنة ١٥٠٧ حتى تاسيس الشركة الانجليزية للهند الشرقية سنة ١٦٠٠ » .

عرفت الدول الاوروبية الخليج للمرة الاولى خلال المحاولات التي بذلها البرتغاليون في القرن السادس عشر للخلاص من احتكار العرب (في منطقة البحر المتوسط والشرق الاوسط) الوساطة في التجارة بين آسيا واوروبا .

سيطرة العرب على الطرق التجارية بين آسيا واوروبا حتى سنة١٤٩٨ :

وقد كانت التجارة بين الشرق والغرب منذ أقدم العصور تسلك طريقين رئيسين هما : طريق البحر الاحمر ومصر ، وطريق الخليج والشام ، وكلاهما كانا تحت سيطرة العرب ،وكانت المشكلات والخلافات السياسية احياناً تغلق احدهما او كليهما ، وحين كان الطريقان يغلقان في وقت واحد فان مدد البضائع الشرقية كان ينقطع عن اوروبا الا بالقدر الذي كان يمكن فيه سلوك طريق وعر غير مأمون عبر آسيا الوسطى . وكانت الدول الاوروبية التي لها أعظم نصيب من تجارة المشرق في مطلع القرن الخامس عشر هي جنوا والبندقية ، لكن جنوا فقدت مكانتها في عالم التجارة الشرقية نتيجة سقوط القسطنطينية في ايدي الاتراك سنة ١٤٥٣ ، ولم يمض الا قليل وقت قبل ان تؤدي الشحناء بين مماليك مصر والبندقية الى تجريد الاخيرة مما كان قد بقي لها من مزايا ، وكان واضحاً ان اكتشاف طريق غير مطروق يصل الى الهند

---

(١) معجم جغرافى : Gazetteer
وهو المعنى الحرفى للعبارة الاجنبية والذى اصطلح على تبديله بكلمة دليل لزيادة الملاءمة .

أمر سيعود بثروة ومكانة عظيمتين على الدول التي تستطيع الافادة منه ، وكان البلد الذي كرس نفسه تكريساً مخلصاً في البحث عن مثل ذلك الطريق هو البرتغال .

استكشافات البرتغاليين التدريجية تؤدي الى طريق رأس الرجاء الصالح في سنة ١٤٩٨ :

وقد تحولت انظار البرتغاليين نحو المشرق منذ زمن بعيد ، وربما كان دون هنريك (١٣٩٤ — ١٤٦٠) « المعروف بهنري الملاح » والذي كان يجري في عروقه الدم الانجليزي هو أول من فكر في الوصول الى الهند عن طريق الطواف بحراً حول افريقيا ، لكن هذه الفكرة إن صحت نسبتها اليه ، ظلت مجرد فكرة ، الى ما بعد موته .

بعثة دون بيدرو ١٤١٦ :

وفي سنة ١٤١٦ ، وقبل أن تقفل الطريق البرية المألوفة نتيجـــة فتوحات الاتراك ، قصد دون بيدرو ، وهو شقيق دون هنريك وواحد من أبناء دون جوا الاول الذين يجري في عروقهم الدم الانجليزي ، الى بلاط « السلطان العثماني العظيم » والى « سلطان بابل العظيم » حيث استقبل هناك أحسن استقبال .

حملات وبعثات دي دياز ، ورابي — ابراهام ، ودي كوافيلو ١٤٨٦ — ١٤٨٧ :

على أن اندفاع البرتغاليين بنجاح ناحيتي الشرق والغرب لم يتم الا في عهد الفونسو الخامس ١٤٤٣ — ١٤٨١ ، ودون جوا الثاني ١٤٨١ — ١٤٩٥ ، وكان جوا الثاني متلهفاً لعقد تحالف مع « برسترجون » وهو عاهل مسيحي من الشرق كان البعض يظن ان وجوده مجرد خرافة بينما هو في الحقيقة حاكم الحبشة وهي بلاد لم تكن بعد معروفة في اوروبا وكان هذا الرجل متشوقاً لنشر المسيحية وتوسيع رقعتها ، وكان يطمع في ارتياد طريق تجاري جديد في الهند ، واكتشاف الارض التي يجلبون

منها الفلفل والقرفه وشتى التوابل.ولهذه الاعتبارات جميعاً ارسل ملك البرتغال العديد من البعثات والحملات . وفي سنة١٤٨٦ طاف « بارثلميو دي دياز» حول رأس الرجاء الصالح ، دون ان يدرك انه قد استدار حول أقصى الجنوب من افريقيا ، وفي سنة ١٨٤٧ خرج « جوا بيرس دي كوافيلوا والفونسو دي بيف » للبحث عن بلاد التوابل .

فصل كوافيلوا عن اصدقائه من عدن متخذاً طريقه الى جزر الكنار وكلكتا وجوا وهرمز على الخليج وسافالا ، ثم عاد فاتجه غرباً حتى بلغ القاهرة ، وفيها ترافق مع الأب « ابراهام » من بيجا والذي كان قد خرج تحت رعاية ملك البرتغال الى بغداد وفارس مع جوزف (من لاميجو) الذي كان قد اعد تقريراً عن جزيرة هرمز . ورجع كوافيلو ورابي بعدها الى هرمز ، ثم وصل الاول بمفرده الى عدن ... وفي النهاية وعندما لقي « برستر جون » في بلاد الحبشة استقر نهائياً في تلك البلاد .

رحلة فاسكو دي جاما الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح ١٤٩٧ - ١٤٩٩ :

وفي أغسطس سنة ١٤٩٨ وصل فاسكو دي جاما الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح ، وكان قد ابحر من البرتغال في ١٤٩٧ وانتهت رحلته التي تعتبر من أخطر الرحلات في التاريخ - الى لشبونه في سبتمبر ١٤٩٩ ، وكانت النتيجة السريعة والمحققة لهذه الرحلة ثورة في تجارة اوروبا ومجداً عظيماً للبرتغال فأصبح ملوكه منذ ذلك الحين فصاعداً ينعتون أنفسهم بأنهم « سادة الفتح والملاحة والتجارة في الهند والحبشة وجزيرة العرب وفارس » وسرعان ما صدق البابا على هذا اللقب.

حكومة الميدا فى الهند وفزع الاتراك والعرب ١٥٠٥ ـ ١٥٠٩

في سنة ١٥٠٥ قرر عمانويل الاول ملك البرتغال ، وأول من حمل

ذلك اللقب الكبير الذي ألمعنا اليه أن يقضي على تفوق الدول العربية التجاري مرة واحدة عن طريق احتلال عدن وهرمز وملقا ، ولهذا المخطط ارسل عمانويل فرانسيسكو دي الميدا الى الهند حاكماً للمستعمرات البرتغالية في الشرق ، فاتخذ هذا من كوشن مقراً رئيسياً له . وفي ١٥٠٦ وصل اسطول تركي عربي الى ساحل الهند لنجدة امير مسلم وتخليصه من غزو البرتغاليين ، لكن البرتغاليين هزموا هذا الاسطول مؤكدين لاول مرة تفوقهم البحري على المشارقة .

دى البوكيرك وأعماله فى منطقة الخليج
١٥٠٧ ـ ١٥٠٨

في غضون ذلك ، وفي نفس السنة ١٥٠٦ كان الفونسو دي البوكيرك قد ابحر الى المشرق ومعه رسالة ملكية بتعيينه نائباً للملك وحاكماً لمستعمرات البرتغال في الهند ، وقد أبقى هذه الرسالة سراً في البداية ، لكن الملك أعطاها له كي تمكنه من ان يرئس دي الميدا ، وكان اهتمامه الاول ـ على أية حال ـ منصباً على احتلال قواعد ممتازة في البحار غربي الهند ، ولهذا الهدف احتل جزيرة سقطرى ، لكنه وجدها بلا جدوى فتركها وقام بحملة على هرمز .

دي البوكيرك في ساحل عمان :

وبعد ان دمر كل مركب وطني التقى به في طريقه وصل دي البوكيرك أخيراً الى قلهات ، على ساحل عمان حيث استقبل استقبالا حسناً ، وفي ٢٢ أغسطس ١٥٠٧ خرج من قلهات الى قريات فاحتلها عنوة ولم يجد معارضة في مسقط حين بلغها ، لكن قوات كبيرة بدأت في التجمع على الساحل ، وكانت نواياها العدائية واضحة ، فنزل دي البوكيرك الى البر وهزمها واشعل النار في المدينة وميناءها واستسلمت له

صحار دون مقاومة رغم وجود قلعة ضخمة فيها ، ثم نزل في خور فكان حيث كان اتجاه الاهالي مناوئاً له فاوقع بهم عقاباً شديداً . واخيراً وصل الى هرمز «الى الملك» او الشيخ الذي كانت كل تلك القرى بساحل عمان التي مر بها خاضعة له وتدفع له الجزية ، وكان اسمه سيف الدين. رفض الشيخ ان يستسلم فبادر البوكيرك بالهجوم باسطوله الصغير على اسطول ضخم كان يتولى الدفاع عن الجزيرة بعض سفنه هندية ، واستطاع البوكيرك ان يحرز نصراً سهلا وتاماً ، وفي سبتمبر ١٥٠٧ وقع معاهدة مع الشيخ سيف الدين أصبح هذا بمقتضاها تابعاً للتاج البرتغالي ، بل انه أيضاً وبعد شهر واحد رفع على قصره علماً عليه شارة الصليب ، وبدأ البرتغاليون ينشئون قوة لهم اطلقوا عليها « جيش النصر » وفيما بعد رفض الشيخ سيف الدين رسالة من الشاه اسماعيل ملك فارس تطالبه بالولاء انصياعاً لأمر البوكيرك الذي ارسل بدوره مع جواب سيف الدين رسالة مفعمة بالعجرفة لتسليمها الى الشاه .

سوء فعل ضباط البوكيرك وجلاء البرتغاليين عن هرمز :

وفي اوائل ١٥٠٨ والاسطول البرتغالي ما يزال في هرمز — التقت كلمة معظم قادة السفن على تحديد سلطة البوكيرك ، ورغم أن هذا استطاع أن يقصف بالمدفعية المدينة التي اعتصم بها بعض الضباط المنشقين عليه ، الا أن اقامته في هرمز أصبحت متعذرة فاقلع في نوفمبر من نفس السنة متجهاً الى الهند ، لكن دي الميدا الذي كان يستنكر ما فعله البوكيرك في هرمز رفض ان يسلم اليه الحكم ورفع الخلاف بينهما الى البرتغال كي يسوى هناك . وأصبح البوكيرك في نوفمبر ١٥٠٩ نائباً لملك البرتغال في الهند وبعدها استقبل بعثة ارسلها اليه شاه ايران وشيخ هرمز في عاصمته جوا ، وفي خلال فترة نيابته للملك احبط الكثير من هجمات الاتراك على املاك البرتغال في الهند كما شن عليهم هجمات عديدة ، ذلك ان البوكيرك كان يرى ان استعادة هرمز التي فقدها أهم من السيطرة على عدن .

تعيين البوكيرك نائبا لملك البرتغال في الهند
١٥٠٩ ـ ١٥١٥

البرتغاليون يستعيدون جزيرة هرمز ١٥١٥ :

وفي فبراير ١٥١٥ ابحر الى هرمز اسطول برتغالي يقل ١٥٠٠ برتغالي و ٦٠٠ مالا باري و ٣٠٠ عبد على رأسه البوكيرك نفسه ، ويقال إن حاكم هرمز كان في ذلك الوقت مواطناً من ايران وصل الى الحكم بعد ان قتل سلفه الحاكم ، وكان مهدداً بنفس المصير على يدي ابناء اخوته ، وكانت الجزيرة في حالة من الثورة والاضطراب بحيث لم تتطلب استعادتها اي عمل بحري او عسكري ، وفي اول ابريل كانت القوات البرتغالية قد اعادت احتلال الجزيرة .

المفاوضات البرتغالية الايرانية وموت البوكيرك ـ ١٥١٥ :

وبعدها وصل سفير للشاه اسماعيل من ايران يحمل عدة مطالب أجيب الى بعضها ، فقد اقترح ضمن اقتراحات كثيرة ـ ان تقدم البرتغال بعض سفنها لايران كي تمكنها من غزو البحرين والقطيف ، وأن يساعد البرتغاليون الشاه على قمع تمرد ضده في مكران بأن يحتلوا جوادر ، وأن يقوم تحالف ضد تركيا بين ايران والبرتغال وفي ٢٠ أكتوبر عين البوكيرك،الذي كان قد مرض مرضاً خطيراً،ابن أخيه بيرو قائداً لمرفأ هرمز ، ثم انه ابحر الى الهند ، ومات على سفينته في جوا قبل أن ينزل الى البر .

علاقة البرتغاليين بالقوى المحلية وحروبهم ضد الاتراك في الخليج ١٥١٥ ـ ١٦٠٠

ثورات الوطنيين ضد البرتغاليين وعداء الاتراك والايرانيين :

بعد موت البوكيرك تجددت الاضطرابات في مراكز البرتغاليين

في ايران والجزيرة العربية ، كما ان الاخطار التي تتهددهم من الاتراك ، الذين راحت قوتهم البحرية تتزايد في المحيط الهندي بدلا من ان تتناقص ، شرعت تمتد الى الخليج .

وفي ١٥٢٢ ، أدى تعين موظفين برتغاليين للمراكز الجمركية في هرمز والبحرين ، وصحار والقريات الى اثارة سخط الأهالي مما أغرى شيخ هرمز على تنظيم هجوم بري وبحري في وقت واحد على سائر تلك المواقع ظاناً بأن الفرصة قد واتته لخلع نير البرتغاليين . وقد خسر البرتغاليون ارواحاً كثيرة لان هذا الهجوم الموحد كان مفاجأة لهم ، وعاد شيخ هرمز نفسه — بعد أن أشعل النار في المدينة — الى قشم ، لكن بعض رجاله قتلوه هناك ، وسرعان ما وصل اسطول برتغالي من الهند يقوده دي ينيزيس فدمر صحار تدميراً تاماً ، ثم تقدم الى هرمز التي كان يحكمها عندئذ كوتنهو ، فاستعادها مرة أخرى ، وابرمت معاهدة في ميناب في ٢٣ يوليو سنة ١٥٢٣ فرضها القائد البرتغالي على شيخ هرمز الجديد ، وبموجبها لم تصبح هرمز تحت حماية البرتغال فحسب ، ولكنها باتت تخضع لاشراف دقيق منهم .

حوادث ١٥٢٦ — ١٥٢٩ :

وفي ١٥٢٦ ، حدثت ثورات جديدة من جانب الاهالي في مسقط وقلهات نتيجة العنف الزائد من جانب دي ميللر الذي كان يحكم هرمز ، ومن جراء مكائد الرئيس شرف الدين الذي يبدو انه كان المستشار الاول لشيخ هرمز . وقام لويوفاز بقمع هذه الثورات باسطول استقدمه من الهند ، كما انه في الوقت نفسه حصّل متأخرات الجزية المستحقةعلى حاكم هرمز . وفي سنة ١٥٢٩ قام مونو دي كونوا — حاكم المستعمرات البرتغالية في الهند بزيارة لهرمز فنفى الرئيس شرف الدين الى البرتغال بناء على اوامر ملك البرتغال وثارت البحرين على شيخ هرمز فارسلت حملة برتغالية لقمع الثورة ، لكنها فشلت نتيجة نقص استعداداتها .

الحملة البرتغالية الاولى على البصرة حوالي سنة ١٥٢٩ :

وفي هذا الوقت تقريباً بدأ أسم تركيا يتردد في الخليج فقد تعهد حاكم البصرة ، والأغلب انه كان عربياً ، بأن يحول بين الاتراك والتجارة هناك اذا عاونه البرتغاليون ضد شيخ من جواره في العراق كان عدواً له وفعلا قام ملشبور تافرز دى سوزا بحملة لمساعدة الشيخ الذي لم يف بوعوده بتعطيل التجارة التركية ، فانتقم دي سوزا بأن أحرق مدينتين في طريق عودته .

الاتراك على ساحل الهند ١٥٣٨ :

وجهز الاتراك اسطولا ضخماً يقوده سليمان باشا والي مصر ربما كان بمثابه رد على الحملات التي كانت ترسلها الحكومة البرتغالية في الهند بين حين وآخر الى البحر الاحمر والخليج ، ووصل الاسطول التركي الى شاطىء الهند في ١٥٣٨ ، وبذل جهوداً يائسة استمرت شهراً بأكمله للاستيلاء على ديو من البرتغاليين ، لكنه فشل . وكانت الفترة التالية فترة صراع دائب بين البرتغاليين والاتراك في الخليج .

نزاع بين البرتغاليين وشيخ هرمز ١٥٤٢ :

ولم تكن علاقة البرتغاليين بواليهم شيخ هرمز مرضية على الاطلاق وقد عجز هذا الشيخ او اهمل دفع المتأخرات عليه من الضرائب الامر الذي جعل البرتغاليين يتولون بأنفسهم الاشراف المباشر على المراكز الجمركية وبذلك حصلوا على كل ما كانوا يطالبون به .

طرد الاتراك من القطيف . حملة البرتغال الثانية على البصرة . حملة بيريك التأديبية في ١٥٥٠ :

لقد بدأ الصراع السافر بين البرتغاليين والاتراك في الخليج حوالي سنة ١٥٥٠ ، حين أعلن أهالي القطيف أنهم لا يدينون بالولاء لهرمز ، وانهم يضعون أنفسهم تحت حماية الاتراك الذين كانوا قد احتلوا

البصرة منذ عهد قريب ، فاغتم شيخ هرمز غماً شديداً لضياع القطيف ، كما تقدم آخر حكام هذه المنطقة الذي كان الاهالي قد طردوه منها الى البرتغاليين يطلب عونهم . ومن جراء ذلك خرجت حملة برتغالية من الهند على ١٩ سفينة تقل ١٢١٠ رجال تحت قيادة دون انطونيو دي نورنها الى القطيف واستطاعت الحملة بمؤازرة الموالين لشيخ هرمز ان تطرد الاتراك من القطيف بسرعة وقد زارت الحملة البصرة ايضاً ، لكن قائدها خشي الخيانة فلم يطل مكثه بها ولم يقم فيها بأية عملية .

ورد الاتراك على هذا الهجوم البرتغالي بأن ارسلوا قرصاناً (١) يدعى بيريك الى جولة في الخليج على رأس اسطول كبير قام بتظاهرة أمام مسقط وأجلى عنها الحامية البرتغالية واجرى مظاهرة أمام هرمز نفسها وأعمل السلب والنهب في مدينة قشم .

حملة مراد بك ضد البرتغاليين ١٥٥١ :

وفي عام ١٥٥١ اعدم بيريك في القسطنطينية لانه جاوز التعليمات الصادرة اليه وخلفه مراد بك الذي فشل من قبل في الصمود في القطيف أمام البرتغاليين ، لكنه الآن قام بجهد يائس وفاشل لانقاذ سمعته بالاشتباك مع الاسطول البرتغالي في عرض الخليج .

هزيمة الاتراك بقيادة علي شلبي في مسقط على ايدي البرتغاليين١٥٥٣ :

وفي ١٥٥٣ عهد بقيادة الاسطول التركي في الخليج – بدلا من مراد بك – الى علي شلبي ، وهو قرصان متبجح ، وفي ٢٥ أغسطس التقى به اسطول فرناندو دي نورنها في البحر قرب مسقط واستطاع هذا ان يأسر ٦ سفن من الاسطول التركي ويطرد الباقي ليحاصره في صورات.

---

(١) سوف يكثر المؤلف من ذكر كلمة « قرصان » أو « قراصنة » عندما يتحدث عن العرب والمسلمين – أما عندما يتحدث عن مجرمي أوروبا ، الذين جاءوا لحرق المدن وقتل المواطنين ، فكثيرا ما يستعمل تعبير « القواد الشجعان » (المراجع)

حملة برتغالية ثالثة على البصرة :

وفي ١٥٥٦ طلب شيخ هرمز عون البرتغاليين على الاتراك فارسل دون الفارو دي سيلفيرا لنجدته، لكن الاسطول البرتغالي شلت حركته من جراء عاصفة عاتية هبت عليه بعد وصوله الى البصرة فعاد الى قواعده دون ان يحقق شيئاً .

غزو الاتراك للبحرين ثم طردهم منها على يد البرتغاليين ١٥٥٩ :

وبعدها بسنوات ثلاث تقدم اسطول تركي مكون من سفينتين كبيرتين و ٧٠ مركباً شراعياً ــ على ظهره ١٢٠٠ تركي وانكشاري الى البحرين ، وطلب الرأس مراد الذي كان حاكماً هناك باسم شيخ هرمز ــ النجدة من الشيخ ومن البرتغاليين وسرعان ما تحرك اسطول برتغالي الى مكان الاحداث ، وباشر الهجوم على الاتراك بمساعدة الرأس مراد وثلاثمائة فارس مسلحين تسليحاً جيداً ، وكان الاتراك عندئذ يحاصرون القلعة الرئيسية ، فاستدرجوا البرتغاليين الى كمين والحقوا بهم خسائر فادحة حيث بلغ قتلاهم ٧٠ رجلا . لكن الحلفاء فيما بعد وصلتهم الامدادات من هرمز فاستطاعوا ان يرغموا القوات التركية على الانسحاب من البحرين ، وسمحوا لهم بالانسحاب بعد تسليم اسراهم وسلاحهم وخيلهم ودفع مبلغ عشرة آلاف دوكة . « الدوكة عملة مدينة البندقية » .

ضم البرتغال الى اسبانيا سنة ١٥٨٠ :

وفي سنة ١٥٨٠ ضمت البرتغال الى اسبانيا ولم يتحقق لها الاستقلال مرة أخرى الا في سنة ١٦٤٠ .

الاتراك يحتلون مسقط احتلالا موقتاً ١٥٨١ :

وفي سنة ١٥٨١ خرجت حملة تركية الى مسقط يقودها مغامر تركي بحري يدعى علي بك وكانت تضم ثلاث سفن كبيرة واستطاعت ان تفاجيء الحامية البرتغالية من البر والبحر فلم يسعها الاالانسحاب الموقت

الى الداخل ، ثم ارسلت من هرمز حملة لتأديب علي بك ، لكنها بدل ذلك دمرت موانيء جوادروتيس على ساحل مكران .

الايرانيون في لار يقومون بتمرد ضد شيخ هرمز ١٥٨٢ :

وفي ١٥٨٢ قام خانلار – الذي كانت عائلته تحكم هذه الولاية فترة ما ، لكنها الآن أصبحت من اتباع شيخ هرمز – باحتلال اقليم شامل ، ومحاصرة جزيرة هرمز ، لكن شيخ هرمز والبرتغاليين انزلوا حملة اعادت احتلال قلعة شامل وطردت قوات اللاريين بعد ان أوقعت بهم مذبحة كبرى .

رحلة اربعة انجليز في الفرات ودجلة الى الخليج ١٥٨٣ : (١)

وتميزت سنة ١٥٨٣ برحلة قام بها اربعة من المغامرين الانجليز : رالف فيتش ، جون نيوبري ، وهما تاجران . ووليام ديدز تاجـر المجوهرات ، والرسام جيمس ستوري ، وقد بدأوا رحلتهم من طرابلس الشام ، ثم نزلوا في الفرات الى الفالوجة ثم الى بغداد فدجلة والبصرة ومنها الى الخليج وهرمز حيث قبضت عليهم السلطات البرتغالية لاشتباهها في أن يكونوا جواسيس او متآمرين ، ومن هرمز ارسلوا الى سجن جوا حيث بقوا فترة من الزمن ، وكان نيوبري قد سبق له ان قام برحلة من حلب الى البصرة من قبل في سنة ١٥٨١ .

كارثة البرتغاليين في نخيلوه ١٥٨٥ :

وفي ١٥٨٥ أصابت البرتغاليين نكسة خطيرة في نخيلوه، على ساحل الخليج ذلك أنهم ارادوا تأديب هذه المنطقة لانها كانت تعوق الامدادات المتجهة الى هرمز ، لكنهم اخذوا على غرة بعد نزولهم الارض ففروا الى سفنهم بعد ان قتل منهم حوالي ٢٥٠ قتيلا ، ربما كان بينهم بعض أتباعهم من الاهالي .

البرتغاليون ينشئون قلعة كبرى في مسقط ١٥٨٦ :

وفي العام التالي وعلى ضوء المستفاد من تجاربهم انشأ البرتغاليون قلعة كبرى في مسقط .

---

(١) أنظر التذييل الاول للفصل التاسع • ففى الرواية الاصلية للرحلة الواردة هنا دليل على الثبات العجيب لنمط الحياة والاسفار فى الشرق •

ملحوظة : مصادر المعلومات فيما يتعلق بتاريخ الخليج من سنة ١٦٠٠ الى سنة ١٧٢٢ ـ والجزء الاخير من هذه الفترة هي التى كان فيها الصفويون يحكمون ايران ـ مصادر متعددة وكثيرة ، لكننا سنقتصر على سرد الهام منها فقط •

والمصادرر الآتية تتناول الاحداث من وجهة النظر الانجليزية ، والرسمية الى حد ما وهى :

« رسائل (فوستر) التى كانت شركة الهند الشرقية تتلقاها من موظفيها فى المشرق » فى ستة مجلدات ١٨٩٦ ـ ١٩٠٢ ، وهى تتناول أيضا الفترة من ١٦٠٢ ـ ١٦١٧ •

« تقويم أوراق الدولة ، لجزر الهند الشرقية » : من ١٥١٣ الى ١٦١٦ ، من ١٦١٧ الى ١٦٢١ ، من ١٦٢٢ الى ١٦٢٤ ، من ١٦٢٥ الى ١٦٢٩ ـ فى أربعة مجلدات ، كذلك أيضا « جزر الهند الشرقية وايران من ١٦٣٠ الى ١٦٣٤ » • فى مجلد واحد • كتاب « بروس جوليات شركة الهند الشرقية المعظمة » فى ثلاثة مجلدات ، طبعة ١٨١٠ ، وتغطى الفترة من ١٦٠٠ الى ١٧٠٨ ، كذلك « مختارات مستر ج• سالدانا من أوراق الدولة في بومباىءن شركة الهند الشرقية وعلاقتها بالخليج ، مع تلخيص للاحداث من ١٦٠٠ الى ١٨٠٠ » ، طبع سنة ١٩٠٥ ، وفيه تسجيل لهذا الحشد الهائل من سجلات بومبى التى أخذت منها المختارات •

وفى كتاب « تاريخ البحرية الهندية » ـ ١٨٧٤ ، من تاليف الضابط البحرى س•ر•لو ، وصف كامل لكل العمليات العسكرية والبحرية التى قام بها الانجليز فى الخليج طوال هذه الفترة • والكتب التالية لمؤلفين خاصين أو شبه رسميين فيها معلومات ذات فائدة وقيمة بالنسبة لاحداث معنية • منها كتاب الاخوة الثلاثة المجهولون ـ طبعة

١٨٢٥ ـ الذى يتناول أعمال سيرا ٠ وسير ر٠ شيرلى من ١٥٩٩ ـ ١٦٢٨ ومؤلف مسترو ٠ فوستر « سفارة سير توماس رو » طبعة ١٨٩٩ ـ للفترة من ١٦١٥ ـ ١٦١٩ و « صفقة الحج » ٠ المجلد العاشر (أعيد طبعه عن طبعة ١٩٠٥) نقلا عن جورنال مونوكس ١٦٢١ ـ ١٦٢٢ ، وكتاب هوبرت « بعض أعوام الترحال » ويتناول سفارة سير د٠ كوتن الى ايران فى ١٦٢٧ ـ ١٦٢٨ ، ومؤلف فرير « وصف جديد لجزر الهند الشرقية وايران » ، ١٦٩٨ ، ويتناول السنوات ١٦٧٧، ١٦٧٨ ، وكتاب هاملتون « وصف جديد لجزر الهند الشرقية » ، ١٧٣٩ ، الذى يعتمد على الخبرة الشخصية فى الفترة من ١٦٨٨ الى ١٧٢٣ ، وفى كتابات بعض الرحالة الاوروبيين غير الانجليز ما يلقى الضوء على احداث ومواقف خاصة ، من ذلك ، اسفار بيدروتكسيرا ، الترجمة الانجليزية ١٩٠٢ ، وتتناول ١٦٠٤ ، ورحلات بيترو ديلا فالى ـ الترجمة الانجليزية سنة ١٦٦٥ ، وتتناول السنوات ١٦٢٣ ـ ١٦٢٥، وملاحظات واسفار ماندلسولو سنة ١٧٢٧ ، وتتناول سنة ١٦٣٨ ، واسفار تافرنير ، الترجمة الانجليزية سنة ١٦٨٤ ، وتتناول سنة ١٦٥٢ ٠

وبالنسبة للسياسة البرتغالية ، فأهم المراجع هى : « سجل لاسيا البرتغالية على عهد فارياكس سوسا ترجمه الى الانجليزية ستيفنس سنة ١٦٩٥ ، ويصل بالاحداث الى سنة ١٦٤٠ ، ومؤلف الكولونيل س٠ب٠ مايلز « البرتغال فى شرق جزيرة العرب » ، وهو ضمن تقرير مفوضية الخليج الادارى لسنة ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ ، ويصل بالاحداث الى ١٦٥١ ، ومؤلف مسترف ٠س٠ دانفوز (البرتغاليون فى الهند) سنة ١٨٩٤ ، ويغطى الفترة كلها ٠

أما كتاب مالكولم « عن تاريخ ايران » سنة ١٨١٥ ، المجلد الاول ، كذلك مؤلف الاستاذ أ٠س ٠ كريزى عن « تاريخ الاتراك العثمانيين » ، سنة ١٨٥٦ فهما مفيدان بشكل خاص لربط احداث الخليج بالمجرى العام للاحداث فى ايران وتركيا ٠

الموقف العام في سنة ١٦٠٠

الآن نستطيع – في كلمات قليلة – ان نصف الموقف العام في الخليج في نهاية القرن السادس عشر .

مكانة البرتغاليين وخضوعهم لاسبانيا في ذلك الوقت :

كانت البرتغال ما تزال هي الامة الاوروبية الوحيدة المتواجدة في الخليج ، حيث كما رأينا تأسس وجودها سنة ١٥٠٧ حين كان العلم البرتغالي متفوقاً في البحار ، وكان للبرتغال قلاعها المحصنة في جزر هرمز والبحرين وفي قشم ومسقط ، وربما في مناطق أخرى من ساحل عمان ، كما كانت هرمز هي المقر الاداري الذي ظل لسنين طويلة السوق الرئيسية للتجارة مع جزء كبير من العالم .

لكن قوى البرتغال ، على أية حال ، بدأت تظهر عليها أعراض الوهن ، ويفسر البعض هذه الحقيقة « بستين عاماً من الاستسلام لاسبانيا» ويقصدون تلك الفترة التي بدأت كما اشرنا في سنة ١٥٨٠ ولم تنته إلا في ١٦٤٠ ، فالحكومة الاسبانية التي كانت قائمة في تلك الايام ، والتي كانت تسيطر على السياسة البرتغالية الخارجية ، كانت حكومة مركزية ومتحيزة وغير رشيدة ، وكانت على حد تعبير النظريات الاقتصادية السائدة في ذلك العصر – تنزع الى التضحية بكل شيء في سبيل تكديس التوابل والبهار .

مكانة الهولنديين :

ولم يكن الهولنديون – في سنة ١٦٠٠ – قد ظهروا بعد على مسرح الاحداث في الخليج ، لكن نجاحهم في نضالهم الطويل من أجل الاستقلال عن اسبانيا أخذ يشجعهم على صرف انتباههم الى جزر الهند الشرقية ، ووضعت اسس الشركة الهولندية للهند الشرقية ، التي لم

تؤسس رسمياً الا سنة ١٦٠٢ ، في امستردام سنة ١٥٩٥ ، وفي ١٥٩٦ و ١٥٩٧ وفدت الى الهند بوادر النقمة التي حاقت بكبرياء البرتغاليين وجشعهم في صورة سفينتين من سفن الهولنديين .

مكانة الانجليز وتأسيس شركة الهند الشرقية الانجليزية :

أما انجلترا ، التي حققت امنها القومي بانتصارها على اسطول الارمادا الاسباني في سنة ١٥٨٨ ، والتي أصبحت الآن أعظم دولة بروتستنتية حرة في اوربا ، فقد بدأت مرحلة من المغامرات والنشاط التجاري ، ففي آخر يوم من أيام سنة ١٦٠٠ تأسست شركة الهند الشرقية الانجليزية بمرسوم ملكي باسم «رئيس واعضاء شركة لندن للتجار المتاجرين في جزر الهند الشرقية » ، وكان عدد المساهمين الاصليين ٢١٧ مساهماً ورأس المال المدفوع ٦٨,٨٧٣ جنيهاً انجليزياً . وكان بعض الافراد من التجار قد اكتشفوا وعرفوا حقيقة الوضع التجاري في الشرق ومن بين هؤلاء نيوبري وفتش ورفاقهما ممن عرضنا من قبل لرحلتهم في سنة ١٥٨٣ .

تاريخ الخليج من تكوين شركة الهند الشرقية الانجليزية سنة ١٦٠٠ الى طرد البرتغاليين من هرمز فى١٦٢٢

« الاحداث السابقة لتأسيس أول وكالة تجارية فى الخليج من ١٦٠٠ ــ ١٦١٦ »

كذلك كان الموقف العام سنة ١٦٠٠ والآن نستطيع ان نعرض باختصار مجرى الاحداث التي انتهت بانشاء وكالة تجارية في الخليج سنة ١٦١٦ .

رحلة سير انطوني شيرلي الى ايران ثم بعثته الى اوربا ــ١٥٩٩ــ١٦٠١ :

لعب الاخوان شيرلي دوراً هاماً في التمهيد للنفوذ الانجليزي في ايران ،

وهما اخوان مغامران من اسرة طيبة في سوسكس ، لم يكن ولاؤهما لوطنهما ، أو على الاقل للكهما ، يخلو من الشبهة لكن جهدهما كان عظيما . وقد اسفر في النهاية عن فوائد جمة لسمعة انجلترا في المشرق .

في سنة ١٥٩٩ بدأ سير انطوني شيرلي ، وكان قد حصل على لقب فارس في سنة ١٥٩٧ ، رحلته بتوجيه من ايرل ايسكس ولكن دون تعليمات رسمية ، الى بلاط الشاه عباس الاول شاه ايران ، مستهدفاً قبل كل شيء محاولة اقناع الشاه بالاستعانة باوربا المسيحية ضد الاتراك من ناحية ، وتنظيم انشاء تجارة انجليزية على اسس مرضية في الشرق من ناحية أخرى ، وصحبه في رحلته هذه أخوه الاصغر روبرت وغيره آخرون سافروا الى ايران براً عن طريق بغداد واستقبله الشاه اولاً في قزوين ، ويبدو أن اول نتيجة لمساعي سير روبرت كانت صرف الشاه عباس سفيراً تركياً كان قد قدم ليتفاوض في اقرار السلم بين تركيا وايران،بجواب غير ودي . ثم أصدر الشاه نفسه فرماناً بفتح ابواب ايران أمام التجار المسيحيين من كل الدول مستثنياً اياهم من الاجراءات القضائية التي يخضع لها المواطن الايراني مع ضمانة صيانة املاكهم والتحفظ عليها في حالة الوفاة (١) ، وعاد سير انطوني بعدها الى اوربا في مهمة عامة — لعله هو الذي اقترحها بنفسه — مندوباً عن الشاه الى جميع امراء الدول المسيحية وزار لهذه المهمة روسيا والمانيا وايطاليا واسبانيا لكنه لم يزر انجلترا ، وعلى أية حال فلم تكن لمهمته هذه نتائج تذكر ، وقد سبب شخص ايراني كان الشاه عباس قد ارسله مرافقاً لسير انطوني كثيراً من المتاعب لإصراره على أنه هو السفير الفعلي ، لكن الشاه امر باعدام

(١) يظن ان هذا الفرمان قد صدر فى سنة ١٥٩٩ ، ولكن اذا كان سير انطوني شيرلي هو الذى حصل عليه ، فالارجح أن يكون تاريخه ١٦٠٠ ، أنظر تقويم أوراق الدولة (جزر الهند الشرقية، ١٥١٤ ـ ١٦١٦ ص ١٠٣) لكن جوهر هذا الترخيص موجود بتفصيل أكثر فى كتاب مالكولم عن تاريخ ايران ، المجلد الثانى صفحات : ٥٣٥ ـ ٥٣٦ .

هذا الرجل بمجرد عودته لايران من روما ، وقد اتخذ سير انطوني ، الذي يبدو ان الحكومة الانجليزية ارتابت في ولائه لها ، من اسبانيا مكاناً لاستقراره بعد انتهاء مهمته متجاهلا امراً من حكومته بالعودة لبلاده ، حيث ظل مقيماً باسبانيا حتى مات في سنة ١٦٣٠ .

أعمال روبرت شيرلي في ايران وبعثته لاوربا :

وبقي روبرت شيرلي في بلاط الشاه بعد رحيل شقيقه الاكبر الى اوربا ضيفاً على الشاه في ظاهر الامر ، لكن الشاه بعد مرور فترة لم يتلق فيها أية أنباء عن سفارة سير أنطوني – أعرض عن روبرت شيرلي ولم يعره الاهتمام الذي بدأت به علاقته معه ، لكن هذا الرجل الانجليزي استطاع بما قدمه من خدمات هامة للشاه ضد تركيا ان يستعيد مكانته عنده ، كما استطاع ان يضمن ايقاع القصاص كما ذكرنا انفاً ، على المندوب الايراني الذي صحب شقيقه الى اوربا ، واخيراً في سنة ١٦٠٨ أو ١٦٠٩ ارسل الشاه عباس روبرت شيرلي نفسه الى اوربا ، كما ارسل شقيقه من قبل لهدف تكوين وتعزيز روابط الصداقة بين ايران والدول الاوربية ، وليعلن لهذه البلدان عزم الشاه على تدمير الاتراك ، وتقديم حدوده الى حيث تجاور حدود الدول المسيحية . وبعد ان زار روبرت شيرلي بولندا والمانيا سنة ١٦٠٩ وايطاليا سنة ١٦١٠ ، قصد اسبانيا حيث راح يشرح خطة لتحويل تجارة الحرير الايراني عن طريق البر الذي تفيد منه تركيا الى ميناء هرمز او أي ميناء قريب منه على الخليج ، لكن هذا الاقتراح قوبل بفتور في البلاط الاسباني ، ثم توجه الى انجلترا واستطاع ان يحظى بلقاء الملك جيمس في قصر هامتون في ١٢ أكتوبر ١٦١١ حيث عرض على جلالته مهمته ، وقدم اليه خطابات موقعة من الشاه يبدي فيها اخلاصه ومحبته ورغبته العميقة في اقامة علاقات المودة مع ملك بريطانيا العظمى . مع عرض صريح بحرية التجارة « لكل رعايا صاحب الجلالة في جميع انحاء الارض الايرانية .. الخ » وخلال اقامة روبرت شيرلي في انجلترا وضعت زوجته تريزا – وهي سيدة جركسية

منحها له الشاه عباس ليتزوجها — طفلا أصبحت ملكة انجلترا أما له بالعماد والامير هنري ابا ، لكن مفاوضاته السياسية فشلت ، فقد كان ثمة شك حول سمعة بعثته هذه ومدى صلاحيتها ، كما ان تجار الهند الشرقية عارضوا مشروعاته لتخوفهم من أنها قد تفضي الى اضطراب التجارة مع تركيا ، وفي النهاية ترك شيرلي — الذي أصبح سير روبرت شترلي — انجلترا دون ان يحقق شيئاً . وكان سير توماس رو الذي لعب فيما بعد دوراً هاماً في تنمية تجارة انجلترا مع الشرق شاهدا لمناورات شيرلي هذه وقد أصبح رايه فيه انه « ليس مخلصاً فحسب ولكنه ماكر أيضاً » وأخيراً في يناير سية ١٦١٣ أبحر شيرلي من دوفر الى ايران يصحبه سير توماس باول — الذي كان يتولى منصباً عسكرياً تحت امرة الشاه عباس — على ظهر سفينة الشركة الهندية « اكسبدشن » بأمر من الملك جيمس . ويبدو انه كان يحمل خطابات مجاملة ملكية للشاه عباس ، وتمت الرحلة في جو عاصف جعلها تقطع المسافة من دوفر الى الساحل الجنوبي للجزيرة العربية في ٢٨ يوماً . وحالت هذه الظروف دون ان ترسو السفينة في مدخل الخليج كما كان مقدراً لها وكادت تنجح خطة حاكم جوادر — الذي كان متمرداً على الشاه عباس — في الاستيلاء على السفينة ، لكن شيرلي استطاع اخيراً في سبتمبر ١٦١٣ ان يهبط على ساحل السند . وبعد زيارة قام بها لامبراطور المغول جاهنجير في أجمير عاد براً الى عاصمة الشاه .

شركة الهند الشرقية الانجليزية تؤسس مركزاً لها في الهند ١٦٠٠ — ١٦١٣ :

في نفس الوقت ، بدأت شركة الهند الشرقية في تثبيت اقدامها في الهند ، فبين سنتي ١٦٠٠ ، ١٦١٢ خرج ١٢ اسطولا تجارياً بأموال المساهمين في هذه الشركة ، وفي سنة ١٦٠٨ وصلت اول سفينة انجليزية الى سورات ، وكان قبطانها ويليام هوكنز يحمل خطاب توصية من الملك جيمس ، فاحسن امبراطور المغول استقباله في البداية لكنه

سرعان ما طرده من البلاد نتيجة مؤامرات البرتغاليين ، وفي نفس السنة لم يستطع سير هنري ميدلتون – قائد الرحلة السادسة أن يحصل على تصريح بالتجارة في سورات ، فأخذ معه هوكنز وانتقم لنفسه من تجار سورات في البحر الاحمر ، وفي سنة ١٦١٢ استطاع توماس بست – الذي وصل يقود اسطولا آخر ان يحصل على اتفاقية تجارية من السلطات المحلية في سورات وعززت بفرمان صادر عن امبراطور المغول وبعدها بقليل ، في يناير ١٦١٣ انشئت وكالة تجارية انجليزية في سورات تحت اشراف توماس اولدورث .

بعثة ستيل وكروثر الى ايران – ١٦١٥–١٦١٦ :

ولم يكن استهلاك السوق المحلي في الهند كافياً ليخلص وكالة سورات من كميات الجوخ الكبيرة التي استوردتها من انجلترا واضطر اولدورث للبحث عن اسواق أخرى ، فوجه اهتمامه نحو البحرين وايران ، وكان مرشده الاول في ذلك ريتشارد ستيل وهو تاجر في ايران جاء الى الهند يطارد مديناً فر منه ، وربما يكون اولدورث قد تأثر ايضاً في ذلك بروبرت شيرلي الذي قال لكيردج – احد العاملين في الشركة – انه « سيستقدم الهولنديين الى ايران اذا لم يأت اليها الانجليز » لذلك قام ستيل بنفسه سنة ١٦١٥ ، ومعه وكيل يسمى جون كروثر سير روبرت شيرلي ، بالسفر الى اصفهان براً عن طريق أجمير وذلك بهدفين : اولا جمع مزيد من المعلومات عن التجارة الايرانية ، ثم التماس استصدار فرمان من الشاه « بتأمين مرور رجالنا وسفننا وبضائعنا في كل الموانىء التي تصل اليها » .

وكان واضحاً ان القصد هو طلب ترتيبات خاصة للمتاجرة مع ميناء جاشك . ولقد نجح رائدا التجارة الانجليزية هذان في مهمتهما فاستصدرا فرماناً من الشاه عباس وصلت نسخة منه الى اجمير في ١٠ فبراير ١٦١٦ تأمر حكام الموانىء والمدن الساحلية في ايران باستقبال ومعونة كل سفينة انجليزية تصل الى احدها ، وظل هذان مقيمين في ايران يراسلان الشركة

خلال قسم على الاقل من سنة ١٦١٦ .

سفارة سير توماس رو الى الهند – ١٦١٥ – ١٦١٨ :

وحين كانت هذه البعثة التمهيدية تمضي في طريقها اتخذت شركة الهند الشرقية في لندن خطوة ذات طابع آخر ، فقد تعلم المسؤولون عنها من خبرتهم ان مصالحهم التجارية في الهند انما تخدم ولا شك باقامة ممثل ديلوماسي للملك انجلترا في بلاط امبراطور المغول ، فالتمسوا ان يكون سير توماس رو ، وهو رجل ذو قدرة فائقة ، وعلى بعض الخبرة بالاسفار وبلاطات الملوك ، سفيراً للملك انجلترا في بلاط امبراطور المغول ، وقد اجيبوا الى طلبهم هذا فوراً ووصل السير توماس رو الى اجمير في ديسمبر ١٦١٥ ، وبالنظر لعدم وجود وكيل للشركة هناك فقد تولى هو فتح نسخة فرمان الشاه عباس المذكورة آنفاً والرسائل المرفقة بالفرمان من ستيل وكروثر .

حالة البرتغاليين والاسبان ١٦٠٠ – ١٦١٦ :

في هذه الاثناء كانت هيبة وقوة البرتغاليين في الشرق – وهم كانوا يمثلــون اسبانيا والبرتغال معــاً كمــا أشرنــا – أخــذة في التناقص والاضمحلال . وفي سنة ١٦٠٤ – حين قام تكسير برحلته مصعداً في الخليج – كان البرتغاليين في وضع سيء على طول الساحل الفارسي من الخليج نتيجة الغارات المتكررة التي كانت تقوم بها سفنهم ، كما ان سفنهم التجارية كانت أعجز من ان تحمل لهم الامدادات الكافية هناك وكانت تخيلوه وريق بالذات من المناطق المعادية لهم بلا ريب،لكنه كان باقياً لهم مع ذلك بعض النفوذ بحيث كان على قوارب الاهالي المتوجهة من بوشهر الى ريق الحصول على اذن من البرتغاليين .

وفي ١٦١٢ ، ١٦١٥ هزم الانجليز اساطيلهم حين التقوا بها تجاه ساحل سورات ، وبدأت الشكوك تساور حكومة المغول في قدرة

البرتغاليين ، ومدى سيطرتهم على البحر ، كما ان سمعتهم البحرية في الخليج ايضاً كانت اخذة في الاضمحلال فحوالي سنة ١٦٠٢ طردهم شاه ايران من البحرين ، وحوالي سنة ١٦٠٨ حاصرت قوات الشاه مراكزهم في هرمز وتعرضوا بعدها لعسر شديد .

وفي سنة ١٦١٣ حاول خان لار ان يستعيد بندر (١) عباس التي كان البرتغاليون يسيطرون عليها فيما مضى ويعززونها كوقاء ضد محاصرة هرمز من البر وبدأت قواتهم في مهاجمة قوات الخان ، لكن السفينة التي كانت تقل قائدهم اشتعلت فيها النار فانفجرت، غير ان خلفه في القيادة واصل هذه العمليات حتى هزم اعداءه . وقد اعتذر الشاه لنائب ملك البرتغال في الهند عن عمل خان لار الذي أكد أنه عمل غير مسئول . لكن البرتغاليين لم يحتفظوا ببندر عباس الا الى سنة ١٦١٥ حين طردهم منها الايرانيون بعد حصار دام بعض الوقت .

وفي مارس ١٦١٦ هاجم البرتغاليون بمساعدة احدى القبائل المجاورة موقع صحار على ساحل عمان واستولوا عليه ، وكان هدفهم من ذلك تحطيم الميناء الذي ينافس هرمز ومسقط ، وبالتالي يقلل عائداتهم من الضرائب ، وقد قتل الشيخ محمد حاكم صحار في المعركة واسر اخوه ثم أعدم ، كما أخل البرتغاليون أيضاً بشروط الاستسلام ، بقتلهم حامية المدينة أثناء جلائهم عنها .

---

(١) بندر عباس ينسب اسمها الى الشاه عباس الاول ، الذى انشاها فى ذلك الوقت ، ربما لمنافسة هرمز ، أما الاوربيون فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فقد كانوا يعرفونها باسم جمبرون أو كوموران .. الخ ، وهذه التسمية ـ كما يقول هاميلتون ـ (انظر : وصف جديد لجزر الهند الشرقية ، المجلد الاول ص ٩٢) اطلقت عليها للمرة الاولى على سبيل السخرية من جانب البرتغاليين ، فهى تعنى فى لغتهم « برغوث البحر أو الجمبرى » وثمة تفسير آخر يربط هذا الاسم بالكلمة الفارسية « جميوك » التى تعنى ضرائب جمركية .

وفيما كانت المعارك مستمرة في الخليج بين البرتغاليين والايرانيين لم تنقطع السفارات بين بلاط أصفهان ومدريد . ففي سنة ١٦١٣ عاد الى الشرق دانش بك سفير ايران في اسبانيا فاستقبلته السلطات البرتغالية في جوا وفي كل مكان آخر في طريقه الى ايران بالتكريم والتعظيم ، ولكن نتيجة مهمته كان لا بد لها ان تكون مخيبة لامال الشاه ، لانه امر باعدام الرجل فور وصوله ، وكان ثمة أسقف اسباني صحب دانش بك في عودته للشرق كي يبشر بالمسيحية في ايران ، لكنه حين احس بالنتائج السيئة التي ترتبت على فشل السفير الايراني التزم الحكمة وبقي في هرمز .

وبعدها بقليل ، وضح ان الشاه عباس متلهف الى التوصل الى ترتيب ما مع احدى الدول الاوروبية بشأن تجارة الحرير ، فاقترح ان يرسل اليه الاسبان رجلا ذا قيمة يتفاوض معه بدل هؤلاء الكهنة الذين يرسلون اليه « لانه اقدر على التفاهم مع مثل هذا الرجل بما يرضي جلالته ويرضي الله أكثر من هؤلاء الكهنة » .. فعنده ان « رجل الدين متى خرج من صومعته أصبح كالسمكة التي اخرجت من الماء ...» واستجابت اسبانيا لدعوته وارسلت دون جارسيا دي سيلفا فجيورا محملا بهدايا قيمة ومصحوباً بحاشية ضخمة . على ان هذا السفير لم يتمكن من جراء الاعمال العدائية التي كان الشاه عباس يقوم بها ضد البرتغاليين في الخليج خاصة بعد طردهم من بندر عباس سنة ١٦١٥ ، من التقدم الى ابعد من جوا إلا في السنة التالية على ما يستفاد من احسن المصادر .

العلاقات بين ايران وتركيا :

كان الاتراك خلال الفترة الاولى من حكم الشاه عباس السابقة على سنة ١٦٠٠ ، يسيطرون على جزء كبير من ارض ايران يشمل تفليس وتبريز بل ونهاوند ايضاً شرقي كرمنشاه ، وبعد سنة ١٦٠٠ اعد الشاه عدته بنجاح لاستخلاص هذه الارض الضائعة فحرر نهاوند في سنة

١٦٠٢ ، ثم طرد الاتراك من تبريز في ١٦٠٣ وكانوا يحتلونها منذ ١٧ عاماً ، ثم حاصر بغداد واريفان في ١٦٠٥ ، وفي نفس السنة دبر الشاه انسحاب قواته من اقليم بغداد ليوقع الهزيمة بالجيوش العثمانية في معركة هائلة اصيب فيها سير روبرت شيرلي الذي كان يحارب في صفوف الايرانيين بثلاثة جروح ، وفي ذلك الوقت كانت أصفهان عاصمة ايران ، وكانت للشاه حامية في بو شهر على الخليج .

تأسيس أولى الوكالات التجارية الانجليزية في ايران سنة ١٦١٦ ـ ١٦١٧

أثار وصول الفرمان الذي حصل عليه ستيل وكروثر مناقشات فورية عما اذا كان يجب ، وما هي الطريقة التي يجب بها الانتفاع من الامتيازات التجارية التي كفلها الشاه لحساب شركة الهند الشرقية .

سياسة سير توماس رو الحذرة ـ ١٦١٥ ـ ١٦١٦ :

فقبل وصول هذا الفرمان ، وبعد ان بدأت تناقش قضية فتح باب المتاجرة مع ايران ، سلك سير توماس رو مسلكاً حذراً فاقترح اجراء دراسة مستفيضة للتجارة في ايران ، واقترح ايضاً ان يسافر كمبعوث للملك جيمس الى اصفهان كي يباشر بنفسه هذه الامور ولم يغير وصول الفرمان من رأيه شيئاً لانه كان يراه ضئيل النفع ما دام لم ينص على انشاء ميناء محصن للانجليز في الخليج ، ولانه لم يحو اي تأييد بتحويل التجارة الى ميناء جاشك او غيره من الموانىء التي يستطيع الانجليز استخدامها وكان ايضاً يرى ان الوقت غير ملائم للقيام بمغامرة في ايران طالما ان السير روبرت شيرلي قد ترك ايران مؤخراً كسفير للشاه لدى ملك اسبانيا ومعه تعليمات بأن يرتب الامور مع البرتغاليين والاسبان بحيث يسمح لهم باحتلال وتعزيز بندر عباس وغيره من الاماكن على الساحل ،

وأن يقوموا بشراء كل المعد للتصدير من البضائع الايرانية ، وان يسيروا كل سنة اسطولا تجارياً للخليج يحمل التوابل والبهار والكتان الهندي ، ولم يكن احد يستطيع التنبوء بنتيجة سفارة سير شيرلي ، فهي لو نجحت لكان ذلك يعني حبوط عمل الشركة كله ، في تلك الظروف .

لقد حاول رو ان يقنع الوكالات بالعدول عن اتخاذ أية خطوة حاسمة في مثل تلك الظروف لكنه في نفس الوقت نشط لاحباط خطط سير شيرلي فكتب الى الشاه يشكره على الفرمان الذي منحه لستيل وكروثر مبيناً ان مفاوضاته مع الاسبان لا تتفق ونصوص الفرمان ، الذي يكفل حرية التجارة لسائر المسيحيين كما لمح الى ان منح الشاه لدولة أخرى احتكار التجارة قد يضطر الانجليز لاستخدام القوة ، وفي هذا ما يهدد الامن في الخليج .

قرار وعمل الوكالات خلافاً لاراء سير توماس رو ١٦١٦ :

على ان الوكالات التجارية في سورات ، وهي كانت ترى الامر كله مشكلة تجارية لا تقع في اختصاص سير توماس رو ، كانت لها وجهة نظر أخرى .

كانت ترى الفرصة سانحة بسبب غياب شيرلي في ايران لانه كان في تقديرها لا يعدو كونه اما عدوا كثير الشغب ، أو صديقاً باهظ النفقات ، كذلك فانها رأت ان استمرار الحرب بين ايران وتركيا وما نجم عنها من تشويش لسير الاتصال باوروبا ، لا بد ان يؤدي بالضرورة الى توفير الحرير في ايران وجاشك ، وندرة المنسوجات فيهما ايضاً .

وبرغم انهم كانوا يدركون ضآلة أهمية هذين المكانين الا انهما كانا يوفران فرصة لا بأس بها لتصريف الفائض المتراكم من الاقمشة في سورات ، دون ان يكلف ذلك أية نفقات اضافية تتحملها الشركة .

ورفضت الوكالات رأي سير رو المعارض لها ، مع ملاحظة تقول :

« اننا نحترم ا راء سيادته في أشياء اخرى ، لكننا بالنسبة للتجارة وشؤون التجار نرى ان رأي سيادته قد جانبه الصواب الى ابعد الحدود ، كما انه لم يكن على أقل من ذلك المستوى من الخطأ فيما يتعلق بالاستثمار في ايران » ..

وبدأت الوكالات بالتالي تستبق موافقة الشركة الرسمية باجراءات من عندها ، فعينت ادوارد كنوك مشرفاً على بعثة تجارية لايران تقوم بدورها بانشاء وكالة او وكالات تجارية فرعية في هذ ه البلاد ، وكانت تعليماتها اليه تقضي بالنزول في جاشك ، على ان يجري نقل الحمولة التي تنزل هناك مباشرة الى مكان آخر يكون أكثر اماناً في وجه البرتغاليين ، وكان على كنوك نفسه ، ومعه خطاب من الملك جيمس الى جانب الهدايا المناسبة ، ان يسافر باقصى سرعة يستطيعها الى الشاه في أصفهان ، وهناك يبذل كل جهده في الحصول منه على الامتيازات ، وقد اتخذت الوكالات في سورات هذا القرار الخطير في اكتوبر ١٦١٦ ، ولم تضيع لحظة واحدة في تنفيذه .

سفر البعثة على السفينة جيمس الى جاشك . نوفمبر ١٦١٦ :

وفي ٨ نوفمبر ١٦١٦ ابحرت السفينة جيمس يقودها القبطان الكسندر تشيلد من سورات متجهة الى جاشك ، وعلى ظهرها حمولة طيبة من البضائع وهيئة بعثة الشركة الى ايران وهم على وجه التحديد : ادوارد كنوك رئيس البعثة ، توماس باركر نائب الرئيس ثم جورج بلاي وادوارد بيترز ووليام بل ووليام ترايس ومانيو بيول وكلاء . والقت السفينة مراسيها في جاشك في ٤ ديسمبر ١٦١٦ وواصلت البعثة سيرها الى ميناب حيث عرض أفراد البعثة فرمانهم على ذو الفقار خان ، الحاكم الايراني المحلي ، ونقلت البضائع الراسية في جاشك براً الى ميناب على ظهور الجمال التي قدمها الحاكم ، وتولى حمايتها من البرتغاليين . وفي ٢٠ يناير ١٦١٧ ، عادت السفينة جيمس مبحرة الى

سورات ، وبقي افراد البعثة في ايران لتنفيذ مشروعاتهم . وكان رأس المال الذي حملوه معهم الى جاشك بقيمة ٦٣٣٣ جنيهاً انجليزياً و ١٥ شلناً و ١١ بنساً ، منها مبلغ ٥٥٠ جنيهاً نقداً .

عمل سير توماس رو ١٦١٦ — ١٦١٧ :

وبذل سير توماس رو — والحق يقال — كل ما في وسعه لانجاح مسعى الشركة رغم انه لم يكن موافقاً على ما ارتآه وكلاؤها ورغم أنه لم يخف رأيه هذا . ولهذا السبب التقى في ٣ يناير ١٦١٧ بالسفير الايراني في بلاط المغول ، وشرح له وضع التجارة .. والمطالب التي يرجى تحقيقها والبضائع المهداة الى سيده ، ووفاء الانجليز بالتزامهم بهذه السفينة التي جاءت الى اياسكس حسب فرمان الشاه ، كما انه اقنع السفير بوجوب تنبيه الشاه الى الخطر الذي قد ينجم عن توقيعه اتفاقية شاملة مع اسبانيا ، وبعدها بعدة ايام كتب الى مراسله في أصفهان ، وهو صائغ انجليزي يسمى ويليام روبنس يطلب منه ان يشرح للشاه ان هدف البعثة الى جاشك لم يكن تأسيس مستوطنة هناك ، بل كان الافصاح عن استعداد الشركة لخدمة تجارة ايران ، وان يعتذر للشاه عن ضآلة الحمولة المقدمة ويوضح له ان مطالب الانجليز هي :

١ — ميناء مفتوح لهم وحدهم او لكل الدول دون تمييز ، ليستطيعوا ان ينزلوا فيه بضائعهم في ظل الامتيازات التي تمنح في مثل هذه الحالات .

٢ — بعض الاجراءات لتثبيت أسعار الصادرات والواردات التي يمكن تبادلها هناك .

٣ — اقامة سوق رئيسي على الساحل او قريباً منه ، ينقل اليه حرير الشاه لاعتبارات تجارية .

وقبل ان تقلع السفينة جيمس من سورات ، كتب سير توماس الى المسؤولين في انجلترا ينبئهم بالسياسة التي ينوي انتهاجها ، واقترح

توجيه انذار لاسبانيا مؤداه ان اية محاولة من جانبها لاستبعاد الدول الاخرى من التجارة في الخليج ستعتبر من جانب انجلترا عملا مبرراً لاشهار الحرب .

وحوالي شهر اكتوبر سنة ١٦١٧ ، تلقى سير رو تعليمات من الشركة في لندن ترسم له سياسة حريصة وحذرة تقارب الخط الذي كان انتهجه هو نفسه ، كما تلقى خطاباً من الملك جيمس يقره فيه على جهوده لفتح باب المتاجرة مع الشاه ، ويخوله فيه صلاحيات اتمام وعقد معاهدة تجارية بين الشاه وبينه « لخير ايران وخيرنا وللمصلحة المتبادلة بين رعايا الدولتين وبلديهما دون ان تنتظر بالنسبة لهذه الاتفاقية تعليمات أكثر من التصديق عليها ... فانت تستطيع اتمامها جميعاً باسمنا » .

رحلة البعثة الى شيراز . يناير — ابريل ١٦١٧ :

وبعد اقلاع السفينة جيمس ، تعطلت البعثة زمناً في ميناب بسبب حاكمها المرتشي ، الذي يبدو انه — بعد ان تلقى هدايا البعثة — قد قبل رشاوي من جانب البرتغاليين ليعطل تقدمها ابعد من ذلك ، لكن كنوك مضى الى شيراز ليقابل كبار المسؤولين ، واخيراً سمح للبعثة بالتحرك فوصلت الى لار في ١١ مارس ، وفي الثاني من ابريل وصلت الى شيراز حيث استقبلها الحاكم استقبالا حسناً ، لكن كنوك تركها في ذات الوقت منطلقاً الى اصفهان سعياً لمقابلة الشاه .

اقامة وكالة في شيراز والشقاق بين اعضاء البعثة . ابريل—مايو ١٦١٧ :

وبدا أن شيراز مكان مناسب لاقامة وكالة ، ووفق ما كان وارداً في تعليمات البعثة ، تولى باركر الوكالة مع بيل ورأى ان يعتبر نفسه في المستقبل مستقلا عن سلطة كنوك ، ومن ذلك الوقت فصاعداً بدا يحدث شقاق خطير بين المسؤولين الاولين عن البعثة من جهة ، وباركر من الاخرى . وكان مفروضاً في باركر ان يقف الى جوار كنوك ، لكنه بخلاف ذلك بدأ يقيم العراقيل في وجه رئيس البعثة بكل وسيلة يستطيعها ،

لكن أغلب الوكلاء على أية حال – ظلوا على ولائهم لكنوك .

تأسيس وكالة في أصفهان – ورحلة كنوك الى مقر الشاه . يونيو أغسطس ١٦١٧ :

وفي الايام الاولى من يونيو ١٦١٧ ، وصل كنوك الى أصفهان يصحبه ثلاثة من أعضاء بعثته ، حيث افتتح وكالة ثانية ، وفي نهاية الشهر نفسه كان كنوك يتهيأ لمغادرة أصفهان الى معسكر الشاه ، لكنه لم يستطع ان يمثل امامه الا في اوائل أغسطس حيث لحق به في مكان ما على الحدود التركية يبعد عن أصفهان مسيرة ٢٥ يوماً ... ولم يكن في صحبة كنوك اذ ذاك سوى الصائغ روبتز الانجليزي . ثم تبعه تراس ومعه الهدايا للشاه . لكن خطاب الملك جيمس الى الشاه ، وان كان حقيقياً ، كان مكتوباً منذ مدة طويلة كما حرر معظمه في الهند على ورق ممهور بالخاتم الملكي ، مما اقلق كنوك ، ورغم ذلك ، ورغم الشكوك التي القاها راهب اسباني كانقدسبق كنوك لمقابلة الشاه على حقيقة الخطاب ، الا ان الخطاب اعتمد، كما استقبل الشاه اولئك المبعوثين الانجليز استقبالا ودياً طيباً للغاية ، بل ان الشاه الايراني (١)ذهب لابعد من ذلك فوصف جيمس بأنه « شقيقه الاكبر » وشرب نخبه كأساً مترعة من النبيذ ، ووعد بأن يقدم للانجليز ميناء جاشك او سواه من الموانىء التي يطلبونها ، وهكذا حصل كنوك على « ضمان الامتيازات » التي ذهب ليتفاوض بشأنها وأصاب في ذلك نجاحاً باهراً .

فرمان الشاه عباس الأول – ١٦١٧ :

وتضمن فرمان الشاه (٢) اقامة سفير انجليزي بصفة دائمة في البلاط

---

(١) يعزو كنوك ما فعله هذا الرجل الى تدبير من جانب باركر .

(٢) يبدو أن نص هذا الفرمان لم يصل الينا ، غير أن أهم ما جاء فيه متضمن في فرمان ثان (١٦٢٩) اصدره الشاه الصفوي (أنظر .. الخطابات التى تلقتها شركة الهند الشرقية ، المجلد الاول ، قسم ٦ ، ص ٢٩٣ – ٢٩٧) .

الايراني ، وارسال سفير ايراني الى البلاط الانجليزي حين تيسر الظروف ذلك ، كما اباح الفرمان حرية البيع والشراء لكل الرعايا الانجليز في جميع انحاء ارض ايران ، ومنحهم الحق في اقامة شعائرهم الدينية ، وفي حيازة الاسلحة واستخدامها عند الضرورة كحالة الدفاع عن النفس ، لذلك منح السفير الانجليزي حق تعيين الوكلاء والمفوضين ، وان تقدم السلطات الايرانية لهم العون وتعاملهم باحترام كاف ، واذا ارتكب أحد الرعايا الانجليز جريمة ما فحق عقابه موكول للسفير الانجليزي ، وفي حالة النزاع بين احد الرعايا الانجليز ومواطن ايراني ، وفي الحالات التي تتجاوز القيمة المتنازع عليها ٢٠ توماناً ، يكون من حق السفير الانجليزي ان يفصل في النزاع ، بمعونة القضاة الايرانيين بطبيعة الحال ، اما المنازعات الصغيرة فتوكل الى السلطات المحلية الايرانية للفصل فيها ، وفي وقت اصدار هذا الفرمان كتب الشاه عباس « خطاباً رقيقاً جداً » للملك جيمس .

أعمال سير توماس رو :

وكان سير توماس رو في الهند ما زال يعلن سخطه على البعثة الايرانية التي يرئسها كنوك ، اعتماداً على المعلومات التي كانت تصله من باركر ، وكان ينعى عليهم تحويل افضل ما في الشركة من بضائع الى ايران ، ويهون من شأن نصائح كنوك ، الذي لم ير فيه ابداً « رجلا رشيداً »... والذي كان يشك في أنه بسبيله الى اعتناق الكاثوليكية .. بل وربما الاسلام ، وكانت تهمته الاساسية لكنوك فيما يبدو انه اتخذ لنفسه سمة السفير ، ويبدو أنه بالفعل كان قد وضع نفسه مكان « حامل رسالة الملك » لعقيدة عنده مؤداها ان الشاه لم يكن لينزل الى مستوى التفاوض معه ، في قضايا السلم وعلاقات المودة ، لو عرف انه ليس سوى وكيل تجاري يمثل شركة الهند الشرقية ، كما انه اتهم ايضاً بتبديد بضائع الشركة ، ولا شك في ان الشكوك التي ثارت بالنسبة لكنوك قد عززها أن احداً لم يتلق منه اية انباء ، فالخطابات التي كتبها من أصفهان في مايو

١٦١٧ لم تصل الهند حتى سنة ١٦١٨ ، وفي اكتوبر ١٦١٧ اقترح رو ارسال سفينة لمعرفة اخبار كنوك ، كما انه ايضاً اصدر تفويضاً يخول كنوك ، وباركر ، وبلي ، وبل عقد معاهدة تجارية مع الشاه على اسس معينة كما نصح لوكلاء سورات التجاريين الذين كان توماس كيريدج رئيساً لهم اذ اذك بعدم ارسال مزيد من البضائع الى ايران طالما بقي نجاح البعثة امراً مشكوكاً فيه .

سفر بعثة جديدة برئاسة مونوكس — نوفمبر ١٦١٧ :

وعهد سير توماس رو برئاسة البعثة الجديدة الى ادوارد مونكس ، وقد ابحرت هذه من سورات في ١٤ نوفمبر على السفينة بي ، ولدى وصولها الى جاشك في ٦ ديسمبر وجد مونوكس كلا من كنوك وتراسي ، هناك لكن بلي كان قد مات منذ ايام قليلة . اما كنوك فقد سمع ان قافلة كبيرة تحمل الحرير قد احتجزت في ميناب فاسرع نحوها لكنه مرض في الطريق ومات في جاتان بمنطقة بيابان ، وبعده بايام قليلة مات تراسي أيضاً . ومن عجب ان الكيفية التي مات عليها كنوك قد اثبتت واحداً من الاتهامات التي كان وجهها اليه توماس رو لانه اعلن في احتضاره أنه يموت كاثوليكياً . وقد عادت السفينة بي الى سورات في يناير ١٦١٨ وهكذا ، وفي نهاية المطاف ابتهجت السلطات في الهند لمعرفتها بالنتائج التي حققتها البعثة .

أعمال البرتغاليين خلال هذه الاحداث ١٦١٦ — ١٦١٧ :

وفيما كانت البعثة الانجليزية ترسخ جذورها في ايران ، كان البرتغاليون منهمكين في محاولات فاشلة لاستمالة الشاه عباس اذ كانوا على حق في التوجس من انه يضع الخطط لطردهم من هرمز ، اما الشاه فاستمر من جانبه يعامل البرتغاليين كالمألوف من حيث احتكارهم تجارة الحرير ، وفي سنة ١٦١٦ وصل روبرت شيرلي الى الهند ممثلا للشاه ووقع معاهدة سلام مع نائب الملك في جوا ، ثم غادرها الى اسبانيا ،

حوالي نهاية العام ليسوي مشكلة احتكار الحرير ، ولكنه رغم بقائه في مدريد حتى سنة ١٦٢٢ ، لم يحقق اية نتائج . وقد ادت استعادة السلام رسمياً الى تمكين السفير دون جارسيا دي سلفيا — الذي كان مقيماً في جوا منذ سنة ١٦١٥ — من مواصلة عمله ، فقام في ابريل بعد ١٦١٧ بالمرور بهرمز مسبباً لكنوك كثيراً من المتاعب فلم تكن مفاوضات ما قد بدأت بعد ، ثم استقبله الشاه في النهاية استقبالا حسناً . لكن سفارته فشلت في تحقيق أهم اغراضها وهو تحويل الشاه عباس عن خططه بالنسبة لهرمز .

ولم يهمل البرتغاليون في محاولاتهم الدائبة لاسترضاء الايرانيين — ان يعارضوا الانجليز ويقيموا في وجوههم العراقيل ، وقد اشرنا من قبل الى بعض الاساليب الصغيرة التي انتهجها البرتغاليون والموالون لهم بقصد احباط مسعى البعثة الانجليزية ، لقد خرج اسطول ضخم من جوا ليقطع الطريق على السفينة جيمس في رحلتها الاولى ، ولما فشل عاد ادراجه عن طريق مسقط ، وسرعان ما أصبح البرتغاليون هم الخاسرين من حيث شعبيتهم اذا قورنوا بمنافسيهم الانجليز بحيث قال احد هؤلاء بعد شهور قليلة من الاقامة في ايران « اننا نلقى الود والمجاملة من عامة الناس ، والاحترام من عظمائهم أكثر مما يلقى البرتغاليون » .

الاحداث التى سبقت طرد البرتغاليين من هرمز
١٦١٨ ـ ١٦٢٢

عمل الوكلاء التجاريين الانجليز في ايران :

راح ممثلو شركة الهند الشرقية في ايران – ويرئسهم الان باركر ومونوكس يسعون الى الافادة من تلك الامتيازات التي حققها كنوك ولكن ظل بينهم هذا الشقاق المؤسف ، فما زال توماس رو في الهند ، بالرغم مما خول له من صلاحيات جديدة . وعلى تفهمه قيمة الامتيازات التي منحها الشاه لكنوك ، يقول ان هذا « ليس سوى حامل رسالة من الملك ، وليست له صلاحيات السفير التي يستطيع بها ان يتفاوض ويعقد الاتفاقيات » لذلك امر باجراء مفاوضات للحصول على ميناء آمن على الساحل ، واقامة سوق رئيسية في شيراز ، وعقد اتفاقية مع الشاه لتوريد الحرير مقابل دفع ثمنه جزئياً نقداً والباقي مقابل بضائع انجليزية ، وواضح من هذه الحقائق ان سير رو كان من انصار التجارة المنتظمة بدل هذه المتقطعة ، بل ويبدو ايضاً انه كان ثمة خلاف في الرأي بينه وبين بعض المسؤولين في الشركة ، فهو في صف التجارة المنتظمة والتفاهم السلمي مع اسبانيا بينما هم يرون ضرورة تشجيع الشاه على طرد البرتغاليين من هرمز ، وتوجيه السياسة الانجليزية نحو احتكار التجارة الايرانية لصالح شركة الهند الشرقية . وفي سنة ١٦١٨ استطاع ممثلو الشركة الحصول على بعض امتيازات صغرى وقيمة من الشاه الذي وافق على أن سائر الحرير الذي يخرج من ايران يجب بيعه للانجليز ، والا يصدر منه شيء الى اوروبا عن طريق تركيا ، او يباع للاسبان او البرتغاليين وفي اوائل سنة ١٦١٩ سافر سير توماس الى انجلترا بعد ان انهى عمله في الهند ، وفي الصيف التالي تسلم الشاه عباس خطاباً بالغ التكريم « من ملك انجلترا ، وفي نفس السنة مات باركر في ايران ، واستمرت التجارة تسير سيراً طيباً ، ولكن لم تنشأ وكالات جديدة رغم ان الملك

جيمس كتب الى الشاه عباس في سنة ١٦٢٠ مقترحاً منح الانجليز موقعاً تجارياً وامتيازات ملائمة قرب جاشك » .

أعمال البرتغاليين ١٦١٨ — ١٦٢٣ :

وتأثرت حياة الرخاء التي كانت قائمة في ميناء هرمز تأثراً شديداً بنجاح مساعي الانجليز وادى وصول اسطول انجليزي مكون من خمس سفن الى ميناء جاشك — الذي كانت شركة الهند الشرقية ما تزال تستخدمه الى حالة من الذعر والهلع في هرمز فهدمت بعض المباني واتخذت اجراءات وقائية كثيرة ، وفي سنة ١٦١٩ او ١٦٢٠ قام الايرانيون — يساعدهم جيش من العرب بطرد البرتغاليين من مكان كانوا يحتلونه (١) على الساحل العربي في رأس الخيمة او قريباً منه واصبح امداد هرمز بالمياه امراً بالغ الصعوبة (٢) لان الايرانيين اصبحوا يحاصرونها الآن من البر . وفي نوفمبر ١٦٢٠ قام الاسطول البرتغالي — يقوده ادميرال روى فرير بمنع سفينتين تابعتين للشركة هما هارث وايجل « من دخول ميناء جاشك ، فعادت السفينتان الى سورات حيث عززتا بسفينتين أخريين هما « لندن » و « بك » ودخل الاسطول الميناء بعد لقاء غير حاسم مع الاسطول البرتغالي في ١٧ ديسمبر ، وبعدها بعدة أيام ظهر الاسطول البرتغالي امام جاشك في قوة كبيرة بعد زيارة قام بها لهرمز لتعزيز قواه ، وفي ٢٨ ديسمبر التقى الاسطولان في معركة عنيفة ، انتهت بانتصار الاسطول الانجليزي ، ولكن بعد ان فقد قائده كابتن اندرو شيللنج الذي مات في ٦ يناير ١٦٢١ متأثراً بجراح اصيب بها في كتفه .

---

(١) ربما كان هذا المكان هو رأس الخيمة نفسه ٠ فالمكان المفقود يسمى جلفار ، ويشار اليه أحيانا بكلمة « سير » كما فى المجلد الثانى من هذا الدليل (ص ١٨٢٦) ٠

(٢) كان مكان امدادها بالماء من بئر يسمى « دولا » ٠

طرد البرتغاليين من هرمز سنة ١٦٢٢

الاتفاق بين الايرانيين والانجليز سنة ١٦٢٢ :

في سنة ١٦٢١ كان الشاه عباس الاول قد استعد لطرد البرتغاليين من هرمز التي كان يعتبر وجودهم بها تهديداً لهيبة بلاده ورخائها على السواء ، وقد تقدم بمطالبه فيما يتعلق بهرمز عن طريق قمبر بك خان لار ، الذي أكد أن الجزيرة كانت تدفع الجزية « الى لار » قبل مجيء البوكيرك وكان الخلاف بين الايرانيين والبرتغاليين على تجارة الحرير قد ازدادت حدته بسبب مواصلة الايرانيين نشاطهم ضد العمليات التجارية البرتغالية ، بل لقد القوا القبض بالفعل على بعض التجار البرتغاليين . ولقد ادى انتصار ايران الحاسم على تركيا قرب تبريز في سنة ١٦١٨ الى إبعاد كل خطر يهددها من هذه الناحية ، وأصبحت قوى الشاه في مجال العمل الهجومي الخارجي فائقة لدرجة أنه أعلن نفسه في سنة ١٦٢٠ سيد اقليم قندهار . ولكن السيطرة على هرمز كان لا بد لها من قوة بحرية .. ولما لم تكن هذه القوة متوفرة لدى الشاه فقد اضطر للجوء الى الانجليز ... لكن شركة الهند الشرقية فيما يبدو — ترددت في البداية في توريط نفسها بهذا الشأن ، غير أن رئيس ومجلس ادارة الوكالات في النهاية اصدروا تفويضاً للكابتن بليث والكابتن ويدل اللذين كانا في طريقهما الى جاشك ومعهما السفن : لند وجونس وهويل ودويفين وليون والبوارج(١) وروز وروبرت وريتشارد وشيللنج — فوضوهما بأن يقوما نتيجة أعمال السلب والتهديد من جانب البرتغاليين — باسر سفن هذه الدولة ، بل وحتى بمهاجمتها في موانيها اذا قرر مجلس الضباط امكان ذلك ، وفي ٢٣ ديسمبر سنة ١٦٢١ وصل الاسطول الانجليزي

---

(١) كانت البارجة فى ذلك الوقت لها اكثر من شراعين كما لهـا صاريان أو ثلاثة ، ويمكن أيضا جرها بالعربات ، مجهزة بالمدافع ، ويمكن استخدامها فى الحرب .

الى قوهيستاك على ساحل اقليم ميناب ، لكن الايرانيين — الذين كانوا ينشدون عون الانجليز ضد هرمز—منعوهم من القيام بأي نشاط تجاري في جاشك، كما قاموا ايضاً بحجز احدى قوافل التجارة الانجليزية القادمة من أصفهان — في ميناب بامر من إمام قولي خان — حاكم اقليم فارس الذي وكلت اليه مهمة الاستيلاء على هرمز وهو يقصد بذلك حمل الانجليز على المشاركة في هذه العملية ... ولدى وصول حاكم اقليم فارس الى ميناب استقبله مونوكس و بل ، وقد اصبح اولهما اذ ذاك عميد وكلاء الشركة في ايران ، وقد عرض على الحاكم الشروط العديدة التي يمكن للشركة معها ان تتعاون معه ضد هرمز ، وأهم تلك الشروط هي :

١ — ان تقسم الاسلاب مناصفة بين الايرانيين والانجليز .

٢ — ان يختص الانجليز بالاسرى المسيحيين ، ويختص الايرانيون بالمسلمين .

٣ — أن يؤول الحصن الموجود في هرمز بكل ما فيه من مدفعية وأسلحة وذخائر الى الانجليز ويبقى الايرانيون احراراً في أن يشيدوا لأنفسهم حصناً آخر .

٤ — أن يقتسم الانجليز والايرانيون مستقبلا العوائد الجمركية في هرمز بالتساوي .

٥ — أن تعفى التجارة الانجليزية من الضرائب الى الابد .

وقبل حاكم فارس هذه الشروط بعد ادخال بعض التعديلات عليها كي يرضى الشاه ... وهذه التعديلات هي ان يكون الحكام البرتغاليون الاسرى في قشم وهرمز بايدي الايرانيين ، وان يشترك الايرانيون والانجليز معاً في احتلال حصن هرمز ، وان تعفى بضائع الشاه وحاكم

فارس مستقبلا من الضرائب شأنها شأن البضائع الانجليزية(١) وتم الاتفاق الرسمي على هذه الشروط – بعد التعديلات التي ادخلها حاكم فارس في ميناب يوم ٩ يناير سنة ١٦٢٢ ؛ ورفضت شركات السفن في البداية أن تقوم بعمل ضد البرتغال ، وواضح ان ذلك كان لارتيابها في ان تكون هذه الحملة منظمة ومكفولا لها النجاح ، لكن مسئوليها اقنعوها في النهاية بالعمل .

حالة البرتغاليين في قشم وهرمز :

وفي هذه الاثناء كان قائد البرتغاليين في الخليج هو الادميرال دون راي فرير دي اندريد وكان رجلا « سياسياً أكثر منه صاحب ضمير » يخشاه الناس أكثر مما يحبونه » وكان له أعداء كثيرون من بين رجاله ، وقد عزل – قبل هذه الاحداث مباشرة – عن حكم هرمز التي كانت تابعة له ، وعهد بها الى سيموا دي ميللو احد اخصامه ، وكان ري فرير قد بنى مؤخراً قلعة جديدة في قشم ، وضع بها ثلاثمائة جندي برتغالي مع عدد من العرب الذين يساعدونهم ، وحيث كانت قبضته محكمة في مواقعه فقد راح يغير غرباً على الساحل الايراني منطلقاً من خمير حتى نخيلوه مدمراً ٤ سفن كبيرة و ٧٠ بارجة كبيرة الى جانب ٤٠٠ من مختلف المراكب الاخرى ، وحسب ما يقول المؤرخ الاسباني ، فقد أهمل حاكم هرمز الجديد – برغم احتجاجات ري فرير – انشاء تحصينات كافية للدفاع عن ذلك الموقع (٢) .

---

(١) لم يستطع الكاتب ان يجد دليلا على ما قال به « فرير » بعد الواقعة بأكثر من خمسين عاما ، من أن الانجليز قد تعهدوا بان يجعلوا فى الخليج دائما سفينتين حربيتين للدفاع عنه .. (أنظر : وصف لجزر الهند الشرقية وايران ص ٢٢٢ و ٣٥٢) . وسترى – على أية حال – من فقرة تالية في النص ما يشير الى أن الانجليز قد تعهدوا بان يجعلوا الخليج مفتوحا للملاحة ، وان يتحملوا نصف تكاليف ذلك .

(٢) ومما يؤيد هذا القول ، الى حد ما ، ان بعض المدافع وجدت بغير طواقم فىهرمز لدى سقوطها، ومن المحتمل أيضا أن الحامية قد استخدمت منها كل ما يمكنها استخدامه .

حصار قشم وسقوطها في ايدي الانجليز والايرانيين ٢٢ يناير — ١ فبراير سنة ١٦٢٢ :

وقبل اتمام الاتفاقية الانجليزية الايرانية ، وفيما كان حاكم اقليم فارس ما يزال في طريقه من الداخل متجهاً الى الساحل ، كان الايرانيون قد بدأوا يهاجمون قشم ، بكثير من رجالهم دون ان يحرزوا أي تقدم في مهاجمة القلعة ، وفي ٢٢ يناير سنة ١٦٢٢ رسا الاسطول الانجليزي في هرمز على امل ان يستدرج اسطول العدو الى المعركة ، وكان اسطول البرتغاليين يتكون فيما يبدو من ٥ غليونات ومن ١٥—٢٠ فرقاطة ، لكن العدو لم يواجه هذا التحدي ، وفي ٢٧ يناير بدأ الانجليز — بمساعدة الايرانيين — الهجوم على قلعة قشم التي كانت مقر قيادة ري فرير ، وفي أول فبراير اضطر الجنود الى الاستسلام لانه لم يصلهم أي عون من هرمز ، ورأى فرير ان يحرق القلعة ويموت شريفاً في المعركة ، لكن رجاله رفضوا ما ارتاه وبدأوا الهرب بالقفز من فوق الاسوار وقتل انجليزيان فقط في معركة قشم،وكان احدهما هو الاستاذ وليليام بافن— مكتشف خليج بافن،والذي كان يعمل مرشداً للاسطول ، وقد قتل على الارض وهو يقيس المدى باجهزته المختلفة ويحدده للمدفعية ، وتم الاستيلاء على ١٧ مدفعاً واسر حوالي ١٠٠٠ رجل بينهم القائد البرتغالي الذي لم يسلم للايرانيين حسب نصوص الاتفاقية ، وفي ٤ فبراير تحركت الحملة نحو بندر عباس ، ومنها ارسل ري فرير(١) واربعة من كبار الضباط المساعدين له ليبقوا اسرى في سورات ، وعهد الى السفينة « ليبون » وبارجتين بالقيام بهذه المهمة ، وبقيت اربع سفن وبارجتان فقط لتنفيذ الهجوم على هرمز .

---

(١) استطاع فرير الهرب من السفينة ليون فى سورات ، وعاد الى هرمز ، حيث وجد انها قد سقطت ، فانطلق الى مسقط .

حصار هرمز وسقوطها في ايدي الانجليز والايرانيين ٩ فبراير – ٢٣ ابريل ١٦٢٢ :

وفي ٩ فبراير سنة ١٦٢٢ احتلت الحملة الانجليزية موقعاً خارج هرمز وفي اليوم التالي هبطت قوة ايرانية ضخمة الى البر من حوالي مائتي مركب ايراني واحتلت مواقعها في المدينة دون ان تلقى اية مقاومة ، وبدأت العمليات ضد قلعة هرمز من البر ، لكن التقدم كان بطيئاً جداً ، وأبدى الجنود البرتغاليون رغم قلتهم وتفشي المرض بينهم دفاعاً باسلا يستحق الاعجاب ، وفي ٢٤ فبراير استطاع الانجليز ان يشعلوا النار في السفينة البرتغالية حاملة العلم « سان بيدرو » وان يدمروها ، وفي ١٧ مارس استطاع لغم ايراني ان يحدث ثغرة في احدى زوايا القلعة ، لكن المدافعين استطاعوا ان يردوا الطليعة الايرانية المتقدمة التي يقودها شاه كولي بيك – وان يكبدوها خسائر كبيرة ، ثم عمد البرتغاليون المحاصَرون الى احراق المدينة ليحولوا دون احتماء الايرانيين بها ، وفي ٢٣ مارس استطاعت نيران السفن الانجليزية ان تدمر سفينتين برتغاليتين وسرعان ما لقيت سفينة او سفينتان اخريان نفس المصير ، وكانت قوات الايرانيين على نقص كبير في التسليح والتجهيز والجنود يعانون دائماً من نقص المياه والامدادات نتيجة سوء التدبير ، وخرق قائدهم الاتفاق مع الانجليز غير مرة خاصة باتصالاته المنفردة بالبرتغاليين الامر الذي لم يكن يساعد على نجاح الحملة المشتركة .

وفي ٢ ابريل استطاع ضباط السفن الانجليزية ان يفجروا لغمين آخرين ، لكن الجنود الايرانيين رفضوا ان يهاجموا الثغرات التي فتحتها هذه الالغام ، وكانوا في حالة يرثى لها . وفي ١٤ ، ١٧ ابريل استطاعت الالغام ان تفتح ثغرات جديدة ، وقام المحاصرون بهجوم كبير ، لكن حفنة فقط من البرتغاليين والعبيد استطاعت ان تردهم وراء متاريسهم ، وظل الايرانيون اليوم كله محتشدين تحت لهب الشمس دون ماء او طعام ، مما كان كافياً لان يقتل نصفهم « كان الايرانيون – كما

وصفهم مونوكس – يتجمعون حول هذه الثغرات » كحشد من النحل يطن حول شجرة أو دغل ، أو كقطيع من الاغنام محتشد يلتمس النجاة خلال ثغرة واحدة ، ولا أحد يجرؤ على اقحتامها ... وكان البرتغاليون يخلصونهم من هذه الآلام بسرعة ، وربما قتلوا منهم اربعة او خمسة او ستة او اكثر في طلقة واحدة ، انني لم استطع سوى الرثاء لهم .. » وفي ١٨ ابريل قام الايرانيون بهجوم آخر لكنه فشل ، وفي ١٩ قاموا بهجوم جديد واستطاعوا في هذه المرة أن يحتلوا باحة الحصن ، وتراجع البرتغاليون الى الداخل .

وأخيراً في ٢١ ابريل رأى البرتغاليون ان من الحكمة الا يعتمدوا على مواثيق الايرانيين ففاتحوا ابناء دينهم الانجليز في الاستسلام وتعهد لهم هؤلاء بحماية ارواحهم ، وعقدت هدنة مدتها يومان عن طريق مونوكس وقواد السفن ، وفي ٢٣ ابريل استسلم البرتغاليون(١) بشرط ان ينقلوا خارج البلاد ، وفي نفس اليوم بدأ خروجهم وبلغ عددهم ٢٦٠٠ شخصاً ، وبذل لهم الانجليز اقصى ما يمكنهم من حماية ، لكنهم لم ينجحوا في تحقيق هذه الحماية تحقيقاً تاماً في وجه اهانات الايرانيين لهم واعتداءاتهم عليهم ، وفي ٢٧ ابريل بدأت السفن الانجليزية تنقلهم الى مسقط ، وفي نفس الوقت اسر الايرانيون سعيد محمد شاه الحاكم الوطني في هرمز وارسلوه الى شيراز حيث بقي سجيناً سياسياً عدة سنين ، كما سقط عدد من التجار الهنود ايضاً بين ايديهم.

ولم يحدث ثمة تقسيم منظم للغنائم في هرمز كما حددت المعاهدة

---

(١) تحدد رواية أخرى تاريخ سقوط هرمز فى ٢٢ مايو، ولكن المحتمل انها رواية خاطئة ، فالمصادر البرتغالية تذكر أن الاستسلام قد تم أولا عن طريق لوبز دى بارتو قائد القلعة ، لكن الحاكم سيموا دى ميللر – ادعى فى البداية – انه يعارض هذه الفكرة ، ثم حث الجنود بعد ذلك على التمرد ، وهكذا تم الاستسلام ، كما تحدد هذه المصادر أيضا عدد البرتغاليين الذين تركوا هرمز بحوالى الفى شخص من الجنسين ومواليهم ٠

الانجليزية – الايرانية ، بل لعل الامر كان على العكس ، فقد حدث سلب ونهب كثير من جانب الحلفاء ، بدأ في ٢٤ ابريل ، وفاز فيه الايرانيون بنصيب الاسد ، فقد كان عدد المدافع التي أصبحت من نصيب الانجليز ١٦٥ مدفعاً ، لكن قيمتها كانت أقل من ثلث ما استبقاه الايرانيون لانفسهم منها .

وبعدها حكم بالاعدام على سيموا دي ميللو ، من قبل محكمة برتغالية لضياع هرمز ، لكنه استطاع الهرب الى دولة أجنبية ، فبقي هذا الحكم الصادر ضده حبراً على ورق ، اما ري فرير فقد اخلته بلاده من اللوم على سقوط قشم لان خدماته – فيما يبدو – كانت ضرورية ... فاسمه يلقي الرعب والذعر في قلوب العرب .

النتائج المباشرة لسقوط هرمز :

لقد كان اشتراك الانجليز في الهجوم على هرمز مخالفاً بوضوح لمبادىء القانون الدولي لان انجلترا واسبانيا كانتا على علاقات سلمية وقت وقوع الهجوم . وقدم الاسبان شكواهم الى الملك جيمس ، وبدا في وقت من الاوقات وكأنه من المحتمل ان تستنكر الحكومة البريطانية ما قامت به الشركة وان تعتبر العاملين فيها قراصنة لا أكثر .

ومهما يكن من شيء فقد أصرت الشركة « على ادعاء البراءة » وقدم مونوكس ، وقد عاد الى انجلترا على السفينة ليون ، حجج الشركة في الدفاع عن موقفها ، وكان اهمها انه كان يعتبر نفسه « مبعوث صاحب الجلالة لحماية التجارة الانجليزية » في الخليج في الهجوم او الدفاع ضد عدوان البرتغاليين وعنت الشاه الذي لا يني يضع امامها العراقيل ، وفي النهاية رفض الملك جيمس ان يفعل ما يرضي اسبانيا ، لكن الشركة – ربما على سبيل الصفح عن سلوك موظفيها – اضطرت لدفع مبلغ عشرة آلاف جنيه انجليزي للملك جيمس ، ومثلها لدوق باكنجهام باعتباره القائد الاعلى للبحرية ، ولما كان نصيب الانجليز من غنائم هرمز – بصرف

النظر عما حمله الافراد سراً واخفوه ، يقدر بمبلغ يتراوح بين ٢٠–٢٥ الف جنيه انجليزي ، عرفنا ان الحملة على هرمز ، وقد تكلفت نفقات طائلة كانت في نهاية الامر خسارة مالية للشركة ، غير ان وضع البرتغاليين في الخليج – من ناحية أخرى– قد انتهى تماماً بسقوط هرمز ، كما أصبح للانجليز ميناء حر أفضل من جاشك لمواصلة تجارتهم ، وزيادة على ذلك ، فقد عزز الشاه الفرمان ... الذي سبق ان اصدره لكنوك في سنة ١٦١٧ ، كما اصدر اوامر اخرى جديدة بمزيد من الحماية والتشجيع لتجارة الحرير الانجليزية في اراضيه .

تاريخ الخليج من طرد البرتغاليين من هرمز حتى الحرب الاولى بين الانجليز والهولنديين : ١٦٢٢ ـ ١٦٥٣

الاحداث من سقوط هرمز الى سفارة سير دود موركوتن الى ايران سنة ١٦٢٢ ـ ١٦٢٦

جهود البرتغالين لاستعادة هرمز ١٦٢٢ ـ ١٦٢٥ :

رحل نفر من البرتغالين من هرمز بعد سقوطها الى مسقط واستقروا فيها ، وكانت هذه هي القاعدة الوحيدة الهامة التي بقيت لبلادهم في منطقة الخليج ، ووفد معهم ابن أخ آخر حكام هرمز المحليين . ولعل البرتغالين كانوا يعولون على استغلال تلك القرابة في ادعاءات نافعة لهم . وكان الايرانيون متلهفين لمتابعة النجاح الذي احرزوه في هرمز بالاستيلاء على مسقط ايضاً ، لكنهم ما كانوا ليتطاولوا الى ذلك بغير مساعدة من الانجليز ، ولكن هؤلاء ضنوا بها .

ونجح الايرانيون في احتلال صحار وخور فكان على ساحل عمان ، لكن البرتغالين استطاعوا بقيادة ري فرير الذي فر من اسر الانجليز أن يستعيدوا زمام المبادرة فيهاجموا الايرانين ويجلوهم عن الموقعين معاً . وكذلك دمروا مواقع ايرانية أخرى على امتداد الساحل الايراني من جاشك الى بندر عباس . ثم راحوا يزعجون السفن الايرانية ويناوشون الحامية المقيمة في هرمز محاولين قطع الامدادات عنها، لكن امكانات ري فرير لم تكن لتكفي لحصار طويل على هرمز(١) ، او شن هجوم مباشر عليها . واستمرت هذه الاعمال المفككة غير المترابطة من

---

(١) ونفس الشيء أيضا ـ على أى حال ـ كان هجوم البرتغاليين على أسطول شيللنج فى سنة ١٦٢٠ .

جانب القائد البرتغالي بعضاً من سنة ١٦٢٣ وطوال سنة ١٦٢٤ ، وانتهت أخيراً الى سلسلة من الاشتباكات وقعت تجاه ساحل بندر عباس في فبراير ١٦٢٥ بين اسطول القائد البرتغالي وبعض سفن الانجليز والهولنديين وكان يقود الاسطول البرتغالي نيرو الفارز بوتيللو ويتكون من ٨ غلايين و ١٦ فرقاطه .. وفي الجانب الآخر السفن الانجليزية : رويال — جيمس — انجل جوناس — وستار ، الى جانب اربع سفن هولندية ، وحدثت ثلاثة اشتباكات متتالية في ايام ١،٣،١٤ فبراير ، وكانت حامية الوطيس اطلقت فيها السفن الانجليزية حوالي ٢٠ الف طلقة من مدافعها، واطلق البرتغاليون في السفينة رويال جيمس ما لا يقل عن ٤٠٥ طلقات يصل قطر بعضها الى ٩ بوصات ، وفي الاشتباك الاخير لحقت بالبرتغاليين خسائر جسيمة ، وكادت مدافع سفنهم تتعطل تماماً لكن نقص ذخيرة الانجليز والهولنديين وقف بهم دون مطاردة السفن البرتغالية المتراجعة ، وانسحب دي فرير في البداية الى الارض العربية المواجهة ، حيث شاهده بعد المعركة بأيام قلائل (١) الرحالة الايطالي بيترو ديلا فالي في منطقة ربما كانت هي حوز كواي وخسر الانجليز في هذه الاشتباكات ٢٩ رجلا من رجالهم ، وخسر الهولنديون عدداً مماثلا من بينهم القائد ، في حين فقد البرتغاليون قائدين من قواد السفن الى جانب حوالي ٤٠رجلا في الاشتباك الاخير فقط ، هذا فضلا عن بتلليو وآخرين معه من قتلى الاشتباكات السابقة ، ولا بد ان هذه النتيجة النهائية لم تكن في صالح البرتغاليين لأنهم كفوا بعدها عن محاولات استعادة هرمز(٢) . وقد

---

(١) ٨ فبراير « حسب الاسلوب القديم » يعادل ٢١ فبراير « حسب التقويم الحديث » .

(٢) يزعم المؤرخ الاسبانى أن النصر عقد للبرتغاليين ، وانهم اغرقوا ثلاثا من سفن اعدائهم ، واسروا الباقى ، الى جانب انهم اوقعوا بالحلفاء — فى زعمه — خسارة لا تقل عن ألف رجل ، ومن الناحية الاخرى ، يزعم قائد انجليزى شهد المعركة أن ٨٠٠ جندى برتغالى قد قتلوا فيها .

عقدوا في سنة ١٦٢٥ صلحاً مع الايرانيين اعترفوا فيه بانتقال هرمز وقشم الى الشاه عباس على ان تكون لهم نصف العوائد الجمركية التي تحصل في كنج ، بالقرب من لنجة الموجودة الآن ، ومحتمل ايضاً ان تكون باسيدو – التي كانوا يسيطرون عليها – قد خرجت من بين ايديهم في هذه الفترة ، وفي سنة ١٦٢٥ أصبح البرتغاليون مكروهين – كما لم يكونوا أبدا – على شواطىء الخليج . ولاحظ الرحالة الايطالي بيترو ديللا فالي انهم لم يعودوا يامنون النزول بسلام على ساحل الباطنة ، ذلك بأنهم ارسلوا القوارب من سفينتهم الى الساحل طلباً للماء غير ان أهالي باردستان ردوا هذه القوارب على أعقابها تطاردها طلقات الرصاص .

تقلب احوال التجارة الانجليزية في ايران ١٦٢٤ – ١٦٢٥ :

ولم يكد يبقى في مدينة هرمز شيء بعد تدميرها – على اختلاف في الروايات – سوى قلعتها ، فانتقل ممثلو شركة الهند الشرقية للاقامة في بندر عباس ، وسمح لهم الشاه في سنة ١٦٢٣ او ١٦٢٤ بأن يشغلوا بيتين فيها ، ولكن لم يسمح بانشاء مبنى خاص بهم خشية تحويله الى قلعة حصينة . وفي سنة ١٦٢٤ كسدت اعمال الشركة نتيجة اتفاق عقد بين التجار الايرانيين على رفع سعر الحرير ، وكادت وكالة الشركة في أصفهان تغلق ابوابها لولا تدخل الشاه عباس الذي استطاع – عن طريق الامتيازات والتراخيص الموقتة – ان يقنعها بالاستمرار حتى يتضح موقف الشركة . كذلك كانت وكالة بندر عباس لا تكاد تقوم بعمل ما ، وفي يناير ١٦٢٤ ، كلفت الشركة في لندن – وهي بعد لا تدرك مدى ما وصلت اليه الامور في المنطقة – مستر كبريدج ، وكان في ذلك الحين يقضي اجازته في بلاده في حين عين مشرفاً على وكالة سورات ، ان يعمل ايضاً وكيلا لها في تثبيت امر تجارتها بايران او تصفيتها بعد أن يفتش امور الشركة في ايران اذا تسنى له ذلك .. والمفترض ان الرجل وصل الى بندر عباس في مطلع ١٦٢٥ حيث جرت عندئذ الاشتباكات البحرية مع البرتغاليين في فبراير من تلك السنة ، وهكذا فان وكالات

الشركة في ايران واصلت اعمالها هناك بمشورته .

صعوبات اخرى تواجه الانجليز في ايران ١٦٢٤ – ١٦٢٥ :

والى جانب الصعوبات التجارية ، كان على ممثلي الشركة ان يتدبروا أمر المطالب غير الشريفة او المعقولة من جانب الموظفين المحليين في ايران ، فلم يقولوا كلمة احتجاج واحدة على تقسيم الغنائم في هرمز ، والتي بلغ نصيب الايرانيين منها – حسب ما ذكره خان شيراز لمولاه– حوالي ٦٠ الف تومان اي ما يربو على ١٨٠ الف جنيه استرليني . كذلك ايضاً لم يحتجوا على القسمة الظالمة للمدافع التي استولى عليها المحاربون ، واضطرت الشركة بأن تقنع باجر ثلاثة أشهر فقط لسفنها رغم أنها ظلت في حقيقة الامر ثمانية أشهر كاملة في خدمة الايرانيين .

وواضح ان الايرانيين كانوا قد وافقوا على ان يحصل الانجليز على نصف فوائد بندر عباس بدل عوائد هرمز التي توقفت التجارة فيها تماماً ، غير ان نصيب الشركة من هذه العوائد بلغ حداً من الضآلة يدعو الى التذمر ، فعلى حين كانت عائداتهم من هرمز تبلغ ١٨٠ الف جنيه استرليني(١) في السنة ، لم يتجاوز نصيب الشركة من عوائد بندر عباس ٢٢٥ توماناً (اي ٦٧٥ جنيهاً استرلينياً) في سنة ١٦٢٤ ، ٣٠٠ تومان (٩٠٠ جنيه استرليني) في سنة ١٦٢٥ .

مطالب الايرانيين لمساعدات بحرية بريطانية . :

كانت طلبات ايران المتكررة عون الانجليز ضد البرتغاليين اهم أسباب الاحتكاك بين الطرفين رغم ان هذا لم ينص عليه في الاتفاقية الانجليزية

---

(١) ربما لا يقل عن ٢٠ الف جنيه انجليزى ، ومحتمل أن يزيد عن هذا بكثير • وقد قدر احد المعاصرين العائد السنوى الذى كان البرتغاليون يحصلون عليه من هرمز بمبلغ ٤٠ ألف جنيه انجليزى •• لكن هذا تقرير غير معقول •

الايرانية التي عقدت في ٩ يناير ١٦٢٢ ، الا ان الانجليز تعهدوا(١) « بأن تقوم سفنهم بتطهير ممرات الخليج مقابل تحصيل نصف تكاليف هذا العمل .. » واستغل الايرانيون هذا التعهد كي يطلبوا تعاون الانجليز معهم ضد البرتغاليين في مسقط وفي اتجاه البصرة . وقد تهرب الانجليز من مطلبهم فيما يتعلق بمسقط ، ورفضوا مطلبهم المتعلق بالبصرة رفضاً مطلقاً مباشراً(٢) . وفي هذه الاثناء كان الايرانيون قد زادوا من تحصين بندر عباس وحسنوا وسائل الدفاع عن قشم ، واقاموا في هرمز في بداية الامر حامية يتراوح عددها من ٢٠٠ الى ٣٠٠ جندي ، لكن هذا الموقع الاخير ظل عرضة للهجوم عليه ، ومهدداً بالضياع الى ان استطاع الانجليز والهولنديون سنة ١٦٢٥ تحطيم الاسطول البرتغالي . وحيث ان احتلال هرمز لم تعد له ضرورة بعد ذلك النصر فيبدو أنه هجر . وقد انتفع الايرانيون بأبنية الموقع في انشاء المدينة التي اخذت تنشأ في بندر عباس ، لكن الهولنديين حملوا بعض المواد الى بتافيا . لقد استغل الهولنديون الذين أخذ موقفهم يتدعم في الشرق فرصة سقوط هرمز لينشئوا لهم تجارة في بندر عباس،ومع انهم عاونوا الانجليز كما سبق وذكرنا في طرد البرتغاليين الا ان وكلاء الشركة الانجليزية كانت تساورهم الشكوك في نوايا الهولنديين . وكان احد الاسباب التي قدمها كيريدج ومستشاره لاستمرار الوكالات الانجليزية في ايران « ان الهولنديين قد اقحموا انفسهم هناك ، ولوثوا سمعتنا ونوايانا لدى الصفوى(٣) وكان ثمة شك قوي في ان الهولنديين يتآمرون مع الايرانيين

---

(١) أنظر بشكل خاص : تقويم أوراق الدولة « جزر الهند الشرقية ١٦٢٥ ــ ١٦٢٩ ــ ص ٢ » .

(٢) فبراير ــ أنظر هامش ص ٢٤ فيما مضى ــ يبدو انه يربط بين فشل الانجليز في الحصول على نصيبمعقول من عوائد بندر عباس وتقصيرهم فى توفير الحماية للخليج لكن هذه نظرية يناقضها الدليل .

(٣) ويعنى به الشاه فى ذلك الوقت نسبة لاسرة « صفوى » الملكية التى ينتمى اليها « واصل الكلمة الانجليزية » .

كي يحصلوا منهم على موقع هرمز المهجور لانفسهم ، وربما كانوا يحاولون احتلاله بالقوة ، وقد ادى خوف الانجليز من ان يقتلعهم الهولنديون ويحلوا محلهم الى ان يحترسوا كثيراً حيال المعونات البحرية التي تطالبهم ايران بها ، بل واكثر من ذلك ، ان الهولنديين كانوا يرفضون دفع ضرائب جمركية في بندر عباس ، واستمروا على الرفض رغم احتجاج الوكالة الانجليزية .

ازدياد قوة الشاه عباس :

وفي نفس الوقت استمرت قوى الشاه عباس الاول في ازدياد وحدوده في امتداد ، خاصة على حساب الاراضي التركية . وفي سنة ١٦٢٣ اقتحمت الجيوش الايرانية العراق واحتلت بغداد ، وظل الايرانيون يسيطرون عليها حتى سنة ١٦٣٨ ، واصبحت الكاظمية وكوت والعمارة وكربلاء والنجف ، بما فيها من اماكن يقدسها الشيعة ، بل والحلة ايضاً ، اصبحت جميعاً في أيدي الشاه ، اما البصرة فقد كان واليها التركي قد حصنها تحصيناً جيداً ودافع عنها بمعونة البرتغاليين الذين تركوا في البصرة خمس سفن لتساعد الاتراك ضد جيش الايرانيين القريب منها ، وفجأة — في ٢٣ مارس ١٦٢٥ تخلى الايرانيون عن هجومهم على البصرة .

سفارة سير دود موركوتن فى ايران
سنة ١٦٢٦ ــ ١٦٢٨

اعمال سير روبرت شيرلي وسفارة نجدي علي بك الى انجلترا ١٦٢٣ — ١٦٢٧ :

انتهت بعثة سير روبرت شيرلي في اسبانيا بالفشل رغم اقامته خمس سنوات كاملة في مدريد ، او ربما ان سقوط هرمز أدى به الى ان يغير من خططه فسافر الى انجلترا في سنة ١٦٢٢ أو ١٦٢٣ ، واستطاع أن يقابل الملك في ٢٨ يناير سنة ١٦٢٤ ، وفي ١٣ ابريل سنة ١٦٢٥ ، وفي هذه اللقاءات ظهر سير شيرلي في ملابسه كسفير لايران ، واستقبل استقبالا حافلا ، وفي نفس الوقت تقريباً ، وربما بناء على اقتراح من ممثلي الشركة في ايران — ارسل الشاه عباس سفيراً ايرانياً حقيقياً الى انجلترا هو نجدي علي بك الذي ابحر من سورات في ابريل ١٦٢٥ لكنه لم يصل انجلترا الا في فبراير سنة ١٦٢٦ بعد وقت اعتبرت فيه السفينة « ستار » التي ابحر عليها سفينة مفقودة ، وفي لندن حدث صدام فريد في نوعه بين سفيري الشاه وقفت فيه شركة الهند الشرقية الى جانب نجدي بك . وقصد سير روبرت شيرلي يصحبه ايرل كليفلاند وآخرون لزيارة نجدي بك في منزله ، لكن الاخير بمساعدة ابنه اعتدى على سير شيرلي اعتداء منكراً ، واتهمه بانه افاق يحمل خطاب اعتماد مزور ، وفي ٦ مارس التقى السفير الايراني بالملك جيمس وقدم اليه خطاباً من الشاه ، قال فيه انه ارسل نجدي بك « لا ليطلب شيئاً سوى مودة صاحب الجلالة ، وليأمر جلالته تجاره ورعاياه جميعاً بأن يقدموا كيفما يشاؤون الى بلاده يبيعون او يشترون او يمارسون ما يحلو لهم من نشاط ولن يجرؤ احد على ان يفرض عليهم شروطاً من أي نوع ». ومع ان البلاط الملكي الانجليزي كان ميالا لتصديق السير روبرت شيرلي لكنه عجز عن الحسم في موضوع الرجلين المتنازعين .

ارسال بعثة انجليزية الى ايران يرأسها سير د. كوتن :

وأخيراً قرر الملك ان يرسل سير دود موزكوتن الى ايران كي يبادل الشاه مشاعر الود والصداقة ، ولكي يرسي التجارة الانجليزية في ايران – (التي تدهورت تدهوراً واضحاً كما رأينا) على أسس أكثر صلابة وثباتاً ولكي يتثبت ايضاً ما اذا كان سير روبرت شيرلي مبعوثاً معتمداً من لدن الشاه ام لا . وتقرر ان يصحب شيرلي هذه البعثة كما طلب الى شركة الهند الشرقية ان تدبر امر نقل السفير وجماعته الى ايران . وحاولت الشركة التملص من هذا المطلب لأنها لم تكن تود ان يتدخل لا كوتن ولا تشارلي في شؤونها ، لكن اعتراضاتها رفضت ، وعلى أية حال ، فقد صدرت لكوتن تعليمات بالا يتدخل في أعمال الشركة التجارية .

رحلة السفارة الانجليزية الى الهند ١٦٢٧ :

وأبحر اسطول الشركة – الذي يقل السفير الانجليزي وصحبه وفيهم سير توماس هربرت المؤرخ الاخباري للبعثة وسفيرا ايران المتنافسان – يوم الجمعة الحزينة من سنة ١٦٢٧ ، ووصلت سورات في ٣٠ نوفمبر من نفس السنة ، وحين وصلت القافلة الى قرب ساحل الهند خشي نجدي بك غضب مولاه ، وثقل عليه التفكير في هذا الامر(١) فانتحر بابتلاع كمية من الافيون ، وانزلت جثته كي تدفن على الشاطىء ، واطلقت السفينة « ماري » التي مات على ظهرها احدى عشرة طلقة تحية له .

---

(١) يزعم شيرلى انه قد أفسد مهمته التى كلفه بها الشاه ، الى جانب انه كان مدانا فى عدد من المسائل المالية ، وبعدها أعلن الشاه عباس : « انه لو لم يفعل ذلك بنفسه ، لامر بتقطيع جسمه اربا اربا ، بمجرد وصوله الى البلاط ، ثم احرقه وسط السوق العامة ، ككلب من الكلاب الضالة » .

رحلة السفارة الانجليزية الى ايران ١٦٢٨ :

وفي ١٧ ديسمبر خرج السفير وموكبه من سورات الى ايران على ظهر السفينة « ويليام » وصحبتهم السفن « اكستشينج » و « هارت » وغيرهما من قبيل المجاملة . ورست السفن في بندر عباس في ١٠ يناير ١٦٢٨ ، وأطلقت مدافع الاسطول مائة طلقة للتحية وردت عليها المدفعية الايرانية تبادلها التحية . ومن بندر عباس تابع السفير رحلته عبر « لار » الى شيراز ، وكانت حينئذ هي المدينة الثانية في ايران ، فوصلها افراد البعثة في بداية مارس واستمتعوا فيها أكثر من ثلاثة اسابيع بصحبة « الحاكم اللطيف المرح » « إمام كولي خان » وفي ١٠ ابريل اقيم لهم موكب ظافر دخلو فيه أصفهان ، وشوهد بعض الهنود بين الجماعة المحتشدة للترحيب بهم ، وفي اليوم الرابع اقام مستر بيرت ـ التاجر المرموق في أصفهان ، ورئيس الوكالة الانجليزية ـ حفلة تكريم لهم ، وفي احد ايام شهر مايو ، مضت البعثة في طريقها الى البلاط الايراني ـ الذي كان حينئذ في مدينة الاشرف باقليم مازندران .

أعمال السفارة الانجليزية في الاشرف مايو ١٦٢٨ :

ووصلت السفارة مدينة الاشرف في ٢١ مايو ، وبعدها باربعة أيام حظي سير دود مور كوتن بمقابلة الشاه ، واوضح له ان الهدف من سفارته هو تقديم التهنئة على الانتصارات التي احرزها الشاه ضد الاتراك ، عدوهما المشترك ، ثم العمل على تنشيط التجارة « والبحث عما يبرىء سير روبرت شيرلي مما اتهمه به نجدي على بك » وان تقوم رابطة من الود والصداقة تربط دائماً بين الدولتين الملكيتين العظيمتين ، بريطانيا العظمى وايران ، ونهض الشاه عن مقعده ليرد ، فبدأ بانتقاص قوة الاتراك ، ثم اشار الى رغبته في ان تتوقف خصومات امراء المسيحيين التي يستغلها الاتراك ، وبالنسبة للتجارة ، فقد وعد بأن يتسلم ملك انجلترا في يناير من كل عام مقدار عشرة آلاف بالة من الحرير في بندر عباس في مقابل ثياب انجليزية بقيمة معادلة ، وأعلن بعبارات

عامة رضاه عن سير شيرلي واستنكاره لمسلك نجدي علي بك ، ثم ختم كلمته بالترحيب الحار بالحلف المقترح ، وترحيبه بالسفير نفسه قائلا : «لانك منحتني شرفاً لم يحظ به احد اسلافي من قبل ، فانت اول سفير جاء من بريطانيا العظمى الى بلادنا على هذا النحو ، وانت لهذا جدير بمزيد الاحترام ، وكما انني اعتبر ملكك سيد من يعبدون المسيح ، فانا اعتبرك انت ايضاً ارقى درجة من كل السفراء الموجودين في بلاطي» وبعدها انتقلوا جميعاً الى قاعة اخرى حيث امر الشاه باقداح النبيذ وشرب نخب الملك جيمس،وعندئذ وقف المستر كوتن وحسر رأسه ولاحظ الشاه ذلك فخلع هو ايضاً عمامته زيادة في الحفاوة وبعد ساعة مرح وسرور ، أذن الشاه للسفير بالخروج وهو في غاية السعادة . لكن الامور أخذت بعد هذا اللقاء الحافل، تتجه نحو السوء نتيجة عداوة كان يحملها محمد علي بك — أقرب المقربين للشاه — لسير روبرت شيرلي . وقد فشل السير دود موركوتون في مقابلة الشاه مرة أخرى وما لبث البلاط الايراني ان ارتحل الى قزوين الى حيث تبعته السفارة الانجليزية لتتسلم فيما بعد امراً بالمغادرة ، وفي هذا المكان داهمت المنية السير روبرت شيرلي يوم ١٣ يوليو ، وتبعه سير دود مور كوتن في ٢٣ من نفس الشهر ، وسلم الشاه خطاباً منه للملك الى الافراد الباقين من البعثة ، وبينهم روبرت فعادوا الى انجلترا . وتفسير هذا الجزء من الفشل في السفارة الانجليزية ربما نجده في ملاحظة وكالات الشركة في اصفهان من ان سير كوتون ، كان يأتي أشياء لا تليق بمكانة وزير هذا مقامه « وادى به هذا المسلك الى ان يفقد كثيراً من احترامه ... وكان سير كوتون يحس بهذا ويلقي باللوم فيه على السير روبرت شيرلي وعلى عناده هو نفسه في تقبل النصيحة» .

أحوال ايران الداخلية والخارجية
من سفارة سير دود موركوتن الى الحرب الاولى
بين انجلترا وهولندا : ١٦٢٨ ـ ١٦٥٣

وقبل ان نواصل تتبع تاريخ شركة الهند الشرقية في الخليج من الضروري ان نلقي نظرة سريعة على احوال ايران في هذه الفترة .

الشاه صافي ١٦٢٨ – ١٦٤١ :

استمر الشاه عباس الاول في الحكم حتى سنة ١٦٢٨ ، ومات في نهاية هذه السنة ، وربما في اوائل سنة ١٦٢٩ ـ وخلفه حفيده الشاه صافي وكانت ضحايا هذا الشاه القاسي المتقلب الاهواء أكثر من ان يحصيهم العد ، من بينهم امام كولي خان ، حاكم شيراز النابه وشريك الانجليز في الاستيلاء على هرمز ، وفي عهد الشاه صافي . استولى امبراطور المغول في الهند على قندهار ، فساءت العلاقات بين الملكين ، وفي سنة ١٦٣٩ اصدر الامبراطور امراً بمنع رعايا امبراطور المغول من التجارة في بندر عباس ، وفي سنة ١٦٣٨ استعاد الاتراك بغداد من ايدي الايرانيين وكذلك معظم العراق الذي تقع فيه مقدسات الشيعة التي كان الايرانيون مسيطرين عليها منذ سنة ١٦٢٣ ، وفي سنة ١٦٣٩ عقدت معاهدة بين تركيا وايران تحدد بشكل عام الحدود بين الدولتين. وقد أصبحت هذه المعاهدة الاساس الذي بنيت عليه سائر المناقشات التي جرت بعد ذلك في موضوع الحدود .

الشاه عباس الثاني ١٦٤١ – ١٦٦٦ :

وحكم الشاه عباس الثاني – ابن الشاه صافي وخليفته – من مايو سنة ١٦٤١ حتى نهاية الفترة التي نحن بصددها ، وظل الصلح مع الاتراك قائماً طوال مدة حكمه ، لكن الشاه خاض حرباً مع المغول دامت من ١٦٤٨ – ١٦٥٠ استطاع في نهايتها ان يستعيد منطقة قندهار ، وحسب ما يقول المؤرخ تافيرنير فقد بنى الشاه سور مدينة بندر عباس حوالي سنة ١٦٥٠ .

علاقات شركة الهند الشرقية بالحكومة الايرانية
سنة ١٦٢٨ ـ ١٦٥٣

تجديد الفرمانات القديمة ومنح غيرها ١٦٢٨ ـ ١٦٥٣ :

بعد موت الشاه عباس الاول ادركت شركة الهند الشرقية ما لم تكن تدركه من قبل وهو ان الامتيازات والترخيصات التجارية وما اليها مما يكفله لها حاكم ايراني ينتهي اجلها بوفاة الحاكم الذي يمنحها ، ولا بد من تجديدها من قبل خليفته ، ولم تجد الشركة صعوبة في تجديد(١) فرمان سنة ١٦١٧ الذي أصدره الشاه عباس في يوليو او اغسطس سنة ١٦٢٩، لكن ذلك لم يتم دون تعهد من جانب وكلائها بأن يأخذوا من الشاه كل سنة ما قيمته ٢٠ الف تومان من الحرير ، على ان يدفعوا ثلث المبلغ المستحق عنها نقداً ، وقد وجدت الشركة فيما بعد ان تنفيذ هذا الفرمان يتطلب ان تنفق حوالي ١٥٠٠ جنيه انجليزي كل سنة ثمن هدايا تقدم للشاه ورجال البلاط .

وفي سنة ١٦٣٢ ، بذل ممثلو الشركة في ايران مجهوداً كبيراً من أجل اذن المسؤولين في الشركة لهم بأن « يشغلوا » مكاناً على الساحل الفارسي ـ بمعنى ان يسيطروا عليه ويحصنوه ـ دون موافقة الشاه حتى يستطيعوا الانسحاب اليه عند الضرورة ... وواضح انهم لم يستطيعوا استصدار هذا الاذن .

وجدد الشاه عباس الثاني معظم امتيازات الشركة بعد توليه الحكم بزمن قصير ، لكنه ـ في سنة ١٦٢٤ ـ رفض اصدار بعض الفرمانات الضرورية التي لها طابع تكميلي فقط ـ بسبب تخفيض الانجليز لصفقات الحرير التي كانوا يشترونها ، وهذه حقيقة لا نكران لها ، ولكنها كما

---

(١) لمعرفة نصوص هذا الفرمان الذى تجدد ، انظر : الخطابات التى تلقتها شركة الهند الشرقية ، المجلد السادس ، ص ٢٩٣ .

سنلاحظ تالياً كانت ناجمة عن ارتقاء شأن مذهب المتطهرين في انجلترا وتأثيره في سائر الاحوال الانجليزية .

نصيب الانجليز من عوائد بندر عباس ١٦٢٨ – ١٦٥٣ :

وظل نصيب الانجليز من عوائد بندر عباس ضئيلا مخيباً للآمال وفي سنة ١٦٢٩ تسبب سفير المغول القادم من الهند في خسارة ضخمة للشركة لانه أصر على أن ثلثي حمولة الاسطول الانجليزي – الذي كانت تنقله احدى سفنه – انما هي هدايا للشاه ، وهي بالتالي معفاة من الضرائب الجمركية . وفي سنة ١٦٣٠–١٦٣١ بلغ عائد الشركة من الضرائب الجمركية ٥٥٠ توماناً ، وفي سنة ١٦٣٢–١٦٣٣ هبط الى ٢٤٢ توماناً ، وفي سنة ١٦٣٣–١٦٣٤ حوالي ٣٤١ توماناً وفي سنة ١٦٣٩–١٦٤٠ حصل بمشقة مبلغ ٢٠٠ توماناً عن متأخرات العوائد على الايرانيين ، وكان ثمة امل في تحصيل ٥٠٠ تومان عن نفس السنة ، وفي سنة ١٦٤٠–١٦٤١ ارتفعت العائدات الى ٧٠٠ تومان ، وفي سنة ١٦٤٣–١٦٤٤ حصلت الشركة على ٦٠٠ تومان ، وفي العام الذي يليه ٦١٦ توماناً ، وفي سنة ١٦٤٧–١٦٤٨ بلغت ٦٣٥ توماناً ، ووصلت حدها الاقصى في سنة ١٦٥٠–١٦٥١ اذ بلغت ما لم تبلغه من قبل وهو ٧٥٠ توماناً أي أكثر من ٢٢٥٠ جنيهاً انجليزياً ، ووصفت يومئذ بأنها أهم بنود الربح الذي حققته الشركة من تجارتها بايران .

وفي بعض السنين كان مردّ ضآلة العوائد الى سوء احوال التجارة ، لكن نصب الايرانيين واهمالهم ، واهمال بعض العاملين في الشركة أيضاً – الى جانب رفض الهولنديين دفع عوائد ما ، كانت كلها عوامل ذات اثر هام في الموضوع . وحوالي سنة ١٦٣٠ اتهم كابتن ويدل بارتكاب خطأ جسيم في موضوع آخر . فزعم انه قد حصل للشركة على ٢٠٠٠ جنيه انجليزي في بندر عباس لانه أقام حراسة تراقب المركز الجمركي ، وفي سنة ١٦٣٣ تحسن الوضع قليلا بجهود وكيل

تجاري ناشط ونزيه يدعى لوفتوس ، وفي سنة ١٦٣٧–١٦٣٨ حين هبطت العوائد الى حدها الادنى قيل ان ثمة تواطوءاً بين قادة سفن الشركة ووكلائها والمسؤولين الايرانيين ، وفي سنة ١٦٤٠ ذهب بعض المواطنين الغيورين على مصالح الشركة الى حد التوصية باستخدام القوة لارغام الايرانيين على التعامل التجاري الشريف .

وقيل غير مرة إن نصيب الانجليز — لو حصل كاملا — قد يصل الى خمسة آلاف او ستة آلاف تومان ، أي أكثر من ١٥ الف(١) جنيه انجليزي في السنة ، وحسب ما قال به ماندلسلو ، —وهو أحد سفراء دوق هولشتاين الى الشاه وقد مر ببندر عباس في سنة ١٦٣٨ فان الانجليز لم يكونوا يحصلون بالفعل على اكثر من عشر ما يستحقونه ، وفي سنة ١٦٥٣ ، وكانت امتيازات حرية التجارة قد وسعها الشاه لتشمل الهولنديين ايضاً — قال بعض العاملين في الشركة ان ذلك الاعفاء يجب ان يسري على نصيب الايرانيين فقط من العوائد لا على نصيب الانجليز ايضاً ، لكننا لا نعرف كيف تمت تسوية هذا الموضوع .

اضمحلال قوى البرتغاليين فى الخليج
سنة ١٦٢٨ ـ ١٦٥٣

ظل البرتغاليون رغم خسرانهم الفادح للكثير من املاكهم في الشرق خطراً عسكرياً يهدد الانجليز بعض الوقت .

(١) كان التومان الفارسى ـ فى ذلك الوقت ـ يساوى أكثر من ثلاثة جنيهات انجليزية ، وفى سنة ١٦٧٧ بلغت قيمته ، على وجه التحديد ، ٣ جنيه و ٦ شلن و ٨ بنس .

رحلة كابتن سوانيلي ١٦٢٨ — ١٦٢٩ :

وقد فوض كابتن سوانيلي الذي قاد اسطولا من خمس سفن تابعة للشركة الى الخليج بهدف تنشيط التجارة الانجليزية وتوصيل سفير المغول في ايران الى بندر عباس ، بمهاجمة اي اسطول او سفن برتغالية يلتقي بها في طريقه ، لكننا لا نعرف يقيناً ما اذا كان قد وجد الفرصة لتنفيذ هذه التعليمات الصادرة اليه ام لم يجد .

البرتغاليون يجددون نشاطهم ١٦٣٠ — ١٦٣١ :

وفي سنة ١٦٣٠ حاول نائب ملك البرتغال في جوا — وقد تلقى امدادات وتعزيزات من اوربا — ان يمنع اسطولا انجليزياً من الوصول الى سورات لكن النتيجة التي انتهت اليها هذه المحاولة في البر والبحر لم تكن مرضية للبرتغاليين ، فحول نائب ملك البرتغال بعدها اهتمامه الى الخليج وقد ارسل مبعوث برتغالي في ذلك الوقت الى شيراز ومعه تعليمات من ملك اسبانيا باللجوء الى الرشوة وهناك نجح في أن يستميل اليه حاكم اقليم فارس ، ومن خلاله استطاع ان يتقدم الى الشاه يطلب اعادة هرمز للبرتغاليين ، ومنحهم امتيازات تجارية جديدة — او تعزيز امتيازاتهم القديمة — في كنج ... وسادت الخشية في وقت من الاوقات — أن تؤدي زيادة نفوذ البرتغاليين في الخليج الى التغطية على الانجليز ، لكن وكلاء شركة الهند الشرقية كانوا ما يزالون قادرين على ان يحصلوا من الشاه على أمر بتسيير ٢٠٠ جندي ايراني الى بندر عباس للدفاع عن الوكالات والسفن الانجليزية هناك ضد هجمات البرتغاليين ، وأخيراً في سنة ١٦٣١ ، سخط الايرانيون على البرتغاليين فرجع هؤلاء يضعون الخطط للاستيلاء على هرمز بالقوة ، لكنهم عجزوا عن تنفيذ هذا المخطط رغم أنهم أقاموا موقعاً لهم في « رأس الخيمة » او قريباً منها على الساحل العربي لتسهيل عملياتهم الحربية .

مناوشات بين الايرانين والبرتغاليين ١٦٣٢ – ١٦٣٣ :

وفي سنة ١٦٣٢–١٦٣٣ كان الايرانيون متلهفين للقيام بهجوم على البرتغاليين في مسقط ، واستطاع حاكم شيراز ان ينتزع وعداً بالمساعدة العسكرية من الانجليز الذين خافوا ان يلجأ الى الهولنديين لو لم يلبوا هم مطلبه ، لكن هذه الحملة المقترحة لم ترسل وفي سنة ١٦٣٤ أصلح البرتغاليون تحصينات مسقط ، وفي سنة ١٦٣٨ حين زار مندلسلو بندر عباس كانت اللغة البرتغالية مسموعة هناك على معظم الالسنة ، لكن البرتغاليين والاسبان كانوا ممنوعين من دخول المدينة ، وغالباً ما كان البرتغاليون ينتقمون لانفسهم بأن يقوموا بغارات متعددة للسلب والنهب في الاقليم .

السلام بين انجلترا والبرتغال في الشرق منذ ١٦٣٤ :

ووصل العداء بين البرتغاليين والانجليز الى نهايته بهدنة عقدت في مايو او يونيو سنة ١٦٣٤ بين رئيس الوكالة الانجليزية في « سورات » ونائب الملك البرتغالي في « جوا » وأعقب ذلك تبادل المذكرات الى ملك انجلترا وملك اسبانيا . وفي سنة ١٦٣٥ صدرت التعليمات الى العاملين في الشركة الانجليزية بأن يقفوا على الحياد حيال النزاع الدائر بين الايرانيين والبرتغاليين ، وفي ٢٠ يناير سنة ١٦٣٦ حلت محل هذه الهدنة اتفاقية وقعت في جوا ، وعادت علاقات الود بين الدولتين .

استعادة البرتغال استقلالها في اوربا ١٦٤٠ :

وفي سنة ١٦٤٠ تحررت البرتغال من ربقة اسبانيا ، وعادت بعد فترة دامت ستين عاماً، دولة مستقلة تحت حكم امير من اسرة براجانزا ، لكن هذا لم يكن له كبير أثر على وضعها في المشرق ، وقد قدر الحاكم العسكري البرتغالي قيمة عوائد مسقط بالنسبة للبرتغال بـ٥٠ الف دوكة من عملة مدينة البندقية .

البرتغاليون في البصرة ١٦٢٥ — ١٦٤٠ :

وبعد سقوط هرمز وجه البرتغاليون نشاطهم التجاري وحماستهم للتبشير الى البصرة(١) ، فاقاموا فيها وكالة تجارية وجماعة دينية وحلقة تعليمية ، وظلوا هناك حتى سنة ١٦٤٠ على الأقل — يشكلون منافساً نشطاً للتجارة الانجليزية . وخلال سنتي ١٦٢٤ و ١٦٢٥ ساعدوا الاتراك في الدفاع عن البصرة وملحقاتها ضد هجمات الايرانيين ، وفي العام التالي جعلوا في البصرة خمساً من سفنهم لهذا الغرض ، وكان الشاه ينظر الى تحول تجارة البرتغال في الخليج من ايران الى تركيا بعين الكراهية والحسد ، وربما كان هذا هو السبب الرئيسي لهجوم الايرانيين المستمر على البصرة .

طرد البرتغاليين من عمان ١٦٤٠ — ١٦٥٠ :

وبدأت سيطرة البرتغاليين على عمان في الانكماش . ففي سنة ١٦٤٠ ابلغ العرب امام عمان ان مقر الجمرك البرتغالي ليس به سوى عدد قليل من الرجال فقط ، فقامت قوة من الاهالي بالهجوم على مسقط لكنها فشلت ، ثم هاجموا صحار في نوفمبر سنة ١٦٤٣ ، فاسروا ٣٧ برتغالياً وقتلوا كل الحامية العسكرية التي كانت بها . وكما سنفصل تالياً في القسم الخاص بتاريخ عمان قام العرب في سنة ١٦٤٨ بحصار مسقط ، وارغموا القائد العام فيها على الرضوخ لشروطهم التي قيدت سلطة البرتغاليين في عمان تقييداً شديداً ، وبالاضافة الى صحار كان البرتغاليون قد فقدوا حوالي ذلك الوقت ايضاً كوراسار و دوبار والقريات.

وفي نهاية سنة ١٦٤٩ ، قامت قوة عربية بمهاجمة مسقط مرة أخرى ، وفي يناير سنة ١٦٥٠ ارغم البرتغاليون على ان يسلموا نهائياً قلعتهم « التي لا تقهر » كما كانوا يسمونها وجلوا عن البلاد . وفي سنة

---

(١) أنظر الملحق الخاص بالاديان في الخليج ٠

١٦٤٩ ،وقبل هذه الضربة الاخيرة كان ملك البرتغال قد اصدر الاوامر في اوربا بأن توجه كل الجهود للمحافظة على مسقط وتعزيز خصب ، والا يسمح للمشايخ والعرب بالاقامة داخل مدينة مسقط ، واقامة ميناء جديد—لو امكن— في «بندلي» بالقرب من «كوموراس» (بندر عباس) .

وضع البرتغاليين في الخليج بعد طردهم من عمان ١٦٥٠—١٦٥٣ :

وبعد سقوط مسقط ، ارسل اسطول برتغالي الى الخليج كان واضحاً أنه يبحث عن قاعدة جديدة على سواحل لار ربما بالقرب من اقليمي بستك ولنجه اللذين نعرفهما اليوم او في سواحل الاحساء ، ويبدو ان الايرانيين قد عرضوا على البرتغاليين جزيرة هانجام ، وان تكون لهم حقوق تحصينها وتعزيزها ، لكن البرتغاليين رفضوا العرض . ويبدو أنهم رفضوه لتصورهم ان وجود قاعدة لهم في كساب « خصب » او أي مكان آخر على الساحل العربي أفضل بالنسبة لهم ، وظلت وكالة البرتغاليين وامتيازاتهم في كنج — التي بدأت منذ سنة ١٦٢٥ — قائمة لكن ازدهارها السابق راح يقل بدرجة ملحوظة نتيجة اضمحلال قوة البرتغاليين على ارغام السفن على الرسو فيها ، وهكذا طرد البرتغاليون من آخر قواعدهم على البر في الخليج ، وأصبح العلم البرتغالي بعد أن ظل قرابة قرن ونصف من الزمان شيئاً مألوفاً في الخليج ورمزاً لقوة محلية لها خطرها فيه ، مجرد شارة لدولة أجنبية بعيدة .

أسباب انهيار نفوذ البرتغاليين :

وراء انهيار البرتغاليين أسباب عديدة ، لعل أهمها العنف وسوء النية في التعامل مع جيرانهم من اهل الشرق ، هذا الى جانب مشاعر الحسد والشقاق التي كانت فاشية بينهم على الدوام . انهم لم يؤسسوا شركة تجارية كما فعل منافسوهم الانجليز والهولنديون بل كانت تجارتهم احتكاراً ملكياً سيء التنظيم والادارة ، بل ان الاساس العسكري الذي استندوا اليه تخلخل في النهاية بسبب فقدان النظام والافتقار الى الحصافة

المهنية ، وقد لاحظ الرحالة الايطالي بيترو ديلافالي في سنة ١٦٢٤–١٦٢٥ هبوط مستوى النظام في البحرية البرتغالية ولم يستطع على الرغم من تعاطفه مع « اخوانه الكاثوليك » – الا ان يقارن بين هذا المستوى ومستوى النظام في السفن الانجليزية ، وحكم المؤرخ البرتغالي نفسه يلخصه هذا المقتطف من أقواله : « ان دمار أحوالنا نابع من احتقار كبرائنا(١) لصغارنا ، ومن طمع صغارنا طمعاً اعماهم عن دعوة الوطن والشرف . ان البرتغاليين قادرون على استرداد ما يخسرون، ولكنهم عاجزون عن استبقائه ، وذلك هو بيت القصيد ، فانه اذا جاء الطالع الحسن بالغنيمة ، فان الحكمة هي التي تستطيع صونها » .

---

(١) أنظر : آسيا البرتغالية ، المجلد الثالث ص ٣٨٢ – ٣٨٣ « ترجمة ستيفنس لكتاب فرياى سوسا » .

ازدياد نفوذ الهولنديين فى الخليج
١٦٢٨ ـ ١٦٥٣

يجب أن نلاحظ ان اختفاء البرتغاليين وبعدهم عن الميدان لم يؤد الى خلاص الانجليز من المنافسة السياسية والتجارية ، لانه مع تدهور قوة البرتغاليين — كانت قوة الهولنديين تتزايد تزايداً سريعاً أصبح يتهددهم بالخطر . فقد لجأ الهولنديون في ايران الى اتباع مختلف اساليب الرشوة ودفع أثمان مرتفعة في السلع الايرانية ، وثابروا على بذل المجهود من أجل ازاحة الانجليز عن المكان الذي احتلوه بالجهد والالم ، وفي سنة ١٦٣٣ ، لم تغامر وكالات شركة الهند الشرقية بأن تثير مع الشاه مشكلة عقد اتفاقية جديدة لشراء الحرير ، رغم حاجتها لها ، حذراً من أن يزايد عليها الهولنديون بأسعار أعلى ، كما كان ثمة خونة في صفوف الانجليز . وفي سنة ١٦٣٧ ، وبعد ان مات جيبسون — الوكيل الانجليزي في أصفهان — تبين انه كان يقرض الهولنديين من اموال شركة الهند الشرقية ، وبهذا يمكنهم من ان يبتاعوا الحرير ويضربوا التجارة الانجليزية ، وكان لسياسة المضاربات التي ينتهجها التجار الهولنديون مضارها على أي حال ، فقد جاوزت ديونهم عندئذ للتجار الارمن في ايران مبلغ ١٠٠ الف جنيه انجليزي ، ولما كان رصيدهم المخزون من الحرير قليلا فقد عجزوا عن الوفاء بديونهم ، ولم يدفعوا منها في نهاية الموسم سوى ٦٥ الف جنيه ، ولهذا اوقع التجار الارمن حجزاً موقتاً على صادراتهم من الحرير .

اعفاء الوكالة الهولندية من الضرائب الجمركية وتقدمها بشكل عام في بندر عباس ١٦٣٨ — ١٦٤١ :

وفي سنة ١٦٣٨ — السنة التي قام فيها مندلسلو بزيارة بندر عباس وكان للهولنديين كما للانجليز وكالة فيها — كان الهولنديون يحتكرون

كل تجارة التوابل ، كما كانو قد ظفروا باعفائهم من ضرائب الاستيراد ، وفي سنة ١٦٣٩–١٦٤٠ كانت حركة سفن الهولنديين وتجارتهم مسيطرة في بندر عباس ، لكن القائمين على الوكالات الانجليزية في ايران رفضوا اوامر شركتهم باغلاق وكالة اصفهان وارجأوا تنفيذ ذلك حتى لا يتيحوا الفرصة كاملة لمنافسيهم ، وفي سنة ١٦٤١ عمد الهولنديون لرغبتهم « في زيادة حجم » تجارتهم من الصادرات الايرانية او احتكارها الى بيع البضائع الاوربية في ايران بثمن اقل من ثمن التكلفة .

وفي سنة ١٦٤٥ ارسل الهولنديون – وقد أصبح هدفهم الآن هو بسط نفوذهم في ايران مستخدمين لذلك كل الوسائل مهما كانت بما فيها القوة العسكرية – ارسلوا أسطولا ضخماً الى الخليج يقوده القائد بلوك(١) وفي بندر عباس طلبوا الى الايرانيين رد مبلغ ٤٩٠٠ تومان كعوائد جمركية سبق ان دفعها الوكيل الهولندي ، ومن هذا يتضح لنا ان الهولنديين لم ينجحوا نجاحاً تاماً في تلافي دفع العوائد الجمركية ، وأصبح التواطؤ بين الهولنديين والمسؤولين الايرانيين خطيراً لدرجة حتمت نقل ممتلكات شركة الهند الشرقية الانجليزية في بندر عباس الى البصرة ضماناً لسلامتها ، وكان ذلك في يونيو سنة ١٦٤٥ . وفي خريف نفس السنة ، ولما لم يصل الهولنديون الى اتفاقية ترضيهم مع الايرانيين ، قاموا بمهاجمة قشم ، ورغم انهم فشلوا في احتلالها وفقدوا عدداً كبيراً من رجالهم ، الا ان الشاه سارع بطلب الهدنة ومال الى الاستسلام لمطالبهم بالمزيد من التسهيلات التجارية . ومات بلوك في أصفهان – وكان قد انتقل اليها باذن خاص – لكنه قبل ان يموت استطاع ان يقابل الشاه ، وكان لقاؤه به مثمراً ، فقد حصل على ترخيص منه يخول الهولنديين حق تصدير الحرير من سائر الموانىء الايرانية معفياً من الضرائب

---

(١) انظر جوليات بروس ، المجلد الاول ص ٤١٤ ويقدم تافرينى ٩٤ ، تفسيرا مختلفا بعض الشيء لكنه أوسع لحادثة قشم ، لكن معلوماته عن تاريخ الحادث لم تكن صائبة .

ازدياد سيطرة الهولنديين ١٦٣٦ ـ ١٦٥٣ :

وبعدها وسع الهولنديون رقعة حربهم التجارية ضد الانجليز ومدوها الى العراق فارسلوا اسطولا من ثماني سفن الى البصرة . وأدت هذه الخطوة من جانبهم الى تدمير موقت لاعمال الوكالة التجارية الانجليزية التي كانت انشئت هناك موخراً . وفي سنة ١٦٤٩ ، وصل نفوذ الهولنديين في الخليج الى قمته ، وبدت طوالع لحصولهم على امتيازات اخرى من الحكومة الايرانية التي اصبحت ترهبهم لكنها لا تحترمهم ، وفي سنة ١٦٥٠ ، زادت كفة الهولنديين في الخليج رجوحاً ، وزادها طرد البرتغاليين من مسقط ، وفيها وصل اسطول هولندي ضخم مكون من عشر سفن الى بندر عباس وانزل حمولة ضخمة . وحوالي هذا الوقت استطاع الهولنديون كما يقول تافرينير تصريف ١,٥٠٠,٠٠٠ رطل من الفلفل في ايران(٢) دفعوا منها ثمن كل الحرير الايراني . وفي العام التالي وصل الى بندر عباس اسطول هولندي مكون من ١١ سفينة تحمل شحنة من البضائع قيمتها أكثر من ١٠٠ الف جنيه انجليزي ، وتأثرت التجارة الانجليزية بهذا تأثراً بالغاً ، وفي سنة ١٦٥٢-١٦٥٣ ارسل الهولنديون ١٥ سفينة الى بندر عباس تقدر حمولتها بحوالي ١٢٠ الف جنيه انجليزي ، واستطاعوا بهذا ان يكتسحوا التجارة الانجليزية اكتساحاً تاماً ، لكن الشاه ظل على رفضه لطلبهم التساوي في المعاملة مع الانجليز من حيث الامتيازات التجارية ، وذلك على أساس انهم لم يقدموا لايران من الخدمات مثل ما قدم الانجليز ، على انـــه استقبل بعثة هولندية في أصفهان استقبالا حسـناً ، غير انـه، برغم كل ما كان يـفيده من الهولنديين وبرغم التضحيات النقدية الكبيرة من جانبهم ، رفض ان يمنع الانجليز من الحصول على قدر كبير من الحرير بشروط مناسبة .

---

(٢) نفهم من لهجة تافرينير أن هذا كان يحدث كل سنة ، غير أن هذا الرقم الذى يذكره يبدو أكبر من أن يكون صحيحا ٠

الحرب بين انجلترا وهولنده في اوروبا سنة ١٦٥٢ :

وفي سنة ١٦٥٢ ، كانت الحرب قد نشبت في اوربا بين الانجليز والهولنديين ، وان كانت أخبارها لم تصل بعد الى اسماع الناس في ايران .

منافسة اتحاد كورتن الانجليزى لشركة الهند الشرقية
١٦٣٦ ـ ١٦٥٠

خلال بعض سني هذه الفترة التي نتناولها ، لم يكن على شركة الهند الشرقية ان تواجه المنافسة الاجنبية فحسب ، وانما كان عليها ايضاً ان تتصدى لطائفة من التجار « الطفيليين » غير المسجلين من الانجليز أنفسهم . ففي ديسمبر ١٦٣٥ ونتيجة الصلح الذي عقد اخيراً مع اسبانيا والبرتغال ، قام سير ويليام كورتن بتكوين اتحاد للتجارة مع المستعمرات البرتغالية في الشرق ، وذلك بمرسوم ملكي رأت فيه شركة الهند الشرقية خرقاً لحقوقها القديمة المطلقة ، لكن احداً لم يأبه لاعتراضها ، فاكتفت بأن تصدر التعليمات للعاملين فيها بالا يقدموا أي عون لممثلي هذا الاتحاد المنافس ، وكان كابتن ويدل ـ احد العاملين في شركة الهند الشرقية سابقاً ـ احد الاعضاء المؤسسين للاتحاد الجديد . وفي سنة ١٦٤٠ انشغل اتحاد كورتن انشغالا مثابراً عنيداً بالتجارة الايرانية ، بل واهتم بعض أعضائه ببذر الشكوك في نفوس المسؤولين الايرانيين فيما يتعلق بموقف ملك انجلترا من شركة الهند الشرقية . وفي سنة ١٦٤٥ زارت احدى سفن اتحاد كورتن ميناء بندر عباس ، وكان قائدها قد حصل على وعد بأن يحمل في عودته كل حرير الشاه الموجود في هذا الميناء معفياً من الضريبة ، وهناك سمح له الشاهبندر (او كبير المسؤولين عن الجمارك) بأن ينزل حمولة سفينته كلها معفاة من الضرائب ، واخيراً ، انهيت هذه المنافسة التعيسة في سنة ١٦٤٩ بموجب ترتيبات بين شركة الهند الشرقية واتحاد كورتن الذي أصبح اسمه « اتحاد تجار اسادا » .

سير تجارة شركة الهند الشرقية
١٦٢٨ ـ ١٦٥٣

تجارة الشركة في ايران ١٦٢٩ ـ ١٦٣٢ :

يبقى الآن ان نراجع سَيْر تجارة شركة الهند الشرقية في هذه الفترة التي تعرضت فيها للمنافسة الشديدة في الخليج .

كان موت الشاه عباس الاول ضربة خطيرة لتجارة الشركة في ايران ، فمبجرد موته ، نهبت محلات الحرير الملكية ، وحدثت تمردات محلية كبيرة كان من نتيجتها في سنة ١٦٣١ ان توزع الحرير الايراني بعيداً عبر تركيا وروسيا ، والى جانب ذلك كان الشاه الجديد مقبلا على الانغماس في الملذات أكثر من اقباله على العمل ، ولم يكن لديه في البداية مخزون من الحرير لتصديره كما كان جده الشاه الراحل يفعل ، كذلك نشأت صعوبات كبرى أمام نقل الحرير الذي كان يجمع في أصفهان الى ميناء الشحن في بندر عباس ، حتى إن ستة من الوكلاء الانجليز على الاقل أعياهم التغلب على مشاق هذا الطريق وهم يصحبون قوافل الحرير الانجليزية في سنة ١٦٣١–١٦٣٢ ، وبعدها جرت محاولة لم تدم طويلا لقيام وكيل ايراني بنقل الحرير الى بندر عباس ، لكن نصب وتدليس الايرانيين الذين يقومون بالنقل كان بالغاً ، مما ألزم الشركة ان تعيد وزن وفحص كل بالة في بندر عباس .

وشهدت سنة ١٦٣٣ ربحاً حسناً للشركة التي وجدت انه ما دام التجار المحليون لا يمكن الاعتماد عليهم او الوثوق باخلاقهم ، فالطريقة العملية الوحيدة هي أن يتم نقل الحرير بتوقيع عقد عام مع الشاه ، ولم تكن هذه الطريقة لتخلو من المخاطر على أية حال ، لان الهولنديين كانوا يمثلون خطراً دائماً باستعدادهم للمزايدة على الانجليز وانتزاع العقود منهم . وفي نفس السنة اكتشف بعض التلاعب فيما يتعلق بكم

الحرير ونوعه ، وتقدمت الشركة بدعوى الى ممثل الشاه عارضة عليه الحرير الرديء فنالت التعويض اللازم .

سنة ١٦٣٤ :

وفي سنة ١٦٣٤ قام وكيل الشاه بتنفيذ آخر عقد مع الشركة كان ينص على تسليم ما قيمته ١٠٠ الف جنيه انجليزي من الحرير ، لكن الهولنديين كانو في ذلك الوقت منهمكين في تقديم الرشاوي للمسؤولين الايرانين ، حتى أصبح يخشى ان يتوقف الشاه في المستقبل عن قبض قيمة جزء من هذا الحرير على شكل بضائع ويصر على استلام كامل ثمن حريره نقداً .

سنة ١٦٣٥ :

وفي ١٦٣٥ اصدرت الشركة في لندن تعليمات الى موظفيها في الهند بأن يقوموا بتصدير الفلفل والبهارات وذلك بهدف تنشيط التجارة في الخليج ، وتحسينها في الهند ايضاً . وفي نفس الوقت تقريباً كان ممثلو الشركة في ايران بعيدون النظر في وضع التجارة الايرانية ، وكانوا يميلون الى ايقاف العمل بنظام التعاقد مع الشاه واستبداله بشراء الحرير من السوق الحرة . ولكن قبل ان تصدر الاوامر بتنفيذ اقتراحهم هذا استطاع جيبسون ، وكيل الشركة في أصفهان ، ان يوقع اتفاقية جديدة مع الشاه يتعهد هذا بمقتضاها ان يسلم الانجليز ١٠٠٠ حمل من الحرير خلال ثلاث سنوات بسعر ٤٢ توماناً ، اي ما يساوي ١٣٠ جنيهاً انجليزياً ، وان يقبل استلام ثلث الثمن نقداً ، والباقي عيناً من الجوخ والصوف والقصدير .

سنة ١٦٣٦ :

وفي سنة ١٦٣٦ قام الرئيس فرملين من سورات بزيارة لبندر عباس ووضع تنظيمات جديدة اتبعتها الشركة لكننا لا نعرف عنها شيئاً .

سنة ١٦٣٨ :

وفي ١٦٣٨ ارسل الملك شارل خطاباً سلم الى الشاه مشفوعاً بمجموعة من الصور لافراد العائلة المالكة ، يطلب فيه ارساء العلاقات التجارية على اسس افضل ، فوقع الشاه عقداً جديداً مع ممثلي الشركة ، كما اصدر فرماناً بدفع الديون المتبقية للشركة بموجب العقد السابق . وفي نفس هذه السنة — وهي التي قام بها مندلسلو بزيارة بندر عباس ، كانت صادرات الانجليز من الميناء تشمل الثياب الحريرية والقطنية ؛ والحرير الخام والقطن الخام الى جانب السجاد الايراني والراوند والزعفران وماء الورد ... الخ وكانت وارداتهم هي القماش والقصدير والصلب من انجلترا والنيلة والمنسوجات القطنية والحريرية من الهند ، وهذه كان يفضلها الايرانيون على انتاجهم المحلي لدقة نسجها والوانها الزاهية .

سنة ١٦٣٩ :

وفي سنة ١٦٣٩ بدأت « التنظيمات » التي وضعها فرملين تؤتي ثمارها ، وكانت ثماراً مرضية ؛ ويبدو انه استطاع عن طريق التهديد بالانسحاب من أصفهان — استصدار امر من الشاه بتسليم ٢٦٥ حمولة من الحرير الى جانب الاستحقاقات المتأخرة من عوائد بندر عباس ؛ ولكن كان يخشى من ان تكون هناك صعوبة في الحصول على عقد جديد بتقديم الحرير ، ويبدو ان الشركة كانت تود حقاً في ذلك الوقت ان تصفي وكالتها في أصفهان ، وتركز العمل كله في بندر عباس . لكن منافسة الهولنديين واتحاد كورتن اديا الى استحالة تحقيق هذه الرغبة ، وكانت شيراز — بمناخها المعتدل — هي المكان المفضل لسكن هؤلاء الوكلاء الانجليز في ايران بدلا من بندر عباس .

سنة ١٦٤١ :

وفي سنة ١٦٤١ تدهورت التجارة بسبب تقلب الاسواق والديون

الصعبة التحصيل ، ثم الهدايا التي كان الشاه يطالب بها في مقابل كل فرمان صغير يصدره — مما كان عبئاً على ارباح الشركة ، وفي سنة ١٦٤٢ بدأ تجار ايران مع حلب يبيعون البضائع الاوربية بثمن أقل مما تبيع به الشركة ، لكن المتاجرة بالسلع الهندية ظلت مربحة .

١٦٤٣ — ١٦٤٤ :

ولا بد ان وضع الشركة لم يكن مرضياً على العموم في ذلك الوقت ، ففي سنة ١٦٤٣ ، فكرت الشركة في الانسحاب من ميدان التجارة الايرانية نهائياً ، على ان تبدأ ببيع المخزون لديها وتحصيل ديونها في البلاد ، لكن هذا الرأي لقي معارضة من جانب ممثليها المحليين ، وفي سنة ١٦٤٤ ظل القرار النهائي للشركة معلقاً ، لكنها أخيراً آثرت البقاء .

١٦٤٦ — ١٦٤٧ :

وفي سنة ١٦٤٦ ، أدى هبوط اسعار الحرير في ايران الى انتعاش موقت في هذا اللون من التجارة الذي كان في حالة تدهور واضحة ، غير ان الموقف التجاري العام في سنة ١٦٤٧ عاد فأصبح اسوأ منه في أي وقت مضى ، وكان شبح المستقبل قاتماً ومتجهماً .

١٦٤٨ — ١٦٤٩ :

وأدت الحرب بين شاه ايران وامبراطور المغول الى اضطراب التجارة التي تنقل براً بين ايران والهند في ١٦٤٨–١٦٤٩ ، وحققت الشركة ارباحاً ملموسة من نقل البضائع بين البلدين عن طريق البحر ، وفي سنة ١٦٤٩ وبرغم نقص الطلب على الثياب الانجليزية في ايران وانخفاض كمية التوابل المستوردة الى تلك البلاد ، حققت الشركة ارباحاً غير عادية ، قدرت في هذا الموسم بحوالي ٤ آلاف تومان ، اي ما يربو على ١٢ الف جنيه انجليزي .

١٦٥١ — ١٦٥٣ :

وفي سنة ١٦٥١ ، وكنتيجة لمنافسة الهولنديين والعجز عن بيع المستوردات الانجليزية ، والعجز المالي لم يكن للوكلاء الانجليز في ايران نشاط كبير ، غير ان قافلتين تجاريتين خرجتا من بندر عباس الى اصفهان وكان موظفو الشركة العاملون في ايران يرون ان سيطرة الهولنديين التي أصبحت طاغية عندئذ لن يمكن الوقوف امامها الا باستخدام نفس طريقة الهولنديين في جلب اساطيل ضخمة وشحنات كبيرة من البضائع الى بندر عباس ، واوصوا المسؤولين عن الشركة باللجوء الى هذا الاسلوب بمجرد ان تسمح الظروف باستخدامه .

تجارة الشركة في العراق ١٦٣٥ — ١٦٤٠ :

لقد بدأت العلاقات التجارية الانجليزية مع العراق لاول مرة خلال هذه الفترة التي نحن بصددها وتفاصيل هذه العلاقات موجودة في الفصل الخاص بتاريخ العراق التركي ، فبعد زيارتين تمهيديتين قام بهما موظفو الشركة الى البصرة في سنتي ١٦٣٥—١٦٤٠ — انشأت شركة الهند الشرقية وكالة اقليمية لها هناك في سنة ١٦٤٣ او قبلها بقليل ، وفي سنة ١٦٤٥ أصبحت البصرة — كما اشرنا من قبل — هي المركز الرئيسي المؤقت للشركة في الخليج ، وحتى سنة ١٦٤٥ كان التجار الانجليز في البصرة محصنين جيداً ضد منافسة الهولنديين التجارية ، لكن تلك المنافسة اتخذت شكلاً مفاجئاً وحاداً ، وادت في خلال عام او اثنين الى تجريد الانجليز من كل ربح كانوا ينالونه .

تاريخ الخليج من الحرب الاولى بين الانجليز والهولنديين الى غزو الافغانيين لايران سنة ١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

احداث أوربا سنة ١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

« حتى يزداد فهمنا للعلاقات بين الانجليز والهولنديين وغيرهما في منطقة الخليج في هذه الفترة التي نحن بصددها ــ يجب ان نلقي نظرة على التاريخ الاوروبي المعاصر لهذه الاحداث » ..

الحرب الاولى بين الانجليز والهولنديين ١٦٥٢ ــ ١٦٥٤ :

كان التوتر يزداد عبر السنين بين انجلترا وهولندا نتيجة للمنافسة التجارية بينهما ، وخاصة بسبب العدوان المتكرر من جانب الهولنديين على شركة الهند الشرقية الانجليزية . وفي سنة ١٦٥١ صدر قانون بحري في انجلترا كان الهدف منه ضرب التجارة المحمولة للهولنديين ، وفي سنة ١٦٥٢ مضى كروموبل الى حد اشهار الحرب على هولندا ، واستمر هذا الصراع على سيادة البحار لمدة عامين دون ان تحقق احدى القوتين المتصارعتين انتصاراً حاسماً على الاخرى ، وكان يقود هذه المعارك ترومب ورايتر عن جانب هولندة ، وبليك ، ومونك من الناحية الاخرى ، وحين سعى حزب النواب في امستردام الى عقد الصلح في سنة ١٦٥٤ ، كانت النتيجة العسكرية لهذه الحرب مثار خلاف . على أن لجنة انجليزية هولندية مشتركة قررت عقب الحرب تعويضات لشركة الهند الشرقية الانجليزية بمبلغ ٨٥ الف جنيه انجليزي دفعتها الشركة الهولندية بشكل اصولي كما الزمت الشركة الهولندية ايضاً بدفع مبالغ اخرى لاصلاح وترميم بعض السفن الانجليزية .

ولم يكن تأثير هذا الصراع على مجريات الامور في الخليج متميزاً ولا دائماً ، لكننا مضطرون – بالنظر الى فقدان المعالم التاريخية في هذه المنطقة فقدانا تاماً منذ سقوط هرمز حتى نهاية القرن السابع عشر – الى اتخاذ هذه الحرب الانجليزية الهولندية كاول نقطة ثابتة في سردنا التاريخي .

تأسيس شركة فرنسية للهند الشرقية ١٦٦٤ :

في سنة ١٦٦٤ تكونت شركة فرنسية للهند الشرقية بناء على مرسوم أصدره لويس الرابع عشر استجابة لنصائح كولبرت وزير ماليته .

الحرب الثانية بين الانجليز والهولنديين ١٦٦٥–١٦٦٧ :

وفي سنة ١٦٦٥ اعيد العمل بقانون البحرية في انجلترا ، وبدأت الحرب الثانية ضد هولندا ، وبدأها الانجليز باحراز انتصار في لويس توفت سنة ١٦٦٥ ، اعقبه انتصار مشكوك فيه للهولنديين في القنال الانجليزية في ١٦٦٦ ، واخيراً أرغم االهولنديون على الانسحاب الى موانيهم ، وجاء صلح بريدا في سنة ١٦٦٧ ليضع حداً لهذه الحرب ، أما أثرها على الاحداث في الخليج فليست معرفته باكثر سهولة من معرفة أثر الحرب التي سبقتها في ١٦٥٢–١٦٥٤ ، لكن اثرها في الهند كان واضحاً بسبب الحصار الذي فرضه الهولنديون على سفن الشركة الانجليزية في سورات .

الحرب بين الفرنسيين والهولنديين ، ومساعدة الانجليز للفرنسيين ١٦٧٢ – ١٦٧٨ :

ولم يمض وقت طويل على هذه الاحداث حتى ادت مطامع لويس الرابع عشر به الى الدخول في نزاع مع كل من هولندا واسبانيا ، ثم اعلان الحرب على هولندا في ١٦٧٢ . وفي ١٦٧٦ دمر الاسطول الفرنسي الاسطول الهولندي – الاسباني المشترك في البحر الابيض المتوسط ، وتحالف ملك انجلترا (شارل الثاني) في البداية مع فرنسا ضد هولندا ، وحدث اشتباك غير حاسم بين الاسطولين الانجليزي والهولندي في خليج

سولباي في ١٦٧٢ ، لكن الرأي العام الانجليزي ، وكان يعادي فرنسا ، ارغم حكومته على عقد الصلح مع هولندا في سنة ١٦٧٤ . وقرب نهاية حرب الست سنوات هذه كان ثمة عدد من الدول الاوروبية يقف الى جوار انجلترا ضد هولندا ، وفي سنة ١٦٧٨ ضمن صلح نيميجن لهولند استقلالها .

الحرب بين انجلترا وهولندا ضد فرنسا ١٦٨٨ – ١٦٩٧ :

وفي الصراع التالي الذي دار في اوربا وبدأ في سنة ١٦٨٨ وقفت انجلترا وهولندا معاً لصد سيطرة فرنسا في اوربا ، لكن هذا التحالف الجديد أخضع مصالح هولندا اخضاعاً تاماً للسياسة الانجليزية . وفي سنة ١٦٩٠ هزم القرنسيون اسطولا انجليزياً هولندياً مشتركاً خارج بيش–هيد ، ولكن في سنة ١٦٩٢ استطاع الحلفاء ان يهزموا قوة عسكـــريـــة فرنسية تجاه ساحل لاهاي ، لكن ذلك النصر لم يحل دون تمكن الفرنسيين من اسر ما سمي « الاساطيل التركية » التابعة لانجلترا وهولندا في العام التالي ، وسنرجع لهذه الحادثة مرة أخرى تالياً عند الحديث عن التجارة في الخليج ، كما أغرق الفرنسيون السفينة « باركل كاسل » التابعة لشركة الهند الشرقية في القنال الانجليزي ، واخيراً في سنة ١٦٩٧ كانت قوى فرنسا قد انهكت وبدأت المشكلة الاسبانية تستأثر باهتمام لويس الرابع عشر ، فتوقفت الحرب وتم عقد صلح روزويك .

الحرب بين الانجليز والفرنسيين ١٧٠٢–١٧١٣ :

وفي سنة ١٧٠٢ دخلت انجلترا الحلف الكبير ضد فرنسا في الحرب الاوروبية الكبرى التي نشبت بسبب التسوية التي كان يسعى لويس الرابع عشر ان يعرضها لمشكلة وراثة العرش الاسباني ، وهذه هي الحرب التي تحققت فيها انتصارات دوق مارلبورو في بلنهايم وراميليس وماليلاكيت ، وسيطرة الانجليز على جبل طارق ، وقد استمرت هذه الحرب حتى سنة ١٧١٢ وانتهت بصلح اترخت ١٧١٣ لكننا لا نجد لهذه الحرب اية نتائج مباشرة على الاوضاع في منطقة الخليج .

شركة الهند الشرقية القديمة ، والشركة الجديدة
١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

لعل من المفيد ، وربما من الضروري أيضاً ـ ان نقدم تلخيصاً سريعاً لتاريخ شركة الهند الشرقية خلال هذه الفترة لكي يتسنى لنا فهم سير التجارة الانجليزية في الخليج .

التجار المغامرون ـ ١٦٥٤ ـ ١٦٥٧ :

لقد تسبب بعض الأشخاص ممن عرفوا في التاريخ باسم التجار المغامرين في متاعب كثيرة لشركة الهند الشرقية في السنوات التي أعقبت الحرب الهولندية مباشرة . وكان هؤلاء فيما يبدو من حملة اسهم الشركة المساهمة المتحدة ، التي تكونت نتيجة الاتفاقية التي اشرنا اليها من قبل بين شركة الهند الشرقية واتحاد تجار اسادا في سنة ١٦٤٩ ، وكان هؤلاء التجار يدعون انهم كافراد يحق لهم ما يحق للاتراك الاحرار ، والتجار الروس من الاتجار لحسابهم الخاص داخل نطاق الاقاليم التي يتمتعون فيها بالامتيازات ، وطبيعي ان هذا الادعاء كان موضع اعتراض شركة الهند الشرقية التي كانت عملياتها التجارية جميعاً تقوم كلية على مبادىء المساهمة المطلقة ، ولذلك فهي ترهب من منافسة رأس المال الخاص . وقد لجأ كلا الجانبين الى الحكومة القائمة في ذلك الوقت ، وبقيت المشكلة معلقة امداً طويلا ، وقد استدان كروموبل في سنة ١٦٥٥ مبلغ ٥٠ الف جنيه انجليزي من شركة الهند الشرقية ، لكنه سمح ـ في نفس الوقت ـ لهؤلاء التجار المغامرين بأن يجهزوا اسطولا تجارياً منفصلا لهم ، وظلت المشكلة على بساط البحث طوال سنة ١٦٥٦ وأخيراً أصدر كروموبل في اوائل سنة ١٦٥٧ ـ بناء على نصيحة مجلس الوزراء ـ قراراً ينص على عدم جواز قيام مساهمين في شركة مساهمة عامة بمشاريع خاصة بهم ، وكانت نتيجة ذلك انضمام أغلب هؤلاء التجار

المغامرين الى شركة الهند الشرقية حسب شروط المساهمة المرعية في الشركة الشرقية .

تأسيس شركة الهند الشرقية وسياساتها من سنة ١٦٥٨–١٦٩٨ :

كان طابع شركة الهند الشرقية في ذلك الوقت ما زال تجارياً بشكل أساسي لكنها بدأت – منذ ذلك الحين – تدرك بدفع التجارب والاحداث ان الوضع السياسي والمكانة السياسية تتغلبان في نهاية المطاف على الصبغة التجارية للاعمال وتلغيانها .

وفي سنة ١٦٦١ آلت ملكية جزيرة بومباي ومينائها من البرتغال الى التاج البريطاني كجزء من هدية الزواج من الاميرة البرتغالية لزوجها شارل الثاني ملك انجلترا من ناحية ، وكذلك في مقابل تعهد انجلترا بضمان سلامة املاك البرتغال في جزر الهند الشرقية ، وفي سنة ١٦٦٢ ارسل إيرل مالبورو من انجلترا على رأس اسطول لتسلم هذه الممتلكات ، لكنه لقي عنتاً في مهمته لمراوغة السلطات البرتغالية المحلية وفي نفس الوقت ارسل سير جورج اكسندن كرئيس ومدير عام لشركة الهند الشرقية في آسيا ، ومنذ ذلك الوقت بدأت مناقشة مشكلة التوحيد او التوفيق بين حقوق الملك ومصالح الشركة . وفي سنة ١٦٦٥ او ١٦٦٦ اقترح ممثلو الشركة في سورات ان يشرع في تنفيذ الارادة الملكية بانشاء وكالة للشركة في بومباي التي تنازل البرتغاليون الان عن ملكيتها ، لكن ما حدث بالفعل كان يتجاوز مدى الاقتراح المذكور ، فقد تنازل ملك بريطانيا عن جزيرة بومباي لشركة الهند الشرقية في مقابل ايجار سنوي قدره ١٠ جنيهات ذهبية ، وخولت الشركة الحق في الاحتفاظ بقوات عسكرية وتأسيس ادارة مدنية بالجزيرة ، وفي سنة ١٦٨٥ عينت الشركة ، استناداً لنفس الاذن الملكي سير جون تشايلد قائداً عاماً وامير الا لقواتها في الشرق ، وتقرر في سنة ١٦٨٤ ان تنقل الشركة مقرها الرئيسي في الهند من سورات الى بومباي ، غير ان تنفيذ هذا

القرار ارجىء حتى ربيع سنة ١٦٨٧ ، وفي سنة ١٦٨٩ او ١٦٩٠ ارسل مقر الشركة في لندن تعليمات الى رياسة فرعها في بومبي تكشف عن تحول سياستها القديمة الى سياسة السيادة الاقليمية على الارض ، وجاء في تعليماتها تلك الكلمات المشهودة : « ان زيادة الارباح هي محل اهتمامنا بمقدار ما هي « تجارتنا » ، وهذا هو الذي يحملنا على ان تكون لنا قوات نواجه بها احوالا قد يقع فيها لنا عشرون حادثاً تعرقل تجارتنا ؛ ان هذا هو الامر الذي يجعل منا امة في الهند . ان مرسوم صاحب الجلالة لا تكون صبغته مجرد صبغة تجارية الا حين لا تتواجد دولة يخطر ببالها ان تحول بيننا وبين تجارتنا » .

تكوين شركة الهند الشرقية الجديدة المعروفة باسم « الشركة الانجليزية في مقابل شركة الهند القديمة المعروفة باسم « شركة لندن » ١٦٩٨ :

ومنذ بواكير سنة ١٦٨١ على الاقل ، اثارت هذه الحقوق المطلقة التي تتمتع بها شركة الهند الشرقية حسد غيرها من المتحفزين للمتاجرة في الشرق ، وتكرر ظهور المتطفلين واصحاب المشاريع الخاصة المعتدين على احتكار الشركة ، وسرعان ما ساد رأي بعد ذلك يقول ان امتيازات هذه الشركة تظل غير نافذة طالما ظلت تعتمد على منحة ملكية لم يقرها البرلمان . وفي سنة ١٦٩٣ اجاز مجلس العموم قراراً يؤكد حق كل الانجليز دون استثناء في تجارة جزر الهند الشرقية وغيرها ما لم يمنع ذلك قانون من البرلمان ، وكانت النتيجة المباشرة لهذا القرار هي زيادة عدد التجار المغامرين الذين حاولت الشركة بشتى الطرق القانونية وغيرها ان توقفهم دون جدوى . وفي سنة ١٦٩٨ تكونت جماعة من التجار أصحاب رؤوس الأموال الخاصة وطرحوا قرضاً للاكتتاب في الاغراض العامة قيمته ٢ مليون جنيه انجليزي ، واستطاعوا استصدار قانون برلماني اتحدوا بموجبه فيما سموه « الشركة العامة للتجارة في جزر الهند الشرقية » واستطاعوا بهذا الغاء حقوق الشركة القديمة التي اصبحت توصف عموماً باسم « شركة لندن » وبدأ هذا الالغاء يسري ابتداء من ٢٩

سبتمبر سنة ١٧٠١ ، وفي ٣ سبتمبر ١٦٩٨ تلقت الشركة العامة المرسوم الذي أصبحت بمقتضاه اتحاداً تجارياً ، وكان مفهوماً ان كل عضو من أعضائها سيقوم بالاتجار لحسابه بنسبة مشاركته في رأس المال(١) ولكن بعدها بيومين فقط ، وبمرسوم جديد دخلت جماعة تعتبر هي معظم المساهمين في الشركة العامة في شركة جديدة سميت « الشركة الانجليزية للتجارة في جزر الهند الشرقية » ، وهكذا دخلت الميدان شركة جديدة تنافس شركة لندن ، لكن شركة لندن دخلت مساهمة في الشركة الانجليزية الجديدة باسهم قيمتها ٣١٥ الف جنيه انجليزي ، احتياطاً منها لما يمكن ان يحدث مستقبلا ، وفي الوقت نفسه أخذت تنافس الشركة الجديدة باقصى ما يمكنها ، وبدأ صراع مرير كانت فيه شركة لندن تمتاز بخبرتها الطويلة ووضعها المستقر في الشرق ، غير ان عدداً من موظفيها السابقين التحقوا بالعمل في الشركة الانجليزية ، وكانت الاخيرة تتمتع برضا الهيئات التشريعية والبلاط الانجليزي لذلك استطاعت ان تجعل لنفسها مكانة وطنية وعامة لم يستطع منافسوها القدامى التوصل لمثلها ، وقد استطاعوا الحصول على تفويض السير ويليام نوريس ليكون سفير انجلترا لدى امبراطور المغول ، وكان رؤساؤها في الشرق يمنحون صلاحيات وامتيازات السفراء .

الصراع بين الشركة الجديدة والقديمة في الهند :

ولدى وصول ممثلي الشركة الانجليزية الى الهند بدأ صراع محزن كان من الممكن ان يؤدي — لو كان للبرتغاليين او الهولنديين او حتى للمغول قوة يعتد بها — الى ان يفقد الانجليز جميعاً مكانتهم في الهند . فلقد كان وكلاء الشركة الانجليزية يزعمون ان العاملين في شركة لندن لم يعد لهم حق في التعامل المباشر مع الدول الشرقية ، او حتى اصدار تصاريح المرور للسفن الاهلية ، بل لقد انكروا على سفن الشركة القديمة ان ترفع العلم البريطاني ، ولم يأبه العاملون في شركة لندن لهذه الاعتراضات في بداية الامر ثم راحوا يرفضون الاعتراف بأية سلطة لموظفي الشركة

الانجليزية عليهم لكون الاخرين يتمتعون بصلاحيات قنصلية ، وكان هذا الصراع يبدو غير واضح بالمرة للسلطات المغولية ، لكنها رغم ذلك أفلحت في أن تحوله لصالحها ، مما اوقع اضراراً بالغة بكلا الطرفين المتصارعين . ومن الاحداث المخزية في هذا الصراع ان قام سير ن . وايت ، احد العاملين في الشركة الانجليزية بتحريض السلطات المغولية على اعتقال سير جون جاير حاكم بومبي المنتمي لشركة لندن ، وقد قامت السلطات فعلا باعتقاله ومعاملته معاملة وحشية في اوائل سنة ١٧٠١ ولم يسترد سير جاير حريته الا في سنة ١٧٠٥ او بعدها .

اجراءات دمج الشركتين الجديدة والقديمة ١٦٩٩ ـ ١٧٠٧ :

ولم يمض وقت طويل الا وبدأ يتضح في انجلترا ان استمرار هذا الصراع قد يؤدي الى افلاس الشركتين المتصارعتين معاً . وفي اوائل سنة ١٦٩٩ بدأت الشركة الانجليزية مفاوضات الوحدة وكان وضعها يجعلها الطرف الاضعف برغم امتيازاتها الرسمية ، ورفضت شركة لندن هذا العرض في بادىء الامر ، كما استطاعت ان تستصدر قانوناً في سنة ١٧٠٠ يمدد فترة وجودها ـ كشركة لها تصريح رسمي ـ الى ما بعد سنة ١٧٠١ ، لكن ملك انجلترا افصح عن رغبته في ان يتم الاندماج بين الشركتين ، وكانت الاحوال في اوربا مضطربة غير مستقرة ، ولهذا بدأت المفاوضات وانتهت في ٢٧ ابريل سنة ١٧٠٢ باتفاقية بين الشركتين وقع بمقتضاها ميثاق للوحدة بينهما في ٢٢ يوليو من السنة التالية ، وكانت نتيجة هذا اتحاداً موقتاً على قدم المساواة بين الشركتين ، اتفق فيه على تثبيت رأس مال كل من الشركة الانجليزية وشركة لندن بمبلغ ٩٨٨,٥٠٠ جنيه انجليزي لكل منهما(١) ويدير اعمال التجارة المشتركة خلال

(١) كان هناك رصيد قيمته ٢٣ الفجنيه انجليزى من راس المال الكلى البالغ ٢ مليون جنيه انجليزى متبقيا « للتجار المستقلين » على الجمعية العمومية .

السنوات السبع التالية مجلس للمديرين يتكون من ٢٤ عضواً تعين كل شركة ١٢ منهم ، وتحتفظ كل من الشركتين خلال هذه السنوات السبع بمنشآتها المستقلة وحساباتها المستقلة وحرية التصرف بمخزونها من البضائع وبعدها يتم الدمج النهائي الشامل بين الشركتين ، وفي ذلك الوقت قدر المخزون من البضائع التي لا يمكن بيعها في شركة لندن بما قيمته ٣٣٠ الف جنيه انجليزي ، وفي الشركة الانجليزية بما قيمته ٧٠ الف جنيه . وقد جرى تنفيذ ما تم عليه الاتفاق بالفعل رغم حدوث بعض الخلافات المؤسفة بين ممثلي الشركتين في الشرق ، وزاد من سرعة تنفيذ هذه الاجراءات ظهور مزيد من التجار اصحاب رؤوس الاموال الخاصة في سنة ١٧٠٧ واحتجاجهم ضد الاحتكار الممنوح لهاتين الشركتين ، بناء على طلب الحكومة منهما معاً قرضاً قيمته مليون و ٢٠٠ الف جنيه انجليزي .

اتحاد الشركتين القديمة والجديدة ١٧٠٨ :

واخيراً تم الدمج الرسمي للشركتين بقرار من ايرل جودولفين بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٧٠٨ ، وأصبح اسم الشركة الجديدة التي نتجت عن هذا الامتزاج « الشركة المتحدة للتجار الانجليز في جزر الهند الشرقية » وحيث انه تقرر أن تستمر الشركة في أداء عملها حسب المرسوم الصادر للشركة الانجليزية أي الاحدث منهما ، لذلك ربما صلح القول بأن الشركة المتحدة تعتبر من الناحية الفنية مستمدة وجودها من تلك الشركة الجديدة ، لا من شركة لندن او الشركة القديمة ، وبحلول أوائل سنة ١٧٠٨ انتهت تصفية اعمال وحسابات الشركة القديمة في ايران كشركة مستقلة ، واغلقت ابوابها .

بعض الالتزامات الخاصة في الميثاق والقوانين الانجليزية :

يبقى ان نشير الى بعض النصوص في هذا المرسوم ، والى بعض القوانين التشريعية التي كان لها اثرها على التجارة الانجليزية في الشرق

خلال هذه الفترة .

الاجراءات التشريعية الانجليزية ١٦٩٣ – ١٧٠٢ :

حين صدر لشركة الهند الشرقية ميثاق جديد سنة ١٦٩٣ ، كان عليها ان تصدر على اسطولها في الموسم التالي ما لا تقل – قيمته – عن ١٥٠ الف جنيه انجليزي من المنتجات والمصنوعات الانجليزية ، وادى هذا الاشتراط – كما سنشير فيما بعد – الى تنشيط التجارة في المنسوجات والثياب في ايران .

ثم حين تكونت الشركة الانجليزية او الشركة الجديدة في سنة ١٦٩٨ اشترط عليها ان يكون عشر البضائع التي تصدرها على الاقل من مصدر انجليزي ، وسرى هذا الاشتراط فيما بعد على الشركة الجديدة التي قامت بنتيجة دمج شركتي الهند القديمة والجديدة في ١٧٠٨ ، كما تأثرت طبيعة التجارة الانجليزية في الشرق بقانون صدر في سنة ١٦٩٩ او ١٧٠٠ كان يفرض ضريبة اضافية قدرها ١٥٪ على « الحرير المصنوع والحرير البنغالي والثياب المشغولة بالحرير او القصب ومصنوعات ايران والصين وجزر الهند الشرقية . كذلك كل انواع البفته المنقوشه او المرسومة او المصبوغة او المطبوعة هناك . التي لم يكن تم تصنيعها او استخدامها قبل خريف سنة ١٧٠١ »، وكان الهدف من هذا القانون هو زيادة اهتمام الشركة باستثمار اموالها في المواد الخام ، وانقاص استثمارها في المنسوجات الجاهزة من الشرق .

الحالة فى الهند سنة ١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

الاضطرابات التي سبّبها المراهتة ١٦٦٤ – ١٧٠٦ :

كان الامبراطور المغولي اورانجزيب الذي حكم من ١٦٥٨–١٧٠٧ هو امبراطور الهند في الجزء الاكبر من الفترة التي نحن بصددها ، غير ان سلطته كانت تقصر دون بعض الاجزاء في بلاده ، وادت حروبه – خاصة مع المراهتة –، الى فقدان الطمأنينة فيما يجاوره من المستعمرات الانجليزية على الساحل الغربي . وحدث في سنة ١٦٦٤ ان هاجم المراهتة – يقودهم سيفاجي بنفسه – مدينة سورات لكن العاملين في شركة الهند الشرقية استطاعوا انقاذ المدينة من الدمار نتيجة تحصينهم للوكالة الانجليزية وحسن بلائهم في الدفاع عنها ، ولذا استحقوا العرفان من جانب المغوليين . وفي سنة ١٧٠٦ حاول المراهتة مرة أخرى غزو سورات ... لكنهم فشلوا للمرة الثانية .

الاحتكاك بين الانجليز والمغول بسبب التدخل في تجارة الشركة ١٦٦٤ – ١٦٩٠ :

ظل الاحتكاك يحدث – من حين لآخر – بين العاملين في شركة الهند الشرقية والمسؤولين في الامبراطورية المغولية حول المشاكل المحلية والعامة على السواء ، وفي احدى الفترات نشبت بينهما حرب سافرة فيما بين ١٦٨٦ ، ١٦٩٠ ، وترجع أسباب هذه الحرب الى عدم تقيد المغوليين او سحبهم الامتيازات المكفولة للانجليز الذين يزعمون بدورهم أن تعويضهم عن الاضرار التي لحقت بهم قد بلغ الآن أكثر من ٦½ لاك(١) والى اصرار الشركة على أن تبعد بنفسها عن مجال سوء المعاملة في المستقبل باقامة قواعد محصنة واقاليم مستقلة ، ولكي يفرض الانجليز

---

(١) اللاك يساوى ١٠٠ر٠٠٠ مائة ألف روبية هندية .

مطالبهم هذه بدأوا في سنة ١٦٨٧ يستولون على سفن المغول في البحر ، ورد المغوليون بالاستيلاء على وكالة الشرق في سورات واسر موظفيها ، وعاد سير جون تشيلد — الحاكم العام في بومباي — مرة أخرى الى الانتقام بأن اسر فريقاً من سفن المغول في البحر ، واستمرت الحرب بينهما الى ان تم سنة ١٦٩٠ تقريباً اطلاق سراح موظفي الشركة الذين اسروا في سورات ، وانسحاب القوة المغولية التي كانت جاءت عن طريق البحر من سورات واحتلت جزءاً من جزيرة بومباي وحاصرت الانجليز داخل المدينة ، لكن فرمان ٢٧ فبراير سنة ١٦٩٠ — الذي تمت وقته هذه التسوية — خرق خرقاً بالغاً . كما طالب المغول الشركة بدفع تعويضات ومبالغ أخرى ، لكن الامور انتهت اخيراً الى صدور فرمان من الامبراطور يكفل للشركة حرية التجارة حسب اصول الحكم مع وعد بدفع تعويضات لها عما لحق بها ، وهكذا رغم ان الانجليز قد فشلوا في مشروعهم لاقامة قواعد اقليمية الا انهم نجحوا الى حد ما في استرداد هيبة بلادهم وسمعتها .

النزاع بين الانجليز والمغول نتيجة اعمال القراصنة الاوروبيين وغيرهم ١٦٩١ — ١٧٠٥ :

وبعد هذه الاتفاقية سرعان ما اضطربت العلاقات مرة أخرى بين المغول من ناحية ، والشركة — او الدولة الانجليزية كلها — من ناحية أخرى نتيجة غارات القراصنة الاوروبين والعرب التي كان الامبراطور يرى وجوب اعتبار الانجليز والهولنديين والفرنسيين مسؤولين عنها مسؤولية مشتركة ، وفي السنوات التالية ، رضي الانجليز بالتهاون في الهند نتيجة الحروب مع فرنسا في ١٦٨٨—١٦٩٧(١) و ١٧٠٢—١٧١٢ ، وأيضاً نتيجة الصراع الداخلي بين الشركتين القديمة والجديدة في الفترة

---

(١) في سنة ١٦٩٢ أسر الفرنسيون سفينة من سفن الشركة على بعد خمسين فرسخا من بومباى .

من ١٦٩٩–١٧٠٢ ، وقد حدثت الحادثة الاولى من حوادث القرصنة في سنة ١٦٩١ ، ونسبت الى سفينة انجليزية ، وبعدها فرض حظر على كل السفن الاوربية في سورات ، لكنه حين قبض على احد هؤلاء القراصنة ثبت انه دانيمركي ، وفي سنة ١٦٩٥ حدثت غارات قرصنة جديدة على السفن المغولية من جانب سفينة ترفع العلم الانجليزي وأدى هذا الى اعتقال الانجليز في سورات وفرض حظر على التجارة الانجليزية والفرنسية والهولندية في محاولة لارغام الدول الاوربية على تضافر الجهد منها لوقف عمليات القرصنة الّتي يقوم بها رجال من بلادها . وبعدها بقليل تكررت عمليات القرصنة في الخليج هذه المرة ، مما أدى بالسلطات المحلية في سورات الى ان تقبض على الوكلاء الانجليز فيها – عدا كبار المسؤولين منهم – وتضعهم في السجن مكبلين بالقيود فترة طويلة . وفي سنة ١٦٩٨ عقدت اتفاقية بين الدول الكبرى في الهند أصبح الانجليز بمقتضاها مسؤولين عن مياه « الهند الشمالية » والهولنديون مسؤولين عن البحر الاحمر ، والفرنسيون مسؤولين عن الخليج . وكان هؤلاء قد كونوا الشركة الفرنسية للهند الشرقية في سنة ١٦٦٤ واصبحت لهم وكالة في بندر عباس منذ سنة ١٦٧٧ على الاقل ، لكن هذه الاتفاقية كانت عقيمة لا جدوى منها .

وفي سنة ١٦٩٩ كلف سير جون جاير بتجهيز حرس يصحب قوافل السفن المغولية التي تحمل الحجاج باتجاه البحر الاحمر ، وعهد بهذه المهمة الى سفن الشركة القديمة ، لكنها لم تستطع ان تحقق شيئاً بهذا الصدد ، وأصبح الانجليز « محتقرين احتقار البرتغاليين في الهند » مكروهين كراهية اليهود في اسبانيا . واوقفت الحكومة المغولية التجارة الانجليزية والهولندية والفرنسية ايقافاً تاماً ، أدى بالهولنديين – حين استبد بهم اليأس – الى نقل مراكبهم موقتاً الى باتافيا . وفي سنة ١٧٠٠ قبض على كابتن جيلا ومعه ٩ من القراصنة وارسلوا الى انجلترا حيث اعدموا هناك ، غير ان الصراع بين شركة الهند القديمة والجديدة أدى الى شل

جهود الاثنتين معاً في مطاردة القراصنة . وفي سنة ١٧٠٢ وبناء على طلب مشترك من الشركة القديمة والجديدة بعد توحيدهما ارسلت الحكومة الانجليزية حملة صغيرة لمطاردة القراصنة في الشرق ، لكنها لم تحقق كبير نفع . وفي سنة ١٧٠٣ أو ١٧٠٤ حدثت عمليات قرصنة جديدة أدت بالمغول الى اعادة القبض على الوكلاء الانجليز في سورات وحبسهم ، كما قبض على سماسرتهم من الاهالي وعوملوا معاملة سيئة كما ارغموا على توقيع سندات قيمتها ٦ لاكات من الروبيات تدفع تعويضاً للمتضررين من اعمال القراصنة . ثم ان الحرب ضد الفرنسيين في أوربا ادت الى تراخي الجهود المبذولة لتعقب القراصنة ومن بينهم أعراب مسقط الذين شجعهم المغامرون الاوروبيون على ذلك دون شك ، فاستشرى نشاطهم منذ سنة ١٦٩٥ ،وكان تشجيع القرصنة من الاتهامات التي توجهها شركة الهند الجديدة والقديمة كلٌ منهما للاخرى ، والواقع ان سفينتين من سفن الشركة القديمة تمرد العاملون عليهما واصبحوا قراصنة بالفعل .. لكننا نجد من الناحية الأخرى ان بعض هؤلاء المغامرين الذين عاونوا الشركة الجديدة منذ بدايتها كانوا هم انفسهم في عداد القراصنة السابقين .

وواضح ان مثل هذه الظروف قد إضرت حتماً بتقدم التجارة الانجليزية في الخليج ، والحقيقة انه ورد صراحة ضمن تقرير صادر عن بندر عباس ان ظهور قرصان انجليزي واحد في مياه الخليج قد اضر بالتجارة الانجليزية إضراراً بالغاً ، وقد قام طاقم سفينة ذلك القرصان بنهب الوكالة البرتغالية في كنج ، وقد ارسلت الشركة السفينة سيزار لمطاردتهم دون جدوى .

سفارة سير ويليم نوريس في البلاط المغولي ١٦٩٩ ـ ١٧٠٢ :

لقد أشرنا من قبل الى دور شركة الهند الجديدة في تعيين سير ويليم نوريس سفيراً للملك انجلترا لدى امبراطور المغول ، لكن التعليمات التي لديه كانت مسرفة في عموميتها ، كما ان صلاحياته لم تكن محددة

تحديداً دقيقاً ، غير انه ما من شك في ان سفارته استهدفت ارساء تجارة شركة الهند الجديدة على اسس ثابتة ، بالحصول على الفرمانات الضرورية لذلك من الامبراطور ، وربما كان المأمول تحقيق ذلك الاعتراف بإكساب مدراء الشركة الجديدة صفات قنصلية . ووصل سير ويليام نوريس الى الهند في سنة ١٦٩٩ ، لكنه لم يصل الى سورات – حيث تميز سلوكه هناك بقسوة بالغة على ممثلي الشركة القديمة – الا بنهاية سنة ١٧٠٠ ، كذلك لم يبدأ رحلته الى البلاط المغولي حتى يناير سنة ١٧٠١ . وقد فشلت مفاوضاته مع الامبراطور ويبدو انه لم يستطع الحصول على الفرمانات المنشودة لانه رفض الموافقة على شرط وضعه المغول ، يقضي بتعهد الانجليز بضمان سلامة سفن المغول في مياه الهند «الجنوبية» ،ولا يسعنا بهذا الصدد الا ان نثني على حكمته ، لان مثل هذا التعهد من جانبه كان سيكبد الشركة الجديدة خسائر تتجاوز كل حصر ، الى جانب انه كان لا بد سيتضمن اعترافاً رسمياً من جانبه بالنظام الذي دأبت حكومة المغول على اتباعه في تحصيل التعويضات من الشركة القديمة عن كل حادثة قرصنة تقع .

الاحداث في تركيا سنة ١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

نعود الآن الى الدول المتاخمة للخليج :

تعاقب السلاطين :

كان حكام تركيا خلال هذه الفترة التي نتعرض لها هم على التوالي : محمد الرابع (١٦٤٨–١٦٨٧) ، سليمان الثاني (١٦٨٧–١٦٩١) ، احمد الثاني (١٦٩١–١٦٩٥) ، مصطفى الثاني (١٦٩٥–١٧٠٣) ، احمد الثالث (١٧٠٣–١٧٣٠) . غير ان منطقة الخليج لم تكن لها اهمية خاصة طوال حكمهم جميعاً .

الاحداث في ايران سنة ١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

الشاه سليمان ١٦٦٦ ـ ١٦٩٤ :

في ايران تنازل الشاه عباس الثاني عن العرش في سنة ١٦٦٦ لاكبر أبنائه الشاه سليمان الذي حكم حتى وفاته في سنة ١٦٩٤ ، وكان بلاط هذا الشاه زاهياً فاخراً لكن خلقه كان فاسداً ، وحكمه خالياً من الاحداث بشكل عام ، وفي سنة ١٦٥٧ نشبت الحرب بينه وبين امبراطور المغول في الهند ، وفي سنة ١٦٨٤ كان في بلاطه – في وقت واحد سفارة يرئسها لويس فابرتيس مبعوثاً عن الملك شارل الثاني عشر ملك السويد ، كما كان ثمة سفراء من مختلف الدرجات لفرنسا والمانيا وروسيا وبولندا والبابا . وكانت السفارة السويدية التي اوفدت اصلا لاغراض تجارية ولتحريض الايرانيين على الاتراك ، قد ظلت مقيمة في أصفهان حتى نهاية سنة ١٦٨٥ .

الشاه حسين :

وانتهى حكم اسرة «صفوى» في ايران بالشاه حسين ابن الشاه سليمان وخليفته ، ودخلت البلاد مرحلة جديدة من تاريخها . ويرجع انهيار حكم هذه الاسرة الى الفساد الذي كان مستشرياً في حكومة الصفويين من ناحية ، والى ازدياد قوة وتعديات الافغانيين في اقليم قندهار . وفي سنة ١٧٠٩ استطاع هؤلاء الغزنويون بقيادة قائد اسمه مير ويس ان يسيطروا على اقليم قندهار ولم يستطع اقوى جيوش الشاه استرداد الاقليم . وفي سنة ١٧١٩ واصل الافغانيون تقدمهم بقيادة محمود بن مير ويس حتى دخلوا ايران وهاجموا كرمان ، لكن لطف علي خان ، وهو احد القواد الايرانيين الذي كان قد ارسل الى المناطق المجاوره لبندر عباس بهدف استعادة بعض الجزر من ايدي عرب مسقط ، استطاع ان يتقدم الى الشمال ويستعيد اقليم كرمان ويرد الافغانيين موقتاً خارج ايران ، لكن هذا لم يدم سوى فترة قصيرة ، فقرب نهاية ١٧٢١ تحرك محمود مرة أخرى من قندهار وهاجم في طريق زحفه لملاقاة الجيش الايراني كلا من كرمان ويزد فلم يفلح في احتلالهما ، الا انه تقدم نحو معسكر الجيش الايراني الرئيسي المجاور لهما فهزم الشاه هناك ، وحاصره حصاراً خطراً وطويلا في أصفهان . وفي أكتوبر سنة ١٧٢٢ كوفيء محمود على حماسته ومثابرته بتنازل الشاه حسين له عن عرش ايران ، وهكذا سقطت بيده عاصمة ايران (١) التي أصبحت الى حين تحت حكم الافغانيين .

---

(١) يروى هاميلتون في المجلد الاول من تاريخه ص ١١٠ ، ١١٢ ان الانجليز قاموا بدور فى الدفاع عن المدينة ، وان الافغانيين قد سجنوهم ، وان هؤلاء أيضا قد هاجموا الوكالات الانجليزية والهولندية، لكن روايته ـ على أية حال ـ تضم متناقضات كثيرة، ولا يمكن الاعتماد عليها .

العلاقات السياسية بين شركة الهند الشرقية وايران سنة ١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

النتائج غير المباشرة للحرب ضد هولندا في ايران ١٦٥٣ — ١٦٥٤ :

خلال الحرب الانجليزية — الهولندية ، استطاع الهولنديون احراز نصر بحري على الانجليز في الخليج ، سنعود للحديث عنه تفصيلا فيما بعد . وقد ادى هذا الانتصار في البداية الى الاقلال من هيبة الانجليز في ايران ، لكنهم سرعان ما استردوها بورود انباء انتصارهم على الهولنديين في بورتلاند .

اضطراب العلاقات مع ايران نتيجة اعمال التجار المغامرين ١٦٥٦ — ١٦٥٧ :

وفي نهاية الحرب الهولندية ، كان وضع شركة الهند الشرقية في ايران بعيدا عن الاستقرار نتيجة اعمال التجار المغامرين الذين تتبعنا حكايتهم من قبل ، ونتيجة الاشاعات التي كانت تروجها سفنهم بأن الشركة على وشك ان تصفى اعمالها ، مما ادى بالحكومة الايرانية الى الزعم بأن فرمان الشاه عباس الذي أصدره لصالح الشركة قد انقضى العمل به ، كما اوقفت ايضاً كل الامتيازات التي منحت بتاريخ لاحق لهذا الفرمان . وهكذا أصبحت تجارات التصدير والامتيازات مستحيلة الى حين . غير ان الوكلاء ظلوا يداومون في مباني الشركة في بندر عباس ليحتفظوا بحق المتاجرة وبنصيبهم في نصف عوائد الجمارك في بندر عباس . وقد انتهت هذه المشاكل في سنة ١٦٥٧ حين أصبح التجار المغامرون مساهمين في الشركة الجديدة .

شركة الهند الشرقية تواجه صعوبات مع الحكومة الايرانية ونقص تجارتها في ايران ١٦٥٧ — ١٦٦٤ :

وأدى اختفاء هؤلاء التجار المغامرين ، واستمرار شركة الهند

الشرقية في أداء عملها على نفس الاسس التي كانت لها الى اسقاط كل عذر للحكومة الايرانية في التدخل بالتجارة الانجليزية في ايران ، لكن اتجاه الحكومة الايرانية ظل غير ودي كما هو، خاصة بالنسبة لمسألة عوائد بندر عباس ، وساء الوضع أكثر وأكثر حتى اضطرت الشركة الى التفكير في اللجوء للعنف لاستعادة مكانتها . وفي سنة ١٦٥٩ اقترح المسؤولون عن الوكالة الرئيسية في سورات – كجزء من خطة العنف – اقامة قاعدة حامية عسكرية في مسقط ، وبدأت المفاوضات مع العرب بالفعل ، لكنها لم تؤد الى شيء . وفي سنة ١٦٦٠ اوصى مجلس ادارة الشركة في انجلترا بمحاصرة ميناء بندر عباس او الساحل الايراني كله ، لكن المسؤولين في سورات تعذر عليهم تنفيذ هذه التعليمات لانه لا بد لتنفيذها من توافر ثماني سفن صالحة للعمل ، ولم يكن هناك سوى سفينتين فقط كان طاقم بحارتهما ناقصاً ، ثم أن هذا الحصار المقترح كان يتطلب بدوره اقامة قواعد ثابتة بها امداداتها الكافية من الماء والمؤن ، وفي سنة ١٦٦٣ اوصى مجلس الادارة في لندن بان يبقى في بندر عباس موظفان او ثلاثة من الامناء الاكفاء فقط لمتابعة التجارة وتحصيل نصف العوائد المستحقة بعمولة قدرها ٥٪ لهم ، وان ينسحب باقي العاملين ، او تنسحب الوكالة كلها من بندر عباس على ان يرسل اليها موظف واحد كل سنة لتحصيل العوائد . وفي نفس الوقت ، وبتحريض من الهولنديين اصبح سلوك الايرانيين في بندر عباس اشد صلفاً ووقاحة ، فبامر من الشاهبندر ضرب السمسار الاهلي في الوكالة الانجليزية ضرباً مبرحاً ، ونقل « بين الحياة والموت » في حضور مستر كرادوك ، ثم اغتصبت منه عدة مئات من التومانات فيما بعد . ووضح بعد ذلك عجز الانجليز وفقدان حولهم ، وكانت وكالة سورات ترى ان ارسال مبعوث للشكوى في اصفهان امر لا جدوى منه ، الى جانب انه يكلفهم اموالا طائلة ، وكانت ترى ايضاً ان حصار ميناء بندر عباس لن يجدي شيئاً لان ايران دولة قوتها كلها برية وليست لها مصالح بحرية ذات

قيمة ، وبالتالي فلن يؤدي هذا الحصار الى الاثر المطلوب الا لو دام سنتين او ثلاثاً دون انقطاع ، كما ان هذا الحصار اذا لم تقم به قوة بحرية ضخمة ، فسيتجاهله الهولنديون وهنالك ايضاً احتمال ان يستاء امبراطور المغول لما قد يؤدي اليه مثل ذلك الحصار المقترح من تشويش على تجارة رعاياه الايرانيين . واخيراً في سنة ١٦٦٤ ، قرر مجلس الشركة في سورات ترك اثنين من الموظفين فقط في بندر عباس ، وعدم السعي لاية مفاوضات في أصفهان ، وارسل القرار لرئاسة الشركة في انجلترا للتصديق عليه .

بعثة رولت وفشلها ، واستمرار المضايقات ١٦٦٩ — ١٦٧٢ :

وفي سنة ١٦٦٩ ، قررت الشركة ان تجارتها في ايران قد تدهورت تدهوراً واضحاً خلال السنوات الاخيرة ، وتقرر ان يقيم وكيل واحد عنها في بندر عباس ليحصل نصيب الانجليزمن العوائد . وفي نفس السنة قرر مجلس ادارة الشركة ارسال مستر ويليم رولت الى ايران كمبعوث خاص لها يتولى الاشراف على شؤونها التجارية هناك ويعمل — في نفس الوقت — متعاوناً مع وكالة سورات وطلب الى هذه الاخيرة ان تحدد عدد ونوع السفن المسلحة الضرورية لحماية التجارة الانجليزية في الخليج ، وتحصيل نصيبهم من عوائد بندر عباس كرهاً ، « وطال انتظار رولت في البلاط الايراني حتى غدا كريهاً مملا » ولم يتحسن أي شيء في الموقف كله حتى نهاية سنة ١٦٧١ ، واستمرت التجارة متدهورة لعدة مواسم متتالية ، كما كان المسؤول الايراني عن الجمارك في بندر عباس عرضة للتغيير الدائم ، وحتى هذه الامتيازات التي كفلت للانجليز دون انكار قد باتت موضع شكوك بالغة ، وكان ثمة تدخل تعسفي من جانب وزير الشاه في امور الشركة ، وكان ايفاد مبعوثين لمحاولة ايجاد حل للامور في أصفهان امراً باهظ التكاليف وغير مضمون النتائج ، وقال رولت نفسه في النهاية ان السبيل الوحيد امام الانجليز لاستعادة امتيازاتهم وضمانها هو استخدام القوة السافرة ، وبدأ الايرانيون — من ناحيتهم —

يتحدثون عن إبطال ميناء بندر عباس بانشاء ميناء جديد في « ريق » أو غيرها — ووجد حاكم شيراز في نفسه الجرأة كي يطلب تسخير السفينة « ادفانس » التابعة للشركة في نقل حملة عسكرية ايرانية في البحر ، لكن طلبه رفض بطبيعة الحال . وفي اوائل ١٦٧٢ صدرت التعليمات بتوجيه انذار للشاه ولوزيره الاكبر « اعتماد الله » وللشاهبندر في بندر عباس ، وتحميلهم جميعاً مسؤولية النتائج الخطيرة التي قد تترتب على استمرار هذه المعاملة السيئة التي يلقاها الانجليز ، كما واصلت وكالة سورات بحث امكانية استخدام الوسائل الانتقامية .

آمال جديدة ، ثم اخفاق مساعي الشركة في ايران ١٦٧٤ :

وفي سنة ١٦٧٤ ، انتهت الحرب بين الانجليز والهولنديين في اوربا للمرة الثانية وساد امل جديد في ان تتحسن امور الانجليز في ايران ، وارسل الملك شارل الثاني خطاباً للشاه سليمان ، وجمع وكيل الشركة في ايران كل الفرمانات التي صدرت لصالح الشركة وارسلها الى الادارة في لندن بعد ترجمتها الى الانجليزية ، وبذلت الجهود من اجل الحصول على فرمان جديد من الشاه يؤكد بها هذه الفرمانات السابقة . وفي سنة ١٦٧٥ تقرر تسليح السفن التجارية المتوجهة للخليج والتابعة للشركة الى حين صدور اوامر اخرى « وذلك تأكيداً لمظهر القوة والتجارة معاً » وفي سنة ١٦٧٦ نفذ هذا القرار بارسال سفينتين مسلحتين للخليج ، محملتين بالثياب والقصدير ، ولكنهما مقصودتان لحماية التجارة ، وتحصيل العوائد المتأخرة للشركة في بندر عباس ، واوضحت الشركة للشاه « بهذه المناسبة » ، ان نصيب الانجليز من عوائد بندر عباس انما هو في مقابل خدماتهم القديمة في هرمز ، وان عليه ان يدفع من الآن نصف تكاليف السفن التي ارسلت لضمان الامن في البحر ، ويبدو انها قد أوضحت له ايضاً ان رفض أي من هذين الطلبين يعتبر اعلانا لها بالعداء الصريح . لكننا لا نعرف نتيجة هذه الاجراءات على أية حال . وفي

نفس الوقت اخطرت وكالة سورات المسؤولين عن الشركة في لندن بأن الحرب لو اعلنت فيجب ان تعلن باسم ملك انجلترا لا باسم الشركة ، واشار الى انها لا يمكنها ان تفعل شيئاً سوى فرض حصار بحري ، وعبرت عن مخاوفها في ان يستغل البرتغاليون او الهولنديون اي حرب تنشب بين انجلترا وايران للحصول على احتكار التجارة في بندر عباس ، كما اعلنت الشركة رأيها — بالاشارة الى المناقشات التي استمرت سنوات طويلة الى الآن دون ان تحقق نتيجة ما — في تفضيل اجراء مفاوضات سلمية ، بدل العداء السافر لتسوية الامور في ايران . وقرر مجلس ادارة الشركة في لندن سنة ١٦٧٧ — بناء على هذه النصيحة استبعاد فكرة القيام بعمل مسلح ، وظلت التجارة على ضعفها . وفي سنة ١٦٨٠ اثيرت مشكلة تصفية وكالة بندر عباس مرة أخرى ، وفي سنة ١٦٨١ ظهرت آمال جديدة في تحسن الموقف نتيجة ما استطاع مستر بيتيت وكيل الشركة في ايران ان يتوصل اليه فيما يتعلق بعوائد بندر عباس ، لكن هذا كله لم يكن سوى وهم ، ففي سنة ١٦٨٢ بلغت الديون المستحقة للشركة حوالي مليون جنيه انجليزي .

حملة سير توماس جرانتهام الفاشلة على بندر عباس ١٦٨٣—١٦٨٤ :

وأخيراً قررت الشركة في سنة ١٦٨٢ انتهاج سياسة أكثر حزماً ، فارسل مجلس ادارتها خطاب احتجاج الى الشاه ، وقرر ان يعززه بمناورة بحرية تجاه ساحل ايران ، لكن تنفيذ هذا القرار الاخير اعاقته بعض الاحداث في مناطق اخرى . وفي سنة ١٦٨٣ استطاعت الشركة ان تهيىء السفينة شارل الثاني — وهي سفينة قوية مسلحة بحوالي ستين او سبعين مدفعاً ، وصدرت التعليمات لقائدها — سير توماس جرانتهام بأن يعمل جهده — عن طريق اسر السفن الايرانية في غارتين متتاليتين — لتحصيل العوائد المتأخرة (١) ، ثم يحاول بعدها اقامة التجارة الانجليزية

---

(١) يبدو أن الشركة قد حسبت المبالغ الاجمالية للعوائد المماطل بها بما قيمته ١٥٠ ألف تومان لكنها لم تكن تتوقع تحصيل جميع مثل هذا المبلغ بالطبع .

على اسس ثابتة ، لكن حين وصوله الى بندر عباس ــ وجد اسطولا هولندياً كبيراً يحاصر الطريق الى المدينة فيما كانت قوات ايرانية ضخمة تدافع عنها في البر ، وفي هذه الظروف لم يستطع جرانتهام تنفيذ التعليمات التي لديه ، فكرّ عائداً الى بومباي .

١٦٨٤ – ١٦٩٤ :

في هذا الوقت نفسه اصبحت لهجة الحكومة الايرانية أكثر اعتدالا نتيجة ما أصاب بلادها من عدوان البرتغاليين . وحتّى قبل ان يصل اسطول جرانتهام الى بندر عباس ، كان اعتماد الله ــ الوزير الاول في ايران ــ قد بدأ في التودد للانجليز . ونحن نستطيع التعرف على طبيعة العروض المقدمة منه وهي تتلخص في التعهد بدفع عوائد بندر عباس بانتظام ونقل البضائع الايرانية كلها على سفن انجليزية على ان تتعهد الشركة بأن ترسل سفناً من الدرجة الاولى وان تقدم كميات كافية من البضائع الانجليزية ، وتحافظ على مستوى جيد من المتاجرة مع ايران . وفي هذه الظروف المواتية أصدر مجلس ادارة الشركة قراره في سنة ١٦٨٤ بــأن يقيم عضوان من وكالة بندر عباس اقامة دائمة في أصفهان ليراقبا مصالح الشركة من هنالك،وان تبذل الجهود لضمان افضلية الانجليز على الهولنديين في المنافسة على تصدير اصواف كرمان ، وفي سنة ١٦٨٦ صدرت تعليمات اخرى للوكلاء المحليين بأن يطلبوا امتيازات خاصة من الشاه لتشجيع الملاحة الانجليزية ، وان يقترحوا عليه ابرام عقد مع الشركة تتولى به احتكار كل حرير ايران وصوف كرمان مما كان يحتكره الهولنديون من قبل . وفي هذه السنة الاخيرة تم استصدار امر من الشاه بحماية التجارة الانجليزية وتعزيز امتيازاتها في بندر عباس وذلك على الرغم من دسائس الهولنديين عن طريق ترجمان الشركة الارمني في اصفهان .

المفاوضات لتجديد امتيازات الشركة ١٦٩٤ – ١٦٩٧ :

ولم يحدث شيء آخر ذو بال خلال الفترة الباقية من حكم الشاه

سليمان ، وحين مات في يونيو ١٦٩٤ واجهت الشركة ضرورة الحصول على تعزيز لهذه الفرمانات والامتيازات التي حصلت عليها من خلفه الشاه حسين . واثناء اتخاذها الخطوات الضرورية لهذا الهدف ، وجد وكيل الشركة نفسه مضطراً لان يدفع لحاكم كرمان الذي امر بانقاص الصوف المعد للتصدير من اقليمه الى ٧٠٠ موند(١) ، كما وجد من الضروري ان تدفع اكرامية دائمة للشاهبندر في بندر عباس ، وحين عرضت الحكومة الايرانية ان يعاونها الانجليز في السيطرة على مسقط على ان يكون لهم فيها نفس الامتيازات التي لهم في بندر عباس ادى هـذا الى تقدم المفاوضات التي كانت جارية لتجديد امتيازاتهم ، لكن الشركة لزمت جانب الحكمة بأن رواغت وتملصت من ان تزج بنفسها في عمل عدائي ضد عرب مسقط الذين كان قراصنتهم حتى ذلك الحين يحترمون السفن الانجليزية .

فرمان ١٨ يونيو سنة ١٦٩٧ :

وأخيراً وبعد تسويف طويل ، وقع الشاه فرمانا بتاريخ ١٨ يونيو سنة ١٦٩٧(٢) ، وكان في حدوده العامة كفرمان الشاه عباس الاول الصادر في سنة ١٦١٧ ، ولسنا بالتالي في حاجة لتلخيصه هنا(٣) لكنه أضاف شرطاً يقضي بأن تكون الضرائب التي تدفعها الشركة على صادراتها ووارداتها في ايران كتلك التي تحصلها الحكومة التركية في حلب والقسطنطينية . وبلغ عدد الارقام(٤) او الشروط الاضافية الموجودة

---

(١) الموند مكيال هندى يساوى ١٠٠ رطلا .

(٢) يطلق عليها أيضا اسم « اهدانامة » أو « اتفاقية » .

(٣) ستجد له تفصيلا فى كتاب بروس « تاريخ شركة الهند الشرقية الموقرة » ، المجلد الثالث ، ص ٢٤١ ـ ٢٤٣ » ، ومنها قد أخذنا تعبير « الرقم » الموجود فى هذا النص (ص ٢٤٣) .

(٤) الترجمة الحرفية لها « كتابات » .

في هذا القرمان عشرين رقماً(١) منها ١٨ ليست سوى تجديد لشروط قبل ذلك ، والباقيان وضعا لاول مرة ، وفي ظل النصوص القديمة كان للشركة الحق في :

١ — أن تملك مقراً في أصفهان .

٢ — ان تستعيد البضائع التي تؤخذ منها في الطريق .

٣ — ان تُستثنى من الراهداري او ضرائب الطريق في جميع انحاء ايران .

٤ — ان يكون لها حق استعمال المرافق المدنية .

٥ — ان تصدر ١٢ حصاناً في كل سنة .

٦ — ان تصدر (في كل سنة ؟) ما حمولته ٢٠٠٠ موند من البضائع معفاة من الضرائب .

٧ — ان يضمن لها نقل بضائعها في سلام حتى مقرها في أصفهان .

٨ — ان تجلب الماء لمقرها هذا .

٩ — ان يعين خفر على قوافلها .

١٠— ان تصنع النبيذ وتصدره .

١١— ان تستخدم موظفين لعمل النبيذ .

١٢— ان تشتري من اصواف كرمان ما تشاء .

١٣— ان يكون لها سلطة محاكمة موظفيها في الجرائم التي يرتكبونها .

١٤— ان تبيع البضائع لحاكم بندر عباس مقابل الدفع فوراً ، على ان يمنع الحاكم المذكور من عقد اية صفقات بالقوة .

١٥— ان تعيد شغل مقرها في شيراز ، والذي كان الحاكم قد نزع ملكيته منها .

١٦— ان ترفض تقديم الهدايا للخانات والحكام .

١٧— ان تصان من اية عرقلة لحركة تنزيل بضائعها في بندر عباس .

---

(١) يقول بروس ان عددها كان ٢١ ، منها ١٩ قديمة ، لكن هذا الاحصاء لا يكشف الا عن ١٨ فقط من هذا النوع .

١٨ــ ان تتعامل في تجارة السكر والحليب معفاة من الضرائب .
اما الشرطان الجديدان فكانا :
١٩ــ ان تُستثنى التجارة البريطانية في ايــران مستقبلا من ضرائب السادياك(١) والهافوي(٢) .
٢٠ــ ان تسوى فوراً متأخرات الانجليز من عوائد بندر عباس .

زيارة الشاه للوكالة الانجليزية في اصفهان ونتائجها ١٦٩٩ــ١٧٠٠ :

وفي ٢٣ يوليو سنة ١٦٩٩ قام الشاه ــ وبصحبته بعض افراد حرمه بزيارة الوكالة الانجليزية في أصفهان ، حيث اعد مستر بروس ــ الذي كان مدير الوكالة وقتئذ استقبالا حافلا للشاه . وكان سبب الزيارة رغبة الشاه في فحص مبنى للشركة أعجبته واجهته الخارجية واستأثرت باهتمامه ، ولم يتم هذه الزيارة الا بعد ان اقنع الشاه نفسه بأن ثمة سابقة لها قد حدثت حين قام الشاه عباس الاول بزيارة الوكالة الانجليزية بعد سقوط هرمز ، وأن هذه الزيارة ــ بالتالي ــ ليس فيها ما يسيء لعظمته . وفي اليوم المحدد للزيارة طليت واجهة الوكالة وما جاورها طلاء جديداً ، وروعيت ايضاً تعليمات الشاه « بأن يقوم الخصيان والطواشيه بمنع الناس الذين يحاولون الفرجة على الملك ، ومن بصحبته من خلال ثغرات الجدران .. » وتم كل شيء على ما يرام وكلفت هذه الزيارة الوكالة الانجليزية ما يربو على ١٢ الف جنيه انجليزي ، لكن نتائجها كانت مفيدة جداً ، فلم يكتف الشاه بالافصاح عن رضاه ــ بتقديم خلعة وسيف ثمين وحصان للوكيل الانجليزي ــ بل امر ايضاً بدفع سنة من العوائد المتأخرة في بندر عباس فوراً ، وأتبعها بامتيازات اخرى ، وسرعان ما حاول الهولنديون بعدها اغراء الشاه بزيارة وكالتهم بلدورها لكنهم

---

(١) او ١٪ .
(٢) هكذا وردت عند بروس .. ومن الصعب ان نعرف اية كلمة فارسية هي المرادة على وجه الدقة .

فشلوا . وفي سنة ١٧٠٠ قدمت الشركة الى الشاه هدية هي مجموعة من الزجاج الذي يستخدم لصنع عدسات النظارات من مختلف الاشكال ، ومجموعة من نصال السيوف الثمينة يختار منها جلالته ما يشاء ، وذلك اعترافاً بفضله العظيم على ممثلها في أصفهان ، واصدرت الشركة تعليماتها لوكيلها — وهو الآن مستر اوليفر — بأن يقدم مع الهدية التماساً للشاه بأن يمنح الانجليز امتيازاً لتصدير الحرير الخام من ايران .

سفارة بريسكوت الفاشلة ١٧٠٤ — ١٧٠٧ :

وفي سنة ١٧٠٤ ارسل مستر بريسكوت من انجلترا محملا بالهدايا ومعه خطاب الى الشاه من الملكة آن ومكلفاً بالاشراف على وكالات الشركة في ايران ، لكنه مات في ايسن بالقرب من بندر عباس في نوفمبر سنة ١٧٠٥ بعد ثلاثة أشهر فقط من وصوله البلاد ، وشيعته ملاحظة من وكلاء الشركة في ايران يقولون فيها : « ان وكيلا مفوضاً محترماً افضل بكثير من سفير سيء » .

هبوط اسهم الانجليز نتيجة استمرار القرصنة ١٧٠٥ — ١٧٠٧ :

لكن اسهم الانجليز في ايران هبطت مرة أخرى من جراء مايلقونه من مغول الهند من اهانات من جهة ، وبسبب فشلهم في القضاء على القرصنة من ناحية اخرى . وفي ١٧٠٧ اقترح الشاه ارسال تاجر ايراني كمبعوث الى بومباي يطلب العون البحري ضد القرصنة ، لكن الوكيل الانجليزي ، لما يعلمه ويخشاه من تأثير اطلاع الايرانيين على سوء احوال الانجليز في دولة المغول ، ومما قد يدفعهم اليه ذلك من التفاهم مع الهولنديين ضدهم ، ثبط همة الشاه عن تنفيذ اقتراحه ، ومنّاه بأن الانجليز ، حالما تنتهي الحرب في اوروبا سيوجهون حملة قوية ضد القراصنة الذين كانوا قبل ذلك قد استولوا على السفينة « دياموند » التابعة للشركة أثناء رحلتها من بومباي الى بندر عباس .

هجوم البلوش على وكالات الانجليزوالهولنديين في بندرعباس سنة١٧٢١

وقد صحب غزو الافغانيين لايران في سنة ١٧٢١–١٧٢٢ اندفاع البلوش(١) من مكران الى كرمان ولار ، حيث ارتكبوا هناك غارات رهيبة . وفي نوفمبر ١٧٢١ هاجمت حشود البلوش مدينة لار ،وهاجمت بشكل خاص نزلا كان يشغله اثنا عشر هولندياً يحرسون اموال شركة الهند الشرقية الهولندية واستطاع الهولنديون ان يصدوا هذا الهجوم مسببين للمهاجمين خسارة كبيرة ودون ان يصاب منهم احد ، ثم انتقلوا بعدها الى قلعة لار ، واستطاعوا ان يدفعوا عنها هجوم البلوش بنجاح . وفي ١٥ سبتمبر ظهرت حشود البلوش امام بندر عباس ، غير ان الانجليز والهولنديين كانو يعرفون قرب وصولهم ولذلك احسنوا إعداد الدفاع عن وكالاتهم . وكانت الهجمة الاولى على الوكالة الانجليزية ، لكنها لم تنجح ، فقاموا بعد يومين بهجمة اقوى على الوكالة الهولندية لكنها لقيت نفس المصير ، غير انهم استطاعوا الاستيلاء على مخزن بضائع الهولنديين ، على مرمى طلقة مسدس من الوكالة الهولندية ، ونهبوا بضائعة التي قدرت بحوالي ٢٠ الف جنيه انجليزي ، واستمر هذا الهجوم عشرة ايام او اثني عشر يوماً استطاع البلوش بعدها احتلال المدينة . وحين خرجوا منها تركوها رماداً وانقاضاً ، ولم يغادروا تلك المنطقة الا بعد شهر من الغارة ، وقد قتل من حامية الوكالة الانجليزية في بندر عباس – وكانت مكونة من خمسين جندياً معظمهم من البحارة الاشداء – ثلاثة رجال او اربعة ، وجرح سبعة مات احدهم ، وكان وكيلا للشركة ، متأثراً بجراحه . اما الهولنديون فقد قتل منهم اثنا عشر رجلا وجرح ثمانية او عشرة(٢) .

---

(١) ويقصد بهم أهل اقليم بلوخستان .

(٢) يقدم هاملتون وصفا مفصلا لهذه الاحداث لانه اشترك شخصيا فيها ، وذلك في كتابه « تاريخ جزر الهند الشرقية » ، المجلد الاول ، ص ١٠٧ – ١١٠ ، أما مالكولم ، فيجعل التاريخ سنة ١٧٢٤ ، ويجعل هؤلاء المغيرين من الافغان لا من البلوش ، غير اننا نفضل شهادة هاملتون الشخصية على أية حال .

تاريخ نصيب الانجليز في عوائد بندر عباس ١٦٥٣–١٧٢٢ :

لقد اشرنا مراراً من قبل الى نصيب الانجليز في نصف عوائد بندر عباس الذي كان سبباً للنزاع الدائم بين شركة الهند الشرقية والحكومة الايرانية ، ولكننا قد نكون هنا بحاجة الى عرض أكثر تفصيلا وترابطاً لهذا الامر .

١٦٦٢ – ١٦٧٣ :

في سنة ١٦٦٢ أرسل مستر ريتشارد كرادوك ليتولى الاشراف على تجارة الشركة ومصالحها في ايران ، وكانت لديه تعليمات بان يطالب بدفع ١٠٠٠ تومان على ان يقبل بما لا يقل عن اربعمائة تومان . ثم استطاع وكيل آخر هو المستر رولت في اول سنة لاقامته بايران سنة ١٦٦٩ ان يستخلص مبلغ ٨٥٠ توماناً ، لكن الوكيل وجد نفسه في العام التالي مضطراً لان يوصي بارسال قوة بحرية صغيرة لتحصيل هذه المبالغ ، كما كان فعل البرتغاليون في كنج ونجحوا في ذلك . وعلى اية حال ، فقد بلغ المبلغ المحصل سنة ١٦٧٢ الف تومان ، وهو أقل بكثير مما كان منتظراً . وفي سنة ١٦٧٣ هبط الى ٦٥٠ توماناً رغم إنفاق مبلغ يزيد عن هذا بمئات الجنيهات في سبيل التوصل لاتفاق ما .

١٦٧٦ – ١٦٧٧ :

وفي سنة ١٦٧٦ اوصى رئيس وكالة سورات بأن يتخذ واحد من اجرائين مع الحكومة الايرانية : اما ان تتلقى الشركة مبلغاً محدداً كل سنة ومقداره ثلاثة آلاف تومان وتقوم بدفع الضرائب العادية ، واما ان تقوم كل السفن التي تحمل بضائع تملكها او ينقلها الانجليز بدفع عوائد للشركة ... ولكنه لوحظ ان هذا الاجراء الاخير يؤدي الى خسارة محققة في حالة الحرب حين تتوقف التجارة . واتخذ مجلس ادارة الشركة قراره في سنة ١٦٧٧ بأن يحصل مبلغ ١٠٠٠ تومان عن كل سنة – لو أمكن – كنصيب الانجليز من العوائد ، وتبقى بقية الاجراءات مع

الايرانيين في بندر عباس كما هي دون تغيير (١) .

١٦٨٠ — ١٦٩٥ :

وفي موسم ١٦٨٠ استطاع مستر بيتيت — وكيل الشركة في ايران — ان يحصل مبلغ ١٠٠٠ تومان،وكان واثقاً كل الثقة من انه سيستطيع تحصيل مبلغ مماثل سنة ١٦٨١ . وفي سنة ١٦٨٩ تذرع الايرانيون بحجة الخسائر التي اوقعها القراصنة برعاياهم في البحر وامتنعوا عن الدفع ، وزعموا في سنة ١٦٩٠ ان عوائد بندر عباس قد هبطت هبوطاً ملحوظاً نتيجة تحول التجارة عنه الى ميناء كنج أثناء الحرب التي دارت بين الانجليز والمغول ، غير ان وكيل الشركة استطاع على اية حال ان يحصل مبلغي ١٩٩٥ ، ١٥٠٠ تومان ، ولكن بقي للشركة متأخرات نصيب عامين ، وطلب الايرانيون تأجيل دفع ما عليهم الى اول مارس سنة ١٦٩٢ ، لكنهم لم يدفعوا شيئاً لمدة ثلاث سنوات كاملة .

١٦٩٧ :

وفي أوائل سنة ١٦٩٧ طالبت الشركة بمتأخرات نصيبها من العوائد لمدة خمس سنوات ، لكن الحكومة الايرانية احتجت وزعمت انها قامت بتسديد سنة من هذه السنوات ، وتم عقد اتفاقية مكتوبة لتصفية الحساب عن هذه السنوات الاربع الباقية ، واتفق ايضاً على تحديد مبلغ سنوي ثابت قدره ١٠٠٠ تومان رضيت به الشركة بدلا من المبلغ المتقلب الذي كانت تتقاضاه . وفي نهاية سنة ١٦٩٧ كانت الحكومة الايرانية قد دفعت المبلغ المحدد للسنة وبقيت المتأخرات كما هي . وفي يناير ١٦٩٩ استطاع وكيل الشركة الحصول على امر دفع عن السنة المنتهية في مارس ١٦٩٩ ، وايضاً عن الاقساط المنتظمة المستحقة من سنة

---

(١) فى هذا الوقت نفسه ـ كما يقول دكتور فرير ـ كان الشاهبندر يدفع للشاه فى كل سنة ٢٢ الف تومان كنصف عوائد بندر عباس التى يستحقها .

لأخرى ، كما تم دفع بعض المتأخرات حريراً بلغت زنته ١٣٤٠ حمولة . وشكا الهولنديون من هذا العمل شكاية موصولة ، فقد اعتبروه انتهاكاً لاحتكارهم تجارة الحرير ، وعقب الزيارة التي قام بها الشاه للوكالة الانجليزية في أصفهان في يونيو سنة ١٦٩٩ دفع شاهبندر بندر عباس ١٠٠٠ تومان من العوائد للانجليز ووعد بدفع الفين آخرين .

: ١٧٠٨ — ١٧٠٠

وفي سنة ١٧٠٠ بلغت المتأخرات ٩٨٢ توماناً ، وكان الدفع يتم عن طريق شاهاني (رقم — ارادة ملكية) يصدره الشاه تعززه رشوة قدرها ٥٠ توماناً تدفع للشاهبندر . وعند اتحاد الشركة القديمة بالجديدة في سنة ١٧٠٢ انتقل حق الشركة في نصف عوائد بندر عباس الى الشركة المكونة من هذا الاتحاد . وفي ١٧٠٥ ، وهي السنة التي قام فيها مستر بريسكوت بسفارته الى ايران، كانت العوائد المتراكمة قد بلغت مبلغاً ضخماً ، وكان يخشى ان لا يؤدي استخدام القوة او تقديم الهدايا الى تحصيلها . لكن وكيل الشركة مستر لوك ،— استطاع في سنة ١٧٠٦— بطريقة او بأخرى — استصدار امر من الشاه بدفع مبلغ ١٠٠٠ تومان عن الموسم الحاضر ، وامر آخر بدفع ٥٩٨١ توماناً من المتأخرات التي عاد منها على الشركة القديمة مبلغ ٢٣٠٦ تومان وقدم الايرانيون حريراً بما يوازي باقي المتأخرات وقدره ٢٢١٩ تومان . وفي سنة ١٧٠٨ تسلمت الشركة القديمة نصيبها المستحق الدفع من العوائد وصفي حسابها تماماً .

أعمال الهولنديين في الخليج سنة ١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

الحرب الانجليزية الهولندية في الشرق ١٦٥٣-١٦٥٤ :

عقب وصول انباء اعلان الحرب بين انجلترا وهولندا الى الهند اقترح الهولنديون في الشرق تحالفاً بينهم وبين البرتغاليين لتحطيم التجارة الانجليزية . وقد رفض البرتغاليون قبول هذا العرض ، كما رفضوا أيضاً قبول عروض مضادة عرضها عليهم الانجليز . واستطاع الهولنديون دون معونة أحد الاستيلاء على سفن الشركة « روبك » و « لانبربت » تجاه ساحل جاشك ، وبعدها بقليل استطاعوا ايضاً الاستيلاء على السفينة « بلسينج » كما اضطروا السفينة « سيلاي » للهرب جهة الساحل حيث أصبحت شبه غارقة . وفي نهاية يناير ١٦٥٤ استطاعت خمس سفن هولندية في معركة خارج بندر عباس اغراق السفينة الانجليزية « اندوفر » والاستيلاء على السفينة « فالكون » واسر حوالي ثلاثين اسيراً في ظروف ليست مشرفة للانجليز على الاطلاق(١) ، والحقيقة ان البحارة من الجانبين جميعاً كانوا في حالة سكر شديد . كذلك بلغت سيطرة الهولنديين على الخليج من القوة بحيث صدرت التعليمات حتى لوكيل الشركة البريطانية في البصرة بالانتقال الى مكان أكثر أمناً ، وظن البعض انه بات ضرورياً نقل الحرير الايراني الى اوروبا عن طريق اصفهان ،

---

(١) كانت السفينة « اندوفر » هى الوحيدة التى حاربت ببسالة فى هذه المعركة ، أما السفينتان « دوف » و « ويلكم » فقد ظلتا بعيدتين عن المعركة وفر معظم بحارة السفينة « فالكـون » من فوقها ، معتقدين أن النار قد شبت فيها ، ويقول المؤرخ « ان الهولنديين كانوا سكارى ولم يكونوا يعرفون ما يفعلون ، وكان الانجليز أفضل قليلا ، ان لم يكونوا اسوأ » ٠٠ وتقول رواية أخرى : ان عدد الاسرى على السفينة فالكون بلغ ٨٠ أسيرا ، وان المعركة كلها دارت تجـاه سـاحـل السند وليس ساحـل بندر عباس ٠

لكن اخبار حلول السلام جاءت في نهاية المطاف فرجاً من ذلك الموقف الحرج .

تفوق التجارة الهولندية على الانجليزية ١٦٥٤–١٦٨٤ :

وخلال ما تبقى من هذه الفترة ، فان ما ذكرناه سابقاً يظهر ان سيطرة الهولنديين على الخليج ونشاطهم الدائب فيه ظلا مصدر قلق لشركة الهند الشرقية . وما كان اقتراح اقامة محطة انجليزية في مسقط سنة ١٦٥٩ ليهدف الا الى القيام بعمل مضاد لهذه السيطرة . وفي سنة ١٦٦٤ وضح ان للهولنديين السيطرة الاولى على التجارة في بندر عباس ، وقد اخذوا يرسلون ثلاث او اربع سفن ضخمة موسوقة جيداً بالبضائع في كل سنة ، حتى « اضحوا مهمين تماماً لكنهم محتقرون ايضاً » وحين زار دكتور جون فراير بندر عباس في سنة ١٦٧٧ « وجد الهولنديين يسيطرون سيطرة مطلقة على تجارة التوابل » ، وكان احتكارهم هذه التجارة قوياً ومحكماً حتى إنهم ذات مرة احرقوا حمولة اربع سفن لهم كي يرغموا التجار الايرانيين على قبول الاسعار التي يحددونها لحمولة السفينتين الباقيتين — وكانوا قبل ذلك يتجرون تجارة واسعة في السكر والنحاس ، وقد قدر دكتور فراير « صادراتهم من المخمل والحرير الخام والمطبوع والسجاد الفارسي الفاخر ، الى جانب اطنان من الذهب والفضة في كل سنة بما يزيد على خمسين الف تومان » .

وفي سنة ١٦٨٢ كان الهولنديون ما يزالون يرسلون سفينتين كبيرتين كل سنة الى بندر عباس ، وكانت المقارنة بين سفنهم وسفن شركة الهند الشرقية ليست من صالح هذه الاخيرة بأية حال .

الخلافات بين الهولنديين والايرانيين ١٦٨٤ :

ومن وقت لاخر كان الخلاف يدب بين الهولنديين والايرانيين ، وكما ذكرنا آنفاً حاصر الهولنديون بندر عباس في سنة ١٦٨٤ ، وقد سخط مجلس ادارة الشركة الانجليزية على وكلائها في ايران لانهم لم

يبلغوا ادارة الشركة هذه الخلافات اولا بأول ، ولأنهم لم « يقوموا بتأجير سفن الشركة للقيام بعمليات النقل والشحن خلال فترة الحرب هذه مما كان جديراً بأن يحقق لهؤلاء الوكلاء ارباحاً طائلة » .

تآمر الهولنديين ضد الانجليز ١٦٨٦ :

وفي سنة ١٦٨٦ حاول الهولنديون جهدهم للايقاع بين البلاط الايراني والانجليزي ، غير ان مترجم الشركة الانجليزية ، وهو رجل ارمني كان يقيم في أصفهان ، استطاع احباط هذا التآمر .

اقامة دكتور أ. كايمفر في بندر عباس ١٦٨٦ — ١٦٨٨ :

وفي نوفمبر ١٦٨٥ قبل الرحالة دكتور كايمفر وهو من مقاطعة وستفاليا — وكان قد جاء لايران لاول مرة في سنة ١٦٧٤ كسكرتير لسفير السويد في البلاط الايراني — وظيفة كبير الجراحين في شركة الهند الشرقية الهولندية في الخليج ، فترك أصفهان الى بندر عباس ، وظل فيها حتى نهاية يونيو سنة ١٦٨٨ حين أبحر الى باتافيا ومنها قام برحلته الشهيرة الى اليابان ، وخلال اقامة دكتور كايمفر في بندر عباس ، ورغم انه كان يعاني من اعتلال صحته ، استطاع القيام بدراسة وافية في التاريخ الطبيعي لاقليم بندر عباس ضمنها رسماً تفصيلياً لاشجار النخيل .

زيادة التنافس بين الانجليز والهولنديين ١٦٨٨—١٦٨٩ :

وحوالي سنة ١٦٨٨ أي من الوقت الذي أصبحت فيه مصالح الهولنديين في اوربا خاضعة لمصالح الانجليز ، والدولتان معاً في حلف للحرب ضد فرنسا « بدأ الهولنديون يفقدون اسهمهم في ايران ، وكانوا حتى ذلك الوقت ينافسون الانجليز في استيراد المصنوعات الهندية » لكن الانجليز استطاعوا الحيلولة دون حصولهم على حق احتكار الصوف في كرمان .

السفير الهولندي في البلاط الايراني ١٦٩٠–١٦٩١ :

وفي سنة ١٦٩٠ زار سفير هولندي اصفهان ، تصحبه حاشية كبيرة وهدايا قيمة ، وقد حاول ان يحصل من الشاه على امتياز للهولنديين لاحتكار تجارة صوف كرمان ، لكنه لم ينجح ، وفي عودته الى بندر عباس سنة ١٦٩١ استطاع ان يكسب الشاهبندر وغيره الى جانبه ، فسبب بذلك كساداً شديداً للتجارة الانجليزية ، حتى ان الوكلاء الانجليز وجدوا من الافضل ان يحولوا كل شحنة البضائع التي وصلتهم تواً الى أصفهان .

استمرار المنافسة بين الانجليز والهولنديين بمزيد من الخسائر للهولنديين ١٦٩٥ – ١٧٠٥ :

وفي ١٦٩٥ ، ولما ازدادت حدة المشاكل بين الايرانيين والعرب في الخليج بتكرر هجوم العرب على سفن الايرانيين،خشي الانجليز ان يسارع الهولنديون الى نجدة الشاه فيكتسبون بذلك حقوق الدولة المفضلة في المتاجرة مع ايران . لكن هذه المخاوف لم تتحقق ، وكان الهولنديون في ذلك الوقت يتمتعون بحق تصدير ما قيمته ٢٠ الف تومان من البضائع الى أصفهان معفاة من الضرائب كل سنة ، في مقابل حق الانجليز في تصدير ما قيمته خمسة آلاف تومان فقط . وفي سنة ١٦٩٧ قدمت شركة الهند الشرقية سفينتها « شارل الثاني » الى الشاه كي يقوم بنقل سفيره الخاص الى بلاط المغول في الهند ، وذلك بهدف كسب نقطة في صفها ضد الهولنديين . وقد اشرنا من قبل الى ان الهولنديين قد احتجوا احتجاجاً شديداً في سنة ١٦٩٩ على دفع الايرانيين جانباً من نصيب الانجليز من عوائد بندر عباس حريراً لانهم كانو يحتكرون تصدير الحرير الايراني كله عن طريق البحر . ويبدو ان احتجاجهم هذا لم يثمر شيئاً ، لكنهم استطاعوا ان يجدوا طريقة يستميلون بها الشاهبندر لصفهم ،

ويبدو انهم قد اغروه بأن يؤكد انه قد قام بدفع مبلغ ١٣٠٠ تومان زيادة في حساب الوكيل الانجليزي عما قرره الوكيل نفسه ، غير ان زيارة الشاه للوكالة الانجليزية باصفهان في يونيو سنة ١٦٩٩ كانت ضربة حاسمة للهولنديين لانها أدت الى تغيير فوري في اتجاه الشاهبندر نحوهم ، فسرعان ما أمر بايقاف العمل في قلعة كان الهولنديون يقيمونها لانفسهم في بندر عباس ، ورغم انهم التمسوا شرف زيارة الشاه لوكالتهم ايضاً ، الا انه لم يجبهم الى ذلك . ويزعم الهولنديون ان الوكيل الانجليزي قد استطاع اقناع الشاه بأن الهولنديين امة بلا ملك ، وهي لهذا غير جديرة باهتمامه .

وفي سنة ١٧٠٥ كانت مشكلات القراصنة ما تزال قائمة ، وخشي الانجليز ان يبادر الهولنديون الى العمل على الخلاص منها فيتقربون بذلك الى الشاه ، غير ان مخاوفهم هذه — مرة أخرى — لم تتحقق .

أعمال البرتغاليين في الخليج ١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

كان البرتغاليون ما يزالون يتشبثون ببقايا مصالحهم في الخليج باستغلال وكالتهم في كنج حيث كانوا منذ سنة ١٦٢٥ ينالون نصف العوائد كما هي الحال مع الانجليز في بندر عباس ، وكانوا كثيراً ما يشتبكون مع الايرانيين،وفي قتال دائم مع العرب ، كما كانت علاقاتهم مع الانجليز الذين كانوا قليلي الوثوق بهم علاقات غير ودية .

مشاكل البرتغاليين مع الايرانيين ١٦٥٣–١٧٢٢ :

ويبدو ان حصول البرتغاليين على نصيبهم من عوائد كنج كانت صعوباته كنفس مصاعب الانجليز في تحصيل نصيبهم من عوائد بندر عباس ، وفي احدى المرات قام البرتغاليون بمناورة لاظهار القوة بحراً لتحصيل متأخراتهم من العوائد ، ولقد كان في حديث احد وكلاء الانجليز في تقرير له سنة ١٦٧٠– في معرض حثه على تطبيق نفس الفكرة لتحصيل العوائد الانجليزية المتأخرة في بندر عباس– ما أعان على معرفة تاريخ وقوع تلك المظاهرة . وفي سنة ١٦٨١ او سنة ١٦٨٢ كرر البرتغاليون نفس المناورة البحرية ، على مستوى اضيق هذه المرة — فاستطاعوا تخويف الشاهبندر وارغامه على ان يدفع — وهو صاغر — مبلغ تسعة آلاف تومان كانت مستحقة لهم ، وقيل انه بعد سنة ١٧١١ لم يدفع للبرتغاليين شيئاً من نصيبهم في عوائد كنج ، وحوالي سنة ١٧٢١ كان حجم التجارة في كنج ضئيلا ، وكان يقوم بها عدد من الهنود –الهندوك والمسلمين– غير ان انتعاش هذا الميناء قلّ الى حد بعيد نتيجة أعمال أعراب مسقط ، وكان في كنج عندئذ كنيسة واحدة فيها راهبان يعيشان على الاحسان والمنح .

علاقة البرتغاليين بالانجليز ١٦٥٣ — ١٧٢٢ :

وكان في جملة الاعتبارات التي تحول دون لجوء شركة الهند

الشرقية للقوة البحرية على الساحل الايراني هو الخوف من ان يخدم الصدام بين الانجليز والايرانيين مصلحة الهولنديين او البرتغاليين . لهذا لم تلجأ الشركة الى مثل ما قام به البرتغاليون والهولنديون من قبل . وفي سنة ١٦٧٦ حدث استياء شامل بين الانجليز نتيجة رفض البرتغاليين منح اذونات مرور لسفن الاهالي التابعة لهم والمتوجهة الى بندر عباس ، وفي السنة التالية قرر الانجليز انه في حالة اصرار البرتغاليين على مسلكهم المعادي ان يرفضوا منح السفن الهندية المتجهة الى كنج اذونات مرور انجليزية . ولا يعرف ما اسفر عنه هذا الخلاف . وفي سنة ١٦٨٩ قامت ، كما ذكرنا سابقاً ، احدى سفن القراصنة الانجليز بنهب الوكالة البرتغالية في كنج وقد ظهرت هذه السفينة في الخليج ظهوراً سريعاً وفشلت سفن الشركة الانجليرية في مطاردتها . ومنذ سنة ١٦٩٥ توقفت زيارات سفن الشركة الانجليزية لميناء كنج بسبب قلة الارباح كما يبدو .

وسنرى في الفقرة التاليـــة ان البرتغاليين كانو يميلون للشك بأن غارات القراصنة العرب على سفنهم انما هي شيء يتعمد الانجليز تشجيعه والتحريض عليه .

علاقة البرتغاليين بعرب عمان ١٦٥٣ – ١٧٢٢ :

لقد كانت العلاقات بين البرتغاليين وعرب عمان عدائية منذ سقوط هرمز ، وكانت بينهما حالة حرب قائمة بشكل دائم ، وحوالي سنة ١٦٦٠ استطاع عرب مسقط انتزاع ممبسة موقتاً من ايدي البرتغاليين ، لكن الصراع بين هذين الجانبين لم يبلغ قمة خطورته الا في العقد الاخير من القرن السابع عشر .

في سنة ١٦٩٣ استطاع عرب مسقط الحاق خسائر جسيمة ببعض سفن البرتغاليين ، وقاموا في سنة ١٦٩٤ او ١٦٩٥ بغارة بحرية على ميناء كنج موقعين به خسائر قدرت بحوالي ٦٠ الف تومان . وفي حوالي سنة ١٦٩٦ وافق البرتغاليون الذين تنقصهم حكمة جيرانهم الانجليز

والهولنديين وقوتهم على مساعدة الايرانيين ضد قراصنة مسقط . وكانت النتيجة المباشرة لذلك القرار ان قسم عرب مسقط اسطولهم قسمين : سار أحدهما على طول الساحل الافريقي حتى دمر المستوطنة البرتغالية في ممبسة ، وانطلق الثاني الى حيث دمر الوكالة البرتغالية في مانجالور على الساحل الهندي(١). وقد عزا البرتغاليون سنة ١٦٩٧ عدوان عرب مسقط عليهم الى امدادات واسلحة تلقوها من الانجليز في بومباي ، زاعمين ايضاً ان السفن العمانية كان يقود معظمها ضباط انجليز وكانت ترفع العلم الانجليزي . وفي نفس السنة تعرضت سفن البرتغاليين لاذى شديد من سفن لقراصنة اوروبيين ادعى البرتغاليون ان شركة الهند الشرقية قد سمحت لهم ولسفنهم بالمرور ، لكن الشركة انكرت اية علاقة لها بهم ، وتنصلت من أية مسؤولية عن اعمالهم .

وفي ١٣ مايو ١٦٩٨ هاجم اسطول عماني مكون من ثماني سفن فرقاطتين برتغاليتين ، وكان والي مطرح يقود الاسطول العماني. ونشبت معركة استمرت ثلاث ساعات ، وانتهت بهزيمة العرب وقتل عدد كبير من رجالهم وبينهم القائد نفسه ، في حين لم يقتل من البرتغاليين سوى خمسة رجال وجرح ١١ . وحوالي سنة ١٦٩٩ استولى العمانيون على ممباسة ، وظلوا فيها حتى استعادها البرتغاليون مؤقتاً منهم في سنة ١٧٢٨ ، كما حدثت مجزرة رهيبة للبرتغاليين على طول الساحل الافريقي .

١٧١٤ – ١٧١٩ :

ثم ساد القتال بين الفريقين فترة سكون دامت حتى ١٩ فبراير سنة ١٧١٤ حين هاجم العرب اسطولا برتغالياً خارج سورات ، لكن البرتغاليين استطاعوا صد اعدائهم الى البحر ، بعد ان قتل لهم ٢٨ قتيلا

---

(١) يشير هاملتون « أنظر : تاريخه الجديد ، المجلد الاول ص ٧٥ » الى أن هذه الحادثة قد وقعت في سنة ١٦٩٥ ، وكان سببها نزاع بين العرب وراجا كارنايتك » .

وجرح ٣٤ ، ويقال ان سفينة القيادة العربية قد غرقت في طريق عودتها متأثرة بالاصابات التي اصيبت بها في المعركة . وسرعان ما حاول العرب الانتقام فجاءوا باسطول الى كنج وطلبوا الى الشاهبندر تسليمهم الوكيل البرتغالي هناك ، غير انهم هزموا هذه المرة أيضاً ورجعوا بخسائر كبيرة . وفي فبراير سنة ١٧١٩ — وكانت الظروف الان قد أصبحت أكثر ملاءمة — ارسل اسطول برتغالي الى الخليج ، وفي ٤ أغسطس استدرج الاسطول البرتغالي اسطولا عربياً الى معركة خارج كنج ، وكان اليوم الاول في المعركة الذي استمر فية القتال من التاسعة صباحاً حتى السابعة مساء — في صالح البرتغاليين . وفي اليوم التالي استمروا في مطاردة أعدائهم ولم يرجع اسطولهم الى كنج حتى ٨ أغسطس . وفي هذه الاشتبكات قتل من البرتغاليين ١٠ رجال وجرح خمسة وثلاثون ، وفي نفس الوقت تراجع اسطول العرب عبر الخليج الى رأس الخيمة . وكان البرتغاليون — الذين يظنون العرب يتلقون امدادات من الانجليز والهولنديين — ما يزالون يوالون البحث عنهم . والتقوا بهم مرة أخرى في ٢٩ أغسطس ، وبعد مزيد من القتال استطاعوا ان يردوا آخر سفن العرب على أعقابها ، وكان ثمة اسرى من الجانبين أصبحوا ارقاء ... لكن اسرى العمانيين لقوا معاملة افضل من اسرى البرتغاليين على ما يقال .

أعمال الفرنسيين فى الخليج ١٦٥٣ - ١٧٢٢

أسس الفرنسيون الشركة الفرنسية لجزر الهند الشرقية في سنة ١٦٦٤ كما اشرنا من قبل . وفي سنة ١٦٦٧ - ربما قبل ذلك - كانت لهم وكالة تجارية في بندر عباس . وفي هذه السنة زار دكتور فراير بندر عباس وكتب هذه الملاحظات عن التجارة الفرنسية هناك « الفرنسيون في هذا الميناء ، كشأنهم في كل مكان آخر ، ليس لهم كبير عمل يعملونه ، ولولا ما يحصل عليه مترجمهم هناك من ربح من تجارة الهند (كان له امتياز التجارة في النبيذ في سيراس كما كانت لباقي الدول الاوروبية) لما استطاعوا تدبير قوتهم . ويعيش السيد الفرنسي هناك ناعم البال ، بلا عمل سوى ان يزور ويزار (ويعامل الجميع بود وبشاشة واداب فرنسية أصيلة سواء كان هؤلاء مسيحيين او وطنيين) وبهذه الكيفية ينفق اوقاته ، وفي سنة ١٦٢٨ كانت للفرنسيين تجارة محدودة في المنسوجات بالبصرة... وفي سنة ١٦٩٨- كما رأينا - تم بين دول اوربا الرئيسية توقيع اتفاقية اسمية ، لم ينتج عنها شيء بالمرة ، وبموجبها تعهد الفرنسيون بحماية منطقة الخليج من القراصنة .

سير تجارة شركة الهند الشرقية في الخليج
١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

العوامل الحاسمة في تجارة الشركة ١٦٥٣ – ١٧٢٢ :

كانت الحالة العامة لتجارة شركة الهند الشرقية وتقلبات السوق في الخليج خلال هذه الفترة مما سنفصل الكلام عنه اموراً تحددها الاعتبارات التجارية من ناحية وتحددها الاعتبارات والعوامل السياسية التي ناقشناها فيما سبق من الناحية الاخرى ، واهمها ما يلي : منافسة التجار المغامرين ، المنافسة بين الشركتين القديمة والجديدة ، وعلاقات انجلترا بهولندا وفرنسا وعلاقات الشركة نفسها بامبراطورية المغول وايران، هذا الى جانب التزاماتها الخاصة التي جاءت بناء على مرسوم تكوينها والتشريعات الانجليزية النابعة عن السياسة التجارية لانجلترا في ذلك الوقت .

التجارة مع ايران ١٦٥٣ – ١٦٧٥ :

في سنة ١٦٥٧ – ونتيجة للحرب بين الايرانيين والمغول ، وكذلك بسبب إضرار الحكومة الايرانية بحقوق الشركة وامتيازاتها – ركدت التجارة الانجليزية في ايران . وفي سنة ١٦٦١ صدر امر لوكالة الشركة في بندر عباس بأن ترسل الى الهند ما قيمته ٣٠ أو ٤٠ توماناً من الاكسيد الاحمر ، وفي سنة ١٦٧٤ ، وعلى اثر ارسال كميات كبيرة من البضائع المعطوبة الى لهند ، صدرت التوجيهات بأن يجري ممثلو الشركة تفتيشاً دقيقاً على صوف كرمان وغيره من الواردات الايرانية المعدة للتصدير قبل تسلمها في بندر عباس . وفي سنة ١٦٧٥ زاد الطلب على صوف كرمان وصدرت تعليمات لوكالة الشركة بأن تصدر منه أكبر كمية تستطيع الحصول عليها .

حالة التجارة الايرانية المتدهورة ١٦٦٩ – ١٧٢٢ :

وفي ١٦٦٩ كانت التجارة الايرانية قد تدهورت كثيراً نتيجة تجاهل الايرانيين الدائم لحقوق التجارة الانجليزية وامتيازاتها ، لكنها ظلت برغم ذلك ، تعتبر على قدر كبير من الاهمية في المنطقة بحيث اوصى وكيل الشركة في ايران ، تنشيطاً للتجارة بين ايران من جهة وبومبي وسورات من جهة أخرى، بمنح التجار الهنود قطعاً من الاراضي في بومبي تشجيعاً لهم على مواصلة نشاطهم . وفي سنة ١٦٧٢ طلبت الشركة الى موظفيها ضرورة استيفاء رسوم قنصلية عن كل البضائع الانجليزية التي تنزل في بندر عباس ، وان يخطروا ادارة الشركة باسماء من يرفضون الدفع. وكانت هذه الاوامر تعويضاً عما كانت تؤدي اليه التقديرات الاعفائية من بعض موظفي الشركة من تفريط في حقوق الشركة . وفي نفس السنة أوضح المجلس التجاري في سورات ان من ضمن البضائع التي يطلبونها من منطقة الخليج : العفص والاكسيد والعرقسوس واللوز والجلود ... لكنهم رفضوا شراء عفص ارسل اليهم من همدان من قبل لانه كان من نوع أقل جودة .

الحالة السيئة على وجه العموم للتجارة في ايران ١٦٧٦–١٦٨٢ :

وكانت سفن الشركة المسلحة المسافرة الى ايران سنة ١٦٧٦ تحمل كميات هائلة من الثياب والقصدير ، وتعود في أغلب الاحوال محملة بالحرير والصوف . وفي تلك السنة صدرت تعليمات بالقبض على سفينة لتاجر هندي تدعى « سيد بور » دأبت على التسلل الى ايران دون ترخيص من الشركة . وقد صحب دكتور فراير الاسطول المسلح الذي ابحر الى بندر عباس في سنة ١٦٧٧ ، وقال عن الوضع التجاري للشركة ما يلي : « تجارة الشركة الانجليزية هنا ضئيلة .. انها تنقل بعض المشروبات فقط . وصوف كرمان والماعز والخيل والتمر ، ومع ذلك تجد من المناسب ان تحتفظ بوكيل في كل ميناء جيد لتؤمن الحصول من الشاهبندر ومن

الضريبة القنصلية ما قيمته بنسان ونصف على كل البضائع الاجنبية المشمولة بحمايتها . ومن هذه ينشئون تجارة ، فيرون من المناسب ان ترسل الشركة في كل مرة شحنة بحرية قوامها حمولة ٣٠٠-٤٠٠ بعير من السلع الهندية وهي تضارع في مقاديرها ما يشحنه الهولنديون او يختزنونه . اما في هذه السنة فقد حدثت ضجة كبيرة بسبب شحنة الثياب والقصدير التي وصلت ، معنى ذلك ان كل تاجر حاذق يضحك ساخراً لانه يعرف ان تحميل التجارة على قوافل في مقابل بضائع من استنبول مروراً بسامراء والاسكندرونه وحلب ، هو أفضل وارخص. كما ان باصفهان أكثر مما تحتاجه من الثياب الانجليزية .. او « خيش لندن » كما يسمونه هنا .. غير ان ارئيس الوكالة الانجليزية في سورات راياً يبدو عموماً أكثر تفاؤلا من رأي الدكتور فراير ، ذلك بأن الشركة وجهت اللوم الى مندوبيها بسبب تأخرهم في شحن صوف كرمان . وفي سنة ١٦٧٨ عادت الحالة التجارية الى التدهور نتيجة افقار الشعب واغتصاب الحكومة الايرانية اموال الرعية . وحوالي هذا الوقت قيل ان الوكيل الانجليزي في بندر عباس كان يحقق ارباحاً طائلة من فرض حمايته التجارية وتوسيعها لتشمل الرعايا الايرانيين .. وفي سنة ١٦٨٠ ظلت التجارة الايرانية على حالها من التدهور ، وصدرت الاوامر ببيع كل مخزون الشركة من الثياب والقصدير في بندر عباس ومحاولة ابتياع الممكن من اصواف كرمانية تكون افضل مما تم ابتياعه منها في العام السابق ، وورد ايضاً في التعليمات المذكورة انه اذا لم تنتعش الحالة التجارية فلا بد من تصفية وكالة بندر عباس . وفي ١٦٨١ ظلت حالة التجارة غير مجزية ، وطلب الى الوكيل هناك بذل جهده لخفض النفقات الى ادنى حد مستطاع ، وفي ١٦٨٢ بلغت متأخرات الشركة في ايران حوالي مليون جنيه انجليزي ... وظلت التجارة على حالها من الكساد والتدهور المستمرين .

الرحلة الدائرية سنة ١٦٨٢ :

وفي سنة ١٦٨٢ بذلت الجهود لتنظيم تجارة الشركة في الشرق عن طريق « رحلات دائرية » وهكذا ارسلت السفينة « دراجون » من انجلترا الى سوقطره حيث تلتقي هناك بثلاث سفن للاهالي . وبعد ان تأخذ هذه قسماً من حمولة السفينة الى مخا باليمن وتقايض ذلك بالبن واللادن ، تعود ادراجها لتلحق بالسفينة في الخليج ... وفي الوقت نفسه تكون السفينة قد عرجت على البصرة وبندر عباس وتحمل بعض البضائع أيضاً من هناك مبحرة الى سورات . وبهذه الخطة كان ثمة أمل في ان ترتبط مختلف المناطق التجارية بعضها ببعض مما يفضي الى التبادل المربح والى ازدياد نشاط الملاحة الانجليزية : لكن هذا المشروع ، على أية حال ، لم يحقق توقعات الذين فكروا فيه ، وبالتالي لم يعيدوا التجربة مرة أخرى . ومن بين الاسباب التي ذكرها الوكيل والممثلون في بندر عباس لفشل هذه التجربة مظهر السفينة « دراجون » المزري فهي سفينة حمولتها ١٨٠ طناً فقط ، وهي لا تستطيع شيئاً الى جانب سفن هولندا الضخمة ، ثم هناك حقيقة اخرى — وهذه أكثر اقناعاً — وهي أن أسواق المخا والبصرة من الممكن استغلالها والتسويق فيها بيعاً وشراء بشكل افضل عن طريق وكالتي سورات وبندر عباس ، ومن خلال الوكلاء الارمن ... الخ . وهذا بلا شك أفضل من خدمتها عن طريق رحلات السفن الدائرية . وأوصى الوكلاء ايضاً بأن تقوم بهذه الرحلات سفن ضخمة ، ملاحوها من الاوروبيين معدة اعداداً جيداً يشيع الثقة في نفوس التجار الايرانيين بشأن سفن الشركة ، وبذلك تضمن الشركة تحصيل العوائد عن شحناتها المحمولة اسوة بالهولنديين الذين كانو يجنون ارباحاً طائلة من مثل ذلك التنظيم والخدمات .

الانتعاش التدريجي في التجارة الايرانية ١٦٨٣ — ١٦٩٠ :

وفي سنة ١٦٨٣—١٦٨٤ اضطربت تجارة الشركة في ايران نتيجة

منافسة التجار المغامرين ومن جراء تمرد قام به بعض جنودها في بومباي بقيادة الكابتن ريتشارد كيجوين الذي اطلق عليه اعداؤه — من قبيل التظرف — لقب « حامي حمى جزيرة بومباي ». كما ان بضائع الشركة أيضاً لم تكن صالحة للبيع ، الامر الذي جعل وكالة الشركة تلح على طلب بضائع جديدة ، وفي سنة ١٦٨٤ اصابت الشركة خسارة كبيرة في كل السلع الايرانية التي صدرتها الى انجلترا..وكان من المتعذر تصريف أية كمية من صوف كرمان «الاسود» بينما بلغ الطلب على الكرماني الاحمر ضعف الكمية المعروضة. وفي سنة ١٦٨٥ تم تجهيز حمولة من الملح لنقلها من هرمز الى سورات ، وفي سنة ١٦٨٧ ادت الحرب التي نشبت بين الشركة وامبراطور المغول الى تحديد حجم التجارة الايرانية ، لكن الشركة استطاعت الحصول على الوان مختلفة من الاصباغ . وقيل وقتها ان المنسوجات الانجليزية ، اذا توفر لها اللون المناسب والنوعية الجيدة يمكن ان يصرف منها سنوياً ألف واحدة من انصاف القطع ذلك بأن الأرمن مثلا كانوا يجلبون الثياب من تركيا ويقايضونها بالحرير فلم لا يحقق الحرير ارباحاً أكثر اذا تمت مقايضته بالثياب مباشرة. وفي سنة ١٦٨٨ ظلت التجارة في ايران متأثرة الى حد كبير بحرب المغول ، وفي سنة ١٦٨٩ زاد الموقف تعقيداً نتيجة ظهور سفينة قراصنة انجليز في الخليج نفسه ، ولكن التجارة في سنة ١٦٩٩ كانت اقل تأثراً بالحرب عما كان متوقعاً ، فوضعت الترتيبات لمقايضة المنسوجات الانجليزية بالحرير وصوف كرمان وكذلك للحصول على الزبيب والراوند واحجار اللازورد ، كما طلب ايضاً مضاعفة شحن الكمية التي تنقل الى الهند .

خطة الشركة لاحتكار تجارة الثياب وتحويل تجارة الحرير الى الخليج بمساعدة الأرمن ١٦٨٩ — ١٦٩٣ :

وكانت الشركة في ذلك الوقت معجبة بنجاح الارمن ومهارتهم كتجار في الهند وايران معاً ، وقد حاولت عن طريق السماح لهم بارسال

بضائعهم لاوربا في سفن الشركة من بومباي في سنة ١٦٨٩ ، ومن بندر عباس في ١٦٩٠ اغراءهم بأن يلقوا بكل ثقلهم كتجار الى جانب الانجليز . لكن مصلحة الارمن الواضحة للاتجار عبر تركيا كان عقبة تواجه هذه الخطة ، وهي حقيقة لم تكن موضع ملاحظة في البدء . وفي سنة ١٦٩١ اقترحت الشركة ان تنافس الشركة التركية في تجارة المنسوجات وكانت الشركة التركية تصدرها الى ايران من حلب ، وتدفع عنها الرسوم التي كانت الشركة الانجليزية معفاة منها في بندر عباس . وظن العاملون في الشركة انهم قادرون على رفع مبيعاتهم بمساعدة حلفائهم الطبيعيين من الارمن ، وفي سنة ١٦٩٣ وهي السنة التي طلب فيها الى شركة الهند الشرقية تصدير كميات كبيرة من البضائع المصنوعة في انجلترا ، استولى الفرنسيون على شحنة الثياب التي كانت الشركة التركية قد شحنتها الى الشرق . وكانت قيمة ما ارسلته شركة الهند الشرقية من هذه البضاعة في اسطولها السنوي خمسين الف جنيه وقد قررت ان ترفع سعرها في ايران بنسبة ٥٠٪ وكان هدفها الآن تحويل تجارة الحرير الفارسي من حلب الى اصفهان ، ومن هناك يحصلون عليه عن طريق مقايضته بالمنسوجات ، ثم يرسل الى بندر عباس كي يتم شحنه منها .

استمرار التنافس على بيع المنسوجات في ايران بين شركة الهند الشرقية والشركات التركية ومعارضة الارمن لمشروعات شركة الهند الشرقية ١٦٩٣ — ١٦٩٨ :

وفي سنة ١٦٩٢ ، صدرت التعليمات لوكيل الشركة في ايران بأن ينتقل الى اصفهان ليباحث التجار الارمن حول تدبير مساكن لمجموعة من الكتبة الشبان كانوا يرسلون من انجلترا للتدرب في أصفهان على شؤون التجارة الايرانية . وكان عليهم ان يدرسوا لغة الارمن وأساليبهم في التجارة . وفي سنة ١٦٩٣ بدأت الاقاويل الكثيرة تروج حول الارمن ، وبعضها يشكك في اخلاصهم لمصالح الشركة ، ولكن

الاوامر صدرت لموظفي الشركة بأن يوفوا بالعقود التي كانت وقعت مع هؤلاء الارمن رغم ما يقال . وفي سنة ١٦٩٥ بدأ الارمن يثيرون المشاكل امام مقايضة منسوجات شركة الهند الشرقية بالحرير ، زاعمين ان التجارة المنافسة عن طريق حلب ما زالت في عنفوان قوتها . واشار نائب الوكيل في أصفهان الى سوء خلق بعض هؤلاء الوسطاء الارمن ، ويبدو ان الوكيل نفسه اضطر للانتقال الى العاصمة كي يسوى هذه الامور . ووضح الان ان الارمن لم يكونوا بالفعل يخدمون مصالح شركة الهند الشرقية ، ذلك بأنهم كانو يؤيدون بنفس القدر التجارة المنافسة التي تأتي لايران عن طريق حلب . وفي سنة ١٦٩٦ ا رسل وكيلان جديدان لشركة الهند الشرقية الى تبريز ومشهد ليبيعا المنسوجات بأسعار تضارب اسعار الشركات التركية . ونتيجة لهذه المنافسة ، اغرق السوق الايراني اغراقاً تاماً بالمنسوجات الانجليزية ، غير ان مبيعات شركة الهند الشرقية في أصفهان وبندر عباس بلغت مع ذلك ما قميته ثلاثين الف « سيكوين »(١) ولقد جرى تصريف كل ما هو ممكن من المنسوجات في بندر عباس وشيراز واصفهان سنة ١٦٩٧ بقصد المضاربة على البضائع التركية . وفي نهاية تلك السنة قرر مجلس ادارة الشركة الاستمرار في المنافسة ، وفي نفس الوقت نجح التجار الارمن ، الذين يبدو انهم كانوا يفضلون المتاجرة عن طريق حلب ، في ايقاف امر من الشاه يخول شركة الهند ان يبيعوا كميات ضخمة من الثياب جاءت على ظهر السفينة « شارل الثاني » الى بندر عباس على أساس دفع مؤجل ومقسط على ١٧ شهراً للتجار الايرانيين . وصدرت التعليمات لمستر بيرويل ، الذي ارسل كوكيل عام للشركة في ايران سنة ١٦٩٨ بأن لا يقتصر على مواصلة حملة بيع منسوجات الشركة فحسب ، بل وان يحاول ايضاً التماس مدخل لتجارة الحرير ، الذي كان احتكاره قاصراً على الارمن في ذلك الوقت ، وان يطلب فرماناً يبيح تصدير الحرير من

---

(١) عملة ايطالية قديمة .. المراجع .

بندر عباس . لكن الموضوع فقد بعض اهميته فيما بعد لان الحرير اصبح استيراده ممكناً من البنغال بنصف السعر السائد . وفي سنة ١٦٩٨ رفض الارمن الذين تعاقدوا مع الشركة على شراء جميع المنسوجات المستوردة لحسابها تلك السنة ان يقدموا ضماناً للدفع ، وكانت النتيجة هي الغاء الاتفاقية ... واصبح على موظفي الشركة البحث عن اتفاقية جديدة .

ازدهار تجارة الشركة في ايران رغم فشل خططها بالنسبة للحرير والثياب ١٧٠٠ — ١٧٠٦ :

وفي سنة ١٧٠٠ أدى فرض ضريبة اضافية على المنسوجات الجاهزة المصدرة من الشرق ، وازدياد الطلب على الحرير الخام في انجلترا الى تزايد اهتمام الشركة بالمواد غير المصنوعة . وكانت التجارة مع ايران طيبة في ذلك الموسم ، ورغم الصعوبات الجديدة التي اثارها الارمن ، ورغم ان مبيعات الشركة الرائجة لم تكن سوى النظارات والمنسوجات الا ان حمولة سفينة بأكملها من الحرائر والشيت الملون وصوف كرمان كانت قد تجمعت في بندر عباس . وفي سنة ١٧٠١ والناس يخشون قيام حرب لها تأثيرها على التجارة الايطالية والاسبانية صدرت الاوامر لموظفي الشركة بجمع كل ما يستطيعون جمعه من الحرير الخام وصوف كرمان والمشروبات استباقاً لارتفاع الاسعار في السوق الاوربية . وفي سنة ١٧٠٥ ذكر الوكلاء في ايران ان بوسعهم بيع ٤٨٠٠ قطعة من الثياب كل سنة في ايران لو اقتصرت التجارة عليهم ، بينما لا يبيعون سوى نصف ذلك ما دامت المنافسة مستمرة من جانبي تركيا وروسيا . لكنه تبين ايضاً ان نظام مقايضة الثياب بالحرير ليس مربحاً بسبب ارتفاع رسوم تصدير الحرير ومن الممكن تحقيق ارباح أكثر لو عقدت هذه الصفقات جميعاً بالنقد لا بالمقايضة . وبتعبير آخر ، لقد ثبت فشل خطة تحويل تجارة الحرير كلها الى الخليج ومقايضتها بالمنسوجات بدل

النقد . وفي سنة ١٧٠٦ كان موسم التجارة في ايران غاية في الرواج ، واستطاعت الشركة بيع شطر كبير من مخزون القماش لديها بأرباح وصلت الى ١٦٪ وتم عقد صفقات شراء فاقت الحد المألوف .

التجارة مع العراق التركي ١٦٥٣ – ١٧٢٢ :

أما نشاط شركة الهند الشرقية في العراق فقد ذكرناه تفصيلا في القسم الخاص بتاريخ هذا الاقليم ، فالوكالة الاقليمية التي انشئت في البصرة سنة ١٦٤٣ تقريباً ، يبدو انها توقفت عن العمل في سنة ١٦٥٧ . وخلال ما بقي من هذه الفترة ظلت التجارة مع البصرة قائمة عن طريق السفن التي ترسل خصيصاً الى هذا الميناء من سورات باشراف موظفي الشركة ، وبعد الامتيازات الاجنبية الشهيرة في سنة ١٦٦١ – والتي عدلت في سنة ١٦٧٥ – أصبح وضع تجارة الرعايا الانجليز في كل ارجاء الامبراطورية التركية مستنداً الى اسس أكثر ثباتاً ورسوخاً .

مؤسسات شركة الهند الشرقية في الخليج
١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

موظفو الشركة :

تراوحت مؤسسات شركة الهند الشرقية خلال هذه الفترة اتساعاً وانكماشاً حسب حالة التجارة وظروفها . ففي احدى المرات سنة ١٦٦٤ خفض عدد موظفي الشركة في ايران كلها الى اثنين فقط من الاوروبيين . وحتى سنة ١٦٦١ على الاقل ، لم يكن ثمة مؤسسة اوربية دائمة في العراق التركي . وفي سنة ١٦٨٢ بذلت محاولة لارساء التجارة في ايران على اسس أفضل فعين مستر جون جيبس وكيلا عاماً ومعه مجلس استشاري من اربعة مساعدين ، مرتبين حسب اولويتهم لشغل مركزه لو خلا بالموت او الاستقالة . وفي ١٦٩٣ حينما بدأت الامور تنتعش زيد عدد الجهاز العامل في ايران الى وكيل عام واربعة مساعدين واربعة كتبه ، وظل هذا الطاقم هو نفسه لا يتغير الا اذا اعتبرنا تعين اثنين من المساعدين في تبريز ومشهد بموظفين اضافيين في وكالة ايران. وفي ١٦٧٦ كان ثمة « موظف » في بندر عباس يدعى صموئيل شارليتون سببت علاقاته بالموظفين الآخرين مشاكل كثيرة . وتشير مراسلات عديدة عن « النبيذ الاوربي » الذي كان يرسل من الهند الى « بادرس » الى ان الطاقم العامل في ايران لم يكن بغير قس ، ومع ذلك فانهم كانوا يقومون بأنفسهم بطقوس الدفن ، الامر الذي يستبعد تفسير المقصود بعبارة « بادرس » قسيسين او رهباناً(١) كما اننا لا نجد ما يشير الى ان موظفي الشركة كانوا يصحبون معهم زوجاتهم واطفالهم .

الامــاكــن :

وفي بادىء الامر كانت بندر عباس المقر الرئيسي لوكالة ايران

(١) كان احد هؤلاء القسس يسمى بارنابى وقد حصل على حق المقايضة هو أيضا من الشركة (١٦٦١) .

وكانت تقوم في عمارة مهداة من الشاه ، تقع بين عمارتين اشترتهما لوكالتيهما كل من هولنده وفرنسا ، وظلت الوكالتان الاخريان في شيراز واصفهان ردحاً من الزمن مغلقتين او محدودتي النشاط ، لكن مستر كرادوك حين ارسل كوكيل عام في ايران سنة ١٦٦٢ فوض بأن يقضي عدة شهور من كل سنة في شيراز واصفهان « بالنظر الى ان الموت كان شيئاً مألوفاً في تلك الاماكن بسبب رداءة الجو ... لذلك كان لا يقيم في مكان واحد منها مدة طويلة » وفي سنة ١٦٨٤ صدرت اوامر صريحة باقامة اثنين من اعضاء مجلس ادارة الشركة اقامة دائمة في أصفهان للسهر على مصالحها هناك . وفي سنة ١٦٩٢ اختيرت أصفهان لتكون مركزاً لتدريب كتبة الشركة الجدد . وفي سنة ١٦٩٣ حين ازداد عدد العاملين بالشركة تركت للوكيل العام حرية مطلقة في أن يقيم باصفهان او بندر عباس كما يشاء وتقرر ان يبقى بقية الوكلاء بشكل دائم في أصفهان وبندر عباس . وفي١٦٩٥ كان هناك وكيل مساعد فقط في أصفهان، ولكن اصدرت الاوامر مرة أخرى في ١٦٩٧ أو ١٦٩٨ بأن تعتبر هذه الوكالة هي الوكالة الرئيسية في ايران وان تكون وكالة بندر عباس تابعة لها ، وفي سنة ١٦٩٩ كما رأينا اضحت وكالة اصفهان من اللياقة بحيث استحقت زيارة الشاه واسرته لها .

حياة الموظفين وسلوكهم :

ان التفاصيل الشخصية عن العاملين في الشركة شيقة ، لكنها ليست مهمة من الناحية التاريخية ، وهي تدور حول موت بعض الوكلاء (عادة دون مرض سابق) وطقوس دفنهم (وكانت احياناً تتم بمساعدة الهولنديين) وعن « انحطاط وسفالة » السماسرة الهندوك ... الخ لكن موت مستر جيرالد اونجير رئيس وكالة سورات في يونيو ١٦٧٧ يستحق التنويه لان استمرار التجارة الانجليزية في ايران طوال ستة عشر عاماً في ظروف بالغة الصعوبة انما يرجع الفضل الاول فيه الى جهود هذا الرجل

وحماسته وتفانيه . وقد عد موته مصيبة قومية . واحياناً كان يبدو ان بعض موظفي الشركة في ايران لا يؤدون اعمالهم على الوجه الاكمل ، ففي سنة ١٦٦٢ ، اشتكى مجلس الشركة في سورات من انه لم يتسلم حسابات منتظمة من بندر عباس لمدة ثلاث سنوات . وفي سنة ١٦٧٦ كان لا بد من توجيه توبيخ لتلك الوكالة لان حساباتها لمدى اربع سنوات ظلت بغير قيود بسبب عذر سخيف ادعاه المسؤولون فيها وهو عدم توفر ورق الكتابة .

المراسلات :

ويبدو ان مجلس ادارة الشركة في انجلترا في بداية هذه الفترة او بعدها بقليل كان يرسل مكاتباته للشركة في الشرق على نسختين : احداهما ترسل بطريق البر من حلب الى البصرة ، والاخرى عن طريق البحر حول رأس الرجاء الصالح . وفي ١٦٨٦ كان التجار المغامرون يحصلون على أخبار الهند قبل وصولها الى الشركة ، ولذلك تقرر وضع ترتيب لارسال الاخبار الى رئاسة الشركة في لندن مرة كل ستة أسابيع عن طريق حلب .

الحالة في عمان ١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

اقتراح بانشاء قاعدة لشركة الهند الشرقية في مسقط ١٦٥٩ :

ذكرنا سابقاً أن وكالة سورات اقترحت سنة ١٦٥٩ انشاء مستوطنة محصنة يحميها ١٠٠ جندي في مسقط ، ولكن الاقتراح اسقط لتعذر الحصول على موافقة العرب عليه . وكان الهدف من هذا المشروع هو خلق قاعدة قوية في الخليج ترهب ايران وتقف امام قوة الهولنديين البحرية .

قرصنة العمانيين وعدوانهم على ايران ١٦٩٩ ــ ١٧٠٧ :

وفي سنة ١٦٧٧ ــ حين زار دكتور فراير منطقة الخليج ــ كان أهل عمان قد اكتسبوا بالفعل شهرة في أنهم « قوم قساة معتدون ، يكسبون من السلب والنهب قدر كسبهم من التجارة » . وبحلول سنة ١٦٩٥ كان هؤلاء قد تورطوا تماماً في أعمال القرصنة واصبح لديهم خمس سفن ضخمة على ظهرها حوالي ١٥٠٠ رجل ، وكانوا قد اغاروا على كنج واستولوا على سفينة للارمن ، وهددوا بندر عباس حتى طلب موظف الجمارك الايراني فيها ابقاء السفينة الانجليزية « ناساو » مدة عشرين يوماً لتحمي الميناء ، واجيب الى طلبه .

وقد ادت هذه الاحداث الى ان يتنبأ كابتن برانجوين وكان في ذلك الوقت هو وكيل الشركة في ايران ــ بأن يصبح العمانيون طاعوناً في الهند ، كما كان المغاربة طاعوناً في اوربا » وكانت الحرب الان متوقعة بين ايران ومسقط ، وبدت دلائل على احتمال قيام الهولنديين بمساعدة الايرانيين فيها ، مما جعل موظفي شركة الهند الشرقية بايران متشوقين لقيام انجلترا ايضاً بتقديم مساعدة مماثلة من جانبها . لكن سير جون جاير ــ حاكم بومباي ــ اتخذ قراراً حكيماً بأنه ما دام العرب

حتى ذلك الوقت لم يضعوا اية عقبات في وجه الملاحة او التجارة الانجليزية فان مثل العمل العدائي المقترح من جانب الانجليز لم يكن مناسباً. لكنه حصل بعد ذلك ان استولى القراصنة الهنود على سفينة من سفن مسقط ، فانتقم العمانيون من سفن التجار المغامرين او سفن الانجليز الخاصة ، لكنهم لم يقربوا سفن الشركة ، وكانت السفينة الانجليزية الاولى التي استولوا عليها سفينة يقودها الكابتن موريس ، الذي اسر هو ورجاله ولم تمكن افتداؤهم ابداً ؛ وفي ١٧٠٥ استولى العمانيون على سفينة غينية كان يقودها كابتن ميرفيل وكانت محملة من البنغال في طريقها الى ايران ، واستولى عليها العمانيون نتيجة جبن بحارتها الذين لم يبدوا اية مقاومة . وفي ١٧٠٤ — ١٧٠٥ أعلن مجلس ادارة شركة الهند القديمة قراره بتسليح السفن بمجرد انتهاء الحرب مع فرنسا وذلك « لتطهير البحار وقطع دابر هؤلاء القراصنة من اعراب مسقط » غير ان الحرب ضد فرنسا طال عهدها ، وفي ١٧٠٧ كثرت الشكوى من نشاط العمانيين والمراهتة في مياه الهند ، وقد سبق ان اشرنا الى اعتداءات العمانيين على البرتغاليين خاصة في ١٦٩٣—١٦٩٩—١٧١٤ و١٧١٩ .

استيلاء العمانيين على بعض الجزر الايرانية حوالي سنة ١٧٢٠ :

وبعدها بعدة سنين استولى « المساقطة » على عدة جزر خارج الخليج من أهمها جزيرة قشم . وارسل جيش ايراني يقوده لطفي علي خان الى بندر عباس القريبة لطردهم من الجزر لكن غزو الافغانيين لايران —الذي كان قد بدأ في ذلك الوقت — ارغم هذه القوة على التراجع شمالا نحو كرمان دون ان تحقق شيئاً . وقبل هذا بقليل — في سنة ١٧١٨ — نجح المساقطة في احتلال جزيرة البحرين غير ان اهل الجزيرة هجروها مؤقتاً وبهذا انتهى احتلال المساقطة لها .

تاريخ الخليج من غزو الافغانيين لايران الى نقل المقر الرئيسى للانجليز فى الخليج من بندر عباس ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣(١)

الاحداث فى أوربا والهند سنة ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

ان الاحداث التي وقعت في اوروبا خلال فترة دراستنا هذه واثرت على وضع بريطانيا العظمى في منطقة الخليج هي الحروب السيليزية وحرب السنوات سبع ، وفي كلتيهما حاربت بريطانيا ضد فرنسا .

(١) المصادر الرسمية التى تتناول هذه الفترة « ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣ » فى منطقة الخليج هى « تلخيصات رسمية » لموظف مجهول تتناول أولى العلاقات بين شركة الهند الشرقية المعظمة وجزيرة العرب التابعة لتركيا : وهى مطبوعة فى سنة ١٨٧٤ ـ ثم مؤلفات مستر ج٠أ٠سالدانا من أوراق الدولة في بومباى التى تتناول علاقة شركة الهند الشرقية بالخليج ، مع تلخيصة الاحداث من ١٦٠٠ ـ ١٨٠٠ ، طبعة سنة ١٩٠٥ ، وكل من هذين المرجعين يغطى الفترة كلها ٠ أما بالنسبة لايران عموما ٠ فنجد « تاريخ ايران » لمالكولوم ، ١٨١٥ ، وبالنسبة للحالة العامة فى تركيا ، نجد تاريخ الاتراك العثمانيين لكريزى ، ١٨٥٦ ، وهذان يمكن الرجوع اليهما بالنسبة لهذه الفترة كما هو بالنسبة للفترة السابقة ، والى جانب المصادر شبه الرسمية التى أشرنا اليها قبلا ، فسنجد أن أهم مصادر المعلومات التاريخية فيما يتعلق بدول الخليج فى ذلك الوقت ، هو كتاب نيبور « وصف لجزيرة العرب » ٠ ١٧٧٤ ، وله أيضا « رحلة فى جزيرة العرب » ١٧٧٦ ، وهذا يتناول بشكل خاص سنة ١٧٦٥ ـ ١٧٦٦ ، لكنه يشير الى احداث قبل هذا التاريخ ، ونشير أيضا لمرجع ايف ، ١٧٢ « رحلة من ايران الى انجلترا » ، ١٧٧٣ ، وهو يتناول أساسا احداث سنة ١٧٥٨ وما حولها ، ونشير أيضا الى « خمسة خطابات من تاجر بنغالى حر » سنة ١٧٧٧ ٠

الحروب السيليزية ١٧٤٢ – ١٧٤٨ :

بدأت الحروب السيليزية في سنة ١٧٤٢ – وفيها وقفت هولندا– وهي الدولة الاوروبية الاخرى ذات المصالح الهامة في منطقة الخليج– الى جانب بريطانيا في تأييد قضية ماريا تريزا . وكان الانتصار البريطاني في ديتنجن سنة ١٧٤٣ والهزيمة في فونتينوى سنة ١٧٤٥ من ضمن احداث هذه الحروب التي ارتبط بها ايضاً غزو اليعاقبة لاسكتلندا وانجلترا في ١٧٤٥–١٧٤٦ . اما في الهند فقد انتزعت فرنسا مدراس من ايدي انجلترا . لكن هذه استعادتها مرة اخرى وفق معاهدة . ايكس لاشابل سنة ١٧٤٨ .

حرب السنوات السبع ١٧٥٦ – ١٧٦٣ :

أما حرب السنوات السبع – التي استمرت من ١٧٥٦–١٧٦٣ فقد ادت الى تغلب بريطانيا على فرنسا في المجال الاستعماري وبالنظرة السريعة الى احداث هذا الصراع في اوربا – الذي كانت معركة منيدن في سنة ١٧٥٩ هـــي أهم معالمه . وبتفحص احداث اخرى في امريكا نرى أن سير العمليات العسكرية في الشرق كان دائماً في صالح بريطانيا، وانه ادى الى انهيار تام لقوة فرنسا في الشرق ، وقد سقطت الوكالة البريطانيه في بندر عباس ودمرت تماما كما سنرى بفعل قوة بحرية فرنسية في ١٧٥٩ . اما في الهند فقد سقطت القاعـــدة الفـــرنسية في شاندرناجار في ايدي الانجليز سنة ١٧٥٧ كما سقطت قاعدتهم في بوند شيري سنة ١٧٦١ وظلت هولندا على الحياد في اوربا ، لكن نفوذها في الهند تلاشى امام نفوذ البريطانيين .

علاقات بريطانيا بالقوى الوطنية في الهند :

وكنتيجة لانحلال الامبراطورية المغولية بعد موت الامبراطور اورانجزيب في سنة ١٧٠٧ واجه البريطانيون – الى جانب حربهم ضد

فرنسا — مشاكل وعلاقات مضطربة مع مختلف القوى الوطنية في أنحاء الهند ، مما اثر بالضرورة على سياستهم في الخليج ، ولا بد ان سقوط كلكتا سنة ١٧٥٦ في ايدي سراج الله حاكم البنغال ، ومأساة « الحرق الاسود » ، وحملة سنة ١٧٥٧ التي انتهت بانتصار البلاسين ، قد استوعبت اهتمامات شركة الهند الشرقية في ذلك الوقت ، ثم ان مصالح الشركة في البنغال اكتسبت طابعاً اقليمياً بعد منحهم هناك اربعة وعشرين ترخيصاً . وخلال فترة حكم نظام الملك ، وهو أحد ولاة امبراطورية المغول المنهارة ، وبعد ان اصبحت مدينة حيدر اباد هي عاصمة للدكن تسنى لـ«كليف» خلال مدة حكمه الاولى للبنغال (١٧٥٨–١٧٥٩) ان يشيد قواعد النفوذ البريطاني في الهند .

شئون ايران وتركيا ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

الغزو الافغاني واحتلال ايران ١٧٢٢ – ١٧٢٩ :

خلال فترة احتلال الافغانيين لايران ـ التي استمرت سبع سنوات ـ اختلطت امور البلاد الداخلية والخارجية اختلاطاً شديداً ، فقد اعلن تاهماسب ميرزا ، احد ابناء الشاه حسين ، بعد هربه من اصفهان قبل سقوطها ، أعلن نفسه شاهاً لايران واستمر يواصل الحرب محرزاً بعض النجاح في البداية . وارتكب الافغانيون مجازر وفظائع رهيبة في ايران ، وفي الشمال والشرق بدأ الاتراك والروس يتحيفون من الاقاليم الايرانية ، ونظموا اعمالهم هذه بمعاهدة بينهم لتقسيم شمالي غربي ايران التي دخلتها قواتهم بالفعل في سنة ١٧٢٣ . وبهذه الطريقة استولى الروس على بعض الاقاليم المتاخمة لبحر قزوين ، واحتل الاتراك اقليمي كردستان وارمينيا وجزءاً من أذربيجان ، وفي ١٧٢٤ استولى الافغانيون على شيراز وأعملوا فيها السلب والنهب ، وفي ١٧٢٥ جن القائد محمود قائد الافغانيين ومات ، وخلفه ابن عمه اشرف الذي سرعان ما بدأت المعارك بينه وبين الاتراك . وفي ١٧٢٦ اوقع الافغانيون هزيمتين متتاليتين بالاتراك على مسيرة بضع مراحل من اصفهان ، وتراجع العثمانيون الى كرمان شاه ، وتبع ذلك عقد معاهدة(١) اعترف فيها اشرف بان سلطان تركيا هو مولاه الروحي في مقابل اعتراف الباب العالي باعتلائه عرش ايران ، هذا بالاضافة الى بعض التنازلات المادية من جانب اشرف مما قد لا يصبح ملزماً لخلفائه في ايران من بعده . وفي نفس الوقت اتحد الايرانيون جميعاً لطرد الغزاة الافغانيين ووقفت قبيلة كاجار القوية في اختر اباد الى

---

(١) لقد سوت هذه المعاهدة كل المشاكل المتعلقة بالحدود والتمثيل السياسي والدبلوماسي وتسليم المجرمين والحج والتجارة ٠ أنظر : معاهدات اتيشسيون الطبعة الرابعة ، المجلد الاول ، القسم الثاني عشر ، الملحق ٣ ٠

جانب تاهماسب ميرزا . وفي سنة ١٧٢٧ انحاز قائد عسكري مشهور بقوته الى جانبه ، وهو نادر كولي(١) وهو تركي من مقاطعة افشار ، وقد غير اسمه موقتاً فجعله على اسم مولاه الجديد حيث سمي تاهماسب كولي خان ، لكن الافغانين ظلوا على قوتهم ، بل واستطاعوا الاستيلاء على يزد التي كانت حتى ذلك الوقت ما زالت تقاوم قواتهم ، وفي سنة ١٧٢٨ اشاع الافغان الفوضى في بندر عباس ونهبوا الوكالة الانجليزية بها ، واخيراً في سنة ١٧٢٩ استطاع تاهماسب كولي خان ان يهزمهم في « دامجان » فتراجعوا الى طهران ومنها الى اصفهان ، ولحق بهم الايرانيون واصابوهم بهزيمة اخرى قبل ان يصلوا الى طهران . ثم واصل الافغانيون تراجعهم الى الجنوب الغربي وتبعهم تاهماسب كولي خان وهزمهم في برسيبوليس وطاردهم حتى شيراز ، وقام احمد شاه ، قائد الافغانين باعدام الشاه حسين ، شاه ايران المخلوع ، بينما استعاد تاهماسب ميرزا اصفهان . وفي شيراز لم يحاول الافغانيون الدخول في معركة ، بل تفرقوا في جميع الانحاء محاولين الرجوع لبلادهم . ولم ينجح في هذا الا القليل منهم ، حتى ان اشرف نفسه ذبحه بعض البلوش في الصحراء الممتدة بين شيراز وسجستان ، اما اتباعه فقد استطاع بعضهم ان يجد طريقه الى الساحل عبر لار ومنها عبروا الخليج الى الحسا حيث اعدموا فور وصولهم ، كذلك قتل بعضهم في مكران ، واصبح فلول منهم بعد مرور السنين يشاهدون وهم يكسبون معيشتهم كعمال فقراء في مسقط .

صراع المنتصرين من ١٧٢٩ — ١٧٣٦ :

وبعد طرد الافغانين لم تدم الثقة طويلا بين الشاه تاهماسب وقائده المظفر تاهماسب كولي خان ، وكان الشاه قد اقطعه اربعة اقاليم في شمالي ايران ليحكمها باسمه ، ولكن كولي خان قرر الانفراد بحكمها تقريباً ،

---

(١) لا ينتمى نادر كولى الى اسرة معروفة وقيل انه كان لصا فى وقت من الاوقات .

فطرد منها الاتراك وطلب من السلطان محمود الاول – الذي ارتقى عرش العثمانيين مؤخراً – اعادة اقليم اذربيجان الى ايران ، وكادت هذه الاجراءات تلاقي النجاح لولا ان الاتراك استاءوا لدناءة سلوك شاه ايران تاهماسب نفسه فانشبوا الحرب معه وهزموه ، واضطروه لتوقيع معاهدة مع احمد باشا – الوالي التركي على بغداد تنازل بها عن مطالبه في البلاد الواقعة وراء العراقين للسلطان بل واقطع اقليم كرمان شاه لاحمد باشا نفسه . وسارع تاهماسب كولي خان فشجب المعاهدة باعتبارها خيانة للمصالح القومية كلها ، وبعدها بقليل خلع كولي خان الشاه عن العرش واقام مكانه طفله الصغير الذي يعرفه المؤرخون باسم « الشاه عباس الثالث»والذي كان ألعوبة بيدي كولي خان . وفي يوليو ١٧٣٣ تقدم تاهماسب كولي خان الى بغداد وحاصرها ولكنه هزم غربي سامراء على يد قائد تركي غاية في الشجاعة هو طوبال عثمان الذي أكره كولي خان على الانسحاب من المعركة ، لكن الاخير جدد غزوة للعراق قبل مضي اقل من ثلاثة شهور ، وهزم جيشاً تركياً بقيادة طوبال عثمان نفسه الذي ذبح في المعركة ، واعد عدته لاعادة احتلال بغداد ، لولا ان تمرداً حدث في اقليم فارس اجبره على العودة لايران .

حكم نادر شاه ١٧٣٦ – ١٧٤٧ :

وفي ربيع ١٧٣٦ اعتقد تاهماسب كولي خان ان مركزه الان قد تدعم تماماً فاتخذ لنفسه اسم « نادر شاه » وقبل عرض ايران الذي عرضه عليه النبلاء والقادة العسكريون غير انه اشترط لذلك شرطاً غريباً هو ان يقبل هؤلاء الغاء المذهب الشيعي (١) وتحويل شعب ايران الى المذهب السني

---

(١) كان مقصودا أن يكون أهل ايران مذهبا خامسا من مذاهب السنة، وهو الجعافرة كمذهب متميز عن المذاهب السنية الاربعـــة : الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية ، وذلك نسبة للامام جعفر الصادق ، الذى يجله الشـيعة ، ويعتبرونه الامام الســادس ، ←

وبمجرد اعتلائه العرش عقد معاهدة مع السلطان محمود الاول سلطان تركيا حددت بمقتضاها الحدود بين الامبراطوريتين كما كانت على عهد السلطان مراد الرابع . وبعدها انطلق يبحث لمطامعه عن آفاق جديدة وكان من اول اهدافه اخضاع قبيلة بختياري ، ولم يكلف هذا سوى حملة واحدة سريعة ، وبعدها عبرت قواته الخليج كما سنشير بالتفصيل فيما بعد — واكتسحت عمان في ١٧٣٧–١٧٣٨ ولم تغادر هذه البلاد الا في سنة ١٧٤٤ ، وفي نفس الوقت قام الشاه بغارات على الافغانيين أعدائه القدامى فاستولى على قندهار في سنة ١٧٣٨ بعد حصار دام سنة كاملة ، ثم استولى على كابول ايضاً بعد ذلك . وفي سنة ١٧٣٩ تقدم نحو الهند ، وتعلل بأنه يهاجم المغول لانهم كانو يؤيدون الافغان ، وهزم الشاه جيش المغول في معركة بالقرب من كارنال ، واحتل دلهي وقتاً ما ، لكنه كان احكم من ان يحاول ضم هذه البلاد المترامية الاطراف البعيدة

← ولا يستطيع السنية الاعتراض عليه ، لانه عاش أيامـــه قبل انقسامهم • وقد أصبح الاعتراف بمذهب الجعفرية مجال رسائل متبادلة بين الشاه وسلطان تركيا ، لكن هذا الاخير — رغم انه وافق على اقتراحات الشاه باطلاق سراح المسجونين من كـــلا الجانبين ، وباباحة حرية التجارة ، وتبادل التمثيل • واستقبال السفراء بين البلدين — لم يكن له شأن بالفرق الدينية المختلفة ، بل أن الجعافرة لم يستطيعوا أن يضموا اليهم انصارا كثيرين فى ايران نفسها ، وكانت أهداف نادر شاه من محاولته هذه هى :

١ — ان يرضى جيشه ، الذى كان يتكون أساسا من السنية •

٢ — ان يسهـل ضم البـلاد التى تتبع المذهب السـنى الى امبراطوريته ، كالهند وافغانستان وتركيا •

٣ — ان يمحو ذكر أسرة صفوى ، التى كان المذهب الشيعى هو العقيدة الرسمية فى ايران أيـام حكمهـا ، والذى كان متوحدا بها •••• وقد احتلت أعمال نادر شاه هذا جزءا كبيرا من اهتمام نيبور أنظر : رحلته فى جزيرة العرب، المجلد الثانى • ص ٢٢ — ٤٣٣وحتى اليوم ما يزال الشيعة فى تركيا يسمون — أحيانا — بالجعافرة •

عن بلاده الى امبراطوريته ، وبعد اقامة قصيرة فيها عاد الى ايران ، وفي طريق عودته ارسل جيشاً الى السند اخضع هذا الاقليم لسيادته ، وقيل انه قد اصطحب هذا الجيش بنفسه ، وفي نفس الوقت قام تقي خان – حاكم فارس – باقتحام مكران وضم جزء منها لسيطرة الشاه كما سنذكر فيما بعد في حديثنا عن تاريخ اقليم مكران . وفي سنة ١٧٤٠ ضمت هراه بافغانستان الى املاك ايران ، وفي العام التالي اصبحت « مشهد » هي عاصمة ايران .. في هذا الوقت تجدد العداء مرة أخرى بينها وبين تركيا لكن نادر شاه – بعد ان احرز نصراً ساحقاً على الاتراك في اريفان سنة ١٧٤٤ – عاد فوقع الصلح مع السلطان . وتمرد تقي خان ، قائد حملة مكران وحاكم فارس على الشاه في سنة ١٧٤٤ لكنه حوصر فوراً في شيراز وقبض عليه اثناء محاولته الهرب من المدينة واعدم . واخيراً لم يعد شيء يقف امام هذا الطاغية ، حتى انه فقأ عيني ابنه رضا كولي خان لانه لم يكن يثق به ، والحقيقة ان قسوته وبطشه لم يقفا عند حد في السنوات الخمس الاخيرة من(١) حكمه واخيراً اغتاله اربعة من ضباطه في سنة ١٧٤٧ . وكان من بين مطامع نادر شاه – كما سنرى فيما بعد – ان تكون له قوة بحرية في الخليج ، ونجح اخيراً في ان يعد ٢٠ أو ٢٥ سفينة كانت ترسو دائماً في بوشهر ، وقيل ان بعض هذه السفن قد تم بناؤه في ميناء بو شهر او ريق . غير ان خطته في بناء اسطول كامل من اخشاب ينقلها عمال السخرة من اقليم مازنداران الى ايران ظلت دون تنفيذ .

الفوضى ، ثم صعود كريم خان الى العرش ١٧٤٧ – ١٧٦٣ :

وعقب موت نادر خان حدثت اضطرابات رهيبة لم تقتصر على

---

(١) يشير الرحالة الهولندى نيبور الى الاشخاص الذين كانوا ما يزالون يشاهدون فى سنة ١٧٧٦ وقد فقئت أعينهم بمن فيهم بعض عرب البحرين الذين اكتفى بفقء عين واحدة لكل منهم .

ذريته وحدهم بل اصاب شرها الافغانيين ، والكاجاريين ، وقبيلة بختياري ولعب فيها شخص يدعى كريم خان دوراً بارزاً ، وكان كريم خان هذا كردياً ينتمي الى قبيلة رعوية تعرف باسم قبيلة زند ، وكان اول من ولي ليخلف نادر شاه ابن اخ له يدعى « علي » سمى نفسه «عادل شاه » ، سارع فور توليه الحكم الى اعدام ١٣ شخصاً من ابناء واحفاد نادر شاه ، لكنه استثنى من القتل « شاه روخ » ابن رضا كولي خان ، ولكن سرعان ما وثب اخ له يدعى ابراهيم فاستولى على العرش وامر بأن تفقأ عينا عادل شاه ، ولكن ابراهيم هذا لم يعمر طويلا اذ سرعان ما اغتيل كما قتل ايضاً عادل شاه ، وتولى العرش « رخ شاه » — الذي كانت امه تنتمي الى اسرة صفوي فهي ابنة الشاه حسين ، ولكن سرعان ما قبض عليه وفقئت عيناه هو الآخر وتولى مكانه مغتصب يسمى « سيد محمد أو سليمان » واعدم هذا بدوره سنة ١٧٥٠ ، واعيد العرش بعد ذلك الى رخ شاه ، ولكن سرعان ما اعتقل وسجن . في هذا الوقت كانت تتعاظم قوة الحاكم الافغاني احمد شاه عبد العلي الذي كان قد استولى على اقليم قندهار ثم مشهد أيضاً بعد فترة وجيزة ، وفي نفس الوقت ايضاً حدثت حركة في الجنوب الغربي من ايران ، حيث كان علي عردان خان زعيم قبيلة بختياري ، وكريم خان زند قد اتحدا معاً وناديا بواحد من اسرة صفوي حاكماً على ايران ، وهو « الشاه اسماعيل » ابن اخت الشاه حسين الراحل ، واستولى « احمد شاه عبد العلي » على شيراز سنة ١٧٥٠ ، لكن الكاجاريين في مازنداران في الشمال عارضوه ، ولم يحاول هو بدوره ان يتقدم أكثر في غزو ايران ، بل اكتفى بأن نصب الشاه الاعمى « رخ شاه » على عرش خراسان ، جاعلا « مشهد » عاصمة له ، ثم عاد ادراجه الى افغانستان . وفي ١٧٥٢ — ١٧٥٣ كانت البلاد كلها مرتعاً للفوضى ، وكان متوقعاً في كل لحظة ان يقوم « احمد شاه عبد العلي » بغزوها وضمها لافغانستان ، وظهرت عصابات الافغان والايرانيين المتمردين على القانون بالقرب من بندر عباس ، ثم حدث

خلاف بين علي مروان خان وكريم خان ، واغتيل الاول واصبحت لكريم خان سيطرة مطلقة على الشاه الدمية « اسماعيل » وحكم باسمه شيراز واتخذ لنفسه لقب « الوكيل » .

وبعد هذا استطاع « ازاد » او « اسد خان » وهو افغاني كان قد استولى على اذربيجان ان يهزم كريم خان في ساحة الوغى ، ثم تمكن هذا المغامر في سنة ١٧٥٣ ان يحتل اصفهان ، حيث ظلت في قبضته حتى سنة ١٧٥٥ ، وواصل اعماله الحربية فاضطر كريم خان الى التخلي عن شيراز ايضاً والالتجاء الى جبال فارس ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى عاد الوكيل فنجح في ابعاد اسد خان الى ادغال كوماراج بين شيراز والساحل ، ثم استعاد شيراز ، وفي ١٧٥٨ كان اسد خان يعيش في بغداد ، التي التجأ اليها فاصبح فيها سجيناً لدى باشا بغداد .

وفي ١٧٥٧ كان كريم خان قد دعم موقفه في شيراز ، كما خضعت له «بهبهان» ثم قام بحملة ناجحة بعض الشيء على قبيلة كعب في عربستان . لكن الكاجاريين في اقليم مازنداران ،وقد كانوا من قبل قد عرضوا عليه عونهم ضد اسد خان ، اعلنوا عليه الحرب بأمر رئيسهم « محمد حسين خان» . وحوصر زعيم قبيلة الزاند وقتاً ما في قصره سنة ١٨٥٧—١٨٥٨ ، لكن زعيم الكاجاريين ، وقد اضعفته الانقسامات في صفوف رجاله ، اضطر في النهاية للتراجع الى مازنداران وهناك لم يمض وقت طويل حتى هزمه وقتله رجال قبيلة تساعدهم قوات كريم خان . وهكذا استعاد الوكيل سيطرته على اصفهان . وكان كريم خان يصحب في عملياته التي قام بها في الجنوب بعض العرب من اقاليم الخليج الذين ظلوا معه حتى اصفهان ، لكنهم لم يسلكوا المسلك الذي كان يتوقعه منهم ، وكانت علاقاته بالقبائل العربية في هذه المنطقة ودية عموماً ، لكنه كان يعاقبهم بقسوة حين يثبت له انهم تجاوزوا حدود الاعتدال ، او تأخروا عن دفع العائدات . وفي سنة ١٧٥٨ استولى « كريم خان » على يزد ، وفي سنة ١٧٥٩ قرر تخفيض الضرائب على أصفهان وعين اخاه « صديق خان » حاكماً لشيراز ، لكنه قيل بأنه لم يصبح سيد ايران حتى سنة ١٧٦٠.

علاقات شركة الهند الشرقية بايران
وسياستها العامة هناك ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

العلاقات قبل تولي نادر شاه ١٧٢٢ ـ ١٧٣٦ :

لا يبدو أن أية علاقات من أي نوع كانت بين الانجليز والافغانيين خلال فترة احتلال هؤلاء لايران (١٧٢٢–١٧٢٩) اللهم الا ما تعلق بجيشهم الذي أغار على بندر عباس ، ولكن حين ظهر نادر شاه على مسرح الاحداث بدأت المراسلات بينه وبين شركة الهند الشرقية . وفي سنة ١٧٣٣ وعد « نادر شاه » بتجديد امتيازات الانجليز التجارية في ايران بعد سقوط بغداد التي كان يحاصرها في ذلك الوقت ، لكن فترة من البرود في العلاقات اعقبت ذلك ، نتيجة ما نشأ عن الترتيبات التي اتخذها الانجليز لمعاونة الاتراك في الدفاع عن البصرة ضد الايرانيين ، وقد أصبح ممثلو الشركة في أصفهان وكرمان مكروهين تماماً مما جعل الشركة تفكر جدياً في نقل وكالتيها هناك . وفي ١٧٣٥ ظل اتجاه نادر شاه عدائياً كما هو ، وفي احدى المرات التجأ ممثلو الشركة في بندر عباس الى ظهر احدى السفن تحسباً على انفسهم ، وقيل ان نادر شاه توعد الانجليز بالشر ما لم يكفروا عن عملهم العدائي الذي ارتكبوه في البصره بمساعدته على احتلالها . ولدى تلقي هذه المعلومات حاولت ادارة الشركة في بومباي ان تستدعي سفينتها « كوين كارولين » التي كانت قد أبحرت الى ايران ومعها وكيل للشركة لكنها لم تنجح فارسلت الطراد « برنس اوف ويلز » والسفينتين «روبرت» و « جين » لنجدة موظفي الشركة في بندر عباس ، ثم قررت بنية سيئة وإن اعلنت عكسها ، ان تنقل سفيراً لايران من الهند الى بلاده ، ثم تحتجزه كرهينة اذا بدا ذلك ضرورياً ، واخيراً اذنت اذا استدعى الحال ، ببيع سفينة او اثنتين من سفن الشركة للحكومة الايرانية ، وبعدها بقليل ، في اواخر ١٧٣٥ . اصدر نادر شاه الذي كان ينتظر منه في كل لحظة ان

يعلن نفسه شاهاً لايران « امرأً شاهانياً » غريباً يقضي باعفاء الانجليز من العوائد بما قيمته ١٠٠٠ تومان سنوياً ، قابلة للزيادة وفق ما يراه « محمد تقي خان » حاكم اقليم فارس وظل نادر على محاولته اغراء ممثلي الشركة كي يمدوه بالسفن واخيراً وافقوا على ان يقدموا له سفينتين بكل منهما ٢٠ مدفعاً في مقابل دفع تأمين نقدي عن الواحدة بمبلغ ٨ آلاف تومان ، غير ان وكالة اصفهان اغلقت ابوابها لكثرة ما نالها ، من اهانات واعتداء لكن الاتصالات ظلت جارية مع نادر شاه بشأن تحديد الامتيازات الانجليزية ، وقد ادى توقع قيام الصلح بين الايرانيين والاتراك ، الى انعاش امل الانجليز بانتهاء المشاكل التي تواجهها وكالتهم في بندر عباس .

العلاقات خلال مدة حكم نادر شاه ١٧٣٦–١٧٤٧ :

وبعد ان اعتلى نادر شاه عرش ايران في اوائل سنة ١٧٣٦ عقد الصلح مع الاتراك وبدأ يتودد للانجليز ، لكنه ظل لا يتراجع عن عزمه على انشاء قوة بحرية ايرانية في الخليج تخدم اغراضه العامة . واضطر ممثلو الشركة الى تنفيذ العرض الذي كانوا قد قدموه للشاه وهم يحسبون أنه لن يقبله ، وكانت السفينتان اللتان وقع عليهما الاختيار هما « نور ثمبر لاند » وقد اقبل عليها الايرانيون دون تردد ، بسبب جهلم شؤون الملاحة والسفن ، وكانت في حالة سيئة(١) ثم « كووان » التي كانت حقاً سفينة جديدة . وفي نهاية ١٧٣٦ جدد الشاه بعض امتيازات الشركة لكن بقيت الامتيازات معلقة . ولقد فضل وكيل الشركة وادارتها في بندر عباس التمشي مع الشاه بدلا من ازعاجه لذلك تعهدوا له بعد تردد أن ينقلوا على سفينة لهم سفير ايران الى بلاط المغول في الهند ، وكان نادر شاه قد طلب الى الهولنديين اولا قضاء هذه الخدمة لكنهم لم

---

(١) يبدو أن هذا كان راجعا الى مخادعة الكابتن ميلن الذى طلب اليه ان يحزم حقائبه لو توجه الايرانيون بأية مطالبة لكنهم لم يفعلوا .

يستطيعوا لافتقارهم وقتها الى سفينة . وفي اوائل السنة ــ وصدورا عن نفس الدوافع ــ اضطر الانجليز الى استقبال احد ابناء « محمد تقي خان» في اسين بالقرب من بندر عباس استقبالا كلفهم مع الهدايا الثمينة اموالا طائلة . ووصل خطاب من الرئيس في بومباي يهنيء نادر شاه بذكرى اعتلائه العرش ، وقدم هذا الخطاب للشاه فور وصوله ، وكان له اثر في اشاعة جو من الود والحماية .

سنة ١٧٣٧ :

وفي ١٣ فبراير سنة ١٧٣٧ ، وفي صدد حملة ايرانية على عمان أبحرت يوم أول ابريل التالي ، وصل حاكم فارس محمد تقي خان بنفسه الى بندر عباس ، وكان لديه تفويض من مولاه بأن يجدد كل امتيازات الانجليز التجارية عدا امتيازهم في ان يتسلموا ١٠٠٠ تومان كل سنة من عوائد بندر عباس ، واستبدل هذا الحق بأن يحصل الانجليز على ثلث عوائد الجمارك عن البضائع المستوردة لايران على سفن انجليزية،على ان يكون ممثلا انجليزياً حاضراً في ادارة الجمرك عندئذ ، كما وعد بأن يلقي التجار الانجليز معاملة مهذبة وعادلة ، وكلفت زيارة محمد تقي خان الشركة حوالي ١٥٠ تومانا في الهدايا والنفقات الاخرى ، كما وجدوا ايضاً من الضروري ان يقدموا له صكاً بمائتي تومان من الفضة كي لا يحول بينهم وبين ان يصدروا من كرمان بضائع اخرى غير الصوف ، وكي لا يحول بينهم وبين تصدير النحاس و «النقود السوداء»(١) وغيرها من البضائع ، كما كان يلمح في حديثه . ولم تحث الشركة ممثليها للمساعدة في الحملة على عمان ، بل هم في الواقع تلقوا تعليمات من رئاسة الهند بأن يرفضوا مثل ذلك الطلب ، لكن الضغط الايراني الملح على الهولنديين اكرههم على تقديم سفينة واحدة للحملة .

---

(١) يبدو أن هذا التعبير يعنى « النحاس المطروق » .

سنة ١٧٤١ :

وبعدها ... لم يحدث بين شركة الهند الشرقية والموظفين الايرانيين أية حوادث هامة حتى سنة ١٧٤٠ حين حدث تمرد بين جنود البحرية الايرانية كما سنذكر بالتفصيل فيما بعد ، وطلب المسئولون عون الانجليز والهولنديين لقمع ذلك التمرد ، حيث أثار قائد البحرية الايرانية نصوص اتفاقية سابقة تقضي بأن يقدم الانجليز العون العسكري البحري للايرانيين . وقد قدم الهولنديون بعض المساعدات الفعلية للايرانيين لكنها كانت بلا جدوى . واقتصر عون الانجليز على اقراض الايرانيين بعض المدافع التي كانت تستخدم في اطلاق التحية العسكرية ، وضابطاً مدفعياً ، كما ارسلوا بعض الجنود الافريقيين على سفينة شراعية ايرانية اذن لهم القائد بأن يرفعوا فوقها العلم البريطاني ، وانتهت عمليات القائد البحري الايراني ضد المتمردين بخيبة كبرى . وتحسّب ممثلو الشركة في بندر عباس من صدور بعض «الارادات الغريبة القاسية» التي يصدرها الشاه ، فطلبوا من رئاسة الشركة السماح لهم بتعزيز الحراسة على وكالتهم ، لكن نادر شاه لم يتصرف بطريقة ما لشفاء غيظ نفسه .

وفي سنة ١٧٤٣ اعادت الوكالة البريطانية في أصفهان فتح ابوابها ، لكن تجارتها داخل ايران حطمتها كلياً تلك « العوائد الداخلية »(١) ولم تفلح جهود موظفي الشركة في الحصول على « امر شاهاني » باعفائهم منها ، فقد طلب منهم وزير الشاه في البداية الا يتحدثوا بهذا الشأن الميئوس منه ، ولكن لما لمحت له الشركة بالمكافأة ، وعدهم بأن يبذل كل جهده ، ثم اضاف انه من المحتمل ان تفشل جهود الشركة هذه أيضاً

---

(١) نحن لا نعرف على وجه التحديد طبيعة هذه العوائد الداخلية : هل هى راهدارى أم سادياك ام هافوى .. كلها على أى حال لم تكن واجبة الدفع بالنسبة للانجليز حسب امتيازاتهم التجارية التى أكدها نادر شاه .

وفي هذه الحالة لا بد من تقديم التماس عام للشاه قد يكلفهم حوالي ٣٠ الف روبية ، وكان واضحاً بالنسبة لوكيل الشركة انه لا بأس من دفع مبلغ ٧٠٠ او ٨٠٠ تومان في سبيل الحصول على ذلك الاعفاء .

وفي سنة ١٧٤٤ سويت مشكلة العوائد الداخلية في أصفهان حين أصدر الشاه امره بأن يدفع الانجليز من تلك الضرائب ما يدفعه الرعايا الايرانيون وتولى موظفو الشاه من جانبهم — بالاضافة الى تنفيذ هذا الامر — مطالبة الشركة بدفع المتأخرات عليها من هذه الضريبة ، وهكذا وجد ممثل الشركة ان عليه ان يدفع حوالي ٢٨٠٠ تومان لم يردّ له منها شيء.

سنة ١٧٤٦ :

وقد زار نادر شاه اصفهان في اوائل سنة ١٧٤٦ ، وكان قد نقل عاصمته الى مشهد منذ سنة ١٧٤١ — وخلال اقامته بأصفهان — حسب ما يروى رئيس وكالة بندر عباس وقنصلها — قام « بمعاملة ممثلينا معاملة مهذبة بقدر الامكان ، مستثنياً اياهم من الطغيان الذي كان طابع سلوكه في هذه الفترة ، لكننا نعتقد ان الفضل في ذلك يرجع للهدايا التي قدمت اليه والتي بلغت تكاليفها ١٦٩٩,٧٠ شاهية ، ولم يكن بدونها يتيسر لهم ان يتفادوا بطشه ..» ، وقبل ان يغادر نادر شاه اصفهان للقيام بحملة ، كانت آخر حملاته لقمع تمرد حدث في اقليم سجستان ، كتب الى وكيل الشركة في بندر عباس يطلب منه ارسال طبيب اوروبي اليه .. ولما كان هذا يعرف ان ثمة طبيباً كفؤاً موجوداً في أصفهان او فيما جاورها ، فقد كتب الى وكيل الشركة المقيم هناك يطلب اليه اتخاذ الاجراءات اللازمة لذلك .

وانتهت علاقات الشركة بنادر شاه هذه النهاية السارة فيما عدا «امر شاهاني سلم لمترجم الشركة في المعسكر الشاهاني يقضي باعفاء الانجليز من العوائد الداخلية ، وقد كتب بعبارات بليغة » .

علاقات الشركة بعد موت نادر شاه ١٧٤٧ ـ ١٧٦٣ :

وبموت نادر شاه تعرضت مؤسسات الشركة في ايران لاخطار ومشكلات جديدة . وفي ديسمبر سنة ١٧٤٧ صدر امر من بومباي الى بندر عباس بتصفية الوكالات الموجودة داخل ايران في اصفهان وكرمان ، ولكن لا يبدو ان هذا الامر قد نفذ في أي من الوكالتين .

سنة ١٧٤٨ :

وفي اوائل سنة ١٧٤٨ ، قيل إن المقيم العام للشركة في أصفهان قد تقدم الى الشاه الجديد يطلب تعزيز الامتيازات التجارية ، وانه قد لقي جواباً حسناً ، وبعدها قام مستر دانفرز جريفز برحلة من بندر عباس الى كرمان لتحصيل ديون الشركة المستحقة الدفع وقد قام برحلته هذه حالما سمحت بذلك احوال السفر .

سنة ١٧٥٠ :

ولو قد صفيت وكالتا الشركة الداخليتان في ايران حسب الامر الذي صدر لها بذلك من بومباي في سنة ١٧٤٧ لكان ذلك فيه الخير ذلك بأنه في سنة ١٧٥٠ ــ حين كان مستر جريفز ومستر دال رمبل في أصفهان يحققان في مشاكل وقعت هناك ــ هوجمت وكالة أصفهان ونهبت ، وأهين هذان الوكيلان وجرحا جراحاً بالغة ، ورجعا الى بندر عباس بعد مشقه في اكتوبر ، غير ان مستر دال رمبل مات قبل نهاية السنة متأثراً بجراحه وبالمشقة التي لقيها في الطريق ، ولم يمكن بعدها فتح وكالة أصفهان ابداً ، ونسبت هذه الاعمال الى المتمردين على الشاه ، وربما كان مقصوداً بهم الافغانيون التابعون لاحمد شاه عبد العلي .

١٧٥٠ ــ ١٧٥١ :

وفي سنة ١٧٥٠ اثار محمد بيك ــ وهو أحد السفراء الذين كان نادر شاه قد بعث بهم الى بلاط المغول ــ بعض الاهتمام في الهند ،

ذلك بأن هذا الرجل كان قد تعرض للسرقة والنهب من جانب حاكم « سورا » الخاضع لامبراطور المغول ، فلجأ السفير الى موظفي الشركة ، طالباً وساطتهم فقدموا اليه بعض العون ولكن ليس بالقدر الذي يتمناه ، وعندها حاول عن طريق وسلطة « ملا علي شاه » القائد البحري الايراني في بندر عباس حث الشركة على المزيد من العون، ردت حكومة بومباي على هذا بأن احتجزت سفينة تابعة له كانت قد انقذتها من بين أيدي المغول واستبقتها وفاء لديون مستحقة في ذمة ذلك السفير . ولسنا نعرف كيف انتهى الامر . ولكن يبدو ان محمد بيك كتب خطاباً في سنة ١٧٥١ الى ملا علي شاه ينتقص فيه من قوة الانجليز العسكرية في الهند ، وقد اتخذ القائد الإيراني اسلوباً حاداً ومهيناً في مخاطبة موظفي الشركة في بندر عباس متأثراً بذلك الخطاب .

١٧٥٥ :

وفي سنة ١٧٥٥ كانت الفوضى ما تزال تضرب اطنابها في ايران ، حين استطاع مستر وود الموظف بالشركة ان يحصل على « امر شاهاني » من كريم خان — الذي كان في ذلك الوقت مسيطراً على شيراز — يسمح للانجليز بانشاء وكالة في ميناء « ريق » ، وفي نفس الوقت تقريباً كتب منافس كريم خان — اسد خان المسيطر على اذربيجان — الى الوكيل الانجليزي يخبره بطريقة ودية انه في سبيله للتقدم لاحتلال شيراز .

١٧٥٦ :

وكان العمل قد بدأ في بندر عباس منذ سنة ١٧٥٢ في جمع وترجمة كل الاوامر الشاهانية والارقام والفرمانات الهامة حول امتيازات الشركة التجارية في ايران . لكن هذا العمل لم يكتمل حتى سنة ١٧٥٦ حين ارسل صندوق ضم نسخاً من هذه الترجمة الى ادارة الشركة . وكان هذا الجمع قد بدأ تنفيذاً لاوامر من بومباي ، وليس صعباً ان ندرك قلق مسئولي الشركة في بومباي بسبب صعوبة استكناه طبيعة الفرمانات وجدواها في

وقت لم تكن فيه حكومة مسئولة قائمة في ايران ، بل وحتى لم يكن ثمة أمل في قيام مثل هذه الحكومة .

مشاكل نقل الوكالة الانجليزية من بندر عباس ١٧٥٠-١٧٦٣ :

ونتيجة لهذه الاضطرابات ولتفكك الحكومة المركزية في ايران ، التي سنشير اليها فيما بعد ، لم يعد ميناء بندر عباس بالمكان الآمن او أو المؤهل مركزاً للوكالة الانجليزية الرئيسية في منطقة الخليج .

وقد اثيرت مشكلة نقل هذه القاعدة لاول مرة في سنة ١٧٥٠ حين استولى الافغانيون – بقيادة احمد شاه عبد العلي – على شيراز ، مما حفز الوكيل البريطاني فيها على تقديم طلب لنقل الوكالة الى البحرين ، وللاستيلاء على الاسطول الايراني حال ارتحال الوكالة عن بندر عباس ، لكن اقتراحه هذا لم يلق موافقة الرياسة ، وصدرت اليه الاوامر باستمرار اقامة الوكيل والقنصل في بندر عباس ما لم يتهددهما خطر داهم ، وفي هذه الحالة ، عليهم ان يرتحلوا عن بندر عباس الى ان تهدأ حدة الاضطرابات في مملكة ايران ، وان يكون الارتحال الى اية جزيرة في أعلى الخليج بالقرب من بندر بوشهر او بندر الرقة حيث يتوافر فيها الماء والامدادات ، وحيث يتيح لهم اهالي الجزيرة النزول اليها والانضمام اليهم لمقاتلة عدوهم المشترك ، اما الاسطول الايراني فقد حظر على الوكيل التعرض له تحت اية ظروف لدى خروج الوكيل وصحبه من بندر عباس ، وانتهت هذه المشكلة لفترة من الزمن .

وفي اوائل سنة ١٧٥٢ زار ناصر خان ، حاكم لار ، بندر عباس ، وكان نفوذ هذا الرجل يتزايد في الاقاليم المجاورة . ومع انه كان يتحدث هناك عن الشركة بلهجة ودية الا ان تصرفاته الفعلية كانت تنذر بفتح باب واسع من ابواب الابتزاز مستقبلا مما دفع بوكيل الشركة الى التفكير في نقل المؤسسات القائمة في بندر عباس الى احدى الجزر المجاورة كجزيرة « قشم» او «هانجام » ، وراح يجادل بأن بقاء ممتلكات الشركة

مـــثل ذلك المكان المنعزل سيجعلها بمأمن من ابتزاز الحكام المحليين ، وتنبأ بأن يستقر في المكان الجديد تجار كثيرون من الاهالي في ظل الحماية الانجليزية ، كما ان المركز الجديد سيصبح مقر التجارة الرئيسي بين مسقط والبصرة ، وبذلك فان صغار المترعمين في البر المجاور سيتهافتون على كسب ود الانجليز بدلا من ان يستوفوا منهم عوائد استيراد قد تصل الى ١٦٪ و ١٧٪ . وكان من رأي هذا الوكيل ان قوة مكونة من سفينتين و ٣٠٠ رجل تكفي لتغطية عملية الانتقال ، وقال ان كل الاسباب تشير الى ان العوائد المنتظرة ستكفي لتعويض نفقات الحملة العسكرية التي يتطلبها الانتقال . وكان المسئولون في بومباي يخالفون تلك الخطة ، ومع ذلك فانهم ارسلوا يطلبون تقارير وافية عن جزر هانجام والبحرين ، وبادر مستر وود وكيل الشركة في بندر عباس لارسال التقارير اللازمة في خريف العام نفسه . وكان لا يحبذ الانتقال الى اي من هاتين الجزيرتين لكنه كان يميل الى اقتراح تعزيز وتحصين قلعة صغيرة على الطرف الجنوبي – الغربي من جزيرة قشم باذن خاص من الشاه او من خان لار . وبعدها بعدة ايام كتب مستر وود – وستتعرف على اضطراب شخصيته فيما بعد – الى بومباي يرفض الانتقال المقترح كلية زاعماً ان الوكالة آمنة حيث هي في بندر عباس ، وان انتقالها قد يؤدي الى نزاع مع الايرانيين واتاحة مزيد من الفرص للهولنديين ، وواضح انه بات لا يرى ما كان يراه من قبل من السوء الماثل في ابتزاز الحكام المحليين .

١٧٦٠ :

ويبدو ان حجج مستر وود الاخيرة التي جاءت على هوى الرئيس والمقيم العام في بومباي قد حازت القبول فلم تتخذ اية خطوات لنقل الوكالة ، وظلت هذه القضية نائمة حتى سنة ١٧٦٠ حين عاد الحديث عن الانتقال الى الانتعاش من جراء النجاح الذي اصابته قاعدة الهولنديين المستجدة في خاراج سنة ١٧٥٣ وكذلك نتيجة لسقوط بندر عباس وتدميرها على ايدي الفرنسيين سنة ١٧٥٨ ولتزايد ابتزاز الحكام المحليين في جوار

بندر عباس ، وطلبت الرئاسة في بومباي من الوكيل دراسة عن جلوى انتقال الوكالة الى قاعدة أخرى ، فقام هذا – وبصحبته كابتن بيلي – بزيارة لقائد قلعة هرمز في خريف سنة ١٧٦٠ ، لكن هذا المسئول الايراني – رغم موافقته على اقامة قاعدة انجليزية في الجزيرة – لم يتيسر اغراوه – ولا حتى عن طريق تقديم الرشوة – كي يسلم لهم القلعة ، وكان ثمة شك في الاستيلاء عليها بطريقة اخرى ، سواء عن طريق استخدام القوة او استصدار تصريح من خان لار ، ورأى الوكيل –حتى برغم هذا كله – ان هرمز ليست بالمكان المناسب . فالماء نادر فيها ، والامدادات معدومة على الاطلاق ، والقلعة ومبانيها مدمرة تماماً بحيث تتكلف ٨٠ الف روبية على الاقل لاصلاحها .

١٧٦١ :

وحين تلقى الرئيس والمقيم في بومباي تقرير الوكيل ، ردا عليه بأنه قصر في تحرياته بلا مبرر ، لان ما طلب اليه هو « ابداء رأيه في أكثر الاماكن التي يراها أمناً في منطقة الخليج كلها » وأدى استمرار التغيير والفوضى في بندر عباس الى الحيلولة بين المسئولين دون اتخاذ رأي في الموضوع ، لهذا فوضوا الوكيل هناك وتركوا له حرية تحديد هذا الانتقال بشرط انه لو تم فلا بد من شحن الاموال والنحاس والصوف ... الخ . الموجودة في بندر عباس الى بومباي مع الاسلحة والجنود باستثناء الجنود الهنود الموجودين هناك ، وان يبقى موظف كفء مع المترجم في بندر عباس لاستلام شحنات الصوف ، واوضحوا للوكيل انه لا يستطيع الشروع في تنفيذ اية خطة تطلب الا بموافقة مسبقة من مجلس ادارة الشركة في لندن ، وان عليه ان يتجنب القيام بأي عمل عدائي ضد ايران ما دامت الحرب قائمة بين انجلترا وفرنسا ، وعلى الوكيل ان يكتب للرئيس والمقيم العام « برأيه الواضح الصريح في الموقف كله » . واضاف خطاب

الرئاسة : « ما زلنا نرى ضرورة وجود مقر وموظف في جومبرون(١) لاستمرار الاتصال بكرمان ، وكذلك للاتصال بالقوافل التي قد تأتي من داخل ايران .. » . وفي بداية ابريل سنة ١٧٦١ – بمجرد وصول هذه الاوامر الى بندر عباس – قام الوكيل – مستر الكسندر دوجلاس برحلة الى البصرة كي يتحرى في طريقه كل الاماكن التي قد تصلح لاقامة مستوطنة فيها . ولدى عودته زار بوشهر وقابل الشيخ الحاكم فيها لكن هذا تباطأ في شرح وجهة نظره ، وقرب نهاية السنة وجدت الرئاسة من الضروري ان تذكر بأنها « تنتظر بصبر نافذ رأي الوكيل في الانتقال من جومبرون ، أي بندر عباس» .

١٧٦٢ :

وكان من رأي مستر دوجلاس – الذي تلقته الرئاسة في اوائل سنة ١٧٦٢ – ان المحاولات يجب ان تبذل في بوشهر وان يرسل اليها مبعوث كف ء فهي ميناء آمن تحيطه المياه من جهاته الثلاث ، والجهة الرابعة محصنة بسور مسلح تسليحاً مدفعياً قوياً ، كما انها تعج بتجار الاقاليم الذين يعملون بحرية كاملة فضلا عن ان شيخها ، الذي لا معدى من التفاهم معه ، يتمتع بأخلاق حميدة ويتلهف لوجود وكالة انجليزية في مدينته . ووجد مع الرسالة خطاب من شيخ بوشهر لحاكم بومباي ، يقول فيه إن بو شهر قد أصبحت الان الميناء الرئيسي لداخل ايران ، وان اتصالاتها بالداخل مأمونة ، وان لها تجارة مع ساحلي الخليج كليهما . ووعد الشيخ بأن تستثنى بضائع الشركة وموظفيها من العوائد الجمركية . غير ان الرئاسة لم تعتبر وعده هذا كافياً الا بعد ان أكده مرة أخرى .

أما بالنسبة للجزر القريبة من بندر عباس ، فقد اشار الوكيل الى أن أية منها لا تصلح للملاحة حين تهب الرياح الجنوبية ، وان كلها – باستثناء جزيرتي قيس والشيخ شعيب – غير مأهولة . وبناء على هذه

(١) الاسم القديم لبدر عباس كما هو مذكور من قبل .

المعلومات قرر الرئيس والمقيم العام أن يذهب مستر دوجلاس بنفسه ، أو يرسل وكيله مستر لايستر الى بوشهر ومعه شحنة تجريبية ، لكن الرئاسة رفضت الارتباط بأية اجراءات دائمة الا بعد مزيد من الخبرة ، ووافق مجلس مديري الشركة بعد ان رفعت اليه نوايا الرئاسة في بومباي — على نقل الوكالة موقتاً من بندر عباس بالنظر الى المسلك التعسفي الذي يسلكه نحوها خان لار ، ومنع المجلس انزال مزيد من البضائع في هذا الميناء ، وقرر الا يبقى سوى مترجم واحد يقيم في منزل يستأجره حتى يظل العلم البريطاني مرفوعاً ، وبالنسبة لمشروع اقامة مستوطنة جديدة ، قرر المجلس عدم اتخاذ أية اجراءات دون موافقته الصريحة ، واقترح ان تنقل وكالة الخليج في هذه الاثناء موقتاً الى البصرة .

ترتيبات الانسحاب من بندر عباس . فبراير—مارس ١٧٦٣ :

وصدرت هذه التعليمات في ابريل سنة ١٧٦٢ لكنها لم تنفذ حتى العام التالي ، حين ابلغ الرئيس والمقيم العام في بومباي الوكيل بفحواها ، وارسلا اليه السفينة « برنس اوف ويلز » يقودها الكابتن كورت والسفينة « ديك » يقودها الكابتن ليندسي لمعاونته في الانتقال. ووصلت هاتان السفينتان الى بندر عباس حين كانت السفينة « سوالو » يقودها كابتن نسبيت راسية فيها ، وذلك في ٢٦ فبراير سنة ١٧٦٣ ، وارسل النائب(١) ، او وكيل حاكم المدينة حين ارتاب في وشوك اتخاذ أمر غير عادي من جانب الانجليز — الى سيده خان لار طالباً اليه ان يأتي بنفسه لمواجهة الموقف .

الاستيلاء على بيت النائب والقلعة الايرانية والجلاء عن الوكالة :

وحين عرف النائب حقيقة نوايا الانجليز ، بدا أنه يود تعطيل هذه

---

(١) ربما كان هذا هو حمو جعفر خان الذى عين مسئولا عن المدينة فى ١٠ يناير .

الاجراءات ، ورفض رفضاً مطلقاً ان يدفع أي تعويض عن الخسائر التي أوقعها هو وغيره بالوكالة في السنوات الاخيرة ، وكانت ثمة فرصة في أن تحصل الشركة على هذه التعويضات . واخيراً ، كان لا بد من شيء من العنف يحول دون الايرانيين وعملية تعطيل انسحاب الانجليز من الوكالة التي كانت في مكان بعيد عن البحر تحيطها البيوت والاسوار ، فاتخذ مستر دوجلاس قراراً — من الواضح انه كان على مسؤوليته الخاصة — بمهاجمة القلعة الايرانية والوكالة الهولندية القديمة . وفي هذا المبنى الاخير — الذي كان تحت سيطرة الايرانيين منذ ثلاث سنوات — كان النائب يقيم ومعه اسلابه التي حصل عليها . وهكذا .. في ٤ مارس وقفت السفينة « برنس اوف ويلز » بحيث أصبح غاطسها على عمق ٢¾ قامة ، واتخذت السفينتان « دريك » و « سوالو » مواقعهما على مبعدة ¾ ميل من الشاطىء وفتحتا النيران على القلعة . لكنها كانت على مسافة أبعد من مدى مدافع «برنس اوف ويلز » وكانت المدفعية في السفينتين الاخريين اضعف من ان تدكها . لكن بطارية مورتر كانت باشراف « فايروركس » الملازم توماس درنفورد على السفينة برهنت على فعاليتها ، ومع ذلك فان الطوق الحديدي للمدفع تفسخ من القذيفة الاولى ، وبعد القذيفة العشرين انهارت قاعدة المدفع كلها ، ولم يمكن بعد ذلك مواصلة تشغيل المدفع الا بشده بالحبال وهنا أصبح التسديد امراً غير ممكن.

وفي نفس الوقت قامت حملة عسكرية ضعيفة ، يساعدها بعض الجنود من بحارة السفن — بقيادة كابتن بالمر بمهاجمة بيت النائب ، واستطاعت احتلاله بعد معركة دامت ساعة ونصف . ولسوء الحظ استطاع الايرانيون تهريب معظم الاشياء الثمينة عن طريق ثغرة قائمة في الجدار الغربي للبيت ، وعبر هذه الثغرة ايضاً استطاعت زوجة النائب واولاده الهرب ... وكان في النية اتخاذهم اسرى . وهكذا خاب امل دوجلاس في استرداد خسائر الشركة .

وفي صباح ٥ مارس عجز الجنود الايرانيون عن الاستمرار في مواجهة المدفع البريطاني الوحيد ، فجلوا عن القلعة متراجعين غرباً الى قرية « سورو » ونزلت فرقة بريطانية الى القلعة ، ووجدت استحالة في فك مدافع العدو وحملها فاكتفت بتدميرها عدا اثنين فقط استطاعوا حملهما . وقتل في هذه الاشتباكات ثلاثة اوروبيين من طاقم « برنس اوف ويلز » واربعة من الحملة العسكرية المصاحبة ، وواحد من المؤخرة ، وخمسة من الجنود الهنود . وفي صبيحة ٧ مارس ظهر في الاقليم حوالي ٢٥٠ فارساً ، فسارعت الفرقة التي كانت قد هبطت الى البر ، ومعها طاقم الوكالة وكل ما يمكن نقله الى ظهور السفن .

أعمال أخرى :

وتقرر بعد تفكير عدم مهاجمة القائد الايراني ملا علي شاه في قلعته في قشم وكان من أسباب ذلك ان المدفع الوحيد أصبح غير صالح تماماً . وسبب آخر هو ان القائد كان قد انفق كل ما لديه خلال السنوات الثلاث الاخيرة في مساعدة شيخ رأس الخيمة ، واصدر دوجلاس اوامره لكابتن كورت وكابتن ليندسي بالاستيلاء على السفينة « رحماني » التي كانت راسية في « لافت » وهي تابعة لشيخ القواسم حليف الانجليز ، ولكن بعد اقترابهم منها تبين كابتن كورت ان المغامرة ستكون خطيرة وغير مأمونة العواقب فقرر العدول عن خطته .

واتجهت السفينة المستأجرة ببضائع الوكالة من بندر عباس الى البصرة في حماية السفينة « دريك » حيث اتخذت الترتيبات لبيع جزء منها هناك . وسافر مستر دوجلاس بنفسه الى بومباي على ظهر « برنس اوف ويلز » ومعه سائر اموال ونفائس الشركة عدا كمية من الريالات المحمولة لانها لم تكن عملة قابلة للصرف في الهند فنقلت فيما نقل الى البصرة ، ولعل هذا العمل الذي أحسن اعداده وتنفيذه يعتبر افضل مراحل تاريخ وكالة بندر عباس ، فقد كان من نتيجته استعادة سمعة بريطانيا وهيبتها في منطقة الخليج ، حيث اضرت بها هناك تلك المهانات المتلاحقة .

الحالة في بندر عباس وما جاورها ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

الطابع العام :

نستطيع الآن ان نعود الى التاريخ المحلي لمنطقة بندر عباس وما جاورها ، وستقدم لنا الاحداث فيها ـ حتى نهاية الفترة التي نحن بصددها ـ تفسيراً كاملا لانسحاب الوكالة البريطانية منها في سنة ١٧٦٣ . الحقيقة ان هذا الجزء من ايران قد اصبح منذ وفاة نادر شاه مسرحاً لمعارك لا تنتهي بين صغار المشايخ في المنطقة الذين كانوا غاية في الضعف والمفتقرين تماماً الى الاحساس بالكرامة والمسئولية معاً . وكانت الشخصيات الرئيسية في هذه المنطقة هي ناصر خان(١) ، شيخ لار الايراني ـ وهو اقليم به مدينة تحمل هذا الاسم على مبعدة في الداخل ، وملا علي شاه ، وهو عربي الاصل والمولد ، لكنه كقائد للاسطول الايراني وحاكم لبندر عباس في عهد نادر شاه كان ينظر له كموظف ايراني ليس الا . ولفترة من الوقت كان هناك ايضاً عبد الشيخ زعيم قشم ورأس قبيلة بني معين ، وكان ذا نفوذ كبير في هذه الجزيرة .

الاحداث قبل تولي نادر شاه ١٧٢٢ ـ ١٧٣٦ :

وأثناء احتلال الافغانيين لايران (١٧٢٢ـ١٧٢٩) كانت الامور فيما جاور بندر عباس مضطربة اشد الاضطراب ، فانه لما أقام شيخ القواسم في رأس الخيمة على الساحل العربي ميناء خاصاً به في « باسيدو » بجزيرة قشم مواجهاً لبندر عباس وجه مستر دراير ـ وكيل الشركة في ايران ـ حملة عليه في ابريل سنة ١٧٢٧ على رأس الفرقاطة « بريتانيا » والطراد « بنغال » ونافقتين ، واضطره الى دفع تعويض عن الخسائر

(١) يرد هذا الاسم عادة بتهجئتين متغايرتين في سجلات الحكومة الهندية وهما Nasseer, Nassir وقد يكون أما ناصر أو نصير .

التي لحقت بشركة الهند الشرقية نتيجة نقص حجم التجارة في بندر عباس . وفي سنة ١٧٢٨ ظهر الافغانيون في بندر عباس فسيطروا على المدينة وأوقعوا بالهولندين ايقاعاً شديداً ، فعمد هؤلاء الى الاستيلاء على هرمز ، لكن الوكيل البريطاني ورفاقه اقنعوهم بالتخلي عنها بعد أن توسطوا في الامر ، ثم هاجمت السلطات المحلية الايرانية الافغانيين وطردتهم ، غير ان هؤلاء استعادوا المدينة مرة أخرى . وفي هذه المرة نهبوا الوكالة البريطانية لكن الايرانيين عادوا فاسترجعوا المدينة ، واستطاع الهولنديون اقناعهم بأن الانجليز كانوا يمدون يد العون للمعتدين ، ففرضت السلطات الايرانية غرامة قدرها ٣٠٠ تومان على الوكالة الانجليزية وصادرت بعض عقاراتها .

الاحداث خلال حكم نادر شاه ١٧٣٦ — ١٧٤٧ :

وفي ربيع سنة ١٧٣٦ — وكان نادر شاه قد اعتلى عرش ايران لتوه — اوقعت السلطات المحلية ظلماً شديداً بالتجار الوطنيين فهاجروا من بندر عباس لكنهم اقنعوا بالعودة اليها . ثم شن الايرانيون حملة على عمان في سنة ١٧٣٧ ، واخرى على مكران في سنة ١٧٣٩ منطلقين من بندر عباس وذلك بقصد تسهيل شئون التجارة البحرية .

١٧٤٠ :

وفي اغسطس سنة ١٧٤٠ تمرد البحارة العرب الذين كانو على ظهر سفن نادر شاه في الخليج الادنى ، وقتلوا القائد البحري الايراني مير علي خان ، وتقاسموا الاسطول الايراني الذي كان مكوناً من ثلاث سفن كبيرة ، وسفينة اخرى صغيرة ما بين المشيخات العربية في قشم ورأس الخيمة . واقنع الايرانيون الهولنديين بأن يرسلوا سفينتين — في كل منهما ٢٠ مدفعاً كانتا راسيتين في الميناء — لمطاردة المتمردين ، لكنهما عادتا خائبتين الى بندر عباس في ١٣ سبتمبر بعد ان ضاعت منهما فرصة استعادة احدى السفن . ثم وصل اميرال ايراني جديد « لم ير في

حياته كلها بحراً ولا ركب سفينة» ليصبح قائداً للبحرية ، يتولى الامور بنفسه ، وبعد ان جهز الايرانيون سفينة صغيرة بمعونة البريطانيين ورفعوا عليها العلم البريطاني كما اوضحنا ذلك من قبل اقلع الاميرال الجديد في ٢٣ سبتمبر على ظهر سفينته ومعه سفينتان هولنديتان وسفينة شراعية (غرابة) وعشرون قارباً اخرى لمطاردة العدو ، لكن العمل الوحيد الذي قام به كان اشتباكاً هيناً ذعر منه القائد البحري الايراني ، فعاد ادراجه سريعاً الى بندر عباس في ١٢ اكتوبر ، والمتمردون يطاردونه حتى ميناء « كنج » . ولا يبدو ان الايرانيين قد استطاعوا استعادة هذه السفن من ايدي العرب على الاطلاق ، لكن الحالة العامة الآن قد اصبحت على الساحل خيراً من ذي قبل . وبدا أخيراً ان الاهتمام سيوجه لبندر عباس من اجل رخاء رعايا الشاه .

١٧٤٤ :

وفي ربيع سنة ١٧٤٤ وقعت حادثة غريبة جداً في بندر عباس ، وبدأت بأن تلقى كل من الانجليز والهولنديين في نفس الوقت فرماناً شاهانيا من نادر شاه في همدان يطلب اليهم التعاون في القبض على محمد تقي خان حاكم شيراز الذي اعلن التمرد . غير انه كان مرفقاً بالفرمانات خطاب من سردار شيراز يطلب فيه من الوكالات الاوروبية تقديم العون ، اذا دعت الضرورة، لشخص يدعى مير علي سلطان يصلهم على رأس حملة عسكرية للقبض على كل من حاكم بندر عباس والموظف المسئول عن العوائد الجمركية فيها . وعمد الهولنديون حالا الى الاتصال بمير علي سلطان يحثونه على التقدم فدخل المدينة مساء ٢٧ مارس ، وتبين بعدها مباشرة ان معه اوامر شاهانية من نادر شاه بتثبيت حاكم بندر عباس ومسئول الجمرك فيها في منصبيهما . وقد سارع هذا الاخير حين دعي ليتسلم الامر الشاهاني باقراره في وظيفته . اما الحاكم فتباطأ ، فارسل اربعون رجلا لمهاجمة بيته ، فيما كان الهولنديون في الوقت نفسه يشنون هجوماً على بيته وقلعته ، لكن الانجليز الذين كانوا

واثقين من ان الهولنديين لن ينفذوا اوامر الشاه بابقاء الرجل في منصبه ، طلبوا الى الحاكم الاستسلام لهم ، ففعل . وكتب الوكيل البريطاني الى شيراز يقول انه قد القى القبض على الحاكم تنفيذاً لاوامر السردار لانه لم يطلع على فرمان الشاه الذي يثبته في منصبه ، ولسنا نعرف بالضبط كيف انتهت هذه الواقعة .

الاحداث بعد موت نادر شاه ١٧٤٧ – ١٧٦٣ :

ولم تتكرر مثل تلك الاضطرابات الخطيرة التي تهدد الوكالة البريطانية حتى سنة ١٧٥٠ ، أي بعد ثلاث سنوات من اغتيال نادر شاه ، لكن الاضطرابات بدأت من ذلك التاريخ ودامت طوال ثلاثة عشر عاماً دون انقطاع .

١٧٥٠ :

وقرب نهاية سنة ١٧٥٠ ، ساد الاحوال في بندر عباس قلق شديد فقد كانت قبيلة بختياري قد احتلت « فاسا » و« جاهروم » و « داراب » وهددت اقليم جارامسير كله ، وهو الاقليم الذي يقع على ادنى الخليج قريباً من بندر عباس . وفي نفس الوقت كان احمد شاه عبد العلي قد نجح في الاستيلاء على شيراز وأدى نجاحه هذا الى انضمام الكثيرين الى صفوفه ، وقد ارسل رسائل الى المسئولين الايرانيين فيما جاور بندر عباس يطلب كميات كبيرة من الحبوب والاموال ، مما كان يوحي انه كان ينوي ابتزاز مبالغ كثيرة من اموال الوكالات الاوروبية في بندر عباس ، غير ان تواجد السفينة الحربية الانجليزية « دريك » وسفينة اخرى كبيرة للهولنديين جعل احمد شاه يتردد في الافصاح عن مطالبه . وقد جرى الاتفاق بين الانجليز والهولنديين وملا علي شه ، الذي كان سيساهم بسفينة واحدة عــلى ان ينسحبوا جميعاً اذا تأزمت الامور الى الجزر ، لكن هذه الضرورة لم تتحقق على أية حال ، فقد استسلم ملا علي شاه لاحمد خان الذي وصل الى بندر عباس ، في عشرة

من رجاله فقط يوم ١٣ ديسمبر ، وكان احمد رجلا ماكراً حاد الطباع وبوصوله اصبح الملا أكثر ليناً مع الافغانيين ، وتعهد بأن يدفع عوائد سنة كاملة لاحمد شاه .

١٧٥١ :

وسادت الفوضى تماماً في سنة ١٧٥١ ، وبدأ التجار الايرانيون يهاجرون من البلاد في جماعات كبيرة ، وكسدت التجارة ، واغار البلوش على اقليم شامل ، ثم ارسل رئيس الهولة(١) اسطولا مكوناً من ١٢ قارباً الى بندر عباس ، متعللا بتهنئة ملا علي شاه على زواج ابنته ، وفي حقيقة الامر قاصداً اخذ سفنه . لكن الملا ، وهو رجل حصيف جعل من الاضطرار تطوعاً وكرماً فأهدى سفينة كبيرة وسفينتين صغيرتين من سفنه الى الهوله فلم يبق له سوى سفينة واحدة.

١٧٥٢ :

وفي اوائل سنة ١٧٥٢ ، وعلى حين غرة هجم ناصر خان حاكم لار على بندر عباس ، واسر ملا علي شاه واسرته والسفينة الوحيدة التي بقيت عنده ، واعمل النهب في بيوت الاغنياء من اهل المدينة ، وسلط عليهم التعذيب والارهاب حتى مات احدهم من شدة ذلك . ثم قام الخان بزيارة ودية للوكالة البريطانية في بندر عباس واعلن للمسئولين فيها انه على استعداد لان يعين من يريدونه حاكماً لبندر عباس . وتحاشى المسئولون هذا الاقتراح « في مراوغة مهذبة قدر الامكان » ، ثم تسلم الخان ١٠٠ تومان كهدية من الوكالة ، لكن هذا لم يمنعه من

(١) ربما كان هؤلاء هم أهل البحرين .. لكن الارجح انهم الهولة المقيمون على ساحل ايران .. وكانوا فى القرن الثامن عشر الجزء الاكبر من القبيلة المسماة بهذا الاسم ، أنظر : وصف نيبور لجزيرة العرب .. ص ١٧١ ـ ٢٧٢ ، وفي أيامه كان معظم العرب الذين يقيمون على الساحل من بندر عباس الى كانجون من هذه القبيلة .

اغتصاب ٨٠ توماناً أخرى من بعض التجار الهنود المشمولين بالحماية البريطانية . لكن احداً لم يحتج على هذا المبلغ لان ستة أضعافه كانت قد اغتصبت من الهولنديين . وبعد عودة الخان الى لار بدأت المشاكل بينه وبين عبدالشيخ في قشم بسبب سفينة ايرانية كان الاخير قدباعها لامام عمان وقد بادر الخان الى الكتابة لمستر وود ، الوكيل البريطاني ، يطالبه برد السفينة قبل ان تقلع الى عمان ، وانصاع الوكيل ، وكان رجلا يسيراً طيب القلب فارسل السفينتين الحربيتين « دريك » و « رحماني » الى لافت حيث عادتا بالسفينة المتنازع عليها دون ان تطلقا طلقة واحدة . وفي نهاية السنة ، زار الخان بندر عباس مرة أخرى وبصحبته ٢٠٠٠ جندي افغاني وايراني ، واستدان من الوكالة ما قيمته ٩٩,٩٣٥ شاهية من الثياب القطنية والحريرية « ليكسو عائلاته واقاربه .. ولم يكن امام الوكالة سبيل تتحاشى به الموقف سوى الانصياع للطلب فقد كانت المجازفة بالرفض أسوأ من الوثوق بذمة الخان لدفع أثمان مشترياته ، » وتسلم الوكيل الانجليزي مقابل هذه الصفقة ، مثلما تسلم الوكيل الهولندي ايضاً في صفقة مماثلة ، رزمة من السندات التي لا قيمة لها . اللهم الا ان البريطانيين حصلوا من الخان على خمسة مدافع نحاسية خربة ارسلوها الى بومباي على انها مجرد ٩٩٧ حمولة من النحاس القديم . وقبل ان يغادر الخان المدينة ، اعاد تعين ملا علي شاه حاكماً لبندر عباس على ان يكوى تابعاً له ، وكان ثمة امل يراود البريطانيين في ذلك الوقت بالاستفادة من حماية الخان ، لانه كان باجماع الناس الشخص الوحيد الذي يستطيع صيانة الامن في كل الاقاليم المحيطة ببندر عباس .

١٧٥٣ :

وفي سنة ١٧٥٣ اضطر وكيل الشركة للاحتفاظ بسفينة الشركة « جارديان » في بندر عباس زمناً طويلا ، وذلك لان ناصر خان كان في ذلك الوقت يواجه اتحاداً عربياً ضده يهدده بالهزيمة ، ولو حدث هذا

فلابد من وجود سفينة مستعدة لنقل موظفي الشركة وبضائعها، غير ان ناصر خان استطاع – برغم انضمام عدد من الايرانيين الى اعدائه العرب – الابقاء على زعامته لاقليم جارامسير او بعبارة اخرى على « الارض الساخنة » كما كان يطلق على حكمه هناك .

١٧٥٤ :

وخلال سنة ١٧٥٤ كان وضع ناصر خان ما يزال حرجاً ، فقد فشل في هجومه على كرمان ، وهزمه الهولة غير مرة واحدة حتى اضطر الى عقد الصلح معهم ، وقام علي ملا شاه ، وكان يشك كثيراً في نوايا ناصر خان بالسيطرة على هرمز حيث وضع بها سفينة له ، بينما بقي هو في بندر عباس ومعه سفتنة ثانية كانت له .

١٧٥٥ :

وفي ١٧٥٥ ظهرت على مسرح الاحداث شخصية ضابط جديد ، من جماعة الوكيل كريم خان الشيرازي . وقد استطاع هذا الضابط المسمى علي خان ان يهزم ناصر خان في ساحة الوغى وان يطارده حتى عاصمته في لار، ثم راح يعين جباة للضرائب يجمعونها باسمه من ميناب وبندر عباس . لكن شهر يار ، حاكم ميناب ، رد الجباة دون ان يدفع لهم شيئاً ، وفي بندر عباس، بقي هؤلاء الجباة فترة طويلة، ويبدو أنهم أصابوا بعض النجاح ، ثم طلبوا الى ملا علي شاه ان يدفع لهم نفقات « نثرية » قيمتها ٤٠٠٠ روبية ، كما لمحوا للوكلاء البريطانيين والهولنديين بتقديم هدايا ذات قيمة ... لكننا لا نعرف شيئاً عما تم بالفعل ، غير ان تقدم اسد خان افغان ، وكان متفاهماً مع ناصر خان الى شيراز قرب نهاية السنة اجبر كريم خان على استدعاء علي خان من لار لكن هذا الاخير لم يغادر الاقليم الا بعد ان قام فيه « بعمليات نهب مروعة » ، وفي نفس الوقت كان ملا علي شاه قد ضرب حصاراً

على لافت في جزيرة قشم ، وهي القاعدة الحصينة لعبد الشيخ الذي كان الملا مشتبكاً في حرب معه . لكن عبد الشيخ ، وكان يبلغ من العمر ٨٠ عاماً ، مات اثناء حصار لافت فاستسلمت القلعة بعد موته ، وعاد ملا علي شاه منتصراً يحمل رأس عدوه ، وحين عاد الى بندر عباس جمع مبالغ قدرها ٣٠٠٠ روبيه من التجار « الملتانيين »(١) و « البانكساليين » ليدفع منها مكافآت للعرب الذين ناصروه .

ولعل هذه العمليات التي قام بها الملا كان من نتيجتها طرد بني معن من قشم .

١٧٥٧ :

وفي سنة ١٧٥٧ هاجم ناصر خان اقليم شامل ، لكنه اضطر للعودة سريعاً الى لار تحسباً من هجوم كريم خان عليها . وكان ملا علي شاه ما يزال ممتنعاً عن ان يدفع لناصر خان مبلغ ١٠٠٠ تومان ومدفعين من المعدن كان قد وعد بتسليمهما له ، وفي هذه السنة ، ولكي يزيد من غيظ الخان عليه ، ابعد نفسه عن قبضة يده بانسحابه الى هرمز كما اقنع في نفس الوقت عدداً من زعماء السكان في بندر عباس بالانسحاب الى الجزر

١٧٥٨ :

وفي بداية سنة ١٧٥٨ كان ملا علي شاه ما يزال في هرمز ، وكانت لاراك عندئذ تابعة له ايضاً ، كما زاد من قوته الحلف القائم بين اسرته واصهارهم من اسرة القاسمي شيخ رأس الخيمة . وفي مارس من نفس السنة زار دكتور ايفس بندر عباس وبصحبته عدد من موظفي الشركة الذين كانوا في طريقهم الى اوروبا مارين بالعراق التركي ، ويشير دكتور ايفس — في وصفه لرحلته — الى انه كان عند خان لار حوالي

---

(١) وتكتب احيانا « الملتانى » وهم أهل السند أو الخوجات .

خمسة آلاف رجل مسلح ، وانه استطاع ان يصد عن عاصمته هجوماً شنه عليها كريم خان . وقبل ان يصل دكتور ايفس بعدة ايام ، كان ناصر خان قد ارسل قوة — بناء على شكاوى البريطانيين والهولنديين — ضد شيخ قبيلة صغيرة في ايسن كان يتهدد طريق تجارة الصوف من كرمان ، وانتزعت القوة هذا اللص من قلعته وذبحت أكثر من ٧٠ من رجاله ، ولكن جماعة من قوات الخان — لسوء الحظ — اخذوا على حين غفلة بعد ذلك النصر ، حين باغتهم العدو وقتل عدداً منهم ، وكان بين القتلى كبير ضباط الخان . وقد استدعي طبيب الوكالة الانجليزية للعناية بالجرحى . ولم يكن في بندر عباس من اهلها وقت زيارة ايفس سوى موظفي الوكالات الاوروبية ، وقلة من التجار الهندوك والايرانيين. وفي يونيو ، استولى احد اعداء خان لار على قلعة شامل ، كما استولت جماعة ارسلها ملا علي شاه على ايسن ، واحتفل ملا علي شاه — وكان ما يزال مقيماً في هرمز — بهاتين الحادثتين اللتين لم تكونا في صالح خان لار باطلاق المدافع وتوزيع الهدايا ، فاثار بسلوكه المتهور هذا دهشة كبيرة

وقرب نهاية السنة ظهر محمد والي خان — وهو احد قواد جيش كريم خان — في اقليم لار وأعمل فيه السلب والنهب ، وهزم ناصر خان وقتل أكبر اتباعه وارغمه على التحصين بقلعة مدينة لار . وقد اثار حضور هذا القائد واعماله من الفزع ما حمل شهريار حاكم ميناب ان يجمع من رعاياه مبلغاً قدره ٣٠ الف روبية ليشتري بها رضا الرجل المرهوب . ولما كانت نوايا محمد والي خان ما تزال مجهولة ، فقد بقيت السفينة « فيبر » الى جانب سفينة الحراسة الموجودة دائماً في بندر عباس لحماية الوكالة الانجليزية ، وقد اقرت سلطات الوكالة العليا فيما بعد ذلك الاجراء الحكيم .

١٧٥٩ :

وحوالي منتصف يناير سنة ١٧٥٩ ، تقدم محمد والي خان نحو

ميناب بعد ان عين سرداراً لإقليم جارامسير برغم انف ناصر خان . وخلال خمسة عشر يوماً كان قد دمر المدينة تدميراً تامــاً مثبتاً ان مسلكه كان اقرب الى مسلك الافّاق منه لمسلك الحاكم ، وانسحبت الوكالة الهندية من بندر عباس عقب هذا الحادث . وبعد ذلك بشهرين تقدم والي خان الى بندر عباس وحين وصل اليه مترجم الشركة الانجليزية الذي اوفد للترحيب به استقبل المترجم بالبشاشة والترحاب واهداه درعاً ممتازاً ثم أعلن محمد والي خان صراحة عن نواياه لاخضاع اقليم لار ، وانذر ملا علي شاه ، بأنه سيطرده من حكم بندر عباس ، حالما تتحقق خططه بالاستيلاء على اقليم لار . لكن الملا ذلك الرجل الداهية . « الذي كان يبدو غير مكترث بشيء وريح النوائب تهب ثم يعدو اذا ما سكنت وهو اشد فظاظة ، سلك سلوكاً ينم عن كبرياء غريب » فقد بدا انه منشغل برفض الوكالة البريطانية اقراضه ٤٠٠٠ روبية اكثر من انشغاله بالتهديد الذي صدر عن والي كريم خان .

وفي ابريل حدث حادث مؤلم نتيجة رحيل السكان عن المدينة ، فقد راح اللصوص ينتزعون الابــواب والاخشاب من بيوت موظفي الوكالة الذين تقدموا بشكوى الى نائب الحاكم الايراني في بندر عباس الذي قال ان هؤلاء اللصوص لا يمكن ان يكونوا من رعاياه واعداً بعقابهم اذا ما جيء بهم اليه . وقبض موظفو الشركة على بعض العرب ، وبينما هم يسوقونهم الى مقر النائب جرد هؤلاء سيوفهم وجرحوا بعض موظفي الشركة ثم انطلقوا هاربين، وثبت انهم كانوا من اقارب الشيخ القاسمي ، الامر الذي كان يجعل تطبيق العقوبة عليهم عسيراً ، فهم كانوا يجوبون البحار متحالفين مع عرب الشارقة ضد مير مهنا زعيم القراصنة في « ريق » . وفي يونيو كان محمد والي خان في منطقة تجاور لار بأمر من كريم خان .

هجوم الفرنسيين على الوكالة البريطانية في بندر عباس واحتلالها .
اكتوبر — نوفمبر ١٧٥٩ :

وفي اكتوبر من العام التالي قام الاسطول الفرنسي فجأة بالهجوم على الوكالة البريطانية في بندر عباس ، واحتلها ودمرها . والتفاصيل الكاملة لهذا الهجوم موجودة في النص التالي المأخوذ مباشرة عن سجلات الرئاسة في بومباي :

« من وكيل الشركة ومجلس ادارتها في جمبرون الى الرئيس وحاكم مجلس الشركة في بومباي ....

سيدي ، وسادتي المعظمين ....

سيصل هذا الخطاب الى عظمتكم ... الخ ، عن طريق مسقط ، ليحمل اليكم اخباراً سيئة عن استيلاء الفرنسيين على وكالة الشركة المعظمة . لقد جاءوا في مساء يوم ١٢ على اربع سفن ترفع جميعاً علم هولندا وبينها سفينة ذات اربعة وستين مدفعاً ، واخرى ذات اثنين وعشرين ، وثالثة هي السفينة « مارى » التابعة لشلبي ، واما الرابعة فهي السفينة « معمودي » التابعة لمحمد صوفي . وفي الصباح المبكر من يوم ١٣ نزلوا الى البر غربي الوكالة ومعهم مدفعان من طراز الهاون واربع قطع مدفعية اخرى ، وبدأوا الضرب ، وقد قمنا نحن من جانبنا بما يستطيع عددنا القليل من الاوروبيين ان يفعلوه(١) اما من معنا من الطواشي والهنود ، فقليلون منهم فقط استطاعوا الصمود في وجه المدفعية . وفي الساعة الحادية عشرة من الصباح حين علا المد ، وقفت السفينة ذات الاثنين وعشرين مدفعاً على بعد ربع ميل فقط من الوكالة وراحت تصب

(١) كانت حامية الوكالة — حسب ما يذكر لو (انظر : البحرية الهندية ، مجلد (١) ص ١٥٢) — مكونة من ١٦ بحارا ، وبعض الجنود الهنود .

حممها علينا . وفي نفس الوقت انهالت مدفعيتهم البرية بالقذائف تصبها علينا من ناحية الغرب .

وفي الثالثة والنصف بعد الظهر تقريباً ارسل لنا استدعاء من جانب الفرنسيين فعقد الوكيل مجلس حرب مكوناً منه ومن ويليم ناش والملازم بمبو « من السيلك المنود » وايفانس وانساين وجونسون ، وناقشنا مدى مقاومة البناء ، واستعداد رجالنا المدافعين عنه على ضوء استحالة حصولنا على نجدة من ملا علي شاه ، وقد اجمع العسكريون منا على ان الوكالة ليست منيعة بما يكفي ، لذلك قررنا بالاجماع قبول افضل شروط الاستسلام الممكنة . وتجدون عظمتكم نسخة منها . لكننا نأسف لابلاغكم بأن الفرنسيين لم يراعوا الشروط بالاسلوب الذي كنا نتوقعه منهم كاوروبيين ، حتى وصل بهم الامر الى حد الاستيلاء على بعض المشروبات التي كنا نحتفظ بها .. الى امور اخرى كثيرة ليس ضرورياً ان نزعج بها مسامعكم . وباختصار فانهم يطبقون من شروط الاتفاق ما يحلو لهم .

وهم الآن مشغولون بشحن النحاس القديم على سفنهم ، كما يفرغون حمولة السفينة معمودي من التمر ليعطوها لملا علي شاه ، الذي أمدهم بدوره بكل ما يحتاجونه ، وبكل ما في وسعه . وعلى احسن ما نتصور ، يبدو ان الفرنسيين لن يطلبوا مكثهم هنا أكثر من الضروري ، وسيقصدون ميناء او آخر في الهند .

وكان للفرنسيين على البر — حين سيطروا على الوكالة وحسب ادق الاحصاءات التي استطعنا التوصل اليها — حوالي ٤٥٠ جندياً اوربياً ، ومائة وخمسين من الاجانب ، وقد اتوا معهم بسلالم وحبال لاحتلال دار الوكالة ، وكانوا مصممين كل التصميم على تنفيذ خطتهم يوم ١٣ من الشهر الجاري ليلا .

وفي يوم ١٢ نقلت لنا مخابراتنا ان الفرنسيين كانو في مسقط ، وقد صعدوا في الخليج . وبناء عليه صدرت الاوامر للملازم بمبو بأن يبحر بالسفينة « سبيدول » الى لافت ، لكن الفرنسيين ظهروا قبل ان يتمكن بمبو من تنفيذ الاوامر ، وقد طلبوا اليه الجنوح بسفينته على الشاطىء . لكنه والسفينة الحربية ، ذات الاثنين وعشرين مدفعاً تتابعه ، والمد اصبح مرتفعاً وفي سفينته شراعان مطويان ، اضطر ان يتابع السير امامهم وهكذا ارسل الفرنسيون رجالا منهم صعدوا الى سبيدول واستولوا عليها. وبذلك اصبح عندهم الان خمس سفن .

وفي يوم ١٢ — حين كانت سفن الفرنسيين واقفة تعترض الطرق جاء ملا علي شاه الى الوكالة ، وقدم للوكيل كل التأكيدات التي يمكن تصورها بأنه سيقدم لنا كل معونة ممكنة ، وأكد ان الفرنسيين لو حاولوا النزول الى البر فسيبذل كل ما يسعه لمنع نزولهم . لكننا حين ارسلنا اليه في الصباح وابلغناه انهم يقتربون من الشاطىء استعداداً للنزول ، ظل ساكناً في قلعته ناسياً وعوده ، وحوالي الساعة العاشرة من الصباح ، ارسل اليه الوكيل يطلب منه بعض الرجال لمعاونتنا ، لكنه لم يرسل رجلا واحداً . وكان السبب الذي تذرع به هو ان احدى سفنه التي كانت في المرسى « هكذا » كانت تحت رحمة الفرنسيين ، وانهم سيستولون عليها اذا ما مد الينا يد العون . وحتى لا نطيل ، لقد كان بالفعل خائفاً من الفرنسيين ولم يمض وقت طويل على نزولهم الى البر حتى ارسل اليهم سائر بقول وفواكه الموسم ، وابلغهم انه سيمدهم بكل ما تصل اليه يداه ، وسيضع تحت تصرفهم كل المواقع التي يطلبونها .

ومن بين الاوربيين القلائل الذين كانوا معنا ، نرجو سعادتكم العلم بأن انساين جونستون والجاويش رانسكومن قد تملكهما الفزع بحيث لم يقوما بأي من واجباتهم يوم حدث الهجوم . وقد انزل الفرنسيون الاوربيين الاجانب من جنودهم الى البر تاركين للهنود مطلق الحرية في التجول في المدينة كما يشاءون .

وعلى أحسن المعلومات المتاحة لنا فان لدى الفرنسيين اوامر بهدم الوكالة وهم يرددون القول بأن الانجليز قد خربوا مستوطنتهم في شاندار ناجور تخريباً تاماً ، ولكي يظلوا على وفاق مع ملا علي شاه أبلغوه أنهم سيهدمون الوكالة بحضوره ، مع أنهم يقولون لرجالنا انهم لا ينوون عمل اي شيء من ذلك . ولا شك ان سلوكهم مع الملا نابع من حاجتهم الى معونته في الوقت الحاضر . وقد عاد السادة بمبو وايفانس وجونستون وميتويرنج الى بومباي بناء على طلبهم ، وهم الآن في الطريق اليكم .

لقد جهزت السفينتان الفرنسيتان الحربيتان لهذه الحملة في الجزر ، ولم يمض على خروجهما من هناك الا خمسة اسابيع قبل وصولها الى هنا .

سنحاول حال انصراف الفرنسيين الحصول على شحنة هذا العام من الصوف . كما اننا سنحاول الحصول على الاموال لنرسلها مع المترجم ليدفع ثمن الشحنة . اذا كانت اية سفينة حراسة محملة بالبضائع الصوفية الى هنـــا من بومباي فسوف نتزل حمولتنا الى البر لنوجهها الى الاسواق ثم نرسل السفينة بعد ذلك الى البصرة ، فالبضائع الصوفية حسبما تشير المعلومات التي تلقيناها ، مطلوبة الآن في اسواق ايران الداخلية .

ونحن الآن مقيمون في الوكالة الهندية .

ولقد فشلنا حتى تاريخه في ارسال قارب الى مسقط . وبمجرد حصولنا على واحد من البصرة سنكتب للشركة المعظمة ، وقد ارسلنا قارباً اليها بتاريخ ١٢ . وقد كتبنا الى نوروتام في مسقط بأن يدفع ايجار هذا القارب ، ومقداره ثلاثمائة روبية نرجو من سعادتكم تسديدها له .

ولكم احترامنا ...

سيدي ، سادتي المعظمين

جومبرون	الخادمان المطيعان
٢٢ أكتوبر سنة ١٧٥٩	الكسندر دوجلاس—ويليم ناش

نصوص معاهدة الاستسلام للفرنسيين فى جومبرون

٢٢ اكتوبر سنة ١٧٥٩ :

نصوص معاهدة استسلام وكالة شركة الهند الشرقية في جومبرون بين كل من : السيد الكسندر دوجلاس ، رئيس الوكالة المذكورة ومستشارها ، والسيد دي اسار قائد سفينة كوندي لصاحب الجلالة أعظم المخلصين للدين المسيحي ، والقائد العام لهذه الحملة ، والسيد شاريوا قائد القوات البرية .

المادة الأولى :

بمجرد توقيع نصوص هذه المعاهدة ، تتولى فرقة من الجيش الفرنسي وضع اليد على الوكالة ، وتسلم مفاتيحها للضابط القائد . ويمنع الدخول اليها او الخروج منها الا باذنه حيث انه معني بمنع الفوضى والسرقات .

المادة الثانية :

كل المتاع الموجود في هذه الوكالة تؤول ملكيته للمنتصرين ، ويسلم الى لجنة فرنسية مع كل الكتب والاوراق الموجودة بحيازة المهزومين . وعلى هؤلاء ان يرشدوا المنتصرين الى المخازن لوضع اللازم من الحرس عليها . ان جميع المدافع والاسلحة والذخيرة والامدادات والاموال والبضائع والعبيد ، وعلى وجه العموم ، كل شيء موجود لدى الوكالة مدرج في هذه المادة .

المادة الثالثة :

رئيس الوكالة ، وحاميتها ، ووكلاؤها ، وكتبتها ، وكل

الاوربيين العاملين في خدمة شركة الهند الشرقية ، وعلى وجه العموم كل رعايا صاحب الجلالة ملك بريطانيا في هذه الوكالة هم اسرى حرب بموجب المواد المبينة تالياً فقط .

المادة الرابعة :

حيث ان مسيو دي استين قائد المشاة واسير حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا سابقاً ، والموجود حالياً على ظهر السفينة كوندي في طريقه الى اوربا عن طريق البصرة ، راغب في زيادة ضمان معلومات المخابرات عن التبادل الذي تم باسمه بين بيجو المحترم حاكم مدراس ، ومسيو لالي القائد العام ، فقد تمت الان الموافقة بين المتصرين والمهزومين على ان كلا من السيد الكسندر دوجلاس رئيس وكالة شركة الهند الشرقية في جومبرون ومعه ويليم ناش وانساين جونستون ودوموك لايستر والملازم جورج بمبو ، والملازم ريتشارد ايفانس وريتشارد مينويرنج كل هؤلاء قد تم تبادلهم قانوناً في مقابل مسيو دي استين ، وهم الان احرار تماماً في أن يذهبوا الى حيث يشاؤون ، وفي مقابل ذلك لا يسري على مسيو دي استين سوى ما نص عليه في المادة السادسة .

المادة الخامسة :

رغم ان هذا التبادل للاسرى هو تحوط غير لازم تم اتخاذه لصالح مسيو دي استين ، الا ان جميع الاشخاص الذين وردت اسماؤهم في الفقرة السابقة احرار حرية مطلقة ، ولكن لو افترض ان تبادلا تم بالفعل لاسرى آخرين مقابل المسيو دي استين ، الذي هو محرر الان طبعاً فان عدداً مماثلا لعدد الاسرى الانجليز المنصوص عليهم هنا ومن نفس الرتب والمكانة من رعايا صاحب الجلالة من فرنسا اشد الموالين للمسيحيين يجب ان يطلق سراحهم من أية قلعة اخرى للانجليز يتم الاستيلاء عليها

لاحقاً .

المادة السادسة :

يود مسيو دي استين ان يؤكد ـ في نصوص هذه المعاهدة ـ انه رغم اطلاق سراحه الا انه على الوفاء بوعده الذي قطعه لسيادة الحاكم بيجو بالا يحمل السلاح في وجه الانجليز في منطقة ساحل كورماندل لمدة ثمانية عشر شهراً تبدأ من اول مايو ١٧٥٩ ، لكنه ايضاً يود تأكيد أن له مطلق الحرية في ان يحمل السلاح ضد الانجليز في اي مكان آخر غير هذا الساحل .

المادة السابعة :

اذا امكن التوصل الى اتفاق باعادة شراء وكالة جومبرون فسيعتبر مثل هذا الاتفاق جزءاً مكملا لهذه المعاهدة ، ويحتفظ المنتصرون بحقهم في التصرف بهذه الوكالة على اي نحو يشاءون اذا لم يتم الاتفاق بينهم وبين المهزومين بشأنها .

المادة الثامنة :

تتميماً لتبادل مسيو دي استين ، ونزولا عند طلب خاص منه الى المسيو دي اسار ، فان مستر الكسندر دوجلاس رئيس وكالة شركة الهند الشرقية الانجليزية في جومبرون وبقية الاشخاص الاخرين المشار اليهم في المادة الرابعة لهم الحرية في ان يحملوا معهم امتعتهم الخاصة من أي نوع اوصنف كانت ما عدا الذخائر والامدادات والاسلحة وعدة الحرب او اي شيء يسري عليه هذا الوصف .

حررت في جومبرون في اليوم الرابع عشر من اكتوبر ، الساعة السادسة صباحاً من العام الف وسبعمائة وتسعة وخمسين لميلاد يسوع .

الكسندر دوجلاس — ويليم نـاش — دي ايسار

ريتشارد جونستون — شاريـوا

قلعة بومباي ، في ٢٦ ديسمبر ١٧٥٩ :

وصل الينا خطاب من الوكيل والمقيم في جومبرون ، مؤرخ في ٨ من الشهر الجاري ، يفيد بأن الفرنسين قد غادروا المكان يوم ٢ ويعتقد انهم توجهوا شطر الجزر . وفي ليلة ٣٠ أكتوبر الماضي صعدوا الى ظهور سفنهم بعد ان اشعلوا النار في الوكالـــة بأن حفروا في ارضها حفراً ملئت بالمواد الملتهبة ، وهكذا دمروا جزءاً كبيراً منها . ولولا دناءة سلوك ملا علي شاه لامكن انقاذ الشيء الكثير ،حيث ان الفرنسين لما غادروا المكان لم يكن اي باب في العمارة قد اصابه شيء . ولكنه بادر الى حرق المبنى ليحصل منه على الحديد . وكان الفرنسيون ايضاً قد خلفوا وراءهم حوالي ثلاثين الف وزنة هندية من النحاس والبضائع الاخرى ، لكنه – ورغم تكرار طلب رجال الوكالة منه ان يبعث برجال لحراسة المبنى– قد تركه للنهب والسلب . ولقد بلغ من قلة الحياء ما جعله يقول صراحة للوكيل اثناء زيارة قام بها له انه يعتقد ان احداً لم يتورع عن المشاركة في ذلك النهب الشامل ، وعلى اية حال فقد كان رجال الوكالة يأملون في أن يقنعوه بأن الانجليز قادرون على العضب لمهانة تلحق بهم بكل تلك البساطة . ويقدر موظفو الوكالة بأن غنائمه من تلك الحركة زادت على ٦٠ الف روبية ، هذا الى جانب البنادق والسلاح .. الخ ، التي تركها له الفرنسيون ، كذلك فقد نال سائر جماعته من العرب من الغنائم انصبة متراوحة بين الكثرة والقلة . كما انه وقع حلفاً دفاعياً هجومياً مع الفرنسين . وقد وقع المسيو دي استين على النسخة الفرنسية كما وقع هو على النسخة الايرانية ، وذكر موظفو الوكالة ان الفرنسين لم يبدوا اي اهتمام بالالتزام بنصوص اتفاقية التسليم ، وانه لولا وجود مسيو دي استين لجرد دي اسار الانجليز حتى من كل ما هو ضروري ، فقد اعلن بصراحة ، انه يكره كل انجليزي كما سلك سلوكاً يوحي بتحقير القائد العام ، وقد احرق

الفرنسيون السفينة « سبيدول » مما جعل الوكيل والمقيم يستنتجان انهم ماضون مباشرة في طريقهم الى الجزر ، وكان سيرجنت راتسكومون أعجز من ان يتحمل هذه الرحلة الطويلة . فكتب الى مسيو دي استين يلتمس منه ابقاءه حيث هو ، فاجابه الى ذلك على ان يقدم رجلا من مواطنيه بدلا منه ... وقد حدث » (١) .

وبعدها بعدة شهور طارد سوء الحظ ملا علي شاه ، وكان اسطوله عندئذ مكوناً من سفينتين مسلحتين : واحدة كبيرة والاخرى اصغر منها ، وكان في شهر نوفمبر السابق قد زاد مركزه تدعيماً بأن زوج ابنته لزعيم ايراني كبير ، قدم اليه ٤٠٠ رجل مسلح . وكان اتباعه هو لا يزيدون عن ٢٠٠ رجل فقط ، وكانت مصادره المالية قد تأثرت الى حد كبير بالاعانات الكثيرة التي كان يقدمها لحلفائه من القواسم ، وقد تمرد رعايا الملا ضده في هرمز وقبضوا عليه وسجنوه في القلعة . ومع انهم صدوا محاولة لانقاذه قام بها اتباعه مع بعض العرب ، الا انهم رفضوا ان يسلموا سجنيهم لخان لار . وفي بندر عباس قاموا بتسليم القلعة التي سيطروا عليها الى شقيق ناصر خان المسمى جعفر خان ، وتصادف ان كان بالقرب منها ومعه مائتا رجل مسلح . وظنت قبيلة بني معن ان الفرصة ملائمة لاسترداد جزيرة قشم ، واعدوا عدتهم ــ بمساعدة جعفر خان ــ لحصار لافت ، لكن هذا المكان كانت تحميه السفينة « رومانيا » احدى سفن الملا علي شاه(٢) ، وللتغلب على هذه

---

(١) يذكر لو (البحرية الهندية ، مجلدا ص ١٥٢ ــ ١٥٣) : ان دى استين كان القائد الفعلي للحملة ، وهذا يعنى انه قد اخل بكلمة الشرف التى اعطاها ، ويضيف قائلا : « لقد كسب الفرنسيون من الغنائم أكثر مما نالهم من الشرف فى هذه الحملة التى وجهوا فيها سلاحهم الى مبنى وكالة اعزل الامر الذى آثار دهشة وسخط جميع العسكريين الشرفاء في الهند » .

(٢) هكذا ورد الاسم .. ولكن يبدو انه جاء خطأ بدل كلمة « رحمانى » .

العقبة اقترح خان لار ان تمضي سفينة الشركة « جودولفين » للاستيلاء على هذه السفينة . لكن الوكيل رفض على اساس ان السفينة جودولفين ليست صالحة الان للعمل ، ولكن كان يفكر في استخدام سفينتي الشركة الاصغر « دريك » و « سوالو » بمجرد وصولهما ، اذ ان تلك الاضطرابات ادت الى كساد تجارة الشركة كساداً تاماً . وقد قام اهل هرمز بتسليم احدى سفن الملا — وهي السفينة « الفوز الرباني » — الى عرب الشارقة الذين اخذوها بدورهم الى جعفر خان . وفي ٢٤ يونيو استطاع ملا علي شاه ، وكان قد استعاد حريته ، بمعونة ١٠٠٠ رجل من عرب رأس الخيمة بقيادة شيخهم نفسه النزول بالقرب من بندر عباس واحتلال المدينة ، لكن قواته فشلت في احتلال قلعتها . وفي يونيو ٢٨ وبعد إعمال النهب في المدينة تراجعت قوات الملا منسحبة الى جزيرة قشم ، وبعدها ارسل ناصر خان حملة انتقامية ضد « لنجة » وفي اغسطس حاول رجاله الاغارة على « رأس الخيمة » ، لكنهم فشلوا في العملين معاً ، فقاموا — بدل ذلك — بتخريب جزيرة قشم . ثم شاعت مخاوف كثيرة من احتمال قيام جعفر خان او شقيقه خان لار بالهجوم على الوكالة البريطانية التي كان الى جوارها قوات كبيرة . ووجد الوكيل نفسه مضطراً نظراً لضعف الامكانات الدفاعية لمباني الشركة الموقتة انلا يقدم الى الخان سفينة الشركة « دريك » لمطاردة بني معن من مكان لآخر فحسب ، بل وان يستجيب لمطلبه المتكرر باقراضه ١٠٠٠ تومان . وفي سبتمبر كان ناصر خان معسكراً في خمير تساوره امال وخطط متنوعة ولكي يحول دون سقوط هرمز في ايدي حاكم ميناب ، الذي كان يلح لاطلاق سراح الملا علي شاه واسرته ، فقد ارسل بعض العرب من بني معن ومن الشارقة لحراسة المكان . لكنه الان كان اكثر لهفة من ذي قبل للتوصل الى اتفاق مع كريم خان حاكم شيراز بشان حكم اقليم « جارمشير » وفجأة ، ولهذا الهدف سافر الى لار بعد ان افصح عن

رغبته في « عقد صلح لمساعدته في القيام بهجوم على عرب رأس الخيمة».
ووافقت الرئاسة في بومباي على عقد قرض لخان لار على أساس انه لم يكن من ذلك بد ، لكن المسؤولين هناك اشاروا الى « انه لا نهاية لمثل هذه المطالب اذا استجبنا لها مرة واحدة ، ولتلافيها على الوكيل أن ينقل اقامته الى البصرة او اي مكان آخر ، او يذهب مع البضائع —لفترة من الفترات — الى موانئ أخرى » .

١٧٦١ :

وفي ابريل سنة ١٧٦١ ، كانت المشاكل ما تزال قائمة بين كريم خان وناصر خان ، وكان هذا الاخير ، ورغم وعوده الرائعة ما يزال مديناً بقرض الالف تومان، كما ان شقيقه جعفر خان ، وكانت سلامة الوكالة معتمدة عليه فلا مفر من ارضائه ، مديناً هو ايضاً للوكالة بمبلغ ٣٧١٨ روبية . وكان من رأي الوكيل والمجلس في ايران ان « شعب هذه المملكة وسواحلها » قد اصبحوا على خلق سيء ، وان الاروبيين سيصعب عليهم الاقامة بينهم ما لم يردوا على اهاناتهم لهم » . ووصفوهم بأنهم « جنس لا ينظر لابعد من الحاضر وانهم مجردون من الشرف ومن الامانة ، وان جيوشهم تقوم على حساب المجدين العاملين ، وانهم لا يقيمون وزناً لحرية التجارة » . وبدلا من تحسن الامور راحت تزداد سوءاً على سوء . وفي مايو ، انتشرت مخاوف كثيرة من قيام العرب بهجوم على بندر عباس ، وبدا جعفر خان يقيم في المدينة تحصينات أقل اتساعاً من التحصينات القديمة مدخلا فيها مباني الوكالة ، ومصراً على ان يسهم الانجليز في عمليات الدفاع ونفقاته ، وخشي مستر ديموك ليستر — المسئول وقتذاك — ان تكون هذه الاستعدادات قناعاً يخفي نية مبيتة للاستيلاء على الوكالة ، فجعل فيها إمداد شهر من الاخشاب والمياه ، وعاد جعفر خان يلح الحاحاً بغيضاً من اجل اقراضه مدفعين . وفي الخريف حصل ناصر خان على حكم جارمشير من كريم خان على

شرط ان يدفع له عوائد قيمتها الفا تومان كل سنة ، وان يحتفظ في شيراز بمائة فارس وان يضع كل قواته تحت امر الوكيل بالنسبة للعمليات التي قد تحدث في جارمشير . وتبع ذلك تحسن موقوت في الموقف في بندر عباس ، حتى ان الخان دفع نقداً ٥٠ توماناً من الالف التي اقترضها ووعد بدفع المزيد على شكل عروض تجارية ولكنه نتيجة سوء حكمه من ناحية ، ونتيجة شكاوي بني معن من الناحية الاخرى ، حيل دون ذلك ، فاستدعى جعفر خان من بندر عباس ، ووظف مكانه حاجي علي الذي اثبت في كل الامور انه حاكم قدير وممتاز . اما بنو معن الذين كانوا في هرمز فقد كانت اقامتهم فيها غير ميسرة نتيجة لندرة الماء والهجمات المستمرة عليهم من جانب القواسم ، فسمح لهم بمغادرتها ، فمضى بعضهم الى الشارقة ، وربما تشجع ملا علي شاه — وكانت اسرته ما زالت محتجزة في قلعة هرمز — بمغادرة بني معن للجزيرة فمضى الى الساحل العربي . ثم عاد ومعه قوة كبيرة من القواسم ، وقام بهجوم هو وحلفاوه على هرمز مرتين ، لكنه فشل فيهما ، فقد استطاع اهل الجزيرة ان يصدوه بمساعدة الباقين هناك من بني معن . وخلال هذه الاحداث ، كانت شحنة من الارز — قوامها ٢٤٠٠ كيس ، قد شحنت من مسقط الى الوكالة البريطانية في بندر عباس استولى عليها القواسم وحولوها الى ملا علي شاه دون تكليفه بدفع تعويض عنها . واضطر الوكيل الى طلب امدادات من الارز من ناصر خان على ان يعتبر الثمن سداداً لجانب من الدين المستحق للشركة عنده . وفي نهاية سنة ١٧٦١ كان بنو معن ما يزالون على حركتهم الدائبة ، فهولاء الذين ذهبوا الى الشارقة عادوا مرة اخرى الى هرمز ، لكن حاجي علي استطاع اقناع عدد منهم بالاقامة في هدوء مع عائلاتهم في بندر عباس .

غير ان الصورة كلها قد تغيرت الى اسوأ حين عاد جعفر خان فجأة في ٣ فبراير ١٧٦٢ ليصبح مجدداً حاكماً لبندر عباس رغم انف الحاجي

علي وقوبلت هذه العودة من جانب عرب بني معن بالدهشة والاستنكار لانهم استقروا في هذا الاقليم بناء على تأكيد من الخان بان جعفر لن يعود الى حكم بندر عباس « والان احسوا انهم قد وقعوا في المصيدة » . وراح جعفر خان يوالي مظالمه ، خاصة لهؤلاء المرتبطين بالوكالة البريطانية . وخلال عدة شهور لم يعد في بندر عباس – التي كانت قد بدأت في استعادة سكانها ورخائها ايام خاجي علي – سوى عدد من الاكواخ يتكدس فيها عدد قليل فقط من السكان الذين بقوا فيها ولم يعد بالامكان تحصيل اية عوائد منها . وقد قدم ناصر خان اعذاراً كثيرة لعدم رد القرض الذي اقترضه من الوكالة ، حتى باتت الشركة تعتبر المال في حكم الديون المفقودة ، واصبح وكيل الشركة ومجلسها يعتقدون ان « كل المظالم التي حدثت والتي تحدث كانت بايعاز وتحريض من ناصر خان » ووصفا الموقف العام بأنه لم يعد محتملا على الاطلاق .

وفي ١٠ يناير سنة ١٧٦٣ استدعي جعفر خان الى لار ، لكن حماه وكان رجلا جشعاً مولعاً بكنز المال ، عين مكانه . وبات الكل متأكدين أن خان لار ، بعد ان جرد جعفر خان من الثروة التي حصلها ، قد اعاده الى حكم بندر عباس ليجمع له ثروة جديدة . واخيراً تم عقد الصلح بين بني معن من ناحية وملا علي شاه والقواسم من الناحية الاخرى ، على ان يحتفظ بنو معن بهرمز ويقيموا في قلعة لافت ، وان يستعيد شيخ القواسم السفينة « رحماني » ، وان تقسم عوائد جزيرة قشم في المستقبل بالتساوي بين الاطراف الثلاثة المشتركة في الصلح . غير ان هذه الاتفاقية لم تضف جديداً للهدوء العام ، لانها قد تركت بني معن احراراً في ان يقوموا باغاراتهم على ما شاءوا من الاماكن الاخرى . وهكذا قاموا في يناير سنة ١٧٦٣ بالاستيلاء على ميناء خوهستاك الذي كان تابعاً لحاكم ميناب ، وزعموا انهم يستولون عليه باسم خان لار ، لكن حقيقة الامر كانت انهم يهدفون الى اغراء الخان بأن يملكهم بندر عباس ،

لكنه لم يكن يوافق على ذلك بأية حال من الاحوال ، بل وقيل على العكس انه كان يود منهم ان يدخلوا في طاعته ومعهم سفنهم ، في مقابل ان يضمن لهم دخلا منتظماً ليس عن طريق المتاجرة المشروعة ولكن بالقيام فقط بأعمال القرصنة بارشاد منه . وكان الوكيل البريطاني في بندر عباس يرى ان هذه الاتفاقية لو تمت فسيتحول بنو معن الى قراصنة ذوي خطر شديد ، غير ان الوكالة البريطانية سحبت عندئذ فجأة كما أشرنا من قبل ، وانتهت مصالح الشركة وموظفيها في بندر عباس .

حالة الساحل الايراني بين ريق وكانجون (١)
١٧٢٢ - ١٧٦٣

حالة بو شهر في ١٧٥٥ :

حتى سنة ١٧٥٥ لم يكن للاحداث في الساحل الايراني المطل على الخليج فيما بعد بندر عباس اي تأثير على مصالح شركة الهند الشرقية في ايران . وبالتالي فلسنا نعرف سوى معلومات قليلة عنها قبل هذا التاريخ .

كانت حكومة بو شهر خاضعة خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر ، لاسرة تنتمي لقبيلة المطاريش السنية في عمان . واثناء حكم نادر شاه قام كبير هذه العـــائلة ويدعى ناصر ، هو وافراد اسرته جميعاً بالتحول الى المذهب الشيعي على امل ان يعينه نادر شاه قائداً للاسطول الذي اعده الشاه وجعل بو شهر مقراً له . وكان هذا عملا انتهازياً من جانبه اكسبه سخط بقية العرب في بو شهر ، بل هو في الحقيقة اسخط سائر العرب المنشغلين بالملاحة في الخليج(٢) . وحوالي سنة ١٧٥٢ تحالف الشيخ ناصر حاكم بو شهر مع المير ناصر حاكم ريق للاستيلاء على جزيرة البحرين ، وظلت تحت سيطرته طوال ما بقي من هذه الفترة التي نتعرض لها . وقد استطاع الشيخ ناصر احتلالها بواسطة اسطوله الذي كان مكوناً من سفينة واحدة كبيرة وعدد من السفن الصغيرة . ويبدو ان كريم خان قد ألقى االقبض على الشيخ ناصر سنة ١٧٥٥ وسجنه طالباً منه ان يفسر ماضي سلوكه تجاه سفن ايرانية ،

---

(١) ريق : تكتب بالفارسية كالآتى (ريك) وتنطق بتخفيف حرف الكاف .

(٢) هكذا تقول المصادر .. لكنها لا تشرح كيف كان من المـــكن لناصر أن ينال مكانه عند نادر شاه بالذات بتحوله الى شيعى .

وان يدفع مبلغ ٥٠٠٠ تومان كعوائد عن جزيرة البحرين خلال السنوات الثلاث التي انقضت على احتلاله لها .

الموقف في ريق ١٧٥٥ :

ويشابه تاريخ الاسرة التي كانت تحكم ريق سنة ١٧٥٥ تاريخ شيوخ البحرين . فقد كانوا عرباً من « زعاب » من الساحل الذي يعرف الان بامارات عمان المتصالحة ،لكن والد مير ناصر — الذي كان زعيماً في سنة ١٧٥٢ والذي منح الهولنديين إذناً في تلك السنة تقريباً بالاستقرار في جزيرة خاراج — قد اصبح شيعياً . وتزوج المير ناصرنفسه من ايرانية فلم تعد الاسرة تعتبر عربية خالصة على اية حال . وقتل مير ناصر — بين سنتي ١٧٥٣—١٧٥٥ — بتحريض من مير مهنا اصغر ابنائه ، الذي شهد قتل ابية بالفعل لكنه لم يشارك فيه . وسرعان ما اولع هذا السفاح الصغير بشهوة القتل ، فقتل امه ايضاً في ساعة غضب لانها لامته على قتل أبيه . لكن مير مهنا اضطر الى التوقف عن اعماله حين عاد شقيقه الاكبر مير حسين من البحرين وتولى حكم « ريق » .

ارسال مستر وود الى ريق لينشيء فيها وكالة بريطانية سنة ١٧٥٥ :

هكذا كانت الحالة حين قام مستر فرانسيس وود — الوكيل السابق في بندر عباس — بزيارة لريق ليقيم فيها وكالة بريطانية ، وقد اتخذ مجلس مديري الشركة هذا القرار في ابريل سنة ١٧٥٤ ، وصدر الامر من رئاسة بومباي بتعيين مستر وود مقيماً عاماً فيها في ١٨ اكتوبر من نفس السنة ، لكنه لم يبحر اليها من بندر عباس الا في مارس سنة ١٧٥٥ . وكانت التعليمات التي تزود بها تقضي بتنشيط بيع المنسوجات الصوفية البريطانية في ريق ، واتخاذ كل الاجراءات الممكنة لمنع التجار هناك من التعامل بأية اصواف اخرى فرنسـية كانت ام غيرها ... وان يعمل بكل الطرق على إكساد تجارة مغامري حلب ، والا يقرض

السلطات المحلية نقوداً او بضائع ، والا يتعامل مع التجار الوطنيين الا بالدفع النقدي . واخيراً ان يصر على الحصول على امتياز للبريطانيين بتحصيل العوائد عن كل الصادرات والواردات البريطانية « لان ذلك فيه سمعة وتمجيد للشركة المجيدة ، وتخفيف من نفقاتها » . وعليه ايضاً ان يتحاشى اية خصومة مع الهولنديين . الذين كان نفوذهم الان في الخليج قوياً ، وكانت قاعدتهم في خارج مواجهة لريق ... وان كان من الصعب القول بأن وكالة ريق قد كان السبب الرئيسي في تأسيسها هو منافسة الهولنديين .

اتفاقية مع مير حسين حاكم ريق يونيو ١٧٥٥ :

ورغم ان تعليمات مستر « وود » كانت قاصرة على ريق فقط ، الا انه توقف في بو شهر ، وحاول الوصول الى اتفاقية مع الشيخ ناصر لاقامة الوكالة فيها بدلا من ريق ، لكن الشيخ ناصر رفض ان يتنازل عن العوائد الجمركية على البضائع الانجليزية الا لو دفع له مبلغ ١٥٠٠ روبية في كل سنة . واخيراً مضى المقيم في طريقه الى ريق نزولا على سيل الاحتجاجات والحث الواردة له من بندر عباس ، فوصل ريق في يونيو . ولم يجد تجاراً بالميناء ، لكنه وجد الزعيم مير حسين الذي كان كريم خان قد استدعاه الى شيراز ، وكان على وشك ان يرحل ، فأجل رحلته ثلاثة ايام ، وابدى استعداده لتقديم الامتيازات التي يطلبها مستر « وود » ، وأكد له ان التجارة الانجليزية « سرعان ما تكتسح كل التجار المنافسين لها وتعيد الميناء الى سابق رخائه وازدهاره » .

الانسحاب موقتاً من ريق ثم الرجوع اليها بفرمان من كريم خان يوليو — سبتمبر سنة ١٧٥٥ :

وأصبح سلوك اهل ريق وقحاً بعد رحيل رئيسهم حتى اضطر المقيم الى التراجع للبصرة ومنها الى بو شهر ، وظل فيها حتى عودة مير

حسين الى ريق لكن وصول امر شاهاني من كريم خان يخوله حق انشاء وكالة في ريق جعله يعدل عن تفكيره مرة أخرى ، فرجع الى ريق في سبتمبر حيث استقبل فيها استقبالا حسناً من جانب الاهالي ، فقرر الاستقرار بها .

اعمال المقيم في ريق . ابريل ١٧٥٦ :

وفي ٦ ابريل سنة ١٧٥٦ ، ابحر مستر وود على السفينة « بيتون » الى جزيرة خارج ، حيث بقي فيها حتى الخامس عشر من نفس الشهر يتحرى اعمال الهولنديين ووسائل تجارتهم ، فيما كان يحل ضيفاً عليهم . وفي ٢٠ ابريل وصل مير حسين وشقيقه مير مهنا الى ريق قادمين من شيراز ، حيث كان كريم خان قد سجنهما هناك ، ثم أطلق سراحهما « بالنظر لبؤسهما الشديد(١) » وفضّلا ان يعودا سيراً على الاقدام بصحبة قائد حيدر خان حاكم حياة داوود ، وعدد كبير من اهل بو شهر . وحيث ان مستر وود وجدهما « بلا زاد ولا ثياب ولا مال » فقد اضطر الى ان يقدم لهما هدية كان قوامها الارز والثياب ، بما قيمته (٣٦٠) روبية ، ولم يكن ذلك امراً ضرورياً فقط ، لكن تحاشيه كان غير ممكن .

هرب المقيم من ريق ، وقتل مير مهنا لمير حسين يونيو ١٧٥٦ :

وفي ٨ يونيو تلقى مستر وود خطاباً من البارون نيبهاوزن ، رئيس الوكالة الهولندية في خارج ينذره فيها بأن الهولنديين قد عقدوا العزم على قصاص المير وهو أمر كان لا بد ان يسبب شيئاً من الاضطراب في ريق . ولدى وصول هذا الخطاب رأى المقيم البريطاني ، الذي كان يعرف عن وجود جماعة موالية للهولنديين في ريق يتزعمها مير مهنا تعلن بصراحة

---

(١) وربما أيضا بسبب تردى حالة كريم خان على يد اسد خان افغان .

أهدافها بقتل الوكيل البريطاني والمير حسين ، ان من الحكمة ان يرجع مرة أخرى الى البصرة . وكان تبريره لهذا ان المباني التي تعد للشركة لم تكن بعد قد حُصنت ، وان حرس الوكالة لم يكن مسلحاً تسليحاً كاملا ... لكنه ترك وراءه عريفاً اوصاه بالابقاء على العلم البريطاني مرفوعاً فوق الوكالة طول فترة غيابه . ولدى عودته الى ريق في ٢٧ يونيو وجد ان الثورة قد حدثت وان مير مهنا قد قتل مير حسين وعدداً آخر معه فاصبح الان صاحب السلطة ، وان مباني الوكالة التي لم تكن قد اكتملت بعد قد سويت بالارض وانزل عنها العلم البريطاني ، ولكن لم تقع اية اضرار بموظفي الشركة . فكتب المقيم بهذه الاحداث الى بندر عباس ، واضاف انه لم يبق ثمة أمل في نجاح الوكالة في ريق ، وطلب التعليمات ، وكان الرد هو الخطاب العنيف التالي من مسئوله الرسمي :

« من الكسندر دوجلاس الى فرانسيس وود المقيم في ريـــق .

في ٢١ الحالي وصلني خطابك المؤرخ في ٢٩ الماضي . واهمني كثيراً أن حالت الاضطرابات في بندر ريق بينك وبين انزال حمولة المنسوجات الصوفية والقصدير التي كانت على ظهر السفينة « بتسي » فحسب نصيحتك واقوالك السابقة لهذه الوكالة ... كنا نتوقع ، لو ظلت الاحوال هادئة ، بيعاً مربحاً يرضى عنه رؤساؤنا المحترمون .

وأنا الاحظ ان دافعك الاول للذهاب الى البصرة كان الخطاب الذي تلقيته من البارون نيبهاوزن الذي يسعى بلا شك ان يحتكر التجارة في بندر ريق وبو شهر لنفسه ، وهذا يجعل وجود موقع لنا في أي من هذين المكانين غير مرض له ، فلا عجب ان يصطنع كل العقبات ليحول بينك وبين هذا ، فيرسل اليك الانذارات المتتالية . انني لا ارى سبباً يجعل ذلك الرجل يستهدف حياتك ، تلك التي دفعك الخوف عليها اساساً للمضي الى البصرة ، كما انني ايضاً لا استطيع ان استنتج من رسائلك

ان اي عنف ارتكب ضد هؤلاء الذين خلفتهم وراءك . وعليه فانا أرى بأنه لو لم تكن مخاوفك قد تضخمت الى الحد الذي تضخمت به لبقيت في بندر ريق . ولحافظت على الاتصال بالمير حسين ، ولنقلت اولا بأول كل ما يصلك عن نوايا شقيقه ونوايا الهولنديين ضده ، وبهذا كان محتملا ان يُتجنب المصير الفاجع الذي لقيه ، ولظلت وكالة شركتنا الموقرة سالمة من الشر فاني ارتاب كثيراً في انالعرب كانوا سيقوضون مركز الشركة لو قد كان في حمايتك انت ، لا بحماية عريف اطمعهم الا يجدوا سواه في المكان فاغراهم ذلك به . ان الحاجة للسلاح والرجال والمعدات لاكمال المبنى ما كان ينبغي لها ان تدفعك لهجر بندر ريق . فلو كنت طلبت منا السلاح لارسلناه اليك على ظهر اول سفينة بمجرد تلقي رسالتك ، او لو كنت طلبت ذلك من المقيم العام في البصرة لأرسل اليك ما انت في حاجة اليه على حساب الشركة الموقرة .

وحيث ان الرئيس الموقر والمجلس يأمران بتوجيه كل الجهود الممكنة لانشاء مستوطنة في بندر ريق ، ادراكاً من الجميع للامال التي ولدتها الوعود التي سبق ان كتبت الينا بانها قُدمت لك من تجار عديدين في البصرة ، وما دمت انت ايضاً قد كتبت تقول انك لا تشك في انها ستحقق توقعات جناب الرئيس المقيم ... فانني لا استطيع ان اصدر اليك أية تعليمات بشأن تركك لبندر ريق حتى اتلقى اوامرهما بهذا الصدد . كما انني لا ارغب لك ان تقدم على هذا العمل الا اذا تعرضت حياتك وحياة الناس للخطر الداهم ، او لو حدث شيء مادي لا استطيع ان اراه حيث انا هنا .

وعليك الآن ان تشرح للمير مهنا الفوائد التي ستعود على بندر ريق لو اذنوا لشركتنا باقامة قاعدة فيها . كما ان عليك ان تفهمه بأن جناب رئيس الشركة ومجلسها في بومباي سيتخذان الاجراءات التي تكفل رضاهما عن تعويض الضرر الذي أصاب الشركة الموقرة وموظفيها .

وحيث ان حسين خان كاجار موجود الان في هذه المملكة على رأس جيش ضخم ، وحيث انه قد سيطر بالفعل على اصفهان منذ وقت قليل ، وهو الآن يحاصر شيراز ، فنحن نتوقع نشوب ثورة في القريب العاجل واذا تمت لهذا الرجل السيطرة على البلاد ، فانه لا شك سيعين رجالا قادرين على اعادة هؤلاء الشيوخ الى حظيرة الطاعة ، كما أنه سيشيع الثقة لدى التجار على اختلافهم ، وحينئذ لن يكون للمير مهنا او للهولنديين اية سلطة يستطيعون بها اصدار تعليمات ، وستكشف الاوقات القليلة القادمة عن حقيقة نواياه .

ولقد تردد هنا ان مير مهنا ، لدى عودتك من البصرة الى بندر ريق، قد عرض ان تعيد بناء الوكالة التي تهدمت على نفقته الخاصة ، واذا صح هذا فانني مندهش جداً لانك لم تشر اليه في خطابك .

وانا يا سيدي .... صديقك المحب :

الكسندر دوجلاس

جومبرون في ٤ يوليو ١٧٥٦

وفي يوليو ارسلت حكومة بومباي ــ التي كانت لا تعرف هذه الاحداث بعد ــ مساعداً لمستر وود هو مستر هيوز .

حملة انتقامية على كانجون :

وفي نفس الوقت كانت قد نشأت مشكلات بين الشركة وشيخ « كانجون » ، وهي احدى الموانىء الرئيسية بعد بوشهر بين بندر عباس وريق . وكان سببها ان الشيخ المذكور قام باعتداء على سفينتين من السفن التي تقوم بالتجارة في حماية الشركة ، وامرت السلطات في بومباي وكيل بندر عباس بأن يرسل السفينتين « سوالو » و « دريك » ــ اذا امكن ــ لتطالبا بالتعويض ، وان يبلغ مستر وود بهذه الانباء ، ويطلب اليه مصاحبة الحملة . وارسل الوكيل هذه الاوامر مباشرة الى مستر وود

في اكتوبر ليلتقي بالسفن في كانجون ، وفوض – بعد ان تم تسوية المسائل في كانجون – ان يصحب السفينتين الى ريق اما لاعادة انشاء الوكالة او المطالبة بتعويض عن تدميرها .

وجاءت هذه التعليمات الى مستر وود وهو حزين مكتئب ، فعلاقاته بمير مهنا الذي وصفه بأنه « شاب سفاح » مستسلم كل الاستسلام لرذائله المدمرة ، ونزّاع الى الثار بحيث لا يستحسن ان تتاح له أقل فرصة للعدوان .. قد كانت علاقــات سيئة منذ البداية ، ذلك بأن المير بدأ في استغلال انقاض الوكالة لبناء سور حول المدينة ، ولم يستطع المقيم اقناعه بالكف عن هذا العمل ، « لا بتقديم الهدايا ... ولا بالتقرب اليه .. أو بمجاملته في زيارات لاحتساء الخمر معه يومياً » ثم ان المير رفض السماح للبريطانيين بتحصيل العوائد عن البضائع البريطانية – كما كان اخوه قد وعدهم – الا لو دفعوا له ٢٠٠٠ روبية كل عام .

واخيراً ... في ليلة ٦ نوفمبر ، بين الساعة العاشرة والحادية عشرة مساء ، وصل جماعة من العرب ارسلهم مير مهنا الى باب المنزل الذي يقيم به المقيم العام ، وطلبوا اليه – هو وكل الاوروبيين بما فيهم مستر هيوز ومستر برنل – ان يغادروا المكان خلال نصف ساعة ، لان المير يرى انهم أعداء ضالعون مع الهولنديين . وفي البداية حاولوا ان يتباطأوا ، لكن العرب بدأوا يتهيأون لاستخدام العنف ، فتراجع البريطانيون الى ظهر السفينة « دراجون » ، وبعد ذلك نزع العرب سلاح جنود التوباس(١) من حرس الشركة ، كما نهب متاع مستر وود . وفي اليوم التالي طلب منهم مير مهنا النزول الى البر ثانية لكنهم رفضوا ، وحيث كان مستر وود قد استطاع احتجاز كبير رسل المير – اغا محمود – وبفضل صندوقين من الذخيرة كان ارسلهما وود كهدية ، فقد استطاع

(١) كانت كلمة توباس تطلق على الجنود البرتغاليين الذين تستخدمهم الشركة .

أن يسترد — خلال عشرة ايام — معظم البضائع التي تركت على الشاطىء . لكن بعض امتعته الخاصة فقدت ، فطالب الشركة بتعويضه عنها . وفي نفس الوقت جاءت السفينتان « سوالو » و « دريك » الى ريق(١)،ويبدو ان طاقم الوكالة قد استقلهما الى بندر عباس فوصلوا في أوائل ديسمبر سنة ١٧٥٦. وحاول مستر وود اقناع الوكيل بعدم اتخاذ أي اجراء ضد كانجون او ريق ، وقال ان القوة الموجودة ليست كافية لاتخاذ مثل تلك الاجراءات ، كما ان ذلك لو حصل سيغضب العرب ، ولن تستطيع الشركة الحصول باستخدامها العنف على تعويض كاف ، كما وان تجارة ريق ستقع نهائياً في ايدي الهولنديين ، مع انها تعتبر سوقاً ممتازاً للمصنوعات الصوفية البريطانية ، ومكاناً يستطيعون منه الحصول على الحبوب والنبيذ بأثمان معقولة . لكن الوكيل أكد ضرورة اقامة مبنى مسلح تسليحاً كاملا للوكالة ، ولحماية هذا المبنى كان لا بد في رأيه من وجود سفينة كبيرة تحمل ٢٠٠ رجل مسلح . الى جانب سفينتين صغيرتين . وهكذا انتهت تجربة الشركة في ريق (٢) ، وصرف النظر عن حملة كانجون . ويبدو ان الشركة قد دفعت تعويضاً لمستر وود عن بيته الخاص حوالي ٦٠٠٠ روبية او أكثر قليلا .

الحرب بين مشايخ ريق والشارقة :

وشهدت سنة ١٧٥٩ حرباً بين مير مهنا وشيخ الشارقة ، ويبدو ان هذا الاخير كان يناصره شيخ القواسم في رأس الخيمة .

---

(١) ريق : تكتب بالفارسية كالآتى (ريك) وتنطق بتخفيف حرف الكاف .

(٢) فى مارس ١٧٥٧ كانت الشركة ما تزال تفكر فى تأسيس وكالة لها في ريق لكنها لم تتحرك عمليا في الموضوع بالنظر للصعوبات التى ربما كانت نتجت عن الحرب مع فرنسا .

سير التجارة البريطانية فى الخليج
١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

التجارة في ايران :

يبدو ان تجارة شركة الهند الشرقية في ايران ، رغم العقبات السياسية الكثيرة التي كانت تواجهها ، ورغم الحالة العامة المضطربة في البلاد ، ورغم تخفيض قيمة العملة الفضية الايرانية ، كانت مزدهرة خلال هذه الفترة ، لكنها كانت في حالة متدهورة تماماً خلال الفترة من ١٧٢٦ الى ١٧٣٠ .

١٧٣٦ :

ففي ديسمبر سنة ١٧٣٦ نقل من بندر عباس حوالي ٣٩٢ حمولة من صوف(١) كرمان الى بومباي ، لكنها لم تكن محزومة جيداً بسبب نقص خشب الصناديق في الشركة . وبالاضافة الى هذه الشحنة ، فقد نقل من كرمان كمية بلغت ٦٠٠٠ موند هندي ، لكنها بالنظر الى اضطراب الطريق التي كانت مزدحمة بسبب تحرك قوات نادر شاه عليها الى قندهار لم تصل بندر عباس في الوقت المحـــدد لها ، ولم تشحن بالتالي مع الكمية الباقية ، وتبع ذلك ايضاً شحن ما قيمته ١٤ الف موند أخرى . وكانت وكالة كرمان في ذلك الوقت تحت اشراف ايراني اسمه «سيواكس» واتفق رأي الوكيل ومجلس الشركة في بندر عباس حوله بأنه « رغم أمانته الا أنه لا يمكن اطلاق الثقة كاملة له وحده في كرمان ، فرغم نزاهته الا ان الحكومة تستطيع استمالته ، او قد ترغمه على تقديم

(١) توصف سلعة كرمان هذه دائما بانها صوف ، ولكن يبدو انها « موهير » أو شعر ماعز راجع ص ١٩٠ من هذا المجلد ، وراجع الجزء الثانى من رحلة أوليفر ص ٤٥٩ .

الهدايا لها او ان يقوم باقراضها اموال الشركة متعللا بأي عذر ممـــا يضاعف من نفقات الشركة أكثر مما لو وضعت ممثلا مقيماً لها يشرف على شحن الصوف هناك » .

وكانت واردات الشركة الرئيسية تكاد تنحصر في الثياب ، وقد جاء تاجر يمثل الشاه وحاكم فارس معاً مرة الى بندر عباس وطلب ابتياع كميات كبيرة منها . واقترح ان يدفع ثمنها صكوكاً على مسئول العوائد ، فرفضت الشركة الصفقة التي قبلها الهولنديون .

١٧٣٧ :

وفي أوائل سنة ١٧٣٧ ذكر مستر سفيج الذي كان مسئولا عن شئون الشركة في كرمان ان بعض اهالي اقليم جورجيا وصلوا الى أصفهان ومعهم منسوجات من شركة قيل انها انشئت حديثاً في استراخان ، وانه بالنسبة لهذه الحقيقة ، فلن يستطيع تصريف أكثر مما يساوي ١٠٠٠ او ١٢٠٠ تومان من بضائع الشركة الصوفية في الموسم التالي . وكانت ثمة عقبة أخرى في وجه تجارة كرمان هي هبوط قيمة العملة الايرانية الفضية ــ المكونة أساساً من الريال العباسي والريال المحمودي ــ ، ونتيجة لذلك قرر الوكيل والمجلس في بندر عباس الا يرسلوا أكثر من خُمس المخصص من البضائع الصوفية السنوية الى كرمان ، والا يقبلوا منها ثمنها الا بالريال العباسي مقابل خمسة شاهيات فقط ، او بعملات نحاسية او نحاس قديم . اما الاربعة أخماس الباقية من مخصص الصوف فتم شحنها عن طريق الوسيط الى بندر عباس لان الحل الوحيد بدل ذلك كان ان تباع للحاكم المحلي « الذي سيرغمهم على اخذ عملة فضية بنسبة ٥٠٪ » ، وبعدها بقليل تبين ان الوسيط صادف صعوبات جمة في التخلص من الثياب الصوفية التي اخذها ، وان التجارة مع كرمان قد اضطربت نتيجة ضغط نادر شاه على سائقي بغال الوكالة

للعمل معه في نقل الامدادات الى معسكره ، الذي كان يحاصر قلعة قندهار ، كما قال ان اربعة تجار او خمسة فقط قد جاءوا الى كرمان لابتياع الصوف الاحمر ويظن انهم ينوون بيعه في سوق حلب .

١٧٤٠ :

وفي سنة ١٧٤٠ ، ورغم الحالة المضطربة في ايران ، نشأ طلب كبير على المصنوعات الصوفية الانجليزية ، يبدو انه كان بسبب حظر استيراد المنسوجات الصوفية من تركيا . وارتفع سعر صوف كرمان ارتفاعاً كبيراً ، نتيجة تصنيعه حللا وقبعات لجيش نادر شاه ، بحيث عجز مستر سفيج عن ان يشتري شيئاً منه بأسعار معقولة .

١٧٤٤ :

وبحلول سنة ١٧٤٤ ، كانت وكالة أصفهان قد اغلقت ابوابها لفترة ثم اعيد فتحها ، وبذلك توقفت التجارة من روسيا الى هذا الجزء من ايران(١) وتشجع الوكيل والمجلس في بندر عباس بهذا النجاح فقرر ارسال سفيج — بعد انتهاء الشتاء — من كرمان الى مشهد فبهذه الوسيلة فقط يمكن ابعاد البضائع الروسية عن خراسان السوق الوحيد الذي تبقى لها . وقد صدقت الرياسة في بومباي على هذا الاقتراح لكن حالت دون تنفيذه بعض الصعوبات المتعلقة بالضرائب واضطراب حالة البلاد . فقد كان محمد تقي خان ، ثائراً في فترة من الزمن في شيراز وكانت اعماله هذه تهدد بنشوء ديون هائلة كثيرة للشركة لا سيما بالنسبة لمسؤول كبير في شيراز كان مديناً لها بمبلغ ٤٠٠ تومان ، فقد فقئت عينا هذا الرجل

(١) لا بد أن هذه كانت هى االشركة (البريطانية) الروسية التى كانت تمارس نشاطها فى منطقة بحر قزوين وشمال ايران (بشكل أساسى فى المدة ١٧٤٢ — ١٧٤٩) وهى تقترن بكل من التون وهانوى (Elton & Hanway)

ونزعت امواله لاتهامه بالتعاطف مع الحاكم الثائر .

وفي هذه السنة باعت وكالة بندر عباس تموراً قيمتها ١٢٤٢ روبية الى تاجر بريطاني وهذه اول مرة يرد فيها ذكر للتعامل بهذه السلعة .

١٧٤٧ :

وبعد نفاذ جميع محتويات المخازن في كرمان ارسلت اليها ١٤١ بالة من الاقمشة الصوفية و ١٠٠٠ قطعة من الثياب المنسوجة في مارس سنة ١٧٤٧ ، وبذلك استنفذ كل رصيد الاقمشة في بندر عباس ، وطلب الوكيل ومجلس الادارة امدادهم فوراً بكمية جديدة من بومباي . ولما كانت الرياسة قد طلبت في هذا العام كمية كبيرة من اصواف كرمان علاوة على طلبات سابقة ، فقد ذكر موظفو الشركة في بندر عباس أنهم ينوون طلب هذه الكمية عن طريق مستر جريفز ولكنهم لم يكونوا واثقين من النجاح لانه « نظراً لاستبداد الحكومة ، كان الاهالي يبيعون ماعزهم في السوق لسداد الضرائب ولانالقرى المجاورة قد نهبت وابيدت الاغنام والماعز فيها » ومن هذا يتضح ان ما يسمى « صوف كرمان » وهو من المواد الهامة في التصدير لم يكن سوى « شعر ماعز » ويؤيد هذا الظن حقيقة واقعة وهي ان اللون الغالب على الجزء الاكبر من هذا الصوف لم يكن الابيض او الاسود لكن كان اللون الاحمر .

١٧٤٨ :

في أوائل عام ١٧٤٨ كانت وكالة بندر عباس تواجه عجزاً في الاموال حتى انها ارسلت ما قيمته ٢٠٠٠ موند هندي من النحاس لبيعها في باركه(١) ولم يصل إخطار من هناك بوصول النقود .

---

(١) ربما وقع تصحيف للاسم المقصود والارجح انه « البصرة » .

١٧٤٩ :

في سنة ١٧٤٩ طلبت ادارة الشركة في لندن ضرورة امدادها بخمسين الف رطل من صوف كرمان على ان يكون اللون الاحمر هو الجزء الاكبر منه وباقل ثمن ممكن دون تحديد له . وقد سلمت طلبات البضاعة الى الوكيل والمجلس في بندر عباس ، هذا وظل النحاس في مقدمة صادرات ايران ولكن ليس هناك ما يشير الى مصدر هذا النحاس .

١٧٥١ :

في سنة ١٧٥١ لم تكن طوالع التجارة مشجعة نظراً للفوضى التي عمت ايران وللاشاعات عن تجدد المنافسة من جانب استراخان . وقد وردت تقارير من بندر عباس تقول « ان الحكومة في مختلف انحاء البلاد قد بلغت من السوء حداً جعل كبار التجار غير آمنين على حياتهم وممتلكاتهم في ظلها مما ادى بكثير منهم الى استبدال اموالهم بالجواهر ونحوها والى الرحيل مع عائلاتهم الى مكة حيث ارادوا الاقامة الى ان تعود البلاد الى حكم يستطيع فرض النظام » .

كان الصوف في كرمان قليلا وغالياً ولم يكن ممكناً شراوه حتى من القرى بسعر اقل من ٦٠ شاهي لكل موند (حوالي ١٠٠ رطل) اي أكثر من ١١٠ شاهي للصوف المنتقى والمنظف بينما كان في سنة ١٧٣٦ يشترى في بندر عباس بمبلغ ٣٥ شاهي للموند شاملة كل المصاريف .

١٧٥٢ :

في سنة ١٧٥٢ كان صوف كرمان ما يزال نادراً نظراً لقلة الماعز ولكن وردت انباء تفيد ان الشركة الروسية أرسلت مركباً واحداً فقط من استراخان الى رشت في خلال السنوات الثلاث الماضية وان وكلاءهم باعوا بضاعتهم نقداً على ظهر السفينة لخوفهم من النزول الى البر .

١٧٥٣ :

واستمر الصوف على ندرته في سنة ١٧٥٣ نظراً لغارات السلب والنهب التي كان يقوم بها رجال الحكومة وعصابات اللصوص على الماشية ، ومع ذلك فقد امكن شراء ٩٠٠ موند منه في شهر يوليه ، وكان من المتوقع ايضاً شراء ١٠٠٠ موند أخرى . اما الثمن فقد ارتفع بتأثير الهولنديين الذين بذلوا كل جهودهم لاحتكار السلعة كلها فاوصلوا السعر الى ما يزيد على ثماني روبيات للموند الواحد من الصوف الخام غير النظيف . وكانت المواصلات من بندر عباس الى داخل البلاد غير آمنة وكان اغتصاب الموظفين الرسميين لاموال التجار عبئاً ثقيلا ... غير أن ولع الايرانيين بالاقمشة الصوفية وشدة حاجتهم اليها في ملابسهم الشتوية كانا سبباً في رواج بيعها . وفي اثني عشر شهراً ارسلت ٣٢٠ بالة من الاقمشة الى كرمان وتم بيع جميع الكمية المخزونة من المنسوجات الصوفية في بندر عباس . وبناء على طلب الوكالة ارسلت ٥٠٠ قطعة من المنسوجات نفسها الى بندر عباس لكن تبين ان الحاجة تدعو الى ٣ آلاف قطعة أخرى. لقد كانت الثياب الصوفية على أكبر جانب من الاهمية في تصريف البضائع الاخرى ، وكانت باقي الاقمشة المخزونة في بندر عباس قد تأثرت من الحرارة والعفونة والحشرات وبذلت جهود لتسويق القرمز في ايران وفي العراق التركي ولكنها لم تؤد الى شيء .

١٧٥٤ :

كان القرار الذي اتخذ في سنة ١٧٥٤ بانشاء وكالة تجارية بريطانية في ريق صادراً عن الرغبة في دفع التجارة في المصنوعات الصوفية البريطانية المربحة وللتغلب على منافسة الفرنسيين والمضاربين من أهل حلب الذين كانوا يرسلون بضاعتهم الى البصرة عن طريق البر .

١٧٥٥ :

في اواخر سنة ١٧٥٥ كانت التجارة في بندر عباس في قمة ازدهارها حتى أن ١٢٠٠ موند من صوف كرمان صدرت الى بومباي و ٣٢٤٠ موند بقيت في انتظار الشحن براً و ٧٥٠ موند كان وصولها منتظراً من المنطقة العليا ، وبلغت الاموال التي دفعت في كرمان لاستثمارها في هذا العام أكثر من ٧٤,٠٠٠ روبية » .

كانت هناك ايضاً « مخلفات كثيرة من النحاس القديم » في بندر عباس كما كان الطلب شديداً على مزيد من شحنات البضائع الصوفية قبل ان يتوقف الموسم التجاري لهذه السلع بحلول فصل الصيف الحار .

١٧٥٦ :

وفي ربيع سنة ١٧٥٦ تم شحن ما قيمته ١,٦٢٠,٩٨٧ شاهي من الصوف والنحاس الى بومباي من بندر عباس ، وقد ذكر الوكيل والمجلس ان الروبيات الفضية كانت مطلوبة لعمليات الشراء في كرمان حيث ان التجار هناك لا يقبلون بديلا عن هذه العملة ، وكان من العسير اعطاؤهم صكوكاً للدفع .

وفي الفترة من ٢٩ سبتمبر الى ٧ ديسمبر كان الوكيل قد سدد ١٠,٠٠٠ روبية الى كرمان لحساب الاستثمار في هذه السنة (١٧٥٦) ومبلغ ٢٢,٠٠٠ لحساب الموسم القادم ، وكان قد تسلم بالفعل ٢٥٨٠ موندا من الصوف وكان يأمل ان تصل الكمية الى ١٠,٠٠٠ موند قبل نهاية العام .

وقد اشار الى انه يعتقد ان رفض استلام الصوف الاسود قد يؤدي الى عواقب وخيمة ، اذ ان الهولنديين لا يستثنون أي لون ويسلكون جميع السبل لزيادة استثماراتهم .

١٧٥٦ — ١٧٥٨ :

وفي خلال الفترة من سنة ١٧٥٦ الى سنة ١٧٥٨ ابدى مجلس الشركة في لندن اهتماماً كبيراً بالسوق الايرانية فعمل على تصميم وتصنيع أقمشة تضاهي المنسوجات الهولندية والفرنسية التي كانت تلقى اقبالا شديداً في الخليج ، وكانوا دائماً يطلبون عينات من بضائع منافسيهم ولم يكونوا قانعين بصوف كرمان الذي يرسل دائماً لهم . وفي سنة ١٧٥٨ نظراً لخسائرهم الفادحة في مبيعات هذه السلعة اصروا على عدم تلقي أية كمية من الصوف الاسود ، وطلبوا بذل كل جهد ممكن لشراء الصوف الاحمر فقط دون الابيض والاسود ، مع محاولة الحصول على (٢٠) الف رطل من كرمان بسعر ٧٠ شاهي للموند بخلاف مصاريفه اما اذا لم يكن ذلك السعر ممكناً ، فيشترى ١٠,٠٠٠ رطل فقط بحيث لا يزيد السعر عن ٨٠ شاهي للموند . وقد اعترض مجلس الادارة كذلك على فكرة بناء مخازن في كرمان وذكر انه في حالة الحاجة يمكن استئجار المباني اللازمة . وقد ذكر دكتور ايفز الذي زار بندر عباس سنة ١٧٥٨ ان المواد الآتية هي صادرات ثانوية من ايران كانت الشركة تترك التعامل بها للتجار او الافراد وهي : العصفر بجميع انواعه خاصة خير أنواعه التي تسمى هنج (دم الغزال او العندم) (والسوجونبتيم وهو نبات هندي ذو زهر أصفر يستخرج منه صبغ أحمر) ثم الكمون واللوز والزبيب النباتي والزبيب الاسود والفستق والبرقوق والتمر ، ويضيف دكتور ايفز : « لا استطيع ان اختم هذه الاشياء السريعة الى الاحوال في جمبرون دون الاشادة بحكمة وفطنة الوكالات التجارية البريطانية والهولندية هناك فقد استطاعت — وسط الاضطرابات واشتعال الحرب الاهلية في ايران — ان تزاول عملها بغير توقف او بالقليل من التوقف جاعلة نصب عينيها عدم التدخل الى جانب أي من الفريقين المتقاتلين ، لقد كان من مبادئها الا تميل علناً الى أي من الاطراف

المتنافرة وان تحتفظ في نفس الوقت بمودة الجميع ، وفي سبيل ذلك فان الخطابات الودية وفي بعض الاحيان الهدايا كانت امراً لازماً لا غنى عنه» .

١٧٦٠ :

بلغت الاستثمارات في صوف كرمان سنة ١٧٦٠ (٣٠٠٠) موند منها ٢٨٢٠ موندا من الصوف الاحمر و ١٣٥ من الابيض و ٤٥ من الرمادي . وقد رأى الوكيل والمجلس في بندر عباس بيع النوع الرمادي محلياً بأي ثمن يحصل .

وقد تأثرت الشركة نتيجة للاضطرابات في خراسان ولوحظ نقص كبير في التجارة عماكان متوقعاً ، وظل الصوف والنحاس اهم البضائع جميعاً في تجارة التصدير .

١٧٦١ :

كانت سنة ١٧٦١ قاتمة ، فقد وقعت مظالم فادحة في كرمان من حكومة كريم خان التي طلبت من الاقليم تبرعات قدرها ٣٠ الف تومان ، كانت تعادل سبعة امثال الدخل السنوي العادي للضرائب . هذا وقد شملت اغتصابات الحكم مترجم الشركة في كرمان الذي نصحته الشركة بأن يعود الى بندر عباس فور انتهاء العمل في تصدير الكمية المقررة من صوف ذلك العام اذا ظل وجوده هناك خطراً عليه .

ويظهر ان ممثل الشركة قد حصل على كمية الصوف المقررة وهي حوالي ٣٠٠٠ موند وبعدها حصل على اذن من الحاكم بمغادرة كرمان .

وكان بيع البضائع الصوفية في بندر عباس قليلا في ذلك العام . وجاء في تقرير الوكيل والمجلس ان « المملكة تسير مندفعة بسرعة نحو الدمار وان كبار الرجال لا يهتمون بالامر وان همهم ارضاء جنودهم واتباعهم ونحن نخشى ان يؤدي ذلك الى تدهور التجارة » .

ونظراً لانخفاض أسعار النحاس القديم في ذلك الوقت فقد ابدت الرئاسة في بمباي رغبتها في ان يكون الدفع لها بالذهب او الفضة وليس بالنحاس .

١٧٦٢ :

واستمر الكساد عام ١٧٦٢ لنفس الاسباب ، وقد بلغت جملة المبيعات في بندر عباس من اغسطس سنة ١٧٦١ الى اغسطس ١٧٦٢ مبلغ ٣٦,٠٢٠ روبية فقط ، وكان ذلك راجعاً الى سوء الاحوال السائدة في كرمان حيث كان يسكن تجار الملتان سابقاً ممن يتعاملون من هناك مع مشهد وقندهار . لكنهم الان احجموا عن نشاطهم تحت تأثير السلب الواقع عليهم اذ كانت السلطات المحلية تستولي على البضائع الواردة اليهم من بندر عباس بصورة تعسفية مما أدى الى توقف نشاطهم .

أما الوضع بالنسبة لتجارة الشركة وترتيباتها في العراق التركي ، فهذه موضحة بالتفصيل في الفصل الخاص بتاريخ هذا الاقليم .

مؤسسات شركة الهند الشرقية فى الخليج وترتيباتها العامة هناك ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

في النصف الاول من القرن الثامن عشر كانت الكلمات وكيل او معتمد " Agent" وممثل تجاري "Factor" وكالة " Agency " وكالة تجارية " Factory " تستعمل بغير تحديد يفرق بينهما عند الاشارة الى موظفي الشركة ومراكز اعمالها في الخليج وفي ايران ... لكنه مع الزمن أصبح المسئول عن اعمال الشركة في المنطقة كلها يطلق عليه لقب الوكيل " The Agent " ،وبما ان بندر عباس اصبحت المقر الرئيسي لادارة عمله فقد اطلق على ذلك البلد اسم الوكالة "The Agency" أما مركز أصفهان فكان كثيراً ما يطلق عليه قبل اغلاقه نهائياً اسم المقيمية " Residency "، وكذلك كان حال البصرة . وحيث ان كلا من هذين المركزين كان تابعاً لبندر عباس ، فانه ينبغي لنا ان نفهم من « وكيل او معتمد » بعد سنة ١٧٥٠ « وكيل الحاكم العام » وليس ذلك ما تعنيه اليوم عبارة « المعتمد السياسي » . وكانت مصالح الشركة في كرمان احياناً تحت اشراف موظف اوربي وفي احيان أخرى تحت اشراف مترجم وطني . ولم يكن هذا المركز مصنفاً اذ ذاك في أية مرتبة معينة ، أما تعبير (الشركة المعظمة) فكان مقصوداً به شركة الهند الشرقية وفق استعماله السائد في منطقة الخليج منذ عام ١٧٣٧ وربما قبل ذلك . اما حقيقة كون الشركة أكثر من مجرد جمعية للتجار فهذا وضع لها لم يصبح معروفاً قبل سنة ١٧٦٢ عندما دعا شيخ بو شهر الى وجوب انشاء (وكالة تجارية بريطانية) في ميناء بلاده . اما الدليل على ان التمييز بين موظف الشركة الكبير (المتعاقد مع الشركة) وسائر موظفيها الصغار لا بد كان قد استحدث قبل سنة ١٧٥٠ ،فذلك ظاهر من طلب بضاعة ورد من رئاسة الشركة في بومباي جاء في نصّه « واذا كانت

الظروف والاحوال العامة في أصفهان تتطلب بالضرورة القصوى موظفاً متعاقداً للبقاء هناك فترة أطول ، فالواجب تعيين المستر دالرميل ليحل محل المستر جريفز الى ان يحين الوقت الممكن لاستدعائه اذ يجب ان لا يكون لنا مندوب ومعتمد يقيم هناك الا بقدر ما تستدعيه ضرورات الاوضاع السيئة هناك (١) .

الموظفـــون :

وفيما يتعلق بالموظفين تجدر الاشارة الى ضخامة عدد الاسكتلانديين بين موظفي الشركة في الخليج وهي ظاهرة تميز هذه الفترة عن سابقتها التي كانت مباشرة قبل الاتحاد البرلماني بين انجلترا واسكتلندا . وعلى هذا فاننا نجد بين الموظفين المدنيين بالشركة اسماء مثل دالرمبل (Darlymple) ودوجلاس (Douglas) وجيكي (Geekie) وروس (Ross) وشو(Shaw) وستيوارت(Stuart) وبين رجال البحرية امثال كلو(Cleugh) وكريكتون (Crichton) ودوجلاس وجرانت (Grant) وكير (Kerr) ولندري (Lindsey) وملن (Milne) ونسبت (Nesbit) وبين رجال القسم الطبي امثال فوربـز (Forbes) وروز (Rose) وبين الضباط العسكريين اسم ماكنزي (Mackenzie) الخ .

الموظفون في ايران :

ومن الاسماء اللامعة بين الوكلاء في بندر عباس في هذه الفترة نجد فرانسيس وود سنة ١٧٥٢ (Francis Wood) الذي انتدب لاحقا لافتتاح وكالة تجارية في ريق والكسندر دوجلاس الذي تحمل مسئولية العمل في الفترة الحرجة من سنة ١٧٥٣ الى ١٧٦٣ واعد

---

(١) والواضح ان الاشارة هنا هى الى حالة السادة بيرسون وبلاندى المشار اليها فى ص ٢٠٢ من هذا المجلد (Messrs Pierson & Blandey)

ترتيبات الانسحاب من بندر عباس في سنة ١٧٦٣ .

وقد تحمل موظفو الشركة مشاق المناخ القاسي ، وفيما يلي بيان حالات الاصابات المرضية في ايران حسب ما ورد في بعض الخطابات ، ومن المحتمل وجود حالات كثيرة غيرها .

في سنتي ١٧٣٥ و ١٧٣٦ اضطر الوكيل في بندر عباس الى مغادرتها بسبب سوء صحته في كلتا السنتين ، وتوفي مستر داكـــرز سنة ١٧٣٩ ، وفي سنة ١٧٤٠ توفي مستر روز ، وهو طبيب جراح ، وفي سنة ١٧٤٣ (١٩ نوفمبر) توفي انساين ماكنتري ولم يترك وصية وبيعت مقتنياته وفي سنة ١٧٤٥—١٧٤٦ توفي مستر (جونز) و (سايتس) وفي سنة ١٧٤٧ توفي مستر روس واحد رجال المدفعية الاوربيين ، وفي سنة ١٧٥٠ (١١ ديسمبر) توفي مستر دالرمبل ، وفي سنة ١٧٥٢ توفي مستر ونت ومستر بيرسيفال وكلاهما لم يترك وصية ، كما توفي في ١١ نوفمبر انساين بوراج وكثير من الجنود الهنود الملحقين بالجيش البريطاني — كما تعرضت حياة مستر وود للهلاك المحقق مرتين ولكنه عوفي ؛ وكانت الفترة بين مارس وسبتمبر موسماً كثير الامراض .

وفي ٩ يونيو سنة ١٧٥٣ توفي مستر سدجويك وفي سنة ١٧٥٥ توفي مستر بارسون ومستر سكر وفي سنة ١٧٥٦ توفي مستر بومبث وفي سنة ١٧٥٨ توفي مستر هولمز واصبح الجراح رجلا عاجزاً عن العمل .

وفي سنة ١٧٥٩ (١٢ مارس) توفي كابتن كريكتون وكان عام ١٧٦٠ ايضاً موسماً لامراض كثيرة ، وفيه توفي مستر ناش ومعظم الجنود الاوربيين واصبح مستر انساين ناك عاجزاً عن العمل وقد طلب مساعدين جدداً ، وفي العام التالي وصل كاتبان جديدان يعتقد ان احدهما مستر و. دوجلاس الذي توفي سنة ١٧٦١ .

وفي سنة ١٧٦٣ كتب الوكيل دوجلاس ، بعد الانتهاء من نقل الوكالة من بندر عباس يقول « نظراً لانحلال صحتي نتيجة اقامتي زمناً

طويلا في هذا المكان غير الصحي و نظراً لانني لا اتوقع الشفاء الا في جو بلادي فقد دفعتني هذه الاعتبارات الى العودة لمقر عملي في الرئاسةالخ وبناء على ذلك ابحر الى بومباي ومحتمل انه واصل الرحلة منها الى اوربا .

وليس بمقدورنا التأكد من معدل عدد الموظفين في بندر عباس(١) ولكنه على اية حال لم يكن كبيراً والقائمة التالية تبين بجلاء ظروف الحياة المميتة(٢) .

---

(١) في سنة ١٧٥٠ كان عدد موظفى الشركة المعتمدين في ايران ورواتبهم السنوية كالآتي :
مستر ويتول (Whitwell) وكيل Agent ـر١٥٠ جنيها
مستر ج. باك (Back) محاسب وأمين مستودع ـر٤٠ جنيها
مستر سافيج (Savage) في كرمان ـر٣٠ جنيها ـ مستر ج. بيرسون سكرتير ـر١٥ جنيها وفي سنة ١٧٥١ كان الوضع كالآتي :

المستوطنة «المسكن»	اسم الموظف ووظيفته	وقت وصوله الهند	راتبه الابتدائي	راتبه السنوي الحالي	عمره	القابه
بندرعباس	هنري سافيج وكيل	١٧٣٢/٩/١١	٥ جنيهات	١٥٠ جنيه	٣٥	الرجل الرابع في المجلس ٢ خازن
بندرعباس	كوان هنري درابر سكرتير	١٧٤٣/١٠/١	٥	١٥	٢٣	ممثل تجاري
بندرعباس	جيمز دالريمبل مساعد جرايفز في اصفهان	١٧٤٤/٩/١٠	٥	١٥	٣٥	ممثل تجاري
اصفهان	دنفرس جريفز وكيل مقيم	١٧٣٨/٦/٩	٥	٤٠	٢٠	كبير تجار

(٢) هذه الظروف المميتة تعود جزئيا الى عادات المعيشة التى شملت حياة موظفي الشركة أنظر تاريخ هملتون الجديد مجلد ١ ص ٥٩ « غالباً ما يكون موت الاوربيين نتيجة أعمالهم التى تسبب الموت لهم : ذلك باسرافهم في الشراب والفسق والدعـــارة بأنواعها المختلفة ولهم مدفن قرب المدينة به مقابر ولكن ليس لهم أية كنيسة في هذه المدينة » .. الخ

ان تقدير مدى الاخطار السياسية والعسكرية المواكبة لموقع العمل ، ومصاعب وخيبة امل التجارة بين حين وحين(١) : وحياة العزلة ، ومتاعب وخشونة السفر وعدم ملاءمة الجو للصحة كلها شواهد صدق على عناد الانجليز واصطبارهم ، ولم يكن هؤلاء الموظفون يتقاعسون عن التمتع بكل ما يتيسر لهم من متع الحياة في بندر عباس ، وكانت الشركة تقدم لهم على حسابها الطعام والشراب بما في ذلك نبيذ ماديرا ونبيذ ايران، وكانت الزجاجة من النوع الاخير تساوي ٢٠ بنساً . ويقول ايفز « انه الذ نبيذ شربته باستثناء النبيذ الفرنسي » .

وكان للوكالة منزل ريفي وحديقة جميلة في اسين على بعد حوالي عشرة أميال وكان هذا حافزاً لنجل واخ محمد تقي خان حاكم فارس ان يستضيفا نفسيهما هناك في اوائل عام ١٧٣٦ .

وكان البريطانيون في بندر عباس يحتفلون بالمناسبات العامة المهمة ، وفي نهاية سنة ١٧٦١ ارسلت الرئاسة في بومباي توجيهاً الى الوكيل والمجلس باشهار تولي جلالة الملك جورج الثالث، وارسل اليهم تفصيل ما يجب عليهم عمله في هذه المناسبة وامرهم ان يقسموا يمين الولاء له وان يقسم كل الضباط البريين والبحريين يمين الولاء ويمين الاخلاص .

الموظفون في العراق التركي :

جميـــــع البيانات المتعلقة بمؤسسات الشركة في العراق التركي مفصلة في الفصل الخاص بتاريخ تلك البلاد .

المنشآت العسكرية :

لم تكن المنشآت المدنية للشركة لتخلو من حراسة عسكرية سواء

---

(١) ما بين ١٧ سبتمبر سنة ١٧٥٢ و ٢٢ يونيو سنة ١٧٥٣ لم تسنح فرصة لارسال أى خطاب من بندر عباس الى بومباى والمحتمل أن تكون هذه الفترة أطول من المعتاد ٠

في بندر عباس او البصرة او ريق . وفي نهاية سنة ١٧٤٣ طلب العسكريون في بندر عباس استبدالهم لانهم امضوا في العمل هناك أكثر من عامين ، ويبدو ان الرئاسة ارسلت محلهم جاويشاً وطبالا و ١٢ جندياً من التوباس للحراسة العامة . ولكنها لم ترغب في تعيين احد بدل ماكنزي الذي كان توفي على اساس ان الحاجة في المنطقة لا تدعو الى وجود موظف بمثل رتبته.

وفي سنة ١٧٤٤ تذمر الوكيل والمجلس من تخفيض عدد حرسهما بسبب خطورة الظروف ، وطلبوا ارسال ملازم بحري واثنين او ثلاثة من الاوربيين برتبة « عريف » وكان رؤساء الجنود من البرتغاليين يتقاضون ٤ روبيات شهرياً للواحد(١) اما صغار الجنود فكانوا من الهنود .

وفي سنة ١٧٤٧نظراً لتحرج الموقف بعد وفاة نادر شاه ارسلت الرئاسة الى الوكيل والمجلس في بندر عباس ، جنديين من رجال المدفعية واعتدة مختلفة واذنت لهما في حالة الضرورة القصوى ان يحتجزا عشرة رجال من رجال السفينة دريك لحماية وكالتهما اذا تهددها الهجوم من اي جانب .

وفي سنة ١٧٤٨ خرج اثنان من التوباز الى ظاهر المدينة للمبارزة فقتل احدهما وهو فرانسيس بيريرا غريمه لورنس دي روماد بعصاه فارسل سجيناً الى الهند.وبعد سنة ١٧٥٠ كانت الفصيلة العسكرية في بندر عباس بقيادة ضابط. وفي بعض الاحيان كان يحتفظ بالسفينة لحماية الوكالة، فقد بقيت السفينة دريك مثلا لمدة ١٢ شهراً تقريباً ابتداء من يوليو سنة ١٧٥٠ لهذا الغرض عقب الاضطرابات التي حدثت في أصفهان،وفي اجزاء اخرى من البلاد . وفي اوائل عام ١٧٥٢ كان رئيس العسكر الهنود كثير الخروج على النظام فاوصى الوكيل والمجلس باستبداله كما

---

(١) في سنة ١٧٥١ تظلم التوباز وطلبوا رفع رواتبهم الى خمس روبيات شهرية كزملائهم في بومباي ·

اوصى بنقل الحرس الهنود المتزوجين واستبدالهم بعزاب لانه بالنظر لان رواتبهم كانت تحول لعائلاتهم في الهند كانوا لا يستطيعون العيش على جرايات الطعام القليلة .

وفي هذه السنة عاد الملازم وا رامان وجاويش مع فصيلة من الجند الى بومباي ووصل رقيب (جاويش) واثنان برتبة عريف (اومباشي) وعامل اصلاح للسلاح وكلهم من الاوربيين، كما نقل الى البر احد ضباط الصف البحريين من احدى السفن بالشركة . وفي ٢٥ يوليو سنة ١٧٥٣ بعد وفاة الملازم البحري كانت حامية بندر عباس تتألف من جاويش واومباشي اوربيين و ٢٤ جندياً من التوباز و٢٢ من هنود بومباي ، كما كان هناك ايضاً مدفعي اوربي تنقصه الكفاءة لادمانه الشراب . وفي سنة ١٧٦١ ارسلت الفصيلة العسكرية المعتادة الى بندر عباس على السفينة « دريك » وكانت التعليمات لدى الوكيل ان لا ينزلهم الى البر الا في الحالات الطارئة فقد دلت التجربة على ان اقامتهم في البر ضارة بصحتهم، وقد استمزج رأي الوكيل تلك السنة في امكانية استبدال الحرس الهندي بنظير لهم من الحرس الاوربي .

سلوك الموظفين :

يبدو ان الرشوة كانت نادرة بين صفوف موظفي الشركة في الخليج ولكن في سنة١٧٤٧ اكتشفت الرئاسة في بومباي مخالفات جسيمة في حسابات اصفهان من قبل بيرسونزوبلاندي مندوبي الشركة هناك . واول ما لفت النظر الى اعمالهما كان فاتورة سحباها على البصرة تجاوزت علاوة صرفها ٥٠٪ ثم دلت التحريات على انهما استوليا محلياً على مبالغ قيمتها ١٤٣٠٠ روبية اعطوا في مقابلها سندات بفائدة تتراوح بين ١٠٪ و ١٥٪ في الشهر ، كما اتضح انهما ارتكبا كثيراً من الجرائم الاخرى الخطيرة وانهما كانا يزوران الحسابات . وقد تعقدت هذه القضية من جراء الاوامر المتناقضة عنها من لندن وبومباي واستمرت الى سنة

١٧٥٠ عندما ارسل مستر جريفز ومستر دالرمبل الى اصفهان لبحث القضية في مكان وقوعها ، ثم اضطرا الى العودة عاجلا كما ذكرنا نظراً لعدوان على الوكالة هناك . وفي اواخر السنة اعترف بيرسونز بجريمته امام مستر جريفز في بندر عباس وامام الوكيل والمجلس وصودرت ممتلكاته ثم ارسلت الى الهند (ولم تكن هذه الممتلكات تزيد عن ملابسه وعدة منوعة لركوب الخيل .. الخ . ولم يسترد سوى ربع المبالغ المختلسة من اموال الشركة المعظمة) .

ووقع سوء تصرف آخر من موظفي الشركة في العراق التركي وفي البصرة بالذات بعد عدة سنوات من الحادث السابق .

المواصلات والمراسلات :

كانت المواصلات مع فروع الشركة في الخليج تتم عادة بالسفن من بمباي ، ولكن كان يحدث احياناً ان ترسل السفن رأساً من انجلترا محملة بالبضائع الى بندر عباس ومنها تتجه الى بومباي ، وقد حصل ذلك مع السفن « هكتور » سنة ١٧٥٦ و « برنس ادوارد » سنة ١٧٥٧ و «ادميرال واتسون » التي تبلغ حمولتها ٤٠٠ طناً وعليها ٨٠ رجلا و ٢٤ مدفعاً في سنة ١٥٨٧ . واصبحت المراسلات مشكلة شاقة اثناء الحرب مع الفرنسيين ويبدو انه في سنة ١٧٤٨ كانت الخطابات ترسل من الهند عن طريق القاهرة البري ، كما ترسل نسخ منها عن طريق الخليج . وفي سنة ١٧٥٥ عندما ساد السلام كانت اصول الخطابات ونسخها الاخرى ترسل من بندر عباس الى لندن عن طريق البصرة وحلب وبوسائل نقل مختلفة .

وقد حدث ان احد الطرود لم يرد ، ولكنه عثر عليه لاحقاً بطريق الصدفة في الصحراء وجاء الى حلب احد الرعايا الاتراك واستنتج ان عامل البريد كان قد مات او قتل اثناء سفره .

وعند نشوب الحرب مع فرنسا عام ١٧٥٦ صدرت التعليمات الى المؤسسات في الخليج ان تظل على احسن اهبة ، واتخذت احتياطات لحماية

١٧٥٠ عندما ارسل مستر جريفز ومستر دالرمبل الى اصفهان لبحث القضية في مكان وقوعها ، ثم اضطرا الى العودة عاجلا كما ذكرنا نظراً لعدوان على الوكالة هناك . وفي اواخر السنة اعترف بيرسونز بجريمته امام مستر جريفز في بندر عباس وامام الوكيل والمجلس وصودرت ممتلكاته ثم ارسلت الى الهند (ولم تكن هذه الممتلكات تزيد عن ملابسه وعدة منوعة لركوب الخيل .. الخ . ولم يسترد سوى ربع المبالغ المختلسة من اموال الشركة المعظمة) .

ووقع سوء تصرف آخر من موظفي الشركة في العراق التركي وفي البصرة بالذات بعد عدة سنوات من الحادث السابق .

المواصلات والمراسلات :

كانت المواصلات مع فروع الشركة في الخليج تتم عادة بالسفن من عباي ، ولكن كان يحدث احياناً ان ترسل السفن رأساً من انجلترا محملة بالبضائع الى بندر عباس ومنها تتجه الى بومباي ، وقد حصل ذلك مع السفن « هكتور » سنة ١٧٥٦ و « برنس ادوارد » سنة ١٧٥٧ و «ادميرال واتسون » التي تبلغ حمولتها ٤٠٠ طناً وعليها ٨٠ رجلا و ٢٤ مدفعاً في سنة ١٥٨٧ . واصبحت المراسلات مشكلة شاقة اثناء الحرب مع الفرنسيين ويبدو انه في سنة ١٧٤٨ كانت الخطابات ترسل من الهند عن طريق القاهرة البري ، كما ترسل نسخ منها عن طريق الخليج . وفي سنة ١٧٥٥ عندما ساد السلام كانت اصول الخطابات ونسخها الاخرى ترسل من بندر عباس الى لندن عن طريق البصرة وحلب وبوسائل نقل مختلفة .

وقد حدث ان احد الطرود لم يرد ، ولكنه عثر عليه لاحقاً بطريق الصدفة في الصحراء وجاء الى حلب احد الرعايا الاتراك واستنتج ان عامل البريد كان قد مات او قتل اثناء سفره .

وعند نشوب الحرب مع فرنسا عام ١٧٥٦ صدرت التعليمات الى المؤسسات في الخليج ان تظل على احسن اهبة ، واتخذت احتياطات لحماية

الهولنديون فى الخليج ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

أعمال الهولنديين في بندر عباس وبو شهر قبل احتلالهم خارج :

كان للهولنديين في اول هذه الفترة وكالتان في بندر عباس والبصرة وكان موقفهم في ايران من السلطات الوطنية أكثر انسجاماً مع الاهالي من موقف البريطانيين ، اما مع الافغانيين فقد كانت علاقاتهم في سنة ١٧٢٨ ــ كما رأينا قبل ، علاقة خنوع وتبعية ، وما كان تخليهم عن هرمز التي كانت تحت احتلالهم الا نتيجة مداخلات البريطانيين ، وقد سردنا ضمن تاريخ بندر عباس كيف ساعد الهولنديون الايرانيين في حملتهم على عمان بأن اعاروهم احدى السفن . وفي سنة ١٧٤٠ عرضوا معونتهم على الايرانيين لقمع تمرد البحارة العرب في الاسطول الايراني كما انهم في سنة ١٧٤٤ شاركوا في حملة ايرانية من شيراز لاعتقال حاكم بندر عباس ولكن تدخل البريطانيين افسدعليهم خططهم .

وفي سنة ١٧٤٧ قام الهولنديون بناء على دعوة من السردار باعادة تأسيس مستوطنة لهم في بو شهر كانو قد اخلوها من قبل،وقد ارسلوا للاقامة هنـــاك مينهير بلفلت من مقيميه البصرة وقد اخذ معه كمية من السكر وسكر النبات والكافور وبعض البهارات ، وفي سنة ١٧٤٨ بدأ الهولنديون يتحدثون عن اغلاق وكالتهم في بندر عباس لضآلة ارباحهم هناك . وفي سنة ١٧٥٨ تأكد لدى الوكيل البريطاني انهم يفكرون في احتلال جزيرة خارَج وانهم سينقلون وكالتهم في بندر عباس اليها ، وفي ابريل عام ١٧٥٢ زار ناصر خان (من لار) بندر عباس فاعلن وضع الهولنديين وممتلكاتهم تحت حمايته . وفي هذا العام ايضاً بذل البريطانيون جهداً جباراً للقضاء على تجارة الاصواف التي كان الهولنديون يجلبونها من حلب الى البصرة ، فقد تلقى المقيم البريطاني في البصرة تعليمات

الهولنديون فى الخليج ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

أعمال الهولنديين في بندر عباس وبو شهر قبل احتلالهم خاراج :

كان للهولنديين في اول هذه الفترة وكالتان في بندر عباس والبصرة وكان موقفهم في ايران من السلطات الوطنية أكثر انسجاماً مع الاهالي من موقف البريطانيين ، اما مع الافغانيين فقد كانت علاقاتهم في سنة ١٧٢٨ ـ كما رأينا قبل ، علاقة خنوع وتبعية ، وما كان تخليهم عن هرمز التي كانت تحت احتلالهم الا نتيجة مداخلات البريطانيين ، وقد سردنا ضمن تاريخ بندر عباس كيف ساعد الهولنديون الايرانيين في حملتهم على عمان بأن اعاروهم احدى السفن . وفي سنة ١٧٤٠ عرضوا معونتهم على الايرانيين لقمع تمرد البحارة العرب في الاسطول الايراني كما انهم في سنة ١٧٤٤ شاركوا في حملة ايرانية من شيراز لاعتقال حاكم بندر عباس ولكن تدخل البريطانيين افسدعليهم خططهم .

وفي سنة ١٧٤٧ قام الهولنديون بناء على دعوة من السردار باعادة تأسيس مستوطنة لهم في بو شهر كانو قد اخلوها من قبل،وقد ارسلوا للاقامة هنـــاك مينهير بلفلت من مقيميه البصرة وقد اخذ معه كمية من السكر وسكر النبات والكافور وبعض البهارات ، وفي سنة ١٧٤٨ بدأ الهولنديون يتحدثون عن اغلاق وكالتهم في بندر عباس لضآلة ارباحهم هناك . وفي سنة ١٧٥٨ تأكد لدى الوكيل البريطاني انهم يفكرون في احتلال جزيرة خارّج وانهم سينقلون وكالتهم في بندر عباس اليها ، وفي ابريل عام ١٧٥٢ زار ناصر خان (من لار) بندر عباس فاعلن وضع الهولنديين وممتلكاتهم تحت حمايته . وفي هذا العام ايضاً بذل البريطانيون جهداً جباراً للقضاء على تجارة الاصواف التي كان الهولنديون يجلبونها من حلب الى البصرة ، فقد تلقى المقيم البريطاني في البصرة تعليمات

بعد طرد البارون المذكور من البصرة(٢) حيث كان يشغل وظيفة المقيم زار جزيرة خارّج فوجدها موقعاً تجارياً هاماً ، لذلك اغرى المير ناصر رئيس ريق ان يعطيه كتاباً يمنح فيه الجزيرة لشركة الهند الشرقية الهولندية ثم تذرع بهذه الوثيقة وتوجه الى باتافيا حيث اقنع السلطات الهولندية بأن احتلال جزيرة خارّج فرصة يجب اغتنامها ويحتمل ان ذلك تم سنة ١٧٥٢ .

وفي ٢١ سبتمبر سنة ١٧٥٣ وصلت السفينة الهولندية « فورشن »

من مستر وود المقيم البريطاني في ريج الى الوكيل والمجلس فى بندر عباس بتاريخ ٣ مايو سنة ١٧٥٦ (رقم ٧٦ من مختارات مستر سالدانا من المستندات الرسمية ـ بومباى)
(٢) رحلة ايف من ايران الى انجلترا سنة ١٧٧٣ ٢٠٧/٢٥٥ (٣) وصف نيبور لبلاد العرب سنة ١٧٧٤ ص ٢٧٨/٢٧٩ ورحلة في بلاد العرب سنة ١٧٧٦ الجزء الثانى ص ١٤٩/١٦٦ (٤) خمس خطابات من تاجر حر في البنغال سنة ١٧٧٧ ص ١١٤٦/١٥٢ (٥) جزيرة خارج أو تشاراك في الجريدة الاسيوية عدد سبتمبر سنة ١٧٣٨ ص ٢٣/٢٤ ٠ ويظهر أن كاتب المقال الآخير وهو بدون توقيع قد اختلط عليه اسم جزيرة خارج وميناء شاراك في شيبكوه ويمكن القول ان نيبهاوزن كان رجلا قديرا متقلبا وكثير التنقل ونشيطا ولا يمكن الجزم بشيء عن النواحي الاخرى من اخلاقه ولكن يبدو محتملا انه كان كاذبا وماجنا ٠

وتقارير التاجر الحر سيئة جدا ومشينة وتدل على حقد شديد ، أما رأى ايفز فيبدو فيه المجاملة والتقدير ـ أما نيبور فقد تحفظ فى ابداء رأيه ، ولكن من الواضح انه كان يرتاب فيه ـ أما المراجع الاخرى فلم تذكر شيئا عن جوانب شخصيته ٠

(٢) الظروف التى غادر فيها البصرة موضحة في تاريخ العراق التركى أنظر ص ١٢٠٧ في النص الانجليزى ٠

الى بندر عباس انتظاراً للبارون نيبهاوزن الذي كان منتظراً وصوله من باتافيا ، وكانت هناك سفينة اخرى هولندية دخلت الخليج في الشهر السابق ولم ترجع بعد .

وفي ٦ اكتوبر وصل البارون الى بندر عباس على ظهر السفينة « جترّوت » وهي سفينة كبيرة جداً ظلت راسية لتتمون حتى ١١ اكتوبر ثم ابحرت متظاهرة بالتوجه الى بو شهر . وكان على ظهر السفينتين جنزوت وفورشن حمولــة كاملة من الرجال والذخيرة والاخشاب ، وبعد ايام قليلة مرت سفينتان هولنديتان صغيرتان بجوار بندر عباس دون التوقف فيها ويقال انهما كانتا محملتين بادوات حربية .

وقد استنتج الوكيل البريطاني ان الهولنديين عزموا اما على غزو البصرة أو الاستيلاء على البحرين ولكنهم قصدوا خارّج (١) واستقروا فيها واخذوا في تحصين موقع في شمال شرقي الجزيرة — وبعد قليل انضم اليهم ممثل هولندا في بو شهر الذي دمر منزله وحديقته هناك قبل رحيله ولكن يظهر ان تصرفه هذا كان نتيجة خلاف بينه وبين الشيخ ناصر شيخ بو شهر .

ولم يمض زمن طويل على وصول البارون الى جزيرة خـــــارّج حتى اختلف مع المير ناصر بشأن موضوع احتلال الهولنديين للجزيرة هل هو مقابل دفع ايجار ام بدون ايجار ، واستمرت المشاكل والعداوة عدة سنين .

اقامة الهولنديين في جزيرة خارّج تحت امرة البارون نيبهاوزن سنة ١٧٥٦ — ١٧٥٨ :

في سنة ١٧٥٦ زار جزيرة خارّج مستر وود المقيم البريطاني في

(١) جاء في مصدر غير موثوق به ان الهولنديين لم ينزلوا في جزيرة خارج الا في يناير سنة ١٧٥٤ وفي هذه الحالة قد يكون محتملا انهم قضوا بعض الوقت في البحث عن أماكن أخرى .

الساحل المقابل للجزيرة وظل بها من يوم ٦ الى ١٥ ابريل وارسل تقريراً هاماً الى الوكالة البريطانية في بندر عباس بما شاهده ، كما ارسل مخططاً عن الحصن الهولندي الذي تهيأت له « الفرصة الكافية لاخذ بياناته بكل دقة » .

كانت الحامية العسكرية مكونة من ٦٠ جندياً هولندياً يطبقون نظاماً عسكرياً صارماً ومائة من العبيد الافريقيين مسلحين بالسيوف والدروع ، وكانت القوة البحرية المخصصة لهذا الموقع عبارة عن سفينة واحدة صغيرة بها ١٠ مدافع على عربات و٦ مدافع تتحرك دائرياً على محور وزورق آخر يحمل ٦ مدافع عيار ٣ ارطال و ٤ مدافع متحركة .

وكان الدفاع عن المدينة يتمثل في خندق عميق بغير جدار احد طرفيه مفتوح تجاه البحر ويمكن استعماله مرسى للزوارق . وكانت بضائع المخازن تشمل السكر والسكر النباتي والفلفل والارز والجلود والبهارات بمختلف انواعها والصفيح والرصاص والحديد والمنسوجات الصوفية ذات العرض المزدوج والجوخ بجميع انواعه والصنفان الاخيران كانا من نوع لا يناسب سوق ايران ، ولكن كانت هناك انواع اخرى من البضائع المطلوبة للاسواق والتي اشار وود الى انه وجدها مناسبة جداً للسوق ، الامر الذي اسف له هو بالطبع .

وكان هناك بين ثمانية وعشرة زوراق مخصصة لصيد اللؤلؤ حول الجزيرة ، ولكن كان الهولنديون حريصين جداً على ان يحاط هذا العمل بالسرية الكاملة وكان المستوى الذي انشئت عليه الوكالة — كما لاحظ مستر وود — مستوى رائعاً لا يحفل فيه بالنفقات غير انه اذا استقرت الاحوال في ايران فان مستر وود كان يتوقع لجزيرة خارج ان تصبح موقعاً زاهراً غزير السكان ، بحيث تستحق الوكالة الهولندية كل ما انفق على تشييدها .

كان الهولنديون يزمعون تهجير ٨٠ عائلة من الصين الى الجزيرة ومن

ثم يطردون منها العرب المقيمين بها . ويعزو مستر وود السبب فيما حصل لاحقاً من طرده من ريق الى تآمر الهولنديين في خارَج اذ كانوا يتوقون الى تثبيت اقدامهم في ريق .

وفي سنة ١٧٥٨ زار دكتور ايفز ورفاقه جزيرة خارَج وهم في طريقهم من الهند الى اوربا وظلوا في ضيافة الهولنديين هناك من ٣١ مارس الى ١٩ ابريل .

وكان جهاز موظفي الوكالة الهولندية في ذلك الوقت مؤلفاً من البارون نيبهاوزن الذي تخطى سن الشباب رئيساً ومن مستر بوزمان نائباً له وكانت تصحبه زوجته(١) ومن مستر روبنجسون الملازم في البحرية الهولندية وهو من اصل بريطاني،ومن مستر نيقولي المحاسب ومستر بنكي ملاحظ العمال . وكان الحصن مبنياً من الحجر وعلى هيئة مربع وبه ٣٢ مدفعاً وامام البوابة مقابل البحر تبة مثلثة الشكل بها ١٢ مدفعاً عيارها من ٦ الى ١٨ رطلا ، اما حامية الحصن فكان قوامها ١٠٠ جندي اوربي . وكان قد بدئ في اقامة حائط من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي خلف المدينة ، كما اقيم برج مثلث عند طرف الحائط جهة الشمال الغربي وكانت هناك ميناء صغيرة لها حاجز امواج من الحجر لحمايتها من الرياح الجنوبية وبها موقعان او ثلاثة كل منها مسلح بستة او ثمانية من المدافع المحمولة . وكان البارون يهتم جداً بأمر المسافرين البريطانيين وكان يحاول بكل جهد ولكن دون ان يوفق — ان يعمل على تحويل طريق رحلتهم عبر الصحراء من الكويت الى حلب ، وكان على صلة بشيخ الكويت ، كما كان دائم السؤال عن « اجراس الغوص » وغيرها من الاجهزة المصنوعة في بريطانيا مما يساعد الغواصين على البقاء تحت الماء

---

(١) هذه أول مرة يشير فيها الكاتب الى وجود سيدة أوربية فى الخليج ، ومن المحتمل أن يكون مستر بوسمان Bosman هذا هو نفســه مستر بوشمـــان Buschman الذى أصبح فيما بعد رئيسا لهذا الموقع — أنظر ص ٢١٠ .

أطول فترة ممكنة ، وقد عهد الى دكتور ايفز ان يشتري له من بريطانيا مكتبة من جميع فروع الابحاث الى جانب بعض الآلات العلمية وغيرها ، وقد قام الرجل بما عهد اليه .

مستوطنة الهولنديين في خارّج تحت امرة فان درهولست سنة ١٧٥٩ – ١٧٦١ :

بقي البارون نيبهاوزن في خارّج حتى عام ١٧٥٨ او ١٧٥٩ ثم عاد الى باتافيا وخلفه في عمله مستر فان درهولست الذي كان مساعداً له في البصرة . وقد استمرت الحرب بين الهولنديين وزعيم ريق طوال سنتين ونصف وهي مدة حكم فان درهولست لجزيرة خارّج .

وذات مرة ارسل المير مهنا سفينتين حربيتين ، وقد حمل عليهما بقصد التمويه دجاجاً ليصيح على ظهرها حتى يظن العدو انها من سفن نقل التموين القادمة من بو شهر ، وبذلك نجحت السفينتان في الوصول الى البر والاستيلاء على سفينتين هولنديتين كانتا ترسوان تحت مدافع حصن خارّج ، وبعد ذلك قام المير مهنا بنفسه بالنزول الى الجزيرة ومعه ١٠٠ من رجاله ولما وصل قريباً من الحصن تصدى له فريق من ٢٥ اوربياً ومعهم مدفعان فرجع الى البحر محتمياً ببعض الصخور .

وعلى اثر ذلك اتخذت احتياطات وقائية لمنع تكرار مثل ذلك الحادث فوسعت استحكامات خارّج ثم اقيم حائط اشتمل على بعض المباني والمخازن داخل المنطقة المحصنة ، بعد ان كانت ماثلة في الخارج دون حماية .

ولم يكن مستر فان درهولست محلا لرضى حاكم باتافيا الذي كان تابعاً له . وحوالي سنة ١٧٦١ استدعى الى مقر الرياسة لكنه بارح السفينة التي كان مسافراً عليها في بندر عباس ووضع نفسه تحت حماية البريطانيين ثم عاد الى اوربا بطريق بومباي .

مستوطنة الهولنديين في خارَج تحت امرة مستر بوشمان ١٧٦١-١٧٦٣ :

في مكان مستر فان درهولست عين مستر بوشمان الذي كان عضواً رئيسياً في هيئة الموظفين الهولنديين في خارّج ، وقد كتب الرحالة نيبور وصفاً ممتعاً لشخصيته الحادة المزاج ، وكان الحاكمان اللذان سبقاه على خلاف دائم مع جيرانهم العرب وفي حرب معهم خصوصاً مع مير مهنا - اما بوشمان فقد استطاع انشاء علاقات احسن مع العرب بفضل ادارته الجيدة .

وحين ارسل مير مهنا ذات مرة رجلا من كبار رجاله على رأس جماعة مسلحين لبحث الامور مع بوشمان - وربما لاحتلال القاعدة الهولندية اذا سنحت لهم الفرصة - قام بوشمان بعمل عرض عسكري عام شمل جميع قواته ليرهب خصمه ، وليقنع الذي ارسله (مير مهنا) حين يعود اليه بأن الحصن الهولندي منيع لا يمكن قهره ، ولينصحه بقبول شروط الهولنديين .

تاريخ الوكالة الهولندية في بندر عباس من سنة ١٧٥٣ الى آخر عهدها ١٧٥٩ :

ظلت الوكالة الهولندية قائمة في بندر عباس حوالي خمس سنوات عقب قيام موقع للهولنديين في جزيرة خارّج قام خلالها الموظفون بمنافسة البريطانيين في تجارة صوف كرمان بأن زادوا عشرة شاهيات في ثمن الشراء عما يدفعه البريطانيون للحمولة الواحدة (حوالي ١٠٠ رطل) في بعض الاحيان . كما ان البريطانيين من جانبهم لم يتركوا وسيلة للمنافسة الا أخذوا بها ، فقد اخذوا نماذج من الاقمشة الصوفية الهولندية واوعزوا الى المصانع البريطانية بتصنيع منسوجات تقلدهـا وتضاهيها . وبذلك بدأت تجارة الاصواف الهولندية في الكساد تدريجياً في بندر عباس حتى انهم لم يستوردوا اية كمية من هذه الاصواف

بعد سنة ١٧٥٤ .

وبعد ذلك اصبح من المعلوم انهم ينوون الرحيل من بندر عباس وفعلا في آخر سنة ١٧٥٨ وصلت سفينة حملت معظم بضائعهم وممتلكاتهم الى خارَج ، وفي الثالث من فبراير سنة ١٧٥٩ رحل جميع موظفيهم على سفينة اخرى تاركين مبنى الوكالة في رعاية مترجم لهم ويبدو ان رجال الوكالة البريطانية ، لما دمرها الفرنسيون في الخريف ، اتخذوا من مباني الوكالة الهولندية مقراً موقتاً لهم وبدأت اوائل سنة ١٧٦٠ مفاوضات بين رئيس الهولنديين في خارَج لتأجير او شراء ذلك المبنى ولكن يبدو ان المفاوضات اجلت او فشلت ، بدليل ان الايرانيين كما ذكرنا في موضع آخر كانوا قد شغلوا المبنى لمدة ثلاث سنوات . وفي اوائل سنة ١٧٦٠ كان من المتوقع أن يستولي الهولنديون على هرمز وصدرت التعليمات الى الوكيل البريطاني بأن يسبقهم اليها لكن الهولنديين لم يتحركوا للقيام بمثل ذلك .

أعمال الفرنسيين فى الخليج ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

في اوائل الفترة التي نحن بصددها الان وربما قبل بدايتها سحب الفرنسيون وكالتهم من بندر عباس ويبدو ان رئيس الرهبان الكرمليين كان حتى سنة ١٧٣٩ يقوم بواجبات القنصل الفرنسي في العراق التركي، وكان القنصل من سنة ١٧٤٢ ولعدة سنوات بعدها هو قسيس الروم الكاثوليك في بغداد . وفي سنة ١٧٥٥ اعيد تأسيس مقيمية فرنسية في البصرة كانت قائمة وقتاً ما قبل ذلك التاريخ .

شئون الفرنسيين في الخليج خلال فترة السلم مع بريطانيا ١٧٢٣ ـ ١٧٥٦

حوالي نهاية سنة ١٧٣٥ وصلت الى ميناء بندر عباس سفينة فرنسية فباعت بعض شحنتها ثم توجهت الى البصرة . ولما كان بقاؤها قد طال في الميناء كما دفعت للجمارك ٤,٥٪ على البضائع التي انزلت الى البر ، فقد تلقى الفرنسيون قبل رحيلهم كتاباً من نادر شاه يطالبهم باعادة تأسيس مستوطنتهم في بندر عباس . وقد ادى تطور الامور على هذا النحو الى ازعاج الانجليز والهولنديين لانهم لم يكونوا يدفعون اية جمارك في بندر عباس .

ويبدو ان سفينة فرنسية اخرى وصلت الى الميناء ، وذلك بدليل انه في سنة ١٧٣٧ ، وعندما وصلت السفينة الفرنسية « هيرين » الى بندر عباس، ارسل قائدها مسيو بومونت يتساءل إن كان سيعامل على نحو ما عومل به أحد الرعايا الفرنسيين وهو مسيو بوازرول الذي كانت قد فرضت عليه [illegible] حاكم فارس الذي كان موجوداً في

المدينة انذاك بتسوية الامور لكنه في نهاية المطاف لم يوافق الا على رد ما يستحقه بوازرول بعد حسم مبلغ الجمارك المقدرة على بضائع مونت ، واجرى الحساب سلفاً قبل ان يبيع بومونت بضاعته ، وحيث انه لم يبع الا القليل منها فان الفرنسيين لم يفيدوا شيئاً من الامتياز الممنوح لهم .

وفي سنة ١٧٥٢ ابحرت سفينة فرنسية صغيرة من الخليج الى الهند برفقة السفينة « روز » التابعة للشركة وسفينة حربية تابعة لبومباي . وكان هذا التجمع للوقاية من عدوان القرصان الهندي انجريا ومن اية اخطار أخرى . وكانت شركة الهند الشرقية البريطانية قد وافقت على انشاء وكالة لها في ريق بتاريخ سنة ١٧٥٤ مدفوعة بالرغبة في منافسة البضائع الصوفية الفرنسية في شرق الخليج بعد ان اخذت هذه تنال مكانة في السوق ثم شرع الانجليز في « تقليد المنسوجات الفرنسية بدقة كاملة » ولكنهم لم يصدروا هذه المنسوجات المقلدة من بريطانيا الا في سنة ١٧٥٧ عندما بدأ وقوع الاعمال العدائية بين فرنسا وبريطانيا .

شئون الفرنسيين فى الخليج خلال حرب السنوات السبع ١٧٥٦ ــ ١٧٦٣

في فبراير سنة ١٧٥٦ ،وحرب السبع سنوات كانت على وشك الوقوع ،أصدر ملك فرنسا اوامره لجميع الرعايا البريطانيين بمغادرة الممتلكات الفرنسية قبل اول مارس ، ودعا رجاله للاستيلاء على السفن التجارية البريطانية واعداً اياهم بدفع مبلغ ٤٠ جنيهاً مكافأة عن كل مدفع بريطاني يستولون عليه وعن كل بريطاني يأسرونه كما وعد بأن يشتري من الرعايا الفرنسيين سفنهم التجارية باثمانها الاصلية في حالة انهاء الحرب وقيام السلم .

ويبدو ان مجلس مديري شركة الهند الشرقية،وإن كان يتطلع بثقة الى ما سوف تسفر عنه الاحداث ، كان يراقب بكل دقة وحرص موظفي الشركة في بندر عباس .

وحين أعلنت بريطانيا الحرب في ١٨ مايو سنة ١٧٥٦ ، أصدر مجلس مديري الشركة اوامره الى الوكيل والمجلس في بندر عباس بأن تكون تصرفاتهم في نطاق التعليمات الصادرة اليهم من بومباي على أن ينصاعوا في الوقت نفسه انصياعاً تاماً لاية اوامر قد تردهم مباشرة من رئاسة الشركة في لندن .

وفي ١٤ يناير سنة ١٧٥٦ ظهرت السفينة الحربية الفرنسية « برستول» عند بندر عباس وظلت عدة ايام تتردد ما بين قشم وهرمز واخيراً اتجهت نحو البصرة . وفي ابريل كانت راسية مع سفينة اخرى في البصرة حيث كان الضباط الانجليز والفرنسيون يتبادلون المجاملات ، وفي شهر يونيو حاولت السفينتان « ريفنج » و « دريك » البريطانيتان قطع طريق السفينة « برستول » التي كان متوقعاً ان تغادر البصرة في اوائل ذلك الشهر في طريقها الى الخليج ، ولكن يبدو ان السفينتين لم توفقا في ذلك . أما ما كان من هجوم الاسطول الفرنسي على الوكالة الانجليزية في بندر عباس وتدميرها في السنة التالية فهذا جاء شرحه في الفصول السابقة .

الحالة على الساحل العربى ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

أحداث الساحل العربي في هذه الفترة مبينة تفصيلا في تاريخ كل قسم منه على حدة ونلقي هنا اشارة موجزة .

سلطنة عمان :

اهم الاحداث التي حصلت في سلطنة او امامة عمان كان ظهور جماعتي الحناوية والغافرية مما أدى الى اضعاف قوة السلطنة في مجال العلاقات الخارجية الى ان قامت حكومة مركزية قوية تحت حكم آل بوسعيد . وفي سنة ١٧٣٧ غزت جيوش نادر شاه — الذي كان قد اغتصب عرش ايران — عمان واحتلتها الى ان طردها الامام احمد مؤسس حكم اسرة آل بو سعيد في سنة ١٧٤٤ وكان موقف البريطانيين حيادياً في هذا الصراع ، وفي سنتي ١٧٥٨ و ١٧٦٠ كان امام عمان في حرب مع القواسم اصحاب رأس الخيمة .

عمان المتصالحة :

لعب القواسم في الساحل المعروف الان باسم عمان المتصالحة دوراً هاماً في ذلك الوقت في شئون ايران الداخلية . ففي سنة ١٧٢٧ قامت حملة بحرية بريطانية غزت عمان باغتصاب تعويضات من الشيخ القاسمي عن الخسارة التي لحقت بالوكالة البريطانية في بندر عباس من جراء الميناء الذي بناه شيخ القواسم في جزيرة قشم . وفي سنة ١٧٣٧ لما غزا الايرانيون عمان استسلم القواسم بادىء الامر لقائد جيش نادر شاه ولكن في سنة ١٧٤١ ظهرت النوايا السيئة والشكوك بين الجانبين ، وبحلول عام ١٧٤٧ كانت قد عقدت اتفاقية تحالف بين القواسم وملا علي سلـ الحاكم الايراني في بندر عباس استمرت مرعية الى سنة ١٧٦٣ ويحتمل ان يكون من اثار هذه الانفاقية ان حصل القواسم على مركز في جزيرة قشم ،وبناء على معاهدة ابرمت بين الطرفين المعنيين حصل القواسم في سنة ١٧٦٣ على ثلث ايراد الجزيرة .

قطر والبحرين :

لم يرد ذكر شي عن قطر في الفتره التي نحن بصددها الان . اما البحرين فقد كانت في ذلك الوقت مستقلة يحكمها العرب الهوله . وفي

سنة ١٧٥٣ استولى عليها شيخ بوشهر بمعاونة مير ريق وبذلك اصبحت تابعة لايران بطريق غير مباشر .

الكويت :

أما ميناء الكويت فكان في هذه الفترة غامض الوضع وغير بارز وكان تحت حكم اسرة من العتيبي ، وقد قامت علاقات صداقة بينهم وبين رئيس البعثة الهولندية التي اقامت في جزيرة خارج ما بين سنتي ١٧٥٣ و ١٧٦٠ .

شئون العراق التركي ١٧٢٢ – ١٧٦٣ :

كانت الحملات التي ارسلها نادر شاه مدة توليه الحكم بهدف ضم العراق التركي الى الامبراطورية الايرانية هي الظاهرة البارزة في العلاقات الخارجية للامبراطورية فيما بين سنتي ١٧٢٢–١٧٦٣ .

ففي سنة ١٧٣٣ حاول نادر شاه بنفسه الاستيلاء على بغداد ولكن لم يفلح في ذلك ، ثم عاود الكرة حوالي سنة ١٧٣٥ ثم في سنة ١٧٤٣ متقدماً على رأس قواته لاحتلال البصرة ، ولكنه هزم في المرة الاولى ، واكره على التقهقر في الثانية ، وكانت وكالة شركة الهند الشرقية قد انشئت في البصرة حوالي عام ١٧٢٣ . على أن العلاقات لم تكن عموماً طيبة بين موظفي الشركة والسلطات التركية المحلية . وفي هذه الفترة بالذات لم تكن هناك احداث سياسية على جانب من الاهمية ، وقد اضطر الهولنديون الذين كانت لهم وكالة ايضاً في البصرة الى مغادرتها حوالي سنة ١٧٥٢ عقب نزاع قام بين وكيلهم المقيم وبين الحاكم التركي ولم يحاولوا العودة بعد ذلك الى العراق ، وفي سنة ١٧٥٥ اعيد افتتاح مقيمية فرنسية في البصرة بعد اغلاقها فترة من الزمن ، وقد ورد تفصيل عن التاريخ العام والداخلي للعراق التركي في الفصل الخاص بهذا الاقليم .

احوال منطقتى الساحل الايرانى عربستان ومكران ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

تناولنا في الفصول السابقة حوادث ذلك القسم من الساحل الايراني الداخل في نطاق حكومة اقليم فارس ، ويبقى الان بيان ما يتعلق بمقاطعتي عربستان ومكران .

عربستان :

يبدو انه لم تحدث في هذه الفترة في عربستان احداث مهمة الا ما كان من ارتفاع شأن احد شيوخ قبائلها ارتفاعاً موقتاً لا يحسد عليه وذلك بعيد سقوط اصفهان بأيدي الافغانيين .

مكران الايرانية :

في سنة ١٧٣٩ قام محمد تقي خان،والي نادر شاه علي فارس،بغزو مكران الايرانية ولكنه لم يلبث ان انسحب منها . وبذلك عادت البلاد مستقلة تماماً وان كانت تابعة للشاه اسمياً ويجد القارىء التفاصيل في الفصول المستقلة عن تاريخ عربستان ومكران الايرانية .

تاريخ الخليج من وقت انشاء القيادة العامة البريطانية مؤقتا فى البصرة الى بداية العهد النابليونى ١٧٦٣ - ١٧٩٧(١)

تتطلب دراسة الفترة من سنة ١٧٦٣ الى ١٧٩٧ في الخليج من وجهة النظر البريطانية ان توخذ بعين الاعتبار احداث معينة كانت تجري في نفس الفترة في اماكن اخرى بعيدة عن الخليج نفسه كالهند واوربا ، وسنشير الى ذلك كلما دعا الامر لكي نوضح مدى النشاط البريطاني او توقفه في هذا الميدان الذي تهمنا دراسته .

الشئون والمصالح البريطانية العامة قبل غزو ايران للعراق التركى ١٧٦٣ ـ ١٧٧٥

مراكز القوى الوطنية في الخليج ١٧٦٣ - ١٧٦٥ :

في سنة ١٧٦٣ كان كريم خان ، وكيل ايران يمثل اقوى ادارة قامت في الخليج ، وكانت قاعدته الاساسية شيراز ثم بسط نفوذه على البلاد جميعاً فيما عدا بعض المناطق البعيدة المتطرفة وكان من الجهات القليلة التي لم تخضع له كاملا تلك المتاخمة للخليج مثل عربستان وكان

---

(١) المراجع الخاصة بهذه الفترة موضحة فى الفصول التالية ، وهى تشتمل على تواريخ مستقلة لكل قسم من أقسام الخليج ، وأهم هذه المراجع عن الخليج عموما هو « الملخص الرسمى عن البيانات الخاصة بعلاقة شركة الهند الشرقية مع بلاد العرب التركية سنة ١٧٧٤ ومختارات مستر ج٠أ٠ سالـدانا من أوراق الدولة في بومباى بشأن علاقة شركة الهند الشرقية مع الخليج مع ملخص الاحداث من سنة ١٦٠٠ الى سنة ١٨٠٠ المطبوع سنة ١٩٠٥ ٠

العراق التركي وهو ثاني قوة في الخليج حجماً وقوة حكومة تحت حكم علي باشا . وكان مركز هذا الرجل في الداخل دقيقاً وحرجاً بحيث لا يسمح له بالتأثير في الاحداث الخارجية،اذ كان مشغولا مدة حكمه القصيرة بقمع حركات التمرد في الداخل . وكانت الكويت قد بدأت في البروز لكن سكانها من العتوب لم يكن لهم أثر ظاهر في شئون الخليج . اما الزبارة في قطر فهي لم تظهر للوجود حتى سنة ١٧٦٦ . وحتى بعد ظهورها لبضع سنوات لم تكن موقعاً هاماً ، وكانت جزر البحرين ما تزال تابعة لايران بواسطة شيخ البحرين ، وكانت القوى الاخرى الوحيدة ذات الوزن الى جانب ايران وتركيا تتمثل في امامة عمان التي كانت قد تخلصت منذ سنوات قليلة من الاستعباد الايراني ،وكانت ما تزال فياضة بروح الكراهية لايران ، وملأى بالشعور بالوطنية . وكانت موارد الامام البحرية مهما تبلغ قلة رجالها العسكريين الممكن تركيزهم في البر العماني تضارع سائر القوى البحرية لسائر موانىء الخليج مجتمعة ، لكن قدرة الامام للقيام بعمليات بحرية خارجية تحدها حاجاته للدفاع عن حدوده الشمالية الغربية امام القواسم الذين كاد يكونون في حرب دائمة لا تفتر معهم.

وضع البريطانيين في الهند سنة ١٧٦٣ ــ ١٧٧٥ :

كان النفوذ البريطاني الى ذلك الوقت في الخليج يتمثل كليه في شركة الهند الشرقية التي كانت خالصة اذ ذاك من اية مشاكل اخرى في العالم . وكان تقدم المراهطة قد توقف موقتاً عندما هزمهم الافغانيون في بانيبات سنة ١٧٦١ . وقد تضاءلت الاخطار التي كانت تواجه البريطانيين في البنغال بعد معركة بكسر سنة ١٧٦٤ . وفي سنة ١٧٦٥ انتهت الى ايدي الانجليز ادارة العائدات في ذلك الاقليم .

على ان نهاية حرب ميسور الاولى ١٧٦٩ لم تكن في صالح البريطانيين بل حتى ان توسع مصالحهم في الهند في عهد كلايف وورن هيستنجز لا بد قد صرف انظار شركة الهند الشرقية عن الاهتمام بشئون ايران وبلاد العرب .

نقل وكالة الخليج من بندر عباس الى البصرة عام ١٧٦٣ :

في اوائل عام ١٧٦٣ نقلت الوكالة او المؤسسة البريطانية الرئيسية في الخليج من بندر عباس حيث توقفت اعمالها هناك . وبدلا من مركزها السابق المنعزل حيث تسود الاضطرابات المحلية الدائمة ، اصبحت الان الان في مركز هام من الناحيتين التجارية والسياسية . وكان الموقع الجديد هو البصرة في العراق التركي حيث ضم الى الوكالة المقيمية البريطانية التي كانت من قبل تتبع الوكالة في بندر عباس . وفي سنة ١٧٦٤ تم اعتراف الباب العالي بها على انها قنصلية مشمولة بنظام الامتيازات . وقد كلف مستر برايس الذي اوفد خصيصاً من الهند لافتتاح عمل الوكالة الجديدة بالتفاوض ايضاً لانشاء مقيمية اخرى في بو شهر ، وقد ادى هذه المهمة بنجاح . ولكن رغم موطىء القدم الذي احتفظت به بريطانيا في ايران فقد تحولت سياسة الوكالة لبضع سنوات من ذلك التاريخ الى المحاسنة مع المناطق التركية المجاورة ،مما اثار نوعاً من العداوة مع ايران ، والواقع ان انتقال الوكالة من ارض ايرانية الى ارض تركية كان حادثاً سياسياً له مغزى مقصود .

عروض كريم خان على البريطانيين للمساعدات البحرية ١٧٦٣ — ١٧٦٤ :

كان كريم خان من جانبه تواقاً الى الاحتفاظ بعلاقات مودة مع ممثلي شركة الهند الشرقية لانه كان يعلم بأنه بغير معاونة القوة البحرية فان من العسير عليه اخضاع قبائل الساحل الفارسي ، لذلك منح الوكالة امتيازات تجارية في ايران واذن لها بفتح وكالة في بوشهر تماماً كما كانت ترغب . وعندما منحها هذا الامتياز في سنة ١٧٦٣ لمح الى أنه سيكون مسروراً لو دفع نفقات للسفن البحرية البريطانية اذا ما ساعدته في اخضاع المير مهنا صاحب ريق ، وهو زعيم دائم الثورة والنهب على ساحل ايران شمال بو شهر ، وكان يرفض الولاء له .

وفي سنة ١٧٦٤ تقدم بطلب معونة مدمرة او اثنتين ضد الثائر نفسه كما عرض أيضاً تخصيص سفينتين بصفة دائمة لحفظ الامن في الخليج، وتطوع بتسليم مدينة ريق لشركة الهند الشرقية . ولكن يبدو ان حكومة بمباي لم تهتم بهذه المقترحات ولكنها وافقت على وضع احدى السفن تحت تصرف الوكيل شريطة ان تستعمل بالكيفية التي تضمن مصالح الشركة ولا تؤدي الى تعكير الجو التجاري .

هجوم بريطاني ايراني فاشل على المير مهنا في ريق سنة ١٧٦٥ :

في سنة ١٧٦٥ كان كريم خان ما يزال مشغولا في توحيد المملكة الايرانية بضم المناطق المجاورة التي لا تخضع لسلطانه ، لذلك قاد بشخصه حملة ضد قبيلة كعب في عربستان مستنداً الى وعد من الاتراك بمساعدته في اخضاع تلك القبيلة العربية ، كما انه عمد في نفس الوقت الى طلب مساعدة السفن البريطانية لسفن من بو شهر كان قائد جنده امير كوهنه خان على وشك استخدامها في عمليات حربية برية ضد المير مهنا . ووجه الوكيل طلبه هذا الى مستر جيرفس المقيم البريطاني في بو شهر الذي احال الطلب الى البصرة مقترحاً اعارته السفينة « تارتار » التي كانت راسية في البصرة بناء على موافقة حكومة بمباي . وقد وافق مستر رنش الوكيل في البصرة والمجلس على الاقتراح ، غير انهم ترددوا في تنفيذ المطلوب منهم بسبب الحقد وسواه من الاسباب . ويمكننا ان نرى من تراخيهم في عمل اللازم في تلك الظروف تضاح الخيوط الاولى في التحامل على كريم خان التي ادت فيما بعد الى متاعب كثيرة .

في شهر يونيو سنة ١٧٦٥ قامت السفينة « تارتار » مع اسطول بو شهر بحملات على جزيرة خارج التي نزل فيها مير مهنا ، الامر الذي هدد موقعه وسفنه في ريق ولكن البحارة الايرانيين كانوا اما اشد حذراً مما يجب او جبناء ، ولم يكن في مقدور السفينة « تارتار » وحدها ان

ان تقوم بالمهمة كلها فتوقفت الحملة ضد المير مهنا ، وفي نفس الوقت كان كريم خان قد دمر عاصمة اقليم بني كعب كما دمر بعض مرافق الري هناك غير ان تخلف الاتراك عن القيام بالمساعدة الموعودة اعطى الثائرين فرصة النجاة من العقاب والهرب الى الجانب الغربي من شط العرب .

فشل حملة الانجليز والاتراك على قبيلة بني كعب ١٧٦٥-١٧٦٦ :

في يوليو سنة ١٧٦٥ وبعد ايام قليلة من توقف حرب الانجليز والايرانيين ضد المير مهنا واجه الموقف السياسي في الخليج وضعاً جديداً مفاجئاً اذ استولى رجال قبيلة كعب على ثلاث سفن بريطانية بالتتابع في شط العرب وهي « سالي » ذات الصارين ، ويخت لا يحمل اسما تابع لمقيمية البصرة ثم السفينة « فورت وليام » ذات الصواري الثلاثة ، وليس هناك ما يلقي ضوءاً على الدوافع التي حفزت بني كعب للقيام بعملهم ، وعما اذا كان الامر مجرد اعمال قرصنة فردية ام ان بني كعب اصبحوا منذ الهجوم الايراني — البريطاني على خارج يعتبرون الانجليز حلفاء دائمين لعدوهم كريم خان ، وعلى الرغم من ادراك الوكيل والمجلس في البصرة بأن كريم خان يزعم ان قبيلة كعب من رعاياه استناداً الى غزوه ارضهم ، فانهما اي الوكيل والمجلس توجها الى تركيا للمطالبة باصلاح الاوضاع ، وهو عمل متحيز ضد ايران . وسرعان ما تم الاتفاق في البصرة على قيام حملة مشتركة ضد بني كعب يقوم بها الجيش التركي والاسطول الانجليزي ، وقد وافقت حكومة بمباي على هذا الاجراء ، واعدت اكبر حملة عرفت منذ سنوات طويلة حيث ابحرت من الهند الى الخليج اربع سفن اوربية الصنع وفصائل صغيرة من الجنود الاوروبيين المشاة والمدفعية ، وحين وصلت الحملة الى البصرة لم يكن الاتراك قد اكملوا استعداداتهم بعد ، ثم بدأ البريطانيون عملياتهم الحربية منفردين من خور موسم ولكن في مايو سنة ١٧٦٦ مني الانجليز بهزيمة كادت تقضي عليهم فاضطروا الى التقهقر ، واخيراً

وبعد فترة غير قصيرة وبعد الاتفاق على ان يدفع الاتراك ١٠٠٠ تومان شهرياً مساعدة للاسطول البريطاني اذا بقي بعد نهاية شهر يونيو — قام الاتراك وحدهم باعمال الميدان كله براً وبحراً ، في الفترة التالية ، اي في شهر يونيو واغسطس وسبتمبر . وقد بذلت محاولة لاستعادة السفينتين « سالي » و « فورت وليام » من ايدي بني كعب لكن نتيجتها كانت تدمير السفينتين في مرساهما .

وبعد ذلك في ٢٣ سبتمبر سنة ١٧٦٦ حاول الانجليز اقتحام بعض معاقل بني كعب بدون مساندة الاتراك الذين تظاهروا بانتظار المعونة من الحكومة الايرانية ، وكانت النتيجة كارثة فادحة اذ قتل كابتن بروور قائد العمليات العسكرية مع مجموعة كبيرة وخسر الانجليز عدداً من مدافع الميدان وصناديق الذخيرة .

تدخل كريم خان بين البريطانيين والاتراك من ناحية وبني كعب من الناحية الاخرى ١٧٦٦ :

في هذه الضائقة الحرجة تدخل كريم خان مؤكداً ان بني كعب من رعايا ايران ، وان من الواجب جلاء البريطانيين والاتراك عن المنطقة الايرانية لكنه وعد بتعويضهم عن الخسائر التي لحقت بهم من جراء حملتهم على هذه القبيلة ، وهنا تجدر بنا الاشارة الى ان الاتراك كانوا على غير وئام مع بني كعب في السنوات القليلة السابقة . وساهموا في حملات البريطانيين ضدهم سنة ١٧٦١—١٧٦٢ وسنة ١٧٦٣ ، ١٧٦٥ . وفي اكتوبر سنة ١٧٦٦ عقب تدخل كريم خان رفض الاتراك الاستمرار في الحرب وانسحبوا الى داخل حدودهم رغم احتجاج الوكيل والمجلس في البصرة . وبذلك انتهت الحملة المشتركة ضد كعب ، وفي اوائل سنة ١٧٦٧ ارسلت من بومباي نجدات لا تقل في ضخامتها عن الحملة الاولى ولكن قبل وصولها الى البصرة كانت المشكلة قد اتخذت شكلا جديداً بحيث لم يكن من الممكن استئناف العمليات الحربية الناشطة بشكل ملائم .

تسوية الامور بين البريطانيين وكريم خان ١٧٦٧–١٧٦٨ :

كان التغير في الموقف ناتجاً عن وصول موفد ايراني الى البصرة يحمل مقترحات من كريم خان لعرضها على البريطانيين والاتراك . وكنتيجة لذلك الاتصال بالبريطانيين توجه مستر سكيب من وكالة البصرة الى شيراز في شهر ابريل سنة ١٧٦٧ موفداً بتعليمات متناقضة ومحيرة من كل من حكومة بومباي،ومن رئيسه المباشر مستر مور الذي كان قد حل مكان مستر فرنش وكيلا في البصرة وعلى الرغم من دعوة الوكيل الايراني لارسال مندوب اوروبي الى شيراز فان مستر سكيب لم يلق استقبالا حسناً في اول الامر لكنه في النهاية استطاع ان يصل الى تسوية لا بأس بها .

لكن مستر مور كان يبغض كلا من كريم خان ومستر سكيب ، لذلك فقد حول اقتراحات التسوية المعروضة الى بومباي بدلا من اقرارها مباشرة . وزاد على ذلك ان اقترح قيام حملة عسكرية مشتركة بين شركة الهند الشرقية والمير مهنا ضد كريم خان ، ولكن حكومة بمباي بعد ان قامت بدراسة الموقف طلبت عودة مستر سكيب لزيارة اخرى لشيراز ليقبل التسوية المعروضة او اية شروط اخرى قد يرغب فيها كريم خان . واعطي سكيب صلاحية مطلقة لاتخاذ اي موقف او اجراء الا معاداة كريم خان . وفي ١٤ ابريل سنة ١٧٦٨ وصل مستر سكيب الى اتفاق مع الوكيل ، من شروطه انه في مقابل قيام البريطانيين باخضاع المير مهنا وبذل كل جهد ممكن في ذلك فان على كريم خان ان يحصل على تعويض لهم نظير ما اصابهم من جراء اعتداء قبيلة بني كعب كما يسلمهم جزيرة خارج اذا تم الاستيلاء عليها في عملياته الحربية . وهنا يجب ان نشير الى ان المير مهنا كان قد انتزع جزيرة خارج من الهولنديين في مطلع سنة ١٧٦٦ واتخذها مركز اقامته بدلا من ريق . وقد احتوت الاتفاقية مع كريم خان بنوداً اخرى لصالح البريطانيين سوى ما ذكرنا لكنها لم تشر اية اشارة لشيء عن تذليل العقبات التجارية التي كان

يشكو منها موظفو شركة الهند الشرقية .

حملة بريطانية غير رسمية على هرمز وفقدان السفينة ديفيانس سنة ١٧٦٧ :

بينما كانت هذه الامور موضع الدراسة خطر ببال الوكيل والمجلس ان ينتفعوا من القوة الموجودة في الخليج والتي كانت عاطلة عن العمل فوجهوا قسماً منها ضد شيخ هرمز بمناسبة حادثة قرصنة وقتل وقع فيها الاعتداء على السفينة البريطانية « اسلام اباد » سنة ١٧٦٥ وقيل ان الشيخ كان له دور فيها .

وعلى الرغم مما زعم من حجج لتبرير هذه الحملة فانها كانت غارة قرصنة ليس إلا ، ولكنها توقفت قبل الوصول الى هدفها بسبب انفجار حدث في السفينة « ديفيانس » وهي القطعة الرئيسية في الحملة فدمرها تدميراً تاماً . وقضى على معظم بحارتها بما فيهم حوالي ١٧٠ من الاوربيين . وقد زعم الوكيل والمجلس انهم قاموا بهذا العمل بناء على رغبة كريم خان ، ولكن مستر سكيب نفى هذا الزعم كما ان كريم خان حين وصلته انباء ما حدث افصح عن استيائه لمحاولة التدخل من جانب البريطانيين في شئون احد رعايا ايران .

غارة بريطانية غير مجدية على خارَج سنة ١٧٦٨ :

لم يحل ذلك الحادث المؤسف دون قيام البريطانيين بغارة على جزيرة خارَج وفقاً لاتفاقيتهم مع كريم خان لكن هذه الغارة التي استمرت من اليوم العشرين الى التاسع والعشرين من شهر مايو سنة ١٧٦٨ اديرت باهمال واضح ، وتوقفت بشكل مشين بسبب حادث وقع للفرقة المسئولة عن توفير المياه . وفي اغسطس التالي كان كريم خان على استعداد للاشتراك مع البريطانيين ضد مير مهنا ، لكن الوكيل البريطاني والمجلس في البصرة قطعوا المفاوضات معه متسرعين وارسلوا في استدعاء مستر سكيب من شيراز ، وفي الوقت ذاته فان مير مهنا الذي كان من

قبل رغم كونه قرصاناً خطيراً، يتحاشى الغارة على السفن البريطانية ،عدل عن موقفه حيال الانجليز فاستولى بعض اتباعه على السفينة التجارية «سبيدول».

انسحاب المقيمية البريطانية من بو شهر سنة ١٧٦٩ :

في مستهل عام ١٧٦٩ قامت ثورة في جزيرة خارّج انتهت بخلع المير مهنا من الرئاسة وارساله الى المنفى ، وكان الوكيل والمجلس في البصرة حريصين على منع سقوط الجزيرة في يد كريم خان فحاولوا املاء اوامرهم على المير مجيد ، وامروا قائد اسطول الشركة بأن يدمر سفنه او سفن بني كعب اذا سنحت له فرصة مواتية . وكان مستر مورلي المقيم في بو شهر يتوقع حدوث مشاكل مع الحكومة الايرانية من جراء هذه الاحداث وغيرها فانسحب من ايران ومعه جميع موظفيه وتوقفت جميع المحادثات الودية المباشرة بين البريطانيين والوكيل الايراني كريم خان . وجاء هذا الانسحاب من بو شهر متفقاً مع وجهة نظر مجلس المديرين في لندن الذين اخذوا برأي مستر مورلي الى حد بعيد واعتبروا كريم خان ، بناء على هذا الرأي ، رجلا غير اهل للثقة . غير أن حكومة بومباي عارضت هذا الاجراء وامرت الوكيل ببدء مفاوضات لاعادة انشاء المقيمية في بو شهر. على ان مستر مورلي لم يعدم الوسيلة لتأجيل تنفيذ تلك التعليمات حتى سنة ١٧٧٠ حين صدر قرار من مجلس المديرين بمنع العودة الى بو شهر احتجاجاً على فرض كريم خان بعض العراقيل والقيود على التجارة البريطانية لصالح ايران فوافقوا على رأي مستر مورلي وكان عكس رأي حكومة بومباي، اذ كان يعتقد ان تجارة الشركة في الخليج يمكن ان تسير بايسر سبيل وتحقق اوفر الربح عن طريق مستوطنة او وكالة واحدة في البصرة .

حوادث القرصنة من سفن خارّج على السفن البريطانية ، واقتراح حملة على ايران سنة ١٧٧٠ :

في صيف سنة ١٧٧٠ استولت بعض السفن من خارّج على السفينة

البريطانية « بريطانيا » وسفينة اخرى ترفع العلم البريطاني وساقوهما الى ريق حيث تم حجزهما هناك ، ولما فشل الوكيل والمجلس في البصرة في الحصول على تسوية للموضوع رفعا تقريراً يعزوان فيه احتجاز السفينتين الى اوامر كريم خان ، واقترحا علاجاً للوضع ان تقوم حملة كبيرة الى الخليج تحمل ٥٠٠ جندي اوربي و ١٦٠٠ من الجنود الهنود على الاقل لإنزال العقاب بكريم خان ولاستئصال القرصنة من جذورها . لكن مجلس المديرين رغم عدم رغبة اعضائه في اتخاذ وسائل الصلح مع كريم خان فانهم كانوا ايضاً غير راغبين في الحرب معه فامروا بالامتناع عن معاداته واقترحوا العودة الى نظام حماية السفن التجارية بواسطة البحرية الملكية ، ومجموعة من وحدات النقل في الخليج . وكان نفوذ الوكيل الايراني قد استقر عن ذي قبل على السواحل الفارسية فوصلت قواته الى تانجستان وداشتي سنة ١٧٦٥ كما خضعت له لار وبندر عباس سنة ١٧٦٦ واخمدت مظاهر عدم الولاء له في بو شهر وكانجون في سنة ١٧٦٧ — لكن بني كعب ظلوا في الواقع العملي مستقلين خارج نفوذه .

استيلاء سفن ريق على السفينة « تايجر » واحتجاز مستر بومونت ومستر جرين في ايران سنة ١٧٧٣ :

وفي سنة ١٧٧٣ انتشر وباء الطاعون في البصرة فغادرها مستر مورلي وموظفوه الى بومباي ، ولكن عندما كانو في طريقهم عند شط العرب استولى قراصنة ريق على احدى سفنهم المدعوة « تايجر » وكان على ظهرها مستر بومونت ومستر جرين فاتخذوهما اسيرين . وواضح من ظروف الحادث المفاجئة ان كريم خان لم يكن له يد في تدبيره ولكنه استغله لصالحه حتى انه ضم السفينة « تايجر » الى اسطول ايران في الخليج واحتجز بومونت وجرين في شيراز كي يستطيع ان يضغط على البريطانيين ويدفعهم الى التفاهم معه .

وحدث في ربيع سنة ١٧٧٤ ، بعد عودة الوكيل من بومباي الى

البصرة . ان سمح للرهائن بالانتقال من شيراز الى بو شهر في حماية شيخ بو شهر ، وهناك بقيا حتى شهر سبتمبر التالي حيث سمح لمستر بومونت بالذهاب الى البصرة ليحمل عرضاً الى الشركة باطلاق سراحه هو وزميله واعادة السفينة « تاجر » مقابل اعادة شركة الهند الشرقية فرعها في بو شهر ، ثم جاءت التعليمات من بومباي للوكيل وللمجلس بعدم التعامل بأي شكل مع كريم خان قبل اطلاق سراح بومونت وجرين . لذلك لم يقبلوا مناقشة العروض المقدمة اليهم ، وبقي بومونت في الاسر .

مشكلات بين الوكيل الايراني وامام عمان ١٧٦٩ – ١٧٧٤ :

وبينما كانت العلاقات بين كريم خان والبريطانيين تسير على النحو المذكور قامت مشكلات حادة بينه وبين امام عمان ، والسبب الرئيسي لذلك هو مطالبة كريم خان في سنة ١٧٦٩ بدفع الجزية التي كانت تدفعها عمان لايران ايام نادر شاه . وما كان للامام احمد وهو نفسه محرر عمان من حكم الايرانيين ان يستجيب لمثل ذلك الطلب . فكانت النتيجة قيام نزاع بحري مزمن بين الطرفين ، وقفت بريطانيا بمعزل عنه رغم ان علاقاتها عندئذ بكريم خان لم تكن ودية .

وفي سنة ١٧٧٠ هدد الامام بو شهر باسطول بحري . وفي سنة ١٧٧٣ عاونه الشيخ القاسمي وشيخ هرمز اللذان لم يكونا عادة على وفاق معه ، فاصاب سواحل ايران ببعض الاضرار .

وفي نهاية سنة ١٧٧٣ تجمع في كانجون اسطول بحري ايراني بما فيه السفينة البريطانية المغتصبة « تاجر » للعمل ضد الامام ، لكن رجال بني كعب الذين استدعوا للسير تخلفوا ، كما رفضت بعض الفرق من القبائل مهاجمة الامام مع انها كانت تهيأت لذلك .

واخفق فيما بعد شيخ بو شهر الذي كلفه كريم خان سنة ١٧٧٤ باجراء المفاوضات نيابة عنه في الوصول الى اية تسوية . وكان كريم خان قبل ذلك بقليل قد عرض على الاتراك والبريطانيين عقد تحالف بحري معه لكن الانجليز رفضوا الفكرة بينما وعد الاتراك وعوداً لم يتبعها اي عمل .

الشئون العامة والمصالح البريطانية
اثناء حصار واحتلال الايرانيين للبصرة
١٧٧٥ ـ ١٧٧٩

أسباب الحرب بين ايران وتركيا :

حدث غير مرة واحدة منذ نهاية عام ١٧٧٣ ان اوشكت الحرب على الاندلاع بين ايران وتركيا . وفي مارس سنة ١٧٧٥ بدأ كريم خان بالعدوان فارسل اخاه صادق خان على رأس قوة كبيرة الى البصرة. وليس من اليسير ان نعرف بدقة اسباب اعلان الوكيل الايراني هذه الحرب . لكن السبب الذي أعلنه من جانبه هو سوء معاملة الحكومة التركية للشيعة الايرانيين الذين يحجون الى الاماكن المقدسة في العراق . على انه في الواقع كان تواقاً للثأر من الاتراك الذين هزموه مراراً في كردستان ، وربما كان مدفوعاً برغبته في مد حدود ايران ، ثم هناك ما يشير الى اعتقاده ان وضع يده على البصرة يساعده في اخضاع عمان التي كانت اغلب تجارتها مع هذا الميناء ، كما يساعده كذلك على احباط السياسة التي اتبعها الوكيل البريطاني مؤخراً في البصرة ، والتي تهدف الى مقاطعة الموانيء الايرانية وجعل البصرة مركزاً رئيسياً للتجارة .

مسلك ممثلي شركة الهند الشرقية وامام عمان حيال الحرب بين الاتراك والايرانيين :

حاصر الايرانيون البصرة في ٧ ابريل سنة ١٧٧٥ ، وقاومت المدينة ببسالة تحت امرة سليمان اغا المتسلم التركي ، وظلت كذلك لم تستسلم حتى يوم ١٦ ابريل سنة ١٧٧٦ .

كان سلوك مستر مور ومساعديه حيال الحصار سلوكاً خاطئاً قصير النظر كما يتصور المرء من دراسته مسالكهم السابقة حيال كريم خان ، وان كان الرأي العام في البصرة قد عدهم المسئولين عن حصار المدينة ،

فهم في اول الامر اعلنوا انهم يقفون على الحياد التام ، وكانت هذه لا شك هي السياسة الحكيمة الواجبة الاتباع ، ولكنه ما كاد يظهر اسطول تابع لبني كعب في النهر لمعاونة الجيش الايراني حتى بادروا بارسال سفنهم لمهاجمة الاسطول القادم ، كما ساهموا جدياً في الدفاع حتى زادت همة المتسلم لتحدي الايرانيين باندفاع تبين فيما بعد انه لم يكن اندفاعاً حصيفاً لكنه لدى وصول اسطول بو شهر من اسفل البصرة للاشتراك مع اسطول بني كعب ، الذي كان قد اشرف فعلا على المدينة ، بدأت مخاوف الوكيل والمجلس .

وفي يوم ١١ ابريل سنة ١٧٧٥ غادروا البصرة الى بو شهر تاركين وراءهم مقر الشركة وبضائعها بغير حماية .

وفي طريقهم الى الخليج اشتبكوا مع اسطول بو شهر ، الذي كان متوجهاً الى اعلى النهر ، وطاردوه الى مصب نهر قارون .

ووصلت معونة أخرى اكثر نفعاً للاتراك من امام عمان الذي هزم اسطوله القوي في شهر اغسطس سنة ١٧٧٥ قسماً من الاسطول الايراني وفتح الملاحة في شط العرب ، وعاون المدافعين عن البصرة على اعادة تموين المدينة .

عودة العلاقات بين البريطانيين وكريم خان سنة ١٧٧٥ :

وفي نفس الوقت ، بل وفي نفس اليوم ، الذي بدأ فيه حصار مدينة البصرة ، وصل الى بو شهر مستر جاردن مبعوثاً من حكومة بمباي الى كريم خان للبحث في محاولة استئناف العلاقات الودية بين الجانبين . فاذا لم يتهيأ له ذلك بأية وسيلة أخرى ، فقد كان لديه تفويض باعادة انشاء وكالة بريطانية في بو شهر رغم مخالفة هذا العمل لقرار مجلس المديرين . وقد كان لمستر جاردن من اللباقة في الانتفاع بامكاناته ، ما استطاع به التوصل لاطلاق سراح مستر بومونت ، واعادة السفينة تايجر ، وفي وضع ترتيبات لتأمين سلامة ممتلكات الشركة في البصرة .

في حالة سقوطها في يد الايرانيين ، لكنه لم يتعرض لموضوع المطالبة المعلقة بالخسائر الناتجة عن حوادث القرصنة التي قام بها رجال بني كعب في سنة ١٧٦٥ ، وربما كان ذلك لاقتناعه بمضي زمن طويل على وقوعها، وعدم جدوى اثارتها في مثل ذلك الوقت .

وضع البريطانيين مدة احتلال الايرانيين لها ١٧٥٥-١٧٧٩ :

عند استسلام البصرة جرى تسليم الوكالة الى ممثلي شركة الهند الشرقية ووجدت على حالتها دون ان تحدث بها اية اضرار . ولكن نوع الحكومة التي شكلها الايرانيون ، وهي حكومة احتلال عسكرية لمواجهة الاهالي ، لم تكن مما يناسب ظروف التجارة ، وكان عنف الحاكم الايراني صادق خان سبباً في كثير من شكاوى الشركة .

لكن كريم خان كان دائماً على استعداد لتصحيح الاوضاع كلما بلغ علمه شيء من ذلك ، ولكن الوضع العام في البصرة لم يكن مشجعاً على وجه الاجمال حتى ان مجلس مديري شركة الهند الشرقية تدارس في وقت ما امر الانسحاب منها كلية ، لكن ما حصل بالفعل هو تخفيض وكالة البصرة الى درجة المقيمية .

أما في بو شهر حيث الادارة المحلية كانت مواتية متعاطفة كتعاطف كريم خان نفسه فان كل شيء كان يسير بحالة طبيعية ، الى آخر حكم ذلك الرجل .

آثار احتلال الايرانيين للبصرة على اماكن اخرى في الخليج وشئون متنوعة ١٧٦٦ - ١٧٧٩ :

كان من النتائج ذات الاهمية التي اسفر عنها احتلال الايرانيين للبصرة هجرة عدد من التجار الى الكويت ، وخروج عدد آخر من الكويت الى الزبارة في قطر ، لعدم شعورهم بالامن حتى في الكويت . وادى هذا بدوره الى نمو التجارة والازدهار بشكل عام ، في هذين الميناءين العربيين .

وكان التأثير أشد وضوحاً في الزبارة ، مما لفت انظار الايرانيين اليها وفي سنة ١٧٧٧ وما تلاها من سنين حاولوا الاستيلاء عليها دون جدوى .

وفي نهاية الفترة التي نحن بصددها اي في ١٧٧٨–١٧٨٠ كان القواسم في رأس الخيمة قد بدأوا الاسراف في عمليات قرصنة بلا تمييز . وما لبثوا الا سنوات قلائل حتى ذاعت شهرتهم ، ولكن لا احد يعلم على وجه اليقين مدى العلاقة بين تلك القرصنة والاوضاع السياسية العامة في الخليج ، ذلك بأن المشاكل التي ثارت لاحقاً بين بني كعب ورعايا شيخ بو شهر سنة ١٧٧٧–١٧٧٨ ، والاعتداءات المتكررة من سنة ١٧٧٥–١٧٧٩ بين امام عمان من جهة وكل من شيخ القواسم وشيخ هرمز من الجهة الاخرى تبدو كحوادث منعزلة لا علاقة لها بموضوع البصرة وسقوطها .

الشئون العامة والمصالح البريطانية بعد انسحاب الايرانيين من البصرة ١٧٧٩ ـ ١٧٩٧

انحلال ايران بعد وفاة كريم خان :

ما ان توفي كريم خان سنة ١٧٧٩ حتى بدأت ايران تتراجع عن مركز الصدارة والقوة بين بلدان الخليج . وبعد فترة قليلة أصبحت من أكثر هذه البلدان ضعفاً وأسوأها نظاماً . فقد نشأت المنازعات بين ورثة كريم خان انفسهم على العرش حتى تلاحق منهم عليه خلال ثماني عشرة سنة سبعة من افراد الاسرة ، الذين فقدوا كل نفوذهم في الخارج ، بل ان اقاليم ومقاطعات ايران الداخلية ذاتها خرجت عن دائرة سلطانهم ، لتجتمع تحت اول ملك من اسرة كاجار الذي خلفهم في الحكم سنة ١٧٩٧ .

ضياع البصرة من ايران سنة ١٧٧٩ والبحرين سنة ١٧٨٣ والسلطة الفعلية في بندر عباس وملحقاتها سنة ١٧٩٤ :

حالما علم صادق خان بوفاة اخيه انسحب من البصرة ، لرغبته في تثبيت حقه شخصياً في العرش ، ولحاجته الى الحامية التي تحتل البصرة في هذا الامر ، وبذلك عادت البصرة دون حرب الى السلطة التركية .

ويبدو ان صادق خان قد تعمد هذا الامر تعمداً ، وادت المقيمية البريطانية دوراً هاماً في تقديم العون لادارة عربية اخذت على عاتقها موقتاً تصريف الامور وحماية المدينة ، في الفترة ما بين انسحاب الايرانيين وعودة الاتراك .

وكانت البحرين ثاني منطقة تفقدها ايران من توابعها ، وقد هاجمها العرب اولا من البر الغربي سنة ١٧٨٢ ، ثم حاول شيخ بوشهر ــ وهو حاكم البحرين من قبل ايران ــ ان يثأر من المنطقة العربية المجاورة وهي الزبارة ، ولكنه فشل . ثم عبر العتوب المنتصرون البحر

الى البحرين وتبعتهم جماعة من العرب الاخرين ، واضطروا حامية شيخ بو شهر الى التسليم ، واستولوا على السلطة .

وفي سنة ١٧٩٤ ، انتقل تأجير بندر عباس وتوابعها من يد حاكم الاقليم الايراني الى سلطنة عمان ، وهكذا انتقل الحكم الفعلي على المراكز والجزر التي شملها عقد التأجير الى سلطنة أجنبية .

وقد اندلعت الاضطرابات والحرب الاهلية في ايران لدى وفاة الوكيل وكان انتشارها بنفس القوة في البلاد الواقعة على الخليج ، وفي المناطق الداخلية الاخرى من ايران على السواء .

الحالة الداخلية في ايران والعراق التركي وعمان عقب وفاة الوكيل في ايران :

وفي سنة ١٧٧٩ استولى خان تانجستان على بو شهر او بالاحرى سلبها وسرعان ما دمر الخان تحالف من مشايخ البلاد البحرية فيما بين ريق وعسيلوه .

وفي سنة ١٧٨٠ نشب قتال بين زعماء هرمز والمشارقة ، وكذلك بين زعماء عسيلوه وطاهري ، وفي سنة ١٧٩١-١٧٩٢ ايد امير ريق وخان خشت الحاكم الشرعي لشيراز لطف علي خان بينما ايد شيخ بو شهر مناوئي لطف علي خان فكانت النتيجة ان اصبحت المنطقة مسرحاً لغارات متبادلة بين الفريقين .

وفي العراق التركي قامت ثورة او ثورتان ضد باشا بغداد . وفي سنة ١٧٨٧ اغتصب شيخ المنتفق مدينة البصرة وحكمها بضعة شهور ، ولكن ما لبث ان ثبت نفوذ الحاكم سليمان باشا تدريجياً . وكانت الاوضاع السياسية عموماً اكثر استقراراً منها في ايران .

وفي سنتي ١٧٨٤ و ١٧٩١ حدثت بعض المناوشات من جانب بني كعب من جهة ايران ، ولكن حدث ما هو اكثر ازعاجاً وخطراً وهو عدوان الوهابيين من الحدود الغربية .

ففي سنة ١٧٨٤ بعد جيل من النماء والانتشار في نجد ، بدأ هؤلاء المتحمسون يفرضون انفسهم على حدود باشوية بغداد ، وفيما بين عامي ١٧٩٣ و ١٧٩٥ اثارت غاراتهم على الكويت حالة من الرعب ، وما إن حل عام ١٧٩٥ حتى كانوا قد احتلوا قسماً من الاحساء في المناطق التي كانت تحت حكم « بني خالد » .

وكانت امامة عمان قد انقسمت في سنة ١٧٩٣ الى ثلاث امارات ، اهمها سلطنة عاصمتها مسقط ، وهي التي خلفت الامامة في الاسطول البحري بكل جدارة بل حتى تمكن حاكمها سعيد سلطان من ضم بعض موانىء مكران لسلطنته ، مثل جوادر وشاهبار ، كما اكره الايرانيين على تأجيره بندر عباس وميناب والجزر المجاورة .

مشكلات شركة الهند الشرقية في الشرق وفي بريطانيا ١٧٧٩ — ١٧٩٧ :

وحدثت في هذه الفترة سلسلة من الحروب غير الحاسمة في الهند أثقلت كاهل شركة الهند الشرقية ، الامر الذي عرقل نشاطها في الخليج . ومن بين هذه المضايقات حروب المراهطة الاولى والثانية من سنة ١٧٧٥ الى سنة ١٧٨٢ التي لم تسفر عن كبير فائدة للبريطانيين وكذلك حرب ميسوري الثانية من سنة ١٧٨٠ الى سنة ١٧٨٤ التي انتهت الى اعادة اوضاع المتحاربين الى ما كانت عليه ، وحرب ميسوري الثالثة من سنة ١٧٩٠ الى سنة ١٧٩٢ التي انتهت الى سلخ نصف ممتلكات سلطان تيبو ، وظل رغم ذلك عدواً له خطره .

وفي الوطن الام اضطرت الشركة لمواجهة احداث معاكسة منها الحركة التي انتهت بمشروع قانون فوكس للهند سنة ١٧٨٣ ومحاكمة وارن هيستنجز بناء على الاتهام الذي تقدم به كل من فوكس وبيرك وشريدان عام ١٧٨٨ وهي المحاكمة التي لم تنته الا في سنة ١٧٩٥ .

الخصومة بين البريطانيين والفرنسيين في الشرق ١٧٧٨ – ١٧٨٣ و ١٧٩٣ – ١٧٩٧ :

فيما بين ١٧٧٨–١٧٨٣ ونتيجة لموقف الفرنسيين المؤيد لثورة سكان المستعمرات البريطانية في امريكا الشمالية ضـــد بلدهم الام بريطانيا اندلعت نار الحرب بين بريطانيا وفرنسا في الشرق ، حيث اعادت بريطانيا، احتلال بوند شيري التي كانت فرنسا تحتفظ بها مجردة من السلاح بمـــوجب معاهدة باريس سنه ١٧٦٣ ودام الاحتـــلال الانجليزي الجديد حتى سنة ١٧٨٣ .

وفي سنة ١٧٨١ اثناء حرب ميسوري الثانية جرى قتال شديد مع الفرنسيين بقيادة سفرون في المياه الهندية .

وفي سنة ١٧٩٣ وبعد قيام الثورة الفرنسية ، أعلنت بريطانيا الحرب على فرنسا في اوربا ، ثم تلت ذلك المناوشات في الهند ، وقبل نهاية ذلك العام استسلمت بوند شيري مرة أخرى للقوات البريطانية ، كما استسلمت مراكز النفوذ الفرنسي في تشاندارناجار ، وكاريكال ، وماهي .

وفي نفس الوقت كانت السفن الحربية الفرنسية والسفن التجارية الملحقة بها ، قد بدأت من مواقعها في جزر الموريشيوس تشن غاراتها على التجارة البريطانية في البحار الشرقية ، وفي شتاء ١٧٩٣–١٧٩٤ توجهت مجموعة من السفن الحربية البريطانية الى مياه جاوه للتصدي لتلك الحملات .

وفي سنة ١٧٩٥ انضمت هولندا الى الحرب في جانب فرنسا وكانت النتيجة ان انتزعت حملة بريطانية في ١٧٩٥–١٧٩٦ جزيرة سيلان من قبضة الهولنديين .

وفي سنة ١٧٩٦–١٧٩٧ بدأ العملاء الفرنسيون في الظهور في ايران، وفي الخليج ، وفي سنة ١٧٩٧ استمر البريطانيون في عملياتهم ضد الممتلكات الهولندية في جزر الهند الشرقية .

سياسة بريطانيا والعلاقات مع الخليج ١٧٧٩ – ١٧٩٧ :

ان مصاعب بريطانيا المشار اليها مع القوى المحلية في الهند ومع الفرنسيين تفسر هي والاوضاع القلقة لحكومة ايران عندئذ ما اعترى السياسة البريطانية في الخليج انذاك من ضعف وتردد .

ولقد كانت علاقة بريطانيا بدول الخليج عموماً في وضع معقول الى حد ما لكن ظروف ذلك العصر غير المواتية جعلت من المستحيل صيرورتها علاقة وثيقة او دائمة الود . ولقد كان جعفر خان حاكم شيراز من سنة ١٧٨٥ الى ١٧٨٩ ، ميالا الى مصالح شركة الهند الشرقية فأصدر في عام واحد فرمانين لحماية التجارة البريطانية في ايران ، ولما خلفه ولده لطف علي خان ، سار على نهجه في التودد للبريطانيين .

لكن التوتر الشديد كان بين سنة ١٧٩١ الى ١٧٩٥ طابع العلاقات بين المقيم البريطاني في البصرة وبين باشا بغداد ، وفي سنة ١٧٩٣ نقلت المقيمية الى الكويت ، حيث بقيت حتى سنة ١٧٩٥ ، لكن الخلاف كان في طبيعته شخصياً لذلك عادت الصداقة بعد انتهائه الى مجراها المألوف ، غير ان نذير مستقبل مزعج بدأ في هجمتين جريئتين قامت بهما قبيلة القواسم في البحر ، حيث استولوا سنة ١٧٩٧ على السفينة البريطانية « باسين » ، كما هاجموا المدمرة البريطانية «فايبر» . لكن اهمية وخطورة هذه الاحداث – التي كانت طليعة عصر الارهاب الذي اشاعه القواسم فيما بعد – لم يتفهمها احد في ذلك الوقت .

مصالح الهولنديين وأعمالهم فى الخليج
١٧٦٣ ـ ١٧٦٦

مستوطنة الهولنديين الوحيدة في خارّج :

كان الاوان قد آن لاختفاء النفوذ الهولندي والتجارة الهولندية ، من مياه وشواطيء الخليج اسوة بما حصل للبرتغاليين من قبل .

فبعد انسحاب الهولنديين من البصرة حوالي سنة ١٧٥٢ ، ومن بو شهر سنة ١٧٥٣ او ١٧٥٤ ومن بندر عباس سنة ١٧٥٨–١٧٥٩ ، لم يبق لهم في الخليج موقع الا خارّج الذي اقاموا التحصينات به سنة ١٧٥٣ لكن وكالتهم في هذا الموقع رغم ما انفق عليها بسخاء بل وباسراف لم تحقق اية فوائد ملموسة لشركة الهند الشرقية الهولندية .

الهولنديون يفقدون خارّج سنة ١٧٦٦ :

في سنة ١٧٦٥ تورط الهولنديون في خارّج في مناوشات المير مهنا في ريق ، وكانوا حتى ذلك الحين يتحاشون ذلك .

وفي بداية العام التالي استسلم حصن الهولنديين للمير مهنا الذي استمات للاستيلاء عليه ومن ثم قام بطرد الهولنديين منه ومن سائر الجزيرة (خارّج) ولم تحاول الحكومة الهولندية او شركة الهند الشرقية اعادة تأسيس وكالتها هناك ربما لقلة فائدتها التجارية ولشدة الاخطار التي تحيط بها .

مصالح الفرنسيين وأعمالهم فى الخليج
١٧٦٣ - ١٧٩٧

المؤسسات السياسية الفرنسية ١٧٦٣ – ١٧٩٧ :

خلال الفترة التي انقضت بين حرب السبع سنوات والثورة الفرنسية ، يبدو ان فرنسا ظلت كشأنها سابقاً بغير ممثلين رسميين في ايران . وكان لها في البصرة سنة ١٧٦٥ مقيم او قنصل ، لم يكن يقوم بعمل تجاري ، كما لم يكن راتبه يدفع بانتظام ، وكان المتسلم في سنة ١٧٦٥ قد قرر ان يعامله في الحفلات الرسمية في مرتبة دون مرتبة المقيم البريطاني هناك ، وكان قس الروم الكاثوليك في البصرة عادة من الفرنسيين ، وكان قبل الثورة الفرنسية يقوم في الغالب الى جانب اعماله الدينية ، باعباء الاعمال القنصلية في مقر حكومة الباشا .

وبعد الثورة الفرنسية او على الاقل في سنة ١٧٩٦–١٧٩٧ أصبح الممثل الفرنسي في بغداد من غير رجال الدين ، وكان يسمى « مبعوث العلاقات التجارية » ولكن يبدو ان مركزه لم يكن يختلف عن مركز القنصل العادي في شيء .

معاملات الفرنسيين مع سلطنة عمان ١٧٦٣ – ١٧٩٣ :

في ذلك الوقت كانت الحكومة الفرنسية على علاقات ودية مع حاكم عمان واتصالها به بواسطة قنصلها في بغداد ، ووكلائها في جزر الموريشيوس ولكن هذه العلاقات المتبادلة توقفت منذ سنة ١٧٨١ الى ١٧٩٠ في أعقاب احتجاز احدى السفن الخاصة الفرنسية سفينة حربية للامام .

وفي سنة ١٧٨٥ طلبت بعثة فرنسية من الموريشيوس الاذن لها بتأسيس وكالة فرنسية في مسقط ، ولكن حظ مسعاهم من النجاح لم يكن احسن من حظ مسعى البريطانيين لنفس الهدف . وفي نفس التاريخ

على وجه التقريب .

نشاط الفرنسيين في الخليج ١٧٦٣ – ١٧٩٢ :

بدأت في الخليج بعد اعلان بريطانيا الحرب على فرنسا سنة ١٧٩٣ ، وانضمام هولندا الى صف فرنسا سنة ١٧٩٥،مرحلة قلق ودسائس ومؤامرات في البلاد المجاورة للخليج ، ولكن حتى سنة ١٧٩٧ لم تتخذ بريطانيا اية خطوة حاسمة بسبب انهماكها بمشكلات الهند ، وسيلان ، وجزر الهند الشرقية الهولندية .

بعثة بروجيير واوليفييه الى تركيا وايران من سنة ١٧٩٣الى١٧٩٨ :

كانت اهم البعثات السياسية التي ارسلتها فرنسا الى الشرق الاوسط في ذلك الوقت تتألف من المواطنين بروجيير واوليفييه ، من كبار علماء التاريخ الطبيعي .

وقد مكثت البعثة خمس سنوات في تركيا ومصر وايران من سنة ١٧٩٣ حتى ١٧٩٨ ويرد سجل مسهب عن نشاطها في كتاب(١) مسيو اوليفييه عضو البعثة .

ويبدو ان اهتمام هذين العضوين المندوبين ، فيما عدا زيارتهما القصيرة لايران ، كان مركزاً في دراسات عن السياسة والتجارة والتاريخ الطبيعي ، اكثر منه الى المفاوضات العملية ، وكان وصولهما الى اسطنبول في مايو سنة ١٧٩٣ ، وبقيا فيها حتى شهر نوفمبر من نفس السنة . وكان في العاصمة التركية مبعوث فرنسي فوق العادة ،هو المواطن ديسكورشيه ، لكن الباب العالي لم يكن يعترف به كمندوب للثورة ، وكانت الجالية الفرنسية في القسطنطينية منقسمة فيما بينها حول قضايا السياسة الفرنسية .

وامضى بروجيير واوليفييه القسم الاكبر من سنة ١٧٩٤ في المناطق

---

(١) رحلة دكتور ج٠أ٠ اوليفييه في الامبراطورية العثمانية ومصر وايران سنة ١٨٠٧ (بالفرنسية) ٠

التركية من الشام ، ومن ديسمبر ١٧٩٤ الى ما يو ١٧٩٥ في مصر . وفي آخر أغسطس سنة ١٧٩٥ بارحا القسطنطينية بعد عودتهما اليها من رحلة لايران .

وكان المواطن الفرنسي فيرنيناك الذي خلف ديكورشيه فيما بعد قد ضم للوفد الذي زود بالمال وبخطابات الى باشا بغداد ، والى رئيس وزراء ايران ، كما حملا رسالة شفوية من الباب العالي الى حكومة ايران ، ثم بقيا في حلب من منتصف نوفمبر سنة ١٧٩٥ الى آخر فبراير سنة ١٧٩٦ وكان هذا التأخير بناء على نصائح من اصدقائهما بضرورة اتمام رحلتهما في قافلة منتظمة ، والا فتك بهما البدو من أجراء القنصل البريطاني في حلب ، ويظهر انهما ، وقد ضرب لهمـــا مثل بما وقع للمسيو بوريل دي بورج ، اقتنعا بعدم المجازفة .

وصل بروجيير واوليفييه الى بغداد في اوائل بريل سنة ١٧٩٦ ، وبقيا هناك حوالي ستة اسابيع ، اتصلا فيها بسليمان باشا ، الذي كان من حسن طالعهما قد شفي بعلاجهما من مرض مزمن كان يشكو منه . وفي بغداد تشاورا مع مواطنيهما روسو واوتراي وكان اولهما « مبعوث العلاقات التجارية » في بغداد ، وكان الثاني تاجراً ، وفي نفس الوقت طبيباً لحاشية الباشا .

وهنا ايضاً انضم اليهما مسيو كاراماں وهو شاب فرنسي ليعمل معهما كاتباً ومترجماً ، ثم غادروا بغداد مرة أخرى يوم ١٨ مايو سنة ١٧٩٦ ، ووصلوا طهران في اليوم الثاني من يوليو . وكان اغا محمد خان حاكم ايران قد ذهب الى خراسان ، فقررا البقاء في احدى القرى قرب العاصمة ، انتظارلعودته حيث شغلا نفسيهما بدراساتهما في علوم الاحياء . وفي الوقت ذاته عاد آغا خان محمد الى طهران في العشرين من سبتمبر وبعد يومين بدأ المبعوثان الفرنسيان سلسلة من المحادثات ، مع حاجي ابراهيم رئيس وزرائه ، وقدما اليه كتاب التوصية ، والتعارف ، الذي اعطاه لهما مسيو فيرنيناك ، وكتاباً آخر من باشا بغداد .

وفي ١٤ اكتوبر بعد ان اتما مأموريتهما مع الوزير ، وحصلا على البيانات الهامة الكافية عن تاريخ ايران الحديث ، شرعا في السفر عائدين الى بلادهما ، ومكثا في بغداد في الفترة ما بين منتصف سنة ١٧٩٦ الى اوائل شهر مايو ١٧٩٧ انتظاراً لتكامل القافلة التي سيسيران معها . وفي اكتوبر سنة ١٧٩٧ وصلا الى القسطنطينية بعد ان مرا في الطريق بجزيرة قبرص وبعض آسيا الصغرى ، وهناك بقيا فترة من الزمن لضرورة الحصول على نماذج هامة كانا قد تركاها مودعة في اماكن مختلفة .

وقد تسببت وفاة السفير الفرنسي مسيو اوبرت دو بايي في تعقيد سفرهما بحراً الى فرنسا ، وهو تعقيد كان بوسع المستر سميث السفير البريطاني حله لو قبل اعطاءهما تصاريح بسلامة المرور البحري ، لذلك لم يغادرا القسطنطينية الا يوم ٣٠ مايو سنة ١٧٨٩ ، وظلا يتعثران في الطريق حتى وصلا انكونا في التاسع عشر من سبتمبر ، وفي يوم ٣ اكتوبر توفي مسيو بروجيير بالحمى في اثيونا ، وعاد مسيو اوليفييه وحده الى فرنسا .

يتضح بجلاء من التراخي الذي اتسمت به رحلة هذين المبعوثين . واهتمامهما بأمور لا تتصل بالسياسة الامن بعيد ، او لا تتصل بها على الاطلاق، ان هذه الرحلة ما كان لها ان تحقق أي هدف محدد واضح . وكان القصد السياسي العام من اولى مراحل الرحلة في الامبراطورية العثمانية هو البحث عن اي مجال يمكن لفرنسا ان تستغل امكاناتها في الدولة العثمانية ، وقد اوصت البعثة في هذا الصدد بضرورة احتلال فرنسا لمصر .

لم تكن الرحلة الى طهران سنة ١٧٩٦ جزءاً من المخطط الاصلي للرحلة ويحتمل ان تكون تقررت بناء على توصية معينة — كما يبدو ذلك من مذكرات مختلفة لمسيو اولفييه يمكننا الربط بينها — تهدف اولا الى اقامة تحالف بين ايران وتركيا ضد روسيا ، وثانياً لانعاش النفوذ الفرنسي في ايران .

وبما ان المبعوثين قد حصلا على وعد بسفر سفير ايراني الى القسطنطينية فيمكن اعتبارهما نجحا الى حد ما في تحقيق الهدف الاول . اما فيما يتعلق بالهدف الثاني فاذا صح ان ما نستنتجه هو الذي حدث فعلا ، فانه يمكن القول ان التوفيق لم يحالفهما ، اذ كانت هناك عند زيارتهما لطهران معاهدتان قائمتان بين فرنسا وايران ، ابرمت الاخيرة منهما في باريس ، ووقع عليها سفير ايراني ، ولكن لم تتخذ اية خطوات لتجديد هاتين المعاهدتين ، كما لم تتخذ اية اجراءات لانشاء او استئناف مؤسسات فرنسية في أصفهان او في شيراز ، او على الخليج ، كذلك كان الشأن بالنسبة لتسليم جزيرة خارج لفرنسا ، وهي الامور التي كانت فيما يبدو —على الاقل— تداعب خيال مسيو اوليفييه (١) الذي يوضح ذلك بأنه هو وزميله تعمدا عدم اثارة هذه المشكلات نظراً للانطباع السيء الذي كوناه عن ايران كدولة .

لكن هناك امرين يبدو انهما كانا ضمن اسباب انتهاء المفاوضات عند الحد الذي وقفت عنده — الاول عدم وصول الهدايا التي كانت معدة للبلاط في الوقت المناسب(٢) ، والثاني انهما لم يقابلا

---

(١) أنظر كتاب رحلة الجزء الثالث ص ٨٨ — ٨٩ .

(٢) كانت الهدايا عبارة عن جواهر كان المفروض أن تصل من القسطنطينية بعد وصول المبعوثين ، وارسلت الى بغداد مع شريف هندى ، على أن يقوم مبعوث العلاقات التجارية الفرنسى بعمل ترتيب ارسالها بعد ذلك وأنظر حاشية ص ٤٤ — ٤٥ المجلد الثانى من كتاب تاريخ كاح عن الحرب فى افغانستان ، وفيه تلميح عن بعثة بروجيير واوليفييه ويذكر المؤلف بناء على تقارير سير ج. مالكولم أن أهداف هذه البعثة كانت (١) اقناع اغا محمد خان بالاستيلاء على البصرة وبغداد (٢) تحريضه على مساعدة تيبو سلطان ضد البريطانيين . (٣) الحصول على موافقته على عودة المؤسسات الفرنسية فى بندر عباس وهو ينسب عدم توفيق البعثة فى مهمتها الى حد كبير الى عدم تمتعها بالشخصية الدبلوماسية ، فقد كان اوليفييه رجلا وافر الذكاء يليق للاعمال العامة ، ولكن يجب الاعتراف بأن وصوله الى طهران دون اصطحاب الهدايا المناسبة اللازمة ينم عن عدم نضجه السياسى .

آغا محمد خان نفسه .

احتياطات البريطانيين ضد خطط الفرنسيين سنة ١٧٩٦ :

كان المقيم البريطاني في البصرة قد تلقى معلومات مبكرة يحتمل ان تكون من القنصل البريطاني في حلب ، عن وجود بروجيير واوليفييه فيها في اوائل سنة ١٧٩٦ ، فارسل بدوره الى حكومة بومباي ان قصد المبعوثين «هو انتحال صفة علماء النبات والطبيعة في رحلة من بغداد الى ايران ومنها يتسللان الى الهند» .

وبناء على ذلك كتب مستر جونثان دنكان محافظ بمباي الى مستر هانكي سميث المقيم البريطاني في بو شهر ، يأمره بالتعاون مع مندوبي الشركة في البصرة لتتبع حركات بروجيير واوليفييه ، وان يقبض عليهما اذا أمكنه ذلك ويرسلهما الى بمباي مع كافة اوراقهما .

لقد جاء ذكر وجود مندوبين فرنسيين يجوبون الشرق الأوسط في تلك الفترة ، في التعليمات التي كلف الملازم سكنر بحملها في سفينته الى مستر هانكي سميث ،وكانت هذه التعليمات تأمره بعمل تحريات دقيقة عن وجود اشخاص في مسقط فرنسيين يعملون في خدمة فرنسا — واذا وجد ان ذلك صحيح فعليه ان يطلب الى السلطات المحلية تسليمهم اليه .

وكان الافراد الثلاثة المقصودون اساساً بالقبض عليهم ، هم مسيو ديكورش والمحتمل ان يكون هو المبعوث الفرنسي فوق العادة لدى الباب العالي ومستر همفريز وهو بريطاني متمرد زامل الاول في السفر ، والاب دي بوشامب ويحتمل ان يكون هو القسيس الذي اصبح فيما بعد ممثل فرنسا في بغداد .

وكان من المظنون سفر هؤلاء الثلاثة في طريقهم الى موريتس ، حيث كان من المقرر ان يشغل الاب دي بوشامب وظيفة رسمية . وكان الملازم سكنر مفوضاً في دفع مبلغ ٨٠٠٠ روبية عن تسليم كل واحد من هؤلاء

الثلاثة الى حاكم مسقط ، وكذلك من ١٠٠٠ الى ٣٠٠٠ روبية عن كل شخص فرنسي آخر يحتمل وجوده هناك . ولا يبدو ان اية نتيجة حصلت عن رحلة الملازم سكنر ، سوى انه في يناير سنة ١٧٩٧ ارسل السيد سلطان كتاباً الى بومباي جاء فيه : ان التقرير الذي وصل الرياسة عن وجود ثلاثة من الفرنسيين في منطقة عمان يمدون حكومتهم بمعلومات ضارة بشركة الهند الشرقية ، تقرير لا اساس له من الصحة .

وفي سنة ١٧٩٧ ذاعت اشاعة بأن سفناً فرنسية وهولندية ، سمح لها السيد سلطان بالتردد على مسقط ترفع اعلاماً عربية ، ويبدو ان حاكم بومباي قد آخذ المندوب الوطني لشركة الهند الشرقية ، لاهماله في ابلاغ هذه الواقعة ، وتقصيره في الاحتجاج لدى السيد سلطان نفسه بهذا الصدد.

ولا يعرف الوضع الذي كان البريطانيون يريدون من السيد سلطان اتخاذه لمنع الاوروبيين من اساءة استعمال رفع اعلامه على سفنهم عبر البحار ، لان هذا هو السبب الحقيقي الذي ضايق البريطانيين . وكان رجل امريكي هو الكابتن كراوتش قد وصل بسفينته « لاتشمس » من بتافيا الى مسقط ومنها الى موريشوس ، ويبدو انه كان محل شك في مساعدته للفرنسيين .

وفي سنة ١٧٩٨ نتج عن اعتقال الفرنسيين في لانال(١) لولدي مستر هانكي سميث المقيم البريطاني في بو شهر —ونقلهما الى موريشوس — ان انكشفت تدابير الفرنسيين — للحصول على المعلومات بواسطة العرب الذين يزورون مسقط ، وكان طبيعياً ان تكون تحركات السفن البريطانية من الهند الى الخليج من المواضيع الهامة التي يدرسها الجواسيس الفرنسيون .

---

(١) يحتمل أن تكون لوريل

نشـاط القوى الوطنية الهندية فى الخليج
١٧٦٣ ـ ١٧٩٧

حيدر علي وتيبو سلطان من ميسور :

دأب حكام ولاية ميسور في الهند ، وبالذات حيدر علي ، الذي حكم حتى سنة ١٧٨٢ ، ثم ولده تيبو سلطان من ذلك العام وما بعده ، على استغلال الفرصة المتاحة لهما في الخليج لتوسيع نفوذهما هناك ، وذلك لعدائهما للبريطانيين ، اذ قامت بينهم ثلاثة حروب بسبب تجريد البريطانيين اياه من نصف ممتلكاته ، الى جانب الزامه بدفع تعويض قدره ثلاثة ملايين من الجنيهات ، الامر الذي كان يستوجب بالضرورة تزايد عدائه للبريطانيين .

وفي مطلع عام ١٧٧٤ زار سفير من قبل حيدر علي بلاط كريم خان في شيراز حاملا هدايا ، وحاول ان يؤمن لسيده في مقابل عون بحري لايران مصاهرة اسرة الوكيل الحاكم في ايران ، ومستوطنة تجارية هناك . وقد ذكر ان كريم خان في الوقت الذي رفض في رده موضوع المصاهرة ، منح بندر عباس لحاكم ميسور ، ولكن الواقع ان هذه المفاوضات لم تنته الى نتيجة ملحوظة . وكان يظن ان المفاوضات لو انتهت الى غير ذلك ، لوجد حكام ميسور في شيخ هرمز جاراً مزعجاً لهم في المركز الجديد .

وفي مايو سنة ١٧٧٦ علم ان السفير نفسه او سفيراً آخر من قبل حيدر علي كان في مسقط ، وحوالي ذلك الوقت نفسه(١) وصل الى مسقط رجل قيل عنه إنه سفير مغولي من قبل تيبو صاحب حاكم مانجالور وقتئذ ، واستقبله الامام استقبالا حسناً ، ومنحه ارضاً لاقامة منزل ،

---

(١) لا يمكن تحديد التاريخ و « مبعوث المغول » الذى أقام في مسقط ربما كان هو نفسه أحد سفيرى ميسور في ايران .

وكان المقصود ان تكون هذه البعثة الى مسقط دائمة ، فلم تسحب في خلال الفترة التي نحن بصددها ، غير انه بحلول سنة ١٧٩٧ أصبح المبعوث ينعت بأنه وكيل السلطان تيبو . وكانت هذه هي الصفة الحقيقية له ، والواقع كان هناك فعلا اتصال تجاري بين مناطق ميسوري ومسقط ، اذ كانت خمس او ست سفن تحمل علم ميسوري تزور العاصمة العمانية كل سنة .

امبراطور المغول :

في هذه المناسبة يمكننا ان نشير الى زيارة الى بلاط جعفر خان حاكم جنوب ايران ، قرب نهاية عام ١٧٨٦ قام بها رجلان بريطانيان هما ميجر جون موريسون وكابتن جورج بجز ، وكان الميجور كبير السن ، وكان سابقاً من موظفي شركة الهند الشرقية في البنغال ، وقدم نفسه على أن يعمل في خدمة امبراطور المغول الشاه علم ، وانه حضر نيابة عنه لعقد معاهدة تجارية مع ايران بمعاونة شخص سماه باسم غفور بك زعم أنه كان يتوقع قدومه من دلهي . اما الضابط الشاب فقد ظهر انه لا يعدو ان يكون مرافقاً للميجور ، وكان هذان الرجلان قد غادرا بريطانيا في اغسطس سنة ١٧٨٥ ، واتخذا في رحلتهما طريق القسطنطينية وبغداد واصفهان الى شيراز ، وكان هناك امر مريب في سلوكهما ، فوضعهما المقيم البريطاني تحت مراقبة دقيقة . واتضح له ان الميجور موريسون قدم مقترحات ما الى جعفر خان ، وسلمه قائمة باسماء بعض الضباط ، ولكن المقيم علم في ذات الوقت ايضاً ان الخان بغض النظر عن خطة الميجور موريسون قد فكر ملياً فيها بما يوافق فهم ذلك الضابط لكنه لم يصدر عن أي جواب محدد ، وقبيل نهاية يناير سنة ١٧٨٧ غادر الميجور موريسون الذي كان في البداية يتحدث عن رحلة له الى دلهي عن طريق السند او جوجارات ، بو شهر قاصداً البصرة مع الكابتن بيجز وقصده الواضح هو العودة الى انجلترا .

الاجراءات البريطانية الادارية والرسمية فى الخليج
١٧٦٣ ـ ١٧٩٧

مؤسسات شركة الهند الشرقية في الخليج ١٧٦٣–١٧٩٧ :

عقب تخفيض مركز البصرة من وكالة الى مقيمية سنة ١٧٧٨ كما ذكرنا سابقاً كانت مؤسسات شركة الهند الشرقية في الخليج مكونة من وكالتين كل منهما مستقلة ادارياً عن الاخرى في البصرة وفي بو شهر ، ومن وكالة وطنية في مسقط اذ لم تكن حكومة مسقط قد وافقت بعد على رغبة البريطانيين في انشاء مقيمية دائمة .

جمارك وقنصليات شركة الهند الشرقية ١٧٦٣–١٧٩٧ :

وفي سنة ١٧٨٣ اضيف الى مؤسسات الشركة وكالة وطنية في بغداد . وكانت البضائع التي يستوردها التجار البريطانيون في العراق التركي او في ايران ، تدفع عنها رسوم جمركية الى شركة الهند الشرقية بو اسطة مندوبيها المحليين ، وذلك بخلاف الضرائب التي كانت تتقاضاها حكومات هذه الدول .

وكان حق تحصيل هذه الرسوم على شكل الضريبة القنصلية معترفاً به في تركيا حسب نصوص الامتيازات الاجنبية ، وقد تم الاعتراف بوكلاء شركة الهند الشرقية في البصرة كقناصل في وقت مبكر هو سنة ١٧٦٤ .

أما في ايران فكان هذا الحق معترفاً به كأمر واقع او على الاقل لم يقم عليه اعتراض من السلطات الوطنية ، وكان المتبع في حساب ايرادات الشركة ان تقسم هذه الرسوم الى ضرائب جمركية ، وضرائب قنصلية ، كان النوع الاول منها بنسبة ٣٪ من قيمة البضاعة ويدخل الخزانة العامة ، بينما كان القسم الثاني بواقع ٢٪ ويوزع مناصفة بين

حاكم بومباي وبين الوكيل(١) او المقيم في الميناء الذي يتم فيه التحصيل .

على انه في المدة من ١٧٧٣–١٧٧٥ تقريباً كان مجموع ما تحصله الشركة من الرسوم في البصرة هو ٦٪ وليس ٥٪ ، ومن سنة ١٧٨٤ يبدو ان نصف ضريبة القنصلية كانت تسجل لحساب الشركة نفسها بدلا من حساب موظفيها .

انشاء القسم السري والسياسي لحكومة بومباي ١٧٨٥ :

في اليوم الحادي عشر من يناير سنة ١٧٨٥ قررت حكومة بومباي فصل القسم السري والسياسي من عملها عن باقي الجهاز الحكومي . وقامت في ذلك اليوم ادارة سرية وسياسية مستقلة عن الادارة العامة ، وعين مستر جيمس بيك اول سكرتير لها ، وكان من ضمن الذين وافقوا على قرار انشاء هذا القسم مستر بودام الوكيل المقيم والمحافظ (٢) ويحتمل ان يكون هو نفسه الذي زار مسقط في سنة ١٧٦٩ — كما كان ضمن الموقعين ايضاً بريجادير جنرال نلسن ، وهو لا شك الضابط الذي قاد العمليات الحربية البرية عند مهاجمة البريطانيين لخارج في سنة١٧٦٨ .

وقد اخطرت بهذا الاجراء الجديد جميع الجهات التابعة للحكومة الرئيسية بما في ذلك موظفو الخليج .

الخدمات التي قام بها الاسطول الملكي في الخليج . :

يبدو انه في هذه الفترة بدأ استخدام الاسطول الملكي في الخليج لمعاونة بحرية شركة الهند الشرقية ، وقد يعزو الوكيل والمجلس ما ابداه شيخ بو شهر في سنة ١٧٧٠ من رغبة في عودة المقيمية بعد سحبها من مينائه في السنة السابقة — الى « خوفه عند سماعه بوصول احدى سفن

(١) أثناء الفترة التى كانت فيها المقيمية فى بوشهر تابعة لوكالة البصرة كان نصف الحصيلة المحلية يرسل الى المقيم .

(١) أنظر الفصل الخاص بتاريخ سلطنة عمان .

الاسطول الملكي الى الخليج » .

وفي سنة ١٧٧١ عندما الح الوكيل والمجلس في طلب حملة قوية الى الخليج للقصاص من كريم خان ، وللقضاء على القرصنة اجاز مجلس المديرين في لندن الامر التالي الذي نال شهرة عظيمة لشبه اسلوبه باسلوب الروايات .

« اذا فشلت جميع الجهود المبذولة لقمع اتجاهات القرصنة لدى الايرانيين والسلطات الاخرى في الخليج ، في تحصيل تعويضات عن الاضرار الناتجة عن القرصنة ، فان عليكم ابلاغ ذلك الى الرياسة لتعرض الامر على قائد ا لاسطول الملكي في جزر الهند الشرقية لمحاولة الحصول على المعونة في الظروف والاحوال التي تقتضيها كل حالة بمفردها » .

وفي ابريل سنة ١٧٧٣ وقبل ايام قليلة من الانسحاب الموٌقت لوكالة الشركة من البصرة ، زارت ذلك الميناء السفينة الحربية الصغيرة «سوالو» التي يبدو من اسم قائدها سيرجون كلارك انها احدى قطع الاسطول الملكي ، رغم انها كانت تحمل شحنة من البضائع الواردة من سورات .

لكن السفينة الوحيدة التابعة للبحرية الملكية التي وردت تفاصيل زيارتها للخليج هي السفينة « سيهورس » بقيادة الكابتن جورج فارمر التي وصلت بو شهر من بومباي ومسقط في الثاني عشر من مايو سنة ١٧٧٥ بعدما بدأ الايرانيون حصارهم للبصرة ، والانسحاب الثاني الموٌقت للوكالة البريطانية منها .

وكان الكابتن فارمر قد تلقى تعليمات من قائده سير ادوارد هيوز : « ان يعاون شركة الهند الشرقية في اي مكان يتواجد فيه وحيث يكون للشركة وكالة او مستودعات وحين يطلب موظفو الشركة معونته » .

وبناء على هذه الاوامر عرض الكابتن خدماته على السفن البريطانية الذاهبة الى البصرة ، وحمايتها هناك ، برغم الحصار المضروب عليها ، ولكن الوكيل البريطاني الذي كان قد وصل الى بو شهر لم يقبل هذا

العرض ، والدليل على وجود حساسيات بشأن التعاون بين البحرية الملكية والشركة ظاهر من حرص الكابتن فارمر على اصطحابه رجلا معه يدعى « مستر بارسونز » ليكون شاهد عدل له عند المستر مور على اطاعة الكابتن لاوامر مور .

وفي ١٥ يوليو غادرت السفينة « سي هورس »(١) بو شهر مع سفن اخرى كثيرة كان الكابتن فارمر قد تعهد بحمايتها اثناء رحلتها الى الهند ضد المراهطة . وفي يوم ٣١ من الشهر نفسه ، وصلت السفينة الى مسقط ، حيث كان بحارتها البالغ عددهم ١٧٠ قد عانوا كثيراً من التعب نتيجة للحر الشديد ، ولرداءة الماء الذي وضع لهم على السفينة عند مغادرتها بو شهر ، وكانوا يتساقطون على ظهر السفينة من شدة الاعياء ، وقد بلغ عدد المرضى منهم ٥٠ رجلا ولم تحدث اية وفيات ، على انه بعد ايام من مغادرة السفينة لمسقط كتب مستر بارسونز وهو المسافر العادي الوحيد على السفينة ما لاحظه فقال : « انه من دواعي سروري العظيم ان ارى النشاط العظيم الذي ابداه رجالنا البحريون في أداء واجباتهم على مستوى طيب ، وان ارى تبدل احوالهم من الشحوب والوهن ، الى النضرة والحيوية ، فقد استعادوا من القوة ما يمكنهم من أداء ضعف الواجبات المنوطة بهم ، وقد كنا عندما بارحنا مسقط لا نجد الرجال اللازمين لاداء الاعمال العادية المطلوبة فوق السفينة من شدة الحرارة ، والآن كل رجل على ظهر السفينة يتحمل اعباءه بهمة فائقة ، ويستطيع ان يرتدي معطفاً او هو يرتديه فعلا » .

بريد الصحراء :

منذ ايام حرب السنوات السبع مع فرنسا ، كان الطريق بين الهند

---

(١) هناك تفاصيل على درجة بالغة الاهمية فاتت المعاصرين ، ذلك ان هوراشيو نلسون كان ينتمي في ذلك الحين الى السفينة سي هورس وربما كان قد شارك في هذه الرحلة ـ (راجع هامش ص ١٢٦٠ من النص الانجليزى لهذا الكتاب) .

واوربا مروراً بالبصرة وحلب هو الذي يسلكه رجال شركة الهند الشرقية بل حتى ورجال الحكومة البريطانية باعتباره طريقاً اميناً وقصيراً ، ويبدو ان البريد البري او « بريد الصحراء » ، كما كانوا يسمونه كان يتولاه موظفو الشركة في البصرة بالاشتراك مع القنصل البريطاني في حلب وفي الفترة القلقة في ختام القرن الثامن عشر كان السهر على استمرار هذا الطريق من اهم واجبات وكيل الشركة في البصرة .

وفي أثناء احتلال الايرانيين للبصرة بين سنتي ١٧٧٦ و ١٧٧٩ ، وكذلك لدى انتقال المقيمية البريطانية موقتاً الى الكويت ، اصبحت محطة النهاية من الناحية الشرقية لهذا الخط في الكويت بدلا من البصرة . لكن تشغيل الطريق لم يكن مرضياً ، كما كان في الاحوال العادية لاسباب عديدة ، وكانت العلاقات الودية التي كان البريطانيون يحرصون على رعايتها مع قبائل العرب مثل قبائل المنتفك ، وحتى مع الوهابيين في داخل الجزيرة العربية الذين بدأ بظهورهم تشويش الاوضاع في المنطقة كافية عموماً لضمان سلامة البريد البريطاني .

الجوازات والقوافل البحرية بين عام ١٧٦٧ — ١٧٧١ :

نشطت القرصنة في السنوات التي تلت نجاح المير مهنا في تحدي البريطانيين والايرانيين سنة ١٧٦٥ ، وبعد فشل الحملة البريطانية التركية ضد قبيلة كعب قطاع الطريق سنة ١٧٦٦ ، ثم ازداد نشاطها بعد سنة ١٧٦٩ بمناسبة الحرب بين كريم خان وامام عمان ، فاضطر مندوبو شركة الهند الشرقية الى التفكير في الوسائل المختلفة المناسبة لحماية المشحونات البحرية عموماً .

وفي سنة ١٧٦٧ رأى الوكيل والمجلس في البصرة ، بعد ان شمخت رؤوسهم لوضع مجموعة بحرية في الخليج تحت امرتهم ، ان يُعطوا اعلاماً بريطانية وتصريحات للمرور للوطنيين من اصحاب السفن الذين طلبوا ذلك نظير دفع مبلغ ١٠٠ روبية عن كل سفينة سنوياً ، واتخذوا ذلك

دون الرجوع الى رؤسائهم .

ومن الواضح ان المسؤولين المحليين كانوا يتكهنون بأن تلك الجوازات ستكفل، بغير ان تحدث ازعاجاً لهم ، حماية السفن من ان يسلبها رعايا بعض صغار المشايخ، فضلا عما تغل للشركة من ارباح طيبة ، ولما صدرت التعليمات الى المقيم البريطاني في بوشهر بتنفيذ هذا النظام رأى ان يزيد عليه ، فاقترح ان تحصل نفس الرسوم التي يدفعها التجار البريطانيون الى الشركة من التجار الوطنيين الذين يحصلون على تصريح بريطاني للمرور . ولكن الوكيل بدعم من المجلس لم يوافق على ذلك ، لانه رأى ان التجار الوطنيين الذين يدفعون ٨٪ او ٩٪ من قيمة بضائعهم ضريبة جمركية للادارة الايرانية لا يعقل ان يطالبوا بدفع المزيد فوق ذلك ، ولما وصل الاجراء الذي اتخذته الوكالة برمته الى علم مجلس مديري الشركة صدر بشأنه القرار التالي :

« في كتابكم المؤرخ ١٥ نوفمبر تشيرون الى قرار اتخذتموه ونفذتموه باعطاء تصاريح ممهورة بخاتم الشركة الى السفن والزوارق العاملة في الخليج في مقابل دفع مبلغ مائة روبية سنوياً لحمايتهم من ان ينهبهم كثير من شيوخ العرب ، وقد يكون هذا الاجراء في صالح هؤلاء التجار الى حد ما ، لكنه بالنسبة لموظفي الشركة سيكون عظيم الضرر وغير مقبول ، ذلك ان مير مهنا رغم زعمه احترام هذه التصاريح في الوقت الحاضر ، فانه يمكنكم الحكم بأنه لن يستمر طويلا على هذه الحال ، لانه يعتمد اساساً على نهب نفس هؤلاء الناس الذين ترغبون انتم في حمايتهم . وثمة اعتبار آخر ، هو ان المير مهنا ما هو الا واحد من كثيرين في أدنى الخليج ممن يحترفون نفس العمل والذين سليحون بعد الآن على المزيد منه ولا سيما بعد ان رأوا فشلنا في البصرة وهي المرة الاولى التي يرون فيها شاهداً حياً على فشل عسكري لنا .

وعليكم ان تتوقعوا انكم ستتلقون باستمرار شكاوى من عدم احترام التصاريح ، دون ان يكون لكم حول لتصحيح الامور الا اذا

بقي الاسطول طول العام في الخليج ، والى جانب ذلك فان الامر يقتضينا ان نصبح في حالة حرب دائمة مع جميع العرب ، واذا نحن لم نلق بالا لمهانة تلحق بجوازاتنا فان كرامتنا ستضيع لا محالة .

وعلى اية حال فهذا اسوأ اجراء شاذ قمتم به ونفذتموه دون تعليمات من رؤسائكم . ومن العسير ان نشك بعد هذا النقد اللاذع الذي صدر في ٢ مارس سنة ١٧٦٨ في ان مشروع الوكالة لمنح الاعلام والتصاريح قد توقف تنفيذه ، لكن يبدو ان بعض التأخير حصل في ابلاغ اوامر مجلس المديرين بدليل انه في شهر سبتمبر سنة ١٧٦٩ استفسر الوكيل والمجلس في البصرة من حكومة بومباي « عما اذا كانت طراداتنا عليها أن تبحر وتحمي السفن ضد اي عدوان اذا وقع خلاف مع « الخان » (١) الا اذا كانت تلك السفن لديها تصاريح واعلام بريطانية — والى اي مدى يؤثر حصول هذه السفن على التصاريح على مصالح شركة الهند ؟ . »

على ان حماية التجارة ، بقدر ما كانت تتولاه الشركة في ذلك الوقت ، بدأت تعتمد على سلسلة من القوافل البحرية التي استمرت حوالي سنتين او ثلاث في الوقت الذي كانت فيه الحال في الخليج في أسوأ أوضاعها من ١٧٦٩—١٧٧١ ، والتي انتفع بها التجار على قدر ما كان يسمح لهم بذلك .

وفي ربيع سنة ١٧٦٩ انقسم اسطول شركة الهند الشرقية المحلي قسمين ، استخدم احدهما كلية لحماية القوافل في مياه الخليج ، ثم أصدرت حكومة بومباي بعد ذلك اوامرها بتركيز موضع السفينة«دريك» في مسقط في شهري ابريل وديسمبر لحماية السفن الهندية طوال رحلتها من موانىء الهند الى البصرة .

وفي خريف ١٧٦٩ قرر الوكيل والمجلس في البصرة عدم اتخاذ اي اجراء خاص لابحار قافلة لسفن البن كالمعتاد سنوياً من مسقط الى

---

(١) كريم خان حاكم ايران .

البصرة ، خشية إغضاب كريم خان ، الذي كان في حرب مع الامام . وكانوا يظنون ان باستطاعة الامام نفسه توفير الحماية الكافية لهذه السفن ، او اذا لم يكن ذلك ممكناً ، فان من الممكن ان تنتظر السفن على الاقل الى ان تعود السفينة «دريك» الى مسقط في موعدها المعتاد .

وفي صيف سنة ١٧٧١ بعد اعتداء القراصنة على السفينة «بريطانيا» استخدم عدد كبير من السفن في اعمال القوافل في الخليج بما فيها « ريزوليوشن » و « اكسبديشن » و « بمباي » و « دولفن » و « فوكس » وقد ارسلت السفينتان اكسبديشن وفوكس مرة خصيصاً الى مسقط لاحضار بعض السفن التي كانت محجوزة في ذلك الوقت .

سلوك موظفي شركة الهند الشرقية واحوال العمل :

حدث في أثناء الفترة الثانية لحكم كلايف في البنغال ، من سنة ١٧٦٥ الى ١٧٦٧ ان خطر لاول مرة لموظفي شركة الهند الشرقية مزاولة أعمال تجارية خاصة او قبول الهدايا ، وقد زيدت مرتباتهم بدرجة كبيرة من حصيلة احتكار تجارة الملح ، ولم يطبق هذا الاجراء على مؤسسات الشركة في الخليج ، فمما لا شك فيه انه لم تكن هناك ضرورة لتنفيذه في هذه المنطقة لان موظفيها لم تكن لديهم سلطات تنفيذية او ادارية ، واستمر موظفو الشركة يزاولون التجارة الخاصة بهم علناً لبضع سنين بعد انتهاء الفترة التي نحن الان بصددها .

وقد نسبت اعمال وتصرفات خطيرة الى السادة شو وجاردن ومستر سكب من وكالة البصرة واجرى فيها التحقيق في السنوات من ١٧٦١ الى ١٧٦٨ ومن ١٧٦٨ الى ١٧٦٩ . ولكن في كلتا القضيتين لم يثبت ارتكاب اعمال مخلة بالامانة ، وثبت ان الاتهامات كانت تعزى الى احقاد وحزازات شخصية .

وفي سنة ١٧٦٧ صدر الامر الغريب التالي من الحاكم والمجلس في بمباي الى الوكيل والمجلس في البصرة ، ومن الواضح انه كان بسبب

اساءات سابقة وهو يقول « لقد وجدت مخالفات خطيرة نتيجة السماح لقائدي السفينة في ايران بالطعام على حساب الشركة الموقرة دون اي تحديد وقد قررنا انه سيسمح لهم بالخصم على حساب الشركة لما قيمته روبيتان عن كل يوم لكل رجل سواء من الاوربيين او الاتراك او الايرانيين ، ممن تدعو الضرورة الى اطعامهم على موائدهم ويجب ردها لهم بموجب هذه التعليمات ، وعليكم مراجعة الحسابات الخاصة بسفنهم قبل عودتها الى الهند » .

التجارة الخارجية في الخليج ١٧٦٣ ـ ١٧٩٧

ظروف غير موفقة للتجارة الخارجية في هذه الفترة :

تتميز الفترة التي نحن بصددها عموماً بعدم التوفيق التجاري في الخليج ، وكان اهم الاسباب لذلك ، هي الاحوال السياسية وعوامل أخرى ليست لها صفة الاستمرار والدوام ، من ذلك نشاط القرصنة التي مارسها رجال قبيلة بني كعب من اتباع المير مهنا وبعض مشايخ الخليج والقواسم الذين برزوا في ذلك الميدان ، كذلك زوال البعثة التجارية الهولندية من جزيرة خارج ، وندرة البهارات في كل من ايران والعراق التركي ، والخسائر الناجمة عن انتشار الطاعون في العراق التركي سنة ١٧٧٣ ، ثم حصار الايرانيين للبصرة واحتلالهم لها ، وما كان من حكمهم للمدينة من سنة ١٧٧٦ الى سنة١٧٧٩ ،واخيراً وليس آخراً الحروب الاهلية التي قامت في ايران بصفة تكاد تكون مستمرة بعد وفاة كريم خان في سنة ١٧٧٩ . كل هذه كانت عوامل هامة تحول دون التجارة وازدهارها . وكان من نتيجة نشاط القرصنة ان ازدادت اجور شحن البضائع التي يتقاضاها اصحاب السفن ، وفي نفس الوقت دفعت

الى توقف السفن غير المسلحة ، او ذات التسليح الضعيف عن الملاحة في الخليج ، وقد اصبحت ندرة البهارات ظاهرة ملحوظة . وثمة اسباب اقتصادية ايضاً – فلم تكن هناك منتجات محلية كافية للتصدير ، بحيث تحقق التوازن مع البضائع المستوردة كما انه مما لا شك فيه ان خزن البضائع نتيجة عدم الاستقرار ، كان له اثره في الحالة التجارية . وحتى في أيام كريم خان كان هناك نقص كبير في النقد في ايران لدرجة دعته لان يحظر خروج النقد . وكان من نتائج سياسته هذه ، ان الميزان التجاري بدأ فيه بعض الميل لصالح ايران ، ويرى البعض ان هذه النتيجة تبرر السياسة التي اتبعها .

وبعد ذلك حوالي سنة ١٧٩٠ جاء في التقارير(١) ان تسعة اعشار التجارة الواردة من الهند الى ايران كانت تُدفع نقداً،وقد قدر البعض التزيف النقدي من ايران لصالح الهند بما يعادل خسائر الاخيرة من منهوبات نادر شاه الايراني منها .

لم يكن من اليسير الحصول على الذهب من تركيا ، وكان التعامل النقدي في غير صالحها ، فالمدفوعات للعملاء كان يؤديها التجار العرب والاتراك في أغلب الاحيان بالعملات البندقية او الهولندية او الهنغارية .

وكان للاحداث السيئة التي مرت بالبصرة بين سنة ١٧٧٣–١٧٧٩ اثرها في انكماش تجارتها ، وفي وضعها التجاري ، اذ تجنبها تجار منطقة الخليج العليا ، الذين كانو قد تعودوا الذهاب اليها بوصفها مركزاً هاماً للشراء وكانوا يحملون معهم النقد من مختلف مناطق الامبراطورية التركية .

---

(١) يرى كابتن ج • مالكولم سنة ١٨٠٠ ان القسم الذى كانت تدفع ايران ثمنه من البهارات والسبائك يقدر بمبلغ ٨٠٠ر٠٠٠ روبية أى أربعة اعشار الواردات – كما قدرت صادرات البصرة من البهارات والسبائك سنويا بمبلغ مليون روبية وجملة الصادرات ثلاثة ملايين روبية •

وكان من عوامل الافقار لاقاليم الخليج بصفة عامة تلك الحروب التي دامت سنين عديدة ، فأساءت الى الصناعات واوقفت طرق المواصلات في ايران .

وكان ينظر عموماً الى حج الشيعة الى النجف وكربلاء على انه استنزاف للثروة الايرانية دون ما يقابلها من دخل ، بل اتضح جلياً في تلك الفترة ان ما تفقده ايران في هذا السبيل كان مجرد عملية نقل الثروة الى العراق التركي دون ان يحتسب ضمن التجارة العامة في الخليج .

صادرات الخليج :

كان اللؤلؤ أثمن صادرات الخليج في ذلك الوقت ، كما هو الحال حتى في وقتنا الحاضر ، وقد قدرت قيمة تجارة اللؤلؤ التي كانت مركزة في جزر البحرين ، بمبلغ نصف مليون(١) روبية هندية فقط في سنة ١٧٩٠ . ومما ذكر بشأن هذا الفرع من التجارة ما يأتي :

« كان القسم الاكبر من اللؤلؤ(٢) ينقل من البحرين الى سورات مباشرة ، ومن البحرين الى ميناء مخا عن طريق مسقط والى بو شهر وسندي ، والى سورات وكلكتا ، ومن الاربعة بلاد الاخيرة يوزع في قندهار وملتان وبلاد التتر والهند والصين » .

وكانت الكميات الباقية ترسل الى اسواق الخليج ، وبعضها يجد طريقه الى اسواق اوربا عبر بلدان الشرق الادنى .

وكانت صادرات ايران الحقيقية تتكون من النحاس الخردة والعقاقير وماء الورد ، والفواكه المجففة والحرير الخام ، والقطن الخام ،

---

(١) يذكر كابتن ج٠مالكولم فى مذكراته بعد سنة ١٧٩٠ بعشر سنوات فقط ان قيمة صادرات اللؤلؤ السنوية تبلغ مليون روبية ٠

(٢) فى سائر المصطلحات التجارية ، وهو أمر يبدو من باب التصنع العجيب ، كانت كلمة لؤلؤ تعامل ك « اسم جمع » ٠

والكبريت ، والملح الجبلي ، كما كانت صادرات العراق التركي تتكون من التمر بما قيمته أكثر من نصف مليون روبيه هنديه سنوياً . ومن النحاس الخرده والحديد والعفص والتبغ والافيون والصمغ والاوتار والبوص ، كما كان يصدر كثير من الخيول الى سورات وجوجارات في الهند . هذا علاوة على تجارة الترانزيت التي كانت تمر بطريق البصرة وتتكون من مصنوعات كثيرة ومواد اخرى واردة من اوربا ، واقاليم تركيه أخرى بعيدة عن بغداد في طريقها الى بلاد الخليج والهند .

استيرادات الخليج :

كانت اهم الواردات عن طريق الخليج الى كل من ايران والعراق التركي ، تتألف من خردوات (الاقمشة المختلفة) وتأتي من البنغال ، والشيت الملون من « كوروماندل » ، وملابس الاطفال من « مدراس » وخيوط القطن ، والمصنوعات القطنية المختلفة من « مالابـار وبروش وكامبي وسورات ، وجوجارات » ، والبضائع الصوفية والحريرية ، والبن العربي وسكر النبات والسكر ، والبهارات ، والتوابل والعطور والنيلة ، والعقاقير ، والخزف الصيني ، والمعادن من بريطانيا .

وكانت الورادات من البضائع الهندية تتألف من اقمشة الموسيلين والمنسوجات القطنية الرفيعة من البنغال ومدراس ، ومن الاقمشة القطنية السميكة من سورات لاستهلاك العرب .

وبحلول سنة ١٧٨٩ كانت المبيعات من البضائع الصوفية الانجليزية ، قد هبطت الى ربع ما كانت عليه قبل ذلك بعشرين عاماً ، وما لبثت ان توقفت تقريباً في سنة ١٧٩٦ ، والاسباب الرئيسية(١) لذلك ترجع فيما

---

(١) هذه هى الاسباب التى ذكرها السـائح الفرنسى مسيو اوليفييه وهو يذكر ان المبيعات السابقة من الصوف البريطانى كانت تقوم بها شركة الهند الشرقية مدفوعة بالتزامها من جانب الحكومة ←

يبدو الى ارتفاع اسعارها ، ومزاحمة الانواع الفرنسية الرخيصة الثمن ، والجيدة النوع . وكانت البضائع الحريرية البنغالية تلقى تفضيلا في العراق التركي عن نظائرها من الصين ومن جيلان .

وكانت تجارة البن تتم بكميات كبرى واثمان مواتية ، فكان يقدر ان نصف محصول البن اليمني يباع في الخليج ، كما كانت منطقة الخليج تمد جميع البلاد المجاورة لها واقساماً من اوربا بهذه السلعة اليمانية كما كان السكر الامريكي عندما تنخفض اسعاره يفضل على سكر شرقي الهند ، اما سكر باتافيا ، والبنغال فقد كانت لهما مكانة هامة ضمن المبيعات .

وكانت النيلة الهندية تكتسح نظيرتها الامريكية في اسواق الخليج ، وكان قد بدأ انتاج الصبغات محلياً في منطقة « شوشتار » في عربستان .

توزيع وتنسيق التجارة الخارجية في الخليج :

ونحن نجد ان الكابتن ج. مالكولم في تقريره الذي كتبه عام ١٨٠٠ بعد انتهاء الفترة التي نحن بصددها بزمن قليل ، وقبل حصول اي تغيير ملحوظ على الاوضاع القائمة آنذاك ، يلقي الاضواء على توزيع التجارة الخارجية في ذلك الحين .

البريطانية بتصريف كمية محددة من المصنوعات البريطانية ، وللوفاء بهذا التعهد كانت الشركة تبيع ذلك القدر من المصنوعات مع تحملها بعض الخسائر سنويا ــ فلما توقف نظام بيع هــذه المصنوعات بالخسارة نتيجة لتعديل الاتفاق السابق ، توقف أيضا بيع هذه الاقمشة ــ كما يذكر ذلك المصدر ــ لعدم قدرتها على منافسة الاصواف الفرنسية .

ويقول كاتب هذا الكتاب انه لم يجد ما يؤيد زعم اوليفييه في هذا التفسير ضمن المصادر البريطانية الرسـمية أو غير الرسمية .

ويذكر اوليفييه أن المصنوعات الفرنسية من الاصواف والساتان والقطيفة والاقمشة الموشاه بالذهب والفضة والدنتيلا ، كانت تلقى رواجا فى بلاد الخليج ، وكان قسم منها يصل حتى الى « قندهار » .

وطبقاً لما جاء في هذا المصدر ، كانت جملة تجارة الخليج من صادرات وواردات ما قيمته ١٦٠ لاك من الروبيات سنوياً ، والقسم الاكبر منها مع الهند ، وكانت الواردات السنوية من الهند تقدر بمبلغ ٢٠ لاك من الروبيات يقابلها من الصادرات ما قيمته ١٢ لاك من البضائع و ٨ لكوك من البهارات والذهب .

وكانت واردات العراق التركي من الهند تبلغ ٢٠ لاك سنوياً تدفع في شكل بضائع بما قيمته ٣٠ مليوناً ، وبهارات وذهب بمقدار عشرة لكوك . وكانت البحرين وباقي بلاد الساحل العربي مع الخليج تستورد من البضائع الهندية ما قيمته ١٠ لكوك سنوياً ،وتصدر من اللؤلؤ بنفس القيمة .

اما البن العربي الذي يصل الى الخليج سنوياً فكانت قيمته تقدر ب ٢٠ لاكا من الروبيات ، وكانت مسقط والبصرة هما اهم موانىء التجارة الخارجية ، فكان القسم الاكبر من تجارة الوارد والصادر عن طريق هذين الميناءين ، كما قدر ان اكثر من نصف الواردات الهندية الى البصرة وبو شهر ومعظم الاستيرادات في البحرين كانت تصل عن طريق مسقط وبالمثل كانت جميع البضائع الواردة من اوربا واسيا الصغرى ، وما الى ذلك ، ترد الى مركزها الرئيسي في البصرة حيث يتم توزيعها .

وكانت بو شهر في ذلك الوقت هي المكان الوحيد في ايران الذي يناظر البصرة في العراق التركي ،وكانت البحرين تمد الاحساء والجزيرة العربية عن طريق الزبارة والقطيف — اما مسقط فكانت الميناء الخاص بتجارة الترانزيت . وكانت بو شهر والكويت في بعض الاوقات تعتبر مراكز لتهريب البضائع الى العراق التركي واحياناً الى اوروبا عن طريق العراق .

اما نقل البضائع بين الهند والخليج فكان يتم بواسطة سفن للتجار الاوروبيين في الشرق وبعضه الاخر في سفن لتجار مسلمين من صورات والباقي في سفن لتجار عرب من مسقط .

وكان توزيع البضائع من مسقط يتم اولا عن طريق البحر ولكن بعد احتلال العرب للبحرين في سنة ١٧٨٣ تولى « العتوب » بنجاح شئون هذه الحرفة وقاموا بقسم كبير من نقل التجارة بين مسقط والبصرة، كما شرعوا في القيام برحلات لحسابهم من والى الهند .

وقد اصبح للعتوب مكانتهم في البحر بعد كسرهم شوكة القراصنة الذين كانوا يهاجمون سفنهم ، وظلت البحرية التجارية لمسقط تمثل القسم الاكبر من سفن دول الخليج ، وكانت تتألف من سفن تدعى البغلة والسنبوك والبوم (١) وانواع اخرى صغيرة وقوية ، واهل مسقط يعتبرون من انشط التجار المغامرين، ولو انهم لم يكونوا من امهر رجال البحر .

المواصلات التجارية :

كانت الرحلات البحرية فيما بين الهند الى البصرة ذهاباً وعودة تعتبر مأمونة طوال العام ، حتى في الزمن الذي كانت فيه السفن ما زالت شراعية ، غير انه من يونيو الى سبتمبر كان هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية يعوق الرحلات المباشرة بين الهند ومسقط ، وكانت الرحلة تتطلب المثابرة والمهارة والسفن القوية ، وفي شهري يونيو ويوليو — نظراً لاستمرار هبوب الرياح الشمالية — كانت الرحلة من مسقط الى أعالي الخليج شاقة وعاصفة .

وفي سنة ١٧٩٠ كانت هناك تعريفة محدودة عن اجور نقل البضائع في الزوارق التي تقطع انهار العراق التركي وعربستان ، وكانت الوحدة المحتسبة في تلك هي « البالة » ووزنها ٣٠٠ الى ٤٠٠ رطل انجليزي ، وأجرة شحن البالة من البصرة ١٢ روبية هندية بطريق نهر دجلة الى

---

(١) اصطلح الغربيون على اطلاق اسم (Dhow) على مراكب الخليج الكبيرة التى كانت تستعمل للاسفار مثل البغلة والسنبوك والبوم . (المترجم)

بغداد و ١٥ روبية بطريق نهر الفرات الى الحلة و ٤ روبيات هندية الى شوستار بطريق نهر قارون . وكانت هذه الفئات شاملة للرسوم الجمركية التي تدفع الى السلطات المحلية علاوة على اجور الشحن ، وكانت تكاليف نقل البضائع من الحلة الى بغداد برا على البغال او الجمال ٤ روبيات للبالة الواحدة ، وكان من الميسور في تلك الاونة نقل التجارة من الكويت او البصرة الى حلب بواسطة القوافل ، وكانت اجرة نقل حمل البعير من وزن ٧٠٠ رطل انجليزي بما في ذلك ثمن هدايا المشايخ هو ١٣٠ روبية هندية للاقمشة و ٩٠ روبية للبضاعة الثقيلة شاملة وكانت اجور النقل الى بغداد نصف اجرة النقل الى حلب ، وكانت رحلة القافلة من الكويت الى بغداد تستغرق حوالي ثلاثين يوماً ، ومن الكويت الى حلب حوالي ٨٠ يوماً .

توصيات لزيادة التجارة البريطانية في الخليج سنة ١٧٩٠ :

ان معلوماتنا عن ظروف التجارة في الخليج في ذلك الوقت مستمدة في أغلبها من تقرير عن التجارة اعده السادة مانستي وجونز من مقيمية البصرة سنة ١٧٩٠ . ولعل القارىء يهمه ان يعرف موجزاً لتوصياتهما بشأن زيادة حجم التجارة البريطانية .

تشير هذه التوصيات الى تصدير وتوريد بعض اصناف معينة بذاتها ولم يكن واضعا التقرير يائسين من مستقبل تجارة الاصواف البريطانية الا انهما اكدا ضرورة خفض اسعارها نسبياً ، واختيار الالوان المناسبة ووصول الشحنات الى السوق المحلية سنوياً في شهر اكتوبر على الاكثر . وكانا يعتقدان ان مصنوعات الحديد والزجاج بمقدورها ان تدر ربحاً اكثر ، وان السجاد الانجليزي ذا الاسعار المعتدلة يمكن ان يلقى رواجاً في السوق . ومن بين اهم الصادرات التي اشار التقرير لها العقاقير الايرانية التي لم تحظ بالعناية الكافية ، ولكنهما لم يلقيا بالا الى ان صوف كرمان الذي تزداد الحاجة اليه لصناعة الشالات يمكن الحصول عليه بعد ان منع

جعفر خان تصديره بكميات تزيد عن ٣٠٠٠ وحدة وزن تبريزي سنوياً واشارا الى صناعة الانبذة باعتبارها قابلة للنمو المطرد ، واقترحا دراسة انواع الاصباغ التي يستعملها الايرانيون في صناعة السجاد ، حيث كانت تفوق في ثباتها الاصباغ التي كان يستعملها صناع السجاد في ولتن واكسمنستر .

وبالنسبه للاساليب التجارية في المستقبل ، فقد اقترحا التخلي بعض الشيء عن مبدأ عدم فتح حساب للعملاء المحليين ، وعن تخفيف اجراءات المقايضة كما اقترحا ان يمنح موظفو الشركة في الخليج شيئاً من حرية التصرف في هذه الامور . وبذلك يمكن الحصول على طلبات من تجار موثوق بهم ، ممن كانوا عاجزين عن الدفع النقدي في حالة ندرة البهارات . وقد اقترحت تعديلات على الضرائب القنصلية بمعدل ٢٪ وكانت هذه تجبى في بو شهر والبصرة وتقسم من بعد مناصفة بين المقيم المحلي وحاكم بومباي، وقد أصبح نصفها منذ سنة ١٧٨٤ يضاف لايراد الشركة . لقد كانت هذه الضريبة تفرض فقط على بضائع تجار الخليج من البريطانيين الذين راح عددهم يتناقص منذ سنة ١٧٨٠ مما نتج عنه تضاؤل حصيلة الضريبة ، لذلك نصح ما نسبي وجونز بأن تفرض هذه الضريبة القنصلية ايضاً على التجار الارمن والمسلمين المقيمين في مستوطنات الشركة في الهند . وكان هؤلاء ينقلون معظم التجارة التي تشحن تحت العلم البريطاني ويقودها بحارة بريطانيون . كما ذكر ان الواردات الى البصرة وبو شهر ، التي ترفع العلم البريطاني كانت تقدر بنحو ٢٠ لاك من الروبيات سنة ١٧٨٧ وعلى ذلك فان توسيع دائرة الضريبة القنصلية ، يمكن الشركة من الحصول على ميزات هامة خصوصاً اذا عم السلام وساعد على ازدهار التجارة .

توصيات بشأن الوظائف :

وفي تقرير سنة ١٧٩٠ اقتراحات بتعديلات كثيرة في الوظائف الرسمية للشركة .

هناك اقتراح بجعل المقيم في بوشهر « مقيماً في ايران » وله الاختيار في الاقامة اما في بو شهر او في شيراز عاصمة البلاد . وان يعين له كاتب يؤدي عنه الاعمال الروتينية في بو شهر ، واخصائي في المشروبات يقيم ايضاً كمستشار للمقيمية في تجارة المشروبات ، وان تقام وكالة بريطانية في مسقط لو امكن ، فهذه مركز تجاري هام وموقع ممتاز لدراسة تجارة الخليج كلها ، كذلك ان يعاد تنظيم وكالة كانت قد فتحت في سند ، ويعمل بها موظف متنقل ، مهمته ان يزور مولتان ، وقندهار اذا دعت الضرورة . واوصت هذه المذكرة ايضاً بتفضيل طريق تجارة مسقط وافغانستان مروراً بوادي الهندوس الذي كان تجار بو شهر قد استطاعوا ان يقطعوه بنجاح ، واقترح ايضاً ان يجعل الصوف والمعادن البضائع المستعملة في التجارب التجارية ، واشارت المذكرة أيضاً لضرورة ارسال موظف مدني من بومباي ليزورايران ويدرس على الطبيعة موارد التصدير والاستيراد في كل اقاليم المملكة ، ثم يكتب تقريراً مفصلا بنتائج دراسته .

ولسنا نعرف الى اي حد تقبلت شركة الهند الشرقية توصيات مذكرة السيدين مانستي وجونز ومن بين الاستنتاجات التي ختم التقرير بها ما يلي :

« ويرجو كاتبا هذا التقرير ان يؤكدا ، قبل اختتامه ، بأن نجاح التجارة البريطانية عموماً في جزيرة العرب وايران ، ونجاح الخطط التي ضمناها التقرير سيكون كله رهناً بمسلك المسئولين عنه ، ونأمل بأن يركز هؤلاء الموظفون الذين ستناط بهم هذه المهام اهتمامهم على مقاصدهم ونواياهم باعتبارها ، دون نجاحهم ، هي المبدأ المحكم في كفاءتهم خصوصاً وان مهمتهم مفعمة بالحساسية الزائدة والمصائب الكبيرة » .

تاريخ الخليج أثناء الحقبة النابليونية فى الشرق
١٧٩٨ - ١٨١٠

ان الحقبة النابليونية في الشرق – اذا صح اطلاق هذا الاسم على تلك الفترة في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ، والتي كانت اسس سياسة بريطانيا الاسيوية خلالها توضع في ضوء علاقات بريطانيا بفرنسا – كانت في الخليج حقبة اقصر منها في اوروبا . انها في الخليج تبدأ بغزو نابليون لمصر سنة ١٧٩٨ وتنتهي بطرد الفرنسيين من جزر الموريشيوس في سنة ١٨١٠ . وخلال هذه الفترة كان على حكومة الهند وحكومة صاحبة الجلالة ايضاً ان تواجها مشكلات خطيرة نجمت عن غارات منتظمة من جانب السفن الفرنسية الحربية والخاصة على التجارة البحرية البريطانية ومن جانب القلق العظيم مما كان ينتويه الفرنسيون ، ومما اتضح من أعمال سبق ان قاموا بها في ايران على وجه الخصوص . ثم كان عليهم ايضاً ان يواجهوا مستوى خطيراً من الاحداث المحلية في الخليج نتيجة ظهور القرصنة وانتشارها السريع بين قبائل العرب التي اعتادت ركوب متن البحار والتي شجعها وزاد منها ظهور الوهابيين النجديين بشراستهم وتعصبهم على طول ساحل الخليج .

هجوم الفرنسيين على التجارة البحرية البريطانية فى الشرق واجراءات بريطـانيا الدفاعية
١٧٩٨ - ١٨١٠

لم يكن الخليج الا جزءاً صغيراً من ميدان الصراع الانجليزي الفرنسي في بحار الشرق ، وكانت قاعدة فرنسا في هذا الصراع جزر موريشيوس التي يؤهلها موقعها للهجوم على العديد من الطرق التجارية البحرية الهامة .

وكانت اولى السفن التي استولى عليها الفرنسيون في هذه المنطقة السفينة « بيرل » في سنة ١٧٩٩ التي سنشير اليها في تاريخ سلطنة عمان ، وقد استولوا عليها بعد معركة دارت بين سفينة حربية فرنسية واخرى بريطانية ، دمرت خلالهما السفينتان كلاهما غير ان الفرنسيين مع ذلك استطاعوا سوق غنيمتهم البريطانية الى مسقط . وفي سنة ١٨٠٣ استطاع الطراد الفرنسي لافورتين ان يستولي على السفينة الصغيرة (فلاي) التابعة لشركة الهند الشرقية ، ازاء ساحل جزيرة قيس ووصل بها الى بو شهر . ولم تكن هذه هي السفينة الوحيدة التي استطاع هذا الطراد الفرنسي وقائده القوي « كابتن سركوف » الاستيلاء عليها في مياه الخليج . ولم تكن اليقظة تنقص الحكومة البريطانية اوشركة الهند الشرقية لكن جهودهما ما كان لها ان تحقق النجاح الكامل طالما ظل الفرنسيون يحتلون جزر موريشيوس . وفي سنة ١٧٩٨ كان اسطول بريطاني صغير يراقب مضيق باب المندب واسطول آخر يرسو على ساحل مالابار . وفي سنة ١٧٩٩ ارسلت قوة بحرية بريطانية لتقوم بجولة في البحر الاحمر ، وقامت قوات من بومباي باحتلال جزيرة بريم من ٣ مايو الى اول سبتمبر ثم نقلت القوات الى عدن وبقيت بها حتى مارس سنة ١٨٠٠ . وفي اواخر سنة ١٨٠٠ بدأت سفينتان حربيتان فرنسيتان تراقبان حركة السفن الوطنية فيما حول عدن ، وانتشرت مخاوف في الخليج بسبب نشاط السفينتين لكنهما لم تظهرا مرة اخرى في هذا الجزء من الخليج والحقيقة ان طرد الاسطول الفرنسي من مصر في سنة ١٨٠١ قد احدث بعض التغيير في الموقف في بحار الهند . وفي سنة ١٨٩٧ وحدها قدرت الخسائر التي احدثتها السفن الحربية الفرنسية بميناء كلكتا بمبلغ ٣٠٠ الف جنيه . وأخيراً حين استسلمت جزر الموريشيوس وقائدها الجنرال دي كين لقوة بحرية وعسكرية يقودها الجنرال ابر كرومبي في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨١٠ ، توقف نشاط الفرنسيين المؤذي في المياه الشرقية .

خطط الفرنسيين وأعمالهم فى الشرق
والاجراءات المضادة لبريطانيا وحكومة الهند
١٧٩٨ ـ ١٨١٠

لقد كان اخطر من الاضرار التي احاقت بالتجارة البريطانية في البحر تلك المخاوف التي اثارتها خطط ومطامح نابليون التي لا تنتهي عند حد ، لا سيما بعد غزوه مصر في سنة ١٧٩٨ ، حين بدأت سياسته لفتح آسيا توئتي اولى ثمارها (١) وكانت ثمة دلائل لا شك فيها كالبعثات الفرنسية وغيرها تشير الى ان منطقة الشرق الاوسط واقعة في مخطط بونابرت ، ولقد اقتضت جرأته ونجاح خططه ذلك النجاح الرائع. في اوروبا ضرورة التنبه لوضع حد لما يمكنه ان يحقق ، او حتى يحاول أن يحقق في آسيا .

الاحوال الداخلية هذا الوقت في الهند وافغانستان ١٧٩٨ـ١٧٩٩:

وفي الهند حيث كان تيبو سلطان ميسور مـا يـزال عدواً خطيراً للحكومة البريطانية ، رحيث كان ثمة امراء محليون ساخطون ، بدا ان مسرح الاحدث في بداية هذه الفترة كان مهيأ لسهولة بث الدسائس ضد بريطانيا وكانت القلاقل في الهند تزداد نتيجة تهديد سنوي بالغزو من « مان شاه » حاكم افغانستان ، وكانت الحكومة البريطانية لا تستطيع ان تدرك بوضوح عجزه عن تنفيذ تهديداته تلك نتيجة وضعه المهتز في الداخل . فخشيت اذا دخل بجيوشه البلاد ان يجد تأييداً من بعض الامراء المسلمين الذين سيجدون فيه منقذاً من البريطانيين والمراهطة على السواء ،

---

(١) فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٠٠ ، كتب كابتن مالكولم من اصفهان : « ان هؤلاء الاوغاد الفرنسيين سيقنعون الاتراك بأنهم أشد الناس صداقة لهم ، وهم لو نجحوا فى تثبيت قواعدهم فى مـصر بأى شكل ، فيجب أن ننظر حولنا بحذر فى كل اتجاه ، وفى اتجاه الخليج يجب أن ننظر بحذر أكثر » .

ووقع في ايدي البريطانيين عند اعتراض سفينة فرنسية خطاب كتبه بونابرت الى سلطان عمان من القاهرة بتاريخ يناير ١٧٩٩ وبداخله خطاب مغلق معنون للسلطان تيبو يعده فيه بونابرت بتقديم العون له من فرنسا اذا وقف ضد بريطانيا . وكان السلطان تيبو من ناحيته نشيطاً في البحث عمن يؤيده ضد البريطانيين كائناً من كان . وقد ارسل قبل موته بقليل سفراء الى كابول وطهران والقسطنطينية . وفي نيسان ١٧٩٩ وصل جميعهم الى مسقط التي كانت وقتئذ هي مقر الممثل السياسي لحكومة ميسوري وتقدمت السفارة المتوجهة الى كابول من مسقط الى سونمياني وبعد ذلك انقطعت اخبارها . اما المبعوثون الى طهران والقسطنطينية فقد نقلتهم سفينة عمانية الى بو شهر والبصرة على التوالي حيث نزلوا في الميناءين . اما المبعوثون الى الباب العالي فقد استطاع المقيم البريطاني في البصرة اقناعهم بالعودة الى الهند بسبب وفاة سيدهم الذي وافاه الاجل اثناء سقوط « سيرانجاباتام » في مايو سنة ١٧٩٩ . اما الموفدون الى ملك ايران فلم يكن لسفارتهم اثر ما . وكان واضحاً ان الشاه استقبلهم كاجراء شكلي فقط . ولهذا السبب لم يتمكنوا من مفاتحة احد بموضوع رحلتهم .

افتتاح مقيمية بريطانية في بغداد ١٧٩٨ :

وفي صيف سنة ١٧٩٨ وقبل ان يخطو الفرنسيون اية خطى حاسمة في ميدان الشرق الاوسط ، فتحت مقيمية بريطانية في بغداد يرئسها مستر هارفورد جونز (اللورد بعد ذلك) واحد العاملين في مكتب الهند ، وكان الهدف من هذا الاجراء هو السيطرة على باشا بغداد ، ومن ثم صد النفوذ البونابرتي من الامتداد نحو الشرق . وكانت الحكومتان البريطانية والتركية عندئذ يجمعهما تحالف غير رسمي ضد فرنسا ، وفي سنة ١٧٩٩ عقد بينهما حلف دفاعي مشترك كان هدفه الاول هو طرد الفرنسيين من مصر ، وفي نفس الوقت صدرت الاوامر من الباب العالي بالقبض على القنصل الفرنسي والرعايا الفرنسيين في البصرة وارسالهم اسرى الى القسطنطينية ، ولكن ليس هناك ما يشير الى ان البريطانيين

كانوا مسئولين بأي شكل عن تلك الاجراءات الظالمة الشاذة من جانب حلفائهم الاتراك .

بعثة مهدي علي خان للعمل في الخليج وايران ١٧٩٨–١٧٩٩ :

وبعد افتتاح المقيمية البريطانية في بغداد مباشرة اتخذت خطوة أخرى لحماية المصالح البريطانية في الشرق الاوسط ، وذلك بانتداب مهدي علي خان وهو ايراني من اتباع حكومة بومباي ، ممثلا للهند في منطقة الخليج ، وكان الهدف من انتدابه الى جانب عمله على تنشيط التجارة البريطانية في منطقة الخليج ، هو ان يتخذ من الترتيبات ما يحول ان امكن بين حاكم افغانستان وغزو الهند بتحريك جيش ايراني لغزو « هراه » في افغانستان ، وكذلك العمل ضد النفوذ الفرنسي في ايران وعمان ، وكانت التعليمات فيما يتعلق بالموضوع الاول سطحية لكون زعيمي ايران وافغانستان عدوين صريحين ، ولان زمان شاه كان مشلول القوى لكن هذه التعليمات اثمرت في مكان آخر . فقد كان من نتيجتها عقد معاهدة مع سلطان عمان في ١٢ اكتوبر سنة ١٧٩٨ ادخلته الى جانب بريطانيا في صراعها ضد فرنسا بما في ذلك طرد الفرنسيين من اقاليم عمان ، ومنح البريطانيين حق اتخاذ قاعدة لهم في بندر عباس التي كانت مؤجرة للسلطان من حاكم ايران . كما تم ايضاً اقناع شاه ايران باصدار مرسوم بالقبض على اي مواطن فرنسي . في أي جزء من اقاليم ايران .

بعثة كابتن مالكولم الاولى الى الخليج وايران .. وانشاء وكالة بريطانية سياسية في مسقط ١٧٩٩ – ١٨٠١ :

وتلت بعثة مهدي علي خان بعثة اخرى برآسة كابتن مالكولم من مكتب الهند السياسي ، وكانت اهدافها تطابق بدقة اهداف سابقتها ، وقد ارسلت بمبادرة من لورد مونتجتون حاكم الهند ، وفي ١٧ يناير سنة ١٨٠٠ استطاع كابتن مالكولم تجديد اتفاقية مع سلطان عمان سنة ١٧٩٨ كما حصل منه ايضاً على امتياز لانشاء وكالة سياسية يرئسها موظف

اوروبي في مسقط . وقد عين لها « دكتور بوجل » مباشرة ، وعلى الاثر اختفى الممثل السياسي لحكومة ميسوري القديمة في مسقط . وفي يناير ١٨٠١ استطاع كابتن مالكولم عقد معاهدة مع شاه ايران تحدد فيما يتعلق بالفرنسيين عدم السماح لهم بأية قواعد في ايران واشتراك ايران وبريطانيا في صدهم لو تمكنوا من الاستيلاء على موطىء قدم لهم بالقوة او الغدر ، كما عقد ايضاً معاهدة تجارية مع شاه ايران ليس فيها ما يخرج عن المألوف . ورغم ان مالكولم مر بالعراق التركي في طريقه الى الخليج ذات مرة . الا ان علاقاته بباشا بغداد لم تزد عن حد المجاملات الرسمية .

وفي سنة ١٨٠٢ اوفد الشاه تاجراً ايرانياً هو « حاجي خليل خان » الى الهند للحصول على تصديق الحاكم العام في الهند على المعاهدات التي عقدها كابتن مالكولم في العام السابق .

بعثة حاجي خليل خان ومحمد نبي خان الى الهند ١٨٠٢ ، ١٨٠٥ ١٨٠٧ :

لكن هذا المبعوث قتل صدفة ـ ولسوء الحظ ـ خلال شجار وقع في بومباي بين خدمه وبين حرس شرف حكومة الهند ، وتوقفت المفاوضات رغم ان شاه ايران تلقى خبر موت مبعوثه بهدوء غريب .

وفي سنة ١٨٠٥ أرسل الشاه مبعوثاً آخر الى الهند هو تاجر ايراني ايضاً يدعى محمد نبي خان خلفاً لقريبه الذي مات ، لكن حكومة الهند ، بعد تغير المسئول الاول فيها لم ترحب بالبعثة ذلك الترحيب العاطفي الذي كان يبديه كابتن مالكولم . وفي سنة ١٨٠٧ رفعت القضية كلها لحكومة صاحبة الجلالة ، وكان ردها فاتراً كرد حكومة بومباي ، فرجعت البعثة الايرانية الثانية الى ايران دون الحصول على التصديق على المعاهدات .

مؤامرات فرنسا في ايران ... بعثة الكولونيل روميو م. جوبرت :

وفي نفس الوقت تقريباً ... كانت ثمة مراسلات منتظمة انتهت بتبادل التمثيل السياسي بين فرنسا وايران ، ويبدو ان الخطوة الاولى اتخذها عن فرنسا وسطاء حامت الشبه حول اشخاصهم مما جعل الايرانيون يعاملونهم بريبة واضحة .

ميرزا محمد رضا ومعاهدة فنكنشتاين وقطع العلاقات بين بريطانيا والباب العالي ١٨٠١ – ١٨٠٧ :

وفي سنة ١٨٠٤ اقترحت فرنسا الاشتراك مع ايران في عمل ضد روسيا التي كانت ايران في حالة حرب معها حينذاك ، غير ان الشاه رفض ذلك الاقتراح رغم انه قدم بطريقة اصولية ، وقد يكون امله المتشبث في عون من بريطانيا هو سبب رفضه عون الفرنسيين .

وفي سنة ١٨٠٥ قام كولونيل روميو بزيارة رسمية لطهران مبعوثاً عن بونابرت وتلاه في العام التالي مسيو جوبرت الذي اقنع شاه ايران بأن يرسل مبعوثاً رسمياً هو ميرزا محمد رضا الى اوربا لعقد معاهدة مع بونابرت ... وكانت نتيجة بعثة ميرزا محمد هي عقد معاهدة فنكنشتين في مايو سنة ١٨٠٧ التي بمقتضاها تحالفت فرنسا على قدم المساواة مع ايران ضد روسيا عدوهما المشترك ولكن في سنة ١٨٠٧ و ١٨٠٨ كررت الحكومة الايرانية مرتين محاولتها لاقناع المقيم البريطاني في بو شهر بأن تقارب ايران مع فرنسا لا يعني على الاطلاق نيلا من العلاقات الودية مع بريطانيا .

وفي اوائل سنة ١٨٠٧ حدثت قطيعة بين انجلترا والباب العالي نتيجة تواد ظهر فجأة بين الباب العالي وفرنسا . وفي اوروبا كانت هناك حالة حرب اسمية بين انجلترا وتركيا ظلت قائمة حتى اوائل سنة ١٨٠٩ ، ولكن باشا بغداد لما كان يرى من وجود اسطول انجليزي قوي في منطقة الخليج سنة ١٨٠٧ قرر ان يتجاهل العداء القائم بين انجلترا وتركيا ،

فظلت الامور في العراق التركي تسير في مجراها الودي المألوف .

علاقة فرنسا بسلطنة عمان ١٨٠٧ ، ١٨٠٨ :

وبالنسبة لعمان ايضاً كانت فرنسا تفصح عن سياسات لا شك في صلتها بمخططها الكبير في ايران ، لكن سياستها فشلت في البداية نتيجة تمسك « السيد سلطان » باتفاقيتين لسنة ١٧٩٨ و ١٨٠٠ مع بريطانيا ، وفي سنة ١٨٠٣ ارسل مسيو كوفيناك خصيصاً كمبعوث من جنرال دي كين حاكم الموريشيوس الفرنسي الى مسقط بهدف اقامة قنصلية فرنسية ووكالة سياسية لكن السيد سلطان رفض مجرد مناقشة هذا الامر وعادت البعثة الفرنسية خائبة ، غير ان السيد سعيد بن سلطان وخليفته وقعا سنة ١٨٠٧–١٨٠٨ معاهدة مع فرنسا وافتتحت قنصلية فرنسية في مسقط عهد الى مسيو دالون بالاشراف عليها فازدادت يقظة بريطانيا وحكومة الهند لنجاح فرنسا مع شاه ايران (١) .

بعثة (الجنرال) مالكولم الثانية الى الخليج ١٨٠٨ ، واقتراح بريطانيا احتلال خارّج وبعثة سير هـ. جونز الى ايران ١٨٠٨–١٨٠٩ :

ونتج عن ذلك تجهيز بعثتين بريطانيتين منفصلتين وفي وقت واحد الى الخليج وايران فراحت كل تنافس الاخرى . وقد بدأت اولا في لندن ترتيبات ارسال بعثة سير هـ. جونز . ولكن بعثة الجنرال مالكولم،

---

(١) ينحصر اهتمامنا هنا بمنطقة الخليج فقط ، لكننا نشير أيضا الى ان حكومة الهند ارسلت في سنة ١٨٠٨ بعثات لحكام لاهور وكابول والسند واشار كل من هؤلاء المبعوثين في البداية الى خطر النفوذ الفرنسي .. لكن البعثات لدى الحاكمين الاخيرين استطاعت أن تتوصل الى معاهدات فيها نصوص معادية لفرنسا .. وكانت بعثة السند برياسة كابتن سيتون المقيم في مسقط . لكنه اساء التصرف ، فأصبح مستر ن.هـ. سميث المقيم في بوشهر هو المسؤول عن البعثة وكان يرئس بعثتي لاهور وكابول السيدان ميتكالف والفينستون على التوالي .

وقد بدأت من مكان اقرب لهدفها ، فقدوصلت من الهند اولا .فبعد المرور بمسقط ، وصل جنرال مالكولم الى بو شهر في مايو سنة ١٨٠٨ غير انه لم يستطع صبراً على وجود بعثة فرنسية كانت قد وصلت قبله ، ولا استطاع ان يتغلب تدريجياً على اثرها السيء بالنسبة له في طهران . وحين طلب اليه بدء المفاوضات مع الامير ،حاكم شيراز ، رفض وغادر ايران الى الهند في يوليو ، ويبدو ان التعليمات الصادرة من لورد منتو الى الجنرال مالكولم لم تكن محددة تحديداً واضحاً ، وإن كان واضحاً في مقاصدها قيامه بدراسة الموقف السياسي في ايران ، واتخاذ الترتيبات اللازمة لطرد الفرنسيين منها لو امكن ، وعمل ما يكفل صدّهم لو حاولوا اتخاذ قاعدة لهم في منطقة الخليج . والواقع انه كان خلال الفترة الطويلة التي قضاها في عمله بالخليج يتمتع بنفوذ على افراد بعثته(١) وعلى موظفي حكومة الهند ومؤسساتها في تلك المنطقة .. كما كان ايضاً ذا حظوة لدى باشا بغداد .

وحين وصلت الى الهند انباء فشل جنرال مالكولم صدر تفويض الحاكم العام للسير هـ. جونز الذي كان منتظراً في بومباي بالتحرك الى ايران ففعل دون تأخير . ثم صدرت له اوامر جديدة من الجنرال مالكولم بمجرد وصول الاخير الى كلكتا ، لكنها لم تصل بومباي الا بعد رحيل جونز ، وكانت تأمره بالبقاء في بومباي ، وقد حولت حكومة الهند اهتمامها بعد ذلك الى خطة — اشرنا اليها من قبل — تقضي باستملاك جزيرة ما في الخليج ، غير ان هذه الخطة التي كانت من قبل تبحث على اسس تجارية ، وعلى ضوء الحصول على اتفاق معالحكومة الايرانية ، أصبحت الآن ضرورة عسكرية يباح فيها استعمال القوة . وكانت حكومة بومبي قد اقترحت فعلا في سنة ١٧٩٩ ضرورة وجود قاعدة بريطانية في خارج او في هرمز . وفي سنة ١٨٠٠–١٨٠١ حاول

---

(١) وقد احتج مستر مانستي ، وهو رجل فظيع كان وقتها مقيما بريطانيا فى البصرة بعبارات جوفاء على اخضاعه لاوامر مالكولم .

كابتن مالكولم من خلال تعديل المعاهدة التجارية مع ايران الحصول على تنـــازل عن جزر قشم وهانجام وخارَج لكنه اصطدم بعناد « فتح علي شاه » ورفضه وتشككه في نوايا الاقتراح .

أما الآن فقد تقرر ان تقوم قوات يقودها جنرال مالكولم باحتلال جزيرة خارَج دون معارضة من ايران ... احتياطا من تحرك روسيا او فرنسا نحوها خاصة وقد خلقت معاهدة تيليست الـــتي عقـــدت بينهما جواً من التفاهم السياسي بدل الحرب التي كانت قائمة ، وضماناً لسلوك ايران تجاه بريطانيا مسلكاً أكثر احتراماً مما بدا من ايران في معاملة جنرال مالكولم . وفي ربيع سنة ١٨٠٩ ارسل كابتن جرانت احد ضباط جنرال مالكولم كطليعة للحملة على جزيرة خارَج ، فجاس خلال مكران ومنها سافر براً الى بندر عباس ليقدم تقريراً عن الوضع العسكري لتلك المناطق على ضوء ما يحتمل من وقوع هجوم اوروبي على الهند .

وفي نفس الوقت وصل سير جونز الى ايران ، حيث تبدل الجو كثيراً لصالح بريطانيا ، ذلك ان الشاه قد ايقن ان فرنسا لن تقوم بأي عمل من شأنه كبح جماح حليفتها روسيا ، تلك التي يخشاها الشاه اعظم الخشية ويعيش حالة حرب معها ، عن الهجوم على ايران ، وبدأ نفوذ جنرال جردان الفرنسي يقل في طهران ، ولم يجد سير جونز صعوبة كبيرة في أن يصل العاصمة ، وان يبدأ مفاوضاته ويتمها بنجاح على ان اهم إرباك كان يتعرض له على حد وصفه كان خطة الغزو المرتقب من جنرال مالكولم على خارَج ، وهي خطة اصبحت حكومة ايران مدركة لها ؛ وكذلك الاوامر الصريحة التي وصلته من لورد منتو بترك ايران . ومع ذلك فقد استطاع ان يتخذ بعض الاجراءات التي ربما كان من الممكن ان تؤمن ولو موافقة وقتية من جانب ايران على احتلال البريطانيين خارَج حتى لو ان حكومة الهند لم ترسل حملة جنرال مالكولم نظراً للاخبار الواردة الى شبه الجزيرة الهندية عن المتاعب التي اصبح يواجهها بونابرت ، وهكذا تجاهل تماماً الامر الصريح من لورد منتو

بقطع مهمته في ايران ، ناظراً اليه كمجرد امر شكلي طالما ان مهمته كانت تقترب من النجاح ، وكان مكلفاً بها من حكومة صاحبة الجلالة . وقد كوفيء على إصراره العنيد بنجاح مهمته ، ففي ١٢ مارس سنة ١٨٠٩ تم توقيع معاهدة تمهيدية مع ايران الغى الشاه بموجبها كل ترتيباته السابقة ، مهما كانت ، مع الدول الاوروبية الاخرى ، وتعهد بقفل طريق ايران في وجه اي جيش لدولة اوربية يتقدم نحو الهند ، وذلك في مقابل عون عسكري من بريطانيا او بدل ذلك معونات مالية مشفوعة ببعثة تدريبية وتموينات وذخائر في حالة هجوم اية دولة اوربية على اراضي ايران . ويظل الالتزام قائماً على بريطانيا حتى لو كانت الدولة الاوربية التي قد تغزو ايران في حالة سلم مع بريطانيا ، شريطة ان تتوسط بريطانيا اولا للبحث عن طريقة ودية لتسوية هذا الموقف بين ايران والدولة المعتدية . وتضمنت المعاهدة كذلك شرطاً خاصاً بمقاومة الخطر القديم الذي كان يتمثل في احتمال غزو افغانستان للهند . وسافر مستر مورير سكرتير البعثة على وجه السرعة الى انجلترا ليكمل التصديق على المعاهدة التي حملها معه ، وقد صحبه مبعوث ايراني هو « ميرزا عبد الحسن » ، كانت مهمته ان يعرف بما يكفي لتطمين سيده عن الكيفية التي سيتم بموجبها دفع المعونة الانجليزية له اذا ما اصبحت متحققة . وقرب نهاية ابريل سنة ١٨٠٩ غادر آخر دبلوماسي فرنسي طهران ، وفي نهاية سنة ١٨١٠ اغلقت القنصلية الفرنسية في مسقط ابوابها . وعلى رغم الفزع المرعب الذي اثارته اعمال فرنسا اول الامر في الهند البريطانية ، فقد يبدو ان سياسة بونابرت — خاصة بعد فشل حملته على مصر — كانت تهدف الى ابقاء بريطانيا قلقة مفزعة على مصالحها في الشرق ، اكثر مما ترمي حقيقة الى شن غارة خطيرة على الممتلكات الانجليزية في الهند .

بعثة جنرال مالكولم الثالثة الى ايران ١٨١٠ :

وفي اوائل سنة ١٨١٠ عاد لورد منتو فارسل جنرال مالكولم الى

الخليـــج مرة اخرى كدليل على قبول حكومة الهند للمعاهدة التي عقدها سير جونز ولاستعادة هيبة حكومة الهند في ايران بعد ان عانت من طرد بعثتها السابقة من ايران وما أعقبها من نجاح ساحق حققه مبعوث منافس، ولكي يكون للحاكم العام ممثل في مكان الاحداث مستعد لان يقوم بواجبات المبعوث الدائم لدى البلاط الايراني اذا ما وافقت حكومة صاحبة الجلالة البريطانية على اقتراحه بأن يوكل له تعيين الممثل البريطاني في ايران ، كذلك طلب الى مالكولم بذل الجهد للقيام بدراسة جغرافية لايران والبلدان المجاورة لها ... وتمكينا له من اداء مهمته ، ورغبة في احاطة بعثته بكل ما يمكن من دواعي النجاح ، زود جنرال مالكولم بمجموعة كبيرة منتقاه من الضباط والمسئولين اللامعين . على ان حكومة صاحبة الجلالة رأت ان يظل تعيين سفير في ايران منوطاً بها في انجلترا ، وبعد ذلك عاد جنرال مالكولم الى الهند من زيارته التي اقتصرت على الرسميات في الدعوات وفي هذه المرة ايضاً مر ببغداد في عودته ، لكن ثورة داخلية كانت ناشبة في ذلك الوقت حول مقر الباشا ، مما عطل كل اتصال سياسي بالحكومة المحلية هناك .

اضطراب الاوضاع فى الخليج
١٧٩٨ ـ ١٨٠٥

فيما كانت بريطانيا تركز اهتمامها على خطط بونابرت الفعلية او الوهمية في تركيا وايران وافغانستان وجزيرة العرب كانت حالة من التفكك الشامل والاضطراب تجتاح منطقة الخليج ، وهي حالة كلف الخلاص منها بريطانيا الكثير الطائل من الجهد العسكري والمال بحيث تخطى ذلك كل ما كان ممكناً ان ينجم عن الرعب الموقت عن هجوم فرنسي على الهند . وكانت عوامل الاضطراب عديدة ... لكن اهمها فيما يبدو كان الاضطراب والنهب اللذان سببهما بعض قبائل العرب البحرية خاصة القواسم(١) ، والتزايد المخيف لقوة الوهابيين في نجد واواسط الجزيرة ثم ظهورهم نهائياً على ساحل الخليج ، وطموح سيد عمان وقوته البحرية وضعف امارة البحرين العربية . ولو ادركت حكومة الهند في اوائل القرن التاسع عشر الخطورة الحقيقية الكامنة في هذا الموقف ، ولو انها وجهت مزيداً من الاهتمام الى الاعراض الاولى لهذا الاضطراب البحري في الخليج . وقليلا من الاهتمام بالسياسة العليا في عواصم الشرق الاوسط ، ولو انها تعرفت على الموقف تعرفاً واقعياً دقيقاً دون التعرف العام الغامض اذن لكان ممكناً ان تصون بطريقة افضل مصالح الامبراطورية البريطانية المباشرة في المنطقة . لكن هذا الموقف ربما كان من النوع الذي كانت فيه الحكمة امام الاحداث نوعاً من الاستبصار الذي يفوق قدرة الانسان . ومحتمل ايضاً انه لو لم تؤسس

---

(١) يجب ملاحظة أن تعبير « القواسم » كان يستخدم في ذلك الحين استخداما عاما يشمل كل قبائل الساحل الشمالى الغربى لعمان (بما فيه قبيلة القواسم الفعلية ٠٠) التى تشتغل بالقرصنة وبتعبير آخر ٠٠ كان يقصد به كل سكان الموانىء الاخرى على الساحل عدا دبى وأبو ظبى ٠ « القراصنة : مصطلح يطلقة المؤلف في كثير من الاحيان على مجاهدى الخليج ـ المترجم » ٠

تلك البعثات السياسية البريطانية في ايران على النحو الذي شرحناه انفاً لكان موقف بريطانيا في ايران اضعف بكثير مما هو عليه الان .

ازدياد قوة الوهابيين في نجد وامتدادها الى البحر الاحمر والخليج ١٧٩٨ — ١٨٠٥ :

بدأت حركة الوهابيين ـ كما هو مذكور بالتفصيل في الجزء الخاص بتاريخ نجد — في وسط الجزيرة حوالي منتصف القرن الثامن عشر . ورغم انها بدأت جماعة دينية الا انها سرعان ما تحولت الى حركة سياسية دنيوية ، وكانت نتيجتها قيام دولة متعصبة عدوانية . بل دولة نهابة أيضاً ، تذرعت بوسائل الدين لكي تسلب وتنهب وترتكب المذابح في البلاد التي تجاورها(١) ، والتي اخفقت في التصدي للوهابيين بالنظر الى فقدانها الحماسة والتنظيم العسكري . وقبل بداية الفترة التي نتعرض لها الآن ، كان الوهابيون قد بدأوا من جهات متعاكسة يشنون الحرب على شريف مكة ، ويضايقون شيخ الكويت واستطاعوا ايضاً السيطرة على جزء من اقليم الأحساء الذي كان يحكمه بنو خالد على الضفة الغربية من الخليج . وقد ارسل باشا بغداد حملة عليهم في سنة ١٧٩٨ لان حدوده المواجهة لصحراء العرب ظلت تتعرض لغاراتهم زمناً طويلا ، ووصلت حملته الى واحة الأحساء لكنها لم تتقدم الى ابعد منها باتجاه عاصمتهم الدرعية واحدقت بالقائد التركي لدى انسحابه الى العراق قوات كبيرة من الوهابيين ، وعقدت بين الطرفين هدنة لمدة ٦ سنوات صدق عليها باشا بغداد فيما بعد لكن الوهابيين لم يلتزموا بها .

وفي سنة ١٨٠٠ احتل الوهابيون ميناء القطيف وبهذا اكتملت سيطرتهم على اقليم الأحساء ووصلوا شواطىء الخليج بالفعل واحتلوا في

(١) (يتضح من تعليقات المؤلف أنه ليس جاهلا فقط بالحركات الاسلامية وروح الاسلام ، ولكنه حاقد على ذلك حقدا لا يخفى على القارىء — المترجم) .

نفس السنة واحة البريمي ومنها بدأوا يهددون ساحل القرصنة وسلطنة عمان على السواء . وبحلول سنة ١٨٠٣ اكتملت لهم السيطرة على كل رقعة الساحل العربي من الخليج الممتدة من الكويت الى سلطنة عمان بما فيها البحرين ، ولكن تأثيرهم على الكويت وعمان نفسيهما لم يكن ملموساً .

وفي سنة ١٨٠١ فوجئت مدينة كربلاء البعيدة في العراق التركي — وفيها محج الشيعة للحسين — بهجوم ساحق من جانب الوهابيين الذين اوقعوا مجزرة رهيبة بالسكان العزل بعد ان تم لهم الاستيلاء على المدينة ، وقد اثارت الحادثة سخطاً عظيماً في ايران على باشا بغداد لافتقاره الى اليقظة والحذر . وفي سنة ١٨٠٢ ارسل الباشا حملة اخرى انتقامية ضد الوهابيين لكنها لم تفعل اكثر من سابقتها واندفع الوهابيون الذين كانوا بطاقتهم العجيبة تلك الايام قادرين على تحقيق اشق الخطط مهما كانت ابعادها ومصاعبها ، فوصلوا في الحجاز الى مكة المكرمة وامتلكوها . وفي سنة ١٨٠٤ دخلوا المدينة المنورة ايضاً ومنها بدأوا يرسلون الحملات الى الاقاليم البعيدة في اليمن . وعلى اطراف هذه الدولة الواسعة ساد الخوف حتى لم يكن احد من حكام العراق التركي او الكويت او عمان يهنأ بلحظة من الراحة .

المشكلات القائمة بين دول عمان وايران ، وتركيا والبحرين ١٨٠٥ — ١٨٩٨ :

كانت الخلافات والمشاكل سائدة بين الدول الكبيرة في منطقة الخليج رغم ما يتهدد سلامتها الاقليمية بل واستقلالها جميعاً فيما عدا ايران من تقدم الوهابيين . ففي سنة ١٧٩٨ كان يسود العلاقات بين سيد عمان وباشا بغداد توتر ناشىء عن مطالبة مالية للاول منهما على الثاني ، بحيث وصل الامر بسيد عمان ان يعد العدة لمحاصرة البصرة ولكنهما أخيراً استطاعا التوصل إلى عقد اتفاقية بينهما دون تدخل المقيم البريطاني في البصرة الذي رغب الاتراك اليه التوسط لفض الخلاف . وفي سنة ١٧٩٩ قام سيد عمان بتحريض من حاكم اقليم فارس الايراني بهجوم على سفن البحرين

التي كان يطمع في ضم مشيختها الى حكمه ، لكن شيخ بو شهر استطاع ان يقنع حاكم البحرين ان يضع نفسه تحت الحماية الايرانية . وسار السيد سلطان حينئذ لينتقم لنفسه من خديعة الايرانيين ، فقام باحتلال جزيرة خارج التي كانت تملكها ايران لكنها كانت جزءاً من حكومة بو شهر وظل مسيطراً عليها حتى العام التالي . وفي سنة ١٨٠٠–١٨٠١ نجح حاكم عمان نجاحاً تاماً في الاستيلاء – لفترة طويلة نوعاً – على جزر البحرين ، وفي سنة ١٨٠٢ وبعد طرده منها حاول التشبث بها مرة أخرى ، لكنه فشل نهائياً وانسحب ووقعت جزر البحرين تحت سيطرة الوهابيين . وفي نهاية سنة ١٨٠٤ – حين مات السيد سلطان في مسقط – استولت قبيلة « بني معن » – وهي قبيلة عربية لكنها رعية ايرانية – على بندر عباس وما جاوره ، وكان هذا الميناء تحت سيطرة عمان بمقتضى عقد امتياز بايجاره من الحكومة الايرانية ، وهكذا نشأت مشكلة أخرى خطيرة تهدد أمن الخليج .

انتشار القرصنة في المنطقة السفلى من الخليج ١٧٩٨ – ١٨٠٥ :

وفي هذه الظروف من الاضطراب والاختلاط تشجع قراصنة العرب الذين يبدو انهم كانوا منهمكين بهدوء في الاعتداء على سفن محلية فبدأوا يوجهون نشاطهم نحو السفن البريطانية ، وقد اشرنا من قبل الى حادثة استيلائهم على السفينة البريطانية (ياسين) والى محاولة القواسم دون استفزاز من احد الاعتداء على السفينة « فايبر » سنة ١٧٩٧ ... وهاتان الحادثتان كانتا طليعة الشر المحدق بمنطقة الخليج ، ولانستطيع الا القول بأن الاهمال الذي واجهت به السلطات البريطانية المسؤولة كلا من هاتين الحادثتين كان حافزاً لحوادث اكثر عنفاً . ولم تقتصر الحوادث غير الشرعية التالية في الخليج على القرصنة فقط ولكن شملت النهب أيضاً ، فقد حدث ان جنحت السفينتان البريطانيتان « هكتور » و (البرت) في سنة ١٨٠٣ على الساحل الايراني ، فقام شيخ « نخيلوه » واعرابه بنهبهما . وقد امكن الحصول على بعض التعويض عن هذه الحادثة بعد

سنتين من وقوعها ، وذلك عن طريق الحكومة الايرانية وشيخ بو شهر. وفي سنة ١٨٠٤ كان طاقم بحارة السفينة (فلاي)، التي كان الفرنسيون قد استولوا عليها كما سبق واشرنا ،في طريقهم الى الهند على ظهر سفينة وطنية ابتاعوها في بوشهر فهاجمهم القراصنة العرب واسرهم القواسم الذين امتنعوا عن اطلاق سراح الاسرى في حينه . وفي سنة ١٨٠٥ استولى القواسم على السفينتين (شانون) و (تريمر) وهما سفينتان تجاريتان للمستر مانستي المقيم البريطاني في البصرة ، وفي نفس السنة ايضاً حاول القواسم ايضاً ان يستولوا على سفينة شركة الهند التجارية الضخمة (مورننجتون) واعدوا لذلك اسطولا من سفنهم ، لكنهم فشلوا في الاستيلاء عليها وتكبدوا بعض الخسائر قبل انسحابهم .

الحملة البريطانية الاولى على القواسم ومعاهدة السلم ١٨٠٥ ـ ١٨٠٦

كانت خسارة السفينتين (شانون) و (تريمر) افدح من ان تتجاهل ، فاصدر حاكم بومباي امراً الى كابتن سيتون المقيم العام في البصرة ، بناء على اقتراح هذا الاخير نفسه ، بأن يتعاون مع سلطان عمان الذي كانت له مظالمه من القواسم على موضوع قصاص تلك القبيلة المتمردة . وفي اوائل يونيو سنة ١٨٠٥ ابحر كابتن سيتون ، على السفينة « مورننجتون » واتصل بالسيد « بدر » تجاه جزيرة « قشم » ولكن قبل القيام بأي عمل مشترك ضد القواسم استعاد الحليفان بالقوة ميناء بندر عباس وما حوله من اقاليم كانت من قبل مؤجرة من ايران لسلطان عمان، ثم خسرتها عمان كما اشرنا من قبل لدى وفاة سيد سلطان . وكان هذا التصرف مثار غضب في ايران ولا شك انه لا تفلح لتبريره المسوغات

التي ساقها كابتن سيتون ، بان انتباهه كان مركزاً كلية في هدفه الوحيد وهـــو انجـاح الحملة المشتركة وفق ما امرت به حكومته . واخيراً لاحت في اواخر يوليو امام الحلفاء فرصة لمحاصرة اسطول للقواسم في راس قشم فانتهزوها بغير تأخير ، لكن سلطان عمان كان فاتراً حيال عقد معاهدة شاملة وسريعة مع القواسم ، كما يبدو ان المقيم البريطاني ايضاً قد اهتم اكثر مما يجب باعتذاراتهم الحارة ووعودهم الكثيرة بدفع التعويضات . اما حكومة بومباي فيبدو انها اسرفت في تثمين قيمة الدرس الذي لقيه القواسم ، لذلك جنحت في البداية الى فرض شروط رهيبة وقاسية من اجل الصلح ، ولكن حين تحققت من استحالة تنفيذ مثل تلك الشروط دون استمرار القتال ، وافقت على ان ينص في المعاهدة على اعادة هيكلي السفينتين (شانون) و (تريمر) بعد ان نهب منهما كل ما له قيمة . وتنازلت الحكومة الهندية ايضاً عن مطالب التعويضات لقاء تعهد من القواسم بدون ضمانات بحسن السلوك في المستقبل . وكان تاريخ ما سمي بهذه المعاهدة هو ٦ فبراير سنة ١٨٠٦ وقد كان في الموضوع نقطة ذات بال الا وهي الشك في علاقة امير الوهابيين بالموضوع ، فقد استند القواسم الى املائه في تبرير بعض اعمالهم اللاحقة ، وعبثاً حاول المستر مانيستي ان ينجح في أخذ تعويضات منه مع انه ارسل له مبعوثاً خاصاً . وفي ذلك الوقت كان يسود منطقة الخليج تصوير مبالغ فيه لقوة الوهابيين واستغله القواسم بذكاء كي يقنعوا البريطانيين بالقبول بتسوية غير مجزية . لقد كانت حصيلة تلك الاجراءات الروتينية ، وما واكبها من تعليمات واوامر للمقيم البريطاني بتلافي الاحتكاك بالوهابيين والايرانيين والاتراك ، وكذلك ما حصل من خلاف في الرأي بين المقيم وزميله في البصرة والمحمرة تأجيل الفصل الحاسم مع القبائل الى ان وجدت القرصنة جواً افضل في المستقبل لتعود الى الحياة الناشطة .

انتعاش القرصنة على نطاق أوسع بعد خمود مؤقت ١٨٠٦ ـ ١٨٠٩

اذعن القواسم فهدأوا سنتين ، وربما كان مسلكهم هذا ناتجاً من رسو اسطول بريطاني كبير في الخليج خلال ١٨٠٧ ـ١٨٠٨ خلال الحرب بين بريطانيا وتركيا في اوربا . وقد ادت سياسة حكومة بومباي التي حظرت،باوامر من رئيسها مستر دنكان الطيب القلب، على ضباط السفن البحرية بالا يبدأوا اطلاق النار على سفن(١) العرب حتى لو اقتربت منهم بما يوحي بالخطر،ادت الى تشجيع القواسم على استئناف عمليات القرصنة فوقعت سلسلة من الاعتداءات المحزنة والمهينة نتيجة تلك السياسة المتسامحة.ففي ابريل سنة ١٨٠٨ هاجمت اربع سفن عربية السفينة لايفلي ، على ساحل جوجارات لكنها استطاعت الدفاع عن نفسها، ورغم ان المعتدين اكتُشفوا في مورات لكن فرصة الانتقام منهم اهملت بلا مبرر ، وفي نفس السنة استطاع قراصنة العرب الاستيلاء على عدد من السفن المدنية الهندية في مياه الهند كما استولى القواسم ايضاً على سفينة تجارية تدعى « منيرفا » يملكها مستر مانيستي المقيم البريطاني في البصرة ، وقتلوا معظم ضباطها وبحارتها واسرت زوجة الملازم السياسي تيلور ولم يطلق سراحها الا بالفدية . كما ان مساعد قبطان الباخرة ، وواحد البحارة أُخذا الى رأس الخيمة ولم تعرف اية معلومات عنهما بعد ذلك على الاطلاق ، وفي اكتوبر سنة ١٨٠٨ استولى العرب على المدمرة البريطانية (سلف) التي كانت تصحب بعثة سير هـ. جونز الى ايران وقتلوا معظم

(١) (لا بد أن القارىء لاحظ وصف المؤلفلبنى قومه بطيبة القلب والتسامح في حين أنه وصف العرب بالعدوان والقرصنة ـ المترجم) .

رجالها ، لكن سفينة صاحبة الجلالة (نيريرا) التي ظهرت لحسن الحظ في الموقع استطاعت ان تخلص تلك المدمرة من سفن القراصنة . وفي نفس الوقت تقريباً اطاحت اربع سفن من سفن القراصنة بسفينة الشركة (نوتيلس) ، لكن قائدها تجاهل عن حكمة اوامر بومباي بعدم البدء باطلاق النار وبرهن على ان سفينته كانت اقوى من سفن مهاجميه .

في ذلك الوقت بلغ اسطول القواسم ٦٣ سفينة كبيرة ، وعدداً كبيراً من السفن الصغيرة وعليها جميعاً عدد يقدر بحوالي ١٩ الف رجل ، وقد طلب شيخ القواسم بتبجح ان تدفع له في بومباي اتاوة مقابل تعهده بضمان سلامة التجارة البريطانية في الخليج . وفي يونيو سنة ١٨٠٩ استولى قراصنة القواسم ايضاً على السفينة (داريا دولت) وهي سفينة انجليزية يقودها ضابط انجليزي . وكان رحمة بن جابر وهو عتوبي من قطر يمارس القرصنة ولكنه كان من الحصافة بحيث كان يتجنب مداهمة السفن التي ترفع العلم البريطاني .

الحملة البريطانية الثانية على القواسم ونتائجها ★
١٨٠٩ - ١٨١٠

وبلغ جور القواسم الآن أقصى حدوده فقامت حكومة الهند في سبتمبر سنة ١٨٠٩ بحملة بحرية وعسكرية مشتركة ضدهم تحركت من بومباي بقيادة كابتن « وينوايت » وكولونيل د. سميث من البحرية البريطانية ، وكان الهدف الاول للحملة هو القضاء على القراصنة بتحطيم كل سفنهم التي تلتقي بها ، وفرض اتفاقية على القبائل المشتغلة بالقرصنة تضمن سلامة الملاحة والخليج مستقبلا . وكانت قوة الحملة تتكون من سفينتين من البحرية البريطانية وعشر سفن من اسطول شركة الهند الشرقية و ١٠٠٠ جندي وضابط بريطاني من بينهم افراد الفرقة ٦٥ وبعض الفرقة ٤٧ مشاة الى جانب بعض جنود المدفعية ، وقوة مساوية من الجنود الهنود. وكانت اول نقطة للهجوم هي عاصمة القواسم في رأس الخيمة التي اطلقت عليها نيران الاسطول في ١٢ فبراير سنة ١٨٠٩ ثم استولى عليها الجنود بعد قتال من بيت لبيت داخل البلدة ... ولم تتكبد الحملة خسائر كبيرة . واستطاع الاسطول البريطاني بعدئذ تدمير حوالي ثلاثين سفينة حربية كبيرة كانت في الميناء . وفي يوم ١٤ ونتيجة انذار بتقدم قوة من الوهابيين ساد الذعر المهاجمين (بكسر الجيم) ، الذين كانت قيادتهم البريطانية قد امرتهم بعدم الاحتكاك بهم فاسرع جنودهم الى ظهور السفن ، كما اسرع القواسم الذين لم تنكسر قواهم المعنوية فعادوا الى مدينتهم محتلينها من الانجليز .

وقام الاسطول بعدها بزيارة الى لنجة على الساحل الايراني حيث استطاع تدمير بعض سفن القراصنة العرب التي كانت فيها . واستمرت

★ هذه طبعا هى الرواية الانجليزية لهذه الاحداث وتخالف عنها الرواية العربية كثيرا . (المترجم)

العمليات بعد ذلك على قلعة « لافت » في جزيرة قشم وانتهت باجلاء العدو عنها . وكان القتال في « لافت » هو اقسى مراحل هذه الحملة. ففيه خسر البريطانيون ١١ قتيلا و ٥٥ جريحاً .

وفي يناير سنة ١٨١٠ قام الكولونيل سميث – بطلب من السيد في عمان بحملة على ميناء شناص وكان من اهداف الحملة استعادة بعض ما ضاع من املاك السيد وتم الهجوم بمعاونة العمانيين وكانت تحمي الميناء حامية قوية تابعة للوهابيين وقد دافعت عنه دفاعاً مستميتاً ولم يغامر السيد باعادة احتلال ذلك المكان ... ولدى انسحاب البريطانيين والسيد معهم الى ظهور السفن بعد انتهاء العمليات ... ظهرت قوة كبيرة من الوهابيين قادمة من البريمي واستطاعت ان توقع الهزيمة ببعض قوات الحملة التي كانت ما تزال على الشاطىء ، وليس واضحاً ما قدمه الكولونيل سميث من مبررات لمخالفة التعليمات الصادرة اليه بتحاشي الاصطدام المباشر مع الوهابيين . ويحتمل ان يكون ذلك الحظر قاصراً تطبيقه على القواسم والقواصنة دون العمانيين .

وبعد معركة « شناص » عادت الحملة البريطانية لزيارة شاطئ القرصنة وساحل فارس ودمرت السفن التي صادفتها في طريقتها خاصة في «الرمس» لكن اساطيل عجمان والشارقة استطاعت التخفي ولم يصادف البريطانيون منها الا أربعاً فقط من سفن الشارقة طاردوها وحرقوها في موقع « موغوه » ولم تجد الحملة سفناً ذات بال في أي من « موغوه ونخيلوه والشارقة وكنج وباند معلم » ، وهي مواقع كانت كلها تدين بالولاء للقراصنة او المشبوهين .

ورجع جانب من الحملة الى الهند في فبراير سنة ١٨١٠ عقب انتهاء هذه الاعمال مباشرة ، ومضى الجزء الاول منها الى الخليج في ابريل وذلك بعد عدة عمليات قامت بها ضد رحمة بن جابر في قطر بناء على اقتراح المقيم البريطاني في بو شهر ، ودون اذن من حكومة الهند، ولقد اخفقت الحملة في الحصول من القبائل العربية على اعتراف بالهزيمة او

اقرار رسمي بالكف عن الاعمال العدائية في المستقبل . وهكذا ظل السلم في البحر مهمة قائمة لم تنجز ... وقد ارسل خطاب الى امير الوهابيين في الموضوع فبعث برد يعلن فيه حياده بالنسبة للبريطانيين مؤكداً انه طلب الى اتباعه الا يهاجموا السفن البريطانية .

التجارة البريطانية في الخليج ١٧٩٨ ـ ١٨١٠

موضوع التجارة البريطانية في الخليج خلال هذه الفترة يرد بالتفصيل في تاريخ الساحل الايراني والعراق التركي وبالتالي فلا حاجة للتوسع فيه هنا .

في ايران بشكل خاص ازدهرت التجارة البريطانية عموماً ازدهاراً شاملا ، وذلك نتيجة النظام الذي استطاع الكاجاريون ترسيخ دعائمه بعد مئات سنين عديدة من الفوضى ... وقامت شركة الهند الشرقية بجهد طيب لتنشيط تجارتها في هذه المنطقة ، وكان لبعثة « مهدي علي خان » الى ايران في سنة ١٧٩٨ — ١٧٩٩ جانبها التجاري الهام ، كذلك كان شأن بعثة الكابتن ج. مالكولم في سنة ١٧٩٩ — ١٨٠١ ، وقد اعد السيدان مايستر وفوست الخبيران من بومباي تقارير ضافية وشاملة عن تجارة الخليج في سنة ١٧٩٩ ، بالاضافة الى التقارير التي كتبها كابتن مالكولم اثناء اقامته في ايران سنة ١٨٠٠ . وكان من اهم صادرات العراق التركي وايران في تلك الحقبة الخيول التي كانت تستخدم في فرق الخيالة التابعين لحكومة المللك ولشركة الهند الشرقية في الهند ، وكانت بضائع التجار الوطنيين في العراق التركي تعاني من الضرائب الباهظة عن التصدير والاستيراد والنقل وقد خفضت قيمة النقد التركي تخفيضاً موئساً فهبطت قيمة القرش في البصرة سنة ١٧٨٣ الى ١٠٪ من الجنيه الاسترليني والى ٤٪ في استنبول سنة ١٧٨١ .

الهيئات السياسية البريطانية فى الخليج
١٧٩٨ ـ ١٨١٠

حكومة بومباي توظف السيد مهدي علي خان في ايران سنة ١٧٩٨ــ ١٨٠٣ ثم معاملته التالية بعد ذلك ١٨٠٣ــ١٨٠٤ :

يبقى القليل مما يشار اليه خاصاً بامور السياسة البريطانية الرسمية ومنطقة الخليج خلال هذه الفترة اللهم الا ما كان من التعيين الاستثنائي للسيد مهدي علي خان كمقيم بريطاني في بوشهر ومبعوث للبلاط الايراني ، والاسلوب الذي كان مطبقاً هناك في معاملته .

ولقد كان مهدي علي خان تابعاً لمستر دنكان ، حاكم بومباي ، اما بقية تفاصيل حياته فموجودة في مكان آخر عند الحديث عن بعثته . كان مهدي اثناء وظيفته بالمقيمية البريطانية في بو شهر يتقاضى الراتب المعتاد لها الى جانب السماح له بنسبة اضافية من الارباح على ما يزيد عن أرباح تجارة شركة الهند الشرقية بسبب جهوده ، وكان يأخذ ايضاً عمولة تجارية نسبتها ١٠٪ على التوريدات الموفرة لبواخر الشركة . لكنه لم يكن يتعاطى اكراميات عن بعثته التي يبدو انه هو الذي اقترحها ، ولكن نفقاته الفعلية على شئون البعثة الرسمية كانت تدفع له .. وفي سنة ١٨٠١ وهو ما يزال على رأس عمله في بو شهر اوفدته حكومة الهند في مهمة الى « مخا » في البحر الاحمر ، واثناء غيابه في هذه المهمة قام باجراءات غريبة في بو شهر وصدقت عليها ادارة الشركة . فقد عين اومدوتيتيجوار اغا محمد جعفر ،وزوبدوتيتيجوار آغا محمد حسين وخوجا اراتون لحراسة مقر الشركة وصيانة ممتلكاتها وصدرت اليهم التعليمات بالتزام منتهى الحرص والدقة في اداء اعمالهم ، ويقوم اومدوتيتيجوار بعمل النائب او الوكيل،وزوبدوتيتيجوار كوزير له ، وخوجا اراتون بالمسئولية التامة عن حراسة جميع ما في المبنى من اموال او بضائع ، وكان لزاماً عليهم

بذل الجهد في بيع موجودات البضائع بمجرد زوال الطاعون الذي كان منتشراً وقتذاك ، وبنفس اسعار السنة السابقة دون انقاص او زيادة دينار واحد وستنظر الشركة بتقدير عظيم لهم لو استطاعوا ان يبيعوا كمية كبيرة من البضائع قبل عودته،وفي حالة وصول الطاعون الى بوشهر عليهم ان ينقلوا بضائع الشركة الى حيث ينقل ملاكيتيجوار وحاجي اسماعيل املاكهما وعائلاتهما .... ويبقوا معهما ، وفيما يتعلق بتسليم البضائع التي تباع فلا يجوز اخراجها الا باذونات خاصة تقدم الى حرس الشركة موقعة موالموظفين الثلاثة المشار اليهم معاً ، ويجب وضع جميع ما يستلزم من التجار من أثمان البضائع المبيعة ، والتي يجب دفعها فور استحقاقها ، في خزانة تحت مسئولية خوجا اراتون ، على ان يقوم حرس الشركة بدوريات منتظمة لحراستها ليل نهار ، وعلى كل من الموظفين الثلاثة المشار اليهم ان يكتب قائمة خاصة به عن كل المبالغ التي تدخل الخزانة ، وطوال مدة اقامة كابتن مالكولم في ايران ، عليهم ان يعتبروا طلباته واوامره كأنها صادرة عن حكومة بومبي ، وعليهم ان يراعوا عدم الانحراف عن منطوق طلباته وان تنفذ حرفياً كما يطلبها .

وجاء في التعليمات ايضاً ، طبقاً لتقاليد المقيمية ما يلي : « في كل يوم أحد يجب ان يظل العلم مرفوعاً من شروق الشمس لغروبها ، وحين تلوح في الافق سفينة تحمل العلم البريطاني ، يجب الرد عليها برفع العلم البريطاني في المفوضية ، وفي ايام الاعياد التقليدية الثلاثة ، وهي عيد الميلاد ، ورأس السنة الجديدة ، ويوم ميلاد صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى ، يجب ان تقام الاحتفالات المعتادة وتوزع العطايا على حرس الشركة ...... الخ . »

وفي سنة ١٨٠٣ ارغم مهدي على خان على الاستقالة من عمله ، ذلك بأن أكاذيبه التي كان يفترها بنية حسنة خدمة لمصالح رؤسائه أصبحت مدعاة للفضيحة ومثاراً لمشاكل دبلوماسية كثيرة ، وعقب

استقالته تقرر له معاش شهري قدره ٨٠٠ روبية ، وحين مات في يوليو ١٨٠٤ ولم يخلف وراءه املاكاً تذكر ظلت الشركة تصرف مبلغ ٥٠٠ روبية لورثته كل شهر ، وتعهد صديقه مستر دنكان بتحمل نفقات نقل جثته الى النجف لتدفن هناك اذا رفضت الشركة ان تدفع هذا المبلغ الذي يصل الى ٢٠ الف روبية . وواضح ان مستر دنكان هو الذي اوصى بأن يصحب مستر هينشو الجثة حتى النجف . وكتب مستر دنكان عن مهدي علي خان قائلا : « لقد كان ذلك مني علامة تقدير لن اندم عليها حيال واجبات رجل غير عادي وقف مواهبه جميعاً لمدة ثمانية عشر عاماً كاملا وفي مختلف الظروف لخدمة المصالح البريطانية في هذا الجزء من آسيا الذي يمتد من انهار الجانج الى بحر قزوين والبحر الاحمر ، واعترفت الشركة في لندن بأعماله هذه غير مرة واحدة واشارت في ملاحظتها الاخيرة عن هذا الموضوع الى النتائج الفعلية التي تحققت عن الرحلة التي تطوع للقيام بها في هذا الجزء من العالم وإلى زيادة مبيعات الشركة هناك وتنشيط تصريف بضائعها الصوفية ، الامر الذي جعلني اوصي بالموافقة على تخصيص شيء نمنحه كشعار لتقديرنا له وحيث ان الفرصة لتطبيق تلك التوصيات قد تولت فلا اقل من موافقة الشركة الموقرة على انفاق بعض المال من اجل قبر يليق بالرجل في موته » .

مسائل اخرى :

أما حالة مبنى المفوضية في بو شهر سنة ١٧٩٨ ، فيكفي هذا الطلب الذي طلبه مستر هانكي من الحكومة عقب الاضطرابات المحلية التي حدثت في هذه السنة وهذا نصه : « ارجو ان تسمحوا لي بأن اؤكد مرة أخرى ان تعزيز قوة الحرس هنا ضرورة ملحة لحراسة هذا المبنى المتداعي الذي يغري مظهره الرعاع المتوحشين الذين سكنوا هذه المنطقة مؤخراً » .

وظلت البصرة هي المركز الذي تصل عن طريقه آخر أخبار اوربا

الى البريطانيين في الهند . لذا نجد المقيم العام في البصرة يذيل رسالة له الى الحاكم والمجلس في بومباي بتاريخ ١٠/١٠/١٧٩٩ بقوله « ولي الشرف أيضاً ان ارسل لعظمتكم اعداداً من جريدة شركة لويد المسماة « بريد المساء — ايفننج بوست » عن المدة من ١٢ الى ٢٩ يوليو الماضي ، وأعداد « جورنال دي فرانكفورت عن المدة من ٢٢ يوليو الى ٩ اغسطس ،وفي المجموعتين عدد من التقارير الهامة لي الشرف ان الفت نظر عظمتكم اليها » .

تبعية الهيئات السياسية في الخليج لحكومة بومباي ١٨٠٦ :

وفي سنة ١٨٠٦ تقرر الحاق المقيميات في بغداد وبو شهر في سائر الشئون بحكومة بومباي ، ومنع المقيمون من كتابة مراسلاتهم مباشرة لحكومة الهند ، حيث انهم فيما يبدو كانوا من قبل يفعلون ذلك على هواهم .

تاريخ الخليج من نهاية الحقبة النابليونية فى الشرق الى استتباب الامن البحرى نهائيا فيه
١٨١٠ ـ ١٨٣٦

تميزت الفترة التالية من تاريخ الخليج ببعدها نسبياً عن سياسات تصارع النفوذ بين الدول الاوربية وبزيادة الاهتمام الذي نظرت به بريطانيا الى المشاكل المحلية في المنطقة خصوصاً مكافحة القرصنة . لقد انتهت الحرب الايرانية – الروسية التي نشبت سنة ١٨٠٤ نهاية غير حاسمة بمعاهدة « جولستان » في سنة ١٨١٣ ، وزال من الجو خطر فرنسا ، وفي الهند باستثناء ، حرب اليوركا سنة ١٨١٤–١٨١٥ ، واضطرابات البنداري والمراهطة في سنة ١٨١٧ ، فان السلم والهدوء كانا سائدين في ربوعها بشكل عام . وقرب نهاية هذه الفترة فقط ، وبعد ان استطاعت روسيا ان تهزم كلا من ايران وتركيا عسكرياً ، كما استطاعت بمعاهدة « تركمانشاه » في سنة ١٨٢٨ ومعاهدة انقرا سكليسي في سنة ١٨٣٣ ، ان تكتسب نفوذاً كبيراً في المنطقة ، وان يتخوف منها السياسيون والمخططون في الهند تماماً ، كما تخوفوا من فرنسا من قبل (١) .

وعقدت بين بريطانيا وايران معاهدة سنة ١٨١٤ على غرار معاهدتهما لسنة ١٨٠٩ ، لكنها هذه المرة موجهة عموماً ضد روسيا بدلا من فرنسا وجاء ذلك بعد سنة من عقد معاهدة جولستان بين ايران وروسيا . وكانت هذه المعاهدة تلزم ايران بأن تشترك في صد أي هجوم

---

(١) نستطيع أن نلمس هذا الخوف المرضي من روسيا الذى ساد في هذه الفترة من أعمال عدد من المؤلفين المعاصرين .. منهم ويل ستيد في كتاب « رحلات في جزيرة العرب » . الجزء الاول ص ٤٠٠ ـ ٤٠٤ ، وفي كتاب مينجان : « رحلة الشتاء » الجزء الثانى ص ١٤٤ ـ ١٧١ .

من جانب اية دولة اوربية على الهند ، في مقابل ان تقدم انجلترا عونها الفعلي لايران اذا حدث اي غزو لاراضيها من جانب اية دولة اوربية . وقد عدلت هذه المعاهدة تعديلا كبيراً في سنة ١٨٢٨ بما أخلى ساحة بريطانيا من هذا الالتزام الاخير وذلك بموافقة ايران مقابل تعويض مادي . واخيراً في سنة ١٨٣٤ ونتيجة تغير الشاه في ايران تعاهدت بريطانيا وروسيا معاً على احترام استقلال ايران وسلامة اراضيها ، لكن هذه الاتفاقية لم تكن سوى فاتحة ازمة حادة خطيرة بين البلدين بصدد ايران .

وصول قوة الوهابيين الى حدها الاقصى ثم انهيارها وزوالها المؤقت ١٨١٠ ـ ١٨١٩

مكانة الوهابيين سنة ١٨١٠ :

في سنة ١٨١٠ ، وعقب الحملة البريطانية الثانية على القواسم مباشرة وصلت دولة الوهابيين ونفوذها القوي في شئون الخليج حدهما الاقصى.. لكن تدهور هذا النفوذ كان قريباً ، وان لم تتضح هذه الصورة بعد ، فقد كان الوهابيون يسيطرون — دون منازع — لا على وسط جزيرة العرب فقط بل على اجزاء كثيرة من الحجاز ايضاً بما فيها الاماكن المقدسة في مكة والمدينة . وكذلك اقسام من اليمن على الاقل .

وفي طريق الشام كانوا قد سيطروا — فيما يبدو — على واحة جوف العامر ، كما كانت جيوشهم تقوم من وقت لآخر بتهديد باشوية بغداد بل وبغداد نفسها ، في بعض الاحيان ، وظلت الكويت تدفع عن نفسها هجماتهم ومحاولاتهم احتلالها ، لكن الحسا وقطر والبحرين سقطت جميعاً أمام جحافلهم واصبحت جزءاً من الدولة الوهابية يحكمها مسئول وهابي في البحرين . وكان الوهابيون قد عززوا مراكزهم في عمان بأن احتلت قواتهم — من قاعدتهم المتقدمة في البريمي — بعض القلاع في اقليم الشمايلية ، كما ان نفوذهم على ساحل القرصنة قليلا ما تأثر بسيطرة بريطانيا على قاعدة رأس الخيمة . ورغم ان البريطانيين والعمانيين قد استولوا على ميناء شناص امامهم ، وبعد ان طردوا حاميتهم منه ، الا ان الوهابيين عادوا فيما بعد فاحتلوه . وكان موقفهم من السيد في عمان موقف التهديد البالغ .

تقدم المصريين في غرب الجزيرة والانكماش التدريجي لنفوذ الوهابيين في منطقة الخليج ١٨١١ — ١٨١٥ :

وفي سنة ١٨١١ بدأ محمد علي ، باشا مصر عملياته ضد الوهابيين

لاستعادة الاراضي التركية على البحر الاحمر ، وكان لعمله هذه تأثيره المباشر على الجانب الآخر من شبه الجزيرة ، حيث وجد الوهابيون ان عليهم تخفيف قبضتهم عن الاماكن التي يسيطرون عليها . وقبل نهاية السنة هاجم سيد عمان قطر والبحرين وطرد الوهابيين منهما ، غير ان قائدهم النشيط (مطلق) في البريمي استطاع — على الرغم من كل شيء — ان يغزو سلطنة عمان ويستولي على قلعة سمايل في قلب البلاد . وفي سنة ١٨١١ او ١٨١٢ وكعرض من اعراض القلق لدى الوهابيين او على الاقل كدليل على رغبتهم في الخروج عن سياسة العزلة المطلقة التي كانوا يلتزمونها — ارسل امير الوهابيين مبعوثاً الى الحكومة الايرانية في اقليم فارس . غير ان هذه البعثة لم تحقق اية نتائج . وفي سنة ١٨١٢ — وبعد كارثة رهيبة — استطاعت القوات المصرية طرد الوهابيين من المدينة المنورة وفي العام التالي استعادت مكة وجدة والطائف لكنها فشلت في حملتها على « ترابة » ، وفي فتح طريق الحج الى مكة الذي اغلقه الوهابيون من سنة ١٨٠٢ الى ذلك الحين في وجه العالم الاسلامي كله . وعلى الرغم من سوء هذا الموقف بالنسبة للوهابيين ، وعلى الرغم من امدادات الاسلحة التي تلقاها سلطان عمان من حكومة ايران ، فقد نجح قائد الوهابيين في البريمي سنة ١٨١٢—١٨١٣ في غزو سلطنة عمان واكتساح اقاليم مسقط وشرقي صحار وجعلان واجتياحها بالسيف والنار ، كذلك نجح ايضاً في أن يضم الى جانب الوهابيين قبيلتين من القبائل الكبيرة في شرقي عمان بعد انضمامهما للمذهب الوهابي ، وقرب نهاية سنة ١٨١٣ وبعد غزوة ناجحة على اقليم الباطنة لقي امير الوهابيين « مطلق » مصرعه أثناء اشتباك مع احدى القبائل داخل عمان ، ولم يعد خافياً عندئذ ضعف مركز الوهابيين شرقي شبه الجزيرة . وفي سنة ١٨١٤ منيت دولة الوهابيين بخسارة ضخمة بموت اميرها « سعود » الذي كان زعيماً ذا كفاءات سياسية وادارية كبيرة ، وبعدها بدأت احوال الدولة بشكل عام — نتيجة فقدان القيادة القوية وعناد القوات المصرية في هجماتها على غرب شبه

الجزيرة – تنحدر من سيء الى اسوأ . وفي سبتمبر سنة ١٨١٤ استطاع الوهابيون بقيادة قائد محلي من هناك هزيمة القوات المصرية في الظهران ... غير ان هذا كان آخر انتصار يحرزه الوهابيون . ففي ١٥ يناير استدرجت قوات امير الوهابيين حيث قضي عليها في مكان يسمى « بيسال » داخل اقليم الحجاز ، واعقب ذلك سقوط « ترابة » ، بل ووصلت الحملة الى امكنة بعيدة جداً مثل رانيه وبيشه .

القوات المصرية تغزو القصيم للمرة الاولى سنة ١٨١٥ :

وانتقل ميدان المعارك بعد ذلك الى الشمال حيث ظن طوسون باشا – ابن محمد علي – ان الفرصة ملائمة للتقدم ، فتقدم من المدينة بقوات قليلة لا تتجاوز الف رجل الى « الرّس » في القصيم . وكانت هذه الحركة التي اتخذت دون التزام باوامر محمد علي حركة خطيرة في الحقيقة ، غير ان امير الوهابيين خاف تقدم المصريين فوافق على انسحابهم من القصيم في مقابل ان يتنازل عن مطالبته بمكة والمدينة ، وان يعترف اعترافاً عاماً بسيادة سلطان تركيا عليها، وان يجعل الحدود بينه وبين الاراضي التي تسيطر عليها القوات المصرية خطاً يمر بمنطقة «الحناكية» واستمرت حملة طوسون باشا وسط الجزيرة من منتصف مارس الى آخر يونيو سنة ١٨١٥ ولم يصدق محمد علي على المعاهدة التي عقدها طوسون مع الوهابيين ، ربما غضبه من عصيان ابنه لاوامره وفشل حملته ، ولكن الاغلب انه وجد شروطها لا تلائمه .

القوات المصرية تغزو القصيم للمرة الثانية وتفتح نجد ١٨١٧–١٨١٨ :

وفي العام التالي ١٨١٦ ارسل محمد علي ابنه ابراهيم باشا على رأس حملة كبيرة ، واصدر له اوامر واضحة بالقضاء على الوهابيين بمهاجمة عاصمتهم « الدرعية » ، لكن العمليات لم تبدأ فعلا الا في سنة ١٨١٧ حين وصل ابراهيم باشا الى منطقة«الحناكية» وبدأ اعماله ضد القبائل المعادية في المنطقة وفي اتجاه جبل شمر ، ووقع اول اشتباك نظامي بين الطرفين

في منطقة جبل «ماويه» حيث هاجم الامير عبدالله قوة مصرية ومني بهزيمة فادحة ، وتقدم بعدها ابراهيم باشا الى « الرس » حيث ضرب حصاراً حولها دام ثلاثة أشهر او اربعة فقد خلالها كثيراً من الرجال والجرحى وكميات هائلة من الذخيرة ، لكنه لم يستطع الاستيلاء عليها غير انه استطاع بعد ذلك الاستيلاء دون صعوبة على مناطق خبره وعنيزة ثم دان له اقليم القصيم كله .

وسقطت شقرا في الوشم في يناير سنة ١٨١٨ بعد حصار قصير ، وكانت اول مكان يسقط في جنوبي نجد ، وارتكبت القوات المصرية مذبحة في ضرومة نتيجة استفزازها بهجوم غير منظم وقع عليها . وفي ١٦ ابريل سنة ١٨١٨ بدأ ابراهيم باشا اعماله العسكرية على الدرعية .. واستمر حصارها بدرجات متفاوتة من النجاح ، كانت القوات المصرية تصاب احياناً فيه بخسائر كبيرة ، حتى ٩ سبتمبر سنة ١٨١٨ . وفيه استسلم الامير عبدالله ، وارسل اسيراً الى القسطنطينية حيث اعدمه السلطان برغم الامال التي كان يمنى بها في العفو عنه ، اما الدرعية فهي بعد ان نهبت نهباً كاملا ، دمرت تدميراً تاماً ، كما دمرت كل تحصينات الاقاليم المهزومة .

القوات المصرية تحتل نجد والأحساء ١٨١٨ — ١٨١٩ :

وتقدمت القوات المصرية بعد تدمير عاصمة الوهابيين الى الأحساء، حيث اقامت فيها كما فعلت في نجد مواقع عسكرية هنا وهناك . وقامت هذه القوات بعدة حملات على القبائل الموالية للوهابيين لكنها لم تتمكن من تأمين السيطرة الكاملة على البلاد . وفي معظم الحـــالات اخفق المصريون في تفهم البيئة السياسية التي حولهم . واصبحت عملية الاحتلال الدائم عملية مرهقة ، فانسحبت القوات المصرية من الأحساء في يوليو سنة ١٨١٩ وتركت الاقليم لحكامه قبل الوهابيين من بني خالد على ان يبقى تابعاً للباب العالي ، وفي الشهر التالي لذلك صحب ابراهيم باشا بنفسه معظم

قوات الاحتلال المصرية ، التي لم تزد على بضعة آلاف ، منسحباً من نجد الى الحجاز . ويبدو ان ثمة حامية مصرية بقيت في نجد حتى سنة ١٨٢٤ وبعد هذا التاريخ لا نقف على أي ذكر لها ، لكن سيادة تركيا ظلت قائمة بعد رحيل المصريين بل واستمر امير الوهابيين يدفع جزية أسمية للسلطان في كل سنة .

تجدد القرصنة ، وأعمال أخرى فى منطقة الخليج
١٨١١ ــ ١٨١٩

وسرعان ما تبددت آثار الحملة التأديبية التي شنتها بريطانيا على القواسم في سنة ١٨٠٩–١٨٠١ ، وانتعشت عمليات القرصنة انتعاشاً شديداً ، كما انها بدأت في الوقت الذي كان فيه الوهابيون في وضع سيء ، حيث تقلص نفوذهم المحلي الى حد الزوال ، الامر الذي يوضح ان عداوة هذه القبائل العربية وجشعها كانا الدافع الاول لهذه الاضطرابات في مياه الخليج ، وليس مرد ذلك الى تحريض الوهابيين لهم ، او استكراههم اياهم على القرصنة كما كانوا من قبل يزعمون .

وكانت القوة الوحيدة في منطقة الخليج التي تقف ضد الوهابيين والقواسم على السواء هي سلطنة عمان التي استمرت في حرب دائمة مع هذين الطرفين .

دور سلطان عمان ضد الوهابيين في قطر والبحرين سنة ١٨١١ والحرب بينه وبين القواسم ١٨١٣ — ١٨١٤ :

ففي سنة ١٨١١ ادى السيد سعيد دوراً ناشطاً في اكراه الوهابيين على رفع قبضتهم عن قطر والبحرين ، واصبح امير الوهابيين المقيم في

البحرين اسيراً لديه ، او على وجه التحديد لدى حلفائه آل خليفة في البحرين ، ويحتمل ان آل خليفة كما أكد سلطان عمان نفسه ، قد دفعوا للاقرار بتبعيتهم السياسية لمسقط اعترافاً بالجميل ، او خضوعاً لحكم الضرورة ، وفي سنة ١٨١٣ ظل سلطان عمان على تراسل دائم مع محمد علي باشا حاكم مصر بشأن الاجراءات التي يمكن اتخاذها ضد الوهابيين والقواسم . وفي هذا العام نفسه ، والذي يليه ، وبعد ان فشل في ضمان عون البريطانيين له بهذا الصدد حاول السلطان الاستيلاء على عاصمة القواسم في رأس الخيمة .. لكن عمله لم يسفر الا عن عقد معاهدة —سرعان ما اهملت—تعهد فيها القواسم بأن يحجبوا نشاطهم عن مجرد مناطق معينة من الساحل كان السلطان يدعي حمايته لها .

موقف الحكومة البريطانية من الوهابيين والقواسم ١٨١١ — ١٨١٤ :

لم يكن موقف حكومة الهند حيال الوهابيين والقواسم في السنوات العصيبة التي أعقبت حملة ١٨٠٩—١٨١٠ محدداً ، وربما بسبب هذا التردد نفسه ضاعت نتائج كل العمليات السابقة . ولم يقصر مبعوث الوهابيين الذي زار ايران في سنة ١٨١١ او ١٨١٢ في ان يقدم للمقيم البريطاني في بو شهر عروضاً لقيام علاقات الصداقة والتجارة المتبادلة بين الدولتين ، غير ان حكومة الهند ترددت في القطع بهذا الامر حتى سنة ١٨١٤ حين قررت دون اجحاف ببقاء او زيادة روابط الصداقة والاتصال ، ان تتحاشى الدخول في معاهدة مع امير الوهابيين ، وقبل أن يرسل سلطان عمان حملته على راس الخيمة في سنة ١٨١٤ حاول ان يقنع السلطات البريطانية في الهند بالاشتراك معه في العمل ضد القواسم ، وكان يجادل ايضاً بأن اتفاقيتي ١٧٩٨ و ١٨٠٠ بينه وبين الدولة البريطانية يشكلان تحالفاً دفاعياً هجومياً بينهما مما يستحيل معه على بريطانيا ان ترفض مطلبه ، ولكن الحكومة البريطانية لم توافق على قناعاته تلك .... ولم تقدم اليه أي نوع من المعونة البحرية او العسكرية ، غير ان المقيم البريطاني في الخليج — باوامر من حكومته — رافق الاسطول

العماني الى رأس الخيمة في مناسبتين غير انه لم تبد فرصة مواتية كان معها مأمولا في تدخل ناجح من جانبه لنصرة المصالح البريطانية . وقرب نهاية سنة ١٨١٤ ، ونتيجة طلب تقدم به المقيم البريطاني بالتعويض عن حادثة معينة ، وصل الى بو شهر مبعوث يحمل اليه خطابات من امير الوهابيين وشيخ القواسم ويعرض مبدئياً شروط اتفاقية يتوقف بمقتضاها القواسم عن اعتداءاتهم على السفن التي ترفع العلم البريطاني ، ويعيدون بعض الممتلكات التي كانوا قد استولوا عليها من السفن البريطانية ، وأن يتخذوا لهم علماً مميزاً يرفعونه على سفنهم ... لكن هذه التعهدات ظلت حروفاً ميتة لم تنفذ .

القواسم يعودون الى القرصنة ١٨١١ ــ ١٨١٦ :

وفي ظروف هذا الجهد الفاشل من سلطان عمان ، والتراخي الواضح من الحكومة البريطانية عادت اعمال القرصنة من جانب القواسم للظهور وسرعان ما تضاعفت بشكل سريع ، على ان سنتي ١٨١٠ و ١٨١١ مرتا بهدوء ولكن في ١٨١٢ بدأت امارات تشير الى تجدد القرصنة .

١٨١٣ :

وفي سنة ١٨١٣ هاجم القواسم ونهبوا عدة سفن وطنية تابعة لمينائي البصرة وكانجون ، ولقيت عدة سفن هندية ترفع العلم البريطاني أيضاً نفس المصير ، وبقيت سفن أخرى محبوسة في موانىء الهند لا تستطيع الخروج الى البحر لازدياد الاخطار فيه .

١٨١٤ :

وفي سنة ١٨١٤ اغار شيخ الشارقة على سفينة للاهالي ترفع العلم البريطاني وتدعى « احمد شاه » فيما كانت جانحة قرب جزيرة قيس . ونقل بعض الاسلاب الى رأس الخيمة ، من قبل القواسم الذين يظن انهم كانوا مشتركين في هذا العمل . وكانت هذه الحادثة هي التي ادت الى

المراسلات المتبادلة في نفس السنة بين المقيم البريطاني في بو شهر وزعماء الوهابيين والقواسم . وفي نفس الوقت تقريباً تم الاستيلاء على سفينة ايرانية بين مسقط وبندر عباس . وفي اغسطس ١٨١٤ استولى القراصنة العرب على سفينة وطنية صغيرة تجاه بوربندر وارسل المقيم العام قارباً تحمل رسالة منه الى شيخ القواسم بهذا الصدد ، لكن هذا القارب — وعلى الرغم من المعاهدة الاولية التي عقدها رسولهم في بو شهر — صادرة القواسم في رأس الخيمة .

وكان هذا العمل اعلاناً للحرب لا شك فيه ، لذلك لا ندهش لازدياد الاعتداءات البحرية وتكرارها على السفن البريطانية في ١٨١٥ و ١٨١٦ . ففي السنة الاولى استولى القواسم على سفينة لسلطان عمان كانت محملة ببضائع لشركة الهند الشرقية بالقرب من موجو وبمساعدة اهل هذا المكان او معرفتهم على الاقل ، كما استولى القواسم ايضاً على ست سفن وطنية في المياه الهندية ، وكادوا يستولون على السفينة كارولين وهي سفينة العلم لسلطان عمان بل وجرح السيد نفسه حين التقت هذه السفينة باسطول كبير للقراصنة خارج قريات . كما تغلب القراصنة على سفينة هندية بريطانية بالقرب من مسقط ، واختطفوا او قتلوا سائر بحارتها ، وفي يناير ١٨١٦ استولى قراصنة رأس الخيمة على سفينة شركة الهند الشرقية الصغيرة المسلحة « داريا دولت » وقتلوا معظم من كانوا على ظهرها او جرحوهم . وكانوا جميعاً من الهنود . وفي نفس الشهر قام اسطول كبير يملكه القواسم بمطاردة طراد شركة الهند الشرقية « اورورا » . وهو يحرس سفينة تحمل كنزاً لسلطان عمان في الخليج ، لكن اسطول القواسم تراجع بعد ان تكبد خسائر ضخمة ، كما فشلت ايضاً الهجمات التي قام بها قراصنة القواسم على السفن الامريكية « بيرشيا » و «ماكولاي» و « سنترا » لكن القواسم جرؤوا على ان ينهبوا سفينة فرنسية تجارية كانت في طريقها من جزر موريشيوس الى البصرة في حراسة سفينة حربية فرنسية . وكان من بين ضحايا حوادث القرصنة العربية المتلاحقة سفينة

مجهولة الاسم ترفع علماً بريطانياً ولم يعرف مصيرها ، ولم يبق واحد من بحارتها على قيد الحياة . كذلك ايضا استطاعوا الاستيلاء على قارب مسلح (تيرو) كانت تملكه شركة الهند الشرقية ، وفي آخر نفس السنة استولى القواسم على ثلاث سفن وطنية من صورات في مياه البحر الاحمر وكلفت هذه الحادثة أصحاب السفن خسارة قدرت بحوالي ١٢ لاكاً من الروبيات . هذا الى جانب قتل معظم بحارة السفينة .

وربما لم تكن هذه القائمة التي ذكرناها شاملة بالنسبة لكل السفن البريطانية ، والهندية وهي لا تدخل في حسابها ــ بطبيعة الحال ــ الاعتداءات على السفن العربية والايرانية ، مما لم تكن السلطات البريطانية في ذلك الوقت ترى انها تعنيها ، ونجحت هذه الغارات المتكررة من جانب القواسم ، بما تحققه من ارباح واسلاب ــ في ان تهدم اخلاقيات بعض مشايخ العرب على الساحل الايراني المقابل ، واصبحت جزر البحرين سوقاً عظيماً لتوزيع الاسلاب التي يحصل عليها القواسم قوة وقسراً .

هجوم سلطان عمان على البحرين وما قام به المقيم البريطاني في الخليج بهذا الصدد ١٨١٦ :

وأدت حملة قام بها سلطان عمان على البحرين صيف سنة ١٨١٦ الى فترة استراحة بين فصول مأساة السلب التي يمثلها قراصنة القواسم . وكانت عملية السلطان سعيد في البحرين سنة ١٨١١ معاونة للاسرة العتوبية الحاكمة ضد الوهابيين . اما الآن ، وقد انكر هؤلاء ولاءهم السياسي للسلطان ، فقد عاد هذا مرة أخرى الى مسرح الاحداث على شكل حليف لايران ولعدو العتوب اللدود القرصان رحمة بن جابر ، بينما راح العتوب يبحثون عن تحالف مع الوهابيين اعدائهم القدامى .. ومع القواسم ايضاً ، وراح سلطان عمان يشجعه الاعتقاد بأن الحكومة البريطانية تشجع عمله وتؤيده ... لكن المقيم في الخليج ــ الذي زار البحرين اثناء إعداد الحملة العمانية ــ استطاع ان يقنع شيخ البحرين بأن بريطانيا ستقف في هذا الصراع موقف الحياد المتعاطف علماً بأن

ذلك انطوى على التخلي عن تنفيذ اتفاقية عقدت بدون تخويل بعقدها من قبل .

ورفض السيد سعيد عرضاً بالوساطة من جانب البريطانيين وانزل جنوده مباشرة على جزيرة المحرق ... لكنه طرد سريعاً فتقهقر عائداً الى سفنه بعد ان تكبد خسائر جمة . على ان ضعف امارة البحرين ظل على الدوام يغري جيرانها الاقوياء بالاعتداء عليها .

طلب بريطانيا التعويض من شيخ القواسم ١٨١٦ :

لقد أدت حادثة البحر الاحمر الخطيرة بكل ما فيها من نُذُر بمدى ما يمكن ان تصل اليه القرصنة في الخليج اذا هي تركت لشأنها ، الى ان تصدر حكومة الهند اوامرها بضرورة طلب تعويض غير مشروط من شيخ القواسم في نوفمبر سنة ١٨١٦ وقام المقيم العام في الخليج بتقديم الطلب ، وقد اصطحب معه سفينة من سفن البحرية البريطانية وثلاث سفن تابعة لشركة الهند الشرقية الى رأس الخيمة ، ورفض شيخ القواسم طلب التعويض بعناد وصلف اديا بالمقيم ، رغم عدم صدور اوامر من حكومته اليه بذلك ، الى ان يقوم بهجوم بحري مباشر على رأس الخيمة ، وتم هذا العمل في اول ديسمبر سنة ١٨١٦ ، واستمر ضرب المدفعية زمناً طويلا على نطاق واسع ، ثم توقف دون ان يحقق اية نتائج .. وارسلت سفينتان بعد ذلك لطلب التعويض من الشارقة ولنجة لكنهما لم تحققا نجاحاً اكثر مما حققته زيارة الاسطول كله لرأس الخيمة . وكان اسطول رأس الخيمة وحده عندئذ يتكون من ٦٠ سفينة كبيرة ، وكان في موانىء القرصنة في الشارقة والرّمس ولنجة حوالي ٤٠ سفينة من حجم اصغر . وهذا العدد الكبير كان معظمه في البحر وكثيراً ما شاهدت الطرادات البريطانية بعض سفنه هنا وهناك لكنها في العادة كانت تحرص على عدم الاشتباك معها نظراً لتفوقها الكبير في الفنون الملاحية .

استمرار غارات القواسم : ١٨١٧ — ١٨١٩ :

وربما لم تمر تلك المظاهرة ضد رأس الخيمة بلا نتائج على الاطلاق ، فقد حصل فعلا نقص في العامين التاليين ، في غارات القواسم على السفن البريطانية غير انه في نهاية سنة ١٨١٧ غـزا اسطول القواسم جزيرة الشيخ شعيب وهدد « عسيلوه» و « كانجون » و « ديـّر » غزواً أثار الفزع في بو شهر . وفي نفس الوقت ايضاً استولى القواسم على سفينتين للاهالي تجاه ديو ، بالاضافة الى السفينة (مصطفى) وهي سفينة عربية كانت ترفع العلم البريطاني ، استولوا عليها على مسافة ٧٠ ميلا فقط من بومباي . وفي نهاية سنة ١٨١٨ تمكنت مدمرة شركة الهند الشرقية (انتيلوب) ان تقاتل القواصنة قتالا عنيفاً معرضة نفسها للخطر لتنقذ سفينة سلطان عمان (رحماني) وسفينة اخرى صغيرة كانت سفن القراصنة في معركة معها . كما حدثت اشتباكات لا يكاد يحصيها الحصر بين سفن القراصنة القواسم وسفن حكومة صاحبة الجلالة وشركة الهند البريطانية .

الحملة البريطانية الثالثة على القواسم ، والمعاهدة التالية لها ، وما يتعلق بها ١٨١٩ – ١٨٢٠

الاعداد للحملة ١٨١٩ :

وأخيراً وبعد تسوية ناجحة لعدد من الاضطرابات الداخلية في الهند فيما بين ١٨١٤ و ١٨١٧ قررت الحكومة البريطانية في تلك البلاد ان تضع حداً لنشاط القراصنة في الخليج .

وفي ربيع سنة ١٨١٩ ارسل كابتن « سادلير » كطليعة من بومباي ليبحث اجراءات التعاون مع البريطانيين ضد القواسم وكذلك امكانية التعاون مع القوات المصرية التي كانت عندئذ تحتل نجد والاحساء .وفوض كابتن سادلير ان يعرض على قائد القوات المصرية اعطاءه رأس الخيمة لاغرائه على المشاركة في الحملة . وقد تم التوصل الى اتفاق مرض مع السيد سعيد ، ولكن التفاهم مع المصريين لم يكن ممكناً منذ البداية فقد جلا هؤلاء نهائياً من جميع مواقعهم في الاحساء ومن بعض مواقعهم في نجد قبل ان يحين موعد الحملة البريطانية في خريف سنة ١٨١٩ . وارسل الدكتور جوكس مبعوثاً خاصاً الى حاكم اقليم فارس الايراني ليطمئنة على اهداف هذه الحملة ، كما تم ايضاً تقديم عدد من التفسيرات والايضاحات لشاه ايران عن طريق المبعوث البريطاني في طهران .

أعمال الحملة ١٨١٩ – ١٨٢٠ :

وكانت العمارة البريطانية التي ابحرت من الهند في اوائل نوفمبر سنة ١٨١٩ تحت القيادة العسكرية والسياسية للجنرال « سير دبليوجرانت كير » تتكون من ثلاث سفن من البحرية البريطانية ، وست سفن من بحرية شركة الهند التجارية وقوة برية قوامها ٣٠٠٠ رجل تضم بعض رجال المدفعية البريطانية . وبعض الفرقة ٤٧ و ٦٥ مشاه الى جانب فرقة كاملة وبعض الافراد من المشاة الهنود ، وانضم اليها سلطان عمان

بسفينتين و ٦٠٠ رجل قبل وصولها الى رأس الخيمة كما تقدم جيش عماني ايضاً عن طريق البر الى ميدان المعركة للمساعدة . لكنه وصل متأخراً أكثر من اللازم .

كما انضم الملازم « بروس » – المقيم البريطاني في بو شهر – الى اركان حرب الجنرال جرانت كير كمستشار سياسي له . وفي ٣ ديسمبر تم نزول الجنود على مدينة رأس الخيمة ، وفي ٩ ديسمبر تم احتلالها بعد حصار قصير لعبت فيه المدفعية دوراً رئيسياً ، وقد مني العدو بخسائر جسيمة في هذا القتال ، وكانت الخسائر التي مني بها البريطانيون تافهة بالقياس اليها ، واستولت الحملة على الحصن الجبلي « الظاية » – بالقرب من الرمس – في ٢٢ ديسمبر حين القى حوالي ٤٠٠ رجل مقاتل سلاحهم وسلموا كأسرى حرب . وانتهت العمليات الهامة بعدها ، وفي يناير سنة ١٨٢٠ اقيمت قلعة بريطانية وضعت بها حامية بريطانية في رأس الخيمة ؛ كما زارت الحملة ايضاً موانيء القراصنة الاخرى وقامت بعملية مسح لكل استحكاماتهم وسفنهم الكبرى ، وتقدم جزء من الاسطول ايضاً الى جزر البحرين حيث استولى على او دمر بعض سفن القراصنة التي كانت لاجئة هناك ، واتخذت نفس الاجراءات ايضاً في موانيء لنجة وموغو وعسالو وكانجون على الجانب الايراني من الخليج .

التسوية مع القواسم وتوقيع معاهدة هامة للصلح : ١٨٢٠ :

وأدى هذا العمل الحاسم الى استسلام سريع من جانب كل مشايخ العرب على ساحل القراصنة ، وفي ٨ يناير ١٨٢٠ عقدت معاهدة عامة للصلح اصبح كل هؤلاء المشايخ اطرافاً فيها بتواريخ مختلفة . كما انضم اليها ايضاً مشايخ العتوب في البحرين . وفي هذه المعاهدة تعهد الموقعون عليها ورعاياهم بأن يكفوا في المستقبل عن ممارسة « السلب والقرصنة » باعتبارهما اعمالا ليس لها صفة الحرب السافرة او مشروعيتها . واتخذت اجراءات عديدة لضمان التزامهم بهذه النصوص الجديدة . منها ان

يكون للقبيلة علم موحد متميز يرفع على سفنها ، وان يتم العمل باوراق للسفن لضمان التعرف على هويتها ، وكان في المعاهدة ايضاً نص ضد هذا العمل غير الانساني الذي كان مألوفاً وقتئذ وهو ذبح اسرى الحرب ، ونص ايضاً ضد تجارة الرقيق . وكان واضحاً على اي حال في ذهن القائد البريطاني ان السلم في المستقبل سيعتمد على قدرة بريطانيا على ردع هذه الاعمال ومعاقبة مرتكبيها أكثر من اعتماده على الاوراق التي وقعها مشايخ القواسم وغيرهم من رؤساء القبائل . ولحسن الحظ فقد اقرت السلطات البريطانية في الهند السياسة التي تضمنتها هذه المعاهدة ، ولم تسمح بعدها لاي عمل من اعمال القرصنة في الخليج ان يمر دون انذار سريع وعقاب رادع . وانتهت تماماً هذه الحقبة التي ساد فيها العنف والخروج عن القانون ... لكن المراقبة اليقظة الى جانب بعض الاجراءات العملية العرضية في مناسبات عديدة ظلت ضرورية زمناً طويلا للحيلولة دون تجدد القرصنة .

خضوع مشايخ البحرين لسلطان عمان ١٨٢٠ :

ولم يهمل سلطان عمان الفرصة التي اتاحها له ارتباطه الوثيق مع البريطانيين في حملة ١٨١٩ – ١٨٢٠ ليعاود تأكيد مطالبه باحقيته في حكم جزر البحرين ، ورغم ان البريطانيين قد حرصوا على ان يتجنبوا حتى مجرد الظهور بمظهر المؤيدين لمزاعم السلطان ، الا ان آل خليفة حكـــام البحرين مسهم الرعب من السلطان فسارعوا الى ارسال مندوب الى مسقط تعهد نيابة عن مرسليه بدفع جزية سنوية قدرها ٣٠ الف روبية .

وقد سخطت حكومة اقليم فارس الايرانية التي كان السيد يعتمد عليها في مواصلة عملياته في البحرين على هذه الاتفاقية لانه لم يكن لها دور فيها .

فترة الاحتياطات الخاصة ضد القرصنة
بعد الحملـة مباشرة ١٨٢٠ ـ ١٨٢٣

وجود حامية بريطانية في الخليج ١٨٢٠ ــ ١٨٢٢ :

كان يعتبر مرغوباً فيه لعدة سنوات وجود قاعدة بريطانية دائمة للعمل في منطقة الخليج ، وقد قدم هذا الاقتراح لاول مرة في معرض بحث مشكلة التجارة والخطط المتوقعة من جانب الدول الاوربية في ايران . ولكن مع ظهور القرصنة ازدادت اهمية هذا الاقتراح من حيث المزايا العسكرية التي يقدمها خاصة بالنسبة للامارات والدول الصغيرة في المنطقة . وقد رأينا كيف بذل جهد فاشل سنة ١٨٠١(١) للحصول على تنازل عن بعض الجزر التي لو اتيحت حيازتها لنجح المشروع . وفي سنة ١٨٠٨ ــ ١٨٠٩ كان التفكير جارياً لاستملاك جزيرة خارج ، واوشكت حكومة الهند ان تتم الامر ، وقد صدرت اوامر لقواد حملة سنة ١٨٠٩ــ١٨١٠ بالتماس جزيرة مناسبة تصلح مكاناً لقاعدة بريطانية (٢) .

---

(١) راجع بعثة مالكولم الى الخليج ١٨٠٨ فيما سبق .

(٢) صدرت الاوامر في سنة ١٨٠٩ على النحو الآتي :

« لا شك في أن حكومة الهند ستسعد كثيرا للاسترشاد برأيكم في انسب الاماكن من موانىء منطقة الخليج التى تشيرون علينا باحتلالها واتخاذها قاعدة للعمل البحرى أكثر من مسقط مع مراعاة أن تكون في موقع أكثر تحكما في مدخل الخليج ، وأوفق مستقبلا لهدف مكافحة القرصنة ... ونرجو أن تلحقــوا برأيكم هذا اراءكم فيما يتعلق بالقوات الضرورية للسيطرة على هذا المكان ليس بالنسبة الى الدول القائمة في منطقــة الخليج فقط ، بل وأيضا بالنسبة الى الدول الاوربية التى قد تتدخل أحيانا في هذه المنطقة ، حيث لا يمكن السـماح أن تتجاوز سفنهم المتواجدة ، بحال من الاحوال ، سـفينتين

ولكن يبدو ان هؤلاء القادة لم يتخذوا اي اجراء بصدد هذا الامر اما مشروع « القاعدة البريطانية المركزية » في الخليج التي قد تحل في النهاية محل وكالة شركة الهند الشرقية في بوشهر بل وفي البصرة ايضاً وتصلح لجميع الاهداف فقد عاد الحديث فيه بمناسبة حملة ١٨١٩—١٨٢٠ وقد صدرت تعليمات لسير و. جرانت كير قبل رحيله من الهند بان يكتب تقريراً عن هذا الموضوع خاصة فيما يتعلق بجزر قشم وهانجام. وفي النهاية وعندما ثبت أن الاجراءات البريطانية لاقامة حامية بريطانية دائمة في رأس الخيمة غير مناسبة ، اقترح الجنرال نقل هذه القوات الى جزيرة قشم لكنه لم يوافق على الاقتراح القائل بسرعة نقل المقيمية البريطانية في الخليج الى نفس المكان . واستفاد البريطانيون من مطالبة سلطان عمان بحقه في ملكيته جزيرة قشم لحسابه الخاص — لا ايجاراً من الحكومة الايرانية كما هو الحال بالنسبة لبندر عباس — فحصلوا منه على اذن كتابي باحتلال الجزيرة .

وفي يوليو ١٨٢٠ نقلت الحامية البريطانية التي كانت في رأس الخيمة الى مدينة قشم .. ولكن ثبت ان هذه المكان غير صحي وحرارته لا تطاق وبعد تجربة اقامة القاعدة في كل من دايرستان وسالاج على الساحل الجنوبي لهذه الجزيرة وثبات ان ايا منهما ليس مناسباً ، نقلت الحامية البريطانية الى باسيدو في اوائل سنة ١٨٢٢ .

واثار احتلال جزيرة قشم ، كما كان متوقعاً ، معارضة عنيفة من جانب ايران التي انكرت على السلطان انكاراً تاماً حقه في السيادة على جزيرة قشم ، بل وردت زاعمة ان ممتلكات السلطان في البلاد العربية ما

حربيتين فرنسيتين ما دامت لنا السيطرة البحرية . ان نقل المقيمية من مسقط هو أفضل اجراء بالنظر الى ما حدث لنا من اصابات مؤسفة في ذلك الموقع المؤذى للصحة ومن مكاننا الجديد نستطيع أن نحصل على كل ما نريد بوساطة سمسار محلي يشرف عليه مقيم بريطاني في الميناء المجاور الجديد » .

هي الا جزء متمم لايران.لكنه يبدو ان دكتور جوكس الذي ارسل الى شيراز في صيف سنة ١٨٢١ لتوضيح الامور نجح في حمل الحكومة الايرانية في اقليم فارس على قبول الامر الواقع حول احتلال البريطانيين للجزيرة ... ولكن كل الحجج التي ساقها الممثل البريطاني في طهران لم تفلح في اقناع الشاه او وزرائه ، واستمروا يطالبون — كما كانوا منذ البداية — باجلاء الحامية البريطانية عنها . واخيراً اتخذ المسؤولون في الهند قرارهم بأنه من الافضل ان تجلو القوات البريطانية عن هذه الجزيرة بدل ان تصبح مجالا للخلاف الدائم مع ايران ، لكن قطع العلاقات المفاجىء بين شاه ايران والقائم بالاعمال البريطاني في طهران في ربيع سنة ١٨٢٢ جعل من غير الملائم رضوخ حكومة الهند لمطالب ايران في الانسحاب فتأجل تنفيذه الى نهاية سنة ١٨٢٢ او بداية ١٨٢٣ .. واخيراً تم انتقال حامية قشم — التي لم تكن بالفعل تؤدي عملا ما — الى الهند .

حملتان بريطانيتان على قبيلة بني بو علي في سلطنة عمان ١٨٢٠–١٨٢١

وقد نشبت حرب صغيرة لكنها خطيرة ولا ضرورة لها في سنة ١٨٢٠–١٨٢١ ، وكشفت بوضوح الاهمية البالغة لوجود قوة بحرية متنقلة في منطقة الخليج تتلقى اوامر من مسئول سياسي له سلطة شخصية واسعة . فقد قتل ابناء بو علي في اقليم جعلان بعمان — وكانوا في ذلك الوقت متمردين على سلطان عمان — مبعوثاً ارسله اليهم الكابتن طومسون المسئول السياسي والقائد العسكري في قشم بشأن حادثة قرصنة وبعدها سرعان ماشجعه هذا الضابط على التحالف مع السيد سعيد وانضم اليه بقوات تصل حوالي ٤٠٠ من الجنود الهنود وقاما بهجوم على عاصمة بني بو علي في داخل عمان الى ما وراء ميناء صور ، وكانت النتيجة كارثة رهيبة ابيدت فيها هذه المجموعة من الجنود البريطانيين مع ضباطها ، وبعثر جنود السلطان فوقعوا بين قتيل واسير . وكان كابتن طومسون والسيد سعيد نفساهما محظوظين اذ استطاعا الفرار .

وبمجرد ان علمت حكومة بومباي بالامر ، عزلت كابتن طومسون من منصبه لكنها وجدت من الضروري ان تؤكد هيبة بريطانيا العسكرية في المنطقة ، فارسلت حملة الى صور يقودها جنرال ل. سميث الذي كانت له خبرة سابقة بالقتال ضد العرب في رأس الخيمة سنة ١٨٠٩- ١٨١٠ . ووصلت الحملة الى عمان في نهاية يناير ١٨٢١ وكانت تتكون من حوالي ١٣٠٠ جندي بريطاني من مدفعية بومباي والفرقة ٦٥ التابعة لصاحب الجلالة ، والفرقة الاوربية في الهند، الى جانب اكثر من ١٥٠٠ جندي هندي ، وتقدمت في اوائل فبراير الى مقر قبيلة بني بو علي ، وفي ٢ مارس دارت معركة رهيبة في نفس مكان المعركة السابقة . وبلغت خسائر البريطانيين حوالي ٢٠٠ رجل بين قتيل وجريح . اما خسارة العدو فقد تجاوزت هذا الرقم من القتلى فقط ... وكانت نتيجة المعركة استسلام القبيلة نهائيا ونفي عدد من رجالها مؤقتاً الى الهند .

قطع العلاقات مع باشا بغداد ١٨٢٠ - ١٨٢٢ :

وأثناء انهماك البريطانيين في العمل على تدعيم نتائج حملة سنة ١٨١٩ - ١٨٢٠ في منطقة الخليج السفلى وخليج عمان ، حدثت ازمة في العراق التركي كادت لولا نفوذ مستر ريتشي المقيم البريطاني في بغداد تؤدي الى اوخم العواقب . وقد اثارها صلف باشا بغداد الذي اصر على تجاهل حقوق وامتيازات الرعايا البريطانيين في باشوية بغداد والمكفولة بالمعاهدات ، بل وزاد ابعد من ذلك بأن ضاعف الضرائب على التجار البريطانيين بغير وجه حق ... وفي سنة ١٨٢٠ ونتيجة هذه المعاملة التعسفية انتقلت الوكالة البريطانية في البصرة مؤقتاً الى « المحمرة » .

وفي ربيع سنة ١٨٢١ حاصرت القوات التركية مقيمية بغداد زمناً بهدف ارهاب المقيم البريطاني بل وحتى القبض عليه واستطاع مستر ريتشي بحصافة وحزم ان يتسلل من ذلك المأزق ويلجأ الى ايران عن طريق البصرة ، وظل هناك حتى مات بالكوليرا في خريف نفس السنة . وقدم كابتن تيلور الذي خلف مستر ريتشي بامر من حكومة الهند طلباً

بالتعويض عن الخسائر ووَقْف تلك المظالم وعَمَدَ الى نقل الهيئة السياسية البريطانية كلها من العراق التركي الى الكويت حيث ظل بها من نهاية سنة ١٨٢١ الى ابريل سنة ١٨٢٢ . وقد ضمنت التسوية التي تمت بسبب اجراءات تيلور صيانة المصالح البريطانية في باشوية بغداد . وفي سنة ١٨٢٣ استطاع كابتن تيلور ان يحصل من الباشا على وثيقة رسمية بتفاصيل تلك التسوية .

شكاوى الحكومة الايرانية من المقيمية البريطانية في بوشهر واتفاقية غير مرخص بها من المقيم تؤدي لعزله ١٨٢٠ – ١٨٢٢ :

وفي نفس الوقت الذي حدثت فيه تلك المشكلات في بغداد قامت مشكلة أخرى بين الحكومة الايرانية والمقيم البريطاني ، الملازم بروس ، في بو شهر وكان السبب هو نجاح سلطان عمان في انتزاع اعتراف من مشايخ البحرين بتبعيتهم السياسية له . وعزت الحكومة الايرانية خطأ هذا الاجراء الى تأثير الملازم بروس الذي كان قد قام بزيارة للبحرين اثناء الحملة البريطانية على القواسم . واستطاع الملازم بروس ان يبرىء نفسه ، امام السلطات البريطانية من التهم العديدة التي وجهتها اليه حكومة ايران ، طالبة استدعاءه لبلاده على اساسها ، ولذلك قررت الحكومة البريطانية ابقاء بروس في منصبه وتجاهل تلك الاتهامات . ولكن في سنة ١٨٢٢ ، وبعد عودته الى ايران في زيارة لبومباي استدرجته حكومة شيراز – ربما بتطميعه بتسوية الامور معهم – لعقد معاهدة خرقاء لم يكن مخولاً عقدها ، ولم تصدق عليها حكومة بومباي . وحتمت هذه الحادثة عزله عن وظيفته في بو شهر ، وكانت هذه الاتفاقية الملغاة – وهي مذكورة بالتفصيل في الجزء الخاص بتاريخ الساحل الايراني والبحرين تتعارض مع السياسة البريطانية تعارضاً تاماً ، وتناقض المصالح البريطانية في الخليج في صدد امور من نوع مركز البحرين السياسي ، ومطالب التعويضات الناشئة عن الحملة البريطانية في ١٨١٩ – ١٨٢٠ ...الخ.

وكان من شأن هذه المعاهدة لو تمت تقييد حكومة الهند بامداد

السلطات الايرانية بمعونات بحرية اذا هي طلبت ذلك في ظروف معينة .

الاجراءات البحرية التي اتخذها البريطانيون لاستتباب الامن في مياه الخليج ١٨٢٢ — ١٨٢٣ :

ولدى جلاء الحامية البريطانية عن جزيرة قشم بعد اقامتها بها زمناً .. كان لا بد من اتخاذ احتياطات بحرية كثيرة خشية تجدد اعمال القرصنة .

وكانت اهم هذه الاحتياطات هي استمرار طواف قافلة من ثلاث الى اربع من سفن شركة الهند دائماً على شاطىء القرصنة ، وكانت الشركة قد خصصت ٦ قطع من بحريتها للعمل في منطقة الخليج وصدرت الاوامر بأنه اذا صدرت اعمال القرصنة عن مواطنين من الساحل الايراني فيجب على المسئولين السياسيين والضباط البحريين البريطانيين الا يردوا على تلك الاعمال في المستقبل بالعنف مباشرة وانما يجب ابلاغ الامر الى السلطات المحلية الايرانية . فقد ثبت ان الحكومة الايرانية ، منذ الحملة على القواسم ، كانت تواقة ، فعلا وباخلاص من جانبها لمعاقبة مرتكبي هذه الاعمال من رعاياها . وكانت مسقط ، اول الامر ، هي نقطة التقاء سفن حكومة الهند العاملة في الخليج او الزائرة له . ولكن تبين بعد ذلك انها بعيدة بعداً كبيراً عن الميدان الفعلي للنشاط البحري البريطاني في الخليج . فاتخذ قرار بابدالها بميناء « موغوه » الذي انشىء فيه مخزن كبير للبضائع ، وعين فيه وكيل سياسي لبريطانيا من اهل البلاد وظل النظام معمولا به لفترة ، غير انه في خريف سنة ١٨٢٣ ، ومن جراء التحسب من اعتراضات الحكومة الايرانية اتخذ ميناء « باسيدو » في جزيرة قشم قاعدة للعمليات البحرية البريطانية في منطقة الخليج .

تعليمات خاصة للمقيم البريطاني في منطقة الخليج وقيامه بجولة على الساحل العربي ١٨٢٣ :

وعند انسحاب الحامية البريطانية من قشم ، نقلت حكومة الهند مسئولية الاشراف على كل منطقة الخليج الى المقيم البريطاني في بو شهر ،

وصدرت التعليمات للملازم ماكلويد — الذي خلف كابتن بروس — بتفاصيل الاسلوب الذي عليه اتباعه في تصريف واجباته لا سيما فيما يختص بمعاهدة السلام البحري لسنة ١٨٢٠ . وكان عليه ان يوضح متطلبات تلك المعاهدة التي لم تكن واضحة تماماً للموقعين عليها كما ان عليه ضمان تنفيذ احكامها ، ولا سيما الشرط المتعلق بضرورة رفع اعلام مميزة على السفن ، الامر الذي كان قد اهمل ، وكذلك ان يبين ان انسحاب الحامية البريطانية التي كانت مقيمة في منطقة الخليج لم يكن ناشئاً عن فقد الحكومة البريطانية اهتماماتها بهذه المنطقة او بضمان استتباب الامن في مياهها . كما صدرت اليه توجيهات ايضاً بأن يقوم باتصال شخصي مع مختلف المشايخ على الساحل العربي على ان يختبر بنفسه الحالة السياسية القائمة . وان يرتب اموره بحيث يستطيع الحصول على معلومات منتظمة عما يجري بها من احداث . وقام الملازم ماكلويد بتنفيذ هذه المهام بنجاح جدير بالاعجاب ، فقام في يناير سنة ١٨٢٣ برحلة استكشافية على طول الساحل العربي تقريباً زار خلالها كل موانىء القرصنة في قطر والبحرين .

ثم كتب عن رحلته تقريراً مطولا يشرح فيه بالتفصيل ، ولاول مرة اوضاع السياسات المحلية في هذه المنطقة ، وعرض الملازم ماكلويد بعض المشاكل الخاصة بتفسير نصوص معاهدة سنة ١٨٢٠ التي استطاع أن يلمسها اثناء جولته تلك ، ووضعت الحكومة لها الحلول فوراً . ويمكننا القول بأن العمل السياسي في المنطقة قد تجدد اثناء هذه الفترة ، أو بعدها بقليل، وظل هو النمط السائد فيما بعد ، ويبدو ان وكيلا اهلياً عن مقيمية بو شهر قد استقر في الشارقة سنة ١٨٢٣ بناء على اوامر من الملازم ماكلويد بنقله من القطيف التي كان مقيماً بها من قبل .

فترة التأسيس المتدرج لاستقرار النظام البحرى
١٨٢٤ ـ ١٨٣٦

الفصول الاخيرة من تاريخ القرصنة ١٨٢٤ ـ ١٨٣٥ :

ظلت بعض مساءات القرصنة تقع عرضاً بين حين وآخر لكنها كانت مقصورة بشكل دائم على السفن الاهلية غير ان هذه الحوادث كانت كلها من النوع الذي لم تكن حكومة الهند تلقي له بالا على الاطلاق قبل حملة سنة ١٨١٩ ـ ١٨٢٠ . ومهما يكن من شيء فالقليل من تلك الحوادث لا يستأهل الذكر وليس هو من نوع العمليات الحربية . لكن مرتكبيه كانوا بعض بحارة السفن الذين دفعهم الاضطراب السياسي ـ لا الرغبة في السلب والنهب ـ الى ارتكاب هذه الاعمال .

واكثر من ذلك اننا لا نكاد نجد حالة واحدة نجا الآثمون فيها نجاة تامة من العقاب .

وفي سنة ١٨٢٧ قام بعض رجال القبائل من قطر والبحرين بعملية قرصنة وقتل على سفينة من بوشهر كانت في طريقها الى « الديلم » فاوقفوها وارتكبوا فعلتهم خارج « جناوه » وفي العام التالي تم القبض على رئيس العصابة على الشاطىء الايراني وسلم للمقيم البريطاني . وبعد ان وضع في حراسة شيخ بو شهر استطاع لسوء الحظ ان يهرب من سجنه خلال ثورة سياسية حدثت في المدينة . وفي سنة ١٨٢٨ ، ارتكب حادث رهيب سنة ١٨٢٨ من قبل سفينة من رأس الخيمة على قارب من صحار ، وقد اغرق القراصنة بحارة القارب الاربعة عشر قذفاً من قاربهم الى البحر كما اغرقوا القارب ايضاً بعد ان نهبوا ما كان فيه . وفي هذه الحادثة ارغمت السلطات السياسية البريطانية شيخ القواسم على ان يقبض على المجرمين ويعاقبهم ، وقد اعاد الشيخ واحداً منهم ، كما سلم السلطات البريطانية سفن المعتدين لتدميرها ، واعاد ما استطاع استعادته من

الاشياء المنهوبة .

وكانت الجريمة الوحيدة ضد السفن البريطانية النزول على ظهر السفينة (سنبري) في الشارقة سنة ١٨٢٩ ، وبيع الحمولة المنهوبة للشيخ ، غير انه كفر عن هذا العمل بحرق قارب اشتبه بتورطه في الجريمة ، وان جاء ذلك نتيجة سوء تفاهم ، كما جلد صاحب القارب بأمر الشيخ . وفي سنة ١٨٣١ راح شيخ عجمان — الذي كان في ذلك الوقت مشتبكاً في حرب ضد صحار — يلقي القبض دون تمييز على كل السفن التي يجدها في كل مناطق عمان ، حتى انه استولى على أكثر من اثنتي عشرة سفينة ليست لاهل صحار ، لكن البحرية البريطانية قامت بزيارة هذا المكان في سنة ١٨٣٢ وارغمت الشيخ على التعويض على سائر المتضررين من مظالمه هذه . وفي سنة ١٨٣٤ هبط عدد قطع الاسطول البريطاني العامل في منطقة الخليج الى سفينتين فقط ، ليس بسبب ما ذكرناه عن ندرة المخالفات البحرية ، وانما ايضاً من جراء الصراع العنيف الذي نشب بين الشارقة — اقوى امارات القرصنة على الساحل — وابو ظبي الامارة التالية لها في القوة . حيث ان قبيلة « بني ياس » من ابو ظبي ، وممن لم يوصموا من قبل بالقرصنة اندفعوا الآن في هذا التيار الآثم ، وبعد ان اقترفوا عدداً من الفظائع والمذابح واعمال السلب راحوا يجربون حظهم مع القوة البحرية الصغيرة التابعة لشركة الهند الشرقية في منطقة الخليج ، وكان البريطانيون اكثر شوقاً منهم الى هذا اللقاء .

وفي ١٦ ابريل سنة ١٨٣٥ استطاعت سفينة الشركة الحربية « الفينستون » ان تهزم وحدها ست سفن لقراصنة « بني ياس » فدمرت اثنتين منها تدميراً تاماً واحدثت بالباقيات خسائر فادحة ، واستطاعت تخليص سفينة ايرانية كبيرة كان القراصنة قد استولوا عليها مؤخراً . وكان اذلال هذه القبيلة بالغاً حداً جعلها تستسلم تماماً ودون اية معارضة للشروط التي تملى عليها ، وتعهد افرادها بأن يسلموا ١٥ سفينة كانوا قد استولوا عليها الى جانب جزء كبير من حمولتها وان يدفعوا مبلغ ١٠

آلاف دولار كتعويض نقدي ، وان يتعهدوا بدفع مبلغ اضافي قدره ١٦٠٠ دولار . كما قاموا ايضاً باطلاق سراح جميع الاسرى الذين كانوا قد اسروهم ، وسلموا ايضاً رجلين من رجال القبيلة تزعما غارات القرصنة . وقد نفى احدهما الى بومباي حيث حوكم بتهمة القرصنة وحكم علية بالنفي مدى الحياة . ثم ارتكب « بنو ياس » بعدها حوادث قرصنة اخرى ما بين ١٨٣١ ــ ١٨٣٥ في دبي وابـــو ظبي ولكن امكن الحصول على تعويضات منهم عن كل هذه الحوادث .

ويمكننا ان نعتبر هذا العقاب الرادع الذي لقيه القراصنة في سنة ١٨٣٥ ضربة الموت للقرصنة في الخليج ، لأنها منذ ذلك التاريخ لم تقم لها قائمة بأي شكل مخطر او مزعج .

تاريخ القرصان رحمة بن جابر واعماله ١٨٢٤ ــ ١٨٢٦ :

ولن تكتمل حكاية الاحداث في الخليج في هذه الفترة دون الاشارة الى القرصان العتبي رحمة بن جابر ، وهو شخصية غريبة الى ابعد حدود الغرابة : مغامر الى اقصى حدود المغامرة ، وقد تردد اسمه فيما سبق غير مرة واحدة ، فقد استطاع أن ينجو بجلده من قصاص الحملة البريطانية على القواسم في سنة ١٨٠٩ ــ ١٨١٠ ومن ذلك الوقت ولعدة سنوات تالية ظل رحمة على صلة وثيقة بالوهابيين ، مندفعاً بشدة عدائة لآل خليفة مشايخ البحرين . وحين اعد سلطان عمان عدته لمهاجمة البحرين في سنة ١٨١٦ ووقف الوهابيون الى جانب آل خليفة ، خرج رحمة عن حلفائه وانضم الى حاكم عمان ونتيجة لذلك طرده الوهابيون ــ في نفس السنة ــ من قلعته الرئيسية في الدمام على ساحل الاحساء وارغموه على التراجع الى بو شهر حيث ظل تحت حماية ايران سنة ١٨١٨ . وبعدها رجع الى الاحساء ليعاون القوات المصرية في عملياتها ضد الوهابيين وكافأه هؤلاء بعد انتصارهم بأن اعادوا له وضعه في الدمام . وفي سنة ١٨١٩ كان متوقعاً من رحمه بن جابر ان يتعاون بصفته حليفاً سياسياً

لسلطان عمان ، وعدواً للقواسم الوهابيين ؛ مع الحملة البريطانية التي خرجت متجهة الى رأس الخيمة في نفس السنة ، ولكنه بدل ذلك بدأ في اوائل سنة ١٨٢٠ بالاتصال بحاكم فارس الايراني في محاولة فاشلة لاحباط خطط حاكم عمان ضد البحرين بانزال قوات ايرانية على هذه الجزر . واصدر قائد الحملة البريطانية امراً بتدمير سفن رحمة بن جابر لكن الامر لم ينفذ نظراً لتمتعه بحماية ايران . وفي ابريل سنة ١٨٢٠ رفض رحمة ، على اساس من ارتباطه بايران ، ان يدخل طرفاً في معاهدة الصلح الشاملة بين الحكومة البريطانية ومشايخ العرب في الخليج .

وفي سنة ١٨٢٢ قدم كل من رحمة بن جابر وآل خليفة مشايخ البحرين خلافاتهما للتحكيم لدى ممثلي بريطانيـا في الخليج ، وبعد محاولات فاشلة لعقد الصلح بينهما بذلها الكولونيل كينيث والملازم ماكلويد . استطاع كولونيل ستانس اخيراً ان يعقد بينهما معاهدة صلح في فبراير سنة ١٨٢٤ ، ووجه رحمة جهوده بعد ذلك لميناء القطيف فحاصره وهاجمه وحطم السفن الموجودة فيه ليرغم سكانها على دفع الجزية او الاتاوة ، وظل يواصل اعماله هذه خلال سنة ١٨٢٥ برغم تحذيرات المسئولين السياسيين البريطانيين بل وتهديداتهم له ؛ تلك التهديدات التي كانت تنم عن اعتبارهم اعمال رحمة من باب القرصنة دون الحرب النظامية .

ثم تجدد الخلاف بين رحمة وآل خليفه ، ورفض المقيم البريطاني التوسط بينهما الا على اساس شرط ما كان رحمه بن جابر ليقبل به ، وهو ان يكون اهل القطيف طرفاً في اي معاهدة تعقد بين رحمة وآل خليفة ، وظلت اعمال العداء مستمرة بينهما حتى انتهت بتحطيم رحمة بن جابر وسفنه في اشتباك مع سفينة يقودها واحد من آل خليفه ، وفي اواخر حياته أصبح رحمة حاكماً صغيراً في الدمام أكثر منه قرصاناً وكان حريصاً دائماً على الا يقوم بأي عدوان ضد الحكومة البريطانية او الرعايا البريطانيين ، لكن موته على اي حال ادى الى مزيد من استقرار

الامور في منطقة الخليج .

انبعاث نفوذ الوهابيين في منطقة الخليج ١٨٢٤ – ١٨٣٣ :

وحين تم انسحاب آخر حامية من القوات المصرية في نجد سنة ١٨٢٤ او حوالي ذلك ، بدأ نفوذ الوهابيين وسلطانهم في منطقة الخليج ينتعش مرة أخرى ، لكن اسم الدولة الوهابية لم يعد الان يثير الفزع الاسطوري الذي كان يثيره من قبل .... ولم تعد سياستها سوى سياسة دولة دنيوية شأن سواها من الدول . وفي سنة ١٨٢٥ اعترف شيخ الشارقة بخوفه الشديد من تقدم الوهابيين وطلب عون الحكومة البريطانية ، وفي سنة ١٨٣٠ فقط ، وبعد ست سنوات من الصراع مع بني خالد استطاع الوهابيون استعادة سيطرتهم على منطقة الاحساء، وعادوا مرة أخرى ليصبحوا قوة هامة من القوى على مسرح الخليج . وفي سنة ١٨٣٠ أيضاً تم تحالف بينهم وبين سلطان عمان افزع مشايخ البحرين فزعاً جعلهم ، بعد يأسهم من عون الحكومة البريطانية لهم ، يخضعون لامير الوهابيين خضوعاً تاماً ويتعهدون بدفع الجزية له في المستقبل . وكان ثمة اضطراب واضح في منطقة ساحل القرصنة ، حيث اعلن مشايخ عجمان وام القوين ولاءهم للوهابيين ، لكن هؤلاء لم يتخذوا اية خطوة للافادة من هذه الفرصة . وفي سنة ١٨٣١ أبدى تركي بن عبدالله امير الوهابيين في مراسلات ودية الى حكومة بومباي كشفت عن تهذيبه وصفاء خلقه رغبة في قيام العلاقات الحسنة . ورغم ان الامير لم يجب الى طلبه عقد معاهده رسمية بين الطرفين الا ان الرد كان ودياً . وفي سنة ١٨٣٣ حين فشل سلطان عمان في ان يكتسب عون البريطانيين لاستخلاص اراضيه التي سيطر عليها الوهابيون، اقتدى بمشايخ البحرين في دفع الجزية لهم ، وفي سنة ١٨٣٤ تدخل ممثل الوهابيين في « البريمي » في صراع كان قائماً بين مشايخ الشارقة وابو ظبي وهما أكبر الامارات على ساحل القراصنة . لكن نوعاً من الانتقاص حصل لهيبة الوهابيين في منطقة

البحرين ، حيث استطاع شيخها في سنة ١٨٣٣ ان يطرح ولاءه للوهابيين ، ثم استطاع في سنة ١٨٤٣ ان يخلص جزيرة تاروت من بين ايديهم ويحاصر موانىء ساحل الاحساء .

مشكلة بين سلطان عمان وباشا بغداد ١٨٢٥ — ١٨٢٦ :

وفي بداية انبعاث نشاط الوهابيين ، حدثت مشكلة بين سلطان عمان وباشا بغداد، وكان السبب في الخلاف ان السلطان طالب الباشا بمعونة مالية رغم انها فرضت لجده مقابل معاونته للاتراك ضد الايرانيين اثناء حصار البصرة سنة ١٧٧٥ — ١٧٧٦ لكن الباشا اوقفها بعد ذلك ، وفي سنة ١٨٢٦ انفذ السيد سعيد حصاراً للبصرة كان وضع خططه في سنة ١٨٢٥ . ووجد باشا بغداد نفسه مرغماً — بعد ان رفض وساطة البريطانيين — على قبول مطلب سلطان عمان ، فدفع له مبلغاً ملموساً من متأخرات تلك المعونة المالية .

طلب باشا بغداد المعونة العسكرية من السلطات البريطانية ١٨٢٧ — ١٨٢٨ :

وفي سنة ١٨٢٧ وجه الباب العالي تعليمات الى باشا بغداد بدافع الخطر الذي كان يتهدد الامبراطورية التركية من جانب روسيا باعداد جيش قوي في العراق التركي ، وبعث هذا الى السلطات البريطانية في الهند طالباً منها فريقاً من الضباط البريطانيين ليقوموا بالتعليم والتدريب والاشراف على الشعب الفنية للجيش ، الى جانب امدادات من الجنود والذخائر ، وثلاث سفن حربية من حجم متوسط ، ولم يكن من شأن الشروط التي عرضها الباشا ان تكلف حكومة الهند كثيراً لو وافقت على طلبه . ومع ان حكومة بومباي ايدت مطلب باشا بغداد تأييداً قوياً ، الا ان حكومة الهند رفضت الطلب على أساس ما تصورته من عدم وجود علاقات مرضية بين الحكومة البريطانية والباب العالي ، وكان قراراً اسف له مجلس ادارة شركة الهند الشرقية اسفاً عميقاً ، فقد كان هذا

المجلس يعتقد انه – باستثناء المعونة البحرية – لم يكن في طلب الباشا ما يبرر تفويت الفرصة التي انطوى عليها ، فهو يوفر نفوذاً بريطانياً في العراق التركي ، كما يمكن لبريطانيا موقعاً ملائماً تراقب منه نشاط روسيا في الشرق الاوسط مراقبة دقيقة، ولم يجدد باشا بغداد طلبه كما كان مجلس المديرين يأمل منه ان يفعل .

اضطرابات على الساحل الايراني ومهاجمة المقيمية البريطانية في بوشهر واعمال سلطان عمان ١٨٢٦ – ١٨٣٢ :

وحين كان الوهابيون يبذلون جهودهم لتدعيم مكانتهم من جديد على السواحل الغربية للخليج تدخلت الحكومة الايرانية ، منتهزة فرصة العداء بين سلطان عمان والاسرة العربية الحاكمة في بو شهر ، وكذلك العداوات داخل تلك الاسرة فحققت ايران شيئاً من النجاح في فرض سيطرتها الادارية على بو شهر وما حولها .

وفي سبتمبر سنة ١٨٢٦ استطاع سلطان عمان ان يأسر شيخ بو شهر في البحر واحتفظ به سجيناً في مسقط حتى مايو سنة ١٨٢٧ ، واثناء سجنه حدث صراع بين افراد اسرته على حكم بو شهر ، وحدث عرضاً خلال الشغب بين المتنازعين ان اهين المقيم البريطاني فيما كان يحاول التوسط بين افراد الاسرة ، ونقلت المقيمية بعد قليل من مدينة بو شهر الى مكان قريب منها . ولكنها عادت الى مكانها بعد ذلك نتيجة توسط من جانب الحاكم الايراني في فارس ، وفي سنة ١٨٢٧ ارسل شاه ايران مبعوثاً خاصاً من طهران للتحقيق في الاهانة الحاصلة وترضية المندوب السياسي البريطاني .

وحوالي نهاية سنة ١٨٢٨ عين تيمور ميرزا – ابن الامير الحاكم في فارس – حاكماً لبو شهر خلفاً لتلك الاسرة العربية التي كانت تتوارث الحكم . وكان هذا قد زوج اخته لسلطان عمان مؤخراً ، لذلك عمل السلطان على تثبيت دعائم حكمه . وفي سنة ١٨٣٠ اعادت الحكومة

الايرانية شيخ بوشهر الى مكانه القديم ، واضطرت السلطات البريطانية لمنع السيد سعيد من تقديم العون لصهره تيمور ميرزا الذي كان ينوي مقاومة عزله، على ان والد تيمور ميرزا ارسل سنة ١٨٣٢ ابنه الآخر « رضا كولي ميرزا » لاستلام مقاليد الحكم في بوشهر . وقام شيخ القواسم بمظاهرة بحريةامام الميناء انتصاراً لشيخ بوشهر ، لكن المقيم البريطاني احبط محاولة القواسم وارغم شيخهم على الانسحاب حين هدده باستخدام القوة ضده . وفي اوائل سنة ١٨٣٣ ارغم الامير الايراني على الانسحاب من بوشهر نتيجة تمرد داخلي حدث ضده بزعامة « جمال خان» في بوشهر ومشايخ تانجستان وداشتستان ، ولكن في اواخر نفس السنة : تفكك التحالف بين هذه الاطراف ، واستطاع الموالون للامير استعادة سيطرتهم على المدينة دون صعوبة . وقد مارس المقيم البريطاني نفوذه اثناء هذا الصراع لمنع تفاقمه ، وقد اظهر الطرفان تفهماً لقيمة التدخل البريطاني حيث طلب شيخ بوشهر في سنة ١٨٢٨ ان يشمل بالحماية البريطانية ، كما ان حاكم فارس راح في سنة ١٨٣٢ يجادل بحجة سخيفة في امر مظاهرة القواسم البحرية تجاه بوشهر قائلا انه كان من واجب الحكومة البريطانية بموجب معاهدتها مع ايران حماية الساحل الايراني من كل هجوم بحري كائناً من كان الذي يشنه .

هجوم سلطان عمان على البحرين والاضطرابات التي نتجت عن ذلك في مياه الخليج ١٨٢٨ – ١٨٢٩ :

وفي خريف سنة ١٨٢٨ قام سلطان عمان — دون معونة من جانب الوهابيين او الايرانيين هذه المرة — ولكن بدعم من بني ياس بابو ظبي ، بهجوم خطير لاخضاع مشايخ البحرين الذين كانوا قد رفضوا منذ زمن بعيد تبعيتهم السياسية لمسقط التي كانوا قد قبلوها في سنة ١٨٢٠ . لكن آل خليفة استطاعوا ان يثبتوا في وجه هذا الهجوم ويصدوه مكبدين الغزاة خسائر كبيرة بلغت سفينتين كبيرتين واكثر من ٥٠٠ رجل . وتردد

بعدها ان بني ياس كانوا ممالئين لآل خليفة وانهم غدروا بحليفهم السلطان.

أما مدى اعتماد دول الخليج في ذلك الوقت على حماية بريطانيا فيما يتعلق بالخلافات البحرية بين احداها والاخرى فذلك تصوره لنا الشكوى التي تقدم بها شيخ البحرين — وهو احد الموقعين على معاهدة الصلح الشاملة — ضد شيخ ابو ظبي — وهو ايضاً من الموقعين على نفس المعاهدة — لاشتراكه في حملة سلطان عمان على البحرين. واجيب على شكواه بان هذه الحالة يجب اعتبارها حالة حرب سافرة. وهي بالتالي تخرج عن نطاق المعاهدة. ونتيجة لذلك اعد شيخ البحرين اسطولا للانتقام من سلطان عمان، وفي مثل هذه الاحداث — سواء جاء ذلك نتيجة الاستفزاز اوالخطأ — فقد كان لا بد من وقوع احداث يصعب فيها التمييز الدقيق بين ما هوعمليات حربية او اعمال قرصنة. وكان اول هذه الاعمال ان قام اسطول العتوب بنهب واغراق سفينة محايدة لاهل مرباط، وتحتم على المقيم ان يدعم شيخ البحرين — بوسيلة من وسائل عرض القوة المسلحة-على دفع تعويض جزئي لاصحاب هذه السفينة. وفي سنة ١٨٢٩ وبشيء من الضغط من جانب المقيم البريطاني على شيخ البحرين — امكن عقد صلح بينه وبين سلطان عمان. كان الشرط الرئيسي فيه هو اعتراف السيد سعيد باستقلال البحرين.

تمرد في قطر ضد سلطة مشايخ البحرين ١٨٣٥ :

وحدثت حادثة اخرى هددت امن الخليج تهديداً خطيراً في سنة ١٨٣٥ وذلك عندما تمرد اهل « الحويلة » في قطر، وكانت وقتذاك تابعة للبحرين، وانضم اليهم بعض الاعضاء الساخطين من الاسرة الحاكمة في البحرين وعدد من الوهابيين وراحوا يقومون باعتداءات ومشاغبات في البحار، وكانت النتيجة المباشرة لهذا العمل هي انفصال عدد كبير من آل بن علي وآل بوعينين تحت قيادة قائد جريء ونشيط هو « عيسى بن طريف » وساروا الى ابو ظبي، حيث اصبحوا — من

وقتها – خاضعين لمعاهدة الصلح العامة .

الهدنة البحرية الاولى ١٨٣٥ والخط التحديدي ١٨٣٦ :

وفيما كانت معاهدة الصلح العامة لسنة ١٨٢٠ ، تمنع «النهب والقرصنة» الا انها لم تكن تحول دون الاعمال الحربية في البحر ، ومن هنا كان وجه النقص فيها لا سيما في منطقة ما كان ايسر نشوب الحرب فيها بين الدول العربية الصغيرة وما كان اسهل ايضاً – كما اوضحت أمثلة كثيرة – ان يتحول اي عمل حربي من هذا النوع الى قرصنة تصيب المحايدين في هذا الصراع .. ولم تكن هذه المعاهدة بالتالي كافية للحفاظ على امن البحار حفاظاً كافياً وشاملا . وسرعان ما اتضحت عيوب هذا النظام القائم على الاغتصاب المتبادل لهؤلاء الاكثر ذكاء بين الموقعين على المعاهدة . وقد اتضح هذا بمجرد ان بدأوا يتعمون بالسلم الذي تضمنته نصوصها ، وشاعت بين هؤلاء ايضاً رغبة في ضرورة وضع مزيد من القيود على استخدام القوة ، ذلك بأنه حين تشب الحرب البحرية في شهور الصيف ، فانها كانت تشوش على غواصي اللؤلؤ وقد تعطل تماماً رحلات قبائل العرب في البحار وهي المورد الرئيسي لجوابي البحار من العرب . وكان واضحاً انه لو حصرت الحرب في غير شهور موسم اللؤلؤ فلا شك في ان هذا يعود بفائدة كبرى على الجميع حتى على المتحاربين انفسهم،وبناء عليه بادر المقيم البريطاني في بوشهر كابتن هينيل سنة ١٨٢٥ الى معالجة الموضوع عقب آخر حادثة قرصنة ارتكبها بنو ياس ، واستطاع اخيراً ان ينجح في عقد هدنة بحرية يلتزم بها مشايخ العرب على ساحل القرصنة ورعاياهم تمتد من ٢١ مايو الى ٢١ نوفمبر من تلك السنة ، وتلقى كل الذين يهمهم الامر عقد الهدنة بارتياح ، وقد كانت هذه مجرد البداية في سلسلة من الهدنات ادت معاً – الى جانب معاهدة الصلح الشاملة لسنة ١٨٢٠ – الى قيام حالة من الامن البحري الكامل في منطقة الخليج . ومن هذه السنة ١٨٣٥ وصاعداً يحق لنا الآن ان

نستبدل اسم « ساحل القراصنة » باسم « ساحل عمان المتصالح » .

وفي سنة ١٨٣٦ اضافت السلطات البريطانية تحديداً آخر ضد العمليات العدوانية في البحر ، وطلبت الى القبائل العربية الالتزام به ضمن المياه المجاورة لاراضيها ، وخلال الشهور غير الخاضعة للهدنة وان لم يدخل هذا التحديد في معاهدة موقعة . ومع ان مجلس مديري شركة الهند الشرقية كان قد بين في سنة ١٨٣٤ انه ليس معقولا ان تفرض الحماية على كل القبائل العربية « وهو ما يفهم ضمناً من حظرنا سائر الحروب وقبول التحكيم في سائر المنازعات» الا ان شيوخ القبائل افهموا بأن اي خروج على المعاهدة يجب ابلاغه الى السلطات البريطانية التي ستعاقب الخارجين وكأنهم ارتكبوا اعمال القرصنة ، غير ان نجاح تلك الاجراءات قد برر مخالفة تلك الاوامر لسياسة الشركة الاصلية .

مشروعات بريطانيا في العراق التركي ١٨٣٤ — ١٨٣٦ :

ويبدو ان تطور الامور في العراق التركي كان في ذلك الوقت امراً تهتم له الحكومة البريطانية ... وذلك لاهداف اقتصادية واهداف سياسية على السواء ، فقد كانت بريطانيا تبحث عن افضل وسائل الاتصال البريدي بالهند . ويبدو انها كانت تفترض ان خير اتصال من ذلك النوع انما يتم عن طريق البحر الاحمر فالطريق البري عبر مصر ، كذلك يبدو ان الحكومة البريطانية كانت ايضاً متأثرة بمنافسة روسيا المخوفة لها على النفوذ في منطقة الشرق الاوسط . وفي نهاية سنة ١٨٣٤ رفع الرحالة مستر ج. ب. فريزر تقريره الذي كلفته الحكومة البريطانية باعداده عن طبيعة الاوضـــاع الادارية والاقتصاديـــة في العراق التركي . وفي أوائل سنة ١٨٣٥ خرجت من انجلترا بموافقة الباب العالي حملة تجريبية يقودها الكولونيل ف. ر. شيزني متجهة صوب البلاد العربية الخاضعة للاتراك ، وقد وافق البرلمان الانجليزي على تخصيص مبلغ ٢٠ الف جنيه انجليزي لتكاليفها ، كما دفعت شركة الهند الشرقية خمسة آلاف

جنيه اخرى ، وكان الهدف المعلن للرحلة تجربة امكانات الملاحة التجارية في نهر الفرات . وانزلت باخرتان نهريتان في اعلى الفرات في سنة ١٨٣٥ — ١٨٣٦ ، لكن احداهما — وهي الباخرة « دجلة » فقدت لسوء الحظ في عاصفة هوجاء خلال بضعة اسابيع من قيام الرحلة التجريبية ، وبقيت الباخرة الاخرى « الفرات » تقوم برحلات في دجلة والفرات وشط العرب ، ومسحت هذه الانهار مسحاً كاملا طوال ما تبقى من تلك السنة . ولكن في ديسمبر انتهت الحملة ، وبعدها انتقلت ملكية الباخرة « الفرات » من الحكومة البريطانية الى شركة الهند الشرقية . ولا يمكننا القول بأن هذه التجربة — من حيث هدفها الرئيسي وهو اقامة مواصلات سريعة ومضمونة بين الهند وبريطانيا — قد حققت النجاح ... وفي سنة ١٨٣٧ اصبحت الحكومة البريطانية تستخدم رسمياً طريق البحر الاحمر ، الذي كان الطريق الافضل لنقل البضائع والمسافرين .

التجارة البريطانية فى الخليج ١٨١٠ - ١٨٣٦

تميزت التجارة البريطانية في الخليج ، خلال الفترة التي نحن بصددها بتوقف التجارة التي كان يمارسها موظفو شركة الهند الشرقية لحساب الشركة كما توقفت ايضاً التجارة التي كان مصرحاً لهم بممارستها لحسابهم ايضاً . وقد كانت اول قيود وضعت على التجارة الخاصة لموظفي الشركة في مقيمية مسقط حيث فرض الحظر مبكراً في سنة ١٨٠٥ ثم أكد مرة أخرى في مناسبة تعيين مقيم جديد سنة ١٨٠٩ ، لكن الامر الحاسم لوقف كل انواع النشاطات التجارية الخاصة التي يمارسها المسئولون السياسيون من كل الرتب والوظائف ، لم يصدر الا سنة ١٨٢٢ شاملا مقيمية بو شهر التي كانت مثل تلك التجارة الخاصة ما تزال مسموحاً بها فيها حتى ذلك الوقت.وقد تركت فرصة مناسبة من الوقت للذين تأثروا بالحظر لتصفية اعمالهم التجارية . كما زيدت المرتبات الرسمية لبعضهم كتعويض لهم . وفي سنة ١٨١٣ الغي احتكار التجارة الذي كانت تتمتع به شركة الهند الشرقية باعتبارها شركة مساهمة ، ويبدو - من نص ورد في مراسلات رسمية - ان تجارة الخليج قد تركت مفتوحة للجميع بقرار من حكومة بومباي مؤرخ في ٢ يوليو سنة ١٨١١ ، ولكن بقي جزء من التجارة يمارس باسم الشركة حتى سنة ١٨١٩ . وكانت اثمان هذه المبيعات تورد لمقيمية بو شهر على دفعات لا يوماً بيوم كما كان الامر من قبل . وبعد سنة ١٨١٩ لا نجد اية اشارة لتجارة شركة الهند الشرقية ، ويبدو انها انتهت تماماً من التجارة الخاصة لموظفيها ، الامر الذي يبدو بعده ان ممثلي الشركة لا جرم كانوا في معظم الحالات ضباطاً ليس لهم في التجارة معرفة ولا خبرة .

المنشآت البريطانية والتنظيم الرسمي في الخليج
١٨١٠ - ١٨٣٦

في بداية سنة ١٨١٠ كان لحكومة الهند اربع مقيميات في بغداد والبصرة وبو شهر ومسقط ، وقد اصبحت المقيميات الثلاث الاولى في العراق التركي وايران تابعة لحكومة بومباي اعتباراً من سنة ١٨٠٦ ، اما مقيمية مسقط فقد كانت كذلك في وقت سابق لذلك التاريخ ، لكن هذه المفوضية كانت شاغرة في ذلك الوقت لوفاة القائم بأعمالها . وكانت سائر الاعمال ذات الطابع الخليجي المحلي ، كالحملة على القواسم في سنة ١٨٠٩ — ١٨١٠ ، من مسئولية حكومة بومباي .

ادماج مقيمية مسقط في مقيمية بوشهر ومقيمية بغداد في مقيمية البصرة:

وقد بدأ التفكير في مسألة خفض المؤسسات البريطانية السياسية في منطقة الخليج ابتداء من سنة ١٨٠٩ — ١٨١٠ نتيجة زوال الخطر الفرنسي ، وبعدها قررت حكومة الهند ان يقتصر تمثيلها السياسي في منطقة الخليج — لو امكن — على مقيمية واحدة ، لكن عملية التخفيض المرغوبة هذه كانت أخطر واهم من ان تتم دفعة واحدة على الرغم من الضربة التي وجهت للقرصنة في حملة ١٨٠٩—١٨١٠ ضد القواسم . وفي يناير ١٨١٠ اوصى جنرال مالكولم — الذي كان في ذلك الوقت قد بدأ بعثته الثالثة لايران — ان تلغى مقيمية مسقط وان يعهد بمسئولية رعاية المصالح البريطانية في سلطنة عمان وفي الساحل العربي الى مقيم بو شهر على ان يزود هذا المقيم بالمساعدين الذين يمكنونه من القيام بالواجبات الجديدة التي ستلقى على عاتقه . وقبلت حكومة الهند توصيته على الفور ، وصدرت الاوامر مباشرة لمستر هانكي سميث مقيم بوشهر — الذي كان يصحب جنرال مالكولم في رحلته من بومباي الى الخليج — بأن يتولى

الاشراف على المصالح البريطانية في مسقط ، وتم تزويده بمساعدين من مكتب الخدمات المدنية هما مستر بابنجتون ومستر ويليامز الى جانب مساعده الموجود في بوشهر (الملازم بروس) . غير انه لم يكلف — كما اقترح جنرال مالكولم — بأن يبدأ مفاوضات مع القبائل العربية بشأن نتائج الحملة ضد القرصنة التي كانت تنفذ ذلك الوقت ... وربما كان السبب ان حكومة الهند لم تكن — حتى ذلك الحين — قد آمنت بعد بضرورة قيام معاهدة تنتظم القبائل في هذه المنطقة جميعاً . وفي اول مايو سنة ١٨١٠ ابلغ مستر سميث حكومة بومباي ان « الاثر السيء لمناخ مسقط الموخم ارغمه على ان يستقيل من وظيفته هناك » ، ونحن نستدل من هذا على ان الحكومة كانت قد اقترحت اقامته بها ، وسمحت له الحكومة بالتخلي عن مسئوليات ذلك الجزء من عمله ، واصدرت تعليماتها لمساعديه مستر بابنجتون ومستر ويليامز بالاقامة في بو شهر ، وامرتهما بأن يعدا نفسيهما « للعمل مستقبلا في منطقة الخليج ، وذلك بتعلم العربية والفارسية » . وفي نفس الوقت بدأ البحث عن مكان ذي مناخ افضل من مسقط يمكن الاشراف منه على المصالح البريطانية في عمان . وليس صعباً ان نفهم الهلع الذي كان يأخذ بموظفي شركة الهند الشرقية من مسقط ، فقد كان مناخها قاتلا للمقيمين الاربعة الذين عملوا بها منذ انشاء مقيمتها في سنة ١٨٠٠ . وحين انسحب مستر سميث الى بو شهر وظل مقيماً بها لمدة عام بعد ذلك ، عهد بشئون عمان الى وكيل من أهل البلاد كما كان الامر من قبل .

أما مقيمية بغداد — التي انشئت في سنة ١٧٩٨ : فقد الغيت ، وأصبح المقيم البريطاني في البصرة مسئولا عن كل المهام السياسية في العراق التركي ، لكن هذا التغيير بسبب استمرار المقيم البريطاني في اتخاذ بغداد مقراً له ، انما كان في حقيقة الواقع الغاء لمقيمية البصرة التي لم يكن يقيم فيها سوى مساعد سياسي اوروبي .

خفض درجة مقيمية بوشهر ١٨١١ :

وفي ٢٩ مارس سنة ١٨١١ استقال مستر هـ. سميث ، الذي كان عضواً في الخدمة المدنية ، من مقيمية بوشهر ، وكان على الحكومة ان تواجه مشكلة تعيين خلف له . وكان رأي حكومة بومباي في سنة ١٨٠١ — استناداً الى وجود جنرال مالكولم في بعثته الثالثة الى الشاه ، ثم استناداً بعد ذلك الى تعيين سير جور اوسيلي ممثلا للحكومة البريطانية في طهران — ان تجرد مقيمية بوشهر من طابعها السياسي وتصبح مقيمية تجارية فقط يعين فيها مسئول براتب اقل من راتب مستر سميث . وعلى هذا الاساس خفضت حكومة بومباي لدى مبارحة سميث حرس المقيمية العسكرية في بوشهر ، واصدرت اوامرها للملازم بروس— مساعد مستر سميث الذي عهدت اليه بالمسئولية هناك — بأن تكون مراسلاته في المستقبل معها لا مع حكومة الهند ، ولكن يبدو ان بروس لم يلتزم بهذا الامر(١) . واوصت حكومة الهند بأن يبقى الملازم بروس في المكان الشاغر برحيل مستر سميث(٢) ، على ان يتقاضى راتباً اقل مما كان يتقاضاه هذا الاخير ، واكثر مما يتقاضاه المقيم التجاري في العادة بسبب بعض المسئوليات السياسية التي كان ما يزال عليه الاضطلاع بها . واوصت الحكومة بنوع من المعاملة المتحررة له من جانب حكومة بومباي ، غير ان هذه الحكومة الاخيرة اساءت فهم التعليمات ، فوضعت خطة تساوي مقيمية بوشهر بغيرها من المقيميات السياسية في الهند ، ووجدت حكومة الهند نفسها مضطرة لان تحتج على بعض المطالب

---

(١) من هذا نستطيع أن نفهم أن أوامر سنة ١٨٠٦ لا بد كانت قد الغيت، ربما نتيجة السلطات الواسعة العامة التى خولت للجنرال مالكولم — مبعوث الحاكم العام — في بعثته الثانية سنة ١٨٠٨ .

(٢) ظل الملازم بروس أكثر من اثنى عشر عاما مساعدا في بوشهر وقد عمل كمقيم فيها خلال جزء كبير من هذه الفترة .

المكلفة لحكومة بومباي مثل طلب هذه تعين موظف من مكتب الخدمات المدنية في بوشهر ، نتيجة سوء الفهم المشار اليه ، كما رفضت حكومة الهند مقارنة مقيمية بوشهر بمقيمية بغداد ، وظلت تطالب بالمركز للملازم بروس ،لكن حكومة بومباي،وان ظلت مستمسكة بما كانت قد اقترحته من تخفيض مهام مقيمية بوشهر كان يبدو انها تريد ان تعهد بالوظيفة الى مستر فلور من مكتب الخدمات المدنية ، مجادلة بأن « اوامر مجلس الادارة الموقر ، وحجج مكتب الخدمات المدنية(١) جميعاً تحول دون تحقيق آمال مستر بروس في أن يصبح أكثر من مساعد في بوشهر ، ونحن لولا طول مدة خدمته في هذه المنطقة ، لالغينا وظيفته المساعد في هذه المقيمية » . ولكن مستر فلور هذا لم يأت الى الخليج ابداً ، وظل مستر بروس يقوم بأعمال المقيم في بوشهر من رحيل مستر سميث في سنة ١٨١١ حتى نقل مستر بروس نفسه من بوشهر في ١٨٢٢ ، وكان طوال هذه المدة مسئولا عن جميع المصالح البريطانية في منطقة الخليج كلها باستثناء العراق التركي ، واعتباراً من ٤ يوليو سنة ١٨١٢ ، أصبحت مقيمية بوشهر تابعة لحكومة بومباي ، التي كانت تتولى دفع نفقاتها .

إن سُلّم الرواتب التي يتقاضاها المسئولون السياسيون في ذلك الوقت يمكن وجـــوده في المراسلات الخاصة بهذه الحالة والمتبادلة بين حكومة الهند وحكومة بومباي ، ونستطيع أن نشير اليها هنا لمقارنتها بمستوى الرواتب المطبقة حالياً . كان راتب المقيم في بوشهر بصفته ممثل تجاري لا يتعدى ٦٠٠ روبية في الشهر ، لكن مستر سميث — من حيث هو مقيم سياسي وتجاري — كان يتقاضى راتباً قدره ١٥٠٠ روبية في الشهر الى جانب ١٢٠٠روبية كل شهر «للمصروفات الطارئة وبدل الضيافة»(٢)

---

(١) كان الملازم بروس ضابطا في بحرية شركة الهند الشرقية .

(٢) يبدو أن هذه كانت تشمل ايجار المنزل.. واجر الخدم.. الخ

اضيف اليها لاحقاً ٥٠٠ روبية شهرياً بعد الغاء مقيمية مسقط ، فأصبح إجمالي راتبة ٣٢٠٠ روبية في الشهر . اما الراتب الاصلي الذي اقترحته حكومة بومباي في سنة ١٨١١ فكان ٢٩٥٠ روبية ، لكنها عادت فانقصته الى ٢٣٠٠ روبية منها ١٦٩٠ روبية هي راتب المقيم وعلاواته الشخصية ، اما الراتب الذي تقرر لمستر بروس فكان هو راتب المقيم التجاري أي ٦٠٠ روبية في الشهر الى جانب نفس المصاريف الاضافية التي كانت مقررة لمستر سميث وقدرها ١٢٠٠ روبية فيصبح اجمالي راتبه مبلغ ١٨٠٠ روبية في الشهر . اما راتب المساعد السياسي في منطقة الخليج فيبدو انه كان ٤٠٠ او ٥٠٠ روبية في الشهر ، وكان يسمح للمساعد في بوشهر — طوال استمرار تجارة شركة الهند الشرقية — بالحصول على عمولة تجارية قدرها ٢٪ على المنتجات الايرانية التي يدبر امر شرائها .

تحويل مقيمية البصرة الى وكالة سياسية لجزيرة العرب التركية ١٨١٢ :

وفي سنة ١٨١٢ تغير لقب « المقيم في البصرة » — نظراً لانه لم يعد متسقاً مع الحقائق الموجودة بالفعل — ليصبح « الوكيل السياسي في جزيرة العرب التركية » ، وكان المسئول عنها حراً في ان يختار الاقامة في بغداد او في البصرة ، وان يجعل مساعده في المكان الذي لم يشأ ان يقيم هو فيه ، وكان المسئول الذي يختار الاقامة في بغداد يطلق عليه عادة اسم « مقيم بغداد » .

التنظيم المؤقت او الاسمي في ١٨٢٢ :

وفي مايو سنة ١٨٢٢ صدرت اوامر لتنفيذ سياسة التوفير والاصلاح التي طالما بحثت من قبل بوضع كل المصالح البريطانية في منطقة الخليج والعراق التركي تحت اشراف ومسئولية رجل واحد ، وكان مستر ريتش المقيم في بغداد — او على وجه التحديد الوكيل السياسي في جزيرة العرب

التركية — قد توفي مؤخراً ، فصدرت الاوامر للكابتن بروس المقيم في بوشهر . بأن يتولى المسئولية عن هذه المقيميات المشتركة بمجرد ان يصفي الاعمال التجارية التي كان يمارسها لحسابه الخاص في بوشهر شأن جميع المسئولين السياسيين في ذلك الوقت ، وذلك بعد صدور الاوامر بايقافها بالنسبة لكل موظف سياسي ، وبالنظر الى الخسارة التي كان لا بد ان تصيبه من جراء ذلك ، رفع راتبه (ربما من ٦٠٠ روبية) الى ١٢٠٠ روبية في الشهر . وتلقى كابتن تيلور الوكيل السياسي العامل في العراق التركي — الذي عين مساعداً للكابتن بروس — زيادة في راتبه لنفس السبب فوصل الى ٦٠٠ روبية في الشهر . وخول « المقيم السياسي في خليج ايران » — وهذا هو لقبه — بأن يتخذ جزيرة قشم — وكان بها حامية بريطانية في ذلك الوقت — او البصرة مقراً له . وعند انتقاله من بوشهر — تنفيذاً للتعليمات الصادرة اليه — كان عليه ان يترك فيها مقيماً من اهلها . ولكن في اول نوفمبر سنة ١٨٢٢ ، وربما قبل تنفيذ الاوامر الجديدة ، عزل كابتن بروس عن منصبه لانه عقد اتفاقية مع حكومة شيراز دون صلاحية تخوله ذلك ، والغت حكومة الهند اوامرها بدمج المفوضيات على اساس « ان قواتنا سيتم نقلها من جزيرة قشم ، ولا بد ان يوجه الملازم ماكلويد كل اهتمامه لعقد المصالحات بين القبائل العربية .. » ، ونلاحظ ان القائد العسكري للحامية البريطانية التي كانت مقيمة في قشم من ١٨٢٠ الى ١٨٢٢ كانت له ايضاً صلاحيات سياسية .

اعادة افتتاح الوكالة السياسية في جزيرة العرب التركية وتاريخها التالي ١٨٢٢ — ١٨٣٢ :

واعيد افتتاح الوكالة السياسية في جزيرة العرب التركية (او في البصرة) كما تسمى ايضاً ، وعين كابتن تيلور وكيلا لها براتب قدره ٨٠٠ روبية في الشهر مع علاوة ضيافة قدرها ٦٠٠ روبية زيدت الى ١٠٠٠ روبية في سنة ١٨٢٤ . وفي سنة ١٨٢٤ ايضاً اصبح الوكيل

السياسي في جزيرة العرب التركية خاضعاً ــ في بعض الاعتبارات ــ لمقيم بوشهر واصبح عليه ان يلتزم بتعليماته في كل المشكلات التي تتعلق بالنشاط البحري على الساحلين العربي والايراني ، كما امر أيضاً بأن يقدم اليه نسخاً من كل المراسلات التي يحررها ، ولكنه فيما يتعلق بأمور العراق التركي ظل حراً في العمل ، ملتزماً بقيد واحد فقط هو انه دون موافقة مقيم بوشهر لا يستطيع ان يتخذ خطوة تكون لها اثار عامة على المصالح البريطانية في منطقة الخليج . وبعد سنة ١٨٢٨ كان الوكيل السياسي في العراق التركي يقيم احياناً في بغداد حيث يمكنه تصريف الشئون السياسية بيسر اكثر مما لو كان في البصرة ، ومن سنة ١٨٣٢ وصاعداً يبدو لنا ان بغداد قد اصبحت هي المقر الرئيسي بشكل منتظم وبلغت التكاليف الفعلية للوكالة السياسية في جزيرة العرب التركية مبلغ ٦٠,٠٦٨ روبية عن السنة من ١ فبراير ١٨٢٨ الى ٣١ يناير ١٨٢٩ وكانت ما تزال في البصرة . وكانت هذه المصاريف تشمل اجور العاملين بها واجر ضابط عسكري بريطاني كان مسئولا عن حراسة الوكالة ... وطبيب جراح يعمل بها ايضاً .

لقد كانت لمقيمية بوشهر ، بالنظر الى المهام العديدة التي كان على المقيم المسئول فيها ان يؤديها حيال مكافحة القرصنة شهرة واهمية أكثر من الوكالة السياسية في العراق التركي التي كانت خاضعة لبوشهر في عدة اعتبارات كما راينا .. غير ان راتب المقيم في بوشهر لم يكن يختلف عن راتب سواه من المسئولين في البصرة او بغداد . فقد كان الملازم ماكلويد ــ الذي مات بالحمى سنة ١٨٢٣ بعد سنة من تعيينه ــ يتقاضى بدل سفر قدره ٥٠٠ روبية في الشهر اثناء الفترات التي كان فيها بعيداً عن مقره الرسمي وذلك بهدف تشجيع المقيم على ان يقوم برحلات خاصة الى موانىء المشايخ الموقعين على معاهدة ١٨٢٠ . وكان كولونيل ستانوس الذي خلف الملازم ماكلويد يتقاضى راتباً شهرياً قدره ١٥٠٠

روبية الى جانب مصاريف ضيافة قدرها ٦٠٠ روبية . وفي نوفمبر ١٨٣١ – وبناء على اوامر صادرة عن مجلس مديري شركة الهند الشرقية بأن يعهد بالمقيمية الى موظف من المكتب المدني – عهد بها الى مستر بلين الذي كان يتقاضى – بشكل شخصي – راتباً قدره ٢٨٠٠ روبية في الشهر . وقد حل مستر بلين محل دكتور ماكنيل في مكتب بومباي الطبي ، واصبح هذا الموظف فيما بعد في منصب عال وزيراً بريطانياً مفوضاً في طهران . وقد بلغت مصاريف مقيمية بوشهر عن السنة المنقضية من ١ مايو ١٨٢٩ الى ٣٠ ابريل ١٨٣٠ مبلغ ٧٨,٥٢٤ روبية ، وفي بوشهر كما في العراق التركي كان يرئس حرس المقيمية ضابط بريطاني ، وكان بها ايضاً طبيب مدني ، ومما هو جدير بالملاحظة انه ما بين سنة ١٨٢٣ و ١٨٣٤ كانت وظيفة المبعوث البريطاني الى طهران تتم بترشيحات من حكومة الهند ، دون الحكومة البريطانية ، وقد عين اولا سير ج. ماكدونالد كينير ثم سير ج. كامبل ، وربما يرتبط بهذا التغيير بالخطة التي اقترحها مجلس المديرين في سنة ١٨٣٤ بتخفيض الانفاق السياسي في منطقة الخليج وذلك بخفض درجة المسئول في بوشهر من مقيم الى مساعد للمبعوث البريطاني في طهران ، على ان يظل لذلك المساعد حرية التصرف (الى جانب حريته في ان يكتب مباشرة الى حكومة بومباي في حالة الضرورة) في المشكلات الخاصة بدول الخليج العربية . غير ان حكومة بومباي احتجت احتجاجاً شديداً على هذا الاجراء الشاذ الذي كانت ترى انه سيؤدي بالضرورة الى ترشيح موظفين قليلي الخبرة في ذلك المنصب الدقيق .. منصب ممثل المصالح البريطانية في بوشهر ، وهو منصب ستزداد المصاعب أمامه عند تطبيق ما كان الحاكم العام في الهند ينوبه من نقل مهمة الاشراف على السلم البحري من البحرية الهندية للبحرية الملكية البريطانية . وكانت حكومة بومباي لا ترى فائدة من ربط القبائل العربية حتى بإشراف غير مباشر للمبعوث البريطاني

في طهران . كما كانوا زاهدين في قبول مسئولية مجـــــزأة تنشأ عن تقارير يرفعها المسئول في بوشهر عن قضايا حوادث العرب في الخليج الى المبعوث في طهران . ورغم هذه الاعتراضات من جانب حكومة بومباي ، فقد تم تنفيذ المشروع المقترح .

ولم تكن بعد قد ماتت فكرة اقامة قاعدة بريطانية على جزيرة في الخليج ، رغم التجارب الحزينة السابقة التي عانتها الحامية البريطانية في قشم ، وفي سنة ١٨٢٧ ، وكنتيجة حتمية للاضطرابات التي حدثت مؤخراً في بوشهر ، صدرت الاوامر لميجور ويلسون المقيم في بوشهر بأن يتفقد عدة اماكن في الخليج يمكن ان تصلح عند الضرورة مقراً لمقيمية بريطانية ويرفع تقريراً بذلك . فاوصى المقيم بجزيرة خارج ، وايد هذه التوصية سير ج. مالكولم حاكم بومباي الذي ظل أكثر من عشرين عاماً يوصي باحتلال بريطانيا تلك الجزيرة . لكن لجنة مالية مدنية كانت قـــد عينت سنة ١٨٣٠ للتحقيق في الشئون المالية للهند البريطانية اوصت برفض فكرة احتلال خارج لانها ستزيد من مصروفات الهند ولا تقللها . وتأيدت وجهة نظر أعضاء هذه اللجنة بتقرير لنائب المقيم في سنة ١٨٣١ اوضح فيه انه بينما يمكن تخفيض النفقات المدنية بمقدار نصف لاك من الروبيات كل سنة باحتلال جزيرة خارج ، الا ان المصروفات العسكرية ستزداد بذلك الاحتلال بمقدار لاكين من الروبيات ، منها لاك ينفق على المنشآت الجديدة التي لا بد منها ، ولاك آخر ينفق على اصلاح هذه المنشآت وترميمها . ومرة اخرى وضع مشروع احتلال جزيرة خارج على الرف .

أما امكانية دمج مقيمية بوشهر والبصرة او بغداد التي كانت موضع نظر سنة ١٨١٠ ، ونفذت موقتاً بعد ذلك بقليل ، او كاد يعاد تنفيذها في سنة ١٨٢٢ فظلت موضع النظر حتى وافقت عليها اللجنة المالية مؤيدة بذلك موقف حكومة الهند ، لكن مجلس مديري شركة الهند الشرقية

حين رفع اليه امر اعادة كامل التنظيم الاداري في منطقة الخليج سنة ١٨٣٤ قرر أنه بالنظر للموقف السياسي في الشرق الاوسط فان الغاء المقيمية المنفصلة في منطقة جزيرة العرب التركية امر ليس عملياً في ذلك الوقت على الاطلاق .

تغييرات ادارية ١٨٣٥ :

وفي سنة ١٨٣٥ ، وهي السنة التي تم فيها اعادة تحويل مسئولية الاشراف على المصالح البريطانية في منطقة الخليج من حكومة الهند الى الحكومة الام ، وعين فيها مستر هـ. اليس كسفير بريطاني في طهران ، اصبح الممثل السياسي البريطاني في العراق التركي الذي ظل منذ سنة ١٨٠٦ (باستثناء فترة انقطاع دامت من ١٨٠٨ الى ١٨١١) خاضعاً لحكومة بومباي ، يخضع الآن مباشرة لحكومة الهند . وكان وضع المقيم في بوشهر هو هذا الوضع بالفعل . وهكذا اصبحت كل المنشآت البريطانية القائمة في منطقة الخليج اعتباراً من ذلك التاريخ تخضع مباشرة لسيطرة حكومة الهند(١) ، وفي سنة ١٨٣٥ اقترح الغاء وظيفة مساعد المقيم في بوشهر ، لكن هذا الالغاء ارجىء ، ثم عدل عنه فيما بعد .

المسح البحري والنهري ١٨١٠ — ١٨٣٦ :

وخلال الفترة التي نحن بصددها ، تم أول مسح بحري منظم لمنطقة الخليج ، وكانت هناك خرائط من النوع الذي يرشد السفن في الخليج مستخدمة منذ سنة ١٧٨٥ . وقد قام الملازم جون ماكلويد ، وهو مساح في بحرية شركة الهند الشرقية لم يأخذ هذا الفن عن احد ، بعمل دؤوب استمر ثلاث سنوات في تصحيح تلك الخرائط وكانت نتيجة هذا

---

(١) كانت المراسلات ، على أى حال ، ترسـل مختومـة عن طريق حكومة بومباى ، ولم ينتقل الاشراف الكامل الى حكومة الهند الا في سنة ١٨٧٣ .

التطوع من جانبه اعداد خريطة كبيرة لكل الجانب الشمالي الشرقي لهذا البحر ولشط العرب صعوداً حتى البصرة ، الى جانب إعداد مذكرة وافية عنه ، وخرائط تفصيلية لموانىء مسقط والبصرة وغيرهما ، ولكن ظل الجزء الجنوبي الغربي من الشواطىء العربية للخليج مجهولا الى حد كبير ، بحيث انه في سنة ١٨١٠ وحين صدرت الاوامر لقواد الحملة البريطانية على القواسم،كانت الخريطة الوحيدة المتوفرة لدى حكومة بومباي هي « تخطيط طوبوغرافي » قام به رجل اسمه السيد تقي ، يحدد على وجه التقريب مواقع ثماني او تسع موانىء للقراصنة جنوب غرب رأس الخيمة . وفي سنة ١٨١١ ارسل ضابط مساح على ظهر سفينة شركة الهند الشرقية « بنارس » في جولة بالخليج.. لكن طبيعة المهام التي كانت هذه السفينة مكلفة بها جعلت قيامه بعملية مسح منظم امراً مستحيلا. وفي سنة ١٨١٥ اصدر مجلس مديري الشركة الهند الشرقية اوامره بضرورة اجراء مسح منظم للمنطقة . غير ان خطر القراصنة جعل تنفيذ هذه الاوامر مستحيلا مرة اخرى . وفي سنة ١٨١٧ اعد الملازم تانر من بحرية بومباي مذكرة مرفق بها مسح لشواطىء اللؤلؤ في جزر البحرين مع مذكرات تفصيلية عنها ، ولكن لم يتم مسح منظم وسليم للمياه الجنوبية والغربية في الخليج الا بعد الحملة على القواسم سنة ١٨٢٠ . وبدأت عملية المسح من منطقة رأس مسندم وتولاها الكابتن ب . موجان على السفينة « ديسكفورى » يعاونه الملازم ج. م. غاي على السفينة « سايكي » ، ونجح الملازم غاي في عملية المسح حتى وصل بها في نوفمبر سنة ١٨٢١ الى حدود قطر ، وفي فبراير سنة ١٨٢٣ تولى مكانه الملازم ج. ب. بروكس واتم هذا مسح الشاطىء العربي في سنة ١٨٢٥ ، وبدأ العمل في اوائل سنة ١٨٢٦ على الشاطىء والجزر الايرانية وظل طوال السنتين التاليتين يعمل في هذا المشروع . وفي سنة ١٨٢٨ بدأت عملية المسح تحت قيادته في خليج عمان ، ثم اتمها الملازم س. ب. هنيس من

ساحل مكران الى كراتشي في سنة ١٨٢٩ ، وكان الساحل المواجه من عمان قد تم مسحه من قبل حتى مسقط . وكانت عملية المسح البحري لمنطقة الخليج — نظراً لصغر السفن المستخدمة — عملية مرهقة ومؤلمة الى ابعد الحدود .. وقد مات عدد كبير من القائمين بهذه العملية او ساءت صحتهم كثيراً نتيجة المناخ والصعوبات التي واجهوها .

وتجد في مكان آخر من هذا الكتاب وصفاً لاعمال المسح لخدمة الملاحة في العراق التي قامت بها بعثة الكولونيل شيزني سنة ١٨٣٦ .

تاريخ الخليج من استتباب الامن فى البحار بشكل نهائى حتى اقامة مواصلات تجارية وبريدية منتظمة ١٨٣٦ ـ ١٨٦٢

تميزت الفترة التالية لتوقف اعمال القرصنة في منطقة الخليج بانتقال هذه المنطقة — ببحارها وشطآنها — من حالة الغموض البدائي الذي كان يكتنفها منذ اتصالها بالبريطانيين الى حالة التحضر النسبي التي تتمتع بها اليوم ، وقد اسهمت في احداث هذا التغيير نشاطات السلم والحرب ومتطلبات التجارة والديبلوماسية والاستراتيجية العسكرية .

صراع السياسة البريطانية والروسية فى ايران وافغانستان حتى سنة ١٨٤٢

أشرنا من قبل الى الاهتمام الذي كان يوليه القائمون على مصالح الهند البريطانية من ضباط بحريين وعسكريين ومسئولين سياسيين لنشاط روسيا فيما وراء حدود منطقة القوقاز وبحر قزوين .

أهداف السياسة البريطانية والروسية في ايران وافغانستان :

وكانت الخطة التي يبدو ان روسيا تحاول تنفيذها هي كسر الحائط المتمثل في مملكتي ايران وافغانستان والمغلق لسائر الطرق المفضية من اراضيها الى الهند البريطانية . وكانت السياسة الروسية حريصة على ان لا تحاول تنفيذ مآربها بسرعة او وضوح اكثر من اللازم . لكن الشك في ان روسيا كان لديها مثل هذه الخطة هو تجاهل لدلائل واضحة كثيرة، واتهام لذكاء السياسيين المسئولين عن السياسة البريطانية في الشرق ، وعن الاصرار على تلك السياسة.ومحتمل انه لم تكن لدى السياسيين البريطانيين ولا الروس فكرة واضحة انذاك عن الصعوبات الطبيعية والسياسية التي تضمها هذه المنطقة الواسعة البدائية غير المتحضرة التي تفصل بين حدودهما .. فلم يكن احد يعرف عن هذه المنطقة المترامية شيئاً عن خبرة عملية،اللهم الا ما جاء نتيجة جولات قام بها بعض الأفراد من الرحالة المغامرين . وكانت خطة كل من الطرفين هي موالاة الضغط على خصمه من اجل الاستئثار بالنفوذ السياسي واحباط وسبق خطط منافسة وبينما كان محور العمل الروسي هجومياً فان بريطانيا كانت تتوسل لاغراضها بوسائل دفاعية .

مناقشات حول موضوع السياسة البريطانية في ايران حتى سنة ١٨٣٦ :

وفي سنة ١٨٣٤ سافر دكتور ماكنيل طبيب السفارة البريطانية

بطهران الى انجلترا وبدأ هناك حملة صحفية كبيرة عن خطط التوسع الروسي في آسيا اثارت اهتماماً واسعاً . وعاونه في هذه الحملة رحالتان هما مستر اركورهات ومستر بيلي فريزر ، وقد ظل الاخير فترة بعد ذلك يعمل « كمستشار شرقي » في وزارة الخارجية البريطانية . وقبل ان يعود دكتور ماكنيل الى طهران — وكان قد عين وزيراً مفوضاً بها — نشر كتيباً بعنوان « تقدم روسيا في الشرق » قرر فيه انه من مصلحة السياسة البريطانية ان تحافظ — بأي ثمن مهما كان — على استقلال ايران وتكامل حدودها .

السبب المباشر للازمة الروسية ، البريطانية في ايران ١٨٣٤–١٨٣٦ :

وكان السبب الرئيسي الذي ادى الى طرح قضية روسيا على مستوى الرأي العام ، بعد ان كان وجودها بشكل متستر منذ سنة ١٨٢٨ ، بل حتى منذ سنة ١٨٠٤ ، تولي محمد شاه عرش ايران في سنة ١٨٣٤ ، وكان سلوكه يوحي بتبعيته او امكان تبعيته للسياسة الروسية . وكان فتح علي خان — رغم معاهدة تركمانشاي — يعارض اقامة بعثة روسية دائمة في طهران حتى آخر يوم من حياته ، غير ان حفيده كان اكثر منه تساهلا ، فقد بدا عليه انه يستشير السفير الروسي ، بعد ان عين في بلاطه سفير دائم لروسيا ، بمثل الانطلاق والثقة اللذين كان يتعامل بهما مع السفير البريطاني . ومحتمل ان تكون الحكومة البريطانية قد شجعت ابناء عمومة الشاه ، وهم ابناء حكام فارس ، على ان يصبحوا منافسين على العرش ، وربما أدى استقبالهم الحافل في انجلترا سنة ١٨٣٥ لخلق آثار سيئة في نفس الشاه ، مما ساهم في تنفيره أكثر واكثر عن بريطانيا .

الحملة الايرانية على هـراة ، واحتلال بريطانيا لجزيرة خارج ١٨٣٧ — ١٨٣٨ :

ويجد القارىء تفصيلات عن مدى نفوذ بريطانيا وروسيا في بلاط الشاه ، واختلاف موقف الدولتين من خطة الشاه حيال هراة في الفصل

الخاص بتاريخ الساحل والجزر الايرانية . لقد كان النفوذ الروسي في الاوج وقد ايد الروس فكرة قيام ايران بحمله على هراة ، وكانت هذه المدينة وما حولها جزءاً من افغانستان .. لكنها كانت امارة مستقلة ، يحكمها فرع من اسرة سادوزاي .. ولم يكن يبدو ان هذه الامارة ستستسلم دون بذل جهد عسكري كبير من جانب ايران . ولو ضمت هراة الى ايران ، فسوف تضحي بحكم الامر الواقع تحت نفوذ روسيا . وقد تصبح قاعدة لتنفيذ السياسة الروسية في تخطيطها البعيد ضد افغانستان ، واذا فشلت ايران في ضمها اليها فستضعف وقد تسقط تماماً في ايدى الدولة الاجنبية صاحبة النفوذ الاقوى في عاصمتها . وعلى أي الاحوال ، فلم يكن امام بريطانيا بد من ان تعارض كل تدخل من جانب ايران في أفغانستان .. ولا بد لها بالتالي من ان تقف من الشاه موقف المعارضة ، وقد حاول النفوذ البريطاني بكل الوسائل منع الحملة علي هراة ولكنه فشل ، غير ان الاحتجاجات البريطانية توقفت آخر الامر وحالت دون الشاه وتنفيذ خطته لا سيما حين قامت قوة من الهند باحتلال « خارج » في الخليج (١) .

وربما اسهمت في ذلك ايضاً الاشاعات التي تناثرت عن استعداد بريطانيا لغزو افغانستان .

بعثة بيرنز الى كابول والحرب الافغانية الاولى ١٨٣٧–١٨٤٢ :

ولم يكن لتطور الاحداث في افغانستان علاقة مباشرة تماماً بامور الخليج . ورغم ذلك يجدر بنا ان نشير اليه ، في سنة ١٨٣٧ ارسل لورد اوكلاند

---

(١) انظر ، سير هـ. رولينسون (انجلترا وروسيا في الشرق ، ص ٥٩) وهو يشك في وجود أى ارتباط حقيقى بين احتلال بريطانيا لجزيرة خارج وانسحاب ايران من هراة ، ولكنه في هذا التساؤل يخالف جميع الثقات الذين تناولوا الموضوع. ولا يمكننا أن نشك – من الناحية الاخرى – في أن طبيعة الدفاع الذى أوصى به بوتنجر كان عاملا هاما أكثر فعالية من أى عامل آخر في احباط خطط الغزو الايرانى لهراة .

حاكم عام الهند الملازم بيرنز ، الذي اصبح لاحقا سير الكسندر بيرنز الى كابول ، ليبدأ مفاوضات مع دوست محمد خان الحاكم الباركازي في شمال شرقي افغانستان .. لكن هذه البعثة البريطانية فشلت في تحقيق هدفها لغير اعتبار واحد . في حين ان بعثة روسية صغيرة غير رسمية يرئسها ضابط برتبة صغيرة يدعى فيكوفتش ، تخلت عنه حكومته لاحقاً وانتحر ، استطاعت ان تحقق بعض النجاح في كابول . لكنه كان نجاحاً موقتاً . وقرر لورد اوكلاند بعد ذلك ان يطيح بحكم امير كابول ، ويحل محله شاه شجاع ، وهو حاكم سابق لافغانستان ينتمي الى اسرة سادوزي المالكة وكان مقيماً في الهند لسنين طويلة كلاجىء سياسي وسجين لدى السلطات البريطانية ، وحدث غزو بريطاني لافغانستان أعقبته الحرب الافغانية الاولى (١٧٣٨–١٨٤٤) التي أدت الى احتلال كابول وبعض المواقع الافغانية ، واستسلام دوست محمد خـان ثم نفيه الى الهند . ولكنها انتهت بكارثة .. فتجددت الاشتباكات العسكرية مرة أخرى بهدف استعادة هيبة الجيوش البريطانية في الشرق . واستطاعت بريطانيا تحقيق هدفها الى ابعد الحدود لكنها عادت فتخلت عن فكرتها في ان تضع حاكماً من اسرة سادوزاي على شعب افغانستان .. وبعدها جلت القوات البريطانية عن البلاد واعيد دست محمد خان الى حكم كابول وما جاورها ، في حين ظلت قندهار وما حولها تحت حكم اعضاء آخرين من اسرة باركازي .. وضمت بعد ذلك بعدة سنوات الى حاكم كابول .

لقد اعتبرت الحرب الافغانية الاولى ، التي حوربت في ظروف متقلبة من جبهة شملت كامل عرض ولايتي البنجاب والسند المستقلتين غلطة سياسية فادحة ومنكرة(١) . وليس بعيداً على اي حال ، انه كان

(١) يقال ان دوق ولينجتون كان من أشد نقاد تلك السياسـة وأعظمهم شجبا لها .

بالامكان في وقت ابكر استنفار حملات صغرى متلاحقة لصد تآمر روسيا في افغانستان .. لكن المبدأ الاول الذي من اجله قامت تلك الحرب وهو ابغاد النفوذ الروسي عن الهند ، كان مبدأ سليماً ، كما انه يمكن المجادلة بأن الخبرة العسكرية والمعرفة السياسية اللتين افادهما الانجليز كان لهما اثرهما الايجابي لدى تجدد الصراع المرهق الدامي مرة اخرى في ١٨٣٨ — ١٨٤٢ .

استمرار التوتر ، وعقد تسوية نهائية بين بريطانيا وايران ١٨٣٨ — ١٨٤١ :

ولنرجع الآن الى ايران . ان انسحاب القوات الايرانية دون الوصول لهراة لم ينه التوتر القائم بين ايران وبريطانيا .. فقد كان للحكومة البريطانية كثير من الشكاوى الاخرى من حكومة الشاه الى جانب الحملة على هراة . وفي هذه الحالة المائعة غير المحددة للعلاقات بين البلدين سهل ظهور مشاكل اخرى .. منها مشكلتان خرجتا الى الوجود نتيجة أحداث بوشهر ولم يحدث ان اظهر الشاه موقفاً تصالحياً الا في اواخر سنة ١٨٣٩ حين فشلت البعثة التي اوفدها الشاه الى اوروبا واتصلت بمسئولين عديدين عن الشئون الخارجية الى جانب المسئولين في لندن . وفي سنة ١٨٤١ فقط تم توقيع تسوية مرضية بين البلدين تضمنت معاهدة تجارية بينهما وكانت هذه المعاهدة ترفض باصرار قبل ذلك من جانب الشاه ، وبعدها فقط استطاع الوزير الايراني العودة الى طهران التي كان قد غادرها ، وجلا الانجليز عن جزيرة « خارج » اوائل سنة ١٨٤٢ ، بعد ان رفضت الحكومة البريطانية اقتراحاً سابقاً بشراء تلك الجزيرة لئلا توفر بعملها حجة لروسيا لوضع يدها بنفس الطريقة على اماكن أخرى في الشمال .

انتهاء معارضة روسيا لبريطانيا سنة ١٨٣٨ :

وحين لم يبد كبير أمل في نجاح مخططات روسيا ، بدأ الاتجاه العدائي

من جانبها تجاه بريطانيا وايران وافغانستان في التراخي ، فجددت في سنة ١٨٣٨ تعهدها الذي قدمته للمرة الاولى في سنة ١٨٣٤ — بعدم العدوان على ايران — وبعدها صرح وزير روسي بأن القيصر قد نصح للشاه باجابة مطلب بريطانيا للصلح . ورغم ذلك ، ظلت الحكومة الروسية على اعتقادها بأن ثورة آغا خان ضد الشاه في ١٨٣٨—١٨٣٩ قد رسمت خطوطها في بومباي ، وان الرحالة البريطاني لايارد كان هو المسئول عن تمرد زعيم قبيلة بختياري سنة ١٨٤٠ — ١٨٤١ ، وقد اعطت كارثة الانجليز في كابل في نهاية سنة ١٨٤١ فرصة طيبة لروسيا لاستئناف سياستها تجاه ايران وافغانستان . لكن اتساع العمليات العسكرية البريطانية في افغانستان قدبهرتها ، كما تعلمت ايضاً من فشل البريطانيين الظاهري : هذا الى جانب انها كانت مرهقة في ذلك الوقت بعدد من المشاكل الداخلية في القوقاز وخيوه .

واثناء ما تبقى من عهد محمد شاه ، تعاونت روسيا وبريطانيا بالفعل في تحديد الحدود الايرانية — التركية ، ولدى موته ، تعاون ممثلا البلدين ايضاً في الحيلولة دون الخلاف على وراثة عرشه .

محاولات انشاء اتصال بين الخليج والبحر المتوسط وفتح طريق العراق التركى ١٨٣٧ ـ ١٨٦١

قبل نهاية الفترة السابقة ، كما اشرنا قبلا ، أعدت حملة تحت قيادة الكولونيل شيزني على نفقة حكومة صاحبة الجلالة وشركة الهند الشرقية بهدف احتمال انشاء اتصال بين اوروبا والهند بواسطة البواخر في دجلة والفرات . وكان من السمات المميزة لذلك العصر ان مثل تلك الخطوة من شأنها تقوية تركيا وايران ضد روسيا . وقد فشلت تجربة كولونيل شيزني العظيمة ، ولكن لم يتخل المسئولون عن خطة اقامة الاتصال المذكور .

جهود فاشلة من جانب شركة الهند الشرقية لاستخدام دجلة والفرات كطرق لبواخر اسطولهم الصغير المسلح ، والمحطة البريطانية في بغداد ١٨٣٧ ـ ١٨٤٢ :

وقد تم نقل باخرة بقيت من حملة كولونيل شيزني الى شركة الهند الشرقية في اوائل سنة ١٨٣٧ واضافت هذه اليها ثلاث سفن تجارية أخرى صالحة للعمل في الأنهار وكلها من الحديد ومسلحة تسليحاً كافياً ، ووضعت بعد ذلك في انهار العراق التركي . لكن هذا الاسطول الصغير الذي لم يبد ان وجوده ازعج الباب العالي الغي في صيف سنة ١٨٤٢ . وقد اثبت الفحص الدقيق لنهر الفرات من البصرة الى مسكنة الذي قامت به باخرتان من بواخر ذلك الاسطول عدم صلاحية النهر للملاحة البواخر التي من حجمها . وقد احتجزت واحدة من سفن الاسطول في نهر دجلة لتصبح يخت نزهة للوكالة السياسية البريطانية في بغداد . وقبل ان يعود معظم تلك السفن الى الهند ، قامت ايضاً باستكشاف الاجزاء السفلى من أنهار قارون ودجلة والفرات .

موضوع حقوق بريطانيا في الملاحة التجارية في دجلة ١٨٤٥–١٨٤٦ :

وقد أدى وجود بواخر شركة الهند في انهار العراق التركي الى انبعاث فكرة الملاحة التجارية للسفن الخاصة . وبدأ التجار البريطانيون في بغداد دراسة الامر . غير انهم لم يستطيعوا اتخاذ خطى عملية فيه مباشرة ، لكن نواياهم ادت الى زيادة الاهتمام بمشكلة ظهرت في سنة ١٨٤٥ حول حقوق السفن البريطانية بالملاحة في الميناء الداخلية لما بين النهرين تحت العلم البريطاني . وفي سنة ١٨٤٦ تكللت بالنجاح جهود سفير صاحبة الجلالة في القسطنطينية للحصول على خطاب من وزير الباب العالي يسمح فيه للسفن التي يملكها البريطانيون — دون تمييز — باستمرار الملاحة في دجلة والفرات وهي ترفع اعلامها الوطنية كما كان الشأن في الماضي .

مشروع مقترح لاقامة خط حديدي في وادى الفرات ١٨٥٦–١٨٥٧ :

وفي سنة ١٨٥٦ — ١٨٥٧ ، وبموافقة حكومة صاحبة الجلالة ، وتأييد شركة الهند الشرقية تكونت شركة بريطانية لانشاء سكة حديد وادي الفرات لربط البحر المتوسط بالخليج ، بل وحصلت الشركة ايضاً من الباب العالي على اذن ببدء عملها . وبعدها حاول القائمون على المشروع — ومن بينهم مستر اندرو صاحب فكرة المشروع والكولونيل شيزني ، قائد حملة ما بين النهرين في سنة ١٨٣٥–١٨٣٧ الحصول على ضمان مالي لمشروعهم من الحكومة البريطانية القائمة وقتذاك . لكنهم فشلوا في الحصول على مثل ذلك الضمان فضاع عليهم امتياز المشروع .

ويجب ملاحظة ان هذا لم يكن اول مشروع لخط حديدي يربط البحر المتوسط بالخليج ، فقد سبقه مشروع آخر حوالي سنة ١٨٤٠ .

وفي سنة ١٨٦١ نزلت الى مياه العراق التركي الباخرة « سيتي اوف لندن » اول باخرة تقوم بنشاط تجاري في مياه دجلة ، وكان يملكها السادة

لنش وشركاه ، وهي مؤسسة بريطانية في بغداد ، لها شركاء آخرون باسم شركة الملاحة البخارية في دجلة والفرات ، شركة مساهمة محدودة . ولما كان خطاب وزير الباب العالي لسنة ١٨٤٦ لا يكفي ضماناً لاستثمار رؤوس اموال كبيرة في هذا المشروع . فقد قام سفير صاحبة الجلالة في القسطنطينية بجهود كثيرة للحصول على امتياز دائم او فرمان للملاحة البخارية باسم الشركة ، وتم الحصول على وثيقة ، لكنها لم تكن الهدف المنشود ، فلم يكن فيها شيء جديد سوى انها اضافت مزيداً من الخلط والتشويش فيما يتعلق بمشكلة حقوق البريطانيين في الملاحة الداخلية بأنهار العراق .

لقد كان لاتساع شمول الدور الذي قام به البريطانيون لفتح العراق التركي للملاحة ، الى جانب عمليات المسح والاسكشاف التي سنشير لها لاحقاً من التأثير ما ركز في أذهان المسئولين البريطانيين المحليين في ذلك الوقت ان ينظروا الى العراق التركي كما لو كان تقريباً اقليماً تشمله الحماية البريطانية .

اضطراب التوازن السياسى فى منطقة الخليج نتيجة مؤثرات فى وسط الجزيرة العربية ١٨٣٩ ـ ١٨٥٣

خلال هذه الفترة التي نتعرض لها الآن ، اصبحت منطقة وسط الجزيرة بؤرة تمتد منها اشعاعات الاضطراب السياسي الى مختلف مناطق الخليج .

الاعتداءات من جانب مصر ١٨٣٩ ـ ١٨٤٠ :

فتوسع مصر الذي بدأته سنة ١٨٣١ اخذ يهدد المناطق المتاخمة للخليج تهديداً خطيراً ابتداء من سنة ١٨٣٩ ، برغم الضمان الذي قدمه محمد علي لممثل بريطانيا في القاهرة بأن فتوحاته لن تتقدم نحو الشرق . ففي سنة ١٨٣٨ اكتسحت القوات المصرية نجد ، وجعلت عليها اميراً يتبع القاهرة ، وفي نهاية نفس السنة ، او اوائل السنة التالية ، اكتسحت القوات المصرية اقليم الاحساء وموانيه، واقيمت وكالة سياسية مصرية في الكويت ، ربما كموقع امامي في اتجاه العراق التركي . وسرعان ما كشفت اعمال قائد القوات المصرية في نجد ان هدفه كان اخضاع البحرين وعمان المتصالحة وسلطنة عمان جميعاً وضمها الى مصر .

وقامت حكومة الهند من جانبها ، وهي مدركة بأن توسع محمد علي في تركيا الغربية امر لا ترضى عنه حكومة صاحبة الجلالة ، باصدار اوامرها الى قائد البحرية في جزر الهند الشرقية ، والمقيم العام في الخليج باحباط خطة القوات المصرية . وصدرت الاوامر بتولي القوات البحرية الدفاع عن جزر البحرين كما شجع البريطانيون قبائل ومشايخ عمان المتصالحة للوقوف في وجه المعتدين ، بل وقام ضابط بريطاني بزيارة البريمي ليشجع بني نعيم المقيمين هناك في عدائهم للمصريين . وتم تحالف بين سيد عمان وقريبه حاكم صحار لمقاومة العدوان المصري ، لكن بعض الرؤساء المحليين ـ ومن بينهم مشايخ البحرين وابو ظبي ـ كانوا

مترددين متخوفين يودون الخضوع للمصريين الذين يتصورونهم لا يغلبون لانهم استطاعوا هزيمة الوهابيين ، بل ان شيخ البحرين قد دخل سراً في مفاوضات مع القائد العام انتهت بأن رضي بدفع الجزية لحكومة القاهرة .

وفي ربيع سنة ١٨٤٠ كان البريطانيون على وشك ان يحاصروا اقليم الاحساء ، حين قام المصريون — نتيجة الضغط والالزام من جانب بريطانيا وغيرها من الدول الاوربية في البحر المتوسط — بالانسحاب من الاحساء ونجد ، وانتهى جو الاثارة والاضطراب الذي اثاره وجودهم على الساحل الشرقي لجزيرة العرب .

وتراكمت المشكلات في ١٨٣٩ — ١٨٤٠ ، علاقات غير مؤكدة مع روسيا ، حرب كبرى في افغانستان ، ازمة ديبلوماسية مع ايران ، عدوان مصري في الشام والخليج . ولا بد ان هذا كله كان يربك الحكومة البريطانية ، ولا يمكن لاحد القول الا انها واجهت ذلك الموقف مواجهة شجاعة ناجحة .

اعتداءات الوهابيين ١٨٤٤ — ١٨٥٣ :

فبعد انسحاب المصريين ، تابع الوهابيون سياستهم نحو الامارات العربية في منطقة الخليج ، غير ان اعمال هؤلاء كانت اقل خطورة من المصريين بالنظر الى امكاناتهم المحدودة ، وتنظيمهم غير المحكم ، وجهلهم سياسة اوروبا .. وبالتالي فقد كانت الحكومة البريطانية تنظر لهم بشجاعة ولا مبالاة . وفي سنة ١٨٤٣ ابلغ بنو نعيم في البريمي أن بريطانيا لن تساندهم ، ضد الوهابيين كما ساندتهم ضد المصريين ، لكن نفوذ البريطانيين قد تدخل — على اي حال — ليمنع حرباً اهلية في البحرين (١٨٤٢ — ١٨٤٥) كانت على وشك ان توقع تلك الامارة في ايدي الوهابيين . وقد سمح لامير الوهابيين سنة ١٨٤٤ بأن يتملك الدمام عوضاً عن خسارته في البحرين ، وفي المدة من ١٨٤٥ الى ١٨٥٣ ظلت

البحرية البريطانية تقوم بمظاهراتها على الساحل العربي ويسرت لممثل السيد في عمان الحصول على افضل الشروط من وكلاء الوهابيين الذين كانوا يطلبون زيادة الجزية التي تدفعها مسقط ، وكان يبدو انهم مستعدون للوصول بالامور الى حد التطرف .

اتفاقية بين بريطانيا وشيخ البحرين ١٨٦١ :

وفي سنة ١٨٦١ أصبح من الضروري تقييد شيخ البحرين وارغامه على عدم القيام بعمل عدائي ضد ساحل الوهابيين . وانتهزت بريطانيا فرصة حدوث شبه قطيعة في العلاقات بينها وبين شيخ البحرين لترغمه على توقيع اتفاقية تدخل البحرين ضمن الامارات العربية الصغيرة التي تتطلع الى الحماية البريطانية ضد الهجوم من الخارج ، ومن اجل تسوية الخلافات البحرية فيما بينها ، والتي كانت تلزمها ايضاً بالا تكدر صفو السلم في البحار .

مشكلات ايرانية ـ تركية بينها الحدود وفترة التدخل الاوروبي ١٨٣٦ ـ ١٨٥٢

في بداية هذه الفترة التي نتعرض لها ، توترت العلاقات بين تركيا وايران على طول حدودهما المشتركة توتراً كبيراً ، واتخذت بريطانيا وروسيا ، حين هبطت حدة الشكوك المتبادلة بينهما بسبب المشكلات الايرانية والافغانية خطوات ايجابية للتدخل وارغام تلكما الدولتين الشرقيتين الكبيرتين على تسوية مشكلاتهما .

أسباب الخلاف بين تركيا وايران ١٨٣٦ ـ ١٨٤٣ :

وكان من الاسباب الرئيسية للمشكلات طبيعة حدودهما الغامضه ،

الى جانب احتلال الاتراك موقتاً للمحمرة في سنة ١٨٣٧ ، واحتلال الايرانيين الموقت للسليمانية في ١٨٤٠ ، وغارات الاتراك الانتقامية في اتجاه اقليم ارديلان سنة ١٨٤٢ ، والمذبحة التي ارتكبتها القوات التركية في كربلاء سنة ١٨٤٣ ، وقتل فيها ايرانيون كثيرون ... هذا الى جانب استمرار معاملة رعايا ايران معاملة سيئة واضطهاد مصالحهم في تركيا .

لجنة مشتركة ومعاهدة ثانية في ارضروم ١٨٤٣ — ١٨٤٧ :

وكان قد تم بالفعل تشكيل لجنة تركية ايرانية مشتركة مثلت فيها كل من روسيا وانجلترا كدولتين وسيطتين لتسوية كل المشكلات المعلقة بين البلدين حين وقعت مذبحة كربلاء . وبدا لفترة بعد هذه المذبحة ان الحرب بين الدولتين اتية لا مناص منها لولا ان مبعوثاً بريطانيا الى كربلاء يمثل روسيا ايضاً — استطاع ان ينجح في تلافي تلك الازمة بسلام . وعقدت اللجنة المشتركة اجتماعاتها في ارضروم خلال ١٨٤٣ — ١٨٤٤ ، وبعدها استكملت المفاوضات في اوروبا نتيجة اصرار المندوب التركي في اللجنة .

وفي سنة ١٨٤٧ تم توقيع معاهدة ارضرورم الثانية التي حلت سائر خلافات البلدين من حيث المبدأ ، لكنها تركت معظم المسائل التفصيلية لتسويات في المستقبل . وقد اقتضى الحال تقديم ضمانات من السفيرين الروسي والبريطاني في القسطنطينية قبل ان يوقعها المسئولون في الحكومة التركية .

محاولة لتعيين الحدود التركية — الايرانية ١٨٤٨ — ١٨٥٢ :

ثم بذلت محاولة اخرى ، عن طريق لجنة مشتركة جديدة حضرها أيضاً مندوبون عن بريطانيا وروسيا ، لتحديد الحدود الايرانية التركية على الطبيعة ، لكنها لم تستطع ان تحقق نجاحاً يذكر . ومرة أخرى كان السبب هو عناد المندوب التركي وعدم مرونته . وفي سنة ١٨٥٢ انفضت

تلك اللجنة دون ان تحقق شيئاً اللهم الا جمع المعلومات ومسح الاقليم الذي يجب ان يقع به خط الحدود الايرانية–التركية .

وظلت معاملة حكومة العراق التركية لرعايا ايران على حالها السابق من السوء تقريباً رغم نصوص معاهدة ارضروم .

مصاعب بريطانية – ايرانية والحرب الانجلو – ايرانية ومعاهدة الصلح ١٨٥٣ – ١٨٥٧

وسرعان ما اعقبت المحاولات المبذولة من جانب بريطانيا وروسيا للحصول على معاملة افضل للايرانيين من تركيا ازمة ديبلوماسية وعسكرية بين روسيا وتركيا أدت الى ازمة بين روسيا وانجلترا ، ثم الى ازمة ثالثة بين انجلترا وايران .

الحرب الكرمانية ١٨٥٤ – ١٨٥٦ :

ولقد خلقت حرب القرم التي نشبت اساساً بسبب مطالب تعسفية روسية من تركيا توتراً شديداً في منطقة الشرق الاوسط وبذلت روسيا جهوداً كبيرة من جانبها – قبل تدخل بريطانيا وفرنسا في الامور – لاغراء ايران بالانضمام اليها ضد تركيا . وبدا وكأنما جهودها تلك ستكلل بالنجاح في وقت من الاوقات . وحيث كانت تساور تركيا آمال في السيادة على منطقة المحمرة كتلك التي تساور ايران في الاستيلاء على كربلاء والنجف ، فان تركيا ما كانت لتتوقى محاربة ايران ، ولا لتعتبر ذلك يزيد شيئاً الى حربها مع روسيا . غير ان مناورة بحرية صغيرة قامت بها السفن البريطانية المسلحة في منطقة الخليج وشط العرب في اوائل سنة ١٨٥٣ أدت الى حفظ السلام بين الدولتين المسلمتين ، بينما

ظلت حرب القرم ناشبة بين الدول الاوربية التي اشتركت فيها حتى سنة ١٨٥٦ .

مشكلة هراة وخلافات اخرى بين بريطانيا وايران ١٨٥٢–١٨٥٦ :

وفي نفس الوقت تقريباً عادت علاقات ايران وبريطانيا الى التفاقم نتيجة تجدد مطامع ايران في السيطرة على هراة ، وهي مطامع كان تحقيقها ما يزال يعتبر من وجهة نظر بريطانيا ضاراً بمصالح الهند البريطانية . وفي سنة ١٨٥٢ احتلت ايران هراة ، لكن بريطانيا استطاعت في سنة ١٨٥٣ ان تستدرجها الى عقد معاهدة تنسحب بمقتضاها من هراة ، وتتعهد بالا تعود الى العدوان عليها في المستقبل .

وفي سنة ١٨٥٤ – ١٨٥٥ كانت معاملة الحكومة الايرانية للوزير البريطاني المفوض في طهران معاملة مهينة الى ابعد الحدود ، ربما نتيجة فكرة لدى المسئولين الايرانيين ان بريطانيا قد انهكتها حرب القرم بحيث لن تقاوم تلك الاهانات .... وفي نهاية سنة ١٨٥٥ سحب الممثل الديبلوماسي البريطاني من ايران .

وفي سنة ١٨٥٦ عاد الايرانيون الى احتلال هراة ربما نتيجة عدم وجود ممثلين لبريطانيا في ايران ، وبسبب المشاكل التي كانت بريطانيا في ذلك الوقت تواجهها في اوروبا .

الحرب الانجلو–ايرانية ، ومعاهدة الصلح ١٨٥٦–١٨٥٧ :

وأعقبت ذلك حرب قصيرة حاسمة ، ساقت الهزيمة فيها ايران للجثو على ركبتيها ، وكان اتجاه الاتراك في هذه الحرب بسبب اماالهم في ان تؤول المحمرة اليهم اتجاهاً محايداً .. لكنه اميل الى صف بريطانيا .. وقد لوحظ ان انتصار بريطانيا الحاسم في هذه الحرب قد قوبل بالابتهاج في العراق التركي .. الى جانب انه زاد من هيبة بريطانيا وسمعتها هناك . وانتهت هذه الحرب بمعاهدة اعترفت فيها ايران باستقلال افغانستان ،

خاصة اقليم هيرات كذلك اعلنت قبولها لكل المقترحات التي يعرضها البريطانيون في الوساطة بينها وبين حاكم هراة . كما سوت هذه المعاهدة ايضاً سائر المشكلات المعلقة بين بريطانيا وايران سواء من حيث المبدأ أو من حيث التفاصيل .

التمرد الهندي ١٨٥٧ — ١٨٥٨ :

وهناك حدث التمرد الخطير في الهند سنة ١٨٥٧—١٨٥٨ . وباستثناء السحب السريع للقوات البريطانية من الميدان الايراني بعد ان انهت اعمالها فيه ، لم يكن لذلك التمرد اثر يذكر في منطقة الخليج .

النشاط الفرنسي في منطقة الخليج
١٨٣٦ - ١٨٦١

كانت فرنسا هي الدولة الاوربية الوحيدة الى جانب بريطانيا وروسيا التي لها مصالح في منطقة الخليج ، لكن نشاطها كان سطحياً بشكل عام ومقصوراً على فترة من ١٨٣٩ الى ١٨٤٨ . وقد امتنعت الحكومة الفرنسية في سنة ١٧٣٩ عن تأييد الشاه في مشكلاته مع الحكومة البريطانية ، لكن تلك المشكلات هيأت الفرصة لمبعوث للشاه ليضع معلمين فرنسيين بدل البريطانيين في الجيش الايراني . وفي نفس السنة — او في السنة التالية — ارسلت بعثة دبلوماسية فرنسية الى بلاط الشاه ، وفي سنة ١٨٤٠ كان في ايران عدد كبير من رجال الفن والدين الى جانب العسكريين من الفرنسيين . ورغم ان البعثة الديبلوماسية الفرنسية قضت عدة سنين في طهران ، الا انها فشلت في تحقيق هدفها الرئيسي الا وهو الحصول على تصديق على معاهدة تجارية . ويجب ان نذكر ان البريطانيين فقط هم الذين استطاعوا التوصل الى مثل هذه المعاهدة مع ايران بعد صعوبات جمة في سنة ١٨٤١ . كذلك هجر معظم المعلمين العسكريين الفرنسيين ايران بعد عشر سنوات من وصولهم ، ولكن في سنة ١٨٥٥ تم أخيراً توقيع معاهدة صداقة وتجارة بين فرنسا وايران ..

أما في سلطنة عمان فقد احرزت جهود الفرنسيين نجاحاً اسرع ، فاستطاعت عقد معاهدة تجارية معها في سنة ١٨٤٤ .

وفي الفترة من ١٨٤١ الى ١٨٤٨ اقحم المقيم الفرنسي العام في بغداد نفسه في امور كثيرة من الشئون الداخلية للعراق التركي خاصة ما كان منها متعلقاً بايران .. كما كانت ثمة دلائل أخرى ايضاً تشير الى ان فرنسا تهدف الى ان تكون لها مصالح سياسية ومادية مزدهرة في العراق التركي . وربما نتيجة تضارب السياستين البريطانية والفرنسية حيال مصر

وتركيا ، كان اتجاه الممثلين الفرنسيين في ايران وبغداد مصطبغاً بعداء البريطانيين وفقدان الثقة بهم . لكن نفوذ فرنسا على العموم — الا ما كان منه متصلا بمصالح كنيسة الروم الكاثوليك — لم تكن له جذور في الواقع المحلي ، وسرعان ما تبدد .

الاجراءات البحرية البريطانية فى منطقة الخليج
١٨٣٦ – ١٨٦١

خلال هذه الفترة التي نتعرض لها الآن ، ظل تنفيذ السياسة البحرية البريطانية ومهامها في منطقة الخليج ملقى على عاتق البحرية الهندية .

أول سفينة بخارية في منطقة الخليج ١٨٣٨ :

وكانت اول سفينة بخارية تزور منطقة الخليج هي السفينة التابعة للفصيل البحري الهندي ، « هيوليندسي » التي زارت ساحل عمان المتصالح في سنة ١٨٣٨ ، واحدثت اثراً مذهلا بين اهل المنطقة بمظهرها الاسطوري وحمولتها الضخمة .

العلاقة بين مركز المقيم السياسي وقائد الفصيل البحري الهندي١٨٤١ :

لعل خلافاً نشأ عن تحديد علاقة المقيم السياسي في الخليج بقائد الفصيل البحري الهندي هناك ، جعل حكومة الهند تصدر تعليماتها بهذا الصدد في اوائل سنة ١٨٤١ للمشرف على الفصيل البحري الهندي وكان،اهم ما جاء فيها : « وفي المقام الاول ، يعلن الحاكم الموقر ان سلطة المقيم هي السلطة الاولى في منطقة الخليج ، وتحت تصرفه يوضع الفصيل البحري الهندي المتواجد في اي وقت في الخليج الهندي لتنفيذ اية مهمة يأمره بها المقيم سواء اشتركت في هذا العمل كل سفن الاسطول او بعضها ، وليس لاحد سلطة على المقيم سوى سلطة واحدة هي حكومة الهند التي يعتبر هو ممثلها هناك .

« ومن الناحية الاخرى يكون القائد البحري المتواجد في الموقع مسئولا مسئولية كاملة عن كل التفاصيل الداخلية ، وحفظ النظام ، والتنظيم والمعدات اللازمة لكل سفينة تحت امرته » .

وأضاف خطاب الحكومة الى ذلك قوله بأنه ليس في هذه التعليمات

ما يحط من قيمة البحرية الهندية او استقلالها .. فهذا المقيم ليس في نهاية الامر سوى ممثل الحكومة ، ومن الضروري — للصالح العام — ان يقوم بين الطرفين تفاهم تام ومتبادل .

والنص التالي المأخوذ عن خطاب موجه من حكومة بومباي في اواخر سنة ١٨٤٣ الى المقيم في منطقة الخليج يلقي الضوء على الظروف الصعبة التي كان يتم فيها اداء الواجبات البحرية في ذلك الوقت .

أوامر متعلقة بحجز سفن البحرية الهندية ومنعها عن الحركة في منطقة الخليج ١٨٤٣ :

« وقد كلفت بابلاغكم ان المشرف العام على البحرية الهندية قد وضع مؤخراً تحت ملاحظة الحكومة المساوىء الناجمة عن احتجاز سفن البحرية الهندية في منطقة الخليج والبحر الاحمر لمدة تبلغ في المتوسط سنتين او ثلاث سنوات .

ان الحاكم المعظم بعد دراسة هذا الموضوع مقتنع بأن احتجاز تلك السفن عادة مدمرة لافضل مصالح الاسطول ، مخربة لنظامه وكفاءته ، مسيئة الى صحة البحارة فيه ، ومرتع وخيم لنشوء السخط والتذمر فيه .

وتوضيحاً لتلك المساوىء ، نشير الى حادثة السفينة الحربيــة « الفينستون » التي عادت مؤخراً الى بومباي . في حالة مهلهلة ، فالبحارة متذمرون اشد التذمر لاحتجازهم زمناً طويلا في منطقة الخليج ، ساخطون على احتجازهم الطويل في ميناء وخيم الهواء ، بدل ان يظلوا دائماً على حركة هي الضمان الوحيد لصحتهم وتجديد طاقاتهم ونشاطاتهم . وعند وصولها — ونظراً للاسباب السابق ذكرها — كانت اشبه شيء بحطام متداع لسفينة قديمة أكثر منها سفينة عاملة في خدمة البحرية الهندية .

« ولا يوافق الحاكم العام على هذا الاجراء الذي تمارسونه باحتجاز سفن الحرب في هذه الموانىء زمناً طويلا بدل جعلها في حركة دائبة

لتحقق الاهداف التي كرست لتحقيقها : القمع الدائم لعمليات القرصنة.. وحماية التجارة البريطانية .

ويرى الحاكم ان تبقى السفن المقيمة في الخليج في حالة حركة دائرية وان تقوم كل سفينة في دورها بالعودة الى بومباي للترميم والصيانة وحفظ النظام » .

واتخذ الحاكم قراراً — فيما يتعلق بالسفن العاملة في منطقة الخليج — بالا تزيد الفترة التي تقضيها السفينة في الخدمة — مرة واحدة — عن اثني عشر شهراً . ولدى انتهاء هذه الفترة — وسواء حل موعد اجازتها ام لم يحل بعد — فعليها ان تعود الى بومباي ، الا تحت ظروف الضرورة الطارئة الملحة . وفي هذه الظروف يستطيع المقيم العام استبقاءها في منطقة الخليج على مسئوليته الخاصة ، ولكن على هذا الاخير ان يعرف ان هذا الاجراء ليس امراً ميسوراً يستطيع ان يمارسه متى شاء .. بل عليه ان يبرق الى حكومته به اذا كان ثمة داع يحتم اجراءه » .

صيانة الامن البحرى وازدياده من ١٨٣٦ ـ ١٨٦١

استتب الامن البحري تماماً في نهاية الفترة السابقة ، ولكن كان يجب دائماً مراقبته واتمامه خلال هذه الفترة التي نتعرض لها .

الهدنات البحرية الموسمية ١٨٣٦ – ١٨٤٢ :

وتواصل تطور نظام الهدنات البحرية الذي بدأ للمرة الاولى لحسن الحظ في سنة ١٨٣٥ . وكانت هذه الهدنات ، التي تحظر على سائر مشايخ عمان المتصالحة ورعاياهم الاشتباكات البحرية وتعاقب من يقوم بها ، قد اعدت في البداية لتشمل موسم صيد اللؤلؤ فقط ، وتتجدد في كل سنة . وبعد ذلك اصبحت هذه الهدنات سارية لمدة اثني عشر شهراً وتتجدد تلقائياً على الدوام ، واخيراً في سنة ١٨٤٣ ، تم عقد هدنة مدتها عشر سنوات مرة واحدة وقعها نفس الموقعين على الهدنات الاولى .

وفي سنة ١٨٣٦ ، قام اسطول البحرية الهندية بعمل عقابي رادع في الدوحة والوكرة والعديد ضد بني ياس من القراصنة والموانىء التي تأويهم.

وفي سنة ١٨٤١ ، أدت بعض طلقات النيران القليلة في الدوحة الى استسلام سفينة من سفن القراصنة ، دمرت بعد استسلامها مباشرة .

وفي سنة ١٨٤٥ ، قامت حملة على جزيرة جنة انتهت بالاستيلاء على سفينة اخرى كانت تستخدم في القرصنة . وكانت هذه عموماً المناسبات الرئيسية التي لزم فيها استخدام القوة ، ولم يقتصر الامر على حصر اعمال الخروج على النظام العام في البحار في نطاق المناطق العربية ، بل ان مشايخ ساحل عمان المتصالحة بدأوا يتفهمون حقيقة واجبهم ، ويتعاونون تعاوناً مثمراً مع الحكومة البريطانية في تقديم المعتدين والخارجين الى العدالة .

اما موضوع السفن الغارقة فقد كان التقدم فيها أكثر بطئاً . فقد استغرقت تسوية مزاعم بنهب سفينة جنحت في هانجام سنة ١٨٣٨ ثلاث

سنوات ولم تتم التسوية في النهاية الا بالاستيلاء على السفن التابعة لجزيرة قشم في موانىء الهند .

معاهدة دائمة للسلم ١٨٥٣ :

وفي سنة ١٨٥٣ اكتسب نظام الهدنة البحرية صفة الديمومة ، وذلك بمعاهدة بين مشايخ عمان المتصالحة لهدنة دائمة على نفس أسس الهدنات الموسمية السابقة .

وفي نهاية سنة ١٨٥٤ تم تسليم سفينة كانت تستخدم في عمليات القرصنة ، ثم دمرت في عنيق على ساحل الاحساء بعد عملية بحرية كبيرة . ويبدو ان صاحب تلك السفينة كان آخر القراصنة المحترفين في منطقة الخليج ، ونحن نتعرف على اختفاء القرصنة بابدال كلمة « قرصنة » في المراسلات الرسمية بتعبير اهدأ وهو « الاضطرابات البحرية » وفي سنة ١٨٥٥ هوجمت سفينة عربية في خور العديد وقتل واحد من بحارتها ، ولقيت سفينة هندية من بومباي معاملة سيئة في الشارقة ، وفي سنة ١٨٥٦ حدث خروج – على مستوى كبير – على القوانين البحرية في ابو ظبي ، وفي سنة ١٨٦٠ حدثت حادثة تدمير سفينة – اسوأ من هذه التي حدثت سنة ١٨٥٥ – في رأس الخيمة . وفي كل هذه الحالات ، امكن الحصول على تعويضات لمستحقيها ، وفي كثير منها تم توقيع العقاب على المجرمين أما الحادثة الخطيرة الوحيدة التي حدثت خلال هذه الفترة فكانت تلك التي قتل فيها رجلان عربيان ، وبعدها استسلم واحد من المجرمين ، ولما كان مواطناً عمانياً ، فقد تم اعدامه في مسقط بأمر من سلطان عمان . كواحد من الاجراءات الانتقامية التي طبقت بسبب الحادث المذكور .

عمليات المسح البحرى ١٨٣٦ - ١٨٦٢

بالقدر الذي كانت تسمح به امكانات الضباط والسفن ، ظلت عمليات مسح الخليج وخليج عمان مستمرة على ايدي رجال البحرية الهندية جنباً الى جنب مع بقية مهامهم في المراقبة والحراسة .

وقد بدأ الكابتن هينز عملية مسح للساحل الجنوبي الغربي من جزيرة العرب في سنة ١٨٣٣ ، وا ضطر للتوقف عنه في سنة ١٨٣٧ بسبب مصاعب العمل الكثيرة . وفي سنة ١٨٣٩ الى ١٨٤٤ ونتيجة الحرب في افغانستان والحاجة الى انفاق الاموال في اغراض عامة أخرى — توقفت عملية المسح البحري التي كانت تقوم بها البحرية الهندية توقفاً تاماً . وفي سنة ١٨٣٩ ، ربما كنتيجة لاحتلال جزيرة خارَج ، اعد ضابط من البحرية الهندية تقريراً عن ميناء الكويت . وقد بدأت عملية مسح الساحل الجنوبي الشرقي بالجزيرة العرب سنة ١٨٤٤ ، وتم العمل في سنة ١٨٤٨ . وفي سنة ١٨٥٧ ، تقرر اعادة عملية مسح الخليج التي تمت في سنة ١٨٢٠— ١٨٢٨ والتي كانت ناقصة وتشوبها بعض الاخطاء ، وقد عهد بهذا العمل الى الكابتن س. كونستابل يعاونه الملازم أ. و. ستيف ، وقد اكملا عملهما في سنة ١٨٦٠ ، وكانت السفن التي استخدماها هي « الفرات » اولا ، ثم « ماري » بعد ذلك ، وكانت نتيجة عملهما اعداد خريطة عامة لمنطقة الخليج مكونة من لوحتين . وكانت المعالم الاساسية فيها صحيحة لكن كابتن كونستابل نفسه وصفها في سنة ١٨٦٢ بأنها ليست كبيرة بما يكفي . وفي نفس الوقت اتم الملازم هويش من البحرية — الهندية مسح ميناء البحرين .

مسح واستكشاف الارض والانهار
١٨٣٦ ـ ١٨٦١

استمرت عملية مسح الاراضي والانهار التي بدأتها حملة الكولونيل تشزني في ١٨٣٥–١٨٣٧ بهمة عظيمة خلال أكثر من عشرين عاماً عن طريق ضباط البحرية الهندية مستخدمين الاسطول البريطاني لما بين النهرين او تحت الوكالة السياسية في بغداد ، وامتد عملهم الى عربستان وغيرها على حدود ايران والعراق . وفيما يلي نلخص اهم الاعمال التي قام بها هؤلاء الضباط :

— القائد لنش (١٨٣٧ — ١٨٤٣) :

نهر دجلة من الموصل الى المدائن(١) ، والفرات ادنى مسكنه، ثم مواقع نينوى وبغداد والمدائن وبابل بالمساحة التثليثية .

— الملازم كامبل (١٨٤١ — ١٨٤٢) :

نهر دجلة فيما يلي بغداد،واعالي الفرات حسب تقويم البحر المتوسط .

— القائد ف. جونز (١٨٤٣ — ١٨٥٤) :

زهاب وقناة النهروان القديمة ، والمجرى القديم لدجلة بعد بغداد، والريف بين دجلة والمرتفعات الفارسية من بغداد الى الموصل بالمساحة التثليثية ، والريف من المسيّب الى النجف (فقدت هذه في مكتب الهند) .

— القائد سلبي (١٨٤١ — ١٨٤٢ ، ١٨٥٥ — ١٨٦١) : —

نهر قارون بفروعه وروافده ، واقليم الفرات من بابل الى السماوه ، (بالمساحة التثليثية . وقد فقدت الخريطة في مكتب الهند ثم عثر عليها) .

وفي سنة ١٨٦٢ كانت عملية المسح الرئيسية التي كانت ما تزال مطلوبة هي مسح شط العرب من البصرة الى البحر وقد اعد خرائط هذا النهر القائد ف. جونز والملازم كولنجوود لكنها فقدت في مكاتب الحكومة .

---

(١) ستيسيفون(Ctesiphon) الاسم الاجنبي لبلدة المدائن .

البحـــوث الاثريـــة
١٨٣٦ ـ ١٨٦١

بدأت عملية البحث المنظم عن الآثار القديمة في منطقة الخليج خلال هذه الفترة باشراف البريطانيين . وكان اهم القائمين على هذه البحوث هم : لايارد وراولنسون ولوفتس ، واهم المناطق التي اجريت فيها البحوث هي اشور وبابل وسوسيانا ، وكانت احفل السنوات بهذا النشاط هي الفترة من ١٨٤٥ الى ١٨٥٠ .

التنظيم البريطاني الرسمي واجراءاته
١٨٣٦ ـ ١٨٦٢

انتقال حكومة الهند الى التاج البريطاني : ١٨٥٨ :

في اول نوفمبر سنة ١٨٥٨ ، اقر البرلمان البريطاني قانون الحكم الافضل للهند ، وكان يقضي بأن تنتقل ادارة الهند من شركة الهند الشرقية المعظمة الى حكومة صاحبة الجلالة ، واصبح الحاكم العام في الهند نائب الملك .

الانتقال المؤقت للسفارة البريطانية في طهران الى مكتب الهند ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠ :

أما حق الترشيح للسفارة البريطانية في طهران ومهمة الاشراف عليها مما كان قد نقل الى حكومة صاحبة الجلالة منذ سنة ١٨٥٥ فقد اعيد مرة اخرى ـ كحل وسط ـ من وزارة الخارجية الام الى مكتب الهند .

وكان الوحيد الذي عين خلال استمرار تلك الترتيبات هو سير هـ. راولينسون المقيم السياسي السابق في بغداد . الذي سرعان ما استقال بعد ان انتقلت تبعية تلك الوظيفة الى وزارة الخارجية .

ممثل سياسي بريطاني في مسقط سنة ١٨٤٠ ثم انفصال زنجبار عن سلطنة عمان ١٨٦١ :

وفي سنة ١٨٤٠ — ولمواجهة خطر تآمر القوات المصرية في عمان تم تعيين مقيم بريطاني في مسقط بعد مرور جيل على عهد المقيمية السابقة غير ان الظرف الطارىء لذلك التعيين كان قد انتهى قبل وصول المقيم الى مسقط ، وكان سلطان عمان مقيماً بشكل شبه دائم في جزيرة زنجبار ، فنقل مقر المسئول السياسي البريطاني ايضاً الى تلك الجزيرة .

وفي سنة ١٨٦١ ونتيجة لقرار تحكيم اصدره نائب الملك في الهند حين رفع اليه حكام عمان عندئذ بعض المشاكل القائمة بينهم ، انفصلت زنجبار عن سلطة عمان ، وتقرر ان يدفع سلطان زنجبار ومن يخلفه اعانة سنوية قدرها ٤٠ الف روبية لسلطان عمان ومن يخلفه ، كتعويض لهذا الاخير عن نصيبه النقدي من ممتلكات العائلة هناك . ونتيجة لهذا التغيير ، أعيد تعيين مسئول بريطاني جديد في مسقط .

التمثيل السياسي البريطاني في العراق التركي ١٨٣٩ — ١٨٥١ :

وفي العراق التركي — حيث ظلت المصالح البريطانية في ازدياد خلال هذه الفترة — انشئت شبه قنصلية بريطانية في الموصل سنة ١٨٣٩ وعين لها وكيل اصبحت وظيفته دائمة منذ سنة ١٨٥١ .

تاريخ الخليج منذ بداية المواصلات البحرية البخارية والبريد البحرى الى تولي حكومة الهند مسئوليته السياسية المباشرة ١٨٦٢ ــ ١٨٧٣

ان السمة الاساسية المميزة لهذه الفترة عن سابقتها هي التحسن العظيم المفاجىء الذي استحدثته بريطانيا في وسائل المواصلات داخل منطقة الخليج وفيما بينها وبين العالم الخارجي والذي لم يطرأ بعده اي تغيير في الشئون الحياتية المحلية لتلك البلاد يضارعه في عمقه وأبعاده مما يجعلنا محقّين لو بدأنا تاريخ الخليج الحديث في سنة ١٨٦٢ .

المواصلات الداخلية والخارجية ١٨٦٢ ــ ١٨٧٣

البواخر والبريد ١٨٦٢ ــ ١٨٦٨ :

لا يكاد احد يصدق ما كان حقيقة واقعة بالفعل من ان الخطابات الصادرة من بغداد الى الهند قبل سنة ١٨٦٢ كانت تنقل عن طريق الشام فمصر فالبحر الاحمر . والاغرب من ذلك ان الخطابات الصادرة من الهند الى بوشهر كانت في العادة تتبع نفس الطريق بعد ارسالها من بوشهر الى بغداد عن طريق طهران .وهذه الحالة الغريبة للامور ، مما كان يعزى الى قلة عدد ونظام الرحلات البحرية بين الخليج وبومباي حتى بعد القضاء على القرصنة ، تم التغلب عليها عن طريق انشاء خدمة بريدية بخارية تنفق عليها حكومة الهند وتتولاها شركة الهند البريطانية للملاحة البخارية ابتداء من سنة ١٨٦٢ . وكانت بومباي والبصرة هما المحطتين النهائيتين لذلك الخط ، وقد حدّد عدد الرحلات في البداية بثماني رحلات

في كل سنة ، ولكن ابتداء من سنة ١٨٦٦ اصبحت هذه الرحلة تتم مرة كل اسبوعين . وحيث ان بغداد لم تستفد من ذلك الخط الجديد ، لذلك انشيء خط بريدي بخاري سنة ١٨٦٣ بين البصرة وبغداد باعانة من حكومة الهند وتولته شركة دجلة والفرات للملاحة البخارية . وكانت الرحلات في هذا الخط الجديد تتم مرة كل ستة اسابيع ، ثم اصبحت مرة كل اسبوعين ، ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت ثلاث مرات في كل شهر .

ولمناولة البريد الذي زود بمركبات خاصة افتتحت مكاتب بريدية تابعة للهند البريطانية في اماكن عديدة ، ابتداء بمسقط وبوشهر سنة ١٨٦٤ ، وانتهاء بالبصرة وبغداد سنة ١٨٦٨ .

التلغراف ١٨٦٤ — ١٨٦٩ :

أما الخدمات البرقية فقد بديء بها قبل ذلك بقليل لكنها لم تتطور بسرعة تطور النقليات والبريد ، فبعد اتمام الخط التلغرافي بين القسطنطينية وبغداد في سنة ١٨٦١ ، باشراف بريطانيا ، كانت ثمة فترة توقفت فيها هذه العمليات . ثم نقلت الخطوط الارضية والكابلات من كراتشي الى جوادر ومنها الى فاو ، ومن بوشهر عن طريق طهران الى خانقين في الفترة من ١٨٦٢ الى ١٨٦٤ . غير انه لم يتم قبل سنة ١٨٦٥ سد الثغرة بين البصرة وبغداد ، وبعدها أصبح ثمة اتصال مباشر بين الهند واوربا عن طريق الفاو وبغداد والقسطنطينية . وكان كامل العمل الفني ، ومعظم الترتيبات السياسية في كل من تركيا وايران على عاتق المسئولين البريطانيين وفي سنة ١٨٦٩ صرفت بريطانيا اعانات مالية لحكام الاقاليم في ايران من اجل حماية الخطوط الارضية التي تمر باقاليمهم .

مشروعات السكك الحديدية والملاحة ١٨٧١ — ١٨٧٣ :

ثم جاء مباشرة دور المواصلات بالسكك الحديدية ذلك بان مستر اندرو واصل مشروعه لاقامة خط حديدي بين الخليج والبحر المتوسط

ذلك المشروع الذي رفع من اهميته التمرد في الهند ثم حفر قناة السويس ، كما كانت الحيلولة دون تحقيق مطامع روسيا في ايران من العوامل التي تؤيد المشروع . وكان من المعتقد به ايضاً ان الباب العالي يؤيد المشروع مع إحداث بعض التغيير في امتداده نحو الشمال . وشكلت الحكومة البريطانية لجنة برلمانية ذات كفاءة كبيرة في سنة ١٨٧١ لتدرس المشروع ، واعدت تقريرها الذي وافقت فيه عليه سنة ١٨٧٢ ، ولكنها تحفظت بالنسبة لطلب تمويله عن طريق ضمان من الحكومة البريطانية ، وفي النهاية لم تتخذ اية خطوات ايجابية .

وفي ١٨٧١ – ١٨٧٣ اقترح انشاء خط حديدي من شوشتار عن طريق اصفهان ، او من ديزفول عن طريق خورم اباد – الى طهران ، بضمان الحكومة الايرانية ، وقد قدم هذا الاقتراح تاجر بريطاني من بو شهر ، غير ان الظروف الاقتصادية السيئة في جنوبي ايران في ذلك الوقت حالت دون الموافقة عليه .

وارتبط بهذا المشروع ايضاً اقتراح بأن يقوم في نهر قارون خط ملاحي بخاري بعون من الحكومة الايرانية .

أحوال ايران وعلاقاتها ١٨٦٢ – ١٨٧٣

الحالة الداخلية في ايران :

خلال القسم الاول من هذه الفترة ، كانت ايران نهباً للقحط ، وا ضطربت الاحوال السياسية فيها بعض الاضطراب نتيجة ذلك . لكن الجهد الذي بذله الشاه شخصياً والمقربون منه استطاع ان يعود تدريجياً بالبلاد الى حالة من الاستقرار النسبي .

علاقة بريطانيا بايران :

واستمرت نتائج الحرب الانجلو – ايرانية توثر في العلاقات بين انجلترا وايران . وكانت حكومة الشاه في بعض الاحيان تبدو كما لو كانت قد نسيت الدرس الذي لُقّنّته من قبل..لكن هذه الفترة اجمالا كانت فترة تحسن في العلاقات ، وبذلت جهود كثيرة للتغلب على ذلك المصدر الدائم للخلاف والتوتر .. الا وهو غموض الحدود الايرانية .

هراة ١٨٦٣ :

كانت هناك مشكلة اقليم هراة المتعبة ، التي ظلت خاضعة لايران رغم معاهدة الصلح لسنة ١٨٥٧ ، وقد انتهت مشكلتها باتحاد افغانستان كلها في امارة واحدة يحكمها دوست محمد خان ، حيث جاءت الخطوة الاخيرة في هذا الصدد بضم هراة الى افغانستان بقوة السلاح سنة ١٨٦٣ .

سجستان ١٨٦٣ – ١٨٧٢ :

وكنتيجة لتوحيد افغانستان ، قام احتكاك بينها وبين ايران على حدود سجستان ، واحتلت القوات الايرانية بالفعل جزءاً من هذا الاقليم كان تابعاً لهراة ، وبعد ذلك سوي الخلاف باجراء عملية تقسيم نتيجة وساطة بريطانية .

مكران ١٨٦٢ – ١٨٧٢ :

لكن مشكلة الحدود الايرانية التي كانت بريطانيا تهتم بها اعظم اهتمام تجددت مرة اخرى في مكران .. وهي منطقة لم تكن حقوقها في الاستقلال محددة تحديداً واضحاً ، ولم تكن اية دولة في بداية الامر تعرف معلومات كافية عن جغرافيتها واحوالها العامة . وفي سنة ١٨٦١ – ١٨٦٢ فهم أن ايران كانت تطالب بكل المنطقة الساحلية غربي السند . وفي سنة ١٨٦٣ زعمت ايضاً ان لها حق ملكية ميناءي شاهبار وجوادر . وفي سنة ١٨٦٤ أصبح اتجاه حكومة الشاه عدائياً نحو اقليم مكران . وفي هذه السنة – ثم مرة أخرى سنة ١٨٦٨–١٨٦٩ – حدث غزو ايراني لدولة

كالات .. التي كانت مشمولة بحماية البريطانيين . واخيراً.. وبعد محاورات طويلة متكررة من جانب الضباط البريطانيين ، بدأت المفاوضات في طهران في سنة ١٨٧٠ وانتهت بتكوين لجنة حدود مشتركة تضم ممثلين عن ايران وبريطانيا وكالات . وفي سنة ١٨٧١ ، تمت الموافقة على اقتراح العضو البريطاني في هذه اللجنة من جانب الشاه بتحفظ واحد فيما يتعلق بكوهاك ، وحدث هذا التقسيم المتفق عليه في الحدود سنة ١٨٧٢ .

وفي سنة ١٨٧٢ ، حققت الحكومة الايرانية مطلبها بأحقية تملكها لشاهبار — التي تقع غربي الحدود بينها وبين كالات والتي كان سلطان عمان ايضاً يزعم انها تابعة له — وذلك بطردها ممثل عمان من هناك .

مسائل عامة :

وكان موقف بريطانيا عموماً من ايران خلال معظم تلك الفترة يتسم بالاهمال واللامبالاة ، فاهملت الحكومة البريطانية أكثر من طلب للعون في تنظيم الجيش الايراني من جانب حكومة الشاه .. وكانت نتيجة ذلك ان انتقل الاشراف على جيش الشاه الى ايدي حكومة أخرى . وفي المدة بين سنة ١٨٧٠ — ١٨٧٢ بذل عدد كبير من فاعلي الخير البريطانيين والهنود بمعاونة المؤسسات البريطانية الرسمية في المنطقة جهوداً كبيرة لتخفيف آثار المجاعة الرهيبة التي اجتاحت جنوب ايران في ذلك الوقت . وفي سنة ١٨٧٢ عندما تولى رئاسة الوزارة في طهران سياسي ايراني مؤيد جداً للبريطانيين تقدمت بريطانيا بمشروع لامتياز احتكاري صناعي ضخم منح لشخص رأسمالي وعرف باسم «امتياز رويتر» لكن هذا الامتياز — لسوء الحظ ورغم انه لم يكن عملياً — ترك آثاره المؤسفة في كل من ايران وروسيا ، وادى سحبه الذي لم يكن منه بد الى نتائج مزعجة تمثلت في مطالبة بريطانيا بتعويض سرعان ما حصلت عليه .

أحوال تركيا وعلاقاتها ١٨٦٢ ـ ١٨٧٣

وفيما كانت ايران تتقدم بخطى متزنة نحو النظام واستتباب الادارة ، او كانت على الاقل تحافظ على مكانتها ، كانت تركيا تتدهور بسرعة رغم الاصلاحات المزعومة في الداخل وسياسة التوسع الاقليمي في الخارج.

الحالة العامة في تركيا :

ولا شك في ان حرب القرم قد اضرت بتركيا وإن بدت في صالحها . فلدى نهايتها وجدت نفسها تحتل مكانة في اوروبا لا تستطيع إشغالها لاسباب عديدة . ثم ان السفه والعبث بتبذير اموال السوق الاوربي الذي فتح الان امامها ، سارا بها سريعاً نحو خراب مؤكد . وقد ارغمت بحكم الظروف التي وجدت فيها نفسها ، على ان تتبنى اتجاها وسياسة قائمتين على التقدير المبالغ فيه لاهميتها وامكاناتها .. وقبل ان يمضي زمن طويل ، كانت تركيا قد وقعت نهباً لمشكلات مالية عنيفة مستعصية على الحل . وبحلول سنة ١٨٦٦ وصلت الامور فيها حداً جعلها تتوقف لعدة شهور عن دفع رواتب الجنود والموظفين في اقليم بعيد من اقاليمها كالعراق التركي . وقد ضخّمت هذه الاوضاع المالية من سوء الادارة الذي كان سائداً من قبل في ارجاء الامبراطورية .

حكومة العراق التركي :

ولم تكن الحالة السياسية في اقليم العراق التركي بأفضل حالا من اماكن أخرى كما لم يكن ممكناً لها ان تسوء لاكثر مما ساءت في الفترة الماضية . وكان السبب الرئيسي للاضطرابات هو نفس السبب الذي كان من قبل وهو عناد المسئولين الاتراك برغم ضعف وسائلهم لممارسة القهر ، في محاولة السيطرة على القبائل العربية وحكمها . وفي سنة ١٨٦٣–١٨٦٤ بذلت جهود فاشلة لاخضاع قبيلة المنتفق ، وفي ١٨٦٤–١٨٦٦ تم

اخضاع قبائل خزعل بنجاح أكثر ، وفي ١٨٦٥ تمردت قبائل الهماوند الكردية وقبائل عنزه العربية على سلطة الحكومة التركية في العراق .

وفي ١٨٦٩ — ١٨٧٢ استطاع مدحت باشا — اول وال لبغداد — ان يحقق موقتاً حالة افضل من النظام والاستقرار . فقد غير شكل نظام الادارة المحلية ليتسق مع نظام اصلاحي راح يطبق في ارجاء الامبراطورية العثمانية كلها . لكن الاصلاحات التي تحققت كانت سطحية برغم حماسة النشاط المبذول . ورغم ان الاشكال الجديدة للعمل اكتسبت صفة دائمة الا ان جوهر تلك الاصلاحات لم يعش الا قليلا بعد ذهاب مدحت باشا .

وابتداء من سنة ١٨٦٣ كان للحكومة التركية بواخر في انهار العراق التركي ، وبدأت هذه البواخر في سنة ١٨٦٧ تمارس نشاطاً تجارياً شبيهاً بنشاط شركة دجلة والفرات للملاحة البخارية ولكن تحت الادارة العثمانية .

ورغم المعارضة العنيدة من جانب السلطات التركية ، فقد نجحت الشركة البريطانية لدجلة والفرات للملاحة في ان تزيد اسطولها العامل — بمعونة من الحكومة البريطانية سنة ١٨٦٤ — حين اضافت اليه باخرة جديدة . وكان موقف حاكم بغداد التركي في ذلك الوقت من المصالح البريطانية موقفاً عدائياً لا مهادنة فيه . ويبدو انــه كان وراء ذلك الخوف من ان يستطيع الممثل البريطاني ان يحقق لنفسه نفوذاً كبيراً بين القبائل العربية التي كان الاتراك يسيئون حكمها انذاك ، وامتد ذلك الموقف العدائي ليشمل الموظفين البريطانيين العاملين في مد خطوط التلغراف التركية وشركة دجلة للملاحة البريطانية على السواء .

تركيا تضم اليها قطر والأحساء ١٨٧١ :

وتُصوّر حركات العثمانيين في شرقي الجزيرة العربية تشبثهم بمبدأ التوسع الاقليمي على الرغم من سوء الاحوال وانهيارها في الامبراطورية وكان مدحت باشا والي بغداد واحداً من أقوى القائمين على تنفيذ تلك السياسة .

وفي سنة ١٨٦٦ كانت هناك دلائل تشير الى ان الباب العالي ينوي أن يؤكد قبضته ويدعم سلطانه على الكويت كما لمح الاتراك في سنة ١٨٦٩ الى انهم ينظرون الى البحرين على انها اقليم تابع لهم . وفي اوائل سنة ١٨٧١ فهم ان ثمة محاولة يجري الاستعداد لها من جانب الاتراك لبسط السيادة التركية على وسط الجزيرة والبحرين ومسقط والقبائل العربية في جنوب الجزيرة عموماً . وسرعان ما وجد الاتراك فرصة العمل السريع السافر متاحة لهم حين قدم امير معزول من جنوب نجد طلباً الى الحكومة التركية كي تساعده في العودة الى الحكم على ان يبقى تابعاً لها . وفي صيف سنة١٨٧١تم احتلال الاحساء بقوات تركية ارسلت من البصرة عن طريق البحر ، في حين اعتبرت الكويت — التي اتخذت قاعدة للعون العسكري والنقل في عملية الاحساء هذه — قد ضمت الى تركيا بدورها . وكانت الرياض — في وسط الجزيرة — هي الهدف الرئيسي للحملة التركية على الاحساء،وكان هذا الاقليم يحكمهمسئولون اتراك الامر الذي خيب آمال الاميرين الاخوين المتنافسين هناك ، لكنه لم يجر أي تقدم فعلي من الاحساء الى الرياض.وقدمت الحكومة البريطانية — عن طريق مسئولها السياسي في البحرين سنة ١٨٧١ — ١٨٧٢ — انذاراً كان كافياً للحيلولة دون الاتراك واتخاذ عمل عدائي فعلي تجاه امارة البحرين .. لكنه لم يقض على تهديداتهم الدائمة لها . ثم رفع العلم التركي على الدوحة في قطر ، وقامت حامية عسكرية تركية باحتلال ذلك المكان فيما بعد . ووضع مدحت باشا في الجريدة الرسمية المدن الرئيسية في عمان المتصالحة ضمن المدن التابعة لاقليم نجد « المهزوم » ، وهو اقليم لم تدخله قواته على الاطلاق ، وان كانت قد احتلت جزءاً بعيداً تابعاً له هو الاحساء.وحوالي نفس الوقت الذي بدأ فيه الحكم التركي المباشر في الحسا ، اقيمت قنصلية تركية في بوشهر بايران على الجانب المقابل من الخليج . ربما لتضع تركيا نصب عينيها دائماً شئون البحرين .

ولم تسمح الحكومة البريطانية للاتراك الا باقليم الاحساء الذي كانت قواتهم قد احتلته بالفعل ، غير ان ضم ذلك الاقليم وحده الى دولة مثل تركيا كان في حد ذاته شراً يزيد من صعوبة ضمان الاستقرار البحري في مياه الخليج.

العلاقات بين تركيا وايران ١٨٦١ ـ ١٨٧٢

ان اهم حادثة جديرة بالملاحظة في علاقة تركيا بايران اثناء هذه الفترة هي الزيارة التي قام بها الشاه للعراق التركي في شتاء ١٨٧٠–١٨٧١ أثناء زيارتـــه الاماكن المقدسة في الكوفه وكربلاء والنجف وسامراء .

ولم يحدث اي تقدم في تعيين الحدود الايرانية التركية رغم ان الحكومتين البريطانية والروسية طالبتا في سنة ١٨٦٩ بتسوية الامر بين الحكومتين الايرانية والتركية . وفي نفس الوقت تقريباً بدأت منطقة الحدود المتنازع عليها تتسع جنوباً ، وعقدت اتفاقية لضمان الحدود القائمة وقتذاك بالفعل وان لم تكن معروفة على وجه التحديد كاجراء موقت . وفي ١٨٧١ — بمناسبة زيارة الشاه للعراق التركي — بدأت المفاوضات كي تسلم ايران لتركيا قبائل هماوند المتمردة التي هاجرت هجرات جماعية الى ايران حوالي سنة ١٨٦٥ ... لكن المفاوضات المذكورة فشلت ولم تؤد لنتيجة .

حالة الساحل الغربي للخليج وعلاقاته
١٨٦١ ـ ١٨٧٣

كان الوهابيون هم القوة الاولى التي تسيطر على غرب الخليج حتى طردهم الاتراك من الاحساء سنة ١٨٧١ ،وكانت اعمالهم تسبب مزيد من الاضطرابات احياناً للحكومة البريطانية ، التي كانت مهتمة بحفظ النظام العام في منطقة الخليج وعلى طول شواطئه .

قطع العلاقات بين بريطانيا والوهابيين ١٨٦٥ — ١٨٦٦ :

وفي سنة ١٨٦٤ بدأ الوهابيون يرهقون حاكم سلطنة عمان بمطالبات لزيادة الجزية ، وعرض البريطانيون وساطتهم لتسوية تلك المشكلات ، لكن الوهابيين رفضوا مبدأ الوساطة . وفي ربيع سنة ١٨٦٥ قام المقيم البريطاني في منطقة الخليج بزيارة للامير الوهابي في عاصمته غير ان الوضع الذي وجد كولونيل بيللي نفسه فيه في الرياض حال بينه وبين مناقشة القضايا السياسية . وعقب عودة المقيم الى الخليج تجدد ضغط الوهابيين على سلطنة عمان ، وحدث اعتداء خطير من جانبهم اصاب رعايا الهند البريطانيين في صور ضمن من اصاب . ثم حدثت اغارة اخرى من الوهابيين على ساحل سلطنة عمان ، ووجه انذار بريطاني الى امير الوهابيين في اوائل سنة ١٨٦٦ ، واعدت الترتيبات في حالة عدم تلقي جواب للانذار من الامير بأن تقوم البحرية البريطانية بهجوم على ساحل الاحساء، وفي نفس الوقت يقوم سلطان عمان بمدد بريطاني من السلاح والذخائر بالهجوم على مواقع الوهابيين في البريمي .

غير ان هذه الخطة لم تنفذ نظراً لاغتيال سلطان عمان على يد احد ابنائه . وكان العمل الذي قامت به سفينة بريطانية واحدة في القطيف والدمام عملا غير كاف . غير ان المعتدين الوهابيين في صور لقوا عقاباً رادعاً . واخيراً بدا ان امير الوهابيين راغب في قبول وساطة البريطانيين بينه وبين سلطان عمان ، وان الوقت المتاح للرد على رغبته هذه قصير جداً . وفي سنة ١٨٦٦ تلقى ممثل بريطانيا في منطقة الخليج ضماناً كافياً من امير الوهابيين فيما يتعلق بالمستقبل ، وساد السلم من جديد .

تدمير مشايخ البحرين وابو ظبي للدوحة والو كرة ، ثم ما عمله البريطانيون آنذاك ١٨٦٧ — ١٨٦٨ :

وفي خريف سنة ١٨٦٧ قام مشايخ البحرين وابو ظبي بهجوم غادر ومفاجىء على الدوحة والوكرة في قطر ، وكانتا مستقلتين في ذلك الوقت

عن امارة البحرين ، وتم تدمير البلدين تدميراً تاماً ، وطرد منهما اهلهما بعد ان جردوا من كل ممتلكاتهم ، وقد تأجل عمل البريطانيين بهذا الصدد قليلا — نتيجة الحرب في الحبشة وغير ذلك من الاسباب — وقامت القبائل التي وقع عليها العدوان بمحاولة للانتقام بالاغارة على البحرين . ولكن في الجزء الاخير من سنة ١٨٦٨ قام البريطانيون بعمل عقابي قاس ورادع ضد مرتكبي ذلك العدوان ، فعزل شيخ البحرين وتولى اخوه مكانه ، كما دمرت سفنه الحربية ، وهدم حصنه في ابو ماهر ، وارغم شيخ ابو ظبي على دفع غرامة كبيرة تحت تهديد بتدمير مينائه بمدفعية البحرية البريطانية .

مزاعم حكومة ايران في ملكية البحرين ١٨٦٢ — ١٨٦٩ :

وراحت الحكومة الايرانية — على فترات متقاربة خلال المدة من ١٨٦٢ الى ١٨٦٩ — تجدد مطالبها باحقيتها في البحرين ، لكنها كانت مجرد مطالب كلامية لا اهمية لها من الناحية السياسية .

غزو البحرين عن طريق البر وما عمله البريطانيون آنذاك١٨٦٩ :

وفي سنة ١٨٦٩ حاول شيخ البحرين السابق — بمعاونة مجموعة من الساخطين وحشد من قبائل البدو — غزو الجزيرة الرئيسية في البحرين وقد هزم الشيخ الحاكم وقتل أثناء المعركة ، وظلت البحرين لمدة شهرين او ثلاثة في ايدي هذا الحزب من الساخطين ، وفي اواخر السنة ظهر اسطول بحري بريطاني على مسرح الاحداث ، وقضى على مقاومة هؤلاء المتمردين . وتم القبض على عدد من زعماء التمرد — من بينهم شيخ البحرين السابق — ونفوا الى الهند . وتركت البحرين بعدها يحكمها ابن الشيخ الذي قتل في المعركة .

طرد الوهابيين من البريمي ١٨٦٩ :

وفي سنة ١٨٦٩ طرد الوهابيون الذين لم يتدخلوا في أحداث قطر

والبحرين التي اشرنا اليها من البريمي وهي موقع على الحدود الفاصلة بين عمان المتصالحة وسلطنة عمان كانوا يمارسون نفوذهم منه على الناحيتين معاً . وكان طردهم على يد السلطان الجديد النشيط في عمان . وقد منعت الحرب الاهلية التي قامت في نجد ، الى جانب احتلال الاتراك اي جهد من جانب الوهابيين لاستعادة هذا الموقع .

طلب الوهابيين العون من بريطانيا ١٨٧١ ـ ١٨٧٣ :

وخلال السنتين التاليتين على ضم الاحساء للاتراك ، تقدم امير الوهابيين غير مرة يطلب عون البريطانيين على أساس ان نزول الاتراك على ساحله انما يعد خرقاً للسلم البحري الذي تحاول بريطانيا تحقيقه بكل الطرق ... لكنه اجيب بأنه ليس طرفاً في أي معاهدة مع الحكومة البريطانية ، وبالتالي لا حق له في طلب العون منها .

الحالة فى سلطنة عمان ١٨٦٢ ـ ١٨٧٣

لا شك في ان احوال سلطنة عمان قد لقيت مزيداً من اهتمام البريطانيين خلال هذه الفترة نتيجة تعين مسئول سياسي بريطاني في مسقط ، وقد اشرنا قبلا الى توسط البريطانيين في خلافات عمان وامير الوهابيين في ١٨٦٤ — ١٨٦٦ .

معونة زنجبار :

وبعد انفصال زنجبار عن عمان بموجب قرار التحكيم من نائب الملك في الهند سنة ١٨٦١ تقرر ان يدفع سلطان زنجبار معونة قدرها ٤٠ الف روبية لسلطان عمان ، وكانت الحكومة البريطانية تعير انتباهها

بين حين وآخر لموضوع استمرار دفع ذلك المبلغ بانتظام لعمان ، غير انه في المدة من ١٨٦٨ الى ١٨٧١ كان يحكم سلطان لم تعترف الحكومة البريطانية بشرعيته فاعفت لذلك سلطان زنجبار من دفع المعونة المذكورة وحين تولى حاكم معترف به عرش عمان في سنة ١٨٧١ تقاسمت الحكومة البريطانية وحكومة الهند دفع المعونة مناصفة بينهما .

التزام سلطان عمان في بندر عباس ١٨٦٦ – ١٨٦٨ :

وثمة أمر آخر وقف فيه ممثل الحكومة البريطانية الى جانب سلطان عمان ، ذلك هو التزام السلطان باقطاع بندر عباس وما حولها من الحكومة الايرانية . ففي سنة ١٨٦٦ ، انتهى ذلك الالتزام بموت سلطان عمان ، واستعادت الحكومة البريطانية الاقليم المذكور ، ولم تمض الا سنتان قبل ان يتمكن المقيم البريطاني في الخليج ان يحصل على تجديد الامتياز لمدة ثماني سنوات ، لكن حاكماً جديداً ، لم يكن البريطانيون في رضى عنه – تولى حكم عمان ، فانهى الامتياز المذكور ولم تجدد عمان اجارة بندر عباس بعد ذلك .

الدول الاجنبية الاخرى ، غير بريطـانيا ، فى الخليج ١٨٦٢ – ١٨٧٣

اذا استثنينا روسيا التي كان نفوذها في ايران وتركيا عظيماً ودائماً ولكن اهتمامها لم يكن قد توجه بعد الى الخليج ، فان فرنسا كانت هي الدولة الاجنبية الوحيدة ، الى جانب بريطانيا ، التي كان لها مصالح سياسية في منطقة الخليج .

بيان انجليزي ، فرنسي خاص بعمان وزنجبار ١٨٦٢ :

وفي سنة ١٨٦٢ وقعت الدولتان — بريطانيا وفرنسا — بياناً مشتركاً تلتزمان فيه باحترام استقلال سلطنتي عمان وزنجبار . وكان ذلك البيان الذي لم يثر اهتمام احد او ملاحظته وقت توقيعه ، حيث ظلت حكومة كالهند مثلا لا تعرف شيئاً عنه حتى سنة ١٨٧١ ، قيداً غير ملائم لحركات الموقعين عليه .

وسط الجزيرة :

وهناك من الاسباب ما يدفعنا الى الظن بأن رحلة الرحالة البريطاني مستر و. ج. بالجريف عبر وسط جزيرة العرب سنة ١٨٦٢ قد تمت بمبادرة من الامبراطور الفرنسي لاهداف سياسية .

العراق التركي :

وفي سنة ١٨٦٤ ، ساد الاعتقاد بأن شركة فرنسية قد تقدمت بطلب للحصول على تسهيلات ملاحية في انهار العراق التركي كتلك التي تتمتع بها شركة دجلة والفرات (البريطانية) للملاحة البخارية ، كما طلبت الشركة الفرنسية ايضاً مساواتها التامة بالتجار البريطانيين في الشئون التجارية الصرفة .

واعيد فتح قنصلية فرنسية سنة ١٨٧٠ في البصرة، كانت ظلت سنوات طويلة خالية من أي تمثيل سياسي فرنسي .

ترتيبات البحرية البريطانية فى الخليج
١٨٦٢ ـ ١٨٧٣

الغاء البحرية الهندية والمصاعب الناجمة عن ذلك ١٨٦٢–١٨٦٨ :

حوالي نهاية سنة ١٨٦٢ استدعيت السفن الهندية التي كانت تعمل في منطقة الخليج الى الهند ، وكان هذا تمهيداً لالغاء الخدمة التي تقوم بها هناك . وفي ٣٠ ابريل سنة ١٨٦٣ انزل علم البحرية الهندية من بومباي وانتهى كل وجود لها . وقد كان مفهوماً في ذلك الوقت ان المهام التي كانت تؤديها سفن البحرية الهندية قبلا ستقع الآن على عاتق سفن البحرية الملكية البريطانية ، لكن عدة سنوات انقضت قبل ان يتم التوصل الى طريقة عاملة لهذه القوة البديلة . واثناء هذه الفترة تدهورت المصالح البريطانية في الخليج تدهوراً واضحاً ، لا في منطقة الخليج فقط . بل وفي البحر الاحمر ايضاً وغيره من الاماكن .

وكانت اهم مساوىء النظام الجديد انه نظراً الى ضيق مدى بحرية شركة الهند الشرقية نسبياً ومحدودية عدد سفنها .. كان يحدث كثيراً ألا توجد سفينة واحدة وقت الحاجة اليها ، وتكررت عملية استدعاء السفن من اماكن أخرى بعيدة ، ولم يكن بوسع أية سفينة من هذه ان تبقى زمناً طويلا في المنطقة ، كما ان ضباط هذه السفن ايضاً ، من حيث تدريبهم وتقاليدهم ، كانوا اقل صلاحية لتأدية المهام السياسية ممن سبقهم من ضباط البحرية الهندية . وأخيراً لان هذه السفن كانت تابعة للبحرية الملكية . لم يكن بوسع السلطات السياسية ان تطلب منها تأدية خدماتها بحرية كاملة . ويبدو ان حكومة صاحبة الجلالة كانت تهدف في البداية الى منع المقيم السياسي في الخليج وفي عدن من استخدام السفن للاغراض العامة ، بالنظر لتغير الاوضاع وانشاء الخدمات البريدية البخارية وتحسينها ، كما كانت تهدف الى منع المقيمين السياسيين من استخدام

السفن الحربية . ورغم ان السفينتين « كلايد » و « هيو روز » التابعتين لبحرية بومباي ظلتا تحلان محل سفن البحرية الهندية ، محتجزتين الى حد ما في منطقة الخليج ، الا ان انسحابهما كان موكداً بمجرد الانتهاء من مد اسلاك التلغراف .

١٨٦٤ :

وفي سنة ١٨٦٤ ، ذكر المقيم السياسي في منطقة الخليج في تقريره ان لديه من الاسباب ما يجعله يعتقد بأن تجارة الرقيق كانت ما تزال دائرة على اشدها ، لكنه لم تعد لديه اية امكانات يستطيع بها التعامل مع السفن التي تسهم فيها .

١٨٦٥ :

وفي سنة ١٨٦٥ ذكر انه حين تكلف الحكومة من يشغل منصبه ليكـــون حكماً في سائر خلافات المشايخ على الساحل العربي ، فهو في حقيقة الامر عاجز تماماً عن القيام بشيء نظراً لانه لا يملك اية امكانات للحركة .. وقال انه اثناء موسم صيد اللؤلؤ – من ابريل الى اكتوبر – حين تكثر الخلافات بين هؤلاء كانت سفن البحرية الملكية البريطانية ممنوعة بأوامر صريحة من قيادتها من الطواف في منطقة الخليج وحينها لا يتباطأ العرب عن الاستفادة من عجز المقيم العام عن الحركة .. وربما اسفر ذلك عن ارتكاس الخليج مجدداً في حالة من الفوضى وعدم الاستقرار لم يعرفها في تاريخه كله .

١٨٦٦ :

وقد تمت العمليات العسكرية ضد الوهابيين في القطيف والدمام على عجلة ، وكانت نتائجها مخيبة للآمال نظراً لان سفينة صاحبة الجلالة « هاي فلاير » – وهي السفينة الوحيدة التي تيسرت لاداء ذلك العمل وقتذاك – لم تستطع ان تبقى طويلا في الخليج . كما ان هذه الحادثة

أيضاً كشف « مساوىء كون قادة سفن صاحبة الجلالة التي تطوف بمنطقة الخليج على غير علم بشئون السياسة المحلية فيه ، وبعادات واحاسيس هذه القبائل العربية التي تعمل في البحر ، وبصعوبة الملاحة في ذلك المكان من العالم » . وكعلاج للمشكلة الاولى عين مساعدان سياسيان اثنان في مفوضية بوشهر ، غير انه كان من الواضح ان احداً منهما لم يكن قادراً على التغلب على مشكلة نقص المعلومات ذات الطابع البحري .

كذلك كشفت الازمات التي حدثت في مسقط سنة ١٨٦٦ عن الخطر الماثل في الحاجة الى وجود قوة بحرية محلية . فلو لم تكن السفينة « بيرينيس» التابعة لبحرية بومباي موجودة قرب مسرح الازمة لاستحال انقاذ الرعايا البريطانيين من مسقط ، فبعد ان وصلت هذه السفينة — واللاجئون على ظهرها — الى خور الشام ظهرت سفينتا صاحبة الجلالة « هاي فلاير » و « اوكتافيا » في مسقط . وكانت اوامر القيادة البحرية البريطانية تقضي بعدم استخدام سفنها لحراسة محطات التلغراف . وعلى الرغم من هذه الاوامر فقد ابقيت السفينتان « كلايد » و « هيو روز » التابعتان لبحرية بومباي في جوادر وخور الشام لتوفير الحماية المطلوبة نتيجة الثورة في عمان .

وبعدها بقليل في نفس السنة ، ارغمت سفينة صاحبة الجلالة « بانتالون » على ترك الخليج فجأة نظراً للحاجة الى خدماتها في ساحل شرق افريقيا ، وتوقفت بالتالي المفاوضات التي كانت دائرة للصلح مع الوهابيين الى جانب التحقيق في عدة حوادث بحرية كانت قد وقعت قبل ذلك.

وقد جاء في تقرير للمقيم عن تلك الاحداث ضمن رسالة منه الى حكومة بومباي ما يلي :

« ولا بد لتنفيذ سياستنا البحرية في منطقة الخليج من ان تبقى سفينة مسلحة رهن استخدام ممثلكم في الخليج .. ويجب ان تكون هذه السفينة مهيأة للعمل على البر ايضاً .. وان تسلح تسليحاً جيداً ويكون العاملون

فيها اوربيين وتكون تحت اوامر الحكومة الهندية . وقد جاءت قوات صاحبة الجلالة الى الهند وبقيت فيها زمناً طويلا تعمل تحت امرة الحكومة الهندية .. وسيسهل العمل كثيراً اذا طبق نفس النظام بالنسبة للسفن الحربية .. واذا لم يتيسر هذا الاجراء ، فيحسن اذن التفكير في الاجراء الذي نقترحه بديلا عنه وهو ان يعمل طاقم من البحارة الهنود على سفن تبنى لحساب حكومة الهند لكنها مصممة في انجلترا ومجهزة بأحدث وسائل تسليح السفن الحربية البريطانية » .

١٨٦٧ — ١٨٦٨ :

وقد ابرزت الاضطرابات التي حدثت على ساحل قطر في اكتوبر سنة ١٨٦٧ عيوب النظام البحري الجديد او بالاحرى الافتقار الى نظام بحري ، فباستثناء القارب المسلح « هيو روز » التابع لبحرية بومباي الذي لا يستطيع ان يبحر لاكثر من ثماني ساعات متواصلة ، وبحارته جميعاً من الهنود ، فان اول سفينة امكن استجلابها لموقع الحوادث كانت السفينة « سند » التابعة ايضاً لبحرية بومباي والتي وصلت الى المكان في حالة سيئة في مايو ١٨٦٨ . وفي الشهر التالي بدت اعراض تجدد نفس الاضطراب على مستوى اشمل وفي نهاية يوليو واوائل اغسطس فقط ، وصلت سفينة صاحبة الجلالة « فيجيلانت » الى الخليج واتاحت القيام بالعمليات التأديبية الرادعة التي كان يجب ان تتم قبل ذلك بعدة شهور .

ترتيبات خاصة من جانب البحرية البريطانية ١٨٦٩ — ١٨٧١ :

واخيراً وفي سنة ١٨٦٩ اتخذت الاجراءات لتسهيل التعاون بين البحرية الملكية والسلطات الهندية السياسية . على اساس تقديم مساعدة سنوية من حكومة الهند قدرها ٧٠ الف جنيه انجليزي ، ووفق ترتيبات معينة بشأن المصاريف على البر وتكاليف اصلاح السفن وترميمها . وقد خصصت القيادة البحرية البريطانية ست سفن من سفن البحرية البريطانية

التابعة لشركة الهند الشرقية لخدمة حكومة الهند . وكانت ثلاث من هذه السفن قوارب مسلحة خصصت للخليج للقيام بأعمال الخفر والحراسة ومنع شيوخ العرب من تهديد الملاحة والتجارة بالقرصنة او ممارسة تجارة الرقيق . وكان على قائد هذا الاسطول الصغير في الخليج ان يضع نفسه تحت امرة المقيم العام وغيره من السياسيين المسئولين عن تنفيذ السياسة البريطانية ، وكان عليه الا يقوم بأي عمل هجومي قبل موافقة المسئولين السياسيين الذين كانوا أكثر منه معرفة بعادات الناس واقدر على الحكم على صلاحية الاسلوب المنتهج مع شيوخ العرب ورعاياهم . وقد خفف من صرامة المبدأ العام القائل بعدم الاشتباك الحربي بغير امر القائد العام للفصيل البحري كلما تعلق الامر بالخليج .

١٨٧١ – ١٨٧٢ :

وبدأ تنفيذ هذه الاجراءات سنة ١٨٧١–١٨٧٢ ، وفي نفس السنة كانت سفن صاحبة الجلالة العاملة في الخليج هي : « بلفينش » و « ميجباي » و « فلتشر » و « لينكس » و « نيمبل » (١) .

طموح بحري من جانب ايران ١٨٦٥ – ١٨٦٩ :

وخلال الفترة التي كانت فيها هيبة بريطانيا البحرية قد وصلت أدنى مراتبها في منطقة الخليج ، عرض شاه ايران فكرة اضطلاعه بدور في المهام التي لا تجد أحداً يقوم بها ، فاقترح ان يقدم عدة سفن حربية صغيرة يقودها ضباط بريطانيون ويعمل عليها طاقم من البحارة الهنود والعرب ، ويبدو ان وزير صاحبة الجلالة المفوض في طهران لم يرفض هذه الفكرة لكن حكومة الهند عارضتها وبدأت بحث فكرة اعادة قسم

---

(١) تجد قائمة باسماء السفن البريطانية المستخدمة في الخليج من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٩٠٥ في كتاب مستر ج٠أ٠ سالدانـــا : « مختصر الاجراءات البحريــة في الخليج ٠٠ » ١٨٦٢ – ١٩٠٦ ، طبعة سنة ١٩٠٦ ، ص ٦ – ١٠ ٠

من البحرية الهندية لكن الفكرة رفضت بعدئذ . وكان هناك تخوف من احتمال قيام مثل تلك السفن الايرانية بتنفيذ مقاصد ايران في البحرين ، لكنها ايضاً كانت تخشى ان رفضت عرض الشاه ان يلجأ الى فرنسا ، فتقرر ان يسمح له بسفينة واحدة ان لم يكن من ذلك بد . لكن الشاه لم يستمر في مشروعاته البحرية تلك على أية حال ، وحين وضعت سياسة بحرية تقوم بتنفيذها سفن البحرية البريطانية نسي هذا الموضوع وانتهى أمره مؤقتاً .

عمليات المسح البحرية البريطانية فى الخليج
١٨٦١ ـ ١٨٧٣

توقف عمليات المسح البحري توقفاً شاملا ١٨٦١ ــ ١٨٧١ :

لقد أدى الغاء البحرية الهندية ايضاً الى اضمحلال عمليات المسح البحرية التي كان يقوم بها رجال البحرية الهندية في منطقة الخليج .

ويبدو انه كان من الطبيعي ان يترتب على وضع الهند تحت التاج البريطاني في سنة ١٨٥٨ ، وما يتبع ذلك من الغاء البحرية الهندية ، انتقال ابحاث الجغرافيا المائية التي كانت تقوم به حكومة الهند الى قيادة الاسطول البريطاني ، وان بقي مكتب الهند وحكومة الهند يستخدمان كوسيلتي اتصال واشراف في المشروعات الهامة ، ويبدو ان بعض الاجراءات تمت بهذه الكيفية سنة ١٨٦١ ، ولكن لا يبدو واضحاً أن الاميرالية البحرية البريطانية لم تبلغ بالقرار القائل انه مستقبلا « تتولى الاميرالية البريطانية عمليات المسح البحرية التي كانت تقوم بها البحرية الهندية على

نفقة حكومة الامبراطورية » ، علماً بأن الكابتن كونستابل وثلاثة من كبار المساحين في البحرية الهندية قدموا سنة ١٨٦٢ مذكرة لقسم الجغرافيا المائية بالامبرالية عن حالة المسح البحري الهندي وقائمة بالاعمال المطلوب إتمامها . وقد تبين انه لم يتم نشر خرائط موسعة لجزيرة مصيرة والمضائق (وضعت سنة ١٨٤٦) بالاضافة الى خور جرامه وبندر خيران وبندر جصة (وضعت سنة ٤٩-١٨٤٨)وميناءبوشهر (وضعت سنة ١٨٥٧) وكذلك جزر ديناميات (وضعت سنة ١٨٥٨) . ولم تكن هناك عملية مسح لشط العرب،والخريطة التي كانت موجودة لمدخله كانت قديمة وغير دقيقة . كما كان من المطلوب ايضاً اعداد خريطة لساحل مكران . والنتيجة هي انه خلال السنوات العشر التالية لم تحدث عمليات مسح جديدة ، وضاعت مذكرات وخرائط كثيرة كانت ثمرة جهد طويل من المسح .

استئناف عمليات المسح ١٨٧١ :

وفي سنة ١٨٧١ حين وعت حكومة بومباي ضرورة اجراء عمليات مسح جديدة استشارت كولونيل بيللي المقيم السياسي في الخليج وكولونيل هربرت الوكيل السياسي في العـــراق التركي في الامر فجرت مناقشة عامة للموضوع . واشار كل من هذين المسئولين الى ضرورة مسح ميناء الكويت وخور عبدالله بالنظر لما لم يكن مستبعداً من نشوء حاجة لاقامة محطة للسكك الحديدية في ذلك المكان . واشار المقيم العام أيضاً الى ضرورة مراجعة خرائط الخليج في عدة اماكن . وكانت النتيجة النهائية هي ارسال مستر جيرد لستون الصف ضابط المقيم في البحرية الهندية الى الخليج للقيام بعملية مسح لمياه البحرين وقطر تحت اشراف حكومـــة بومباي ، وفي ١٨٧٢ - ١٨٧٣ كانت عمليات المسح تسير على قدم وساق في هذه المياه .

السياسة البريطانية والمسائل الرسمية فى الخليج
١٨٦٢ ـ ١٨٧٣

كانت هذه الفترة فترة توسع اقتصادي وتجاري عظيم في الخليج ، يرجع اساساً الى وسائل المواصلات البخارية والبريد والبرق وتزايد المصالح البريطانية بمختلف ألوانها وصورها .

مشروع كولونيل بيللي لرأس مسندم ١٨٦٣ :

وقد استمر الكولونيل بيللي مقيماً سياسياً في الخليج طوال هذه الفترة تقريباً ، ولن يكون عبثاً ان نقتبس هنا مقتطفات موسعة من مراسلاته الرسمية فهي تصور لنا اراء هذا الضابط القدير ، والكاتب اللامع ، في القضايا العامة خلال نفس الفترة .

في سنة ١٨٦٣ اعد كولونيل بيللي خطة دقيقة لتثبيت النفوذ البريطاني في منطقة الخليج ، وافضل طريقة لتصويرها هي أن ننقل نسخة من المذكرة التي رفعها بشأنها الى حكومة بومباي :

« مذكرة طي الخطاب رقم ١ ـ أ المؤرخ في ١٢ يناير ١٨٦٣ ..

ان مشكلة تطوير خطوط المواصلات البخارية والبرقية في منطقة الخليج تحظى بدراسة الحكومة ، وانا ارجو السماح لي بأن اضع الملاحظات التالية التي تتصل بهذا الامر من حيث علاقته بالمقيمية السياسية في الخليج . وحتى لا أضيع على الحكومة الموقرة وقتاً أكثر من الضروري ساذكر اقوالي في نتائج محددة ، وسيسهل على الحكومة ـ ان استخدمت الخريطة ـ ان تتتبع الخطوات التي ادت الى هذه النتائج :

١ ـ ان الاهداف الرئيسية لاقامة مقيمية سياسية في الخليج هي :

مكافحة القرصنة ، ومكافحة تجارة الرقيق ، وتنمية التجارة .

٢ ـ لقد كبح الان جماح القرصنة على المستوى الكبير ، لكن

رؤساء القبائل العربية العاملة في البحر يتطلبون مراقبة دائمة ، وفضاً سريعاً حاسماً وعادلا لخلافاتهم البحرية والا فسيعودون الى اسلوبهم القديم

٣ ــ ما زالت تجارة الرقيق قائمة .

٤ ــ أما التجارة ، التي كان يفكر فيها على نطاق محدود في الماضي ، فيتوقع لها ازدياد مطرد ومتعاظم ، وقد كانت التجارة هنا ــ وستظل ــ تتكون من بضائع تدخل الخليج في سفن محملة قادمة من اوروبا ،ومن اقاليم الهند شرقاً ، ومن الهند نفسها ... الخ ، ومن بضائع على سفن وطنية تأتي من غربي الهند ومسقط وشرق افريقيا ، ومن خط عدن على ساحل شبه الجزيرة العربية ، ومن بضائع في قوافل تأتي من مشهد وهراة وغيرهما من المواقع في جنوبي آسيا الوسطى عبر سيد الى بندر عباس ، المنفذ الطبيعي لكل هذه التجارة ، وكذلك من بضائع تأتي في قوافل عن طريق طهران واصفهان وشيراز ، ومنها الى بوشهر ، ومن بضائع هابطة في دجلة ــ سواء في البواخر النهرية او في القوارب ــ الى البصرة ، وهناك يعاد شحنها على بواخر بحرية او سفن تهبط بها الى الخليج . ومن تجارة اللؤلؤ والاسماك في الخليج نفسه .. خاصة على طول شواطئه الغربية والعربية ، ومن تجارة التمور وغيرها من البضائع القادمة من ــ او الذاهبة الى ــ موانيء الساحل الغربي الممتدة بين الكويت او القرين شمالا ورأس الخيمة غرباً .

٥ ــ وقد انشئت المقيمية اولا في بوشهر ، ربما لاسباب سياسية ولان دواعي الامن لم تتوفر آنذاك لانشائها على الساحل العربي المقابل ، الذي كان مشهوراً بمناخه القاتل .

٦ ــ ونظرة الى الخريطة ترينا ان بوشهر لم تكن ــ جغرافياً ــ افضل الاماكن الملائمة لتحقيق الاهداف التي انشئت المقيمية لتحقيقها . فواضح ــ بالنظر الى تواجد قراصنة البحر على طول الساحل الغربي الاسفل للخليج ما بين القطيف والبحرين ورأس ماسندم ــ انه لو كان اختير

للمقيمية أي موقع على طول هذا الساحل لكان أفضل ولا شك من بوشهر شريطة أن يكون مناخه واوضاعه السياسية مواتية .

٧ — ان حقيقة كون بوشهر اختيرت بغير عناية من وجهة النظر البحرية يدل عليها ان الاسطول قد وجد لنفسه موقعاً آخر لانشاء قيادته العامة ضارباً صفحاً على موقع المقيم السياسي ، وقد اختير موقع باسادور — على جزيرة قشم ذات المناخ الوخم ، وظل منذ ذلك الحين يحتفظ بقيادة الاسطول هناك علماً بأنه ليس لنا — فيما اعتقد أي تحويل شرعي بذلك باستثناء اذن شفهي من امام مسقط الذي تنازل لايران عن حقوقه في قشم بموجب معاهدة عقدها مع ايران سنة ١٨٥٦ تخلى بعدها عن مطالبه بالسيطرة على الجزيرة مستأذناً من الشاه استئجارها عدداً محدداً من السنوات . وفي اليوم الذي يزعم فيه ان استئجاره الجزيرة قد انتهى يصبح احتلالنا لباسادور موضع سؤال مرة أخرى . ان طرق بوشهر ليست صالحة لملاحة السفن ، وهذا واضح من حقيقة ان مرساها ضيق وضحل ووسائل اتصاله بالساحل عن طريق القوارب بطيئة ومضطربة واحياناً تتوقف لعدة ايام متوالية . فالمرسى يبعد عن الساحل حوالي اربعة أميال ..

٨ — ونظرة ايضاً الى الخريطة توضح لنا ان بوشهر ليست افضل مكان لمكافحة تجارة الرقيق . فالنقطة الاستراتيجية التي يمكن منها مكافحة هذه التجارة (هذا لو أمكن القضاء عليها بالقوة) هي ذلك المضيق الضيق بين رأس جاشك ورأس مسندم في مدخل الخليج ذلك بأن رسو سفينة بحارية هناك ، وقواربها منتشرة حولها ، يضمن مراقبة كل الاساطيل الداخلة الى الخليج بيسر أكثر مما تستطيعه عشر سفن تطوف في الخليج وراء كل سفينة تستطيع بمجرد دخولها الى الخليج ان تلازم الابحار على الساحل الضحل وتصل لموانيء الرقيق الملاصقة .

٩ — ومن وجهة النظر الحربية ، فان موقعاً مثل رأس مسندم له من الافضلية على بوشهر ما لجبل طارق من ميزات في البحر المتوسط

على موقع في الجزائر او في تونس .

١٠ — ولأن الاتصال التلغرافي قد تم الآن ، ولأن من المناسب ان يكون له موقع هنا او هناك ، فيجب على الموقع ان يكون — في حالة قطع الاتصال من اي من الجانبين — بحيث يوفر الاتصال عوضاً منه بطريق البواخر.. وذلك بالنسبة للمقيمية ومواقع تخزين الفحم على السواء.

١١ — ولأن مخازن الفحم امر مهم ، ولا بد ان تتزايد اهميتها مع نمو التجارة وتعاظمها فاننا نشير بأن يكون موقع هذا المخزن عند مدخل الخليج للاسباب الآتية :

توفير جهد ناقلات الفحم وتلافي تعريضها للمخاطر والتأخير ، وكثرة التكاليف باضطرارها للابحار صعداً في الخليج امام ريح غير مواتية واوقات ندرة هبوب الرياح الغربية ، ان كمية الفحم التي تمون بها أي باخرة عند مدخل الخليج (مهما زادت) لا بد ستكفيها الى اقصى مدى لرحلتها حتى بوشهر او القرنة مع العودة . ومدخل الخليج هو النقطة الاولى التي تصلها اية باخرة قادمة من مسافة بعيدة ، حين هي أحوج ما تكون للتزود بالفحم . ومدخل الخليج ايضاً هو منتصف المسافة بين جزر الهند الغربية والبصرة ، كذلك فان اعظم صعوبة تواجهها اية سفينة — وهذه خبرة مستفادة من تجارة الخليج — ليست في الوصول الى مدخل الخليج بل في صعود الخليج وهبوطه ، ويمكننا بالتالي ان نتوقع — مع نمو التجارة — ان نساعد على هذا النمو بنقل البضائع بسفن شراعية الى رأس موساندوم ومنها توزع حول الخليج ، او يصعد بها في خط بواخر دجلة ، وبنفس الطريقة تجمع البضائع على طول شطآن الخليج ، ويعاد بها الى الميناء المركزي في مسندم ليجــري تحميلها من هناك الى الخارج .

١٢ — وكذلك فان الاعتبارات السياسية لا تجعل الارض الايرانية صالحة لاهداف اقامة مقيمية ومحطة تلغراف ومخزن فحم وميناء حر للتجارة ، فمواقع الخليج الاخرى أكثر صلاحية لتلك الاغراض :

صحيح ان للايرانيين بعض المزايا ، لكنهم غيورون وضيقو العقول أكثر من اي شعب رأيته خلال ترحال دام اثنين وعشرين عاماً . وكل حكومات العالم تقريباً تقدم امتيازات للممثلين الاجانب المشتغلين بتجارة الجملة .. ولكن ما حقيقة الوضع في بوشهر ؟ .. انهم لم يكونوا يسمحون للمقيم بأن يبني لنفسه منزلا ، رغم اهمية المنزل لصحته ، وحين رفعت المسألة الى انجلترا سمحوا للمقيم بأن يبني منزلا لا يزيد على حجم خيمة ، وقد غامر طبيب المقيمية ايضاً فبنى له منزلا ، فهدم بيته بأوامر من الحكومة الايرانية ، دون مراعاة لشأن المقيم ، وانا اقدم هذه الحقائق فقط توضيحاً لعلاقاتنا السياسية مع ايران بعد اربعين عاماً من التعامل الديبلوماسي والنفقات الباهظة ، واذا سمح لي ان اقرر الحقيقة المجردة على ضوء خبراتي في السفارة بطهران وفي هذه المقيمية ، فانني أقول بأن ايران لن تساورها الثقة ابداً ببريطانيا طالما ظلت الاخيرة تهاجم ايران كلما حاولت ان تعتدي من ناحية الشرق وطالما ظلت بريطانيا متمنعة عن عقد حلف دفاعي مع ايران من ناحية الغرب (تركيا) وما دام الحال كذلك ، فان علاقاتنا بايران قد تتشوش فجأة وبدون سابق انذار ، ولقد تعمد عندئذ تحت تأثير خوفها من روسيا ، او بسبب من مزاجيتها الى قطع اتصالاتنا مع الخليج بتشريعات تسنها وقبل ان تستطيع القوة او الديبلوماسية انقاذ تلك المواصلات .

١٣ — انه في الوقت الحالي ونحن نتدارس سائر علاقاتنا بدول منطقة الخليج ليحسن بالحكومة ان تخصص من وقتها لتضع حلا نهائياً للمشكلات الآتيه :

أولا : المركزية المتمثلة في وجود ميناء حر تتركز فيه التجارة ، ويعاد فيه شحن السفن ويتم فيه افضل توزيع ممكن للبضائع القادمة بعد نقلها الى سفن صغيرة .

وثانياً : في وجود مركز بنفس الموقع للاتصال التلغرافي ، يوفر توفيراً فعالا مواصلات بالسفن البخارية في حالة انقطاع كوابل

التلغراف لسبب من الاسباب .

ثالثاً : يكـــون نفس هذا المركز انسب مكان لانشاء المخـــازن الرئيسية للفحم .

رابعاً : ويكون كذلك انسب موقع للشرطة البحرية المشرفة على امتداد ساحل القراصنة ، وكذلك انسب مكان يؤمن سرعة الاشراف على منازعات القبائل العربية المشتغلة بالبحر ، وبحد ادنى من تكاليف الوقود ، ودون ان يكون على المقيم ان ينتقل الى مكان يبعد كثيراً عن مقر عمله الرسمي .

خامساً : ويكون ايضاً احسن موقع يمكّن المقيم في الخليج من الانطلاق السريع لمعالجة شئون مسقط والخليج ، فاقاليم مسقط مختلطة اشد الاختلاط باقاليم الايرانيين والعرب وعلاقاتها السياسية متداخلة معهم اشد التداخل . ولذا فمن الواضح انه افضل من وجهة النظر الاقتصادية — حتى لو استبعدنا بقية الاسباب — ان تكون هذه العلاقات جميعاً تحت اشراف رئاسة واحدة .

سادساً : ان يكون الموقع صالحاً ليصبح مركز اشعاع حضاري وسط خضم الهمجية على طول شاطىء العرب ، يتغلب على هذه الهمجية باستخدام الاساليب اللطيفة والصحية — والطبيعية — لغرس الحضارة ، واظن انكم تجدون ان هذه الوسائل ستكون اقوى واكثر ثباتاً واجل فائدة واعظم نجاحاً في قمع تجارة الرقيق والقرصنة من كل السفن الحربية والانذارات والزيارات الرسمية التي يقوم بها مقيمكم هناك(١).

سابعاً: ان يكون مضموناً عملياً وبقدر الامكان من المشكلات السياسية.

---

(١) (لاحظ الغطرسة والروح العنصرية لدى هذا الموظف البريطاني والتي يعكس بها آراء فجة لاتمت الى الحقيقة بشيء ، كما ينسى أن الذين ملؤا مستعمراتهم في امريكا بالرقيق — وفي ذلك الوقت بالذات — لم يكونوا عربا .« المترجم ») .

ثامناً : ان نمنح فيه حقاً غير منازع بالملكية .

تاسعاً : ان يوفر الرعاية الصحية الكافية والماء النقي ووسائل الامدادات والتموين بقدر الامكان .

عاشراً : ان ييسر رسو السفن بهدوء وسلامة .

حادي عشر : ان يجعلنا — في حالة الحرب — قابضين عملياً على ناصية الخليج ، مداخله ومخارجه .

وفي رأيي ان موقعاً ما بالقرب من رأس مسـندم — في ارض حليفنا سلطان مسقط — تتوفر له كل هذه الاعتبارات التي اشرت اليها ، ويجب ان يكون بهذا الموقع ميناؤنا ومقيميتنا السياسية ومحطة تلغرافنا الرئيسية ، ومخزن تموينا الرئيسي بالفحم ، وموقعنا المركزي لمكافحة تجارة الرقيق ، ونقطة انطلاق عامة لنفوذنا في منطقة الخليج ، على ساحل القراصنة وعلى غرب مكران وعلى ساحل مسقط .. هذا الى جانب ملاءمة المناخ هناك الى حد كبير .

وقد وصل الملازم ستيف — من البحرية الهندية — مؤخراً الى بوشهر ، وابلغني ان هذا الموقع يمكن اتخاذه غربي مسـندم وانه قام منذ عدة أسابيع — حين كان يؤدي عمله في مركز التلغراف — بزيارة لمكان اسمه — على ما اذكر — راس شيخ ، وهو مكان يمتد منحدراً كاللسان حتى ينتهي بارتفاع قدره حوالي الف قدم ، به مياه نظيفة واراض يمكن زراعتها ، وبه ميناء فسيح تحاصره الارض ، ويؤدي الى مضيق ارضي يبلغ اتساعه حوالي ٤٠٠ ياردة ، وعلى الجانب المقابل له خليج آخر يطل على شرقي مسندم .

وأنا أعتقد ان هذا الموقع —اذا كان صحياً بما يكفي—هو انسب موقع لمقيميتكم في الخليج ومسقط ، ومنه يمكن ادارة العمل السياسي بشكل افضل من ادارته من بوشهر ومسقط كل على حدة . وعلى اية حال فانه في هذا المنعطف الهام من شئون الخليج يحسن بالحكومة ان تجشم نفسها بعض

الجهد وان تنفق بعض المال لتختبر مناخ المنطقة المحيطة برأس مسندم خلال فصل الصيف القادم .. وانا على يقين من استعدادي شخصياً للقيام بدور في هذه التجربة .

و اخيراً ... اذا راقت لكم هذه الخطة التي اقترحها ، فانني اعتقد اننا لن نخسر الكثير في بوشهر ، من الناحية التجارية . وحين يصل خط مواصلات الخليج ودجلة حده الاقصى من التطور ، فلن تستطيع بوشهر ان تستوعب من التجارة شيئاً أكثر مما يتعلق بالمنطقة المحيطة بشيراز . اما من الناحية السياسية ، فان بوشهر تشكل جزءاً من مهام بعثة صاحبة الجلالة في طهران — وانا اظن ان ادارة الشركة لا تفيد الكثير من وجود المقيمية في مدينة بوشهر ، حيث لا يوجد سوى القليل من الاعمال الهامة ، وحيث لصغار الموظفين اشاعات وإرجاف واهواء تضارّ بها مصالح الشركة على المدى الطويل . ويمكن ان تباع مقيمية بوشهر او تنقل كما تهوى الادارة العامة للشركة وكل الخسارة التي قد تنجم هي مجرد بعض الاشياء التي يرتاح لها المقيم بما فيها نزهاته للترويح عن نفسه في الجبال القريبه .

أما المكاسب الرئيسية فهي واضحة على أية حال من قراءة هذه الخطة المقترحة ، والخريطة توضح المكاسب في المستقبل في حالة طروء أية ازمة في خطوط مواصلاتنا في البحر الاحمر » .

الخطاب رقم ٢ — أ المؤرخ في ١ فبراير ١٨٦٣ :

«١— في مذكرة ملحقة بخطابي رقم ١ — أ المؤرخ في ١٣ يناير ١٨٦٣ اقترحت تركيز مبنى المقيمية في الخليج ومحطة التلغراف الرئيسية ومخزن الفحم جميعاً في موقع بالقرب من راس مسندم حيث يمكن هناك اقامة ميناء حر في موقع يتوسط بين طريق نقل العبيد على مدخل الخليج وبين ساحل القراصنة .

٢ — وقد لخصت في مذكرتي تلك بعض الحجج الرئيسية التي تؤيد

تلك الخطة ، وحين أعملت تفكيري في الامر بعد ذلك ازداد اقتناعي بأنه من المتيسر للحكومة ان تقيم — اذا اثبت ان المناخ في منطقة رأس مسندم محتمـــل — مستوطنة يمكن ان تصبح بفضل مركزها الجغرافي وفي ظل حكم متحرر فائقة الاهمية قبل مضي سنوات طويلة ، كما ان من شأنها ان تؤدي الى اكتساب مصالحنا ومركزنا بشكل عام في منطقة الخليج طابعاً خاصاً بها الى جانب مزيد من التنمية لا تتيسر لها جميعاً في الوقت الحالي .. ولن يتيسر لنا تحقيق مثل تلك المكاسب الا اذا اتخذنا اجراء كهذا الذي اقترحته .

٣ — وانني اعتقد ان اقامة هذه القاعدة بالشكل الذي اقترحته سيثبت انه افضل اجراء عملي ممكن لمنع قوافل سفن الرقيق من دخول الخليج ، وكذلك وقف القرصنة والاضطرابات البحرية ايضاً في منطقة الخليج ذاتها ، وتحضر القبائل العربية البحرية ، ومد نفوذ سليم لنا في جزيرة العرب من ناحية وفي مكران الغربية من الناحية الاخرى ، كما انها ستوفر للمشتتين هنا وهناك من تجار هنود وسواهم ملجأ آمناً يمارسون فيه تجارتهم بحرية كاملة . واخيراً سيكون هذا الميناء المقترح حافزاً وانموذجاً تحتذيه حكومات الخليج في انشاء الموانىء المزدهرة وبذلك يكون عليها الاختياربين تقليد نظامنا هذا او خسارة تجارتها وكسادها .

٤ — واذا وافقت الحكومة على هذا الاقتراح ، فمن المسائل التفصيلية التي يجب النظر فيها ما يلي :

أولا : ضرورة الحصول من سلطان مسقط على تصريح كتابي واضح بملكية الموقع الذي ستشغله المستوطنة ، وانا اقترح ان يعهد بهذه الاعمال التمهيدية الى ايد ثابتة وخبيرة حتى يمكن اعداد كل شيء بسهولة ويسر . اما اذا حدث زيغ او خطأ في هذا الجزء من العمل فلا شك في ان العمل كله سيتأخر كثيراً .

ثانياً : يجب فحص الاماكن المجاورة لمسنـــدم فحصاً دقيقـــاً . وذلك لاختيار موقع ملائم لتلك الاهداف التي ذكرنا بالنسبة لامداد المياه وسعة الارض وملائمة الموقع والمرفأ الهادىء المحاط باليابسة .

ثالثاً : يجب تمهيد الارض مسبقاً وبعناية تكفلان استيعاب الاحتياجات المستقبلية فينبغي مثلا رص المحال العامة والمكاتب قدر الامكان وبكيفية تحول دون وقوعها تحت اطلالة موقع بري اوبحري يعلوها ويجب المسارعة لغرس الاشجار او نقلها من الاماكن المجاورة على طول الطرق المقترحة وبالقرب من مجارى المياه دون اضاعة الوقت ، ويمكن الاستعانة بالعبيد الذين تم عتقهم في هذه الاعمال،وكل يتقاضى حوالي ٣٠ روبية فيالشهر .

رابعاً : وما زال ما بقي من بيوتنا القديمة في المعسكرات في بوشهر صالحاً للعمل كما قيل لي في بومباي ، وهذا ايضاً يمكن الانتفاع به .

خامساً : يجب وضع العلامات المتحركة في الميناء لارشاد السفن ، وان يعين مرسى — بعيد بعض الشيء — خاص برسو سفن صاحبة الجلالة فقط .

سادساً: يمكن ـــاذا كان هذا الاقتراح عملياًـــان ارى شق طريق كما اتفق(١) يمتد من موقع المستوطنة موازياً للخط الساحلي على طول ما يسمى بمدن القراصنة وحصونهم . كما يجب ايضاً اقامة نزل جيد لدى نهاية هذا الطريق في الموقع نفسه يصلح لنزول كل المسافرين ، وفي ظني ان ما ينتج عن الطريق من تيسير التزاور بين قبائل العرب البحرية من جهة ، ونزلاء المستوطنة الاوروبيين من الجهة الاخرى ، سيؤدي الى تحضير هؤلاء

---

(١) من النظرة العجلى التى القيتها أثناء طوافى بهذا الساحل في سنة ١٨٥٧ ، اخشى الا يمكن تنفيذ الطريــق بين خــــليج القنستون ورأس الخيمة · لكن هذه المسافة قصيرة بطريق البحر ، والساحل من رأس الخيمة امتدادا الى الشمال على طول ساحل القرصنة صالح لشق طريق فيه ·

الناس اكثر من اي سبيل آخر ، كما سيفتح ابواب جزيرة العرب امام التجارة والتقدم بما يفوق كل الزيارات الرسمية التي قد يقوم بها المقيم في بوشهر ، وسائر الزيارات السنوية التي قد تمت قبل سنة ١٩٠٠ ، فلا شك ان شيئاً من الخميرة يخمر العجين كله وان الحياة الصحية السليمة بطبيعتها تطارد المرض وتقضي عليه .

سابعاً : ويجب ايضاً اعلان عن هذا الميناء الحر ، وضرورة فتح أبوابه لاقامة كل الناس من كل الشعوب دون شرط الا دفع ايجار او ثمن الارض التي يقيمون عليها ، وان يخضعوا كرعايا لاية اجراءات محلية تفرضها هذه الجماعة على نفسها .

ثامناً : ولسنا بحاجة الى اقامة اسوار على الطريقة التركية ، او نصب الآلات القاذفة للنيران ، ويجب ان يكون دخول المسموح لهم بزيارة المستوطنة دون سلاح ، واذا حدث تمرد او شيء كهذا ، فيجب ايقاع العقاب الرادع بحزم لا يفسح مجالا لمجرد التفكير في رد فعل ثأري .

تاسعاً : ويجب ان يخول الضابط المسئول عن المستوطنة السلطات كاملة حتى يستقر كل شيء ، ولن يكون امامنا فرصة للنجاح اذا أتحنا لصغار المسئولين والموظفين — سواء المقيمين او المتواجدين على السفن بالمماحكة ، والاعتراضات الجدلية على احكام الضابط المسئول .

عاشراً : ويجب ان تتكون القوة البحرية من سفينتين بخاريتين صغيرتين . وعلى المستوى البعيد ستكون السفن المزودة بالماكينات ارخص واقدر على العمل . ويجب الا يكون في هذه الترسانة المسلحة الصغيرة مكان للقب الكومودور او الضابط البحري الاول (وهذا اللقب الاخير ما هو الا تسمية أخرى للكومودور ، ولا اثر له أكثر من التنغيص على الضابط المسمى به بجعله شديد الحساسية على كرامته) . وعلى جميع السفن ان تخضع لضابط المستوطنة ويجب ان تظل تحت تصرفه سواء لمكافحة الرق او للاتصال التلغرافي او مكافحة القرصنة او نقل الرئيس

الى امكنة أخرى في الخليج او للقيام بجولات مختلفة لتحقيق السلم على طول شواطيء اللؤلؤ . ويجب ان تقتصر الحركة على احدى السفينتين بينما تظل الاخرى راسية في الميناء ومستعدة لمواجهة الطوارىء .

حادي عشر : يجب ان تقتصر مهام الادارة العامة وموظفيها في المستوطنة على تذليل المصاعب ، وتحقيق السلم وحماية التجارة الى الحد الذي يساعد على تنميتها وسلامتها ، واقامة مشروعات عامة مربحة كمكاتب التلغراف والبريد والجسور والابار .... الخ اما الامور الاخرى فيجب ترك المستوطنة لنفسها لتستوفيها بمجهودها الذاتي الحر .

ثاني عشر : ويجب ان تكون مسقط — التي تتداخل مصالحها واراضيها بما حـــول مسندم — جزءاً من مسئولية قادة المستوطنة ، وينبغي ان يكون هناك وكيل وطني في مدينة مسقط ، ويمكن للمقيم الحالي في الشارقة ان يتحول للاقامة في المستوطنة .

ثالث عشر : يجب ان يكون هناك نائب قنصل تابع للوزير في بوشهر ، ومع تبعيته لوزارة الخارجية الا انه يجب — فيما يتعلق بشئون الخليج — ان يكاتب الرئيس في مســـندم .

٥ — وفي اعتقادي ان هذه المستعمرة يمكن ان تزدهر اذا تولاها أي مسئول يديرها بعقل وحصافة ويترك الحرية للناس لادارة شئون تجارتهم .

وربما كان من الافضل تسليم شئون المستوطنة لموظف تلقى تدريباً في الادارة العامة فهو خير من مجرد ديبلوماسي اوعسكري فقط ،فالاول عادة ميال لان لا يرى لزوماً لشيء يفعل بعد ان يكتب آخر كلمة في خطابه ، والثاني قد ينسى عادة بأنه لا يمكن ان يكون هناك تعايش بين القانون العسكري ، وقانون التحقيق في سبب الاعتقال» .

ولا يبدو ان هذه الاقتراحات المستفيضة التي اعمل فيها الكولونيل بيللي فكره طويلا قد لقيت اهتماماً من السلطات العليا ، ولو لقيت منهم

هذا الاهتمام لكان محتملا ان يتغير التاريخ التالي للخليج كله .

تقارير كولونيل بيللي في المشاكل السياسية والتجارية ١٨٦٦–١٨٦٩ :

كما كان الكولونيل بيللي ايضاً مؤلف سلسلة من التقارير الهامة عن التجارة في الخليج من جوانبها السياسية ، ومن هذه التقارير نقتبس النصين التاليين :

الخطاب رقم ٥٥ المؤرخ في ١٢ مايو سنة ١٨٦٦

١ – اود في البداية ان اذكر ان الحالة في الخليج هادئة والتجارة منتعشة بشكل عام .

٢ – ومع ذلك ، ومع ما قد اتهم به من محاولة اقحام سياستي المحلية هنا على السياسات العليا للشركة فانني سأجازف بالقول انه لا يمكن ان تعتبر حدود مسئولياتي الان هي نفسها التي كانت من قبل . تذكرون انكم عندما بدأتم تمثيلكم لمصالحكم هنا كانت حدود اهتماماتكم تتخطى السند والبنجاب لكن نفوذ ادارة الشركة الاوربية ما كان يصل الا نادراً الى آسيا الوسطى ، فلم يكن البخار معروفاً آنذاك ، وكانت تجارتنا تنقل عن طريق السفن الوطنية الى شواطئنا ، او فيما بينها وبين انجلترا عن طريق سفننا الشراعية ذات الاربعة صواري . وكنتم من ذلك المنطلق تنظرون الى مصالحكم ، ولم يحدث أي تغير ثوري في تلك النظرة اذا استثنينا قمع القرصنة بفصيل من البحرية الهندية .

٣ – وحين وصلت الى الخليج في نوفمبر سنة ١٨٦٢ ، لخصت لي الحكومة مصالحها التي تهتم بها في الفقرة التالية ، انها كانت تنطوي على التقلص وليس على التوسع والامتداد في هذه المناطق ، وطبيعي ان تلك النظرة كانت تمليها اعتبارات التوفير والاقتصاد وهذه هي الفقرة المشار اليها : « يبدو لصاحب السمو الحاكم ان المصالح البريطانية .. على الشواطىء الايرانية للخليج تكون ممثلة جداً بتعيين مقيم سياسي

له سلطات القنصل في بوشهر ، عوضاً عن مقيم ومساعد مقيم ، كما ان تخفيض منشآت البحرية الهندية في الخليج ، سيرفع عن كاهل المسئول السياسي في بوشهر جزءاً كبيراً من مهامه كمأمور لدفع النفقات . كذلك وظيفة امين الصندوق (١٢٠ روبية في الشهر) يمكن الغاؤها ، ويمكن للمحاسب ان يتولى عمل امين الصندوق بالاضافة الى اعماله الاساسية » .

٤ ــ غير ان الاحداث كشفت ــ فيما بعد ــ عن ان مصالحنا تماماً في تلك الفترة اخذت تقفز فجأة لآفاق أكثر من المتوقع ، فبينما كان اجمالي

قيمة التجارة من والى بومباي ومدراس وكلكتا	٣,٠٠٠,٠٠٠
من والى باتافيا ، سنغافورة والموريشيوس	١,٥٠٠,٠٠٠
الى ومن كراتشي والبحر الاحمر	٥٠٠,٠٠٠
المجمـــــوع	٥,٠٠٠,٠٠٠

سنة ١٨٤٦ اقل من نصف مليون استرليني فاقت الآن خمسة ملايين ، ولقد تبين للمقيم البريطاني الذي كان مفروضاً ان تنحصر مهام وظيفته على الشواطىء الايرانية ان اهم اعماله واثقل اعبائه هي في الشاطىء العربي .

ولقد أدى الغاء وظيفة مساعد المقيم الى ان يلقى على عاتق المقيم ايضاً تلك الاسفار العديدة الـتي كان بوسـع مساعده ان يقوم بها .. وهكذا تجدون ان معظم الفترة التي قضيتها في عملي كمقيم كان فوق ظهور السفن او في العراء حسب المبين على الهامش .

من ٢٢ فبراير الى ٢٣ مارس سنة ١٨٦٣ ،
من ١٥ يوليو الى ١٠ سبتمبر ١٨٦٣ ،
من ٢ ديسمبر ١٨٦٣ الى ١١ يناير ١٨٦٤ ،
من ٣ الى ٣٠ سبتمبر ١٨٦٤ ،
من ١٢ يناير الى ٢٥ مارس ١٨٦٥ ،
من ٣٠ مارس الى ٢٢ ابريل ١٨٦٥ ،
من ١٤ اكتوبر الى ٢١ ديسمبر ١٨٦٥ ،
مـن ٢٨ ديسـمـبر ١٨٦٥ الى ٢١ ابريل ١٨٦٦ ،

كما ادى تخفيض البحرية الهندية ايضاً الذي قصد به رفع بعض العبء عن كاهل المقيم الى الا يجد امامه سوى نفوذه الشخصي والادبي ليسوي به الخلافات على طول ساحل يبلغ أكثر من ١٥٠٠ ميل، بين قبائل كانت لا تنضبط سابقاً الا بالقهر او تظل خارجة على كل قانون، اما القسم المالي، الذي تخلص من المدفوعات العسكرية، فقد القي على عاتقه عبء محطات التلغراف وغيرها من الاعمال المتنوعة . وقد ثبت ان فكرة تخويل المقيم صلاحيات قنصل غير مسموح بها طبقاً للاتفاقية التعاهدية القائمة مع ايران . وفي حقيقة الامر ليس هناك على مدى معرفتي اي قانون تشريعي او قرار حكومي استند اليه في تطبيق اية سلطة قضائية ، او استند اليه في الممارسة العملية لمهام وظيفتي كمحكم في خلافات خرق الهدنة البحرية . وفي نفس الوقت الذي زاد فيه تطور مواصلاتكم البرقية ، افتتحت الخطوط البريدية والبخارية وزاد ايضاً نقل البضائع والمسافرين . وقد ادت ازمة القطن في بومباي الى قفزة مفاجئة في تصدير القطن الايراني الى مئة ضعف عن ذي قبل . وقد تبين ايضاً انه لو فرضت بومباي ضريبة قدرها ١٦٠٠ روبية عن كل كيس من الافيون ، فان ايران ستقدم افيوناً من نفس الدرجة ودون ضريبة على الاطلاق وهكذا نشطت التجارة مع الصين عبر باتافيا . ويبدو ان زراعة القطن المنتشرة هنا بدأت تتناقص ، كما تبين ايضاً ان زراعة القمح بامتداد ساحل الخليج تستطيع ان تسد احتياجاتنا ، ومن هنا نشأت مجدداً تجارة القمح ، وفي نفس الوقت تواصل روسيا مد خطوط تلغراف في الشمال ، كما يتقدم الاوروبيون بافكار حضارية ومشروعات ينفذونها . ومع كل هذه المستحضرات بجيء وكلاء وخبراء يؤدى الاحتكاك بهم الى فتح آفاق جديدة لاذهان الشرقيين تملأ نفوسهم قلقاً وانفعالا . والنتيجة العامة لهذا كله في الوقت الحاضر هي حالة من السخط النسبي والتساؤل يمكننا ان

نسميها بلا مبالغة اتجاهاً ثورياً راد يكاليا يتطلب من كل السلطات المعنية مزيداً من الرقابة والتأهب كان من الممكن تلافيهما لو ظلت المنطقة على حالها من التخلف الاجتماعي والسياسي ، ومن هنا ينطلق جوهر تفكيري.

٥ ــ ومن الناحية الاخرى ، فانا ادرك الحجج التي تساق لدعم الرأي القائل بعزوف بريطانيا عن اية علاقات في الخارج ، وقصر جهدها على تحصين وضعها وراء حدودها عند نهر الاندوس . غير انني اعتقد ان الدول شأنها شأن الافراد تحتاج اذا ارادت ان تعيش دائماً وحيدة معزولة الى حزم فوق طاقة البشر وقوة غير محدودة ، ولقد ينجح الفرد حقاً في العزلة اذا توفرت له الطاقة داخل نفسه ، لكن حياة الدولة تقتضي عدداً متتابعاً من الحكام ، واذا جاء حاكم فلم يجد في نفسه تلك السمات التي بنيت عليها سياسة من سبقه ، فمحتمل ان تخاطر الدولة لاستعادة نموها الطبيعي باستخدام القوة لتعويض ما يكون قد ضاع عليها من ذلك النمو .

« جانب من الخطاب رقم ١٠٤ المؤرخ في ١٩ يونيو ١٨٦٩

١١ ــ ربما كانت الحكومة على علم بما اكدته فرنسا من مقاصدها لفتح خط اتصال من السويس الى البصرة بمجرد افتتاح قناة ديلسبس(١)، وحسبما علمت قام وكيل فرنسي مؤخراً بجولة من مسقط الى شط العرب وقدم تقريراً عن التسهيلات التجارية في منطقة رأس الخليج .

١٢ ــ وهناك ايضاً احتمال لمد خط حديدي يوصل به خط مواصلات نهرية وقنوات بين رأس الخليج والبحر المتوسط . وقد قمت مؤخراً بمحادثة هامة حول هذا الموضوع مع مدير الشئون العامة التركي في باشوية بغداد .

---

(١) واضح انه يعنى بها قناة السويس التى افتتحت للملاحة في نفس السنة . (المترجم).

١٣ — ولا يستطيع دارس لموضوع التجارة ، ولتطور سير الاحداث السياسية منذ الوقت الذي بدأت فيه عملي في السند سنة ١٨٤١ ، ان يتجاهل الاهمية القصوى لخط يربط كراتشي بأوروبا عن طريق ما يسمى خط الفرات ولا يشترط فيه ان يكون عبر ما يسمى الآن بخط الفرات تماماً بغير انحراف عنه ، وقد يستخدم فيه طريق نهري دجلة والفرات ، وقد تستخدم النهيرات والقنوات ، وقد تستخدم هذه جميعاً ، مع وجود وصلات بينها للسكك الحديدية .

١٤ — ولا احب ان ازعج ادارة الشركة باحصائيات تفصيلية لانني اعرف كيف تضلل الارقام ما لم تكن مبنية على حسابات سليمة ومثل ذلك بالنسبة لتجارة هذه المنطقة غير متيسر الان .

١٥ — غير ان التزايد المستمر في عدد البواخر ، والتناقص النسبي في عدد السفن الوطنية ، ورضى التجار ، وازدياد اسعار النقل على ظهور البغال وزيادة عدد المساكن الصالحة للسكنى في الموانىء ، والارتفاع المطرد في أسعار استئجار الخيول .. كل هذه الاشياء وان كانت لا تسد مسد الاحصاءات الدقيقة الا انها حقائق لا شك في وجودها ، وهي ايضاً لم تكن لتوجد الا مع انتعاش التجارة ، سواء قيدت عنها ارقام احصائية أو لم تقيد .

١٦ — ومن الناحية الاخرى ، لا يجب ان ننسى ابداً ان هذا الخط يعتبر فذاً من ناحية هامة الا وهي بينما نرى الحضارة والتجارة تزدهران بأكثر مما كنا نتوقع ، فان الامور باتت تتطلب من الناحية الاخرى رقابة دائمة على طول الساحل القبلي العربي الذي تعود اهله منذ الازل ان يعيشوا ويد كل منهم مرفوعة للعدوان على جاره . وعملية المحافظة على السلم البحري بين الزعماء الاقوياء لهذه القبائل على الساحل عملية ليست لهواً ولا لعباً . فليس الامر ان مجرد ظهور رجل عسكري كفيل بانهاء الخلاف ، ان المطلوب دائماً هو عملية عنف وضغط موحد . ومكانة

المقيم كمحكم في هذه الخلافات البحرية اشبه شيء بمكانة قائد يقف للدفاع عن حدود بحضارة زاهرة في وجه بدو برابرة . ان مثل هؤلاء لا يمكن اعادتهم الى النظام والانضباط بعمل حامية متجولة ، او عمليات ثأرية عارضة ، ولكن يحتاجون لنقاط حدود ثابتة ضاغطة مستعدة في كل لحظة لوقف الغارات ، وشد ازر اصحاب النوايا الحسنة المحبين للسلام . وسيأتي وقت على القبائل التي تعامل بهذه الطريقة تؤمن فيه بأن هدف هذه الدولة المتحضرة ليس القمع والعدوان .. بل هدفها هو الصالح العام الذي يعني تحقيق السلم والتقدم . وسيأتي عليها وقت ايضاً تعرف فيه ان الغارات اوعمليات القرصنة محكوم عليها بالفشل مقدماً . ان قواربنا الخفيفة المسلحة قادرة على مراقبة وحراسة الشاطىء العربي ، وانا — باحترام —اوصي وصاية حارة بأن يتفضل الحاكم العام المعظم ، ويأمر بأن تبقى القوة البحرية الصغيرة المخصصة للخدمة في الخليج وخليج عمان تحت قيادة واحدة ، وان يسمح لهذه القيادة بأن تركز قوتها في مكان واحد ، او توزعها على مدى واسع حسب مقتضيات الضرورة . كما ان خطوط التلغراف الممتدة في هذه المنطقة سوف تتيح للمقيم معرفة كل ما يحصل في أي مكان .. وبشكل عام فان أقاليم مكران ومسقط هادئة تماماً والمنطقة الوحيدة التي تحتاج لاشراف متواصل هي الساحل العربي الممتد على شاطىء الخليج من رأس مسندم الى الكويت . لكن كل ما استطيع ان اقوله عن هذه الاتفاقية (هكذا في النص) يمكن ان تجدوه بشكل اوفى في مذكرات الجنرال الذي حاول لاول مرة ان ينعم النظر في مثل هذه المسائل الصغيرة،واني اشير الى كتابات المرحوم الكولونيل جون جاكوب) .

تقييد عمل المقيم السياسي في منطقة الخليج ١٨٦٢–١٨٧١ :

ومن قبل سبق ان اشرنا الى المشكلة الاولى التي وجد المقيم السياسي في الخليج نفسه فيها من سنة ١٨٦٢ الى ١٨٧١ ، وهي عدم وجود

قوة بحرية تحت امرته ، وواضح من النصوص التي سقناها ان كولونيل بيللي كان يحس بهذه المشكلة احساساً واضحاً وقد عبر عن هذا الاحساس غير مرة .. وكان هو المقيم الوحيد الذي واجهته هذه المشكلة . وفي رأيه انها زادت حدة نتيجة قرار صدر عن حكومة الهند سنة ١٨٦٥ في اعقاب تصرف عنيف من جانب بيللي في البحرين . وفحوى القرار المذكور انه لا يجوز للمقيم مستقبلا ان يصادر على مسئوليته سفن الاهالي . وبالاشارة الى هذا القرار كتب بيللي في ٢ ابريل سنة ١٨٦٦ التقرير التالي:

« ورغم انني عازف عن ان اثقل على الحكومة بهذه التفاصيل الصغيرة الا انني ساغامر بأن ارفق بعض نماذج للشكاوى التي تصل ممثلكم من اقاليم الساحل الممتدة بطول الخليج .. وانا لم اتعمد انتقاء هذه العينات التي ساقدمها .. انما اذكرها كما وردت لي يوماً بيوم .. وفي التقارير آلاف من مثل هذه الحالات .

ومن قبل ، كان بوسع المقيم ان يرسل سفينة من اسطول الخليج ، وعلى ظهرها وكيل او مساعد له ، ليحقق في مثل هذه القضايا ومعه تعليمات منه — اذا فشلت وساطته ولم يقبل احد تحكيمه — بحصار المكان او فرض الغرامة عليه او أي لون آخر من الوان العقاب . اما في ظل هذه الاراء الجديدة من جانب حكومة الهند ، فانا احس بأنه ليست لدي القدرة على اتخاذ اي اجراء تأديبي ، او فرض اية غرامة الا بتعليمات واضحة من الحكومة .

وفي نفس الوقت ، فانني بكل احترام ارجو تزويدي بالتعليمات بشأن الوسائل التي يجب علي اتخاذها ، والكيفية التي استخدمها بها بالنسبة للقضايا المعينة المرفوعة الي .

وعلى العموم ، فانني اخشى — على المدى الطويل — ان تجد الحكومة

من الضروري ان تعيد السلم في بحار الخليج ، وان تحمي اشخاص رعاياها وملكياتهم على ظهر السفن التي تقوم بالتجارة في اسواقه ، ولتحقيق هذا ، يبدو اساسياً ان يكون تحت يد ممثلكم في الخليج :

اولا : وسائل فرض قراره التحكيمي وتحقيق السلم .

ثانياً : إما حريته في العمل حسب مقتضى الحال او تعليمات صريحة واضحة بشأن الطريقة التي يستخدم بها الامكانات التي تحت يده .

ألوان من الشكاوى من ساحل الخليج

عن ترجمة فحوى خطاب مقدم من خميس بن عيسى السيهاتي الى المقيم في الخليج ، سلم في بوشهر بتاريخ ٢٨ مارس ١٨٦٦ :

« ارجو ان ابلغكم ان قارباً مملوكاً لي قد دمر في البحر بين البحرين والقطيف وقتل سبعة رجال كانوا على ظهره .. وهم يتهمون فيصل بارتكاب هذا العمل ، فقد وجد قلع القارب في حيازته ، وقد انكر فيصل قيامه بهذا العمل ، واتهم عبدالله العماني بارتكابه . وطلب عبدالله العماني — الذي كان مع فيصل وسمع اتهامه له — طلب حماية مشايخ البحرين ، والآن يطالب هؤلاء المشايخ بدية الرجال القتلى . وقد ارتكب هذا العمل في اعالي البحار ، وعلى هذا فتحصيل التعويضات عنه امر موكول اليكم ، وانا اطالب بدية هؤلاء الرجال السبعة ، واطالب بثمن القارب والشراع وهو يساوي ٥٥ دولاراً . كان من واجبي ان ابلغكم بهذه الحادثة ، لان عليكم تحصيل التعويض عن الحادث ولا عذر لكم في هذا الامر .. وانا صاحب هذا القارب خميس بن عيسى السيهاتي » ..

عن ترجمة خطاب من خالد بن سلطان — شيخ الشارقة — مؤرخ في ٢ رمضان سنة ١٢٨٢ (٢٠ يناير ١٨٦٦) ، سلم في بوشهر بتاريخ ٢٨ مارس سنة ١٨٦٦ :

« يقول ان سفينته من نوع (البغلة) هبت عليها عاصفة فيما هي قادمة من البصرة فاضطرت للذهاب الى عجمان للرسو هناك ولكنها ارتطمت بلسان صخري وقد نهبت حمولتها من قبل مجموعة من القوارب ولم يسترد منها الا القليل ، وحين اراد اصحاب البغلة تعويمها منعوا من ذلك ، فبقيت السفينة الى ان حطمها الموج ، وحاول اصحابها ايضاً انقاذ أجزاء منها فحيل بينهم وبين ذلك وهذا هو نظام البحر هذه الايام فان كان السركار يوافق على مثل ذلك العمل فليعلمنا واما ان كان يبغي انصافنا فنحن نطالب باسترداد كل ما اخذ من البغلة وكذلك بالتعويض عن كل خسارة اصابتنا منذ ارتطمت البغلة بالصخر » .

☘ ☘ ☘

من فحوى خطاب مترجم من محمود علي الى حاجي يعقوب وكيلنا في الشارقة غير مؤرخ وسلم في بوشهر في ٢٨ مارس ١٨٦٦ :

« ارجو ان ابلغكم ان آل بو سميط — وشيخهم سعد بن محمود قـــد هـــاجموا بعض رعاياي في ثلاثة قوارب على شاطىء اللؤلؤ ، وكسروا القوارب الثلاثة ، واعتدوا على بحارتها ، فكسروا فك واحد منهم . ونحن نعرف ان المقيم البريطاني (السركار) هنا هو سيد البحار . لا آل بو سميط . نرجو ان تبلغوا المقيم بهذا ، لاننا نستطيع ايضاً ان نفعل كما فعل آل بو سميط .. لكنها مسئولية السركار فقط ان يعيد لنا حقوقنا » .

من ترجمة خطاب محمود بشير — الذي يعمل وكيلا لنا في الشارقه — الى المقيم في الخليج مؤرخ في ١٣ شوال ١٢٨٢ (الموافق اول مارس ١٨٦٦) ، وصل في ٢٨ مارس ١٨٦٦ :

وفيه يذكر عجزه عن الحصول من شيخ عجمان على تعويض عن الاملاك التي نهبتها عصابة من عجمان من سفينة البغلة التابعة للشارقة وعجزه كذلك عن استرداد اجزاء السفينة نفسها وكذلك عن املاك بقيمة ٥٧٨٠,٥ قران لاهل لنجة و ٢١٠٠,٥ قران لرعايا انجلترا .

عن ترجمة خطاب من رئيس موجو الى الشيخ محمود بشير ، الوكيل في لنجة ، دون تاريخ ، وصل بوشهر في ٢٨ مارس ١٨٦٦ :

« هاجم آل بوسميط رجالي في البحر واطلقوا عليهم النار ، وأخذوا منهم أحد الغواصين بالقوة ، ومحمود بن ناير — الذي يحمل لكم هذا الخطاب — يستطيع ان يحكي لكم التفاصيل . »

* * *

عن ترجمة لخطاب من محمود بشير — العامل كوكيل في الشارقة — الى شيخ لنجه مؤرخ في ١٣ شوال ١٢٨٢ (الموافق اول مارس ١٨٦٦) ، وصل في ٢٨ مارس١٨٦٦ :

« طلب التعويض عن تحطيم أسنان احد رجاله ، وغواص واحد نقل بالقوة حين هاجم آل بو سميط هذا القارب ، ويقول انه قد قام بواجبه ، وابلغ المقيم .... ولا بد من ارسال سفينة حربية لتعيد الامن وتحصل على التعويض المطلوب » .

عن ترجمة خطاب من بني ياس المقيمين في جزيرة قشم ، مؤرخ في ٣ ابريل وسلم في بوشهر في ١٨ ابريل سنة ١٨٦٦ :

« ان هناك ٣٠ اسرة مستقرة في قشم تود بسبب سوء المعاملة ان تهاجر وتعود لبلادها ، ولكن شيخ قشم يرفض ان يسمح لها بالهجرة . فنرجو من المقيم ان يدبر امر السماح لها بالخروج من قشم ، فهي من رعايا بريطانيا » .

عن ترجمة خطاب من طرسو،بونيا مؤرخ في ٢٩ ذي القعدة سنة

١٢٨٢ (١٦ ابريل سنة ١٨٦٦) ، وصل بوشهر في ١٦ ابريل ١٨٦٦ :

« ابلاغ بأن سفينتهم — التي كانت تحمل بضائع للتلغراف اضرت بها العواصف فجنحت الى البحرين للاصلاح ، لكن الشيخ لم يسمح لهم باصلاحها في ميناء البحرين وارغمهم على الخروج الى البحر والسير حتى الفاو ، ولكن لدى عودتها من هناك ، ارغمت على ان ترسو على ساحل اشان ، حيث تحطمت هناك ، واستولت قبيلة عمير على ١٨٠ لوحاً من حطامها ، واخذت ثلاثة قوارب لقبيلة بوفلسه جزء من بقايا الحطام ، وما تبقى حمل الى الكويت . وقد استشهد على هذه المعلومات كل من الشيخ محمود المغبري من الكويت ، وعبدالله بن سلمان من القطيف ، وكلاهما الان في بوشهر » .

☘ ☘ ☘

ولا يبدو ان حكومة الهند وجدت من الضروري ان تعدل من تعليماتها القديمة ، او تصدر تعليمات جديدة .

استقلال الممثل البريطاني في طهران ١٨٧٠–١٨٧١ :

وفي سنة ١٨٧٠–١٨٧١ ، شكلت بلجنة من مجلس العموم لدراسة التمثيل البريطاني الديبلوماسي والقنصلي ، واعادت النظر من جديد في حكاية استقلال ممثل بريطانيا في طهران الذي كان ما يزال من كل النواحي خاضعاً لوزارة الخارجية رغم ان معظم اعتماده مالياً كان على أموال حكومة الهند . ومالت اللجنة الى الرأي القائل بأن تصبح البعثة السياسية في طهران تحت اشراف وزير الدولة لشئون الهند . واوصت — اذا ثبت ان هذا التغيير ليس عملياً — ان يختار اعضاؤها دائماً من مكتب الهند ، وان ينقص القدر الذي تدفعه حكومة الهند من نفقاتها المالية . غير ان هذا القرار لم تكن له أية نتائج عملية .

تعيين مساعد للوكيل السياسي في جوادر ١٨٦٣ :

وفي سنة ١٨٦٣ ، وبالنظر لما كان جارياً من انشاء الخطوط التلغرافية وقتذاك بالاضافة الى نزاع الحدود بين قالات وايران ، عين مساعد بريطاني للوكيل السياسي على ان يكون مقره جوادر ، وظلت هذه الوظيفة موجودة طول ما بقي من هذه الفترة .

الشئون البريطانية السياسية والرسمية في العراق التركى ١٨٦٢ - ١٨٧٣

كان التطور الحضاري في منطقة الخليج يقابله تطور آخر — وان كان على مستوى اقل — في العراق التركي . وقد رأينا ان شركات تجارية بريطانية للملاحة كانت تتقدم هناك ، وربما لسرعة تعاظم المصالح البريطانية في العراق كان موقف المسئولين الاتراك — خاصة في الجزء الاول من هذه الفترة —موقفاً عدائياً الى ابعد الحدود .

مقر الوكالة البريطانية السياسية في بغداد ١٨٦٩—١٨٧٠ :

وفي سنة ١٨٦٩ ، تمت موافقة الباب العالي على انتقال مقر الوكالة السياسية البريطانية ، وكان مقرها سفينة قديمة من سفن اسطول ما بين النهرين، لكن المسئولين البريطانيين فهموا ان وجود هذه السفينة امر غير مرغوب فيه من جانب السلطات التركية . وبدا ان حكومة الهند تميل الى الموافقة على الاذعان لذلك — ربما اعتباراً لخفض النفقات في المقام الاول . غير انه تقرر — بناء على نصيحة سفير صاحبة الجلالة في القسطنطينية — انه يجب المحافظة على تلك المزية التي تتمتع بها بريطانيا ألا وهي بقاء سفينة بريطانية تجارية مسلحة داخل بغداد .

وصية اوض :

وفي سنة ١٨٤٩ اوصى ملك اوض الراحل بوقف نقدي ضخم على مدينتي كربلاء والنجف ـ حسب اتفاقية عقدها مع حكومة الهند ـ وامر بأن يوزع المال على فترات ، في هاتين المدينتين عن طريق المقيم في هذه الاماكن . واصبحت الوكالة السياسية البريطانية ـ من حيث هي ممثلة حكومة الهند في العراق التركي—هي التي يتم عن طريقها الدفع . وكانت هذه الوصية النقدية تبلغ مبلغاً ضخماً : حوالي ٧٣٣٤ روبية كل شهر ، أي ما يساوي ٧٥٠ جنيهاً استرلينياً كل شهر حسب سعر التبادل في ذلك الوقت . وكان محتملا ايضاً ان يزداد هذا المبلغ نتيجة ضمائم أخرى من عقارات لنفس الملك الراحل . وكانت ضخامة هذه الوصية تكسبها اهمية سياسية كبيرة . فقد كان ثمة خوف في اول الامر أن تؤدى هذه الاموال الطائلة المقتصر توزيعها على الشيعة الايرانيين والعراقيين فقط الى سخط حكومة تركيا السنية ، وا نيؤدى هذا بدوره الى التوتر بين الشيعة والسنية . لكن هذه المخاوف لم تتحقق .. فقد كلفت حكومة الهند الوكيل السياسي البريطاني في العراق التركي تجنباً لاثارة المشاكل السياسية بتوزيع تلك الاموال بروح الحكمة والحصافة .

وبمرور الزمن ظهرت مشكلات وارتباكات خطيرة في توزيع تلك الاموال ، اسهم فيها عدم وضوح الوصية الاصلية التي وقعها ملك اوض ، واتخذت الترتيبات لتخصيص جزء منها لفقراء الهنود في كربلاء والنجف والكاظمية ، واشتبكت هذه الاجراءات اشتباكاً مخلا باعمال بعض التجار الهنود غير المسؤلين رسمياً .... وباجراءات حماية مصالح الهند البريطانية في كربلاء والنجف والكاظمية . ولما أصبح صرف تلك الاموال ، برغم التحفظات الموضوعة لصالح الهنود ، بايدي مجتهدي كربلاء والنجف اسيء صرفها او بددت . وفي سنة ١٨٦٦ اثار نواب اقبال الدولة وهو نبيل هندي من المشتغلين بالحياة العامة ومن عائلة اوض

ومقيم في بغداد – مشكلة اصلاح هذا الاضطراب والعبث في توزيع أموال الوصية .

وفي سنة ١٨٦٧ ، اوصى الوكيل السياسي ، بعد التشاور مع نواب اقبال الدولة ، بأن تصرف عوائد الهبه في المستقبل على مجتهدي الهنود فقط وتقصر عليهم ، ويتم توزيعها عن طريق لجنة من وجهاء الهنود المقيمين في المنطقة باشراف الوكيل السياسي . لكن حكومة الهند رفضت هذا الاقتراح استناداً الى كلمات الاتفاقية كما فهمتها آنذاك .

لورد نورثبروك نائب الملك في الهند
مايو ١٨٧٢ – ابريل ١٨٧٦

من هذه النقطة من التاريخ فصاعداً ، وقد اكتسبت اوضاع الخليج شكلها الذي نراها عليه اليوم ، فان افضل تقسيم للفترات الزمنية هو ما يتفق مع فترات حكم نواب الملك المتلاحقين كحكام عامين ونواب للملك في الهند .

انتقال ادارة المصالح السياسية البريطانية فى منطقة الخليج من حكومة بومباى الى حكومة الهند ١٨٧٢ ـ ١٨٧٣

أصبحت الوكالة السياسية البريطانية في العراق التركي خاضعة للاشراف المباشر من جانب حكومة الهند في سنة ١٨٤٣ . غير ان المقيمية السياسية البريطانية ظلت حوالي ثلاثين سنة بعدها خاضعة كما كانت في الماضي لحكومة بومباي . واخيراً في سنة ١٨٧٢ رغبت حكومة الهند في ان تتولى مستقبلا ـــ بدل حكومة بومباي ـــ توجيه « علاقات الحكومة البريطانية بالدول والقوى الاجنبية غربي الهند أي : مسقط وزنجبار ودول ساحل جزيرة العرب وساحل الخليج » . وفي طلب التصديق على هذا الاجراء من حكومة صاحبة الجلالة ، ذكرت حكومة الهند بتاريخ ١ آذار ١٨٧٢ ما يلي :

انه نتيجة لتزايد وسائل المواصلات ، وتوسع التجارة ، وازدياد التقارب في العلاقات بين الدول الاسيوية والاوربية ، ولاسباب اخرى ، فان علاقاتنا السياسية مع هذه البلاد قد اكتسبت مؤخراً اهمية لم تكن لها من قبل على الاطلاق ، وأدى هذا بدوره الى قيام مشكلات .. لعلها أصعب وادق ما يشغل اهتمامنا في وزارة الخارجية ، فالحروب والتمردات ووراثات الاسر الحاكمة تتابع وقوعها في بعض هذه البلاد بسرعة هائلة .

وفي كل هذه الحالات كان سير الاحداث ، يتطلب مقررات حازمة في مشكلات لها اهميتها الدولية الكبيرة . وفي الحقيقة ، لقد واجهتنا غير مرة مواقف تختص بامور كنا نظنها قد سويت في الظاهر ، واذا بنا نضطر لمواجهة قضايا تتعلق بسياسات الدولة في الماضي والحاضر والمستقبل يتوجب علينا الحسم السريع فيها مع الحزم ايضاً .

ان سائر هذه المشاكل تقريباً له طابع امبراطوري محض بحيث لا تستطيع اية سلطة ان تبت فيها غير السلطة الاعلى في الهند . ولقد نشأت بعض هذه المشاكل نتيجة موقف حكومتي تركيا وايران من جيرانهما في امور تؤثر تأثيراً مباشراً على اهم مصالح الامبراطورية البريطانية ومن بينها المراسلات مع الدول الاجنبية ، وتقييم اعمال وسياسات الدول في مؤتمرات اوربا ، وكذلك التصرف حيال المشاكل الدولية الهامة مما لا تستطيع اية حكومة محلية ان تعرف خفاياه او توجيهه وكلها امور ما كان يمكن ترك ازمة التصرف فيها او تسويتها الى سلطة اقل من حكومة صاحبة الجلالة في الهند .

وفي السنين الغابرة ، حين كان النقل بالبخار ما يزال في مراحله الاولى ولم يكن الاتصال التلغرافي معروفاً بالمرة — ربما كان من المرغوب فيه ان نترك جانباً هاماً من هذه المشاكل بيد السلطات الفرعية ، لان اتصالها بمثل تلك البلاد كان اسرع واكثر انتظاماً . لكن هذه الضرورة قد انقضت منذ زمن بعيد . فليس بين تلك البلاد ما لا يمكن الاتصال به بسرعة الاتصال البرقي ، او عن طريق البريد بنفس السرعة تقريباً ، سوأء كان هذا الاتصال من جانب حكومة الهند او حكومة بومباي . وانتهت بالتالي الاسباب التي كانت تحتم قيام النظام القديم ، ولذا يجب ان يكون الاشراف على العلاقات السياسية الخالصة مع الدول الاجنبية المستقلة تابعة للسلطة الاصولية المختصة والتي عن طريقها فقط يمكن ضمان امن ونمو المصالح الامبراطورية . والحقيقة ان مبررات هذا التغير كانت قائمة منذ زمن بعيد . . وذلك انه حين كانت تقوم مشكلة على جانب غير عادي من الاهمية ، او ضرورة طارئة ، مثل الحملة التركية على نجد ، فاننا لم نتردد في اصدار تعليماتنا مباشرة الى ممثل الحكومة البريطانية في المنطقة ، مرسلين نسخة لحكومة بومباي لإخطارها . وحتى في مثل هذه المناسبات . وبالاحرى طبعاً فيما هو اهم منها فاننا نجد ، حين تتولى الحكومات المحلية امر اتصالات برقية او سواها ، ان حسن

تفهم الوكلاء المحليين لخط السياسة التي ترغب حكومة الهند في تطبيقها ، ووصول المعلومات عن الشئون العامة الينا كل ذلك يتعرقل كثيراً بسبب مداخلة الحكومة المحلية » .

وذكرت حكومة الهند في خطابها هذا عدة احداث تصور الاضطراب والتأخير الذي نجم عن كون حكومة بومباي وسيطاً بين حكومة الهند ووكلائها السياسيين في هذه البلاد المعنية .

وفي اواخر السنة حين تغير حاكم بومباي ، ولم تكن حكومة صاحبة الجلالة قد ردت بعد على حكومة الهند ، اقترحت حكومة بومباي من جانبها ان ينقل الاشراف على المقيميات السياسية في منطقة الخليج ، والوكالة السياسية في زنجبار الى ادارة الشئون الخارجية بحكومة الهند ، وان تنقل كل المعلومات التي يرى انها هامة او ذات قيمة في المستقبل عن طريق المسئولين السياسيين المحليين .

وقبلت حكومة الهند هذا الاقتراح — بعد تصديق حكومة صاحبة الجلالة عليه — وامرت بأن ينفذ مباشرة ، واصدرت تعليماتها لكل من يعنيهم الامر . وفي نفس الوقت امرت بأن ترسل نسخ من كل المراسلات بين بوشهر وزنجبار وبينها او العكس الى حكومة بومباي — الى الحد الذي يقرره حاكمها — لمده بالمعلومات .. وللاستفادة بملاحظات الحاكم واقتراحاته على ما تتضمنه .

وافقت حكومة صاحبة الجلالة على سائر تلك الترتيبات ، وهكذا فانه الى جانب الاشراف السياسي على العلاقات مع الخليج وزنجبار ، انتقل الاشراف على جميع المراكز البريطانية السياسية في تلك المناطق نهائياً الى حكومة الهند .

الاحوال فى ايران ١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

وفي ايران ، ظلت سلطة الحكومة المركزية او سلطة الشاه قائمة وثابته ، وفي سنة ١٨٧٥ استطاع الشاه ان يغامر بانتهاج بدعة مثيرة الا وهي تغيبه عن مملكته في رحلة لاوروبا .

وكانت السياسة الروسية تناصب المصالح البريطانية اشد العداء ، خاصة في اتجاه آسيا الوسطى ، كما كانت روسيا تدرس خططاً للتغلغل من جنوب ايران لمقاومة النفوذ البريطاني . ففي ١٨٧٥ ــ ١٨٧٦ قدم طلب باسم شركة بريطانية الى الحكومة الايرانية للتصريح لها بالملاحة البخارية في نهر قارون . وكانت حكومة الهند تؤيد ذلك المشروع وتتهيأ لتقديم معونةمالية لدعمه ، لكن الحكومة الايرانية لم تسمح عندئذ لا بمنح الامتياز الخاص ولا حتى بفتح النهر للملاحة العامة ــ رغم أن هذا الاقتراح كانت تناقشه لجنة ايرانية شكلت خصيصاً لدراسته .

الاحوال في تركيا ١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

وفي تركيا .. كانت الحالة السياسية تتابع تدهورها نتيجة سفه رجال البلاط والحكام في القسطنطينية وسوء الحكومة في اقاليم البلقان . وقد ثبت للاتراك ان اقليم الاحساء ـ الذي ضمه الباب العالي للدولة في العقد الاخير ـ تصعب السيطرة عليه وادارته..الى جانب انه لا يفيدهم شيئاً يذكر . فرأت الحكومة التركية ـ خلاصاً من المشاكل والنفقات التي وجدت نفسها متورطة فيها ـ ان تعين شيخاً وطنياً من اهل الاقليم حاكماً باسم تركيا وان تسحب معظم حاميتها . وخلال شهور قليلة بعدها قام قريب لامير الوهابيين بغزو الاقليم ، واطاح موقتاً بالحكم التركي . كما حاصر الشيخ الذي عينه الاتراك في حصن بعاصمة الاقليم .. لكن موقف تركيا امكن انقاذه بوصول ناصر باشا شيخ المنتفق من البصرة ومعه قوات كبيرة . وقد عاد الشيخ الى البصرة بعد ان سوى الامور في الاقليم المتمرد « تسوية لا ترحم » . وفي سنة ١٨٧٥ ، انشئت ولاية جديدة باسم ولاية البصرة ، وذلك باقتطاع بعض اقاليم ولاية بغداد ، وضم اقليم الاحساء اليها ، واصبح ناصر باشا ، رغم انه عربي المولد والقبيلة ، اول حاكم لهذه الولاية .

ولم يحل هذا الفشل بين الحكومة التركية القائمة وقتذاك وسياستها في التوسع الاقليمي . ففي سنة ١٨٧٢ استولوا على منطقة « جوف العامر » على حدود نجد بواسطة قوة صغيرة ارسلت من فلسطين ، ولكنهم لم يسيطروا على تلك الواحة سوى سنتين فقط ،وبدأ تآمر الاتراك على موقع عديد على حدود قطر في عمان المتصالحة . وخلال هذه الفترة كان العلم التركي يرتفع احياناً فوق العديد ويعتقد ايضاً ان اهلها كانوا يدفعون جزية موسمية لتركيا .. وحوالي هذا الوقت فقط بدأت الغيرة تساور الحكومة التركية من نفوذ بريطاني متوهم في قلب الجزيرة العربية .

العلاقات بين تركيا وايران ١٨٧٢ ـ ١٨٧٤

الفترة التي نحن الآن بصددها كانت فترة تجديد التقارب بين ايران وتركيا .

فقد أدى الشاه فريضة الحج ، على الارض التركية في سنة ١٨٧١ ، ثم عاد واكد هذا الاتجاه بأن قام بزيارة شخصية للسلطان في القسطنطينية سنة ١٨٧٣ ، وفي سنة ١٨٧٥ ، تم توقيع معاهدة بين البلدين سويت بمقتضاها مشكلات طالما ثار حولها الخلاف طويلا حول صلاحيات وحصانات القناصل الايرانيين في تركيا ، والاتراك في ايران وبشأن سوء معاملة الرعايا الايرانيين في تركيا .

ولكن ظلت مشكلة الحدود التركية ـ الايرانية قائمة تمنع التوصل الى اتفاق كامل بين البلدين ، وللخلاص من هذه المشكلة اجتمعت لجنة من ممثلين ايرانيين واتراك فقط بالقسطنطينية في شتاء ١٨٧٤ـ١٨٧٥ لكن اعضاءها لم يتفقوا على شيء . فتشكلت لجنة اخرى تضم ممثلين عن بريطانيا وروسيا هذه المرة اجتمعت بالقسطنطينية خلال ١٨٧٥ ـ ١٨٧٦ ، وكانت مهمتها ـ كمهمة اللجنة التي سبقتها ـ ان تتبع الحدود على الخريطة التي اعدتها لجنة وضع الحدود لسنة ١٨٤٨ـ١٨٥٢ ، لكن اعمالها تأخرت كثيراً نتيجة مغالاة الوفد التركي في مطالبه منذ البداية ، ثم أدى نشوب الحرب الروسية ـ التركية في ١٨٧٦ـ١٨٧٧ الى توقف اعمال اللجنة قبل انتهائها .

شئون وعلاقات الساحل الغربى للخليج
١٨٧٢ - ١٨٧٦

على طول الساحل الغربي للخليج ظلت الامور هادئة بشكل عام ، وظل الاتراك مسيطرين على الحسا كما سبق ان بينا ، بينما لم يكن لبريطانيا سوى اتصالات قليلة ، كما لم تنشأ لها أية علاقات بأية سلطة محلية في المنطقة الا بشيخ البحرين . فقد بلغ وقوع البحرين تحت النفوذ البريطاني حداً جعل شيخها يتعود تنفيذ نصائح الحكومة البريطانية في الشئون الخارجية ، كما كان يعتمد عليها ايضاً في توفير الحماية له ضد أي هجوم من الخارج . وفي سنة ١٨٧٤ تهددت البحرين بغزو البدو من ناحية قطر ، لكن البحرية البريطانية قامت بمناورة رادعة صدت الهجوم ، وفي السنة التالية استجاب شيخ البحرين لنصح بريطانيا ، وفصل مصالحه عن مصالح سكان البر القطري ، وكان ما يزال يزعم لنفسه حق السيادة عليهم .

الحالة فى سلطنة عمان ١٨٧٢ - ١٨٧٦

وفي سلطنة عمان - كما في البحرين - ازداد نفوذ بريطانيا واصبحت علاقة ممثليها بالسلطة المحلية هناك علاقة وثيقة ، وقد كان وصول المدد البحري البريطاني للسلطان متأخراً فلم يحل دون اذعانه لمطالب قوة متمردة من البدو هددت مسقط في اوائل سنة ١٨٧٤ ، ولكن بعدها بشهر او شهرين ، قامت السفن الحربية البريطانية بصورة جدية بقمع ثورة حدثت في اقليم الباطنة ، وارغمت المتمردين على التراجع من مصنعة والسويق.

الدول الاجنبية ـ غير بريطانيا ـ فى الخليج
١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

كان النفوذ الروسي ومعارضته لاهداف المصالح البريطانية في ايران ابرز معالم الصورة السياسية العامة في المنطقة ، ولكن لم تبد ـ بعد ـ أية اعراض لنفوذ روسي في منطقة الخليج .

ولم تبرز مصالح فرنسا الا في محاولتها الحصول من الشاه على امتياز ضخم لاعمال زراعية ومشروع صناعي في اقليم عربستان . لكن هذه الحركة التي ارتبطت باسم دكتور تولوزان طبيب الشاه لاقت الفشل بسبب ادعاء أسبق منها لبريطانيا بحق التعويض عليها عن الغاء امتياز «رويتر» .

ترتيبات البحرية البريطانية فى الخليج
١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

في سنة ١٨٧٤ قررت السلطات البحرية البريطانية بصدد المحافظة على سفن البحرية البريطانية المخصصة للخدمة في حالة طيبة من الكفاءة بمداومة استبدال سفن الخدمة ، أن تتولى الواجبات المعتادة سفينتان من السفن الثلاث المخصصة للخليج في حين تظل السفينة الثالثة في سفر الى الهند ، وان يسمح لكل سفينة ـ اذا امكن ذلك ـ بأن تقضي عشرة ايام أو اسبوعين متواصلين في ميناء كراتشي او بومباي كل اربعة اشهر ، ولدى عودتها ـ وهذه قاعدة عامة ـ عليها ان تمر بميناء جوادر او شاهبار لتسجل وصولها وتتلقى الاوامر بالواجبات التي عليها اداؤها . وعلى المقيم العام ان يتابع عملية حركة السفن هذه . كذلك جاء في نفس تلك التعليمات البحرية « بالطبع يجب اطاعة اوامر المقيم العام والوكلاء

السياسيين بكل دقة ، اما اذا تعارضت تلك الاوامر مع نظام الراحة المشار اليه ، فعلى قواد السفن المعنية ان يوضحوا لهؤلاء المسئولين ما يعتقدون بأنه افضل السبل للتوفيق بين خدمات السفن لمطالبهم وحاجتها أيضاً للحركة والاستبدال ، حيث ان استبدال السفن لازم لحفظها في حالة عالية من الكفاءة ، وان تعاونهم في ذلك امر ضروري » .

وفي اواخر السنة ، ونظراً لتزايد تهديد قبائل العرب المحيطة بالبحرين لها ، ابرق المقيم العام في الخليج الى كبير ضباط البحرية بأن وجود سفينة حربية امر ضروري وعاجل ، ومرت عشرة ايام قبل ان ان تبحر السفينة — المقررة للمهمة — من كراتشي ، ومضت ثلاثة اسابيع أخرى قبل وصولها الى المكان المطلوب ، فكان على السلطات البريطانية الموجودة هناك ان تعالج الوضع بخير الوسائل المتاحة بتركيز سفينتين من سفن بحرية بومباي هما « هيو روز » و « ماي فرير » تجاه جزر البحرين . وبعدها مباشرة طلب المقيم العام تحديد حالات الضرورة التي توجب على السفينة المستريحة قطع راحتها بناء على اوامر السلطات السياسية . وردت حكومة الهند بأن على المقيم نفسه ان يقرر في كل مرة ما اذا كان نظام الراحة قد يؤدي الى مشاكل وطوارىء سياسية ام لا .. لكن عليه أيضاً ان يخطر حكومة الهند برقياً بكل حالة يضطر فيها الى التدخل في نظام راحة السفن ، وذلك كي تكتسب اعماله صفة المشروعية .

لقد كانت حكومة الهند تعبر راحة السفن اهمية خاصة ولذلك فقد اعتبرت تقدير المقيم لحالة البحرين مبالغاً فيه ، وتبين كذلك ان التأخير الذي حصل للسفينة الموجودة في كراتشي كان بسبب اضطرارها لانتظار وصول قوارب قادمة من بومباي لتتعوض بها عن قواربها التي خسرتها خلال اعصار بحري كان قد هب عليها .

وفي سنة ١٨٧٤ ، احتج والي بغداد على زيارة قامت بها الى القرنة سفينة حربية بريطانية ، وقال ان شط العرب — صعوداً بعد البصرة — انما يعتبر مياهاً تركية محلية .

الامن في البحار ١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

خلال هذه الفترة حدثت حادثة خرق واحده لأمن البحار وذلك في الجانب التركي من البصرة ، حين هجم القراصنة على سفينة البريد البخارية « كشمير » اثناء رسوها في احدى ليالي يونيو سنة ١٨٧٢ . وقد لقي واحد من البحارة الوطنيين مصرعه ، وجرح جنديان اوربيان جراحاً خطيرة ، وبلغت المسروقات من هذه السفينة ـ وكلها نقْد ـ مبلغاً يتراوح بين ٤ و ٥ آلاف جنيه . وقد تابعت السلطات المحلية البريطانية في العراق التركي هذا الحادث باهتمام بالغ في كل من الاقليم التركي والاقليم الفارسي المجاور « عربستان » مما نتج عنه خلال سنة ١٨٧٢ـ١٨٧٣ القاء القبض على سبعة من هؤلاء المعتدين اعدموا في البصرة ، كما تم ايضاً استعادة حوالي ثلاثة ارباع المسروقات النقدية ، نصفها اكتشف في ايران .

قمع تجارة الرقيق ١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

وقد اتمت الحكومة البريطانية عقد بعض المعاهدات ـ بهدف منع تجارة الرقيق ـ في اوقات مختلفة مع عديد من الدول المحيطة بالخليج في ايران وعمان على السواء . لكن السفن البريطانية لم تتمكن من ان تلقي القبض الا على سفن قليلة فقط تنقل الرقيق . ولم يتم الا سنة ١٨٧٣ اتخاذ اجراءات بحرية هامة في شرق افريقيا والخليج بهدف منع تجارة الرقيق بالقوة ، ولكن بحلول سنة ١٨٧٦ توقف تصدير الرقيق من افريقيا الى دول الخليج على المستوى الكبير الذي كان سائداً حتى تلك السنة .

عمليات المسح البحرية ، والتحريات البرية
١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

ظلت عملية مسح مياه البحرين وساحل الأحساء ، التي تقررت في سنة ١٨٧١ ، مستمرة خلال ١٨٧٢—١٨٧٤ باستخدام السفينة ذات الشراعين « كونستانس » ، وقد بدأت هذه العمليات فيما جاور البحرين وحين امتدت الى الارض القريبة منها ، ثارت بعض الاحتجاجات من جانب السلطات التركية المحلية .. لكنها انتهت بالاتصال بوالي بغداد وشرح الامر له ، وبعدها استمرت عمليات المسح دون توقف .

وفي سنة ١٨٧٥ خرج المقيم العام بالخليج في رحلة الى شيراز ، ورفع الى حكومة الهند وصفاً احصائياً وادارياً قيماً لاقليم فارس الايراني .

المواصلات ١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

انشأت الحكومة الايرانية في سنة ١٨٧٥ خدمة بريدية داخلية خاصة بها تابعة لها ، وفي السنوات الاخيرة اصبحت هذه الخدمة تدعم الخدمات البريطانية المماثلة او قد تحل محلها احياناً .

المصالح والشئون البريطانية الرسمية فى الخليج
والعراق التركى ١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

لم تحدث تغيرات تذكر في المصالح او الترتيبات السياسية البريطانية.

في منطقة الخليج والعراق التركي اثناء هذه الفترة .

واستمر وصول الشكاوى بشأن الفوضى في توزيع هبة اوض لكن السلطات البريطانية ظلت على أساس المعلومات التي كانت لديها وقتذاك ترفض التدخل الفعلي في توزيع تلك الهبة التزاماً بنصوصها .

لورد لايتون نائبا للملك في الهند
ابريل ١٨٧٦ – يونيو ١٨٨٠

تميزت السنوات التالية لسنة ١٨٧٦ بانبعاث مشكلة افغانستان انبعاثاً حاداً أو بعبارة أخرى بتوتر خطير في علاقات بريطانيا وروسيا في آسيا الوسطى ، وقد جاءت هذه الأزمة في اعقاب حرب روسية تركية خرجت منها الدولة الاخيرة مهيضة الجناح لكنها في غير ذلك لم تترك كبير اثر على الموقف العام في الشرق الاوسط .

ولدى موت دست محمد خان ، موحد افغانستان وحاكم كابول ، سنة ١٨٦٣ ، انتقض اقليما هراة وقندهار مرة اخرى على السلطة المركزية في افغانستان ، ومضت خمس سنوات كاملة قبل ان يستطيع شير علي خان – ابن دست محمد خان وخليفته – ان يستعيد ضم هذين الاقليمين الى املاكه بمعونة بريطانيا . وفي نفس الوقت كانت روسيا تدفع حدودها في اواسط آسيا الى الامام خطوة بعد اخرى .. واخيراً قام الاتصال السياسي بين طشقند وكابول .

الحرب الافغانية الثانية ١٨٧٨ – ١٨٨٠ :

ولدى قطع العلاقات بين بريطانيا وامير الافغان في سنة ١٨٧٨ ، نتيجة رفض الاخير ان يستقبل بعثة موفدة اليه من الهند البريطانية برآسة

الكولونيل سير لويس بيللي — المقيم السياسي السابق في الخليج ، بدأت الحرب الافغانية الثانية ، التي استمرت من سنة ١٨٧٨ الى سنة ١٨٧٩ . وفر شير علي خان الى الجانب الشمالي من بلاده ، ومات في مزار الشريف في فبراير ١٨٧٩. فولى مكانه ابنه يعقوب خان بموجب معاهدة جاندامك (مايو ١٨٧٩) ، واصبح سير لويس كافجنارى مبعوثاً لبريطانيا في كابول . لكن هذا التقارب المصطنع من جانب الحكومة البريطانية لكابول انتهى — كاحتلال سنة ١٨٣٩ — ١٨٤١ المشهور — بمجزرة للممثل البريطاني وحاشيته ومن معه ، وتبعت هذه الحادثة الحرب الافغانية الثالثة وانتهت بأسر يعقوب خان ونقله سجيناً الى الهند ، ووضع اقليمي كابول وقندهار موقتاً تحت الادارة البريطانية .

الحرب الافغانية الثالثة واتمام تفكيك دولة افغانستان ١٨٧٩—١٨٨٠ :

وبعد نهاية الحرب الافغانية الثانية ، كانت سياسة حكومة الهند ما زالت تميل الى التمسك بوحده افغانستان ، لكن الحرب الافغانية الثالثة أدت الى تغيير موقفها بهذا الصدد ، فأصبحت الان تسعى الى تفكيك دولة افغانستان المتعبة . ونشأ تفكير بضم إقليمي هراة وسجستان الى ايران ، بل ان المفاوضات مع شاه ايران لضم الاقليم الاول الى ارضه على أساس شروط متشددة قطعت مرحلة متقدمة . وفي سنة ١٨٨٠ كانت هراة ما تزال تحت سيطرة ايوب خان — ابن الامير شير علي خان ، واقتطعت قندهار عن كابول — بتصميم من السلطات البريطانية — ومنحت لحاكم من عائلة بركازي . وبدأ البحث من جديد يدور حول مشكلة مد خط حديدي من قندهار الى هراة ، وتقديم العون المالي لايران ، واخيراً وقبل اتخاذ اية خطوة لا يتيسر التراجع عنها .. اعادت السلطات البريطانية في افغانستان الامير عبدالرحمن وجعلته اميراً بعد ان وقعت معه اتفاقية خضوع للسيادة البريطانية ، وجعلته حاكماً لقندهار وهراة وما تبقى من افغانستان ايضاً .

الشئون والعلاقات الايرانية ١٨٧٦ ـ ١٨٨٠

الحالة الداخلية في ايران :

ظل العرش الايراني ثابتاً ، والنظام مستتباً في ارجاء ايران خلال هذه الفترة . وفي سنة ١٨٧٨ قام الشاه بزيارة اخرى لاوربا .

سياسة الحكومة البريطانية بالنسبة للمواصلات في ايران :

ولما كانت المصالح السياسية البريطانية في ايران مرتبطة اوثق ارتباط بمصالحها في افغانستان ، أصبح من اهداف السياسة البريطانية ان تسعى الى التمكن من جنوب ايران لا سيما عن طريق اقليم عربستان ، وذلك لمناوأة روسيا من منطلق آخر . وكان من رأي سير او. سانت جون (وكان عقيداً في ذلك الوقت) ــ حين أصبح المقيم السياسي في قندهار بافغانستان من ١٨٨٠ ــ ١٨٨١ ــ ان الحروب الافغانية قد ادت الى زيادة النفوذ البريطاني في ايران زيادة مطردة حملت الحكومة الايرانية على الاقتناع بأن بريطانيا حليف افضل لها من روسيا . وكان من رأي نفس المصدر ان افتتاح « طريق ششتار » ومد طرق داخلية جديدة من بوشهر سيؤدي الى جانب الانعاش المادي لجنوب ايران ــ الى ثبات نسبي في العلاقات الانجلو ــ ايرانية ، لانه سيمكن الحكومة البريطانية من ممارسة نفوذها على بلاط طهران في منطقة الخليج .

ويبدو ان روسيا كانت على وعي لكل احتمالات الموقف فعارضت مد الخطوط الحديدية البريطانية في جنوب ايران بعنف كعنف معارضة بريطانيا لمد الخطوط الروسية في شمال ايران .

١٨٧٧ ــ ١٨٧٩ :

وبين سنتي ١٨٧٧ ــ ١٨٧٩ بذلت الحكومة البريطانية جهوداً كبيرة عن طريق سفير صاحبة الجلالة في طهران للحصول على تصريح

بفتح نهر قارون للملاحة البخارية ، لكن موقف الشاه من هذا الامر كان المعارضة العنيدة ، ويبدو انه كان يخشى ان يزداد نفوذ « المحمرة » كميناء فيؤدي هذا الى استيلاء بريطانيا عليها . ويرجح هذا الافتراض عند الشاه العلاقات الوثيقة بين شيخ المحمرة والممثل البريطاني في البصرة ، الى جانب بعض المقالات الخبيثة التي كانت تنشر في الصحف الاوروبية . اما بالنسبة لمشكلة الطرق ، فقد سمح اولا بمدها على نطاق ضيق،غير أن مشروع الخط الحديدي الذي يربط عربستان بوسط ايران والذي استطاع ممثل بريطانيا السياسي في ايران اثارته الى حين لم ينته الى اية نتيجة عملية .

١٨٧٩ – ١٨٨٠ :

ونلاحظ ان هذه المفاوضات الفاشلة كلها حدثت قبل ان تتخذ بريطانيا اتجاهاً ودياً نحو ايران بالنسبة لمشكلة تقسيم افغانستان .

وبالتالي ، فحين نوقشت مشكلة هراة ، كان الشاه يود — في مقابل الامتيازات التي قدمت اليه — ان يسمح بالملاحة في نهر قارون ويمد الخطوط الحديدية من بوشهر الى طهران ومن شوشتار الى اصفهان .

الحالة فى تركيا ١٨٧٦ – ١٨٨٠

طلب الدستور ومنحه في تركيا ، والحرب الروسية — التركية ١٨٧٦ – ١٨٨٠ :

وصلت تركيا في سنة ١٨٧٦ نهاية طريق الدمار الذي ظلت تسير فيه من سنوات عديدة مدفوعة بالاسراف المالي والمطامع الاقليمية وسوء الحكم في الداخل والاصلاحات المزيفة .. ففي مايو من نفس السنة قامت

جماعة من السياسيين بعزل السلطان ، وكان من اشهرهم مدحت باشا اول وال لبغداد ، ولم يدم حكم السلطان الذي خلفه أكثر من ثلاثة شهور . وفي نهاية سنة ١٨٧٦ أعلن السلطان فجأة منح دستور الحريات للشعب في جميع ارجاء الامبراطورية العثمانية ، وقد اعلنه فجأة ، ربما ليتخلص من مطالب المؤتمرات الاوربية المتتالية بضرورة اجراء اصلاحات ادارية مباشرة في تركيا الاوربية .

على ان روسيا ، وهي لم تأبه بالضمانات تلك التي انطوى عليها الدستور الجديد للحريات في البلقان ، قامت باعلان الحرب على تركيا في سنة ١٨٧٧ . وخلال اقل من سنة وصلت جيوشها ابواب القسطنطينية وفـي سنة ١٨٧٨ أقر مؤتمر دولي عقد في برلين فصل معظم تركيا الاوربية — كلياً او جزئياً — عن الامبراطورية العثمانية ، ووافقت بريطانيا مع تحفظات لم تلتزم بها تركيا لاحقاً على الدفاع عن ممتلكات السلطان الآسيوية ضد أي عدوان في المستقبل واخذت في المقابل جزيرة قبرص .

والغي الدستور التركي وظلت البـلاد — رغم مظاهر الاصلاح المالي والعسكري والاداري — تعاني مساوىء الحكم التي لم يقدر لها ان تتخلص منها ابداً . لقد بلغ عجز وفساد الموظفين اقصى الحدود، وذلك بعد أن أصبح هؤلاء يجيئون من أدنى الطبقات الاجتماعية ، وكانت كراهيتهم للاوربيين تتزايد يوماً بعد يوم في نفس الوقت الذي كانوا فيه — كجماعة — يقلدون مناهج العمل السياسية الاوربية ، وكأفراد يعيشون طرائق الحياة الاوربية الحديثة .

الاحوال في العراق التركي ١٨٧٦ — ١٨٨٠ :

وكانت الحالة السائدة في كل ارجاء الامبراطورية العثمانية متمثلة تمثيلا جيداً في العراق التركي . فقد اضطرب فيه مجرى الاحداث — كما اضطرب في غيره من البلاد — نتيجة الفساد السياسي في العاصمة

والحروب الخاسرة .

وقد حدث شيء من التقدم خلال العشرين سنة الاخيرة في كسر شوكة القبائل العربية ، وبدأت المجالس الادارية وبعضها كان مجالس منتخبة تؤدي عملها بالتعاون مع المسئولين الاكفياء ، ولم يكن هذا كله بلا جدوى . لكن الحالة على العموم لم تبلغ حداً يتيح القول بأن اراضي ما بين النهرين كانت تتمتع بمزايا حكومة عادية . ففي كربلاء والنجف حدثت تمردات في صيف سنة ١٨٧٧ ، وقد قمع التمرد في المدينة الاولى بحصار المدينة والقيام بعمليات عسكرية داخلها دون رحمة . وفي شتاء ١٨٧٧—١٨٧٨ حدثت اضطرابات خطيرة في بغداد نفسها بسبب المجاعة واستطاع الغوغاء اثبات وجودهم . وكانت قبيلة شمر الكبيرة منقسمة على نفسها بين زعماء متنافسين ، ولم يكن فيها غير قلائل ينصتون لصوت الحكومة التركية بالاستقرار في الارض وزراعتها . وفي ١٨٧٨—١٨٧٩ قامت حرب بين رؤساء قبيلة بني لام بعضهم بعضاً مما هدد الملاحة في دجلة واستعصى امرها على الحل ، كما كانت قبيلة آل بو محمد واقعة ايضاً في هذه الصراعات الداخلية . وقد قام اتباع واحد من شيوخها — وكان معارضاً للحكومة التركية — بارتكاب اعتداءات خطيرة في نهر دجلة ، وكان آخر وأخطر تمرد من جانب آل بو محمد هو ما حدث في سنة ١٨٨٠ — عقب نهاية هذه الفترة مباشرة — وتمثل في الهجوم على باخرة البريد البريطانية « خليفة » ، وقد قتل في هذه الحادثة رجلان من اهل البلاد ، وجرح الضابط المسئول عن الباخرة جراحاً خطيرة .

وطبقت طريقة اعادة التنظيم التركية المشهورة ، واخذت هذه المرة شكل خلق ولاية جديدة هي ولاية الموصل ، وذلك بانقاص حدود ولاية بغداد عما كانت عليه في سنة ١٨٧٩ ، وتبعها في سنة ١٨٨٠ ضم ما تبقى من ولاية بغداد الى ولاية البصرة في وحدة واحدة .

وظلت الملاحة البخارية في دجلة على ما يرام ، وكان معظم سفن

الاسطول البخاري التركي بقيادة ضباط اوربيين .

الحالة في الأحساء ١٨٧٦–١٨٨٠ :

وفي صيف سنة ١٨٧٨ ، حدث تمرد خطير على الحكومة التركية في الأحساء،وكان يتزعمه عضو من الاسرة الوهابية الحاكمة ، وظل قائماً – واحرز بعض النجاح حتى نهاية السنة – حين استطاعت قوات من العراق التركي ان تخمده .

وفي نفس الوقت – ودون اعتبار لاضطراب وضع الاتراك في الأحساء – طالب الباب العالي رسمياً باحقيته في الاستيلاء على منطقة العديد من عمان المتصالحة .

العلاقات التركية الايرانية ١٨٧٦ – ١٨٨٠

لم يحدث ثمة تغيير يذكر في العلاقات خلال هذه الفترة .

الحالة فى الساحل الغربى للخليج والعلاقات فيه ١٨٧٦ – ١٨٨٠

كانت هذه الفترة فترة ركود سياسي على طول الساحل العربي من الخليج وربما صح ان ننسب ذلك لاستمرار تراجع الوهابيين عن الخط الساحلي للخليج امام نشاط الاتراك ، ولمصاعب الاتراك انفسهم في الأحساء.وأدى سقوط الزبارة في قطر في أيدي القبائل المعادية سنة ١٨٧٨

الى ان يفقد شيخ البحرين آخر قاعدة لنفوذه على البر القطري . وقد انتهى بذلك مصدر من اهم مصادر الاشكال والتعقيد لكنه أثار في الوقت نفسه سلسلة من المغامرات الهجومية على البحرين كان لا بد ان تتدخل البحرية البريطانية لاسكاتها .. وقد اصبحت البحرين أكثر تعرضاً لخطر غزو مفاجيء من البر .. فاضطربت الاحوال الداخلية فيها عندئذ اضطراباً خطيراً حتى ارسل ضابط بريطاني سياسي معزز بالحراسة ليقيم بعض الوقت في الجزيرة الكبرى بالبحرين .

الحالة فى سلطنة عمان ١٨٧٦ ـ ١٨٨٠

في سنة ١٨٧٧ احتل المتمردون على سلطان عمان مطرح وحاصروا مسقط ، لكن البحرية البريطانية ارغمتهم على التراجع دون ان يحصلوا على أية امتيازات ، لكنهم كانوا قد ارتكبوا اعمالا كثيرة اثناء احتلالهم مطرح ، حتى بدا الموقف ـ في وقت من الاوقات ـ على جانب من الخطورة حتم انتقال كل رعايا الهند البريطانية من ذلك المكان الى ظهور السفن .

الدول الاوربية ـ غير بريطانيا ـ فى منطقة الخليج ١٨٧٦ ـ ١٨٨٠

استمر التمثيل القنصلي الفرنسي الذي مضى عليه بضع سنوات في بغداد والبصرة ، وقد بدأ بعض العاملين في قنصليتها بالبصرة اعمال

حفريات هامة في منطقة تاللو سنة ١٨٧٧ . وباستثناء هذا لم يكن ثمة دليل على وجود مصالح فرنسية في منطقة اخرى من الخليج . وقد منح الشاه فرنسا امتياز المشروع الزراعي وملحقاته في اقليم عربستان الذي كان تقدم به دكتور تولوزان من وقت طويل قبل ذلك، وبعد زيارة قام بها الشاه لباريس في سنة ١٨٧٣. لكنه يبدو ان الحكومة الفرنسية لم تكن تعلق على ذلك الموضوع اهمية كبيرة ، وقد الغي الامتياز فور تقديم احتجاج ديبلوماسي بريطاني بموافقة صاحب الامتياز نفسه .

وقد بدأ تجار الرقيق في خليج عمان يستخدمون العلم الفرنسي للتغطية على عملياتهم . وكان هذا تطوراً خطيراً ، رغم انه لم يلاحظ بوضوح في البداية الا انه قد سبب اضطرابات ومشكلات خطيرة فيما بعد .

اجراءات البحرية البريطانية فى منطقة الخليج ١٨٧٦ ــ ١٨٨٠

ظلت اجراءات البحرية البريطانية في منطقة الخليج كما كانت عليه في السنوات الماضية ، غير انها برهنت على كونها غير وافية في بعض المناسبات . فخلال صيف سنة ١٨٧٩ لم تكن في منطقة الخليج كلها سفينة حربية بريطانية واحدة .

الامن البحرى فى الخليج ١٨٧٦ ـ ١٨٨٠

حدثت عمليات قرصنة في المياه المجاورة لساحل الأحساء وقطر في سنة ١٨٧٨ ، وسرعان ما اتسعت اتساعاً فادحاً .. فضاعت ارواح كثيرة ونهبت قوارب وممتلكات اخرى كبيرة . وكان معظم القراصنة من بني هاجر . ويبدو ان عملهم هذا كانت له في الاصل علاقة بتمرد العرب على الاتراك في الأحساء . وكان قمع القرصنة على شاطئ الأحساء عملاصعباً لان هذا الساحل كان اسمياً يخضع للسيادة التركية .. ولم يكن مدى الحدود التي يدعيها الباب العالي مؤكداً . وقد بذلت جهود محلية وفي القسطنطينية لاثارة الحكومة التركية للقيام بعمل حازم ضد القرصنة . لكن استجابتهم الضعيفة سرعان ما تلاشت وانتهى الامر . وفي سنة ١٨٧٨ استطاعت سفينة حربية بريطانية القاء القبض على بعض قوارب القراصنة خارج القطيف ، وسلمتها للسلطات التنفيذية التركية هناك . ولكن في سنة ١٨٧٩ ، وبسبب اعتبارات الموقف الدولي المتوتر ، صدر امر بامتناع السفن البريطانية عن القيام بأي عمل على شاطىء الأحساء . وهكذا استمرت هذه الحالة المضطربة زمناً طويلا ، ولم يكن ذلك نتيجة خطأ من جانب المسئول السياسي البريطاني او قائد البحرية . واستمر الاضطراب طوال الفترة التالية ايضاً .

وحدثت عملية قرصنة نهرية خطيرة في شط العرب سنة ١٨٨٠ ، وكان من ضحاياها المشرف على محطة التلغراف البريطانية في الفاو ، غير أن السلطات البريطانية تابعت هذه الحادثة متابعة متواصلة فتم تحصيل التعويضات والغرامة ، ونفذت عقوبات شديدة على بعض اهل الساحل الايراني عن طريق شيخ المحمرة .

وفي سنة ١٨٧٩ ، تم باشراف بريطانياتوقيع معاهدة بين مشايخ عمان لتبادل تسليم المدنيين الفارين . وأدت هذه المعاهدة الى انقاص

عدد الخلافات التي كان ينتج عنها دائماً هذا الاضطراب البحري على شواطىء اللؤلؤ وجنوب الخليج .

المسح البحرى وغير البحرى ١٨٧٦ - ١٨٨٠

في سنة ١٨٧٦ او ١٨٧٧ قامت سفينة من سفن صاحبة الجلالة بمسح خليج خور الحجر على ساحل سلطنة عمان .. ولكن لا يبدو ان اية عمليات مسح بحرية ذات بال تمت خلال هذه الفترة .

المواصلات فى منطقة الخليج ١٨٧٦ - ١٨٨٠

ظلت المواصلات داخل منطقة الخليج وبينها وبين الخارج تقريباً دون تغيير . وفي سنة ١٨٧٨—١٨٧٩ نوقش مشروع لمد سكة حديدية بريطانية تربط الخليج باوربا عبر الكويت وبغداد فالموصل وديار بكر . وقد اوصى دوق سوذرلاند بتنفيذ المشروع المذكور ، وايده في ذلك مستر اندرو الذي عرف بدفاعه القوي عن فكرة سكة حديد الفرات ، لكن الامر لم يسفر عن شيء شأنه شأن المشروع الذي سبقه وذلك للحاجة الى الضمان المالي من جانب الحكومة البريطانية .

وفي سنة ١٨٧٨ بدأت تتضح معارضة الحكومة التركية لوجود مكتب بريد بريطاني في العراق التركي .

وفي نهاية سنة ١٨٨٠ الغيت محطة التلغراف البريطانية في جزيرة هانجام ، وذلك لان التطور التكنولوجي في التلغراف جعل من الممكن الاستغناء عن محطة وسيطة بين جاشك وبوشهر .

الشئون الرسمية البريطانية فى الخليج
١٨٧٦ – ١٨٨٠

منذ الغاء البحرية الهندية في سنة ١٨٦٣ ، وضعت سفينة بخارية حكومية بشكل دائم تحت تصرف المقيم في الخليج لرحلاته السياسية ، وللعديد من المهمات الاخرى .

ولكن في اكتوبر سنة ١٨٧٦ ، سحبت آخر تلك السفن التي كان من بينها السفينة « بيرانيس » و السفينة « هيو روز » — فأصبح المقيم يعتمد على قارب مسلح من قوارب البحرية البريطانية كوسيلته الوحيدة للحركة في منطقة الخليج . وفي هذا الوقت اضيف لنش بخاري صغير للعمل في مقيمية بوشهر ، لكنه خصص لاعمال الحجر الصحي في الميناء . وفي مايو سنة ١٨٧٧ ، وبناء على طلب من المقيم المسئول — ارسلت باخرة الحكومة الهندية « دالهوزي » الى الخليج ، لكنها اعيدت الى مكانها مرة أخرى في اغسطس التالي نظراً للحاجة اليها في نقل الجنود ، وكانت حاجة المقيم الى سفينة تعرقل اداء واجباته السياسية . وفي سنة ١٨٧٨ اقترح ان تبدل احدى السفن الثلاث المخصصة للخدمة في منطقة الخليج بلنش بخاري .

وقد قامت الحكومة الهندية سنة ١٨٧٨ بدراسة دقيقة لوضع موقع باسيدو لكن تحرياتها في موضوع هذه الممتلكة البريطانية لم يسفر عن نتيجة حاسمة .

وفي سنة ١٨٧٨ ، زودت محطة التلغراف البريطانية في جاشك بحرس عسكري قليل ، وفي العام التالي نقل مقر القيادة العسكرية البريطانية في منطقة الخليج من باسيدو الى جاشك ، واصبح في هذه الاخيرة حامية من المدفعية الهندية قوامها ٩٠ جندياً .

وفي سنة ١٨٧٩ ، سحب مساعد الوكيل السياسي البريطاني في

جوادر ، وعين بدله وكيل من اهل البلاد ، وفي نفس السنة ، انتقل الاشراف على الامور في امارة ظفار العمانية المستقلة على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب من المقيم البريطاني في عدن الى المقيم في الخليج .

الامور البريطانية الرسمية فى العراق التركى ١٨٧٦ ـ ١٨٨٠

في سنة ١٨٧٧ ، وبعد ان ظلت وظيفة نائب القنصل شاغرة لمدة خمس سنوات عين ضابط بريطاني للمرة الاولى نائباً للقنصل البريطاني في الموصل ، وفي سنة ١٨٧٩ ارتفعت درجة التمثيل البريطاني في البصرة من نائب للقنصل الى قنصل .

وفي سنة ١٨٧٧ صحح خطأ فني بسيط في الاشراف على هبة اوض بأن نقل رسمياً الى الوكالة السياسية البريطانية في بغداد توزيع حوالي ثلث الهبة على فقراء الهنود ، وظلت الامور تسير عل ذلك المنوال أكثر من عشرين سنة دون الحصول على تفويض كتابي من المجتهدين المسئولين عن ذلك التوزيع .

نيابة لورد ديبون للملك في الهند يونيو ١٨٨٠ ، ديسمبر ١٨٨٤

لم تتميز الاحداث في منطقة الخليج خلال السنوات الاربع التالية بشيء يذكر حيث ظلت تسير في مجرياتها التي تتبعناها من قبل .

الحالة في ايران ١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

كانت مشكلة المواصلات في جنوب ايران في سنة ١٨٨١–١٨٨٢ موضع دراسة طويلة من جانب الخبراء البريطانيين ، ولكن شيئاً لم يحدث بصددها . والنتيجة التي يبدو انهم وصلوا اليها هي ان فتح نهر قارون للملاحة كان امراً مرغوباً فيه الى ابعد الحدود ، وان مد خط حديدي من الساحل الجنوبي للداخل كان مشروعاً عملياً،لكن الامر الغامض كان الطريق الذي ينبغي ان يسلكه ذلك الخط وما اذا كان مده من عربستان شمالا ، على موازاة ديزفول وخرام اباد افضل تكتيكاً من أي طريق آخر . وفي سنة ١٨٨١ حين ذعرت الحكومة الايرانية من تسلل الى اراضيها عبر اراضي تركيا، ورغبة منها في ارضاء بريطانيا، لمحت الى موافقتها على فتح نهر قارون للملاحة وشق طريق من عربستان الى طهران ، ولكن حين انتهى خطر الغزو التركي المذكور ، وزال بذلك العامل الذي اغراها بالملاينة في الموضوع ، تغير موقفها حيال فتح نهر قارون للملاحة فاصبح موقفاً غير عملي .

الحالة في تركيا ١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

اما في الامبراطورية العثمانية ، فقد حدث شيء خطير هو انشاء الدين العام الذي وضع مالية تركيا تحت الاشراف الدولي الى حد كبير .

الحالة في العراق التركي :

وفي سنة ١٨٨١ ، حدث تمرد خطير ضد السلطة التركية من جانب

قبيلة المنتفق ، أكبر القبائل العربية واقواها في العراق التركي . ويبدو ان هذا التمرد همد دون ان تقمعه السلطات التركية . وفي سنة ١٨٨٣ اضطربت الامور على الشاطىء الشمالي لدجلة ، وظلت حرية الملاحة في هذا النهر مهددة لفترة من الوقت .

الحالة في الأحساء :

أما الادارة التركية في الأحساء - كما سيتضح لنا تالياً في حديثنا عن مشكلة الامن البحري - فقد تردت الى حال من الفوضى المطلقة .

وفي سنة ١٨٨٠ هاجمت قبيلة عجمان واحة الأحساء لكنهم صدوا على أعقابهم ، وبلغت الانقسامات بين المسئولين الاتراك في الأحساء قمتها ، فالقى القائد العسكري هناك القبض على الحاكم المدني وسجنه ، وكانت هذه الحادثة خروجاً صارخاً على العرف شجبته السلطات العليا فيما بعد .

العلاقات بين تركيا وايران ١٨٨٠ - ١٨٨٤

لم تحدث في العلاقات الايرانية - التركية اية تغييرات تذكر خلال هذه الفترة .

الحالة والعلاقات السياسية على الساحل الغربى للخليج
١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

البحرين :

ظلت البحرين الامارة الوحيدة على الساحل الغربي من الخليج التي تتطلب مراقبة دائمة من جانب الحكومة البريطانية . وفي نهاية سنة ١٨٨٠ ، حين كانت تركيا ما تزال تبدي ميولا للتدخل في شئون البحرين تبنت باسلوب ضعيف قضية زعماء التمرد البحراني سنة ١٨٦٩ ، حين كان احد اللاجئين البحرينيين المدعوم مالياً من تركيا يعد العدة لغزو البحرين. واستطاع هذا الرجل ان يجمع قوات كبيرة من البدو تحت قيادته على ساحل قطر ، لكنه عجز عن تأمين القوارب التي تنقلهم الى الجزر ، وقبل ان يمضي وقت طويل ، وصلت السفن الحربية البريطانية ، فانتهى التمرد وزال الخطر من الموقف . وانتهز المقيم العام في الخليج فرصة هذه الازمة فاستطاع الحصول من شيخ البحرين على اتفاقية تمنعه من عقد أية علاقات سياسية مع أية دولة اجنبية ما عدا الحكومة البريطانية .

قطـــر :

وفي سنة ١٨٨٢ ، طرد شيخ الدوحة عدداً من التجار الهنود من رعايا بريطانيا.وكان الاتراك قد عينوه حاكماً لقطر باسمهم،لكن الحكومة البريطانية لم تكن تعترف به كمسئول تركي ، فقطر بالنسبة لها كانت تعد اقليماً مستقلا عن السيطر ة التركية . وقد امرت الحكومة البريطانية باتخاذ عمل مباشر ضد الشيخ ، وكان من نتيجة ضغطها ان عاد فسمح لاولئك التجار بالرجوع الى الدوحة ، ودفع لهم مبالغ مالية كتعويض عما لحق بهم من خسائر . واعقب ذلك احتجاج من جانب تركيا ، واجيب الباب العالي على احتجاجه بان ادعاءاته في السيطرة على قطر امر غير معترف به ، وان الحكومة البريطانية ستواصل اتصالها المباشر بمشايخ الساحل العربي .

الحالة والعلاقات السياسية في سلطنة عمان
١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

في سنة ١٨٨٣ حدث هجوم عنيف على مسقط من جانب المتمردين من داخل عمان ، لكن سلطان عمان استطاع ان يصدهم مستعيناً ببارجة حربية بريطانية في الميناء . وقد ارغم عدد كبير من رعايا الهند البريطانية في مسقط ومطرح على ان يتركوا مساكنهم الى ظهور السفن الى ان اتضح فشل الهجوم .

الدول الاجنبية ـ غير بريطانيا ـ في الخليج والعراق التركي ١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

كانت فرنسا هي الدولة الاوربية الوحيدة ، الى جانب بريطانيا ، التي كانت ما تزال تدعي وجود نفوذ لها حتى ذلك الحين في منطقة الخليج . أما روسيا فقد بدا نفوذها يظهر للمرة الاولى في المنطقة على المستوى السياسي .

فرنسا :

ففي سنة ١٨٨١ انتعش مشروع دكتور تولوزان لاقامة مشروعات زراعية وصناعية في اقليم عربستان ، وربما كان متصلا بالمشروع قيام خط بخاري ملاحي فرنسي ـ بمعونة الحكومة الفرنسية ـ راح يعمل بين مارسيليا والبصرة . وبدأ الوكلاء التجاريون الفرنسيون ـ ولم يكونوا من قبل يهتمون بالتجارة ـ يستقرون في المحمرة ، وبدأوا الاشتغال بتجارة السلاح والذخيرة في هذا الميناء الى جانب عملهم كوسطاء في تجارة

الحبوب ، وكان ثمة اسباب تدعو للشك في أن اعمال فرنسا هذه كانت بتشجيع من روسيا التي كان يسرها لو استطاعت تحييد النفوذ البريطاني في عربستان بقيام اية وكالة اخرى كائنة ما كانت . ومرة أخرى في ١٨٨٣ – ١٨٨٤ ، قام مهندس فرنسي بمسح طريق شيراز – فيروزاباد – بوشهر لارتباط هذا المسح بمشروع مد خط حديدي من بحر قزوين الى الخليج . لكن مشروع الزراعة في عربستان لم يتمخض عن اية نتائج عملية تذكر ، وخلال السنوات القليلة التالية بدأت دلائل النفوذ الفرنسي تختفي شيئاً فشيئاً . واقفلت القنصلية الفرنسية في البصرة سنة١٨٨٣

روســيا :

أما الاشارة الاولى ، والاشارة الوحيدة الواضحة الى اتجاه اهتمام روسيا الى منطقة الخليج فقد كانت اقامة قنصلية روسية في بغداد سنة ١٨٨١ .

★ ★ ★

الترتيبات البحرية البريطانية فى منطقة الخليج
١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

قلة فعالية الفصيل البحري في الخليج :

ظل نظام الترتيبات البحرية الذي وضع سنة ١٨٧١—١٨٧٢ ساري المفعول ، ولكن ظهرت شكاوي عرضية بأن بعض السفن المخصصة للخدمة في منطقة الخليج لم تكن على درجة عالية من الكفاءة .

وهكذا فانه حين غرقت في يوليو سنة ١٨٨٣ سفينة بريطانية تجاه الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة ، ولزم ارسال سفينة حربية لانقاذها،لم يتيسر ارسال أي من السفينتين الموجودتين في الخليج لان كلتيهما كانت عاجزة عن السير في مواجهة الرياح الجنوبية — الغربية .

التحيات والاعلام ١٨٧٩ — ١٨٨٢ :

وفي سنة ١٨٧٩ تغيرت نظم البحرية في اطلاق مدفعية التحية في منطقة الخليج ، وكان هذا الاجراء الى حد ما نتيجة اتجاه دولي لانقاص طلقات التحية ،خاصة بعد اختراع المدفعية الجديدة ونتيجة ايضاً للرغبة في توحيد الاجراءات المتبعة في المنطقة . وفي نفس الوقت أثير موضوع حق المسئولين السياسيين في رفع الاعلام على سفنهم التي يتجولون بها . ويبدو انه قد تقرر اولاً—وبعد استشارة الجهات المسئولة—ان من الضروري الغاء التحيات البحرية لتكريم المسئولين السياسيين البريطانيين والحكام المحليين او ممثلي السلطات المحلية ، لكنه سمح باستمرار رفع علم نائب ملك الهند على سفن المسئولين السياسيين اثناء قيامهم بتأدية مهمام عملهم . غير ان الاوامر الصادرة الى شركة الهند الشرقية سنة ١٨٨٢ توضح لنا ان هذه القيود العامة على التحية كانت موضع التسامح بالنسبة لبعض الرؤساء المحليين في منطقة الخليج .

وفي سنة ١٨٨٣ ، انتعشت مجدداً خطة الشاه لخلق قوة بحرية ايرانية مرة أخرى ، بعد سبات دام عدة سنوات وكانت بداية ذلك سفينتان المانيتان صغيرتان .

الامن البحرى فى منطقة الخليج ١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

القرصنة تجاه ساحل الأحساء :

لم تتوقف الاضطرابات البحرية على شاطىء الأحساء،وقد ظل هذا الشاطىء مصدراً دائماً للمشاكل خلال الفترة الاخيرة ، ووضح ان احتمال التعاون بين السلطات البريطانية والتركية للقضاء على ذلك الوضع كان امراً مستبعداً . وقد لجأ واحد من اولئك المسئولين الاتراك ـ وهو والي بغداد ومقره يبعد عن الساحل المضطرب مئات الاميال ـ الى التذرع بانكار وجود قرصنة على هذا الساحل . وبذلت محاولة للحصول على موافقة الباب العالي على الاجراءات التي تتخذها الحكومة البريطانية لتنظيم عمليات من البحرية البريطانية تقضي على ذلك الاضطراب ، لكن المفاوضات فشلت وتوقفت . واخيراً ، في سنة ١٨٨١ لم تجد الحكومة البريطانية امامها سوى ان تصدر لقائد بحريتها في الخليج امراً يعفيه من التقيد باحترام ثلاثة اميال المياه الاقليمية للساحل التركي لدى قيامه بعملياته ضد القرصنة . لكنها ايضاً اصدرت اليه تعليماتهـا بالا يخلق مشكلات لا ضرورة لها مع الباب العالي ، والا يمعن في اعتداءاته على حقوق السيادة التركية .

وبعد صدور تلك الاوامر الجديدة ، لوحظ نقص واضح في عدد عمليات القرصنة التي ارتكبها المعتدون على ساحل الأحساء .

تجارة السلاح فى الخليج ١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

بداية تجارة السلاح :

شهدت هذه الفترة بداية تجارة الاسلحة النارية والذخائر في منطقة الخليج ، وهي التجارة التي قدر لها فيما بعد ان تنتشر انتشاراً رهيباً وان تكون سبباً في اثارة مشكلات سياسية لا حصر لها . وقد بدأت حكومة الهند تولي هذا الموضوع اهتمامها – لاول مرة – قرب نهاية الحروب الافغانية ، واتخذت الخطوات العملية لمنع وجود طريق لها غير الموانىء الهندية . وفي سنة ١٨٨١ ، دفع الخوف شاه ايران الى اصدار امر يمنع دخول الاسلحة والذخائر الى ايران ، ورغم هذا الامر ، فقد ظل التجار الفرنسيون يمارسون هذه التجارة في المحمرة خلال نفس السنة .

مواصلات منطقة الخليج ١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

غيرة الحكومة التركية من الخدمات البريدية البريطانية :

لم يطرأ تحسن بالفعل على وسائل المواصلات القائمة في منطقة الخليج من قبل ، لكن الحكومة التركية انشأت خطاً بريدياً برياً بين العراق التركي والشام ، تقليداً ومنافسة لخط البريد البريطاني المشابه ، واصبحت معارضة الحكومة التركية للخدمات البريدية البريطانية عبر العراق التركي أكثر وضوحاً وعناداً . وخلال هذه الفترة ظل الباب العالي يوالي الضغط من أجل الغاء مكاتب البريد البريطانية الموجودة في بغداد واالبصرة واحياناً كان مسئولو الحكومة المحليون يعمدون الى تعطيل اعمال البريد البريطاني تعطيلا يبدو انه غير مقصود ، لكن كل هذا لم يؤد الى شيء .

المسائل الرسمية البريطانية فى ايران
١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

الجلاء عن باسيدو ١٨٨٣ :

في سنة ١٨٨٣ ، جلا البريطانيون عن قاعدتهم في باسيدو التي ظلوا يحتلونها لاهداف بحرية منذ سنة ١٨٢٣ ، ونشأ الجلاء عن رداءة المناخ ، وقد جعل رجل من اهل البلاد مسئولا عن وكالة الفحم في تلك القاعدة .

تزويد المقيمية السياسية في الخليج بسفينة ناقلة :

واخيراً تقرر في سنة ١٨٨٤ — اي بعد ثماني سنوات — تزويد المقيمية السياسية في بوشهر — مرة أخرى — بباخرة للنقل ، وواضح أن ذلك تم دون انقاص عدد سفن البحرية الملكية العاملة في الخليج ، غير أن بناء سفينة جديدة لتلك الغاية سبّب تأخر وصولها .

* * *

المصالح البريطانية والمسائل الرسمية في العراق التركى
١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

شهدت هذه الفترة الحاق اضرار كثيرة بالمصالح البريطانية في العراق التركي ، وتميز اتجاه العداء لاوربا بين المسئولين الاتراك ، وبلغ درجة من الحدة والعنف لم يبلغها من قبل .

قتل مواطن بريطاني في بغداد وعدم ايقاع العقاب بالمجرمين ١٨٨١ :

وفي سنة ١٨٨١ قتل مهندس بريطاني مسالم كان يعمل في بغداد في الطريق العام ، ووضع المسئولون الاتراك كل العقبات امام محاولة تقديم المجرمين للعدالة . وفشل الضغط العنيـــد والعنيف من السفارة البريطانية في القسطنطينية اخيراً في اتخاذ اية اجراءات للقبض على المجرمين ، الذين كانت المحاكم التركية المتعاقبة التي يقدمون اليها تطلق سراحهم .

الاتراك يحاولون ايقاف الملاحة البريطانية التجارية في دجلة ١٨٨٣ :

وفي ١٨٨٣ ، ونتيجة الخطوات التي اتخذتها شركة الملاحة البخارية في دجلة والفرات لزيادة سفينة الى اسطولها ، انكر والي بغداد ــ فجأة ــ حق هذه الشركة في الملاحة في نهر دجلة اصلا ، بالرغم من ملاحة البريطانيين في ذلك النهر بالذات منذ اكثر من عشرين سنة ، ورغم ما بذلوا من جهود كثيرة للحصول على امتياز يتيح لهم ذلك . ومنع البوليس التركي المسافرين والبضائع من استخدام البواخر البريطانية ، كما كانت عمليات انزال المسافرين والبضائع ــ بل والبريد ــ تمنع ايضاً . ومر شهر كامل قبل ان يكون بمقدور السفن البريطانية الخلاص من ذلك الحجر التعسفي مما اصاب الشركة بخسائر باهظة . ولم تمر هذه الحادثة دون نشاط عظيم من جانب التمثيل السياسي البريطاني في القسطنطينية يعززه ظهور قارب بريطاني مسلح امام البصرة ، وكان يظهر ان القنصل

الروسي في بغداد هو الذي شجع الوالي على اتخاذ تلك الاجراءات ضد المصالح التجارية البريطانية القائمة وقتذاك في العراق التركي .

هبـــة أوض :

وظلت الشكاوي من سوء توزيع هبة اوض على غير المستحقين تتوالى على السلطات البريطانية — كما كان الامر في الماضي — وكان معظم هذه الشكاوي على اساس سليم ، لكن السلطات لم تتخذ اية خطوة عملية او تقترح حلا ما .

★ ★ ★

مسائل بريطانية رسمية ذات أهمية عامة
١٨٨٠ ــ ١٨٨٤

نقل الاشراف على زنجبار من حكومة الهند الى حكومة صاحبة الجلالة ١٨٨٣ :

يبقى الان ان نشير الى تغير بريطاني رسمي هام كان تحقيقه يقترب تدريجياً في السنوات الماضية ، وكان له بعض الاثر في منطقة الخليج وان لم يكن ذلك الاثر مباشراً .

ونعني بهذا الاجراء نقل الاشراف على المصالح والعلاقات البريطانية في زنجبار من حكومة الهند الى حكومة صاحبة الجلالة .

وأصل اشراف حكومة الهند على المصالح البريطانية في زنجبار يرجع الى تبعية زنجبار اصلا لسلطنة عمان ؛ وكان آخر حاكم لدولة عمان زنجبار قبل انقسامها مقيماً في زنجبار ، والمعروف ان زنجبار ما فتئت ترتبط ارتباطاً طبيعياً بعدن والخليج . وفي سنة ١٨٨١ سمحت حكومة الهند رسمياً لممثليها في هذه المواقع الثلاثة ان يتبادلوا نسخاً من الخطابات الخاصة بالمشاكل المشتركة ، والتي يرفعون نسخها الاصلية الى المسئولين في الحكومة الهندية ، هذا الا اذا كانت خطابات مكتومة جداً .

ومع ان معظم تجارة زنجبار كان بأيدي التجار الهنود من رعايا بريطانيا ، الا ان سكنى الجالية الهندية الكبيرة من التجار في زنجبار سبق فتح مقيمية بريطانية فيها ،وكانت المشكلة الاولى في زنجبار ، والتي تتفرع عنها بقية المشاكل — هي تجارة الرقيق ، التي لم تكن مشكلة هندية بقدر ما كانت مشكلة امبريالية ، تهم الامبراطورية كلها . وقد وجه سير بارتل فرير في سنة ١٨٧٣ او في ١٨٧٤ نقداً عنيفاً لما اسماه « بهذه النقيصة الكامنة في النظام الحالي ، وهي ان يعهد الى حكومة الهند بالاشراف على امور ومشكلات لا يكاد يعنى بها احد شرقي عدن» .

وقد ظلت حكومة الهند عدة سنين تعد العدة لترخي قبضتها عن المصالح البريطانية في زنجبار . وفي سنة ١٨٨٢ التفتت الانظار الى تكاليف التمثيل السياسي هناك ، الى جانب المعونة التي تضمن بريطانيا ان يدفعها سلطان زنجبار لسلطان مسقط ، والتي ظلت طوال المدة التي جرت فيها المفاوضات حول قمع تجارة الرقيق عبئاً على المدفوعات البريطانية ، فاقترحت وزارة الخارجية في لندن اجراء مناقلة السلطة على الشكل الموضح آنفاً . وكانت الخطوط العامة لهذا الانتقال هي ان تتولى حكومة الامبراطورية الاشراف العام ودفع تكاليف المنشآت البريطانية في زنجبار وما يتعلق بها من مصروفات عارضة وعوائد تقاعد مقابل دفع حكومة الهند معونة زنجبار فقط طوال المدة التي يستمر فيها دفع تلك المعونة . لكن مقترحات الخارجية هذه لم تلق موافقة من حكومة الهند التي اشارت الى ان اكثر من نصف تكاليف زنجبار – حسب المطبق انذاك – سيقع على عاتقها في ضوء التغيير المقترح ، كما رأت حكومة الهند ايضاً أن معونة زنجبار المشار اليها ليست بالشيء المخلد ، ولذلك فانه في حالة قطعها ينبغي على سلطان عمان ان يتعهد بالتخلي عن اية محاولات لاستعادة نفوذه في زنجبار بالقوة .

واخيراً ، على اية حال ، تم نقل ارتباط زنجبار بحكومة صاحبة الجلالة ابتداء من ١ سبتمبر سنة ١٨٨٣ ، على الاسس التي اقترحتها وزارة الخارجية . اما مشكلة استمرار المعونة ، والعمل في حالة انقطاعها فقد ارجيء البت فيها الى ما بعد وفاة سلطان عمان في ذلك الحين .

نيابة لورد دفرين للملك
ديسمبر ١٨٨٤ ـ ديسمبر ١٨٨٨

تميزت هذه الفترة بتجدد التوتر في العلاقات الانجلو ـ ايرانية نتيجة تقدم روسيا في آسيا الوسطى .

أزمة في العلاقات الروسية البريطانية ١٨٨٥ :

وفي فبراير سنة ١٨٨٤ احتلت روسيا مرو ، وفي مارس سنة ١٨٨٥ حين كان امير الافغان في زيارة للهند ترامت الاخبار عن عدوان روسي عنيف على الحدود الافغانية في منطقة بنجيده بالقرب من هراة ، الامر الذي وضع روسيا وبريطانيا على حافة الحرب . وكان من نتائج تلك الازمة زيادة ٣٠ الف جندي الى القوات الهندية ، وزيادة الميزانية العسكرية الهندية مبلغ ٢ مليون جنيه استرليني كل سنة ، وتكوين قوات خدمة الامبراطورية في ولايات الهند الوطنية ، وتعزيز الخطوط الحديدية ومد المزيد منها الى ما وراء كويتا في بلوجستان حيث ظلت قائمة بعد إخلاء قندهار سنة ١٨٨١ .

حركة ايوب خان :

وفي سنة ١٨٨٧ استطاع ايوب خان ، وهو عضو من عائلة باركزاي الحاكمة في افغانستان كان قد هزم جيشاً بريطانياً في مايواند سنة ١٨٨١، وظل سجيناً تحت المراقبة في ايران منذ ١٨٨٤ ، ان يهرب من سجنه . وبعد ان بذل آخر محاولة فاشلة من جانبه لتحقيق ادعاءاته في افغانستان ، اضطر الى طلب عفو الحكومة البريطانية في مشهد ، فالقى القبض عليه وارسل الى الهند حيث ظل مسجوناً سياسياً بها .

الشئون والعلاقات الايرانية ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

أدت غيرة روسيا من النفوذ البريطاني الى عرقلة تطوير المواصلات في منطقة جنوب ايران وتوقف الكلام عن شق طرق جديدة .

وكانت النتيجة الوحيدة للمشروع البريطاني الفج لمد خط حديدي من الاهواز الى طهران سنة ١٨٨٧ ، هي حصول روسيا من الشاه على وعد في نفس السنة باستشارة القيصر قبل ان يأذن لاية شركات اجنبية بمد خطوط حديدية او اتخاذ طرق مائية في ايران .

افتتاح نهر قارون للملاحة ١٨٨٨ :

وفي سنة ١٨٨٨ انتصرت الدبلوماسية البريطانية اخيراً على المعارضة الروسية وغيرها من العقبات التي تعترضها ، بعد سنوات طويلة من الجهد الصبور المضني ، حيث لم تسمح الحكومة الايرانية بفتح نهر قارون للملاحة التجارية فقط ، بل وسمحت ايضاً بتشييد طريق للنقل بالعجلات فوراً ودون ابطاء بين نهاية الخط الملاحي في قارون والعاصمة الايرانية .

انشاء ادارة ايرانية في موانئ الخليج ١٨٨٧ :

وقامت حكومة الشاه باعادة التنظيم الاداري في جنوب ايران في ذلك الوقت تنظيماً كانت له بعض الفوائد العملية . فمنذ سنة ١٨٨٢ بدأ التحول في الاشراف على موانىء واقاليم الشاطىء الايراني من الحكومة العامة في اقليم فارس الى الاشراف الشخصي لامين السلطان ، وهو من رجالات البلاط المقربين . وفي سنة ١٨٨٧ تحول ما بقي من اقليم فارس الى نفس السلطة المسئولة ، ولكن في نفس الوقت استثنيت اهم مدن الساحل من سلطته ، مع الاقاليم والجزر التابعة لها ، وشكل لهذه جهاز حكومي جديد عرف بحكومة « موانى الخليج » . وعين لها حاكم خاص ،

كان في ابتداية واحداً عن اعضاء الاسرة الايرانية الحاكمة ، وفي العام التالي فصل ميناء واقليم جاسك من الحكومة العامة في كرمان ، والحق بحكومة موانئ الخليج .

نشاط ايران وتآمرها في منطقة الخليج ١٨٨٧ – ١٨٨٨ :

وقد صحب هذه التغيرات التي كان الباعث لها على أكبر الظن امين السلطان، اندفاع للنشاط السياسي الايراني في منطقة الخليج اندفاعاً لم تشهده المنطقة من قبل . وفي سنة ١٨٨٧ وضع ميناء لنجة العربي – وكانت تحكمه قبيلة في ذلك الوقت – تحت الادارة الايرانية المباشرة ، ورفع العلم الايراني في نفس الوقت على جزيرة صرّى التي كانت على علاقة وثيقة بلنجة ، ثم تلا ذلك سلسلة من التعديات والدسائس الايرانية ، وقد طلب انسحاب الحامية البريطانية من مركز التلغراف بجاشك ، واجيبت الحكومة الايرانية الى طلبها هذا بعد ان تم ضمان حصانة محطة التلغراف والعاملين فيها بموجب اتفاقية رسمية بين ممثلي الحكومتين البريطانية والايرانية . وقد جاء الدعم الرسمي الايراني بعد ذلك لاتهامات ومزاعم ضد ممثلي بريطانيا في بوشهر ولنجة وبعض الاثارات والتدابير المهينة للانجليز في دار الجمارك في بوشهر دلائل على سياسة موضوعة بضرب نفوذ بريطانيا ، ولكن ذلك قوبل باحتجاج بريطاني شديد اللهجة في طهران . وما بين سنة ١٨٨٧–١٨٨٨ ، بذلت جهود متواصلة لاقناع شيوخ عمان المتصالحة بأن يضعوا انفسهم تحت السيادة الايرانية ، لكنها فشلت ، وبدأ التآمر الايراني واضحاً حتى في قطر والبحرين . لكن هذه المظاهر المعادية لبريطانيا لم تدم طويلا ، ولم تخلف وراءها سوى آثار قليلة .

الحالة في تركيا ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

لم يحدث تغير في الموقف العام لتركيا خلال هذه الفترة .

العراق التركي :

وفي العراق التركي قلّت الاضطرابات بين القبائل عما كانت عليه في الماضي ، رغم مـــا حصل سنة ١٨٨٦ من تمرد قبيلة الهماوند على الحكومة التركية ، وقطعهم الطرق التي حولهم ، وفي نفس الوقت تقريباً وقع قتال وحشي بين الاقليم وبني شمر على مسافة غير بعيدة من بغداد .

وسط الجزيرة :

وكانت الحكومة التركية ما تزال تحاول مد نفوذها في وسط الجزيرة، ففي سنة ١٨٨٦ زارت حائل بعثة تركية ، وكانت حائل وقتئذ هي عاصمة نجد الشمالية ، لكن البعثة فشلت في الحصول على موافقة امير حائل على اقامة مسجد ومدرسة للحكومة التركية هناك ، وبعدها بقليل ـ حين بدأت امور الحكم في وسط الجزيرة تصبح بين يدي ابن رشيد ـ بلغ تطور العلاقات الحسنة بينه وبين الباب العالي حداً أثار اشاعات بعزم ابن رشيد على غزو امارات الساحل المهادن لحساب تركيا .

★ ★ ★

العلاقات بين تركيا وايران ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

كان اهم ما حدث بين الحكومتين التركية والايرانية في هذه الفترة متعلقاً بشط العرب .

فلقد احتل الاتراك سنة ١٨٧٦ جزيرة الشلحة الصغيرة التي تقع قرب الساحل الايراني لهذا النهر ، ثم جلوا عنها في العام التالي نتيجة الضغط على الحكومة التركية ، وشغلها مزارعون من ايران عقب جلاء الاتراك ، ثم ثار الخلاف حاداً بشأن هذه المنطقة بين والي البصرة وشيخ المحمرة في سنة ١٨٨٤ ، وقد حاول الوالي الاستيلاء على الجزيرة لكن الشيخ كان متيقظاً لهذا ، وقبل ان يصل قارب تركي مسلح الى المنطقة كان المزارعون قد استعدوا استعداداً جماعياً مسلحاً .

الاتراك يشيدون قلعة في الفاو ١٨٨٥ ـ ١٨٨٨ :

وكان واضحاً ان هدف الحكومة التركية هو تأكيد سيطرتها على كل اتساع شط العرب ، ولما فشلت محاولتهم الاستيلاء على جزيرة الشلحة الصغيرة ، بدأوا ـ في نهاية سنة ١٨٨٥ ـ يقيمون لهم قلعة على الضفة التركية من النهر عند فاو ، اسفل الشلحة ، تسيطر على مدخل النهر من ناحية البحر . وكان عملهم هذا يتعارض « ان لم يكن مع نص اتفاقية ارضروم الثانية فهو يتعارض مع روحها ومع التفسيرات التي قدمها سفراء الدول الوسيطة ، والتي كانت تقضي بالا تقيم تركيا ولا ايران حصوناً على الضفتين المتقابلتين في شط العرب » ، كما ان الحكومة البريطانية ايضاً رأت في تشييد هذا الحصن عملا غير مرغوب فيه بشكل عام . وفي سنة ١٨٨٧ ، قدمت احتجاجات ضد ذلك التصرف الى الباب العالي على يد سفير صاحبة الجلالة في القسطنطينية ، وكانت الاحتجاجات قائمة على أساسين : وجهة نظر بريطانيا في الاتفاقية ، ثم

اعتبارات المصالح البريطانية ايضاً . وفي سنة ١٨٨٨ ردت الحكومة التركية رداً غير مقنع ولولا ماكان حصل مؤخراً لروسيا من ازعاج بسبب افتتاح نهر قارون للملاحة ، لوقع هجوم بريطاني مسلح على جوار منطقة الفاو .

★ ★ ★

الحالة والعلاقات على الساحل الغربى من الخليج ١٨٨٤ ــ ١٨٨٨

حدث شيء من الاضطراب على الساحل الغربي للخليج خلال هذه الفترة ، وكان هذا يرجع بشكل اساسي الى سوء تصرف شيخ قطر الرئيسي ، ضخمته الدسائس التركية والايرانية .

سوء معاملة رعايا الهند البريطانية في قطر ١٨٨٦ ــ ١٨٨٧ :

ففي سنة ١٨٨٦ تغاضى شيخ قطر عن تعديات بدوية وقعت في ميناء الدوحة ، وكان يهدف بذلك بطريق غير مباشر الى ابعاد تجار الهند البريطانية القاطنين هناك ، وقبلت السلطات البريطانية دفع الشيخ تهمة التواطؤ ، وقبلت اعتذاره عما وقع واعتبرته ترضية مناسبة ، لكن الاضطراب تجدد مرة أخرى في الدوحة سنة ١٨٨٧ ، وكان شيخها مسئولا عنه ، وفي هذه المرة نقل الرعايا البريطانيون موقتاً من الدوحة الى مكان اكثر امناً ، وتم التحفظ على نفائس للشيخ كانت في البحرين مما أدى الى دفعه التعويضات للمتضررين . واثارت هذه الاعمال احتجاج الحكومة العثمانية ، ورفضت حكومة صاحبة الجلالة قبول الاحتجاج لانها لا تعترف بأية حقوق لتركيا في قطر .

المؤامرات التركية والايرانية في البحرين ...... الخ :

وفي سنة ١٨٨٧–١٨٨٨ ، اظهرت كل من تركيا وايران اهتمامات غير اصولية للتدخل في شئون البحرين وعمان المتصالحة ، فجدد شاه ايران مزاعم سيادته على البحرين ربما بتحريض من روسيا ، وكاجراء احتر ازي حصلت السلطات البريطانية من كل المشايخ العرب المعنيين على اتفاقية التزموا فيها بالا يقيموا اية علاقات سياسية مع دول اجنبية باستثناء بريطانيا ، والا يمنحوا اية دولة من مثل تلك الدول امتيازات من اي نوع . وفي سنة ١٨٨٨ ، حين بدأ خطر التآمر الاجنبي يتضح أكثر واكثر ، ارسلت سفينة حربية بريطانية الى ساحل البحرين ، ومعها تعليمات بأن تضرب اية محاولة للنزول على الجزر سواء جاءت من ايران ام تركيا ام القبائل العربية . ووجهت الحكومة البريطانية انذاراً بهذا الصدد ايضاً الى الحكومة التركية ، لكن ايران التي لم تكن لديها وسائل للتدخل مباشرة في المشيخات لم تكن محتاجة لمثل ذلك الانذار .

عمان المتصالحة :

وفي اوائل نفس السنة قام الوالي التركي على البصرة بزيارة الدوحة واعقب زيارته وضع حامية عسكرية تركية ومخزن للفحم فيها ، وبعدها بقليل وفي اثناء الاشتباكات التي تكررت بين شيوخ قطر وابو ظبي ، قتل ابن شيخ قطر في المعركة . وتبعت ذلك فترة من التوتر كان يحتمل ان يقوم فيها شيخ قطر وامير نجد الشمالية بتشجيع الحكومة التركية ، بغزو عمان المتصالحة . ولكن ، رغم حدوث بعض الاشتباكات بين المشايخ المتصالحين ، الا ان عملية من ذلك النوع لم تحدث . وقد كان اتجاه السلطات التركية المحلية نحو البحرين في ذلك الوقت اتجاهاً مهيناً الى اقصى حد حيث ظلوا يوجهون رسائلهم الى شيخها كما لو كان تابعاً لهم تبعية مطلقة ، غير ان اوهامهم تلك لقيت الاهمال .

شئون سلطنة عمان وعلاقاتها ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

ضمان بريطاني مشروط وموقوت للعون من جانب الحكومة البريطانية في الدفاع عن مسقط ومطرح ١٨٨٦ :

وفي سنة ١٨٨٦ ، ولصد أي هجوم للمتمردين على مسقط على غرار ما حدث في الماضي واصاب المصالح البريطانية بضرر كبير الى جانب الإضرار بحكومة البلاد نفسها ، اعلنت الحكومة البريطانية انها قررت ان تقف الى جانب سلطان عمان في صد أي هجوم على عاصمته او على مطرح مينائها الهام . وقد اكد هذا الضمان وبلور مركز بريطانيا الممتاز في عمان ، على ان استمراره كان مشروطاً بحياة سلطان عمان وبالتزامه بالحكم وفق ما يشير به عليه البريطانيون .

★ ★ ★

الدول الاوروبية ــ غير بريطانيا ــ في منطقة الخليج ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

روســيا :

وضحت الآن اغراض اهتمام روسيا بمنطقة الخليج ، ففي ربيع سنة ١٨٨٧ قام الكابتن فونبلومر وهو ضابط روسي من القوقاز ، كان في خدمة الشاه ، بزيارة اصفهان وشيراز وبوشهر ضمن جولة تفتيشية ،

وفي شتاء سنة ١٨٨٧–١٨٨٨ ظهر في بوشهر ضابط روسي سابق من القوقاز ، واحدث ظهوره حالة من الهياج في الدوائر الايرانية حين ناقش صراحة سياسة بلاده المعادية للمصالح البريطانية وطلب عقد اتفاقية روسية – ايرانية لاتخاذ موقف موحد ضد بريطانيا في منطقة الخليج وقد اتفق ظهوره في بوشهر في فترة كان نشاط الحكومة الايرانية فيها في منطقة الخليج – كما رأينا – نشاطاً عظيماً يتسم بالعداء للمصالح البريطانية .

فرنســـا :

أما فرنسا فكانت جهودها محدودة خلال هذه الفترة ، فكانت تقتصر على الدراسات الاثرية التي بدأت بالفعل في منطقة تاللو بالعراق التركي ، وعلى مواصلة التنقيب في منطقة شاش بعربستان في ١٨٨٥–١٨٨٦ ، ولكن لم يكتشف بها شيء الا ما اكتشفه الباحثون البريطانيون سنة ١٨٥٢ .

أمريكـــا :

وبدأ علماء الاثار الامريكيون العمل في نيفار بالعراق التركي سنة ١٨٨٨ ، وفي العام التالي افتتحت قنصلية امريكية في بغداد .

وكان من الدلائل على زيادة اهتمام الدول الاوربية بشكل عام بمنطقة الخليج تعدد الزيارات التي قامت بها لكل هذه المنطقة بواخر امريكا وايطاليا والنمسا وهنغاريا ما بين سنتي ١٨٨٦ و ١٨٨٨ .

الترتيبات البحرية البريطانية ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

في سنة ١٨٨٤ دار البحث في امكان تخفيض عدد السفن الست التابعة للبحرية الملكية والمكرسة للخدمات الخاصة في حكومة الهند حسب ترتيبات سنة ١٨٦٠ ، ويبدو ان هذه المشكلة قد زادها تعقيداً كون القارب المسلح « سفنكس ، » التابع للبحرية الملكية والمصمم خصيصاً للعمل في منطقة الخليج ، وسفينة النقل « لورنس » المخصصة ايضاً لمقيمية الخليج ، لم يكن العمل في بنائهما قد انتهى بعد . وان سفن البحرية الملكية في الخليج كانت تعمل عادة اربعة أشهر في كل سنة لعمليات مكافحة تجارة الرقيق ، ولم تكن هذه مهمة الحكومة الهندية وحدها .

واضيف عامل آخر الى ذلك التشويش نتيجة خطأ في الفهم حول ما اذا كانت السفينة « لورنس » ستسلح ام لا . وكانت حكومة الهند ترى ــ في بادىء الامر ــ ان خمس سفن من البحرية الملكية ــ الى جانب سفينة النقل التي ما زالت تبنى ــ كافية لتأدية المهام الضرورية ، لكن غيرها من السلطات كانت ترى ان اقل من هذا العدد يكفي للخدمة في المنطقة .

واخيراً في سنة ١٨٨٧ ، حين تقرر ان تكون سفينة النقل بالخليج سفينة غير مسلحة(١) ، مع جعلها جاهزة للتسلح في حالة الحرب وتابعة للبحرية الملكية ، بموجب قانون الخدمة البحرية الهندية لسنة ١٨٨٤ ، تمسكت حكومة الهند بضرورة إنقاص السفن العاملة في الخليج الى اربع

---

(١) ارتأت حكومة صاحبة الجلالة بانه في حالة وقــوع حرب في الخليج فذلك يجب أن تباشره بوارج بحرية صاحبة الجــلالة الراسية هناك ، وقالت انه مما يعقد الامور ان يتولى مقيم مدنى تقرير أمر كالحرب وهو جالس في يخته الخاص . ومن الناحية الاخرى فمن المفيد تصميم السـفن التابعة للمقيمية بطريقة تجعلها قابلة للتحول الى سفن حربية عند الضرورة .

سفن فقط ، تقوم واحدة منها بتلبية مطالب العمل في الخليج .

انقاص اسطول الخدمة الخاصة للهند . والاعانة التي تدفعها حكومة الهند للامبرالية ١٨٨٨ :

وقبلت الامبرالية هذا الاقتراح في سنة ١٨٨٨ ، مع انقاص المعونة البحرية المعتادة التي تدفعها حكومة الهند من ٧٠ الف جنيه استرليني الى ٣٥ الف جنيه كل سنة ، لكن حكومة الهند اصبحت مسئولة عن دفع بعض الالتزامات المالية الصغيرة الى جانب هذه الاعانة المخفضة ، واعتبر هذا القرار موقتاً نظراً لاحتمال تزويد محطة شركة الهند الشرقية بعد فترة وجيزة بسفن احدث وذات تجهيزات افضل . وكان ما حصل فعلا هو ابدال القارب البخاري الجديد التابع للبحرية البريطانية (سفنكس) وسفينة النقل التابعة للمقيمية (لورنس) ، وكل منهما باخرة تبلغ سرعتها ١٢ عقدة لكل ساعة ، بثلاث قوارب مسلحة من نوع قديم كانت تابعة للبحرية الملكية ، وكان عجزها وبطوءها موضع شكوى دائمة .

البحرية الايرانية :

وبدأت قوة بحرية ايرانية في الظهور على مسرح الاحداث في الخليج سنة ١٨٨٥ بوصول السفينتين « برسبوليس » و « سويسا » اللتين امرت الحكومة الايرانية بصنعهما لحسابها في المانيا ، والسفينة الاخيرة منهما كانت معدة للخدمة في نهر قارون، وكان امتلاك السفينة «برسبوليس» مفيداً لايران داخل حدودها فقط .

الامن البحرى ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

ظلت القرصنة زمناً ما مستمرة على ساحل الأحساء،وتميزت سنة ١٨٨٧ بعدد كبير من الاعتداءات غير ذات الاهمية .

★ ★ ★

تجارة السلاح ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

في سنة ١٨٨٤ ، كانت هناك شركة وطنية مشمولة بحماية بريطانية تمارس في بوشهر تجارة السلاح غير المشروعة متجاهلة تحذيراً سامياً لها ، وقد توسعت في اعمالها توسعاً خطراً . وفي سنة ١٨٨٧ قامت وكالة ايرانية ـ بريطانية مشتركة بتقليد هذه الوكالة ، ففتحت فرعاً لها لتجارة السلاح في بوشهر .

★ ★ ★

أعمال المسح البحرية البريطانية ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

لم تتم خلال هذه الفترة اعمال مسح بحرية في الخليج بشكل منتظم او متماسك . ففي سنة ١٨٨٦ او ١٨٨٧ ، اكتشفت سفينة بريطانية مدخل خور بني علي ، وفي نهاية سنة ١٨٨٨ ونتيجة فتح نهر قارون للملاحة ، قامت سفينة المقيمية في الخليج « لورنس » بعملية مسح جزئي لمنطقة بهمان شير .

المواصلات ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

كان الجديد الوحيد في المواصلات خلال هذه الفترة هو القرار الذي اتخذ سنة ١٨٨٦ بالغاء الخط البريدي البري القديم بين بغداد ودمشق ، بعد ان انتهت قيمته العملية تماماً .

وقد توقفت الخدمات البريدية التابعة للحكومة التركية على نفس الطريق سنة ١٨٨٧ ، ولكن اعيد تشغيله مرة أخرى سنة ١٨٨٩ . اما خط المواصلات التركي بين بغداد والقسطنطينية فيبدو انه كان يتخذ طريق الموصل الى ديار بكر في اوقات توقف المواصلات عن طريق سوريا.

★ ★ ★

الشئون الرسمية البريطانية فى ايران ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

وصلت سفينة صاحبة الجلالة « لورنس » التي خصصت كسفينة نقل تابعة لمقيمية الخليج في سنة ١٨٨٧ ، فانهت صعوبة هامة كانت تعترض السفير في عمله خلال السنوات العشر الماضية .

وقد اشرنا من قبل الى نقل الحامية الهندية العسكرية في محطة التلغراف البريطانية في جاشك سنة ١٨٨٧ .

الشئون الرسمية البريطانية فى العراق التركى
١٨٨٤ – ١٨٨٨

استمر التعطيل الرسمي للمصالح البريطانية في العراق التركي لكن حدته قلت بعض الشيء .

عوائق تركية رسمية ١٨٨٥ – ١٨٨٦

وفي سنة ١٨٨٥ احتج الباب العالي ضد رحلة قام بها المقيم البريطاني في دجلة صعوداً بعد بغداد على يخت المقيمية « كوميت » . ولكن المقيم ذكر انه قد قام بمجرد زيارة استوجبها عمله القنصلي ، ولم تعاود الحكومة التركية احتجاجها . واخيراً في نفس السنة اعترضت الحكومة التركية على رحلة كان المقيم يعتزم القيام بها ، لاسباب رسمية ، الى كربلاء والنجف ، ولم تبدأ سنة ١٨٨٦ الا وقد سحبت الحكومة التركية اعتراضاتها ، واستعاد المقيم حريته في الحركة داخل اقليم عمله .

وفي سنة ١٨٨٧ الغيت وكالة القنصلية البريطانية في الموصل ، فقد قل عدد الرعايا وانكمشت المصالح الموجودة هناك .

الغاء شبه قنصلية الموصل ١٨٨٧ . هبة أوض :

وبعد موت اقبال الدولة – في نهاية سنة ١٨٨٧ – برز سوء تصرف المجتهدين القائمين على توزيع هبة أوض في كربلاء والنجف بعد ان زالت هيبة ذلك الرجل ونفوذه الروحي .

الشئون الرسمية البريطانية بشكل عام
١٨٨٤ - ١٨٨٨

الاحتفال بيوبيل صاحبة الجلالة الملكة فيكتوريا ١٨٨٧ :

في سنة ١٨٨٧ تم الاحتفال بيوبيل صاحبة الجلالة الملكة الامبراطوره فيكتوريا في اماكن مختلفة من الخليج وسط مظاهر الفرح والابتهاج ، وحسن النية من جانب السلطات المحلية والسكان العرب او الايرانيين . الى جانب الحماسة والولاء من جانب البريطانيين ورعايا الهند البريطانية .

★ ★ ★

نيابة لورد لانسدون للملك
ديسمبر ١٨٨٨ - يناير ١٨٩٤

كانت الظاهرة البارزة في الشئون السياسية خلال هذه الفترة هي استمرار المعارضة بين بريطانيا وروسيا ، وقد انتقل مسرحها الرئيسي من منطقة افغانستان حيث قامت هناك حكومة قوية تحت قيادة الامير عبدالرحمن ، الى ايران .

الحالة فى ايران ١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

الصراع السياسي والاقتصادي بين بريطانيا وروسيا .:

في ايران تحول الاهتمام السياسي بشكل اساسي الى التنافس القائم بين النفوذ البريطاني والنفوذ الروسي ، وفي هذا المضمار كانت مشكلة مد السكك الحديدية وغيرها من الامور الاقتصادية ولا سيما الامتيازات التجـاريـة تُستغل كأسباب للقتال . وكان التفوق في هذا الصراع ـ باستثناء مشكلة السكك الحديدية ـ الى جانب بريطانيا ، التي نجحت ايضاً قرب نهاية الفترة السابقة في أن تفرض رغبتها في فتح نهر قارون للملاحة .

وكان رد روسيا المباشر على هذا النجاح الذي احرزه البريطانيون في نهر قارون أن اكرهوا الشاه ـ في مارس ١٨٨٩ ـ على عقد اتفاقية معهم بتحويل كل عمليات انشاء خطوط السكك الحديدية في ايران بالكامل الى شركة روسية لمدة خمس سنوات . وردت حكومة صاحبة الجلالة بأن حصلت من الشاه على امتياز يمنح بريطانيا حقوقاً تفضيلية لمد السكك الحديدية في جنوب ايران ، وكان مؤرخاً ـ لاسباب لا تخفى ـ بتاريخ سبتمبر ١٨٨٨ .ولما قدم الممثل البريطاني في طهران للروس نسخة مـن هـذه الاتفاقية في سنة ١٨٩٠ ، استطاع الوزير الروسي ان يغري الشاه ـ في الشهر التالي مباشرة ـ بعقد اتفاقية تحظر انشاء اية سكك حديدية في ايران لمدة عشر سنوات . وحتى هذا لم تتركه بريطانيا دون رد من جانبها ، فحصلت على امتياز بافضليتها على جميع الدول بالنسبة لخطوط الترام في جنوب ايران .

أما في الامور التجارية الصرفة ، فقد كان نجاح بريطانيا سريعاً وكاملا . ففي سنة ١٨٨٩ انشئ بنك بريطاني هو البنك الامبراطوري الايراني احتكر اصدار اوراق العملة ، وبعض الحقوق المتعلقة بصناعة

النقد الايراني بموجب امتياز مدته ستون سنة .

وحصل البنك في العام التالي على امتياز بشق واستغلال طريق بين طهران والاهواز ، وكان هذا ايضاً لمدة ستين سنة . كما استطاع الرأسماليون البريطانيون ان يسيطروا على تجارات اخرى كاوراق اليانصيب وتجارة التبغ في سنة ١٨٩١ ، لكن كلا من هذين الاحتكارين الغي بسرعة ، مع دفع تعويضات من جانب الحكومة الايرانية في الحالة الاولى ودون تعويضات في الثانية .

النظام العام في ايران :

وكان النظام في ايران مستتباً على نحو طيب ، ولكن في الفترة من ١٨٨٨ الى ١٨٩١ حصلت بعض الاضطرابات في شمال عربستان بتأثير الاضطراب السائد عندئذ في منطقة قبيلة بختياري المجاورة .

وفي سنة ١٨٩٢ – ١٨٩٣ قامت حالة من الحرب الفعلية بين اهالي الساحل الايراني واهل شبه جزيرة قطر على الساحل العربي من الخليج ، لكن ايران لم تلق لها بالا فانتهت وحدها .

★ ★ ★

الحالة فى تركيا ١٨٨٨ ــ ١٨٩٤

ظلت الامبراطورية التركية – على الرغم من انها اصبحت تحكم حكماً مركزياً مطلقاً على حالها من الانحدار الى التفكك . واصبحت أقاليم البانيا واليمن مصدراً للمصاعب الدائمة المتجددة ابتداء من سنة ١٨٩٢

في العراق التركي :

وفي العراق التركي ، في سنة ١٨٩٢ ، عادت قبيلة آل بو محمد الى التمرد مجدداً فاضطربت الملاحة ولم تصبح مأمونة اسفل نهر دجلة . ومع ذلك ازداد الاهتمام بالمسائل الاقتصادية .

وفي سنة ١٨٩٠ قام مهندس اجنبي موظف مع الحكومة التركية ببناء سد قصد به اعادة جزء من مجرى نهر الفرات الى مجرى الحلة الاصلي الذي كان النهر قد انزاح عنه الى مجرى الهندية . وتم هذا العمل وحقق هدفه الى حد كبير . ومرة أخرى في سنة ١٨٩٢ اعلن عن انشاء شركة عثمانية للملاحة البخارية في دجلة ، وظهرت ارادة سلطانية بهذا المشروع ، لكن العقبات ارجأت — بل ربما اوقفت تماماً — بدء عمل هذه الشركة .

الأحساء وقطر :

وفجأة تفاقمت مشاكل الادارة التركية في الأحساء، بعد فترة هدوء نسبي . حين تطورت حوالي سنة ١٨٩٠ ، المناوشات الصغيرة الى اشتباكات فعلية ، وفي ١٨٩٢ شن البدو هجوماً وحشياً على قافلة ثمينة كانت تتجه من الهفوف الى الساحل تحت حماية عسكرية تركية . وفي هذه العملية الاخيرة ، ضاعت ارواح كثيرة ، وفقدت املاك عزيزة . وفي خريف سنة ١٨٩٢ وصل والي البصرة الى الأحساء ليعيد النظام، لكن اعماله كلها —رغم مساعدة شيخ الكويت له — كانت فيما يبدو غير مثمرة .

وفي ربيع سنة ١٨٩٣ تحرك الوالي الى قطر ، حيث كان قد بدأ واضحاً ان قراراً قد اتخذ بارغام شيخها على المزيد من الاذعان للحكومة التركية ، لكن محاولة الاتراك خطف هذا الشيخ غدراً انتهت بكارثة لقواتهم ، التي ارغمت على الرجوع عن مدينة الدوحة متكبدة خسائر كثيرة ، وفر الوالي الى حيث وجد له ملجأ فوق سفينة حربية تركية

كانت في الميناء . وعرضت السلطات البريطانية وساطتها بين الاتراك والشيخ فرحب بها الطرف الاخير ، لكن السلطات التركية كانت تميل الى التخلص من هذه الوساطة . واخيراً عاد الوالي الى مقره في البصرة ، وترك وراءه شئون الأحساء وقطر في حالة اسوأ من ذي قبل،واخيراً نجحت شخصية تركية ذات نفوذ من البصرة في تسوية اتفاقية كان قبولها في غير صالح هيبة العثمانيين .

★ ★ ★

علاقات تركيا وايران ١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

تدخل تركيا في الملاحة في نهر شط العرب ١٨٩١–١٨٩٣ :

تميزت السنوات ١٨٩١–١٨٩٣ حتى برغم الارباكات التي اثقلت كاهل تركيا في الأحساء، بانبعاث العدوانية التركية على ايران حول مشكلتي المحمرة وشط العرب ، او بعبارة اخرى مشكلة الحدود المشتركة بين الدولتين من ناحية الجنوب . وفي سنة ١٨٩١ بدت علامات تشير الى احتمال تجدد مطالب تركيا بالمحمرة ، ولكن لم يحدث الا في سنة ١٨٩٣ ان بدأ المسئولون الاتراك في الفاو– فجأة — يجمعون العوائد عن شحنات السفن الداخلة في أعلى نهر المحمرة ، واعلنت السلطات التركية في البصرة — وهي ابعد ما تكون عن انكار هذا العمل من جانب اتباعها في الفاو– بأنها تلقت اوامر بأن تعامل ميناء المحمرة كارض تركية . وبناء على طلب الشاه — وبالتشاور بالطبع مع روسيا — قام سفير حكومة صاحبة الجلالة بتقديم احتجاج شديد اللهجة الى الباب العالي في القسطنطينية . وكانت نتيجته ان توقف الاتراك فوراً — وبشكل نهائي — عن التدخل في حرية الملاحة .

الحصن التركي في الفاو ١٨٩٠ – ١٨٩٤ :

أما بشأن الحصن الذي كان الاتراك قد شرعوا في بنائه في الفاو قبل عدة سنوات ، فقد اوضح ان الباب العالي كان ما يزال اقل مرونة بصدده ، في حين احاطت الحكومة الايرانية الموضوع كله بفتور غير مفهوم . وفي سنة ١٨٨٩ – بعد فشل احتجاج قدمته بريطانيا في السنة السابقة لذلك ، وجه السفير الايراني الى الحكومة التركية حول هذا الموضوع احتجاجاً آخر قوبل بالاهمال . وفي سنة ١٨٩٠ ، حين كانت ثلاث سفن حربية بريطانية موجودة في الفاو ، اطلقت النيران من الحصن على جماعة بحرية بريطانية كان بينها بعض الضباط اثناء نزولهم الى البر . لكنه سمح للقائد البريطاني بعد ذلك بدخول الحصن . ويبدو ان العقاب قد اوقع فعلا بمرتكبي الحادث المذكور .

وفي سنة ١٨٩٢ – ١٨٩٣ ، وبعد هدنة قصيرة ، استأنفت السلطات العسكرية التركية العمل في القلعة ، وكان من نتيجة ذلك ان قدمت بريطانيا احتجاجاً شديد اللهجة الى الباب العالي ، وتسلمت بريطانيا ضمانات كافية رداً على احتجاجها ، لكن العمل في الحصن لم يتوقف فعلا الا في منتصف العام التالي .

وفي نفس الوقت ، في سنة ١٨٩١ او ١٨٩٢ ، عينت الحكومة التركية وكيلا قنصلياً لها في لنجة على الساحل الايراني ، لكن السلطات الايرانية لم تعترف بذلك الوكيل اعترافاً رسمياً .

دول أجنبية أخرى ـ غير بريطانيا ـ فى منطقة الخليج
١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

النشاط الفرنسي الروسي المشترك :

انتعش النشاط الفرنسي انتعاشاً كبيراً مفاجئاً خلال هذه الفترة ، وكانت ثمة دلائل على وجود سياسة مشتركة بين فرنسا وروسيا مناهضة للمصالح البريطانية في منطقة الشرق الاوسط . وقد بدأت العلاقات الوثيقة تقوم بينهما ابتداء من سنة ١٨٩١ ، رغم ان هذا الاتجاه لم يوصف بأنه « تحالف » الا في سنة ١٨٩٥ . وكان تنفيذ هذه الخطة المشتركة المفترضة بين الدولتين في منطقة الخليج عبئاً على فرنسا وحدها في بداية الامر ، ولم يزد التدخل الروسي المباشر اكثر من هذا الحد خلال الفترة اياها .

وكان استخدام العلم الفرنسي في تجارة الرقيق قد زاد ذلك الوقت في الخليج وخليج عمان ، وكان اعفاء السفن الفرنسية من التفتيش الذي تجريه السفن الحربية البريطانية يدفع باصحاب السفن الى البحث المحموم عن ذلك العلم واستخدامه ، مما اتاح لفرنسا فرصة ثمينة كي توسع نفوذها المحلي . وافتتحت وكالة قنصلية فرنسية ايضاً في بوشهر .

امريكا :

وظل دور امريكا ـ الدولة الوحيدة الباقية التي كانت ما تزال بعدُ بلا مصالح ثابته وقوية في منطقة الخليج ـ دوراً سلمياً وبعيداً عن السياسة . وظل العمل قائماً في الحفريات الامريكية في منطقة نيفار في العراق التركي ، وفي سنة ١٨٩١ قامت البعثة المذكورة ـ وهي جماعة من البروتستانت يتبع افرادها الكنيسة الامريكية الاصلاحية ـ بفتح مركز لها في بوشهر ، ثم اتبعته بآخر في البحرين سنة ١٨٩٣ .

شئون وعلاقات امارات الساحل الغربى من الخليج
١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

لقد أصبحت الامارات العربية في الخليج معرضة في هذه الفترة لتهديدات واغراءات استثنائية .. لكن النتيجة النهائية كانت ان اصبحت علاقات هذه الامارات بالحكومة البريطانية اوثق من ذي قبل .

الاعتداءات التركية ثم الاتفاقية الشاملة بين المشايخ المتصالحين ومشايخ البحرين مع بريطانيا :

في سنة ١٨٩٠ ، حاولت الحكومة التركية تركيز موظف لها في موقع العديد في عمان المتصالحة .. لكن جهودها في هذا الاتجاه لم تصب نجاحاً كاملا . وفي سنة ١٨٩١ تردد رجلان فرنسيان ــ احدهما معروف بدسائسه ــ عدة مرات على ساحل عمان المتصالحة ، ويبدو أنهما كانا يحبذان للشيوخ المتصالحين مزايا العلم الفرنسي للحصول منهم على امتيازات لفرنسا . وفي شتاء ١٨٩٢ ــ ١٨٩٣ ، في الوقت الذي ارتفعت فيه صيحات تركيا مطالبة بالمحمرة وبشط العرب ــ تردد أيضاً ان تركيا قد قررت ضم البحرين الى امبراطوريتها . وفي القطيف كان المسئولون الاتراك يعلنون رسمياً عزمهم على « استعادة » البحرين ، وعمان ايضاً ، وجعلها تحت السيادة التركية ، وكان الاتراك هناك يفرضون على اصحاب القوارب من اهل البحرين رفع العلم التركي ، لكن احتجاجات بريطانيا ادت الى سحب الاعلان المذكور وغيره من المضايقات.

وفي مناقشة دارت حول وضع البحرين بالنسبة للامبراطورية العثمانية ، ابلغ الباب العالي ان البحرين تابعة للحماية البريطانية ، وان رعاياها يكتسبون في تركيا حقوق الرعايا البريطانيين . غير ان النتيجة الاساسية لهذا التآمر من جانب تركيا كانت عقد اتفاقية شاملة مع الحكومة البريطانية وقعها مشايخ عمان المتصالحة والبحرين اصبح ممنوعاً على المشايخ بمقتضاها اقامة اية علاقات باية دول اجنبية .

حالة سلطنة عمان وعلاقاتها ۱۸۸۸ - ١٨٩٤

حين بدأ النفوذ الفرنسي ينتعش في منطقة الخليج ، كما اشرنا آنفاً كانت سلطنة عمان هي المجال الاول لاظهار ذلك النفوذ ، ففي سنة ١٨٩١ شكت السفارة الفرنسية في لندن — نتيجة سوء فهم للحقائق — من أن بريطانيا قد قامت بضغط من أجل تعديل نظام وراثة العرش في عمان وفي ١٨٩٣ دفع النواب الاستعماريون الحكومة الفرنسية على التعهد بفتح قنصلية لها في مسقط . واشار صمت الوزراء المسؤلين الى ان العمل الملقى على القنصلية الجديدة هو التوسع في استخدام العلم الفرنسي والتعاون مع سياسة روسيا في منطقة الخليج . وفي سنة ١٨٩٣ ايضاً حاول واحد من المغامرين الفرنسيين ممن كان تكرار ظهورهم على ساحل عمان المتصالحة سبباً من الاسباب المؤدية لعقد الاتفاقية الشاملة مع بريطانيا ، ان يحصل على ترخيص اقامة موطيء قدم بجوار ميناء صور وفي نفس السنة ايضاً قام رحالة روسي بزيارة لمسقط . وبعدها مباشرة ترددت أقوال كثيرة عن مفاوضات سرية بين روسيا وسلطان عمان .

اتفاقية بين سلطان عمان وبريطانيا :

في هذا الوقت ، فكرت الحكومة البريطانية في اتخاذ الاجراءات الكفيلة بمنع تسلل ذلك النفوذ الاجنبي المعادي الى عمان . وكان محتملا أيضـاً أن تعلـن الحكومة البريطانية عمان محمية خاضعة للتاج البريطاني ، لولا ان الاعلان الانجلو - فرنسي المشترك لسنة ١٨٦٢ كان يمنعها من اتخاذ تلك الخطوة . وبدلا من ذلك اعدت الحكومة البريطانية في سنة ١٨٩١ اتفاقية وقعها سلطان عمان تنص على الا يسمح هو ولا من يخلفه بأية امتيازات في ارضه لاية دولة من الدول الاجنبية عدا بريطانيا .

الاجراءات البحرية البريطانية ١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

وفي سنة ١٨٩٢ ، ورغم ان السفينة « لورنس » الناقلة الخاصة بمقيمية بوشهر لم تكن مخصصة منذ البداية كي تكون سفينة مسلحة الا انها أصبحت مزودة بمعظم التسليح المقرر لها . وكان قانون البحرية الهندية الصادر في سنة ١٨٨٧ بمثابة تفويض من حكومة الهند بتسليح السفينة « لورنس » لاداء واجبات خاصة ، ولكن يبدو ان استخدام هذه السفينة في القتال الفعلي ظل امراً معلقاً حتّى سنة ١٨٩٢ . ففي هذه السنة كتب المقيم في الخليج ما يلي :

« ان اهم ميزة يحققها وجود السفينة « لورنس » في الخليج يظل معلقاً طالما ظلت تعد سفينة غير مقاتلة ، وهكذا لا يكون تحت تصرف المقيمية سوى بارجة حربية واحدة ، غالباً ما تظل فترات طويلة بعيدة عن منطقة الخليج ، مما لا يتيح القيام بالحراسة واعمال الامن على الوجه الاكمل خاصة في الاوقات التي تشتد فيها حرارة الجو وتكثر الحاجة الى الرقابة الامنية حين لا يواتي سفينة صاحبة الجلالة العمل في مثل ذلك المناخ . صحيح ان اعمال القرصنة التي ارتكبها بنو هاجر هينة ، لكنها تتطلب المراقبة الدقيقة والا تطورت الى شيء آخر خطير . ولا شك في أن مراقبة شواطيء البحرين تكبح جماحهم ،ولا بد ايضاً من ان يسمح للسفينة الحربية باعمال الردع الفعالة اذا دعت الضرورة ، وهو ما ليس مباحاً للسفينة « لورانس » في الظروف الحالية » .

وبعد مناقشة ظروف هذه القضية في ضوء الاوامر القائلة بأنه « ما من سفينة مسلحة تابعة للدول تستطيع مباشرة العمل العسكري الا بأمر من الاميرالية » صدرت اوامر حكومة صاحبة الجلالة بنزع سلاح السفينة « لورنس » ونفذ الامر فور صدوره .

الامن فى البحار ١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

خلال هذه الفترة استمرت القرصنة الى حد ما على ساحل الأحساء. وفي سنة ١٨٨٨ ـ ١٨٩٠ اصبحت عملية الهجوم على السفن في نهر شط العرب تنذر بشر مستطير .

★ ★ ★

تجارة السلاح ١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

حوالي سنة ١٨٩٠ انهمر فيض من الاسلحة والذخائر من زنجبار الى الخليج نتيجة للقيود التي تحظر تلك التجارة في شرق افريقيا ، كما نشطت التجارة المباشرة في الاسلحة النارية بين اوربا واقاليم سلطنة عمان، وكان هذا بداية تحول مسقط لتصبح اعظم سوق للسلاح في منطقة الشرق الاوسط ، ومنذ بداية الحركة كان يعاد تصدير قسم كبير من السلاح المصدر الى مسقط الى مختلف مناطق الخليج . ولم تكن هذه التجارة قد اكتسبت بعد أهميتها السياسية ، غير ان حكومة الهند ـ لاسباب خاصة ـ أقنعت السلطان بمنع تصدير السلاح الى جوادر في سنة ١٨٩١ . وفي السنة التالية حدد الشاه اوامره الصادرة سنة ١٨٨١ بمنع دخول السلاح والذخيرة الى اراضي ايران .

عمليات المسح البحرية البريطانية
١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

في سنة ١٨٩٠ قامت البحرية البريطانية بمسح مدخلي شط العرب وبهمانشير من ناحية البحر ، متعاونة مع الحكومة الايرانية ، وفي نفس السنة تم بالفعل مسح منطقة بهمانشير واعدت الرسوم التوضيحية لها ، وشرح اهمية ذلك للسفن البخارية في المحيط . وباذن من الشاه ومن سلطان عمان اقامت بريطانيا مراكز لقياس مد وجزر البحر في بوشهر ومسقط سنة ١٨٩٢ و ١٨٩٣ .

★ ★ ★

الشئون والمصالح البريطانية الرسمية فى ايران
١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

المنشآت البريطانية على نهر قارون :

تركز معظم اهتمام الموظفين البريطانيين في الجنوب بمشكلة رعايا بلادهم الذين اقاموا في المنطقة بعد فتح نهر قارون للملاحة . وكانت المؤسسة البريطانية الوحيدة التي افادت فائدة عظمى من الامتياز هي شركة الملاحة في دجلة والفرات للسادة لينش فسفنها ، ظلت تمخر نهر دجلة اكثر من ربع قرن .. وقد دفعت معونة مالية لهذه الشركة من حكومة صاحبة الجلالة وحكومة الهند مُناصفةً دعماً للشركة في وجه الصعوبات التي كانت تجابهها ، وكان من هذه الصعوبات معارضة رسمية من حكومة ايران خاصة بفرض حظر تعسفي على تصدير القمح ، وعرقلة مساعي

الشركة لتأمين البيوت والوسائل اللازمة لموظفيها ، هذا الى جانب المنافسة غير العادلة مع التجار الوطنيين والسلطات المحلية ، كما فرضت الحكومة الايرانية باسم الشاه على الشركة تشغيل خط ملاحي يقع في أعالي نهر قارون ، لم تكن له جدوى اقتصادية ناهيك عن الكراهية الشعبية والتعصب العنصري ، لكن شركة لينش هذه لم تأبه للمصاعب التي كانت تواجهها كما ان تجارتها بالقمح حققت ارباحاً استطاعت ان تغطي بها خسائر عملياتها التجارية الاخرى رغم الدعم المالي الذي كانت تتلقاه لتغطيتها .

اجراءات قنصلية جديدة ..... الخ :

ويرتبط بنمو الملاحة والتجارة هنا افتتاح نيابة قنصلية بريطانية في المحمرة سنة ١٨٩٠ ، ومكتب بريد تابع لحكومة الهند سنة ١٨٩٢ .

★ ★ ★

شئون بريطانيا الرسمية فى العراق التركى
١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

عداء الادارة التركية للمصالح البريطانية :

ظلت السلطات المحلية التركية تفصح عن عدائها للمصالح البريطانية في العراق التركي ، وفي سنة ١٨٩٣ — ١٨٩٤ ، حين كان الباب العالي يبذل كل جهوده من اجل ضمان سيطرة مطلقة له على كل المجرى المائي لشط العرب ، توالت شكاوى ضباط سفن الهند البريطانية من تحرش هؤلاء المسئولين الاتراك بهم وابتزازهم ، بحجج او اخرى ولا سيما في الفاو . وكان لهذا السلوك ارتباط بمزاعم تركيا في ملكية المحمرة

لكنها لم تكن ناتجة عنها . لان هذه المضايقات لم تنته تماماً بعد ان توقفت تركيا عن مزاعمها المذكورة .

تعطيل حرية ملاحة سفينة صاحبة الجلالة « كوميت » . :

وبذلت المحاولات للتدخل في حركة باخرة مقيمية بغداد « كوميت » حتى في دجلة الادنى . وفي سنة ۱۸۹۳ عقب نهاية هذه الفترة بزمن قليل ، قدم الباب العالي احتجاجاً رسمياً على رحلة قامت بها هذه السفينة الى سامراء في أعلى دجلة ، وانكرت الحكومة التركية هذه المرة رسمياً حق الملاحة في دجلة صعوداً بعد بغداد .

تعيينات قنصلية بريطانية :

وقد اضافت الحكومة البريطانية الى موسساتها القائمة في العراق فجددت فتح المكتب القنصلي الذي كان بالبصرة على شكل وكالة قنصلية ، في سنة ۱۸۹۳ ، كما افتتحت وكالة قنصلية جديدة في كربلاء في نفس السنة لترعى مصالح رعايا الهند البريطانية المقيمين بها وبالنجف .

هبة أوض :

وكانت هذه فترة عاصفة فيما يتعلق بهبة أوض . فقد انكشفت مساءات كثيرة في ادارتها التي تتولاها جماعة المجتهدين ، وقد فشلت ، جهود مضنية من جانب غير مقيم بريطاني واحد في بغداد لتصحيح الامور . من هذه المحاولات الفاشلة محاولة توجيه اللوم والانذارات للمجتهدين وسحب الحسابات منهم ، واخيراً عينت لجنة لمراقبتهم ، ولكن هبة أوض ظلت بعيدة عن مستحقيها الفقراء ، ورفع هذا الامر الى الحكومة الهندية ، فقامت بفحص نصوص الوصية فحصاً دقيقاً ، وخرجت بنتيجة مفادها ان التدخل في ذلك الوقت على الاقل لم يكن أمراً عملياً او هو على الاقل غير مرغوب فيه ، لكنها اوقفت صرف ذلك الجزء من الهبة المكرس اصلا لفقراء الهنود .

نيابة لورد الجين للملك
١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

شهدت الفترة التي نحن بصددها ميلاد الحركات التي ما فتىء تجمع قوتها ان جعل للخليج من الاهمية في السياسة الدولية ما لم يكن له من قبل. كان ابرز ذلك التفاهم الروسي ـ الفرنسي الذي سرعان ما تحول الى تحالف بين البلدين ادى الى توتر العلاقات بين انجلترا وفرنسا ، وكذلك محاولات الدول الاجنبية مد خطوط حديدية تربط البحر المتوسط بالخليج . وقرب نهاية الفترة اصبحت المشكلات القائمة في الهند ذاتها تحول دون تمكن حكومة الهند من ملاحقة تطورات الخليج ومعالجتها علماً بأن أمن المصالح البريطانية وسلامتها كانا متوقفين على يقظة الحكومة الهندية ومراقبتها ، وكان من مشكلات الهند المذكورة ظهور الطاعون الدملي وانتشاره بشكل وبائي رهيب سنة ١٨٩٦ ، وانتشار التمرد نتيجة الاجراءات الصحية الوقائية ضد انتشار ذلك الوباء هذا الى جانب تمرد قبلي خطير شب فجأة على الجبهة الشمالية الغربية سنة ١٨٩٧ .

ويحسن بنا ان نتناول تاريخ هذه الفترة بشكل تفصيلي اكثر مما فعلناه بالنسبة للفترات الهادئة السابقة من خلال الموضوعات التالية : الحالة في ايران وفي العراق التركي وعلاقة بريطانيا عموماً بهذين البلدين ونشاط الدول الاجنبية عدا بريطانيا في منطقة الخليج والحالة في الدول العربية وامارات الخليج كل على حده ، ثم العلاقات البريطانية بكل منها ، واخيراً المسائل الادارية والرسمية المتعلقة ببريطانيا بشكل اساسي .

الحالة فى ايران وعلاقاتها ببريطانيا ١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

انحلال ايران تحت حكم مظفر الدين شاه :

بتولي شاه جديد عرش ايران في سنة ١٨٩٦ ، دخلت البلاد مرحلة من الانهيار تشابه ما وقعت فيه تركيا خلال الجيل الاخير وكان من اهم أسبابها الاسراف المالي . لقد كان الشاه الجديد مظفر الدين شاه يفتقر الى الالمعية وقوة الخلق مما استطاع بهما ابوه ان يحقق النظام في ارجاء ايران كلها ، وان يزيد دخل الدولة بدل ان يتورط في الدين العام ، وان يحقق توازناً مستقلا في وجه الدول الاجنبية المتربصة . كما اصبحت الخلافات والانقسامات بين كبار الوزراء والمسئولين ظاهرة خطيرة تهدد البلاد .

تناقض المصالح الروسية والبريطانية خاصة فيما يتعلق بالمواصلات والقروض والجمارك :

وفي مجال العلاقات الخارجية كان تعارض المصالح البريطانية والروسية في ايران اهم ما يميز هذه الفترة ، وكان الصراع يزداد اتساعاً كل يوم ، فقد تأجلت اعمال مد الخطوط الحديدية بتدخل روسيا كما سبق ان اشرنا ، لكن بريطانيا استطاعت ان تحرز بعض النجاح بهذا الشأن موًخراً ، وذلك بحصولها على امتياز مد خط حديدي بين اهواز وأصفهان عبر اقليم بختياري ، وقد اضيف هذا الامتياز الى الامتيازات التي سبق أن حصلت عليها الشركة البريطانية في سنة ١٨٩٧،وحصلت روسيا بالطبع على امتياز مشابه لمد السكك الحديدية في شمال ايران .

لكن مشكلة القروض المالية كانت مشكلة جديدة تماماً . فقد سبق ان اقترض ناصر الدين شاه ــ قبل اغتياله ــ مالا من السوق الاوربية . لكنه لم يحصل الا في سنة ١٨٩٥ ان اجبرت طلبات الشاه وزراء ايران

على البحث له عن مبالغ ضخمة من أموال القروض من اي مصدر كان . لقد جاءت مشكلة القروض بمشكلة الضمانات لدفعها ، وبالتالي بدأ التحرى عن امكانات الجمارك الايرانية ، ثم انتدب خبراء بلجيكيون لاعادة تنظيم تلك المديرية في سنة ١٨٩٣ ، وكان مما يتصل اتصالا وثيقاً بالقروض وضمانات دفعها موضوع استغلال عوائد جنوب ايران كرهون القروض ، وكانت بريطانيا من جانبها لا تود ان تنتقل ملكية تلك العوائد الى روسيا بأية حال . فقامت باتخاذ كل الخطوات العملية لدرء ذلك الخطر منذ وقت مبكر سنة ١٨٩٢ أي منذ لاح ان روسيا على وشك تقديم اول قرض لايران . وفي سنة ١٨٩٨ حين سحبت ايران سلفة على قرض بريطاني في ذلك العام ، وضعت دائرة جمارك بوشهر تحت اشراف بريطانيا . وفي خلال هذه الفترة تبودلت الجولات في الصراع القائم بين المصالح البريطانية والروسية في مختلف اقاليم ايران ، في خراسان وسجستان بل وحتى في ايران الوسطى والغربية مما سنفصل الكلام فيه لاحقاً.

بعد هذه الخطوط العريضة عن رؤوس المشكلات نتعرض الان للشئون المحلية في الاقاليم الايرانية على الخليج .

شمال عربستان :

في شمال عربستان اضطرب النظام العام اضطراباً طفيفاً قبل موت ناصر الدين شاه وبعده، وفي بداية حكم خلفه ازدادت امور المقاطعة سوءً . فانغلقت في سنة ١٨٩٤ طريق دزفول — خرم اباد ، وفي ١٨٩٥—١٨٩٦ اضطربت الحالة فيما حول مدينة دزفول نفسها . ومن سنة ١٨٩٦—١٨٩٨ — وباستثناء فترة قصيرة — كانت اقاليم عربستان الشمالية تحت رحمة قبائل العرب وقبيلة بختياري وحتى في مدينتي دزفول وشوشتار اصبح الحكم بأيدي عناصر مسلحة فوضوية .

جنوب عربستان :

وتميز جنوب عربستان في هذه الفترة باختفاء مشيخة بني كعب في منطقة الفلاحية اختفاء تاماً باندماجها في مشيخة المحيسن في المحمرة ، وهكذا ازداد امتداد هذا الاقليم الاخير اتساعاً . وكان موقف شيخ المحمرة لاسباب عديدة معادياً للحكومة البريطانية منذ افتتاح نهر قارون للملاحة في سنة ١٨٨٨ ، ولكن في سنة ١٨٩٧ تغيرت الامور عقب اغتيال الشيخ ميزعل وتولى الشيخ خزعل مشيخة تلك الامارة . ولم يبد على الشيخ الجديد انه كان يكتفي بتأييد المصالح البريطانية وممثلي بريطانيا وحسب ، ولكنه تقدم سراً لوضع نفسه تحت الحماية البريطانية عندما زادت مخاوفه من سير الاحداث في ايران ولا سيما بعد ان ظهرت دلائل على ان الحكومة المركزية في طهران كانت تزمع الغاء استقلاله الذاتي . ورداً على سعيه هذا اجابته الحكومة البريطانية بأنها لا تستطيع أن تضمن له استقلاله عن ايران في الوقت الحالي ، ولا في حالة تفكك الدولة المركزية ، لكنها وعدته بعلاقات العون والصداقة .

الساحل الايراني وجزره :

وامتد ضعف الدولة العام في انحاء ايران الى ساحل الخليج وجزره . ففي سنة ١٨٩٧ — ١٨٩٨ توالي على حكم اقليم موانئ الخليج تسعة حكام مختلفون خلال ١٥ شهراً فقط .

وفي سنة ١٨٩٧ حدث شغب بسبب امر خرافي فأدى الى تحطيم اجهزة المسح البريطانية في بوشهر ، وفي العام التالي وقع في نفس المكان حادث قتل شنيع من قبل اتباع شيخ تانجستان راح ضحيته احد اتباع بريطانيا في تلك المنطقة . وحتمت هذه الاحداث اتخاذ اجراءات خاصة لحماية الرعايا البريطانيين وممتلكاتهم في بوشهر ، غير انه لا يبدو ان البريطانيين استطاعوا الحصول على تعويض كاف في اي من الحالات المذكورة . وفي سنة ١٨٩٨ قام عضو من الاسرة الحاكمة السابقة في

لنجة باعلان نفسه حاكماً لذلك البلد متحدياً الحكومة الايرانية ، التي كانت تدير الميناء والاقليم حوله عن طريق مسئولين تابعين لها ، لكن الرجل طرد من لنجة مرة أخرى سنة ١٨٩٩ بعيد نهاية الفترة التي نحن بصددها .

اقليم مكران الايراني :

ومن كل الاقاليم التي تهمنا دراستها في ايران كان اقليم مكران أشدها اضطراباً . فقد سادت الفوضى فيه سيادة مطلقة لا يحدها شيء ، وفي نهاية سنة ١٨٩٧ ارتكبت سلسلة خطيرة من جرائم اعتداء الاشخاص على الرعايا البريطانيين وصلت ذروتها بمصرع مستر جريفز رئيس مكتب التلغراف البريطاني على يد جماعة من اللصوص البلوش واعقبت هذه الاعتداءات حملة تأديبية يقودها ضابط ايراني وقوة ايرانية باشراف ضباط بريطانيين ، وبحراسة اسطول بحري صغير وقوة من الجنود الهنود لكن ابهما لم يقم بدور ناشط في هذه العمليات ، ولم يحدث قتال جدي ، لكن اخيراً تم قتل الرجل الذي قتل مستر جريفز ، وقبض على رجلين من اعوانه ، اوقع العقاب باحدهما .

★ ★ ★

الحالة فى تركيا وعلاقاتها ببريطانيا ١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

وفي تركيا ، راح التفكك الاداري بتواصل بخطى حثيثة ، فقد بدأ اضطراب ومذابح الارمن من رعايا السلطان ، ووصلت قمتها في السنوات ١٨٩٤ ـ ١٨٩٦ ، ثم تمردت كريت ، وادى تطور الامور الى حرب سافرة بين تركيا واليونان انتصرت فيها تركيا بسهولة لكنها لم تجن فائدة مباشرة من هذا الانتصار .

العلاقات بين تركيا وايران ١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

ظلت العلاقات بين تركيا وايران ثابتة كما هي.

★ ★ ★

نشاط الدول الاجنبية ـ غير بريطانيا ـ في منطقة الخليج ١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

حين تمكن الشلل السياسي تدريجياً من ايران وتركيا،أصبح نشاط الدول الاجنبية ــ الى جانب بريطانيا ــ نشاطاً محموماً في منطقة الخليج ولاسيما فرنسا وروسيا .

ففي نوفمبر سنة ١٨٩٤ ، افتتحت نيابة قنصلية فرنسية في مسقط ، وكانت مهمة القنصل الجديد واضحة وهي معارضة تقدم النفوذ البريطاني في سلطنة عمان ، وخلق مصالح فرنسية هناك لا يكون في مقدور الحاكم الوطني الاشراف عليها . وكانت ابرز وسائل ذلك السماح برفع العلم الفرنسي على سفن رعايا السلطان ، وكانت السلطات الفرنسية تعتبر كل سفينة ترفع علمها وجميع من فيها مشمولين بالحماية الفرنسية حتى ضد سلطان عمان . وفي ١٨٩٤ تجاوز عدد السفن التي ترفع العلم الفرنسي عشرين سفينة ، واصبحت صور ــ الميناء الذي تتبعه هذه السفن ــ بؤرة للنفوذ الفرنسي . وفي سنة ١٨٩٧ نجح وكيل القنصل الفرنسي في مسقط في ان يفرض على سلطان عمان الحقوق المتطرفة التي كان يزعمها للذين يرفعون العلم الفرنسي .

وفي سنة ١٨٩٥ ، بدأت السفن الحربية الفرنسية تظهر في مياه الخليج وكانت اول سفينة دخلت المنطقة هي السفينة « ترووود» التي زارت مسقط.

واستغلت المشروعات التجارية ايضاً لدفع النفوذ الفرنسي الى الامام، لكنها لم تحقق في ذلك نجاحاً كبيراً . وفي سنة ١٨٩٦ افتتحت شركة « المساجيري ماريتيم » للملاحة خطاً ملاحياً مدعوماً بمعونة حكومية بين بومباي وموانى الخليج ، لكن هذا الخط لم ينجح بسبب استخدام سفن ذات غاطس غير مناسب . وفي ١٨٩٨ زار المحمرة نائب القنصل الفرنسي في بوشهر ، ويبدو انه اعاد دراسة افتتاح خط ملاحي فرنسي الى ذلك الميناء بدعم من الحكومة الفرنسية ، وكان هذا المشروع قد سحب منذ اكثر من خمسة عشر عاماً لكن شيئاً لم يحدث عملياً للبدء في تنفيذه .

وفي سنة ١٨٩٥ ، حصلت فرنسا على احتكار الحفائر الاثرية في ايران ، وفي ظل هذا الامتياز جددت عمليات حفرها في شوش سنة١٨٩٧.

اما نشاط روسيا في منطقة الخليج وما جاورها فكان ما يزال نشاطاً تجريبياً وان كان واسع النطاق . وفي سنة ١٨٩٨ عين ضابط كفء يدعى كروجلوف قنصلا روسياً في بغداد حيث كان لروسيا قنصلية ثم الغتها واستعاضت بتمثيل القنصلية الفرنسية سنة ١٨٨٦ ثم اعيدت الآن . وفي سنة ١٨٩٧ عين قنصل روسي عام في اصفهان حيث لم تكن لروسيا مصالح بحرية .

وظهر اول دليل على اهتمام روسيا الاستراتيجي بالمضايق الموصلة الى مدخلي الخليج بزيارة ضابط مهندس روسي لهرمز — عن طريق كرمان وبندر عباس — في ربيع سنة ١٨٩٥ حيث بقي يومين قام خلالهما بمسح للجزيرة ، وقبل عودته فهم منه ان روسيا ستقيم مخزناً للفحم على تلك الجزيرة .

وبعد سنة ١٨٩٦ ، هيأ انتشار الطاعون الدملي في الهند حجة

جديدة تذرعت بها روسيا للتدخل في شئون الخليج . وفي سنة ١٨٩٧ — وبناء على تخطيط لا يمكن لاحد ان يشك في وجوده ، او في ارتباطه بمخططات مناطق اخرى من ايران لمعارضة النفوذ البريطاني — ارسل خبيران طبيان روسيان هما ، اوست ومير ، وكان الاخير يشغل منصب طبيب البعثة الدبلوماسية الروسية في طهران ، لدراسة مرض الطاعون في بوشهر ، التي لم يكن الوبأ قد انتشر فيها ذلك الوقت والتي لم تعرفه الا بعد سنتين من ذلك التاريخ . وفي سنة ١٨٩٨ لحق بهذين طبيبان آخران هما رودزفيتس وكورناجفسكي ، ثم لحق بالأخيرين الطبيب باتشوكوفسكي الذي كان قد اتخذ من بوشهر مقراً له خلال سنتي ١٨٩٨ و ١٨٩٩ ، وقام بنشاط طبي عظيم في ثاني تينك السنتين عندما انتشرت موجة خفيفة من الطاعون هناك .

ومن الحقائق الهامة المرتبطة بتخطيط روسيا لنشاطها في مدخل الخليج ان كل هؤلاء الاطباء قاموا طبعاً بزيارة بندر عباس الى جانب بوشهر ، كما قام مستر رود زفيتش ومستر كورناجفسكي بزيارة البصرة . والحقيقة ان هذه الاحتياطات الطبية ضد انتشار الطاعون على الساحل الجنوبي لايران اثارت شكوك الحكومة الايرانية التي نقلتها رسمياً للوكالة البريطانية . هذا الى جانب ان قصر المدة وقلة انتشار الوباء في بوشهر قد رجحا ان لهذه البعثة الطبية الروسية عملا آخر تؤديه . وفي سنة ١٨٩٩ اصدر السفير الروسي في طهران انذاراً — لم ينفذ — بأن روسيا سترسل جنداً من القوزاق لضرب حصار صحي حول بوشهر كما فعلت في سجستان من قبل .

أما العمل الذي تم في بغداد سنة ١٨٩٨ فكان مرتبطاً بخطة لاقامة ميناء روسي في الخليج حيث طلبت روسيا من قنصلها في بغداد تقريراً عنه . وفي سنة ١٨٩٨ تقدم الكونت كابنت ، وهو مسئول روسي من عائلة عريقة ، الى الباب العالي ملتمساً الحصول على امتياز مد خط حديدي يربط طرابلس في الشام وميناء الكويت . ويشير هذا الالتماس

الى ان الكويت كانت هي المنطقة التي تنظر اليها روسيا كهدف لميناء على الخليج .

وخلال هذه الفترة ، ظهرت المانيا للمرة الاولى في شئون منطقة الخليج ، فقد كان لها مشروعات لم تعلن عنها خارج المانيا لمد خط سكة حديدية تربط البحر المتوسط بالخليج ، وفي سنة ١٨٩٤ ، وهي نفس السنة التي زارت فيها البارجة الالمانية « كورموران » مسقط ، افتتحت قنصلية المانية في بغداد بمجهودات احد الرعايا الالمان الاغنياء وعين نائب قنصل الماني ايضاً في بوشهر سنة ١٨٩٧ ، وكان عدد الرعايا الالمان في موانى الخليج كلها في ذلك الوقت لا يتجاوز ستة اشخاص .

وانشئت وكالة بحرية المانية ايضاً ، غير ان بواخرها لم تحقق نجاحاً يذكر في بوشهر .

وفي سنة ١٨٩٨ تمت الموافقة الرسمية من جانب الباب العالي على منح امتياز لشركة سكة حديد الاناضول (الالمانية) بأن تمد خطاً حديدياً من آسيا الصغرى الى الخليج ، غير ان هذه الحقيقة لم تعرف فور حدوثها .

أما النشاط الامريكي في المنطقة ، فقد ظل ذا طابع غير سياسي .

★ ★ ★

الحالة فى سلطنة عمان وعلاقاتها ببريطانيا
١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

تميزت هذه الفترة في سلطنة عمان ببداية ازمة بين السلطنة والحكومة البريطانية . وكان هذا يرجع الى الاحداث الداخلية من ناحية والى عدم

تجديد ضمان الحماية البريطانية العسكرية للحاكم الجديد وفق ما كانت عليه السلطة من سنة ١٨٨٦ الى ١٨٨٨ من ناحية اخرى، يضاف الى ذلك دسائس الفرنسيين واثرها في الموقف .

احتلال المتمردين لمسقط ، وتباعد السلطان عن الحكومة البريطانية ١٨٩٥ :

في فبراير سنة ١٨٩٥ استطاع المتمردون على السلطان — بطريق الغدر والخيانة — ان يحتلوا عاصمته مسقط ، وظلت في قبضتهم ثلاثة أسابيع . واتخذ الممثل البريطاني من هذا الصراع موقفاً حيادياً كاملا ، لكن المتمردين طردوا بعد ذلك بالقتال والمفاوضات ثم أخيراً بالتنازل . وأدت هذه الحادثة التعسة الى حقد السلطان على الحكومة البريطانية التي اعتبرها قد تخلت عنه في ساعة الازمة . ولهذا نظر الى مطالبتها بالتعويض للرعايا البريطانيين عن الاضرار التي لحقت بهم اثناء فترة التمرد كمطلب كيدي ، وكان هذا من العوامل التي أدت الى اضعاف سلطته على اقاليم بلاده نفسها . ولم يكن في استمرار دفع معونة زنجبار له ، التي لم تتوقف كما كان يجب ما دام قد مارس الحكم بطريقة لا ترضى عنها بريطانيا ، ولا في تقديم هدية صغيرة من الاسلحة اليه ، ولا في عروض العون البحري من جانب بريطانيا لاستعادة الاقاليم المتمردة عليه في ظفار بجنوب الجزيرة ، لم يكن فيها جميعاً ما يكفي لتهدئة ثائرة سخطه على بريطانيا . والحقيقة ان الموقف بعد تمرد سنة ١٨٩٥ قد ساء الى درجة جعلت الحكومة البريطانية تناقش احتمالا من احتمالات ثلاثة : (١) ضم مسقط ومطرح رسمياً الى املاكها او (٢) اعلان الحكومة البريطانية حمايتها على سلطنة عمان كلها ، او (٣) التلميح للمشايخ القادة في البلاد كلها بأن الحكومة البريطانية لن تسمح لهم ، لأي سبب من الاسباب ، بمهاجمة مسقط او مطرح ، وايدت حكومة صاحبة الجلالة الاقتراح الثالث الا وهو تقديم ضمان معتدل بالمساعدة لا يحوى اي مبدأ يتعارض

مع البيان الانجلو – فرنسي لسنة ١٨٦٢ .

وفي سنة ١٨٩٦ بدأت بريطانيا تبحث الاجراءات اللازمة لتعديل البيان الانجلو – فرنسي لسنة ١٨٦٢ بما يتفق مع نية انشاء نظام للحماية البريطانية على عمان لكن حكومة صاحبة الجلالة اعتبرت الوقت غير مناسب لاجراء مفاوضات مع فرنسا حول ذلك الموضوع .

وفي سنة ١٨٩٥ – ١٨٩٧ قدمت حكومة الهند قروضاً للسلطان بضمان معونة زنجبار ، ذلك بأن وضع جمارك السلطنة تحت الاشراف البريطاني يتضمن خرقاً لاتفاقية ١٨٦٢ .

امتياز من السلطان لفرنسا باتخاذ محطة تموين لنفسها ١٨٩٨ :

وفي سنة ١٨٩٨ قام القاربان المسلحان الفرنسيان « قابس » و « سكوربيون » بزيارة لمسقط على التوالي . وخلال نفس السنة ، ودون اعتبار من جانب السلطان لاتفاقيته التي وقعها مع بريطانيا في سنة ١٨٩١ اصدر امتيازاً لفرنسا بأن تقيم محطة لتموين سفنها بالفحم ، دون تحديد مكان لذلك بعينه ، وان كان الموقع المحتمل هو بندر جَصّه–وهو ميناء ليس بعيداً عن مسقط – واتخذت الاجراءات من جانب الحكومة البريطانية هناك لتستبق اية عملية احتلال من جانب فرنسا للمكان . ولم يكن النفوذ الفرنسي قوياً في سلطنة عمان ، وكان ميناء صور مركزاً من أهم مراكزه ، أما موقف السلطان من مصالح الرعايا البريطانيين ومن الممثل البريطاني ايضاً – فكان يقارب حد الاحتقار .

الحالة في عمان المتصالحة وعلاقاتها ببريطانيا ١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

ظلت امور سلطنة عمان خلال هذه الفترة مستقرة بفضل الاتفاقية الشاملة التي عقدتها بريطانيا مع مشايخ عمان المتصالحة في سنة ١٨٩٢ ، ونتيجة سيادة النفوذ البريطاني القائم ، وبسبب بعد هذه المنطقة عن الاهتمامات السياسية .

★ ★ ★

الحالة فى قطر وعلاقتها ببريطانيا ١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

لم يقع في قطر اي تطور جديد بالذكر ، اذا استثنينا محاولة لغزو جزيرة البحرين عن طريق الزبارة ، احبطتها البحرية البريطانية على نحو ما ذكرنا في حديثنا عن شئون البحرين . وقد انتهى احترام السيادة التركية التي كانت تمارس نفوذها في شبه الجزيرة هذه بشكل شاذ فقد انتهى تماماً عقب نجاح تمرد سنة ١٨٩٣ . وفي سنة ١٨٩٤ قتل ممثل تركيا في الدوحة . وفي سنة ١٨٩٨ حدثت ثورة في نفس المدينة لقي فيها عدد من الاتراك مصرعهم .

وفي سنة ١٨٩٨ ايضاً لمح شيوخ قطر عن رغبتهم في ان تشملهم الدائرة السياسية التي تضم شيوخ عمان المتصالحة الذين كانت لهم علاقات تعاقدية مع الحكومة البريطانية .. ولكن لم تتخذ اية اجراءات في صدد ذلك الطلب .

الحالة فى البحرين وعلاقاتها ببريطانيا
١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

البريطانيون يحبطون محاولة لغزو البحرين من البر ١٨٩٥ :

كان الموقف العام خلال هذه الفترة في البحرين هو استمرار تركيا في محاولات تنفيذ خططها العدائية هناك ، واستمرار بريطانيا في اتخاذ موقف الحماية تجاه شيخ البحرين . وقد ادت هجرة قبيلة ساخطة من البحرين الى الزبارة في قطر الى اقامة قاعدة معادية للبحرين هناك ، يساندها عون فعال من جانب رئيس مشايخ قطر والسلطات التركية في الأحساء . وفي سنة ١٨٩٥ اتخذت اجراءات —على مستوى كبير— لغزو البحرين بدأت في الزبارة ، وتقدمت هذه الأجراءات بنشاط تحت قيادة مسئول تركي وصل اليها فجأة ، ووصل قارب تركي مسلح ايضاً الى الشاطيء ليحمي عملية الغزو القبلي حينئذ ، كما تركزت قوة بحرية بريطانية في مياه البحرين ، وبعد ان اصدرت هذه القوة غير انذار واحد للباب العالي ، بدأت العمل ، فتم تحطيم او تعطيل أكثر من ٤٠ سفينة من السفن المعدة للغزو ، وتم اسر ١٢٠ سفينة اخرى نقلت الى البحرين ، وقد احرق معظم هذه السفن هناك لان اصحابها رفضوا ان يدفعوا غرامة عنها ليستلموها . وضمنت هذه الضربة القاضية امن البحرين ، وقدمت الحكومة التركية احتجاجات لم تؤد لشيء الا اتاحة الفرصة لحكومة صاحبة الجلالة كي تعبر للباب العالي عن موقفها من المزاعم التركية في قطر والبحرين .

خطط تركيا في البحرين ١٨٩٧ — ١٨٩٨ :

وفي سنة ١٨٩٧ رفض بايعاز من حكومة صاحبة الجلالة اقتراح بافتتاح مركز تابع للمكتب الصحي للقسطنطينية في جزر البحرين . وفي سنة ١٨٩٨ رفضت الحكومة البريطانية ايضاً طلب الباب العالي ان يقدم كل ممثل للسياسة البريطانية في البحرين اوراق اعتماده له .

الحالة فى الكويت وعلاقاتها ببريطانيا
١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

محاولات فرض سيطرة تركية على الكويت ١٨٩٦–١٨٩٧ :

أدت عدة اسباب الى ان تحتل الكويت مكانة سياسية هامة خلال هذه الفترة .

ففي سنة ١٨٩٦ حدثت ثورة داخلية في الكويت انتهت بأن تولى الشيخ مبارك ــ وهو شيخ جديد وقتذاك ــ الحكم فيها . وقد ادت الظروف القائمة في الكويت الى عداء حاد بينه وبين افراد من عائلته بحيث لم يكن وضعه مستقراً بأية حال . وكان موقف السلطات التركية التي تعتبر الكويت من الاملاك العثمانية من الشيخ مبارك موقفاً محايداً او متشككاً ، ثم اذعنوا وتغاضوا عن عملية اغتصاب مبارك المشيخة ، واعترفوا بالحاكم الجديد وان ظلوا على ارتيابهم بأن الامر كله كان نتيجة تدبير بريطاني ، لكن تركيا عادت اخيراً تحاول الاستفادة من ضعف هذا الشيخ لتفرض عليه وصايتها الادارية المباشرة في مكان النفوذ الاسمي الذي كان كل ما لتركيا في الكويت من قبل . وفي سنة ١٨٩٧ عين مسئول طبي يمثل مكتب الصحة العامة في القسطنطينية في الكويت ، وتقدم الشيخ فجأة يطلب الحماية البريطانية ، لكن طلبه رفض .

قرار الحكومة البريطانية بالدخول في علاقات سياسية مع شيخ الكويت الجديد ١٨٩٨ :

ولم تكن شكوك الباب العالي في قيام تفاهم بين البريطانيين والشيخ الجديد في الكويت قائمة على اساس على الاطلاق. وما كان إلا بطلب من جانب الشيخ ان بدأت بريطانيا تناقش احتمال قيام علاقة سياسية به ، ومناقشة مدى رغبتها في ذلك . وحتى ذلك الوقت ، هذا ان كانت

حكومة صاحبة الجلالة قد فكرت كلية في الامر ، فانها كانت تعتبر الكويت تابعة للامبراطورية العثمانية ، ويبدو ان سفيرها في القسطنطينية قد اعترف بهذه الحقيقة في سنة ١٨٩٣ ، لكن الحكومة وجدت لزاماً عليها ان تعيد النظر في موقفها هذا لاعتبارين :

أولا : ان بعض رعايا ذلك الشيخ متهمون بالمشاركة في اعمال القرصنة في شط العرب .

ثانياً : وجود تخطيط روسي يشمل الكويت بصدد مد خط حديدي يصل من البحر المتوسط الى الكويت .

وقد عجل بالاسراع في قرار بريطانيا بذلك الصدد بوادر استعدادات تركية للقيام بعمل عسكري في الكويت لم يكن احد يعرف شيئاً عنه بالتفصيل ، وتقرر ان تعقد حكومة صاحبة الجلالة مع الشيخ مبارك في الكويت اتفاقية كهذه التي عقدتها مع سلطان عمان في سنة ١٨٩١ ، والتي تحتم عليه الا يقدم تنازلات في ارضه لاية دولة اجنبية دون موافقة بريطانيا .

★ ★ ★

الاجراءات البحرية البريطانية ١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

تعديل الاجراءات البحرية بين حكومة الهند والاميرالية البحرية البريطانية ١٨٩٦ :

في سنة ١٨٩٥ تجدد النظر في الاتفاقية التي كانت معقودة بين الحكومة البريطانية وحكومة الهند بشأن السفن التي تضعها اميرالية البحر الملكية تحت تصرف حكومة الهند ، حيث اقتصر عدد السفن العاملة على

اربع سفن فقط ، بينما زيدت معونة الهند لخدمة هذه السفن الى مبلغ ١٠٠ الف جنيه استرليني . وبالاضافة الى هذه المعونة فقد تقرر ضم نفقات وقود وتصليح سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » التي كانت تعمل دائماً في الخليج الى حكومة الهند . كما اصبح على تلك الحكومة ان تدفع ثمن الفحم لاية سفن اخرى قد تقوم بخدمات خاصة لها . وكانت السفن المخصصة للخدمة في حكومة الهند هي سفن صاحبة الجلالة : « ماراثون » وحمولتها ٢٩٥٠ طناً و « بريسك » وحمولتها ١٧٧٠ طناً و « بيجين » وحمولتها ٧٧٥ طناً ، و « سفنكس » وحمولتها ١١٣٠ طناً . ومن هذه السفن جميعها كانت السفينة الاولى فقط هي المسلحة تسليحاً ثقيلا .

وفي سنة ١٨٩٥ امر القائد بيكر قائد سفينة صاحبة الجلالة «سفنكس» بانزال قوة من الجنود على شاطىء مكران اثناء عمليات عسكرية ايرانية هناك دون استئذان من الممثل السياسي سالبريطاني ، وفي نفس السنة حاول نفس الضابط ان يمضي في تعقب تجار الرقيق الذين اشتبه فيهم على البر في ساحل عمان ، فاحتج السلطان على توغله في الارض العمانية . وفي البداية وافقت الامبرالية على اعمال القائد بيكر ، لكن حكومة صاحبة الجلالة اصدرت اوامرها بالا يقوم ضباط البحرية بأي عمل على البر دون موافقة مسبقة من المسئولين السياسيين .

تقييد عمل السلطات البحرية على البر ١٨٩٨ :

كما يجب عليهم الا في الحالات الاستثنائية عدم اجراء أي اتصال مع الشيوخ او الرؤساء على البر ، الا عن طريق المسئولين السياسيين او بعلم منهم .

التحيـــات :

وفي سنة ١٨٩٦ اعيد بحث مشكلة التحية التي تطلقها السفن لتكريم الحكام المحليين . واعيد تأكيد القانون العام بأن يقتصر اطلاق التحية

على السفن المخصصة لذلك ، ومن بين كل السفن التابعة لحكومة الهند أصبح اطلاق التحية مقتصراً على السفينتين « ماراثون » و « بريسلك » ، لكن اضيف استثناءان الى تلك القاعدة ، كاجراء خاص بمنطقة الخليج هما ان يسمح للسفن الاصغر من هذه باطلاق التحية اذا طلب منها المسئول السياسي ذلك ، ثم امكانية اطلاق تحية لا تزيد على خمس طلقات فقط دون امر من احد .

★ ★ ★

الامن فى البحار ١٨٩٤ - ١٨٩٩

القرصنة في شط العرب ، واتخاذ اجراءات حازمة ضدها ١٨٩٥ - ١٨٩٧ :

توقفت الآن تماماً عمليات القرصنة في البحر ، حتى على شاطىء الأحساء، كما توقفت الاضطرابات البحرية في منطقة الخليج كلها ولكن في سنة ١٨٩٥ ، حدثت بعض اعتداءات لها طابع القرصنة قرب مصب نهر شط العرب . وفي سنة ١٨٩٦ قام المسئول السياسي البريطاني في منطقتي المحمرة والبصرة بتنبيه السلطات الايرانية والتركية في هاتين المنطقتين للقيام باجراء يصون امن الملاحة في ذلك النهر . واعقب ذلك تحسن سريع ومباشر في حالة الامور هناك ، وفي سنة ١٨٩٧ عاد الامن مرة اخرى الى الاضطراب ، ووالى البريطانيون ضغطهم الى ان قامت السلطات المحلية بتشكيل قوة خفر سواحل على شاطىء النهر للقضاء على الاضطراب . ورسا قارب بريطاني مسلح على هذا النهر خلال شتاء ١٨٩٨ - ١٨٩٩ مما كانت له آثار ملموسة .

تجارة السلاح ١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

واصلت تجارة الاسلحة والذخائر اتساعها حتى اصبح الخليج كله سوقاً تفد اليها القبائل من افغانستان ومن الحدود الشمالية الغربية للهند للتزود بكل ما تريد من سلاح لقتال بعضها بعضاً ، او لتقف في وجه نظم الحكم القائمة . وقد توطدت هذه الظاهرة تماماً في سنة ١٨٩٨ .

زيادة تجارة السلاح زياده عظيمة ابتداء من سنة ١٨٩٦ :

وحوالي سنة ١٨٩٦ أصبح التطور الذي حققته تلك التجارة مخيفاً ، ففي ١٨٩٥ – ١٨٩٦ قدر عدد البنادق التي وصلت الى مسقط فقط حوالي ٤٥٠٠ بندقية ، وفي سنة ١٨٩٦ – ١٨٩٧ وصل العدد الى اكثر من ٢٠ الف بندقية ، وفي سنة ١٨٩٧ لم يكن عدد البنادق التي وصلت بوشهر وحدها يقل عن ٣٠ الف بندقية . وكانت جميع الاسلحة التي ترد الى الخليج مزودة بذخيرتها . واصبح كل الذكور الراشدين في منطقة جنوب ايران بشكل خاص مسلحين بأسلحة حديثة يستخدمونها كيفما شاءوا . وقد تأكد في سنة ١٨٩٦ ان نسبة الاسلحة والذخائر التي تدخل منطقة الخليج ، وتستخدمها ايران فقط بلغت حوالي ثلاثة أخماس التجارة كلها ، اما الاقاليم التابعة للسيادة التركية فكانت تشارك بربع الكمية والباقي كان من نصيب الدول والامارات العربية ، وكان معظم الاسلحة من صناعة بريطانية .

اجراءات القمع البريطانية ١٨٩٧ – ١٨٩٨ :

وفي سنة ١٨٩٧ ، بدأت الحكومة البريطانية تستعد لمعالجة ذلك الشر فحصلت على التشريع الذي خولها صلاحية التفتيش البحري عن الاسلحة في السفن المتجهة لايران وهي ترفع علم ايران او علم سلطنة عمان ، وان تصادر الشحنات المضبوطة في اي منها . وفي اوائل سنة ١٨٩٩

ـ وبناء على هذه الاتفاقية ـ اوقفت السفن البحرية باخرة بريطانية بالقرب من مسقط ، وصادرت منها كمية كبيرة من الاسلحة النارية والذخائر ، وقد احتجت الوكالة البريطانية صاحبة الصفقة في محكمة العدل بالمملكة المتحدة على هذا الاجراء دون جدوى . وفي نفس الوقت تقريباً قام شيخ البحرين بحجز شحنة من الاسلحة والذخائر تابعة لنفس الوكالة بالقرب من جزيرة البحرين . وايدت السلطات البريطانية ذلك العمل ، وان كانت لم توح به . وفشلت الوكالة ايضاً في الحصول على التعويض الذي طالبت به ، وبعد تسويف طويل اعاد شيخ البحرين تلك الاسلحة للوكالة ـ تطوعاً من جانبه ـ لكنها كانت في حالة سيئة . واخيراً أفلست هذه الوكالة .

وفي ١٨٩٨ ـ وبعد الحادثة التي اشرنا اليها ـ دفعت السلطات البريطانية شيخ البحرين الى ان يمنع تجارة الاسلحة من جزره تماماً ، ويصادر الشحنات التي يقع عليها ، الى جانب السماح للسفن البريطانية بتفتيش سفن البحرين التي تشك في أنها تحمل الاسلحة .

★ ★ ★

التنظيمات الصحية في منطقة الخليج
١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

نتائج مؤتمر الصحة الدولي في البندقية سنة ١٨٩٧ :

أدى ظهور الطاعون الدملي في الهند سنة ١٨٩٦ ، والذي تسبب في عقد المؤتمر الصحي الدولي في مدينة البندقية سنة ١٨٩٧ ، لتأكيد انشاء مراكز للحجر الصحي في منطقة الخليج ، الى اتخاذ بعض الاجراءات هناك . لكن الدول المتنافسة استغلتها لمآرب . ولقد نادى ميثاق البندقية الذي صدقت على مقرراته بريطانيا وايران دون تركيا بضرورة اقامة

مركز صحي في مدخل الخليج وآخر في البصرة ، وحاولت تركيا عبثاً أن تجعل الكويت المركز الصحي لمدخل الخليج ، لكن مناورتها فشلت ، واقترح مكتب الصحة العامة في القسطنطينية — عقب المؤتمر مباشرة — مخططاً لانشاء عدد من المراكز الصحية التابعة له في البحرين وقطر والكويت والقطيف والعقير . وكان من المعترف به ان هذه المراكز الثلاثة الاخيرة من املاك تركيا ، وقد سعت تركيا ايضاً لنقل مركز البصرة — لاغراض سياسية— الى الفاو لكنها فشلت في هذا ايضاً . وفي سنة ١٨٩٩ رفض للمرة الثانية مشروع تركيا لاقامة مركز صحي تشرف عليه القسطنطينية في البحرين .

الحكومة الايرانية تعهد بالاجراءات الصحية الى وكالة بريطانية :

أما الحكومة الايرانية فانها عهدت بمقتضى اتفاقية عقدتها مع بريطانيا الى وكالة بريطانية باتخاذ جميع اجراءات الحجر الصحي في موانيها ، وافتتحت فوراً مراكز طبية بريطانية في بندر عباس ولنجة والمحمرة . ولما كان في بوشهر — من قبل — مسئول صحي مرخص فقد عهد اليه بادارة الحجر الصحي في تلك المنطقة الى جانب الاشراف على باقي الاجراءات الصحية التي تتخذ على الساحل الايراني كله.وقد اثارت البعثة الطبية البريطانية في بوشهر سنة ١٨٩٩ بعض القلق لدى الاهالي .

الاتفاق مع سلطنة عمان والبحرين :

وقد رفض سلطان عمان وشيخ البحرين في بداية الامر عرض المساعدات من الحكومة البريطانية ، وحاولا ان يقيما اجراءات حجر صحي خاصة بهما .

عمليات المسح البحرى البريطانى
١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

في سنة ١٨٩٤ ، اجريت بعض التجارب التلغرافية من مركز تلغراف بوشهر وجاشك لتحديد خطوط الطول .

★ ★ ★

مصالح بريطانيا وشئونها الرسمية فى ايران
١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

صعوبات امام المشروعات البريطانية في عربستان :

ظلت المشروعات البريطانية تتعثر في عربستان بسبب حالة الاضطراب والفوضى السائدة هناك . ففي سنة ١٨٩٥ ، هاجم الجنود الايرانيون ممثلي شركة لنش في الناصري . وفي سنة ١٨٩٦ وقع احد موظفيها في شوشتار ضحية اعتداء وحشي من جانب مواطن ايراني ، وفي سنة ١٨٩٧ قام الغوغاء ــ بعد ان نهبوا قافلة تملكها الشركة ــ بنهب مكاتب وكالة هولندية كانت مشمولة بالحماية البريطانية ، ولم يحصل أي من الذين وقعت عليهم اضرار في هذه الحوادث على تعويض ما . وظلت ارباح السفن البريطانية تتأثر بعمليات الفساد والتدخل المخرب في تصدير الحبوب وكذلك بالمنافسة غير الشريفة من جانب التجار الايرانيين ، وفي سنة ١٨٩٤ ، تجددت المعونة التي تدفعها الحكومة البريطانية وحكومة الهند لشركة دجلة والفرات للملاحة البخارية ، فقد اعلنت الشركة

المذكورة انها بغير الحصول على مثل تلك المعونة قد تضطر الى وقف عملياتها الملاحية في نهر قارون .

وقد اشرنا من قبل – تحت عنوان علاقات ايران مع بريطانيا – الى حادثة قتل احد موظفي التلغراف البريطاني في مكران وما نتج عنها . ونتيجة اضطراب الامور في هذا الاقليم ، اعيدت الى جاشك سنة ١٨٩٥ الحامية الهندية التي كانت قد سحبت منها سنة ١٨٨٧ ووضعت حامية اخرى في شاهبار .

★ ★ ★

مصالح بريطانيا وشئونها الرسمية فى العراق التركى
١٨٩٤ – ١٨٩٩

تدخل الاتراك في الملاحة البريطانية بمنطقة شط العرب :

أصبح موقف الحكومة التركية من موضوع التدخل في السفن البريطانية المبحرة في منطقة الفاو معنتاً جداً . وحيال رفض الباب العالي كل احتجاجات المسئولين البريطانيين وتجاهل اتصالاتهم في الموضوع اتخذت حكومة صاحبة الجلالة اجراءاتها لتعيين ممثل بريطاني قنصلي في الفاو ، لكن الباب العالي الح الى انه لن يعترف بمثل ذلك القنصل ، لذلك ارسلت سفينة حربية بريطانية الى الفاو ، أدى وجودها هناك الى توقف اعتداءات تركيا التي كانت موضع الشكوى ثم وافقت الحكومة التركية بتردد على مبدأ عدم التدخل من جانبها في ملاحة السفن البريطانية المتجهة من عرض البحر الى المحمرة او غيرها من المناطق الاخرى في الخليج سالكة طريق الفاو . لكن هذا التفاهم الذي استقر عليه الامر

خرقته السلطات التركية المحلية في سنة ١٨٩٨ . غير ان تهديد بريطانيا بتعيين ممثل قنصلي لها في الفاو ارغم الباب العالي على اصدار اوامره لوقف المضايقات المشار اليها بحجج تتصل بالأمور الصحية .

نقل مسؤولية القنصلية البريطانية في البصرة من حكومة الهند الى حكومة صاحبة الجلالة فيما يتعلق بالموظفين :

في سنة ١٨٩٨ ، وبالنظر للصعوبات التي واجهت حكومة الهند في تعيين ممثل دائم لها في البصرة ، حولت امر الاشراف على تلك الوظيفة باختيارها الى حكومة صاحبة الجلالة ، لكن الحكومة الهندية ظلت تغطي نفقات هذه الوظيفة .

هبـــة أوض :

واختفت مشكلة هبة أوض موقتاً خلال هذه الفترة ، اذ تم في بدايتها وضع نظام تشرف عليه حكومة الهند يقضي بتوكيل المقيم العام في بغداد لتعيين مشرفين على توزيع الهبة تحوطاً من اعمال المجتهدين الذين كانوا يوزعونها على هواهم .

★ ★ ★

الشئون الرسمية البريطانية بشكل عام
١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

احتفل المسئولون والرعايا البريطانيون في بوشهر وشيراز والمحمرة ومسقط وغيرها من بلاد الخليج باليوبيل الماسي لصاحبة الجلالة الملكة الامبراطورة فكتوريا ، وذلك في ٢٢ يونيو سنة ١٨٩٧ .

نيابة لورد كيرزون للملك فى الهند مرتين
من يناير ١٨٩٩ الى نوفمبر ١٩٠٥
تخللتهما فترة نيابة لورد أمثيل
من أبريل الى ديسمبر سنة ١٩٠٤

الطبيعة الحرجة لهذه الفترة :

بدأت فترة حرجة من تاريخ الخليج في سنة ١٨٩٩ واكبت تقريباً نيابة لورد كيرزون للملك وفترته كحاكم عام للهند حيث استمر في المنصبين حتى وقت متأخر من سنة ١٩٠٥ باستثناء فترة انقطاع دامت اربعة اشهر في سنة ١٩٠٤ .

لقد استفاد نشاط ومطامع كل من فرنسا وروسيا، الذي كان قد بدأ يتعاظم خلال السنوات الماضية تشجيعاً واضحاً من ارتباك الديبلوماسية البريطانية وحروب بريطانيا المتعثرة في جنوب افريقيا من ١٨٩٩ حتى ١٩٠٢ .

اراء لورد كيرزون :

وجاء موعد الازمة مواتياً للمصالح البريطانية ، لان لورد كيرزون حين عين نائباً للملكة في الهند . كان قد اصبح خبيراً في شئون الخليج . وقد طوف في ايران ، وتوفر على دراسة مشكلة الخليج دراسة مستفيضة حتى عرفها حق المعرفة . وكان للرجل شخصية عنيفة يقابل بها المشكلات بالتحدي دون الخوف ، ويجابهها باجراءات سريعة حازمة . وفي كتاب صدر بعنوان : « ايران والمشكلة الايرانية » سنة ١٨٩٢ كان لورد كيرزون وهو عضو موقر في البرلمان قد شرح اراءه في موضوع الخليج ملخصاً اياها على النحو التالي :

« قد فرغت الآن من وصفي التفصيلي لمنطقة الخليج ، واوضحت كيف

أضحت الحكومة الايرانية تمارس لوناً من السيادة والحكم الوطيدين على سواحلها الشمالية أكثر عنفاً مما عرفته البلاد من ايام الشاه عباس، اما على ساحلها الجنوبي فان الاتراك يحاولون مد نفوذهم المتقلب على الجزيرة العربية وعلى الدويلات العربية الصغيرة التي ما تزال تحتفظ كلياً او جزئياً باستقلالها الاصلي . ووسط الجميع تقف بريطانيا العظمى شاهرة سيفها وممسكة بميزان الامور بيد حازمة وعادلة . وليس من قبيل المبالغة القول بأن ارواح وممتلكات مئات الالوف من الناس في الخليج تستند الى ضمانة الحماية البريطانية للخليج . ولا ريب في أنه لو انسحبت أو تحطمت تلك الحماية لانتكست احوال البر والبحر الى حال الفوضى الغامرة التي كانت تتردى فيها . اما ان الحكومة الايرانية قد استطاعت أن تفرض حكمها على سواحلها الشمالية ، وان القراصنة من الساحل المقابل قد تعلموا ان السلب والنهب شيء غير مأمون العواقب ، وان هؤلاء الذين ملأوا البحر يوماً بسفن الرقيق أصبحوا اليوم يغوصون بحثاً عن عن اللؤلؤ فقط ، وان القبائل العربية– بدل ان تكون خاضعة للعنة الباشوات – قد استعادت حريتها التي تقدرها حق قدرها . فذلك كله انما تحقق بفضل عمل الحكومة البريطانية وحدها . بل ان عمليات مسح الانهار والقنوات والشواطئ التي سهلت الملاحة لسفن العالم كله ، قد اضطلع بها ضباط البحرية الهندية ، ثم انتقلت هذه الخرائط–دون اقرار بفضل واضعيها – الى ملكية دول أخرى تمخر سفنها الان عباب هذه البحار . ان هذه الاعتبارات التي الفت اليها نظراً خاصاً ، لاعتقادي بانها لا تحظى بالمعرفة اللازمة حتى في انجلترا نفسها لازمة لزوماً ماساً لفهم موقف بريطانيا من موضوع الاشراف على الخليج ، ولمقاومتها لاحتمالات تسلل دولة عدوة الى مياهه بعد ان انفقت بريطانيا من اجل تأمين الملاحة فيها الكثير من الدم والمال .

ان كل ادعاء تقدمه روسيا لتبرير سيطرتها المطلقة على بحر قزوين تستطيع بريطانيا ان تقدم مقابله عشر حجج بدل كل حجة لتبرير

سيطرتها على الخليج . فقد ضاعت حياة مئات البريطانيين ، وانفقت ملايين من اموالهم لحفظ السلم في تلك المياه المضطربة . وحيث استطاعت روسيا في الشمال ان ترهب حفنات من اللصوص دمرت بريطانيا في الجنوب تجمعات اسطول كامل كان يستخدم في القرصنة معيدة بذلك ذكرى حملات الجمهورية الرومانية وانتصارات بومباي على القراصنة . لقد حفظت بريطانيا وضاعفت تجارة ان تكن نافعة لبريطانيا العظمى والهند ، فانها كذلك مصدر اثراء عظيم ، بل مصدر ثراء واسع ، وربما سبب معيشة ايران والجزيرة العربية وتركيا . ان الافا من الرعايا البريطانيين يمارسون عملهم التجاري امنين في ظل العلم البريطاني . ومع ذلك فان بريطانيا لا تتبجح بمثل المزاعم التي اعلنتها روسيا في حادثة بحيرة الشمال . انها لا تطلب جعل الخليج بحراً موصداً . ثم هي ايضاً لا تملي اية معاهدات مذلة على اتبـــاعها فتمنعهم من حقهم في رفع أعلامهم الخاصة فوق مياههم . ان اساطيل العالم التجارية حرة في التنقل فوق مياه الخليج وفي ملء سفنها ببضائع واردة او صادرة . غير ان بريطانيا اخيراً تدعي لنفسها في مقابل التضحيات التي قدمتها ، ورأس المال الذي انفقته ومن اجل السلام الذي تقوم على حمايته بالا تسمح لنفوذ سياسي معاد لها بأن يظهر قسمات وجهه الكريه هناك . ان وجود ميناء روسي في الخليج ، لذلك الحلم العزيز لكثير من غيارى الوطنيين من سكان حوض النافا او الفولجا لا شك يستطيع ان يجلب الى هذه المنطقة ، حتى في اوقات السلم ، عنصراً من الاضطراب يؤدي الى اخلال التوازن الدقيق الذي قام على جهود مضنية ، كما انه يؤدي الى تدمير تجارة تقدر بمئات ملايين من الجنيهات كما سيترك الحبل على الغارب للقوميات المتنازعة لتطبق كل على رقبة الاخرى . الا فلتنقل بريطانيا وروسيا معركتهما او تسويا صراعهما في مكان آخر .. ولا يغرسا الفوضى في منطقة آمنة ذات تجارة تحققت بشق الانفس . انني ارى ان أي امتياز تحصل عليه روسيا من أي من دول الخليج لتقيم لها ميناء عليه

اهانة مقصودة لبريطانيا العظمى واخلالا طائشاً بحالة الامر الواقع وتحريضاً صارخاً لقيام حرب دولية ، كذلك فاني اتهم أي وزير بريطاني يجرم بالاذعان لمثل هذا الخذلان خائناً لبلاده » .

وخلال السنة الاولى من تعيينه نائباً للملكة في الهند ، وفي مذكرة تاريخية منه مؤرخة في ٢١ سبتمبر ١٨٩٠ مقتصرة على تفاصيل المشكلة الايرانية كلها ، قدم لورد كيرزون ، بعد ان وصف مصالح بريطانيا ومكانتها في الخليج بعبارات كالتي وردت في كتابه المذكور ، اقتراحات الى حكومة صاحبة الجلالة بصدد السياسة التي يجب ان تشترك في اتباعها حكومة بريطانيا ، وحكومة الهند بالنسبة لايران ، ولا سيما في المنطقة الجنوبية وفي الخليج . وواضح من توصياته ان اتصاله المسئول الوثيق بالمشكلة ، وخبراته الواسعة فيها قد اكدا رأيه السابق في ان سيطرة بريطانيا السياسية في منطقة الخليج كانت امراً بالغ الاهمية لحياة الامبراطورية البريطانية .

تقسيم الموضوع :

وفي رواية الاحداث خلال السنوات السبع التالية سنتناول بالتفصيل المسائل الآتية : الشئون الداخلية ، العامة والمحلية لتركيا وايران ، وطبيعة النشاط الاجنبي واهدافه في الخليج ، ولا سيما نشاط روسيا وفرنسا والمانيا ، والقوى الاسلامية وتحركاتها ، والحالة في الامارات العربية والخط الساحلي للخليج وخليج عمان مع الاشارة بشكل خاص الى المصالح والعلاقات البريطانية والاجنبية ، وردود الفعل البريطانية من النواحي العسكرية والديبلوماسية المحضة ، واخيراً الاجراءات والتعهدات البريطانية الرسمية في منطقة الخليج ، التي تأثر الكثير منها ، او اثارته او اوحت به منافسة الدول الاجنبية ومثل هذا التقسيم للموضوع يبدو اكثر ملاءمة للتنظيم والعرض المنطقي .

الشئون الداخلية الايرانية
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

الانحلال السياسي المتزايد لايران :

لقد تفاقم انهيار ايران خلال حكم خلف ضعيف لناصرالدين شاه ، وكان يحكم البلاد فعلا من ١٨٩٨ ـ ١٩٠٣ وزير كفء هو امين السلطان اتابك اعظم ، غير ان مركز هذا الرجل اصبح قلقاً منذ البداية نتيجة تحالف مجموعة من مراكز القوى السياسية ضده ، وقد نفاه عن البلاد في نهاية المطاف دسائس المغرضين في البلاط ، والمعارضة الدينية والسخط الشعبي ضده . وفي عام سقوطه ١٩٠٣ ، انتشرت الفوضى في ايران مع اجراءات معينة ضد البهائيين وهم جماعة كانت احوال الاضطراب السائد في البلاد تغذي حركتهم . ثم ان المشكلات المالية التي نجمت عن اسراف الشاه اسرافاً شديداً اصبحت هي العامل السياسي الاول في ايران . ففي سنة ١٩٠٠ ، وفي سنة ١٩٠٢ ، ثم مرة اخرى في سنة ١٩٠٥ زار الشاه اوروبا ، وقد ادت القروض التي طلب من وزيره عقدها له الى اغراق ايران في حالة من العجز المالي والديون . لا سيما لروسيا والى حد ما لبريطانيا ايضاً اعتباراً من سنة ١٩٠٠ . وقرب نهاية هذه الفترة اخذت مبادىء الحكومة الديموقراطية النيابية تغزو ايران وتجد فيها انصاراً ، ومهما كانت هذه الافكار طيبة في حد ذاتها الا انها ساهمت في اكمال فوضى الحياة السياسية في البلاد .

تحسن جهاز العوائد في ايران :

وفي الوقت الذي كانت فيه معظم الاجهزة الادارية تنهار ، هذا ان جاز ان نصف بالانهيار ما كان مهدماً ، فان ادارة الجمارك ، وقد وضعت تحت اشراف خبراء بلجيكيين . في سنة ١٨٩٩ اخذت بسرعة

تتطور وتتقدم والواقع ان الامال المعقودة على بعث حياة جديدة في اوصال ايران كانت تتركز في تلك الدائرة بالذات ، وقد اصبحت بعد طول فساد وسوء ادارة تتمتع باشراف البلجيكيين في سنة ١٩٠٠ . لكن عملية الانتقال لم تكتمل الا بعد سنتين من هذا التاريخ . ولم تخل حركة اصلاح الجمارك من عوامل سلبية ومصاعب ، فالتنفيذ من جانب وكالة اجنبية .. وهي الطريقة الوحيدة التي كانت ممكنة ، جعلتها لا تلقى شعبية من الايرانيين . ثم ان وضع الادارة على اسس مركزية وموحدة بعد اعادة تنظيمها اخاف المسئولين والحكام المحليين واثار شكوكهم لانه هدد سلطتهم تهديداً مباشراً وجعلهم ينظرون الى حكومة طهران نظرة غير الواثق . واخيراً .. وليس آخراً ، فان اصلاح الجمارك هذا أثار موضوعات جديدة للصراع بين الدول الاجنبية في ايران . وكان سلوك المسئولين البلجيكيين سلوكاً متحكماً متعجرفاً ، كما ان نقل مسئولية الوظائف الادارية الجمركية غير ذات الطابع الفني اليهم جعلهم يفهمون ان دائرة الجمارك ستتطور لتصبح جهازاً قوياً ، بل وقد يبتلع سائر الصلاحيات التنفيذية للحكومة اذا صح الاخذ بهذه الفكرة المتطرفة .

عربستان :

وفي اقاليم عربستان الشمالية ، ظلت الاضطرابات التي بدأت في نهاية الفترة السابقة قائمة كما هي ، حتى استطاع حاكم قوي تولى الامور في سنة ١٩٠٥ ، هو سالاري مكرم ، ان يضع لها حداً . وقد وقع هجوم على السفينة البخارية البريطانية « شوشان » التي كانت تعمل في أعلى نهر قارون لحساب الحكومة الايرانية . في سنة ١٩٠٢ و ١٩٠٣ ثم مرة أخرى في سنة ١٩٠٤ ، وبفضل جهود حاكم المحمرة فقط — الذي دفعته حكومة ايران المركزية الى التدخل — ظلت الملاحة قائمة في النهر حتى ظهور سالارى مكرم على مسرح الاحداث .

أما اقليم حويزه — وهو يقع في مساحة غير محدودة بين شمال وجنوب عربستان ، فقد ظل متمرداً على سلطة الشاه حتى سنة ١٩٠٤ حين استطاع شيخ المحمرة اخضاعه ، ثم تمت اعادته في العام التالي بالتعاون مع سالار .

وظل جنوب عربستان — وكان يحكمه الشيخ خزعل من المحمرة — بعيداً عن الاضطراب ، لكن المشاكل كانت تهدده من حين لاخر بسبب الصراع بين رئيسه القوي وزعماء قبيلة بختياري المجاورة له .

الساحل الايراني وجزره :

وخلال هذه الفترة ظلت حكومة اقليم فارس وحكومات موانى الخليج تتناوبان المسئولية ، حيث ما فتىء الوضع غير المستقر على الساحل الايراني وجزره يعكس بحساسية حالة القلق العام في ايران كلها . وفي اوائل سنة ١٨٩٩ ، وقبل ان تصل الادارة الايرانية الى ذلك الحد من الضعف الذي وصلت اليه فيما بعد ، طرد الشيخ العربي الذي كان قد استعاد ملك ابائه على لنجة مرة أخرى وحل محله مسئول ايراني ، اما في غيرها من الاقاليم فقد تراخت السلطة الايرانية وسادت الفوضى الى ابعد الحدود خاصة في اقاليم تنجستان وشامل وميناب وبيابان وفيها ظل الرؤساء المحليون يتنازعون الحكم ويتصارعون عليه .

مكران الفارسي :

وكانت حالة اقليم مكران الفارسي اسوأ من حالة الشاطىء الايراني وجزره .. وكانت الصراعات بين الحكام الصغار ، والثورات والتمردات الداخلية ، والقحط ، وفرض مزيد من الضرائب وهجر كثير من السكان ديارهم ، هي السمات المميزة للحياة هناك في تلك الفترة .

الحالة الداخلية فى تركيا ١٨٩٩ ــ ١٩٠٥

سوء الحكم واقتراب الثورة في تركيا :

ظل مجرى الاحداث السياسية في تركيا يتابع انهياره ، وبحلول سنة ١٩٠٣ اصبحت مقدونيا في حالة حرجة. وفي كل ارجاء الامبراطورية العثمانيــة ساد السخط على سوء الادارة . وكانت كل هذه المفاسد تُعزى بشكل عام الى اساليب السلطان عبد الحميد في الحكم ، ووسائله الاستبدادية والسرية .

وقرب نهاية الفترة بدأ حزب سياسي يتكون في تركيا بهدف اقامة حكومة دستورية نيابية ، ولم يكن واضحاً وقتها ــ كما كشفت الاحداث فيما بعد ــ ان اسباب انهيار الامبراطورية التركية انما هي اعمق من مجرد الادارة الاستبدادية .

العراق التركي :

وفي العراق التركي : تجددت الاضطرابات القبلية التي كانت قد توقفت ــ ودون سبب ظاهر ــ خلال الفترة الماضية . وفي ١٨٩٩ــ ١٩٠٠ اضطربت الملاحة في اسفل دجلة نتيجة غارات بني اسد . وفي ١٩٠٣ نشب صراع بين قبيلة آل بو محمد ــ في نفس المنطقة ــ وبين الحكومة ، فانزلت القوات التركية مذبحة مروعة بهم . ومن سنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٥ ظل الشيخ سعدون شيخ قبيلة المنتفق القوية في اسفل الفرات يتحدى الباب العالي بنجاح مستمر . وقد جرد الباب العالي ثلاث حملات ضده بلا جدوى ، كما تعرضت في احداها واحدة من فصائل الجيش التركي لعاقبة وخيمة . على ان الحالة الاقتصادية في ذلك الاقليم ظلت على تحسن ، نتيجة ما تستطيعه المصالح التجارية من فرض وجودها وتقدمها عبر عملية تطور بطيئة وطبيعية وفي وسط الاحوال العسكرية والسياسية

المضطربة . والحقيقة ان بعض الموظفين كانوا يبذلون جهوداً مخلصة في سبيل الاصلاح . فقد تقدمت الملاحة في نهر دجلة تقدماً كبيراً باستيلاء ادارة الخدمات المدنية السلطانية على سائر السفن التركية في أنهار العراق وظهرت دائرة جديدة تسمى مكتب الملاحة الحميدية . وقامت منافسة بين هذا المكتب والشركة البريطانية للملاحة في دجلة والفرات ادت الى تنشيط التجارة . وخلال هذه الفترة تولى سير ويليام ديلوك — وهو مهندس ري بريطاني حقق سمعة طيبة اثناء عمله في مصر — دراسة مشكلة مياه الري فيما بين النهرين ، ووضع مشروعاً مفصلا رفعه الى الحكومة التركية في سنة ١٩٠٥ ، لكنه لم يحظ بتأييد عملي سريع ، وكانت الحاجة الى ضرورة تطوير نظم الري قد فرضها واكدها فشل مشروع سد الهندية الاول الذي خرب خراباً مفجعاً مساحة كبيرة من الارض سنة ١٩٠٣ .

الأحســاء :

ولم تبد في الأحساءاية اشارات تدل على تقدم سواء من حيث الامن او التطور الحضاري ، رغم انها بقيت تحت الادارة التركية أكثر من ثلاثين عاماً . وفي سنة ١٩٠٢ استولى البدو على قافلة ضخمة كانت متجهة من داخل الاقليم الى ميناء على الساحل قبل ان تبلغ هدفها بمسيرة قصيرة ، وقد ابيدت حملة عسكرية صغيرة كانت تصحب القافلة عن آخرها . وقدرت قيمة ما كانت تحمله القافلة ووقع في ايدي المغيرين بالاف الجنيهات وبدأت بالتالي حملة ثأرية ضد العرب .

وعززت الحامية التركية في الاقليم غير ان هذا لم يجد شيئاً . وفي سنة ١٩٠٦ — بعد نهاية هذه الفترة — اخذ رجال القبائل يقومون بهجمات مروعة على القوافل التجارية كانت تنتهي دائماً باستيلائهم على معظم ما في القافلة وقتل بعض حراسها ، كما ان العرب داهموا العاصمة الاقليمية موقعين خسائر كبيرة بحاميتها ، وقد تقلصت تجارة رعايا

بريطانيا في الأحساء وهي التي كانت مزدهرة في هذا الاقليم قبل احتلال الاتراك له ، وذلك بسبب فقدان الامن الى جانب التدخل الرسمي من جانب المسئولين .

تركيا والكويت :

أما حالة تركيا في نجد والكويت ، وقد كان واضحاً انها اضحت اموراً خارجة عن نطاق الامبراطورية العثمانية ، فسنشير اليها فيما بعد .

★ ★ ★

نشاط روسيا فى منطقة الخليج ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

السياسة الروسية في ايران بوجه عام :

نقترب الآن من موضوع النشاط الاجنبي في منطقة الخليج . ونشير منذ البداية الى ان روسيا ، رغم انها كانت منذ زمن بعيد هي المنافسة القوية لبريطانيا في منطقة الشرق الاوسط ، الا ان معارضتها كانت تقتصر على بعض المراكز النائية في اطراف ايران . فاصبحت نشاطاتها الآن تهدد تهديداً واضحاً مركز بريطانيا الوطيد في البحار .

ولكن من الضروري ان ننظر اولا في الموقف العام بين بريطانيا وروسيا في ايران ككل . حين بدأت ايران تنزلق الى المشاكل المالية في أوائل حكم مظفر الدين شاه ، بدأت المفاوضات بين روسيا وبريطانيا لتقديم قرض مشترك لحكومة الشاه ، لكن روسيا سنة ١٩٠٠ احبطت تلك المفاوضات بتقديمها المفاجيء لايران قرضاً روسياً ضخماً ، قبلته الحكومة الايرانية بشروط تحررها من التزاماتها للدول الدائنة ، ولكنها تضعها تحت عبودية مالية صارمة لروسيا وحدها .. وتتابعت

بعد هذا القرض قروض روسية اخرى كانت هي الوسيلة التي استطاعت بها ضمان الامتياز على البريطانين في كثير من المشكلات السياسية القائمة بينها وبين بريطانيا في ايران . وفي ١٩٠٣ قدرت الديون المستحقة لروسيا على ايران باربعة ملايين جنيه استرليني . ومع ان ايران اقنعت بقبول سلفات مالية من بريطانيا خلال ١٩٠٣ و ١٩٠٤ ولكن روسيا ظلت على وجه الاجمال متفوقة تفوقاً واضحاً في ميدان الالتزامات المالية في ايران .

وفي سنة ١٨٩٩ حصلت روسيا على تجديد للاتفاقية التي كانت تتولى بمقتضاها مد الخطوط الحديدية في ايران عشر سنوات اخرى وفي نفس الوقت راحت تمد خطوطها هي نحو حدودها المشتركة مع ايران حتى بلغتها اخيراً عند جلفة ١٩٠٤ .

وكان النفوذ الروسي يتدعم ايضاً او يمتد الى مناطق جديدة في مختلف أجزاء ايران .

فأنشأت روسيا حجراً صحياً في خراسان سنة ١٨٩٧ ، بحجة مقاومة الطاعون المنتشر في الهند ، وكان هذا عذراً لدخول المسئولين الطبيين من روسيا ، بل والقوات العسكرية ايضاً الى ذلك الاقليم ، وهكذا زاد نفوذ روسيا نفوذاً كبيراً في مشهد . وفي سنة ١٩٠٠ انشئت نيابة قنصلية روسية في سجستان تبعتها جهود ضخمة من جانب روسيا للاطاحة بالنفوذ البريطاني في تلك المنطقة ذات الاهمية الحيوية لأمن الهند . لكن هذه الجهود التي استمرت سنوات طويلة لم تنته الا للفشل الكامل . وعلى الحدود بين خراسان وافغانستان ، وبين سجستان وافغانستان ، بل وايضاً على الحدود بين ايران ودويلة كالات عملت روسيا طوال الفترة من ١٩٠٢ الى ١٩٠٥ لخلق المشاكل لبريطانيا باثارة الخلافات حول الحدود لكنها لم تنجح في شيء من ذلك ابداً .

بل وحتى في وسط وغرب ايران ، كان يجري دفع النفوذ الروسي الى الامام لمناوأة النفوذ البريطاني بالطبع وذلك من قواعد قنصلية في أصفهان وكرمان شاه .

وفي سنة ١٩٠١ حاولت روسيا محاولة جريئة ببيان تجاري اعلنته ان تضمن لتجارتها امتيازاً على تجارة كل الدول الاخرى المنافسة . فاعدت مع الحكومة الايرانية تعريفة جمارك ايرانية ، لسنا بحاجة الى القول بأنها كانت في مصلحة التجارة الروسية ، وانها وضعت بمشاورة روسيا ودون معرفة بريطانيا . ولولا ان بريطانيا وضعت بالاتفاق مع ايران بياناً مضاداً في سنة ١٩٠٣ لكان ممكناً الاستمرار في تعديل التعرفات الجمركية الايرانية لصالح روسيا وحدها .

أهداف روسيا في منطقة الخليج :

أما في منطقة الخليج — وعلينا الآن ان نعود اليها — فقد كانت أهداف السياسة الروسية هي خلق قاعدة بحرية لها في الخليج ، ومد خط حديدي عبر ايران لنقل المعدات واللوازم العسكرية من الامبراطورية الروسية لتعزيز مثل تلك القاعدة . وكانت الامتيازات التي ستحققها روسيا لو حصلت على قاعدة قوية في المنطقة واضحة تماماً . فالى جانب تعزيز نفوذها ، وفتح معبر لها الى محيط جديد ، فان ذلك كله سيسفر عن مد وتقوية نفوذها في ايران ، وزيادة طاقتها العدوانية ضد الامبراطورية البريطانية في الشرق . وكانت خطتها جريئة وجديدة تماماً ، خطة تمضي لتحقيق اهداف ابعد مما خطر ببال روسيا من قبل في تاريخها كله ، وبدا ان الوقت مناسب لتنفيذ الخطة ، فقد كان وضع روسيا في منشوريا يبدو مأموناً ، كذلك كانت بريطانيا في الوقت نفسه منهمكة في حرب جنوب افريقيا مما شد من عزيمة دعاة سياسة التقدم الروسي باتجاه ايران ، واعطاهم حججاً قوية للدعوة الى سرعة العمل ، وانتهاز الفرصة .

مطالبة روسيا بقاعدة بحرية على الخليج :

و خلال سنة ١٨٩٩ ، وصلت الى الحكومة البريطانية انذارات بالخطر المحدق ببريطانيا من مصادر متنوعة .

ففي شهر مارس نشرت صحيفة « سيرفت » في القسطنطينية ان

روسيا في سبيلها لان تسبق بريطانيا وتسيطر على جزيرة قشم ، وفي أغسطس تحدث تقرير وزير حكومة صاحبة الجلالة المفوض في طهران عن وجود اسباب تدعو للاعتقاد بأن روسيا قد حصلت على بعض الامتيازات بشأن خطتها لاقامة ميناء على الخليج ، لكنها لا تجد الوقت مناسباً لاستخدامها فور الحصول عليها . وفي اكتوبر ابلغ وزير الخارجية التركية السفير البريطاني في القسطنطينية انه واثق من ان مفاوضات تدور بين الحكومة الروسية والحكومة الايرانية بشأن حصول روسيا على ميناء على الخليج يصبح هو نهاية لخط حديدي ايراني — روسي ، بل وهو واثق ايضاً ان الحكومتين قد تفاهمتا حول الموضوع . وفي نفس الوقت تقريباً ظهرت مقالة هامة في جريدة « فيلدو موستي » التي تصدر في سان بطرسبيرج بقلم الامير اختومسكي ، تطالب صراحة بالحصول على ميناء ببندر عباس الى جانب جزر قشم وهانجام ولاراك وهرمز لتكون نهاية خط حديدي من روسيا عبر ايران . واشار كاتب المقال بشكل خاص الى المزايا الكامنة في مرسى ممتاز غير معروف خارج لافت على جزيرة قشم ، مما يكشف عن ان المقال كان يستند الى معلومات محلية جيدة . وفي نفس المقال وردت اشارة ايضاً الى خط حديدي عبر ايران يصل الى خليج شاهبار ، لكنه لم يكن موضوع المقال ، وانكرت الحكومة الايرانية وجود اية مفاوضات بينها وبين الحكومة الروسية حول موضوع ميناء على الخليج ، لكن الاحداث التالية — كما سنرى — تجعلنا في شك من تصديق تلك التأكيدات من جانب الحكومة الايرانية .

وفي سنة ١٩٠٠ قام الطراد الروسي « جيلياك » بزيارة للخليج ، ووضح من الظروف التي احاطت بزيارته ان الحكومة الروسية تنوي أن تقيم مخزن فحم لها في بندر عباس . وبارح الطراد الذي كان في طريقه الى محطة الصين ميناء عدن متجهاً الى الخليج في ٧ فبراير سنة ١٩٠٠ بعد أن اجرى اتصالات برقية مطولة بين قائده والحكومة الروسية فوصل بندر عباس في ١٤ فبراير ، في وقت وصول السفينة البريطانية التجارية

« وادون » التي كانت قد استؤجرت في السويس لتحمل الفحم للطراد الى بندر عباس، وقد خرجت من ميناء عدن بعد الطراد الروسي بيومين . ويمكننا ان نفهم هدف تلك الترتيبات الغريبة التي كان يمكن اخفاؤها لو تزود الطراد بالفحم من بومباي او كراتشي . فلقد كانت السفينة « وادون » تحمل ٣٠٠ طن من الفحم ، أي أكثر مما يستطيع مخزن الطراد الروسي ان يتسع له . وحصل انه بعد تكويم جزء كبير من فائض الفحم على ظهر الطراد بقي حوالي ١٦ طناً من الكمية — التي لا تهمنا في ذاتها بقدر ما تهمنا دلالتها — فقد كانت كافية لتبرير طلب من قائد الطراد « جيلياك » من نائب الحاكم في بندر عباس السماح له بانزالها الى البر ، وبمجرد السماح له .. تكون روسيا قد انشأت نواة مخزن فحم لها في بندر عباس . لكن الحكومة البريطانية ، وقد كانت تعرف نوايا الطراد الروسي من قبل ، اعدت عدتها للامر ، فامرت بأن تسبق الطراد سفينة حربية بريطانية اقوى منه الى اي مكان يذهب اليه في الخليج ثم تسير أمامه دون استفزاز او عداء . وصدرت الاوامر للسفينة الحربية « بومون » بتنفيذ تلك المهمة ، فرست في بندر عباس ، وظلت بها حتى اقلع منها الطراد الروسي . وكانت الاميرالية الملكية قد اصدرت ايضاً اوامرها السرية الى قائد الاسطول البريطاني في منطقة الخليج عن كيفية التصرف لو حدثت الازمة التي كانت محتملة الوقوع .

على ان وجود سفينة حربية في بندر عباس ادى الى تطور الامور بشكل ربما ما كان ليقع لولا وجودها . فقد عمد الروس بدلا من انزال الفحم الزائد الى البر الى تحميله على قاربين للاهالي . وهكذا امكن تلافي الخطر الاكبر في الموقف . ولم يضطر قائد البحرية في الخليج لاستخدام الاوامر السرية الصادرة له ، وفي ٢٤ فبراير وصل الطراد الروسي من بندر عباس الى بو شهر ، فانتهت اوامر تتبعه من جانب السفينة الحربية البريطانية . وفي ٢٣ فبراير أكد مستر مورافييف للسفير البريطاني في سان بطرسبرج ان الحكومة الروسية لم يكن لديها

النية او الرغبة في ان تكون لها قاعدة فحم او غيرها على الخليج ، واضاف أن تحذيراً كان صدر لقائد الطراد « جيلياك » بأن لا يحاول تنفيذ خطة من ذلك القبيل . وكشفت هذه الملاحظةعن وجود خطة مسبقة في الموضوع وعلى اية حال فاننا لا نستطيع ان نعلق اهمية كبيرة على تلك التأكيدات التي صدرت عقب احباط خطة الفحم . ومهما يكن من شيء فان الطراد « جيلياك » لم يزر بندر عباس في رحلة العودة . اما الفحم نفسه، فبعد فترة نقله نائب الحاكم الايراني الى مخزن صغير ملحق «كولاهي افرنجي » مقره الرسمي .

المظاهرات البحرية الروسية في الخليج :

وكانت رحلة الطراد « جيلياك » هي بداية ما لا يمكن ان يسمى بغير سلسلة من المظاهرات البحرية الروسية التي تستهدف اغراضاً سياسية ، فروسيا لم تكن لها مصالح مباشرة في منطقة الخليج ، كما ان الخليج لا يقع في طريق سفنها الحربية المتجهة الى الشرق الاقصى .

عاد الطراد « جيلياك » — وكان سفينة حربية بغاطس مناسب يبلغ عمقه ١٠ أقدام لكنه مسلح تسليحاً ثقيلا — فقام برحلة من بوشهر الى البصرة وظل بها من ٥ الى ١٧ مارس . وفي المحمرة كان في استقباله قنصل روسيا قادماً من بغداد ، وقد حصل له على استثناء باجتياز الحجر الصحي في ميناء البصرة ، واعد احتفالا لاستقباله في الميناء . ولدى عودته رسا في الكويت ، ثم وصل بوشهر مرة أخرى في ١٩ مارس وتركها في ٢١ متجهاً الى الصين .

وفي كل من البصرة والكويت كانت في انتظاره سفينة حربية بريطانية ، وبعد ان ابحر من بوشهر ، لم يرس في أي مكان آخر على الخليج .

أماالمظاهرة الثانية فقامت بها المدمرة الروسية «فارياج» وهي مدمرة حسنة التسليح ومن الطراز الاول ، صنعت في امريكا وتبلغ حمولتها

٦٤٦٠ طناً . وفي طريقها الى الخليج ، رست في عدن واثارت الاضطراب بانوارها الكاشفة في الميناء بطريقة غير عادية . وفي ١٠ ديسمبر سنة ١٩٠١ وصلت « فارياج » الى مسقط . وفي اليومين التاليين اقيمت الاحتفالات لاستقبالها ـ باشراف القنصل الفرنسي ، وتم تبادل الزيارات بين ضباطها والسلطان . وبعد ان غادرت مسقط ضاع خط تتبعها موقتاً ، وقيل انها عائدة الى عدن ، لكنها حين تركت مسقط اتجهت شمالا وظهرت في ١٦ ديسمبر في بوشهر . وفي ٢١ ديسمبر غادرت بوشهر متجهة الى الشمال تحمل القنصل الروسي العام ، ومرت بلنجة وبندر عباس وبقيت في الميناء الاول ليلة ٢٦ـ٢٧ ديسمبر ، وفي الثاني من ٢٨ الى ٣١ ديسمبر .

وارتفع العلم الروسي في منطقة الخليج للمرة الثالثة على سارية المدمرة الروسية « اسكولد » ، وهي ايضاً مدمرة مسلحة من الطراز السابق ، تصل حمولتها الى ٥٩٠٥ طناً . وكان الاهالي في منطقة الخليج يقدرون قوة السفينة بعدد المداخن المتصاعدة فوقها ، ولما كان لهذه المدمرة الروسية خمس مداخن ، فقد اثار ظهورها هناك دهشة الناس وانبهارهم ، وصلت المدمرة الى مسقط في ٣ ديسمبر سنة ١٩٠٢ وابحرت منها الى الخليج في اليوم التالي ، وكان مستر اداموف القنصل الروسي في البصرة على ظهر المدمرة خلال قسم من جولتها ، وفي ١٤ ديسمبر وصلت اسكولد الى الكويت ، وفي ١٧ ديسمبر وصلت لنجة وتركتها في نفس اليوم الى بندر عباس .

أماالرحلة الرابعة فقام بها طراد روسي مسلح ـمن الدرجة الثانيةـ هو الطراد « بويارين » الذي تبلغ حمولته ٣٢٠٠ طن ، تصحبه السفينة الفرنسية « ايفيريت » وحمولتها ٢٤٥٢ طناً . وكان الهدف من هذه المظاهرة هو اظهار اتفاق سياسي فرنسا وروسيا تجاه منطقة الخليج . ووصلت السفينتان مسقط قادمتين من جيبوتي لكن كلا منهما وصلت الميناء وحدها : « انفيرنيه » في ٢١ فبراير ، و « بويارين » في ٢٢

منه . وخلال بقائهما في مسقط قابل قائدا السفينتين السلطان . وتركتا مسقط معاً في ٢٤ فبراير ، فوصلتا الى بوشهر في ٢٨ ، وفي بوشهر ، صعد الى السفينة القنصل الروسي العام م. باسيك بعد تبادل التحيات والمجاملات مع الحكام الايرانيين المحليين ، ومن بوشهر قطعت السفينتان الخليج الى الكويت ، وظلتا هناك من ٥ الى ٨ مارس ، وفي ١٤ مارس ، وبعد زيارة لنجة ، عادت السفينتان الى مسقط ، والقنصل الروسي ما يزال على ظهر الطراد ، وقام السلطان بزيارة السفينتين في الميناء يوم ١٦ مارس ، وبعدها راحت كل سفينة في طريقها .

استطلاعات روسية لانشاء السكك الحديدية في جنوب ايران ١٩٠٠ :

وكان يميز زيارات هذه السفن المتتابعة لموانئ الخليج حفاوات زائدة ، وتحيات رسمية وبحرية ، ومجاملات واسعة ، بل واحياناً كانت السفن نفسها تسمح للدهماء من العرب والايرانيين بالصعود اليها ومشاهدتها ، وقد كتب القنصل البريطاني في البصرة معلقاً على ذلك يقول « لو قد أُظهرَ شيء أكبر من الرزانة لاثر ذلك تأثيراً أبلغ في نفوس الشرقيين » .

وفي سنة ١٩٠٠ انتقلت الاستطلاعات لمد خطوط حديدية من وسط ايران الى الجنوب في عدة مواقع على ساحل الخليج ، وهو اجراء يدل في ذاته على طبيعة الخطط الروسية في جنوب ايران ، والطريقة التي كانت روسيا تأمل اتباعها لتعزيز الموقع البحري الذي تبحث عنه . وكانت البعثة التي تقوم بالمعاينة والاستطلاع مكونة من ١٢ روسياً الى جانب بعض الخدم وبعض الذين يتكلمون الروسية ، ومعها ستون من الحرس القوقازي ، وقد وصلت الى طهران في مارس سنة ١٩٠٠ وتركتها الى اصفهان في حوالي ٦ ابريل ومعها سكرتير السفارة الروسية في طهران . وقد لوحظ ان عدد افرادها قل كثيراً لدى دخولها اصفهان في ١٨ ابريل ، وواضح ان بعض افرادها انشغلوا في معاينة الطرق الفرعية. ومن هؤلاء الذين وصلوا الى اصفهان بقي واحد فقط وغادرها الباقون

في اتجاه شيراز ، وبعدها غادر اصفهان ذلك العضو الوحيد وهو مستر توميلوف فاتجه بمفرده الى شوشتار عبر بختياري في اليوم التالي .

ووصلت هذه الجماعة المتفرقة الى الخليج في اربعة مواقع مختلفة . وصل اولا مستر ساخانسكي المسئول عن البعثة كاهلا الى بوشهر قبل نهاية مايو ، ثم وصل مستر توميلوف الى المحمرة عن طريق الناصري في ١٨ من نفس الشهر ، وبقي مستر ساخانسكي في بوشهر حتى ٣ يونيو ثم عاد الى اوربا بطريق البحر ، وسار مستر توسيلوف بحراً من المحمرة الى بوشهر ، ومنها براً الى شيراز ثم عاد فوصل بوشهر في ١٢ يونيو ، ومنها حملته السفينة الايرانية « برسيبوليس » الى المحمرة مرة أخرى ليتجه شمالا الى الناصري . ووصلت الفرقة الثالثة التي اتمت عملها الى بندر عباس في ٧ يونيو وكانت قد سافرت من شيراز عن طريق فيروز اباد ، وكانت لدى وصولها تتكون من ثلاثة روسيين احدهم دكتور ساخانسكي ابن شقيق قائد البعثة ، ورجل روسي آخر كان قد انضم اليهم في أصفهان ، لكنه اطلق النار على نفسه خطأ ، فنقل أثناء الرحلة من كميشه الى طهران ليعالج بها . وكانت الفرقة الاخيرة المكونة من ثلاثة اوربيين هي آخر فرقة تصل الى الساحل بعد ان قاست اهوال الحر الشديد .

فقد غادرت هذه الفرقة كرمان في حوالي ١٢ يونيو ، وسارت الى شاهبار عن طريق بامبور وكسرى كاند ودشتياري . والى شاهبار وصل اثنان من الفرقة هما الكابتن ريتش ومستر بالمجرين في ٢٧ يونيو ، وسبقهما الى الوصول يوم ٢٧ رفيقاهما وهما مستر الون ، ومستر بالجرام وهو رجل مسن من اصل سويدي ، وقد قام باسعاف هذين التعيسين موظفو مركز التلغراف البريطاني في شاهبار ، واخيراً وصلا مسقط سالمين في قارب للاهالي .

وقد وصف المسئولون القنصليون الروس البعثة التي قامت بهذا

العمل الكبير بانها « بعثة جغرافية » لكن الصحف الروسية كانت تصف رئيس البعثة ساخانسكي بأنه « مدير السكك الحديدية الايرانية » ، وقد حامت بعض الشكوك في بداية الامر حول ارتباط الحكومة الروسية الفعلي بالمشروع لكنها تبددت بالمعلومات التي استطاعت حكومة صاحبة الجلالة التوصل اليها في سنة ١٩٠٣.حيث ثبت ان البعثة ربما كانت لجنة من رجال السكك الحديدية مهمتها اختيار افضل الطرق لمد خط حديدي عبر القوقاز يقطع ايران الى البحر . وتبين ايضاً ان رئيس فرقة شاهبار ــ وهو الكابتن ب. أ. ريتش ، من موظفي الخدمة المدنية العامة ــ وهو مؤلف نشرة بعنوان «الخطوط الحديدية في ايران» كانت قد أثارت اهتماماً كبيراً في أوائل سنة ١٩٠٠ حين كانت الصحف الروسية تسهب في الكلام عن مشروعات السكك الحديدية في ايران ، وتبدي تخوفها من أن يحجب المعبر الروسي الى البحر بتقاطع الخط الحديدي الالماني في بغداد ، مع شبكة السكك الحديدية الهندية . ووضح ان هذه البعثة ــ او على الاقل كابتن ريتش ــ قد اعترضت او اعترض على طريق بوشهر وبندر عباس لانتهائها عند الخليج حيث القوة البحرية البريطانية ذات نفوذ كبير هناك ، فضلا عن ان الاماكن المقترحة لا تصلح لاقامة الموانىء . ويبدو ان كابتن ريتش قد اقترح ان يمتد الخط الحديدي عن طريق راشت ماراً بقزوين ثم على التوالي ، طهران ، قم ، كاشان ، يزد ، كرمان ، بام وبامبور الى خليج شاهبار مقدراً التكاليف بمبلغ ١٩,٦٩٦,٠٠٠ جنيه انجليزي منها ١,٥٧٥,٠٠٠ جنيه لتشييد وتسليح ميناء في شاهبار . وقد ادرك الجميع بوضوح أن موارد النقل الدولية دون الموارد المحلية هي التي تقوم بمثل السكك الحديدية المقترحة . وقد اقتُرِح فرض ضرائب جمركية خاصة في ايران لمنع خطوط السكك الحديدية من ان تصبح خاضعة للمصالح التجارية البريطانية وذلك بعد تأسيس نفوذ روسي مطلق هناك .

الشركة الروسية للملاحة البخارية والشركة التجارية وغيرها من المؤسسات التجارية الروسية في منطقة الخليج سنة ١٩٠٠ :

وقد قررت روسيا أخيراً دعم المشروعات التجارية مدفوعة طبعاً بالرغبة في خلق مصالح ثابتة ومستقرة في الخليج وربما ايضاً بهدف اقامة اسس مختلفة للتدخل السياسي هناك . وجاءت اول اشارة الى بدء تنفيذ العمليات التجارية الروسية المدعومة بالعون الحكومي الرسمي في خطاب طبيب روسي في بوشهر في بداية يوليو سنة ١٩٠٠ ذكر فيه ان خطاً روسياً من البواخر الملاحية سيبدأ السير في الخليج ابتداء من الخريف التالي .

وقبل بداية العمل في هذه الخطة ، بدأت جولة للمعاينة قام بها سيرومياتنيكوف وبيلنبرج اللذان وصلا من بومباي الى بوشهر في ١٩ يونيو سنة ١٩٠٠ وربما منهما استمد الطبيب الروسي في بوشهر تلك التصريحات التي ادلى بها . وتبين فيما بعد ان سيرومياتنيكوف كان أحد المسئولين عن تحرير صحيفة « نوفو — فريميا » التي تصدر في سان بطرسبرج .وقد واصل مستر بيلنبرج سفره من بوشهر عن طريق بندر ديلم وفلاحية فقناة فلاحية الى المحمرة فوصلها في ١٨ يوليو ثم سار منها الى الاهواز . وفي نفس الوقت كان سيروميانتيكوف قد زار البصرة وبغداد ، ثم — وكما فعل مستر بيلنبرج قبله — اغرق نفسه في البحث التجاري الخالص ، واعد مستر سيروميانتيكوف عدته — اثناء هذه الجولة — لزيارة الكويت وعرض خدماته على الشيخ مبارك في مقابل الحصول على امتياز باسم روسيا ، غير ان خطته قد فشلت في نهاية الامر . وحوالي نهاية اغسطس التقى الرحالتان مرة أخرى في بوشهر ، ثم قضيا اسبوعاً في بندر عباس ثم سارا الى لنجة وابحرا منها الى اوربا في نهاية سبتمبر .

وبعد عودة مستر سيروميتاتنيكوف الى سان بطرسبرج صدر اليه أمر من الدوق الكسندر ميخالوفتش الكبير باعداد تقرير عن رحلته ، وقد فعل . ورفع التقرير الى مستر دي ويت وزير المالية الروسي وفيه

ذكر ، سيرومياتنيكوف ان ثمة مجالا لتصريف المنتجات الروسية في جنوب ايران ، ولا سيما السكر ، وبمدى اصغر لتصريف البضائع الصوفية والحبوب والمشروبات الروحية وغيرها من المنتجات ، ولكن كان من رأيه ان مثل تلك التجارة بحاجة الى خط بواخر روسي يجب أن يكون معانا رسمياً من جانب الحكومة ليستطيع منافسة التجارة البريطانية المزدهرة ، كما يمكن رجوع السفن الى روسيا محملة بالارز والتمر . واقترح سيرومياتنيكوف فتح مصرف روسي في احدى موانئ الخليج ، واقامة مخازن للفحم في بوشهر والبصرة ، وافتتاح قنصلية ونيابة قنصلية في ذينك الموقعين على التتالي . وان تحرسا بقوة كبيرة من جنود القوقاز . واقترح ايضاً ان تبقى على الاقل سفينة حربية روسية بشكل دائم في منطقة الخليج . وعين وزير المالية الروسية لجنة خاصة لدراسة التقرير تضم ممثلين عن مختلف الاجهزة الادارية والهيئات التجارية واجتمعت لاول مرة في سان بطرسبيرج في ١١ ديسمبر سنة ١٩٠٠ . وقد اقرت اللجنة اقتراحات سيروميانتيكوف دون ان تعدل فيها شيئاً . واوصت بأن يبدأ خط ملاحي بخاري تقدم له الدولة معونة بواقع ٣ روبلات عن كل ميل بحري ، وان يُشَغَّل على فترات شهرين من ميناء اوديسا الى البصرة وبوشهر ، وان يعهد الى شركة البحر الإسود الروسية للملاحة البخارية بالاشراف عليه . ويجب ان تشرع هذه الشركة في اقامة مستودعات فحم لها في بوشهر والبصرة ، كما يجب خفض الضرائب الجمركية الروسية على الارز المستورد من ايران عن طريق الخليج ، وكذلك افتتاح بنك روسي وقنصلية روسية في بوشهر ، ووكالة قنصلية في البصرة . واخيراً على وزير الحربية ان يقدم حرساً عسكرياً الى كل من هذين الميناءين لحماية القنصلية والوكالة ، وعلى وزير البحرية ان يخصص سفينة حربية للخدمة في منطقة الخليج بشكل دائم . ويبدو ان توصيات هذه اللجنة قد لقيت موافقة مباشرة . وان كانت جزئية فقط ، حيث اعلن في نشرة « وقائع التبادل » الصادرة في ١٥

(٢٨)(١) ديسمبر سنة ١٩٠٠ ان باخرة تابعة « للشركة الروسية للملاحة البخارية والتجارية » ستقوم برحلة تجريبية من ميناء اوديسا الى الخليج في اوائل الشهر التالي ، وان اسعاراً مخفضة قد قررت لنقل البضائع الى الخط الجديد عند نقلها بالسكك الحديدية من مختلف مراكز الانتاج في روسيا ، كما تم ايضاً تخفيض اسعار نقل البضائع بالسكك الحديدية لـ « الرحلة الرسمية » التي ستقوم في ١٢ (٢٥) يناير سنة ١٩٠١ .

وكانت الباخرة « كورنيلوف » هي اول باخرة عاملة على الخط الجديد تزور الخليج . وكانت باخرة قديمة بنيت في سنة ١٨٦٩ ، حمولتها محدودة ، وغاطسها غير صالح للعمل في مياه الخليج . ولدى رحلتها الاولى في الخليج كانت مسلحة بستة مدافع ماكينة « للدفاع ضد القراصنة » وقيل ان بحارة الباخرة كانت لديهم تعليمات باستعمالها ، وبعد المرور بمسقط وبجاشك وبندر عباس ولنجة وصلت « كورنيلوف » الى بوشهر في ٢١ مارس سنة ١٩٠١ . وفي مسقط حيت السفينة علم السلطان باطلاق ثلاث طلقات من مدافعها ، واطلقت هذه التحية طلقة بعد اخرى كما لو كانت سفينة تجارية . ولم يتكرر هذا العمل من جانبها في أية مناسبة تالية . وفي بوشهر التقى بها الامير دابيجا القنصل الروسي العام في أصفهان ، الذي كان وصل الى بوشهر في ٤ مارس وبقي فيها ينتظر وصول الباخرة ، واستقبله الحاكم الايراني استقبالا رسمياً تنفيذاً لتعليمات صدرت له من طهران ، واحتفي بدخوله المدينة احتفاء كبيراً . ومن بوشهر أبحرت الباخرة « كورنيلوف » الى البصرة ، فوصلتها في ٤ ابريل وظلت بها الى ١٥ من نفس الشهر . ثم بدأت رحلة العودة هابطة في الخليج . وفي بداية ابريل قامت الشركة الهولندية التي يمتلكها السادة هوتز وولده في بوشهر — وكانت تحت الحماية البريطانية لمدة ١٥ عاماً — بنقل نفسها الى الحماية الروسية واصبح اصحابها هم وكلاء

---

(١) الفرق هو بين الحسابين الغربى والشرقى الميلاديين .

الخط الروسي الجديد .

وكانت حمولة الباخرة « كورنيلوف » تتألف هذه المرة من حوالي ١٠٠٠ طن من البضائع المختلفة الى جانب ١٠ مسافرين من اوربا . وافرغت في بندر عباس ٦٠٠ جوالا من السكر ، وافرغت في بوشهر ٧٥٠٠ صفيحة من الكيروسين ، الى جانب كميات من السكر والقطن والحرير وغيرها .. وبقي وكيلان روسيان على الشاطىء لتصريف هذه البضاعة ، وانزلت الباخرة في البصرة حوالي ٥٠٠٠ صفيحة ، وخشباً يكفي لخمسين الف صندوق من التمر ، كما انزلت سكراً وبضائع مختلفة لكنها لم تلق رواجاً . وكان في وسع « كورنيلوف » ان تأخذ حمولة العودة من قمح البصرة شحنة الى جدة ، لكنها نظراً لغاطسها الضخم ، منعت بذلك من الابحار في شط العرب واستدعى قائد الباخرة مستر كلاسنج لدى عودته الى اوربا كي يقدم تقريراً عن رحلته الى السلطات المسئولة في سان بطرسبرج . ولا شك في ان النتائج التي حصل عليها لم تكن حاسمة لان العقد الذي كان مفروضاً ابرامه بين الشركة والحكومة قد تأجل ، ودفعت الحكومة معونة الرحلة — كما نعتقد — بواقع ٤ روبلات عن كل ميل بحري . وفي يوليو سنة ١٩٠١ لفتت نشرة « مركز تصنيع السكر » في كييف النظر الى سوق التصريف الجديدة في الخليج وأعلن ان وزارة المالية ستقوم قريباً بنشر مرشد عملي للخليج من اعداد شخص كان قد اوفد خصيصاً لدراسة احوال التجارة على الطبيعة .

وابحرت الباخرة « كورنيلو ف » للمرة الثانية من ميناء اوديسا في ١١ سبتمبر سنة ١٩٠١ فوصلت مسقط في ٤ اكتوبر . وهنا — ورغم تلميحات من السلطان في المرة السابقة — اطلقت الباخرة تسع طلقات من مدافعها للتحية ، وطلبت ان تقابل بمثلها من مدفعية البر لانها « سفينة حكومية » . ومال السلطان الى الرفض ، لكنه عندما اطلقت السفينة الروسية الثانية ٢١ طلقة ، وارسلت العلم الروسي الى البر طلباً لرد التحايا

سويت المسألة بالشكل الذي رضي عنه القائد الروسي ، فرفع مراسيه وترك مسقط دون ان يفرغ فيها اية حمولة، ثم رست « كورنيلوف » في بندر عباس ولنجة وبوشهر وفايليه (بالقرب من المحمرة) وغادرت لنجة في طريقها الى بلادهم يوم ٢٣ نوفمبر . وفي بوشهر ، كانت القنصلية الروسية العامة التي كان الدافع الاساسي لانشائها حديثاً الشركة الروسية للملاحة البخارية والتجارة حقيقة قائمة الان ، وقد افتتحت في سبتمبر سنة ١٩٠١ . واستطاعت ان تمد يد العون للباخرة في عملياتها . وقد قامت « كورنيلوف » بالرحلة الثانية وعليها حمولة كاملة من اوديسا لهذا اضطرت الى رفض عروض اخرى قدمت اليها في القسطنطينية وبور سعيد .

وكانت الباخرة تحمل ستة مسافرين بالاضافة الى حمولتها التي بلغت ٦٥٠ طناً من الاخشاب والصفائح الى جانب ١٠٠٠ طن من الكيروسين والسكر والدقيق والمصنوعات المختلفة . وقد افرغت في بندر عباس حوالي ٥٠٠٠ صفيحة من الكيروسين ، وفي لنجة كمية من البضائع الوطنية ، وفي بوشهر افرغت ١٢,٠٠٠ صفيحة كيروسين و ١٠٠ صندوق من الاواني الزجاجية . وفي البصرة افرغت ١٦,٥٠٠ صفيحة من الزيت ، وبما قيمته حوالي ١٥٠٠ جنيه انجليزي من الاخشاب ولا سيما الاعمدة الخشبية المستعملة في الانشاءات والمقصود بها منافسة الاخشاب الجاوية التي كانت تستورد لاغراض البناء من سنغافورة الى البصرة . وفي هذه المرة حملت الباخرة حمولة طيبة من البصرة لرحلة عودتها وكانت مكونة في غالبها من التمر المعبأ في الاكياس والصناديق ، والمعدة للتصدير الى الشام والقسطنطينية . وفي بوشهر استطاعت ان تحمل ٤٦٠٠ كيساً من التبغ لبيروت و ٦٠ كيساً من الصمغ للندن واوديسا ، وبعض بالات القطن الخام لاوديسا ، وكمية صغيرة من الافيون للاسكندرية . واضيف الى هذه الحمولة في لنجة ٣٥٠٠ كيساً من التبغ لجدة ، و ٢٠ بالة من السجاد الفارسي . ومن البصرة حملت الرسائل

التي تكدست هناك متجهة الى مصر والقسطنطينية ، وبلغ دخل الباخرة من الرسائل فقط أكثر من ٢٣٠ جنيهاً ، كما نقلت الباخرة أكثر من ٣٠ حاجاً مسلماً من لنجة .

وربما لم يصل دخل الباخرة « كورنيلوف » من رحلتها هذه ما يغطي تكاليفها لكن معونة الحكومة الروسية التي تحددت عندئذ بمبلغ ٥٠ الف روبل عن كل رحلة كانت تمثل ربحاً لا شك فيه لاصحاب الباخرة . وهكذا كانت الرحلة مربحة لكن وقتاً طويلا جداً ضاع ما بين شحن الحمولات وتفريغها .

وحين كانت الباخرة « كورنيلوف » تقوم برحلتها الثانية في الخليج كانت ثمة باخرة روسية أخرى – يبدو الا علاقة لها بالشركة الروسية للملاحة البخارية والتجارة – منهمكة ايضاً في العمل بالخليج . وهي الباخرة « سيجريد » من باطوم ، والمصنوعة في انجلترا الحمولة ١٣٠٠ طن وبغاطس ١٦,٥ قدماً . وكان مفهوماً انها لشركة تملك ١٣ باخرة مثلها لا تتلقى معونة من الحكومة الروسية وان كانت الحكومة تدفع عنها رسوم المرور في قنال السويس . وافرغت السفينة « سيجريد » ١٨,٠٠٠ صفيحة من زيت الكيروسين في بوشهر و ٤٥ الف في البصرة ، وقد نقلت حوالي ٣٠٠٠ طن من الحبوب من البصرة باجر منخفض ، وحمولة أخرى أقل من هذه حملتها من بوشهر بأجر أفضل ، واكملت حمولتها بحمولة قدرها ٦٢٠ طناً من الاوكسيد حملتها من جزيرة بوموسى الى لندن . وقد بدا وكأنما السفينة كانت مؤجرة على الاقل لجزء من رحلتها للحاج علانا ، وهو تاجر كبير من بومباي . وقد قبل تاجر ارمني في بوشهر ان يعمل وكيلا للشركة مالكة السفينة ، لكن اياً من سفن هذه الشركة لم تقم بزيارة اخرى للخليج .

وقد تعرضنا للرحلة الاولى التي قام بها الطراد « كورنيلوف » بشيء من التفصيل بالنظر لما كان لها من اهمية خاصة ، لكن رحلاتها التالية هي والسفن « ازوف » و « تروفور » التي تبعتها كلها لم تكن على جانب

من الاهمية يستحق الذكر .

لقد أمن هذا الخط الجديد نقل التمور والمسافوين ما بين موانيء الخليج وموانيء الشام والبحر الاسود دون مشقة لانه لم يكن له منافس من أية شركة اخرى . لكن التجارة فيه بشكل عام كانت محدودة وقاصرة على فصول معينة من السنة . اما في تجارة النقل العام بين اوربا والخليج فلم يحقق هذا الخط تقدماً يذكر ، ووضحت بعد ذلك صعوبة تجميع حمولات كاملة للرحلات الخارجية . وظل اهم ما نقلته البواخر الروسية الاخشاب والكيروسين والسكر ، وكان البيع قليلا بالنسبة لهذه الحمولات ، فالمصنوعات القطنية الروسية تفوقها الصناعة الهندية في الرخص والجودة والشيت الملون الذي كانت تجلبه معها كانت هناك اصناف كثيرة افضل منه . وفي يناير ١٩٠٣ لم يبرم عقد واضح بين الشركة والحكومة الروسية ، ولكن حسب اتفاقية رسمية عقدت مع مستر دي ويت استمرت الشركة ترسل اربع سفن كل سنة وتتلقى عنها معونة قدرها ٢٠٠ الف روبل (٢١ الف جنيه) . وفي هذا الوقت كانت المفاوضات دائرة لابرام عقد دائم مدته عشرون عاماً ، ورفع الموضوع الى قسم التجارة البحرية الذي انشيء برئاسة الدوق الكسندر ميخالوفيتش الكبير . واخيراً وفي نهاية مارس سنة ١٩٠٣ عرف ان عقداً محدداً قد وقع يحدد العلاقة بين الشركة والحكومة الروسية ، وبموجبه تدفع الحكومة الروسية كل سنة مبلغ ٢٠٠ الف روبل — لمدة ١٢ سنة . في مقابل تسيير الشركة ٤ بواخر كل سنة الى الخليج ، وتتحمل الحكومة ايضاً الرسوم المستحقة عن بواخر الشركة في قنال السويس ، كما تحتفظ لنفسها بحق الاشراف على اختيار كبار ممثلي الشركة في الخليج . ولما وافق المجلس الامبراطوري على ذلك العقد ، صدق عليه القيصر في ابريل سنة ١٩٠٣ ، وبعد ذلك بقليل نشر في مجلة « اوديسكى لستوك » الصادرة في ٢٥ نيسان (٨ مايو) ان الاحواض الروسية ستبنى سفينتين تخصصان

لخدمات الخليج . ووصلت مذكرة من الضابط المسئول عن الشركة الروسية للتجارة والملاحة البخارية الى بوشهر في يونيو سنة ١٩٠٣ تشرح التنظيم المحلي للشركة وطريقة عملها . وعين مركزها الرئيسي لمنطقة الخليج في بوشهر ، وعهد به الى مستر بافلوف ، وفتحت ، او اعلن عن نية فتح ، وكالات مساعدة في كل من مسقط وجاشك وبندر عباس ولنجة والمحمرة والبصرة . وكان المسافرون والبضائع ينقلون عن طريق هذا الخط من والى تلك الموانئ ، الى جانب موانئ عدن وجيبوتي وجدة والسويس وبور سعيد ويافا وبيروت وازمير والدردنيل والقسطنطينية . هذا ايضاً الى جانب انه كان مسموحاً لبواخر هذا الخط بنقل البضائع والمسافرين الى مناطق اخرى في البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود . ونتيجة هذه التنظيمات الاخيرة فقدت شركة السادة هوتز وابنائه المكانة التي كانت لها في تجارة الخليج .

وترددت معلومات بعد ذلك تفيد ان كل ممثلي الشركة في الخليج سيكونون من المواطنين الروس . وفي سنة ١٩٠٣ نظمت بعض وكالات باطوم رحلات الى الخليج ، واتخذت الخطوات لاقامة معارض للصناعة والمنتجات الروسية في بوشهر والبصرة . وفي نوفمبر سنة ١٩٠٣ قررت الحكومة الروسية ان تضع سفينة حربية بشكل دائم في منطقة الخليج ، ووضعت خطة انشاء قارب مسلح خصيصاً لذلك الغرض في برنامج البحرية الروسية لسنة ١٩٠٦ . وقرب نهاية سنة ١٩٠٤ اتخذت الحكومة الروسية اجراءات لتعزيز عمليات الشركة ، فأعلنت الغاء الحظر على المتاجرة بين اوربا وايران ، عن طريق باطوم — باكو ، بانواع معينة من التجارة البريطانية ، خاصة الشاي الهندي ، شريطة نقل هذه البضائع على بواخر الشركة الروسية للتجارة والملاحة البخارية من اوديسا الى باطوم . كما اصدرت اوامرها ايضاً بتخفيض بعض العوائد الجمركية لمصلحة الشركة .

وقدمت الحكومة عوناً آخر للتجارة الروسية في جنوب ايران بأن ارسلت بعثتين تجاريتين في ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ ، كانت الثانية منهما تحت اشراف قسم التجارة البحرية في الحكومة الروسية . وكانت الاولى تضم ٥ أعضاء ، وكلا البعثتين كان يرئسها الامير اناتوني وهو ارمني قوقازي من عائلة طيبة . وارسل اعضاء البعثة الاولى الى شيراز وبوشهر والمحمرة وششتار وغيرها من الاماكن ، وزار الامير بنفسه الميناثين الاخيرين في أغسطس سنة ١٩٠٤ ، وكان الهدف الرئيسي — كما وضح آنذاك — هو العمل على انشاء مصارف روسية في بوشهر وشيراز ، وفي البعثة الثانية ايضاً وصف الامير اناتوني بأنه « سكرتير البنك الروسي » لكنه كان ايضاً مكلفاً بالتفتيش على العاملين في الشركة الروسية للتجارة والملاحة البخارية التي كان جهاز موظفيها مكوناً من رئيس وسبعة مساعدين منتشرين في مختلف موانئ الخليج منذ سنة ١٩٠٣ . ولم يستطع الامير ان يؤدي هذه المهمة بدقة ، فقد وصل الى بوشهر في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٠٥ على باخرة الشركة « تروفور » ، وغادرها في بداية اكتوبر الى شيراز ، وظل بها الى نهاية الشهر ثم رحل الى اصفهان وطهران .

زيادة التمثيل القنصلي الروسي في منطقة الخليج :

وفي نفس الوقت الذي كانت تتطور فيه خطة روسيا البحرية والعسكرية والتجارية كما وصفنا ، كان ثمة اهتمام مبذول من جانب الحكومة الروسية لتحسين الجهاز القنصلي الروسي في البلاد المتاخمة للخليج وسنشير الى هذا التحسن في مكانه الصحيح حين نتحدث بالتفصيل عن التاريخ السياسي لمنطقة الخليج .

سياسة روسيا الصحية ووكلاؤها في منطقة الخليج :

لكن روسيا لم تستطع ان تحقق سوى فائدة سياسية ضئيلة عن طريق « بعثة الطاعون » التي ارسلت فجأة الى بوشهر وذكرنا اخبارها في

الفترة السابقة .

ان حقيقة كون الحكومة الايرانية قد عهدت من قبل بالاجراءات الصحية في موانيها لادارة بريطانية ، الى جانب ضآلة انتشار الوبأ وقصر المدة التي انتشر فيها في بوشهر قد افشلت جميعها مهمة البعثة الروسية الطبية ، ولذلك ظل تهديد ممثل روسيا في طهران سنة ١٨٩٩ بأرسال القوزاق الى بوشهر كما سبق ان ارسلوا الى سجستان لاقامة حجر ضد الطاعون مجرد تهديد كلامي . وحين وضحت محاولات للتدخل في سلطة المسئول البريطاني عن الصحة في ١٩٠٣ و ١٩٠٤ ظهر ان الحكومة الايرانية وطبيب الوكالة القنصلية الفرنسية في بوشهر كانا وراء هذه المحاولات ، حيث لا يتوفر أي دليل واحد على ان ممثل روسيا في طهران او سواها كان وراء تلك المحاولات ، لكن روسيا ظلت على أي حال تعتبر التنظيمات الصحية مجالا للنفوذ البريطاني يجب معارضته . وفي سنة ١٩٠٥ قدم المندوب الروسي في مكتب الصحة بالقسطنطينية اقتراحاً بانشاء مركز صحي ، تحت اشراف المكتب ، بالقرب من مضيق هرمز . وكان قد سبق تقديم هذا المشروع في مؤتمر باريس لسنة ١٩٠٣ وقبلته بريطانيا حينئذ بشروط . لكنها رفضته هذه المرة ، وهكذا فشل المندوب الروسي في محاولته .

النشاط الفرنسى فى الخليج ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

التناسق بين نشاط فرنسا وروسيا :

وفيما كانت روسيا تناضل لتخلق لنفسها قاعدة بحرية وتجارة في الخليج كانت الجمهورية الفرنسية ايضاً منشغلة بالامر نفسه وان كانت خططها اقل ضخامة .

وقد اكتشف سفير صاحبة الجلالة في طهران وجود تفاهم محلي بين فرنسا وايران ، وقام يوم ٧ يونيو سنة ١٨٩٩ بابلاغ المقيم العام في بوشهر – برقياً – بآرائه في الموضوع ، وقد اوصى بالتعاون الروسي الفرنسي في الخليج مقال نشرته صحيفة « نوفوى فريميا » الصادرة في سان بطرسبيرج في ١٣ (٢٦) سبتمبر ١٩٠١ . كما اشارت علاقات الود المتبادلة بين ضباط السفن الحربية الفرنسية والروسية في منطقة الخليج غير مرة الى وجود سياسة مشتركة . كذلك كانت الرحلة المشتركة التي قام بها الطراد الروسي « بوياربن » والطراد الفرنسي « انفيرنيه » الى مسقط وبوشهر والكويت ولنجة في سنة ١٩٠٣ اعلاناً واضحاً مقصوداً عن هذا الاتحاد الفرنسي – الروسي .

مشروع قاعدة بحرية فرنسية في خليج عمان ، وتوزيع العلم الفرنسي دون تمييز على السفن الوطنية :

ولكن من الخطأ في نفس الوقت ان نفترض ان فرنسا لم تكن لها اطماعها الخاصة في منطقة الخليج . بل ان الامر على العكس ، فالحقائق تشير الى انها كانت تهدف الى انشاء محمية او شبه محمية لها في مكان ما من شرق عمان . وانها كانت تبحث عن موقع يصلح كمخزن بحري لها في المنطقة .

وظلت الجهود مستمرة – كما كانت في الماضي – في توزيع العلم الفرنسي لإعداد طبقة من العرب المشتغلين بالبحر من المعتمدين على الحماية الفرنسية الخاضعة للسلطة الفرنسية خاصة بين اهل صور . وبذلت فرنسا محاولات ايضاً للحصول على الميناء الهام في بندر جصّه بالقرب من مسقط ونجحت هذه المحاولات تقريباً . وقد تحدثنا عن كل هذه المشاكل تفصيلا في مكان آخر ، وتكفي هنا الإشارة الى ان مشكلة العلم الفرنسي قد بلغت أقصى حدتها في سنة ١٩٠٣ ووضعت فرنسا وبريطانيا على حافة القطيعة . ومن حسن الحظ ان ذلك النزاع ظل مخفياً عن الرأي العام ، ولم يكن هناك ما يدعو للشك في انه كان لفرنسا خططها الخاصة غير المرتبطة بسياسة روسيا في المنطقة لا سيما على ساحل عمان ما بين مسقط ورأس الحد ، وربما في داخل عمان ايضاً ، لان وكيل القنصل الفرنسي حافظ لعدة سنوات على علاقة وثيقة بقبائل بني بو علي وبني جنابه في صور ، ممن لهم منازل في جزء كبير من داخل عمان .

المظاهرات البحرية الفرنسية في الخليج :

وقد اسرفت فرنسا في استخدام السفن الحربية خلال هذه الفترة التي بلغ فيها نشاطها السياسي حده الاقصى ، ففي ١٩٠٠ – ١٩٠١ شوهدت السفن الفرنسية الحربية « دروم » و « كاتينا » و « اشيرون » ، وفي ١٩٠١ – ١٩٠٢ « كاتينا » و « انفيرنيه » و « جان بارت » و « شاسيلوب لوبا » ، وفي ١٩٠٢ – ١٩٠٣ كانت السفن « انفيرنيه » و « فريان » ، وفي ١٩٠٤ كانت السفينة « انفيرنيه » .. كانت هذه السفن كلها تشاهد في خليج عمان ، واحياناً تقوم بزيارة الخليج . وقام الملازم جول فيو – المشهور باسم « بيير لوتي » . وهو دارس اكاديمي ، وسياسي محترف ، ومؤلف كتاب « هند بغير انجليز » بزيارة للخليج في ابريل سنة ١٩٠٠ ، وقضى يوماً في مسقط بدعوة من السلطان ثم سار منها الى بوشهر .

حملات صحفية موعز بها من فرنسا ضد أعمال بريطانيا في منطقة الخليج :

وكانت الحملة الصحفية العنيفة المعادية للمصالح البريطانية في الصحف العربية والفرنسية والروسية مظهراً فذاً صاحَبَ الصراع ــ الانجلو ــ فرنسي .

ففي اوائل سنة ١٨٩٩ كان يعيش في مسقط رجل فرنسي يسمى انطوان جوجوير ، وهو رجل ذو طاقة ونشاط عظيمين .. ولا بد من كشف مناوراته هناك ، فقد كانت اعمال مسيو جوجوير ــ الذي كان يتحدث العربية كأبنائها ــ تتم دائماً في الخفاء . وكان تاجراً محنكاً قامت سابقاً مشكلة بينه وبين وزارة الخارجية الفرنسية وقد ابعد من تونس لسوء اعماله هناك ، ومرة اخرى امر مسيو لاجارد الممثل الفرنسي في الحبشة بحبسه ، وما كان ذلك ليكون بغير اسباب وجيهة . وقد ورد الحديث آنفاً عن اعمال مسيو جوجوير وصلاته بتجارة السلاح ،وانما هناك الجانب السياسي من عمله .

لم يقض مسيوجوجوير طويل وقت في مسقط قبل ان يشرع في حملة صحفية في الصحف الفرنسية على بريطانيا ، وكانت الصحيفة المفضلة لديه هي « ديباش كولونيال » التي كتب فيها مقالا باسمه ، ثم ظهرت حملات اخرى في الصحف الروسية ، والصحف العربية في القاهرة كان يمكن ردها الى هذا الاصل دون سواه .

وقد كشفت كتابات مسيو جوجوير عن عداء حاد، وتجاهل صريح للحقائق .. لكنها كانت مكتوبة بطريقة لاذعة ساخرة ، وكان بعضها يحمل روحاً فكاهية لا شك فيها ، وكانت مقالاته موجهة بشكل اساسي ضد السياسة البريطانية كما يمثلها الوكيل السياسي البريطاني في مسقط ، لكن سلطان عمان ايضاً نال قدراً من السخافات والشتائم . كذلك هوجمت بنفس الطريقة الحملتان البريطانيتان اللتان خرجتا من صور للبحث عن أماكن لمستودعات الفحم في سنة ١٩٠١ وخطاب لورد كيرزون الذي

القاه في دربار بالشارقة في ١٩٠٣ . كل هذه الامور كانت مادة لهجوم قاس وعنيف في الصحف الفرنسية . وكشفت مقالة نشرت في صحيفة « الاهرام » القاهرية في سبتمبر سنة ١٩٠٤ عن ان مسيو جوجوير لم ينس الحصول على معلومات جديدة اثناء زيارة مؤخرة قام بها للكويت وقبلها ظهرت مقالة اخرى في نفس الصحيفة سنة ١٩٠٢ وكانت تدور حول عنجهية البريطانيين « وعبيدهم » الهندوس في مسقط . وكان هدف الكاتب واضحاً وهو محاولة خلق شعور عدائي في فرنسا ليغل به يد وزارة الخارجية الفرنسية . وفي هذه الظروف لم يكن غريباً ما وقع سنة ١٩٠٣ بعد ان ظل مسيو جوجوير يعمل لمدة ثلاث سنوات ، من هياج في الدوائر الفرنسية ، قدمت بشأنه استجوابات عديدة في مجلس النواب الفرنسي ، بسبب تقرير يظهر عزم بريطانيا على ضم مسقط اليها .

ولم يترك سلطان عمان ليظل على جهل بحملات مسيو جوجوير ، فقد كانت ترسل اليه دائماً ترجمات لتلك المقالات او نسخ منها عن طريق مراسل مجهول في اوربا . وفي بداية سنة ١٩٠١ استشار سلطان عمان الممثل البريطاني في مسقط حول ما يمكن اتخاذه من عمل ضد مسيو جوجوير ، ورفعت المسألة الى حكومة صاحبة الجلالة التي سألت اولا عما اذا كانت لمسيو جوجوير هذا اية صفة رسمية في مسقط . وكان رد السفارة الفرنسية غامضاً بعض الشيء ، فقد ردت بأن « مسيو جوجوير يعتقد فيه بأنه ممثل وكالة ملاحية» وانه لا مبرر للاعتقاد بأنه يشغل اية وظيفة رسمية وان كان محتملا ان يكون موظفاً ككاتب القنصلية الفرنسية » . وفي سنة ١٩٠٢ استطاع الوكيل السياسي البريطاني في مسقط اقناع مسيو لارونس الذي خلف مسيو اوتافي كوكيل للقنصل الفرنسي في مسقط ، وكان من المعجبين بكتابات مسيو جوجوير اللاذعة ، بأن يسأل حكومته عن امكانية موافقتها على اجراء قد يتخذه سلطان عمان لابعاد مسيو جوجوير عن مسقط . وجاء رد الخارجية الفرنسية بعدم

الموافقة ، لكنها سمحت بتحذير مسيو جوجوير بأن يتحرى الدقة فيما يكتبه مستقبلا .

وقد رفض مسيو جوجوير هذا التوبيخ الهادىء بتحد مكشوف لسلطة نائب القنصل ، مقترحاً أن يرفع العلم التجاري الروسي على دارته على اساس علاقته بالشركة الروسية للملاحة البخارية والتجارية . غير أن مسيو لارونس صده عن ذلك العمل .

وفي نفس هذا الوقت حدثت حادثة بين مسيوجوجوير وتاجر عربي يدعى عبدالله بن علي من بندر جَصَّه .. فقد طالبه مسيو جوجوير بمبلغ ٢٠ الف روبيه لحساب صفقة مشتركة بينهما في السلاح ، ورفع نائب القنصل الفرنسي الامر لسلطان عمان .. وفي النهاية — وبظهور الطراد الفرنسي « فريالند » في مياه مسقط قبل نهاية اكتوبر سنة ١٩٠٢ — سوِّى الامر كما يهوى الفرنسيون .. ودفعت الاموال المطلوبة . وبعدها تبين ان مسيو جوجوير تلقى بهذه الطريقة مبلغ ٨٦٠٠ روبية اكثر من استحقاقه ، فطلب منه مسيو لارونس — حسب قرار المحكمة الفرنسية في البوربون — ان يرد ذلك المبلغ ، ورفض مسيوجوجوير في بداية الامر ولم يرضخ الا بعد مضي اكثر من شهر ، وبعد ان وضع نائب القنصل يده على جزء كبير من تجارته .

وفي ابريل سنة ١٩٠٤ — والحملات الصحفية التي يدبجها مسيو جوجوير ما تزال مستمرة — كتب سلطان عمان الى مسيو دلكاس وزير الخارجية الفرنسية — بموافقة مسيو لارونس يطلب منه اراحة مسقط من وجود مسيو جوجير بها . ووصل رد مسيو ديلكاسيه مؤرخاً في ٢٦ مايو سنة ١٩٠٤ وجاء فيه ان مسيو جوجوير ليس رجل عنف بل هو تاجر شريف ، وان له رؤساء ذوي نفوذ سبق من قبل ان سئلوا عن مسلكه ، واضاف انه في المستقبل سيبتعد في كتاباته عن مهاجمة سلطان عمان ، وسيكف عن الاهتمام بالامور الداخلية في عمان . ولم يمض

مسيو ديلكاسيه ابعد من هذا .. وظل مسيو جوجوير مقيماً بمسقط .. على عدائه الصريح لبريطانيا .

وظاهرة خرى ليست ابداً في صالح فرنسا ، وهي قيامها بنشر دعاية منتظمة في العالم الاسلامي وببث اراء سياسية ضارة ببريطانيا العظمى عن طريق صحيفة عربية يفترض ان محرريها مسلمون يكتبون للمسلمين وكان اسم تلك الصحيفة « فتح البصائر » ، وتغير اسمها بعد سنة ١٩٠٢ ليصبح « مرشد الألباب » .

وحوالي ابريل سنة ١٩٠٠ بدت هذه الصحيفة المشار اليها تصل الى مسقط ، حيث كانت توزع مجاناً وترسل الى عدد من كبار العرب المقيمين في مسقط ، كما كانت ترسل منها نسخ الى المشايخ المشهورين في داخل عمان مما يشير الى وجود معلومات محلية لا بأس بها لدى المشرفين على نشرها .

وفي مايو سنة ١٩٠٠ اصبحت النسخ توزع ايضاً على اهل عدن من المسلمين ، وكان في البريد الذي وصل بومباي يوم ٧ يوليو اعداد من هذه الصحيفة مرسلة الى لنجة وبوشهر والبحرين ، وتبين في اواخر سنة ١٩٠٥ ان تسع نسخ من نفس الصحيفة كانت ترسل باستمرار الى الممتلكات الفرنسية في الكاميرون ومدغشقر ، و ٢١ نسخة لشرق افريقيا ، ٢٠ لمسقط ، ٢ للكويت ، ٣ للبصرة ، ٧ لطهران ، ٦ لبوشهر ٢ لبندر عباس ، ٧ للنجة ، ١٧ للهند البريطانية ، منها ٤ نسخ خاصة بعدن . وكان من بين عناوين من ترسل اليهم في مسقط السلطان وابنه الاكبر ، وبعض كبار مسئوليه ، واعضاء اسرة متمردة في اقليم الشرقية ومن بين من توزع عليهم في دبي شيخ دبي ، والى البحرين كانت ترسل نسختان : واحدة للشيخ والاخرى لمحمد بن عبد الوهاب ، والذي كان احد معارف مسيوجوجوير ، والنسخ الخاصة بالكويت كانت ترسل الى الشيخ مبارك زعيم الكويت وابن سعود زعيم وسط الجزيرة ، وفي البصرة كانت ترسل نسختان الى نقيب البصرة ؛ وفي طهران كانت

توزع على كبار المسئولين الرسميين في الحكومة الايرانية ، ومن بين من توزع عليهم النسخ في بوشهر الحاكم والخازندار ، وفي لنجة وبندر عباس كان نائبا الحاكم بين من توزع عليهم . وكانت طوابع البريد على هذه النسخ جميعاً لا تتغير ، وهي ختم مكتب البريد الفرنسي في بيروت الشام ، لكن عدداً من هذه الجريدة وصل بومباي في ١٤ يوليو سنة ١٩٠٠ بخاتم مكتب بريد طنجة .

وكانت النغمة السائدة في « فتح البصائر » تهدف الى إلهاب مشاعر المسلمين ضد بريطانيا في كل مكان من العالم الاسلامي بعرض سياستها في اطار كريه . وكانت تتردد بين اعمدتها عبارات مثل : ان الانجليز هم اكبر تجار للفتنة » و « شياطين هذا الزمان هم الانجليز » . وكانت الصحيفة تضخم باستمرار هزائم الانجليز او صور فشلهم في أية قضية او حالة وقدمت لها حرب جنوب افريقيا — طوال مدة نشوبها — موضوعاً دسماً لهذه التعليقات . كما كانت بعض اعداد من نشرات اخرى مماثلة « لفتح البصائر » اقل منها شهرة تصل الى منطقة الخليج من حين لحين .

وفي يونيو سنة ١٩٠٠ أفصح سلطان عمان عن رغبته في عدم توزيع تلك الصحيفة في بلاده . وبعدها مباشرة اتخذت حكومة الهند اجراءات بحجزها في بومباي عن بريد مسقط . واخيراً في سنة ١٩٠١ فوض البريطانيون في التعامل مع « فتح البصائر » في عدن كما يشاءون . وفي ١٩٠٣ اتخذت الاجراءات في عدن وبومباي معاً لاحتجاز كل النسخ التي تصل في البريد لهذه الاماكن او غيرها من الموانئ الهندية ، لكن استخدام ظروف مغلقة في سبتمبر سنة ١٩٠٠ من جانب مديري الصحيفة ، وارسالها احياناً عن طريق البواخر الايطالية او الفرنسية سنة ١٩٠١ ، وتغيير اسمها نهائياً في سنة ١٩٠٢ كانت كلها عقبات امام تنفيذ الحظر وحتى سنة ١٩٠٤ كانت بعض النسخ تجد طريقها الى مسقط .

واكتُشِف مصدر جريدة «البصائر » في سنة ١٩٠٢ ، بفضل تجارب غريبة عاناها شاب عربي اسمه سالم قمري ، وهو ابن تاجر من زنجبار . فقد عمل سالم قمري ، وكان انذاك في الثلاثين من عمره ، وقتاً ما كاتباً في خدمة سلطان زنجبار ، وقام لاحقا بزيارات لجيبوتي والحديدية والخليج على نفقته الخاصة . واخيرا استقر سنة ١٩٠٠ في لحج بالقرب من عدن ، في حماية سلطانها . وفي سنة ١٩٠١ بدأ الدراسة في مدرسة الكنيسة الحرة المتحدة التابعة للبعثة الاسكتلندية في عمان ، وبعدها اعتنق المسيحية وتم تعميده في سنة ١٩٠٢ . وتلقى في مارس سنة ١٩٠٢ عرضاً من القنصل الفرنسي في عدن بوظيفة ممتازة له في باريس ، وقبل العرض الذي كان موعزاً به من مسيوبيات القنصل الفرنسي السابق في بوشهر . ووصل سالم قمري الى باريس حوالي منتصف يونيو ، وهناك تبين انه سيعمل محرراً في « فتح البصائر » تحت اشراف مسيو بيات الذي كان يعمل حينئذ في مكتب المخابرات الفرنسي ، وكانت المعلومات التي قدمها فيما بعد عن الصحيفة وسياستها ومحتواها وتوزيعها ـ والتي جاءت مطابقة لما كان معروفاً من مصادر اخرى لا تترك مجالا للشك في صدق روايته . وبعد ان استسلم سالم قمري لرغبات رؤسائه ـ الذين وضعوه تحت مراقبة دقيقة ـ زمناً ما ، توقف عن العمل بوازع من ضميره ، ورفض الاستمرار في التعاون لاصدار تلك الجريدة ، وحين اصر سالم على رفضه احيل الى الكشف الطبي الذي قرر انه مختل القوى العقلية ، وحول الى مستشفى سانت ان للامراض العقلية في باريس حوالي منتصف يوليو ، لكنه استطاع ـ عن طريق البريد ـ الاتصال بالاب دكتور يونج رئيس الارسالية الاسكتلندية في عدن ، وفي الاتصال بالأب مستر بريشن ، من رجال الدين الاسكتلنديين في باريس ، ثم قدم في شهر اغسطس مناشدة الى السفارة البريطانية في باريس لتمد له يد العون ، واخيراً استطاع دكتور يونج ـ الذي قدم الى

باريس من أجل قضيته — وبمعاونة بعض المسئولين اطلاق سراح سالم قمري من مستشفى الامراض العقلية الذي كان محجوزاً به لاصابته « بانهيار عصبي واكتئاب » وعاد به الى عدن .

وأضاف الاقرار الرسمي الذي وقعه القمري امام حاكم صلح عدن بتاريخ ١٥ و ١٦ ديسمبر سنة ١٩٠٢ شيئاً الى ما كان معروفاً عن صحيفة « فتح البصائر » وحسب ما ذكره فقد ارسل خطاباً الى الملا الصومالي باسمه وباسم «جميع المسلمين وعلمائهم» يعده بتقديم الاسلحة والذخائر اليه من جيبوتي للاستعانة بها في نضاله ضد الانجليز . كما ارسل خطاب آخر من « جميع علماء الاسلام » الى شيخ الكويت يطالبونه فيه بقطع علاقاته مع بريطانيا واعلان الخضوع لسلطان تركيا ، ووجه خطاب الى نجم الدين « ادا ملا » افغانستان « من كل المسلمين » يعده بالعون في حربه ضد الانجليز ويشير عليه بالوقوف الى جانب روسيا .

وتوالت دلائل اخرى تؤيد حكاية سالم قمري ، لان ظروف مغلفات جريدة « فتح البصائر » التي كان يصادرها مكتب البريد الهندي كانت تحمل علامة تجارية خاصة بمستر ج. بولتون ٣٩ سان جورج بالاس ، نايتسبريدج . وافاد مستر ج. بولتون بأن هذه المغلفات قد صنعت بناء على طلب السفارة الفرنسية في لندن ومنها نقلت الى باريس . ونشير ايضاً الى انه جاء في الاوراق الرسمية لوزارة الخارجية الفرنسية فيما يتعلق بمسيو بيات انه « مكلف بتأدية مهام خاصة » . وثمة رأي لسير أ. مونسون السفير البريطاني في باريس في مشكلة سالم قمري يستحق ان نذكره هنا : « من التحريات التي امرت باجرائها في القنصلية العامة حول الظروف التي استطاع بها مستر اتلي ان يستدرج صاحبنا سيء الحظ ، استطعت ان استنتج ان قصته مهما يبدو فيها من رومانسية وغرابة الا انها ليست نسجا من الخيال او الهلوسة ، وبالمعلومات المتوفرة لدى حكومة صاحبة الجلالة على سوء اخلاق الكثيرين من العاملين في سياسة فرنسا الخارجية في الشرق ، لا نستبعد ان يقوم مسيو بيات بهذا العمل ، ولا

نشك ايضاً في ان ضحيته المسكينة لا تبالغ في وصف ما حدث .

وانا في نفس الوقت مستعد تماماً للاعتقاد بأن بعض كبار المسئولين في وزارة الخارجية الفرنسية مستعدون لاغلاق عيونهم عن بعض امور خطيرة تحدث ضد المصالح البريطانية في الشرق » .

ولكن من الواضح ان اعمال مسيو جوجيير او مسيو بيات لم تؤد الى تقدم النفوذ الفرنسي او سيادته على النفوذ البريطاني في منطقة الخليج وكان لحملاتهم الصحفية تلك السمة التي تميز كل حملات من هذا النوع في ظروف مماثلة . وهي ان تأثيرها يقل كلما طالت مدتها . لكننا نوردها لنظهر الى اي حد انحدرت فرنسا في استخدام هذه الاسلحة في صراعها مع بريطانيا . وفي سنة ١٩٠٥ ظلت جريدة « مرشد الالباب » تصدر رغم تحسن في العلاقات بين انجلترا وفرنسا محا تماماً في ١٩٠٤ ذكرى حادثة فاشوده المؤلمة التي كانت دافع السياسة الفرنسية في بداية هذه الفترة .

مؤسسة فرنسية تجارية في الخليج :

ونشير ايضاً الى بعض الجهود التي بذلها عدد من المسئولين الفرنسيين لاقامة تجارة فرنسية مزدهرة في الخليج ، لكنها على أي حال ذات قيمة ضئيلة . وفي مقالة كتبها مسيو اوثافي نائب القنصل الفرنسي في مسقط في النشرة الرسمية للتجارة بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٠٠ اقترح اقامة مؤسسة تجارية فرنسية في مسقط . على ان تكون « محلا كبيراً لبيع الثياب والخردوات في السوق » ، مرتبطاً بفرع في باريس او مارسيليا ، وكان هدف الاقتراح هو اقامة تجارة مباشرة بين فرنسا والخليج تستطيع — كما ذكر الكاتب في اقتراحه — ان تنافس التجارة البريطانية القادمة من بومباي ، ما دامت رحلتها البحرية ستكون اقصر ، وانها تستطيع تفادي دفع الجمارك واجور الوسطاء في بومباي ، لكن شيئاً لم يتخذ لتنفيذ هذا الاقتراح على اية حال . وفي مارس سنة ١٩٠٣ وصل الى

البحرين مسيو دوماس ومسيو كاستلين ، واولهما شريك في موسسة تجارية في مرسيليا ، ومعهما خطابات توصية من وزيري التجارة والخارجية الفرنسيين ، واتخذا عدتهما للاستقرار في البحرين . لكنهما اسرعا بمغادرة المكان عقب انتشار الطاعون فيه في مايو التالي . وكانا قد جلبا معهما عينات عديدة ومختلفة للمصنوعات الفرنسية . وقد حاول مسيو دوماس اثناء جولته الحصول على امتياز بصيد اللؤلؤ من شيخ البحرين لكنه فشل . ومرة اخرى في بداية اغسطس سنة ١٩٠٣ وصل مسيو جوانين — السكرتير العام لرابطة تجار اسيا الفرنسيين — الى مسقط ومعه مساعد له ، وبقي فيها قرابة شهر يقوم بتنظيم عروض تجارية ويجري مختلف الابحاث .

وفي بداية سبتمبر زار مسيو جوانين البحرين وظل فيها حوالي ثلاثة اسابيع ، وعمل فيها مثل ما عمل بمسقط ، وحاول اثناء اقامته احياء مشروع اقامة مصرف فرنسي فيها ، لكن الشيخ رفض مشروعاته جميعاً ، وبعد محاولة فاشلة لتنظيم رحلة الى وسط الجزيرة العربية غادر مسيو جوانين البحرين الى البصرة وبغداد . ولم تكن للزيارة التي قامت بها مدام ساتان وهي ارملة صائغ فرنسي — الى البحرين في اغسطس وسبتمبر ١٩٠٥ بصحبة ابنتها وابن اخيها اي طابع سياسي ، وكان يصحب هذه الجماعة ابن مسيو جوجير — عدو الانجليز المشهور بسلاطة لسانه — ثم لحق بهم مسيو جوجير بنفسه .. ولكن ثبت انه ليس لهذه الرحلة من اهداف سوى عقد صفقة لؤلؤ .

وتوقفت الحفائر الاثرية التي كان يقوم بها الفرنسيون في منطقة تاللو بالعراق التركي في سنة ١٩٠٠ ، لكن حفائرهم الموجودة في منطقة شاش بعربستان ظل العمل فيها قائماً طوال هذه الفترة .

نشاط ألمانيا فى الخليج ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

حوالي هذا الوقت انضمت الامبراطورية الالمانية ايضاً الى دائرة الدول الاوربية ذات النشاط في منطقة الخليج . وكان لألمانيا نفوذ عظيم في القسطنطينية تعزى بعض اسبابه الى ان المانيا لم تكن من بين الدول التي واصلت الاحتجاجات لدى تركيا ضد مذابح الارمن في سنة ١٨٩٥ ،وبعض السبب ايضاً تلك الزيارةالتي قام بها امبراطور المانيا ويلهلم الثاني للارض التركية والعاصمة التركية في سنة ١٨٩٨ ، وبعدها زاد النفوذ الالماني في مختلف دوائر الحكومة العثمانية ذات الاهمية .

خط حديد بغداد :

وحصلت المانيا في سنة ١٨٩٩ على امتياز مد خط حديدي تركي من قونيه في آسيا الصغرى الى الخليج مروراً ببغداد ، وفي سنة ١٩٠٠ قامت بعثة فنية المانية يرئسها القنصل الالماني العام في القسطنطينية برحلة على طول الخط المقترح في العراق التركي ، ثم وضعت تقريرها عن كل المشكلات المتصلة بهذا الخط . وكانت الفكرة الاساسية عند اصحاب الامتياز هي الامتداد بالخط حتى خليج الكويت ، ولكن اخيراً تأجل تعيين محطة نهاية الخط في منطقة الخليج ، لان بريطانيا عارضت في جعل الكويت نهاية الخط ، ذلك بأن مصالحها كانت تحتم عليها معارضة المشروع كله ، وعرقلة تنفيذه الى ان تحصل لنفسها على نصيب بارز فيه . وذلك فضلا عن انه ما كان لانجلترا ان تسمح بانشاء سكة حديدية في منطقة الخليج الا بحيث تضمن عدم استخدام مثل هذا المشروع حربياً ضدها في المستقبل . واخيراً وقع اتفاق لانشاء خط حديد قونية ـ الخليج في سنة ١٩٠٣ من قبل « شركة سكة حديد بغداد » ، وهي شركة كونتها شركة خطوط الاناضول الموجودة بالفعل . لكن شيئاً عملياً

لم يحدث من جانبها حتى نهاية هذه الفترة .

وربما كان صدور الاوامر للسفينة الحربية الالمانية « ارونا » بأن تزور البصرة اثناء عودتها من الشرق الاقصى سنة ١٨٩٩ مرتبطاً بمشروع سكة حديد بغداد . وقد رست السفينة في مسقط ولنجة وبوشهر ، ووصلت هذا الميناء الاخير في نهاية مارس . لكن ضباطها عرفوا وهم هناك ان غاطس السفينة اضخم من ان يستطيع اجتياز مضيق شط العرب ، فعادت السفينة ادارجها واتجهت غرباً دون ان تكمل طوافها.

بداية التجارة الالمانية في الخليج :

ويمكننا القول بأن التجارة الالمانية مع منطقة الخليج وفيها قد بدأت خلال هذه الفترة . وفي سنة ١٨٩٩ قامت جماعة من الالمان بزيارة لبندر عباس ودراسة الموقف التجاري فيها . وقد شوهد تاجر الماني يدعى تووين في عدة مناطق من الخليج من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠٤ وتووين هذا قد تحول الى الاسلام فيما بعد ، ويقول عنه البعض انه متآمر سياسي لكن الذي لا شك فيه انه كان مغامراً تجارياً . ولما كان ممثلا لمؤسسة في همبورج تتعاطى تجارة اللؤلؤ في لنجة منذ سنوات فقد افتتح له فرعاً في البحرين سنة ١٩٠١ ، وكانت له علاقات عملية بعمان المتصالحة ، كما كانت اعماله التجارية مع المشايخ المتصالحين ذات طابع سياسي . وفي سنة ١٩٠٦ بدت بواخر خط هامبورج — امريكا الملاحي (وهو خط الماني) تصل بين اوربا والخليج ، وعين هذا التاجر الالماني وكيلا للخط في البحرين .

وفي العراق التركي احتكرت المانيا بالفعل عملية التنقيب عن الآثار ، وقد تواصل طوال هذه الفترة عمل بعثة الآثار الالمانية في بابل الذي كان قد بدأ سنة ١٨٩٨ .

وكانت المصالح الالمانية في منطقة الخليج كما سنرى صغيرة حتى

ذلك الوقت ، لكن مصالحها المرتقبة في مد خط حديد بغداد وتوسيع التجارة كانت جديرة بالاهتمام .

★ ★ ★

نشاط بلجيكا فى منطقة الخليج ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

اتحاد اصحاب رؤوس الاموال البلجيكي المقترح :

كان لبلجيكا مشروع في الخليج يستإهل الاهتمام لما يحمل من دلالة على استعداد كل الدول للمشاركة في اية عمليات ما دامت مربحة . ولا شك في ان مستر سيمايس الملحق التجاري السابق في سفارة بلجيكا في طهران ، والمدير العام لعوائد جنوب ايران في سنة ١٩٠١ كانت له مصالح في الخليج .. وكانت عنده افكار عن مشروع لاتحاد من اصحاب رؤوس الاموال البلجيكية لافتتاح مصرف في ايران وخط بخاري في الخليج لمنافسة المؤسسات البريطانية هناك .

وبدأ اصدقاء مستر سيمايس التفكير في اتخاذ الخطوات العملية لهذا المشروع . ووصل يخت بلجيكي صغير هو «سيليكا » يقوده مستر ودرين دي جيرلاش الذي سبق له ان قاد حملة استكشافية بلجيكية في المناطق الجنوبية ، وكان على اليخت ضابط عسكري وفنان وطبيب وعالمان ، قيل ان احدهما فرنسي الجنسية .. وبعد ان غادر اليخت مسقط التي وصلها في ٧ مارس ، طاف بساحل رأس الجبل ، ولم يشاهد بعدها حتى ظهر في البحرين في ١١ ابريل . وحسب ما ذكر المسافرون على السفينة فهي رست في دبي ، حيث احتجزت هناك اسبوعين لعطب اصاب آلاتها في جزيرة ارزنة ، ثم قضت يومين بعد ذلك في الدوحة ، لكن طول المدة التي قضتها بجوار شاطيء اللؤلؤ كانت مثيرة للشكوك ،

خاصة وان بقية جولتها كانت قصيرة ، وان مستر سيمايس ذكر انها جاءت لامر يتعلق بامتياز لصيد اللؤلؤ كانت الحكومة الايرانية قد ضمنته قبل عامين . وفي ٢١ ابريل غادر البيخت « سسيليكا » البحرين الى القطيف ، ووصل بوشهر في ٢٣ ابريل ، ومنها ابحر الى بومباي . وتأكد بعد ذلك ان المسافرين على اليخت قد اشتروا صفقة من اللآلىء الصغيرة بما قيمته ثلاثة آلاف فرنك ، ثم باعوها بعد ذلك بارباح مرتفعة اثناء عودتهم لاوربا .

وفي نوفمبر سنة ١٩٠١ عاد دي جيرلاش الى الظهور في البحرين ، بدون اليخت « سيليكا » هذه المرة لكن صفقاته في اللؤلؤ لم تحقق نجاحاً يذكر . وبعدها مات مستر سيمايس وتوقف مشروع اتحاد رؤوس الاموال البلجيكية ، وبيع اليخت « سيليكا » في العام التالي للحكومة الايرانية في اوربا وخصصته هذه للخدمة في الجمارك واطلقت عليه اسم « المظفري » .

★ ★ ★

نشاط أمريكا فى منطقة الخليج ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

ظل طابع النشاط الامريكي في منطقة الخليج على حاله . وقد نفذت أعمال التنقيب عن الاثار في منطقة نيفار في العراق التركي واستمرت حتى سنة ١٩٠٠ ، وفي نفس السنة عين وكيل قنصلي امريكي في بوشهر ، وحدث مرة أن سببت امور هذه البعثة الامريكية المسماة بـ « البعثة العربية » في البحرين بعض المضايقات للسلطات البريطانية ، التي كانت مسئولة عن سلامة مثل هذه البعثات ... وكانت حكومة الهند تتمنى لو ارتاحت من وجود هذه البعثة من البحرين .. لكن المضايقات بسبب تلك البعثة ما فتئت ان توقفت على كل حال .

القوى والحركات الاسلامية فى منطقة الخليج
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

المجتهدون في كربلاء والنجف :

تستحق بعض الحركات والقوى الاسلامية ــ ومعظمها حركات دينية وصحفية ــ بعض الاهتمام هنا بسبب ما حصل بينها وبين سياسة بريطانيا في الخليج من صدام .

كانت اهم هذه الحركات هي ما قام به « الاخوان المجتهدون » في كربلاء والنجف ، وكان المجتهدون هناك كما ظلوا لفترة طويلة عاملا قوياً من عوامل الحياة السياسية . وقد انضم جماعة منهم عندئذ الى صفوف منتقدي الحكومة الايرانية حين بدأت حالتها في الاضطراب اعتباراً من سنة ١٩٠٣ ، واثارت انتقاداتهم ــ الى حد ما ــ معارضة للشاه ووزيره الاكبر الاتابك الاعظم . وكان التقدير العظيم الذي تلقاه أقوال المجتهدين من الجماهير سواء أكانت متعلقة بالسياسة ام الدين تثير قلق الحكومة الايرانية . واتخذت الحكومة في البداية اجراءات لاسترضائهم دون جدوى ، واخيراً قام الباب العالي في سنة ١٩٠٤ بقمع نشاطهم بقسوة بتحريض من الحكومة الايرانية .

وكانت الحكومة البريطانية على علاقة بالمجتهدين من خلال هبة أوض التي كان بعضهم مشرفين على توزيعها . وظن وزير صاحبة الجلالة في طهران ان الظروف قد تتحول ليصبحوا أكثر اعتدالا فيما يتعلق بالتدخل في سياسة حكومة ايران واقل عداء للمسيحيين والاوربيين مما كانوا عليه ، بل وليتحالفوا ايضاً مع الحكومة البريطانية ــ بشكل من الاشكال ــ لصد النفوذ الروسي في ايران . واتخذت خطوات في سنة ١٩٠٣ لتنفيذ هذا الاتجاه المقترح . لكنها لم تؤد لنتيجة ، فقد رفض المجتهدون ان يدخلوا في علاقات ودية وثيقة مع ممثل الحكومة

البريطانية واستغلت الحكومة الايرانية في العام التالي هذه المفاوضات البريطانية لتوغر صدر الباب العالي على المجتهدين باعتبارهم ممن ينشئون علاقات بدولة اوروبية ... وهكذا نفذ الاتراك خطة القمع المذكورة للمجتهدين سنة ١٩٠٤ .

الصحافة العربية والايرانية :

وكانت ظواهر العداء للسياسة البريطانية في منطقة الخليج تبدو من حين لآخر في صحافة غير دولة اسلامية واحدة ، وكان بعض تلك المعارضة اصيلاً حقيقياً تمليه مشاعر دينية او ثورية صادقة لكن هذه كان من الصعب معرفتها وسط ركام ما يقذفه المكتب الاسلامي في وزارة الخارجية الفرنسية . وتمثلت هذه الصعوبة بشكل خاص في نشرة كانت تحمل اختام بريد القاهرة وصلت الى بومباي في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٣ وكان مرسلا منها نسخ الى مسقط ودبي والكويت والبصرة والمحمرة وبوشهر ولنجة . وفوض مكتب البريد الهندي مصادرة تلك النسخ . كان البيان مكتوباً بقلم رجل سمي بـ «عبد...محمد بن عبدالله» ، وكان يتناول الجولة التي قام بها لورد كيرزون نائب الملكة في الخليج ، ويعلق عليها محرضاً اهل الخليج على عدم الاكتراث للمظاهرات البحرية البريطانية وعدم تصديق وعود الحكومة البريطانية .

وكانت بعض الصحف التي تصدر في مصر مثل « اللواء » و المؤيد» قد تخصصت خلال ١٩٠٤ ــ ١٩٠٥ في ترويج روايات عن اعمال بريطانيا في منطقة الخليج وشمال شرقي شبه الجزيرة . ولان هذه الصحف كانت ذات نفوذ بين الجماهير فقد سببت لسوء الحظ متاعب للبريطانيين ويظن ان هذه الصحف هي المسئولة الى حد كبير عن مواقف العداء لبريطانيا مما ساد بين المسئولين الاتراك في ولاية البصرة سنة ١٩٠٥ ، ومن الناحية الاخرى .. كان يشك في ان هؤلاء الصحفيين المصريين كانت تحرضهم سلطات القسطنطينية مباشرة .

أما الصحيفة الايرانية « الحبل المتين » التي كانت تصدر في كالكتا فكانت من طراز مختلف قليلا عن سابقاتها فهي كانت كثيراً ما تستفيد من حرية الصحافة في الهند البريطانية لتهاجم الحكومة التي تتمتع بحمايتها، وقد نشرت في سنة ١٩٠٤ رواية خاطئة ومعادية لبريطانيا عن ازمة في البحرين مما جعل من الضروري نشر تكذيب لها في احدى صحف طهران المحترمة ، وصدر عن « الحبل المتين » .. عدة مساءات اخرى لبريطانيا في مناسبات عديدة .. لكنها على وجه العموم لم تكن تتمتع بمثل نفوذ الصحف القاهرية .

* * *

شئون سلطنة عمان وعلاقاتها الخارجية
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

القطيعة بين السلطان وبريطانيا ومشكلة القاعدة البحرية الفرنسية :

سنأتي بعد الحديث عن عمان الى الحالة العامة والعلاقات الخارجية في كل مناطق الخليج .

تميزت هذه الفترة بقطيعة خطيرة في العلاقات بين الحكومة البريطانية وسلطان عمان وكانت الاسباب العامة لها ، رغم وجود اسباب خاصة ايضاً ، تتمثل في موقف السلطان العدائي العنيف من بريطانيا ، وفي ازدياد التقارب بينه وبين فرنسا ، وقد تم تقديم انذار له من جانب الحكومة البريطانية لاجابة بعض مطالب الرعايا البريطانيين ، وتبرير بعض امور اخرى ، وذلك على اثر ما تبين ، كما جاء في تاريخ الفترة الاخيرة ، من اخلاله بنصوص اتفاقية مع بريطانيا لسنة ١٨٩١ ومنحه فرنسا امتياز اقامة مستودع للفحم على ارضه ، وطلب منه ايضاً سحب

ذلك الامتياز ضمن المطالب الاخرى في نفس الانذار . وبعد تقديم الانذار باسبوع انقضى في مفاوضات فاشلة ، خضع السلطان في ١٦ فبراير سنة ١٨٩٩ . . لكنه لم يفعل الا بعد ان اتخذت الاستعدادات فعلا لضرب قصره وقلاعه بمدافع سفينة حربية بريطانية ، وحصل الفرنسيون اخيراً على مستودع للفحم في مسقط نفسها بعد اقتراح من جانب الحكومة البريطانية بقسمة المكان الذي يشغله مخزن تموين السفن بالفحم الى قسمين تختار السلطات الفرنسية احدهما . وكانت هذه هي نهاية مشروع فرنسا لاتخاذ قاعدة بحرية لها في خليج عمان .

تسوية مشكلة العلم الفرنسي :

وظلت مشكلة العلم الفرنسي في سلطنة عمان ، برغم ما فقدت من اهميتها باحباط مشروع حصول فرنسا على قاعدة بحرية ، مصدر مضايقة للانجليز لسنوات طويلة . وبتشجيع منهم ظل السلطان يرفض بعناد – منذ سنة ١٨٩٩ فصاعداً – ان يعترف بأي حق للفرنسيين بمنح حماية علمهم لرعاياه دون اذن منه لكن السلطات الفرنسية ظلت بوقاحة تتمسك بآراء مغايرة لذلك . وفي سنة ١٩٠٣ تطورت الامور تطوراً خطيراً بعد مهاجمة سفينة ترفع العلم الفرنسي في صور ، وكذلك اثر معاقبة السلطان بعض الافراد من سفينة اخرى ترفع العلم كانوا قد ارتكبوا اعتداء في منطقة الحجر الصحي ، واجتمعت في ميناء مسقط سفينتان من سفن صاحبة الجلالة وسفينة حربية فرنسية ، وفي الوقت الذي كانت الحكومة البريطانية فيه تناصر تصرف السلطان ، كانت فرنسا تعمل ضده وتطورت الامور الى ازمة خطيرة انتهت باتفاقية بين فرنسا وبريطانيا على رفع هذه المشكلة الى محكمة دولية في لاهاي للتحكيم في هذا النزاع . ووصلت المحكمة في سنة ١٩٠٥ الى قرار بفرض بعض القيود على منح وتوزيع الاعلام الفرنسية الامر الذي ازال عن علم فرنسا المثلث قيمته كأداة للعدوان الفرنسي في عمان .

تحسين العلاقات بين السلطان وبريطانيا :

وبعد قطيعة سنة ١٨٩٩ هذه ، أصبحت علاقة السلطان بالحكومة البريطانية مرضية ، ولم يضطرب مجرى هذه العلاقات الهادئة بعد ذلك . وفي سنة ١٩٠٢ تعهد السلطان بالا يتيح لاية دولة او شركة اجنبية تولى العمل في بعض مناطق الفحم فيما جاور صور الا بعد ترك الخيار اولا للحكومة البريطانية لمشاركة السلطان في ذلك المشروع . وفي سنة ١٩٠٥ — وبعد سنتين من التفكير — قررت الحكومة البريطانية بدء المفاوضات لعقد اتفاقية تجارية جديدة مع حكومة مسقط تحل محل اتفاقية سنة ١٨٩١.

وفي سنة ١٩٠٤ ، وخلال التسوية العامة لكل المشكلات المعلقة بين بريطانيا وفرنسا ، تجدد البحث في مشروع بريطانيا فرض الحماية على عمان ، لكن فرنسا لم تشأ ان تتنازل عن اي حق من حقوقها بمقتضى بيان سنة ١٨٦٢ .

الوكلاء الروس :

أما روسيا فيبدو انها كانت مقتنعة بأنها لا تستطيع ان تقيم لها مصالح مزدهرة في سلطنة عمان ، وبالتالي تركت لحليفتها فرنسا ان تمارس نشاطها السياسي هناك بتأييد منها . وفي ٩ مارس سنة ١٩٠١ وصل رجلان روسيان الى مسقط واقاما فيها اسبوعاً . كان احدهما شقيق الكونت ليونتييف المشهور برحلته الى الحبشة ، والذي قام برحلة من مارسيليا الى عدن مع قريبه الاكبر منه شهرة ، وكان رفيقه في مسقط هو مستر ارمتير . وقضى الرجلان وقتهما في زيارات عديدة للقنصلية الفرنسية وقابلا السلطان غير مرة ، لكن حديثهما معه كان غامضاً حتى أنه لم يستطع ، وهو الرجل المشهور بالذكاء ، ان يفهم عنهما شيئاً ، لكنهما طلبا منه ، في اليوم السابق لسفرهما مباشرة ، ان يمنحهما ترخيصاً بتجارة السلاح في مسقط ، لكنه اجابهما بأن هذه التجارة حرة ومسموحة ممارستها للجميع دون حاجة الى تصريح خاص .

وبعدها بأشهر قليلة تناثرت اشاعة سبق ان ترددت سنة ١٨٩٩ بأن روسيا تنوي فتح قنصلية لها في مسقط ، واوصت حكومة الهند بضرورة اصدار تعليمات محددة للوكيل السياسي البريطاني هناك بالموقف الواجب أتخاذه حيال تلك القنصلية .. واوصت حكومة صاحبة الجلالة بناء على ذلك تعليماتها بالنصح للسلطان إن هو طلب النصيحة ، برفض الاقتراح متعللا باسباب تجارية .

ووصل الطراد الروسي « فارياج » الى مسقط في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٠١ . وفي اليوم التالي تم تبادل الزيارات الودية بين ضباطه وبين السلطان ... وكان القنصل الفرنسي وسيطاً في هذا العمل ، وقد انبهر السلطان لرؤية الطراد « فارياج » وصرح بأنه اعظم سفينة حربية رآها في الخليج . وفي الزيارة التوديعية التي قام بها الطراد « بومارين » الى مسقط حوالي منتصف مارس سنة ١٩٠٣ اثار مستر باسك القنصل الروسي العام في بوشهر خلال محادثة مع السلطان موضوع تعيين قنصل روسي في مسقط ، لكن السلطان تجاهل تلك الاشارة ولم يعد مستر باسك الى الحديث في الموضوع .

شئون عمان المتصالحة وعلاقاتها الخارجية
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

خلال هذه الفترة تأكد حق البريطانيين وتدعم غير مرة واحدة في تمثيلهم لمشايخ عمان المتصالحة في شئون علاقاتهم الخارجية .

فرنسا وتمثيل بريطانيا للامارات في شئون علاقاتها الخارجية :

ففي سنة ١٩٠٣ غرقت سفينة وطنية ترفع العلم الفرنسي في دبي ، وفي بداية الامر اتخذ الممثل الفرنسي في مسقط الاجراءات الاولى لتسوية الحادث مطالباً بالتعويض من شيخ دبي مباشرة . لكن فرنسا عندما شرحت السلطات البريطانية لفرنسا طبيعة العلاقات الخاصة بين بريطانيا ومشايخ عمان المتصالحين ، ونقلت اليها صورة عن المعاهدة الشاملة معهم والموقعة في سنة ١٨٩٢ ، وافقت أي فرنسا في سنة ١٩٠٤ بأن تشرف سلطات الحماية البريطانية على مصالح رعاياها في منطقة الخليج ،واتخذت الاجراءات فيما بعد على ذلك الاساس .

ايران ونفس الموقف :

غير ان قضايا الامارات مع ايران هي التي ابرزت موضوع السيادة البريطانية رسمياً على عمان المتصالحة ، وفي سنة ١٨٩٩ طلبت الحكومة الايرانية ، في وقت كانت تخشى ان يغير العرب من مواني عمان المتصالحة على لنجة ، من الحكومة البريطانية ان تمنع مثل تلك الحركة . وبدأت السلطات البريطانية تتخذ من الاجراءات ما يكفل تحقيق رغبة ايران . لكن هذا لم يمنع الحكومة الايرانية من التآمر مع شيخ ابو ظبي في ١٩٠٠–١٩٠١ وان كان هدف مساعيها هو تأمين لنجة . وفي سنة ١٩٠٣ أكد الوزير البريطاني المفوض في طهران حق بريطانيا في تبني شكاوي مشايخ عمان المتصالحة ومطالبهم من الحكومة الايرانية فيما

يتعلق بالساحل المواجه لهم ، ويبدو ان الحكومة الايرانية — بالتالي — اعترفت بوجودالاتفاقية الشاملة بين بريطانيا وهؤلاء المشايخ لدى اطلاعها على تلك الاتفاقية .

محاولات ايران لضم جزيرتي بو موسى وطنب اليها :

على ان اهم مثال على تدخل بريطانيا مع دولة اجنبية لمصلحة شيخ من الشيوخ المتصالحين حدث سنة ١٩٠٤ حين قامت ايران بمحاولة لضم جزيرتي بو موسى وطنب اليها ، وكانت التجارة قد تدهورت في لنجة عقب انشاء مركز للجمارك الايرانية التي كان قد اعيد تنظيمها سنة ١٩٠٢ ، وأدى هذا الكساد الى ان يقترح التجار اقامة ميناء داخلي للتجارة في جزيرة بو موسى ، فراحت الحكومة الايرانية تنظر باهتمام الى جزيرة بو موسى وجزيرة طنب ايضاً . ويبدو ان تحريض روسيا كان وراء تصرفات ايران لان روسيا كانت تخشى بعد الزيارة التي قام بها نائب الملك في الهند لمنطقة الخليج سنة ١٩٠٣ — ان تقوم بريطانيا بانشاء قاعدة — او قواعد — بحرية لها في مدخل الخليج . وفي ربيع سنة ١٩٠٤ قام موظف بلجيكي في الجمارك الايرانية بزيارة جزيرتي بوموسى وطنب ، وانزل اعلام امارة الشارقة التي رفعت هناك بناء على نصيحة من حكومة الهند ، ووضع بدلها الاعلام الايرانية ، ثم وضع على الجزيرتين حراسة جمركية ايرانية . وادت احتجاجات سفير صاحبة الجلالة ملكة بريطانيا في طهران الى انزال الاعلام الايرانية ورفع اعلام الشارقة مرة أخرى ، ومن ضمن ما ذكره السفير البريطاني في طهران حول هذا الموضوع ان مشكلة ملكية جزيرة سيري — التي كانت ضمتها ايران اليها رغم مطالبة شيخ الشارقة بها — ستثار ان لم تنزل ايران اعلامها عن جزيرتي بو موسى وطنب .

شئون قطر وعلاقاتها الخارجية
١٨٩٩ ــ ١٩٠٥

ظل الوضع السياسي لشبه جزيرة قطر غير محدد تحديداً تاماً خلال هذه الفترة ، فالاتراك ظلوا يحاولون ان يعاملوها كما لو كانت جزءاً من الامبراطورية العثمانية ، على حين ظلت الحكومة البريطانية تنظر اليها على انها امارة عربية مستقلة ، وبالتالي فللسلطات البريطانية الحق في ان تحتفظ باتصالات مباشرة مع شيوخها .

العلاقات بين تركيا وقطر :

وفي نهاية سنة ١٩٠٢ حاول الباب العالي تأكيد سيطرته على قطر فأمر بتعيين مسئولين اداريين من الاتراك في الوكرة والزبارة وايضاً في العديد ، وهو مكان رغم وجوده في ارض عمان المتصالحة ظل الباب العالي يصر على اعتباره تابعاً لقطر . وجاء تعيين هؤلاء المسئولين الاداريين الى جانب وجود ممثل للحكومة التركية مقيم بالفعل في الدوحة . وظهر بالفعل مدير تركي في الوكرة في ربيع سنة ١٩٠٣ .

لكنه بسبب احتجاجات قدمها سفير صاحب الجلالة البريطانية في القسطنطينية تعهد الباب العالي بابقاء الأمور على ما هي عليه في قطر ، فسحبت تعيين موظفيها هؤلاء واوقفت ايضاً بعض مشروعاتها المماثلة هناك.

علاقات بريطانيا بقطر :

وفي نفس الوقت ، ومند سنة ١٩٠٠ ، كان الشيخ احمد ، احد شيوخ قطر ، على اتصال منتظم مع ممثل بريطانيا في البحرين ، وكان هدفه الحصول على حماية بريطانيا في مقابل ان يتعهد من جانبه بضمان الامن البحري على السواحل القريبة والتعاون مع الحكومة البريطانية بوجه عام .

وفي سنة ١٩٠٣ اعتبر تعهد من الباب العالي بعدم التدخل في « الامر الواقع » في قطر منطوياً على تعهد مماثل من جانب الحكومة البريطانية ، بالا تدخل في أية اتفاقية جديدة مع أي شيخ من شيوخ قطر ، وهكذا توقفت المفاوضات بشأن مصير قطر ولم تفض الى شيء ما .

★ ★ ★

شئون البحرين وعلاقاتها الخارجية
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

كانت اهم الاحداث في البحرين خلال هذه الفترة هي القطيعة التي حدثت بين الشيخ هناك وبين الحكومة البريطانية ، والتي ساهمت أسباب كثيرة في وقوعها .

سوء ادارة الجمارك في البحرين :

وفي سنة ١٨٩٩ تبين ان تجارة البحرين قد زادت ، خلال اقل من عشر سنوات ، تحت الحماية البريطانية بنسبة قدرها ٤٠٪ ، لكن شيخ البحرين بسبب من سوء ادارة الجمارك التي كان يعهد بها الى التجار لم يستفد الا قليلا من الرخاء التجاري للميناء . وقد نصح مراراً وبشدة بأن يضع نظاماً جديداً للجمارك لكنه كان يعاند في ذلك ويتهرب من التنفيذ ، وظلت الضائقة المالية التي كان شعبه يعاني منها أكثر منه باقية على ما هي عليه .

الاضطراب في البحرين وقطع العلاقات بين بريطانيا وشيخ البحرين:

وأدت هذه الخلافات الى اضطراب العلاقة بعض الشيء بين شيخ

البحرين وممثل بريطانيا فيها . غير ان الخلاف الصريح الذي حدث في سنة ١٩٠٤ لم تكن له علاقة بمشكلة العوائد . وانما كان الشيخ مدى سنين عديدة على علاقة سيئة بواحد من ابناء اخوته يسمى علي ، كان الشيخ يرهب جانبه ، فقد كان علي هذا سيء السلوك ، منهمكاً في امور مخلة بالامن العام . واخيراً ، في سبتمبر سنة ١٩٠٤ ، قام علي باعتداء صارخ على مؤسسة المانية في البحرين ، وفي نوفمبر حدث اضطراب في المنامة وهجوم عام على الايرانيين في المدينة ، وكان خدم علي واتباعه هم المتسببين فيما حصل بينما يتحمل الشيخ المسئولية الاولى عن مثل تلك الاحداث . وفي حالة الاعتداء على المؤسسة الالمانية امكن التوصل الى اتفاقية تعويض مرضية دون صعوبة ، اما في حالة العدوان على الايرانيين فبدا من مسلك الشيخ انه ليس مصمماً على ان تأخذ العدالة مجراها . واخيراً ، في ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٥ ، قدم ممثل بريطانيا انذاراً لشيخ البحرين معززاً بوجود ثلاث سفن حربية بريطانية في الميناء ، ومطالباً اتخاذ الاجراءات اللازمة لايقاع العقوبات بالمعتدين ، ولدفع تعويضات مرضية ، عدا مطالب اخرى من بينها تسليم علي للسلطات البريطانية لتنفيه من البلاد ، وفي اليوم التالي قبل الشيخ معظم تلك المطالب ، لكن علياً استطاع الهرب ، سواء بمساعدة الشيخ ام بدون ذلك ، فلم يسلم للسلطات البريطانية التي اعتبرت ان خضوع الشيخ كان كافياً ، كما اعتبرت المسألة منتهية عند هذا الحد ، وعادت العلاقات الى مجراها الطبيعي ، وبعدها عاد علي طائعاً الى البحرين ، ومنها نفي الى بومباي حيث ظل بها عدة سنين .

تحسين العلاقات بين بريطانيا وشيخ البحرين ، وازدهار التجارة في البحرين :

وبعد هذه الازمة اصبحت علاقات الشيخ بالحكومة البريطانية اوثق من أي وقت مضى رغم ان شئونه الداخلية ظلت غير مرضية الى حد بعيد . وازدهرت التجارة ازدهاراً غير عادي ، حتى بلغت قيمتها في

سنة ١٩٠٥ - ١٩٠٦ اكثر من ثلاثة ملايين جنيه استرليني .

وعين ضابط بريطاني مساعد للوكيل السياسي في البحرين سنة ١٩٠٠ . وفي سنة ١٩٠٤ استبدل الوكيل السياسي هناك بممثل للحكومة البريطانية .

تركيا والبحرين :

وكانت تركيا من بين الدول التي لها علاقة ومصالح بالبحرين . إن هذه الدولة - من حيث قربها من البحرين الى جانب مزاعمها باحقيتها في تملكها - هي اولى الدول الجديرة بالاشارة هنا . وقد حدث في سنة ١٩٠٠ ان قام البدو في البر بذبح احد اعضاء الاسرة الحاكمة في البحرين وعدد من الرجال كانوا في صحبته ، ولما كان مرتكبو العمل ولو اسمياً من رعايا تركيا ، فقد رفعت الحكومة البريطانية مطالب شيخ البحرين بالتعويض الى الباب العالي ، ولكن سرعان ما وضح ان السلطات التركية المحلية في الحسا لا تستطيع ، او ربما كانت لا تريد ان تقوم بعمل ما ضد القبيلة العربية المعتدية لتسوية الامور معها . واخيراً نام الموضوع ودأبت الحكومة التركية - على سبيل التذكير بمزاعمها في السيادة على البحرين - تطلب من بريطانيا الكثير من المعلومات بشأن الازمات التي حدثت بين الشيخ وبريطانيا في ١٩٠٤ - ١٩٠٥ ، وفي النهاية لمحت الحكومة البريطانية الى انها غير مستعدة للاستمرار في مناقشة الموضوع .

ايران والبحرين :

كذلك فان الحكومة الايرانية ، رغم موافقتها على الخطوات التي اتخذتها السلطات البريطانية في البحرين للحصول على تعويضات عن الاضرار التي اصابت رعاياها سنة ١٩٠٤ - ١٩٠٥ بحيث قدمت الشكر على ذلك ، سرعان ما جددت مزاعمها بملكية جزر البحرين . وظلت المناقشات دائرة حول الموضوع حتى بعد انتهاء هذه الفترة والى ان اعلن سفير صاحب الجلالة في طهران صراحة ان المزاعم الايرانية في تملك

البحرين غير صحيحة ، ورفض جميع الحجج التي قدمت لتبريرها .

المصالح الالمانية في البحرين :

وكانت المانيا هي الدولة الاوربية الثانية صاحبة المصالح الثابته في البحرين . وكانت المؤسسة الوحيدة التي تمثل تجارتها وكالة المانية بدأت عمالها في سنة ١٩٠١ ، وقد اشرنا الى هذه المؤسسة من قبل من حيث علاقتها بازمات سنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ حيث استطاعت السلطات السياسية الحصول على تعويض عن الاضرار التي اوقعت بها . وبعدها في سنة ١٩٠٥ فاتح القنصل الالماني العام في بوشهر المقيم هناك في موضوع التمثيل الالماني في البحرين وقال انه يفهم ان العلاقات الخارجية للبحرين بين ايدي الانجليز ، وان الاتصال المباشر بينه وبين الشيخ سيكون موضع اعتراض من جانبهم ، واجيب بأن هذه هي حقائق الامور بالفعل، وانه يمكن للمسئولين البريطانيين هناك تقديم كل المعاملة الحسنة الممكنة لرعايا المانيا .. بل ويمكن ايضاً مد الحماية البريطانية لتشملهم . وقبل ذلك في سنة ١٩٠٢ ، حين اقترحت الوكالة الالمانية الحصول على بعض العقارات في البحرين ، أكدت حكومة الهند ان الاتفاقية الشاملة لسنة ١٨٩٢ لا تحول دون ذلك ، لكن الأمر فسّر للوكالة ولشيخ البحرين ايضاً بأن عملية تملك اشياء غير منقولة في البحرين لا يعني بالطبع أية امتيازات اقليمية ، ولا يعني ايضاً أي تدخل في التمثيل القنصلي لغير البريطانيين هناك .

فرنسا والبحرين :

وقد اشرنا من قبل الى زيارة التجار الفرنسيين للبحرين ، لكن فرنسا لم تظهر أي اهتمام سياسي في البحرين . وفي سنة ١٩٠٤ ، وبمناسبة مشروع لبعض الفرنسيين للاشتغال بصيد اللؤلؤ في الخليج ، تساءلت الحكومة الفرنسية لدى حكومة بريطانيا عما اذا كانت البحرين تُعد واقعة في نطاق تمثيل وكالة القنصلية الاقليمية الفرنسية في بوشهر ام لا ...

لكن سوألها ظل بلا جواب ، فيما يبدو لان الحكومة الفرنسية لم تلاحقه .

روسيا والبحرين :

وكان بعض المسافرين الروس يقومون احياناً بزيارات للبحرين ، ولكن وضح ان مصالح الحكومة الروسية هنا كانت اقل من مصالحها في مسقط . وفي اكتوبر ١٨٩٩ قام مسافران روسيان بزيارة للبحرين ، وامتدت اقامتهما فيها الى شهر ديسمبر ، وفي مايو سنة ١٩٠٢ زار البحرين عالم روسي متخصص في الاحياء المائية ، وقضى حوالي اسبوعين يجمع منها العينات ، والتقى بشيخ البحرين في زيارة عادية قبل رحيله ، وقدم اليه خطاب توصية من القنصل الروسي العام في بوشهر ، ويبدو ان هذا العالم — واسمه مستر بوجويا فليفاكي كان بالفعل عالماً لا شأن له بالمصالح السياسية ، وقد قام ايضاً بزيارة للكويت وبعدها بحوالي سنة قدم المجمع الامبراطوري للتاريخ الطبيعي في موسكو شكره لشيخ البحرين على المساعدات التي لقيها مندوبه هناك ، وقام بتقديم هذا الشكر القنصل الروسي العام في بوشهر ، الذي ربما رحب بهذه الفرصة التي اتيحت له للدخول في مراسلات ودية مع شيخ البحرين .

شئون وسط الجزيرة وعلاقاتها الخارجية
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

بدت أخيراً أحداث وسط جزيرة العرب التي ظلت منذ احتلال الاتراك للحسا في سنة ١٨٧١ لا تؤثر في شيء على سير الامور في الخليج ، تترك أثراً محسوساً في هذه المنطقة .

الحرب بين اميري جنوب وشمال نجد :

فحوالي سنة ١٨٩١ هبت ثورة داخلية شاملة في وسط الجزيرة أدت الى سيطرة ابن رشيد امير شمال شمر على سائر نجد بما في ذلك أقاليم ابن سعود ، أمير الوهابيين او امير الجنوب . وحوالي سنة ١٩٠٠ بدأت قوى الوهابيين في الانتعاش مرة أخرى ، وتبع ذلك صراع عنيف شمل شيخ الكويت والحكومة التركية واثر تأثيراً سيئاً على ساحل الخليج ، ففي وائل سنة ١٩٠١ اشترك شيخ الكويت مع ابن سعود في غزو اقليم القصيم المختلف عليه بين نجد الشمالية والجنوبية ، والذي كان امير الوهابيين يحاول انتزاعه من منافسه امير شمر . وفشل هذا الغزو في النهاية ، لكن امير شمر ، الذي داخلته خشية من نجاح السعود يين ، طلب عون الباب العالي مدعياً ان شمر تابعة له ، كما طلب ايضاً حماية الحكومة البريطانية . وكان تدخل الحكومة التركية عنيفاً وطائشاً .. ذلك أنها راحت تغري شيخ الكويت بالتخلي عن تأييد ابن سعود والخضوع لها لكن محاولتهم هذه أفشلها عون البريطانيين للشيخ ووقوفهم الى جانبه ، واتخذت الاجراءات كي تقوم الحكومة التركية باقناع ابن رشيد بعدم قتال ابن سعود في مقابل ان تقوم الحكومة البريطانية من جانبها بارغام شيخ الكويت على التزام الهدوء .

الغزو التركي والاحتلال الذي لم يدم طويلا في القصيم :

وفي نفس الوقت كانت القوات الوهابية توالي تقدمها في نجد ، وفي نهاية مارس سنة ١٩٠٤ ، لم يكن ابن سعود قد استعاد املاكه القديمة وحسب ، بل واضاف اليها ايضاً اقليم القصيم .. وهنا تقدم الاتراك من العراق التركي لمعاونة ابن رشيد ، ولكن بعد وصولهم الى القصيم بقليل ، هزمهم الوهابيون وارغموهم على التقهقر شمالا . وفي اوائل سنة ١٩٠٥ توغلت قوات تركية اكبر من الاولى من العراق التركي الى اقليم قصيم المجاور وكان الاتراك في نفس الوقت قد اتفقوا ودياً مع ابن سعود — بعد مفاوضات بين الجانبين في البصرة — على ان يحكم كل من الا ميرين في المستقبل الأرض التي ورث حكمها باسم السلطان ونائباً عنه . أما الاقليم الذي يدور حوله النزاع وهو اقليم القصيم فتحتله القوات التركية برضا كل الاطراف المعنية ويصبح تحت الادارة التركية المباشرة . ونفذ هذا المخطط بالفعل ، واقامت حامية تركية صغيرة في القصيم ، لكن ابن سعود ، وقد اصبح عندئذ اقوى من ابن رشيد ، لم يكن ليرضى ان يحول الاتراك دون تحقيقه مزيداً من الانتصارات . وبعد نهاية هذه الفترة التي نحن بصددها ، سقط ابن رشيد في معركة مع الوهابيين وانتهى احتلال الاتراك السلمي للقصيم ، الذي كان يعتمد على توازن القوى بين شمال نجد وجنوبها ، نهاية مشينة .

أمير جنوب نجد والمشايخ المتصالحون :

وفي صيف سنة ١٩٠٥ وحين كان الوهابيون هادئين عسكرياً ، ربما نتيجة احتلال الاتراك للقصيم ، ظهر ابن امير الوهابيين في صحراء الحسا وقطر ، وكتب من هناك لمشايخ عمان المتصالحة ينبئهم بعزمه على زيارة بلادهم في العام التالي . ويبدو ان رسائله هذه اليهم اهاجت احساساً بخطر ظل كامناً قرابة جيل كامل ، وفعلا اصيب بعض المشايخ المتصالحين بذهول ، لكن تحذيرات وجهت الى الامير الوهابي بطريق

غير مباشر من شيخ الكويت .. فلم تسفر مراسلاته المذكورة عن نتيجة تذكر .

بريطانيا ووسط الجزيرة :

ومن خلال انعكاس هذه الاحداث على الكويت بشكل خاص بدأت حكومة الهند تهتم بما يحدث في نجد للمرة الأولى خلال سنوات طويلة ، وفعلا شهدت هذه الفترة تجدد الاتصالات القديمة مع نجد بين فترة واخرى . وفي سنة ١٩٠١ قدم اقتراح بارسال وكلاء مسلمين من الهند الى وسط الجزيرة للدراسة الاحوال السياسية هناك ، لكن الوقت اعتبر غير مناسب لتنفيذ ذلك الاقتراح . وفي العام التالي حاول ابن سعود الدخول في مراسلات مع السلطات البريطانية لكن محاولته لم تقابل بالتشجيع . وفي سنة ١٩٠٤ ، ونتيجة امور متصلة بالسياسة في الكويت ، طلبت الحكومة البريطانية من الباب العالي التوقف عن تحريض امير شمر ضد الوهابيين لكن طلبها قوبل بالاهمال . وطلب ابن سعود مرة خرى حماية بريطانيا ، ودار التفكير في ارسال ضابط بريطاني الى عاصمة الوهابيين لمناقشة الحالة مع ابن سعود نفسه .. لكن الاقتراح رفض ، فحكومة صاحبة الجلالة كانت ترى بوضوح الى اي حد يستحسن عدم التدخل في سياسة وسط الجزيرة العربية .

ولم يبد على دولة أجنبية اخرى أي اهتمام بما يدور في نجد ، اذا استثنينا روسيا التي اجرى قنصلها العام في بوشهر مقابلة مع ابن امير الوهابيين في الكويت اثناء زيارته لهذا الميناء سنة ١٩٠٣ .

شئون الكويت وعلاقاتها الخارجية
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

الاتفاقية الشاملة بين بريطانيا والشيخ :

دخلت امارة الكويت ـ كما رأينا ـ نطاق السياسة البريطانية بسبب ما كان متوقعاً من جعلها نهاية الخط الحديدي الممتد من البحر المتوسط . وخلال هذه الفترة التي نتعرض لها ظلت اهمية الكويت بالنسبة للحكومة البريطانية كما هي ... وبدأ الاتراك يبذلون كل ما في وسعهم ليصبحوا هم السادة في هذا المكان سواء كان ذلك لقيمته في خط السكة الحديدية ام سواها . وفي بداية ١٨٩٩ ، وقع الشيخ مبارك حاكم الكويت اتفاقية شاملة تمنعه تماماً كشيوخ عمان المتصالحين من الاتصال بأية دولة اجنبية غير بريطانيا ، كما تمنعه ايضاً على غرار سلطان عمان من ان يجري اية تنازلات اقليمية في ارضه دون موافقة مسبقة من بريطانيا . وتلقى في مقابل ذلك تعهداً مكتوباً بأن تواصل بريطانيا مساعيها الحميدة لصالحه في الشئون الخارجية . وقد كتبت هاتان الوثيقتان بطريقة تلزم ورثة الشيخ وخلفاءه ، وتطبق عليهم ما ألزمه هو وطبق عليه .

التهديدات بالعدوان التركي على الكويت :

وما كاد يتم توقيع هذه الاتفاقية ، التي ظلت سرية في البداية ، حتى بدأت تركيا تحاول بشتى الوسائل فرض سيطرتها على الكويت . من ذلك ارسالها مديراً لميناء الكويت من البصرة ومعه قوة عسكرية صغيرة ليتولى الاشراف على الميناء ، لكن الشيخ لم يسمح له بالبقاء فيه . ودار الكلام حول احتمال لجوء تركيا الى العنف مع الكويت ، فقدمت الحكومة البريطانية تحذيراً عن طريق سفير صاحب الجلالة في القسطنطينية الى الباب العالي بشأن الكويت . ومع ان التحذير كان يلمح

الى انكار ادعاءات تركيا في الكويت الا انه احتوى تأكيدات بأن الكويت تابعة للسلطان . وبعد ذلك بعدة شهور وفي سنة ١٩٠٠ قامت السلطات البريطانية بشرح الامور بوضوح لا يقبل اللبس ، وأكدت ان الكويت ليست مستعدة لقبول اي تغيير في حالتها الراهنة ، ولا هي مستعدة لاجراء اية تنازلات اقليمية لاية دولة اجنبية في اراضيها . وفي سنة ١٩٠١ وبعد عودة شيخ الكويت من حملته الفاشلة على نجد ، قام والي البصرة بزيارته ، وحاول استدراج الشيخ اليائس وقتذاك لقبول اقامة حامية تركية في الكويت،لكنه كان عند الشيخ من العزم الباقي ما يكفي لرفض الطلب . وتجددت المحاولة مرة أخرى في اواخر السنة عن طريق قائد قارب تركي مسلح .. ومرة اخرى فشلت بسبب وجود وجود سفينة حربية بريطانية راسية على الدوام في الميناء . وبعدها اتفقت الحكومة البريطانية والباب العالي على احترام الوضع القائم في الكويت والابقاء عليه كما هو ، ولكن قبل ان تنتهي السنة ، خرج الاتراك على الاتفاقية ووجهوا انذاراً لشيخ الكويت بضرورة استقبال قوات تركية في ارضه ، وتردد الشيخ هذه المرة ، لكن وجود السفن الحربية البريطانية في الميناء طمأنه وجعله يرفض الانذار ، وايقن الاتراك ان شيخ الكويت لم يرفض انذارهم وحده . وبعد عدة اسابيع بدت دلائل هجوم مشترك على الكويت يقوم به الاتراك وابن رشيد ، وقد كان ابن رشيد لبعض الوقت يهدد الكويت وهو بعيد عنها . وتبعاً لذلك تجمعت خمس سفن حربية بريطانية في خليج الكويت ، واتخذت الترتيبات لمعاونة الشيخ ، براً وبحراً ، في صد الهجوم المتوقع . لكن هذه الازمة — التي حدثت في بداية سنة ١٩٠٢ — مرت دون ان تنتج شيئاً .

تركيا تحاول اقتطاع اجزاء من اقليم الكويت :

وحين فشل الاتراك في خططهم للسيطرة على مدينة الكويت ، لجأوا الى اسلوب التحيف منها بالقطاعي ، فاقاموا في سنة ١٩٠٢ قواعد عسكرية لهم في صفوان وام قصر وجزيرة بوبيان ، وكان هدفهم واضحاً

وهو السيطرة على خور عبدالله وشعابه ، حيث لا يمكن اجبارهم على الانسحاب من هذه القاعدة . وفي صيف سنة ١٩٠٢ ، اتخذت الاجراءات في قاعدة بالارض التركية للقيام بعمليات اعتداء وقرصنة من البحر على مدينة الكويت لكن سر المؤامرة ذاع ، وقام قارب بريطاني مسلح بتشتيت تلك السفن في مدخل شط العرب . وفي صيف سنة ١٩٠٢–١٩٠٣ قام ابن رشيد بمظاهرة بحرية امام الكويت ، وبعدها توقفت الاخطار الخارجية وان ظل الشيخ معرضاً للاضطهاد من جانب الاتراك بسبب ضياعه الواسعة في العراق التركي .

تعيين ضابط بريطاني سياسي في الكويت

وفي سنة ١٩٠٤ ، وبعد زيارة قام بها نائب الملك في الهند للكويت في نهاية سنة ١٩٠٣ ، تقرر تعيين مسئول سياسي بريطاني في الكويت ليتابع تطور الاحداث في الكويت والعراق التركي والجزيرة العربية لكن تركيا اعترضت على هذا العمل الذي كان يشكل خرقاً لاتفاقية ابقاء الاحوال السياسية في الكويت كما هي ، فارجيء تنفيذ الامر لعدة شهور .

المصالح الالمانية في الكويت :

ويجب ان نلاحظ ان المانيا — بالنظر الى مشروع خطها الحديدي — كانت لها مصالح وثيقة في الكويت تماماً كتركيا . وكانت زيارة بعثة الخط الحديدي الالماني للكويت في سنة ١٩٠٠ مناسبة من المناسبات التي احتجت فيها بريطانيا على تدخل تركيا في شئون شيخ الكويت ، وابلغت السفير الالماني في القسطنطينية بوضوح في نفس الوقت ان الشيخ ليس حراً في التنازل عن ارض لشركة خط حديد بغداد دون اذن من الحكومة البريطانية .

ومرة اخرى، في سنة ١٩٠١ ، قُدم احتجاج الماني في لندن تعزيزاً

لاحتجاج من جانب تركيا حول موضوع التدخل البريطاني في الكويت ، وكان تحول بؤرة الاهتمام في العلاقات التركية – الكويتية من ميناء الكويت الى خور عبدالله بناء على نصيحة مقدمة من المانيا بشأن تغيير الموقع المقترح لنهاية الخط الحديدي .

المصالح الروسية في الكويت :

وفي بداية هذه الفترة ، كان يعتقد ان للحكومة الروسية مخططاً يهدف لاقامة معينا في الكويت . وفي اوائل ١٨٩٩ ارسل القنصل الروسي العام في بغداد بعض الارمن ممن يحملون جنسيات روسية الى الكويت .. وكان يبدو ان هذا القنصل كان الاداة المختارة لتنفيذ السياسة الروسية في ذلك الجزء من العالم . وبعدها بشهر قام مستر كروجلو بنفسه بزيارة للكويت على الباخرة « جيلاك » وقابل الشيخ وحاول التفاهم معه بهذا الشأن لكن الاتفاقية الشاملة التي عقدها الشيخ مع بريطانيا حالت دون تنفيذ تلك المطالب ، وركزت روسيا بعد ذلك معظم اهتمامها على الجانب الايراني المواجه من الخليج . وخلال الازمة التي حدثت بين شيخ الكويت والسلطات التركية في سنة ١٩٠١ ، اتصل الشيخ بممثل روسيا في بغداد ، في امر ظل مجهولا ، وفي نهاية السنة قامت السفينة الحربية الروسية « فارياج » بزيارة الكويت ، وعرضت على الشيخ عونها لتحقيق استقلاله –الذي كان مهدداً آنذاك–لكن عرضها رفض .

وفي سنة ١٩٠٢ جاء نائب القنصل الروسي في بوشهر الى الكويت على ظهر السفينة الحربية الروسية « اسكولد » . وفي سنة ١٩٠٣ حين زار الطراد الروسي « بويارين » والطراد الفرنسي « انفيرينت » هذا الميناء معاً كان القنصل العام فوق السفينة الاولى . لكن اهتمامات روسيا في الكويت كانت في ذلك الوقت أفلاطونية خيالية .

شئون العراق التركى وعلاقاته الخارجية
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

قد تناولنا حالة العراق أثناء حديثنا عن الحالة الداخلية في تركيا كما اسلفنا ، وكانت العلاقات الخارجية للاقليم قاصرة على المسائل التجارية والعادية .

مزيد من اهتمام الدول الاوربية بالعراق التركي :

وقد توسع التمثيل القنصلي فيه بعض الشيء ، لكن اهم تغير حدث من جانب دولة من الدول الاجنبية كان ما فعلته روسيا ، حين انشأت وكالة قنصلية لها في البصرة سنة ١٨٩٩ ، لتحمي المصالح الفرنسية والروسية معاً . وفي بغداد رفعت درجة الممثل الروسي الى درجة القنصل العام . وعززت بريطانيا تمثيلها ولكن لاسباب اخرى لا لمجرد تقليد روسيا والسير وزاءها .

وفي سنة ١٩٠٣ استبدل الوكيل القنصلي البريطاني في كربلاء بنائب قنصل ، وفي ١٩٠٥ اضيف الى موظفي المقيمية البريطانية في بغداد ملحق تجاري خاص ، وفي ١٩٠٥ ايضاً انتقلت المقيمية البريطانية الى المباني الجديدة التي انشأتها الحكومة البريطانية في بغداد .

شئون عربستان ، وعلاقاتها الخارجية
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

أشرنا الى بعض حوادث عربستان خلال هذه الفترة وذلك ضمن حديثنا عن الحالة الداخلية في ايران ، ويبقى علينا ان نشير فقط الى ما ارتبط منها بالسياسة الخارجية بشكل خاص .

شيخ المحمرة ، والعوائد الايرانية :

تركز معظم الاهتمام في محاولة بذلتها الحكومة المركزية الايرانية ربما بايعاز من روسيا ، للانتقاص من سلطة شيخ المحمرة ، وهي خطة أحبطها العون المقدم من بريطانيا للشيخ . وفي سنة ١٩٠١ اصبح معروفاً ان حكومة الشاه تنوي ان تضع جمارك عربستان ، التي كان الشيخ مسئولا عنها ، تحت الادارة المباشرة للجمارك الايرانية التي اعيد تنظيمها وخاف الشيخ من هذا المشروع خوفاً بالغاً ، لعل منشأه كان ما توقعه من زيادة تدخل الحكومة الايرانية في احواله الداخلية . وفي سنة ١٩٠١ تم بالفعل نقل العوائد ، لكن الشيخ خزعل نجح في الحصول على مهلة وارسل وكيلا عنه الى طهران ليفاوض المسئولين هناك باسمه وبالتشاور مع ممثل بريطانيا في طهران . واخيراً تم التوصل لاتفاقية استعاد شيخ المحمرة بمقتضاها الرياسة الرسمية للجمارك ، على ان يتولى الادارة الفنية بعض الخبراء البلجيكيين ، هذا الى جانب مزايا مالية استطاع الشيخ الحصول عليها كما تركت له بعض اعفاءاته التقليدية من الجمارك . وفي سنة ١٩٠٣ حاولت الحكومة الايرانية الانتقاص من المكانة الاقتصادية التي منحتها لشيخ المحمرة لكن الشيخ نجح في معارضتها بتشجيع من الديبلوماسية البريطانية .

عون بريطانيا لشيخ المحمرة ضد روسيا والحكومة المركزية في ايران:

لم تكن مشكلة الجمارك هذه سوى جانب واحد من مشكلة أكبر هي المركز السياسي للشيخ في مواجهة الحكومة المركزية الايرانية ، وفي هذا المجال الاوسع للصراع افاد الشيخ كثيراً من العون البريطاني . وفي نهاية ١٩٠٢ وبالنظر لاعتداءات طهران على شيخ المحمرة فوض سفير صاحب الجلالة في العاصمة الايرانية ابلاغ الشيخ الذي كان يخشى كل الخشية تدخل روسيا في الامور — بان بريطانيا تتعهد بحماية المحمرة من أي عدوان يجري خارجي يوجه لها ما دام يوالي حكومة الشاه ويستعد لتنفيذ النصيحة التي يقدمها له المسئولون البريطانيون . كما اتصل السفير البريطاني ايضاً بالحكومة الايرانية حول موضوع جنوب عربستان ، واوضح لها ان بريطانيا ، في حين تعترف تماماً بسيادة ايران على المحمرة وتوابعها ، فانها لا تستطيع ان تنظر بلا مبالاة الى اي تغير سياسي قد يحدث هناك ويوقع الضرر بالمصالح البريطانية ، وهي ايضاً ليست مستعدة لان تتيح للدول الاجنبية فرصة التدخل في الشئون المحلية للبلاد . وتلقى السفير رداً طيباً على ذلك من الحكومة الايرانية في بداية سنة ١٩٠٣ ، وبعدها بقليل أعلن عن التوصل الى اتفاقية بشأن عوائد عربستان .. وبمقتضاها انتهت مخاوف شيخ المحمرة ، وتلقى ضماناً رسمياً من الشاه — له ولرعاياه — بحق الملكية في اقاليم المحمرة وفلاحية وهنديان ، وقد كان يخشى ان تحرمه الحكومة من هذا الحق ، وجدد سفير صاحب الجلالة في طهران ضمان العون لشيخ المحمرة .. بل وقام بزيارة المحمرة بنفسه فيما بعد .

سياسة روسيا في عربستان :

وكان موقف روسيا خلال هذا النزاع ، الذي انتهى نهاية سعيدة ، مناوئاً لموقف الشيخ . ففي سنة ١٨٩٩ ، وبعد انقضاء فترة قليلة على زيارة الباخرة الروسية « جلياك » لشط العرب ، جاء القنصل الروسي

العام في أصفهان الى المحمرة ، وبذل جهداً لاستمالة الشيخ اليه ، وابلغه ان روسيا بصدد ان تقيم لها ميناء في الخليج وتدخل في منافسة مع بريطانيا في ذلك الجزء من العالم . وفي سنة ١٩٠٢ وقف ممثل روسيا في طهران بشدة الى جانب استبدال سلطة الشيخ على العوائد الجمركية بهيئة الخبراء البلجيكيين . وخلال سير المفاوضات الدائرة بذلك الشأن في العاصمة ، ظل ممثل روسيا ينتهر مندوب الشيخ ويعامله معاملة جافة كي يوحي اليه بالعمل على تخويف شيخه ودفعه للرضوخ . وكان هذا هو السبب المباشر في تقديم الضمان بالعون البريطاني في نهاية السنة . وعين وكيل قنصل روسي في عربستان سنة ١٩٠٢ في شخص تاجر هولندي مقيم في الناصري (بالاهواز) . وفي سنة ١٩٠٤ قام بعض الرحالة الروس بجولة في جنوب عربستان ، وقامت بعثة روسية تجارية بزيارة المحمرة وقارون ، لكن السياسة الروسية في هذه الفترة هزمت هزيمة ساحقة .

الشيخ وتركيا :

أما علاقة الشيخ بتركيا التي كان له فيها املاك واسعة على الجانب الغربي من شط العرب فقد تميزت بالكرامة والتحفظ لكنها لم تكن ابداً ودية .

المصالح التجارية البريطانية في عربستان :

أما المصالح البريطانية في عربستان ، فقد ظلت نفس المصالح التي كانت في الماضي ممثلة في شركة دجلة والفرات للملاحة البخارية وشركة الساده لانش وشركاه ، كما تواصلت المعارضة المزعجة وحوادث الحظر التعسفي على شحنات القمح البريطانية . وقد حددت معونة الحكومة البريطانية للشركة بعد انتهاء فترة اعطائها السابقة في سنة ١٨٩٩ . لكن حكومة الهند قررت ان تسهم في هذه المعونة لمدة سنة واحدة فقط ، وكان قرارها ناشئاً عن تقسيم المسئوليات المالية في منطقة الشرق الاوسط بينها وبين حكومة صاحبة الجلالة ، لا استهانة بالمصالح البريطانية في نهر

قارون . وفي سنة ١٩٠٢ قامت الحكومة الايرانية باغلاق دور الجمارك في ناصري وشوشتار الامر الذي اضر كثيراً بمصالح بريطانيا ، واصبح مفروضاً باصرار دفع العوائد في المحمرة . لكن امكن سنة ١٩٠٣ اقناع الحكومة الايرانية باعادة النظر في الموضوع والعودة الى الترتيبات السابقة .

وفي نهاية سنة ١٨٩٩ ، افتتح الطريق الذي يربط بين الاهواز واصفهان ماراً باقليم بختياري — وكان العمل قد بدأ فيه خلال الفترة السابقة . وقد قدم هذا الطريق تسهيلات عملية للتجارة . وفي سنة ١٩٠٤ بذلت الجهود لاتخاذ اجراءات افتتاح طريق خرم اباد — الاهواز ، وكانت شركة بريطانية قد حصلت على حق امتيازه ، لكن هذه الجهود توقفت نتيجة اعتداء حدث في بلدة دراكواند لور على ضابطين بريطانيين كانا هناك يقومان بدراسة الظروف السياسية للمشروع على الطبيعة .

وفي سنة ١٩٠٥ تم وضع الترتيبات بين شركة مهمة من شركات الزيت البريطانية وبين خانات منطقة بختياري للتنقيب عن البترول في منطقة شمال عربستان .

مشكلة الري في حوض نهر قارون :

وفي سنة ١٩٠٣—١٩٠٤ اثار مهندس هولندي مشكلة رى جزء من عربستان من نهر قارون ، وهو مشروع لم يسمع احد عنه شيئاً منذ عدة سنين . وتابعت بريطانيا المشروع باهتمام كبير لانها كانت تخشى من من توقف الملاحة البريطانية في نهر قارون دون تعويض عن مصالحها هناك لو نفذته دولة اجنبية . واخير في سنة ١٩٠٥ وفد من الهند مهندس ري بريطاني لدراسة المشروع ، وبعد فحوص على الطبيعة قرر انه مشروع غير عملي ،وعهد اليه باعداد مشروع افضل للري فيما لو دعت الحاجة لتنفيذ مشروع ما .

شئون بريطانيا الرسمية في عربستان :

وقد اشرنا من قبل الى زيارة الوزير البريطاني المفوض في ايران لاقليم المحمرة سنة ١٩٠٣ ، كذلك كان سلفه قد زار من قبل شمال عربستان في سنة ١٨٩٩ . وفي سنة ١٩٠٤ رفعت درجة وكالة القنصلية البريطانية في المحمرة الى درجة القنصلية نظراً للحاجة الى تمثيل ديبلوماسي افضل في تلك المنطقة ، كما اقيمت وكالة قنصلية جديدة ، الحقت بها حامية من الجنود الهنود ، في ناصري (الاهواز) .

★ ★ ★

شئون الساحل والجزر الايرانية وعلاقاتها الخارجية ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

لقد تناولنا التاريخ العام ، لمنطقة الساحل الايراني وجزره ، من جوانبها المتعددة خلال هذه الفترة ، ويبقى فقط ان نشير الى قليل من المشكلات الخارجية الهامة المرتبطة بها .

تحركات روسيا على الساحل الايراني :

لقد اتجه اهتمام روسيا مدة من الزمن للمنطقة السفلى من ساحل الخليج وجزره : ففي سنة ١٩٠٠ وصل الى بندر عباس مستر سيرو مياتنيكوف الذي اثارت بعثته التجارية اهتماماً لاحقاً فيما بعد . وكان وصوله على قارب للاهالي من لنجة ومعه روسيون آخرون حيث طلب الفحم المتبقي من الباخرة الروسية « جالياك » ، لكن نائب الحاكم الايراني في بندر عباس ادعى الجهل بمكان ذلك الفحم الذي كان قد بقي في المكان الذي انزل فيه حتى سنة ١٩٠٤ . بالرغم من طلب مدير الجمارك

البلجيكي نقله الى مكان آخر . وكانت السلطات المحلية تعتبره بالفعل شيئاً تملكه روسيا .

وفي ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٠١ رسا في لنجة الطراد الروسي « فارياج» اثناء عودته من جولة في الخليج ، وتبادل التحيات الرسمية مع مدفعية الميناء . وفي يوم ٢٧ ديسمبر نزل القنصل الروسي العام ، وكان على ظهر الطراد ، وقام بجولة تفتيشية في المدينة وضواحيها . وفي نفس المساء ابحر الطراد الى بندر عباس ، وهناك ايضاً تبودلت التحيات والزيارات الرسمية ، وسمح للجمهور بالصعود الى السفينة . وفي اليوم الاخير من السنة ابحرت « فارياج » من بندر عباس الى كراتشي ، لكن القنصل الروسي العام ظل هناك ، وانشغل بزيارة جزيرة قشم ، وبجمع المعلومات عن عوائد بندر عباس حتى جاء قارب البريد فمكنه من العودة الى بوشهر .

وفي فبراير سنة ١٩٠٢ ، وصل الى لنجة من بوشهر رجل روسي يدعى مستر ريتمان كان ضابطاً عسكرياً على الارجح . وكان واضحاً انه قطع الرحلة بينهما عن طريق البر ، ومن لنجة سار الى بندر عباس ، وزار في طريقه باسيدو ولافت وبلدة قشم وفي ١٩ مارس غادر بندر عباس الى كرمان . وفي مارس سنة ١٩٠٣ قام القنصل الروسي العام في بوشهر مرة أخرى بزيارة لنجة ، على ظهر الطراد الروسي «بويارين» هذه المرة ، وقام باستفسارات حول تمثيل الحكومة البريطانية في باسيدو ورفع العلم البريطاني عليها .

القضايا والمصالح البريطانية على الساحل الايراني :

وكانت طلبات التعويض من الرعايا البريطانيين ومن المتمتعين بالحماية البريطانية تتراكم لعدة سنوات حتى سنة ١٩٠٠ حين بدأ اتخاذ الاجراءات العلمية لتسويتها . وكان بعض هذه الحالات في عربستان

ومكران الفارسية ، وبعضها على الساحل الايراني وجزره ، وقد كان ثمة أكثر من مائة حالة يتراوح اجمالي تعويضاتها بين ٢٥ الف و ٣٠ الف جنيه انجليزي ، واستمرت المحادثات بشأنها دائرة بين السلطات الايرانية والبريطانية سنة ١٩٠٥ ولكن دون تقدم بسبب اصرار الحكومة الايرانية على التأخير والتسويف .

وكانت السلطات البريطانية تشرف اشرافاً دقيقاً على محطة الفحم والمنشأة البريطانية في باسيلو ، التي كان يلوذ بها احياناً بعض اللاجئين الايرانيين من الاقليم نفسه . وفي سنة ١٩٠٤ اعيد احتلال جزيرة هانجام للمواصلات التلغرافية في الظاهر وان كان الغرض الحقيقي من الاحتلال سياسياً . وفي العام التالي قامت الحكومة الايرانية بعمل افزع السكان العرب في البداية وكادوا ان يقاوموه ، وذلك حين امرت بتعزيز قواتها هناك . وفي سنة ١٩٠٥ قام بعض الغوغاء بتظاهرة ضد الوكالة البريطانية في لنجة ولكن امكن تفريقهم .

التمثيل القنصلي البريطاني والاجنبي على الساحل الايراني :

كان معظم نشاط الدول الاجنبية على الساحل الايراني يتمثل في ايجاد مراكز قنصلية جديدة : ففي سنة ١٩٠١ عين قنصل روسي عام في بوشهر ، وفي سنة ١٩٠٤ افتتحت في بندر عباس وكالة قنصلية رفعت في العام التالي مباشرة الى قنصلية . وقد كانت وكالة القنصلية الفرنسية التي افتتحت في بوشهر سنة ١٨٨٩ ما تزال قائمة ، كما كان هناك وكالة قنصلية المانية ايضاً في بوشهر منذ سنة ١٨٩٧ . وفي سنة ١٩٠٥ كان في لنجة وكالة قنصلية تمثل روسيا وفرنسا معاً ، وهي كمؤسسة فرنسية يرجع تاريخ تأسيسها الى ١٨٩٩ ، حين كانت المحاولات تبذل في لنجة للتوسع في توزيع الاعلام الفرنسية على السفن الوطنية .

كذلك حصل توسع مقابل في التمثيل السياسي البريطاني ، جاء

نتيجة حتمية للنشاط المتزايد من جانب الدول الاجنبية . وفي سنة ١٩٠٠ عين نائب قنصل بريطاني (ومساعد للمقيم) في بندر عباس ، وفي ١٩٠٤ رفعت درجته الى قنصل ، ووسعت حدود القنصلية ، والقى على عاتق القنصل ايضاً عبء الاشراف السياسي على اقاليم معينة من الجانب العربي للخليج . وفي ١٩٠٣ اقيمت قنصلية بريطانية في شيراز يرئسها مسئول بريطاني ، وفي ١٩٠٤ رفع بعض العاملين في المقيمية البريطانية في بوشهر الى درجة القناصل ، كما اضيف الى العاملين فيها مساعد تجاري في نفس الوقت ، وفي سنة ١٩٠٥ عزز المقيم بمساعد ثان ايضاً .

شئون اقليم مكران الفارسى وعلاقاته الخارجية
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

خطط روسيا في مكران الفارسي :

سرى أثر الاحداث السياسية خلال هذه الفترة حتى الى اقليم مكران الفارسي ، ففي سنة ١٩٠٠ وفد عليه رجل روسي وصفته صحف بلاده بأنه « استاذ للعلوم الطبيعية بكلية الزراعة في موسكو » ، وهو رجل دفعه فضوله العلمي الى الاهتمام بالقضايا السياسية ، وقد سبق له ان زار بامبور وبلوخستان الايرانية ، لكنه لم يفعل هنا شيئاً . وبعد سنة ١٩٠٠ اصبحت شاهبار هي الهدف الرئيسي لخطوط السكة الحديدية الروسية ، وفي ١٩٠٤ كان ممثل روسيا في لنجة مشتغلا بجمع المعلومات عن العوائد في جوادر .

مشاكل بريطانيا في مكران :

واقيمت وكالة قنصلية بريطانية في بام سنة ١٩٠٥ لكنها لم تستمر طويلا وقد تحقق بعض التقدم في اقليم مكران خلال هذه الفترة بين المسئولين البريطانيين والايرانيين حول مشكلة تعويض الرعايا البريطانيين عن الاضرار والجرائم التي ارتكبت ضدهم . وكانت التسويات التي حدثت في سنة ١٩٠٤ و ١٩٠٥ مرضية غاية الارضاء .

رد الفعل البريطانى لنشاط الدول الاجنبية في منطقة الخليج ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

يتضح مما سبق ان الفترة من ١٨٩٩ الى ١٩٠٥ تميزت بما تهدد سيادة بريطانيا على منطقة الخليج والمرتبطة بها من الهند البريطانية ارتباطاً وثيقاً ، من سياسات الدول الاجنبية ولا سيما روسيا وفرنسا والمانيا . فخطط روسيا البحرية ، ومشروعها لمد خط حديدي في ايران ومشروع فرنسا لاقامة قاعدة بحرية فرنسية في خليج عمان ، والقوى المتجمعة وراء المانيا ومشروع مد الخط الحديدي من البحر المتوسط الى الخليج .. كل هذه امور ذات اهمية فائقة ، رغم ان الدلالة الخطيرة لهذا العمل الاخير منها لم تكن واضحة بعد . وكان على بريطانيا ان تأخذ بمزيد من الحذر لمواجهة النتائج المحتملة لتلك التطورات ، وكان هذا الحذر على كل المستويات : الديبلوماسية والبرلمانية ، والبحرية او العسكرية .. مما سنشير اليه .

حقوق السكك الحديدية في جنوب ايران :

وكان اول اجراء ديبلوماسي قامت به حكومة صاحبة الجلالة هو أن قدمت الى الحكومة الايرانية مذكرة في ابريل سنة ١٩٠٠ تذكرها فيها باسبقية بريطانيا في مد الخطوط الحديدية في جنوب ايران حسب قرار الشاه الصادر في سنة ١٨٨٩ . وكان الدافع لذلك اجتماع عقدته بعثة المساحين الروس في طهران سنة ١٩٠٠ بعد ان قامت بعملية مسح يشامل لجنوب ايران ، وكان يرئسها مسئول روسي وصفته الصحف الروسية بأنه « مدير الخطوط الحديدية الايرانية » . وبناء على تعليمات من حكومة صاحبة الجلالة ، قدم سفيرها في طهران الى وزير الخارجية الايرانية النسخة الاصلية لخطاب الشاه ناصر الدين الذي اشرنا الى مضمونه ، وسنجد

له ترجمة مثبتة في مكان آخر من هذا الدليل . وقد اعترف بصحة هذه الوثيقة كل من الصدر الاعظم ووزير الخارجية . ولم يتمكن ممثل بريطانيا في طهران من رفع الامر الى مسامع الشاه الذي كان وقتئذ عليلا ولكن خطوات عديدة تم اتخاذها للتأكد من وصول العلم بوجود تلك الوثيقة الى الشاه . ولم يتوقف بذل الجهود الاحين تأكد تماماً ان مظفر الدين شاه قد رأى الوثيقة واعترف بالالتزام الناشيء عنها ، كذلك اعترف الوزير الروسي في طهران ، في حديث له مع القائم بالاعمال البريطاني بأنه على علم بوعد الشاه بشأن الخطوط الحديدية في جنوب ايران . ولو صح ان الروس كانوا في ذلك الوقت يسعون للانتقاص الفعلي من حقوق السكك الحديدية الممنوحة لبريطانيا العظمى في جنوب ايران ، فلا شك ان تقديم وثيقة ناصر الدين شاه ، واعتراف ابنه وخليفته بها قد كان رادعاً كافياً لهم .. وربما كان هو السبب الذي جعلهم يتجنبون القيام بعمل ما في الموضوع بعد ذلك .

الاشراف على جمارك جنوبي ايران :

أما الاجراء الدبيلوماسي الثاني الذي اتخذته حكومة صاحبة الجلالة فكان بشأن جمارك جنوبي ايران التي كانت مهددة باحتمال وضع الحكومة الروسية يدها عليها ، وبدأت مناقشة الموضوع سنة ١٨٩٩ على أساس وعد كانت قدمته ايران لبريطانيا في سنة ١٨٩٧ بالا تضع عوائد الجنوب تحت أي اشراف او سيطرة اجنبية . واستمرت المباحثات حتى سنة ١٩٠٤ حين اعترفت الحكومة الايرانية اخيراً بعد تردد طويل بأنها حين وضعت جزءاً من عوائد الجنوب تحت اشراف روسيا ضماناً للوفاء بديونها منها في سنة ١٩٠٠ و ١٩٠٢ فان ذلك لا يعتبر منافاة مقصودة لوعد سنة ١٨٩٧ . وبادرت الحكومة البريطانية لدى تلقيها هذا الرد الذي لم تعتبره كافياً ــ فأبلغت وزراء الشاه رسمياً انه لا بد من الاعتراف بصحة ضمان سنة ١٨٩٧ ، وانه في حالة اية محاولة من جانب

ايران للانتقاص من حقوق بريطانيا المكفولة فيه فستتخذ الحكومة البريطانية من الاجراءات ما تراه جديراً بحفظ احترامها . وقد كان لهذا الموقف الحازم الذي وقفته الحكومة البريطانية طوال مناقشة الموضوع آثاره المثمرة ولا شك ، ولم يكن مستحيلا ، لو انها وقفت موقفاً اقل من ذلك حزماً ان تنتقل عوائد جنوب ايران ، كلها او بعضها ، الى ايدي الحكومة الروسية او الدائنين الروس . وهكذا استبعدت عوائد « فارس والخليـــــــج » من العوائد المرتهنة كضمانات للقروض الروسية ، لكن المشكلة التي بقيت هو تحديد المعنى الدقيق لعبارة « فارس والخليـــــج » ، وهو تعبير رأت حكومة صاحبة الجلالة ، انه يجب اعتباره بموجب تعهد سنة ١٨٩٧ مرادفاً لتعبير « جنوب ايران » الذي يشمل المحمرة .

البيان التجاري الانجلو — ايراني :

واتخذت حكومة صاحبة الجلالة اجراء ديبلوماسياً ثالثاً اشرنا اليه بالفعل من قبل وهو توقيع بيان تجاري بين بريطانيا وايران في اوائل سنة ١٩٠٣ أصبحت بمقتضاه التعديلات السرية التي تجريها روسيا في التعرفة الايرانية غير قابلة للتغيير دون موافقة بريطانيا ، وقد ادى ذلك الى وقف اجراءات لو تمت لادت الى خسائر متزايدة للتجارة البريطانية .

مناقشة في البرلمان تكشف سياسة بريطانيا في الخليج وتحمل انذاراً للدول الاجنبية :

أما الاجراء الديبلوماسي الرابع فكان ذا طابع برلماني ، تضمنه اعلان صدر في ٥ مايو سنة ١٩٠٣ عن لورد لانداون الناطق باسم وزير الدولة للشئون الخارجية رداً على سؤال من لورد لامنجتون ، وهذه هي الفقرة الخاصة بالخليــــــج من الاعلان كما ورد في عدد (٦) مايو من جريدة التايمز :

« والآن انتقل الى الموضوع المرتبط بما ذكرت اوثق ارتباط الا وهو

موضوع الخليج انني متأكد من ان اهتمام جناب اللورد بمشروع خط حديد بغداد راجع لارتباطه الوثيق بمصالحنا في الخليج ، وانا لا اسلم مع جناب اللورد من حيث دوافع الاهتمام الذي اوليه انا لموضوع الخليج ، او من حيث الاعتقاد بأن هذه البلاد تحتل في ملاحة الخليج مكانة تغاير مكانة اية دولة اخرى . وقد ابلغكم جناب اللورد بالحقيقة المجردة وهي انه بفضل اعمال بريطانيا ولقاء الدماء والاموال التي ضحت بها اصبحت الملاحة في الخليج الان مفتوحة للعالم كله . فسفننا نحن هي التي طهرت ذلك المكان من القراصنة ، وهي التي قضت على تجارة الرقيق ، وهي التي وضعت الارشادات والاشارات للملاحة في تلك المياه المضطربة . لا بأس ... والآن ، من مجموع التجارة في موانئ الخليج — والتي بلغت قيمتها حسب ارقام سنة ١٩٠١ — ٣ مليون و ٦٠٠ الف جنيه ... كان نصيب التجارة البريطانية ما لا يقل عن ٢ مليون و ٣٠٠ الف جنيه ، وهذه الارقام تدل على نجاحنا في الاحتفاظ بنصيب عادل لنا من تلك التجارة . لكنه ما من ريب في أننا نحس في الخليج كما نحس في سواه بوطأة المنافسة الاجنبية ، واخشى ان يكون هذا قدرنا لا في مياه الخليج وحده ولكن في كل البحار ، ولا احسب اننا سنستطيع الاحتفاظ بمثل التفوّق الذي نبدأ به لمجرد اننا كنا خلال تطور التجارة رواد العالم في هذا الحقل الحضاري . ولقد طلب الي اللورد النبيل ان اشرح سياستنا في الخليج وانا الخص ذلك في كلمات معدودات . انني ارى ان الواجب يقتضينا قبل كل شيء ان نصون ونحسن تجارة بريطانيا في هذه البحار . ثم اني لا ارى بعد ذلك ان اللورد المحترم يقترح ، او يستطيع أن يقترح ان علينا توجيه مجهوداتنا لطرد التجارات المشروعة للدول الاخرى ، « صياح اسمع .. اسمع » وثالثاً فاني اقولها بلا تردد بأن علينا ان نعتبر تأسيس قاعدة بحرية او ميناء محصن في الخليج من قبل اية دولة على انه تهديد خطير للمصالح البريطانية علينا ان نقاومه بكل ما اوتينا من الوسائل —(هتافات) وانا اقول هذا بغير لهجة التهديد لانه على

احسن ما اعلم ليست هناك الان مشروعات لاية دولة اجنبية لانشاء قواعد بحرية في الخليج . انني شخصياً لم أسمع عن مثل تلك الاقتراحات . ولا استطيع منع نفسي من ملاحظة شدة حماسة اللورد بشأن موضوع التدخل الاجنبي في حين انني متأكد تماماً انه لا يهددنا في الوقت الحاضر » ..

ومنذ اكثر من سنة . وفي لقاء غير رسمي بين لورد لانداون والسفير الفرنسي في لندن في ١٩ مايو سنة ١٩٠٢ اشار لورد لانداون الى انه فيما يتعلق بمنطقة الخليج فان « بريطانيا العظمى ستعارض معارضة قوية — وستقاوم اذا لزم الامر — اية محاولة من جانب دولة اخرى لخلق قواعد استراتيجية او اقامة موانىء محصنة على شواطئه » . وهكذا نستطيع ان نعتبر تصريحه هذا بتاريخ ٥ مايو سنة ١٩٠٣ لا مجرد اندفاع الى اتخاذ قرار مفاجىء .. لكنه تعبير عن السياسة المحدودة الواضحة لحكومة صاحب الجلالة . ولم يفت ملاحظة هذا التصريح الجهات التي كان موجهاً اليها بطبيعة الحال ففي ٦ مايو اشار السفير الروسي في حديث له مع لورد لانداون الى انه قرأ تصريحه باهتمام ، وهو لا يرى فيه شيئاً غير عادي ، واضاف يقول ان لورد لانداون ربما كان يتكلم وهو يعني روسيا لكن روسيا ليست لديها اية فكرة لاقامة قاعدة بحرية في الخليج .

اختيار قواعد بريطانية بحرية في منطقة الخليج بحيث تواجه اية ضرورة او احتمال طارىء :

وقد ارغمت نوايا روسيا الواضحة في سنة ١٨٩٩ لاقامة قاعدة بحرية في الخليج الى جانب اعمال فرنسا في بندر جيسا في نفس السنة الحكومة البريطانية على التفكير في الاجراءات المضادة لها في حالة ما اذا بدأت روسيا — او هي وحليفتها فرنسا — في تنفيذ خططهما .

وليس من الملائم الدخول في تفاصيل الابحاث التي دارت ، او المناقشات التي اعقبتها ، او القرارات التي تم اخيراً اتخاذها ، وحسبنا هنا القول بأن اهتمام الحكومة البريطانية اصبح كله موجهاً الى الموانى

والمرافىء والمواقع البرية بالقرب من مدخل الخليج ، خاصة مواقع معينة على الجزر المواجهة لبند رعباس وللرأس البحري المسمى بـ « رؤوس الجبال » على مضيق هرمز . وفي سنة ١٩٠٢ درست الجوانب الاستراتيجية للموضوع في مؤتمر عقد بلندن شهده ممثل البحرية البريطانية ووزارة الحرب ، ووزارة الخارجية ومكتب الهند . وفي تاريخ تال اقرت لجنة الدفاع الامبراطوري خطط حكومة صاحب الجلالة العسكرية لهذه المنطقة . وسنقصر حديثنا هنا على بعض الاجراءات البحرية الواضحة نوعاً ما والتي وكل تنفيذها لحكومة الهند خلال الفترة من ١٩٠٠ الى ١٩٠٥ :

في سنة ١٩٠٠ كلف القائد هـ. أ. فيلييس الضابط البحري الاول في منطقة الخليج برفع بعض التقارير المبدئية عن المواني والمرافىء الرئيسية في الخليج ، وبعدها مباشرة بدأت القيادة البحرية بدراستها مع مكتب الهند . وفي سنة ١٩٠٣ تمت عملية مسح لكل الشاطىء الايراني من الخليج ولجزء من شاطىء اقليم مكران الفارسي ، وقد انجز هذا العمل هـ. ب. ت. سومرفيل الذي كان اوفد خصيصاً من بريطانيا لتلك المهمة ، يعاونه القائد ت. و. كيمب الضابط البحري الاول في الخليج . وكان الهدف من عملية المسح هو تحديد المواقع التي تتيح افضل المزايا لدولة اجنبية ذات قوات برية ضخمة أن تنشىء ميناء محصناً في شواطىء الخليج الشرقية . وقد اعير اهتمام خاص لتوافر التسهيلات في كل موقع مقترح لربط الميناء عند انشائه بالمناطق الداخلية بسكة حديدية . وفي نهاية سنة ١٩٠٣ ، وخلال جولة للورد كيرزون — نائب الملك في الهند — بمنطقة الخليج ، خصص هو ومرافقه القائد ج. ل. اتكنسون ويلز القائد العام للبحرية كثيراً من الوقت والجد لدراسة المشاكل الاستراتيجية على الطبيعة ، وقد ضمن الامبرال ملاحظاته في تقرير رفع سنة ١٩٠٤ مع ملاحظات حكومة الهند عليه الى حكومة صاحب الجلالة في بريد خاص . وكانت هذه

الاجراءات تتعلق بالاجراءات الدفاعية التي قد يكون من الضروري اتخاذها على مدخل الخليج . لكنهما قاما بزيارة اثناء هذه الجولة لخور موسى وخور عبدالله – وهما موقعان مهمان لاسباب اخرى ، ثم رفعت كل هذه الامور في تقارير منفصلة من حكومة الهند الى حكومة صاحب الجلالة . وقد قامت سفينة صاحب الجلالة « سفنكس » بعملية مسح مبدئي لخور موسى في مايو سنة ١٩٠٣ ، ومسحت خور عبدالله ايضاً بنفس الطريقة في يوليو من العام التالي دون انزال المساحين الى البر . وقد احتجت الحكومة التركية طبعاً على هذه الاعمال . واقترح قائد عام البحرية الملكية اجراء مسح دقيق لخور عبدالله ، واقرته حكومة صاحب الجلالة في نفس السنة ، ووضع في برنامج سفينة المسح التابعة للبحرية الملكية في الهند « انفستجيتور » لسنة ١٩٠٥ – ١٩٠٦ .

كما حدثت عملية مسح اخرى اقل اهمية كان الدافع لها سياسياً اكثر منه تجارياً ، شملت مياه البحرين والحسا وقطر وقامت بها السفينة « انفستجيتور » في ١٩٠١ – ١٩٠٢ . وخلال هذه العمليات كانت تدق الاعمدة على البر ، كما كانت تنزل اليه جماعات من المساحين لربط المسح هناك بمسح البحرين . وقد وصل امر هذا العمل الى الباب العالي ، واثار احتجاجاته .

القاعدة البريطانية في باسيدو :

وتجدد الاهتمام البريطاني بمستعمرة باسيدو وبجزيرة قشم بسبب الوضع الجديد ، وكشفت التحريات في سنة ١٩٠١ ان بقايا القاعدة العسكرية والبحرية البريطانية تتكون من انقاض منزلين كل ذو طابقين ، ومنزل للطبيب المساعد ، ومنزل ومخزن صغير للمقاول ، وثكنة عسكرية صغيرة ونزل صغير : وثلاثة خزانات للمياه ، لكن هذه الاشياء جميعها لم تكن صالحة للاستعمال ، ولم تكن كلها – باستثناء منزل واحد – قابلة للاصلاح . وتبين ان المسئول عن خزن الفحم ، كذلك المسئول عن

العلم البريطاني كانا يشغلان منزلين لهما في حي مجاور وليسا من املاك الحكومة ، فتقرر انه حيث لا حاجة لمنازل الحكومة فلا داعي بالتالي لاصلاحها . ولتأكيد وضع بريطانيا في باسيدو تقرر ان يبقى العلم البريطاني — الذي لم يكن يرفع الا في ايام الاحاد والعطلات ولدى مجيء سفينة بريطانية — مرفوعاً كل يوم من شروق الشمس الى غروبها .

وفي سنة ١٩٠٢ درست مشكلة حدود المستعمرة البريطانية في باسيدو وتبين انها لم تحدد من قبل على الاطلاق . وكان يعتقد ان القريتين المجاورتين ، سنجاو وباسيدو القديمة (والاولى لم يكن بها ساكن واحد ابتداء من سنة ١٨٨٣ ، وتعرف الاخرى ايضاً باسم نخلستان) كانتا ضمن القاعدة البريطانية في اول الامر ، لكنهما اعتبرتا مستقلتين عنها بعد ذلك : الاولى في سنة ١٨٦٤ ، وباسيدو القديمة في ١٨٧٤ على الاقـل . وكـان الضابط الايراني في قشم يتولى جباية الضرائب منهما باسم الحكومة الايرانية . وامرت حكومة الهند — بعد النظر في هذا الامر — بأن تعامل قرية سنجاو على انها ضمن القاعدة البريطانية ، وتهمل باسيدو القديمة لان السلطات الايرانية كانت ما تزال تجمع منها الضرائب في ذلك الوقت . لكن الحكومة الهندية اقترحت على وزير الدولة لشئون الهند امكان بل ومرغوبية الادعاء بحدود للمستعمرة البريطانية في باسيدو وعلى غرار حدود القاعدة البرتغالية القديمة ، اي بما فيها : نخلستان وقلعة حاجي كريم .

وفي سنة ١٩٠١ لفت النظر الى قناة كانت تؤدى من البحر الى باسيدو على طول السواحل الجنوبية لجزيرة قشم حيث ظن بأنها اعمق وأكثر صلاحية لملاحة السفن البخارية من الطريق المألوف ، لكن الوقت لم يسمح باستخدامها في خلال ١٩٠١ — ١٩٠٢ . ورغم ان سفينة البحرية الملكية الهندية « لورانس » قد تحرت هذا الامر الذي ناقشه لورد كيرزون في سنة ١٩٠٣ ، الا انها لم تدرج في برنامج عمليات المسح لسنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ . واخيراً تقرر ان تجرى هذه العملية خلال شتاء

١٩٠٥ – ١٩٠٦ ان لم تعوق ذلك اعمال اخرى أكثر اهمية . وبدأت عملية الهجرة الى باسيدو ، خاصة من لنجة حيث كانت العوائد الامبراطورية الايرانية ترهق التجارة والتجار هناك ، تصبح ظاهرة تستحق الاهتمام ابتداء من سنة ١٩٠٢ . وتقدم تاجر من مدينة قشم كان وكيلا لاحدى شركات تصدير الارز في كلكتا يطلب الى السلطات البريطانية السماح له بانزال عشرة آلاف جوال من الارز في باسيدو ، وبناء مخزن لها بالقرب من المرسى . وبمرور الوقت تكررت مثل هذه الطلبات من اهل لنجة وغيرهم مما اشار الى ان باسيدو يمكن – اذا ساعدت الحكومة البريطانية على ذلك – ان تتحول الى مركز للتوزيع التجاري معفى من العوائد وعلى درجة كبيرة من الاهمية ، غير ان مؤتمراً عقد بلندن سنة ١٩٠٢ لتدارس مشكلات باسيدو والقواعد الاخرى وشهده ممثلون عن البحرية الملكية ومكتب الهند ووزارة الخارجية اوصى بالا تشجع الهجرة الى باسيدو لما قد تسببه من مشكلات سياسية . وكانت الاوامر قد صدرت قبل ذلك بعدم الحيلولة دون الراغبين من البريطانيين بالهجرة الى باسيدو . وكان صدورها من الكولونيل كيمبول المقيم السياسي في الخليج ثم عززت باوامر مماثلة من حكومة الهند . لكنه حذر بعدم اقامة ابنية دائمية وبحصر البناء في المواقع التي يوافق عليها المقيم . وفي مايو سنة ١٩٠٥ امرت حكومة الهند بعدم تشجيع هجرة غير البريطانيين الى باسيدو كلما امكن ذلك ، وامرت ايضاً بأن يراقب المقيم جيداً قدوم مستوطنين جدد ، سواء كانوا بريطانيين او اجانب ممن يقيمون الاكواخ او يبدو عليهم انهم اكثر من مجرد زوار عابرين . وكانت هذه التعليمات كافية لصد تدفق التجار وغيرهم الى باسيدو .

وفي ابريل ومايو سنة ١٩٠١ زار باسيدو بعض المسئولين الرسميين الايرانيين ومن بينهم مسئول عن العوائد قرر ان يجعل في باسيدو القديمة موظفاً دائماً عن الجمارك لمنع تجارة السلاح . ولم يحدث شيء عقب هذه

الزيارة ، لكن السلطات البريطانية في الهند اصدرت تعليماتها بالا يقيم اي مسئول ايراني في قاعدة بريطانية في المستقبل دون موافقة صريحة من الحكومة البريطانية . وقد تكلمنا سابقاً عن زيارة المسيو رتمان الى باسيدو سنة ١٩٠٢ وكذلك الى تحريات باسيك سنة ١٩٠٣ عن المواقع البريطانية هناك كدليلين على اهتمام روسيا بمدخل الخليج .

تجدد العمل في مكتب التلغراف البريطاني بهانجام :

وفي ١٩٠٤ اعيد العمل في مكتب التلغراف البريطاني بجزيرة هانجام بعد ان كان قدتوقف منذ سنة ١٨٨٠ ،واتخذت ترتيبات لمد اتصال تلغرافي ، بعضه بواسطة الكوابل الارضية وبعضه الآخر تحت الماء ، عبر جزيرة قشم من هانجام الى بندر عباس . وفي وقت من الاوقات ، اقترحت السلطات البحرية وضع مكتب التلغراف الجديد في باسيدو ، لكن هانجام تم اختيارها اخيراً لذلك المركز .

بريطانيا واقليم رؤوس الجبال الساحلي :

وكان لا بد ان تهتم السلطات البريطانية — منذ بداية هذه المناقشات الاستراتيجية — بالخلجان الكبيرة في رأس « روس الجبال » ، وكانت المشكلة العملية بالنسبة لتلك المنطقة هي عدم وضوح الوضع السياسي لهذه الاقاليم حتى سنة ١٩٠٥ الامر الذي جعل الخطوات المتخذه بصددها قلقة غير واضحة .

ان اكبر فجوة في روس الجبال هي خور الشام او خليج الفينستون ، الذي يفتح من شبه الجزيرة الى الخليج ، وينقسم عند مدخل مالكولم ، فيمتد منه شكل ذراع حول خليج عمان عليه برزخ صغير هو المعروف باسم « مقلب » ، وخلال المدة من سنة ١٨٦٤ حتى ١٨٦٨ ، وبموجب اتفاقيات تلغراف مسقط لسنتي ١٨٦٤ و ١٨٦٥ ، مد خط ارضي لدائرة التلغراف الهندي — اوروبي عبر في برزخ مقلب ، كما اقيمت محطة تلغراف بريطانية في جزيرة صغيرة بخور الشام . وفي سنة ١٩٠٢ لم تكن

حكومة الهند على يقين مما اذا كانت منطقة روس الجبال هذه تابعة لسلطنة مسقط ام ملحقة بعمان المتصالحة ، ام ان اهلها الخشنين من قبيلتي الشموح والظاهرية مستقلون عن اي سواهم من الناحية القانونية كما هم في واقعهم . فلو كانت روس الجبال من اراضي سلطان عمان فيجب ان تخضع في معاملتها للاعلان البريطاني — الفرنسي لسنة ١٨٦٢ ، ويجب ان تتجنب بريطانيا اي عمل لا يتسق وهذا الاعلان . اما لو كانت تابعة لواحد او أكثر من المشايخ المتصالحين ، او كانت مستقلة تماماً .. فان الحكومة البريطانية سيكون لها مطلق الحرية في اتخاذ ما تشاء من اعمال دون ان تنتج عنها مشاكل دولية .

وكانت اولى توصيات حكومة الهند المقدمة في سنة ١٩٠٢ تتسق وكل وجهات النظر فيما يتعلق بملكية روس الجبال ، فقد جاء فيها انه يجب اعادة احتلال مركز التلغراف في خور الشام ، ورفع العلم البريطاني عليه ، وجعل وكيل وطني يقيم في باسيدو ، وان يعتبر الخط الساحلي الممتد من ديبه الى خور كلبه — على الحافة الشرقية لجبال عمان — تابعاً للشارقه ، وبالتالي خاضعاً للاتفاقية المبرمة بين شيخ الشارقة والحكومة البريطانية ، ووافقت حكومة صاحب الجلالة على هذه التوصيات .

وفي سنة ١٩٠٤ — عقب زيارة لورد كيرزون وجولته في الخليج وتفحصه للخلجان الموجودة في روس الجبال — اقترحت حكومة الهند ، التي كانت تميل في ذلك الوقت الى اعتبار هذا الاقليم غير تابع لسلطان عمان عقد اتفاق مع القبائل المجاورة يصبح للحكومة البريطانية بمقتضاه حق رفع علمها حين تشاء على برزخ مقلب وجزيرة غنم وخليج التلغراف . وقد وافقت حكومة صاحب الجلالة على هذا الاقتراح لاول وهلة وارسلت ساريات الاعلام المصنوعة من اعمدة حديدية يبلغ ارتفاع الواحد منها ٣٨ قدماً الى المواقع المختارة ، حيث قام جنود صاحب الجلالة برفع الاعلام البريطانية عليها في ٢١ و ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٠٤ .

وفي اوائل سنة ١٩٠٥ — وبالنظر الى عملية التحكيم في قضية العلم الفرنسي التي كانت تدور وقتذاك في لاهاي تجمعت معلومات جعلت من المستحيل اعتبار روس الجبال شيئاً سوى انها جزء من سلطنة عمان . وما كان هذا في حد ذاته يستوجب التخلي عن السواري لولا ان صعوبة اخرى نشأت بصدد نوع العلم الذي يرفع وذلك في سنة ١٩٠٤ وقد اعترضت امرالية البحر البريطانية على ابقاء الاعلام مرفوعة، مدفوعة في رأيها هذا قبل كل شيء بكونها المسئولة عن المحافظة على هذه الاعلام التي لو ظلت موجودة دون اعلان نظام للحماية وضم رسمي لعدن اليها سوف تغري الدول الاخرى برفع اعلام لها هي الاخرى في مواقع مجاورة . ولم يسلم امر رفع الاعلام يوم رفعت بسرية تامة على جزيرة غنم من ملاحظة ضمن مقال في جريدة الاهرام القاهرية ربما كان كاتبه هو مستر جوجويير، وظهر في عدد الجريدة الصادر بتاريخ ٢١ يونيو سنة ١٩٠٥ . وهكذا تقرر انزال تلك الاعلام ، ولكن ارجيء التنفيذ حتى تنتهي اجراءات التحكيم في لاهاي واخيراً قامت سفينة التلغراف « باتريك ستيوارت » بالتنفيذ في ١٨ اكتوبر سنة ١٩٠٥ ، ووجد العلم في جزيرة غنم على ساريته كما هو ، اما في مقلب فقد قام عرب المناطق المجاورة بانزاله عن ساريته وتمزيقه وترك العلم في جزيرة التلغراف كما هو ريثما تعاد دراسة المسألة كلها .

مشروع اقامة فنار بريطاني :

وفي سنة ١٩٠٤ اقترحت حكومة الهند اقامة فنار (منارة) لخدمة الملاحة الانجليزية من ناحية . ولتعزيز مكانة الانجليز السياسية في اقليم روس الجبال من الناحية الاخرى ، واقترحت اقامته اما على نهاية الطرف الساحلي لروس الجبال ، او في جزيرة من الجزر الثلاث المعروفة باسم قوينيس (سلامة وبناتها) ، واتخذت الاجراءات بالفعل للبدء في هذا العمل ، لكن المشروع توقف ربما نتيجة تغير وجهة نظر الحكومة البريطانية فيما يتعلق بملكية روس الجبال ، وتوقف المشروع رغم ان الشركات الملاحية في الخليج ظلت تتبناه وتدافع عنه .

مظاهرات بحرية بريطانية

كانت البحرية البريطانية تقوم بين الحين والآخر بمبادرات من حكومة الهند بمناورات ترد بها على استعراضات القوة من جانب البحرية الفرنسية والروسية . من ذلك مثلا ارسال حكومة الهند بواخر ذات قوة عظيمة في الخليج ، ومنها ايضاً الجولة التي قام بها لورد كيرزون – نائب الملك في الهند – في نهاية سنة ١٩٠٣ ، وكانت مظاهرة واستعراضاً للقوة في منطقة الخليج لا تستطيع دولة اوربية اخرى ان ترقى الى مستواها .

وفي ١٩٠١ قامت سفينة صاحب الجلالة « هاى فلاير » ، وهي السفينة رافعة العلم التى تقل القائد البحري العام لاسطول شركة الهند الشرقية ، الاميرال بوسانكوست ، بجولة في الخليج فزارت صور ومسقط وبوشهر وبندر عباس . وكانت اضخم سفينة تحمل أضخم مدافع شهدتها مياه الخليج .

ورداً على زيارة الباخرة الروسية « فارياج » للخليج في ديسمبر سنة ١٩٠١ ، قامت باخرة صاحب الجلالة « امفيتريد » بزيارة مماثلة ، وهي سفينة من الدرجة الاولى تبلغ حمولتها ١١,٠٠٠ طن ، وقد كانت في طريقها من الصين الى انجلترا – يقودها كابتن ويندهام وصدرت لها الاوامر بتغيير خط سيرها فوصلت عدن في اول يونيو سنة ١٩٠٢ ، ثم رست في خليج بيسوت مساء ٤ يونيو ، وقامت باستخدام أضوائها الكهربية بعد هبوط الظلام . وفي ٥ يونيو سارت موازية لساحل اقليم ظفار ، وقضت الليل خارج جزيرة كوريا موريا . وفي ٦ يونيو توقفت خارج رأس مدركة وانزلت فرقة منها كي تقوم باستعراضات في الفروسية . وفي ٨ يونيو وصلت الباخرة مسقط واطلقت لتحية علم السلطان احدى وعشرين طلقة . وفي اليوم التالي قام ضباطها بزيارة السلطان ، وقام السلطان برد الزيارة في اليوم التالي حيث شهد كيفية

اطلاق مدافعها في البحر خارج الميناء . وكان اطلاق النار موفقاً وسر السلطان به سروراً عظيماً ، كما سمح لبعض اهالي مسقط بالصعود الى السفينة والفرجة عليها . وفي نفس اليوم — بعد ان نزل السلطان الى البر — واصلت السفينة مسيرتها الى صور تحمل ميجر كوكس الوكيل السياسي في مسقط الذي ظل على ظهر السفينة اثناء ما بقي من جولتها . ومن صور غادرت الى مسقط — مروراً بسبب وبزكة — وفي ١٣ يونيو وصلت الى بندر عباس . وفي الصباح قامت باطلاق ٢١ طلقة للتحية ، وتم تبادل الزيارات بين ضباطها ونائب الحاكم الايراني في المدينة . وفي مساء ١٤ رست السفينة في هانجام ، وفي ١٧ وصلت الى بوشهر ، وكان مفروضاً بعدها ان تقوم بزيارة البحرين غير انه روئي العدول عن الزيارة لخطورة اقتراب سفينة لها مثل ذلك الغاطس من ساحل البحرين . وفي بوشهر — التي وصلتها يوم ١٨ — اطلقت السفينة مدافعها تحية للعلم الايراني وقام ضباطها بزيارة الحاكم ، ثم عبرت الخليج الى الكويت . وهناك استقبلها الشيخ جابر — الابن الاكبر للشيخ الحاكم نظراً لغياب والده — استقبالا حسناً ، ولدى هبوطها الخليج رست على مرمى النظر من الدوحة بقطر ، وزارت ساحل عمان المتصالحة في ٢٢ يونيو ، وطافت حول مسندم في مساء ٢٣ . وفي خليج عمان رست السفينة خارج بديه في اقليم الشمالية ، وختمت جولتها يوم ٢٥ بانزال ميجور كوكس في مسقط . والواقع ان مشهد هذه السفينة الرائعة قد ترك انطباعات عميقة في كل مكان زارته .

وكان الرد المباشر على جولة السفينة الروسية « اسكولد » في الخليج في ديسمبر سنة ١٩٠٢ هو إصدار الاوامر — في الشهر التالي — بزيارة الخليج لسفينة صاحب الجلالة « رناون » — وهي سفينة مقاتلة من الطراز الاول كان على ظهرها دوق كونوت قاصداً دلهي لحضور حفلات التتويج وكانت في ذلك الوقت غير مرتبطة بمهام اخرى . ولسنا مبالغين لو قلنا ان مياه الخليج لم تحمل من قبل سفينة كهذه . خرجت « رناون »

من بومباي في ٢٥ يناير سنة ١٩٠٣ فزارت مسقط وبوشهر ولنجة وبندر عباس وجاشك ، لكنها لم تستطع زيارة الكويت لاستحالة رسو غاطسها الضخم في مياهه ، واستقبل سلطان مسقط ونائب الحاكم الايراني في بندر عباس وغيرهما من كبار المسئولين على ظهرها .

أما التفاصيل الكاملة للجولة التاريخية التي قام بها لورد كيرزون في الخليج فسنذكرها في مكان تال .

★ ★ ★

البحرية البريطانية والاجراءات العسكرية ١٨٩٩ ــ ١٩٠٥

تنظيمات البحرية البريطانية في منطقة الخليج :

حين كانت الحكومتان البريطانية والهندية تدرسان بعناية مشكلة الاستعدادات الدائمة التي يجب ان تكون عليها البحرية البريطانية في الخليج لمواجهة الطوارىء الضرورية ، ظهرت ايضاً مشكلة التنظيم العادى للامدادات والاشخاص ــ في زمن السلم ــ وكان لا بد من بحثها .

فحسب الاتفاقية المبرمة في ١٨٩٥ والتي تحددت مدتها بعشر سنوات تنتهي في ٣١ مارس سنة ١٩٠٦ ، وبالنظر الى اتفاقية المعونة التي كانت حكومة الهند تدفع بمقتضاها ضريبة سنوية قدرها ١٠٠ الف جنيه انجليزي ــ وضعت اربع سفن من البحرية الانجليزية تحت تصرف حكومة الهند لتنفيذ المهام الخاصة في المياه المحلية .. من هذه السفن الاربع قاربا مدفعية وطرادتان ، خصص منها قارب المدفعية « سفنكس » للخليج ، لتنفيذ الخدمات التي بني اصلا للقيام بمثلها . لكنه ثبت من الناحية العملية

ان سفينة واحدة لا تكفي اعمال الخليج .. وطوال المدة من ١٨٩٧ الى ١٩٠٢ كان عدد سفن صاحب الجلالة الموجودة في الخليج على مدار العام يتراوح بين سفينتين وثلاث . وفي سنة ١٩٠٢ وبالنظر الى رغبة الانجليز في إحكام سيطرتهم واشرافهم على خليج عمان منعاً لتصدير الاسلحة والذخائر من مسقط الى الساحل الايراني فقد اوصت حكومة الهند بتسليح سفينة الملاحة الهندية « لورانس » واعدادها للعمل حين الطلب الى جانب سفينة صاحب الجلالة « سفنكس » وغيرها من سفن البحرية البريطانية ، واوصت ايضاً بضرورة وضعها لاغراض القتال تحت اوامر سلطات الامبرالية ... ولكن حكومة صاحب الجلالة رأت أن مثل هذا العمل ينطوي على مشكلات قانونية ومصاعب أخرى لذلك لم ينفذ .

وفي سنة ١٩٠٣ قدمت الامبرالية في سبيل زيادة كفاية البحرية البريطانية بشكل عام اقتراحاً وافق عليه وزير الدولة لشئون الهند كما وافقت عليه حكومة الهند ايضاً لانه لم يكن يتضمن اية زيادة في المبلغ السنوي الذي تدفعه . كان هذا الاقتراح يرمي الى انشاء اسطول صغير مكون من ثلاثة قوارب مدفعية يكون قاصراً على الخدمة الدائمة في مياه الخليج واستثناء المراكب الكبرى من العمل المنتظم في الخليج نظراً لان غاطسها الضخم يحدد استخدامها ، وان يقوم اسطول شركة الهند الشرقية بجولة سنوية اثناء فترة برودة الجو في الخليج ؛ وبهذا يتيح لقوارب المدفعية الدائمة ان تعود للهند من اجل الصيانة واجازة بحارتها . وكان من نتائج هذا الاقتراح انقاص عدد السفن المخصصة لحكومة الهند من اربع ، اثنتين كبيرتين واثنتين صغيرتين ، الى ثلاث فقط كلها صغيرة، غير ان حكومة الهند كانت ترى ان حماية الخليج امر له من الاهمية بالنسبة لها بما يبرر الغاء سفن الخدمات الخاصة في المواقع الاخرى . وفي اكتوبر سنة ١٩٠٤ وضعت هذه الترتيبات موضع التنفيذ ، واصبح في الخليج ثلاث سفن مدفعية : « سفنكس » و حمولتها ١١٣٠ طناً ،

« لاب ونج » وحمولتها ٨٠٥ اطنان ، و « مارلين » وهي احتياطي موقت وبديل لسفينة صاحب الجلالة « ردبريست » وحمولتها ٨٠٥ اطنان . وسحبت من الخليج السفينتان « فوكس » وحمولتها ٤٣٦٠ طناً ، « بوسيوس » وحمولتها ٢١٣٥ طناً . وانقص عدد الضباط والبحارة الاوربيين العاملين على ظهر سفن الخليج الحربية من حوالي ٧١٦ رجلا الى حوالي ١٢٤ . وهو تخفيض يعزى في الدرجة الاولى الى ابدال الاوربيين بأسيويين ، وحددت المياه التي يمارس فيها هذا الاسطول عمله بخط تصوري يمتد من عدن جنوبي سوقطرة الى بومباي . ورتبت الامور بحيث تعود كل من السفن بدورها — خلال اشهر الصيف الخمسة — الى كولومبو للتغيير والتدريب . وكانت موافقة حكومة الهند على هذه الاقتراحات التي اقترحها القائد العام للبحرية موافقة موقتة فقط ، فرفعت الى وزير الدولة اقتراحاً باستبعاد خليج عدن (باستثناء سوقطرة) من مجال خدمة السفن الهندية ، وباضافة سفينة خاصة ذات غاطس مضيء للعمل فيما جاور جزر البحرين وفي الخلجان والمياه الضحلة على رأس الخليج ، تعويضا عن قارب المدفعية المستغنى عنه هناك . واكدت حكومة الهند بأن منطقة الخليج بحاجة دائمة لثلاث سفن : واحدة لمطاردة القراصنة في موسم التمور على رأس الخليج ، والاخرى لخفر شواطىء اللؤلؤ والضحلة حول جزر البحرين ، والثالثة لمراقبة المياه بين مسقط وبندر عباس .

وفي ابريل سنة ١٩٠٥ قدمت قيادة البحرية البريطانية مشروعاً جديداً . يقضي بانهاء الاجراءات المطبقة عندئذ والعود بالواجبات التي تقوم بها بحرية صاحب الجلالة في مياه الهند الى البحرية الملكية الهندية ، وتسليم السفن : « سفنكس » و « لاب ونج » و « ردبرست » الى البحرية الهندية لضمها الى سفنها . ولم تقبل حكومة الهند هذا المشروع ، برغم بعض مزاياه المتمثلة في زيادة اشرافها على جزء من القوة البحرية في المياه الهندية ، وتكوين جهاز من الضباط لهم كفاءات محلية ، ورفع

مكانة البحرية الهندية . اذ ان هذا كله لا يعادل فقدان مكانتها في الخليج ، التي تظهر فيه عادة سفن حربية لدول اوربية اخرى ، الى جانب انقاصه عموماً لفعالية القوة البحرية ، وما يؤدي اليه من تضحية ببعض المصالح الهندية التجارية ، واقلال من التعاون بين البحرية الملكية البريطانية والبحرية الهندية ، الى جانب مشاكل تنظيم اجازات البحارة الهنود والمحافظة على صحتهم ، واستيلاء البحرية الانجليزية على مصالحهم المباشرة في الخليج . لهذا كله تمسكت حكومة الهند بالرأي الذي سبق ان ابدته في سنة ١٩٠٢ بأن الحل الوحيد للمشاكل في الموقف كله هو تسليح سفن خاصة من البحرية الهندية تعتبر عند الضرورة سفناً ملحقة بالبحرية الانجليزية وليس بديلة عنها ، وهكذا لم يقبل مشروع القيادة البريطانية ، وظل العمل باجراءات سنة ١٩٠٤ قائماً ، ولم تجهز السفينة ذات الغاطس المضيء التي اقترحتها حكومة الهند على اية حال .

وفي يونيو ١٩٠٣ كلفت القيادة البحرية الانجليزية ممثلي بريطانيا السياسيين في كل من بوشهر ومسقط وبندر عباس ولنجة بأن يخطروها تلغرافياً في المستقبل عن وصول ورسو واقلاع كل سفينة اجنبية تحمل مقاتلين او امدادات او ما يتعلق بذلك في موانيهم .

وتم حل مشكلة طلقات التحية التي تطلقها سفن البحرية البريطانية في الخليج في سنة ١٩٠٠ وصدقت حكومة صاحب الجلالة على الجدول التالي :

المناسبــة	التوقيت	عدد الطلقات
عيد ميلاد صاحبة الجلالة الملكة (في كل مكان من الخليج)	ظهر يوم ٢٤ مايو من كل سنة	٣١
يوم أعلان جلالتهــا امبراطورة للهند (في كل مكان من الخليج)	ظهر يوم أول يناير من كل سنة	٣١
يوم ميلاد صاحب الجلالة شاه ايران (في الموانى الايرانيــة فقط)		٢١
زيارة رسمية يقوم بها صاحب السمو سلطان مسقط	لدى انتهاء الزيارة	٢١
زيارة رسمية يقوم بها صاحب العظمة حاكم بوشهر	» » »	١٧
زيارة رسمية يقوم بهــا المقيم السياسى في مسقط	» » »	١٣
زيارة رسمية يقوم بها الوكلاء والقناصل ورؤساء البعثات	» » »	١١
زيارة رسمية يقوم بها القنصل العام	» » »	١١
زيارة رسمية يقوم بها واحد من القناصل	» » »	٩
زيارة رسمية لشيخ الكويت	» » »	٧
زيارة رسمية لشيخ البحرين	» » »	٥
زيارة رسمية لشيخ أبو ظبى	» » »	٥
زيارة رسمية لشيخ دبى	» » »	٥
زيارة رسمية لشيخ الشارقة	» » »	٣
زيارة رسمية لشيخ عجمان	» » »	٣
زيارة رسمية لشيخ ام القوين	» » »	٣
زيارة رسمية لشيخ رأس الخيمة	» » »	٣

وبهذه المناسبة ايضاً حددت طلقات التحية التي تطلق لكل من الحاكم الايراني في المحمرة ولنجة وبندر عباس بخمس طلقات .

وفي سنة ١٩٠٢ تقرر ان تقوم مدافع البحرية باطلاق سبع طلقات تحية للمقيم البريطاني المساعد في بندر عباس ، فبرغم انه قنصل مساعد أي انه ليس واجب التحية الا ان هذا القرار اتخذ لاسباب محلية . وكانت تحية ممثل بريطانيا في مسقط – من حيث هو قنصل – سبع طلقات فقط ، لكنه – كوكيل سياسي لحكومة الهند كان يتلقى احدى عشرة طلقة ، وتقرر في سنة ١٩٠٣ بالرغم من بعض المصاعب التي اثارتها تقاليد التحية هذه مع بعض المسئولين الديبلوماسيين للدول الاجنبية ان لا يخفض عدد طلقات التحية المعتادة لهؤلاء .

القوات العسكرية والبحرية البريطانية في الخليج :

وسنجد في التذييل رقم ١ – الملحق بهذا الفصل – بياناً بمؤسسات الجيش الهندي والبحرية الهندية والقائمة في الخليج سنة ١٩٠٥ وتكاليفها . هذا وفي سنة ١٩٠٤ زيدت الحراسة للقنصلية البريطانية في ايران ، فكان هناك ١٣٠ فارساً هندياً موزعين على ١٢ قنصلية بريطانية ، الى جانب الحرس الهنود المشاة حول مختلف القواعد القنصلية والبرقية في الخليج .

الاعمال البريطانية الرسمية ذات الطابع العام أو التجارى فى الخليج ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

المسح البحري البريطاني في الخليج :

اشرنا من قبل الى إعمال المسح البحري التي كان هدفها خدمة الاسطول الحربي أكثر من خدمة التجارة في منطقة الخليج ، غير ان أعمالا اخرى نفذت وكان لها طابع عادي ايضاً . لقد كانت المراكز التي رؤي انها مناسبة اكثر من غيرها للملاحة التجارية في منطقة الخليج هي بوشهر والكويت والبحرين ومدخل شط العرب ، كما ان مسح المدخل الجنوبي الى باسيدو ـ الذي اشرنا اليه تحت عنوان سابق ـ كان ذا هدف تجاري الى حد ما .

ميناء بوشهر :

ولقد أوصى المقيم العام في الخليج سنة ١٩٠٢ باعادة مسح ميناء بوشهر ، قاصداً بذلك اساساً التأكد من امكانية رسو البواخر الكبيرة على الميناء الداخلي في (خور الدايره) ، بسبب الحاجة للتزود بالفحم على مسافة سبعة اميال من البر . وفي سبتمبر ١٩٠٣ وافقت ايران على مشروع اعادة المسح بشرط ان يكون لها ممثل يراقب هذا الاجراءات وان يقوم موظفو الحكومة الايرانية بوضع العلامات التي يتطلب الامر وضعها على البر . وفي سبتمبر سنة ١٩٠٤ ، وقبل ان تبدأ هذه المشاريع استولت الهواجس على الحكومة الايرانية فراحت تسأل فجأة ما اذا كان هذا ينتظر منها المساهمة في نفقات المشروع ام لا . وتلقت رداً بالنفي ، لكنها عادت في الشهر التالي فأكدت انه مهما كانت نتيجة ذلك المسح ، فهي لن تقوم بتعميق ميناء بوشهر ، ولن تسمح لحكومة الهند ان تقوم بذلك ، واختيرت سفينة المسح « انفستجيتور » التابعة للبحرية الهندية بقيادة همنج

لتنفيذ المهمة . وغادرت السفينة بومباي في اكتوبر سنة ١٩٠٤ واتمت عملها في ٢٢ نوفمبر من نفس السنة . واوضحت النتائج ان ميناء بوشهر لم يكد يدخل على تصميمه اي تعديل منذ سنة ١٨٥٧ ، وان تعميق المرسى الداخلي والطريق المؤدية اليه من البحر لاستعمال السفن ذات الغاطس الثقيل امر لن تكون له قيمة كبيرة طالما ان حاجز شط العرب يحدد حجم السفن المستخدمة في الخليج ، كما اوضحت النتائج ان حفر قنال السفن ذات الحجم المتوسط من المرسى الداخلي حتى رصيف خور سلطاني امر مفيد وتنفيذه ليس بالغ الصعوبة في نفس الوقت . وقد تم مسح ذلك الجزء من الميناء بين خور دايره وخور سلطاني بدقة وتفصيل أكثر من الباقي ، غير انه لم ترسم للميناء خريطة تفصيلية كبيرة تلافياً لاثارة شكوك المندوب الايراني .

ميناء الكويت :

وفي اوائل سنة ١٩٠٣ نصح القائد كمب (بكسر الكاف) باعادة مسح ميناء الكويت ، فوافقت حكومة الهند على اقتراحاته بهذا الصدد ثم صدقت عليها حكومة صاحب الجلالة . وفي صيف سنة ١٩٠٤ — وبموجب اتفاقية جديدة — بدأت البواخر البريطانية تفد الى ميناء الكويت . وفي نوفمبر من نفس السنة بدأت سفينة البحرية الهندية « انفستجيتور» عملها في مسح الميناء بعد ان فرغت لتوها من بوشهر ، لكن عملية المسح هذه اوقفها وباء خبيث ألمّ ببحارة السفينة واصاب ٣٤ رجلا من ٧٠ فتحتمت عودتها الى بومباي في ١٢ ديسمبر . ورجعت السفينة مرة أخرى الى الكويت في نهاية فبراير سنة ١٩٠٥ لكن عملية مسح الميناء كانت متعذرة التنفيذ قبل نهاية موسم العمل وعلى اية حال فهي لم تنته الا بعد عامين من ذلك التاريخ . واثناء عملية المسح اتخذت اجراءات للتأكد مما اذا كان يمكن تحسين مراسي القوارب في المدينة التي كانت تجف اثناء جزر المياه ، لكن وجد ان التحسين المطلوب غير ممكن بغير مد حاجز الامواج لمسافة ربع ميل داخل البحر ، وهي

عملية لم يكن احد يستطيع التنبؤ عما اذا كانت نتائجها تبرر ما ينفق عليها . على ان هذه العملية — ادت الى حسن التعرف على مزايا ميناء الشويخ ، وهو ميناء جيد الحماية وصالح للملاحة يبعد ثلاثة اميال غربي المدينة ، وفي مايو سنة ١٩٠٥ شرعت حكومة الهند في اقامة منارة بحرية على نفقتها الخاصة في رأس الارض ليهدي السفن المتجهة الى خليج الكويت بدل المنارة القديمة التي كانت الشركة البريطانية للملاحة البخارية في الهند قد اقامتها هناك . ولم يسمح الاتراك لمسح الانجليز لميناء الكويت بالمرور دون اعتراض ، بل كان يصحب احتجاجاتهم هذه المرة تشويه مغلوط للحقائق واتهامات بالدسائس السياسية .

حاجز شط العرب :

وفي يوليو سنة ١٩٠٤ اقترح القائد العام للاسطول تعديل وضع عوامات ارشاد السفن التي كانت الشركة البريطانية للملاحة في الهند قد اقامتها لتحدد للسفن مدخل شط العرب على ان تتحمل حكومة الهند مستقبلا تكاليف العوامات الجديدة . ووفقاً لذلك ... قامت السفينة « انفستجيتور » بتعديل مكان العوامة الموجودة على الحاجز وعوامتين داخليتين ودفعتهما ناحية الشرق لتحدد مجرى القناة الاكثر عمقاً في الشط ، وودت حكومة الهند — لخشيتها من المشاكل الدولية — ان تستولي على هذه العوامات من الشركة البريطانية للملاحة ، وكانت الاخيرة متلهفة لتسليمها للحكومة بشروط خاصة .

خور القليعة بالبحرين :

واستخدمت سفينة صاحب الجلالة « ردبريست » بقيادة القائد هـ. ب. ت. سومرفيل في شتاء ١٩٠٤ — ١٩٠٥ لفحص خليج خور القليعة في جزيرة البحرين . وكان من المؤمل ان يكون به تسهيلات للملاحة اكثر من المتوفر منها في ميناء المنامة . وقد كشف هذا المسح عن صعوبة المدخل ورخاوة المرسى . ولم تتخذ اية خطوات لاستغلال

الخليج أكثر من اقامة منارة دائمة لتحديد مدخل الميناء . وقامت سفينة البحرية الهندية « انفستجيتور » باعادة مسح ميناء المنامة وما حوله في سنة ١٩٠١ — ١٩٠٢ .

تأليف دليل الخليج :

أدى تزايد اهمية الخليج بعد سنة ١٨٩٩ الى ظهور الحاجة لوجود ملخص تاريخي وجغرافي لهذه المنطقة يستخدمه المسئولون السياسيون ، وأصدر لورد كيرزون اوامره بجمع مواد هذا الدليل التاريخي والجغرافي للخليج وعمان ووسط جزيرة العرب في سنة ١٩٠٣ — ، وبدأ العمل فيه في العام التالي . وفي شتاء ١٩٠٤—١٩٠٥ قام الكاتب يعاونه مستر ج. س. جاسكين الذي أصبح فيما بعد المقيم التجاري المساعد في بغداد ، والملازم س. ه. جابرييل الذي كان مرشحاً لوظيفة سياسية في حكومة الهند وتم تعيينه بها بعد ذلك ، قاموا معاً بجولة في الخليج من اجل جمع المعلومات لهذا الدليل . ومن الاماكن التي زارها الكاتب في ذلك الوقت مسقط وصحار والشارقة والبحرين والكويت والبصرة وبغداد وكربلاء والمحمرة وبوشهر وبندر عباس وجاشك ، وكان قد سبق للكاتب ان صحب لورد كيرزون في جولته بالخليج في نهاية سنة ١٩٠٣ . اما المسح التفصيلي لمختلف اقاليم الخليج لاغراض هذا الدليل فقد اتمته بعثة هندية برياسة شير جانج في شتاء ١٩٠٤ ، وقامت البعثة برسم خريطة تفصيلية كبيرة لجزر البحرين ، ولاقليم الكويت وما جاوره وما بينه وبين الحدود التركية ، ولشبه جزيرة بوشهر ، ولهذا الاقليم من عمان الذي يعبر حدود مدينتي مسقط ومطرح .

رحلات واستطلاعات يقوم بها ضباط بريطانيون من اجل هذاالدليل

كما قامت رحلات استكشافية اخرى عديدة ، بعضها كان مستقلا والآخر مرتبطاً بعمل هذا الدليل ، ففي ١٩٠١ قام كابتن ب. ز. كوكس وكان حينئذ الوكيل السياسي في مسقط ، يصحبه ضابط من قوة المخابرات

العسكرية في سيملا — هو الكاتب ه. ه. داودنج بجولة في وادي. طاعن في سلطنة عمان من البحر حتى رأس الوادي ، وعادا الى مسقط عن طريق وادي سمايل. وفي ١٩٠٢ قام ميجور كوكس — دون ان يصحبه اوربي واحد هذه المرة — بجولة طولها ٤٠٠ ميل عبر عرض عمان من أبو ظبي الى مسقط ، وحصل على معلومات جديدة عن اقليمي الظاهرة وعمان انفسها ... وكان ميجور برتون ، نائب قنصل صاحب الجلالة ملك بريطانيا في المحمرة هو اول من تعرف على نهر الجراحي في اقليم عربستان والذي كان مجهولا حتى ذلك الوقت (١٩٠٤) كما قام أيضاً بابحاث في جغرافية اقليم الفلاحية وطبيعة الارض المجاورة لخور موسى . وفي العام التالي سافر اثنان من علماء التاريخ الطبيعي الى اقليم عربستان .. هما كولونيل بيل وارد ومستر وورتام كما قام الملازم د. ل. ر. لوريمر ، نائب قنصل صاحب الجلالة في الاهواز ، باستطلاعات مفيدة ايضاً في عربستان في سنة ١٩٠٤ وما بعدها . وفي شتاء ١٩٠٥— ١٩٠٦ قام ميجور ب. ر. كوكس بعدة رحلات مفيدة وهو في منصب المقيم السياسي للخليج لحل مشكلات طبوغرافية تتعلق بالدليل وقد زار فيها ديلم بهبهان والنهر الهندي ومعشور ونهر الجراحي والبوزية والفلاحية والبهمنشير وقوبان ، وحدد في رحلاته هذه بدقة مجرى النهر الهندي والقى الضوء على ارتباط خليج خور موسى الهام بنهر قارون والبهمنشير ، وكانت هذه المواقع جميعاً غير مفهومة بوضوح قبل رحلته. كما قام براً برحلة من رأس الخيمة الى صحار عبر البريمي ، وصحبه في هذه الرحلة الملازم س. أ. سكوت من البحرية الهندية ، كي يحدد بدقة مكان واحة البوريمي التي نجدها موضوعة خطأ على كل الخرائط . وفي ١٩٠٥ قام كابتن نوكس ، الوكيل السياسي في الكويت ، بجولة طويلة بجنوبي هذا المكان ، وفي العام التالي قام نفس الضابط برحلة وصل فيها الى حفار وهي معلم من المعالم الهامة على مبعدة ١٦٠ ميلا من الكويت ، ولم يسبقه الى هذا المكان رحالة اوربي رغم ان كثيرين تحدثوا عنه .

وبين سنة ١٩٠٣ و ١٩٠٥ استطاع المسئولون السياسيون بما جمعوه من معلومات من الاهالي ان يحققوا معرفة جغرافية كاملة بكثير من الاقاليم المجهولة الواسعة في شرقي جزيرة العرب ، وقد قام بدور ضخم في هذه المهمة الصعبة كابتن برايدكس الوكيل السياسي في البحرين ، وميجور كوكس المقيم السياسي في الخليج .

الاستطلاعات الجيولوجية في الخليج :

وقام مستر جي. بلجريم من مكتب الابحاث الجيولوجية الهندية بمسح جيولوجي شامل لساحلي الخليج ، كما قام بمزيد من الابحاث لتحديد أماكن وجود المعادن فيها ، وأتم هذا العمل خلال شتاء ١٩٠٤–١٩٠٥ وسنجد نتائجه ملخصة بقلم الباحث نفسه في احد ملاحق هذا الدليل . ويبدو ان دكتور فون كرافت ودكتور اولدهام من المكتب الجيولوجي الهندي كانا قد قاما بدراسة عملية للفحم في الأقليم الممتد في عمان وراء صحار سنة ١٩٠١ .

الابحـاث الاثـرية :

واهتمت حكومة الهند ايضاً بتكوينات عصور ما قبل التاريخ في جزر البحرين ، فاتخذت الترتيبات لاستخراج عينات من هذه التكوينات ودراستها ، كما قامت ايضاً بارسال بعثة للتنقيب عن الآثار القديمة بالقرب من جناوه على الساحل الايراني .

الملاحة البخارية البريطانية وما يتعلق بها من خدمات في الخليج :

ولقد كان الاسراع في تحسين خدمات البريد بالسفن البخارية سنة ١٩٠٤ من ابرز الانجازات الهامة لهذه الفترة ، وجاء هذا التحسين نتيجة زيادة الاعانة التي كانت تتلقاها شركة الهند البريطانية للملاحة البخارية من اجل ايجاد خط سريع للبريد الى جانب خط الشحن البطيء . وقد بلغ قدر هذه الزيادة — التي تحملتها كلها حكومة الهند — مبلغ

٣٠٠ الف روبية في السنة ، وحدد متوسط السرعة للخط السريع بـ ١٣ عقدة في الساعة ، والبطيء بثماني عقد . واصبحت الكويت للمرة الاولى من الموانئ التي تقف عليها بواخر الشركة ، كما ان بواخر الشركة أصبحت تزور دبي بانتظام مع انها لم تكن داخلة في جدول الرحلات .

وكانت حكومة الهند تدفع اعانة بريدية قدرها ٢٤ الف روبية في كل سنة لشركة دجلة والفرات الملاحية لتسيير خط بريدي منتظم كل اسبوع بين البصرة وبغداد وبالعكس وذلك لمدة عشر سنوات تبدأ من ١٩٠٤ .

التلغراف البريطاني في الخليج :

وتميزت هذه الفترة ايضاً بامتداد اول خطوط للبرق في الخليج ، على نطاق واسع لاول مرة منذ سنة ١٨٦٩ ، وقد املت ذلك اعتبارات سياسية واستراتيجية فضلا عن المزايا التجارية .

خط تلغرافي بين جاشك ومسقط :

وعولج النقص في اتصال مسقط بالعالم الخارجي باجراءات سريعة ، فمد اول خط تلغرافي بين جاشك ومسقط بدأ العمل به في نوفمبر سنة ١٩٠١ . ورغم ان هذا المشروع قامت به اساساً حكومة صاحب الجلالة الا انها لم تدفع من ميزانيتها اية اعانة لحكومة الهند من اجل تنفيذه .

ربط بندر عباس تلغرافياً :

ومشروع آخر كان اهم من الاول واخطر بدأته حكومة الهند سنة ١٩٠٠ مع هذا الاول ، غير ان اجراءاته تلكأت قليلا بالنظر الى رفض حكومة صاحب الجلالة المساهمة في تكاليفه من ناحية ، ولبعض العقبات الفنية من الناحية الاخرى . وكان هذا المشروع يهدف الى ادخال بندر عباس ضمن شبكة الخطوط التلغرافية للخليج ، وكانت خطة المشروع ان يلتف خط من الخطوط الموجودة بين جاشك وبوشهر حول

خليج بندر عباس ، ولكن في ١٩٠٢ اقترح القائد العام للاسطول ان يمتد الاتصال التلغرافي الى باسيدو ، عن طريق كابل ارضي في هانجام التي كانت مركز تلغراف بريطاني من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٨٠ . ومن هانجام يمتد فرع الى بندر عباس ، واخيراً قبلت حكومة صاحب الجلالة هذا المشروع البديل بناء على نصيحة لورد كيرزون الذي زار هانجام في سنة ١٩٠٣ .

وفي ابريل سنة ١٩٠٤ مد احد خطوط بوشهر حول الجزيرة ، وأعيد تشغيل محطة التلغراف فيها دون ابلاغ الحكومة الايرانية حسب نصوص امتياز سابق منها كان ما يزال قائماً . وبعدها في مايو سنة ١٩٠٥ استطاع وزير صاحب الجلالة في طهران استصدار تصريح من الشاه بمد خط في هانجام يكون جزء منه « هوائي » (عبر جزيرة قشم) والآخر تحت الماء الى بندر عباس . وكان المقرر ان يشغل الخط موظفون ايرانيون وان يعود الى ملكية ايران ، متى تممت الاخيرة دفع كامل اقساط تكاليفه.

خط التلغراف الايراني المركزي :

وبالاضافة الى وسائل الاتصال التلغرافي بين ايران والهند ، انشيء في سنة ١٩٠٢ خط تلغراف ايراني مركزي غير ان اثره على الخليج كان ضئيلا .

رسوم التلغراف البريطاني في اقليم مكران الايراني :

وفي ١٨٩٩ حدث تغيير هام فيما يتعلق بمعونات التلغراف التي كانت تدفع للرؤساء المحليين في اقليم مكران الايراني مقابل حماية الخطوط الممتدة في اراضيهم . وكان جوهر التغيير هو اعادة توزيع تلك الضرائب على قاعدة اوسع ؛ فبعض الرؤساء الصغار في المناطق الملاصقة للساحل كانت خدماتهم الآن مطلوبة ولذا اضيفوا الى قائمة المنتفعين بالاعانات ، ونقص بالتالي نصيب الرؤساء الكبار في الاقاليم الداخلية .

بعثات تجارية بريطانية الى منطقة الخليج :

ونظراً لتزايد النشاط التجاري من جانب الدول الأجنبية في ايران ومنطقة الخليج ، فقد وجهت حكومة صاحب الجلالة وحكومة الهند اهتماماً خاصاً للتجارة البريطانية والهندية في المنطقة ، وارسلت بعثتان تجاريتان لدراسة المشكلات التجارية على الطبيعة .

بعثة مستر ماكلين :

فاما البعثة الاولى فقد اوفدها من انجلترا المكتب الاستشاري للتجارة والمخابرات التجارية ، وكان يرئسها مستر هـ. و. ماكلين الذي كان منذ زمن غير بعيد مدير البنك الامبراطوري في ايران ، والذي شهدت له خبرته بايران ومعرفته الوثيقة باحوال التجارة فيها بكفاءة تؤهله لرئاسة البعثة . وغادر مستر ماكلين انجلترا في بداية سنة ١٩٠٣ ، ونزل في بومباي في طريقه الى ايران ، وطلب الى حكومة الهند ان تقدم اليه كل العون الذي تستطيعه ، فاستجابت لهذا الطلب بحماسة واقترحت عليه ان يولي أعظم اهتمامه لتجارة الشاي والبن والنيلة والمصنوعات القطنية الهندية الى جانب المسائل العامة المتعلقة بالتعرفة الجمركية الايرانيه وآثارها على التجارة ، وان يعمل على ايجاد معدلات للتعرفة وفق القيم لمنتجات البلاد المختلفة ، اذ كان المطبق خطأ آنذاك وضع تعرفة واحدة على مختلف درجات النسيج وانواعه مثلا مما تختلف اثمانها اختلافاً واسعاً . وقام مستر ماكلين في نطاق التعليمات التي لديه بزيارة مراكز التجارة الرئيسية في شبه جزيرة العرب التركية وايران بما فيها بندر عباس وبوشهر والبصرة وبغداد وكرمان شاه وهمدان وتبريز وطهران واصفهان .

وحين قارب العودة من اصفهان متجهاً الى لندن صدرت اليه اوامر جديدة بأن يتجه في طريق عودته الى مسقط حيث كانت تقيم بها منذ فترة طويلة بعثة تجارية من « اتحاد التجار الفرنسيين في آسيا » ، وكتب مستر ماكلين ثلاثة تقارير ضافية وقيمة . الاول بتاريخ ٥ ديسمبر سنة

١٩٠٣ من طهران ، وهو خاص بالتعرفة الجمركية الايرانية الجديدة ، والثاني أكمله في راشت بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٠٣ ويتناول فيه كل جوانب التجارة البريطانية في ايران ، والتقرير الثالث خاص بعمان وعمان المتصالحة والبحرين والكويت ، ويضم نتائج ابحاثه في هذه المناطق بعد توسيع نطاق بعثته ، وقد ارسل الى لندن بتاريخ ١٢ ابريل سنة ١٩٠٤.

بعثة مستر نيوكومن :

وارسلت البعثة التجارية البريطانية الثانية من الهند تحت اشراف الحكومة الهندية ، وكانت تابعة لبعثة مستر ماكلين ، واقتصر عملها على منطقة جنوب شرقي ايران التي كانت خارج نطاق بعثة ماكلين لكنها كانت ذات اهمية خاصة بالنسبة للتجارة الهندية .

وكان ميجور ب. م. سايكس ، قنصل صاحب الجلالة في كرمان ، هو الذي اقترح ارسال هذه البعثة ووضع بنفسه خطتها وقام بكل الترتيبات اللازمة لها في ايران وأجل اجازة كانت مستحقة له ليحقق للبعثة أكبر نجاح ممكن . وتقاسمت نفقات هذه البعثة الحكومة الهندية بالاشتراك مع الغرفة التجارية للهند العليا والبنغال . وقد استشيرت الغرفة التجارية لبومباي وكراتشي ايضاً بشأن البعثة لكنهما اعتذرتا عن القيام بمشاركة ايجابية فيها ، واخيراً تم تشكيل البعثة برياسة مستر أ. كليد او نيكومن يعاونه مستر لوفمان ومستر ريان ، وكان نيكومن — الى جانب خبرته الطويلة لمدة سبع سنوات كواحد من اكبر مزارعي الشاي في الهند — يتمتع بخبرة أخرى بانواع التجارة الشرقية المختلفة ، وقد اعترفت به الحكومة الهندية في ٨ اكتوبر سنة ١٩٠٤ رئيساً للبعثة وممثلا لغرفة الهند العليا والبنغال التجارية ومندوباً عن اللجنة الهندية لمزارعي الشاي . وتمت الترتيبات المالية على اساس ان تتكفل الهيئات التجارية ذات المصلحة في ايفاد البعثة بدفع مرتب المبعوثين لمدة ستة أشهر الى جانب ثمن العينات التجارية التي سيأخذونها معهم ، كما كان على

حكومة الهند دفع تكاليف الانتقال من ايران واليها ، وتكاليف رحلتهم داخل الارض الايرانية مع ما يتكلفونه من خيام واثاث وخيل ... الخ .

وابحرت البعثة من بومباي في ١٣ اكتوبر سنة ١٩٠٤ ، ووصلت بندر عباس في ٢١ منه ، وهناك ظلوا في الحجر الصحي حتى مساء يوم ٢٤ . ورغم ان الترتيبات كانت قد اعدت مع الحكومة الايرانية لتقديم مختلف التسهيلات للبعثة ، الا ان افرادها لقوا معاملة سيئة ومهينة من مستر كاترسل مدير الجمارك البلجيكي في بندر عباس .. لكن هذه المعاملة لم تتكرر ابداً طوال رحلة البعثة في ايران ، وقد لاحظت الحكومة الايرانية تصرفات كاترسل ، وبعدها بقليل ، ونتيجة شكوى الوزير البريطاني امر الشاه بابعاده من بندر عباس وتعيينه في وظيفة اخرى . وقد استقبلهم في بندر عباس خان بهادور أصغر علي ، القنصل البريطاني المعين في بام ، وصحبهم في الطريق المساعد الطبي تفضّل علي — الذي وضعته حكومة الهند في خدمتهم ، وصحبتهم كوكبة من حرس الفرسان الهنود كانوا في سبيلهم لقضاء اجازتهم في كرمان ، كما رافقهم ايضاً حرس عسكري ايراني . ومن بندر عباس سافرت البعثة الى سعد اباد فوصلتها في ٢٥ نوفمبر ، واستقبلها ميرزا رضا خان الذي ارسلته الحكومة الايرانية للقائهم خارج طهران . وفي ٢٧ نوفمبر انضم اليهم ميجور سايكس ، وفي ١٦ ديسمبر وصل الجميع الى كرمان .

وكان مقرراً ان تسافر البعثة من كرمان الى سجستان ومنها تعود الى جوادر على الساحل عبر ماجس وكوهاك . ولكن تبين ان هذا الطريق لن يكون مريحاً فتعدّل سير الرحلة بعد موافقة حاكم الهند ، واقتصرت عمليات البعثة في اقليم بلوخستان على جولة من كرمان الى بام وجيروفت ، ثم وصلت البعثة بام في ١٤ يناير سنة ١٩٠٥ وعادت في ٢٠ يناير الى كرمان ، ومن كرمان سارت الى يزد فبلغتها في ١٦ مارس وشيراز في ١٨ ابريل ، ومن شيراز عادت البعثة بالطريق المألوف الى بوشهر ومنها ابحرت الى الهند في ١٩ مايو .

وفي كرمان مرض مستر لوفمان ومستر ريان بالحمى ، وفي يزد التوت قدم مستر نيوكومن ، وفي ٣١ مارس اطلقت النار على طليعة البعثة المتقدمة في مهر اباد بين يزد وشيراز وجرح احد الفرسان الايرانيين المرافقين لها جراحاً خطيرة .. وكانت هذه هي اهم العقبات التي واجهت مستر نيوكومن وبعثته .

واقتصر عمل البعثة على الشئون التجارية فقط ، وفي هذه لقيت عون المسئولين في القنصلية البريطانية . وكانت علاقات المسئولين الايرانيين بالبعثة ودية اينما حلت ، وفي غير مكان واحد استقبلت بحفاوة بالغة . لكن ممثلي روسيا في ايران بذلوا كل جهودهم للايهام بأنها بعثة سياسية وراءها أهداف خبيثة . وتلقى وزير صاحب الجلالة في طهران ذات مرة شكوى تزعم ان اعضاء البعثة كانوا يلتقطون الصور الفوتوغرافية ويرسمون الرسوم التخطيطية ، وانهم افصحوا عن اهتمام بالغ بقوة الجنود الايرانيين وتسليحهم ، وان اعضاء البعثة ليسوا الا ضباطاً عسكريين ، لكن ضمانات المسئولين البريطانيين انهت كل شيء بالنسبة للحكومة الايرانية .

كانت هذه البعثة ناجحة وفق كل مقاييس النجاح . فقد استطاعت تجميع قدر هائل من المعلومات التجارية المفيدة بفضل كفاية مستر نيوكومن وحماسته للعمل ، وعرضت السلع البريطانية ــ خاصة الشاي ــ واعلن عنها في اسواق جديدة كل الجدة .. ثم ان هذه الجولة الطويلة التي قطعت اكثر من ١٧٩٠ ميلا ــ قد القت الاضواء الكثيرة على حالة التجارة واوضاعها العامة في جنوب ايران .

أعمال مختلطة للبريطانيين فى الخليج
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

الاجراءات البريطانية لضمان الامن البحري في الخليج :

لم تضطرب الحالة في البحار خلال هذه الفترة اضطرابا ملموساً الا على سواحل قطر والحسا وشط العرب ، اي في تلك المناطق من الخليج التي كانت تحت الحماية التركية او كانت تركيا تزعم انها تحت حمايتها .

خارج قطــر :

فقد وقعت عدة غارات للقراصنة على الساحل المواجه لقطر حيث كان الهدوء قد ساد مدى عدة سنين وذلك في سنة ١٨٩٩ و ١٩٠٠ ، لكن ضغط الانجليز على شيخ قطر ، رغم زعمه ألا حول له ولا قوة ما دام الاتراك يحتلون الدوحة ،قد أدى الى ايقاف مثل الاعمال المذكورة .

وعلى طول ساحل الحسا ، وبعد ان ظلت هذه المنطقة ايضاً هادئة سنين طويلة ، حدثت في سنة ١٨٩٩ غارة قرصنة رهيبة ، ومن يومها حتى نهاية هذه الفترة ظلت الامور في هذه المنطقة مضطربة اضطراباً شديداً . وكان زعيم القراصنة عضواً مطروداً من الاسرة الحاكمة في البحرين تربطه علاقة قرابة بقبيلة عربية قوية على الساحل . ولم تنفع احتجاجات السلطات البريطانية المبثولة ، فالمسئولون الاتراك في المنطقة كانوا إما يتجاهلونها او يردون على المتقدمين بها رداً متعجرفاً لا يبالي . وقامت سفينة صاحب الجلالة « سيفنكس » بزيارة القطيف سنة ١٩٠٢ لكنها لم تحقق نتائج مرضية ، وفي اواخر هذه السنة قبض الاتراك على القرصان الذي اشرنا اليه ، لكنهم مكنوه من الهرب ، سواء عن عمد او غير عمد ــ وعاد نشاطه مرة اخرى يهدد المنطقة ، وفي سنة ١٩٠٥ قام

الوكيل السياسي البريطاني في البحرين بزيارة القطيف مرتين ، وقابل المسئول التركي هناك لكنه لم يستطع التوصل لاية نتائج .

في شط العرب :

أما في شط العرب ، فبعد عامين من الهدوء بدأت عمليات القرصنة تشتد في سنة ١٩٠٠ في النهر وقرب مصبه ، وحدثت عدة غارات بعضها بالغ الخطورة ، وكانت الضحايا في أغلب الاحوال سفناً انجليزية او هندية او بحرينية او ايرانية ، وبذل البريطانيون جهوداً كثيرة لحث الايرانيين والاتراك على القيام بعمل مشترك لوقف تلك القرصنة ، كما كانت السفن البريطانية تقوم في بعض الاحيان بعمل مباشر لقمعها . وابدى شيخ المحمرة بعض استجابة للمساعي البريطانية ، وفي سنة ١٩٠٥ بدأ يظهر بعض التحسن في الموقف نتيجة مجهودات الشيخ ، غير ان الرعايا البريطانيين لم يحصلوا على أية تعويضات عن الاضرار التي لحقت بسفنهم من جراء القرصنة التي وقعت لهم في اثناء ملاحتهم النهرية .

تجارة السلاح وقمع البريطانيين لها في الخليج :

وقد ازدادت تجارة الاسلحة والذخائر ازدياداً خطيراً ، وبدأت الاثار السيئة لتلك التجارة تظهر لا في منطقة الخليج فقط ، حيث كان حملة الاسلحة من رعايا تركيا وايران يسهمون في تقويض حكومتي بلادهم في الاقاليم ، بل وظهرت ايضا على الحدود الشمالية الغربية للهند البريطانية . فالى هناك كانت تنقل الاسلحة بكميات ضخمة من الخليج عن طريق القبائل التي تقيم في الهضاب ، وزاد هذا من صعوبة السيطرة على حدود هي صعبة بطبيعتها . ومن وقت لآخر كان تجار الإسلحة يغيرون الطرق التي يسلكونها ، لكنه مع مرور الوقت اصبحت طرقهم أقرب للثبات واكثر انكشافاً بحيث سهل تتبعها وفهمها بالتالي . وكانت اهم مناطق تصدير السلاح هي مسقط ، حيث كانت المعاهدات العديدة

بينها وبين دول اوروبا وامريكا تجعل التجارة حرة ومباحة ، وكان امراً غير عملي ان يضمن قبول فرنسا - الدولة الاوربية الثانية بعد بريطانيا من حيث اتساع المصالح في مسقط -لاي تعديل من جانب سلطان عمان في ارتباطاته ومعاهداته التي قد تمكّن الحاكم من استبعاد تلك التجارة من اراضيه . وكانت القاعدة الثانية لنقل السلاح هي الكويت حيث اصدر شيخها حظراً اسمياً على تجارة السلاح حسب نصيحة الانجليز في سنة ١٩٠٠ لكن هذا الحظر ظل اسمياً فقط . وكانت الكويت هي السوق الرئيسية التي يحصل منها المتحاربون في وسط الجزيرة والعراق التركي على حاجاتهم من السلاح والذخيرة . وقد صدر قانون يحظر هذه التجارة في عمان المتصالحة سنة ١٩٠٢ ، الامر الذي حصر الصعوبة الباقية في الحيلولة دون تصدير الاسلحة من مسقط حيث لم يعد ممكناً ضمن القانون تنزيلها في أي ميناء في الخليج او خليج عمان ما عدا قطر التي لم تكن مهمة ولم يكن شيخها على علاقة بالحكومة البريطانية . واتخذت اجراءات - بمشورة سلطان عمان - لكبح تصدير الاسلحة المصدرة من مسقط غير ان هذه المهمة كانت عملا ميئوساً منه كل اليأس. اما على الساحل الايراني فلم تكن الاجراءات الرادعة مستحيلة تماماً ، وكانت الحكومة التركية في أحيان كثيرة تصادر السفن المحملة بالاسلحة والذخائر ، كما ان افتتاح قنصلية بريطانية في بندر عباس سنة ١٩٠٠ كانت له ايضاً اثاره في تثبيط تجار السلاح الافغانيين الذين كانوا قد بدأوا استخدام ذلك الميناء في تجارتهم . وحوالي سنة ١٩٠١ وضح ان هؤلاء التجار قد جعلوا من اقليم مكران الايراني مركزاً لنشاطهم ، وفي العام التالي تم التوصل الى ترتيبات بين الوكيل السياسي البريطاني والحاكم الايراني العام في كالات لمنع ادخال الاسلحة والذخائر الى اقليم مكران حيث كانت السوق هناك مغرقة بالاسلحة المكدسة ، الامر الذي كان يشير الى استمرار وصول الاسلحة الى هناك . كما كان يعني وجود تجارة بالاسلحة في الاقاليم الابعد من مكران . وكان تطور هذه التجارة

عبر مكران قد اصبح من الخطورة بمكان ، حيث ان قبائل الافغان على حدود الهند الشمالية الغربية كانوا من هذه السوق يتزودون بكميات هائلة من الاسلحة والذخائر . لهذا بحث سنة ١٩٠٥ اقتراح بقيام البحرية البريطانية بمنع تصدير السلاح من مسقط .. ولم يؤد هذا الاقتراح إلى نتيجة محددة خلال هذه الفترة التي نحن بصددها ، ولكن كان من نتيجته فيما بعد ضرب حصار بحري بريطاني على كل تجارة السلاح في خليج عمان .

تجارة الرقيق :

لقد وجهت لتجارة الرقيق ضربة قاصمة في هذه الفترة ، وكانت هذه التجارة ما تزال موجودة بضعف حتى قام البرتغاليون سنة ١٩٠٢ بعمليات واسعة ضد سفن الرقيق كان لها اثرها غير المباشر على منطقة الخليج . حيث كانت مدينة صور العمانية ما تزال تؤوي عدداً كبيراً من تجار الرقيق الذين قبض عليهم في شرق افريقيا ، فأصبحت صور ترتدي عليهم ثياب الحداد .

الاجراءات الصحية البريطانية في الخليج :

كان الطاعون الدملي ما يزال منتشراً في الهند . وكانت المسئولية الصحية عن منطقة الخليج ملقاة على عاتق السلطات البريطانية السياسية فيها لا سيما في ايران حيث عهدت الحكومة الايرانية هناك الى تلك السلطات بالسيطرة الكاملة على اجراءات الوقاية الصحية في البلاد .

في ايران :

وفي سنة ١٨٩٩ ارسل خبير طبي بريطاني من الهند الى ايران ليقاوم انتشاراً محدوداً للطاعون حدث في بوشهر ، لكن اقتراحاته استثارت ضوضاء كبيرة في صفوف الاهالي الجهلة الذين استبد بهم القلق ... فلم يمكن عمل شيء .. لكن الوباء لحسن الحظ سرعان ما خفت حدته ،

وفي سنة ١٩٠٣ وبتحريض من روسيا ، طلبت حكومة ايران فجأة نقل مسئولية الاجراءات الصحية في موانيها من ايدي الانجليز الى ايدي موظفي الجمارك الايرانيين ، وفي سنة ١٩٠٤ — ونتيجة جهود طبيب في القنصلية الفرنسية ببوشهر — بذلت مساع لنسف صلاحيات طبيب المقيمية البريطانية في بوشهر لكن الاحتجاجات الشديدة المتكررة من جانب السلطات البريطانية في طهران ادت الى صدور امر الحكومة الايرانية بالا يتدخل موظفو الجمارك في عمل المسئولين البريطانيين عن الصحة في مختلف المواني .

في سلطنة عمان :

وقد كان موقف سلطان عمان فيما يتعلق بالمسائل الصحية في البداية موقفاً غير مرض ابداً بسبب صعوبات كثيرة كانت قائمة بينه وبين الحكومة البريطانية . لكنه اخيراً في خريف سنة ١٩٠٠ عهد بالادارة الصحية لميناء مسقط الى المسئول الطبي البريطاني هناك ووضع تحت امرته عدداً من المساعدين المؤهلين اتى بهم من الهند على نفقته .

في البحرين :

وظل شيخ البحرين يرفض ادخال الاجراءات الوقائية ضد الطاعون في بلاده . وفي سنة ١٩٠٠ بلغت مساوىء الجهاز الصحي الذي كان شيخ البحرين قد عينه حداً جعل حكومة الهند تصر على الغائه . وفي ١٩٠٥ وبمجرد ظهور وباء الطاعون في البحرين بادرت حكومة الهند الى اتخاذ الخطوات الضرورية لمكافحته عن طريق وكيلها هناك .

العيادات البريطانية في البحرين والكويت :

وفي سنة ١٩٠٤ افتتحت صيدلية وعيادة خارجية في الكويت تابعة للوكالة السياسية البريطانية هناك ، وفي ١٩٠٥ افتتحت حكومة الهند مستشفى الملكة فيكتوريا التذكاري في البحرين بتبرعات خاصة جمعت في سنة ١٩٠١ .

أمور بريطانية رسمية ١٨٩٩ ــ ١٩٠٥

موت صاحبة الجلالة الملكة فيكتوريا وتتويج صاحب الجلالة الملك ادوارد السابع :

أثارت اخبار وفاة صاحبة الجلالة الامبراطوزة الملكة فيكتوريا في ٢٢ يناير سنة ١٩٠١ موجة من الاسى والحزن شملت جميع القواعد في الخليج . وفي بوشهر قام كل الرعايا البريطانيين والاوربيين والهنود بزيارات خاصة لدار القنصلية لتقديم التعازي ، كذلك فعل ايضاً شيخ البحرين للتعبير عن حزنه واسفه ، اما في مسقط فقد امر السلطان بإعلان الحداد واغلاق المحلات العامة واطلاق ١٠١ طلقة من المدافع . كان الشعور العام يخيم عليه الحزن والاسى ، واحتفل الجميع بتتويج جلالة الملك الامبراطور أدوارد السابع في سائر الانحاء الداخلة ضمن مقيمية الخليج في اول يناير سنة ١٩٠٣ .

تقسيم النفقات والمسئوليات بين الحكومة الام وحكومة الهند :

وفي سنة ١٩٠٠ تمت تسوية العلاقات المالية بين حكومة صاحبة الجلالة وحكومة الهند بشأن نفقات التمثيل السياسي والقنصلي في ايران ، ووضع قانون يقضي باقتسام هذه النفقات مناصفة بين الحكومتين في المستقبل .

وفي سنة ١٩٠٤ تنحى سير مورتيمر دوراند من مكتب الخدمات المدنية في الهند عن مسئوليته كسفير لصاحب الجلالة في ايران ، بعد ست سنوات من الخدمة . وفيما يلي ١٨٩٩ الى ١٩٠١ ، ادمجت وظيفتا الملحق العسكري والسكرتير الشرقي للسفارة في وظيفة واحدة اصبح يتولاها ضابط بريطاني من الجيش الهندي ، اما بعد ١٩٠١ فقد اصبحت وظيفة الملحق العسكري هي الوظيفة الوحيدة في طهران التي يتولاها ضابط من الهند .

« خاتمـة »

تلخيصاً لما سبق نقول ان اول هجوم على سيادة بريطانيا في الخليج ابتدأ بزيارة اول مساح روسي لهرمز في سنة ١٨٩٥ ، لكن التهديد لم يصبح امراً خطراً الا في سنة ١٨٩٩ حين حاول الفرنسيون اتخاذ قاعدة بحرية لهم في عمان ، وقد اكتسب الهجوم الاجنبي ابعاداً كبيرة بسبب حرب جنوب افريقيا من ١٨٩٩ الى ١٩٠٢ خاصة في مراحلها الاولى حين توهم البعض ان نفوذ بريطانيا في سبيله للانكماش . وشهدت هذه الفترة ايضاً الاستعداد من جانب روسيا لاقامة قاعدة بحرية لها في الخليج ، ومد خط حديدي عبر ايران الى البحر ، وانشاء خط روسي للملاحة البحرية والتجارة يقوم بعملياته في منطقة الخليج ، وجهوداً موصولة من جانب فرنسا لزيادة نفوذها في عمان — كما ظهرت اعراض — لا يمكن انكارها — في نفس الوقت تشير الى وجود سياسة مشتركة بين روسيا وفرنسا في منطقة الخليج ، وصحبت هذا النفوذ الاجنبي الحاد استعراضات للقوة البحرية من جانب روسيا وفرنسا ، وزيادة التمثيل القنصلي لروسيا في منطقة الخليج .

وبالخروج التدريجي للامبراطورية البريطانية دون خسارة تذكر من مشكلات جنوب افريقيا ، حدث شيء من التغيير في مشاعر وسياسات بعض الدول الاجنبية ، فاوقفت روسيا تنفيذ اخطر مشروعاتها ولم يبق الا شيء قليل يميز الحالة الان عما كانت عليه قبل هذه الازمات ، فيما عدا النشاط التجاري الذي ظلت روسيا منغمسة فيه عن طريق تمثيلها القنصلي المتسع . وفي نهاية سنة ١٩٠٣ ، كان التوتر السياسي بين الدول الاوربية في منطقة الخليج قد وصل الى نهايته تماماً .

وقد صد البريطانيون بقوة سائر الهجمات التي سددت الى سيطرتهم ونفوذهم في سائر المواقع ولم يخسروا شيئاً حتى حين كانت كل الظروف

الدولية في صالح اعداء بريطانيا وظل النشاط البريطاني مستمراً في اندفاعه حتى بعد ان انتهت الاسباب التي ادت الى انبعاثه ، كما استطاع البريطانيون ان يضعوا عقبات فعالة ضد خطر روسيا الذي كان يتهددهم في ايران . اما دسائس فرنسا في عمان فقد احبطها الانجليز بالعمل الحاسم في مسقط ، وقد حسمت بالفعل قضية العلم الفرنسي في عمان حتى قبل ان تصدر هيئة التحكيم في لاهاي قرارها الذي كان في صالح البريطانيين الى ابعد الحدود . اما في البحرين فقد عززت سلطة الحكومة البريطانية باجراءات قوية وناجحة لحماية الرعايا الاجانب ، وازدهرت التجارة هناك الى حد لم يكن متوقعاً . وقد حمى الانجليز الكويت من الوقوع في ايدي الاتراك ، ودافعوا عنها ضد غزو أمير نجد الشمالية ، وأصبحت مؤقتاً محمية بريطانية الا بالاسم فقط . وفي عربستان اقام الانجليز علاقات وثيقة بشيخ المحمرة كفلت لهم السيطرة على ارضه . وعلى طول الساحل الايراني استطاع الانجليز المحافظة على مصالحهم . وكانت لهم قاعدة قوية في هانجام ، وفي مكران . ورغم الفوضى الداخلية ، استطاع الانجليز حماية رعاياهم وممتلكاتهم حماية شاملة ، وقد قامت الحكومتان البريطانية والهندية بدراسة الوضع الاستراتيجي ، واتخذتا العدة لمواجهة كل الطوارىء ، فاعيد تنظيم البحرية البريطانية في منطقة الخليج ، وتم تنفيذ عمليات مسح بحرية جديدة ، وقوبلت استعراضات القوة من جانب الدول الاجنبية باستعراضات اقوى واعظم ، وزيد عدد الممثلين السياسيين لبريطانيا في منطقة الخليج ، واتخذت الخطوات في نفس الوقت لتأكيد هيبتهم واحترامهم . وعزز من كفاءة عمل بريطانيا في الخليج تحسين وسائل النقل بالبواخر والخدمات البريدية والبرقية ، وتقدمت التجارة البريطانية والهندية بفضل ايفاد البعوث التجارية ، وشرع في دراسات دقيقة لتاريخ وجغرافية منطقة الخليج .

ولا يمكن — في اية عملية تحليلية — الفصل بين نتائج هذه الاعمال

جميعاً وبين نتائج العوامل الاخرى التي ادت لدحر العدوان على النفوذ البريطاني في المنطقة ، وليس من السهل تمييز سياسة الحكومة الهندية عن حكومة صاحب الجلالة ، فقد كانت الاولى مرتبطة بالثانية ومتمثلة فيها كل التمثيل . ولا شك في ان تغير الموقف الدولي في اوربا وفي غيرها كان من العوامل ذات الاهمية الاولى ، غير ان السياسة البريطانية في منطقة الخليج لو كانت سياسة ساكنة جامدة خلال الازمات لادت هذه التغييرات — خاصة وانها جاءت في وقت متأخر — الى إضرار مباشر وخطير بالمصالح البريطانية . وخلال الحملة الدفاعية التي حدثت في هذه الفترة العاصفة كان طبيعياً أن تقوم حكومة الهند بالاقتراح والتنفيذ وتقوم الحكومة البريطانية بالسيطرة والتوجيه ، لا سيما في شئون النشاط الديبلوماسي الذي كان يتم باسم حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا ، على حين كان يتولى العمل السياسي في منطقة الخليج ضباط من مكتب الخدمات الهندي وبأموال حكومة الهند .

وكان من بداية الاعمال السياسية التي استهل بها لورد كيرزون عمله كنائب للملك في الهند توجيه ضربة قاسية للمصالح الفرنسية في منطقة الخليج ، وكانت جولته في هذه المنطقة — في اواخر سنة ١٩٠٣ — ايذاناً بنهاية تلك الفترة المضطربة العصيبة ، وحين ترك الهند في سنة ١٩٠٥ كان ينظر بعين الرضى الى هذا الصراع والى الدور الذي لعبته حكومته فيه ، فقد امكن تجنب الكارثة ، لكن احداً لا يستطيع الزعم مهما بلغت به الجرأة بأن هذا شيء ازلي او دائم .

الملحق رقم (١)

الجيش الهندى وعمارة البحرية الملكية الهندية فى الخليج (١٩٠٥)

المواقع	: شاهبار ، جاشك ، مسقط ، البحرين ، بوشهر ، وبغداد .
	: ثلاثة قادة فرق ، ثلاثة وكلاء ، ١١ نقيباً ، ١٥ عريفاً ، ٤ نافخ بوق ، ٢١٠ جنود هنود ، ٢ مساعد صحي ، ١٠ خدم ، المجموع ٢٥٨ .
توزيع الجنود	: شاهبار ٤٥ جندياً ، جاشك ٤٥ ، مسقط ١٧ البحرين ٢٤ ، بوشهر ٤٩ ، بغداد ٣٠ .
النفقات	: ٣٨٥٢٥ روبية الاجور ، ٢٢٦٦ روبية للثياب ، ٣٠٧٣٥ روبية للجراية (الطعام) ، ٦٢٥٨ روبية للامداد والتموين ، ٥٢١٩ لصيانة السلاح ، ٦٠٠ روبية للطب والعلاج ، ١٢٥ للبريد ، ١٩٦١ روبية لامدادات الماء ، ٤٨ روبية للنظافة ، ٤٥ روبية للاضاءة والتدفئة .

المبلغ الاجمالي : ٤٨,٧٨٢ روبية في السنة .

سفينة البحرية الملكية الهندية « لورانس » ، باخرة مجدافية (ذات عجلات تجديف من الصلب) دشنت في سنة ١٨٨٦ ، مرساها في بوشهر تحت تصرف المقيم السياسي في الخليج ، اقصى حمولة لها ٩٠٢ طن ، سرعتها ١٢ عقدة في الساعة ، تسليحها : ٤ مدافع بوصة غير ثابته في

قواعدها ، ٤ مدافع ٦ لنيه غير ثابتة في قواعداها ، ٤٥ مدفعاً صغيراً ثابتة في قواعدها .

طاقمها : ٤ ضباط ، ٢ مهندسين ، ٣ وكلاء ، ٨٠ صف ضابط وجندي ، متوسط تكاليفها على مدى ثلاث سنوات ١٤٥,٦٥٦ روبية في كل سنة .

سفينة البحرية الهندية الملكية « كوميت » : باخرة مجدافية (ذات عجلات تجديف من الصلب) دشنت في سنة ١٨٨٤ ، مرساها في بغداد تحت تصرف المقيم السياسي في بغداد ، اقصى حمولتها ١٨٢ طناً ، سرعتها ٩ عقد في الساعة ، تسليحها : مدفعان عيار ٤٥ بوصة ، مثبتان في القواعد ، الطاقم العامل عليها : ١ ضابط ، ٤ وكلاء ، ٣٣ صف ضابط وجندي ، متوسط تكاليفها على مدى ثلاث سنوات : ٤٢,٤٢٣ روبية في السنة .

مخزن الفحم في مسقط : يشغل مكانين معفيين من الايجار ، العاملون فيه : ١ جندي اطفاء ووقاد ، ٢ عمال ، ١ خفير ليلي ، التكاليف ٦٢٠٠ روبية في السنة .

مخزن الفحم في باسيدو : بلا مبان ، العاملون فيه : ١ مسئول عن الفحم ، ١ عامل ، ١ جندي اطفاء ، التكاليف ٧٥٠ روبية في السنة .

مخزن الفحم في بوشهر : يشغل ١٥ مستودعاً يدفع لها ايجار سنوي قدره ١١٠٠٠ روبية ، العاملون فيه : ١ وقاد ، ٢ وزان ، ١ جندي اطفاء ، التكاليف بما فيها الايجار : ٩٧٢٨ روبية في السنة .

مخزن الفحم في بغداد : (الغي هذا المخزن ، واصبح الفحم اللازم للسفينة « كوميت » يخزن في مستودع تحت مبنى المفوضية) .

« نهاية الفصل الاول »

فهرست دليل الخليج ج ١

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضــــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

تم المجلد الأول بحمد الله تعالى

★ ★ ★

دليل الحاج

Bibliotheca Alexandrina
0119312

دليل الخليج

القسم التاريخي

الجزء الثاني

تأليف : ج . ج لوريمر

طبعة جديدة معدلة ومنقحة
أعدها قسم الترجمة
بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر

طبع على نفقة
الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر

مقدمة

لقد أولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ، عناية عظيمة لرعاية التراث الثقافي والمحافظة عليه والمساعدة على نشره ، ودأب على تشجيع العلوم والفنون والآداب والبحوث العلمية مؤكداً في توجيهاته السامية على الموضوعية والدقة والأمانة العلمية ، ومن هنا كانت تعليماته باعادة ترجمة « دليل الخليج » الذي يعتبر من اضخم المؤلفات واهمها عن تاريخ المنطقة وجغرافيتها.

ويسر الذين اضطلعوا باعادة الترجمة ان يغتنموا هذه المناسبة للاعراب عن عظيم عرفانهم وعميق تقديرهم للرعاية الكريمة التي شمل بها حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى هذا المشروع العلمي ، سائلين الله سبحانه ان يمد في عمر سموه وأن يسدد خطاه لما فيه خير البلاد والعباد .

مكتب حضرة صاحب السمو
أمير دولة قطر

« ملاحظـــة »

لقد وضع هذا الكتاب حوالى نهاية القرن المـاضى وتضـمن ملاحظات وآراء وتعابير تحمل راى المؤلف وحده ، وهى بذلـك لا تقيد حكومة قطر بحال من الاحوال ، ولا تعبر عن وجهـات نظرها ٠

الفصل الثاني

تاريخ سلطنة عمان(١)

« يمكننا أن نعتبر بداية التاريخ الحديث لعمان شأنه شأن التاريخ العام للخليج قرب نهاية القرن السادس عشر من ميلاد المسيح » ..

حكم النبهانية

(١٥٦٦ ـ ١٦٢٤)

التاريخ الداخلي لعمان ١٦٠٠ ـ ١٦٢٤

الحكم الاسمي للامام وبني نبهان :

في سنة ١٦٠٠ كان يحكم عمان ـ كما كان شأنها عموماً منذ سنة ٧٥١م إمام او حاكم منتخب يستحوذ اسمياً على السلطات الدينية والعسكرية والسياسية ، غير ان السلطة الفعلية في ذلك الوقت كانت في أيدي النبهانية او بني نبهان ، وهم عشيرة موطنها إقليم حجر الجبلي وقرى مقنيات وينقل ، وقد ازداد نفوذها للمرة الاولى حوالي سنة ١٥٦٦

(١) تعتمد رواية تاريخ « سلطنة عمان » هذه على المواد التى «نشير بعد الى طريقة جمعها . والمصدر الوحيد لذى يتناول عمان ويرجع الى تاريخها المبكر هو كتاب « كشف الغمة » لسرحان بن سعيد من أزكي ، وقد قام الرائد أ. سي. روس بترجمة جزء منه تحت عنوان « حوليات عمان » سنة ١٨٧٤ ، ويرجع هذا الكتاب بالاحداث الى سنة ١٧٢٨ . أما العمل التاريخى العام عن عمان فهو كتاب الاب ج.ب. بادجر « أئمة عمان وسادتها .. » سنة ١٨٧٠ . ويتكون من ترجمة بعض ما كتبه مؤرخون عرب مثل سليل بن رزيق وغيره عن الفترة من ٦٦١ الى ١٨٥٦م ، ثم تحليل ومتابعة من جانب المترجم حتى سنة ١٨٧٠ . أما المصادر بالنسبة للفترة من سنة ١٦٠٠ الى ١٨٠٠ فهى هذه الخاصة بالتاريخ العام للخليج ، والمثبتة في هامش لعنوان الفصل الاول من هذا الكتاب ، كما نجد بعض المعلومات عن عمان في بداية القرن التاسع عشر فيما كتبه فتينزو

موريزى (المعروف بالشيخ منصور) في تاريخه للسيد سعيد سنة ١٨١٩، ، ويشير فيه الى أحداث سنتى ١٨٠٧ ، ١٨١٤ وفي رحلة كابتن ر٠ ميجنان التى قام بها في شتاء سنة ١٨٣٩ معلومات عن حملتى رأس الخيمة وبني بو علي ، وهما حملتان بريطانيتان ، ويتناول تاريخ س٠ر٠لو عن البحرية الهندية كل الاعمال العسكرية والبحرية التى قامت بها بريطانيا حتى سنة ١٨٦٣ ٠

وأهم مصدر يمكن الوثوق الى معلوماته فيما يتعلق بالفترة الحديثة التى تبدأ من نهاية القرن الثامن عشر ، والعلاقات السياسية بين بريطانيا وعمان هو سجلات حكومة بومباى وحكومة الهند ، الى جانب عدد من المقتطفات والتلخيصات عن نفس المصادر ، وأدق المعلومات هي ما يتعلق ببداية العلاقات بين شركة الهند الشرقية المعظمة وجزيرة العرب التركية ، ففيها ــ عن الفترة من ١٦٤٦ الى ١٨٤٦ ــ معلومات متناثرة عن الاحوال في عمان ، وفي منتخبات بومباى ، رقم ٢٤ ، تلخيص للاحداث من نهاية القرن الثامن عشر حتى ١٨٥٣ ، ويكملها اذا دعت الضرورة تلخيص مستر ج٠أ٠ سالدنها للمراسلات التى تتناول الاحوال في منطقة الخليج ١٨٠١ ــ ١٨٥٣ ، وتكمل مراسلات مستر سالدنها عن أحوال مسقط قصة الاحداث ١٨٥٦ ــ ١٨٧٢ ،وهي تتداخل في جزء منها مع تلخيص مستر ج٠ تالبويز هويلر لاعمال القسم الخارجى لحكومة الهند من سنة ١٨٦٤ الى سنة ١٨٦٩ ، وملاحظات مستر جريدلستون على أحداث عمان التالية على ثورة السيد سالم وقد كتبها في سنة ١٨٦٩، وتلخيص مستر س٠أ٠ بكلاند لاحوال مسقط من أكتوبر ١٨٦٩ الى مارس ١٨٧٢ ، وقد أكمل مستر بكلاند تلخيصه هذا بنفسه حتى يوليو ١٨٧٥ ، ثم تبعه « ف٠س٠د » حتى يوليو ١٨٧٤ ، ثم كاتب مجهول حتى يوليو ١٨٧٥ ، وبدأ مستر ب٠ج٠س٠ روبرتسون ــ مساعد المقيم السياسى في الخليج ــ يكمل التلخيص من أغسطس ١٨٧٥ الى ديسمبر ١٨٨٤ ، وتابع بعده الملازم و٠ ستريشن ــ المساعد الاول للمقيم السياسى ــ حتى نهاية سنة ١٨٨٨ ، وأعقبه الكابتن س٠هـ٠ جودفرى المساعد الاول للمقيم السياسى ــ حتى نهاية ١٨٩٢ ، كما نجد ثمة تلخيصا آخر لاحوال مسقط كتبه مستر ج٠أ٠ سالدنها يكمل هذه السلسلة حتى سنة ١٩٠٥ ٠

وفي التقارير الادارية عن الخليج ــ التى تبدأ بتقرير سنة ١٨٧١ ــ ١٨٧٢ ــ تلخيص دقيق لاحداث عمان سنة بسنة ، كما ان فيها ثلاث رسائل ذات قيمة كبيرة : الاولى تخطيط عام لتاريخ عمان من سنة ١٧٢٨ الى ١٨٨٣ كتبه الكابتن أ٠س٠ روس في التقرير الخاص بسنة ١٨٨٢ ــ ١٨٨٣ ، وتخطيط لسيرة حياة السيد سعيد بن سلطان ، وتخطيط لاعمال السيد سلطان بن أحمد كتبهما الرائد س٠ب مايلز في التقريرين الخاصين بسنتى ١٨٨٣ ــ ١٨٨٤ ،

وفي مواجهة النبهانية كان ثمة تجمع قوي يضم قبيلة بني « حنه » التي كانت تحكم وادي سمايل ورستاق . وكانت بهلة — التي ما تزال مدينة هامة داخل ارض عمان — هي العاصمة السياسية للبلاد كلها في ذلك الحين ، وما أكثر ما استعادها وفقدها النبهانية ومعارضوهم .

اطاحة اليعاربة بحكم النبهانية :

وفي نهاية الفترة التي نتعرض لها ، أطاح اليعاربة — وهي عائلة أخرى من أهل البلاد يبدو أنها كانت على اتصال بزعيم رستاق — بحكم النبهانية بل وطردوهم من موطنهم الاصلي في حجر .

١٨٨٧ — ١٨٨٨ على التوالى أما المرجع المعروف باسم « معاهدات اتيشيسون » فهو دقيق وشامل بالنسبة لعمان كما هو بالنسبة لغيرها في مجال تخصصه .

أما أحوال زنجبار التى كانت حتى سنة ١٨٥٨ متداخلة بأحوال مسقط (والتى لا يمكن حتى اليوم فصلها تماما عنها) فيمكن دراستها في تلخيص الكابتن ب.د. هندرسون للمراسلات الخاصة بزنجبار من ١٨٥٦ الى ١٨٧٢ ، وفي تلخيص الملازم ل.م. رامسى لاحوال زنجبار من ١٨٧٢ الى ١٨٧٨ ، وفي كتاب مستر ر.ن.لاين « زنجبار في التاريخ المعاصر .. » .

أما القسم الاخير من هذا التاريخ ، الذى يتناول الاحداث بعد سنة ١٨٩٩ فقد عرضه عرضا دقيقا ميجور ب.ز. كوز المقيم السياسى في بوشهر ، وميجور و. جراى الوكيل السياسى في مسقط .

وقد شرح أصل الامامة وطبيعتها في عمان في الملحق الخاص بالاديان .

شئون البرتغاليين في عمان ١٦٠٠ ـ ١٦٢٤

مواطن احتلال البرتغاليين في عمان سنة ١٦٠٠ :

وعلى الساحل الذي كان حتى ذلك الوقت مهملا الى حد ما من جانب القوى الوطنية التي انحصر صراعها فيما بينها داخل الاقليم — كان للبرتغاليين قواعد منذ زمن بعيد ولكن سلطتهم كانت آخذة في الزوال ، وكانوا ما يزالون يحتلون مسقط التي دخلوها للمرة الاولى سنة ١٥٠٧ . وكان هذا المكان — بعد هرمز — هو قاعدتهم العسكرية الرئيسية في منطقة الخليج . ويحتمل ايضاً انه كانت لهم قواعد اخرى في القريات وصور غير ان هذا ليس امراً مؤكداً .

استيلاء البرتغاليين على صحار وخور فكان ١٦١٦-١٦٢٣ :

وفي سنة ١٦١٦ — وبناء على عون زعيم من اهل البلاد اسمه عُمير بن حِمير وربما بدعوة منه — هاجم البرتغاليون الباطنة ميناء صحار وسيطروا عليه ، لان ازدياد التجارة في هذا الميناء قد أدى الى نقص عوائدهم في مسقط وهرمز وقد أحرقوا المدينة وضربوا قلعتها بالقنابل قبل هجومهم عليها واحتلالها احتلالا متواصلا (١) .

ولا نستطيع ان نجزم يقيناً بوجود علاقة بين صراع النبهانية واليعاربة وبين احتلال البرتغاليين لصحار ، ولكن يبدو ان انهيار حكم النبهانية قد أعقب الاحتلال البرتغالي بفترة قصيرة . وفي سنة ١٦٢٣ — كما سنشير في الفترة التالية — أدى فقدان البرتغاليين لهرمز وهي أكبر مستوطناتهم ، إلى أن يضموا خور فكان الى مستعمراتهم في عمان .

---

(١) في سنة ١٥٢٢ ، أى قبل هذا التاريخ بقرن على وجه التقريب ، قام البرتغاليون بطرد الايرانيين من صحار ، لكنهم لم يحتلوها في ذلك الوقت واكتفوا بأن جعلوا عليها حاكما من أهل البلاد تحت حمايتهم .

علاقات ايران بعمان ١٥٦٦ ـ ١٦٢٣

عقب سقوط هرمز مباشرة استولى الايرانيون على صحار وخور فكان ولكن قبل ان تنتهي سنة ١٦٢٣ كان البرتغاليون ــ بقيادة ري فرير داندريد ــ قد طردوهم من القاعدتين معاً .

★ ★ ★

حكم اليعاربة ١٦٢٥ ـ ١٧٤٤

وفي أثناء حكم اليعاربة الذين أعقبوا النبهانية ــ واتخذوا رستاق عاصمتهم ــ تم طرد البرتغاليين من البلاد ، وبسرعة أصبح لعمان قوة بحرية كبيرة بدأت تباشر سلسلة من أعمال القرصنة والعدوان والغزو الخارجي .

★ ★ ★

الاحوال الداخلية في عمان من بداية حكم اليعاربة حتى طرد البرتغاليين ١٦٢٥ ـ ١٦٥٠

إمام اليعاربة يسيطر على عمان سيطرة محكمة :

كان ناصر بن مرشد هو اول حكام اليعاربة ، وهو قريب لزعيم رستاق الذي كان يعارض النبهانية ، وبمجرد انتخابه لتولي الإمامة في سنة ١٦٢٥ أحال هذ االمنصب من مجرد ظل باهت كما كان الى حقيقة ماثلة بالقوة ، وخلال مدة حكمه الذي استمر عشرين عاماً اخضع الاقاليم الداخلية بما فيها الشرقية .

أحوال البرتغاليين في عمان ١٦٢٥ ـ ١٦٥٠

وضع البرتغاليين في مسقط ١٦٢٥ـ١٦٤٠ :

عقب سقوط هرمز انتقل عدد من البرتغاليين الذين كانوا مستقرين فيها الى مسقط ومعهم محمد شاه ابن شقيق حاكم هرمز وسميه ، الذي كان قد أسره الايرانيون . وظل البرتغاليون لفترة يعاملون هذا الامر كما لو كان منتمياً بالفعل لاسرة ملكية ، وازدادت اهمية القاعدة البرتغالية في مسقط نتيجة هذا الفيض من الوافدين للاستقرار فيها . وحين زارها الرحالة بيترو ديلا فاللي في سنة ١٦٢٥ وجد فيها كنيستين للبرتغاليين ووجد الاهالي خليطاً من البرتغاليين والعرب والهنود واليهود ، وكانت القاعة الرئيسية فيها هي ميراني ، وعلى قمة الطريق المؤدي الى كابه ، كان للبرتغاليين موقع محصن بالمدافع ليمنع الدخول الى المدينة من هذه الناحية . وفي الباطنة حيث كان البرتغاليون قد استعادوا صحار ضيق الخناق عليهم حتى ان سفنهم لم تكن تجروء أحياناً على النزول الى الماء.

وفي ١٦٣٤ رمم البرتغاليون قلعتهم في مسقط ، وفي سنة ١٦٤٩ كان هذا المكان قد اصبح « قلعة لا تقهر » ، وقدر البعض راتب حاكمها بحوالي ٥٠ الف دوكات من عملة البندقية .

هجوم العرب على مسقط وفقدان البرتغاليين صحار وقريات وصور ١٦٤٠ ـ ١٦٤٨ :

وفي هذا الوقت بالتحديد ، بدأ عرب عمان ، وقد شجعتهم قوتهم المتزايدة ، سلسلة من الهجمات على البرتغاليين انتهت بطردهم تماماً من البلاد . ففي سنة ١٦٤٠ أبلغ بعض العرب العاملين في دار الجمارك البرتغالية في مسقط امام عمان ان عدد الجنود البرتغاليين قد نقص نقصاً كبيراً نظراً لارسال كثيرين منهم في حملة بحرية ، فقام الإمام بهجوم على القلعة لكنه صد عنها وتكبد خسائر جسيمة . وفي ٧ نوفمبر

١٦٤٣ استولى العرب على صحار ، وقتل بعض الجنود البرتغاليين وأسر آخرون ، أما خور فكان فانها إن تكن ظلت في ايدي البرتغاليين بعد احتلال روى فرير لها سنة ١٦٢٣ — وهذا امر مشكوك فيه — فلا بد أنها ايضاً قد سقطت في نفس الوقت هذا . واخيراً في ١٦ أغسطس سنة ١٦٤٨ قامت قوات عربية ضخمة بقيادة سعيد بن خليفة بحصار مسقط حصاراً محكماً ، وفي ١١ سبتمبر بدأت ذخيرة البرتغاليين في النفاذ فطلبوا فتح باب المفاوضات ، لكن العرب غالوا في شروطهم مغالاة جعلت البرتغاليين يرفضونها ويطيلون دفاعهم ، ولم يستسلموا نهائياً الا في ٣١ أكتوبر . وفي ذلك الوقت كان العدو قد سيطر على التلال المحيطة بالمكلا ، وتفشى الطاعون في المدينة حتى بلغ عدد ضحاياه حوالي الخمسين نسمة في اليوم الواحد ، وتمت الهدنة بالشروط الآتية : أن يهدم البرتغاليون القلاع التي يملكونها في مطرح وقريات وصور ويسووها بالأرض (١) ، وان يهدم الإمام قلعة كان بناها في مطرح ، ليظل هذا المكان محايداً في المستقبل ، وأن تمر سفن الإمام الى البحر دون تفتيش ، لكن عليها ان تأخذ تصريحاً من البرتغاليين في رحلة العودة ، وان يكون رعاياه معفيين من دفع الضرائب الشخصية والتجارية لدى دخولهم مسقط او خروجهم منها ، وان تكون التجارة حرة مطلقة الحرية ، وأن يدمر العرب كل التحصينات التي اقيمت أثناء فترة الحصار . والا يكون للبرتغاليين حق اقامة تحصينات أخرى على أنقاضها . وواضح ان هذه الشروط كانت تعني الدمار المالي للقاعدة البرتغالية ، غير ان البرتغاليين لم يكن أمامهم سوى قبولها . وأمر ملك البرتغال بالقاء القبض على القائد العام في مسقط دون جوليو دى نورنها والمسئول عن المالية فيها ، وإجراء تحقيق شامل معهما — غير ان النتيجة النهائية لذلك التحقيق لم تصل الينا .

---

(١) كتب مستر دانفرز الاسم هكذا : « دوبار » ولكن يبدو من مصادر أخرى أنه يعني صور .

سقوط مسقط يناير ١٦٥٠ (١) :

ولم تتأخر النهاية بعد ذلك ، ففي اواخر سنة ١٦٤٩ على وجه التقريب حوصرت مسقط مرة اخرى ، ولكن لم تكن ثمة مراقبة دقيقة ، فاستطاع بعض العرب ان يدخلوا المدينة بليل ، وقتلوا عدداً من الاهالي، المسالمين واحتلوا الوكالة البرتغالية واحدى القلاع ، وفوجيء القائد البرتغالي بهذا العمل مفاجأة تامة ، فأصدر اوامره بالانسحاب الى القلعة وهكذا فقد الجزء الاعظم من سلاحه وذخيرته لانه كان مخزوناً في الوكالة خلافاً للتعاليم العسكرية ، وعن طريق سفينة جاءت الى ديو في ١٨ يناير سنة ١٦٥٠ تحمل حوالي ٧٠٠ من لاجئي مسقط ، ترامت الاخبار الى الهند ، فارسل نائب الملك في جوا اسطولا الى مسقط لكنه وصل متأخراً جداً .. فقد استسلمت القلعة في ٢٣ يناير ، والوكالة بعدها بثلاثة ايام لقوة صغيرة من العرب . وقيل ان بعض الاهالي الذين حاربوا في صفوف البرتغاليين قد اظهروا شجاعة فائقة ، غير ان سلوك القائد العام البرتغالي كان سلوكاً يتسم بالجبن ان لم نقل بالخيانة ، وكان ثمة اسطول برتغالي في الميناء ، لكنه بدلا من ان يحاول إنقاذ المدينة استدار وعاد ليرسو في ديو ، ولكي يغطي قائد الاسطول البرتغالي على فعلته هذه — وكان اسمه كالدير ادى ماتوس — هرب الى كوشن ، ورغم انه أدين الا انه لم يعدم ، واصبح بعدها بطلا .

---

(١) تبدو الرواية التي يسوقها هاميلتون عن سقوط مسقط في تاريخه الجديد (المجلد الاول ص ٥٩ — ٦٢) غير معقولة . رغم أنه يقول انه نقلها عن شاهد عيان .

علاقات ايران وانجلترا بعمان ١٦٢٥ ـ ١٦٥٠

في سنة ١٦٢٥ ـ وكما اشرنا في الفصل المتعلق بالتاريخ العام للخليج ـ طلب الايرانيون حسب اتفاق مزعوم مع الانجليز عون هؤلاء الحلفاء الجدد منذ الاستيلاء هرمز ، تمهيداً لاحتلال مسقط ، ووجد ممثلو شركة الهند الشرقية في مسقط انه ليس من اللياقة رفض ذلك المطلب ، لكنهم استطاعوا أن يجدوا وسيلة للتخلص منه .

★ ★ ★

الاحوال الداخلية في عمان منذ طرد البرتغاليين حتى الغزو الايراني ١٦٥٠ ـ ١٧٣٦

الرخاء ، والقوة البحرية في عمان :

تميز عهد اليعاربة على العموم بأنه كان عهد أمن داخلي ورخاء ازدادت فيه الثروة وانتصر التعليم[١] ، كما تميز ايضاً بازدياد هائل ومفاجيء في القوة البحرية أدت بالعمانيين الى القرصنة والدخول في حروب خاطفة غير منتظمة ابتداء من سنة ١٦٧٧ . وفي ١٦٩٥ كان اسطول عرب مسقط ـ كما كان الاجانب يسمون العمانيين ـ يتكون من خمس سفن كبيرة تستطيع ان تحمل ١٥٠٠ رجل ، وفي ١٧١٥ كان اسطولهم يتألف من سفينة بها ٧٤ مدفعاً ، واثنتين في كل منهما ٦٠ مدفعاً ، وسفينة ذات ٥٠ مدفعاً ، هذا الى جانب ثماني عشرة سفينة اخرى أصغر حجماً ، يتراوح تسليح كل منها من ١٢ الى ٣٢ مدفعاً ، وعدداً من القوارب كلٌ منها مسلح بأربعة مدافع او ثمانية . وبهذه القوة البحرية الهائلة كان ضباط الإمام ينشرون الرعب في المياه الهندية والعربية من رأس قمران الى البحر الاحمر . وقد سيطر العمانيون ـ في حكم سلطان بن سيف الثاني ـ على البحرين واحتلوها

لفترة سنة ١٧١٨ . وعلى طول الساحل العربي كانت سلطة الامام تمتد غرباً حتى جزر كوريا — موريا .

ظهور فرقتي الحناوية والجعافرة السياسيين ١٧٢٣—١٧٢٨ :

لكن حكم اليعاربة اضطرب قرب نهايته نتيجة الصراع على الخلافه ، مما شل سلطة الإمام في الخارج ، وقوى فرقتي الحناوية والجعافرة في الداخل ، وبدأت الفوضى التي لم يستطع أحد من الائمة التالين كبح جماحها ، واستطاعت قلة منهم فقط شيئاً من السيطرة عليها . وقد تمكن شاب من مدعي الاحقية في الخلافة من السيطرة على رستاق عاصمة اليعاربة ، لكن الامام الشرعي استطاع ان يحتفظ بسلطانه في الاقليم الداخلي حتى وفاته وذلك بعون من زعيم وطني هو محمد بن ناصر من قبيلة بني جعفر . وحوالي الوقت الذي توفي فيه الامام الشرعي — سنة ١٧٢٣ — قام محمد بن ناصر بالسيطرة على رستاق والقبض على مدعي الخلافة ، وباسمه بدأ العمل ضد انصاره القدامى ، ولكن بين هؤلاء كان ثمة قائد لا يقل عن محمد بن ناصر نفسه هو خلف بن مبارك المعروف باسم القزم « أحد شيوخ بني حنه » وفي سنة ١٧٢٤ طلب محمد بن ناصر من شيوخ عمان اعفاءه من الوصاية على الحاكم اليعربي الصغير ، فاستجاب الشيوخ لمطلبه هذا بطريقة غريبة . حيث رشحوه هو شخصياً للإمامة ، وقبل محمد بن ناصر انتخابهم له ، واتخذ جبرين في عمان الوسطى عاصمة له ، وحكم عمان حكماً قوياً مدة أربع سنوات ، وقد قاد حملات ناجحة في ارجاء البلاد ، فرد البدو المتمردين على النظام الى طاعته ، وطارد الوهابيين الى الربع الخالي ، والتقى غير مرة واحدة بعدوه العنيد خلف بن مبارك الذي اتخذ مسقط قاعدة له في مراحل الحرب الاخيرة وسيطر عليها سيطرة محكمة . وكانت آخر اعمال محمد بن ناصر ضم صحار التي تمردت على سلطانه ، وسار خلف بقواته لنجدة الجنود المحاصرين فيها ، وكانت الكارثة الاخيرة في سنة ١٧٢٨ ذات طابع درامي ، فقد قتل كلا القائدين في

معركة معقدة مشتبكة دارت رحاها تحت اسوار القلعة . ويرجع اصل وتكوين بل وحتى اسماء فرقتي الحناوية والجعافرة الحديثين الى هذا الامتزاج القبلي الذي حدث في هذه الحرب بين خلف بن مبارك الحناوي ومحمد بن ناصر الجعفري .

★ ★ ★

علاقات البرتغال بعمان ١٦٥٠ ــ ١٧٣٦

لقد بدا ان طرد البرتغاليين من مسقط قد أدى الى ازدياد عداء العمانيين لتلك الامة المستعمرة لا الى تخفيف تلك العداوة . وحدثت بين الطرفين صراعات كثيرة في البر والبحر جاء ذكرها في الفصل المتعلق بالتاريخ العام للخليج . ففي سنة ١٦٥٢ ظهر اسطول برتغالي ضخم خارج مسقط تظن بعض المصادر انه دمر اسطول عمان واسترد المدينة ، وفيما بين ١٦٩٣ و ١٦٩٩ حدثت عدة اشتباكات بحرية بين الفريقين انتصر فيها البرتغاليون عموماً . لكن العمانيين انتقموا بغارات تدميرية رهيبة على القواعد البرتغالية القائمة في كنج على الخليج ، ومانجالور في الهند ، وممباسة في شرق افريقيا ، واخيراً تم لهم الاستيلاء على هذه القاعدة الاخيرة ، وفيما بين سنتي ١٧١٤–١٧١٩ حدثت سلسلة جديدة من الاشتباكات البحرية في مياه المحيط الهندي والخليج أحرز فيها البريغاليون انتصارات وافية .

علاقات الانجليز بعمان ١٦٥٠ ـ ١٧٣٦

مشروع لاقامة قاعدة انجليزية في مسقط ١٦٥٩ :

كانت علاقات الانجليز بعمان خلال هذه الفترة عموماً علاقات ودية ولكن قرب نهايتها حدث صدع في تلك العلاقات بسبب أعمال القرصنة من جانب العرب ، وفي سنة ١٦٥٩ كان الانجليز يفكرون في انشاء قاعدة لهم في مسقط وبحامية قوامها مائة جندي ، وكانت شركة الهند الشرقية ترى في مثل تلك القاعدة وسيلة من وسائل تدعيم مكانتها في الخليج ضد الهولنديين والحكومات الايرانية ، ولكن تعذر الحصول على موافقة الامام ، فلم تؤد المفاوضات معه إلى شيء .

فقدان السفينة مير شانتس ديلايت في جزيرة مصيره ١٦٨٤ :

وفي سنة ١٦٨٣ تقريباً جنحت سفينة لندنية هي « ميرشانتس ديلايت » على جزيرة مصيره ، لكن البدو في المنطقة المجاورة لها تصرفوا مع بحارتها تصرفاً ودياً بسبب طمعهم فيما وعدوه من منحهم نصف حمولة السفينة وبوحي من افكار خرافية بل نستطيع القول بأنهم عاملوهم معاملة كريمة مضيافة ، فأوصلوهم بالقوارب الى مسقط ومعهم نصيبهم كاملا في حمولة السفينة(١) .

قرصنة العمانيين والسفن الانجليزية ١٧٠٠–١٧١٠ :

وسنرى كما اشرنا في الفصل الخاص بتاريخ الخليج أن عرب مسقط بعد اشتغالهم بالقرصنة حوالي سنة ١٩٦٥ ظلوا زمناً طويلا يحترمون كل السفن الانجليزية ولا يغيرون عليها ، وحين تخلوا عن هذا المبدأ أخيراً ــ حوالي سنة ١٧٠٠ ــ كانوا يقصرون اعمالهم على السفن المملوكة للتجار الافراد ــ وكان معظم هؤلاء بدورهم قراصنة ــ ولا يقربون سفن شركة الهند الشرقية . وخشيت السلطات المسئولة في

(١) تاريخ هاملتون الجديد ، المجلد الاول ٥٦ ـ ٥٨ .

بومباي ، رغم وجود ممثليها في الخارج ان ترتفع اسهم الهولنديين عند الايرانيين اذا عاونوهم في القضاء على القرصنة فقرروا في البداية أن يبقوا بمعزل عن هذا كله طالما ان السفن التابعة للشركة لا يقربها أحد بسوء . ولكن أخيراً — في سنة ١٧٠٤ — ١٧٠٥ — وبعداناتسع نطاق غارات المساقطة قرر مجلس ادارة الشركة تولي قمع قراصنة العمانيين بمجرد انتهاء الحرب مع فرنسا ، وفي سنة ١٧٠٧ قيل ان القراصنة العرب كانو ما يزالون يمارسون نشاطهم على طول الساحل الهندي ، ولكن أعمال القرصنة هذه توقفت بعد هذا التاريخ دون قيام أية دولة أوربية بمحاولة لقمعها ، وربما كان ذلك بسبب الصراع الداخلي العماني ، والنزاع بين الحناوية والجعافرة هناك .

★ ★ ★

علاقات ايران بعمان ١٦٥٠ — ١٧٣٦

خلال هذه الفترة كانت العلاقات عدائية بين ايران وعمان ، وخلال مرحلة القرصنة التي استمرت طوال العقد الاخير من القرن السابع عشر والعقد الاول من القرن الثامن عشر ، كانت أعمال القراصنة العرب موجهة في المقام الاول ضد السفن والتجارة الايرانية ، التي عانت منهم عناء شديداً . وحوالي سنة ١٧٢٠ يبدو ان العمانيين كانوا مسيطرين على بعض الجزر الايرانية في اقليم بندر عباس .. واستعادوا لفترة سيطرتهم على نفس هذه الجزر ، وارسلت قوة ايرانية لطردهم منها في سنة ١٧٢٠ لكن الغزو الافغاني لايران الذي حدث في نفس السنة ردّ الحملة الايرانية نحو الشمال ، ولا نجد معلومات أخرى عن أعمال العرب في هذه الجزر بعد ذلك .

★ ★ ★

غزو الايرانيين عمان واحتلالهم لها ١٧٣٧ ـ ١٧٤٤

مصاعب تواجه الامام سيف بن سلطان الثاني :

وحين بدأ حكم اليعاربة بالتدهور ، تحالفت عدة ظروف متواكبة على اسقاطه ، فالامام سيف بن سلطان الثاني ، حين الفى نفسه مواجهاً بعدد ممن ينازعونه الامامة اتخذ لنفسه مجموعة من الجنود البلوش (١) ، لكنه سرعان ما هزم معهم ، فالتمس عون الايرانيين وامبراطورهم نادر شاه ، وفي نفس الوقت تقريباً وضع ثقته في تاجر من بلاده اسمه أحمد بن سعيد البوسعيد كشفت الاحداث لاحقاً عن ان مصالحه كانت تتعارض مع مصالح الامام تعارضاً تاماً .

الغزو والاحتلال الايراني ١٧٣٧ – ١٧٣٨ :

ولم يهمل نادر شاه طلب امام عمان العون منه ، لكن هدفه كان منذ البداية ، وكما لاحظ الانجليز في ايران ، لم يكن مساعدة امام عمان على قهر المتمردين عليه كما زعم ، بل كان ضم عمان الى امبراطوريته ، وابحرت الحملة الايرانية من بندر عباس في اول ابريل سنة ١٧٣٧ بقيادة لطيف خان وكانت تضم حوالي ٥٠٠٠ رجل معهم ١٥٠٠ حصان ، وارسل الهولنديون ـ تحت ضغط الايرانيين ـ سفينة من سفنهم مع هذه الحملة ، ويبدو ان الحملة نزلت اولا في خور فكان حيث كان ثمة قلعة قديمة بنيت هناك وما زالت بقاياها موجودة في سنة ١٧٧٩ ، ويبدو ان مشايخ رأس الخيمة المجاورة لم يتأخروا طويلا قبل اعلان ولائهم للايرانيين .

وخلال سنة ١٧٣٧–١٧٣٨ اجتاح الايرانيون كل عمان واستولوا

---

(١) يبدو أن هذه هى بداية النظام الذى ما يزال موجودا في عمان حتى اليوم للاستعانة بجند من المرتزقة الاجانب ، خاصة البلوش ·

على مسقط ، وكانت مكاناً تتزايد أهميته يوماً بعد يوم ، لكنه لم يكن بعد قد أصبح عاصمة البلاد ، ثم حاصروا صحار ، حيث كان فيها أحمد بن سعيد ، المرشح حديثاً للامامة ، وقد قاوم حصار الايرانيين مقاومة عنيفة عنيدة ، ولم يكن الامام عاجزاً كل العجز عن العمل لأنه في سنة ١٧٤١ كان ما يزال يملك ٩ سفن كبيرة ، وكان ثمة تحالف بينه وبين عرب رأس الخيمة من أجل السيطرة على جزيرة صغيرة بالقرب من الساحل الايراني ، ومنها اغاروا على بندر عباس غارة سببت الفزع للايرانيين ، وفي نفس السنة اهتاجت الحكومة الايرانية هياجاً شديداً لان سفينة انجليزية حصلت على ترخيص بالملاحة من امام عمان ، ولأن قائد احدى السفن الانجليزية عرض ان يبيع سفينته للامام .

طرد الايرانيين ١٧٤١ :

وقد قتل احد مدعي الامامة في محاولة ناجحة بعض الشيء لرفع الحصار عن صحار كما مات الامام نفسه غماً وكمداً في حزام . وبقي احمد بن سعيد وحده ضد الايرانيين في الباطنة ، واخيراً اتحـــد العمانيون جميعاً بسبب الاغارات المفزعة التي كان يقوم بها أعداؤهم في كل مكان من البلاد ، وطردوا قوات الايرانيين من اراضي الداخل وارغموهم على رفع الحصار عن صحار ، وبعدها استطاع احمد بن سعيد استرداد مسقط دون اراقة دماء ، لكنه أكمل عمله الوطني هذا — كما يقال — بطريقة مختلفة ، فقد دعا جميع افراد الحامية الايرانية الى « بركة » وهناك غدر بهم واوقع بهم مذبحة رهيبة .

★ ★ ★

الامام أحمد بن سعيد
(١٧٤٤ ـ ١٧٨٣)

انتخاب الامام أحمد (١٧٤٤)

لقد منح حاكم صحار أعلى السلطات اعترافاً بفضله الذي لا ريب فيه على البلاد وقيادته لطرد الايرانيين ، وهكذا أصبح احمد بن سعيد هو مؤسس حكم آل بو سعيدي الذي ما يزال حاكماً في عمان حتى اليوم . ويبدو ان انتخابه للإمامة في رستاق كان امراً دُبّر بعناية ، لكننا نشك في أنه انتخب باجماع الاصوات ذلك بأن وجود بعض قبائل الجعافرة التي عارضت حكمه فيما بعد يشير الى انه قد وصل الى الإمامة بتأييد من الحناوية الذي تنتمي قبيلته – آل بوسعيدي – اليهم .

* * *

التمرد وغيره من الاحداث في عمان ١٧٤٤ ـ ١٧٨٣

تميز عهد الامام أحمد بتوقف الاعتداءات الاجنبية على عمان ، لكن الخلافات والاضطرابات في الداخل استمرت حتى نهاية عهده . وقد جاءت هذه اساساً بفضل جهود اليعاربة لاستعادة مكانتهم . وعداء قطاع كبير من الجعافرة للامام احمد ، هذا الى جانب تمرد اثنين من ابناء الإمام نفسه وان لم يبلغ تمردهما على أبيهما حد تهديد الامامة . كذلك فان شيوخ اليعاربة والجعافرة اوقعوا الإمام غير مرة في مآزق خطيرة .

النزاع ضد اليعاربة :

تبدو الاخبار الباقية عن هذا النزاع مع اليعاربة غير متماسكة . والظاهر انه نشب عقب تولي الامام احمد مباشرة ، وكان زعيم الجانب

الآخر هو « بالعرب بن حمير » أحد افراد الاسرة القديمة الحاكمة ، ومقره كان بزاعلي في الظاهرة ، وأنصاره من الغافرية من قبائل اليعاقيب والميايحه والنعيم . وبني قتب . وفي بداية النزاع كان بالعرب مسيطراً على الميدان . لكنه هزم في النهاية وذبحه الإمام ، وتشير المصادر — رغم اختلافها — ان الى المعركة التي دارت في وادي معول وفي موقع فرق ً بالقرب من نزوة كانت هي الهزيمة النهائية لليعاربة .

التمرد في الظاهرة وغرب حجر :

وجاءت الازمة التالية التي واجهها أحمد بسبب مؤامرات ناصر بن محمد أحد زعماء الجعافرة في اقليم الظاهرة ، فقد حاول هذا الرجل الداهية ان يقيم قلعة له في عنين بوادي الكبير ، غير ان جيرانه منعوه ، فنجح بعد ذلك في التقرب من الامام وارتبط به برباط المصاهرة ، ووضع بين يديه قلعة غبي . وتحت حماية الامام راح يواصل مشروعاته هو للتوسع في عينين ، وبمجرد ان تحقق له هدفه هذا ، رمى بحلفه وراء ظهره واثار البلد على الإمام ، وقام بنفسه فاستولى على عنين ، وارسل الأمام ابنه الاكبر هلال على رأس حملة الى وادي بني جعفر لتأديب الميايحه الذين قاموا بدور قيادي في التمرد ، فدمر حصونهم جميعاً وتقدم الإمام احمد بنفسه على رأس حملة الى عينين ، لكنه هزم هزيمة مروعة ، وتمت تسوية بينه وبين صهره الخائن استعاد فيها هذا الاخير مدينة غبي . وتشير هذه الاحداث الى ان الحصون في داخل عمان كان يكسبها ويخسرها آل بو سعيدي بسهولة أكثر مما هي عليه الحال هذه الايام .

وفي فبراير ١٧٨١ — قبل نهاية حكم الإمام احمد — بقليل تمرد عليه ابناه سيف وسلطان واستوليا — بغتة وغدراً — على بركه ، بل إنهما قتلا والي الإمام هناك وجنوده . لكن الإمام سرعان ما أغار على بركه واستردها وغفر لابنيه ، وسار بعدها لتأديب زعيم اليعاربة الذي كان قد جعله حاكماً لنخل ، وكان يظن انه وراء حركة التمرد في بركه .

وفشل هجوم الامام على نخل رغم استعداداته الكبيرة ففرض عليه صلح مشين . وفي الوقت الذي كانت فيه قوات الإمام كلها في مواجهة نخل اندفعت حشود من قبائل بني نعيم وبني قتب والظاهرة عبر وادي سمايل — الى مطرح فأغاروا عليها ونهبوها . وكانت هذه هي بداية سلسلة متصلة الحلقات من أعمال مشابهة لم تنته الا في سنة ١٨٢٥ . وبعد ذلك اغلقت حزام — التي كان يقيم بها بعض اليعاربة — ابوابها في وجه الإمام ، وفشلت قواته في فتحها والاستيلاء على قلعتها ، وفقد الإمام هذا الموقع أيضاً .

تمرد ثان لسيف وسلطان ١٧٨١ — ١٧٨٢ :

وبعد هذا قام الاخوان سيف وسلطان بتمرد آخر كان اكثر نجاحاً هذه المرة . فقد استوليا — في ديسمبر ١٧٨١ — علي قلعتي جلالى وميراني في مسقط ، وسمح لهما أخيراً بالاستيلاء عليهما شريطة ان يعود سيف ضيفاً على ابيه . واستمرت هذه الاتفاقية — التي حكم بها قضاة رستاق — سنة كاملة ، وفي نهايتها — وبعد ان اوفى الإمام احمد بوعده — امر بابنه سيف فوضع في السجن واستعد لاسترجاع القلعتين وتمت تسوية جديدة أطلق بمقتضاها سراح سيف واستعاد الإمام قلعة ميراني .

وسلمت قلعة جلالى — بلا قيد ولا شرط — لسيف وسلطان . وفي العام التالي قام سيف وسلطان بخطف شقيقهما سعيد من بركة وعادا به الى قلعة جلالى في مسقط . ولا يذكر المؤرخون من أهل البلاد سبباً لهذه الحادثة ، لكن الغيرة من سعيد — الذي يبدو ان الإمام كان يعده للإمامة من بعده — كانت هي الدافع وراء هذا العمل . وسار الإمام مباشرة الى رستاق واتخذ موقعاً في جزيرة مسقط ، وأطلق النيران علي قلعة جلالي ومن عرض البحر إلى الشرق . وأخيراً أمر قواته أن تقوم بهجوم — لم ينجح — من ثغرة فتحت في الجدار الغربي للحصن المحاصر ولم يأبه الإمام لفرار سعيد من الحصن وظل على هجومه العنيف —

لكن أخباراً وصلته عن زعيم من المنطقة المعروفة اليوم باسم عمان المتصالحة اسمه بن رحمة استطاع الاستيلاء على رستاق في غيبته ، مما حمله على الامر برفع الحصار عن القلعة والعفو عن ابنيه مرة أخرى، ولم ينتظر بن رحمة عودة الأمام ، بل لاذ بالفرار الى بلده .

الوضع السياسي الداخلي لدى موت الامام أحمد ١٧٨٣

وفي نهاية ١٧٨٣ مات الإمام أحمد في رستاق ودفن بها في الناحية الغربية من قلعتها ، وكان قبل موته – بل ربما في اوائل عهده – قد أقام حلفاً عن طريق المصاهرة بينه وبين اليعاربة فتزوج بابنة آخر أئمتهم سيف بن سلطان . ويوصف الإمام احمد دائماً بأنه قد حكم عمان كلها من جعلان الى البوريمي ، ولكن يبدو انه لدى موته لم تكن أقاليم الظاهرة وجاو ، ولا القلاع الحصينة الهامة في نخل وحزام تحت سيطرته رغم قربها من عاصمته . بل وحتى مسقط كان ابناؤه المتمردون يسيطرون على جانب منها . ولنا ان نشك ايضاً فيما اذا كانت سيطرته على باقي عمان كانت سيطرة كاملة او محكمة ، وفي إفريقيه فقد الإمام احمد ميناء ممبسا الذي كان تابعاً لاسلافه ، حين استولت عليه قبيلة بني مزار .

* * *

علاقاته بشمال غربي عمان ١٧٤٤ ـ ١٧٨٣

خلال حكم الامام احمد ، كان الوضع السياسي للإقليم الجبلي الذي يفصل خليج عمان عن ايران وضعاً غامضاً ، ويبدو ان الامام قد فرض سلطته على أهل الاقليم بالقوة في البداية . ولكن رأس الخيمة كانت من اول الاخطار التي كان على أحمد بن سعيد ان يواجهها بعد توليه الإمامة . ورغم ان شيخ القواسم اضطر للتراجع بعد معركة تعادل فيها الطرفان في بثينة بوادي حام . الا ان هيبة الامام اصيبت بضربة شديدة من جراء ذلك ، وفي سنة ١٧٥٨ عقد تحالف بين ملا علي شاه حاكم هرمز وشيخ رأس الخيمة ضد الامام فتحرك اسطول مسقط من دبي ، ولكن يبدو انه لم يستطع اللحاق بالاعداء . وفي سنة ١٧٦٠ ارسل الامام بعض سفنه الى بندر عباس لنجدة خان لار وبني معن ضد هجوم عرب رأس الخيمة ، ولكن هذا الهجوم لم يحدث في النهاية . فقد عاقت الخان المشكلات التي كانت قائمة بينه وبين الوكيل كريم خان في شيراز عن القيام بهذا الهجوم . وفي سنة ١٧٧٣ ـ وكما سنرى فيما بعد ـ ظهر تحالف بين امام عمان وشيخ رأس الخيمة ضد الايرانيين ، لكن هذا التحالف انتهى في سنة ١٧٧٥ وبدأت المعارك في البر بين هذين الحاكمين العربيين ، وفي ١٧٨٠ انتقلت الحرب بينهما الى البحر أيضاً ، وقد اشرنا من قبل الى هجوم بن رحمه على رستاق في سنة ١٧٨٣ ومحتمل ان يكون بن رحمه هذا هو الشيخ صقر شيخ رأس الخيمة والذي كان احد أجداده بالفعل يسمى باسم رحمة .

★ ★ ★

علاقاته مع ايران ١٧٤٤ ـ ١٧٨٣

ربما يعود الفضل في احجام الايرانيين عن غزو جديد لعمان بعد تولي الامام احمد الى سمعة الامام الحربية وضخامة مصادره اقل مما يرجع لموت نادر شاه في سنة ١٧٤٧ ، والمشكلات التي كان على خلفه الوكيل كريم خان ان يواجهها .

١٧٦٩ — ١٧٧٩ :

واستمر العداء على اية حال بين الامام وبعض المسئولين المحليين في ايران ، وكان هؤلاء يتابعون اعمال الامام بغيرة وحسد ولا يضيعون فرصة تلوح لمضايقته ومعارضة خططه ، وهكذا .. في سنة ١٧٥٣ — ، وكما اشرنا في الفصل الخاص بتاريخ الخليج . استولى خان لار بمساعدة وكالة شركة الهند الشرقية في بندر عباس . وكان يضغط عليها ضغطاً متواصلا — على سفينة اشتراها إمام عمان من عبد الشيخ حاكم قشم وضمها الخان الى اسطوله . وفي سنة ١٧٥٨ تم عقد حلف يهدد الامام كما اشرنا بين ملا علي شاه حاكم هرمز والشيخ العربي في رأس الخيمة ، وفي سنة ١٨٦٠ أصبح الإمام نفسه عضواً في هذا الحلف الى جانب خان لار الايراني وقبيلة بني معن التي تقيم على الساحل الايراني ضد القواسم في رأس الخيمة .. ولكن — في كلا التحالفين — لم تنشب بين الاطراف المتصارعة اية معارك ، وفي ١٧٦٥ شحنت حمولة البن التي كانت تصدر كل عام من مسقط الى البصرة — خشية عرب بني كعب الذين كانوا يقومون بأعمال القرصنة في شط العرب — على احدى السفن الحربية التي يملكها الامام ، لكن السفينة لم تتقدم أبعد من خارج حيث توقفت في نهاية السنة ، وافرغت حمولتها في الوكالة الهولندية ، واستولى عليها — الى جانب هذه الجزيرة — المير مهنا زعيم القراصنة في ريج في اليوم الاول من يناير سنة ١٧٦٦ . وفي ١٧٦٧ استولى مير مهنا على اسطول من صور كان يحمل البن الى البصرة « متعللا بوجود عوائد جمركية لم يدفعوها » وفي خريف نفس العام ،

تراكم أكثر من ١٠٠٠ حمولة من البن في مسقط لم يتيسر شحنها الى البصرة خوفاً من المير .

١٧٥٣ – ١٧٦٧ :

وفي ١٧٦٩ طلب الوكيل كريم خان – الذي كانت سلطته في شيراز قد تدعمت – استعادة السفينة الايرانية التي آلت إلى الإمام ، كما طلب ايضاً ضرورة دفع العوائد المتأخرة عليه والتي كانت مستحقة لنادر شاه . ورفضت حكومة عمان كلا المطلبين ، وردت بأن تلك السفينة كان تم ابتياعها بطريقة شرعية من الشيخ عبدالله في هرمز ، وبالتالي لا مبرر لردها . ثم ان « الجزية السنوية التي كانت تدفع لنادر شاه لم تكن مشروعة .. غير انه كان طاغية .. وكان قوياً ظالماً : ولم يكن من العدل ان نرفض دفعها» .. لكن الامر هنا يختلف قدر الاختلاف بين رجلين .. « كنا نخاف من احدهما لكننا نستهين بالآخر .. كان الاول فاتح ايران كلها ، والثاني وكيلا عن اقليمين او ثلاثة من اقاليمها وبالتالي فاذا اصر كريم خان على مطلبه هذا فلن يجيبه الا طلقات المدافع والرصاص » .. ومن ثم حجز الامام اسطول البن الذي كان يتجه الى البصرة في مسقط ، لكن الايرانيين استطاعوا الاستيلاء على سفينتين كانتا محملتين بالبن وغيره كانتا في طريقهما الى البصرة ، وتبعت ذلك عدة اشتباكات بين الفريقين في البحر . كانت الغلبة فيها عموماً للامام وحلفائه . وفي ١٧٧٠ قام اسطول الامام – وعلى ظهره عددكبير من الرجال المسلحين – بمظاهرة استعراضية خارج ميناء بوشهر ، وقام واليه على مسقط سنة ١٧٧٣(١) ، متحالفاً مع شيخ رأس الخيمة وحاكم هرمز بتدمير سفينتين ايرانيتين في بندر عباس وثالثة في لنجة . واستطاع كريم خان سنة ١٧٧٣ ان يجمع اسطولا عهد بقيادته الى المير علي من ريج وكان مكوناً من السفينة الانجليزية التي استولى عليها الايرانيون منذ زمن

(١) كان هذا هو خلفان بن محمود الذى استقبل السفينة فرانكلين في مسقط فيما بعد .

بعيد « تيجر » وسفينة قديمة كانت في بوشهر جهزت خصيصاً لهذه المناسبة وكل سفن ريج ، الى جانب ثلاث سفن اخرى . لكن لم يسهل اقناع طاقم البحارة بمواجهة قوى الامام البحرية ، كما ان بني كعب من عربستان الذين كان مطلوباً منهم العون كانوا دائماً يتمردون ويخرقون الاوامر . واخيراً في ربيع سنة ١٧٧٤ ، وبعد ان فشل الوكيل في الحصول على العون من البريطانيين في حملته هذه على مسقط ، عهد الى الشيخ ناصر من بوشهر بقيادة الاسطول الايراني الموحد ، وخول حق التفاوض مع الامام الذي كان يبدو في ذلك الوقت ميالا لاقامة علاقات ودية مع ايران — حتى إنه أخلى بعض الممتلكات الايرانية التي كان قد سبق له الاستيلاء عليها . لكن كريم خان كان من ناحيته مصراً على إلتزام الامام بدفع الجزية بينما الامام من الناحية الاخرى كان يصر على عدم الدفع . لهذا لم تجد المفاوضات شيئاً ، وأعلن الامام ان اسطوله سيقوم برحلته المعتادة الى البصرة وسيعتمد على قوته لرد أيّ اعتداء من جانب كريم خان او غيره من الاعداء . وفي اغسطس ١٧٧٥ — حين زار مستر بارسونز مسقط وجد اسطول الامام راسياً فيها ، وفي مطرح مستعداً لمصاحبة اسطول تجاري ضخم محمل بالتجارة الى البصرة التي كان الايرانيون يحاصرونها في ذلك الوقت . وكانت القوة الضاربة في الاسطول لا تقل عن ٣٤ سفينة ، منها اربع بنيت في البصرة لكل منها ٤٤ مدفعاً ، ٥٠ مدمرة بكل منها من ١٨ الى ٢٤ مدفعاً ، والباقي سفن صغيرة يتراوح تسليح كل منها ما بين ٨ الى ١٤ مدفعاً ، وكان ما يزال مسموحاً للايرانيين بالرسو في مسقط للتجارة فقط ... ولكن .. كان الميناء قد تراكمت فيه البضائع بسبب الحرب . وانزل نصف التجار بضائعهم ووضعوها في الطرقات دون تخزين مطمئنين تماماً الى حراسة شرطة الامام اليقظة . وقيل ان الامام كان ينتوي — اذا سقطت البصرة — ان يرسل سيداً من لدنه — مصحوباً بمبعوث المغول — الى كريم خان ليطلب اليه توقيع الصلح مع الامام ، وان يعد هذا بدفع جزيته في كل

سنة . أما كريم خان فحين سقطت البصرة أخيراً في سنة ١٧٧٦ ؛ طلب إعداد تقارير عن امكانية الزحف منها براً الى عمان ، غير ان اياً من الطرفين لم يقم بخطوة عملية . وكان شيخ هرمز — بأمر من الوكيل — ما يزال يوالي حروبه البحرية ضد الامام ، وفي صيف سنة ١٧٧٦ قام بالاستيلاء على سفينة لبعض رعايا الامام كانت محملة بالبضائع من مسقط الى بوشهر والبحرين ، لكنه في نوفمبر ١٧٧٨ اعد له كمين وقبض عليه وارسل الى مسقط على ظهر سفينة عمانية .. غير انه استعاد حريته في العام التالي . وجاء موت كريم خان في سنة ١٧٧٩ ليقضي مؤقتاً على نفوذ ايران في الخليج . وليزيد من سيطرة عمان وغيرها من القوى العربية الاخرى على البحر حتى اصبح مقصوراً عليهم دون منازع .

علاقاته بتركيا ١٧٤٤ ـ ١٧٨٣

رأينا أثناء حصار الايرانيين للبصرة في سنة ١٧٧٥–١٧٧٦ أن الامام قد أعد حملة لمساعدة الاتراك الذين رفضوا آخر الامر التحالف معه ضد اعدائه ، وأدت حملته هذه الى تأخير سقوط المدينة زمناً . وترد العمليات التي قام بها اسطـــــول الامام في شط العرب مفصلة في الجزء الخاص بتاريخ العراق التركي . ولقد كان الاتراك وراء رفض عمان دفع الجزية لايران ، ولعل هذا من الاسباب التي أدت بكريم خان الى الزحف بقواته على البصرة . على ان الاتجاه الطبيعي للامام في تلك الظروف ألا وهو الوقوف الى جانب الباب العالي العثماني قد تعزز فيما يبدو بوعد قدمه الاتراك له بالمساعدة ، ولقد كان معظم تجارة عمان في ذلك الوقت مع العراق التركي ، كما كان « أسطول البن » الذي كان الامام يرسله كل سنة من الاحداث التجارية الهامة في البصرة ، وفي سنة ١٧٩١ قام الاتراك بأعمال عدائية ضد عرب بني كعب لانهم هاجموا الاسطول العماني في شط العرب .

علاقاته بالهند ١٧٤٤ - ١٧٨٣

نشأت العلاقات الديبلوماسية بين عمان والهند في عهد الامام احمد باشتراك سفينة حربية عمانية عليها مبعوث من عمان في صد غارة القراصنة على ساحل مالابار كانت تهدد تجارة الارز بين مانجالور ومسقط وبعد هذه الحادثة ارسل حاكم مانجالور(١) ، اعترافاً بجميل الامام ، مبعوثاً من لدنه كان شكلياً موفداً باسم امبراطور المغول في الهند فزار رستاق وعقد معاهدة مع الامام يتعهد فيها امبراطور المغول بالوقوف الى جانب الامام ضد اعدائه وامداده بالمال والرجال ، واستمرت هذه البعثة التي بدأت في سنة ١٧٧٤ وربما في سنة ١٧٧٦ ، حتى سنة ١٨٠٠ وقد اقطع الامام ذلك المبعوث قطعة ارض شاد عليها بيتاً له ظل قائماً حتى منتصف القرن التاسع عشر ويعرف باسم « بيت النواب » ، وكان متوقعاً في سنة ١٧٧٦ ان يطلب الامام — في حالة سقوط البصرة — عون هذا المبعوث لتسوية الامور بينه وبين ايران ، ولكن لا يبدو ان هذه التوقعات قد تحققت .

علاقاته بالدول الاوربية ١٧٤٤ - ١٧٨٣

العلاقات مع بريطانيا ١٧٧٤ - ١٧٨٣ :

كانت علاقة شركة الهند الشرقية بعمان علاقة ودية رغم انه لم يكن في عمان بعد أي ممثل اوربي . وكانت الشركة تقف على الحياد دائماً من الخلافات الدائمة التي كانت تثور بين الامام من ناحية والحكومة الايرانية والرؤساء الايرانيين الصغار وشيخ رأس الخيمة من ناحية اخرى

(١) كان اسم هذا المبعوث عندئذ « طيبوصاحب » الذى أصبح لاحقا حاكم ميسور ، ولكن من الصعب تصديق ان حكومة المغول التى كانت قائمة وقتذاك كان لها شأن كبير بالامر كله .

وفي سنة ١٧٣٥ — كما اشرنا قبلا — وقف وكيل الشركة في بندر عباس الى جانب خان لار في خلاف حول سفينة ايرانية باعها مواطن ايراني لامام عمان ، وكان قد تردد سنة ١٧٥٨ ان قائد احدى السفن الانجليزية الصغيرة قد سلمها للامام لاستخدامها في حملة بحرية كان الاخير يعدها ضد رأس الخيمة ، وفي سنة ١٧٦٣ — لدى تعيين مستر برايس مندوباً إقليمياً للشركة في ايران — طلب منه المرور بمسقط في طريقه الى الخليج للحصول على معلومات ، وخولت له صلاحيات تقديم هدية بما قيمته ٢٠٠ روبية باسم « الشركة المعظمة دليلا على المودة » لوسيط هندوكي يسمى ناروتام كان يعمل كممثل محلي قدم لهم خدمات كثيرة في نقل المعلومات للهند . وفي ١٧٦٩ كان موظفو الشركة في البصرة يميلون الى مساعدة الامام بارسال السفن التجارية لرعاياه في البصرة ، لكنهم تراجعوا عن ذلك بسبب اوامر صدرت اليهم بتحاشي معاداة كريم خان الى جانب أنهم كانوا واثقين من ان الامام قادر على تسوية أموره هذه دون معونة منهم . وفي ١٧٦٩ قام مستر بودام(١) من رياسة بومباي بزيارة مسقط دون ان يخطر الوكيل والمقيم في البصرة باعتزامه القيام بالزيارة ، واعتبر عمله خطأ طلب الاعتذار عنه ، لكن رياسة بومباي رأت في طلبهما « سخفاً ولغواً لا معنى له ، فمستر بودام ليس تابعاً لهما وليس لهما ان يحاسباه على اعماله » ، وقد اشارت حكومة عمان بعد عدة سنوات الى هذه الزيارة على أنها المناسبة التي بدأت فيها العلاقات الودية بينهم وبين الحكومة البريطانية ، وفي سنة ١٧٧١ اقترحت وكالة البصرة تحالفاً مع الامام بهدف الوقوف ضد قراصنة ريج وخاراج وكانت ترى ان اعمالهم تقع بتحريض من كريم خان ، لكن هذا الاقتراح رفض نظراً لانه كان يتطلب القيام بحملة بريطانية بحرية على نطاق واسع .. وقرر مجلس ادارة الشركة في لندن ان يكون

---

(١) ربما كان هذا هو مستر ر. هـ. بودام الذى أصبح في سنة ١٧٨٥ حاكم بومباى .

ميناء مسقط ـ طوال استمرار عمليات القرصنة ـ هو الميناء الذي تلقى به السفن الانجليزية المصعدة في الخليج » (١) الطرادات البريطانية التي تقوم بحمايتها ، وفي سنة ١٧٧٣ حين انسحب اعضاء الوكالة البريطانية من البصرة الى بومباي لتفشي الطاعون في البصرة أقاموا في مسقط ـ وكان يرئسهم مستر مور ـ من ٤ الى ٦ مايو ، ثم ترك واحد منهم هو مستر ابراهام أصدرت اليه تعليمات بأن يمضي الى بوشهر ومن هناك يرقب سير الامور في البصرة . ولدى العودة الى البصرة في أواخر السنة رسا الوكيل والمقيم مرة أخرى في مسقط وأقاما فيها من منتصف نوفمبر حتى اول ديسمبر انتظاراً لاصلاح عطب اصاب السفينة « الفرات » التي تحملهما والتي كانت قد فقدت التوجيه وجنحت الى الشاطيء لدى دخولها الميناء . وفي ١٧٧٣ كان للشركة ممثل في عمان هو وسيط من أهل البلاد اسمه ناريان داس يبدو انه ظل في هذا العمل حتى زيارة الرائد كوبر في سنة ١٧٧٩ .

العلاقات مع فرنسا :

وكانت الدولة الاوربية الاخرى ذات العلاقة بعمان في هذه الفترة هي فرنسا التي استطاعت ـ عن طريق وكيلها في بغداد ان تظل على تراسل مع الامام وان ترسل اليه بعض المواد الحربية كهدايا بين الحين والحين ، لكن هذه العلاقات الودية قد انقطعت في سنة ١٧٨١ حين استولى الفرنسيون خطأ على السفينة « صالح » التابعة للامام ـ وهي سفينة مسلحة بخمسين مدفعاً ـ ولم تعد العلاقات الى سابق عهدها الا بعد سنين طويلة .

وحين مر الرحالة نيبور بمسقط سنة ١٧٦٥ ، لم يكن ثمة مستوطنون اوروبيون رسميون او غير رسميين في ذلك الميناء .

---

(١) يبدو ان هذا الامر كان يسرى على السفن البريطانية فقط ، لكن برستور كتب في سنة ١٧٧٥ يؤكد أن السفن الوطنية التى كانت تمضى ذهابا وايابا الى البصرة كانت تتمتع بنفس الامتياز .

الادارة الداخلية والعوائد ١٧٤٤ ـ ١٧٨٣

كان الامام احمد يتمتع باحترام رعاياه وتقديرهم رغم خروج البعض على طاعته كما رأينا . وقد خلف وراءه شهرة وصيتاً ذائعين لتمسكه بالعدل والحرية . وكان اهل صحار ـ بوجه خاص ـ مخلصين أشد الاخلاص لحاكمهم القديم اذ طالما قدموا له العون ووقفوا الى جانبه في مختلف الازمات التي واجهها بعد توليه الامامة . وكان الامام يكفل الحرية الدينية المطلقة لرعاياه حتى الهندوكيين منهم ، وكانت شرطته على جانب كبير من اليقظة والكفاءة في مسقط ، فكفلت لاهل البلاد والاجانب معاً الامن على ارواحهم وممتلكاتهم .

وقد حقق الامام احمد مكانة جاوزت اسلافه واحاط نفسه بحاشية لا من السياسيين فحسب بل من رجال الأدب والقانون أيضاً ، وكان يحمي الشعراء .. او على الاقل من كانوا يمتدحونه في أشعارهم .

وقدرت عوائده من مسقط في سنة ١٧٦٥ بحوالي مليون روبية ، وكانت ضريبة الواردات في ذلك الوقت تتحدد تبعاً لجنسية التاجر ودينه . وكانت محددة بنسبة ٥٪ من الثمن بالنسبة للتجار الاوربيين ، ٥,٦٪ بالنسبة للمسلمين ، ٩٪ للهندوكيين والهنود ، كما كان الامام يتقاضى ٦٪ من محصول التمر عيناً ، وكان هذا المحصول ، وما يزال حتى الآن ، هو المحصول الاقتصادي الاول في البلاد ، وكان الامام ايضاً يتجر لحسابه الخاص فيصدر العبيد والعاج على ظهور سفنه الى زنجبار وكلوه .

★ ★ ★

المصادر العسكرية للامام أحمد

كانت القوة البحرية للامام تتكون في سنة ١٧٦٥ من ٤ سفن كبيرة و ٨ صغيرة ، وكانت السفن الكبيرة تخصص في اوقات السلم للتجارة

في شرق افريقيا ، بينما تبقى السفن الصغيرة لحماية شواطيء عمان من القراصنة .. وان لم تستطع ابداً تحقيق ذلك الواجب الاخير تحقيقاً وافياً ، وقد ازداد اسطول مسقط زيادة كبيرة في سنة ١٧٧٥ كما رأينا ، فساد البحر تماماً في مواجهة ايران ، وكان للامام حرس خاص من العبيد الافريقيين للدفاع عن رستاق ، وجيش من العرب الاحرار للعمل في البلاد ، وكان جنود الامام وقت زيارة الرحالة نيبور لمسقط مسلحين بالبنادق التي تطلق بإشعالها وبالسيوف والبلطات ، وكان الامام يدفع لكل جندي ٤ روبيات في كل شهر .

★ ★ ★

تجارة مسقط على عهد الامام أحمد

ازدهرت التجارة مع البصرة ازدهاراً عظيماً على عهد الامام حتى بلغ الاسطول التجاري في سنة ١٧٦٥ حوالي خمسين سفينة تقوم برحلات سنوية الى البصرة ، ونلاحظ ان بحارة صور كانوا مشهورين أساساً بدورهم في هذه الرحلة السنوية لتجارة البن من اليمن الى العراق التركي ، عن طريق مسقط ، بين الخليج والهند والبحر الاحمر . وكان انتقال الوكالة الانجليزية من بندر عباس في سنة ١٧٦٣ امراً ذا فائدة عظمى لمسقط — التي اصبحت في سنة ١٧٧٥ أهم موانيء التجارة الداخلية . وكانت الصادرات التي تأتي الى مسقط من داخل جزيرة العرب هي الصمغ والمشروبات وريش النعام والجلود وعسل النحل وشمع العسل والماشية والاغنام . أما الصادرات من الخليج للاستهلاك المحلي فكانت التوابل الهندية والبهار والارز والتبغ والبن والسكر ، هذا الى جانب الثياب الانجليزية والماشية والآلات ، وازدهرت ايضاً التجارة العابرة في مسقط حتى اغرقت الخليج بكل الوان السلع والبضائع .

★ ★ ★

الامام سعيد بن أحمد ١٧٨٣
انتخاب الامام سعيد وتوليه الامامة ١٧٨٣

كان هلال الابن الاكبر للامام احمد أعمى مما جعله غير مؤهل للامامة فوقع اختيار الناخبين على الابن الذي يليه — سعيد الذي قام بدور سلبي في النزاع بين الامام الراحل وابنيه سيف وسلطان . وكان الامام سعيد هو آخر امام منتخب في عمان ، كما كان ايضاً آخر الأئمة الذين اتخذوا رستاق عاصمة لهم ، وقد فقد شعبيته منذ استهلال حكمه . وبعد فشل محاولتين لعزله عن الامامة وتولية أخيه قيس التالي له في السن ، تنازل الامام لابنه الكفء حمد ، وكان سعيد أثناء بقائه في رستاق منغمساً في حالة من الخمود لا تختلف كثيراً عن الضعف العقلي لكنه ظل حتى وفاته — بعد زمن طويل في عهد سعيد بن سلطان(١) — محتفظاً بلقب الامام ، بل وبدا في وقت من الاوقات — ولفترة قصيرة — كما لو كان الحاكم الفعلي للبلاد .

★ ★ ★

السيد حمد بن سعيد
١٧٨٤ ـ ١٧٩٢

الاحداث في عمان ١٧٨٤ ـ ١٧٩٢

لجأ حمد في بداية حكمه الى اسلوب الدس والتآمر ، وابتعد عن استخدام القوة السافرة ، وربما كان لهذا السلوك اسبابه في عجز والده واستحالة تعزيز مركز العائلة الحاكمة بوسيلة أخرى .

(١) كان سعيد بن احمد ما يزال حيا سنة ١٨١١ ، لكنه مات قبل سنة ١٨٢١ .

وقد اثبتت محاولة خلع سعيد وتنصيب أخية قيس ما كان يتمتع به الاخير من الشعبية عند الناس ، لكن وجه الخطورة على حمد تمثل في عمّية سعيد وسلطان اللذين اشاعا الاضطراب في السنوات الاخيرة من حكم الامام احمد . وسرعان ما ارغم سيف على مغادرة البلاد والاقامة في شرق افريقيا حيث مات فترة في لامو وهرب السيد سلطان الى جوادر في سنة ١٧٨٤ حيث أقطعه خان قلات ذلك المكان(١) ، لكنه ظل بين الحين والحين يجدد الصراع على أرض عمان ، واستطاع في احدى المرات — بمعاونة قبائل الجعافرة — ان يغزو وادي سمايل لكنه فشل في السيطرة على القلعة القائمة هناك وقد دمر جزء من سيجه ، واستطاع مرة اخرى — أثناء غياب حمد في رستاق — أن يغير على مطرح وينصب نفسه حاكماً لفترة في دارسيت . كما هزم والي مسقط الذي حاول أن يصده عن مطرح وطارده حتى بوابة جبر في مطرح . لكن الحرب العلنيه السافرة لم تكن ابداً تحول بين لقاء الاقارب المتصارعين من آل بو سعيدي ، فقد التقى حمد سلطان وغير مرة ، كان كل منهما فيها ينافق الآخر ويطري شجاعته .

ومات حمد بالجدري في مسقط سنة ١٧٩٢ ودفن في واد خلف المدينة

★ ★ ★

حكم حمد وسياسته ١٧٨٤ — ١٧٩٢

نستطيع القول استناداً للمعلومات القليلة التي توفرت عن حكم حمد بأنه كان متواضعاً عالي الهمة ، وكان دؤوباً بشكل خاص في محاولة تعزيز قواعده العسكرية ، فقد استطاع بالمعاملة الودية ان يجعل من حاكم نخل اليعربي صديق عمره ، واستطاع بمعاونة بني كلبان أن يستولي على قلعة البهلة الحصينة من يدي شيخ عبريي كما حصن الروى وعزز الدفاع عن مسقط وبركه ، وامر بأن تبنى له فرقاطة ضخمة سماها

(١) أنظر : تاريخ جوادر ص ٦٠١ ، ولقب سلطان عمان الحالي ما يزال يعتمد على هذه الهبه .

« الرحماني » في زنجبار(١) وفي سنة ١٧٩٠ كانت مسقط بفضل تزايد النشاط التجاري أغنى وأهم موانيء منطقة الخليج على الاطلاق .

نقل العاصمة من رستاق الى مسقط حوالي سنة ١٧٨٤ :

ولكن ربما كان اهم ما حدث في عهد حمد هو نقل العاصمة من رستاق في الداخل الى مسقط على الساحل . وكانت لهذه الخطوة نتائج بعيدة ودائمة ، فهي قد ابعدت حكام عمان من حيث كانوا لا يستطيعون الابقاء على أنفسهم الا بالوسائل العسكرية والسياسية ، ويسرت لهم جمع العوائد بسهولة على طول ساحلهم ، واستطاعت ان تضمن لهم شبه سلطة بغير اكراه عليها ، وهي أخيراً قد عرضتهم لغزو الحضارات الاجنبية ، فباعدت بينهم وبين النظام القبلي في الداخل وقللت أيضاً من شعبيتهم بين رعاياهم ، فلو ظلت العاصمة في الداخل كما كانت لكان محتملا ان تظل حكومة عمان طوال القرن التالي أكثر قوة وانضباطاً ، ولما حدث التحلل الخلقي في الاسرة الحاكمة على ذلك النحو من السرعة .

تجديدات أخرى مهمة :

كما حدثت عدة تغييرات سياسية أخرى ذات اهمية في ذلك الوقت . فالميل الى الاخذ بنظام الملكية الوراثية — الذي وضح اثناء حكم اليعاربة— قد أكده الحاكم الاول من اسرة آل بو سعيدي . ولكن ثمة مبادىء واضحة تحدد الاختيار ، واصبح النظام الجديد ، الذي يمكننا ان نطلق عليه النظام الوراثي الناقص ، يتيح المجال للفوضى والخلاف أكثر من نظام الانتخاب القديم . كما وضح في ذلك الوقت ايضاً ميل الحاكم لأن يقطع اقاربه الاقاليم ليحكموها ، وكان ذلك يتم بتعيينهم ولاة ، ولكن

---

(١) احترقت هذه السفينة في ميناء مسقط قبل موت حمد بثلاثة أيام ، ونلاحظ انها سميت بنفس الاسم القديم الذى كان لسفينة الامام أحمد التى استخدمت ضد قراصنة مالابار وساهمت في انقاذ البصرة .

هؤلاء الولاة كانوا يعملون بدورهم على الاستقلال بولاياتهم وتحويلها الى مشيخات مستقلة ، مما فكك البلاد وأدى الى شل الحكومة المركزية .

★ ★ ★

علاقاته بالدول الاوربية ١٧٨٤ ـ ١٧٩٢

العلاقات مع بريطانيا ١٧٨٤–١٧٩٢ :

خلال حكم حمد ، ظلت حكومته في عمان ترفض الطلبات المتكررة من البريطانيين لافتتاح وكالة لهم في مسقط ، وفي سنة ١٧٨٥ كانت شركة الهند الشرقية ما تزال بلا ممثلين هناك اللهم الا وسيطاً من أهل البلاد كان اسمه « خوجا تشاندر خان » .

وفي ١٧٩٥ زارت الميناء ثلاث سفن فرنسية الاولى في ٢٢ اغسطس وكانت سفينة حربية مجهزة بـ ٤٤ مدفعاً وتحمل ٣٥٠ رجلا ، والسفينتان الباقيتان اصغر منها ، احداهما سفينة تجارية . ومكث الفرنسيون عدة أيام ، وتردد انهم طلبوا السماح لهم بانشاء وكالة في المدينة ، لكن حاكم مسقط ـ الشيخ خلفان ـ رفض طلبهم بناء على اوامر الامام .

★ ★ ★

السيد سلطان بن أحمد ١٧٩٢ ـ ١٨٠٤

لم تبرز بعد آثار المساوىء التي اشرنا اليها فيما سبق في عهد سلطان ، الابن الخامس للامام احمد ، والذي وضعته قوة شكيمته الآن على قمة السلطة .. وكان حكمه قوياً . وأصبحت عمان ، التي طالما عانت فيما سبق بسبب طموحه ، تحقق كسباً كبيراً من عزمه وقوة شكيمته . ونستطيع ان نقسم عهد سلطان الى قسمين : ما قبل سنة ١٨٠٠ وما بعدها ، تميزت الفترة الاولى بفتح أقاليم جديدة وتميزت الاخرى بنضال ـ لم يحقق نجاحاً

كاملا ــ لحماية حدود عمان من غزو وهابي وسط الجزيرة وحلفائهم من القواسم في اقليم عمان الجبلي (١) .

★ ★ ★

عزل سلطان وتفكك عمان ١٧٩٣

حين مات حمد حاول ابوه الامام الاسمي ان يجدد اعلان نفسه اماماً لعمان . لكن السيد سلطان لم يكن يود ان يخضع لسلطة الامام سعيد .. فسرعان ما اعلن نفسه سيد قلاع بركة ومسقط ، وكان يؤيد سلطان في البداية شقيقه قيس الذي كان يسيطر على صحار ومطرح والذي كان يعلن انه معين من قبله . غير ان استيلاء سلطان على حصن مطرح اخيراً جعل شقيقه يفتح عينيه على حقيقة نواياه ، وأكمل سلطان فتوحاته بأن طرد من قلعة بيت الفلاح آخر جندي مناوىء في اقليم مسقط .

ولم تستطع قوات سعيد وقيس مجتمعة ان تزلزل وضع سلطان خاصة لأن الجعافرة في جميع انحاء البلاد كانوا يؤيدونه .. فامه كانت احدى قريبات شيخهم الكبير ، وقد اجتمعت العائلة في بركة وتم بينها الاتفاق على ان تصبح السلطة العليا لسلطان ، وتم الاعتراف بفتوحه هذه غير المنتظمة ، واصبح الامام الاسمي مالك رستاق ، وبقيت صحار في حوزة قيس .. وبعد هذه الاتفاقية عاش الاشقاء في مودة . ففي سنة ١٧٩٩ قام بنو نعيم — ومعهم بنو قتب وقسم من بني ياس بتهديد صحار . لكن سلطان وسعيد هبا لمناصرة قيس وأوقعا بالغزاة هزيمة ساحقة في

---

(١) القواسم قبيلة صغيرة ، احتفظت بمشيخة الشارقة ورأس الخيمة زمنا طويلا ، وما يزال اسم القواسم يستخدم حتى اليوم أحيانا ليعني كل العرب الخاضعين لسلطان هذه الاسرة ، أما في بداية القرن التاسع عشر ، فقد كانت هذه الكلمة تعني كل القبائل الخاضعة لحكم القواسم أو بتعبير آخر ، تعني كل القاطنين فيما يعرف باسم « عمان المتصالحة » ــ ما عدا بني ياس وربما أيضا القاطنين في رءوس الجبال .

« دباغ » ، وفي نفس الوقت تقريباً قام السلطان بالتنكيل بيدو اقليم دارو لانهم أخلو بأمن البلاد ، ويبدو ان قلعة نخل ظلت طوال فترة حكم سلطان في حوزة حاكم مستقل ممثل لليعاربة .

★ ★ ★

حروب وفتوحات سلطان على الساحل الايراني ١٧٩٣ ـ ١٧٩٤

من اول الاعمال التي قام بها السيد سلطان بعد توليه الامامة احتلال جوادر التي كان قد نفي اليها في حماية خان كالات ، وقد عين فيها سلطان والياً باسمه كان يعمل بأوامره ، واستولى بغتة على شهبار وضمها لاملاك سيده ، وقاد السيد سلطان بنفسه حملة بحرية على بني معن ، الحاكمين في قشم وهرمز ونكل بهم تنكيلاً شديداً وترتب علي هذا أمر طبيعي لكنه هام من الوجهة التاريخية ونعني به تحول العوائد في سنة ١٧٩٤ (١) التي تدفع ايجاراً لبندر عباس وما جاورها ـ بما في ذلك ميناب وجزر قشم وهرمز وهانجام ـ من شيخ بني معن الى حاكم عمان ، ولم يكن هذا الايجار السنوي يزيد في البداية عن ٤٠٠٠ روبية ، لعله ظل هكذا حتى سنة ١٨٢١ ، ولكن يبدو ان الحكومة الايرانية قد طلبت من السيد ضمان الدفع ، فقدم لها هذا الضمان في شخص تاجر ايراني اسمه « حاجي خيلات » .

★ ★ ★

الاحتكاك بينه وبين ايران وتركيا وحربه ضد القواسم ١٧٩٤ ـ ١٨٠٠

يبدو ان ما وصلت اليه عمان بسرعة من قوة بارزة في ظل حكامها الجدد أثار موجة عارمة من القلق . وفي سنة ١٧٩٧ حدث نزاع بين عمان وايران ،

(١) كانت سنة ١٧٩٤ هى السنة التى تمكن فيها آغا محمد خان كاجار من هزيمة لطف على خـــانزاند ، وايجار بندر عباس و .. الخ. اذا كان قد تم بالفعل التنازل عنه فلا بد ان ذلك وقع من احد مذين .

وصدرت التعليمات لشيخ بوشهر بتجهيز حملة برية لانزالها في مسقط ، ولكن يبدو انه عجز عن تنفيذ تلك التعليمات .

وفي سنة ١٨٩٨ كان يبدو ان السيد سلطان يعتقد ان له حقوقاً مالية على حكومة بغداد في مقابل الخدمات التي قدمها ابوه اثناء حصار البصرة ، فعقد صلحاً مع عدوه الدائم شيخ رأس الخيمة كي يستطيع التفرغ للمطالبة بحقوقه تلك من الباشا في بغداد بالقوة ، وازعج هذا الاتراك ازعاجاً جعلهم يطلبون عون المقيم البريطاني في البصرة ، لكن النزاع سوي ودياً في نهاية الامر بين المتسلم في البصرة وقائد اسطول البن التابع لمسقط الذي كان حينذاك في بوشهر(١) دون وساطة بريطانية .

وبعد استقرار هذا النزاع ، عاود سلطان الذي لا يهدأ معاداة القواسم وقد كان في حرب معهم طوال السنوات الماضية حتى سنة ١٨٩٧ ، وقام بهجوم بحري على دبي صده أهالي الشارقة والنقب بعد ان خسروا فيه خسائر طائلة ، وفي بداية سنة ١٨٠٠ كان سلطان ما يزال في حرب ضد شيخ رأس الخيمة .

★ ★ ★

محاولاته اخضاع البحرين ١٧٩٩ ـ ١٨٠٢

ثم أصبح شغل سلطان الشاغل محاولة اخضاع جزر البحرين ، غير ان مشكلة الوهابيين التي سنشير اليها فيما يلي قد عطلت كل جهوده .. ولم يتحقق له ابداً هدفه ذاك ، وكان العذر الذي تعلل به سلطان لمحاولة الاستيلاء على البحرين هو ان مشايخ العتوب في هذه الجزر رفضوا ان يدفعوا ضريبة زعم السلطان انها حق له على كل السفن التي تدخل

---

(١) حسب اقتراح من جانب مستر مانستي خول كابتن مالكولم ـ المقيم العام في البصرة سنة ١٧٩٩ ـ بأن يقدم النصح للسيد باقامة علاقات ودية مع الاتراك الذين كانوا في ذلك الوقت على تقارب وثيق بالبريطانيين ، ولكن لا يبدو انه قام بعمل ما في هذا الصدد .

الخليج من ناحية المحيط الهندي ، غير ان هدفه الحقيقي كان هو السيطرة على اهم اسواق اللؤلؤ في الخليج . وفي سنة ١٧٩٩ ، وفي ظل اتفاقية مع حاكم اقليم فارس الايراني شرع سلطان في العمل ضد « العتوب واستولى على ثلاث من سفنهم » ، غير ان النتيجة الوحيدة لهذا العمل كانت ان القى مشايخ القبائل بأنفسهم بين ذراعي ايران ، فاعلنوا ولاءهم للشاه ، بل ودفعوا ايضاً عوائد سنة ضماناً لاخلاصهم وحسن نواياهم للشيخ نصر شيخ بوشهر وممثل الحكومة الايرانية في هذا الامر الذي عرض خدماته كوسيط بين الطرفين ، وانتقم سلطان لنفسه بالاستيلاء على جزيرة خارج ، وبدأ التعامل مع الحكومة الايرانية على مستوى اعلى من مستوى الشيخ ناصر لكن خططه لم تنجح ، وفي اغسطس سنة ١٨٠٠ استعاد الشيخ احتلال خارج بقوة من المشاة قوامها الف وخمسمئة رجل .

الاحتلال الأول للبحرين ١٨٠٠ – ١٨٧٠١ :

وفي سنة ١٨٠٠ قامت قوات سلطان بهجوم ناجح على البحرين ؛ وعين ابنه سالم مسئولا عن هذه الجزر وجعل مقره حصن عرضي في جزيرة المحمرة ، وجعل الى جانبه والياً محنكاً كمستشار له ، كما فشلت أيضاً حملة قامت بها قوات سلطان على مدينة الكويت التي كان قد لجأ اليها بعض أفراد العتوب هرباً من البحرين ، وبعدها بقليل حوصر سالم في عراض وارغم على الاستسلام وانتهى احتلال عمان للبحرين بعد ان دام شهوراً قليلة فقط .

الاحتلال الثاني للبحرين ١٨٠٢ :

ومرة اخرى عاد سلطان لانزال قواته في البحرين ، لكن الوهابيين تعهدوا بمساعدتها ؛ وهنا لجأ السيد صراحة الى طلب العون من الحاكم العام الايراني في فارس ، وقدم له هذا العون بعد شيء من الارجاء ؛ واستطاع سلطان – حين وصلته الامدادات من بوشهر – ان يهزم مشايخ العتوب في صيف سنة ١٨٠٢ ، وقبل ان يجليهم عن الجزر تماماً

تزايد خطر الوهابيين مما ارغمه على ايقاف عملياته هناك ، ثم الانسحاب نهائياً من البحرين .

★ ★ ★

غزو الوهابيين الاول لعمان ١٨٠٠ - ١٨٠٣

بداية اعمال الوهابيين في عمان :

في هذه المرحلة بدأت قوة الوهابيين المتعاظمة في شرقي جزيرة العرب تثير الاهتمام .

ففي سنة ١٨٠٠ بعد ان احتل الوهابيون واحتى الإحساء والقطيف تقدمت قوات كبيرة منهم — على ظهور الخيل والجمال يقودهم عبد نوبي اسمه حريق — حتى وصلت البوريمي على حدود سلطنة عمان فأقامت هناك قاعدة حصينة . وسرعان ما انضم الى الوهابيين وتبنى قضيتهم ابناء قبائل بني نعيم وبني قتب وغيرهم من غير الموالين للحكومة المركزية في عمان . وعقد السيد سلطان — المشغول دائماً بالحرب — صلحاً مع شيخ القواسم في رأس الخيمة وسار بقواته الى البوريمي عبر وادي جيزه ، لكن نتيجة هذا اللقاء الاول لم تكن في صالح السيد سلطان ، فعقد هدنة مع حريق ورجع الى صحار . واستطاع سلطان في هذه الفترة من توقف الحروب في الداخل ان يواصل تنفيذ خططه ضد البحرين ويحرز فيها شيئاً من النجاح كما رأينا .. غير ان نشاط الوهابيين في هذا الاتجاه ايضاً اضطره لايقاف عملياته تلك ، وبدأت حرب جديدة ضد أمير الوهابيين في سنة ١٨٠٣ قضت اخيراً على آمال سلطان في البحرين .

استمرار الحرب :

ويبدو ان السبب المباشر للحرب هذه المرة كان ترحيب السيد سلطان بمطالب اشراف مكة الذين كانوا يحاولون الدفاع عن اقليم الحجاز في غربي الجزيرة ضد هجوم الوهابيين . وفي أوائل سنة ١٨٠٣ سافر السيد

سلطان ليحج الى الاراضي المقدسة ، وترك ابنه سالماً على حكم عمان ، يعاونه مجلس من المستشارين ، ورغم انه لم يقم بأي دور ايجابي في الخلاف الدائر بين الاشراف والامير ، الا انه ساعد الاشراف فأمدهم بالمال والعتاد ويبدو انه قد امدهم ايضاً بفرقة صغيرة مزودة بالسلاح والذخيرة . واثناء غياب سلطان قام بدر ابن اخيه سيف بمحاولة للاستيلاء على قلعة جلالي في مسقط لكنه فشل في محاولته ففر الى عجمان ومنها الى زنجبار ، ثم وصل اخيراً الى الدرعية حيث تقرب من امير الوهابيين وارتبط به .

حملة الوهابيين البحرية على عمان ١٨٠٣ :

واستاء امير الوهابيين لما فعله سلطان في شئون الحجاز ، وزاد استياؤه لأنه كان يراه مارقاً خارجاً على الدين .. فأعلن عليه الحرب . ووجه نداءه الى القواسم في رأس الخيمة والى االعتوب في البحرين والكويت للانضمام اليه ، لكنهم لم يكونوا راغبين في التضحية بموسم اللؤلؤ الذي كان في أوجه وقتذاك فاستجابوا لندائه بعد يردد ، وخشيت السلطات الايرانية والتركية هذا الخطر الجديد الذي يهدد شواطئها فأبدت استعدادها في البداية لمناصرة السيد سلطان . لكن استعداداتهم هذه ظلت رخوة ، تنقصها الشجاعة للاقدام على التنفيذ وربما ينقصها التماس الوسائل المناسبة . وبقي حاكم عمان وحده في مواجهة الوهابيين ، وبسرعة استطاع سلطان ان يتخلص من العتوب لكن اعداءه كانوا كثيرين .. حتى في البحر ، ووجد نفسه أعجز من ان يقوم بعمل هجومي وان يحمي شواطئه من الهجوم البحري في نفس الوقت . فقد نزلت فرقة من جنود الاعداء في جزيرة قشم التي كانت تابعة في ذلك الوقت لعمان . وكانت هذه من أهم احداث الحرب البحرية .

وأخيراً ارسل سلطان بعثة صلح الى الدرعية ، وتم الاتفاق على هدنة مدتها ثلاث سنوات ، على ان تدفع عمان جزية سنوية قدرها ١٢,٠٠٠ روبية وان يسمح لممثل سياسي عن الوهابيين بالاقامة في مسقط. لكن هذه الهدنة لم تكد تبدأ حتى خرقها الوهابيون .

حملة الوهابين البحرية على عمان :

ودخلت قوات بقيادة حريق اقليم الباطنة وارتكبت اهوالا تفوق كل وصف وهي في طريقها الى مسقط . وارسل السيد سلطان قوة لتدافع عن سويق التي كان الخطر يتهددها لكن الوهابيين سحقوها وأبادوا افرادها عن بكرة ابيهم . وفي مواجهة هذه الكوارث عقد السيد سلطان مجلس الحرب في بركة وتقرر استمرار النضال ضد الغزاة إلى آخر رمق ، وكان اول هدف امام هذا المؤتمر هو رفع الحصار عن صحار التي كان حريق يحاصرها بعد نجاحه في الاستيلاء على سويق وتعيين قاعس واليا عليها ، وحددت خابورة مكاناً لتجمع قبائل عمان . وحين تجمعت فيها قوات كبيرة وتهيأت للمسير الى صحار نمى الى حريق ان سيده عبد العزيز قد اغتيل في الدرعية فتراجع من صحار الى واحة البوريمي — وقنع قادة عمان بهذا الانسحاب من جانب العدو فسمحوا لرجال القبائل بالتفرق .

★ ★ ★

علاقة السيد سلطان ببريطانيا ١٧٩٢ ـ ١٨٠٤

فرضت الاحداث على السيد سلطان أن يتخذ قراراً في شأن خطير ربما كان أخطر من قرار حرب الوهابين ، وهو ان يحدد موقفه من الصراع الذي كان دائراً بين انجلترا وفرنسا في بحار الشرق في الفترة من ١٧٩٣ الى ١٨٠٢ ، لكنه لم يتخذ هذا القرار — على اية حال حتى سنة ١٧٩٨ .

حالة البريطانيين في عمان من ١٧٩٢ الى ١٧٩٨ :

وكانت مصالح بريطانيا في عمان حتى ذلك الوقت يمثلها وسيط من أهل البلاد طلب في سنة ١٧٩٣ تزويده بترخيص، وعلم بريطاني ليرفعه على سفينة له . وفي سنة ١٧٩٦ ارسل الملازم سكينر الى مسقط ومعه سفينة ومزود بتعليمات بالتأكد من اقامة أي فرنسيين هناك ، وبأن يعرض على حاكم الميناء مبلغاً يتراوح بين الف وثلاثة آلاف

روبية في مقابل تسليمه كل فرنسي ومعه اوراقه ، وان يرفع هذا المبلغ حتى ثمانية آلاف روبية بالنسبة لشخصين هما مسيو دي كورش المقيم الفرنسي في ارض الحيرة اومستر همفرليس وهو رجل انجليزي خائن ، كان يصحب مسيو دي كورش ، غير ان البعثة الانجليزية لم تجد فرنسيين في مسقط ، وكتب السيد سلطان خطاباً ودياً الى حاكم بومباي ينفي فيه وجود اي منهم في مسقط ، وفي سنة ١٧٩٧ رفضت الشركة طلباً تقدم به وسيط عمان (ناروتام رام شاندر روجي) للسماح له بتصدير الملح الى البنغال ، وعين له — بدل ذلك — راتب شهرى قدره ١٠٠ روبية ، وأصدرت اليه تعليمات بأن ينقل خطاباً من حاكم بومباي الى السيد سلطان ، وأن يتضامن مع أحد قباطنة سفن الشركة لاستصدار امر بمنع السفن الفرنسية والهولندية (فهولنده كانت متحالفة مع فرنسا ضد بريطانيا) من زيارة مسقط وهي ترفع فوقها أعلاماً عربية ، وكانوا قد لجأوا الى هذه الطريقة كي يفلتوا من استيلاء الانجليز عليهم في عرض البحر

بعثة مهدي علي خان والاتفاقية الاولى مع البريطانيين ١٧٩٨ :

وفي سنة ١٧٩٨ أدى احتلال الفرنسيين لمصر ومطامح بونابرت في الشرق الى ارغام السلطات البريطانية في الهند على زيادة التفاهم مع امام عمان وغيره من القوى الوطنية في الخليج . وفي سبتمبر سنة ١٧٩٨ ارسل ميرزا مهدي علي خان — وهو سيد ايراني من اسرة عريقة اختاره المقيم البريطاني في بوشهر للقيام بهذه المهمة — ارسل الى الخليج على ظهر السفينة « بانثر » وكان عليه ان يتأكد في مسقط من موقف سلطان تجاه الفرنسيين وان يحاول اغراءه بعدم مساعدتهم ، وان يحدد ايضاً مدى أهلية الوكيل الذي يمثل الانجليز هناك للثقة ، لأن الشك كان قد بدأ في التسرب الى نواياه ، ومن الناحية السياسية كان عليه أن يحاول مرة أخرى الحصول على اذن بفتح وكالة بريطانية في مسقط وان يعد الامام — اذا ما تعهد من جانبه بمنع الفرنسيين عن مسقط — بارسال طبيب

له من الهند . وخلال عشرة أيام فقط ، وبتكاليف لا تزيد عن ٢٨٢٠ روبية ، استطاع ميرزا مهدي أن يحرز نجاحاً في الجزء الأكبر من مهمته ، فاستصدر بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٧٩٨ « كاذلنامه » او اتفاقية مكتوبة من السيد سلطان تحقق أهداف السياسة البريطانية ، وبهذه الاتفاقية حدد الامام موقفه الى جانب الحكومة البريطانية في المسائل الدولية ، وتعهد بالا يقدم امتيازات تجارية او غيرها للفرنسيين والهولنديين في بلاده ، ما دامت الحرب معلنة بين بلادهم وبين شركة الهند الشرقية البريطانية ، وان يستبعد من موظفيه ويطرد من عمان كل من يحمل جنسية فرنسية ، وان يمنع الفرنسيين — الذين كانوا يتخذون من مسقط في ذلك الوقت قاعدة لعملياتهم ضد التجارة البريطانية ، من الدخول بسفنهم حتى الميناء الداخلي الذي ترسو عليه السفن الانجليزية ، وان يقدم كل العون الممكن للبريطانيين في حالة وقوع اشتباك في الميناء وان يسمح للبريطانيين — اذا شاءوا — باقامة وكالة ضخمة محصنة في بندر عباس ، التي كانت مؤجرة لسيد في ذلك الوقت من ايران . لكنه — وبتحريض من وسيط الشركة — رفض السماح للبريطانيين باقامة وكالة لهم في مسقط ، على أساس ان هذا العمل سيدخله طرفاً في الحرب ضد فرنسا وهولندا ، رغم انه في البداية قد وافق على اقامة مواطن انجليزي كوكيل سياسي في مسقط ، الا انه عاد فسحب موافقته تلك تحت ضغط الوسيط الذي أدى الى كل هذه الخلافات . وطلب السيد سلطان ان تمون سفنه في الموانيء الهندية بالماء والاخشاب مجاناً ، وهي ميزة وعدت السفن البريطانية في مسقط بالحظوة بها ، كما طلب أن تحصل كل سفينة من سفنه على خمسة آلاف حمولة من الملح في كلكتا بدل الف حمولة فقط ، وهذا كان الحد الاقصى المسموح به للسفن العربية . ورفع ميرزا مهدي هذين المطلبين الى حكومة بومباي كي تتخذ فيهما قرارها ، وكتب السيد سلطان خطاباً الى حاكم بومباي يشكره فيه على الهدايا التي أرسلت اليه ، ويؤكد له ان السفن التي ارسلها الى ارض الحيرة لم تكن الا محاولة لاستعادة سفينته التي كان الفرنسيون قد استولوا عليها ، فامرت

السلطات المسئولة في بومباي بطرد الوسيط الذي كان يمثل مصالح الشركة في عمان نظراً لميله الواضح للفرنسيين والهولنديين ، لكنه مات بعدها بقليل ، وعين في مكانه فيشن داس – الذي اختاره ميرزا المهدي علي خان – براتب قدره ١٠٠ روبية في الشهر ، لكن هذا الاختيار أيضاً لم يكن موفقاً ، فقد تبين ان فيشن داس كان يعمل في خدمة السيد سلطان .

استمرار علاقات يحوطها الشك ومراسلات بين السيد سلطان والفرنسيين ١٧٩٩ :

وفي اليوم التالي عرفت حقائق تثير الشك في موقف السيد سلطان من الحكومة البريطانية ، وخاصة ما قيل من انه كان ما يزال يستخدم موظفين فرنسيين وانه يشايع فرنسا ، وان واليه في زنجبار قد عامل بلانكيت قائد البحرية البريطانية معاملة سيئة ، وكان هذا قد رسا هناك وطلب ان يحصل على تموين لسفن صاحب الجلالة ، وانه قد طلب من الفرنسيين ان يسلموه سفينة كان يملكها مستر مانستي المقيم البريطاني في البصرة وكانوا هم قد استولوا عليها فجاؤوه بها الى مسقط ، وانه قد سمح لسفينة من سفنه بأن تحمل شحنة من الحبوب والكبريت كان الفرنسيون قد استولوا عليها من السفينة « بيرل » التي ترفع العلم الانجليزي في ارض العراق ، ثم بيعت بقية هذه الشحنة جهاراً نهاراً في اسواق مسقط ، كما استقبل السيد سلطان في ١٠ نوفمبر سنة ١٧٩٩ وكيلا فرنسياً ارسل خصيصاً للتفاوض معه . وتدعمت هذه الشكوك حين استطاع ضابط بحري بريطاني ان يضبط في عرض البحر خطاباً من بونابرت الى حاكم عمان ، بداخله خطاب لسلطان ميسور ، وهذه الوثيقة الهامة مؤرخة بالقاهرة في ٢٥ يناير سنة ١٧٩٩ ، وفيها اخطار للسيد سلطان باحتلال الفرنسيين لمصر ، وشكر وتقدير له على موقفه الودي من فرنسا ؛ ووعد بحماية سفنه التجارية التي قد تصل الى السويس ، ثم طلبٌ بنقل الرسالة المرفقة الى طيبو صاحب . وفي الرسالة المرفقة يعد بونابرت بمساعدة الصاحب للخلاص من البريطانيين . ومن الصعب ان

نحكم ما اذا كان السيد سلطان قد قام بعد عقد المعاهدة مع الانجليز بهذه الاتصالات ام ان هذه قد تمت منذ زمن بعيد ، ولكن لا بد أن حكومة الهند في ذلك الوقت كان لديها من المبررات ما استندت اليه في أن تسخط على ذلك العمل ، وتأمر بسحب الامتيازات التي كانت قد كفلتها لسفن السلطان في سنة ١٧٩٨ فيما يتعلق بالماء والاخشاب والملح في موانيء الهند .

بعثة كابتن مالكولم والإتفاقية الثانية مع بريطانيا . ١٨٠٠

وفي سنة ١٧٩٩ ارسلت حكومة الهند كابتن جون مالكولم في بعثته السياسية الاولى الى البلاط الايراني ، وأصدرت اليه تعليمات بأن يحاول وهو في مسقط « مناقشة أية نقاط تتعلق بالمصالح البريطانية في ذلك المكان » . لكنها ايضاً حذرته من ان تعطله مثل تلك المفاوضات عن المهمة الرئيسية التي ارسل من اجلها الى ايران ، وابحر معه على ظهر السفينة « انتربيد » مساعد الجراح أ. هـ. بوجل الذي اختير من أجل تسوية الامور بشكل افضل – كطبيب للسيد و المقيم البريطاني في مسقط ، وكان السيد قد طلب ارسال طبيب انجليزي اليه ، وحدد مرتب دكتور بوجل بخمسمائة روبية في كل شهر الى جانب ما يحصل عليه من عيادته التي سمح له بها . وحين علم كابتن مالكولم بأن السيد قد خرج من مسقط في جولة أنزل دكتور بوجل واستمر هو في طريقه داخل الخليج.. لكنه استطاع – لحسن الحظ – ان يجد السيد سلطان في ١٧ يناير سنة ١٨٠٠ على ظهر سفينته « جنجافا » في مرسى بين جزيرتي قشم وهانجام . وفي اليوم التالي ، وبعد « حوار قصير وواضح » ، صرح السيد سلطان بقبوله عقد اتفاقية جديدة مع الانجليز ، فلقد كان في ذهنه ولا شك ان هؤلاء مسيطرون تماماً على كل الساحل الغربي للهند ، وربما كان في ذهنه أيضاً الفشل الذي أصاب بونابرت في الشام ، وقد اتفق معه كابتن مالكولم رغم انه لم يكن مصرحاً له بعقد اتفاقيات ، وكانت هذه الاتفاقية الجديدة تؤكد الاتفاقية القديمة بحذافيرها وتضيف اليها السماح

بانشاء وكالة بريطانية في مسقط تحاشياً وصفحاً عن سوء التفاهم الذي حدث . واستمر كابتن مالكولم في طريقه الى ايران ، وارسل السيد سلطان يستدعي دكتور بوجل في مسقط حيث وافاه في ١٢ فبراير ، وحين عادت سفينة السيد الى مسقط في ٢٩ من نفس الشهر ، كان دكتور بوجل قد استطاع ان يكتسب ثقة السيد ، كما تلقى تعليمات مكتوبة من كابتن مالكولم بأن يقوم مقام الوكيل السياسي لبريطانيا في مسقط . وطلب السيد سلطان – خلال وجود كابتن مالكولم ودكتور بوجل معاً – ان ترسل له حكومة الهند ١٠ ضباط مدفعية اوربيين ليشغلوا المناصب التي كان يشغلها الفرنسيون والمفترض طردهم منها . ولا يبدو ان الحكومة قد استجابت لمطلبه هذا . وقبل وصول مالكولم الى الخليج بقليل كان السيد قد طلب من حكومة الهند ابقاء سفينة له في بومباي .

علاقات اخرى للسيد سلطان والبريطانين ١٨٠٠

وفي سنة ١٨٠٠ كتب بسيف بن محمد – الذي كان يقوم مقام السيد اثناء حملاته على القواسم – الى ميرزا مهدي علي خان يشكو من أن حكومة بومباي كانت قد سمحت للسيد باسترداد ١٠ آلاف حمولة ملح من كلكتا ، غير ان سلطات البنغال تجاهلت هذا التصريح . ورد عليه المقيم يذكره بالشكوك التي اثيرت حول موقف حكومة عمان من فرنسا ، وينصحه بأن يرى في صداقة الحكومة البريطانية « الروح التي تعيش عليها مسقط والرئة التي تتنفس بها » وان « يطارد الموالين لفرنسا كما يطارد الطاعون » ، وفي نفس الوقت ايضاً – وربما لغيظه من تعيين مالكولم في ايران ودكتور بوجل في مسقط – كتب الى حاكم بومباي يقترح مهاجمة السيد سلطان « نظراً لارتباطاته المريبه » ، وان يطلب البريطانيون الى الشاه ان يؤجرهم مسقط وسيوافق على ذلك ، غير ان هذه الاقتراحات لم تلق سوى الاهمال . واوضحت الشركة للسيد ان توقف سلطات البنغال عن منحه حمولات الملح انما نتج عن اهماله

الحصول على شهادة من وسيط الشركة في مسقط في ذلك الصدد .

الوكلاء السياسيون البريطانيون ١٨٠٠ — ١٨٠٣ :

وتوفي دكتور بوجل — اول وكيل او مقيم بريطاني في مسقط — بعد أقل من سنة ضحية مناخ مسقط ، وخلفه كابتن دافيد سيتون من جيش بومباي في سنة ١٨٠١ ، لكن سيتون ايضاً اعتلت صحته فاضطر لاخذ اجازة سنة ، لكنه عاد ثانية الى وظيفته في يونيو سنة ١٩٠٣ .

احلال بعثة فرنسية محل المعاهدات البريطانية ١٨٠٣ :

وتعرض اخلاص السيد سلطان لارتباطاته بالحكومة البريطانية لامتحان قاس بعد ذلك ، لكنه اجتاز هذا الامتحان بنتيجة مشرفة . كان بونابرت قد عين جنرال دي كين قائداً عاماً للمستعمرات الفرنسية في الشرق في ربيع سنة ١٨٠٣ ، ومعه تعليمات خاصة بان يتابع باهتمام تفاصيل حالة الانجليز في الهند ، فاتخذ لنفسه فاعدة في جزر الموريشيوس وارسل من هناك — في سبتمبر ١٨٠٣ مسيو دي كافيناك — الذي كان بونابرت نفسه قد عينه قنصلا ووكيلا سياسياً عاماً في مسقط . وفي ٣ أكتوبر سنة ١٨٠٣ وصل دي كافيناك الى مسقط على ظهر السفينة الفرنسية « اتلانتا » ، وكانت سفينة ذات صيت ذائع في أيامها ، ويبدو ان الحظ ابتسم له في البداية لان كابتن سيتون كان قد ترك مسقط في جولة بالخليج ، وكانت المدينة ملأى بالمتعاطفين مع الفرنسيين ، وهم اساساً من التجار واصحاب العلاقات التجارية في موريشيوس . واثناء انتظاره لعودة السيد سلطان — الذي كان مشغولا في ذلك الوقت بالمفاوضات مع قائد الوهابيين — عرف دي كافيناك امر المعاهدتين مع بريطانيا في ١٧٩٨ و ١٨٠٠ وكان يبدو ان الفرنسيين لا يعرفون شيئاً عنهما حتى ذلك الحين ، وربما هيأته معرفة هذا الامر لتقبل فشل بعثته فشلا كاملا في نهاية الأمر . وفي ١٢ اكتوبر وصل السيد سلطان الى عاصمته ، ومن فوره ابلغ البعثة الفرنسية أنه — بالرغم من ميله لمناقشة المسائل التجارية — الا انه لن يستطيع — بالنظر الى المعاهدات التي سبق ان عقدها مع بريطانيا — ان يتقبل وجود

ممثل للفرنسيين في مسقط ، او حتى يناقش اقتراحات بهذا الصدد ، وهكذا كان موقفه صلباً حتى إنه لم يسمح بمقابلة مسيو دي كافيناك ، وبعد ان بقيت « اتلانتا » يوماً آخر في الميناء لتختبر مدى جدية السيد سلطان في قراره هذا ، انسحبت تحت جنح الليل .

اسباب رعاية السيد سلطان للمصالح البريطانية :

وأبدى السيد سلطان استعداده للدخول مع البريطانيين في اتفاقية شاملة ، وكان يعتقد ان رؤيته هذه الحقائق يجب ان تكون من زاوية مصالح العمانيين في تجارة الهند ، فالامر لم يكن قضية تفضيل رجل انجليزي على رجل فرنسي . ويبدو ان السيد سلطان كان قد اقتنع غير مرة بأنه لو القى بكل ثقله الى جانب الفرنسيين فلن تجد الحكومة البريطانية أمامها سوى ان تحاصر اراضيه حصاراً تجارياً كاملا من ناحية الهند . كما ان خروج قوات بونابرت من مصر على سفن انجليزية ، وانتصار لورد ليك على المراهطة في الهند لا شك كانا من الاحداث التي أثرت على مواقفه السياسية .

مشاكل بين السيد سلطان وحكومة بومباي ١٨٠٣–١٨٠٤ :

ورغم اخلاص السيد سلطان لهذه المعاهدة في ظروف صعبة ، الا ان حكومة بومباي لم تكن راضية عنه كل الرضا لا سيما في موضوع القرصنة ، ويبدو ان السيد سلطان كان قد جعل امراً لازماً على كل سفينة مصعدة في الخليج ان تمر بمسقط وتحصل من مسئوليهاعلى الامان والحماية من القراصنة . وحين كانت السفن التي ترفع العلم البريطاني تهمل ذلك الشرط — كما كانت دائماً تفعل — ثم تقاسي فيما بعد ويلات القراصنة تحت سيطرة السلطان الفعلية او الاسمية لا تجد عند سلطان لاحقاً الا تراخياً في توقيع العقوبات او تقديم التعويضات .

وقد اعتبر سلطان مسئولا مسئولية خاصة عن غارة شنها في البحر ناصر السويدي ، من قبيلة سلطان نفسه . وكان هذا القرصان قد ترك

اقامته في مشيخة رأس الخيمة واستقر تحت رعاية سلطان في جزيرة هرمز — وقام باغارات عديدة ، وفي احدى المرات اغار ناصر على سفينة صغيرة لميرزا مهدي علي خان ، وكان على ظهرها أعضاء بعثة بريطانية رسمية ، لكن السيد سلطان تدخل هذه المرة ، وارغمه على رد السفينة لصاحبها وتكفل هو بأن يوصل افراد البعثة الى حيث كانوا متجهين .

ومرة اخرى استولى هذا السويدي على سفينة يملكها محمد بن خان الذي أصبح فيما بعد سفير ايران في الهند . وكانت السفينة ترفع العلم البريطاني ، كما استولى ايضاً على سفينة كانت تحمل شحنة من البارود متجهة من بومباي الى مقر الحاكم التركي في البصرة ، وفي هذه الحادثة الاخيرة يبدو ان بعض المسئولين المحليين في مسقط شاركوا في عملية نهبها . وتردد سلطان في ان يقدم على عمل بالنسبة لهذا الحادث لانه لم يتخذ خطوة واحدة حتى ارسلت حكومة بومباي السفينة « دنكان » وعلى ظهرها قوات هندية الى الخليج . ورغم ان كابتن ستيون صحبه في حملته على هرمز التي اشرنا اليها ، الا انه سمح للمعتدين ان يهربوا بما نهبوا الى ساحل الاحسا : حيث انضموا بعدها الى الوهابيين ، بل وقيل أكثر من ذلك ان سلطان قد سمح لاهالي نخيلوه — الذين كانوا قد نهبوا السفينتين البريطانيتين « هيكتوري » و « البرت » اثناء رسوهما على الساحل الايراني في صيف سنة ١٨٠٣ — بنقل ما نهبوه الى مسقط ، كما انه أيضاً قد اشترى السفينة الانجليزية « ارمينيا » التي كان الفرنسيون قد استولوا عليها ممن آلت اليهم . كما كان ثمة خلاف ايضاً حول جماعة من الفرنسيين لم يقم السيد سلطان بطردهم ، وكانوا قد جاءوا من « جوا » بالهند ودخلوا مسقط بجوازات مرور بريطانية ، كما يزعم سلطان ، ولكن يبدو ان زعمه هذا كان ضعيفاً لان هؤلاء الرجال بعد ان قامت سفينة بريطانية بأسرهم في مسقط وحملتهم الى بومباي اعادتهم من هناك الى مسقط مرة اخرى للتصرف في امرهم .

ولتسوية هذه المشكلات ، ارسل السيد سلطان – في بداية سنة ١٨٠٤ – وكيلا عنه للتفاهم في بومباي . وفي نفس الوقت وسّط لحل الامور مهدي علي خان . الذي أصبح فيما بعد المقيم البريطاني في بوشهر ، والذي كان حاكم بومباي يحبه ويقربه اليه . ويبدو ان هذه الاعمال قد ادت في نهاية الامر الى اتفاق وتسوية بين حاكم عمان والحكومة الهندية ، لهذا تأثرت حكومة الهند تأثراً بالغاً حين وافت المنية سلطان بعد هذه التسوية بشهور قلائل .

★ ★ ★

علاقة السيد سلطان بفرنسا ١٧٩٢ – ١٨٠٤

كشفت لنا الفقرات السابقة جانباً من طبيعة علاقات السيد سلطان بفرنسا ، ولكن يبقى ان نضيف عدة حقائق .

العلاقات الأولى بين السيد سلطان والفرنسيين :

يقال ان السيد سلطان أثناء تمرده على ابيه وحصاره في احدى قلاع مسقط استطاع أن يستولي على سفينة حربية فرنسية صغيرة كانت في الميناء ، وساعده بعض اسراها في تعزيز مواقعه وتحصينها بالمدفعية وتركت تلك المساعدة من الأسرى أثراً طيباً في نفسه تعزز بما قامت به السلطات الفرنسية في سنة ١٧٩٠ . ورغم ان السيد سلطان لم يكن على العرش حين ارسلت سفينة صغيرة الى مسقط بدل السفينة « الصالح » التي كانت استولت عليها السفن الفرنسية الحربية بغير حق على عهد الامام احمد ، الا ان حكومة عمان ظلت دائماً تبدي امتنانها من هذا التصرف الفرنسي .

السيد سلطان يستخدم الفرنسيين :

وظلت العلاقات الودية بين فرنسا وعمان على هذا النحو .. لكنها اضطربت خلال الثورة الفرنسية ، وما بعدها ، ووضع السيد سلطان نفسه بعد توليه العرش في خدمة الرعايا الفرنسيين الذين كانت تلقي بهم

الصدفة بين يديه ، ومن بين هؤلاء موريللي صاحب الصيت الذائع ، وطبيب عسكري فرنسي الجنسية فلمنكي المولد والدم ، وكلاهما جنحت به السفينة الى ساحل عمان في اوقات مختلفة ، وكان النص الذي طالبت به بريطانيا لطرد الموظفين الفرنسيين من خدمة سلطان هو الذي أثار أعظم الخلاف مع البريطانيين ، وحتى سنة ١٨٠١ كان لا بد من تذكير السيد سلطان المرة بعد المرة باستمرار وجود جوستين في مسقط .

الاتصال بين مسقط وجزر الموريشيوس :

وفي ١٧٩٧–١٧٩٨ ، بل وربما بعدها ايضاً كان الاتصال المنتظم مستمراً بين مسقط وجزر مورشيوس الفرنسية . ففي سنة ١٧٩٧ زارت مسقط السفينة « لاكشيمي » بقيادة كابتن كروش في قدومها من امريكا أغلب الظن عن طريق باتافيا ، وبعدها في سنة ١٧٩٨ ذكر كابتن سبنس قائد السفينة « بيرل » في تقريره ان رجلا فرنسياً كان له في مسقط سفينتان تقومان برحلات منتظمة من هذا الميناء الى الموريشيوس .

قضية السفينة بيرل ١٧٩٩ :

وتبدو قضية السفينة « بيرل » هذه حكاية غامضة بعض الشيء .. ولكن هذه هي الحقائق : في ٢٣ سبتمبر سنة ١٧٩٧ رست سفينة حربية فرنسية في مسقط او لعلها عبرت أمام الميناء من البحر ، فاستقبلت استقبالا ودياً طيباً ، وواصلت سيرها مصعدة في الخليج تبحث عن سفن انجليزية . وفي ٢٩ من نفس الشهر جاء الى ميناء مسقط من بوشهر طراد بريطاني يحمل عدداً من البحارة يتراوح بين ٦٠ و ٧٠ فأخذ تموينه من الميناء وراح يبحث عن السفينة الفرنسية ، وكانت هذه في ذلك الوقت قد استولت على السفينة « بيرل » وهي سفينة لاهل البلاد كانت في حماية علم بريطانيا ، وبين بحارتها بعض البريطانيين ، وعلى ظهرها شحنة من الخيول الهندية للمستر مانستي المقيم البريطاني في البصرة ، وميرزا مهدي علي خان المقيم البريطاني في بوشهر . ويبدو ان السفينتين الحربيتين البريطانية والفرنسية تقابلتا فيما بعد ، وتبادلتا اطلاق النيران ، فأصيبت

كل متهما بخسائر جسيمة . لكن رجال السفينة « بيرل » استطاعوا جرها الى مسقط حيث اشترى وسيط الشركة خيول مستر مانستي ، وتم التخلص من بقية الحمولة بهذه الطريقة . وما ت مستر كراملنجتون أحد ضباط السفينة التعسة في بومباي في نوفمبر سنة ١٧٩٩ قبل ان يستطيع ان يدلي بمعلومات كافية عن القضية .

علاقة السيد سلطان بطيبو صاحب ١٧٩٢ — ١٨٠٠ :

وقد نستطيع اعتبار علاقة السيد سلطان بطيبو صاحب في ميسور جزءً من علاقته بالفرنسيين ، فقدكان حاكم ميسور هذا على اتصال بهم . وقد استمرت وكالته السياسية في مسقط ، التي فتحت على عهد الامام أحمد باقية على عهد السيد سلطان ، بل وقد أصبحت الآن تسمى بالمفوضية ، وفي سنة ١٧٩٧ ذكرت التقارير ان خمس او ست سفن ترفع أعلام هذه الدولة تدخل ميناء مسقط كل سنة . ويبدو ان ممثلي طيبو صاحب قد هربوا فور وصول دكتور بوجل الى مسقط وكيلا بريطانياً وغرقت بهم السفينة — كما يروى — أثناء محاولتهم العودة الى الهند ، وفي ذلك الوقت كان رئيسهم قد لقي حتفه .

★ ★ ★

جولة السيد سلطان الاخيرة وموته ١٨٠٤

في سنة ١٨٠٤ ، حين جدد الوهابيين نشاطهم لفتح عمان فتحاً كاملا كانوا قد نجحوا في ان يتخذوا قاعدة في « بركة » قريباً جداً من مسقط . وطلب السيد سلطان العون من البريطانيين والاتراك ، ولم يلق من الأولين شيئاً سوى تثبيط الهمة ، اما الاتراك فتلقى منهم وعوداً دون عون حقيقي يذكر ، واضطر السيد سلطان للتعويل على قوته الذاتية ، فقام في سبتمبر سنة ١٨٠٤ على رأس أربع عشرة سفينة باجتياح الخليج بحثاً عن القراصنة ، ثم واصل سيره الى البصرة حيث التقى فيها

لقاءً سيئاً بممثل سلطة الاتراك ، ولعل اهم موضوعاتنوقشت في هذا اللقاء هي الاعانة المطلوبة بسبب الخدمات التي قدمتها حكومة عمان أثناء حصار البصرة ، والاستعدادات للقاء الوهابيين . ولدى عودة السيد سلطان الى عمان استبدل سفينة « جنجافا » بسفينة اصغر وهي « بردى » لرغبته ان يمر بباسيدو او يتخذ طريقه عبر كلارنس الى بندر عباس ، لكن السفينة « بردى » الصغيرة حين تجاوزت نطاق عون الاسطول العماني هاجمتها ثلاث سفن بحرية للقواسم في رأس الخيمة ، واصابت السيد سلطان طلقة في رأسه فقتلته ودفن على شاطيء لنجة ، وقد وقعت هذه الحادثة حول منتصف نوفمبر سنة ١٨٠٤ .

★ ★ ★

السيد سلطان : خلقه والادارة والضرائب في عهده

كان السيد سلطان رجل عزم وطبع جسور مقدام . وكان متحرراً من الاهواء الحسية ، وربما من الاخلاص ايضاً ، وكان حقاً أعظم من ولده المشهور السيد سعيد .

ولا نعرف عن سياسته الداخلية شيئاً كثيراً ، لكن الحقائق التي امكن التعرف عليها تؤكد ان عمان تمتعت ايامه بحالة من الامن و الرخاء ، وفي سنة ١٨٠٢ قدر عائد الضرائب في ميناء مسقط بثلاثة ملايين روبية في كل سنة (١) ، والعائد من ميناء السويق ٤٠ الف روبية ، وكانت ضرائب الصادرات تجبى بنسبة ٥٪ من ثمن التكلفة وتزداد هذه النسبة ٢.٥٪ أيضاً اذا كانت البضائع مما يعاد تصديره ، اما ضرائب الارض في مسقط ، فمعظمها كان وثيق الصلة بضرائب الدفاع ، وكانت تذهب في

(١) لا شك في أن هذا التقرير مبالغ فيه على ارجح الاحتمالات ، فقد بلغت عائدات الميناء قبل هذا التاريخ بثلاثين سنة مبلغ ١٠٠ ألف روبية ، وهو حتى الآن لا يكاد يصل الى ٣٠٠ ألف روبية .

الدفاع ، وقليل منها ما يصل خزينة مسقط ، وكان ثمة تجارة هائلة في تصدير الملح من الاقاليم الممتدة على ساحل ايران ، قدرت ارباحها — حين بدأ السماح للهند البريطانية بممارسة هذه التجارة — بمليون روبية تحصل عليها حكومة عمان كل سنة . اما ملكية الحاكم الخاصة — التي يتوارثها أبناؤه — فكانت في معظمها من نخيل التمر .

* * *

القوة العسكرية والبحرية في عهد السيد سلطان

كان قوام الجيش العامل في عهد السيد سلطان ٣٠٠ عبد مسلمين و ١٧٠٠ آخرين من السند والبلوش والعرب وبالاضافة الى ذلك فان سائر المواطنين العرب كانوا يلتحقون فوراً بالجيش اذا دعت الضرورة ، وهناك البعض الذين يأخذون مرتباتهم من العوائد كي يكونوا دائماً على اهبة الاستعداد للخروج الى الحرب . وهكذا كان للسيد سلطان جهاز فعال من الحرس القومي . وقد روى البعض ان السيد سلطان . كان يستطيع بمعاونة شقيقيه سعد وقيس ان يجند ٢٠ الف رجل للقتال في عمان ، لكن وسائله في القتال خارج حدوده كانت ما تزال ضعيفة . وفي حملته على البحرين لم يزد رجال حملته على ٧٠٠٠ رجل منهم ٢٥٠٠ ايراني .

ولسنا نعرف يقيناً قوة اسطوله(١) . لكنه لا شك كان على جانب من القوة ورغم أنه لم يستطع ان يحمي شواطئه المديدة المسافات امام التحالف البحري الذي تزعمه الوهابيون ضده . الا انه لم يتردد في الخروج باسطوله الى عرض البحر والإشتباك مع اعدائه بين الحين والآخر .

---

(١) كانت تبلغ حمولة سفينة رافعة العلم « جنجافا » ١٠٠٠ طن ، ومسلحة باثنين وثلاثين مدفعا من مختلف الاحجام ، وفي ١٨٠٠ كان له أيضا ثلاث سفن مصممة ومسلحة على طريقة السفن الاوروبية ، وبكل منها ٢٠ مدفعا .

تجارة عمان في عهد السيد سلطان

التجارة البحرية :

كان نشاط عمان في التجارة البحرية على عهده مزدهراً أعظم الازدهار ، وكانت التجارة قد بدأت في التزايد منذ الايام الاخيرة في عهد الامام احمد وبعد موته .

بلغت قوة مسقط وجدها في عهد السيد سلطان ما لا يقل عن ١٥ سفينة كبيرة تتراوح حمولة الواحدة منها من ٤٠٠ الى ٦٠٠ طن ، الى جانب ثلاث سفن أصغر . وكانت صور ميناء لاسطول تبلغ سفنه حوالي المئة من مختلف الاحجام تذرع البحر بلا توقف ، وتتوجه السفن الكبيرة منه إلى رحلات الى البنغال ، وتعود عن طريق الملايو وباتافيا او تصل الى مواني على ساحل مالابار ، وتقوم سفن أصغر حجماً برحلات تجارية لا تنقطع في الخليج وعلى شواطيء الهند الغربية وشرق افريقيا بل الحبشة ايضاً .

وكانت التجارة الخارجية على قدر يتفق وهذا الاسطول التجاري الفخم ، تحميه حكومة مركزية قوية تدافع عن مصالح التجار سواء أكانوا مواطنين أم أجانب بكل طرق الدفاع . ولم تكن ضرائب الاستيراد عالية ، فلم تزد على ٦٪ فقط من ثمن التكلفة على السلع من جميع الالوان ، كما كانت ضرائب البيع والشراء نقداً مقصورة على التجار الاجانب وكانت بقدر معقول ومريح على عكس مواني كثيرة في الخليج . وفي العقد الاخير من القرن الثامن عشر بلغت نسبة التجارة الايرانية التي تمر عبر مسقط الى تجارة ايران كلها ٥:٨ ، وكانت تشمل ممثلين لكل انواع النشاط التجاري ، أما أهم ما كانت تصدره الهند اليها فكان كصادراتها الى باتافيا والموريشيوس يتكون معظمه من التوابل واللؤلؤ والكبريت والملح الحجري والنحاس والزرنيخ ، ومن موانيء البحر الاحمر كان يرد تمر البصرة واللؤلؤ ومصنوعات الثياب الهندية

والتوابل . ومن موانيء الخليج ايضاً يرد بن اليمن ومصنوعات انجلترا والهند ، أما السفن الاوربية فكانت تشحن في الهند اساساً بالتوابل والمنسوجات الهندية والسكر والبهار والارز والكركم والنيلة والصلب والقصدير والرصاص واكسيد الرصاص « البلاقون » ، وكانت فرنسا بشكل خاص تتجر في الاسلحة القديمة ايضاً ، وكان محصول البن هو أهم واردات البحر الاحمر وقد قدرت الكمية الواردة منه بنصف انتاج اليمن بما يمون كل بلاد الشرق الاوسط ، والى حد ما كانت لروسيا والمانيا وبقية الدول الاوربية بعض الواردات القليلة .

اهداف السيد سلطان التجارية والسياسية :

لهذا لا ندهش حين يزعم السيد سلطان لنفسه حق حماية الملاحة في الخليج ، ومن هنا فقد كان يلزم كل السفن بأن تمر على مسقط اولا في زيارة مبدئية قبل ان تتقدم في الخليج ، وكان لرفض الحكومة البريطانية واسرة العتوب الحاكمة في البحرين هذا الالتزام النتائج السياسية التي أشرنا اليها فيما سبق . كما كان سلطان يطمع ايضاً في أن يجعل مسقط مركز التوزيع الوحيد للبضائع التي تأتي من الخارج لتباع في موانيء غرب الخليج ، لكن افراد العتوب الذين كان لهم أكبر قدر من تجارة الخليج لم يكونوا يميلون الى مسقط ، وكانو يفضلون ان يبدأوا رحلاتهم من البصرة وينتهوا اليها ، وهذا يعني انتقال شيء من رواج التجارة الهندية وغيرها من الدول الاجنبية الى هذا الميناء ، واخيراً وجد السيد سلطان ان لا بد ان يدخل في علاقة تجارية وثيقة بالسلطات الحاكمة في البصرة ، واعتباراً من ذلك الحين ووفق اتفاقية ابرمت بين الطرفين بدأ تبادل البضائع والسلع بين الميناءين بطريقة استيراد مخفضة قدرها ٣٪ من ثمن التكلفة .

★ ★ ★

السيد بدر بن سيف ١٨٠٤ ـ ١٨٠٧(١)
الاضطرابات التى أعقبت موت السيد سلطان

عقب وفاة السيد سلطان ، توقفت الحكومة المركزية في عمان فترة من الزمن ، فقد كان أكبر ابناء السيد الراحل ولدين قاصرين هما سالم وسعيد وقد وضعا تحت وصاية محمد بن ناصر ، من قبيلة جبريل ، وهو قريب للسيد سلطان من ناحية أمه . وسرعان ما اعترض قيس والي صحار على توليهما السلطنة ، وكان قيس أقوى ابناء الامام أحمد الذين ما زالوا على قيد الحياة ، هذا الى جانب دعمه من شقيقيه سعيد بن احمد والي رستاق والامام الاسمي ، ومحمد ابن احمد والي سويق ، وتقدم قيس بقواته فجأة الى اقليم الباطنه ، وسيطر على طريق خابوره ـ سيب ، وبدأ حصار العاصمة .

ظهور بدر بن سيف وتدخل الوهابيين :

وكان وضع هؤلاء الفتيان حرجاً ، حين ظهر فجأة ابن عمهم(٢) بدر بن سيف فاعاد ميزان القوى نظراً لكفاءته الشخصية وارتباطات له بالوهابيين احكم عراها وهو منفي عندهم . وقد استدعته لنجدتهم من الزبارة بقطر السيدة موزة بنت احمد التي كانت على جانب من قوة الشخصية والمراس ، فمال الميزان ضد قيس ، وهدد الوهابيون صحار ووصلت قوة كبيرة من الجعافرة يقودها حميد بن ناصر الى صحار القريبة منهم ، واضطر قيس للتخلي عن مطرح التي كان قد استولى عليها ، ووافق على ان تضم لحكمه في صحار بعض المواقع الصغيرة المتناثرة في الباطنة ، ولكنه عاد بعد اسابيع قليلة فنقض تلك الاتفاقية واحتل مطرح من جديد ، وارغم بدراً على طلب العون من الوهابيين ، فتحركت قوات كبيرة منهم الى مسقط قوامها خمس عشرة سفينة على ظهرها

(١) هذه الفترة القصيرة يتناولها المؤرخون عادة على انها جزء من حكم سعيد بن سلطان ، لكن السلطة المطلقة في هذه الفترة كانت في يدى بدر حتى موته في سنة ١٨٠٧ .

رجال العتوب وغيرهم من القبائل البحرية الخاضعة لنفوذ الوهابيين ، ورسا الاسطول في مسقط ، وقام باعمال ارهاب اعادت الى الاذهان ذكرى مذبحة كربلاء وغيرها من مذابح التاريخ ، وساد الرعب مسقط ، وكانت سياسة الوهابيين ترمي الى ابقاء القوتين المتنازعتين في عمان في حالة تكافوء ، فقد نتج عن تدخلهم هذا ان تخلى قيس عن مطرح في مقابل راتب شهري قدره ١٠٠٠ روبية يدفعها له بدر . وكانت النتيجة العامة لهذه الاحداث العاصفة التي لم تستغرق أكثر من اسابيع قليلة هي هي تنحية ابني سلطان الصغيرين عن السلطة ، ووضع بدر في مكانهما .

★ ★ ★

سياسة حكومة الهند ١٨٠٥

اعتادت حكومة الهند ان ترى في عمان – منذ عهد السيد سلطان – قاعدة جيدة وأداة فعالة ضد القراصنة ، لكن هذه السياسة اهتزت بعد موت السيد سلطان وقيام الشك في وجود من يخلفه ويستطيع ان يوفر لعمان مثل حكومته القوية الفعالة ، وللسياسة البريطانية في الخليج مثل الضمانات التي كانت لها .

اعادة فتح المفوضية السياسية ١٨٠٥ :

وعمد المسئولون البريطانيون الى فتح وكالتهم في مسقط – وكانت قد انسحبت منها قبل عدة شهور – وعينوا كابتن سيتور مسئولا عنها ، وكانت التعليمات التي لديه هي ان يقف الى جانب ابناء سلطان ، اذا أمكن تحقيق هذا دون اقحام الحكومة البريطانية في عمل عدائي ضد الجانب الآخر ، والا فعليه ان يقيم علاقات ودية بالحاكم الموجود ، وفي كلتا الحالتين عليه ان يسعى للحصول ممن يخلف السيد سلطان على اعتراف باتفاقيتي سنة ١٧٩٨ ، ١٨٠٠ .. وحين وصل كابتن سيتور – في ابريل على الارجح – كان السيد بدر هو الذي يتولى السلطة ، وكان على استعداد لتقبل كل ما تطلبه الحكومة البريطانية ، فاستطاع سيتور

أن يحصل منه على تأييد وتعزيز كاملين للمعاهدات التي عقدها سلفه .
وفي عهد السيد سلطان لم يكن مسموحاً للمقيم السياسي ان يرفع العلم البريطاني على الوكالة ، وكان البيت الذي خصصته له الحكومة شيئاً زرياً حقيراً ، ولا يبدو ان ثمة تغييراً أصاب شيئاً من هذين ، وأعلنت حكومة الهند وكانت تسمى في ذلك الوقت « حكومة بومباي » — وهي تعيد فتح وكالة مسقط — انها تنوي ابقاءها مفتوحة على الدوام . ووصفها حاكم بومباي بأنها — وان كانت قائمة بأوامرنا نحن الا انها « للخدمة العامة » لا لخدمة بومباي فقط على وجه التحديد . »

★ ★ ★

استعادة بدر لتوابع عمان في ايران ١٨٠٥

الحملة على بندر عباس ومعاونة الانجليز فيها مايو ـ يوليو ١٨٠٥ :

واشترك كابتن سيتون رغم كون التعليمات الصادرة له تتعلق اساساً بمكافحة القرصنة التي زادت زيادة مروعة ، في حملة بحرية خرجت من مسقط في مايو سنة ١٨٠٥ واستعادت بندر عباس من مشايخ بني معن في قشم ، وكانوا قد تملكوها خلال فترة الاضطرابات التي أعقبت موت السيد سلطان ، كما خلصت ميناب من الحصار الذي كانوا قد فرضوه عليها . وكتب سيتون بأن السيد كان يرى استعادة توابع عمان في ايران عملا « أكثر أهمية من مكافحة القرصنة ومقدماً عليها » في الخليج ، وانه لو لم يكن هو نفسه موجوداً لقام بدر بأعمال عدائية كثيرة ضد الحكومتين الايرانية والوهابية . وقد صحب الحملة العتوب الذين كانوا زاروا مسقط ممن كانوا يخضعون للوهابيين ، لكنهم انسحبوا من الحملة وهي في مراحلها الاولى ، والعمليات التفصيلية التي قامت بها الحملة ضد بندر عباس ، ثم ضد قشم في يونيو ويوليو موجودة بالتفصيل في مكان آخر ، ويكفي هنا القول بأن جميع

الخطوات التي اتخذت لاستعادة توابع عمان قد نجحت ، رغم انها أثارت فيما بعد احتجاجات شديدة من جانب الشاه ، وأدى حصار الاسطول العماني لقشم الى عقد هدنة مدتها سبعون يوماً بين السيد والقواسم .

وكان السيد بدر — اعترافاً منه بجميل وعون كابتن سيتون له ، ورغبة من جانبه في أن يستطيع التوحيد بين المصالح البريطانية والعمانية على سواحل ايران — قد سمح باقامة وكالة بريطانية في بندر عباس كما يشاءون ، لكن هذا التنفيذ ارجيء بالنظر الى ضرورة الحصول على موافقة الحكومة الايرانية عليه .

وفي العام التالي نجح السيد في اختطاف شيخ بنى معن ، وحمله الى مسقط حيث سجن مرتهناً حتى تسلم له قشم وهرمز في مقابل اطلاق سراحه غير ان الشيخ سلطان ، شيخ رأس الخيمة — حين ارسل قوة الى مدينة قشم — رفض بنو معن قبول هذه الشروط ، واثناء غياب الاسطول العماني عن مسقط في سنة ١٩٠٥ قام الشيخ سلطان بعمليتي قرصنة في صور وجوادر على ساحل عمان .

★ ★ ★

الحالة الداخلية في عمان

هزيمة قيس النهائية على يد بدر :

أثناء عودة السيد بدر قام بعقد معاهدة لمواصلة الحرب ضد قيس ، وقبل ان يعد عدته لذلك ظهر قيس على حين غرة في مطرح واستطاع ان يغزو مسقط من البر ، وهاجم مختلف مداخل المدينة على التوالي ، ولكن بلا نتيجة ، فالجعافرة (وخاصة القبائل الخاضعة لهذا المتآمر والداهية شيخ بني عينين (وقسم من الحناوية) منهم الذين يقودهم عيسى بن صالح ، الذي اصبح ابنه من بعده ثائراً ومتمرداً شهيراً على حكام عمان والامام الاسمي (سعيد بن احمد) كل هؤلاء تحالفوا

ووقفوا هذه المرة الى جانب السيد بدر ، وتلقى هذا أيضاً عون قبيلة بني ياس البعيدة في دبي ،-بل وحتى عون العتوب . اما قيس فكان يقف الى جانبه بنومعن في قشم ، وليس هذا امراً غريباً كذلك وبعض القواسم على الاقل . ونجح الشاب سعيد بن سلطان ، الذي كان في بركه في ان يحتل سيد وبدبد ، واستعدت حامية مسقط لمهاجمة مطرح بعد ان شجعها نجاح سعيد والتعزيزات التي وصلت اليهم ، ووجد قيس ان كل شيء قد انقلب عليه فطلب اجراء المفاوضات ، وكان وضعه سيئاً بحيث ان المعاهدة التي عقدت لم تحرمه فقط من مطرح ، بل ورفضت مطالب كثيرة له ، ولم يبق له سوى خابورة التي كان قد استولى عليها منذ موت السيد سلطان ، وقام البدر بمحاولة ثانية لاعادة احتلال خابورة غير انها خابت نتيجة خيانة حميد بن ناصر من قبيلة عينين ، الذي أخذ في مرتين متتاليتين هدية قدرها ٤٠ الف روبية في مقـــــــــابل خدماته ضد قيس ، لكن قلعتي باهله ونزوة في الداخل استسلمتا لبدر بجهود محمد بن احمد أخ قيس وخليفة .

★ ★ ★

اغتيال سعيد بن سلطان للسيد بدر ١٨٠٧

وما كادت تنهار قوة قيس حتى صمم سعيد بن سلطان البالغ من العمر سبع عشرة سنة ان يخلع عنه نير بدر . وكان بدر قد اغتال من قبل مهنا بن محمد حاكم نخل اليعربي أخلص الاتباع الموالين لسعيد وأخيه ، وفي سنة ١٨٠٧ استدرج سعيدُ بدراً الى بركة ، ودبر قتله بالقرب منها في عمل من اشنع اعمال الخيانة ، لكن هذا العمل ، بدل ان يلقى السخط الذي هو جدير به من الناس ، رأوا فيه دليلا على قوة سعيد ابن سلطان وقدرته على الحكم ، وأدى هذا العمل ايضاً الى التصالح مع قيس الذي قبل الآن ان يجعل نفسه على رغمه ، تابعاً لابن اخيه المنتصر .

★ ★ ★

السيد سعيد بن سلطان ١٨٠٧ ـ ١٨٥٦

يبدو ان السلطات البريطانية المسئولة كانت تتوقع الا يدوم حكم سعيد بن سلطان سوى مدة قصيرة ، فهو قد بدأ وسط مجموعة من الاعمال غير الشريفة . فيما كان معظم عمان ـ باستثناء الساحل ـ يسيطر عليه الوهابيون ، وقد خرج سكان مسقط واهلها في هجرة جماعية منها لعدم اطمئنانهم للحكومة الجديدة . وقاومت مكران ، باستثناء مدينة جوادر ، سلطة العرب . لكن الاحداث على اية حال قد كذبت حتى وجهات نظر المراقبين المقيمين في المنطقة .. فاستمر حكمه ، على الرغم من اضطرابه وقلقه ، أكثر من نصف قرن ، واصبح تاريخه ـ بالتالي ـ أطول تاريخ لحاكم في عمان . وظل سالم الاخ الاكبر لسعيد حتى وفاته سنة ١٨٢١ يشترك مع أخيه في الحكم ، لكن تأثيره في مجرى الامور ـ على الرغم من علاقته الوثيقة بسعيد التي ظلت حتى النهاية ـ كان ضعيفاً . ولم يكن لهذا من تفسير سوى شخصيته المتقلبة الغريبة الاطوار .

وينقسم عهد سعيد انقساماً طبيعياً الى مرحلتين ، وفي خلال المرحلة الاولى التي تنتهي بسنة ١٨٢٩ كان سعيد يوجه اهتمامه الشخصي كله الى شئون عمان والخليج ، وكانت سياسته في هذه المنطقة عدوانية عنيفة أعادت للاذهان سياسة ابيه الراحل ، أما في المرحلة الثانيةفقد اتجه سعيد بكل قواه فيها لساحل افريقيا ، وأصبحت زنجبار هي مقر اقامته المفضلة ، وتدهورت احوال عمان في الداخل .

★ ★ ★

حروبه ضد الوهابيين وحلفائهم القواسم
١٨٠٧ ـ ١٨٢٠

سخط الوهابيون على تولي سعيد السلطة ، فقد انكشفت نواياه نحوهم أثناء حكم نصيرهم وصنيعتهم السيد بدر ، ويبدو ان امير الوهابيين — الذي لم تهزم سيوفهم في معركة من قبل — كان مصمماً على بذل كل الجهد لاخضاع عمان . وفي الوقت نفسه ، بدأ هذا العاهل يتظاهر بتصديقه تأكيدات سعيد الذي كان بكل وقاحة يتهم نصيره السابق محمد بن ناصر باغتيال بدر ، ويعلن استعداده لان يتخذ سبيل الموافقة على مطالب الوهابيين . وانه مستعد لدفع الجزية ، ووعد بأن يسمح باقامة حامية وهابية في بركة بدل التي فرت منها عقب اغتيال بدر

طرد السيد سعيد من خور فكان :

وهكذا تأجل حدوث اشتباك مباشر ، لكن سعيداً خرج في مايو سنة ١٨٠٨ — بتأييد من قيس ومحمد بن مطرح شيخ جويرة — في حملة على خور فكان حيث كان شيخ رأس الخيمة سلطان بن صقر قد بنى قلعة صغيرة جعلها قاعدة لعمليات القرصنة التي كانت قبيلته تقوم بممارستها ، وكان الوهابيون لا يرضون عنها . واستطاعت الحملة التي تضم افراداً من آل وهب وحارث وبني حجر ان تستولى على القلعة وتضرب أعناق جنودها .. لكن سلطان بن صقر ظهر فجأة على الساحل ومعه حملة كبيرة استطاع بها ان يرد سعيداً وجنوده الى سفنهم بعد ان أوقع بهم خسارة جمة ، وكان قيس بن احمد بين القتلى . وفي اواخر نفس السنة عزل الوهابيون سلطان بن صقر من مشيخة رأس الخيمة وجعلوا بدله حسين بن علي ، شيخ الرمس حاكماً باسمهم على القواسم ، ويبدو انهم في نفس المناسبة ايضاً اقاموا حامية من قواتهم في خور فكان .

الحروب بين السيد سعيد والوهابيين ١٨٠٩ :

وفي سنة ١٨٠٩ انتهز سعيد فرصة غياب الامير الوهابي في مكة ، واعتماداً على وعود بالعون من شيخ بوشهر والعتوب وقسم من الساخطين بين القواسم ، سار بحملة الى الخليج وفي نيته ان يقوم بهجوم على الحاكم الوهابي الجديد على القواسم . لكن حلفاءه لم يتعاونوا معه كما ينبغي منهم ، فاضطر سعيد الى العودة الى مسقط دون أن يحقق شيئاً . اما الوهابيون — الذين كان لهم مقيم سياسي ما يزال في مسقط ، والذين كانت حماستهم الدينية دافعاً لخلق انصار لهم داخل المدينة — فقد طلبوا من سعيد الاشتراك مع القواسم والعتوب في حملة بحرية على الكويت والبصرة ، لكن السفينة الحربية البريطانية « كور نواليس » التي كانت راسية خارج راس مسندم لمنع غارات القرصنة على شواطيء الخليج قد جعلت سعيداً يتعلل بها ، ويتملص من هذا المطلب الآمر ، غير ان التعلل بالعون البحري من الحكومة البريطانية لم يكن ينجيه من ان يدفع من ارض عمان ثمن مخالفته لسياسة الوهابيين ولو بشكل غير مباشر . وقبض سعيد على محمد بن ناصر ، نفس الرجل الذي اتهمه من قبل باغتيال بدر ، وسجنه حتى سلمه سمايل وبديد ، لكن هذا العمل افقد سعيداً نصيراً يعتد به . وبعد ان ضمن محمد بن ناصر صداقة بني رواحه وصداقة حميد بن ناصر من قبيلة العينين ، مضى محمد وسلم نفسه لقيادة الوهابيين ، وكانت نوايا امير الوهابيين بالنسبة لعمان واضحة كما اشرنا ، وسرعان ما أغراه محمد بن ناصر بارسال حملة على عمان يقودها مطلق المطيري ويصحبها محمد بن ناصر .

الحملة العمانية الانجليزية المشتركة على سبتناس ١٨٠٩ :

وفي نفس هذا الوقت — سنة ١٨٠٩ — ارسلت حكومة الهند اول حملة لها على القواسم ، واسباب هذه الحملة لا تقع داخل عهد سعيد وهي موجودة في مكان آخر ورجع الرائد ليونيل سميث الى مسقط بعد ان نفذ التعليمات المعطاه له بالنسبة لرأس الخيمة ولنجة ولافت ،

وفي مسقط تشاور مع سعيد فيما يمكن اتخاذه من اعمال اخرى .. أما القائد الوهابي مطلق المطيري الذي وصل متأخراً لنجدة القواسم في الدفاع عن رأس الخيمة فقد استولى على ميناء شناص في الباطنة ، واقام عليه والياً اسمه محمد بن احمد ، وحين طلب رأي سعيد اشار بارسال حملة لاستعادة شناص ، وخور فكان ايضاً اللتين هزم فيهما هزيمته النكراء في العام السابق ، وقبلت اقتراحاته . وكانت الحملة التي صحبها السيد سعيد مكونة من حوالي ٢٠٠٠ رجل صعدوا على سفن انجليزية وفرنسية الصنع . ووصلت الحملة شناص في ٣١ ديسلبر سنة ١٨٠٩ ، ونزلت الى البر في اول يناير ١٨١٠ ، واتخذت مواقعها على الشاطيء ثم لحقتها قوات سعيد من الخيالة بعد ان شقت طريقها عبر صحار ، وفي يوم ٢ يناير اطلق العدو على القلعة عدة طلقات من مدفع عيار ١٠ بوصة لكنها لم تجد نفعاً ، واستمرت محاولاتهم لهدم اسوارها . وفي صباح ٣ يناير استطاعوا ان يفتحوا ثغرة في جدارها وتقدمت القوات للهجوم عليها ، وسابقت قوات العمانيين الى الثغرة واحتلتها ، لكنها ردت عنها رداً عنيفاً ولم تستطع ان تتقدم ، ثم تقدمت القوات الانجليزية وارغمت المعتدين على الانسحاب من برجين من ابراج القلعة (وكانت هذه مربعة ولها اربع ابراج) ، وتمسك العمانيون بالبرجين الباقين ودافعوا عنهما بشجاعة نادرة حتى استمر القتال دون توقف الى الخامسة والنصف بعد الظهر ، وعندها لم يستطع العمانيون الاستمرار في مقاومة نيران المدفعية ، فلاذوا بالفرار ملقين بأنفسهم من فوق برجي القلعة ، وقد سقط ٧ من فوق البرج الصغير ، واكثر من ١٠٠ من البرج الكبير ، وكلهم مصابون بجراحات خطيرة او مشوهون ، أما خسارة البريطانيين فقد كانت ضئيلة لان الاعداء اقتصروا على الدفاع ، فقتل جندي انجليزي واحد وجرح ضابطان وسبعة جنود انجليز وجنديان هنديان ، وبلغت خسارة العدو اكثر من ٤٠٠ قتيل في العملية كلها . فقد فقدوا اكثر من

٣٠ او ٤٠ رجلا في محاولة الفرسان اقتحام اسوار المكان فقط . واراد السيد سعيد ان يضع قوات في القلعة برغم انها لم تعد محصنة يمكن الدفاع عنها ، كما اوقف الحملة التي كان ينوي القيام بها على خور فكان ، وفي نفس الوقت وصل مطلق امير الوهابيين من البوريمي .

انتصارات الوهابيين ١٨١١ :

وفي مساء ٥ يناير نفس اليوم الذي صعدت فيه القوات البريطانية وقوات سعيد الى ظهور سفنها ، عثر مطلق على القوات العمانية التي كانت ما زالت باقية الى جوار شناص فأبادها في مذبحة رهيبة . ونجا سالم شقيق السيد و « عزان بن قيس » حاكم صحار من هذا المصير لأنهما كانا مع الجيش على الشاطيء (١) وواصل مطلق انتصاراته فتقدم نحو صحار وحاصرها لكنه لم يستطع الاستيلاء عليها فتقدم الى مسقط وحاصرها هي ومطرح وبركة . وكان مع الوهابيين ، الى جانب محمد بن ناصر الجابري ، حميد بن ناصر من العينين ، ورجل من اليعاربة ، ذوي النفوذ في نخل ومالك بن سيف الذي انحاز لهم ايضاً . وفي بداية سنة ١٨١١ ، هزمت قوات سعيد هزيمة نكراء في وادي محول بالقرب من حصن سمائل الذي كان يحاصره محمد بن ناصر وحاولت قوات سعيد فك الحصار عنه ، وهكذا خسر السيد سعيد في هذه المعركة معظم جنوده من البلوش وغيرهم . واستسلم الحصن بعد ذلك لمحاصريه ، ورجع مطلق الى مقر قيادته في البوريمي .

ايران تقف الى جانب السيد سعيد : ١٨١٢ :

وحين يئس سعيد من معونة حكومة الهند له كما طلب مراراً من المسؤولين الانجليز دون جدوى ، ارسل بعثة الى شيراز يرئسها أخوه

---

(١) صعب أن نعرف فعلا ما الذى دار في شناص من خلال الروايات المتناقضة التى يرويها موريزى ، وباكنجهام ، وبريدجر ، ولو ، والتقارير السنوية ، وقد اتبعت أساسا بعض ما استطعت العثور عليه في التقارير العسكرية للفرقة ٦٥/بياده التى تفضل كابتن ت. د. باركنسون رئيس اركان حرب الجيش في يورك ولانشستر ، فوضعها تحت تصرفى .

سالم في أواخر سنة ١٨١١ ، ووافق الايرانيون على ان يمدوا له يد المعونة بسبب كراهيتهم للوهابيين نتيجة ما ارتكبوه في كربلاء ، ولاعتقادهم ان سيطرة الوهابيين على عمان لن تكون الا مقدمة للسيطرة على بلادهم .
وعاد سالم في اوائل سنة ١٨١٢ ، ومعه قوة قوامها ١٥٠٠ رجل ايراني مسلحين ، بأربعة مدافع خفيفة يعمل عليها جنود روس عهد بقيادتها الى القائد سعدي خان الكاجاري ، وقد استطاعت القوات الايرانية العمانية المشتركة ان تستعيد نخل وحصن سمايل ، لكنها ابيدت عن آخرها في سادى داخل عمان حين حاولت الاستيلاء على قلعة ازكي ، وعاد حصن سمايل مرة أخرى الى ايدي الاعداء .

الغزو الوهابي المخيف ١٨١٢ او ١٨١٣ :

ووصل الى البوريمي تركي وفيصل ابنا امير الوهابيين سعود بن محمد وعزلا مطلقاً عن القيادة ، لكن اهالي الحضرة استطاعوا ان يشنوا على معسكرهم حملة ليلية ناجحة وهم يحاولون عبور اقليم الباطنة واسرع مطلق ومعه نجدة من قبائل الظاهرة للحاق بهم في حازم . وفشل الوهابيون في حصار بركة وتكبدوا الخسائر لكنهم انتقموا لانفسهم من ضواحي مسقط ، ونهبوا مدينة مطرح وقرية ارباق ، واطلقوا في شرق حجر عاصفة مدمرة من الدم والفزع ، اجتاحت حايل الجاف وتيوي ، واستطاع اهل صور ان يدفعوا عن انفسهم شرها بعض الشيء . ومن صور تقدموا الى فلاج المشايخ في اقليم جعلان ، وعسكروا فيه ، ومن جعلان قاموا بهجوم على قرية الحد واحرقوها ، وخلال اقامة عسكرهم في جعلان اصبح أهل قبائل بني بو علي وبني راسب من انصارهم المتحمسين لهم ، وقدموا لهم كل مساعدة ضد بني بو حسن ، واخيراً رجع مطلق الى البوريمي عن طريق ازكي ، حيث استضافه واكرم ضيافته خليفة محمد بن ناصر .

لكن نهاية هذه المرحلة المخيفة من طغيان الوهابيين كانت قد أصبحت

وشيكة ، ذلك بأن الشيخ سلطان بن صقر شيخ رأس الخيمة كان قد تمكن ، بعدما خلعه الوهابيون وسجنوه في الدرعية من الفرار من سجنه ويمم شطر مدينة جدة ومنها اتصل بمحمد علي والي مصر ،

فشل حملة السيد سعيد ضد رأس الخيمة سنة ١٨١٣ :

واستغل الباشا خدماته هذه كسفير الى امام عمان الذي كان متلهفاً على التحالف مع محمد علي ضد الوهابيين ، ووافق سعيد بفرح على اراء محمد علي ، بل وكتب الى طوسون باشا يعد بتقديم العون ، ويبدو انه وعد ايضاً باعادة سلطان بن صقر الى مشيخته بالقوة ، والحقيقة ان حملته الفاشلة على رأس الخيمة ، والتي صحبه فيها (الملازم بروس) المقيم السياسي في بو شهر ، مما سنشير اليه بالتفصيل فيما بعد ، كانت تستهدف اعادة سلطان بن صقر الى مشيخته .

موت امير الوهابيين :

وقام امير الوهابيين — في مواجهة الحلف الجديد الذي تكون ضده— بهجوم على عمان ، واجتاح مطلق بقوات رهيبة اقليم الباطنة ، وايقن سعيد بألا جدوى من المقاومة في ذلك الوقت فقام بزيارة مطلق في السويق وأعلن خضوعه له وتقدم بهدية قدرها ٤٠ الف روبية ، ثم توجه مطلق الى نجد ، لكن خلفه ابن أزدكه قتل في طريق عودته الى البوريمي على يد افراد قبيلة بني ياس من الظفرة ، وكان الامير قد امره بالعودة الى عمان دون إبطاء حين استعاد مطلق البوريمي ويبدو انه ندم لأنه لم يعامل سعيداً بالقسوة اللازمة ، فأعد حملة وسار بها ضد انصار سعيد في الشرقية وهناك في نوفمبر سنة ١٨١٣ لقي القائد الوهابي الذي لم يهزم مصرعه على يد حفنة من بني حجر حين انفصل وبعد عن جيشه الذى امره بأن يتفرق فيما حوله لنهب الاقليم ، وحمل الذين قتلوه سلاحه ودرعه الى السيد سعيد في مسقط باحتفال كبير ، ووصل قائد اسمه ابن مزروع الى البوريمي بدل مطلق ، ولكن حين مات سعود امير الوهابيين في الدرعية سنة ١٨١٤ ، تلاشى أي خطر يهدد عمان من جانبهم ، ولم يعقد

بين الطرفين صلح رسمي على أية حال ، لان سعيداً قد ظل على عزمه بأن يعيد عزل سلطان بن صقر عن مشيخة القواسم ، وهذا ما لا بد أن يرفضه الوهابيون . وظل عبدالله ، خليفة سعود امير الوهابيين ، يستخدم القواسم بين الحين والآخر لمضايقة سعيد ورعاياه في البحر .

الفشل الجزئي لحملة سعيد الثانية على رأس الخيمة واستمرار العداء ضد القواسم ١٨١٤ — ١٨١٨ :

وفي سنة ١٨١٤ ، وبعد ان تقدم سعيد بطلب تعزيزات عسكرية من حكومة بومباي دون جدوى ، سار مرة أخرى الى رأس الخيمة ، ورغم انه لم ينجح بالفعل في احتلال المكان ، الا انه ارغم أهله على قبول شروط الصلح . وكان من بينها ان يتوقفوا عن اعمال القرصنة والحروب البحرية في المياه التي بين البحرين وكانجون في الخليج ورأس الحد وجوادر في خليج عمان . ولكن يبدو ان السيد سعيد قد اخذ يعدل بعض آرائه القديمة فصار هدفه الآن أن يقيم لنفسه سلطة في رأس الخيمة ، وان يضع سلطان بن صقر على رأس القواسم في الشارقة فقط ، وعاد السيد في سنة ١٨١٥ يجدد طلب العون من حكومة الهند ، ويشكو في نفس الوقت من عجرفة الوكيل الوهابي في مسقط واغارات اهل رأس الخيمة ، لكن مطلبه رفض للمرة الثانية . وسرعان ما تحققت توقعاته السيئة حين ظهر في خليج عمان اسطول قراصنة من القواسم ، وقد هدد الاسطول مطرح ، وارغم السيد على ان يقود المعركة البحرية ضدهم بنفسه ، لكنه جرح وكاد ان يؤسر هو والسفينة « كارولين » ذات الاربعين مدفعاً التي كانت تحارب خارج القريات ، وفي ١٧١٦ ظل سعيد يحاصر رأس الخيمة اربعة اشهر دون جدوى ، وفي العام التالي هزمته قوة من القواسم على البر في خور فكان . وبعد سقوط الدرعية في سنة ١٨١٨ ، خاف القواسم في رأس الخيمة من تقدم المصريين في نجد ، فعرضوا الدخول معهم في حلف هجومي دفاعي لكن عرضهم رفض .

الحملة البريطانية على رأس الخيمة : ١٨١٩ :

وحوالي نهاية سنة ١٨١٩ خرجت من بومباي الحملة البريطانية الثانية

ضد القراصنة في الخليج عبر مسقط الى رأس الخيمة ، واحداث هذه الحملة السريعة ونتائجها موجودة بالتفصيل في مكان آخر . وما يهمنا هنا فقط هو ان نشير الى ان السيد سعيد قد صحب الحملة بنفسه ، وقدم لها سفينتين و ٦٠٠ رجل الى جانب القوة البرية التي تأخرت عن الوصول في الوقت المناسب . وبرغم انه لم يحصل بالتسوية التي تمت بعد ذلك على توسيع رقعة املاكه وهو شيء لم تكن حكومة الهند تأبه له ، فقد كانت اتفاقية الصلح تلك مع القواسم مفيدة وأتاحت له ان يتخلص من شرور عدو عنيد . ولقد كانت الحكومة البريطانية ترغب في البداية ان يتعاون المصريون معها ضد القواسم ، لكن هذا الجزء من الخطة لم يكن يروق لسيعد الذي كان لا يثق بالمصريين ولا شك ان التخلي عن تلك الخطة بدفع الظروف القاهرة لا بد انه ارضى سعيداً كل الرضا .

★ ★ ★

محاولات سعيد اخضاع البحرين ١٨١٢ ـ ١٨٢٨

خلال الفترة الاولى من حكم السيد سعيد كانت سياسته نحو البحرين هي نفس سياسة ابيه سلطان ، الذي سبق ان بذل جهوداً كبيرة لضمها الى املاكه . وعلى اية حال ، فقد سير سعيد ثلاث حملات على البحرين . واذا كان من الجائز تبرير اولى تللك الحملات ـ التي وقعت في سنة ١٨١١ ـ بأنها حملة مضادة للوهابيين الذين كانوا يجتاحون عمان في ذلك الوقت ، فلن نجد مثل هذا التبرير للحملتين التاليتين في ١٨١٦و١٨٢٨

الحملة الاولى على الزبارة والبحرين ١٨١١ :

وقد سهل الحملة الاولى ـ ان لم يكن اغرى بها اساساً اضطرار الوهابيين ـ نتيجة نجاح الجيش المصري في اقليم البحر الاحمر ـ لسحب حاميتين كانوا قد اقاموهما منذ سنتين في البحرين والزبارة على ساحل قطر ، وقد أدت هذه الحملة الى تدمير الزبارة تدميراً تاماً ، واسر عدد من كبار رجال الوهابيين بينهم حاكم البحرين او شقيقه واعادة البحرين للعتوب .

الحملة الثانية على البحرين ١٨١٦ :

أما الحملة الثانية فكانت في صيف سنة ١٨١٦ ، وكان لها طابع مختلف ، فقد كانت موجهة ضد العتوب ، وارسلت رغم النصائح التي قدمها المقيم البريطاني في بوشهر ، وان لقيت تأييد السلطات الايرانية في شيراز . وقد اشتركت قوارب العرب في بوشهر وعسالو وكنجون على الساحل الايراني في النزول على جزيرة المحرق ، لكن الغزاة لم يستطيعوا تثبيت اقدامهم ، وطردوا اخيراً بعد ان تكبدوا خسائر كثيرة ، وقتل حمد شقيق السيد سعيد الاصغر خلال التراجع ، وخرج سعيد باسطوله الى كنجون ، وكان قد دخل مع الحكومة الايرانية في صفقة مالية عن البحرين – ليتزود من الامدادات الايرانية – لكنه لما رأى ان الايرانيين ينتوون الغدر به ، رحل الى مسقط . وفي سنة ١٨١٧ زار مسقط رحمة بن جابر الذي كان يقاتل مع السيد سعيد في حملة السنة الماضية ، وكان قرصاناً شهيراً وعدواً عنيداً للعتوب ، وحاول رحمة اغراء السيد سعيد بتجديد الهجوم لكنه لم ينجح .

وفي اوائل سنة ١٨٢٠ ، حيث ارتفعت قيمة سعيد بالنظر الى تعاونه مع البريطانيين في الهجوم الناجح على رأس الخيمة ، مال سعيد الى تجديد حملته على البحرين اما بالاشتراك مع ايران وكان يناقش العون الذي ستقدمه له بالفعل ، وإما وحده . وكان الحاكم العام في شيراز يفهم بالفعل ان سعيداً قد أصبح في غنى عن عونه بما جعله يكتب لقائد الحامية البريطانية طالباً اقراض ايران اربع سفن او خمس لنقل الجنود الايرانيين الى البحرين .

الحملة الثالثة على البحرين : ١٨٢٨ :

وانصرف السيد سعيد عن أي تفكير آخر في عمل ضد البحرين حتى سنة ١٨٢٨ . وبعد استعداد دام عدة شهور ، وبعد ان قدم تأكيدات للعتوب بأنه لا ينوي القيام بأي عمل ضدهم ، خرج الى قشم ، ونزل في أبو ظبي ، حيث انضم اليه شيخها ومعه فرقة من بني ياس ، واخيراً وصل البحرين في شهر نوفمبر ، واستطاع الاستيلاء على حصن قريب ،

وأعد هجوماً شاملا على مدينة المنامة ، لكن بني ياس المشتركين معه في الحملة — والذين يحتمل ان يكونوا قد غدروا به — افسدوا خططه باشتباك مبكر مع العدو ، وتمّ طرد العمانيين الى البحر وقد فقدوا كثيراً من الجرحى والاسرى ، وجرح السيد سعيد نفسه جرحاً هيناً ، ولولا اخلاص عبيده النوبيين في الدفاع عنه للقي مصيراً اسوأ من هذا . واستطاع العدو ايضاً أن يستولي على سفينتين من سفنه حاولتا الهرب اثناء هذه الفوضى . ولما توالت على السيد سعيد هموم الهزيمة ، وهواجس الخوف من الخيانة ، وانتشار الكوليرا على ظهور سفنه والاخبار السيئة التي تلقاها من مستعمراته في شرق إفريقية قرر الانسحاب عائداً الى مسقط . وفي العام التالي خرج اسطول للعتوب يقوده الشيخ عبد الله بن احمد بنفسه فقام بعدة إغارات على سفن العمانيين لكنه لم يحرز نجاحاً كبيراً ، وفي ديسمبر سنة ١٨٢٩ عقد أخيراً صلح وتحالف رسمي بين السيد والعتوب بشرط واحد هو ايقاف الجزية التي كانت السيد يصر على ان تدفعها البحرين له .

★ ★ ★

علاقة السيد سعيد بايران بعد سنة ١٨٢٩

أشرنا آنفاً إلى السفارة التي ارسلها السيد سعيد الى شيراز في سنة ١٨١١ ، والى ارسال قوات ايرانية لمساعدته ضد الوهابيين في العام التالي وكذلك الى العون المشكوك فيه من جانب حكومة شيراز في الحملة على البحرين . ولكي تكتمل لنا صورة علاقات السيد سعيد الاول بايران يجب ان نشير ايضاً الى بعض المتاعب التي نشأت بسبب ايجار بندر عباس والخلاف الذي حدث بين السيد سعيد وعبد الرسول شيخ بوشهر .

المحاولات الأولى من جانب الحكومة الايرانية لالغاء ايجار بندر عباس ١٨٢٣ :

ففي سنة ١٨٢٣ حاولت الحكومة الايرانية حرمان السيد سعيد من ملكية بندر عباس وتوابعها ، لكن السيد وصل فوراً الى بندر عباس في سفينتين حربيتين ، وبدأ المفاوضات مع وكيل حكومة شيراز — ونجح عن طريق الرشوة والوعد بأن يزيد ضريبة الايجار لسنتين قادمتين ، في استعادة مكانته في اقطاعيته المفضلة ، كما واستطاع ان يقبض على حكام بندر عباس وميناب او يبعدهم ، لأنهم كانوا يشجعون خطة الحكومة الايرانية .

الحروب بين السيد سعيد وشيخ بوشهر ١٨٢٦ :

وفي سنة ١٨٢٨ ، أثناء غياب شيخ بوشهر لتأدية الحج في مكة ، وكان هذا الشيخ هو الذي وشى بالسيد الى السلطات العليا في شيراز ، ومراراً ما حاول احتلال مكانه عن طريق الإصهار الى اسرة فارما الحاكمة في اقليم فارس في ذلك الوقت ، فقد أعلن سعيد الحرب على غريمه ونجح في الاستيلاء على سفينة يملكها ضمها فوراً الى اسطوله ، لكنه توقف عن تدمير ميناء بوشهر ربما مراعاة للمفوضية البريطانية فيها ، وامر ايضاً برد البضائع التي لا تخص أعداءه مما كان على ظهر السفينة « نصرة الشاه ». وبعدها بقليل — أثناء تجواله في قشم لهذا السبب — ساعده الحظ في القبض على الشيخ عبد الرسول نفسه حين كان في طريقه عائداً من مكة ، مع سفينتين او اكثر من سفنه ، ولم يستطع الاخير تخليص نفسه ولا سفنه الا بدفع فدية قدرها ٨٠ ألف روبية .

مصاهرة سعيد من ايران وارتباطاته الاخرى بها ١٨٢٧—١٨٢٩ :

وفي سنة ١٨٢٧ عقد سعيد قرانه على سيدة ايرانية من الاسرة الحاكمة في شيراز وشقيقة تيمور ميرزا ورضا قولي ميرزا ، وذهب بنفسه لاستقبال عروسه في بندر عباس . وفي سنة ١٨٢٩ واستجابة لطلب من

تيمور ميرزا — الذي كان قد احتل بوشهر لتوه — تبعت سفينة سعيد « المظفر » السفينة « هاريت » التابعة للشيخ عبد الرسول ، من كنجون الى ميناء بوشهر للاستيلاء عليها هناك اذا امكن ، ولكن قبل وصول السفن كانت قد تمت تسوية للأمور على الساحل .

★ ★ ★

علاقة سعيد بتركيا قبل سنة ١٨٢٩

حملة السيد سعيد على البصرة ١٨٢٦ :

كانت العلاقة الوحيدة بين سعيد والاتراك هي الجزية السنوية القديمة ، التي يقال ان الحكومة التركية كانت تدفعها للامام احمد في مقابل الخدمات التي قدمها لها في البصرة سنة ١٧٧٥—١٧٧٦ ، ووصل المتأخر منها — كما قدره السيد سعيد في سنة ١٨٢٦ ال ١١٠ آلاف روبية لكن . باشا بغداد — ورغم وقوف المقيم البريطاني الى جانب سعيد — رفض الدفع ، فقام سعيد في خريف نفس العام بحصار البصرة ، واستطاع ان يحصل على اجابة مرضية لمطالبه ، وفي سنة ١٨٢٧ طلب مشايخ بني كعب عونه ضد الاتراك في البصرة ، لكنه لم يتدخل عملا بنصيحة المقيم البريطاني .

★ ★ ★

الاحوال الداخلية في عمان من ١٨١٤ — ١٨٢٩

السيد سعيد يستولي على صحار ونخل :

كانت أبرز الاحداث خلال الفترة الاولى من حكم السيد سعيد هي أخبار معاركه مع الوهابيين وتلك التي أشر نا اليها فيما سبق ، ولكن بعد موت القائد مطلق ، سادت عمان حالة من الهدوء النسبي . وفي سنة ١٨١٤ قام سعيد بالاستيلاء على صحار بعد موت حاكمها عزان بن قيس

أثناء تأديته فريضة الحج ، ولم يقاومه أحد فيها ، لكن سيطرته على نخل - حيث كان لليعاربة شيء باق من النفوذ - لم تكتمل الا بعد حملته الثانية على البحرين في ١٨١٦ . وفي سنة ١٨٢١ مات شقيقه الاكبر سالم مشلولا ، وتركه حاكماً مطلقاً بالاسم كما هو بالفعل . وعهد سعيد الى عمه طالب بن احمد بالولاية على رستاق ، لكننا لا نستطيع ان نعرف يقيناً ان الحصون في هذه المدينة كانت له ، او تحت سيطرته ، ففي وقت ما بين سنتي ١٨٢١ و ١٨٢٨ قام سعيد بن مطلق الوهابي بحملة ناجحة من البحرين على قبيلة بني جحر ، لكن الحملة لم تكن جدية ، بل كان هدفها الوحيد أن يحصل أميرها على ثأره الشخصي لمقتل ابيه مطلق . وابرم صلح بين السيد سعيد ومحمد بن ناصر الجابري ، اما محمد بن ناصر من عتبان فقد بقي في جانب معارضي حكومة عمان .

حج السيد سعيد الى مكة ١٨٢٤ :

ويبدو ان الموقف العام في السنة التالية كان اكثر استقرارا بحيث هيأ للسيد سعيد أن يصحب الحجاج الى مكة والمدينة في احتفال كبير باهظ النفقات ، ورغم انه لم يكن يتبع الحنابلة الا أنه لقي معاملة متميزة من شريف مكة ، وحمل بهدايا والى مصر قبل رحيله .

ضم ظفار لعمان ١٨٢٩ :

وفي سنة ١٨٢٩ ، ولدى قتل محمد بن عاقل شيخ ظفار ، ارسل سعيد قوة استولت على ذلك الاقليم .

★ ★ ★

انشغال سعيد بشئون شرق افريقيا ١٨٢٩ - ١٨٥٦

الآن وصلنا الى الفترة التي انصرفت فيها جهود سعيد وراء رغبته في توسيع مستعمراته في شرق افريقيا والعمل على تحسينها . لقد أضبح ينظر الى عمان على انها - وان كانت هي المصدر الاول لقوته البحرية

والعسكرية — الا انها شيء ثقيل على نفسه ويجب ان يعهد بها الى وكلائه ما استطاع الى ذلك سبيلا . ولن يهمنا هنا من أعماله في شرق افريقيا الا ما له صلة بالاحداث في عمان ، ولكن بعض الحقائق تكفي لايضاح مدى اهتمامه الشخصي بشئون شرق افريقيا . لقد كانت زنجبار خاضعة لسلطانه فيما يبدو منذ البداية ، أما ممبسه فقد كان يحكمها ابناء قبيلة مازارى من عمان ، لكنهم اباحوا لانفسهم — منذ موت الامام احمد على الاقل — نوعاً من الإستقلال الفعلي عن عمان ، وجاء سعيد ليحاول انهاء هذه الاستقلال ، وقد ارغمت اعماله الاولى في ممبسة بني مزارى واهل المدينة الى الالتجاء الى طلب العون من ضباط البحرية البريطانية ، وأعلنت بريطانيا حمايتها لممبسه من ذلك الوقت في سنة ١٨٢٤ الى سنة ١٨٢٦ ، لكنه ألغت اعلانها في سنة ١٨٢٦ بأمر من حكومة الهند التي لم تكن تريد عرقلة خطط حليفها هناك .

رحلة سعيد الأولى لشرق إفريقيا ١٨٢٩—١٨٣٠ :

وحيث انزاحت عقبة الحماية البريطانية على ممبسه ، فقد بدأت نوايا سعيد تدعو الى الارتياب ، ففي ديسمبر سنة ١٨٢٩ قام بحملته الاولى على شرق افريقيا ، لكنه صد عن ممبسة متكبّداً خسائر جسيمة ، ثم عاد الى مسقط بعد زيارة زنجبار في مايو ١٨٣٠ .

الزيارة الثانية ١٨٣٢ :

لكنه استطاع في حملته الثانية على شرق افريقيا التي استمرت من ربيع سنة ١٨٣٢ حتى سبتمبر من نفس السنة — ان يستولي على ممباسا بخطة عسكرية محكمة ، وبدا أنه يعد زنجبار كي تكون مقراً لاقامته فأمر بتشييد قصر له فيها ، وبدأ زراعة القرنفل والارز .

الزيارة الثالثة ١٨٣٣ — ١٨٣٥ :

أما فترة غيابه الثالثة عن عمان فقد دامت من نوفمبر ١٨٣٣ الى أبريل ١٨٣٥ ، وتميزت بهجوم ناجح على ممبسة التي كانت قد خضعت

مرة أخرى لبني مزاري ، وعقد الصلح مع رؤساء ممبسة ، وتمرد الافريقيون على سلطته في سيوي .

الزيارة الرابعة ١٨٣٦ — ١٨٣٩ :

وفي الزيارة الرابعة لشرق إفريقيا ترك سعيد مسقط في نوفمبر ١٨٣٦ ولم يعد اليها الا في سبتمبر ١٨٣٩ ، وفي هذه المرة استطاع عن طريق الخديعة ان يعيد حصن ممباسا الى قبضته ، وان يأسر عدداً من اعدائه بني مزارى ويأمر باعدامهم ، وكان يصحبه في حملته هذه على ممبسة المغامر « عيسى بن طريف » الذي سيلعب دوراً خطيراً في شئون قطر والبحرين فيما بعد .

الزيارة الخامسة ١٨٤٠ — ١٨٥١ :

أما رحلته الخامسة فكانت أطول رحلاته جميعاً ، فقد بدأت في خريف سنة ١٨٤٠ ودامت حتى ربيع سنة ١٨٥١ ، ولم تحدث في هذه الفترة أحداث ذات قيمة ، الا كارثة مروعة وقعت في سيوى سنة ١٨٤٤ حين هلك بعض المرتزقة الخليجيين وسائر قوة جيش السيد سعيد العربية هناك .

الزيارة السادسة ١٨٥٢ — ١٨٥٤ :

وترك سعيد مسقط مرة أخرى في رحلته السادسة الى زنجبار وربما كان يود ان يقضي بها اعوامه الاخيرة في سلام لو لم تضطره الظروف للعودة الى عاصمة حكمه .

موت السيد سعيد ١٩ كتوبر ١٨٥٦ :

وعاد الى مسقط للمرة الأخيرة في مايو ١٨٥٤ ، وشغلته شئون ايران هناك حتى سنة ١٨٥٦ . وفي سبتمبر من نفس السنة أبحر في رحلة اخرى لزنجبار ، لكنه مات في البحر ، في ١٩ أكتوبر ، قبل ان يبلغ هدفه ، وهكذا قضى سعيد ثلثي فترة حكمه ، أي منذ سنة ١٨٢٩ إما على ظهور السفن او في ممتلكاته الافريقية .

والآن وقد تتبعنا أعمال الحاكم وتاريخه الشخصي طويلا ، سنلتفت الى الاحوال الداخلية ، واعتداءات الوهابيين والمصريين عليه ، وإلى تعامله مع الايرانيين ، والقوى الاخرى في الخليج مما وقع خلال النصف الثاني من حكمه .

★ ★ ★

الاحوال الداخلية في عمان ١٨٢٩ ـ ١٨٥٦

التمرد لاول في عمان وضياع صحار من يد السيد سعيد ١٨٣٠ :

حين ابحر سعيد للمرة الاولى الى شرق افريقيا في سنة ١٨٢٩ سحب الحامية التي كان قد امر بتوزيعها في اقليم ظفار قبل شهور قليلة ، ولم يكن هذا دليلا على ضعفه . بل على لا مبالاته بمصير اقليم بعيد في سبيل مصالح تبدو له أهم واجدر . وقد حاول السيد سعيد ضمان الامن الداخلي في بلاده اثناء غيابه عنها بسجن هلال بن محمد بن احمد ، ابن عمه ووالي سويق ، لانه كان يرتاب في طموح ذلك الشاب ويخشاه ، كما انه تقدم بعون لمشايخ القواسم وبني ياس ، وجعل ابن اخيه محمد بن سالم وكيلا باسمه في البلاد ، ولم يكد يبحر حتى وصلت السيدة خوخه ـ شقيقة هلال هذه الشديدة المراس ، فاستولت على سويق واشعلت التمرد بهدف اطلاق سراح اخيها . وقام حمود بن عزّان بن قيس ـ في استجابة لنصائح رعايا ابيه القدامى ـ بالاستيلاء على صحار ، وسرعان ما أضاف اليها خابورة ولوى وشناص ، وكان وراء هذا الوكيل تشجيع عمه السيد طالب وعمته موزه التي لعبت من قبل دوراً هاماً في فترة الاضطرابات التي اعقبت موت سلطان بن احمد ، ومحمد بن ناصر الجابري . ووجد الوكيل في مواجهة حركة التمرد المتواصلة أن عليه الالتجاء لعون الانجليز وارسال سفينة سريعة تستدعي السيد سعيد .

وتجاوب المقيم البريطاني في الخليج وفقاً لتعليمات حكومته مع مطالب ممثل الحاكم الغائب بكل الوسائل الممكنه ، فارسلت سفينة حربية بريطانية لحماية العاصمة ، التي كانت مهددة ، ووقفت سفن أخرى على اهبة الاستعداد ، ووجه انذار الى المتمردين يطلب منهم الكف عن تمردهم ضد سعيد . لكن سعيداً أظهر لدى عودته في مايو سنة ١٨٣٠ استخفافاً بالتمرد فاستغنى عن خدمات السفينة الحربية البريطانية ، لكنه فشل في استعادة صحار ، واضطر اخيراً الى اطلاق سراح هلال ، والموافقة على ان يتولى حمود حكم صحار وخابورة وماجس في مقابل جزية سنوية قدرها ٨ آلاف روبية . ولم يكن سعيد راضياً عن ذلك الصلح لذلك فإنه ما كاد يضمن تأييد مشايخ عجمان ورأس الخيمة حتى جدد هجومه على صحار ، غير ان شيخ ابو ظبي ، الذي غضب لانه كان أغفل من طلب العون سمح لشيخ رأس الخيمة بالعمل داخل اقليمه ، وبعد أن قام المدافعون بهجمة ناجحة ، تحول مشايخ عجمان بسيوفهم ضد سعيد فتراجع ساخطاً الى مسقط بعد ان فقد حوالي ٥٠٠ رجل من رجاله . وفي اوائل سنة ١٨٣٢ عهد بأمور عمان الى ابن اخيه محمد بن سالم وابنه هو الاكبر هلال (الذي جعله والياً على مسقط وقريب له يسمى سعود بن علي) جعله والياً على بركة وابحر الى ممبسه ليكمل عملياته فيها ، بعد انشغاله عنها في عمان .

التمرد الثاني في عمان وفقدان سعيد للشمالية ١٨٣٢ :

وبمجرد رحيل سعيد سارع سعود بن علي إلى إلقاء القبض على شريكيه في الحكم — محمد بن سالم وهلال — وهما في طريقهما الى رستاق . كما قام ايضاً بحصار مسنعة لكنه لم يستطع الاستيلاء عليها ، وسار حمود بن عزان وهلال بن محمد — بعد ان اشتركا في الحصار الفاشل حول المسنعة — الى رستاق للاستيلاء عليها لحسابهما ، وهب شيخ رأس الخيمة من فوره للاستيلاء على دبي وخور فكان وغالا وهي اماكن

على الساحل الشمالي ، وكانت السيدة موزة ومحمد بن ناصر في ذلك الوقت من انصار سعيد كما قدمنا . وقد استطاعت السيدة موزة ان تفتدي ابن اخيها وابن ابن اخيها من سعود بن علي بأن دفعت ثمانية آلاف روبية ، وقدمت الحكومة البريطانية ايضاً معونات لاحد لها ، فابحر المقيم السياسي في الخليج لتوه على رأس قوة بحرية كبيرة الى مسقط ، ووضعت سفينة حربية في الميناء تحرسه طوال استمرار الخطر . وحين وصل سعيد الى مسقط في سبتمبر ١٨٣٢ ، اضطر للتسامح مع هذا المتمرد ، لكنه نجح في اغراء سعود بن علي ان يترك ولاية بركة في مقابل ولاية رستاق ، واصمت الحكومة البريطانية آذانها عن طلب سعيد العون منها لاستعادة ممتلكاته في الشمالية من ايدي القواسم ، ونصحته بأن يبقى داخل ارض عمان ويقصر جهوده على حمايتها فقط .

التمرد الثالث في عمان وضياع رستاق من السيد سعيد ١٨٣٤ :

لكن السيد سعيد لم يستطع ان يبقى بعيداً عن مشاريعه في ممبسه ، وكانت في هذا الوقت قد رجعت الى ايدي بني مزاري ، وفي نوفمبر سنة ١٨٣٣ وبعد ان توصل الى تسوية مع الوهابيين الذين انبعث وجودهم في البوريمي انبعاثاً خطراً ، أقام ابنه الثاني ثويني على عمان وسافر الى شرق افريقيا مرة أخرى ، فكان رحيله ايذاناً بالتمرد الذي اشعل جذوته هذه المرة حمود بن عزان حين استولى على رستاق ، وكان واليها سعود بن علي قد قتل منذ ايام ، ومات ايضاً محمد بن ناصر الذي كان يخلص لهم ، وبدا أن حصون سمايل وبدبد مهددة ايضاً ، فقام المقيم البريطاني في الخليج بزيارة الى مسقط وكتب الى حمود ينذره بأن مواصلة العدوان من جانبه ستجعل الحكومة البريطانية تعامله معاملة العدو ، لكن حموداً الذي لم يبال بهذا شيئاً — قام باحتلال السويق ايضاً قرب نهاية سنة ١٨٣٤ ، غير انه طرد بعد ذلك على يد قوة ارسلها ثويني من مسقط .

محاولات يائسة من جانب سعيد لاستعادة صحار ورستاق ١٨٣٥ - ١٨٣٦ :

واعد سعيد - حين عاد من افريقيا في ابريل ١٨٣٥ - حملة على رستاق ، لكنها فشلت . واضطر لايقاف حملة أخرى كاد ينوي ارسالها الى صحار - لخشيته من التمرد الضخم الذي كان قد تجمع ضده في اقليم الظاهرة . وفي ١٨٣٦ عقد سعيد معاهدة مع سعد بن مطلق الوهابي لطرد حمود من صحار ورستاق . واستطاع الحليفان ان يحتلا صحار ، فقوات الوهابيين والقبائل حاصرتها من البر . وسفن السيد سعيد أكملت الحصار من البحر . غير ان سعيداً الذي كان يشك في حلفائه خشي إن هم نجحوا في الاستيلاء على صحار ان يطالبوا بها لانفسهم فأمر بفك الحصار عنها ، ويبدو انه أحسن بذلك صنعاً، ويقال ان هاتين الحملتين على صحار فقط قد كلفتا سعيداً ما لا يقل عن ٣٠٠ الف روبية في الاستعدادات والهدايا المقدمة .

معاهدة الصلح بين السيد سعيد والسيد حمود في صحار ١٨٣٩ :

واثناء غياب سعيد للمرة الرابعة عن عمان ، ما بين سنة ١٨٣٦ وسبتمبر ١٨٣٩ ، ظل حمود - بعد ان حقق اهدافه الرئيسية - في حالة هدوء ، بل وحين اقترب موعد رجوع السيد سعيد طلب وساطة الحكومة البريطانية بينه وبين قريبه . وكان حمود على علاقة طيبة مع السلطات البريطانية ، حيث سبق له ان اشترك في اتحاد دفاعي نظمه البريطانيون لتعويق القوات المصرية ، لكن المقيم البريطاني رفض تقديم العون له . وفي ٢٣ ديسمبر ١٨٣٩ ، وبعد مشقة ، عقدت معاهدة صلح بين السيد سعيد والسيد حمود في مسقط ، احتفظ كل بمقتضاها بحدوده القائمة وتعهد الطرفان بأن يعيش كل داخل حدوده في أمن ودون عدوان ، واشترط السيد سعيد ان تعاونه صحار عسكرياً ضد اعدائه حين يطلب ذلك .

شذوذ عمال السيد حمود بعد ذلك ١٨٣٩ ــ ١٨٤٩ :

وليس يعرف ما اذا كان حمود قد اخلص بالوفاء للمعاهدة فان القرائن تصلح لان تفسر على الحالتين . ففي سنة ١٨٤٠ صحب حمود السيد سعيد في جولة الى قشم وبندر عباس ، لكنه عاد في سنة ١٨٤١ عقب سفر السيد سعيد الى شرق افريقيا ــ فزار حكومة بومباي زيارة لا نعرف الهدف منها على وجه التحديد ، ولكن يبدو أنه كان هدفاً عدائياً ضد سعيد ، ولدى عودته الى صحار وضح هدفه ، ذلك انه وضع فيها بعض المطوّعة (١) او « ذوي الحماسة الدينية » من بينهم سعيد بن خلفان الذي أصبح شهيراً فيما بعد ، وجعلهم مسئولين عن القلاع الرئيسية للدفاع عنها ضد الوهابيين ، وعاش هو حياة دينية بسيطة ايضاً ، وذاع بعد ذلك حديث ــ ربما لم يكن بموافقته ــ يزعم عنه انه يعد نفسه لامامة عمان كلها ، وحينئذ حدث خلاف بين سيف بن حمود وفرقة المطوّعة ، ونجح الاول في ان يستولي لنفسه على صحار ، لكنه حين بدأ في اقامة علاقات ودية بثويني ممثل الامام سعيد ، دبر ابوه امر اغتياله ، اما تتابع هذه الاحداث والعلاقات بينها وتفسيرها فيبقى غامضاً الى حد كبير .

قبض ممثل السيد سعيد غدراً على السيد حمود ١٨٤٩ــ١٨٥٠ :

وفي سنة ١٨٤٩ سار السيد ثويني عن طريق البحر الى شناص وكان أحد أهدافه هو ضمان الامن فيها وفي غالا وخور فكان ، وقد استطاع استعادة الموقعين الاخيرين من القواسم بعد فترة من تهديد القبائل الشمالية . لكن هدفاً آخر تكشفت حقيقته حين نجح بالخديعة في القاء القبض على حمود في شناص ، وكان يشك في أنه لم يتوقف عن اعماله العدائية بعد اتفاقية ١٨٣٩ ، وسار اخيراً ليهاجم صحار ، لكن قيساً ــ شقيق حمود ــ دافع عنها واستعان بشيخ رأس الخيمة ، وبمعونته استطاع

(١) انظر الملحق الخاص بالدين فيما يتعلق بفرقة المطوعه ومبادئها ،

استعادة شناص وغالا وخور فكان بسرعة . وفي نفس الوقت ، في ابريل سنة ١٨٥٠ ، مات حمود في سجنه بمسقط ، وحامت حول موته بعض الشكوك . أما الحكومة البريطانية ، وقد استهجنت بسلوك الغدر من السيد ثويني استنكاراً شديداً — فقد امرت المقيم البريطاني بالابحار على سفينة حربية الى هناك والتوسط بين الطرفين ، ولم تخوله اية صلاحيات ، لكن تدخله بقي دون اثر ، كما كتبت السلطات البريطانية الى السيد سعيد في زنجبار تستعجله العودة .

السيد سعيد يستعيد صحار ١٨٥١ :

وحين عاد سعيد الى مسقط في نوفمبر ١٨٥١ أقر أعمال ابنه ثويني ويبدو ان هذا لم يفعل سوى تنفيذ تعليمات أبيه . وفي سبتمبر ، وبمعونة شيخ دبي ، قام سعيد بحملة سريعة ناجحة على قيس ، فاستولى على خابورة بعد ضربها يومين بالمدافع ، وانفصل سلطان بن صقر شيخ القواسم عن عدوه ، وسقطت شناص واستسلم قيس ، ونقلت صحار بمقتضى الاتفاقية التي عقدت الى حوزة السيد سعيد لكنها ابقت لقيس على رستاق وحيبي ، وجعلت له ايضاً راتباً قدره ٢٠٠ روبية كل شهر ، وبذلك توقف الوضع الاستقلالي لمدينة صحار او ما كانت السلطات البريطانية قد اعتبرته كذلك في سنة ١٨٤٩ ، حين عقدت معاهدة مع شيخ صحار ضد تجارة الرقيق ، واصبح الآن سعيد يسيطر على كل الساحل ، وزادت سمعته في عمان قوة وعلواً . والى هذه النتيجة انتهت خططه السياسية وأعماله العسكرية على السواء .

★ ★ ★

تعديات الوهابيين والمصريين
١٨٢٩ – ١٨٥٦

لقد كانت الاخطار التي تهددت عمان من ناحية نجد خلال الفترة الاخيرة من حكم سعيد ضئيلة الصلة جداً بمجرى الاحداث الداخلية في عمان بحيث لا ينبغي أن نفرد لها حديثاً خاصاً ، فلقد كان ظهور هذه الاخطار أو اختفاؤها رهيناً بالازمات التي كانت تعانيها دولة الوهابيين في هذه الفترة .

جزية عمانية للوهابيين قدرها ٥ آلاف روبية في سنة ١٨٣٣ :

بحلول سنة ١٨٣٠ ، عادت قوة الوهابيين التي كانت حطمت في ذروة قوتها في سنة ١٨١١ ، فانتعشت بعض الشيء مجدداً في شرق الجزيرة. وفي سنة ١٨٣٣ بدأ خطرهم يتضح على حدود عمان مرة أخرى ، وقد وافقت حكومة الهند – التي لم تكن تلتزم بالدفاع عن حدود السيد سعيد البرية – على عزمه على التفاهم الودي مع الوهابيين . وفعلا عقد حلف بين السيد سعيد والوهابيين ، احتفظ فيه كل طرف بحدوده القائمة ، وتعهد السيد سعيد بأن يدفع زكاة سنوية قدرها خمسة آلاف روبية الى حاكم نجد ، الى جانب تعهد آخر اعتبرته الحكومة الانجليزية تصرفاً غير متعقل وهو تبادل المساعدة بين الطرفين في قمع التمردات التي تقع في داخل الحدود الخاصة لكل منهما وذلك بالنظر للعداوة القائمة بين الوهابيين وخديوي مصر ، لكن سعيداً طمأنهم بأن التزامه بهذا النص بالذات سيكون خاضعاً لرغبات الحكومة البريطانية ..

ويبدو ان المفاوضات لتلك الترتيبات قد تمت بين السيد سعيد وسعد ابن مطلق الوهابي قبل الحملة الثالثة على شرق افريقيا مباشرة ، ولكن لا شيء يؤكد لنا الى أي مدى ظلت تلك الزكاة السنوية تدفع للوهابيين وقد اشرنا من قبل الى التحالف الفاشل بين السيد سعيد والوهابيين لطرد حمود بن عزان من صحار ورستاق في سنة ١٨٣٦ .

القوات المصرية تهدد عمان ١٨٣٩ – ١٨٤٠ :

وفي سنة ١٨٣٩ احتلت القوات المصرية موقعاً في وسط الجزيرة استطاعت منه ان تطارد الوهابيين لكنهم رغم هذا ظلوا على سياستهم العدائية تجاه عمان حيث لجأوا الى استخدام عميليهم المحليين مرة أخرى وهما سعد بن مطلق وبن بطال . وبالنظر لرغبة سعيد بتنفيذ خططه التي لم يتخل عنها بصدد البحرين فقد مال الى تنسيق سياسته مع سياسة محمد علي والي مصر ، لكنه حين أيقن من موقف الحكومة البريطانية المعادي للمصريين في شرق الجزيرة ، اتخذ موقفها ، وعقد الصلح الذي ذكرناه مع قريبه حمود لتكون جبهته قوية ومتحدة ضد المصريين ، واهمل طلباً بالعون من خورشيد باشا القائد المصري في نجد . أما مكاتباته للمسئولين المصريين مما لم يكن له حول في تجنبها فقد كان يستعين فيها دائماً بمشورة الحكومة البريطانية ، ولم يتوقف الخطر المصري عن عمان الا حين انسحب هؤلاء من نجد كلها في سنة ١٨٤٠ .

تجدد اعتداءات الوهابيين ١٨٤٥ :

وفي بداية سنة ١٨٤٥ ، واثناء غياب سعيد طويلاً في شرق افريقيا ، ظهر سعد بن مطلق مرة أخرى في البوريمي بمظهره الوهابي المألوف ، واستولى على ماجيس ، وطلب الجزية من ممثل سعيد (السيد ثويني) ومن حمود (حاكم صحار) وقدرها بعشرين ألف روبية من الاول وخمسة آلاف من الثاني في كل سنة . وكان حمود مستعداً للقتال ، لكن ثويني آثر التهادن فعقد صلحاً مع الوهابيين يدفع لهم بمقتضاه خمسة آلاف روبية عن صحار ، ويحيل باقي طلباتهم للسيد سعيد في زنجبار كي يفصل فيها ، وكانت هذه الاتفاقية تتسق ونصائح المقيم البريطاني في الخليج ، الذي اسرع الى السيد ثويني بمجرد ظهور بادرة الخطر ، ونصحه باجابة مطالب الوهابيين شريطة الا تكون مهينة او مسرفة ، والا فعليه من ناحية اخرى – حين يرفضها بالتلويح بتدخل الحكومة البريطانية ، وسرعان ما خرق سعد بن مطلق هذه الاتفاقية

بأن شن حملة على بركة ، وبدأ في اعداد حشود ضخمة من رجال القبائل — خاصة من بني كتاب لمهاجمة مسقط . وعند هذه الحالة الطارئة تدخل المقيم البريطاني في الخليج فوجه احتجاجاً شديداً الى امير الوهابيين جعله يتوقف انتظاراً لاوامر من قيادته ، فيما ارسل المقيم بوارج حربية بريطانية لتطوف بساحل الباطنة ، كما حمل امير الوهابيين على تعديل مطالبه ، فوافق على ان يقبل — الى جانب هدية تقدر بألفي روبية — جزية سنوية قدرها خمسة آلاف روبية كان ثويني — بتعليمات من ابيه — مستعداً لدفعها . وهكذا انتهت حملة الوهابيين وعادت ماجيس الى حاكم عمان ، ويبدو ان سمعة الوهابيين قد تأثرت بهذه التسوية لاننا نجد عدداً من الرؤساء المحليين ومشايخ القبائل — وخاصة بني سعد — يرفعون السلاح ضدهم ، واصبح مبعوثوهم بعد ذلك الى اقليم الباطنة يسجنون او يعاملون بازدراء .

زيادة الجزية التي تدفعها عمان للوهابيين إلى ١٢ الف روبية ١٨٥٣ :

وفي نهاية سنة ١٨٥٢ وصل الى البوريمي عبدالله بن فيصل امير الوهابيين ، ومعه اوامر بالتوسع وامدادات من حكومة ابيه ، واستغل هذا طرد قيس بن عزان حديثاً من صحار ، فطلب ان يتنازل له السيد سعيد عن ذلك الاقليم ، كما طلب زيادة الجزية زيادة ضخمة دلت على أنها لم تكن سوى حجة لاعلان الحرب من جانبه ، وكان المقيم البريطاني في الخليج قد وصل في ذلك الوقت الى ساحل عمان المتصالحة لتأدية عدة مهام مختلفة ، فجند نفسه منذ وصوله للوقوف ضد نفوذ الوهابيين ، وفي نفس الوقت شجع ثويني على مقاومتهم واعداً اياه بالمساعدة ، اذا دعت الحاجة في الدفاع عن العاصمة . وتشجع ثويني بهذا الاتجاه فخرج بقواته للدفاع عن صحار ، وفعلا عدل الوهابيون عن خطتهم في الهجوم على اقليم الباطنة وبدأوا المفاوضات ، وتم الصلح على أساس ان تحتفظ عمان بحدودها غير منقوصة في مقابل زيادة الجزية التي يدفعها ثويني للوهابيين الى ١٢ الف روبية ، وعقد بين الطرفين حلف دفاعي هجومي

تعهد فيه الوهابيون بشكل خاص بحماية ثويني من الاضطرابات ضده في الداخل . وفي العام التالي توقف اهل القبائل بالباطنة عن دفع نصيبهم من الجزية المقررة ، فطلب ثويني من عبدالله بن فيصل عونه حسب الاتفاقية الجديدة ، وقدم له هذا عوناً بعد تردد ، وتمّ سحق القبائل المتمردة لكن بقي العداء كما هو بين العمانيين والوهابيين . ويبدو ان احمد السديري — الذي جعله الوهابيون في ذلك الوقت مسئولاً عن البوريمي — كان قد قام بجولة في اقليم عمان الداخلي جمع فيه جزية غير هذه التي تدفع رسمياً عن كل البلاد من حاكم عمان .

★ ★ ★

علاقة السيد سعيد بايران بعد سنة ١٨٢٩

كانت علاقة السيد سعيد بايران مرضية الى حد ما خلال الفترة الاولى من حكمه ، لكن نفوذه ومركزه هناك تحطما تماماً على حين غره والى غير رجعة قبيل اختتام الفترة اياها .

تجدد الاحتكاك بين السيد سعيد والايرانيين في بوشهر ١٨٣٠ — ١٨٣١ ، ١٨٣٩ و ١٨٤٥ — ١٨٤٨ :

ففي سنة ١٨٣٠ ، ١٨٣١ تجددت الخلافات والاشتباكات في بوشهر بين الشيخ عبد الرسول وتيمور ميرزا ، وكان السيد سعيد متلهفاً لارسال سفن حربية لنجدة صهره تيمور ، لكنه إستجاب اخيراً لرغبة المقيم البريطاني في بوشهر وحكومة بومباي في ألاّ يزج بنفسه في شئون ايران الداخلية ، وفي سنة ١٨٣٩ نصور السيد سعيد ان اهانة لحقت به نتيجة مقتل جمال خان وكيله الذي كان كلفه بعقد مصاهرة جديدة بينه وبين الاسرة المالكة في ايران ، على يد أحد الشيوخ المنافسين للقتيل ، وكان سعيد مستعداً للقيام بأعمال متطرفة ضد بوشهر ، لكنه ثاب الى نصيحة البريطانيين أخيراً واكتفى بأن قدم احتجاجاً مهذباً رفعه الى الشاه ، وتلقى

رداً من الشاه بأن قتلته لا بد ان يوقع بهم العقاب . وفي سنة ١٨٤٠ زار السيد سعيد هرمز وقشم في جولة تفتيشية .

وفي سنة ١٨٤٥ و ١٨٤٦ ساءت العلاقات مرة اخرى بين السيد سعيد والايرانيين ، وكانت بداية الازمة معاملة سيئة لقيها تاجر من بوشهر في مسقط ، والاستيلاء هناك على بعض حمولات النيلة ، التي كان يملكها محمد بن سالم شقيق السيد سعيد، وتدهورت العلاقات اكثر نتيجة حملة أمرت حكومة اقليم فارس بتسييرها الى اقطاعية السيد سعيد في بندر عباس . وبذلت محاولة ضخمة للحصول على جزية كبيرة من سيف بن نبهان الحاكم العماني في بندر عباس ، ونظراً لتفوق السيد سعيد البحري فكر في أن يحاصر بوشهر بل ويهاجمها ، وفزعت السلطات الايرانية لمعرفتها بنواياه تلك ، خاصة الشيخ نصر شيخ بوشهر الذي خشي ضياع جزيرة خاراج لكنهم استمروا في اعمالهم رغم ذلك الفزع . واخيراً استطاعت قوة ايرانية يقودها فضل علي خان حاكم كرمان ان تحتل ميناب احد المواقع الرئيسية المؤجرة للسيد سعيد . وكان سيف بن نبهان يود ان يحاصر الساحل الايراني باسم سيده ، لكن المقيم البريطاني حذره تحذيراً شديداً من القيام بذلك العمل ، لهذا اضطر للالتجاء للمال فدفع مبلغاً لفضل علي خان وجنوده فانسحبوا . وفي سنة ١٨٤٧ تزوج السيد سعيد بأميرة ايرانية جديدة هي حفيدة فتح علي شاه ، لكن لم يكن لذلك الزواج اية نتائج سياسية على الاطلاق ، وظل السيد سعيد يطالب دون جدوى بتعويضه عما لحق به ، وفشل التدخل البريطاني في أن يحقق له شيئاً من ذلك غير انه في سنة ١٨٤٨ وفيما كانت بريطانيا على وشك سحب اعتراضها على استعمال العمانيين قواتهم البحرية مات الشاه المعادي للانجليز فانتعشت مصالحهم في طهران مرة أخرى ، وتم التوصل لاتفاقية هناك ، وابعد المعتدي فضل علي خان عن عمله .

تجديد امتياز السيد سعيد في إيجار بندر عباس بشروط أقسى وإيجار أعلى ١٨٥٦ :

وخلال آخر غيبة لسعيد في زنجبار ، من سنة ١٨٥٢ الى ١٨٥٤ ، قام الايرانيون ، وقد شجعهم على ما يبدو المتاعب التي اثارها الوهابيون في وجه عمان ، باستئناف محاولاتهم لانهاء الاحتلال العماني لبندر عباس وتوابعها ، واستطاعوا ان يطردوا منها سيف بن نبهان . وحين عاد السيد سعيد الى مسقط من شرق افريقيا وجد هذا مقيماً فيها فعامله بفتور لانه كان يعتقد ان سوء ادارته هي سبب الكارثة . وبعدها مباشرة سير سعيد حملة كبيرة الى بندر عباس ، تضم في معظمها عرباً من الشرقية واقليم عمان نفسه . يقودها ثويني ، واستطاعت الحملة استرداد الاقليم الضائع ، لكنها لم تستطع الصمود في وجه الايرانيين الذين تتزايد اعدادهم تزايداً مستمراً ، فاضطر ثويني الى التراجع الى سفنه ووقع افراد كثيرون من جيشه اسرى حملوا الى شيراز ، ويبدو ان بني ياس في عمان المتصالحة كانوا قد عقدوا حلفاً مع السيد سعيد لهذا الغرض ، لكن السلطات الانجليزية ، وقد خشيت ان يؤدي هذا التحالف الى انضمام القواسم للناحية الاخرى ، منعتهم من عبور الخليج لمساعدة السيد ، ووافقت الحكومة الايرانية على تجديد امتياز السيد سعيد في إيجار بندر عباس سنة ١٨٥٥ ، وعقدت اتفاقية رسمية بين الطرفين بهذا الصدد في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٥٦ ، فأصبحت اقاليم شامل وميناب وبيبان وجزيرتي قشم وهرمز داخلة بمقتضاها في عقد الايجار ، لكن حق السيادة الايراني على هذا الاقليم دعم واعترف به كما زيد الايجار السنوي — الذي كان ٤ آلاف تومان في سنة ١٨٢١ — من ستة آلاف تومان الى ١٤ الف تومان ،الى جانب إكراميات قدرها الفا تومان ، وقصرت هذه

الاتفاقية على السيد سعيد وابنائه فقط(١) ، وأعلن جواز انهاء الاتفاقية بعد عشرين عاماً بمشيئة ايران ، او في حالة اغتصاب أحد ما عرش عمان كما كان ثمة عدة شروط أخرى في صالح الايرانيين موجودة بالتفصيل في القسم الخاص بتاريخ ساحل ايران وجزره . لكن النتيجة العامة لهذه الترتيبات كانت نقل وضع السيد سعيد في بندرعباس من حالة التملك الى حالة الاستئذان بالوجود هناك بما تبعه بالضرورة انتقاص واضح لهيبة سلطان عمان .

★ ★ ★

علاقات السيد سعيد بالدول الوطنية الاخرى في الخليج بعد سنة ١٨٢٩

تجدد خطط سعيد في البحرين ١٨٣٩ – ١٨٤٣ :

لم تترك اهتمامات السيد سعيد بشرق افريقيا بما كانت تكلّفه من من جهد ومال ، ثم منازعاته مع الوهابيين والايرانيين ،لذلك الرجل اقتداراً عنده على تنفيذ اية سياسة فعالة في جوانب أخرى . فنحن لا نسمع شيئاً عن علاقته بتركيا ، ولا نكاد نجده مهتماً بمكان على الساحل العربي من الخليج سوى البحرين التي لم يتخلّ يوماً عن الاهتمام بها . ويبدو ان السيد سعيد دخل في مفاوضات مع امير الوهابيين سنة ١٨٣٠ كي يقطعه هذا جزر البحرين مقابل جزية يدفعها عنها ، لكن تلك المحاولات من جانبه أحبطتها تسوية فرضها الوهابيون على العتوب بفضل انتفاعهم من موقف السيد سعيد نفسه . ففي سنة ١٨٣٥ قدم السيد سعيد خدمة ودية للعتوب من حكام البحرين بأن ارسل اليهم ابنه هلال ليتفقد شئونهم الداخلية ويعينهم على اصلاحها لكن هدفه الحقيقي من ذلك التصرف كان غامضاً كما انه دخل في مفاوضات مع والى مصر سنة ١٨٣٩ كي يفوز لنفسه

(١) « أولاده .. » فقط ، لكن حكومة الهند وهى تناقش هذه المسألة في سنة ١٨٦٨ ، كانت تميل الى القول بأن هذا النص لا يعنى الا « من ينحدر مباشرة من صلب الامام الموجود وقتها .. » .

بجزر البحرين على ان يخضع حكمه لها لسيادة المصريين . لكن التعارض بين سياستي البريطانيين والمصريين ارغمه في نفس السنة على التخلي عن خططه تلك ، لكنه اقترح بعدها فوراً ان يقوم هو بالاستيلاء على جزر البحرين باسم الحكومة البريطانية كعمل مضاد لسياسة والى مصر ، غير أن اقتراحه لم يرق للسلطات البريطانية . وفي سنة ١٨٤٣ ، وكانت الحرب الاهلية دائرة في البحرين ، قامت بعض الجماعات البحرينية ذات المصلحة باغراء السيد ثويني بان يضم الجزر الى حكمه خلال غياب أبيه وارسل ثويني بالفعل كمية من الاسلحة والذخائر لانصاره هؤلاء ، وفي الوقت نفسه كان السيد سعيد يوالي ضغطه على حكومة الهند كي تسمح له بأن يسعى لضم البحرين الى حكمه ، لكنها رفضت ذلك بسبب عدم تأكدها من نجاح مساعيه ولخشيتها من تحول الوهابيين والايرانيين الى موقف عدائي ، ولذلك ظل المشروع حبراً على ورق .

★ ★ ★

علاقة السيد سعيد ببريطانيا بعد سنة ١٨٠٩

بوادر تفضيل السيد سعيد للتحالف مع فرنسا :

لقد أظهر السيد سعيد ، بمجرد توليه حكم عمان مباشرة ، ورغم وجود ممثل سياسي لبريطانيا في مسقط ، ميلا للتخلي عن سياسة ابيه السيد سلطان والوقوف الى جانب الفرنسيين في الصراع الذي كان ما يزال دائراً وقتذاك ، ولعل نظرة التشاؤم التي ابداها المقيم البريطاني في مسقط حيال طوالع مستقبل السيد سعيد في عمان كانت من أهم أسباب سخط السيد والمبررات المنصفة لموقفه ، ولكننا في الحقيقة لا نعرف لماذا لم تعترض حكومة الهند اعتراضاً مباشراً على بعض تصرفات السيد سعيد — اللهم الا اذا كانت لا تعرف حقائق الامور — فان تلك التصرفات كانت خرقاً لاتفاقيّ ١٧٩٨ و ١٨٠٠ . ففي يونيو سنة ١٨٠٧ عقدت معاهدة في جزر الموريشيوس بين القائد العام الفرنسي دي كاين ،

ومندوب عن السيد سعيد.، جرى تعديلها في العام التالي . وفي نفس الوقت ارسل قنصل ومقيم فرنسي الى مسقط هو مسيو دالون بقي بها حتى سنة ١٨١٠ على الاقل ، وبذلك اصبح للنفوذ الفرنسي مكان الصدارة في مجالس سعيد لفترة لم تطل . وقد حدثت هذه الاحداث رغم الانذار الذي سلمه الجنرال جون مالكولم للمسئولين في مسقط في أثناء رحلته الثانية الى ايران في ابريل سنة ١٨٠٨ ، لكن ا ستيلاء البريطانيين على موريتوس ورنيون في سنة ١٨١٠ — والذي تأخر قليلا لأن السيد سعيد — كما يقال — كان يلقي بامدادات بالسفن لتلك الاماكن — أدى الى تحطيم مكانة الفرنسيين ونفوذهم في شرق افريقيا والمياه العربية ايضاً ، ولخمس سنوات تالية لم يرتفع علم فرنسا في أي مكان على شاطي المحيط الهندي ، وأدت هذه الحالة الى ان يحاول سعيد الوصول الى تفاهم بينه وبين الانجليز .

الحملتان على رأس الخيمة في ١٨٠٩ و ١٨١٩ :

وحتى قبل ان ينتهي النفوذ الفرنسي تماماً ، ومن جراء اغارات قراصنة القواسم على تجارة بريطانيا وعمان معاً ، استؤنف التقارب بين السيد وحكومة الهند . وقد رأينا كيف ربطت حكومة الهند السيد سعيد بها في محاولتها الجادة الاولى لقمع القرصنة في الخليج ، ولتخويف الوهابيين ايضاً بشكل غير مباشر . ومنذ وقت الحملة الاولى على رأس الخيمة ومن بعدها ، أصبحت بريطانيا هي الدولة الوحيدة صاحبة المصالح في شئون سعيد العربية والايرانية على السواء ، وانحصرت علاقة عمان بغيرها من الدول في نطاق افريقيا الشمالية فقط . وقد رأينا كيف كانت سياسة حكومة الهند البريطانية ودية مع سعيد في الفترة من ١٨٠٩ الى ١٨١٩ في حين كانت متحفظة — فيما يتعلق بالوهابيين . وفي سنة ١٨٢٦ أثار السيد سعيد موضوع علاقاته بحكومة الهند البريطانية فأوضحت له حكومة الهند ان معاهدتي سنة ١٧٩٨ و ١٨٠٠ تنصان على قيام علاقة صداقة متبادلة ، لكنهما لا تشكلان حلفاً دفاعياً هجومياً

مشتركاً على سائر أعداء دولتي بريطانيا العظمى وعمان ، فلم يساعده البريطانيون في صد جحافل الوهابيين التي كانت تندفع الى اراضيه — فيما بين ١٨١٠ — ١٨١٣ — انتقاماً مما قام به في حملته على رأس الخيمة كما ان بريطانيا ايضاً لم تشجع محاولاته التي كان يبذلها لاعادة شيخ القواسم المعادي للوهابيين الى حكمه فيما بين ١٨١٤ و ١٨١٦ . وفي سنة ١٨١٩ خلال فترة جمود نسبي في قوى الوهابيين ، ارسلت حكومة الهند حملتها الناجحة الثانية ضد قراصنة القواسم ، ولم تحقق الحملة مكاسب لاحد قدر ما حققت للسيد سعيد ، فقد عوضته تماماً عن كل ما خسره في اطار علاقته ببريطانيا .

الحملة الاولى على بني بو علي ١٨٢٠ :

وهنا تجدر الاشارة الى حادثة غريبة في تاريخ عمان (١) كانت تهم بريطانيا والسيد سعيد على السواء ، ففي سنة ١٨٢٠ اتهم افراد قبيلة بو علي في اقليم جعلان بالاشتراك في بعض اعمال القرصنة ، وفوضت الحكومة كابتن طومسون(٢) لاتخاذ اجراءات ضدهم بعد ان يتيقن من تعدياتهم . وبعدها ارسل طومسون رسولا يبدو انه كان شيخ راس الحد ومعه رسائل لزعماء القبيلة ، لكن الرسول قتل في خليج الشجرة ، واتخذ كابتن طومسون قراراً على مسئوليته بالتعاون مع السيد سعيد ،

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن الحملتين على بني بو على انظر : « مختارات من أوراق بومباى » ، المجلد ١٤ ، ص ١٨٩ — ١٩١ ، و « مختصر سالدنها .. » (١٨٠١ — ١٨٥٣) ص ١٢٧ — ١٢٨ ، « رحلة متنجان الشتائية .. » (الجـــزء الثانى ص ٢٤٨ — ٢٧١) ، « وتاريخ لو للبحرية الهندية » (الجزء الاول ص ٢٧٠ — ٢٧٤ ، ٣٨٠ — ٣٨٥) ، وكتاب بادجر : « الائمة والمادة » (ص ٣٣٨ — ٢٤٥) ، ورواية مجنان ، نظرا لانها رواية شاهد عيان فيما يتعلق بالحملة الثانية ، هى أهم الروايات .

(٢) لمعرفة شىء عن تاريخ الـــكابتن (الجنرال فيما بعد) بيرونيت طومســون ، وأعماله الفذة انظر كتاب لو عن تاريخ البحريـــة ، الهندية ، الجزء ١ ص ٣٨١ (في هامش الصفحة) ، حيث كان في سنة ١٨٢٠ ضابطا في فرقة فرسان صاحب الجلالة السابعة عشرة .

ضد بني بو علي الذي كانوا يكرهون سعيداً ويتمردون علناً على حكومته، ولتنفيذ تلك الخطة قامت ست فرق من الجنود الهنود يقودهم كابتن طومسون بالنزول في قشم ومنها الى صور حيث التقت بهم قوات سعيد. الضخمة من رجال القبائل ، ومعظمهم من بني جابر وبني هاشم وبني حجر وبني وهيبه . وفي مساء ٨ نوفمبر عسكر الحلفاء في فلج المشايخ ، وانتقموا لمقتل الرسول الذي ارسله البريطانيون ، كما دمروا قلاع القبيلة واستولوا على سلاحها . وفشلت المفاوضات التي دارت بين الطرفين ، ويبدو ان القائد السياسي الانجليزي كان مصمماً على ان يلقي أهل القبيلة بسلاحهم ، ولهذا قامت قوة من ٣٨٠ جندياً هندياً ، معها اربعة مدافع و ٢٠٠٠ من العرب في اليوم التالي بالتقدم لمهاجمة بلد بني بو علي ، لكنهم استدرجوا غدراً وخيانة الى طريق آخر ، وأعمل العرب فيهم سيوفهم ، فاضطرت الحملة الى التراجع بعد ان خسرت ٧ ضباط انجليز ، ٢٠٧ جندياً هندياً وكامل مدفعيتها . وتصرف السيد سعيد بعد هذه الكارثة بشجاعة وهدوء أعصاب ، فقد جرح في يده وهو يحاول الدفاع بنفسه عن رجال المدفعية الانجليزية ، وكان ذلك عملا فروسياً اعترفت به حكومة الهند بأن أهدت الى السيد سعيد سيفاً ثميناً . أما رجال القبائل الذين كانوا مع السيد سعيد فلاذ معظمهم بالفرار بمجرد أن مالت الكفة ضده ، ووقف البعض على الحياد لا يقاتلون الى جانبه ، وكان بنو حجر فقط هم الذين ابدوا شجاعة نادرة المثال في ثباتهم الى جوار السيد حتى قتلوا عن آخرهم . وفي الليلة التالية على المعركة هاجم بنوحسن المعسكر البريطاني لكنهم فشلوا ، وكان المعسكر في أرضهم ، واخيراً عادت فلول القوات البريطانية الى مسقط ، عن طريق وادي العق فوصلتها في ١٧ نوفمبر .

الحملة الثانية على بني بو علي ١٨٢١ :

لكن حكومة بومباي رأت ان الكابتن طومسون قد تجاوز التعليمات الصادرة اليه بمكافحة القرصنة ، وسمح لنفسه بأن يكون أداة في يد

السيد سعيد وسياسته الداخلية ، وهي لذلك أدانت أعماله جميعاً وأمرت بعزله من منصبه ، ولكن كان لا بد من استعادة هيبة بريطانيا العسكرية في عمان ، فجهزت حملة كبيرة قوامها ١١٧ ضابطاً بريطانياً ، ١٢٦٣ جندياً وصف ضابط من جنود فرقة صاحب الجلالة الخامسة والستين ، ومن الفرقة الاوربية في بومباي ، والمدفعية الاوربية فيها ، هذا الى جانب ١٦٨٦ جندياً هندياً . واسندت قيادة الحملة الى الجنرال ليونيل سميث وهو نفس القائد الذي قاد العمليات ضد رأس الخيمة في سنة ١٨٠٩ ، ووصل سميث الى صور في ٢٧ يناير سنة ١٨٢١ . وفي ليلة ١١ فبراير ، فوجئت الخطوط الخلفية للقيادة العامة وفرقة بومباي الاوربية بهجوم حشد كبير من بني بو علي نجحوا في أن يقتلوا من الاوربيين أكثر من ٤٠ رجلا قبل ان يستطيع هؤلاء ردهم على أعقابهم . وفي ٢ مارس وصلت الحملة الانجليزية الى بلد بني بو علي حيث كانت جثث أفراد الحملة السابقة ما تزال مطروحة في العراء ، وخرج رجال القبيلة المحاربون — وهم أكثر من ألف رجل من الرجال الاشداء — يحاولون ان يعيدوا الانتصار الذي أحرزوه من قبل ، وحدث شيء من الهرج في صفوف الانجليز ، لكنهم تماسكوا أخيراً واستطاعوا ان يردوا الهجوم ، وكان صد الهجوم يعني عملياً هزيمة بني بو علي . وبعدها بقليل استسلمت القرية ، وتعهدت القبيلة بأن تلقي سلاحها ، وكان السيد سعيد حاضراً لكنه لم يشترك في أي عمل ، مكتفياً بمراقبة المعركة فقط ، وبلغت خسائر البريطانيين ٢٦ قتيلا و ١٧١ جريحاً ، أما العدو فقد خلف على ارض المعركة ٢٣٥ قتيلا ، وحمل معه عدداً يزيد عن هذا العدد من الجرحى . وبلغ عدد الاسرى من العرب — وبينهم محمد بن علي شيخ القبيلة واخوه خادم — حوالي ٢٥٠ اسيراً منهم حوالي ١٠٠ جريح ، وسلم حوالي ثمانين اسيراً الى السيد سعيد الذي أمر بالقائهم في سجن مسقط حتى يموتوا جوعاً ، ونقل باقي الاسرى — وبينهم محمد بن

علي — الى بومباي حيث عوملوا معاملة طيبه هناك . وبعد حوالي سنتين ، استطاعوا ان يوسطوا السيد سعيد لاستعادة الاسرى بعد مجهود كبير ، وبوساطة السيد سعيد أعيد الاسرى من بومباي على نفقة حكومة الهند ، كما اعطي كل منهم مبلغاً صغيراً من المال كي يبدأ حياته من جديد ، أما بنو بو علي كقبيلة فلم تستطع ابداً استعادة المكانة التي كانت لها يوماً في عمان .

احتلال بريطانيا لجزيرة قشم ١٨٢٠ — ١٨٢٢ :

أما علاقة الحكومة البريطانية بسلطان عمان الناشئة عن الاحتلال العسكري البريطاني لجزيرة قشم بتفويض من السلطان في الفترة من ١٨٢٠ الى ١٨٢٢ او ١٨٢٣ فهي ترد بالتفصيل في القسم الخاص بتاريخ ساحل ايران . ورغم القصاص الذي أريد به ان يكون مثلا فيما وقع لبو علي ، الا ان القراصنة والاشقياء ظلوا يواصلون نشاطهم ضمن اراضي عمان بل وحتى بنو علي انفسهم كانو طرفاً في مثل ذلك .

نشاط رعايا عمان العدواني في البحر ١٨٢٩ :

ففي سنة ١٨٢٩ ، هاجم القراصنة من اتباع السيد سعيد سفينة صغيرة لشخص يدعى مستر شيبتون ونهبوها اثناء عودتها من رحلة في البحر الاحمر ، لكن السيد سعيد قام بجهد ايجابي بهذا الصدد ، فاستخلص من القراصنة مبلغ ٦٠٠٠ روبية اولا ، ثم ١٠٠٠ كروان بعد ذلك دفعها كتعويض لحكومة بومباي .

وفي نفس الوقت تقريباً كانت السفينة البريطانية « اوسكار » تجتاز ساحل اقليم جعلان في طريقها من بومباي الى بوشهر فاغار عليها العرب من قبيلتي بو علي وبني بو حسن ونهبوا حمولتها التي كانت تقدر بحوالي ثمانية لاكات من الروبيات ، وكان يمكن انقاذ الجزء الاكبر من هذه الحمولة لولا شراسة العرب المهاجمين . ونتيجة اللوم الشديد الذي وجهه الوكلاء في الهند لحكومة بومباي حول هذا الموضوع خرج المقيم

البريطاني في الخليج وقتذاك على ظهر السفينة الحربية « فلاي » ترافقه المدمرة البحرية « ترنيست » وعليها القائد البحري كولنسون الى مسقط حيث انضمت اليها ثلاث طرادات تابعة لشركة الهند الشرقية كانت في الميناء. وفي ١٩ أكتوبر ١٨٢٩ ، وبعد ان امكن استعادة جانب من حمولة السفينة من الشالات الكشميرية التي كانت مطروحة للبيع في اسواق مسقط — تحرك المقيم البريطاني واسطوله ، وصحبه السلطان ومعه فرقاطتان من اسطوله الى صور ، لكنهم لم يستطيعوا ان يعثروا على أثر للمسروقات في المكان كله. وقام القائد كولنسون بعدها بزيارة لخور جراما حيث التقى بمجمد بن علي شيخ بني بو على لقاء طويلا انتهى بأن اقسم الشيخ انه لا يستطيع استعادة شيء من حمولة السفينة سوى عدد قليل من شالات كشمير قدمها لكولنسون تقدر قيمتها بـ ١٢٠٠ روبية ، وأخيراً رأى القائد ان هذه القبائل المعتدية لا يمكن تأديبها بحملة بحرية ، ففضل الا يواصل تحرياته عن المنهوبات الباقية وبذل جهده كله كي يترك في أذهان أهل ذلك الساحل الخطر خير انطباع يمكن ان يؤدي الى خدمة مصلحة أية سفينة بريطانية أخرى قد يوقعها الحظ التاعس في مثل ما وقعت فيه السفينة المنكودة « اوسكار » وهكذا انتهت الحملة .

الحكومة البريطانية تقدم العون للسيد سعيد في مناسبات عديدة :

وعلى اثر المتاعب التي اثارها بنو بو علي في سنة ١٨٢٠ — ١٨٢١ ، لم تأل السلطات البريطانية جهداً في أن تؤكد تبنيها لمصالح السيد سعيد ، فأحياناً كانت تثنيه عن القيام بمغامرات متهورة ضد البحرين ، او ايران أو العراق التركي ، واحياناً أخرى كانت تقدم له العون المباشر ضد المتمردين على حكمه ، او تمكن له من انقاص مطالب الوهابيين منه ؛ فأعمال البحرية البريطانية في مسقط من سنة ١٨٣٠ الى ١٨٣٣ ، والانذارات التي وجهها المقيم البريطاني للسيد حمود أثناء تمرده في سنة ١٨٣٤ والصلح الذي عقد بين السيد سعيد وحاكم صحار نتيجة التدخل البريطاني في سنة ١٨٣٩ ، والعون الذي قدمه ممثل بريطانيا خلال

الازمات ضد الوهابيين التي استمرت من ١٨٤٥–١٨٥٢ ، والعون الديبلوماسي الذي بذله البريطانيون لصالح السيد سعيد في طهران سنة ١٨٤٨ – كل هذه ليست سوى امثلة للروح التي سادت سياسة الحكومة البريطانية نحو السيد سعيد بعد سنة ١٨٢١ .

ومن الناحية الاخرى فقد كانت حكومة الهند تميل بالفعل الى التعهد بحماية مستعمرات امام مسقط من الوهابيين ، على اساس « اننا ما دمنا اعلنّا مرة واحدة ان سياستنا هي الوقوف الى جانب هذا الشيخ او ذاك فلا بد ان ننفذ هذه السياسة مهما كان الثمن ، ومستحيل ان نتراجع عنها مهما بذلنا في سبيلها من دماء ومال » . وكان السيد سعيد من جانبه معترفاً بهذا الفضل ، وفي رحلته الاخيرة من زنجبار في سنة ١٨٥٤ ترك السيد ابنه خالد – المسئول عن مستعمراته في شرق افريقيا – تحت الوصاية الكاملة للرائد هامرتون المقيم البريطاني هناك ، وقد قام الملازم ويلستيد والملازم وايتلوك في سنة ١٨٣٥ – ١٨٣٦ بجولة ارتادا فيها قسماً كبيراً من عمان باشراف السيد سعيد .

معاهدات للتجارة وغيرها بين الحكومة البريطانية والسيد سعيد وحادثة جزر كوريا موريا :

واستغلت الحكومة البريطانية ذلك الموقف الودي المعقول من نجانب السيد سعيد في عقد عدة معاهدات كان اهمها معاهدة التجارة في سنة ١٨٣٩ ، ومعاهدتان لمنع تجارة الرقيق في ١٨٢٢ و ١٨٤٥ ، واتفاقية جمركية ايضاً ابرمت سنة ١٨٤٦ وجددت بها رسوم عبور السفن بنسبة قدرها ٥٪ مع تخفيض خاص في هذه النسبة يسري على السفن التي تعطب او تصاب فتضطر للرسو في الميناء . اما المخازن المملوكة للحكومة البريطانية فقد إعفيت من العوائد تماماً . وفي سنة ١٨٥٤ قدم السيد سعيد جزر كوريا – موريا هدية منه للتاج البريطاني ، ورفض ان يأخذ شيئاً في مقابلها ، وكانت هذه الجزر ذات اهمية خاصة نظراً لوجود « السماد المتخلف عن الطيور فيها » وكان الفرنسيون قد بذلوا جهوداً كثيرة لمحاولة الحصول على ذلك السماد .

علاقة السيد سعيد بالبلاط البريطاني :

وكانت المجاملات والاحتفالات الملكية تتبادل من حين لحين بين السيد سعيد وصاحب الجلالة ملك بريطانيا ، ففي سنة ١٨٣٦ أهدى السيد الى الملك ويليام السفينة « ليفربول » وهي سفينة حربية عظيمة لكنها أكبر من ان تعمل في ميناء مسقط ، وتلقى في مقابلها يختاً جميلا هو « برنس ريجنت » . كما ارسل في سنة ١٨٣٨ وفداً الى انجلترا ليقدم التهاني للملكة فيكتوريا على ارتقائها العرش ، وتم في هذه المناسبة ايضاً تبادل الهدايا بين الطرفين . وثم حادثة اخرى ليست على هذا الجانب من الاشراق حدثت في سنة ١٨٤٥ حين سافر أكبر ابناء السيد سعيد ــ هلال ــ خلسة الى انجلترا . وكان ابوه يشك فيه ويرى انه ليس جديراً بأن يخلفه على العرش ، واثار الشاب حين وصل انجلترا بعض الاهتمام السياسي به ، غير ان هذا الاهتمام لم يستطع ان يقف في وجه نفوذ السيد سعيد ، وقضى الشاب نحبه لاجئاً في عدن سنة ١٨٥١ .

التمثيل السياسي البريطاني في مسقط :

وفي بداية عهد السيد سعيد كان ضابط اوربي هو الذي يمثل المصالح البريطانية في مسقط ، ولكن بعد موت ثلاثة مقيمين في مسقط بسبب قسوة المناخ ، وهم الملازم واتس سنة ١٨٠٨ ، والكابتن سيتون والمستر بنس في ١٨٠٩ ، اعتبرت مسقط مكاناً غير ملائم للاقامة الدائمة وتقرر نقل المقر الدائم للمقيم البريطاني الى بوشهر ، وفي ابريل سنة ١٨٤٠ ، ومن جراء خطر القوات المصرية ــ اعيد مقر المقيم البريطاني وكان وقتها هو كابتن هامرتون الى مسقط ، لكن المعتمدية كلها نقلت بعد ذلك الى زنجبار وظلت فيها حتى وفاة السيد سعيد .

★ ★ ★

معاهدة تجارية مع فرنسا ١٨٤٤ :

أشرنا في فقرة سابقة الى ذلك الازدهار القصير الاجل الذي حققه النفوذ الفرنسي في عمان . وحين أخذ ذلك النفوذ ينحسر في الفترة ما بين ١٨١٠ و ١٨١٥ يبدو ان الفرنسيين سحبوا ممثلهم السياسي في مسقط ، ولم يعينوا أحداً بدله بحيث لم يكن لهم ممثل سياسي في عمان طوال حكم السيد سعيد . وفي سنة ١٨١٧ بدأت العلاقات تنتعش مرة اخرى بين السيد سعيد والحاكم الفرنسي في رينيون ، وزارت السفينة الفرنسية « زيليه » مسقط في سنة ١٨١٩ ، وزارتها بعد ذلك السفينة « موصل » في ١٨٢٢ ، ثم السفينة « كليوباترا » بعدها بقليل ، وكانت جميعها وفوداً بعث بها حاكم بوربون الفرنسي لتأكيد صداقة فرنسا او في مهام سياسية وأخيراً عقدت اتفاقية تجارية بين الدولتين بهدف تصدير منتجات عمان الى المستعمرات الفرنسية ، وقامت بين الدولتين تجارة نشطية . وفي سنة ١٨٣٩ بدأت المفاوضات لعقد معاهدة تجارية دائمة ومنتظمة بين الدولتين لكنها لم تنته الا في سنة١٨٤٤ ، وقد سمح السيد سعيد باقامة قنصل فرنسي في زنجبار ، كما انه عرض المعاهدة التجارية مع فرنسا — قبل توقيعها في سنة ١٨٤٤ — على المسئولين الانجليز للموافقة عليها ، ولم تكن لهذه المعاهدة أية نتائج سياسية اللهم بالنسبة لشرق افريقيا .

★ ★ ★

علاقة السيد سعيد بأمريكا

معاهدة تجارية مع امريكا :

كانت اول معاهدة عقدها حاكم عمان مع دولة كبرى مباشرة دون الدويلات غير المستقلة هي تلك التي ابرمت بين السيد سعيد ومستر روبرتس المفوض الامريكي فوق العادة الذي وصل الى مسقط

لذلك الهدف على ظهر السفينة الحربية « بيكوك » في سنة ١٨٣٣ ، وكانت تلك المعاهدة هي المثل الذي احتذى في معاهدتي عمان مع بريطانيا في سنة ١٨٣٩ وفرنسا في ١٨٤٤ . وكان الاعتراف بأهمية السيد سعيد من جانب امريكا شيئاً ارضى غرور السيد وجعله يميل الى كسب المزيد من رضا الامريكيين بمنحهم امتيازات تجارية خاصة في شرق أفريقيا على ان يقفوا الى جواره ويساعدوه بالسلاح والرجال لاخضاع ذلك الاقليم لسيادته . ولكن لا يبدو ان الحكومة الامريكية قبلت العرض، غير ان تقديمه من جانبه كان كافياً لان تتحرك سفينة صاحب الجلالة « ايموجين » من بومباي الى زنجبار في سنة ١٨٣٤ كي تحقق في الموضوع .

★ ★ ★

أخلاق السيد سعيد وادارته وموارده

خلقــه :

وصف السيد سعيد فيما كان في مقتبل عمره ، بأنه رجل طويل القامة مديدها ، له هيبة على من حوله ، تبدو في ملامحه مخايل الاريحية والذكاء ، أدركه الكبر قبل اوانه ، وتفسير ذلك في طريقة حياته التي عاشها ، فتاريخه كله يشير الى انه كان رجلا مقداماً وعظيم الثقة بنفسه وقد أظهر غير مرة شجاعة في القتال نادرة المثال ، لكنه ربما كان الذكاء والحزم ابرز سجاياه على الاطلاق .

وكان حكمه في اوقات السلم عادلا ومنصفاً ، والتجارة تزدهر فيه ازدهاراً عظيماً ، فكان التجار الاجانب ينجذبون إلى مسقط ويقيمون فيها ، ولهذا كان عدد سكان المدينة في زيادة دائمة ، غير ان التطور التجاري في مستعمرات السيد سعيد بشرق إفريقيا كان أكثر ازدهاراً . ففي سنة ١٨٣٤ قدر الدخل السنوي للسيد من عوائد مسقط بمبلغ ١٠٠ الف روبية ، وقدر دخله من عوائد زنجبار بمبلغ ١٥٠ الفاً عن نفس السنة،

وقد ارتفعت عوائد زنجبار الى هذا الحد خلال سنة او اثنتين فقط حيث لم تكن قبلها تزيد عن ٤٠ الف روبية سنوياً ، وظل هذا الدخل يتزايد باستمرار حتى نهاية حكمه . والى جانب العوائد العامة كانت هناك أرباح التجارة الخاصة وكان للسيد سعيد في وقت من الاوقات عشرون سفينة تعمل في تجارته الخاصة .

البحريــة :

أما قواته المحاربة فكان معظمها بحرياً اذ كان ينفق على بحريته الاموال الطائلة ويجند لها الكثيرين ، غير ان تسليح سفنه كان في حقيقة الامر أقل مما يوحي به مظهرها ، وكانت أكبر السفن الحربية التي امتلكها السيد هي السفينة المقاتلة « ليفربول » ، وهي سفينة بطابقين مسلحة بأربعة وسبعين مدفعاً وقد أهداها السيد فيما بعد للحكومة البريطانية ، وكان من بين سفنه ايضاً السفينة « شاه علم » وكانت مسلحة بأربعة وخمسين مدفعاً .

★ ★ ★

السيد ثويني بن سعيد ١٨٥٦ ـ ١٨٦٦
انفصال زنجبار عن عمان ١٨٥٦ ـ ١٨٦١

تقسيم أملاك السيد سعيد بعد موته ١٨٥٦ :

ترك السيد سعيد عند موته عدداً كبيراً من الابناء ، ليس بينهم واحد من زوجاته الحرائر . وكان السيد ينوي ان يجعل أكبر ابنائه على قيد الحياة ، و هوثويني ، وكان ابناً لأمة من جورجيا ، خليفته على مسقط ، ولهذا كان يعهد اليه بشئون عمان اثناء غيابه عنها ابتداء من سنة ١٨٣٣ ، كما كان يخطط لابنه خالد ــ من جارية مالابارية ــ ان يخلفه على مستعمراته في شرق افريقيا . لكن خالداً مات قبل ابيه ، فأخذ مكانه أخوه ماجد

الذي جعله السيد سعيد مسئولا عن زنجبار حين تركها للمرة الاخيرة سنة ١٨٥٤ . وهكذا حين مات السيد أصبح ثويني وماجد هما حاكمي عمان وزنجبار على التوالي ، في حين استقل أخوهما تركي — وهو مقارب لهما في العمر — بحكم صحار ، وكان ابوه قد جعله والياً عليها قبل موته .

إتفاقية بين ثويني وماجد اللذين ورثا حكم عمان وزنجبار على التوالي ١٨٥٧ :

وفي سنة ١٨٥٦ أو ١٨٥٧ قام محمد بن سالم مبعوثاً من ثويني في مسقط بزيارة ماجد في زنجبار ، واستطاع ان يحصل من هذا الاخير على وعد بأن يدفع لثويني مبلغ ٤٠ الف روبية في كل سنة ، يخصص ريعها لارضاء مطالب الوهابيين الذين كانوا يتقاضون في ذلك الوقت من عمان جزية سنوية قدرها ٢٠ الف روبية . ولسنا نعرف : هل كانت هذه الاتفاقية مشروطة بشروط ما ام كانت نتيجة تفاهم واتفاق بين الاخوين في ضوء وضع كل منهما بالنسبة للآخر ، لكن هذا يتيح للمراقبين ان يفسّروه كلٌ على هواه ، فيقول الواحد إنه دليل على خضوع ماجد لثويني ، ويقول آخرون إنه حل وسط بين طرفين متكافأين .

الانجليز يتوسطون لايقاف حملة أعدها ثويني للهجوم على زنجبار ١٨٥٨ :

ومهما كان من امر هذه الاتفاقية ، فان عمرها كان قصيراً ، فقد سحب ماجد وعده بالدفع ، وحوالي نهاية سنة ١٨٥٨ كان معروفاً ان ثويني صمم على السير بنفسه الى زنجبار ، ولكن فرقاطة بحارية ارسلها حاكم بومباي استطاعت اللحاق بالحملة بعد ابحارها بالقرب من رأس الحد ، واستجاب ثويني لرغبة لورد الفينستون فتوقف عن اللجوء

للقوة وقبل وساطة الانجليز بين الطرفين لذلك أمر اسطوله المكون من ١٠ سفن عليها ٢٥٠٠ مقاتل بالعودة الى مسقط . وربما كان هذا من حسن حظه ، لان أخاه تركي كان على أهبة القيام بهجوم على عاصمة عمان ، وربما كان ماجد يشجع هذا الهجوم ويعضد تركي على القيام به ، وقد قام ثويني من ناحيته بكل ما يؤكد كراهيته لماجد في زنجبار ، ففي خريف ١٨٥٩ تمرد برغش — الشقيق الاصغر لماجد .— على حكمه في زنجبار . ويقال ان القنصل الفرنسي هناك كان يؤيد تمرده مثلما كان يؤيد انصار ثويني .

وفد بريطاني للتحقيق ١٨٦٠ :

ورغم قبول ثويني مبدأ وساطة نائب الملك والحاكم العام في الهند الا انه كان يود الا يلزم نفسه بالسكوت نتيجة قرار يتخذه صاحب السمو نائب الملك . واخيراً استطاع الانجليز ان يحصلوا منه على موافقة كتابية بالخضوع للقرار الذي تتخذه لجنة التحكيم . وفي مايو سنة ١٨٦٠ عين البريجادير و. م. كوجلان المقيم العام في عدن لفحص مزاعم الطرفين المتنازعين بمساعدة الأب ج. ب. بادجر اسقف عدن ، واحد المتميزين في دراسة العربية ، ومستر هرمزد راسم الوكيل البريطاني المؤقت في مسقط . وبدأ رئيس اللجنة العمل بأخذ تعهد من الطرفين بالرضوخ للقرار الذي سيتخذه نائب الملك في الامر ، ثم بدأ تحرياته التي كانت شاملة ودقيقة ، واعد كوجلان تقريره في نهاية السنة ، وقبله لورد كاننج وزير الخارجية البريطانية دون ان يعدل منه شيئاً باستثناء تفصيلات لا أهمية لها ، وفي التقرير حديث طويل عن المبادىء وعن الامر الواقع لا نرى من الضروري الاشارة اليه هنا .

قرار لورد كاننج بفصل زنجبار عن عمان وباعانة يدفعها حاكم زنجبار لحاكم عمان ١٨٦١ :

وكان القرار الذي اتخذه لورد كاننج ، وأعلنه في ٢ ابريل سنة

١٨٦١ ، يقضي بفصل مستعمرات السيد سعيد في افريقيا عن مقر حكمه في عمان ، وبأن تصبح زنجبار ولاية مستقلة لماجد وخلفائه ، وعلى ماجد ومن يأتي بعده ان يدفع مبلغ ٤٠ الف روبية كل سنة لثويني ومن يأتي بعده ، لا على انها جزية ، بل تعويضاً عن القسمة غير المتكافئة لاملاك السيد سعيد من ناحية ، ومقابل توقف حكام عمان عن ادعاء تبعية زنجبار لهم . وحددت المتأخرات التي يجب ان يدفعها ماجد لثويني بمبلغ ٨٠ الف روبية ، كما جاء في القرار ايضاً رفض طلب تقدم به تركي حاكم صحار في الاستقلال هو ايضاً بولايته ، وابدى كلا الطرفين – قولا وكتابة – ارتياحه لقرار نائب الملك . وقبل ان تنتهي السنة كان ماجد قد دفع لثويني كل المتأخرات الى جانب نصيب ستة أشهر من السنة الحالية . وقداوضحت التجربة ان حكم عمان وزنجبار معاً ان ينجح فيه حاكم واحد ، ولا شك في ان الفصل بينهما على ذلك النحو من التكافوء كان أمراً مفيداً لكليهما على السواء .

الحكومة البريطانية توافق رسمياً على لقب « سلطان عمان » :

وبعد انفصال هاتين الولايتين قررت حكومة الهند ان يكون لكل من الحاكمين لقب « سلطان » ، وبهذا اللقب سنشير اليهما من الان فصاعداً (١) .

★ ★ ★

---

(١) ناقش بادجر في كتابه « الائمة والسادة » دلالة لقب الامام (ص ٣٧٨ ـ ٣٨١) ، لكن لقب السلطان (رغم انه على الاغلب من أصل انجليزى) فلا يزال الى الآن يطلق على حكام عمان حتى من أهل بلادهم . وقد استخدمناه في هذا النص (وفضلناه على لقب السيد) اشارة الى خلفاء الآئمة العمانيين فان الحاكم الحالى يكتب على عملته لقبى السلطان والامام معا .

اعادة المفوضية البريطانية في مسقط ١٨٦١

لقد اقنعت قضية التحكيم هذه حكومة الهند بضرورة اعادة تعين مسئول بريطاني سياسي في مسقط . وكانت المصالح البريطانية وقت الخلاف بين ثويني وماجد يمثلها رجل يهودي امي ، وكان هذا الوضع في ذاته قد وضع ثويني في مكانة أقل من أخيه ماجد الذي كان يتعامل مع المقيم البريطاني في زنجبار ، وهو الذي كان يوجه له النصح دائماً في كل المشكلات التي تعترضه ، وتم اختيار الملازم و. م. بنجيلي من البحرية الهندية ليكون اول شاغل لتلك الوظيفة (١) .

★ ★ ★

الاحوال الداخلية في عمان ١٨٦١ ـ ١٨٦٤

تمرد السيد تركي وقبض ثويني عليه غدراً ١٨٦١ :

لم يستجب السيد تركي حاكم صحار لنصيحة السلطات البريطانية له بأن يعتبر نفسه خاضعاً لحكم شقيقه السلطان ثويني ، وقام في صيف سنة ١٨٦١ بتمرد سافر على حكم أخيه ، فأعد الاخير حملة كبيرة وتهيأ للسير الى صحار ، لكن الوكيل البريطاني عرض وساطته بينهما فقبل الطرفان . وبكلمة أمان من الوكيل السياسي تعهد ثويني باحترامها جاء تركي الى سيب لمفاوضة شقيقه ، لكنه لدى صوله ثويني عدل عن عزمه ، وقرر عدم لقائه وتهيأ للعودة الى صحار ، وحينئذ سحب الملازم بنجيلي عرض الوساطة من جانبه ، مرتكباً لسوء الحظ خطأً واضحاً في تقدير الامور . واعتبر ثويني ان كلمة الامان التي تعهد باحترامها لم يعد لها الآن معنى فحمل السيد تركي الى مسقط حيث زج في السجن .

---

(١) كان الملازم بنجيلي ممن خدموا الفرقـــة التركية اثناء الحرب الكرمانية ، وقد قام بدور كبير في جمـــع الحيوانات من العراق التركي ونقلها لضرورات الحرب الايرانية في ١٨٥٦ ـ ١٨٥٧ .

السلطان يفقد صحار ١٨٦١ :

وثار اهل صحار حين ترامى اليهم هذا الخبر ، وخرج ثويني اليهم في قوة بحرية كبيرة ، يتبعه الوكيل السياسي البريطاني في سفينة حربية صغيرة ، لكنه وجد صحار وقد هجرها أهلها ، فاكتفى بأن عين ابنه سالماً والياً عليها ثم عاد الى مسقط .

السلطان يستعيد السويق وخابورة ١٨٦١ :

وبعدها بقليل ، في سبتمبر ثار آل سعد في الباطنة وبنو جابر ايضاً بتحريض من قيس بن عزان في رستاق وقتلوا السيد هلال بن محمد بن احمد والي السويق الذي رفض الانضمام اليهم ، كما قتل قيس ايضاً في هذا التمرد ، لكن ابنه عزان سرعان ما نجح بعده في الاستيلاء على السويق وخابوره (١) .

تغير الوكيل السياسي البريطاني ١٨٦٢ :

ولم يكن تصرف الوكيل البريطاني في هذه المرة ايضاً تصرفاً حكيماً فقد كتب الى المتمردين « يأمرهم باسم الحكومة البريطانية بأن يسلموا المدن التي استولوا عليها للحاكم الشرعي في عمان » ، وكتب الى المقيم البريطاني العام في الخليج يحرضه ، لا على الاذن لبني ياس مشايخ دبي وأبي ظبي بارسال سفن لنجدة سلطان فقط ، بل وعلى ان يلقى القبض ايضاً على ممثل الثوار الذين ارسلوا للقائه ، واحتقر الثوار اعماله هذه كلها ولم يبالوا بها ، وفي فبراير سنة ١٨٦٢ أعلنت حكومة بومباي رفضها لإعمال بنجيلي بأن عينت العقيد جرين بدلا منه .

اطلاق سراح تركي واستعادة السلطان للسويق وخابورة ١٨٦٢ :

وبعد وصول الوكيل الجديد مباشرة ابعدت السفينة « الفينستون » عن ساحل الباطنة ، واطلق سراح السيد تركي من السجن وعفى عنه ، واغرى السلطان بأن يرفض عرضاً بالمساعدة من ايران ؛ وبأن يبدل كل

---

(١) تقول احدى الروايات ان هلالا وقيسا قد قتل كل منهما الآخر في المعركة ، وان قيسا كان البادىء .

جهوده — التي كللت بالنجاح في النهاية — لابعاد المتمردين عن المواقع التي احتلوها بكل الوسائل المتاحة له .

★ ★ ★

تجدد اعتداء الوهابيين وتدخل بريطانيا ١٨٦٤ — ١٨٦٦

تمرد عزان بن قيس في رستاق بتشجيع من الوهابيين ١٨٦٤ :

وحوالي نهاية سنة ١٨٦٤ ، والمعارك ناشبة بين السلطان وعزان ابن قيس في رستاق ، تلقى الأخير عوناً من تركي بن احمد السديري امير الوهابيين في البوريمي ، وفزع ثويني فهرع للاستنجاد بالحكومة البريطانية طالباً إمداده بالذخيرة والسلاح . وكلفت الحكومة الرائد بيللي المقيم العام في الخليج والذي كان يتأهب في ذلك الوقت للقيام برحلته الشهيرة الى الرياض في وسط جزيرة العرب — بكتابة تقرير عن الموضوع ، ولم يحدث اي جديد في الموقف حتى عاد بيللي من رحلته هذه في ابريل سنة ١٨٦٥ قاصداً مسقط ، ومن هناك عرف ان عزان بن قيس قد تخلى عن ولائه لثويني تخلياً تاماً ، معلناً خضوعه وتبعيته لامير الوهابيين ، وان الاخير بدأ بدوره يطالب بزيادة الجزية التي تدفعها عمان ، ومضى يهدد بغزو البلاد اذا لم تستجب لمطالبه . وارسل الرائد بيللي ، لدى اطلاعه على حقيقة ما كان يجري خطاباً الى امير الوهابيين ، الذي كان عرفه معرفة شخصية أثناء رحلته للرياض ، عارضاً عليه وساطته ، كما دعا عزان بن قيس ايضاً الى مسقط ، لكن هذا لم يرد على الدعوة ، فسحبها الرائد بيللي بأدب .

طلب الوهابيين زيادة الجزية ١٨٦٥ :

وفي اغسطس ١٨٦٥ وصل الوفد الوهابي السنوي الى مسقط ، وهناك طالب بجزية تبلغ اربعة اضعاف الجزية المعتادة ، ولكن السلطان

بناء على نصيحة الرائد بيللي دفع الجزية المعتادة فقط ، وكتب الى امير الوهابيين يقول انه فيما يتعلق بباقي ما يطالب به ، فهو في انتظار ما ستسفر عنه وساطة الرائد بيللي .

اغارة الوهابيين على صور ١٨٦٥ :

وفي نفس السنة ، طلب بنو جنابه في صور — وكانوا ساخطين على حكم سلطان — العون من امير الوهابيين في البوريمي ، فارسل اليهم شقيقه على رأس فرقة من الوهابيين قامت بنهب سوق صور بمعاونة بعض جماعات الساخطين من بني جعلان خاصة بني جنابة وبني بو علي ، وكانت هناك حامية تحتل قلعة المدينة باسم سلطان عمان واستطاعت ان تقاوم المغيرين مدة يومين ، لكنها حجزت بعدهما عن ذلك ، فاحتلها الوهابيون واستسلمت لهم الحامية . وقد مني بمعظم الخسارة أصحاب المحلات من الهندوك ، وكانو من رعايا الهند البريطانية ، حيث تجاوزت خسائرهم ٢٧,٧٠٠ روبية كما قتل واحد منهم وجرح آخر ، ومنعهم المغيرون من ان يدفنوا زميلهم الذي قتل حسب طقوسهم المعتادة ، بل وجردوهم من ثيابهم قبل ان يسمحوا لهم بالخروج الى مسقط .

عون الحكومة البريطانية للسلطان ضد الوهابيين ١٨٦٥–١٨٦٦ :

لكن السلطان — بعد ان قام بمظاهرة بحرية ضعيفة في اتجاه صور — اشترى رضا الوهابيين بأن دفع لهم ١٠ آلاف روبية في مرة ، وستة آلاف في مرة أخرى . غير ان الحكومة البريطانية في الهند ، وقد احست أن سياستها للدفاع عن مصالحها الخاصة باتت تقتضي منها التخلي عن الحياد الذي التزمت به منذ البداية ، حرضت الآن السلطان على مقاومة الوهابيين وابدت استعدادها لتزويده بالذخائر والسفن الحربية كي يستطيع ان يستعيد سلطته على الاماكن التي طرده الوهابيون منها . وحسب نصيحة الرائد بيللي تلقى ثويني بعدها بقليل مدفعين وكمية من

البارود وغيره من الذخائر لمهاجمة البوريمي التي كان واضحاً انها قاعدة الوهابيين للهجوم على عمان . وبدأ السلطان يحشد القبائل استعداداً للحملة ورداً على هذه الاستعدادات قام الوهابيون بهجوم على سحام ، وطردوا رعايا الهند البريطانية الذين كانو بها إلى البحر ، واغرقوا واحداً منهم ، كما وجه المقيم البريطاني ايضاً انذارات الى مشايخ عمان المتصالحة المشايعين للوهابيين ينذرهم بأن موانيهم ايضاً داخل مدى نيران البحرية البريطانية ، وأبلغ الآخرين الذين يشايعون السلطان بأن لهم حرية مطلقة في أن يبعثوا بامداداتهم للسلطان عن طريق البر .

العمل المباشر من جانب بريطانيا ضد الوهابيين وبني جنابه في صور ١٨٦٥ — ١٨٦٦ :

كانت هذه هي الاحتياطات المحلية التي اتخذت لمواجهة الموقف ، على ان اجراءات اخرى اتخذت ذات طبيعة اكبر نجدها في الجزء الخاص بتاريخ نجد بتفصيل اوفى ، ومنها انذار وجه لامير الوهابيين عن طريق مينائه في القطيف يطالبه فيه البريطانيون بأن يقدم اعتذاراً كتابياً عن التخريب الذي أحدثه الوهابيون في صور الى جانب دفع التعويضات المستحقة عنه . ولم يتلق الانجليز رداً على هذا الانذار في المدة المحددة له .. فبدأت عملياتهم البحرية ضد الوهابيين في مينائي القطيف والدمام . وفي ١١ فبراير رست سفينة صاحب الجلالة « هاي فلاير » امام صور ، وطالبت بني جنابه بأن يكفروا عن اعمال التخريب التي اشتركوا فيها في أغسطس الماضي بدفع مبلغ ٢٧,٧٠٠ روبية خلال ٢٤ ساعة . وحين ماطلت القبيلة في الدفع ، فتحت عليها البحرية البريطانية النيران فدمرت قلاعها ، كما احرق ايضاً قدر كبير من أخشاب السفن ، ولم تحدث اية خسائر في الارواح بين الاهالي غير المقاتلين ، فقد اعطيت لهم مهلة كي يرحلوا عن بيوتهم ، لكن جانباً من المدينة قد احرق عرضاً نتيجة تغير في اتجاه الريح .

اتفاقية بين الحكومة البريطانية والوهابيين ١٨٦٦ :

واخيراً في ٢٠ فبراير وصل الى الرائد بيللي خطابان من امير الوهابيين ، وكان في ذلك الوقت يشرف على اعمال محطة التلغراف البريطانية في خور الشام . وكان الخطاب الاول مؤرخاً بتاريخ ٢٨ يناير ، وفيه يقبل امير الوهابيين وساطة بيللي بينه وبين دولة عمان ، وواضح ان ذلك القبول كان مرده اليقين بأن الحكومة البريطانية تستطيع ان تضع قراراتها التي تنتهي اليها الوساطة موضع التنفيذ . اما الخطاب الثاني فقد كان رداً على الانذار البريطاني ذكر فيه الأمير انه سيرسل مبعوثاً يناقش الموضوع مع بيللي ، وان بني جنابه كانوا مخطئين ولا شك في أحداث صور .. لكنه هو – اي امير الوهابيين – كفيل بتحصيل تعويض الاضرار منهم . ثم وجه الامير اللوم لحكومة الهند لمطالبها المبالغ فيها في القطيف وصور ، ولقصر المدة التي حددتها لاجابة المطالب في كلا البلدين ، لكنه ابدى رضاه وارتياحه أخيراً للنتيجة العامة التي أسفرت عنها هذه العمليات . وفي ابريل سنة ١٨٦٦ وصل الى بوشهر وقد يمثل الامير عبدالله امير الوهابيين الذي خلف اباه فيصل منذ زمن ليس ببعيد ، وتعهد الى جانب تقديم ضمانات عامة كثيرة ، بامتناع امير الوهابيين مستقبلا عن مهاجمة القبائل العربية المتحالفة مع البريطانيين خاصة قبائل عمان ما دامت الزكاة المفروضة عليها تدفع . وتعهدت الحكومة البريطانية من جانبها بضمان دفع تلك الزكاة ، واصبح موظفو مفوضية بوشهر مسئولين عن اي خلاف يثار حول الموضوع .

أما مهمة هذا الوفد من حيث جوانبها الشاملة فقد ناقشناها في القسم الخاص بعلاقات بريطانيا بنجد .

★ ★ ★

اغتيال السلطان ثويني ١٨٦٦

وفي نفس الوقت الذي تلقى فيه المقيم البريطاني خطاب امير الوهابيين ، تلقى ايضاً خبر اغتيال سلطان عمان في صحار حيث كان توجه الى هناك لتنظيم حملة ضد البوريمي ، وكان اخوه تركي يرافقه وقد تم الصلح بينهما تماماً . وقد ارتكب جريمة الاغتيال سالم بن ثويني ، وهو ابن أمة من ابناء السلطان استطاع ان يتسلل برفقة شريك وهابي الى حجرة عليا في قلعة صحار ، ومنها اطل على حيث كان يرقد ابوه في قيلولته واطلق الرصاص من مسدس مزدوج على رأسه . وهكذا .. مات ثويني بن سعيد ميتة درامية غير مأسوف عليه . بعد فترة طويلة قضاها نائباً للحاكم ، وفترة قصيرة قضاها حاكماً لعمان . ولقد كانت أهم صفحات ثويني الشخصية ضعفه وسلوكه المزدوج ، فلم يحظ ابداً بحب او احترام ضابط واحد من الضباط الانجليز الذين تعاملوا معه ، وتكشف طريقة اغتياله عن انه كان مكروهاً حتى من افراد اسرته المقربين .

★ ★ ★

علاقات عمان الخارجية ١٨٥٦ ـ ١٨٦٦

معاهدات مع البريطانيين :

ازداد ارتباط مسقط بالعالم الخارجي أثناء حكم ثويني بفضل تأسيس البريطانيين خدمة بريدية تنقلها السفن التجارية . وفي سنة ١٨٦٤ / ١٨٦٥ عقد البريطانيون اتفاقية ومعاهدة مع السلطان ثويني لتسهيل تنفيذ مشروعات التلغراف الانجليزي في الخليج ، وقد سبقت مناقشتنا ذلك في الفقرة الخاصة بالمواصلات البريدية والتلغرافية في تاريخ الخليج . كما اشرنا ايضاً الى انشاء وكالة سياسية بريطانية مساعدة في جوادر سنة ١٨٦٣ في الفصل الخاص بتلك الولاية .

البيان الانجليزي الفرنسي لسنة ١٨٦٢ :

على ان اهم معاهدة في تاريخ عمان أثناء هذه الحقبة كانت معاهدة لم يشترك في توقيعها السلطان . ففي ١٠ مارس سنة ١٨٦٢ اشتركت بريطانيا العظمى وفرنسا في اصدار بيان من باريس ، او اتفاقية مشتركة بينهما تقضي باحترام استقلال سلطان مسقط وزنجبار .

وقد ابرم ذلك الحلف الذي كان ينبىء بنتائج كثيرة محتملة بسبب الحالة في زنجبار بشكل خاص ، وقد عقدته الحكومة البريطانية مباشرة دون الرجوع لحكومة الهند التي لم تعرف بأمر الاتفاقية حتى سنة ١٨٧١ .

العلاقات مع ايران :

أما مزاعم ايران الخاصة بحقها في جوادر وشاهبار ، كما اعلنتها في سنة ١٨٦٤ ، فهي واردة في الفقرة الخاصة بتاريخ تينك المنطقتين.

★ ★ ★

السيد سالم بن ثويني ١٨٦٦ ــ ١٨٦٨
حالة الفزع والاضطراب التى اعقبت تولى سالم الحكم ١٨٦٦

بعد ان تلقى المقيم البريطاني اخبار مصرع ثويني وصلته تعليمات بالتوقف في ذلك الوقت عن الاعتراف بالسيد سالم ، فعاد من خور الشام الى مسقط على السفينة الصغيرة ، غير المسلحة ، « برنسيس » التابعة للمفوضية البريطانية . وفي طريقه مر بصحار ، وهناك عرف تفاصيل المأساة كاملة ، ونجح ايضاً في اطلاق سراح السيد تركي الذي كان السيد سالم قد امر بسجنه وكانت حياته معرضة لخطر دائم . وفي اول مارس تقريباً وصل بيللي الى مسقط وهناك وجد الجالية البريطانية الهندية في حالة شديدة من الفزع ، فيما حاول الاتصال بالمقيم برسالة بعث بها مع أحد اقربائه يزعم فيها ان ثويني مات بحمى لم تمهله كثيراً ، لكن

الرائد بيللي تجاهل تلك المناورات ، وجعل همه الوحيد نقل الوكيل البريطاني وجميع المسيحيين في المدينة مع اللآلىء والتوابل التي يملكها التجار الهنود على ظهر السفينة « برنسيس » . وفي نفس الوقت نصح أفراد الجالية الهندية– البريطانية الذين لم يتسع لهم ظهر السفينة بأن ينجوا بأنفسهم على ظهور القوارب المحلية . ولم يصل الى مسقط سفينة حربية واحدة ، وترامت الانباء بأن السيد سالم قد أعد خطة للهجوم بليل على السفينة « برنسيس » وقتل كل من عليها وحينئذ قرر الرائد بيللي مغادرة مسقط . وحين هبط الظلام ابحرت السفينة الى خور الشام . ولما وصلت سفينتا صاحب الجلالة « اوكتافيا » و « هاى فلاير » الى مسقط بعد عدة ايام ، كانت أسواق المدينة مقفلة ، والتجارة كاسدة تماماً وكل رعايا الانجليز قد غادروا المدينة تماماً وليس في الميناء سفينة ولا قارب عماني واحد . وعرض السيد على القائد البحري ان يزوره على ظهر سفينته لكن هذا رفض الدعوة .

وفي نفس الوقت ارسلت السفينة كوروماندل يقودها الرائد دسبرو الوكيل السياسي في بومباي لمعاونة الرعايا البريطانيين الذين قد يكونون في خطر في مختلف انحاء عمان ، كما ارسلت قوات من الشرطة أيضاً من كراتشي لحماية المصالح البريطانية التي كانت مهددة في جوادر ايضاً .

★ ★ ★

علاقة سالم بالحكومة البريطانية ١٨٦٦ – ١٨٦٨

السيد سالم يرسل وفداً الى بومباي ابريل ١٨٦٦ :

وفي ابريل وصل الى بومباي مبعوثان لسالم معهما خطاب منه يلتمس فيه اعتراف الحكومة البريطانية به خلفاً لثويني ، ويحتج على موقف البريطانيين العدائي منه في الخليج . وتجاهلت حكومة بومباي في ردها مطالب سالم الرئيسية ووقع الجواب سكرتير من حكومة بومباى

كما وجهه الى مبعوثي السيد سالم لا اليه هو نفسه . لكن الخطاب نفى عن سالم تهمة الاغتصاب والقرصنة ، وأكد أن بومباي تتوقع ان يلقى الرعايا البريطانيون في عمان ما اعتادوا ان يلقوه من الحماية .

السماح للرعايا البريطانيين بالعودة من الهند الى مسقط مايو ١٨٦٦ :

وأخيراً واستجابة لممثلي التجار الهنود الذين اعتادوا حمل تجارتهم الى عمان ، سمحت حكومة الهند بتعيين وكيل عنها من أهل البلاد — كاجراء مؤقت — بدل تعيين ضابط بريطاني وصدرت التعليمات للاجئين من رعايا الهند البريطانية ، بأنهم احرار تماماً في العودة الى مسقط ، او البقاء فيها يمارسون تجارتهم .

الاعتراف بسالم واعادة فتح الوكالة البريطانية في مسقط سبتمبر ١٨٦٦ :

وفي سبتمبر التالي ، قام الرائد بيلي بأمر من حكومة الهند ، بزيارة رسمية لمسقط ، واعترف رسمياً بالسيد سالم سلطاناً لعمان ، وبقي الوكيل الوطني — محمد باقر خان — في وظيفته كما هو ، ورفع العلم البريطاني مرة أخرى على مقر الوكالة ، ومات الوكيل الجديد في يناير ١٨٦٧ ، وخلفه بعد فترة ضابط بريطاني هو الكابتن اتكنسون .

قنصلية في مسقط ١٨٦٧ :

وحددت صلاحيات الممثل البريطاني في مسقط بدرجة القنصلية ، وتمت الموافقة على هذا في وندسور بتاريخ ٤ نوفمبر ١٨٦٧ .

★ ★ ★

تمرد السيد تركي وحمد بن سالم ١٨٦٧ — ١٨٦٨

محاولة تركي استعادة صحار :

هكذا كانت حالة سالم حينما تمرد عليه عمه السيد تركي ، وقد حاول هذا الاستعانة بمشايخ عمان المتصالحة ، لكن البريطانيين حذروهم من الاشتراك في تلك الاعمال خاصة ما كان منها في البحر ، واتخذ تركي من « ينقل » بوادي الظاهرة مقراً لقيادته ، واستولى بغتة على صحار لكنه لم يستطع أن يسيطر عليها .

تركي يستولي على مطرح ويهاجم مسقط ١٨٦٧ :

وانتقل بعد ذلك الى اقليم جعلان ، وهناك استطاع ان يضم اليه بني حارث وبني بو حسن وبني حجر وكل القبائل الخاضعة للوهابيين ، واخيراً ولى وجهه نحو مسقط ، وتفاوض مع سالم أثناء تقدمه نحو صحار ، ووصل الى بدبد في الايام الاخيرة من اغسطس ، واثار اقترابه فزعاً شديداً في مسقط ، وأعلن البريطانيون لتخفيض ذلك الفزع انه حتى لو نجح تركي في السيطرة على المدينة فهم لن يعترفوا به ، كما ان القلاع التي يستولي عليها ستدكها السفن البريطانية الحربية من البحر ، واستمر تركي على أية حال في عمله ، فاستولى على مطرح ، ثم هاجم مسقط لكنه صد عنها .

توسط المقيم البريطاني ونفي تركي الى الهند ١٨٦٧ :

وفي هذا الوقت وصل الى مطرح الرائد بيللي ، المقيم البريطاني في الخليج ، على ظهر الفرقاطة الانجليزية « اوكتافيا » وعندها تخلى تركي عن مطامعه في التوسع ، وطلب تخصيص معاش له ، وبوساطة الرائد بيللي أمكن تسوية الامور على ان يدفع سالم لتركي من الاموال التي يأخذها من زنجبار مبلغ ٧٢٠٠ روبية في كل سنة بشرط ان يستقر السيد تركي مستقبلا في الهند تحت حماية الحكومة البريطانية ، وهكذا عادت مطرح الى سالم ، وأبحر تركي الى بومباي في ١١ سبتمبر ١٨٦٧ .

تمرد حمد بن سالم ١٨٦٧ :

لم تكد هذه المشكلات تنتهي حتى تعكر السلم من جديد بصراع عنيف هذه المرة بين السيد سالم وحمد بن سالم أحد اقربائه الادنين ، ويقال ان سبب ذلك الصراع كله اعتداء وقع من السيد سالم على حمد ، وكان حمد قد اقطع ولاية منسب منذ ايام عمه المرحوم سعيد ابن سلطان ؛ وكانت القبائل هناك تحبه وتؤيده ، وفي فبراير سنة ١٨٦٨ وجد السيد سالم نفسه مضطراً الى طلب العون من تركي بن أحمد السديري امير

الوهابيين في البوريمي ، ومن بني حنه في اقليم جعلان أيضاً ، ولم يطلب زيادة المبلغ الذي كانت حكومة الهند تضعه تحت تصرفه ضماناً لمعونة زنجبار التي منعها ماجد في ذلك الوقت (وقدرها ٤٠ الف روبية) الى ١٠٠ الف ، وتمت تسوية على غير اساس واضح في ذلك الوقت ، لكن بني حنه في جعلان لم يرضوا بأن يحرموا نصيبهم من المكافأة التي كانوا يتوقعونها . وفي الطريق الى مسقط باعوا انفسهم لحمد بمبلغ ضئيل، لكنهم بعد قليل عادوا الى ولائهم لسالم ، وبعد ان استنزفوا موارده المالية وضعوا انفسهم للمرة الثانية تحت تصرف حمد في منسب فورطوه في ازمة مالية خانقة . وفي النهاية هاجمهم اعداؤهم الألداء — الغفارية — فاستبد بهم فزع هائل وتفرقوا جماعات صغيرة في الصحراء يريدون العودة الى ديارهم مخلفين وراءهم عدداً منهم في ايدي اعدائهم .

★ ★ ★

علاقات سالم بايران

ظلت اتفاقية ايران وسلطان عمان في سنة ١٨٥٦ بشأن بندر عباس وتوابعها ، سارية المفعول حتى سنة ١٨٦٦ حين تولى سالم حكم عمان ، فانتهت عندئذ تلقائياً لان سالم هو حفيد السيد سعيد وليس واحداً من أبنائه ، كما يقتضي سريان نصوص الاتفاقية . وهكذا قام الايرانيون بتحويل الامتياز الى الشيخ سعيد حاكم بندر عباس سابقاً تحت حكم أسرة البو سعيد . ومع انه واحد من نفس الاسرة ، لكن الامتياز منح اليه على أساس كون بندر عباس تابعة لايران ، وليست تابعة لسلطان عمان . وزيد الايجار السنوي من ١٦,٠٠٠ تومان الى ٢٠ الفاً . غير ان هذا المستأجر العربي تأخر في دفع الايجار المستحق ، فاتخذ الحاكم العام في مارس سنة ١٨٦٨ التدابير اللازمة لطرده منها بالقوة ، وفي نيته ابداله بمستأجر ايراني ذي مكانة . وفي هذا الوقت — تحديداً في ابريل ١٨٦٨—

هدد السيد سالم بحصار الساحل الايراني اذا لم يمنح له هو ذلك الامتياز .

وأسرعت الحكومة الايرانية ، ولم تكن لها سفن تذكر في ذلك الوقت ، الى طلب وساطة الانجليز ، في حين ان سالم حين عجز عن تنفيذ تهديده بحصار الساحل الايراني ، لان حكومة الهند رفضت السماح له بذلك ، القى بكل مصالحه بين يدي المقيم البريطاني في الخليج . وقام الرائد بيللي بناء على ذلك بزيارة لشيراز في يوليو سنة ١٨٦٨ ، يصحبه حاجي احمد وزير السلطان ، وفي ٤ أغسطس ، وبعد محاولة من الايرانيين لرفض التدخل البريطاني باحساس من الثقة المستردة في أنفسهم تم توقيع اتفاقية بين الاطراف المعنية قضت بأن يجدد امتياز ايجار بندر عباس ثماني سنوات اخرى لمصلحة السيد سالم وابنائه من بعده ، في مقابل ايجار سنوي قدره ٣٠ الف تومان ، وظلت بقية الشروط تقريباً كما حددت في سنة ١٨٥٦ ، واثناء المناقشة التي دارت زعم السلطان ان جزر هانجام وجارك تابعة لعمان — بصرف النظر عن امتياز إيجار بندر عباس — ولم يرفض احد هذا الزعم ، كما لم يؤيده أحد .

★ ★ ★

ايقاف معونة زنجبار لوقت ما ١٨٦٦ ــ ١٨٦٨

وربما كان مناسباً ان نشير هنا الى ان سلطان زنجبار حين عرف تولي سالم الحكم والظروف التي سبقت ذلك واحاطت به ، حاول التملص من الاستمرار في دفع الاعانة السنوية التي اتفق عليها في سنة ١٦٨١ ، فتعلل بأن الاتفاقية كانت شخصية بينه وبين ثويني ، وانه ليس معقولا ان يستمر في دفع تلك الاعانة لقرصان مغتصب . لكن حكومة الهند رفضت حجته الاولى ، وقالت بأن قرار لورد كاننج كان واضحاً بهذا الصدد ، وتعهدت بريطانيا بأن تتولى هي أخذ المعونة من سلطان زنجبار وتقديمها لسلطان عمان حتى يمكن تجنب العلاقة المباشرة بين ماجد وسالم ، واخيراً بدأ ماجد يوفي بالتزاماته منذ ربيع سنة ١٨٦٨ .

ونلاحظ عرضاً أن حكومة بومباي ، في سنة ١٨٦٧ ، وجدت من الضروري تحذير سلطان زنجبار بالامتناع عن تقديم الاسلحة والذخائر كهدية منه الى رعايا قريبه سلطان عمان ، ولم يتكرر هذا العمل مرة أخرى لمدة ثلاثين عاماً .

★ ★ ★

اطاحة عزان بن قيس بالسلطان سالم ١٨٦٨

استيلاء عزان بن قيس على مسقط :

وحدث تمرد أخير أنهى الفترة القصيرة المضطربة من حكم سالم . ففي ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٦٨ أعلن عزان بن قيس حاكم رستاق نفسه حاكماً لبركه . وفي ٢٩ سبتمبر استولى على مطرح ، وفجأة في اول أكتوبر استطاع احتلال مسقط . وفر السيد سالم الى احد حصون الميناء مخلفاً وراءه كل شيء ليدمره عدوه .

حياد الحكومة البريطانية :

واقترح الرائد بيللي ، وكان عندئذ موجوداً في ميناء مسقط عقد هدنة بين الطرفين حتى يتبين رغبات حكومة الهند ، لكن عزان رفض الانتظار ، وامر باستمرار حصار القلعة التي يتحصن بها السيد سالم ، ولم تشترك سفينة صاحب الجلالة « فيجيلانت » في هذا الصراع الا باقامة ساتر من النيران حول احدى القلاع لتمنع عزان من الاستيلاء على مدفع بجوارها زنة ١٨ رطلا كانت الحكومة البريطانية قد قدمته هدية لثويني . لكن عزان ، وبرغم نصائح المقيم البريطاني ، استطاع الاستيلاء على ذلك المدفع واستخدمه في حصار القلعة . وفي ٧ أكتوبر وصلت تعليمات حكومة الهند الى الرائد بيللي بالا يستخدم القوة لمناصرة السيد سالم .

هرب سالم :

وانقضى يوم ٨ أكتوبر في مفاوضات فاشلة بين سالم وعزان ، وفي يوم ٩ لجأ سالم الى السفينة « فيجيلنت » ورفع عزان أعلامه على قلاع مسقط ، وأعلن نفسه سلطاناً لعمان بطلقات المدافع تحييه ، وفي ١٢ أكتوبر خرج سالم على ظهر سفينة له من مسقط الى بندر عباس .

أسباب سقوط سالم :

ويرجع سقوط سالم الى عديد من الاسباب ، لكن السبب الاساسي كان بسبب ضآلة شعبيته ، وعدوانه على السيد حمد بن سالم (والى منسب) ثم اعتماده على قبائل الغفارية في جعلان ، التي كان أقوى فروعها من بو علي وبني حنايه مشلولة تماماً عن مساعدته حين تمرد عزان بسبب الخلافات الداخلية المستحكمة بينها .

★ ★ ★

السيد عزان بن قيس ١٨٦٨ ـ ١٨٧١
الاجراءات والاعمال الاولى التى قام بها عزان
١٨٦٨ ـ ١٨٦٩

الطابع الديني المتعصب الذي ساد حكم عزان في بدايته :

كانت النتيجة الاولى لهذه الثورة التي أطاحت بسالم هي وقوع السلطة في ايدي جماعة لا فرد واحد . فقد كان عزان في البداية خاضعاً لاعوانه ومستشاريه ، ومن اشهر هؤلاء سعيد بن خلفان الخليلي الزعيم الديني الذي كان مسئولا عن رستاق في فترة من فترات عهد حمود بن عزان ، وصالح بن علي ، زعيم بني حارث. وفي البداية ازداد نفوذ الاول الذي سرعان ما اصبح صهر عزان وكان يعتبر دائماً والياً لمدينة مسقط ، وأضفى سعيد بن خلفان على حكومة عزان طابعاً دينياً مسرفاً في التعصب فاستبدل علم عمان الاحمر من قديم الزمان بعلم المطوّعه الابيض ، ومنع

التدخين وشرب الخمر . ومنع الاستماع الى الاغاني والموسيقى بجميع الوانها ، والزم أهل مسقط جميعاً بالاختلاف الى المساجد بانتظام . وصدرت اليهم التعليمات باتباع السنة في تربية الذقون وحف الشوارب وهكذا اصبح هذا النظام يشبه حكم الوهابيين من حيث بعض سماته الخارجية . وان لم يتوافر التعاطف بين القائمين عليه وبين الوهابيين في الامور السياسية كما كشفت الاحداث فيما بعد . وحدث غير تمرد واحد في غير مكان واحد ، فقد زاد فرض الغرامات والمصادرات ، في الوقت الذي كانت رواتب الجنود فيه متأخرة ، وكسدت التجارة الخارجية ، واصبح عائد الجمارك أقل مما يكفي لقيام الحكومة واستمرارها

نجاح عزان العسكري الساحق وتوسعه السريع :

غير ان همة عزان كانت قادرة على مواجهة كل تلك المتاعب . ففي أوائل سنة ١٨٦٩ ترك عزان الخليلي حاكماً لمسقط ، وخرج من بركة في ثلاثة آلاف مقاتل معهم مدفعان كبيران وسار الى القبائل المتمردة في وادي سمايل وما جاوره . وفي فبراير ١٨٦٩ ، وبعد ان اخضع عزان غيله والملاينه ونافعه اوقع هزيمة ساحقة بالسيابين ، أقوى معارضيه ، وبعد ان لحق به نصيره صالح بن علي في نافعه ومعه ١٦٠٠ مقاتل من بني حارث وحجر والحبوس وغيرهم ، نجح عزان — رغم صعوبة الارض في هذا الاقليم — في اخضاع الندابيين والرحبيين الذين كانوا يناصرون السيابيين . وكانت هذه الحملة في نظر البعض مغامرة وتهوراً .. ان لم نقل إنها كانت عملية انتحارية ، واثبت نجاح عزان الساحق هذا انه رجل على قوة في الخلق والعزيمة لم تألفها عمان في حكومتها منذ زمن بعيد . وكانت صحار وسمائل ومنسب وصور قد خضعت جميعاً لسلطته دون ان تحاول التمرد .

اعمال منافسي عزان ١٨٦٨ ـ ١٨٧١

فشل سالم بن ثويني داخل عمان ١٨٦٩ :

ظلت السلطات البريطانية تحول بين سالم ، الامير المعزول ، وبين الاخلال بأمن البحر بحملة بحرية لمهاجمة عمان ، فتسلل من بندر عباس الى دبي ، ومن هناك بدأ المفاوضات مع السديري الذي يمثل الوهابيين في البوريمي بهدف اعداد حملة برية على عزان ، ولكن مقتل أمير الوهابيين في الشارقة ـ في ابريل سنة ١٨٦٩ ـ حرم سالماً من العون الذي كان يعتمد عليه كل الاعتماد ، ورغم انه قام في مايو التالي بجولة في بركة وازكي ونزوة ومنها الى اقليم جعلان ثم عاد شمالا عبر بركه الموز الا انه لم يستطع الحصول على اي عون ذي قيمة .

نجاح عزان في اقليم عمان ١٨٦٩ :

وفي شهري سبتمبر واكتوبر التاليين على سقوط البوريمي ، كما سنشير فيما بعد ، زار عزان إقليم عمان وحصن قلاع بهله ونزوة وازكي وأدم ، بل ودخل ايضاً اقليم جعلان وارغم أهله بما فيهم بنو بو علي على الخضوع له ، وفي أدم أصلح قلعة كان بناها هناك سلفه الامام احمد .

استيلاء ناصر بن ثويني على جوادر ١٨٦٩ :

أما مناورات السيد ناصر ، وهو ابن آخر من ابناء ثويني ، فكانت أكثر نجاحاً . فقد استطاع هذا الرجل ان يهرب من القتل في مسقط بخدعة ذكية ، ووصل الى جوادر في ابريل سنة ١٨٦٩ واستولى عليها ونجح في أن يقيم نفسه حاكماً لها ، وربما استطاع ايضاً السيطرة على شاهبار لو لم يسبقه اليها دين محمد زعيم البلوشين في داختياري ويحتلها لنفسه .

منع الحكومة البريطانية الحملات البحرية :

وقد لعبت الحكومة البريطانية دوراً هاماً في هذه الاحداث ، فكانت تحول دائماً بين الاطراف المتصارعة ، وان يشن احدهم على الآخر حملة بحرية . وأدى هذا الى استحالة استعادة عزان منطقة جوادر ، وأدى في نفس الوقت الى منع ناصر من اتخاذ جوادر قاعدة للهجوم على عمان كما كان يتمنى ، وأدى ايضاً الى منع الاشتباك المباشر بين عزان وسالم لأن البحر كان يفصل بينهما .

★ ★ ★

علاقة عزان بالوهابيين ١٨٦٩ ـ ١٨٧٠

عزان يستولي على البريمي من الوهابين ١٨٦٩ :

عقب مصرع امير الوهابيين في عمان ، هبت قبيلة نعيم — التي عانت من طغيانه الكثير — لطرد الوهابيين من ارضهم كلها واستنجدوا بعزان في هذا الصدد ، وسار عزان فوراً اليهم ، وخلال مسيرته باقليم الباطنة بذل جهداً كبيراً للحصول على امدادات وتعزيزات محلية من الاقليم ، لكن رجال القبائل عموماً لم يستجيبوا له ، ورفض الجعافرة على وجه الخصوص ان يتخلوا عن تحالفهم مع الوهابيين . وفي بركة تلقى عزان خطاباً من امير الوهابيين يطالبه فيه ما دام أعلن نفسه اماماً بدفع الجزية المعتادة التي كانت تدفعها عمان للرياض ، واستشار عزان الخليلي ، واتفقا على تجاهل ذلك المطلب تجاهلا تاماً ، ثم تلقى عزان خطاب تهديد ثانياً من عبد العزيز قائد الوهابيين الذي قام مؤخراً بحملة ناجحة على صحار والذي يبدو من اسمه انه هو الذي قاد هجوم الوهابيين على صور في سنة ١٨٦٥ ، وتقدم عزان نحو البوريمي بعد ان انضم اليه صالح بن علي ومعه ٥٠٠ مقاتل، وبلغت قوات عزان كلها ١٥٠٠ رجل ، فاستولى على البوريمي بعد مقاومة يسيرة في ١٨ يناير

سنة ١٨٦٢ ، وبعد ان وضع فيها حامية يقودها أحد اقربائه عاد الى مسقط . وقبل ان يغادر عزان البوريمي عقد تحالفاً مع شيخ ابو ظبي ، وتعهد بأن يدفع له جزية سنوية في مقابل قيام الاخير بحماية حدود البوريمي من ناحية عمان . وقد عقد حلف مضاد بين مشايخ عمان المتصالحة ، لكن شيخ الشارقة سرعان ما خرج عليه وانضم الى جانب عزان .

عجز امير الوهابيين عن الانتقام ١٨٧٠ :

وعقب ان عرف المقيم البريطاني في الخليج بأمر سقوط البوريمي كتب الى امير الوهابيين يذكره بالوعد الذي كان قطعه على نفسه في سنة ١٨٦٦ بألا يعادي دولة عربية متحالفة مع بريطانيا العظمى ، لكن أمير الوهابيين أهمل الخطاب . وتلقى عزان انذاراً مختصراً من الامير عبدالله بن فيصل بأن يستعد لملاقاة جيش وهابي يقوده الأمير نفسه قوامه عشرون الف مقاتل اعده لغزو عمان .. وفي اوائل سنة ١٨٧٠ وضح ان الامير جاد في تنفيذ تهديده ، فقد كان عندئذ في العقير على ساحل الحسا وقد امر باعداد اسطول ضخم من القوارب لعله كان ينوي استخدامه لنقل جانب من قواته فيه .

عودة السيد تركي من الهند في مارس ١٨٧٠ :

وفي نفس الوقت — في نهاية فبراير تقريباً سار عزان — وبرفقته أخوه ابراهيم وسعود شقيق امير الوهابيين المتمرد عليه — الى البوريمي حيث التقى بحليفه شيخ ابو ظبي ، لكن بعض المتاعب الطارئة حملت أمير الوهابيين على تأجيل حملته على عمان .. ومن ذلك ندرة الماء والكلأ في المنطقة الواقعة بين الحسا والبوريمي ، والتحالف المناوىء من شيخ أبو ظبي وحاكم عمان ، وخشيته من محاسبة البريطانيين له على غزو البحرين مؤخراً من الحسا ، ثم ايضاً الخوف من المؤامرات في الرياض اثناء غيابه عنها . ولم يمض طويل وقت قبل ان شغل عبدالله بن فيصل بحروب داخليه في نجد ، لم تبق له معها فرصة لتنفيذ خططه في عمان .

قيام تركي بحملة ناجحة على عزان ، وموت عزان
١٨٧٠ – ١٨٧١

وهكذا لم يسفر عداء الوهابيين عن اية نتائج مباشرة ، لكنهم استطاعوا تشجيع معارضي حاكم عمان على تجديد نشاطهم ضده ، وكان لهذا اثره الحاسم في مكانته .

وفي اوائل سنة ١٨٦٩ ، حين كانت السلطات المسئولة في حكومة الهند ما تزال ساخطة على تولي عزان حكم عمان ، رفعت الرقابة عن تحركات السيد تركي . وفي مارس ١٨٧٠ ترك تركي الهند الى الخليج بغير اذن رسمي من الحكومة ، كمسافر عادي على ظهر سفينة تجارية انجليزية .

فشله في عمان المتصالحة :

وفي مايو كان السيد تركي في دبي على ساحل عمان المتصالحة ، – كما كان هناك ايضاً السيد سالم الحاكم السابق لعمان – لكن تركي كان مفلساً من الموارد المالية ، فطلب من حكومة الهند منحه قرضاً لكنها رفضت بطبيعة الحال . وقام شيخ ابو ظبي ، وكان باقياً على ولائه واخلاصه لعزان ، بمنع بقية المشايخ في المنطقة من مساعدة تركي ، ولم يعد امير الوهابيين – الذي كان تركي يعلق عليه اعظم آماله – الى عاصمته في وسط الجزيرة . وفي هذه الظروف عاد السيد تركي ساخطاً يائساً الى بندر عباس ، وسبقه سالم الى جزيرة قشم ، وكان عزان مشغولا وقتئذ بحصار قلعة حازم حيث كان احفاد اليعاربة الحاكمون ما يزالون يسيطرون عليها ويرفضون الخضوع لسلطة عزان .

اقامته في بندر عباس :

وفي يوليو قام تركي بحركة مريبة من بندر عباس على ظهر السفينة « المظفر » المشمولة بالحماية البريطانية ، غير ان المقيم البريطاني كان له

بالمرصاد ، فأعاده الى الميناء ، وارسل سفينته الخاصة لترسو في خور فكان على ساحل الشمالية . وفي اغسطس بدأت الاموال المطلوبة ترد عليه من سلطان زنجبار عن طريق شركة تجارية في بومباي . وكان المبلغ الاول الذي وصله ٢٠ الف روبية .

نجاحه في غزو عمان سبتمبر ١٨٧٠ :

وفي سبتمبر نزل السيد تركي في خور فكان ، ومنها تقدم عن طريق الفجيرة ووادى حام الى البوريمي ، ولحق به في الطريق بنو كتب كما انضم اليه في البوريمي بنو نعيم وكان لهؤلاء كل القلاع الموجودة في البوريمي عدا القلعة الرئيسية التي كان يسيطر عليها شيخ أبو ظبي باسم عزان ، كما انضم الى تركي ايضاً مشايخ دبي وعجمان ورأس الخيمة ، ومضى عزان لملاقاته ومعه اخوه ابراهيم بعد ان احرز نجاحاً في حصاره الذي دام تسعه أشهر لحازم . واستولى على حصن عينين المنيع أثناء جولته باقليم الظاهرة . وحين اقترب عزان من ضنك تخلى عنه جزء كبير من المرتزقه ، لكنه كان ما يزال في مركز افضل اذ كان معه مدفعان .. وبلغت قواته الباقية حوالي ٤٠٠٠ مقاتل . وفي ٥ أكتوبر سنة ١٨٧٠ التقى الجيشان في وادى ضنك بالقرب من المدينة المعروفة بهذا الاسم . واسفرت المعركة عن نصر ساحق غير متوقع أيضاً لقوات تركي على عزان ، وبعد المعركة التي خسر فيها عزان عدداً يتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ رجل تراجع واخوه ابراهيم الى صحار ، وتقدم تركي عبر اقليم عمان والبادية وجعلان الى صور حيث عسكر فيها وجمع حولة قوات كبيرة . وفي ٢٩ أكتوبر قام العقيد وي الوكيل البريطاني في مسقط بزيارة لصور حذر فيها السيد تركي من القيام بأية عمليات في البحر ، كما رفض في نفس الوقت السماح له بمقابلته . واخيراً .. وقرب نهاية السنة تقدم السيد تركي – يصحبه اقوى انصاره سيف بن سليمان من بني ريام – من صور .. واتخذ الاول طريق جعلان

واتخذ الثاني طريق الساحل الى مسقط ، وفي منتصف يناير سنة ١٨٧١ كان تركي في المذيبي يهدد صمد بقوة قوامها ثلاثة آلاف رجل وكان سيف بن سليمان قد احتل القريات على الساحل ، في حين كان صالح بن علي يسيطر على صمد وعزان واخوه ابراهيم منهمكين في اقامة التحصينات للدفاع عن مسقط ومطرح .

هزيمة عزان وموته يناير ١٨٧١ :

وهاجم سيف بن سليمان عزان في مطرح ، في ٣٠ يناير ، واستولى عليها عدا قلعتين من قلاعها ، وقتل كل من سيف وعزان في هذه المعركة ويقال ان هذا الاخير لقي حتفه في ضاحية جبرو بالقرب من المدينة .

★ ★ ★

علاقات عزان بالحكومة البريطانية

أسخط اغتصاب عزان الحكم في بداية الامر السلطات البريطانية المسئولة ربما أكثر مما كان اسخطها سلفه قاتل ابيه . وكانت اهم الاعتراضات ضده طابع العجرفة والتعصب الذي كان يميز مستشاريه ، وتأثير ادارته السيئة على التجارة ، وكونه لا ينتمي الى نسل السيد سعيد الذين كان المسئولون البريطانيون يرونهم أحق الناس بحكم عمان .. وكان طريق التفاهم مغلقاً دائماً بسبب سوء تفاهم شخصي بين الرائد ديسبراو الوكيل السياسي البريطاني واعضاء الحكومة العمانية .

الاحتكاك بين عزان والوكيل السياسي البريطاني حول منع الاشتباكات البحرية ١٨٦٩ :

وحين استولى السيد ناصر بن ثويني على جوادر في ابريل سنة ١٨٦٩ منع المقيم السياسي البريطاني إيجار أية سفينة حربية من ميناء مسقط حتى يفوت على حاكم عمان تسيير حملة بحرية الى جوادر ، وبعدها بشهر

حين تجاهل عزان احتجاجات الرائد ديسبراو وارسل الاسلحة والذخائر الى بركة وغيرها من موانيه بطريق البحر ، ابدى الرائد سخطه بأن أنزل علمه وجعل مقره فوق ظهر سفينة البحرية الهندية « كلايد » لعدة ايام ، ولم يوافق الرائد بيللي ، المقيم السياسي في الخليج ، على تفسير الوكيل السياسي في الحالة الثانية لقوانين السلام في البحر ، واوضح لعزان ان نشاطه البحري في اقاليم أجنبية او ارض موضع خلاف امر ممنوع ، ولكن ليس ثمة قيد على حريته في الحركة البحرية داخل مياهه الاقليمية ، وابدى عزان اعترافه بالجميل ، ورغبته في خدمة المصالح البريطانية بكل وسيلة ملكتها يداه .

مشكلات أخرى :

وفي نفس الوقت حدث هجوم على مسكن مستر شور محاسب الوكالة البريطانية ، وصدر تهديد له .. « اذا فتح فمه بكلمة واحدة » .. وفي أغسطس وسبتمبر من نفس السنة حدث أن استولت سلطات مسقط على كمية من التبغ المستورد للرعايا البريطانيين واحرقتها حسب تعاليمهما الدينية . وبعدها بقليل حاولت السلطات المحلية احتجاز السفينة المشمولة بالحماية البريطانية « برينس اوف ويلز » فزعمت أنها من حق البحرية العمانية وان سالماً قد اخذها معه اثناء مغادرته مسقط بغير وجه حق ، لكن هذه السلطات استجابت لاحتجاج الرائد ديسبراو ، واعتبر الموضوع منتهياً .

حادثة السفينة كلايد ١٨٦٩ :

وفي ١٥ أكتوبر ، حدثت حادثة أشد خطورة ، فقد تلقى الوكيل السياسي البريطاني معلومات تفيد بأن ناصر بن ثويني حاكم جوادر كان يدبر هجوماً على مسقط . فطلب من قائد السفينة البريطانية

« كلايد » ان يتقدم ويرسو تحت حصن جلالي ، ولم تفهم حامية القلعة الهدف من تلك المناورة ، ففتحت نيرانها على السفينة وواصلت قصفها لمدة نصف ساعة .

وتلقى المقيم السياسي في الخليج أمراً بالتحرك فوراً الى مسقط ، واتخاذ الترتيبات اللازمة لجمع قوة من البحرية البريطانية اذا رفض المسئولون في عمان التعويض عن اضرار السفينة « كلايد » . ونجح الرائد بيللي في الحصول على اعتذار كتابي من الخليلي الذي كان مسئولا عن مسقط أثناء غياب عزان عنها ، واعتذار شفوي قدمه خمسة من كبار المسئولين العمانيين علناً على ظهر السفينة « والهوزي » . وفي ٣ من نوفمبر أبدى عزان نفسه أسفه لما حدث معلناً احترامه للحكومة البريطانية ، وذكر الرائد بيللي في تقريره عن هذا الحادث ان رعايا الهند البريطانية في مسقط لم يكونوا ضحايا اضطهاد من جانب حكومة عمان ، وانما كانت تنحصر شكواهم في امرين هما تطبيق الشرع الاسلامي عليهم في امور الدائن والمدين وحظر شراء التبغ على اهالي مسقط مما اضر بمتاجرات الرعايا البريطانيين .

تفسير الوكيل السياسي البريطاني ١٨٦٩ :

وفي نهاية هذه السنة ، حين سويت المشكلات المعلقة ، نقل الرائد ديسبراو الى وظيفة أخرى ، وخلفه في مسقط العقيد واي على ان يكون تابعاً تبعية كاملة للمقيم العام في الخليج ، وصدرت اليه التعليمات بألا يتصل مباشرة بحكومة بومباي الا في الظروف الاستثنائية (١) .

---

(١) ان تجنب الاشارة الى الجوانب الشخصية في مثل هذه المشكلات مستحيل دون الوقوع في الخطأ ، فواضح من تقارير الحكومة ان موقف الرائد ديسبراو نحو عزان وعلاقته المتعثرة بالرائد بيللى ــ الذى كان ديسبراو مرتبطا به جزئيا ــ كانا سببا رئيسيا في الاضطرابات التى حدثت سنة ١٨٦٩ . ومن الانصاف للرائد ديسبراو ان نضيف انه لم يكن وحده حقيقا باللوم للاختلاف بينه وبين الرائد بيللى .

مناقشات حول اعتراف الحكومة البريطانية رسمياً بعزان ١٨٦٩–٨٧٠ .

وفي نوفمبر سنة ١٨٦٩ ، أصدرت حكومة الهند تعليماتها للرائد بيللي بأن يقوم بدراسة الأوضاع المحلية دراسة مستفيضة للتعرف على مدى ثبات وضع عزان حتى يمكن للحكومة ان تتخذ قرراً بشأن الاعتراف الرسمي به حاكماً لعمان . فقد كان واضحاً ان عدم اجابة مطالب عزان انما يؤثر تأثيراً سيئاً على وضع الانجليز في عمان ، لكن حالة السيد سالم قد كشفت عن النتائج التي تترتب على الاعتراف المبكر بحاكم لم يستقر وضعه بعد . وكانت الحكومة البريطانية في نفس الوقت لا تريد ان يغزو الوهابيون عمان حتى لا يمتد تأثيرهم واشعاعهم الى الهند . ولكن كان يظن ان مجرد الاعتراف الرسمي بعزان لن يؤدي الا الى سخط امير الوهابيين من ناحية ، وعدم تقوية مركز عزان في مواجهة اعدائه بالقدر الكافي من الناحية الاخرى . واخيراً مالت حكومة الهند الى تجاهل خطر هجوم الوهابيين والى الاعتراف الرسمي بعزان سلطاناً لعمان ما دام قد استطاع تثبيت مركزه داخل حدوده . ولكن في فبراير سنة ١٨٧٠ أدى توقع هجوم قريب من الوهابيين الى تأجيل ذلك الاعتراف ، وبعدها بعدة أيام — وخطر الوهابيين ما يزال ماثلا — صدرت الاوامر للرائد بيللي — وكان في ذلك الوقت بكلكتا — للابحار الى الخليج بأقصى سرعة يستطيعها ، وان يعترف رسمياً بعزان اذا كان يقدر فائدة ما من مثل تلك الخطوة ، وطلب اليه أن يتحفظ بالنسبة لكل المشكلات القنصلية فيرجئها الى معاهدات تالية . من ذلك تعزيز المعاهدات والاتفاقيات القديمة ، وصحة مطالبات عزان باقاليم معينة خارج حدوده . ثم أدى وصول بعض السفن الاوربية — غير الانجليزية — الى مسقط وعدم ترددها لحظة واحدة في الاعتراف بسيادة عزان الى تجسيم خطر تأخر الحكومة البريطانية في ذلك الاعتراف ، وبرزت حقائق أخرى في صف الاعتراف الرسمي بعزان منها تأييد الوكالة السياسية في مسقط

دائماً لهذا الاعتراف ، وقبول اعتذار عزان عن حادثة السفينة « كلايد » من حيث هو الحاكم الفعلي في عمان . لكن الرائد بيللي لم يتعجل — على أية حال — استخدام السلطة المخولة له في الاعتراف الرسمي بعزان سلطاناً لعمان ، ولم يمض وقت طويل حتى كانت فرصة هذا الاعتراف كضرورة لا بد منها قد انقضت تماماً .

حادثة السفينة « بُلفينش » ١٨٧٠ :

وفي مارس سنة ١٨٧٠ اطلقت النار على قارب من قوارب سفينة صاحب الجلالة « بُلفينش » في ميناء مسقط ، وثبت ان هذه الحادثة نتجت عن خطأ من جانب الحامية من ناحية ، وعن اهمال القارب في أن ينير ضوءاً بعد حلول الظلام — حسب قواعد ميناء مسقط من الناحية الاخرى ، وهكذا لم تؤثر هذه الحادثة على العلاقات مع الانجليز التي ظلت على ما هي عليه .

المناقشات الخاصة بالاعتراف الرسمي بعزان تظل دائرة حتى قطعها موته ١٨٧٠ — ١٨٧١ :

واخيراً في مايو سنة ١٨٧٠ ، رفعت حكومة الهند مشكلة الاعتراف بعزان الى مجلس الوزراء ، ومعها تقرير خاص عن الشروط التي يجب ضمانها اولا قبل اعلان الاعتراف ، واهمها التأكد من بقاء مفعول جميع المعاهدات السابقة على ذلك ، والتي وقعها البريطانيون مع حكام عمان السابقين ، ثم تسوية مسألة استمرار الحكومة البريطانية في ضمان دفع المعونة من زنجبار ومعرفة مدى لزوم وساطة البريطانيين بشأن امتياز ايجار بندر عباس وتوابعها الذي انتهى بتولي حاكم ليس من ابناء السيد سعيد حكم عمان وهل يجب على البريطانيين التوسط لابقاء جوادر وشاهبار تابعين لعمان ام لا .. ؟ وقبل الاجابة على تلك التساؤلات المعقدة تغير الموقف في عمان تغيراً تاماً بظهور تركي على مسرح الاحداث وحينما وافت المنية عزان لم تكن الحكومة البريطانية قد اعترفت به — بعد — اعترافاً رسمياً كسلطان لعمان .

تاريخ المعونة المالية في زنجبار خلال حكم عزان

لم يتلق عزان – طوال مدة حكمه – شيئاً من معونة زنجبار ، كما لم يدفع عن تلك الفترة شيء لخلفه . ولم يكن عدم الاعتراف رسمياً بحكومة عزان هو المبرر الوحيد للتوقف عن الدفع ، فقد وجد ماجد – سلطان زنجبار – في تولي عزان حكم عمان مبرراً جديداً يتخلص به من الالتزام الذي التزمه في سنة ١٨٦١ ، فتوقف عن الدفع في مايو سنة ١٨٦٨ . وفي اواخر نفس السنة ارسل ماجد وفداً الى انجلترا يحتج على ذلك الالتزام الذي أخضع له منذ سنة ١٨٦١ . وكانت حكومة صاحب الجلالة في ذلك الوقت متلهفة للحصول من ماجد على تسهيلات معينة بشأن مكافحة تجارة الرقيق ، لذلك شجعته على الامل في الخلاص من الالتزام . ودارت بعدها مناقشة طويلة بين حكومة صاحب الجلالة وحكومة الهند قالت فيها الاخيرة إن شيئاً لم يتغير في الظروف القائمة يبرر ابطال قرار التحكيم الذي اصدره لورد كاننج ، وان تحقيق العدالة ، ونزاهة السلوك يقتضيان الحكومة البريطانية اما الضغط على سلطان زنجبار من اجل الوفاء بالتزامه نحو سلطان عمان ، او ترك هذا الاخير ومزاعمه في تبعية زنجبار لحكام عمان بكل ما يستطيع من وسائل . وأخيراً ألزمت هذه السياسة الحكيمة من جانب حكومة الهند الحكومة البريطانية بأن تضغط على سلطان زنجبار لتنفيذ الاتفاق القديم بالنظر لان التقصير في ذلك سيؤدي الى اهمال سائر قرارات التحكيم التي قد تصدرها الحكومة البريطانية بين القوى الوطنية المتصارعة ، ثم إن هذا ايضاً يعني مزيداً من الاضعاف لحكومة عمان في حين تتطلب مصالح بريطانيا مزيداً من تدعيم تلك الحكومة وتقويتها ، كذلك اشارت حكومة الهند الى انه ان لم يكن بد من مواصلة دفع المعونة ، فيجب الا يرفع عبئها عن كاهل سلطان زنجبار ليلقى على كاهل الهند ، دون بريطانيا لانها لن

تقدم للهند مزايا جديدة في عمان او غيرها ، ولن تكون اكثر من اجراء مالي لمكافحة تجارة الرقيق في افريقيا ، وهي مسألة لم تكن الهند تهتم بها أدنى اهتمام . ولم تصل هذه المشكلة الى حل نهائي طوال حياة عزان ، ولكن في سنة ١٨٧٠ تجددت مرة أخرى آمال السيد ماجد حين ابلغته حكومة صاحب الجلالة ان الاجراءات التي تمت بموجب تحكيم سنة ١٨٦١ سيعلن عن الغاء قريب لها .

وبمناسبة مشكلة معونة زنجبار نذكر انه في ديسمبر سنة ١٨٦٩ ترددت اشاعات عن اعتزام عزان تسيير حملة بحرية الى زنجبار ، وفي مناسبة أخرى — أثناء حكم عزان ايضاً — وجدت السلطات البريطانية المسئولة من واجبها ضرورة تحذير ماجد من القيام بأية عملية بحرية في ميناء مسقط .

★ ★ ★

خلق عزان وادارته

ربما كان عزان أعلى حكام عمان المحدثين همة واتعسهم حظاً ، ذلك ان عمان لم تعرف منذ ايام سلطان بن احمد رجلا في مثل حزمه ورجولته وحسن قيادته . لكن متاعبه كانت عديدة وعلى رأسها خلق هؤلاء الذين ساعدوه في الوصول الى الحكم والانقسامات التي سادت بينهم ، لكنه ، بمجرد ان تعززت سيطرته وقويت بدأ نفوذ المتعصبين للدين في الانكماش ، وكان عزان على الدوام قادراً بمهارة على الابقاء على شكل الوفاق الظاهري بين مستشاريه المتناقضي المشارب وهم الخليلي وصالح بن علي والحارثي ومع ان حكم عزان كان قوياً الا ان ميله للمركزية لم يكن يعجب رعاياه . فمثل هذا الميل لا يستطيع تحقيقه سوى حاكم قوي بالغ القوة . وقد امتلأت قلاع مسقط في عهده

بالمسجونين السياسيين ، وغصت بيوتها باللاجئين ، وكان يكره الغفارية جميعاً ولا يثق بهم قيد أنمله ، وعلى العموم كان اهل المدن متبرمين من حكم عزان منذ البداية ، أما رجال القبائل فقد كان تباعدهم عنه يزداد تدريجياً بازدياد وضوح نواياه في الحكم المطلق اكثر واكثر .

ولولا رفض الحكومة البريطانية الاعتراف به رسمياً ، وفقدانه بالتالي معونة زنجبار ، واطلاق حكومة الهند سراح عدوه الخطير السيد تركي ، لكان عزان استطاع ان يتغلب على الصعوبات التي اعترضته جميعاً ، ولاستطاع ان يقيم في عمان ملكية على درجة عالية من التنظيم والكفاية ولو لفترة من الزمان .

★ ★ ★

السيد تركي بن سعيد ١٨٧١ ـ ١٨٨٨
الاحداث في عمان منذ تولى السيد تركي الحكم حتى اعتزاله المؤقت ١٨٧١ ـ ١٨٧٥

استسلام أنصار عزان ١٨٧١ :

عقب مصرع عزان بن قيس ، وسيف بن سليمان في مطرح ، ظل بقية القواد من الجانبين مستمرين في عملياتهم الحربية . وفي ٣ فبراير سقطت مدينة مسقط في ايدي انصار السيد تركي وبينهم عدد من قبيلة هشم ، لكن الخليلي ظل متحصناً في قلاع المدينة .

وفي هذه الاثناء كان الرائد بيللي ، المقيم العام في الخليج ، قد وصل الى مسقط وبعده بيوم او يومين استطاع تركي الذي كان صالح بن علي قد نجح في شل حركاته في صمد ان يظهر في مسقط ليفيد من النجاح الذي حققه انصاره هناك وتم عقد هدنه بين الطرفين ، سلم فيها الخليلي القلاع التي كان يسيطر عليها الى السيد تركي بشروط معينة ، بينها

استمرار اعضاء الحكومة القديمة في مناصبهم ، والا تعزلهم الحكومة الجديدة ، وان تظل صلاحياتهم كما هي . وتمت كتابة هذه الاتفاقية ووقع عليها الرائد بيللي والعقيد وي كشاهدين . وكان من حسن الحظ ان الضباط الانجليز المعينين احتاطوا للامور باعلانهم انهم لن يكونوا مسئولين عن متابعة تنفيذ الاتفـــــاقية من جانب أي من طرفيها ، حيث لم يكد يمضي أقل من شهر على توقيعها حتى مات الخليلي ميتة فاحت منها رائحة المؤامرة ، ثم لحق به ابنه بعد ثمان واربعين ساعة .

أوضاع تركي في بداية حكمه ١٨٧١ :

وهكذا اتضحت صورة الامور بسيادة تركي على مسقط ومطرح وصور ، الى جانب عدد من الحصون داخل عمان ، ولكن ظل ابراهيم بن قيس شقيق عزان من مقره في صحار يحكم كل اقليم ساحل الباطنة ما بين شناص ومسنعة اللتين كانتا كلتاهما تحت سيطرته فيما كان وادى رستاق خاضعاً لسيطرة فيصل بن حمود ابن عم عزان . وكان الوهابيون قد استغلوا الانقسامات بين بني نعيم فاعادوا احتلال واحة البوريمي ، لكن أخطر المنافسين على حكم عمان كان سالم بن ثويني السلطان السابق ، والذي كان آنذاك يعيش في المنفى بجزيرة قشم . ولم يمض وقت طويل حتى بدأ عبد العزيز أصغر اشقاء تركي بسبب له المتاعب ، وكان قد انضم اليه في بداية الامر كواحد من انصاره ، واستطاع تركي - بمعونة الغفارية - ان يحرز النصر في معركتين حاسمتين في ضنك ومطرح ، ووضح ان الحاكم الجديد يعتمد على اخلاص هؤلاء الغفارية لتدعيم حكمه .

تركي يستعيد من ابراهيم بن قيس شناص وليوي ومصنعه والسويق وخابوره في الباطنة ، لكنه لا يستطيع استعادة صحار ١٨٧١ :

وكانت استعادة صحار اكبر شاغل كرس له تركي جهوده ، واستطاع في حملته الاولى - مايو ويونيه سنة ١٨٧١ - أن يستعيد شناص

لكن مدينة صحار – رغم إحكام الحصار عليها – أبدت مقاومة عنيده ، ثم قام بمحاولة أخرى في أغسطس من نفس السنة اشترك فيها شيخ دبي ، وانتهت بالسيطرة على ليوي ، كما حدثت ثغرات في سور مدينة صحار وبدا ان المدينة على وشك السقوط حين اصر اتباع تركي حسب السياسة العمانية المعروفة في توازن القوى على تسوية الامور بحيث تؤول سلعان وخابوره ، وكل الاماكن التي تقع على ساحل الباطنة الوسطى (بما فيها صحار) الى ابراهيم بن قيس والباقي (بما فيه مصنعة والسويق) الى تركي ، وظلت الامور على هذا الوضع حتى نوفمبر ١٨٧١ ، حين استطاع تركي ، وقد ازداد قوة نتيجة اعتراف بريطانيا الرسمي به سلطاناً لعمان ، ان يستولي على خابورة .

تحركات عبد العزيز وصالح بن علي وسالم ١٨٧١ – ١٨٧٢ :

وفي هذه الاثناء من يونيو سنة ١٨٧١ ، رفض عبدالعزيز قيادة حملة صحار التي كلف بها وأعلن نفسه حاكماً لجوادر مستقلا عن اخيه تركي كل الاستقلال ، والآن بدأت المناقشة والمعارضة اللتان كان افلاس المتذمرين وجمود شهرتهم يقفان بهما دون حد الخطر ، يصبحان خطراً فعلياً يهدد حكم تركي من كل مكان . ففي نهاية السنة ، كان صالح بن علي قد أعلن تمرده وسط قبائل الحناوية في اقليم الشرقية ، وبدأت المراسلات تترى بينه وبين ابراهيم بن قيس ، وكان عبدالعزيز – من خلال الرسائل التي يبعث بها من جوادر يحوك المؤامرات في داخل عمان ، وسالم في قشم يتقرب من ابراهيم ويتزوج بأخته ، وفي فبراير سنة ١٨٧٢ ، بعد ان التقى سالم بابراهيم في طريقه ، نزل في صور ، لكن تركي تبعه الى ذلك المكان – الذي كان قلعة حصينة من قلاع الغفارية – فمضى سالم الى بلدة بني بو حسن في داخل عمان .

تجدد الصراع في الباطنة :

وفي ربيع سنة ١٨٧٢ نجح ابراهيم في استعادة ماجيس وشناص وحاصر ليوي ، لكن قوات السلطان اوقعت به هزيمة ساحقة في الجزء ، الذي احتلته في هذه المدينة واستعادت منه بقيتها .

رحيل عبد العزيز وسالم الى الهند وضياع خابورة وشاهبار واستعادة جوادر ١٨٧٢ :

وفي نفس هذا الوقت تقريباً حاول سالم ، الذي اتخذ من جعلان قاعدة له ، ان يستولي على صور لكن محاولاته تلك باءت بالفشل ايضاً . وفي شهر مايو ، اثناء غياب عبدالعزيز في بومباي ، ارسلت قوة من جنود الوهابيين الى جوادر واعادت احتلال المكان باسم السيد تركي ، وفي نفس الوقت خرجت شاهبار نهائياً من يدي السيد عبدالعزيز ، وآلت الى الحكومة الايرانية . وكان تطور الاحداث في خريف نفس السنة أقل ميلا لصالح السلطان ، ففي سبتمبر قام سالم بحملة على القريات ، وجرح واليها وهدد صور مرة أخرى ، ووقعت خابورة ثانية في يد ابراهيم بن قيس . وفي نهاية السنة تحسن موقفه قليلا ، لان سالم — بعد ان فشل في تكوين انصار له في عمان — غادر صور في سفينة صغيرة مبحراً الى بومباي .

استعادة السلطان جميع ساحل الباطنة ١٨٧٣ :

وفي يوليو ١٨٧٣ ، تقوى تركي بسبب تجديد معونة زنجبار ، وتأييد قبائل بني نعيم له ، فسار مرة أخرى لاستعادة صحار ، وهنا كان ابراهيم ، الذي أخذ قلعة حزام كهدية من قريبه حمود بن فيصل في رستاق ، قد استسلم للسلطان بعد ان حاصرته قواته عدة ايام فقط . وخضع كل ساحل الباطنة لتركي ، وتلقى ابراهيم منه مبلغ ٥ آلاف روبية تعويضاً ومرتباً شهرياً قدره ١٠٠ روبية ، على ان يتقاضاها طوال إقامته في حبي او قريباً منها ، وكانت آخر مكان بقي له من ممتلكاته السابقة .

وعقب نجاح السلطان مباشرة ازداد نشاط المتمردين زيادة كبيرة ، فقد ترك عبد العزيز وسالم بومباي على انفراد حوالي نهاية شهر مايو وقام الاول – في يوليو – بحصار جوادر وكاد ان يستولي عليها ، وفي اغسطس حاول صالح بن علي التقدم الى مسقط ، لكن الجعافرة حالوا دون تقدمه في وادي العق ، ووجدت فرقة استطلاع من آل وهيب كان صالح قد عمل بارسالها نفسها في مركز بحرج أمام اسوار مطرح . اما عبد العزيز فقد قبض عليه العقيد موكلر الوكيل السياسي واحتجزه في سفينة صاحب الجلالة « رايفلمان » ونفي الى كراتشي حيث بقي معززاً مكرماً في المنفى ، وأعد امر بالقبض عليه وفق احكام البند الثالث لاتفاقية سنة ١٨١٨ فيما لو حاول الهرب او أساء استعمال الحرية النسبية الممنوحة له . وبعدها بقليل خسر تركي المكاسب التي استطاع الحصول عليها حين قام حمود بن فيصل باستعادة رستاق . وحل ابراهيم ابن قيس مكانه ، واتخذ هذا من ذلك الوقت وادى رستاق المنيع قاعدة له بدل القاعدة التي كانت على الساحل . وفي ٨ ديسمبر سنة ١٨٧٣ استولى سالم على جوادر ، وكان هذا قد ظهر فجأة – وبلا توقع من احد – وحوله حفنة من الاتباع فاستولى على قلعة المدينة ، ربما باتفاق مع واليها ، لكن سيطرته على المدينة – كما سنورد لاحقاً في تاريخ جوادر – لم تدم سوى ثلاثة ايام اصبح بعدها كما كان من قبل يطوف في الآفاق دون مأوى .

وقرب نهاية سنة ١٨٧٣ تزوج تركي ، وكان بعد غير متزوج من ابنة ابن عمه حمد بن سالم .

أول هجوم للمتمردين على مسقط يناير ١٨٧٤ :

وفي بداية سنة ١٨٧٤ – وكان تركي مريضاً في ذلك الوقت – تقدم صالح بن علي مدفوعاً بأخبار مكذوبة ذاعت عن موت السيد تركي من اقليم الشرقية الى مسقط ومعه قوة قوامها ثلاثمائة مقاتل من

رجال القبائل ، معظمهم من آل حرث والحبوس والهواجر وآل وهيبة وقلة من بني رواحه . وجاء صالح بن علي معه بالفتى حمود – وهو غلام في الثانية عشرة من عمره وابن الحاكم السابق عزان بن قيس – كمرشح لتولي الحكم بعد السيد تركى . ورفض الغفارية الذين يحرسون وادى العق السماح لقوات صالح الحناوين باجتيازه ، فاتبعت هذه القوات طريق قحزة ووصلت الى الروى على غير انتظار في ١٧ يناير ، واستطاعت ان توقع الهزيمة بفرقة صغيرة من الوهابيين كانت ارسلت لمهاجمتهم ، ثم استولى المتمردون بعدها على مطرح ، واحترموا قلعة خوجا التي كان العلم البريطاني يرتفع فوقها ، غير انهم قاموا بسلب ونهب الاسواق دون تمييز . ووقعت بعض الخسائر على املاك رعايا الهند البريطانية ، واتخذت السلطات البريطانية الاجراءات اللازمة لمساعدة السيد تركى على الوقوف في وجه تقدم المتمردين ، لكن الوسائل الضرورية لذلك لم تكن متيسرة لها فوراً . وفضل السلطان ان يتعامل هو نفسه مع المتمردين بدل انتظار وصول السفن البريطانية . وفي ٢٠ يناير سويت الامور في مسقط بين السلطان وحمود بن سعيد الحجافي من قبيلة آل وهيبة الذي أصبح فيما بعد متمرداً وقاطع طريق مشهوراً ، وكانت الشروط الرئيسية التي قبلها المتمردون كي يتراجعوا هى ان يتسلموا ٦٠٠٠ روبية نقداً الى جانب ١٠٠ جوال من الارز ، وان تؤكد صفقة بيع حكومة عزان بن قيس الاملاك المصادرة لبني حرث ورواحه ، وان ترد املاك الخليلي الى افراد اسرته ، وان تتوقف أعمال المتمردين ، ثم اضيف شرط آخر ضد أي هجوم من جانب السلطان على ابراهيم بن قيس الذي تعهد صالح بن علي بأن يكبح جماحه . ووصلت سفينة صاحب الجلالة « نيميل » مسقط في ٢٢ يناير .. لكنها وصلت متأخرة جداً ، فقد كان كل شيء قد سوى ، وكان المتمردون ينسحبون من مطرح ، ولقد اسخط اعتراف السلطان بالمصادرات التي

قامت بها حكومة عزان قبائل الغفارية خاصة غفارية وادي سمائل الذين وقع عليهم الغرم أكثر من غيرهم وقد اعلنت الفروع القوية منهم في نخل صراحة أنهم لن يحترموا ذلك القرار من جانب السلطان .

ابراهيم بن قيس يستولي على مصنعه والسويق ثم يستعيدهما السلطان بواسطة البريطانيين ١٨٧٤ :

ولم تكد هذه المشكلة تنتهي حتى بدأ ابراهيم بن قيس — الذي كان قد اتخذ من رستاق عاصمة له آنذاك — في التحرك مرة أخرى في اقليم الباطنة فاستولى في ٦ مارس سنة ١٨٧٤ على مدينة منسعة وقام بحصار قلعتها ، وكان يعاون ابراهيم محمد بن سليمان الجابري أقوى المطوّعة في اقليم الباطنة نفوذاً ، الى جانب آل سعيد أكبر قبائل ذلك الاقليم، وراح افرادها يتدفقون على معسكره بأعداد كبيرة . وبدأ الخوف من هؤلاء على مصير بركه بل ومسقط ايضاً . واستسلمت قلعة منسعة بعد حصار دام اسبوعاً ، لكن العقيد مايلز الوكيل السياسي البريطاني نصح المتمردين بعدم احتلالها قبل وصول موافقة من الحكومة البريطانية ، فلم يأبهوا لنصيحته وقاموا باحتلالها فعلا .. فقام هو من جانبه باجلائهم عنها بفتح النار عليهم من سفينة صاحب الجلالة « فيلو ميل » وفي ٢٦ مارس وصل الرائد روس المقيم العام في الخليج ، ومعه العقيد مايلز الى منسعة وطلبا من المتمردين الجلاء عن القلعة التي كانوا قد عادوا لاحتلالها واذعن المتمردون وعندها قامت مدافع سفينتي صاحب الجلالة « ايفلمان» و « فيلو ميل » بتجريد القلعة من كل وسائل الدفاع عنها . وفي اوائل يونيو قام آل سعد بالاستيلاء على السويق ، وكانوا قبلها — من قبيل الحرص — قد أجلوا رعايا الهند البريطانية عنها ، ثم نهبوا اسواقها ، لكن العقيد مايلز الذي وصل الى هناك على سفينة صاحب الجلالة « مجباي » ارغمهم على الجلاء عنها ، وانتهى التمرد في الباطنة دون ان يخلف وراءه سوى خسائر رعايا الهند البريطانية في منسعة وقد قتل

واحد منهم في هذه الاضطرابات ، وما تبع ذلك من جانب حكومة الهند يرد في فقرة تالية . ونجح ابراهيم في ان يستولي لنفسه على عواني ، لكنه أخيراً وفي نهاية سنة ١٨٧٤ او اوائل ١٨٧٥ أعلن خضوعه الرسمي للسلطان ، فسمح له باستبقاء رستاق تحت حكمه كما فرض له السلطان راتباً قدره مئة دولار في الشهر .

السماح لعبد العزيز بالعودة من الهند مايو ١٨٧٤ :

ولقد اضطر تركي بسبب مشقات الازمة التي عاناها دون ان يجد الى جانبه خلالها مستشاراً قوياً محايداً الى التصالح مع شقيقه عبد العزيز وفي اوائل مايو سنة ١٨٧٤ سمح لهذا المنفي بأن يعود من منفاه في كراتشي الى مسقط في الوقت المناسب لتحصيل تعويضات من آل سعد عن سوء تصرفاتهم .

اضطرابات بين الجناويه والغفاريه ١٨٧٤ — ١٨٧٥ :

ونتيجة لسوء التنظيم الذي يرجع الى اعتلال صحة تركي واخلاله بوعوده غير مرة ظل مهدداً طوال سنة ١٨٧٤ . وفي ١٨٧٥ كانت عاصمته ايضاً مهددة .. وفي اغسطس ١٨٧٤ زادت المشكلات بين قبائل الجناوية والغفارية في وادي سمائل زيادة ارغمت السلطان على السير بنفسه الى هناك ، لكن الغفارية لم يقبلوا التسوية التي اقترحها ، وكان خضوعهم لها غير حقيقي ولم يدم سوى فترة قصيرة . وظلت الحروب بين القبيلتين مستمرة في إزكي وبركة الموز ونزوى في اقليم عمان ، وانتقلت بعد ذلك الى ينقل في الظاهرة وفي نفس الوقت كان السلطان — الذي أصبح من يوم ليوم أكثر خضوعاً لتأثير الجناوية — قد اخذ يخسر مركزه في مسقط بسبب استبعاده جانباً كبيراً من انصاره الوهابيين ، واستبدالهم برجال من الجناوية . واضعف هذاالعمل في ذاته من قدرته على التدخل المستمر بين قبيلة وأخرى . وفي فبراير سنة ١٨٧٥ قامت الحرب

المسافرة بين الغفارية والحناوية في وادي سمائل . وارتكب الجعافرة خطأ لا سبيل لاصلاحه باحراقهم عدداً كبيراً من اشجار نخيل الحناوية ، وظلت هذه الحروب دائرة حتى يونيو حين تدخل اليعاقيب في إبرى واقنعوا الطرفين بسحب ادعاءات كل طرف ومنهما تجاه الآخر .

تمرد بني بو حسن وعجرفة قبيلة آل وهيبة ١٨٧٥ :

وفي مايو سنة ١٨٧٥ حدث نزاع في مسقط بين السلطان وبين بني بو حسن الذين كانوا في ذلك الوقت ممثلين تمثيلا قوياً في حاميات قلاع مسقط . وفي الوقت الذي كان فيه عبد العزيز يهديء من ثائرة هذه القبيلة ويتعهد لهم ، باسم شقيقه ، بتلبية كل مطالبهم — اختبأ السلطان نفسه في سفينة احد التجار في الميناء . وبعدها عزم السيد تركي ، وقد اصبح معتل الصحة مرهق العقل ، على التخلي عن سلطاته جميعاً لولا نصيحة الرائد مايلز وشقيقه عبد العزيز . وفي بداية يوليو حدث نفور بين تركي وعبد العزيز بسبب تحيز تركي لرجل يسمى نميش وآخر هو حمود بن سعيد الجحافي ، واستفاد عدد من آل وهيبه من هذا الخلاف فقاموا باحتلال مسقط ومطرح وطلبوا عدة مطالب لعل اهمها هو استبقاؤهم دائماً في خدمة السلطان العسكرية .

اعتزال تركي في جوادر اغسطس ١٨٧٥ :

ووصلت الامور الى قمة الازمة في شقاق حصل بين تركي وعبد العزيز في ١٠ أغسطس ، حين طلب الاخير استبعاد قوات البلوش من حاميات مسقط على أساس ان قادتهم يتصرفون بقصد وخيانة لابقائهم في حالة مهلهلة على الدوام . وحين رفض مطلبه هذا استقال من عمله ، وظل تركي عدة ايام يدبر شئون الحكم وحده ، ثم حدث بعدها تمرد من البدو الذين كانوا متلهفين للحلول محل قوات البلوش . واضطر تركي لان يتسلم هؤلاء الساخطين قلعتي جلالي وميراني ، وسخط تركي على

تلك الاحداث جميعاً ، واحس بأنه اعجز من ان يواجهها فخرج على ظهر سفينته الصغيرة « رحماني » وترك عبدالعزيز يناضل بكل ما في وسعه كي يشد اركان الحكم المتداعي . وفي ٢١ اغسطس ١٨٧٥ انطلق تركي الى جوادر على ظهر سفينة صاحب الجلالة « رايفلمان » بعد ان أكد للرائد مايلز انه سيرجع لمقر حكمه بمجرد ان تسمح الظروف ، وكذلك فعل بعد ان عين شقيقه عبد العزيز حاكماً باسمه .

★ ★ ★

ادارة تركى الداخلية ١٨٧١ ـ ١٨٧٥

الاسباب السياسية والعسكرية لعدم نجاح السيد تركي :

لقد أصاب الفشل الذي انتهى اليه تركي كحاكم الكثيرين بخيبة امل مريرة ومن هؤلاء السلطات البريطانية التي رحبت في البداية بتوليه الحكم . لكنها سرعان ما شاهدت تلاشي الآثار الحميدة لطاقته الهائلة وسماته الحربية المتميزة التي اوصلته الى دست الحكم ، كذلك فقد انفض من حوله الغفارية الذين بفضلهم ايضاً وصل الى الحكم . وربما كان أهم اسباب فشله هو اعتلال صحته ، ونجاح هجوم صالح بن علي المفاجيء على مسقط في سنة ١٨٧٤ ، فقد كشف هذا الهجوم عن ضآلة نفوذ السلطان واغراه بالتحول عن صداقة الغفارية الى الحناوية وهم اشد بلاء من اولئك . كما ان قواه العسكرية المكونة من عدة مئات من الوهابيين والبلوش كانت منخوبة ، ثم انه ايضاً استجاب لاغراء الحناوية بانقاصها وجعلها اشد ضعفاً ، وبالتالي فقد الرجل ما تبقى له من سلطانه . والقى بمسقط ثانية تحت رحمة البدو .

مستشارو تركي في بداية حكمه :

وقد كان يمكن للسيد تركي ان يتلافى بعض أخطائه هذه لو كان له وزير موثوق به وكان مستعداً لقبول آرائه ، لكن الرجل بدأ حكمه

بلا شك وحيداً ومعزولا . وكان وزيره الاول رجلا شريراً سيء الخلق اسمه ثويني بن محمد طرده السلطان في سنة ١٨٧٢ لاشتراكه في جريمة قتل ناصر بن علي والي مسقط ، ثم اغتاله في العام التالي واحد من عبيد ناصر بن علي هذا . وبعده وقع تركي بين براثن ميش او نميش وهو مستشار وضيع الاصل لم يخلص لتركي ، فبعد ثلاث سنوات من خدمته وصلت ثروته الى ٤٠ الف روبية ، وكان من الممكن ان تؤدي عودة عبد العزيز خصوصاً وانها جاءت بتطوع من السلطان نفسه الى تصحيح الاوضاع. لكن عبد العزيز — رغم اخلاصه العميق لمصالح شقيقه — لم يكن بعد ذكريات التجربة الاولى مع اخيه يحظى بثقة السلطان الكاملة وكان عليه ان يصارع نفوذ نميش المعادي له بسلاح كليل حتى لحظة رحيل تركي الى جوادر .

أخطاء السلطان الشخصية الراجعة الى نقص خبرته :

لم يستخدم تركي في الفترة الاولى من حكمه المهارة والصبر اللازمين في تعامله مع قبائل عمان .. مما عرف عنه في اواخر حكمه حين راح يبدد جزءاً كبيراً من معونة زنجبار وغيرها من المصادر المالية في معونات عشوائية للقبائل ورشاوى لا جدوى منها .

★ ★ ★

علاقات تركي بالحكومة البريطانية ١٨٧١ – ١٨٧٥

الاعتراف بتركي سلطاناً لعمان ١٨٧١ :

كان تركي منذ بداية حكمه شخصاً مرغوباً فيه من الحكومة البريطانية ووكلائها وربما كان ذلك بسبب إقامته لمدة سنتين في بومباي ، استطاع خلالهما ان يجد الفرص المواتية ليبرز نفسه ويطرح مطالبه امام المسئولين هناك . وقد تم اعتراف حكومة الهند به حاكماً لعمان دون إبطاء ، وعزز مجلس الوزراء البريطاني ذلك الاعتراف في يونيو سنة ١٨٧١ ، وابلغ الى السيد تركي نفسه في ٨ اغسطس التالي .

معاهدة مع بريطانيا لمنع تجارة الرقيق ١٨٧٣ :

لم يكن لنقل ارتباط مفوضية الخليج ووكالة مسقط في اوائل سنة ١٨٧٣ من إشراف حكومة بومباي الى إشراف حكومة الهند مباشرة أي أثر سيء على علاقات بريطانيا مع السلطان الجديد ، كذلك لم يتردد تركي في توقيع معاهدة جديدة لمنع تجارة الرقيق في سنة ١٨٧٣ وهي معاهدة اقترحها في مسقط السير بارتل فرير كمفوض فوق العادة لصاحبة الجلالة فيكتوريا .. وكان سلوك السيد تركي في هذا الامر يناقض تماماً سلوك برغش بن سعيد سلطان زنجبار الذي رفض حتى مجرد مناقشة الموضوع ، وهكذا ارتفعت اسهم تركي في اوساط الحكومة البريطانية .

تجديد دفع معونة زنجبار ١٨٧١ - ١٨٧٥ :

وقد تم تجديد دفع معونة زنجبار السنوية وقدرها ٤٠ الف روبية التزاماً بقرار التحكيم الذي أصدره لورد كانتج في سنة ١٨٦١ . وقد تم التجديد بناء على تعليمات حكومة صاحبة الجلالة تشجيعاً للسيد تركي على توقيع المعاهدة الجديدة ، واستأنفت حكومة الهند دفع المبلغ للسيد تركي وابلغته انها « ستستمر في دفعها طالما استمر هو في الوفاء بالتزامات المعاهدات التي وقعها ، وطالما استمر في صداقته للحكومة البريطانية » ومن ذلك الوقت حتى سنة ١٨٨٣ ظلت المعونة تدفع للسلطان « تتقاسم دفعها حكومة الهند وحكومة صاحبة الجلالة ، وما يزال يطلق عليها تخليداً لذكرى اصلها « معونة زنجبار » (١) وبين ٢٦ ابريل و ٦ نوفمبر

(١) في المناقشة التى دارت بين حكومة صاحبة الجلالة وحكومة الهند في سنة ١٨٦٨ - ١٨٧٠ أنكرت الحكومة الاولى حق سلطان عمان في معونة زنجبار وايدت الحكومة الثانية هذا الحق ولم تؤد المناقشة الى نتيجة محددة .. ومن هنا نستطيع اعتبار المعونة التى بدىء بدفعها لتركى في سنة ١٨٧٣ على انها معونة جديدة أو انها استمرار للمعونة التى قررها لورد كاننج ، لكن وجهة النظر الاخيرة هذه - وهى تتسق مع الحجج التى استخدمتها حكومة الهند في سنة ١٨٦٨ - ١٨٧٠ ، تبدو هى الاقرب للمعقولية ، وسنظل بالتالى نطلق عليها اسم « زنجبار » في هذا الدليل لكننا سنضعها بين قوسين صغيرين بسبب هذا الخلاف . أما الشروط الجديدة التى وضعتها حكومة الهند في سنة ١٨٧٢ ، وهى الوفاء بارتباطات المعاهدات وصداقة الحكومة البريطانية ، فيبدو انها لا تتسق مع الاعتراف السابق من الحكومة بحق السلطان المطلق في هذه الاعانة ما دام لا يهاجم زنجبار .

سنة ١٨٧٣ ، دفعت المبالغ المستحقة للسيد تركي ، غير ان تصرفه في انفاق تلك الاموال ، وان مكنّه فعلا من استعادة صحار ، لم تكن حكيمة ابداً ، فهو لم يقتصر على الفشل في كسب اية مزايا من إنفاقه وحسب ، لكنه اهاج اطماع القبائل وزعمائها الغدرة في المزيد من الكسب بدلا من ارضائهم .

العون البريطاني البحري والسياسي في جوادر ومنسب والسويق ١٨٧٣ — ١٨٧٤ :

والى جانب العون المالي الحيوي الذي تلقاه السيد تركي كما وصفنا كان في مناسبات عديدة يحظى بدعم بحري وسياسي قيّمين من حكومة الهند ، ففي اول سبتمبر سنة ١٨٧٣ حين كان عبد العزيز وسالم يشيعان الاضطراب فيما جاور جوادر ، وجه اليهما الانذار بأنهما لو رفضا الشروط التي يعرضها تركي عليهما وحاولا العبور الى عمان او شق طريقهما الى الخليج فستلقى الحكومة البريطانية القبض عليهما . وقد تم القبض بالفعل على السيد عبد العزيز — تنفيذاً لهذا الانذار — ونفي الى الهند . وفي سنة ١٨٧٤ ، أثناء هجوم « صالح بن علي » على مسقط فوض المقيم السياسي في الخليج ان يقدم لتركي كل معونة عسكرية يستطيعها بشرط ان يتجنب القيام بما يزيد على تعزيزات القصف المدفعي لابعد مدى ممكن من الساحل . وقد رأينا ان هذه التعليمات لم تصل — او بالتحديد لم تصل وسائل تنفيذها — الا بعد انتهاء الازمة التي كانت سبباً في اصدارها .. لكنها ظلت مهيأة له الى فترة من الوقت .

والحقيقة إن طرد انصار ابراهيم بن قيس من منسعة تم في مارس سنة ١٨٧٤ وقد نفذه العقيد مايلز الوكيل السياسي في مسقط على مسئوليته قبل ان يتلقى اوامر الحكومة بشأن المتمردين في الباطنة ، واخيراً سمحت له التعليمات الصادرة بشأن مسقط ومطرح حرية أكبر ، وجاء طرد المتمردين للمرة الثانية من قلعة مصنعه في ظل تصريح عام من الحكومة

بتقديم العون الفعال لتركي إلى آخر مدى تصل اليه قذائف المدفعية البحرية ، وكان انسحاب آل سعد من السويق في يونيو سنة ١٨٧٤ أيضاً نتيجة ما قامت به البحرية البريطانية في ظل نفس التعليمات .

تعديل السياسة فيما بعد ١٨٧٥ :

وفي بداية سنة ١٨٧٥ ، وبعد ان وضح تماماً عجز السيد تركي بدأت حكومة الهند تتبع سياسة أكثر تحفظاً تجاهه في عمان فأصدرت تعليماتها لممثليها بألا يتدخلوا في الشئون الداخلية او شئون البيت الحاكم في عمان ، وان يقصروا جهودهم على تقديم النصيحة فقط .. ووضعت شروط اكثر تضييقاً في استخدام السلطات البريطانية المحلية للقوات المسلحةلدعم للسلطان ، ووفقاً لهذه التعليمات لم يبذل جهد كبير للحيلولة دون سقوطه .. وعندما اعتزل الحكم اخيراً لم تتجاوز الاجراءات التي قام بها البريطانيون في مسقط ضمان سلامة رعاياهم في حالة حدوث اضطراب ما .

حماية الرعايا البريطانيين في عمان ١٨٧١ — ١٨٧٥ :

يبقى علينا فقط بشأن العلاقات مع بريطانيا ، ان نصف الطريقة التي كان يتم بها تعويض الرعايا البريطانيين عن الخسائر التي تلحق بهم في الاضطرابات السياسية التي تحدث من حين لآخر .

في صحار سنة ١٨٧٢ :

ففي بداية سنة ١٨٧٢ لقي بعض رعايا الهند البريطانية معاملة سيئة واضطهاداً من جانب ابراهيم بن قيس في صحار ، ولم تكن هذه المدينة خاضعة لسلطان تركي وقتئذ ، لكن السلطات البريطانية تعهدت لهم بالحصول على تعويضاتهم قسراً ، ومضى الرائد بيلي المقيم العام في الخليج بنفسه الى صحار ، في ابريل سنة ١٨٧٢ على ظهر سفينة صاحب

الجلالة « كوان تنج » وقدرت الخسائر بعد البحث بمبلغ ٢٢٥٥ روبية وعاد بعد ان حصل على نصف المبلغ نقداً ، وقد دفع السلطان بنفسه هذا التعويض عن الخسائر وقدم صكاً بدفع النصف المتأخر .

في مطرح سنة ١٨٧٤ :

كذلك دفع السلطان بنفسه تعويضاً عن الخسائر التي لحقت بالرعايا البريطانيين في مطرح لدى استيلاء صالح بن علي عليها في يناير سنة ١٨٧٣ فقد ذكرت حكومة الهند انه ما دام السلطان قد خرج على تعليماتها وعقد تسوية مع المتمردين .. أصبح عليه ان يدفع تلك التعويضات .

وفي منسب سنة ١٨٧٤ :

أما في مصنعه — فقد بلغت قيمة التعويضات ١٥ الف روبية — وكان السلطان قد حُذر بألا يتسرع بعقد صلح مع المتمردين ، وتوجه الرائد روس المقيم العام والرائد مايلز الوكيل السياسي الى مصنعة ومعهما سفن صاحب الجلالة « فيلوميل » و « نمبل » و « محباي » وسفينة السلطان الصغيرة « رحماني » وكان على ظهرها أخ السلطان عبد العزيز الذي فوض صلاحية التفاوض باسم السلطان ، ووجدو اقلعة مصنعة قد اعيد ترميم جزء منها ويشغلها — للمرة الثالثة — رجال ابراهيم .. ولكن في ١٩ يوليو استطاعت بعض طلقات من السفينة « فيلوميل » ومعونة بعض القوارب الحربية ان تمكن عبد العزيز من النزول الى البر واحتلال القلعة دون مقاومة تذكر ، وبدأت المفاوضات بينه وبين آل سعد ، وانتهت اخيراً بتعهد من السلطان بدفع مبلغ ٥ آلاف روبية (اي ثلث قيمة التعويضات) في مقابل عودة آل سعد الى التحالف معه ، وان يدفع آل سعد بقية التعويضات مما يجمعونه خلال فترة قدرها ٧٠ يوماً ، ووافقت حكومة الهند على هذه الاتفاقية ، لكنها لم تنفذ بحذافيرها لان مبلغ ٤٠٠ روبية تبقى على آل سعد ، ولم يدفع مبلغ التعويضات كاملا الا في يناير سنة ١٨٧٥ .

حادثة جزر كوريا موريا ١٨٧٥ :

وبعد تسوية هذا الامر في مصنعه حدثت مشكلة أخرى بسبب سجن بعض رعايا زعيم كاش في جزيرة حلانيه واطلاق سراحهم بعد دفع الفدية . وكان هؤلاء المعتقلون ينتمون الى منطقة لشخرة على الساحل الجنوبي الشرقي لعمان ، اما المسيئون فكانوا بعض افراد بني بو علي من الجعافرة . وذهب العقيد مايلز على ظهر سفينة صاحب الجلالة « فيلوميل» ولم يستطع ان يلقي القبض على المعتدين ففرض غرامة قدرها ٦٠٠ روبية ، ودفعها شيخ بني بو علي في صور نيابة عن الجعافرة وباذن منهم ، وثمة مشكلة أخرى حدثت في صور في يونيو سنة ١٨٧٥ ولم تنته — كما سنذكر فيما بعد — الا في سنة ١٨٧٧ .

★ ★ ★

فترة وصاية عبد العزيز على السلطنة
أغسطس — ديسمبر ١٨٧٥

رضاء الحناوية وسخط الغفارية :

لم يكن الوضع مريحاً عموماً بعد اعتزال السلطان ، فخزانة مسقط كانت خاوية ، وقلاعها في أيدي حاميات من رجال القبائل الساخطين الذين تأخرت رواتبهم ، لكن عبد العزيز كشف عن طاقة كبيرة وحسن تصرف في مواجهة تلك المتاعب ، فقد استدعى زعماء الفريقين لزيارة مسقط، واستجاب لدعوته عدد منهم معظمهم من الحناوية مما كان له أثر طيب على الميزانية العامة . وكان طابع الحكم الجديد — بعد الحكم القديم — يميل الى الحناوية والى التعصب . وقد أصبح صالح بن علي — الذي وصل من الشرقية على رأس ٤٠٠ مقاتل — هو الناصح الاول لعبد العزيز ، في حين انتشر المطّوعة في مسقط واصبح لهم جزء كبير من النفوذ الاقليمي ،

وراحوا يمنعون الرقص والدعارة ، وخشي الغفارية من احتمال استبعادهم من النفوذ فتهيأمنهم بنو ريام وبنو جنابه وبنو بوعلي لانكار سلطة نائب السلطان . واستعد بدر بن سيف والي صحار ايضاً للمقاومة بمساعدة بني نعيم .. ولصد أية محاولة من العاصمة لاخضاعه . وفي بداية اكتوبر رحل صالح بن علي إلى الشرقية ، بعد ان أقام شهراً في مسقط ، ليرعى مصالح الحكومة هناك ، وقام زايد بن خليفة شيخ ابو ظبي بزيارة لعبد العزيز دامت ثلاثة أسابيع وعده فيها بتقديم العون والمساعدة .

نفي سالم الى الهند :

وفي هذا الوقت قامت البحرية البريطانية بالقاء القبض على السلطان السابق سالم بن ثويني الذي كان يقيم في جزيرة قشم — منذ هرب من جوادر في ديسمبر سنة ١٨٧٣ — ويتقاضى ١٥٠ روبية كل شهر من السيد تركي . وترك سالم مقره هذا متجها نحو عمان فقبضت عليه سفينة صاحب الجلالة « دافني » تجاه جزر سوادي في ١٠ او ١١ أكتوبر وكانت الحجة التي تذرع بها لخروجه عن تحذير السلطات البريطانية بعدم مغادرة منفاه هي أنه قصد عمان كي يسوى مسألة استمرار الراتب الذي كان يقدمه له السيد تركي ، وكان معه سفينتان صغيرتان واربعون رجلا ، وقيل إنه كان ينوي الرسو على حائل آل عمير في الباطنة ومنها يتجه الى مسقط . ونقل سالم الى الهند ، ونفي في حيدر آباد بالسند بشروط كهذه التي سبق ان نفي بها عبد العزيز في كراتشي ، غير أنه مات بالجدري في العام التالي .

علاقة نائب السلطان بممثل بريطانيا :

واتخذ الرائد مايلزالممثل البريطاني في مسقط — بموافقة حكومة الهند — موقف التباعد بعض الشيء في علاقته بنائب السلطان ، فرفض غير طلب واحد قدمه اليه عبد العزيز لاعطائه العون المالي . واستمر دفع معونة زنجبار لتركي في جوادر ، وصدرت تعليمات سرية لممثل

بريطانيا بأنه في حالة حدوث طارىء ملح في مسقط فعلى السيد عبدالعزيز ان يكتب طلباً لمعونة بريطانية باسم أخيه السلطان تركي ، على ان يعامل الطلب بنفس الترتيبات التي كانت تتخذ بالنسبة لطلبات السلطان . كما لو كان صادراً عنه هو نفسه . ومن عدة شواهد نستطيع القول بأن عدم الاعتراف بعبد العزيز من الحكومة البريطانية هو الذي حال بينه وبين إعلان نفسه حاكماً لعمان .

عودة تركي المفاجئة من جوادر وانتهاء نيابة عبدالعزيز ديسمبر ١٨٧٥

وقرب نهاية السنة ، أحس السلطان تركي بتماثله للشفاء باسترداد معنوياته فقرر أن يعود ليتولى الامور بنفسه في عمان ، لكن طريقة عودته كانت غريبة ، فبدل ان يخطر نائبه بذلك .. نزل سراً من قارب أهلي من مطرح يوم ١٣ ديسمبر ، وكان عبدالعزيز في ذلك الوقت غائباً في حصن سمائل حيث كان يبدل حامية الغفارية الموجودة فيه بأخرى من البلوش . وتعرف حرس قلعة مطرح على تركي بلا تردد ، وسمحوا بوضع يده على المكان .. غير ان الحاميات من بني بو حسن الموجودة في حصون مسقط لم تسلك نفس السلوك ورفضت الاعتراف به في العاصمة دون صدور امر اليها من السيد عبدالعزيز . وارسل هذا ربما بدافع الخوف من السلوك الغريب من جانب شقيقه – يطلب منهم الصمود حتى يصل اليهم ، واستطاع تركي في ١٩ ديسمبر ، بعد ان وصلته الامدادات من نخل وبعض الوهابيين ومن والي صحار المخلص ، ان يحتل المرتفعات المحيطة بمدينة مسقط . وفي ٢١ ديسمبر بعد يومين من المناوشات السلمية مع الحرس دخل تركي مسقط دون ان يقاومه أحد ، وقاومت الحصون عدة أيام ثم استسلمت ، ولحق بتركي عقب وصوله الى مطرح حمود بن سعيد المشهور بسوء السيرة ومعه ثلاثون رجلا .

حادثة العلم البريطاني :

وكان مما حدث خلال هذه العمليات سوء استخدام أنصار تركي للعلم البريطاني حيث رفعوه على قارب ارسله هذا من مطرح مع خطاب

الى الرائد مايلز . فقد اطلقت قلاع مسقط النار على القارب اثناء مروره .. لكن الجانبين قدما اعتذاراً عن ذلك العمل غير المقصود واعتبرت المسألة منتهية .

★ ★ ★

الاحداث في عمان من عودة تركي حتى هجوم صالح ابن علي وعبد العزيز على مسقط ١٨٧٦ ـ ١٨٨٣

ولم تكن الفترة الثانية من حكم تركي خالية من الاضطرابات التي أثارها صالح بن علي وابراهيم بن قيس والسيد عبدالعزيز وغيرهم .. لكن سلطته لم تتعرض لاية هزة عنيفة .

عبدالعزيز يطارد الى داخل عمان :

فسرعان ما تخلى أنصار عبدالعزيز عنه ووجد نفسه مجبراً على التراجع من حصن سمائل الى صمد ، وظلت قلعة سمائل مدة بعد ذلك تسيطر عليها باسمه حامية من قبيلة بني رواحه . ولكن بعد فترة من الاشتباكات التي نتج عنها كثير من التدمير في أسوارها ، استسلمت القلعة واحتلتها حامية من البلوش باسم السلطان ، وجرت مفاوضات عديدة بعد ذلك لاحلال التفاهم بين الشقيقين . وفي مارس سنة ١٨٧٦ التقى الرائد مايلز الوكيل السياسي البريطاني الذي توسط بينهما بالسيد عبد العزيز في قريات .. لكن هذا لم يوافق على الاطلاق على أية اتفاقية تلزمه بالخروج من عمان ، أما تركي فكان من الناحية الاخرى يرفض مناقشة أية شروط الا بعد خروج عبدالعزيز من البلاد .

غارة حمود الجحافي على الباطنة ١٨٧٦ :

لكن اهم احداث سنة ١٨٧٦ كانت غزوة خطيرة شنها حمود بن سعيد الجحافي على اراضي السلطان . فقد اطلق تركي في شهر تموز

سراح هذا اللص قاطع الطريق من السجن الذي كان زج به خلال شهر ابريل بناء على طلب صالح بن علي . وفي سبتمبر أغار حمود من الشرقية على الباطنة ومعه عصابة من اللصوص ويبدو ان ذلك كان دون موافقة صالح بن علي وابراهيم بن قيس . واثناء مروره برستاق قام باغارات على حجة ، واستطاع ان يأسر فيصل ابن السلطان الاصغر ونميش مستشاره المفضل في طريف . ووصل الى سيب ،لكنه حين وجد ان التجار الهنود فيها قد انسحبوا مخلفين وراءهم مغانم قليلة ، نهب اسواقهم وتقدم الى سحام . واستطاع ان يجد في هذه بعض ممتلكات التجار الهندوك الذين لم تمهلهم الفرصة لاخفائها وبعدها اتصل حمود بمعول في وادي معول ، وكانت علاقة هذا الرجل بالسلطان سيئة دائماً نتيجة ارض في معول قام عزان بن قيس بمصادرتها وبيعها بثمن بخس ، وكان هذا الرجل في ذلك الوقت يجهر بتمرده على السلطان ، لكن أهل نخل وسمائل قاموا بصد قواتهما وكبدوهما خسائر فادحة ، وطلبوا عون السلطان الذي وجد الفرصة مواتية لطرد حمود من أاقليم معول .

هجوم المتمردين مرة أخرى على مسقط ١٨٧٧ :

وفي سنة ١٨٧٧ قام رعايا السلطان الساخطون بهجوم جديد على مسقط ، وكان المحرض لهم كالمعتاد ، هو صالح بن علي يعاونه المطوعة ، وقد حاول هؤلاء ان يضفوا على حركتهم طابعاً شرعياً فتحدثوا عن « عدم تدين صاحب السمو وقلة تمسكه بالاخلاق » وقالوا انه السبب الاساسي لسخطهم ، وأعلن صالح بن علي منهج هؤلاء المتمردين في خطاب ارسله الى مستر روبرتسون الوكيل السياسي العامل في مسقط بتاريخ ٩ يونيو ، وكان مستر روبرتسون جديداً في عمله هذا ، وكانت سفينة صاحب الجلالة « تيزر » قد غادرت الميناء في اليوم السابق لتلقيه الخطاب ، لكن الرائد مايلز كان ما يزال في مسقط ، وتصرف مستر روبرتسون بوحي من استشارته في الازمات التالية ، ففي ١٤ يونيو اندفع المتمردون — رغم الانذار الذي وجهه اليهم الوكيل السياسي — الى

مطرح واحتلوها دون مقاومة تذكر . لكن ذلك تم بعد ان استطاع مستر روبرتسون والرائد مايلز ان ينقلا التجار الهنود وبضائعهم الثمينة في المدينة الى ظهور القوارب في الميناء ، وقد رغب الخوجات في ان يظلوا بحصنهم الذي كانو يعتبرونه آمناً . وفشل صالح في اقناع عبدالعزيز بأن ينضم اليه في هذا العمل ، لكن حمود الجحافي كان يصحبه معظم قواته من آل وهيبة ، الى جانب افراد من الحبوس والجحافرة وبني بو حسن وبني رواحه ايضاً .. وكان الجحافرة بالذات من أشد انصار والد السيد تركي ولاء له . وقدم المساكرة عوناً مالياً للمتمردين لكنهم لم يرسلوا رجالا للانضمام اليهم . وفي ١٥ يونيو عادت سفينة صاحب الجلالة « تيزر » الى مسقط ، وفي ١٧ منه انضم ابراهيم بن قيس الى معسكر المتمردين ، وفي ١٧ يونيو ظهر عسكرهم- الذي كان يتجاوز الآن ١٠٠٠ مقاتل يتحرك نحو مسقط التي لم تكن حاميتها تزيد عن ٢٠٠ رجل . وبعد انذار من جانب البريطانيين لهم اطلقت سفينة صاحب الجلالة « تيزر » بعض الطلقات — بناء على طلب السلطان — في الوادي خلف المدينة ، كما اطلقت بعض الطلقات ايضاً في الليل لارهاب المتمردين ومنعهم من التجمع للقيام بهجوم موحد . وفي اليوم التالي استدارت السفينة الى مطرح واستطاعت ان تجلي بعض القناصة من المتمردين الذين كانت نيرانهم تصيب حامية المدينة من المباني المجاورة لها ، وانتهزت هذه الفرصة لاجلاء كل الرعايا البريطانيين الموجودين في حصن الخوجات ونقلهم الى ظهور السفن في الميناء . وعادت « تيزر » بعدها الى مسقط ، حيث كررت ضربها كما حدث في اليوم السابق واحدث هذا نتيجة طيبة . وفي ١٩ يونيو بدأ المتمردون في الاتصال بالسلطان لكنه رفض ان يتناقش معهم الا اذا تراجعوا الى روى .. وقاموا فعلا بالانسحاب اليها . وفي ٢٠ يونيو قامت تيزر بنقل السلطان الى مطرح ومنها تقدم الى بيت الفلاح للقاء صالح بن علي ، وطلب هذا مبلغ ٢٠ الف روبية ثمناً لتراجعه لكن السلطان كان حازماً في رفضه دفع أي

مبلغ . وكان المتمردون قد ارتكبوا عديداً من السرقات والجرائم أثناء احتلالهم مطرح بما في ذلك قتل الاطفال والعزل .

وفي ٢١ يونيو انسحبت فرقة المطّوعة ، وتراجع صالح الى صمد وابراهيم الى رستاق ، لكن حمود الجحافي تلكأ عدة ايام في وادي بشار يهدد بتدمير كل بيت ويحرق كل اشجار النخيل ما بين بركة ومسقط ما لم يتسلم فدية قدرها ٢٥٠٠ روبية من السلطان . واخيراً رأت حكومة مسقط العاجزة عن مهاجمته ان اجابة مطلبه هي أفضل طريقة لاسكاته . وحين تخلص السلطان من هذا المأزق أبدى همة كبيرة في الاستعداد للمستقبل فبدأ يحسن الدفاع عن مسقط ومطرح ويزيد عدد الحاميات في كل منها ويستجلب جنداً جدداً . وبعد هذه الاحداث بقليل ، انتقل عبد العزيز من صمد الى بلدة بني بو علي في اقليم جعلان حيث استقر عدة شهور دون ان يتلقى عوناً من احد .

حركة عبد العزيز ١٨٧٨ :

وفي صيف سنة ١٨٧٨ قام عبد العزيز بحركة ضد مسقط ، وتلقى احتجاجاً كتابياً من الرائد مايلز ، واعترض الغفارية تقدمه في وادى سمايل ، لكنه اثار في العاصمة رعباً رهيباً لم ينسخ من ذاكرتها بل جدد اهوال البدو في العام السابق ، وباستثناء هذه الحركة فقد بقيت عمان للسنوات القليلة التالية دون اي اضطراب خطير .

اضطراب في جوادر واعادة ضم ظفار ١٨٧٩ :

وفي سنة ١٨٧٩ حدثت بعض الاضطرابات في جوادر ، وفي نفس السنة قامت قوات من عمان باعادة احتلال ظفار بعد خمسة عشر عاماً — غير ان هذه الاحداث — الواردة تفصيلا في الملاحق الخاصة بتاريخ جوادر وظفار — لم يكن لها انعكاس مباشر على الاحداث السياسية في عمان . كذلك وقعت تمردات محلية في ظفار في الفترة من ١٨٨٠—١٨٨٣

الصراع القبلي على املاك بيت آل عينين ١٨٧٩–١٨٨١ :

أما الاضطرابات التي حدثت في عمان نفسها فكانت اضطرابات محلية او قبلية الى حد كبير . وقد تركز أحدها حول قلعة عينين في اقليم الظاهرة حين انتزعها البلوش في اوائل سنة ١٨٧٩ من ايدي المياحة وظل البلوش مسيطرين عليها حتى سنة ١٨٨١ حين هاجمهم عدد كبير من الغفارية فتخلوا عنها لبني على من ينقل ، ونشير هنا الى ان السلطان حين خول البلوشيين السيطرة على القلعة باسمه فقد اعتدى اعتداء لا شك فيه على الشيخ برغش شيخ الغفارية ، وبعد ان سيطر بنو علي على بيت آل عينين نجحوا في أن يخترقوا حصار الغفارية مكبدين اياهم خسائر قدرت بخمسين رجلا من رجالهم . وفي سنة ١٨٨١ كان المياحه في حرب مع لا يقل عن ثماني قبائل .

أيلولة قلعة عوابي للسلطان :

وكان ثمة نزاع آخر خطير على قلعة عوابي التي كان يسيطر عليها العبريون ويزعم بنو ريام انها لهم ، وتقرر في سنة ١٨٨١ وبمقتضى اتفاقية عقدت ان تؤول القلعة الى السلطان الذي اعادها بدوره الى ايدي حامية من العبريين .

معركة بين بني بو علي وبني بو حسن ١٨٨١ :

على أن أخطر نزاع قبلي هو ذلك الذي شب في يوليو سنة ١٨٨١ بسبب العداء المستحكم بين بني بو علي وبني بو حسن في جعلان . واتخذ هذا النزاع شكل هجوم سبقه انذار قبل خمسه ايام من وقوعه . وقد شنه بنو بو علي يساعدهم بنو جنابه وبنو راسب وبنو هشم على بني بو حسن ، واستطاعوا ان يهزموهم ويوقعوا بهم ويطاردوهم حتى قلعتهم ، وتوصف هذه المعركة بأنها أخطر حرب نشبت بين قبائل عمان ، فقد قتل فيها — كما يقال — ٦٠ رجلا من بني بو علي و ٧٥ من بني بو حسن .

ابراهيم بن قيس يستولي على مصنعه مرة أخرى ثم يستردها منه السلطان ١٨٨٢ :

وفي سنة ١٨٨٢ حدثت انتفاضة اعقبت اضطراباً سياسياً خطيراً في عمان . ففي ١١ مارس استولى ابراهيم بن قيس مجدداً على مصنعه ، لكنه استفاد من خبراته السابقة فقام بحماية التجار المنتمين للهند البريطانية من السلب والنهب ، وظلت الحياة التجارية في هذا الميناء مستمرة دون اضطراب . وقرر السلطان ان يستعيد مصنعه بقوة السلاح .. فقام في ٩ و ١٠ ابريل بهجوم على القلعة ومعه ١٨ مدفعاً . وكانت سفينة صاحب الجلالة « عرب » واقفة ترقب الاحداث ولا تشترك فيها . وكان ابراهيم نفسه غائباً في رستاق ، وفي اليوم التالي من اطلاق النيران استولت قوات السلطان على القلعة بعد خسائر من الجانبين ، وهكذا استعاد تركي سيطرته على مصنعه وكان امرأ خدم وضعه خدمة كبيرة .

المتمردون يهددون مطرح ومسقط ١٨٨٢ :

وفي شهر يونيو ١٨٨٢ استطاع السيد عبد العزيز وحمود الجحافي التسلل الى عبر ممرعق ووصلا في ٢٢ يونيو الى وطاية حيث اعلنا ان هدفهما هو الهجوم على مطرح ومسقط . ولم يفلح احتجاج العقيد جرانت الوكيل السياسي في مسقط في صدهما عن هدفهما .. لكنهما في ٢٤ يونيو — ربما عند وصول سفينة صاحب الجلالة « عرب » ورسوها خارج مطرح — استبدل الثوار التهديد بالمفاوضات وقبلوا أخيراً الشروط المرضية التي قدمها السلطان ومنها فرض راتب شهري قدره ٢٠٠ روبية للسيد عبد العزيز ثم ارسل السلطان ابنه السيد فيصل لتأديب بني ندابه لأنهم سمحوا للمتمردين بالمرور من مضيق عق غير انه عدل نتيجة تهديدات صالح بن علي والسيد عبد العزيز .

خطط صالح بن علي ١٨٨٣ :

وخلال الأشهر الاولى من سنة ١٨٨٣ كان صالح بن علي منهمكاً في تدبير وسيلة يستطيع بها اسقاط السيد تركي .. لكنه الآن فقد عون

ابراهيم في رستاق لان هذا قد قيل في مارس من نفس السنة راتباً شهرياً من السلطان قدره ١٠٠ روبية ، ورغم ان صالح بن علي كان يميل الى السيد عبد العزيز دائماً الا ان هدفه فيما يبدو كان ان يجعل على عرش السيد تركي – لو نجح في اسقاطه – الزاهد المتدين حمود بن فيصل من رستاق . واستغل صالح الخلافات القائمة بين الغفارية في وادى سمايل استغلالا ذكياً خاصة الخلاف بين بني ندابة وبني جابر حول مزارع النخيل في صارور وذلك بهدف اضعاف الدفاع عن مسقط ضد العدو من الشرقية ، ونجح في هذا نجاحاً زلزل ثقة السلطان ببني ندابة ، وتخلى هؤلاء عن التزامهم بحماية مضيق عق من اجتياز اعداء السلطان .

ثالث هجوم للمتمردين على مسقط اكتوبر ١٨٨٣ :

وقبل الهجوم الاخير على مسقط – الذي تأخر حتى أكتوبر – ظهرت عدة اعراض تمهيدية له ، ففي يونيو حاول حمود الجحافي أن يشق طريقه نحو مسقط لكن قبائل بني جابر والسيابية المخلصة للسلطان استطاعت ان توقفه في صارور . وفي منتصف اغسطس كان صالح ابن علي والسيد عبد العزيز في صارور ، وقد دخلاها دون مقاومة بهدف وضع حد للخلاف بين بني جابر وبني ندابة .. لكنهما . ورغم القوة الكثيفة التي معهما – عادا دون توقع من صارور الى الشرقية .

وأخيراً في ١٩ أكتوبر تلقى الرائد مايلز الوكيل السياسي إخطاراً من السيد عبد العزيز يبلغه فيه عزمه على الهجوم على مسقط ويطلب منه اتخاذ الاجراءات الكفيلة بابعاد الرعايا البريطانيين عن الخطر . أما السلطان فقد ابدى في هذه المناسبة شجاعة ونشاطاً فائقين فركز قواته التي كانت تبلغ حوالي ٥٠٠ رجل للدفاع عن مسقط ، وترك مطرح بلا دفاع تقريباً . وكان هذا الاجراء – كما كشفت الاحداث – افضل اجراء يمكن اتخاذه ، وفي نفس الوقت طلب الوكيل السياسي من رعايا الهند البريطانية في مسقط ان ينقلوا اشياءهم الثمينة الى ظهر السفن الانجليزية

ويستعدوا بدورهم للانتقال اليها . وتم نقل التجار الهندوك ايضاً من مطرح الى مسقط طلباً للامن ، لكن خوجات مطرح تركوا لرأيهم فاختاروا البقاء في قلعتهم . وفي ٢١ اكتوبر بدأت طلائع جيش المتمردين تصل الى الروى ، وفي الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم ٢٢ حدث هجوم حاسم وغير متوقع بقيادة السيد عبدالعزيز بنفسه على ثلاث جبهات من سور المدينة . وكان هذا الهجوم المباشر على مسقط عن طريق وادى الكبير يعتبر نقطة تحول عن الطريق المألوف للهجوم الذي يبدأ اولا باحتلال مطرح واتخاذها قاعدة هجومية . وكان الليل حالك الظلام ، والمهاجمون متشحين بالسواد ومعهم سلالم لتسلق الاسوار. ولم تكن الحامية — رغم يقظتها — تتوقع هذا الهجوم لكنها استطاعت أن تصده بقيادة السلطان بنفسه . وتراجع المتمردون عن الاسوار وقد قتل منهم ثلاثون رجلا وجرح ستون ، وتراجع عبدالعزيز الى سيداب ومنها الى الروى ومن هناك اتصل بصالح بن علي الذي لم يغامر بالاشتراك في هذا الهجوم ، وكن رجاله قد قاموا بهجوم ضعيف على اسوار مطرح . وفي ٢٢ أكتوبر حصل السلطان — فيما لم يكن واثقاً من قدرته على الدفاع عن مسقط بقواته وحدها — على وعد من المقيم السياسي بأن تعاونه سفينة صاحب الجلالة « فيلو ميل » التي كانت راسية في الميناء . وصدرت الاوامر لكل الرعايا البريطانيين — ما عدا من ترتبط اعمالهم بالوكالة — بالصعود الى القوارب وترك المدينة . وخلال النهار وصلت في الوقت المناسب — تعزيزات من بني جنابه قوامها ٧٠ مقاتلا على يخت السلطان الخاص « دار السلام » وفي المساء قام الرائد مايلز ، على ظهر السفينة « فيلوميل » بزيارة مطرح ، وعاد الى مسقط بعد ان امر باطلاق بعض طلقات المدافع من عيار سبع بوصات على مواقع المتمردين لمنعهم من مهاجمة الاجزاء الضعيفة من سور المدينة . وفي يوم ٢٣ طلب السلطان ان تقوم « فيلوميل » باطلاق بعض طلقاتها اثناء الليل كي يظل العدو بعيداً خلال الليلة التالية .. واجيب الى طلبه . وفي يوم ٢٤ ظهرت قوات العدو

في أعلى وادي الكبير وفوق مرتفعات كلبه . وهاجم الفرسان الابراج التي تحرس امداد المدينة بالمياه لكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليها . وفي يوم ٢٥ وصل بعض المشايخ الاصدقاء من الحرث والمساكرة ومعهم قوات تصل الى ٣٠٠ مقاتل ، وتوقفت السفينة « فيلوميل » عن اطلاق نيرانها . وفي اليوم التالي داخل الميناء اسطول صغير من القوارب تحمل امدادات جديدة من المقاتلين يصل عددهم الى أكثر من ٧٠٠ مقاتل وانتهى الخطر تماماً ، ففتحت أبواب المدينة ، وسمح لجنود الحاميات بترك اماكنهم . وفي نفس اليوم قوّض صالح بن علي والسيد عبدالعزيز معسكرهما في الروى وتراجعا الى الشرقية مخلفين وراءهما عدداً قليلا من الجنود لحمل الجرحى . وقد فقد المتمردون في هذه العمليات حوالي ٧٠ قتيلا من بينهم ثلاثة مشايخ او اربعة . وكان السلطان يعتبر هذه الاشتباكات أخطر معركة في تاريخ عمان منذ معركة ضنك التي هزمت فيها قوات عزان بن قيس . وكانت القبائل التي اسهمت اساساً في التمرد هي قبائل بني حجر وبني حرث والحبوس .. لكن السلطان أعلن بعدها ان كل القبائل الشرقية تورطت في التمرد بغير استثناء سوى بني بطاش الذين ظلوا على الحياد وبني كلبان وبني شقائل الذين حفظوا ولاءهم للسلطان .

حملة تأديبية على وادي سمايل ووادي معول نوفمبر ١٨٨٣ :

وقد زاد عدد جيش السلطان في نهاية هذا الحصار حتى تجاوز ثلاثة آلاف رجل ارسل السلطان منهم قوة قوامها ١٧٠٠ مقاتل بقيادة ابنه السيد فيصل لمطاردة المتمردين وعقاب قبائل الغفارية التي سمحت لقوات المتمردين بالمرور . وكانت حركة السيد فيصل – التي لم تبدأ الا في الثالث من نوفمبر – ابطأ من ان تهدد جيش العدو المتراجع ، لكنه نجح في الهدف الثاني من حملته ، واستطاع ان يخضع القبائل المقيمة في وادي سمايل وحوله ، كما اخضع ايضاً بني ندابه والرحبيين بعد ان

طاردهم عبر وادي العق وارغمهم على ان يعلنوا تحالفهم مع الحناوية ، وزار فيصل اثناء عودته وادى قبيلة معول ، التي كانت توقفت عن دفع العوائد مدة ثلاث سنوات متتالية ، وحمل شيخهم معه أسيراً الى مسقط ، ولدى وصول فيصل سرح السلطان جنوده واعاد كلا الى بلده محملا بالهدايا . وقيل ان حملة فيصل جمعت غرامات وصل مجموعها الى ١٩,٨٠٠ روبية الى جانب غرامة اخرى فرضت على قبيلة معول قيمتها ١٢,٠٠٠ روبية امكن تحصيل نصفها على الاقل .

★ ★ ★

ادارة تركي الداخلية
١٨٧٥ - ١٨٨٣

تحسن سياسة السلطان :

أصبحت سياسة تركي الداخلية بعد عودته الى الحكم في اواخر سنة ١٨٧٥ تخالف تماماً عن سياسته قبل ذلك .. فقد توقف عن إيثار قبائل الحناوية . وعاد الى الاعتماد اكثر فأكثر على الغفارية ، وأصبح يهتم بتحسين قواته العسكرية ، واستطاع ايضاً ان يحقق مزيداً من النجاح في استغلال علاقاته بالرجال الأكفياء لتحسين الادارة .

قواته العسكرية :

وحيث جدد السلطان تجنيد مرتزقة الجنود من الاحسا ونجد فقد اغناه ذلك عن تأييد القبائل . لكن الامر لم يكن خيراً خالصاً ، فالجنود كانوا منقسمين على انفسهم شيعاً كثيرة ، كما كان سلوك الوهابيين منهم أميل الى العنف والشراسة ، ففي سنة ١٨٧٩ قتل النجديون قائد جنود الحسا في مسقط ، وبلغ الخوف من حرب محلية بين الفريقين مبلغاً كبيراً أدى الى ارسال سفينة صاحب الجلالة « بيكون » التعزيز قوى السلطان ،

وفي سنة ١٨٨١ قتل تاجر هندوكي في مطرح ، وكان من قوة اعتقاد الجالية الهندوكية بأن الذي قتله هم حرس السلطان من الوهابيين ما جعلهم يلتمسون من الوكيل السياسي اتخاذ الاجراءات اللازمة لتسريح ذلك الحرس . وفي سنة ١٨٨٢ اغتصب جندي وهابي عنوة في مطرح اموال أحد أفراد الخواجات من رعايا البريطانيين . وواجه الوكيل السياسي صعوبات كثيرة في سبيل الحصول على تعويض لهذا الرجل .

قوته البحرية :

أما قوة السلطان البحرية فقد كانت على مستوى بالغ من الضعف بعد عودته من جوادر . فقد كان في بومباي اثناء فترة غربته السفينة الحربية الوحيدة التي كانت له وهي السفينة « رحماني » ، وفي سنة ١٨٧٦ التمس تركي عون الحكومة البريطانية للحصول على سفينة بخارية على ان يخصم ثمنها من معونة « زنجبار » لكن طلبه لم يلق آذاناً صاغية ، واخيراً تلقى السلطان تركي المركب البخاري « دار السلام » هدية من شقيقه سلطان زنجبار ، وكان لهذا المركب قيمة كبيرة في دعم سلطته على الساحل .

موظفـــوه :

كان المستشار الاول لتركي خلال الفترة الثانية من حكمه هو سعيد ابن محمد شقيق وزيره الاصلي سيء الحظ ثويني بن محمد . لكن الثقة الكاملة لم تنشأ ابداً بين السلطان وسعيد ، بل ان هذا الاخير كان عدو بدر ابن سيف نصير تركي المخلص ووالي صحار منذ استولى عليها في سنة ١٨٧٣ ، ورحل الى زنجبار ، لكن تركي عاد فسمح له بالرجوع الى عمان وعينه والياً لمطرح في سنة ١٨٧٩ . واكتشف تركي موظفاً مخلصاً له هو سليمان بن سويلم الذي ظل والياً على ظفار منذ سنة ١٨٧٩ .

علاقاته :

وكان تركي على علاقات ودية بأقربائه جميعاً ما عدا شقيقه عبد العزيز ، لكنه في سنة ١٨٧٦ شك في مؤامرة تدبر ضده فنفى أبناء أخيه ثويني عبد العزيز ومحمد ومحمود وحمدان الى جزيرة قشم حيث كان شقيقهم حريب مقيماً فيها ، ولكنه كان راضياً عن سلوك ناصر بن ثويني فسمح له بالبقاء في مسقط ، وفي سنة ١٨٧٧ عفا تركي عن هؤلاء المنفيين ، لكن يبدو ان شقيقهم حريب لم يكن يستطيب وجودهم في قشم لانه سرعان ما نقل بعدها الى القاعدة البريطانية في باسيدو .

اسرته :

ولم يكن بين ابناء تركي من بلغ من الرشد ما يجعله يعاون أباه في الحكم ، وفي سنة ١٨٨٠ استخدم فيصل ابنه الثاني واليا على حصن سمايل ونزوة ، وفهد ابنه الثالث والياً لبركة ، اما اكبر ابنائه فكان والياً اسمياً او فعلياً لصحار ، من سنة ١٨٧٨ حتى نهاية هذه الفترة ، لكنه اسخط رعايا ابيه فيها من جراء تعسفه وقلة كفايته .

تعديلات في المكوس ١٨٨١ :

وقد بدأ السلطان المكوس التي كانت تبلغ ٥٪ على كل البضائع التي تدخل مدينتي مسقط ومطرح من طريق البر الى ضريبة لا تتجاوز ٢٪ فقط في سنة ١٨٨١ . واسخط هذا القرار القبائل المجاورة للمدينتين وربما كان عاملا هاماً من عوامل تقاعسهم عن نصرة الحكومة في سنة ١٨٨٣ .

★ ★ ★

علاقات تركي بالحكومة البريطانية

في النزاع الذي حدث بين تركي وعبد العزيز عقب عودة الاول من جوادر سنة ١٨٧٥ ، وقف المسئول البريطاني المحلي على الحياد في بداية الامر ، كما حاول ايضاً ان يتوسط بين الشقيقين بشكل شخصي غير رسمي لكنه فشل ، غير انه ما كاد يستقر وضع تركي حتى عدل المسئول البريطاني سياسته الحيادية ليقف الى جانب تركي .

تاريخ معونة « زنجبار » ١٨٧٥ — ١٨٨٣ :

واستمر دفع معونة « زنجبار » دون انقطاع ، وكانت تدفع عادة قبل موعدها المحدد لتستخدمها حكومة مسقط في مواجهة ضرورياتها . واستجابة لمطالب السلطان اصبحت المعونة ، التي كانت تدفع نصف سنوية ، تدفع كل ثلاثة شهور منذ سنة ١٨٧٦ ، ثم أصبحت شهرية في ١٨٧٩ . ومنذ اول سبتمبر سنة ١٨٨٣ — وهو التاريخ الذي قررت فيه حكومة صاحب الجلالة نفض يدها تماماً من شئون زنجبار بما فيها الشئون المالية أصبحت هذه المعونة كلها ضمن مسئولية حكومة الهند ، وأصبحت تدفع بعد سنة ١٨٧٣ بالروبية وقدرت بمبلغ ٨٦,٤٠٠ روبية في السنة على أساس انه مبلغ يساوي ٤٠ الف ريال في ذلك الوقت ، ولم تنقص قيمة هذه المعونة على الرغم من انخفاض قيمة الريال بالنسبة لسعر الروبية .

استمرار سياسة التأييد المعتدل البريطانية للسلطان ١٨٧٥—١٨٨٣ :

واستمرت حكومة الهند تقدم المعونة البحرية وغيرها بنفس الشروط السابقة ولكن بحماسة أضعف ، وفي سنة ١٨٧٦ رفضت حكومة الهند ان تحتفظ بحمود الجحافي الذي قبض عليه السلطان ورغب بنفيه للهند أن يعتقل في أحدسجونها . وفي سنة ١٨٧٧ رفضت حكومة الهند ان تضع

سفينة حربية تحت تصرف السلطان ليستعين بها في استعادة السويق التي كان يعتبرها بمثابة الضائعة من يده بسبب تراخي ولاء واليها له ، وفي سنة ١٨٨٠ وبناء على رغبة السلطان وتحفظاً على عبدالعزيز من استخدام المال في أغراض السياسة دفعت حكومة الهند مبلغاً كان مستحقاً للسيد عبدالعزيز قيمته ٨ آلاف روبية عن املاك له في زنجبار بالتقسيط بدل أن تدفعه له مرة وحدة ، كذلك قدمت حكومة الهند للسيد تركي الذخائر والسلاح غير مرة مجاناً او بالثمن . وفي سنة ١٨٨٣ خولت الحكومة المقيم في عمان ان يساعد السلطان ــ بصفته الشخصية لا الرسمية ، في الحصول على بعض المدربين العسكريين لجنوده البلوش والافريقيين . وفي ثلاث مرات على الاقل بعث المقيم البريطاني في مسقط برسائل للمتمردين لاقناعهم بالعدول عن نواياهم .. كما استخدم مستر روبرتسون والرائد مايلز السفن الحربية البريطانية استخداماً حذراً لصد الهجمات الخطيرة على العاصمة في ١٨٧٧ و ١٨٨٣ .. ووافقت الحكومة على ما قام به لاحقاً . وفي سنة ١٨٨١ صدرت تعليمات للوكيل السياسي بأن حكومة الهند لن تتدخل في حالة موت السيد تركي وقيام الاضطراب حول من يخلفه الا في حالة واحدة هي وقوع محاولة لاعادة الوحدة بين عمان وزنجبار .

★ ★ ★

حماية الرعايا البريطانيين في عمان ١٨٧٥ ـ ١٨٨٣

تبقى مرحلة واحدة من مراحل العلاقات بين السيد تركي والحكومة البريطانية ، تلك هي حماية الرعايا البريطانيين وصيانة حقوقهم في عمان خلال فترة بحثنا هذه .. وكانت تسوية امثال هذه الامور ليست هينه بالنظر لضعف حكومة السلطان ضعفاً شديداً في ذلك الوقت .

حادثة صور ١٨٧٥ — ١٨٧٧ :

فقد نشأت مثلا حادثة هينه في ذاتها لكنها تعقدت واستعصى حلها وقتاً طويلا .. ففي سنة ١٨٧٥ وقع اغتصاب في صور على املاك تاجر هندوكي من افراد من قبيلة بني جنابه ، وقدرت قيمة البضائع المغتصبة بـ ١٦٠٠ روبية . ولم يستطع السيد عبدالعزيز اثناء فترة نيابته ، ولا السلطان نفسه بعد رجوعه الى الحكم ان يستخلص شيئاً من اهل صور . ولكن أخيراً في يوليو سنة ١٨٧٧ سار مستر روبرتسون الوكيل السياسي بصحبة وزير السلطان الى صور على ظهر سفينة صاحب الجلالة « تيزر » واستطاعا بالتهديد ان يحصلا على قيمة المسروقات الى جانب غرامة قدرها ٢٠٠٠ روبية ، وسلمت الغرامة الى السلطان بعد خصم تكاليف السفينة منها .

حادثة سحم :

وقد سببت غارة حمود الجحافي على الباطنة في خريف سنة ١٨٧٦ بعض الخسائر للتجار الهندوك في سحم ، فنهب جنود حمود بعضها ونهب البعض الآخر أفراد من آل بو قرين من سكان المدينة . وقدرت الخسائر المباشرة بمبلغ ٣٥٤٤ روبية ، اضيف لها ديون هالكة نشأت عن نهب ممتلكات الهنود . وقد اعتبر السلطان مسئولا عن قيمة الخسائر المباشرة ما دام قد اهمل الدفاع عن التجار خلال سحب والي سحم الحرس منها بغير تفويض من السلطان . وقبل السلطان اخيراً ان يكون مسئولا عن المبلغ ، اما بالنسبة للديون فقد امرت الحكومة باتباع الطريقة المألوفة في مثل هذه الحالات ، فحين اراد التجار العودة من صحار الى سحم وديل ، وكلاهما كانتا غير محصنتين اعترض السلطان في البداية ، لكن الممثل البريطاني وقف الى جانب التجار مستنداً الى نص في المعاهدة التجارية لسنة ١٨٣٩ تتيح للرعايا البريطانيين حرية الاقامة والتجارة في كل جزء من اجزاء عمان ، ولم يعترض السلطان بعدها على حق التجار في العودة .

قضية مطرح ١٨٧٧ :

أما أهم حالة لاستعادة تعويضات الرعايا البريطانيين فقد نشأت عن احتلال المتمردين لمطرح في اوائل سنة ١٨٧٧ ، فقد قدرت الخسائر في البداية بمبلغ ١٥ الف روبية . واقترح مستر روبرتسون بموافقة الرائد روس على ان يدفع السلطان ربع المبلغ ، ويدفع المتمردون ثلاثة الارباع الباقية . وتم الضغط على هؤلاء عن طريق الاستيلاء على صادراتهم في صور ومطرح . لكن البريد الذي كان يحمل التوصيات الى حكومة الهند ضاع لسوء الحظ وبقيت هذه المشكلة مهملة تماماً حتى سنة ١٨٧٩ حين خفض تقدير الخسائر البريطانية الى ١٠ آلاف روبية ، طلب دفعها من صالح بن علي شخصياً وقبائل حارث وحجر والحبوس .. مع اعفاء السلطان من دفع اي مبلغ هذه المرة . وكتبت المفوضية مذكرة في فبراير سنة ١٨٨٠ طالبت فيها بأن يدفع صالح بن علي مبلغ ١٥٠٠ روبية وقبيلة حجر ٣٧٥٠ وحرث ٢٧٥٠ والحبوس ١٦٠٠ على ان تسلم المبالغ للسلطان (١) الذي وصفته المذكرة انه يقف بكل جهوده وحماسته الى جانب الحكومة البريطانية . وحددت المذكرة شهراً لدفع هذه المبالغ والا فانها ستزاد . وقدمت القبائل المعنية اعذاراً وتعلات كثيرة لكنها لم تدفع شيئاً . وفي سبتمبر سنة ١٨٨٠ خرج الى صور سيف بن بدر مندوباً عن السلطان على ظهر السفينة « دار السلام » ومعه العقيد جرانت الوكيل السياسي على ظهر سفينة صاحب الجلالة « وود لارك » وهناك حجزا على بضائع في الميناء ظنا بناء على معلومات خاطئة انها تخص بني حجر ولكنهم لم يستطيعوا ان يضعوا ايديهم على شيء تملكه تلك القبيلة بالفعل . واخيراً تم الاتفاق مع حكومة الهند ، بعد ان استطاع المحصلون استرداد قسم من المبلغ المطلوب على فرض ضريبة على القبيلة المعنية قدرها ١٪ من قيمة تمورهم المصدرة من اقليم الشرقية ليخصص دخلها

---

(١) بلغ المجموع الكلي لهذه المبالغ ٩٠٠٠ روبية فقط ، وربما كان ثمة خطأ من الكاتب في هذه التقارير .

لسداد هذا المبلغ . وقد اعطى السلطان التجار الهنود التزاماً بجمع الضرائب لكن هؤلاء حسموا منها مبلغ ١٤٠٠ روبية مقابل مطالبات لهم من السلطان وتعهد تركي بأن يدفع الباقي على دفعات صغيرة من معونة زنجبار. ولا يبدو ان تسوية هذه المشكلة نهائياً قد ابلغ لحكومة الهند ، ولكن لا شك في ان المبالغ سددت في النهاية من تلك الضريبة الضئيلة المؤقتة .

حالات أخرى ١٨٨٢ :

وفي سبتمبر ١٨٨٢ قُتل فقير هندوكي من رعايا بريطانيا ليلاً في حي الميابين في مدينة مسقط .. ولكن لم يبد بصيص ضوء يرشد عن الفاعل في هذه الجريمة ، وقد اشرنا من قبل اثناء حديثنا عن عنف جنود السلطان من الوهابيين الى حادثتي قتل تاجر هندوكي واغتصاب اموال تاجر من الخوجات في مدينة مسقط خلال الشهرين التاليين ، وفي القضية الاولى لم يكن ثمة دليل يشير الى الفاعل .. أما في الثانية فقد تم القبض على الجاني ومعاقبته .

عوائد غير قانونية تجبى في مينائي خور حجر وخور الجرامة ١٨٧٧ — ١٨٨٠ :

وثمة قضية أخرى غريبة اضطرت السلطات البريطانية الى التدخل فيها وهي محاولة أهل رأس الحد فرض عوائد على السفن التي تستخدم ميناء خور الجراما المختلف على ملكيته هو وخور الحجر ايضاً فيما بين اهل رأس الحد واهل صور ، وقامت سفينة حربية بريطانية بزيارة المنطقة في سنة ١٨٧٧ ، ثم مرة أخرى في سنة ١٨٧٩ ، وبناء على طلب السلطان أبحرت السفينة «ريدي» الى هناك تحمل مبعوثاً من السلطان الى رأس الحد أعلن أن المينائين المختلف عليهما مفتوحان لجميع التجار ، وقام بتسوية الخلافات بين العرب فيهما ، وفي سنة ١٨٨٠ حدثت متاعب جديدة بشأن استخدام هذين المينائين مرة أخرى ، وقامت سفينة صاحب الجلالة « وود لارك » وسفينة السلطان « دارالسلام » بزيارة

للمكان والغيت العوائد التي كانت مفروضة على السفن في الميناءين ، ولكن طلبُ الى النواخذة العاملين فيهما ان يدفعوا ثمن المساعدات الفعلية التي تقدم لهم وان يسترضوا المشايخ هناك بتقديم بعض الهدايا الصغيرة لهم بين الحين والآخر .

★ ★ ★

الاحداث في عمان منذ هجوم صالح بن علي وعبد العزيز على مسقط حتى موت السلطان تركي ١٨٨٣ – ١٨٨٨

خلت السنوات الخمس الاخيرة من حكم تركي من اية تحالفات ذات شأن ضده ، ولعل هذا يرجع الى طرد الثوار من مسقط في سنة ١٨٨٣ والى تأكيد قوى بتقديم العون الجدي للسلطان في سنة ١٨٨٦ سنشير اليه فيما بعد . واصبح وضع السلطان الآن قوياً بعض الشيء ، فلم يتردد في أن يرفض سنة ١٨٨٤ مناورات صالح بن علي للعفو عنه ، وفي نهاية نفس السنة حين قتل الشيخ الجديد الذي نصبه السلطان على رأس الحد بتحريض من شيخها السابق ارسلت حملة على ظهر سفينة « دار السلام » من مسقط الى هناك فاخضعت المتمردين وتناثرت الاشاعات في أغسطس سنة ١٨٨٥ عن هجوم جديد مزمع على مسقط لكنها انتهت الى لا شيء ، وفي يوليو ١٨٨٦ استطاع السلطان ان يقوم بجولة قصيرة داخل اقليم عمان ، ولم يكن زاره منذ سنوات كثيرة ، لكن اضطرابات القبائل واهمالها سلطة السيد تركي ظلت مستمرة في الاماكن النائية به وفي الاقاليم القريبة ايضاً .. غير اننا لن نقف الا عند مثالين فقط .

تمرد بني بطاش ١٨٨٥ – ١٨٨٦ :

فالاول هو تمرد بني بطاش الذين قتل بعضهم – في سبتمبر ١٨٨٥– الوالي الذي نصبه السلطان في القريات وواحداً من اتباعه ومع ان جزءاً من

الدية دفع الا ان تركي امر في مايو سنة ١٨٨٦ دون ابلاغ وزيره بالقبض على محمد بن شماس شيخ القبيلة واعدامه امامه . وفي سبتمبر انتقم بنو بطاش بالهجوم على قلعة القريات لكنهم ردوا عنها بعد ان افلحوا في نهب بعض البضائع لتجار من الهندوك . وفي اكتوبر ظهر السيد عبدالعزيز الذي كان متواطئاً مع بني بطاش في وادى جنة ومعه ٢٠٠ رجل معظمهم من الحبوس ، غير انه تراجع حين عرف ان السلطان ارسل قوة لملاقاته ، وبعد عدة ايام .. تحرك جيش قوامه ١٢٠٠ رجل ومدفع واحد بقيادة بدر بن سيف وابناء السلطان وسار الى بني بطاش في مصفاه فدمرها واستولى على عاصمة القبيلة في قلعة مزاره ثم هدموها وسووها بالارض ، وبعدها استسلم بنو بطاش ودفعوا غرامة قدرها اربعة آلاف روبية .

ابراهيم بن قيس يستولي على السويق ثم يستعيدها منه تدخل البريطانيين : ١٨٨٧

أما المثال الآخر للانتقاض على حكم السلطان افكان استيلاء ابراهيم بن قيس دون توقع على السويق في يوليو سنة ١٨٨٧ بعد ان كان تركي قد أطلق سراحه ، لكنه تشجع باضطراب الامور في اقليم عمان على تجديد نشاطه هذا . ومضى الرائد روس والرائد موكلر بعدها مباشرة الى السويق على ظهر سفينة صاحب الجلالة « لورانس » واقنعا ابراهيم بالجلاء عن المكان بهدوء على ان يعاد له صرف راتبه ، وبعد ذلك انفض حلف كان قائماً بين الحناوية وصالح بن علي في اقليم الشرقية .

امارتا جوادر وظفار :

اما احوال جوادر وظفار فمذكورة بالتفصيل في الملحق التابع لهذا الفصل ، وبالنسبة لجوادر كان اهم الاحداث عقد اتفاقية في سنة ١٨٨٦ مع قبيلة رند ، اما ظفار فقد حدث تمرد سنة ١٨٨٧ يبدو ان أصابع تركية هي التي حركته .

ومات السيد تركي وكان معتل الصحة منذ زمن بعيد في ٣ يونيو سنة ١٨٨٨ بعد ان زاره صديقه الرائد روس المقيم السياسي البريطاني في مسقط بعدة ايام . وكان السلطان رغم شيء من الضعف في خلقه وشيء من الغدر في سلوكه رجلا سمحاً ومتحرراً . وكان موته كارثة لعمان .

★ ★ ★

الادارة في عهد تركي ١٨٨٣ ــ ١٨٨٨

الشئون الادارية في صحار وازكي ونزوى وصور ، والفرق وبركة الموز :

لم تكن سيطرة السلطان على المواقع النائية عن عاصمته وفي كل الاتجاهات وحتى نهاية حكمه الا سيطرة اسمية او مهتزة . ففي سنة ١٨٨٤ ارغم تركي على ابعاد ابنه محمد عن ولاية صحار لسوء شعبيته الزائد هناك . وفي نفس السنة استولى بنو رواحة على قلعة إزكي ثم استعادها السلطان مرة أخرى بعد ان تكبد بعض الخسائر ، على حين خرجت نزوة من سيطرته الى سيطرة بني ريام ، ولم يستطع استردادها بسرعة . ولم يكن ما يأخذه السلطان من عوائد صور ــ رغم ضخامة التجارة فيها ــ يزيد على ٢٠٠٠ روبية في كل سنة . ووضعت خطة في سنة ١٨٨٤ لتحسين الأمور في هذا الصدد باقامة سور يلتف حول المدينة كلها لكنها لم تنته الى شيء ، وفي مايوسنة ١٨٨٥ قام والى إزكي بمحاولة للاستيلاء على الفرق باسم السلطان ، لكن محاولته باءت بالهزيمة . وفي سنة ١٨٨٧ قام شيخ من بني ريام بالاستيلاء على بركه الموز من السلطان وأعقبها ضياع السويق في الشهر التالي كما اشرنا من قبل . وكان معظم السبب في ذلك عائداً لفقدان هيبة السلطان بعد ضياع بركة الموز .

ازدياد احترام السيد تركي قرب نهاية حكمه :

ولا شك في ان قوى السيد تركي العقلية تأثرت من طول المعاناة وحتى انه قبل موته بشهر واحد استبعد وزيره سعيد بن محمد لشكه في أنه يتآمر على حياته ، لكنه من الناحية الاخرى ظل حتى اواخر سني حكمه يتمتع بسمعة طيبة في اصلاح ذات البين بين القبائل المتشاحنة وادارة شئون رعاياه العرب وكان يستشير الناس وفي ذهنه صورة دولة عربية قوية مثالية يكون هو فيها شيخ الشيوخ وباختصار كان تركي حاكماً ضعيفاً لكنه لم يكن حاكماً شريراً .

★ ★ ★

العلاقات الخاصة بين تركي والحكومة البريطانية ١٨٨٣ – ١٨٨٨

التزام حكومة الهند بتأييد السيد تركي ضد العدوان عليه ، ومنحه وساماً بريطانياً ١٨٨٦ :

استمرت الحكومة البريطانية في تقديم معونة « زنجبار » ولكن فرض على الوكيل السياسي عدم الدفع سلفاً منها على مسئوليته الخاصة ، كما زيد من العون العسكري للسلطان خلال الازمات التي كانت تعترضه .

وفي سنة ١٨٨٥ حين تناثرت الشائعات مرة أخرى عن السخط في اقليم الشرقية اقترح الرائد روس المقيم البريطاني في الخليج ان توجه الحكومة البريطانية اعلاناً صريحاً لكل من يهمه الامر بأنها لن تسمح لاي هجوم على مدينتي مطرح ومسقط – حيث للرعايا البريطانيين مصالح حيوية هامة – بتحقيق اي نجاح مستمر ، وحين تدعو الضرورة ستتولى طرد المتمردين اذا استطاعوا احتلال احدى المدينتين وتعزيز سيطرة السيد تركي عليها . وكانت وجهة نظر الرائد روس ان العون والحاجة

تقتضيان اجابة مطالب السيد تركي بالعون العسكري في المستقبل ، وما دامت الحالة هذه فمن الافضل ان تعلن الحكومة سياستها بوضوح ما دام مجرد الاعلان قد يكفي لمنع الهجوم على العاصمة .. ويجب ان تقتصر هذه الحماية على السيد تركي ولا تنتقل الى من يخلفه . واستجابت حكومة الهند لثقتها في الرائد روس ودرايته بأبعاد الموقف الراهن في عمان ، ودقة حكمه على الامور ، ففوضته ان يعلن السلطان ومنافسيه واعداءه على السواء ان الحكومة البريطانية قد قررت — لاسباب خاصة — الوقوف الى جانب السيد تركي في صد أي عدوان عليه طوال حياته . ولكن ما دامت سياسة الحكومة الهندية تقضي بعدم التدخل في الخلافات القائمة حول تولي العرش او الادارة الداخلية ، فعونها هذا لن يستمر بالضرورة لمن يعقب السيد تركي من ابنائه . واعلن هذا البيان ان مؤتمراً عاماً عقد بقصر مسقط في ١٣ يوليو سنة ١٨٨٦ ، وكان الهدف من المؤتمر على أية حال هو تقديم واحد من ارفع الاوسمة التي تمنحها الحكومة الهندية للسيد تركي . ودعي السيد عبدالعزيز لشهود مناسبة تقديم الوسام لكنه اشترط تعهد الوكيل السياسي البريطاني بضمان خطي لسلامته يعطيه السلطان ولم يكن متيسراً اجابته الى ذلك . وحين علم وزير الدولة البريطاني بأمر العون البريطاني للسيد تركي نظر للامر بشيء من التوجس وطلب اضافة شرط يقضي بدوام ذلك العون فقط ما دام صاحب السمو يدير امور عمان إدارةً ترضى عنها حكومة الهند . لكن اعلان ذلك البيان حقق توقعات الرائد روس فلم يقم المتمردون بعده بمحاولة جدية للاطاحة بحكومة السيد تركي ، بل وظهر اثره ايضاً في السرعة التي أعاد بها ابراهيم بن قيس السويق للسلطان في سنة ١٨٨٧ — كما ذكرنا من قبل— حين طلبت منه السلطات البريطانية ذلك . وقد نضيف هنا ان السيد تركي قد فاتح اهل دبي وخور فكان وكلبه — حسب نصيحة البريطانيين — في سنة ١٨٨٦ لضم اقليم الشمالية لسلطنة عمان .

حماية رعايا بريطانيا في عمان ١٨٨٣ — ١٨٨٨ :

وقد ظل موضوع حماية الرعايا البريطانيين في عمان والمطالبة لهم بتعويضات عن الخسائر التي يوقعها بهم رجال القبائل من الموضوعات التي تتطلب اهتماماً دائماً . ففي سنة ١٨٨٣ جنحت السفينة البريطانية « نايت اوف ذي باث » على جزر كوريا — موريا لكن بحارتها استطاعوا ان يسلكوا طريقاً الى قرية عربية بالقرب من رأس سويكره وظلوا هناك في مأمن حتى التقطتهم سفينة ارسلت من بومباي بعد وصول خبرهم اليها . وفي ربيع سنة ١٨٨٤ هدد بدو اقليم الظاهرة سلامة التجار الهنود في سحم ، واقترح الوكيل السياسي اقتراحاً نفذ لاحقاً وهو امر السلطان بزيارة عدد جنود الحامية هناك . وفي بداية سنة ١٨٨٦ تركزت غارات بني كتاب وغيرهم من القبائل النهابة على ما جاور صحار وشناص ، وارسلت سفينة صاحب الجلالة « أوزبري » لكن السلطان دفع عن الاضرار التي لحقت بالتجار المناذكة ، ومعظمها وقع بالاغتصاب وفي يناير سنة ١٨٨٦ شكا التجار الخوجات من رعايا بريطانيا في خابورة من تعسف وسوء معاملة حمد بن ناصر والي المدينة .. ونجح الوكيل السياسي البريطاني في اقناع السلطان بعزل ذلك الوالي والأمربدفع مبلغ ١٠٠ روبية كتعويض مباشر للتجار ، ونتج من سوء فعل بني بطاش في سبتمبر سنة ١٨٨٦ بعض الخسارة للتجار الهندوك في القريات ، ولكن لا شك في أنهم استطاعوا الحصول على تعويض عن خسارتهم من الغرامة التي فرضت على القبيلة . وفي ابريل سنة ١٨٨٧ كان قاربان من قوارب الصيد التابعة لصاحب الجلالة راسيين في صور حين اشتعلت فيهما النار من البر وارغما على التوغل في البحر لاطفائهما ، ولم تحدث خسائر جسيمة بأيهما. كما لم يكن ثمة دليل واحد يشير الى مرتكبي الحادث . وفي صور — في يوليو ١٨٨٧ — ضرب تاجر هندوكي وخطف آخر ، وقام بهذا بعض أفراد من اولاد كاسب ، وهم فرقة صغيرة من جنابه يلحقون أنفسهم ببني بو علي ، لكن مشايخ بني بوعلي بموقفهم الودي لم يتركوا ضرورة لاي عمل من جانب السلطان او الحكومة البريطانية بهذا الصدد .

علاقات السيد تركي بزنجبار طوال مدة حكمه ١٨٧١ - ١٨٨٨

واكبت الفترة التي حكم فيها تركي عمان تماماً نفس الفترة التي حكم فيها شقيقه برغش في زنجبار ، وفي سنة ١٨٧١ او ١٨٧٢ كتب تركي الى برغش يطالبه بدفع معونة زنجبار ويهدد بالسير الى زنجبار ، لكنه منذ الوقت الذي تعهدت فيه الحكومة البريطانية بضمان دفع معونة زنجبار ظل الاخوان على علاقة ودية طيبه ، بل وفي سنة ١٨٨٠ اقترح السيد تركي فعلا ان يتزل عن حكم عمان للسيد برغش ، وكان الشقيقان يتبادلان الهدايا ، لكن هدايا برغش كانت اثمن واكثر نفعاً ، فقد أهدى لشقيقه في سنة ١٨٨٤ مبلغ ٣٢ الف روبية ليصلح ما أفسده المتمردون في عمان في العام السابق . وفي سنة ١٨٨٦ أهداه السفينة البخارية « سلطاني » واليخت « دار السلام » ، وفي مارس سنة ١٨٨٨ قام برغش بزيارة عمان وقضى اسبوعاً في ينابيع بوشهر الحاره املا في أن يتخلص من مرض أصابه .. وعامله تركي بمودة واحترام كبيرين ، وتلقى منه بعد ذلك هدية قدرها ٥٠ الف روبية ، ومات الشقيقان خلال ثلاثة أشهر من لقائهما الاخير .

★ ★ ★

علاقات السيد تركي بايران ١٨٧١ - ١٨٨٨

عدم تجديد امتياز بندر عباس رغم تدخل البريطانيين ١٨٧١ :

حين ابعد سالم عن سلطنه عمان في سنة ١٨٦٨ الغي امتياز إيجار بندر عباس وما جاورها – ولم يكن قد مضى على بدئه أكثر من شهرين ، وشرعت الحكومة الايرانية تتخذ الاجراءات اللازمة لاصدار امتياز جديد باسم حاجي احمد خان نفس وزير السيد سالم الذي اشرك في

مفاوضات امتياز سنة ١٨٦٨ . وقد استطاع هذا الرجل خلال عهد عزان وبعده بقليل ورغم بعض التقلبات الّتي سنشير اليها في مكان آخر ، ان يثبت وجوده كقائم على الامتياز في ظل الحكومة الايرانية ، ولكن خلفه احمد شـــــــاه من ميناب في سنة ١٨٧٢ في وقت لم يكن موضوع امتياز بندر عباس بعيداً عن اهتمام السيد تركي الذي طلب عون البريطانيين غير مرة للحصول عليه . وفي سنة ١٨٧١ توسط له المقيم البريطاني في طهران ، لكن الشاه لم يكن يثق بسياسة سلاطين عمان في ارض ايران لذلك رفض ان يمنحه الامتياز . وذكرت الحكومة الايرانية بهذا الصدد انه لو عين وكيل للسلطان في بندر عباس فسيلقى الاحترام اللازم في المعاملة ولكن لن تكون له صفة رسمية . وفي سنة ١٨٧٥ اوعزت الحكومة الايرانية الى حاجي احمد خان الذي كانت تعامله معاملة الرعايا الايرانيين كي يزعم بأن له املاكاً في مسقط قد استولى عليها السلطان تركي . ورد تركي على ذلك بأن احمد خان قد ترك مسقط سنة ١٨٦٨ أي قبل ان يتولى تركي الحكم بسنتين كاملتين ، وانه نقل معه كل ممتلكاته الخاصة الى ايران . وفي سنة ١٨٧٥ كان السيد تركي ما يزال راغباً في امتياز بندر عباس فابرق الى الشاه يطلب ذلك اليه لكنه لم يتلق رداً ، وكان السلطان يود ايضاً ان يعين له ممثلا في بندر عباس لكن الوكيل البريطاني في مسقط استطاع اقناعه بالعدول عن ذلك حين نقل اليه ما قالت السلطات الايرانية في ذلك الصدد سنة ١٧٨١ .

★ ★ ★

علاقات السيد تركي بالباب العالي العثماني ١٨٧١ ــ ١٨٨٨

في اوائل عهد السلطان تركي كانت سفن النقل العسكرية العثمانية من البصرة او اليها ترسو احياناً في ميناء مسقط ، وكان العرب عموماً ينظرون بارتياب في ذلك الوقت الى الاتراك بسبب ضمهم الاحساء الى

املاكهم مؤخراً ، وكانت معاملة السيد تركي للاتراك الذين قد يحصل له اتصال بهم احياناً من الخشونة والجفاف بحيث اقتضى الامر السلطات البريطانية لفت نظره الى ان يعاملهم معاملة أكثر ليناً . وفي سنة ١٨٧٣ ، حدثت بعض الاضطراب بسبب صفقة لشراء اربعة عبيد كان عقدها قبطان سفينة تركية كانت تعبر ميناء مسقط . ويبدو ان الاتراك فيما بين سنتي ١٨٧٥ أو ١٨٨٦ ، وكما اشرنا في الجزء المستقل الخاص بتاريخ ظفار ، كانوا يشجعون السيد فضل على انتزاع ذلك الاقليم من سلطنة عمان .

★ ★ ★

علاقات الحكومة البريطانية العامة بتركى خلال فترة حكمه ١٨٧١ - ١٨٨٨

الشئون الشخصية والاحتفالات :

تناولنا حتى الآن سياسة الحكومة البريطانية البحرية والمالية تجاه السيد تركي ، مرحلة بعد مرحلة في الصفحات السابقة .. ولكن بعض قسمات العلاقة الانجلو - عمانية تظل بحاجة الى ايضاح . فقد تلقى السلطان خلال فترة حكمه كثيراً من إنعام البريطانيين كما اشرنا . من ذلك الانعام عليه بوسام هندي رفيع القدر في سنة ١٨٨٦ ، واهدائه بطاريتين من ١٢ مدفعاً وما يلزمهما من الذخائر للدفاع عن حصون مسقط . اما السلطان فقد قدم بدوره هدايا عديدة لصاحبة الجلالة الملكة فيكتوريا ونائبها في الهند . وفي سنة ١٨٨٧ امر بالاحتفال بيوبيل صاحبة الجلالة احتفالا كبيراً وسط مظاهر الفرح والابتهاج في مسقط .

مشكلة تجارة الرقيق :

وكانت معاهدة قمع تجارة الرقيق ، التي حصل عليها سير بارتل فرير سنة ١٨٧٣ ذات قيمة عظمى ، لكن جهود السلطان لتعزيزها بالتعاون

مع الحكومة البريطانية جعلته موضع سخط بعض الفئات من شعبه ، ولعل اخلاصه في مكافحة تجارة الرقيق كان احد اسباب اعتماده المطلق على العون البريطاني ، ولا شك ان هذا ايضاً كان احد الاسباب الهامة في التقدير الشخصي الذي كان يلقاه من المسئولين السياسيين البريطانيين الذين كانوا يتعاملون معه .

مشكلات التشريع واوضاع الرعايا البريطانيين :

وثمة مشكلة هامة سويت في سنة ١٨٧٣ باعتراف السيد تركي خطياً بخضوعه للتشريع البريطاني القاضي بمعاملة رعايا ولايات الهند الوطنية المقيمين في عمان معاملة الرعايا البريطانيين وان يسري على هؤلاء ما يسري على اولئك . كما سويت ايضاً بعض المشكلات المشابهة على عهد السيد تركي.

المسائل التجارية :

كان معظم المباحثات التجارية في عهده يتعلق بعوائد الجمارك البحرية التي كانت وما تزال اهم مصادر التمويل في عمان. وفي سنة ١٨٧٦ منح السلطان الحاكم وقتئذ امتيازاً لشركة الهند البريطانية للملاحة البحرية يقضي باقتصارها على دفع مجرد ثمن ضريبة أل ٥٪ الجمركية عن البضائع التي تنقلها . وفي سنة ١٨٧١ حاولت الشركة الحصول على اعفاء كامل من هذه الضريبة ، وفي سنة ١٨٧٢ وافق السلطان على إلغاء كل الضريبة المفروضة على شحنات الشركة المنقولة في الخليج الى عدن او زنجبار اذا لم تنزل الى البر . وقد حصل حادث سنة ١٨٧٤ كشف عن كون السلطان لم يعن بالاعفاء الكامل للبضائع الموجودة في الميناء بانتظار نقلها .

وفي خطاب مؤرخ في ١٠ فبراير سنة ١٨٧٥ توسع السلطان في الامتياز الذي كان ابوه قد منحه في سنة ١٨٤٦ بالاعفاء الجمركي على شحنات السفن المصابة التي يعاد شحنها فيما بعد .

مشكلات الضرائب :

وكانت بعض مشكلات الضرائب تثور من حين لآخر ، ففي سنة ١٨٧٢ ، وضع نظام للمانيفستو والتقارير ليطبق على سائر السفن الداخلة الى مسقط او الخارجة منها استجابة لرغبة السلطات البريطانية في اجراء احصاء لحركة الشحن . وحدد مبلغ قدره روبيتان عن كل بيان (مانيفستو) ونسبة تصاعدية قدرها روبية عن كل ٥٠ طناً من حمولة السفينة . وقد اعتقد المقيم البريطاني ان هذه الاجراءات تغاير قليلا نصوص المعاهدة التجارية لسنة ١٨٣٩ لكن التعليمات صدرت اليه بألا يطالب باستثناءات من النظام الجديد الا اذا رفعت المعدلات المذكورة ، ولو حصل ذلك فعلى المقيم تذكير السلطان بالمادة التاسعة من معاهدة ١٨٣٩

وفي سنة ١٨٧٧ كانت ضرائب الوزن التي حددها السلطان سعيد في اوائل عهده ، وضرائب استعمال الارصفة التي حددها تركي في سنة ١٨٧٣ ما تزال مطبقة في مسقط . وكانت نسب هذه الضرائب معتدلة الى حد كبير ، لكن السلطان بمناسبة اثارة هذا الموضوع امر بأن يكون دفع الضريبتين المذكورتين الزامياً على رعايا بريطانيا .

وفي سنة ١٨٨٠ احتج بعض البنيان من التجار الهنود — استناداً الى المادة ١٠ من المعاهدة التجارية — على احتكار صباغة الحرير في السوق العربي مما كان يعود على خزانة عمان بمبلغ يتراوح بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ روبية في كل سنة ، غير ان حكومة الهند لم تر من الضروري التدخل في مثل هذا العرف الذي ظل سائداً منذ امد طويل .

وفي سنة ١٨٨١ ارتفعت ضرائب الدخولية في مدينتي مسقط ومطرح من حوالي ٢٪ الى ٥٪ وبدل ان تكون مشمولة بمبلغ الالتزام الشفوي للعوائد البحرية اعتبرت ضريبة مستقلة بلغت حصيلتها في سنتها الاولى ١٥,٥٠٠ روبية ، ولم تر حكومة الهند في ذلك اجحافاً برعاياها لكنه اسخط أهل المدن من العرب وكان حرياً بأن ينقل التجارة الى صور .

وفي سنة ١٨٧٩ صدرت اول اشارة الى ضريبة تحددت طبيعتها لاحقاً ، وقد جُبيت في البداية عن منتجات الريف الداخلي المجلوبة للتصدير من مدن الساحل . وفي سنة ١٨٨٦ حددت هذه الضريبة بنسبة ٥٪ ، وبدىء بجبايتها على التمر الذي يصدر من داخل عمان الى الخارج ، وكانت هذه بدل الضريبة المعتادة على المنتجات الزراعية التي لم يكن السلطان يستطيع جمعها من الاقاليم البعيدة في الداخل . وقد شكت حكومة الهند في اعتبار تلك الضريبة ضريبة تصدير كما كان بعض موظفيها يسمونها ، كذلك كانت حائرة في تفسير اغفال موضوع ضرائب الصادرات في معاهدة ١٨٣٩ التجارية وهل كان ذلك يشكل اساساً صالحاً للاحتجاج على فرض مثل تلك الضريبة ، لذلك لم يبذل محاولات في ذلك الوقت لالغاء الضريبة المذكورة لا سيما ان هذه الضريبة التي تبلغ ٥٪ قد الغت بعض الضرائب الصغيرة التي كانت تجبى في المدن الساحلية ، وقررت حكومة الهند بعد ذلك ايضاً الا تعترض على الضريبة المفروضة على التبغ المنقول بطريق البحر من الباطنة الى مسقط حتى لو جاوزت الضريبة نسبة ٥٪

وزن تمور مطرح في مسقط :

وفي سنة ١٨٨٥ تجددت شكوى كانت سمعت للمرة الاولى في سنة ١٨٨٠ بأن رعايا الهند البريطانيين الذين يصدرون التمور من مطرح ارغموا على نقل بضائعهم الى مسقط حيث توزن وتقدر عليها الضرائب . وأدى توسط الوكيل السياسي الى الغاء ذلك الاجراء الذي لم يعد احد اليه طوال حكم السيد تركي .

حدود الوكالة السياسية في مسقط وتزويدها بالحرس ١٨٨٠ :

ونشير هنا الى ان حكومة الهند قد عينت سنة ١٨٨٠ الحدود السياسية بالنسبة لمسئوليات ممثليها في عدن ومسقط عند رأس ساجار على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب كما زودت وكالة مسقط في نفس السنة ولأول مرة بحراسة عسكرية قوامها بعض جنود المدفعية الهندية .

جولات الوكيل السياسي البريطاني :

لقد كانت طبيعة الحكم في عهد تركي وشخصية السلطان مما يشجع حرية تحرك الوكيل البريطاني السياسي داخل عمان وقد استفاد الرائد مايلز من هذه الظروف اقصى فائدة ، وكان يبدو ان له اصدقاء كثيرين من الرجال المسئولين في البلاد ، وفي سنة ١٨٧٥ قام برحلة من صحار الى البوريمي عن طريق وادى الجيزة وزار نخل في سنة ١٨٧٦ ، وعبر الجبل الاخضر ثم عاد الى مسقط عن طريق وادى سمايل . وفي سنة ١٨٨٤ دخل وادى طاين عن طريق ممر القحزه ثم عاد عن طريق قريات والدرب المحاذي للساحل ، وفي ١٨٨٥ — ١٨٨٦ قام بجولة طويلة خلال اقليم عمان والظاهرة ورجع عن طريق رستاق .

★ ★ ★

علاقات تركي بالدول غير الآسيوية ـ عدا بريطانيا اثناء حكمه ١٨٧١ ـ ١٨٨٨

لم يكن لعمان في عهد تركي سوى علاقات ضئيلة بالدول الاوربية باستثناء بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية .

بيان تجاري مع دول الشمال :

وفي سنة ١٨٧٧ — وبمساعدة المقيم البريطاني في الخليج — صدر بيان تجاري مشترك عن حكومة هولنده وسلطان عمان تضمن اعطاء كل للاخرى معاملة الدول الافضل في شئون الصادرات والواردات والتجارة العابرة .

وكالة قنصلية لامريكا وفرنسا في مسقط ١٨٨٠-١٨٨١ :

وفي سنة ١٨٨٠ عين مستر ماجبور وهو تاجر بريطاني قنصلا للولايات المتحدة الامريكية في مسقط ، وفي سنة ١٨٨١ اعترفت به فرنسا قنصلا لها ايضاً في عمان .

السيد فيصل بن تركي من سنة ١٨٨٨
تولي فيصـــل الحكم

خلف السيد تركي ثلاثة ابناء : الاكبر محمد وامه زنجية ، والثاني والثالث فيصل وفهد من والدتين حبشيتين، وكل من الثلاثة عمل والياً أثناء حياة أبيه وكلهم قد توفرت له بعض الخبرة بالحياة العامة ، لكن محمداً الذي فشل في ولاية صحار كان لا يؤهله مظهره ولا سلوكه ناهيك عن عجزه الشخصي لخلافة تركي في سلطنة عمان .

وأفصح تركي قبل موته عن رغبته في ان يفصل جوادر عن بقية أرضه ، ويخصصها لمحمد . غير ان الفكرة لم ترق للسلطات البريطانية وبالتالي لم يخط تركي خطوة واحدة لوضعها موضع التنفيذ . وعقب موت تركي تولى فيصل الحكم وكان قد تزوج في سنة ١٨٨١ من علياء ابنه عمه ثويني ، وقد ايده شقيقه فهد . اما محمد فلم يعترض بدوره لتيقنه من عدم كفاءته وعدم وقوف احد إلى جانبه ، وتجاوب معظم شيوخ عمان ، بما فيهم الخائن صالح بن علي الحارثي ، مع بيان اعلان فيصل سلطاناً لعمان ، وعلى عكس المتوقع.. لم تحدث اية اضطرابا ت .. بل ساد السلم مباشرة ، وكان عمر فيصل حين تولي الحكم ثلاثاً وعشرين سنة .

★ ★ ★

الاحداث الداخلية في عمان من تولي فيصل حتى تمرد سنة ١٨٩٥

سنناقش في فصل تال اجراءات الحكومة البريطانية في صدد استمرار دفع معونة « زنجبار » للسيد فيصل دون انقطـاع ، وتثبيط عبد العزيز وابراهيم بن قيس ، ثم الاعتراف النهائي بفيصل سلطاناً في سنة ١٨٩٠ ، وسنقتصر هنا على ذكر الاحداث ذات المساس بالتاريخ الداخلي لعمان .

ضياع قلعة عوابي وفشل حملة السيد فيصل لاسترداداها :

كانت اولى الحالات الطارئة التي تستوجب المعالجة من السلطان الجديد هي ضياع قلعة عوابي .. فقد كانت هذه القلعة على وادى رستاق قد اصبحت في هدوء من امـــــلاك السيد تركي نتيجة نزاع بين قبائل العبريين وبني ريام في سنة ١٧٧١ . وفي ٢ سبتمبر ١٨٨٨ استولى عليها ابراهيم بن قيس بعد مقاومة عنيدة من حاميتها ، وفي ١٨ من نفس الشهر ابحر السيد فيصل يصحبه شقيقه محمد وطحنون بن الشيخ زايد شيخ ابو ظبي في السفينة « سلطاني » الى بركه حيث حشد من رجال القبائل عدداً يصل الى حوالي ثلاثة آلاف مقاتل ، وتقدمت قوات سلطان الى وشائل في وادى الفرا دون معارضة ، واصبح فيصل من قلعة رستاق على مدى مرمى مدافعه ، وكان قد أتى معه بثلاثة مدافع ، لكن قواته التي عجز سيدها عن دفع رواتبها كانت تتحاشى الدخول في قتال جدي .. وتمرد آل سعد وكانوا في مؤخرة جيشه وقطعوا اتصاله بالساحل . وبعد حملة دامت أقل من شهر أدى ارتداد بني غافر الى ارغام فيصل على ان يترك قلعة عوابي في يد ابراهيم . وانسحب في الليل الى مسقط هرباً من دفع رواتب جنوده ، ورغم ان بني سعد رجعوا بعد ذلك فالتمسوا عفوه الا ان النتيجة النهائية للحملة كانت انتقاضاً من مكانة السيد فيصل .

على ان أهم الاحداث الداخلية في هذه الفترة كانت تمرد الحناوية وتحركاتهم في اقليم الشرقية والمعارك بينهم وبين الغفارية في وادي سمائل ، وكان المشاغبون هناك يؤيدون ادعاءات السيد عبدالعزيز في أحقيته بتولي العرش ، ولولا ان فيصل نجح في ابعاد صالح بن علي عن عبدالعزيز وربطه بقضيته هو زمناً ما ، لكان لهذا الامر عواقب خطيرة .

تمرد السيد عبدالعزيز وحمود الجحافي :

وفي ابريل ١٨٨٩ ترددت الشائعات عن تمرد الحناوية بمساعدة السيد عبدالعزيز الذي قام في نفس الوقت بزيارة لصديقه شيخ ابو ظبي وفي مايو من نفس السنة بذل صالح بن علي جهوداً كثيرة للتوصل الى عقد صلح بين السيد عبدالعزيز وفيصل ولكن دون جدوى ، وفي منتصف يوليو تلقى الوكيل السياسي البريطاني في مسقط خطاباً من السيد عبدالعزيز يعلنه فيه عزمه على الهجوم على مسقط ، وفي نهاية الشهر تقدم بالفعل من صمد نحو مسقط ، لكن حشداً من رجال القبائل — بلغ عددهم حوالي ٦٠٠ — استطاعوا ان يصدوه في ممر قاهرة فعاد أدراجه الى صمد . وفي يناير سنة ١٨٩٠ تقدم قاطع الطريق حمود بن سعيد الجحافي من الشرقية عن طريق رستاق حيث التقى بحمود وسعود ابني عزان بن قيس ، ووصل الى عبرة على مسافة قريبة غربي مطرح ، وبقي هناك ينتظر وصول السيد عبدالعزيز . وكانت كل الممرات المباشرة بين صمد ومسقط قد اغلقتها قوات صالح بن علي ورشيد بن عزيز والي السلطان القوي فيسمائل . ولم يستطع عبد العزيز اللحاق بمؤيديه ، غير ان ما عرف من طباع الجحافي وذكرياته القريبة أثار الفزع في مسقط بحيث اطلقت ليلة ١٣ يناير نيران كثيفة من الاسوار لم تكن الا على عدو وهمي . وفي بداية فبراير فقط استطاع السيد فيصل أن يجمع حوالي ٢٠٠٠ من انصاره في مسقط ، ووصل واليه في صحار الى وادى القصيم في الباطنة ومعه ٤٥٠ بدوياً من بني نعيم ، وتقدم لملاقاة عبدالعزيز وحموداً اللذين كانا على وشك الهجوم على سيب ، وحين استقل السيد فيصل سفينته الى سيب تراجع العدو الى الداخل ، وتقدم السيد فهد — الذي كان يتولى قيادة قوات اخيه البرية الى جامه دون ان يلقى مقاومة ، وظل فيها حتى وضح ان ليس في الافق أي خطر ، وشرع بنو نعيم الساخطون على الخدمة الشاقة بنهب بلاد بني سعد أثناء مرورهم بها في

عودتهم لديارهم . أما حمود بن سعيد فقد تخلى عنه انصاره ، ولم يستطع أن يسترد الشرقية لما يضطره ذلك من عبور اقليم يعاربه دون حراسة .. فأعلن خضوعه لوالي بركه وعفا عند السيد فيصل بعدها واعاده الى دياره في أمن . ويبدو ان هذا التمرد الذي وصفناه كان يحظى بعطف ابراهيم بن قيس دون تأييد فعال منه لان الحاكم الجديد كان قد أوقف اطلاق سراحه .

رحيل السيد عبدالعزيز نهائياً من عمان ١٨٩٠ :

وظل عبدالعزيز في رستاق حتى نهاية مارس سنة ١٨٩٠ حين غادرها الى ابو ظبي ، وفي يونيو وصل الى بوشهر وبعد لقاء مع المقيم البريطاني هناك أبحر الى بومباي حيث ظل هناك ولم يتدخل ابداً في شئون عمان بعدها ، وظل حتى موته في سنة ١٩٠٧ يعيش في مفوضية بومباي بمعونة من قريبيه سلطاني عمان وزنجبار .

الاشتباكات بين الحناوية والغفارية ١٨٩٠–١٨٩٣ :

وكان مرور حمود الجحافي بالبلاد في بداية ١٨٩٠ سبباً غير مباشر لاضطرابات كثيرة بين الحناوية والغفارية في وادي سمائل ، واخيراً انقطع الاتصال بين الساحل وداخل عمان ، وكسدت تجارة مطرح ومسقط ، وفي يناير ١٨٩٠ استولى أنصار حمود من الرحبيين — وهم غفارية — على قطيع من ٤٠٠ رأس ، وانتقم الرحبيون بعدها مباشرة بهجوم في وادي سمائل على قافلة تابعة لآل وهيبه والحبوس من الحناوية ، واستطاعوا الاستيلاء على ٤٠ بعيراً ، وقتل ٦ رجال من الحناوية في هذه الغزوة . وفي الاسبوع الاخير من نوفمبر سنة ١٨٩٠ كانت قافلة من ٨٠ بعيراً محملة بالبضائع من مسقط لبني حرث من الحناوية تعبر وادى سمائل فنهبها بنو جابر من الغفارية نهباً تاماً . ومضى خفير القافلة — وهو أيضاً من المساكرة الغفارية — الى التلال مع عصابة من حوالي ٢٠ رجلا ،

وهناك اغلق كل الطرق المؤدية للشرقية وبدأ اعمال القتل حتى ابواب مطرح ومسقط ، وكان يعاونه في هذا العمل عصابة من الحناوية يتزعمها عبدالله بن صالح بن علي الذي جاء به الى مسقط في زيارة في يناير سنة ١٨٩١ . وكان لهذه الحالة ، التي استمرت حتى ابريل تأثير سيء على تجارة مسقط ومطرح ، فلم تكن أي من المدينتين تستطيع ان ترسل قوافلها التجارية الى اقليم الداخل ، ولا كان بمقدورها ان تحصل ديونها في تلك الاقاليم . وخشي — في وقت من الاوقات — ان يضطر تجار الهند البريطانية الى التوقف عن اعمالهم . واخيراً في بداية مايو ١٨٩١ وبدعوة من صالح بن علي تدخل السلطان في الأمر ، وكان حتى ذلك الوقت يبدو غير مكترث تماماً وجاء تدخله بايعاز الى رشيد بن عزيز والي سمائل ، وتم الصلح بين الطرفين على ان يدفع غفارية وادى سمائل مبلغ ١٨٠٠ روبية تعويضاً لحناويه الشرقية عن كل الاضرار التي لحقت بهم . ومن جانب الحناوية لم يكن الحبوس قانعين بحكم السلطان . فجددوا الاشتباكات مرة اخرى في اغسطس ١٨٩٢ حين استولوا على قطيع يضم ٧٠٠ رأس من الماعز للرحبيين . وفي سبيل الثأر تكونت قوة مشتركة من الرحبيين والندبيين وبني جابر وغزت بلاد الحبوس مسببة لهم خسائر جمة وحاصرتهم باغلاق الطريق عليهم الى مسقط . وقد اسفر ذلك كله عن توقف طريق التجارة الرئيسي من الساحل الى داخل عمان تماماً في الجزء الاخير من سنة ١٨٩٢ . وفي يناير ١٨٩٣ وجد السلطان نفسه مرغماً على التدخل مرة أخرى ، وفي اجتماع عقد في سيب حكم السلطان بتعويض للغفارية من بني الحبوس قدره ١٢٠٠ روبية ، لكنه لما كان قد تعهد بأن يدفع القيمة عن الحبوس فقد عاد هؤلاء فرحين الى ديارهم واغاروا في طريقهم على ماشية بعض القبائل التي كانوا قد وقعوا الصلح معها لتوهم .

تجدد النزاع بين الحناوية والغفارية سنة ١٨٩٤ :

وفي اكتوبر ١٨٩٢ ، قبل عقد الاتفاقية الاخيرة كان حمود الجحافي شهد غزوة جديدة في الباطنة لكنه مرض واضطر للرجوع الى الشرقية .

وفي سنة ١٨٩٤ تجددت الاضطرابات في وادي سمائل ، بين آل بوشار يساعدهم ابناء عمومتهم الحناوية وبين غفارية الوادى ولكن السلطان وسط بينهم رشيد بن عزيز مرة أخرى فاستطاع هذا ان يستنفذ هيبة السلطان بصلح شكلي بين المتخاصمين .

ولم يكن وادى سمائل واقليم مسقط وحدهما مسرح الاضطرابات القبلية خلال هذه السنوات ، لكنهما كانا يتميزان باهتمام حكومة عمان المباشر وغير المباشر بالاضطراب القبلي فيهما .

اضطرابات بين القبائل في مختلف الاقاليم ١٨٨٨–١٨٩٣ رأس الجبل:

وقد حدث اشتباك رهيب في خصب في روس الجبال بين الحميزرة وبني حديّه ، وارسل السيد فيصل في اغسطس ١٨٨٨ شقيقه فهد وآخرين معه الى هناك على سفينته « الرحماني » وعادت البعثة بمشايخ القبيلتين المتنازعتين حيث تم حجزهم زمناً في قلعة جلالي بمسقط .

في الظاهرة والباطنة :

وفي الظاهرة حدث اشتباك عنيف ايضاً بين بني كلبان وبني نعيم من ناحية وبني علي من الناحية الاخرى ، وهزم فيه بنو علي وأدت غارات قبائل اقليم الظاهرة على قبائل اقليم الباطنة الى إغلاق آل سعد الطرق المؤدية من الساحل الى الظاهره ، والى تحالف ضد آل سعد بين اليعاقبة وبني كلبان وبني شكائل ، وقد رفض المتنازعون في هذه الحالة الاخيرة توسط السلطان واصروا على متابعة صراعهم حتى نهاية سنة ١٨٩٣ .

حين رضوا بتحكيم ابراهيم بن قيس في نزاعهم عقب معركة دموية رهيبة بينهم في مطرح . ولم يكن اقليم الباطنة — المتحضر نسبياً — بمنأى عن الاضطرابات الداخليه ، فقام بنو عمر بهجوم عنيف على الحواسنة في نميزان في فبراير ١٨٩١ تبعته عدة أعمال انتقامية من جانب هؤلاء .

في اقليم عمان :

وفي سنة ١٨٩٣ بدأ بنو حنه الاشتباكات مع بني كلبان وبني عمر في اقليم عمان بسبب عدوان قام به الاولون على الحمايس بالقرب من حايل بني حنه كذلك هوجم الحناويون ايضاً ، لاسباب عديدة ، من قبل بني شكائل ، وفي كلا الخلافين هزم بنو حنه في الميدان ، وانتهى النزاع اخيراً بتحكيم ابراهيم بن قيس في الخلاف الاول وصالح بن علي في الثاني . وفي اغسطس ١٨٩٤ قتل هلال بن زاهر وهو شيخ مشهور من بني حنه كان قد استولى على قلعة نزوى من والي آل بو سعيدي أثناء حكم تركي ، وقتله ابن السيد الذي حل محله .. لكن ابنه بدر بن هلال استطاع استعادة القلعة .

في ساحل جعحر الشرقي :

وفي ١٨٩٣ استطاع قرطاع قاطع الطريق الشرقاوي المشهور ان يهدد قريات مرغماً السلطان على اتخاذ اجراءات خاصة لحماية تلك المدينة .. لكنه تراجع بعد ذلك وطلب عفو السلطان . وفي نفس السنة تجدد خلاف قديم بين بني مقيم والسلطة في طوي قتل فيه خلق كثيرون . وفشل السيد فهد الذي ارسله شقيقه لتسوية النزاع في معالجة الموقف ، ونجح فيه أخيراً صالح بن علي . وفي نهاية سنة ١٨٨٨ ، ومرة أخرى في مايو ١٨٨٩ حدث قتال في صور بين بني جنابه وبني بو علي ، وتوسط السلطان بينهما واستطاع ان يصل الى بعض النتائج في كلتا القضيتين . ولكن في ١٨٩٣ بدأت الاشتباكات في جعلان بين بو علي واعدائهم

القدامى من بني حسن وكانوا متوادعين منذ عقد تركي آخر صلح بينهم في سنة ١٨٨٧ ، وكان صالح بن علي ، لا السلطان فيصل ، هو الذي استطاع ان يعقد الصلح بينهم وكان بنو بو علي في ذلك الوقت قد انهكتهم الصراعات فيما بينهم ، منذ بدئها سنة ١٨٨٧ حين قُتل محمد بن ماجد من قبيلة تميمه على يد رجل من قبيلة سناده ، وانتقم بنو تميمه له باغتيال يوسف بن علي شيخ سناده ، وانتخب عبدالله ابن سالم شيخاً لسناده مكان محمد واستمر الاغتيال .. واخيراً استطاع قريب ليوسف ابن علي ان يغتال قاتله .

اعصار رهيب يونيه ١٨٩٠ :

ونشير هنا الى اعصار رهيب استمر من منتصف ليلة ٤ يونيو حتى منتصف ٥ منه سنة ١٨٩٠ وامتدا أثره المدمر على الساحل من صور الى السويق ، والى الداخل حتى وادى سمايل . . وفي مسقط نزلت أمطار بلغت كثافتها ١١٢٤ بوصة ، وقدر عدد خسائر هذه العاصفة بأكثر من ٧٠٠ قتيل واكثر من ١٠٠ الف شجرة نخل إقتلعتها الأعاصير .

★ ★ ★

ادارة السيد فيصل وخلقه ١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

سياسته بين القبائل :

لا بد اننا لاحظنا مما سبق ان السلطان خلال الفترة من ١٨٨٨ حتى ١٨٩٤ لعب على العموم دوراً اقل اهمية ونجاحاً في تسوية الخلافات بين القبائل مما قام به صالح بن علي مثلا ، او الرجل شبه المتمرد ابراهيم بن قيس ، والحقيقة ان الاهمال لا العجز كان السبب في تنفير القبائل منه .

جوانب أخرى في حكمه :

على ان جوانب اخرى من حكمه لعلها أكثر اشراقاً تستحق الذكر هنا . لقد بدأ حكم فيصل بضياع عوابي وبحملة فاشلة لاستردادها ، كما كانت جهوده في السنوات التالية لتوسيع مدى سلطته او تدعيمها فاشلة على العموم . ففي سبتمبر ١٨٩١ ذهب السلطان بحراً الى مصنعه ومعه شقيقه فهد على رأس ١٥٠ رجلا ومن هناك مضى براً الى نخل والخوض وسمائل ، ولكنه اذا صح ما كان معتقداً من ان زيارة السلطان لاقليم عمان كانت لتقوية نفوذه هناك . ولا شك في ان بني ريام قد احبطوا هدفه هذا حين رفضوا السماح له بالمرور في ارضهم . وفي نوفمبر سنة ١٨٩١ مضى فيصل عن طريق البر الى الباطنة ومعه مدفع من مدافع الميدان ، لكن يقظة ابراهيم بن قيس فوتت عليه محاولة الاستيلاء على عوابي التي كانت تبدو هدفه الاخير . وفي يونيو سنة ١٨٩٣ ترك السلطان شقيقه فهد على مسقط وسار الى نخل ومن هناك ارسل قوة للاستيلاء على منصور في وادي الفرا او رستاق وكان يسيطر عليها بنو حرّاص ، وكان متوقعاً ان يتم الاستيلاء على المدينة دون حرب ، لكن المفاوضات فشلت ، ولدى سماع السلطان فيصل بنبأ تقدم قوات كبيرة من بني جابر بقيادة سليمان بن سيف والي مصنعه المعزول تراجع بسرعة من نخل الى بركة على الساحل . وفي يونيو ١٨٩٤ حدثت اضطرابات في مطرح بين البلوش وخدم جماعة الخوجات من الافريقيين .. ولم يعد الامر الى نصابه الا بصعوبة شديدة . وفي سبتمبر ١٨٩٤ قدم بدر بن هلال بعد موت ابيه كما ذكرنا مدينة نزوى الى السيد فيصل بشرط ان يحضر السلطان شخصياً لتسلمها لكن فيصل رفض اقتراحه لاسباب كانت تجعله يتوجس خوفاً من الغدر ، والحقيقة ان سيطرة السلطان الادارية على البلاد ظلت عموماً على حالها ان لم نقل إنها كانت تتقهقر .

خلق فيصل الشخصي :

ويرجع فشل السيد فيصل في اوائل عهده الى ضعف خلقه واخطاء سياسته معاً ، فلم يكن السيد فيصل قليل الهمة لكن نشاطه كان متقلباً يرتقي ثم ينحدر ، كما كان في سلوكه عموماً نزاعاً الى الكسل والتسويف.

أما مسلكه الاقتصادي فكان مسرفاً في نفقاته الشخصية في امور لا شأن لها من الناحية العملية . وكانت عجرفته وسوء ظنونه تحولان دون قبول نصح الناصحين بل قد يحتقر النصح والمشورة بحيث عاش اول فترات حكمه معزولا مكروها من كل من يحيطون به .

الناصحون والمؤيدون :

وحين عاد الوزير سعد بن محمد من الخارج عقب موت تركي نفاه السيد فيصل مرة أخرى بدل ان يجعله في خدمته ، وكان يود ان يصادر أملاكه ايضاً لولا تحذير السلطات البريطانية . ولم يقبل السلطان الا في سنة ١٨٨٩ فقط طلب السلطات البريطانية اليه ان يعين له وزيراً يكون حلقة اتصال موثوقاً بها مع الوكالة البريطانية .. واختير محمد بن عزان لهذا المنصب . وقد كان السيد فيصل منذ البداية يثق في شقيقه السيد فهد لكن هذا كان شاباً مختل العقل انتحر في سنة ١٨٩٤ هرباً من امور عائلية نشأت عن زواجه قبل سنتين من احدى بنات عمه السيد برغش سلطان زنجبار . ولم تلم للسلطان مشورة صالح بن علي الثمينة الا لسنة ١٨٩٤ حيث مال ما بعدها إلى سعيد بن شيخ بني حرث وغريم السلطان ، وبذلك لم تتأخر الكارثة التي احاقت به طويلا .

فقدان سيطرته في البحر :

أما في غير المجال الشخصي فكانت كبرى غلطاته عدم حيازته بعض السفن البخارية التي تضمن له السيطرة على مناطق الساحل البعيدة عن مسقط خاصة ميناء صور ، فقد باع « دار السلام » في بومباي ، واهمل « السلطاني » حتى تهافتت بدداً .

العلاقات السياسية مع بريطانيا العظمى
١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

امتد ضيق السيد فيصل الطبيعي بالقيود والالتزامات حتى شمل علاقته بالسلطات البريطانية ايضاً . لكن هذه العملية كانت تدريجية ولم يبرز الخلاف الحقيقي الا بعد مارس ١٨٩١ حين رحل الرائد روس نهائياً عن عمان ، بعد ان قضى مدة ١٨ سنة مقيماً عاماً في منطقة الخليج.

تأجيل اعتراف الحكومة البريطانية بسلطنة عمان ١٨٨٨ :

وقد افصح السيد فيصل — في بداية توليه الحكم — عن أمله في أن تستمر صداقة البريطانيين نحوه ، فتعهد بحماية رعاياهم ، وبتحقيق مطالبهم . وبناء على نصيحة الرائد روس ، أرجيء الاعتراف الرسمي بالسلطان الجديد قليلا ، لكن دفع معونة « زنجبار » اليه لم يتوقف ، وفي التوصية باستمرار هذه المعونة ، اقترحت حكومة الهند ان تكون حكومة صاحبة الجلالة مسئولة عن جانب منها كما كان عليه الحال فيما مضى . ولكن لم يحدث اي تغيير في شروط المعونة .. وفي سنة ١٨٨٨ ، وفيما لم تكن العلاقات قد اتخذت شكلا متماسكاً طلب السيد فيصل خلال انهماكه في عمليات استرداد قلعة عوابي — معونة سفينة صاحب الجلالة « تيركوازي » في ساحل الباطنة ، لكن طلبه رفض ، وفي نفس الوقت تقريباً كتب كل من السيد عبدالعزيز وابراهيم بن قيس يسألان عما اذا كان السيد فيصل ستكفل له حماية الحكومة البريطانية كما كانت مكفولة لأبيه السيد تركي ، ورد المقيم على خطابهما هذا رداً متحفظاً حذراً .

اعتراف الحكومة البريطانية رسمياً بالسلطان فيصل ابريل ١٨٩٠ :

وفي ربيع سنة ١٨٨٩ صدر الاعتراف رسمياً بسلطنة السيد فيصل من وزير الدولة البريطاني بناء على توصية المقيم العام وحكومة الهند ، لكن الرائد روس لدى وصوله الى مسقط وجد أخطاراً جديدة تتهدد

السيد فيصل من اقليم الشرقية ، فأجل اعلان الاعتراف البريطاني الذي كان الهدف الحقيقي لزيارته .. وقد اشار الى ظروف تأجيل اعلان اعترافه في تقريره لحكومة الهند . واخيراً .. في ٦ ابريل سنة ١٨٩٠ ، وفي مؤتمر حافل حضره اشقاء السيد فيصل وكل وجهاء مسقط أعلن الرائد روس للسيد فيصل اعتراف الحكومة البريطانية به سلطاناً لعمان ، وأطلقت سفينة صاحب الجلالة « لورانس » ٢١ طلقة للتحية ، ورد السيد فيصل بأن افصح عن رغبته العميقة في ان « ترشده نصائح الحكومة البريطانية في كل الشئون السياسية الهامة » ، ووعد بأنه « سيسلك المسلك الذي يضمن له استمرار صداقة ورضا صاحب السمو نائب الملك والحكومة البريطانية » .

المعاهدة التجارية البريطانية ١٨٩١ :

وكان اول عمل عهد به الى السلطان بعد الاعتراف الرسمي به هو توقيع معاهدة للصداقة والتجارة والملاحة لتحل محل المعاهدة التجارية لسنة ١٨٣٩ . وكان الرائد روس قد اقترح ابرام هذه المعاهدة على غرار معاهدة عقدت مؤخراً مع زنجبار .. لكنها اجلت منذ موت السيد تركي والى ان يتم الاعتراف رسمياً بالسلطان فيصل . وبعد موافقة حكومة الهند على الخطوط العريضة للمعاهدة وقعها كل من السلطان فيصل والرائد روس ثم رفعت الى السلطات العليا للتصديق عليها ، غير انها وجدت غير متفقة تماماً مع وجهة نظر حكومة صاحبة الجلالة ، فأعدت معاهدة جديدة بدلها وقعها المقيم والسلطان ايضاً في مسقط ، وتم هذا التوقيع على المعاهدة المعدلة في ١٩ مارس سنة ١٨٩١ ، ثم صدقت في التالي . وقد تبين ان الرائد روس قد تصرف في امر المعاهدة المعدلة ايضاً كما لو كان مفوضاً تفويضاً كاملا ، لكن هذا لم يكن الوضع بالضبط .. غير ان ذلك الخطأ الفني لم يكن مبرراً كافياً — من وجهة نظر حكومة صاحبة الجلالة لعدم تصديقها على المعاهدة . ولم يكن في المعاهدة الجديدة بعد

كبير عن روح المعاهدة القديمة التي اعلن انتهاؤها رسمياً ، ولكن اضيف اليها نص جديد يحظر على السلطان منع تصدير او استيراد اية سلعة ، كما نص على ضرورة موافقة الحكومة البريطانية على ضرائب الصادرات أما مدة سريان مفعولها فكان ١٢ سنة ، وتنتهي بعدها اذا وجه احد الطرفين للآخر انذاراً قبل ١٢ شهراً من تاريخ انتهائها .

اقتراح اعلان الحماية البريطانية على عمان ١٨٩٠ :

لقد كان للنشاط الاستعماري الفرنسي الذي ستتحدث عنه طويلا يد في المناقشات التي جرت سنة ١٨٩٠ في لندن بين وزارة الخارجية ومكتب الهند للبحث عن افضل الوسائل الممكن انتهاجها لمنع تدخل الدول الاوروبية الاخرى في شئون عمان ، فاقترح مكتب الهند في البداية تدعيم النفوذ البريطاني في عمان بعقد معاهدة حماية على غرار المعاهدات التي عقدت مع مشايخ جنوب الجزيرة ، وساقت حكومة الهند أدلة كثيرة على ان عمان كانت بالفعل تحت الحماية البريطانية .. وانه لا مبرر على الاطلاق لمعاهدة حماية معها .. من هذه الادلة : تحكيم سنة ١٨٦١ ومعونة « زنجبار » والاهمية الفعلية لاعتراف الحكومة البريطانية بسلاطين عمان وتدخل الحكومة احياناً في خلافات البيت الحاكم ، ونفي بعض المطالبين به او المتمردين الى الهند والعون المسلح الذي قدمته الحكومة مراراً للسيد تركي في ازمات عديدة .. ومفاوضات المعاهدة الهولندية من خلال المقيم البريطاني في سنة ١٨٧٧ وتزايد المصالح البريطانية القومية والتجارية في عمان .

اتفاق السلطان مع الحكومة البريطانية بشأن التصرف في الاراضي العمانية سنة ١٨٩١ :

ومن الناحية الاخرى فانه لما كان اعلان الحماية على عمان يناقض البيان الانجليزي الفرنسي لسنة ١٨٦٢ ، ولما كان من المتعذر الحصول على موافقة فرنسا بشأن سحب ذلك البيان في ذلك الوقت ، فقد فضلت

حكومة صاحبة الجلالة ان تختط منهجاً مختلفاً . فقد تم توقيع اتفاقية بين الحكومة البريطانية والسلطان بتاريخ ٢٠ مارس ١٨٩١ — أي في اليوم التالي مباشرة على توقيع المعاهدة التجارية — تحتم على السلطان وورثته وخلفائه الا يتصرفوا بالتنازل او الرهن او البيع او السماح باحتلال أي من أقاليم مسقط او عمان وتوابعها .. الا للحكومة البريطانية (١) .

★ ★ ★

حماية الرعايا البريطانيين في عمان ... الخ .
١٨٨٨ — ١٨٩٤

أحداث منوعة :

كان من السمات السيئة المميزة لمطلع حكم السيد فيصل اعتراضه الدائم على التعويض عن الخسائر التي تلحق بالرعايا البريطانيين .. لكن هذا الاتجاه لم يكن يبرز للعيان واضحاً او قوياً : ففي يوليو سنة ١٨٨٨ حين اعتدى بعض افراد من قبائل بني جابر على عدد من التجار الهندوك في بركة امر صاحب السمو بأن تأخذ العدالة مجراها ، وسجن عدد من المعتدين . وفي سنة ١٨٨٨ حاول السلطان ان يضع يده على قطعة ارض شاغرة داخل قلعة الخوجات او حيهم في مطرح ، ولكن حين اكد هؤلاء في سنة ١٨٨٩ ان كل شيء داخل اسوار قلعتهم ظل ملكاً لهم لا ينازعهم فيه منازع أكثر من قرن كامل ، تراجع السلطان عن مطلبه « احتراماً لرغبة الحكومة البريطانية » ، وفي سنة ١٨٨٩ وقعت بعض التهديدات والاعتداءات على تجار من الهندوك في صور ، ولكنهم لم يستطيعوا — في البداية على الاقل — ان يحصلوا على تعويض عما اصابهم من اضرار .

---

(١) النص الكامل لهذه المعاهدة موجود في الملحق الرابع لهذا الفصل .

حريق خابورة ١٨٩١ :

أما أول خلاف جدي حول التعويضات فنشأ بسبب حريق اشعل عمداً في سوق خابوره وبلغت خسائر التجار البريطانيين فيه وفق تقديرات لاحقة ١٢,٧٣٩ روبية ، وثبت ان هذا الحريق الذي أضرم في ليلة ٢٤ فبراير سنة ١٨٩١ كان نتيجة نزاع بين الحوامد والسوالم من قبيلة الحواسنة ، فالجماعة الاولى كانت تطالب الثانية بنصيب من ايجار المحلات في السوق ، وكان واضحاً ان هذه النيران قد اشعلها افراد من الحوامد رغم ادعاء السلطان بأن الامر كان من قبيل الصدفة . ولم يلق السلطان بالا لمطلب التعويضات الا بعد ضغط واضح عليه ، وقام بعدة محاولات لجمع ثلث الغرامة المستحقة من السوالم — الذين كانوا ابرياء بالفعل — لكنه تخلى عن تعسفه بهم بضغط من المقيم السياسي . وظلت القضية معلقة بسبب موقف السلطان أكثر من سنتين حتى سويت سنة ١٨٩٢ . وخلال فترة تعليق القضية حاول بعض الساخطين من الحواسنة منع التجار الهنود في خابورة من استئجار بحارة للعمل في قواربهم .

حادثة السفينة خيوه :

وفي سنة ١٨٩٣ حين كانت السفينة « خيوه » تحمل حجاجاً من الهنود الى جده ، أطلقت عليها النيران خارج مرباط في ظفار فأرسل السلطان باخرة زنجبار « افوكا » التي كانت وقتئذ في مسقط الى مكان الواقعة لغوث البحارة والمسافرين المنكوبين . واعترفت حكومة الهند بمسلكه الحميد حيال الموضوع وبمساعدة الشيوخ المحليين وقدمت له ولهم هدايا مناسبة .

اعادة بناء الوكالة البريطانية في مسقط ١٨٩٠ :

وفي ١٨٨٩ — ١٨٩٠ اعيد بناء الوكالة البريطانية في مسقط وكانت تشغل بناء قديماً متداعياً . وتكلفت عملية البناء مبلغاً اجمالياً قدره ٨٧ الف روبية ، واعيد شغلها في يوليو سنة ١٨٩٠ ، ثم خصص مبلغ ٢٠٠٠ روبية لشراء الاثاث الضروري لها فيما بعد .

ثورة سنة ١٨٩٥

أسبابهـــا :

كانت الاسباب الرئيسية لثورة ١٨٩٥ والهجوم على مسقط مما سنتناوله الآن هو اولا تخلي صالح بن علي عن مساندة السلطان ، وسخط بعض قبائل الحناوية على نظام الحكم القائم بسبب موقف صالح المذكور ثم ضعف مركز السيد فيصل عسكرياً وسياسياً ، وعدم تجديد حماية الحكومة البريطانية التي كانت مكفولة لابيه السيد تركي .

تواطؤ سلطان زنجبار في الثورة :

ومع ان هذه الاسباب ذاتها كافية لتفسير اندلاع الثورة الا انه ما من شك في أن دوافع اضافية وتوجيهات معينة قد جاءت من زنجبار ، فحين تولى السيد فيصل حكم عمان ، كان عمه خليفة بن سعيد هو سلطان زنجبار . وقد أفصح خليفة عن تأييده للسيد فيصل بهدية قدمها اليه في اوائل سنة ١٨٨٩ قوامها ٢٠٠ بندقية ، وزنة ٦٠٠٠ رطل من البارود والذخائر . ثم خلف هذا السلطان أخوه علي بن سعيد الذي ظل مدة ثلاث سنوات ، ابتداء من سنة ١٨٩٠ . لايفصح عن نوايا عدوانية تجاه عمان . وحين مات علي بن سعيد في مارس سنة ١٨٩٣ آلت سلطة زنجبار الى ابن شقيقه حمد بن ثويني ، الذي قضى سنوات حياته الاولى في عمان .. والذي كانت له مصالح قوية وصدقات كثيرة في الارض التي ولد بها . وفي يناير سنة ١٨٩٤ بدأ فيض من عرب عمان يتدفق على زنجبار .. وبينهم من يوحي للسلطان حمد بأن يستولي على عمان . وكان من بين هؤلاء الزوار العرب عبدالله بن صالح بن سعيد والشيخ محسن بن عمر وكلاهما من قبيلة حرث ، وايضاً حمود بن سعيد الجحافي قاطع الطريق المشهور . وقد وصل هؤلاء الى زنجبار في فبرايرسنة ١٨٩٤ وروى البعض عنهم انهم زاروا السيد عبدالعزيز في منفاه ببومباي وهم في

طريقهم الى زنجبار ، وانهم جاءوا يعرضون على حمد سلطنة عمان ، وصدرت التعليمات للقنصل البريطاني العام في زنجبار – مستر كراكتول بضرورة تحذير السلطان حمد من الانصياع لتلك المؤامرة والتورط فيها . وفي مايو عاد عبدالله بن صالح ومحسن بن عمر وحمود الجحافي الى مسقط ، وتأكد ان عبدالله وشيخاً آخر من بني حرث قد تلقيا – لدى عودتهما – ثلاثة مدافع ميدان و ٣٠٠ برميل من البارود هدية من سلطان زنجبار . ومرة اخرى صدرت تحذيرات من حكومة الهند لهذا السلطان مما يمكن ان تؤدي اليه مثل تلك الهدايا ونصح بألا يقدم للضيوف العمانيين في المستقبل سوى الهدايا المعتادة من السيوف والخناجر والثياب الا اذا طلب السيد فيصل منه شيئاً بالتحديد . وفي العام التالي حين برزت مشكلات مالية لحمد اشارت السلطات البريطانية في زنجبار الى ان بعض السبب فيها يعود الى إسرافه في الفيض على عرب عمان .

تحركات مريبة لصالح بن علي ١٨٩٤ :

وفي اكتوبر سنة ١٨٩٤ ، بعد عودة عبدالله بن صالح بعدة شهور ، تحرك صالح بن علي متجهاً الى صمد متعللا بفض خلافات كانت ناشئة بين قبائل الحبوس والزكاونة والورود هناك ، ثم سمع عنه بعد ذلك انه كان يتحرك بقوات كبيرة لمعاقبة بني شحيم في وادي ديمه ، وفي نفس الوقت تقريباً تقدم واحد من ابنائه بقوات لا يستهان بها نحو وادي طاين ، وفي الوقت الذي كان صالح فيه منهمكاً في تلك التصرفات قامت قبائل الغفارية المسيطرة على ممرات اقليم الشرقية باغلاقها في وجه القوافل المتقدمة نحو مسقط وقبض السلطان على اثنين من ابناء مشايخ الغفارية وجدهما في مطرح وامر بالقائهما في السجن .. لكنه رفض ان يرى فيما عملته تلك القبائل اي دليل على الخروج عن طاعته لحساب صالح بن علي . وحين فتحت هذه الممرات ثانية في نهاية نوفمبر امر باطلاق سراح

ذينك الشابين استجابة لطلب شيخ القبيلة ، وفي ديسمبر حدث شغب دموي في نزوى بين بني حنه وبني ريام من أهل المدنية .. وارسل صالح ابن علي في الشهر التالي ابنه عبدالله للتوسط بين بدر بن هلال وسليمان بن سيف شيخي الجماعتين المتنازعتين واستطاع في النهاية ان يعقد بينهما صلحاً مدته ستة اشهر .

الاستيلاء على مدينة مسقط خيانة وعلي حين غرة ١٣ فبراير ١٨٩٥ :

ومن نزوى سار عبدالله بن صالح الى مسقط متظاهراً بأنه يبغي مناقشة شئون نزوى مع السلطان . والتقى به السلطان آملا ان يؤدي ذلك اللقاء الى اعادة سيطرته على نزوى . ووصل عبدالله الى مسقط في ١١ فبراير ومعه محسن بن عمر الذي كان رفيقه في زيارته لزنجبار . وفي اليوم التالي ظهر حمود الجحافي شريكهما في رحلة زنجبار ومع كل من الثلاثة جماعة مسلحة صغيرة . وبعد ان التقى بهم السلطان في مساء ١٢ فبراير ، ارسل اليهم مبلغ ١٢٠٠ روبية نقداً الى جانب الهدايا التي تعني انتهاء مهمتهم وضرورة عودتهم ، لكنهم بقوا في المدينة لم يبرحوها . وبعد ان هبط الظلام ، بدأ عدد من اتباعهم يتسللون وافدين الى داخل المدينة ، وأثارت هذه الاعمال شكوك جند السلطان من الحضارمة والوهابيين ، فأسرعوا لتحذير سيدهم ، لكن هذا رفض ان يكون ضيوفه ممن ينتهكون حرمة شرف الضيافة العربي ويهاجمونه . وحوالي الساعة الرابعة من صباح ١٣ فبراير استطاع البدو مباغتة ، ان يسيطروا على ابواب المدينة ، ويفتحوها ليتدفق منها عدد كبير من انصارهم كانوا ما يزالون في الروى . وحوصر منزل سيف بن بدر قائد جند السلطان ، كما قاموا بمهاجمة القصر الجديد ، وحاولوا ايضاً شق طريقهم الى القصر القديم الذي كان به السلطان لقتله . وبعد ان دافع السلطان عن نفسه دفاع المستميت استطاع الهرب ومعه زوجته وشقيقتها عبر اسطح البيوت المجاورة حتى وصلوا الوكالة البريطانية ، ومنها انتقلوا الى قلعة جلالي .. وفي نفس الوقت استطاع شقيقه ان يهرب الى قلعة ميراني .

اجراءات لحماية الرعايا البريطانيين :

واتخذ الوكيل السياسي البريطاني فوراً ما يمكنه من الاجراءات لحماية ارواح وممتلكات الرعايا البريطانيين قدر الامكان ، فوجه الرائد هيز سادلر خطاباً الى عبدالله قائد المتمردين يحمله شخصياً مسئولية أية أضرار تقع ، وعلقت هويات الجنسية على ابواب منازل التجار الهندوك في مسقط ، وسلم علم بريطاني لخوجات مطرح كي يرفعوه فوق قلعتهم ، واستدعى حرس المدفعية الهندية ليدافعوا عن الوكالة البريطانية .

أعمال أخرى في ١٣ فبراير :

وفي نفس الوقت بذل انصار السلطان جهوداً مستميتة لاستعادة القصر بدعم من نيران المدفعية الثقيلة والخفيفة من قلعة جلالي وبيت السيد فهد . ودار العوائد .. لكن محاولاتهم فشلت ، وبعدها تلقى هيز سادلر رسالة من المتمردين يقترحون فيها اتخاذ اجراءات اضافية لمزيد من حماية الرعايا البريطانيين في مطرح التي كان ينتظر وصول الشيخ صالح اليها بعد قليل . ورد الوكيل على المتمردين بقوله انه يحملهم ايضاً مسئولية الاضرار في مطرح وفي مسقط على السواء . وفي المساء أصبح المتمردون الذين لم يكن عددهم في البداية يتجاوز ٣٠٠ رجل يسيطرون تماماً على المدينة وابوابها .. بينما ظل السلطان يسيطر على الحصون الرئيسية في الميناء ، وعلى برج في الجنوب الشرقي من سور المدينة ؛ وعلى كل المنازل المغلقة على التلال المجاورة لها . واعلن قادة الثورة — الذين كانوا يسيطرون على رجالهم سيطرة محكمة والذين منعوهم من السلب والنهب — أنهم ما جاءوا ليغتصبوا شيئاً ، لكنهم جاءوا ليضعوا على عرش عمان حاكماً قوياً يستطيع ان يفرض هيبته واحترامه على البلاد كلها .

وقائع يوم ١٤ فبراير :

وفي ١٤ فبراير ، وصلت باخرة البريد التابعة لشركة الهند البريطانية للملاحة البحرية ، ولم يسمح للمسافرين بالنزول في مسقط . واقلعت السفينة نفسها مباشرة الى شاهبار ومعها برقية من الوكيل السياسي يبلغ المقيمية هناك بما حدث في مسقط ويطلب العون البحري . وطلب السلطان ارسال باخرة الى صور لجلب تعزيزات من رجال القبائل الموالين له في ذلك الميناء ، لكن الرائد سادلر رفض طلبه استمساكاً بموقفه الحيادي الكامل ، اذ ان الثوار كانوا يسيطرون على المدينة سيطرة تامة ، وتحت رحمتهم ارواح وممتلكات الرعايا البريطانيين . وقضى المتمردون اليوم في تدمير قصور السلطان ، وعقد المزايدات لبيع الاشياء التي لم تدمر فيها . وابتاع تجار الهند البريطانية جانباً كبيراً من هذه الاشياء واحتفظ بها لصاحب السمو . وفي نفس اليوم تلقى الوكيل السياسي خطاباً من عبدالله حاول فيهانشاء اتصال بين مصالح الثوار ومصالح البريطانيين ، وأفصح عن ميل واضح لتحقيق رغبات البريطانيين ، ورد الوكيل بأن المطلوب فقط هو تأمين ارواح الرعايا البريطانيين وممتلكاتهم .

وقائع يومي ١٥ الى ١٧ فبراير :

وفي الصباح الباكر من ١٥ فبراير شوهد علم المطوّعة الابيض يرتفع فوق قصر السلطان ، وفي ١٦ فبراير كان الثوار على وشك التقدم نحو الحي الذي تقع فيه الوكالة البريطانية ليتسنى لهم إحكام محاصرة قلعة جلالي ، لكنهم عدلوا عن عزمهم استجابة لنصائح الوكيل البريطاني . ووصلت اولى امدادات السلطان في صبيحة ١٧ فبراير وهي فرقة من بني جابر من طوى ، وتلقى الثوار في نفس الوقت ايضاً تعزيزات ضخمة ، وفي نفس اليوم اجتمع زعيم الثوار محسن بن عمر بالرائد سادلر وشرح له ان الامر كان حركة اجماعية من الحناوية لخلع السلطان .. فان قبائل

عمان لا تطمع في شيء أكثر من صداقة الحكومةالبريطانية وتعزيزاتها ، وبعد ظهر نفس اليوم ، زار الوكيل السياسي السلطان الذي سأله ان كان يستطيع التوسط بينه وبين الثوار قبل ان يعم الخراب في المدينة ، وعمن سيعتبر مسئولا عن الخسائر التي سيصاب بها المحايدون من الناس لو جازف السلطان بترك القلعة وحاول استرداد المدينة بالقوة . وعن السؤال الاول اجاب الرائد سادلر بأنه يكون سعيداً لوساطته بين الطرفين حين يحين وقت الوساطة ، لكن الثوار لم يفصحوا بعد عن اية رغبة في التهاون ، وعن السؤال الثاني أجاب سادلر بأن حكومة البلاد مسئولة عن ضمان الامن للجميع ، وانه رغم انه حمل الثوار منذ البداية مسئولة اية خسارة تحدث ، الا ان الموقف الآن قد تغير ، فهم قد حافظوا على سيطرتهم على المدينة لمدة خمسة أيام كاملة دون ان يحدثوا أي اعتداء على الاطلاق علي الناس . وفي وقت متأخر من مساء نفس اليوم اعلن عبدالله وصول ابيه صالح بن علي ومعه قوات كبيرة ، كذلك وصل سعود بن عزان من رستاق ، وكان يدعي بأنه زعيم الثورة . ولم يدخل الثوار الى مطرح حتى ذلك الحين لقلة عدد قواتهم .

وصول المقيم السياسي البريطاني ١٨ فبراير :

وفي صبيحة ١٨ فبراير قام السلطان بهجوم فاشل على الباب الصغير . ودار قتال عنيف في شوارع حي التجار الهنود ، وبعدها مباشرة وصلت سفينة صاحب الجلالة « سفنكس » .. وطلب الوكيل السياسي من الثوار قبول هدنة مدتها عدة ساعات فقط ، ينقل خلالها الرعايا البريطانيون الى المكلا .. ما عدا الاوربيين منهم فيبقون على ظهر السفينة « سفنكس » او في مبنى الوكالة البريطانية . وبعد ظهر نفس اليوم وصل الرائد ويلسون المقيم البريطاني العام في الخليج على ظهر سفينة صاحب الجلالة « لورانس » وتولى تصريف الامور السياسية .

وقائع الفترة من ١٩ فبراير الى اول مارس :

وفي ١٩ و ٢٠ فبراير ظل رجال السلطان يطلقون النيران بشكل غير منتظم ، واستطاعوا ان يسيطروا على المنطقة الواقعة شرقي البوابة الشرقية لدار العوائد ، وجرح جندي هندي من حرس الوكالة البريطانية من طلقة طائشة . وبدأت الشكاوى من سلب جنود السلطان للتجار الهنود وكان معظم الجناة من بني بو علي وقبيلة راسب . واصدرت السلطات البريطانية تحذيراً لشيوخهم بأنهم اذا لم يسيطروا على هؤلاء الجنود سيطرة كاملة فسيستولي البريطانيون على القوارب التي جاءوا بها من صور ويدمروها . وفي ٢٣ فبراير وصل حمود بن عزان — شقيق سعود — من الروى ، وللمرة الأولى حدث بعض النهب من جانب الثوار ، وفي ٢٤ جاءت قوات كبيرة من آل وهيبه كامدادات لصالح ابن علي في الروى ، وكان ثمة دلائل تشير الى ان هذا التمرد قد امتد كصراع بين الحناوية والغفارية في جميع انحاء عمان . وفي ٢٥ فبراير استطاعت قوات السلطان ان تعيد احتلال بوابة الماء برج في منتصف المسافة بينها وبين الباب الكبير ، ثم استطاع بنو بو علي ان يتقدموا ايضاً حوالي ٥٠ ياردة . وفي ٢٦ فبراير ارسل السلطان رداً يتملص فيه من الاجابة على اسئلة المقيم البريطاني فيما يتعلق بخطة عمله ، واشتعلت النار في قارب العقيد جياكان طبيب الوكالة — ربما عن طريق الخطأ — واستولى انصار السلطان على معبد الهندوك القائم وسط المدينة ، ولم تحدث أحداث هامة في باقي ايام شهر فبراير . وفي ١ مارس قتل عامل من عمال الوكالة البريطانية بطلقة طائشة ؛ وخلال هذه الاشتباكات غير الحاسمة وصلت سفينة صاحب الجلالة « برامبل » الى مسقط .

رجوع المتمردين الى حكومة الهند ٢ مارس :

وفي ٢ مارس وضح ان الامور قد تجمدت على هذا النحو ، فقد فقد الثوار قدرتهم على الهجوم ، بنيما ظل انصار السلطان يتوقون شن هجوم شامل عليهم . وتجدد نهب ممتلكات الرعايا البريطانيين ، وحدثت

مقابلة هامة في ذلك الوقت بين المقيم البريطاني والوكيل السياسي من جانب ، ومحسن بن عمر وشيخ آخر من بني حرث من الجانب الآخر . ويبدو ان هدف المتمردين كان مناقشة الوضع القائم . وقال شيوخ الثوار إنهم يمثلون كل قبائل الحناوية في عمان ، وان تغيير الحاكم القائم امر يرغب فيه الجميع ، وقالوا ايضاً انهم رغم صدورهم في ذلك عن رأيهم الخاص فهم يريدون ان يعرضوا سلطنة عمان على حميد بن ثويني سلطان زنجبار ، وهم يعرفون ان هذا صديق للحكومة البريطانية في حين ان السيد فيصل ليس كذلك ، وانه اذا لم يتم ذلك فهو يودون ان يكون على عرش عمان واحد من ابناء عزان بن قيس . اما بشأن الشكاوى التي تكررت عن السلب والنهب ، فقد اعترف مشايخ الثوار بمسئوليتهم وقالوا انهم لم يعودوا يسيطرون على رجالهم سيطرة كاملة بعد ، وقالوا أيضاً ان صالح بن علي — وهو ثري موسر — يستطيع ان يدفع التعويض اللازم . ورد المسئولون البريطانيون على ذلك بقولهم انه ليس مؤكداً ان كل الحناوية في عمان يؤيدون الثوار ، وانهم لا يمثلون الغفارية أصحاب الاكثرية في البلاد ، وان عملهم في اشاعة الاضطراب في البلاد وايقاع الخسائر بالمصالح البريطانية لا بد ان تنظر اليه الحكومة البريطانية نظرتها الى امر خطير ، هذا وقد لبى طلب الشيوخ المذكورين بالابراق بوجهة نظرهم الى حكومة الهند .

تقاعس السلطان ٣ مارس :

وفي ٣ مارس أبلغ المقيم حكومته بتقاعس السلطان ، الذي أخلد الى التثاقل رغم تحسن مركزه وتزايد قواته واشار المقيم ايضاً إلى استحالة اجلاء الثوار عن المدينة باستخدام مدافع البحرية دون احداث تدمير رهيب بها ، وصدرت التعليمات للمقيم — رداً على ذلك — بألا يقدم اية مساعدة للسلطان في اجلاء الثوار .

هدنة تنتهي بالفزع ٤ – ٦ مارس :

ونتيجة تجدد الشكوى من اعمال السلب والنهب ، اقترح المقيم عقد هدنة مدتها ثلاثة ايام ، وتم بالفعل عقدها من ٤ الى ٦ مارس ليمكن خلالها نقل تجار الهند البريطانية وبضائعهم الى المكلا ، قبل ان يحدث مزيد من التدمير . وخلال ٤ و ٥ مارس استمر نقل البضائع ، ولكن في ظل تزايد التحرش من جانب المتمردين . وفي ٦ مارس ساد فزع شديد ، وعاد كل رعايا الهند البريطانية الى خور المكلا ، ورفض السلطان – رغم تحذير السلطات البريطانية له وتحميلها إياه مسئولية ما يحدث – ان يسمح بمد الهدنة حتى لنقل ما تبقى من ممتلكات الهنود ، وفي ٧ مارس تجددت الاشتباكات مرة أخرى .

ابلاغ اوامر حكومة الهند للثوار ٧ مارس :

وفي الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ٧ مارس ، تقدم العقيد هيز سادلر ، بعد ان تم وقف اطلاق النار لفترة قصيرة ، في قارب اتجه به الى دار العوائد الجمركية حيث التقى بصالح بن علي شخصياً وابلغه رد حكومة الهند على عروض مشايخ بني حرث . وجاء فيه ان مسألة توحيد عمان وزنجبار خارجة عن موضوع النقاش ، وان ممتلكات الرعايا البريطانيين يجب احترامها ، والا فستتخذ الحكومة من جانبها اجراءات رادعة لحمايتها . واعترف الشيخ صالح بمسئوليته عن الخسائر التي تسبب فيها الثوار ووعد بدفع التعويضات عنها كاملة ، وطلب في نفس الوقت نقل بقية ممتلكات البريطانيين التي كانت ما تزال في المدينة ، لكنه ابلغ استحالة تنفيذ ذلك في تلك الظروف خاصة وان ارواح الرعايا البريطانيين لم تعد في مأمن من البدو الغزاة . وفي نفس اليوم تقدم السلطان يطلب عون المقيم لطرد المتمردين من مسقط لكن طلبه رفض حسب اوامر حكومة الهند التي سبق ذكرها .

انسحاب الثوار وعودة السلطان لاحتلال المدينة ٩ ، ١٠ مارس :

وفي ٨ مارس حدث مزيد من النهب والسلب ، واخيراً في ٩ مارس تم عقد الصلح بين الطرفين .. على ان يدفع السلطان للمتمردين مبلغ ١٢ الف روبية ، كما وعد بالعمل على ازالة اسباب التمرد ، واستمرار السماح لاسرة رستاق بالبقاء فيها . وانسحب الثوار عن مواقعهم في صخب وهياج كبيرين ، ودمروا اشياء كثيرة ، واشعلوا النار في اماكن عديدة من المدينة أثناء انسحابهم . وفي ١٠ مارس اقتحمت قوات السلطان المدينة ، وبجهد شديد ، وباستخدام آلات اطفاء الحرائق التابعة للوكالة البريطانية ، امكن تلافي حريق رهيب كان يتهدد بتدمير المدينة كلها . ولم يعد التجار الهنود من مكلا لمدة ايام عديدة خوفاً من رجال القبائل « الموالين » كما كانوا يسمون .. والذين لم يكن لدى السلطات من المال ما يكفي لدفع رواتبهم ولا من القوارب ما يكفي لاعادتهم الى بلادهم .

وفي ١٣ مارس وصل الطراد الفرنسي « ترود » من مرساه في أوبوك حيث كان تلقى الاوامر بالتحرك الى مسقط فيما كان الثوار محتفظين بزمام المبادرة فيها . وخلال الاضطرابات التي كانت تحدث في العاصمة ، هاجم قاطع الطريق كورتا مدينة القريات حيث تضرر اثنان من الرعايا البريطانيين بما قيمته ١٠٠٠ روبية من ممتلكاتهما .

القبائل المشتركة في التمرد وأسبابه :

وكانت اهم القبائل التي اشتركت في هذا التمرد الى جانب الثوار قبائل حرث والحبوس مع توابعهما من آل بورشيد وبعض افراد من زكوان — ومارود الى جانب بني بطاش والعواقر من اقليم عمان وبني رواحه والرباويه والحناوية من وسط واسفل وادي سمائل لا سيما من كان من هؤلاء من فنجة والخوض ، ونضيف اليهم بني نعمان والشروج

والفوارس وايضاً سكان وادى رستاق وعدداً من أهالي الحضرة وغيرها من اماكن الباطنة . وقبل نهاية التمرد بلغ عدد الثوار في مسقط حوالي ٢٠٠٠ رجل ، وعدد أنصار السلطان ضعف هذا العدد ومن انصار السلطان قتل ٤٠ رجلا وجرح ٦٠ ، وقدرت خسائر الثوار بثمانين قتيلا وثمانين جريحاً .

* * *

تاريخ عمان الداخلي من التمرد الى الشقاق مع بريطانيا العظمى ١٨٩٥ ــ ١٨٩٨

لا شك ان سمعة القبائل الساخطة وشيوخها قد هبطت هبوطاً واضحاً نتيجة فشلها جزئياً في هذا التمرد ، كذلك اصيبت ايضاً هيبة السلطان الذي عجز عن القضاء التام على التمرد . وباستثناء اقليم ظفار الذي كانت سلطة السلطان بعيدة عنه تماماً في سنة ١٨٩٥ حتى سنة ١٨٩٧ فقد ظلت عمان لا يتهددها اي اضطراب داخلي خطير طوال السنوات الاربع التالية . وعلى اية حال ، فقد ظل السلطان فترة طويلة يعاني من الحاح المشايخ الذين تجمعوا من كل مكان لا سيما من صور وسمائل في المطالبة بنصيبيهم في مقابل ما يزعمون انهم قدموه من خدمات وهمية او حقيقية للسلطان خلال الازمة .

اضطراب في ازكي ١٨٩٥ :

وفي يونيو سنة ١٨٩٥ حدثت في إزكــي متاعب مــن نوع الاضطرابات الموسمية المعتادة بين اليمنيين والنزاريين هناك ووقف الى جانب اليمنيين ، كالعادة دائماً ، جيرانهم بنو ريام ، والى جانب النزاريين بنو رواحه . لكن السيد محمد ، الشقيق الأكبر للسلطان ، استطاع أن يعقد الصلح بين الطرفين بسرعة ، وكان صاحب السمو قد وسطه بين المتنازعين .

السلطان يستعيد نزوة ١٨٩٥ :

وفي نوفمبر ١٨٩٥ اغتال بنو شقايل بدر بن هلال في نزوة ، وانتدب السيد فيصل ، وكان يعرف المكان وهو والٍ عليه قبل ضياعه في عهد والده ، خادمه وموضع ثقته سليمان بن سويلم ، وكان حينذاك في اجازة بظفار ، ليستولي على نزوة باسمه ، واستطاع هذا ان يشتري المكان بثمن بخس من المسيطرين عليه ، وان يضع فيه حامية باسم السلطان .

قتل صالح بن علي قتلة عنيفة ١٨٩٦ :

وفي مايو سنة ١٨٩٦ استغل صالح بن علي فرصة السخط الذي شاع بسبب فرض جانب من ضرائب العفو عن التمرد على الغفارية ، مما سنشرحه لاحقاً بالتفصيل ، فأغرى بعض بني جابر في وادي سمائل بالاشتراك مع بني رواحه في الهجوم على سيجا الخاضعة لأنصار السلطان من بني جابر والحضارمة ، وتولى هو بنفسه مسرح الاحداث في عمان ، وقد تكفلت رصاصة طائشة بأن تضع — في سبتمبر ١٨٩٦ — حداً لحياته التي تجاوزت خمسة وسبعين عاماً قضى أكثر من ثلاثين منها يتآمر على مسرح الحياة السياسية في عمان . وكان دائماً يعارض السلطان القائم طامحاً لاعلى السلطات والمناصب . ومن الحق ان نقول ان ابنه عبدالله قد خلفه في هذا السبيل ، لكنه لم يبق على قيد الحياة سوى فترة قصيرة بعد الخيانة الاخيرة التي قام بها في مسقط . وكانت حياة حمود الجحافي ايضاً تقترب من نهايتها .

حملة فاشلة للسلطان على بني رواحه ١٨٩٦ :

وانتهز السلطان فرصة الاضطراب الذي حدث عقب موت صالح ، وجهز حملة على بني رواحه واستطاع بالغاء الضريبة المفروضة عليهم أن يكسر التحالف القائم بينهم وبين بني جابر ، لكن حركته كانت بطيئة كل البطء . وحين وصل حشد جنوده الذي يتكون من عدة آلاف الى مكان بالقرب من العلو رفض الجنود ان يقاتلوا ، فاضطر السلطان الى التراجع الى مسقط ، ولم يحقق شيئاً سوى انه أنفق مبلغ ٦٠ الف روبية لم يجمعها إلاّ بشق النفس .

الاضطرابات في نخل ١٨٩٦ — ١٨٩٧ :

وفي يونيو ١٨٩٦ حدث اضطراب في نخل اخمده السلطان بنفسه على رأس عدة مئات من رجاله ، ولكن الاضطراب تجدد في نفس موعده من العام التالي ، وفي هذه المرة استطاع والي بركه ان يخمد الاضطراب دون عون احد .

أحوال رستاق ١٨٩٥ — ١٨٩٨ :

وفي ديسمبر ١٨٩٥ تقدم سعود بن عزان من رستاق الى صحار على رأس جيش من آل سعد والحواسنه والمقابيل وبني نعيم ، لكن قوة من ١٢٠ رجلا ارسلها السلطان عن طريق البحر لتعزيز قوات والي صحار استطاعت ان ترده عنها . وظلت الاحوال هادئة في رستاق حتى موت ابراهيم بن قيس في مايو سنة ١٨٩٨ وحينذاك قام سعود بن عزان بدعم من شيوخ رستاق بالاستيلاء على الحصن الرئيسي فيها غدراً وخيانة ، وارغم سعيد بن ابراهيم بن قيس على اللجوء الى حازم حيث حاصره فيها بعد قليل . ولم يكد السيد فيصل يسمع هذه الانباء حتى سارع بارسال سليمان بن سويلم لمساعدة سعيد ، وتم رفع الحصار عن حازم ولكن حين بدأ سليمان في التهيوء للتقدم نحو رستاق تجمع حشد من بني رواحه وغيرها من قبائل الشرقية وبدأ السير نحوها . وفي نفس الوقت ايضاً بدأ آل سعد — يتحركون ، وكانوا حتى ذلك الوقت يرقبون الاحداث دون ان يشتركوا فيها . وتوقف مشروع الحملة الى رستاق ، في حين بدأ الاعداء هجوماً مضاداً على املاك السلطان في الباطنة لولا ان موت الخائن حمود بن سعيد الجحافي الذي كان بين المحرضين عليه ادى الى وقفه .

الاحوال في صور ١٨٩٨ :

أما الاضطرابات في صور حيث كانت الوكالة الفرنسية تشجع السكان على التخفف من سيطرة السلطان ، فكانت ترجع بشكل اساسي الى التصرفات المجردة من اللياقة لسليمان بن سويلم المتعجرف . .

فقد أمضى هذا الرجل المسئول اسبوعاً في صور أثناء استدعائه من ظفار في مارس ١٨٩٨ ، وقال لشيوخ المدينة باختصار انه في المستقبل لن يحترم نظام الخفر لانهم يسيئون استعماله . وحين سافر الى مسقط ترك ابنه وهو صبي في الثانية عشرة من عمره مسئولا عن صور ، وترك له تعليمات بأن يبني حصوناً تتحكم في امداد المدينة بالمياه ، وتتحكم أيضاً في طريق القوافل من الميناء الى داخل البلاد . وفي مايو ذهب وفد يمثل كل بطون بني جنابه في صور لمقابلة السلطان في مسقط ، لكن هذا لم يصغ لشكواهم ، وبعدها افلحت نصيحة من عبدالله بن سالم التميمي في توقف العمل في بناء القلعة الجديدة ، لكن السلطان ظل على إصراره على تنحية ابن سليمان عن ولاية صور . واخيراً وحوالي نهاية سبتمبر ، حاصرت قوة من الرجال معظمها من بني جنابه وبني بو علي وبني راسب القلعة القديمة التي يشغلها ممثلو السلطان ، ثم قاموا في ٤ أكتوبر بهجوم عليها ، فاستسلمت لهم الحامية بعد دفاع لم يدم طويلا .. وانسحبت الى مسقط ، وفي نهاية السنة ارغم بنو جنابه على قبول حاكم جديد وحامية جديدة باسم السلطان . ولكن حين جاء هذا الحاكم الجديد .. لم يجد بالقلعة شيئاً سوى الاسوار ، وقد تم الاستيلاء على سلاحها كله .

★ ★ ★

الادارة في عهد السلطان ١٨٩٥ ـ ١٨٩٨

الاصلاحات العسكرية :

بعد انتهاء هذا التمرد بدأ السلطان يتخذ اجراءات جديدة لتعزيز دفاعات مسقط ومطرح وكان قد اهملها طويلا .. فأمر بتثبيت ١٢ مدفعاً في قلعة براني وخمسة مدافع في قلعة جلالي ، كما امر ايضاً باعادة ٤٠ حارساً افريقياً كانوا يقومون بحراسة ابيه الى عملهم ، وسلح حرس قصره بالمدافع الخفيفة ، وأمر باستيراد المدافع الخفيفة والبارود من انجلترا .

الـــــوزراء :

كما قام السلطان ايضاً بتغيير وزرائه في أعقاب التمرد ، ففي سنة ١٨٩٦ وقعت في يده بعض خطابات كان الوزير محمد بن عزان قد ارسلها في نطاق المؤامرة الى صالح بن علي عن طريق زنجبار . وحين ووجه الوزير بذلك عجز عن انكار جرمه ، فأمر السلطان بسجنه حتى افتدى نفسه بمبلغ ٢٠ الف روبية فأطلق سراحه على ان ينفى الى شرق إفريقيا ، وخلفه محمد بن سعيد الذي سبق ان كان وزير السيد تركي .

غيرهم من الموظفين :

وكان اكثر الحكام المحليين كفاءة واخلاصاً للسيد فيصل هو رشيد ابن عزان الذي ظل واليه على حصن سمائل ، وكان ثمة ايضاً سليمان بن سويلم وكان عبداً لمسعود مخلصاً لكنه متهور ، وكان اقليم ظفار هو مسرح نشاطه ، لكنه خدم السلطان في نزوى وحازم ايضاً كما ذكرنا .

حدود نفوذ السلطان :

وخلال الفترة التي نتعرض لها الآن ، كان نفوذ السلطان المباشر لا يصل الى ابعد من مسقط ومطرح وفي الباطنة حتى شرقي مصنعه ، ومدن الساحل الرئيسية حتى غرب مصنعه . لكن نفوذه كان اقل في نخل ووادي معول ووادى طوى ، ووادي سمائل وبعض الاماكن الاخرى كصور على الساحل جنوب شرقي مسقط . وحين استرد السلطان نزوى زاد نفوذه في اقليم عمان الذي كان يسيطر فيه على ازكي من قبل . وكان السلطان في ذلك الوقت كما سنرى لاحقاً بحاجة الى المال ، وسرعان ما راحت ديونه تتراكم باستمرار .

★ ★ ★

انتعاش النفوذ الفرنسي في عمان ١٨٩١ ـ ١٨٩٨

حلف بين فرنسا وروسيا :

قبل هذه الاحداث بزمن غير بعيد تحالفت فر نسا وروسيا للعمل على تخفيف النفوذ البريطاني في منطقة الخليج ووضع سياسة مشتركة لنفوذهما فيها ، كما سنشير للذلك لاحقاً . وقد وقع عبء مواجهة النفوذ البريطاني في عمان على عاتق فرنسا كما اشتد هذا الصراع الدولي بعدها وان لم يظهر منه للعيان الا القليل .

احتجاج فرنسي في صدد عمان ١٨٩١ :

ففي سنة ١٨٩١ ، شكا السفير الفرنسي في لندن ، كنتيجة واضحة لسوء فهم ظروف تولي السيد فيصل في مكان ابيه ، واستبعاد عمه عبدالعزيز ، وشقيقه الاكبر محمد ، من ان نظام وراثة السلطنة في عمان غُير بأوامر من حكومة الهند . ورغم ان هذه الشكوى كشفت عن جهل واضح بحقائق الموقف ، الا انها كانت تشير الى تجدد الاهتمام من جانب فرنسا بعمان .. بعد فترة انقطاع دامت أكثر من ثمانين عاماً .

مناقشة في مجلس النواب الفرنسي ١٨٩٣ :

وتكشفت السياسة الجديدة للجمهورية في الخليج خلال مناقشة لميزانية الدولة في مجلس النواب الفرنسي اوائل سنة ١٨٩٣ ، فقد طلب مسيو ديلونكل احد نواب الحزب الاستعماري اعتماد مبلغ اضافي قدره ٧٠٠٠ فرنك لانشاء قنصلية في مسقط ، ووعد وزير الخارجية مسيو ديفيل بالتنفيذ دون ان يدحض أية حجة من الحجج الرئيسية التي قال

بها مسيو ديفيل . . وهي ان من مصلحة فرنسا دعم سياسة روسيا في الخليج .. وتقديم سائر التسهيلات لتسجيل السفن الاهلية في الخليج تحت العلم الفرنسي .

دلائل أخرى على وجود المصالح الفرنسية والروسية :

ولم يتأخر ظهور ادلة اخرى على وجود مصالح فرنسية وروسية في عمان . فقد نشرت الحكومة الفرنسية في سنة ١٩٠١ خطة لميناء في صور تكشف عن اهتمام قديم لها بهذا الميناء . وفي سنة ١٨٩٣ وصل الى ميناء صور مسيو تشابوا وهو مواطن فرنسي سيء السمعه وكان قد اثار اهتماماً ملحوظاً بتصرفاته في ساحل عمان قبل سنتين وكان وصوله على سفينة ترفع العلم الفرنسي . وقد حاول الحصول على مكان صالح لخزن الفحم هناك لكنه فشل . وفي سبتمبر ١٨٩٣ وصل الطراد الروسي « نجني نوفجورود » الى مسقط ، واستطاع بعض ضباطه ان يقابلوا السلطان مقابلة خاصة ، وحوالي هذا الوقت تقريباً تناثرت الشائعات في عمان وزنجبار عن مؤامرة روسية ، وعن وجود عميل روسي سري في مسقط .

تعيين نائب قنصل لفرنسا في مسقط ١٨٩٤ :

واخيراً في ٨ نوفمبر سنة ١٨٩٤ ، وصل مسيو « اوتافي » وكيل القنصل الفرنسي الذي طال انتظاره الى مسقط وباشر عمله متخذاً سبيلين اثنين لنشاطه هما الإنقاص من نفوذ الممثل البريطاني عند السلطان ومن حوله ، والعمل على تشجيع البحارة العمانيين على رفع العلم الفرنسي على سفنهم دون موافقة من سلطان بلادهم ، بل حتى تحدي اوامره . وظهرت النتيجة العامة لسياسة مسيو اوتافي في ازدياد جموح السيد فيصل وأتباعه عن النفوذ البريطاني . وهذه حقيقة سنجد أمثلة تصورها أصدق تصوير في الفقرة التالية عن العلاقات البريطانية . وهنا لا بد ان نذكر زيارة الباخرة الفرنسية « ترود » لمسقط في سنة ١٨٩٥ متأخرة بضعة ايام

عن الوقت الملائم لنجدة السلطان في حرب المتمردين ونذكر ايضاً انه في سنة ١٨٩٧ عرضت فرنسا معونة سفينتها الحربية « سيربرايز » لمقاومة التمرد ضد السلطان في ظفار لكنه رفض .

وكانت خطة فرنسا لزيادة نفوذها في عمان هى التوسع في توزيع العلم الفرنسي على نطاق عريض . وتمثل تلك الصورة الجريئة.. لاول مرة بدعة مستحدثة في السياسة الفرنسية . وكانت فرنسا منذ سنة ١٨٦٠ قد بدأت في نوسيبي ومايوت تصدر مستندات فرنسية لاصحاب السفن الاهلية من غير رعاياها ، وقد لفت نظر حكومة صاحبة الجلالة الى هذه الاجراءات في سنة ١٨٦٣ كعقبة ضد منع تجارة الرقيق لان السفن التي ترفع العلم الفرنسي كانت — بالطبع — لا تخضع لتفتيش الطرادات البريطانية .

وفي سنة ١٨٦٩ ذكر ان كل السفن الوطنية تقريباً جنوبي زنجبار أصبحت ترفع العلم الفرنسي ، وتوفرت أدلة كثيرة على استمرار تجارة الرقيق في المياه الاقليمية على ظهور السفن التي تتخفى برفع العلم الفرنسي في المياه الافريقية . وقد استلفت هذا الجانب من القضية اهتمام سير بارتل فرير اثناء رحلته لزنجبار سنة ١٨٧٣ ، غير ان هذا الموضوع لا يدخل في صلب بحثنا هذا الآن .

التوسع في توزيع العلم الفرنسي في عمان ١٨٩١–١٨٩٧ :

وفي سنة ١٨٩١ ، أي حوالي الوقت الذي بدأ فيه انتعاش المصالح الفرنسية في عمان ، وحصل التفاهم بين فرنسا وروسيا بشأن مصالحهما في الخليج ، أخذت مشكلة العلم الفرنسي في مسقط تثير الاهتمام لاول مرة هناك .. ولقد تبين أن لدى ١٣ بحاراً في صور أعلاماً فرنسية وان الاعلام نفسها يمكن الحصول عليها لا من مدغشقر فقط ، بل من ابوك ، وحتى من القنصل الفرنسي المقيم في عدن . وحيث كان السلطان يرى ان طلب الفرنسيين حماية السفن في البحر قد يتسع بسهولة ليشمل حماية

أرواح واملاك رعايا العمانيين المرتبطين بمثل تلك السفن على البر ، لذلك باشر اعظم الاهتمام بالموضوع . لكنه وان استطاع ان يعقد اجتماعاً حاشداً للاعتراض على تصرف الفرنسيين فشل في وقف التصرف الفرنسي . ولجأ السلطان ايضاً الى حكومة الهند يطلب مشورتها ، واقترح ان يوجه احتجاجاً بذلك الى رئيس الجمهورية الفرنسية ، غير ان الحكومة الهندية نصحته بارجاء توجيه مثل ذلك الاحتجاج المباشر الى ان يرفع الامر لوزير الدولة البريطانية ، وابلغته في نفس الوقت ان استخدام رعاياه العلم الفرنسي لن يكون له تأثير شخصي عليه ، وانه يستطيع أن يتخذ اية خطوة سليمة لتعزيز سلطاته في حدود مياهه الاقليمية على من يستطيع التأثير عليهم من رعاياه الذين يرفعون العلم الفرنسي . وانتهى الاتصال بين الحكومة البريطانية والفرنسية في اوربا اوائل العام الى استنكار الاخيرة أعمال قنصلها في عدن .. وفي اوائل العام التالي سحبت الاعلام من الذين تسلموها في عدن ، كما اصدرت الحكومة الفرنسية تأكيدات فهمت منها الحكومة البريطانية ان خطة فرنسا في توزيع اعلامها ستتوقف. ولكن تبين انه كان ثمة سوء فهم من جانب الحكومة البريطانية . فقد التزمت فرنسا — من حيث تصديقها على قرار المؤتمر العام لمحاربة تجارة الرقيق المنعقد في بروكسل سنة ١٨٩٠ — بالا تسلم اعلامها الا لبحارة من الرعايا الفرنسيين او رعايا دولة تحت الحماية الفرنسية .. لكن فرنسا لم تلتزم بحرفية تلك التعهدات بل تغاضت عنها قاصدة او مهملة بحيث استمر تسليم الاعلام والاوراق الفرنسية لرعايا سلطنة عمان . وفي سنة ١٨٩٤ ، وهي السنة التي عين فيها نائب قنصل فرنسا في مسقط ، أصبح عدد الذين يرفعون الاعلام الفرنسية ٢٣ شخصاً .. منهم ١١ من قبيلة بني جنابه و ١٢ من قبيلة بني بو علي ، وقد تسلم البعض هذه الاعلام من مدغشقر وبعضها من أبوك وبعضها الآخر من شرق افريقيا ، وكان العلم

الفرنسي يسلم ومعه شهادة تجدد سنوياً تعوف باسم « ترخيص الملاحة »
اما بضمانة عقار غير منقول في احدى المستعمرات الفرنسية ، أو بضمان كفيل مليء يعمل للعلم الفرنسي . وكانت هذه الطريقة الاخيرة سهلة ميسورة ، ويمكن للبحارة الحصول على العلم بسهولة اثناء رحلتهم في التجارة السنوية الى البحر الاحمر او شرق افريقيا .. واكثر من ذلك .. كانت هذه الامتيازات خاصة بالسفينة نفسها لا بصاحبها ، وما كان اسرع تغيير وتبديل أصحاب السفن وبحارتها ، وهكذا استحال تماماً على السلطان ان يعرف ماهية وعدد الاشخاص الذين قد يدعون الحماية بموجب رخصة ما . وبدا واضحاً ان مسيو اوتافي كان يريد ان يوسع حدود الحماية التي تمنحها فرنسا لتراخيص السفن الى الحد الاقصى. ومن سنة ١٨٩٢ وما بعدها توفرت ادلة كثيرة على استخدام مستوردي الرقيق في صور العلم الفرنسي ونقلهم شحناتهم الى مختلف الاماكن في الخليج ، خاصة الى العراق التركي .. وفي سنة ١٨٩٦ قبضت السفن البريطانية على سفينتين من صور هما « سلامة » و « سعد » وهما تحملان شحنتين من الرقيق ، وأدت هذه الحادثة الفاضحة الاخيرة الى تجدد المراسلات في هذا الصدد بين الحكومتين الانجليزية والفرنسية مرة أخرى .. وتأكد هذه المرة ان تأكيدات فرنسا السابقة في سنة ١٨٩١ لم تكن تعني سوى التوقف عن التوزيع غير المنتظم للعلم الفرنسي الذي كان يقوم به قنصل فرنسا في عدن .. وانها ابداً لم تكن تنوي الاقلاع عن خطتها التي كانت تراها شيئاً مشروعاً . وسلمت السفينتان « سلامة » و « سعد » الى مسيو اوتافي حسب طلبه ليحث الامر . وفي سنة ١٨٩٧ تعزز مركز نائب القنصل الفرنسي في مسقط بعد تدخله تدخلاً ناجحاً في حالتين من تسجيل السفن ، وفي الحالة الثانية منهما كان السلطان قد امر بسجن واحد من رعاياه لإنه لم يبرز تصريح الملاحة الفرنسي الذي كان يزعم انه معه ، وحين احتج مسيو اوتافي أُطلق سراح الرجل . وبعد ذلك ، وشيئاً فشيئاً ، تكشفت

للجميع أهداف فرنسا وخطتها الكاملة . أما السلطان فحين وجه احتجاجاً حول الموضوع لنائب القنصل الفرنسي في مسقط أجابه مسيو اوتافي بأن هذا الاجراء يعود الى أكثر من اربعين عاماً ، وأن حكام عمان السابقين جميعاً قد قبلوه حتى الوقت الحاضر . وفي سنة ١٨٩٧ ذُكر ان ما لا يقل عن ٣٨ سفينة عمانية قد حصلت على تصاريح من قنصلية فرنسا في زنجبار .

★ ★ ★

العلاقات مع بريطانيا العظمى ، وانهيار النفوذ البريطاني في عمان ١٨٩٥ - ١٨٩٨

أسباب تباعد السلطان :

ويجدر بنا الآن العودة الى موضوع العلاقات البريطانية بعمان ، ويجب ان نذكر منذ البداية ان هذه العلاقات وان لم تكن في يوم من الايام أكثر ودية وتعاوناً مما كانت عليه في الفترة التالية المباشرة لتمرد سنة ١٨٩٥ - الا انها كانت علاقات يتزايد فشلها مع الوقت . فقد كان السلطان يزداد تباعداً كما أدى تراكم الخلافات الصغيرة خلال فترة الازمة الى قطيعة شاملة . وكانت أسباب تباعد السلطان هي أساساً وقوف البريطانيين على الحياد في أزمة سنة ١٨٩٥ ، ثم ما تلا ذلك من الحاح البريطانيين على التعويضات ، الى جانب تزايد النفوذ الفرنسي في مسقط .

تعديل السياسة الحيادية البريطانية بعد تمرد سنة ١٨٩٥ :

وكان وقوف الرائد ويلسون والرائد هيز سادلر على الحياد موقفاً لا مهرب منه الى حد ما ، لان الثوار بعد ان استطاعوا فعلا احتلال مسقط بغتة أصبحوا مسيطرين على عدد كبير من الرعايا البريطانيين وكثير من ممتلكاتهم . وعلى اية حال لم يكن ممكناً طردهم من المدينة باستخدام

نيران القطع البحرية دون احداث تدمير رهيب بها . كما كان موقف المقيم والقنصل منسجماً تماماً وسياسة الحكومة البريطانية ، التي حذرت من تقديم المعونة الفعلية للسيد فيصل على غرار ما كانت تقدمه لابيه السيد تركي .

ضمان الحكومة البريطانية سلامة مسقط ومطرح ١٨٩٥ :

ولما اسفر ذلك التمرد عن حبوطه كما ذكرنا فقد شُرع في مباحثات بشأن تعديل تلك السياسة بمبادرة من حكومة الهند التي اقترحت إما : (١) ضم مسقط ومطرح الى الاملاك البريطانية وتعويض السلطان عنهما . او (٢) اعلان الحماية البريطانية على عمان كلها . او (٣) توجيه انذار الى سائر كبار الشيوخ في عمان بأنه مهما بلغت الخلافات بينهم وبين السلطان فان الحكومة البريطانية — دفاعاً عن مصالحها الهامة في عمان — لن تسمح بأي هجوم على مسقط او مطرح .

وكانت حكومة الهند آنذاك تحبذ اقتراح اعلان الحماية ، لكنها كانت على يقين من ان ذلك سيفتح الباب امام فرنسا للتفاوض في الغاء بيان سنة ١٨٦٢ . وفعلا فضلت الاقتراح الثالث .. الذي لم يكن في الحقيقة سوى تعديل طفيف للسياسة المتبعة آنفاً . وايد وزير الدولة البريطاني هذا الاقتراح في حالة تعذر الحصول على موافقة فرنسا على اعلان الحماية البريطانية على عمان . واقترن الامر ايضاً بموافقة الحكومة البريطانية كما فوض المقيم العام في الخليج صلاحية ابلاغة الى السلطان لتعميمه على شيوخ عمان . كما طلب الى المقيم ان يجعل السلطان على بينة من ان الامر لا يمنعه من اتخاذ ما يشاء من الاجراءات المناسبة والضرورية للدفاع عن نفسه . وتلقى السلطان ، الذي طالما اشار الى ان الحكومة البريطانية قد قصرت في تأدية واجبها نحوه ، البلاغ المذكور بفتور لم يكن متوقعاً .. بل حتى تظاهر بأنه تلقاه كأي امر عادي مألوف ورفض ان يعقد مؤتمراً يحضره المشايخ لابلاغهم تعليمات الحكومة

البريطانية توفيراً لنفقات مثل ذلك المؤتمر ، وحينئذ أعد بيان مكتوب وافق المقيم السياسي على محتواه ، ووزع على كبار مشايخ عمان في نهاية سنة ١٨٩٥ .

مساعدات أخرى ١٨٩٦ :

وفي سنة ١٨٩٦ قدمت حكومة الهند للسلطان هدية من مدفعين عيار ٥½ بوصة مع الذخيرة اللازمة لهما لتعزيز دفاعاته . . وفي نفس المناسبة عرضت الحكومة الهندية معونة بحرية للسلطان – كما سنرى في تاريخ ظفار – لاسترداد ذلك الاقليم الذي كان تمرد عليه ، لكن السلطان رفض العرض في البداية .

حكومة الهند تقترح اعلان الحماية مرة أخرى ١٨٩٦ :

وهكذا اصبح الآن عداء السيد فيصل للمصالح البريطانية من الوضوح بحيث اقترح لورد « ايلجن » نائب الملك في الهند – برقياً في يونيو سنة ١٨٩٦ – الاستفادة من الاحوال القائمة في مدغشقر للحصول على موافقة الحكومة الفرنسية على اعلان الحماية البريطانية على عمان .. لكن وزارة الخارجية البريطانية ، مع موافقتها على اهمية محاولة اعلان الحماية اشارت في ردها بأنه لا يمكن القيام بذلك بنجاح في ذلك الوقت . وفي سنة ١٨٩٧ طلب السلطان عون بريطانيا لاستعادة ظفار ، ولكن تردده في الطلب كان واضحاً وضوحاً كبيراً .. كما أنه لم يعترف بالجميل عندما حقق له طلبه هذا ، واغلب الظن ان ذلك المسلك غير الودي من جانب السلطان في قضية ظفار يُعزى الى تأثير نائب القنصل الفرنسي عليه . ورغم هذه العقبات ، فقد أمكن فعلاً – في بداية سنة ١٨٩٨ – عقد معاهدة مفيدة مع السلطان بشأن حظر نقل الاسلحة .. وسنصف هذه الاتفاقية وطبيعتها تفصيلا في الملحق التابع لهذا الفصل .

قروض بريطانية للسلطان ١٨٩٥–١٨٩٧ :

ولم تكن معونة الحكومة البريطانية المالية للسيد فيصل ضرورية في وقت من الاوقات قدر ضرورتها في السنة التي اعقبت تمرد سنة ١٨٩٥ . ولم تتراجع الحكومة . فقد ظلت معونة « زنجبار » تدفع دون انقطاع . وفي سنة ١٨٩٥ تقدم السلطان بطلب مكتوب لعقد قرض قيمته ٣٠ الف روبية ، وذكر صراحة انه اذا لم يحصل من الحكومة البريطانية على ذلك القرض فسيلجأ الى اية جهة اخرى . وفعلاوقدمت له حكومة الهند قرضاً قيمته ٦٠ الف روبية بفائدة قدرها ٤,٥٪ سنوياً ، على ان يتم تحصيله على دفعات شهرية تستقطع من معونة « زنجبار » بمعدل ٢٠٠٠ روبية للدفعة . وتعهد السلطان من جانبه – كتابة – بألا ينفق تلك الاموال الا في مواجهة مصاعب ملزمة والا يقترض من أية دولة أجنبية أخرى قبل أن يفرغ من سداد القرض المذكور . وفي سنة ١٨٩٦–١٨٩٧ عاود السيد فيصل طلب عون مالي آخر لتعزيز سلطته في داخل عمان . غير ان تمنعه في البداية عن تقديم بيانات مرضية عن اوضاعه المالية وتطلعاته أحدث شيئاً من التسويف في اجابة مطلبه ، واخيراً اعترف السلطان بأن مصروفاته تزيد عن دخله بمقدار ٧٠٠٠ روبية في السنة .. وان ديونه بلغت ١٣٠ الف روبية منها ١٠٠ الف (بينها ٣٣ الف روبية يدفع عنها ارباحاً سنوية بواقع ٢٤٪) للبانيان « الهنود » والعرب كان اقترضها منهم أثناء فترة التمرد . وذكر السلطان انه يطلب مبلغ ٦٠ الف روبية ليسدد الديون ذوات الفوائد الباهظة ، ومبلغ ٤٠ الف لتهدئة بقية الدائنين العرب ، وأكد السلطان أن هذه الاموال لن تنفق الا لتسديد التزاماته ، ووعد بأن يحقق شيئاً من التوازن بين دخله ومنصرفه فيما بعد . وقدم اليه مبلغ ٦٠ الف روبية في يونيو سنة ١٨٩٧ بنفس شروط القرض السابق .. على أن يبدأ دفعه بعد تسديد القرض الاول ، وتقرر ايضاً ان يقدم للسلطان قرض ثالث قيمته ٤٠ الف روبية اذا وضح انه يحاول ان يقيم بناءه الاقتصادي على اسس أكثر ثباتاً .. ليستطيع به ان يسدد دائنيه العرب ،

واقترحت حكومة الهند اعارته موظفاً مسئولا لاصلاح نظام العوائد .. فلم يكن السلطان يحصل من العوائد على ارباح كافية . على ان تصبح قروضه في المستقبل بضمان العوائد لا بضمان معونة « زنجبار » . غير ان حكومة صاحبة الجلالة اوضحت بأن اقتراح حكومة الهند وضع عوائد مسقط تحت رقابتها المباشرة يتعارض ومضمون البيان المشترك لسنة ١٨٦٢ ، ولكن لا بأس بأن يعين السلطان موظفاً انجليزياً كمسئول اول عن العوائد ، وان تقدم القروض للسلطان فيما بعد بضمان العوائد . وحوالي هذا الوقت تقريباً — اي في سنة ١٨٩٨ — وضح ان السلطان قد أساء التصرف في نصف القرض الاخير على الاقل ، وان ديونه الآن قد بلغت حوالي ١٩٠,٥٠٠ روبية او اكثر ، كما انه لا يخطط لوسائل خفض مصروفاته. ورفض بأدب — ولكن بحزم ايضاً — اجراء أي تغيير في نظامه الخاص بعوائد مسقط .

★ ★ ★

حماية الرعايا البريطانيين في عمان ١٨٩٥ — ١٨٩٨

طلب تعويض الرعايا البريطانيين عن الخسائر التي لحقت بهم في تمرد سنة ١٨٩٥ :

وفي نفس الوقت ايضاً كان من الضروري الاصرار على ان تقوم حكومة عمان بتعويض الرعايا البريطانيين عن الخسائر التي اصابتهم أثناء تمرد سنة ١٨٩٥ . وقد قامت لجنة عينها الوكيل السياسي البريطاني بتحديد تلك الخسائر ، وقدرت التعويضات على أساسها بمبلغ ٧٧,٨٩٥ روبية . وكانت حكومة الهند تواقة لمساعدة السلطان بأية وسيلة ، وان تكن أقرت وكيلها السياسي في رفضه تسليم ٢٥ رجلا من بني حرث كانوا وصلوا من زنجبار الى مسقط على باخرة بريطانية عقب التمرد مباشرة .. لذلك اقترحت فرض قيمة التعويضات على القبائل التي اشتركت في التمرد

على ان تحصل منها على شكل ضرائب على صادراتها ، وان يوضح للسلطان ان هذا الاجراء لا ينقص من مسئوليته هو شيئاً .. وان هذا الطلب جاء من جانب الحكومة البريطانية بهدف مساعدة السلطان الذي ترك له تحديد نسبة هذه الضريبة وتثبيتها بما يؤمن جميع قيمة التعويض المقدر خلال مدة أقصاها ٣ سنوات على الاكثر ، ويجب البدء بتعويض الرعايا البريطانيين وواحد من الرعايا الامريكيين هو الأب زويمر ومواطن جزائري ايضاً وبعدها تستمر عمان في تحصيل الضريبة ليمكن تعويض العمانيين الذين لحقت بهم خسائر نتيجة التمرد ايضاً ثم تلغى الضريبة بعد ذلك . وأبدى السلطان موافقة عامة على الشروط المذكورة لكنه اعترض بعناد واصرار على ان تكون للرعايا البريطانيين الاولوية على العمانيين . وظل بعض الوقت مصراً على الحديث عن « المبالغ التي تهم الحكومات الاربع » ، وفي البداية فرضت ضريبة تصدير قدرها ١٠٪ الى جانب نسبة ال ٥٪ المفروضة سابقاً على صادرات قبائل الحناوية التي اشتركت في التمرد فقط ، غير انه بسبب تواطوء قبائل الغفارية ، واستثناء بني حجر من الضريبة بغير مبرر ، وضعف قوة السلطان التنفيذية في صور ، وتراخيه عن جمع الضريبة — وكان مقدراً لها ان تجمع مبلغاً يتراوح من ٢٠ الى ٣٠ الف روبية في السنة ، عن المدة من اول اغسطس ١٨٩٥ الى ١٤ مارس ١٨٩٦ — سوى مبلغ ٩٠٥٤ روبية فقط . منها مجرد مبلغ ٦٥٠ روبية من صور الميناء الرئيسي لقبائل المتمردين . وفي يوليو ١٨٩٦ اراد السلطان معاقبة الغفارية لسترهم على الحناوية في التهرب من هذه الضرائب ، وللدور الذي قامت به حشودهم في نهب مسقط ، ففرض ضريبة اضافية قدرها ٥٪ على صادراتهم . وهكذا ارتفعت نسبة الصادرات على هذه القبائل الى ١٠٪ ، ونحن نذكر كيف استغل الشيخ صالح بن علي الظروف فعزل بعض قبائل الغفارية في وادي سمايل عن تحالفهم القديم مع سائر القبيلة الامر الذي رفضه الوكيل البريطاني من البداية .. والآن صارت الامور الى الغائه فوراً ، وفي بداية سنة ١٨٩٧ طلب السيد فيصل منحه

مهلة قدرها ٦ سنوات لتغطية مبالغ التعويضات ووعد ايضاً بأن يدفع ارباحاً عما يتبقى بعد السنوات الثلاث الاولى . وفي نفس السنة —١٨٩٧— فرض السلطان ضريبة تأديبية على تاجر هندوكي — هو راتنس بارشوتام — قدرها ١٥ الف روبية ، وفي مارس ١٨٩٨ دفع من الغرامة مبلغ ٢٩,٧١١ روبية فقط . وفي اغسطس عهد الى نفس التاجر بتحصيل الضريبة في مقابل ١٨ الف روبية ، في حين ان تاجراً آخر عرض ان يدفع ٢٥ ألف روبية .

شكاوى تجار الهند الشرقية :

وخلال هذه الفترة التي نتعرض لها تزايدت شكاوى تجار الهند البريطانية في عمان . وفي ١٨٨٩ ، ومرة اخرى في ١٨٩٤ ، وفي كل موسم من سنة ١٨٩٨ وما بعدها أُرغم تجار التمور الهنود على نقل بضائعهم لتوزن في مسقط ، وكان هذا إجراء تعسفياً امر السيد تركي بالغائه بعد ان قُدم احتجاج بريطاني في صدده .. أما عند السيد فيصل ، فقد كانت الاحتجاجات بلا جدوى . ولما كانت التمور المصدرة الى امريكا مستثناة من هذا الاجراء ، فقد كان ثمة تمييز في المعاملة التجارية لصالح الامريكيين ، واجحاف بخواجات مطرح وهنود مسقط ، ولم يكن موظفو السلطان ايضاً يهتمون بتطبيق نصوص المعاهدة التجارية لسنة ١٨٩١ . وقد وصلت الضريبة نسبة أل ٥ ٪ التي أقرتها الحكومة البريطانية . وقد وصلت هذه الضريبة بالنسبة لتبغ عمان الى ٢٠٪ ، وحدث مرة سنة ١٨٩٨ ان فرض السلطان ضريبة اضافية جديدة قدرها ٥٪ على تمور وادي رستاق ووادي معول بعد ان قام تجار الهند البريطانية بشراء كل هذه الحصيلة من التمور ، وبجهد شديد امكن الغاء هذه الضريبة التي فرضت دون سابق انذار . وتردد ايضاً في غير مكان من عمان ان ضرائب الصادر والوارد لم يكن يتم جمعها على أسس المساواة ، بل كانت تميل دائماً الى الاجحاف بالرعايا البريطانيين ، في حين كان التجار العرب في

الموانى المجاورة بل وربما في نفس الميناء – يدفعون نسبة أقل ، وقد لا يدفعون شيئاً على الاطلاق .. ولم يكن للتجار الهنود اي مهرب من نسبة الـ ٥٪ ابداً ، وفي جوادر ايضاً ، في سنة ١٨٩٧ ، كان لا بد ان يطلب البريطانيون من السلطان الغاء ضريبة جديدة فرضت على مصايد أسماك الرعايا البريطانيين ، وتردد السلطان وماطل طويلا قبل ان يأمر بالغائها .

★ ★ ★

قطع العلاقات مع بريطانيا العظمى سنة ١٨٩٩

السلطان يسلك سلوكاً غير ودي تجاه بريطانيا ١٨٩٣–١٨٩٩ :

ظلت الاحداث فترة طويلة تسير ناحية الخصومة بين سلطان عمان والحكومة البريطانية . وقد ناقشنا فيما سبق الاسباب العميقة لهذا الخلاف ومظاهره ، غير انه هناك اعتراضات أخرى لها دلالتها رغم سطحيتها الواضحة وكلها تشير الى هذا التباعد من جانب السلطان ، فقد رفض عمداً ان يحيي الوكيل البريطاني – كما كانت العادة القديمة – لدى رحيله الى بوشهر للاشراف على المقيمية فيها . وكان ذلك مظهراً من قلة الاحترام كان يتحتم ابلاغة لحكومة الهند ، ولسنوات طويلة جرت العادة بأن تطلق مدفعية السلطان طلقات التحية في يوم اعلان صاحبة الجلالة امبراطورة للهند ، ولكن في اول يناير سنة ١٨٩٨ – وكان المقيم الرائد « ميد » والوكيل السياسي العقيد « فاجان » كلاهما في مسقط في ذلك اليوم – أطلقت التحية المعتادة دون رفع العلم البريطاني . وفسر السيد فيصل هذا الخروج عن العادة القديمة بقوله ان ذلك المظهر الاحتفالي انما كان تحية لجميع الدول المسيحية لا مجرد تهنئة الامبراطورة البريطانية .. فقط ، لكن المقيم – استطاع بتأكيده على المظهر غير الودي لذلك التصرف ان يحصل من السلطان على اعتذار خطي وعد فيه بأن يراعي في المستقبل امر الاحتفال بالعيد البريطاني . وفي يوم ٣ يناير رفع العلم البريطاني طوال اليوم

وأطلقت المدفعية تحيتها المعتادة للامبراطورة ، وفي نهاية يناير سنة ١٨٩٨ ، اعتدى عبيد من عبيد السلطان على جندي مدفعي من جنود سفينة صاحبة الجلالة « كوزاك » في مسقط .. ثم لقي بعدها معاملة مهينة من جانب المسئولين الرسميين للسلطان هو واثنان من ضباط السفينة ايضاً . وحين علم السلطان بالامر جلد العبد وامر بسجن اولئك الموظفين ، لكن الحادثة كشفت عن اتجاه موجود في دوائر القصر نحو البريطانيين على وجه العموم .

ازدياد التقارب بين السلطان وفرنسا ١٨٩٨ :

وبعدها بدأت الاحداث تتحرك بسرعة فوصلت السفينة الحربية الفرنسية « قابس » في فبراير سنة ١٨٩٨ الى مسقط حيث بقيت حتى مارس . لكن الوكيل السياسي البريطاني لم يستطع ان يعرف وقتها على وجه التحديد هدف الزيارة ونتائجها . وفي اكتوبر ، أمضت السفينة الحربية الفرنسية « سكوربيون » اسبوعين في مسقط ، وكانت تحمل مدفع ميدان كبير هدية من الحكومة الفرنسية للسلطان وقد قدمت بهدف التعبير عن العلاقات الودية ، وعُقد مؤتمر سري في الوقت نفسه لعب فيه مسيو اوتافي دوراً كبيراً . وقدم السلطان بدوره هدية قيمة لضباط السفينة ولنائب القنصل الفرنسي ، ثم قام هؤلاء الضباط يصحبهم نائب القنصل بزيارة لبندر جيشا — وهو ميناء صغير حصين على الساحل يبعد ٥ أميال جنوب شرقي مسقط — حيث التقطوا له بعض الصور الفوتوغرافية ورسموا له خرائط مبدئية . وكان من نتائج هذه الزيارة الفرنسية ان عزل السلطان وزيره محمد بن سعيد الذي كان عينه في يناير ١٨٩٧ ، وجعل بدله محمد ابن عزان ، وكان هذا — الى جانب كونه رجلا أمياً عجوزاً خرفاً وأداة طيعة في ايدي الفرنسيين — أكثر حماسة من محمد بن سعيد الذي أقنع السلطان في سنة ١٨٩٨ بأن يعيد فتح باب المناقشة في مسألة توزيع الاعلام الفرنسية مع مسيو اوتافي . وقيل إن محمد بن سعيد كان يعارض اتجاه التقارب مع

فرنسا على كل المستويات .. والآن اصبحت المصالح الفرنسية في مسقط أكثر ازدهاراً بفضل رجل كان يقوم بوظيفة مزدوجة : فهو السكرتير الخاص للسلطان وهو ايضاً مترجم نائب القنصل الفرنسي ، وهو عربي يدعى عبد العزيز من بني رواحه ، عرفه مسيو أوتافي في زنجبار ، وكان قد طرد منها مع هلال بن عامر ، الذي سنعرف المزيد عنه لاحقاً بتهمة التآمر السياسي في سنة ١٨٩٣ . ووصل عبدالعزيز الى مسقط للمرة الاولى سنة ١٨٩٣ ، وكان لا شك يعارض النفوذ البريطاني ويمقت البريطانيين لطرده من زنجبار . وأصبح موظفاً له أجر ثابت من السلطان ابتداء من نوفمبر ١٨٩٥ على الاقل .. وكان من مهامه ان يتولى المراسلات مع الوكالة البريطانية ، اذ ان بعض الخطابات التي كان السلطان يرسلها للوكالة كانت مكتوبة بخطه ، ولا شك في أنه كان يضع معرفته بهذا الامر كله بين يدي مخدومه الآخر : نائب القنصل الفرنسي .

السلطان يمنح للفرنسيين محطة لتموين الفحم ١٨٩٨ :

لقد كان سبب الازمة المباشرة اعلان نشر في الصحيفة الباريسية « جورنال دي يبا » في ٢٠ نوفمبر ١٨٩٨ بأن بارجة فرنسية قد أنشأت محطة لتموين السفن بالفحم في بندر جيشا ، وتأكد من تقرير موثوق به ان نائب القنصل الفرنسي في مسقط قد رقي لرتبة قنصل لقاء عدة خدمات هامة .. وقررت السلطات البريطانية تحري الامر الى النهاية ، لانه لو ثبتت صحة تصرف السلطان لكان خرقاً لاتفاقيته مع البريطانيين في سنة ١٨٩١ بعدم التخلي للأجانب عن أي اقليم من اقاليم عمان . وفي يناير سنة ١٨٩٩ كان احتلال الفرنسيين لبندر جيشا محتملاً كثيراً حتى اوجب وجود ضابط وطقم من بحارة سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » لفترة اقامة طويلة قضوها هناك .. وذلك لرفع العلم البريطاني في حالة ظهور أية بارجة فرنسية . ووجه العقيد فاجان الوكيل البريطاني في مسقط احتجاجاً للسلطان لخرقه اتفاقية سنة ١٨٩١ ، ورداً على خطاب العقيد

فاجان اعترف السلطان بمنحه الفرنسيين ذلك الامتياز ، الذي وصفه بعبارات مبهمة مبينـــــاً انه لا يستطيع ان يلغيه ، وكان ذكر أن وكيلاً روسياً يقيم في مسقط وأنه على اتصال بالسلطان ونائب القنصل الفرنسي معاً .

طلب تعويض عن شكاوى البريطانيين :

وكانت هناك مشكلات أخرى معلقة يتصل معظمها بحقوق الرعايا البريطانيين التي كفلتها المعاهدات متصلاً بالتعويضات المستحقة لهم والتي كان التراسل بشأنها قائماً بين السيد فيصل وحكومة الهند كما رأينا .. وفي ٢٤ يناير سنة ١٨٩٩ اقترح لورد كيرزون ، وكان قد اصبح مؤخراً نائب الملك في الهند ، اصدار التعليمات للرائد ميد المقيم السياسي في الخليج ، بأن يصفي تلك المشكلات المعلقة ، وان يبلغ السلطان بأن المعونة التي تدفع له ستوقف حتى تتم التسويات . واقترح لورد كيرزون أيضاً ، بشأن تآمر السلطان وعدائه الصريح للبريطانيين ، توجيه انذار حاسم له وقد تشاور مع حكومة صاحبة الجلالة في نصوص الانذار . وفي ٢٥ يناير ، فوض وزير الدولة لشئون الهند نائب الملك بأن يذكر السلطان بالخدمات التي سبق ان قدمتها له الحكومة البريطانية وبالنصوص والشروط التي تدفع له على اساسها معونة زنجبار وان ينذره بأنه لو استمر على مسلكه العدائي تجاه بريطانيا فستوقف الحكومة البريطانية مساعداتها له .. كما يحتمل ايضاً ان تتخذ نحوه اتجاهاً آخر ، وامر وزير الدولة ان يقوم نائب الملك بالعمل على توقيع اتفاقية مع السلطان لتسوية كل تلك الامور المعلقة وذكرانه من جانبه يوافق على اية اجراءات يتخذها نائب الملك لا تتعارض مع اعلان سنة ١٨٦٢ ، ولا تتطلب موافقة فرنسا عليها ويراها لورد كيرزون ذات أثر في المشكلات القائمة .

اضافة مطلب جديد بالغاء الامتيازات المقدمة لفرنسا . :

وحسب هذه التعليمات أعدت حكومة الهند مذكرة بالمطالب المذكورة لرفعها الى السلطان . وصدرت التعليمات للمقيم بأن يتوجه الى مسقط فوصلها في الاسبوع الاول من فبراير .. وامر لورد كيرزون – على مسئوليته – باضافة مطلب آخر الى المذكرة قبل تقديمها إلى السلطان بالغاء الامتيازات الممنوحة من جانبه لفرنسا على أساس انها خرق لاتفاقه مع بريطانيا سنة ١٨٩١ ، ولعدم رغبة بريطانيا في تجاهل المصدر الرئيسي للاضرار بعلاقاتها بعمان . وفي ٧ فبراير أضاف الرائد ميد عدة مطالب أخرى منها ابعاد عبدالعزيز الرواحي من خدمة السلطان ، ودفع ارباح قدرها ٥٪ على المبالغ المتبقية من تعويضات سنة ١٨٩٥ .. والا يفرض على الرعايا البريطانيين من الضرائب الا نظير ما يفرض على العمانيين ، وأخيراً .. ان تخفض ضرائب الاستيراد ، وضرائب التمر المجلوب من داخل عمان للتصدير ، وسائر المصدرات الى نسبة الـ ٥٪ المنصوص عليها في المعاهدة .

تقديم الانذار البريطاني للسلطان ٩ فبراير ١٨٩٩ :

وبعد ظهر اليوم التاسع من فبراير سلمت للسلطان نسخة من الترجمة العربية لتلك المذكرة بعد تلاوتها عليه ، وكان السلطان يود اعلان موافقته على المطالب المتعلقة بابعاد عبدالعزيز ودفع الارباح عن المبالغ المتبقية من التعويضات ، والمساواة بين البريطانيين والعمانيين في فرض الضريبة . لكنه طلب امهاله لمناقشة بقية المطالب . ورفض البريطانيون مبدأ المناقشة وامهلوه ٤٨ ساعة فقط لتسلم رده .

ما تم في الايام من ١٠ الى ١٤ فبراير :

وفي ١٠ فبراير أبلغ نائب القنصل الفرنسي السيد فيصل – خطياً بعد ان تسلم من السلطان نسخة من اتفاقية سنة ١٨٩١ ، بأنه لا يستطيع ان يعترف بتلك الاتفاقية لانها تتعارض ونصوص البيان المشترك لسنة ١٨٦٢ ،

كما ان السلطان لا يستطيع التراجع عن امتياز منحه للفرنسيين طواعية واختياراً بانشاء محطة لخزن الفحم . وفي ١١ فبراير كتب السلطان للمقيم يبلغه ان محطة الفحم ليست تنازلا اقليمياً وهي بالتالي ليست خرقاً لاتفاقية سنة ١٨٩١ ، وأفصح عن امله في ان يعامله البريطانيون برفق وهوادة ، ثم ضمن رده خطاب مسيو اوتافي الذي وجهه له في اليوم السابق ، وفي يوم ١٢ رد الرائد ميد على السلطان بجواب ارفق به خطاب مسيو اوتافي ، منكراً حقه في التدخل بشأن من شئون اتفاقية ١٨٩١ . وذُكّر السلطان أن فترة اللين والهوادة قد انتهت . وفي ١٣ فبراير رد السلطان برسالة للمقيم يعلنه فيها الغاء امتياز محطة الفحم للفرنسيين طالباً حماية بريطانيا له في حالة أي اجراء يتخذه نائب القنصل الفرنسي رداً على هذا العمل من جانبه . وفي ١٤ فبراير وصلت سفينة صاحب الجلالة « إكليبس » من بومباي تحمل الاميرال دوجلاس القائد العام للبحرية الى مسقط ، وكانت سفينة صاحب الجلالة « ردبريست » قد سبقتها الى هناك .

السماح باستخدام القوة البحرية ضد السلطان :

وقبل التقديم الفعلي للانذار النهائي للسلطان اقترح الرائد ميد بأنه ما دام السلطان يعتمد على معونة الفرنسيين له فيما يبدو ، فينبغي ان يؤذن باستخدام القوة البحرية اذا كان ذلك ضرورياً لاجبار السلطان على قبول الانذار . ووافق نائب الملك على هذا الاقتراح خاضعاً لعدم الاصطدام مع الفرنسيين لدى استخدام القوة ضد السلطان . وقد بين نائب الملك انه مادامت الأمور قد وصلت ذلك الحد فلا يمكن السكوت عليها من جانب الدولة البريطانية .. وبينت حكومة صاحبة الجلالة بأنها وان كانت ترى بأن المطالبة بالغاء الامتياز الفرنسي يتجاوز بعض الشيء حدود تعليماتها السابقة لكنها رغم ذلك توافق على أنه اذا كان هذا الطلب قد قدم الى السلطان فان من الممكن ارغام السلطان بالطريقة التي اقترحها لورد كيرزون للموافقة عليه ايضاً الى جانب بقية المطالب .

اجراءات يوم ١٥ فبراير :

ولم يصل التصريح باستخدام القوة اذا لزم الامر الى مسقط الا في ساعة متأخرة من يوم ١٥ فبراير ، اي في نفس اليوم الذي كان فيه الرائد ميد قد طلب – على مسئوليته – من السلطان ان يعلن الغاء الامتياز الممنوح لفرنسا علناً في مؤتمر عام ، وان يصدر بياناً رسمياً بذلك ، وان يبلغ نائب القنصل الفرنسي بالأمر خطياً ، ويرسل نسخة من نفس الرسالة للمقيم البريطاني ، وان يقدم للوكالة البريطانية نسخة من الامتياز الذي كان منحه لفرنسا ، وان يعلن موافقته على بقية المطالب المنصوص عليها في الانذار . ورفعت تقارير عن هذه الاجراءات الى وزير الدولة فرد هذا بضرورة تأكيد مساعدة بريطانيا للسلطان في حالة اتباعه نصائح البريطانيين ، غير انه استنكر بشدة الدعاية العلنية لالغاء الامتياز الفرنسي . وبعدها مباشرة اصدرت حكومة الهند تعليماتها للرائد ميد بألا يطلب من السلطان الغاء الامتياز علناً .. لكن تعليماتها لم تصل اليه الا بعد ان كان قد طلب هذا من السلطان بالفعل .

رضوخ السلطان لمطالب بريطانيا ١٦ فبراير :

وفي ١٦ فبراير .. حيث لم يكن المقيم قد تلقى بعد رداً من السلطان على خطابه الاخير تولى الاميرال دوجلاس المفاوضات بنفسه ، وطلب الى السلطان ان يقابله على ظهر سفينته في الثانية من بعد ظهر اليوم نفسه ، وفي نفس الوقت تهيأت السفينة « أكليبس » لاطلاق نيرانها على القصر وحصون المدينة ، ونحيت سائر السفن التجارية من خط النار واتخذت الاجراءات الخاصة بتحذير سكان المدينة وممثلي القنصليات الاجنبية فيها ، ثم وصل خطاب من السلطان يذكر فيه انه قد اعلن سحب الامتياز من الفرنسيين وقد أبلغ نائب القنصل الفرنسي بذلك . وكان في الخطاب – حسب طلب المقيم – نسخة من الخطاب المرسل لمسيو اوتافي .. وفيه يبرر السلطان سحب هذا الامتياز بمعاهدة سنة ١٨٩١ مع بريطانيا ، كما ارسل ايضاً نسخة من الامتياز الاصلي الذي كان ممنوحاً له . ولم يكن هذا

كافياً . وكان لا بد من مقابلة السلطان .. والآن اتضح ان الامتياز الممنوح لفرنسا كان ينص على السماح لهم باقامة محطة لتموين السفن بالفحم لكنه لم يحدد مكانها ، وكان تاريخه يرجع الى ٧ مارس ١٨٩٨ أثناء زيارة السفينة « قابس » لمسقط . واخيراً ، وبعد تسويف طويل .. جاء السلطان الى ظهر سفينة الاميرالية . وبعد فترة طويلة من المناقشة أعلن خضوعه غير المشروط لكل المطالب البريطانية . وحين رجع الى الشاطيء أطلقت له المدفعية ٢١ طلقة للتحية ، وقدم مسيو اوتافي بعدها احتجاجاً كتابياً على سحب الامتياز الفرنسي دون جدوى .

السلطان يعلن في مؤتمر عام الغاء الامتياز الذي سبق منحه للفرنسيين :

وفي ١٧ فبراير قام الاميرال دوجلاس بزيارة السلطان .. وبعد ظهر نفس اليوم،وفي مؤتمر عام حضره كل الرجال البارزين في مسقط ، أعلن السلطان تجديد علاقات الود والصداقة بينه وبين الحكومة البريطانية ، والغاء الامتياز الذي منحه للفرنسيين باقامة محطة تموين للسفن ، وكان قد نسي –هكذا قال– ان في هذا الامتياز اعتداء على حقوق البريطانيين .

★ ★ ★

سياسة فرنسا في عمان بعد سنة ١٨٩٩

استمرار تآمر الفرنسيين في عمان :

كان من نتيجة تلك الاجراءات حرمان فرنسا من أمل الحصول على قاعدة بحرية تسيطر عليها في عمان ، لكن الفرنسيين لم يداخلهم اليأس أبداً .. وظلت مؤامراتهم في عمان مستمرة طوال السنوات الثلاث التالية ، وكان محمد بن عزان ما يزال هو وزير السلطان .. وكان تعيينه في منصبه نتيجة من نتائج النفوذ الفرنسي . أما عبد العزيز ، فرغم انه قد أبعد رسمياً عن منصبه الا انه ظل قريباً من السلطان . وفي مايو سنة ١٩٠١ وصل

هلال بن عمر من زنجبار فجأة وبدأ في بث دعايات مضادة للبريطانيين بين رجال القبائل في اقليم الشرقية ، وهلال هذا هو شقيق محسن بن عمر أحد قادة تمرد سنة ١٨٩٥ ، وهو ايضاً صهر الخائن صالح بن علي مستشار حمد بن ثويني سلطان زنجبار والذي شجعه على الاهتمام ببذل نشاط في عمان . وفي يونيو ١٨٩٦ ارتحل من زنجبار الى عدن لكنه عاد مرة أخرى الى شرق افريقيا . وقد زاد عدد وكلاء فرنسا في مسقط بوصول مسيو جوجيير الذي أقام في مسقط كتاجر اسلحة وذخائر.. وأصبح في سنة ١٩٠١ الممثل الرسمي لشركة الملاحة الروسية البخارية ، ثم لحق في به سنة ١٩٠٢ اثنان من ابنائه وفرنسي آخر ، وكان مسيو جوجير قد سبب متاعب كثيرة لبلاده في تونس والحبشة ، لكنه كان مؤيداً بنفوذ الحزب الاستعماري في فرنسا ، وفي مكان آخر سنصف بالتفصيل الحملة الصحفية التي شنها على النفوذ البريطاني في عمان . وفي سنة ١٩٠١ نقل نائب القنصل الشعوبي مسيو اوتافي الذي دفعه حقده الاسود على البريطانيين الى تكرار التغيب عن مسقط تلافياً لشهود المناسبات السابقة ، وخلفه المسيو لارونس في نيابة القنصلية الفرنسية بعمان وكان رجلا اقرب الى الاعتدال من سلفه .

تسوية مشكلة محطة الفحم الفرنسية ١٨٩٩—١٩٠٠ :

وكانت نتائج اعمال البريطانيين في عمان مسيئة جداً لفرنسا ولا سيما البيان العلني من جانب السلطان ، وقد اصرت الحكومة الفرنسية على مناقشة موضوع محطة الفحم فيما بينها وبين بريطانيا على مستوى الحكومتين وحيث كان المسئولون الفرنسيون يأملون في الاحتفاظ ببندر جيشا بضمانات ناشئة من طبيعة وجودهم هناك ، فقد تذمروا من وجهة نظر الخارجية البريطانية القائلة بأن بيان سنة ١٨٦٢ قد حظر على كل من فرنسا وبريطانيا قبول تنازل او ايجار اقليمي من عمان ، وان كانوا مع ذلك قد قبلوا فهم البريطانيين للبيان المشترك المذكور . وفي مارس سنة ١٨٩٩ تلقى الفرنسيون تأكيدات من الحكومة البريطانية بأنه ليس امامهم أية صعوبة اذا شاءوا إقامة مخازن للفحم في ميناء مسقط بنفس الشروط

التي تقيم بها بريطانيا محطات تموينها للفحم في المكلا ، وكان هذا يعني الا يرفع العلم الفرنسي فوق هذه المحطة ، والا تقام استحكامات دفاعية فيها وان يكون اشغال الفرنسيين للمكان نتيجة سماح من السلطان فقط دون أية حقوق اقليمية او سيادية . وفي نهاية مارس اقترح العقيد فاجان الوكيل السياسي البريطاني ان يشترك الفرنسيون والبريطانيون معاً في محطات الفحم في خليج المكلا ، وجاء رفض الحكومة الفرنسية لهذا الاقتراح العملي والسهل تأكيداً آخر لنوايا فرنسا الحقيقية للحصول على قاعدة بحرية في عمان .. وليس مجرد محطة تموين بالفحم في ميناء لا تكاد تمر به باخرة فرنسية . وفي يوليو سنة ١٨٩٩ اقترح الفرنسيون ميناء ريام ، وعادوا في يناير سنة ١٩٠٠ فاقترحوا خليج كالبو خارج ميناء مسقط ، غير ان الحكومة البريطانية رفضت الموافقة على أي من هذين المكانين ، واخيراً قبل الفرنسيون في مايو سنة ١٩٠٠ عرض البريطانيين بقسمة خور المكلا بينهما وتمت قسمة الارض هناك بالتساوي من حيث المساحة والشكل ، واختار الفرنسيون القسم الجنوبي منها .

تطور مشكلة الاعلام الفرنسية ١٨٩٩–١٩٠٢ :

وكانت الحكومة البريطانية قد نصحت للسلطان ضمن انذار سنة ١٨٩٩ بأن يأمر رعاياه باستخدام علم مميز لهم ، وان يشرح لهم ان استخدامهم علم دولة اجنبية وخضوعهم لحمايتها امران لا يسمح بهما استقلال البلاد ، واعترض السلطان ، ثم رفض في النهاية — على اساس عاطفي فقط — ان يدخل أي تغيير على علم عمان الاحمر الغريب ، غير أنه كتب في ١٦ فبراير سنة ١٨٩٩ الى حاملي الاعلام الفرنسية في صور يطلب منهم تسليم اعلامهم ، وفي اليوم التالي أبلغ نائب القنصل في مسقط أنه لا يعترف بحق الفرنسيين في ممارسة تشريعاتهم على رعايا عمان داخل عمان ، وانه يعتبر عمل فرنسا هذا خرقاً لبيان سنة ١٨٦٢ ، وانه مستقبلا لن يعترف بهذه الحماية على أحد من رعاياه . ولم يؤد هذا الى شيء .. وخلال السنوات الاربع التالية ، لم تؤد الجهود والاجراءات المتواصلة التي لم تخل من بعض الحوادث الى حل المشكلة حلا مرضياً ونهائياً .

١٨٩٩ :

ففي أكتوبر سنة ١٨٩٩ اشتكت الحكومة الفرنسية استناداً لمعلومات غير صحيحة من ان ممثل بريطانيا في مسقط ، الى جانب تشكيكه في قيمة الأعلام الفرنسية ، قد طلب من السلطان ان يجبر رعاياه على عدم استعمال الاعلام الفرنسية واعداً اياه بمساعدة بارجة حربية بريطانية وفي نهاية نفس السنة ، كانت حكومة صاحبة الجلالة وحكومة الهند ايضاً تنظران في اتخاذ ذرائع متنوعة تهدف الى تحييد الآثار الناجمة عن نظام الاعلام الفرنسية .

١٩٠٠ :

وفي مايو سنة ١٩٠٠ أفصح السلطان عن رغبته في أن يكتب خطاباً للحكومة البريطانية يطلب فيه منها التعهد بتسوية الامر مع حكومة الجمهورية الفرنسية ، لكن طلبه هذا لم يقبل — وفي يونيو ١٩٠٠ قام السلطان الذي لم تكن له سفينة خاصة في ذلك الوقت بزيارة صورعلى ظهر سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » ، وكان الكابتن كوكس الوكيل السياسي البريطاني معه على نفس السفينة ، ولكنه لم يتدخل — لا هو ولا أحد من ضباط السفينة — في اجراءات السلطان هناك . وقد اسفرت زيارة السلطان عن تعهد من حملة الاعلام الفرنسية في ذلك الميناء في يوم ١٢ يونيو باعادة ما لديهم منها هي وتصاريح السفن الفرنسية الى السلطات التي سلمتهم اياها بأقرب فرصة ممكنة ، وذلك بعد مناقشة هادئة للموضوع . وقد شمل التعهد ما لا يقل عن ٤٥ سفينة . وكانت السفينة العمانية الوحيدة التي ترفع العلم الفرنسي والتي لم يشملها التعهد لا تنتمي الى مدينة صور ، وكان بين الشهادات التي ابرزها اصحاب السفن ثلاث صادرة محلياً عن مسيو اوتاڤي .. غير ان معظم الموقعين على ذلك التعهد لم يفوا بالتزاماتهم على أية حال لكن الحادثة كانت لها نتائجها لانها شجعت السلطان على ان يتخذ موقفاً أكثر صلابة مع المسئول الفرنسي في

هذا الصدد ، فأصدر مرسوماً مؤرخاً في ١٥ يونيو وزع على ممثلي الدول في مسقط بنفس التاريخ لكنه لم يعلن الا في ٦ أغسطس ، وفيه أعلن السلطان لشعبه انه لا يعترف بالاعلام او التصريحات الاجنبية للسفن ، وانه لن يقبل من احد من رعاياه مثل ذلك السلوك الا لو حصل على تصريح كتابي منه بذلك ، ولكن لم يتضح من آخر بند في نص المرسوم ، ما اذا كان مفعوله يسري على المستقبل فقط ام ان له اثراً رجعياً .

وفي ٢٦ يونيو ، قامت الحكومة الفرنسية ، وهي ساخطة على زيارة السلطان لصور وما نتج عنها ، بابلاغ الحكومة البريطانية ، عن طريق سفيرها في لندن ، بأنها لن تصدر تصاريح للسفن في المستقبل ، وان لجنة ستشكل لفحص التصاريح الموجودة بالفعل لتلغي منها ما صدر دون مبرر قوي . ووصلت سفينة البضائع الفرنسية « دروم » الى مسقط في اغسطس لتبحث الامر رسمياً ولكي تتحرى حكاية تجارة الرقيق في السفن التي ترفع العلم الفرنسي ، لكن تحرياتها في مسقط وفي صور كانت سطحية ومتعجلة ، ثم قام المسئولون فيها بمحاولة جديدة لاغراء السلطان بتسليمهم تصريحات الملاحة التي سلمها اليه بعض رعاياه في صور ولاغرائه ايضاً باعادة استخدام عبدالعزيز الرواحي ليتولى شئونه مع نائب القنصل الفرنسي ، لكن السيد فيصل كان حازماً في رفضه كلا المطلبين ، وفي نهاية السنة وصلت السفينة الفرنسية رافعة العلم « كاتينات » الى مسقط وصور ، وبذلت محاولة أخرى للتأثير على السلطان لكنها فشلت بدورها.

١٩٠١ :

وفي ابريل سنة ١٩٠١ اقترح كابتن كوكس لتضييق حدود الحماية الاجنبية التي اوجدها استخدام الاعلام الفرنسية — وجوب اصدار مرسوم سلطاني — لاحق لمرسوم ١٥ يونيو سنة ١٩٠٠ — يحظر على أي من رعايا عمان اعتباراً من تاريخ محدد رفع اية أعلام أجنبية في أقاليم عمان ومياهها الاقليمية دون تصريح خطي من السلطان . لكن حكومة صاحبة

الجلالة — وقد رفع اليها هذا الاقتراح — ابدت ارتيابها فيما اذا كان التمييز الذي ينطوي عليه ضمناً ممكن القبول ، لكن حكومة الهند كانت تأمل بالاذن لها بتقديم تأكيد للسلطان على غرار ما قدم اليه في سنة ١٨٩١ بأن اصرار الحكومة الفرنسية على ادعائها الحماية على رعايا السلطان في اقليم مسقط ومياه عمان الاقليمية سوف يعتبر عدواناً على استقلال عمان، وان الحكومة البريطانية تؤيده في صد مثل ذلك العدوان ، غير ان اتصالا اجراه السفير الفرنسي في اغسطس سنة ١٩٠١ أجل اتخاذ قرار في هذا الامر ، فقد قدم السفير مسيو كامبون مذكرة قال فيها ان تعهد حاملي الاعلام الفرنسية في صور بتسليم اعلامهم للسلطان انما انتزعه منهم السلطان بمساعدة السلطات البريطانية ، وهذه هي وجهة النظر نفسها التي كان مسيو اوتافي ومسيو جوجير متمسكين بها ورفعاها الى حكومتيهما ، وقد قام الفرنسيون بتحريات كثيرة بهدف اعداد قائمة تشمل اسماء حاملي الاعلام الفرنسية . وذكروا ايضاً ان اتهام السفن التي ترفع العلم الفرنسي بالتجارة في الرقيق انما هو اتهام لا ينهض عليه دليل . وكان في المذكرة ايضاً عدة مزاعم اخرى اقل اهمية تدور كلها حول تدخل البريطانيين في شئون عمان .

١٩٠٢ :

وحين كان يتم جمع المواد اللازمة لاعداد رد كامل على هذه المذكرة في مسقط ، قدم مسيو لارونس — الذي خلف مسيو اوتافي في مسقط — مذكرة تتضمن ادعاءً اعتباطياً بأن لفرنسا حق التمسك بحماية رافعي الاعلام الفرنسية على سفنهم ، وانها لا تقبل مساومة في الامر ، وحدث هذا في ٢٣ يناير سنة ١٩٠٢ اثناء زيارة قامت بها السفينة الفرنسية رافعة العلم لمسقط . وخول الكابتن كوكس بناء على اقتراح منه بتقديم احتجاج شديد اللهجة باسم اعلان سنة ١٨٦٢ ضد فرنسا التي تطالب بحق فرض الحماية على الرعايا العمانيين ، ونجح هذا الاحتجاج الذي قدم في

١١ فبراير نجاحاً يفوق كل توقع ، ففي اول مارس ابلغه مسيو لارونس أن فرنسا لا تنوي فرض حمايتها على هؤلاء الرعايا العمانيين وأنها لا تزعم لنفسها أكثر من حق الاشراف والخفر على السفن التي ترفع العلم الفرنسي كما صدر تأكيد للسلطان ايضاً من جانب نائب القنصل الفرنسي وقائد السفينة الفرنسية « كاتينات » التي كانت راسية في صور بأن الفرنسيين سيقومون بابلاغ الرعايا العمانيين الذين يحملون الاعلام الفرنسية في صور بذلك ، وبأن لا سيادة على ارض عمان الا للسلطان .

وفي مارس ١٩٠٢ اتصل السفير الفرنسي في لندن مرة اخرى بوزير الخارجية البريطانية .. وأكد له ان براءة حاملي الاعلام الفرنسية في صور من تهمة الاتجار في الرقيق قد ثبتت بعد تحريات طويلة ودقيقة .. وان السلطات الفرنسية قد تأكدت تماماً من خطأ الزعم بأن تجار الرقيق يتسترون خلف العلم الفرنسي ، وكرر السفير في هذه المناسبة الوعد الذي قدم في يونيو سنة ١٩٠٠ بعدم اصدار تراخيص فرنسية جديدة لسفن عمانية .. لكن الاحداث التالية اوضحت — ان هذا التعهد لم يكن يحول بين الفرنسيين وتجديد التصريحات الموجودة بالفعل . وفي ابريل سلم لورد لانزداون مذكرة رد لمسيو كامبون على شكاوى الفرنسيين في العام الماضي ، كانت تركز فيما يبدو على نقاط الوفاق بين الحكومتين ، وفيها ايضاً طلب بأن تبلغ فرنسا السلطان والقنصل البريطاني في مسقط ، قائمة باسماء أصحاب السفن الذين يرفعون الاعلام الفرنسية .

أزمة مفاجئة في قضية الاعلام الفرنسية ١٩٠٣ :

وفيما كانت الامور تجري هكذا بسهولة نحو تسوية نهائية حيث احتجاجات الحكومة البريطانية والسلطان تعمل تدريجياً على تخلي فرنسا عن كثير من ادعاءاتها حين حدث فجأة في ربيع سنة ١٩٠٣ ، ونتيجة حادثتين مفاجئتين ، ان تطورت مشكلة الاعلام الفرنسية الى وضع خطير . ففي ٢٦ مارس حاولت السفينة « خضرة » في صور — وهي سفينة ترفع العلم

الفرنسي — ان تخرج من الميناء رغم اوامر عبدالله بن سالم شيخ بني بوعلي فأطلق عليها رجال الشيخ نيرانهم واعادوها قسراً الى الميناء ، ومرة أخرى في ٩ ابريل قام خمسة عمانيين من صور وصلوا من بومباي على باخرة البريد البريطانية بتحطيم الحجر الصحي في مسقط ، وكان لثلاثة منهم قوارب تحمل العلم الفرنسي فاعتبرهم وكيل القنصلية الفرنسية في حمايته ، وفر المعتدون بعدها مباشرة في قارب شراعي الى صور فطاردهم موظف من موظفي السلطان بقارب بخاري استأجره لهذا الغرض من سفينة صاحب الجلالة « بيرسيوس » وأعاد القاء القبض عليهم. وقد حدثت الحادثة الاولى في نفس الوقت الذي راحت فيه اشاعة في فرنسا تزعم بأن انجلترا تنوي ضم مسقط الى املاكها ، وطلب وكيل القنصلية الفرنسية مبلغ ١٥٠٠ روبية تعويضاً عما أصاب السفينة من أضرار ، اما في الحالة الثانية الخاصة بهؤلاء المواطنين الذين زعم وكيل القنصلية لهم حق الحماية الفرنسية ، فان السلطان ، فيما أعلن موافقته على القرار الذي تتخذه لجنة مشتركة من البريطانيين والفرنسيين فيما يتعلق بالقضيتين ، لم يخضع لمطالب وكيل القنصلية الفرنسية وعامل المعتدين كرعايا عمانيين فقط فأمر بحبس كل منهم ثلاثة اشهر . وحين وصلت هذه الاخبار الى الحكومة البريطانية قررت ان تقف الى جانب السلطان ، على أساس أنه محق تماماً في ممارسة حقوقه في السيادة على رعاياه ، وارسلت سفينة صاحبة الجلالة « ناياد » لتلحق بالسفينة « بيرسيوس » في ميناء مسقط ، وكانت السفينتان هناك قبل ان تصل السفينة الحربية الفرنسية « إنفيرنيت » اليها ، وبذل القنصل الفرنسي جهوداً كبيرة بالاشتراك مع قائد السفينة « انفيرنيت » لاطلاق سراح المسجونين الخمسة . لكن السلطان الواثق من وقوف الحكومة البريطانية الى جانبه أصر على موقفه .

اتفاق بين بريطانيا وفرنسا لرفع الامر لتحكيم دولي :

وهنا وبسبب طلب عاجل قدمه السفير الفرنسي في لندن لاطلاق سراح مساجين صور الذين اعتبرهم رعايا فرنسيين ، انتقل الموضوع الى

الحكومتين الفرنسية والانجليزية مباشرة وتوقفت المباحثات المحلية في مسقط ، وكان كل جانب يرى في الامر تهديداً لمصلحته الدولية ، وخشي الكثيرون اقتراب اللحظة الحرجة ، واخيراً تمت الموافقة على اقتراح قدمه لورد لانزداون بموافقة مجلس الوزراء البريطاني برفع الامر كله الى المحكمة الدولية في لاهاي ، واعتبر هذا حلا ملائماً للمشكلة ، وتم الاتفاق بين الدولتين ايضاً على ان يطلق السلطان سراح المسجونين الخمسة ولكن دون تسليمهم للسلطات المحلية الفرنسية في مسقط ، وان تنسحب السفينة الحربية الفرنسية « انفيرنيت » ، وطبقاً لذلك تم اطلاق سراح هؤلاء في ٢٩ مايو ، وغادرت سفينتا صاحبة الجلالة « ناياد » و «برسيوس» مسقط في اليوم التالي .. وظلت السفينة « بومون » هناك حتى رحلت السفينة الفرنسية « انفيرنيت » في ٣ يونيو ، ولا شك في ان النتيجة المباشرة لاطلاق سراح هؤلاء المسجونين كانت الحط من قدر السلطان الذي دأبت قوارب صور بعدها على الانتقاص من سلطته ، وذلك برفع اعلامها المثلثة الالوان وهي تتهادى حول مقدمة سفينة السلطان « نور البحر » دون ان تجرؤ هذه على مسها بشيء .

إجراءات تمهيدية ١٩٠٤ – ١٩٠٥ :

وفي اوربا استمرت الاجراءات بطريقة اسرع واكثر حسماً ، ففي مارس ١٩٠٤ – وكان الاتجاه العام للاحداث السياسية يسير نحو تسوية المشكلات السياسية المعلقة بين انجلترا وفرنسا – حاولت فرنسا سحب قضية العلم الفرنسي في عمان من محكمة لاهاي وتسويتها مباشرة على مستوى المسئولين الكبار في الحكومتين ، غير ان الحكومة البريطانية لم توافقها على ذلك ، وظلت الاجراءات العادية في طريقها . وفي ١٣ أكتوبر سنة ١٩٠٤ تم توقيع اتفاقية او هي ترضية باحالة القضية الى المحكمة الدولية في لاهاي وقعها لورد لانزداون وزير الخارجية البريطانية ومسيو بول كاميون السفير الفرنسي في لندن ، وفيها حددت النقاط التي يجب تسوية الخلاف حولها ، والاجراءات الواجب تطبيقها ،

وبعدها عينت فرنسا أ. ب. دى. سافورنين لوهمان عضو الدائرة الثانية لمحكمة الدولة في هولنده ووزير الداخلية السابق فيها محكماً عنها ، وعينت بريطانيا مستر ميلفيل و. فوللر كبير قضاة المحكمة العليا في الولايات المتحدة محكماً عنها .. وعين دكتور ه. لاماش عضو مجلس الشيوخ النمسوي واستاذ القانون الدولي بجامعة فينا رئيساً لهيئة التحكيم بترشيح من صاحب الجلالة ملك بريطانيا ، واجتمع اعضاء هيئة التحكيم للمرة الاولى في لاهاي بتاريخ ٢٥ يوليو سنة ١٩٠٥ وتابعوا عقد جلساتهم في ١، ٢، ٨ أغسطس وفي هذه الجلسة الاخيرة تم اتخاذ قرار التحكيم .

أعمال لجنة التحكيم في لاهاي ١٩٠٥ :

ومن المستحيل ان نتابع هنا تفاصيل المناقشات التي دارت على مراحل الادعاء ، والادعاء المضاد والنقاش بين اعضاء المحكمة في هذه القضية وحسبنا القول بأن موقف فرنسا المتحفظ ارغم بريطانيا على ان تتخذ موقف المدعي الذي حاولت كثيراً ان تتجنبه ، وان تضطر الى محاولة تحديد الموقف الفرنسي الذي صيغ بعبارات قانونية مبهمة طلباً للغموض .. وكانت الحجج الاساسية التي قدمتها بريطانيا هي : (١) انه لا يحق — قانوناً — لرعايا سلطان عمان — دون تصريح منه — الحصول على أعلام واوراق فرنسية الا في حالة وجود معاهدة بين فرنسا والسلطان تتيح لهم ذلك ، ولا وجود لمثل هذه المعاهدة . (٢) انه حسب نص المادة الثانية والثلاثين من قانون بروكسل لسنة ١٨٩٠ لا يحق لفرنسا ان تسلم أعلامها الا للعرب الذين هم : (أ) رعايا فرنسيون .. او (ب) رعايا دول تحت الحماية الفرنسية ، والعمانيون لا ينطبق عليهم أي من هذين الشرطين . (٣) ان تشجيع فرنسا رعايا عمان على عدم تنفيذ رغبة سلطانهم في سحب الاعلام والاوراق الفرنسية يعتبر عدواناً من جانب فرنسا على استقلال عمان ، وهو بالتالي خرق لبيان سنة ١٨٦٢ . (٤) ان تقديم أعلام وأوراق فرنسية — حتى لو كان مسموحاً به — فلا يمكن ان يعفي

الرعايا العمانيين من سلطة السلطان ويخرجهم منها في الاقاليم والمياه الاقليمية العمانية . (٥) أنه على اية حال ، فحق ملكية هذه الاعلام والاوراق شخصي لا ينتقل بالوراثة . (٦) ان الاعلام والاوراق التي تمنح لسفينة ما لا يجوز بحال من الاحوال نقل ملكيتها الى سفينة اخرى . أما حجج فرنسا فكانت : (١) ان شروط المواطنة في عمان امر غير محدود ولا مقيد . (٢) ان وضع هؤلاء الذين تسلموا اعلاماً فرنسية هو وضع جماعة مهاجرة جابوا بحاراً متعددة الجنسيات .. ولم تكن ارتباطاتهم بالمستعمرات الفرنسية أقل من ارتباطاتهم بعمان . (٣) ان عمان — من حيث علاقاتها بالدول الاوربية — هي دولة اسلامية ويجب ان يكون التعامل معها على غرار التعامل مع الامبراطورية التركية من حيث « نظام الامتيازات » . كما احتج الفرنسيون ايضاً ضد القناعات البريطانية العميقة مطالبين باستمرار الأعراف المرعية ، ومما هو جدير بالذكر ان الفرنسيين .. لم يحاولوا ان يقدموا دليلا واحداً على ارتباط قارب واحد — من مجموع القوارب التي ترفع اعلاماً فرنسية وقدرها ٢٦ قارباً — بمستعمرة من المستعمرات الفرنسية . وقد استبعدت المحكمة من حجج طرفي النزاع ما رأته خارجاً عن حدود النزاع القانوني .. كزعم بريطانيا بأن تجارة الرقيق تتستر خلف الاعلام الفرنسية في صور وزعم فرنسا بأن بريطانيا نفسها قد خرقت بيان سنة ١٨٦٢ غير مرة واحدة .

قرار المحكمة ٨ أغسطس ١٩٠٥ :

وقد وجدت المحكمة ان الامر كله يحكمه — من حيث الجوهر — قانون بروكسل لسنة ١٨٩٠ بعد تصديق الحكومة الفرنسية عليه في يناير ١٨٩٢ ، وأن حق أية دولة اوروبية في أن توجد اتباعاً لها في عمان يجب أن تحدده حالات نظيرة للامارات الاسلامية في الغرب المتعاقدة مع الدول المسيحية باتفاقيات نظيرة ، وقررت المحكمة ما يأتي فيما يتعلق بشرعية مزاعم فرنسا : —

ان فرنسا كان لها قبل ٢ يناير سنة ١٨٩٢ صلاحية الترخيص للسفن التابعة لرعايا صاحب العظمة سلطان مسقط برفع الاعلام الفرنسية خاضعاً فقط للتشريعات والاحكام الادارية الفرنسية وأن لاصحاب السفن الوطنية الذين كانت فرنسا قد سمحت لهم – قبل سنة ١٨٩٢ برفع العلم الفرنسي – حق الاحتفاظ بامتيازهم هذا طالما رغبت فرنسا في تجديده .

وأنه ليس مسموحاً لفرنسا – بعد ٢ يناير سنة ١٨٩٢ – بأن تمنح رعايا صاحب العظمة سلطان مسقط حق رفع العلم الفرنسي على سفنهم الا لو اثبت هؤلاء انهم كانوا بالفعل تحت حماية فرنسا قبل سنة ١٨٦٣ .

أما بالنسبة لنتائج رفع العلم الفرنسي ، وإمكان نقله او انتقاله من مالك لآخر فقد قررت المحكمة :

أن سفن عمان المرخص لها كما مر أعلاه برفع العلم الفرنسي تتمتع داخل المياه الاقليمية لعمان بالحماية المنصوص عليها في الاتفاقية الفرنسية– العمانية المؤرخة في ١٧ نوفمبر ١٨٤٤ ، وان التفويض برفع العلم الفرنسي على سفينة ما لا يجوز ان ينتقل من مالك لآخر ، ولا من سفينة لاخرى ولو كان صاحبها هو نفس الشخص .

وان رعايا صاحب العظمة سلطان عمان من اصحاب السفن التي ترفع العلم الفرنسي أو من العاملين عليها ،وطواقم البحارة العاملين على هذه السفن ، وعائلاتهم . هؤلاء جميعاً ليس لهم اية حقوق تخرج بهم عن الولاء لسلطان عمان وبشكل خاص لا تخرج بهم عن الالتزام بأوامره وتشريعاته .

وجاء قرار المحكمة – كما رأينا – مؤيداً في معظمه المطالب البريطانية بالنسبة لسائر النقاط الهامة التي تناولها . ولم يترك شيئاً ليقرر لاحقاً عدد السفن التي يصرح لها برفع العلم حسب الشروط المنصوص عليها فيما سبق . ونضيف هنا ان سلطان عمان – رغم تفويضه للحكومة البريطانية بأن تتحدث باسمه – وباسمها – الا ان فرنسا اثارت اعتراضاً على ارتباط اسم السلطان بالحكومة البريطانية ، واستبعد هذا الاعتبار بالتالي من حيث أن السلطان ليس طرفاً في القضية بعد تجاوز مراحلها الاولى .

الاعمال التالية لقرار التحكيم ١٩٠٥ – ١٩٠٦ :

وصدرت تعليمات إلى العقيد و. جراي القنصل البريطاني في مسقط ، والى مسيو لارونس نائب القنصل الفرنسي فيها – وكان هذا الاخير في اوربا خلال سير التحكيم في لاهاي – بالتعاون معاً لوضع قرار المحكمة موضع التنفيذ . وقد اتفقا على ان اصدار بيان من جانب السلطان هو أفضل الوسائل لاعلام اهل عمان بمقررات المحكمة ، أما فيما يتعلق بالقائمة التي تضم اسماء أصحاب السفن التي ترفع العلم الفرنسي – وكان مفروضاً ان يُعدها هذان المسئولان بالتشاور فيما بينهما – فلم يمكن التوصل لاتفاق بشأنها . فقد كان مسيو لارونس يقول إن عدد اصحاب السفن المصرح لها برفع العلم الفرنسي هو ٢٢ شخصاً و ٤٦ سفينة ، في حين كانت معلومات العقيد جراي تشير الى انهم ١٤ و ١٨ على التوالي فقط ، واخيراً في ١٣ اغسطس سنة ١٩٠٦ قررت حكومة صاحب الجلالة – دليلا على صداقتها وبهدف منع زيادة عدد السفن او انتقال العلم من السفينة التي تفقد او تغرق او تباع الى سفينة اخرى – الا يزيد عدد السفن عن العدد المحدد بأية حال من الاحوال . وكان من رأي حكومة صاحب الجلالة ان اصحاب هذه السفن بمجرد رسوهم الى ارض عمان يصبحون بالتالي خاضعين لقوانينها ، لكنها لم تعترض على ان يأمر نائب القنصل الفرنسي – في حالة الجرائم التي ترتكب في عرض البحر على سفن ترفع العلم الفرنسي – بأن يمثل المعتدون امام محكمة فرنسية أخرى . كما كان من رأي حكومة صاحب الجلالة ان اهل عمان يجب ان يعرفوا بأن عقاباً رادعاً سيوقع بهم في حالة الخروج على نصوص التحكيم وانهم احرار في ان يعلنوا – في أي وقت – تخليهم عن حق استخدام العلم الفرنسي ، ويجب الاتصال دائماً بالحكومة الفرنسية بشأن هذه الامور ، كما يجب ان يطلب اليها ابلاغ السلطان والقنصل البريطاني بانتقال العلم من سفينة لاخرى ، وان تقدم لهاتين السلطتين قائمة سنوية بما يبقى من اصحاب السفن ومن السفن نفسها على قيد الحياة .

علاقات السلطان ببريطانيا العظمى بعد سنة ١٨٩٩

تحسن الموقف :

بعد فبراير سنة ١٨٩٩ بدأ موقف السلطان من ممثل بريطانيا في مسقط يتحسن ، وقام السيد فيصل في الشهر التالي بأول زيارة ودية للعقيد فاجان في الوكالة السياسية البريطانية ، لكنه ظل على شيء من شكوكه ، كما ظل الامل يراوده بأن ترفض الحكومة الام في النهاية مقررات حكومة الهند ، وهي فكرة كان مسيو أوتافي هو الذي يشجعه دائماً على التمسك بها . وفي صيف سنة ١٨٩٩ عين كابتن كوكس وكيلا سياسياً في مسقط ، وخلال السنوات الاربع التالية أدت توجيهاته القديرة والمتعاطفة مع السلطان الى افضل النتائج . وفي مايو ١٩٠٠ — ورغم ان السلطان ظل يرفض استبعاد محمد بن عزان من منصبه كوزير له — الا انه وافق على أن يجعل في مكانه في الشئون الخاصة في الوكالة البريطانية الوزير السابق محمد ابن سعيد الذي كانت ميوله نحو البريطانيين واضحة لا شك فيها .

زيارة السيد تيمور للهند ١٩٠٢ — ١٩٠٣ :

وقد وجهت الدعوة الى السلطان لحضور مهرجان التتويج في دلهي في يناير سنة ١٩٠٣ ضيفاً على حكومة الهند ، وتركت له حرية ارسال ممثل له ان لم يستطع الذهاب بنفسه . ولم يغامر السلطان بالبعد فترة طويلة عن مملكته فأناب عنه أكبر ابنائه السيد تيمور يرافقه السيد يوسف زواوي احد اصدقاء السلطان ومستشاريه ، وأحمد بن ناصر حاكم مطرح وكثيرين غيرهم . وصحب العقيد كوكس هذا الوفد كمسئول سياسي ، وحمل السيد تيمور هدايا قيمة من ذهب مسقط الى صاحب الجلالة الملك ادوارد سلمها الى نائبه في الهند ، وفي مسقط احتفل السلطان بيوم التتويج بأن اطلقت مدافعه ١٠١ طلقة للتحية ، وقام هو بزيارة

الوكالة البريطانية زيارة رسمية لتقديم التهاني . وعقب انتهاء مراسيم الاحتفال في دلهي قضى السيد تيمور اسبوعين في بومباي ، وزار بونا حيث التقى لقاء ودياً بعمه الكبير عبدالعزيز المنفي هناك ، وقام – قبل عودته الى مسقط – بجولة زار خلالها أجرا وعليكره وكلكتا . ولم يعد الى مسقط الا في منتصف فبراير سنة ١٩٠٣ .

زيارة لورد كيرزون لمسقط ١٩٠٣ :

وجاء دليل جديد يؤكد المودة المتبادلة على مستوى دولي ، وتمثّل في الزيارة الرسمية التي قام بها لورد كيرزون نائب الملك في الهند لمسقط في نوفمبر ١٩٠٣ ضمن جولة له في الخليج ، وقد أشير الى الاحتفالات والبيانات الرسمية التي تمت خلال هذه الزيارة بالتفصيل في مكان آخر. وحيث كان السلطان يفكر من قبل في التنازل عن السلطنة لولده تيمور ، فقد وضع نفسه الآن تماماً بين يدي حكومة الهند وأعلن انه سيسترشد بآرائها في هذه المشكلة ، وقد قام نائب الملك بتقليد عظمته وساماً هندياً رفيعاً خلال لقاء جرى على ظهر السفينة « ارجونوت » وقد تكشف من حديث عابر أدلى به السيد محمد بن تركي في حضرة نائب الملك ان شقيق السلطان الاكبر يطمع في تولي السلطنة فيما لو شغر منصب السلطنة .

عمان والاتفاقية السياسية العامة بين بريطانيا وفرنسا ١٩٠٤ :

وفي فبراير سنة ١٩٠٤ ابلغت حكومة صاحب الجلالة حكومة الهند أنه سيكون ضمن تسوية عامة تجري المفاوضات بشأنها مع فرنسا تأمين اعتراف فرنسا بالحماية البريطانية على عمان . وتساءلت الحكومة البريطانية عمّا يمكن اقتراحه كبديل لذلك اذا استحال الحصول على مثل ذلك الاعتراف الفرنسي . وجاء رد لورد كيرزون بأنه لا يمكن ان يكون هناك حل للمشكلة سوى الاعتراف الفرنسي بالحماية البريطانية على عمان أو الغاء البيان الفرنسي–البريطاني المشترك لسنة ١٨٦٢ .

إخلاء طرف السلطان من سائر ديونه لحكومة الهند في سنة ١٩٠٠ :

استمرت بعد ازمة سنة ١٨٩٩ سياسة المعونة المالية من جانب الحكومة الهندية لعمان في صورة معونة « زنجبار » الى جانب القروض الخاصة ، وكانت معونة زنجبار هذه قد قطعت عن السلطان – بالنظر لمسلكه غير المرضي – منذ بداية ديسمبر ١٨٩٨ . ولم يدر الحديث حول تجديدها مرة أخرى الا بعد حوالي عشرة أشهر حين طلب السلطان ذلك ، وفي نهاية سبتمبر ١٨٩٩ بلغت ديون السلطان للحكومة البريطانية ٩٠ الف روبية منها ٣٤ الفاً هي رصيد غرامة سنة ١٨٩٥ ، و ٣٦ الفاً رصيد قرض سنة ١٧٩٧ ، و ٢٠ الفاً هي الاقساط المتأخرة الدفع من ذلك القرض ، وفي الوقت نفسه بلغ مجموع متأخرات المعونة حوالي ٧٢ الف روبية ، غير ان حكومة الهند كانت ترى ان السلطان قد خسر حقه في هذه المتأخرات . وكانت الغرامة المفروضة على تأخير دفع الغرامة ما تزال سارية ، لكن عوائدها كانت تتناقص بشكل دائم بسبب طريقة تحصيلها المباشرة ، وظلت مشكلة المعونة تحت البحث حتى العام التالي . وفي أكتوبر سنة ١٩٠٠ قررت حكومة الهند تصفية جميع متأخرات حساباتها من المعونة ، وتم الاتفاق على هذا في اكتوبر سنة ١٩٠٠ ودفع للسلطان مبلغ صغير هو الرصيد الباقي له من متأخرات المعونة .

مزيد من القروض للسلطان ١٩٠٢ و ١٩٠٣ و ١٩٠٤ :

ولكن خلو السيد فيصل من الدين للحكومة الهندية لم يدم طويلا ، ففي سنة ١٩٠٢ تسلم السلطان قرضاً قيمته ١٦١,٩٥٦ روبية لشراء سفينة بخارية كان بحاجة اليها ، وتقرر خصم قيمة هذا القرض من معونة زنجبار على اقساط صغيرة بواقع ٣ آلاف روبية في كل شهر . وفي سنة ١٩٠٣ ، وبسبب أخطار كانت تتهدد حكومة السلطان من رستاق ، حصل على مبلغ ٢٠ الف روبية مقدماً بخصم بواقع الف روبية

كل شهر من معونة زنجبار . كذلك حصل في سنة ١٩٠٤ على قرض آخر – بشروط مشابهة – قدره ٣٠ الف روبية لنفقات زواج ابنه السيد تيمور . وبمناسبة هذا القرض الاخير ابلغ السلطان انه لن يكون له حق في الاقتراض مستقبلا الا من الحكومة البريطانية والى ان يسدد التزاماته المالية لحكومة الهند . وفي اغسطس ١٩٠٥ ، وكانت ديون السلطان لحكومة الهند ما تزال تتجاوز ١٠٠ الف روبية ، وديونه لاشخاص آخرين في سلطنته تصل الى نفس الرقم تقريباً ، طلب قرضاً جديداً قدره ٢٠ الف روبية ليمكن بعض أفراد اسرته من الذهاب للحج ، ولكن اثناء المباحثات المتعلقة بهذا الطلب استطاع السلطان ان يحصل على المبلغ المطلوب من دائن آخر ، وهكذا ارتكب السلطان – كما اعترف بنفسه فيما بعد – خرقاً للالتزام الذي التزم به بالا يقترض من مصدر سوى الحكومة البريطانية ، وجاءت قرارات التحكيم في لاهاي في ذلك الوقت لتمكن الحكومة البريطانية من ان تسلك مسلكاً أكثر حزماً وصلابة حيال مشكلات السلطان المالية . وكان من رأي حكومة الهند عدم الاستمرار في تزويد السلطان بمثل تلك القروض الصغيرة لاغراضه المختلفة ، بل يجب تقديم قرض واحد ضخم لقاء ضمانات كافية لدفعه . وابتدأت مفاوضات بشأن قروض السلطان على أساس شرطين اثنين هما (١) ان يستعير السلطان موظفاً من حكومة الهند يصبح مسئولا عن عوائد عمان الجمركية و (٢) ان يكون استخدام كل قرض داخلاً في نطاق تخطط عام لاصلاح ماليته . ولكن في ديسمبر سنة ١٩٠٥ توقفت المفاوضات الدائرة مع السلطان في ذلك الصدد بنصيحة من حكومة صاحب الجلالة بوقف أي اجراء حتى يتم تحقيق الاجراءات الناتجة عن قرارات محكمة لاهاي . وفي نهاية سبتمبر ١٩٠٦ كان دين السلطان لحكومة الهند قد انخفض الى مبلغ ٤٥,٧٩١ روبية .

فشل محاولة وضع اشراف بريطاني على عوائد السلطان :

كانت مسألة تعيين موظف بريطاني يكون مسئولا عن عوائد الجمارك السلطانية قد نوقشت في وقت مبكر من سنة ١٨٩٧ ، وأصبحت هذه المشكلة بعد ١٨٩٩ بنداً هاماً في سياسة حكومة الهند . وفي ١٩٠٤ وضعت خطة لتنظيم هذا الموضوع بالاستعانة بالبنك الامبراطوري في ايران بالطلب اليه فتح فرع له في مسقط . غير ان الفكرة استبعدت قبل اطلاع السلطان عليها واستبدلت بأخرى كانت اهم بنودها توصية السلطان بتعيين موظف ترشحه حكومة الهند ليكون مسئولا عن العوائد على ان يتم التحكيم في أية خلافات قد تنشب بينه وبين موظفي السلطان عن طريق الوكيل السياسي . وبهذه الشروط تضمن حكومة الهند للسلطان حداً أدنى من العوائد كل شهر قيمته ٢٠ الف روبية ، ورفعت هذه الاقتراحات أخيراً لوزير الدولة لشئون الهند في فبراير سنة ١٩٠٥ ، فوافق على الاجراء الاول لكنه علق موافقته على الثاني والثالث .. ومرة أخرى تأجل المضي بأي من تلك الخطط بسبب استمرار تعليق مشكلة الاعلام الفرنسية . وقد بدا ان تردد السلطان حيال تغيير نظام العوائد الجمركية يرجع لغير سبب واحد ، فهو يخشى ان يحرمه النظام الجديد مما كان قد تعود عليه من سلفيات يقبضها مقدماً من ملتزمي جمع العوائد كذلك كان يخشى ان يلغي النظام المقترح ايضاً تلك الاستثناءات الشخصية والقبلية التي كان السلطان يمارسها ، الى جانب انه كان متأثراً بالدعاية الفرنسية التي كانت تتردد أصداؤها في الصحافة العربية ، بأن العوائد في مسقط ، بل وحكومة مسقط كلها تزمع ان تصبح خاضعة للنفوذ البريطاني .

اقامة رقابة صحية بريطانية في ميناء مسقط ١٩٠٠ :

وفي ابريل ١٨٩٩ انتشر الطاعون في مسقط ومطرح ، وبرزت مشكلة الاشراف الصحي والسيطرة على اوضاع الموانيء ، وكان موقف السيد فيصل من هذه المشكلة عنيداً في البداية ، ولكن لما خف تاثير

نائب القنصل الفرنسي عليه . وزادت ثقته في مستشاريه البريطانيين أصبح لا يعارض كثيراً في تلك الاجراءات ، وهكذا في اول اكتوبر سنة ١٩٠٠ ، وبعد الحصول على موافقة مسبقة من حكومة الهند ، جعل السلطان طبيب الوكالة البريطانية في مسقط مسئولا عن كل الادارة الصحية والعاملين بها في المدينة الى جانب تعيينه نفس الشخص طبيباً خاصاً للسلطان وعائلته . وأصبحت رقابة الحجر الصحي الزامية بالنسبة للرعايا البريطانيين ومن هم تحت الحماية البريطانية بمقتضى اعلام أصدره القنصل البريطاني في مسقط بتاريخ ٦ يوليو سنة ١٩٠٣ . ويتناول الملحق الخاص بالتنظيمات الصحية والوبائية بالتفصيل هذه المشكلة وما يدور حولها .

دخول الخدمات البرقية الى مسقط ١٩٠١ :

وفي الملحق الخاص بالبرق والتلغراف في الخليج تفصيل للظروف التي أدت في نوفمبر سنة ١٩٠١ الى ارتباط عمان بالعالم الخارجي عن طريق الاتصال التلغرافي بمد حبال سلكية من جاشك الى مسقط .

حماية الرعايا البريطانيين في عمان من سنة ١٨٩٩ حتى اليوم :

وبعد ١٨٩٩ وبفضل هدوء الحالة في البلاد عموماً لم تكن حماية الرعايا البريطانيين ومعاقبة المعتدين تتطلب جهداً كبيراً باستثناء حالة واحدة كانت على جانب من الخطورة ، لكن الغارات القبلية ظلت مستمرة حسب طابعها المألوف .

حادثة في قريات ١٨٩٩ :

وحين عجز السلطان عن الحصول على التعويض من أهل القبائل دفع من جيبه الخاص حوالي ١٢٠٠ روبية تعويضاً لاربعة تجار بريطانيين نهبت بضائعهم في سوق قريات عصابة من الشرقية يتزعمها حمد بن الشيخ صالح بن علي الذي مر بنا ذكره من قبل .

حادثة « البارون انفردال » ١٩٠٤ :

أما أخطر الحوادث في هذه الفترة فكان ضياع سفينة بريطانية على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية حيث الناس هناك قساة لا يعرفون شيئاً عن المدنية ، وحيث يكون دائماً مصير بحارة السفن الغارقة موضع شك مريب . ففي ٢ أغسطس سنة ١٩٠٣ حدث انفجار أدى الى اشتعال النيران في السفينة الفرنسية « اميرال جيودون » فجنحت الى رأس حاسك ، وفرض ممثل السلطان في ظفار وشيخ مربط حمايتهما على طاقم السفينة والمسافرين عليها وكان عددهم ٥٦ رجلا حتى انتهى المد فأرسلوا في قوارب أهلية الى مسقط ، غير انهم فيما كانوا في طريقهم الى جوار رأس مدركه التقطتهم السفينة البخارية الروسية « تروفور » . وبعدها بعام بالضبط ، أي في ٢ اغسطس ١٩٠٤ اصطدمت السفينة البخارية «بارون انفرابل » وحمولتها المسجلة ٢١٤٠ طناً وتقل ٣١ نسمه معظمهم من البريطانيين بجزيرة جبلية إحدى جزر مجموعة كوريا — موريا . وكان لهذه الحادثة عدة نتائج مؤسفة . وفضل ثمانية من البحارة اليونانيين كانوا على ظهرها البقاء على حطامها وظلوا هكذا مدة اسبوعين حتى التقطتهم السفينة البريطانية « بروم » ، أما باقي من كان عليها فقد استقلوا قاربين من قوارب الانقاذ متجهين الى البر . فأما القارب الصغير من هذين ، ولا بد كان به ٦ أشخاص ، فلم يسمع أحد عنه شيئاً بعد ، أما الثاني فيبدو انه رسا على الطرف الجنوبي لجزيرة مصيره بعد ان اجتاز المضيق المعروف بهذا الاسم . وهناك ذبح العرب ال ١٧ رجلا الذين كانوا به للاستيلاء على امتعتهم في منتصف شهر أغسطس . وبمجرد ان وصلت أنباء ما حدث الى مسقط ، بادر السيد فيصل والعقيد جراي ، الوكيل السياسي في مسقط إلى التوجه الى جزيرة مصيره حيث قضيا بها الفترة من ١٠ الى ١٨ سبتمبر دون ان يستطيعا اكتشاف أي أثر من آثار المذبحة التي حدثت ، وسبق ذلك ان قامت السفينة البحرية الملكية « داهوزي »

بزيارة لمكان السفينة الغارقة ، وقامت سفينة صاحب الجلالة «لاب ونج» بجولة حول الجزيرة دون ان تستطيع استكشاف أي دليل واحد يمكن الاسترشاد به الى سبيل الضحايا . وفي نهاية سبتمبر توجه السلطان مرة اخرى الى جزيرة مصيرة — بمفرده هذه المرة — ثم عاد الى مسقط بعد اسبوعين وقد أحاط علماً بكل تفاصيل الجريمة ، كما رجع ومعه ١٠ أشخاص من الذين اشتركوا في المذبحة وكلهم من قبيلتي جنابه وآل بو عيسى . وتمكن أحدهم من الالقاء بنفسه من ظهر السفينة الى البحر أثناء رحلتها نحو مسقط . كما رجع السلطان ايضاً وفي أسره ١٢ رجلا من الدواة وام رصاص ساهموا في التستر على آثار المذبحة ، وكانت الادلة قاطعة على ان هؤلاء الافراد هم الذين ارتكبوا الجريمة . فأمر السلطان باعدامهم ، وحسب التقاليد العمانية الخاصة بالقصاص اعيد المجرمون الى مكان ارتكاب الجريمة ، وهناك اطلق عليهم عساكر السلطان الرصاص وحثي التراب على جثثهم دون حفاوة ، وذلك في حضرة السيد تيمور الابن الاكبر للسلطان والعقيد جراي وعدد من بحارة سفينة صاحب الجلالة « مرلين » ، كما احرقت قرية جدوفه الصغيره في رأس حلف — وهي أقرب قرية لمسرح الجريمة — واقيم نصب حجري يرمز الى توقيع العقوبة على هؤلاء القتلة ، فوق صخرة عالية مجاورة ، كما اقيم نصب رخامي تذكاري فوق قبور الضحايا وتليت عليهم الصلوات المعتادة . وظل بعض الافراد العادين — او بالاحرى بعض الرهائن — في الحبس بمسقط حتى يناير سنة ١٩٠٦ ثم أطلق سراحهم بعد ان تأثرت صحتهم كثيراً ، وبعد أن أصبح أكيداً أنه لا حبسهم ولا أية وسيلة أخري من شأنها الارشاد الى بقية المعتدين اوتحصيل التعويضات اللازمة .

تفسير المعاهدة التجارية لسنة ١٨٩١ :

ولم تحدث أية مشكلة جديدة خلال الفترة التي نتناولها الآن حول حقوق البريطانيين المكفولة بمقتضى المعاهدة في عمان . وفي سنة ١٩٠٠

حدث خلاف بسيط في وجهات النظر بين السلطان والوكيل السياسي حول تفسير نص جاء في الاتفاقية التجارية لسنة ١٨٩١ متعلقاً بالشحن . فقد كان السلطان يرى ان الاعفاء من الضريبة لا يمكن ان يسري على البضائع التي تصل مسقط اللهم الا اذا كانت مسجلة في القائمة الخاصة بالبضائع التي ستشحن او يعاد تصديرها ، وكانت حكومة الهند ترى ان وصول هذه البضائع الى مسقط يعني وصولها الى « نقطة النهاية » من رحلتها . واخيراً تم اقناع السلطان — لمصلحة التجارة — بأن يفهم هذا النص الذي جاء بالاتفاقية فهماً يتسم بالتحرر وسعة الافق ، وقال السلطان فيما بعد ان الذي دفعه الى المعارضة هو وجود بعض التجار المتلاعبين الذين يحتفظون ببضائعهم المعفاة من الجمارك في مخازن خاصة بهم ، ثم لا يعيدون شحنها او تصديرها .

الاعداد لتجديد الاتفاقية :

وفي سنة ١٩٠٣ بدأت حكومة الهند التفكير في تجديد معاهدة ١٨٩١ التجارية بعد ان انقضت المدة التي كانت محددة لسريانها ، وتأخرت اجراءات هذا العمل سنتين بسبب قضية الاعلام الفرنسية ، ولكن اخيراً في نوفمبر سنة ١٩٠٥ فوض وزير الدولة حكومة الهند البدء في مفاوضات الاتفاقية الجديدة ، كما وافق في الوقت نفسه على نصوصها المقترحة ، بعد ان ادخلت عليها عدة تعديلات طفيفة فقط .

الضريبة الداخلية وعلاقتها بالمصالح التجارية البريطانية :

وفي موسم التمور لسنة ١٩٠٣ كشفت شكوى مقدمة عن اعتزام السلطان رفع ضريبة المحصولات الزراعية او الزكاة المحددة بنسبة ١٪ عن اشياء كثيرة هامة . فعلى سبيل المثال تبين لحكومة الهند التي كانت قد وافقت على ضريبة تصدير قدرها ٥٪ بدل الزكاة التي لم يكن يتيسر تحصيلها دائماً أن السلطان يعمد الى رفع كلتا الضريبتين معاً كلما استطاع

ذلك ، فعلى حين لم تكن الزكاة تجمع من صور ، كانت مفروضة في ولاية صحار وفي بعض واحات النخيل بمنطقة الباطنة بالاضافة الى ضريبة الصادرات . وأصرت حكومة الهند على ان الزكاة لو ارتفعت نسبتها فيجب ان يتم جمعها مباشرة في الداخل لا في الموانى او على الساحل بما يعتبر فعلا زيادة لضريبة التصدير .

تقييد تجارة الخمور :

وفي سنة ١٩٠٤ أصدر السلطان — بموافقة ممثلي قناصل بريطانيا وفرنسا وامريكا — أمراً يمنع رعاياه من بيع الخمور بالتجزئة ، وصدر أمر مماثل للرعايا البريطانيين ايضاً بمقتضى ارادة قنصلية مؤرخة في ٧ يونيو ١٩٠٤ .

★ ★ ★

الاستكشافات والمؤسسات البريطانية في عمان بعد ١٨٩٩

رحلات المسئولين البريطانيين :

لقد عاد ممكناً بفضل تحسن السلام في عمان وموقف السلطان الودي ان تبدأ مرة أخرى الجولات الطويلة في داخل عمان بهدف استكشافها . ولكن لم تحدث جولة أهم من تلك التي قام بها الرائد مايلز بعد سنة ١٩٠٠ . وفي سنة ١٩٠١ ، وبتفويض من السلطان وتعليمات من حكومة الهند ، شكلت بعثة للتحري في منطقة من الاراضي الداخلية حول صور تردد ان الفحم موجود فيها بكثرة ، وكانت المحاولة الاولى هي التي قام بها الكابتن كوكس والدكتور فون كرافت ، الجيولوجي في حكومة الهند ، مبتدئين من قلهات ، لكن مسلك قبيلة المشارفة وغيرها من القبائل ، عطل عمل هذه البعثة وتبينت اصابع مسيو اوتافي ومساعده

عبدالعزيز وعائلة الشيخ صالح بن علي الحارثي وهلال بن عمرو ومحسن ابن عمر من حرث وراء الامر ، ورغم ان الامر وصل بهم حد اعتراض طريق البعثة . واطلاق النيران عليها ، الا انها تمكنت اخيراً من الوصول الى المنطقة المطلوبة الواقعة على رأس وادي الفليج على بعد ٢٠ ميلا الى الداخل من صور ، لكن فحصهم للمنطقة كان — بطبيعة هذه الظروف المعاكسة — فحصاً سريعاً متعجلا وبالتالي لم تكن له فائدة تذكر . وبدأ السلطان بعد ان بذل كل ما يمكنه لتسهيل عمل البعثة حتّى إنه انتقل بنفسه الى صور وارسل ابنه السيد تيمور ليصاحب البعثة ، يعد العدة لبعثة ثانية . وفي نوفمبر ١٩٠١ خرجت هذه البعثة باشراف الكابتن كوكس يصحبه هذه المرة الجيولوجي دكتور الدهام وكابتن داودنج ضابط المخابرات . وأثبت الفحص الدقيق للمنطقة وجود فحم من انواع ممتازة ولكن بكميات قليلة ليس لها جدوى اقتصادية ، وعلى سبيل الاحتياط عقدت اتفاقية(١) مع السلطان تعهد فيها بالا يوافق على منح اي امتياز لاستخراج الفحم من المنطقة لاية هيئة او دولة الا بعد اتاحة الفرصة للحكومة البريطانية كي تتولى العمل اولا بمشاركة السلطان .

ونزل كابتن كوكس وداودنج اثناء عودتهما في دغمار ومنها رجعا الى مسقط بعد جولة برية دائرية عن طريق وادي سمايل ولم يصادفا اي نوع من المصاعب او المتاعب الا من اهالي قرية عقدة الصغيرة حيث اغلق بعضهم الطريق وبنادقهم محشوة بأيديهم .

وفي صيف سنة ١٩٠٢ استطاع العقيد كوكس ان يقوم برحلة برية من أبو ظبي الى عمان المتصالحة الى مسقط دون ان يصحبه أوروبي واحد ، وكانت هذه اطول رحلة يقوم بها مسئول بريطاني في عمان ، وقد نجحت رحلته نجاحاً تاماً واستطاع ان يحصل في طريقه على معلومات هامة وقيمة عن اقاليم البوريمي والظاهره وعمان الداخلية .

---

(١) نص هذا التعهد موجود في الملحق الخامس بهذا الفصل .

مصادرة الاراضي واقامة الاحياء :

وخلال السنوات الاخيرة استطاعت حكومة الهند ان تضيف اشياء كثيرة متعددة الى املاكها المادية في عمان . ففي سنة ١٩٠١ تم بالاضافة الى صفقات اخرى ، شراء قطعة ارض كبيرة على ساحل البحر تمتد من حدود الوكالة السياسية البريطانية حتى دار العوائد الجمركية ، وكان البائع تاجراً هندياً يدعى راتانسي برشوتام بمبلغ قدره ٥٠ الف روبية .. ثم اقيم بيت لطبيب الوكالة ومساكن لموظفي التلغراف وكتبة الوكالة حين كان دكتور جاياكار طبيب الوكالة لمدة ٢٣ سنة انتهت سنة ١٩٠٠ يقيم في بيت بملكه بمطرح . وقبل سنة ١٩٠٠ لم يكن ثمة موظفون عاملون بالتلغراف ، وكان الكتبة السياسيون بالوكالة يبذلون جهدهم للعثور على مساكن مناسبة بقدر الامكان في المدينة .

ومن سنة ١٩٠٠ وصاعداً راح عدد من الوكلاء السياسيين واطباء الوكالة يبذلون جهدهم لادخال مزيد من التحسينات على مبنى ومعدات المستوصف الملحق بالوكالة البريطانية اهتماماً منهم بصحة المواطنين ، ورغم ان حكومة الهند كانت قد عينت في سنة ١٩٠٢ مساعداً في المستوصف تدفع له راتبه ، الا ان عدم الاهتمام من جانب السلطان . وضآلة المساهمة التي قدمتها حكومته جعلا حكومة الهند تتراجع عن اتخاذ اية خطوات اخرى .

تحسينات في الميناء :

والى جانب ما سبق ، فقد انفقت حكومة الهند بعض المال على تحسين ميناء مسقط ، خاصة تسهيلات انزال البضائع والوصول الى البر في حالات رداءة الطقس . وفي سنة ١٩٠٣ تم اعتماد مبلغ ٤٠ الف روبية لانشاء رصيف للفحم في خور المكلا ، ثم خصص مبلغ ثمانية آلاف روبية أخرى لبداية العمل فيه ، كما تم ايضاً بحث مشروع اقامة حاجز للامواج على الناحية الشرقية للميناء . وحاجز آخر مواجه للوكالة البريطانية . ولكن في سنة ١٩٠٤ تقرر العدول عن هذا المشروع واستبداله بتعميق قناة الدويره لتكون مدخلا صالحاً للميناء وخصصت لذلك الاموال اللازمة .

تاريخ عمان الداخلي بعد سنة ١٨٩٩

لقد ارجأنا متابعة التاريخ الداخلي لعمان الى النهاية بسبب اهمية النزاع الانجليزي ــ الفرنسي الذي كان يستأثر باهتمام السلطان كله وكان يمنعه في حالات كثيرة من حرية الحركة والعمل .

الاوبئة في عمان :

نلاحظ ان هذه الفترة استهلت في سنة ١٨٩٩ بثلاثة اوبئة هي الطاعون والجدري والكوليرا ، كان لها نتائج ترد بالتفصيل في الملحق الخاص بالمسائل الصحية . اما من الناحية السياسية فقد اصبحت المصالح المختلفة تتركز حول صور ورستاق .

الحالة في صور :

حيث ان صور مدينة لم تخضع ابداً لسلطان عمان ، فقد اهملها السيد فيصل اهمالا يكاد يكون تاماً ، فلم يزرها مرة واحدة خلال السنوات الاثنتي عشرة الاولى من حكمه . وفي سنة ١٨٩٨ ــ كما اشرنا من قبل ــ طرد اهل المدينة حامية السلطان بالقوة ، ثم سمحوا لها بالعودة . وفي سنة ١٩٠٠ كان اهل البلد وخاصة قبيلة جنابة قد اصبحوا بتحريض الفرنسيين لا يعتبرون سلطان مسقط حاكماً لهم .

١٩٠٠ :

وفي مايو ١٩٠٠ وصل هلال بن عمرو الى صور من شرق افريقيا وتفاهم مع مسيو اوتافي الذي عاد مرة أخرى يضايق السلطان والسلطات البريطانية ، وبلغ الامر ببني جنابه انهم رفضوا استدعاء السلطان لهم ، وقالوا ان عليه التفاهم معهم اذا شاء عن طريق نائب القنصل الفرنسي . وحين وصلت الامور الى هذا الحد ارغم السلطان على القيام بزيارة لصور

في يونيو سنة ١٩٠٠ ، وكانت هذه زيارته الاولى لها منذ توليه السلطنة . وكان الاستقبال الذي لقيه ودياً أكثر مما توقع ، فقد قدم كل وجهاء المدينة احترامهم له ، وجاء شيخ قبيلة بني بو علي من الداخل وسط الف من رجاله لتقديم التحية للسلطان ، واستطاع كما اشرنا من قبل ان يحصل من أصحاب الاعلام الفرنسية في الميناء ومن بينهم بنو جنابه على اعتراف صريح بالولاء له ، وشجبهم الحماية الفرنسية .

١٩٠١ :

وفي يونيو سنة ١٩٠١ ارسل السلطان ٨٠ جندياً وهابياً ليكونوا حاميته المقيمة في صور ، وفسر اهل الميناء من اصحاب الاعلام هذا التصرف بانه تهديد لهم حيث لم يكن حافظ الا القليلون منهم على العهد الذي قطعوه في العام السابق . وقد سألوا مسيو اوتافي عما اذا كان يستطيع توفير الحماية لهم في حالة هجوم يقع عليهم من جنود السلطان وكانت اجابته في غير صالحهم ، وبدأت مرحلة أخرى من تدهور النفوذ الفرنسي في صور . وفي خريف ١٩٠١ قام السيد فيصل بزيارة أخرى للمدينة ، وكان يود اقامة سور يغلق المدينة من ناحيتها المواجهة للبر لأغراض دفاعية وإدارية لكن الصعوبات التي اعترضته في توفير الايدي العاملة ومواد البناء جعلته يعدل عن مشروعه ، غير انه استطاع قبل ان يغادر صور تنفيذ مشروع قديم عنده وأقل طموحاً فأقام حصناً خشبياً بين صور وبر صور ليشرف على طريق القوافل المتجهة للداخل . وكان هذا سبباً من اسباب التمرد المحلي في ١٨٩٨ . وفي سنة ١٩٠٢ — وكما ذكرنا في مكان آخر — أعلنت صور الحداد لان البرتغاليين استطاعوا القبض على عدد كبير من اهلها المتلبسين بالتجارة في الرقيق في شرقي أفريقيا ، وأثناء الزيارة التي قام بها لورد كيرزون لمسقط في سنة ١٩٠٣ التمس من السلطان ان يستخدم النفوذ البريطاني لتخفيف العقوبات التي اصدرتها المحاكم البرتغالية على اولئك الاشخاص وكانت في معظمها السجن لمدة ٢٥ عاماً لكل منهم لكنه افهم ان طلبه هذا عسير على التنفيذ .

١٩٠٣ :

وفي ربيع سنة ١٩٠٣ — واثناء استمرار العمليات العدائية السنوية بين الغفارية والحناوية في الشرقية اكتشف عبدالله بن سالم شيخ بني بوعلي ما جعله يشك في أن أهل صور ، رغم كونهم من الغفارية ، كانوا يمدون اعدائه بالسلاح وأدوات الحرب . وسار بالتالي هابطاً على طول الساحل ، ثم أعلن حصاره للمدينة الى ان تجاب مطالبه ويقدم له التعويض الكافي . وفي هذه الاثناء أطلق بعض أنصاره النيران على سفينة ترفع العلم الفرنسي مما جعل نائب القنصل يتقدم الى السلطان بطلب فاشل للتعويض ، وأسهمت هذه الحالة — بشكل غير مباشر — في سرعة التوصل لحل مشكلة الاعلام الفرنسية مرة واحدة وللأبد . وكانت العلاقات بين انصار عبدالله بن سالم في منطقة عيقه وخصومه في المكرمتين قد وصلت بعد رجوعه الى الداخل درجه من التوتر الشديد ، بحيث ان العقيد كوكس حين وصل هناك في اغسطس وجد كلا من الفريقين على أهبة الاستعداد لاطلاق النار على الآخر . واستطاع الوكيل السياسي ان يعقد بين الجانبين هدنة لمدة ٤٨ ساعة رجع أثناءها فوراً الى مسقط حيث أبلغ الامر للسلطان فبادر بدوره بالذهاب الى المكان على ظهر سفينته « نور البحر » . وأعلن بنو جنابه استعدادهم للخضوع لما يحكم به ، ولكن قبل ان تبدأ هذه الاجراءات اضطر السلطان للعودة بسبب ورود اخبار سيئة من رستاق ، لكن زيارته على اية حال قد ارجأت القتال ؛ ولم تمض فترة طويلة حتى استطاع الشيوخ المحايدون في المناطق المجاورة تسوية الخلاف بين الفريقين

الحالة في وادي رستاق :

وكانت اخبار رستاق التي عجلت برحيل السلطان عن صور هي التواطوء الذي تم بين المطوّعة في اقليم الشرقية وخصوم السلطان من بني عمومته من فرع عزان ، وكان آخر حديثنا عن سعود بن عزان حين استولى على رستاق في ١٨٩٨ . وفي مارس ١٨٩٩ استطاع أخوه حمود بن عزان

ان يقتله ويحل محله . وفي نفس الوقت لم يخمد التمرد في الشرقية خموداً تاماً على الاطلاق . ففي مايو سنة ١٨٩٩ التقى احد شيوخ بني راسب هناك بالوكيل السياسي البريطاني ، وحاول ان يستفهم منه عن الموقف المحتمل للسلطات البريطانية في حالة تجدد التمرد ضد السلطان . وفي أبريل ١٩٠٠ تناثرت شائعات وقتية عن هجوم على مسقط يهيىء له المحتجون من قبائل الشرقية على رفع ضرائب الصادرات على منتوجات الحناوية ، ورأى السلطان مناسباً ان يزيد من تحصين قريات وسيب ، وتحرك السيد بن ابراهيم من حزام ومعه ٣٠٠ رجل لمناصرته . وبعدها بقليل قام عيسى بن صالح الحارثي وشقيقه حمد بزيارة لوادي سمايل ، لكن تآمرهما هناك لم ينجح ، ورفض السلطان السماح لهما بزيارة مسقط . ويجب ان نشير هنا الى ان عيسى بن صالح كان شخصية جديرة بالاحترام ، ولعله هو الذي ورث كفاءات ابيه صالح بن علي ، أما شقيقاه علي واحمد (أو حمد) فلم يكونا أكثر من قاطعي طرق . وفي سنة ١٩٠١ كان لعائلة صالح — كما اشرنا في فقرة سابقة — دور في عرقلة أعمال البعثة التي اعدها السلطان للتنقيب عن الفحم فيما حول صور ، وفي نفس السنة تلقى السلطان تهديداً من عيسى في صدد اعتاق بعض العبيد ، وكان ذلك بتحريض من هلال بن عمرو .

وبعدها لم تبد آثار التمرد في الشرقية حتى اغسطس ١٩٠٣ حين ترددت الاخبار — أثناء زيارة السيد فيصل لصور — عن ان عيسى بن صالح وشقيقيه قد خرجوا وسط جماعة كبيرة من انصارهم الى غرب حجر للاستيلاء على حزام ورستاق . وكانت حزام في ذلك الوقت ما تزال تحت سيطرة سعيد بن ابراهيم الذي كان السلطان قد تزوج بشقيقته في سنة ١٨٩٨ ، أما رستاق فقد كانت في يد حمود بن عزان . وكان فيصل على علاقة طيبة بكل من هذين الحاكمين ، لكنهما كانا بالفعل مستقلين عنه وكان كلاهما على عداء للآخر ، وحين ترامت هذه الاخبار

الى السلطان بادر بالعودة الى مسقط وبارسال السيد تيمور يصحبه سليمان ابن سويلم عن طريق البحر الى سيب ليحاولا اغلاق الطريق امام تقدم المتمردين الى رستاق ، لكن الخونة الذين يسيطرون على مضيق عق قد فتحوه امام المتمردين ، وقبل ان يصل جند السلطان الى فنجة كان المتمردون قد اجتازوا طريقهم واصبحوا بمنأى عن أي مطاردة ممكنة ، حينذاك سار السلطان بنفسه الى مصنعة حيث اختبر ولاء سعيد بدعوة ارسلها اليه للاجتماع به ، لكن هذا راوغ في الرد ، وبدل ان يجيب السلطان سار مرة واحدة الى رستاق حيث لحق بعيسى بن صالح وحمود ابن عزان . وكانت اهداف عيسى – الطامع في الحكم مع انه يعرف يقيناً انه لا يستطيع المطالبة بالسلطنة لنفسه – هي أن يبعث فكرة الامامة القديمة ويجمع انصارها حول سعيد ، ثم يحكم هو باسمه ، وهذه هي نفس السياسة التي سبق ان نجح ابوه صالح بن علي بالاشتراك مع الخليلي في تنفيذها الى حد ما في بداية حكم عزان بن قيس ، وكان من السهل اغراء حمود بتسليم رستاق لسعيد لكن حامية القلعة التي ينتمي افرادها الى قبيلة بني رواحه قاوموا تلك الخطة الى ان قدمت لهم مغريات كثيرة فاذعنوا .

وفي نفس الوقت ارسل فيصل سليمان بن سويلم ومعه مائة وخمسون رجلا لتعزيز موقع عوابي الذي كان يسيطر عليه السلطان باتجاه رستاق وأقام السيد تيمور على رأس حامية في مصنعة التي كان تحت اسوارها حشد كبير من الشيوخ وأنصارهم المعترفين بولائهم للسلطان . واقترح السيد تيمور القيام بحركة سريعة الى حزام ، لكن آل سعد لخوفهم من الوقوع في قبضة السلطان افسدوا مشروعه بارسال انذار لحاميتها .

وكانت سفينة صاحب الجلالة « سفنكس » تحمل احياناً العقيد كوكس ، وتقوم بين الحين والحين بزيارة لاماكن مختلفة على الساحل ؛ وتلقى الوكيل السياسي رسائل من عيسى وسعيد يعد كل منهما فيها بتوفير الحماية للرعايا البريطانيين ، وبالتالي لم يدخل الخوف الى قلوب

التجار الهنود في الباطنة ، ورغم ان بعضهم قد ارسل اشياءه الثمينة لتبقى آمنة في مسقط ، الا انهم ظلوا يمارسون في المدن والقرى أعمالهم التجارية ، وقد وقعت غارة واحدة خطيرة من أنصار عيسى على ضواحي بركة . بقيادة اصغر اخوته حيث اصيبت فيها بمعظم الخسائر اسرة المدير الذي عينه السلطان هناك بقتل احد ابنائها ، كما حمل المغيرون بعض خيول السلطان لكن عيسى أمر بردها حين عرف انها للسلطان .

ولم تثر مزاعم سعيد بن ابراهيم بأحقيته في الامامة حماسة كبيرة بين الناس ، ووجد السلطان نفسه ينفق معظم دخله من الضرائب المرتفعه على اقرار الامور ، في الوقت الذي كان فيه سعيد يطالب ببساطة باستمرار الراتب المخصص له من السلطان . وظل عيسى بن صالح ورجاله ، الذين كانت بلادهم في الشرقية آنذاك تعاني قحطاً شديداً ، يعيشون على حساب الاهالي في رستاق حتى فبراير سنة ١٩٠٤ ، لكن وجودهم لم يثر أية اضطرابات او قلاقل بعد اكتوبر سنة ١٩٠٣ . وفي ١٩٠٥ بدأ عيسى مفاوضاته من أجل التفاهم مع السلطان ، ورحب السلطان بذلك ، لكن عيسى رفض ان يزور مسقط الا وسط حشد من الانصار اعتبرهم السلطان أكثر مما يجب لهذا لم يتم اللقاء بينهما . وفي أماكن اخرى غير صور ورستاق حدثت بعض الاحداث على جانب من الاهمية لحكومة عمان .

حملات والي السلطان في صحار ١٩٠١ ـ ١٩٠٥ :

فقد حاول سليمان بن سويلم والي صحار سنة ١٩٠١ الاستيلاء على حصن بيت العينين من المياحه في الظاهرة ، لكن حملته ـ وبرغم مناصرة بني كلبان لها ـ قد تكبدت خسائر كبيرة ورجعت بأوامر من السلطان دون ان تحقق أي نجاح . وفي سنة ١٩٠٤ تم الاستيلاء على عراكي في الظاهرة باسم السلطان ، وفي ١٩٠٥ استطاع سليمان بتأييد حلفائه

السابقين من بني كلبان ان يقوم بغارة تأديبية ناجحة على المقابيل الذين كانوا يثيرون الاضطرابات فيما جاوره زمناً طويلا ، بل وقد سبق ان هاجموا في شهر يوليو حصن صحار وقتلوا قائده ، ويبدو انه بعد هذه الحادثة تم الاستيلاء على قلعتهم في وادي الحلتي على يدي ممثل السيد فيصل.

وفي سنة ١٩٠٠ زال سبب من اسباب التوتر والاضطراب في البلاد باستسلام الشيخ خلفان بن ثنيان الذي ظل بعد تزعمه تمرداً وقع في نخل سنة ١٨٩٧ يراوغ في امر القبض عليه من جانب والي بركه ، لكنه حين وجد نفسه بلا مأوى ولا انصار اعلن استسلامه امام قصر السلطان في مسقط ، ومنحه هذا عفواً شاملا .

السلطان يسترد عوابي ١٩٠٠ :

وفي عوابي ، حدث خلاف حول الزكاة في سنة ١٩٠٠ بين سعيد بن ابراهيم وقبيلة العبريين ، ولكي يضطرهم سعيد للاذعان أمر بقطع نخيل تلك القبيلة التي بادرت بدورها الى محاصرة القلعة والاستيلاء عليها ، وهنا تدخل السلطان ، ورفض عرضاً منهم بالسماح لهم بأن يسيطروا على القلعة باسمه ، وقام الاهالي بقتل جماعة من حامية جند السلطان الوهابيين فيها ، وبعدها سار السلطان بنفسه الى مكان الواقعة ، ونجح في القبض على واحد من القتله ارسله الى مسقط حيث اعدم هناك .

اضطرابات في وادي معاول ١٩٠١ :

وأصبح وادي معاول في سنة ١٩٠١ مسرحاً لاضطرابات خطيرة بين بني رواحه وبني ريام وكلما أصلح السلطان بين الجانبين انفجر الخلاف مرة أخرى ، وكانت آخر بعثة ارسلها السلطان اليهم قد صحبت معها قاضياً مسناً من بركة ، لكن الطريق اقفل أمام هذه الجماعة وهي تدخل وادي المعاول ، كما ووجهت بالنيران ، فقتل القاضي بالرصاصة الاولى وقد أدت هذه الحادثة المحزنة وغير المتعمدة بطبيعة الحال الى تجدد الاضطراب مرة أخرى .

أمر السلطان بتدمير ابراج القبائل في سيب ١٩٠٢ :

وحدثت في سيب سنة ١٩٠١ اضطرابات كثيرة وقع الضرر فيها على بقية اهل المدينة بسبب خلاف دموي بين بعض العوامر واولاد حديد وغيرهم ، وظل الخصوم يتبادلون إطلاق النيران فترات طويلة من أبراجهم ، لكن هذا الامر انتهى حين زار السلطان سيب في ابريل ، وامر بالابراج فسويت بالارض . وفي اكتوبر سنة ١٩٠٢ حدث اشتباك خطير بين حامية السلطان في نزوة وجماعة من بني جنابه ، فقد ارسل الوالي نتيجة اشتباهه بوجود حركة للقضاء على حياته بعض حرسه الذين اشتبكوا مع بني جنابه واطلقوا النار عليهم فقتلوا منهم اربعة رجال ،

الاخطار تهدد حكم السلطان في نزوة ١٩٠٢ – وفي از كي ١٩٠٥ ١٩٠٦ :

لكن السلطا ن استطاع تسكين ثائرة القبيلة وتسوية الامور بحيث لم يتأثر نفوذه في نزوة التي لا تقع في ارض بني جنابه ، كذلك تهدد از كي نفس الخطر سنة ١٩٠٥–١٩٠٦ من بني ريام ، الذين أعلنوا التمرد وحاصروا المدينة لكنها انقذت في الوقت المناسب تماماً بقوة من بني رواحه يقودها الوالي سليمان بن سويلم . وقد اسهم هذا النجاح اسهاماً غير مباشر في موت الوالي على يد رجال من السيابيين في وادي العق لانه صادر قافلة كانوا قد ارسلوها لنجدة بني ريام .

الصراعات القبلية في جعلان ١٩٠٤ :

وظلت جعلان كالمعتاد مسرحاً لاشتباكات وعداءات عنيفة ، وفي سنة ١٩٠٤ حدث اشتباك عنيف بين جماعة من بني بو علي وأخرى من آل وهيبه على الطرف الغربي للاقليم قتل فيه عدد يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ رجلا من الجانبين – وكان من بين القتلى احد ابناء عبدالله بن سالم شيخ بني بو علي ، وانتقاماً لموته قتل احد شيوخ آل وهيبه بالقرب من مسقط بعد ذلك بعدة شهور .

الادارة في عهد السيد فيصل ١٨٩٩ ـ ١٩٠٧

يبقى الآن علينا ملاحظة الجانبين الاهلي والشخصي لحكومة السلطان بعد ازمة سنة ١٨٩٩ والواقع ان التقدم الا في الناحية المالية كان الطابع الملحوظ للحكومة بحيث اصبح وضع السلطان السياسي أقوى مما كان عليه في أي وقت مضى .

العوائد الجمركية تحت الادارة المباشرة ١٨٩٩ :

ولنأخذ الجانب غير المرضي للشئون المالية اولا حيث نرى ان ادارة الجمارك والعوائد وهي المصدر الاول للدخل لم تكن تدار ادارة فعالة رغم الاصلاحات التي ادخلت عليها . فالسلطان . كما سبق ان ذكرنا ـ قد رفض عرض حكومة الهندتعيين موظف منها مسئول عن العوائد ، غير ان هذه النصيحة ، وان رفضها السلطان ، كان لها بعض الاثر على تفكيره . فقد الغى أخيراً في نهاية سنة ١٨٩٩ الاسلوب السيء القديم لجمع الضرائب بطريق الالتزام ، وابدله بنظام مباشر اعتمد فيه على اثنين من الهنود المسلمين ذوي الخبرة بهذا العمل استقدمهما على نفقته الخاصة من بومباي .

وهكذا ارتفع الدخل من العوائد في السنة الاولى الى ٢٠٦,٧٠١ ريال كان صافي دخلها ١٩٠ الفاً في مقابل الحد الاعلى لصافي الدخل في السنوات الماضية والبالغ ١٧٠ الف ريال . وفي سنة ١٩٠٢–١٩٠٣ ارتفع العائد الى ٢٨٥,٥٩٧ ريالاً ، لكن هذا الارتفاع الكبير كان يوازيه تماماً انخفاض في قيمة الريال . وفي سنة ١٩٠١–١٩٠٢ وضعت موانئ السويق ومصنعه وبركه وصور تحت هذا النظام من الادارة المباشرة ، وفي سنة ١٩٠٣ شمل ايضاً جوادر ولكن دون ان يحدث تغييراً يذكر هناك بالنظر لمشكلة الاعلام الفرنسية التي كانت قائمة وقتذاك . وأثناء زيارة لورد كيرزون لمسقط في ١٩٠٣ ، نصح السلطان نصيحة ملحة

بضرورة تعيين خبير في الشئون المالية او لجنة لمراجعة حسابات العوائد ، لكنه اهمل هذه النصيحة حتى تبدت له النتائج السيئة للنظام الذي كان يصر على التمسك به . وفي سنة ١٩٠٥ اختلف السلطان مع محمد ابراهيم مساعده الهندي في دار العوائد ، بسبب شك السلطان في صحة الحسابات التي كان المساعد يقدمها له لكنه لم يستطع اثبات شكوكه هذه لعدم وجود موظفين مختصين ، ثم استغنى السلطان عن خدماته وعين بدله هندياً آخر هو الدامودار ظرامسي التاجر الهندوكي في مسقط ، مشرفاً على حسابات العوائد براتب قدره ١٠٠ روبية في الشهر . وخشي الوكيل السياسي الا يؤدي هذا الاجراء الى شيء في منع الاختلاسات القائمة مما يعطي السلطان ذريعة للعودة الى نظام الالتزام القديم ، واخيراً اتضح تماماً انه ما دام السلطان مستمراً في اتباع وسائل متهاونة وغير مضبوطة في مسألة العوائد ، وانه ما دام يختار المشرفين على عوائده من بين التجار ذوي المصالح الخاصة فلا امل في التحسن . وفي الفقرة الخاصة بعمان في الجزء الجغرافي من هذا الدليل تحليل تفصيلي لعوائد عمان وغيرها من مصادر الدخل .

الوضع المالي للسلطان :

وسط هذه الصعوبات والازمات المالية كان السلطان يلجأ أحياناً الى اسلوب المصادرة ، ففي سنة ١٨٩٦ وضع يده على ضيعة تقدر قيمتها بحوالي ٢٥ الف ريال خلفها ثري بلوشي لقي مصرعه في سيب ، وفي سنة ١٩٠٥ بلغت ديون السلطان المتنوعة من الحكومة البريطانية كما أشرنا في فقرة سابقة حوالي ٢٠٠ الف روبية . ورغم ان الجزء الذي كان يخص الحكومة البريطانية مباشرة من هذه الديون (وهو حوالي النصف) قد سدد قسم كبير منه حتى سنة ١٩٠٦ الا انه من المعتقد ان باقي الديون لم يسدد منها الشيء الكثير .

وقد شاع في سنة ١٩٠٦ ان السلطان يقترض مبالغ صغيرة من كل الناس ، ومع انه رفض في ابريل من نفس السنة قرضاً قيمته ٢٠ الف روبية عرضته عليه الحكومة البريطانية دون اية شروط سياسية فقد قيل في سبتمبر إنه أضاف الى ديونه من اشخاص مختلفين بما قيمته حوالي ١٢ الف روبية .

النقـــــد :

وكانت مشكلة النقد قد أثارت شيئاً غير قليل من الاضطراب في مسقط منذ ١٨٩٤ – فمنذ اغلاق دور صك النقود الهندية حدث استنزاف شديد للروبيات الهندية والبيزات النحاسية خارج الهند ، وكانت قيمة الدولار العماني وهو العملة الرئيسية للبلاد والوحيدة المتداولة في الداخل آخذة في هبوط منتظم مستمر حتى وصلت في مارس سنة ١٨٩٤ الى (١٠٨ بيزه) على حين كانت قيمتها في نفس الشهر من ١٨٩٣ تتراوح بين ١٣٦,١٤٠ بيزه . أما مشكلة ندرة البيزات – وهي مشكلة حادة بالنسبة للطبقات الفقيرة – فقد امكن علاجها حين امر السلطان بصك قدر كبير منها في لندن ، وبعدها أسست دار خاصة لصك العملات النحاسية في مسقط ، لكن تذبذب اسعار التبادل بالفضة كان يمثل مشكلة أكثر خطورة . وقد التمس وفد يمثل التجار المتمتعين بالحماية البريطانية في مسقط من لورد كيرزون اثناء زيارته لها ان تعمل حكومة الهند من جانبها على ايجاد الحلول لهذه المشكلة ، وفي ١٩٠٤ أعدت حكومة الهند مشروعاً لاستخدام العملة الهندية استخداماً عاماً وشاملا في عمان لكن هذا المشروع لم يعرض على السلطان بسبب مشكلة العوائد التي كانت ما تزال مستعصية الى ذلك الحين .

المصادر العسكرية والبحرية للسلطان :

ترد المصادر العسكرية للسيد فيصل تفصيلا في الجزء الجغرافي من هذا الدليل ، وربما كانت هذه المصادر كافية لحماية بلاده من أي

اعتداء يقع عليها . وقد تعوض السلطان بالسفينة البخارية « نور البحر » وحمولتها ٣٠٠ طن التي اشتراها بمعونة حكومة الهند وبدأ استخدامها في يونيو سنة ١٩٠٣ عما كان فقده في اول عهده من السفينتين البخاريتين اللتين كانتا لابيه « دارالسلام » و « سلطاني » وقد مكنته هذه السفينة بشكل خاص من ان يعيد إحكام سلطته على صور ، ويصلح موقفه في كل الاماكن على ساحل الباطنة . وحين قام السيد تيمور بزيارة الهند في سنة ١٩٠٣ أهدى اليه نائب الملك — باسم ابيه — مدفعين لتثبيتهما على تلك السفينة .

الموقف الاداري العام للسلطان :

أما عن مدى وفاعلية حكم السلطان في هذه السنوات الاخيرة في عمان فذلك يرد بالتفصيل في الجزء الجغرافي من الدليل ، ومما هو مذكور هناك ، ومن الاحداث المذكورة في الفقرة السابقة عن التاريخ الداخلي سنلاحظ ان نفوذ السلطان في عمان قد اصبح أقوى وابعد اثراً مما كان عليه في أي وقت من الاوقات خلال فترة حكمه كلها ، بل وربما خلال فترة حكم ابيه السيد تركي ايضاً .

وبعد سنة ١٩٠٠ ابدى السلطان حماسة وهمة في شئون الحكم وتفقد احوال الرعية ، وكما حصل تماماً لابيه وجده .. ازداد حكمه نضجاً ومكانته رسوخاً وشخصيته حكمة واتزاناً بمرور السنين . لكنه ايضاً كان كأبيه السيد تركي في تعرض لنوبات من اليأس والملل المفاجيء التي كانت تجعله يفكر جدياً في التنازل عن السلطنة ، وقد حدث هذا قبل زيارة اللورد كيرزون مباشرة ، وبعدها ايضاً . وكان اغتيال الوالي سليمان بن سويلم ضربة قاضية للسلطان .. الذي استقبل النبأ بذهول واضح

الامور داخل الاسرة الحاكمة :

ومن وجهة نظر العائلة المالكة في عمان .. كان الموقف لا بأس به . ففي ١٩٠٣ ابدى محمد – الاخ الاكبر للسيد فيصل – رغبته في ان يتولى السلطنة اذا شاء السلطان التنازل او الاستقالة ، لكنه كان بلا انصار .. كذلك عمل ممثل الحكومة البريطانية على تثبيط مطامحه هذه منذ بداية ظهورها . أما السيد عبدالعزيز – عم السلطان الحالي – فقد توفي في بومباي في ابريل سنة ١٩٠٧ ، وكان اعضاء عائلته على قدر من الولاء للسيد فيصل حتّى إنه سمح بعودتهم الى مسقط دون تردد . ومنذ١٩٠٣ أصبح واضحاً أنه ليس بين فرع اسرة آل بو سعيدي في رستاق الشخصية التي تستطيع ان تنافس السلطان على حكم عمان ، وهكذا تركزت المصالح حول السيد تيمور الابن الاكبر للسلطان ، والذي كان الجميع يعاملونه على أنه خليفته . وكانت السيدة عليّه – ام السيد تيمور – هي ابنة السلطان الراحل ثويني بن سعيد .. اي ان نسب هذا الشاب من ناحية أمه ايضاً لا اعتراض عليه . ونستطيع القول بأن السيد تيمور قد بدأ المشاركة في حلبة الحياة العامة منذ سنة ١٩٠١ وهو في السادسة عشرة من عمرة ، حين عاد من رحلته بالخارج فاستقبله أبوه السلطان باطلاق ١٣ طلقة من المدافع لتحيته ، وفي اليوم التالي قام بمفرده بزيارة الوكيل السياسي البريطاني . وفي ديسمبر سنة ١٩٠٤ تزوج السيد تيمور بابنة علي بن سالم بن ثويني(١) احد ابناء عمومته ، وزاره العقيد جراي بهذه المناسبة للتهنئة ، وقدم اليه طاقماً فضياً للقهوة والشاي .. وتهاني حكومة الهند .

---

(١) وصل علي بن سالم للمرة الاولى من زنجبار سنة ١٨٩٥ مطرودا منها لاشتراكه في مؤامرة ذات طابع سياسي ، وعاش في مسقط عدة سنوات على معونة السلطان ، وأخيرا في بداية سنة ١٩٠٤ وافقت حكومة زنجبار على عودته الى شرق افريقيا نتيجة التماس بذلك قدمه السلطان السيد فيصل للورد كيرزون أثناء زيارته لمسقط ، لكن عليا سرعان ما طلب الاذن له بالرجوع الى مسقط ، ورجع فعلا في سبتمبر سنة ١٩٠٤ .

وفي سنة ١٩٠٥ لم تكن شخصية السيد تيمور وسماته الشخصية قد صلت في تبلورها الى حد الوضوح الكافي ، لكن قلقاً ثار بشأنه في هذه السنة لما ظهر من اهتمامه ببعض القضايا الدينية التي تهتم بها المطوّعة ، ولمراسلته المنتظمة لبعض الافراد المعروفين بالتعصب في اقليم الشرقية مثل عيسى بن صالح الذي كان يخشى منه ان يباعد بينه وبين ابيه السلطان ، وعلى اية حال فقد اهتم بهذا الامر كل من السيد فيصل والعقيد كوكس المقيم السياسي في الخليج والعقيد جراي الوكيل السياسي في مسقط ، وبعد رفض طلب السيد تيمور ان يخرج للحج لم تبد عليه أية أعراض للتعصب الديني . أما الابن الثاني من ابناء السلطان الذي اشترك في بعض مظاهر الحياة العامة حتى سنة ١٩٠٧ فهو نادر وهو اخ غير شقيق للسيد تيمور .

★ ★ ★

ملحق رقم (١) .. تاريخ ظفار(١)

على رغم كون ظفار من بين أقاليم عمان الا انها كانت دائماً اقليماً مستقلا في ذاته يكاد يكون منغلقاً على نفسه بحيث يكاد تاريخه يبدو غير متماسك مع تاريخ سلطنة عمان ، ولهذا نفضل ان نتناوله مستقلاً .

---

(١) أهم المصادر المتعلقة بالمعلومات عن تقاليد ظفار وتاريخها القديم هى « قصة رحلة من مربط الى ديرين لكوتيندن » ومذكرة هاين عن الساحل الجنوبى الشرقى لجزيرة العرب ووصف كارتر للحفريات والآثار في البلاد ، وفي هذا العمل الاخير تسجيل للآثار في الاقليم كله . أما كتاب مسز بنت عن جنوب الجزيرة فيتناول الحفريات والآثار القديمة وفيه بعض اشارات وعلاقات بالتاريخ القديم . أما عن الاحداث منذ سنة ١٨٧٥ فان التقارير والاوراق الرسمية المذكورة في الهامش الاول من تاريخ سلطنة عمان تبقى هى أهم المصادر — ولعلها هى الوحيدة أيضا .

التاريخ القـــديم

لانكاد نعرف شيئاً يقينياً عن الاحداث في ظفار قبل بداية القرن التاسع عشر(١) . والحفائر الباقية في بلاد رباط تؤكد وجود جماعة عاشت في هذه المنطقة ، في حقبة من احقاب التاريخ القديم ، أكثر تحضراً من الجماعة الموجودة اليوم ، والقبر المحفور بفن وعناية في الرباط لمالك ابراهيم بن مظفر محفور عليه تاريخ السنة ٧١٠ بعد الهجرة أي منذ حوالي خمسة قرون . وقد ذكر السيد تركي سلطان عمان سنة ١٨٨٣ في خطاب منه لشريف مكة ان هذا الاقليم كان يوماً ما تحت احتلال البرتغاليين ، ثم انتقل عقب جلائهم الى حكم اليعاربة في عمان ، لكن هذا القول ـــ شأن روايات عربية كثيرة ـــ لا يعتمد على سند فعلي من التاريخ .

★ ★ ★

فترة حكم محمد بن عقيل ، من حوالي ١٨٠٤ الى ١٨٢٩

في بداية القرن التاسع عشر كان يحكم ظفار ـــ السيد محمد بن عقيل العجايبي (٢) وهو قرصان وتاجر رقيق كان له في وقت من الاوقات ثلاث سفن مسلحة تنشر الرعب والذعر في البحر الاحمر كله ، وظل حتى اواخر ايامه يحكم اقليم ظفار حكماً قوياً معتدلا أكثر من خمسة

---

(١) توجد بعض الروايات عن عائلة حكمت ظفار باسم « منكوى » ثم القضاء عليها بعد وصول عائلة « خانيوار » في مرجع كارتر الوصفى الذى اشرنا اليه · كذلك في كتاب مسز بنت عن جنوب الجزيرة العربية ص ٢٢٧ ـ ٢٧٦ ، وفيه أيضا ترد عدة اشارات الى التاريخ القديم ·

(٢) في مذكرة ماين اكمل تاريخ تفصيلى لحكم أسرة عقيل ·

وعشرين عاماً ، وكان يتخذ عاصمته في صلاله . وقد اغتاله في مرباط سنة ١٨٢٩ سالم بن ثوري زعيم آل قسره الذين كان لهم ثأر عند محمد بن عقيل . وما يزال قبره موجوداً حتى اليوم الى جوار مرباط .

* * *

ضم ظفار للمرة الاولى الى عمان على يد سعيد بن سلطان وما تلا ذلك من علاقات الاقليم بمسقط ١٨٢٩ ـ ١٨٧٥

احتلال القوات العمانية ظفار ثم انسحابها منها ١٨٢٩ :

وعقب مقتل محمد بن عقيل مباشرة ارسل السيد سعيد بن سلطان حاكم عمان قوة للاستيلاء على ظفار باسمه ، وفي نفس الوقت عرض سعيد ولاية الاقليم على السيد عبدالرحمن شقيق محمد بن عقيل المقتول وكان آنذاك يشتغل بالتجارة في بومباي ، لكن عبدالرحمن رفض ذلك العرض(١) ، ثم انسحبت قوات الاحتلال العمانية من ظفار بعد وقت قصير نظراً للحاجة اليها في شرق افريقيا .

عبد الله لورليد الامريكي حوالي ١٨٣٦ :

وعقب انسحاب قوات السيد سعيد مباشرة في ١٨٢٩ أصبحت الشخصية المسيطرة في ظفار لعدة سنين هي عبدالله لورليد وهو رجل امريكي الاصل كان محمد بن عقيل قد اسره اثناء احدى غاراته كقرصان على سفينة أمريكية قتل بحارتها جميعاً ولم يتبق منهم الا هذا الرجل الذي كان آنذاك صبياً في العاشرة من عمره ، وشب وتربى وسط اهل ظفار . وحين زار الضابط البحري كراتندان ظفار على السفينة « بالينوروس » في سنة ١٨٣٦ كان لورليد ـ الذي اعتنق الاسلام ـ

(١) تذكر رواية أخرى أن السيدعبد الرحمن هو الذى اقترح تولي ولاية الاقليم والسلطان هو الذى رفض اقتراحه .

يعيش مع اسرته العربية في صلالة ، وكان الاقليم كله ـ وفي غياب أية سلطة مستقرة ـ نهباً للصراع الدائم خاصة بين بني كثير أهل السهل وبني قره في الجبال والهضاب . وقد استطاع الرجل الامريكي الابيض ، بما وهب من ذكاء وجرأة في قيادة الحملات على بني قره ، ان يقيم لنفسه ملكاً شخصياً ظل حتى نهاية حياته ، وكانت قرى السهل مستقلة تمام الاستقلال الواحدة عن الاخرى عقب مقتل محمد بن عقيل ، وفي سنة ١٨٣٦ كانت دهاريز هي أهم هذه القرى .

وفود رسمية من ظفار لعمان :

وطوال هذه الفترة التي نحن بصددها ، لا يبدو ان ظفار كانت تدفع لمسقط اية ضرائب او عوائد من اي نوع ، كما لم يكن ثمة أي تدخل من جانب سلاطين عمان في الشئون الداخلية للاقليم . وحسب ما يروي السلطان فان وفداً يضم علي بن سالم الكثيري وعواد بن عبدالله الشنفري تولى تقديم اوفر مظاهر الاحترام للسيد ثويني وللسيد سالم حين كان كلاهما في السلطنة ، كذلك فان وفداً مماثلا قد التمس مقابلة عزان بن قيس بعد توليه الحكم لكنه لقي منه الصدود والنفور ، على حين استقبل السيد تركي ـ في العام الاول من حكمه ـ علي بن سالم الكثيري . وكان مفهوماً أن هذه الوفود والسفارات كانت تزور مسقط من ١٨٥٦ وصاعداً باسم حمد بن عمر المرهوني الذي كان أكثر شيوخ ظفار نفوذاً في ذلك الحين .

المسح البحري البريطاني لساحل ظفار :

وقد زارت سفن المسح التابعة للبحرية الهندية ساحل ظفار في عدة مناسبات بين ١٨٣٣ و ١٨٤٦ ، وقرب نهاية هذه الفترة ساد البلاد اضطراب شديد ، وأطلق بنو قره نيرانهم غير مرة واحدة على جماعات من تلك السفن .

★ ★ ★

تولى السيد فضل بن علوى المبلة ١٨٧٥ ـ ١٨٧٩

تاريخ فضل القديم :

في سنة ١٨٧٥ وربما في شهر اغسطس من تلك السنة استطاع مغامر من نمط نادر ، وشخصية من النوع الذي تهتم به حكومة الهند كل الاهتمام أن يفرض سيطرته الشخصية على ظفار ، وبذلك فصمت موقتاً عرى الاقليم بعمان . وكان هذا المغتصب ويدعى فضل من الزعماء الدينيين لطائفة المبله وقد نفي من الهند وحظر عليه العودة اليها تحت طائلة الاعتقال بسبب اشتراكه في ثورة هذه الطائفة سنة ١٨٥٢ . وأقام اثناء نفيه الاجباري في مكة وفي غيرها من ارض الامبراطورية العثمانية التي اكتسب في ارجائها شهرة لتقواه وصلاحه . وفي سنة ١٨٥٣ ، وبتحريض من السلطات البريطانية ، صدر امر بمنع فضل من مغادرة الاراضي التركية ، ويبدو انه استقر في هذه الاراضي حتى سنة ١٨٧٥ حين غادر بيته في الحجاز وسار عن طريق البحر الى ظفار ربما بدعوة من بعض شيوخها الذين قدر لهم الالتقاء به .

وصول فضل الى ظفار :

ومنذ وصوله الى ظفار بدأ ايجاد شبكة من العلاقات السياسية والترتيبات القبلية ، وسرعان مـــا أصبح سيد الموقف . وأصبح ابنه قاضيا يفصل في قضايا القبائل ، ويبدو أنه التمس في هـــذه المرحلة الاولى من نشاطه اعتراف الحكومة التركيه به وعونها العسكري له ، لكنه لم يجب الى اي مطلبيه ، ولم يكن هذا المغتصب يجهل الروابط بين ظفار وعمان ، ولكنه حين كان يرد ذكر علم السلطان كحائل في وجه مزاعمه ، كان يطلب من المعترضين عليه « ان يصنعوا لهم من ذلك العلم وسائد يتكئون عليها » .

احتجاجات الحكومة البريطانية على الباب العالي :

وقد عرف السيد تركي ، سلطان عمان ، للمرة الاولى بخبر المبله

عندما استلم منه رسالة يصف فيها نفسه بأنه « حاكم ظفار باسم الباب العالي » ويضع تحت انظار السلطان ملاحظة تفيد بأن الشيخ عواد بن عبدالله انما هو من رعايا الدولة التركية . وبادر السيد تركي – الذي كان يعتبر ظفار جزءاً من أرضه – بابلاغ حكومة الهند . وقامت هذه الحكومة ، رغم عدم تأكدها من صحة ادعاء السلطان بالسلطة على ظفار ، برفع الامر الى حكومة صاحبة الجلالة موضحة وجهة نظرها من خطورة وجود عدو للحكومة البريطانية في مثل ذلك الموقع ، ومن خطورة امتداد النفوذ التركي بأي شكل الى أى موقع على الساحل الجنوبي للجزيزة العربية . وصدرت التعليمات بالتالي الى السفير البريطاني في القسطنطينية بالاحتجاج لدى الحكومة التركية على أعمال فضل والمطالبة بشجب تصرفاته ، دون أن يظهر بأن فضل كان ينشط بمعرفة الباب العالي ، او ان يشير الى مزاعم سلطان عمان في السيطرة على ظفار ، ولم يتلق السفير رداً على اتصاله الذي قام به في سنة ١٨٧٦ ، ثم أعاد الكرة مرة أخرى في ١٨٧٧ .

الظفاريون يطردون فضل ١٨٧٩ :

وأخيراً أدت أسباب محلية الى القضاء على حكم فضل . ذلك بأن هذا الرجل الذي كان يتخذ صلاله عاصمة لها كان يعتمد على تأييد السكان المستقرين ، لذلك كان يضطر للاغارة على قبائل قره وان كان نجح في مد نفوذه غرباً حتى شمل جزءاً من بلاده المهرة . لكن حكمه – الذي كان تعسفياً وظالماً – بدأ يأخذ في الاضطراب والتفكك ، ففي الوقت الذي كان يفرض فيه على الناس العمل الاجباري والسخرة ، ويجبي ضرائب على الصادر والوارد تصل الى ٥٪ فهو لم يحقق أي نجاح في القضاء على الخلافات بين القبائل ، ولا كان حكمه بقادر على اقامة العدل بين الافراد ، واخيراً في يناير ١٨٧٩ – عمت الثورة بين الناس وارغمته على الفرار من البلاد .

★ ★ ★

تركي بن سعيد يضم ظفار الى عمان مرة أخرى
١٨٧٩

الانقسامات في ظفار :

وعقب طرد السيد فضل من ظفار بادر الشيخ عواد بن عبدالله ، وكان قام بدور قيادي في هذا الامر ، بزيارة مسقط ، واغرى سلطانها – وكان آنذاك السيد تركي بن سعيد – بأن يمد سلطانه ليشمل ذلك الركن الثاني من جزيرة العرب مرة أخرى . وقد انقسم أهل ظفار الى أحزاب ثلاثة : واحد يتزعمه عواد بن عبدالله يود أن يعلن سلطان عمان سيطرته على ظفار . والثاني يتزعمه عوده بن عزان ويود اعادة السيد فضل والثالث – ولعله اقواها جميعاً – يضم المطالبين باستقلال البلاد .

حملة ناجحة من مسقط ١٨٧٩ :

وارسل تركي حملة بحرية يقودها سليمان بن سويلم الى ظفار فوصلت (حزيق) على نهاية الاقليم من الشرق في نهاية مارس او بداية أبريل سنة ١٨٧٩ ، ومن هناك واصلت التقدم ، بعضها بطريق البحر وبعضها بالطريق البري – على طول الساحل الى سادة ثم الى مرباط حيث وصلتها القوة كلها – وهي تضم مائة رجل – يوم ٧ ابريل ، وأعلن أهل مرباط مباشرة خضوعهم لممثل السلطان . ورغم مقاومة بعض نفر من بني كثير الا ان سليمان استطاع في يوم ١١ مايو ان يكتب للسلطان بأنه قد دعم مكانته في العاصمة تماماً ، وكان من اول ما عمله سليمان لاسترضاء الاهالي اعلانه تخفيض نسبة جباية العوائد الجركية من ٥٪ الى ٤٪ .

دسائس ضد ظفار في المكلا وشهر وفي حيدر أباد بالدكن في الهند ١٨٧٩ :

وفي هذا الوقت ازدادت مشكلة ظفار تعقيداً بسبب خلاف بين

شيوخ المكلا وشهر رفع لمقيمية عدن للتحكيم فيه ، وكان سلطان عمان يبدو متعاطفاً مع شيخ المكلا حتى انه ارسل مندوباً له مقيماً في المكلا مما اثار عداء شيخ شهر ، وعلى هذا فبينما كان شيخ المكلا يطالب بأن تكون ظفار تابعة لسلطنة عمان ، القى شيخ شهر بكل قواه في الاتجاه المعاكس ، أعلن صراحة عزمه على التدخل في شئون ظفار حتى ان المقيم البريطاني في عدن اضطر لان يوجه اليه انذاراً ترك احسن النتائج ، واتخذت الخطوات في نفس الوقت للحيلولة دون تلبية مناشدات بطلب المعونة ارسلها شيخ شهر ووزير من وزراء سلطان عمان للعرب العاملين بخدمة نظام حيدر اباد في الهند .

حكومة الهند تقرر نقل ظفار الى مسئولية وكالة مسقط بدل مقيمية عدن ١٨٧٩ :

وقد اتخذت حكومة الهند قراراً في نهاية سنة ١٨٧٩ باعتبار اقليم ظفار ضمن مسئولية الوكالة السياسية في مسقط بدل مقيمية عدن ، وبذلك عدل النظام القديم الذي كان يقضي بتحويل كل امور اقليم ظفار الى المقيمية البريطانية في عدن . وأصبحت الحدود الفاصلة بين المنطقتين — على هذا النحو — هي رأس ساجار على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية (١) .

★ ★ ★

الاحداث في ظفار من احتلال العمانيين لها سنة ١٨٧٩ حتى جلائهم عنها سنة ١٨٩٥

وسرعان ما فقد النظام الجديد في ظفار شعبيته لاستناده أصلا الى رغبة اقلية من الناس فقط ، ثم ايضاً بسبب قسوة الوالي سليمان بن سويلم التي شابهت اعماله في ظفار ما عرف عنه في عمان .

(١) كما وضحنا في الجزء الجغرافي من الدليل ، فان الوضع الصحيح للحدود يجب أن يكون على بعد عدة اميال غربا من هذا الموضع .

التمرد الاول ضد السلطان ١٨٨٠ :

وقبل نهاية السنة حدث خلاف خطير بين سليمان وكبير أنصار السلطان في ظفار : عواد بن عبدالله . فقد كان سليمان يشك في أن عواداً يعمل لمصالح حزبه هو ، ووجد تعلة مناسبة ارسله بها الى مسقط ، وانتقم الشيخ هناك لنفسه فشكا للسلطان فساد الحكم وعنت الوالي في ظفار ، لكن نتيجة زيارته لمسقط لم تكن محققة لآماله ، فلم يترك له السلطان سوى مجال قليل من الحرية ، واعاده الى ظفار عن طريق الصحراء المرهقة . وحين رجع عواد أفصح عن سخطه باعلان التمرد ، ففاجأ قلعة صلاله واستولى عليها ، وبدأ يرسل الرسل الى شيخ شهر ، وإلى بعض العرب في حيدر اباد بالهند ، ولم تكن القوة التي للسلطان في ظفار آنذاك تتجاوز ثلاثين رجلا ، لكن أكثر من ثلاثين آخرين كانوا في طريقهم اليها حين وصلت أنباء التمرد الى مسقط ، ليحلوا محل الحامية الموجودة وفي ٢١ ديسمبر سنة ١٨٨٠ غادرت مسقط السفينة « دار السلام » ومعها قاربان متوجهة الى ظفار ، وكان على ظهرها قوة قوامها ١٨٠ رجلا يقودهم خميس بن سليمان البوسعيدي وسليمان بن سويلم ، وكانت تعليمات السيد تركي لقادته هي الانسحاب من ظفار كلية اذا تبينوا ان غالبية أهلها راغبون عن حكم السلطان ، أما اذا كانت جماعة عواد بن عبدالله فقط هي التي تثير المتاعب فعليهم توجيه ضربة حاسمة اليهم ، واذا تقرر استعادة الاقليم وتبين ان الاهالي لا يعترضون على استمرار سليمان بن سويلم والياً لهم فليستمر ، والا فليكن خميس بن سليمان والياً بدله .

وفي نفس الوقت ، اشتعلت ثورة مضادة في ظفار ، فأثناء غياب الشيخ عواد عن قلعته قام جماعة من اعدائه يتزعمهم احد انصار السيد فضل بمهاجمتها والاستيلاء عليها بعد ان اوقعوا بانصاره بعض الخسائر وأعادوا الوالي القديم مكانه برضاء الاهالي . وحين وصلت السفينة « دار السلام » الى مربط فر عواد الى الجبال وبدأت مفاوضات قادة

الحملة ثم تلقى عواد وعداً بتأمينه على حياته اذا هو سلم نفسه في مسقط خلال فترة زمنية محدودة ، وعادت بعدها « دار السلام » الى مسقط فوصلتها في ٤ يناير ١٨٨١ ، وعلى ظهرها المدافع التي كانت مع الحملة ، لكن معظم رجالها ــ باستثناء جماعة من المدفعية ــ ظلوا في حامية ظفار . وساد الهدوء زمناً طويلا في ظفار أصبحت العوائد تجبى خلاله كالمعتاد دون اية متاعب .

تمرد ثان ضد السلطان ١٨٨٣ :

وأخيراً ، في يناير ١٨٨٣ ، وصلت الى مسقط أخبار عن تمرد جديد في ظفار ، وقيل ايضاً ان واليها سليمان بن سويلم محاصر في قلعته ، وتأخر ارسال الامدادات له لان السلطان بالصدفة كان وقتذاك في جوادر ، لكنه ارسل بمجرد عودته قوة من ٧٠ رجلا الى ظفار ابحرت من مسقط ومعها ١٠ مدافع صغيرة في منتصف فبراير ، وعلى أية حال .. فقد رفع الحصار عن صلاله قبل وصول هذه القوة ، وبدلا من ان تبقى القوة في ظفار رجعت ادراجها الى عمان ، وجاء سليمان بن سويلم الى مسقط في ابريل التالي بعد ان جعل ابنه علياً على ولاية ظفار ، وظل مع السلطان عدة شهور يجري باسمه مفاوضات مع شيوخ الداخل في عمان .

حالة ظفار أثناء زيارة مايلز لها :

وفي نوفمبر ١٨٨٣ قام الرائد مايلز ، الوكيل السياسي البريطاني في مسقط ، بزيارة لظفار على سفينة صاحبة الجلالة « فيلوميل » ، وكان يستهدف جمع بعض المعلومات عن الساحل الجنوبي لجزيرة العرب حتى رأس ساجار ، وهي مهمة اتمها الرائد مايلز بكفاءة عظيمة . وقد استنتج مايلز ان سبب فشل حكم السلطان في ظفار حيث كان فرع المعشاني من قبيلة قاره متمرداً بالفعل أثناء زيارة مايلز ، انما يرجع قبل كل شيء الى خلق الوالي سليمان بن سويلم فهو رغم ولائه الذي لا يرقى اليه الشك ، ورغم انه جندي كفء الا انه كان ينحدر من اصل زنجي ،

ولم تكن له خبرة طويلة بحكم القبائل المتناحرة المختلفة ، وكان ايضاً أعجز من ان يضطلع بمهمة تنمية مصادر الاقليم . وكانت الضريبة مفروضة على البدو في ذلك الوقت بواقع ريال واحد سنوياً عن كل خمسة رؤوس من الابل ، ومثله عن كل عشرة رؤوس من الماشية ومعزاة واحدة عن كل عشرين من المعز .

تمرد ثالث ضد السلطان ثم جلاء العمانيين عن ظفار ١٨٨٥ :

وفي ١١ مايو ١٨٨٥ انفجر تمرد آخر فجأة في ظفار أثناء غياب الوالي ، ووجد علي بن سليمان ونائبه نفسيهما محاصرين في القلعة ومعهما حامية من الوهابيين لا يزيد عدد افرادها عن اربعين رجلا . وفي منتصف يوليو ، وبعد وساطة بني عمر من قاره ، استطاع علي بن سليمان الانسحاب من القلعة والتراجع الى مرباط دون ان يمسه أحد بسوء ومنها أبحر الى مسقط في سبتمبر . وقد صحبه معظم رجاله . وهكذا كانت نهاية هذه الفترة من الاحتلال العماني لظفار — ولو موقتاً على الاقل — وان كان غير مستبعد ان تكون مرباط قد ظلت تحكم باسم السلطان ، وقد كتب المتمردون الى السيد تركي يبلغونه انهم لا يستطيعون ان يدفعوا لمسقط ولا حتى نسبة ٣٪ ، وطوال الفترة من ١٨٧٩ حتى ١٨٨٥ ظلت ظفار عبئاً مالياً وعسكرياً على موارد عمان .

★ ★ ★

محاولات السيد فضل استعادة ظفار
١٨٧٩ - ١٨٨٧

حين طرد السيد فضل من ظفار في ١٨٧٩ انسحب اولا الى المكلا وحين فشلت مؤامراته فيها سار عن طريق بربره فجدة الى القسطنطينية في الأشهر القليلة التالية ، وهناك سرعان ما استحوذ على اهتمام سلطان

تركيا الذي قرر قبل نهاية نفس السنة ، وبرغم اعتراضات وزرائه ومستشاريه ، تقديم معونة فعالة للسيد فضل كي يستعيد ظفار . وفي ١٨٨٠ كتب السيد فضل الى سلطان عمان يذكر له انه قد سافر الى القسطنطينية بهدف العمل على تنفيذ مشروع لاصلاح ظفار وانه على وشك العودة اليها ، وهو مندهش .. كيف يجرؤ سلطان عمان على التجاوز على ارض تركية على نحو ما فعل. وفي نفس الوقت كتب شريف مكة إلى الباب العالي ينصحه بتأييد السيد فضل ومساندته لان ضم ظفار الى عمان ـ كما قال ـ سيؤدي الى آثار سيئة في الجزيرة العربية . وفي اغسطس من نفس السنة أنعم سلطان تركيا على السيد فضل بلقب « الوزير » ، وفي مارس ١٨٨٣ كتب السيد فضل للسيد تركي مرة أخرى من القسطنطينية زاعماً ان علاقة صداقة نشأت بينه وبين الحكومة البريطانية ونصحه بالتخلي عن مطالبته بظفار . وتبعت رسالته رسالة اخرى لشريف مكة ينصحه فيها بأن يتخلى عن مطالبته بظفار من أجل السيد فضل . وقد رد السيد تركي بناء على نصيحة الرائد مايلز الوكيل السياسي ، يرفض مشورة صاحب الرسالة ويؤكد ان اقليم ظفار كان في البداية خاضعاً للبرتغاليين ، وبعدهم لحكام اليعاربه ، ثم لاسلافه من سلاطين عمان ، اما السيد فضل فليست له جذور وراثية في الاقليم . وفي ١٨٨٤ تلقت حكومة بومباي ، عن طريق القنصل التركي العام هناك ، رسالة من السيد فضل شكا فيها من اعمال سلطان عمان في ظفار ، واصبحت مشكلة ظفار مادة لعدد من المقالات والتعليقات في الصحيفة العربية « الاعتدال » التي كانت تصدر في القسطنطينية .

السلطات البريطانية في عدن تحبط محاولة السيد فضل النزول في ظفار ١٨٨٦ :

وفي سنة ١٨٨٦ ، وخلال فترة انسحاب العمانيين المؤقت من ظفار ، ركز السيد فضل جهوده كلها على استعادة الاقليم ، لكن التدخل

البريطاني أفسد محاولاته جميعاً . ففي ٢٠ يناير من هذه السنة ، وحين وصلت سفينة الحجاج العائدة من الحجاز « ميتابيديا » وهي ترفع العلم البريطاني الى عدن تبين انه كان على ظهرها محمد بن السيد فضل ومعه ١٦ رجلا من انصاره الى جانب حوالي مائة رجل عربي من جنود شريف مكة ، وكانوا جميعاً يحملون كميات كبيرة من الاسلحة والذخائر من بينها المسدسات والغدارات وبنادق المارتيني ، وقد صادرت السلطات البريطانية في عدن تلك الاسلحة بناءً على قوانين حظر تصدير الاسلحة المعمول بها ، ونزل محمد الذي كان هدفه بلا شك النزول في ظفار الى البر ، ومع انه كان يقصد انتظار اوامر من الباب العالي لكن اية اوامر لم تصله على الاطلاق .

الاعمال التالية من جانب فضل ١٨٨٦ — ١٨٨٧ :

وبعدها بقليل تردد ان وكيلا لمحمد بن فضل هذا قد استطاع ان ينقل الى صلاله بظفار علماً تركياً ووثيقة تولية من تركيا على الاقليم مع مبلغ من العملات التركية وبعض الاسلحة والذخائر كانت جميعاً مخبأة في بيت رجل من الكثيريين . لكن هذه الشائعات لم يتبعها أي نشاط ملموس ، وانتهت هذه الفترة من الصراع بانذار موجه من الوالي التركي في البصرة للسيد تركي بشأن ظفار في مارس سنة ١٨٨٦ .. لكن السلطان اهمل ذلك الانذار اهمالا تاماً .

وفي ١٨٨٧ لم ينس السيد فضل ان يحتج على ما حدث في عدن لكل من المقيم البريطاني هناك ولنائب الملكة في الهند .. لكن اياً من هذين الاتصالين لم يحقق نتائج تذكر .

★ ★ ★

حوادث ظفار من ١٨٨٦ الى ١٨٩٥

اعادة تعزيز سلطة عمان في ظفار ١٨٨٧ :

تضاءلت خلال سنة ١٨٧٦ سيطرة سلطان عمان في ظفار ، لكن حامية صغيرة من قواته ارسلت الى مرباط ، او لعلها لم تنسحب منها، لكنها كانت أعجز من ان تستطيع الدفاع عن المكان . وفي ديسمبر من نفس السنة عين السلطان محمد بن سليمان والياً على ظفار والسيد عبد الجليل مستشاراً له ، وكانت معه حامية تضم ٥٠ جندياً عربياً و٢٠ بلوشياً ويبدو ان الوالي الجديد نجح في اعادة سيطرة السلطان لكنه لم يبق في الولاية لاكثر من سنة واحدة .

تمرد آخر ضد السلطان ١٨٨٧ :

وفي نهاية ١٨٨٧ قرر السيد تركي ارسال سليمان بن سويلم مرة أخرى الى ظفار . وفي هذا الوقت كان الظفاريون يحاصرون الضابط العقيد ممثل السلطان ، وقد اعلنوا عزمهم على مقاومة عودة سليمان بن سويلم اليهم بالقوة . ويبدو ان السيد تركي قرر ان الامور بحاجة الى مزيد من الحسم ، فبادر بإرسال ابنيه فيصل وفهد وعدد كبير من وجهاء عمان على رأس ٢٠٠ محارب ومدفع كبير حملتهم سفينته « سلطاني » الى ظفار . واصابت الحملة نجاحاً كبيراً ، فأعادت سليمان بن سويلم الى الولاية ، كما القي القبض على خمسة من الشيوخ المعارضين الذين كانوا على اتصال بالسيد فضل وبشيخ شهر ، وحملوا الى ظهر سفينة متوجهة الى مسقط نفذ الفحم الموجود بها ، وساد القلق مسقط لعدم وصولها ، وفي اواخر فبراير خرجت سفينة صاحبة الجلالة « تركواز » للبحث عنها فوجدتها وقد نفذت كل تموينانها بالقرب من رأس مدركه فعادت بها سالمة لمسقط .

السلم في ظفار على عهد فيصل ١٨٨٨ – ١٨٩٥ :

وعقب هذه الاحداث مباشرة مات السيد تركي وخلفه ابنه السيد فيصل وانقضت السنوات السبع الاولى من حكمه هادئة في ظفار . وفي سنة ١٨٩١ ارسلت قوة قوامها ١٠٠ جندي وهابي لتعزيز الحامية في ظفار .

رحلة السيد والسيدة بنت الاستكشافية في ظفار ١٨٩٤–١٨٩٥ :

وفي ديسمبر ١٨٩٤ ويناير ١٨٩٥ قام السيد والسيده ت. بنت بزيارة استكشافية لظفار وتلال سمحان وبصحبته خان بهادور امام شريف الذي تولى عملية مسح البلاد .

★ ★ ★

أعمال السيد فضل من ١٨٨٧ الى ١٨٩٥

وفي نفس الوقت لم يكن اليأس قد داخل السيد فضل في امكان استعادة ظفار ، وكان ما يزال مقيماً في القسطنطينية حيث ابناؤه الاربعة سهل باشا وحسان باشا ومحمد بك واحمد بك كانوا بوظائف هامة في الحكومة التركية ، فيما كانت التبرعات تصله من الهند ، لكنها كانت في تناقص دائم .

التماسات السيد فضل وعائلته للسلطات البريطانية ١٨٩٤–١٨٩٥ :

وفي سنة ١٨٩٤ طلب السيد فضل من السفير البريطاني في القسطنطينية الاذن له بالعودة الى ظفار مع ابنائه ، وعرض في مقابل الحماية البريطانية بأن يكفل حرية التجارة بين ظفار وباقي الممتلكات البريطانية ، وان يساهم في القضاء على تجارة الرقيق بقدر امكانه .. لكن مقترحاته لم تثر اهتمام أحد . وفي ربيع سنة ١٨٩٥ كان سهل باشا – ابن السيد فضل–

يعيش في قصر القبة بالقرب من القاهرة ضيفاً على الخديوي في مصر ، وأثناء اقامته هناك بدأ مفاوضات مع القنصل البريطاني العام في القاهرة مستهدفاً عون بريطانيا لاستعادة ظفار ، غير ان محاولاته لم تلق تشجيعاً من أحد . وبعدها غادر القاهرة عائداً الى القسطنطينية ، ولما كان محتملا أن يعمد فضل وابناوه الى عمل غير مرخص من احد ، فقد اتخذت السلطات البريطانية الحيطة لمراقبته في القاهرة وجدة وعدن ، وقدمت النصائح لسلطان عمان كي يعزز دفاعه في ظفار ويزوده بالرجال والسلاح.

★ ★ ★

عمان تفقد ظفار ثم تستعيدها بمعونة السلطات البريطانية ١٨٩٥ - ١٨٩٧

التمرد الخامس الخطير ضد السلطان في ظفار ١٨٩٥ :

بدأ أقوى واعنف تمرد ضد السلطان في ظفار بهجوم مفاجيء في ٣ نوفمبر ١٨٩٥ على قلعة السلطان أدى الى سقوطها ، وقتل في الهجوم على بن الوالي سليمان بن سويلم ، ومسعد ابن شقيقه ومعهما ١١ رجلا من الحامية ، وانسحبت بقية الحامية - كمألوفها في الازمات - الى مرباط وكان السبب المباشر للتمرد هو سجن أحد رجال بني كثير اما الاسباب الحقيقية فأعمق من ذلك وأبعد اثراً ، فهي كما ذكرنا من قبل سوء حكم سليمان بن سويلم المتميز بالسخرة والعمل الاجباري وجمع مزيد من الضرائب .. بل والتعدي على النساء ايضاً ، وكان الكثيريّون في الجبال هم الذين تولوا زمام المبادرة في هذا التمرد ، وسرعان ما انضم اليهم الاهالي جميعاً عدا الشنافر من بني كثير في حافة بقيادة عواد بن عزا ن، وبني قاره في طاقة ومرباط وكلا الجماعتان من انصار السلطان غير انهم التزموا الحياد في هذا الموقف .

محاولة فاشلة من جانب السلطان :

ووصلت الانباء الى مسقط قرب نهاية نوفمبر ، فارسل السيد فضل مباشرة قوة قوامها ١٠٠ جندي وهابي و ١٥٠ رجلا من قبيلة بني كلبان ، لكن هذه الحملة لم تستطع رغم وجود قاعدة لعملياتها في مرباط أن تستعيد الاقاليم ، وقد صدها المتمردون بالقرب من صلاله .

التدخل البريطاني ١٨٩٦ :

ولما جاءت التقارير بوجود وكلاء وأنصار للسيد فيصل في ظفار ، واستخدام المتمردين اعلاماً وصفت بأنها تركية بادر الرائد هيز سادلر الوكيل السياسي البريطاني في مسقط ، بتعليمات من حكومة الهند ، الى التوجه الى ظفار لبحث الموقف على ظهر سفينة صاحبة الجلالة « بريسك » في اوائل مارس ١٨٩٦ ، كما فوض سلطان عمان الرائد هيز سادلر بالتحدث باسمه مع رجال القبائل ، ووجد الوكيل السياسي علم السلطان مرفوعاً على قرية حافة ، وحامية السلطان هناك سجينة بالفعل ، كذلك كان العلم التركي يرفرف فوق صلالة ، لكن هيز لم يستطع ان يضع يده على دليل واحد يثبت وجود مبعوثين عن السيد فضل في المدينة رغم ان المتمردين قد طلبوا — بلا شك — عونه وعون شيخ شهر . وتبين ان العلم التركي المرفوع ليس سوى واحد من عدة أعلام تركية دخلت الاقليم قبل عشر سنوات كما اشرنا من قبل . والتقى الرائد هيزسادلر بزعماء التمرد ومن اشهرهم سالم بن حمد المرهوني وعلي ابن كثيري لكنهم جميعاً كانوا معاندين ورفضوا الشروط المعقولة التي عرضها عليهم السلطان مثل نسيان الماضي ، ونقل سليمان بن سويلم وتعيين حاكم أكثر ملاينة منه ، وتحديد العوائد حسب القوانين ، والتعويض عن الاضرار التي حدثت .

عرض بريطاني بتقديم العون يرفضه السلطان ابريل ١٨٩٦ :

وحين رجع الرائد سادلر الى مسقط نوقشت مسألة تقديم العون للسلطان لاسترجاع ظفار ، وصدرت التعليمات من حكومة صاحبة الجلالة بضرورة تعزيز اعمال القوات العمانية في البر بنيران البحرية البريطانية ان وجد ذلك ضرورياً ، وابلغ السلطان بهذا العرض في اوائل ابريل على شرط ان يلتزم مستقبلا بنصائح بريطانيا بشأن الاجراءات التي يقوم بها في ظفار . ولم يتلق السلطان هذا العرض بترحاب في البداية ، ولكن خلال ايام قليلة تغير اتجاه سموه وتخلص بعض الشيء من النفوذ الفرنسي الذي كان خاضعاً له ، وذكر انه لا يستطيع ان يوافق على مثل ذلك الشرط الغامض بالتزام نصيحة البريطانيين مستقبلا في ظفار ، وقال انه الآن لم يعد مستعداً لمهادنة المتمردين ولا لعزل الوالي سليمان بن سويلم . واضاف انه يتوقع استعادة ظفار دون معاونة من احد اذا لم تتدخل في الامر تعقيدات دولية لا يدري بها .

احتجاج فرنسي على التدخل البريطاني في عمان مايو ١٨٩٦ :

وفي مايو ١٨٩٦ قدم السفير الفرنسي في لندن احتجاجاً ضد التصرف الاخير للسلطات البريطانية بارسالها السفينة « بريسك » الى ظفار لمعونة السلطان ، وقدم الاحتجاج على أساس أن ذلك كان خرقاً أكيداً لبيان سنة ١٨٦٢ لان بريطانيا تصرفت بانفراد ، وأجيب على الاحتجاج بأن العمل الذي تم لا يعني أية رغبة من الحكومة البريطانية في اقامة حماية بريطانية على عمان ، او التخلي عن الاتفاق المشترك مع فرنسا باحترام استقلال عمان .

السلطان يلتمس عون بريطانيا يناير ١٨٩٧ :

وفي يناير ١٨٩٧ وحين ايقن السلطان آخر الامر بأنه عاجز عن استعادة ظفار بامكاناته الخاصة طلب عون السلطات البريطانية وأعلن قبوله بالشروط التي فرضتها تلك السلطات وهي العفو الشامل عن

المتمردين بعد ان يعلنوا استسلامهم له ، ثم تعيين والٍ أكثر تفهماً مع الشيوخ المحليين بدل سليمان بن سويلم ، والغاء كل الضرائب الزائدة عما حددته القوانين . وفي بداية مارس سنة ١٨٩٧ وصلت السفينة الحربية الفرنسية « سربرايز » الى مسقط وعرضت خدماتها للقضاء على المتمردين في ظفار .. لكن السلطان رفض العرض .

الحملة الانجليزية العمانية تستعيد سلطة السلطان في ظفار مارس١٨٩٧ :

وفي ١٢ مارس تحرك الى ظفار الرائد ويلسون ، المقيم السياسي البريطاني في الخليج ، على سفينة صاحبة الجلالة « لورانس » وقد سبقتها السفن الوطنية تحمل جند السلطان ومعهم كابتن بيفيل الوكيل في مسقط ، وحمد بن ناصر والي مطرح والسيد محمد شقيق السلطان الأكبر مع ٧٠ رجلا . ولم يكن سليمان بن سويلم موجوداً في مسقط يوم أقلعت الحملة . وهكذا تخلف عنها — دون تعمد — وان جاء هذا لصالحها في نهاية الامر . ورست السفينتان « لورانس » و « كوساك » خارج صلالة في ١٦ مارس ، ووجدتا العلم التركي مرفوعاً فوق ساريتين ، وفي يوم ١٧ التقى الوكيل السياسي بشيوخ المتمردين على الساحل . وعرض عليهم نسيان الماضي ، وعدم زيادة الضرائب ، لكن الشيوخ اصروا على أحد شيئين : إما عدم وجود وال عماني في ظفار على الاطلاق . . او اذا كان لا بد من ذلك فيكون الوالي باختيارهم ورضاهم ، ولا تسنده أية قوات عمانية . ولدى رفض الشيوخ ما عرض عليهم أعلنوا في البداية انهم تحت الحماية التركية لكنهم في النهاية طلبوا الحماية البريطانية مع تعهد لهم من بريطانيا بالتعويض عن اية خسائر يصابون بها في المستقبل . وفي مساء يوم ١٧ ،وكانت قوات السلطان تسيطر وقتذاك بالفعل على قرية حافة ، كتب الرائد ويلسون الى المتمردين يطلب إعلان استسلامهم خلال يومين حسب شرطين شرحهما كابتن بيفيل ، وفي يوم ١٨ و ١٩ كان الشيوخ ما يزالون على عنادهم ، ولكنهم في فجر يوم ٢٠ بادروا

الى نزع العلم التركي وتسليمه على ظهر السفينة « لورانس » وانتهت المقاومة . وفي يوم ٢١ نزل المقيم الى البر لتدعيم شروط الصلح يصحبه السيد محمد شقيق السلطان الاكبر . وفي نفس اليوم رجعت السفينة « لورانس » ادراجها الى الخليج ، وبقيت السفينة « كوساك » وعليها الوكيل السياسي يومين بعد ذلك ، وكان شيوخ ظفار قد سحبوا معارضتهم لرجوع سليمان بن سويلم والياً عليهم .. وتبين أكثر من ذلك انه كان واحداً من رجال السلطان القادرين على معالجة القضايا المحلية .. وأصبح معروفاً بالتالي انه ابحر — أثناء غياب الحملة — من عمان الى ظفار دون ان يعترض عليه أحد او يستدعيه أحد .

محاولات جديدة من السيد فضل للتقرب الى السلطات البريطانية ١٨٩٦ — ١٨٩٧ :

ولم يكن السيد فضل — في ظاهر الامر — هو المحرض على التمرد المذكور لكنه حاول مباشرة استغلاله لمصالحه ، فكتب في مايو ١٨٩٦ الى السفير البريطاني في القسطنطينية ، وبعد ان اشار الى « الثورة » الناشبة في ظفار ضد الوالي « العماني الطاغية » مشيراً الى انهم قد رفعوا « علماً أحمر به هلال » اقترح أن يرسل مندوباً عنه الى هناك ومعه تعليمات بأن يرفع « العلم الوطني لظفار » . وهو علم أخضر في وسطه شكل خماسي الزوايا وعلى ان يعقد مع البريطانيين اتفاقية لحماية حقوقهم واستقلال ظفار . ورداً على ذلك أبلغ السيد فضل بألا حق له في السير الى ظفار ، وان السلطات البريطانية لن تعترف بأي مندوب عنه يرسله الى هناك . وواصل السيد فضل محاولاته للضغط على السلطات البريطانية كي تسمح له بارسال مندوب الى ظفار .. لكن هذه السلطات ظلت مصرة على موقفها .

★ ★ ★

الاحداث في ظفار أو المرتبطة بها
من ١٨٩٧ الى ١٩٠٧

تمرد جديد في ظفار واستدعاء السلطان للوالي غير المحبوب ١٨٩٧ :

عقب وصول سليمان بن سويلم وتوليه ادارة الاقليم في ١٥ ابريل ١٨٩٧ بوقت قصير ، بدأت من جديد حكاية السخط والتمرد .. وفي ابريل ومايو هجر حوالي ٤٥ رجلا من حامية ظفار قواعدهم وعادوا في جماعتين الى مسقط ، وفي نفس الوقت تقريباً قام اهل الحافة — ربما بتحريض من الوالي — بهجوم على اهل صلالة وقتلوا واحداً منهم . وحين وصلت الى السلطان هذه الانباء كتب عن طريق بومباي ثم عدن يستدعي الوالي سليمان بن سويلم من ظفار وارسل السيد سيف بن يعرب ليخلفه والياً عليها ، ولم يجد سليمان من المناسب ان يخضع فوراً لاستدعاء السلطان فتلكأ طويلا ، وحين غادر ظفار اخيراً في فبراير ١٨٩٨ صحب معه سيف بن يعرب ، تاركاً على ولاية ظفار عبداً نوبياً جاهلا لا يدري شيئاً ، وربما كان رحيله قد تأخر بسبب حادثة وقعت في نوفمبر ١٨٩٧ قتل فيها بعض بني قارة واحداً من ابناء إخوة الوالي ورجلا آخر كان بصحبته . واثناء عودة سليمان الى مسقط نزل في صور ، واستطاع باتصالاته مع زعماء الاهالي هناك ، ان يعد العدة للتمرد الذي حدث في نفس السنة .

خرق ضمانات السلطان للمتمردين المكفولة بضمان السلطات البريطانية ١٨٩٨ :

وعقب هذا مباشرة حدثت حادثة في مسقط بشأن ضمان السلطات البريطانية العروض التي قدمها شقيق السلطان لاهل ظفار أثناء تمردهم سنة ١٨٩٧ . ففي مايو ١٨٩٨ جيء بسالم بن حمد المرهوني زعيم التمرد الى مسقط مثقلا بالأغلال ثم القي في السجن ، وبعدها بشهر واحد لقي ابن

عمه عمرو بن عبدالله نفس المصير ، وحين ابلغ العقيد فاجان – الذي كان حينذاك وكيلا سياسياً في مسقط – بالمعاملة التي لقيها زعيم المتمردين من الوالي سليمان بن سويلم انتقاماً لمقتل ابنه سنة ١٨٩٥ ، رأى في هذا العمل خرقاً لما تم عليه الاتفاق في ١٨٩٧ ، فبادر بطلب اطلاق سراحه فوراً ، لكن السلطان رفض زاعماً ان سالماً قد عاود تحريض القبائل للتمرد على الوالي . حينذاك طلب العقيد فاجان اجراء تحقيق علني في هذه الاتهامات ، لكن السلطان رفض مرة أخرى . ولما لم تكن حكومة الهند واثقة كل الثقة من معلومات وكيلها السياسي ، فانها لم تلق بالا للامر . واخيراً تم في ديسمبر سنة ١٨٩٨ ، وبناء على اقتراح ودي من العقيد فاجان ، اطلاق سراح السجينين لقرب احتفال السلطان بزواجه من شقيقة سعيد بن ابراهيم من رستاق .

تمرد فاشل للبدو ضد السلطان ١٨٩٩ :

وفي بداية ١٨٩٩ ، وكان الوالي سليمان في مكان آخر ، نشأت أزمة جديدة في ظفار . فقد تكرر اعتراض البدو طريق امداد حامية لقلعة داخل الاقليم ، وأعد الوالي كميناً لهؤلاء البدو ، ونجحت خطته وقتل تسعة من أولئك اللصوص ، حينذاك هب بدو الاقليم كله معلنين التمرد ، وطلب نائب الحاكم الامدادات على وجه السرعة من مسقط ، وقام اهل الاقليم المستقرون بمعاونة الحكومة ضد البدو . وخمد التمرد من تلقاء نفسه .

موت السيد فضل .. وانتهاء التآمر الاجنبي في ظفار ١٩٠٠ :

ويبدو ان السيد فضل قد لقي حتفه في سنة ١٩٠٠ على وجه التقريب في القسطنطينية . وبموته انتهت – في ظاهر الامر – هذه المؤامرات الاجنبية في ظفار .

وقد اشرنا من قبل في التاريخ العام لسلطنة عمان الى جنوح السفينة الفرنسية « ادميرال جيودون » الى رأس حاسك في سنة ١٩٠٣ وحماية

ممثل السلطان وشيخ مرباط لبحارتها والمسافرين عليها ، وحسب ما ورد في تقرير جاء الى مسقط فقد زارت ساحل ظفار في ابريل سنة ١٩٠٥ حوالي ١٢ سفينة حربية – يشتبه في أنها روسية – وبقيت في الميناء يومين ونزل بعض البحارة الى البر لكنهم لم يقوموا بعمل يؤاخذون عليه .

مرور بعض السفن الحربية الروسية بساحل ظفار ١٩٠٥ :

وربما كانت هذه السفن هي الجزء الثاني من « اسطول الباسفيك الثالث » الروسي الذي كان يقوده الاميرال نيبكوتوف ونعرف انه خرج من ميناء جيبوتي يوم ١٧ ابريل سنة ١٩٠٥ في طريقه الى ميدان الحرب ضد اليابان في الشرق الاقصى .

السلم في ظفار ١٩٠٠ – ١٩٠٦ :

ومن ١٩٠٠ وصاعداً .. كان سليمان بن سويلم والياً على صحار في عمان ومستقراً بها ، بينما يحكم ظفار وال باسمه ، وخلال هذه السنوات يبدو ان اقليم ظفار كان يتمتع بالرخاء والسلام . وحين قام العقيد جراي ، الوكيل السياسي بزيارة ظفار على سفينة صاحبة الجلالة « ردبرست » في ديسمبر سنة ١٩٠٦ والتقى هناك بالسلطان السيد فيصل وابنه السيد تيمور وجد الاقليم في حالة لا بأس بها من الانتعاش والرخاء .

★ ★ ★

ملحق رقم (٢)
تاريخ جوادر وشاهبار(★)
أصل الارتباط بين جوادر وعمان ١٧٨٤ ـ ١٧٩٢

خلال القرن السابع عشر كانت قبيلة البليديين هي القبيلة المتنفذة في اقليم مكران الذي كانت جوادر وما حولها جزءاً لا ينفصل عنه . وفي القرن الثامن عشر برزت قبيلة الجشكي ، كذلك أسرة البراجوه التي كان يتزعمها رجل اسمه مهبط خان . وفي سنة ١٧٣٦ أعلن مهبط خان خضوعه لنادر شاه حاكم ايران الذي عينه بعد انتصاره على راس السلطة في كل بلوخستان بما فيها مكران . وفي ١٧٣٩ انسحب تقي خان ، قائد قوات نادر شاه ، من بلوخستان ، وانتهزت قبيلة الجشكي هذه الفرصة كي تعزز مكانتها في جوادر حيث ظلت عدة سنوات تحتفظ بالسيادة المطلقة هناك .

ناصر خان الاول في قالات ١٧٥٠ ـ ١٧٩٣ :

وبعد زمن قصير ، اختلف الجشكي فيما بينهم حول مسائل دينية ، وطلبت احدى الفرق المتنازعة عون ناصر خان الاول في قالات وهو شقيق الرئيس مهبط خان وخليفته ، وقد حكم ناصر خان هذا من سنة ١٧٥٠ الى ١٧٩٣ خاضعاً لافغانستان لا لايران كما قام مهبط خان بعدة غزوات اجتاح فيها اراضي الجشكي ، واخيراً ، حوالي سنة ١٧٧٨ استطاع ان يحصل على جزء من عوائد هذه الاقاليم .. ولكن الادارة ظلت في أيدي الجشكي كما هي .

(★) المصادر الرئيسية لتاريخ جوادر هى السجلات والملخصات الواردة في مصادر عمان آنفا ويمكن أن يضاف الى هذه مصدر مجهول المؤلف بعنوان « المراسلات الخاصة بتقدم ايران في مكران بلوخستان ١٨٦٩ » وكذلك الكتاب المسمى « التاريخ الرسمى لخط تلغراف مكران ١٨٩٥ » .

ناصر خان يضمن جوادر للسيد سلطان :

وفي ١٧٨٤ ، وكما ذكرنا في تاريخ سلطنة عمان ، لجأ الى مكران السيد سلطان بن حمد المطالب عندئذ بعرش عمان دون جدوى . وتذكر الروايات هناك ان السيد سلطان جاء اولا الى زيق وهي قرية حصينة ويسكنها المراوره في كلوه ، وهناك لحق به داد كريم المرواري ومنها سار الى خاران حيث تبنى قضيته المبر جاهنجبر زعيم الانوشروانية، ثم اتصلوا جميعاً بعد ذلك بناصر خان في قالات فتعهد هذا لهم بأن يساعد السيد سلطان للوصول الى حكم عمان ، ولكن أخيراً تحلل من وعده ، وفرض الحصار على ميناء جوادر الذي لم يكن في ذلك الوقت أكثر من قرية للصيادين على الحدود العمانية .

طبيعة ترخيص ناصر خان ومدى صحته :

أما حقيقة ما عمله ناصر خان وطبيعته فشيء غامض تدور حوله الخلافات . ويشتد الجدل وقد بات الوقت متأخراً كثيراً على فهم تلك الحقيقة ، وتأييداً لمزاعم قالات الراهنة في السيطرة على جوادر قيل ان الامتياز الممنوح لم يكن دائماً .. انما كان قاصراً على حق السلطان في اللجوء الى مكران ، أما سلطان عمان فكان يرى ان الهدف من ذلك الاجراء كان ضمان الحماية البحرية لشواطيء مكران ، وان ناصر خان كان يهدف الى التعاون مع امير لم نكن نشك في أنه سيتولى عرش السلطنة أما أنصار البراهوه فكانوا يقولون بأن نصف عوائد جوادر في سنة ١٧٨٤ كان يدفع للجشكي وانه لا يحق بالتالي لناصر خان استبعاد هذه الحقيقة . ولاثبات استمرار حقوق الجشكي ترد اشارات الى اعمال قام بها هؤلاء في ١٧٧٨ و ١٧٩٣ في صدد نصف عوائد جوادر ، ويوردون نصاً كتبه حاجي عبدالنبي في سنة ١٨٨٩ يثبت ان نصف العوائد الذي كان مستحقاً للبراهوه هو الذي حوله ناصر خان للسيد سلطان ثم يوردون دليلا آخر على استمرار ذلك الاجراء — أي استمرار الجشكي في الحصول على نصف عوائد جوادر وكانت تبلغ في ذلك الوقت ٣٠٠٠

ريال(١) حتى عهد بيبي مريم وهي امرأة من البليديه كانت متزوجة من رجل من الجشكي ، وقد وصفها مساعد الوكيل السياسي في جوادر سنة ١٨٦١ بأنها كانت تعيش على احسان سلطان مسقط . غير ان الجشكي يؤكدون ان ما كانت تتلقاه بيبي مريم كان حقها الواضح وليس صدقات من سلطان مسقط ، وانه هو نصيب الجشكي من عوائد جوادر يدفعه السلطان بانتظام ومواظبة . ومن هذا العرض السريع للموضوع يتبين لنا ان مسقط كانت تستند فقط الى وضع اليد لمدة تزيد عن قرن كامل .. ولا شيء غير ذلك . على حين ان الادلة التي الى جانب قالات كانت تشمل وثائق من جانب واحد ، أكل عليها الدهر وشرب(٢) حتى لا يمكن تقدير اهميتها .. ومن هنا لنا ان نشك في صحة تملك السلطان لجوادر ما دام دليله الوحيد هو استمراره في وضع اليد .. ولكن ينبغي أيضاً القول بأن بيت القصيد في الموضوع كله هو جانبه الفني دون الواقعي

ضم جوادر الى عمان ١٧٩٢ :

وحتى سنة ١٧٩٢ ــ حين استولى السيد سلطان على السلطنة في عمان ــ يبدو انه كان يتخذ جوادر قاعدة لحملاته على الساحل العربي المواجه لها ، ولم يكد يتولى الحكم في عمان حتى بادر باتخاذ الاجراءات التي تشير الى اقتناعه بأن جوادر اقليم تابع لعمان ، فارسل قوة على رأسها رجل يدعى يوسف بن علي ، لحكم جوادر واقامة قلعة للسلطان فيها .

---

(١) قيل بان المبلغ الاجمالى لتلك العوائد كان سبعة آلاف ريال في السنة يأخذ منها سلطان عمان مبلغ ١٠٠٠ ريال في مقابل نفقات جمع العوائد الى جانب نصيبه الذى كان يبلغ ثلاثة آلاف أخرى .

(٢) للوقوف على وجهه نظر قالات في القضية يستحق الامر الرجوع الى « الدليل الامبراطورى لبلوخستان » و « الدليل الاقليمى لمكران .. » أما القضية من جانب عمان فلم يحدث أن شرحت وافيا ، وأما السلطان الحالى فهو لثقته بقوة مركزه المستمدة من الامر الواقع لا يأبه للاسس التى يقوم عليها مركزه هذا . وعلى أى حال يمكن الرجوع الى بعض اشارات أثبتها الاب ج. ب. بادجر عن وجهة نظر عمان في القضية في تقريره رقم ٢٩ المؤرخ في ٣ يناير ١٨٦١ .

الاحداث في شهبار ١٧٩٢ ـ ١٨٠٩

ضم شهبار الى عمان ١٧٩٢ :

وبعد ان نفذ سيف بن علي التعليمات بشأن جوادر توجه الى شهبار وبصحبته اسطول من القوارب جاء به الى الميناء متعللا بصيد الاسماك ، فباغت شهبار واستولى عليها في ليلة واحدة وأعلن ضمها لحكم سيده ، وكان على شهبار في ذلك الوقت رجل من البليدية يدعى شافعي محمد قد اعتاد ان يدفع ربع عوائد البلدة للمير صبحان زعيم الباه و من دشتياري ، وأحياناً كان يدفع نفس النسبة أيضاً لسلطان عمان ، وقيل ان مما ساعد المباغتة العمانية خيانة رجل من الخوجه يدعى الله باحينا .

ويبدو ان شهبار قد ضاعت من عمان عقب موت السيد سلطان في سنة ١٨٠٤ لكن عمان سرعان ما استردتها مرة أخرى ، وبلغت العوائد فيها في سنة ١٨٠٩ خمسة آلاف روبية في السنة كان سيد عمان يضع يده عليها جميعاً .

★ ★ ★

الاحداث في جوادر من ١٧٩٢ الى ١٨٦١

الهجمات الاولى على جوادر :

لا يعرف الا القليل جداً عن تاريخ جوادر خلال السبعين سنة التالية ، ويبدو انها بعد الاحتلال العماني استطاعت ان تتجاوز من حيث رخاؤها مينائي باسني وجيونري اللذين كانت اقل شأناً منها من قبل . وقد بذل البراهوه محاولات متكررة لاستعادة جوادر لكن الحكام الضعاف الذين خلفوا ناصر خان كانوا أعجز من ان يصلوا بمحاولاتهم هذه الى نهاية ناجحة فقد كانوا دائماً منهمكين في حماية اقاليم أخرى من دولتهم ،

خاصة الحدود الغربية . وقيل انه بين ١٨٠٤ و ١٨٠٧ استولى مير دوستان ، زعيم البليديين في سرباز ، استولى على جوادر خلال فترة الفوضى التي اعقبت موت السيد سلطان ، ولكن اذا صحت هذه الرواية فلا شك انهم طردوا منها بعد ذلك على يد قوات ارسلت من مسقط .

وفي سنة ١٨٠٥ قام شيخ القواسم في رأس الخيمة بعملية قرصنة على جوادر ، وفي ١٨٣٩ تقريباً ، وحسب رواية من مكران ، تمكن الشيخ قاسم من الجشكي من تهديد جوادر ونجح في الحصول على نصيب الجشكي من عوائدها لمدة سنتين .

غزو سردار خان لجنوب غربي ايران عن طريق جوادر وشهبار ١٨٤٣ — ١٨٤٤ :

ومن الاحداث الغريبة التي حدثت بعد ذلك بقليل الحملة التي سارت الى جنوب غربي ايران عن طريق جوادر وشهبار يقودها سردار خان شقيق صاحب السمو الاغا خان . ففي سنة ١٨٤٣ غادر سردار خان كراتشي على رأس مئتي فارس استطاع ان يجمعهم هناك ، وأن يتجه بهم براً في رحلة دامت بضعة اسابيع الى جوادر ، وبعد استراحة قصيرة هناك واصلوا السير الى شهبار التي قرروا اتخاذها قاعدة لعملياتهم بالنظر لاستقرار الحوجات فيها . وعن طريق المفاوضات التي بدأت في شهبار استطاع سردار خان الاستيلاء ايضاً على بامبور ، وفي هذه الاخيرة حاصره جيش ايراني فاضطر للاستسلام ، ونقل اسيراً الى طهران .

محاولة نائب كايج في جوادر ١٨٤٧ :

وفي سنة ١٨٤٧ استطاع الفقير محمد نائب كايج ان يغزو جوادر بقوة قوامها الف رجل ، لينتزع من السيد ثويني نائب السلطان في عمان وقتذاك ، هدية سنوية كانت تقدم اليه ثم قطعت سنتين متواليتين . وبعد أن صد الاهالي هجوم الفقير محمد غير مرة وجدوا انفسهم يعانون نقصاً

من الذخائر والامدادات ، فلجأوا لمخادعة نائب كايج بطلب هدنة معه واغرائه ببعض المال والوعود الى ان وصلت قوة قوامها مائة رجل من مسقط ارغمته على التراجع الى الداخل ورفع الحصار .

وفي ١٨٥٧ أعد ناصر خان الثاني حملة كان من اهدافها استعادة جوادر وارسلت الى كايج يقودها الشاه غازي والى محمد ، لكن الحاكم العربي استطاع ان يتلافى هجومها على جوادر . فأرسل لحاكم قالات هدية قوامها سيف وعدد من العبيد وربما مبلغ من المال ايضاً للوالي ، وثمة حملة أخرى أعدت ضد جوادر لكنها الغيت بالنظر للمنازعات التي قامت بين صاحب هذه الحملة خودا داد خان وبين قبيلة الانوشروانية في خاران .

★ ★ ★

مزاعم قالات في أحقيتها بجوادر ١٨٦١ ـ ١٨٦٣

كان اهم أحداث جوادر وشهبار في السنوات الثماني التالية من ١٨٦١ الى ١٨٦٩ هو تشييد محطات التلغراف في الخليج وهو مشروع أثار عديداً من مشكلات الحدود وحقوق الملكية .

ويبدو ان اجراءات اقامة خط بريد للتلغراف من كراتشي حتى جوادر قد دفع خان قالات باغراء من الحكومة البريطانية الى تحقيق حلمه القديم بالاستيلاء على هذا المكان الاخير ، وفي سنة ١٨٦١ اقترح الخان ان تقوم السلطات البريطانية بشراء جوادر من سلطان عمان وتسليمها اليه ، وهو اجراء يعود بالنفع حسب زعمهم على دولة قالات وحكومة الهند معاً .

ورفضت حكومة الهند الاقتراح بعد دراسة دقيقة على اساس ملكية السلطان القديمة للمكان . وفي ابريل سنة ١٨٦٣ صدرت تعليمات من حكومة بومباي لمسئوليها في السند تبلغهم ان زعم الخان باحقيته في جوادر هو تماماً كزعمه في أحقيته بكراتشي . ولذلك فانه لا يستحق النظر

مزاعم ايران في جوادر وشهبار ١٨٦٣ ـ ١٨٦٩

يرد وصف لتقلبات السلطة في اقليم مكران خلال القرن التاسع عشر في التاريخ الخاص بذلك الاقليم ، وسنكتفي هنا بذكر مزاعم ايران في جوادر وشهبار التي اثارتها مفاوضات بريطانيا حول حقوق التلغراف .

المسئولون الايرانيون يضعون العقبات امام مد خطوط التلغراف البريطانية بالقرب من جوادر ١٨٦٢ – ١٨٦٣ :

وفي نهاية ١٨٦٢ حين كان خط التلغراف الارضي من كراتشي يكاد يصل الى جوادر أصبح واضحاً ان السلطات الايرانية المحلية لم تعد تطيق السكوت . وفي بداية سنة ١٨٦٣ بدأ ابراهيم خان الحاكم الايراني في بامبور يتدخل في عمليات التلغراف فكتب لسلطان عمان وللوالي العربي في جوادر يطلب اليهما محاولة منع مد خطوط التلغراف البريطانية الى ان تصل موافقة الحكومة الايرانية . وتعزيزاً لهذه الادعاءات قام ابراهيم خان بجمع عدد كبير من الرند وسار بهم نحو جوادر فأثار اضطراباً كبيراً وقطع طرق المواصلات مع الداخل . وفي ١٢ مارس ١٨٦٣ حدثت غارة خطيرة بالقرب من جوادر ، واضطر بعض جنود القارب المسلح « هيو روز » للنزول الى البر لحماية المنشآت البريطانية ، والموظفين البريطانيين العاملين في التلغراف . وفي مايو ١٨٦٣ تلقى مستر والتون المسؤول عن الجماعة القائمة بالعمل في التلغراف خطابات جديدة من ابراهيم خان ، كذلك ارسل أيضاً الى والي جوادر ، يتهدده مرة أخرى اذا مدّدت الخطوط الى ما وراء جوادر ، وسمح سلطان عمان بانزال قوات بريطانية لحماية التلغراف .. لكن الحاجة لم تدع الى تنفيذ ذلك .

مزاعم ايران في كل من مكران وبلوخستان بما فيهما جوادر وشهبار ١٨٦٤

وفي نفس الوقت استنكرت الحكومة الايرانية تصرفات ابراهيم خان

في ردّه على احتجاج من البعثة الديبلوماسية البريطانية في طهران لكن لهجة وزراء الشاه أكدت وجود مطامع ايرانية غامضة وتوسعية في مكران وبعدها أصبح من المعروف ان ايران تعتبر اقليمي جوادر وشهبار -على وجه الخصوص- تابعين لها . وفي ١٨٦٤ ارسل الرائد جولد سمد الى هناك لتحري الحقائق عن الخلافات الاقليمية التي ظهرت ، وجاء تقريره معارضاً لمزاعم ايران في جوادر وشهبار .. غير ان تلك الادعاءات كانت تزداد باستمرر كل يوم .. وفي نهاية ١٨٦٤ تبين أنها تشمل أيضاً « حقوق السيادة على مكران وبلوخستان » ووضح انها تستند الى فتوحات نادر شاه ، وقد أصبحت فعلا عقبة في وجه محاولة مد خطوط التلغراف غربي جوادر . وفي المذكرات الرسمية الايرانية اصبح يذكر دائماً « ان الحكومة الايرانية تعتبر كايج ومكران أجزاء لا تنفصل عن اقليم كرمان فهما بالتالي ارض ايرانية لا شبهة فيها » ، وان مينائي جوادر وشهبار هما في نظر الحكومة الايرانية في عداد الموانى الايرانية » .

ايران تتخلى عن مزاعمها في جوادر ١٨٦٨ — ١٨٧١ :

واخيراً تم توقيع اتفاقية التلغراف في ٢ ابريل سنة ١٨٦٨ ، وبها تخلت الحكومة الايرانية ببساطة عن مزاعمها تلك ، وترددت طويلا قبل أن تتنازل عما كانت تطالب به من النص في الاتفاقية على ان الساحل من جوادر غرباً هو « الساحل الايراني » ، وقد اصبحت جوادر بناء على الحدود التي رسمها وحددها جنرال جولد سميد في سنة ١٨٧١ بين ايران وقالات خارج الحدود الايرانية . اما شهبار فلم تتأثر بالحدود المذكورة فعلياً لانها رغم كل مزاعم ايران ظلت ضمن ممتلكات سلطان عمان .

★ ★ ★

التمثيل السياسى البريطاني في جوادر
١٨٦٣ – ١٨٧٣

★ ★ ★

يعتبر موقع جوادر من حيث هي نقطة تلتقي عندها عدة مجالات مختلفة للنفوذ السياسي –موقعاً فريداً ، ويمكن النظر اليها– من حيث هذا الاعتبار – من عدة نواح ، فهي مرة تابعة لسلطنة عمان ، ومرة اخرى ترتبط في الجنوب ببلوخستان وخاصة اقليم كايج ، ثم هي ايضاً نقطة يمكن منها بسهولة ويسر مسح الاحوال في اقليم مكران الايراني ، وهي موقع مختار لفرع التلغراف الهندي – الاوربي الموجود مركزه في كراتشي . ولقد أثرت هذه المصالح المتعددة في نوعية التمثيل السياسي البريطاني فيها وكان من المحتّم اجراء بعض التغييرات الادارية بين الحين والحين ، غير ان اقامة وكالة بريطانية هناك كان مسببه الاساسي مضايقات ايران بشأن مد خط التلغراف البري الى جوادر في ١٨٦٢–١٨٦٣ .

وكان الممثل البريطاني في البداية مساعداً اوربياً للوكيل السياسي ، تدفع راتبه شركة تلغراف الهند واوربا ، وكان اول من شغل المنصب هو الملازم اس. روس قائد الفرقة البلوشية الاولى ، وهو الذي اصبح بعد ذلك سير اس. روس المقيم السياسي في الخليج . وقد عينه مستر مانسفيلد القوميسير في السند ليكون وكيلا سياسياً مساعداً في قالات ، لكن التعليمات صدرت له ، نظراً للمشاكل التي كانت تثيرها ايران ضد مد خطوط التلغراف ، بأن يسير مباشرة الى جوادر ، فوصلها في أبريل سنة ١٨٦٣ ، وحوالي نفس الوقت ، وبتفويض من سلطان عمان لنزول قوات بريطانية في جوادر لحماية خطوط التلغراف ، وصل مائة شرطي من كراتشي يقودهم ضابط اهلي الى جوادر ، وحين سحبت هذه الفرقة في سبتمبر سنة ١٨٦٣ ابدلت بحامية صغيرة من الهند .

اقتراح باجراء تعديل في التنظيم السياسي ١٨٦٩ :

وفي ١٨٦٩ اقترح ان يدعى المسئول السياسي المقيم في جوادر ـ والذي كان حتى ذلك الحين يسمى مساعداً للوكيل السياسي في مسقط ، وللوكيل السياسي في قالات الوكيل السياسي لساحل مكران ، وبذلك يستقل عن الوكالة السياسية في مسقط وفي قالات ، ويدرج بين موظفي القسم السياسي بدل استمراره معيناً من قبل شركة التلغراف الهندية ـ البريطانية . أما في الواقع والتطبيق فقد كانت علاقته بقوميسير السند أوثق من علاقته بوكيل مسقط ، لان الاتصال بين قالات وجوادر لم يكن وقتها قائماً كما ينبغي . غير ان هذا الاقتراح رفض على أية حال ، استناداً الى انه لم تحدث أية عقبات بسبب تبعيته لعدة سلطات ولأن المشكلة السياسية الاولى في مكران كانت مع ايران فلا يسهل بذلك ان تبقى في ايدي المسئولين المحليين ، ثم ان الوظائف التي كان يقوم بها هذا المساعد لا تتعدى مسئوليته عن التلغراف وجمع المعلومات ، وقد يؤدي جعله وكيلا سياسياً الى زيادة الطابع السياسي لوظيفته ، مما قد يعده البعض تدخلا في الشئون السياسية للبلاد التي يتعامل معها .

وفي ١٨٧٢ اقترح الوكيل السياسي المساعد نقل مركز التلغراف الى مكان آخر على ساحل مكران تكون احواله الصحية أكثر مواتاة من جوادر ، ولكن تقرر أخيراً البقاء في جوادر والعمل على تحسين الاحوال الصحية فيها .

★ ★ ★

الاحداث في جوادر من ١٨٧٣ الى ١٨٨٨

الهدوء في جوادر ١٨٦١ ـ ١٨٦٨ :

على حين كانت قالات وايران تواصلان مزاعمها في تملك جوادر ـ أي في الفترة من ١٨٦١ الى ١٨٦٨ ـ خلا تاريخ الاقليم كله من الاحداث

الهامة ، وفي سنة ١٨٦٣ حدث حريق مروع ، شرد الكثيرين من بيوتهم وجعلهم مهددين بالمجاعة لولا النجدة السريعة التي بادرت بها السلطات البريطانية جالبة الاقوات والامدادات لهم . وفي ١٨٦٤ ، ١٨٦٥ تم توقيع اتفاقيتين للتلغراف بين حاكم عمان والسلطات البريطانية كانت الثانية منهما بشأن املاك السلطان في جوادر . وفي سنة ١٨٦٦ حين قتل السلطان ثويني وتولى الحكم ابنه السيد سالم حصل فزع وخوف في جوادر ، ونقلت اليها فرقة من بوليس الهند البريطانية من كراتشي لحماية ارواح الرعايا البريطانيين وممتلكاتهم .

وخلال السنوات الاربع التي تلت سنة ١٨٦٨ لم تسر الاحداث في جوادر سيرتها المألوفة الهادئة . فحين تولى عزان بن قيس الحكم في مسقط سنة ١٨٦٨ بادر بارسال وال اسمه السيد سيف ليحكم جوادر باسمه ، لكن هذا الوالي سرعان ما ضايق الاهالي بالمطوعة وبالتعصب .

تمرد في جوادر يقوده السيد ناصر ١٨٦٩ — ١٨٧١ :

وفي ابريل ١٨٦٩ استطاع السيد ناصر بن السلطان ثويني الهرب من سجنه في مسقط والوصول الى جوادر ، حيث تلقاه الناس بالفرح والاغتباط وطردوا من أجله واليهم السيد سيف ، واراد عزان ارسال قوة تعيد الوالي المعزول ، لكن استمرار السلم والهدوء في مياه خليج عمان — كما هو الامر بالنسبة لخليج فارس — كان جزءاً من سياسة الحكومة البريطانية في ذلك الوقت ، ولهذا اعترض الرائد ديسبراو على إبحار الحملة المقترحة ، وفي نفس الوقت كان السيد ناصر يعد العدة للهجوم على مسقط مما اضطر العقيد روس الوكيل السياسي المساعد في جوادر ، لان يوجه له انذاراً مشابهاً . وظل عزان بن قيس يواصل جهوداً منظمة للضغط من أجل السماح له بالهجوم على جوادر التي كان يعتبرها جزءاً لا ينفصل عن املاكه ، واخيراً ، حين تحسنت علاقاته بالسلطات

البريطانية شاءت هذه الاخيرة ان تتنازل وتمنحه الترخيص المطلوب الذي تأخر بانتظار اعتراف الحكومة البريطانية بالسيد عزان سلطاناً لعمان ، وهو شرط لم يتحقق نظراً لموته التالي مباشرة . ورغم ذلك ، ففي فبراير ١٨٦٩ قررت حكومة الهند دفع مبلغ سنوي قدره ١٥٠٠ روبية لسلطان عمان في مقابل تسهيلات خطوط التلغراف في جوادر وشهبار ، وكان مفهوماً ان ثلثي هذا المبلغ خاص بميناء جوادر .

وفي نهاية يناير سنة ١٨٧٠ ظهر ازاء ساحل جوادر السيد عبدالعزيز ابن السلطان السابق سعيد وشقيق السيد تركي الاصغر ومنافس عزان الاول– وكان على رأس عدة سفن وطنية ، لكن ناصر بن ثويني استطاع ان يأسره ويستولي على سفنه . ولم يكن ناصر يود ان يسجن اسيره هذا . فرضخ لنصيحة العقيد روس وارسله الى بوشهر على سفينة البريد البريطانية ، وفي اكتوبر ١٨٧٠ ، ورد نبأ يفيد ان عبدالعزيز على وشك مهاجمة جوادر فسادها الفزع وسمح للتجار الهنود بأن يلجأوا الى مركز التلغراف البريطاني ، لكن ضاحو بن محمد الوزير الافريقي لوالي جوادر اعترض على ذلك الاجراء . ودخل يوماً مركز التلغراف وهو يصوب مسدسه الى رأس مستر بوسمان المسئول عن المركز ، لكن هذا استطاع ان يطوح بالسلاح من يده ، في حين قام موظفو المكتب والعاملون فيه بابعاد انصاره الذين تجمعوا امامه . وبعدها بيومين رجع العقيد روس من زيارة لكراتشي على السفينة « داجمار » ومعه سفينة البحرية الهندية « كوانج تونج » ، وبعد تهديد بضرب القلعة من البحر وافق ضاحو محمد على الاستسلام ، ونقل الى الهند حيث ظل سجيناً سياسياً فيها لمدة عامين .

تمرد في جوادر يتزعمه السيد عبد العزيز ١٨٧١ – ١٨٧٢ :

وحين خلف السيد تركي بن سعيد عزان بن قيس في مسقط ، قام السيد عبدالعزيز –أخوه الذي أشرنا اليه– باعداد حملة على صحار ، ثم واصل السير الى جوادر وجعل نفسه حاكماً لها بدل ناصر بن ثويني

الذي اضطر لركوب البحر هارباً الى زنجبار ، ويبدو ان الاعمال الحكومية كانت تدار اذ ذاك بااسم السيد تركي ادارة سيئة على يد رجل بلوشي كان يعمل في وقت من الاوقات بالوكالة السياسية البريطانية هناك . وكان واضحاً ان السيد عبدالعزيز كان يتصرف دون تفويض من السيد تركي ، لكننا نفهم من عدم اعتراض هذا الاخير على رحيل السيد عبدالعزيز من عمان انه كان يوافق على الرحيل .. بل ويرحب به .

وفي اغسطس ١٨٧١ تقدم السيد تركي يطلب معونة من حكومة الهند لطرد السيد عبدالعزيز من جوادر وشهبار ، لكن طلبه رفض وسمح له بأن يقوم بما يراه من الاجراءات البحرية والبرية لاستعادة الميناءين ، مع انه هو نفسه لم يطلب مثل ذلك . وبمجرد ان عزز عبدالعزيز وضعه في جوادر بدأ سلسلة من الجهود -سنصفها بالتفصيل فيما بعد- للاستيلاء على شهبار ، وفي يناير ١٨٧٢ اصاب شيئاً من النجاح ، ولكن في مارس من نفس السنة قام جيش ايراني بطرد عبدالعزيز من مكانه هذا وأرغمه على التراجع الى بومباي تاركاً وراءه جوادر وشهبار لمصيرهما . وفي بداية مايو ١٨٧٢ -وكان عبدالعزيز ما يزال في بومباي- أرسل السيد تركي حامية قوامها ٢٠٠ جندي وهابي الى جوادر فاستولت عليها باسمه ، وكان اهل جوادر وشهبار ايضاً يحبذونه ويؤيدونه لتولي السلطة منذ بدأ في التطلع اليها والعمل من اجلها .

★ ★ ★

الاحداث في شهبار حتى استيلاء ايران عليها ١٨٦١ - ١٨٧٢

لم تخرج شهبار من حالة الغموض التي تردت فيها الى ان تولى عزان ابن قيس ، لكنها من ذلك الوقت وحتى ضياعها نهائياً بضمها الى عمان

في سنة ١٨٧٢ ظلت على جانب من الاهمية . ففي ١٨٦٤ بلغت عوائدها ستة آلاف روبية في السنة يأخذ منها الوالي العربي رشيد بن حمد ١٠٠٠ روبية للنفقات الادارية ، اما امر حمايتها فكان موكلا الى اثنين من الروؤساء المحليين هما دين محمد جاد جال من الدشتياري ، والمير عبدالله من غايه ، وكانا يتلقيان ١٩٠٠ و ٢٠٠ روبية على التوالي نظير الحماية ، ولم يكن للوالي الغربي سوى عشرة رجال من الحرس فقط .

زعيم الدشتياري يستولي موقتاً على شهبار ١٨٦٩ :

وفي ١٨٦٨ أو ١٨٦٩ ، وبعد طرد السيد سالم من مسقط ، استطاع دين محمد أقوى حماة شهبار الاستيلاء على الميناء بهدوء ، وظلت شهبار ، تماماً كجوادر ، بمنأى عن عمان طوال فترة حكم عزان بن قيس . ولكن برغم ذلك خصص ابتداء من فبراير مبلغ سنوي لحاكم عمان مقداره خمسمئة روبية مقابل التسهيلات التلغرافية للسلطات البريطانية في ذلك المكان .

صراع بين السيد تركي وعبدالعزيز والزعماء المحليين للاستيلاء على شهبار ١٨٧١ :

وفي أغسطس ١٨٧١ وبعد فتح السيد تركي لعمان واستيلاء السيد عبدالعزيز على جوادر ، اندلع صراع رهيب بين اطراف ثلاثة للاستيلاء على شهبار بدأه عبدالعزيز بالكتابة ، من جوادر ، الى خوجا اسماعيل ، السندي الاصل والعماني الجنسية وحاكم شهبار رسمياً في ذلك الوقت نيابة عن السيد تركي ، يطلب من الخوجا دفع العوائد كلها له ، وقطع الراتب الذي كان يتقاضاه دين محمد — الذي لابد ان استيلاءه على السلطة كان موقوتاً . كما طلب اليه ابعاد دين محمد عن قلعة شهبار . وحين عرف دين محمد هذه الاخبار دعم وضعه في القلعة ، وحيث كان يزعم انه يحتلها باسم السيد تركي فقد طلب من تركي الاذن له بمعارضة اوامر

السيد عبدالعزيز بالقوة لو اقتضى الامر . وبعدها بقليل كتب محمد علي ، زعيم دابو الذي كان السيد عبدالعزيز قد طلب معونته ايضاً ، الى السيد تركي يعرض عليه خدماته . لكن هذه العروض التي أشار المسئولون البريطانيون برفضها حملت تركي على التقدم بطلب لحكومة الهند لمساعدته في طرد عبدالعزيز وقد ذكرنا فيما سبق نتيجة هذا الطلب .

محاولات فاشلة للسيد عبدالعزيز في شهبار ١٨٧١ :

وفي نفس الوقت لم يتوقف السيد عبدالعزيز عن بذل الجهود للاستيلاء على شهبار . ففي سبتمبر ١٨٧١ سار عن طريق البر الى هذا المكان على رأس ١٥٠ رجلا من قبيلة الرند وغيرها ، لكن شيخ الباهو –الذي أشرنا آنفاً لموقفه– استطاع اقناعه بالرجوع الى جوادر . وفي اكتوبر من نفس السنة ، وبعد ان تلقى السيد عبدالعزيز وعوداً بالعون من حسين خان زعيم غايه ، تحرك مرة أخرى نحو شهبار . وكان معه عدد قليل من الانصار هذه المرة لكنه ارغم مرة أخرى على التراجع الى جوادر دون ان يحقق شيئاً . وفي نفس الوقت تقريباً انتدب السيد تركي رشيد بن حمد الوالي السابق على هذا المكان – في مهمة خاصة بشهبار لكنه فشل في تحقيقها وظلت حقيقتها مجهولة . وقد عاد الرجل الى مسقط في الشهر التالي لقدومه .

عبدالعزيز يستولي على شهبار يناير ١٨٧٢ :

وأخيراً في ١٥ يناير ١٨٧٢ ترك السيد عبدالعزيز مقره بزعم القيام برحلة صيد في داخل الصحراء ، وبعد ان ابتعد عدة اميال عن جوادر ، تحرك فجأة نحو دانجي ، وبعدها مباشرة وصل الى شهبار ، حيث استولى على قلعة دين محمد ، ولم يكن بها سوى جنديين او ثلاثة ، كما استطاع أيضاً ان يأسر واحداً من ابناء دين محمد كان بها . وتكشف حقيقة كون القارب الذي جاء به عبدالعزيز كان تابعاً لصحار ، الى جانب الخطابات التي كانت به من والي تلك المدينة ، ان الانقلاب قد دبره – او حرص عليه على الاقل – ابراهيم بن قيس .

الايرانيون يطردون عبدالعزيز من شهبار فبراير ١٨٧٢ :

ولكن عبدالعزيز لم يتمتع طويلا بثمرة انتصاره ، فقد عقد مع دين محمد اتفاقية تقضي بأن يظل الاخير في وضعه في شهبار الى حين ترفع المشكلة كلها الى السيد تركي ، لكن سارتيب ابراهيم خان –الحاكم الايراني في بامبور– كان اقل استعداداً للمهادنة او التفاهم . ففي اوائل فبراير تلقى عبدالعزيز خطاباً من السارتيب جاء فيه ان شهبار تابعة لايران فان عليه اذا شاء اعتراف الحكومة الايرانية به ، ان يلتقى بالسارتيب في قصر خند لوضع الترتيبات اللازمة لذلك . وجدير بالذكر ان وكيل الملك وهو القائد الايراني العام في كرمان ، كان ايضاً في قصر خند في ذلك الوقت . وقد استشار عبدالعزيز الكابتن مايلز الوكيل السياسي المساعد في جوادر . وكان الاخير قد تلقى تفويضاً من بومباي بابلاغ ابراهيم خان ان حكومة الهند كانت تنظر دائماً الى شهبار باعتبارها تابعة لمسقط ، وانها لم تتأثر باتفاقية تخطيط الحدود الفاصلة بين قالات وايران . وقد اشار الكابتن مايلز على عبدالعزيز ان يبعث في طلب اوامر من السيد تركي . لكن الايرانيين قبل وصول الجواب من مسقط كانوا قد وصلوا الى جوار المدينة . وابرق عبدالعزيز الى الرائد بيللي المقيم العام في الخليج يطلب نصيحته لكن وقت المفاوضة كان قد انتهى بالفعل .

وحوالي منتصف ليلة ٢١ فبراير وصلت الى شهبار طلائع قوات ابراهيم خان بقيادة حسين خان والي غاية الذي كان متعاوناً مع الايرانيين. وفي اليوم التالي –وبعد مقاومة استمرت ثلاث ساعات لقي فيها بعض الرجال مصارعهم– جلا عبدالعزيز عن القلعة ومعه اربعة مدافع وحامية قوامها ٣٠ رجلا من العرب والبلوش ولجأ الى ظهر سفينة كانت في الميناء

سوء معاملة الايرانيين لرعايا الهند عقب احتلالهم شهبار :

وبمجرد انتهاء القتال سارع الايرانيون الى نهب المدينة ، وكان من حسن حظ التجار الهنود فيها انهم نقلوا قبل ذلك عائلاتهم واهم

ممتلكاتهم خارجها توقعاً للهجوم . وفيما يتعلق بالبلاغ الذي وجهه الميجور مايلز — حسب تعليمات حكومة بومباي— الى ابراهيم خان رد هذا منكراً زعم أحقية عمان في شهبار ومؤكداً تبعيتها لايران ، حسبما أكدته التقارير الاخيرة للجنة الحدود بين ايران وقالات ، كما شكا أيضاً عبدالعزيز الذي اجتجز بعض المواطنين الايرانيين على ظهر سفينته .
وبعد انقضاء عدة ايام سلم السارتيب المدينة الى حسين خان والي غايه ليكون والياً عليها ، ورحل بقواته الى قصر خند في الداخل ، وتزايدت شكاوى التجار البريطانيين في شهبار من اعمال حسين خان ، فهم قد تعرضوا لنقص شديد في الاقوات علاوة على منعهم من نقل بضائعهم تحسباً من احتمال رحيلهم عن المدينة . وكان معظم الرعايا البريطانيين قد لجأوا الآن الى جوار مركز التلغراف البريطاني ، ولضمان سلامتهم تقرر ارسال سفينة حربية الى المكان ، غير انه لم يتيسر توفير سفينة لذلك . وظل عبدالعزيز عدة ايام على سفينته في الميناء في انتظار معونة تجيئه من الخارج كما ارسل عدة قوارب تلتمس له العون البحري من صور وخابوره في عمان . وفي مناسبة واحدة فقط أمر عبدالعزيز بإطلاق النيران على القلعة ، واستفزّ هذا العمل العدو دون ان يفيد صاحبه بشيء .
وفي نفس الوقت تقدم السفير البريطاني في طهران بعدة احتجاجات الى الحكومة الايرانية التي كان واضحاً انها كانت حتى ذلك الوقت تجهل سائر ما يحدث في شهبار . وصدرت الاوامر للكابتن مايلز ، مساعد الوكيل السياسي في جوادر ، بأن يسير الى شهبار على السفينة « هيو روز » ويبقى هناك الى حين وصول قارب مسلح . واتصل رئيس الوزراء الايراني مرتين تلغرافياً بحسين خان الذي كان موقفه من البريطانيين هو الاستهانة والاحتقار بلا ريب . وقد طلب رئيس الوزراء منه ان يكفل للرعايا البريطانيين أقصى ما يمكنه من الحماية ، لكن الخان لم يعمل بالاوامر في البداية . واخيراً ارسلت الحكومة الايرانية اوامر كتابية الى القائد الايراني العام في كرمان تطلب منه ارسال مبعوث خاص الى

شهبار يتولى تسوية مشكلات الرعايا البريطانيين فيها . وبعدها يبدو ان الامور قد عادت تدريجياً الى مألوف سيرها . وفي نفس الوقت قيل ان ابراهيم خان — الذي كان في طريقه الى تيز للتفتيش على قلعة امر ببنائها هناك — قد اعلن اعفاء التجار الهنود من الضريبة لسنة كاملة تشجيعاً لهم علي العودة إلى المدينة التي هجروها . وتمّ بعدها الحصول من الحكومة الايرانية على التعويضات عن الخسائر التي لحقت بالرعايا البريطانيين نتيجة احتلال شهبار ، ولم تكن هذه جسيمة على اية حال وعرض نائب الملك في الهند وساطته في الخلاف الدائر بين عمان وايران حول شهبار ، لكن الحكومة البريطانية لم تتخذ أي اجراء من جانبها لمحاولة ارجاع شهبار لسلطان عمان ، لان الموضوع كما كان يراه رجال السياسة البريطانية آنذاك ، لم يكن ينطوي على أهمية للمصالح البريطانية ويبقى فقط ان نضيف انه في سنة ١٨٧٤ تقدم سلطان عمان —ويبدو انه كان يعتقد ان شهبار قد ضمت الى ايران حسب اتفاقية الحدود بينها وبين قالات — بطلب الى وزير الدولة البريطاني لشئون الهند ، والي نائب الملك في الهند، بالعمل على تصحيح هذا الخطأ . واجيب على ذلك بأن لجنة الحدود بين ايران وقالات لا علاقة لها بشهبار ، وان الحكومة البريطانية لا تستطيع التدخل في هذا الامر ، وهي ايضاً لا تسمح له بأن يثير ازمة مع ايران حوله .

★ ★ ★

الاحداث في جوادر من ١٨٧٣ — ١٨٨٨

بعد ضياع شهبار انحصرت مصالح عمان في اقليم مكران في مدينة جوادر وعدة اميال مربعة فيما حولها .

وتميزت سنة ١٨٧٣ بمحاولتين من بعض اقارب السيد تركي لحرمانه من تملك جوادر وكان على رأس التمرد السيد عبدالعزيز والسيد سالم السلطان السابق لعمان ، وكلاهما جاء من بومباي الى مكران على ظهر سفينة وطنية .

هجوم عبدالعزيز على جوادر يوليو – اغسطس ١٨٧٣ :

وقد تأخرت حركة السيد سالم قليلا بسبب القبض عليه في كراتشي بتهمة التزوير ، لكن عبدالعزيز نزل الى بانسي قرب نهاية يونيو ، وظهر في جوادر يوم ١٨ يوليو واتخذ له مقراً الى جوار محطة التلغراف البريطانية ليحاول قطع امدادات المياه عن المدينة ، وكان انصاره حوالي ٦٠٠ رجل نصفهم من الرند والباقي من مواطني قالات ، وكان بينهم خودا نبي بخش وهو زعيم محلي له بعض النفوذ . وكان سلطان عمان عند بدء الاضطراب منهمكاً في محاولة لاخضاع صحار لكنه ارسل فرقة صغيرة قوامها ٢٠ رجلا لتعزيز حاميته في جوادر المؤلفة من حوالي ٤٠ رجلا . غير ان الدفاع عن جوادر تعزز بانحياز بعض قبيلة الكلماتي الى معسكر السلطان ، مما دعا جنود عبد العزيز للخوف من الهزيمة عند لقاء هذه القبيلة ، وهكذا ظلت الامور معلقة حتى يوم ٢٢ يوليو حين وضح عزم عبد العزيز على القيام بهجمة موحدة يستولي بها على القلعة ، وبدا لفترة من الوقت ان والي السلطان لابد ان يستسلم ، لكن الحوادث لم تسر على هذا النحو ، وبلغت خطورة الموقف حداً حمل سائر الرعايا البريطانيين والمشمولين بالحماية البريطانية على هجر المدينة والإقامة في مكان مسقوف اعد لهم بجوار مركز التلغراف ، ومن ناحية اخرى فقد تخلى خودا نبي بخش عن عبدالعزيز لخشيته من عواقب الاضرار بالمصالح البريطانية .

واخيراً ، في يوم ٧ اغسطس انسحب المحاصرون ، وكلفت هذه العملية سلطان عمان حوالي ثمانية آلاف روبية بالاضافة الى بعض القتلى من رجاله العرب والبلوش .

خسائر الرعايا البريطانيين :

ولم يقم عبد العزيز بهجوم على جوادر الا بعد ان تلقى رداً على طلب كان تقدم به لنقل الرعايا البريطانيين بعيداً عن مجال الخطر ، فأجيب على ذلك بأنه يتحمل شخصياً مسئولية اية أضرار تلحق بالرعايا

البريطانيين أو المشمولين بالحماية او بأملاكهم نتيجة عمله العدائي . وكما حدث في شهبار سنة ١٨٧٢ من قبل لم يتيسر توفير حماية قارب مسلح لهؤلاء الرعايا ، ولم تصل سفينة صاحبة الجلالة « رايفل مان » إلى مكان الاحداث الا بعد بدء السيد عبدالعزيز عملياته بيومين او ثلاثة ، ورغم ذلك فمن بين ١٣٩ متجراً بريطانياً مشمولة رسمياً بالحماية نهب انصار عبدالعزيز ٥ متاجر فقط ، ورغم ان التجار المتمتعين بالحماية البريطانية قد قدروا خسائرهم بمبلغ ٤٨,٦٥٨ روبية الا ان كابتن موكلر خفض هذا التقدير كثيراً ، ورأت حكومة الهند انه ليس من الانصاف ان تطالب السيد تركي بدفع هذه التعويضات . كذلك كان من المستحيل تحصيلها من السيد عبدالعزيز ، وعلى هذا لم يتخذ اي اجراء رسمي بصددها .

عروض من جانب السيد تركي لعبدالعزيز وسالم ، ثم انذار من الحكومة البريطانية :

لكن حكومة الهند ، رغم يقينها باستحالة تحصيل التعويضات من السيد عبدالعزيز ، لم تشأ ان تتركه هو والسيد سالم — الذي صرح بأنه ينوي القيام بهجوم على جوادر — يقومان بأعمالهما هذه دون رادع . وكان عبدالعزيز وقتذاك في باهو وسالم في كايج وكان وجودهما يزعج الناس كثيراً ، ويهدد بخلق ازمة مع الحكومة الايرانية . وعلى هذا ، ففي نهاية اغسطس صدرت التعليمات لقومسيير السند بأن ينذر اياً من هذين — او كليهما — اذا تقدم بقواته من جوادر بهدف الاعتداء عليها — وتأمره بالانسحاب هو ورجاله ، واذا رفض فيجب القاء القبض عليه ، ثم ابلغ بعد ذلك بأن يعرض عليهما عرضاً قدمه السيد تركي بأن يدفع لكل منهما راتباً قدره ثلاثمائة روبية على ان يقيما في ارض تحت الحماية البريطانية ويبتعدا عن التدخل في شئون عمان . وقد حددت لهما مهلة عشرة ايام لابداء الرأي في هذا العرض ، علماً بأنهما انذرا بأنهما اذا هددا جوادر بالقوة او حاولا شق طريقهما الى عمان فسيلقى القبض عليهما .

القاء القبض على السيد عبد العزيز واسره في سبتمبر ١٨٧٣ :

ولم يقبل اي من هذين السيدين الشروط المعروضة ، وقد تم في سبتمبر سنة ١٨٧٣ . وكما سبق ان ذكرنا في تاريخ سلطنة عمان — ان القي القبض على السيد عبدالعزيز في البحر ونقل الى الهند ، اما السيد سالم فقد بقي طويلا في مكران — خاصة في اقليم دشتياري . ورفض باصرار عرضاً محدداً عرض عليه بنفس الشروط السابقة .

استيلاء سالم على جوادر وفشل محاولة القبض عليه ١٨٧٣ :

ويبدو ان تطور الاحداث قد وصل بسالم الى اليأس في نهاية المطاف . ففي الصباح الباكر من يوم ٨ ديسمبر ١٨٧٣ سار أكثر من مائة ميل من الداخل ووصل الى جوادر بعد يومين ومعه ١٥ رجلا فقط من انصاره ، لكنه استطاع ان يستولي مباغتة على الحصن ، وكان الوالي المدعو سعيد بن خميس غائباً عن جوادر ذلك الوقت . وكان نائبه رجلا ضعيفاً عاجزاً عن العمل لكنه لم يكن خائناً للسلطان ، على ارجح الاقوال . وفي يوم ١١ ديسمبر وصلت الى جوادر سفينة صاحبة الجلالة « كولومباين » والسفينة « مانورا » وعلى ظهرها ٦٠ رجلا من شرطة كراتشي يقودهم ضابط اوروبي باوامر من الحكومة . واعد كابتن موكلر العدة لفرض حصار حول القلعة وطلب من السيد سالم الاستسلام . لكن هذا تجاهل الانذار ، وحين حل الظلام استطاع سالم ، بعد ان قتل حصانه ، ان يصل الى الارض الايرانية مخترقاً الحصار المضروب ، ومن هناك بدأت المفاوضات لكنه ظل على رفضه للعرض المقدم ، وفي النهاية هرب سالم من مكران وانسحب الى مقره الاول في جزيرة قشم .

تحركات جديدة ضد السيد تركي في مكران ١٨٧٤ :

وفي ابريل ١٨٧٤ غادر مسقط خفية السيد عبدالعزيز — شقيق سالم ابن ثويني — بصحبة المدعو ضاحو الذي كان اثار الاضطراب في جوادر

سنة ١٨٧٠ ، ونزلا وليس عندهما اية نوايا سيئة الى بوزيم في مكران ، ولكن في شهر سبتمبر التالي ارجعهما دين محمد اسيرين الى مسقط ، ويبدو ان السلطان هو الذي اغراه بذلك ، وسجن السيد في قصر السلطان لكنه لم يوقع به أي عقاب ، اما ضاحو فقد اختفى وقيل انه اعدم .

القبض على السيد سالم وترحيله اكتوبر ١٨٧٥ :

وفي فترة اغسطس ديسمبر ١٨٧٥ استقر السيد تركي نفسه في جوادر بعد ان ترك حكم عمان بالفعل بين يدي شقيقه عبد العزيز الذي استطاع التوصل معه الى بعض التفاهم . واثناء اقامة تركي القصيرة في جوادر استطاعت سفينة حربية بريطانية ان تلقي القبض على السيد سالم — غريم السلطان الاول— تنفيذاً للاوامر الصادرة سنة ١٨٧٣ — وتم نفيه الى الهند .

ولع السلطان بجوادر واستقراره فيها أخيراً والاعمال التي قام بها هناك

وقام السلطان بزيارة اخرى لجوادر في اغسطس وسبتمبر ١٨٨١ لتغيير الجو ، وفي يناير ١٨٨٣ امر بتعزيز حاميتها بضم ٨٠ جندياً وهابياً اليها ، وفيما بين ١٨٨٤ و ١٨٨٦ اقيم مكتب بريد — حسب اوامره — في بيشو كان على الحدود الغربية لمنطقة جوادر . وفي ١٨٨٨ اراد السيد تركي قبل وفاته بقليل وبسبب شدة ولوعه بجوادر ان يفصلها عما حولها ويعهد بها لولاية ابنه محمد . لكن هذه الرغبة ظلت بعد موته دون تحقيق .

★ ★ ★

مشكلات مع قبيلة الرند ١٨٧٥ — ١٨٨٦

وفي سنة ١٨٧٥ تقريباً توترت العلاقات بين مسئولي السلطان في جوادر وقبيلة الرند البلوشية التي تقيم في ماند — قريباً من الحدود الايرانية وعلى بعد ٨٠ ميلا من الساحل . وارض الرند مكشوفة وليست محرومة

من الزراعة ، ورجالها المقاتلون لا يزيدون ابداً عن الف وخمسمائة رجل ، ومعظم افرادها يفضلون الحياة في سلام وهدوء ، لكن رؤساء القبيلة وزعماءها — من الناحية الاخرى — لا يتمتعون بكبير نفوذ بين أفراد القبيلة ، لهذا نجدها سيئة السلوك مستعصية على النظام .. وازداد التوتر بين قبيلة الرند وممثلي السلطان ، بل هو بدأ أساساً بسبب توقيع السلطان اتفاقية منع تجارة الرقيق في سنة ١٨٧٣ ، وفيها وافق على منح الحرية لكل من يدخل الى اراضيه من الخارج ، وإعتاق العبيد الذين يلجأون الى جوادر ، واصبح التزام السلطان بتنفيذ هذه الاتفاقية التزاماً تاماً مشكلة عسيرة لقبيلة الرند وسواها من القبائل التي كان لها عبيد في هذا الاقليم .

بداية سوء مسلك القبيلة ١٨٧٥ — ١٨٧٦ :

وفي سنة ١٨٧٥ قام بعض الرند بغارة صغيرة على قافلة كانت مسافرة من جوادر الى باهو ، وكعقاب لهم ، امر الوالي العربي بطرد كل افراد القبيلة من المدينة لمدة ستة اشهر ، ولكن يبدو ان اثر هذا الامر لم يصب بسوء الا التجارة في جوادر نفسها ، ووجد السلطان من المحتم أن يسترضي التجار والمزارعين بدفع تعويضات لهم من جيبه الخاص . وفي سنة ١٨٧٦ قامت جماعة من الرند استاء افرادها لاعتاق بعض عبيدهم — بالتجمهر حول الوكيل البريطاني المساعد في جوادر غير مرة واحدة ، كما قطعوا اسلاك التلغراف فيما جاورها مرة بعد مرة ، واعتدوا على أحد العاملين في المكتب ، وسجنوه لكنه امكن اطلاق سراحه بعد يومين او ثلاثة ، كما قاموا ايضاً بارتكاب عدة اعمال عدائية ضد التلغراف البريطاني والعاملين فيه .

اضطرابات خطيرة للرند في جوادر ١٨٧٩ :

وبعد هذه الاضطرابات ، تواصل وقوع الاعمال العدائية الصغيرة يوماً بعد يوم ، وفي يونيو ١٨٧٩ توتر الشعور العام في مدينة جوادر

والتهب نتيجة مقتل ثلاثة من الرند كانوا بين اعضاء جماعة أمرها الوالي بالمثول بين يديه لكنها حاولت كسر اوامره بالقوة ، وقد سجن الوالي أيضاً سبعة آخرين من القبيلة لكنه اطلق سراحهم بعد ذلك على اساس امتناع القبيلة عن الثأر والكف مستقبلا عن التعديات ، غير ان الذي حدث انها لم تكف ، ولم تنس مقتل الذين قتلوا من ابنائها ، وظلت تهدد بالقيام بعمل انتقامي لا من الوالي العربي فقط ولكن من هيئة التلغراف البريطانية أيضاً ، وكتب الكابتن دوراند المساعد الاول للمقيم السياسي في الخليج والذي كان وصل الى جوادر حينما كانت مشكلة الاسرى السبعة من الرند معروضة امام الواليتقول كتب تقريراً مفصلا عن الموقف وذكر رأيه في أن قبيلة الرند تبالغ في تطرفها وانه لا بد من اتخاذ بعض الاجراءات العقابية الرادعة لاعادة استتباب الامن والنظام ، واثناء هذه الازمة ارسلت سفينة صاحبة الجلالة « ريدي » الى جوادر لتوفر الحماية للرعايا البريطانيين وأملاكهم هناك .

أما تجارة جوادر مع الهند وبلوخستان فلم تزد في هذا الوقت شيئاً ان لم تنقص ، وكانت جميعها او معظمها في أيدي الرعايا البريطانيين الذين بلغ عددهم بين ٥٠ و ٦٠ تاجراً .

اضطرابات أخرى من جانب قبيلة الرند ١٨٨٣ :

وفي ١٨٨٠ هدأت تعديات الرند ، بل لعلها توقفت توقفاً تاماً حتى سنة ١٨٨٣ ، ففي يناير من هذه السنة —وحين كان السيد تركي بنفسه يزور جوادر— قامت عصابة من ١٦ رجلا من الرند بغارة على جماعة العاملين بالتلغراف في سارتيب على بعد ٥٧ ميلا غربي جوادر فخطفوا حكمدار التلغراف ونهبوا متاعاً كثيراً بعضه يخص الحكومة البريطانية نفسها . وكانت بلاد الرند قد عانت القحط خلال السنوات الثلاث السابقة ، وكان الدافع الرئيسي وراء هذه الاغارات جميعاً هو السلب والنهب ، لكن العذر الذي كان يقدمه افراد الرند انفسهم هو حادثة جوادر في سنة ١٨٧٩ ، وليس من المستبعد ان تكون مضايقة السلطان واحداً من اهداف تلك الجرائم .

واطلق سراح المسئول عن التلغراف بعد عدة ايام ، ولكن لم يتيسر الكشف عن الاماكن التي اخفيت فيها الامتعة المسروقة ، ومرة أخرى جدد الرند تهديدهم بالقيام بعمل انتقامي ضد العمانيين والبريطانيين معاً ، فأوفد العقيد موكلر ، الذي توفرت له خبرة ومعرفة وثيقة بجوادر خلال المدة التي قضاها مساعداً للوكيل السياسي هناك ، فوصل من البصرة لدراسة الموقف ، وبعد اجراء بعض الابحاث والتحريات المحلية توصل موكلر الى نتيجة مؤداها أنه لا داعي للخوف من قيام الرند بعمل انتقامي ، فقد حان الوقت لان تخمد حركتهم قوات خان قالات تساعدها السلطات البريطانية لو دعت الضرورة . وكاجراء وقائي عينت فرقة من عريف وستة جنود من راكبي الجمال لحماية مفتش الخط التلغرافي بين جوادر وشهبار كما منع بيع الاسلحة والذخائر للرند في جوادر بأمر من الوالي العربي .

محاولة لحل مشكلة الرند ١٨٨٤ :

وقد كان مزمعاً من فترة طويلة القيام بزيارة مسئول بريطاني للقائد العام في بلوخستان ، وفي يوليو سنة ١٨٨٣ فوض سير روبرت ساندمان بأن يزور في فصل الشتاء ومعه حرس عسكري مناطق بانج وكانج وجنوب بلوخستان ، وكان من بين المهام التي كلف بها من حكومة الهند البحث عن افضل الحلول الملائمة لمشكلة الرند في جوادر . وتم الاتفاق على ان يشاركه في هذه المهمة العقيد موكلي — بالنظر لخبرته المحلية الوثيقة بالمنطقة . وكان الرند في ذلك الوقت يناشدون الاعتراف بالولاء لايران ، لكن هذا الامر لم يكن مصدر خطورة اذ ذاك وانما المعضلة التي كانت تجابه تسوية الامور هي مدى السلطة الاسمية التي كان يفترض ان يمارسها خان قالات على منطقة الرند التي تشكل جزء من ارضه . ووصل ساندمان الى كايج في ٥ فبراير سنة ١٨٨٤ والتقى هناك بالعقيد موكلر لكن الرند لم يظهروا رغم الانذارات والاستدعاءات التي وجهت اليهم . وبعد تأخير خمسة ايام في كايج ، تم التحرك الى

طمب ، احدى قرى الرند التي تبعد ٤٠ ميلا غربي تربه ، وأدت هذه الحركة في النهاية لظهور بعض زعماء الرند وانصارهم ، وفي طمب عين سير ساندمماند حكماً للفصل في ٢٦ قضية معلقة بين رعايا جوادر وقالات والرند ، لكن إجراءات هذا الحكم خلال جلسات ١٢ و ١٣ و ١٤ فبراير كانت متحيزة وغير مرضية وقد نشب بسببها خلافات بين ساندمماند وموكلر ، على أنه تم يوم ١٤ فبراير بحضورزعماء الرند مصالحة تعهدوا فيها بالمسئولية عن رعاياهم وتسليم جناة السوء منهم .

وفي ٢٠ فبراير وصل سير ساندمان الى جوادر لكنه لم يستطع ان يحقق فيها شيئاً لعجز الوالي عن تسوية النزاعات باسم السلطان ، وفي ٢٣ فبراير سافر سير ساندمان الى كراتشي حيث تفاهم مع مستر إفنش مدير التلغراف وجددت مطالب هيئة التلغراف من قبيلة الرند على وجه الاجمال وبعدها أعد والي جوادر –ويبدو انه لم يكن لديه أدنى فكرة عما هو مطلوب منه– قائمة تضم حوالي ٩٠ مطلباً لرعايا عمانيين ضد بعض الاهالي من الرند ،. وقد وافق سير ساندمان والرائد روس –المقيم السياسي– على مناقشة تلك القضايا في اجتماع بين الرائد مايلز الوكيل السياسي في مسقط ومستر افنش ، لكن هذه الاتفاقية تعثرت في مراحلها التمهيدية الأولى .

الاتفاق مع الرند ١٨٨٥ – ١٨٨٦ :

ورفعت المشكلة كلها حينذاك الى حكومة الهند مع توصية قوية من سير ساندمان بالنظر فيها بأقصى ما يمكن من اللين ، والالتزام في تسويتها بالتقاليد القبلية أ، وقد استطاع سير ساندمان ان يعرض وجهة نظره هذه بصراحة وبوضوح جميل . على ان محكمة الهند لم توافق على التسوية المقترحة ، وشكلت بدل ذلك محكمة جعلت لها صلاحيات نظر الدعاوى على الرند ولهم ، ومن بينها تلك التي ربما كان أهملها سير ساندمان اذا رأت المحكمة انها جديرة بالنظر . وصدرت التعليمات ايضاً بأن الدعاوى

التي انقضى عليها أكثر من اثني عشر عاماً تعتبر ساقطة لتقادم العهد . ولتسوية كل شيء أقنع سلطان عمان بالموافقة على تعويض الرند عن القتلى الثلاثة منهم الذين لقوا مصرعهم في جوادر سنة ١٨٧٩ مع ترك النظر في هذا الامر للمحكمة المذكورة . وفي معالجة معظم القضايا المعروضة كانت المحكمة تتشكل من الرائد رينولدز من وكالة بلوخستان والرائد مايلز الوكيل السياسي في مسقط ، ولكن فيما يتعلق بالقضايا الدائرة حول التلغراف فيستبدل الرائد مايلز بمستر افنش مدير التلغراف . وكان يساعد المحكمة على أداء عملها ممثلون من اهل البلاد لمصالح مسقط وقالات وقبيلة الرند على التوالي . وبلغت الدعاوى من الجانبين ١٢٣ دعوى ، منها ١٣ دعوى متعلقة بالتلغراف . وثبت ان الاسلاك قطعت اربع مرات ، وان موظفي التلغراف قد اغتصبت اموالهم بالقوة غير مرة . وفي قضية خطف العريف المسئول ونهب الامتعة في سنة ١٨٨٣ فرضت غرامة قدرها ٦٢٠ روبية تعويضاً عن البضائع التي نهبت أما القضايا الباقية ، وعددها ١١٠ قضايا فكانت ٥ منها عمليات اغارات جسيمة واخرى حوادث قطع الطرق ، وعدد مماثل من خطف الماشية ، هذا عدا قضية كبيرة لحادث وقع سنة ١٨٧٩ . وفيما عدا هذه القضية الاخيرة — التي رفعت لحكومة الهند للنظر فيها واتخاذ قرار — فان القضاة كانوا متفقين كل الاتفاق . ولم تصدر الاحكام لصالح القبيلة لكنها صدرت ضدها لصالح الرعايا العرب والبريطانيين بمبالغ تصل الى ٥٢١٦ و ١٧٤٤ روبية على التوالي . وقد بدأت اجراءات المحكمة في ٦ مارس سنة ١٨٨٥ ، وانتهت في ١٦ ابريل التالي .

وقد صدقت حكومة الهند على احكام هذه المحكمة الخاصة فيماعدا بعض التعديلات الطفيفة ، ووافقت حكومة الهند على رأي الرائد مايلز ، معارضة في ذلك رأي الرائد رينولدز ، ورافضة مطالبة الرند بتعويض عما حدث سنة ١٨٧٩ ، يتجاوز ستة آلاف روبية . وقد كان تنفيذ هذه الاحكام مشكلة لا شك فيها لان الرند لم يتوقعوا اتخاذ اجراء جاد ضدهم

بشأن اعتداءات اوجرائم ارتكبوها في الماضي ، وحام الشك ايضاً في امكان تنفيذ تلك الاحكام دون اللجوء الى اساليب عنف تكلف الكثير ، وعلى هذا قررت حكومة الهند اخيراً آخذة بعين الاعتبار الحقائق السابقة ، ومقدرة ما ظهر من تحسن في سلوك القبيلة منذ ١٨٨٣ ، ثم خضوعها للسير ساندمان في ١٨٨٤ ان تدفع هي هذه التعويضات عن القبيلة ، على ان تسدد لها على اقساط سنوية تستغرق خمس سنوات لكن المطالبة بهذا الدفع لن تحدث الا اذا عادت القبيلة الى مألوف سيرها القديم . وتوصل الرائد رينولدز الى هذه الاتفاقية المطلوبة في ٢٠ فبراير سنة ١٨٨٦ ، وقامت حكومة الهند بدفع المستحقات عن قبيلة الرند من ميزانيتها العامة ، ولم تحدث مطالبة بالدفع بعدها .

★ ★ ★

التمثيل السياسى البريطاني في جوادر من ١٨٧٣ حتى الوقت الحالى

تغير في التنظيم ١٨٦٣ – ١٨٧٧ :

ظل الوكيل السياسي المساعد في جوادر ، وهو اوربي ، منذ ١٨٦٣ حتى ١٨٨٧ خاضعاً لاوامر قوميسير السند ، وكان يعتبر في نفس الوقت كمساعد للوكيل السياسي في مسقط وفي قالات . ولكن بعد ١٨٧٢ ، ونتيجة انتقال منطقة الخليج في هذه السنة من اشراف حكومة بومباي الى حكومة الهند ، أصبحت تقارير هذا الوكيل المساعد ترفع الى الحكومة العليا عن طريق قوميسير السند ، بدلا من رئاسة المنطقة الغربية . وفي ١٨٧٣ حاول والي السلطان في جوادر اغراء الوكيل البريطاني المساعد للتدخل في مشكلة مع بعض الرند في ماند ، لكن هذا الطلب رفع الى حكومة الهند :. فنصحت الحكومة ممثلها بألا يتدخل في الخلافات والمنازعات المحلية الا على اضيق نطاق ممكن .

وفي ١٨٧٧ سحب المسئول البريطاني في جوادر من سلطة قوميسير السند وأصبح مساعداً للمقيم السياسي في الخليج مختصاً بالمنطقة الممتدة بين جوادر وجاشك ، على ان يظل مساعداً للوكيل السياسي في مسقط فيما يتعلق بجوادر نفسها ، ومساعداً لوكيل القائد العام في بلوخستان فيما يتعلق بالامور في قالات . وكان سبب التغيير مصاعب ناشئة عن الحدود السياسية على الساحل بين جوادر وجاشك التي كانت تابعة لمقيمية الخليج وان تكن في الواقع وبحكم الممارسة الفعلية تحت اشراف مباشر من جوادر وحدد راتب هذه الوظيفة بمبلغ ١٠٠٠ روبية في الشهر يتقاسم دفعها القسم السياسي والتلغراف .

وفي ١٨٧٩ كانت وظيفة المسئول البريطاني في جوادر شاغرة ، وكان من رأي سير ساندمان ، خلال فترة مسئوليته عن بلوخستان ، تخفيضها الى وكالة اهلية يصرف شئونها موظف محلي يكون تابعاً للوكيل السياسي في قالات . وفي هذه السنة نفسها ، وربما بسبب تلوث صحي حدث في جوادر ، التي كان بها دائماً نوع من الحمى الوبائية ، الغيت الوكالة السياسية البريطانية وابدلت بوكالة أهلية . وبدل أن تصبح تابعة للوكيل السياسي في قالات أصبحت تابعة لنائب المدير (المدير الآن) في مؤسسة تلغراف الخليج الذي نقلت اليه في الوقت نفسه مسئولية الاشراف على السياسة في كل ساحل مكران . وكات وضعه بالنسبة للسلطات السياسية البريطانية في الخليج وعمان وبلوخستان كوضع مساعد الوكيل السياسي في جوادر خلال الفترة من ١٨٧٧ الى ١٨٧٩ . وقد تبين ان هذا النظام لا بأس به ما دام مدير هيئة التلغراف هو المسئول الاول عن مصالح التلغراف في مكران ، وما دامت لديه التسهيلات التي تمكنه من زيارة الساحل في أي وقت على سفينة التلغراف . وظل هذا الاجراء معمولا به منذ سنة ١٨٨٠ فصاعداً باستثناء عدة أشهر في سنة ١٨٨٤ كانت مسئولية جوادر خلالها ملقاة على عاتق القائد العام في بلوخستان .

الحرس العسكري الهندي ١٨٧٧ – ١٨٨٠ :

وفي ١٨٧٧ – ولعل ذلك بسبب اضطرابات الرند بالقرب من جوادر – تقررت زيادة فرقة الحرس التابعة للوكيل الى ٢٤ جندياً هندياً ، لكن هذا التغير لم يحدث – فيما يبدو – حتى نهاية سنة ١٨٧٨ . وفي يناير ١٨٨٠ انقص عدد الحرس مرة أخرى الى ١٢ جندياً ، وفي ديسمبر من نفس السنة انقص مرة أخرى الى ٨ وذلك نتيجة تدهور الاحوال الى أقصى حد في المنطقة ، وبعدها بقليل سحب الحرس تماماً .

اغلاق مكتب التلغراف في جوادر سنة ١٨٩٣ ثم اعادة فتحه في سنة ١٨٩٤ :

وفي سبتمبر ١٨٩٣ اغلق مكتب التلغراف في جوادر ، وأعد بدله اتصال تليفوني بشهبار وارماره لاستخدام الوكيل السياسي الاهلي ولكن تبين ان ذلك الاجراء لا يكفي ، وفي العام التالي اعيد فتح مكتب التلغراف ليؤدي خدمات التلغراف والبريد معاً.

★ ★ ★

اقتراحات منذ سنة ١٨٩٥ لنقل جوادر من سلطان عمان الى حكومة الهند أو خان قالات

أشرنا من قبل في المكان المناسب الى فشل خان قالات برغم وساطة حكومة الهند في استعادة جوادر سنة ١٨٦١ ، ويبقى الآن أن نشير إلى بعض الاقتراحات التي كانت تقدم بين الحين والحين بهدف ازالة سيطرة عمان الاسمية على مكران .

وفي ١٨٨٥ أثار هذه المشكلة سير ساندمان ، وهو يعمل وكيلا للقائد العام في بلوخستان حين اقترح ان يتم استئجار الميناء من السلطان

ونقل ادارته إما لخان قالات او للسلطات البريطانية في بلوخستان ، لكن حكومة الهند رفضت تلك الخطة لاعتقادها بأن الاحتلال البريطاني لجوادر لا بد سيلقى عليها مسئوليات صعبة ، وحتى لو كان خان قالات مستعداً لقبول الصفقة فلا شك أنه من سوء اللياقة أن تطلب السلطات البريطانية من سلطان عمان التنازل عن الميناء .

وبعث الموضوع مرة أخرى سنة ١٨٩١ لكن حكومة الهند رفضت أيضاً اتخاذ أية خطوة ايجابية بهذا الصدد على أساس أن جوادر لم تعد على جانب من الاهمية بالنسبة لبلوخستان .

وفيما بين ١٩٠٠ و ١٩٠٢ كانت الدلائل متوفرة على وجود بعض الاهتمام بجوادر من جانب روسيا وفرنسا ، واقترحت حكومة الهند أن تتم صفقة التنازل عن هذا الميناء لخان قالات بشروط معقولة ، على أن تتكفل حكومة الهند بالنفقات قطعاً للطريق على أية دولة أجنبية تريد أن تتخذ لها قاعدة على ساحل مكران .

لكن الحكومة الأم رأت — بالنسبة لاتجاه فرنسا نحو عمان — أن هذا الحل لن يكون مرضياً ، واقترحت بدل ذلك بذل المجهود للحصول على ترخيص لخان قالات بعوائد جوادر لعدد محدد من السنين ، ولكن يبدو ان هذا الاقتراح البديل لم يرق لحكومة الهند فأهملت الأمر .

وفي سبتمبر ١٩٠٣ طلب خان قالات مساعدة الحكومة البريطانية في الحصول على جوادر ، وفي يناير ١٩٠٤ قدم جام لاس بيلح طلباً مماثلا لتملك الميناء الذي زعم ان عروساً من قالات قد كانت قدمته جزءاً من مهرها لعائلته . وقررت حكومة الهند في سنة ١٩٠٤ ألا تتخذ أي إجراء في هذه الطلبات جميعاً ، وبهذا انتهت المسألة عند ذلك الحد .

★ ★ ★

تجدد المتاعب مع قبيلة الرند ١٨٩١ ـ ١٨٩٤

احتكاكات مع الرند ١٨٩١ – ١٨٩٢ :

منذ بداية حكم السيد فيصل في عمان والسلام والهدوء يسودان جوادر لكن المشاكل مع الرند تجددت في سنة ١٨٩٤ برغم الاتفاقية المعقودة في سنة ١٨٦٦ . وكان معظمها يتعلق باعتاق العبيد . وفي سنة ١٨٩١ كان معظم أفراد القبيلة من الساخطين مما كان يهدد الوكيل الأهلي الممثل للحكومة البريطانية بالخطر ، فصدرت له الاوامر بأن يقيم في القلعة لكن شيئاً لم يحدث لتبديد المخاوف المذكورة . ومرة أخرى في مايو ١٨٩٢ طلب الرند تسليمهم ٧٠ عبداً زعموا أنهم هربوا إلى جوادر ، وهددوا باثارة الاضطرابات إذا لم يتم ذلك ، وكان الموقف خطيراً خطورة حتمت تعزيز الحامية الموجودة وإرسال مسئول برتبة كبيرة من عمان ، غير ان انذاراً وجه للرند عن طريق الوكيل السياسي في جنوب بلوخستان لكسب الوقت وخلال شتاء ١٨٩٢–١٨٩٣ استمر العبيد الهاربون يلجأون الى جوادر حيث أصبح عددهم في مايو سنة ١٨٩٣ يتجاوز بضع مئات ، واصبح الموقف خطيراً خطورة شجعت على توجيه النصح للعبيد بالانتقال الى الهند البريطانية ، بل وقدمت لبعضهم فعلا وسائل الانتقال الى هناك .

اتفاقية نهائية مع الرند ١٨٩٤ :

واستمر الاضطراب في جوادر واتخذ شكل التهديدات ، بل والاعتداءات الصغيرة ايضاً من جانب ملاك العبيد الساخطين ، وذلك حتى بداية سنة ١٨٩٤ حين استطاع كابتن رامزي التوصل لاتفاقية مناسبة مع الرند في ١٥ يناير . وفي هذه الاتفاقية التي كانت مكتملة هذه المرة تعهد الرند بالتزام الهدوء كما تعهدت حكومة الهند بعدم السماح لهؤلاء العبيد بالبقاء في جوادر مدة تزيد عن ١٥ يوماً بعد إطلاق سراحهم أما بالنسبة للغارات التي ارتكبها الرند مؤخراً ، فقد أصبح عليهم –حسب اتفاقية ١٨٨٦ – ان يدفعوا مبلغ ٧٠١٠ روبية ، لكن حكومة الهند اعفتهم من هذا الدفع . وبعد سنة ١٨٩٤ لم يعد لمشكلة الرند أثر في جوادر .

الاحوال في جوادر بعد ١٨٨٨

الكوارث الطبيعية والغارات القبلية .... الخ :

الأحداث التي تستحق الذكر في جوادر خلال هذه الفترة التي نتناولها أحداث قليلة ففي سنة ١٨٩٢ اندلع وباء الجدري خلال شهر مارس وابريل ومايو ، وساعد على انتشاره رفض الأهالي عزل المصابين منهم ، وحتى التجار الخوجات والهندوك رفضوا السماح بنقل المصابين الى المستشفى . وفي نفس السنة سرق بعض رؤوس الماشية التي يملكها موظفو الحكومة البريطانية بتحريض من زعيم نجوار ، وتبعت ذلك قضية طويلة معقدة انتهت بموافقة السلطان على دفع التعويض عنها على أن يسدده هو بطريقته الخاصة من المجرمين . وفي ابريل ١٨٩٣ حدث حريق مروع في جوادر أدى الى تشريد أكثر من ١٠٠٠ نسمه بلا مأوى ، وتجاوزت خسائره ٨٠ الف روبية . وفي ١٩٠٥ قام مير أحمد خان ، أحدالحكام المشتركين فيحكم باهو ، باغتصاب ٣٠٠ جملمن بالبري على حدود سلطنة عمان ، وكان دافعه لذلك الانتقام من قبيلة هاجرت من منطقة حكمه واستقرت في بالبري بموافقة السلطات ، وكان بعض الجمال المسروقة لموظفي الحكومة البريطانية ، وقد تم الحصول على تعويض جزئي في هذه القضية .

الضـــرائـــب :

كانت دائرة المالية أهم أجهزة حكم السلطان في جوادر ولكنها لبعض الوقت ظلت أقلها كفاية . وفي ١٨٩٧ تبين ان الضرائب المفروضة على مصايد الأسماك المملوكة للرعايا البريطانيين مرتفعة تماماً لكن السيد فيصل كان يرفض في البداية تخفيضها ، ولم يتيسر اقناعه بعكس ذلك الا بعد جهد طويل .

العــوائــد :

وفي صيف سنة ١٩٠٣ أدخل السلطان نظام الادارة المباشرة على عوائد جوادر ، وأعلن توحيد ضريبة الصادرات بنسبة قدرها ٥٪ لكن نتائج هذا النظام كانت هنا أقل نجاحاً مما كانت عليه في مسقط ، وأدى الغاء بعض أنواع العوائد المعقدة وبعض الامتيازات مما كان يتمتع به بعض التجار في جوادر الى ظهور التذمر . وفي ١٩٠٣–١٩٠٤ بلغ حاصل العوائد التي جمعت بهذه الطريقة المباشرة ٢٢ الف ريال في مقابل ١٩٠٤ قام السيد فيصل بزيارة شخصية لجوادر واستطاع خلالها تسوية بعض المشكلات التي كانت قائمة بين بعض موظفيه والتجار ، كما غير المسئول الأول عن العوائد ، ولهذا ارتفعت في العام التالي الى ٣٧ الف ريال . وفي سنة ١٩٠٧ توقفت شكاوى التجار ، وأصبحت ضريبة الصادرات المحددة بـ ٥٪ تجمع منهم بانتظام .

الادارة العــامــة :

وكانت المشكلات الادارية التي تواجه السلطان في جوادر ترجع بشكل عام الى صعوبة وجود مسئولين اكفياء وموثوق بهم في هذا الاقليم . وفي سنة ١٩٠٢ عزل السيد فيصل سيف بن سعيد عن ولاية جوادر لان مسلكه لم يكن على ما يرام لكن الذي خلفه كان أسوأ منه بحيث اضطر السلطان ان يعيد الوالي القديم مرة أخرى . وفي ١٩٠٣ كان من حظ السلطان ان يجد في شخص سيف بن يعرب .. والياً كفؤًا وناجحاً وجديراً بتمثيله في جوادر .

★ ★ ★

ملحق رقم (٣) • تاريخ روس الجبال

يكاد التاريخ الداخلي لهذه المنطقة الجبلية المعروفة باسم روس الجبال والتي تقطنها قبائل شبه متوحشة تعرف بقبائل الشحوح والظاهرين

يكون مجهولا تماماً . اما تاريخها الخارجي فيمكن تقسيمه الى فترات ثلاث : الفترة الاولى وخلالها كانت العلاقات الخارجية لهذا الاقليم منحصرة مع شيخ القواسم في الشارجه ، وفترة وسطى من ١٨٦٤ الى ١٨٦٨ وخلالها وجد مركز تلغراف بريطاني أقيم على خور الشام في خليج اليفنستون ، وكانت ثمة علاقات مباشرة بين السلطات البريطانية ورجال القبائل فيها ، ثم الفترة الحديثة وفيها اتضح شيئاً فشيئاً حق سلطان عمان في السيادة على هذا الاقليم .

★ ★ ★

الفترة الاولى ١٨٣٦ ـ ١٨٦٤

في سنة ١٨٣٦ قيل إن طلباً قدم الى السلطات البريطانية في الخليج من السيد سعيد سلطان مسقط ، جاء فيه أن أهل قبيلة الشحوح تابعون للشيخ القاسمي سلطان بن صقر . ولكن يبدو أن أهل القبيلة نفسها لم يعترفوا بهذه التبعية وظلوا على علاقة ودية مستمرة بمسقط . وأعقب ذلك نشوب مشاجرة بين الشحوح وشيخ الشارجة لاستيلاء رجل من القواسم على حصن إلى جوار دبي أقامه الشحوح وقد استولى عليه القاسمي غدراً . وحين أحس شيخ الشارجة بأنه لا يستطيع الرد على الشحوح الذين كانوا يغيرون على أطراف إقليمه فرض الحصار البحري على ساحلهم كله في سنة ١٨٣٩ وخاصة على خصَبَ وقمذار لكن تقدم القوات المصرية في نجد وما تركه من أثر كبير على وضع شيخ الشارجة جعله يرفع ذلك الحصار ويتعجل توقيع السلم مع الشحوح .

وفي ١٨٥٥ ، وفي أعقاب مقتل مشارى بن ابراهيم ، الشيخ القاسمي حاكم دبي وحفيد سلطان بن صقر ، على أيدي الشحوح دعا شيخ الشارجه رعاياه في الشارجة وخان وأبو حائل وفشت والحايره لحمل السلاح

والتجمع في رأس الخيمة والسير منها براً إلى ذيبه ، وكان يصحبه هو حوالي مائة قارب وجميع القادرين على الجري من قبيلة زعب الأشداء وتحرك بهم عن طريق البحر. ولم تستطع قوات الشيخ البرية بقيادة ابنائه أن تعبر الجبال العالية فتقلت ايضاً بالقوارب إلى ديبه وكانت الحرب محلية في البداية ثم ما لبثت أن أصبحت شاملة لأن الشحوح في قمذار وغيرها من الأماكن نزلوا إلى البحر لمطاردة قوارب القواسم ولمساعدة أقاربهم في ديبه وراح القواسم من جانبهم يهاجمون الشحوح في كل مكان يجدونهم فيه وفي إحدى المرات كان هناك قارب كبير لأهالي قمذار راسياً في «خورفكان» فاستولى عليه أهل هذا المكان وقتلوا ثمانية من بحارته وأسروا الباقين . وأخيراً ، في يناير سنة ١٨٥٧ — وبعد أن دامت هذه الحالة لمدة سنة تقريباً — استدعى الكابتن فيلكس جونز الشيخ سلطان بن صقر وحذره من الاستمرار في إرسال الأسلحة والمعدات الحربية عن طريق البحر ، وخضع الشيخ على مضض بعد ان حاول المراوغة في هذا الأمر بالاتصال مباشرة بحكومة بومباي . وبالنسبة لشيخ الشارجة فلا شك في أن الشحوح هم من رعاياه ، ولذلك كانت له حرية القيام بعمل لإخضاعهم ، غير أن المقيم البريطاني كان يعتقد في ذلك الوقت أن الشحوح يدينون فعلا بالولاء لسلطان مسقط (١) ، وأن شيخ الشارجة إنما يهدف بعمله هذا الى ارغامهم على الخضوع له .

جولة المقيم السياسي البريطاني على طول ساحل روس الجبال ١٨٥٩ :

وفي سنة ١٨٥٩ زار المقيم السياسي البريطاني باخاب وخصب وقمذار وغيرها من المواقع الهامة على ساحل روس الجبال ، وقد قام بجولته هذه على ظهر قارب بخاري ضخم أثار دهشة وإعجاباً كبيرين بين هؤلاء الناس ، كما نجح في إطلاق سراح بعض الأسرى من القواسم الذين كان القي القبض عليهم في البحر . أما فيما يتعلق بالوضع السياسي في البلاد

---

(١) ليس من الواضح هنا هل هذا الرأى يشمل الشحوح جميعا أو يقتصر على هذه الجماعة من بيعه التى نشأ الخلاف في الاصل بينها وبين القواسم .

فقد لاحظ المقيم من اتصاله بالناس أن لهم ميولا قوية نحو سيد مسقط وانهم يكنون كراهية لا حدّ لها للقواسم . ويبدو أنه خلال هذه الجولة ــ وعلى نحو ما هو مذكور في التاريخ العام لعمان المتصالحة ــ تسلم كابتن جونز بعض القراصنة من رعايا مسقط ، وسلمهم للسلطان كي يأمر باعدامهم .

وقد سوّت السلطات البريطانيــة حالتين للقرصنة ارتكبهما بعض أهالي بخه في ١٨٥٩ أو ١٨٦٠ ، وذلك بالتفاهم مباشرة مع شيخ هذا المكان . ولكن في سنة ١٨٦٣ تلقى الرائد بيللي المقيم العام في الخليج شكوى من شيخ خصب بأن حملة قوارب من قمذار قد أحرقت قرية غزة وسوتها بالأرض ، كما رفع هذا الأمر ايضاً إلى الوكيل السياسي في مسقط و حكومة بومباي باعتبار أن كلا من خصب وقمذار تابعة لسلطنة عمان .

★ ★ ★

الفترة الوسطى ١٨٦٤ ــ ١٨٨٨

خلال هذه الفترة خضع قسم من منطقة روس الجبال لأشراف مباشر من السلطات السياسية البريطانية بعد أن مدت هيئة التلغراف الهندية الاوروبية خطاً أرضياً قصيراً عبر خور مقلب بين خليجي مالكولم والفينستون ، ومركز تلغراف على الجزيرة الأخيرة .

تاريخ خط التلغراف البريطاني فبراير ١٨٦٤ ــ ديسمبر ١٨٦٨ :

ومد حبل التلغراف المتجه من جوادر الى خور مقلب في ٩ فبراير سنة ١٨٦٤ ، وقبلها قضى الرائد ديسبراو الوكيل السياسي في مسقط اسبوعين يقيم علاقات واتصالات بأهل البلاد . وقد حدثت مشكلات وصعوبات كثيرة في التعامل مع الظهوريين المتوحشين خاصة أهل القريتين

المجاورتين حبلين ومكاكه ، فقد نشبت المشاجرات بين بعضهم البعض وبينهم وبين العاملين في مد التلغراف ، ولم يتيسر الحصول على الأيدي العاملة بأجور معقولة ، وأخيراً قدم التماس– أو بالأحرى «خطاب تسول » من « كل البدو » كانت العبارة الرئيسية فيه : « امنحونا شيئاً .. وإلا فان وجودكم في خطر » ، ولم يقدم سلطان عمان أية مساعدات مادية رغم تأكيده أن هذه البلاد خاضعة لحكمه ، لكن هذه الصعوبات العملية أمكن أخيراً تذليلها عن طريق النفوذ الشخصي للمسئول البريطاني ، ورغم عدم وجود خطر فعلي يتهدد العاملين إلا أن الرائد ديسبراو كان يرى أن بقاء سفينتين حربيتين أو ثلاث أمر كفيل بقيام أفضل الاوضاع وأرسل القارب المسلح « هيو روز » من بومباي لهذا الغرض . وواصل العاملون في مد الخط التلغرافي عملهم باتجاه بوشهر حوالي منتصف مارس ، ولمدة أربع سنوات تقريباً – ورغم الصعوبات والمشكلات – أقيم مركز التلغراف في خليج الفينستون ، ولكن أخيراً في ديسمبر سنة ١٨٦٨ نقل المركز الى جاشك على الساحل الايراني . وكانت درجة الحرارة في حاسك مرتفعة ارتفاعاً رهيباً ، وكان تمرد الأهالي – رغم الهدايا التي تقدم لرؤسائهم بين الحين والحين – خطيراً خطورة حتمت وجود قارب مسلح يقيم هنا وباستمرار .

مناقشة مشكلة ملكية اقليم روس الجبال ١٨٦٤ :

وفي سنة ١٨٦٤ أثيرت مشكلة ملكية روس الجبال لارتباط ذلك بالعمليات القائمة وقتذاك وبمحاولة السيطرة على الأهالي وحماية مركز التلغراف . وتبين أنها تثير مشكلات عديدة . ففي يناير ١٨٦٤ كان الرائد ديسبراو يعتقد تمام الاعتقاد أن الإقليم تابع لسلطنة عمان ، لكن سليمان شيخ قرية حبلين أبلغه أن أهل القرية تابعون لشيخ الشارقة القاسمي ، ورغم ان هذا لم يكن ثابتاً ورغم إنكاره من جانب الوكيل الذي كان السلطان قد عينه في خصب رأى الوكيل ان للموضوع من الاهمية ما

يحتم ذهابه بصحبة الرائد ستيوارت ، مدير عمليات التلغراف ، إلى مسقط وهناك طلب من السيد ثويني أن يقدم بياناً خطياً لاغراض التسجيل الرسمية يبين فيه ما اذا كانت مقلب نفسها وقريتا حبلين ومكاكه ، اللتين بينهما تعبر خطوط تلغراف الخور ، تابعة لأراضي سموه أم لا ، وما اذا كان يوافق على بعض التغييرات المحلية التي يقترحها موظفو التلغراف . ورد السلطان على ذلك في اتصال له يوم ٢١ فبراير ١٨٦٤ فأشار الى « مقلب وخصب وما جاورهما » على أنها « جزء من بلادي وتابعة لي ، وليس لاي انسان آخر حق التدخل فيها » ، كما أعلن موافقته أيضاً على تفاصيل اقتراحات موظفي التلغراف . ومن الابحاث والتحريات المحلية التي أجريت فيما بعد يبدو أن قمذار وخصب على الساحل الغربي والقرى الواقعة بينهما كانت تعترف فعلا بسلطة سلطان عمان ، لكن الشك ظل يحوم حول أهل فلم وشابص وشبصه على الناحية الشرقية للاقليم وقد قيل إنهم كانوا مستقلين في قراهم ، وتابعين لشيخ الشارجه في موسم التمور ، فقد كانوا معتادين على الهجرة إلى دبيه . ومن الناحية الأخرى لم يقدم شيخ الشارجة أي شيء يدل على مطالبته بروس الجبال أو جزء منها ، وذكر أنه بالرجوع الى شيخ مكاكه تبين أن شيخ الشارقة كان قد أصدر أوامره بعدم معارضة مد خطوط التلغراف بأي شكل من الأشكال .

وظلت الشكوك فيما يتعلق بالوضع الحقيقي لمقلب قائمة عند حكومة بومباي بعض الوقت لكنها مالت أخيراً إلى الاقتناع بأنها تابعة لمسقط . أما المشكلة التي أثيرت حول ما إذا كان مركز التلغراف واقعاً داخل الحدود الرسمية للقنصل البريطاني في مسقط أم داخل حدود سلطة المقيم السياسي في الخليج ، فقد حسمتها حكومة بومباي بتاريخ ٢١ ابريل لصالح المسئول الأول — وكان بين المسئولين شيء من النفور — على أساس « الاعتراف العام بأن إقليم موسندم تابع لإمام مسقط » ، واخيراً ، في ٥ يوليو ١٨٦٤ قررت نفس الحكومة أن « جزر التلغراف في خليج الفينستون هي جزء من اقليم مسقط » ، وبالتالي فللوكيل السياسي في مسقط حق

الفصل في المخالفات التي يرتكبها الرعايا البريطانيون في روس الجبال ، وعليه أن يستأذن من سلطان عمان لتخويله السلطات اللازمة للفصل في المنازعات التي تحدث بينهم وبين غيرهم من أهل البلاد . وفي ٢٦ أكتوبر ١٨٦٤ ونتيجة تقرير رفعه الرائد بيللي المقيم في الخليج وجاء فيه أن من المرهق مادياً ومعنوياً تحديد الحدود الفاصلة في منطقة روس الجبال لأن هذا لا بد أن يقتضي النظر والحكم في المزاعم التي يقدمها الشيوخ المتصالحون جميعاً مما قد يعطل حماية المنشآت البريطانية ، لذلك فالأفضل توقيع اتفاقية مع هؤلاء الشيوخ لحماية منشآت التلغراف البريطاني سواء كانت داخل حدودهم أم خارجها . ووافقت حكومة بومباي على هذا الرأي فأعلنت عدم تفويض أي من ممثليها السياسيين صلاحية النظر في مثل تلك المزاعم ، ولما كانت لحكومة الهند آراء مماثلة ، فقد تم التوصل الى هذه الاتفاقية المقترحة على نحو ما هو مذكور في تاريخ عمان المتصالحة وكانت نتيجة هذا كله أن أصبح إقليم روس الجبال غير محدد التبعية السياسية تحديداً دقيقاً .

وفي ١٨٦٥ قام الرائد ديسبراو الوكيل السياسي في مسقط وكابتن باول ، من البحرية الهندية سابقاً ، برحلة برية من دبيه إلى رأس الخيمة لكن الأثر الوحيد الذي تركاه عن هذه الرحلة لم يكن سوى مسودة خريطة لا نعرف الهدف منها على وجه التحديد .

★ ★ ★

الفترة الحديثة ١٨٦٩ ـ ١٩٠٧

اتفاقية بين سلطان عمان والشيخ القاسمي ١٨٧١ :

كان السيد تركي سلطان عمان كما اشرنا في تاريخ اقليم الشمالية قد وقع اتفاقية مكتوبة في سنة ١٨٧١ يعترف فيها بحق الشيخ القاسمي في تملك كل إقليم روس الجبال عدا خصب لكن الشيخ القاسمي لم يثر

هذه القضية التي كانت في صالحه . وفي سنة ١٨٧٩ اعتبر تركي نفسه الوثيقة باطلة لأسباب لو طابقت الحقيقة لما صح اعتبارها الا اسباباً كافية .

مشكلة السلم البحري على شاطيء روس الجبال ١٨٨١ :

وفي ١٨٨١ قررت حكومة الهند خلال الأعمال العدائية التي نشبت في سنة ١٨٧٩ بين اهل الفجيرة وحاكمهم شيخ الشارقة ان الواجب يقتضيها تحقيق السلم البحري على طول ساحل الشمالية — وبقدر الإمكان على ساحل روس الجبال — بنفس الطريقة التي يحافظ بها على السلم في سواحل عمان المتصالحة .

حوادث أقل أهمية ١٨٨٥ — ١٨٩٠ :

وفي ١٨٨٥ او ١٨٨٦ لفت شيخ بخه الاهتمام الى نفسه بمظاهرة بحرية قام بها باتجاه شعم ، وفي سنة ١٨٩٣ اعتبر سلطان عمان احد شيوخ الشحوح في خصب مسئولا عن حادثة مماثلة ضد نفس المكان في سنة ١٨٩٣ ، وسنجد تفصيلات اكثر عن هاتين الحادثتين في تاريخ عمان المتصالحة . وفي ١٨٨٧ قتل احد رجال والي مسقط على خصب في مشاجرة نشبت بين بني هدية الشطير وهم جميعاً من الشحوح في خصب وجاء السيد فيصل والسيد فهد ابنا السلطان الى خصب وبعد ان امرا بتغريم كل جانب من المتشاجرين مبلغ ٥٠٠ روبية سويّا الخلاف القائم بينهم . وفي سنة ١٨٨٨ ارغم السلطان على إرسال سفينة إلى خصب لتوقف القتال الذي تجدد بين بني هديه وبني شطير هناك ، وفي هذه المرة اخذ ثلاثة رجال من القبيلة الأولى واربعة شيوخ من الثانية اسرى إلى مسقط حيث سجنوا في قلعة جلالي . وبين ١٨٨٦ و ١٨٩٠ حصل اضطراب بين الشحوح في روس الجبال قرب راس الخيمة ، وظلت الغارات المتبادلة وحوادث القتل دائرة بينهم في ضواحي المدينة .

وفي سنة ١٨٩٩ حدث خلاف كبير حول لؤلؤة نادرة عثر عليها رجل من قمذار في روس الجبال ، وهذه الحادثة بتفصيلاتها موجودة في الملحق الخاص بصيد اللؤلؤ ، ولقد نتج عنها تأكيد تبعية اقليم روس الجبال لسلطان عمان دون اعتراض اي من الشيوخ المتصالحين ، وبشكل خاص شيخ الشارقة .

بحث جديد في الوضع السياسي لاقليم روس الجبال ١٩٠٠ — ١٩٠٥:

وفي سنة ١٩٠٠ — وكما هو مذكور في الفصل الخاص بالتاريخ العام للخليج ادت الدلائل المتوفرة على نوايا عدد من الدول الأجنبية اتخاذ قواعد لها في الخليج الى زيادة اهتمام بريطانيا بالوضع البحري في هذه المياه ، وكان لاقليم روس الجبال اهميته في هذه العملية من جانب الحكومة البريطانية وحكومة الهند على السواء ، وقد شرحنا في مكان آخر النتائج العملية للمناقشة التي دارت حول هذا الموضوع ، ونسجل هنا فقط الحقائق النهائية المتعلقة بتبعية الإقليم موضوع البحث .

في ١٩٠٢ قام العقيد ب. ز. كوكس — الوكيل السياسي في مسقط آنذاك — برحلة على طول ساحل روس الجبال ، وكان هدفه الأول هو التعرف على اتجاهات الراي العام المحلي حيال مشكلة التبعية السياسية . وقد ذكر العقيد كوكس ان شيخ ليمه قد اعترف له صراحة بتبعيته للسيد فيصل بن تركي سلطان مسقط واعتباره رغبات هذا السلطان بمثابة اوامر له . ويبدو ان الظهوريين في خليج مالكولم ايضاً كانوا يعترفون بأن للسلطان حقوقاً وراثية — على الأقل — في حكم إقليمهم واضافوا انه إذا نشب اي خلاف فيما بينهم فهم يرفعوته إلى السلطان كي يفصل فيه . واعلن اهل قمذار دون تردد ايضاً انهم ليسوا هم وحدهم يدينون بالولاء للسلطان بل سائر افراد قبيلة الشيحي ، باستثناء قليل منهم فقط قيل انهم خاضعون لراس الخيمة (١) . كذلك اعلن الشحوح في القرى الممتدة بين

(١) ربما كانوا هم الشحوح الذين يعيشون في شعم وغاليلا وخور خارج أقليم روس الجبال ، ولم يكن ثمة شك على الاطلاق في تبعيتهم لشيخ رأس الخيمة .

خليج الفينستون وراس الخيمة ايضاً ولاءهم ومودتهم لسلطان مسقط ، وكان شيخهم قد اعتاد القيام بزيارات سنوية لتهنئة السلطان في عاصمته .

ومن الناحية الأخرى فقد لاحظ العقيد كوكس وجود ادلة كثيرة تشير إلى ان السكان بالفعل كانوا يتمتعون بنوع من الاستقلال ، وكان من رايه – استناداً الى الدلائل التي وضع يده عليها – ان بوسع الحكومة البريطانية ان تختار بين ان يكون إقليم روس الجبال تابعاً لسلطنة عمان او مستقلا في ذاته .

وقد قضى اللورد كيرزون ، نائب الملك في الهند ، اثناء جولته بالخليج يوم ٢٠ نوفمبر ومعه القائد العام للبحرية ونائب الامبرال اتكنسون ويلليز في فحص الخلجان والساحل في روس الجبال ، ولكن لم يتيسر له فرصة البحث التفصيلي – بالنظر لضيق الوقت – في الوضع السياسي لأي من القرى في الاقاليم .

وفي مارس ١٩٠٥ قام كاتب هذه السطور مدفوعاً بالرغبة في مساعدة العقيد كوكس بتحرياته حول ملكية روس الجبال فزار الشارقة وعقد اجتماعاً في منزل وكيل المقيمية حضره شيخ الشارقه بنفسه ورجل مستنير من الشحوح وسواهما من ذوي المعرفة والأهمية لمناقشة هذه المشكلة وسواها من المصالح والأمور الجغرافية والسياسية . وقرر هؤلاء المؤتمرون – بالاجماع – ان كل الأماكن الواقعة على البحر بين شعم وديبه – او بعبارة اخرى ساحل روس الجبال – تابع لمسقط والا فرق بينه في ذلك وبين داخل عمان .

من عرض هذه الحقائق في التلخيص السابق نستطيع ان نتبين ان سلطان عمان كان يزعم حق السيادة – ويمارسها بالفعل – على أجزاء عدة من اقليم روس الجبال خاصة خصب . اما الأهالي فهم ، رغم اتخاذهم وضع الاستقلال الفعلي حيث يرجدون ، الا انهم بشكل عام مستعدون للارتباط بمسقط ، وان شيخ الشارقة ، الذي كان جده يزعم فيما مضى السيادة على هذا الاقليم – لا يجادل اليوم في تبعيته لمسقط .

ملحق رقم (٤) . الاتفاقية المانحة للتنازلات الاقليمية من جانب سلطان عمان ٢٠ مارس ١٨٩١

الحمد لله وحده ...

ان الغرض من كتابة هذا العهد الشرعي المكرم هو اثبات انه قد تم التعاهد والتعاقد فيما بين صاحب السمو السيد فيصل بن تركي بن سعيد سلطان مسقط وعمان من ناحية ، والرائد ادوارد تشارلس روس ، حامل وسام نجمة الهند ، والمقيم السياسي لصاحبة الجلالة البريطانية في الخليج باسم الحكومة البريطانية ، من الناحية الثانية ، على ان يتعهد السيد فيصل ابن سعيد سلطان مسقط وعمان المذكور باسمه واسماء وورثته ومن يخلفونه بألا يؤجر او يبيع او يرهن او يتنازل او يتصرف بأية صورة اخرى من الصور في ارض من بلاده لاحتلال اية دولة اجنبية عدا بريطانيا العظمى ، ويسري هذا على عمان ومسقط وبقية الأقاليم التابعة لها.

وتصديقاً لما جاء في هذا التعهد الشرعي والمكرم فان السيد فيصل بن تركي بن سعيد سلطان مسقط وعمان ، والرائد ادوارد تشارلس روس ، حامل وسام نجمة الهند ، والمقيم السياسي لصاحبة الجلالة البريطانية في الخليج ، الأول عن نفسه وورثته ومن يخلفه ، والثاني عن الحكومة البريطانية ، يمهران بتوقيعيهما هذه الوثيقة بحضرة الشهود ، وذلك في التاسع من شعبان من سنة ثمان وثلاثمائة والف (بعد الهجرة) الموافق العشرين من مارس سنة إحدى وتسعين وثمانمائة والف (بعد الميلاد) .

اي. سي. روس	امضاء صاحب السمو
الرائد ، المقيم السياسي في الخليج	السيد فيصل بن تركي بن سعيد
لانزدوان	سلطان مسقط وعمان
نائب الملك والحاكم العام للهند	

صدق عليها صاحب السمو نائب الملكة والحاكم العام للهند في سيملا بتاريخ ٢٣ مايو سنة ١٨٩١ .

ه. م. دوراند
سكرتير حكومة الهند ، وزارة الخارجية

★ ★ ★

ملحق رقم (٥) ٠ ترجمة التعهد الذى قدمه سلطان عمان في ٣١ مايو سنة ١٩٠٢ للوكيل السياسى البريطاني في مسقط بشأن مناطق الفحم في صــور

بعد التحيات المألوفة ... فيما يتعلق بالرسالة التي بعثتم بها إليّ ، بشأن موضوع التقرير الجيولوجي وآراء حكومة الهند في موضوع الفحم ، فان لسعادتكم مطلق الحرية في ان تبلغوا الحكومة الهندية باسمي بانني لا انوي في الحاضر ان اضطلع بالعمل بنفسي ، اما في المستقبل فانه إذا شاءت اية حكومة او شركة استصدار إذن بممارسة الحفر في هذه المناجم فانني لن امنح هذا الاذن قبل الاتصال بحكومتكم ان شاءت ان تتولى هذا العمل معي .

هذا ما اردت ابلاغه لكم ... والله يحفظكم » .

الفصل الثالث

تاريخ عمان المتصالحة ★

ان تاريخ المنطقة المعروفة اليوم باسم عمان المتصالحة فيما يسبق منتصف القرن الثامن عشر يكاد يكون مفقوداً تماماً :

(★) أهم المراجع الرئيسية العامة في تاريخ عمان المتصالحة هي مختارات بومباى مجلد ٢٤ ١٨٥٦ . وتلخيص مستر ج. أ. سالدنهـا للمراسلات المتعلقة بشئون الخليج ، ١٨٠١ ـ ١٨٥٣ المطبوع سنة ١٩٠٦ ويكمل النقص الموجود من جوانب كثيرة تلخيص مستر ج. أ. سالدنها للمراسلات المتعلقة بالشيوخ المتصالحين ، ١٨٥٤ ـ ١٩٠٥ المطبوع أيضا في سنة ١٩٠٦ ، كذلك التقارير الاداريـة السنوية لمقيمية الخليج ، ويقدم باكنجهام في « أسفاره في آشور وميديا وايران .. » ١٨٢٩ ، رواية تفصيلية محـايدة لاعمال القرصنة من جانب القواسم ، وتاريخ لو للبحرية الهندية ، ١٨٧٧ ، يضم معلومات تفصيلية كاملة عن كـل العمليات البحريـة أو البرمائية الخاصة بعمان المتصالحة . وثمة حقائق اضافية تتعلق بقرصنة القواسم موجودة في كتاب موريير « رحلة في ايران .. » سنة ١٨١٢ ، كذلك كتاب ميجنان (رحلة الشتاء ..) ١٨٣٩ .

أما بالنسبة للتاريخ الاكثر بعدا (١٦٠٠ ـ ١٨٠٠) فان المصادر هنا هي على وجه العموم المثبتة في هامش الفصل الاول من هـذا الكتاب .

والكاتب مدين للميجور ب. كوكس المقيم في الخليج لمراجعـة تاريخ الاقليم وتقديم معلومات اضافية هامة ، وقد عاونه في أبحاثه وتحرياته هذه خان بهادر عبد اللطيف وكيل المقيمية في الشارقة . كما أن الكاتب مدين أيضا للكابتن ت. د. باركينسون من فرقة لانكستر الاولى ، وللكابتن ج. ب. وول من فرقة شمال لانكشاير الملكية .

الفترة السابقة لظهور القرصنة
١٦٠٠ ـ ١٧٧٨

علاقات البرتغاليين بساحل عمان بين خور قُوَيّ ورأس الخيمة ١٦٠٠ ـ ١٧٥٠

في فبراير ١٦٢٥ لاحقاً للهزيمة التي اوقعها الانجليز والهولنديون بالبرتغاليين خارج بندر عباس تراجع القائد البرتغالي روي فرير دي اندراد ببعض سفنه حتى رسا في خور قُوَيّ على الساحل العربي المواجه وفيه اقام قاعدة موقتة ويبدو ان السلطات البرتغالية كانت تعتزم في نفس الوقت انشاء قاعدة في خصب .

واخيراً اصبحت كنج هي القاعدة البرتغالية الرئيسية ـ ان لم تكن الوحيدة ـ في منطقة الخليج ، ومن مذكرة صادرة عن ملك البرتغال مؤرخة في سنة ١٦٤٩ يأمر فيها « بمزيد من التحصينات في كاسبو » نستطيع استنتاج وجود قاعدة اخرى لهم في خصب . وحوالي سنة ١٦٣١ بنى البرتغاليون فيما كانوا يستعدون لاسترجاع هرمز من الايرانيين بالقوة قلعة في « جلفار » بالقرب من راس الخيمة . ولعل هذه هي القاعدة التي سبق ان اشرنا لوجودها في خصب .

أعمال عرب رأس الخيمة على الساحل الإيراني ١٦٠٠ ـ ١٧٥٠

ولا يتضح لنا (وجود) موثر لعرب ساحل عمان فيما جاور بندر عباس. او في اي مكان آخر على الجانب الايراني من الخليج قبل غزو افغانستان لايران ابتداء من سنة ١٧٢٠ . وقد استولى الشيخ راشد الذي ربما كان حاكماً لرأس الخيمة خلال الفوضى التي سادت بعد سقوط الاسرة الصفوية على باسيدو في جزيرة قشم وهناك أقام قاعدة أثرت تأثيراً كبيراً على عائد التجارة في بندر عباس ، وكانت في ذلك الوقت تقسم بين الانجليز والايرانيين . وقد أدى هذا إلى قيام حملة بحرية بريطانية على الشيخ راشد

– في إبريل سنة ١٧٢٧ بقيادة مستر و. هـ. دريبر وكيل شركة الهند الشرقية في بندر عباس . وكانت السفن المستخدمة في الحملة هي الفرقاطة « بريطانيا » ، والسفينة المسلحة « البنغال » وسفينتين أخريين . وقد أسفرت عن استعادة السلطات البريطانية لـ « نصيب شركة الهند الشرقية من عوائد بندر عباس » من الشيخ . وفي سنة ١٧٣٧ حين نزلت قوة ايرانية على خور فكان وبدأت في اجتياح أقاليم إمام عمان يبدو أن عرب رأس الخيمة قد اعلنوا استسلامهم للقائد الايراني ، ولكن في سنة ١٧٤١ – والاحتلال الايراني كان ما يزال موجوداً في إمامة عمان – حامت شكوك حول اعتزام العرب – بالاتفاق مع السلطان – نهب بندر عباس بعد احتلال جزيرة صغيرة قريبة منها .

القواسم في الداخل والخارج ١٧٥٠ – ١٨٠٠ :

ولسنا نعرف الا أقل القليل عن التاريخ الداخلي للمنطقة التي تعرف اليوم بعمان المتصالحة حتى قرب نهاية القرن الثامن عشر ، ولكن يبدو من الواضح أنه لا البرتغاليون ولا الايرانيون قد نجحوا في استعادة سيطرتهم على البلاد ، وان نفوذ شيخ القواسم الذي كان يتخذ من رأس الخيمة عاصمة له كان يمتد الى معظم الاقاليم المجاورة . وفي الخارج أصبح اسمه دليلا على كل العرب المقيمين في الناحية الغربية من اقليم عمان الجبلي . وقد كان انهيار النفوذ الايراني في الخليج بعد موت نادر شاه هو ما أدى الى ظهور القواسم على مسرح الاحداث . وقد عمل القواسم منذ بداية ظهورهم في الخارج على توجيه طاقاتهم نحو استغلال الموانى القريبة على الساحل الايراني مؤيدين في ذلك –او معارضين– سياسة جارهم امام عمان حسبما تملي عليهم مصالحهم الخاصة .

اقامة القواسم على الساحل الايراني وجزره ١٧٥٠–١٧٦٥ :

وعقب موت نادر شاه في ١٧٤٧ نرى أن ملا علي شاه حاكم بندر عباس وما جاورها وداريا بيجي ، أو القائد البحري العام ، لمنطقة

الخليج قد وجد نفسه مطالباً بدفع الجزية لغير جهة واحدة ، كما كان أيضاً معرضاً لتهديد ناصر خان ، حاكم اقليم لار الوراثي ، الذي تحالف مع القواسم ، وتزوج ابنة شيخهم راشد بن مطر تعزيزاً للحلف . وفي سنة ١٧٥٨ جاء ملا علي بسفن من هرمز لمناصرة شيخ القواسم على إمام عمان ، ولكن لم يحدث اشتباك فعلي بين الجانبين . وفي سنة ١٧٥٩ — وعلى نحو ما هو مذكور في الفصل الخاص بالتاريخ العام للخليج — قامت بعض سفن شيخ القواسم التي كان يفترض أنها ناشطة ضد المير مهنا ، زعيم قراصنة ريق على الطرف الشمالي للخليج ، باضطرابات في بندر عباس موقعة بعض الخسائر الجسيمة بالعاملين في الوكالة البريطانية هناك . ولم يقدم نائب الحاكم الايراني هناك أي تعويض عن تلك الخسائر .

وفي يونيو سنة ١٧٦٠ قام القواسم ، وكان واضحاً أن لهم قواعد أيضاً في قشم ولافت على جزيرة قشم وكذلك في لنجة وشناص على الساحل الى الغرب ، بتقديم العون لملا علي كي يستولي على مدينة بندر عباس ، لكنهم انسحبوا بعد ان عجزوا عن اجلاء حامية كانت تسيطر على قلعة المدينة باسم خان لار . وفي هذه المحاولة قدرت قواتهم بحوالي ١٠٠٠ رجل يقودهم الشيخ راشد بنفسه . ورداً على ذلك قام خان لار بمظاهرة بحرية على لنجة ورأس الخيمة لكنه وجد الموقعين محصنين تحصيناً كافياً وعلى أتم الاستعداد ، لكنه نجح على أية حال في تدمير جزيرة قشم . وفي سنة ١٧٦١ استدعى ملا علي عرب رأس الخيمة لمعاونته في الهجوم على هرمز ، وكان أهل هذا المكان — ومعهم عرب بني معين — قد اسروا عائلته في قلعة هرمز وحدثت هجمتان عليها لكنهما فشلتا . وفي خلال هذه الاضطرابات استولى القواسم على سفن لمسقط كانت تحمل ارزاً وغيره من السلع للوكالة البريطانية في بندر عباس ، وشارك ملا علي شاه في هذا العمل . وفي سنة ١٧٦٣ عقد صلح ثلاثي بين بني معين من ناحية والقواسم وملا علي شاه من الناحية الأخرى ، وكان من شروط الصلح تنازل شيخ رأس الخيمة عن السفينة « رحماني » التي كان قد

استولى عليها ، ثم تقسيم عوائد جزيرة قشم بالتساوي بين الاطراف الثلاثة .

طرد القواسم من ايران حوالي سنة ١٧٦٣ :

وأثناء تعزيز كريم خان الزندي نفوذه وحكمه في جنوب ايران عين الشيخ عبدالله شيخ قبيلة او اسرة بني معين حاكماً على بندر عباس وهرمز وقشم . وقد نجح هذا الشيخ ، حوالي سنة ١٧٦٥ ، في طرد القواسم وغيرهم من الغزاة من ارضه حيث ظلوا بعيدين عنه بعض الشيء طوال حياته .

علاقتهم بامام عمان ١٧٥٠ — ١٧٨٠ :

كان القواسم على وجه العموم قبل طردهم من ايران في شقاق مع الإمام أحمد في عمان الذي كان يزعم رغم عجزه عن تحقيق زعمه أن له حق السيادة عليهم . وبعد ذلك، وحين وضح أن سياسة كريم خان تهدد استقلال الساحل العربي كله ، تحالفوا موقتاً مع الإمام . وفي سنة ١٧٧٣ دمر الأسطول العماني ، بمساعدة شيخ هرمز ، سفينتين ايرانيتين تابعتين لبندر عباس ، ثم انسحبت سفن مسقط بعدها الى رأس الخيمة . وفي ١٧٧٥ نشبت الحرب مرة أخرى بين شيخ القواسم والإمام ، واعتمد الشيخ في هذه الحرب على مصادره وحدها ، ولم يتردد في الاستيلاء على سفن بوشهر بزعم أنها تحمل شحنات خاصة برعايا الإمام . وفي سنة ١٧٨٠ كانت العلاقات بين الطرفين ما تزال على عدائها وتوترها .

تولي الشيخ صقر بن راشد في رأس الخيمة حوالي سنة ١٧٧٧ :

وفي سنة ١٧٧٧ على وجه التقريب تنازل الشيخ راشد عن زعامة القواسم لابنه صقر ، وحاول هذا الخروج من العزلة المضروبة عليه فتزوج بابنة الشيخ عبدالله شيخ قشم ، وهكذا استطاع أن يسوي خلافاته مع بني معين .

فترة ظهور القرصنة وقمعها ١٧٧٨ ـ ١٨٢٠
التاريخ العام ، ١٧٧٨ ـ ١٨٠٣

في سنتي ١٧٧٩ و ١٧٨٠ كان يسود الخليج حالة من الفوضى والاضطراب الشديدين للافتقار الى قوة ضابطة في المنطقة ، وكانت الحرب بين شيخ القواسم وامام عمان ــ التي سرعان ما استؤنفت بعد هدنة قصيرة ــ من العوامل الهامة في ازدياد تلك الفوضى والاضطراب . وبدأ اسطول القواسم ، وفيه رجال اشداء يحترفون القرصنة ، بممارسة عمليات النهب والاعتداء في كل اتجاه دون تمييز ، وسرعان ما اصبحت أعماله أمثلة تحتذيها الموانئ العربية الأخرى .

وفي أواخر سنة ١٧٧٨ استولى القواسم على سفينة تابعة لشركة الهند الشرقية وهي في طريقها من بومباي الى البصرة ، وباعوا بحارتها والمسافرين عليها كرقيق ويظهر انهم في ١٧٧٩ كانوا يضعون ايديهم على سفينة اسمها «إكسبديشن» كانت مملوكة لشيخ بوشهر ويرفضون ردها .

تدخل القواسم في البحرين ١٧٨٢ :

وفي ١٧٨٢ فشل شيخ القواسم في التوسط بين العتوب والمطالبين بالبحرين من الايرانيين فاشترك مع فرقة من انصاره في الهجوم الفاشل الذي قام به الايرانيون على قلعة العتوب الحصينة في الزبارة ، ويبدو أن مسلكه هذا نشأ عن موقف العتوب منه في الفترة الاخيرة ، فقد استولوا على قارب مملوك له واعدموا ثمانية عشر رجلا كانوا على ظهره .

غارة ربما من القواسم على رستاق في عمان ١٧٨٣ :

وحوالي ١٧٨٣ قام ابن رحمة ، وهو أحد شيوخ ساحل القرصنة كما يجدر بنا ان نسمي ساحل عمان المتصالحة في ذلك الحين ، بهجوم خطير على رستاق عاصمة إمام عمان في ذلك الوقت لكننا لم نستطع أن

نعرف شيئاً عن المحرض الحقيقي وراء الهجوم(١) او اهدافه الحقيقية .

وانقضت عدة سنوات في هدوء فلم يسمع عن القواسم خلالها شيء ، ولكن في سنة ١٧٩٧ تجددت حالة الحرب مرة أخرى بين مسقط ورأس الخيمة كما أعلن العداء بين امام عمان وحكومة ايران ، وهكذا نشأت ظروف شجعت في نفس السنة على وقوع حادثتين من جانب القواسم جديرتين بالذكر (٢) .

الاستيلاء على السفينة ياسين مايو ١٧٩٧ :

ففي ١٨ مايو سنة ١٧٩٧ هاجم اسطول من قوارب القواسم تجاه ساحل رمس السفينة « باسين » واستولى عليها رغم رفع العلم البريطاني فوقها ثم مضى بها الى رأس الخيمة حيث احتجزت مدة يومين قبل ان يطلق سراحها بأمر من الشيخ . ويبدو أنه لم يتيسر الحصول على تعويض عن هذه الاهانة التي لحقت بالعلم البريطاني . وبالتالي أثمر ترك القواسم دون عقاب ثمرته الطبيعية . ففي شهر اكتوبر التالي كان اسطول القواسم بقيادة صالح ابن شقيق الشيخ راسياً في ميناء بوشهر ، وكان يتربص ببعض سفن صور أثناء عودتها من البصرة ، وقد سلم له بناء على طلب ممثل الحكومة الهندية في بوشهر كمية من البارود وطلقات المدافع من سفينة الشركة المعظمة « فيبر » المسلحة بأربعة عشر مدفعاً . وهنا قام اسطول القواسم — بغتة وغدراً ودون انذار — بمهاجمة السفينة « فيبر » وهي راسية في الميناء وبحارتها مشغولون بتناول الإفطار . لكن السفينة

---

(١) ربما كان هو الشيخ صقر شيخ رأس الخيمة الذى كان جده الاكبر يسمى رحمة ·

(٢) يقدم مستر ف· ووردن عضو المجلس في بومباى تفسيرا آخر لهذه الاحداث (انظر : تقارير بومباى ، مجلد ٢٤ ، ص ٥٧ ، ٣٠٢)· لكنه يبدو أن الاستنتاجين اللذين يسوقهما لا يعتمدان على أساس وهما : (١) أن البريطانيين قد فشلوا من قبل في التزام الحياد في منطقة الخليج · (٢) أن مسلك القواسم نتج عن الصراع الذى كان دائرا بين الامام سعيد في عمان وشقيقه السيد سلطان ·

المهاجمة سارعت بمهارة لرفع مرساها وأبحرت لتتفادى صعود القواسم اليها ، وفي الاشتباك الذي أعقب ذلك لم تفلح « فيبر » في الافلات من مطارديها فقط ، بل واستطاعت أيضاً اجبارهم على الهرب الى عرض البحر . وفي هذا الاشتباك قتل قائدها الشجاع « الملازم كاروثرز » ، ومن عدد بحارتها البالغ خمسة وستين رجلاقتل —على أقل تقدير— اثنان وثلاثون . ومرة أخرى أفلت مرتكبو هذا الجرم دون عقاب . ويبدو أن السلطات البريطانية قنعت بتأكيد تلقته من شيخ القواسم بأنه يكن للحكومة البريطانية احتراماً كبيراً ، لكنه في حقيقة الأمر لا سيطرة له على الشيخ صالح الذي سار بالاسطول الى شاطيء ايران « وأقام هناك بين عرب بني خالد .. بل وتزوج امرأة من هذه القبيلة المشهورة بالعنف والضراوة » ويبدو ان حكومة الهند لم تتخذ إجراء ما رغم ما ذكره شيخ القواسم من أن السفينة « فيبر » هي التي بدأت باطلاق النار .

علاقاتهم بمسقط ١٧٩٦ — ١٧٩٩ :

وفي سنة ١٧٩٨ عقد السيد سلطان في عمان صلحاً مع القواسم ليعزز قواه في مواجهة السلطات التركية في البصرة ، ولكن بمجرد استقرار الخلاف التركي العماني عادت حالة الحرب كما كانت بين القوى العربية ، وشن السيد سلطان هجوماً بحرياً فاشلا على ميناء القوسم في دببه .

وفي ١٧٩٩ حاولت الهجوم على صحار كل من قبائل النعيم وبني قتب بمعاونة بني ياس من دبي لكن السيد سلطان وقيس استطاعا أن يوقعا بهم هزيمة كبيرة في ليوى .

اقامة قاعدة للوهابيين في عمان ١٨٠٠ — ١٨٠٣ :

وفي ١٨٠٠ — وعلى نحو ما هو مذكور في تاريخ سلطنة عمان — وصلت قوة من الوهابيين الذين كانو قد ضموا اليهم مؤخراً واحتي الحسا والقطيف . واتخذ قائد الحملة فور وصوله إجراءات الاحتلال

الدائم للموقع الذي يهيء له بسهولة السيطرة على كل عمان الغربية ، وقد نجح في اجتذاب بعض قبائل البدو فيما جاوره ، وتناسى حاكم مسقط وشيخ رأس الخيمة خلافاتهما الموروثة ، وتشاورا فيما يجب عمله ، وحاولا حتى ان يتفاهما مع هؤلاء الغزاة القادمين ولكن بلا جدوى . وظلت أقوى وأعنف قبائل عمان تتجمع حول قضية الوهابيين . وفي منتصف سنة ١٨٠٢ كان كل الساحل الشرقي للجزيرة العربية من ديبه وحتى قرب البصرة يعترف بسيطرتهم . وفي ١٨٩٣ ركب القواسم البحر مرة أخرى ، بتحريض من سادتهم الوهابيين ضد حليفهم السابق السيد سلطان . وربما كان لهم دور في عملية الهجوم على جزيرة قشم التي كانت وقتذاك تابعة لمسقط والتي كان الوهابيون يعتزمون مهاجمتها في تلك السنة نفسها .

★ ★ ★

تزايد القرصنة ١٨٠٤ ــ ١٨٠٥

مسئولية الوهابيين المزعومة :

أدى قيام قاعدة الوهابيين في البوريمي الى تزايد في عمليات القرصنة وانتهاك القانون في البحر مما كانت حكومة الهند تعزوه لنفوذهم . غير ان الدراسة المتأنية للحقائق الآن ، وبعد انقضاء أكثر من مائة عام على وقوع الحوادث المذكورة لا تؤيد مطلقاً الرأي السائد عندئذ بأن القواسم لم يكونوا فيها سوى أدوات تنفيذ مضطرة على ما تعمل . فالطابع الحقيقي للقواسم ــ كما يكشفه مسلكهم في ١٧٧٨ــ١٧٧٩ وفي ١٧٩٧ تكشفه أيضاً سياسة حكومة بومباي التي انتهت لاحقاً الى فهم اوضح للأمور ألا وهو أن قوة الوهابيين القاهرة لمن حولهم استغلت لتبرير أعمال لا مبرّر لها على الإطلاق .

قضية السفينة « فلاي ... » ١٨٠٤ :

في سنة ١٨٠٤ كان عدد من السادة الانجليز وجماعة من رعايا الهند البريطانية قد أسرتهم سفينة فرنسية ● ثم أطلقت سراحهم في بوشهر ، ومنها ركبوا سفينة أهلية لتنقلهم الى بومباي ، وفي الطريق بين جزيرة طنب ورأس مسندم اسرهم قراصنة القواسم بعد أن جرحوا بعضهم وهم يحاولون المقاومة . وكان عدد منهم تابعين لسفينة الشركة المعظمة «فلاي» التي جنحت الى جزيرة قيس أثناء مطاردة السفينة الفرنسية لها ، فألقت الخزينة التي كانت فيها والرسائل التي كانت تحملها الى مكان ضحل المياه وأثناء عودة هؤلاء الافراد هابطين في الخليج حاولوا البحث عن الخطابات لاستعادتها فحصلوا عليها لكنهم اضطروا لابقاء الخزينة مكانها . وحين وجدوا انفسهم أسرى في رأس الخيمة دون أمل في إطلاق سراحهم تطوعوا –في مقابل إطلاق سراحهم– بأن يرشدوا القواسم الى حيث كانت الخزينة ، وقد تم هذا بالفعل .. لكن العرب أخذوا الخزينة بالاتفاق مع أهل جزيرة قيس ، ثم رحلوا بعدها تاركين الاسرى لمصيرهم في هذه الجزيرة المقفرة .

وفي النهاية لم يستطع من افراد هذه الجماعة الكبيرة الا رجلان فقط هما مستر جاول الضابط في البحرية التجارية ، وبحار اسمه بينول الوصول سالمين الى بومباي حيث سلما الخطابات التي كانت على السفينة « فلاي » بعد ان حافظا عليها رغم كل المشاق . أما باقي الجماعة فواضح أنهم لقواحتفهم بين قيس وبوشهر بعضهم غرقت به السفينة التي حاول أن يستقلها ، وبعضهم الآخر قضى نحبه من مصاعب الطريق .

أما موت السيد سلطان مسقط على يد القواسم سنة ١٨٠٤ فمذكور في مكان آخر .

(●) السفينة الفرنسية المقصودة هي « لافورشن » ذات الثمانية والثلاثين مدفعا وقبطانها هو سوركوف ، وقد أسرتها لاحقا السفينة البريطانية كونكورد .

الاستيلاء على السفينتين شانون وتريمر :

وفي سنة ١٨٠٥ كانت السفينتان التجاريتان الانجليزيتان « شانون » بقيادة كابتن بابوك و « تريمر » بقيادة كابتن كامنجر ويملكهما مستر مانستي ، مقيم شركة الهند الشرقية المعظمة في البصرة ، قد تعرضتا لهجوم من القراصنة فيما جاور جزيرة قارور واستولي عليهما بعد مقاومة يسيرة وقد اعدم البحارة الهنود الذين كانوا عليهما ، كما حكم على الكابتن بابوك بقطع ذراعه لانه شوهد يطلق النار من بندقيته خلال الاشتباك وتم هذا فعلا بضربة سيف واحدة ، أما بقية الاسرى الاوربيين فقد نقلوا الى الساحل العربي حيث استطاعوا الفرار واحداً بعد الآخر . وأثبتت التحريات بعد ذلك أن « شانون » قد آلت الى القواسم في ريق على حين أصبحت « تريمر » من نصيب أهل رأس الخيمة ، وقد تحولت كلتا السفينتين الى سفينة حربية ، وأصبحتا تستخدمان بانتظام في عمليات القرصنة ، وظن مستر مانستي أن بوسع أمير الوهابيين إصدار أوامره باعادة السفينتين ، فأرسل وكيلا للقائه في عاصمته بالدرعية .. لكن شيئاً لم يتحقق من تلك السفارة .

هجوم على السفينة « مورننجتون ... » : ١٨٠٥ :

وفي نفس السنة أحاط اسطول من ٤٠ سفينة للقواسم بسفينة الشركة المعظمة « مورننجتون » ، المسلحة باثنين وعشرين مدفعاً ، وحاول الاستيلاء عليها ، لكن الهجوم فشل واضطر المهاجمون للتراجع .

★ ★ ★

الحملة البريطانية الاولى على القواسم ١٨٠٥

سياسة حكومة بومباي :

كان موقف حكومة بومباي حتى هذه المرحلة من نشاط القراصنة متساهلا تساهلا لا يمكن تفسيره .. لا في ضوء الاحداث التي سبقت ولا

في ضوء الاحداث التي ستلي . ويبدو ان هذه الحكومة كانت قد أصدرت أوامر مستمرة وثابتة بألا تفتح اية سفينة من سفنها في الخليج النار الا بعد أن تطلق عليها ، وكان هذا الامر يجعل الطرادات الصغيرة والمفردة في خطر دائم أمام أعداء كان اسلوبهم المفضل في الهجوم هو النزول الى ظهر السفينة التي يهاجمونها ، وكان الذين يخرجون على اوامر حكومة الهند المذكورة معرضين دائماً لتوقيع العقوبات عليهم .

وفي احدى المرات قام الملازم جوان من السفينة « فيوري » المسلحة بستة مدافع باطلاق النيران على عدد من القوارب التي تجمعت أمامه بنية عدائية ، وحين رجوعه الى بومباي تلقى نقداً حاداً من الحاكم العام بنفسه لانه « جرؤ على الاعتداء على العرب الابرياء المسالمين في هذه المياه»(١) .

وفي مارس ١٨٠٥ قررت حكومة الهند بناء على اقتراح الكابتن ديفيد سيتون الذي كان قد ارسل الى مسقط كمقيم للمرة الثانية بعد موت السيد سلطان ، أن تساند مسقط في القضاء على القواسم(٢) لكن القرار أحيط بكثير من الإرجاء والتحفظ مما أفقده كثيراً من فاعليته . فقد كان مطلوباً من الكابتن سيتون ان يوقف سائر نشاطه الا اذا اقتنع تماماً بأن امير الوهابيين لن يتدخل لمعارضة ذلك النشاط ضد القراصنة ، بل وايضاً كان عليه القيام بعمليته باعتدال وقصد عظيمين » ، ومحاولة « الوصول الى السلام عن طريق المفاوضات » ، وعليه ان يتفادى — الى جانب ذلك — اية اعمال من شأنها ان تؤدي الى تعقيدات مع الحكومة التركية او الايرانية — ثم هناك ايضاً صعوبة أخرى .. وهي أن يؤدى عمله بالاتساق

---

(١) هذه هى المزاعم التى أوردها الصحفى بكنجهام ورددها بعده لو مؤرخ البحرية الهندية ، لكننا في نفس الوقت لا بد أن نعارض بشدة الاراء غير الرسمية التى يسوقها الصحفى بكنجهام ، الذى طرد بعد ذلك من الهند لتجرؤه على مهاجمة الحكومة القائمة .

(٢) كانت هناك عداوة مزمنة وقديمة — كما ذكرنا — بين القواسم ومسقط ، وفي هذا الوقت بالذات كان لا بد لحاكم مسقط من اتخاذ خطوات فعالة انتقاما لموت سلفه السابق السيد سلطان — الذى ذبحه القواسم .

مع ما يراه مستر مانستي المقيم في البصرة ومع ما يراه ايضاً الملازم بروس المقيم في بوشهر . وفي هذا الحادث سمح الكابتن سيتون لنفسه ، بعد إبحاره من مسقط على السفينة « مورننجتون » في ٢٨ مايو سنة ١٨٠٥ ، بأن يستدرج لسوء الحظ قبل قيامه بأي عمل ضد القواسم ، لمعاونة السيد بدر بحجة واهية ضد بني معين حكام بندر عباس ، وهي عملية احتجت عليها السلطات الايرانية فيما بعد واعتبرتها عملا عدائياً موجهاً ضدها ، ولكن قبل توجيه هذا الاحتجاج بالفعل ، كان كابتن سيتون قد وجد الفرصة ملائمة لتصفية بعض الحساب مع القواسم .

محاصرة اسطول القواسم في قشم سنة ١٨٠٥ :

ففي ١٥ يونيو تحرك الاسطولان البريطاني والعماني ، بعد ان وصلتهما اخبار عن وجود اسطول للقواسم راسياً في قشم ، فتوجها نحو مدينة قشم ، لكنه تبين لاحقاً ان تلك الاخبار لم تكن صحيحة ، ونظراً لوجود قوات قاسمية على البر باعداد لاتسمح بانزال الجنود من البحر لقتالهم ، فقد رجع الاسطول ثانية الى قواعده . وفي بداية يوم ٥ يوليو دخل اسطول صغير للقواسم يتكون من ثلاثين قارباً تحمل حوالي ١٠٠٠ رجل الى مدخل جزيرة قشم ، وهناك حاصره الكابتن سيتون والسيد بدر دون تأخير .

المفاوضات التمهيدية :

وفي المفاوضات التي أعقبت ذلك قام بدور الوسيط ملا حسين شيخ قشم . وقد طلب كابتن سيتون في بداية الأمر ان يدفع القواسم تعويضاً عن كل الاضرار التي اصابت السفن البريطانية ، ولكن حين أبلغوه بأنهم لا يستطيعون ان يدفعوا أكثر من ١٠ آلاف روبية ، وعلى اقساط ، أسقط موضوع التعويض ، وأخيراً تم الاتفاق على أنه اذا أعاد القواسم للكابتن سيتيون السفينة « تريمر » خلال خمسة وعشرين يوماً ومعها خطاب لحاكم بومباي يحوي اعتذار القراصنة عن مسلكهم ، واعلانهم عجزهم عن دفع التعويضات ، وتعهدهم بالكف مستقبلا عن مسلكهم

السابق فمن الممكن عقد الهدنة معهم حتى تجيء أوامر حاكم الهند . واذا رضي الحاكم المذكور عن الاتفاقية ، فعندها تعاد السفينة ويعلن السلم . وكان ملاحسين يلح في ضرورة التقاء كابتن سيتون شخصياً بشيخ القواسم سلطان بن صقر الذي كان موجوداً آنذاك ، لكن كابتن سيتون تحاشى ذلك اللقاء لانه يعرف أنه كان سيواجه ضغطاً من أجل الموافقة على شروط أخرى مثل السماح للقواسم بزيارة الهند . وكان السيد بدر متلهفاً للعودة لمسقط ، وربما كان للهفة هذه أثرها السيء على المفاوضات الجارية ، فهو قد كان مقتنعاً بأن هدنة مدتها سبعون يوماً كافية جداً ، وهو بعد ذلك — كما زعم — سيقوم بالهجوم على القواسم انتقاماً منهم لمقتل السيد سلطان ، ثم يجليهم عن المواقع التي يحتلونها في قشم وفي سواها ، هذا وفي أثناء وجود اسطول مسقط أمام بندر عباس ، حاول بعض القواسم القيام بعدة غارات بحرية على صور وجوادر .

مفاوضات أخرى أكتوبر ١٨٠٥ :

وأخيراً وفي أكتوبر سنة ١٨٠٥ ، وصل وكيل عن ملا حسين الى مسقط للتفاوض باسم القواسم ، وكتب كابتن سيتون يطلب التعليمات من حكومة بومباي ، وجاءت هذه التعليمات بلزوم جعل الاتفاقية المطلوبة شاملة كل مياه الخليج ، أما بالنسبة للتعويضات عن الخسائر السابقة فيجب أن تطلب كاملة مهما كانت الحالة .

★ ★ ★

المعاهدة البريطانية الاولى مع القواسم ١٨٠٦

لقد ثبت ان تنفيذ تلك المطالب الضخمة غير المنسجمة مع الانطباعات السابقة لدى عرب الخليج كان مستحيلا دون القيام بعمليات عدائية على نطاق واسع ، وعلى هذا فقد وقع كابتن سيتون اتفاقية بسيطة مع القواسم في بندر عباس يوم ٦ فبراير ١٨٠٦ ، وصدق عليها الحاكم العام في الهند بتاريخ ٢٩ ابريل التالي .

وفي هذه الاتفاقية أعلن السلم ، وتعهد القواسم بأن يدفعوا غرامة قدرها ٣٠ الف روبية في حالة خرقها ، أما السفينة « تريمر » فقد تمت استعادتها ، ورفضت الحكومة البريطانية مناقشة التفاصيل عن عدد المدافع التي كانت فوقها أو طاقم الرجال الذي كان يعمل فيها . وتعهد القواسم بمعاونة السفن البريطانية التي تزور شواطئهم أو تمر بها ، كما تعهدوا أيضاً بأن يقدموا انذاراً مدته ثلاثة أشهر قبل ان يضطروا لخرق السلم بدفع من أمير الوهابيين ، وأخيراً ، وبعد التصديق على هذه الاتفاقية– وقد تم ذلك لاحقاً دون تأخير – أصبح للقواسم ما كان لهم سابقاً من الحرية المطلقة في التردد على موانئ الهند . ولم يستشر أي الطرفين أمير الوهابيين في هذه الاتفاقية ، وقبل توقيعها أعيدت السفينة « شانون » أيضاً لكنها كانت في حالة سيئة .

★ ★ ★

توقف القرصنة فترة من الزمن ١٨٠٦ – ١٨٠٨

اسطول بريطاني ضخم في الخليج ١٨٠٧ :

لزم القواسم الهدوء خلال السنتين التاليتين على توقيع الاتفاقية المذكورة آنفاً وكفوا عدوانهم –على الأقل– عن التجارة والسفن البريطانية ويبدو أن نواياهم الطيبة التي تبدت في الاتفاقية والتزامهم بها قد عززهما وجود أسطول من ثمانية طرادات من سفن الشركة المسلحة في منطقة الخليج خلال سنة ١٨٠٧ . وقد كانت هذه السفن مرسلة أصلا مع سفينة صاحب الجلالة « فوكس » لتهديد البصرة خلال المشاحنات المتبادلة بين بريطانيا وتركيا في اوربا ، ولكن بدلا من ان تتراجع بعد أداء مهمتها ، ظلت راسية لمدة سنة كاملة في مياه الخليج .

حروب قبلية صغيرة من جانب القواسم .. الخ ١٨٠٦–١٨٠٨ :

ولم تتوقف أعمال القواسم في اتجاهات أخرى على أية حال . ففي سنة ١٨٠٦ انضم عدد منهم الى صف السيد قيس حاكم صحار في صراعه مع السيد بدر سلطان مسقط حول حكم عمان ، لكنهم لم يستطيعوا أن يدفعوا عنه هزيمة قواته أمام بدر . وكنا ذكرنا في تاريخ سلطنة عمان تلك الحركة البارعة التي قام بها شيخ القواسم سلطان بن صقر فاستعاد بها خور فكان من السيدين سعيد وقيس .

أمير الوهابيين يعزل شيخ القواسم ١٨٠٨ :

ويبدو ان عملية سلطان بن صقر في خور فكان كانت ذروة نجاحه ذلك أنه بعدها ببضعة أشهر صدرت اوامر أمير الوهابيين بعزله عن مشيخة القواسم ، فأقام لنفسه – في البداية – سلطة مستقلة في مينائه رأس الخيمه ، لكن الوهابيين عينوا في العام التالي ١٨٠٩ حسين بن علي شيخ الرمس حاكماً وجابياً للضرائب باسمهم في كل المنطقة المعروفة اليوم بعمان المتصالحة وتشمل رأس الخيمة ، كما نصبوا أيضاً بعض المسئولين الآخرين على أقاليم داخليه صغيرة في البلاد ، كذلك استولوا على حصون الفجيرة والباطنة وخور فكان في اقليم الشمالية .

★ ★ ★

انتعاش القرصنة ١٨٠٨ – ١٨٠٩

كانت النوازع العدوانية المتوارثة عند القواسم قد عادت للظهور في أعالي البحار قبل عزل سلطان بن صقر . وبذلك خرقوا معاهدة سنة ١٨٠٦ ، وزاد من شهرة نقضهم لتعهداتهم هذه المرة أن اعتداءاتهم وقعت تجاه ساحل الهند .

هجوم على السفينة « لايقلي » ١٨٠٨ :

ففي ابريل سنة ١٨٠٦ هوجمت أمام شاطيء جوجارات السفينة الصغيرة « لايفـلي » ويقودها الملازم ماكدنالد من قبل اربع سفن من سفن القواسم كل منها أكبر من السفينة المهاجمة وأكثر عدد مدافع ورجال ، وحاول المهاجمون النزول الى ظهر السفينة لكن نيرانها استطاعت صدهم وإجبارهم على الفرار .

وبعد ذلك اكتشفت ثلاث من هذه السفن في صورات ، فنقلت الى بومباي ، لكنه رغم وجود جرحى المعركة على ظهرها ، ورغم التحقق من اشتراكها الفعلي في الجريمة الا ان الحكومة قررت « اطلاق سراحها لتساعد السفن الساحلية الصغيرة التي قد تجنح الى الشاطيء » . وأدت السفن هذا العمل بكفاءة فعلا ، لأنه خلال سنة ١٨٠٨ وقعت أكثر من ٢٠ سفينة أهلية غنيمة في أيدي القراصنة العرب على الساحل الهندي .

وحوالي سبتمبر سنة ١٨٠٨ استولى عدد من سفن القواسم على السفينة التجارية « منيرفا » التي يملكها أيضاً مستر مانستي المقيم في البصرة — بعد أن دار اشتباك بين الجانبين لعدة أيام متوالية ، ثم نزل القواسم الى ظهر السفينة واستطاعوا الاستيلاء عليها ، وبعدها يقال إنهم اعدموا من كانوا على ظهرها بطرق تنم عن التعصب الديني الشديد ، ولم ينج منها سوى القائد الثاني للسفينة ، والنجار العامل بها ، كذلك نجت سيدة امريكية هي زوجة الملازم تيلور مساعد المقيم السياسي في بوشهر ، فقد احتفظوا بهؤلاء أسرى ، ونقلوهم إلى رأس الخيمة ، واستطاع الملازم بروس ، بعد عدة شهور ، افتداء السيدة تيلور ، أما رفيقاها الأقل حظاً فيبدو أنهما لم يتحررا من اسرهما بعد ذلك أبداً .

الاستيلاء على السفينة « سيلف .. » مرة ومرة أخرى ١٨٠٨ :

وفي ٢١ أكتوبر سنة ١٨٠٨ ، وبعد عدة اسابيع فقط من حادثة الاستيلاء على السفينة « منيرفا » واجهت سفينة الشركة المعظمة « سيلف »

ـ وتبلغ حمولتها ٧٨ طناً فقط ، وعليها ٨ مدافع تَقَدَّمَ اسطول من السفن العربية الكبيرة اليها لكنها أنقذت بوصول الاسطول الذي كان يقل سير هارفورد جونز وبعثته العائدة من ايران ، فقد فصل هذا الاسطول بينهما . وبعد مروره ـ وكما يروي محمد حسين خان أحد الاعضاء الايرانيين في بعثة سير جونز ، وكان على ظهر السفينة في ذلك الوقت ، فقد امتنعت منيرفا التزاماً بأحكام القوانين البحرية عن إطلاق نيرانها فترة طويلة لم تستطع بعدها مقاومة العدد الكبير من العرب الذين نزلوا على ظهرها . وكانت النتيجة مذبحة شملت معظم بحارتها . ومن القلة التي قدر لها النجاة قائد السفينة الملازم جراهام الذي رقد على ظهرها مثخناً بالجراح ، كذلك السكرتير الايراني الذي اختفى قاصداً في أحد حجرات السفينة . وقد أنقذ حياة الباقين ظهور سفينة صاحب الجلالة « نيرييد » بقيادة الكومودور كوربيت المسلحة بستة وثلاثين مدفعاً والتي عمد اسطول القواسم الى الفرار لدى رؤيتها تاركاً السفينة « سيلف » وراءه . وقد تولت نيرييد مطاردة الاسطول الهارب دون ان تحقق أي نجاح (١) .

هجوم على السفينة « نوتيلوس .. » ١٨٠٨ :

وبعد حادثة السفينة « سيلف (بثلاثة أيام فقط) كانت سفينة الشركة المعظمة « نوتيلوس » ذات الاربعة عشر مدفعاً بقيادة الملازم بينيت تمر قرب جزيرة هانجام ، حين تهددها ظهور سفينتين كبيرتين وأخريين صغيرتين للقراصنة . وخضوعاً للاوامر التي تحظر على السفن البريطانية البدء باطلاق النيران ، حال الكابتن بينيت قائد السفينة دون اطلاق النيران من سفينته الى أن اقتربت سفن القراصنة وأمكنت رؤية البحارة العرب

(١) يذكر سير هـ . ج . بريدجز في كتابه « تاريخ مختصر للوهابيين .. » (ص ٣٦) أن السفينة « نيرييد .. » قد أغرقت ثلاثا من سفن القراصنة ، لكن لو ـ مؤرخ البحرية الهندية ـ يرفض هذا القول . أنظر أيضا نصا مطولا عن السفينة « نيرييد .. » فصل ٤٦ من « رحلة موريير في ايران .. » .

وهم يرقصون رقصة الحرب وينشدون اناشيدهم الحماسية ، ويتداعون بصيحات الحرب . حينذاك – والعرب يزدادون اقتراباً – أصدر الكابتن أوامره برفع العلم البريطاني والبدء في اطلاق النيران ، وركزت المدافع طلقاتها على السفينتين الكبيرتين ، وبدأ اشتباك بالمدافع دام حوالي الساعة ، أخلد الاسطول العربي بعدها الى الفرار وتبعته « نوتيلوس » بنيرانها الى مسافة طويلة .

★ ★ ★

الحملة البريطانية الثانية على القواسم
١٨٠٩ – ١٩١٠

لقد وصلت جرأة القواسم وحليفهم عندئذ حدوداً لا يمكن تجاهلها ، وتجلت روح هذه القبيلة في مطلب قدمه شيخ رأس الخيمة الى حكومة بومباي بأن تدفع له جعلا لقاء الامتياز الذي يمنحه لسفنها للملاحة بسلام في مياه الخليج . وقد قدر عدد اسطول القواسم في ذلك الوقت بحوالي ٦٣ سفينة كبيرة و ٨١٣ سفينة صغيرة ، على ظهورها جميعاً أكثر من ١٩ الف رجل .

الحكومة الوهابية والقواسم :

وقد عزى تجدد حملة القواسم للقرصنة هذه المرة الى ما كان عزى اليه من قبل في سنة ١٨٠٥ ، أي الى تأثير أمير الوهابيين ، لكن الادلة على صحة هذا الأمر وان كانت أكثر هذه المرة ، الا انها أيضاً لم تكن تصل الاقناع ولو أنه كان صحيحاً أن حسين بن علي حاكم الرمس قد زار عاصمة الوهابيين قبل ان يصبح ممثلهم في بلاد القواسم ، وقيل انه قد تم الاتفاق على حمل خمس غنائم القرصنة الى امير الوهابيين حسب العرف الوهابي في مثل تلك الحالة . وكان كابتن سيتون يعزو

عمليات القرصنة على الساحل الهندي الى تحريض امير الوهابيين ، وسواء صح هذا ام لم يصح ، فمما لا يمكن انكاره ان هذه الاضطرابات قد تواقتت –الى ابعد الحدود – مع عزل شيخ القواسم التقليدي وابداله بمسئول وهابي ، وفي سنة ١٨٩٠ استدعي شيخ القواسم المعزول سلطان بن صقر الى عاصمة الوهابيين في الدرعية حيث احتجز فيها . لكنه استطاع الهرب أخيراً عن طريق اليمن وميناء مخا . ووصل مسقط حيث استقبله سلطانها السيد سعيد استقبالا طيباً وكريماً . وفي نفس الوقت طلب أمير الوهابيين من القواسم الاشتراك مع العتوب في حملة بحرية على الكويت والبصرة ، ويبدو انهم استجابوا لذلك الطلب .. أو أعلنوا استعدادهم لاجابته على الاقل .

الاحداث السابقة مباشرة على الحملة البريطانية في ١٨٠٩ :

أما على الساحل الايراني فقد قامت قوة ايرانية كبيرة من لار بطرد القواسم من لنجة وجارك في ١٨٠٩ وارغمتهم على التراجع الى باسيدو على جزيرة قشم ، ولكن يبدو ان هذا التراجع كان موقتاً فقط لان عمارة بحرية بريطانية قد قامت بعد ذلك بأشهر قليلة بتدمير لنجة باعتبارها ميناء من موانيء القواسم .

كما ارسل القواسم أيضاً في نفس الوقت حوالي ٢٢ قارباً لنجدة رحمه بن جابر ، القرصان المشهور من خور حسان في قطر– حين كانت تهاجمه حملة ايرانية من بوشهر . وكان عونهم فعالا بما كفى لارغام الاسطول الايراني على الفرار بعد ان اسرت منه ست سفن . ويبدو ان آخر ضحايا القواسم في هذه المرحلة كانت السفينة « داريا دولت » بقيادة الكابتن فليمنج وقد استولوا عليها في يونيو سنة ١٨٠٩ . وفي أكتوبر من نفس السنة استطاع قارب صاحب الجلالة « كارولين » بقيادة الملازم وود ان يستولي على سفينة من اسطول للقراصنة كان يتألف من سبع وعشرين سفينة ، كما قام السيد سعيد سلطان مسقط بمظاهرة بحرية على موانئ القواسم دون جدوى .

دوافع الحملة البريطانية :

في هذه الظروف أصدر الحاكم العام في الهند اوامره باعداد حملة بحرية عسكرية كان الهدف الرئيسي لها هو تدمير القوة البحرية لقبائل العرب المشتغلة بالقرصنة –وأهمها القواسم– تدميراً تاماً ، وإطلاق سراح الرعايا البريطانيين وسواهم ممن وقعوا ضحايا لها . كذلك كان من اهدافها أيضاً ان تعيد السيد سعيد سلطان مسقط ، على حكم بعض المواقع التي انتزعها منه القواسم في خليج عمان . وحيث كانت سلطنة عمان في ذلك الوقت مهددة بالغزو من جانب القائد الوهابي مطلق الذي كان مقره آنذاك في البوريمي ، فقد كان انقاذ سلطان عمان من ذلك الخطر ايضاً ضمن أهداف الحملة(١) . وقد سمح للمسئولين عن الحملة بالتوصل لتسوية ودية مع القراصنة بعد تدمير سفنهم . كما كان على الحملة ايضاً أن تحصل على معلومات طوبوغرافية كافية عن المنطقة خاصة مواني القواسم ، كذلك أيضاً اختيار « جزيرة مناسبة » في الساحل المجاور للقواسم لتكون قاعدة بحرية او مقيمية بريطانية .

تعليمات لقواد الحملة :

وقد صدرت تعليمات بهذه الاهداف جميعها للقادة البحريين والعسكريين في الحملة عدا هدف واحد وهو حماية سلطان مسقط من الضغط الوهابي ، فهذا الهدف– اذا صح انه كان من بين أهداف الحملة– كان يعتبر بوضوح نتيجة غير مباشرة للحملة لا شأن به للضباط التنفيذيين وصدرت التعليمات تؤكد –بشكل خاص– ضرورة تدمير سفن القراصنة جميعاً . ومن الناحية السياسية فقد تم التزام أقصى جانب ممكن من الحذر والحيطة ، فمنعت العمليات البرية بقدر الامكان خاصة ما يثير صراعات مع القوى العاملة بأمر أمير الوهابيين . كذلك كان على الحملة الا تفصح

---

(١) أنظر : منتخبات بومباى ، مجلد ٢٤ ، ص ١٣١ ، ٣٠٥ .

عن أية نوايا عدائية نحو هؤلاء وان تتجاهل أية روابط قائمة بين القواسم والوهابيين .

وشدد على القادة بمعاملة القواسم كقوة مستقلة بذاتها(١) . وبمراعاة السيادة التركية والايرانية بقدر الامكان ، مع التأكيد للسلطات التركية –اذا لزم الامر– بأن هدف تأديب القراصنة لم يكن ينطوي على أية مطالب أو مطامع اقليمية . ومع ان لافت لم تعد تابعة لسلطان مسقط لكن قادة الحملة اوصوا بتدمير سفن القراصنة الموجودة فيها دون انتظار موافقة صريحة من السلطان على ذلك .

وكانت القوة البحرية التابعة للحملة تحت قيادة القائد ج. وينرايت المعقود لواؤه على سفينة صاحب الجلالة « تشيفون » وتسليحها ٣٦ مدفعاً ، الى جانب سفينة العلم الاخرى « كارولين » وتسليحها ٣٦ مدفعاً أيضاً ، وطرادات الشركة المعظمة « مورننجتون » وتسليحها ٢٢ مدفعاً ، « تبرنيت » ١٦ مدفعاً ، « اورورا » ١٤ مدفعاً ، « مير كوري » ١٤ مدفعاً ، « ونوتيلوس » ١٤ مدفعاً ، « برينس أوف ويلز » ١٤ مدفعاً ، «فستال » ١٠ مدافع و « فيوري » ٨ مدافع ، ثم قاذفة القنابل « سترمبولي » .

قوة وتنظيم الحملة :

أما القوة البرية فكانت تحملها ٤ ناقلات جنود كبيرة بقيادة الرائد ليونيل سميث من فرقة صاحب الجلالة الخامسة والستين ، وتضم ١٤١١ جندياً من المشاة : ٨٨٣ اوربياً و ٥٢٨ هنايا . وكان بين الجنود الاوربيين فصائل من فرقة صاحب الجلالة الخامسة والستين ، وفرقة صاحب الجلالة السابعة والاربعين ، الى جانب فصيلة من مدفعية بومباي (٢) .

(١) في تعليمات سابقة صدرت للكابتن سيتون ، أعد تفسير ليقدمه الى أمير الوهابيين بشأن الاجراءات التى تنوى الحملة اتخاذها ضد القواسم انظر : مختارات بومباى ، مجلد ٢٤ ، ص ٤٣ . ولم يستطع الكاتب أن يتأكد هنا مما اذا كانت هذه التعليمات قد نفذت أم اهملت .

(٢) حسب التقارير العسكرية للفرق المشتركة ، بأن عدد الهنود يصل الى ٦٣٨ هنديا ، ويصل تعداد القوة كلها بالتالى الى ١٢٠٠ رجلا .

وكانت الحملة ككل تحت القيادة المشتركة للرئيس ونيرايت والرائد سميث .

وبموت الكابتن سيتون المقيم في مسقط حرمت الحملة –قبل ابحارها بشهر– من مستشارها السياسي(١) ، وصدرت الاوامر لمستر بروس المرشح لاشغال وظيفته والذي لم يكن من المحتمل ان تكون له الخبرة المحلية الكافية مثل سيتون – بأن يظل في مسقط .. وقد قضى نحبه هو أيضاً قبل نهاية العام نفسه .

وخرجت الحملة من بومباي في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٩ ، وقبل أن ينقضي اربع وعشرون ساعة على خروجها من الميناء سقط قاع قاذفة القنابل « سترمبولي » وغرقت وغرق معها ضابط من ضباط المدفعية ، ومعظم بحارتها ، وقدر كبير من الذخيرة الثقيلة المعدة لاستخدام الحملة كلها .

ووصلت الحملة الى مسقط في ٢١ أكتوبر ، ولحق بها هناك كابتن باستي وغيره من اعضاء بعثة سير جون مالكولم الثالثة الى ايران –وكانوا آنذاك في طريقهم إليها– « وقد عرض هؤلاء السادة خدماتهم تطوعاً » فتقبلتها قيادة الحملة منهم . وكان السيد سعيد في حالة يائسة وساخطة ، وكان يرى ان الحملة أصغر من أن تقوم بالمهمة الموكلة اليها ، وفي هذه المرحلة لم يعرض السيد سعيد تعاونه معها ، وتم الحصول على قوارب الاستكشاف المطلوبة ، وخرجت الحملة من مسقط يوم ٥ نوفمبر وقد انضم اليها ضابط موفد عن شيخ الكويت يقود كل عمارته البحرية ، وعرض تقديم مرشدين يعرفون مداخل جميع موانى القرصنة لكن كابتن

---

(١) كان كابتن دافيد سيتون – من فرقة مدفعية بومباى – مقيما في مسقط من ١٨٠٠ حتى ١٨٠٩ وتخللت هذه السنوات فترتا انقطاع قصيرتان · وكان موته بالحمى في البصرة في ١٢ أغسطس سنة ١٨٠٩ ودفن فيها · ولم يكن كابتن سيتون مجرد منفذ كفء للتعليمات فقط ، بل كان شيئا أكثر من هذا ·· وسترد فيما بعد اشارة للاتفاقية التى عقدها مع أمير السند في ١٨٠٨ ، وعلى أى حال ·· كان كابتن سيتون موظفا كفؤا نشيطا ·· أسف الكثيرون لموته ·

ونبرايت رفضهم ، وندم على عمله هذا فيما بعد عندما تبين له ان المرشدين الذين جاء بهم من مسقط لا فائدة ترجى منهم .

الوصول الى رأس الخيمة ١١ نوفمبر ١٨٠٩ :

ووصلت الحملة رأس الخيمة بعد ظهر يوم ١١ نوفمبر ، لكن ضحالة المياه ارغمت السفن على ان تتخذ مرساها على مسافة تتراوح بين ٢ ، ٤ أميال عن المدينة وفقاً لحجمها . وكانت السفينة « منيرفا » التي استولى عليها القراصنة ثم جهزوها بعشرين مدفعاً في سبيلها بجولة استطلاعية حين وصل الاسطول البريطاني الى رأس الخيمة ، وبمجرد ان رأت الأسطول عمدت الى الفرار ثم احتمت ببرج دائري كبير يبعد حوالي ميل جنوبي المدينة ، وعندئذ هاجمتها السفن الصغيرة في الحملة واستولت عليها ، لكن النيران القوية المتواصلة من الشاطيء حالت دون سحبها فأحرقت في مكانها . وفي محاولة لتطويق « منيرفا » ذهب الطراد «برنس أوف ويلز » حولها فجنح الى الارض واصابته النيران الصادرة عن الشاطيء إصابات كثيرة مباشرة .

وفي يوم ١٢ قصفت المدينة بمدافع السفن الاصغر حجماً ممن كانت تستطيع الاقتراب منها الى أقصى ما يمكن ، لكن المدافعين ظلوا يطلقون النيران من مدفعيتهم الصغيرة وقد اغلقوا الخليج ، فلم تحقق الحملة شيئاً يذكر(١) .

وفي الصباح الباكر من يوم ١٣ قامت مظاهرة بحرية عند مدخل الميناء من طرف المدينة الشمالي ، وخلف هذا الساتر نزلت كل قوارب المشاة البريطانية وبعض القوات البحرية والوطنية عند الطرف المقابل في مياه تصل الى منتصف قامة الرجل . واعترض هذا الانزال حشد من الرجال بالسيوف والاسلحة الخفيفة ، لكن نيران المدافع التي اطلقت عليهم من

(١) حسب ما جاء في تقارير الفرق العسكرية المشتركة (الفرقة ٦٥ مشاة) فان هذا الضرب لم يكن مركزا ، بل كان مجرد ساتر يغطي الحركة الهادفة لتحديد مواقع سفن العدو .

القوارب المسلحة استطاعت تشتيتهم ، وعند شروق الشمس ، كان السور المواجه لشبه الجزيرة من ناحية المدينة قد تم احتلاله هو والابراج المقامة عليه الى جانب بعض المباني القريبة .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر تم احتلال وسط المدينة ، ورفع العلم البريطاني على بيت الشيخ بينما ظلت الاجزاء الشمالية فقط من شبه الجزيرة في أيدي العدو ، وفي الساعة الرابعة أحرق بحارة الاسطول البريطاني خمسين سفينة لرأس الخيمة منها ثلاثون سفينة كبيرة ، وأصبحت المدينة نهباً للنيران ، وقد نهب أفراد من الجنود بعض الاسلاب ولكن لم يسمح بأعمال السلب العام فيها .

الجلاء ، ١٤ نوفمبر :

وفي شروق شمس يوم ١٤ ، وبعد وصول تقرير يفيد باقتراب حشد كبير من القوات العربية من الداخل – بادر الرائد سميث ملتزماً دون شك بالتعليمات التي لديه بتجنب أي اشتباك مع الوهابيين باصدار الاوامر بصعود الجنود الى ظهور السفن بأسرع ما يمكنهم . ولم تحقق الحملة تسليماً من العدو بالهزيمة اذ قد عاد القواسم سراعاً لاحتلال الشاطيء وكأن شيئاً لم يحدث . وهناك ما يحملنا على الاعتقاد بأن القائد الوهابي مطلق قد تحرك لنجدة رأس الخيمة بمجرد وصول أنباء مهاجمتها اليه . وفي ضوء هذا الاعتبار ، وفي ضوء ما حدث بعد عدة أسابيع قليلة في شناص ، لا نستطيع توجيه اللوم الى القائد البريطاني لاتخاذه المسلك الحذر الذي انتهجه .

ولا يبدو لنا أن القتال في رأس الخيمة كان قتالا عنيفاً بأي شكل من الاشكال ، وان كان الاستيلاء على بعض المباني لم يتم الا بعد قتال شديد .

الخسائر :

وبلغت خسائر البريطانيين من القتلى جنديين على ظهر السفينة « برنس اوف ويلز » ، وكابتن دانزي من الفرقة ٦٥ مشاة الذي أصابته

طعنة رمح في رقبته وهو يطهر أحد البيوت في المدينة . ولولا ساتر الدخان الذي أحدثه أحتراق المدينة لزادت خسارة البريطانيين كثيراً . أما الجانب الآخر فقد ذكر أن عدداً « يتراوح بين ٧٠ و ٨٠ رجلا من أولئك الأعداء قد قتلوا » ، أما عمليات الانزال ، ثم الصعود مرة أخرى الى ظهور السفن فتعتبر — في ضوء الخسائر القليلة التي حدثت — من أنجح العمليات العسكرية .

تدمير لنجة ١٧ نوفمبر :

وبعد ذلك تحركت العمارة البحرية الانجليزية عبر الخليج الى لنجه ، فوجدتها مهجورة من أهلها الذين عرفوا نبأ وصول الاسطول ، وفي يوم ١٧ قامت قوة صغيرة من القوات الهندية باحتلال المدينة بعد مقاومة يسيرة ثم أشعلت فيها النار ، هذا الى جانب تدمير ٢٠ سفينة شراعية من بينها ٨ سفن كبيرة مخصصة للحرب .

العمليات في لافت ٢٨ نوفمبر :

وفي منتصف يوم ٢٦ نوفمبر قامت الطرادات « مورننجتون » و « تيرنيت » و « نوتيلوس » و « فيوري » وناقلة الجنود « ماري » مستعينة بمرشدين من جزيرة قشم بدخول مضيق كلارنس ورست خارج ميناء لافت . وكانت الحملة تضم ٥٠٠ جندي من المشاة الانجليز . وطلب الى القواسم ، او حلفائهم القشميين الذين في المكان الاستسلام فوراً ، لكن دون جدوى . وحوالي الساعة الثانية من ظهر يوم ٢٧ والحامية ما تزال على رفض الاستسلام أنزل ٣٠٠ جندي الى البر لمهاجمة القلعة(١)، التي تبين أنها كانت محصنة تحصيناً أقوى مما ينتظر ، فلم تتمكن القوة المهاجمة من تحقيق شيء .. بل ، ونظراً للنيران المستمرة من مدفع

(١) جاء أن أحد الجنود قد وضع في يد ضابطه مبلغ ٣٠٠ جنيه استطاع الاستيلاء عليها ، وذلك لتوزيعها على اصدقائه .

هويتزر مقاس ٥,٥ بوصه ، لم تستطع حتى ان تنسحب الا عندما هبط الظلام . وفي نفس الوقت واصل الطراد « فيوري » وغيره من القوارب المسلحة اطلاق النيران . ولدى غروب الشمس كانت القلعة قد اصيبت إصابات خطيرة . وبلغت خسائر ذلك اليوم أحد عشر قتيلا وخمسة وخمسين جريحاً وكان بين القتلى ضابط ايرلندي من الفرقة ٣٧ هو الملازم س. ولد الذي قام بجهد شجاع لإسكات طلقات الهويتزر . وفي المساء ارسل انذار الى ملاحسين – الذي كان يقود الدفاع عن المدينة – بضرورة الجلاء عن القلعة قبل الثانية من بعد ظهر اليوم التالي ، وحين اشرق النهار كان الملازم هول من بحرية بومباي قد استطاع ان يتسلل ليطوق القلعة من الناحية الأخرى ، كذلك أحرقت « سفينة تابعة للميناء تم الاستيلاء عليها أثناء الهجمة السابقة على القلعة »، ونهب من اموال المدينة بعد سقوطها ما ناف على ٢٠٠ الف روبية سلمت لوكيل حاكم مسقط .

فترة توقف العمليات ١٨٠٩ :

وفي ٧ ديسمبر تواعدت القوة جميعها على اللقاء في القاعدة التي جعلت في بركة بالقرب من مسقط وارسل أفراد الفرقة ٤٧ مع ٢٠٠ جندي هندي الى بومباي . ولم تشمل عمليات تدمير سفن القواسم القوارب الصغيرة التي لا تصلح لممارسة أعمال القرصنة .

مشكلة شناص يناير ١٨١٠ :

وأصبح السيد سعيد بعد تجدد آماله وانتعاشها باستعادة لافت يتلهف الآن لقيام الحملة بتنفيذ مخطط حكومة بومباي كاملا في إجلاء القواسم عن موانيهم في شناص وخور فكان على حدوده البحرية الغربية . وتقرر أن تلبي الحملة تلك الرغبات . وقد ورد ذكر العمليات الناجحة التي قامت بها هذه الحملة في شناص ونتائجها المؤسفة بالنسبة للسلطان تفصيلا في تاريخ سلطنة عمان .

وبعد أن غادرت الحملة شناص رجعت الى الخليج ووصلت الرمس يوم ١٥ يناير سنة ١٨١٠ حيث أحرقت ١٠ سفن وجدتها هناك ، وفي جزيرة الحمرا ، وهو المكان التالي الذي داهمته الحملة أبدى الاهالي شيئاً من المقاومة ، لكنهم حين عرفوا ان مدينة الرمس قد أنقذت سارعوا بالاستسلام ، كما سلموا ثماني سفن ثم إحراقها . أما في الشارقة فلم تستطع الحملة أن تجد أية سفن كبيرة ، وواضح أن اسطول عجمان قد استطاع تلافي نفس المصير بالاختفاء او الهرب لاننا نجده في سنة ١٨١١ يذرع الخليج طولا وعرضاً بصحبة القرصان رحمة بن جابر .

وفي ٢١ يناير رست الحملة بعد عبور الخليج في ماجو على الساحل الايراني ، وأحرقت أربعة قوارب تابعة للشارقة وجدتها راسية هناك ، ثم توجهت الى نخيلوه ، وجاراك ، وكنج ، وبندمعلم ، لكنها لم تجد سفناً كبيرة في أي من هذه الموانى ، ووجه إنذار حاسم الى شيخي الميناءين الاولين منها .

مشكلة قراصنة قطر :

وقبل عودة الحملة جميعها الى الهند دارت مناقشة حول القيام بعمل ضد القرصان رحمة بن جابر زعيم القراصنة في قطر الذي استطاع بمعاونة القواسم أن يوقع الهزيمة بقوة أرسلتها ضده السلطات الايرانية في بوشهر . وكان من رأي مستر هانكي سميث ، المقيم السياسي في بوشهر ، ضرورة انزال العقاب به ، لكن المشروع رُفِض رعاية لموقف رحمة المحايد ، إن لم نقل الودي ، من الدولة البريطانية ، والعلاقات الوثيقة التي قامت مؤخراً بينه وبين الوهابيين . ورجع معظم الحملة الى بومباي في فبراير ١٨١٠ ، لكن جزءاً صغيراً منها ظل في الخليج بانتظار الوصول الى رأي في مشكلة رحمة بن جابر ، ولم يعد هذا الجزء الى الهند الا في ابريل التالي .

النتيجة النهائية للحملة :

ونظراً لان سلطان بن صقر — الشيخ الشرعي للقواسم ، كان ما يزال حتى ذلك الوقت منفياً ولا نفوذ له على قبيلته ، ولخضوع القواسم بارادتهم لوكلاء الوهابيين ، ولأن الحملة لم تحاول توقيع صلح مع القواسم وفقاً للاهداف التي كانت حددتها لها حكومة بومباي . كذلك فانه بسبب وقوف العمليات العسكرية في رأس الخيمة دون ان تصل منتهاها ، فقد تعذر توقيع إتفاقية دون مزيد من العمليات أولا . لكن شعوراً ساد بين المسئولين البريطانيين في ذلك الوقت بأن خطر القواسم قد انتهى ، وأن ما بقي عليهم كان اتخاذ الاجراءات الكفيلة بعدم تجدد ذلك الخطر . ونصح مستر مانستي ، المقيم السياسي في البصرة ، بأن تفرض الحكومة حظراً على تصدير الاخشاب الى مسقط وبقية موانى الخليج ، وقد أيد جنرال مالكولم المبعوث البريطاني في ايران ذلك الاقتراح ، الذي ثبت لاحقاً أنه لا فائدة منه (١) .

ويبدو أن خطاباً قد ارسل لامير الوهابيين يطلب اليه العمل على منع أنصاره من ارتكاب عمليات القرصنة ، ورد الأمير رداً وقوراً — وان كان محملا بالسخرية — يقول فيه انه لا داعي لديه للدخول في عراك مع الدول المسيحية ، وأنه قد امر رعاياه بعدم التعرض للسفن البريطانية(٢) . وقد أثنى الحاكم العام في الهند ، ومجلسه أيضاً ، على « القدرة والكفاءة والحماسة التي اتسمت بها عمليات الحملة » من جانب الكابتن وينرايت والرائد سميث (٣) .

---

(١) منعت الحكومة بالفعل بيع الاخشاب للعرب على ساحل مالابار ، وظل هذا الحظر ساريا زمنا ما ، حتى أثبتت التجربة أن العرب لا يجدون أى صعوبة في الحصول عليه من أماكن أخرى خاصة من ترافنكور .

(٢) أنظر : رحلة موريير في ايران ، ص ٢٧٤ — ٣٧٥ .

(٣) خدم الرائد ليونيل سميث مع الفرقة (٦٥) من سنة ١٨٠٦ حتى سنة سنة ١٨٢٥ ثم رقى الى رتبة قائد في سنة ١٨١٩ ، ثم أصبح قائد الفرقة الاولى مشاة في سنة ١٨٣٤ ، فقائدا للفرقة (٤٠) مشاة في سنة ١٨٣٧ ، وفي هذه السنة الاخيرة وصل رتبة ليفتينانت — جنرال ، ومنح لقب البارونية في سنة ١٨٣٨ ، وبعدها عين حاكما عاما في جامايكا ، ثم في جزر الموريشيوس حيث مات بها سنة ١٨٤٣ .

تجدد المتاعب مع القواسم ١٨١١ ـ ١٨١٩

تجدد القرصنة ١٨١٢ :

لقد توقفت القرصنة تماماً خلال ما بقي من سنة ١٨١٠ ، وطوال سنة ١٨١١ ، وكان طراد الشركة « بنياريس » و « برنس أوف ويلز » قد قضيا جانباً من هذه الفترة يعملان بالخليج ، ولكن في سنة ١٨١٢ بدأت الدلائل تشير الى عودة القواسم لاسلوبهم القديم . وفي سنة ١٨١٣ سقطت في أيديهم عدة سفن كبيرة تابعة لكانجون والبصرة ، كما قاموا أيضاً بنهب عدد من سفن التجار الهنود التي ترفع العلم البريطاني ، وأرغموا عدداً آخرمنها على البقاء دون حراك في ميناء بوز بندر لا تجرؤ على الإبحار . وكان تجدد الاعمال على هذا النحو يشير الى ان عدداً كبيراً من سفن القراصنة كان قد أفلت من التدمير في ١٨٠٩، ١٨١٠ .

الاعمال الانجليزية العمانية في رأس الخيمة ١٨١٣ :

وفي سنة ١٨١٣ ــ وكما اشرنا من قبل في تاريخ سلطنة عمان ــ أعد السيد سعيد سلطان مسقط حملة على رأس الخيمة كان الهدف الاول منها هو إعادة الشيخ سلطان بن صقر الشيخ الشرعي للقواسم . الى وضعه السابق في قبيلته بالنظر لتعهده ببذل كل ما في وسعه لقمع القرصنة . ووفقا لاقتراح من السيد سعيد ، وعملا باوامر من حكومة بومباي فقد رافق الملازم بروس المقيم البريطاني في بوشهر الحملة العمانية ليشهد توقيع الاتفاقية التي كان السيد سعيد يقترح ابرامها مع الشيخ سلطان بن صقر ، وليرتب مع شيخ القواسم ، بعد إعادته إلى الحكم ، اجراءات تجديد اتفاقية سنة ١٨٠٦ ، ولعقد اتفاقيات على غرارها مع القوى العربية الاخرى في الخليج ، غير ان فشل حملة السيد سعيد من وجهة النظر العسكرية ، على الرغم من المساعدة التي قدمتها قبيلة بني ياس من ابو ظبي له ، أدى الى تهاوي المخطط البريطاني الى الارض .

حملة أخرى ١٨١٤ :

وفي سنة ١٨١٤ أعد السيد سعيد حملة أخرى على رأس الخيمة بمساهمة من بني ياس أصابت بعض النجاح ، حيث تعهد القواسم بكف أعمالهم العدوانية عن أهالي كل من شاطىء خليج عمان ، واسفل خليج البحرين وكانجون ، واعتبار أهلها جميعاً رعايا لمسقط ، كما تعهدوا أيضاً برد أية غنائم ربما كان غنمها اسطولهم الذي كان آنذاك في عرض البحر ، لكنهم لم يفوا بوعودهم تلك . ففي أثناء وجود السيد سعيد في مواجهة رأس الخيمة ، أو عقب رحيله عنها مباشرة ، هجمت سبع سفن للقواسم على سفينة إيرانية كانت محملة بالبضائع في طريقها من مسقط الى بندر عباس ، وهو ميناء تابع للسيد سعيد ، وبعد اشتباك عنيف قتل فيه عدد كبير من كلا الجانبين استطاع القواسم الاستيلاء عليها . ولم يحدث أبداً أن ردوها رغم سريان الاتفاقية التي لم يجف مدادها عليها .

وقد حاول السيد سعيد ، قبل القيام بحملته على رأس الخيمة في سنة ١٨١٤ ، أن يعتمد على معونة مؤثرة من حكومة بومباي ، فراح يتغنى بمزايا عقد حلف هجومي — دفاعي ، غير ان السلطات البريطانية رفضت تفسيره للاتفاقيات المعقودة بينها وبين عمان . أما الملازم بروس فقد صدرت له التعليمات بالسير مع الحملة الى رأس الخيمة والمطالبة هناك بالتعويض عن الاعتداءات الاخيرة التي ارتكبها القواسم وان يعقد اذا أمكن اتفاقية جديدة مع تلك القبيلة . ولكن يبدو ان سير الأحداث وسياسة سعيد حالتا دون استطاعته التدخل في المفاوضات .

ويبدو ان سعيد ركز جهده في التسوية التي تمت للحصول على أكبر نصيب من الامتيازات لنفسه حتى إنه ارغم الشيخ سلطان بن صقر على التنازل عن أشياء كثيرة له ، لكن الاتفاق على كل حال تم على أن يكون الشيخ سلطان مالكاً للشارقة ، التي ظل لسنوات طويلة بعد ذلك يقيم فيها او في لنجة .

علاقة الشيخ سلطان بن صقر بالبحرين ١٨١٤ :

وفي اغسطس ١٨١٤ أرسل سلطان بن صقر وكان يقيم آنذاك في لنجة وكان مفهوماً أنه يمالىء الحكومة البريطانية – وكيلا عنه الى بلاط شيراز في بعثة سياسية لا نعرف عن أهدافها شيئاً ، ولكن نتائجها التي وضحت بعد ثلاثة أشهر كانت الانعام عليه بخلعة شرفية من شاه ايران ، وطلب معونته للايرانيين في إخضاع البحرين .

اتفاق مبدئي بين المقيم السياسي في بوشهر والشيخ الموجود وقتذاك على القواسم ١٨١٤ :

ولفترة من الوقت ، كان المقيم السياسي في بوشهر على اتصال بحسان ابن رحمه – الشيخ المقيم وقتذاك في رأس الخيمة – بصدد الغارات التي كان يشنها القواسم على ساحل الهند . وحدث في نفس الوقت ان استولى شيخ جاراك بالقرب من جزيرة قيس على السفينة « أحمد شاه » التي كانت تحمل بضائع لشركة الهند الشرقية ، فنهب محتوياتها ، ونقل جانباً منها الى رأس الخيمة في قارب للقواسم . ولم يرد حسان بن رحمه على الخطاب الاول الذي ارسله اليه المقيم ، بل سار الى الدرعية مباشرة ، ربما ليتداول في الأمر مع عبدالله بن سعود أمير الوهابيين وقتذاك . وفي طريق عودته الى رأس الخيمه أرسل حسان من الحسا رجلا يدعى حسان بن محمد بن غيث بخطابين أحدهما من الشيخ والثاني من أمير الوهابيين للملازم بروس ، ووصل هذا المبعوث بوشهر في ٢ أكتوبر سنة ١٨١٤ . وفي هذه الخطابات أنكر كل من الشيخ والامير أن يكون القواسم قد ارتكبوا أي اعتداء على سفينة ترفع العلم البريطاني ، ووعدا برد أية مسروقات يثبت أنها بريطانية وطلب كلاهما ضرورة توضيح الفروق بين الرعايا البريطانيين وسواهم ، وأضاف الشيخ مطالباً بمعاملة حسان بن محمد معاملة المندوب المخول كامل الصلاحيات التي تمكنه من تجديد اتفاقية ١٨٠٦ ، وطلب أيضاً النظر الى الماضي بعين الصفح والتناسي . وتجدد

الأمل في أن يرسل حسان بن رحمه وكيلا عنه الى بومباي ليناقش هناك امكانات عقد اتفاقيات منظمة ، وقد شرح لوكيل القواسم أن السلطات البريطانية لن ترضى بأقل من الكف عن أعمالهم العدائية في البحار كما أنهم أيضاً لن يعيشوا في اطمئنان على أرواحهم اذا لم يكفّوا عن تصرفاتهم . وهكذا وقع الملازم بروس وهذا الوكيل اتفاقاً مبدئياً ينص على ان ترفع السفن البريطانية علماً خاصاً يميزها عن سفن العرب العاملة في البحار ، حتى لا يتعرض لها القواسم ، كما نصت على إعادة المسروقات التي استولى عليها القواسم من السفينة « احمد شاه » الى جانب التزامهم ببعض الشروط الاخرى .. وبهذا يسدل الستار على الماضي .. وتترك للقواسم حريتهم كاملة في التردد على موانئ الهند . وفور الاتفاق رفع المقيم الاتفاقية لاعتمادها من حكومة بومباي .

انهيار الاتفاقية بسرعة :

وسرعان ما ثبت عبث هذه الاتفاقية حين استولى القواسم في ميناء رأس الخيمة على قارب كان الملازم بروس أرسله يحمل خطابات ودية الى شيخ القواسم ومبعوثه حسان بن محمد بشأن عدة قوارب ترفع العلم البريطاني كان القراصنة قد استولوا عليها خارج ميناء بور بندر في أغسطس السابق ، بل وتذكر إحدى المصادر أن المبعوث نفسه قد تعرض أثناء رحلة رجوعه من بوشهر الى رأس الخيمة لاسوأ معاملة بسبب ارتباطه « بالكفرة » .

اعتداءات جديدة يرتكبها القواسم : ١٨١٥ :

ويبدو ان القواسم قد احسوا بأنهم تورطوا بالزام انفسهم بأكثر مما يجب فشنوا سلسلة منوعة من الاعتداءات البحرية فاقت كثيراً ما ارتكبوه من قبل . ففي ميناء موغو وبموافقة من أهله استولى القواسم على سفينة للسيد سعيد سلطان مسقط كانت محملة ببعض الخيول المرسلة الى

فرقة فرسان صاحب الجلالة السابعة ، وبشحنة من الكبريت للحكومة البريطانية نفسها . كما استولى القواسم ايضاً على ست سفن وطنية على ساحل السند ، وبعدها بفترة قصيرة حدث اشتباك خارج قريات بعمان بين واحد من اساطيلهم كان يضم سفينة كبيرة و ٢٥ سفينة صغيرة ، وبين اسطول يقوده السيد سعيد سلطان مسقط بنفسه ؛ وفي هذا الاشتباك جرح السيد سعيد ، وكاد القواسم أن يستولوا على سفينته رافعة العلم « كارولين » . وفي سنة ١٨١٥ استولى القواسم على سفينة تابعة للهند البريطانية ، وأعدموا معظم بحارتها واحتجزوا عدداً قليلا منهم للحصول على الفدية .

الاستيلاء على « داريا دوالت .. » يناير ١٨١٦ :

وفي ٦ يناير ١٨١٦ هاجم القواسم تجاه ساحل دويركه سفينة الشركة المسلحة « داريا دولت » ــ وكان قائدها وبحارتها جميعاً من الهنود ــ واستولوا عليها بعد ان نجحوا في النزول الى ظهرها . ومن بين ٣٨ نسمة كانوا عليها ، قتل ١٧ وحمل ٨ أسرى الى رأس الخيمة ، أما الباقون ــ وكانوا من الجرحى فقد طرحوا على الساحل الهندي . وكان تسليح هذه السفينة مكوناً من خمسة مدافع عيار ٢ رطل ، على حين كان بكل سفينة من سفن القراصنة الثلاثما لا يقل عن ٩ مدافع من نفس العيار ، فضلا عن ان كل سفينة كانت تقل عدداً يتراوح بين ١٠٠ و ٢٠٠ رجل مسلحين تسليحاً كاملا .

هجوم على السفينة اورورا يناير ١٨١٦ :

وفي نفس الشهر تعرض أسطول للقواسم ــ كان مكوناً من ١٥ سفينة صغيرة ــ لسفينة الشركة المعظمة (اورورا) المسلحة بأربعة مدافع ، بقيادة الكابتن جيكس ، وكانت تحمي سفينة صغيرة هابطة في الخليج تحمل اموالا لسلطان مسقط . وفي الاشتباك الذي دار استطاعت «اورورا» أن تصلي الاسطول المهاجم من نيرانها ما أغرق بعض سفنه والجأ الباقي الى الفرار .

حوادث قرصنة أخرى ١٨١٦ :

ولم يكد يمضي وقت طويل حتى قام القواسم بمهاجمة السفينة الامريكية « فارس » واطلاق النيران عليها ، كما هاجموا السفينتين « ماكلوي » و « سنترا » ونهبوا سفينة فرنسية صغيرة كانت في طريقها من جزر الموريشيوس الى البصرة رغم انها كانت في حماية سفينة فرنسية أخرى . وبعدها بعدة اسابيع ارتكب القواسم عدة عمليات قرصنة جديدة كان من بينها الاعتداء على سفينة ترفع العلم البريطاني — لم نستطع التأكد من اسمها — وقد استولت عليها خمسة قوارب من قوارب القراصنة كما أعملوا السيف في رقاب بحارتها جميعاً . ووقع طراد الشركة المسلح « تورارو » بين ايديهم واستمرت اعتداءاتهم في كل الاتجاهات . ووصلت المسألة حداً تعذر معه على الملازم بروس المقيم السياسي نفسه ان يجد قارباً يحمله خطاب انذار لرأس الخيمة ، ذلك بأن معظم الموانى على الساحل الايراني وجنوباً حتى باناند بدأت تتباهى بما يحدث على ساحل القراصنة وتتخذه قدوة لها ، وقد تحالف شيخ جاراك مع منظمات القراصنة ، كذلك ايضاً تردد أن الشيخ عبدالله بن احمد شيخ البحرين اعتزم الاشتغال بالقرصنة لانها أقرب طريق لتحقيق الثروه .

وأخيراً وصلت الامور قمتها حين استولى القواسم في البحر الاحمر سنة ١٨١٦ على ثلاث سفن تجارية تابعة لسورات يملكها تجار هنود وترفع العلم البريطاني ، وقد اعدم بحارتها جميعاً ومن كانوا على ظهرها باستثناء افراد قليلين هم الذين رووا قصة المأساة . وبلغت الخسائر هذه هذه المرة مايزيد على مليون و ٢٠٠ الف روبية ، وكان يقود القراصنة في هذه العملية الامير ابراهيم أحد أقرباء حسان بن رحمه شيخ رأس الخيمة

في ذلك الوقت ، وكانت اعتداءات القواسم في هذه المنطقة الجديدة والنائيه قد بدأت منذ سنة ١٨١٥ ، ففي هذا الوقت ، كما تذكر الروايات المتواترة ، كان القواسم يشنون هجمات عدائية كثيرة في أماكن عديدة على طول الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية بما فيها جزر كوريا—موريا وحاسك على البر ، حتى إنهم جعلوا هذين المكانين مقفرين تماماً من السكان .

وقد استغرق بحث مسألة الاعتداء على سفن صورات هذه وقتاً طويلا . وفي سبتمبر ١٨١٦ ، وبمجرد ان تكشفت حقائق الحادثة ، أبحرت من بومباي السفينة الحربية المقاتلة « شالنجر » المسلحة بثمانية عشر مدفعاً ، وطرادا الشركة المعظمة « ميركوري » و « فستال » وتسليحهما ١٤ ، ١٠ مدافع على التوالي — متجهة الى الخليج . وأرسلت سفينة الى رأس الخيمة تطلب تفسيراً للعمل المذكور ، لكنها رجعت الى بوشهر تحمل انكاراً واضحاً من جانب القواسم للدور الذي قاموا به في البحر الاحمر ، مشفوعاً بتبريرات غريبة مثل قولهم ان القواسم قد وعدوا باحترام ارواح وممتلكات المسيحيين فقط ، وهذا لا يسري بالتالي على الهنود الوثنيين . واضافوا انهم لا يستطيعون ان يعتبروا كل أهالي الساحل الغربي للهند رعايا بريطانيين باستثناء أهل بومباي ومانجالور . وفي الصباح الباكر من يوم ٢٦ نوفمبر وصل الى مواجهة رأس الخيمة المقيم الملازم بروس ومساعده الملازم تيلور على السفن « شالنجر » و « ميركوري » و « فستال » و « إيربيل » وفي الصباح التالي حمل الملازم تيلور خطاباً للشيخ ونزل الى الشاطيء ، لكنهم لم يسمحوا له بلقائه . وبعدها بقليل وافق حسان بن رحمه على أن يقابل الكابتن بريدجر قائد « شالنجر » ، وكان بصحبته مستر ج. س. بكنجهام الذي عرف فيما بعد كرحالة وصحفي ، وكان يقوم له بدور المترجم . وفي هذا اللقاء تأكد أن الشيخ قد تسلم خطاب المقيم وتفهم تماماً ما جاء به . وفيه ايضاً

رفض الجانب البريطاني مناقشة السؤال المثار : هل للقواسم دخل في جريمة البحر الاحمر أم لا ، وطلب مباشرة إما رد السفن والبضائع التي كانت عليها ، أو دفع ثمنها نقداً وفوراً . كما طلبوا ايضاً تسليم الامير ابراهيم لايقاع العقاب به ، كذلك تسليم اثنين من ابناء الشيخ للاحتفاظ بهما رهينتين في بومباي ضماناً لمسلك القبيلة في المستقبل . وكانت اوامر المقيم تقضي في حالة رفض المطالب المذكورة كلياً او جزئياً بانسحاب الاسطول بعد ان يعلن غضب الحكومة البريطانية على القواسم . وجاء رد الشيخ وقت الظهر من يوم ٢٧ ، وفيه كان ايضاً يراوغ ويماطل ، لكنه منح مهلة أخرى قدرها ٢٤ ساعة ليعاود التفكير ، وفي هذا الوقت هبت ريح شمالية عاصفة ارغمت الاسطول البريطاني على الانسحاب كي يلتمس له ملجأ في جزيرة قشم . وفي يوم ٣٠ عادت السفن مرة أخرى الى رأس الخيمة ومنح السلطان مهلة أخرى لاجابة المطالب تنتهي في ظهر اليوم التالي . لكن حسان بن رحمة ظل على عناده ، وظل متمسكاً باقتراحه وهو ان يرسل مندوبين عنه لتسوية هذا الامر في بومباي .

هجوم فاشل على رأس الخيمة ١ ديسمبر سنة ١٨١٦ :

وحين وصل هذا الرد اقتربت سفن الاسطول من مدينة رأس الخيمة الى أقصى ما يمكنها بحيث لا تجنح الى الارض ، وفتحت نيرانها على اربع سفن للقواسم كانت راسية قرب بعضها البعض هناك ، لكن مدى اطلاق النيران، وكان يبلغ ميلا كاملا ، لم يكن يسمح الا بإحكام بعض الطلقات القليلة فقط ، ولهذا لم ينتج عن الضرب أثر يذكر(١) وبعدها . تفرقت سفن الاسطول ، فانفصلت « مير كوري » و « ايرييل » لزيارة الشارقة ولنجة وجاراك للقيام بأعمال مشابهة لاعمالها في رأس الخيمة ، على حين قامت « شالنجر » بحماية « فستال » الى ان تخرج من الخليج ، ثم تعود السفينة الاولى الى مسقط لتقدم الحماية لبقية السفن .

---

(١) يبدو أن الضباط المحليين قد تجاوزوا التعليمات الصادرة لهم في هذا العمل . أنظر : بكنجهام ص ٤٩٧ ــ ٤٩٨ .

قوة القواسم البحرية :

وقدرت قوة القواسم البحرية المشتغلة بالقرصنة في ذلك الوقت بحوالي ٦٠ قارباً كبيراً تابعة لرأس الخيمة ، تحمل كل منها عدداً يتراوح بين ٨٠ و ٣٠٠ رجل ، الى جانب ٤٠ قارباً من أحجام أصغر موزعة على موانىء الشارقة الرمس ولافت ولنجة وجاراك ، ووقت زيارة الاسطول البريطاني لرأس الخيمة كان مفهوماً ان للقواسم حوالي ٢٠ سفينة موجودة بالفعل في البحر ، منها ٥ سفن في خليج عمان ، و١٥ أخرى في أعلى الخليج .

غارات القواسم على الساحل الايراني ١٨١٧–١٨١٨ :

ولم تكن حكومة الهند – على الرغم من قرارها بضرورة القيام بعمل حاسم ضد القواسم – في وضع يمكنها من القيام بتدابير إيجابية سريعة ، وفي الوقت الذي ظلت الحكومة ترجيء فيه هذا العمل ، كانت حوادث القرصنة في ازدياد . وفي اكتوبر سنة ١٨٨٧ قام القواسم بغارة على جزيرة الشيخ شعيب ، فنهبوا وأحرقوا القرية الكائنة في طرفها الغربي ، وساقوا كل الماشية الموجودة فيها وذبحوا عدداً كبيراً من أهلها . وبعدها بقليل دخلت سفنهم مضيق عسالوا ، واستولت على ٥ سفن أهلية كانت هناك يقدر ثمنها وما عليها من حمولة بأكثر من ٣٠٠ ألف روبية ، واعدموا بحارتها جميعاً . وبعد أن مكث اسطول القراصنة يومين في عسالوا قام بهجمة على كانجون . . بل وهاجم داير أيضاً لكن أهل هذا الميناء الأخير صدوه وأجبروه على الخروج الى عرض البحر ، وقد اشاعت هذه الأعمال الفزع في بوشهر لوقوعها في أماكن قريبة منها ، وبذل حاكمها جهوداً كبيرة لاقناع الناس بالبقاء فيها وعدم الفرار الى الداخل .

غارات القواسم على ساحل الهند :

وفي نفس الوقت استولى القواسم خارج ديو على سفينتين أهليتين محملتين بالقطن ، وبعدها استولوا على السفينة « مصطفى » وهي سفينة

عربية لكنها كانت ترفع العلم البريطاني ويقودها ضابط بريطاني ، وقد استولوا عليها في مكان لا يبعد عن بومباي أكثر من ٧٠ ميلاً الى الشمال .

هرب سفن القواسم من جواتار ديسمبر ١٨١٨ :

وفي ديسمبر ١٨١٨ استطاعت سفينتا الشركة « ثيتس» و « سايكي » ـ تعاونهما سفينة صاحب الجلالة « عدن » أن تحاصر ١٤ سفينة من سفن القواسم في خليج جواتار ، لكنها على رغم نصيحة قادة سفن الشركة أمهلت سفن القراصنة حتى الصباح ، فاستطاعت هذه الاخيرة ان تنسحب تحت جنح الظلام .

« انتيلوب .. » يهزم أسطول القواسم ١٨١٨ :

وفي ٢١ ديسمبر سنة ١٨١٨ شاهد طراد الشركة « انتيلوب » سفينة سلطان مسقط المسلحة « رحماني » ومعها سفينة أخرى صغيرة مشتبكتين مع اسطول للقواسم يتكون من اربع سفن كبيرة وثلاث صغيرة وظل القتال دائراً بين الجانبين لمدة يومين حتى استهلكت الذخائر او كادت ، وبادر الطراد « انتيلوب » بقيادة الملازم تانر بمهاجمة اسطول القراصنة محاولا دفعه نحو ساحل جزيرة قشم . وحاول القواسم محاولة مستميتة قهر مقاومة الطراد بالنزول الى ظهره ، لكن نيران المدفعية البريطانية صدتهم بعنف رغم ان بعض سفنهم نجحت في الاقتراب من الطراد لمسافة تقل عن مائة ياردة . وحين ركن اسطول القواسم الى الفرار قام الطراد بمطاردة سفنه أكثر من خمس ساعات لكنه لم يستطع اللحاق بها نظراً لمعاكسة الريح . وكان هذا عملا فريداً لان قوة القواسم كانت ٢٩ مدفعاً وحوالي ١٠٧٠ رجلا على حين كانت السفينة « انتيلوب » مسلحة باثني عشر مدفعاً عيار ١٨ ومدفعين عيار ١٢ ، وكان عدد بحارتها جميعاً لا يتجاوز ٧١ بريطانياً و ٣٧ هندياً . وقد اعترف القواسم فيما بعد بأنهم فقدوا في هذا الاشتباك ١١٧ قتيلا .

اشتباكات ومطاردات ... الخ بين الطرادات البريطانية وسفن القواسم . اكتوبر ١٨١٨ – فبراير ١٨١٩ :

وفي صباح عيد الميلاد من سنة ١٨١٨ استطاعت سفينة صاحب الجلالة « عدن » وسفينة الشركة الحربية « سايكي » ان تنقذا قارباً من بين أيدي القواسم ، وفي نفس اليوم طاردت سفينة الشركة « بيتس » اسطولا للقواسم مكوناً من ٧ سفن لكنها لم تنجح في اللحاق به ، وطادرت في اليوم التالي اربع سفن أخرى ، وفي يومي ١٠و١١ يناير ١٨١٩ أغرقت سفينة صاحب الجلالة « عدن » سفينتين للقراصنة خارج قشم وهانجام . لكنها فشلت في الاستيلاء على ست سفن صغيرة كانت تصحبهما . وفي نفس الوقت لقيت سفينة صاحب الجلالة « كونواي » ١٧ سفينة من سفن القواسم في البحرين عائدة وعليها عدد كبير من المقاتلين من القطيف حيث كانت هناك لتقديم العون للوهابيين ضد اجتياح القوات المصرية لجزيرة العرب ، لكنها وصلت متأخرة . غير ان الكابتن برنارد – قائد سفينة صاحب الجلالة – احتراماً منه لحياد ميناء المنامة رفض الاشتباك بسفن القواسم وهي فيه ، وحين خرجت هذه السفن الى عرض البحر استطاعت الافلات . وفي الفترة من اكتوبر ١٨١٨ الى يناير ١٨١٩ التقت سفينتا الشركة « ثيتس » و « سايكي » بمجموعات من سفن القواسم يتراوح عدد المجموعة منها بين سفينتين و ١٠ سفن ، أكثر من سبع عشرة مرة ، وهي تطاردها من مكان لمكان ، ولكن بالنظر الى خفة السفن العربية وكفاءاتها الملاحية ، لم تستطع السفن البريطانية أبداً أن تضطرها للاشتباك معها .

وفي فبراير ١٨١٩ ، وبمناسبة المظاهرة البحرية البريطانية على البحرين ، تم اقناع شيخها بأن ترتب الامور مع حسان بن رحمه لتبادل الاسرى القواسم الذي كانوا بين يدي السلطات البريطانية بالنساء الهنديات اللائي كن اسيرات في رأس الخيمة ، وأطلق سراح ١٧ امرأة من هؤلاء بالفعل .

استعدادات من جانب القواسم لاحتلال باسيدو :

وكان القواسم في ذلك الوقت يعتزمون إنشاء قاعدة لهم في باسيدو على جزيرة قشم يستطيعون التراجع اليها والانسحاب منها اذا نجحت القوات المصرية المتقدمة دائماً في اجتياح بلادهم ، ومن هذا الموقع ايضاً يستطيعون التحكم في تجارة الخليج صعوداً وهبوطاً . ويبدو ان العمل البطولي الذي قامت به السفينة « انتيلوب » كانت له علاقة ما بمحاولة إفشال ذلك المخطط .

مناورات من القواسم ترفضها حكومة بومباي :

وحاول شيخ رأس الخيمة وقتذاك وهو يتوقى قصاصاً منتظراً أن يبذل جهده للوصول الى تسوية الامور مع حكومة بومباي ، وعرض إجراء مفاوضات ثلاثية كهذه التي حدثت في سنة ١٨١٤ بينه وبين أمير الوهابيين والسلطات البريطانية ، لكن الوقت كان قد فات ، ورفضت مقترحاته باصرار .

★ ★ ★

الحملة البريطانية الثالثة على القواسم
١٨١٩ ـ ١٨٢٠

الاجراءات السابقة على الحملة :

لقد أنجزت ترتيبات الحملة البريطانية الثالثة على قراصنة الخليج بعد التفكير في الاعتبارات التي لا بد أن تجعل منها عملا نهائياً وحاسماً . وربما كان ارجاء تنفيذها راجعاً لوجود متاعب في الهند لا سيما ما تعلق منها بحروب الجوركا في ١٨١٤ـ١٨١٥ والاضطرابات في بنداري

وحرب المراهطة في ١٨١٧–١٨١٨ . ويبدو ان ترتيبات الحملة على القواسم بدأت منذ وقت مبكر في سنة ١٨١٦ ، ولكن حكومة بومباي لم تعلن الا في سبتمبر سنة ١٨١٨ فقط – بأوامر من حكومة الهند – مشروعاتها لاعادة السلام في الخليج . وكان من المعتقد ان المقاومة العنيدة من جانب القواسم لن تقهرها الا قوة برية حددت حكومة بومباي عدد رجالها بما لا يقل عن ثلاثة آلاف رجل ، وحددت حكومة الهند عددهم بما يتراوح بين اربعة وخمسة آلاف . وبسبب الاحوال التي كانت تسود منطقة الدكن في الهند لم يكن من المتيسر الاستغناء عن خدمات فصيلة واحدة للعمل في الخارج خلال الشتاء التالي ، فأصدرت حكومة الهند تعليماتها بتأجيل الحملة للعام الذي يليه . وفي ذلك الوقت كان ابراهيم باشا – ابن محمد علي باشا نائب السلطان في مصر – قد قضى على سلطة الوهابيين في وسط الجزيرة . وكان من المؤمل ان يؤدي تقدم القوات المصرية المتواصل في شرق الجزيرة بعد أن تقرر طلب معونتها ضد رأس الخيمة ، الى تسهيل مهمة الحملة البريطانية لأن هذا التقدم كفيل باثارة الفزع بين القواسم .

وانتظاراً للوقت الذي تسوى فيه الامور واصلت حكومة بومباي اجراءاتها المطبقة لفترة طويلة .. في تنظيم قوافل السفن المحمية بالقطع البحرية العسكرية . صعوداً وهبوطاً في الخليج . وقد عاونتها سفن صاحب الجلالة عوناً كبيراً في أداء تلك المهمة . وقد وضعت بعض سفن الشركة لهذا الغرض تحت تصرف ضباط البحرية الملكية في الخليج ، وجعل عدد آخر منها على الشاطيء الايراني لمنع هجمات القراصنة عليه .

وفي العام التالي، ١٨١٩ ، استؤنفت مناقشة الاجراءات التي يجب اتخاذها في الخليج ، وقدمت اقتراحات عديدة لتحقيق السلم بعد نجاح الحملة . وبما ان حكومة بومباي لم تكن تنظر الى تدخل القوات المصرية في شئون الخليج بارتياح فانها كانت تفضل خطة تجعل من سيد عمان

مسئولا عن ساحل القراصنة وعن جزر البحرين ، على أن يسمح للبريطانيين في مقابل ذلك باقامة قاعدة على جزيرة قشم .. على ان يتكفل السلطان ايضاً بجانب من نفقات اقامتها . وكانت حكومة بومباي تعتقد أن للسيد حقاً موروثاً في المطالبة بالسيادة على ساحل القراصنة ، بينما تثور الشبهات حول ايواء شيخ البحرين للقراصنة وحمايتهم ، وكان مفهوماً لهذه الحكومة ايضاً ان شاه ايران على استعداد لقبول سيطرة سيد عمان على جزر البحرين في مقابل دفع جزية سنوية له قدرها ٣٠ الف تومان من عوائد الجزر التي تقدر بحوالي ٢٠٠ الف(١) ، ولكن امكانية القضاء بسهولة على استقلال البحرين كانت موضع الشك العميق، كما كان ينتظر معارضة ايرانية لاقامة قاعدة بريطانية في جزيرة قشم . وبعد مباحثات طويلة تم الاتفاق على خطة(٢) ستتضح لنا فيما بعد وكانت تشمل قبول العون البحري العسكري من سيد عمان والاحتلال النهائي لجزيرة قشم تحت سلطته لكن دون تكايفه الإسهام المادى في ذلك .

---

(١) لا بد أن هذا التقرير كان مبالغا فيه ، لان التومان في ذلك الحين كان يساوى الجنيه الاسترلينى ، وفي الوقت الحاضر تتجاوز عوائد البحرين كلها ٢٠ ألف استرلينى ٠

(٢) كان من رأى مستر ف٠ واردن العمل بمخطط آخر ، وكان قد قام بدراسة مستفيضة لاوضاع الخليج ومشكلاته ٠ ولم يستشره حاكم بومباى في اعداد الحملة رغم أنه كان في منصب السكرتير العام للحكومة وقد تقدم يوم ١٢ أغسطس سنة ١٨١٩ ــ بوصفه عضوا اقليميا في ولاية بومباى ــ بمذكرة تعليقا على هذه السياسة ٠ وكان مستر واردن يهتم أساسا بالوهابيين لا القــواسم ، ويرى أنهم المسئولون عن حوادث القرصنة التى ارتكبها القواسم ، وكتب يقول : « ان نتائج تحرياتى وأبحاثى قد أثبتت حقيقة هـامة هى أن القرصنة ليست أمرا عميق الجذور في منطقة الخليج ، بل هى ظاهرة حديثة ، وعلى العكس ، فالقبائل يفضل معظمها العمــل في الحقل التجارى ٠٠ » ، وكان من رأيه أن الاعتداء على السفن البريطانية انما جاء نتيجة تدخل الحكومة البريطانية ــ دون مبرر ــ في شئون الخليج ، وحاول في هذا الضوء تفسير حادثتى الاعتداء على السفينتين « باسين ٠٠ » و « فيبد ٠٠ » في سنة ١٧٠٧ ، وصور القواسم والعتوب على أنهم مكرهون من الوهابيين على الاشتراك في عمليات القرصنة ضد ارادتهم ، وبرغمهم ٠

وكتب عن القواسم يقول : « فهؤلاء لا يصدرون في أعمالهم عن ارادتهم الحرة ، لكنهم مرغمون على هذه الاعتداءات البحرية بضغط من الوكلاء الوهابيين عليهم ، وهكذا لا اتصورهم أنا على هذا القدر من الشر أو الامعان في القرصنة ، كما كنت أتصورهم قبل أن أجري تحرياتي هذه ·· وان ظهور القرصنة على هذا النحو في منطقة الخليج يمكن ارجاعه ــ بشكل مطلق وشامل ــ لتحريض من قبيلة الوهابيين ·· وفي هذا الضوء أحس أنني على استعداد لتبني قضية الدفاع عن هؤلاء واثبات الذنب على من ارتكبه بالفعل ·· » · وكان مستر واردن يرى أن سيد عمان ــ وقد تحدث طويلا عن ضعفه وتردده ــ ليس بالزعيم المناسب الذى يمكن أن يعهد اليه بأى نوع من أنواع السيادة على الخليج · ولا شك في أنه كان يستند الى أسس قوية حين ذكر أن سيد عمان ليست له حقوق في السيادة على ساحل القرصنة ، وأن الحكومة الايرانية ــ لا شك ــ ستعارض معارضة قوية في جعله حاكما لجزر البحرين ، وان مطالبته بالسيادة على جزيرة قشم ــ في مواجهة مطالب ايران ــ عمل لا يستند الى أساس · وكان من رأى مستر واردن تخفيض هذه الحملة المقترحة الى الحد الادنى ، وتحديد مهمتها فقط باعادة الشيخ سلطان بن صقر ، شيخ القواسم غير الوهابي ، فهذا الرجل قادر على التعاون لا مع سيد عمان فقط ، بل وأيضا مع الشحوح وبنى ياس ، والعتوب في البحرين وفي الكويت ، والايرانيين والاتراك جميعا · وهو يوافق على الرأى البريطاني بانشاء قاعدة على جزيرة قشم ، لكنه يرى أن المفاوضات في هذا الصدد يجب أن تتم مع الحكومة الايرانية لا مع سلطان عمان ، بل وكان يؤيد أيضا انتقال المقيمية البريطانية من بوشهر الى قشم · وأفصح عن تفضيله لعقد اتفاقيات مع القبائل تتوقف بمقتضاها عن ممارسة أعمال القرصنة ، وأهمية زيارة الموانى وتدمير السفن الحربية فيها ، كذلك أيضا ضرورة حظر تصدير أخشاب بناء السفن الى هذه المنطقة من الهند ·

وكان لبعض مقترحات مستر واردن نتائجها التى يمكن تبينها في الاعمال التالية ، لكن الخط العام لاقتراحاته لم يلق موافقة الحكومة · وفي مذكرة مؤرخة بتاريخ ٦ سبتمبر سنة ١٨١٩ كتب سير أي· نيبين حاكم بومباى : « وان كل أعضاء المجلس يقرون وجهة نظرى فيما يتعلق بمقترحات مستر واردن ، وكل ما أود أن أضيفه هنا هو أن من رأي معظم الضباط الاكفياء ــ بحريين وعسكرين ــ ممن زاروا الخليج وعملوا به غير مرة خلال السنوات السابقة ، معارضة آراء مستر واردن ، فهم جميعا يؤكدون أن القواسم ليسوا مستعدين للتخلى عن أعمالهم هذه ، والانشغال بالعمل التجارى ، ويرون أن هذه العادات ذات جذور عميقة

بعثة كابتن سادلير ابريل ١٨١٩ ــ يناير ١٨٢٠ :

وبهدف الوصول الى اتفاقيات تمهيدية(١) أبحر الكابتن ج. فورستر سادلير من فرقة صاحب الجلالة (٤٧) من بومباي في ١٤ ابريل سنة ١٨١٩ يحمل خطابات موجهة لكل من السيد سعيد وابراهيم باشا . وكانت التعليمات الصادرة اليه هي ان ينزل بمسقط ، وبعد ان يكشف للسلطان عن طبيعة مهمته مع ابراهيم باشا ويتفق معه بشأن مدى وحدود المساعدة التي عليه هو ــ أي السلطان ــ تقديمها للحملة ، يواصل السير الى معسكر القائد المصري .

مغروسة في نفوسهم ، وان منطق القوة القاهرة فقط هو الكفيل باخضاعهم ، ثم .. ماذا قال القواسم ردا على الانذار الذى وجهه اليهم مستر بروس بشأن خرقهم للاتفاقية التى أبرموها واستيلائهم على عدة سفن تابعة لرعايانا ؟ .. قد قالوا انهم لو كفوا أيديهم عن السفن الهندية لتضوروا جوعا ! .. » .

(١) مادامت المعلومات والحقائق التعيينية عن كابتن سادلير أصبحت اليوم متعذرة ، فان هذا الكاتب ينتهز الفرصة ليثبت بعض الحقائق التى استطاع جمعها فيما يتعلق بشخصية هذا الضابط الكفء ، وبعض أعماله التى قد يصيبها النسيان .

ولد جورج فورستر سادلير في كورك بتاريخ ١٩ يناير سنة ١٧٨٩ وكان أبوه جيمس سادلير سليل أسرة مرموقة ، وقد اشترى ضيعة أسمها شانون وكان في وقت من الاوقات شريف مدينة كورك . أما اسمه الثانى ، فورستر ، فمأخوذ عن اسم والدته ، مس فورستر . وكان له شقيقان عمل الاصغر منهما ــ ريتشارد ــ في البحرية الملكية .

والتحق سادلير بالجيش بتاريخ ٤ ابريل ١٨٠٥ ، ورقى ملازما في نفس السنة ، ثم رئيسا في ١٨١٣ ، وعقيدا في سنة ١٨٣٠ . وتقاعد من الجيش في ١٧ فبراير ١٨٣٧ ــ وقد خدم سادلر عسكريا في مونتفيديو ويوينس في ١٨٠٧ ، وكان من ابريل سنة ١٨١٢ الى يونيو سنة ١٨١٥ ، مع ١٢ عريفا من فرقته ــ ملتحقين بالعمل مع قوات الشاه في ايران ، وتقديرا لهذا أنعم عليه فتح على شاه بفرمان وسيف ثمين ، كما اشترك في حملة مالدا بوسط الهند ، وعمل بالسياسة تحت اشراف سير ج. مالكولم في ١٨١٧ ــ ١٨١٨ ، وقام في ١٨١٩ ــ ١٨٢٠ برحلته الى بلاد العرب التى نتناولها في هذا النص ، وقد رشحته حكومة الهند لحكومة بومباى كى يتولى

كذلك كانت العمليات الصادرة له تقضي بأن يؤكد للقائد المصري أنه بمجرد انتهاء موسم الرياح الحارة وإمكان بدء العمليات من الهند فان قوة بريطانية بحرية وعسكرية كافية سترسل للتعاون مع القوات المصرية في اخضاع مدينة رأس الخيمة وأن هذه المدينة ستسلم –بعد إخضاعها– لاحتلال قوة مصرية . أما الخطابات الرسمية فكانت تهنىء القائد المصري بالانتصارات الباهرة التي أحرزها ، وتعرض عليه مخططاً لقيام عمليات من قوات أنجلو–مصرية مشتركة . كما صدرت التعليمات ايضاً للكابتن سادلير بدراسة موقف القوات المصرية في وسط الجزيرة ، وأن يحاول التعرف على قدر ما يستطيع دون ان يكشف اهتمامه الكبير بالموضوع على خطط المصريين مستقبلا بمنطقة الخليج ، ومهما كانت هذه الخطط ، فعليه ألا يقدم لقائد القوات المصرية ضماناً باسم الحكومة البريطانية لما هو أبعد من عملية رأس الخيمة . ثم عليه أيضاً ان يجمع المعلومات التي

القيام بهذا العمل ، وكان في ١٨٢٠ ــ ١٨٢١ قد أرسل سفيرا الى السند ووقع هناك اتفاقية حيدر آباد الخاصة بالهنود ٠٠ » وخلال ١٨٢٤ ــ ١٨٢٦ تولى مهام قائد لفرقة البنغال البريطانية في بورما ٠

ثم رجع الى أوربا في ١٨٣٣ أو ١٨٣٤ ، وربما لم تكن هذه المرة الاولى التى يرجع فيها اليها بعد رحيله الى الشرق ، وبعد تقاعده تزوج ــ ربما في ١٨٤٧ أو ١٨٤٨ بالآنسة بندنجزء من كورك ، وتزوج شقيقها أيضا من شقيقته ، وهاجر الى نيوزيلاند حوالى سنة ١٨٥٥ ، وقضى نحبه في أوكلاند قبل سنة ١٨٦٨ ٠

وقد كتب عنه أحد ضباط الفرقة الملكية في شمال لانكشير ، « وكان سادلير عالما عظيما من علماء اللغة ، لكنه كان حادا عنيف الطبع ، ولعل هذا ما جعله يتسبب في محاكمة الرائد ارلنجتون أمام محكمة ماتريل في سنة ١٨٣٤ ، لانه كان يوزع على الجنود مواد التموين عينا (خبزا) لا نقدا ، وكان الجنود مندهشين لهذا التصرف الغريب ، ويرفسون أرغفة الخبز التى تقدم لهم ٠٠ » ٠

وسواء كان اسمه ينطق سادلر أو سادلير فمسألته فيها شك ، وربما كان ينطق ويكتب بالطريقتين معا ، فنحن نجد أحدهما في سجلات مدينة كورك ، والآخر في تقارير وزارة الحربية وعلى السنة أصدقائه وأقاربه الذين ما يزالون على قيد الحياة ، ونظن أنه ليس ثمة ابن ذكر يرث عنه هذا الاسم اليوم على قيد الحياة ٠

يستطيع ان يجمعها بالنسبة لجغرافية وسط الجزيرة العربية ومصادرها خلال رحلته ، وبمجرد انهاء مهمته ، عليه ان يعود الى مقر الرئاسة البريطانية .

وقبل ان يصل كابتن سادلير الى مكان الأحداث ، كانت الظروف السياسية قد تغيرت بحيث جعلت تحقيق أهم جانب من جوانب مهمته أمراً مستحيل الحدوث ، الا ان الجهود التي بذلها من جانبه قد أثبتت أنه يتمتع بطاقة كبيرة وقدرة على الاستمرار وتحمل المشاق ، هذا الى جانب أنه أحرز السبق كأول اوربي تمكن من قطع شبه الجزيرة العربية من البحر ، وفي أكثر فصول السنة حرارة ولهيباً .

مفاوضات كابتن سادلير مع سلطان عمان مايو ١٨١٩ :

مكث كابتن سادلير في مسقط من ٧ إلى ١٨ مايو سنة ١٨١٩ حيث نجح في الحصول من السيد سعيد على تقدير دقيق للوضع السياسي للقواسم وقواهم العسكرية ، الى جانب وعد من السلطان بأن يتعاون —شخصياً— مع الحملة البريطانية على رأس قوات كبيرة ، وتحديد دقيق للدور الذي يستطيع ان يؤديه في تلك الحملة ، وتعهد تفصيلي بالمعاونة في النقل والشحن البحريين . ولم يرفض السيد سعيد باصرار سوى شيء واحد ، هو عدم قبوله التعاون بين قواته وقوات المصريين ، فقد كان يرى أن تعاون هؤلاء في عملية رأس الخيمة أمر يهدد أقاليمه هو أبلغ التهديد . كذلك أفصح السلطان عن اعتقاده بأن ابراهيم باشا يستطيع البت في المقترحات البريطانية دون الرجوع الى ابيه محمد علي باشا ، كذلك كان مقتنعاً بأن رحلة كابتن سادلير لن يمكن إتمامها قبل الموعد المحدد للحملة.. إلا لو تم تأجيل موعدها . وأثبتت الأحداث التالية صدق توقعه في الحالتين

رحلة كابتن سادلير وراء ابراهيم باشا عبر جزيرة العرب — يونيو — سبتمبر ١٨١٩ :

وتأخر كابتن سادلير في رحلته من مسقط لبوشهر نتيجة الرياح

المعاكسة ، ولم يستطع ان يصل القطيف –التي كان مفروضاً أن يبدأ فيها اتصالاته بالقائد المصري– قبل يوم ٢١ يونيو ، وهناك وجد المصريين قد انسحبوا وانتهى احتلالهم القصير الأجل لشرق الجزيرة ، لكنه ظل على يقينه بأن مهمته مستمرة وعليه أن يوصل الخطابات التي يحملها الى اهدافها. وبعد ان وصل الهفوف في ١١ يوليو ، صحب بقية القوات المصرية المنسحبة بغير نظام الى الدرعية وشقره ثم الى رأس في القصيم حيث وصلها في ٢٦ أغسطس فوجد هناك ان الباشا قد غادرها منذ ٤٨ ساعة فقط الى المدينة المنورة . ومن راس كان يستحيل على كابتن سادلير بحكم جغرافية البلاد نفسها أن يرجع الى الخليج ، وكان عليه ان يستمر في صحبة القوات الى حيث يستطيع التوقف قبل الوصول الى المدينة فوصلها يوم ٦ سبتمبر ، وفي آخر مكان بالقرب من حدودها سقط حصانه ميتاً من الاجهاد .

نتائج غير مرضية للمفاوضات بين كابتن سادلير وابراهيم باشا سبتمبر – نوفمبر :

وفي يوم ٨ سبتمبر استطاع كابتن سادلير أن يلتقي بابراهيم باشا ، وفي اليوم التالي سلمه الخطابات المرسلة اليه من الحاكم العام في الهند وحاكم بومباي مع سيف مهدى من الحاكم العام للباشا المنتصر ، غير ان الباشا أصر على ضرورة رفع مقترحات الحكومة الهندية رغم استحالة تنفيذها الى محمد علي باشا في القاهرة . ثم سار الباشا بعدها للحج الى مكة ، وظل كابتن سادلير ينتظر نتائج بعثته في ينبع حيث أصابته حمى عانى منها كثيراً . وبعد انقضاء فترة كافية لوصول الرد من مصر تبع كابتن سادلير إبراهيم باشا الى جده ، غير أنه تبين أن لهجة الباشا التي كانت من قبل ودية ولينة أصبحت الآن حادة وعنيفة . وأخيراً ، وبعد أن تعمد الباشا إهانة حاكم الهند برد هديته إليه ، أنهى كابتن سادلير مفاوضاته يوم ١٤ نوفمبر . وفي ٢٣ يناير سنة ١٨٢٠ حدث أن كانت

سفينة الشركة « برينس اوف ويلز » في زيارة لجدة فاستقلها كابتن سادلير ويبدو أنه عاد على ظهرها الى بومباي بعد رحلة دامت حوالي السنة بذل فيها كل ما يمكنه من جهود للتغلب على عقبات شاقه ومشكلات حادة . ولم يصل أي من الخطابات التي ارسلها كابتن سادلير الى حكومة الهند بعد رحيله من الهفوف .

هذا وكان قد استبعد بعد الحملة الاولى على القواسم امكان مساهمة المصريين في أية حملة أخرى .

تأكيدات لايران :

ومنعاً لقيام سوء فهم محتمل كثيراً لدى الحكومة الايرانية لأهداف الحملة البريطانية بتأثير من شيوخ لنجة وموجو وجاراك وشيرو الذين كان يعتقد أنهم انغمسواموخراً في عملياتالقرصنة وانهم يستأهلون ايقاع العقاب بهم، فقد ارسل دكتور جيوكس بخطابات تطمين من حاكم بومباي لكل من الحاكم الايراني لاقليم فارس والحاكم الايراني في بوشهر . وفي ١٥ ديسمبر ١٨١٩ أرسل خطاب يشرح أهداف حكومة الهند من هذه الحملة الى مستر هـ. ويلكوك القائم بالأعمال في سفارة صاحب الجلالة بطهران لإقناع بلاط الشاه .

أهداف الحملة :

وفي التعليمات التي صدرت أخيراً للقائد سير وليم جرانت كير الذي عهد اليه بقيادة الحملة سياسياً وعسكرياً ، ترك للقائد مجال واسع للتصرف الشخصي ، بعد أن اوضح له ان الهدف الرئيسي من الحملة هو ايقاع عقاب موجع بقواسم رأس الخيمة والقضاء على قوتهم قضاء تاماً . وذلك بالاستيلاء على المدينة وتحطيم كل سفن وقوارب القراصنة ، كذلك تدمير كل شيء يمكن استخدامه في عمل عسكري او بحري اينما وجدوه . كذلك تطبق الاجراءات نفسها على ميناء الرمس وغيره من

الموانى التي تؤيد رأس الخيمة ، وعلى مواقع الساحل الايراني التي يمكن استخدامها كقواعد أو ملاجيء للقراصنة . وكانت القيود التي فرضت على تصرفات القوات البريطانية هي منعها من أية عمليات تبعد مسافة طويلة عن الاماكن التي توجد فيها سفن القراصنة الا في الظروف الاستثنائية والقاهرة فقط ، وكان عليها بالنسبة للشاطيء الايراني الالتزام بأقصى ما يمكن من الحرص لعدم المساس بسيادة صاحب الجلالة شاه ايران . وفيما يتعلق بادارة مدينة رأس الخيمة ، وكانت الحكومة ترى حتى ذلك الوقت تسليمها للقوات المصرية ، فيجب ان يحال دون عودة الشيخ السابق سلطان بن صقر الذي كان رحل عن سلطان مسقط مؤخراً للقيام بمحاولة لاعادة الاستيلاء على منطقة حكمه في رأس الخيمة . غير ان هذا التحفظ رُفع منذ بدأت الحملة وتركت الحرية للقائدسير و. ج. كير لتنصيب من يراه على رأس الخيمة سواء سلطان بن صقر أو أي شيخ آخر يختاره الاهالي بشرط ألا يكون مرتبطاً بالوهابيين أو تكون له ميول مع القراصنة .

تشكيل القوات البحرية والعسكرية :

وكانت السفن الحربية التي وضعت تحت تصرف و. ج. كير التي تجمع بعضها في بومباي والبعض الآخر في الخليج هي الآتية : سفينة صاحب الجلالة « ليفربول » ، ٥٠ مدفعاً ، يقودها كابتن كولير و « عدن » ٢٦ مدفعاً ، « كاردو » ١٨ مدفعاً ، وسفن الشركة « تلجموت » و « بامريا » و « اوروراً » و « نوتيلوس » و « واريل » و « فستال » وتسليحها ١٦ و ١٦ و ١٤ و ١٤ و ١٠ و ١٠ مدافع على التوالي . وبلغ عدد الشاحنات المخصصة لنقل القوات البرية والمعدات البحرية ١٨ شاحنة أما الجانب العسكري للحملة فكان يتكون من فرقـة من المدفعيـة البريطانية(١) ، وفرقتي صاحب الجلالة (٤٧) ، (٦٥) ، والبطارية

---

(١) كانت المدفعية تتكون من « بطارية ستة مدافع عيار ١٨ رطلا ، وعدد من مدافع المورتار عيار ١٠ بوصة ، وعدد آخر من الهويتزر عيار ٥½ بوصة ومدافع ميدان يتفق عددها مع احتياجات الجنود وعددهم ٠٠ » (تقارير الفرق العسكرية المشتركة ٠٠) ٠

الاولى من الفرقة الثانية للهنود المشاة ، وجماعات الجناحين من البطارية الاولى للفرقة الثالثة هنود مشاه ، وبطارية بحرية ، ونصف فرقة من الفدائيين . ويبلغ عدد جنودها جميعاً ٣٠٦٩ مقاتلا منهم ١٦٤٥ بريطانياً ١٤٢٤ هندياً(١) ، أما مجلس القيدة فكان يتكون من العقيد أ. ج. ستانوس مساعداً للقائد العام والرئيس و. ويلسون مساعد القائد الاول ، والرئيس ج. ف. سادلير مترجماً ، ولما كان هذا الاخير ما يزال غائباً في مهمته فقد حل محله في القيادة كابتن ت. بيرومت تومسون من فرقة صاحب الجلالة (٤٧) مدرعات .

الرحلة ، من ٣ الى ٢٤ نوفمبر :

وأبحر سير و. جرانت كير على السفينة « ليفربول » وعلى ظهرها القسم الاوروبي من الجنود من بومباي يوم ٣ نوفمبر سنة ١٨١٩ وتبعته بقية الحملة خلال ايام قليلة ، وظل القواسم على نشاطهم حتى النهاية ، ففي نهاية اكتوبر قيل ان سفنهم كانت تطوف كثيراً في مجموعات كبيرة حول شواطيء مكران والسند وكيثوار ، وحين كانت السفينة « كترلو » في طريقها بالفعل من بومباي للحاق ببقية الأسطول هاجمتها ١٥ سفينة كبيرة من سفن القراصنة لكنها استطاعت ان تهزمها بعد معركة دامت أكثر من خمس ساعات فتمكنت من إغراق ثلاث واستولت على سبع أخرى . وعلى حين كان الاسطول في طريقه الى الموعد المضروب خارج قشم سار قائد الحملة على السفينة « ليفربول » الى مسقط ليلتقي بالسيد سعيد فوصلها في ١٣ نوفمبر ، وفي ٢١ منه عاد للحاق ببقية الحملة ، وفي يوم ٢٤ هبت ريح شديدة اضطرت سفن الاسطول لان تلجأ لمرسى بجزيرة لاراك .

---

(١) « ساهمت الفرقة ر ٦٥) في هذه الحملة بتقديم ٧٥٠ جنديا ، وبأوامر من الحكومة وتفويض منها تم تسليح واعداد جنود الفرق المدرعة الخفيفة فيها ليقوموا بعمل حملة البنادق .. » . (من تقرير الفرقة (٦٥) مشاة) .

حصار ميناء رأس الخيمة ٢٥ نوفمبر – ٢ ديسمبر :

وفي ٢٥ نوفمبر وصلت السفينة « ليفربول » تصحبها « بناريس » تجاه رأس الخيمة وحاصرتا الميناء ، على حين تحركت شاحنات الجنود حول مدينة قشم . وخصص سير و. جرانت كير والمهندس الاول في الحملة يومي ٢٦،٢٧ لفحص استحكامات ودفاعات المدينة ، وحين ثبت أنه يمكن الاستيلاء عليها دون حاجة لعدد من الجنود أكبر من الموجود فعلاً في قشم أرسلت السفينة « بناريس » لتوجيه إنذار للاسطول ووصلت السفن يوم ٢ ديسمبر وتبعتها بعد ظهر اليوم نفسه الاربع السفن الاخيرة من الشاحنات ، وكان قد تقرر الا تبقى في الانتظار خشية تقلب الجو . وفي نفس اليوم وصل السيد سعيد على رأس فرقاطتين تحملان ٦٠٠ جندى .

إنزال الجنود وحصار المدينة ثم الاستيلاء عليها من الوهابيين ١٨٣٠ :

وبدأ انزال الجنود على مسافة ميلين تقريباً جنوب المدينة ، وضرب طوق عسكري حول شبه الجزيرة . وانقضى يوم ٣ ديسمبر في هذه الاجراءات وضرب الخيام وإعداد المؤن . وقد تبين ان السور القديم الذي كان يقوم على المضيق قد انهار منذ سنة ١٨٠٩ ، وبانقاضه بنيت قلعة(١) في منتصف المضيق ، واقيم بدله سور آخر أكثر قرباً من المدينة، كما حفر العدو استحكامات وأقام متاريس لحاملي البنادق في المواقع المتقدمة . وفي يوم ٤ استطاع الجنود من الطليعة المتقدمة ورجال البوليس الحربي في الحملة أن يقيموا استحكاماً على بعد حوالي ٩٠٠ ياردة فقط عن أقرب مكان من المدينة(٢) . وتراجع العدو الى القلعة والمدينة ، وفي

---

(١) كانت القلعة – التى تقع على مسافة ٣٥٠ خطوة من سور المدينة الجديد بناء مربعا من الحجر الصلد ، وكانت أحصن من أية قلعة شوهدت في منطقة الخليج كلها . (تقارير الفرقة (٦٥) مشاة) .

(٢) كانت جميع الفرق الخفيفة المشتركة في القوة (وعددها ٥١) بقيادة الرئيس باكهاوس من الفرقة (٤٧) ، وتبعهم البوليس الحربى بقيادة العقيد مولسورث من نفس الفرقة .

هذه العملية قتل العقيد مولسورت « الضابط الشجاع والكفء » من الفرقة (٤٧) برصاص واحد من رجال العدو ، وكان قد صعد على الاستحكام ليشرف على تحصينات المدينة . وخلال الليلة التالية أقيمت بطارية من اربعة مدافع على مسافة ٣٠٠ ياردة من البرج الجنوبي لرأس الخيمة ، ووضعت بطارية من مدافع المورتار الى يمينها على مسافة ١٠٠ ياردة من حافة الميناء الداخلي . وفي يوم ٦ بدأ ضرب المدينة وقصف استحكاماتها بمدافع الاسطول والمدفعية البرية وكان رد العدو ضعيفاً نظراً لحاجته الى الذخيرة فيما يبدو ، فقد كانوا يطلقون أحياناً أحجاراً ضخمة من مدافعهم ، وكانو حين يسكت ضرب المدافع البريطانية . يبادرون الى جمع دانات المدافع التي لم تنفجر.. أو التي أخطأت مراميها . وفي ليلة ٦ ، وكانت ليلة حالكة الظلمة تسلل العرب حتى سيطروا لفترة قصيرة على بطارية مدافع المورتار البريطانية الى اليمين ، واستطاعوا أيضاً أن يسحبوا أحد مدافع الهويتزر حوالي مائة ياردة ، لكن المدفعية البريطانية استطاعت أن تصدهم تاركين وراءهم ستة قتلى .

وخلال يوم ٧ استمر تركيز المدفعية في هذا الموقع ، وجيء بمدفعين إضافيين من السفينة « ليفربول » زنة ٢٤ رطلا ، وطوال يوم ٨ ظل العدو معرضاً لنيران المدفعية بشكل دائم ، وطوال الليل ايضاً استمر قصف المدينة ، وفي الصباح الباكر من يوم ٩ بدأ ضرب القلعة مرة أخرى ، وفي الساعة الثامنة من الصباح نزل حوالي ١٠٠ جندي من فرق العاصفة ، الى جانب كل الفرقة (٤٧) مشاة ، والفصائل الخفيفة من بقية الفرق الاخرى وبدأ الجميع التقدم لمهاجمة المدينة بقيادة الرائد الرنجتون من الفرقة (٤٣٧). ولم يعترض تقدمها معترض ، وتبين ان أهل المدينة قد جلوا عنها تحت جنح الليل فتم احتلالها بمجرد تجول القوات في طرقاتها . وجمعت القوارب كلها في منطقة ضحلة المياه ، وارسل جزء منها الى المهرة حيث استولت على برج هناك وكانت هذه العملية شاقة مجهدة لكن المقاتلين تحملوها بمرح وروح عالية ، وقد كان الجو خلال بعض هذا الوقت سيئاً تماماً .

النتائج العسكرية :

ومن الجانب البريطاني بلغت خسائر العمليات كلها ضابطاً و ٤ جنود من القتلى ، ٣ ضباط و ٤٩ جندياً من الجرحى ، أما خسائر العدو فقد اعترف الشيخ بنفسه بأنها تصل الى ٤٠٠ رجل بين قتيل وجريح ، على حين يرفع بعض المراقبين هذا العدد الى ١٠٠٠ . ولم يكن في المدينة من الاملاك شيء سوى الماشية ، فقد أتاح طول الحصار فرصة للعدو كي يهرب الناس بما يملكون عبر الميناء الى الداخل ولكن تم الاستيلاء على ٦٠ أو ٧٠ مدفعاً معظمها من الحجم الصغير وبعضها غير صالح للاستعمال بالمرة ، كذلك أيضاً حوالي ٨٠ سفينة تتراوح حمولتها بين ٤٠ و ٢٥٠ طناً . ولم يكن في المدينة كلها سوى عدد قليل من الرجال والنساء المسنات ، أما الرجال فكان بعضهم من أسرى القواسم .

تعاون السيد سعيد :

وقد قام بحارة سفن مسقط بتقديم عون فعال خاصة في عمليات نقل الجنود وانزالهم ونقل المدافع والامدادات ... الخ . ولم يصل جيش عمان البري الا بعد الاستيلاء على المدينة . لكن القائد العام البريطاني أصدر اوامره برجوعهم فوراً خشية أن يؤدي ظهورهم الى مشكلات جديدة لا سيما ما اتصل بنقص الامدادات من الناحية الاخرى ، وقد ظل السيد بنفسه في مكان الموقعة حتى يوم ٧ يناير حين عاد الى مسقط .

العمليات في ظايه ١٨ — ٢٢ ديسمبر :

وحين سقطت رأس الخيمة بادرت السفن « كيرلو » و « اورورا » و « نوتيلوس » بالسير لحصار الرمس ، وهي قرية ساحلية صغيرة تقع على بعد عدة أميال الى الشمال ، وكان بها عدد من سفن القراصنة التي وقفها شيخ البلدة حسين بن علي لخدمة مصالح الوهابيين . وقد سبق له هو نفسه أن كان وكيلا للوهابيين في بلاد القواسم كلها من قبل .ووجدت السفن الرمس وقد هجرها أهلها ، وانسحبوا الى ظايه على مسافة ميلين الى الداخل

حيث كانت تقوم قلعة حصينة في قرية لحسين بن علي على هضبة مرتفعة ؛ وحيث كان العرب يعتقدون باستحالة الاستيلاء على تلك القلعة بالنظر لمناعتها فقد اتخذت الاجراءات للاستيلاء عليها لما سيحدثه ذلك من هبوط للروح المعنوية بينهم . وفي يوم ١٨ ديسمبر تقدمت قوة مكونة من فرقة صاحب الجلالة (٦٥) والعناصر الخفيفة من البطارية الاولى في الفرقة الثانية للمشاة الهنود ، و ٣٠ جندياً مدفعياً يعملون على مدفعين زنة ٢ رطل ، ومدفعي مورتار عيار ٨ بوصه ؛ وأربعة مدافع ميدان نحو ظايه بقيادة العقيد وارين من الفرقة (٦٥) ، وقد صحب سير و. جرانت كير هذه الحملة بنفسه أيضاً . وفي يوم ١٩ بدأ تراجع العدو الى الداخل وهو يحارب في كل شبر أثناء انسحابه وسط مزارع النخيل ، وحين طلب الى الشيخ الاستسلام راوغ في الاجابة ، فبدأ مدفعان من مدافع المورتار قصف القلعة قصفاً متواصلا وقد ثبت ان استحكامات ظاية ودفاعاتها أصلب مما كان يعتقد . وفي يوم ٢٠ ازداد تقدم القوات المهاجمة بعض الشيء ، وعززت باضافة العناصر الخفيفة من فرقة صاحب الجلالة (٤٧) بقيادة الرئيس باكهاوس ، وبالبطارية الاولى من الفرقة الثالثة للمشاة الهنود ، وفي صباح يوم ٢١ تم حصار ظايا وتطويقها تماماً . وقد لقي الضابط أ. ج. ماثيسون الضابط الجريء من الفرقة (٦٥) مصرعه أثناء هذه العملية(١) . وسحب مدفعان من عيار ٢٤ رطلا من السفينة « ليفربول » نقلا في مواجهة بعض الصعوبات(٢) ونصبا في مواجهة القلعة من الناحية الشمالية — الشرقية ، كذلك وضع مدفعان عيار رطلين في مواجهة الشيخ من الناحية الغربية . وفي يوم ٢٢ أتيحت للحامية فرصة

---

(١) كذلك تنطق أيضا مافيسون ومايتسون .
(انظر : تقارير الفرق العسكرية) .

(٢) كان على المدافع أن تسحب لمسافة ثلاثة أميال صعودا في خور ضيق ووعر وضحل المياه يبدأ بأرض موصلة وينتهي بصخور جدية ، وقد وصف عمل البحارة الذين أتموه تحت قيادة الرئيس وألبول والملازم كامبل على لسان جنرال كير بأنه « عمل مدهش .. » .

لإرسال الاطفــال والنســاء الى مكان أكثر أمنـاً وسـلاماً لكنهم لم ينتهزوها . وفي الساعة الثامنة والنصف من الصباح بدأ قصف المدافع . وفي الثانية عشرة تماماً كان قد أحدث صدعاً في جدار القلعة وتقدم طابور من المشاة لعبوره لكنهم توقفوا لمشاهدة العلم الابيض مرفوعاً ، وتم استسلام المدافعين بشرط تأمين حياتهم ، وفي الواحدة والنصف من بعد الظهر كان العلم البريطاني مرفوعاً على القلعة وعلى بيت الشيخ ، وسار الاسرى ــ بعد ان اسلموا أسلحتهم وأمتعتهم ــ الى رمس ليحملوا منها على ظهور الشاحنات .

وقد بذلت كل الجهود لاراحة الاطفال والنساء اللذين تجاوز عددهم الـ ٤٠٠ نسمة ، وقبل رحيل الاسطول أطلق سراح عدد كبير من الرجال الاسرى الذين شهد الملازم بروس المقيم السياسي بأنهم في الاغلب مزارعون مسالمون لا شأن لهم بشيء ، وسمح لهم باللحاق بعائلاتهم ولجأوا معهم الى قرية شميل المجاورة في سير . اما الاسرى الباقون ويبلغ عددهم باستثناء الشيخ ١١٧ رجلا فكانوا بين محارب محترف او رجل ينتمي الى بلدة أخرى كانت الحملة ستتجه لها . وقد نقلوا الى رأس الخيمة . كما تم الاستيلاء على ١١ مدفعاً وهدمت القلعة وبيت الشيخ تماماً . وبلغت خسارة البريطانيين في عملية ظايا كلها ضابطاً وثلاثة جنود من القتلى و ١٦ جريحاً واحد منها مات متأثراً بجراحه ، ولم تحدث أية خسائر في الارواح بين الجنود الهنود .

عمليات أخرى يناير وفبراير ١٨٢٠ :

وأثناء عودة القوة من ظايه الى رأس الخيمة يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٨١٩ وجدت أن القوات التي خلفتها وراءها لتدمير بقية استحكامات ودفاعات المدينة قد انتهت من عملها تماماً بينما كان العمل في إنشاء مركز لقاعدة بريطانية هناك يسير على قدم وساق ، وفي ١٧ يناير ١٨٢٠ تركت حامية في رأس الخيمة مكونة من ٨٠٠ جندي هندي وعدد من رجال

المدفعية ، وسارت بقية الحملة متجهة الى موانى القراصنة الاخرى على الساحل ، وقد وجدت جزيرة الحمرا مهجورة تماماً ، لكنها هدمت الاستحكامات التي وجدتها في ام القيوين — التي وصلتها في ١٨ يناير — وفي عجمان وفشت والشارجة وابو حائل ودبي كما أحرقت السفن التي عثر عليها . ولا نعرف على وجه اليقين مصير سفن رأس الخيمة نفسها . فقد كان سير ج. كير يعارض تدميرها وأبقى جزءاً منها لخدمة الاسطول(١) . وحين جاء تقرير يفيد أن عشراً من سفن القراصنة قد لجأت الى البحرين — وتأكد أن هذا الميناء قد أصبح ملجأ لهم يتخلصون فيه مما نهبوه من عرض البحر — ارسلت قوة للاستيلاء على هذه السفن وتدميرها بمجرد الاستيلاء عليها . وفي فبراير قامت الشاحنات — التي تحمل معظم أفراد الحملة — بالعبور الى جزيرة قيس ، وهناك أعلنت نهاية عملها ، وقفلت عائدة الى بومباي .

وقد تم الاستيلاء على بعض القوارب وتدميرها في الموانى الايرانية لنجة وموجو وعساله وكانجون . وقد وزعت حكومة الهند جوائز بلغت هي وارباحها ٢٦٦,٦٢٥ روبية لمدة سبع سنوات ، وكانت معظم هذه الأموال هي أثمان السفن التي تم الاستيلاء عليها .

★ ★ ★

(١) يتضح لنا شك حكومة بومباى في تنفيذ التعليمات القاضية بضرورة تدمير سفن القراصنة من الفقرة (٦) في الخطاب رقم (٣٧) بتاريخ ١٦ فبراير ١٨٢٠ . وقد جاء في تقرير الفرقة (٦٥) مشاة ما يفيد ان الحملة قد استولت على ٢١٨ سفينة .

معاهدة السلم الشاملة ١٨٢٠

المفاوضات مع القواسم :

بعد أن تتبعنا الاحداث العسكرية للحملة الى هذا الحد ، نستطيع الآن الانتقال الى المفاوضات السياسية التي بدأت بعد سقوط رأس الخيمة . لقد عرض أثناء الحصار على الحامية أن تستسلم غير مرة واحدة لكنها لم تنتهز أية فرصة من هذا النوع ، وحين أصبحت رأس الخيمة في أيدي القوات البريطانية جاء الشيخ قاضب بن أحمد شيخ جزيرة الحمرا بضمان الامان .. وسمح له بالبقاء فيها . وتشجع حسان بن رحمة بهذا المثل فسلم نفسه أيضاً بوعد « الأمان » ، وكان هذا الأمان يعني حريته الشخصية . ولكن حين تبين أن احتجازه سيؤدي الى شيء من الهياج أطلق سراحه ، وعادت الثقة من جديد . وجاء الى المدينة أعراب كثيرون يطلبون شراء التمور والارز منها ، وبعدها بقليل ظهر سلطان بن صقر شيخ الشارقه ليعلن استسلامه الكامل ، ثم تبعه محمد بن هزاع شيخ دبي الذي لم يكن يتجاوز التاسعة من عمره ، وقد ارسلته ارملة أبيه التي كانت تحكم المشيخة ، وفي ١٥ يناير ١٨٢٠ أطلق سراح حسين بن علي شيخ الرمس وانصاره لتسهيل مهمة المفاوضات من ناحية ، ثم بسبب تفشي المرض فيهم والتحسب من موت عدد منهم في الاسر .

اتفاقية مبدئية :

وكخطوة اولى نحو عقد تسوية عامة . طلب الى كل شيخ من شيوخ ساحل القراصنة الكبار التوقيع على اتفاقية اولية كشرط مسبق لتوليه مسئولياته .. وهكذا أصبح كل منهم موقعاً على معاهدة السلم الشاملة التي تعتبر النتيجة النهائية لهذه الحملة .

وكانت الاهداف الرئيسية للاتفاقية بشكل عام هي تسليم السفن . والابراج والمدافع في مواني القرصنة ، على أساس وعد باستمرار عمليات الغوص وراء اللؤلؤ وصيد الاسماك ، وإطلاق سراح الاسرى الهنود . ولكن لم يكن بين هذه الاتفاقيات أية اثنتين ذواتي نص واحد متماثل.. فهذه التي وُقعت في مرحلة متأخرة من الاجراءات المذكورة عن طريق مبعوث لشيخ البحرين تتعلق بشكل أساسي بالتعامل التجاري مستقبلا بين رعايا البحرين وساحل القراصنة . وقد وافق حسان بن رحمه ، الذي اعترف به شيخاً للخط والفلاحه فقط ، على أن تبقى رأس الخيمة والمهرة على الجانب الاقصى من الميناء تحت سيطرة الحكومة البريطانية . وبالنسبة لشيخ الشارقه — الذي كان يتلهف لاعلان خضوعه الكامل — وشيخ دبي الذي لم يكن يستحق الا القليل من الملامه ، والذي توسط له ايضاً سلطان عمان ، فقد تعهدت لهما القوات البريطانية بألا تتدخل في أقاليمها او تحتل مدنهما . كما اشترك شيخا عجمان وام القيوين أيضاً في توقيع اتفاقية مشابهة للاتفاقية التي وقعها سلطان بن صقر . وتدل تواريخ توقيع هذه الاتفاقيات عموماً الى التقدم في المفاوضات ، وهي على التوالي : شيخ الشارقة في ٦ يناير ١٨٢٠ . شيخ خط وفلاحه (حسان بن رحمه) في ٨ يناير ، وشيخ دبي في ٩ يناير ، وشيخ ابو ظبي في ١١ يناير وشيوخ البحرين (عن طريق مبعوث لهم) في ٥ فبراير .

وقد تم توقيع اتفاقية السلم الشاملة بعد ان التزم الشيوخ المذكورون وغيرهم أيضاً بالشروط التي جاءت في الاتفاقية الاولية . على النحو التالي: حسان بر رحمة شيخ خط والفلاحه « شيخ رأس الخيمة سابقاً » وقضيب ابن شيخ جزيرة الحمرا ، وذلك برأس الخيمة في ٨ يناير ١٨٢٠ ، والشيخ شخبوط شيخ ابو ظبي في رأس الخيمة ايضاً بتاريخ ١١ يناير ، وحسين بن علي شيخ شايه برأس الخيمة في ١٥ يناير ، يوم اطلاق سراحه ، وزايد بن سيف — باسم ابن اخيه شيخ دبي — في الشارقه بتاريخ

٢٨ يناير ، وسلطان بن صقر شيخ الشارقه في نفس المكان بتاريخ ٤ فبراير ، والسيد عبد الجليل –مبعوث عن شيوح البحرين – في الشارقة بتاريخ ٥ فبراير ، ووقعها شيخا البحرين سليمان بن أحمد وعبدالله بن أحمد في البحرين بتاريخ ٢٣ فبراير ، وأخيراً وقعها رشيد بن حميد شيخ عجمان وعبدالله بن رشيد شيخ ام القيوين في فلايحه بتاريخ ١٥ مارس . ويبدو من توقيع كل منهما على الاتفاقية بمفرده ان عجمان وام القيوين قد اعتبرتا مشيختين مستقلتين ، وهي حالة قد ضمنتها الاتفاقية المبدئية التي سبق أن أشرنا اليها . وقد ظل هذا الوضع مستمراً الى اليوم ، لكننا نلاحظ في نفس المناسبة ان شيخ ظايه (او الرمس) وجزيرة الحمرا لم يكن بينهما مثل هذا الفصل في البداية .. ووقعا الآن مستقلين تماماً كبقية الموقعين على اتفاقية ١٨٢٠ .

وفي المادة الاولى من الاتفاقية الشاملة تعهد الموقعون بأن يمتنعوا امتناعاً تاماً ونهائياً عن ممارسة أعمال النهب والقرصنة في البر والبحر ، اما المادة الثانية فهي تفرق بين النهب والقرصنة وبين الحرب المشروعة . وتنص على اعدام المتعاملين بالقرصنة ، ومصادرة ملكياتهم واموالهم مهما كانت الدولة التي يقع عليها اعتداؤهم . أما المادة الثالثة فتحدد علماً يستخدمه كل العرب الموقعين على الاتفاقية .. وهو العلم الذي نجد وصفه في البحرين البريطانية على أنه « ابيض يخترقه لون أحمر » . وكان مفهوماً أن اللون الاحمر في الوسط استمرار للعلم الاحمر الذي كان يرفعه القواسم والذي بقيت معظم القبائل العربية المشغتلة بالبحر ترفعه على سفنها أما اللون الابيض فكان رمز السلام . أما المادة الرابعة فهي تشير صراحة الى ان الحكومة البريطانية ليست صاحبة أي مطامح سياسية أو إقليمية في منطقة الخليج ، وانها لا تتدخل في النزاعات والخلافات المحلية المعتادة . اما المادة الخامسة –وقد وجد سير ج. كير صعوبة في النص عليها– فقد كانت تحدد نوعين من الاوراق : الاول « سجل » لكل سفينة تحدد

مقاساتها وحمولتها .. الخ ويوقع عليه الشيخ ، والثاني« تسجيل » دقيق للرحلة التي خرجت السفينة للقيام بها ، وعلى أصحاب السفن تقديم هذه الاوراق لدى طلبها من جانب السفن البريطانية « او غيرها » . وكان الهدف من هذه الاجراءات هو نشر النظام والسلم في مياه البحار ، وتسهيلا لذلك نصت السادسة على ان يقيم وكيل عن العرب « المتصالحين » في المقيمية البريطانية بالخليج ، وان يقيم مبعوث من الحكومة البريطانية بينهم على ان يدفع راتب هذين الممثلين أصحاب المصالح التي يخدمونها . أما المادة السابعة فجعلت لتوضيح ان عدم التزام شيخ أو أكثر من الشيوخ الموقعين على الاتفاقية بها لا يعفي بقية الشيوخ من مثل ذلك الالتزام ، وعلى الشيوخ الموقعين ضرورة التعاون مع الحكومة البريطانية لمعاقبة مرتكبي النهب والقرصنة . ونصت المادة الثامنة على تحريم الطريقة التي كان يتبعها القواسم في إعدام أسراهم ، كما تدعو لمحاربة كل من يلجأ لاعدام الاسرى . وكانت المادة التاسعة التي أدخلت على الاتفاقية بطلب كابتن تومسون وقد اصبح فيما بعد داعية شهيداً من دعاة منع الرق تنص على منع تجارة الرقيق بين العرب المتصالحين منعاً باتاً . والشيء المدهش هو أن هذه المادة قد قبلت دون تذمر من الشيوخ ، واعتبرت نصراً سياسياً أيضاً لان العبيد هم الذين كانوا يقاومون النفوذ البريطاني أكثر من غيرهم . ونصت المادة العاشرة على حرية الشيوخ المتصالحين في زيارة الموانى الاوروبية كما ضمنت لهم الحماية من أي عدوان في في تعبيرات غامضة غير محددة ونصت المادة الحادية عشرة على ضرورة إعادة توقيع الشيوخ على هذه الاتفاقية من حين لآخر .

عدم رضا حكومة بومباي عن الاتفاقية التي وقعت :

لكن حكومة بومباي التي اشادت بقيادة سير جرانت كير للعمليات العسكرية مقدرة الدوافع الانسانية لسياسته لم تكن راضية عن افراطه في التساهل ، وطلبت ضرورة النص على شروط أخرى أكثر قوة وتشدداً .

قبل فوات الوقت على ذلك ، ولقد كانت ترى ان الشيوخ الذين اسهموا في هذا الجرم أكثر من غيرهم يجب عزلهم عن إماراتهم ، ووضع شيوخ محليين بدلهم ، أو تحويل إماراتهم لحكم سلطان مسقط ، كما يجب سجن من وقع منهم في أيدي قوات الحملة ، وأسفت الحملة بشكل خاص لاطلاق سراح حسين بن علي ، وكانت ترى أيضاً ضرورة إحكام الرقابة على السفن في موانئ القرصنة ، وتحديد أحجام السفن المشتغلة بالتجارة ، ومنح السلطات البريطانية حقوق الاستيلاء والمصادرة لتسهيل تنفيذ تلك التعليمات ، وتقييد تصدير أخشاب السفن من الهند ، ومنع اقامة الاستحكامات والتحصينات في ظروف معينة ، ومنح الحكومة البريطانية حق الدخول الى مثل تلك الاستحكامات وتدمير ما يقام منها خلافاً للاوامر . ولم تكن الاتفاقية من وجهة نظر حكومة بومباي تقدم أي ضمان لعدم تجدد أعمال القرصنة سوى ضمان وهمي قائم على الأوراق التي خصصت للسفن ، وكذلك رأت ان قيام أي من اولئك الناس بارتكاب عمل من أعمال القرصنة لن يعرضه لعقاب مختلف عما كان يتعرض له حيث لم تكن هناك اتفاقيات موقعة .

ورد سير و. جرانت كير على هذه الاعتراضات رداً رزيناً وهادئاً . فقال انه لو صح له أن يفرض على هؤلاء الشيوخ اجراءات قاسية متشددة فقد كان عليه أن يقوم بمزيد من العمليات ويطاردهم الى الداخل . وهذا يناقض التعليمات الصادرة اليه ، فضلا عن أن عملية إبدال المشايخ بآخرين تساندهم الحكومة البريطانية باعتبارهم صنائع لها يثبت عليها تدخلها في الامور المحلية . ومع ذلك فان الاجراءات التي تود حكومة بومباي انفاذها يمكن فرضها في أي وقت إذا دعت الضرورة لأنها تتسق مع الروح العامة للاتفاقية وأهدافها وهذا ما يفهمه الشيوخ العرب المعنيون حق الفهم . وكان من رأيه أن أي شرط يفرض على القوارب في موانئ معينه أن تخرج الى البحر دون تسليح انما يعني —في نفس الوقت— فرض

مزيد من الاعباء على الحكومة البريطانية بالحماية التي يصبح من واجبها توفيرها لها لمنع الاعتداء عليها ، أما مسألة حظر تصدير أخشاب السفن من الهند فهي في رأيه مسألة تتعلق بالتنظيمات الداخلية في تلك البلاد ، ولا حاجة للاشارة اليها في اتفاقية معقودة مع القواسم . على أن القضية الاساسية عند سير هـ. جرانت كير كانت أنه « رغم الدخول في أية اتفاقيات مع القواسم بهدف إعادة الثقة المفقودة .. فلا بد من وضع القوة دائماً في الاعتبار ، فما يلزم القواسم ليس هو الاتفاقية في ذاتها بقدر ما هي الآثار المعنوية التي ترتبت على ضرب هذه القبيلة وهزيمتها ، الى جانب العمل السريع والفعال من جانب القوات البحرية والعسكرية التي تعتزم الشركة الموقرة إبقاءها على أهبة الاستعداد في منطقة الخليج » . وقد حددت الاتفاقية عقوبة الموت ومصادرة الاملاك لكل من يرتكب أعمال القرصنة ، وعلى هذا النحو لا يمكننا القول بأن الاتفاقية قد فشلت في تحديد العقوبات التي توقع على من لا يلتزم بها .

وفي النهاية — ورغم أن كثيراً من وجهات نظر حكومة بومباي ظلت كما هي دون تعديل — سمحت الحكومة باقرار هذه الاتفاقية وأثبتت الاحداث التالية أن سياسة سير و. جرانت كير حازمة كانت بقدر ما كانت متحررة .

★ ★ ★

الفترة من معاهدة السلم الشاملة حتى الهدنة البحرية الاولى ١٨٢٠ ـ ١٨٣٥

الاجراءات المتخذة لقمع القرصنة بعد الحملة ١٨٢٠ ـ ١٨٢٣

وجهة نظر حكومة بومباي :

لم يغب عن حكومة بومباي – وهي تعد العدة لارسال حملتها على رأس الخيمة – أنه مهما يكن شأن النجاح الذي تحققه الحملة ، فلا شك في ضرورة قيام إجراءات أخرى أكثر ثباتاً واستمراراً للمحافظة على النتائج المتحققة عن الحملة . وكان مشروعها يهدف الى إقامة قاعدة بريطانية بحرية وعسكرية في مكان يتوسط الخليج تمكنها من ممارسة نفوذ قيادي ومباشر على مياهه أكثر مما يتيحه وجود قاعدة في بوشهر أو في البصرة . وكانت تعتقد ان جزيرة قشم التي كان يعتقد بأنها هي وهانجام تابعتان لحاكم مسقط تتوفر لها كل الصفات اللازمة لإنجاح ذلك المخطط ، وأن ميناءً يقام بها يمكن أن يتحقق له ولو قدر من الاكتفاء الذاتي الاقتصادي بواسطة الرسوم والعوائد وحتى لو أدى ذلك الى تعطيل مزايا مقيمية بوشهر ذات الوكالة التجارية . اذ يمكن تحويل مسئولياتها في الاشراف على شئون الخليج الى القاعدة الجديدة المقترحة . وعرض المشروع على السير و. جرانت كير لإبداء الرأى ، وفي نفس الوقت بذلت الجهود عن طريق سفير بريطانيا في طهران للحصول على موافقة الحكومة الايرانية التي اعتبرت ضرورية في هذا الصدد . وكانت الحكومة تنوي أن تجعل في هذه القاعدة بطارية من المشاة الهنود بشكل دائم ، لكنها كانت على استعداد لزيادة هذا العدد لو دعت الضرورة .. بل واقترح جعل فرقة كاملة أو أكثر من الجنود البريطانيين فيها . وكان مما يعزز ذلك الرأي أن القاعدة المقامة على جزيرة يجعل الهجوم عليها صعباً كما يقلل في نفس الوقت من عدد الجنود المخصصين للدفاع عنها .

توصيات سير و. جرانت كير :

وقد أدلى سير جرانت بآرائه في الموضوع في بداية ابريل سنة ١٨٢٠ وبعد ان قام بزيارة شخصية لجزيرة قشم فاستنكر نقل مقيمية بوشهر مباشرة لأن هذا العمل يعني الدمار الاقتصادي للمكان . واقترح إتاحة بعض الوقت بعد إقامة القاعدة الجديدة لتتخذ التجارة طرقها المألوفة قبل إحداث أي تغيير في التنظيم السياسي القائم . وكان سير جرانت كير يرى أن وضع الحامية الموجودة في رأس الخيمة آمن تماماً ، الا ان الصعوبة تتعلق بامدادات الماء النقي ، وبالحمى المستوطنة ، لذا اقترح نقل القاعدة الى قشم متفقاً مع حكومة بومباي في اعتبار هذه الجزيرة أنسب الاماكن لإقامة قاعدة في الخليج .

الجلاء عن رأس الخيمة ١٨ مايو ١٨٢٠ :

ولما ان قبلت حكومة الهند توصيات كير صدرت اوامرها بتعيين الكابتن تومسون الذي كان قد أعد نفسه بنجاح لاكتساب « ثقة الاهالي » مسئولا سياسياً وعسكرية عن رأس الخيمة ، على رأس البطارية الاولى من الفرقة الثانية للمشاة الهنود بالاضافة الى عشرين مدفعياً . وصدرت اليه التعليمات بنقل قواته الى جزيرة قشم بعد استئذان سيد مسقط وبالجلاء عن رأس الخيمة بشرط أن يدمر كل دفاعاتها واستحكاماتها سلفاً ثم يسلم المدينة بعد رحيله الى الشيخ سلطان بن صقر أو غيره من الشيوخ المحليين المناسبين . وقد قدم السيد سعيد موافقته خطياً على السماح باحتلال جزيرة قشم ، وبدأ كابتن تومسون المفاوضة مع سلطان بن صقر فوعده بحاكمية رأس الخيمة بشرط ان يوافق على التعديلات التي اقترحتها حكومة بومباي على الاتفاقية، لكن الشيخ لم يوافق على هذا الشرط ، كما أصر أيضاً على ضرورة عدم تحطيم استحكامات رأس الخيمة قبل الجلاء عنها . ولما ظل الشيخ على عناده .. ولم تكن لدى كابتن تومسون تعليمات

جديدة .. فقد قام بتدمير كل المباني القائمة في رأس الخيمة معتبراً إياها جميعاً بشكل أو آخر تحصينات واجبة التدمير ثم جلا بقواته عنها يوم ١٨ يوليو . وبعدها بيومين نزلت القوات في مدينة قشم .

الجلاء الموقت عن قشم ، ثم مشروع السيطرة البحرية :

لقد أدى احتلال قشم الى اثارة المتاعب مع الحكومة الايرانية ، وثبت أن مناخ الجزيرة غير صحي الى اقصى الحدود . وقد وافقت حكومة بومباي على مشروع للسيطرة البحرية حوالي نهاية سنة ١٨٢١ مقدم من مستر ماريتون مساعد قائد البحرية . وقد كان من شأنه ان يجعل وجود قوة دائمة في الخليج أمراً لا ضرورة له فقد كان يقضي بتخصيص ست سفن مسلحة تتخذ ثلاث منها قاعدة لها في جزيرة قيس ، وتطوف منها الموانى العربية من الرمس الى دبي بشكل دائم ، على أن يقام على جزيرة قيس التي تم اختيارها نظراً للرياح المناسبة حولها ولقربها من ساحل القراصنة مخزن صغير للامدادات ومرسى للقوارب المسلحة بحراسة حامية صغيرة من الجنود الهنود . أما السفن الثلاث الباقية فتستخدم اثنتان منها لنقل الرسائل والمبعوثين وغير ذلك من المهام بين مسقط والبصرة ، وتخصص الثالثة والاخيرة للمواصلات مع بومباي . وبعدها بسنة ، وعقب تنفيذ الجلاء عن قشم ، أدخلت تعديلات طفيفة على هذا المخطط ، فخصصت أربع سفن بدلا من ثلاث للطواف بالموانى ، وبقيت واحدة فقط للعمل بين مسقط والبصرة ، وقد جعلت مسقط في نهاية سنة ١٨٢٢ نقطة تجمع لسفن الشركة في هذه البحار ، لكنها أبدلت ، في سنة ١٨٢٣ ، بميناء موجو على الساحل الايراني . واتخذت الاجراءات لإقامة مخزن في الميناء الأخير ، ولتعيين وكيل أهلي دائم للمقيم البريطاني في الخليج ، واخيراً ، في سبتمبر ١٨٢٣ صدرت التعليمات للمقيم بأن يتخذ الاجراءات الضرورية لنقل القاعدة الى باسيدو بدل موجو .

★ ★ ★

علاقات الحكومة البريطانية بساحل القراصنة
١٨٢٠ ـ ١٨٣٥

تعليمات للمقيم ، نوفمبر ١٨٢٢ :

انتقل الاشراف على ساحل القراصنة عقب انسحاب حامية قشم الى مقيمية بوشهر . وكان الملازم ج. ماكلويد وهو ضابط قدير وكفء قد عين نائباً للكابتن بروس بعد نقله وقد صدرت له التعليمات بزيارة الشيوخ الموقعين على اتفاقية السلم الشاملة بهدف التفاهم معهم . وتسوية الخلافات بينهم ، وتدعيم التزامهم بالاتفاقية . وكان عليه أيضاً أن ينتهز الفرصة ليشرح لهم أن الجلاء عن قاعدة قشم لا يعني أي تغيير في سياسة الحكومة البريطانية ، وأن قوات بحرية ستظل موجودة في الخليج ، وستزور موانى ساحل القراصنة بشكل مستمر . كما كان عليه أيضاً أن يتخذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ نظام « أوراق السفن » واستخدام العلم الذي نص عليه الاتفاق . وكان هذان النصان في الاتفاقية قد أهمل تنفيذهما . وقد فوض في حالة تجدد أعمال القرصنة بالأمر بتدمير السفن دون ان يسمح له بالقيام بعمليات عسكرية برية . وعلى الساحل الإيراني ، كان على المقيم ان يراقب موانى القراصنة مراقبة دقيقة . وفي حالة الضرورة لاتخاذ عمل ما كان عليه أن يلجأ للحكومة الإيرانية ، فهي قد تعهدت الآن بمسئولية السيطرة على موانى ساحلها سيطرة كاملة . وكان على الملازم ماكلويد ، بالإضافة إلى إعداد نظام لجمع الأخبار وإيرادها في تقارير دورية أولا بأول ، أن يدرس بالتفصيل النظام السياسي في منطقة الخليج كلها . ويمكن القول دون مبالغة إن الفهم الحقيقي للمشكلات المحلية على الجانب العربي من الخليج قد بدأ ببداية تنفيذ هذه التعليمات .

جولة الملازم ماكلويد على ساحل القراصنة ١٨٢٣ :

وفي يناير ١٨٢٣ ارتحل المقيم على السفينة « تبرينت » ومعها السفينتان « اوروورا » و « أنتيلوب » وجميعها بقيادة الكابتن فيثفل فطاف بكل ساحل القراصنة كما زار قطر والبحرين . وإلى جانب مقابلته لكل الشيوخ ذوي الأهمية والنفوذ في المنطقة وتنفيذ التعليمات التي تلقاها من حكومته خاصة ما تعلق منها بأوراق السفن ، فقد ناقش المقيم مع الشيوخ عدداً من النقاط التي أثيرت نتيجة التفسيرات المختلفة لاتفاقية السلم الشاملة التي يبدو أنه حتى خطوطها العامة لم تكن مفهومة على نحوها الصحيح . وقد أدى هذا التفاهم الحر والودي إلى بداية حقبة جديدة تماماً في علاقات بريطانيا بساحل القراصنة .

كذلك بذل الملازم ماكلويد جهوداً كبيرة للحيلولة دون وقوع الحرب بين الشيخ سلطان بن صقر شيخ الشارقة وبين حاكم مسقط . وكان الأول أكثر قوة والثاني أكثر مالا ذلك بأن الحرب بين هذين الشيخين كان من شأنها أن تهدد مياه المنطقة كلها بالفوضى والاضطرابات كما أقنع ماكلويد شيخ ابو ظبي بأن يبذل جهوده لإرغام سويدان بن زعل القرصان البحري الخطر ذي الأنصار الكثيرين على انتهاج مسلك آخر لحياته . ولما كانت عملية المسح البحري لهذا الجزء من الخليج قائمة على قدم وساق تنفيذاً لتوصية باتمامها من سير جرانت كير ، فان المقيم قد انتهز فرصة طوافه فزار مواقع المساحين ومر بالاسطول بين الشارقة والدوحة ، وهي المنطقة التي لم تكن قد مسحت بعد .

وكان من بين ما أوصى به المقيم إنشاء وكالة وطنية في الشارقة ، حتى لو كان ضرورياً نقل الوكيل الوطني الذي كان موجوداً بالقطيف ، ويبدو أن هذا الاقتراح تم تنفيذه مباشرة فيما بعد .

مسائل متعلقة بتفسير الاتفاقية ١٨٢٣ :

وفيما يتعلق بالاتفاقية الشاملة ، كانت الشكوك تحوم حول نقاط فيها

أثار معظمها مسلك الشيخ سلطان بن صقر . وقد بادر المقيم برفعها الى حكومته طالباً تعليمات صريحة . وقبل نقل القوات من جزيرة قشم حيث كان الرائد كينيت هو المسئول السياسي هناك ، أثيرت مشكلتان هما : هل للسلطات البريطانية حق التفتيش على السفن التي ما تزال في مرحلة التصميم على شاطيء القراصنة وتدميرها اذا لم تكن حسب المواصفات المطلوبة ؟ . ثم .. هل من حقها أن تحتجز أية سفينة ما دامت لا تحمل هذه الاوراق المطلوبة أو لا ترفع العلم الذي اتفق عليه ؟ .. ويبدو ان القرار كان في الحالتين بالنفي . وكانت هذه النقاط التي نتعرض لها الآن بالمناقشة هي حق السلطات البريطانية في منع بناء او إعادة بناء التحصينات والاستحكامات . كذلك جرت تساؤلات بشأن تحديد دقيق للمادة التاسعة الخاصة بالاتجار في الرقيق وحول حدود المادة العاشرة التي تعهدت فيها الحكومة البريطانية بتوفير الحماية لسفن العرب المتصالحين ضد أي اعتداء يقع من جانب دولة غير موقعة على الاتفاقية . وجاءت الردود على هذه الاسئلة في مارس سنة ١٨٢٣ حيث أفادت حكومة الهند بأن نصوص الاتفاقية لا تسمح ببناء أية تحصينات أو قلاع . أما بالنسبة لتجارة الرقيق فان المقصود ليس هو بيع او شراء الارقاء القدامى إنما المحظور هو الإغارة على الساحل الافريقي بهدف جلب العبيد « وهذا ما يمكن أن تسري عليه صفة أعمال السلب والقرصنة » . أما وعد الحماية من غير الموقعين على الاتفاقية فهو ينحصر في موانئ الهند فقط دون سواها .

تدمير برج في الشارقة :

وتجدر الاشارة هنا إلى أن سلطان بن صقر الذي كان حصل على إذن من الملازم جنرال سميث في وقت مبكر قد يرجع إلى سنة ١٨٢١ . بدأ بإقامة برج يرتفع ثلاثين قدماً عن سطح البحر في رأس الخيمة . وحيث ظن كابتن فيثفول أن هذا العمل خرق للاتفاقية فقد داهم الموقع على رأس خمس سفن ودمره تدميراً تاماً . ويمكننا أن نحكم على ما عمله

كابتن فيثفول بالتسرع لأنه لم يتصل بالمقيم العام الذي يحتمل أن يكون على وعي بتعليمات الحكومة الجديدة بشأن التحصينات . وعلى أية حال فان استشارة المقيم بصدد منع أعمال القرصنة إلا بالنسبة لحالات الضرورة الملحة .. كانت أمراً واجباً . ولم تكن الحالة التي ذكرناها هنا من ضمن تلك الحالات المقصودة في الاتفاقيات .

ولا شك أن استتباب الأمن في مياه البحار هو بطبيعة الحال انجاز يتم بالتدريج ، أما القرصنة فلم تعد مهنة أحد . ولم تتأثر السفن الاجنبية بالحوادث التي وقعت فعلا والتي لم تتضح أسبابها فيما بين الشيوخ العرب ورعاياهم .

١٨٢٣ :

ففي نهاية سنة ١٨٢٣ تردد أن رجلا من الشارقة يدعى حسون قد أعد قارباً لاستخدامه في القرصنة ، وخرج به يتجول على الساحل بالقرب من جاشك ، لكنه لم يرتكب عملا محدداً ، وحين عاد إلى الميناء أجرى تحقيق معه بهذا الصدد ، ولكن تبين أنه لم يرتكب جرماً يمكن اثباته .

١٨٢٤ :

وفي بداية سنة ١٨٢٤ خرج قاربان آخران من الشارجة إلى البحر لارتكاب أعمال عدوانية على نحو ما شهد به شيخ الشارقة للضابط البحري الأول عقب ارتحال القاربين . وبعدها جاء أنهما قد استوليا على سفينة تابعة للمهرة بالقرب من سوقطره . وقام من فيهما باعدام كل من كان على سفينة المهرة وواصلا السير بعدها الى زنجبار . على أن الشكوك تحوم حول موقف الحكومة البريطانية من هذه الحادثة . فقد اكتفت بعد رجوع القاربين الى المياه المحلية بتدمير واحد منهما وجد مهجوراً بالقرب من جاراك بينما تركت الثاني سليماً بعد العثور عليه في مطرح ..

١٨٢٥ :

وفي ١٨٢٥ حدثت حادثة خطيرة بعض الشيء خلال هجوم غير مصرح به ارتكبته عدة سفن للشارقة على قارب بحريني بالقرب من جزيرة هانجام . وفي هذه الحادثة لقي ثلاثة او اربعة رجال من البحرين مصرعهم ونهبت أمتعة كثيرة . وفي أغسطس من نفس السنة صدرت الأوامر للضابط البحري الأول بالسير الى الشارقة على رأس أسطول لطلب تعويض كامل عن ذلك الجرم ، فاذا رفض المطلب فعلى الضابط بعد نقل المقيمية الوطنية من الشارقة أن يدمر كل السفن والقوارب الموجودة في الميناء . ونتيجة لذلك بادر أهل الشارقة الى دفع التعويض المطلوب فوراً ، وأعلن شيخ البحرين أنه راض بذلك. وساد الشعور بأن أهل منطقة الخليج كلها قد تفهموا اتفاقية سنة ١٨٢٠ تفهماً كاملا .

١٨٢٦ — ١٨٢٧ :

وفي سنة ١٨٢٦ ارتكبت سلسلة من أعمال القرصنة على أيدي عبيد بن سعدون وسيف بن ذكيمان وهما من أنصار القرصان المعرف سويدان بن زعل الذي كان قد هرب من ابو ظبي واستقر في الدوحة بقطر . وكان مسرح الاعتداءات منطقة سيادة شيخ البحرين . وشملت الجرائم المذكورة الاستيلاء على سفينة تابعة لأبو ظبي قتل عدة رجال عليها وجرح آخرون ، والاستيلاء على قارب تابع لام القيوين وقتل رجل كان فيه وجرح آخر . كذلك نهب سفينة كبيرة تابعة للبحرين . وحيث كانت قاعدة هذه العمليات هي الدوحة التابعة لحكم شيخ البحرين ، وكان بعض ضحاياها من أم القيوين التابعة للشارقة فقد حاول سلطان بن صقر التهرب من دفع التعويض الذي حدد عن حادثة هانجام في سنة ١٨٢٥ ، لكن السلطات البريطانية رفضت ذلك التعلل من جانبه . ويبدو أن المقيم العام لم يتخذ من ناحيته أي عمل بالنسبة لهذه الحادثة رغم ان شيخ

أبو ظبي تقدم الى السلطات البريطانية طالباً معونتها ، وكاد ان يعلن الحرب على شيخ البحرين . وفي سنة ١٨٢٧ تم إقناع شيخ الشارقة بأن يسجن رجلا يدعى عدوى كان قد ارتكب بعض أعمال القرصنة على قوارب تابعة لدبي .

١٨٢٨ :

وفي سنة ١٨٢٨ استولى بعض القراصنة من بني ياس في شهر يوليو على سفينتين صغيرتين تابعتين للبحرين ، وأخرى تابعة للكويت في مكان لا يبعد كثيراً عن اللوحة ، ثم نجحوا في الهرب الى الداخل ، لكن مكان القوارب اكتشف وأعيدت لأصحابها . وفي سبتمبر ١٨٢٨ خرجت سفينة عليها بعض رعايا ابو ظبي في جولة طويلة على الساحل الايراني ، ثم قفلت عائدة ، وفي طريق عودتها نهبت أربع سفن صغيرة تابعة لعسالو التقت بها الى جوار جزيرة ياس ، لكن شيخ ابو ظبي — حين ظهر كلا طرفي الحادثة بين يديه — أمر بدفع التعويض كاملا لاصحاب السفن .

حادثة خطيرة على قارب لصحار ١٨٢٨ :

وفي سنة ١٨٢٨ عادت الى الاذهان الأعمال الوحشية التي كانت تحدث من قبل حين هاجمت سفينة يقودها مسلم بن رشيد من رأس الخيمة قاربا من صحار ، وتم نهب حمولة السفينة كلها ، وقتل بحارتها جميعاً بأن اوثقت أيديهم ثم القوا في عرض البحر . أما السفينة نفسها فقد دمرت وأغرقت تماماً .

وحين أحس الشيخ سلطان بن صقر بأن السلطات البريطانية جادة في تحري هذه الحادثة انتابه الفزع فبادر بارسال سفينة من سفنه لمطاردة سفينة القراصنة التي ارغمت أخيراً على الرسو على شاطيء لنجة . وألقى القبض على معظم المجرمين ونقلوا الى رأس الخيمة حيث سجنوا عدة شهور وسلمت المسروقات كما سلم القارب الذي امكن العثور عليه إلى

سلطان عمان . ويبدو ان مسلم بن رشيد قد أعدم بأمر من سلطان بن صقر لانه ثبت كما تروي الشائعات أنه كان المحرض الفعلي على ارتكاب الجريمة .

وفي سنة ١٨٢٩ تعرضت السفينة التجارية البريطانية « صنبري » لمعاملة سيئة في ميناء الشارقة بسبب الشك في وجود شحنات عليها خاصة بميناء أبو ظبي المعادي للشارقة ، وقد تم بيع الشحنة التابعة لابو ظبي بواسطة وكيل صاحبها الى شيخ الشارقة دون معرفة قائد السفينة . وبعدها صعدت عليها حمولة عدة قوارب من الرجال بشكل غير لائق لتسلم الحمولة . وقد حاولوا إنزال العلم البريطاني المرفوع عليها ، وحين حاول أحد الرجال مقاومتهم اعتدى عليه عربي بالضرب ضرباً مبرحاً . وانتهت المسألة بوصول السفينة الحربية « امهيرست » . وحين رفع ما حدث الى الشيخ سلطان أنكر في بداية الأمر معرفته به ، ثم أمر بعد ذلك بأن يحرق أول قارب نزل رجاله الى ظهر السفينة « صنبري » . أما الرجل المذنب في مسألة العلم البريطاني فقد جلد علناً بأمر الشيخ سلطان .

أعمال قرصنة أخرى صغيرة ١٨٣١ – ١٨٣٤ :

وفي سنة ١٨٣١ هجر بعض سكان الساحل الايراني بلادهم هرباً من الطاعون الذي استشرى آنذاك . وانتهز بعض القواسم هذه الفرصة أثناء عودتهم من البصرة فنهبوا مينائيْ ديلم وريق كما استولوا على قارب كان في طريقه عائداً من كانجون الى بوشهر .

١٨٣٢ :

ولم تلق هذه الحوادث الصغيرة غير التجاهل ، ولكن في سنة ١٨٣١ كان شيخ عجمان في حرب رسمية ضد صحار متحالفاً ضدهم مع السيد سعيد وراح بالتالي يعتبر أن سفن صحار لم تعد تابعة لسلطنة عمان . فامتدت اليها غاراته .. وقد استدعى الشيخ لمنعه من ذلك ، ولكن

استدعاءه لم يتم الا بعد استيلائه بالفعل على أكثر من ١٢ سفينة لصحار مع حمولاتها ، وأنكر الشيخ سلطان بن صقر ان تكون له أية سيطرة على شيخ عجمان أو شيخ أم القيوين ، فقامت سفينتان حربيتان بتوجيه الانذار للشيخ رشيد في عجمان ، ورفضتا منحه مهلة أكثر من ٢٤ ساعة فقط ، وحين ردت اليه سفينة لعجمان كان قد استولى عليها المساقطة انتقاماً ، بادر هو أيضاً برد القوارب والامتعة والمجوهرات المسروقة وحدث هذا سنة ١٨٣٢ .

١٨٣٢ — ١٨٣٣ :

وفي مايو ١٨٣٢ استولى القراصنة على سفينة لرجل بريطاني خارج الساحل الايراني . وبعدها هرب ثلاثة من المشتركين في هذا العمل — وهم من قرية خان في إمارة الشارقة — ولجأوا إلى شيخ أبو ظبي . وقد ارجيء تسوية هذه الحادثة قليلا بالنظر الى مهام أخرى أكثر الحاحاً كانت تنتظر الطرادات البريطانية في الخليج ، ولكن في سنة ١٨٣٣ حين تقدمت هذه السلطات بطلبها الى شيخ أبو ظبي بادر بدفع غرامة قدرها ١٥٠٠ جنيه انجليزي بدلا من تسليم المجرمين الثلاثة ، أما الشيخ سلطان فقد راوغ في دفع مبلغ ٢٠٠٠ جنيه مطلوبة منه ، لكن عدة طلقات قليلة أطلقت على سفينة من سفن الشارقة سارعت برده الى صوابه .

١٨٣٣ :

وفي سنة ١٨٣٣ استولى بحارة قارب من القواسم على خيمة للمقيمية البريطانية كانت معدة للنقل الى خاراج أثناء انتشار الطاعون في بوشهر . ولما كان القراصنة يعرفون جيداً أصحاب الخيمة فقد اعتبرت الحادثة إهانة متعمدة ، وخرجت سفينة حربية لمطاردتهم ، ووجدت اللصوص في المحمرة فعادت بهم وبالخيمة المسروقة الى بوشهر حيث ظلوا محبوسين فترة ثم أطلق سراحهم بعد وساطة شيخ بوشهر .

: ١٨٣٤

وفي سنة ١٨٣٤ هاجم بعض أفراد قبيلة سلطان – التي كانت قد انتقلت مؤخراً من عجمان الى ابو ظبي – سفينة لقبيلة المطاريش في مطرح واستولوا على حمولتها التي كانت قيمتها تصل الى حوالي ١٠٠٠ جنيه ، ولم تحدث أية خسائر في الارواح ، ورفض شيخ أبو ظبي أن يدفع التعويض حتى ظهرت السفن الحربية البريطانية في مواجهة إمارته . وفي هذه السنة كان الاسطول البريطاني المخصص للعمل في الخليج يتكون فقط من سفينتين : « أمهيرست » و « الفينستون » .

آخر ظهور للقرصنة بين بني ياس ١٨٣٥ :

وتميزت سنة ١٨٣٥ بانفجار جديد لروح القرصنة القديمة ، لم تكن هذه المرة بين القواسم بل بين قبيلة بني ياس التي كانت في الماضي على مسلك طيب وطاعة للقوانين ، ويمكننا أن نرجع هذه الظاهرة لعدة أسباب هي : تغير الحاكم في أبو ظبي ، والانقسامات داخل قبيلة بني ياس ، والمشاعر التي أهاجتها مؤخراً الحرب الوحشية بين شيخي الشارقة ورأس الخيمة . وهكذا خرج قراصنة بني ياس الى عرض الخليج ، وهناك راحوا يقطعون طريق السفن التجارية دون احترام لاي علم من الاعلام المرفوعة عليها .. حتى العلم البريطاني ..

ولم يقف الامر بهؤلاء القراصنة عند حد النهب والسرقة فقط ، بل تجاوزه الى قتل البحارة – أحياناً عن بكرة أبيهم كما كات يحدث أيام قرصنة القواسم في أحلك اوقاتهم – وقد غرهم النجاح الذي أحرزوه على السفن التجارية الوطنية لدرجة أن اسطولا من اساطيلهم خرج مرة الى عرض البحر لا يخفي هدفه في القضاء على الطرادات البريطانية . وحين بلغ هذا التحدي الجديد القائد إلوون قائد البحرية الهندية في الخليج أصدر أمره إلى الكابتن سوير بأن يخرج بسفينته « الفينستون » لمقابلة

أسطول القواسم والاشتباك معه . وكانت هذه السفينة أقوى من سابقتها التي كانت منذ خمسة عشر عاماً ، غير أنه لم يبد أن العرب كانوا على وعي واضح لتلك الحقيقة ، كما كانت السفينة أيضاً مسلحة بثمانية عشر مدفعاً زنة ٣٢ رطلا . لكن عدد بحارتها كان قليلا نسبياً لا يتجاوز ١٥٠ رجلا من بينهم ٨٠ اوروبياً . وفي يوم ١٦ إبريل التقت « الفينستون » بأسطول القراصنة الذي كان فيما يبدو مؤلفاً من ثلاث سفن كبيرة واثنتين متوسطتين وواحدة صغيرة . وكانت أكبر سفن الاسطول تسحب قارباً صغيراً أغلب الظن أنه القارب «ناصر» الذي كان القراصنة قد استولوا عليه في كانجون قبل عدة أيام فقط . وبعد ان اتخذت « الفينستون » وضعاً مناسباً بدأت اطلاق النيران ، وحين خشيت ان يهاجمها القراصنة وينزلوا إليها بادرت هي باقتحام سفن الاسطول وراحت مدافعها من الجانبين تطلق نيرانها بضراوة فيما هي تمر مسرعة بين السفينتين الكبرى البغلة والقارب ناصر . وكاد العرب ينجحون في النزول على سفن العدو ، وقد كان في إحدى السفن الكبيرة وحدها ما يزيد على ٢٠٠ رجل لولا ان صدتهم نيران كثيفة من الاسلحة الصغيرة . وحين أحس القراصنة بأن ميزان ذلك اليوم يميل في غير صالحهم بادروا بالهرب مخلفين وراءهم القارب « ناصر » بعد أن نقلت احدى السفن الكبيرة ٩٠ رجلا كانوا على ظهره – وطاردت « الفينستون » هذه السفينة الكبيرة حتى هبط الظلام حين دارت حول جزيرة فارور ثم اختفت . وفي نفس الوقت انطلق بقية اسطول القراصنة – ساحباً وراءه القارب « ناصر » – بأسرع ما يمكنه باتجاه آخر . وفي اليوم التالي عادت السفينة البريطانية إلى مكان الاشتباك فاستولت على القارب « ناصر » الذي يبدو ان سفن القراصنة قد خلفته وراءها – وأنقذت ٩ من بحارته كانوا قد لجأوا إلى عوامة صغيرة متباعدين بأنفسهم عن خطر القراصنة . وتبين أن ٣٥ جثة قد ألقيت من

القارب « ناصر » — بمفرده— إلى البحر ، وان حوالي ٢٥ رجلا جريحاً قد حملوا على بقية سفن الاسطول ، وقياساً على ذلك لا بد ان الخسارة في السفينة الكبيرة كانت خسارة رهيبة .

وكانت التسوية التي تم التوصل اليها بعد ذلك مع بني ياس مرضية إلى أبعد الحدود ، فقد سلم القراصنة ١٥ سفينة —من أحجام مختلفة ، ما بين كبيرة وصغيرة— كانوا قد استولوا عليها ، كذلك سلموا جانباً كبيراً من حمولة السفينة « داريا دولت » التي ترفع العلم البريطاني ، كما دفعوا تعويضات عما نهبوه وصلت حوالي ١٠ آلاف جنيه نقداً وعيناً ، وسلموا ثلاث سفن كبيرة من سفنهم كرهائن لدفع مبلغ ١٦٠٠ جنيه أخرى . وأطلق القراصنة سراح جميع الاسرى الذين كانوا لديهم ، وسلموا اثنين من زعماء القراصنة هما محمد بن صقر ومحمد بن ماجد لمحاكمتهما على الجرائم التي ارتكبوها إلى جانب أن سفينة من سفن بني ياس تصادف ان وصلت في هذا الوقت من الهند إلى مسقط فاحتجزتها سلطات هذا الميناء . وفي بومباي ثبت على محمد بن صقر الاتهام بالقرصنة في أعالي البحار . وحكم عليه بالسجن مدى الحياة ، أما محمد بن ماجد فلم يثبت عليه الاتهام فتقرر إرجاعه الى الخليج وتسليمه للشيخ سلطان بن صقر لكنه استطاع لسوء الحظ أن يهرب سباحة من مرسى يبعد اربعة أميال إلى خارج الشارقة .

قرصنة ترتكبها قوارب من دبي ١٨٣٤ — ١٨٣٥ :

وبدأ آل فلاسه في دبي يشنون غارات واسعة على السفن التجارية ، وكان ذلك عقب انتقالهم —الذي وصفناه في مكان آخر— من أبو ظبي ، فهاجموا سفينة لمسقط واستولوا عليها واخرى للبحرين ، واثنتين لميناء ناباند ، وقتلوا في الحادثة الاولى ٥ رجال ، كما نهبوا أيضاً قرية على ساحل الباطنة بالقرب من مسقط . وتوجهت عمارة بريطانية الى مدينة دبي ، فاستطاعت أن تحصل منها على تعويض كامل عن الخسائر التي وقعت بالسفن السابق ذكرها .

قرصنة ترتكبها قوارب من الشارقة ١٨٣٥ :

وفي ١٨٣٥ سار شيخ الشارقة ، متعللا بأنه يقدم العون لسيد عمان ضد مدينة صحار المتمردة ، على رأس اسطول إلى خور فكان ودبي ، لكن اعتداءاته سرعان ما تجاوزت سفن صحار لسفن حليفه السيد نفسه بل وللسفن المحايدة أيضاً ، لكنه ارغم –كما تقول التقارير– على دفع تعويضات كاملة عن الاعتداءات التي قام بها .

★ ★ ★

علاقات شيوخ ساحل القراصنة بسيد مسقط ١٨٢٠ – ١٨٣٥

والآن ، وقبل ان ننتقل الى معالجة التاريخ الداخلي لساحل القراصنة من معاهدة السلم الشاملة سنة ١٨٢٠ الى الهدنة البحرية الاولى سنة ١٨٣٥ ، يحسن بنا ان نلقي نظرة على العوامل الخارجية التي كان لها تأثيرها على السياسة المحلية .

كان سيد مسقط هو القوة المتنفذة الثانية في ساحل القرصنة بعد بريطانيا العظمى ، وكان أكبر أنصار السيد على هذا الساحل هو دائماً شيوخ ابو ظبي وشيوخ دبي ، ولكن في سنة ١٨٢٣ حدث استثناء نادر وغريب لهذه القاعدة فتحالفت دبي وأبو ظبي مع الشارقة ، على حين حاولت عجمان أن تثبت استقلالها عن الشارقة بالتحالف مع سيد مسقط .

قضية البوريمي ودايره ١٨٢٤ – ١٨٢٧ :

وفي سنة ١٨٢٤ نشب نزاع بين السيد سعيد سلطان مسقط وسلطان بن صقر شيخ الشارقة حول واحة البريمي التي كان قد أعلن عنها إقليماً محايداً في معاهدة سابقة بينهما . ويكتنف الغموض الان تفاصيل هذا النزاع ولكن يبدو ان شيخ الشارقة قام اعتسافاً بالاستيلاء على عدة ابراج أو

قلاع في البريمي أما شيخ ابو ظبي فقد راح يشجع جماعة من قبيلة السودان اللاجئة من الشارقة على بناء قلعة لهم في منطقة الديره بين دبي والشارقة ، وأصبحت هذه القلعة مصدر إزعاج عظيم لشيخ الشارقة . وأضافت الى مشكلة البريمي نوعاً آخر من التوتر رأى المقيم البريطاني من واجبه أن يقضي عليه . فقام شخصياً بزيارة الشارقة في ديسمبر ١٨٢٤ واستطاع أن يسوي الامور بين الطرفين على أساس هدم الأبراج التي بنيت في الديره وأن ينتقل لاجئو السودان الى مكان آخر من إمارة أبو ظبي . وفي فبراير ١٨٢٥ حين لم يكن سلطان بن صقر قد اتخذ أية خطوة لتنفيذ ما التزم به في هذه الاتفاقية وجه المقيم العام اليه إنذاراً شديداً رد عليه الشيخ باتهام أعدائه بالتآمر ، وطلب تكوين لجنة ثلاثية يعين هو عضواً ويعين سيد عمان ثانياً ويعين المقيم العضو الثالث للاشراف على تنفيذ اتفاق البريمي . وفي مايو ١٨٢٥ انتهز المقيم فرصة زيارته لمسقط فأرسل غولاب اناندداس الوكيل الوطني الذي يمثل بريطانيا في ذلك الميناء الى الشارقة على رأس قوة من جنود عمان ليشهد تدمير قلاع البريمي بتفويض خاص من شيخ الشارقة . لكن هذا المبعوث لم يكد يغادر مسقط حتى قام سلطان بن صقر بهجوم مفاجيء على الديره ، ثم تمكن بعد ذلك من صد قوة ارسلها طحنون بن شخبوط لإنقاذ البلدة . وقد وضعت هذه العملية الغادرة حداً بطبيعة الحال للجهود التي كان يبذلها المقيم لتسوية النزاع . وجدير بالذكر ان الوكيل الوطني لمسقط أفاد أثناء عودته من البريمي أ نتأخيره إنما كان بسبب متاعب أثارها له سلطان بن صقر الذي دلّل بذلك على سوء نيته في الموضوع كله .

وكانت نتيجة النزاع بين الشارقة وابو ظبي أن رعايا تلكما الامارتين تخلفوا عن موسم الغوص السنوي ؛ وكانت خسارة الطرفين جسيمة بحيث دفعتهما الى التصالح في أكتوبر سنة ١٨٢٥ باشراف السيد سعيد سلطان مسقط الذي كان آنذاك على الساحل على رأس اسطول من سفنه. وفي الاتفاقية التي تمت بينهما تجاهلا مشكلة البريمي تجاهلا تاماً ، لكنهما

اتفقا على ازالة قلعة الديره وانسحاب جماعة السودان . وقد تضمنت الاتفاقية نصاً غريباً يشير الى روح السمسرة التي كانت تحدو السيد سعيد في تدخله ووساطته وكان النص يقضي بتحييد ميناء دبي بتسليم دفاعاتها وتحصيناتها لحاكم مسقط . غير ان هذا النص بقي حبراً على ورق .. وظلت الاتفاقية كلها هكذا حتى سنة ١٨٢٧ حين قام السيد سعيد على رأس قوة بحرية بتدمير دفاعات الديره ، لكنه عوض الشيخ طحنون عن ذلك باهدائه كمية كبيرة من الاسلحة والذخائر وحرضه على أن يهاجم دبي ويستولي عليها . وواضح أن السيد سعيد كان يرى في التصالح بين الشارقة وأبو ظبي خطراً يهدد مصالحه هو .

خطط شيخ الشارقة ١٨٢٩ — ١٨٣٠ :

وفي ١٨٢٩ وقبل ان يقوم السيد سعيد بحملته الاولى على شرق إفريقيا حاول ان يضمن سلامة أملاكه في الداخل بتخصيص بعض الإعانات المالية لعدد من شيوخ ساحل القرصنة . وكان من بين هؤلاء سلطان بن صقر الذي وعده بتخصيص راتب سنوي له قدره ألفا روبية . غير أن شيخ الشارقه الغدار حاول رغم ذلك أن يلقي بكل ثقله إلى جانب المتمردين على السيد سعيد الذين كانوا يسعون للإطاحة بحكمه في سنة ١٨٣٠ ، ولم يقف به عن ذلك بكل صعوبة الا معارضة كبار رجال قبيلته في البداية ، ثم الانذار من جانب السلطات البريطانية تالياً .

تآمر حول العمليات في صحار ١٨٣١ :

وبعد عودة سعيد من إفريقيا التمس عون سلطان بن صقر في العمليات التي كان يقوم بها آنذاك لاسترجاع صحار من أيدي المتمردين لكن الشيخ نكص عن مساعدته . مشترطاً لها أن تسلم إليه دبي أو خور فكان . وأخيراً قام شيخ ابو ظبي بغارة على ارض القواسم منعت شيخ الشارقة من الاشتراك في تلك العمليات ، لا الى جانب السلطان ولا الى

جانب أعدائه . وكان شيخ أبو ظبي يستهدف من حركته تلك إرباك السيد سعيد لانه رفض عروض ابو ظبي لمساعدته في عمليات قواته في صحار ربما لما كان جرّبه من سوء سلوك جماعته من بني ياس خلال الحملة على البحرين في ١٨٢٨ . وكان الشيخ الوحيد بين شيوخ ساحل القراصنة الذي وقف الى جانب السيد سعيد في عملياته على صحار هو رشيد بن حميد شيخ عجمان – المستقلة عن الشارقة . غير انه حين هزمت قوات مسقط بادر هذا الحليف الخائن بالانتقال الى الجانب الآخر ، وبذل جهده لإكمال هزيمة السيد سعيد .

شيخ الشارقة يضم اليه اقليم الشمالية :

وفي سنة ١٨٣٢ وفي أثناء قيام تمرد ثان على السيد سعيد في فترة غيابه مرة أخرى في شرق إفريقيا لم يفلت سلطان بن صقر هذه الفرصة السانحة فبادر غدراً وخيانة إلى الاستيلاء على موانىء الشمالية في خور فكان وغاله ، ولولا ان تصادف وجود سفينتين عمانيتين تحملان إمدادات وذخائر لكان من المحتمل ان تسقط مدينة شيناص أيضاً بين يديه .

★ ★ ★

علاقات الدولة الوهابية بأمور ساحل القرصنة
١٨٢٠ – ١٨٣٥

هزيمة مؤقتة للنفوذ الوهابي ١٨٢١ – ١٨٢٣ :

انهار نفوذ أمير الوهابيين فترة من الزمن من جراء العمليات الناجحة التي قامت بها كل من القوات المصرية والبريطانية ضده وضد حلفائه ، غير أن انسحاب القوات المصرية من نجد . والبريطانية من قشم ، أعادا نفوذه في عمان الى الانبعاث من جديد . ورغم ان سلطان بن صقر قد ارتد عن الوهابية في سنة ١٨٢١ ورغم ان نفوذه ربما كان يفوق نفوذ

حسن بن علي شيخ الرمس وممثل المصالح الوهابية على ساحل القراصنة ، الا أن جانباً كبيراً من سكان هذا الساحل كانوا في سنة ١٨٢٣ ما يزالون متعاطفين مع قضية الوهابيين وان كان النفوذ السياسي الفعلي للدولة الوهابيين قد انقضى في تلك المنطقة .

تجدد النفوذ الوهابي ١٨٢٤ :

وفي ١٨٢٤ بدأت الدولة الوهابيه ترفع رأسها مرة أخرى في وسط الجزيرة ، ولم يضع سلطان بن صقر ، وعملية الاول رشيد بن حميد في عجمان ، أي وقت في ربط مصالحهما بهذا الامير ، وتمت المفاوضات علناً مع شيخ الشارقة الذي تظاهر بأن ذلك الاجراء ضرورة لأمنه وسلامته .

اتصالات بين شيخ الشارقة والسلطات البريطانية حول الخطر الوهابي ١٨٢٥ :

وقد اعترف سلطان بن صقر في لقاء له مع المقيم البريطاني ثم في نوفمبر ١٨٢٥ بتخوفه العظيم من تزايد قوة الوهابيين ، وسأل عما اذا كان يستطيع الاعتماد على معونة السلطات البريطانية لتحقيق استقلاله عن هذا الامير ، كذلك سأن عما يجب عليه عمله في حالة إعلان الوهابيين الحرب على سلطان مسقط وطلبهم عون الشارقة في مثل تلك الحرب . ويبدو ان الشيخ لم يتلق رداً عن سؤاله بشأن المعونة البريطانية ، فقد كان رأى حكومة بومباي أنه لا داعي على الاطلاق لإظهار أية نوايا عدائية للدولة الوهابية حول مجرد مشكلات إقليمية لا أكثر . غير أنها أبلغت الوهابيين ان الحكومة البريطانية لن تتقبل أي تعلل بالضغط من جانب الوهابيين لاستئناف أعمال القرصنة أو الاضطراب في البحر ، كما وجهت اليه نصيحة حازمة بعدم الدخول في أي تحالف ضد صاحب العظمة سلطان مسقط .

السلطات البريطانية ترفض معاونة شيخ الشارقة ضد الوهابيين ١٨٣٠ :

وفي سنة ١٨٣٠ جاء النجاح الذي أحرزه الوهابيون في الإحساء وظهورهم الذي بات متوقعاً في أية لحظة في عمان لينشر الخوف والفزع على طول ساحل القراصنة . وحاول شيخ الشارقة الذي كان على يقين من أن تقدم الوهابيين سيفقده كل شيء إظهار سروره وابتهاجه على الملأ من ذلك النجاح الوهابي بينما هو سراً يلح في الحصول على وعد من السلطات البريطانية بمساعدته . لكن تلك السلطات أبلغته أن بريطانيا العظمى لم تكن عندئذ مهتمة بغير استتباب السلم في البحار وأنه لا شأن لها بالتدخل بين القوى العربية المختلفة في شبه الجزيرة . وقد كان عدد كبير من الناس العاديين ، علاوة على شيوخ عجمان وام القيوين . يبدون ابتهاجهم بتقدم الوهابيين لعل التغيير المرتقب يحررهم من سيطرة الشارقة. بل لقد طلب رشيد بن حميد بالفعل اعتباره وكيلا للوهابيين في بلده . لكنه تلقى رداً مخيباً لآماله من الوهابيين بأن الأمير الوهابي كان وسيظل يرى بأن السيد سلطان مسقط ، وشيخ الشارقة هما زعيما كل قبائل عمان . وقد توسط رشيد بن حميد هذا نفسه على أية حال في الاتصال بين أمير الوهابيين وحكومة بومباي حين أفصح الأمير الوهابي عن رغبته في أن يكون على علاقات ودية دائمة بالحكومة البريطانية .

وفي سنة ١٨٣٣ سقطت إمارة ابو ظبي مؤقتاً بسبب ثورة داخلية شبت فيها في أحضان النفوذ الوهابي ، وفي سنة ١٨٣٤ حاول وكيل الوهابيين في البريمي بايعاز من شيخ ابو ظبي التوسط في هذا النزاع المزمن الذي كان عندئذ مستعراً على أشده بين شيخي أبو ظبي والشارقه ، وأدت وساطته الى منع سلطان بن صقر من تجميع البدو لاجتياح مدينة أبو ظبي من ناحية البر ، لكن الوساطة المذكورة لم تؤثر فيه تأثيراً حاسماً ولا منعته من الاستمرار في ممارسة الأعمال العدوانية ضد ابو ظبي .

★ ★ ★

علاقات القواسم بالساحل الايراني
١٨٢٠ ـ ١٨٣٥

وظل القواسم على علاقة وثقى بالساحل الايراني ، فقد كانت الأسرة الحاكمة في لنجة تنتمي الى قبيلتهم . ويبدو طبيعياً على كل حال أن يقف القواسم الى جانب الشيوخ العرب المحليين في المشكلات الموسمية التي كانت تثور بينهم وبين الحكومة الايرانية المركزية .

وفي سنة ١٨٣٢ قام الشيخ نصر الحاكم الوراثي لبوشهر الذي طردته منها السلطات الايرانية بمحاصرة الميناء طالباً معونة القواسم وواعداً اياهم بنهب الميناء اذا وقع في أيديهم . وعلى أثر تلك الدعوة وصل الشيخ سلطان بن صقر بنفسه في أواخر نوفمبر على رأس اسطول يحمل عدداً من الجنود يتراوح بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ رجل ، وقد كان من المحتمل أن ينتج عن هذا شر عظيم لولا أن مستر بلين المقيم السياسي البريطاني أمر القواسم بالانسحاب بعد أن رأى فشل حصار الشيخ نصر لبوشهر واستحالة نجاحه في استعادتها بالقوة . ولم ينسحب القواسم بالفعل الا بعد تردد طويل ، وبعد أن هددهم المقيم العام تهديداً مباشراً .

★ ★ ★

الشئون الداخلية في ساحل القراصنة
١٨٢٠ ـ ١٨٣٥

الوضع في سنة ١٨٣١ :

كان الشيخ سلطان بن صقر حتى قبل جلاء البريطانيين عن رأس الخيمة قد استرد سلطته الرئاسية على القواسم . وقد أصبح حسان بن رحمه الذي كان شيخاً لرأس الخيمة من قبل تابعاً له . ولم يستطع حسين بن

علي شيخ الرمس الموالي للوهابيين بعد ان تقدمت به السن كثيراً أن يقف في وجه سلطان رغم مناصرة قاضب بن أحمد شيخ جزيرة الحمرا له .

الوضع في سنة ١٨٢٣

وفي ذلك الوقت من يناير ١٨٢٣ ، حين قام الملازم ماكلويد بزيارته لساحل القراصنة ، توجه الاهتمام للمرة الأولى بالأحوال الداخلية على ذلك الساحل . وكان نفوذ شيخ الشارقة عندئذ لا يرقى اليه نفوذ أي شيخ آخر ربما في ذلك غريمه الأول شيخ أبو ظبي ، فهو كان قد عزل حسين ابن علي شيخ الرمس العجوز ونفاه الى الشارقة وجعل بدله محمد بن عبد الرحمن ابن أحد شيوخ الرمس السابقين ، كما جعل أخاه محمداً شيخاً لمدينة رأس الخيمة التي أصبحت تشغل مكاناً من الارض مواجهاً لشبه الجزيرة ، وأبقى على شيخ أم القيوين عبدالله بن راشد حاكماً لذلك الاقليم باسمه . وباختصار كان الشيخ الوحيد الذي يتمتع بشيء من الاستقلال على الساحل شمالي الشارقة هو رشيد بن حميد شيخ عجمان ، وكان سلطان بن صقر يتلهف للقضاء على هذه البقعه الوحيدة التي تقف في سبيل سيطرته الكاملة . واثباتاً لحقه في السيادة على عجمان أشار سلطان للمقيم البريطاني الى الاتفاقية المبدئية الموقعة بينه وبين سير و. جرانت كير في سنة ١٨٢٠ والتي كانت بالفعل تعتبر عجمان تابعة له ، لكن السلطات البريطانية أبلغته أنها لا تستطيع أن تفهم من تلك الاتفاقية تخليد سيادته على عجمان .. وأضافت ان الحكومة البريطانية لا تهتم أقل اهتمام بمزاعمه للسيطرة على سواه من الشيوخ .

وقد خالف الملازم ماكلويد الرأي السائد عن سلطان بن صقر بأنه كان مجرد وحش على كل انسان فقال في وصفه انه « رجل مزعج وطموح ، ولكنه متفوق في اقتداره وفي معظم الامور على سائر جيرانه . وأضاف يقول أنه من المحتمل أن يكون لإحكام قبضته سلطان بن صقر على ساحل القراصنة أثره الطيب لمصلحة الحكومة البريطانية ، لكن يجب

أن يكون واضحاً أنه ليس لشيخ حكم مطلق حتى في داخل قبيلته ، ومن هنا نقول بأن سيطرة الشارقة على سواها من المشيخات لن تكون في أفضل الأحوال سوى سيطرة اسمية فقط ، كذلك أيضاً توقع المقيم البريطاني نشوء مشكلات كثيرة نتيجة كراهية شيخ الشارقة للسيد سلطان مسقط .

وكانت امارة دبي وما تزال تحت حكم زايد بن سيف عم شيخها الصغير امارة تابعة لأبو ظبي التي كان عليها طحنون بن شخبوط ، وكانت كلتا الامارتين المعتمدتين على عطايا الحرب والمراعي دون عطايا البحر تميلان الى التحالف مع مسقط .

أما القواسم الذين انكشف للمرة الأولى فقرهم المدقع وضحالة مواردهم فكانوا ما يزالون يعتمدون في بناء سفنهم على خشب التيك الهندي ، وفي تسليحهم وذخيرتهم على ما يجلبونه من البحرين ، ومن موانيء ايران بأسفل الخليج ومن مسقط ايضاً ، وأسلحتهم معظمها من مصنوعات ايران . ولم يكن لاي من الشيوخ أكثر من ثلاثة قوارب او أربعة الا سلطان بن صقر الذي كان له حوالي ٣٠ سفينة جيدة ، تستطيع كل منها أن تحمل عدداً يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ رجل ، وكان من المعتقد أن أعمار معظمها تعدت ثلاث سنوات ، وان الشيخ قد استطاع بطريقة من الطرق أن يخفيها ولا يسلمها للحملة البريطانية سنة ١٨٢٠ .

استمرار نفوذ شيخ الشارقة ١٨٢٣ — ١٨٣٢ :

وحيث كان الشيخ قضيب بن أحمد شيخ جزيرة الحمرا قد مات فقد عزل سلطان بن صقر خليفته الشرعي سنة ١٨٢٤ لينصب بدله رجلا أكثر موالاة له يدعى أحمد بن عبدالله .. وفي نفس الوقت ايضاً خضع شيخ عجمان لما لا بد منه، وأعلن خضوعه لشيخ الشارقة . وفي ١٨٢٥ حقق سلطان بن صقر بعض النفوذ له في دبي بزواجه من شقيقة الشيخ الصغير ، وكانت لديه خططه في محاولة السيطرة بالفعل على هذه الامارة التي يهدده

قربها من عاصمته لو استطاع أحد اعدائه السيطرة عليها . على أنه حين شعر سلطان بن صقر سنة ١٨٣٢ نتيجة التجاريب بمتاعب مسئوليته عن صغار المشايخ فقد أعلن تنازله عن السيطرة على عجمان وام القيوين ، ولابد أن هزيمته في أبو ظبي سنة ١٨٢٣ عملت كذلك على الاضرار بهيبته ونفوذه .

وفي نفس الوقت ، بدأت مدينة رأس الخيمة تنشأ مجدداً عام ١٨٢٨ في مكانها الاصلي ، وقد استخدمت انقاض المدينة القديمة مواداً لبناء الجديدة ، وأقيم السور الذي كان يقطع الخليج من ناحية البر مرة أخرى . وكذلك أقيم برج مربع على آثار التحصينات القديمة .

ولا يلزمنا هنا أكثر من اشارة سريعة الى الحرب التي قامت بين الشارقة وأبو ظبي بسبب مشكلة البريمي وديرة في سنة ١٨٢٥ ، وقد أشرنا اليها من قبل .

وفي فبراير ١٨٢٩ كان سلطان بن صقر ساخطاً للتواطوء الدائم ضده بين سيد مسقط وشيخ ابو ظبي فانتهز فرصة فشل حملة هذين الحاكمين المشتركة على البحرين وأعلن الحرب على ابو ظبي ، واستطاع بعد غارات سريعة ومتعاقبة ان يوقع كثيراً من الضرر بالمدينة الوحيدة في إمارة عدوه. لكن احتمال الحرمان من موسم الغوص التالي كان امراً يخشاه كلا الطرفين وعلى ذلك عقد الصلح بينهما ـ بعد وساطة محمد بن قضيب شيخ لنجة ـ في يونيو ١٨٢٩ على الا يتدخل أحدهما في شئون رعايا الآخر وأنصاره .

وفي سنة ١٨٣١ تجددت الاضطرابات مرة أخرى من جراء الخلط والاضطراب اللذين سادا أثناء عمليات السيد سعيد سلطان مسقط على صحار . وحين رجع شيخ عجمان من صحار تبين أن مدينته قد نهبت وممتلكات رعاياه وقطعان ماشيتهم قد سرقت على أيدي جماعة من بني

ياس والمناصير أرسلهم الشيخ طحنون بن شخبوط . لذلك لم يتأخر في إعلان الحرب ، بالاشتراك مع شيخ الشارقة ، على أبو ظبي ، وعقد الصلح بعد ذلك بوساطة شيخ لنجة استهدافاً لامر واحد لا ريب فيه هو إرجاء الخلافات حتى ينتهي موسم اللؤلؤ . ولكن رعايا الشارقة خرقوا ذلك الصلح في سبتمبر وهاجموا قاربين لصيد اللؤلؤ لبني ياس قرب البحرين ، ورد شيخ أبو ظبي على ذلك العمل مباشرة بالاستيلاء على ١٤ سفينة للقواسم تصادف وجودها في مينائه آنذاك للحصول على الامدادات وحدثت تسوية أخرى بعد ذلك مباشرة لكنها نقضت مرة أخرى في ديسمبر غير أنه لم تحدث بين الأطراف المتنازعة أية عمليات عسكرية خطيرة جديرة بالذكر .

وفي ١٨٣٣ تشجع سلطان بن صقر بالانقسام الذي حدث في صفوف بني ياس ، وبهجرة فريق من آل بو فلاسة وغيرهم من أبو ظبي الى دبي ليعد قواه ويقوم بمحاولة للإطاحة بغريمه الكريه شيخ بني ياس مرة واحدة .. وللأبد .

واستدعى سلطان رعايا الشارقة جميعاً على عجل من شواطئ اللؤلؤ وموسم الغوص في عنفوانه ، غير مبال بسخطهم ، وأعد حملة بحرية على أبو ظبي دون إبطاء ، وكانت تتكون من ٢٢ قارباً تحمل ٥٢٠ قاسمياً يقودهم الشيوخ سلطان بن صقر وحسان بن رحمه بالإضافة لـ ٨٠ قارباً آخر عليها حوالي ٧٠٠ رجل من آل بو فلاسه وغيرهم من اللاجئين في دبي . وبعد ظهر يوم ١٠ سبتمبر ١٨٣٣ نزل القواسم وحلفاؤهم إلى الارض في موقع يبعد حوالي أربعة أميال عن ابو ظبي متوقعين ان يجدوا المدينة نفسها وقد هجرها أهلها فيستولوا عليها في الصباح دون مقاومة . غير أن أخبار ذلك الهجوم كانت قد وصلت مبكرة الى بني ياس مما مكّن لهم حشد عدد كبير من رجال قبيلتهم ومن بدو المناصير ، وحين

أشرقت الشمس تبين الغزاة أنهم كانوا محاطين بقوات تفوقهم عدداً وكثافة ، وسيطر عليهم الفزع فهرعوا الى قواربهم لكن معظم هذه القوارب عجزت عن الملاحة بسبب الجزر وانحسار المياه ، وكاد الشيخ سلطان بن صقر نفسه يغرق في قارب صغير كان قد استقله مع اربعة من عبيده . وبلغت خسائر القواسم في هذه العملية من القتلى حوالي ٣٠ رجلا من بينهم شقيق لشيخ لنجة ، كما فقدوا أيضاً ستة قوارب صغيرة وسفينة كبيرة استولى عليها العدو . أما حلفاء سلطان من المنشقين من بني ياس فقتل منهم ١٥ رجلا ، وأسر ٢٣٥ ارغموا على العودة الى ديارهم في أبو ظبي ، وأما الثمانون قارباً التي ساهم بها بنو ياس استولى العدو على ما لا يقل عن ٦٠ قارباً منها .

ورغم كل هذا لم يتخل شيخ الشارقة عن نواياه بل استطاع متعاوناً مع شيوخ عجمان ولنجة أن يعد اسطولا جديداً أبحر به من دبي يوم ٩ نوفمبر سنة ١٨٣٣ . وبوصول الاسطول الى ابو ظبي حاول سلطان بن صقر الاستيلاء مباشرة على المكان بالهجوم البحري ، وظل يكرر محاولاته لمدة ثلاثة أيام ظل يلاقي خلالها مقاومة عنيدة من جانب حامية مشتركة تضم البدو وأهل المدينة جميعاً ، وكانوا يطلقون نيرانهم من ست او سبع سفن مربوطة الى البر بسلاسل حديدية ثقيلة .. وكانت حقاً نيراناً حامية حتى إنها حطمت السفينة التي كان يستقلها الشيخ سلطان نفسه. وعدل القواسم عن هجومهم وحاصروا المدينة ، ووجد المدافعون عنها أنفسهم في موقف حرج خاصة بعد ان رحل السيد سعيد سلطان مسقط الى شرق افريقيا ، وتبدد بذلك أملهم الأخير في أية معونة من الخارج ، ومما أضاف مزيداً من المتاعب الى متاعب المحاصرين استيلاء القواسم على حوالي ثلاثين سفينة من سفنهم على مسافة من ابو ظبي ، وقتل ١٠ من رجالهم في اشتباك مع أهل دبي كما استولى العدو على قافلة من خمسين بعيراً كانت تحمل تموراً من البريمي لابو ظبي . لكن الحامية — رغم هذا—

لم تفقد صلابتها . وتحت ستار الليل ارسلت ثلاث سفن كبيرة تحمل حوالي ٥٠٠ رجل الى البحر فطاردتهم فرقة من ٢٠ سفينة للعدو لكنهم افلحوا في الهرب من مطارديهم . وكان اول ما عملته السفن الهاربة هو الاستيلاء على سفينة صغيرة لعجمان بالقرب من بسطانه اعدموا سبعة أو ثمانية كانوا على ظهرها ، ثم هاجمت بعد ذلك سفينة لمسقط فقتلت ٥ من بحارتها ونهبت حمولتها من التمور الى جانب مبلغ ثلاثة آلاف روبية نقداً ، لكن المعتدين اضطروا لاحقاً لتعويض سلطان مسقط عن قرصنتهم هذه دون تدخل من جانب السلطات البريطانية . وبعدها .. وحين تبينت السفن في الافق اسطولاً للقواسم استطاعت الهرب والرجعة سالمة الى أبو ظبي .

وفي نفس الوقت نجح الشيخ خليفة بن شخبوط من ابو ظبي في الاقتصاص من بدو الغفالة وغيرهم من البدو الذين ساعدوا أهل دبي في قطع خطوط امداداته البرية ، غير ان المتاعب التي كان يتعرض لها بحارة السفن المحاصرة لم تكن تقل كثيراً عن المتاعب والمصاعب التي يواجهها أهل المدينة المحاصرة ، فقد كان على سفن أبو ظبي أن تحصل على إمداداتها ومياهها من لنجة ورأس الخيمة ، وكان يطلب الى كل رجل على ظهر السفن بأن يتدبر أمر طعامه وشرابه . واخيراً ، تم الصلح سنة ١٨٣٤ بوساطة من شيخ لنجة على ان يعيد شيخ ابو ظبي كل السفن التي استولى عليها منذ بدء الحرب بشرط أن يرفع شيخ الشارقة حصاره عن المكان .

غير ان زمن الصلح كان قصيراً فقد أدت اعتداءات بدو المناصير من حلفاء شيخ ابو ظبي على ارض القواسم الى انتقام هؤلاء بالاستيلاء على ١٠ قوارب مملوكة لبني ياس على شواطيء اللؤلؤ مع بحارتها وما كان عليها من لآليء تصل قيمتها الى أكثر من أربعة آلاف روبية . وارغمت

هذه الحادثة الشيوخ على استدعاء رعاياهم من شواطيء اللؤلؤ مما أسفر عن خسارة فادحة لجميع الاطراف دون تمييز . وارسل الشيخ خليفة شيخ ابوظبي ووالد الشيخ شخبوط مبعوثاً عنه الى الشارقة باقتراحات للسلام.. واخيراً تم التوصل الى اتفاقية ثابتة . وفيما يتعلق ببني ياس المقيمين الآن في دبي فقد تم اعتبارهم رعايا تابعين لشيخ الشارقة .

ولقد أدت هذه الحرب العنيفة المجهدة ، التي ربما كانت اعنف حرب دارت بين شيوخ ساحل القراصنة ، الى نتائج مواتية جداً في التمهيد لعقد الهدنة البحرية الاولى في سنة ١٨٣٥ .

★ ★ ★

الفترة من الهدنة البحرية الاولى الى معاهدة السلم الدائمة ١٨٣٥ ـ ١٨٥٣

الهدنة البحرية ، والخط المانع ١٨٣٥ ـ ١٨٣٦

فشل اتفاقية ١٨٢٠ في تحقيق السلم الدائم في الخليج :

تبين الآن تماماً عدم كفاية اتفاقية السلم العامة لتحقيق السلام في البحر لأنها لم تنص على منع الحروب البحرية ، ولأن تجارب المنطقة برهنت أن ما يبدأ كحرب بحرية لا بد أن ينتهي إلى قرصنة جامحة لا تعرف الحدود .

ويبدو أن الجميع ، حتى الشيوخ أنفسهم ، قد أحسوا بالحاجة الى كوابح جديدة أخرى . وقد ألح شيخ الشارقة في ١٨٢٧ ، وشيخ البحرين في ١٨٢٨ على أن المادة الرابعة من الاتفاقية تعطي الحكومة البريطانية حق منع الحروب البحرية أياً كانت طبيعتها فيما بين العرب المتسالمين . لكن هذا الاقتراح قوبل من جانب السلطات البريطانية بالفتور

نظراً لتمسكها بحرفية الاتفاقية . ونشير هنا أيضاً الى أن ما نصت عليه الاتفاقية من ضرورة إصدار « اوراق خاصة » للسفن وتسجيلها قد ثبت أنه غير عملي فلم يعد يطبقه أحد ، هذا الى جانب أننا قد رأينا ان هذه الاتفاقية يساء فهمها وتفسيرها في أحيان كثيرة ، وهي غير عملية أيضاً في أحيان أخرى .

وكانت الحكومة البريطانية حتى ذلك الحين لا تود أن تتحمل مسئولية منع كل الحروب في البحار ، خاصة وأنها كانت تعتقد بأن التدخل من جانبها قد يؤدي إلى الاخلال بالتوازن القائم بين الإمارات البحرية المختلفة من ناحية ، وتلك التي تعتمد على القوة العسكرية البرية من الناحية الأخرى . وفي سنة ١٨٣٤ قرر مجلس المديرين ، صراحة ، أنه من غير المفيد على الإطلاق أن تفرض بريطانيا أي نوع من الحماية على الامارات أو أن تفرض عليهم أي نوع من السلطة المباشرة ، حتى ولو دعاها الى ذلك الشيوخ أنفسهم . وقد ظلت السلطات البريطانية — التي كانت ترى نفسها ببساطة مجرد طرف قيادي في تحالف بحري للقضاء على القرصنة — تقف بكل جهودها الى جانب السلام ، بل انها ايضاً ظلت فترة من الزمن تلتزم بمبدأ اعتبار العمليات العدوانية على شواطيء اللؤلؤ أثناء موسم الغوص أعمال قرصنة ، كما أكدت أيضاً أن مبادىء معاهدة السلم يجب أن يلتزم بها حتى شيوخ الإمارات التي لم توقع عليها مثل القطيف والكويت .

الهدنة البحرية الاولى ١٨٣٦ :

ولما كانت هذه هي ظروف ووجهات نظر الاطراف المعنية ، انتهز كابتن س. هينيل المقيم العام في الخليج فرصة عقد الاتفاقية التي أشرنا اليها من قبل مع بني ياس ، فوجه الدعوة الى عدد من الشيوخ الكبار في المنطقة ليجتمعوا هم او وكلاء عنهم في باسيدو ، وذلك بعد فترة طويلة

من الجهود لتسوية مزاعم بعضهم ضد البعض الآخر ، وهناك اقترح عليهم كابتن هينيل ضرورة موافقتهم على هدنة بحرية تستمر طوال موسم اللؤلؤ الذي كان على الأبواب .

وحين لقي هذا الاقتراح موافقة الجميع ، عقد اجتماع آخر ذو صفة أكثر رسمية في مقيمية بوشهر بتاريخ ٢١ ابريل سنة ١٨٣٥ ، وتم التوقيع فيه على وثيقة بين شيوخ الشارقة ودبي وعجمان وأبو ظبي تعهدوا فيها جميعاً بالمحافظة على هدنة بحرية تبدأ في يوم ٢١ مايو وتستمر حتى ٢١ نوفمبر من نفس السنة وخلالها تؤجل جميع المزاعم والدعاوى كذلك تعهد الشيوخ بأن يقدموا التعويضات عن رعاياهم الذين يخرقون تلك الهدنة ، وبعدم الرد في حالة وقوع أي اعتداء على رعاياهم والاكتفاء برفع الامر الى السلطات البريطانية السياسية أو البحرية . وكان المقيم من جانبه حريصاً على ان يشرح لهذه الأطراف قبل توقيع الاتفاق أن أي خرق للهدنة ما دام قد تم الاتفاق عليها سيعامل معاملة القرصنة .. وأنه لا أهمية في هذه الحالة لوجود حرب برية أو عدم وجودها .

ولم يدع للاجتماع شيخ البحرين الذي كان سهل الانقياد للنفوذ البريطاني والذي كانت بينه وبين سلطان عمان حرب وشيكة الوقوع . أما فيما عدا ذلك فقد استقبلت هذه الهدنة بالبهجة والارتياح من جانب جميع المهتمين بالغوص وراء اللؤلؤ ، وكان هؤلاء في بعض الاحيان يمثلون غالبية السكان او جميعهم . وتتضح لنا أهمية ما قام به كابتن هينيل من حقيقة أن بعض تجار اللؤلؤ في الشارقة سبق ان عرضوا على الحكومة البريطانية دفع مبلغ ٢٩ جنيهاً عن كل قارب للغوص تضمن هذه الحكومة سلامته في البحار .

ومن سنة ١٨٣٨ وصاعداً أصبح اسم « عمان المتصالحة» هو أنسب الأسماء لما كنا نعرفه بساحل القراصنة ، وسنطلق على شيوخها بالتالي « الشيوخ المتصالحون » .

الخط المانع ١٨٣٦ :

وقدم كابتن هينيل اقتراحاً جديداً تقبله الشيوخ بقبول حسن خدمة لاهداف حماية التجارة المحايدة . وهو يقضي بتخصص جانب من الخليج من الناحية الايرانية منطقة تحظر فيها الحروب القبلية ، حتى ولو لم تكن ثمة هدنة قائمة . وبناء على توصية كابتن هينيل وافقت حكومة بومباي على أن يمنع تجول القوارب العربية في مياه الساحل الايراني لمسافة أبعد من جزر بوموسى وسرى ، لكن العقيد مورينسون الذي خلف كابتن هينيل استطاع أن يقنع الشيوخ المعنيين بأن يستبدل هذه الجزر بجزيرة صير بو نعير ، وبهذا أنقصت المساحة المحددة للاضطرابات البحري أكثر وأكثر .

ونتيجة بعض الاضطرابات البحرية من جانب شيخ البحرين ، أصبح الخط المانع بعد ذلك يمتد ماراً بجزيرة حالول التي تبعد عن رأس ركان ١٠ أميال وبجزيرة قوين إلى رأس الزور على الساحل بالقرب من الكويت . ولم توقع اتفاقية رسمية بشأن هذا الخط ، ولا كان مطلوباً توقيعها .

★ ★ ★

علاقات بريطانيا بعمان المتصالحة
١٨٣٥ ـ ١٨٥٣

سلسلة من الهدنات البحرية القصيرة ١٨٣٥ ـ ١٨٤٢ :

ظلت علاقات شيوخ عمان المتصالحة ببريطانيا ، وعلاقاتهم فيما بينهم خلال الثمانية عشر عاماً التالية على توقيع الهدنة البحرية الأولى ، تلتزم بنصوص اتفاقية سنة ١٨٢٠ الى جانب عدد من الهدنات البحرية تشبه كل في حدودها تلك التي عقدت في ١٨٣٥ . فالهدنتان الثانية

والثالثة ــ وقد تم توقيعهما في ١٣ ابريل ١٨٣٦ و ١٥ إبريل ١٨٣٧ على التوالي ــ لم تكن فترة الواحدة منهما تزيد على ٨ أشهر ، لكن مدة الهدنة الرابعة التي عقدت في ١٨٣٨ بناء على اقتراح من الشيخ سلطان بن صقر حددت بسنة كاملة . وبعدها ظلت الهدنات السنوية تعقد في ١٨٣٩ أو ١٨٤٠ و ١٨٤١ و ١٨٤٢ على التوالي ، ولكن حين انتهت هدنة ١٨٤٠ تأخر عقد الهدنة التالية فترة قام فيها شيخ الشارقة بهجوم بحري على شيخ أم القيوين .

هدنة العشر سنوات ١٨٤٣ ــ ١٨٥٣ :

واقترح الشيخ سلطان بن صقر عقد هدنة دائمة في البحر سنة١٨٣٧ فاهتمت حكومة بومباي يالأمر ، وفي سنة ١٨٤١ أعلنت عن رغبتها في استمرار الهدنة لمدة تتجاوز العام الواحد إذا أمكن . ورغم أن الشيوخ على وجه العموم لم يعارضوا في أن تطول فترة الهدنة الا ان المقيم العام كابتن هينيل قد داخله الشك في إمكان نجاح أي تغيير يدخل على هذا النظام ؛ وخشي أن يكون طول المدة قيداً على غرائز العدوان والانتقام عند العرب ويؤدي بالتالي الى انهيار نظام التعاون كله ، كما توقع ان يكون هذا النظام ايضاً من مصلحة القواسم الذين كانت لهم الغلبة في البحار لكنهم كانوا يعانون كثيراً من غارات بني ياس البرية على أرضهم . ثم ان الخلافات والمعضلات التي كان يحكم فيها عادة السيف سيصبح لازماً حلها بطرق سلمية . وفي هذا من الارهاق للسلطات البريطانية ما فيه ، فهي التي تضمن استمرار هذا التهادن . واخيراً عهدت الحكومة بالمسألة كلها الى خبرة كابتن هينيل وكفاءته ، وقد حقق الرجل الآمال المعقودة عليه فبدأ يفاوض الشيوخ في عقد هدنة بنفس الشروط السابقة لمدة لا تزيد على ١٠ سنوات تبدأ في أول يونيو سنة ١٨٤٣ . والواقع إنه حتى بالنسبة لشيخ القواسم بدا أن إغراءات مواسم الغوص الآمنه سنة بعد أخرى هي أكثر جاذبية من تلك الغارات البحرية الموسمية التي يشنها على غريمه شيخ ابو ظبي .

وكان الهدف النهائي لتلك الهدنات البحرية من وجهة نظر السلطات البريطانية هو منع القرصنة كحقيقة متميزة تماماً عن القصاص الذي نصت عليه اتفاقيةسنة ١٨٢٠ على القراصنة . وفي هذا الضوء اعتبرت الهدنة الاخيرة شيئاً مكملا للهدف الأساسي .. وهو منع القرصنة ، كما كانت نتيجة الهدنات البحرية السابقة — في الحدود المقررة لها — مفيدة الى اقصى الحدود . اما الخطر الذي كان يثور من وقت لآخر من احتمال قيام عدوان بين امارة موقعة على هذه الهدنات وأخرى غير موقعة فلم يتخذ شكلا محدداً وفعلياً . وهكذا نجحت السلطات المحلية البريطانية نجاحاً تاماً ومطلقاً في إقناع الشيوخ والزامهم الزاماً حازماً .

وثمة نقطة ثار حولها الخلاف غير مرة في السنوات الاولى لتوقيع الهدنات البحرية وهي حالات الاعتداء الذي يقع من جماعة تقيم على البر على ملاحي القوارب التي تخرج الى البحر للصيدفتجنح او تركن الى الشاطيء بسبب الجزر وكان هذا يحدث لها في أغلب الحالات وفي مناطق بعيدة نسبياً عن الموانى التي خرجت منها . وقرر المقيم بموافقة الشيوخ على ان مثل هذه الاعمال يعتبر من قبيل الحروب البرية ، وبالتالي لا تشملها نصوص المنع الموجودة في الهدنات البحرية .

ولم تنقطع حوادث الاعتداءات التافهة التي يقوم بها قارب منفرد على آخر في شواطيء اللؤلؤ ، وكان السبب في معظم هذه الحالات هو هرب بعض الغواصين او سواهم من العاملين في صيد اللؤلؤ ممن كانوا مدينين لشيخ من الشيوخ فارّين من منطقته وملتجئين لشيخ آخر . وكانت هذه الحوادث تأخذ دائماً شكل محاولة القبض على المدين الفار . وكانت تسوية هذه الخلافات أمراً دقيقاً وشائكاً لان السلطات البريطانية كانت في هذه الحالات ملزمة بأن تتدخل الى ابعد الحدود في الشئون المحلية ، الأمر الذي قد يتضرر به أمن رعاياها ويتهددهم باحتمالات اضطهاد الشيوخ لهم .

وبذلت جهود كثيرة لاقناع الشيوخ بالاتفاق حول هذا الموضوع بعيداً عن أي ضمان من جانب السلطات البريطانية بالتزامهم بما يتفقون عليه ، لكنهم فشلوا وكان بعض السبب في ذلك تردد العرب في أن يسلموا الناس الذين يحتمون بهم مهما كانت الظروف . ولأن كل واحد من اولئك الشيوخ كان يرى بلده أكثر البلاد إغراء للاغراب . وانه سيكون الخاسر لو قيدت عملية الهجرة . والواقع إن الوقت لم يكن قد حان بعد لحل تلك المشكلة .. التي لم تحل الا في سنة ١٨٧٩ .

حالات القرصنة — وطابع الهدنة البحرية ١٨٣٥ — ١٨٥٣ :

والآن نستطيع ان نسجل تلك الانحرافات عن اتفاقية السلم لسنة ١٨٢٠ والهدنات البحرية التالية ، ولا داعي لان نميز في هذه الاعمال بين هاتين الفئتين ، فكل الاعمال — على السواء — ليست سوى أعمال قرصنة . غير أن أقل تلك الاعمال خطورة هو ما حدث في السنوات التالية مباشرة على توقيع اتفاقية السلم .

١٨٣٧ :

ففي ١٨٣٧ حدثت حادثة قرصنة عادية على قارب ينتمي لبندر عباس ، ارتكبتها جماعة من قرية الفجيره ، لكن شيخ الشارقة —وكان من رعاياه— أرغمهم على رد ما نهبوه .

١٨٣٨ :

وفي سنة ١٨٣٨ هاجم شقيقان من القواسم هما سلطان بن صقر ومحمد بن صقر قارباً تابعاً لخاراج عند الطرف الشمالي من الخليج ونهباه وقتلا عدة رجال كانوا على ظهره ، ثم نهبا في طريقهما أيضاً سفينة تابعة لساحل الباطنة في منطقة رأس الحد . وعقب القبض على سلطان هذا في لنجة سلمه المقيم البريطاني في الخليج لشيخ قبيلة كعب الذي سنكشف فيما بعد عن دوره في هذه القضية . أما شقيقه محمد

والبحار الذي كان يصحبهما أثناء الهجوم فقد سلمهما شيخ الشارقة للسلطات البريطانية بعد أن أوقع بهما عقاباً قاسياً . وقد أطلق البريطانيون سراحهما بعد توقيع عقوبة أخرى عليهما . وفي سنة ١٨٣٨ أيضاً طاردت سفينة من دبي سفينة تابعة لخابورة في سلطنة عمان وأرغمتها على أن ترسو عند بركة ، وهناك هوجمت بعد أن هبط الظلام ، ومن تسعة رجال كانوا على ظهر سفينة خابورة جرح ستة مات منهم اثنان متأثرين بجراحهما ، واستطاعت السلطات البريطانية بواسطة شيخ دبي الحصول على الدية والتعويضات كاملة .

١٨٤٠ :

وفي ١٨٤٠ وقعت بعض الاعتداءات الطفيفة على شواطيء اللؤلؤ وفي مواقع أخرى بين رعايا أبو ظبي ودبي ، وبين رعايا الشارقة وأبو ظبي ، لكنها تميزت جميعاً بخلوها من القتل والعنف ، واستطاع المقيم البريطاني أن يسويها جميعاً حسب نصوص الهدنات البحرية . لكن الحادثة الاكثر خطورة من هذه كانت هجوم ابن عسكر أحد القبيسات المتمردين من بني ياس وجماعة كانت معه أثناء فراره من أبو ظبي الى دبي على سفينتين يملكهما بنو ياس كانتا تحملان كمية ثمينة من اللؤلؤ ، ولم يلب شيخ دبي مطلب السلطات البريطانية بتسليم بن عسكر لشيخ قبيلته .

كما طولب شيخ دبي أيضاً في نفس هذا الوقت بدفع تعويض عن قارب تابع لابي ظبي وجده بعض رعاياه اثناء رحلة برية لهم جانحاً في مضيق صغير فاستولوا عليه انتقاماً لغارة برية كان قد قام بها بعض رعايا شيخ ابو ظبي عليهم .

١٨٤١ :

وفي سنة ١٨٤١ . وبالنظر لإصرار شيخ دبي على رفض دفع التعويضات المطلوبة منه والتي كان بعضها مستحقاً عن حوادث شاطيء اللؤلؤ التي أشرنا اليها . فقد وجه اليه أسطول بريطاني يقوده القائد

بريكس ومن بينه الفرقاطه البخارية « سيزو ستريس » وبعد أن أطلقت المدافع مقاس ٨ بوصة بعض طلقاتها على المدينة أعلن الشيخ استعداده لدفع مبلغ ٣٠٠ جنيه كتعويض . مع رد السفينة التي عاد بها بن عسكر من أبو ظبي وسائر حمولتها . وفي نفس السنة قام القراصنة بنهب سفينة لاحد وجهاء بني عمير في الحسا أثناء رسوها بين جزيرة زخنونية وجزر البحرين ، وقتل واحد من بحارتها وجرح عدد آخر خلال هذه العملية . ولما كان القراصنة من أهالي المناصير وبني ياس من الهوامل فقد طولب شيخ أبو ظبي بدفع التعويض . وقام الشيخ فوراً ببعض العمليات اشترك فيها بنفسه ضد هذه الجماعات المعتدية ، ونتج عن تلك وبرغم بعد مساكن الجناه تدمير قارب من قواربهم وإلقاء القبض على خمسة من الرجال المشهورين بالعنف بينهم ، مع عائلاتهم وحوالي خمسين بعيراً .

١٨٤٤ :

وفي سنة ١٨٤٤ أسر رجل من القواسم رجلا من قبيلة كعب كان على قارب لدبي في ساحل اللؤلؤ ، وقام رجال من دبي بالانتقام بأن نهبوا سفينة تابعة للشارقة ، غير ان مكتوم بن بطي شيخ دبي الذي علمته التجارب كيف يصبح مناصراً للسياسة البريطانية إلى أقصى الحدود استنكر ذلك العمل وأمر برد المسروقات ، وبعد أن اوقع مكتوم العقاب اللازم بالقراصنة أمرهم بأن يتعهدوا لوكيل المقيمية البريطانية في الشارقة بحسن السلوك مستقبلا . وقد دفعت حادثة الرجل الكعبي هذه ، بالإضافة إلى عدة حوادث أخرى وقعت أثناء موسم الغوص ، المقيم البريطاني ، كولونيل هينيل ، للبحث عن وسائل تكفل احترام هدنة العشر سنوات الحديثة التوقيع بمطالبة الجناة من رعايا شيخ الشارقة بدفع التعويضات وتقديم كفالات بحسن السلوك ، وقد تم ذلك بفضل التعاون الفعال من جانب الشيخ سلطان بن صقر .

كذلك قدم ادعاء آخر ضد الشارقة بسبب تصرف غوّاص غاضب من رعاياها أطلق النار على قارب لعجمان ثم صعد عليه وقتل بعض بحارته برمح كان معه وبكتلة من الحديد وقد تجاوب الشيخ سلطان بن صقر بنفس الروح الاولى وفي كلا الحادثتين حملت مطالب المقيم اليه سفينة حربية بريطانية .

وفي بداية ١٨٤٥ وقعت حادثة تصور لنا كثيراً تطور روح النظام والانضباط في الشئون البحرية بين شيوخ عمان المتصالحة ، ذلك ان سفينتين كانتا محملتين بالارز في طريقهما من لنجة الى الشارقة أرغمتهما عاصفة عاتية على اللجوء إلى خور عجمان ، فغرقت احداهما لكن الاخرى استطاعت بقذف بعض حمولتها في البحر أن تصل الى الميناء الداخلي . وكان يمكن ان تنهب السفينة وهي على وضعها ذاك لولا يقظة الشيخ عبد العزيز شيخ عجمان وشقيقه اللذين جردا سيفيهما ووقفا الى جانب السفينة وقد أقسما على قتل أول رجل يتعرض لها أو لحمولتها ، وقد تلقى الشيخ من المقيم البريطاني شكر الحكومة البريطانية وثناءها عليه لهذا التصرف .

١٨٤٩ — ١٨٥٠ :

وفي ١٨٤٩ و ١٨٥٠ كان بين أهل ابو ظبي وأهل دبي عدد من المطالبات والدعاوى نتيجة استيلاء بعضهم على عبيد البعض الآخر من القوارب . لكن هذه الدعاوى جميعاً سويت بمساعدة المقيم البريطاني . وفي خريف سنة ١٨٥٠ ، على أية حال ، حدثت حادثة خطيرة غير مألوفة في ذلك الوقت وهي استيلاء بعض رعايا ابو ظبي على قارب للعامرية وقتل اثنين من الرجال كانا على ظهره ، وفوراً ارسلت السفينتان « دجلة » بقيادة الملازم مَنَرْزْ و « الفرات » بقيادة الملازم تونسون الى مدينة أبو ظبي ، وطلبتا من الشيخ دفع التعويضات بعد أن وقفتا على مسافة من المدينة إذ لم يكن من المباح القيام بعمليات في أبو ظبي

نفسها ، لكن المناورة حققت المطلوب منها ، فدفع الشيخ الدية عن القتلى والتعويض عن الخسائر بما مجموعه حوالي ٦٠٠ جنيه بالاضافة الى ارجاع القارب والمسروقات .

١٨٥٢ :

وفي ربيع ١٨٥٢ وقعت حادثة قرصنة في مياه زنجبار . ارتكبتها سفينة لرجل من رأس الخيمة على قارب تابع لزنجبار ، لكن بطء الاتصال في ذلك الوقت بين بوشهر وشرق افريقيا أرجأ تسوية هذه القضية . وحتى حين عقدت معاهدة السلم الدائم في ١٨٥٣ لم تكن القضية قد سويت بعد . وقد حاول شيخ رأس الخيمة أن يراوغ في البداية متعللا بأن كل الذين كانوا على ظهر السفينة المعتدية إنما هم من القبيسات في الباطنة .. وهم بالتالي رعايا لمسقط ولكن يبدو انه قد وافق في النهاية على دفع التعويض حسبما قُدّر. كذلك أيضاً ما حدث في ربيع ١٨٥٢ لقارب لبني ياس المقيمين وقتذاك في اللوحة بقطر كان يحمل مسافرين الى دبي فاستولى عليه أهل مدينة أبو ظبي وسلبوا منه كل ما كان فيه . ولم يعتبر هذا العمل عملا مشروعاً لممارسة السيادة على رعايا متمردين بل اعتبر خرقاً للهدنة البحرية .. وعلى هذا طولب شيخ ابو ظبي بالتعويض ، ورغم ان هذا قد اعترف في البداية بأنه يعمل بتحريض من امير الوهابيين الذي فوضه في عقاب بني ياس المتمردين ومصادرة قواربهم الا انه خضع لمطالب المقيم البريطاني التي حملها اليه القائد روبنسون .

وكالة الشارقة :

ويبدو أن كل الاتصالات العادية بين المقيم البريطاني والشيوخ المتصالحين كانت تتم في ذلك الوقت عن طريق الوكيل الوطني للمقيمية الذي جعل مقره بالشارقة ابتداء من سنة ١٨٢٨ . وكان معظم نجاح هذه الاتصالات يعتمد على كفاءة الوكيل ملا حسين الذي ظل في عمله معظم

الفترة موضوع البحث ، وكانت علاقته بالشيخ صالح شقيق الشيخ سلطان بن صقر ، ونائبه في حكم مدينة الشارقة ، حتى سنة ١٨٣٨ حين عزل علاقة ودية للغاية . لهذا أسفت السلطات البريطانية كثيراً لعزله عن عمله .

وفي ١٨٥٢ توترت العلاقات وساءت جداً بين شيخ الشارقة ووكيل المقيمية وهو آنذاك رجل يدعى حاجي يعقوب . وكان الشيخ قد وجه الى الكولونيل إهانات متكررة ثم دفع له تعويضات عنها . وكان من أسباب ذلك بعض التحريات التي قام بها وكيل المقيمية عن تجارة الرقيق ودور الشيخ فيها . وبعدها أصدر مجلس المديرين أمره بوقف دفع أية تعويضات قد تستحق مستقبلا لرجال من رعايا شيخ الشارقة إلى الشيخ لتوزيعها. ولا شك ان هذا الامر الذي جاء على خلاف توصية المقيم يشير من طرف خفي الى الاتهام الذي كان الشيخ قد وجهه لوكيل المقيمية ضمن اتهامات أخرى بأنه لا ينفق النقود في أوجه الانفاق المخصصة لها .

وكانت المادة المتعلقة بتجارة الرقيق ضمن معاهدة السلم العامة قد عززت بثلاث معاهدات تالية وقعت مع الشيوخ المتصالحين .

وقد وقعت اولاها في سنة ١٨٣٨ وهي تخول سفن الحكومة البريطانية الحق في احتجاز او تفتيش أية سفينة تابعة لموانى الشيوخ الموقعين على المعاهدة والتي يشتبه في أنها تحمل الرقيق او تنقلهم ، كذلك ايضاً تفوضها الاستيلاء على تلك السفن ومصادراتها في حالة ثبوت التهم عليها . ويبدو أن شيخ ام القيوين لم يشترك في توقيع هذه المعاهدة .

أما المعاهدة الثانية فقد وقعت في سنة ١٨٣٩ وهي تمنح حقوقاً مشابهة في الاحتجاز والتفتيش ضمن مساحات كبيرة من المحيط الهندي للسفن التي يشتبه في أنها تحمل الرقيق ، كذلك أيضاً اصبح للسفن البريطانية حق مصادرة جانب من حمولة السفينة التي يثبت أنها تحمل الرقيق . وكان في

هذه المعاهدة نص صريح على أن « الصوماليين » أحرار ، وهم بالتالي ليسوا قابلين للرق .. وعاقبت على بيعهم . وواضح ان شيخ عجمان قد رضي بهذه الاتفاقية ووقع عليها .

أما المعاهدة الثالثة والاخيرة ، في سنة ١٨٤٧ ، فقد وقعها جميع الشيوخ المتصالحين وكانت تمنع « جلب العبيد من شواطيء إفريقيا او من أي مكان آخر » . على سفن يملكها الشيوخ الموقعون على المعاهدة او رعاياهم او انصارهم . كما أنها منحت السفن البريطانية حق احتجاز السفن وتفتيشها في أي مكان في البحر ، كذلك مصادرتها أو الاستيلاء عليها اذا ثبت خرقها للمعاهدة بطريقة أو بأخرى .

ومن نصوص المعاهدات لا يتضح لنا وجود اشارة ما الى تجارة الرقيق في الخليج بشكل خاص ، بل هي مرتبطة بمخططات أكبر لمحاربة هذة التجارة على الشواطيء الافريقية أيضاً .

* * *

علاقات المصريين والوهابيين بعمان المتصالحة ١٨٣٥ ـ ١٨٥٣

أما العلاقات الخارجية للشيوخ المتصالحين فلم تتجاوز فيما عدا الحكومة البريطانية الوهابيين أو القوات المصرية خلال الفترة التي قضت فيها تلك القوات على الدولة الوهابية في وسط الجزيرة .

نجاح دسائس القوات المصرية في عمان المتصالحة ١٨٣٩ :

لقد احتل المصريون الاحساء سنة ١٨٣٩ على الرغم من الوعد الذي قطعه محمد علي ، باشا مصر ، للرائد كامبل ممثل الحكومة البريطانية في القاهرة بألا تمتد فتوحاته باتجاه الخليج ؛ فقد احتلت القوات المصرية الاحساء

ويبدو انها كانت مصممة على إخضاع البحرين لذلك أرسلت وكيلا يمهد لها الطريق بين قبائل عمان المتصالحة . وأثارت هذه الحركات حركات مضادة من الحكومة البريطانية التي أحست بأن تقدم القوات المصرية كان بلا ريب يهدد نفوذها في المنطقة . وفي فبراير ١٨٣٩ صدرت التعليمات صراحة للمقيم في بوشهر بأن يبذل كل ما في وسعه لعرقلة المزيد من تقدم القوات المصرية . ولهذا الغرض نفسه قام سير ف. ميتلاند القائد العام للبحرية البريطانية في الخليج بزيارة لعمان المتصالحة على سفينة صاحب الجلالة « ولزلي » حيث تعهد الشيوخ المتصالحون بحضور كابتن ت. إدموندز ، مساعد المقيم السياسي ، بألا يقيموا علاقات ودية مع مبعوث القوات المصرية .. بل على العكس تعهدوا بأن يقاوموه . ورغم هذا التعهد فقد سمح الشيخ سلطان بن صقر لهذا المبعوث — الذي لم يكن سوى ممثل الوهابيين القديم سعد بن مطلق — بأن يقيم في الشارقة بعد وصوله اليها في مارس ١٨٣٩ . وقد وضع الشيخ تحت إمرته بيتاً حصيناً وقلعة ليقيم فيها ، ومن هذا المركز الحصين في الشارقة بدأ مبعوث المصريين مؤامراته .

وقد بدأ بمحاولة اقناع بني نعيم بواسطة الشيخ سلطان بن صقر بأن يسلموا واحة البريمي لحامية وهابية جاء بها معه ، ثم بدأ اتصالا مباشراً مع شيخ أبو ظبي الذي كان يؤمل أن يتعاون معهم على رغم وقوفه بصلابة في الماضي ضد نفوذهم في وسط الجزيزة بعد استيلائهم على قاعدة البريمي . غير ان تهديدات مبعوث المصريين لم تؤد الى نتائج تذكر ، وظل بنو نعيم على موقفهم المعارض للمصريين ، وقد أيدهم مباشرة السيد حمود بن عزان من صحار فأرسل أخاه قيس ومعه ٢٠٠ رجل للوقوف معهم . أما من ناحية خليفة بن شخبوط شيخ ابو ظبي فقد رحب بتقدم القوات المصرية نحوه .

اجراءات مضادة من جانب السلطات البريطانية يوليو ١٨٣٩ :

وكان موقف المواجهة مع القوات المصرية سيئاً جداً حتى ان المقيم السياسي كابتن هينيل قرر القيام بزيارة شخصية للبحرين ، وعمان المتصالحة فوصل الى ساحل هذه يوم أول يوليو سنة ١٨٣٩ على ظهر سفينة الشركة « هيو لاندزي » .. وكان لهذه السفينة ـ بما أدخل عليها من تجديدات وتطوير ـ أثرها في نفس شيخ أبو ظبي(١) . وكشفت تحريات كابتن هينيل عن ان شيوخ دبي وام القيوين كانوا يعارضون المصريين معارضة تامة ، أما شيخ ابو ظبي فكان يبذل كل ما بوسعه كي يحل محل شيخ الشارقة في الحظوة عند سعد بن مطلق ، وكان سلطان بن صقر ـ بدوره ـ يبذل كل جهوده للاحتفاظ بهذه الحظوة ، وعلى أي حال فقد استطاع المقيم العام أن يحصل على تعهدات خطية من اولئك الشيوخ الاربعة بمناصرة السياسة البريطانية والوقوف في وجه مخطط القوات المصرية ، وأضيف نص بالنسبة لسلطان بن صقر يتعهد فيه بعدم إجراء أية علاقات او مراسلات او اتفاقيات مع محمد علي باشا والي مصر او أنصاره أو أية قوة أجنبية أخرى قبل موافقة الحكومة البريطانية معتبراً حلفاء هذه الحكومة حلفاء له وأعداءها أعداء له . كذلك قدم لشيخ الشارجة ـ بناء على طلبه ـ خطابات من المقيم موجهة له ولسعد بن مطلق تنصح لهذا الاخير بالعودة الى نجد . وفيما يتعلق بالحماية التي طلبها فقد تعهد له الكابتن هينيل بأن يركن إلى أن التزامه بسياسة الحكومة البريطانية لو عرضه لاعتداء أية دولة أخرى .. فستقدم له الاسلحة والذخائر بالقدر الذي يريده أو يحتاج اليه .

وفي نفس الوقت تلقى كابتن هينيل طلباً للمعونة ضد سعد بن مطلق من شيوخ البريمي ، وقد رد على هذا الطلب بأن شجعهم على المحافظة على

---

(١) كان غاطس السفينة « هيولاندزى .. » بقيادة الملازم كومبل لا يزيد عن ١١ قدما ، غير أن قدرة السفينة على التقدم في مجرى مائى ضيق ، وضد اتجاه الريح هو ما أدهش العرب .

استقلالهم ، ووعدهم بأن يرسل اليهم وكيلا يقيم بين ظهرانيهم ، كما وعدهم بأن يمدهم بالاسلحة والذخائر اذا تعرضوا لاذى بسبب التزامهم نصائحه ، كما جاء في خطاب المقيم لسعد بن مطلق اشارة لهذه المباحثات ، وذكر له فيه ان شيوخ البريمي قد أصبحوا تحت الحماية البريطانية الى ان توقع اتفاقية بين الحكومتين المصرية والبريطانية .

وقد صدق الحاكم العام في الهند على كل ما قام به كابتن هينيل وأثنى على كفاءته وحماسته . لكن مشروع مد الحماية البريطانية لتشمل شيوخ البريمي — كما جاء في خطاب المقيم لسعد بن مطلق — كان محل اعتراض مع عدد آخر من المقترحات الهادفة نحو مزيد من الايجابية في معارضة القوات المصرية وأنصارها في شرق جزيرة العرب . ذلك بأن حكومة الهند كانت ترى أن مشكلة توسع القوات المصرية في فتوحاتها إنما هي من اختصاص مجلس الوزراء البريطاني في المقام الاول ، ومحتمل أن تكون المخاوف المتعلقة بالحرب في أفغانستان في ذلك الوقت قد أثرت على أعمالهم في جبهات أخرى ، لكن تفويضاً صدر للمقيم بأن يستمر — بل بأن يتوسع ايضاً — في توزيع الاسلحة والذخائر .. الخ لاستخدامها ضد القوات المصرية .

مزيد من العمل من جانب السلطات البريطانية ١٨٣٩ — ١٨٤٠ :

أما النتائج المحلية لزيارة كابتن هينيل فلم تكن كلها مقنعة ، فرغم أن الوكيل المصري كان قد رحل الى العقير فان شيخ ابو ظبي خرق روح الاتفاق والتعهد اللذين لم يكن جف مدادهما بمعارضة سعد بن مطلق وقام بنفسه على رأس حملة ضد بني نعيم في البريمي ، لكن هؤلاء على رغم فشلهم في الحصول على مساعدة شيخ الشارقة استطاعوا أن يثبتوا لهجمات خليفة ابن شخبوط بل وان يرغموه على طلب الصلح ، وعند ذاك توسط المقيم العام وطلب من شيخ أبو ظبي أن يسوي أموره مع بني نعيم ويسترضيهم

خلال مهلة حددها بثلاثة أشهر ، وإلا فستعتبره الحكومة البريطانية عدواً لها ، وتلزمه بدفع مبلغ ١٠٠٠ جنيه كتعويض لبني نعيم ، واخيراً استطاع الشيخ شخبوط الحصول على خطاب من شيوخ بني نعيم يفيد بأن مطالبهم قد أجيبت وان المياه عادت الى مجاريها بين الطرفين المتنازعين .

العون البريطاني يمتد لشيوخ البريمي يناير ١٨٤٠ :

وفي يناير ١٨٤٠ عاد كابتن هينيل لزيارة ساحل عمان المتصالحة . وعقد اجتماعاً في عجمان مع شيوخ البريمي الذين كانوا بحاجة لتدعيم وضعهم . وكان اهم شيوخهم هو حمود بن سرور من فرع الشوامس من قبيلة بني نعيم التي كانت تسيطر على قلاع البريمي . واستطاع المقيم ان يعقد حلفاً دفاعياً ضد كل الاعداء بين بني نعيم والظواهر الذين يسكنون الواحة ، وقد كانت العداوة بين الفريقين سبباً من أسباب ضعفهما معاً ، لكن مساعيه فشلت في التوفيق بين بني نعيم وجيرانهم بني قتب . ثم جاء توزيع الارز والنقود والذخائر بالانصاف معززاً لمزايا الارتباط ببريطانيا . وكان التوزيع بطريقة توحي بأن الحكومة البريطانية ستستمر في تقديم العون لمن يظل من أنصارها .

رحلة كابتن هامرتون الى البريمي يناير وفبراير ١٨٤٠ :

وبعد هذه الاعمال ، قام الكابتن أ. هامرتون الضابط المسئول عن القوة الميدانية في خاراج والذي اختير فيما بعد ليكون وكيلا سياسياً في مسقط . برحلة من الشارقة الى البريمي في حماية حمود بن سرور متخذين طريق ساحل صحار في الباطنة . وقد وجد ان استحكامات البريمي تتكون من مجرد قلعة رئيسية واحدة على الطرف الجنوبي من الواحة مبنية من الآجر الذي جففته الشمس وهي مربعة طول ضلعها حوالي ٦٠ خطوه . وعلى بعد ثلاثمائة خطوة الى الشمال توجد قلعة أخرى أصغر من الاولى والقلعتان بناهما مطلق الوهابي . وقد تآمر شيخا الشارقة ودبي ما وسعهما التآمر لتعطيل رحلة كابتن هامرتون هذه فلم يفلحا في ذلك .

انسحاب القوات المصرية من نجد مايو ١٨٤٠ :

ويبدو أن سعد بن مطلق قد أثار شكوك سادته بعد عودته من الاحساء، لانه ارسل مخفوراً الى الرياض ، ولكن لم يمض طويل وقت قبل انتهاء الاحتلال المصري ، ففي مايو سنة ١٨٤٠ كانت القوات المصرية قد تراجعت عن نجد تراجعاً تاماً .

الاشتباه بخطط للاميرين السعوديين خالد وعبدالله ضد عمان :

وقد أقام المصريون الامير خالداً حاكماً على نجد بعد رحيلهم ، وسرعان ما افادت الانباء باعتزامه تنفيذ مخطط ضد عمان . وربما كان سعد بن مطلق ما يزال على علاقة تراسل منتظم مع الشيوخ المتصالحين . وفي سنة ١٨٤١ وقع خطاب موجه اليه من شيخ الشارقة بين ايدي بني نعيم الذين تبينوا أن الخطاب يشير الى مخطط للقضاء عليهم . وفي نوفمبر ١٨٤١ كان الامير خالد في الهفوف بالاحساء ، وكانت تحركاته تشير الى اعتزامه السير الى عمان ، فوجهت الحكومة البريطانية اليه انذاراً حمله الملازم جوب الذي نزل في العقير ، ثم عاد بعد زيارة الامير الى ساحل القطيف ، وأنكر الامير في رده أن تكون له أية خطط ضد عمان ، لكن الشكوك في صدق إنكاره هذا ظلت قائمة طوال فترة حكمه .

ثم خلف خالد الامير عبدالله ، فقام باتصال قصير مع الشيوخ المتصالحين أعلن فيه عزمه على ارسال سعد بن مطلق وكيلا عنه الى البريمي لكن خطاباته التي ارسلها اليهم جميعاً سلمت الى الرائد روبرتسون ، باستثناء خطاب شيخ ابو ظبي — ووجه المقيم السياسي إنذاراً اليه على أساس أن تصرفاته قد تشجع على عودة القرصنة ، وجاء في ردّ الامير عبدالله أنه يمقت أعمال القرصنة ، لكنه لم يجرؤ على الزعم بأن أهل عمان المتصالحة من رعاياه .

انقطاع العون البريطاني عن شيوخ البريمي ١٨٤٣ :

وما ان عاد الى الحكم امير نجد المعزول فيصل في يوليو ١٨٤٣ ، حتى أرسل خطابات يبلغ فيها الشيوخ المتصالحين بأنه قرر أن يرسل اليهم بعد انتهاء موسم الصيف قوة يقودها سعد بن مطلق لتستولي على بلادهم . وفزع بنو نعيم في البريمي من تلك التهديدات ، وكانو قد قاموا بأعمال غير مشروعة انهت تحالفهم من السيد حمود حاكم صحار ، فلجأوا يطلبون عون الحكومة البريطانية ، لكن هذه الحكومة أبلغتهم في ردها أن الهدف من تقديم تلك المساعدات لهم في سنة ١٨٤٠ كان الحيلولة دون اتخاذ القوات المصرية قواعد لها في في بلادهم ، والآن بعد ان زال ذلك الخطر ، فان الحكومة البريطانية تعتزم رفع يدها عن التدخل في الشئون الداخلية والمحلية في الجزيرة العربية ، وفي نفس الوقت كانت تجري اتصالات ودية ومستمرة عموماً بين مقيمية بوشهر وبين الرياض .

وفي أوائل ١٨٤٥ وصل سعد بن مطلق مجدداً على رأس قوة صغيرة الى جوار البريمي ، وكان يقترب بتردد مما أوحى بشيء من الريبة في حقيقة نواياه ، لكن النعيم والظواهر لم يبدوا هذه المرة أية مقاومة له وبذلك وضع يده على قلاع البريمي وأصبح الشيوخ المتصالحون في حيرة من أمرهم كيف يستقبلونه . وبمجرد ان دعم سعد مكانته في مقره القديم راح يبذل جهده كله في الضغط على الاقليمين الاكثر ثراء وهما صحار ومسقط ، على نحو ما بينا نتائجه في الفصل الخاص بسلطنة عمان ، لكنه لم يهمل تلك المناطق الصغيرة التي تحتاج لمجهود قليل ، فراح ينهمك في تآمر يستهدف الاستيلاء على مدينة ضنك الصغيرة في الظاهرة . وفي أكتوبر من نفس السنة قام بعدة أعمال هادفة للاستيلاء على واحة صغيرة تسمى الذيد داخل عمان المتصالحة ، وكان ينوي ان يقيم الى جوارها قلعة على ساحل زورا في مبتدأ طريق مألوفة بين عجمان والحمرية .

غير ان تصرفاته هذه الى جانب عجرفته وقسوته أثارت تحالفاً ضده على جبهة واسعة شملت : من الشرق قبيلة النعيمي وشيخ صحار والمطاوعة في عمان والى الغرب كل الشيوخ المتصالحين باستثناء شيخ ام القيوين الذي يبدو أنه كان متعلقاً بمصالح شخصية جعلته يؤيد خطط الوهابيين في الذيد .

لكن أعداءه هؤلاء لم يغامروا باللجوء الى السلاح مرة واحدة ، بل فضلوا الطريق الاسلم فبدأوا باتهامه بأنه لا يحول لسيده كل النقود التي يجبيها منهم . وكان يبدو في ضوء اتفاقية عقدها سعد مع شيخي صحار ومسقط أن تلك التهمة كانت تعتمد على أساس قوى . وفي الوقت نفسه أصبحت مواصلات الوكيل الوهابي المباشرة عبر وسط الجزيرة تتعرض لقطعها من القبائل المعادية على الطريق . وعزم سعد بن مطلق على الرحيل فوراً من البريمي الى مقر أمير الوهابيين ليدفع عن نفسه شخصياً تهمة خصومه . غير ان رحيله أرجيء في آخر لحظة بورود أمر اليه من الامير بأن يظل في مكانه على ان يحول الاموال اولا بأول . وقد ارسل سعد مبلغاً من المال على سفينة قدمها له الشيخ سلطان بن صقر .

طرد الوهابيين مؤقتاً من البريمي على يد شيخ ابو ظبي ١٨٤٨–١٨٤٩ :

وظل وضع الوهابيين في البريمي على حاله حتى ٤ مايو ١٨٤٨ حين انتهز سعيد بن طحنون شيخ ابو ظبي فرصة غياب سعيد بن مطلق مؤقتاً ، فاستولى بمساعدة قبيلة الظواهر على موقع للوهابيين في إقليم الظواهر . وسرعان ما انضم اليهم بنو نعيم وفرقة من صحار يقودها سيف بن حمود ، فاسفر هذا التحالف عن الاستيلاء على قلعتي الوهابيين في البريمي بعد مقاومة محدودة . وقد قام باحتلالهما شيخ ابو ظبي على حين لجأ سعد بن مطلق الى الشارقة ، لكنه سرعان ما دب سوء التفاهم بين الحلفاء . فانسحب ابن شيخ صحار بقواته ، وسخط شيوخ الشارقة ودبي

وعجمان (١) ونفسوا على شيخ أبو ظبي ذلك الانتصار السهل . فوقفوا ضده الى جانب الوهابيين ، غير ان الشيخ سعيد ظل ثابتاً في مواقعه بالبريمي بنجاح وهدوء . واخيراً ، وفي فبراير ١٨٤٩ ، تمت تسوية الامور بين الشيوخ المتنازعين بوساطة مبعوث لشريف مكة ، ولم تكن شروط الصلح على ما يبدو في صف الشيخ سعيد لانها كانت تشمل إعادة قلاع البريمي الى وكيل الوهابيين واسترجاع حالة التوازن كما كانت قائمة من قبل .

وفي نوفمبر ١٨٤٠ حث شيوخ دبي والشارقة الامير الوهابي على السماح لفرع القبيسات المهاجرين من بني ياس بالاستقرار تحت حمايته في خور العديد ، لكن مناوراتهم فشلت نتيجة الجهود التي كللت بالنجاح من جانب شيخ ابو ظبي لارجاع هؤلاء المهاجرين الى ديارهم .

محاولات فاشلة من جانب الشيوخ المتصالحين لطرد الوهابيين : ١٨٥٠ — ١٨٥١

وفي مارس ١٨٥٠ ارسل الشيخ سعيد بن طحنون ، الذي ما انفك منذ الصلح الاخير يتفاوض من السيد ثويني نائب سلطان مسقط لتدبير هجوم جديد على الوهابيين ، فرقة تتكون من ٤٠٠ رجل من بني ياس والمناصير لمعاونة حليفه في الدفاع عن شناص ضد القواسم . وبدأ هو نفسه يهاجم موقع الوهابيين في البريمي بتدمير قنوات الملاحة الموصلة الى تلك الواحة . وقد شوش على نشاطه قوات تجمعت في الذيد من الشارقة ودبي وعجمان وام القيوين ثم تحركت بعد خلافات طويلة بين قادتها الى الباطنة للاشتراك في الصراع الدائر هناك بين السيدين ثويني وقيس ، وعلى ذلك تركت لشيخ ابو ظبي حرية الاستمرار في عمليات ضد البريمي الى أن شن عليها هجوماً فاشلا . وفي نوفمبر التالي قام القواسم بهجوم مشترك

(١) تذكر احدى الروايات أن شيخ عجمان (كشيخ أم القيوين) رفض أن يقوم بدور ضد سعيد بن طحنون .

فاشل هو الآخر على حامية البريمي واشترك فيه بنو ياس وبنو نعيم ، وكان هذا الهجوم سابقة لتحالف تال بين شيخ الشارقة وشيخ أبو ظبي ضد الوهابيين ، وهو تحالف غريب لم يدخل فيه شيخ الشارقة الا لمجرد غيرته من حظوة شيخ دبي عند الوهابيين . ولم يؤد التحالف الى أية نتائج في نهاية الأمر .

إقامة قصيرة لعبد الله بن فيصل في البريمي ١٨٥٣ :

وفي ربيع ١٨٥٣ اجتمع الشيوخ المتصالحون جميعاً ، باستثناء شيخ دبي سعيد بن بطي الذي ارسل أحد اقربائه بدلا منه ، بعبدالله بن فيصل الذي وصل مؤخراً الى البريمي ممثلا لابيه أمير الوهابيين ، وقد بلغوا من الحرص على لقائه والتنافس على الحظوة عنده ما جعل كابتن كيمبول يتكبد مصاعب كبيرة في جمعهم كلهم على الساحل حين وصل في مايو ١٨٥٣ بهدف عقد معاهدة السلم الدائمة . وكان الهدف الرئيسي لاقامة عبدالله بن فيصل في البريمي هو الحصول على أقصى ما يمكنه الحصول عليه من تنازلات حاكم مسقط التاعس الحظ على نحو ما هو مذكور في تاريخ سلطنة عمان . وغني عن القول ان الشيخ سلطان بن صقر كان يشجع الامير الوهابي على انتهاج سياسته تلك في الضغط على حاكم مسقط .

ومن الناحية الاخرى كان الشيخ سعيد شيخ ابو ظبي يجهد نفسه لرد أية محاولة غزو من جانب الوهابيين والقواسم لاقليم الباطنة ، وهي محاولة تمّ التخطيط لها وكانت على وشك التنفيذ لولا ان عُقد صلح بأنسب الشروط التي يوافق عليها عبدالله بن فيصل . وتم هذا بالفعل بوساطة شيخ صحار ورجل اسمه أحمد السديري أغلب الظن انه هو نفسه الذي جاء بعد سعد بن مطلق وكيلا للوهابيين في البريمي .

★ ★ ★

العلاقات الخارجية الاخرى للشيوخ المتصالحين
١٨٣٥ ـ ١٨٥٣

العلاقات مع سيد مسقط :

ظل شيخ الشارقة على ما هو عليه من قديم في عداء تام ومستحكم لحكام مسقط حتى إنه في سنة ١٨٤٢ قطع مفاوضات صلح كانت تدور لصالحه مع شيخ أبو ظبي لمجرد أنها كانت تتضمن قيام علاقات ودية بينه وبين شيوخ صحار ومسقط . وفي ١٨٤٩ كان على وشك القيام بمحاولة لاستعادة خور فكان من السيد ثويني . نائب السلطان في مسقط ، لكن الوكيل الوهابي في البريمي وشيخ دبي استطاعا ثنيه عن القيام بذلك العمل . وفي سنة ١٨٥٠ تحرك الشيخ سلطان بتأييد من جيرانه شيوخ دبي وعجمان وام القيوين — كما ذكرنا من قبل— لمعاونة قيس بن عزان في صحار ضد السيد ثويني ، وسرعان ما تم للحلفاء الاستيلاء على غالة وخور فكان ثم تقاسماها فيما بينهم ، وظلت هذه الاماكن تحت أيديهم لاكثر من سنة . وفي ١٨٥١ —حين ظهر السيد سعيد بنفسه أمام صحار— ترك الشيخ سلطان قيساً ليلقى مصيره وحده ، واستعاد جيشُ السيد بمعونة فرقة من دبي كلا من صحار وشناص دون ان يجد في ذلك مقاومة كبيرة ، ولكن يبدو ان غالة وخور فكان ظلتا تحت سيطرة شيخ الشارقة الذي أفاد من الحرب لاحقاً في استعادة ممتلكاته التي كان قد فقدها في المنطقة الشمالية .

العلاقات بالعرب على الساحل الايراني :

وقد ظل عدد كبير من الشيوخ المتصالحين يتابعون بحرص واهتمام الخلافات والمنازعات الدائرة بين اقربائهم العرب المستقرين على الساحل الايراني ، غير ان المقيم السياسي البريطاني كان يمنعهم دائماً من التدخل

المؤثر لصالحهم أو الوقوف الى جانبهم . وفي سنة ١٨٣٥ منع شيخ ام القيوين من ارسال نجدة لاقاربه آل علي في جاراك ، وفي سنة ١٨٣٧ منع شيخ الشارقة أيضاً من تقديم المعونات لاهل طافونه ضد أهل جاراك .

العلاقات بشيخ كعب في عربستان :

كما كانت تقوم احتكاكات من حين لحين بين شيخ كعب في عربستان وشيوخ عمان المتصالحة . وقد أسر قراصنة القواسم رجلا من كعب في سنة ١٨٣٨ واخبار ذلك بالاضافة الى التدابير التي اتخذتها السلطات البريطانية بذلك الصدد وردت في فقرة سابقة ، لكن هذه الحادثة بالذات لم تترك أية مشكلات كبيرة وان راح ضحيتها رجل ثريٌ من كبار أنصار الشيخ ثامر . وذلك لان شيخ كعب اقتنع بتأكيد المقيم السياسي البريطاني بأن شيوخ الشارقة ولنجة ورعاياهم على وجه العموم لم يكن لهم دور في ذلك العمل . أما القواسم فانهم توقعوا عقابا سريعاً لذلك — فقد جهزوا اسطولا يضم ٢٢ سفينة باتت تجوب البحار مجتمعة بهدف توفير الحماية المتبادلة .

وفي ديسمبر ١٨٤١ حدثت حادثة أكثر خطورة ، وذلك أن سفينة لأبو ظبي استُولِيَ عليها فيما جاور المحمرة . وقد تم هذا العمل بأمر من الشيخ فارس شيخ كعب في ذلك الوقت وقد برره بثأرٍ له عند قبيلة بني ياس . يرجع الى أكثر من ٣٠ سنة . وبعد خلاف طويل—أشرنا الى تفاصيله في تاريخ عربستان — أعيدت السفينة الى أصحابها في مايو ١٨٤٥ بجهود السلطات البريطانية .

العلاقات بالبحرين :

وقد أوقفت الحكومة البريطانية تدخل شيوخ عمان المتصالحة في شئون البحرين كما اوقفت تدخلهم في شئون ايران . وفي سنة ١٨٤٣ رفض شيوخ الشارقة ودبي تقديم المعونة لشيخ البحرين السابق عبدالله بن احمد ،

بل انه حتى شيخ ابو ظبي المغامر رفض الدخول في الموضوع . وفي يوليو ١٨٥١ قام شيخ ابو ظبي بجهود لتسوية الخلافات المعلقة بين امير الوهابيين وشيوخ البحرين .

★ ★ ★

الأحوال الداخلية في عمان المتصالحة
١٨٣٥ ـ ١٨٥٣

ان التاريخ الداخلي لعمان المتصالحة في ذلك الوقت ، والذي يتكون أساساً من الحروب والمنازعات الصغيرة بين الشيوخ المحليين مضطرب ومختلط الى ابعد الحدود .. لكن هذا لا يعني أنه غير قابل للفهم والتفسير . وكانت الحقيقة الرئيسية فيه هي عموماً الصراع على النفوذ بين شيوخ الشارقة وأبوظبي . وفي ذلك الصراع بدأت كفة الشارقة تهبط من المرحلة الاولى وقد استفاد شيوخ دبي من هذا الى ابعد الحدود حتى إنهم كانوا يتناسون الخلافات فيما بينهم ليقوموا ضد شيوخ الشارقة بعمل موحد .

والى جانب الاعمال العدائية التي يمكن ردها الى هذا الاصل : أي الصراع بين الشارقة وابو ظبي ، فان ثمة أعمالا عدائية كثيرة ترجع أساساً لتلك الغارات التي كان شيخ الشارقة يشنها على الامارات الصغيرة من حوله وبعضها كانت غارات ملحوظة . وفي سنة ١٨٤٠ كان واضحاً تماماً ان شيخ الشارقة يطمع في أن يضم لحكمه أم القيوين وعجمان بل ودبي ايضاً .

العلاقات بين الشارقة وابو ظبي ودبي ١٨٣٨ :

وفي مايو سنة ١٨٣٨ هاجم الشيخ خليفة شيخ ابو ظبي دبي واهلها غائبون في صيد اللؤلؤ وكانت هجرة آل بوفلاسه الى دبي ما تزال تحز

في نفسه حزناً عميقاً ، واستطاع ان يستولي على حصن على ساحل البحر ، فجعل فيه حامية من قواته ثم انسحب الى امارته . وحين ترامى الخبر الى آل بو فلاسه عادوا جميعاً من شواطيء اللؤلؤ مسرعين . واستطاعوا -بمعاونة من سلطان بن صقر- ان يجلوا بني ياس عن الحصن الذي احتلوه ودمروه تماماً .. وذلك بعد عمليات دامت ثلاثة ايام . واخيراً تم التوصل الى صلح بين الطرفين حتى تتمكن قوارب دبي وابو ظبي من العودة الى شواطيء اللؤلؤ قبل نهاية موسم الغوص .

وفي ١٨٣٩ نشب نزاع دموي بين اهل دبي واهل ام القيوين ادى الى اعمال عدائية متبادلة بين شيوخ الشارقة وام القيوين ، وسنشير الى تفصيلات ذلك في فقرة تالية .

وبعدها بسنة . وضحت ظاهرة تدخل مكتوم بن بطي شيخ دبي في الامور الداخلية لمشيخة القواسم حين اعلن صقر بن سلطان في مدينة الشارقة استقلاله عن ابيه شيخ القواسم . لكنه لما فشل الانقلاب الذي كان خلاله نفوذ الشيخ مكتوم يسود الشارقة — منح شيخ دبي للابن المتمرد ملجأ يحميه من بطش أبيه . واهتاج الشيخ سلطان بن صقر لكل هذه الاعمال . فلجأ الى التهادن مع عدوه اللدود خليفه ، شيخ ابوظبي . وتم الاتفاق بينهما على انه في حالة سقوط دبي بين ايديهم فيجب ان تدمر تدميراً كاملا وان يرغم اهلها على الاقامة في الشارقة او ابوظبي ، كما استطاع شيخ الشارقة إغراء شيخ ام القيوين ايضاً بالانضمام اليهم في هذا الأمر . وحين وصلت الأمور الى هذا الحد صدر شيخ الشارقة عن خيانة لحلفائه غريبة حتى على رجل مثله عرف بمثل ذلك الغدر . فقد قبل اعتذار شيخ دبي ومعه الف روبية وانسحب فجأة تاركاً حلفاءه ليتدبروا امرهم على احسن ما يستطيعون .

١٨٤١ :

وفي سنة ١٨٤١ ضعفت دبي كثيراً نتيجة هجرة حوالي خمسمائة

رجل ساخط من آل بو مهير استقروا في الشارقة . كما جاء انتشار الحمى المفاجئ في دبي في نفس الوقت ليدفع عدداً كبيراً من السكان للهجرة منها والاقامة باذن خطي من الشيخ سلطان في ديره التي كانت سبب الخلافات الحادة بين شيوخ الشارقة وابو ظبي خلال الفترة من ١٨٢٤ الى ١٨٢٧ كما ذكرنا .

وانتهز شيخ ابو ظبي فرصة خلو دبي من المدافعين عنها نتيجة هذه الاحداث الى جانب رحيل رجال آل بو فلاسه الى شواطئ اللؤلؤ . فقام اولا بضمان حياد قبيلة بني قتب وغيرها من قبائل البدو ، ثم اندفع ومعه مائة وخمسون رجلا الى المدينة فاستولوا عليها ونهبوها وقطعوا اشجار النخيل واحرقوا الثمار وافسدوا كل شيء ، ثم احرقوا سفينة كانت في الميناء للشيخ مكتوم وقتلوا رجلين كانا على ظهرها . واستنجد شيخ دبي فوراً بشيخ الشارقة الذي بادر فأمده بمئتي رجل . وعلى حين لم تجرؤ قوات الحلفاء على مهاجمة الغزاة الذين كانوا في ذلك الوقت يحتلون جميرة ، ارسل الشيخ خليفة بن شخبوط ، المنتصر ، فرقة من رجاله اغارت على قرية الخان المجاورة فنهبتها وحملت منها خمسة عشر عبداً ثم عادت الى مقرها سالمة . وبعد ذلك انسحب شيخ ابو ظبي الى بلاده ، ومن هناك حاول ان يباغت مدن دبي والشارقة وراس الخيمة لكنه وجد العدو –هذه المرة– مستعداً لمقابلة قواته في كل من هذه الامكنه ، فانسحب الى بلاده بعد ان خسر عدة رجال كما خسر بعيره الذي كان يمتطيه .

١٨٤٢ :

وفي إبريل من العام التالي ، قدم اقتراح للشيخ خليفة بأن يتفق هو وبقية الشيوخ المتصالحين على ايقاف كل العمليات العدوانية المتبادلة بينهم في البر بمثل اتفاقهم على ايقافها في البحر خلال موسم اللؤلؤ

الوشيك . غير ان الشيخ وهو في نشوة النجاح الذي احرزه ، في آخر غارة قام بها رفض الاقتراح ، بل وبدأ بالفعل يحاول إبعاد الشيخ مكتوم عن الشيخ سلطان تمهيداً للقيام بهجوم على هذا الاخير ، لكنه ظل هادئاً طوال شهور الصيف ؛ وفي اكتوبر ١٨٤٢ ، حين نشأت مودة غريبة بينه وبين الشيخ مكتوم ، تعهد الأخير بأن يسعى لعقد صلح مع شيخ الشارقة .. لكن هذا الشيخ رفض ان يقبل شرطاً للصلح هو توقفه عن معاداة سلطان مسقط وهكذا فشلت تلك المفاوضات .

١٨٤٣ :

وفي مارس ١٨٤٣ قام شيخ ابو ظبي بزيارة لشيخ دبي ، ويبدو ان الصداقة بينهما كانت تتدعم مما كان يزيد في سخط شيخ الشارقة ، وبعدها قام سلطان ، شقيق شيخ ابو ظبي ، على راس مائة وخمسين رجلا من راكبي الجمال بغارة ضد حلفاء القواسم وفي خلال سبعة ايام فقط قتل ثلاثة رجال من بني كتاب حلفاء القواسم كما فقدوا سبعين بعيراً استولى عليها العدو كما نهبت قافلة كانت متجهة من البريمي الى الشارقة ، وقتل ثلاثة من بني نعيم ، ورجع الغزاة الى بلادهم دون ان يفقدوا سوى رجلين قتلى وآخرين جرحى .

وفي يوليو تم عقد صلح زائف لانهاء الحرب موقتاً ، ولكن في اغسطس – وبتحريض من شيخ دبي على الارجح – قام خليفة بن شخبوط على راس قوة كبيرة من راكبي الخيول والجمال – باجتياح بلاد بني كتاب وبني غفالة وبني نعيم ، واستولى على قطيع كبير من جمالهم جمعت لحمايتها في الذيد في حين كان اصحابها في غزوة باقليم الباطنة ، وتعهد بنو ياس برد ما استولوا عليه لكنهم لم يفوا بوعدهم ابداً .

وفي نوفمبر ١٨٤٣ هاجم جماعة من بني غفالة قافلة لدبي فأعمل الشيخ مكتوم السيف والنار في بلاد تلك القبيلة وقبيلة بني نعيم التي كانت متحالفة مع الشيخ سلطان بن صقر . وكادت القطيعة تقع بين الشيخين .

لكن شيخ القواسم بدا متراجعاً حتى إن بني غفالة المتلهفين للانتقام كادوا ان يتحولوا اليه بأسلحتهم . وهددوه بأنهم سيحالفون شيخ ابو ظبي . وحدث ان قتل شقيق الشيخ مكتوم رجلا من اهل الشارقة فنشأت ازمة جديدة لكنها ايضاً سويت دون ان تترك اثراً . واخيراً وقع اشتباك مباشر في الداخل بين بني غفالة وشيخ دبي قتل فيه عدة رجال من الجانبين وانتصر الشيخ ولكن بعد ان فقد إحدى عينيه في المعركة .

١٨٤٤ :

وفي يوليو ١٨٤٤ خرج شيخ الشارقة بجولة بالداخل يحاول فيها استعادة نفوذه الضائع بين قبائل البدو ، لكنه اثبت انه اقل كفاءة في التعامل مع البدو من الشيخ خليفة بن شخبوط الذي استطاع في جولة صيفية قام بها ان يقنع عدداً من القبائل بالوقوف الى جانبه من بينها تلك التي نهبتها قواته مؤخراً . وعقد شيخ ابو ظبي اجتماعاً لانصاره وحلفائه في البريمي حضره السيد حمود عزان حاكم صحار والسيد قحطان بن سيف نائب الحاكم في شناص . لكن الشيخ مكتوم شيخ دبي ـ الذي دعى لحضور الاجتماع بهدف تسوية الامور المعلقة بينه وبين بني غفالة ـ راى من غير المناسب ان يحضر بنفسه فاناب عنه شقيقه سعيداً .

١٨٤٦ :

وفي ١٨٤٦ كان كل ساحل عمان المتصالحة يلتهب بالحروب نتيجة مطامع الشيخ سلطان بن صقر الذي كان ما يزال يهدف على ما يبدو الى ضم ام القيوين وعجمان الى امارته ثم تطويق دبي . واجتمع هؤلاء الشيوخ الذين تهددهم مطامعه في حلف دفاعي ضده ، وقام شيخ الشارقة من ناحيته بمحاولة ضم سعيد بن طحنون شيخ ابو ظبي الجديد ـ الذي لم يكن قد خبر القواسم جيداً بعد ـ في حلف مضاد . ولسنا نهتم الآن بما عمله شيوخ ام القيوين وعجمان ـ رغم دور شيوخ هذه الاخيرة في تطور الأحداث ـ وسنقصر حديثنا على الخلاف بين الشارقة ودبي ونتائجه .

كان السبب الرئيسي في هذا الخلاف هو قرار سلطان بن صقر بأن يضع الأسس لتوسع دبي باقامة عدد من الابراج والحصون في منطقة ابو جبل التي تقع على ساحل إمارته ولا تبعد عن دبي اكثر من خمسة اميال . وراى الشيخ مكتوم ان من الضروري منع هذا العمل بأية وسيلة ، ولم تكد التعديات تبدا حتى قطعها وصول اسطول من البحرية البريطانية والهندية — يقوده سير هـ. بلاكوود تجاه الشارقة . وطلب القائد من الجانبين وقف هذه الاعمال حتى يرفع الامر للمقيم البريطاني ، ووافق الطرفان على الاقتراح ، ولكن لم يكد الاسطول يبحر حتى خرق الشيخ سلطان الاتفاق وعاد لاستئناف تشييد الابراج في ابو جبل . وحين وصل كابتن كيمبول الى المنطقة في مارس ١٨٤٦ بهدف عقد اتفاقية بين الاطراف المتنازعة باسم المقيم البريطاني ، وجد الحرب دائرة .. ولم تؤد جهوده الى ايقافها .

وبعد يوم او اثنين من رحيل مساعد المقيم تغير الموقف تغيراً واضحاً نتيجة موت صقر ابن شيخ الشارجه الذي لقي مصرعه في هجوم على مشيخة ام القيوين ، وبناء على طلب الشيخ سلطان نفسه عقدت هدنة مدتها ستة أشهر حتى ١٢ نوفمبر التالي بوساطة من القائد هوكينز .

ولم تكن هذه الهدنة سوى شيء اسمي وموقت حتى بالنسبة لمن فكر في عقدها لان الشيخ سلطان سرعان ما عاد لاستئناف نشاطه في عمليات البناء والتشييد كما طرد رعايا دبي من الشارجه ، وحرص شيخ ابو ظبي على اهانة شيخ دبي والايقاع بحلفائه من البدو في ام القيوين ، وقيل ان عشرين رجلا من هذه الامارة الاخيرة —ينتمون الى قبيلة الغفالة— لقوا مصرعهم بتحريض منه .

وبعد انتهاء أجل الهدنة البرية التقى شيوخ ابو ظبي والشارجه مرة أخرى . وقرروا اخضاع دبي . لكن الشيخ سلطان خشي ان يستولي الشيخ سعيد على دبي لنفسه اذا تم اخضاعها ، فرجع عن عزمه معلناً ان ام القيوين يجب ان تكون الهدف الاول للحملة المشتركة .

١٨٤٧ :

وفي نفس الوقت بدأ الحلفاء يجرون مفاوضات مستقلة مع الشيخ مكتوم ، ضحيتهم المزعومة ، والقى هذا بنفسه بين ذراعي الشارقه ، فعقد الصلح مع شيخها على حين ظل في حالة حرب ضد شيخ ابو ظبي . ويبدو ان السبب وراء اختيار الشيخ مكتوم الصلح مع الشارجة كان الوعد الذي قدمه الشيخ سلطان بهدم الابراج في ابو جبل ، ولسنا بحاجة للقول انه لم يف بوعده هذا ولم ينتو الوفاء به ، على حين عرض عليه شيخ أبو ظبي شروطاً مجحفة منها العفو عن بني قتب المشاغبين .

١٨٤٨ :

وظلت الامور على ما هي حتى ١٢ يناير ١٨٤٨ حين حدث اتصال بين عجمان والشارجه ، لكنها كانت مناورة من جانب ابن حاكم الشارقه عبد الله بن سلطان – الذي كان جديراً بالفعل بأن يخلف اباه – للاستيلاء على قلعة عجمان ، لكن المناوره فشلت ولم يرض عنها الشيخ القاسمي الكبير ، ولم تكن لها نتائج سوى انها دفعت بالاربعة شيوخ المتصالحين الى التحالف جميعاً ضد سلطان بن صقر وابنائه .. لكنهم لم يقوموا بعمل ثأري بعد تحالفهم هذا .

١٨٤٨ – ١٨٥٠ :

وقد سبق ان اشرنا الى العلاقات التي قامت بين الشيوخ بعضهم ببعض خلال السنتين التاليتين في البريمي والباطنة ، أما في الداخل فلم تحدث تحركات ذات اهمية . ويمكننا ان نضيف هنا انه خلال احتلال الشيخ سعيد بن طحنون للبريمي كانت علاقاته متوترة الى ابعد الحدود مع شيوخ الشارقه ودبي جميعاً . وفي يوليو ١٨٤٨ طلب من الشيخ الاول بوصفه حليفاً له ان يتخلى عن شيخ ابو ظبي ، وتظاهر الشيخ سلطان بالاذعان لهذا الطلب ، وفي ديسمبر من نفس السنة تحالف شيوخ الشارجه

ودبي — وربما عجمان ايضاً — لاستعادة البريمي من الوهابيين ، ولكن يبدو ان قواتهم المشتركة لم تصل الى البريمي بالفعل .

١٨٥١ — ١٨٥٣ :

وفي ١٨٥١ تم بالفعل رغم جهود معاكسة من الشيخ مكتوم التوصل للصلح بين الشيخ سعيد بن طحنون والشيخ سلطان بن صقر غير أن الشيخ سلطان الذي كان يتدخل في الشئون الداخلية لامارة دبي وجد نفسه في سنة ١٨٥٢ مواجهاً بحلف دفاعي بين شيوخ دبي وابو ظبي وام القيوين .

العلاقات بين شيوخ الشارقة وام القيوين ١٨٣٩ :

يستحق منا بالذكر عدوان الشيخ سلطان بن صقر على مشيخة ام القيوين الصغيرة ومحاولته اخضاعها رغم الفشل الذي لقيه بهذا الصدد في ١٨٣٢ . وفي سنة ١٨٣٩ لقي رجلان من اهل دبي مصرعهما في الصحراء على ايدي جماعة من ام القيوين وغيرهم حسبوهم خطأ من قبيلة المناصير ، وسارع عبدالله بن راشد شيخ ام القيوين يعرض دفع الدية بواسطة شيخ الشارقه على قدر نصيب رعاياه من تلك الجريمة . لكن هذا العرض رفض ، وفشل التدخل الودي من جانب المقيم البريطاني في الوصول لاية نتائج . حينداك قام شيخ دبي —بموافقة شيخ الشارقه— باغارة على ام القيوين غير ان الغارة انتهت بأسر شيخ ام القيوين ستة رجال من جماعة دبي وضعهم في السجن رافضاً اطلاق سراحهم . ووقف الشيخ صقر بن سلطان —ابن شيخ القواسم— الى جانب الشيخ مكتوم شيخ دبي صراحة وعلناً ، ووصلت قوات مشتركة الى ام القيوين واستطاعت ان توقع الهزيمة بالمدافعين بعد ان استدرجتهم من البلدة للحرب في ميدان مكشوف — فقتل منهم عشرون رجلا وجرح كثيرون ، وانتهى الامر باطلاق سراح الاسرى الستة ودفع شيخ ام القيوين الدية عن الجريمة الاصلية .

١٨٤٠ :

ولدى انتهاء الهدنة البحرية في العام التالي، قام الشيخ سلطان بن صقر الذي لم يكن قانعاً على الاطلاق بما قام به ابنه وحلفاؤه تجاه ام القيوين، ببذل الجهود المنظمة لاخضاع هذا الميناء اخضاعاً كاملا . فسار هو بنفسه، على رأس ٧٠٠ رجل سالكاً طريق البر : وارسل في نفس الوقت اسطولا من ثلاث سفن كبيرة و ٦٠ سفينة صغيرة بقيادة صقر بن سلطان وشيخ دبي تحمل ١٥٠٠ رجل لمحاصرة الميناء من البحر . لكن برجا كان مقاما عند مدخل الميناء منع القوارب من دخول الخليج، وبدون الاستيلاء على هذا البرج لم يكن الحصار امراً مجدياً . وقامت الفرقة البرية من قوات القواسم بمحاصرة البرج لكنهم ضربوا من البرج نفسه فقتل ثمانية من رجالهم وجرح اربعون، وفي نفس الوقت قام شيخ ابو ظبي تنفيساً عن ام القيوين بمهاجمة دبي . وفي هذه الظروف قبلت جميع الاطراف وساطة المقيم البريطاني وتم عقد اتفاقية رسمية للتحالف والصداقة على الاسس التالية : ان يسحب الشيخ سلطان بن صقر مطالبته بتحطيم برج معين يحمي وصول امدادات المياه الى ام القيوين، وان يدفع الشيخ عبدالله بن راشد لشيخ القواسم تعويضاً عن الخسائر التي حدثت في الاشتباكات السابقة للحصار وألا يقوم شيخ ام القيوين بتشييد اية تحصينات جديدة .

١٨٤١ :

وفي ١٨٤١ تشجع الشيخ عبدالله بن راشد باختلاف نشأ بين شيخ القواسم وابنه صقر فطلب من المقيم البريطاني السماح له باستئناف العمل في تحصينات معينة كانت تركت دون اكمال في أثناء الحصار، وهي تقع على البحر في مواجهة ام القيوين . لكن المقيم رفض هذا الطلب رفضاً قاطعاً من حيث ايه يتضمن خرقاً للاتفاقية التي توسط هو نفسه في عقدها . أما الشيخ فقد ضرب صفحاً عن نصائح المقيم، واستأنف العمل في قلاعه التي لم تكتمل، بل وأنشأ ايضاً قلعة جديدة للدفاع عن مدخل امارته من ناحية الماء .

١٨٤٢ :

وهنا طلب الشيخ سلطان بن صقر الى المقيم تنفيذ الاتفاقية ، وفي نوفمبر ١٨٤٢ ارسل مساعد المقيم الى ساحل عمان المتصالحة ليجري تحرياته حول الامر ، وفشل شيخ ام القيوين في تقديم تبرير لعمله ذاك سوى تحسبه من خيانة مفاجئة من الشيخ سلطان بن صقر ، ولم يرفض فقط هدم الحصون الجديدة ، بل أعلن عزمه على اقامة المزيد منها ، وباختصار بات مفهوماً انه لن يرضخ الا رغماً عنه .

ورفض شيخ الشارجه –بيقظته وذكائه المألوفين – ان يناقش أي حل وسط ، بل ألح على تأكيد هيبة السلطات البريطانية وضرورة تدعيمها . واخيراً ارغم شيخ ام القيوين على ان يوقف عمليات البناء ورفعت القضية للحكومة طلباً لاوامرها .

١٨٤٣ :

وفي مايو ١٨٤٣ سار المقيم المساعد مرة أخرى –بتفويض من الحكومة– الى الساحل المتصالح ، وظل الشيخ عبدالله بن راشد على عناده حتى ايقن من احتمال اللجوء لاستخدام القوة ، غير ان هدنة السنوات العشر التي عقدت في ذلك الوقت طرحت عن القضية أية أهمية عملية لها وتقرر انه اذا ما نفذ شيخ ام القيوين التزامه بهدم الحصون التي اقيمت بعد الاتفاقية ، فان الهدنة ستحل المشكلة وتحدد لكل من الشيوخ المتصالحين والسلطات البريطانية التزاماتهم . وصدرت التعليمات للوكيل البريطاني بالبقاء في ام القيوين ومشاهدة هدم الحصون المطلوبة ، وبدأ الهدم بالفعل ، وبعد ان هدم واحد منها فعلا أعلن شيخ الشارجة على لسان شيخ دبي تنازله عن الاصرار على الهدم . ولا ريب في أنه تأثر بتهديد شيخ ام القيوين بأن يفسد موسم اللؤلؤ كله بشن الحرب من البر ، وقد قبلت السلطات البريطانية هذا التنازل وصدقت عليه . ولم تهدم بقية الابراج .

١٨٤٤ :

وفي ١٨٤٤ ارغمت رياح معاكسة الشيخ سلطان بن صقر على اللجوء الى ميناء ام القيوين ، وتجاهل الشيخ عبدالله بن راشد الماضي ودعاه الى البر وعامله معاملة الضيف الكبير يوماً وليلة ، ولكن يبدو ان هذا لم يكن أكثر من التزام بتقاليد الضيافة العربية لانه كان بلا أثر تماماً في تسوية الخلافات او تهدئة الجو بين الشيخين .

١٨٤٦ — ١٨٤٧ :

وفي الحرب الشاملة التي نشبت على طول ساحل عمان المتصالحة في سنة ١٨٤٦ لاسباب يعود معظمها الى مطامح سلطان بن صقر لعب شيخ ام القيوين دوراً هاماً وبارزاً . فعلى النقيض تماماً من الشيخ عبدالعزيز شيخ عجمان ، الطرف الثالث في التحالف الثلاثي الذي تابع مصالحه المباشرة في التحول من جانب لآخر ، ظل الشيخ عبدالله بن راشد واقفاً الى جانب شيخ دبي بولاء واخلاص .. واستطاع هذان معاً ان يصلا بالحرب الى نتيجة ليست سيئة . ففي بداية العمليات حدث اشتباك بالقرب من ام القيوين بين قوة يقودها الشيخ بنفسه وبين قوة مغيرة من بني قتب وغيرهم يصحبها الشيخ صقر بن سلطان من الشارقه . وفي هذا الاشتباك قتل ابن لشيخ الشارقه بعد كفاح عنيف . وارغم انصار الشارجة على الفرار . وشملت معاهدة السلم لسنة ١٨٤٧ شيخ ام القيوين، ولكن رغم تعاونه اللاحق مع القواسم في حملة على الباطنة الا انه ظل متيقظاً لمحاولة الغدر من جانب شيخ الشارجه انتقاماً لمصرع ابنه .

عدوان شيخ الشارقة على سلطان روس الجبال ١٨٣٩ :

وقد يكون من المهم —قبل ان نتجاوز موضوع التوسع الذي كان يحاوله الشيخ سلطان بن صقر— ان نشير الى بعض العمليات التي باشرها في سنة ١٨٣٩ ضد جيرانه من قبيلة الشيحي فقد تردد ان سيد مسقط قد اعترف في سنة ١٨٣٦ بتبعية اقليم روس الجبال للشيخ القاسمي ، ولكن

يبدو ان اهل قبيلة الشيحي الذين يعيشون في هذا الاقليم كانت لهم وجهات نظر اخرى . وقد سقط احد حصونهم خيانة وغدراً بين ايدي وكيل شيخ الشارجه في دبي فأمر بتسويته بالارض ، وبدأ الشيحي سلسلة من الغارات والغزوات رد عليها الشيخ سلطان بحملة برية فاشلة ضد مدنهم الرئيسية خصب وقمذار ، كما قرر شيخ الشارجه حصار ساحل روس الجبال من البحر لولا ان تقدم قوات المصرية في نجد جذب اهتمامه الى منطقة اخرى بل وأدّى به ايضاً لان يبادر بطلب عقد الصلح مع الشيحي .

الصراع بين عجمان وحمرية ١٨٤٨ :

يبقى ان نشير الى صراع مستقل دار بين اهل عجمان واهل حمرية ، غير ان هذا الصراع لم يؤد –على أية حال– الى اضطراب العلاقات بين عجمان ومشيخة الشارقة التي يتبعها اهل حمرية . وفي سبتمبر ١٨٤٨ ، ولدى موت سيف بن عبدالله شيخ حمرية انتخب اهلها شيخاً آخر لزعامتهم يدعى عبد الله . ويبدو ان الشيخ عبدالعزيز شيخ عجمان كان يقاوم هذه المحاولة لانه خرج مباشرة لمهاجمة حمرية على رأس ٤٠٠ رجل لكن أهل عجمان على كثرتهم لقوا هزيمة سريعة على أيدي أهل حمرية . وطاردهم هؤلاء حتى ابواب مدينتهم . وفي هذا الاشتباك لقي الشيخ عبدالعزيز شيخ عجمان مصرعه وجرح شقيقه حميد بن راشد ، كما لقي شيخ حمريه الجديد مصرعه ايضاً ، والى جانب الزعيمين قتل ٢٦ رجلا وجرح ٢٠ آخرون من محاربي عجمان وسقط ٥ قتلى و ٢٢ جرحى من حمرية . واصبح عبدالرحمن بن سيف بن عبدالله شيخاً لحمرية ، وخلف حميد بن راشد اخاه شيخاً لعجمان .

★ ★ ★

معاهدة السلم الدائمة ـ ٤ مايو ١٨٥٣

حين قاربت هدنة السنوات العشر البحرية نهايتها بدأ كابتن أ. ب. كيمبول المقيم السياسي في الخليج وقتذاك ، يجري مشاوراته مع الشيوخ الموقعين عليها لعقد معاهدة دائمة ، وكانت الاجابات التي حصل عليها مرضية وايدت حكومة بومباي مشروعه تأييداً كاملا . وهكذا توجه كابتن كيمبول في أوائل مايو سنة ١٨٥٣ بتعليمات من حكومة الهند على السفينة « كلايف » الى الساحل المتصالح حيث اجريت المفاوضات بسرعة وكللت بالنجاح . وكان الشيوخ قد تعلموا الآن بالخبرة مزايا استمرارية السلام في البحار دون تهديد ، بل انه تم حتى التغلب على المعارضة التي كانت متوقعة من جانب أكثر هؤلاء الشيوخ قوة ، شيوخ الشارجة وابو ظبي ، باكتفاء شيخ الشارجة بتأكيد السلطات البريطانية له بأن توقيعه على تلك المعاهدة لن يمنعه في حالات الضرورة القصوى من الدفاع عن ممتلكاته البحرية في خليج عمان ، بالوسائل البحرية طبعاً ، اذا ما تهددها عدوان من حاكم مسقط . وكانت نصوص معاهدة السلم الدائمة شبيهة بنصوص هدنة السنوات العشر لكنها أضافت نصاً جديداً يقضي بأن للحكومة البريطانية حق تدعيم هذه « الهدنة البحرية الدائمة والكاملة » ومراقبة تنفيذها . واتخذت الاتفاقية شكلها النهائي في ٤ مايو ، ووقع عليها الشيوخ في تواريخ متقاربة من ٤ الى ٩ من ذلك الشهر نفسه .

وقد اتبع المقيم البريطاني خلال رحلاته الدورية في الساحل المتصالح سياسة الهدايا للشيوخ الذين يكون سلوكهم أفضل من غيرهم ، وقد امتدحت حكومة الهند تلك السياسة واقرتها .

★ ★ ★

الفترة من معاهدة السلم الدائمة حتى المعاهدة المانعة
١٨٥٣ ـ ١٨٩٢
العلاقات البريطانية بعمان المتصالحة
١٨٥٣ ـ ١٨٩٢

« الاضطرابات البحرية .. » :

يشير استخدام تعبير « الاضطرابات البحرية » في المراسلات الرسمية بدل كلمة « القرصنة » ابتداء من سنة ١٨٥٣ الى دلالة التطور الثوري العظيم الذي حدث ، نتيجة اخلاص المسئولين البريطانيين واعتدالهم ، في منطقة الخليج .

١٨٥٤ :

وفي الزيارة الاولى التي اجراها المقيم البريطاني للساحل المتصالح بعد توقيع معاهدة السلم الدائمة وجد الشيوخ جميعاً متفقين في « ارتباطهم بالحكومة البريطانية وولائهم لها . » محافظين على الارتباط بالتزاماتهم التي حددتها المعاهدة . وفي هذه المناسبة لم يجد المقيم أمامه سوى حادثتين صغيرتين فقط من حوادث خرق النظام في البحار ، وقد سويتا سريعاً وبسهولة .

١٨٥٥ ـ ١٨٥٦ :

وفي يناير ١٨٥٥ دفعت الرياح المعاكسة بسفينة صغيرة يملكها تاجر من البحرين يدعى عبد الكريم الى اللجوء بالقرب من خور العديد ، وهناك هاجمتها سفينتان من سفن ابو ظبي ونهبتا ما كان عليها . وقد جرح في الحادث عبدالكريم نفسه وقتل احد رجاله . وحاول شيخ ابو ظبي زايد بن خليفه الذي كان قد تولى المشيخة مؤخراً ان يراوغ في مسئوليته عن تسوية الحادثة متعللا بأنها حدثت في عهد سلفه لا عهده هو ، وحين

رفض تعلله هذا أرغمه القائد اثريسي على دفع التعويض عن المسروقات و ٦٠٠ جنيه دية الرجل القتيل ، كما امر باحراق السفينتين اللتين ارتكبتا الجريمة .

وقد أدت اضطرابات حدثت في حمرية الى وقوع بعض الاعتداءات البحرية الطفيفة هنا وهناك كان بين ضحاياها سفن خارجية تابعة لساحل الباطنة ، وقد امكن الحصول على التعويضات المطلوبة في كل الحالات بسهولة .

وفي نوفمبر ١٨٥٥ كانت سفينة من بومباي لتاجر هندي من رعايا بريطانيا تفرغ حمولتها في الشارجة حين هبت رياح عنيفة دفعتها الى الشاطيء . ولما هدأت الرياح بعض الشيء جاءت جماعة من العرب من المدينة الى الخليج فنهبت السفينة ثم شرعت في تدميرها بالاضافة الى انها خفضت العلم البريطاني الذي كان البحار قد رفعه طلباً للحماية . وحين عاد ليرفع علماً آخر راح العرب يسبون الحكومة البريطانية واعتدوا بالضرب المبرح على واحد من بحارة السفينة . وفوراً ، ارسلت سفينة حربية الى الشارجه لطلب التعويض واصلاح السفينة ، وتوقيع العقوبات على العصابة المجرمة . وبعد ان راوغ الشيخ وحاول تصوير الحادثة كما لو كانت مجرد حادثة غرق طبيعية عاد ليلقي اللوم على جماعة البدو الذين لا سيطرة له عليهم ، فأرغم على الخضوع لتلك المطالب جميعها .

وقد سلك شيخ ابو ظبي سلوكاً حميداً حيال حادثة مألوفة من حوادث الغوص هي خطف بعض الغواصين . فبذل جهداً نشيطاً ومخلصاً حتى القي القبض على متزعمي ذلك الحادث ، واعاد الغواصين المخطوفين حيث سلمهم لوكيل المقيمية البريطانية في الشارجة . وتقديراً لهذا العمل سمحت الحكومة بزيادة خاصة في هديته السنوية التالية .

وقد نشأت حالة غريبة في يوليو سنة ١٨٥٦ حين ساهمت قوات ارسلها شيخ الشارجه في محاولة اعادة الشيخ سعيد بن طحنون شيخ

ابو ظبي السابق الى الحكم . ولما فشلت هذه المحاولة وقررت السلطات البريطانية اعتبار العملية عدواناً بحرياً من جانب شيخ الشارجه ، واعتباره مسئولا —مسئولية الشريك— عن اتلاف بمدينة ابو ظبي وقع معظمه بأيدي البدو من حلفاء الشيخ الموجود آنذاك فيها ممن كان استدعاهم لمعاونته في الدفاع عن المدينة .

١٨٥٧ :

وحددت الغرامة التي يجب ان يدفعها شيخ الشارجه بمبلغ ٢٥ الف جنيه تدفع على أقساط ، على ان يعفى الشيخ من بعضها اذا أثبت حسن سلوكه ، لكن مسلكه ظل لا يبرر على الاطلاق انقاص شيء من الغرامة، وهكذا دفع المبلغ المقرر حتى آخر جنيه منه .. وكانت آخر دفعة منه في مايو سنة ١٨٦٠ .

وفي ١٨٥٧ —وعلى ما نحو ما هو مذكور بالتفصيل في مكان آخر— منع شيخ الشارجة من القيام بعمل بحري ضد قبيلة الشحوح ، ولم يكن هذا المنع بمقتضى نصوص المعاهدة الدائمة لانها لا تنطبق على تلك الحالة ، بل كان اساساً بمقتضى عدم لياقة تصرفه .

١٨٥٩ :

وفي ١٨٥٩ حدثت حادثة خطيرة أعادت الى الاذهان للحظات عابرة ذكرى الايام الماضية . فقد كان ثلاثة من مواطني الإحساء ورعايا امير الوهابيين مسافرين على سفينة من دبي مفروض أنها متجهة الى لنجة . قام قائد السفينة وبحارته بالقاء المسافرين الثلاثة في عرض البحر طمعاً في الاستيلاء على ممتلكاتهم . وقد غرق اثنان منهم لكن الثالث ويدعى عبدالله بن حسين— استطاع ان يتعلق بلوح خشبي وجده طافياً حتى انتشلته سفينة من صور . ووصل اخيراً الى حيث ابلغ الحادثة بتفصيلاتها للمقيم البريطاني كابتن فليكس جونز ، وبادر هذا بارسال القائد بلفور على رأس اسطول ليطلب الآتي : (١) تسليم القارب الذي ارتكبت فيه الجريمة

وتدميره . (٢) دفع مبلغ ١٨٠٠ جنيه تعويضاً عن المسروقات . (٣) دفع مبلغ ١٨٠٠ جنيه دية للقتلى وتعويضاً عن محاولة القتل . (٤) اعدام عبيد ناخوذا القارب الذي ارتكب الجريمة علناً او افتداؤه بدفع مبلغ ١٠٠٠ جنيه . وقد استطاع القائد بلفور ، وهو ضابط كفء وقدير وحاسم أن يرغم شيخ دبي على قبول تلك المطالب كلها لكنه اختار ان يدفع الغرامة بدل تسليم المجرم الرئيسي . غير ان كابتن فيلكس جونز قد تبين ، في نهاية السنة تقريباً ، ان محمد بن بزان ، أحد مرتكبي الجريمة قد عاد الى مقره في خصب ، فسار مباشرة مع القائد بلفور وطلب تسليمه او افتداءه بمبلغ ١٠٠٠ جنيه . وقام كبار المدينة مباشرة بتسليم محمد بن بزان للمسئولين البريطانيين دون شروط ، وقد ذكر(١) ان هذه السلطات قد سلمته لشيخه الذي يتبع له وهو سلطان عمان . واعدم بالفعل –ضرباً بالرصاص– في مسقط بتاريخ ٢١ مايو سنة ١٨٦٠ . وفي ١٨٥٩ نجح القائد جنكنز في ان يتسلم سبع سفن من الشارجه ارتكبت بعض أعمال القرصنة على الساحل الايراني فيما يبدو ، وذلك بعد انذار مدته ٤٨ ساعة فقط . لكننا لم نستطع التوصل الى تفاصيل هذه الحادثة .

١٨٦٩ :

وفي ١٨٦٩ ، وبعد ان ارغم شيخ الحمرية في العام السابق على دفع مبلغ صغير تعويضاً عن حادثة سرقة في البحر على ظهر سفينة تابعة لمينائه ، اساء مستشاروه النصح له فسار بحراً لنجدة سيده شيخ الشارجه الذي كان

---

(١) كانت هذه هي صورة الاوامر ، ولكن يبدو أن هذا غير مناسب . فاتفاقية السلم العامة في سنة ١٨٢٠ ، واتفاقية السلم الدائمة في سنة ١٨٥٣ لم تنص أى منهما على سواحل أو مياه بعينها . لكنها تنطبق على رعايا الشيوخ الموقعين حيثما كانوا . وقد كان من الانسب – ولعله أيضا من الاقرب الى الصواب – أن ينص على أن اقليم الشمالية تابع للشارجة كما حدث فيما بعد سنة ١٩٠٣ . كذلك لم يكن اعتبار أهل روس الجبال – الخاضعين لمسقط – طرفا في هذه الاتفاقيات التى لم يوقعها السلطان .

منهمكاً في ذلك الوقت في اخضاع بعض المتمردين عليه في خان وابو جبل ، وقد كلفته هذه الحماقة التي لم يفكر فيها ٢٥٠ جنيهاً .

ونشير هنا ايضاً الى حادثتين وقعتا في بخّه في ١٨٥٩ او ١٨٦٠ ، رغم انهما يتبعان أساساً اقليم روس الجبال ، لكننا نذكرهما هنا على اساس أنهما تشكلان استمراراً لخرق النظام البحري على الساحل المجاور مباشرة للساحل المتصالح . ففي الحادثة الاولى سرق لاجيء من شعم بتحريض من شيخ بخّه سفينة صيد وعدة شباك من شعم وجاء بما سرق الى بخه ، وفي الحادثة الثانية قام شيخ بُخه بسرقة المتاع القليل الذي تبقى لطاقم بحارة سفينة غرقت شرقي الميناء . وفي كلتا الحالتين طلب من الشيخ ـ رغم كونه غير موقع على اية هدنة او اتفاقية ، ورغم انه كان ما يزال يعتبر حتى ذلك الحين تابعاً لسلطان مسقط ، ان يدفع غرامة قدرها ١٠٠ جنيه ، لكنه رفض هذا الطلب الذي قدمه له الملازم داير على السفينة « دجله » ، ولكن وصول القائد بلفور في ١٥ فبراير سنة ١٨٦٠ على ظهر الفرقاطه « سمير اميس » والسفينة « الفينستون » ارغمه على الدفع ، وبعدها صدر انذار للشيخ .. « بأن يكون حريصاً في المستقبل على الا يرفض اي طلب يطلبه منه ضابط مسئول في البحرية الهندية التابعة لصاحبة الجلالة البريطانية » .

١٨٦٠ :

وفي يناير سنة ١٨٦٠ كانت السفينة « فتح الخير » من لنجه تحاول دخول ميناء رأس الخيمه حين جنحت الى الارض ، وفوراً أحاط بها عدد يتراوح بين ١٥ و ٢٠ قارباً مسلحاً بقيادة الشيخ ابراهيم ابن شيخ القواسم ونائبه في حكم رأس الخيمه . وبعد ان نهبت السفينة وحطمت عمداً سمح لها بمواصلة السير ، فبذلت كل ما في وسعها حتى وصلت الساحل الايراني ، وهناك لقيت العون من القائد بلفور الذي توجه

شخصياً الى رأس الخيمة بعد تحريات للحادثة اجراها احد مساعديه . وبعد اتصال قصير بشيخ الشارجه سلطان بن صقر الذي اكتفى بأن أصدر لابنه امراً بدفع التعويض . وحاول ابراهيم الهرب لكن ستة قوارب مسلحة قطعت عليه الطريق بدخول الميناء ، واستولت على ست سفن صغيرة كانت فيه ، وبعدها تم دفع التعويض في خلال ٤٨ ساعة ، وقدر بمبلغ ١٨٠ جنيهاً سلمت لصاحب السفينة ، ثم فرضت غرامة اخرى قدرها ٥٠٠ جنيه بأوامر من حكومة بومباي .

١٨٦٦ — ١٨٦٨ :

وفي سنة ١٨٦٦ رفع المقيم السياسي القائد لويس بيللي الى الحكومة عدداً من التقارير ذكر فيها عدة حالات من تلك الاعتداءات الصغيرة كأمثلة على اضطرابات ما تزال تقع في البحر بين الحين والحين . ويبدو أن الرائد بيللي كان يحس بأن قدرته على العمل قد قيدتها الاوامر الجديدة من الحكومة . فهو لم يعد قادراً على ان يوقع بمرتكبي مثل تلك الاضطرابات العقاب اللازم ، ولا أصبح بمقدوره حتى فرض الغرامات دون عون البحرية الهندية التي كانت من قبل خاضعة لاوامره ، والتي ابدلت مؤخراً بالبحرية الملكية المثقلة بالواجبات مما ازاد في صعوبة موقف المقيم . لكننا لسوء الحظ ، لا نعرف شيئاً عن نتيجة الاتصال الذي طلب فيه المقيم اطلاق مزيد من الحرية له ، ووضع قوات كافية تحت امرته . وابتداء من هذا التاريخ يبدو ان مسئولية المحافظة على السلم في البحار لم تعد سوى شيء روتيني ، ولم يحدث ان اضطرت السلطات البريطانية الى اتخاذ اجراءات استثنائية الا نادراً . وفي سبتمبر ١٨٦٥ على اثر غارة ضخمة شنها شيوخ البحرين وابو ظبي على ساحل قطر ، كما هو مذكور في تاريخ البحرين . وجد الرائد بيللي نفسه مضطراً للتوجه الى ابو ظبي بأوامر من الحكومة على رأس السفن « فيجيلانت » و « سند » و « هيوروز » واستطاع هناك ان يصل الى اتفاقية لتسوية الامور . لكن

ذلك لم يحدث الا بعد الاستعداد الفعلي لقصف المكان بقنابل الاسطول .
وكانت الشروط التي فرضت تقضي بتسليم سفينة صغيرة ومهربين عربيين ودفع تعويضات تصل الى ٢٥ الف جنيه على أقساط ، غير ان هذا المبلغ الكبير لم يدفع منه بالفعل الا مبلغ ٣٧٤٠ روبية ، كما ارغم شيخ ابو ظبي على تسليم المدافع الثلاثة التي يملكها ، لكنها ردت اليه بعد ذلك لان إبعادها كان سيعرض مدينة ابو ظبي لهجمات البدو ويتركها دون حماية .

١٨٧١ :

وقد سببت الحملة التركية التي احتلت الإحساء في سنة ١٨٧١ فزعاً واضحاً في عمان المتصالحة ، لان هدف الحملة كان اخضاع « نجد » ، ويبدو ان هذا التعبير كان يعني عندهم كل الاقاليم التي حدث ان كانت تدفع الجزية لامير الوهابيين ، بل وتبين ايضاً من الجريدة الرسمية في بغداد ان اماكن مثل الشارجه ودبي وابو ظبي كانت داخلة في تعبير « نجد » . وقد نجحت الحكومة البريطانية أخيراً على نحو ما هو مذكور في تاريخ الإحساء والبحرين في الضغط على الاتراك كي يقصروا عملياتهم على الإحساء وقطر فقط . وفي نفس الوقت — أي في يونيو ١٨٧١ أصدرت الحكومة تعليماتها للمقيم في الخليج بمنع الشيوخ المتصالحين من الانضمام الى اي من الطرفين المتصارعين آنذاك : الوهابيين والاتراك .

١٨٧٦ — ١٨٨١ :

وفي ١٨٧٦ حين حاول اهل الشمالية التحرر من سيطرة القواسم اثيرت مشكلة ارسال شيخ الشارجه تعزيزات واسلحة وذخائر .. الخ لحاميته في دبي . وكان الشيخ يعتقد ، وله مبرراته في ذلك ، بأن الاتفاقيات التي هو طرف فيها لاتمنعه من ذلك التصرف. غير ان المقيم العام الرائد ف. س. روس ذكر ان واجب الحكومة يقضي بمنع ذلك العمل انطلاقاً من سياستها العامة ، لان التجربة قد أثبتت ان العرب ما ان

يخرجوا بالسلاح حتى يتزلقوا في ممارسة أعمال السلب والنهب . وفي ١٨٨٠ تلقى المقيم طلباً من شيخ الشارجة للسماح له باستعادة الفجيرة بعمليات بحرية لكن طلبه رفض كما نصح باللجوء الى أسلوب «المفاوضات ومحاولة التفاهم » . وفي العام التالي امرت حكومة الهند بأن يكون « كل ساحل القواسم على خليج عمان من دبي الى خور كلبا وكذلك ساحل روس الجبال من دبي الى مسندم خاضعاً لاجراءات الهدنة البحرية » التي لا يقتصر سريان مفعولها على سواحل عمان(١) وحدها .

١٨٧٨ :

وفي ١٨٧٨ رفض الشيخ حشر شيخ دبي وكان رجلا حاد الخلق سريع الغضب حتى مع العرب أن يدفع عن ثلاثة مطالب بالتعويضات المطلوبة من رعاياه . وكان الضحايا في حالتين منها ايرانيين ، وفي الثالثة هندياً ، وعلى هذا وجد الرائد مايلز ان عليه زيارة دبي على سفينة صاحبة الجلالة « تيزر » ، وهناك ارغم الشيخ على دفع التعويضات بالاضافة الى الغرامة المطلوبة كما امر باحراق قارب اشترك في تلك العمليات ، ثم قدم الشيخ اعتذاره عن المسلك الذي سلكه في البداية ، وعادت العلاقات الودية .

١٨٨٢ :

وفي يونيو ١٨٨٢ تبين ان قوارب من عجمان قد اشتركت في عملية الهجوم على السفينة « فتح الكريم » التي ترفع العلم التركي في البحر الاحمر وان جزءاً من المسروقات قد حملت الى عجمان ، وارسلت سفينة صاحبة الجلالة « عرب » الى هناك حيث استعادت جانباً من المسروقات ، وأحرقت ٩ قوارب وجدتها في الميناء نموذجاً لما يمكن أن يحدث في مثل هذه الحالات .

---

(١) نص الاتفاقية موجود في الملحق رقم (٧) لهذا الفصل .

١٨٨٤ :

وفي يونيو ١٨٨٤ حدث خلاف على مناطق الغوص وراء اللؤلؤ بين قارب لعجمان وآخر للشارجه . ووقف سيف آل أدهم المجرم العماني الذي كان يعيش في جزيرة صرى لعدة سنوات بعد طرده من عمان الى جانب قارب الشارجه واطلق النيران على القارب الآخر . ونتيجة لهذا ارسلت سفينة صاحبة الجلالة « فيلوميل » وعلى ظهرها وكيل المقيمية الى صرى حيث أحرق قارب سيف علناً .

١٨٨٥ – ١٨٨٦ :

وفي سنة ١٨٨٥ او ١٨٨٦ سار شيخ بخه عن طريق البحر على رأس قوة مسلحة لمساعدة شيوخ رأس الخيمة والشارجة في بعض العمليات ضد شعم ، وقد فعل ذلك دون ان يلقي بالا لتحذيرات المقيم .

تجارة الرقيق وبعض الاجراءات المتصلة بها ١٨٥٦ :

وفي بداية هذه الفترة ظلت تجارة الرقيق قائمة كما هي ، خاصة في الشارجه وام القيوين وعجمان . وقد اعترف الشيوخ أنفسهم بانهم راغبون فعلا في منع تلك التجارة لكنهم عاجزون عن ذلك ، وقيل أيضاً ان شيخ الشارجه يفرض ضريبة تصل الى ٤ جنيهات عن كل عبد يجلب حديثاً . وفي ١٨٥٦ تعهد الشيوخ المتصالحون بأن يسلموا للسلطات البريطانية كل العبيد الذين يثبت انهم جلبوا الى بلادهم مؤخراً . وكان ذلك ضمن تعهدات اخرى التزموا بها .

اتفاقية التلغراف ١٨٦٤ :

وقد مدت خطوط التلغراف الهندية – البريطانية عبر مضيق روس الجبال الى خور مقلب ، واقيم مركز على جزيرة خور الشام . ورأت السلطات البريطانية أنه ما دام بعض الاهالي يعتقدون بتبعية ذلك الاقليم للشارجه . فمن المستحسن الحصول على ضمان من الشيوخ المتصالحين

بالعمل على حماية تلك الخطوط « داخل اقاليمهم وفي جوارها ». وعلى هذا فقد وقعت اتفاقية بذلك في ١٨٦٤ واعتبرت مادة مضافة الى اتفاقية السلم الدائمة لسنة ١٨٥٣ .

اتفاقية بشأن المدنين الهاربين ١٨٧٩ :

وقد سبق ان اشرنا خلال مناقشة هدنة السنوات العشر الى واحد من الاسباب الرئيسية لوقوع الحوادث الصغرى بين حين وآخر في البحار وهو هجرة بعض العاملين في صيد اللؤلؤ بديونهم والتزاماتهم من اقليم لآخر هرباً من الوفاء بتلك الديون والالتزامات . وكان هذا الشر مستحكماً جداً حتى ان الرائد بيللي اتخذ في سنة ١٨٦٨ الترتيبات اللازمة لعقد اتفاقية لتسليم الفارين بين شيوخ المناطق الساحلية ولكن تبين انها ليست كافية . واخيراً تم توقيع اتفاقية بين الشيوخ المتصالحين تقضي بضرورة تبادل تسليم المدنيين الفارين . وقد وقعت يوم ٢٤ يونيو سنة ١٨٧٩ من جانب الشيوخ المتصالحين جميعاً بحضور حاجي عبدالرحمن وكيل المقيمية في الشارجه ، وحاجي عبدالقاسم الذي ارسل خصيصاً من مقيمية بوشهر لينقل للشيوخ رغبات المقيم ووجهات نظره . فأبلغهم ان المقيم يودّ ان يسلم اي من اولئك الهاربين فور وصوله . اما اذا سمح له الشيخ صاحب الميناء الذي يصل اليه بالنزول فانه أي الشيخ يتعرض لغرامة قدرها ٥٠ جنيهاً ، واذا مكنه من العودة الى سواحل اللؤلؤ تزاد الغرامة الى ١٠٠ جنيه بالاضافة الى ديون المدين . واذا حدث اختلاف حول حقيقة امر الهارب يعقد « مجلس » من المحكمين لحله لكنه ليس لمثل ذلك المجلس سلطة فرض الغرامات الا بعد موافقة المقيم البريطاني . وكانت حكومة الهند تتحسب من ان يشجع ذلك النظام الذي يزيد سيطرة الشيوخ على رعاياهم الظلم الصريح للرعايا لكن الرائد روس استطاع ان يؤكد للحكومة أن نظم الحكم القائمة لدى الشيوخ لا تسمح عادة بحدوث ظلم حقيقي . لذلك فالنظام الجديد بالتالي لن يكون عرضة للتداعي .

وقد اوضحت التجربة تماماً فيما بعد صواب تلك الاتفاقية وفائدتها معاً (١) .

★ ★ ★

علاقات عمان المتصالحة بالوهابيين .... الخ .
١٨٥٣ ـ ١٨٩٢

تآمر الوهابيين :

لقد تراجع نفوذ الوكيل الوهابي في عمان المتصالحة تراجعاً كبيراً مع انه لم يبارح مقر عمله فيها ، وحيث لم يعد تحت تصرفه أية امكانات مادية ملموسة لذلك لم يبق له سوى اللجوء الى الدسائس الصغيرة وتأليب الشيوخ ضد بعضهم البعض لكي يستطيع هو الابقاء على مكانته .

١٨٥٤ :

وفي سنة ١٨٤٥ ذكر ان احمد السديري ـ الذي كان حتى ذلك الوقت ما يزال ممثل الوهابيين في البريمي ـ كان يبذل جهداً مشكوراً لاستخدام نفوذه لوقف الحروب الصغيرة التي كان الشيوخ يشنونها أحدهم على الآخر ، بل وحدث حين رفض شيخ ابو ظبي ان يعتبر نفسه مسئولا عن مسلك قبيلة المناصير ان اعد السديري حملة ناجحة لتأديب تلك القبيلة العاصية .

١٨٥٥ :

غير انه حدث سنة ١٨٥٥ أمر يناقض ذلك المسلك تماماً . فقد تردد ان وكيل الوهابيين كان المحرّض الفعلي وراء الخلاف الذي حدث بين فرقة من الشحوح في الحمرية وشيخ الشارجه صاحب السيطرة على ذلك

(١) نص الاتفاقية موجود في الملحق رقم , ٧) لهذا الفصل .

المكان ، وقيل ان الهدف من تلك المؤامرة كان محاولة الوهابي ايجاد قاعدة له لاحقاً على سواحل عمان المتصالحة . وقد عارض هذه الخطة بنو نعيم في البريمي حيث التقى احد زعمائهم المدعو فاضل بن محمد بالرائد كيمبول على الساحل في سنة ١٨٥٥ واقترح استخدام النفوذ البريطاني للقضاء على نفوذ الوهابيين . غير ان المقيم اوضح له ان سياسة الحكومة اصبحت تقضي بعدم التدخل في القضايا المحلية ، وانه هو شخصياً ما يزال يتبع السياسة التي دأب عليها منذ سنة ١٨٤٠ في تحاشي الاتصال قدر الامكان بالوكيل الوهابي او الاعتراف به .

١٨٦٤ – ١٨٦٦ :

ومن سنة ١٨٦٤ الى ١٨٦٦ ظل معظم اهتمام تركي بن احمد السديري وكيل الوهابيين في البوريمي مقتصراً على شئون سلطنة عمان التي كان يحاول ان يحصل عنها على زيادة في الجزية ، ولكن يبدو ان شيوخ عمان المتصالحة – ومن بينهم شيخ الشارجه سلطان بن صقر قد وقفوا بمعزل عن ذلك الصراع . وفي هذا الوقت ايضاً – على وجه التقريب – غامر خالد بن سلطان من الشارجه وكان يناصر الوهابيين – بمساعدة السديري في اقامة حصن في زوره بين عجمان والحمرية ، ولكن .. لما كان من شأن هذا العمل تهديد الساحل المتصالح كله فقد قامت سفينة صاحب الجلالة « هاي فلاير » في يناير ١٨٦٦ بانتهاز فرصة قطيعة بينها وبين الوهابيين فسوت ذلك الحصن بالارض تماماً ، وظلت مشكلة زورا هذه معلقة حتى سنة ١٨٩٥ .

١٨٦٧ :

وفي ١٨٦٧ حينما اعيد ضم رأس الخيمة الى الشارجة – حاول الشيخ ابراهيم ، شيخ راس الخيمة المعزول ، الاستعانة بنفوذ الوهابيين لكنه فشل .

طرد الوهابيين نهائياً من البريمي ١٨٦٩ :

وفي ابريل ١٨٦٩ سار وكيل الوهابيين في البريمي الى الشارجه حيث اقحم نفسه في الصراع الدائر بين اعضاء الاسرة الحاكمة هناك ، فأصيب إصابة أودت بحياته في مشاجرة حدثت خلال الصراع ، كما قتل عدد من أنصاره في نفس الاشتباك وانسحب الباقون منهم . وبعدها بشهر واحد انتهز السيد عزان بن قيس من مسقط هذه الفرصة المواتية ، فقام –على نحو ما هو مذكور في تاريخ سلطنة عمان– بطرد الوهابيين من البريمي دفعة واحدة وللأبد .

وسيرد تاريخ هذه الواحة بعد رحيل الوهابيين من البوريمي ، في الملحق الخاص بتاريخ ابو ظبي ، فهي رغم استقلالها ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً .

تهديد بالغزو :

وفي ١٨٨٨ تناثرت شائعات صادرة من قطر عن غزو يعده ابن الرشيد أمير نجد على عمان المتصالحة ، ولكن نظراً لان شيئاً من هذا لم يحدث ، فلنا ان نعتقد بأن الشيخ جاسم آل ثاني شيخ الدوحة في قطر هو الذي روج تلك الشائعات لتحقيق أهداف خاصة .

وابدى شيخ دبي استعداده في البداية للوقوف الى جانب هؤلاء الغزاة المنتظرين والتحالف مع شيخ الدوحة الذي كان معبراً عن وجهات نظرهم ، لكنه بعد زيارة قام بها لمسقط عاد فاتخذ اسلوباً آخر وتحالف مع شيخ ابو ظبي لرد اي هجوم يحدث من وسط الجزيرة . وقد وجهت السلطات البريطانية النصح لشيخ الشارجه الذي حاول شيخ آل ثاني اغراءه بالانضمام لمشروع الغزو ، والذي زعم انه كان يتفاوض معه بشأن اقامة مخازن من الاسلحة والمؤن في الشارجة للقوات المتقدمة من وسط الجزيرة – بأن يبتعد عن الانغماس في ذلك الموضوع

قدر امكانه ، وقد فعل هذا على ما يبدو ، لكنه بعد قليل ظهر عضواً في تحالف ضد شيوخ ابو ظبي ودبي يضم باقي الشيوخ المتصالحين جميعاً . وقد اعترف بنو نعيم في البريمي منذ البداية بنواياهم في الوقوف الى جانب امير شمر .

★ ★ ★

علاقات عمان المتصالحة بسلطنة عمان ... الخ .
١٨٥٣ ــ ١٨٩٢

في حقبة السلم التي اشرقت هذه لم تقع حروب فعلية بين الشيوخ المتصالحين وحاكم مسقط ، والواقع ان علاقات هؤلاء ببعضهم كانت تقررها صورة الاحوال الداخلية في السلطنة .. ويرد تفصيل ذلك في مكان آخر من هذا الدليل .

١٨٥٤ :

وفي سنة ١٨٥٤ حينما كانت تدور عمليات عدوانية متبادلة بين حاكم مسقط والحكومة الايرانية في بندر عباس بسبب فقدان الاول لها ، خرج شيخ ابو ظبي سعيد بن طحنون باسطوله الى البحر ليقدم العون للسيد سعيد ، لكن السلطات البريطانية ارغمته على الرجوع الى مينائه على اساس ان عمله هذا قد يؤدي الى توسيع رقعة الاضطراب وتحويله الى حالة اضطراب عام في مياه البحار .

١٨٥٧ :

وكان من اسباب اغارة السيد تركي حاكم صحار في سنة ١٨٥٧ على املاك شقيقه السيد ثويني في الباطنة تحريض الشيخ سلطان بن صقر شيخ الشارجه الذي وجه اليه المقيم البريطاني انذاراً حاسماً بتعليمات من الحكومة بالكف عن التآمر بمثل تلك الطريقة .

١٨٦١ :

وفي ١٨٦١ ، كان السيد ثويني قد ارسل مبعوثين عنه ليعقدا تحالفاً مع شيوخ ابو ظبي وام القيوين ضد شيخ القواسم في الشارجه ، لكن الشيوخ المعنيين رفضوا المشروع فلم تنشأ بالتالي حاجة لتدخل السلطات البريطانية في الامر .

١٨٦٧ :

ولقد عاود السيد تركي سلطان عمان مرة ثانية وهو يحاول استعادة ولاء صحار له سنة ١٨٦٧ اللجوء الى شيوخ عمان المتصالحة ، لكن السلطات البريطانية حذرت الشيوخ المطالبين بالعون من القيام بأي شيء يؤدي الى الاضطراب –خاصة في مياه البحر– لذلك لم يتجاوبوا بشيء مع السلطان .

١٨٦٩ :

وبعد ان استولى عزان بن قيس على البريمي من الوهابيين في سنة ١٨٦٩ عقد تحالفاً مع شيخ ابو ظبي ووعده ايضاً بأن يدفع له معونة مالية مساهمة منه في الدفاع عن حدود بلاده من تلك الناحية . وكان هذا التحالف موجهاً ضد بقية الشيوخ المتصالحين حيث كان السيد عزان يعتبرهم جميعاً في ذلك الوقت مناصرين للوهابيين . ولكن لم يمض وقت طويل حتى ارتبط شيخ الشارجه ايضاً بنفس التحالف .. وبهذا انتهى تماماً خطر الوهابيين .

١٨٧٠ :

وفي مايو ١٨٧٠ قام السيد تركي سلطان عمان بزيارة لدبي قاصداً الحصول على معاونة الشيوخ المتصالحين في صراعه ضد عزان بن قيس المتمرد عليه ، لكن اخلاص شيخ ابو ظبي لتحالفه وتفاهمه مع عزان ادى الى افشال اية محاولات للتحالف ضده . وفي اكتوبر التالي حدثت

موقعة ضنك التي اسلمته بالفعل لسلطنة عمان ، وفيها تلقى عوناً غير مجد من شيوخ دبي وعجما نورأس الخيمة ومن قبائل بني نعيم وبني قتب .

وفي العام التالي لذلك زار شيخ ابو ظبي السيد تركي ، رغم التعارض القديم بين وجهات نظرهما ولقي احسن الحفاوة في زيارته لكنه اتهم في يناير ١٨٨٦ بالتخطيط للاغارة على اقليم الباطنة تأييداً للمتمردين من اقليم الشرقية ، وفي مايو ١٨٨٧ ثبت ان السيد تركي قام بعمل غير ودي حين أنزل قوات لمساندة الظواهر في البريمي وكانوا في حرب ضد بني ياس . وفي ١٨٩١ زارالشيخ زايد مسقط ثانية لبحث امور يبدو انها كانت خاصة بالبريمي .

★ ★ ★

علاقات عمان المتصالحة بقطر ١٨٥٣ ـ ١٨٩٢

ظلت الحرب البرية تدور بشكل شبه مستمر لمدة تسع سنوات من ١٨٨١ الى ١٨٩٠ بين زايد بن خليفه شيخ ابو ظبي وجاسم بن محمد آل ثاني شيخ قطر .

الحرب بين شيخ ابو ظبي وشيخ آل ثاني في قطر ١٨٨١–١٨٩٠ :

وكان احد اسباب تلك الحروب زعم شيخ آل ثاني بملكية خور العديد في ابو ظبي ، لكن مسرح العمليات العدائية بين الجانبين كان دائماً بعيداً بعداً كافياً عن الاماكن الكثيفة بالسكان في عمان المتصالحة ، لذلك فضلنا ان نشير لتلك الحروب بالتفصيل في الجزء الخاص بتاريخ قطر . ولقد كانت حملة التخويف من غارة تشن من وسط الجزيرة العربية ، والشائعات التي أثارت الرعب فيسنة ١٨٨٨ ، وأشرنا لها قبلا ، تكتيكاً من الشيخ جاسم قصد به عقد تحالف مع بقية الشيوخ المتصالحين ضد غريمه الشيخ زايد .

★ ★ ★

علاقات عمان المتصالحة بالحكومة التركية
١٨٥٣ ـ ١٨٩٢

أتاحت حادثة العديد ـ التي وصفناها بالتفصيل في التاريخ الخاص بامارة ابو ظبي ـ فرصة لم يهملها الاتراك للتدخل في شئون عمان المتصالحة. وفي سنة ١٨٧٤ شكا شيخ ابو ظبي من ان المسئولين المحليين من الاتراك في قطر قد كتبوا له بشأن العديد ينكرون ان تكون تابعة له . ويبدو ان العلم التركي كان مرفوعاً سنة ١٨٧٥ على مكان ما في العديد كما انه لا شك في ان من كانوا يحتلون تلك المنطقة ظلو يدفعون جزية صغيرة للاتراك في الفترة من ١٨٧٣ حتى ١٨٧٦ . وفي سنة ١٨٧٨ زعم الباب العالي ان العديد ارض تركية ، وقدم احتجاجات ضد عمليات قمع القرصنة التي قامت بها السلطات البريطانية هناك قبل ذلك بعدة أشهر وأخيراً ، في سنة ١٨٨٠ كتب والي البصرة الى شيخ ابو ظبي يطلب منه عرض الخلاف بينه وبين شيخ آل ثاني في الدوحة على محكمين من الاتراك ، لكن الاقتراح رفض بناء على نصائح السلطات البريطانية .

★ ★ ★

علاقات عمان المتصالحة بايران ١٨٥٣ ـ ١٨٩٢

في سنة ١٨٥٣ كان الشيخ خليفة بن سعيد شيخ القواسم في لنجة في مركز ضعيف حين اضطربت الاحوال في مدينته واصبح قريبه الشيخ سلطان بن صقر شيخ الشارجه مسئولا مباشرة عن لنجة كما ظل مقيماً فيها عدة أشهر .

(١) ان معارضة بريطانيا مسألة التحكيم في قضية العديد تدل على نواياها الصريحة في اقتطاع هذا الجزء لصالح أبو ظبى وحرمان كل من قطر والسعودية من هذا الساحل الطويل . وقد صرح المؤلف بذلك في مكان آخر من الكتاب .

التاريخ الداخلى لعمان المتصالحة ١٨٥٣ ـ ١٨٩٢

ظلت التحالفات السياسية التي لا يكتب لها طويل أجل . والحروب البرية الصغيرة المتتابعة بغير نهاية ، هي السمة الغالبة على تاريخ عمان المتصالحة خلال هذه الفترة . ومن ذلك اللغو كله حتى سنة ١٨٧٠ برزت حادثتان فقط جديرتان بالاشارة .

١٨٥٧ :

في نهاية ١٨٥٧ حدث هجوم من جانب شيخ ابو الحيل أحد انصار شيخ الشارجه على معسكر لقبيلة المزاريع في الحوانيج كان من نتائجه مقتل أربعة رجال من المزاريع بينهم أحد الشيوخ . وعادت قوة ابو حيل التي كانت تضم حوالي ١٥٠ رجلا في نفس الليلة الى مقرها بأسلاب من بينها حصانان وثلاثون بعيراً . ولما رفض شيخ الشارجه دفع التعويض للقبيلة المنكوبة ، استعان شيخ دبي ـ الذي كانت هذه القبيلة تابعة له بشيخ ابو ظبي وفي مارس أعلنت هزيمة الشارجة . وبعدها قام وكيل المقيمية في الشارجة بتسوية الصلح بين هذه الاطراف .

١٨٦٨ :

وتستحق الذكر حملة قام بها شيخ ابو ظبي على شيخ الشارجة في أبريل ١٨٦٨ لانطوائها على حادث غريب وهو ان زايد بن خليفه ـ الذي كان يتقدم على رأس قوته ـ تحدى خصمه خالد بن سلطان ودعاه الى منازلته . فقبل خالد المبارزة ، فأصابه زايد بجرح قاتل .

فصل رأس الخيمة عن الشارقة ١٨٦٩ :

وفي ١٨٦٩ أصبحت مدينة رأس الخيمة وما حولها امارة مستقلة يحكمها حميد بن عبدالله ابن شقيق شيخ الشارجه . وظلت هكذا حتى موته في ١٩٠٠ .

ونجد اعتباراً من سنة ١٨٧١ وصاعداً وفرة غزيرة في المعلومات الخاصة بخصومات الشيوخ المتصالحين وذلك بفضل التنظيمات الادارية المستجدثة عندئذ . ومع ان معظم تلك المعلومات هي عبارة عن حوادث بالغة التفاهة لكنه بسبب حداثة عهد وقوع البعض منها وما لها من ذيول حتى وقت اعداد هذا الدليل تجعلنا نذكرها في تلخيص وايجاز شديدين :

١٨٧١ — ١٨٧٢ :

ففي ١٨٧١ او ١٨٧٢ وقع خلاف بين شيخ ام القيوين وشيخ الشارجة حول جزيرة بو موسى فخرج الاول الى البحر بهدف الاستيلاء على خيول الآخر الموجودة بتلك الجزيرة لكنه وجد بانتظارة قوارب الشارجه التي وصلت قبله ، وكان شيخا ابو ظبي ودبي في ذلك الوقت شاهري السلاح ضد بعضهما بسبب اتفاقية تسليم الفارّين التي اشرنا اليها .

١٨٧٢ — ١٨٧٣ :

وخلال ١٨٧٢ او ١٨٧٣ بدأت الحرب —اولعلها استؤنفت— بين شيوخ الشارجة وام القيوين . وجاء شيخا عجمان اخيراً ليقف الى جانب شيخ الشارجه على حين وقف شيخ الحمرية — المتمرد على تبعيته لشيخ الشارجة الى جانب شيخ ام القيوين .

١٨٧٣ — ١٨٧٤ :

وفي ١٨٧٣ انضم شيخ ابو ظبي الى التحالف ضد شيخ الشارجه الذي كان مكروهاً على وجه العموم لكثرة خلفه لمواعيده . وشن شيخ ابو ظبي غارة على مدينة الشارجة . واخيراً هزم شيخ الشارجه وقتل من رجاله حوالي ٥٠ رجلا .

وفي ١٨٧٤ انضم شيخ رأس الخيمة الى شيخ الشارجة وانضم شيخ دبي الى الجانب الآخر . ويبدو ان شيخ الحمرية قد انسحب من الامر كله . وبذل وكيل المقيمية البريطانية جهوده كلها في سبيل الوصول الى تسوية لكنه فشل .

١٨٧٥ :

وقامت حملة من دبي تضم حوالي ٢٠٠ رجل بمهاجمة ضواحي مدينة رأس الخيمة فقتلت سبعة رجال منها ثم عادت الى قواعدها ، وبعدها بقليل –في فبراير– نجح شيخ الحمرية في الوصول الى تسوية للامور بين شيوخ الشارجة وام القيوين لكن الحرب ظلت مستمرة بين الشارجة ودبي . وفي مايو قام اهل عجمان والشارجة بهجوم على مدينة دبي بمناصرة بدو بني نعيم . وفي يوليو حدثت غارة شنها حوالي ٢٠٠ رجل من راكبي الجمال من ابو ظبي على الحمرية وقام هذا الشيخ –بمناصرة قوات من دبي بالانتقام فاجتاح بساتين فشت والشارجه ، وفي سبتمبر عقد الصلح بين الشارجه ودبي .

١٨٧٦ :

وفي ١٨٧٦ يبدو ان البلاد نعمت بشيء من الهدوء بعد الاضطرابات غير العادية التي حدثت في العام السابق .

١٨٧٧ – ١٨٧٨ :

وفي يوليو ١٨٧٧ أغار بدو العوامر على مدينة دبي . فقتلوا رجلين من أهلها واصابوا عشرة بجراح ، لكنهم ردوا على اعقابهم بعد ان تكبدوا خسائر قوامها ٤٠ قتيلا و ٨ أسرى ، وعادوا في أكتوبر بمناصرة بعض البدو الآخرين فنهبوا دبي . وبين اغسطس ١٨٧٧ وفبراير ١٨٧٨ قام بدو بني قتب بعدة غارات خاصة على اقليم ابو ظبي . لكن أهالي الشارجة ودبي ايضاً لم يسلموا من شرهم . وفي فبراير ١٨٧٨ انهك البدو وأهل المدينة معاً من هذه الغارات وتمت تسوية الصلح . وكانت دبي في ذلك الوقت قد اصبحت اهم مدن الساحل واكبر من ابو ظبي التي بدأت في التدهور .

۱۸۷۹ :

وفي نهاية سنة ۱۸۷۹ انقسمت قبيلة النعيم في البريمي وما جاورها على نفسها ، ووقف شيوخ كل من الشارجه وعجمان الى جانب طرف من الطرفين المتنازعين ، وكانت النتيجة توتراً على الساحل كله .. لان شيوخ رأس الخيمة وام القيوين ارتبطوا بعجمان على حين حدث تحالف مضاد بين الشارجة وابو ظبي . ولكن لم تحدث بالفعل أية عمليات عدوانية بين هؤلاء الشيوخ . وفي ديسمبر عاذ شيخ عجمان الذي كان قد سار الى البريمي الى مقره بعد ان شهد نجاح انصاره من بني نعيم .

۱۸۸۰ — ۱۸۸۱ :

وخلال ۱۸۸۰ و ۱۸۸۱ ساد هدوء ظاهر في المنطقة كلها تقريباً

۱۸۸۲ :

وفي ۱۸۸۲ حدثت مشاجرة —ترجع أسبابها الى علاقات عائلية— بين شيوخ ام القيوين ورأس الخيمة وانتهت بحرب سافرة . وكان السبب هو زواج احمد بن عبدالله شيخ ام القيوين بشقيقة حميد بن عبدالله شيخ رأس الخيمة ، وكان شرط الزواج ان تظل الزوجة في رأس الخيمة على ان يقضي زوجها جانباً من العام معها هناك ، وأعلن شيخ ام القيوين طلاق زوجته . لكن هذا لم يحل المشكلة . وظل الخلاف دائراً حول الملكية . عند ذاك ارسل احمد بن عبدالله —الذي كان مهتاجاً لهذا الامر اكثر من معارضيه— سبعة من قواربه لتسير الى الرمس وتفتعل مشاجرة فيها ، وهناك افلحوا في ذلك بأن استفزوا مجموعة من البحارة في قوارب رأس الخيمة ، لكن السلطات البريطانية اعتبرت ذلك العمل خرقاً للسلم البحري فأنذرت شيخ ام القيوين والزمته بدفع الغرامة . وبدأ القتال في البر وكان يعاون شيخ ام القيوين فيه شيخ عجمان ، ويعاون شيخ رأس الخيمة شقيقه شيخ الشارجه وجانب من بني نعيم . واخيراً ، في

يناير ١٨٨٣ ، استطاع شيخ ابو ظبي ان يعقد الصلح بين الاطراف المتنازعة بشرط التعويض عن كل الخسائر المتبادلة بين الجانبين ، وكان شيخ دبي في ذلك الوقت على تفاهم طيب مع كل من شيوخ الشارجه وابو ظبي .

١٨٨٣ – ١٨٨٤ :

ولم تحدث في سنوات ١٨٨٣ و ١٨٨٤ حادثة تستحق الذكر . وقد أصبح شيخ ابو ظبي الآن يعتبر أقوى الشيوخ المتصالحين ، وكان فقدان الشارجة نفوذها القديم راجعاً الى عدم كفاءة شيخها صقر بن خالد الذي تولى المشيخة في سنة ١٨٨٣ . وتبودلت الهدايا بين شيخ ابو ظبي وسلطان عمان ، وبين شيخ ام القيوين وسلطان زنجبار . ولكن كل هذا لم تكن له دلالة سياسية في الوسط المحلي على الاقل .

١٨٨٥ :

وكما هو مألوف في عمان المتصالحة .. انفجرت الاضطرابات مرة أخرى عقب فترة الهدوء . ففي مايو ١٨٨٥ اختلف ابن لاحمد بن عبدالله شيخ ام القيوين مع ابيه فخرج عليه ولجأ الى شيخ عجمان الذي رفض ان يسلمه ، وفي نفس الوقت انضم صقر بن خالد شيخ الشارجه الى شيخ ام القيوين لمهاجمة عجمان . وقبل هذه الحادثة بقليل كان شيخ ام القيوين قد ارسل سفينتين صغيرتين الى البحر تحملان حوالي ٥٠ رجلا وقدراً من الذخائر والاسلحة وانزل جزء منها في حيرة والجزء الآخر في الشارجه . وكان لابد من محاسبته على ذلك المسلك . فقام مستر روبرتسون –باسم المقيم البريطاني – بزيارة لام القيوين على رأس سفينة صاحبة الجلالة « ريندير » . لكن الشيخ احمد بن عبدالله تحاشى مقابلته . ونم مسلكه بعد هذا عن انه لا ينوي تكرار تصرفاته في المستقبل ، وفي نفس الوقت راح اهل ام القيوين والحمرية يتبادلون الاغارات والهجمات

الخاطفة ، وتوقفوا لفترة قصيرة ثم رجعوا مرة أخرى حتى استطاع وكيل المقيمية البريطانية في الشارجة تسوية الامور وعقد الصلح بينهم . وفي اواخر نوفمبر تحالف شيخ دبي مع شيخ عجمان وبدآ معاً في الاغارة على اقاليم شيخ الشارجة .

١٨٨٦ :

وفي ٢٠ يناير ١٨٨٦ هاجم شيوخ دبي وعجمان والحمرية مدينة الشارجه بقوات يصل عددها إلى حوالي ١٠٠٠ رجل ، ونشبت معركة قتل فيها ٤٠ رجلا من اهل الشارجه وجرح ٢٥ ، في حين لم تزد خسارة القوات المهاجمة عن خمسة قتلى . وبناء على طلب قدمه الشيخ صقر بن خالد شيخ الشارجه الى وكيل المقيمية البريطانية — وكان هذا قد حمله مسئولية حدوث أية اضرار تمس الرعايا البريطانيين في الشارجه— توسط وكيل المقيمية بين الاطراف المتصارعة واستطاع ان يعقد بينها الصلح وذلك بشرط ان يتنصّل شيخ الشارجة من تحالفه مع شيخ ام القيوين.

وبعد انسحاب الشارجة من هذه العملية واصلت دبي وعجمان والحمرية الهجوم على ام القيوين ورأس الخيمة ، لكن هذا الهجوم اقتصر على بعض غارات صغيرة شن معظمها أهل نجد وقمذار وغيرهم من قبائل الشحوح عموماً بتحريض من دبي على أهل رأس الخيمة . وفي ابريل بذل شيخ ابو ظبي محاولة للوساطة لكنها فشلت بسبب عناد شيخ ام القيوين . وفي مايو قام اهالي الحمرية بغارة على ام القيوين ، وبعدها بقليل وخلال غياب رجال الحمرية عن بلادهم وراء اللؤلؤ ، قامت قوة من ام القيوين باجتياح الحمرية ، فاخرجت ودمرت وقتلت خلقاً كثيرين ، ثم حملت معها أكثر من ٢٥ عبداً وكثيراً من المسروقات . وقد ظل شيخ حمرية معتصماً بقلعته ونجا بذلك من الاسر .

وقام شيخ دبي رداً للاهانة التي لحقت بحليفه بإعداد قوة تضم ٣٥ فارساً و ٤٠٠ راكب على الجمال ، وسار ليهاجم ام القيوين ، غير ان تجاوزات فاقت الحد من شيخ الحمرية أسخطته فعاد ادراجه . وفي شهر سبتمبر حدث نزاع حول مناطق الغوص بين الشارجه وعجمان كاد يؤدي الى تجدد الاعمال العدائية بينهما لولا وساطة وكيل المقيمية البريطانية

: ١٨٨٧

وفي ١٨٨٧ ارتكب بدو المناصير عدة حوادث سرقة بالقوة من القوارب الراسية في الخلجان الصغيرة شمال مدينة ابو ظبي ، وكان من بين من وقعت عليهم تلك الاعتداءات رعايا للشارجة ورأس الخيمة ولما كان المعتدون قد جاءوا عن طريق البر تعذر اعتبار تلك الاحداث بالتالي اضطرابات في البحر . ولما كان من غير المقبول اعتبار شيخ أبو ظبي مسئولا عن سوء سلوك تلك القبيلة الجوالة الخارجة على القوانين لذلك لم يفعل الرعايا البريطانيون أكثر من ان لجأوا الى عدالته وانصافه فقط ، وفي سبتمبر قامت عصابة من المناصير بغارة ناجحة على مكان الى اقصى الشمال من الشارجة ، وحملوا من هناك ثمانية نساء وعدداً من الاطفال والخيل والجمال .

وفي ١٨٨٨ نشب عراك بين أهل رأس الخيمة وقبيلة الشحوح قتل فيه عدد من رجال رأس الخيمة وسط مزارع النخيل ، كما اتلف أكثر من مثتي نخله في قرية الخط بمنطقة جيري .

وفي نفس هذا الوقت استطاع شيخ دبي ان يعقد الصلح بين شيخ الشارجة من ناحية وشيخي عجمان والحمرية من الناحية الاخرى ، ويبدو ان الهدف من ذلك كان اطلاق حرية اهل عجمان وحمرية لمناصرة دبي في حالة تعرضها لهجوم من جانب الوهابيين . وقد اثار التحالف الذي عقد مؤخراً بين شيوخ المناوية في ابو ظبي وشيوخ دبي

تحالفاً مضاداً بين شيوخ الشارجة ورأس الخيمة . وحاول شيوخ ام القيوين وعجمان الوقوف بمعزل عن تلك المحالفات لكنهم أخيراً انضموا الى التحالف الشمالي الذي أصبح الآن بمثابة جبهة تضم كل قبائل الغفارية .

١٨٩٠ :

وفي فبراير ١٨٩٠ حدث اضطراب خطير بين امارتي الشارجة ودبي بسبب رفض الاولى دفع التعويض عن عدد من الجمال كانت استولت عليها داخل حدود الثانية ، بدأت هذه المناوشات في صيف ١٨٨٩ ، وسرعان ما قام بدو المناصير – الخاضعين اسمياً لشيوخ دبي وابو ظبي – بعدة غارات على الشارجة .

وقد استطاع وكيل المقيمية البريطانية التوصل الى تفاهم بين الجانبين لكنه كان موقتاً ، ففي مارس سنة ١٨٩٠ تجددت القطيعة بينهما ، وتحرك شيخ ابو ظبي على رأس قواته باتجاه دبي لنصرة حليفه ، وارتكب كلا الجانبين اعمالا عدوانية عديدة وبعدها بدأت المفاوضات من اجل الصلح . ويبدو ان ذلك كان بوساطة شيوخ رأس الخيمة وام القيوين ، لكنها لم تؤد الى نتائج . وقد قامت فرقة من قبيلة الشحوح بهجمة على رأس الخيمة لكنها صدت . وتكبد المهاجمون خسارة ليست قليلة فقتل منهم ١١ رجلا الى جانب من جرح . وقد ادى عقاب شيخ ابو ظبي لعصابة من العوامر وبني نعيم الى تهديد بني نعيم لشيخ ابو ظبي .. لكن تهديدهم لم ينفذ على الاطلاق .

ومرت سنة ١٨٩١ بهدوء . بفضل توازن القوى الذي اقامه تحالف الهناوية والغفارية في سنة ١٨٨٩ . والذي كان ما يزال قائماً ، وكذلك بفضل الوساطة الدائمة والنوايا الطيبة من جانب وكيل المقيمية البريطانية في ازالة الخلافات بين الشارجه ودبي . وقد حدثت عدة خلافات بين

شيوخ ام القيوين ورأس الخيمة لكن شيخ الشارجة استطاع تسويتها . ولعل أهم أحداث هذه السنة هو هجرة قطاع ضخم من قبيلة المرار الى الشارجة من دبي . وزاد عددالمهاجرين على ٤٠٠ رجل ممّن كانوا يشكون من سوء معاملة شيخ دبي لهم .

وقد تمت هذه الهجرة بعد موسم اللؤلؤ بأن رجع الرجال – ببساطة – الى الشارجة بدل دبي . وقد أدت هذه الهجرة الى حدوث عدد من المطالب والمطالب المضادة حاول وكيل المقيمية تسويتها غير مرة لكنها جعلت اطراف النزاع يشهرون السلاح .. وظلت المناوشات والمعارك الصغيرة تدور أكثر من ثلاث سنوات .

★ ★ ★

الاتفاقية المانعة بين الشيوخ المتصالحين وبريطانيا العظمى مارس ١٨٩٢

من الضروري لفهم هذه الاتفاقية الهامة التي زادت تحديد وضع الشيوخ المتصالحين بالنسبة لبريطانيا ان نراجع عدداً من الاحداث الهامة التي وقعت من قبل وكانت تعتبر تهديداً لسيادة دول أخرى وتدخلها في شئون منطقة الخليج مما نشأ عنه بعد حين ظهور معارضة شاملة للمصالح البريطانية والنفوذ البريطاني في منطقة الخليج كلها .

دسائس ايران لدى الشيوخ المتصالحين ١٨٨٧ – ١٨٨٨ :

لقد وقعت محاولة سخيفة ولكنها واضحة الخطورة من جانب المسئولين الايرانيين في ١٨٨٧ – ١٨٨٨ لاقامة قاعدة لهم في عمان المتصالحة ، وكان عميلهم الاول في هذه المحاولة هو سارتيب حاجي أحمد خان نائب الحاكم سابقاً في بوشهر . ففي أغسطس ١٨٨٧ سار هذا

الرجل الى الساحل المتصالح على السفينة « كولدر » التي تملكها شركة بومباى — ايران المشتركة للملاحة البخارية وقد بدا صدور ذلك العمل من ذلك الرجل بالذات ، وفي الوقت الذي حدث فيه امراً غريباً . فهو قد حصل في اشد اشهر الصيف حرارة وفي ظروف اخرى على غرار ذلك . ولذلك امر المقيم البريطاني في بوشهر ، الرائد أ. س. روس بأن يتبعه يخت المقيمية « لورانس » الى ابو ظبي التي نزل اليها بشكل رسمي . وبعد ان قضى عدة ايام مع شيخ ابو ظبي سار سارتيب لزيارة دبي ومنها عاد الى ابو ظبي ورحل الى لنجة على سفينة أهلية . وقد لاذ الشيوخ المتصالحون اول الامر بالصمت المطبق تجاه خطط حمد خان ، ولكن شيخ دبي باح بالسر أخيراً لسلطان عمان ، وتبين ان السارتيب قد اقترح توثيق علاقات ايران بالشيوخ المتصالحين لاستبعاد النفوذ البريطاني من عمان المتصالحة . وفي يناير ١٨٨٨ وحيث اعتقد أحمد خان ان الطريق اصبح ممهداً فقد عاد مرة أخرى الى الساحل المتصالح على سفينة أهلية وقد أحضر معه عدداً من الاعلام الايرانية ربما لتوزيعها . ولما كان الرجل يعمل بنظام فانه حاول ان يبدأ العمليات في المنطقة المجاورة لرأس مسندم ولكن أهل تلك المنطقة رفضوا ان يسمحوا له بالنزول فيها . واخيراً سار بصحبة شيخ قشم وعدد من الرجال المسلحين فالتقى بشيخ ام القيوين وبعدها اتضح له ان مخططه لم يكن مخططاً عملياً فبادر بالعودة الى ايران ، وقدم الوفد الديبلوماسي البريطاني في طهران احتجاجاً على أعماله تلك للحكومة الايرانية . وردت هذه باستنكار ما قام به السارتيب .. بل ووجهت اليه اللوم ايضاً مع أنها أنعمت عليه بسيف تكريماً له وتقديراً . وقام قائد سفينة صاحبة الجلالة « اوسبري » بابلاغ ذلك الانكار الرسمي من جانب الحكومة الايرانية للشيوخ المتصالحين إخماداً لحالة القلق التي أوجدتها تصرفات أحمد خان تلك على امتداد ساحل الخليج .

وفي ديسمبر ١٨٨٧ —ما بين الزيارة الاولى والزيارة الثانية من جانب

السارتيب لعمان المتصالحة– قام الرائد روس بعمل تحفظي أسخط المبعوث الايراني في نهاية الامر . فقد استطاع الحصول من شيوخ ابو ظبي ورأس الخيمة وعجمان وام القيوين والشارجه ودبي على ضمانات خطية تعهد فيها كل منهم بعدم الدخول في مراسلات او علاقات او توقيع اتفاقيات مع أية دولة باستثناء الدولة البريطانية ، كذلك أيضاً تعهد كل منهم بعدم السماح لوكيل أية حكومة أخرى بالاقامة في ارضه دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية ؛ وقد رفعت حكومة الهند تلك التعهدات فوراً الى وزير الدولة لشئون الهند .

المؤامرات التركية :

كذلك فان الحكومة التركية كشفت طوال عدة سنوات عن نواياها حيال الصراع الدائر بين شيخ ابو ظبي والقبيسات المتمردين عليه والمقيمين في خور العديد بقطر ، وهكذا جاءت الحرب بين شيخ ابو ظبي وشيخ آل ثاني من قطر لتتيح فرصة للاتراك كي يدخلوا في مراسلات مع شيخ أبو ظبي مفترضين ان لهم سيطرة عليه .

أعمال مريبة للوكلاء الفرنسيين ١٨٩١ :

لكن السبب الحقيقي في ربط الشيوخ المتصالحين في عمان بالحكومة البريطانية باتفاقية جديدة أكثر تحديداً هو ظهور رجلين فرنسيين على الساحل المتصالح كان يشك في أنهما يهدفان الى تحقيق أغراض سياسية ، وذلك لان فرنسا كانت قد بدأت مؤخراً بتحرك في المنطقة عن طريق توزيع اعلامها كما سبق ان ذكرنا بالتفصيل في مكان آخر وكان أحد هذين الرجلين يدعى ترامبير او تومي والآخر مسيو تشابو وهو نصف مغامر ونصف تاجر لكنه كله دساس وقد برز مرة أخرى بعد عامين من ذلك التاريخ وهو يتآمر في صور بسلطنة عمان . وقد زار هؤلاء شيخ ام القيوين ثلاث مرات وقدموا اليه الهدايا فوقع بعض الشيء تحت

سيطرتهم . وأصبح مقتنعاً كل الاقتناع بمزايا العلم الفرنسي الذي يسّر لاكثر من ١٢ سفينة من سفن صور ان تمارس الاتجار في الرقيق دون ان تخشى السفن البريطانية ، بل انه ايضاً قد تطوع لكتابة رسالة للحكومة الفرنسية يؤكد فيها ترحيبه ، واستقباله الحسن ، لكل من يأتي اليه من رعاياها .

الاتفاقية المانعة مارس ١٨٩٢ :

وبالنظر لشرور السادة تشابو وترامبير — اللذين قيل اخيراً إنهما قد حصلا على ضمان بانشاء قاعدة في ام القيوين — اقترح العقيد أ. تالبوت المقيم السياسي في الخليج أن يعقد اتفاقية رسمية على غرار الضمان الكتابي الذي قدم في ديسمبر ١٨٨٧ ، وبعد موافقة حكومة الهند على اقتراحه ، وقع الشيوخ المتصالحون هذه الاتفاقية في تواريخ مختلفة من شهر مارس ١٨٩٢ ، وكان عددهم حينذاك ستة شيوخ ، اذ كانت رأس الخيمة وقتها مشيخة مستقلة كما كانت البحرين . وبمقتضى الاتفاقية تعهد الشيوخ باسم أنفسهم ومن يرثهم ومن يخلفهم : — (١) الا يوقعوا أية اتفاقية أو يدخلوا في أية علاقات بدولة أجنبية سوى بريطانيا العظمى . (٢) الا يسمحوا لوكيل دولة اجنبية أخرى بالبقاء في اراضيهم دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية . (٣) الا يمنحوا أي جزء من اراضيهم — سواء عن طريق البيع او الايجار او الرهن او التنازل او غير ذلك — لاحتلال اية دولة أجنبية باستثناء بريطانيا العظمى . وقد صدق نائب الملكة في الهند على هذه الاتفاقية في ١٢ مايو التالي . وبعده صدقت عليها حكومة صاحبة الجلالة (١) .

ولم تنته المشكلات والصعوبات بعد توقيع الاتفاقية مباشرة ، لان شيخي الشارجة ودبي زعما في البداية انهما اعتقدا حين اعيد لكل منهما نسخة كاملة التواقيع بأن الاتفاقية لم يصدق عليها ، كما أعلن شيخ دبي

---

(١) في الملحق رقم (٨) لهذا الفصل أهم ما جاء بالاتفاقية المانعة .

تبرمه من تدخل البريطانيين في تجارة الرقيق واقترح « رفع العلم الفرنسي والهرب بذلك من مضايقات الانجليز .. » ، وكان هذا ـالى حدما ـ من النتائج التي اسفرت عنها زيارة الوكلاء الفرنسيين للمنطقة على النحو الذي أشرنا اليه .

★ ★ ★

الفترة بعد توقيع الاتفاقية المانعة
علاقات بريطانيا بعمان المتصالحة
١٨٩٢ ـ ١٩٠٧

الملامح العامة لهذه الفترة :

زادت علاقات بريطانيا العظمى قوة وقرباً بالشيوخ المتصالحين عقب توقيع الاتفاقية المانعة لسنة ١٨٩٢ .

فقد ساد النفوذ البريطاني سيادة كاملة ومطلقة في البلاد ، ومن الحقائق التي ستلي يتضح ان حقوق بريطانيا العظمى المعترف بها في عمان المتصالحة كانت عاملا هاماً في كل المشكلات التي قد تثور بين الشيوخ والدول الاجنبية .

تنفيذ اتفاقيات ١٨٢٠ ـ ١٨٥٣ :

وكانت اتفاقيات الشيوخ للمحافظة على السلام في البحار تراقب بمنتهى الدقة واليقظة ، حتى تلك الاعتداءات الصغيرة التافهة قد انتهت ، ولم تعد تثور أية مشكلة باستثناء واحدة بسيطة بصدد استخدام علم مميز لعمان المتصالحة .

١٨٩٢ :

وفي مارس ١٨٩٢ سار عدد من رعايا دبي وعبروا البحر الى جزيرة صير بونعير التابعة لشيخ الشارقة وهناك نزعوا سلاح جماعة من الصيادين

وأجلوهم عن المنطقة التي كانوا يصيدون فيها ، وكان هؤلاء من أهل جزيرة صير التي تعتبر –نظراً لارتباطها بلنجة– تابعة لشيخ القواسم ، وامر المقيم البريطاني بانسحاب هؤلاء المعتدين وبرد الاسلحة التي استولوا عليها ، وتعهد شيخ دبي بألا يسير رعاياه الى جزيرة بو نعير دون موافقة مسبقة من شيخ الشارجه .

وفي سبتمبر من نفس السنة ارسل شيخ دبي قارباً مسلحاً لنصرة شيخ عجمان الذي كان في ذلك الوقت يتعرض لهجوم بري من شيوخ الشارقة وام القيوين ، لكنه طولب بدفع غرامة عن مسلكه ذاك غير القانوني وتم تحصيل الغرامة اثناء زيارة المقيم للساحل في نوفمبر التالي .

ولم ي تكب أهل عمان المتصالحة بعد ذلك أية اضطرابات بحرية تستاهل الذكر ، ولكن في سنة ١٨٩٣ خرج شيخ خصب من قبيلة الشحوح في روس الجبال الى البحر ، على رأس جماعة مسلحة ، وحاول أن يفرض بالقوة مزاعم صهره الراحل في الاستيلاء على شعم ، وعندئذ استدعى سلطان عمان الشيخ المذكور الى مسقط ، بناء على نصيحة من السلطات البريطانية فوصلها بعد تردد طويل وجوزى بتغريمه مبلغ ٥٠٠ روبيه .

خسائر لحقت بأفراد تحت الحماية البريطانية :

كذلك كانت الحالات التي تحتم فيها طلب التعويض عن اضرار لحقت برعايا تحت الحماية البريطانية قليلة وغير مهمة . في سنة ١٩٠٤ مات رجل هندوكي في ابو ظبي ، وقام الشيخ صقر ، وكان اذ ذاك مسئولا عن المدينة في غياب ابيه الشيخ زايد ، بانتزاع مبلغ ١٠٠ جنيه للتخلص من جثته حسب الطقوس الهندوكية ، لكن هذا المبلغ اعيد لاصحابه مرة أخرى حسب طلب المقيم العام . وفي نوفمبر من نفس السنة وقع حادث سرقة بالاكراه على رجل هندوكي في جزيرة دلمه – التابعة لشيخ ابو

ظبي– وانتزع منه مبلغ كبير من المال واللآلىء ، ومرة أخرىأدى سوء مسلك الشيخ الى توجيه إنذار له من جانب السلطات البريطانية .

مشكلة ضرورة تجديد الاتفاقيات ١٩٠٠ :

وفي سنة ١٩٠٠ تلقى المقيم البريطاني في بوشهر رسالة من الشيخ عبدالعزيز الذي تولى الحكم في عجمان بعد محاولات لم تخل من استخدام القوة والعنف يعلن له انه قد وقع الاتفاقية التي وقعها اسلافه وانه يلتزم بها ، ورد عليه المقيم مؤيداً القرار الذي اتخذه . وكانت هذه الحادثة تشير الى معنى جديد وهام هو ان شيوخ عمان المتصالحة لم يكونوا ليعتبروا الاتفاقيات التي يعقدها اسلافهم ملزمة لهم الا اذا وقعوها هم بدورهم . غير ان البحث الذي أجراه الرائد كيمبول قد اثبت ان ذلك غير صحيح ، وقررت حكومة الهند بناء على ذلك ان مختلف الاتفاقيات التي يوقعها الشيوخ المتصالحون تسري –بالتالي– على خلفائهم . وفي نفس الوقت أكدت الحكومة ضرورة توضيح نصوص الاتفاقية والتزاماتها لذلك الشيخ الذي الزم نفسه بها .

اتفاقية الاسلحة ١٩٠٢ :

وفي سنة ١٩٠٢ وقع كل الشيوخ المتصالحين اتفاقية لقمع تجارة السلاح في بلادهم ، وكان ذلك واحداً من الاجراءات التي اتخذتها الحكومة البريطانية لمنع تزايد تلك التجارة ؛ وستجد اشارة لهذه الاتفاقية في الملحق الخاص بتجارة السلاح ؛ كما ستجد نص الاتفاقية في ملحق خاص

الحكومة البريطانية تشرح للحكومة الفرنسية علاقاتها بعمان المتصالحة ١٩٠٣ :

وقد أدت حادثة غرق السفينة « فتح الخير » في دبي في خريف سنة ١٩٠٣ الى تبادل وجهات النظر بين الحكومتين البريطانية والفرنسية حول وضع عمان المتصالحة ، فهذه السفينة رغم أنها مملوكة لميناء السويق في

سلطنة عمان الا انها كانت ترفع العلم الفرنسي ولذا كان يعتبرها نائب القنصل الفرنسي هناك تحت حمايته . وبالتالي فحين زعم بأن تلك السفينة قد نهبت ، قدم نائب القنصل الفرنسي طلباً بالتعويض لشيخ دبي ، وارسل السفينة الحربية الفرنسية « انفرنيت » لدعم هذا الطلب كما هو متوقع . وهنا فوضت حكومة الهند المقيم البريطاني في الخليج ابلاغ نائب القنصل الفرنسي بوجود الاتفاقية المانعة وأن يعرض عليه تسوية مشكلة هذه السفينة . وفي نفس الوقت تم اتصال مشابه لنفس الغرض بالحكومة الفرنسية في اوربا . وفي ابريل ١٩٠٤ أعلنت الحكومة الفرنسية أنها لم تكن تعرف شيئاً عن وجود هذه العلاقات الخاصة بين الحكومة البريطانية والشيوخ المتصالحين ، وانها لهذا تفوض السلطات البريطانية في تسوية قضية السفينة المشار اليها ، وقد تم هذا بالفعل ، وقررت محكمة الشرع في دبي دفع التعويض لملاك السفينة « فتح الخير » بعد ان ثبت انها اغرقت بفعل فاعل وليس عرضاً .

وفي ١٩٠٦ قدمت السلطات البريطانية الى كل واحد من الشيوخ المتصالحين نسختين بالعربية والانجليزية من اتفاقيات بريطانيا معه للتأكد من أنه يعرف حقيقة التزاماته . وقد اضيفت الى تلك المجموعة مقدمة هي نص الخطاب الذي وجهه صاحب السعادة لورد كيرزون نائب الملكة والحاكم العام للهند الى الشيوخ المتصالحين في المؤتمر الذي عقد بالشارجة في ٢١ نوفمبر سنة ١٩٠٣(١) . واتخذت ترتيبات لمد الشيوخ من حين لآخر بالأعلام التي خصصتها لهم اتفاقية سنة ١٨٢٠ . ولم يكن جميع الشيوخ متحمسين بالقدر الكافي لاستخدام تلك الاعلام ، وكان اكثرهم معارضة شيوخ دبي وابو ظبي . واذا استثنينا مسألة الاتفاقيات المانعة ونتائجها . فقد كانت هذه الفترة التي نتعرض لها . على وجه العموم ، فترة مريبة في تاريخ العلاقات بين بريطانيا العظمى وعمان المتصالحة .

---

(١) انظر : الملحق الخاص بجولة لورد كيرزون في الخليج .

فلمدة ثلاث سنوات تنتهي بسنة ١٨٩٩ لم يزر مقيم بريطاني واحد عمان المتصالحة . غير اننا نجد صورة على النقيض من ذلك بعد السنة المذكورة فقد قام كل من الرائد م. ج. ميد . والرائد س. كيمبول . والعقيد ر. ب. ر « كوكس المقيمين في الخليج على التوالي بعدة زيارات للمنطقة أدت الى قيام علاقات اكثر مباشرة وانتظاماً . وفي هذه الظروف تيسر للمسئولين البريطانيين ان يقوموا بزيارات لداخل عمان من حين لآخر . واستطاع العقيد كوكس الذي كان قد قام برحلته من قبل بمعاونة شيخ ابو ظبي من البريمي الى مسقط براً في ١٩٠٢ — استطاع في ١٩٠٥ ان يستكشف المنطقة التي كانت مجهولة حتى ذلك الحين بين رأس الخيمة والبريمي . ثم عاد الى الساحل من صحار .

وفي ١٩٠٢ . وبعد رفع شعار اعلان الحماية البريطانية المباشرة على عمان المتصالحة . وضع النظام التمام فيها تحت ملاحظة دقيقة . وتقرر في النهاية انه مناسب تماماً . وذكر الرائد كيمبول بهذا الصدد ان الشيوخ الجدد في عمان المتصالحة اصبحوا الآن يلتمسون اعتراف الحكومة البريطانية بهم بمجرد ان يتولوا الحكم . وان نصائحه كانت مطاعة وإن لم يصدرها بلهجة ملزمة . كما كانت آراؤه تلقى الترحيب حتى في الشئون الداخلية الصرفة .

وفي نفس السنة . اتضح موقف الشيوخ المتصالحين من بريطانيا حين احتفلوا بذكرى تتويج الملك ادوارد في ٢٦ يونيو وجعلوه عطلة رسمية عامة ، ثم اتضح هذا ايضاً اثناء الزيارة التي قام بها صاحب السعادة اللورد كيرزون — نائب الملك والحاكم العام للهند — لعمان المتصالحة على نحو ما هو مذكور بالتفصيل في مكان آخر . وفي هذه الزيارة عقد لورد كيرزون مؤتمراً للشيوخ المتصالحين في البحر امام الشارجة بتاريخ ٢١ نوفمبر ١٩٠٣ ، وكان اجتماعاً دل على التناسق والثقة اللذين سادا المنطقة كلها . وفي نفس الوقت يجب ان يكون مفهوماً ان شيوخ عمان

المتصالحة ظلوا كما هم لا يتقدمون .. جهلة ، ميالين الى الشكوك والمخاوف الساذجة التي لا مبرر لها . وقد ذكرنا من قبل فشل شيوخ الهناوية في أبو ظبي ودبي في الزام رعاياهم برفع علم عمان المتصالحة ، وظهرت دلائل اخرى تشير الى هذه الطبيعة ذاتها ، منها امتناع الشيوخ عن تقديم تفاصيل عن شئونهم العائليةوانسابهم الى المقيم العام وتردد شيخ الشارجة في الموافقة على فتح مكتب للبريد الهندي في عاصمته ، واحتجاج شيخ الشارجة ضد رفع العلم البريطاني على الوكالة البريطانية في بلده .

العلاقات التجارية :

وقد حدث تطور ملحوظ في التجارة ، داخل نطاق الحدود الضيقة التي تفرضها المصادر الطبيعية الشحيحة وتوزيع السكان . وتميزت بذلك الفترة من ١٩٠٢ الى ١٩٠٧ في عمان المتصالحة . وكان بعض التحسن يعزي لتدهور ميناء لنجة في ايران ، فقبل ١٩٠٢ لم يكن عدد السفن البخارية التي تمر بدبي يزيد على اربع سفن او خمسين في كل سنة ، ولكن في هذه السنة مر بها مالا يقل عن ٢١ سفينة بخارية معظمها تابع لشركة بومباي وايران للملاحة البحرية . وفي اوائل سنة ١٩٠٤ وضعت شركة الهند البريطانية للملاحة البخارية دبي بين الموانى المنتظمة لخطوط بواخرها .

وفي ١٩٠٢ نوقشت مسألة اقناع الشيوخ المتصالحين بأن يحددوا نسبة العوائد التي يفرضونها على أساس ٥٪ ، ولكن تقرر ارجاء أي عمل بهذا الصدد بعد ان تبين ان النسب المفروضة كانت فعلا أقل من تلك النسبة في كل مكان . لكنه اتضح بعد قليل ان الرسوم على تصدير أصداف اللؤلؤ من دبي تتجاوز هذه النسبة ، وقدمت مذكرة في الموضوع الى الشيخ الذي وعد بأن يخفضها .

★ ★ ★

علاقات عمان المتصالحة بالايرانيين
١٩٠٢ ـ ١٩٠٧

متاعب بين ايران والعرب بصدد لنجة ١٨٩٩ ـ ١٩٠٠ :

قامت سنة ١٨٩٩ مشكلة بين الحكومة الايرانية والشيوخ المتصالحين بعد ان طردت تلك الحكومة الشيخ العربي الذي كان يحكم لنجة بالوراثة كما ان نشاط قسم العوائد الامبراطورية الايرانية الذي انشيء مؤخراً كان يؤدي الى خلق المتاعب مع العرب ، وفي الحالتين كان على السلطات البريطانية ان تكبح جماح العرب وان تمثل مصالحهم في نفس الوقت .

وفي أكتوبر ١٨٩٩ تحسبت الحكومة الايرانية مما ترامى اليها من انباء بأن شيخ لنجه المطرود قد لجأ الى عمان المتصالحة ، فتقدمت الى الحكومة البريطانية تطلب منها العون على منع تجميع قوات لمهاجمة لنجة . وقامت السلطات البريطانية مباشرة بتوجيه الانذارات اللازمة للشيوخ المتصالحين بذلك الصدد . وعادت الحكومة الايرانية الى الشكوى ثانية في يناير ١٩٠٠ من ان محمد بن خليفه ـ شيخ لنجة السابق ـ مقيم في حماية شيخ رأس الخيمة ، وطلبت من الحكومة البريطانية أن تمنع نزوله المتوقع الى لنجه ، واضافت الحكومة مهددة بأن هذا لو لم يحدث فستقوم هي بعمل من جانبها ضد رأس الخيمة . وذكر المقيم العام ، تعليقاً على ذلك التهديد ، بأن الحكومة الايرانية لو قامت بتنفيذ تهديدها فيحتمل أن تفقد سفينتها الوحيدة « برسيبوليس » .

وقامت سفينة صاحب الجلالة « ميليومين » مباشرة بنقل انذار آخر لشيخ رأس الخيمة، وتأكدت السفينة عند زيارتها للميناء انه رغم وجود الشيخ محمد فيه بالفعل ـ الا انه لم تكن هناك اية خطط ضد لنجة . (مطالب القواسم وغيرهم المتعلقة بأملاكهم التي دمرها أو استولى عليها الايرانيون في لنجة مذكورة بالتفصيل في تاريخ الساحل الايراني وجزره) .

دسائس بين حاكم موانى ايران على الخليج وبين شيخ ابو ظبي ١٩٠٠ – ١٩٠١ :

وفي أوائل سنة ١٩٠٠ تبين ان شيخ ابو ظبي على مراسلات ودية منتظمة مع داريا بيجي الحاكم الايراني لموانى الخليج ، وقد قام شيوخ دبي والشارجة بابلاغ هذا الامر لوكيل المقيمية في عمان المتصالحة ، لأنهم اشتموا في الامر رائحة المؤامرة . وربما كان الحاكم الايراني يهدف الى ابعاد الشيخ زايد عن بقية الشيوخ المتصالحين لمنع حدوث أي هجوم عربي على لنجه . وكان الايرانيون ما يزالون على خوفهم من هذا الوهم ، ولا نظن شيخ ابو ظبي من ناحيته كان يهدف لاكثر من الحصول على تعويض عن املاك بعض رعاياه في ايران من ناحية ، وضمان معاملة سفنه معاملة طيبة على السواحل الايرانية من الناحية الاخرى . لكن الشائعات ، على أية حال ، قد ربطت بين هذا الامر وبين جهود روسيا ومحاولاتها الحصول على قاعدة في الخليج . ومهما كان الامر ، فلا شك في أن هذا كان يعتبر خرقاً من جانب شيخ ابو ظبي لاتفاقيته المانعة مع الحكومة البريطانية . وحين اكتشفت تلك المفاوضات ، كان الشيخ قد أرسل بالفعل هدية الى لنجة من فرسين ، وميز نفسه عن جيرانه بأن رفع علماً أخضر بدل العلم الذي حددته اتفاقية ١٨٢٠ لعمان المتصالحة ، وتلقى سيفاً من الشاه ، وخطاب تحية ومديحاً عليه الخاتم الشاهنشاهي قرىء علناً في اجتماع عقد بأبو ظبي . وقد كفي الشر بانذار واحد فعل فعله على أية حال . وتوقفت مراسلات شيخ ابو ظبي مع المسئولين الايرانيين فوراً ، وكف عن استخدام العلم الاخضر .. ولكن بعد فترة .

تأكيد مبدأ تمثيل بريطانيا لشيوخ الساحل المتصالح في الشئون الخارجية ١٩٠١ – ١٩٠٣ :

وفي فبراير ١٩٠١ كان قارب لدبي عائداً من صحار ، فارغمته الاحوال الجوية على ان يرسو في هانجام . فاستولى عليه رجال العوائد

الامبراطورية الايرانية . لاسباب فنية كما زعموا . لكن امكن رد القارب وحمولته فوراً بطلب قدمه المقيم السياسي البريطاني ، وبقيت سبع بنادق وحوالي ٩٠٠ طلقة كانت على القارب وكانت ملكاً شخصياً لشيخ ابو ظبي ولم يتيسر استردادها الا في سنة ١٩٠٣ وبعد تدخل الوزير البريطاني المفوض في طهران .

وكانت حكومة الهند ترى ان هذه القضية هي اول اختبار لحق بريطانيا العظمى في ان تتعامل باسم الشيوخ المتصالحين في الشئون الخارجية ، لهذا ابلغت الممثلين السياسيين البريطانيين في طهران بالاتفاقية المانعة لسنة ١٨٩٢ لاول مرة . ويبدو ان اعتراف فرنسا قد تم ضمناً في ثنايا الحادث الذي اشرنا اليه آنفاً .

محاولة ايران ضم جزيرتي بو موسى وطنب ١٩٠٤ :

وكانت المشكلة التالية التي قامت بين عمان المتصالحة وايران مشكلة على جانب كبير من الاهمية لمساسها نسبياً بالمكانة البحرية لبريطانيا في منطقة الخليج . فقد أدت سيطرة العوائد الامبراطورية الايرانية على ميناء لنجة الى تحول معظم تجارة هذا الميناء الى موانئ الجانب الآخر في الخليج وخاصة دبي ، وطالب بعض تجار لنجة بأن تجعل شركات الملاحة التجارية البر يطانية جزيرة بو موسى بين الموانيء التي تقف عليها بواخرها وذلك تمهيداً لخلق سوق حرة فيها بعيدة عن تعسف المسئولين الايرانيين وتدخلهم . وكان يحكم جزيرة بو موسى هذه حكام عرب من القواسم الذين كانوا في لنجة . ولم يكن يحكمها مسئول ايراني . وبعد طرد الشيخ العربي من لنجة أصبح من حق شيخ الشارجة ان يستولي على بو موسى دون منازع . ورغم ذلك فقد ساد الخوف من ان يجبر تحول التجارة او جزء كبير منها عن الموانيء الايرانية ، كما كان متوقعاً ، الحكومة الايرانية على اعلان ضم الجزيرة اليها . ولم يكن اهتمام حكومة الهند

منصباً على هذه الجزيرة فقط ، بل كان يشمل ايضاً جزيرة طنب التي لها نفس الظروف. وفي التالي صدرت النصائح لشيخ الشارجة بأن يرفع علمه على كلتا الجزيرتين. وقد تم هذا بالفعل في صيف ١٩٠٣. واثبتت الاحداث التالية ان هذا الاحتياط كان ضرورياً ولا بد منه ، ففي نهاية مارس او بداية ابريل سنة ١٩٠٤ قامت سفينة العوائد الايرانية « مظفري » وعلى ظهرها مستر دامبرين ، المسئول الاوربي عن العوائد في بوشهر بزيارة جزيرتي طنب وبو موسى ، فانزلوا علمي الشارجة ، ووضعوا على كل جزيرة رجلا كمسئول عن العوائد الايرانية . وقد تبين بعد ذلك ان هذه الاعمال كان موصى بها من مشير الدولة وزير خارجية ايران رغم ان الذين نفذوها كانوا مجرد موظفين من قسم العوائد . ويحتمل ان يكون وراء الموضوع بتحريض من روسيا . وقد تردد الوزير ، الذي كان لا شك يعرف النتائج الدولية التي تنجم من مثل هذا العمل تردداً طويلا قبل ان يصدر الامر بانزال العلم من جزيرة بو موسى ثم احتلالها . وقام ممثل بريطانيا في طهران بتقديم الاحتجاج في الوقت المناسب ، فقد آتى الاحتجاج ثمرات سريعة وانسحب الايرانيون ، وخفضت الاعلام الايرانية التي كانت رفعت بأوامر من الحكومة . وتم هذا في ١٤ يونيو سنة ١٩٠٤ ، وبعدها بعدة ايام .. ارتفع علم عمان المتصالحة فوق الجزيرتين .

وقد ذكرت الحكومة الايرانية —حين اصدرت اوامرها بذلك— أنها ترجيء الأمر الى حين مناقشة الوضع الفعلي لهاتين الجزيرتين بينها وبين الحكومة البريطانية ، غير انها لم تستطع — وعلى نحو ما هو مذكور في تاريخ الساحل الايراني وجزره — ان تقنع الحكومة البريطانية بوجود أي حقوق لايران في تلكما الجزيرتين . وفي الحقيقة انها لم تحاول جدياً مثل هذا الإقناع . ونشير هنا ايضاً الى ان الايرانيين سرعان ما شكوا من ان شيخ الشارجة قد اقام بناء جديداً في جزيرة طنب ، ولكن تبين من التحريات

المحلية وزيارات المسئولين البريطانيين للجزيرة في ١٩٠٤ و١٩٠٥ — أن هذه الشكوى لم تكن قائمة على أساس صحيح .

★ ★ ★

علاقات عمان المتصالحة بالدولة الوهابية
١٩٠٢ ـ ١٩٠٧

لم تتوقف الاتصالات بين عمان المتصالحة ووسط الجزيرة توقفاً تاماً في أية فترة من الفترات ، وفي سنة ١٩٠٢ تردد ان شيخ ابو ظبي قد أرسل قطيعاً من الابل هدية لابن سعود الحاكم الوهابي ، وتلقى منه أربع خيول عربية في مقابلها .

مخططات لابن سعود في دول عمان المتصالحة ١٩٠٥ :

وفي سبتمبر ١٩٠٥ عاد الوهابيون يسيطرون على كل نجد . بعد ان كان قد انحسر ظل سيادتهم عليها عدة سنين . وقد وجه عبدالعزيز بن سعود خطابات لكل الشيوخ المتصالحين يخبرهم فيها بوصوله الى قطر ، وبالصلح الذي استطاع ان يعقده بين قبائل البدو من آل مره وبني هاجر وعجمان. واضاف يقول انه يأمل في ان يتمكن من زيارة عمان المتصالحة في ربيع سنة ١٩٠٦ .

سلوك مشايخ الساحل المتصالح :

وتلقى شيوخ الهناوية في ابو ظبي ودبي هذه الرسائل بشيء من السخط على اساس ان دخول الوهابيين ، او النفوذ الوهابي ، الى هذه المنطقة لا بد ان ينتقص من نفوذهم هم . ومن الناحية الاخرى لا بد ان يبتهج لهذا شيوخ الغفاريه المتلهفين للخلاص من استبداد ابو ظبي بهم مدة تزيد على العشرين عاماً . وبدأ اتصال مباشر بين شيخ ابو ظبي

وانصاره الهناويه وحليفه سلطان عمان الذي كان لا بد يعتقد ان اقتراب الوهابيين سيؤدي الى تشجيع رعاياه من الغشارية على التمرد . وفي الحقيقة ان شيخ ابو ظبي اعتبر الامر خطيراً خطورة جعلته يقوم شخصياً بزيارة لمسقط في نوفمبر سنة ١٩٠٥ .

موقف الحكومة البريطانية :

ووجه العقيد ب. ز. كوكس المقيم البريطاني الذي تصادف مروره في ذلك الوقت بالمنطقة خلال رحلة الى البريمي انذاراً لكل الشيوخ المتصالحين بالتناهي عن التآمر مع الوهابيين . واعيد الانذار مرة اخرى بأوامر من حكومة الهند ، وتم رفع المسألة ايضاً بشكل غير رسمي للشيخ مبارك شيخ الكويت عن طريق كابتن كوكس ، الوكيل السياسي البريطاني هناك . وفي نفس الوقت اشارت الحكومة البريطانية اشارة عابرة الى عدم رضاها في حالة تدخل الوهابيين في شئون عمان المتصالحة . وقد اكد الشيخ مبارك ان ابن سعود لا يهدف من وراء خطاباته الى أكثر من انتزاع الاتاوات . وقال انه تلقى من عبدالعزيز رسالة تؤكد له انه لا يضمر اية نوايا عدائية تجاه الحكومة البريطانية ، ويعتذر عن أي ضرر قد يكون تسبب فيه اهمال هذا الاعتبار من جانبه وبعدها لم يسمع احد شيئاً عن خطط للوهابيين في عمان المتصالحة .

★ ★ ★

علاقات عمان المتصالحة بسلطنة عمان
١٩٠٢ ـ ١٩٠٧

ظلت العلاقات الودية قائمة بين شيخ ابو ظبي وسلطان عمان ، وبلغت قمتها في سنة ١٩٠٥ على النحو الذي رأيناه من تشاور الجانبين فيما يمكن عمله بالنسبة للخطر الوهابي .

١٨٩٢ : ١٨٩٥ :

وفي سبتمبر ١٨٩٢ زار شيخ دبي مسقط . وفي نهاية ١٨٩٢ — ١٨٩٥ قام خليفته ، وواحد من ابناء شيخ ابو ظبي بزيارة أخرى لمسقط لكننا لم نستطع الاستدلال على أهداف تلك الزيارات .

١٩٠٤ :

وفي يوليو ١٩٠٤ استقبل خليفة وسلطان ، ولدا الشيخ زايد شيخ أبو ظبي ، استقبالا تكريمياً حافلا في مسقط ، وحملا بالهدايا الثمينة بعد ان انقضت زيارتهما الطويلة ، ونقلهما يخت السلطان « نور البحر » حتى صحار في طريق العودة .

١٩٠٦ :

وتأكد في سنة ١٩٠٦ ان السلطان كان خلال السنوات العشر الاخيرة يدفع معونة سنوية قدرها ثلاثة آلاف جنيه لشيخ ابو ظبي بشرط ان يكف قبائل البدو في البريمي والظاهره عن التوغل في اقليم الباطنة . وهناك من الاسباب ما يحملنا على الظن بأن نفوذ شيخ ابو ظبي زايد بن خليفه كان اقوى وأعم من نفوذ فيصل بن تركي في المنطقة التي تمتد شرقاً حتى عبري في الظاهرة ، وربما ايضاً بعض إقليم روس الجبال ، برغم أن هذه الاقاليم تابعة لسلطان مسقط .

★ ★ ★

علاقات خارجية أخرى لعمان المتصالحة ١٩٠٢ — ١٩٠٧

ابلاغ الحكومة التركية بالعلاقات بين بريطانيا والشيوخ المتصالحين ١٨٩٣ :

أبلغ الباب العالي سنة ١٨٩١ بالاتفاقية الدائمة المعقودة مع شيوخ

عمان المتصالحة في ١٨٥٣ ، وفي سنة ١٨٩٣ أبلغت حكومة صاحب الجلالة الحكومة التركية بوجود الاتفاقية المانعة لسنة ١٨٩٢ بين الحكومة البريطانية والشيوخ المتصالحين .

قضية تركية ١٨٩٥ :

وحدث في ١٨٩٥ ان رجلا من رعايا تركيا كان يسير هابطاً في خليج عجمان ليصعد الى ظهر سفينة راسية خارجه حين ناداه أحد الحرس من الساحل ، فلم يجبه ، فأطلق عليه النار وارداه قتيلا . وتولى المقيم البريطاني تسوية هذه الحادثة مع السلطات التركية عن طريق التفاهم بين مساعد الوكيلالسياسي البريطاني في البصرة ، ونائب القنصل التركي في بوشهر ، وقد تنازل اخيراً اقارب القتيل عن مطالبهم بعد ان قضت المحكمة الشرعية في عجمان بأن مسئولية قتل هذا الرجل تقع على عاتق الحارس الذي أطلق النار شخصياً لا على شيخ الامارة . وفي السنوات الاخيرة وبفضل السلم الذي ساد البلاد فأدى الى نمو التجارة وازدهارها . زاد اهتمام الاجانب اهتماماً لم يكن مرغوباً فيه بعمان المتصالحة .

ابراهيم أفندي أحد رعايا الأتراك ١٩٠٠ — ١٩٠٧ :

وكان أحد اولئك الاجانب يطلق على نفسه اسم ابراهيم أفندي وكان يقيم بالشارجه على أنه يلقح الاهالي بالطعم الواقي من الجدري الذي انتشر هناك سنة ١٩٠٠ ، ثم فر الى البريمي في ١٩٠٤ حين انتشر وباء الطاعون في الخليج ، وحين رجع الى الساحل جعل مقره في ابو ظبي . وكان هذا الرجل ، وهو اصلا يهودي ، ثم تحول الى مسيحي ، ثم الى مسلم شيعي ، ثم الى وهابي ، يستعين في أعمالهبرجل يدعى عبدالرحمن تحول من الهندوكيه الى الاسلام . وفي سنة ١٩٠٤ قام ابراهيم أفندي بزيارة لبومباي حيث عرض على المسئولين هناك تطوعه لافساد المؤامرات الاجنبية التي تحاك في عمان المتصالحة لكن طلبه رفض . وطلب في نفس الوقت من سلطان تركيا ان يخصص له راتباً في مقابل ما سماه « بالاعمال الخيرية » التي يقوم بها في عمان المتصالحة .

مطالب تركيا في العديد ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ :

وفي ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ ، وعلى نحو ما هو مذكور في تاريخ قطر ، حدثت حركة من جانب الباب العالي تهدف لوضع حامية عسكرية في العديد باقليم ابو ظبي لكن الحكومة البريطانية نجحت في إحباطها .

رعايا المـــان :

وفي سنة ١٩٠٤ قام الهر تيوبين ، وهو مغامر الماني كان اعتنق الاسلام ، بابلاغ الحكومة البريطانية أن احد الشيوخ المتصالحين يحاول الحصول على الحماية من المانيا ، وعرض خدماته بهذا الشأن كرجل يعرف البلاد معرفة جيدة لكنها رفضت . وتبين ان التزام ضريبة التصدير على أصداف اللؤلؤ في دبي ، وهي التي ذكرنا انها قد تحولت الى مشكلة تجارية في ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ ـ قد منح لوكالة ونشهوس الالمانية . ووجه النصح للشيخ ـبالتاليـ بألا يسمح بمثل هذه التنازلات والترخيصات في المستقبل دون موافقة الحكومة البريطانية .

★ ★ ★

الاحوال الداخلية في عمان المتصالحة ١٨٩٢ ـ ١٩٠٧

الاحتكاك بين الشارقة ودبـي :

وأخيراً نعود الى التاريخ الداخلي للبلاد خلال خمسة عشر عاماً ، وهي فترة أصبح القتال البري فيها نادر الوقوع بغض النظر عن أسباب ذلك كما ان التعاون السياسي اتخذ شكلا متقدماً من حيث الاستقرار والتماسك .

تسوية موضوع آل مرير ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤ :

اما المشكلات التي كانت قائمة قبل ١٨٩١ بين شيوخ دبي والشارجه فقد سويت وعقدت هدنة بينهما خرقها شيخ دبي في سبتمبر ١٨٩٢ بأن

ارسل قارباً مسلحاً لنصرة عجمان ضد الشارجه ، غير ان الهدنة اعيدت مرة أخرى –في نفس الشهر – وبحضور سلطان بن محمد أحد شيوخ قبيلة النعيم ذات النفوذ . وكانت هجرة آل مرير من دبي الى الشارجة حيث اقاموانهائياً ما تزال مصدراً للمشاجرات بين الامارتين . وكانت جديرة بالبقاء كذلك طالما لم تحدث تسوية للمطالب التي كانت تلك الهجرة تثيرها . وفي نوفمبر ١٨٩٣ أعلنت الحرب مرة أخرى بين الشارجة ورأس الخيمة من ناحية ودبي من الناحية الاخرى ، واقتنع شيخ عجمان بالانضمام الى جانب القواسم في هذا النزاع . وفي مارس ١٨٩٤ استطاع شيخ ابو ظبي ان يعقد صلحاً موقتاً بين الاطراف المتنازعة ، لكن مشكلة آل مرير ظلت بلا تسوية مما اضطرالمقيم البريطاني لزيارة الساحل المتصالح . وقد امكن وضع حل نهائي للمشكلة وفي اجتماع عقد باشراف مستر ج. ج. جاسكين المقيم المساعد . وبهذه المناسبة قد حاول شيخ الشارجه ان يتجنب اللقاء بالمقيم ، ولم تقدم له بالتالي الهدايا التقليدية المعتادة .

غارات بدوية ١٨٩٥ – ١٨٩٧ :

وفي يناير ١٨٩٥ بدأ بدو المناصير وآل مرة يغيرون على كل الاقاليم الداخلية بين ابو ظبي ورأس الخيمة ، وقيل انهم استولوا على أكثر من ٤٠٠ بعير و ١٠٠ حصان واستنجد بنو قتب الذين اصيبوا بمعظم الخسائر بشيوخ دبي وابو ظبي واستنفر هؤلاء انصارهم من البدو ، فتوقفت الغارات موقتاً . وفي الموسم التالي جاء المناصير مرة أخرى من قطر الى عمان المتصالحة فوجدوا أهلها مستعدين للقائهم فغيروا خططهم وقاموا بزيارات لشيوخ دبي والشارجه وام القيوين الذين أرغموا على استقبالهم . لكنهم حملوا من الحمرية التي لم يكن أهلها على أهبة الاستعداد للقائهم بعض الماشية وعدداً قليلا من العبيد غير ان هؤلاء المغيرين هزموا قبل نهاية ١٨٩٦ – ١٨٩٧ هزيمة مرة على أيدي قبيلة بني قتب بمعاونة أهل الشارجة .

حرائق كبرى :

ولما كانت معظم المنازل في مدن عمان المتصالحة من أكواخ من سعف النخيل الجاف وغيره من المواد القابلة للإشتعال فقد وقعت سنة ١٨٩٦ سلسلة غير مألوفة من حوادث الحريق . ففي مدينة الشارجة دمر الحريق حوالي ٤٠٠ بيت وقدرت الاملاك التي احترقت بأكثر من ٣٠ الف روبية . وفي دبي احترق نصف المدينة تقريباً الى جانب منطقة ديره بأكملها ، وفي أبو ظبي احترق ١٧٠ منزلا نهب بدو بني ياس معظم الامتعة التي استطاع الاهالي انقاذها منها . وفي ١٨٩٧ اشتعلت عدة حرائق في دبي ، والقي القبض على امرأة من العبيد كانت تضرم النار عمداً واعدمت .

قضية زورا ١٨٩٥ — ١٩٠٥ :

وكانت المشكلة السياسية الثانية الهامة واحدة نشأت عن مطامع شيخ ابو ظبي في الاستيلاء على منطقة زورا ، وهي مضيق جبلي على البحر يمتد من عجمان الى الحمرية ، لكنه مفصول عن هذين الموقعين وعن الارض بخليج لا يمكن عبوره الا من نقطتين فقط . وقد ادرك زايد بن خليفه أهمية موقع شبه الجزيرة هذه في تحقيق مطامحه الواسعة بأن يصبح زعيم كل قبائل البدو في عمان المتصالحة . كذلك رأى في زورا ملجأ آمناً يمكن ان ترعى فيه قطعانه وقطعان حلفائه وقاعدة هامة لعملياته العسكرية في حالة قيامه بها ضد قبائل تبعد عن ابو ظبي بعض الشيء . وفي ١٨٩٥ استطاع الشيخ ان يحصل على تصريح من المقيمية البريطانية — التي لم يكن مسئولوها قد ادركوا بعد الاهمية الكاملة لعملهم — بنقل كميات من الاسلحة والذخائر الى زورا لاستخدام بني قتب الذين كانوا في ذلك الوقت على حرب مع جيرانهم ، لكن بقية الشيوخ المتصالحين اقاموا في طريقه العقبات حتى وجد نفسه عاجزاً عن تنفيذ ما يريده .

وفي ١٨٩٧ طلب قسم من قبيلة سويدان بقيادة سلطان بن ناصر من المقيم البريطاني السماح لهم بالاستقرار في منطقة زورا ، وحين عرض شيخ ابو ظبي سنة ١٩٠٠ ان يتعهد بحماية هذه المستوطنة ومعاونة أهلها بارسال المواد غير الحربية لهم بحراً تم الحصول على الاذن المطلوب . وهنا يجب ان نلاحظ ان الشيخ زايد كان سويدياً من ناحية امه ، كما كانت ابنة شيخ سويدان سلطان بن ناصر بين زوجاته . لكن هذا المخطط في زورا ، كان مصدر فزع الشيوخ الغافرية . وقد بدأ شيخ عجمان يتخذ الخطوات اللازمة لحماية اقاليمه فبنى حصناً بالقرب من احدى نقط اتصال زورا بالأرض ، وتقدم شيخ الشارجة في سبتمبر سنة ١٩٠٠ الى المقيم يطلب منه اقامة قاعدة لغير القواسم وسط ارضهم . وبناء على هذا سحب الاذن الذي صدر مما اسخط الشيخ زايد لانه حرم من احدى الوسائل التي كان يراها جديره بتحقيق مزيد من النفوذ له في كل عمان المتصالحة ورؤوس الجبال الشمالية والبريمي . ونضيف هنا ان المقيم السياسي العقيد كوكس قام بنفسه في مارس سنة ١٩٠٥ بتفقد منطقة زورا ، وخرج بعد تفقده هذا بنفس النتيجة : ان هذه المستوطنة المقترحه لا يجب التصريح بها الا بعد موافقة كل الشيوخ المتصالحين ، وهذا ما لم يكن محتملا على أي نحو .

اختفاء رأس الخيمة كمشيخة مستقلة ١٩٠٠ :

وفي سنة ١٩٠٠ وعقب موت حميد بن عبدالله شيخ رأس الخيمة اعيد ضم امارته الى امارة الشارجه التي كانت رأس الخيمة انفصلت عنها وأصبحت امارة مستقلة سنة ١٨٦٩ . وهكذا انقص عدد الشيوخ المتصالحين من ستة شيوخ الى خمسة ، وكان هذا عددهم الاصلي من قبل .

قضية الشمالية ١٩٠٢ — ١٩٠٥ :

أما الاضطرابات التي قامت في سنة ١٩٠٢ بين شيخ الشارجة وغريمه شيخ الفجيرة في الشمالية فهي موجودة بالتفصيل في أحد ملاحق هذا

الفصل ، ولا يهمنا في الوقت الحالي الا ذكر آثارها التي تتناول علاقة الشيوخ المتصالحين أحدهم بالآخر . وكان قد ظهر متمرد في الفجيره تقدم يطلب العون من سلطان مسقط وشيخ ابو ظبي فتلقى معارضة من شيوخ عمان المتصالحة في دبي وعجمان ثم انضم اليهم شيخ ام القيوين .. غير ان الحرب الفعلية لم تثر بين الشيوخ المتصالحين بسبب هذا النزاع في الشمالية .

وفي سنة ١٩٠٣ ، ولدى عودة شيخ الشارجه من حملته على الشمالية قام شيخ عجمان ، دون التزام بالحلف الدفاعي الهجومي المعقود بينه وبين دبي بالدخول في حلف مشابه مع الشارجه ، وبعده قامت بين الامارتين علاقات ودية ظاهرة ، وحدث ايضاً تحالف بين ابو ظبي والشارجة . وفي ١٩٠٥ يبدو ان الشيخ صقر بن خالد قد تخلى تماماً عن فكرة تأديب زعيم الفجيرة المتمرد عليه .

نزاع في وادي حتا ١٩٠٥ :

وقد حدثت مشكلة غريبة — قدر لها ان تخلف آثاراً بعيدة الغور وستظل كذلك لفترة طويلة — بصدد قريتين في الجزء العلوي من وادي حتا في حجر الغربية ، وهو واد يجري فيه طريق بين دبي في عمان المتصالحة ومدينة شناص في الباطنة . وكان يسكن تلكما القريتين — حجارين ومصفوط — جماعة من البدو ، ويبدو انهما شأنهما شأن الجزء الادنى من وادي حتا — كانتا تابعتين لسلطنة عمان . ولكن حوالي سنة ١٨٧٠ خلال حكم السيد عزان بن قيس حدث نزاع بين اهالي القريتين ، ووضع اهل مصفوط أنفسهم تحت حماية بني كعب وبني نعيم في البريمي . وفيما بعد ، وأثناء حكم السيد تركي ، ونظراً لعجز سلطان عمان عن حماية حجارين من بني نعيم في البريمي ، أعلن انتقال القريتين رسمياً لشيخ دبي . وكان هذا هو الوضع في سنة ١٩٠٥ حين قام بنو

قتب بسبب عدائهم لبني نعيم في البريمي باحتلال التلال الواقعة على رأس وادي حتا حيث بنوا هناك حصناً يسيطرون منه على الطريق في مكان يعرف باسم جبيل ، وبدأوا يضايقون القوافل العابرة . وكان هذا العمل بدعم من اهل مصفوط . ووضح انهم بذلك قد وقفوا موقفاً مضاداً لموقف حُماتهم من بني نعيم . كذلك كان يعضدهم رشيد بن أحمد الشيخ القوي الجديد لام القيوين . وقيل انه هو الذي قدم اليهم المواد اللازمة لبناء الحصن . لكن آراء بني نعيم في البريمي اتفقت مع وجهات نظر شيخ دبي . وفي سبتمبر ١٩٠٥ عقد الشيوخ المتصالحون الخمسة اجتماعاً في دبي ، وتقرر على ما يبدو تدمير قلعة جبيل وان يعيد بنو قتب قرية مصفوط التي كانوا يسيطرون عليها الآن سيطرة كاملة لشيخ البريمي ، ونصح الشيخ زايد للشيخ راشد بألا يشجع بني قتب وحصل منه على وعد باتباع نصيحته ، غير ان شيخ ام القيوين الشاب لم يكن ينوي على الاطلاق الالتزام بما وعد ، ولم تكد تمضي عدة اسابيع حتى كان قد جاء بكبار شيوخ بني قتب في عجمان والشارجة وجعلهم يوافقون على بقاء الحكام الحاليين وليس ذلك الا رغبة في احباط سياسة شيخ ابو ظبي .

متاعب أخرى من قضايا بني قتب ١٩٠٥ ــ ١٩٠٦ :

وفي نفس الوقت ، في يوليو او اغسطس ١٩٠٥ ، قام نزاع بين جماعة من البلوش يستوطنون بمفلح وسادتهم من بني قتب المستقرين في ذلك المكان . وقد حاول هؤلاء بعد قليل الاستيلاء على حصن البلوشين في معزم . فاستنجد هؤلاء بشيخ ابو ظبي الذي بذل كل جهوده للحيلولة بين بدو بني قتب واللحاق بأقاربهم في الهجوم على معزم لكنه فشل ، وظلت حامية معزم على مقاومتها . وكان الخلاف قد بلغ قمته حين كان المقيم البريطاني العقيد كوكس في رحلة من رأس الخيمة الى البريمي في ديسمبر سنة ١٩٠٥ . وفي نفس الوقت كان الحديث يدور عن تحالف

بين شيوخ ام القيوين والشارجة وعجمان بهدف تأييد بني قتب ضد شيخ ابو ظبي ، لكن الحقيقة ان شيوخ الغافرية لم يكونوا مستعدين للسير الى نهاية الشوط ، كما ان الانذار الذي وجهه المقيم لشيخ ابو ظبي قد أفلح وان كان الشيخ ظلّ على رغبته في اقناع بني قتب باستحالة معارضة رغباته من ناحية ، واقناع شيخ ام القيوين بحمق محاولة منافسته في شئون البدو وقبائلهم من الناحية الاخرى ، لذلك قام في فبراير ١٩٠٦ – وبعد ان قدم طلباً لدفع الديه عن البلوش القتلى – بجمع قواه واستعد للسير الى بني قتب ، فاستنجدت هذه القبيلة اولا بشيخ دبي لكن هذا قال انه يرى ان المطالبة بدفع الديه مطلب عادل تماماً ، فتحولت الى شيخ الشارجه لكنه رفض التدخل في هذا الامر على أي نحو ، واخيراً لجأت الى شيخ ام القيوين الذي استجاب لهم بعد ضغط متواصل ، وهكذا تخلى عن وعده الذي قطعه على نفسه مؤخراً بألا يشجعهم . وعقدت المجالس العديدة لتسوية الخلاف ، واخيراً تغلبت الحكمة واجتمع الرؤساء جميعاً في منطقة الخوانيج بالقرب من دبي وتوصلوا الى اتفاق ، وتمت صياغة اتفاقية مكتوبة وقعتها الاطراف المعنية في ابريل سنة ١٩٠٦ حددت مجالات النفوذ القبلي لكل من شيوخ ابو ظبي وام القيوين ، وهكذا اصبح بنو قتب والغفلة وبنو كعب خاضعين للشيخ راشد ، واصبح انصار شيخ ابو ظبي هم : سلطان بن محمد شيخ بني نعيم في البريمي ، ومحمد بن سليمان شيخ دريز في الظاهره ، وحمد بن عبدالله شيخ الفجيرة في الشمالية الى جانب قبيلة الشحوح في روس الجبال . وربما زعم شيخ ابو ظبي لنفسه حق السيطرة على بعض رعايا سلطان عمان لانه كان يرى نفسه – رغم التحالف الدائم الموجود بينهما – أحق من هذا السلطان بأن يكون في مكانته ونفوذه . اما انتقاصه من حقوق شيخ الشارجه باصراره على ان الفجيره تابعة له فلسنا نعرف له تبريراً ، ولولا

اللامبالاة المعروفة من جانب صقر بن خالد ما ظلت العلاقات الودية قائمة بين الشارجة وابو ظبي .

شيخ أبو ظبي يغدر بشيخ ام القيوين ويقبض عليه فينقذه المقيم البريطاني ١٩٠٧ :

وكانت هذه الاتفاقية انتصاراً لشيخ ام القيوين مؤكدة حقه في أن يكون لرأيه وزن في شئون البدو ، لكن شيخ ابو ظبي من جانبه لم يكن ليصبر طويلا على مشاركة مثل ذلك الفتى نفوذه ، وهكذا ... فبعد ان قام في نهاية نوفمبر سنة ١٩٠٦ بالتفاهم مع شيوخ دبي والشارجة لتقديم العون له ، راح يجمع قواته وانصاره من قبائل المناصير وبني هاجر ويعد لحملة جديدة على بني قتب . وللهجوم على فلج آل على وهي واحة صغيرة لكنها هامة وغنية تابعة لشيخ ام القيوين وتبعد عاصمته عنها حوالي ١٦ ميلا الى الداخل . وبادر شيخ ام القيوين من ناحيته فسار الى الافلاج ليهيء الدفاع عنها ، وارسل الى المقيمية البريطانية يطلب تزويده بمدفعين لقلعتها ، ورفض مطلبه بطبيعة الحال . وعند ذاك وجه العقيد كوكس انذاراً حاسماً لكل من الشيخين . وحدث بينهما صمت ظاهري فقط ، ولكن في بداية يناير ١٠٩٧ غامر الشيخ راشد بأن يزور الشيخ زايد زيارة ودية في معسكره بالداخل ، وبعد ان قضى عدة أيام تلقى فيها التكريم وحسن الضيافة . أمر به الشيخ زايد فقبض عليه ووضع في الاغلال ، وطلب اليه ان يسلم حصن فلاج أو يقضي على حياته . وارسل المقيم البريطاني — بمجرد سماعه هذا الخبر — خطاباً على سفينة صاحب الجلالة « بروسربراين » يطلب من شيخ ابو ظبي اطلاق سراح سجينه فوراً . وفي اليوم التالي — ١٧ فبراير — خرج العقيد كوكس بنفسه على السفينة « لورانس » ، وفي الشارجة عرف ان شيوخ الشارجة ودبي وعجمان قد اجتمعوا بشيخ ابو ظبي في مكان يبعد عن الشارجه ٢٠ ميلا الى الداخل ، وانهم اتفقوا على ابقاء شيخ ام القيوين اسيراً وباتوا يعدون هجوماً على

الفلج ، كما عرف ان انصار شيخ ام القيوين الذين كانوا معه قد ارسلوا في قوارب الى ابو ظبي ، وهو عمل يمكن اعتباره خرقاً للسلم في البحر . واستطاع العقيد كوكس بصعوبة كبيرة ، وبعد مفاوضات دامت اسبوعاً كاملا ان يتوصل الى اطلاق سراح شيخ ام القيوين دون شروط . وحين جاء الشيخ راشد الى ظهر السفينة « لورانس » كان واضحاً انه قد تعرض لآلام جسدية ونفسية كثيرة . وبعدها ، وبفضل التفاهم الودي الذي اصبح قائماً والذي كان يعني ان المقيم سيتوسط في الخلاف بينه وبين بقية الشيوخ بعد ان يتم اطلاق سراحه ، قضى العقيد كوكس يومين في مناقشات مستفيضة على الساحل كان شيخ الشارجه يتكلم فيها باسمه واسم شيخ عجمان وشيخ دبي يتكلم باسمه واسم شيخ ابو ظبي . وقد تم الاتفاق على تسوية خطية لكل الخلافات القائمة وسيادة السلم . وبعد نهاية المفاوضات ، نقل الشيخ راشد الى ام القيوين حيث استقبله رعاياه بفرح وسعادة . وكان الشيخ ممتناً لانقاذه . وقدم للمقيم فيما بعد ناقة مطهمة ومهراً صغيراً كتعبير عن شكره ، وقبلت الهدايا منه باسم الحكومة .

★ ★ ★

ملحق رقم (١)
التاريخ الداخلي لامارة الشارجة

في التلخيص القصير التالي نود ان نشير الى شئون الاسرة الحاكمة في الشارجة ، بالاضافة الى الاحداث التي لها دلالات داخلية فقط . اما التاريخ الخارجي للإمارة فموجود في الفصل السابق الذي يتناول تاريخ عمان المتصالحة .

★ ★ ★

الشيخ صقر بن راشد ١٧٧٧ ــ ١٨٠٣

في سنة ١٧٧٧ تنازل الشيخ راشد بن مطر شيخ رأس الخيمة وزعيم القواسم عن رئاسة القبيلة لابنه صقر بعد ان ظل بها ثلاثين عاماً ، وكان الشيخ صقر قد تزوج فيمن تزوج ابنة الشيخ عبد الله المعيني شيخ قشم .

* * *

الشيخ سلطان بن صقر ١٨٠٣ ــ ١٨٦٦

أخلاق الشيخ سلطان بن صقر ومحل اقامته :

في سنة ١٨٠٣ على وجه التقريب خلف الشيخ صقر ابنه سلطان الذي قدر له ان يحكم القواسم أكثر من جيلين كاملين ، وان يشهد في حياته كل عملية التغير والانتقال من الهمجية الى التحضر في الخليج ، ونحن لا نعرف شيئاً عن الاحداث الداخلية في امارته بقدر ما نعرف عن احداثها الخارجية ، بل ولسنا نعرف على وجه اليقين ، بعد ان ضمت اليه رأس الخيمة في سنة ١٨٢٠ ، ما اذا كان يقيم فيها او يقيم بالشارجة . وكان حتى موته يطلق عليه « شيخ الشارجه » واحياناً « شيخ رأس الخيمة » دون تمييز . ويبدو ان ا لحكم المباشر في المدينتين كان يتولاه شباب من أقاربه يأتمر بأوامره ، ولا يتولاه هو مباشرة وشخصياً . وكان اهم ما يمتاز به باجماع من عرفوه قدرته الفائقة على الخداع والاقناع به . وأدى به هذا المسلك لان يفقد في نهاية حياته ثقة الجميع ، لكن خداعه هذا لم ينتج عنه على وجه العموم مساوىء كثيرة .

حكام رأس الخيمة والشارقة ١٨٠٣ ــ ١٨٠٤ :

كان الشيخ سلطان في بداية حكمه يستعين بأخوته ثم بابنائه فيما

بعد – كممثلين عنه في الحكم المباشر لمدينتي رأس الخيمة والشارجة ، فكان يحكم رأس الخيمة في سنة ١٨٢٣ محمد بن صقر شقيق الشيخ سلطان ، وربما ظل حاكماً لها حتى موته حوالي سنة ١٨٤٥ . وقبل سنة ١٨٣٨ كان يتولى امور مدينة الشارجة صالح بن صقر شقيق الشيخ سلطان ايضاً ، وكان صالح – وهو ابن لامه من العبيد من اذكى الناس الذين عرفهم الساحل المتصالح في ذلك الحين . وقد أسفت السلطات السياسية البريطانية كثيراً لعزله عن حكم مدينة الشارجه وتولية صقر بن الشيخ سلطان من امرأة قاسمية – في مكانه .

تآمر الشيخ صقر بن سلطان على ابيه ١٨٤٠ :

وفي ١٨٤٠ ، وبتحريض من الشيخ مكتوم شيخ دبي الذي كان متآمراً لا يقر له قرار ، قام صقر بن سلطان بمحاولة قصيرة لكنها ناجحة للاستقلال بالشارجة عن ابيه ، وحكمها حكماً مستقلا . وقد التف حوله الانصار لانه وعد بتخفيض الضريبة المفروضة على غواصي اللؤلؤ ، والتي كان ابوه قد رفعها الى ٧ روبيات عن الرجل الواحد في السنة . وهمّ الناس بالقيام الى السلاح لكن الشيخ سلطان وافق أخيراً وبعد تردد طويل على ان يأخذ من ابنه الجزية والا يتدخل في شئون الميناء الداخلية . وفي ديسمبر ١٨٤٠ كان للشيخ صالح الحاكم السابق للشارجه بعض الانصار اسخطهم ازدياد نفوذ شيخ دبي وسيطرته على شيخهم الجديد فجمعوا انفسهم ليضعوا حداً للتمرد ، ونجحوا في ذلك حين القوا القبض على صقر وهو نائم ثم حملوه الى ابيه . وحاول الشيخ سلطان تدبير الامر بابعاد ابنه الى رأس الخيمة . لكن صقراً استطاع وهو في الطريق الى المنفى ان يتخلص من اغلاله ويلجأ الى شيخ دبي . وتلت ذلك عمليات عسكرية تفاصيلها موجودة في تاريخ عمان المتصالحة . وبعد ان خان الشيخ سلطان حلفاءه وعقد اتفاقية مع شيخ دبي عاد ووضع صقراً على حكم الشارجة دون ان يأخذ منه تعهداً بألا يضايق الشيخ صالح وغيره من الموالين له في مدينة الشارجة .

ادارة مدينة الشارقة ١٨٤٠ – ١٨٥٥ :

وظل الشيخ صقر على حكم الشارجة حتى موته في معركة مع شيخ ام القيوين سنة ١٨٤٦ . ويبدو ان الذي خلفه كان عبد الله ، وهو ابن آخر للشيخ سلطان امه من عائلة آل علي التي تقيم في طافونه على الساحل الايراني . وتميزت فترة حكم عبدالله بمحاولته الغادرة التي ذكرناها في مكان آخر للسيطرة على قلعة عجمان في سنة ١٨٤٨ . وقد استمر في الحكم حتى لقي مصرعه اثناء اشتباك حدث في الحمرية سنة ١٨٥٥ .

تمرد شيخ الحمرية ١٨٥٤ – ١٨٥٥ :

وفي سنة ١٨٥٤ حدثت الحلقة الاولى في سلسلة التمردات التي قام بها اهل الحمرية – وهي مدينة على الساحل – ضد سلطة شيخ الشارجة حاكمهم الشرعي . وقد نشأت الاضطرابات هذه المرة عن خلاف دموي شب بين الهولة في مدينة الشارجة وعدد من الشويهين المهاجرين مؤخراً الى ذلك المكان ؛ وكان عددهم يزيد على ٥٠٠ مقاتل . وبنصيحة مغرضة من أحمد السديري ممثل الوهابيين في عمان المتصالحة سارع الشيخ سلطان بن صقر إلى تحويل الشويهين الى منطقة الحمرية ،ومن هناك بدأوا يتعاونون مع عبدالرحمن بن سيف شيخ القرية لتأكيد استقلالها عن الشارجة . وحين زار كابتن كيمبول ، المقيم السياسي البريطاني عمان المتصالحة أثناء جولته السنوية في سبتمبر ١٨٥٤ ، تقدم منه الشيخ سلطان بطلب منع أهل الحمرية من القيام بأعمال بحرية ، لكن كابتن كيمبول – على الرغم من رغبته في عدم تشجيع المتمردين – ابلغ الشيخ انه ما دامت منطقة الحمرية واقعة بين عجمان وام القيوين ، فان مثل هذا الاجراء من جانبه قد يؤدي الى اقحام شيوخ هذين المكانين معاً في الخلاف .

وبعد هذا اللقاء ارغمت اوضاع لنجة – التي كان يحكمها خليفه ابن سعيد القاسمي – الشيخ سلطان على ان يظل مقيماً على الساحل الايراني

لعدة أشهر . وخلال رحلته سارع بوضع امور الحمرية بين ايدي احمد السديري ممثل الوهابيين . وحاول هذا الرجل الخائن ــ بعد ان ادعى انه يتوسط بهدف تسوية الخلاف ــ ان يضع حامية وهابية تابعه له في حصن الحمرية . وبعد فشل خطته اقنع الشيخ سلطان بعد رجوعه من رحلته بأن يقود عمليات برية وبحرية ضد تلك المدينة العاصية . ووجد كابتن كيمبول لدى وصوله الى الحمرية على السفينة « كلايف » في ٢١ مايو ١٨٥٥ ان ذلك المكان قد تم احتلاله بالفعل قبل خمسة وعشرين يوماً دون ان يصل خطاب واحد الى المقيمية بذلك ، وان كان الشيخ سلطان زعم انه ارسل خطاباً لعله لم يصل . وكان معظم القوة المحاصرة ، من أنصار شيخ القواسم وهم ١٥٠ رجلا تحت قيادة ممثل الوهابيين ، وفرقة من عجمان تتجاوز ٣٠٠٠ رجل ، ومدفعيتهم تضم ٥ مدافع جيء باثنين منها من لنجة واثنين من الشارجه عن طريق البحر ، والخامس من عجمان . ولم تزد القوة المحاصرة عن ٨٠٠ رجل فقط ، لكنهم كانوا يتمتعون بنوع من التأييد من شيخي دبي وام القيوين اللذين كانت الاوضاع المربكة لجارهما القوى في الشارجه موضع ترحيبهما الدائم . وكان القتال عنيفاً عنفاً غير مألوف ، ومالت كفته الى صالح المحاصرين . فعلى حين خسر المهاجمون ٦٠ قتيلا من بينهم الشيخ عبد الله بن شيخ القواسم وضعف ذلك العدد من الجرحى ايضاً لم تزد خسارة الحامية على ١٠ قتلى . وفي هذه الظروف الحرجة طلب الشيخ سلطان بالحاح عون المقيم آملا ان يتمكن بمثل ذلك العون ، التراجع دون انتقاص من كرامته وهيبته وابدى كابتن كيمبول استعداده للوساطة مع رفضه المطلق ضمان تنفيذ اية اتفاقية يتم التوصل اليها . لكن كبار المسئولين في الحمرية ولاجئي الشويهيين اغتروا بدفاعهم الناجح من ناحية ، وبتحريض شيخ ام القيوين من الناحية الاخرى فرفضوا ان يلقوا بالا لاية اقتراحات للسلم ، لكنهم أخيراً ــ وحين هدد المقيم العام باحكام السيطرة والرقابة على العمليات

البحرية مما يؤدي الى قطع خطوط امداداتهم — وافقوا على ان يدفع المتمردون مبلغ ٥٠٠ ريال لشيخ الشارجه رمزاً لخضوعهم وانه ، بعد انقضاء موسم اللؤلؤ . سيكون على الشويهين مغادرة الحمرية والاستقرار في أي مكان يشاءون . واوفد وكيل المقيمية ، حاجي يعقوب ، والى البر ليشهد خضوع المتمردين رسمياً للشيخ ، وظلت سفينة الشركة المعظمة « كونستانس » باقية هناك عدة ايام اخرى حتى رفع المهاجمون خيامهم وتراجعوا . ومن استقرار عدد كبير من الشويهين اليوم في مدينة الشارجة نستطيع ان نفهم ان الشيخ سلطان قد نجح اخيراً في اقناع هؤلاء المتمردين بالعودة لبلاده .

حكام رأس الخيمة والشارقة ١٨٥٥ — ١٨٦٦ :

وكان ابراهيم بن سلطان يحكم رأس الخيمة في ١٨٦٠ او ربما قبل ذلك بقليل وهو ابن الشيخ سلطان من زوجة تنتمي لقبيلة المرازيق . وفي سنة ١٨٥٥ عين مشاري — ابن ابراهيم — نائباً لحاكم دبي ، لكنه لقي مصرعه هناك بعد قليل على يد جماعة من الشحوح . وحين مات الشيخ سلطان في سنة ١٨٦٦ كان ابراهيم ما يزال يحكم رأس الخيمة وبمقتل عبدالله بن سلطان في العمليات على الحمرية سنة ١٨٥٥ ، تولى ادارة مدينة الشارجه بعده محمد بن صقر حفيد الشيخ سلطان . لكن عمه خالد ابن سلطان سرعان ما بدأ في التآمر لإبعاد ذلك الفتى الصغير عن حكم المدينة . ويبدو ان شيخ القواسم المسن — الذي كان فقد السمع والذاكرة معاً — لم يعد له وزن كبير في الخلافات الدائرة بين اعضاء اسرته غير المخلصين له . وحوالي سنة ١٨٥٩ كان للشيخ خالد حزب قوي من الانصار في الشارجه ، واصبحت المدينة منقسمة بينه وبين الشيخ محمد . وما كان لمثل تلك الحالة ان تستمر طويلا ؛ ففي سنة ١٨٦٠ ، أو اوائل ١٨٦١ استدرج الشيخ خالد غريمه محمداً الى مكان بعيد عن الشارجه ، في رحلة صيد ، وهناك اطلق عليه الرصاص بنفسه ثم القى جثته في بئر

قريبة . واثناء زيارة كابتن فيلكس جونز للساحل طلب الشيخ خالد لقاءه ، لكن هذا رفض لانه لايستطيع « ان يقابل او يتباحث مع رجل كان هذا مسلكه منذ قليل » .

وفي اوائل سنة ١٨٦٠ استنجد شيخ الشارجه ، الذي لم يكن يطيع أوامره في هذا الوقت لا الشيخ خالد ولا الشيخ محمد ، بشيخ الحمرية لمساعدته في حملة برية على قرى الخان وابو حيل المتمردة . وتهور عبدالرحمن بن سيف فسارع الى مكان هذه العمليات بحراً يحمل الاسلحة والذخائر ، ولهذا عاقبه المقيم العام بفرض غرامة عليه قدرها ٢٥٠ روبية ، وتم دفع هذا المبلغ عقب ان قدم القائد كراتندن طلباً لدفعه .

★ ★ ★

الشيخ خالد بن سلطان ١٨٦٦ ـ ١٨٦٨

انفصال رأس الخيمة عن الشارقة ثم عودتها لها ١٨٦٦–١٨٦٧ :

بعد موت الشيخ سلطان سنة ١٨٦٦ عن عمر تجاوز الثمانين عاماً خلفه ابنه الشيخ خالد الذي سبق ان قتل ابن شقيقه محمد في مشيخة الشارجه ، على حين ظل ابراهيم بن سلطان مواصلا اعلان استقلاله برأس الخيمة . وفي مايو ١٨٦٧ قام الشيخ خالد بهجوم ناجح على رأس الخيمة فطرد منها ابراهيم واعاد ضم المدينة وما حولها الى امارته التي يحكمها من الشارجة . وفي ١٨٦٥ — وعلى نحو ما ذكرنا في تاريخ عمان المتصالحة — مات الشيخ خالدمتأثراً بجراح اصابته من مبارزته لشيخ ابو ظبي ، وكان ذلك يوم ١٤ ابريل من السنة المذكورة .

★ ★ ★

الشيخ سالم بن سلطان ١٨٦٨ ـ ١٨٨٣

انفصال ثان لرأس الخيمة عن الشارقة ١٨٦٩ :

واحتل سالم بن الشيخ سلطان من احدى جواريه مكان الشيخ خالد الذي كانت امه من القواسم ، وعهد بحكم رأس الخيمة الى ابن شقيقه حميد بن عبدالله الذي أعلن استقلاله برأس الخيمة عن الشارجة في سنة ١٨٦٩ وظل كذلك حتى نهاية حياته .

تظاهر الشيخ سالم بالاستقالة من المشيخة ١٨٦٩ :

وفي ابريل ١٨٦٩ وصل وكيل الوهابيين في البريمي الى الشارجه . بزعم التوسط في بعض الخلافات الناشبة على الساحل لكنه بدأ يضع خطة التآمر للقبض على الشيخ سالم وسجنه ، وإعادة شقيقه ابراهيم الى حكم رأس الخيمة . وجاء الشيخ حميد بن عبد الله من رأس الخيمة الى الشارجة ، وحدث هرج في المدينة لكن مصرع ممثل الوهابيين بطلقة نارية جاء لينهي ذلك الهرج . وبادر الشيخ سالم وهو يهدف الى افشال سياسة ممثل الوهابيين والقضاء على ما بقي من نفوذ انصاره باعلان استعداده للتنازل عن الحكم لشقيقه ابراهيم ، وظلت العلاقات بين الاخوين طيبة . ولم يحدث اي تنازل فعلي عن الحكم . وبعدها بعدة أشهر عاد الشيخ سالم رسمياً لتولي الحكم حيث بدأ الوهابيون غير آبهين بالموضوع كله .

هجوم الشيخ سالم وابراهيم على رأس الخيمة وتدخل المقيم البريطاني في ١٨٦٩ :

وفي نفس الوقت ، أي أوائل مايو سنة ١٨٦٩ ، حين كان الرائد بيللي المقيم السياسي في الخليج في طريقه من مسقط الى دالهوزي تلقى معلومات في لنجة بأن القواسم الى جوار رأس الخيمة يهددون بارتكاب اعتداء خطير على السلم البحري . فاستقل القارب المسلح « هيورز »

فوراً وعبر الخليج الى رأس الخيمة ، وحين وصلها في ١٢ مايو وجد الشيخين سالم وابراهيم من الشارجه قد خرجا بالفعل الى البحر لطرد حميد ابن عبد الله من رأس الخيمة وانزلا الى جوار المدينة ١٥٠٠ رجل من القوارب ، كما تمكنا من احتلال موقع على البر يحميان به اسطولهما الراسي في الخليج والذي كان يتكون من ٣٢ سفينة . وقد ارسل شيخ ام القيوين حوالي ٥٠٠ رجل عن طريق البحر لنجدة حميد بن عبدالله ، وحدث القتال بالفعل في جزيرة الحمراء وفي مواجهة مدينة رأس الخيمة معاً . وتلقى الرائد بيللي ليلة وصوله وهو على ظهر السفينة خطاباً من شيخ رأس الخيمة أكد فيه ان هدفه الوحيد من الهجوم هو تمكين الشيخ ابراهيم من وضع اليد على المدينة . وفي يوم ٢٣ مايو ، وبعد لقاء مع قادة الجانب الآخر أمر الرائد بيللي الشيخين سالم وابراهيم بسحب اسطولهما وقواتهما قبل غروب الشمس . وظل المقيم في هذا المكان حتى غروب الشمس ، وكانت السفن آنذاك قد انسحبت جميعاً من الخليج فسار الى مسقط حيث كان وجوده ضرورياً هناك . وقد وافقت حكومة الهند فيما بعد على هذا العمل « السريع والحاسم » من جانب الرائد بيللي .

تحالف شيخ رأس الخيمة والشيخ سالم في مواجهة الشيخ ابراهيم ١٨٧١ – ١٨٧٣ :

ويبدو ان الخلاف ظل قائماً سنة ١٨٧١ بين الشيخين سالم وابراهيم في الشارجه ، وقد انتهز الاخير منهما فرصة غياب الاول في ابو ظبي فطلب عون ابن شقيقه حميد بن عبدالله من رأس الخيمة وعون شيخ ام القيوين . واستطاع بمعونتهما معاً أن يصبح السيد غير المنازع في الشارجه. وبعدها مباشرة عزز حميد وضعه في رأس الخيمة بأن ضم اليها قرى شلم ورمس والشميل في سير التي كانت ظلت زمناً ما منفصلة عن امارته . وفي ١٨٧٣ تردد ان الشيخ سالم قد وجد بعض الصعوبة في الوفاء بالتزامات مالية على « سلفه » ، وهو تعبير ربما كان يشير الى الشيخ ابراهيم .

انفصال الحمرية عن الشارقة ١٨٧٥ :

وانضم شيخ الحمرية سنة ١٨٧٣ على نحو ما أشرنا في تاريخ عمان المتصالحة — وكان في ذلك الوقت هو سيف بن عبدالرحمن — الى تحالف عام بين الشيوخ ضد شيخ الشارجه ، ثم انسحب منه في سنة ١٨٧٤ . وعاد في ١٨٧٥ أو ١٨٧٦ ليقوم بدور الوسيط بين هذه الاطراف . او ما بقي منها . ثم رجع بعدها مباشرة — وفي ١٨٧٥ أو ١٨٧٦ — ليعلن استقلاله عن الشارجة مما أدى الى قيام بعض المتاعب والمطالب المضادة بين ذينكما المكانين .

★ ★ ★

الشيخ صقر بن خالد من ١٨٨٣ حتى الوقت الحالى

الشيخ صقر بن خالد ينتزع المشيخة في مارس ١٨٨٣ :

في نهاية مارس سنة ١٨٨٣ مضى الشيخ سالم للتنزه في جزيرة بوموسى التي كانت مرعى لخيوله . وفي نفس الوقت سار شقيقه أحمد في رحلة الى رأس الخيمة . فانتهز الفرصة واحد من ابناء اخوتهما وهو شاب لم يتجاوز العشرين من عمره ، بل لعله دونها ، هو صقر بن خالد وكانا تركاه مسئولا عن الشارجه — واعلن نفسه حاكماً عليها . وسرعان ما اعترف بهذا الحاكم الجديد كل من شيوخ رأس الخيمة وام القيوين وعجمان ودبي ، كذلك ايده محمد بن علي شيخ بدو بني نعيم ، والمطوع حصواني قائد جماعة من النهابيين من بني قتب . ويعزى الفضل في نجاح هذا التمرد الى ضعف شعبية الشيخ سالم وتأثير بعض رجال الدين من ناحية والى لامبالاته بمصالح رعاياه من الناحية الاخرى . لكن سالماً على أية حال لم يكن أسوأ من خلفه الذي سرعان ما تكشف ضعفه وعدم وفائه بالعهود التي كان يقطعها على نفسه . وظل الشيخ سالم مسيطراً على جزيرة بوموسى

وقام في شهر مايو بزيارة للشيخ يوسف احد شيوخ القواسم في لنجة ، وانتقل في يوليو الى دبي حيث تم هناك عقد تسوية بينه وبين ابن شقيقه المتمرد ضمن تنفيذها شيوخ رأس الخيمة ودبي ، وبمقتضاها كان على سالم ان يعترف بابن أخيه شيخاً في مقابل حصوله على مكافأة سنوية قدرها ٦٠٠ روبية ، وأن يسترد أملاكه الخاصة في الشارجة والذيد ، ويقوم صقر بسداد الديون المستحقة عليه في الشارجة .

تدخل الممثل السياسي البريطاني ١٨٨٤ :

وفي ١٨٨٤ ظهرت شكاوى من الجانبين من عدم تنفيذ الاتفاقية ، وقال الشيوخ الذين ضمنوا تنفيذها ان اللوم يقع على سالم الذي تبين انه كان ما يزال يعيش في جزيرة بو موسى . وفي نفس الوقت أصهر الشيخ صقر الى شيخ رأس الخيمة متحالفاً معه . وحتى هذا الحد كان المقيم لا يتدخل اي تدخل في هذه المنازعات رافضاً ان يقدم نصائح او تعليمات للشيخ صقر ، أو يأخذ على الشيخ سالم تعهداً خاصاً بعدم خرق السلم في البحر . لكنه في يونيو ١٨٨٤ ، وحين ظهر الشيخ سالم في عجمان ، استطاع وكيل المقيمية في الشارجة ان يرتب لقاء ودياً بينه وبين الشيخ صقر هناك وتم توقيع اتفاقية يتلقى الشيخ سالم بمقتضاها من الشيخ صقر مكافأةً سنوية قدرها ٤٠٠ دولار الى جانب عائد جزيرة سير بوموسى الذي كان يصل الى حوالي ٢٠٠ دولار كل سنة ، ومبلغ ٢٥٠ دولاراً عن السنة المنقضية .

اخفاق الشيخ صقر في استعادة الحمرية :

وقام الشيخ الجديد في ابريل ١٨٨٤ بمحاولة مباغتة لاستعادة الحمرية التي يبدو انها ظلت متمتعة باستقلال فعلي منذ سنة ١٨٧٥ . وكانت الخطة الموضوعة تقضي باستدعاء الشيخ يوسف بن عبدالرحمن شيخ الحمرية الى الشارجة ، وبمجرد وصوله اليها يرسل شقيقه محمد بن عبدالرحمن ليتولى حكم المنطقة باسم شيخ الشارجه ، وتم تنفيذ الخطة كما وضعت ، غير ان الشيخ عبدالرحمن تمكن من طرد شقيقه من الحمرية بعد عودته مباشرة ودون ايه صعوبة .

حملة شيوخ رأس الخيمة والشارقة ١٨٨٥ :

وفي ديسمبر ١٨٨٥ تمردت شعم ضد شيخ رأس الخيمة فتوجه الاخير بمعاونة ابن عمه شيخ الشارجه الى المكان حيث تمكن من اخضاعه وفرض عليه غرامة مالية قدرها ١٦٠٠ روبية دفع جانب منها مباشرة .

أعمال الشيخ المطرود سالم :

وظل الشيخ المطرود سالم ينتظر الفرصة المواتية للحصول على شروط أفضل من تلك التي حصل عليها من خليفته الناجح . وفي يونيو ١٨٨٦ — وبعد تحالف عقد بين شيوخ دبي وعجمان والحمرية ضد شيخ ام القيوين. نزل سالم مرة أخرى في عجمان ، ولما لم يجد الفرصة مواتية لتحقيق أطماعه في الشارجة عاد بعد فترة قصيرة الى جزيرة بو موسى . وفي ١٨٨٨ قام سالم بزيارة لشيخ دبي الذي كان على عداء مع شيخ الشارجة في ذلك الوقت ، لكن الصلح تم بين الشيخين واخذ شيخ دبي وعداً على سالم بألا يتعرض لابن شقيقه شيخ الشارجه في مقابل استمرار المكافأة السنوية التي كانت قد قطعت عنه . في ابريل ١٨٨٩ قام — رغم ذلك — باعداد حملة لمهاجمة الشارجة لكنه عجز عن تنفيذها . ومرة أخرى بعد ذلك بقليل تصالح مع الشيخ صقر الذي كرمه هذه المرة وجعله وزيراً له .

اتحاد امارتي رأس الخيمة والشارقة مرة ثانية ١٩٠٠ :

وفي ٢ أغسطس سنة ١٩٠٠ عزل الشيخ حمد بن عبد الله شيخ رأس الخيمة بضربة عنيفة مفاجئة ، وبادر الشيخ صقر بن خالد في الشهر التالي بضم مدينة رأس الخيمة وما حولها الى امارته في الشارجه دون ان يلقى أقل مقاومة . ووضع الشيخ صقر في البداية ابن عمه حمد بن ماجد حاكماً على رأس الخيمة ، لكنه لم يرض عنه مسلكه بعد عدة أشهر فعزله وجعل ابنه خالداً حاكماً للمدينة .

شئون الحمرية ١٩٠٣ – ١٩٠٤ :

وظلت مدينة الحمرية تابعة نظرياً لامارة الشارقة مع ان شيخها حاول جاهداً الحصول على اعتراف به كشيخ مستقل عن الشيوخ المتصالحين أثناء زيارة لورد كيرزون للساحل المتصالح في نوفمبر سنة ١٩٠٣ لكن هذه الامارة كانت عملياً مستقلة عن الشارجة استقلالا كاملا وكان مردّ ذلك على احسن ما نعلمه هو عجز شيخ الشارجة عن حماية مصالح نائبه هذا حين يتعدي عليه الآخرون . وفي ٣ سبتمبر سنة ١٩٠٤ حدث تغير في الحمرية بموت شيخها سيف بن عبدالرحمن ، وتولى ابنه عبدالرحمن بن سيف ، وسرعان ما تخلى هذا عن منصبه لقريب له يدعى سيف بن سيف كان يخشى طموحه ، لكن هذا الاخير لم يقنع بذلك وحاول ان ينتزع أملاك عبدالرحمن الخاصة ايضاً . فقام عبدالرحمن بالهجوم على بيت سيف في الليل وقتل ابنه واسره هو وعاد ليتولى بنفسه حكم الحمرية عند ذلك تدخل الشيخ راشد شيخ ام القيوين وسوى المسألة بأن نقل سيف بن سيف الى عاصمته .

مركز الشارقة السياسي وأخلاق شيخها ١٩٠٧ :

وعلى عهد صقر بن خالد ضعفت مكانة الشارجة بين الامارات المتصالحة وهبط اسم القواسم وسمعتهم الى اسفل درك . وكان هذا الشيخ في حياته الخاصة ضعيفاً ضعفاً مزرياً ، وفي حياته العامة كان لا مبالياً وعاجزاً عن ممارسة الحكم والسيادة ، وقد بعد عنه رعاياه وانصاره السابقون من البدو بسبب اهماله مشكلاتهم وقضاياهم ، وقد خسر أيضاً احترام بقية الشيوخ المتصالحين بالنظر لعجزه كشخص وكحاكم في نفس الوقت . أما من حيث علاقاته الشخصية بالسلطات البريطانية فقد كان الشيخ صقر يظهر دائماً الطاعة والمودّة ، لكنه كان احياناً لا يأبه لمطالب الرعايا البريطانيين ؛ أما فيما يتعلق بالمصاعب الخارجية فقد كان يميل للاعتماد على عون المقيمية البريطانية أكثر من اعتماده على جهوده الخاصة .

وفي ١٩٠٤ تبدى سخط رعاياه نحوه في محاولة عزله ووضع عمه سالم بدلا منه ، غير ان معرفة الشيخ صقر بهذه المؤامرة في الوقت المناسب مكنته من احباطها ، وارغم محمد بن خالد ، احد كبار هؤلاء المتآمرين، بعد ان هرب من سجنه ، على اللجوء لشيخ ام القيوين . اما الادارة المباشرة لمدينة الشارجة فظل يتولاها راشد بن الشيخ صقر حتّى موته سنة ١٩٠٦ وكان هذا يشبه أباه في كل شيء . أما مدينة رأس الخيمة فقد ظل يتولى حكمها خالد — الابن الوحيد المتبقى على قيد الحياة من أبناء الشيخ — حتّى سنة ١٩٠٧ .

★ ★ ★

ملحق رقم (٢) • التاريخ الداخلي لامارة أبو ظبي

يبدو ان من الانسب ان نخصص لامارة ابو ظبي — كما فعلنا بالنسبة للشارجة — ملاحظة مستقلة نشير فيها الى تاريخها الداخلي ، أما التاريخ الخارجي فموجود في الفصل السابق .

★ ★ ★

المرحلة المبكرة ١٧٦١ — ١٨١٨

تأسيس مدينة ابو ظبي ١٧٦١ :

يرجع قيام مدينة ابو ظبي الى سنة ١٧٦١ ، وقد كان بنو ياس يحتلون بالفعل ما حولها ، وهم قبيلة من البدو الرّعاه استطاعت ان تجد بعض المياه في المكان الذي تشغله اليوم بمدينة ابو ظبي ، فابتنت حولها ما لا يزيد على ٢٠ بيتاً .

الحكام بما فيهم الشيخ محمد المعزول في ١٨١٨ :

وفيما يتعلق بشيوخ القبيلة وقت قيام امارة ابو ظبي ، فنحن نحيل القارىء الى لوحة شجرة نسب شيوخ بني ياس ، وربما كان آخر شيوخهم المستقرين في الداخل هو ذياب بن عيسى الذي قتله ابن عمه هزاع بن زيد في سنة ١٧٩٣ . وقد انتقم لمصرع ذياب ابنه شخبوط فقتل ما لا يقل عن عشرة اشخاص شهدوا مصرع ابيه او شاركوا فيه ، وفي سنة ١٧٩٥ وجد هزاع القاتل الفعلي نفسه مرغماً على الهرب حتى لا يلقى نفس المصير ، وظل الشيخ شخبوط على رأس القبيلة حتى سنة ١٨١٦ حين عزله ابنه محمد ، وظل يحكم القبيلة بعده لمدة عامين .

★ ★ ★

الشيخ طحنون بن شخبوط ١٨١٨ - ١٨٣٣

تولي الشيخ طحنون ١٨١٨ :

في سنة ١٨١٨ عزل طحنون بن شخبوط أخاه محمداً وطرده من أبو ظبي . وكان شخبوط نفسه موافقاً على ذلك التصرف ، شأنه شان معظم قبيلة بني ياس . وشارك حاكم مسقط بمعونة مادية في العمل(١) ، فلجأ محمد الى الدوحة في قطر تحت حماية شيخ البحرين ، وظل طحنون شيخاً لابو ظبي لكنه كان يشرك أباه معه في الحكم ويرسله في البعثات

(١) هذه هي الرواية التي يذكرها الملازم هينيل في سنة ١٨٣١ تقريبا (انظر : مختارات بومباى ، المجلد ٢٤ ، ص ٤٦٤) ، لكن الملازم ماكلويد يذكر في سنة ١٨٢٣ أن طحنون قد وضعه سيد مسقط حوالى سنة ١٨٢١ على الحكم مكان أبيه ، وأن شقيقه محمد قد فر في نفس هذا الوقت . لكن الموقع على المعاهدة العامة للسلم باسم أبو ظبى كان الشيخ شخبوط (في ١١ يناير ١٨٢٠) ، وكان ما زال على قيد الحياة في سنة ١٨٣٣ ، غير أنه من المؤكد أن طحنون كان في يناير سنة ١٨٢٣ هو الحاكم الفعلى للبلاد .

الهامة خاصة في مفاوضات الصلح مع قائد الحملة البريطانية على رأس الخيمة في ١٨١٩ – ١٨٢٠ . وقد كان تولي طحنون الحكم بمساعدة من حاكم مسقط بداية النزاع الدائم بين القواسم وبني ياس وكانوا يعيشون حتى ذلك الوقت – اذا صدقنا الروايات المتواترة هناك – حلفاء واصدقاء .

تحركات سويدان بن زعل ١٨٢٢ – ١٨٢٣ :

وفي ١٨٢١ أو ١٨٢٢ – وعقب تولي الشيخ طحنون بزمن قصير – فر من ابو ظبي رجل يدعى سويدان بن زعل كان زعيم فرع المحاربة من بني ياس هرباً من ديون كان عليه ان يؤديها ، وعاش حياة الخارجين على القانون وقطاع الطريق ، وقام طحنون مباشرة بعمل ضده ، فاستولى على عدد من قواربه لكن السلطات البريطانية في ذلك الوقت لم توافق على ذلك التصرف لانه يهدد التوازن القائم في مياه البحار ، بل وطلب الى الشيخ تحت التهديد من سفينة حربية ارسلت اليه ان يعيد القوارب التي استولى عليها الى اصحابها .

وفي نهاية السنة زار سويدان مسقط حيث تلقى هدية من السيد سعيد ، وفي يناير ١٨٢٣ ذكر انه استقر بهدوء في جزيرة ياس ، بحيث بدأت السلطات المحلية البريطانية تراه بعد ذلك من منظور مختلف لاننا نجد المقيم السياسي ينصحه بالخضوع للشيخ طحنون ، بل ويشجع هذا الاخير –في ظل شروط خاصة– على إخضاعه قسراً وبالقوة ، واخيراً تصالح سويدان مع شيخه ورجع الى ابو ظبي في ١٨٢٨ .

هجوم الشيخ محمد المطرود على مدينة ابو ظبي ١٨٢٣ :

وفي اواخر ١٨٢٣ ظهر أمام ابو ظبي الشيخ السابق محمد الذي كان يقيم حتى ذلك الحين بالدوحة في قطر ، وكان على رأس جماعة من البدو المناصير حيث هاجم المدينة ونهبها ، لكنه صد عنها بعد ان تكبد خسارة

قدرها ٣٥ رجلا من القتلى على يد شقيقه طحنون الذي بادر بالتحرك للقائه على رأس قوة كبيرة من الداخل . وتراجع محمد شمالا ليلجأ الى الشارجه حيث تبعه طحنون براً يطلب استسلامه ، ولكن قبل ان تتأزم الامور بين شيخي أبو ظبي والشارجه أراح محمد شيخ الشارجه بأن انسحب عائداً الى قطر .

اغتيال الشيخ طحنون في ابريل ١٨٣٣ :

وكان الشيخ طحنون منذ زمن بعيد قد فقد ثقته في أخويه خليفه وسلطان وظل مبعداً لهما عن ابو ظبي ، لكن اباه شخبوط استطاع اقناعه في النهاية بأن يسمح لهما بالعودة . وبعدها مباشرة تبين انهما مشتركان مع بعض كبار اهل ابو ظبي في خطة تهدف لاقصاء طحنون ، وحاول الشيخ القضاء على هذه الخطة بأن وضع بعض كبار انصارهما في السجن ، لكن هذا الاجراء لم يكن كافياً على أية حال ، وفي ابريل سنة ١٨٣٣ سقط الشيخ طحنون صريعاً بطلقة من مسدس أخيه خليفه وطعنة من خنجر أخيه سلطان .

★ ★ ★

الشيخ خليفة بن شخبوط ١٨٣٣ ـ ١٨٤٥

تولي الشيخ خليفة ١٨٣٣ :

حكم خليفه وسلطان في البداية معاً ، ولكن تفوّق خليفه بدأ يتكشّف تدريجياً فأخذ سلطان المكان التالي ، وبسرعة قبل أمير الوهابيين اعترافاً بالولاء من الشيخين مشفوعاً بدفع الزكاة ، كذلك وضعهما تحت حمايته ، ومنع الشيخ القاسمي في الشارجه من التدخل في شئونهما .

مؤامرة ضد الشيخ خليفة ١٨٣٣ :

وخلال الصيف التالي قام بعض الساخطين في أبو ظبي بمؤامرة لقتل

الشيخ خليفه واحلال أحد ابناء عمومته مكانه ؛ لكن ابن العم المستفيد من المؤامرة بادر بكشفها للشيخ خليفه الذي انسحب الى قلعته وامر بإلقاء القبض على ثلاثة من كبار المتآمرين واعدامهم ، وهمّ الشيخ كذلك بقتل بعض كبار التجار المشتركين في المؤامرة ، لكن معارضة الرأي العام ، ومعارضة شقيقه سلطان ارغماه على ان يكتفي بنفي واحد منهم يدعى ابن عليان الى لنجه بعد ان امر بجلده ومصادرة املاكه .

انسحاب آل بو فلاسه الى دبي ١٨٣٣ :

ولم يكن ذلك العنف من الشيخ خليفة امراً في صالحه ، لانه دفع بعدد كبير من فرع آل بو فلاسه من بني ياس الى الهجرة خلال موسم اللؤلؤ من ابو ظبي الى دبي ، ولكن يبدو ان حكام امارة دبي التي لا نعرف على التحديد تاريخ تأسيسها وان كان بالتأكيد تالياً على قيام أبو ظبي – بادروا بحماية الفارين الذين انضم اليهم بقية اهلهم في الخريف التالي بعد عودتهم من شواطيء اللؤلؤ . وكان استقرار هؤلاء جميعاً استقراراً دائماً ، فمعظم آل بو فلاسه حتى اليوم مستقرون في دبي التي أصبحت منذ سنة ١٨٣٣ منافساً خطيراً لابو ظبي .

وكان هجوم شيخ الشارجه بعد ذلك على مدينة ابو ظبي ومحاصرته اياها في خريف سنة ١٨٣٣ متعلقاً بهذه الخلافات التي يبدو انها قدمت للشيخ سلطان بن صقر فرصة ممتازة لمهاجمة شيخ بني ياس بزعم المطالبة بإنصاف التاجر بن عليان ، غير أن النتائج كانت ابعد ما تكون عن تحقيق توقعاته .

أول محاولة لانسحاب قبيلة القبيسات الى العديد ١٨٣٥–١٨٣٧ :

وفي سنة ١٨٣٥ – حين راحت السلطات البريطانية تجمع التعويضات عن الخسائر الجسيمة التي سببتها اعمال القرصنة من جانب شيخ ابوظبي بدأ رعايا الشيخ خليفه يهربون في كل الاتجاهات كي يتفادوا دفع أنصبتهم حتى إنه أصبح من الضروري ان تطلب السلطات البريطانية من بقية الشيوخ عدم ايواء هؤلاء الهاربين من ابو ظبي أو تقديم الحماية لهم .

وكان من المستحيل – على أية حال – أن تؤدي تلك الاجراءات الى منع هجرة فرع القبيسات من بني ياس الذين تركوا وراءهم ديونهم في أبو ظبي دون سداد وانتقلوا – في جماعة واحدة – الى خور العديد في المنطقة الساحلية غير المأهولة بالسكان قريباً من قاعدة شبه جزيرة قطر على بعد حوالي ٢٠٠ ميل من أبو ظبي . ولقد بذل المقيم البريطاني بعض الجهد لعقد صلح بين القبيسات وشيخهم في ابو ظبي ولاغرائهم بالرجوع للولاء له ، لكنه فشل . وبعدها بقليل بدأ يتردد أن اولئك المستوطنين الجدد في العديد يشجعون عمليات القرصنة وخاصة مغامرات القرصان جاسم بن جابر الذي أدت غاراته الى قيام البحرية البريطانية بعمل على ساحل قطر في سنة ١٨٣٦ على نحو ما هو مذكور في تاريخ ذلك الاقليم . وكان المقر الرئيسي للقراصنة هو مرفح وهو مرسى على ساحل تاف في الظافرة كانوا يأتون اليه بأسلابهم ومن هناك يحملونها على ظهور الجمال لتنقل الى مختلف الاتجاهات ، غير ان قاسماً كان يخرج في جميع عملياته من العديد ، وكان شيخها يقدم اليه المعونات على قدر ما يستطيع .

واخيراً – في مايو ١٨٣٧ استطاع الشيخ خليفه الحصول على اذن من المقيم البريطاني للهجوم على مستوطنة العديد حيث دمرها تدميراً كاملا وقتل حوالي ٥٠ رجلا من أهلها ، وسوى منازلها واستحكاماتها بالارض وامتلأت الابار بانقاض البيوت وجثث القتلى . ولجأ بعض القبيسات الى دبي وربما الى غيرها ايضاً ، لكنهم حين عرفوا ان من عاد منهم الى أبو ظبي عومل معاملة طيبة وردت اليه سفنه ، وافقوا على قبول ما عرضه عليهم الشيخ خليفه وعادوا الى ابو ظبي والى ولائهم لشيخها ، وكان من بينهم خادم بن نعمان زعيم الانفصاليين .

اغتيال الشيخ خليفة ١٨٤٥ :

وفي يوليو سنة ١٨٤٥ – وفي ظروف ليست واضحة تمام الوضوح – لقي الشيخ خليفه وشقيقه سلطان مصرعهما غدراً على يد رجل يدعى عيسى بن خالد كان قد قضى زمناً طويلا هارباً من حكم بالاعدام ضده .

وقد ارتكب عمله هذا في وقت كانت المدينة فيه خالية من سكانها ، فكلهم قد خرج إما إلى شواطيء اللؤلؤ أو إلى مزارع النخيل في لوى ، وحدث القتل في نهاية مأدبة أقامها القاتل في ظل احدى السفن على الشاطيء .

ادارة الشيخ خليفة :

وعلى الرغم من الجريمة التي ارتكبها الشيخ خليفه قبل توليه الحكم ، والتي لقي مصرعه على نحو يماثلها ، فقد كان حكمه لابو ظبي حكماً جيداً ، واستطاع بجرأته وحزمه وثباته ان يرفع ابو ظبي الى مكانة لم تكن لها قبله ، وفي نفس الوقت فقد استطاع —وخاصة بعد سنة ١٨٣٥— أن يقيم علاقات طيبة بينه وبين السلطات البريطانية ، وان يحول قدر الامكان بين رعاياه وبين خرق السلم في مياه البحار .

★ ★ ★

فترة خلو الحكم في أبو ظبي ١٨٤٥

وعقب مقتل الشيخ خليفه أصبح قاتله هو زعيم بني ياس ، ربما بموافقة هؤلاء الذين كانوا بين يديه في ذلك الحين ، ولكن بعدها بشهرين قتله رجل يدعى ذياب بن عيسي يبدو من اسمه انه ابن عم للشيخ خليفه ، لكن ذياب بدوره لقي مصرعه على يد ابن لعيسى يدعى خالد ، وبدلا من ان يحاول خالد استبقاء المشيخة لنفسه اكتفى بالانتقام لابيه ثم هرب الى الشارجة ، وقد حاول شقيق له ان يستولي على قلعة ابو ظبي لكنه طرد منها على يدي محمد بن حميد ورشيد بن فضل وهما اثنان من ذوي النفوذ في بني ياس أعلنا تولية سعيد بن الشيخ طحنون — وبالتالي ابن شقيق الشيخ خليفه — شيخاً لامارة ابو ظبي .

★ ★ ★

الشيخ سعيد بن طحنون ١٨٤٥ ـ ١٨٥٥

تولي الشيخ سعيد ١٨٤٥ :

ظلت السلطة في أيدي محمد ورشيد حتى عودة الشيخ سعيد الذي كان الجميع يرون انه انسب الناس لتولي الحكم ، وكان هذا مؤيداً من المقيم البريطاني ايضاً .. فتولى الحكم دون ان يلقى مقاومة أحد .

المحاولة الثانية لانسحاب قبيلة القبيسات الى العديد ١٨٤٩ :

وفي ١٨٤٩ كان القبيسات ساخطين للحظوة التي يوليها الشيخ الجديد لفرع المحاريب من بني ياس ممن كانوا يلقون التشجيع ايضاً من شيوخ دبي والشارجه آملين ان يسارع أمير الوهابيين بتقديم العون لهم للاستقرار في العديد ، فقاموا مرة ثانية بهجرة ديارهم والاقامة مؤقتاً في الدوحة بقطر ، وقام شيخ ابو ظبي باتخاذ الاجراءات الفورية لارغامهم على العودة في نوفمبر وديسمبر سنة ١٨٤٩ ، فبعد ان سجن بعض القبيسات الذين كانوا ما يزالون في ابو ظبي ارسل يستدعي بعض قادة المستوطنة في الدوحة ، وحين رجعوا استقبلهم استقبالا خادعاً . وفي الليلة التالية تم تجريد القوارب التي جاءوا بها من القلاع والمجاديف وكل ما يمكنها من الحركة ، وحين وجد المبعوثون أنفسهم عاجزين عن الهرب ارغموا على قبول الشروط التي فرضها عليهم الشيخ والتي كانت تشمل بالاضافة لعودتهم من الدوحة سداد جميع الديون المستحقة عليهم للدائنين من الافراد ودفع غرامة خاصة للشيخ .

طرد الشيخ سعيد وولاية الشيخ زايد ١٨٥٥ :

وفي ١٨٥٥ أصبح الشيخ سعيد موضع سخط من جميع رعاياه وذلك لانه عزم على قتل شقيقه الاكبر . ووقف بنو ياس جميعاً الى جانب هذا الشقيق المحكوم عليه بالموت ، وبناء على وعد من الشيخ سعيد بألا يمسه بأي ضرر ، جاء أخوه لمقابلته ، لكن سعيداً لم يتخل عما انتواه ،

فاستل خنجره وأغمده في قلب أخيه ، وقام الناس جميعاً الى السلاح ، وبعد ان احتمى الشيخ سعيد في قلعته زمناً بادر إلى الفرار واستقر بجزيرة قيس الايرانية ومعه معظم ما يملكه من ماشية ومتاع ، وبالنسبة للمقيمية البريطانية فقد برّر سعيد هربه هذا باصراره على منع عمليات قرصنة كان يرتكبها قوم من الهوامل والمحاريب من بني ياس وعقاب مرتكبيها ، وحدد هذه العمليات بأنها وقعت على سفينة لرجل يدعى عبد الكريم .

★ ★ ★

الشيخ زايد بن خليفة من سنة ١٨٥٥

وبهرب الشيخ سعيد بن طحنون أصبح ابن عمه زايد بن خليفه شيخاً منتخباً لابو ظبي ، وحسب اتفاقية يبدو انها كانت سائدة بين بني ياس اشترك معه شقيق له يدعى ذياب في الحكم ، لكن الامر لم يختلف عما جرت عليه العادة فلم يعد أحد يسمع شيئاً بعد عن ذلك الشيخ المساعد في الحكم .

هجوم الشيخ سعيد المطرود على مدينة ابو ظبي ١٨٥٦ :

وفي يوليو ١٨٥٦ حدث هجوم غادر غير متوقع على مدينة ابو ظبي من الشيخ المنفي سعيد بن طحنون الذي اتخذ الشارجة قاعدة له في هذه العملية . وكان اسطوله مكوناً من ثلاث سفن صغيرة له واحدة منها ، والاخرى لجزيرة قيس ، أما الثالثة فقد أمكنه الحصول عليها وجلبها في ابو حيل بامارة الشارجة ، وفي ١٩ يوليو كان الشيخ زايد غائباً في الظفرة فنزل سعيد بن طحنون في ابو ظبي واستطاع ان يتملك المدينة التي قام أنصاره بنهبها . واعتصم الشيخ ذياب مع انصاره القليلين ممن كانوا موجودين بالمدينة في القلعة وظلوا بها حتى عاد الشيخ زايد من الداخل ومعه جماعة من البدو . وبظهور هذه القوة تشتت المهاجمون ، وكان

سعيد بن طحنون نفسه من بين القتلى . وكما ذكرنا في تاريخ عمان المتصالحة ، فان الخسائر التي اوقعت بمدينة ابو ظبي أثناء هذا الهجوم قد عوضت من غرامة كبيرة قدرها ٢٥ الف روبية فرضت على شيخ الشارجة لاشتراك بعض رعاياه في هذا الهجوم .

هجرة القبيسات الثالثة الى العديد ١٨٦٩ — ١٨٨٠ :

وليس ثمة شيء يميز طابع هؤلاء البدو من رعايا شيخ ابو ظبي أكثر من استعدادهم — بعد أي اغراء طفيف — لترك ديارهم وللاستقرار في أي مكان آخر . وقد اشرنا من قبل الى هجرة آل بو فلاسه في سنة ١٨٣٣ ، وهجرة القبيسات المؤقتة في ١٨٣٥ — ١٨٣٧ و ١٨٤٩ ، والآن نشير الى محاولات القبيسات تحرير أنفسهم من سيطرة شيخ أبو ظبي بانتقالهم للاقامة بعيداً عنه .

١٨٦٩ :

وفي ١٨٦٩ ، ولاسباب لم تتأكد لنا وقد تكون أسباباً تافهة لا قيمة لها ، هاجرت فرقة من القبيسات يقودها بطي بن خادم من ابو ظبي واستقرت بعيداً في خور العديد .

١٨٧١ :

وفي ١٨٧١ اشتدت شكاوى الشيخ زايد من التهديد الذي يواجهه رخاء مدينة أبو ظبي من منافسة المستوطنة الجديدة في العديد ومن ان هذه الاخيرة قد أصبحت ملجأ يأوى اليه كل هارب من أداء دينه ، فقام الرائد بيللي باجراء ابحاث مستفيضة اشترك فيها هو بنفسه ، تولى بعضها مساعده العقيد سميث حول ملكية خور العديد ، وكانت النتيجة ان العديد نفسها — ولم يكن ثمة شيخ في قطر يستطيع الزعم في ذلك الوقت بأنها تابعة له — كانت تقع داخل اقليم ابو ظبي دون منازع ، غير ان اهل العديد زعموا أنهم يكونون مستوطنة مستقلة عن ابو ظبي ، وأكدوا ان اقليمهم يمتد الى منتصف الطريق من عديد الى الوكرة من ناحية قطر ، ومن الناحية

الاخرى حتى جزيرة ياس ، وانها تشمل جزيرة دله وغيرها من الجزر المجاورة التي كانت تعتبر فيما قبل تابعة لابو ظبي . بل واكثر من ذلك فقد اشاروا الى رغبتهم في أن يظلوا تحت علم عمان المتصالحة ، لكنهم لمحوا – في نفس الوقت – الى انه في حالة عدم الاستجابة لمطالبهم تلك ، فسيضعون انفسهم تحت حماية الاتراك الذين كانوا قد وصلوا في ذلك الحين الى قطر . وطلب الرائد بيللي امهاله حتى تصله تعليمات بصدد الموضوع وذلك بالنظر لان شيخ ابو ظبي بالاستناد الى معاهدة السلم الدائمة في سنة ١٨٥٣ طلب تدخله كوسيط في الخلاف .

١٨٧٢ :

وكانت اوامر حكومة الهند – التي وصلت في مايو ١٨٧٢ – تشير الى انه ليس من حق المقيم اتخاذ أي اجراء لان هجوماً بحرياً لم يحدث على شيخ أبو ظبي كما تقضي نصوص الهدنة البحرية ، وانه لا يجب ان يتدخل الا لو حدث بالفعل خرق لهذه الهدنة بين الطرفين المتنازعين ، لكن عليه ان يبلغ فوراً ومباشرة عن أي عمل من جانب الاتراك لفرض سيطرتهم على خور العديد .

١٨٧٣ :

وظل الوضع كما هو دون تغيير حتى سنة ١٨٧٣ حين اشار تقرير للرائد روس الذي خلف الرائد بيللي في مقيمية الخليج الى ان شيخ ابو ظبي تقدم يطلب اذناً للقيام بعمل بحري ضد المتمردين في العديد على أساس ان الحملة البرية امر ليس عملياً بالنظر لعقبات وصعوبات طبيعية . وكان الرائد روس يميل الى الاعتقاد بأن رفض اعطاء الشيخ هذا التصريح قد يلقي به في أحضان الباب العالي ، غير ان حكومة الهند اشارت في ردها بأن عليه ان يحاول قدر الامكان التملص من اعطاء الشيخ زايد اجابة واضحة على تساؤله ، وان يبلغه – من الناحية الاخرى – ان حكومة الهند لا توافق على قيامه بهذه الحملة البحرية ، بل وستعمل أيضاً على منعها .

١٨٧٤ – ١٨٧٥ :

وفي سنة ١٨٧٤ ، وعقب أن كرر الشيخ طلبه بشأن الحملة البحرية تم ابلاغة بقرار الحظر من جانب حكومة الهند ، وفي سنة ١٨٧٥ ذكر أنه قد تلقى خطابات من الاتراك يأمرونه فيها بالكف عن التدخل في خور العديد ، وفي هذا الوقت نفسه تردد ان مستوطنة العديد ترفع اياً من علمي عمان المتصالحة وتركيا .. حسب الظروف ومقتضيات الحال .

١٨٧٦ – ١٨٧٧ :

وفي ١٨٧٦ – ١٨٧٧ قام جماعة من البدو فيما جاور العديد ببعض عمليات قرصنة وتم اجراء تحريات دقيقة عن مسلك أهل تلك المستوطنة . وقد ذكر ان بعض الاتراك قد قاموا مؤخراً بزيارة العديد ، وان سكان هذه المستعمرة يدفعون للحكومة التركية جزية سنوية صغيرة تتراوح بين ٤٠ و ٥٠ دولاراً . أما بشأن اعمال القرصنة فقد تبين ان القائمين بها كانوا من آل مرة لكنهم كانوا يستخدمون المراسي والخلجان ، بل وسفن العديد .. وهي أعمال لم يكن في وسع الشيخ أن يمنعها . ونتيجة اكتشاف هذه الحقيقة الاخيرة اتخذت القضية مساراً آخر ، ففي مايو ١٨٧٧ صدرت التعليمات من حكومة الهند للمقيم العام بأن يبذل كل جهوده لمنع التحالف او الاتحاد بين أهل مستوطنة العديد وبقية قبيلة بني ياس ، وفوضته في نفس الوقت لو فشلت جهوده تلك ان يعاون شيخ ابو ظبي في اخضاعهم . وقد تم التصديق على هذه التعليمات مباشرة من جانب وزير الدولة لشئون الهند ، واتخذ كابتن بايرود المقيم البريطاني العامل في الخليج وقتذاك . تدابير مباشرة لتنفيذها . غير ان جهوده كلها في الوصول الى تسوية قد باءت بالفشل . وتعقدت الامور اكثر واكثر نتيجة عملية قرصنة قامت بها سفن العديد على سفينة تابعة للوكرة في شهر ابريل . وارغم كابتن بريدو على ان يطلب اولا

اطلاق سراح بعض الافراد الاسرى في العديد . وفي ديسمبر ١٨٧٧ عاد الرائد روس الى عمله مقيماً في الخليج وذكر في اول تقرير له ان جهوده للوصول الى تسوية قد فشلت وذلك بالنظر الى اعتماد شيخ العديد على تأييد من تركيا .. وقد كرر اشارته الخطية مراراً لذلك التأييد طالباً استخدام السفن الحربية لتنفيذ هذه التعليمات ، وعلى هذا وضعت السفينة « تيزر » تحت تصرفه . وحين وصلت السفينة الى العديد تبين ان أهل المستوطنة قد هجروها بعد أن هدموا منازلهم وغوروا آبار المياه في المنطقة ، وأدى هذا الى مفاوضات بين السلطات البريطانية والحكومة التركية مذكورة بالتفصيل في مكان آخر .

١٨٨٠ :

ووجد الهاربون من العديد ملجأهم في الدوحة بقطر حيث استقروا على ما يبدو حتى سنة ١٨٧٩ ، لكنهم في يناير ١٨٨٠ قبلوا العرض الذي عرضه عليهم الشيخ زايد للعودة الى ابو ظبي ، وبعدها بوقت قصير سار خليفة بن الشيخ زايد بنفسه كي يعود بهم الى ديارهم ، وقد اضطروا الى الهرب سراً من الدوحة لان الشيخ جاسم – شيخ آل ثاني هناك – كان سيرغمهم على البقاء ، لكنهم وصلوا ابو ظبي سالمين ، واستأنفوا ولاءهم لشيخها، وتسلموا اشجار النخيل التي كانت لهم وغيرها من املاكهم.

أما بقية المسائل المعلقة بالنسبة للعديد فهي تخص تاريخ قطر أكثر مما تخص تاريخ ابو ظبي .

والآن نستطيع ان نذكر باختصار تاريخ البريمي التي لم تعد تلعب دوراً هاماً في شئون عمان المتصالحة بعد طرد الوهابيين منها في ١٨٦٩ ، وأصبحت مجرد واحة تابعة لامارة ابو ظبي .

الاحوال في واحة البريمي ١٨٧٥ – ١٩٠٧ :

لقد نشبت في بداية ١٨٧٥ حرب بين بني ياس وبني تعيم ، وحدثت غارات كثيرة بعضها خطير شنها بنو ياس الذين كانوا يتلقون العون من

حلفائهم بدو المناصير وبني هاجر . وفي يناير من هذه السنة قام ٢٠٠ فارس من المناصير وبني هاجر بهجوم على مدينة ضنك التي يشغلها بنو نعيم في الظاهرة ، وفي نفس الوقت شلت قوة مشابهة من المناصير والمزاريع غارة فاشلة على البريمي ، أما بنو قتب فحين وجدوا انفسهم في خطر من البدو المتحالفين مع ابو ظبي تقدموا يطلبون الحماية من شيخ دبي الذي ذهب على رأس قوة من راكبي الجمال ووقف مراقباً حتى جاءهم الامان من الشيخ زايد .

١٨٨٧ – ١٨٨٩ :

وفي مايو ١٨٨٧ خرج شيخ ابو ظبي الى حرب بعض الظواهر من البريمي ممن كانوا يعارضون امتداد نفوذه الى هناك . كما ارسل السيد تركي سلطان عمان مساعدات مالية وعسكرية للظواهر لكنها وصلت بعد فوات الوقت . وخلال شهر من رحيله ، رجع الشيخ زايد الى ابو ظبي منتصراً ومعه شيخان من شيوخ الظواهر وقعا في الاسر. وفي ابريل ١٨٨٩ ذهب شيخ عجمان الى البريمي حيث سوى بعض الخلافات التي كانت قائمة هناك بين بني نعيم .

١٨٩١ :

وفي ابريل ١٨٩١ سار شيخ ابو ظبي الى البريمي حيث لحق به هناك شيخ دبي على رأس قوة قوامها ٣٠ فارس و ٣٠٠ من راكبي الجمال ويبدو أنهم ارتكبوا هناك اعمالا عدائية ضد الظواهر لان العملية الرئيسية كانت هي اجتياح قرية العين والاستيلاء عليها ، وبعدها عقد الصلح بين الشيخ زايد وآل بو خريبيان من نعيم البريمي بل وتزوج الشيخ بابنة الشيخ النعيمي الذي يسيطر على قلاع الواحه . وقد انضم بنو قتب وبنو كعب – الذين كانو من قبل انصاراً للقواسم – الى شيخ ابو ظبي وتبنّوا مصالحه . وفي يونيو ١٨٩١ حاول الشيخ فيما كان آنذاك في زيارة لمسقط اغراء السلطان على استئناف دفع الرواتب التي كان يدفعها لبعض زعماء بني نعيم وبني قتب عن طريق واليه في صحار ثم اوقفت .

١٨٩٧ – ١٩٠٧ :

وحين ضمن الشيخ زايد – بهذه الاساليب وغيرها – سيطرته على البريمي سار ليضم هذه الواحة ضماً فعلياً ونهائياً لامارته . وحوالي ١٨٩٧ – وربما قبلها بقليل – وضع يده على ضيعة الجاهلي وعلى الحدود الجنوبية الغربية للمنطقة الصالحة للزراعة ، وراح بعدها يشتري – هو وابناؤه – آبار المياه وقطع الارض الصالحة للزراعة في البريمي وما حولها ، خاصة ابنه الاكبر خليفة الذي أقام مستوطنة جديدة أطلق عليها اسم « السعودي » على الحدود الشمالية الغربية للواحة .

وفي سنة ١٩٠٤ – وهي سنة قضى الشيخ زايد عدة اشهر منها في ضيعته بالجاهلي قام نزاع حول شراء ابنه خليفه نصيباً من قطعة ارض يملكها الغفارية في الافلاج ، وذلك لان بعض المشتركين في ملكيتها رفضوا أطاعة تعليمات الهناوية بني ياس ، وحاول الشيخ زايد ان يؤكد حقوق ابنه في البداية بقوة السلاح . لكنه استمع لنصائح شيوخ دبي وعجمان وصديقه محمد شيخ بني نعيم في البريمي بأن يتجنب استخدام القوة . وفي نفس الوقت اثبت الشيخ زايد قوة نفوذه فيما جاور البريمي بشكل عام بأن ارغم بني قتب على ان يدفعوا دية رجلين من مدينة عبري كانوا قد قتلوهما .

أمور عامة ١٨٥٧– ١٩٠٧ :

وبعد الهجوم على مدينة ابو ظبي في سنة ١٨٥٦ أصبح التاريخ الداخلي لهذه الامارة – باستثناء مايتعلق بشئون البريمي والعديد اللتين أشرنا اليهما فيما سبق – خالياً من الاحداث الجديرة بالذكر . أما حروب بني ياس مع شيوخ آل ثاني في قطر – ورغم اثرها على التاريخ الداخلي لامارة ابو ظبي بطبيعة الحال – فهي مذكورة في تاريخ قطر – وقد قام الشيخ زايد بأداء فريضة الحج في سنة ١٨٨٠ – ١٨٨١ ، وفي سنة ١٩٠٤ تلقى مهراً مطهماً هدية من شريف مكة .

ملحق رقم (٣)
التاريخ الداخلي لامارة دبي

لسنا نعرف غير النزر اليسير عن التاريخ المبكر لامارة دبي ، فهي قد كانت موجودة بالفعل في سنة ١٧٩٩ ، وفي سنة ١٨٢٥ — وكما يتضح من التاريخ العام لعمان المتصالحة — فان الاستيلاء عليها كان هدفاً يطمح اليه سلطان مسقط . وبرغم ان الشيخ هزاع بن زعل قد وقع معاهدة السلم الشاملة في سنة ١٨٢٠ باسم دبي الا ان دبي على ما يبدو ظلت حتى سنة ١٨٣٣ تابعة لمشيخة ابو ظبي ، ولكن في هذه السنة نفسها — وعلى نحو ما هو مذكور في مكان آخر أصبحت دبي — بوصول حوالي ٨٠٠ رجل من ابو ظبي هم اصلا من فرع آل بو فلاسه من قبيلة ياس اليها — تعتبر امارة مستقلة .

★ ★ ★

الشيخ مكتوم بن بطى ١٨٣٣ – ١٨٥٢

ولاية الشيخ مكتوم ١٨٣٦ :

كان يقود المهاجرين من آل بو فلاسه الخارجين من ابو ظبي عبيد بن سعيد ومكتوم بن بطي ، وكانا يشتركان في الحكم حسب تقليد يبدو انه كان شائعاً بين بني ياس ، وحين مات عبيد الذي كان يعتبر اول هذين الشيخين في ٩ يونيوسنة ١٨٣٦ أصبحت السلطة المطلقة في يد مكتوم الذي كان في ذلك الوقت شاباً حدثاً قليل الخبرة .

ادارته وسلوكه :

وقد تعرضت هذه الامارة لاخطار عديدة زمناً ما ، سواء نتيجة غيرة شيخ ابو ظبي الذي كان يسيطر على دبي من قبل ، او بسبب مطامع

الشيخ القاسمي في الشارجه ، وقد تحالف هذان الشيخان غير مرة بهدف اخضاعها ، لكن شجاعة الشيخ مكتوم كانت كفيلة بدرء تلك الاخطار وقد تمكن من ان يلعب بهذين الشيخين أحدهما ضد الآخر بنجاح ، ولعله افاد من تلك الاخطار التي كانت تتهدده عبثاً من الخارج في تدعيم مكانته ونفوذه في الداخل .

ولم يكن بالتاريخ الداخلي لامارة دبي ما يستحق الذكر ، لكن الشيخ فقد احدى عينيه أثناء اشتباك مع بدو الغفلة في سنة ١٨٤٣ . وكما كان يحدث دائماً بالنسبة لكل حاكم عربي مصلح فقد أبدى الشيخ مكتوم استجابة وتفهماً لمزايا السياسة البريطانية في الخليج ، واخيراً اكتسب ثقة واحترام السلطات البريطانية المحلية على مستوى كبير .

موت الشيخ مكتوم ١٨٥٢ :

وسقط الشيخ مكتوم مريضاً بالجدري في ربيع سنة ١٨٥٢ ، ومات في البحر اثناء رحلته من قشم الى مسقط حيث كان ذاهباً لزيارة حليفه السيد سعيد بسبب الاحداث الاخيرة في الباطنة .

★ ★ ★

الشيخ سعيد بن بطى ١٨٥٢ ـ ١٨٥٩

تمرد ضد الشيخ سعيد ١٨٥٢ :

وخلف الشيخ مكتوم شقيقه الشيخ سعيد ، لكنه رغم وصوله الى الحكم دون صعوبة اصطدم بمعارضة حشر وسهيل ولَدَيْ مكتوم، وحين غادر دبي لزيارة السيد سعيد بمسقط في أكتوبر سنة ١٨٥٢ انتقل حصن دبي غدراً الى حشر وسهيل. اما نائبه الذي عينه على دبي قبل رحيله وهو صهر له يدعى سعيد بن راشد فقد اسر في البداية ، ولكنه نجح قبل عودة سعيد

في اثبات جدارته بالثقة التي اولاها اياه سعيد وذلك باتخاذ اجراءات أدت الى هرب حشر وسهيل من دبي . وتبنى شيخ الشارجة مطالبهما فلجأ اليه . وقد استطاعا اقناع رجل يدعى سعيد بن معنة بأن يهجر دبي مع فرقة من آل بو مهير ويستقروا في الشارجة . لكن خطرهم لم يزد على ذلك . واستطاع الشيخ سعيد في ١٧ ديسمبر ١٨٥٢ ان يعقد تحالفاً هجومياً — دفاعياً مع شيخ ابو ظبي وام القيوين أحبط به مؤامرات شيخ القواسم .

ادارة وسلوك وموت الشيخ سعيد :

ولم تحدث أية احداث أخرى هامة في عهد سعيد ، وكان كسلفه يتعمد في أواخر ايامه على اقامة علاقات تفاهم طيبة مع الحكومة البريطانية حتى إنه كان الشيخ الوحيد من الشيوخ المتصالحين الذي لم يهرع الى البريمي لمقابلة ابن امير الوهابيين حين جاء المقيم العام الى الساحل يرتب عقد معاهدة السلم الدائمة في ١٨٥٣ ، ومات الشيخ سعيد بالجدري ايضاً في ديسمبر سنة ١٨٥٩ — وهو مرض يبدو أنه كان وراثياً في هذه الاسرة — لان نفس المرض قد اصاب شقيقاً له وابن شقيق ايضاً بالاضافة الى انه هو الذي قضى على الشيخ مكتوم كما ذكرنا .

★ ★ ★

الشيخ حشر بن مكتوم ١٨٥٩ – ١٨٨٦

وخلف الشيخ سعيد ابن أخيه وغريمه السابق حشر بن مكتوم ، وكتب هذا الشيخ بمجرد توليه الى السلطات البريطانية يؤكد مشاعر الصداقة ويفصح عن رغبته في أن يقوم بالتزاماته نحوها ، غير ان مسلكه حيال حادثة اعتداء بحري ارتكبها آل بو فلاسه من بني ياس عقب توليه الحكم مباشرة كذبت ادعاءاته . ومات الشيخ حشر في ٢٢ نوفمبر ١٨٨٦ ، وتنازع المشيخة شقيقه راشد وابنه مكتوم وكانا متكافئين على وجه التقريب من حيث قوة أنصار كل منهما .

الشيخ راشد بن مكتوم ١٨٨٦ ـ ١٨٩٤

وقد حسم كبار القبيلة ذلك النزاع سليماً لصالح راشد ، واعترف به المقيم البريطاني شيخاً لدبي ، وفي ١٨٩٢ – وعلى نحو ما أشرنا في تاريخ عمان المتصالحة – لم يكن مسلك هذا الشيخ مرضياً تجاه السلطات البريطانية ، فقد كان يسيء معاملة الرعايا البريطانيين مما أدى لكثرة الشكاوى ضده الامر الذي حتم بالتالي زيارته وفرض غرامة باهظة عليه ، على اساس خرقه معاهدة السلم الدائمة . وفي سبتمبر من نفس السنة زار راشد مسقط وعاد عن طريق البريمي وعقد في أثناء عودته حلفاً عن طريق الإصهار الى آل بو شميس من قبيلة بني نعيم . وفي ديسمبر ١٨٩٢ مرض مرضاً خطيراً ، وارجع مرضه في البداية الى التسمم ، ولكن تبين أنه اصيب بالشلل ، واخيراً مات في ٧ ابريل سنة ١٨٩٤ .

★ ★ ★

الشيخ مكتوم بن حشر ١٨٩٤ ـ ١٩٠٦

وخلف الشيخ راشد بعد موته ابن اخيه وغريمه السابق مكتوم ابن حشر . وسرعان ما تآمر ابناء الشيخ راشد ضد ابن عمهم هذا ، لكن الشيخ مكتوم استطاع ان يقبض عليهم ويسجنهم لمدة خمسة اشهر أطلق بعدها سراحهم على ان يقيموا في الشارجة ويصرف لهم مخصصات ضئيلة تعهد بدفعها لهم شيخ القواسم .

وكانت السياسة التالية للشيخ مكتوم مستنيرة جداً مما أتاح النمو السريع لميناء دبي الذي أصبح – وخاصة بعد تدهور ميناء لنجة– ميناء منتظماً بالنسبة لكل الخطوط الملاحية والتجارية التي تمر بالساحل المتصالح

وكانت علاقات الشيخ بالسلطات البريطانية ممتازة دائماً ، وذلك أساساً بسبب قوة وضعه الداخلي ، ولهذا اسفت السلطات البريطانية أسفاً كبيراً لموته المفاجيء في ١٦ فبراير سنة ١٩٠٦ بعد اصابته بهبوط في القلب .

★ ★ ★

الشيخ بطى بن سهيل من ١٩٠٦

وبموت الشيخ مكتوم دون ان يعقب ابناء في سن الرجولة ، آل حكم دبي الى ابن عمه بطي بن سهيل دون معارضه ، ولقد ذكر أن هذا الشيخ كان اقل تحضراً من سابقيه .

★ ★ ★

ملحق رقم (٤)
التاريخ الداخلى لامارة أم القيوين

أما امارة ام القيوين — فبرغم انها لعبت دوراً على جانب من الاهمية بين الامارات الصغيرة على الساحل المتصالح — الا اننا لا نجد لها ما يمكن تسميته بالتاريخ الداخلي . وربما كان بعض السبب في ذلك طول المدة التي قضتها الاسرة الحاكمة ، وهي تنتمي لقبيلة آل على التي توالى على حكم ام القيوين منها ثلاثة آباء وابنان على مدى قرن بأكمله .

حكم احمد بن راشد قبل ١٨٢٠ حتى ١٨٥٣ :

ولا بد ان اول هؤلاء وهو عبد الله بن راشد قد تولى حكمها قبل

سنة ١٨٢٠ لانه وقع في هذه السنة معاهدة السلم العامة عن ام القيوين ، وفي سنة ١٨٥٣ كان ما يزال على قيد الحياة حيث كان هو ايضاً الموقع باسم ام القيوين على معاهدة السلم الدائمة التي ابرمت في تلك السنة ، ولسنا نعرف على وجه اليقين تاريخ موته .

حكم احمد بن عبدالله قبل ١٨٧٣ حتى ١٩٠٤ :

وفي سنة ١٨٧٣ كان يحكم ام القيوين ابنه احمد بن عبدالله الذي خلف أخاه الاكبر المدعو علي ، وتزوج احمد بشقيقة الشيخ عبدالعزيز حاكم عجمان ، وكان شقيقه الاكبر راشد هو حاكم رأس الخيمة ، لكنه طلقها في سنة ١٨٨٢ . ومات الشيخ احمد في ١٣ يونيو سنة ١٩٠٤ في سن متقدمة ، بعد اصابته بالشلل على ما يبدو ، وكانت صحته معتلة قبلها بزمن طويل ، وكان هذا هو السبب الذي حال بينه وبين الاشتراك بنفسه في المؤتمر الذي عقد بالشارجه في نوفمبر سنة ١٩٠٣ .

حكم راشد بن احمد من ١٩٠٤ حتى الوقت الحاضر :

وخلف الشيخ راشد اباه دون معارضة ، وكتب في سبتمبر سنة ١٩٠٤ الى المقيم السياسي البريطاني يُعلِنه ولاءه والتزامه بالسلم ، وتقيده دون تحفظ بكل المعاهدات القائمة . ويبدو انه كان على جانب من قوة الخلق والشخصية رغم انه كان عنيداً الى ابعد الحدود ، الا ان مما عرف عنه انه كان يريح كل من يتعامل معه ، وبعد توليه مباشرة تزوج من ابنة خاله حاكم عجمان .

★ ★ ★

ملحق رقم (٥)
التاريخ الداخلى لامارة عجمان

أما التاريخ الداخلي لامارة عجمان ففيه بعض النقاط الجديرة بالاشارة السريعة .

كان شيخ هذه الامارة في سنة ١٨٢٠ هو راشد بن حميد الذي مات في سنة ١٨٣٨ وخلفه ابنه حميد بن راشد .

حكم حميد بن راشد المرة الاولى ١٨٣٨ — ١٨٤١ :

وفي مايو سنة ١٨٤١ عزل الشيخ حميد بن راشد — الذي كان قد تزوج مؤخراً بابنة الشيخ سلطان بن صقر شيخ الشارجه — على يدي شقيقه عبدالعزيز بن راشد ، واستطاع هذا الرجل ان يتسلل الى القلعة خلسة مع عدد من انصاره وعبيده مؤيداً برغبة المواطنين ، فأمكنه ذلك أن يحافظ على مكانته زمناً . وكان شيخ الشارجة يرى ان هذا الامر ليس أكثر من نزاع عائلي ، فلم يحاول التدخل فيه ، ولكن حين عرف ان حميد يقترح اقامة قلعة أخرى له في الاقليم نفسه تراجع عبدالعزيز ، وتنازل لاخيه .

حكم عبدالعزيز بن راشد ١٨٤١ — ١٨٤٨ :

لكن هذا التنازل الزائف لم يدم طويلا ، وسرعان ما ظهر عبدالعزيز مرة أخرى بمظهر الشيخ الاصلي ، وقد اشرنا في مكان آخر الى مسلكه الطيب في سنة ١٨٤٥ في صدد حادثة كانت تهدد السلم في البحار . لكنه كان عاجزاً عن الحسم في الشئون القبلية مما جعله عاملا من عوامل الاضطراب . وفي سنة ١٨٤٦ انفصل عن شيوخ دبي وام القيوين ، وكان من قبل حليفاً لهم في نضالهم للاستقلال ضد شيوخ الشارجة وابو ظبي . وفي سبتمبر ١٨٤٨ — وعلى نحو ما هو مذكور في التاريخ العام لعمان المتصالحة — لقي عبدالعزيز مصرعه في قتال ضد أهل الحمرية .

حكم حميد بن راشد للمرة الثانية ١٨٤٨ — ١٨٧٣ :

وخلف عبدالعزيز اخوه حميد الذي كان قد عزله في البداية ، وقد جرح هو ايضاً في القتال ضد أهل حمريه ، ومات حميد قبل سنة ١٨٧٣.

حكم راشد بن حميد ١٨٧٣ – ١٨٩١ :

وحكم ابنه راشد بن حميد عجمان في سنة ١٨٧٣ وظل كذلك حتى ابريل سنة ١٨٩١ حين مات ليخلفه ابنه حميد بن راشد .

حكم حميد بن راشد ١٨٩١ – ١٩٠٠ :

وحكم حميد بن راشد من سنة ١٨٩١ حتى ٨ يوليو سنة ١٩٠٠ وفي هذا اليوم قتله عمه عبدالعزيز بن حميد الذي تولى المشيخة بعده . ولم يأسف على مقتله أحد ، لانه كان بغيضاً لدى عائلته دائماً . فضلا عن أنه فشل في أن يجعل لهم مخصصات من دخل الامارة ، وفي الحقيقة لقد ابتهج الجميع لمصرعه .

حكم عبد العزيز بن حميد ١٩٠٠ :

وأكد عبدالعزيز مباشرة حمايته للرعايا البريطانيين المقيمين في عجمان ، ولم يصحب انقلابه هذا او يتبعه أية اضطرابات عامة . وكتب الشيخ الجديد بالتالي للمقيم السياسي يطلب اعتراف الحكومة البريطانية به شيخاً لعجمان ولكن تقرر الاكتفاء بالاعتراف الشفوي به دون حاجة لاعتراف خطي وكان عبدالعزيز صديقاً شخصياً حميماً لشيخ الشارجة .

★ ★ ★

ملحق رقم ٦
تاريخ منطقة الشميلية

تقع منطقة الشميلية على سواحل خليج عمان ولاسباب تاريخية يمكن اعتبارها تمتد من ديبه الى خور كلبه وتشملهما ايضاً ، وقد مرت بها في القرن الماضي تقلبات سياسية كثيرة منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي حتى ان تاريخها ليصعب سرده متصلا بتاريخ أية امارة اخرى . وعلى ذلك نذكر فيما يلي مذكرة موجزة عن احداثها .

تاريخ سياسي غير محدد ما بين سنتي
١٧٩٨ – ١٨٥٠

القواسم في ديبه سنة ١٧٩٨ :

كان القسم الشمالي من منطقة الشميلية في اواخر القرن الثامن عشر تحت حكم القواسم او على الاقل موضوع ادعائهم ، وذلك انه في فترة نزاع بين سلطان حاكم مسقط والشيخ القاسمي حوالي سنة ١٧٩٨ قام الاول باغارة بحرية على ديبه . ويبدو ان المدافعين عنها كانوا من قبائل الشرقيين والنقبيين فاستطاعوا رد العدوان رغم انهم تحملوا خسائر فادحة في ذلك .

وبعد ذلك بسنوات عديدة – كما جاء مفصلا في تاريخ سلطنة عمان – وضع الشيخ سلطان بن صقر حاكم رأس الخيمة يده على خور فكان وهو من أهم المواقع على ساحل الشميلية واقام القواسم فيه قاعدة للقرصنة .

وفي سنة ١٨٠٨ استولى السيد سعيد حاكم مسقط الشاب على هذا الخور من قبضة القواسم وأعانه على ذلك عمه قيس بن احمد حاكم صحار والشيخ محمد بن مطر حاكم الفجيرة . لكنه قبل ان يتمكن من تشديد قبضته على هذا الموقع تمكنت قوات بقيادة الشيخ سلطان بن صقر من هزيمته .

احتلال الوهابيين للفجيرة والباطنة وخور فكان ١٨٠٩–١٨١٠ :

ويبدو ان الوهابيين عندما أخضعوا لسلطانهم المباشر في السنة التالية ساحل القراصنة قاموا باحتلال حصون الفجيرة والباطنة وخور فكان في الشميلية بقواتهم اوقوات من مؤيديهم وفي نفس الوقت استولوا على بلدة شناص في الباطنة وقد كانت تابعة لمسقط .

وفي أوائل سنة ١٨١٠ استعادت حملة بريطانية عمانية مشتركة بلدة شناص من الوهابيين ؛ على ان ذلك الاجراء كان قليل الجدوى بالنسبة للسيد سعيد الذي قامت الحملة لصالحه اذ رغم القرار السابق باخضاع خورفكان فانه لم تتم أية محاولة لذلك . ومن المظنون ان يكون الوهابيون قد استمروا في سيطرتهم الكاملة على الشميلية .

السيد حاكم مسقط يسترد ديبه وخور فكان في تاريخ غير معروف بالضبط :

وبعد فترة من هذه الاحداث ، وقعت غزوة البريطانيين المباشرة على رأس الخيمة لاخضاع القواسم في سنة ١٨١٩–١٨٢٠ ، مماكان من نتائجه استرداد حاكم مسقط سلطانه على الشميلية بأكملها لاننا نجد انه في سنة ١٨٣١ تم اتفاق بين الشيخ القاسمي سلطان بن صقر وسعيد حاكم مسقط على تنازل الاول للثاني عن ديبه او خور فكان مقابل مساعدة الثاني في محاولة الاستيلاء على صحار .

استيلاء الشيخ القاسمي على الشميلية بأكملها سنة ١٨٣٢ :

وفي العام التالي ١٨٣٢ انتهز الشيخ القاسمي فرصة غياب السيد سعيد في رحلة الى شرق افريقيا ، واندلاع ثورة ضده في عمان ، فاستولى على ديبه وخور فكان وغلله وبذلك أخضع لنفسه منطقة الشميلية بأكملها . وكان نجاحه في ذلك يوصف خطأ في بعض الاحيان على أنه ضم نهائي لمنطقة الشميلية الى امارة الشارقه .

وفي سنة ١٨٣٥ سار الشيخ سلطان بن صقر في اسطول قاسمي الى ديبه وخورفكان ، وقُدِّمت شكاوى الى السلطات البريطانية عن حصول اعتداءات قرصنة على السفن التابعة لمسقط وسفن أخرى مما دعا الى تدخل السلطات البريطانية كما جاء ذكر ذلك في مكان آخر .

استعادة حاكم مسقط نفوذه على الشميلية الجنوبية في تاريخ غير محدود بالضبط :

وبعد ذلك بفترة عادت خور فكان وغلله والارض الساحلية بينهما الى ملكية حاكم مسقط ، على أنه ليس هناك ما يؤكد الزمن او الكيفية التي تم بها ذلك ، ولم يتوقف شيخ الشارقه عن المطالبة بذلك الاقليم بأكمله ، وفي سنة ١٨٤٩ نصحه اصدقاؤه وحالوا بينه وبين ارسال حملة لاستعادة الاراضي المذكورة .

وفي سنة ١٨٥٠ انتهى التنافس على ملكية هذا الاقليم ما بين العمانيين والقاسميين عندما سارع الشيخ سلطان بن صقر الى مساندة قيس بن عزان أمير صحار فاستولى الحليفان على شناص في الباطنة وعلى غلله وخور فكان في الشميلية ثم اقتسماها فيما بينهما ، ومما لا شك فيه ان الشيخ القاسمي وضع يده على البلدين الساحليتين في الشميلية .

وفي سنة ١٨٥١ عند وصول السيد سعيد شخصياً سحب الشيخ سلطان تأييده عن السيد قيس وبذلك طرده السيد سعيد لا من شناص وحدها بل ايضاً من صحار وبقيت الشميلية كاملة في ملكية شيخ الشارقه الذي كان حياده — كما كان متوقعاً — مقابل تعهد من السيد سعيد حاكم عمان ان يبقى الوضع الحاضر وقتئذ على ما كان عليه .

★ ★ ★

الشميلية تحت حكم سلطان بن صقر
١٨٥٠ - ١٨٦٦

ثورة في بلاد الشحوح قرب ديبه سنة ١٨٥٥ :

كان الحادث الهام الوحيد في الفترة ما بين ضم الشميلية نهائياً الى الشارقة ووفاة الشيخ سلطان بن صقر هو ثورة سنة ١٨٥٠ في منطقة الشحوح بجوار ديبه .

ذلك انه عندما عين مشارى بن الشيخ ابراهيم حاكم رأس الخيمة وحفيد الشيخ سلطان نفسه حاكماً على ديبه سرعان ما طغى على الشحوح في جواره . ويحتمل ان يكون طغيانه امتد الى البيعة فنصب له أهل هذه القبيلة كميناً وقتلوه وهو في رحلته من ديبه الى رأس الخيمه . على ان هذا الحادث لم يتم الا بعد ان لم يؤبه الى شكاوى الشحوح الى الشيخين سلطان وابراهيم بن مشارى ؛ وقد أدى ذلك الى نشوب حرب عامة بين القواسم وقبيلة الشحوح وقد ورد وصف ذلك في تاريخ رأس الخيمة .

★ ★ ★

الشميلية في حكم الشيخ خالد بن سلطان ١٨٦٦ ـ ١٨٦٨

ثورة في الشميلية سنة ١٨٦٦ :

بوفاة الشيخ سلطان بن صقر وتولي ولده خالد في سنة ١٨٦٦ ، امتنع زعيم بلدة الفجيرة عن دفع الجزية الى الشارقة . وهناك ما يدعو الى الظن ان الشميلية جميعاً أعلنت عصيانها في ذلك الوقت ، ولم تخمد الثورة الا بعد وفاة خالد ؛ على ان هذا الامر هو من باب التخمين وليس من باب اليقين .

★ ★ ★

الشميلية في حكم الشيخ سالم بن سلطان ١٨٦٨ ـ ١٨٨٣

عصيان في الشميلية :

تولى الامارة بعد خالد أخوه سالم الذي لم يلبث ان ارسل قوة الى ديبه بقصد استعادة منطقة الشميلية بأكملها أو ما كان منها غير خاضع

لسلطانه . الا ان الشرقيين وقد تذوقوا طعم الاستقلال تجمعوا تحت قيادة زعيم الفجيرة لمناهضة محاولة سالم وتحالفه مع الشحوح بقيادة صالح ابن محمد شيخ البيعة وكانوا يعتبرون من رعايا مسقط .

نتج عن ذلك حصارقوات القاسميين في ديبه بقوات من الشرقيين والشحوح . فلما عجز الشيخ سالم عن ارسال نجدات من الشارقه بالطريق البري لوقوع جميع الممرات بين الجبال في أيدي الشحوح ؛ ارسل احد إخوانه للوصول الى تسوية ودية ، وفعلا نجح المبعوث وخضع الشرقيون ووعدوا بدفع الجزية .

تجدد الثورة في الشميلية ١٨٧٦ :

لكن ذلك الترتيب لم يعش طويلا فقد حدث ان سجن مندوب شيخ الشارقه في ديبه اثني عشر رجلا من الشرقيين من الغرايفه فقام تحالف جديد بين الشرقيين والشحوح الذين اغلقوا الممرات القريبة فحوصر القواسم مرة ثانية في ديبه فارسل الشيخ سليم خمسين رجلا بمعداتهم وذخائرهم في البحر الى ديبه وارسل بعض الذين سبق سجنهم ، الى الشارقه بطريق البحر .

وبوصول السفينة الحربية البريطانية « عرب » الى ديبه توقف القتال هناك غير انه في نفس الوقت كانت قد وصلت قوة مؤلفة من ثمانمائة رجل من القواسم من جهة شناص واستولت على قلعة عند الغرايفه وقتلت ستة وثلاثين رجلا واسرت ثلاثين اسيراً من الثوار .

وكان من المظنون ان هذه المتاعب في الشميلية قد دبرت لمصلحة مسقط .

تمرد عقيم في الفجيرة ١٨٧٩ :

وفي ربيع سنة ١٨٧٩ ثار أهل الفجيرة وطردوا سرور الذي كان عينه حاكم الشارقه والياً عليهمووضعوا في مكانه رجلا اسمه مرزوق .

وفي نفس الوقت ارسلوا وفداً الى الشارقه ليخبر الشيخ عن عملهم ولكن الشيخ سالم لم يسكن غضبه ازاء تصرفهم هذا وسجن اعضاء الوفد وارسل قوة برية الى قلعة الفجيرة فاستولى عليها وأسكنها البلوش ونقل بعض الاسرى الى جزيرة بو موسى .

مطالبة سلطان عمان بالفجيرة سنة ١٨٧٩ :

وقد ادعى اهل الفجيرة ان الشيخ هاجمهم من جهة البحر بمساعدة اعدائهم من الخارج وهذا الادعاء واضح الخطأ . عند ذلك هرب حمد بن عبدالله زعيم الفجيرة ، الذي لم يكن خافياً انه الشخصية الفعالة في موضوع الثورة ، متوجهاً الى مسقط حيث وصلها في ابريل وطالب سلطان عمان بوضع الفجيرة مستقبلا تحت حمايته شخصياً .

وتلا ذلك مباحثات بين السلطان والسلطات البريطانية طالب فيها السيد تركي بالسيادة على الفجيرة ولكنه أخيراً وافق على ان تدفع الجزية الى الشارقه ، ولكنه اعترض على التدخل الظالم من الشيخ القاسمي في الشئون المحلية .

وفي هذه المناسبة اتضحت واقعة غريبة هي ان السيد تركي سبق له أن أعطى في سنة ١٨٧١ سنداً الى شيخ الشارقه بأن الساحل من خور كلبه الى الشارقه ــ باستثناء خصب تابع للقواسم ؛ ولكنه عاد الآن فرفض هذه الاتفاقية على أساس أنها نظمت قبل توليه السلطنة ، وانها كانت مشروطة بتنفيذ بعض خدمات يؤديها الشيخ القاسمي غير انه لم ينفذ مطلقاً أي شيء منها .

تمرد ناجح في الفجيرة ١٨٧٩ ــ ١٨٨٠ :

لم يطل الزمن على استقرار ملكية القواسم للفجيرة . ففي نهاية سنة ١٨٧٩ او اوائل ١٨٨٠ عند عودة حمد بن عبدالله بحراً من مسقط بطريقة سلمية تزعم ثورة في الفجيرة طردت فيها الحامية القاسمية من القلعة بعد مقتل ثمانية رجال منها .

أما موضوع احتلال الامن البحري الذي صاحب شئون الشميلية في سنة ١٨٧٦ ثم في سنة ١٨٨٠ فقد ورد في تاريخ عمان المتصالحة لانه من المسائل العامة المهمة .

ونحن في هذه المناسبة بصدد ما حدث سنة ١٨٨١ من شيخ الشارقه عندما لم يلق تشجيعاً على رغبته في استعادة الفجيرة فتقدم بمجموعة من الطلبات هي :

* أن تسمح له حكومة بريطانيا بالقيام ببعض العمليات البرية .
* وان تساعده بريطانيا على الفجيرة بسفينة حربية .
* وان يمنع سلطان عمان من تأييد حمد بن عبدالله .

ولكن المقيم السياسي البريطاني الرائد روس الذي زاره الشيخ في بوشهر اقنعه في النهاية بالموافقة على تحكيم شيخ رأس الخيمة ، وهذا ما كان يقبله ايضاً اهل الفجيرة .

ويبدو ان النزاع انتهى اخيراً بهذه الطريقة على أساس خضوع شيخ الفجيرة لشيخ الشارقه واعترافه بسيادته مع دفع الجزية العرفية اليه وتحرر بذلك سند كتابي من حمد بن عبد الله سنة ١٨٨١ فيما يبدو قبل فيه التبعية لشيخ الشارقه .

وكان من رأي الرائد روس ان استقلال الفجيرة كان يجعلها دائماً في الماضي هدفاً لمطامع الشارقه او مسقط فكان من الصالح العام ان لا تكون مستقلة .

★ ★ ★

الشميلية في حكم صقر بن خالد بعد سنة ١٨٨٣

استقلال الفجيرة عملياً سنة ١٨٨٤ :

عندما تولى صقر بن خالد إمارة الشارقة سنة ١٨٨٢ وجد الشميلية مقسمة الى قطاعين احدهما متصل بدبيه ، كان الشيخ سالم قد اعطاه لاخيه احمد والثاني يحيط بخور فكان واعطاه لاخيه ماجد ، ولم يحاول الشيخ صقر اجراء تعديل مباشر على ذلك بابعاد قريبيه عن مكانيهما ، الا أن اصرار حمد بن عبدالله زعيم الفجيرة المعروف بحدة طبعه ليستولي لا على الغرايفه الواقعة على الساحل فقط ، ولكن ايضاً على قلعة الجبل المهمة في الباطنة في وادي حام ، والمتحكمة في الطريق الوحيد المباشر بين الشميلية وساحل عمان المتصالح وضع الامور في وضع مختلف . ولم يلبث زعيم الفجيرة ان بادر الى الهجوم واستولى على المكانين دون انتظار لاشارة ثانية وزاد على ذلك فغزا الزبارة إذ كان أهلها قد هبوا لنصرة أهل البطنة .

وبدلا من ان يعترف حمد بن عبدالله بفضل الشيخ صقر في تملكه تلك المواضع الجديدة ووضعها تحت تصرفه ، تقرب الى شيخ رأس الخيمة طلباً لحمايته . ولما لم يكن شيخ الشارقه راغباً في الاساءة الى هذه الشخصية البارزة فانه لم يحرك لذلك ساكناً .

استمرار الشميلية في حكم سلطان عمان ١٨٨٦ :

وفي شهر يونيو سنة ١٨٨٦ ارسل والي صحار الى سيده السيد تركي حاكم مسقط ان اهالي خور فكان وديبه والمناطق المجاورة يرغبون في وضع انفسهم تحت حماية سلطان عمان ؛ فطلب السلطان مشورة الرائد مايلز الذي كان فيما سبق معتمداً سياسياً في مسقط والذي أصبح وقتئذ القائم بأعمال المعتمد المقيم في الخليج ، فأجابه بأن التدخل في شئون

الشميلية في الوقت الحاضر امر غير مرغوب فيه اذ قد يؤدي الى صدام مع الشيخ القاسمي الذي كان السلطان معه في وئام ، وقد يؤدي ذلك الى الاضرار بمصالح السلطان نفسه .

وكان هذا الجواب (وقد اعتمدته حكومة الهند) كافياً لاقناع السيد تركي بالعدول عن تلك الرغبة : فأعطى تعليمات بذلك الى والي صحار .

اضطرابات بسيطة في الشميلية سنة ١٨٩٣ — ١٨٩٦ :

وفي سنة ١٨٩٣ أغار رجال من قبائل الشحوح على قرية هير بتحريض من شيخ ابو ظبي حيث قتلوا عدداً من السكان ودمروا القلعة ..

وفي السنة التالية كان في عزم شيوخ الشارقه ورأس الخيمة اعادة تعمير هير لولا مشاغبات الشحوح التي كان لتجاهلها أثر في تأخير ذلك .

وفي سنة ١٨٩٦–١٨٩٧ قتل احد رجال القواسم في الفجيرة فارسل شيخ الشارقه وشيخ رأس الخيمة حملة اليها وانتهى الامر بدفع دية القتيل

ثورة جديدة في الفجيرة ١٩٠٠ — ١٩٠١ :

وفي سنة ١٩٠٠ توفي شيخ رأس الخيمة فاضيف ذلك المكان وملحقاته الى مشيخة الشارقه تحت حكم صقر بن خالد ، وكانت الشميلية ما تزال مقسمة الى قطاعين : شمالي وجنوبي ، بولاية راشد بن أحمد وحمد بن ماجد . وكان الثاني يحصل من الفجيرة على ضريبة قدرها حوالي ٢٠٠٠ شلن سنوياً بما فيها ١٥٠ جلداً من التمر و ١٢ قنطاراً من الحنطة وعشرة جنيهات ذهبية نقداً .

وحوالي أوائل سنة ١٩٠١ ارسل شيخ الشارجه حمد بن عبدالله رئيس الفجيرة نائباً عنه للتفاهم مع الشحوح بمناسبة حادث قتل وقع في ديبه ولكن يظهر ان حمد استغل هذه الظروف وحاول اجراء تفاهم انفرادي مع الشحوح ، واخيراً سرعان ما قترت مودته .

ثم تلا ذلك مفاوضات اسهم فيها شيخ دبي ولكنها كانت عقيمة . وكان احمد بن ماجد في عايله قد خسر ثقة رئيس الفجيرة وانقطعت معونة شيخ الشارقة عنه حيث فصلتها قلعة جبل البطنة فوقع بذلك في مأزق خطير

ونجد تفصيلا لاتفاق زعماء عمان المتصالح الذي دعمته هذه الازمة في التاريخ العام لهذا الاقليم .

ويعود سبب تمرد زعيم الفجيرة ، كما يروى هو نفسه ، ان الى الشيخ صقر بن سلطان كان قد عجز عن الحصول على تعويض من بدو العوامر وبني قتب عن سرقتهم بعض أهالي لنجة المقيمين في الفجيرة وانه عندما استعان حمد بشيخ دبي غضب لذلك شيخ الشارقه وسلط على الفجيرة بدو المزعري والجلاجلة واضطر الجلاجلة الى تحويل تجارتهم من الفجيرة الى ميناء غلله .

تدخل السلطات السياسية البريطانية سنة ١٩٠٢ :

وفي ابريل سنة ١٩٠٢ شكل الشيخ صقر بن خالد قوة من ٢٥٠ بدوياً لمهاجمة الفجيرة ثم ظهر ميل شيوخ دبي وعجمان لمساعدة حمد بن عبدالله فرأى المقيم البريطاني الرائد كامبول ان يحاول تسوية ذلك النزاع فزار العقيد كوكس الفجيرة وتلاه المعتمد السياسي في مسقط فأبدى له حمد اعتراضه بأن الاتفاقية المبرمة سنة ١٨٨١ ووقعها هو لا تشمل بلدة الفجيرة ، وابدى عدم اعترافه بسيادة شيخ الشارقه في أي شكل أو وضع ؛ وأعطى شيخ دبي تحذيراً من التدخل ومنع السيد فيصل بن تركي سلطان عمان من مساعدة رئيس الفجيرة الذي كان ذهب شخصياً الى مسقط طالباً العون .

هكذا كان الوضع عندما كلف الرائد كمبول وكيل المقيم في الشارقه ليبدأ في تشكيل مجلس صلح . وكان شيخ الشارقة رغم اعلانه عدم القدرة على منع البدو من مهاجمة الفجيرة راغباً في قبول قرار عام يصدره المقيم البريطاني بينه وبين حمد بن عبدالله وان يعطي خصمه صلك أمان

ليظهر في الشارقه . وفي الجانب الآخر كان رئيس الفجيرة غير موافق على ذلك الاتفاق وأبدى عدم رغبته في حضور اجتماع الشارجه ، وكان من الواضح انه لم يقبل التسليم لاية تسوية ، وكانت الشكوك تحوم حول تشجيع الشحوح في البيعة ، ووالي صحار في سلطنة عمان له على ذلك الرفض .

وفي اكتوبر سنة ١٩٠٢ بناء على طلب من السلطات السياسية البريطانية ارسل السيد تركي حاكم مسقط اوامره الى الشحوح بالبيعة للامتناع عن تأييد حمد بن عبدالله وفي الوقت ذاته أعلن الشيخ صقر بن خالد عن أسفه لموقفه الودي . وفي نوفمبر دبر لمقتل اثنين من اهالي الفجيرة في طريق عودتهما من عجمان الى مسكنيهما .

وفي نوفمبر قام مستر جاسكن مساعد المعتمد السياسي في البحرين برحلة الى المنطقة على ظهر السفينة الحربية « لورانس » لتنظيم تسوية اذا امكنه ذلك ، وقد لحق به الشيخ صقر على ظهر السفينة في الشارقه يوم ٢٧ ديسمبر . وفي يوم ٢٨ وصلت السفينة الى الشاطيء مقابل الفجيرة .

وانقضى يومان في المفاوضات إلا ان تصرفات أتباع حمد بن عبدالله المسلحين كانت تحمل طابع التهديد وتقرر وقف محاولة الوساطة .

وفي هذه الظروف قررت حكومة الهند انه لا داعي للتدخل بين الاطراف المتنازعة بشرط ان يعلم كل طرف بضرورة صيانة الامن في البحر وبذلك ترك لهما التصرف بالطرق التي يراها كل طرف ضد الآخر .

حوادث أخرى سنة ١٩٠٣ :

وفي ابريل سنة ١٩٠٣ ارسل شيخ الشارقه حملة الى الفجيرة فوصلت الى البطنة . وقد علم ان حمد بن عبدالله رغم اعادة تلقيه المساعدة من شيخ البيعة فقد ارغم على قبول المسالمة وعلى قبول التبيعة وعلى ان يوقع اتفاقاً موقتاً غير هذا الاتفاق كان شكلياً فقط ولم يغير شيئاً من الواقع .

وقد وجه لورد كرزون نداءه الى شيوخ المنطقة المتصالحة وهو على

ظهر السفينة « داربار » الراسية مقابل الشارقه ونصح بضرورة حل موضوع الفجيرة بالطرق الودية الا ان توجيهه ذلك لم يلق آذاناً واعيه .

اعتراف الحكومة البريطانية بتبعية الشميلية لشياخة الشارقة ١٩٠٣ :

وفي اوائل سنة ١٩٠٣ ولدى اتخاذ اجراءات لتأمين وضع اسطول بريطاني في الخليج أعلنت حكومة بريطانيا بناء على توصية حكومة الهند أن اقليم الشميلية من دبيه الى خور كلبا يعتبر تابعاً لمشيخة الشارقه على أنها ليست امارة مستقلة او ذات علاقة بسلطنة عمان .

اعتبار الشميلية رسمياً في صحار تابعة للشارقة سنة ١٩٠٥ :

وفي أثناء إعداد بعض الابحاث الطبوغرافية والسياسية على يد كاتب هذه السطور اثناء رحلتهم الى صحار في شهر مارس ١٩٠٥ تم الحصول على تأييد بصحة وجهة النظر هذه ؛ ففي جمع حاشد ضم نائب والي سلطان عمان في صحار تقرر بالاجماع – دون معارضة صوت واحد – ان الساحل من خور كلبا الى دبيه ويشمل هذين البلدين أصبح تابعاً لشيخ الشارقه .

الوضع في الشميلية ١٩٠٥ – ١٩٠٧ :

وحتى عام ١٩٠٥ كان شيخ الشارقه فقد كل امل في اخضاع رئيس الفجيرة واعادته الى طاعته ، وفي تلك السنة تأكد ان حمد بن عبدالله استولى عنوة على البطنه والغرايفه ومربح والقرية وجدفا وسقمقم وصفد . وفي ابريل سنة ١٩٠٦ – كما جاء في التاريخ العام لعمان المتصالح – ذكر شيخ ابي ظبي في اتفاقية مكتوبة بينه وبين شيخ ام القيوين ان رئيس الفجيرة هو ضمن رعاياه سياسياً ولم يحتج على ذلك شيخ الشارقه .

★ ★ ★

ملحق رقم (٧)
الاتفاقية المتبادلة بين شيوخ عمان المتصالحة في ٢٤ يونيو سنة ١٨٧٩

تمهيـــد :

حيث ان من مصلحتنا جميعاً ان نتفق فيما بيننا على منع هرب الرعايا وترك ديونهم وراءهم من اقليم واللجوء لاقليم آخر ، ويسري ذلك بشكل خاص على الغواصين والبحارة ، فاننا نحن – الموقعين بامضاءاتنا واختامنا على هذه الوثيقة ، نوافق ونتعهد – في وجود حاجي عبدالقاسم ، وكيل المقيمية المبعوث خصيصاً لهذا الغرض ، وحاجي عبدالرحمن وكيل الحكومة – على ان نعمل بكل الطرق الممكنة لمنع هؤلاء الهاربين من ان يجدوا العون او المأوى في بلادنا .

وعلى ذلك – وتمشياً مع هذه الاتفاقية – فاننا نوافق على ما يلي :–

اولا : اذا حاول هارب ان يلجأ الى بلادنا – سواء عن طريق البر او البحر – فمن واجبنا ان نرده الى الشيخ الذي هرب من بلاده .

ثانياً : واذا ثبت ان احد الشيوخ قد آوى واحداً من هؤلاء الهاربين أو رفض تسليمه في حالة طلب ذلك من جانب وكيل الحكومة فان على هذا الشيخ ان يدفع غرامة قدرها ٥٠ ريالا بالاضافة الى كل ما يثبت من ديون على الرجل الهارب .

ثالثاً : ومرة اخرى اذا رفض هذا الشيخ تسليم الرجل الهارب بعد طلب ذلك من جانب وكيل الحكومة ، وسمح له بالسير الى شواطيء اللؤلؤ لمواصلة عمله رغم ذلك ، فان هذا الشيخ يدفع غرامة قدرها ١٠٠ ريال بالاضافة الى جميع الديون التي يثبت استحقاقها على هذا الرجل الهارب .

رابعاً : واذا وقع خلاف حول هذه الحقائق يعقد مجلس للتحكيم يحضره وكيل الحكومة . ويرسل طرفا النزاع ، وكل الشيوخ المتصالحين مندوبين عنهم اذا لم يتيسر لهم الحضور بأنفسهم ، ولا يصبح القرار الذي يتخذه هذا المجلس ملزماً بالنفاذ الا بعد أن يصدق عليه المقيم السياسي لصاحبة الجلالة البريطانية في الخليج

خامساً: تفرض هذه الغرامات فقط بعد ان يتأكد المقيم السياسي لصاحب الجلالة البريطانية في الخليج من ان هذا الشيخ المعني مذنبٌ بالفعل ويستحق الغرامة .

وعلى هذا ، فنحن نضع توقيعاتنا واختامنا أسفل هذه الوثيقة . ملتزمين بتنفيذ ما جاء فيها دون معارضة ، فعلى هذا قد تم الاتفاق .

صحيح ، وعلى هذا اوقع : سالم بن سلطان بن صقر القاسمي .
خاتم

صحيح ، وعلى هذا اوقع : راشد بن حميد بن راشد النعيمي .
خاتم

صحيح ، وعلى هذا اوقع : حشر بن مكتوم .
خاتم

صحيح ، وعلى هذا اوقع : احمد بن عبدالله بن راشد .
خاتم

صحيح ، وعلى هذا اوقع : الفقير الى الله : زايد بن خليفه .
خاتم

صحيح ، وعلى هذا اوقع : حميد بن عبدالله بن سلطان القاسمي .
وقع بخط يده .

ملحق رقم (٨)
الاتفاقية الاستثنائية بين شيوخ عمان المتصالحة والحكومة البريطانية ، مارس ١٨٩٢

أنا الموقع على هذا — زايد بن خليفه شيخ ابو ظبي في حضرة الليفتانت كولونيل أ. س. تالبوت المقيم السياسي في الخليج — اعتمد واوافق — باسمي واسم ورثتي ومن يخلفني — على ما يلي :—

اولا : الا اوقع اية اتفاقية او أدخل في أية علاقات مع أية دولة باستثناء بريطانيا العظمى .

ثانياً : ألا أسمح باقامة أي ممثل لاية حكومة أخرى في أرضي دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية .

ثالثاً : ألا أؤجر أو ابيع أو أرهن أو أتنازل أو أسمح بأية صورة أخرى من الصور باحتلال أي جزء من أرضي — لدولة أخرى غير بريطانيا العظمى .

تم هذا الاتفاق وجرى توقيعه في أبو ظبي يوم ٦ مارس سنة ١٨٩٢ ميلادية ، الموافق ٥ شعبان سنة ١٣٠٩ هجرية .

توقيع زايد بن خليفه
شيخ ابو ظبي

لنزودون نائب الحاكم العام في الهند
الرائد ا. س. تالبوت المقيم في الخليج

تم التصديق على هذه الاتفاقية من قبل سعادة نائب الحاكم العام في الهند بسملا في ١٢ مايو ١٨٩٢ .

ه. م. دوراند
سكرتير وزارة الخارجية بحكومة الهند

وقد تم التوقيع على هذه الاتفاقية من قبل الشيوخ المتصالحين الآخرين بمعنى شيوخ كل من دبي وعجمان والشارقه الذين وقعوا بتاريخ ٧ مارس وكذلك رأس الخيمة وام القيوين اللذين وقعا في ٨ مارس .

★ ★ ★

فهرس دليل الخليج ج ٢

الموضـــوع **رقم الصفحة**

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
الشيخ راشد بن مكتوم ١٨٨٦ – ١٨٩٥	١١٧٤
الشيخ مكتوم بن حشر ١٨٩٤ – ١٩٠٦	١١٧٤
الشيخ بطي بن سهيل ١٩٠٦	١١٧٥
ملحق رقم (٤) التاريخ الداخلي لامارة ام القيوين	١١٧٥
ملحق رقم (٥) التاريخ الداخلي لامارة عجمان	١١٧٦
ملحق رقم (٦) تاريخ منطقة الشميلية	١١٧٨
تاريخ سياسي غير محدد ما بين سنتي ١٧٩٨ – ١٨٥٠	١١٧٩
الشميلية تحت حكم سلطان بن صفر ١٨٥٠ – ١٨٦٦	١١٨١
الشميلية في حكم الشيخ خالد بن سلطان ١٨٦٦–١٨٦٨	١١٨٢
الشميلية في حكم الشيخ سالم بن سلطان ١٨٦٨–١٨٨٣	١١٨٢
الشميلية في حكم صقر بن خالد بعد سنة ١٨٨٣	١١٨٦
ملحق رقم ٧ الاتفاقية المتبادلة بين شيوخ عمان المتصالحة في ٤ يونيو سنة ١٨٧٩ ...	١١٩١
ملحق رقم ٨ الاتفاقية الاستثنائية بين شيوخ عمان المتصالحة والحكومة البريطانية مارس ١٨٩٢	١١٩٣

تم المجلد الثاني بحمد الله تعالى

★ ★ ★

دليل الخليج

القسم التاريخي

Bibliotheca Alexandrina

دليل الخليج

القسم التاريخي

953
خ ل و ر
رقم التسجيل ٢٨ ٦٤
٣/٤

الجزء الثالث

تأليف : ج . ج لوريمر

طبعة جديدة معدلة ومنقحة
أعدها قسم الترجمة
بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر

طبع على نفقة
الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر

مُقَــــدِّمَة

لقد أولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ، عناية عظيمة لرعاية التراث الثقافي والمحافظة عليه والمساعدة على نشره ، ودأب على تشجيع العلوم والفنون والآداب والبحوث العلمية مؤكداً في توجيهاته السامية على الموضوعية والدقة والأمانة العلمية ، ومن هنا كانت تعليماته باعادة ترجمة « دليل الخليج » الذي يعتبر من اضخم المؤلفات واهمها عن تاريخ المنطقة وجغرافيتها.

ويسر الذين اضطلعوا باعادة الترجمة ان يغتنموا هذه المناسبة للاعراب عن عظيم عرفانهم وعميق تقديرهم للرعاية الكريمة التي شمل بها حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى هذا المشروع العلمي ، سائلين الله سبحانه ان يمد في عمر سموه وأن يسدد خطاه لما فيه خير البلاد والعباد .

مكتب حضرة صاحب السمو
أمير دولة قطر

« ملاحظـــة »

لقد وضع هذا الكتاب حوالى نهاية القرن المـاضى وتضـمن ملاحظات وآراء وتعابير تحمل رأى المؤلف وحده ، وهى بذلـك لا تقيد حكومة قطر بحال من الاحوال ، ولا تعبر عن وجهـات نظرها •

الفصل الرابع

تاريخ قطر (١)

« قطر مقر آل خليفة ، وهم قسم من العتوب ١٧٦٦ ــ ١٨٧٢ (٢) »

استقرار العتوب في الزبارة سنة ١٧٦٦ :

يبدأ التاريخ الحديث لقطر باستقرار كل آل خليفة ــ وهم قسم من العتوب على وجه التحديد ــ هاجروا من الكويت واستقروا في الزبارة على الساحل الغربي لهذا الاقليم الممتد في البحر . وقد ذكر أنه حين استقر العتوب في قطر سنة ١٧٦٦ كانت الحويلة هي أكبر مكان على الساحل

(١) ماعدا سجلات حكومة الهند ، هناك مصادر قليلة فقط تخبر عن تاريخ قطر ، وهذه المصادر بدورها تنسيق وتبويب لسجلات حكومة الهند ، والمراجع الاساسية لتاريخها القديم هي : « مختارات بومباى » ·· مجلد ٢٤ سنة ١٨٥٦ ، وتلخيص المراسلات التى تتناول شئون الخليج من سنة ١٨٠١ الى سنة ١٨٥٣ ، وكتاب مستر ج· أ· سالدنها المطبوع سنة ١٩٠٦ · وعن التاريخ الحديث هناك كتاب مستر ج· أ· سالدنها « مختصر أحوال نجد من ١٨٠٤ الى ١٩٠٤ ·· » ، المطبوع سنة ١٩٠٤ ، وكذلك « مختصر أحوال نجد من ١٨٠٤ الى ١٩٠٤ ·· » ، المطبوع سنة ١٩٠٤ ، وكذلك « مختصر البحرين ·· » لنفس المؤلف ، و « مختصر تاريخ قطر ·· » له أيضا ، وهذان مطبوعان في ١٩٠٤ ، ثم هناك التقارير الادارية السنوية لمقيميه الخليج · وكتاب بالجريف عن « وسط وشرق الجزيرة » يلقى بعض الضوء على حالة قطر في سنة ١٨٦٣ ، والكتاب مطبوع سنة ١٨٦٥ ، كما يذكر كتاب لو عن « تاريخ البحرية الهندية ·· » سنة ١٨٧٧ ــ بعض التفاصيل عن عمليات البحرية البريطانية التى لا تتيسر في مرجع آخر، والاتفاقية الوحيدة المتعلقة بقطر تستطيع أن تجدها في « معاهدات اتشيسون ·· » ·

(٢) انظر مقارنة السنوات الميلادية بالهجرية ــ أول المجلد ·

وكان يقيم بها آل مسلم المتصلو النسب ببني خالد . وكان هناك الفويرط والدوحة وفي الاولى المعاضيد وسواهم من آل بني علي ، وبالأخرى لاجئو السودان من ساحل القراصنة . وقد تبع آل خليفة إلى الزبارة عقب وقت قصير أقرباؤهم الجلاهمة وهم فرع آخر من نفس القبيلة استقبلهم آل خليفة بترحاب وكرم ضيافة في بادئ الأمر ، ثم لم تلبث ان انفجرت الخلافات بينهم ، وكان من نتيجتها ان انفصل الجلاهمة ورحلوا الى قرية الرويس المجاورة حيث اخذوا يتعاطون القرصنة ، لكنهم ابيدوا بعد ذلك على يدي آل خليفة وأنصارهم . ويبدو ان من بقي من الجلاهمة بعد هذه الحادثة انتقلوا من الرويس الى ميناء خور حسان المجاور (١) .

نمو الزبارة يهدد المصالح الايرانية :

وقد أدى احتلال ايران للبصرة الذي استمر من سنة ١٧٧٦ حتى ١٧٧٩ الى سرعة نمو الزبارة ، فخلال هذه الفترة هاجر اليها عدد من تجار البصرة الى جانب الهاربين إليها من الكويت ممن استقروا فيها بصورة موقتة ، وتركزت في الزبارة وحدها تقريبا تجارة اللؤلؤ والتجارة عامة بين شرق الجزيرة العربية والهند .. وفي سنة ١٧٧٩ ارسل إمام عمان سفينة الى الزبارة في مهمة ودية كما أصبح إخضاع الزبارة في تلك الظروف هدفاً هاماً من أهداف الحكومة الإيرانية . وبتعليمات منها بدأت عدة محاولات قام بأولها شيخ بوشهر في سنة ١٧٧٧ لكنه فشل . وفي ١٧٨٠ ـ ونتيجة الأسباب نفسها وربما على الأرجح لتكرر حوادث القرصنة التي كان يقوم بها بعض بني كعب من عربستان ـ نشبت الحرب بين بني كعب وبين العتوب في الزبارة والكويت معاً . وأخيراً في سنة ١٧٨٢ غامر العتوب في الزبارة ، وربما حفزتهم على ذلك المشاكل المتزايدة التي كانت تواجه حكام الزند في شيراز ، فقاموا بهجوم انتقامي وغزوا جزيرة البحرين وأحدثوا خسائر كبيرة في مدينة المنامة ، ومن هناك

---

(١) هو المعروف حاليا باسم الخوير .

ساقوا معهم سفينة كانت قادمة من بوشهر تطلب الجزية السنوية التي تدفعها البحرين لايران . وهكذا وضح تماماً الخطر العسكري القائم في الزبارةعلى وجود ايران في البحرين .

هجوم ايراني فاشل على الزبارة ١٧٨٢ :

وأصدر علي مراد خان حاكم شيراز اوامره مباشرة للشيخ ناصر(١) في بوشهر بأن يعد حملة قوية ضد الزبارة مستعيناً بالحكام الصغار في ريق وجنابة ودشتسان وسواها من البقاع على الساحل ، وأعدت قوة قوامها ألفا رجل لهذا الهدف يقودها محمد ابن شقيق الشيخ ناصر.. وحاصر الاسطول الإيراني الزبارة في بادئ الأمر ، ثم بدأت مفاوضات نتيجة وساطة راشد بن مطر الشيخ القاسمي السابق في رأس الخيمة ، لكن أقصى ما رضي العتوب بالتنازل عنه هو أن يعيدوا الأسلاب التي غنموها في البحرين ، ورفض الايرانيون هذا العرض وأنزلوا قواتهم لمهاجمة قلعة الزبارة ، لكنها التقت بقوات برية أضخم مما توقعته بكثير ، وهزمت القوات الإيرانية وتراجعت إلى سفنها متكبدة خسائر جسيمة . وكان ممن لقي مصرعه في هذه الكارثة الشيخ محمد قائد الحملة ، كذلك ابن شقيق الشيخ راشد بن مطر وسواهما من وجهاء هرمز الذين صحبوا الحملة ، والتقى الشيخ ناصر شيخ بوشهر بعد ذلك بالشيخ راشد في عسالو على الساحل الإيراني ، وحاولا إعداد حملة أخرى لكنهما فشلا .

العتوب يفتحون البحرين ، وينقلون مقر حكمهم من قطر اليها ١٧٨٣

وبعدها بشهر او شهرين ، استسلمت الحامية الإيرانية في البحرين لعتوب الزبارة الذين جاء إخوانهم من الكويت لنجدتهم في نفس الوقت . وهكذا أصبحت جزر البحرين تحت سيطرة آل العتوب ، وأصبحت هي –لا الزبارة– مقر شيوخهم . وكان أحمد بن خليفة هو أول شيخ من العتوب يحكم البحرين .

---

(١) هو الذى يسميه العرب « نصور » .

العالة في قطر خلال سيادة رحمة بن جابر عليها
١٧٨٣ ـ ١٨١٦

استقرار رحمة في خور حسان سنة ١٧٨٣ او بعدها :

لقد اشترك الجلاهمة ـ بقيادة أبناء شيخ منهم يدعى جابر ـ مع بقية آل العتوب في فتح البحرين ، لكنهم ظنوا ـ بعد النصر ـ أنهم ظلموا ولم يكافأوا مكافأة تليق بجهدهم ، ويبدو انهم ارتحلوا لبعض الوقت الى جزيرة خارج وبوشهر ثم عادوا الى قطر واستقروا في خور حسان حيث وقع خلاف على الزعامة بين عبدالله الابن الاكبر لجابر ورحمة شقيقه الأصغر ، وحسم هذا الخلاف أخيراً لصالح رحمة . وفر عبدالله إلى مسقط في وقت ما قبل سنة ١٨١٠ ومات قبل ان يطلب عون السيد سعيد ضد شقيقه . غير ان سيطرة رحمة على قطر لم تكن أبداً سيطرة كاملة ، بل إنها لم تمتد في البداية إلى الزبارة التي تقع إلى جوار مقره مباشرة وفي سنة ١٨٠٥ اتصل شيخ من شيوخ العتوب في الزبارة غير رحمة ابن جابر بشيخ العتوب في الكويت يلتمس عون الانجليز ضد الوهابيين .

غارات بحرية يشنها رحمة ١٧٨٣ ـ ١٨٠٩ :

وكانت الزبارة في ذلك الوقت قاعدة أكبر من القطيف وأكثر أهمية ، وفي ١٧٩٠ كان التجار الأجانب يلقون فيها الحماية الكاملة ، ولم تكن بها أيضاً عوائد جمركية ، وكان نصيب عرب قطر في ذلك الوقت من صيد اللؤلؤ ضئيلا .

وسرعان ما ذاع اسم رحمة بن جابر كقاطع طريق جسور ومظفر ، عانى من إغاراته الايرانيون وباقي العتوب غير الجلاهمه . وفي سنة ١٨٠٩ ـ وقبيل ارسال الحملة البريطانية الأولى على رأس الخيمة بزمن قصير ـ حاول اسطول ايراني من بوشهر القيام بعمل انتقامي ضد خور حسان ،

لكن رحمة وأنصاره من القواسم استطاعوا أن يهزموا الحملة .. بل انهم استولوا على بعض سفنهم . وحوالي نهاية سنة ١٨٠٩ تردد أن رحمة قد استولى على ٢٠ قارباً للعتوب وهي في البحر في طريقها من الكويت إلى مسقط . وقتل في هذه العملية ابن لشيخ الكويت عبدالله بن صباح كان مسئولا عن حراسة الاسطول الصغير . وانتقاماً لابنه الذي لقي مصرعه هدد شيخ العتوب في الكويت بشن هجوم بحري على خور حسان .. لكن التهديد لم ينفذ على ما يبدو . وكانت غزوات رحمة ، على ما في بعضها من طابع القرصنة تتخفى دائماً تحت ستار الحرب المشروعة . اما بالنسبة لمسلكه تجاه الرعايا والمسئولين البريطانيين فقد ظل سليماً لا غبار عليه حتى في وقت لم يكن فيه البريطانيون يلقون أي احترام من جانب القواسم . بل انه في إحدى المرات أبدى كثيراً من التحمل حيـــال مضايقات الطراد البريطاني « اوجستا » له وهو على رأس اسطوله في الخليج .

وضع رحمة السياسي ومعاملة السلطات البريطانية له :

وفي سنة ١٨٠٩ دخل رحمة بن جابر في علاقات وثيقة مع سلطات الوهابيين وأصبح يحكم بالاشتراك مع مبعوثهم حتى مدينة الزبارة أيضاً . ويبدو أن هذه الظروف الأخيرة كانت تدل على تزايد قوته ، فبين عامي ١٨٠٠–١٨٠٢ استطاع بعض شيوخ العتوب الذين طردهم السيد سلطان مسقط من البحرين ان يلجأوا الى الزبارة — رغم عدائهم لرحمة بن جابر وأن يبدأوا منها بمفاوضات مع الوهابيين لالتماس عونهم في استعادة البحرين ، ونتيجة لتقارب رحمة تقارباً وثيقاً من الوهابيين الذين كانت الحكومة البريطانية تتحاشى الصدام معهم ، ولموقف رحمة الذي لا مأخذ عليه تجاه المصالح البريطانية فقد تقرر فيما يتعلق بالحملة البريطانية على رأس الخيمة سنة ١٨٠٩ الامتناع عن القيام بأي عمل مباشر ضد رحمة بن جابر كلما أمكن ذلك . وحدث مرة أن تقرر أن تطلب السلطات البريطانية من أي من الاخوين الجلاهمة تجده على حكم خور حسان

تعهداً كتابياً بأن ينقطع على الاقل عن تقديم العمل أو العون الفعال الى القواسم الذين تردد أنهم استقروا في خور حسان بعد هربهم من رأس الخيمة ، وفي حالة الرفض «سيدمر خورحسان بما فيه من المعدات البحرية وادوات القرصنة تدميراً تاماً » ولكن يبدو ان هذه الشروط تمّ التنازل عنها في النهاية اذعاناً لرأي القادة البحرين والعسكريين للحملة البريطانية الى جانب رأي جنرال مالكولم .. الذي كان آنذاك سفير بريطانيا في إيران . ولو كان الامر بيد مستر ن. هـ. سميث المقيم السياسي في بوشهر الذي لم يكن على علم بالقرار لارسل قوة الى خور حسان لتدمير سفن رحمة بن جابر ، لكن حكومة بومباي أوقفت هذه المحاولة بموافقة حكومة الهند .

سيادة الوهابيين على قطر ١٨٠٩ - ١٨١١ :

وفي ١٨٠٩ استطاع الوهابيون بدعم من رحمة بن جابر -كما أشرنا- ان يخضعوا قطر لحكمهم اخضاعاً كاملا ، وسرعان ما استسلمت البحرين أيضاً لقوى الوهابيين المتعاظمة والمتجهة نحوها آنذاك من الزبارة والقطيف ، وفي سنة ١٨١٠ أنشئت حكومة وهابية تضم القطيف وقطر والبحرين -ومقرها البحرين- وعهد بها الى عبدالله بن عفيصان. وبفضل حماية الوهابيين ، وبمعونة القوارب من ساحل القرصنة ، بدأ رحمة بن جابر يرتكب فظائع متزايدة الخطورة ، فاستولى على ١٨ سفينة محملة للعتوب في الزبارة والبحرين ، كما استولى على سفينة كبيرة وعدد من السفن الصغيرة التابعة لمسقط وكانجون وبوشهر وغيرها من الموانى ، وفي كل الحالات-إلا ما ندر- كان رحمة يأمر باعدام بحارة السفن التي يستولى عليها .. وباختصار .. فانه قد بسط حكم الارهاب على الخليج كله . وفي مايو سنة ١٨١١ قام رحمة بعملية قرصنة على جانب من الاهمية كان يصحبه فيها اسطول من بلدة عجمان ، لكن نجم مؤيديه الوهابيين كان في هبوط ، وسرعان ما ارغمته الأحداث التاليةعلى ان يكون أكثر حرصاً وأشد حذراً .

طرد الوهابيين من قطر ١٨١١ :

وفي سنة ١٨١١ ضعفت قوة الوهابيين في شرق الجزيرة ضعفاً شديداً نتيجة الاحداث على الحدود الغربية لإمبراطوريتهم ، فقد هاجمهم السيد سعيد سلطان مسقط في قطر بحملة بحرية وطرد حامياتهم من الزبارة وخور حسان ، وأحرق الزبارة ودمرها تدميراً تاماً . ويبدو ان النتيجة كانت إجلاء الوهابيين لا عن قطر وحدها بل وعن البحرين أيضاً التي أسر فيها الحاكم الوهابي لإمارة الحسا وقطر والقطيف وعادت البحرين الى سيطرة آل خليفة. وقاتل رحمة -الذي كان يمثل سلطة الوهابيين البحرية في هذه المنطقة من الخليج - ضد اسطول العتوب قتال اليائس ومني بفشل محقق وفي هذا الوقت ، او بعده مباشرة ، نقل رحمة مقره من قطر الى الدمام على ساحل الاحساء .

وفي سنة ١٨١٣ ارتكب رحمة -الذي ظل احترامه للبريطانيين راسخاً رسوخ كراهيته للعتوب في البحرين- ارتكب خطأً فادحاً باستيلائه على سفينة كانت محملة بخيول لشركة الهند الشرقية في طريقها من البصرة الى بومباي ، وحين تبين خطأه اتخذ فوراً تدابير نقل الدواب جميعاً الى بومباي ، حيث وصلتها كاملة وسالمة .

★ ★ ★

انتقال رحمة بن جابر من قطر وأعماله حتى الحملة البريطانية الثانية على رأس الخيمة ١٨١٦ - ١٨٢٠

هجرة رحمة من الدمام إلى بوشهر ١٨١٦ :

في سنة ١٨١٦ - وربما قبلها بقليل - تحلل رحمة بن جابر فجأة من الولاء للوهابيين واتصل بحاكم مسقط . ويبدو ان هذا الانتقال من جانب لآخر لم يكن ينجم عن تناقض في مسلك رحمة ، بل الى

ضراوة عداته للعتوب في البحرين ممن نشب الخلاف بينهم وبين حليفهم السابق السيد سعيد لما كان يعتزمه ، لو نجح هجومه على البحرين سنة ١٨١٦ ، من إحلال رحمة بن جابر مكان شيخ آل خليفة في البحرين . وأصبح الوهابيون والقواسم –بحكم صداقتهم لآل خليفة– هم أعداء رحمة وضحاياه ، وقام أمير الوهابيين – الذي أسخطه انقلاب رحمه عليه– باضطهاده بكل الوسائل التي ملكتها يداه . ففي يوليو سنة ١٨١٦ أمر بتدمير قلعة كان رحمة قد شيدها في الدمام على ساحل الاحساء ، وتمكن هذا بجهد شديد من انقاذ أسرته وممتلكاته ونقلها الى خور حسان ، وكان امير الوهابيين قد أمر بأن تنقل هذه جميعاً الى الدرعية ، وأخيراً . في أكتوبر سنة ١٨١٦ وصل رحمه الى بوشهر لاجئاً منفياً ، تصحبه حوالي ٥٠٠ أسرة ، وكان معه عدا عن القوارب الصغيرة سفينتان كبيرتان وأخرى متوسطة ، وعدد من السفن الصغيرة ، وما زالت السواحل الغربية والشمالية تحتفظ حتى اليوم بآثار قلاع تنسب الى رحمة ابن جابر .

علاقات رحمة بمسقط والحرب مع القواسم ١٨١٧ :

أما أعمال هذا المغامر القلق في السنتين التاليتين فهي خارج نطاق تاريخ قطر .. وكذلك أيضاً لا تدخل نطاق تاريخ أي اقليم آخر . ففي بوشهر ظل رحمة يلقى استقبالا حسناً من حاكمها الشيخ محمد الذي أمر بتخصيص حي مستقل لسكنى أقاربه ومن جاء معه ، ولم يهمل رحمة زيارة المقيم البريطاني في بوشهر ، واعترف له بصداقته للحكومة البريطانية ، واستعداده للعمل لحسابها في حرب القواسم التي حان أوان التفكير فيها .

وكان السيد سعيد يتلهف لان يصبح رحمة مواطناً من مسقط ، يستقر في أي جزء من أجزاء عمان ، لكن القرصان – الذي كان ما يزال يخفي ازدراءه لحاميه بسبب فشل هجومه على البحرين سنة ١٨١٦–

رفض العرض . وفي سنة ١٨١٧ زار رحمة (مسقط) ، وكان يستهدف إغراء السلطان على تجديد محاولاته ضد البحرين لكنه وجد السيد مشغولا بمشاكل داخلية عديدة .

وفي سنة ١٨١٧ قام رحمه بجولة ناجحة ضد القواسم ، فاستولى على ١٢ قارباً من قواربهم كانت تنقل الإمدادات من البحرين إلى رأس الخيمة ، وعاد بأربعة من هذه القوارب إلى بوشهر ، ودمر الثمانية الباقية أو أغرقها –لافتقاره إلى رجال يسيرونها– بعد أن نقل ما يستطيع من حمولتها .

هجرة رحمة من بوشهر إلى الدمام ١٨٦٩ ؛ :

وفي سنة ١٨١٨ انتقل رحمة مرة أخرى من بوشهر إلى الدمام .. ومن هذا الوقت يرتبط تاريخ رحمة بن جابر بتاريخ إقليم الأحساء أكثر من ارتباطه بتاريخ قطر .

أعمال بريطانيا مع رحمة فيما يتعلق بالحملة البريطانية على رأس الخيمة ١٨١٩ – ١٨٢٠ :

وكان متوقعاً في سنة ١٨١٩ أن ينضم رحمة –سواء بمبادرة من جانبه أو بتحريض من سلطان مسقط– إلى الحملة البريطانية على رأس الخيمة ، وتقرر قبول خدماته اذا عرضها ، لكن رحمة –الذي لم يغفل لحظة واحدة عن هدفه الحقيقي في إذلال شيوخ العتوب ، والذي كان يعتبر عقاب القواسم بالنسبة لهذا الهدف شيئاً ثانوياً ، لم يتقدم خطوة واحدة في هذا الطريق . لكنه – بدل ذلك– قام في فبراير سنة ١٨٢٠ – حين كان الامير الحاكم في فارس يتجهز للقيام بحملة على البحرين ليستبق بها خطط السيد سعيد سلطان مسقط في هذا الجزء من الخليج – بعبور الخليج الى بوشهر ، ووضع نفسه ومعه ثلاث سفن تحت أوامر الإيرانيين .

وفي ١٠ فبراير أبحر رحمة من بوشهر إلى طاهري للحاق بالأمير الحاكم ، لكن أكبر سفنه غرقت أثناء الرحلة في مكان ضحل المياه بالقرب من بادرستان ونجا هو ورجاله بعد أن شارفوا على الهلاك . ووضع هذا الحادث حداً للمشروع كله من حيث دور رحمة بن جابر فيه . وخلال هذه التطورات أصدر الجنرال سير و. جرانت كير —قائد عام الحملة البريطانية— أوامره بتدمير سفن رحمة بن جابر ، ولكن تقرر تأجيل التنفيذ نظراً لأنه كان في ذلك الوقت يعمل في خدمة حاكم شيراز . وفي ١٣ إبريل سنة ١٨٢٠ كان رحمة في بوشهر مرة أخرى ، فقد دعاه المقيم البريطاني هناك ليكون طرفاً في معاهدة السلم الشامل ، ورفض متعللا بأنه كان حينذاك يعمل في خدمة الحاكم العام بشيراز ، وقد قبلت السلطات البريطانية هذا الاعتذار —الذي ايده أيضاً شيخ بوشهر متعهداً بأن يكون مسئولا عن سلوك رحمة في المستقبل .

★ ★ ★

العلاقات البريطانية ١٨٢١ ـ ١٨٢٣

عقاب القرصنة ١٨٢١ :

كان من نتائج بعض حوادث القرصنة التي ارتكبها الاهالي قيام المدمرة « فستال » التابعة لشركة الهند الشرقية بتدمير مدينة البدع (الدوحة الآن) في سنة ١٨٢١ وقد هاجر بضع مئات من اهلها إلى الجزر الممتدة بين قطر وساحل القراصنة .

زيارة المقيم البريطاني لقطر ١٨٢٣ :

وفي يناير سنة ١٨٢٣ قام الملازم ماكلاود المقيم البريطاني في الخليج عندئذ بزيارة الدوحة (البدع وقتذاك) أثناء جولته على طول الساحل العربي كما يرد وصف ذلك تفصيلا في تاريخ عمان المتصالحة ، ووجد هذا المكان الذي كان يعترف بتبعيته للبحرين ، وخاضعاً

بالتالي لمعاهدة السلم الشاملة لسنة ١٨٢٠ ، تحت حكم شيخ من آل بوعينين . وكانت الدوحة في ذلك الوقت هي الميناء الوحيد في قطر الذي كانت به بعض السفن التجارية لكن الأهالي لم يكونوا يراعون التعليمات الخاصة بالأعلام وتسجيل السفن المنصوص عليها في معاهدة السلم .. وكان يبدو أيضاً أنهم لايعرفون شيئاً عن بنود تلك المعاهدة وحصل الملازم ماكلاود —على أي حال— على قائمة بالسفن الموجودة في الميناء ، وحين عاد إلى البحرين بعد ذلك بعدة أيام اتصل بالشيخ الذي كان يتوسم فيه القدرة على الالتزام بالمعاهدة الشاملة التزاماً دقيقاً في قطر (١) . وفي ذلك الوقت كان البريطانيون يقومون باجراء عملية مسح بحرية لساحل قطر ومياهها الشرقية ، وكان الشيوخ على طول الإقليم الساحلي يقدمون ما بوسعهم من عون لإتمام هذه العملية .

★ ★ ★

التاريخ العام في قطر من زيارة المقيم العام لها سنة ١٨٢٣ حتى جلاء القوات المصرية عن الاحساء في سنة ١٨٤٠

خلال الفترة التي انقضت من زيارة المقيم العام لقطر سنة ١٨٢٣ الى جلاء القوات المصرية عن إقليم الاحساء سنة ١٨٤٠ لم يلق تطور الأحداث في قطر اهتماماً يذكر ، وكان كل ما يستحق الملاحظة من امورها هو

(١) ثبت — من تاريخ عمان المتصالحة — أن عملية تسجيل السفن بهذه الطريقة غير عملية وقد توقف العمل بها بعد ذلك ٠ ولكن لا يسعنا نظرا للوضع السياسى الغامض المفعم بالمشاكل السياسية الذى انتهت اليه قطر الا أن نأسف لان ضباطنا لم يصروا — كما حدث في عمان المتصالحة — على ضرورة استعمال قطر علم الامارات المتصالحة ٠ وما كان لمثل ذلك أن يتضمن أية صعوبة حقيقية ما ظلت قطر تابعة لشيخ البحرين ، ولو استعملت مثل تلك الاعلام لتأكد امتداد سيطرة البحرين — وبالتالى سيطرة بريطانيا بشكل أساسى — على قطر ٠

ما اختص بسيادة شيخ البحرين على الإقليم الساحلي ، أو الهجمات التي يقوم بها بعض السكان أو لاجئو ساحل القراصنة على قوارب مملوكة لموانئ أخرى في الخليج .

علاقات قطر بالبحرين :

ورغم ان سلطة شيخ البحرين في قطر لم تكن موضع تساؤل عندئذ ورغم أنه كان يستطيع عموماً أن يخمد أصوات من ينازعونه إياها إلا أن هذا لا يعني القول بأن سلطاته لم تجد من ينازعها .

سنة ١٨٢٨ :

ففي سنة ١٨٢٨ قتل محمد بن خميس شيخ آل بوعينين في الدوحة رجلا من البحرين ، فأمر شيخ البحرين بالقبض عليه وسجنه لكن قبيلته رفضت أن تسلمه وتمردت ، وفي مايو سنة ١٨٢٨ استطاع الشيخ عبد الله – بعد أن دمر حصني آل بوعينين في الدوحة – أن ينقلهم منها إلى قريتي الرويس والفويرط حيث أصبحوا تحت سيطرته المباشرة .

سنة ١٨٣٣ :

وفي سنة ١٨٣٣ – وربما قبلها ببعض الوقت – استقر الشيخ عبدالله ومعه ولداه مبارك وناصر على ساحل قطر لمراقبة تحركات الوهابيين الذين كان يفكر في القطيعة معهم .

سنة ١٨٣٥ :

وفي سنة ١٨٣٥ – وكما هو مذكور في تاريخ البحرين بالتفصيل .. تمرد أهالي الحويلة على سلطة شيخ البحـــرين وبدأوا يراسلون الوهابيين ، وكان يؤيدهم في هذا التمرد أحمد بن شيخ البحرين وواحد آخر من أبنائه غير المخلصين له ، وبعد توسط السيد هلال – بن السيد سعيد سلطان مسقط – أمكن الوصول الى تسوية بين شيخ البحرين ورعاياه المتمردين . وكانت شروط هذه التسوية أن يستبقي كل فريق لنفسه ما غنمه في الحرب ، وأن تهجر الحويلة وتقوض تماماً وينتقل

سكانها إلى البحرين ليستقروا فيها على أن يضمن سلطان مسقط سلامتهم الشخصية ، لكن الذي حدث أن أبناء أشقاء الشيخ عبد الله وعدداً من مشايعيهم خرقوا الاتفاقية فور عقدها فأغروا بعضا من قبيلة آل بوكواره بالإغارة على الحويلة . وفي هذا العمل غرق قارب وقتل قريب لعيسى بن طريف — وهو زعيم ذو نفوذ بين أهل الحويلة — ورفض شيخ البحرين دفع التعويضات مما أدى إلى انسحاب عيسي بن طريف ومعه عدد من آل بني علي وآل بوعينين إلى أبو ظبي في عمان المتصالحة . لكن المقيم البريطاني في الخليج إستطاع أن يمنع هؤلاء المهاجرين من اتخاذ أبو ظبي قاعدة لأعمال عدائية ضد البحرين إلا بشرط واحد هو ان يعلن شيخ أبو ظبي وقوفه الى جانبهم ويعلن الحرب على شيخ البحرين .. وبالطبع لم يتحقق هذا الشرط ، أما الأعمال التالية من جانب هؤلاء المهاجرين فأمر يتعلق بتاريخ البحرين ، ولم يعد له علاقة بمجرى الأحداث في قطر .

١٨٣٦ — ١٨٣٧ :

وفي سنة ١٨٣٦ و ١٨٣٧ —كما أشرنا في تاريخ البحرين— كانت تساور شيخ البحرين على ما يبدو فكرة الخلاص من الجو المشحون بالصراعات العائلية في البحرين وفكر في أن يلجأ إلى مقر هادىء في خور حسان بقطر ، واتخذ الترتيبات فعلا لهذا الانتقال ، لكنه لم ينفذه بالفعل إلا بعد فترة طويلة .

١٨٣٩ — ١٨٤٠ :

وفي سنة ١٨٣٩ ، ونتيجة للعلاقات التي أقامها شيخ البحرين مؤخراً بقائد القوات المصرية في الاحساء ، تعرض أهل قطر لمحاولات ابتزاز جديدة . وبلغ سخطهم حداً جعل آل بوكواره — وكانوا مستقرين في الفويرط — يطلبون السماح لهم بالانتقال من قطر ليعيشوا آمنين في أي مكان آخر تحت الحماية البريطانية . وفي نهاية سنة ١٨٣٩ أو أوائل ١٨٤٠ — ونتيجة رفض بعض بني نعيم في قطر أن يدفعوا الزكاة التي طلبها

منهم شيخ البحرين باسم المصريين – أرسل محمد أفندي الحاكم المصري في الاحساء بعض قواته النظامية يعاونها بدو المخضبة من بني هاجر – لهدم بلادهم ، لكن اغتيال الحاكم الذي تبع ذلك مباشرة بالقرب من الهفوف أرغم الحملة على الرجوع فوراً دون ان تعمل شيئاً .

بعض المقيمين في قطر يسببون اضطرابات بحرية :

وخلال الجزء الاول من الفترة التي نحن الآن بصددها ، أدت أعمال بعض لاجئي بني ياس من أبو ظبي الى قطر إلى اختلال أمن البحر ، وكان اول من وصل من هؤلاء محمد بن شخبوط الذي عزل هو نفسه عن مشيخة أبو ظبي في سنة ١٨١٨ ثم تبعه سويدان بن زعل .. وهو عضو ساخط من فرع المحاربة بقبيلة بني ياس كان هاجر من ابو ظبي في سنة ١٨٢٢ ولكن يبدو انه لم يستقر في قطر إلا بعد هذا التاريخ بمدة طويلة ، وفي يناير سنة ١٨٢٣ تردد أن سويدان –الذي كان يعيش وقتذاك في جزيرة بني ياس– يخضع لإمرته ألف رجل مسلح ، وأن عنده سفينة كبيرة لا بأس بها وخمسين قارباً من القوارب الصغيرة . وكان من بين أتباعه سيف بن ضحيكان ، وعبيد بن سعدون اللذان يرتبط اسماهما بعد ذلك بقليل بعمليات القرصنة .

١٨٢٣ – ١٨٢٤ :

وقرب نهاية سنة ١٨٢٣ قام محمد ن شخبوط – الذي كان مقيماً آنذاك في الدوحة – بمحاولة فاشلة لاستعادة الحكم في أبو ظبي ، وقد ذكرنا بالتفصيل حملته هذه في القسم الخاص بتاريخ مشيخة أبو ظبي ويبدو أنه حين عاد الى قطر بعدها نقل مقره من الدوحة الى حويلة . وفي اوائل سنة ١٨٢٤ ، ترددت أخبار عملية قرصنة قام بها محمد بن شخبوط على سفينة لدبي – حليفة أبو ظبي عندئذ – وبادر المقيم البريطاني في الخليج فطلب من الشيخ عبدالله شيخ البحرين – بصفته حاكماً

لقطر ــ باتخاذ عمل ما ضد محمد ، وعرض ان تساعده قوة بحرية بريطانية .. ولكن ثبت أخيراً أن هذه العملية لم تحدث بالفعل .

١٨٢٦ ــ ١٨٢٨ :

وفي سنة ١٨٢٦ انطلقت من الدوحة عدة عمليات قرصنة مذكورة في تاريخ عمان المتصالحة ارتكبها عبيد بن سعدون وسيف بن ضحيكان وهما من اتباع سويدان بن زعل ، وكانت غنائمهما تحمل في بداية الأمر إلى الدوحة ، لكنهما هجراها بعد ذلك . وكان النفوذ البريطاني يجد صعوبة كبيرة في كبح جماح شيخ أبو ظبي عن إعلان الحرب على شيخ البحرين لهذه الحوادث التي ذكرنا ، ولا يبدو ان السلطات السياسية البريطانية قامت من جانبها بأية تدابير لتصحيح الوضع ، وفي سنة ١٨٢٨ حين رجع سويدان واتباعه إلى أبو ظبي توقفت غزوات هذه العصابة .

وفي نفس الوقت تقريباً ــ في مايو سنة ١٨٢٧ ــ ارتكب عبيد (أو عبدالله) بن مهنا ــ وهو رجل من قبيلة المناصير استقر مؤخراً في الدوحة بقطر ــ حادثة قرصنة فظيعة ، فقد هاجم ومعه بعض رفاقه بينهم حسين بن جاسم من البحرين سفينة تابعة لميناء بوشهر خارج جنافه كانت في طريقها الى ديلم ، وقتل بعض من كانوا على ظهرها ، وألقى ببقيتهم بعد ضربهم ضرباً مبرحاً على البر بالقرب من بوردخان . وتم استرداد جزء صغير مما نهبه القراصنة ووجد في البحرين ، أما بالنسبة لطلب المقيم البريطاني تسليم عبيد وحسين فقد رد الشيخ عبدالله بأنهما استطاعا الهرب خارج حدوده ، ويبدو أن هذا كان ما حدث بالفعل ، وظلت التحريات مستمرة على أية حال .

وفي إبريل سنة ١٨٢٨ قابل المقيم العام الشيخ عبدالله وأقنعه بضرورة القيام بعمل ضد هؤلاء المعتدين ، وأخيراً في سبتمبر ١٨٢٨ استأنف عبيد بن مهنا أعمال القرصنة ــ خارجاً من مأوى مجهول ومعه عدد من

المناصير – إلى جوار بوشهر ، لكنه حين رسا بميناء «زيارات» على شاطىء إيران أثار الشكوك حوله بتحرياته عن مواعيد قيام السفن الصغيرة الراسية في الميناء ووجهات سفرها ، فألقى الأهالي القبض عليه بعد مقاومة يائسة من جانبه . ومن زيارات حمل عبيد الى المقيم البريطاني في بوشهر ، وسلمه هذا بدوره – بعد ان تحقق من هويته – الى الشيخ عبد الرسول ليسأله عن الغارات التي ارتكبها على سفن بوشهر ، وعن رعاياها الذين قتلهم ، غير ان عبيد استطاع في النهاية مغافلة حراسه والهرب من سجنه أثناء اجتياح تيمور ميرزا لبوشهر في نوفمبر ١٨٢٨ ، ولدى عودة قارب عبيد من زيارات إلى الشاطيء العربي نهب بحارته اربع سفن تابعة لميناء عسالو كما ذكرنا في تاريخ عمان المتصالحة .

١٨٣١ – ١٨٣٢ :

وفي سنة ١٨٣١ وقعت عملية قرصنة عادية في مكان قريب من بوشهر يسمى الحليلة ، ارتكبه رجل اسمه حسوم كان يقيم في الفويرط بقطر ضد قارب صيد تابع لميناء كانجون ، ولم يتم القاء القبض على هذا المجرم الا في العام التالي . وتأكد بعد ذلك أن حسوم بعد أن غادر الحليلة عبر الخليج الى العقير وحاول هناك أن يباغت قارباً تابعاً للبحرين لكن بحارة القارب وحراسه كانوا متيقظين له فاستطاعوا ان يأسروه هو وثمانية من رفاقه ، وبعد أن حجزوهم عدة أيام في العقير ، أعد السجناء عدتهم للهرب الى حويلة ، ومن هناك استطاعوا استعادة القارب الذي سبق استيلاؤهم عليه في حليلة .

وبعد ايقاع العقاب على بني ياس لارتكابهم أعمال القرصنة في سنة ١٨٣٥ ، هاجر جزء من القبيلة غرباً الى خور العديد ، هرباً من دفع نصيبهم في الغرامات التي فرضتها عليهم السلطات البريطانية من ناحية وحتى يستطيعوا الاستمرار في حياتهم القائمة على القرصنة من الناحية الاخرى ، وقد عاضدهم أهل الساحل الشرقي في قطر ، ولم يقفوا عند

حد عدم ردعهم عن عمليات النهب بل كانوا يمدونهم بالماء وغيره من الضروريات . لهذا تقرر ارسال قوة بحرية لضمان إمداد السفن البريطانية بهذه المياه ، ولتذكير أهل قطر بمسئولياتهم عن تلك الأعمال . وحققت الحملة –التي كانت مكونة من قاربين مسلحين وطراد صغير – نجاحاً كاملا ، ونتج عنها فرض تعهد على شيوخ الدوحة والوكرة والعديد بالاستيلاء على قوارب القراصنة أو دفع الغرامات ، كما اسفرت عن القاء القبض على بعض اتباع جاسم بن جابر الرقراقي – وهو زعيم من زعماء القراصنة ، وأحرقت سفينة من سفن القراصنة على الشاطىء بحضور المقيم العام .

وفي سبتمبر سنة ١٨٣٦ وجه المقيم العام إنذاراً شخصياً لشيخ الدوحة الذي كان يظن أن له علاقة وثيقة بالرقراقي بأن يمتنع عن إيوائه فيما بعد .

العلاقات البريطانية :

ودخلت قطر بوصفها آنذاك تابعة للبحرين ضمن الهدنة البحرية المبرمة سنة ١٨٣٥ . وفي سنة ١٨٣٦ مدّد الخط الحاجز من جزيرة صير بو نعير باتجاه حالول بحيث يتجاوز عشرة أميال شمال الطرف الأقصى لإقليم قطر الساحلي .

★ ★ ★

تاريخ قطر العام من جلاء القوات المصرية عن الاحساء سنة ١٨٤٠ الى هجوم شيوخ البحرين وأبو ظبي عليها سنة ١٨٦٧

ظلت أعمال جابر بن جاسم العدائية مستمرة ، وفي فبراير سنة ١٨٤١ –ونتيجة نهب جابر سفينة تابعة لرأس الخيمة– ارسل أسطول بريطاني . يضم الفرقاطة البخارية « سيروستريس » ، والسفينة «دجلة» ، بإمرة القائد بروكس ليطلب الى شيخ الدوحة تسليم سفينة القرصان ودفع

غرامة قدرها ثلاثة آلاف روبية بالإضافة للتعويض عن الأموال المنهوبة. وبعد أن ضربت الدوحة بمدافع عيار ٨ بوصة من الفرقاطة «سيزستريس» سلمت سفينة جاسم –التي كانت موجودة في الميناء لحظة وصول الأسطول البريطاني لكنها لم تأل جهداً في الهرب إلى الداخل– وأحرقت علناً ، كما تمت مصادرة بعض الأملاك التي خلفها وراءه ، ومضى الاسطول بعد ذلك الى حيث تنتظره مهمة مماثلة في دبي .

وفي أوائل صيف سنة ١٨٤١ رسا على ساحل قطر قارب من لنجة عليه تمور وحصير من القطيف الى البحرين وفيما هو على حالته تلك استطاعت خمسة قوارب صغيرة أن تغتصب من حمولته ما قيمته ٢٤٠ روبية شاهية وتولي الادبار . واشتكى المعتدى عليهم الى ناصر أحد أبناء شيخ البحرين لكنه أهمل شكواهم ، وأخيراً وبطلب من شيخ لنجة تدخل المقيم البريطاني لتسوية القضية وتقرر اعتبار شيخ البحرين مسئولا عن هذا العمل . وزعم أهل قطر أن هذه الكمية من التمر قد اعطاها لهم صاحب القارب المنكوب طواعية كأجر لهم على إنقاذ القارب ، وأصروا جميعاً على التمسك بهذه الرواية ، وأقسموا على صحتها أيمان الطلاق ، بحضرة القاضي ، فأعيدت اليهم قيمة التعويضات التي تم الحصول عليها منهم .

الحالة في قطر أثناء الحرب الاهلية في البحرين ١٨٤٠–١٨٤٣ :

وسرعان ما أصبحت قطر بعد ذلك ميداناً للصراع الذي كان قائماً بين عبدالله بن أحمد ومحمد بن خليفة الشيخين المتنافسين في البحرين ، وقد وصفنا التطور العام لهذا الصراع في الجزء الخاص بتاريخ البحرين ، وبمجرد حدوث الصراع بين هؤلاء المشايخ في سنة ١٨٤٠ انسحب محمد –وهو الأصغر فيهما– الى قطر حيث أقام لنفسه حكماً هناك كان في بعض الأحيان أقوى من حكم عمه الكبير شيخ البحرين . وفي سنة ١٨٤٢ حين زار خالد – الأمير السابق للوهابيين – الشيخ عبد الله قادماً من

الدمام استقبله الشيخ الكبير في خور حسان بقطر حيث كان يقيم ، وفي هذه الأثناء عاد محمد إلى البحرين ، وبعدها بقليل حدثت الاشتباكات الفعلية بين الاقارب ، وكان اول ما عمله الشيخ عبدالله هو ان عبر المضيق مسرعاً ونزل الى البحرين ، واستطاع أن يطرد منها الشيخ محمد في يونيو التالي . ولا بد أن أهل خور حسان في قطر قد وقفوا إلى جانب الشيخ محمد في هذا الصراع لأن الشيخ المنتصر أباح القرية لنهب القراصنة . وربما بهدف القضاء على نفوذ الشيخ محمد —وكان يبدو أن له نفوذاً كبيراً في البر— اتخذ الشيخ عبدالله الخطوات اللازمة لإعادة احتلال القاعدة المهجورة في الزبارة . وسبق الشيخ محمد —الذي كان قد استقر في قطر منذ طرده من البحرين سنة ١٨٤٢— عمه الكبير فاستولى على حصن مرير بالقرب من الزبارة ، ولم يمض وقت طويل حتى كان قد استولى على الفويرط أيضاً ، وأكمل هجومه هذا بأن وجه حملة على جزيرة البحرين من الفويرط استطاعت أن تحقق النجاح في نهاية الأمر . وفي إبريل سنة ١٨٤٣ وعقب الاستيلاء على المحرق مباشرة اضطرت مفرزة قطرية كانت تحارب الى جانب الشيخ محمد إلى العودة مباشرة لقطر بسبب هجوم المناصير على أحيائهم ، لكن رحيلهم لم يضعف من قوة الشيخ محمد الذي كانت مكانته آنذاك في البحرين قد رسخت تماما.

الحالة في قطر أثناء استمرار الصراع بين شيخ البحرين القائم وشيخها السابق ١٨٤٣ — ١٨٤٩ :

وفي خريف سنة ١٨٤٣ نقل عيسى بن طريف حليف الشيخ محمد من آل بني علي مقر إقامته من جزيرة قيس الى الدوحة في قطر ، ورحبت السلطات البريطانية بهذا الانتقال لأنه نقل احتمال قيام الحرب الى ذلك الجانب من الخط المانع الذي يمكن ان يشبع على أرضه رغبته في القتال في ظروف معينة ، وأيضاً لأن انتقاله هذا قد انتزع الدوحة من أيدي شيخ قبيلة السودان التي كانت أدمنت القرصنة واشتغلت بها أكثر من اشتغالها بالحرب النظامية .

وفي سنة ١٨٤٤ أبحر الشيخ عبدالله شيخ البحرين السابق من نابند على ساحل إيران ليباغت عيسى بن طريف في الدوحة لكن محاولته باءت بالفشل واضطر للبحث عن مجال آخر لعملياته . وفي سنة ١٨٤٧ انتهى الصراع على مشيخة البحرين بمعركة حاسمة حدثت في البر بالقرب من فويرط في قطر ، وفي هذه المعركة قتل عيسى بن طريف ـ الذي كان قد غير موقفه وأصبح الدعامة الأساسية بين أنصار الشيخ عبدالله ـ وماتت معه آمال الشيخ السابق في استرداد المشيخة .

زيارة أمير الوهابيين لقطر سنة ١٨٥١ :

وفي أوائل سنة ١٨٥١ وصل فيصل بن تركي أمير الوهابيين ـ خلال رحلة كان يقوم بها في أقاليم حكمه ـ على بعد مرحلتين من الدوحة ، وأبدى أهل الدوحة وكذلك الوكرة والفويرط مباشرة عقب زيارته رغبتهم في التخلي عن ولائهم لشيخ البحرين والانضمام إلى رعايا الامبراطورية الوهابية ، لكن هدنة مواتية عقدت في يوليو سنة ١٨٥١ جنبت آل خليفة المخاطر التي كانوا معرضين لها بفقد أملاكهم في قطر كما فقدوا بالفعل الدمام على شاطىء الأحساء .

الوضع السياسي لقطر ١٨٦٦ ـ ١٨٦٧ :

وفي سنة ١٨٦٦ أفاد تقرير للرائد بيللي ، المقيم البريطاني في الخليج أقرته حكومة الهند لاحقاً سنة ١٨٦٧ بأن ولاء شيخ البحرين للوهابيين كان مقصوداً للمحافظة على أملاكه في قطر ، أما ضمن بلده في البحرين فكان الشيخ مستقلا عنهم كل الاستقلال . أما الجزية التي يدفعها شيخ البحرين للوهابيين كل سنة وقدرها أربعة آلاف روبية فهو ينظر اليها على أنها ضريبة لحماية رعاياه في قطر من هجوم أي قبيلة أخرى على البر . وفي وقت ما بين سنتي ١٨٥٢ و ١٨٦٦ يبدو أن أمير الوهابيين كان له ممثل في الدوحة ، ولكن من المحتمل أن وكيله هذا انما كان شيخاً من شيوخ قطر .

هجوم شيوخ البحرين وأبو ظبي على قطر وما تلاه من نتائج ١٨٦٧ - ١٨٦٨

أسباب وملابسات الهجوم :

حدث هجوم غادر ومدمر على الدوحة والوكرة معاً في أكتوبر سنة ١٨٦٧ وهما الموقعان الرئيسيان على الساحل الشرقي لقطر واشترك في الهجوم شيوخ البحرين وأبو ظبي معاً . وكان الدافع اليه من جانب شيخ البحرين رغبته في معاقبة الأهالي بسبب تمردهم ضده وتجد تفصيل هذه الأحداث ضمن تاريخ البحرين . ولسنا بالتالي في حاجة الى ذكرها هنا . ويكفينا القول بأن مدينتي الدوحة والوكرة كانتا في نهاية سنة ١٨٦٧ قد ازيلتا تماماً من الوجود ولو إلى حين ، فهدمت المنازل وهجرها أهلها ، وقدرت الخسائر بمبلغ يزيد عن مائتي ألف روبية . وفي يونيو ١٨٦٨ — وبعدإخفاق القبائل المنكوبة في الحصول على ترضية عن طريق الاستغاثة بأمير الوهابيين شنت غارة انتقامية على البحرين لكنها لم تحقق نجاحاً محدداً .

التدخل البريطاني وما تبعه في الوكرة ١٨٦٨ :

وأدى تدخل السلطات البريطانية في الخليج —وبعد ان ارجىء لظروف خارجة عن سيطرتها— إلى نتائج حاسمة كما هو مبين في تاريخ البحرين . وكانت هذه النتائج أوضح ما تكون في البحرين . حيث عزل شيخ وولى آخر . لكنها امتدت أيضاً الى قطر التي زارها الكولونيل بيللي من البحرين مباشرة في أوائل سبتمبر سنة ١٨٦٨ تصحبه سفينة صاحبة الجلالة «فيجيلانت» والقارب المسلح « هيو روز » والباخرة « سند » . وفي الوكرة اجتمع المقيم العام بكبار الشيوخ في قطر على ظهر سفينته ، وأبلغهم استياء الحكومة البريطانية الشديد من حملتهم على

البحرين ، وقال ان الحكومة تفهم حجتهم في أنها لم تكن سوى حملة انتقامية ، وتعتبر ذلك سبباً يهدىء من الاضطراب الذي اثارته الحملة ، وفي النهاية ، وكما ذكرنا في مكان آخر– أمكن الحصول على ترضية معقولة لهؤلاء من شيوخ البحرين وأبو ظبي .

اتفاقية مع محمد آل ثاني شيخ قطر ١٢ سبتمبر ١٨٦٨ :

وتوصلت بريطانيا الى عقد اتفاقية مع الشيخ محمد بن ثاني شيخ آل ثاني وأكثر رجال قطر كلها نفوذاً وهي مؤرخة في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٦٨ تعهد فيها بأن يعود الى الدوحة التي هجرها ، وان يقيم فيها في سلام ، وألا يرتكب أي عمل عدواني في البحر ، بل عليه أن يحيل كل الخلافات والمنازعات التي قد تنشب بينه وبين جيرانه إلى المقيم البريطاني للفصل فيها ، وألا يساعد شيخ البحرين السابق ، بل عليه أن يسلمه للسلطات البريطانية لو وقع يوماً في قبضته ، وأخيراً أن يقيم مع الشيخ الجديد في البحرين نفس العلاقات التي كانت قائمة بينه وبين الشيوخ السابقين لهذه الجزر ، وأن يخضع لقرار المقيم البريطاني فيما يتعلق بأي خلاف في وجهات النظر يقوم حول مشاكل مثل الجزية ، وربما كان المقصود بالجزية هنا ذلك المبلغ الذي يدفعه شيخ البحرين كل سنة باسم قطر لامير الوهابيين . ونحن لا نعرف شيئاً عن الطريقة التي وصل بها آل ثاني إلى أن يكونوا أصحاب السيادة المطلقة في قطر سنة ١٨٦٨ ، وهم من المعاضيد ، وبالتالي من آل بني علي — قبيلة عيسى بن طريف .

اتفاقية تتعلق بجزية البحرين :

وبعدها عقد الشيخ محمد بن ثاني وشيوخ البدو في قطر اتفاقية جديدة ، أصبحت بمقتضاها أية جزية ، إن وجدت ، قابلة للدفع من قطر للبحرين تدفع عن طريق المقيمية البريطانية أيضاً ، ووجه كولونيل بيللي عقب

ذلك خطاباً إلى « كل الشيوخ في قطر .. » يبلغهم فيه هذه الاتفاقية ، ويحذرهم من ارتكاب أي عمل يؤدي إلى الإخلال بالسلم في البحار .

تعويض عن سرقة الرعايا البريطانيين :

وقبل ان يغادر المقيم العام الوكرة فطن إلى حادثة سرقة كان قد ارتكبها بعض الاهالي على ممتلكات بعض رعايا بريطانيا من الهنود المقيمين في البحرين ، فطلب من الشيوخ المسئولين دفع مبلغ ١٨ الف غران كتعويض ، وتمت الموافقة فوراً ، فدفع ثلث المبلغ المطلوب نقداً ، والثلثان في صك بضمان تاجر لؤلؤ ثري في لنجة وقدم الرائد بيللي حقيبة مليئة بحبات اللؤلؤ ضماناً من جانبه لدفع المبلغ على أن تسلم اليه حقيبته عند دفعه ، وبلغ ما حصل فعلا ١٨,٦٩٩ غران دفع منه ١٦,٢٠٠ غران لاثنين من أصحاب الشكاوى بعد ان قدما الادلة على صحة دعواهما

★ ★ ★

تاريخ قطر من هجوم شيوخ البحرين وأبو ظبي عليها في سنة ١٨٦٧ الى احتلال الاتراك للدوحة سنة ١٨٧١

خلال السنوات الاربع التالية على هذه الغارة الكبيرة التي شنها شيوخ البحرين وأبو ظبي على قطر ، ظلت الحالة السياسية فيها كما هي دون تغيير ، ولم يحدث بها حادثة مهمة تستحق الذكر .

★ ★ ★

التاريخ العام في قطر من احتلال الاتراك للدوحة الى التمرد على سلطة تركيا ١٨٧١ ـ ١٨٩٣

احتلال تركيا للدوحة ١٨٧١ ــ ١٨٧٢ :

في يوليو سنة ١٨٧١ ــولم يكد يمضي شهر على احتلال الأتراك للقطيف ــ ارسل قائد القوات التركية حملة يقودها شيخ الكويت الى

الدوحة في قطر ، وهناك استطاعت اقناع جاسم بن محمد بن ثاني شيخ الدوحة وأكثر الرجال في قطر نفوذاً بقبول رفع العلم التركي . وكان والده الشيخ الكبير في ذلك الوقت قد شاخ وأعوزه الحزم — فلم يوافق على هذه الخطوة ، واستمر يرفع العلم العربي على بيته زمناً ما . وحين وصلت هذه الأخبار الى الرائد بيللي — المقيم السياسي في الخليج — بادر بإرسال مساعده ميجور جرانت على سفينة صاحبة الجلالة « ماجباى » الى الدوحة حيث وجد حالة الامور فيها كما ذكرنا . وقد قدم الشيخ تبريراً لخضوعه للاتراك أنه يعيش في البر ، وتركيا قوة برية عظيمة . هذا الى جانب أن الحكومة البريطانية قد أخفقت في تحقيق العدالة لرعاياه في غير حادثة واحدة من حوادث القرصنة . وفي نفس الوقت حاول الكولونيل بيللي التأكد مما اذا كانت الحكومة التركية هي التي أمرت باتخاذ هذه الاجراءات في الدوحة أم لا ، فاتصل تلغرافياً بالرائد نيل هربرت المقيم البريطاني في بغداد ، ورد هذا عليه —نقلا عن والى بغداد— بأنه لا يعرف شيئاً عما اذا كانت الحكومة التركية قد أمرت بارسال اعلامها الى قطر أو لم تأمر ، لكن الوالي أضاف أيضاً زعمه أن تأكيد تركيا بعدم التدخل في شئون البحرين أمر لا يشمل قطر . وفي أغسطس .. وفي نفس الوقت الذي كان الاتراك فيه قد تملكوا واحات الاحساء — أصبحت قطر قاعدة لحشود قبائل البدو الرحل التي بدأت تضايق القوات العثمانية من الغرب ، وبعدها بشهرين او ثلاثة تراجع سعود أمير الوهابيين بنفسه ومعه حشد كبير من البدو الى قطر وزعموا ان على أهالي المنطقة المقيمين فيها إمدادهم بما يحتاجون ، وإلا فستنهب أملاكهم . وخلال هذه الأزمة أرسل المقيم العام في الخليج إنذاراً الى رعايا الهند البريطانية في قطر ، يحملهم فيه نتيجة المغامرة ببقائهم حيث هم . وفي يناير سنة ١٨٧٢ جاءت قوة تركية يصحبها عبدالله بن الصباح شيخ الكويت على الباخرة التركية « آشور » وغيرها لزيارة الدوحة . ونزلت إلى البر بين سخط الشيوخ والأهالي قوة تركية قوامها مئة جندي مزودين بمدفع من

مدافع الميدان الكبيرة ، وأقامت هذه الحامية في قلعة آل مسلم واكتمل احتلال الاتراك للدوحة ، ويبدو ان هذه الاجراءات جميعاً اتخذت بأمر مدحت باشا نفسه الذي قام بزيارة الاحساء في نهاية سنة ١٨٧١ استجابة لطلب قدم اليه من مشايخ الدوحة بحمايتهم من بدو سعود أمير الوهابيين .

سحب القوات النظامية التركية ١٨٧٣ :

وفي سنة ١٨٧٣ يبدو ان تركيا قد سحبت قواتها النظامية التي كانت في الدوحة ، وأبدلتها بثلاثين رجلا من رجال الضبطية أو الشرطة .

الحالة الداخلية ١٨٧٤ :

وباستثناء التدخل في شئون قطر الداخلية ، خاصة حكم مدينة الدوحة وضواحيها القريبة ، لم يكن لوجود الموقع التركي فيها أي أثر ، وظلت العلاقات القبلية في قطر كما كانت من قبل ، وظل شيوخ آل ثاني في الدوحة هم أقوى العناصر في الحياة السياسية .

سنة ١٨٧٤ :

وفي سنة ١٨٧٤ حدث قتال بالقرب من الزبارة بين بني نعيم وبني هاجر هزم فيه بنو هاجر . وفي نفس السنة اتهم الشيخ جاسم من شيوخ الدوحة بني هاجر بارتكاب عملية قرصنة بالقرب من خور شقيق على قارب لتاجر اسمه عبدالكريم من البحرين ، وقد نهبوا نقوداً للشيخ جاسم تزيد على الفي روبية عدا عن بضائع رعايا من الهند البريطانية ، وقام القارب التركي المسلح « اسكندرية » بجولة على طول الساحل لتحري عدوان بني هاجر ، وكشفت نتيجة هذا التحري عن أن الشيخ جاسما نفسه يتحمل قسطاً من اللوم على اضطراب حبل الامن .

سنة ١٨٧٥ :

وقد وجد الملازم فريزر ، مساعد المقيم الذي زار الدوحة في

سنة ١٨٧٥ بناء على تكليف من حكومته أن شيوخ آل ثاني الذين رحبوا بالاحتلال التركي في البداية كوسيلة لمناوأة سيطرة بريطانيا على شئون البحر قد أصبحوا الآن ضائقين كل الضيق بهذا الاحتلال ، لكنهم يخفون ضيقهم به خشية نفيهم إلى القسطنطينية . وكان ممثل تركيا ـ قاسم آغا ـ رغم ضآلة قواته التي لا تزيد عن خمسين رجلا من رجال الشرطة مصراً على ان يستشيره الشيوخ في كل كبيرة وصغيرة ، إضافة لما كان يحصّله من مبالغ كثيرة من أموال أهل الدوحة .

سنة ١٨٧٦ :

وفي خريف سنة ١٨٧٦ كان الكابتن جثري قائد سفينة صاحبة الجلالة « ماي فرير » في مهمة في الدوحة للتحقيق في حادث قرصنة ومن هناك عرف معلومات هامة هي أن مدينة الدوحة تدفع كل سنة مبلغاً يتراوح بين ٩ آلاف و ١٠ آلاف غران كعوائد للحكومة التركية ، وأن هذا المبلغ لم يكن كافياً لتغطية نفقات الحامية التركية الصغيرة التي كانت تقوم بأعمال الشرطة لا بمهمات عسكرية . وكانت أخطر أحداث القرصنة التي حدثت في قطر هذه السنة حادثة وقعت في الدوحة بالقرب من بيت الشيخ جاسم نفسه ، حين داهم سبعة من بني هاجر سفينة تابعة لأبو ظبي في الليل وبحارتها نائمون ، فقتلوا اثنين منهم ، وأسروا عبداً وحملوا كمية كبيرة من البضائع ، وقدرت الخسائر كلها بمبلغ ٢٦٧٩ روبية ، ولكن لم يمكن تحصيلها رغم أن الحكومة البريطانية قدمت مذكرة بهذا الموضوع الى الباب العالي . وفي نفس السنة عينت تركيا الشيخ جاسم ليكون قائمقاماً ـ أو نائباً للحاكم في قطر ، وبعدها لم يعد لأبيه الشيخ محمد بن ثاني الذي كان أميل للتفاهم مع بريطانيا منه مع تركيا صوت في الحياة العامة حتى مات بعدها بسنتين في ١٨٧٨ .

١٨٧٩ ـ ١٨٨١ :

وفي مايو سنة ١٨٧٩ ، جاء متصرف الاحساء الى الدوحة على ظهر

السفينة « اسكندرية » وقابل عديداً من المسئولين فيها بينهم الشيخ جاسم الذي سبق أن عينه حاكماً لمدينة الدوحة ، وفي نوفمبر من نفس السنة حدثت عملية هجرة ضخمة قام بها آل بوكواره المقيمون في الدوحة الى الفويرط ، وقيل أنها نتيجة الغيرة من وضع الشيخ جاسم الجديد ، وتردد أيضاً أنها بايعاز من شيخ البحرين ، وأسرعت السفن المسلحة التركية والبريطانية إلى الساحل لتتحرى الأمر .

وفي سنة ١٨٨٠ نهب القرصان زايد بن محمد من بني هاجر قارب لؤلؤ للشيخ جاسم ، كذلك استولى على سفينة للوكرة ، وقام المناصير والعوامر بغارات متكررة بالقرب من الدوحة . وفي سنة ١٨٨١ لحق بعض بني نعيم بآل بوكواره في الفويرط ، وحمل أفراد قبيلة عجمان معهم ٤٥٠ بعيراً من قطر . وفي ديسمبر سنة ١٨٨١ نزل الشيخ احمد ـ شقيق شيخ البحرين ـ على الساحل الغربي لقطر بهدف الرياضة فقط ومعه حوالي مائتين من الاتباع ، وأرسل الشيخ جاسم مبعوثاً عنه من الدوحة للترحيب بالشيخ أحمد ودعوته إلى الاستراحة قليلا في داخل البلاد ، لكن الشيخ أحمد أصر على أن يأتي الشيخ جاسم بنفسه اليه كي يحييه ويرحب به حيث هو ، ونفذت أوامره هذه ، وبعدها اصطحب شيخ الدوحة إلى معسكره ، وكانت الحامية التركية الموجودة في الدوحة وقتئذ ـ بما فيها من رجال الجاندرمه أيضاً ـ تبلغ ١٣٠ رجلا .

١٨٨٤ :

وفي إبريل ١٨٨٤ أغار بدو بني هاجر على ساحل قطر ، وقتل في هذه الإغارة أحد أبناء شيخ الوكرة ، وفي الشهر التالي بدأ الشيخ جاسم يعد حملة بحرية على بني هاجر في البحرين . وتقدم إلى المسئولين البريطانيين مؤكداً أنه حصل على موافقة الحكومة التركية وهو ايضاً بحاجة لموافقة السلطات البريطانية على هذا العمل .. لكن طلبه رفض ، فتخلى بدوره عن رغبته في الشغب . وفي يوليو التقت قبيلة عجمان ، وكانت لا تفتأ تهدد سكان الدوحة بحيث منعتهم تماماً من الخروج لصيد

اللؤلؤ ، بفرقة من أعدائهم المناصير بالقرب من آبار بانيان في صحراء جافورة وهزمت في هذا القتال وتكبدت خسائر جسيمة وهي نتيجة سر لها الشيخ جاسم سروراً عظيماً ، وفي هذا القتال انقسم آل مرة وبنو هاجر فقاتل بعضهم ضد بعض .

سنة ١٨٨٥ :

وفي إبريل ١٨٨٥ أغرق أهل الفويرط قارباً لاهل الوكرة ونهبوا ما فيه . وفي أكتوبر من نفس السنة هاجر أكثر من مائة شخص من الوكرة على عشرة قوارب إلى الغارية بعد شجار مع الشيخ جاسم الذي قام في ديسمبر بهجوم على الغارية وقتل اربعة من أهلها . وخلال هذه السنة أيضاً قام القارب التركي المسلح « المريخ » بجولة على طول الساحل .

المنافسة بين الشيخ جاسم ومحمد بن عبدالوهاب١٨٨٦–١٨٨٧ :

وفي العام التالي ظهر منافس للشيخ جاسم في السيادة على قطر وهو محمد بن عبدالوهاب ، وهو من الرعوية التركية وإن كان ابن وزير البحرين ، وكان زعيم الغارية . ويبدو انه كان متآمراً مع الاتراك لإزاحة الشيخ جاسم عن قائمقامية قطر ، واقترح الضابط المسئول عن القارب التركي المسلح أن يسمح لاهل الغارية بالإقامة في سلام تحت حكم محمد بن عبدالوهاب ، وأسخط هذا الاقتراح الشيخ جاسم حتى قام مرة أخرى بهجوم على هذا المكان لكنه مني بالفشل .

وسافر محمد إلى الإحساء — بعد ان اقترح إقامة دار تركية منظمة للعوائد في الدوحة— ثم عاد في مايو ومعه خمسون رجلا من رجال الضبطية قيل إن ثلاثين منهم سيتخذون موقعهم في الغارية . وغضب الشيخ جاسم لهذه الإجراءات غضباً شديداً وهدد بأن ينسحب من الدوحة ، ويبدأ هجومه على محمد بن عبدالوهاب .. ولكن تم التوصل إلى إتفاقية في يوليو من نفس السنة . وفي شتاء سنة ١٨٨٦ — ١٨٨٧ قام محمد الذي ظل محافظاً على مراسلات منتظمة بالمسئولين الأتراك في الأحساء والعراق

بزيارة للبحرين ، والتقى هناك بأهل الغارية وأقام بموافقة من الاتراك على ما يبدو في دارين بجزيرة تاروت ، وأصبحت الغارية مهجورة من السكان تقريباً .

الاضطرابات ١٨٨٧ :

وتميز العام التالي باضطراب شديد في قطر . فقد ظن الشيخ جاسم — الذي كان يخشى إقامة دار منظمة للعوائد التركية في قطر والذي كان بوجه عام على علاقات سيئة بالأتراك — أن أفضل طريقة لمقاومة خطط الأتراك هي أن يقضي على أهمية الدوحة ، وبدأ بالفعل يخصص جهده كله لإتمام هذا الغرض ، فانسحب إلى الظعاين ، وأعلن أنه قد قطع كل علاقة له بالدوحة ، وأنه لم يعد مسئولا بعد عن أمور قطر التي يتركها مستقبلا « بين يدي الله ومن بعده الحكومة التركية » . وعمت الاضطرابات — التي يحتمل ان تكون بايعاز من الشيخ جاسم — الدوحة وضواحيها ، وفي يونيو أو يوليو من هذه السنة قام بدو بني هاجر بنهب سوق الدوحة ، وكان معظم من لحقت بهم الخسارة هذه المرة بعض التجار الايرانيين ممن يسخط عليهم الشيخ جاسم . وفي أغسطس امتد هذا الاذى إلى الرعايا البريطانيين باتخاذ الإجراءات التي سنأتي على ذكرها ، وفي منتصف أكتوبر من نفس السنة آب كل شيء إلى هدوء في قطر .

زيارة والي البصرة للدوحة — وإعادة وضع حامية عسكرية تركية فيها ١٨٨٨ :

استهلت سنة ١٨٨٨ بزيارة قام بها نافذ باشا والي البصرة للدوحة ، والتقى أثناء زيارته بالشيخ جاسم ووعده بلقب ووسام ، وأنشيء في الدوحة مخزن للفحم ، وبعدها بقليل وضعت حامية تركية قوامها سريّة من جنود المشاه — أو ٢٥٠ جندياً — في الدوحة ورسا زورق بخاري تركي في مينائها . وقد تكون هذه الاجراءات راجعة لاحتجاجات الحكومة البريطانية على أعمال القرصنة في المياه التركية ، أو للاضطرابات

التي شهدتها الدوحة في العام السابق ، لكن السلطات البريطانية اشتبهت في كونها بداية تقدم الاتراك باتجاه عمان ، وكانت سيطرة أمير حائل على حاكم الوهابيين في الرياض أيضاً توحي بتقدم سياسة تركيا في شبه الجزيرة.

محاولة الاتراك إحكام قبضتهم على قطر ١٨٨٩ — ١٨٩١

وفي يوليو سنة ١٨٨٩ قام عاكف بك متصرف الإحساء بزيارة للدوحة ، رُبما كانت ترتبط بمشروع —قد يكون هو الذي وضعه— لاقامة ادارة تركية مباشرة في قطر . وكان لقاؤه الأول بالشيخ جاسم — في دار محمد بن عبدالوهاب— لقاء لا يخلو من الخطر ، ففي الوقت الذي لم يكن يصحب المتصرف فيه سوى حرسه الشخصي ، ظهر الشيخ جاسم على رأس أكثر من ٦٠٠ رجل مسلح من المشاة ، عدا ستين أو سبعين من راكبي الخيل والجمال ، ومعظمهم مسلح ببنادق حديثة ، وتبع ذلك لقاء آخر أكثر سرية اقترح فيه المتصرف إقامة إدارة تركية منظمة ودار للعوائد ، لكن الشيخ جاسماً عارض هذا الاقتراح معارضة عنيفة ، وأصر على أن يقدم استقالة كتابية من قائمقامية قطر .

وفي العام التالي عرفت اقتراحات عاكف بك لإصلاح الحكم في قطر بشيء من التفصيل ، فقد اوصى بأن يعين وكيل للقائمقامية مع الشيخ جاسم نظراً لكثرة تغيبه ، وان يقام مبنى حكومي في الدوحة ، وان توضع بها قوة من الفرسان وأخرى من المشاة ، وأن تحصل الضرائب من تجار اللؤلؤ وغيرهم من التجار ، وان يعين مدير للميناء مسئول عن تحصيل العوائد من سفن الاهالي ، ويجب ان تفتح مكاتب بريدية في الزبارة والعديد ، وان تسير سفينتان بخاريتان بشكل منتظم بين الدوحة والعقير والقطيف ، وان يقام مسجد في العقير . وفي خريف سنة ١٨٩٠ وصل إلى البحرين من البصرة مديرا الناحية التركيان اللذان عينا لمديريتي الزبارة والعديد لكنهما لم يستلما وظفتيهما بالفعل ، ويبدو ان العقدة نشأت عن

رحيل عاكف بك فجأة عن الأحساء في اجازة مرضية في أوائل سنة ١٨٩١.

وفي نفس الوقت أي في سنة ١٨٩٠ أذاع الشيخ جاسم بأن حكم قطر قد انتقل من بين يديه إلى أيدي المسئولين الأتراك ، لكن والي البصرة لم يقبل هذه الاستقالة ونصحه في اوائل سنة ١٨٩١ بالمضي في تأدية واجباته بحماسه .

القرصنة واحداث شتى ١٨٨٩ – ١٨٩٢ :

وفي ١٨٨٩ ارتكب بنو هاجر عملية قرصنة صحبتها خسائر في الارواح على سفينة تابعة للبحرين خارج ساحل قطر ، واستطاع الشيخ جاسم استعادة المسروقات لكنه فشل في القاء القبض على المعتدين . وفي ١٨٩٠ منع آل مرة –بأمر من متصرف الأحساء– من دخول الدوحة ، وفي بداية ١٨٩١ حدث قتال بين عجمان من ناحية وآل مرة وبني هاجر والمناصير من الناحية الأخرى . وخلال موسم اللؤلؤ استولى بعض من بني هاجر على سفينة في الوكرة ، وحملوا ستة قوارب للقبيسات من بني ياس في جزيرة مجاورة ، وحين عم السخط بسبب هذه الحادثة أعلن الشيخ جاسم أنه لا يستطيع تقديم ترضية عنها . وفي سنة ١٨٩٢ حدثت عمليات اضطراب خطيرة في البحار ، فقد تم الاستيلاء على قارب بجوار الوكرة ، ثم سحب بعيداً ، وترك بالقرب من الزبارة ، كما هوجم قارب آخر للشيخ جاسم بالقرب من الظعاين وحمل بعيداً بما فيه من لؤلؤ بعد ان قتل اثنان من بحارته وجرح واحد . ومرة أخرى هوجم قارب ايراني من جازه في شبكوه بالقرب من الوكرة ، وقتل عشرة من بحارته وجرح ثلاثة عشر وتم الاستيلاء على كمية من اللآلىء كانت فيه ، واخيراً تم الاستيلاء على قارب من قوارب اللؤلؤ

لأناس من الشارقة ونقل إلى خور شقيق لكن الشيخ جاسماً استطاع استعادته وأطلق سراح بعض من كان سجنهم بسبب الحادث نزولاً عند شفاعة رجالات من البلد . هذا وكان الأمير عبد الرحمن الوهابي المنفى من نجد يقيم في حماية الشيخ جاسم خلال المدة من أغسطس الى نوفمبر عام ١٨٧٢ .

★ ★ ★

العلاقات البريطانية مع قطر خلال نفس المدة
١٨٧٢ ـ ١٨٩٣

حادثة قرصنة وشكاوى من الابتزاز ١٨٧٤ :

أشرنا فيما سبق الى حادثة القرصنة التي ارتكبها بنو هاجر في صيف سنة ١٨٧٤ بالقرب من خور شقيق على قارب لتاجر من البحرين اسمه عبدالكريم ، وذكرنا أيضاً ان بعض خسائر الحادثة وقعت على بعض رعايا الهند البريطانية فضلا عن الشيخ جاسم نفسه . وقد اتخذ الشيخ من جانبه اجراءات حازمة عوضت خسارته هو ، لكن مضت سنة كاملة دون ان يقدم للرعايا أي تعويض . وفي سنة ١٨٧٥ استطاع الرائد روس المقيم السياسي البريطاني الحصول لهم على تعويضات بعد ان ارسل مساعده الثاني ــ الرئيس فريزر ــ ليسوى هذه المسألة مع الشيخ محمد بن ثاني

وفي نفس الوقت تسلمت السلطات البريطانية التماساً من رعايا الهند البريطانية في الدوحة يشكون فيها من ابتزاز الشيخ أموالهم ويعربون عن الرغبة في مغادرة البلدة . ولكن ثبت أن ما يشكو منه هؤلاء التجار لم يكن سوى الضرائب المعتادة التي تجبى منهم لحمايتهم ورد المقيم العام على أصحاب الالتماس ــ بتعليمات من حكومة الهند ــ بأنهم أحرار في أن يغادروا المكان او يظلوا فيه . لكنهم إن ظلوا فيه فعليهم الخضوع لقوانينه ونظامه الضريبي .

تشدّد الأتراك في معاملة سفينة بريطانية ١٨٦٧ :

وقد لقي القبطان جوثري قائد سفينة صاحبة الجلالة « ماي فرير » شيئاً من الفظاظة أثناء زيارته للدوحة في سنة ١٨٧٦ من المسئولين عن الموقع التركي فيها . فقد تجمعوا وراءه أثناء خروجه من الميناء الى سفينته يصيحون به إن الدوحة ميناء تابع لتركيا . وان عليه ان يغادره قبل غروب الشمس . وقد حرص جوثري كما روى بعض من شهدوا الحادثة على أن يبقى في الدوحة اربعاً وعشرين ساعة أخرى رغم التهديدات التركية.

سوء معاملة التجار الهنود ١٨٧٦– ١٨٧٩ :

وفي سنة ١٨٧٦ استغل الشيخ جاسم الذي كان عين مؤخراً قائمقاماً لقطر من قبل الحكومة التركية فصب جام غضبه على تشيلا وراما وهما تاجران من رعايا الهند البريطانية من الذين حصل لهم كابتن فريزر على تعويضات في العام السابق ، فدبر استدعاءهما إلى عاصمة الإحساء البعيدة، الهفوف ، وزعم ان نفيهما إلى هناك كان أمراً تستدعيه الضرورة .

وفي سنة ١٨٧٩ وقعت حادثة جديدة ، فقد اعتدى المسئول التركي في الدوحة على تاجر هندي بالضرب وسوء المعاملة لاتهامه بأنه يصدر تموراً ، ولم يكن معروفاً أن هذه جريمة يعاقب عليها . ورغم توصية حكومة الهند لحكومة صاحبة الجلالة بضرورة المطالبة بتعويض للتاجرين الهنديين تشيلا وراما فان حادثة ١٨٧٦ الأسبق من ذلك لم تكن سويت. وبالنظر لتأثير مثل هذه الاحداث تأثيراً سيئاً على سمعة بريطانيا في الخليج كان الرائد روس ميالاً للتوصية بسحب جميع الرعايا البريطانيين من الدوحة . لكن حكومة الهند رأت من الافضل الضغط من أجل تنحية المسئول التركي في الدوحة شخصياً – وهو محمد آغا – واستطاعت التوصل الى ذلك أخيراً .

إنذار موجه لشيوخ قطر ومحادثات مع تركيا ١٨٧٩–١٨٨١ :

وفي سنة ١٨٧٩ أصدر المقيم العام انذاراً لشيوخ قطر بألا يرتبطوا بقراصنة بني هاجر ممن كانوا في ذلك الوقت يحدثون اضطراباً كبيراً على طول الساحل العربي . وقد سلم هذا الانذار إليهم الكابتن وود روف يصحبه وكيل المقيمية في البحرين وذلك عقب حادثة ارتكبها قرصان بني هاجر زايد بن محمد حين استولى على سفينتين للمهاندة في خور شقيق ، واستخدمهما لنهب سفينة صيد كانت راسية خارج رأس لفان وبلغت قيمة الخسائر أكثر من الفي غران بالإضافة إلى قتل واحد من البحارة .

ويجب أن نلاحظ هنا أنه في مارس سنة ١٨٨١ ادعى الشيخ جاسم للمقيم البريطاني بأن سلطته لا تمتد إلى كل ساحل قطر وأنه مسئول فقط عن الدوحة والوكرة حسب اتفاقية سنة ١٨٦٨ ، وطلب بالتالي ان يرغم أهل الموانى الاخرى كالفويرط والرويس على الهجرة والاستقرار في إقليمه وبعدها يصبح مسئولا عن سلوكهم .

وتبعت ذلك محادثات مع الباب العالي بشأن حوادث القرصنة على الساحل العربي عامة ، واستمرت دائرة من سنة ١٨٧٩ الى ١٨٨١ كما هو مذكور بالتفصيل في تاريخ الاحساء .

مشكلة التعامل مع شيوخ الدوحة والعلاقات السياسية معهم ١٨٨١ — ١٨٨٢ :

وفي سنة ١٨٨١ ثار التساؤل حول مدى استطاعة الحكومة البريطانية التدخل في شئون قطر بمناسبة تهديد ناصر بن مبارك بغزو البحرين بمساعدة الشيخ جاسم في الدوحة ، ثم ثانياً بسبب مشروعات الشيخ جاسم نفسه في القيام بعمل بحري ضد قبيلة عجمان بالقرب من القطيف وضد فرع القبيسات من بني ياس وفي سائر هذه الحالات نصحت السلطات البريطانية في الخليج للشيخ جاسم بأن يتوقف عن نشاطه فأخذ بنصيحتها . لكن حكومة الهند كانت ترى أن الاتفاقية التي عقدت سنة ١٨٦٨ مع والد الشيخ جاسم والتي تعهد بمقتضاها بألا يثير الاضطراب في البحر إنما هي اتفاقية ذات طابع شخصي إلى حد كبير ، ولذلك لا يمكن اعتبارها ملزمة للشيخ جاسم وقد رفعت الأمر الى حكومة صاحبة الجلالة التي ردت في اوائل سنة ١٨٨٢ بأن الشيخ — وان يكن قد ارتضى لنفسه التبعية للعثمانيين على البر — فانه يجب تشجيعه على اقامة علاقة وثيقة ومباشرة مع المسئولين في حكومة الهند وان يرجع اليهم — الى الحد الذي يرغب فيه —

في كل الامور التي تتعلق بالأمن في البحار . وفيما يتعلق بما يجب ان يحدث في حالة قيام شيخ الدوحة او غيره من الشيوخ الذين في مكانته بعمل عدائي في البحر دون إشارة بذلك للمقيم العام ، أو إهمال لتحذير صدر منه — فقد قصرت حكومة صاحبة الجلالة في تقديم نصائح ا و تعليمات دقيقة وبقي على حكومة الهند ان تقرر ، وفق ما تقتضيه الضرورة ، ما اذا كان يتعين استخدام القوة ، في كل حالة من تلك الحالات بذاتها أم لا .

وقد أبلغ الباب العالي في يوليو سنة ١٨٨١ —في نهاية المفاوضات التي أشرنا اليها في الفقرة السابقة— بأنه ما دام العثمانيون يرفضون الموافقة على سياسة مشتركة في البحر ، فان حكومة صاحبة الجلالة مضطرة لان تتكفل وحدها « بحرية مطلقة ودون إشارة لمزاعم السلطان بالفصل في كل المنازعات الإقليمية في هذه المياه .. » ، وخولت لقادة السفن البريطانية التي تطوف بالخليج سلطة العمل حسب مقتضيات الضرورة لمنع اضطراب السلم في البحار او عقاب مرتكبي هذا الاضطراب وان يتجنبوا —بقدر الامكان— إثارة مشاكل لا داعي لها مع السلطات التركية في المكان الذي قد توجد به هذه السلطات ، وان يتجنبوا ايضاً بقدر الامكان الاقتراب من حدود الارض التابعة للسلطان، على أن تسري هذه التعليمات أيضاً على الساحل شمالي العديد .

وعد الشيخ جاسم بالالتزام باتفاقية سنة ١٨٦٨ :

وحوالي نفس الوقت تقريباً ، اقترح الرائد روس المقيم السياسي البريطاني ان يرغم الشيخ جاسم —الذي ظل خلقه وسلوكه كما كان دائماً— على الاعتراف الكتابي بصحة الاتفاقية التي عقدت مع أبيه في سنة ١٨٦٨ ، لكن حكومة الهند — التي كانت تخشى أن تؤدي هذه الاعمال لإثارة مشاكل مع الحكومة التركية— أمرت بأن مجرد الضمان الشفوي يكفي . وقد تم هذا بالفعل ، وتجدد بالتالي التزام الشيخ جاسم بأن يحافظ على السلم

في البحر ، وان يرفع كل الخلافات التي تقوم بينه وبين جيرانه إلى المقيم البريطاني ، ووضح لوقت ما أن هذه الالتزامات كانت لها آثارها في كبح جماح ذلك الشيخ العنيد الصعب المراس .

طرد تجار الهند البريطانية من الدوحة وما عمله البريطانيون بعدها ١٨٨١ - ١٨٨٣ :

وفي أكتوبر سنة ١٨٨١ بدأ الشيخ جاسم يضايق تجار الهند البريطانية لأن أعمالهم في تجارة اللؤلؤ كانت تتدخل في أعماله هو ، وقد صمم بالتالي على أن يجردهم من كل مكانة أو حماية ، لكن زيارة لسفينة صاحبة الجلالة « وود لارك » قامت بها للدوحة وضعت الامور في نصابها زمناً ما ، غير أن الشيخ عاد اخيراً في سنة ١٨٨٢ فأغلق محلات التجار الهنود بالقوة وارغمهم على مغادرة الدوحة ، وقدم اسباباً غير حقيقية لعمله هذا . وفي مايو سنة ١٨٨٢ أرسل مساعد من المقيمية البريطانية الى الشيخ جاسم ومعه خطاب إنذار له يحمله المسئولية كاملة عن كل الخسائر التي لحقت برعايا الهند البريطانية . لكنه كان متحجر القلب فلم يأبه بشيء . وفي نوفمبر ١٨٨٢ قام وكيل موثوق به من المقيمية البريطانية بزيارة الدوحة على سفينة صاحبة الجلالة « وود لارك » وقدم طلباً للتعويض باسم هؤلاء التجار .. وللمرة الثانية أهمل الشيخ جاسم مطالبه . واخيراً .. في ديسمبر ١٨٨٢ ، وبعد استصدار اذن حكومة صاحبة الجلالة ، قام الرائد روس المقيم البريطاني في الخليج بنفسه بزيارة الدوحة على سفينتي صاحبة الجلالة « وود لارك » و « العربي » ، وأصر -في وجه هذه العدائية المتكررة- بأن يقدم الشيخ جاسم اعتذاره للحكومة البريطانية ، ويدفع التعويض لتجار الهند البريطانية ، ويسمح لهم بالعودة للاستقرار في الدوحة . ووجد الشيخ جاسم نفسه مرغماً على قبول تلك المطالب ، وتم بالفعل تحصيل مبلغ ٨ آلاف روبية دفعت للتجار الهنود الذين كانوا قد لجأوا إلى البحرين .

احتجاج الباب العالي على أعمال بريطانيا ١٨٨٣ :

وبمجرد ان عرف الباب العالي بأمر التحصيل المباشر لتعويض الخسائر ممن يسميه قائمقامه بعمل من جانب البحرية البريطانية في الدوحة ، تقدم باحتجاج الى سفير الحكومة البريطانية في القسطنطينية ورفع الامر الى حكومة صاحبة الجلالة . ويبدو ان الشيخ جاسم كان قد نقل ما حدث إلى السلطات التركية مع بعض المبالغة ، كما هدد بالاستقالة من القائمقامية إذا لم يسترد مبلغ الثمانية آلاف روبية الذي دفعه . وصدرت التعليمات لسفير الحكومة البريطانية بأن يحاول - في البداية - المراوغة من مناقشة هذا الموضوع . واذا تعذر ذلك فعليه أن يذكر بوضوح أن الحكومة البريطانية لا تعترف لتركيا بأي حق من حقوق السيادة على ساحل قطر . وأخيراً ، والمشكلة ما تزال قائمة ، أبلغ لورد جرانفيل سفير تركيا في لندن - كتابة - « أن حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف بزعم تركيا في حقوق السيادة على ساحل قطر » .

وباستثناء هذا التبليغ ، فقد أبلغ السفير التركي مرة أخرى وبوضوح لا يقبل شكاً - في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨٣ - بأن الحكومة البريطانية لا تستطيع قبول مزاعم تركيا ، وليست أيضاً مستعدة لأن تنتقص حقاً واحداً من حقوقها التي مارستها زمناً طويلا في قطر ، والتعامل مباشرة مع شيوخ العرب على ساحلها لمراقبة الأمن في البحار ، ولتحصيل التعويض عن الاضرار التي قد تلحق برعايا بريطانيا او من هم تحت حمايتها .

سوء معاملة الهنود مرة أخرى ، وعمليات قرصنة جديدة ١٨٨٣ - ١٨٨٦ :

وبعد اتفاقية سنة ١٨٨٢ ، رجع خمسة من التجار الهنود الذين طردوا من قبل إلى الدوحة لكن إقامتهم ظلت غير مرغوب فيها بسبب نوايا الشيخ جاسم العدائية نحوهم ، وفي سنة ١٨٨٦ ، وبعد أن اتخذ الشيخ جاسم كل الاحتياطات التي يستطيع بها التنصل من مسئولية ما

يحدث ، انتقل الشيخ موقتاً من الدوحة إلى العديد ، وبعدها مباشرة هاجم بدو بني هاجر التجار الهنود وجرحوا منهم اثنين جراحاً غير خطيرة ، وارسل مساعد المقيم البريطاني -خان بهادور عبدالرحمن حكيم- لبحث الحادثة وذكر انه وجد من الأدلة ما يشير الى ان هذه الحادثة متعمدة ومدبرة من جانب الشيخ جاسم وابنه الذي تركه مسئولا عن الدوحة ، وأن الهدف منها ارغام التجار الهنود على هجر الدوحة والخلاص بالتالي من منافستهم التجارية. واخيراً ذكر المقيم أن الشيخ جاسم أنكر بشدة اشتراكه في هذه الجريمة وأبدى اعتذاره لوقوعها ، وبأمر من حكومة الهند ، قبل إنكاره واعتذاره ، وانتهى الموضوع .

وفي خريف سنة ١٨٨٦ ، ارتكب بعض بني هاجر عدداً من حوادث القرصنة الصغيرة على ساحل قطر ، وارسل وكيل المقيمية على سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » ليقابل المسئول عن الساحل ، ونجح في الحصول منه على ضمان بالتعاون مع الحكومة البريطانية ، وكان جزء من هذا الضمان كتابياً .

هجوم متعمد على تجار الهند البريطانية في الدوحة ، وما قامت به السلطات البريطانية بعد ذلك ١٨٨٧ :

وفي سنة ١٨٨٧ ، وبعد أن انسحب الشيخ جاسم من الدوحة لخلاف بينه وبين الاتراك ، سادت الفوضى في المدينة وقتاً ما ، وربما بتحريض الشيخ نفسه وهو في المكان الذي انسحب اليه . وفي بداية هذه الاضطرابات قام أقارب الشيخ في الدوحة بحماية التجار الهنود. ولكن في أول أغسطس هاجم بعض الأعراب تاجرين هنديين عمداً وأصابوهما بجراح ، وبدأت عمليات القرصنة أيضاً على طول الساحل ، فوقعت ست حوادث في زمن قصير ، وكان شيخ البحرين وعدد من رعاياه بين ضحايا هذه العمليات ، وطالب هذا ان يقوم بعمل حازم من جانبه رداً على هذه الاعتداءات .. لكن المقيم العام نصحه -بدلا من ذلك- بمصادرة

أموال الشيخ جاسم من اللؤلؤ وغيره في البحرين ــ وقيمتها تتجاوز ٢٠ الف روبية ــ وتم بالفعل احتجاز هذه الاموال . وفي نفس هذا الوقت جرى ترحيل رعايا الهند البريطانية بإشراف وكيل المقيم الذي وصل إلى الدوحة لهذا الغرض . ولكي يذكر الشيخ جاسم بمسئولياته ثمّ وصل على سفينة صاحبة الجلالة «اوسبري» بعدها الى البحرين . وكان قائد القوات التركية في الاحساء قد تقدم إلى الدوحة ومعه فرقة من الحرس ، وانشغل فوراً بمساورات مع الشيخ جاسم وغيره من الشيوخ . وكانت نتيجة حملة الرائد روس السلمية مرضية تماماً . فقد ارسل الشيخ جاسم وكيلا عنه مباشرة ليبدأ المفاوضات في البحرين ، وتمت تسوية القضية بأن يدفع من أملاك الشيخ في البحرين مبلغ ٦٣٩٠ روبية تعويضاً لتجار البحرين عن ممتلكاتهم .

احتجاجات الباب العالي ١٨٨٨ :

لكن الشيخ جاسم ــ الذي ارغمته الظروف القاهرة فقط على الخضوع لمطالب بريطانيا ــ لم يترك وسيلة من الوسائل ينقض بها ما تم عليه الاتفاق إلا ولجأ اليها . فتقدم إلى والي البصرة وبغداد شاكياً لهما أنه قد جرد من أمواله « جميعاً » في البحرين نتيجة علاقاته بالحكومة التركية . وكانت نتيجة شكواه خطاب تهديد ــ ربما لم تصدر به اوامر من سلطات عليا ــ ارسله متصرف الاحساء إلى شيخ البحرين يطلب منه إعادة أموال الشيخ جاسم اليه . وبعدها تم توجيه الاحتجاج المتوقع أيضاً إلى سفير بريطانيا في القسطنطينية . وبالاشــارة إلى هذا الاحتجاج أحالت حكومة صاحبة الجلالة سفيرها إلى البيانات التي سبق أن أصدرتها سنة ١٨٨٣ والتي كانت ما تزال سارية المفعول .

إيران تطلب مساعدة السلطات البريطانية لها ، ثم لا تستخدمها ١٨٨٧ ــ ١٨٨٨ :

وبالنسبة للخسائر التي لحقت بالرعايا الإيرانيين في الدوحة . فقد سأل الشاه عن إمكان مساعدة السلطات البريطانية حكومته في المطالبة

بتعويضات قدرت بثلاثين ألف تومان ، وكان ثمة أمـل في الرضوخ لهذا المطلب بعد أن تنتهي تسوية مشكلة مطالب الرعايا البريطانيين . وفي أوائل سنة ١٨٨٨ يبدو أن الحكومة الإيرانية قد اكتفت بتأكيدات الباب العالي .. ولا نعرف يقيناً ما إذا كانت قد حصلت على التعويضات المستحقة لها أم لم تحصل . ويبدو ــ كما أشرنا في تاريخ البحرين ــ أن الوزير الإيراني كان يحبذ فكرة قيام الشيخ جاسم بغزو البحرين لحساب إيران .

زيارة المقيم البريطاني للدوحة ١٨٨٨ :

وفي أكتوبر سنة ١٨٨٨ زار الرائد روس الدوحة والتقى بالشيخ جاسم الذي جاء لمقابلته بصحبة حوالي ٧٠٠ فارس بدوي ، وشكا الشيخ سوء المعاملة التي يلقاها .

مراسلات أخرى بين الحكومتين البريطانية والتركية حول حقيقة وضع الباب العالي في قطر ١٨٨٩ :

وقد أدى نشاط نافذ باشا والي البصرة في القطيف وقطر الى شيء من الارباك للحكومة البريطانية ، ولكن لما كانت أعماله هذه كلها صادرة عن حقيقة واحدة هي نقمة الأتراك وحسدهم لهيمنة بريطانيا على موضوع القرصنة ، ولما كانت الحكومة البريطانية أيضاً لا تود عندئذ الدخول في أية مفاوضات حول الحدود .. فانها لم تعترض على أعمال نافذ باشا موقتاً . وفي نفس الوقت كان ثمة اعتقاد بأن أمير شمر في حائل يعد عمليات عسكرية على عمان ، وأن الاتراك يبيتون مساعدته وامداده بالمقاتلين من الاحساء وقطر . وفي ١٨٨٩ ــ وبهدف واضح هو تأكيد السيادة التركية على قطر ــ أبلغ وزير الخارجية التركية السفير البريطاني في القسطنطينية أن الحامية التركية الموجودة في الدوحة ستعزز بقوات من جيش بغداد . وظنت حكومة صاحبة الجلالة أنه يكفي تذكير الباب العالي بحالة الحرب القائمة وقتذاك بين شيخ الدوحة وشيخ ابوظبي

وبأن الاتراك في هذه الحالة إنما يهدفون إلى مد نفوذهم في اتجاه ابو ظبي ، وأن حكومة صاحبة الجلالة لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي في وجه أية محاولة من السلطات التركية للعدوان على عمان او التدخل في شئونها .

علاقات قطر بالبحرين ، والحالة في الزبارة ١٨٧٢ ـ ١٨٩٢

مزاعم شيخ البحرين في الزبارة ١٨٧٣ :

كانت قطر ـ خلال هذه الفترة ـ مسرحاً تدور عليه أحداث كثيرة كلها هامة بالنسبة للبحرين وبعضها خطير أيضاً . لكن معظم ذلك يرد في تاريخ البحرين ، وسنقتصر هنا فقط على ذكر بعض الملاحظات حول مطالبة شيخ البحرين بقطر والحالة في الزبارة .

فقد أدى احتلال تركيا الأحساء إلى أن تصبح سيادة شيخ البحرين على قطر ـ التي كان مسلماً بها من قبل ـ موضع خلاف . وفي سنة ١٨٧١ كلفت حكومة بومباي المقيم السياسي الرائد بيللي بكتابة تقرير عن هذا الموضوع لكنه قام باجازة قبل أن يضع التقرير اعتقاداً منه بامكانية جلاء تركيا عن الأحساء ، وظل الموضوع معلقاً حتى صيف سنة ١٨٧٣ حين تردد أن ضابطاً تركياً قد ذهب الى الزبارة في قطر لإقناع سكانها بالاعتراف بسيادة تركيا . وتحرك شيخ البحرين ليجدد مزاعمه في السيادة على الزبارة على أساس أن قبيلة بني نعيم التي تقيم بالزبارة من رعاياه ، وقد اعترفوا بذلك في وجود الرائد بيللي ، المقيم السابق .

وأبلغ الرائد روس حكومة الهند بعد أن تلقى تقريراً عن الموضوع من جرانت وكيله في البحرين بأن سيادة قطر مسألة غير محددة رغم أن كل الساحل قد وقع مؤخراً تحت النفوذ التركي وأن مزاعم

شيخ البحرين بالسيادة عليها مزاعم ليست مؤكدة ، ولا هو يستطيع فرضها بالقوة ، وأصدر تعليماته لوكيله في نفس الوقت بأن يحاول إقناع الشيخ – كما حدث من قبل – بألا يتدخل في شئون الأرض المجاورة للجزر . وأوصى الرائد بيللي الذي أحيلت اليه الاوراق جميعاً لابداء الرأي بأن تبذل كل الجهود لتجنب مشكلة النزاع الإقليمي في الوقت الحالي ، وكان يظن ان شيخ البحرين – رغم ما يعترف له ببعض حقوق كحقوق الرعي وغيرها على ساحل قطر – إلا انه لا يجب تشجيعه على الخروج الى البحر بهدف الاستيلاء على ميناء في قطر ، ومرة أخرى في سبتمبر سنة ١٨٧٣ عاد شيخ البحرين يؤكد مزاعمه في الزبارة وضرورة طاعة قبيلة بني نعيم له ، وتساءل عما اذا كان يجب أن يتنازل عن حقوقه تلك .. وردت حكومة الهند فأكدت اعتقادها بأن شيخ البحرين ليست له أية حقوق واضحة أو هامة في قطر عموماً ، وأوصت بضرورة منعه بقدر الإمكان عن إثارة الاضطراب في الاراضي القريبة منه .

الهجوم على الزبارة ، وتعزيز شيخ البحرين لها ١٨٧٤ :

وفي سبتمبر سنة ١٨٧٤ حاول بنو هاجر العبور من قطر الى البحرين لكن حركة سفن بحرية بومباي أفشلت محاولتهم ، فوجهوا اهتمامهم الى قرية بني نعيم في الزبارة ، ولولا ظهور القارب البريطاني المسلح « هيو روز » في المنطقة ، والمقاومة الباسلة من جانب حامية الصيف الصغيرة هنـاك لكان محتملا ان يستولي بنو هاجر على الزبارة ويضعوا أيديهم على القوارب التي تمكنهم من غزو البحرين . وأدى هذا التأخير إلى عودة بني نعيم بكل قوتهم من البحرين وشواطيء اللؤلؤ إلى الزبارة ، وبعد عودتهم مباشرة اوقعوا هزيمة حاسمة ببني هاجر ، وقبل نهاية السنة ظهر اللاجيء البحريني ناصر بن مبارك على ساحل قطر ، وخشي شيخ البحرين أن تسقط الزبارة بين يديه ، فطلب من الرائد روس ، المقيم العام ، السماح له بتعزيز الزبارة على أساس أنها من توابع

البحرين ومن معاقلها الهامة ، وإنه لو لم يساعد حلفاءه بني نعيم لفقد عونهم له في المستقبل . وكانت هذه الاعتبارات وراء موافقة الرائد روس على تعزيز الزبارة كأجراء دفاعي فقط ، لكن عمله لم يلق قبولا لدى حكومة الهند التي كانت تتمسك بقرارها في العام السابق بضرورة عدول شيخ البحرين عن إرسال إمدادات من الرجال للزبارة مع تشجيعه أيضاً على الاعتماد اعتماداً مطلقاً على الحكومة البريطانية للدفاع عن جزره .

وبعدها مباشرة ذاع أن والي بغداد قد نقل إلى الباب العالي تلغرافياً صورة محرفة وبالغة السخف لما حدث ، فقد صور الأمر على أن قبيلة بني نعيم في الزبارة متمردة على السلطة الشرعية للحكومة التركية . وأن بني هاجر قد استخدمتهم هذه السلطات لقمع التمرد ، لكن المتمردين أفلتوا من العقاب نتيجة تدخل خارجي من شيخ البحرين . وكانت الأخطار التي تتهدد البحرين من ناحية قطر –كما يرى المقيم العام– ناشئاً معظمها عن موضوع تبعية ساحل قطر المواجه للبحرين للباب العالى أم لا .

حكومة الهند لا تقر مزاعم شيخ البحرين في السيادة على قطر ١٨٧٥ :

وعاد شيخ البحرين –رغم أنه أبدى استعداده لاتباع نصائح الحكومة البريطانية– مرة أخرى في إبريل سنة ١٨٧٥ يؤكد مزاعمه في السيادة على قطر كلها مؤكداً أنها كانت خاضعة من قبل للبحرين وتدفع لها الجزية . وحين رفعت هذه الحقائق إلى حكومة الهند أبدت أسفها لاستمرار شيخ البحرين في الزج بنفسه في شئون الأرض المجاورة له . وأمرت بأن يلفت نظره إلى أن استمراره في هذا السلوك الذي يعارض نصائح بريطانيا له ، ويعرضه لمشاكل البرّ القطرى ، أمر ستكون نتائجه عليه هو وحده ، أما بريطانيا من ناحيتها فسوف تحتفظ بحقها في أن تتخذ ضده من الاجراءات ما تراه ضرورياً . ونقل الملازم فريزر مساعد المقيم

مضمون ذلك الخطاب الى الشيخ عيسى شخصياً ، واصر الشيخ على أن حقوقه في البحرين ما زالت شرعية وقائمة ، لكنه رغم ذلك أعلن خضوعه لاوامر الحكومة .

جلاء شيخ البحرين عن الزبارة ١٨٧٥ :

وتقدم الشيخ بعد ذلك بطلب عن طريق أخيه للسماح بتأخير انسحاب رجاله عن الزبارة حتى نهاية موسم اللؤلؤ لكن طلبه رفض . وقد ظلت الحالة هادئة في الزبارة وما جاورها الا من بعض إغارات متبادلة على المواشي التي يملكها كل من بني هاجر وبني نعيم . ولكن أثناء موسم صيد اللؤلؤ خرج بعض بني هاجر الى البحر لعملية قرصنة . وأدى خروجهم كما هو مذكور في تاريخ البحرين إلى عمل متطرف قام به شيخ البحرين في مياه بعيدة عنه تماماً .

الحالة في الزبارة ١٨٧٦ ــ ١٨٧٧ :

وفي سنة ١٨٧٦ انقسمت قبيلة بني هاجر مؤقتاً الى قسمين ارتبط قسم باللاجىء البحريني ناصر بن مبارك ، وبقي الثاني مع بني نعيم في الزبارة . واتخذت الاحتياطات مرة أخرى فوجه إنذار لشيخ البحرين بألا يتدخل في المشاكل على البر . ولكن يبدو ان هذا لم يكن ضرورياً . فلم ينتج شيء عن هذا التحالف الجديد .

وفي سنة ١٨٧٧ قدمت شكاوى ــ كما هو مذكور في تاريخ البحرين ــ من أن الشيخ عيسى ما تزال علاقاته وثيقة بالزبارة ، وثوقاً غير مرغوب فيه . لكن البحث أثبت عدم صحة هذه الشكاوى ، وأن الشيخ لم يكن يعمل أكثر من المطلوب لإبقاء بني نعيم إلى جانبه ومنعهم من الاتصال ببني هاجر .

تدمير الزبارة ١٨٧٨

وفي سبتمبر سنة ١٨٧٨ ــ كما هو مذكور في تاريخ الأحساء ــ وقعت حادثة قرصنة رهيبة قتل فيها أربعة أشخاص ، ارتكبها أهل

الزبارة على قارب عابر ، وأصدرت حكومة الهند اوامرها للرائد روس المقيم السياسي بأن يطلب الى السلطات التركية إيقاع العقاب بأهل هذه المنطقة وأن يعرض عليها عون البحرية البريطانية لهذا الهدف . وقد نفذ هذه التعليمات بأن سار بنفسه في ٢٢ أكتوبر إلى البصرة ، حيث عقد اجتماعاً مرضياً بعض الشيء مع واليها عبدالله باشا . وفي نفس الوقت أو بعده بقليل ، وقع هجوم على الزبارة –التي كان اهلها مدعاة للكراهية بسبب ما يرتكبون من الغارات وعمليات القرصنة ضد جيرانهم من كل صوب – بقوات كبيرة يقودها الشيخ جاسم شيخ الدوحة وناصر ابن مبارك ، وحين سمع الرائد روس بهذه المشكلة الجديدة أبحر من فوره من بوشهر إلى البحرين في ١٧ نوفمبر وصحبته سفينتا صاحبة الجلالة « تيزر » و « العربي» ورستا في ميناء البحرين . وصعد اليه الشيخ عيسى على ظهر السفينة ، وألح في وجوب القيام بعمل لانقاذ بني نعيم في الزبارة لكن المقيم رفض فسخط الشيخ سخطاً عظيماً . وفي ١٨ نوفمبر نزل الرائد روس إلى الزبارة من سفينة صاحبة الجلالة « تيزر » وزار معسكر الشيخ جاسم وكان مضروباً على مبعدة نصف ميل تقريباً من حصن مرير الذي حصر فيه بنو نعيم وقد تجاوز عددهم خمسمائة شخص . أما قرية الزبارة نفسها فقد تحولت فعلا الى أنقاض . وذكر أن عدة قوارب قد أحرقت أيضاً ، ويبدو أن القوة التي كانت تصحب الشيخ جاسم كان قوامها الفي رجل مسلح ، ونتيجة هذا التفاوت الكبير بين عدد المهاجمين والمهاجَمين لم يقع قتال فعلي . وحين عاد الرائد روس الى البحرين وجد برقية من والي البصرة الذي يعرفه موجهة إلى قائمقام القطيف يأمره فيها بارسال القارب التركي المسلح «اسكندرية » فوراً الى الزبارة للحيلولة بين هذه القوات المهاجمة وغزو البحرين ، وأبلغه ان هذا الامر قد نفذ بالفعل . وقد استسلم بنو نعيم عقب رحيل الرائد روس مباشرة بشروط غير منصفة ، ولم تعد الزبارة مكاناً آهلا بالسكان بعد .

أما سكانها –الذين يبدو أن قائد السفينة التركية « اسكندرية » استطاع عقد صلح بينهم وبين الشيخ جاسم– فقد انتقل معظمهم في البداية إلى الدوحة ، وقد اتفق رأي المقيم العام وشيخ البحرين معاً عندئذ على أن أفضل حل لمشكلة الزبارة في ذلك الوقت يواتي أمن البحرين هو احتلال تركيا الدائم لها .

اشاعات عن احتلال الاتراك للزبارة ١٨٨٨ – ١٨٩١ :

وفي سنة ١٨٨٨ ذكر أن الاتراك ينوون إعادة بناء الزبارة ، وخشي أن يكلفوا بذلك وكيلهم الخارج على القانون من البحرين ناصر بن مبارك فأصدرت حكومة الهند تعليماتها للمقيم العام بأن يبلغ هذا الرجل والشيخ جاسم أيضاً – الذي كان صهره – بأنهم لن يسمحوا لاحد بالاستقرار في الزبارة ، ولم تلاحظ أي محاولة لاعادة احتلال المكان بعدها . وفي ١٨٩٠ و ١٨٩١ ترامت شائعات عن تعيين مدير تركي للزبارة ، وقد عرض هذا المنصب في البداية على محمد بن عبدالوهاب في دارين لكنه رفض ، ولكن يبدو أن المسئولين الاتراك قد عدلوا عن المشروع كله بعد أن وصل المدير المعين بالفعل إلى البحرين .

علاقات قطر بابو ظبي والحالة في العديد ١٨٧٢ – ١٨٩٣

سنجد في تاريخ إمارة أبو ظبي إشارة إلى مستعمرة بعض بني ياس المنشقين في خور العديد من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٧٨ ، وكانت مستعمرتهم هذه تقع داخل الحدود الإقليمية للعديد لكننا سنشير الآن فقط إلى تأثير بعض الأحداث هناك على قطر التي تلاصق الخور عن قرب .

علاقة تركيا بالعديد ١٨٧١ – ١٨٧٦ :

في سنة ١٨٧١ –وعقب وصول الأتراك إلى الأحساء مباشرة– تبين أن العلم التركي قد عرض على بني ياس هؤلاء في خور العديد ، وكانوا

يؤكدون دائماً أنهم مستقلون عن جميع القوى .. لكنهم رفضوا قبول العلم . وسرت إشاعة أخرى مضادة تقول إنهم قبلوا العلم فعلا ورفعوه يوم الجمعة . وفي سنة ١٨٧٣ زار أربعة أتراك العديد . حيث توصلوا الى اتفاق يدفع المستوطنون فيها بموجبه مبلغ ٤٠ أو ٥٠ روبية لهم كل سنة عن طريق الشيخ جاسم في الدوحة ، ثم رحلوا بعد ان منعتهم رداءة مياه الشرب من إقامة موقع لهم . وفي سنة ١٨٧٤ أعلن الشيخ زايد شيخ ابو ظبي أن السلطات التركية المحلية كتبت اليه تعلن أن العديد تحت حمايتها ؛ وتطلب منه عدم التدخل هناك لكنه لم يستطع أن يقدم تلك الخطابات حين طلبت منه .

وفي سنة ١٨٧٥ تبين أن لدى شيخ العديد علمين : علم تركيا وعلم المشايخ المتصالحين وأنه يرفع أحدهما أو الآخر حسب مقتضى الحال ؛ وفي ١٩ أكتوبرسنة ١٨٧٦ حين زار الكابتن جوثري العديد على السفينة « ماي فرير » وجد علم عمان المتصالحة مرفوعاً لكنه فهم أن الجزية كانت ما زالت تدفع لتركيا .

مراسلات مع الباب العالي خاصة بحوادث القرصنة في العديد ١٨٧٧ :

وفي سنة ١٨٧٦ و ١٨٧٧ ارتكب بعض آل مرة عدداً عن اعمال القرصنة على مرافيء القوارب في العديد ، وكانت هذه القبيلة البدوية تابعة اسمياً لتركيا . ولم يكن بمقدور شيخ العديد منع وقوع هذه الحوادث ، وأصبح التفاهم مع الحكومة التركية بهذا الصدد ضرورياً . وتحاشت حكومة صاحبة الجلالة أن تشير إشارة محددة إلى العديد —لأن هذا يثير مشكلة إقليمية مستعصية— واكتفت بأن تلفت نظر الباب العالي الى تزايد أخطار القرصنة على ساحل قطر نتيجة امتداد سيطرة تركيا بهذا الاتجاه ، وأكدت مرة أخرى عزمها على ألا تسمح للقراصنة باشاعة الاضطراب في مياه الخليج سواء كان هؤلاء القراصنة خارجين فعلا من أماكن خاضعة للنفوذ التركي كميناء الدوحة ، أو منتمين إلى القبائل التي تعترف بسيادة تركيا يبحرون من موانيء شيوخ مستقلين لكنهم

أضعف من أن يستطيعوا منع ذلك الاضطراب في أقاليمهم ، وانكرت الحكومة التركية في ردها معرفتها أية حوادث قرصنة وقعت على شاطىء قطر وطلبت التفصيلات .

شكوى الباب العالي من عمل البريطانيين في العديد ١٨٧٨ :

وفي سنة ١٨٧٨ شكا وزير الخارجية التركية من أعمال للسلطات البريطانية في العديد قبل عدة شهور أدت — كما هو مذكور في تاريخ إمارة أبو ظبي — إلى أن يهجر بنو ياس مستعمرتهم . وفي خلال هذه المراسلات وضح أن تركيا تعامل العديد كجزء تابع لإقليم قطر التركي . ولا نجد في تقارير حكومة الهند رداً على هذه الشكاوى ولكن في المراسلات التي أعقبت ذلك مباشرة ودارت حول حوادث القرصنة على ساحل الاحساء وقطر يبدو واضحاً أن الحكومة البريطانية كانت قد قررت ألا تعترف بمزاعم تركيا في السيادة على العديد أو أي مكان سواها غرباً .

حرب طويلة بين شيوخ الدوحة وأبو ظبي :

ومن سنة ١٨٧٦ وصاعداً ، ونتيجة وجود المتمردين من بني ياس في العديد ، استمرت الأعمال العدائية دائرة بين شيخ الدوحة وشيخ أبو ظبي وفي سنة ١٨٨٠ ، ولدى عودة القبيسات الى ابو ظبي ، ازدادت حدة العداء بين هذين الشيخين . وخلال إقامة القبيسات في العديد سقط هذا المكان تماماً تحت سيطرة الشيخ جاسم الذي خسره مرة أخرى برحيلهم عنه ، واتضح غيظه في المطالب المالية التي أصبح يتقدم بها من زعيمهم بطي بن خادم .

١٨٨١ :

وفي سنة ١٨٨١ أنهى الشيخ جاسم إلى المقيم البريطاني رغبته في احتلال العديد والقاء القبض على بطي بن خادم ، لكن المقيم استطاع أن يحول بينه وبين القيام بأي من هذين العملين .. وفي ديسمبر سنة ١٨٨١

أغار بنو هاجر وغيرهم من بدو قطر على منطقة بجوار ابو ظبي واستطاعوا الاستيلاء على عدة جمال ثم بيعها في الدوحة ، وبعدها مباشرة تهيأ شيخ ابو ظبي للانتقام ، واستعد الشيخ جاسم بدوره للدفاع ، وأخيراً وبفضل تدخل محمد بن عبدالوهاب سويت المسألة دون قتال .

١٨٨٥ :

وفي سنة ١٨٨٥ ، وبعد فترة ساد فيها السلم عاد الشيخ جاسم لتجديد نزاعه مع شيخ ابو ظبي فزعم ان له ديناً عند بطي بن خادم ضمنه فيه الشيخ زايد ولم يسدد ، وأن المناصير الذين هم تحت حماية الشيخ زايد قد نهبوا بعض أهالي قطر في جزيرة دالمه وقد اغاروا على إقليم قطر نفسه . وزعم أيضاً أن الشيخ زايد يتدخل في شئون العديد التي هي شرعاً تابعة للشيخ جاسم الذي يعتزم احتلالها . وربما كان يقصد بشكايته من المناصير ما قام به فرع آل بو شعر من هذه القبيلة حين استولوا على قطيع من الماشية وثلاث من الجواري لاقارب الشيخ جاسم في نعيجة بالقرب من الدوحة . وقد قام بنو هاجر وآل مرة بارتكاب عدة غارات انتقامية عليهم باسم الشيخ جاسم ، فقد أغارت هذه القبائل على بلاد بني ياس ، وحملوا منها ستة جمال بيعت في أسواق الدوحة ، واستمرت هذه المهاترات دائرة بينهم حتى سويت المسألة بتدخل اللاجيء البحريني ناصر بن مبارك . وفي نفس الوقت أجاب المقيم العام على اتصال من جانب الشيخ جاسم به ، فأفصح عن رغبته في أن يتخلى الشيخ عن نواياه في احتلال العديد ، وأن يقدم بدل ذلك تفصيل شكاواه من شيخ أبوظبي مستهدفاً تسوية الخلافات والصلح معه .. لكن الشيخ جاسم لم ير من اللائق به تلبية تلك الدعوة .

١٨٨٦ :

وفي صيف سنة ١٨٨٦ أبلغ الشيخ جاسم الشيخ زايد انه تلقى توجيهات من السلطات التركية باعادة بناء العديد ، وإثباتاً لما يقول ارفق

بكتابه خطاباً موجهاً اليه من قائد السفينة التركية « زحاف » بذلك الفحوى ، وقد قدم شيخ أبو ظبي هذه المراسلات الى المقيم العام . وفي نفس الوقت تقريباً تحرك الشيخ جاسم من الدوحة باتجاه العديد ومرة أخرى حذره المقيم من هذا العمل مستنفراً سفينة حربية للتوجه مباشرة الى المكان ومقدماً احتجاجاً في نفس الوقت إلى السلطات التركية ، بينما أنكر والي البصرة —في رده الكتابي عليه— معرفته بهذا الأمر الصادر عن قائد السفينة « زحاف ». ولم يقم الشيخ جاسم بالتالي بأية محاولة لإعادة احتلال العديد .

١٨٨٧ :

وفي سنة ١٨٨٧ هاجمت سفينة قراصنة من الوكرة قارباً للقبيسات من بني ياس على شاطىء اللؤلؤ وجرح أحد بحارة هذا القارب جراحاً خطيرة أفضت إلى موته .

موت ابن الشيخ جاسم في الحروب ١٨٨٨ :

وفي سنة ١٨٨٨ وصلت الحرب الطويلة بين شيوخ الدوحة وأبوظبي فجأة إلى أزمة حادة . ففي فبراير من هذه السنة ، وأثناء وجود والي البصرة في الدوحة بالفعل ، حدثت غارة قام بها المناصير على ظهور جمالهم واستطاعوا فيها سبي ٤٠ عبداً وجارية معظمهم لآل بو شعر في نعيجة ، بل إن من المناصير من تقدم أكثر واستطاع أن يخطف عبدين أو ثلاثة من أطراف الدوحة نفسها ، وقد فشلت مطاردتهم . وفي مارس قام الشيخ جاسم بغزوة انتقامية لإقليم ليوى(١) في ظفره واستطاع أن يستولي على أكثر من ٤٠٠ بعير وزعها على رفاقه ، كما استطاع أن يسترد اثنين من العبيد الذين خطفوا من الدوحة سالمين ، ودمر ٢٠ قرية من قرى ليوى تدميراً كاملا . وفي مايو تجدد الصراع مرة أخرى حين أرسل الشيخ زايد قوة قوامها ٢٥٠ بدوياً للهجوم على الدوحة يقودهم

---

(١) أصلها الاجواء ·

ابنه خليفة ، وكان الشيخ جاسم قبل وصولهم في الظعاين ، وخرج أهل المدينة لصدهم لكنهم استدرجوا لكمين خسروا فيه ٣٤ رجلا من بينهم علي بن الشيخ جاسم .

أهداف تدخل تركيا ووسط الجزيرة في القتال ١٨٨٨ :

واستولى على الشيخ جاسم ذهول الغضب وذهول الحزن ، فاتصل بالأتراك محاولا إغراءهم بغزو عمان المتصالحة ، وطلب العون من ابن رشيد . وقام بمراسلة شيوخ عمان المتصالحة خلاف الشيخ زايد ، وقدم معونات لكثير من قبائل البدو . وحين رحب ابن رشيد بطلبه توقعت السلطات البريطانية حدوث اضطرابات كثيرة على مستوى شامل ، بل وتوقعت أيضاً هجوماً من الشيخ جاسم وحلفائه على ابوظبي .

١٨٨٨ :

لكن تركيا لم تتحرك ربما بسبب الانذار الذي امرت حكومة الهند بتوجيهه إلى الباب العالي بعدم التدخل ، وظل ابن رشيد هادئاً أيضاً ، وتجددت أعمال الشيخ جاسم الانتقامية أخيراً في غزو ليوى . وفي يناير وفبراير سنة ١٨٨٩ قام بهجومه الذي قطع فيه ثمار النخيل وقتل الرجال والنساء والاطفال دون رحمة ، كما حرم أيضاً على رعايا شيخ دبي – الذي خيل اليه أنه مرتبط بشيخ ابوظبي – النزول إلى قطر للتجارة أو لهدف آخر . وفي إبريل انتقم بنو ياس لانفسهم بشن غارة على منطقة بر القارة البعيدة واستطاعوا أن يحملوا معهم عدداً كبيراً من الجمال لقبائل البدو التي تناصر شيخ الدوحة . ورد أنصار الشيخ جاسم في يونيو بغزوة في اتجاه أبوظبي عادوا منها بجمال لآل الدروع بو شميس من بني نعيم . وفي أغسطس تحول عدد من آل مرة إلى جانب الشيخ زايد وتعهدوا بأن يقفوا الى جانبه ضد المغيرين من قطر ، ولرغبة الشيخ جاسم الشديدة في الهجوم . غامر مرة بارسال رجال مسلحين وذخائر في قارب إلى سلع وهي مكان غربي خور العديد فهو بالتالي جزء

من ابو ظبي ، لكن المقيم العام بادر بأوامر من حكومة الهند إلى توجيه اللوم اليه لهذا العمل ، وأضاف يحذره من أنه لو تكرر فسيؤدي إلى نتائج وخيمة بالنسبة له .

عون الاتراك لشيخ الدوحة في الحرب ١٨٨٩ :

وخلال استمرار هذه الحرب ، تلقت الحامية التركية الموجودة في الدوحة أوامر بمعاونة الشيخ جاسم في الدفاع عن المدينة إذا تعرضت لهجوم ، لكنها كانت ممنوعة من القيام بأية عملية ضد أي مكان يبعد عن الدوحة أكثر من مسيرة أربع ساعات . وفي نهاية سنة ١٨٨٩ حاول والي البصرة عقد الصلح فكتب الى الشيخ زايد شيخ ابو ظبي يطلب منه الرضوخ لتحكيم السلطات التركية في الخلاف القائم حسماً للنزاع وحقناً للدماء ، باسم الدين الاسلامي الذي يدين به أطراف النزاع جميعاً ، وباسم سيادة سلطان تركيا « المستترة » على هذه الاطراف وإن حاولت الدول الاجنبية إنكارها . ورد شيخ ابو ظبي على هذا الخطاب –بنصيحة من المقيم السياسي البريطاني– يقول ان هذا شأنه هو ورغبته هو أن يدافع عن ارضه ما لم يتوقف شيخ الدوحة عن القيام بهذه الأعمال العدائية ضده.

١٨٩٠ – ١٨٩١ :

وفي سنة ١٨٩٠ استمرت الإغارات المتبادلة ، وكان الانتصار بشكل عام حليف شيخ الدوحة ، وفي ١٨٩١ استطاعت قوة مغيرة من قطر أن تصل فعلا قرب مدينة أبوظبي ثم ترجع دون ان يلحق بها المطاردون .

شائعات عن استهداف الاتراك احتلال العديد ١٨٩٠ – ١٨٩١ :

وفي ١٨٩٠–١٨٩١ تناثرت شائعات –كما أشرنا من قبل– مفادها أن الأتراك ينتوون تعيين «مدير » للعديد ، لكن هذه الشائعات انتهت إلى لا شيء رغم وصول هذا المدير المعين إلى البحرين بالفعل من البصرة .

التمرد على السلطة التركية في قطر ١٨٩٣

كانت العلاقات بين تركيا وشيخ الدوحة –ممثلها الاسمي في قطر– تزداد توتراً يوماً بعد يوم لأن الشيخ جاسم نجح بالفعل في إحباط مشروع تركيا باقامة دار للعوائد في الدوحة . كما كان الأتراك يعتبرونه مسئولا عن معظم القلاقل والاضطرابات بين القبائل في إقليم قطر وعلى طول ساحله . ووصلت هذه العلاقة إلى أزمة حادة أثناء زيارة قام بها والي البصرة لقطر أثناء جولته في الأحساء ، وكان واضحاً أن المقصود بها تسوية الأمور هناك .

المفاوضات بين الشيخ جاسم ووالي البصرة فبراير–مارس ١٨٩٣ :

وصل صاحب السعادة الوالي عن طريق البر قادماً من الهفوف قرب نهاية فبراير سنة ١٨٩٣ يصحبه ٣٠٠ فارس وفرقة من المشاة قطعوا الطريق من البصرة عبر الكويت . واستدعى الشيخ جاسم اليه في الدوحة ، لكن هذا خشي القاء القبض عليه –رغم وعده بالأمان– فلم يذهب لزيارته ، فاقترح الوالي –لشكه في الخيانة من ناحية وحفاظاً على هيبته من الناحية الاخرى– أن يتقابلا في الصحراء ومع كل جماعة قليلة من الرجال فقط . واستمرت المفاوضة دائرة شهراً عن طريق وسيط هو أحمد شقيق الشيخ جاسم الذي رفض النزول من موقعه الذي اتخذه في الوجبة –١٢ ميلا غربي الدوحة– .. وفي النهاية قرر الوالي أن يلجأ الى العنف .

هزيمة القوة التركية ٢٦ مارس ١٨٩٣ :

وفي ليلة ٢٥ مارس –وبعد ان قام الوالي باحتجاز أحمد شقيق الشيخ جاسم و ١٢ من أعيان الدوحة – تحركت القوات التركية لتباغت الشيخ جاسم في الوجبة ، لكنها فشلت . وتجمع العرب وهاجموا القوات التركية فهزموها وشتتوا أفرادها ، وكان معظم القتال الذي دار في منطقة مسيمير على بعد سبعة أميال جنوبي الدوحة ، ومن هذا المكان يبدو أن القوات

التركية حاولت أن تطوق الوجبة ، أو أنها وجدت هناك طريقاً مناسباً للانسحاب فعادت بعد أن تكبدت خسائر كثيرة متراجعة إلى حصن الدوحة ، وقامت السفينة الحربية التركية « ميريخ » باطلاق نيرانها لتغطية هذا الانسحاب ، ثم راحت بعد ذلك تطلقها على المدينة ، ونقل الوالي مقره الى ظهر السفينة ، وقدرت خسائر الاتراك كلها في ذلك اليوم بحوالي مائة رجل ومن العرب حوالي ٤٠٠ من الرجال والنساء والاطفال ، واستطاع العرب بالسيطرة على آبار المياه القريبة من الدوحة وإرغام الوالي على إطلاق سراح أحمد ووجهاء الدوحة الذين كانوا رهائن عنده ، وكان على الوالي ايضاً أن يدبر أموره لعودة فرسانه الذين جاء بهم من الاحساء براً عن طريق الهفوف . وبعد هذه الاحداث هجر الدوحة سكانها وتفرقوا في أماكن عديدة ، وظل الشيخ جاسم يعيش هادئاً في الوجبة ، وظلت السفينة التركية « مريخ » والوالي على ظهرها راسية في ميناء الدوحة .

محاولات بريطانيا للتدخل مايو ١٨٩٣ :

وقبل هذا الصدام بعدة أيام كان الشيخ جاسم لإحساسه بتزايد صعوبة موقفه قد كتب إلى المقيم السياسي البريطاني يطلب حمايته ، كما طلب أيضاً من شيخ البحرين أن يقيم تحت رعايته– في الجزء الشمالي من قطر . وحين عرف أمر واقعة مسيمير في لندن والقسطنطينية طلب لورد روزبري وزير الخارجية البريطانية ارسال المقيم العام في المنطقة أو سواه من المسئولين للتوسط بين تركيا والشيخ جاسم ، وسار الرائد تالبوت حسب هذه الاوامر من بوشهر إلى نهاية الدوحة في إبريل لكن الوالي رفض مناقشة الامر معه دون اوامر من الباب العالي . وفي نفس الوقت الذي سار فيه الرائد تالبوت الى الوكرة ليلتقي بالشيخ جاسم جاءت اوامر الباب العالي بعزل الوالي . ووافق أحمد –الذي عينه شقيقه الشيخ جاسم سفيراً مفوضاً له– على قبول القرار الذي يتخذه المقيم البريطاني ، وطلب تحديد مكان يلجأون اليه على ساحل قطر ، وهناك

يستطيع أن يجدد اتفاقية سنة ١٨٦٨ ، أو يتعهد بقبول نفس الالتزامات التي يلتزم بها شيوخ عمان المتصالحة . وعند هذا الحد انتهت أعمال بريطانيا .

التسوية النهائية يونيو ١٨٩٣ :

وفي يونيو سنة ١٨٩٣ وبتوسط من نقيب البصرة تم التوصل لاتفاقية بين الحكومة التركية والشيخ ، تقضي بأن يتنازل الشيخ جاسم — في مقابل الاسلحة التي استولى عليها من الاتراك الأسرى — عن قائمقامية قطر لشقيقه أحمد ، ويعفى عنه عفواً شاملا بعدها .

★ ★ ★

التاريخ العام والداخلي في قطر بعد التمرد على الاتراك ١٨٩٣ ـ ١٩٠٧

تعين مساعد قائمقام تركي في الدوحة ١٨٩٣ ؛

ورغم هذه الاتفاقية ، ورغبة الشيخ جاسم في التوقف عن خدمة الاتراك ، فقد ظل الاتراك يعاملون الشيخ جاسم على أنه قائمقامهم في قطر . لكن مسئولا تركياً تم تعيينه كمساعد للقائمقام في الدوحة ، وربما كان رفض الاتراك قبول استقالة الشيخ جاسم من القائمقامية ناشئا عن كون الشيخ في هذا المنصب أقل خطورة منه لو ترك حراً لا يقيده شيء .

١٨٩٤ :

وفي سنة ١٨٩٤ قام الجنود الأتراك بقتل مساعد القائمقام التركي وزوجته وكانا قد هربا في البداية الى الوكرة ثم قبض عليهما واعيدا من هناك .

١٨٩٦ :

وفي يوليو سنة ١٨٩٦ سطا بنو هاجر على أكثر من ثلاثة آلاف

رأس من الغنم وعدد من الجمال لبنى نعيم في قطر ، وتدخل ابن رشيد وطلب أن يدفع الشيخ جاسم تعويضاً لبني نعيم وقد حدث هذا بالفعل .

١٨٩٧ :

وفي ١٨٩٧ يبدو أن الشيخ جاسم قد أبلغ المتصرف ـ باسم أهل قطر ـ أنهم لن يساهموا بعد في نفقات الحرب الدائرة بين تركيا واليونان .

الاضطرابات في الدوحة ١٨٩٨ :

وفي ١٨٩٨ ـ وأثناء فترة غياب موقته للسفينة التركية الراسية دائماً في ميناء الدوحة ـ حدث تمرد محدود قتل فيه بعض الاتراك والعرب . ويبدو ان سبب ذلك هو اعتقاد العرب بأن السلطات التركية هي التي اوعزت بحملة شيخ الكويت الناجحة في ابريل سنة ١٨٩٨ على بني هاجر المتمتعين بحماية الشيخ جاسم ، وبعد هذه الحادثة عززت حامية الدوحة .

١٩٠٢ :

وفي سنة ١٩٠٢ رفض الشيخ جاسم وشقيقه أحمد دعوة لزيارة الاحساء .

١٩٠٥ :

وفي سبتمبر سنة ١٩٠٥ أخطأ الشيخ أحمد شقيق الشيخ جاسم في قتل يهودي وقعت له ملاحاة معه في الدوحة ، وقتل بدله مواطناً تركياً مسلماً كان بصحبته ، وكان متوقعاً أن تثير السلطات التركية في البصرة مشاكل حول هذه الحادثة ، وحين عرف الشيخ أحمد خطأه اعتذر للمسئولين الاتراك وعرض مبلغ ٨٠٠ روبية دية لاقارب القتيل لكن هؤلاء رفضوا قبول الدية .

١٩٠٦ :

وفي سنة ١٩٠٦ ذكر أن حامية الدوحة كان قوامها رسمياً مئتي جندي

لكن الموجودين منها دائماً لا يتجاوزون النصف ، بسبب هرب الجنود من الخدمة .

الوضع الاداري في قطر ١٩٠٥ :

وفي نوفمبر سنة ١٩٠٥ ، وخلال زيارة قام بها الكابتن بريدو الوكيل السياسي في البحرين القيت أضواء كثيرة على حقيقة الوضع الاداري في قطر . وتبين ان الشيخ جاسم رغم السنوات الخمس أو الست التي قضاها متقاعداً في الوسيل ورغم استقالته رسمياً من القائمقامية والرئاسة ظل الحاكم الفعلي للدوحة وما حولها ، ولم يكن يتم إبرام شيء ذي خطر في قطر دون مشورته . وفي نفس الوقت نجح الشيخ أحمد ، وكان يقوم فعلا بمهام القائمقام وكان بالتالي وسيط التعامل مع السلطات التركية ، في أن يدعم مكانته الشخصية ، ولهذا دب شيء من الغيرة بينه وبين شقيقه الشيخ جاسم — كذلك كانثالث أبناء الشيخ جاسم — وهو عبدالرحمن— مستقلا استقلالا شبه كامل بحكم الوكرة .

ورغم تقدم السن بالشيخ جاسم —الذي ربما جاوز الثمانين— إلا أنه كان محتفظاً بكامل قواه وملكاته ، وكان مهتماً أعظم الاهتمام بكل الامور المتعلقة بعمله .

اغتيال الشيخ أحمد في ديسمبر ١٩٠٥ وما أسفر عنه :

وفي ديسمبر سنة ١٩٠٥ عقب زيارة الكابتن بريدو ، لقي الشيخ أحمد مصرعه على يد خادم من خدمه من بني هاجر بسبب حقد شخصي ، ولكن ثارت الشكوك بشكل عام في أن خليفة أكبر أبناء الشيخ جاسم ، كان مشتركاً في هذه الجريمة ، وأثبت الشيخ الكبير أنه ما زال قادراً على مواجهة مثل هذه الطوارىء ، فأصدر اوامره لبني هاجر بأن يتوافدوا مستسلمين على معسكره ، وهناك تعهدوا بالقبض على القاتل وإعدامه ، وفي نهاية إحدى مناقشاته معهم ، حدثت حادثة مفاجئة هي انقضاض عبد من عبيد الشيخ المقتول على سالم بن شافعي

ـشيخ فرع المخضبة من قبيلة بني هاجرـ وقتله ، ورفض آل ثاني رفضاً تاماً أن تكون لهذه الحادثة أية علاقة بالقضية الاصلية ، ولم يتعثر سير المفاوضات ، وبعدها بعدة أسابيع لقي قاتل الشيخ أحمد مصرعه في الظهران على يد ابن شقيق سالم بن شافعي وانتهت الأزمة التي أحدثها مصرع الشيخ أحمد . وكان من نتائج مصرعه أن أصبح عبدالله ـرابع أبناء الشيخ جاسمـ مسئولا عن الدوحة ، وقد أثبت أنه أفضل من شقيقه خليفة نظراً لطاعته المطلقة للشيخ جاسم . ولوحظ أن الاتراك قد تفادوا بذكاء أن يتدخلوا في تعيين شيخ جديد للدوحة ، وتركوا الأمر كله للشيخ جاسم . وكانوا يحترمون استقلاله في فض النزاعات القبيلية الداخلية غير أن القائد العسكري التركي في حصن الدوحة استمر في الاشراف على العلاقات الخارجية . وفي نوفمبر سنة ١٩٠٦ حاول عبد زنجي الاعتداء على حياة الشيخ عبدالله ، ولم يلق مصرعه إلا بعد أن قتل رجلين .

مشاكل قبلية ١٩٠٥ – ١٩٠٦ :

وفي إبريل ١٩٠٥ قاد الشيخ أحمد شيخ الدوحة حملة من آل مرة وبني هاجر وفرع المخضبة من بني نعيم على عجمان وبني خالد من فرع العماير وبني هاجر من فرع آل محمد الذين كانوا مجتمعين في صحراء جافورة ، وغنموا بعض الماشية ولكن قتل منهم خمسة رجال . وفي مايو سنة ١٩٠٦ قاد الشيخ عبدالله شيخ الدوحه حملة تأديبية صغيرة على المتمردين من قبائل بني هاجر والمناصير ، وعاد مرة أخرى في يوليو يغير على هؤلاء البدو ، فتقدم بنفسه حتى دوحة سلوى ، ومنها ارسل جماعة قتل أفرادها حوالي ١٢ بدوياً ، ووصلت عن طريق برّ القارة الى العقير

وفي أغسطس سنة ١٩٠٦ زار شيخ آل مرة الذي اوقعت به عقوبات شديدة من جانب عجمان وأصبح لاجئاً الشيخ عبد الله ، وفي سبتمبر من نفس السنة بدأت عجمان حرباً طويلة على أهل الدوحة حين استولوا على ١٠٠ من إبلهم ، وبدأوا اشتباكات فيما بينهم . وفي نوفمبر

تم التوصل الى اتفاقية بين شيخ المخضبة من بني هاجر والشيخ جاسم أصبح للاول بمقتضاها الحق في أن يضرب خيامه ويعيش بسلام في قطر ..

★ ★ ★

علاقات بريطانيا بقطر خلال نفس المدة
١٨٩٣ - ١٩٠٧

استمرت علاقة السلطات البريطانية بقطر بعد سنة ١٨٩٣ على نفس الاساس المهتز الذي كانت عليه قبلها .. اذ كانت تتعامل حيناً مع الاتراك وحيناً مع شيوخ آل ثاني .

مشكلة وضع قطر ١٨٩٣ :

وفي ١٢ إبريل سنة ١٨٩٣ ، وخلال المفاوضات الدائرة حول الاحداث الاخيرة في الدوحة سلم السفير التركي في لندن مذكرة للورد روزبري يشير فيها الى قطر على أنها « ولاية تحت الحكم التركي » وبأنها « تابعة لنجد » ، وقد لفتت حكومة الهند النظر إلى هذه التعبيرات ، فتعهد وزير الخارجية —ما دامت هذه المراسلات ذات طابع رسمي— بأن يذكر للسفير التركي — فيما بينهما — بأن حكومة صاحبة الجلالة لا توافق على وجهة النظر الواردة في المذكرة التركية .

مشكلة السفن البحرية البريطانية في الدوحة ، واطلاق حرية العمل لبريطانيا في قطر ١٨٩٣ :

وفي ١٨٩٣ أيضاً احتجت السلطات التركية في الدوحة على وجود سفينة صاحبة الجلالة « بريسك » في الميناء ، ومنعت قائدها من إجراء تدريب على إطلاق الطوربيد في الخليج ، كما منعت أيضاً ضباط السفينة من زيارة الشاطىء . وطلبت البحرية البريطانية تعليمات تسترشد بها في

مثل هذه الحالات مستقبلا ، فقررت حكومة الهند —بموافقة حكومة صاحبة الجلالة— أنه ما دام الحكم التركي في الدوحة غير معترف به من جانبها فعلى قادة السفن البحرية البريطانية التصرف هناك —وعلى طول ساحل الاحساء أيضاً— حسب ما تمليه ضرورة المحافظة على السلم في البحر أو إيقاع العقاب بمن ينتهكه . ولما كان من غير المرغوب فيه إتاحة الفرصة للمسئولين الاتراك كي يؤكدوا سلطة الباب العالي التي يزعمونها على الاقليم ، فلا داعي لان تقوم السفن الحربية البريطانية بزيارة الدوحة الا اذا حدثت ضرورة تستدعي مثل ذلك . ولاحظت حكومة صاحبة الجلالة في هذا الوقت تقريباً —وأيدتها حكومة الهند في هذه الملاحظة— أنه ما دام الأتراك يقصرون سيطرتهم المزعومة على الدوحة فقط فليس هناك مبرر للسماح للمزاعم التركية بعرقلة تصرفات بريطانيا في قطر ، أو منع حكومة الهند من توقيع المعاهدات التي تريدها مع الشيوخ القطريين .

الاعتداء على العلم البريطاني في الدوحة ١٨٩٤ :

وفي ربيع ١٨٩٤ هاجم جماعة من جنود الأتراك سفينة لأحد رعايا الهند البريطانية لدى دخولها ميناء الدوحة ، وأنزلوا عنها العلم البريطاني في البداية ثم استولوا عليها . ويبدو أنهم حين ايقنوا بأن هذه السفينة بريطانية ومعها شهادة بذلك أعادوا العلم الذي استولوا عليه ، وبعدها جاء المقيم السياسي من بوشهر لزيارة الدوحة على سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » ، غير أن المسئول المحلي التركي رفض —بزعم أن زيارة المقيم السياسي مباشرة أمر غير مألوف— أن يقدم له أي تفسير لما حدث ، وأحاله إلى السلطات التركية العليا . وأصدرت حكومة الهند تعليماتها للمقيم العام بألا يتخذ خطوات أخرى بهذا الصدد ما دام الخطأ قد تم إصلاحه بمجرد إدراك الأتراك له ، إلى جانب أن طلب التفسير يعني تأكيداً ضمنياً لمزاعم الباب العالي في السيطرة على الدوحة ، ويجب تحاشي إتاحة أية فرصة لمثل هذا التأكيد . لكن والي البصرة حين عرف

بوجود ممثل بريطانيا هناك ، أنكر حادثة إنزال العلم وأكد علاقات المودة بين تركيا وبريطانيا .

محاولة لغزو البحرين من الزبارة ١٨٩٥ :

وقد ذكر في تاريخ البحرين بالتفصيل الحملة التي قام بها الشيخ جاسم بدعم من تركيا على تلك الجزر سنة ١٨٩٥ ، وقد أحبطت هذه المحاولة السفن الحربية البريطانية بعملها المسلح في الزبارة ، كما أتاحت الفرصة للحكومة البريطانية كي تبلغ الباب العالي بأنها لا تستطيع الاعتراف بأن ذلك الجزء من الساحل الذي يقع عليه الزبارة خاضع للسيادة التركية .

مشكلة المركز الصحي التركي في قطر ١٨٩٧ :

وفي سنة ١٨٩٧ اقترح مكتب الصحة العامة في القسطنطينية إنشاء مركز صحي في قطر ، لكن معارضة ممثل بريطانيا وأدت المشروع تماماً ، فقد شرح كيف ان حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف لتركيا بأية حقوق سيادية في الاحساء .

مشكلة تجديد الاتفاقية بين بريطانيا العظمى وشيوخ آل ثاني في قطر ١٨٩٨ — ١٨٩٩ :

وقد سبق أن أشرنا الى طلب الشيخ جاسم في سنة ١٨٨٢ باعتبار اتفاقية سنة ١٨٦٨ سارية المفعول ، وأشرنا أيضاً إلى رغبته في سنة ١٨٩٣ بتجديد هذه الاتفاقية أو عقد اتفاقية جديدة كتلك التي عقدها شيوخ عمان المتصالحة . وفي سنة ١٨٩٨ —وفي لقاء خاص بين الملازم روبنسون قائد سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » والشيخ أحمد الذي كان يمثل أخاه الشيخ جاسم آنذاك — أفصح هذا عن رغبته في أن يرتبط بالحكومة البريطانية نفس ارتباط شيوخ عمان المتصالحة بها ، وفي نوفمبر سنة ١٨٩٩ ، وفي لقاء مع الرائد ميــــد المقيم السياسي تم في الوكرة أفصح الشيخ أحمد مرة أخرى عن رغبته في الارتباط الوثيق بالدولة

البريطانية ، وطلب الاذن له باحتلال العديد ، ولكن لم تتخذ أية خطوة إيجابية بشأن مطلبه هذا الذي رفض أن يعترف به اعترافاً كتابياً .

١٩٠٠ – ١٩٠٢ :

وبعد تعيين مستر جاسكن مساعداً للوكيل السياسي في البحرين في أوائل سنة ١٩٠٠ ، قام الشيخ أحمد غير مباشرة بالتفاهم الوثيق مع الحكومة البريطانية . وكانت اقتراحاته هذه المرة تشابه تلك التي سبق أن قدمها للرائد ميد في سنة ١٨٩٩ ، واستمر يعيدها بين الحين والحين وأخيراً ، في ربيع سنة ١٩٠٢ ، تلقى مستر جاسكن رسالة محددة من الشيخ أحمد يعرض فيها –في مقابل امتداد الحماية البريطانية عليه وعلى أنصاره– أن يقيم في أية بقعة على الساحل تحدد له(١) ، وأن يعتبر مسئولا عن المحافظة على السلم في المياه المجاورة له ، وان يتعاون مع الحكومة البريطانية وشيخ البحرين في المشاكل التي تهم أياً منهما في أرضه . وكانت الدوافع وراء هذا العرض من الشيخ أحمد هي خوفه من تركيا ورغبته في تعزيز مكانته وتدعيمها بين أهل قطر ، ولما كانت هذه الترتيبات المقترحة تبشر بنتائج مرضية ، فقد رفعت حكومة الهند الأمر الى حكومة صاحبة الجلالة ، وصدرت الاوامر بالبحث في حقيقة وضع الشيخ احمد ، ولكن دون عقد أي ارتباط مباشر قبل رفع الامر الى وزارة الخارجية ومعه كل التفصيلات اللازمة عن الجوانب السياسية والعسكرية للموضوع . وبعد التحري ذكر أن الشيخ أحمد كان بالفعل هو شيخ قطر ، وان الشيخ جاسم –رغم ان السلطات التركية ما زالت تعامله على أنه قائمقامها في قطر وهو لقب يرفضه– قد تقاعد بالفعل في حماية أخيه ، وان احمد كان هو المرشح ليخلف

---

(١) هذا ما ذكر في ذلك الوقت ولكن قيل فيما بعد أن التعليمات التى أصدرها الشيخ أحمد لوكيله المدعو عبد الرحمن الوزان كانت تتعلق فقط بانتقاله لاحتلال العديد وفي رد على استفسار من مستر جاسكن أجاب وكيل الشيخ أحمد بأنه يعتقد أن شيخه يرحب أيضا بالاقامة في الزبارة أو أى مكان آخر .

الشيخ جاسم بعد موته دون أي من أبنائه . وقد أثبتت التجارب التالية على أي حال خطل بعض من هذا التقرير ، فالشيخ جاسم لم يتنازل عن السلطة حتى سنة ١٩٠٥ الا تنازلا ظاهرياً فقط ، وقضت النهاية الفاجعة التي لقيها الشيخ أحمد على التوقعات التي كانت تدور حوله كخلف للشيخ جاسم في الرئاسة .

وكان يظن أثناء زيارة لورد كيرزون للبحرين في نوفمبر ١٩٠٣ أن الشيخ أحمدسيحضر بنفسه كي يذكر طلبه للحماية البريطانية ، وقد دارت مناقشة حول الرد الذي يقدم اليه بين حكومة الهند والحكومة البريطانية . وقررت حكومة صاحبة الجلالة أن الوضع القائم في قطر ــ الذي اعترف به الباب العالي بسحب المديرين الاتراك من الوكرة والزبارة ، وهي مشكلة سنشير اليها الآن ــ لا يجب تعكيره بعقد أي اتفاقية جديدة بين شيوخ قطر والحكومة البريطانية ، ولكن المسئولين سيؤكدون للشيخ أحمد صداقة الحكومة البريطانية التي ستستمر طالما ظل بعيداً عن ابرام التزامات مع اي دولة أخرى . لكن الشيخ أحمد ــ على أي حال ــ لم يظهر في البحرين وتلاشت ضرورة انهاء أي شيء اليه . وكان من المعترف به بشكل عام في ذلك الوقت أن في شيوخ قطر ميزة أنهم في موقع له أهمية خاصة بالنسبة للمحافظة على أمن المياه على طول شاطيء إقليمهم ، وأن الاتفاق معهم سيزيد من أهمية رأي بريطانيا في أية مشكلة تثار دولياً حول شواطيء اللؤلؤ ، وكان من المقرر عدم اتخذ قرار نهائي في هذا الامر إلا بعد أن تقوم لجنة الدفاع الامبراطوري بدراسة وضع بريطانيا في الخليج ، وبعد أن يهدأ هذا التوتر القائم بين تركيا وبريطانيا في شبه الجزيرة . وفي سبتمبر سنة ١٩٠٣ كان الشيخ احمد متلهفاً ليعرف عن طريق جاسكن الذي زار الوسيل ما اذا كانت الحماية البريطانية سوف تمتد لتشمله أيضاً أم لا ، ولكن حين زار الكابتن بريدو قطر في سنة ١٩٠٥ بدا أن الشيخ أحمد لا يلقي بالا لهذا الامر رغم استمرار شكايته من الكابوس التركي الجاثم على الدوحة .

وفي الوقت الذي كان التفكير فيه دائراً في المقترحات التي قدمها في سنة ١٩٠٢ الشيخ احمد للتقارب الوثيق مع بريطانيا ، اتخذت الحكومة التركية خطوة من جانبها صرفت الاهتمام موقتاً عن هذا الموضوع وأضافت مزيداً من التعقيدات الى ما هو قائم بالفعل. ففي ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٠٢ أعلن فجأة في صحيفة « إقدام » التركية شبه الرسمية أن مناصب تركية جديدة ستُنشأ لمديرين في العديد والوكرة والزبارة وجزيرة آل عمير على الساحل العربي(١) . وسرعان ما جاء تأكيد هذه الاخبار في البحرين . فقد وصل المدير المعين للزبارة إلى الاحساء في فبراير سنة ١٩٠٣ ، وأعقبه في الشهر التالي وصول مدير الوكرة ، وتبين بعد ذلك أن هذا المشروع ايضاً يهدف إلى إقامة مواقع حراسة تربط الزبارة بالعقير . وقرب نهاية مارس ١٩٠٣ خرج قارب تركي مسلح من البصرة متجهاً إلى قطر ليساعد في تنفيذ هذه الخطة العامة . وبعدها بثلاثة أيام بالضبط ، أي في ٢٣ مارس ، تلقى سفير بريطانيا في القسطنطينية تأكيدات من الصدر الاعظم بأنه ليس في النية تعيين مسئولين أتراك في المواقع المشار اليها ، ورغم ذلك ظلت اعمال تركيا في هذه المنطقة تدعو الى الريبة ، وظلت بريطانيا تراقبها مراقبة دقيقة ، فأرسلت سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » لزيارة الزبارة والعديد ورست في الوكرة حيث وجدت علم تركيا مرفوعاً عليها . وفي هذا الوقت نفسه وصل يوسف بك المدير التركي المعين للوكرة الى البحرين في طريقه الى الوكرة كما كان مظنوناً ، وأمرت حكومة صاحبة الجلالة باقامة العقبات في وجه إبحاره الى قطر ، لكنه استطاع تفاديها ، وغادر البحرين في ٢٧ إبريل . وبعدها بعدة أيام ذكر أنه قد نصب نفسه مديراً للوكرة بعد محاولة واحدة فاشلة في هذا الصدد . وفي هذه الاثناء تلقى السفير البريطاني في القسطنطينية — بتاريخ ٢٧ إبريل— تأكيدات بأن

---

(١) يطلق اسم جزيرة آل عمير على جزيرتي مسلمية وجنة ، وقد يعني هذا الاسم احدى الجزيرتين أو كلتيهما .

الوضع الراهن للامور لن يتغير فيه أي شيء من جانب تركيا . وبعد وقت قصير استدعى يوسف بك للعمل كمساعد لقائمقام قطر في الدوحة ، ووجهت حكومة صاحبة الجلالة طلباً حاسماً للباب العالي باستدعائه من الوكرة . ولا يبدو انه عاد اليها ، وتبين بعد ذلك أن عبدالرحمن -بن الشيخ جاسم- قد عين مسئولا رسمياً عن الوكرة خلفاً ليوسف بك بلقب مدير وراتب قدره ٥٢ روبية في الشهر . واثار هذا احتجاجاً جديداً من جانب الحكومة البريطانية ضد الباب العالي ، وقالت الحكومة في احتجاجها ان تركيا ليس لها الحق مطلقاً في أن تعين مسئولين اداريين حتى لو كانوا من أبناء الشيوخ المحليين ، وأخيراً ، في أكتوبر ١٩٠٤ وبأمر من الباب العالي -عزل عبدالرحمن عن وظيفته كمدير ، ولكن يبدو أنه ظل يتقاضى راتبه هذا (١) وهو مقيم بالوكرة كوكيل للحكومة التركية .

القرصنة على شاطىء قطر ١٨٩٣ — ١٩٠٦ :

وفي سنة ١٨٩٣ الى ١٨٩٨ تجددت حوادث القرصنة على ساحل قطر ، وكانت الحادثة الخطيرة الوحيدة هي ما وقع في ١٨٩٥ ونهبت فيها سفينة شراعية تابعة للهند البريطانية وقتل واحد من بحارتها وجرح آخرون . وفي سنة ١٨٩٦ ارتكب لاجىء بحريني مقيم في الغارية يدعى علي ، حادثة قرصنة على قارب بحريني أيضاً ونهب منه أموالا ولآلىء قيمتها أكثر من الف روبية .

١٨٩٩ :

وتميزت سنة ١٨٩٩ على أية حال باضطراب حبل الامن مجدداً . ففي فبراير منها نهب العرب في أبو الظلوف سفينة إيرانية اسمها « المباركة » وحملوا أكثر من ثلثي حمولتها . وفي ١٦ أغسطس هوجمت

---

(١) في سنة ١٩٠٦ ذكر أن عبد الرحمن لم يتقاض راتبه هذا بالفعل أبدا .

فلوكة بحرينية صغيرة ، وحملها بدو بني هاجر قريباً من الذخيرة ولكن أمكن استعادة هذه الفلوكة وجزء من حمولتها عن طريق شيخ الدوحة . وبعد هذه الحادثة بعدة أيام هاجم قراصنة بني هاجر أيضاً قاربين تملكهما رعايا من الهند البريطانية ، نهبوا أحدهما وتركوه حيث ارتكبوا هذه الحادثة بالقرب من فشت الديبل وحملوا الآخر إلى رأس الظبية حيث أغرقوه هناك . وبلغت الخسارة في هذه الحوادث الثلاث مبلغاً يربو على ١٦ الف روبية ، ولم يستعد إلا ربع هذه القيمة فقط ، أما الباقي فلم يتم تحصيله إلا حين قام الرائد ميد المقيم السياسي في الخليج بزيارة الوكرة في ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٩٩ والتقى بالشيخ أحمد شقيق الشيخ جاسم أساساً بسبب الاضطرابات الأخيرة .

١٩٠٠ :

وفي ١٨ أغسطس سنة ١٩٠٠ هاجم بعض بدو قطر المتنكرين في زي صيادي اللؤلؤ سفينة بحرينية على شاطىء كريمة على مبعدة عدة أميال شمال رأس ركان ونهبوا ما فيها، ولم تتجاوز قيمة الخسائر في هذه الحادثة أكثر من ٣٠٠ روبية ، وقع معظمها على تاجر اصداف يعمل في مؤسسة بريطانية ، لكن هذه الحادثة جددت طلب التعويض عن الأحداث السابقة .

١٩٠٢ :

لكن هذه المطالبة ظلت عقيمة بلا جدوى ، وتوقفت تماماً في فبراير سنة ١٩٠٢ على أساس انقضاء فترة طويلة على وقوع هذه الاحداث من ناحية وللهدوء الذي ساد ساحل قطر منذ وقوعها . ولم تكن سلطة شيخ الدوحة في منع مثل هذه الاحداث واضحة ، وهو قد أكد أن وقوع هذه الحوادث أمر لا مفر منه من جانب بني هاجر الذين يحول وجود الأتراك بينه وبين تأديبهم، وان بعض هذهالأحداث التي تسمى بالقرصنة يرتكبها عدد من قطاع الطريق الذين خرجوا من قراهم وخاضوا البحر

ولم يعودوا يستخدمون قوارب القرية . لكن حكومة الهند قررت الاستمرار في اعتبار الشيخ في المستقبل مسئولا عن سلوك البدو في قطر وأعمالهم ، وان توضع أملاكه في البحرين تحت الحراسة إذا لم تدفع التعويضات عن هذه الاحداث ، وان يعتبر سكان القرى مسئولين عن استعمال القراصنة قوارب لهم .

١٩٠٦ – ١٩٠٧ :

وبعد سنة ١٩٠٠ لم تعد ثمة شكاوى من القرصنة على ساحل قطر حتى ٨ يناير سنة ١٩٠٦ حين وصل إلى البحرين بحارة قارب إيراني ، كان تابعاً لميناء ريق ذكروا انه في الشهر السابق دفعتهم الرياح وسوء الحالة الجوية إلى أبو الظلوف في قطر ، حيث ارغمهم الأهالي على إنزال جانب من حمولة القارب لهم ، تحت طائلة التهديد . وبادر كابتن بريدو الوكيل السياسي في البحرين بالانتقال على سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » إلى مكان الحادث وظل هناك من ٢٨ إلى ٣٠ يناير . لكن شيخ المكان عيسى بن حمد رفض الصعود الى ظهر السفينة رغم التأكيد له بمعاملة طيبة ، وأعلن أنه من رعايا شيخ البحرين . وكتب كابتن بريدو اليه يطلب منه الحضور في البحرين ، ثم رجع الى مقر قيادته ، لكن سوء الاحوال الجوية منعه من أن يصحب معه قاربين لابو الظلوف كان يريد أخذهما معه ضماناً لمجيء الشيخ الى البحرين . واخيراً وصل عيسى بن حمد إلى البحرين في أول مارس وذكر أن شيئاً لم يؤخذ من القارب الايراني اللهم الا ما دفعه البحارة بارادتهم أجراً عن خدمات قدمت لهم ، وفي نفس الوقت كان امر عصيانه قد أبلغ لحكومة الهند لتصدر فيه أمرها . وفي يونيو ١٩٠٦ قدم السفير التركي في لندن احتجاجاً مؤداه أن أعمال كابتن بريدو تؤدي الى الاضطراب بين القبائل وإثارة المشاكل ، لكن المتظلمين الايرانيين – رغم استدعائهم فوراً للحضور – لم يعودوا إلى البحرين ، ليواجهوا ما ذكره شيخ أبو الظلوف

وهكذا اضطرت السلطات الى اعتبار المسألة منتهية كحادثة قرصنة ، واكتفى بانذار الشيخ بالسلوك مسلكاً حميداً في المستقبل .

أوامر من الحكومة بشأن حوادث القرصنة فبراير ١٩٠٧ :

لكن هذه الحادثة أثارت عدة اعتبارات ارتأت حكومة الهند معها أن من الضروري اصدار تعليمات واضحة لإرشاد الضباط في المستقبل . وصدرت هذه التعليمات – بعد أن صدقت عليها حكومة صاحبة الجلالة – في فبراير سنة ١٩٠٧ . وكان جوهرها منصباً على الاجراءات الخاصة بالمتعاملين بالقرصنة على شاطىء قطر خاصة حين يكون ضحايا الخسارة ليسوا من رعايا بريطانيا – . وهذا الأجراء يتطلب مراقبة دقيقة لكل شواطىء القرصنة ، ويجب أن يرفع تقرير بهذه الحالات او لا بأول وفور وقوعها الى حكومة الهند . ورأت هذه الحكومة أن تنظيم العمل على هذا النحو سيتيح للضباط المحليين حرية العمل وفق اجتهاداتهم ، مع حصر صلاحية وضع القوانين العامة بالحكومة نفسها . ولم يكن يدور بخلد حكومة الهند أن التأخير يوماً واحداً أو عدة أيام في الإبلاغ عن هذه الحوادث قد يؤدي الى نتائج خطيرة عند اقتراح تسويتها . ولم تجد حكومة الهند من الضروري إصدار القرار الذي اقترحه الوكيل السياسي في البحرين ، والذي يقضي بأن يرسل كل شيخ صغير قارباً عنه ، أو يأتي بنفسه ، لكل سفينة حكومية بريطانية تصل الى مياه إقليمية ، ولو لم يوجه اليه طلب خاص بالزيارة المطلوبة .

اضطراب في البحر ١٩٠٠ :

وقد حدث سنة ١٩٠٠ اشتباك ليس له طابع القرصنة لكنه يستحق الذكر وذلك خارج ساحل قطر بين قبيلتي آل بني علي والعمامرة ، وكان بين القبائل – كما هو مذكور في تاريخ البحرين – ثأر دموي يرجع الى سنوات طويلة مضت . وفي ١٦ يونيو سنة ١٩٠٠ دفعت الرياح المعاكسة بخمسة قوارب للعمامرة وقاربين للدواسر من البحرين

الى ساحل قطر بجوار الوكرة حيث كان أسطول لآل بن علي وقوارب أخرى منهمكين بالصيد. وكان هذا الاسطول أ قوى من قوارب العمامرة ، ولم يكد آل بن علي يجدون أعداءهم بين أيديهم على غير توقع حتى رفعت سفنهم أعلامها وبدا أنها تستعد للهجوم ، وأجابتها القوارب باطلاق النيران(١) وكاد يحدث صدام رهيب لولا ان تدخل ابن شقيق الشيخ جاسم ، وأقنع العمامرة بالقاء سلاحهم والاستسلام لآ ل بن علي ومكنهم من الرحيل بسلام . ولكن يبدو من البحث الذي أجراه مساعد المسئول السياسي في البحرين أن آل بن علي كانوا هم البادئين بالعدوان ، ولذلك وقعت عليهم غرامة قدرها ١٠٠٠ روبية لخرقهم السلم في البحر ، وحين طلب اليهم تسليم ٢٠ بندقية من أسلحة العمامرة التي آلت اليهم خلال الحوادث ابدلوها بتقديم أسلحة قديمة ، ففرضت عليهم غرامة أخرى قدرها ٥٠٠ روبية ، وقد تم تحصيل هذه الغرامات فوراً –مما يؤكد فاعلية وسائل القهر من جانب الحكومة البريطانية– التي وضعت أملاك آل بن علي في البحرين تحت الحراسة .

زيارة المسئولين البريطانيين لقطر ١٨٩٩–١٩٠٣ :

وفي ١٨٩٩ – وكما سبق أن أشرنا– قام الرائد ميد بزيارة الوكرة. وفي سبتمبر ١٩٠٣ مر مستر جاسكن –مساعد الوكيل السياسي في البحرين– بالوسيل والوكرة والتقى بالشيخ جاسم والشيخ احمد كلا على حدة .

وفي نوفمبر سنة ١٩٠٥ عبر كابتن بريدو الوكيل السياسي في البحرين – الخليج الى قطر في قارب للأهالي ، وسار الى لقاء الشيخ جاسم في معسكره ببوحسا وتبعد عشرة أميال عن الوسيل داخل قطر ،

---

(١) لكننا نشير ايضا الى ان آل بني على دأبوا على تبرير مسلكهم ، والتأكيد على أن سفنهم تقدمت نحو سفن العمامرة لترشدها لا لتهاجمها ، ويذكرون أيضا أنهم لم يقابلوا اطلاق النيران بالمثل .

وبقي هناك ثلاثة أيام ينجز فيها عمله مع الشيخ جاسم ، والتقى أيضاً بناصر بن مبارك اللاجيء البحريني الهارب ، ولدى عودته قضى كابتن بريدو يوماً مع الشيخ أحمد في الدوحة . وفي هذه الزيارة حدثت اضافة هامة على ما كان معروفاً من قبل –جغرافياً وسياسياً– باسم قطر .

١٩٠٦ :

في مايو ١٩٠٦ قام ميجور كوكس المقيم السياسي في الخليج بصحبة كابتن بريدو بجولة بحرية على ظهر سفينة صاحبة الجلالة «لورانس» زارا فيها الوسيل والدوحة والوكرة وخور العديد ، وفي الوسيل تم لقاء ودي بينهما وبين الشيخ جاسم وصهره ناصر بن مبارك . وفي الدوحة استدعيا قائد الحامية التركية وناقشا معه الأمور ، وفي الوكرة –وقد تصادف أن أحداً من آل ثاني لم يكن موجوداً بها في ذلك الوقت– قامت الجماعة بزيارة لشيخ قبيلة آل بوعينين وقامت كذلك بتفتيش الحصن والآبار ، ثم تجاوز الجماعة خليج العديد لعدة أميال في قارب بخاري صغير لكنهم لم يجدوا على شواطئه مخلوقاً واحداً . وقد ابلغت السلطات التركية في الاحساء نبأ زيارة الدوحة هذه للقسطنطينية ومعها توصية ببذل الجهود للقضاء على القرصنة حتى لا يجد الانجليز مبرراً للتدخل في ساحل قطر .

* * *

علاقات قطر بنجد ١٨٩٣ – ١٩٠٧

العلاقات مع ابن رشيد ١٨٩٣–١٨٩٦ :

رأينا أنه قبل أزمة سنة ١٨٩٣ –وخاصة في سنة ١٨٨٨– كانت العلاقة الودية قائمة بين الشيخ جاسم وأمير جبل شمر ، ولم تنقطع هذه العلاقات فيما يبدو حتى سقوط ابن رشيد في نجد . ففي سنة ١٨٩٤ حاول الشيخ جاسم أن يلتقي بابن رشيد لكن هذا رفض خوفاً من الاتراك ، وفي سنة ١٨٩٦ أفلح الشيخ جاسم –كما أسلفنا– في إعادة بعض الماشية

التي أغارت عليها قبيلة ما من قطر من قبيلة أخرى حين طلب ذلك ابن رشيد .

العلاقات مع ابن سعود ١٩٠٥ :

وحين سقطت حائل وأصبحت للرياض السيادة على وسط الجزيرة ، لم يجد الشيخ جاسم –وهو الذي كان وهابياً متعصباً في أواخر سني حياته ، والذي ظل طول حياته على عداوة مرة مع شيخ أبوظبي– أي صعوبة في التكيف مع التغيير فراح يرسل الأموال وغيرها من الهدايا كل سنة إلى ابن سعود ، لكن أخاه أحمد لم يكن يشاركه آراءه في هذا الصدد ، وقد اوضحت زيارة قام بها عبدالعزيز – ابن أمير الوهابيين– للمناطق المتاخمة لقطر في صيف سنة ١٩٠٥ خلاف الرأي بين آل ثاني . فعلى حين ارسل اليه الشيخ جاسم خطاب ترحيب وثمانمائة روبية نقداً إلى جانب هدايا من السلاح والارز ، وذهب لزيارته عند آبار العريق ، نجد الشيخ أحمد –من الناحية الأخرى– ينذر الامير بأن أية محاولة من جانبه لعبور إقليم قطر ستقف في وجهها قوات مشتركة من الدوحة وأبو ظبي .

★ ★ ★

الفصل الخامس
تـــاريخ البحـــرين ★

التاريخ القديم ١٦٠٢ ـ ١٧٨٢

الايرانيون يطردون البرتغاليين من البحرين حوالي سنة ١٦٠٢ :

ليس ضرورياً ونحن نتتبع مجرى الاحداث في البحرين أن نرجع لتاريخها قبل سنة ١٦٠٢ ، ففي هذا الوقت تقريباً قام الايرانيون بطرد البرتغاليين من الجزر(٢) ، وما زالت أطلال القلعة القائمة حتى اليوم على الساحل الشمالي للجزيرة الكبرى في البحرين والمعروفة باسم قلعة العجاج شاهدة على احتلال البرتغال لها .

(١) المراجع الوحيدة المتوفرة للتاريخ الحديث للبحرين هي سجـــلات حكومة الهند والتصنيفات المعتمدة عليها ، ونذكر منهـا مختارات بومباى ، القسم ٢٤ سنة ١٨٥٦ ، وتلخيص مستر ج٠ آ٠ سالدنها للمراسلات الخاصة بمنطقة الخليج ، ١٨٠١ ـ ١٨٥٣ ، المنشورة في سنة ١٩٠٦ ، كذلك مقالعن شئون البحرين لنفس المـؤلف في الفترة من ١٨٥٤ ـ ١٩٠٤ والمنشـور سنة ١٩٠٤ ، وتـلخيص « التوسع التركى على الساحل العربى ٠٠ » لنفس المؤلف أيضا وهو منشور سنة ١٩٠٤ والتقارير الادارية السنوية للمقيميه السياسية في الخليج ٠ وبالنسبة للاتفاقيات الخاصة بالبحرين وما اليها نحيـل القارىء الى « معاهدات أتشيسون » وفيما يتعلق بالعمليات البحرية البريطانية وما يتعلق بها بالنسبة للبحرين نذكر كتاب لو عن تاريخ البحرية البريطانية المنشور سنة ١٨٧٧ ٠ أما كتاب بالجريف عـن « وسط وشرق الجزيرة العربية ٠٠ » المنشور سنة ١٨٦٥ فهو يقدم عرضا للحالة في البحرين في ١٨٦٢ ـ ١٨٦٣ ٠ وأما المراجع الخاصة بالتاريخ القديم (١٦٠٠ ـ ١٨٠٠) لهذه المنطقـة ، فهى نفس المراجع المذكورة في الهامش الاول للفصل الاول من هذا القسم ٠

(٢) في كلامنا هنا عن تاريخ البحرين نعنى بتعبير ، « الايرانيين » « رعايا الحكومة الايرانية ٠٠ » ، وقد كان معظم الرعايا الايرانيين الذين استخدمتهم الحكومة الايرانية لتنفيذ مآربها في البحرين عربا من المنطقة حول بوشهر وكانجون ٠

إيران تحتل البحرين لفترة غير واضحة التاريخ :

ويبدو أن الايرانيين قد استعادوا ملكية الجزر بعدها وقتاً ما ، وفي سنة ١٦٢٢ لا بد أنه كان لهم موقع عسكري فيها لأنهم جلبوا من هناك كمية كبيرة من البارود لاستخدامها في حصار هرمز .

احتلال إمام عمان للبحرين ١٧١٨ :

وفي سنة ١٧١٨ تقريباً نزل عرب مسقط الى جزر البحرين . وكانت مسقط في ذلك الوقت تحت حكم سلطان بن سيف الثاني أحد أئمة اليعاربة . ولا يتضح لنا ما اذا كانت جزر البحرين مهملة في ذلك الوقت أم أن حامية إيرانية كانت مقيمة فيها ، لكن مستعمريها على أية حال لم يكونوا يواجهون أية صعوبات في تأكيد سيطرتهم عليها . ويبدو أن احتلال عمان لهذه الجزر لم يدم الا وقتاً قصيراً فقط ، ويقال إن هذا الاحتلال قد انتهى نتيجة هجرة أهل البلاد الاصليين من موطنهم وإقامتهم في مناطق أخرى هرباً من المظالم الاجنبية الواقعة عليهم .

سيادة عرب الهولة على البحرين ١٧٥١-١٧٥٣:

وفي منتصف القرن الثامن عشر كان عرب الهوله-الذين ما يزالون ممثلين تمثيلا قوياً في الجزر حتى اليوم- هم أكبر القبائل المستقرة فيها وهم الذين يتحكمون في سياسة الارخبيل كله ، لكن الانقسامات والخلافات الداخلية فيما بينهم كانت قد انهكتهم في سنة ١٧٥٣ إلى حد يسّر احتلال الجزر لأية دولة أجنبية .

ضمها لايران حوالي سنة ١٧٥٣ :

ويبدو أنه في نفس هذه السنة أغرت الحالة الداخلية في البحرين الشيخ ناصر حاكم بوشهر من قبل الحكومة الايرانية -على النزول الى الجزر ، وبمعونة المير ناصر -زعيم ريق- استطاع تدعيم سلطته هناك . وهكذا أصبحت الجزر مرة أخرى تابعة لايران ، اسمياً على الاقل .

وكيل شيراز وعائدات البحرين ١٧٥٥ – ١٧٦٧

وفي سنة ١٧٥٥ أمر الوكيل كريم خان في شيراز بسجن الشيخ ناصر نظراً لامتناعه عن دفع مبلغ خمسة آلاف تومان لحساب عوائد البحرين في السنوات الثلاث التي كانت تحت إمرته فيها ، ويبدو أن الوكيل أصر على أن يدفع الشيخ ناصر أربعة آلاف تومان كل سنة عن عوائد بوشهر والبحرين معاً .

أحداث في البحرين ١٧٥٧–١٧٨٣

ولا تتوفر لنا المعلومات عن الاحوال الداخلية للبحرين خلال فترة الاحتلال الايراني لها بدءً من سنة ١٧٥٣ . وفي ١٧٧١ هاجم قراصنة خارج سفينتين ترفعان العلم البريطاني وسفناً أخرى عديدة ، وحملوها إلى البحرين حيث أبقوها هناك حتى تيسرت لهم فرصة نقلها إلى ريق . وفي ١٧٧٩ قام شيخ من البحرين يدعى ناصر كان جاء على سفينة له بدور في استعادة بوشهر لحساب شيخها المدعو ناصر أيضاً –ممن يدعى باقر خان الذي كان قد سيطر عليها . وهذه الأحداث التي لا تكاد تتعلق بالبحرين نجدها بالتفصيل في أماكنها الصحيحة .

★ ★ ★

موقف بريطانيا وغيرها من الدول الاجنبية من البحرين ١٦٠٢ – ١٧٨٣

كانت البحرين من أول الأماكن التي اجتذبت اهتمام ممثلي شركة الهند الشرقية البريطانية في الخليج . فقد كان توماس **ألدورث** الذي عين رئيساً لوكالة سورات لدى انشائها في بداية سنة **١٦١٣** منهمكاً في البحث عن أسواق جديدة خارج الهند ، وكتب عن البحرين في السنة الاولى من توليه العمل يقول : « اقترح أن تأتي الى البحرين سفينة تتراوح حمولتها بين ٢٠٠ و ٣٠٠ طن واعتقد أن هذه المنطقة ستستهلك

الحمولة كلها ، فأهل البندقية يوردون لها الثياب عن طريق البر ، ويرجعون محملين بحرير إيران ، واعتقد أيضاً أنه خلال زمن قصير سيصبح استهلاك البحرين من الثياب يعادل استهلاك صورات تماماً » .

سنة ١٦٢٥ :

وبعدها وقع اختيار الشركة على جاسك ، ثم بندر عباس ، لتكون ميناءها على الخليج ، لكن البحرين لا يشار اليها في سجلات الشركة آنذاك إلا اشارات سريعة وقصيرة ، كما ورد مثلا في سنة ١٦٢٥ عن توفر بعض المعلومات عن صيد اللؤلؤ ومصايده في البحرين من مصادر برتغالية كانت ما تزال موجودة .

١٧٠٠ — ١٧٠١ :

وفي سنة ١٧٠٠—١٧٠١ حين كانت العلاقات بين شركة الهند الشرقية والحكومة الايرانية قد بدأت بعد هدنة قصيرة في التدهور اقترح مستر اوين ، وكيل الشركة في ايران « أنه ضروري للشركة مستقبلا أن تستخدم القوة من أجل استمرار تجارتها وامتيازاتها في ايران » ، واقترح بهذا الصدد احتلال البحرين .. فهي لن تكون مجرد موقع تضمن به الشركة نصيبها من منتجات ايران فقط ، بل كذلك تمكن طوافات الشركة المسلحة من مراقبة تجارة الشركة في منطقة الخليج كلها » .

وفي ١٧٥١ ، حين خيف من حدوث هجوم على بندر عباس ، طلب ممثلو الشركة فيها السماح لهم بالانتقال الى مكان آخر ، وذكروا أنها فرصة مناسبة « للقضاء على الأسطول الايراني والاستيلاء على البحرين » .. لكن الرياسة في بومباي حين أجابت على مقترحاتهم هذه ، أذنت لهم بنقل الوكالة موقتاً إلى أي مكان آخر ، لكنها منعتهم منعاً رادعاً من الاشتباك بالأسطول الايراني .

١٧٥٢ :

وفي سنة ١٧٥٢ ، وكان مشروع الانتقال من بندر عباس ما يزال

موضع تفكير ، أجريت أبحاث حول أماكن عديدة محتملة لهذا الانتقال ، وذكر مستر ف. وود هذه العبارات عن البحرين : « ولا تتوفر لدى معلومات عن جزيرة البحرين أكثر من أنها مكان يتمتع باحترام أسطورى لدى العرب الهوله ، وأنها أرض عظيمة الخصب ، كثيرة الينابيع ومجاري المياه ، لكن هواءها ، وكذلك مياهها ليست نظيفة نقية كما أكد كثيرون ممن كانوا مقيمين فيها من قبل .. » ، واخيراً في سنة ١٧٦٣ تم اختيار بوشهر ، كقاعدة أفضل من البحرين لعمليات الشركة في الخليج ، تماماً كما اختيرت جاشك قبلها بقرن ونصف .

الهولنديون ١٧٥٣ – ١٧٦١ :

وحين أنشأ الهولنديون تحت قيادة البارون نيبهاوزن مستعمرة لهم في خارج سنة ١٧٥٣ ، حامت شكوك قوية في أنهم يحاولون الاستيلاء على البحرين ، وظلت هذه الشكوك قائمة فترة من الزمن ، ولكن حتى لو صحت هذه الخطط التي كانت تنسب اليهم ، فالمؤكد أنهم لم يتخذوا أية تدابير عملية لتنفيذها . .

★ ★ ★

استيلاء العرب على البحرين من أيدى الايرانيين ١٧٨٣

يمكننا القول بأن التاريخ الحديث للبحرين يبدأ بسنة ١٧٨٢ حين طرد منها الايرانيون الذين كانت الجزر في حوزتهم . وكان يقود العرب الذين طردوهم شيوخ العتوب لكن قواتهم كانت مفارز عديدة من مختلف قبائل الجزيرة العربية .

العتوب يغزون البحرين ١٧٨٢ :

كذلك يمكننا القول بأن الصراع في البحرين أثاره اعتداء ايران على الزبارة .. وهي مستوطنة مزدهرة أقامها العتوب واستقروا فيها بعد

هجرتهم من الكويت على ساحل قطر المواجه للبحرين ، وكان كريم خان زند قد كلف الشيخ ناصر شيخ بوشهر والبحرين باخضاع الزبارة ، ويبدو أنه قام بمحاولة سابقة سنة ١٧٧٧ لتنفيذ هذه التعليمات .

وبعد موت كريم خان ، وفقدان الحكومة الايرانية قدرتها على العمل وقتاً ما ، انتقم عرب الزبارة لانفسهم –في سنة ١٧٨٢ على الارجح– بأن نزلوا على جزيرة البحرين واوقعوا الهزيمة بالشيخ ناصر في ميدان القتال ، وطاردوه حتى الجأوه الى قلعته ، ونهبوا مدينة المنامة ودمروها ، واستولوا على سفن بوشهر وعادوا بها الى الزبارة .

العتوب وغيرهم من القبائل يستولون على البحرين ١٧٨٣

وقد حدث هجوم مضاد من جانب شيخ بوشهر يعاونه مؤيدون وأنصار من رأس الخيمة وهرمز –كما هو مذكور في تاريخ قطر– لكن شيوخ العتوب في الزبارة استطاعوا ان يصدوا هذا الهجوم ويوقعوا به هزيمة نكراء ، وأرسل الشيخ ناصر رسالة يبلغ فيها ابنه الذي تركه مسئولا عن البحرين نبأ هزيمة الايرانيين ويطلب اليه تعزيز مركزه والصمود في موقعه . لكن الرسالة وقعت في قبضة اسطول من ستة زوارق كبيرة ارسلها العتوب من الكويت لنصرة بني جلدتهم في الزبارة فغير الاسطول وجهته ، وأغار على المنامة ، وأضرم فيها النيران ، وحاصر الحامية الايرانية في القلعة ولحق بالعتوب الشماليين هؤلاء في البحرين بقية العتوب في الزبارة والرويس بأسرع ما كانت تسمح به وسائل الانتقال المتوافرة آنذاك . كذلك لحقت بهم فرق أخرى من مختلف قبائل قطر ، من بينها آل مسلم من الحويلة ، وآل بن علي من الفويرط ، وآل سودان من الدوحة ، وآل بو عينين من الوكرة ، والقبيسات من خور حسان ، وآل سليط من الدوحة ، والمنانعة من أبو الظلوف ، والسادة من داخل قطر . وسرعان ما احتل الغزاة جزر البحرين ، واستسلمت الحامية الايرانية في حصن المنامة –بعد حصار دام حوالي الشهرين– في ٢٩ يوليوسنة ١٧٨٣ ، وسمح لافرادها بالعودة الى بوشهر.

الاحداث منذ تأسيس مشيخة البحرين حتى أول هجوم لسيد عمان عليها
١٧٨٣ ـ ١٨٠٠

انفصال الجلاهمة ١٧٨٣ :

وتحولت البحرين منذ ذلك الوقت من مستعمرة ايرانية لامارة عربية يحكمها شيخ من فرع آل خليفة من العتوب ، وبعدها بفترة قصيرة رحل الجلاهمة الذين سبق أن انفصلوا عن بقية العتوب في قطر بعد أن بدأوا يحسون أن بقية أهل البحرين يسيئون معاملتهم ، وهكذا أصبح آل خليفة بلا منازع في حكم البحرين . وكان يقود الجلاهمة الساخطين في ذلك الوقت إخوة اربعة أبناء شيخ يدعى جابر ، قُدّر لاحدهم ــوهو رحمة بن جابرــ أن يكتسب سمعة مدوية فيما بعد ، وأن ينكل بآل خليفة في البحرين .

محاولات فاشلة من جانب الايرانيين لاستعادة البحرين ١٧٨٣ ـ ١٧٨٥ :

ولم تستطع الحكومة الايرانية ــأو على وجه التحديد الشيوخ العرب الذين يمثلونها في الخليجــ أن يتقبلوا ضياع البحرين بهذه السهولة . وفي أواخر سنة ١٧٨٣ كانت الاستعدادات قائمة على قدم وساق لإعداد حملة كبيرة ضد الزبارة والكويت يسهم فيها شيوخ بوشهر وهرمز تعاونهم القوات الايرانية وشيخ القواسم . لكن الحملة لم تشن بالفعل ، ومرة أخرى ، في فبراير سنة ١٨٧٥ تواعد اسطولا بوشهر وريق في كانجون التي كانت قوة برية صغيرة قد وصلت اليها بالفعل ، على انتظار شيوخ هرمز ورأس الخيمة . لكن موت علي مراد خان حاكم شيراز أبعد شبح الخطر الذي تهدد آل خليفة في البحرين . وخلال السنوات القليلة التالية ، في الوقت الذي غرقت فيه حكومة شيراز في مشكلاتها

الداخلية . ظل شيوخ البحرين و لا شيء يكدرهم . وفي سنة ١٧٩٨ كانت ما تزال لديهم القدرة على أن يقدموا عوناً فعالاً لشيخ بوشهر في بعض ما يتعلق بالساحل الايراني .

نمو التجارة ١٧٨٣ — ١٧٩٠

وقد أدى احتلال العتوب للبحرين إلى تنشيط التجارة في هذه الجزر تنشيطاً تجارياً ، لان المهاجرين العرب سرعان ما أصبح لهم اسطول تجاري ، وأصبحوا هم الذين يقومون بعملية نقل البضائع ما بين مسقط —التي كانت في ذلك الوقت القاعدة التجارية المحلية الرئيسية— والبصرة وغيرها من الساحل الغربي للخليج ، ولم يكن شيوخ العتوب يتقاضون رسوماً على الاستيراد في بداية الأمر ، وكانت مصالح التجار تلقى من جانبهم الرعاية الكاملة . وكان أهل البحرين عندئذ يسيطرون سيطرة شبه كاملة على تجارة اللؤلؤ في الخليج ، وكانت وارداتهم من الهند —التي قدرت في ذلك الوقت بحوالي ١٠ لاكات من الروبيات كل سنة— يدفع معظم قيمتها باللؤلؤ من سوق مسقط .

★ ★ ★

أول هجوم لسيد عمان على البحرين
١٧٩٩ — ١٨٠٢

ظل استقلال البحرين خلال جيل كامل بعد هذه الحقبة القصيرة من السلم يواجه تهديداً خطيراً عدة مرات ، ولكن السبب في هذه المرة ، لم يكن زعم ايران بأحقية سيادتها على البحرين بقدر ما كان مطامح السيد سلطان والسيد سعيد في مسقط لضم جزر البحرين الغنية الثمينة إلى عمان .. هكذا بوضوح ودون دوران .

نشوب الحرب ضد مسقط ١٧٩٩ :

وفي سنة ١٧٩٩ أعلن السيد سلطان مسقط — بتشجيع من الحاكم

الايراني في شيراز الحرب على العتوب في البحرين متذرعاً في الظاهر برفضهم الاعتراف له بحقه في ضريبة او جزية زعم أن له الحق في فرضها على جميع السفن التي تمر بمسقط ، لكن هدفه في الحقيقة كان احتلال البحرين . ويبدو ان اسطول آل خليفة كان في ذلك الوقت مجرد ثلاث سفن كبيرة فقط ، أسرتها بحرية مسقط جميعاً أثناء عودتها من الهند ، ولم يغامر السيد سعيد على أي حال بالنزول الى جزر البحرين ، وخشي العتوب من هذه الاعمال ، فراسلوا شيخ بوشهر الذي تلقى مبادرتهم بسرور ، فما إن عرضوا عليه أن يدفعوا الجزية لايران حتى سار خفية الى البحرين حيث تسلم هناك مبلغاً من المال كعوائد عن السنة المنقضية . ويبدو ان العتوب ذكروا في هذه المناسبة للايرانيين أن البحرين كانت في وقت من الاوقات تابعة للحكومة التركية ، وأنها تخلصت من قبضتها منذ سبعين سنة مضت (١) .

غزو السيد سلطان البحرين واحتلالها ١٨٠٠–١٨٠١ :

وفي سنة ١٨٠٠ قام حاكم مسقط بغزو البحرين ، وأسر ٢٥ أسرة من الاسر الكبيرة فيها نقلهم الى مسقط ، ووضع حامية من الجنود العمانية في قلعة عراد بجزيرة المحرق . ولجأ بعض شيوخ العتوب المهزومين في ذلك الوقت الى الزبارة ولجأ آخرون الى الكويت . ويبدو أن السيد سلطان تعقبهم إلى تلك الاماكن . وترك السيد حين غادر البحرين ابنه الشاب سالم وزوده بمستشار موثوق به لرعاية مصالحه في البحرين ، لكن وضع العمانيين هناك كان حرجاً . وفي سنة ١٨٠١ —وقبل أن يمضي وقت طويل على إبحار أسطول السيد— ارغمهم العتوب على الاستسلام والجلاء عن البحرين .

---

(١) ليس هذا صحيحا بطبيعة الحال ، فالصحيح أن الاتراك قد أقاموا قاعدة في البحرين سنة ١٥٥٩ ، لكن البرتغاليين طردوهم منها في نفس السنة .

تجدد غزو السيد سلطان للبحرين ١٨٠٢ :

وفي العام التالي عاد السيد سلطان مرة أخرى للنزول في البحرين بعد أن حصل على مساعدة من بوشهر بموافقة الحاكم الايراني في شيراز، واستطاع بالفعل ان يقهر العتوب ، لكن هؤلاء كانت علاقتهم في ذلك الوقت قد أصبحت وثيقة بالوهابيين الذين كانت قواعدهم الأمامية تهدد أرض عمان ، فوجد السيد من الخير له أن ينسحب من البحرين ويقفل عائداً .

★ ★ ★

الاحداث ما بين الهجوم الاول والهجوم الثاني من جانب سيد عمان على البحرين ١٨٠٢ ـ ١٨١٦

امتداد نفوذ الوهابيين إلى البحرين ١٨٠٣–١٧٠٩ :

وبعد هذه الاحداث ، خضع العتوب في البحرين لنفوذ الوهابيين زمناً على مضض . وفي سنة ١٨٠٣ ، وبايعاز من أمير الوهابيين ، ارسل العتوب رعاياهم في حملة ضد مسقط وفي وقت كان من الخير لهم ان ينشغلوا بصيد اللؤلؤ فهزموا هزيمة ماحقة في البحر . وفي سنة ١٨٠٥ ـ وخلال الصراع على الحكم في سلطنة عمان ـ أبحر أسطول معظم سفنه من العتوب إلى مسقط ليراقب الأحداث هناك لصالح الوهابيين . وفي ١٨٠٥ على أي حال ، رغب شيوخ العتوب في الاتصال بالسيد بدر في مسقط والاشتراك معه في هجوم على القواسم لكن الهدف الحقيقي كان تدمير قوة الوهابيين في المنطقة ، وقد توثقت العلاقات بينهم وبين سيد عمان توثقاً جعلهم يدفعون له العوائد التي كان يزعم أنها حق له والتي أنكروها عليه من قبل . وفي نفس السنة اقترح شيوخ العتوب أن تعدهم حكومة بومباي بتزويدهم بخدمات سفينة حربية او سفينتين بهدف الحاق

الهزيمة بالوهابيين . ولم تستطع السلطات البريطانية إجابة هذا الطلب رغم أن كابتن سيتون المقيم السياسي في مسقط كان يزكيه مثلما كان يؤيده العتوب في الكويت والزبارة . وفي سنة ١٨٠٩ ، غامر العتوب في البحرين برفض استدعاء الوهابيين لهم للاشتراك مع القواسم في حملة بحرية على البصرة ، وعلى إخوانهم من العتوب في الكويت .

البحرين تحت سيطرة الوهابيين المباشرة ١٨١٠ – ١٨١١ :

وفي سنة ١٨١٠ عينت حكومة الوهابيين وكيلا لها يشرف على شئون البحرين وقطر والأحساء وكانت قد عززت مركزها في الخليج بعقد تسويات مع رحمة بن جابر – زعيم الجلاهمة الساخطين وأقوى شخصية في قطر آنذاك . وكان هذا الوكيل يدعى عبد الله بن عفيصان . ويبدو انه كان يتخذ البحرين في العادة مقراً له ، وكان لشيوخ العتوب سلطتهم في المسائل الداخلية ، لكنهم ارغموا على دفع الجزية للوكيل ، كما اتخذ دعاة الوهابيين قواعد لهم في الإمارة يدعون الناس فيها الى المذهب الجديد .

حاكم مسقط يحرر البحرين من الوهابيين ١٨١١ :

وفي سنة ١٨١١ ، قام امير الوهابيين اثر توتر الاوضاع في جبهته الغربية بعد تقدم القوات المصرية تدريجياً في هذا الاتجاه ، بتقليص حامياته في البحرين والزبارة ، وأفاد السيد سعيد من هذه الفرصة فهاجم كلا الموقعين مباشرة . وفي نفس السنة دارت معركة في البحر بين عتوب البحرين ورحمة بن جابر انتصر فيها شيوخ البحرين .

تحالف قصير العمر بين العتوب في البحرين وسيد عمان ١٨١١–١٨١٣

وفي سنة ١٨١٣ رضي العتوب في البحرين –وكانت مصالحهم في ذلك الوقت متفقة ومصالح سيد مسقط –بأن يشتركوا معه في دبي بأسطول من ١٥ إلى ٢٠ سفينة ، وقوة قوامها الفا رجل ضمن حملة على

رأس الخيمة . لكنهم لم يحققوا وعدهم . وربما كانت هزيمة السيد سعيد في هجومه على القواسم في نفس السنة راجعة لانسحابهم هذا .

★ ★ ★

هجوم سيد عمان الثاني على البحرين ١٨١٦

أصل القطيعة :

ومع اقتراب سنة ١٨١٦ ، حدث تحول في مواقف الدول المهتمة بالبحرين ، وبرزت تحالفات جديدة ، فلجأ العتوب في الجزر الى حماية الوهابيين ، ودخلوا في علاقات صداقة مع القواسم ، في حين وضع رحمة بن جابر نفسه تحت لواء مسقط .

أعمال المقيم البريطاني :

وفي ١٩ يوليو سنة ١٩١٦ ، اثر ورود الإخبار عن إبحار حملة من مسقط على رأس الخيمة والبحرين ، وصل الملازم بروس –المقيم السياسي في بوشهر– الى البحرين حيث التقى بعبدالله بن احمد شيخ الإمارة . وكان سيد عمان قد أنذر الشيخ بأن السفن الحربية البريطانية ستشترك معه في الهجوم على البحرين ، وأبلغه ان موانى الهند البريطانية مغلقة في وجه من بقي على عداوة معه . وشكا الشيخ الى المقيم السياسي ايضاً خرق سيد عمان للاتفاقية المعقودة بين مسقط والبحرين ، واستيلاءه غدراً على ١٥ سفينة تابعة للبحرين ونهب حمولتها على مقربة من مسقط . وبعد أن تأكد الشيخ عبدالله بن احمد من حياد البريطانيين في هذا النزاع ، بل وصداقتهم له – وواضح ان المقيم السياسي لم يستطع ان يثبت له هذه النوايا الا بعقد اتفاقية غير رسمية معه لم تخوله حكومته حق عقدها– أعلن أنه قادر على الدفاع عن نفسه –بمعونة الوهابيين على الأقل– ضد أي هجوم يوجه اليه ، وقد أكد تطور الأحداث صدق رأيه هذا .

واعترف السيد سعيد ، الذي كان الآن يقترب من البحرين —في مراسلة بينه وبين المقيم البريطاني— بأنه ارغم على اتخاذ هذا المسلك تجاه العتوب نظراً لأنهم خرجوا عن الاعتراف بسيادته التي اعترفوا بها سنة ١٨١١ ، وذلك بتحالفهم مع الوهابيين من ناحية ، وبانهماكهم في أعمال القرصنة من الناحية الأخرى ، وأصم السيد أذنيه عن نصيحة ممثل بريطانيا ، بل إنه أيضاً أهمل الاجابة على خطاب منه يعرض فيه الوساطة باسم بريطانيا .

صد هجوم مسقط يوليو أو اغسطس ١٨١٦ :

ووصلت إلى البحرين عقب رحيل الملازم بروس عمارة مسقط التي انضمت اليها ثلاث سفن من بوشهر بأمر من الحاكم الايراني في شيراز وعززها أيضاً انضمام فرق مختلفة من العرب من الميناءين الايرانيين كانجون وعسالو . ونزل العمانيون مباشرة على جزيرة المحرق ، لكنهم هزموا هزيمة ساحقة في الاشتباك الذي أعقب ذلك ، وقتل اثنان من أقارب السيد سعيد الأدنين : أحدهما شقيقه الاصغر حمد .

مفاوضات فاشلة بين السيد سعيد والحاكم الايراني في شيراز لاعداد حملة جديدة على البحرين :

وعبر السيد واسطوله الخليج الى كانجون ليحمل على ظهر سفنه ١٠٠٠ فارس و ٤٠٠ حصان تعهد الحاكم العام في إقليم فارس بتقديمها اليه على أساس تفاهم بينهما يقضي بأن يقوم حاكم مسقط بتغطية نفقات الحملة لو نزلت الى جزر البحرين ثم فشلت او تراجعت . ثم يدفع مبلغاً سنوياً بعدئذ غرامة لحاكم شيراز ، أما اذا نجحت الحملة وتم الاستيلاء على البحرين ، فيتعين على السيد ان يدفع مبلغ عشرة آلاف تومان كل سنة لحاكم إقليم فارس الإيرانى .

إلا أنه تبين للسيد سعيد بعد فترة قصيرة أن الايرانيين ينتوون الغدر به والقاء القبض عليه وسجنه في شيراز ، فتخلى عن محاولته فكرة قبول

معونتهم وعاد ادراجه الى مسقط . ثم وفد الى البحرين مبعوث ايراني يدعى اسكندر خان وتقبل الهدايا من شيوخ البحرين باسم حاكم إقليم فارس وقدم لهم ثياباً من الحرير الفارسي الثمين . وقد تحقق كذلك بعض التقارب السياسي بينهما ولكن لم تكن له نتائج تذكر .

وفي ١٨١٧ زار رحمة بن جابر مسقط ، وربما حاول هناك إغراء السلطان بإعداد حملة جديدة على البحرين ، لكنه وجد السيد سعيد ملقياً باهتمامه كله إلى مشاكله الداخلية .

★ ★ ★

التقارب الوثيق بين العتوب والقواسم
١٨١٧ - ١٨١٩

بيع المسروقات في البحرين :

وكان موقف شيخ البحرين الذي أيده البريطانيون وضمنوا حكمه سنة ١٩١٦ ، وعززوه بعد ذلك بدعوته للتجارة مباشرة بين الهند والبحرين قد أقنع المقيم السياسي بانصرافه عن القرصنة الى التجارة ، لكن اتجاهه هذا بلغ درجه كبيرة من السوء مؤخراً ، وثبت أنه يمد القراصنة القواسم بالحبوب وغيرها من المواد التموينية ، وكانوا « يترددون كل ساعة على موانى الجزر .. » ، بل كان ثمة تحالف فعلي قائم بينهما . وفي سنة ١٨١٧ ذكر الملازم بروس في تقريره أن البحرين قد أصبحت الآن السوق الرئيسية لبيع منهوبات القراصنة ، كذلك هي أيضاً قاعدتهم التي يموّنون منها بالارز والتمور ، فلا يمكن بالتالي اعتبارها سوى قاعدة للقرصنة خاصة وان اعداداً من سكانها اعتادوا ان يبحروا الى رأس الخيمة ، وهناك يعتبرون من طاقم سفن القراصنة مؤقتاً لمواسم أو أكثر —وكان المعتاد في ذلك الوقت أن ينقل القراصنة اسلابهم مباشرة وينزلوا بها الى البحرين ، ومن هناك تحمل أجزاء منها الى كانجون وغيرها من الموانى

على الساحل الايراني بواسطة سفن من الكويت . ورغم هذا كله يبدو أن الشيخ عبد الله قد عرض على القوات المصرية التي كانت وصلت الاحساء في اواخر سنة ١٨١٨ أن يقدم اليهم وسائل النقل البحرية لقوة كانوا يقترحون ارسالها الى رأس الخيمة وغيرها من قواعد القراصنة.

اتفاقية غير عاملة مع الشيوخ لمنع بيع المسروقات البريطانية في البحرين ١٨١٩ :

وفي فبراير ١٨١٩ ورد تقرير يذكر أن عدداً من النساء الهنديات قد جلبن من رأس الخيمة ، وتم بيعهن كاماء في سوق البحرين ، فأرسلت سفينتا صاحبة الجلالة « إيدن » التي يقودها الكابتن لوتس ، و « كونواي » ، وطرادات شركة الهند الشرقية « بيزاس » ، و «مير كوري و « انتيلوب » لتحري هذه الحادثة .

ولم تثبت صحة هذا التقرير ، لكن الكابتن لوش استطاع بتبادل المسجونين بواسطة شيخ البحرين ان يحرر ١٧ إمراة هندية كان القواسم في رأس الخيمة قد اسروهن . وقبل رحيله استطاع ان يقنع شيخ البحرين بتوقيع اتفاقية معه يمنع بمقتضاها بيع أية ممتلكات بريطانية استطاع القراصنة نهبها في أسواق البحرين ، لكن الشيخ للاسف راح بعد ذلك يعتبر هذه الاتفاقية كأنها لم تكن .

الالتباس بين بني ياس والقواسم في البحرين ١٨١٩ :

وتلقى الكابتن لوش أثناء إقامته في البحرين معلومات من الوكيل الأهلي للمقيمية البريطانية بأن اسطولا من سفن القواسم رسا في « المرسى الجنوبي » الذي يحتمل أن يكون مقصوداً به خور القليعة ، وبعدها مباشرة ، ودون اهتمام بما يؤكده الشيخ ومعاونوه بأن طاقم البحارة على هذه السفن ليسوا من القواسم بل من بني ياس ، ودون التفات أيضاً لنصيحة ممثل شركة الهند البريطانية ارسل الكابتن لوش حملة من القوارب تغطيها السفينة « انتيلوب » للاستيلاء على هذا

الاسطول . وقد اغرقت هذه السفن بعد أن أطلقت عليها النيران ودمرت عقب مقاومة عنيدة أبدتهـا أثناء محاولة شدها خارج المرسى ، واحتج شيخ البحرين احتجاجاً شديداً على خرق حياد مينائه ، كما ان شيخ ابو ظبي الذي ثبت فيما بعد ان هذه السفن مملوكة له او لرعاياه ، طالب حكومة بومباي بتعويضات عن الخسائر التي سببت له ، ويبدو أن هذه الحكومة عوضته بما أرضاه عن خسارة الأموال والأرواح جميعاً .

★ ★ ★

وضع البحرين خلال الحملة البريطانية على رأس الخيمة ١٨١٩ ـ ١٨٢٠

سياسة بريطانيا في الحياد تجاه شئون البحرين :

كانت سياسة الحكومة البريطانية أيام حملتها على رأس الخيمة سنة ١٨١٩ متعلقاً بموضوع البحرين ، والادعاءات المتضاربة عن ملكيتها أن تتباعد عن ذلك كله ، وأبلغ الشيخ العتبي أنه لو منع رعاياه عن مزاولة القرصنة ، فسينعم بحياد البريطانيين تجاهه ، أما اذا سادت القرصنة في البحرين فسيعامل معاملة القواسم فيما بعد . وكانت النتيجة ان وقع الشيخ اتفاقية شبيهة بتلك التي فاوضه مستر بروس بشأنها في سنة ١٨١٦ والتي « تضمن لشيوخ العتبي النوايا الطيبة من جانب بريطانيا » وصدقت عليها الحكومة فيما بعد . ويتضح من المجرى العام للاحداث أنه لم يحدث انحراف عن هذا الخط الذي اتفق عليه .

خطة مسقط وايران حيال البحرين ١٨٢٠

وقد تم الآن التخلي عن الفكرة القديمة التي دار حولها التفكير زمناً حول ضم البحرين الى سيد مسقط ، لكن السيد نفسه اغتنم فرصة تقاربه الوثيق الموقت مع البريطانيين في رأس الخيمة لتحسين مصالحه في البحرين.

أما العتوب فقد كان عجز حلفائهم القواسم ضربة لهم ، بل وكان يساورهم الشك في أن الحكومة البريطانية تؤيد وتعزز خطط سلطان مسقط حيال البحرين . كذلك خشيت ايران ان ينجح السيد في محاولته تلك ، فعمدت حكومة إقليم فارس سنة ١٨٢٠ —وكانت قد تراجعت عن التدخل في هذا الامر مؤخراً— الى ان تلتمس من السلطان ان ينقل قواتها الى البحرين . وحين رفض السلطان هذا العرض توجه الامير الحاكم في شيراز بنفسه الى قائد الحملة البريطانية وطلب منه إعارة عدة سفن لنقل الجنود . ولسنا في حاجة الى القول بأن هذا الطلب رفض بطبيعة الحال . وقد قام رحمة بن جابر زعيم الجلاهمة الذي كان مقيماً في خور حسان بقطر من قبل ، ثم أصبح الآن في الدمام على ساحل الاحساء بدور كبير في هذه الاستعدادات من جانب ايران .

خضوع العتوب في البحرين لسيد مسقط ١٨٢٠

وحين حدث في يناير سنة ١٨٢٠ أن فارق السيد سعيد سير و. جرانت كير في رأس الخيمة ، أثار لديه انطباعاً بأنه ينوي أن يهاجم البحرين مباشرة ودون اعتماد على أية مصادر غير قوته الخاصة . ويبدو أنه كان ينتوي ذلك بالفعل مما أفزع شيوخ آل خليفة في البحرين فاستبقوا هجومه على البحرين بارسال ممثل لهم الى مسقط يعلن خضوعهم التام للسيد سعيد . وتم الاتفاق على ان يدفع العتوب جزية سنوية قدرها ٣٠ الف روبية لسموه ، على أن يطلق هو سراح بعض شيوخ العتوب الذين كان قد أمر بسجنهم من قبل ، كذلك أمر برد سفنهم وأموالهم التي تم الاستيلاء عليها أثناء عودتها من الهند . ويبدو أن كلا الطرفين اشترط موافقة الحكومة البريطانية على هذه الاتفاقية ، لكن هذه الموافقة لم تحدث الا بعد زمن طويل ، وتم بالفعل تسليم مبلغ ١٢ الف روبية لحساب الجزية المقترحة التي لا يمكننا الشك فيها على أي نحو :

تعامل بريطانيا مباشرة مع البحرين يناير ١٨٢٠ :

لقد كانت عشر سفن من اسطول القواسم ممن تعرضت لتدمير الاسطول البريطاني لها في رأس الخيمة قد لجأت الى البحرين ، وارسل الكابتن لوش من رأس الخيمة مع سفينتي صاحب الجلالة « ايدن » و « كيرلو » ليطلب تسليمها ، واستطاع ذلك بالفعل في ١٧ يناير سنة ١٨٢٠ ، كما توصل ايضاً الى الاتفاق مع شيخ البحرين على الا يسمح لاي قوارب ترفع هذه الأعلام باللجوء الى مينائه ما لم تسمح له السلطات البريطانية بذلك . وواضح أن هذه الاتفاقية لم تكن الا اتفاقية موقته ، ولا يقصد بها أكثر من تسهيل القضاء على مهنة القراصنة على طول الساحل .

معاهدة تمهيدية للسلم ٥ فبراير ١٨٢٠ :

وفي ٥ يناير ١٨٢٠ ، تم في الشارجة عقد معاهدة تمهيدية للسلم بين السلطات البريطانية والسيد عبد الجليل ـ ممثلا لسلمان بن حمد وعبدالله بن أحمد شيخي البحرين وكانت تقضي بأن يمنع الشيوخ من بيع الاسلاب في أسواق البحرين وأن يمتنعوا عن تقديم المعونة للقراصنة ، ويطلقوا سراح جميع المسجونين من الهنود .

معاهدة السلم ٢٣ فبراير ١٨٢٠

واخيراً وطبقاً للمعاهدة سالفة الذكر سمح للشيوخ بأن يستفيدوا من مزايا معاهدة السلم الشاملة ، ووقعت المعاهدة ، من جانب وكيلهم في الشارقة في نفس يوم توقيع المعاهدة التمهيدية ومن جانب الشيوخ أنفسهم في البحرين بتاريخ ٢٣ فبراير ١٨٢٠ .

★ ★ ★

الاحداث ابتداء من الحملة البريطانية على رأس الخيمة حتى هجوم سيد عمان الثالث والاخير على البحرين ١٨٢٠ ـ ١٨٢٨

الاتفاقية وعلاقات أخرى ببريطانيا :

وقد تم على وجه العموم التقيد بالالتزامات المبرمة بين الحكومة البريطانية وشيوخ البحرين تقيداً حسناً حتى ان السلطات البريطانية لم تر ضرورة تحتم استمرار الطرادات البريطانية في مراقبة موانئ البحرين ـ كبقية موانئ شاطئ القرصنة ـ خلال السنوات القليلة التالية ، بل ان الشيخ عبدالله بن أحمد ذهب إلى حد الزعم بأن معاهدة السلم الشاملة إنما تعني ارتباطه ببريطانيا برباط الحماية والاعتماد التام ، لكن الملازم ماكلاود المقيم السياسي آنذاك كان حريصاً على تصحيح وجهة النظر هذه في زيارة قام بها للبحرين سنة ١٨٢٣ . وكانت عملية المسح البحري لمياه شرق البحرين وما حولها قائمة على قدم وساق في ذلك الوقت ، وكان الشيوخ الكبار والصغار منهم يقدمون كل ما يستطيعون تقديمه لعون هذه العملية .

وفي نهاية سنة ١٨٢٢ استولت سفينة من البحرين على قارب من بوشهر بسبب زعم صاحب السفينة بأن له حقوقاً عند شيخ بوشهر ، وبدا في البداية أنها مجرد حادثة قرصنة ، وقامت سفينة صاحبة الجلالة « صوفي » بمطاردة السفينة البحرينية وأسرتها عند شط العرب ، فنقلتها هي وبحارتها لنجدة رعايا الشيخ الذين اعترف بأنهم ارتكبوا عملاً آثماً ، ولكن ثبت أمام سلطات التحقيق في بومباي براءة هذه السفينة من تهمة القرصنة ، فأطلق سراحها هي وملاحيها وقدم لشيخ البحرين تفسير مناسب للحادثة .

وفي اغسطس سنة ١٨٢٥ حدث اعتداء صغير من سفينة

بحرينية على أخرى تنتمي لميناء المخا في نفس هذا الميناء ، ولكن بعدها مباشرة ، وحين وصلت السفينة البحرينية الى مسقط سويت المسألة تماماً بعد تدخل السلطات البريطانية .

وخلال هذه الفترة ، لم يرد ذكر حادثة واحدة قام فيها رعايا من البحرين بارتكاب عمل من شأنه انتهاك السلم في البحار .

وبأ الكوليرا ١٨٢١ :

وفي صيف ١٨٢١ اجتاح وبأ الكوليرا جزر البحرين ، وتردد أن عدد ضحاياه بلغ اربعة آلاف شخص .

اتفاقية عن البحرين يتم توقيعها بين كابتن بروس المقيم السياسي وحكومة شيراز ١٨٢٢ :

وقد تم توقيع اتفاقية غريبة ، ودون تفويض ، تتناول علاقة ايران بمنطقة الخليج إجمالا ، وهي لهذا مذكورة في تاريخ الساحل الايراني وقعها الكابتن و. بروس المقيم السياسي في الخليج عن الحكومة البريطانية في شيراز بتاريخ ٣٠ أغسطس ١٨٢٢ ، ووقعها ميرزا زكي خان وزير الامير الحاكم في إقليم فارس عن ايران .

وفيما يتعلق بالبحرين حددت هذه الاتفاقية وضعها بأنها كانت دائماً تابعة لحكومة إيران ، وان شيوخ العتوب متمردون على سلطة هذه الحكومة ، ويجب بالتالي سحب جميع الامتيازات التي أصبحوا يتمتعون بها بموجب نصوص معاهدة السلم الشاملة ، وعلى الحكومة البريطانية الا تقدم العون للبحرين ، بل على النقيض ، عليها ان تساعد ايران على قمع تمرد العتوب بامدادهم بسفينة حربية أو سفينتين . وبعبارة أخرى ، تم الاعتراف والتصديق على زعم ايران بحقوقها في السيادة على البحرين . ويبدو أن كابتن بروس قد قبل هذه الشروط مدفوعاً باعتقاد مؤداه أن الخطة التي أعدها حاكم إقليم فارس ضد البحرين محتملة النجاح » وان عودة جزر البحرين مرة أخرى الى سلطة

حكومة إيران ، سيؤدي ولا شك ـ كما لا يؤدي أي عمل آخر ـ الى مزيد من الهدوء على الجانب العربي للخليج ، كما أنه أيضاً سيضع حداً لهذه الأعمال العدوانية والانتقامية الصغيرة الدائرة بين مختلف فروع « عرب العتوب » .

لكن حكومة بومباي لم تكن تقر المقيم العام على هذه الآراء ، لذلك أبلغت حكومة إيران فوراً وبمجرد أن وصلتها هذه الانباء وبتعبيرات حاسمة وواضحة أنها لا توافق على عمل مقيمها العام ، وزيادة في إعلان عدم تقبلها لهذه الاتفاقية نقلت كابتن بروس من منصبه ، واستدعته فوراً الى الهند .

وبالاشارة الى ماجاء بهذه الاتفاقية عن البحرين ذكرت حكومة بومباي أنها لا تستطيع ان تجد دليلا واحداً يثبت صحة زعم ملك ايران بلقب حاكم البحرين ، ولا تستطيع في نفس الوقت الاعتراف بهذا الزعم دون إضرار بامام عمان والعتوب . كما ان هذه الاتفاقية تلزمنا بالوقوف في وجه كل قوة لها جزر في الخليج ولا سيما العتوب الذين يرتبطون معنا بمعاهدة صداقة والذين لدى السلطات البريطانية أسباب تدعوها للرضى عن سلوكهم . وفي نفس الوقت أيضاً ـ وحسب تقرير ارسله ميجور ج. ويلوك ممثل بريطانيا في تبريز فأن الشاه بدوره لم يقر هذه الاتفاقية « ووجه اللوم الى حاكم فارس لدخوله في المفاوضات التي أدت لتوقيعها دون معرفة طهران » .

زيارة الملازم ماكلاود المقيم الجديد للبحرين ، والحالة العامة هناك يناير ١٨٢٣

وبناء على أوامر خاصة من حكومة بومباي قام الملازم ماكلاود الذي عين خلفاً لكابتن بروس بجولة هامة على الساحل العربي ، زار فيها المنامة في ٢٧ يناير سنة ١٨٢٣ حيث استقبله شيوخ البحرين بحفاوة . وكان الهدف الرئيسي من الزيارة هو طمأنة الشيخ بشأن اتفاقية

كابتن بروس التعسة ، وإبلاغه بأنها باطلة ، وان الحكومة البريطانية لن تغير شيئاً من سياستها نحوه . ونوقشت أيضاً قضية السفينة البحرينية التي استولت عليها سفينة صاحبة الجلالة « صوفي » ونقلتها الى بومباي لاتهامها بارتكاب حادثة قرصنة على قارب من بوشهر . وقد تبين أن الشيخ عبدالله –أصغر الشقيقين الحاكمين والذي يقيم هو ومعظم العتوب في جزيرة المحرق هو الحاكم الفعلي ، وان شقيقه الأكبر الشيخ سلمان الذي كان العمر قد تقدم به الآن كثيراً ما يوكل عنه ابنه خليفه في معظم القضايا الهامة بينما تقاعد هو ليقضي أيامه الاخيرة في الرفاع الشرقي بالجزيرة الرئيسية ، وقد زاره المقيم هناك ايضاً . وذكر الملازم ماكلاود أن سلطة شيوخ البحرين على ارضهم ليست مطلقة كما يتوقع ، وأن « أهالي الجزر يتحملونها على مضض ظاهر » ، ووضح أيضاً أن الخدم والعبيد يشغلون وظائف لا تكون إلا للشيوخ فقط .

وتوفي الشيخ سلمان بعد هذه الزيارة بسنتين في ١٨٢٥ ، وأصبح ابنه خليفه من بعده يتقاضى نصف صافي عوائد الإمارة ، لكن الشيخ عبدالله على الرغم من أن موافقة ابن شقيقه على أعمال الحكومة مفروضة نظرياً أعد عدته لان تصبح السلطة التنفيذية كلها بين يديه وحده .

الصراع بين رحمة بن جابر وشيوخ البحرين ١٨٢٢–١٨٢٦ :

وكان الصراع القائم بين رحمة بن جابر ، زعيم الجلاهمة الساخطين ، وشيوخ البحرين مصدراً لاضطراب دائم لم يتوقف الا بموت رحمة فيما بعد . ويبدو ان ضيق الكابتن بروس بتلك الحروب الصغيرة التي كانت قائمة بين آل خليفة والجلاهمة ، هو الذي دفعه الى تقديم التنازلات الخرقاء لحاكم شيراز .

وفي بداية سنة ١٨٢٢ طلب كلا الطرفين وساطة السلطات البريطانية التي وافقت فوراً على هذا الطلب بشرط أن لا يفهم من ذلك ان بريطانيا ستضمن التزام الطرفين بتنفيذ ما يتم الاتفاق عليه ، وتم لقاء بين عبدالله بن

أحمد ، ورحمة بن جابر في باسيدو بحضور الرائد كينيت ، الوكيل السياسي المساعد بها ، ولكن بدا أن الخلاف بينهما لا يمكن التوصل الى حله . وعاد الشيخ عبدالله بعد هذا اللقاء الخائب الى البحرين . على حين سار رحمة بن جابر ليشكو همه إلى صديقه وحليفه السيد سعيد ، وكانت النتيجة الوحيدة لهذه الحركة هي أن حاكم مسقط أبلغ المقيم السياسي بعدها بعدة شهور بأنه يعتبر رحمة بن جابر شخصاً لا يمكن الوثوق به أو الاعتماد عليه وانه أى المقيم بالتالي لا يستطيع ان يتقبل ما تريد حكومة الهند تكليفه به من مسئولية عن تصرفات رحمه .

وفي سنة ١٨٢٣ بذل الملازم ماكلاود مزيداً من الجهد الفعال لتحقيق الاتفاق بين هذه الاطراف لكنه لم يكتب له النجاح هذه المرة أيضاً .

وأخيراً وفي ٢٤ فبراير سنة ١٨٢٤ تم توقيع اتفاقية في البحرين أمام الرائد أ. ج . ستانوس المقيم السياسي ، بين الشيخ عبدالله ورحمة بن جابر ، تعهد كل منهما فيها بأن يتصالح مع الآخر على أساس عدة شروط أهمها أن يسحب رحمة حمايته عن قبيلة آل بو سميط ، وأن يعوض رعايا البحرين عن الخسائر التي أوقعها بهم . وظل الطرفان ملتزمين بهذا الصلح لمدة سنتين تقريباً . وقد حاول المقيم في سنة ١٨٢٥ التوصل الى اتفاقية بين شيخ البحرين وآل بو سميط لكنه فشل ، وفي الحرب التي أعقبت ذلك بينهما القى رحمة بن جابر بنفسه —وهو عجوز وأعمى كما هو مذكور في تاريخ الأحساء— الى التهلكة بطريقة درامية غريبة .

تجدد خطط سيد مسقط بالنسبة للبحرين .

وفي سنة ١٨٢٠ اعترف شيوخ البحرين كما رأينا بسيادة سلطان مسقط عليهم ، وتعهدوا بدفع الجزية له كل سنة ، ودفع منها مبلغ بالفعل ، ولكن في سنة ١٨٢٢ — إن لم يكن قبلها— توقف الشيوخ المذكورون عن الالتزام بتلك الاتفاقية .

وفي أغسطس ١٨٢٢ ، حين بدا أن السيد سعيد يعد حملته البحرية على البحرين ، وجه حاكم بومباي خطابات عاجلة اليه ، والى غريمه الشيخ عبدالله يستنكر فيها الحرب ويقول بأن الجزية لا بد ان تدفع إذا كانت قد دفعت بانتظام قبل ذلك وكان تاريخها يرجع الى سنوات طويلة من قبل ، وإلا فعلى حاكم عمان ان يسحب مطالبته بها . وفي ربيع سنة ١٨٢٣ حين ترددت شائعات عن هجوم وشيك على البحرين تشترك فيه حكومة ايران وحاكم مسقط وشيخ القواسم ، اوعزت حكومة بومباي إلى الميجور ويلوك ، ممثل بريطانيا في طهران أن يحاول إقناع ايران بعدم إثارة الاضطرابات في الخليج . وفي سنة ١٨٢٥ حين توفي الشيخ سلمان في البحرين سار السيد سعيد الى هناك منتصراً لمطالبة أبناء الشيخ سلمان بالحكم المطلق في البحرين وانتزاعه من أيدي عمهم الشيخ عبدالله ، وقد صدرت لحاكم مسقط تحذيرات شديدة اللهجة من جانب حاكم بومباي .

★ ★ ★

حملة سيد عمان الثالثة والاخيرة على البحرين ١٨١٨

الاستعدادات في مسقط والبحرين يونيو – اكتوبر ١٨٢٨

حوالى يونيو سنة ١٨٢٨ ذاع أن السيد سعيد في مسقط يجمع السفن ويعد الرجال لهجوم على البحرين جديد ، لكن السيد سعيد نفسه سارع إلى تكذيب ذلك ، وبادر فأرسل مبعوثاً من لدنه محملا بالهدايا ، وبرسالة ودية منه لشيوخ العتوب . وقد وضح ازدواج سلوكه بالنسبة لهذه القضية فطلب شيوخ البحرين حماية الحكومة البريطانية ، لكن المقيم رفض التدخل إلا بإبعاد بني ياس الذين كان يخشى أن يؤدى ارتباطهم بالسيد سعيد إلى تدخل القواسم لمناصرة العتوب . وفي أغسطس أرسل السيد سعيد

اعلاناً كتابياً بالحرب الى الشيخ عبدالله ينذره فيه بقدومه اليه قبل انقضاء شهر ، وفي أوائل سبتمبر ، أبحرت عمارة مسقط التي كانت تتكون من عدد كبير من السفن المصنوعة في اوربا وفي عمان الى قشم فوصلتها في ١٧ منه ، وبعد قضاء عدة أيام في قشم عبر الاسطول الخليج الى ابو ظبي ، وهناك لحق به الشيخ طحنون الذي لم يستطع المقيم العام بسببه التدخل ، كذلك لحقت به فرقة من بني ياس . وفي ٢٧ أكتوبر تشتت أسطول السيد في البحر نتيجة عاصفة شديدة لكنه تجمع مرة أخرى ، وفي اليوم الاخير من الشهر بدأت سفنه تتخذ مرساها حول جزيرة سترة ، بالقرب من مدخل خور القلعة .

وفي نفس الوقت كان الشيخ عبدالله بن أحمد قد اتخذ كل ما يمكنه من الاجراءات لصد الغزو المتوقع ، فتجمع الاسطول الكبير الذي كانت تملكه البحرين في خور فشت حتى يستطيع أن يحبط أي هجوم على المنامة من عرض البحر ، وتجمعت السفن ذات الحجم المتوسط والصغير بالقرب من مدينة المحرق ربما لانها كانت موقعاً مركزياً يستطاع منه الحركة بسهولة وسرعة إما إلى ميناء المنامة او إلى خور القلعة . وأغلق مدخل خور القلعة بأن اغرقت فيه قوارب محملة بالاحجار ، وتم إصلاح كل التحصينات وترميمها ؛ وتجمع عرب كثيرون من اماكن عديدة للدفاع عن الجزر . وفي نفس الوقت أيضاً بذل العتوب جهوداً كبيرة لرشوة شيخ ابو ظبي كي يقف موقفاً حيادياً ، ويبدو من تطور الأحداث أن هذه الجهود لم يقدر لها النجاح .

وكان الشاطىء المواجه لمرسى اسطول مسقط تراقبه في البداية فرقة يقودها خليفة بن سلمان الشيخ الثاني في البحرين . ولكن بعد ثلاثة أيام قضاها العمانيون منهمكين في تنظيف مدخل الخور من هذه العقبات الصناعية انسحب المدافعون الى الحورة وهي ضاحية شرقي مدينة المنامة . وفي ٥ نوفمبر على وجه التقريب ، طهر مدخل خور القلعة ودخلت

منه سفينتان و ١١ قارباً ، وطلبوا من العتوب الاستسلام وانذروهم ، لكن هؤلاء تلقوا انذارهم باستخفاف . وفي ليلة ٥ نوفمبر استطاع بعض جنود مسقط النزول الى ارض جزيرة سترة ، واحتلال إحدى قلاعها ، وفي اليوم التالي حاولت بعض سفن الاسطول ضرب مدينة المنامة وقلعة هالة ابو ماهر لكنها فشلت ، ولم يحدث شيء حتى يوم ٩ نوفمبر حين علم السيد سعيد بأن جنود الشيخ طحنون وبني ياس بدأوا النزول من السفن دون اوامر في المنطقة ما بين رأس الجفير ورأس ام الحسام ، فهاله ذلك وأسرع الى الشاطىء يصحبه حارس نوبي وبعض ممن استطاع جمعهم من الرجال ، وقبل ان تصـــــل هذه الجماعة الى المكان المقصود كان العتوب الذين يحمون مدينة المنامة ويغطونها قد حملوا على الفرقة التي نزلت الى الارض حملة شديدة مفاجئة ، وشتتوا شملها بفضل هجوم الفرسان من وراء غابات النخيل في ماهوز على جناح الفرقة ومؤخرتها ، وقد لوحظ ان بني ياس كانوا اول من هرب من هذا الاشتباك ، وتردد بعد ذلك مباشرة أنهم رفعوا سلاحهم على حلفائهم ، ونهبوهم ، بل وعملوا كل ما يمكنهم عمله للحيلولة بين لاجئيهم والهرب الى القوارب حتى ان السيد سعيد نفسه ، الذي ابعده حرسه النوبي عن ميدان القتال اضطر لان يقطع مسافة سابحاً كي يصل في سلام ، وأثناء سباحته أصابته ضربة رمح في قدمه . ويبدو ان هذه الحادثة وقعت على الضفة الجنوبية من خور القلعة ، في مكان ما بين المدخل الشرقي للخليج ومدينة المنامة . وفي نفس الوقت ساد الفزع جنود الاسطول وهم يرون ما يحدث على الشاطىء ، وبدلا من دخول الاسطول في المعركة وتقديم العون للمقاتلين ، رفع مراسيه وأقلع من خور القلعة ، وأثناء تنفيذ هذه المنـــاورة غرقت سفينة بشراعين وأخرى متوسطة الحجم استولى عليها العتوب واستطاع العمانيون – في جنح الليل – تدمير السفينة الاولى قبل ان يجرها الأعداء كمغنم لهم ، وقدرت خسائر الغزاة في هذه العملية بحوالي ٥٠٠ رجل .

وإزاء هذه الكوارث ، من هزيمة منكرة ، الى تخوف من مزيد من الخيانة ، وجراح نازفة في الساق ، الى تفشي وباء الكوليرا بين الجنود على ظهور السفن ، الى ترامي الانباء المكدرة في مستعمرات عمان الافريقية ، ازاء ذلك كله ، وجد السيد سعيد نفسه مضطراً لبذل محاولات متلاحقة اراق فيها ماء وجهه ، لعقد الصلح . وأخيراً ارغم على العودة إلى عمان بقواته كلها في ٢١ نوفمبر . ولم يفلح العذر الذي قدمه السيد سعيد وهو ان الله لم يبارك حملته هذه في تلافي هبوط أسهمه في كل مكان في منطقة الخليج . وربما كانت هذه الهزيمة سبباً من الاسباب التي ستدفع بالسيد سعيد —بعد سنة ١٨٢٨— لأن يوجه اهتمامه كله الى ميدان بعيد وأقل وعورة .. وهو ميدان افريقيا .

★ ★ ★

تتابع الاحداث ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩

شيخ البحرين يرجع إلى المقيم السياسي البريطاني ديسمبر ١٨٢٨ :

وعقب رحيل اسطول الاعداء مباشرة ، كتب الشيخ عبدالله للرائد د. ويلسون ، المقيم السياسي في بوشهر ، يشكو اليه ما فعله شيخ ابو ظبي وانضمامه الى الحملة على البحرين ، مشيراً الى المادة الرابعة من معاهدة السلم الشاملة التي يلتزم بها شيخ البحرين وشيخ أبو ظبي كلاهما والتي تنص « على الا تتقاتل القبائل المتصالحة بعضها مع بعض » ورد المقيم عليه فأوضح له معنى هذا النص ، وكيف أنه يمنع الحرب بين القبائل المتصالحة اذا اتخذت هذه الحرب شكل عمليات القرصنة لا شكل الحرب العلنية السافرة .

الحرب البحرية بين شيوخ العتوب وسيد عمان ١٨٢٩ :

وحين علم شيوخ البحرين ان الاشتباك في حرب منظمة أمر لا يتناقض مع معاهدة ١٨٢٠ قرروا القيام بالحرب في مياه العدو ، واعلنوا

لذلك اسطولا من سبع سفن كبيرة ، وارسل السيد سعيد فرقاطتين لملاقاته ، وابحر أسطول العتبي في ٢١ مارس ١٨٢٩ تحت قيادة الشيخ عبدالله بن أحمد شخصياً .

والتقت سفن مسقط الحربية بعد قليل بسفينة بحرينية عائدة من الهند هي السفينة «سيار» ، فحاولت اولا ارهابها باطلاق النيران عليها عن بعد ثم النزول الى ظهرها ، لكنها وجدت بحارة السفينة مستعدين للرد عليهم بالقذائف السريعة الاشتعال ، فتراجعت سفن عمان وواصلت إطلاق النيران على السفينة من بعيد . واخيراً استطاعت «سيار» ان تهرب الى البحرين تحت جنح الليل ووصلتها سليمة الا من بعض الخسائر في حمولتها

وفي نفس الوقت ، التقى اسطول العتوب بسفينة ضخمة تابعة لشيخ عسالو ، فاشتبك معها لكنها أصلته ناراً حامية ودام الاشتباك عدة ساعات ، فتراجع اسطول العتوب ووجد مغنماً سهلا في سفينة من مرباط فاستولى عليها في عرض البحر بالقرب من مسقط ، وأثناء عودة الاسطول بغنيمته الى البحرين وجد فرقاطتين من مسقط تقطعان عليه الطريق بالقرب من كوع مبارك ، فوضعوا سفينة مرباط بين اسطولهم وبين فرقاطتي عمان ، وبدأوا نقل حمولتها الى سفنهم ، وهبط الظلام ، فأغرق العتوب سفينة مرباط وغيروا طريقهم ليهربوا بمغنمهم الى البحرين .

ولم تكن مرباط ، التي تقع بعيداً عن الطرف الجنوبي للجزيرة العربية ، تابعة لمسقط في ذلك الوقت ، وكان العمل الذي قام به العتوب بالنسبة لسفينة هذا الميناء عملية قرصنة لا شبهة فيها . وارسل المقيم السياسي انذاراً فورياً يطالب فيه برد حمولة السفينة التي نهبت ، وسلمت الانذار سفينتان من السفن الحربية البريطانية وقد أثمر جداً حتى إنه تمت اعادة مسروقات كانت قيمتها تتجاوز ثمانية آلاف روبية ، وسلمت بضائع أخرى إلى أصحابها في البحرين . ولتسوية بقية المبلغ اقترح ان يطلب الى شيخ البحرين دفع تعويض نقدي اضافي غير

أنه تقرر عدم اتخاذ اجراءات لمتابعة الامر لما كان يتطلبه هذا العمل من وجود اربع سفن حربية بريطانية لمحاصرة ميناء البحرين ناهيك عن احتمال تعطيل الملاحة بواسطة القذائف والصواريخ مما سيضفي على العملية طابع الخطورة .

عقد الصلح بين شيوخ العتوب وسيد عمان ٢ ديسمبر ١٨٢٩ :

وفي نفس الوقت بدرت عن السيد سعيد تلميحات بأنه يعد حملة جديدة على البحرين ، فأصدرت حكومة الهند اوامرها الى الرائد ويلسون المقيم السياسي في بوشهر في ابريل ١٨٢٩ بعرض خدماته كوسيط في هذا النزاع . وتقبل السيد سعيد هذا العرض بترحيب ، فهو من ناحية كان متلهفاً للسير الى زنجبار ، ومن ناحية أخرى كان يدرك ما له من حظوة لدى السلطات البريطانية . لكن العتوب المنتصرين استطاعوا ان يوقفوا هذه الاجراءات حين اصروا على ان تأخذ الحكومة البريطانية على عاتقها مسئولية مراقبة تنفيذ أية معاهدة تعقد بين الطرفين مسئولية كاملة . ورفض المقيم البريطاني بحزم قبول هذا الشرط رغم ان السيد سعيد كان يتلهف ايضاً لوجوده ، وبعد عدة شهور من المباحثات الفاشلة أعلن المقيم البريطاني انتهاء وساطته ، وكعقاب لشيوخ البحرين على عنادهم سحب طراد بريطاني كان موجوداً بصفة دائمة على شواطىء اللؤلؤ للمحافظة على النظام في موسم ١٨٢٩ . وبفضل هذه اللامبالاة الواضحة من جانب السلطات البريطانية عاد الشيخ عبد الله الى رشده ، وتم في ٢ ديسمبر سنة ١٨٢٩ —بوساطة الشيخ محمد بن ناصر شيخ بوشهر — توقيع اتفاقية فصلت بين الطرفين المتصارعين وكانت أهم شروطها أن تقوم البحرين مستقبلا بدفع الجزية لمسقط ، وألا يتدخل أحد هذين الحاكمين في شئون الآخر الداخلية ، وأضيف الى شروط هذه الاتفاقية تعهد شفوى بأن يقدم كل من الطرفين عونه للطرف الثاني في حالة وقوع هجوم عليه من جانب طرف ثالث ، وقد

سمح للشيخ طحنون شيخ ابو ظبي بالإفادة من مزايا هذا السلم ، وبناء على طلب شيوخ العتوب استبعد آل بو سميط المتمردون من الاتفاقية .

★ ★ ★

التاريخ العام منذ توقيع الصلح مع سيد عمان حتى وصول القوات المصرية الى الاحساء ١٨٣٠ - ١٨٣٨

خضوع شيوخ البحرين لأمير الوهابيين ١٨٣٠ - ١٨٣١ :

وبعد هذه الاحداث بقليل عاد الى الأحساء نفوذ قوي كان غائباً عنها لمدة طويلة ، ونعني به نفوذ وسط الجزيرة ، فقد أقام امير الوهابيين تركي بن سعود قاعدة فيها وسرعان ما أصبح لهذه القاعدة آثارها على مكانة شيوخ البحرين .

وفي نهاية سنة ١٨٣٠ طلب الوهابيون من شيوخ البحرين دفع الزكاة اليهم كما طالبوهم بتعويض يصل الى ٤٠ الف دولار لحساب خيول كان الوهابيون قد تركوها في عهدة الشيخ عبدالله منذ سنوات بعيدة ، كذلك طلبوا ايضاً التنازل لهم عن قلعة الدمام على شاطىء الأحساء . واقترح الوهابيون ان يجعلوا على الدمام بشير بن رحمة بن جابر عدو العتوب اللدود فيما مضى . وحاول شيوخ البحرين كسب تدخل بريطانيا الى صفهم ، لكنهم فشلوا في ذلك ، وبدأت تساورهم المخاوف من تحالف يقوم بين الوهابيين والسيد سعيد في مسقط فأرسلوا قريباً لهم إلى الرياض يتفاوض باسمهم ، وفي النهاية سويت الأمور على أن يعترف شيوخ البحرين بسيادة أمير الوهابيين عليهم وأن يدفعوا له الزكاة ، ويبدو أن الوهابيين تنازلوا عن مطلبهم بتسليم قلعة الدمام نظراً لخضوع شيوخ البحرين لهم ، وفي مقابل ذلك تعهد الوهابيون ببسط حمايتهم على البحرين في وجه أي عدوان خارجي عليها ، لكن شيوخ العتوب

لم يكونوا يثقون بعهود الوهابيين خاصة لمسلكهم غير الودي في تنصيب بشير بن رحمة على جزيرة طاروت المواجهة لمدينة القطيف ، والذي سرعان ما لحق به هناك معظم آل بو سميط أعداء حكام البحرين الألداء منذ زمن بعيد .

شيخ البحرين يرفض سيادة أمير الوهابيين ١٨٣٣ — ١٨٣٥ :

وفي سنة ١٨٣٣ تشجع الشيخ عبدالله شيخ البحرين برحيل بشير بن رحمة الى مسقط — وكان هذا قد وجد اقامته في طاروت شبه مستحيلة نظراً لعداء أهل القطيف له— فتخلى عن خضوعه للوهابيين . وكان شيخ البحرين قد حرص قبل ان يغامر بالقطيعة مع الوهابيين على ضمان جياد سيد عمان ، كما كان مؤيداً من جانب القبائل العربية على الارض المجاورة خاصة فرع عمير من بني خالد الذين بدأوا مباشرة وبتحريض منه يضايقون الوهابيين في الأحساء ، لذلك لم يستطع حكام الرياض أن يقوموا بأي عمل رداً على قطعية شيخ البحرين . وفي ١٨٣٤ بدأ الشيخ عبدالله مهاجمة وحصار موانى الوهابيين في القطيف والعقير . وجاء اغتيال أمير الوهابيين بعد ذلك بفترة قصيرة على يد ابن شقيقه مشاري فَعُزِيَ الى مكيدة من شيخ البحرين الذي لم يخف احتفاله بالمناسبة فأطلق نيران مدافعه واتخذ مظاهر أخرى تعبيراً عن ابتهاجه ، واستطاع شيخ البحرين بتقديم بعض الرشاوى وبسبب فشل محاولة قام بها امير الوهابيين الجديد فيصل بن تركي لاستعادة جزيرة طاروت أن يواصل حصاره لميناءي القطيف والعقير ، بعد أن كان رفعه كما راح ايضاً ينهب سفن كلا الميناءين .

الحالة الداخلية لآل خليفة في البحرين ١٨٣٣ — ١٨٣٥ :

وفي ١٨٣٣ وحين أعلن الشيخ عبدالله قطيعته للوهابيين ، أقام وقتاً ما مع ابنيه مبارك وناصر في قطر ليراقب استعدادات العدو ، وواضح أنه عاد بعد فترة إلى البحرين . وبعد موت ابن شقيقه وشريكه في الحكم

ـالشيخ خليفه بن سلمان في ٣١ مايو ١٨٣٤ـ أصبح الشيخ عبدالله هو الحاكم المطلق في البحرين . غير أن عناده واستقلاله برأية وتلهفه على أن يمسك بخيوط السلطة جميعاً في يديه دون اقربائه الادنين ـبل ودون ابنائه أيضاًـ إلى جانب تهاونه وتساهله في غير ضرورة للتساهل والتهاون ، وسوء حكمه عموماً حين تفرد بالحكم أدت جميعها إلى ان تصبح الحالة الداخلية في إمارته تنذر بالخطر .

وفي سنة ١٨٣٥ تمرد أهل الحويله في قطر على سلطته ، وبدأوا يراسلون الوهابيين ، وتمرد واحد من ابنائه مناصرة لأهل الحويله وبدأ بمعونة عدة مئات من الوهابيين يشن غارات على تجارة البحرين في البحر ، كما قام ابن آخر من ابنائه ـوهو أحمدـ بإثارة عدة حوادث شغب في البحر دفع تعويضات عنها بمجرد طلب السلطات البريطانية منه ذلك ؛ ثم رحل إلى قطر ومنها الى مسقط بهدف الحصول على عون السيد سعيد ضد أبيه في البحرين .

لكن السيد سعيد ـبدل أن يحقق رغبة أحمدـ أرسل ابنه السيد هلال إلى البحرين لتسوية الخلافات القائمة بين آل خليفه ، وتم التوصل إلى إتفاقية بينهم ذكرناها بالتفصيل في تاريخ قطر . ولكن سرعان ما خرقها أنصار الشيخ عبدالله الذين أغروا آل بو كواره ليهاجموا أهل الحويله ، ورفض الشيخ أن يدفع تعويضات عن هذا العمل ، وأدت هذه الحادثة الأخيرة إلى هجرة عيسى بن طريف ـأقوى رجل في الحويله ـ والتجائه إلى شيخ ابو ظبي في عمان المتصالحة ، وستشير إلى اعماله التالية فيما بعد .

الصلح بين الوهابيين والعتوب ١٨٣٦ :

وحوالي منتصف سنة ١٨٣٦ توجس الشيخ عبدالله خيفه من بوادر نوايا حكومة شيراز ، ربما بعون من سيد عمان لتجديد مزاعم سيطرتها على البحرين ، فاتخذ خطوات نحو التوصل الى تسوية مع أمير الوهابيين .

وتلقى الامير فيصل بن تركي هذا العرض بارتياح ، فقد سبب حصار البحرين لموانى الاحساء خسارة لرعايا الوهابيين فيها ، كما بدأت القوات المصرية الآن تضغط على جبهته الغربية . وتم التوصل الى اتفاقية بالفعل . وتعهد الشيخ بأن يدفع جزية رمزية سنوية قدرها ٢٠٠٠ روبية للامير ، وتعهد الامير في مقابل ذلك بأن يقدم قوات من جنوده للدفاع عن البحرين ضد أي هجوم خارجي ؛ كذلك امتنع عن ان يطلب من الشيخ توفير وسائل الانتقال البحرية له إذا فكر في القيام بحملة بحرية على مسقط ، واعيد فتح طريق المواصلات بين البحرين وموانى القطيف والعقير .

الحالة الداخلية في البحرين ١٨٣٦ – ١٨٣٨ :

وفي نفس الوقت كان احتمال الرعايا البحرينيين يتناقص يوماً بعد يوم ، كذلك أيضاً بدأت الجزر تخلو من سكانها المهاجرين ، وكانت المدن في حالة من الفوضى والخراب ، وهبط إيجار المنازل إلى القيمة التي كانت عليها منذ سنوات قليلة ، وزعم ستة من ابناء الشيخ ان لكل منهم سلطته المستقلة ، وانحصرت جهودهم جميعاً في ابتزاز الاموال من التجار وغيرهم من ذوي اليسار ، ولم يكن للمواطن البحريني العادي أية حقوق معترف بها ، حتى حيواناته التي يملكها كثيراً ما كانت تؤخذ منه لاعمال السخرة ، ولا تعاد اليه ابداً . وكانت النتيجة هجرة جماعية لأهالي البحرين الى مختلف مناطق الخليج .

والحقيقة ان الدور الذي قام به الشيخ عبدالله والذي كان يفترض فيه ان يتضاءل مع تقدمه في السن – وذلك ما لم يحدث كما تبين الاحداث اللاحقة – كان دوراً شائناً بالفعل ، فهو لم يقدم أية تعويضات عن الاضرار التي كانت تلحق برعاياه ، واكتفى بأن ينصحهم بالبعد عن طريق أبنائه وأنصارهم . وأعلن في سنة ١٨٣٦ أنه على وشك الانتقال للإقامة بخور حسان في قطر ، وأدى إعلانه عن هذه الخطوة الى ان يسارع أقاربه الذي لم يكونوا مستعدين لمواجهة نتيجة مثل هذا العمل المتعب

إلى الاعتذار المتعجل له ، والوعد بالطاعة من جانبهم . وقد كشف انذار وجهه الشيخ بحضور المعتمد البريطاني لتاجر من بوشهر لإبلاغه لزملائه التجار جميعاً بألا يطلب أحد اليه حماية او تعويضات عن عمل أو أمر يصيبه عن نية الشيخ الجادة في اتخاذ قطر قاعدة لأعماله ضد أقاربه المناوئين له في البحرين . كما أنه اتخذ في سنة ١٨٣٧ خطوات أخرى لتنفيذ تهديده هذا فأرسل زوجتين من زوجاته بأطفالهما ومنقولاتهما —حتى أبواب المنازل— للإقامة في خور حسان. وفزع أبناء الشيخ وبقية أقاربه لهذا الاجراء من جانبه فأصلحوا سلوكهم فترة من الزمن .

★ ★ ★

علاقات بريطانيا بالبحرين ١٨٣٠ ـ ١٨٣٩

وكان من نتائج هذه الاختلافات بين آل خليفه الاعتداء على الوكيل المحلي للحكومة البريطانية في البحرين مما أدى الى قطع العلاقات بين بريطانيا وحكومة البحرين ، فقد علم أبناء الشيخ أن مبلغاً كبيراً من المال مستحق الدفع من جانب الوكيل البريطاني لابيهم لمعاملات تجارية ، فطالبوا بدفعه لهم هم ، واستطاعوا بارتكاب حماقات وبمعاملة الوكيل معاملة سيئة أن يبتزوا منه مبلغاً كبيراً . وحاول الوكيل—الذي يبدو ان شيخ البحرين رفع عنه حمايته— ان يهرب من ازدياد المعاملة السيئة التي يتعرض لها، لكنه اضطر للظهور رسمياً بمناسبة وصول سفينة بريطانية إلى الميناء ، وبالتالي لم يستطع الهرب ، ولقي معاملة أكثر سوءاً من ذي قبل .

ورفض الشيخ دفع التعويض ، فأرسلت قوة بحرية بريطانية إلى البحرين لتحصيلها بالقوة اذا لزم الأمر ، وتحت هذه الظروف استسلم الشيخ للمطالب المقدمة اليه وهي ان يأتي أحد أبنائه — أو هو بنفسه — لمقابلة الضابط البحري الأول ومعه خلعة تكريم للوكيل البريطاني ، وان

يتم جلد الذين اشتركوا في إهانته وسوء معاملته إما على ظهر السفينة الانجليزية نفسها او على ظهر أي قارب من قوارب الشيخ الممتدة على طول الساحل .

استبعاد شيخ البحرين من توقيع معاهدة الهدنة البحرية ١٨٣٥ :

وحين عقدت الهدنة البحرية الاولى في سنة ١٨٣٥ بين شيوخ عمان المتصالحة – كما هو مذكور بالتفصيل في تاريخها – لم يدع شيخ البحرين للتوقيع على هذه المعاهدة رغم أنه يماثل هؤلاء الشيوخ في كل شيء حتى كان طرفاً في معاهدة الصلح الشاملة لسنة ١٨٢٠ . وكان استبعاده يعود لأمرين : الاول ان سلوك الشيخ فيما يتعلق بالأمن في البحار لم يكن خالياً من الشوائب حتى ذلك الحين وثانياً أن الشيخ لن يستطيع ان ينتهج سياسة معاكسة لسياسة بريطانيا القادرة دائماً على ايقاع العقاب به لو فعـــــل مثل ذلك ، كما أن شيخ البحرين لو سمح له بالانضمام الى معاهدة السلم البحرية فقد يطالب السلطات البريطانية بحماية البحرين من الهجوم عليها في حالة قيام الحرب بينه وبين عمان وهو أمر كان محتمل الوقوع .

امتداد الخط الحاجز إلى البحرين ١٨٣٦ :

وتم تحديد خط مانع لا يسمح بعده بارتكاب اعمال عدوانية في البحر بين عمان المتصالحة والساحل الايراني ، وقد نفذت ذلك السلطات البريطانية وبموافقة شيوخ عمان المتصالحة دون توقيع اتفاقية رسمية . وفي نفس السنة ، وبعد اضطراب العلاقات بين شيخ البحرين وأهل الحويلة في قطر ، امتد الخط بموافقة الشيخ عبدالله حسب خطابه بتاريخ ٢٦ مارس ١٨٣٦ من جزيرة حالول ، على مبعدة عشرة أميال عن رأس ركن أقصى الشمال من قطر ماراً بجزيرة قراين إلى رأس الزور حيث يلتقي بالساحل العربي .

قرصنة بني عمير وبني هاجر ١٨٣٧

وفي سنة ١٨٣٧ انتهز فرع عمير من بني خالد وبعض بني هاجر المستقرين في الدمام وهم اسمياً على الاقل يعتبرون رعايا لشيخ البحرين فرصة الفوضى السائدة في الاحساء كما في غيرها من ارض الوهابيين للقيام بحملة قرصنة على سفن ميناء القطيف ، كما ان بعض القوارب التابعة للبحرين أيضاً وقعت ضحية قرصنتهم . فحاول الشيخ عبدالله استصدار اذن من الحكومة البريطانية بمعاقبتهم ، ونجح بسرعة في الاستيلاء على قاربين من قواربهم ، وقتل في هذه العمليات خمسة من القراصنة .

تفادي الحرب البحرية بين البحرين وأبو ظبي ١٨٣٨

وكان نفوذ المقيم البريطاني في الخليج هو الذي يحول بين عيسى بن طريف منذ هجرته من حويله قطر في ١٨٣٥ واستقراره في ابو ظبي بعمان المتصالحة — وبين القيام بغارات انتقامية على ارض شيخ البحرين .

وفي سنة ١٨٣٨ حصل الشيخ عبدالله — الذي كان يلح في ضرورة رجوع المهاجرين ممن كانوا غادروا البحرين مصرين على عدم العودة — على اذن بارغامهم على العودة بالقوة البحرية بعد انقضاء مهلة محددة .

وكان آل بن علي وآل بو عينين احراراً في ان يقاتلوا معه بعد انقضاء هذه المهلة ، لكن الشيخ كان في دخيلة أمره متردداً من التورط في حرب لا بد ستجره لقتال ابو ظبي فتأمل أن تقوم الحكومة البريطانية بالضغط على هؤلاء المهاجرين كي يعودوا ، وعرض بواسطة المقيم البريطاني في بوشهر قبل حلول اليوم المحدد لانتهاء المهلة ، أن يسمح لهم بالعودة الى قطر . ووضعت بالتالي سفينة حربية بريطانية تحت تصرفه لتنقله هو أو من يعينه وكيلا عنه إلى ابو ظبي لإجراء المفاوضات على هذا الاساس ، غير ان الشيخ عبدالله رفض في النهاية التوصل الى أية اتفاقية مع اولئك المتمردين ما لم تضمنها الحكومة البريطانية ، وهو شرط

لم تستطع السلطات البريطانية الموافقة عليه . وأعلنت الحرب فأبلغ كلا الجانبين بأن عملياتهما الحربية يجب الا تتجاوز الخط المانع .

ويبدو أن اهل البحرين هم الذين منوا بالخسارة الفادحة في الاضطرابات التي أعقبت ذلك ، وفي سنة ١٨٣٩ طلب تجار الإمارة توسط المقيم البريطاني لإنهاء هذا الصراع ، والتوصل لاتفاقية . لكن المقيم المساعد الذي ارسل لهذا الغرض إلى الساحل العربي وجد ان كلا الطرفين ممتنع عن التوصل لاتفاقية ما لم تضمنها الحكومة البريطانية .. ولم يكن من ناحيته مفوضاً بمثل هذه الصلاحيات .

وفي نفس الوقت –على أية حال– بدأت مراسلات ودية بين شيخ البحرين وشيخ ابو ظبي ، وكان هذا الاخير ساخطاً على مسلك عيسى بن طريف وقد ابلغه بالفعل أنه يخيره بين أن يترك بلاده او ان يقيم فيها كمواطن يحترم القانون ويلتزم به . وبعد فترة قصيرة عقد حلف دفاعي هجومي بين الشيخين عجل بعقده وجود القوات المصرية في الاحساء وتهديدها لاستقلال البحرين . وكانت النتيجة ان قرر عيسى بن طريف أن يلتمس لنفسه مأوى آخر غير ابو ظبي بعد انتهاء موسم الغوص وراء اللؤلؤ لسنة ١٨٣٩ كما وافق في نفس الوقت على إيقاف كل أعماله العدائية .

★ ★ ★

الحالة في البحرين أثناء احتلال القوات المصرية الاحساء ١٨٣٨ ـ ١٨٤٠

وصول القوات المصرية إلى الأحساء ومطالبها من البحرين باسم الامير خالد ١٨٣٨

قرب نهاية سنة ١٨٣٨ أسر خورشيد باشا قائد القوات المصرية التي اجتاحت وسط الجزيرة فيصل بن تركي أمير الوهابيين في الخرج

وبعد نفيه الى القاهرة وضع المصريون بدله دمية لهم باسم الامير خالد . وبعدها مباشرة تم احتلال الاحساء ، ولجأ أمير الوهابيين فيها عمر بن عفيصان الى البحرين ، وتكشفت خطط المصريين ضد إمارة البحرين نفسها بعد فترة قصيرة بالمطالب المتتالية من شيخها والمقدمة باسم الامير خالد ، لدفع الجزية كما كان الامر في الماضي ، ولإعادة جزيرة طاروت وحصن الدمام ولتسليم عمر بن عفيصان . وفي نفس الوقت كانت فرق من القوات المصرية مشغولة بجمع الامدادات لبقية القوات من جزر البحرين وغيرها من الأماكن البعيدة .

موقف حكومة الهند :

وأصدرت حكومة الهند وهي المهتمة بهذه الاحداث اوامرها الى المقيم العام في الخليج باستخدام كل إمكاناته لوقف التجاوزات المصرية ، لكن عدم وجود تعليمات واضحة لديها من لندن جعلها لا تستطيع ان تقترح خطاً محدداً للعمل ولذلك ترددت تردداً طويلا في أن تقدم لشيخ البحرين وعداً بمساعدته .. وكان هو في ذلك الوقت متلهفاً أشد التلهف للحصول على مثل هذا الوعد ، ورد الكابتن هينيل المقيم السياسي على سؤال من جانب الشيخ ، فأبلغه –في مارس سنة ١٨٣٩ على الارجح– أنه لا يستطيع أن يقدم له رأياً محدداً بشأن ما يقترحه من إرسال أحد أقربائه لمقابلة خورشيد باشا في الأحساء ، وأبلغه أنه يجب ان يكون هو الفيصل في مثل هذه الشئون .

طلب شيخ البحرين المعونة من الحكومة الايرانية :

ولما كان الشيخ عبد الله فزعاً من تقدم القوات المصرية وأفزعه أكثر وأكثر تردد إشاعة – يبدو أنها كانت قائمة على أساس من الصحة – بأن سيد عمان كان يتآمر مع القوات المصرية للاستيلاء على البحرين وحكمها كمقاطعة نائباً عن مصر فقد اعترف في مواجهة مايطلب منه باسم الامير خالد بأنه أي شيخ البحرين من رعايا الحكومة الإيرانية .

وصول مبعوث ايراني إلى البحرين

وبهدف تأكيد هذا الزعم وربما بناء على اقتراح من الشيخ نفسه ارسل الامير الحاكم في شيراز مبعوثاً هو حاجي قاسم ليقيم في البحرين ، وكان هذا الرجل من قبل مسئولا عن شحن السفن التجارية ، لكنه أصبح الآن يحمل لقباً وثوباً شرفياً من شيخ البحرين ، وتحرسه فرقة من ١٠ جنود ايرانيين . وكان ارساله فشلا محققاً من كل ناحية خاصة بالنسبة لما كانت الحكومة الايرانية تفترضه من ان شيخ البحرين سيدفع جزية سنوية مقابل تأييدها وحمايتها .

أول أوامر واضحة من حكومة الهند بصدد خطط القوات المصرية في البحرين ١ ابريل ١٨٣٩ :

ولما ازدادت نوايا خورشيد باشا وضوحاً تجاه البحرين وجدت حكومة الهند نفسها مضطرة لان تستبق تعليمات حكومة صاحبة الجلالة بشأن السياسة التي يجب أن تنتهجها في الخليج . وانتهزت فرصة وجود أسطول بريطاني في هذه المياه لتفويض قائده سير ف. متيلاند « بأن يستخدم كل امكاناته وبقوة » لمنع قائد القوات المصرية من التقدم ، وخاصة إذا توجه لغزو البحرين ، وفوضت الامبرالية البريطانية قائد الاسطول بأن يقدم لشيخ البحرين ، في حالة إصرار القوات المصريةعلى تنفيذ مخططاتها ضده ، كل معونة تمكنه من المقاومة دون التورط في حرب فعلية ، واعتبرت حكومة الهند هذه التعليمات كافية لمواجهة الموقف ، والمحافظة عليه كما هو . ولم يكن الحاكم العام في الهند مستعداً في ذاك الوقت لعقد اتفاقية جديدة مع شيخ البحرين ، ولكن صدرت الاوامر للاميرال بأن هذه الاتفاقية لوكانت أمراً مرغوباً فيه ، فعليه أن يشجع شيخ البحرين على تقديم اقتراحاته ، ويقوم هو برفعها الى حكومة الهند .

وصدرت الاوامر للمقيم العام كابتن هينيل في خطاب مؤرخ

في ١ ابريل ١٨٣٩ بأن يقدم احتجاجاً لقائد القوات المصرية بصدد خططه ضد البحرين ، وبابلاغه أن عمله هذا امر يتناقض مع التفاهم القائم بين الحكومتين المصرية والبريطانية وقد يؤدي الى اضطراب العلاقات الودية بينهما . كما صدرت اليه الاوامر ايضاً بأن يذكر بالتفصيل القوة المادية لمختلف الاطراف في المنطقة خاصة قوة شيخ البحرين .

وفي نفس الوقت كتب خورشيد باشا للمقيم العام البريطاني ليجس نبض الحكومة البريطانية في حالة مواصلة القوات المصرية لفتوحاتها ، ورد المقيم البريطاني عليه فطلب منه عدم اتخاذ أي إجراء ضد البحرين قبل توجيه إنذار لرعايا الحكومة البريطانية المقيمين في الجزر قبل وقت كاف . وقد أيدت حكومة الهند هذا الطلب من جانبه ، واعتبرت وقت صدوره مناسباً ، لا سيما وأنه يتيح فرصة لتأجيل الأزمة المحتملة حتى وصول سير ف. متيلاند من البحرين .

اوامر حاسمة من حكومة الهند :

وفي خطاب مؤرخ في ١٨ إبريل ١٨٣٩ تقدمت حكومة الهند خطوات أخرى متجاوزة الموقف الذي اتخذته منذ البداية ، فخولت قائد بحريتها –في حالة طلب شيخ البحرين تدخل بريطانيا وتعهده بأن يضع أرضه تحت الحماية البريطانية– بأن يؤكد له أنه تحت حماية مؤقتة من جانب اسطول صاحبة الجلالة في الخليج . وابلاغ خورشيد باشا بفحوى هذا الإجراء ، وانه ليس من المناسب ان تواصل القوات المصرية عملياتها العسكرية قبل ان يتلقى كل من المسئولين تعليمات تالية من حكومته . واذا فشلت هذه الاجراءات فعلى سير ف. متيلاند إبلاغ خورشيد باشا بأنه يحمله المسئولية كاملة في حالة عبوره الخليج الى جزر البحرين عن ارتكاب عمل معاد للحكومة البريطانية التي امرت ممثليها في المنطقة بالدفاع عن الإمارة حتى صدور اوامر أخرى من حكومة

صاحبة الجلالة ، وعليه بعد تبليغه هذا الانذار أن ينصرف الى اعداد وسائل الدفاع عن البحرين بقدر ما تسعفه الإمكانات المتوافرة له .

زيارة الاسطول البحري البريطاني للبحرين

وحوالي نفس الوقت تقريباً ، قام سير ف. متيلاند بزيارة البحرين على سفينة صاحبة الجلالة « ويلسلي » يصحبه الكابتن إدموندز مساعد المقيم السياسي ، وقدم إليه الشيخ عبدالله تعهداً كتابياً من جانبه بألا يضع نفسه تحت سلطة أو حماية أية دولة أجنبية قبل استشارة المقيم البريطاني . ولا يبدو أن أية مراسلات حدثت بين قائد الاسطول البريطاني وخورشيد باشا ، ربما لأن الأول لم يتلق تعليمات جديدة —عندئذ— من حكومة الهند .

تقرير المقيم السياسي البريطاني عن الموقف ٧ مايو ١٨٣٩ :

ورفع كابتن هينيل بتاريخ ٧ مايو سنة ١٨٣٩ —وحسب اوامر حكومة الهند —تقريراً تفصيلياً عن قوة الحملة المصرية في نجد والأحساء ، كذلك عن قوى ومواقف كل الشيوخ والحكام على الساحل العربي الذين كانت مصالحهم مهددة باعتداءات القوات المصرية .

وقد ذكر —فيما يتعلق بشيخ البحرين— ان وسائله الدفاعية قد تتيح له نجاحاً في حالة استغلاله الاستغلال الكامل ، فوَضْعُ إمارته المحاطة بمياه البحر ، الى جانب تفوقه الساحق في القوة البحرية بما فيها من القوارب الحربية من الطراز الاول ، كلها اعتبارات في صفه ، كما أن المقاتلين الذين يقفون الى جانبه يتجاوزون ستة آلاف رجل يمكن جمعهم من جزيرتي البحرين والمحرق فقط ، ويمكنه أيضاً أن يجمع ثلاثة آلاف رجل من ارض العتوب في البر ، وكلهم من الرجال الشجعان الذين يقاتلون في البر والبحر على السواء . ومن الناحية الأخرى كان ما يضعف شيخ البحرين عداء عيسى بن طريف له ، وانشقاق قبائل آل بني علي وآل بو عينين عليه ، هذا الى جانب وجود الشيعة في البحرين ، وهم من أهل البلاد نفسها لكنهم ليسوا مستعدين للحرب ، وكانوا مضطهدين من

جانب الحكم القائم ولذلك كانوا –بلاشك– متعاطفين مع أية عملية غزو للبحرين من الخارج . ولو استطاع خورشيد باشا أن يضمن لنفسه موقعاً صغيراً على جزيرة البحرين مع استمرار مواصلاته مع الأحساء ، فان العتوب لاشك سيخضعون لقواته النظامية العسكرية ، ولكن لما كان الشيخ متفوقاً من الناحية البحرية فان اي هجوم على الجزر كان يعتبر عملا خطيراً في جرأته ، وكان احتمال أن تقوم به القوات المصرية احتمالا ضئيلا . وكان يمكن القضاء على هذا التفوق البحري للعتوب اذا وصلت الى الميدان سفن حربية من مصر او من مسقط ، وبالنسبة لهذه الاخيرة فقد كان من غير المتوقع ان يتعاون ممثلو سيد عمان مع المصريين بهذا الصدد بعد أن عرفوا سياسة الحكومة البريطانية في هذا الموقف .

خضوع شيخ البحرين المفاجيء للمصريين .. واحتجاج المقيم البريطاني يوليو ١٨٣٩ :

وفي ٢٨ يوليو سنة ١٨٣٩ وصل المقيم العام الى البحرين على سفينة صاحبة الجلالة « هيو ليندسي » » للقاء الشيخ عبدالله الذي أعلن فجأة ودون توقع اعترافه بسيادة المصريين ، وتعهد بأن يدفع لهم جزية سنوية قدرها ٢٠٠٠ روبية شريطة أن تبقى السلطة الداخلية كلها بين يديه ، وألا يرسل خورشيد باشا ممثلا له يقيم في البحرين .

وفي المحادثات التي دارت بينهما حاول الشيخ عبدالله ان يشرح للمقيم العام أنه لم يتخل عن وعده للكابتن إدموندز مؤكداً أن هذه الاتفاقية مع المصريين ، رغم انها ابرمت مؤخراً ، الا ان الاتفاق عليها تم منذ وقت طويل أي قبل وصول سفينة صاحبة الجلالة «ويلسلي» ، كما برر مسلكه هذا بما حدث قبل ثلاثة أشهر حين رفض المقيم أن يقدم اليه نصيحة أو تأكيداً محدداً بالمساعدة، وبأنه أفلح في أن يجعل المنطقة خالية من الاضطرابات بفضل ما كان يقدمه من تضحيات مالية زهيدة .

وسلم الكابتن هينيل احتجاجاً كتابياً على هذه الاتفاقية لشيخ

البحرين ، وسلمت نسخة تتضمن نفس العبارات تقريباً لخورشيد باشا ، وأشار الكابتن هينيل لشيخ البحرين أيضاً إلى احتمال أن تعتبره الحكومة البريطانية بسبب علاقاته مع القوات المصرية بأنه يقوم بعمل عدائي ضد بريطانيا العظمى . واحتج الشيخ في رده بأنه لن يضع نفسه أبداً ضد مصالح الحكومة البريطانية حتى لو طلبت اليه القوات المصرية ذلك ، وعرض ان ينقض اتفاقيته مع الباشا المصري اذا قدمت اليه السلطات البريطانية وعداً صريحاً واضحاً بحمايته وبأن يصبح تابعاً للحكومة البريطانية . وحين طلب اليه كتابة اقتراحاته هذه تراجع ، وأضاف أنه إذا قام بالفعل بنقض هذه الاتفاقية فلا بد أن المصريين سيفسرون هذا العمل بأنه استجابة لضغط من جانب السلطات البريطانية وفي النهاية أكد الشيخ للمقيم البريطاني عدم شعبية القوات المصرية ووضعها الدقيق في شرقي الجزيرة ووسطها .

وكان الانطباع العام الذي خرج به المقيم العام من لقائه بالشيخ عبدالله بأن الشيخ –وقد تقدم به العمر كثيراً ووهنت قواه– قد خضع للمصريين تحاشياً للاضطرابات التي كانت تكدر راحته الشخصية وان النجاح السياسي العسكري الذي أحرزه خورشيد باشا قد صدم عقله الحاد بطبيعته ، وجعله يشك في قدرة الانجليز على ملاقاة المصريين في البر ، لكنه سيسعد ولا شك اذا خلصه النفوذ البريطاني من القوات المصرية دون ان يقوم من ناحيته ببذل أي مجهود .

وفي التقرير الذي رفعه كابتن هينيل عن أعماله هذه لحكومة الهند أفصح عن شكه في أن يكون الإجراء الذي أمرت به حكومة الهند للدفاع عن جزر البحرين باستخدام السفن الحربية البريطانية ضد أي هجوم عليها من البر ما يزال إجراءاً عملياً وإن تغيرت الظروف ، وقد أبلغ بأن ثمة أماكن في الخليج يستطيع أسطول من القوارب عبورها بسلام . كذلك يجب منع السفن الكبيرة من الاقتراب من هذه المناطق ، وقد أكد الشيخ عبدالله أنه اتبع هذه الخطة بنجاح فيما مضى حين كانت الحرب قائمة بينه وبين الايرانيين الذين كانت لهم سفن كبيرة .

انسحاب القوات المصرية ١٨٤٠ :

ويبدو أن امور البحرين ظلت على ما هي عليه حتى جلاء القوات المصرية عن الأحساء في ١٨٤٠ حين انتهت علاقتهم بشيخ البحرين ، وظلت الامور في الإمارة تسير في مجراها المألوف . ونشير هنا الى ان الاجراءات التي قامت بها سلطات حكومة الهند الى جانب المسئولين البريطانيين في المنطقة قد اقرتها اللجنة السرية لمديري شركة الهند الشرقية حين عرفت بها . وكان رأي اللجنة موافقاً لرأي رفضه الكابتن هينيل بأنه من غير المناسب فرض حماية منتظمة على البحرين في ذلك الحين.

★ ★ ★

الحرب الاهلية في البحرين وعزل عبد الله بن أحمد عن مشيختها ١٨٤٠ ـ ١٨٤٣

حكومة بريطانيا تتخلى عن عطفها على شيخ البحرين ١٨٤٠

لقد أدى سلوك شيخ البحرين تجاه خورشيد باشا إلى اعتباره ميالا لعقد تحالف مع المصريين وبالتالي متخلياً عن صداقة الحكومة البريطانية وناقشت اللجنة السرية لمديري شركة الهند الشرقية إمكانية استبداله بشيخ آخر أكثر استعداداً للتفاهم ، وقررت حكومة الهند الا تقف في وجه سيد عمان اذا حاول مرة أخرى ان يغزو البحرين . ورغم ذلك ـ وبصرف النظر عن السلم في البحر بشكل عام ـ فقد رفض السماح لعيسى بن طريف الذي كان قد هاجر هو وانصاره من أبو ظبي واستقر في جزيرة قيس سنة ١٨٣٩ أو ١٨٤٠ بأن يقوم بهجوم بحري على شيخ البحرين ـ وهو أمر كان عيسى يتوق اليه منذ أمد طويل ـ وتكرر هذا الرفض مرة أخرى حين قام المقيم البريطاني بزيارة جزيرة قيس في مايو ١٨٤١ .

وكانت العقبة الفنية وراء هذا الاعتراض هي خرق الخط المانع

الذي أقامته السلطات البريطانية في سنة ١٨٣٦ وهو خرق لا بد أن يحدث. وربما كان لموقف الجفاء من جانب السلطات البريطانية تجاه الشيخ عبدالله آثاره على مكانة الشيخ في إمارته ، بل ومحتمل أيضاً أن يكون قد أسهم في الاضطرابات التي بدأت الآن .

خلاف بين الشيخ عبدالله وحفيد الشيخ محمد ١٨٤٠–١٨٤٢ :

وفي سنة ١٨٤٠ وعقب انسحاب القوات المصرية من الاحساء ، أرسل اهل هذا الاقليم وربما بعضهم مشرفاً منهم الى البحرين كي يعرض على محمد بن خليفه بن سلمان –حفيد شقيق شيخ البحرين– ان يتولى بنفسه حكم اقليم الاحساء وحماية اهله من الامير خالد الوهابي المغتصب . وأدت اعتراضات الشيخ عبدالله على هذا الاقتراح الى خلاف عنيف في الرأي بينه وبين محمد ، سُوّي على عجل ، وموقتاً ، بصلح كاذب ، ولكن بعد هذه الحادثة بقليل ، حين عرض محمد خدماته على الحكومة البريطانية وطلب معونتها ضد عمه الكبير ، هاجر الشيخ محمد من البحرين إلى قطر وتودد إلى أهلها ، ومن هناك بدأ معارضة قوية عنيفة ضد قريبه العجوز . وقام ابناء الشيخ أيضاً –وقد أحاط كل منهم نفسه بحاشية يتراوح عددها بين ١٠٠ و ٣٠٠ رجل من اوباش الناس –بالتمرد السافر على سلطته ، وانتشرت الفوضى وساد الاضطراب في كل جزء من مشيخة البحرين ، وهبطت تجارة البحرين هبوطاً سريعاً الى نصف ما كانت عليه قبل عدة سنين . وفي ١٨٤٢ حين قام خالد –أمير الوهابيين السابق– بزيارة لقطر والبحرين غير كل من الشيخ عبدالله والشيخ أحمد مواقفهما في ظاهر الأمر ، لأن الأول كان اذ ذاك في خور حسان بالبر ، وكان الثاني في جزيرة البحرين .

الشيخ عبدالله يطرد الشيخ محمد ويقهره ١٨٤٢ :

كانت هذه هي الحالة العامة للأمور حين نشب اشتباك سافر فجأة بسبب محاولة الشيخ محمد منع زواج فتاة صغيرة من مدينة المحرق بأحمد

ابن الشيخ عبدالله . وجاء الشيخ الكبير من قطر للوصول الى اتفاقية لكنه حين ـ أخفقت جهوده ـ أخذ جانب ابنه . وبدأ كل من الفريقين يحشد رجاله للقتال ومعظمهم من البدو الذين تقاطروا من البر طلباً للغنائم . وكانت المحرق هي المقر الرئيسي للشيخ عبدالله والمنامة هي مقر الشيخ محمد، وقد مكنت قوة الشيخ عبدالله البحرية انصاره من حصار الميناء حصاراً كاملا ضد عدوه . وحدثت عدة مناوشات غير حاسمة بعد ذلك قتل فيها دعيج شقيق الشيخ محمد من ناحية، وقتل محمد بن مبارك أحد أحفاد الشيخ عبدالله من الناحية الاخرى .

وأخيراً في يونيو ١٨٤٢ استطاع الشيخ الكبير ايقاع الهزيمة الكاملة بالشيخ الشاب حين قام بمهاجمته مرة واحدة في البر والبحر ، وسقطت المنامة في يد الشيخ عبد الله ، واستطاع الشيخ محمد الهرب الى قطر مع حفنة من انصاره ومنها سار الى الأحساء فالرياض يطلب عون الوهابيين ، وقامت قوات البدو التابعة للشيخ المنتصر بنهب مدينة المنامة ، وبعدها عبر الشيخ الكبير الخليج الى خور حسان وهناك نهبه البدو أيضاً .

وبدأ الشيخ عبد الله بعدئذ يعيد تشييد الزبارة التي ظلت مكاناً مهجوراً لسنوات طويلة .

العلاقات المتوترة بين الشيخ عبدالله والوهابيين

وكانت علاقات الوهابيين بالشيخ عبد الله الذي كان انتصاره هذا ظاهرياً أكثر منه حقيقياً قد وصلت عندئذ غاية السوء . فمن ناحية كان امير الوهابيين قد امر بسجن شافعي ، أحد زعماء بني هاجر وقريب الشيخ عبد الله ومن أكبر أنصاره ، ومن الناحية الأخرى فقد هاجر ثلاثة ارباع الشيعة ـ الذين قبض عمرو بن عفيصان ـ أمير الوهابيين في الاحساء على زعيمهم واستقروا في البحرين . ثم ان بحرية البحرين كانت بالفعل تحاصر ساحل الأحساء . وأدت هذه الظروف

بالوهابيين الى التحالف مع الشيخ محمد لكنهم حتى تلك اللحظة لم يكونوا قدموا اليه أية معونة مادية .

السماح لعيسى بن طريف وبشير بن رحمة بالتحالف مع الشيخ محمد وإبلاغ الشيخ عبدالله بذلك .

وفي هذا الوقت ، قام عيسى بن طريف ، زعيم آل بن علي اللاجىء وبشير بن رحمة بزيارة المقيم البريطاني في بوشهر معاً ، وطلبا السماح لهما بالانضمام الى الشيخ محمد والقيام بأعمال عسكرية منتظمة ضد الشيخ عبدالله . وتم منحهما الاذن المطلوب نظراً لسوء سلوك الشيخ الكبير في سنة ١٨٣٩ ثم في سنة ١٨٤٢ حين سمح بنهب المنامة بشرط الا تتجاوز الاعمال الحربية الخط المانع ، وتجب الإشارة إلى أن عيسى بن طريف كان من الذين يتجه اليهم الشك في إثارة الاضطرابات الاخيرة في البحرين ، أما بشير بن رحمه الذي استطاع أن يقدم للحملة عدداً يتراوح بين ٣٠٠ الى ٤٠٠ مقاتل فقد زعم ان الشيخ عبد الله يحول بينه وبين الاستيلاء على أملاك ابيه بالقرب من الدمام .

وفي نوفمبر ١٨٤٢ أوفد كابتن كمبول المقيم السياسي الى البحرين كي يحذر الشيخ عبدالله من مغبة التصريح الذي منحته السلطات البريطانية لهذا التحالف المعادي له بالعمل ضده . وتلقى الشيخ هذا الانذار بخجل واضح ، بل بعدم تصديق ، وذكر أنه –نظراً لعدم وجود معظم أسطوله ورعاياه– عاجز عن مواجهة مهاجميه وحده ، وهو بالتالي مضطر للاتصال بالوهابيين ، وعرض السماح لبشير بن رحمة بالاستقرار في أملاكه بالدمام على شرط ألا يتذرع بهذه الحجة ويأتي بسفن كبيرة الى المنطقة . ورفع الكابتن كمبول هذه الملاحظات الى المقيم العام ، ولكن لم يحدث أي اتصال بشأنها مع الشيخ عبدالله الذي تبين بعد ذلك أنه كان يرى ضرورة أن يأمر المقيم العام الحلفاء بوقف عملياتهم ، وان يتحيز معه بالدفاع عنه .

مفاوضات الشيخ عبدالله مع الوهابين :

وفي نفس الوقت كان الشيخ عبدالله قد بدأ مراسلة الوهابيين ، ويبدو أنه عرض عليهم إعادة العقير التي كان قد استولى عليها بطريقة ما في مقابل اطلاق سراح شافعي من بني هاجر . وبعدها بقليل ، وسواء بهذا الشرط أو بغيره من الشروط أطلق الوهابيون سراح شافعي ، وعرضوا على شيخ البحرين تسوية الخلافات بينهما ، لكن الشيخ عبدالله كان يشك في اخلاص الوهابيين لعرضهم هذا ، فرد دون حماسه ، ناصحاً لامير الوهابيين بأن يظل على الحياد المطلق ، وفي هذه الظروف ، -وليس هذا شيئاً غير مستبعد من الوهابيين- حول أمير الوهابيين عونه كله للشيخ محمد .

عمليات عسكرية نشيطة ، وطرد الشيخ عبدالله من البحرين يناير — ابريل ١٨٤٣

وفي بداية سنة ١٨٤٣ ظهر الشيخ محمد في قطر ، وكان سكانها عموماً يتعاطفون مع قضيته ، ونجح الشيخ محمد في احتلال حصن صغير في مرير (١) ، قبل ان تشغله حامية من الجانب المعادي ، وعادت القوات التي ارسلها الشيخ عبدالله لاستعادة مرير دون أن تبذل أي جهد فعلي لاستعادته ، ومن هذه القاعدة الصغيرة التي نجح الشيخ محمد في احتلالها بدأ مراسلة أنصاره في جزيرة قيس .

وفي فبراير سنة ١٨٤٣ كتب الشيخ عبد الله ، وقد أفزعه وصول عدة قوارب من جزيرة قيس الى السلطات البريطانية يطلب منها أن تقوم باعتقال عيسى وبشير ، لكن هذه السلطات لأسباب كثيرة أهمها سوء التفاهم لم تلق بالا لمطالبه .

---

(١) يطلق على هذا المكان في تقارير الحكومة « مزبر •• » لكننا لا نعرف مكانا بهذا الاسم ، ويبدو أن هذا الاسم يعنى « قلمة مرير » التى تقع على بعد ميل من شراقي الزبارة •

وأخيراً ، أرسل الشيخ محمد قوة كبيرة من الفويرط التي كان قد اتخذها قاعدة له تحملها خمس سفن كبيرة الى الساحل الشرقي لجزيرة البحرين ، وبدأ هبوط الجند في نقطة مقابلة للرفاع الشرقي ، وارسل الشيخ عبدالله على عجل قوات يقودها ابنه ناصر استطاعت احتلال الرفاع الشرقي قبل جنود الشيخ محمد ، ودارت بين الطرفين معركة صغيرة قتل فيها وجرح عدة رجال من الجانبين . ويبدو ان الشيخ عبدالله فشل في محاولة تطويق الغزاة من البحر وقطع خطوط إمداداتهم .

وفي مارس أو ابريل سنة ١٨٤٣ أصبحت مدينة المنامة تحت حكم شقيق الشيخ محمد ـ بموافقة أهلها الذين كانوا ما يزالون يتذكرون ما عمله بدو الشيخ عبدالله بمدينتهم في العام الأسبق وبعدها بفترة قصيرة ـ ثم وصل عيسى بن طريف وبشير بن رحمة الى البحرين ومعهما قوات كبيرة .

وفي إبريل هاجم الحلفاء مدينة المحرق وهي مقر الشيخ عبدالله ، وأرغموه على ان يحتمي بحصن « لا يبعد كثيراً عن المدينة » يحتمل أنه حصن أبو ماهر حيث استسلم حين وجد نفسه بلا انصار على الاطلاق ، كذلك استسلمت بالتالي قلعة عراد التي كان يحتلها ابناؤه ، وظل ابناء الشيخ عبدالله ـ الذين اسروا في قلعة عراد ـ وبموافقة الشيخ المنتصر ـ يقيمون في البحرين ، أما الشيخ نفسه فقد سمح له المنتصرون بسفينة كبيرة واخرى صغيرة فقط كي ينتقل بهما مع عائلته وأقاربه وممتلكاته جميعاً الى الدمام ، وكان هذا المكان ـ وهو الوحيد الذي بقي له ـ يحكمه في ذلك الوقت مبارك ابن الشيخ عبدالله .

★ ★ ★

حوادث الحرب الاهلية في البحرين تترك آثارها على الحكومة البريطانية

انتهاك حرمة بيت وكيل المقيمية البريطانية ١٨٤٢ :

في سنة ١٨٤٢ ، وحين هزم الشيخ عبدالله غريمه الشيخ محمد، أصبحت مدينة المنامة –كما رأينا– نهباً للبدو من أنصار الشيخ عبدالله وكان من بين البضائع التي نهبها البدو بعض أملاك لرعايا بريطانيين ، لكن حادثة أكثر من هذه خطورة حدثت بسبب مسلك الوكيل المحلي للمقيمية البريطانية في البحرين ، وكان غبياً وجباناً ، فقد اقترح عليه الشيخ عبدالله في بداية حدوث هذه الاضطرابات أن ينتقل الى المحرق أو إلى ظهر سفينة بريطانية كانت راسية في الميناء آنذاك حتّى تنجلي الأزمة ، لكنه رفض وفضل البقاء في المنامة . وحين هوجمت المدينة ، مد هذا الوكيل حصانة بيته –أو حماية الحكومة البريطانية– لتشمل ارواح وممتلكات أفراد عديدين ليس لهم هذا الحق ، ربما في مقابل جعل نقدي . وكان بين من لجأ الى بيته ابن لرجل بينه وبين الشيخ عبدالله ثأر ، ومعه بعض أقاربه ويدعى حمود من فرع عمير من بني خالد . وبعدها ظهر الشيخ بنفسه وطلب تسليم هؤلاء الفارين اللاجئين الى البيت ، وهدد بهدمه على من فيه ، وفقد الوكيل شجاعته ، فأمر بالقائهم من سطح المنزل حيث تهشموا جميعاً ودقت عظامهم .

وقد عوقب الوكيل بالطرد من وظيفته جزاء سلوكه الوقح ، وسحبت الحكومة البريطانية على التو دعمها للشيخ عبدالله ، ولم يكن ضرورياً في هذه الحالة مطالبته بأية تعويضات .

القرصنة في ميناء المنامة ١٨٤٣

وفي مارس ١٨٤٣ وبعد نزول أنصار الشيخ محمد إلى جزيرة البحرين أصدر الشيخ عبد الله ، وكان يتخذ المحرق مقراً له آنذاك ،

أمراً بألا ترسوا أية سفينة بالقرب من مدينة المنامة . وقد خرجت على هذا الامر سفينة صغيرة كانت تنقل حمولة تموينية للقائد البريطاني في باسيدو ، وقاربان يركبهما بعض تجار من البدو ارسلوا ومعهم اوامر الى الناخوذا لنقلها الى المحرق ، لكن هؤلاء الرسل الخطرين الذين لا يمكن الوثوق بهم قاموا باطلاق النيران على السفينة بمجرد وصولهم اليها ، ونهبوا ما كان بها حتى الحمولة الخاصة بالقائد البريطاني ، ثم انزلوا العلم البريطاني ومزقوه ارباً ، وقيل للشيخ ـ الذي لم يكن طبعاً اصدر اوامره بارتكاب مثل هذا العمل ـ إن السفينة لم ترفع أعلامها وهي داخلة الى الميناء ، وظنوا انها كانت تخادعهم وأنهم كانوا بانتظار وصول سفن عيسى بن طريف وبشير بن رحمة . وارسلت سفينة حربية بريطانية مباشرة الى البحرين لبحث القضية بالتفصيل ، ولكن قبل وصولها الى اية نتائج نجح الشيخ محمد في هزيمة غريمه وإبعاده .. وأصبح استمرار البحث عبثاً لا طائل تحته .

وفي نفس وقت حدوث هذا العمل ، وربما قبله بقليل ، نهب بعض بني هاجر وبعض عرب السلطة قارباً كان يرفع العلم الايراني محملا بالبضائع القادمة من بومباي لبعض التجار الهندوس في البحرين ، وقد حدثت حادثة النهب في ميناء المنامة ، ومنعت الاشتباكات القائمة في البحرين بطبيعة الحال توجيه اهتمام كبير الى هذه الحادثة ، وفي بداية استيلاء الشيخ محمد على الحكم في البحرين لم يكن من اللائق الالحاح في مطالبته بالتعويض عنها ، ولكن في فبراير من العام التالي (١٨٤٤) ، وحين وصلت الى مسامعه هذه الحوادث استجاب في سهولة لمطالب السلطات البريطانية بالتعويض عنها .

★ ★ ★

محمد بن خليفة ١٨٤٣ ـ ١٨٦٨

استمرار الحرب الاهلية في البحرين بعد طرد الشيخ عبد الله منها ١٨٤٣ ـ ١٨٤٩

تدخل أمير الوهابيين ١٨٤٣ :

وفي يونيو ١٨٤٣ ، وإثر قيام شيخ البحرين السابق بشن غارات بحرية على تجارة البحرين من ملجأه في الدمام ، أرسل الشيخ محمد وعيسى بن طريف وبشير بن رحمه اسطولا مشتركاً ارغم قواربه على ألا تغادر مرسى الدمام . وراح الامير الوهابي الجديد فيصل بن تركي ـ الذي لم يكن وضعه في الداخل قد استقر بعد ـ يلهو بتحريض كل جانب من هذين الجانبين على الآخر ، وحصل على وعود بالامتيازات من كلا الجانبين .. غير أن نفوره لاحقاً من شيخ البحرين السابق وضع حداً لهذه اللعبة . وأسر الحاكم الوهابي في القطيف محمد ابن الشيخ عبدالله الذي أبحر من الدمام يحاول الحصول على قوارب من السواحل المجاورة ، وحدث نفس الشيء مع علي ابنه الآخر وهو في سبيله من لنجة للانضمام الى أبيه ومعه قوة من قبيلة آل بو سميط .

توسط شيخ الكويت اغسطس ١٨٤٣ :

وحدثت محاولة غير هامة من جانب الشيخ جابر شيخ الكويت ـ الذي ظل بعيداً عن التدخل في الخلاف حتى الآن ـ للتوسط وانقاذ الشيخ السابق من وهدة هزماته المتتالية وطرده من الجزر . ففي أغسطس ١٨٤٣ ـ وبموافقة المقيم البريطاني ـ سار الشيخ جابر الى البحرين ومعه أسطول مكون من ثماني سفن كبيرة ، ونجح في حمل الشيخ محمد على أن يدعو الشيخ عبدالله إلى ملاقاته في مؤتمر ودي ، لكن هذا الاخير ـ الذي كان يعرف يقيناً أن عودته للحكم أمر غير متوقع ـ رفض الحضور ،

بل ولم يرجع للكويت مع الشيخ جابر كما كان الشيخ جابر يؤمل في حالة عدم التوصل الى اتفاقية .

استنجاد الشيخ السابق بشيخي الشارقة ودبي ، ثم زيارته الاولى لبوشهر

وبذل أبناء الشيخ السابق جهوداً أخرى فيما بعد لإغراء شيخي الشارقة ودبي لتبني قضية الشيخ عبدالله ، وحصلوا على وعود بتقديم العون لهم عقب انتهاء موسم الغوص اذا لم تعترض على ذلك الحكومة البريطانية أو أمير الوهابيين ؛ وعلى التو قام عيسى بن طريف وبشير بن رحمة –بهدف تحييد هذا التحالف– بالاتصال بشيخي ابو ظبي وأم القيوين ، وقام شيخ هذه الاخيرة –عبدالله بن راشد– بزيارة لجزيرة قيس حيث عاد بهدايا ثمينة .

في هذه الظروف ، وبشكل خاص حين أصبح مفهوماً أن شيخي الشارقة ودبي راغبان عن الخوض في هذا الامر ، رد المقيم البريطاني في بوشهر على الشيخ السابق –الذي انتظره في بوشهر– بأن الحكومة البريطانية تبدي استعدادها للتحكيم بين الاطراف المتنازعة دون ان تكون مستعدة لضمان أية اتفاقية يتم التوصل اليها ، وانها لا تستطيع التدخل في إعادة الشيخ عبدالله الى حكم البحرين ، ولا السماح لشيوخ عمان المتصالحة بالاشتباك في نزاع لن يجنوا منه أية فائدة لا هم ولا الاطراف الاصلية فيه .

تآمر الايرانيين ١٨٤٣

ومحتمل ان الشيخ عبدالله كان يأمل من زيارته بوشهر أن يحصل على فائدة ما من تراسله الذي طال في الشهور الاخيرة مع من يدعى الشيخ سلمان . وهو رجل ليست له صفة رسمية ايرانية لكنه ابن شقيق شيخ بوشهر . ويبدو ان تبادل وجهات النظر بينهما قد أدى الى ان يعده الشيخ سلمان دون تردد بأن يقدم له معونة عسكرية من ايران ، وكان الشيخ عبدالله وقتئذ ما يزال محاصراً في الدمام . وفي إكتوبر ١٨٤٣ ، وبهدف إخافة السلطات البريطانية ولا ريب ، أعلن الشيخ عبد الله أنه

اذا أغضبته الحكومة البريطانية فهو مستعد لأن يلقي بنفسه بين ذراعي إيران ، وأجيب على ذلك بأن السلطات البريطانية لن تعترف بأي عون يلقاه من ايران اذا لم يكن بشكل علني سافر .

هجرة الشيخ عبدالله من الدمام إلى نابانـد ، وانتقال عيسى بن طريف من قيس إلى الدوحة ١٨٤٣ :

وبعد إقامة قصيرة في بوشهر ، عاد الشيخ عبدالله الى الدمام التي جاء منها ، لكنه بعد ذلك مباشرة نقل مقره الى ناباند على الشاطىء الايراني ، وفي نفس الوقت تقريباً نقل عيسى بن طريف مقره من جزيرة قيس الى الدوحة ، وكانت وقتذاك تسمى البدع — في قطر .

موقف حكومة مسقط من الصراع الدائر بين شيوخ البحرين ١٨٤٣

وفي نفس الوقت ، وربما قبله بقليل ، اقترح عيسى بن طريف الذي لم يكن في حقيقة الامر يقل عداء لمحمد بن خليفة عن غريمه الشيخ الفاشل ، على السيد ثويني —نائب حاكم مسقط— بأن يستفيد من فرصة النزاع بين شيوخ آل خليفة لاحتلال البحرين . وتطوع بأن يقدم له العون اللازم لهذه الحملة ، ورفع السيد ثويني هذ االاقتراح الى ابيه السيد سعيد حاكم عمان الذي كان آنذاك في شرق إفريقيا ، وتقدم هذا بدوره إلى السلطات البريطانية فأشارت برفض اقتراح عيسى بن طريف . وكانت الاسباب الرئيسية لهذا الرفض من جانب الحكومة البريطانية هي غياب صاحب السمو حاكم عمان نفسه عن مسرح الأحداث ، وعجز ممثله ثويني ، ثم الخشية من أن يؤدي غزو عمان للبحرين الى ان يقوم الوهابيون بانتهاز الفرصة وغزو ارض عمان فضلاً عن ان هذه العملية كانت ستقدم لايران مبرراً لتبنيها قضية الشيخ السابق والوقوف الى جانبه ، ثم الفيتو الذي واجهت به الحكومة البريطانية أي تدخل من جانب شيخي الشارقة ودبي .

زيارة ثانية للشيخ السابق لبوشهر ديسمبر ١٨٤٣—مارس ١٨٤٤

وفي ديسمبر ١٨٤٣ زار الشيخ السابق عبدالله بوشهر مرة أخرى وبصحبته ست سفن مسلحة ، وكان الشيخ يهدف الى التأثير على ممثل بريطانيا السياسي فيها وحمله على الوقوف في صفه،لكن الأخير رفض ان يلقاه فوق ظهر سفينته الحربية، ووضح أن الشيخ كان يريد أن يتخذ من زيارة المقيمية ستاراً يخفي لقاءه بالشيخ سلمان المناصر له ، لكنه بدأ على أية حال كتابة طلبات معونة لبريطانيا على أساس أنه قاوم مناورات الوهابيين التي كانت تستهدف إقامة قاعدة لنفوذهم في البحرين ، وأنه يظن نفسه بفضل توقيعه على معاهدة السلم الشاملة لسنة ١٨٢٠ مستحقاً للحماية البحرية من جانب بريطانيا . لكن مزاعمه هذه لم تقبل ، كذلك لم تجبه الحكومة الى طلبه .

وبعد وصول الشيخ عبدالله الى بوشهر بعدة أيام ، نزل اليها ولقي فيها استقبالا حافلا من جانب السلطات الإيرانية المحلية — ربما بناء على اوامر من شيراز— ، فأطلقت له طوابير الفرسان من الجيش النظامي الايراني طلقات التحية ، وقدمت له قلاع حصينة لسكناه ، وخصصت الخيام لنزول انصاره ، وشدت سفنه التي كانت في الميناء —ولم يبق منها الآن سوى سفينتين— الى الأرض في مكان ضحل المياه . وسرعان ما تناثرت الشائعات بأن الشيخ عبدالله طلب من الحكومة الايرانية مدداً قوامه ١٠٠ فارس و ٥٠٠ جندي مدفعي ، واعداً إذا نجح في محاولته استعادة البحرين بسداد تكاليف هذه الحملة للحكومة الايرانية ، وان يدفع لها جزية سنوية كبيرة في المستقبل ، ووعد أيضاً بأن يجعل أحد أبنائه رهينة عند السلطات الايرانية ضماناً لوفائه بهذه الالتزامات ، وظل الشيخ عبد الله مقيماً في بوشهر مدة ثلاثة أشهر ينتظر عبثاً موافقة الحكومة الايرانية على مقترحاته .

وفي يناير ١٨٤٤ ، لجأ الشيخ عبدالله في خطاب منه الى المقيم

البريطاني الى القول بأنه كان –أثناء حكمه البحرين– مستنيماً إلى أمن زائف نتيجة إهمال السلطات البريطانية الإجابة على كثير من مراسلاته وهذا زعم غير صحيح في الحقيقة وقد استطاع ان يلتقي بالمقيم قبل مغادرته بوشهر في مارس ١٨٤٤ على الارجح ، وحاول ملحاً –ولكن دون نجاح– أن يحصل على وعد بتعضيد بريطانيا ، ووضح أن الآمال التي كان الشيخ عبدالله يعلقها على الحكومة الايرانية قد خابت جميعاً .

الوهابيون يخضعون الدمام مارس ١٨٤٤

وفي نفس الوقت أصبح وضع أبناء الشيخ عبدالله في الدمام –وهو المكان الوحيد الذي ظل قاعدة لعائلته في شبه الجزيرة– في موقف حرج . ففي ديسمبر ١٨٤٣ عرض أمير الوهابيين وساطته لتسوية الخلافات القائمة بين الشيوخ المنقسمين لكن الشيخ السابق رفض هذه الوساطة . عندئذ أعلن فيصل بن تركي الحرب على الشيخ عبد الله وبدأ بجمع الرجال لغزو الدمام من البر ، ومحاصرتها من البحر ايضاً .. كذلك لتأديب بعض قبائل البدو فيما حولها لأنها كانت تقدم المؤن دائماً للحامية المقيمة في الدمام . وكان يقود هذه الحامية مبارك وناصر وأخ ثالث لهما من ابناء الشيخ عبدالله . وقد ارسل الشيخ جابر شيخ الكويت قاربين محملين بالمؤن والعتاد الحربي للدفاع عن الدمام ، لكن الشيخ محمد بن خليفه استطاع ان يستولي عليهما بالقرب من دوحة بلبول وكان مزمعاً نقل هذه المؤن منها الى الدمام على ظهور الجمال ، لكن هذه الحادثة –التي كانت ستؤدي الى قيام خلاف خطير بين شيخ الكويت وشيخ البحرين الحاكم بالفعل تمت تسويتها بوساطة ودية من جانب السلطات البريطانية . وفي مارس ١٨٤٤ تقدمت الحامية الموجودة في الدمام ، وقد لقيت عناء كبيراً في الحصول على إمداداتها ، بعرض للاستسلام ، لكن أمير الوهابيين لم يقبل بشروطها . وحين أحس الشيخ عبدالله خطورة الموقف في الدمام عبر الخليج الى الجانب العربي وحاول أن يلقي بامدادات الى حامية

الدمام لكنه فشل . واستولى الاسطول الذي يحاصر الدمام على القارب الذي ارسله الشيخ محملا بالمؤن . وبعدها بقليل ، استسلمت حامية الدمام على شرط أن يُبقى الامير على حياة جنودها ، وتبعها مباشرة احتلال قوات فيصل بن تركي حصن الدمام وفقد الامير كل اهتمام له بعد ذلك بالصراع بين شيوخ آل خليفه . ولا بد ان هذه النتيجة كانت مخيبة لآمال بشير بن رحمة الذي وعده الشيخ محمد بأن يعيد اليه املاك أبيه هناك في مقابل خدماته ضد الشيخ عبدالله .

الاضطرابات في البحر

وخلال المدة التي قضاها الشيخ السابق في بوشهر ، حدث أن سفينة صغيرة ، قيل إنها تابعة للبحرين مع أنه واضح أنها تخص بشير بن رحمة أو أحد أنصاره وقعت بأيدي جماعة من أقارب الشيخ عبدالله المقيمين في ناباند على الشاطىء الايراني وخرقوا بذلك الخط المانع . ووجه المقيم البريطاني إنذاراً الى الشيخ عبدالله ، وكتب هذا بدوره الى اصحاب السفينة ، ولكن أثناء نقل رسالته على سفينة بريطانية وقع تغير في السلطة في ناباند ، ورفض الحاكم الجديد اطلاق سراح السفينة ودارت مراسلات طويلة انتهت باستعادتها في يوليو سنة ١٨٤٤ . لكن هذا لم يحدث الا بعد ان استولى بشير بن رحمه الذي استقر الآن كعيسى بن طريف في الدوحة بقطر على سفينتين من سفن ناباند انتقاماً لسفينته ، ويجب ان نضيف هنا ان بشراً قد رد هذه السفن بمجرد امر صدراليه من المقيم البريطاني على أساس أن ثمة اتفاقية بصدد هذه الاحداث تتولاها السلطات البريطانية بالفعل .

زيارة الشيخ السابق للكويت وزيارته الثالثة لبوشهر ١٨٤٤

وحين فشلت محاولات الشيخ عبدالله في توصيل المؤن الى الدمام ، طاردته اربع سفن من الاسطول الذي يحاصر الدمام ، لكنه استطاع الهرب الى الكويت حيث استقر فترة قصيرة . وحين سقطت الدمام عاد

معظم ابناء الشيخ عبدالله الى البحرين ، وسمح لهم بالإقامة في المحرق ، لكن مباركاً لجأ الى شافعي -صديق أبيه- بن بني هاجر ، ورفض الشيخ محمد- خارقاً برفضه هذا التزامه بالاتفاقية التي عقدت بحضور أمير الوهابيين- السماح للشيخ السابق بالعودة الى البحرين الا كفرد عادي وعلى اساس ان تضمن السلطات البريطانية مسلكه في المستقبل ، وهو شرط يعرف هو نفسه أنه مستحيل التنفيذ . وبعد اقامة قصيرة في الكويت عاد الشيخ عبدالله متجهاً الى الغرب واستطاع في طريقه ان يلتقي بالمقيم البريطاني في بوشهر ، وتم اللقاء بناء على طلب الشيخ السابق -في مكان على الساحل يبعد عن المدينة عدة اميال . وكان الهدف الواضح من هذه الزيارة هو محاولة ضمان عون من جانب الحكومة البريطانية عن طريق التلويح بالتهديد بتحالف الشيخ مع الوهابيين لاسترداد البحرين ، لكن الرجل حين لم يلق استجابة لمطلبه لدى المقيم البريطاني واصل سيره ليستقر مرة أخرى في نابانذ .

أعمال الشيخ عبدالله أثناء اقامته في نابانذ ١٨٤٤-١٨٤٥

ووصل الشيخ السابق الى نابانذ ، وقد اثارت تحركاته هذه موجة من الفزع بين الغواصين على طول شواطىء اللؤلؤ ثم سار مباشرة إلى ساحل قطر بهدف مهاجمة عيسى بن طريف في الدوحة ، لكنه وجد عدوه اللدود مستعداً لملاقاته ، فواصل سيره الى المياه الاقليمية للبحرين ، وحين علم الشيخ محمد بوجود عمه الكبير بالقرب من البحرين ارسل اليه وفداً من التجار يدعوه للعودة الى مستقره ، غير ان الشيخ راوغ مصراً على شروط يعرف يقيناً انها لن تتحقق ، وسار الى القطيف ومنها ارسل أحد ابنائه مبعوثاً ودياً من جانبه الى امير الوهابيين ، وبعدها عاد الى نابانذ واستولى في طريقه على سفينتين صغيرتين بالقرب من فشت الديبل . وارسل المقيم البريطاني مباشرة خطاباً الى السلطة الحاكمة في نابانذ يطلب فيه منع الشيخ عبدالله من القيام بمثل هذه الأعمال ، لكن الشيخ أحمد بن سيف الذي وجه اليه الخطاب وتقبله تقبلا مناسباً ،

واعتذر بالفعل للشيخ الحاكم في البحرين كان اعجز من أن يستطيع منع نشاط الشيخ عبدالله الذي قام بجولة أخرى استولى خلالها على سفينتين من سفن البحرين .

واغتاظ شيخ البحرين لهذه الأعمال التي كان عاجزاً عن الرد عليها بسبب التزامه بعدم تخطي الخط المانع ، فتقدم الى السلطات البريطانية وارسل أخاه علي لمقابلة المقيم وكانت نتيجة هذا الطلب أمراً صدر من الحكومة الايرانية المركزية ــ بناء على طلب السفير البريطاني في طهران ــ الى الحاكم العام في فارس بإرغام الشيخ عبدالله على رد السفن التي استولى عليها ، وعدم إحداث اضطرابات في مياه الخليج . وحين وجد الشيخ السابق نفسه دون عون من جانب الحكومة الإيرانية قدم وعداً شفوياً للمقيم البريطاني بأن يمتنع عن القيام بأعمال عدائية ضد البحرين طوال إقامته على الشاطىء الإيراني ، لكنه حين رفض تقديم تعهد كتابي بهذا أرسلت سفينة حربية بريطانية الى ناباند ، وطلب منه أن يعتبر نفسه تحت المراقبة كما كان من قبل .

أعمال الشيخ السابق في القطيف ١٨٤٥ :

ولم تعد ناباند بعد هذه الإجراءات مكاناً صالحاً لاستقراره ، فأبلغ الشيخ عبدالله المقيم البريطاني ــ في أكتوبر ١٨٤٥ ــ برغبته في الانتقال الى القطيف . وبعدها مباشرة حدثت محاولة فاشلة من جانبه للتحالف مع الوهابيين لاستعادة البحرين ، وحين فشلت هذه المحاولة عاد الشيخ عبدالله مرة أخرى لاجئاً في الكويت .

أعمال الشيخ السابق أثناء اقامته في الكويت ١٨٤٥–١٨٤٦

وحين عرف ممثل بريطانيا في بوشهر بهذه الأحداث كتب إلى الشيخ جابر شيخ الكويت معرباً عن أمله في أن يحول الأخير بين الشيخ عبدالله ــ ما دام لاجئاً تحت حمايته ــ وبين الإغارة على التجارة البحرية ،

ويبدو أنه قام بدور في تنفيذ هذه الرغبة لأن الشيخ عبدالله ظل هادئاً طوال مدة إقامته بالكويت ، وفي يونيو ١٨٤٦ تلقى الشيخ عبدالله دعوة من حاكم فارس للعودة الى بوشهر حيث وعد بأنه سيلقى إقامة حرة تماماً « حتى يحين وقت العمل .. » . غير أن الشيخ وقد أصبح الآن يعرف تماماً الازدواجية في عروض الحكومة الإيرانية وعجزها عن تنفيذ وعودها رفض هذا العرض المنمق غير المخلص من جانب المسئول الإيراني .

أعمال الشيخ السابق أثناء اقامته القصيرة في الأحساء ١٨٤٦ — ١٨٤٧ :

وفي سبتمبر ١٨٤٦ ، ربما بسبب القيود التي كانت مفروضة عليه أثناء إقامته بالكويت — انتقل الشيخ عبدالله إلى الأحساء حيث استقر أولا إلى جوار الدمام . وفي أوائل سنة ١٨٤٧ كان الشيخ عبدالله يعيش بلا أنصار على الإطلاق في جزيرة تاروت .

وخلال الجزء الأعظم من إقامته تلك هناك كانت الحرب ناشبة — كما سنذكر فيما بعد — بين الوهابيين وشيخ البحرين لكن الشيخ السابق نفسه لم يقم بدور في هذه الحرب . وفي اغسطس ١٨٤٧ تم عقد الصلح بين الاطراف المتقاتلة على ان يلتزم شيخ الوهابيين بعدم تعضيد الشيخ عبد الله اذا ما دبت الحياة مرة أخرى في الشيخ المنفي الذى أرسل سفينة إلى الدمام بهدف مواصلة السير إلى جزيرة قيس للتآمر مع بعض شيوخ العتوب الساخطين هناك ، ولحق به عيسى بن طريف — من آل بن علي — الذي بلغت كراهيته للشيخ محمد في البحرين حداً يفوق كراهيته القديمة للشيخ عبدالله . وطلب الحلفاء من الشيخ محمد رد سفن عمه الكبير وسواها من ممتلكاته ، ولكن وصول سفينة صاحب الجلالة «الفنستون» بقيادة القائد لو ، الذي طلب الحصول على موافقة المقيم أولا قبل الشروع في أية أعمال عدائية في البحر أدّى إلى تأجيل القتال المرتقب

غير أنه ما إن غادرت هذه السفينة المكان حتى نشبت الحرب ودارت دائرتها على الشيخ السابق .

قتل عيسى بن طريف في المعركة ، وهزيمة الشيخ السابق هزيمة نهائية ١٨٤٧ :

وفي بداية هذه الاعمال خرق الشيخ عبدالله الخط المانع حين عبر الخليج للحصول على التعزيزات . أما الشيخ محمد فقد طلب من السلطات البريطانية تهدئة هؤلاء الساخطين من العتوب في جزيرة قيس أو السماح له باتخاذ الاجراءات اللازمة ضدهم . ورفع المقيم الطلب الى حكومته ، ولكن قبل ان تصل اوامر حكومة الهند بهذا الصدد كان الاشتباك الحاسم قد وقع بالفعل في معركة برية بالقرب من الفويرط في قطر حين استطاعت قوات البحرين بقيادة الشيخ محمد نفسه إيقاع الهزيمة بالحلفاء . وكان من بين القتلى في هذه المعركة عيسى بن طريف بالذات . وكانت هذه هي الضربة القاضية التي بددت نتيجتها آمال شيخ البحرين السابق . واخيراً وصلت اوامر حكومة الهند وكانت تقضي بضرورة منع الحلفاء من غزو البحرين باستخدام اسطول حربي بريطاني على الا يبلغ الشيخ محمد بهذا القرار لكي لا يهمل في اتخاذ الوسائل الدفاعية الكافية عن الجزر .

مراسلات القنصل الايراني العام في بغداد مع الطرفين المتنازعين :

وحوالي هذا الوقت نفسه وربما في سنة ١٨٤٨ بدأ عبد الجبار خان ـ القنصل الإيراني العام في بغداد ـ مراسلة الطرفين المتصارعين فكتب الى الشيخ السابق يؤكد عون الحكومة الإيرانية له .. « ويطلب منه اتخاذ كل الإجراءات التي يستطيع اتخاذها لتنفيذ مخططاته مهما كانت هذه المخططات كبيرة أو تقتضي جهوداً عنيفة ، فعون الحكومة الإيرانية الذي سيقدم له عون قوي وكامل ..» . وكان خطابه للشيخ محمد أيضاً يفيض بالمودة والصداقة ، وواضح أنه كان مقصوداً به تضليل هذا الشيخ الصاعد قدماً لقمة الحكم .

واتخذت خطوات من جانب المقيم البريطاني في بغداد أدت إلى إيقاف هذه المراسلات ، وعلل الموظف الإيراني المتهور عمله هذا بأنه أقدم عليه وهو يجهل خطورته وعدم شرعيته .

موت الشيخ السابق ١٨٤٩ :

وأخيراً انتهى الصراع بين شيوخ آل خليفة بموت الشيخ عبدالله بن أحمد سنة ١٨٤٩ على الأرجح ، وقد حدث ذلك في مسقط أثناء رحلة قام بها الشيخ السابق إلى هناك لمحاولة إغراء عدوه القديم ـ السيد سعيد الذي كان آنذاك مقيماً في زنجبار ـ بتقديم العون له لاسترداد أملاك أبيه .

★ ★ ★

علاقات البحرين بالوهابيين من تولي الشيخ محمد الحكم حتى موت الشيخ عبد الله ١٨٤٣ ـ ١٨٤٩

أشرنا من قبل إلى تدخل أمير الوهابيين في الصراع الدائر بين شيوخ آل خليفه مما أدى إلى انتقال الدمام اليه ، لكنّ الواقع أن بعض الأعمال التي تم الاتفاق عليها بين الوهابيين وشيخ البحرين لم تكن لها علاقة مباشرة بالنزاع بين آل خليفة .

القطيعة بين الوهابيين وشيخ البحرين ١٨٤٥ـ١٨٤٧ :

لقد حدث نوع من التنسيق في العمل بين الامير فيصل والشيخ محمد ضد حامية الدمام وتأكد بعد سقوط هذا المكان ان اعتراف الشيخ محمد بسلطة الوهابيين على الدمام وتقديمه له جزية سنوية كبيرة ومتأخراتها كانا ثمن عون الوهابيين له .

١٨٤٥ :

وقبل نهاية سنة ١٨٤٤ طلب أمير الوهابيين مرتين دفع متأخرات

هذه الجزيرة ، وماطل الشيخ محمد . وفي سنة ١٨٤٥ أصبح معروفاً أن عبدالله بن سعيد ، حاكم القطيف باسم الوهابيين ، كان يعد حملة للهجوم على البحرين . وراح هذا المسئول الإيراني الذي لم يتوقف عن خططه بعد يغالي في ادعاء صداقته للشيخ محمد ، لكن هذا استطاع بعد لأى أن يكتشف نواياه الحقيقية ، فباداه بالهجوم ، وحاصر موانىء الأحساء ، وكان يعمل في خدمته آنذاك قرصان مشهور اسمه حميد بن مجدل وفي هذه الظروف الصعبة نزل شيخ البحرين السابق سراً بالقرب من رأس تنورة ، وارسل الرسل الى ابنه مبارك وإلى الحاكم الوهابي مقترحاً أن يقوم هو نفسه –بسفنه– بتضليل الاسطول الذي يحاصر القطيف ، على أن يقوم ابنه مبارك –أثناء غيابه– بعبور الخليج والاستيلاء على البحرين. لكن هذه الخطة –وكانت في حد ذاتها تبشر ببعض النجاح – قد أخفقت لوقوع بعض هذه الرسائل بين يدي بعض أنصار امير الوهابيين الذي حملها الى علي شقيق الشيخ محمد في البحرين . وكان من نتيجة ذلك أن وجد شيخ البحرين نفسه محاصراً –قبل أن يصل إلى القطيف من اسطول البحرين المتأهب للمعركة – وبجهد شديد استطاع الشيخ أن ينجو بنفسه .

١٨٤٦ :

وظل العداء قائماً بين البحرين والوهابيين ، كذلك استمر حصار اسطول البحرين لشاطىء الأحساء طوال سنة ١٨٤٦ دون رجوح أحدى الكفتين . وفي سبتمبر ١٨٤٦ عاد شيخ البحرين السابق إلى الظهور ، واستقر في الأحساء –بالقرب من الدمام اولا ثم في جزيرة تاروت بعد ذلك– وكان من نتيجة ظهوره تشديد حصار اسطول البحرين بعد ان كانت قبضته قد تراخت قليلا ، والى حدوث اشتباكين على البر ، انتصر في أحدهما أمير الوهابيين ، وفي الآخر شيخ البحرين .. لكن الشيخ السابق لم يشترك بنفسه في أي من هذه الاعمال . وفي اكتوبر

١٨٤٦ كان المسئول الوهابي يريد طلب العون من بعض إمارات عمان المتصالحة ، فطلب السماح له بذلك من المقيم البريطاني في بوشهر . وفي نوفمبر من نفس السنة تقدم شيخ البحرين الى نفس السلطة يطلب السماح له بالتحالف مع شيخ دبي .. لكن الطلبين رفضا بطبيعة الحال .

نهاية الحرب والتسوية النهائية ١٨٤٧ :

وفي اوائل سنة ١٨٤٧ حدث بعض التغيير في الموقف بسبب انسحاب حميد بن مجدل وجماعته آل عمير من مناصرة الشيخ محمد وانضمامهم الى الوهابيين .

وفي اغسطس من نفس السنة تم التوصل الى تسوية ، تعهد الأمير فيصل بمقتضاها بعدم تشجيع شيخ البحرين السابق –حتى لو استمر هذا في الإقامة بالأحساء– وتعهد الشيخ محمد بأن يدفع جزية سنوية مقدارها (٨٤) الف روبية للوهابيين .

★ ★ ★

علاقات البحرين بايران خلال نفس الفترة
١٨٤٣ – ١٨٤٩

إذا ستثنينا مؤامرات الوكلاء والمسئولين الإيرانيين لصالح الشيخ السابق عبدالله ، خاصة في ١٨٤٣ – ١٨٤٤ وفي سنة ١٨٤٦ مما أشرنا اليه فيما سبق ، فليس هناك شيء يستحق الذكر في العلاقات بين إيران والبحرين خلال هذه الفترة .

★ ★ ★

علاقات البحرين بتركيا خلال نفس الفترة
١٨٤٣ – ١٨٤٩

أما بالنسبة لتركيا ، فالوضع مختلف ، لأن مطالبة الباب العالي بالسيادة على البحرين –والتي كانت تطرح من حين لآخر– قد اثيرت

للمرة الأولى سنة ١٨٤٧ . وقد أوضح الباب العالي مواقفه تلك في خطاب موجه من متسلم البصرة الى شيخ البحرين دعا فيه الشيخ إلى إعلان خضوعه للسلطان ، وتقديم قوائم تفصيلية بالسفن الموجودة في إمارته حتى يمكن إدراجها في نطاق السفن التي ترفع العلم التركي ، لكن سفينة حربية تركية كانت تقوم بجولة في الخليج آنذاك لم تزر البحرين ، ربما تلافياً لجذب انتباه لا ضرورة له ، وراوغ الشيخ محمد تحركات الاتراك ، كما سنرى الآن ، وكان لمراوغته هذه أثرها على الحكومة البريطانية .

★ ★ ★

علاقات البحرين بالحكومة البريطانية خلال نفس الفترة ١٨٤٣ ـ ١٨٤٩

المشاكل الناجمة عن الخلاف بين أسرة آل خليفة الحاكمة وكذلك عن أعمال الوهابيين :

أشرنا فيما سبق بصورة عابرة إلى إجراءات كثيرة من جانب السلطات البريطانية فيما يتعلق بالبحرين ، من ذلك تأكيدها الدائم على ضرورة التزام الخط المانع بالنسبة لكلا الفريقين المتنازعين ومنعها سيد عمان وشيوخ عمان المتصالحة وشيخ الكويت من الاشتراك في هذه الحرب ووقوفها ضد مؤامرات ايران ومحاولات التدخل . ومن ذلك أيضاً اعتراضها سنة ١٨٤٦ على خطط الوهابيين وشيخ البحرين لطلب أحدهما العون من مشايخ عمان المتصالحة ضد الآخر .

معاهدة لقمع تجارة الرقيق ٨ مايو ١٨٤٧ :

وفي ٨ مايو سنة ١٨٤٧ وقع الشيخ محمد شيخ البحرين معاهدة قمع تجارة الرقيق كهذه التي وقعها شيوخ عمان المتصالحة في نفس السنة . وأدت دسائس تركيا في سنة ١٨٤٧ إلى مناقشة الوضع السياسي والتجاري في البحرين . وشكا شيخ البحرين من فداحة ضرائب الميناء وغيرها من

العوائد على سفنه في بومباي مقارنة مع المفروضة على سفن إيران ومسقط واعترف بأنه يميل -نتيجة هذه المعاملة السيئة- لأن يحذو حذو شيخ الكويت بقبول العلم التركي ..

التفكير في اقتراح فرض الحماية البريطانية على البحرين ثم رفضه ١٨٤٧ - ١٨٤٩ :

وأثبت البحث أن هذه العوائد الإضافية تفرض على سفن البحرين في بومباي لأن هذه السفن غير مسجلة ، وأعيد تعديل هذه العوائد ، وأبلغ شيخ البحرين بأن سفن البحرين تستطيع ألا تدفع هذه العوائد الإضافية إذا قدم أصحابها شهادات ممهورة بتوقيع المقيم البريطاني . لكن المشكلة -على أية حال- لم تنته على هذا النحو لأن حكومة الهند كانت ترى أن من الأفضل عدم التدخل من جانب أية دولة أجنبية في شئون الخليج ، ما دامت الحكومة البريطانية -التي لم تكن بين يديها خيوط السلطة كلها- لن تستطيع أن تحقق أهدافها في هذه المنطقة على مستوى واسع . وقد جاء في توصية مجلس إدارة شركة الهند الشرقية : « يجب على القوات البحرية البريطانية مقاومة أية محاولة عدائية تتعرض لها البحرين .. » وضرورة إبلاغ المقيم البريطاني هناك بهذا الامر . وفي نفس الوقت ، فوض المقيم -ميجور هينيل- بأن يتأكد -متحاشياً أية مناقشات او محادثات مع الأتراك - مما إذا كان شيخ البحرين يميل إلى مزيد من الارتباط بالحكومة البريطانية . وأوصى ميجور هينيل- الذي كان يعارض هذا المشروع من قبل- باجابة مطلب شيخ البحرين . ولكن في سبتمبر ١٨٤٩ وبعد محادثات طويلة أدت إلى اتفاق في وجهات النظر بين حكومة الهند وحكومة صاحبة الجلالة على أن تغيير السياسة في هذا الوقت أمر لا داعي له ، صدرت الاوامر للمقيم بأن يرفض اقتراح شيخ البحرين ، على أن يؤكد له في نفس الوقت استمرار العلاقة الودية والصداقة من جانب الحكومة البريطانية .

حادثة قرصنة يرتكبها رجل من القبيسات ١٨٤٨

وفي الوقت الذي اثيرت فيه هذه القضية ، لم يكن مسلك الشيخ محمد تجاه الحكومة البريطانية أمراً يخلو من النقد ، خاصة فيما يتعلق بقرصان يدعى خليفة كان واحداً من فرع القبيسات الساخطين من قبيلة بني ياس في أبو ظبي . فقد وقع هذا الرجل –بعد عدة حوادث نهب قام بها على سفن تابعة للبحرين– بين يدي الشيخ ، وأثار المقيم العام مشكلة إيقاع العقاب به ، لكن الشيخ محمد خرق الوعد الذي أعطاه للمقيم المساعد، وأطلق سراح الرجل ووجه المقيم إنذاراً مباشراً الى الشيخ محمد رد عليه باعتذار حار ، ووعد بأن يعيد إلقاء القبض على القرصان .. ولكن يبدو أن هذه الفرصة لم تتح له فيما بعد .

★ ★ ★

الاحوال الداخلية في البحرين ١٨٤٣ – ١٨٤٩

وصول الدواسر إلى البحرين ١٨٤٥ :

يبدو أن الدواسر –الذين يقيمون الآن في بوداى البديع وزلاق في الجزيرة الكبرى– وصلوا أول مرة إلى البحرين في سنة ١٨٤٥ . وقيل إنهم –وهم في طريقهم من موطنهم الأصلي في وسط الجزيرة– أقاموا بعض الوقت في جزيرة زخنونيه .

قيام قاعدة للساخطين من العتوب في جزيرة قيس ١٨٤٧–١٨٤٩ :

ولا تتوفر لدينا سوى معلومات قليلة فقط عن أحوال جزر البحرين خلال السنوات الاولى من حكم محمد بن خليفة ، لكن الدلائل تشير الى الهلهلة و سوء الادارة . وقد أشرنا من قبل إلى وجود قاعدة للاجئي البحرين –منذ سنة ١٨٤٧– في جزيرة قيس ، وإلى دورها في الصراع الذي نشب بين الشيخ محمد وعمه الكبير ، ولا بد أن الشيخ محمد كان يرى في التسوية التي حدثت بينهما –وبرغم ان سكان هذه

الجزيرة لم يكونوا بالفعل مؤيدين للشيخ السابق-إجحافاً بمصالحه ، لأننا نراه منهمكاً في بذل جهود كبيرة- منيت كلها بالفشل- لإقناع شيخ جاراك بطرد العتوب من جزيرة قيس . وفي يناير ١٨٤٩ ، سخط أربعة من كبار التجار في البحرين على حكم الشيخ محمد التعسفي فهجروا البحرين واستقروا بلنجة فترة قصيرة ثم هجروها للإقامة بجزيرة قيس . وقد بلغ سخط الشيخ محمد على هذا العمل حداً جعله يرسل شقيقه علي إلى بوشهر لينشد نصيحة المقيم البريطاني بها . وأجيب الشيخ عن سؤاله بأن السفن الحربية البريطانية -في المنطقة المجاورة- ستقوم بمنع هؤلاء الساخطين من مهاجمة البحرين .. ولكن على الشيخ أيضاً أن يكون أكثر حذراً ، وأن يتبنى سياسة أكثر ليناً وميلا للتفاهم معهم . ويبدو أن هذه النصيحة قد آتت ثمارها ، فرجع ثلاثة من هؤلاء التجار فيما بعد الى البحرين -على سفينة بريطانية وتم في يونيو ١٨٤٩ التوصل إلى تسوية ودية -وإن كانت مؤقته- لخلافاتهم مع الشيخ .

★ ★ ★

التاريخ العام في البحرين ، وسياسة الحكومة البريطانية نحوها خلال ما بقى من حكم الشيخ محمد ١٨٥٠ - ١٨٦٨

أصبحت أمور البحرين بعد موت الشيخ السابق عبد الله دقيقة وحرجة نتيجة عدم تقدير الحاكم للمسئولية ، ولاهتمام بريطانيا اهتماماً كبيراً بهذه الإمارة ، ومزاعم كل من الوهابيين والأتراك والإيرانيين بحقهم في السيطرة عليها .

وكانت الحالة في البحرين حسب وصف الملازم ديسبراو « كنا نتوقع دائماً حدوث الاضطرابات والهجمات ، ونطلب نصيحة المقيم ، وكثيراً ما كنا نختلف معه حول ضرورة تقديم النصائح الواضحة لنا ، فمن

الأمور العادية التي كانت تحدث آنذاك في البحرين اضطهاد الرعايا ، وفرار من يقع عليه الاضطهاد من الجزر ، وإرسال الوفود المسلحة المفوضة تفويضاً كاملا لعقد اتفاقيات ثم عودتهم ، وتوجيه اللوم إليهم لهذه الاتفاقيات التي توصلوا إليها .. » . وسنتناول هذه الفترة التي تصل الى حوالي العشرين عاماً بترتيبها الزمني دون أية محاولة من جانبنا لتفكيك الخيوط المتشابكة فيها .

قرصنة بني هاجر وصلف الشيخ محمد ١٨٥٠ :

وحوالي نهاية يونيو سنة ١٨٥٠ كانت سفينة صغيرة تابعة لجزيرة خارج متجهة إلى القطيف فاستولى عليها قرب رأس تنورة ٢٦ رجلا من بني هاجر كانو عائدين إلى البر على ظهر سفينة بحرينية ، وبعد أن نهبت كل ممتلكات أهل خارج طرحوا وجلدوا على شاطىء الأحساء . وحيث كان شيخ البحرين مرتبطاً بهذه القبيلة الآثمة برباط المصاهرة ، كان يسمح لهم بأن يترددوا كثيراً على البحرين ، بل لقد أوعز اليهم سراً بارتكاب هذه الأعمال . فارغم المقيم البريطاني الشيخ محمداً ــ رغم أن بني هاجر ليسوا من رعاياه ، ورغم كون الجريمة ارتكبت بالفعل في مكان تابع لسيادة الوهابيين ــ على أن يعتبر مسئولا عن هذا العمل ، وأن يدفع مبلغ ١٠٠ تومان تعويضاً لمن لحقت بهم الخسائر .

وفي نفس الوقت تقريباً ــ وأثناء مراسلات تتعلق بموت أحد رعايا البحرين ــ ارسل الشيخ محمد رسالة ذات طابع تهجمي وعدائي واضح إلى المقيم البريطاني عن طريق حاجي قاسم وكيل المقيمية في البحرين ، وكان بعض اشاراته المهينة يتعلق بالرائد هينيل شخصياً ، وبعضها الآخر موجه للحكومة البريطانية . وأرسلت سفينة حربية بريطانية إلى البحرين فوراً تطلب تفسير هذا الأمر ، فأرسل الشيخ محمد ــ الذي أيقن الآن خطأ مسلكه هذا ــ شقيقه علي ليقدم اعتذاراً باسمه في بوشهر . وقد قبل الرائد هينيل اعتذاره عن الاهانات التي تمسه

هو شخصياً ، لكنه أصر على أن يقوم الشيخ خلال الزيارة التالية لقائد الاسطول البريطاني في الخليج للبحرين – بالتوجه شخصيا إلى ظهر سفينته وتقديم الاعتذار له عن ملاحظاته المهينة عن الحكومة البريطانية ، وقد قبل الشيخ علي –باسم أخيه– هذا العرض ، وتم تنفيذه بالفعل .

إجراءات السلطات البريطانية تتلافى مخاطر الوهابيين وأبناء الشيخ السابق ١٨٥٠ – ١٨٥٢ :

وفي سنة ١٨٥٠ ظهرت بوادر الخلاف بين الشيخ محمد والوهابيين ، وزاد من خطورته فشل المقيم البريطاني في جهوده لإقناع أبناء الشيخ السابق عبدالله بالاستقرار بهدوء في جزيرة قيس تمهيداً للحصول على موافقة الشيخ وسماحه لهم بالإقامة في البحرين .

١٨٥٠ :

وتمثلت بوادر السوء في المعاملة النابية التي استقبل بها الأمير فيصل مبعوثه محمد بن عبدالرحيم الذي كان ارسله هو نفسه إلى البحرين ، فجرده من الهدايا التي أهداها له الشيخ محمد ، بل وأمر بسجنه أيضاً . وسخط شيخ البحرين على هذا المسلك سخطاً شديداً ، وطالب أمير الوهابيين بترضية عنه ، مهدداً بمحاصرة القطيف . وبعدها بقليل ، في إبريل سنة ١٨٥٠ ، قام سعد بن مطلق –القائد الوهابي المشهور في البريمي– بزيارة البحرين ، ولم يكن الاستقبال الفاتر الذي لقيه هناك ليساعد على تحسين العلاقات بين الشيخ محمد وأمير الوهابيين .

١٨٥١

وفي أوائل ١٨٥١ ظهر الامير فيصل بنفسه في قطر وفي مكان قريب من الدوحة ، حيث هرع اليه أهالي الدوحة والوكرة والفويرط يعلنون تخليهم عن الولاء للبحرين وارتباطهم بالوهابيين . حينذاك جانب شيخ البحرين الصواب فعرض جزية سنوية ضئيلة على الأمير ، مما يشير الى

أنه فشل في التقيد باتفاقية سنة ١٨٤٧ ، لكن الامير رفض هذا العرض بازدراء ، ووضع شروطاً قاسية مجحفة ، ثم عاد أبناء الشيخ السابق عبدالله للحاق به من ملجئهم على الساحل الإيراني. وبادر الشيخ محمد بعد ذلك بحصار ميناء الوهابيين في القطيف ، لكن أبناء الشيخ عبدالله الذين وصلوا ومعهم اسطول أكملوا إعداده على الساحل الإيراني- استطاعوا اختراق الحصار والدخول إلى ميناء القطيف . وبدأت الأمور تتكشف في غير صالح الشيخ محمد ، وكان بالفعل على وشك الاستسلام لأعدائه لولا وصول أسطول بحري بريطاني فرض حمايته على جزر البحرين . وبعدها -في يوليو ١٨٥١- تم عقد الصلح بين الاطراف المتنازعة بفضل وساطة الشيخ طحنون شيخ ابو ظبي ، وأعيدت الدوحة للشيخ علي شقيق حاكم البحرين ، وكانت قد انتزعت منه ، وعاد أمير الوهابيين في سلام إلى الهفوف .

وفي هذه السنة جدد الباب العالي مزاعمه بالسيادة على البحرين ، فرفضتها الحكومة البريطانية على الفور .

١٨٥٢ :

وفي سنة ١٨٥٢ ، غضب الشيخ محمد لاستقرار أبناء الشيخ عبدالله مؤخراً في الدمام تحت حماية الوهابيين ، فهدد بعدم دفع الجزية التي كانت مستحقة الدفع آنذاك لأمير الوهابيين ، واندفع الى مهاترات كلامية كثيرة ، لكنه أخيراً رضخ لنصيحة المقيم البريطاني ونصيحة شقيقه علي -الذي كان له من القدرة على ضبط النفس أكثر مما عند شقيقه الحاكم- فدفع الجزية المستحقة لوكيل مبعوث من الامير فيصل لهذا الغرض .

صعوبة التعامل مع الشيخ محمد ١٨٥٢ :

وبعد هذا مباشرة ، انتابت الشيخ محمد مخاوف لا تبرير لها ليس فقط من اعدائه في نفس عائلته بل أيضاً من سيد عمان .. بل وحتى من

الشيخ طحنون الذي توسط أخيراً بينه وبين الوهابيين . وبصعوبة تعهد الكابتن كامبول -الذي أهين مؤخراً من جانب الشيخ محمد- بأن يراسل باسم الشيخ أبناء الشيخ عبدالله ، لكن هذه المفاوضات تعثرت نتيجة عدم اتزان او تعقل الشيخ محمد .

وكان يوسف بن ابراهيم أهم التجار البحرينيين الأربعة الذين هاجروا إلى قيس في سنة ١٨٤٩ ما يزال مصراً على عدم العودة إلى البحرين ما لم يحصل على ضمان من الحكومة البريطانية بحمايته ، وكان هذا مطلباً متعذراً . . لكنه -على أية حال- مات في لنجة في العام التالي «١٨٥٣» .

اضافات متعلقة بتجارة الرقيق ١٠ مايو ١٨٥٦ :

وفي ١٠ مايو سنة ١٨٥٦ وقع الشيخ محمد نصوصاً جديدة تتعلق بقمع تجارة الرقيق كانت اضافة لمعاهدة سنة ١٨٤٧ ، وكانت نصوصها تتفق مع تلك التي وقعها شيوخ عمان المتصالحة في نفس السنة .

التعويضات عن سوء معاملة الشيخ محمد رعايا بريطانيا في البحرين ١٨٥٨ :

وفي سنة ١٨٥٨ بدأ الشيخ محمد الذي أصبح الآن يوصف بأنه «رجل يجمع في نفسه أسوأ صفات الطغيان والجشع غير المحدود للثروة ، والمزاج المتقلب الذي لا يمكن التحكم فيه ، والجهل والنزق ..» - بدأ الشيخ محمد هذا يفرض حظراً على سفينة ترفع العلم البريطاني ، ويمنع السفن التي يملكها التجار الهنود في البحرين من الإبحار إلى القطيف ، ويزيد العوائد على الصادرات والواردات جميعاً ، وتراكمت الشكايات ، من هذه الاجراءات ومن المعاملة السيئة التي يلقاها منه حاجي قاسم ، وكيل المقيمية البريطانية في البحرين .

وترتب على هذا ان ارسل كابتن فيلكس جونز المقيم البريطاني في

بوشهر —مساعده الملازم ديسبراو على ظهر السفينة الحربية البريطانية « كليف » ليحمل رسالة منه وتحذيراً لشيخ البحرين في سبتمبر ١٨٥٨ .
وقد تم رفع الحظر عن السفينة التي ترفع العلم البريطاني فوراً وكان الشيخ علي شقيق حاكم البحرين هو وسيط الاتصال كالعادة . وقد قدم تفسيره لمنع السفن التي ترفع العلم البريطاني من زيارة القطيف بأنه إجراء مقصود به تلافي المشكلات التي قد تنجم عن عداء الوهابيين لشيخ البحرين ، ورد الملازم ديسبراو على هذا بأن « العلم البريطاني قادر على أن يحافظ على هيبته دون حاجة الى عون أية قوة أجنبية أخرى » .
وفيما يتعلق بالعوائد الجمركية ، أبدى الملازم ديسبراو رغبة الحكومة البريطانية في ألا تكون هذه الضرائب ذات طابع تعسفي او مجحف ، وهي قضية لم يعترض عليها الشيخ علي ، وقدم وعداً من جانبه لوكيل المقيمية بأن يعامل في المستقبل معاملة خاصة ، وجاء الشيخ محمد —بعد ان فشل في محاولة إغراء الملازم ديسبراو بأن يقوم بزيارته في البر للمرة الاولى— جاء اليه على ظهر «كليف» ، وأفصح عن أسفه لما حدث ، ورد الملازم ديسبراو والقائد جنكنز زيارته تحت العلم البريطاني .

إجراءات السلطات البريطانية لتحاشي الأخطار المتجددة من جانب الوهابيين وأبناء الشيخ السابق عبدالله ١٨٥٩ :

ورغم الصلح الذي عقد في سنة ١٨٥١ ، ظل التوتر قائماً بين أمير الوهابيين وشيخ البحرين ، وكانت السلطات المحلية البريطانية تراقب هذا الأمر مراقبة دقيقة يقظة وفي مايو ١٨٥٣ —وبالنظر الى قيام خطر يتهدد البحرين بالغزو بين الحين والآخر— فوضت حكومة الهند حكومة بومباي اتخاذ الإجراءات الدفاعية اللازمة ووضع كل العقبات الممكنة في وجه غزو البحرين من قبل أمير الوهابيين —الذي كان اسمياً تابعاً للباب العالي— على أساس أن حكومة صاحبة الجلالة لا تسمح ابداً باحتلال البحرين من جانب الحكومة التركية ، كما أنها أيضاً لا تسمح بأيه أعمال لمصلحة الباب العالي في الجزر . وفي سنة ١٨٥٩ وصل التوتر الى قمته مرة

أخرى رغم وجود سفينة حربية بريطانية في ذلك الوقت في مياه الأحساء . وبدأ الحاكم الوهابي لهذا الاقليم –بمعاونة محمد بن الشيخ عبدالله– يتخذ الإجراءات في القطيف والدمام للنزول إلى البحرين ، وكانت هذه العملية تستهدف وضع محمد بن عبدالله على حكم البحرين ، وكانت الحجة الظاهرية لاستمرارها هي ان شيخ البحرين قد حرض بعض القبائل في قطر على مهاجمة رعايا أمير الوهابيين ، وقد استولى هؤلاء الحلفاء على بعض سفن تركية وإيرانية –بطريق القرصنة– وأرغموا بحارتها على العمل ضمن هذه الحملة المقترحة . وأرسل المقيم البريطاني من فوره القائد بلفور ومعه اسطول الخليج الى الدمام ، وأدت أعمال هذا الضابط – التي لقيت فيما بعد « التنويه والتأييد من جانب حكومة الهند .. » إلى إيقاف هذه الاستعدادات تماماً .. بل واعتذار أمير الوهابيين عن الشروع فيها أيضاً .

وبدأت بعد ذلك مراسلات غير مثمرة بين الحاكم الوهابي الذي أسخطه تدخل السلطات البريطانية وبين المقيم البريطاني كابتن فيلكس جونز الذي كان يعتقد أن الهدف الاخير للوهابيين هو « السيطرة المطلقة بلا منازع على طول الساحل .. » ، وأكد الحاكم الوهابي في هذه المراسلات سيطرته على البحرين ، كذلك أكد خضوعه وتبعيته لسلطان تركيا . ورد المقيم عليه بابلاغه تصميم الحكومة البريطانية على المحافظة على استقلال البحرين ، وأشار أيضاً إلى تناقض استيلائه –بطريقة القرصنة– على بعض السفن التركية مع زعمة بتبعيته لسلطان تركيا .

ورفع الكابتن جونز توصية الى حكومة الهند بضرورة اتخاذ إجراء تأديبي ضد موانى الأحساء ، ودارت مناقشة حول صواب طلب إبعاد محمد بن عبدالله عن الإقامة في الدمام .

شيخ البحرين يطلب حماية إيران وتركيا في نفس الوقت ١٨٥٩ :

وقرب نهاية سنة ١٨٥٩ ، وربما نتيجة هذه الأزمة ، تقدم الشيخ

محمد —في وقت واحد— بطلب الحماية من كل من الحاكم الإيراني في فارس والوالي التركي في بغداد . أما رد إيران فتمثل في وصول وكيلهم ميرزا مهدي خان —المشهور بعدائه وكراهيته للانجليز— الى البحرين مباشرة ، ورفع علم ايران ، وإعلان سيادتها على البحرين . ولم تكد هذه الاحتفالات تقام حتى وصل محمد بك مبعوثاً عن مصطفى نوري بك الى بغداد ، فأنزل العلم الإيراني ثانية ، ورفع العلم التركي مكانه ، وليكتمل السخف في هذا الموقف رفض الوكيل الإيراني مغادرة البحرين او التخلي عن سلطانه المزعوم في الإمارة .

مناقشة السياسة التي يجب أن تتبناها الحكومة البريطانية بالنسبة لهذه الأحداث ١٨٦٠ — ١٨٦١ :

وكان سير هـ. رولينسون ، الوزير البريطاني المفوض في طهران مختلفاً في نظرته الى هذه الأمور ويراها أخطر مما يراها المقيم العام ، فتعهد بأن يحصل من وزراء الشاه على تأكيد بعدم احتلال البحرين احتلالا عسكرياً من جانب إيران حتى تتم تسوية الوضع الشرعي لهذه الجزر بالمفاوضات الديبلوماسية . ونصح الكابتن جونز بأنه في الوقت الذي تقوم فيه قوة السلاح البريطاني بصد أي عمل عدائي ضد البحرين ، فان الولاء الطوعي من جانب الشيخ لأية دولة أجنبية —ما دام لا يتبعه أي احتلال عسكري للجزر— لا يجب أن ينظر اليه على أنه ذو أهمية عملية كبيرة . وبعد دراسة هذه المراسلات وجهت حكومة بومباي التعليمات للمقيم في بوشهر بعدم التدخل في احتلال البحرين سواء من جانب إيران أو تركيا ، إلا بتوجيه الاحتجاج ورفع الأمر إلى حكومة صاحبة الجلالة ، ولكن —في نفس الوقت— يجب أن يصدر تحذير لكل من الجانبين بأن أي عدوان من جانب البحرين —أو باسمها— على القبائل المجاورة لن تسمح به الحكومة البريطانية ، وقد تمنعه بقوة السلاح إذا لزم الأمر . وحين رفعت حكومة بومباي الأمر كله الى وزير الدولة

أشارت الحكومة إلى أن الهدوء في منطقة الخليج الذي ظلت سياسة الحكومة البريطانية تحافظ عليه أمداً طويلا يتطلب اعتبار البحرين غير تابعة للباب العالي ولا لإيران ، كما اوصت أيضاً بضرورة الاعتراف باستقلال البحرين ، وبوجوب المحافظة على مثل الاتفاقيات الخاصة بالمصالح التجارية والانسانية والأمن العام مما يعقد بينها وبين الحكومة البريطانية . وقد وافقت حكومة صاحبة الجلالة على هذه الاقتراحات كلها في فبراير سنة ١٨٦١ .

وفي نفس الوقت تقريباً .. اختفى وكلاء تركيا وإيران جميعاً من البحرين .

شيخ البحرين يوقع معاهدة مع بريطانيا ٢١ مايو ١٨٦١

وفي مايو سنة ١٨٦١ أصبح معروفاً للمقيم أن شيخ البحرين قام بغير مشورته بمحاصرة ساحل الأحساء ، وبمطاردة الغواصين وراء اللؤلؤ في القطيف والدمام ، وكان محمد بن عبدالله ابن شيخ البحرين السابق ما يزال مقيماً في الدمام .

ومضى كابتن جونز مباشرة إلى البحرين فوصلها في ١٨ مايو مع اسطول الخليج كاملا ، لكنه لم يلمح لشيخ البحرين بانهاء حصاره لشواطىء الاحساء . وكان سبب عناد شيخ البحرين ، أو على الأقل ما كان يُعتَقَدُ أنه سبب ذلك هو وعد من جانب إيران بأن تضمن له عون سفينة حربية فرنسية . وحين فشلت كل محاولات الإقناع من جانب المقيم السياسي . وضع الامر كله بين يدي القائد دروت قائد الاسطول البريطاني في الخليج الذي استطاع دون ان يطلق طلقة واحدة الاستيلاء على سفينتين من أفضل سفن البحرين الحربية وهما «الطويلة» و « الحمراء » .

وعند ذلك أعلن الشيخ خضوعه ، ووافق ــ بعد مفاوضات قصيرة أجراها شقيقه علي على توقيع اتفاقية اقترحها الكابتن جونز ووقعت

في ٢١ مايو سنة ١٨٦١ . وبها اعترف الشيخ محمد بن خليفه بصحة الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدها أسلافه في الحكم مع الحكومة البريطانية ، وتعهد بأن يتجنب « الانغماس في الحرب او القرصنة او تجارة الرقيق في البحر » . وكان ذلك الشرط ضرورياً لاستمرار عون الحكومة البريطانية له ضد أي عدوان خارجي ، كما تعهد الشيخ أيضاً بأن يرفع أمر كل حالات العدوان التي قد تقع عليه أو على رعاياه إلى المقيم البريطاني ، وان يقبل تحكيمه فيها ، وان يرفع اليه أيضاً مطالبه بالتعويض في مثل هذه الحالات ، وأن يخضع لتحكيمه بالنسبة للحالات التي يكون فيها هو المعتدى او رعاياه ، وتعهد أيضاً بأن يعترف بقضاء الوكيل البريطاني والمقيم البريطاني في شئون الرعايا البريطانيين في البحرين مهما كانت تلك الشئون ، وان يسمح لهؤلاء الرعايا بالاستقرار والتجارة في أرضه بحيث لا يخضعون الا لشي واحد فقط هو دفع ٥٪ من قيمة رؤوس اموالهم على الا تحصل منهم غير مرة واحدة . وحين سويت المسائل على هذا النحو احتفظ المقيم بالسفينة «الحمراء » ، وأطلق سراح السفينة الأخرى « الطويلة » وكان من نتائج هذه الاتفاقية تحديد وضع شيخ البحرين الذي لم يكن طرفاً مع مشايخ عمان المتصالحة في توقيع معاهدة السلم الشاملة .

ووافقت حكومة بومباي على الإجراءات التي اتخذها كابتن جونز ، ورفعت هذه الاتفاقية –التي كانت تراها ذات ميزات وإن كانت بلا تفويض سابق من جانبها – الى حكومة الهند التي صدقت عليها في ٩ أكتوبر ١٨٦١ . وصدرت التعليمات ايضاً للمقيم بألا يعيد السفينة «الحمراء» حتى يثبت شيخ البحرين بمسلكه أنه جدير بمثل هذا العمل .

طرد محمد بن عبدالله من الدمام نوفمبر ١٨٦١ :

وفي نفس الوقت وافقت السلطات العليا على اقتراح قدمه المقيم العام –في أعقاب محاولة غزو البحرين في سنة ١٨٥٩– على أن يبعد من

الدمام محمد بن عبدالله –الذي أنذر غير مرة بألا يثير هذه الاضطرابات في البحار ، والذي كان الشيخ محمد دائم الشكوى منه . وطلبت الحكومة البريطانية ضرورة سماح شيخ البحرين له بالإقامة في الكويت او في أي مكان آخر على الساحل الإيراني ، وأصدرت تعليماتها بأن تتجنب المعارك البرية ، ويقتصر على العمليات البحرية فقط .. هذا اذا كان لا مفر من استخدام القوة .

وهكذا ، كتب المقيم العام لأمير الوهابيين في يونيو ١٨٦١ بأن يطرد محمد بن عبدالله من الدمام ، وفي نوفمبر ١٨٦١– وحين لم يتلق رداً على خطابه هذا– سار المقيم بالاسطول البريطاني في الخليج إلى الدمام ، وبعد إطلاق بعض النيران ساعة من الزمن دون خسائر في الأرواح فر محمد بن عبدالله وأنصاره جميعاً من الدمام .. ولم يلق الاسطول البريطاني أية معارضة من قبل حامية الوهابيين في الدمام والقطيف ، بل لقد رحب تجار الأحساء بهذه النتيجة ، ورحبت بها السلطات الوهابية أيضاً التي امتنعت عن طرد هذا اللاجىء من ارضها في نهاية الأمر مراعاة لتقاليد الكرم والضيافة العربية .

وقدم الوالي التركي في بغداد احتجاجاً على ما قام به الاسطول البريطاني في الخليج ، ورد عليه المعتمد البريطاني هناك . ولا داعي هنا للاشارة الى ذلك الاحتجاج لأنه يتعلق بالوضع السياسي في الأحساء لا في البحرين .

سوء سلوك شيخ البحرين تجاه رعايا بريطانيا ١٨٦٣–١٨٦٥ :

ولم تفلح التزامات الاتفاقية التي عقدت أخيراً ، ولا العون الثمين الذي لقيه شيخ البحرين في طرد محمد بن عبدالله من الدمام في أن ينشيء علاقات طيبة بينه وبين الحكومة البريطانية . وفي سنة ١٨٦٣ ، وبعد تعيين الوكيل بيللي مقيما في الخليج ، أعيدت السفينة «الحمراء» لشيخ البحرين بناء على اقتراح المقيم الجديد ، كبداية لسياسة التصالح التي كان

يود انتهاجها . لكن شيخ البحرين لم يقابل هذه البادرة بأكثر من عبارات تدل على عدم احترامه لنائب الملك في الهند وعلى سوء معاملته للرعايا البريطانيين حتى بلغ بهم الأمر يوماً أن هاجرت الجالية الهندية جميعاً إلى بوشهر ، واستقر أكثر تجارهم ثراء هناك ورفضوا العودة للبحرين ، ورفعت شكاوى كثيرة ضد شيخ البحرين ، فأجرى المقيم تحقيقاً في إحداها سنة ١٨٦٤ وسويت باتفاقية كتابية تعهد الشيخ وأشقاؤه فيها بدفع مبلغ ١٧ الف غران . وفي ربيع سنة ١٨٦٥ ، لدى زيارة ثانية للبحرين ، وجد الرائد بيللي أن هذه التعويضات لم يتم دفعها بعد . وأن شيخ البحرين ، بدل أن يدفعها ، استولى على مبلغ ثلاثة آلاف غران أخرى من الهنود الذين تقدموا بهذه الشكوى ، فوجه المقيم إنذاراً كتابياً للشيخ .. ولكن في ديسمبر من نفس السنة —وبعد اخفاق مفاوضات دامت اسبوعاً كاملا مع الشيخ لإقناعه بضرورة دفع هذه التعويضات التي التزم بها — أمر الرائد بيللي بالاستيلاء على سفينة البحرين « دينار » التي تبلغ حمولتها ٥٠٠ طن ومسلحة بعشرة مدافع كبيرة . ولم يكد المقيم يرفع الامر إلى حكومة الهند مع توصية منه ببيع هذه السفينة لصالح التجار الهنود أصحاب الحق في التعويضات حتى عادت سلطات البحرين إلى وعيها فدفعت التعويضات المطلوبة منها ، غير ان السفينة —في نفس الوقت— تأثرت باعصار عنيف ، وغرقت قبل ان تصل أقرب ميناء لها في بوشهر ..

وكانت حكومة الهند قد أصدرت أوامرها برد السفينة « دينار » لشيخ البحرين اذا تيسر ذلك .. لكن السفينة غرقت أثناء عودتها إلى البحرين ولم يتيسر تنفيذ هذه التعليمات . وأصدرت الحكومة أمراً عاماً —نتيجة هذه الحادثة— بألا يتولى المقيم العام مستقبلا عملية مصادرة السفن التي يملكها الشيوخ على مسئوليته الخاصة .

الحكومة الإيرانية تجدد تأكيد مزاعمها بالنسبة للبحرين ١٨٦٦ - ١٨٦٧ :

وقامت الحكومة الإيرانية -التي كانت قدمت احتجاجاً في سنة ١٨٦٢ على احتجاز سفينة البحرين الحربية «الحمراء»- بتقديم شكوى جديدة مما اتخذته السلطات البريطانية تجاه السفينة «دينار» على أساس أن البحرين كانت وحسب الاتفاقية التي عقدها كابتن بروس سنة ١٨٢٢ تابعة لإيران .

وأحالت حكومة الهند التي لم يرقها هذا الزعم -بطبيعة الحال- الأمر إلى حكومة بومباي ، وطلبت اليها تفسير الوضع الحقيقي لمعاهدة كابتن بروس ، وكيف أنها رفضت من جانب السلطات البريطانية العليا منذ توقيعها ، كما أوضحت حكومة الهند لمستر اليسون الوزير البريطاني المفوض في طهران ظروف القضية مبينة رأيها الذي يتمثل في أنه مهما كانت المزاعم من جانب حكومة إيران أو الاسس التي تقوم عليها هذه المزاعم عن سيطرة إيران على البحرين في الزمن الماضي .. فان على الشاه أن يفهم حكم الأمر الواقع اليوم.. وهو الا حق له على الإطلاق في هذه الإمارة .

وقد أقرّت حكومة صاحبة الجلالة هذا الإجراء من جانب وزيرها المفوض في إيران في سنة ١٨٦٧ ، وانتهت القضية عند هذا الحد .

مزاعم الوهابيين بالسيطرة على البحرين ١٨٦٦-١٨٦٧ :

وأثناء زيارة الرائد بيللي للبحرين في ديسمبر ١٨٦٥ ، وكانت ثمة قطيعة بين بريطانيا والوهابيين آنذاك ، حامت الشكوك حول وجود تفاهم بين شيخ البحرين والوهابيين ، وكان من دوافع (عملية) السفينة «دينار» قص أجنحة شيخ البحرين خشية أن يغامر مرة واحدة ويربط مصيره بأمير الوهابيين . صحيح أن الشيخ حين أعلن خضوعه أفصح عن رغبته

في تخليصه من قوة الوهابيين لكن المقيم ظنه في ذلك الوقت غير مخلص في طلبه هذا . وصدرت التعليمات للرائد بيللي بكتابة تقرير عن الوضع السياسي للبحرين بالنسبة للدولة الوهابية .

وأثبت بحث الرائد بيللي أن الشيخ يعتبر نفسه مستقلا عن الوهابيين فيما يتعلق بجزر البحرين ، أما الجزية التي يدفعها لهم كل سنة -دون مناقشة- وقدرها أربعة آلاف روبية فهي لحساب ممتلكاته في قطر ، وهدف هذه الجزية هو تأمين ممتلكاته القطرية من أي هجوم عليها من قبل القبائل العربية المجاورة . وحين رفع الرائد بيللي هذا التقرير الى حكومة الهند ذكرها بقرار مجلس المديرين في سنة ١٨٤٧ الذي يقضي بصد أية محاولة لغزو البحرين ، بقوة الاسطول البحري لو اقتضى الأمر ، كما أعاد للأذهان اوامر حكومة الهند في سنة ١٨٥٣ بوضع كل العقبات الممكنة في وجه أمير الوهابيين الذي كان يعتبر آنذاك عميلا للأتراك اذا ما حاول غزو البحرين ، وبقبول وزير الدولة في سنة ١٨٦١ لوجهة النظر التي تقول بضرورة الاعتراف باستقلال البحرين وبضرورة الوفاء بالتزامات الحكومة البريطانية المحددة في المعاهدات والاتفاقيات المعقودة مع شيوخها .

شيخا البحرين وأبوظبي يقومان بنهب قطر ، وسكانها ينتقمون بالاغارة على البحرين ١٨٦٧ – ١٨٦٨ :

وفي مارس ١٨٦٧ صرحت حكومة الهند برأي مؤداه أن شيخ البحرين مستقل تمام الاستقلال عن كل الدول الأجنبية فيما يتعلق بأرض الجزر ، وأنه ليس ملزما بأن يطيع الوهابيين الا فيما يتعلق بأرضه في قطر. وقد قبض الشيخ أحمد بن محمود -وكيل شيخ البحرين في الوكرة- على رجل بدوي وارسله إلى البحرين ، واتحد زعماء الوكرة والدوحة في طلب إطلاق سراحه ، وحين رفض طلبهم بدأوا يتخذون إجراءات طرد الشيخ أحمد بن محمود من الوكرة ، لكن هذا استطاع أن يدرك سلفاً نواياهم فانتقل بأسرته وما يملك إلى خور حسان ، وتمت تسوية الأمور

تسوية ظاهرية ، فأطلق شيخ البحرين سراح الرجل البدوي السجين ، واعتذر له شيوخ قطر عن سلوكهم نحوه .. لكن شيخ البحرين كان يتخذ التسوية ستاراً يخفي نواياه الانتقامية . ودعى جاسم بن محمد —أحد شيوخ آل ثاني في الدوحة الذي سيمتد نفوذه يوماً فيما بعد فيشمل شبه جزيرة قطر كلها —الى البحرين لعقد اتفاقية دائمة في ما يتعلق بطريقة حكم الإقليم فيما بعد ، لكن شيخ البحرين غدر به فور وصوله فألقاه في السجن ، وبمجرد سجنه ارسل الشيخ محمد اسطولا مكوناً من ٢٤ قارباً على ظهرها ٥٠٠ رجل يقودهم شقيقه الشيخ علي ، وقوة برية قوامها ٢٠٠ رجل يقودها الشيخ أحمد وكيله السابق— لتأديب أهل الدوحة والوكرة ، وطلب في نفس الوقت من شيخي دبي وابوظبي المساعدة ، وأرسل شيخ أبو ظبي —متجاهلا نصيحة الوكيل البريطاني في الشارقة— ٢٠٠٠ رجل مسلح في ٧٠ قارباً الى ساحل قطر ، لكن شيخ دبي لزم الحذر ورفض الاشتراك في هذا العمل . وكان اسطول ابو ظبي هو الذي وصل اولا إلى قطر ، ونجح في تهدئة شكوك الوهابيين حتى وصلت عمارة البحرين التي كانت قد استولت على ٤٠ سفينة تابعة لقطر في طريقها . وهاجمت قوات الحلفاء مدينتي الدوحة والوكرة فنهبت حتى الابواب ونوافذ البيوت ثم طلبت إلى الأهالى بأن يخرجوا للأقامة في أي مكان آخر ، وحين حاولوا الخروج سلبت كل ممتلكاتهم ، وألقي القبض على جماعة منهم . . أما الباقون فقد انتشروا يلتمسون لهم ملجأ آخر في أي مكان على سواحل شبه الجزيرة أو ايران وقد حدثت هذه الوقائع في اكتوبر سنة ١٨٦٧ . وقدرت الخسائر التي اوقعت بأهل قطر بأكثر من ٢٠٠,٠٠٠ روبية .

واندفع ضحايا هذا الغدر مباشرة إلى أمير الوهابيين —الذي يزعم لنفسه حقوق السيادة على قطر— يطلبون تعويضهم عما أصابهم ، وذكر بعدها أنه استقبل ممثل هؤلاء المنكوبين وتعاطف معهم ، وذكر لهم أنه « ما دامت نواياه متفقة مع نوايا السلطات البريطانية فلا شيء يخشى

عليهم بعد من ناحية البحر » ، وتقدم الأمير يطلب إعادة الأشياء التي نهبت ، وإطلاق سراح الأسرى من مواطني الدوحة والوكرة . وكانت النتيجة التي أدى اليها هذا الطلب هي إعادة احتجاز بعض العائلات التي كان قد سمح لها بالعودة الى قطر . وأصدر أمير الوهابيين اوامره إلى وكلائه في الأحساء باعداد حملة للهجوم على البحرين ولكن ــفيما عدا بعض حوادث النهب التي قامت بها قبيلة من ساحل الأحساء على بعض مواطني البحرين ــلم يؤد هذا الى نتائج ملموسة .

وفي يونيو سنة ١٨٦٨ أخذ أهل قطر المنكوبون زمام المبادرة فبدأوا يعدون لهجوم انتقامي على البحرين ، لكن هذه الحركة بدأت وانتهت ــفيما يبدوــ بعدة اشتباكات بحرية صغيرة .

تدابير السلطات البريطانية حيال الهجوم على قطر ١٨٦٨

وقد أدت السرية والسرعة اللتان أحيطت بهما حملة شيوخ البحرين وأبو ظبي ضد قطر الى حرمان الحكومة البريطانية من أية فرصة لمنعها او التدخل فيها ، ولكن بمجرد أن تحول الأمر واصبح اختباراً لاستعداد بريطانيا وقدرتها على حماية السلم في البحار تقرر إيقاع عقوبة بالشيوخ المعتدين تكون عبرة لمن اعتبر وعدم قبول العذر الذي ربما يتعلل به الشيخ محمد وهو أنه كان يهدف إلى تأديب رعاياه المتمردين في قطر .

الاستعدادات والمفاوضات :

وأرجىء العمل من قِبَل السلطات البريطانية طويلا بالنظر لما تطلبته حملة ضد الحبشة من قِطَع حكومة الهند البحرية ، وفي ذلك الوقت لم يكن في الخليج إلا قطعة بحرية واحدة هي القارب المسلح «هيوروز» ، وكان رجالها جميعاً من الهنود ولا تستطيع السير أكثر من ثماني ساعات متواصلة . وفي شهر مايو وضعت الباخرة «سند» تحت تصرف المقيم السياسي لمحاصرة أبو ظبي والتصدي لشيخها ، ولكنها بسبب هفوة غريبة حوسبت عليها حكومة الهند حساباً عسيراً في ما بعد ، وصلت

إلى الخليج وليس في خزينتها طلقة مدفع واحدة .. وفي نفس الو قت كان ثمة اتفاق سري بين شيخ ابو ظبي وشيخ البحرين على أن يدفع الأخير للأول أية عقوبة مالية تفرض عليه من جانب الحكومة البريطانية . وراح شيخ أبو ظبي يراوغ ويماطل ، ولكن في ٨ يونيو ١٨٦٨ قطع عليه الطريق خطاب من المقيم العام يطلب فيه دفع مبلغ ١٢٥ الف غران تعويضاً عن الخسائر التي حدثت ، وإعادة الأشخاص الذين نقلهم من قطر هم وممتلكاتهم كاملة ، والاعتذار عن عمله هذا ، والتعهد بمسلك أفضل في المستقبل . وأدت الأخبار التي وصلت في يونيو ١٨٦٨ عن إعداد حملة انتقامية من جانب أهالي قطر إلى التعجيل بمجرى الحوادث وفي ٢٣ يوليو أرسلت سفينة صاحب الجلالة «فيجيلانت» التي كانت عائدة من مهمة أخرى في بومباي الى الخليج ، وصدرت التعليمات لقائدها الكابتن ر. أ. براون بارغام شيخ البحرين ، بكل الوسائل التي يستطيعها ولكن بالتشاور الدائم مع الرائد بيللي ، على دفع مبلغ ١٠٠ الف روبية ، وتسليم السفن المسلحة التي استخدمها في الحملة المذكورة على قطر إلى جانبالتعهد بحسن السلوك في المستقبل –كما يقدر المقيم العام شكل هذا التعهد من جانب رجل كحاكم البحرين– أما بالنسبة لشيخ ابو ظبي فقد فوض بيللي أن يتخذ من الإجراءات هناك ما تقتضيه طبيعة الموقف .

الاتفاق مع الشيخ علي بن خليفة ٦ سبتمبر ١٨٨٦ :

ولم يتخذ أي عمل حتى اول سبتمبر(١) حين وصلت سفينة صاحب الجلالة «فيجيلانت» والقاربان المسلحان «كلايد» ، و « هيو روز » إلى البحرين . وفر الشيخ محمد –الذي أحس أنه الطرف الخاسر بلا ريب– إلى قطر . وفي ٦ سبتمبر ١٨٦٨ تم توقيع اتفاقية مع الشيخ علي بن خليفة

---

(١) لا نجد تفسيرا مقنعا لهذه التأخيرات ، التى حدثت منذ بداية فبراير حتى منتصف يوليو ،وكانت تعزى من جانب حكومة الهند الى اهمال حكومة بومباى .

ـــشقيق الشيخ الهارب الذي كان مرتبطاً إلى حد ما معه في الإدارةـــ تعهد فيها بأن يسلم جميع السفن الحربية التي يملكها كل أعضاء الاسرة الحاكمة في البحرين للقائد البحري البريطاني ، وأن يدفع مبلغ ٢٥ الف روبية نقداً للمقيم البريطاني في اليوم التالي ، بالإضافة إلى دفع مبلغ ٧٥ الف روبية على ثلاثة أقساط سنوية ، وأن يعين ـــبهدف المحافظة على السلم في البحرـــ وكيلا عنه في بوشهر للتفاهم مع المقيم البريطاني هناك . ونصت الاتفاقية أيضاً على اتفاق وجهاء أهل البحرين بالإضافة إلى الشيخ علي نفسه ، على أن الشيخ محمد ، نتيجة ارتكابه أعمال القرصنة وفراره عن المشيخة ، لم يعد شيخاً للبحرين . وقد تعهد الشيخ علي الحاكم الجديد للبحرين بأن يقبض على أخيه ـــفي حالة عودته إلى البحرينـــ ويسلمه للمقيم البريطاني . وتم تنفيذ الالتزام الخاص بتسليم السفن الحربية بالفعل ، وتم حرق هذه السفن ، كما تم أيضاً تدمير قلعة المحرق ، او تحديداً قلعة أبو ماهر بتحصيناتها . وحين جمع مبلغ يوازي حوالي خمس الغرامة المقررة وزعت توزيعاًـــ متناسباً ـــ على الذين وقعت عليهم الخسارة ورفع باقي هذه الغرامة .

أما الأعمال التالية للمقيم على ساحل قطر وأبو ظبي فهي تتعلق بتاريخ تينكما الإمارتين أكثر مما تتعلق بتاريخ البحرين ولا حاجة بنا لذكرها هنا ، لكننا نشير فقط إلى أن الرائد بيللي قد نجح في الوصول إلى اتفاق ـــفيما يتعلق بالجزية وغيرها من المسائلـــ بين شيوخ آل ثاني في الدوحة وحاكم البحرين الجديد ، وهذه الجزية هي ما كان يدفعها شيخ البحرين ـــكلياً أو جزئياًـــ لأمير الوهابيين عن املاكه في قطر .

احتجاجات إيران على أعمال بريطانيا في البحرين ورد حكومة صاحبة الجلالة عليها ١٨٦٨ ـ ١٨٦٩

وسرعان ما توالت الاحتجاجات على أعمال السلطات البريطانية من مختلف مستويات السلطات الإيرانية ، وفي أحد هذه الاحتجاجات

المقدمة من وزراء الشاه إلى مستر أليسون الوزير البريطاني المفوض في طهران جاء ان « البحرين جزء من إيران » ، وأرسل احتجاج مماثل من حاكم شيراز إلى الرائد بيللي ، وثالث ارفق به خطاب من شيخ البحرين السابق إلى وزارة الخارجية في ١٣ إبريل سنة ١٨٦٩ قدمه السفير الإيراني في لندن . وكان مدار الشكوى ان السلطات البريطانية لم تبلغ السلطات الإيرانية بشيء عن نواياها تجاه البحرين .

وفي رد أرسل في تاريخ ٢٩ إبريل سنة ١٨٦٩ بعد تشاور بين دوق أرجيل ، وزير الدولة لشئون الهند —ووزير الدولة للشئون الخارجية ، والسفير الإيراني في لندن ذكر ان شيخ البحرين دخل في فترات مختلفة من ماضيه — في اتفاقيات مباشرة مع الحكومة البريطانية — وقدمت اليه التأكيدات بأن الهدف الوحيد من هذه الاتفاقيات بالنسبة للحكومة البريطانية مع هؤلاء الشيوخ هو منع القرصنة وتجارة الرقيق وا ضطراب السلم في منطقة الخليج ، وكلها أهداف يسعد الحكومة البريطانية أن تؤديها — اذا كان ذلك ممكناً — من أجل الحكومة الإيرانية . وفي النهاية وعدت الحكومة البريطانية بأنها لو وجدت في المستقبل ضرورة القيام باجراء تأديبي او عقابي ضد شيخ البحرين فستقوم بابلاغ السلطات الإيرانية مسبقاً اذا كان ذلك ممكناً . وفي الحالات التي يتعذر فيها ذلك عملياً — نتيجةالتأخير الناجم عن إحالة الأمر إلى حكومة طهران— فان تقريراً وافياً سيقدم للحكومة الإيرانية . وكان الهدف من هذا الرد هو تحاشي إحداث أية إثارة في طهران .. ولكن من الواضح أن حكومة صاحبة الجلالة لم تتخل عن تنفيذ سياستها المرسومة في المنطقة .

★ ★ ★

علي بن خليفة ١٨٦٨ ـ ١٨٦٩

بدأ حكم علي بن خليفة بالاتفاقية التي وقعها مع الحكومة البريطانية في ٦ سبتمبر ١٨٦٨ ، وكانت فترة حكمه قصيرة ومأساوية استمرت أقل من سنة .

★ ★ ★

مؤامرات الشيخ السابق محمد بن خليفة ١٨٦٩

وفي يناير ١٨٦٩ وبناء على طلب الشيخ علي الذي كان يظن أنه سيحكم سيطرته على شقيقه ولو كان هذا مقيماً في البحرين سمحت السلطات البريطانية للشيخ محمد بالعودة إلى البحرين .. لكنه انهمك في سلسلة طويلة من المؤامرات حتمت إبعاده إلى الكويت ، ومنها انتقل الشيخ السابق إلى القطيف ، ودخل في اتصالات مريبة مع قريبه ناصر بن مبارك ـ حفيد الشيخ السابق عبدالله ـ الذي كانت امه من بدو بني هاجر .

★ ★ ★

غزو البحرين وموت الشيخ علي ١٨٦٩

وفي أغسطس أو سبتمبر ١٨٦٩ عبر محمد بن خليفة وناصر بن مبارك إلى البحرين في تسعة قوارب تحمل حوالي ٥٠٠ رجل مسلح من بني هاجر ، وسارت قواتهما إلى الرفاع الشرقي الذي كان يسيطر عليه محمد بن عبدالله وهو الشيخ الذي كانت السلطات البريطانية طالبت باسم الشيخ علي بإبعاده من الدمام سنة ١٨٦١ . وحدثت معركة بين الجانبين انتهت من جرّاء خيانة محمد بن عبد الله إلى هزيمة الشيخ علي ومصرعه في الميدان هو وواحد من أبنائه ، واحتل الغزاة الذين كان

محمد بن عبدالله أكثرهم سطوة ونفوذاً مدن المنامة والمحرق لكنهم عجزوا عن كبح جماح قواتهم من البدو فقامت بنهب المنامة ، ولم تقدر الخسائر التي اوقعت بأهل هذه المدينة ، ومن بينهم تجار الهند البريطانية بطبيعة الحال أى تقدير دقيق ، ولكن تردد أنها بلغت أكثر من ٢١,٥٣٠,٧٩٧ غران .

★ ★ ★

فترة خلو المشيخة في البحرين ١٨٦٩

إجراءات مباشرة من السلطات المحلية البريطانية :

وحين وصلت أنباء هذه الثورة الى بوشهر ، أرسل الرائد بيللي -على التو- مساعده الكابتن واي على ظهر سفينة صاحبة الجلالة «داهوزي» لتحقق في الأمر ولتنقل تجار الهند البريطانية الذين يريدون مغادرة المكان.. لكن رغبة الكسب عند هؤلاء التجار كانت قوية بحيث جعلتهم جميعاً -وبدون استثناء- يرفضون مغادرة البحرين ، مفضلين المخاطرة بالبقاء للمتاجرة بالبضائع المنهوبة التي كانت تباع علناً في أسواق البحرين والقطيف بما يوازي خمس ثمنها الحقيقي .

مزيد من العمل حسب اوامر حكومة الهند :

وقدم المقيم في أوائل اكتوبر اقتراحات لتسوية هذه الأزمة ، وفي منتصف نوفمبر خولت له سلطة حصار البحرين واستخدام القوة حتى يتم القضاء على الاضطراب الرئيسي في البحار ، وكان ذلك يعني استسلام محمد بن عبد الله وناصر بن مبارك ومحمد بن خليفة جميعاً ، واذا سمحت الظروف عقب تنفيذ الإجراء الأول ووضح ان الناس جميعاً كانوا يفضلون تعين عيسى بن الشيخ السابق شيخاً للبحرين أعلن تعيينه وأبلغ شيوخ عمان المتصالحة كتابياً بذلك التغيير الذي حدث وبعزم حكومة الهند على إيقاع العقاب العادل بمن يستحقه . وقد ارجىء إلى

حين إجراء مزيد من الدراسة تعويض هؤلاء الذين اوقع بهم السلب والنهب ، وعقاب من باعوا الأمتعة المسروقة بأثمان اسمية ، ومحاصرة موانى الوهابيين حتى لا توزع اليها هذه الأسلاب ، وإيقاع العقاب بالبدو المعتدين ، ونقل حاكم القطيف .. وصدرت التعليمات للمقيم العام بأن يلتزم جانب الحذر قدر إمكانه في اي اتصال يقوم به مع أمير الوهابيين .

الاعمال في البحرين .. من ١٩ نوفمبر إلى ٢ ديسمبر سنة ١٨٦٩

وحين وصلت هذه الأوامر للرائد بيللي ، سار مباشرة إلى البحرين على ظهر سفينة صاحبة الجلالة « دافني » ومعه الكابتن دوجلاس يقود سفينة صاحبة الجلالة « نيمف » والقاربين المسلحين « كلايد » و « هيو روز » ، وبدأت العمليات في ١٩ نوفمبر ، وانتهت تماماً في ٢ ديسمبر . وهوجمت قلعة هالة ابو ماهر بالقوارب في ليلة ١٩ نوفمبر ، وهزمت حاميتها واستسلمت . كذلك استسلم محمد بن خليفة ، ونقل على ظهر سفينة صاحبة الجلالة « دافني » ، وتم أسر الشيخ ناصر بن أحمد في البحر ، واسر ناصر بن مبارك من قلعته –ومحتمل أنها قلعة المنامة– بعد تدميرها ، ونقل إلى مكان آخر غير أنه استطاع الهرب إلى الإحساء مع أنصاره .

وتوقف محمد بن عبد الله زعيم هؤلاء الحلفاء عن مناوراته وسلم نفسه . وجاء الشيخ عيسى بن علي من قطر التي كان مستقراً فيها ، ونصب حاكماً على البحرين دون أي تدخل من جانب السلطات البريطانية– ووسط مظاهر الابتهاج الشامل من أهالي البحرين وقد أصيب الكابتن دوجلاس نتيجة انفجار لغم لكن إصاباته كانت طفيفة .

معاملة الاسرى وتعويض المتضررين :

ورحل الشيوخ الثلاثة الأسرى وغيرهم من قادة التمرد الى الهند حيث ظلوا محبوسين في قلعة أسير جاره ثم في قلعة شونارو التي مات فيها

ناصر بن محمد سنة ١٨٧٣ ، ومحمد بن عبدالله في سنة ١٨٧٧ ، ثم نقل السجناء الثلاثة الباقون بعد ذلك إلى عدن ، ومنها أطلق سراح اثنين منهم سنة ١٨٨٠ .

وتم عقد اتفاقية مع الشيخ عيسى لدى توليه الحكم لمصادرة أملاك زعماء هذا التمرد وتعويض المتضررين الابرياء واستمر دفع هذه التعويضات على أقساط حتى سنة ١٨٧٦ حين أكمل دفعها تماماً .

★ ★ ★

علاقة الوهابيين بالغزو

ونشأت شكوى في البداية من ان تكون حكومة الوهابيين مسئولة مسئولية جزئية عن الاضطرابات المدمرة التي حدثت في البحرين ، وتردد القول بأن بني هاجر رفضوا في بداية الأمر السير في هذا الغزو دون تفويض لهم من امير الوهابيين بذلك ، وحصل ناصر بن مبارك على هذا التفويض بعد زيارة قام بها للرياض ، لكن حكومة الهند –كما رأينا– رفضت اعتبار الامير مسئولا دون توافر الدليل على ذلك أو على درجة سيطرته على إقليم الأحساء . وأثبتت الأحداث أن هذا القرار كان قراراً حكيماً لأن الأمير كتب بعد ذلك مباشرة للمقيم العام ينكر صلته بهذا الاضطراب ، ولما لم يثبت عليه الجرم اكتفت السلطات البريطانية بتذكير الامير بأن هذا الغزو قد اتخذ من اراضيه قاعدة له ، وان ناصر بن مبارك قد لجأ إلى ارضه بعد ذلك أيضاً وحمل معه كثيراً من اسلاب البحرين ، وطلبت اليه دون إظهار أي لون من الوان التهديد منع حدوث مثل هذه الاضطرابات في المستقبل .

★ ★ ★

موقف حكومة ايران من الغزو ومن البحرين عموما

وقوع خطابات إيرانية في أيدي البريطانيين على مقربة من شواطىء البحرين :

وبعد اقتراب الحملة البريطانية من شواطىء البحرين حاولت سفينة أهلية من دائير على الساحل الايراني اختراق هذا الحصار وهي ترفع العلم العربي . وحين تم الاستيلاء عليها تبين أنها تحمل وفداً من ميرزا مهدي خان المبعوث الإيراني للبحرين في سنة ١٨٥٩ ، ومعه خلعة وخطابات وعد فيها محمد بن عبدالله بتقديم المعونة والتأييد اللازمين له من ايران.. وذكرت الخطابات أن ميرزا مهدي خان قد عين مسئولا عن « المواني » لكن رسله لم يكن معهم أية فرمانات واضحة من حكومة الشاه . وتم احتجاز السفينة لأنها حاولت خرق الحصار ، وسلمت السلطات الانجليزية الخطابات إلى السجين محمد بن عبدالله الذي سلمها بدوره للرائد بيللي .

احتجاج من جانب الحكومة الايرانية :

وحسب أوامر حكومة صاحبة الجلالة التي صدرت قبل عدة شهور ، تمّ قبل إبحار الحملة اتصال بالوزير المفوض البريطاني في طهران عن طريق المقيم العام لنقل رسالة إلى البلاط الإيراني جاء فيها أن اوامر حكومة الهند قد صدرت للرائد بيللي بأن يستدعي الشيخ المسئول عن البحرين ويحاسبه عن خرقه السلم في مياه البحار ، وعن هجومه دونما استفزاز على الشيخ علي بن خليفة الذي وضعته الحكومة البريطانية فوق عرش البحرين . وتلقى وزير الخارجية الإيرانية أخبار ما عمله المقيم في ما بعد في هدوء ، وذكر فقط أن حكومة إيران مهتمة بنفس قدر اهتمام الحكومة البريطانية بتحقيق السلام في مياه البحار وأنها بالتالي لا أسباب لديها للاعتراض على تأديب هؤلاء العصاة ، لكنه

أبدى امتعاضه من منع السلطات البريطانية الوكيل الإيراني من النزول إلى الجزر والتفاهم مع الشيوخ . وأعادت إيران الشكاية من هذا الأمر بصورة مبالغ فيها عن طريق السفير الإيراني في لندن .

وتلقى الشيخ عيسى بن خليفة –بعد توليه بوقت قصير – خطاباً من حيدر خان ضابط إقليم داشتي على الساحل الإيراني نصحه فيها بأن يضع نفسه تحت حماية الشاه ، لكن هذه الحادثة كانت بلا أهمية .

رأي حكومة الهند :

وفي خطابين مرفوعين لوزير الدولة في ٢٢ فبراير و ٢٠ مائو سنة ١٨٧٠ دفعت حكومة الهند عن نفسها اتهامات عدة وجهتها الحكومة الإيرانية لموظفيها . وفيما يتعلق بموقف الحكومة البريطانية من قضية إيران والبحرين فقد تناول الخطابان بالتفصيل ذكر المساوىء والاضرار التي تنجم عن تخلي بريطانيا عن إشرافها الدقيق على تحقيق السلم في مياه الخليج ، وأوضحا أيضاً فشل أية محاولة لوضع سياسة تشرك الحكومة الإيرانية في هذا العمل .

كما أشارت حكومة الهند إلى أن إيران التي ليست لها أية قوة بحرية على الاطلاق غير قادرة على تقديم المساعدات لبريطانيا العظمى في سبيل تحقيق السلم في مياه الخليج ، وهي أيضاً لا تستطيع أن تملأ مكانها في حالة خلو هذا المكان . وحتى لو كان الأمر على نحو آخر ، وكان لإيران هذه القوة البحرية ، فلا شك في أن تدخلها كان سيوقعها في نزاع مع سلطنة عمان ، والمشيخات العربية ، والدولة الوهابية وتركيا .. وكانت ايران تعادي هؤلاء جميعاً ، والحقيقة إن تأكيد إيران مزاعمها في البحرين قد أدى إلى صدور مثل هذه المزاعم من جانب تركيا وسواها من الدول . أما الحكومة البريطانية ، فقد كانت بمقتضى الاتفاقيات المعقودة بينها وبين المشيخات العربية ملزمة بالحفاظ على السلم في البحار ، وبتحصيل التعويضات عن أعمال العدوان في البحر . وكان

رأي حكومة الهند أن الحماية البريطانية على الخليج يجب ان ينظر اليها على أنها التزام أكثر منها حق للحكومة . وفي الخطاب الأخير من هذين الخطابين قالت حكومة الهند : « إننا اذا لم نكن مستعدين لمواصلة تأدية المهام التي تعهدنا بتأديتها فيجب أن تنسحب انسحاباً كاملا ، لكن عواقب هذا العمل ستكون وخيمة جداً ، لا بالنسبة لسمعتنا الدولية فقط بل لأمن الخليج وسلمه أيضاً ، ولرخاء القبائل المقيمة بجوار الساحل ، ولأرواح وممتلكات الرعايا الذين استقروا خلال فترة السلم التي سادت الخمسين سنة الأخيرة على هذه السواحل ، واستثمروا اموالا كثيرة في الغوص وراء اللؤلؤ والمتاجرة مع الارض القريبة .. إننا لا نستطيع أن نتصور الأحداث على هذا النحو ولا نظن أن حكومة صاحبة الجلالة سترضى عن ذلك » ويبدو ان الحكومة البريطانية لم تعارض هذه النتيجة .

★ ★ ★

احتجاج الباب العالى على أعمال الحكومة البريطانية في البحرين

وقدم السفير التركي في لندن احتجاجاً جديداً على تصرفات الحكومة البريطانية في البحرين جاء فيه أن هذه الاجراءات تمثل « سيادة بريطانيا على أرض هي جزء من الاراضي التركية في الحقيقة .. » ، ورداً على هذا أبلغ الوزير المفوض العثماني أن الحكومة البريطانية لا تستطيع الأعتراف بمزاعم تركيا في السيادة على البحرين .

★ ★ ★

الشيخ عيسى بن علي ابتداء من سنة ١٨٦٩

ولقد اضطرب أيضاً خلال السنوات التالية حكم الشيخ عيسى بن علي ، الذي بدأ وسط الظروف العاصفة التي ذكرناها في ما سبق . وجاء

لاضطراب نتيجة مشروعات التوسع من جانب الباب العالي وكذلك وجود إقليم تركي في الارض المتاخمة للجزر ، وكانت الحكومة البريطانية ، على أية حال ، ما تزال تقدم للبحرين حمايتها ضد أي محاولة ضم لها من جانب تركيا ، وفي سنة ١٨٩٥ ، وحين قامت القوات البحرية البريطانية باحباط محاولة للهجوم على جزر البحرين من جانب القبائل العربية التي حرضها الأتراك تلاشت المخاوف من غزو البحرين من جانب الأتراك تماماً .

★ ★ ★

الحالة الناجمة عن ضم تركيا للاحساء
١٨٧١ ـ ١٨٧٢

منع الحملة التركية على الاحساء من الاقتراب من جزر البحرين ١٨٧١

صحبت احتلال تركيا للأحساء أعراض واضحة لرغبة الباب العالي في أن يضم اليه كل الأقاليم التي كان للوهابيين سيطرة عليها ، ولو لفترة قصيرة عابرة ، ومن هذه الأقاليم جزر البحرين بطبيعة الحال . وفي سنة ١٨٧٠ قدم مدحت باشا والي بغداد صياغة محددة لمزاعم تركيا في البحرين ، فقال ان « البحرين وتوابعها » كانت تابعة (لقائمقام نجد) ، وإنها أصبحت بالتالي تابعة للامبراطورية العثمانية ، وفي سنة ١٨٧١ تلقى المقيم البريطاني في بغداد معلومات مؤداها أن الحملة المقترحة على نجد لو نجحت فستوجه تركيا اهتمامها مباشرة للبحرين وعمان المتصالحة وسلطنة عمان . وأدت الاحتجاجات الفورية من قبل ممثل الحكومة البريطانية في القسطنطينية في إبريل ومايو ١٨٧١ إلى إنكار المسئولين الأتراك وجود مثل هذه المخططات لديهم ، وتلقى قادة الحملة التركية تعليمات من حكومتهم تمنعهم من الاقتراب من جزر البحرين . وفي نهاية مايو ١٨٧١ صدرت التعليمات للرائد بيـــلي ، المقيم السياسي البريطاني ، بزيارة

البحرين مع سفن صاحبة الجلالة «مجباي» و «بولفنش» و «هيو روز»
لإبلاغ الشيخ الذي طلب نصيحة الحكومة البريطانية وحمايتها بهذه
التأكيدات من جانب الباب العالي ، ووعده بأنه لو استمر في الالتزام
باتفاقية سنة ١٨٦١ فان الحكومة البريطانية ستظل من جانبها وفية
بالتزاماتها نحوه .

قتل مبعوث تركي في البحرين ١٨٧١ :

وفي مرحلة مبكرة من أعمال تركيا في الأحساء ارتبط المتمرد
البحريني ناصر بن مبارك بالحملة التركية ، وعمل كوسيط للتفاهم
والاتصال بالقبائل العربية في الأقاليم المجاورة . وفي أغسطس او سبتمبر
١٨٧١ استخدم ناصر بن مبارك رجلا من قبيلة بني هاجر ليحمل رسالة
من القائد التركي في الأحساء لجاسم بن محمد شيخ آل ثاني في الدوحة
بقطر ، وبسفاهة ، ركب هذا المبعوث سفينة كويتية مرت بعقارية على
ساحل البحرين ، وهناك – كما قيل – تعرف عليه بعض أهل البحرين ،
وعرفوا أنه من الذين اشتركوا في قتل الشيخ علي بن خليفة أثناء غزو
سنة ١٨٦٩ ، فقتله بعض هؤلاء البحرانيين ، ومن بين الخطابات التي
وجدت مع جثته ، وسلمت لشيخ البحرين الذي فتحها بنفسه خطاب
من ابى ناصر بن مبارك الى الشيخ جاسم في الدوحة جاء في سطوره :
« إن الحكومة التركية مهتمة اهتماماً كبيراً بقطر والبحرين وسواهما من
الاماكن ومهتمة بتخليصها من أعدائها لإشاعة الفرح بين أصدقائها وإن
شاء الله ستصلكم قريباً أخبار تسرون لها » . وأعيد خطاب القائد التركي
– دون ان يفتحه أحد – إلى صاحب السفينة الكويتية الذي حمله معه إلى
نهاية رحلته . وسادت الخشية في بادىء الأمر من ان تستغل تركيا هذه
الحادثة كمبرر لإعتداء على البحرين ، واتخذت الاحتياطات من جانب
الحكومة البريطانية والسلطات البريطانية المحلية لاجبار الأتراك على استخدام

(*) اسماء السفن الحربية الثلاث مجباى ، وبولفنش وهيو روز .

الوسائل الديبلوماسية ، لالغة القوة ، في هذه الحادثة . ومن بين هذه الاحتياطات مذكرة رفعت عن طريق المقيم البريطاني في بغداد إلى مدحت باشا ــالذي كان آنذاك في طريقه للتفتيش على الإقليم التركي الجديد في الأحساءــ تذكره السلطات البريطانية فيها بوعد الحكومة التركية بعدم التدخل في شئون البحرين . وأخيراً وصل قائد بحري تركي إلى البحرين على ظهر سفينة صغيرة وقارب مسلح وطلب التعويض من شيخ البحرين في ٢٢ نوفمبر ١٨٧١ ، وأجيب بخطاب ودي إلى مدحت باشا كتبه الشيخ فيما يبدو بنصيحة من الرائد بيــلي الذي وصل فجأة الى البحرين . وفي هذه الرسالة أعرب الشيخ عن أسفه لانه لم يبلغ بقيام حكم تركي مباشر في الأحساء ، ولأن رجلا ينتمي الى قبيلة معادية لأهل البحرين قد اتصل بناصر بن مبارك الذي اختاره مبعوثاً حمّله الرسائل وسمح له بالنزول إلى البحرين ، وطلب هذا الرجل ضرورة السماح له بمواصلة رحلته دون اعتراض من جانب أحد مثبتاً بذلك علاقته بالأتراك ، واخيراً .. فقد وجد ان الرجل الذي اختارته الحكومة التركية لحمل رسالتها كان يحمل أيضاً رسالة لشيخ في قطر ذكر فيها صراحة أن الباب العالي يود ان يضم اليه البحرين .

وانسحب الرائد بيــــــلي بعد ذلك إلى بوشهر وترك الميجور جرانت المساعد الأول للمقيم في البحرين يراقب الأحداث عن قرب ويواجه أية محاولة للاعتداء من جانب تركيا . ورد مدحت باشا على الخطاب فبذل كل جهده لتفنيذ الاعتراضات المرفوعة فيه ، وختم خطابه بطلب مبلغ «١٠ آلاف درهم من الفضة الخالصة» تعويضاً مشروعاً كدية الرجل القتيل على أن تدفع للشيخ جاسم قائمقام قطــر في الدوحة ، وحاول مدحت باشا في خطابه أيضاً الايهام بأنه مفوض باستخدام القوة في حالة الرفض . وفي نهاية يناير ١٨٧٢ رد شيخ البحرين وفق نصيحة الرائــد بيــــــلي على هـذا الطلب باقتراح تسوية الأمر عن طريق إرسال مندوبين . وهو إجراء كانت الحكومة

البريطانية على استعداد لقبوله بشرط عدم اللجوء إلى وسائل الضغط واستعراض القوة . لكن الأتراك من جانبهم لم يتقدموا خطوة أخرى .

طلب الاتراك تسليم قاربين ١٨٧١

وفي ديسمبر ١٨٧١ ، وقبل ان تنتهي حادثة صاحب الرسالة هذا نهائياً كتب القائمقام التركي في القطيف إلى شيخ البحرين يطلب -باسم المقيم في قطر- تسليم قاربين كان سعود أمير الوهابيين قد قدمهما لبعض أهل البحرين قبل وصول الأتراك الى الأحساء . وبعد عدة مراسلات كان القائمقام يتحدث فيها جميعاً بلهجة مليئة بالأمر والتعالي عرض الشيخ عيسى وفق نصيحة الرائد بيـــــــلي تسليم القاربين بحضور المسئولين البريطانيين لاي شخص يرسله والي بغداد لتسلمهما ، وكان الدافع وراء هذا الاقتراح أساساً هو الشك في شرعية المصدر الذي حصل منه سعود على هذه القوارب .

منع العدوان التركي ١٨٧١ — ١٨٧٢

ونضيف هنا أن مدحت باشا قد طلب إلى عدد من وجهاء تجار اللؤلؤ في القطيف قبل عودته إلى العراق بحث إمكانية تقديم التماس بضم البحرين الى تركيا يوقعه ٥٠ أو ٦٠ رجلا من كبار التجار وغيرهم من الوجهاء في الجزر ، وكشف هذا الاتجاه العام لأعماله عن نواياه أو على الأقل رغباته بالنسبة لجزر البحرين . وقد أدى الموقف الحازم الذي وقفته الحكومة البريطانية في هذا الصدد ووجود السفن الحربية البريطانية بشكل دائم في الخليج إلى منع أي تدخل فعلي من جانب الأتراك في المنطقة ، وثبت أن هذه الطريقة فعالة وذات نتائج حاسمة في منطقة الخليج كلها لصد المزاعم والاطماع التركية فيها .

وفي بداية سنة ١٨٧٢ ، تم الحصول على تأكيد من حكومة الباب العالي بعدم إحداث أي تغيير في سياستها بالمنطقة ، وانكرت أي أطماع

في امتداد سيطرتها على « القبائل العربية المستقلة » في الخليج ، ولكن أثناء معظم هذه السنة ، ظل مساعد المقيم السياسي البريطاني مقيماً في البحرين .

★ ★ ★

التاريخ العام للبحرين من ضم تركيا للاحساء حتى محاولة غزوها من البر ١٨٧١ ـ ١٨٩٥

أحداث شتى في البحرين ١٨٧١ :

وفي أغسطس سنة ١٨٧١ زار عبد العزيز ابن الامير سعود أمير الوهابيين السابق البحرين واستقبله الشيخ استقبالا حافلا . وفي أكتوبر سنة ١٨٧١ حدث سوء تفاهم بين الشيخ عيسى واثنين من أشقائه نتيجة زعم هذين بأن لهما الحق في نصف عوائد الإمارة لا ثلثها فقط ، ويبدو أن الشيخ آثر الرضوخ لهذا الطلب على ان يجد نفسه في وضع مزعزع في وقت اشتدت فيه حدة خلافاته مع الاتراك .

تهديدات بغزو البحرين ومشكلة الزبارة في قطر ١٨٧٤ :

ولم تقع حادثة تستحق الذكر من ذلك الحين حتى سنة ١٨٧٤ حين بدأت المخاوف في صيف هذه السنة من نزول قبائل قطر الى جزر البحرين . وكان هذا الخطر شيئاً مخيفاً ما دامت مدينتا المنامة والمحرق مفتوحتين ، وليس لدى الشيخ أية قوات مسلحة سوى عدد قليل من الحرس فلقد أهمل اتخاذ الاحتياطات الدفاعية الضرورية وأصبح يركن لحماية الحكومة البريطانية : ويبدو ان ناصر بن مبارك ـ الذي كان يعيش في الأحساء معتمداً على الأتراك ـ كان احد المسئولين عن هذه الحركة العدائية ، ويجب أن نذكر هنا أيضاً أن السلطات البريطانية رفضت طلباً قدمه ناصر لشيخ البحرين لاستعادة بعض ممتلكات أبيه في الجزر .

وفي اغسطس من نفس السنة تجمع حوالي ٣٠٠ أو ٤٠٠ رجل من

بني هاجر على ساحل قطر يقودهم أقارب ناصر بن مبارك ، وبذلوا جهداً كبيراً للحصول على قوارب للنزول كالقراصنة على جزر البحرين ، لكن الشيخ جاسم شيخ الدوحة لم يكن موفقاً في هذا العمل ، وقد أحبطه أيضاً وجود سفينتي البحرية الهندية «ماي فرير» و هيو روز » ، واخيراً استطاع هؤلاء الغزاة أن يحصلوا على عدة قوارب من الدوحة ونهبوا سفن البحرين التجارية لكن السفن البريطانية منعتهم من الاقتراب من الجزر .

وفي نفس الوقت وصلت سفن صاحبة الجلالة « نيمبل » ، و « مجباي » إلى خارج البحرين ، وتقرر إبقاء سفينة من البحرية الملكية في البحرين حتى ينتهي الخطر ، واقترحت حكومة الهند ايضاً على حكومة صاحبة الجلالة أن تطلب إلى الباب العالي أن يمارس سيطرته على القبائل المتمردة ما دامت تابعة لسيطرة تركيا . وحين صد بنو هاجر عن العمليات في البحر تحولوا إلى الزبارة على ساحل قطر وهي قرية وقلعة بني نعيم حلفاء شيخ البحرين ، لكن الحامية الصيفية الصغيرة التي كانت موجودة فيها استطاعت أن تصمد ببسالة للغزاة حتى لحقت بها نجدات من قبائلهم الذين عادوا فجأة وبأعداد كبيرة من البحرين وشواطىء اللؤلؤ وأوقعوا هزيمة قاسية بالمعتدين . وتردد وقتها أن براك بن عرير ـوهو من رجال القبائل وكان يحكم الأحساء كمتصرف تابع لتركياـ قد ساعد على إذكاء هذه الاضطرابات ، لكن الرائد روس المقيم السياسي في الخليج تلقىّ تعليمات بعدم الالتجاء الى اية سلطة تركية محلية بهذا الصدد ، وان يقصر جهده فقط على حماية مصالح البحرين ، والالتزام بتنفيذ تعهدات بريطانيا لها . ولعلّه نتيجة المساعي الديبلوماسية التي بذلت في القسطنطينية قام القارب التركي المسلح « اسكندرية » بزيارة لساحل قطر ليتحرى تلك الاضطرابات بين القبائل ، ولم يمض وقت طويل حتى عاد ناصر بن مبارك المرهوب الجانب فغادر الأحساء وظهر على ساحل قطـــــر ، ومنها كتب إلى الرائد روس

يلتمس منه الا تحرمه الحكومة البريطانية من الحصول على حقوقه المشروعة في البحرين ، لكنه أبلغ في الرد على طلبه بأن اية محاولة من جانبه للعدوان على البحرين سوف تقـــابها الحكومة البريطــــانية بمعارضة حاسمة . وحين وصلت الامور هذا الحد طلب شيخ البحرين من الرائد روس السماح له بتقديم التعزيزات لحلفائه بني نعيم في الزبارة ، الذين كانوا ـ كما يعتقد ـ في خطر عظيم ، ومنح له هذا الإذن بشرط أن يقتصر عمله على الإجراءات الدفاعية فقط . وصدوراً عن رأى حكومة الهند الذي تبنته سنة ١٨٧٣ (١) بأن شيخ البحرين لاحق له في السيادة على أي جزء من الأرض خارج الجزر ، وأن حقوقه هذه التي يزعمها أمر غير موكد ، ذكر الرائد روس في تقريره سنة ١٨٧٣ أن كل ساحل قطر قد وقع تحت النفوذ التركي ، وصدرت له التعليمات بأن يجبر شيخ البحرين على عدم التدخل في الأرض المجاورة لجزره نظراً للشك في طبيعة حقوق السيادة التي يزعمها . وأن يطلب منه عدم التدخل في هذه الارض ومشكلاتها ، وان يعتمد اعتماداً مطلقاً على حماية البحرية البريطانية .

العلاقات التالية لشيخ البحرين بالزبارة ١٨٧٥-١٨٧٧ :

وفي بداية سنة ١٨٧٥ كان القتال ما زال دائراً حول الزبارة بين أهلها من بني نعيم وبين بني هاجر لكن شيخ البحرين ابتعد عن هذا القتال حسب نصيحة السلطات البريطانية بقدر الإمكان . وقد أشرنا في تاريخ قطر الى زعمه بالسيادة على أرض قطر كلها واحتجاجه على تقييد السلطات البريطانية له . وفي أغسطس ١٨٧٥ وحين نمي إلى علم الشيخ أن بحارة من بني هاجر قد خرجوا إلى البحر لارتكاب عمليات

---

(١) في سنة ١٨٧١ طلبت حكومة بومباى من الرائد بيللى اعـــداد تقرير عن مشكلة السيادة على قـــطر ، لكن الرائد بيللى طلب السماح بارجاء هذا التقرير نظرا لاحتمال انسحاب الاتراك من الاحساء .

قرصنة، سمح له بارسال خمس سفن مسلحة يقودها شقيقه أحمد لكنها غادرت البحرين بحثاً عن القراصنة بعيداً وراء حدود مياهه الإقليمية، ومرة أخرى استنكرت حكومة الهند هذا العمل الذي يكاد يقرب من العدوان من جانب الشيخ . وفي خريف ١٨٧٧ تبين ان الشيخ كان ما زال على علاقات وثيقة ببني نعيم في الزبارة ، فكان يعينهم ، ويقدم لهم المساعدات ويسمح لهم بزيارة البحرين وقد جعل أكثر من مائة رجل منهم بين حرسه الخاص ، بل وسمح لهؤلاء الذين يعملون في خدمته بالعودة إلى الزبارة في حالة وقوع أي تهديد عليها ، ومرة أخرى القى بالامدادات والتعزيزات في الزبارة نفسها . ولم تكن كل هذه الامور خافية على أي حال ، وحين ذكرها الرائد روس في تقريره أشار إلى أن الشيخ لو سحب عونه عن بني نعيم فمن المحتمل أن ينضموا إلى بني هاجر . وقررت حكومة الهند أن تنتهي المسألة عند هذا الحد .

وخلال ١٨٧٥ و ١٨٧٦ ساد السلام والرخاء في البحرين ، وحدثت مجرد زيارات عديدة من جانب السفن الحربية البريطانية للبحرين كزيارة مساعد المقيم لها غير مرة واحدة على ظهر سفينة المقيمية ، وحدثت حادثة اغتيال سياسي او حادثتان .

أعمال غير مشروعة لسفن البحرين في البحر ١٨٧٨ :

وانعكست علاقة البحرين بالزبارة على سلوك رعايا البحرين في البحار وقد استقبل شيخ البحرين عيسى بن علي شيخ الزبارة وابنه استقبالا حافلا بعد انقضاء عدة أسابيع فقط على ارتكاب رعاياه حادثة قرصنة عنيفة على قارب في عرض البحر ، وحدث غير حادثة واحدة فيها مجال للشكوى . ففي ٢ سبتمبر ١٨٧٨ عبرت سفينتان تابعتان للبحرين تحملان ٥٠ رجلا مسلحاً كانتا في جولة حول هذه الجزر إلى ساحل الظهران ، وبعد عدة مناوشات مع البدو هناك استطاعت السفينتان الاستيلاء على أحد القوارب . ومرة أخرى في ٤ سبتمبر أرسل الشيخ

اسطولا من ثلاث سفن كي يراقب منطقة فشت الديبل ، لكنل بدل أن يتجه إلى هذه المنطقة سار إلى رأس ركن ، وأطلق نيرانه على سفينتين هناك رفضتا التوقف حين أصدرت اليهما الأوامر بذلك وجرح واحد من البحارة . وقد ثبت أن الذين وقعت عليهم الخسارة في هذه الحادثة الأخيرة من رعايا شيخ ابو ظبي ، وأرغم المقيم العام شيخ البحرين بالتالي على الاعتذار لشيخ أبو ظبي ودفع التعويض للرجل الجريح إلى جانب إيقاع العقاب برجاله المسئولين عن ارتكاب كلتا الحادثتين ، ويبدو أن هذه القوارب كانت تستخدم لحراسة البحار بين البحرين والإقليم الساحلي لقطر حيث يمكن للأخطار في أية لحظة أن تهدد البحرين إذا تجمعت حول منطقة الزبارة .

سقوط الزبارة ١٨٧٨ :

وفي نوفمبر ١٨٧٨ –وكما ذكرنا بالتفصيل في تاريخ قطر– دمرت مستعمرة بني نعيم في الزبارة تدميراً تاماً نتيجة تحالف ضدها بين بدو شيخ آل ثاني في الدوحة واللاجيء البحريني ناصر بن مبارك . ومرة أخرى ثبت أن مخاوف غزو البحرين لا تقوم على أساس . وخلال هذه الأزمة قامت السفن البريطانية بمراقبة دقيقة لأمن البحرين وسلامتها ، ووزعت قوارب الشيخ المسلحة في مواقع مختلفة حسب توجيهات السلطات البحرية البريطانية ، ولم يتجاوز إلا القليل منها ، كما سنذكر لاحقاً ، التعليمات الصادرة لها . واحتج شيخ البحرين الذي قطع على نفسه عهداً بتقديم العون لبني نعيم في الزبارة احتجاجاً عنيفاً على سياسة السلطات البريطانية بالوقوف بيدين مكتوفتين ، ولا شك في أن اختفاء منطقة الزبارة من ساحل قطر كان يعني تهديد البحرين بخطر الغزو من البر مباشرة ودون إنذار . أما بنو نعيم الذين أصبحوا بلا مأوى ، وكان عددهم يتجاوز ٣٠٠ نسمة فقد لجأوا إلى البحرين فيما بعد .

شيوع القرصنة واضطراب الامن عموماً في البحرين ١٨٧٨ - ١٨٧٩ :

وفي نفس الوقت ، وكما ذكرنا في تاريخ الأحساء ، تعددت حوادث القرصنة التي كان يرتكبها بنو هاجر في مياه البحار المجاورة للبحرين ، وفي نفس الوقت حدثت موجة من السرقات المسلحة والقتل ، وكانت أخطر عصابات البحرين من المجرمين هي التي يتزعمها رجل يدعى علي بن جابر القى القبض عليه في ما بعد . وبعد أن قطعت أيدي علي وأربعة من أعوانه كعقاب لهم ، استطاع هذا الفراز -قيل برضا شيخ البحرين- والتحق ببني هاجر . وفي ١١ فبراير ١٨٧٩ ، وبارشاد من علي بن جابر هذا خرجت عصابة من ثلاثين رجلا من بني هاجر من الظهران ، وأغاروا على عقارية على الساحل الغربي للجزيرة الكبرى وقتلوا مواطناً من البحرين .

إجراءات السلطات البريطانية في البر والبحر ١٨٧٨ - ١٨٧٩ :

أما الإجراءات التي اتخذتها الحكومة البريطانية لقمع القرصنة فهي مذكورة تفصيلا في مكانها الطبيعي وهو تاريخ الأحساء ، ونكتفي هنا بالإشارة إلى أن سفينتي صاحبة الجلالة « سبارتانتا » و «فليتشر » اتخذتا لهما قواعد في مياه البحرين زمناً ، وان هذه السفينة الأخيرة استطاعت أن تستعيد من القراصنة أربع سفن لمواطنين من البحرين ردتها السلطات البريطانية لاصحابها .

ولإعادة السلام في البر صدرت الأوامر للكابتن دوراند مساعد المقيم السياسي بالإقامة موقتاً في البحرين ومعه فرقة من المشاة الهنود ، وقد ظل مقيماً بها حتى إبريل ، وفي ذلك الوقت تحسن الموقف تحسنا كبيراً ، وقد درس الكابتن دوراند خلال إقامته في البحرين الاحوال المحيطة به وكتب عنها تقريراً هاماً ضافياً . ومن ١١ الى ١٨ مارس ١٨٧٩ كان الرائد روس المقيم السياسي موجوداً في البحرين ،

والتقى بالشيخ غير مرة ناقشه فيها موضوعات كثيرة . وأفصح الشيخ عيسى عن أمله في أن تسلم اليه السلطات التركية المجرم الفار على بن جابر الذي كانت هذه السلطات قد قبضت عليه وأرسلته إلى الهفوف ، وكذلك طالب بالإستيلاء على جزيرة زخنونيه التي أصبحت ملجـــــأ للقراصنة ، أو تركها غير مأهولة بالسكان ، وأن تطلب له السلطات البريطانية التعويضات عن الخسائر التي اوقعت برعايا البحرين على الساحل التركي وقد أشار إلى نيته إيقاع العقاب بالدواسر في البحرين الذين اتهمهم بالخيانة والتواطوء مع بني هاجر . وفيما يتعلق بجزيرة زخنونيه فقد أبلغ عن طريق المقيم العام بأن رغبته قد رفعت إلى السلطات التركية التي تتبعها الجزيرة. أما بالنسبة لاعتزامه إيقاع العقاب بالدواسر فقد نصحه المقيم بأن يفعل ما شاء بشرط ألا يحدث اضطرابات في البحرين . أما طلب تسليم المجرم علي بن جابر فقد رفع إلى والي البصرة ، وتمت أخيراً إجابته إليه . وفي ا كتوبر ١٨٧٩ هدأت الحالة هدوءاً سمح للشيخ عيسى بأن يسير إلى مكة للحج ، ولم يعد منها حتى يناير من العام التالي .

وفي ديسمبر ١٨٧٩ تضايق شيخ الدوحة لهجرة آل بوكواره من الدوحة إلى الفويرط ، ولما كان شيخ البحرين متهماً بتحريضهم فقد أصبح من الضروري تذكير الشيخ أحمد بن علي ، الحاكم المؤقت باسم أخيه أثناء غيابه ، بمنع بريطانيا تدخله في مشاكل البر .

استعدادات من جانب ناصر بن مبارك للهجوم على جزر البحرين ١٨٨٠ :

وفي صيف ١٨٨٠ انتشرت إشاعة بأن ناصر بن مبارك الخارج على القانون ، والذي أصبح الآن زعيم فرع آل عبدالله من الأسرة الحاكمة في البحرين ، سيحاول غزو جزر البحرين . ويجب أن نلاحظ أن ناصراً كان الآن قد تزوج بابنة الشيخ جاسم شيخ الدوحة في قطر ، الذي رحب بالزواج فرحاً بخلاصه من الاضطرار لعونه ، ولعله أمل في أن يستقل

عنه بنفسه في البحرين . كما يبدو أيضاً أن المسئولين الأتراك في الأحساء كانو مهتمين بما يعمله ناصر ، وكانت الحكومة التركية تدفع له راتباً قدره ٦٠ روبية كل شهر ، وكان نجاحه في حملته هذه يقدم لتركيا فرصة نادرة —لم تحدث من قبل— لإعادة سيادتها على البحرين .

ولم تحدث أية خطوة عملية حتى بداية ديسمبر سنة ١٨٨٠ حين ظهر حوالي ٦٠٠ رجل من بدو قبائل بني هاجر وآل مرة والمناصير في الرويس وأبو الظلوف ، وكانوا سيعبرون الخليج في قوارب سكان هذه المناطق لو لم يرفض هؤلاء ذلك . وفي نفس الوقت اتخذت ترتيبات ارسال سفينة حربية بريطانية إلى هذا المكان ، وسرعان ما قامت سفينة صاحبة الجلالة «بيكون» بزيارة لساحل قطر ، والسفينة «وودلارك» بزيارة البحرين .

عمل السلطات البريطانية ١٨٨١ :

وبعد هذه الأحداث ، كتب ناصر بن مبارك والشيخ جاسم شيخ الدوحة خطابات إلى المقيم البريطاني ، يلتمسان فيها السماح لناصر بالعودة إلى بيته وأملاكه في البحرين ، غير أن الرائد روس رد عليهما بأن وثيقة الملكية التي قدمها ناصر غير معترف بها ، وأن حكومة البحرين لا تسمح له بالحركة خارج حدود قطر . كذلك أصدرت الحكومة تعليمات فيما بعد للرائد روس لتحذير شيخ الدوحة ولفت نظره إلى أنه سيتحمل المسئولية كاملة إذا اشترك في أي عمل عدائي ضد البحرين ، وهي مسئولية كان الشيخ جاسم يخشى أن يجد نفسه قد تحملها كاملة . كذلك أصدرت التعليمات للمقيم البريطاني في بغداد لإبلاغ السلطات التركية هناك رسمياً بأنها اذا لم تتعهد بمنع وردع أي هجوم يقع علي البحرين من الجزء الساحلي الذي تزعم هذه السلطات السيادة عليه .. فان حكومة الهند ستجد نفسها مضطرة —من أجل حماية البحرين والمطالبة الضرورية بالتعويضات عن الأضرار الناجمة— لأن تتولى هي مسئولية الامر كله بين يديها .

الهدوء يسود الموقف بشكل عام .. وأمور أخرى ١٨٨١–١٨٨٨ :

وبعد هذه الأحداث عاد الموقف إلى الهدوء ، ونشأت حالة من فقدان الثقة بين شيوخ الدوحة وشيوخ البحرين نتيجة ما تردد من أن شيوخ الدوحة ينتوون تقديم المساعدات لإقامة آل نعيم من الزبارة في الفويرط ، لكن هذه الشكوك والمخاوف تبددت في ديسمبر سنة ١٨٨١ خلال لقاء ودي تم في قطر(١) بين الشيخ جاسم وأحمد بن علي شقيق الشيخ عيسى ، بل إن أحمد بن علي تزوج بابنة ناصر بن مبارك .. غير أن هذا الزواج لم تكن له أية دلالة سياسية .

وفي نفس السنة حدث نوع من السخط من جانب أبناء الشيخ السابق محمد بن خليفة الكثيرين ، فغادروا البحرين إلى قطر ، ولكن المساعي الحميدة من جانب المقيم البريطاني استطاعت عقد الصلح وإقناعهم بالعودة إلى البحرين .

١٨٨٢ :

وفي سنة ١٨٨٢ حج أحمد بن علي –شقيق الشيخ عيسى– للمرة الثانية إلى مكة .. وزار المقيم العام البريطاني البحرين غير مرة واحدة .

١٨٨٣ :

وظل الهدوء في الداخل سائداً خلال سنة ١٨٨٣ ، لكن بعض الاعتداءات قد حدثت في البحر –ربما من سكان ساحل الأحساء– لأن الشيخ عيسى طلب حين قام بزيارة لبوشهر على ظهر سفينة صاحبة الجلالة «وود لارك» الإذن له بالقيام بتأديب القراصنة في الأرض المجاورة . ورد المقيم بايضاح الأسباب التي تجعل إجابة مثل ذلك المطلب أمراً مستحيلا .. وحدث نوع من السخط بين سادة الحد الذين هددوا

---

(١) انظر تاريخ قطر .. ويبدو أن أحمد بن علي نجح في أن الشيخ جاسم يعامله معاملة الصغير للكبير .

في وقت ما بالهجرة إلى جزيرة تاروت ، لكنهم لم يفعلوا . وقد قام شقيق لأمير الكويت بزيارة البحرين في هذه السنة ، واستقبل استقبالا كريما .

١٨٨٤ :

وفي سنة ١٨٨٤ أصبح من الجلي أن البحرين تمر بمرحلة تزايد في الثروة والرخاء نتيجة عدة سنوات متواصلة لم يتهدد فيها السلم ، وعلى حين ظل بنو نعيم على موقفهم من حكومة البحرين .. فقد كانت الهدايا تُتَبادل بين الشيخ عيسى والشيخ جاسم . ورفض المقيم البريطاني التماساً قدمه ناصر بن مبارك لاستعادة أملاكه من النخيل في البحرين . وقام أحمد شقيق شيخ البحرين بزيارة البصرة في سبتمبر من نفس السنة .

وقام محمد بن سعود –أحد أفراد الأسرة الوهابية الحاكمة– بزيارة للبحرين سنة ١٨٨٦ ورجع إلى البر محملا بالهدايا . وفي نفس السنة أيضاً قام عبدالله بن سعود –من نفس العائلة– بزيارة أخرى . ووصلت إلى شيخ البحرين هدايا من الحاكم الإيراني في لار ، لكنها ردت إلى مرسلها. وظل بنو نعيم في قطر على صداقتهم ، غير أن هذه الصداقة كانت تُشترى بتضحية جانب كبير من العوائد العامة للبحرين لم يكن هناك ما يقابلها من هذه القبيلة .

١٨٨٧ :

وبمناسبة يوبيل صاحبه الجلالة الملكة فيكتوريا في سنة ١٨٨٧ –ونتيجة وساطة الباب العالي أيضاً– أطلقت السلطات البريطانية سراح شيخ البحرين السابق محمد بن خليفة من سجنه في عدن شريطة أن يقيم بصفة دائمة في مكة أو المدينة . ونضيف هنا أيضاً أنه تقدم في سنة ١٨٨٩ يطلب الترخيص له بالرجوع إلى البحرين –ولم يوافق على هذا الطلب– أو زيادة دخله ، وقد رفض هذا ايضاً لأنه كان يتلقى معونات مالية من الحكومة التركية . ومات محمد بن خليفة في مكة سنة ١٨٩٠ .

١٨٨٨ :

وفي سنة ١٨٨٨ عمد الشيخ جاسم في الدوحة ربما نتيجة المشاكل التي يواجهها مع بني ياس في عمان المتصالحة ، وكمحاولة لضمان مصالح أمواله التي يستثمرها دائماً في البحرين ــ عمد إلى كسب مودة حاكم البحرين ، فأرسل اليه وفداً على رأسه ابنه عبدالله .. وتم الوصول إلى صلح وعلاقة ودية في اتفاقيةٍ ذات نصوص غامضة .

موت احمد بن علي ١٨٨٨ :

ومات أحمد بن علي ــ شقيق الشيخ عيسى ــ بالجدري في أكتوبر سنة ١٨٨٨ ، وضعف مركز الشيخ الحاكم كثيراً بعد هذا الحدث ، لأنه كان قد اعتاد الاعتماد على نصح أحمد وعونه في كل أمر من اموره ولأنه كان في ذلك الوقت يفتقد السرعة ، والحسم في الأمور على حين كان أحمد ــ رغم انشغاله باللذائذ والرياضة ــ على جانب من القدرة وقوة الشكيمة ، وكان موضع خشية أيضاً نتيجة حسمه وصلابته . وتقاعد في نفس السنة أيضاً عبد الوهاب ــ قريب الشيخ الحاكم ووزيره ــ لتقدمه في السن وخلفه في البداية ابنه عبدالرحمن الذي كان من رعايا تركيا ، وكان بيته في دارين بجزيرة تاروت . وبعد موت أحمد بدأت قبائل كثيرة في أرض قطر والأحساء تضايق البحرين ــ بتحريض من ناصر بن مبارك ــ مستفيدة من مخاوف الشيخ عيسى ، فكانت تستولي منه على الهدايا في مقابل الامتناع عن ناصر بن مبارك ، بل استطاع عدد من هؤلاء الزوار غير المرغوب فيهم الحصول على تراخيص بالمرور إلى البحرين .. من شيخ سيهات أو من الشيخ عبد الوهاب الوزير السابق ، ليقيموا بها حتى يستطيع مضيفهم تدبير اموره . وبعد موت الشيخ أحمد ، استرد الشيخ عيسى نصيبه من عوائد البحرين ــ وكانت تبلغ نصف عوائد

الإمارة كلها– في مقابل تخصيص مبالغ شهرية لأولاده الكثيرين .. وسينجم عن هذا العمل بعض المشاكل كما سنرى لاحقاً .

١٨٨٩ :

وفي سنة ١٨٨٩ حدثت هجرة عدد كبير من بني نعيم وبني السلطة من قطر إلى جرر البحرين .

١٨٩١ :

وبعد معركة بريده التي حدثت سنة ١٨٩١ وانتصر فيها ابن رشيد على عبدالرحمن أمير الوهابيين في نجد ، لجأ هذا الاخير موقتاً إلى البحرين

١٨٩٢ :

وفي ١٨٩٢ كان ثمة خوف من حدوث غزو للبحرين من قبل الشيخ جاسم في الدوحة وناصر بن مبارك من قطر ، فقيل إنهما هناك يجمعان الرجال ويتخذان الترتيبات للغزو .. وبلغ هذا الفزع حداً جعل رعايا الهند البريطانية المقيمين في البحرين ينقلون أمتعتهم وممتلكاتهم الثمينة إلى ظهور القوارب في ميناء المنامة ، وكتب المقيم البريطاني خطابات تحذير إلى زعماء هذه الحركة ، وتم الحصول على وعد من الوالي التركي في البصرة بأن يأمر أنصاره في الأحساء بمنع هذا الغزو المرتقب .. لكن أخيراً .. عاد ناصر بن مبارك بهدوء من قطر إلى الأحساء وكان في ذلك الوقت منهمكاً في البحث عن مقر ثابت تستطيع قبيلة بني هاجر أن تقيم به ، ويبدو أن زيارته اللاحقة للكويت كانت ذات صلة بهذا الهدف .

١٨٩٤ :

وفي سنة ١٨٩٤ أصاب الجدري الشيخ عيسى لكنه شفي منه في شهر يونيو من نفس السنة . وفي اكتوبر انتشرت شائعات جديدة عن اعتزام ناصر بن مبارك النزول إلى جزر البحزين ، وأرسل المقيم البريطاني خطاب تحذير إلى الشيخ جاسم شيخ الدوحة ، وكان من المعتقد به أن ناصراً –دون مساعدة الشيخ جاسم– لا يستطيع أن يحقق شيئاً .

علاقات تركيا بالبحرين خلال نفس الفترة
١٨٧١ ـ ١٨٩٥

تكشف لنا مراجعة تاريخ إمارة البحرين ـ بشكل عام ـ عن تلهف تركيا لتحقيق سيطرتها على البحرين ، لكن ثمة دلائل للسياسة التركية لم نشر اليها بعد . ولما كانت البحرين هي في حقيقة الأمر ميناء الأحساء على المحيط ، وكانت أيضاً مأوى لكل هؤلاء اللاجئين من الساحل التركي .. فلا شك في أن بقاءها مستقلة كان امراً لا تستريح اليه السلطات العثمانية . ولم يكن بوسع الأتراك إلا السخط على وسائلهم في حكم أرض الأحساء ، ومن هنا فانهم كانوا يتصورون أن استيلاءهم على هذه الإمارة الغنية السهلة سينهي مشاكلهم في المنطقة تماماً . واذا أمكن التحكم في شئونها بشكل غير مباشر فسرعان ما تصبح ملكاً للباب العالي .

شكاوى الباب العالي من أعمال بريطانيا في البحرين ١٨٧٢ ـ ١٨٧٣ :

وفي يوليو ١٨٧٢ شكا الباب العالي ـ عن طريق سفيره في لندن ـ من أعمال تفصح عن مظاهر السيادة البريطانية مؤخراً على البحرين ، لاسيما نزول جماعة من ٢٠ جندياً بريطانياً إلى البر هناك ، لكن التحقيق أثبت أن هذه الاتهامات بلا أساس ـ إلا اذا كانت تشير الى هؤلاء الجنود الذين كانوا يقيسون الشاطىء في عملية مسح بحرية للمنطقة ـ وأبلغت الحكومة التركية رسمياً بذلك . وفي سنة ١٨٧٣ زعمت السلطات التركية زعماً لا يصدق ، وهو أن السلطات البريطانية قد أغرقت قارباً تابعاً للبحرين لأنه كان يمد الباخرة التركية « آشور » بالمياه . وثبت من التحقيق ان هذه الحكاية كلها خيالية ولا أساس لها .

اقامة أمير الوهابيين في البحرين قبل أن يقوم بغزو الاحساء ١٨٧٤ :

.. وعندما اشتكى الاتراك زاعمين أن غزو الأمير الوهابي عبدالرحمن ابن سعود للأحساء ـ المذكور في تاريخ هذا الإقليم ـ قد تم من البحرين ،

قامت السلطات البريطانية بتحقيق مفصل وجاد بهذا الصدد ، وثبت أن سلوك عبدالرحمن –خلال إقامته التي استمرت شهرين تقريباً في البحرين– كان نظيفاً لا غبار عليه ، وان شيخ البحرين لم يقدم اليه أي عون سوى ما تمليه عليه الضيافة وهدية تبلغ ٢٠٠ روبية عند رحيله . ولم تكن تصحبه أية قوات عسكرية في البحرين رغم أن ٥٠ رجلا قد صحبوه من البحرين إلى ساحل الأحساء أثناء عودته في قارب لهم . ويبدو ان والي بغداد طلب التصريح له من الباب العالي بأن يسير إلى البحرين لتأديب شيخها نتيجة مساهمته في الحملة الوهابية على الأحساء .. ولكن لم يؤذن له ، وفي نفس الوقت أيضاً –وكاجراء احتياطي– ارسلت سفن حربية بريطانية لتوفير الحماية لجزر البحرين .

تحصينات بريطانية مزعومة واقتراح من تركيا باقامة فنار في المنامة ١٨٧٥ :

وعاد الباب العالي في سنة ١٨٧٥ يشكو للسفير البريطاني في القسطنطينية من أن السلطات البريطانية قد أقامت تحصينات واستحكامات في المنامة ، وأنها تستخدمها كملجأ للأتراك الهاربين من ساحل الأحساء . ومرة أخرى أثبت التحري خطل قناعات المسئولين الأتراك حيث تبين في النهاية أن شيخ البحرين قد قام –في مايو أو يونيو سنة ١٨٧٥– باصلاح وترميم قلعة المنامة ، ولكن لم يكن بهذا العمل كله مسئول أو عامل بريطاني واحد على الإطلاق .

وبعدها مباشرة أصبح من المعروف عن طريق البعثة الديبلوماسية البريطانية في طهران أن الأتراك أنفسهم يفكرون في إقامة فنار في ميناء المنامة ، وقدمت الحكومة البريطانية احتجاجاً أدى إلى إيقاف هذا المشروع إيقافاً تاماً .

والي البصرة يرفع إلى شيخ البحرين مطالب تاجرين من قطر ١٨٧٥ :

وفي نفس السنة رفع ناصر باشا والي البصرة إلى شيخ البحرين مطالب تاجرين من تجار اللؤلؤ في قطر بطريقة يفهم منها أن هدفه الاول

لم يكن المطالبة لهذين التاجرين القطريين بحقوقهما بقدر ما كان يهدف إلى إثارة مشكلةسياسية . ولهذا نصح المقيم البريطاني شيخ البحرين بموجب أوامر من حكومة الهند بأن ينظر في هذه المطالب بكل إنصاف ممكن ، وفي نفس الوقت وجه احتجاج للباب العالي عن طريق السفير البريطاني في القسطنطينية .

اقتراح الاتراك انشاء مستودع فحم في البحرين وزيارة سفنهم لها ١٨٧٩ ـ ١٨٨٠ :

وفي يونيو ١٨٧٩ ترددت الشائعات عن اعتزام الأتراك إقامة مستودع فحم لهم بالبحرين يتحول تدريجياً إلى معتمدية سياسية ، ولكن ـ اذا كانت هذه الشائعات دالّة على حقيقة ما ـ فقد أحبط هذا المشروع بعقد اتفاقية بين شيخ البحرين والحكومة البريطانية في العام التالي . وفي نوفمبر سنة ١٨٨٠ زار اسطول تركي البحرين وقيل ان قائد الاسطول أكد أن البحرين إقليم تابع لتركيا .

الحكومة التركية تتبنى تمرد سنة ١٨٧٩ ـ ١٨٨٠ :

وكان ناصر بن مبارك وأنصاره قدموا التماساً إلى الصدر الأعظم في تركيا ـ في إبريل سنة ١٨٧٩ ـ ضد تدخل السلطات البريطانية في البحرين التي اشاروا اليها في خطابهم على أنها «من املاك تركيا» واشتكوا ضد طردهم من البحرين كما طلبوا في التماسهم هذا إطلاق سراح محمد بن خليفة وأحد رفاقه ، وأن يسمح لهم ـ لناصر ورفاقه ـ بالعودة للبحرين واسترداد ممتلكاتهم فيها . وتولى الوزير هذه القضية كشيء جديد تماماً .. وكشاهد واضح الدلالة على تدخل بريطانيا العظمى وسيطرتها على شئون البحرين ، وكدليل على أن ثمة محاولة قد حدثت ـ رغم الوعود القديمة ـ من قبل بريطانيا لتأكيد سيادتها على البحرين . وردت الحكومة البريطانية بدفع هذا الزعم عن ممارستها سيادة على البحرين ، وقالت انها ستتولى التحقيق في الأعمال العدائية التي وردت

في ذلك الالتماس كشيء مستقل تمام الاستقلال عن القضية الأولى .
وكانت نتيجة التحقيق الذي تولته حكومة الهند هي القول بأن الالتماس المذكور يتعلق فقط بعقاب زعماء تمرد سنة ١٨٦٩ .

تسليم المجرمين والمدنيين الفارين بين الاحساء والبحرين ١٨٧٩-١٨٨٠

وفي ١٨٧٩ و ١٨٨٠ حدثت عدة حالات طلبت فيها السلطات التركية من شيخ البحرين تسليمها بعض المجرمين والمدنيين الذين هربوا من الأرض التركية إلى الجزر ، ومرة طلبت تسليمها رجلا يدعى عبدالله لارتكابه جريمة قتل .، وتم تسليمه لها بالفعل . أما المشكلة الأكثر صعوبة المتمثلة في هؤلاء المدنيين الهاربين من الأحساء إلى البحرين فقد رفعها المقيم البريطاني إلى حكومة الهند وجاء ردها بعدم تشجيع شيخ البحرين على التراسل مباشرة مع الأتراك ، وبأن يعد المقيم قائمة بمطالب البحرين ، وموقف السلطات التركية منها ، ويرفعها إلى حكومة الهند .
وكانت هذه الحكومة ترى أن طلب السلطات التركية من شيخ البحرين تسليمها المجرمين والمدنيين لا يهدد استقلال شيخ البحرين بل هو اعتراف باستقلاله .

احتجاج تركيا على احتجاز أملاك الشيخ جاسم في البحرين :

وفي أغسطس ١٨٨٧ -وبناء على طلب من المقيم السياسي البريطاني- فرض شيخ البحرين حظراً على كمية من اللؤلؤ وغيرها تتجاوز قيمتها ٢٢ ألف روبية للشيخ جاسم شيخ الدوحة كانت آنذاك في البحرين . وقد اتخذ هؤلاء هذا الإجراء لإرغام الشيخ جاسم على دفع تعويض عن أضرار لحقت بالرعايا البريطانيين كما هو مذكور في تاريخ قطر . وكانت نتيجة هذا العمل ، فيما يتعلق بالبحرين ، تقدم احتجاج من الباب العالي لسفير بريطانيا في القسطنطينية أثار لدى الحكومة البريطانية من جديد مشكلة تحديد الوضع السياسي للبحرين .

وصدرت أخيراً لسفير بريطانيا في القسطنطينية تعليمات مفادها أن الحكومة البريطانية لا تستطيع الاعتراف بأية حقوق سيادة تركية على

شيخ البحرين الذي تعتبره ــ كما أوضحت مراراً من قبل ــ حاكماً مستقلا. والذي ترتبط الحكومة البريطانية به بمعاهدات واتفاقيات .

انذار للباب العالي ضد انزال قوات تركية في البحرين ١٨٨٨ :

وبعدها بأشهر قليلة ــ ونتيجة مخطط ضد البحرين سنذكره لاحقاً حين نتحدث عن علاقة إيران بالبحرين ــ طلب السفير البريطاني في القسطنطينية من كبير وزراء السلطان إصدار أوامر صريحة للمسئولين الأتراك في منطقة الخليج بتجنب أي تدخل في شئون البحرين ، وأبلغه أيضاً أن السفينة الحربية البريطانية الموجودة هناك قد صدرت لها الأوامر بمنع أي نزول على جزر البحرين سواء كان من جانب العرب أو الإيرانيين أو الأتراك ، ورد الوزير بأنه لم تكن هناك أية نية من جانب الأتراك لانزال قوات على الجزر ، بل إنه لم يؤكد سيطرة تركيا أو سيادتها على البحرين ، غير ان من المؤكد أن وزير الخارجية التركية كان يرى الامور بشكل آخر .. وعلى أية حال فقد أثبتت الأحداث التالية أن الأتراك لم يتخلوا عن مزاعمهم في السيادة على البحرين .

كتابات مهينة من السلطات التركية لشيخ البحرين ١٨٨٨ :

وفي سنة ١٨٨٨ حدثت مضايقات كثيرة نتيجة الاسلوب الذي كانت تنهجه السلطات التركية في الأحساء في مخاطبة شيخ البحرين ضمن خطاباتها الرسمية فقد كانت تكتب اليه كما لو كان موظفاً خاضعاً لها . وكان العنوان الذي يذكر دائماً على هذه الخطابات هو : « إلى حاكم جزيرة « أوال » وتفسير هذا السخف هو أن والي البصرة قد اكتشف أن كلمة «البحرين» كانت تطلق في العصور القديمة على جزء من الارض المواجهة للجزر أيضاً ، فأمر ببعث الاستخدام القديم لكلمة « البحرين» وأن تميز الجزر بتسميتها باسمها القديم « أوال » .. ولا شك في أنه كان يعتقد أن قضية إدعاء تركيا السيادة على البحرين يمكنها أن تقوم عن هذا الطريق .

**مطالبة السلطات التركية بتسليم رجل هارب من دفع العوائد ...
١٨٩٠ – ١٨٩١ :**

وفي أغسطس ١٨٩٠ وصل الى حاكم البحرين خطاب وقح من قائمقام القطيف ورجل آخر يدعى السيد مصطفى يطلبان اليه تسليم الشيخ عبدالرحيم شيخ سيهات الذي زعما أنه رفض دفع العوائد المستحقة عليه للحكومة التركية . وأبلغ الشيخ عيسى وكيل القائمقام أن الشيخ عبدالرحيم ليس موجوداً بالبحرين ، وحاولت جماعة من القطيف أسر أقارب الشيخ عبدالرحيم لكنها فشلت نتيجة جهود معاكسة من خدم شيخ البحرين .

ولما كان الشيخ عيسى قد استطاع –برغم هذا السلوك العدائي من جانب زواره – أن يحافظ على هيبته ، فقد وجد الرائد روس ألا ضرورة للقيام بأي عمل من ناحيته ، لكنه أكد لشيخ البحرين وقوفه إلى جانبه وتقديم كل العون له إذا هدد سلطته مهدد . وفي يونيو ١٨٩١ طلب متصرف الأحساء –في خطاب مهذب إلى شيخ البحرين– تسليم ٢٨ شخصاً قيل إنهم هاربون من دفع الضرائب ، ورفع الشيخ عيسى الأمر إلى المقيم البريطاني . ولكن لا يبدو أنه قد تم اتخاذ قرار نهائي بشأنه .

اعلان سيادة تركيا على البحرين في القطيف ، وفرض العلم التركي على أصحاب القوارب في البحرين بالقوة ١٨٩٣ :

وفي ديسمبر سنة ١٨٩٢ –وكان والي البصرة آنذاك في جولة بالأحساء– وصلت معلومات إلى مساعد المعتمد البريطاني في البصرة بأن الأوامر قد صدرت من الباب العالي لوالي البصرة بمعاملة البحرين على أنها إقليم تابع لتركيا ، وأبلغ المقيم السياسي البريطاني في الخليج الضابط البحري الأول في أسطول الخليج بأنه يستطيع اتخاذ أي عمل يراه ضرورياً لمنع نزول قوات تركية إلى البحرين ، ولم تكن حكومة الهند فقط هي التي وافقت على هذه الخطوة ، بل وافقت عليها أيضاً حكومة

صاحبة الجلالة التي أبلغت الباب العالي بهذا القرار . ومن المحتمل أنه كان بالفعل ثمة تخطيط تم وضعه ضد البحرين لانه في الاسبوع الأول من يناير سنة ١٨٩٣ أعلن في القطيف — بأمر من القائمقام — أن البحرين وعمان قد تمردتا على السيادة التركية ، وفرضت الأعلام التركية بالقوة على واحد او اثنين من أصحاب القوارب البحرينية في القطيف . وفي ٢٠ أغسطس سنة ١٨٩٣ علقت نشرة رسمية في أسواق ومقاهي القطيف جاء فيها تصريح القائمقام بأن الحكومة البريطانية لا علاقة لها بالبحرين التي هي جزء من الامبراطورية التركية ، وستعامل —من الآن فصاعداً— على هذا الأساس . وقدمت الاحتجاجات الديبلوماسية إلى الباب العالي ، واخيراً في ديسمبر سنة ١٨٩٣ اعترفت الحكومة التركية بأنها قد أصدرت أوامرها بسحب هذه النشرة الوقحة ، كما أصدرت تعليماتها أيضاً لممثليها بعدم الدخول في خلافات مع ممثل الحكومة البريطانية حول وضع البحرين .

الحكومة البريطانية تمنع نقل القوات التركية في مياه البحرين ١٨٩٣ :

وفي مارس ١٨٩٣ ، منع الملازم بيفيل مساعد المعتمد السياسي في البصرة إرسال قارب يحمل ثلاثين جندياً تركياً إلى الأحساء عن طريق البحرين .. كما حذر المسئولين المحليين عن شركة الهند البريطانية للملاحة البخارية من قبول هؤلاء على بواخر الشركة كمسافرين . وأقرت حكومة الهند هذا العمل ، وأبلغت الباب العالي بعد ذلك —عن طريق السفير البريطاني في القسطنطينية— بأن الحكومة البريطانية لا تستطيع السماح بانتقال القوات التركية في مياه البحرين .

الوضع السياسي لرعايا البحرين في الارض التركية ١٨٩٠—١٨٩٤ :

وبرزت مشكلة خلال هذه الفترة تستحق إشارة خاصة ، وهي الوضع السياسي لرعايا البحرين الذين يسافرون إلى أو يستقرون في الامبراطورية العثمانية . وقد نوقشت هذه المشكلة للمرة الأولى في سنة

١٨٩٠ في تقرير للملازم ستراتون مساعد المعتمد السياسي البريطاني في البصرة ، وجاء في التقرير أن السلطات التركية تبذل جهدها لإرغام مواطني البحرين المستقرين في البصرة وفي ابو الخصيب على شط العرب على أداء الخدمة العسكرية بزعم أنهم رعايا أتراك ينطبق عليهم ما ينطبق على باقي الرعايا . ولما لم يكن واضحاً أن الشكاية من هذا الأمر تهم البحرين ، ولأن شيخها لم يطلب التدخل من جانب بريطانيا فقد اعتبرت حكومة الهند أن هذا الموضوع ليس بحاجة إلى أي عمل من جانبها .

وفي ١٨٩٢ أثيرت القضية مرة أخرى نتيجة ضريبة خاصة تستوفى من رعايا تركيا فقط — تم فرضها على رعايا البحرين ، وقدم مساعد المعتمد البريطاني في البصرة طلباً للسلطات التركية برفع هذه الضريبة على أساس أن البحرين ورعاياها تحت الحماية البريطانية . وهنا أبلغت الحكومة التركية السفير البريطاني في القسطنطينية بأنها لا تعترف بأن رعايا البحرين تحت الحماية البريطانية . وجاء في الرد البريطاني أن البحرين قد أصبحت الآن تحت حماية صاحبة الجلالة ملكة انجلترا ، ولن تسمح الحكومة البريطانية بالتالي للسلطات التركية بأي تدخل في شئون أهل البحرين . وبعدها بسنة تقريباً . في إبريل ١٨٩٣ احتجت الحكومة التركية من جديد على ما أعلنه مساعد المقيم البريطاني من زعم بريطانيا حماية رعايا البحرين ، ومرة أخرى أصدرت حكومة صاحبة الجلالة أوامرها لبعثاتها القنصلية والديبلوماسية في ارجاء الامبراطورية العثمانية ببسط حمايتهم على رعايا البحرين .

وفي نفس الوقت ، في يناير ١٨٩٣ ، ذهب وفد ممثل لرعايا البحرين المقيمين في البصرة ليقابل المسئول البريطاني ويطلب منه الحماية ، ورد عليهم المسئول بأن هذه الحماية تفرض عليهم بشرط واحد هو أن يحصلوا على شهادات من الشيخ عيسى شيخ البحرين بانتمائهم اليها ،

واتخذت الترتيبات —بناء على ذلك— في سنة ١٨٩٤ باصدار شهادات جنسية منتظمة من شيخ البحرين للعاملين على القوارب والسفن وغيرهم من رعاياه الذين يسافرون إلى البصرة .

وفي ١٨٩٥ وقعت حادثة كانت محكاً لهذه الإجراءات . فقد حدثت عملية سرقة بالإكراه من بعض رعايا البحرين على ظهر سفينة كانت مبحرة في شط العرب على بعد عدة أميال أسفل البصرة ، وفيها أرغم قراصنة النهر ركاب السفينة وبحارتها على تسليمهم كل ما يملكون من أشياء ثمينة ، وقدرت الخسائر بمبلغ ضخم .

وقدم الكابتن هوايت مساعد المعتمد السياسي البريطاني في البصرة مباشرة طلباً للتعويض من الوالي لكن الوالي رفض الإجابة على أساس أن الباب العالي لا يعترف بحق بريطانيا في حماية رعايا البحرين ، وطلب السفير البريطاني في القسطنطينية —حين أبلغه الكابتن هوايت بهذه الحادثة— من الحكومة التركية ضرورة اعترافها بتدخل السلطات البريطانية في هذه القضية وسواها من القضايا المشابهة .. لكن الحكومة التركية ، ورغم استمرار مناقشة هذا الامر حتى سنة ١٨٩٦ ، لم تتراجع قيد أنملة عن موقفها ، وبالتالي لم تكن هناك ثمة تعويضات عن هذه القرصنة .

★ ★ ★

علاقات ايران بالبحرين خلال نفس الفترة
١٨٧١ ـ ١٨٩٥

ظلت حكومة إيران —على الرغم من تعاظم النفوذ البريطاني في البحرين ، والامتيازات التي حصلت عليها تركيا في سيادتها على السواحل المجاورة للأحساء — ظلت على حسدها ومزاعمها البالية بالسيادة على البحرين . ففي مايو ١٨٧١ — وقت كان الاحتلال التركي يتدعم في

الأحساء ــ طلب الشاه عن طريق الوزير البريطاني المفوض في طهران معلومات عن احتمال التقدم من جانب الأتراك إلى البحرين .. وأبلغ رداً على تساؤله بأن الباب العالي يؤكد أنه لن يبذل أية محاولة بالنسبة لجزر البحرين .

وفي سبتمبر سنة ١٨٨٦ عمد الشاه ــ وقد انتابته رغبة غير مفهومة في تأكيد سيطرته على البحرين ــ إلى إبلاغ المستر نيكلسون الوزير البريطاني المفوض في طهران شفوياً برغبته في أن ينقل رسالة منه بهذا الصدد إلى الحكومة البريطانية . وكان يهدف إلى أن تعتبر الحكومة البريطانية اتصاله بها في سنة ١٨٦٩ مساوياً للاعتراف بحقوقه في السيادة على البحرين ، وكان متلهفاً على إقامة سلطته هناك إما بتعيين حاكم للبحرين ، أو الاعتراف بشيخها الحالي ممثلا له ، لكنه ايضاً أفصح عن رغبته في أن تظل السياسة البحرية في المنطقة بين يدي السلطات البريطانية. وأعدت حكومة صاحبة الجلالة رداً جاء فيه أنها لا تستطيع أن تجد في الاتصال الذي قام به سنة ١٨٦٩ مثل هذا التفسير ، بل إنها على العكس تعتبره اعترافاً منه باستقلال البحرين ، وأن على حكومة إيران الاستمرار في الالتزام بمعاهداتها تجاه البحرين . ولأن الشاه لم يعد إلى هذا الموضوع مرة أخرى ، فلم يسلمه المستر نيكلسون هذا الرد من الحكومة البريطانية . وأرجعت هذه القضية كلها عندئذ إلى إيحاء لإيران من قبل روسيا .

دسائس ايران فيما يتعلق بالبحرين وموقف السلطات البريطانية ١٨٨٧ ــ ١٨٨٨ :

وفي سنة ١٨٨٧ ــ ونتيجة الخسائر التي لحقت بمجموعة من رعايا إيران في الاضطرابات التي وقعت في الدوحة بقطر ــ سأل الشاه القائم بالأعمال البريطاني في طهران عما إذا كان بوسع السلطات البريطانية تقديم أية معونة في سبيل الحصول على تعويض عن تلك الخسائر . وأجيب صاحب الجلالة على ذلك بأن البريطانيين مستعدون لتقديم

وساطتهم في هذا الصدد بعد أن تجاب مطالب رعاياهم هم أولا في التعويضات المستحقة لهم . وفي العام التالي – وبسبب هذا الأمر نفسه من ناحية ، ونتيجة خطة عامة لتوسع النفوذ الإيراني في منطقة الخليج من ناحية أخرى– تبنت الحكومة الايرانية خط عمل آخر مختلفاً وسرياً إلى حد كبير ، وكان من المعتقد أن هذا العمل كان بتحريض من روسيا . وكان الوكلاء الرئيسيون لتنفيذ هذا المخطط هم مالك آل توجار حاكم موانى الخليج وحاجي حمد خان أحد أفراد الجيش الإيراني وكانت البحرين –وكذلك قطر وعمان المتصالحة– ضمن هذا المخطط . لكن أعمال هذه البعثات كانت مقصورة على قطر وعمان المتصالحة وهذا مذكور بالتفصيل في تاريخ هذا الإقليم ..وتبين بعد ذلك –عن طريق إفشاء مالك آل توجار للسر وعزله عن منصبه من جانب الحكومة الإيرانية ومن خلال البرقيات الإيرانية الرسمية التي أمكن الحصول على نسخ منها في طهران – ان أمين السلطان قد وافق على مخطط وضعه حاجي أحمد خان للاستيلاء على البحرين بواسطة الشيخ جاسم شيخ الدوحة الذي تعهد فيما يبدو بأن يضع مخطط إيران موضع التنفيذ . وفي هذه المؤامرات كان واضحاً وجود نوع من التناسق بين خطط إيران وتركيا بهذا الصدد ولكن لم يكن من المعتقد بوجود أي نوع من من التعاون الجدي بين الحكومتين اللتين لا بد ان تتعارض مصالحهما على الساحل العربي .

وفي فبراير ۱۸۸۸ ، حين كان يظن أن البحرين في خطر نتيجة هذا التآمر أمر الرائد روس المقيم السياسي بأن تقوم سفينتان حربيتان بريطانيتان بالرسو على مقربة من شاطىء البحرين وأصدر اليهما التعليمات بأن يصد –بالقوة– أي عمل عدائي على البر من جانب الأتراك أو العرب أو الإيرانيين على السواء .. وطلبت حكومة الهند التي وافقت على هذا العمل من الوزير البريطاني المفوض في طهران

إبلاغ الحكومة الإيرانية بهذه التعليمات ، ولكن أمين السلطان حين سئل أجاب بأن أنكر وجود أي خطط له في البحرين ، فوجد مستر نيكلسون من الأفضل عدم الإشارة إلى هذه التعليمات القاضية باستخدام القوة .

★ ★ ★

علاقات بريطانيا بالبحرين خلال نفس الفترة ١٨٧١ - ١٨٩٥

لاحظنا في الفقرات السابقة ملامح بارزة وهامة في علاقات الحكومة البريطانية بالبحرين خلال هذه الفترة ، ولكن ما تزال بعض الجوانب المباشرة والسرية في حاجة لأن نشير اليها .

المسح البحري للبحرين ١٨٧١ - ١٨٧٣ :

خلال الفترة من ١٨٧١ إلى ١٨٧٣ قامت سفينة بحرية بومباي «كونستانس» بإجراء عملية مسح بحرية شاملة ودقيقة لشعاب جزر البحرين ومراسيها .

سوء معاملة وكيل شركة الهند البريطانية للملاحة التجارية ١٨٧٣ :

وفي سنة ١٨٧٣ ألقي القبض على عبدالله بن رجب –وهو مواطن من رعايا البحرين لكنه كان ممثل شركة الهند البريطانية للملاحة البخارية في البحرين وكان لذلك بالفعل تحت الحماية البريطانية وقد ألقي في السجن بأمر من شيخ البحرين دون توجيه أتهام محدد اليه . وبادر مساعد المقيم السياسي في البحرين حين بلغه هذا الخبر فطالب بإ طلاق سراح الرجل فوراً والتحقيق معه فيما هو منسوب اليه . واحتج شيخ البحرين على هذا التدخل من جانب مساعد المقيم . لكنه أطلق سراح الرجل بالفعل . وكانت الاتهامات الموجهة اليه فيما يبدو هي تهجمه على بعض رعايا البحرين إلى جانب أنه قطع أخشاباً من أشجار يملكها الشيخ وقد ثبتت

صحة الإتهام الأول ، أما الثاني فلم يمكن إقامة الدليل عليه . وبعد تحذير صادر من المقيم ، اعتذر الشيخ عيسى في النهاية عن تسرعه في الإجراءات التي اتخذها ، كما وجه اعتذاراً شخصياً إلى الميجور جرانت للهجة خطابه الذي كان يحتج فيه على هذا التدخل .

السلطات البريطانية تندر بحادثة اغتيال سياسي ١٨٧٧ :

وفي ٢٨ إبريل سنة ١٨٧٧ قتل فهد بن أحمد –ابن عم والد الشيخ عيسى بن علي مباشرة– في البحرين ، قتله أحمد بن علي شقيق الشيخ ، وكان التبرير الذي ذكر لذلك أن فهد كان متمرداً وكان خطراً على الحكومة القائمة ، وأنه قد هدد أحمد بن علي حين ذهب هذا اليه ليجرده من سلاحه . وعلى أساس أن الحكومة البريطانية بسبب الوضع الذي أصبح لها في البحرين كان لابد أن تتدخل لمنع الاضطرابات العنيفة أو الاضطهاد من جانب الشيخ الحاكم ، وعلى أساس أنها لا تستطيع أن تقنع بموقف المتفرج المحايد بالنسبة لأحداث خطيرة من هذا النوع ، فقد صدرت التعليمات للرائد بريدو المقيم السياسي بأن يبلغ شيخ البحرين الحاكم وشقيقه أن الحكومة البريطانية تستنكر هذا السلوك وتحذره من ارتكاب مثله في المستقبل ، وقد نفذت هذه التعليمات بكل دقة .

الاتفاقية الشاملة الاولى بين شيخ البحرين والحكومة البريطانية ٢٢ ديسمبر ١٨٨٠ :

وقد سبق أن أشرنا إلى خطة تركيا في سنة ١٨٧٩ لإقامة مستودع للفحم في البحرين ، وزيارة الاسطول التركي التالية للجزر في نوفمبر سنة ١٨٨٠ ، ونضيف أنه في نفس الوقت تقريباً ظهرت دلائل كثيرة لاهتمام جديد من جانب دول أجنبية كثيرة بشئون منطقة الخليج ، وأن سفناً فرنسية وأمريكية بل وحتى يابانية أيضاً كانت تزور مياه الخليج . وفي هذه الظروف ، واعتقاداً من الرائد روس المقيم السياسي بأن

البحرين مركز تجاري هام سرعان ما سيصبح محط أنظار الدول الاجنبية ، وحين وجد في زيارة للبحرين أن الشيخ مستعد لأن يعقد اتفاقية خاصة مع الحكومة البريطانية ، انتهز الفرصة وحصل على توقيع الشيخ على اتفاقية خاصة رفعها مباشرة إلى حكومة الهند . وكانت هذه الاتفاقية التي وقعت في ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٨٠ تنص على أن يمتنع الشيخ عن إجراء المفاوضات أو توقيع المعاهدات مع أية دولة أجنبية -باستثناء بريطانيا العظمى- إلا بعد موافقة السلطات البريطانية ، كذلك ليس له أن يسمح لأية حكومة -غير الحكومة البريطانية- بإقامة وكالات قنصلية أو ديبلوماسية أو إقامة مستودعات للفحم إلا بعد موافقة السلطات البريطانية . وكان من المتفق عليه على أية حال أن هذه الاتفاقية لا تشمل ولا تؤثر على الاتصالات الودية القائمة مع السلطات المحلية في الإمارات المجاورة في الشئون الأقل أهمية ، وان صحة هذه الاتفاقية وسريانها يعتمدان على تصديق نائب الملك ومجلس الحاكم العام للهند عليها .

وذكر الرائد روس في تبريره هذا العمل الذي لم يكن مفوضاً به ، بأن وجود اتفاقية رسمية كان ضرورياً لشيخ البحرين ليستطيع الاستناد اليها في معارضة المناورات السياسية التي تستهدف النفوذ في أرضه من جانب الدول الأخرى . وردت حكومة الهند بأن القاعدة تقضي بأنه غير مسموح للمسئولين السياسيين بالدخول في مفاوضات من هذا النوع -مهما بلغت درجة الحيطة فيها- دون تعليمات خاصة ، لكنها مع ذلك رفعتها للتصديق عليها من جانب حكومة صاحبة الجلالة ، وبعد تصديق وزير الدولة لشئون الهند عليها تم توقيعها نهائياً في سنة ١٨٨١

معاهدة نهائية شاملة بين شيخ البحرين والحكومة البريطانية
١٣ مارس ١٨٩٢ :

وفي ١٨٩٢ ولظروف ستتضح في تاريخ عمان المتصالحة أوصى الرائد تالبوت المقيم في الخليج بعقد اتفاقيات جديدة تتضمن

نصاً يحرم على شيوخ الإمارات أي تنازل في أقاليمهم لدول أجنبية ، وحين وافقت حكومة الهند على هذا الاقتراح لاحت الفرصة مواتية للحصول على توقيع شيخ البحرين على معاهدة مماثلة في ١٣ مارس ١٨٩٢. وفي هذه الاتفاقية الجديدة تعهد شيخ البحرين بألا يعقد أية اتفاقيات أو يدخل في اتصالات مع أية دولة أجنبية باستثناء بريطانيا وألا يوافق على إقامة وكيل لأية حكومة أجنبية أخرى في أرض البحرين دون موافقة الحكومة البريطانية ، وألا يتنازل عن جزء من أرضه بالبيع أو الإيجار أو غيرهما للاحتلال من جانب أية دولة سوى بريطانيا(١) .

★ ★ ★

محاولات غزو البحرين من قطر وما تلاها من أحداث ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦

اقامة مستعمرة لآل بن علي المعادين للبحرين في الزبارة بقطر ١٨٩٥ :

في سنة ١٨٩٥ تجدد خطر غزو البحرين من قِبَل القبائل العربية في الارض المجاورة بتأثير تركيا ، وهو خطر ظل ماثلا منذ فترة طويلة ، واتخذ شكلا مادياً ملموساً ، لكنه قوبل بتدخل حاسم من جانب بريطانيا العظمى .

ففي مارس ١٨٩٥ هاجرت قبيلة ساخطة تدعى آل علي من البحرين إلى قطر بقيادة شيخ يدعى سلطان بن سلامه كان داخلا في علاقات مع الشيخ جاسم شيخ الدوحة ، وبمعونته استطاع أن يشيد لقبيلته مستوطنة في الزبارة . ولما كان وجود تلك المستوطنة تهديداً خطيراً للبحرين ، فقد أبلغ الشيخ جاسم بأنه غـير مسموح بقيامها لكنه لم يلق بالا للتحذير . وفي نفس الوقت قام المتصرف التركي في الأحساء بزيارةالزبارة ، واستمر العمل في بناء المستعمرة قائماً على قدم وساق ،

(١) نص هذه الاتفاقية موجود في الملحق الاول لهذا الفصل .

وتردد أن المتصرف والشيخ جاسم كانا يُعِدان لرفع العلم التركي . وقد قام سفير بريطانيا في القسطنطينية بلفت نظر الباب العالي إلى ما يحدث ، وإبلاغه أن عملية البناء هذه إذا استمرت فان حكومة الهند ستتخذ من الإجراءات ما تراه ضرورياً لحماية شيخ البحرين ، واتخذت إجراءات أخرى لتعزيز هذا السعي ، فأرسلت سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » بقيادة القائد بيللي — ابن شقيق الرائد بيللي المقيم السياسي السابق المرموق في الخليج — الى الزبارة ، ومعه أمر بعودة سلطان ابن سلامه وقبيلته فوراً الى البحرين ، لكن طلبه قوبل بالرفض من جانب الشيخ بمعاونة المدير التركي الجديد الذي عين مؤخراً في الزبارة ، وزُعِم أن هذا المكان أرض تركية ، وأن آل بن علي من رعايا تركيا . وعادت السفينة «سفنكس» إلى البحرين بعد أن استولت على سبعة قوارب لآل علي . وفي يوم ١٥ يوليـــــو استولت على تسع سفن أخرى لهم ، ونقلت القوارب جميعاً إلى البحرين . ثم رغب بن علي بعد ذلك في الصلح مع شيخ البحرين لكن المدير التركي أقام العقبات في هذا السبيل حتى إنه احتجز بعض القوارب المرسلة من البحرين لمن يرغب في العودة اليها من آل بن علي . وقد قيل إنه أي المدير أعلن أن البحرين على وجه العموم وقطر بشكل خاص هما تابعتان للامبراطورية العثمانية . وأصبح الموقف الآن خطيراً لاعتبارات متعددة ، فقد تبين أن الشيخ جاسم بدأ في جمع عدد كبير من القوارب كما لو كان يعد العدة للنزول إلى البحرين ، ووضع متصرف الأحساء قوات في القطيف .. بزعم الإعداد لحملة على نجد ، وكان القارب التركي المسلح « زحاف» يتجول على طول ساحل قطر .

الاستعدادات البريطانية للدفاع عن البحرين :

وفي هذه الظروف اقترحت حكومة الهند ضرورة مقاومة تمرد أهل قطر على البحرين باستخدام القوة بشرط أن يطلب من أيةسفن حربية ترفع العلم التركي تقديم تفسير لوجودها ، وإذا لم يكن هذا التفسير

مقنعاً فيوجه اليها الإنذار بأن النيران ستطلق عليها إذا تجاوزت مسافة ثلاثة أميال من سواحل البحرين وقد أرسلت سفينة صاحبة الجلالة «بيجون» لتلحق بالسفينة «سفنكس» في مياه البحرين ، وتم كل شيء ، ولم يعد باقياً سوى إرسال فيلق من المشاة الهنود من بومباي ، وأخيراً أضيفت سفينة ثالثة هي «بليزي» لتنضم إلى السفن الموجودة في الخليج .

اتصالات دبلوماسية بريطانية مع الحكومة التركية :

وفي نفس الوقت وعلى أثر تصريحات المدير التركي في الزبارة وأعماله ، تم اتصالان بالباب العالي ، ففي يوم ١٢ أغسطس قدم السفير البريطاني في القسطنطينية احتجاجاً من الحكومة البريطانية إلى الحكومة التركية ، جاء فيه أن حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف بالسيادة العثمانية المزعومة على ساحل قطر ، وأنها لا تقبل زعم تركيا بالسيادة على البحرين التي هي تحت الحماية البريطانية وأنها سوف تتخذ كل الإجراءات الكفيلة بحماية هذه الجزر من العدوان . ومرة ثانية في ٢٢ أغسطس ، قدمت حكومة صاحبة الجلالة مذكرة للسفير التركي في لندن جاء فيها أنها سبق وأبلغت الباب العالي غير مرة أنها لا تعترف بسيادة تركيا على ساحل قطر ، وأنها كذلك أشارت إلى أن البحرين تحت الحماية البريطانية.

تدمير اسطول الاعداء والاستيلاء عليه ٦ سبتمبر ١٨٩٥ :

أما في مسرح الأحداث فكانت الأمور تقترب من أزمة خطيرة . ففي ١٩ أغسطس كتب متصرف الأحساء خطاباً متعالياً إلى المقيم السياسي يتهمه فيه بخرق السلام على ساحل نجد باستيلائه على القوارب ، وينذره بأن أهل قطر مصممون على مهاجمة البحرين وأنه قد بذل جهده لمنعهم عن ذلك لكنه لا يستطيع الاستمرار طويلا ، ثم طلب رد القوارب التي استولى عليها القائد بيللي ، ونصح بنقل رعايا بريطانيا من البحرين خلال فترة أقصاها ١٧ يوماً ابتداء من ١٩ أغسطس .

واقترح الرائد روس المقيم السياسي الرد على هذا الخطاب

بتحميل المسئولين الاتراك المسئولية كاملة عما حدث ، واقترحت حكومة الهند -بتفويض من حكومة صاحبة الجلالة- استرداد القوارب المحتجزة في الزبارة بالقوة ، ولكن في نفس الوقت ، وبالتحديد في ٥ سبتمبر ، تسلم القائد بيللي تقريراً مؤداه أن السفينة « بيجون » التي كانت قد ارسلت لمراقبة اسطول الأعداء قد أطلقت عليها النيران ، كما طلب منها المدير التركي مغادرة مكانها فوراً ، وأضاف المدير إلى ذلك تهديدات ذات طابع عدائي مؤكداً أن الشيخ جاسم شيخ الدوحة سيقوم بالهجوم على البحرين ، وأن السلطات التركية ستقدم اليه كل معونة لازمة . وفي اليوم التالي ، يوم ٦ سبتمبر سار القائد بيللي بنفسه إلى الزبارة حيث وجد قوارب قطر مسلحة ومستعدة للعمل ، وأيقن أن الطريقة الوحيدة لإنقاذ البحرين من الغزو الذي يهددها هي تدمير اسطول العدو وسفنه ، وكانت الفترة التي حددها متصرف الأحساء كمهلة قد انقضت . وهكذا ، وبعد إنذار مدته ساعة واحدة ، فتحت السفينة «سفنكس» و السفينة«بيجون» نيرانهما على القوارب فدمرتا ٤٤ قارباً في فترة خاطفة . وفي صباح ٧ سبتمبر كان المدير التركي قد اختفى واختفى معه العلم التركي ، ورفع الشيخ جاسم علم عمان المتصالحة وطلب العفو عنه زاعماً أن هذه القوارب لم تجتمع من تلقاء نفسها وإنما تم ذلك بأمر من متصرف الأحساء. وقبل الشيخ جاسم الشروط المبدئية التي أملاها القائد بيللي والتي انحصرت في ضرورة نزوح آل بن علي فوراً عن الزبارة ، وأن يصرف الشيخ جاسم حشود البدو التي اجتمعت حوله . وأدت هذه الإجراءات الفعالة إلى نقل ما يزيد عن ١٢٠ سفينة إلى البحرين علاوة على ما تم تدميره أو إعطابه .

تسوية مع الشيخ جاسم والقبائل المعتدية سبتمبر ١٨٩٥ :

وفيما عدا سلطان بن سلامه وقلة من أنصاره فقد رجع آل بن علي إلى البحرين ولكن بقيت مشكلة عقاب الشيخ جاسم وحلفائه معلقة ،

واخيراً أبلغ الشيخ في فبراير ١٨٩٦ أنه يجب عليه دفع غرامة قدرها ٣٠ ألف روبية وإلا فستدمر السفن التي تم الاستيلاء عليها من الزبارة ، ورفض الشيخ جاسم الدفع على أساس ألا علاقة له بهذا الأمر ، وعلى ذلك .. وبعد إطلاق سراح ٣ سفن كانت تابعة للبحرين دون عقوبة ، وبعد افتداء ١٧ سفينة أخرى لآل بو كواره - بتصريح من المقيم البريطاني - في مقابل دفع مبلغ ٦٣٨٦ روبية ، تم حرق باقي السفن التي لم يتقدم أصحابها لافتدائها حيث كانت راسية خارج البحرين في إبريل ١٨٩٦ .

وضمت هذه المبالغ بالنظر لعدم وجود تعويضات تدفع في هذه الحالة إلى الدخل الرسمي للهند . وقد لقيت الخدمات التي قام بها القائد بيللي الضابط البحري الأول والضباط العاملون معه كل تقدير من جانب السلطات البحرية المسئولة بعد أن رفعت حكومة الهند رأيها بذلك ، ولقي تصرف بيللي خصوصاً في الزبارة التنويه والتقدير . وكان الجانب الأشد إرهاقاً في هذه العملية هو اضطراره للبقاء فترة طويلة في الاسابيع التي سبقت العمل الحاسم في جو ملتهب الحرارة .

وعادت العلاقات الودية مع قطر سنة ١٨٩٦ حين بدأت التجارة تنتظم رسمياً بين اسواق البحرين وقطر .

احتجاج من جانب تركيا ١٨٩٦ :

وقد احتج الباب العالي على عمل السفن الحربية البريطانية في الزبارة ، على أساس أنها قامت بهجوم على قبيلة مستقرة في أرض تركية ، الأمر الذي يتعارض مع العلاقات الودية القائمة بين الحكومتين البريطانية والتركية . وردت الحكومة البريطانية فقط بأن أشارت إلى الاتصالات التي تمت بين الحكومتين في العام السابق واضافت أن هذه الإجراءات التي اتخذت كانت ضرورة تحتمها حماية البحرين ، وأن حكومة صاحبة الجلالة لا تستطيع الاعتراف بأن الساحل الذي تقع عليه الزبارة تابع للامبراطورية العثمانية .

التاريخ العام للبحرين وسياسة بريطانيا تجاه هذه المشيخة منذ محاولة غزوها سنة ١٨٩٥ حتى قطع العلاقات سنة ١٩٠٤

وبعد فشل الهجوم على البحرين –وربما كنتيجة له إلى حد ما– بدأت أحوال هذه الإمارة تتبع خطاً مخالفاً فقد حدث تغير واضح في الموضوعات ذات الاهمية والاهتمام. فلم تعد مزاعم تركيا بعدئذ أسباباً للنزاع، وتقدمت التجارة وازدهرت ازدهاراً عظيماً، وتوجه اهتمام الحكومة البريطانية –وقد زاد نفوذها الآن كثيراً عما كان عليه من قبل– الى مشاريع التنمية والإصلاح في الداخل، وإلى الحذر من المنافسة السياسية مع سواها من الدول الأجنبية. ولهذا يستحيل الفصل بين السياسة البريطانية في البحرين والمجرى العام للأحداث فيها، وسنتناول هذين الموضوعين معاً ودون تفريق بينهما فيما يلي.

تنظيم وراثة الحكم في البحرين والشئون الداخلية للاسرة الحاكمة ١٨٩٧ – ١٩٠٤:

وقد ظن الشيخ عيسى، لأسباب لم يوضحها في حينها ولم يبح بها بعد ذلك أيضاً، أن من الضروري ترتيب الأمور بحيث تنتقل مشيخة البحرين إلى أبنائه بعد موته، وفي أكتوبر سنة ١٨٩٧ وعلى وثيقة مكتوبة وقع عليها عدد كبير من وجهاء الناس في البحرين جعل الشيخ عيسى من ابنه حمد خلفاً له. وفي نوفمبر من نفس السنة قام حمد بزيارة المقيم السياسي البريطاني رائد ميد في بوشهر، وفي فبراير ١٨٩٨ وبمناسبة زيارة ميد للبحرين – طلب اليه الشيخ عيسى اعتراف الحكومة البريطانية بابنه حمد ولياً للعهد. ونشير أيضاً إلى أن الشيخ سبق أن أفصح عن رغبته في سنة ١٨٩٠ بالاعتراف رسمياً بابنه الأكبر سلمان خلفاً له، ولكن حتى موت سلمان بالقرب من الرياض أثناء عودته من الحج في نوفمبر سنة ١٨٩٣ لم يكن الشيخ عيسى قد اتخذ أية

خطوات أخرى في هذا السبيل . وأوصت حكومة الهند بالاعتراف بتنصيب حمد ولياً للعهد على أساس أن هذا سيمنع الصراع على من يخلف الشيخ عيسى بعد موته ، وصدقت حكومة صاحبة الجلالة على ذلك في نهاية سنة ١٨٩٨ ، لكن المقيم أرجأ إعلان هذا التصديق لأن الشيخ في ذلك الوقت كان يطالب بتعديل نظام العوائد في البحرين .. فلا يجد أذنا صاغية لهذه النصيحة . وأخيراً .. ورغم عناد الشيخ عيسى في موضوع العوائد هذا فقد تم إبلاغه بهذا التصديق رسمياً في ١٢ فبراير سنة ١٩٠١ ، وقيل إن الشيخ حين تلقى هذا الإبلاغ سالت دموعه فرحاً وابتهاجاً .. ووزع الهدايا على أفراد الاسرة الحاكمة وعلى الشعب في البحرين .

وفي سنة ١٨٩٩ برز الخلاف القائم بين الشيخ عيسى وابن أخيه علي بن أحمد ، وكان في هذا الخلاف بعض التبرير لمخاوف الشيخ في السنة الماضية حول تنصيب ابنه حمد ولياً للعهد . وكانت العلاقة بين هؤلاء الاقارب معقدة بعض الشيء .. لأن أم علي بعد طلاقها من أحمد تزوجت الشيخ عيسى وولدت له ابنه حمد .. وهكذا كان علي وحمد أخوين غير شقيقين وابني عم ، وكانا أيضاً غريمين . وكان الشيخ أحمد —أبو علي وشقيق الشيخ عيسى الاصغر— يحصل على نصف عوائد الإمارة طوال حياته كما رأينا ، وكان يعاون الشيخ عيسى في الحكم باتفاقية بينهما ، وكان بيته قصراً فاخراً متميزاً في مدينة المنامة يعرف باسم « بيت الشيخ » ، وكانت إقامته في هذا البيت ترتبط في أذهان العامة في البحرين بحكم المنامة .

وظل علي بن أحمد —بعد موت أبيه في سنة ١٨٨٨— وبتفويض من الشيخ عيسى يشغل بيت الشيوخ ويرفع علم البحرين على سارية أمامه ، وبتقدمه في السن بدأ ينزع الى تأكيد شبه استقلاليته ، متشجعاً بذلك بقلة مبالاة الشيخ عيسى بتفاصيل الحكم والإدارة في المنامة . وفي فبراير ١٨٩٨ شكا أحمد بن علي للرائد ميد أن عمه كان يبعده عن أملاكه ويمنع

عنه دخله الذي يعتقد أنه آل اليه بالميراث ، وفي نوفمبر من نفس العام أرسل يطلب معونة المقيم البريطاني على الفور . وحين فوتح الشيخ عيسى بالتحقيق في هذا الأمر وجه إلى علي اتهامات بالتدخل في حكم البحرين وبتكوين حزب معارض لحكومة الشيخ . واخيراً ، وبحضور الرائد ميد أعلن عن خضوعه الكامل للشيخ عيسى ، وعقد مجلس العائلة وتم الاتفاق على ان يمنح الشاب راتباً شهرياً قدره ٦٠٠ روبية إلى جانب مبلغ ٨٠٠ روبية في كل سنة ، وسمح له بامتلاك اراض خصبة في الجزر. لكن هذه الاتفاقية لم تكتب . وظل علي ساخطاً كما هو وفي يونيو سنة ١٩٠١ زار مسقط حيث شكا للسلطان من المعاملة التي يلقاها من عمه ومن السلطات البريطانية معاً ، وكان ينوي أن يجتمع بمسيو اوتاڤي ــالقنصل الفرنسي في مسقطــ لولا غياب هذا الأخير عنها في ذلك الوقت في صور . عند ذلك اقترح مساعد الوكيل السياسي في البحرين ــوصدق الميجور كوكس المقيم السياسي على هذا الاقتراحــ بأن يعلن قرار الحكومة البريطانية بتأييد شيخ البحرين ما ظل على الوفاء بالتزاماته نحوها في اجتماع عام علني بالبحرين . غير ان حكومة الهند التي كانت تتطلع في ذلك الوقت إلى إحداث شيء من التغيير في تمثيلها السياسي في البحرين قررت إرجاء قرارها حتى يتم اولاً هذا التغيير .

وفي سنة ١٩٠٢ مات رشيد الابن الثالث للشيخ عيسى بعد مرضه بالسل . وفي سنة ١٩٠٤ توجه الابن الثاني للشيخ للحج وزار القاهرة حيث استقبل كضيف على المعتمد البريطاني .

محاولات السلطات البريطانية إنشاء ادارة أفضل للعوائد في البحرين ١٨٩٩ ــ ١٩٠٣ :

وقد بدأ نظام العوائد يدار بطريقة منتظمة في البحرين ابتداء من سنة ١٨٠٠ تقريباً حيث ظل تحت الأدارة المباشرة للحاكم حتى سنة ١٨٨٨ حين استحدث نظام أكثر دقة يتمثل في مجموعة من الملتزمين

الذين يجمعونها محلياً وكان معظمهم من التجار الهنود . وحوالي وقت حدوث هذا التغيير كانت التجارة في البحرين قد بدأت تمتد وتزدهر بفضل المجهودات البريطانية. وفي سنة ١٨٩٩ تبين ان التجارة قد زادت في أقل من ١٠ سنوات بنسبة أكثر من ٤٠٪ لكن مالية الشيخ لم تحقق ازدياداً بهذه النسبة او قريباً منها ، فمعظم الربح يدخل جيوب هؤلاء المتعاقدين الملتزمين بجمع الضريبة . وظل الشيخ يلجأ الى فرض ضرائب جديدة غير منتظمة لزيادة موارده المالية . وفي سنة ١٨٩٩ كانت حكومة الهند ترى أن من المرغوب فيه ان يتحسن نظام الجمارك في البحرين ليصبح أكثر فعالية وانتاجاً ، وأعدت العدة كي تطلب من الشيخ القيام بالاصلاحات مرتبطاً بنظام المتعاقدين هذا لأنه كان ييسر له الحصول على اموال نقدية سائلة وقت ما يريد ، فضلا عن أنه كان يعفيه من التعامل مباشرة مع دافعي الضرائب . غير ان السبب الحقيقي لرفضه العنيد هذه الإصلاحات هو أنه كان يرى في قبول نصيحة البريطانيين في هذا الصدد وقبوله عمل موظفين منهم في جمع ضرائبه أمراً مهيناً لكرامته واستقلاله . وفي ٧ أكتوبر ١٨٩٩ خرق الشيخ الوعد الذي قطعه على نفسه بألا يجدد عقود الضرائب القائمة دون ان يرجع للمقيم البريطاني حيث أصدر تجديداً لمدة سنتين مدفوعاً بحاجته الماسة إلى المال ، وكان ابتداء التجديد من ١٠ مارس سنة ١٩٠٢ .. وفي هذا التاريخ كان قد تم الالتزام بالضرائب . ورفع الشيخ في نفس الوقت النسبة العامة للضريبة من ٤ إلى ٥٪ دون أن يشير إلى السلطات البريطانية مسبقاً برغبته في ذلك لم يكن بوسع أحد الاعتراض على ذلك التدبير رغم خشونته ومنافاته للذوق . ..

١٩٠٠ :

وفي بداية سنة ١٩٠٠ عين موظف بريطاني في البحرين كما ذكرنا قبلا ، ولم يفلح الشيخ في إخفاء العقود الجديدة التي منحها للملتزمين بالضرائب ، ورفض قرضاً عرضته عليه الحكومة البريطانية كي يسدد

منه الديون المستحقة عليه لهؤلاء الملتزمين لينهي عقودهم ، كذلك رفض تدخل السلطات البريطانية حين تحولت إلى الضغط على هؤلاء الملتزمين ، ومعظمهم من رعايا بريطانيا – كي يلغوا تعاقداتهم .

١٩٠١ :

وقرب نهاية سنة ١٩٠١ اوصى سير ن. أوكونر السفير البريطاني في القسطنطينية بتعيين مدير بريطاني لضرائب البحرين كدليل عملي أمام تركيا على سيطرة بريطانيا على البحرين . ومن جديد بدأ الضغط على شيخ البحرين كي يقبل قرضاً يدفع منه ديونه للملتزمين لكن الشيخ –رغم أن وضعه المالي كان يتدهور بسرعة– رفض العرض ، وأعلن في نفس الوقت اعتزامه أن يسيطر على العوائد بطريقة مباشرة لكنه كان يعد العدة لتجديد الامتياز لهؤلاء الملتزمين فترة جديدة بشروط أفضل . وأخيراً .. وفي نهاية سنة ١٩٠١ أصبح من المعروف أن الشيخ عيسى قد جدد التزام الملتزمين الموجودين بالفعل حتى نهاية فبراير سنة ١٩٠٦ .

١٩٠٣ :

وظلت مشكلة الضرائب في البحرين على حالها حتى كانت جولة اللورد كيرزون في الخليج في نوفمبر سنة ١٩٠٣ .. وكانت هي الموضوع الرئيسي للمفاوضات التي دارت بين صاحب العظمة نائب الملك والشيخ عيسى . وعجز الشيخ عيسى عن تقديم أسباب مقنعة بأن نظام الضرائب المقترح يسيء إلى مصالحه أو ينتقص منها ولم يستطع أن يجيب على الحجج التي ساقها اللورد كيرزون بأن هذا النظام الجديد سيخلصه من ازماته المالية ، وسيزيد من دخل الإمارة ، كما سيهيء وضعاً ثابتاً لابنه وخليفته حمد الذي وافقت حكومة الهند على الاعتراف به . ولجأ الشيخ إلى تأكيد أن المشكلة تخصه هو وحده ، واقترح أن يؤجل هذا الامر حتى موته ، ثم قال أخيراً إنه لا بد ان يشاور ابنه وأخاه في الأمر . فأصدر صاحب العظمة إنذاراً نهائياً اليه بأن هذه المشكلة لن يمكن إهمالها ، وهذا الامر لن يمكن استمراره طويلا ، وبهذا الانذار انتهت المقابلة .

: ١٩٠٤

وكشف التحقيق الذي أجراه المقيم العام. ـ الرائد كمبول ـ بعد زيارة اللورد كيرزون عن ان الامور أسوأ بكثير مما كان متصوراً. فقد تبين ان الشيخ قد أصدر ترخيصات لهؤلاء الملتزمين بجمع ضريبة نسبتها ٥٪ حتى إبريل ١٩٠٦، وبنسبة ٤٪ حتى يناير ١٩٠٨. وكانت المبالغ الإجمالية لهذه العقود كما يلي :

سنة	١٩٠٣	١١٦ ٢٠٠ روبية
»	١٩٠٤	١١٧،٥٠٠ روبية
»	١٩٠٥	١٢٣ ٢٠٠ »
»	١٩٠٦	٩٦ ٢٠٠ »
»	١٩٠٧	٩٦ ٢٠٠ »

أي أن المبلغ الاجمالي هو ٥٤٩ ٣٠٠ روبية .. وفي مقابل هذا المبلغ كان الشيخ قد سحب مبالغ تصل إلى ٢١٢ ٠٠٠ من الملتزمين بل وأكثر من ذلك فقد تبين أن العوائد التي تدفع بالفعل في حالة الإدارة المباشرة تصل حوالي ٣٥٠ ٠٠٠ روبية في السنة أي ثلاثة أضعاف ما كان الشيخ يحصل عليه تقريباً .

وكان إرغام الشيخ عيسى على قبول الاصلاحات الضرورية أمراً يسيراً .. ولكن كان من المرغوب فيه أن يوافق هو عليها من تلقاء نفسه، لهذا اوقفت هذه المشكلة حتى تستطيع حكومة الهند إحداث تغيير في طابع تمثيلها السياسي بالبحرين في سبيل مزيد من السيطرة على الشيخ . ويجب أن نشير هنا إلى أن سياسة الملتزمين هذه كانت ضعيفة ومرضية للتجار جميعاً .. ولم تكن تصيب التجارة الخارجية بأية أضرار .. لكنها كانت تلحق بحكومة البحرين خسارة كبرى .

التمثيل السياسي البريطاني في البحرين :

وفي سنة ١٨٩٩ ساد شعور بأن الوقت قد حان لإبدال الرجل

البحريني الذي يمثل الحكومة البريطانية في البحرين بمسئول بريطاني .
وفيما مضى وقبل انقاص عدد العاملين في مقيمية بوشهر سنة ١٨٧٩ ، كان أحد مساعدي المقيم يرسل أحياناً ليقيم في البحرين ، ومن هذا الوقت تطورت المصالح البريطانية في البحرين ولا سيما المصالح التجارية تطوراً كبيراً . وكان الوكيل البريطاني في سنة ١٨٩٩ تاجراً من أهل البلاد اسمه أغا محمد رحيم وكانت طباعه مختلفة عن طباع شيخ البحرين. ولم يكن للشيخ أي نفوذ عليه بالمرة ، كما أنه لم يكن بريئاً كل البراءة من تهمة استغلال مكانته هذه لتحسين مصالحه التجارية الخاصة ، ولم تكن حماية الرعايا الهنود من التجار من الاضطهاد والمظالم الصغيرة التي تقع عليهم حماية كاملة ، كما أن تسوية مشاكلهم أيضاً لم تكن تتم بالسرعة المطلوبة .

١٩٠٠ :

وهكذا . وفي يناير سنة ١٩٠٠ تم تعيين موظف بريطاني في البحرين كاجراء موقت . . وفي نهاية السنة وبموافقة وزير الدولة أصبح التعيين وظيفة دائميه . وكان مستر ف. ب. بريدو مساعد الوكيل السياسي السابق في بوشهر أول من شغلها . وقد وصل إلى المنامة وتسلم مهام عمله في ١٠ فبراير سنة ١٩٠٠ .

وخلال سنتي ١٩٠١ و ١٩٠٢ بُني مقر رسمي لمساعد الوكيل السياسي على شاطىء مدينة المنامة بتكاليف بلغت ٣١,٤٧٠ روبية . وكان لدى إنجازه أفخر بيت في الجزيرة الكبرى بالبحرين .

١٩٠١ – ١٩٠٢ :

وفي سنة ١٩٠٢ دار البحث حول تفويض المساعد السياسي في البحرين بالصلاحيات التي يخولها قانون السفن التجارية ، وبصلاحيات موثق العقود : وتقرر في النهاية عدم اتخاذ أي شيء في هذا السبيل لأن القضية لم تكن ملحة من ناحية ، ولوجود عقبات فنية من الناحية الاخرى.

وفي سنة ١٩٠٤ وبعد فشل كل المحاولات التي تمت لإقناع شيخ البحرين بقبول إصلاح نظم جمع العوائد في إمارته اقترحت حكومة الهند —وصدقت حكومة صاحبة الجلالة على هذا الاقتراح— تعزيزاً جديداً لممثل السياسة البريطانية في البحرين ، وذلك بتعيين مسئول من القائمة المعتمدة في مكتب الهند بدلا من المسئول المساعد الذي صدر القرار بتعيينه في سنة ١٩٠٠ . وتم حدوث هذا التغيير في ١٨ أكتوبر سنة ١٩٠٤ ، وبدل مستر جاسكين جاء الكابتن ف. ب. بريدو الذي رقي بعد فترة قصيرة إلى منصب وكيل سياسي . وزود بفرقة من المشاة الهندية قوامها ٣٠ جندياً .

حماية الرعايا البريطانيين :

وخلال هذه الفترة التي نحن بصددها كانت الاخطاء التي ترتكب في حق الرعايا البريطانيين قليلة كما كانت الأعمال المسيئة لهيبته بريطانيا العظمى قليلة كذلك ، ولن نشير إلا الى حادثتين فقط جديرتين بالذكر .

١٨٩٧ :

ففي سنة ١٨٩٧ استطاع التاجر المفلس السيد خلاف الفرار من حبس شريده —أحد مسئولي الحاكم— ولجأ الى بيت رجل يدعى محمد خليل كان يعمل وكيلا للمقيمية البريطانية ، لكن شريدة دخل وراءه وأخرجه من البيت بمساعدة رجل آخر على رغم احتجاجات الوكيل . واعتبر الرائد ميد المقيم السياسي هذه الحادثة — وان لم يكن السيد خلاف متمتعاً بحق الحماية البريطانية— عملا مهيناً وغير لائق بهيبة بريطانيا ، وطلب تغريم كل من شريده ورفيقه مبلغ ٥٠٠ روبية ، مع تقديم اعتذارات كتابية منهما عن هذا السلوك . ووافق شيخ البحرين فوراً على هذا الطلب .. وتم إيداع مبلغ الغرامة المستحقة باسم حكومة الهند في صندوق بوشهر .

١٨٩٩ :

وفي سنة ١٨٩٩ حدثت حادثة كشفت عن ضعف الشيخ عيسى كحاكم .. بل ووضعت قضية إخلاصه للحكومة البريطانية موضع الشك . فقد كان للشيخ مخزن وضع فيه كمية من الأسلحة وكان المخزن ملكاً لوكالة فرانسيس وتايمز البريطانية — الإيرانية ، لكن ملكيتها في ذلك الوقت كانت قد نزعت بأمر من السلطات السياسية البريطانية . وقد وقع هجوم اجرامي على هذا المكان في الليل ، جرح فيه اثنان من الهنود ، من رعايا بريطانيا وكانا يشغلان جانباً من المخزن ، وهما اللذان أفسدا كل شيء بظهورهما المفاجيء أمام المهاجمين . وتبين أن زعماء الهجوم هم شريده — تقس المسئول المقرب من الحاكم الذي أشرنا اليه — وابنه فهد وشخص يدعى صالح بن رشيد كان من اقدم خدم الشيخ وأخلصهم . وتردد الشيخ في اتخاذ الإجراء السليم في القضية ، وبعد ضغط شديد من جانب السلطات البريطانية رضخ الشيخ لطلب إبعاد المعتدين من البحرين ودفع مبلغ ١٠٠٠ روبية على سبيل التعويض منها ٤٠٠ روبية للوكالة البريطانية —الايرانية و ٥٠٠ روبية للجرحى من الهنود ، واستولت الحكومة على باقي المبلغ . وعاد شريده وابنه إلى البحرين بعد عدة شهور دون موافقة حكومة الهند فأعيد طردهما .. وبعد أن استمر نفيهما حوالي السنة ، رفع الحظر عنهما بعد أن تعهد الشيخ بأن يكون مسئولا عن سلوكهما في المستقبل .

مشكلة متعلقة بالتجارة البريطانية :

وفي يونيو ١٩٠٠ قام مستر فان لينيب مدير فرع البنك الامبراطوري البريطاني في ايران بزيارة البحرين واوصى بفتح فرع للبنك فيها . وهكذا افتتح مكتب تجريبي صغير في المنامة ، وعهد بادارته إلى مواطن عربي من رعايا بريطانيا ، لكن التجار الهنود الذين كانت لهم على الشيخ ديون كثيرة استطاعوا إقناعه بعدم تشجيع هذا المصرف على الاستمرار..

وأغلق المكتب التجريبي في المنامة بعد شهرين . وفي سنة ١٩٠٣ تبين أن ضرائب الشحن في البحرين قد زيدت لنسبة مرتفعة هي ٢,٥٪ على كل أنواع البضائع ، ولكن لم يمكن اتخاذ أي إجراء بهذا الصدد لعدم وجود اتفاقية مع الشيخ حول الموضوع ، ولأن الشيخ كان بالفعل قد منع الامتياز على أساس هذه النسبة . وعلى أية حال .. فقد شرح للشيخ عيسى بأوامر من حكومة الهند بأن أرباحه هو لن تزيد شيئاً برفع نسبة العوائد على الشحن . وكانت ثمة صعوبات طبيعية كثيرة تعوق إنزال شحنات البضائع في المنامة ، وقد أمكن التغلب على بعض هذه الصعوبات سنة ١٩٠٤ حين بنى الشيخ رصيفاً للرسو كلفه حوالي ٣٠ الف روبية ، وتم فرض ضريبة معتدلة على استخدام هذا الرصيف بموافقة حكومة الهند ورأيها .

أمور أخرى :

وقد قامت سفينة البحرية الهندية «انفستيجيتور» بعملية مسح بحرية كاملة لميناء المنامة ومداخله في شتاء ١٩٠١–١٩٠٢ ، وفي سنة ١٩٠٤ قام عالم إخصائي بفحص رواسب اسفلتية عثر عليها بالقرب من جبل الدخان سنة ١٩٠٢ ، واكتشفت فيها كمية من حجارة القطران ، ولكن تبين أن وجودها أقل مما يسمح باستغلالها تجارياً فأهملت .

وقد زار اللورد كيرزون نائب الملك في الهند بزيارة البحرين خلال يومي ٢٦ و ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٠٣ أثناء جولته بالخليج المذكورة بالتفصيل في مكان آخر .

وفي ١٩٠١ اقترح صاحب أكبر نسبة من رأسمال الوكالة الهندية جانجا رام وتيكام داس وشركاهما إنشاء مستشفى خيري في البحرين لتخليد ذكرى صاحبة الجلالة الملكة فيكتوريا ، وتبرع بمبلغ خمسة آلاف روبية لفتح باب الاكتتاب ، وقد أمكن جمع حوالي ١٥ الف روبية أخرى ، واعتبر مبلغ العشرين الف روبية كافياً لتشييد مبنى المستشفى

ومساكن العاملين فيه ، وتطوعت حكومة الهند بتزويد المبنى بالأجهزة والمعدات اللازمة .. وتم افتتاح المستشفى أخيراً في سنة ١٩٠٥ .

وفي سنة ١٩٠٣ انتشر الطاعون في البحرين .. وكذلك الكوليرا سنة ١٩٠٤ ، وتفاصيل هذين الوباءين موجودة في الملحق الخاص بالاجراءات الصحية وتنظيمها .

★ ★ ★

التاريخ الداخلي لمشيخة البحرين خلال نفس الفترة ١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

نزاع بين آل بن علي والعمامرة :

في نوفمبر سنة ١٨٩٥ نشب نزاع دموي بين قبيلة آل بن علي التي كانت هجرتها من الزبارة في مارس السابق سبب الاضطراب وبين العمامرة في البحرين ، وقتل العمامرة سلطان بن سلامة زعيم ذلك القسم من آل بن علي الذي كان يرفض الرجوع إلى البحرين وكان وحده في قارب بالقرب من رأس تنوره على ساحل الأحساء . وفي ديسمبر تلقى المقيم السياسي التماساً من عائلة القتيل سلطان بن سلامه يشكون من أن الشيخ عيسى هو الذي حرض على قتل سلطان وحرمهم من ممتلكاتهم في البحرين ، وكتب الرائد ويلسون بمعنى ذلك إلى الشيخ يطلب منه إحقاق العدالة كما تقضي بها قوانين العرب لكن تردد الشيخ عيسى في اتخاذ إجراء نحو العمامرة عزز الشكوك التي كانت تدور حوله . وفي سنة ١٨٩٦ جمع علي ـ أحد أبناء سلطان ـ أنصاره من البدو وحاولوا إغراء بعض آل بن علي الذين عادوا إلى البحرين للاشتراك معهم في الانتقام من العمامرة لكنه فشل في ذلك . إلا أن بعض آل بن علي الذين تعاطفوا معه غادروا البحرين وانضموا له في الغارية بقطر .. ومن الغارية ارتكبت عملية قرصنة على قارب تابع للبحرين ، وأعقبها عدة مناوشات وشغب بين بعض قوارب آل بن علي وبعض قوارب العمامرة كما هو مذكور في تاريخ قطر .

علاقات البحرين بتركيا خلال نفس الفترة
١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

بعد كبح جماح سياسة تركيا عقب فشل محاولة غزو البحرين من الزبارة في سنة ١٨٩٥ أصبحت السلطات العثمانية في الأرض المجاورة لا تمارس كثيراً من التدخل او الاهتمام بشئون الجزر .

وفي سنة ١٨٩٧ اقترح مكتب الصحة في القسطنطينية افتتاح مركز صحي في البحرين ، لكن المشروع رفض نتيجة معارضة الوفد البريطاني الذي أكد أن البحرين إمارة مستقلة تحت الحماية البريطانية . وفي ١٨٩٥ طلب الباب العالي الذي اعترف بسماحه بانشاء وكالة قنصلية بريطانية في البحرين من حكومة صاحبة الجلالة تقديم أوراق الاعتماد اليه ، ولكن تقرر الرد عليه بأن حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف بحقوق الحكومة التركية في أن تقدم اليها اوراق الاعتماد بالنسبة للبحرين . وقرب نهاية سنة ١٩٠٠ اغتال بعض البدو من قبيلة مرة سلمان بن دعيج ابن عم شيخ البحرين كما قتلوا بضعة أفراد كانوا معه في الظهران وهم في رحلة صـــــيد وترد هذه الحادثة والنتائج التي أدت إليها ضمن تاريخ الأحساء .

★ ★ ★

العلاقات مع ايران خلال نفس الفترة
١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

مشكلة الوضع السياسي لاهالي البحرين في ايران ١٨٩٩ :

في سنة ١٨٩٩ أثار الوزير الفرنسي المفوض في طهران مشكلة حق أهل البحرين المقيمين في إيران في الحماية البريطانية بمناسبة شكوى قدمها أحد الرعايا الإيرانيين الحاصلين على الحماية الفرنسية ضد أرملة مواطن

من البحرين ، وكانت هذه المرأة ابنة عبد قد أعتق مؤخراً . وقد رفعت إلى الممثل السياسي البريطاني نظراً لاتهامات عديدة بسوء السلوك قدمها المسئول القنصلي الفرنسي ضد وكيل المقيمية البريطانية في لنجة ، وضد الوزير المفوض البريطاني . وبناء على اقتراح المقيم في الخليج —على ما يبدو— وتصديق حكومة الهند على هذا الاقتراح جاء بالرد أن شيخ البحرين مرتبط منذ سنة ١٨٨٠ باتفاقية تمنعه من عقد أية اتصالات مباشرة بينه وبين أية دولة أجنبية باستثناء بريطانيا . وأن رعاياه بالتالي تحت الحماية البريطانية .

زيارة مسئول من الجمارك الايرانية للبحرين ١٩٠١ :

وفي أول أغسطس سنة ١٩٠١ قام المدير البلجيكي للعوائد في إيران بزيارة للبحرين في باخرة إيرانية حكومية والتقى بالشيخ وأبلغه أنه مفوض من الشاه في أن يعرض عليه وضع موظفين إيرانيين للعوائد في البحرين ، على أن تكون مهمتهم هي فحص الأختام الموضوعة على شحنات السفن أثناء وجودها في آخر ميناء ايراني ثم إعادة فحص هذه الأختام بعد إبحار السفن من البحرين . كما زار هذا المسئول البلجيكي أيضاً الوكيل السياسي البريطاني في البحرين وأبلغه أن السفن التي ترفض الالتزام بهذه الإجراءات في البحرين ستطرد بعد ذلك من الموانئ الإيرانية .

وبعد احتجاج قدمه الوزير البريطاني المفوض في طهران عبّر رئيس الوزراء في إيران عن دهشته وأسفه لما حدث . وأعلن —وكذلك أعلن وزير الجمارك— أن هذه الإجراءات التي إتخذها مدير الجمارك لم تصدر له بتفويض من أحد .

★ ★ ★

المصالح الامريكية في البحرين ١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

خلال هذه السنوات العشر التي نتناولها هنا بدأ المركز . الذي أنشأته الارسالية العربية التابعة لكنيسة الإصلاح الهولندية يستثير الاهتمام ، وكان هذا المركز قد انشيء في البحرين سنة ١٨٩٣ . وفي فبراير ١٨٩٩ طلب مستر زويمر مؤلف : « الجزيرة العربية ، مهد الإسلام » ورئيس هذه الإرسالية عون الرائد ميد المقيم السياسي البريطاني لشراء مقر للإرسالية لكن حكومة الهند رأت الا داعي لتدخل السلطات البريطانية في هذا الأمر وأشارت على مستر زويمر بأن يشتري الأرض التي يشاء . وبعدها بقليل بدأت الشكاوى تتواتر من شيخ البحرين وغيره من السكان من هجوم مستر زويمر والملتفين حوله على الدين الاسلامي . وكانت حكومة الهند تتلهف لاتخاذ إجراء من جانب حكومة صاحبة الجلالة لسحب هؤلاء المبشرين نتيجة ما يتهددهم من عنف محتمل . لذلك تم اتصال بين وزارة الخارجية وسفارة الولايات المتحدة الامريكية في لندن انتهت إلى إرسال خطاب من المكتب التبشيري الامريكي لمستر زويمر بتوخي منتهى الحرص اللازم في أداء واجباته .. وبعد أن فقدت أعمال هؤلاء المبشرين جدتها ، لم تعد ثمة شكاوى تتردد من شيخ البحرين او من رعاياه بشأنهم ، وفي إبريل سنة ١٩٠١ سأل مستر زويمر المقيم البريطاني عما اذا كان ثمة اتفاقية بين الحكومة البريطانية وشيخ البحرين تمنع هذا الأخير من أن يبيع ــاو يسمح ببيعــ أرض للإرسالية العربية كي تقيم عليها مبنى لمستشفى.. ورد الرائد كومبول بأنه لا يعرف شيئاً عن وجود مثل هذه العقبة . وكانت حكومة الهند تميل إلى اعتبار رد الرائد كومبول متعارضاً مع الاتفاقية الشاملة لسنة ١٨٩٢ ، غير أن حكومة صاحبة الجلالة حسمت الأمر بأن ردت بأنه في مثل هذه الحالات التي لا يخشى فيها من انتقال حقوق السيادة .. أو أية حقوق إدارية أخرى . فلا داعي لإعلان نصوص هذه الاتفاقية (١٨٩٢) علناً .

وقد تم افتتاح اول مستشفى وعيادة خارجية في البحرين يضمان ٢١ سريراً بواسطة هذه الإرسالية في سنة ١٩٠٢ باسم «مستشفى ماسون التذكاري» . ومن اول نوفمبر سنة ١٩٠١ جددت حكومة الهند خدمات الطبيب الذى كانت ألحقته بالإرسالية العربية لفائدة الممثل السياسي في البحرين ، وفي سنة ١٩٠٣ ورغم قرار إنشاء «مستشفى الملكة فيكتوريا التذكاري » تقرر استمرار هذا الإجراء بالنظر إلى الخدمات التي تقدمها الإرسالية المذكورة .

★ ★ ★

المصالح الالمانية في البحرين ١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

أدى إنشاء وكالة ألمانية تشتغل بتجارة اللؤلؤ في البحرين في سنة ١٩٠١ إلى إثارة عدة مشكلات سياسية ، فقد كانت هذه الوكالة فرعاً لمؤسسة في هامبورج هي تاروت وشتيركن وشركاهما ، وقد أنشأ هذا الفرع مستر ونكهاوس الذي كان شريكاً في فرع الخليج وعرفت باسمه ونكهاوس وشركاه . وكان مستر ونكهاوس هذا قد جاء إلى الخليج لأول مرة سنة ١٨٩٧ ، وظل مقيماً معظم الوقت في لنجة حتى سنة ١٩٠١ . وقد نجح أثناء زيارة لساحل عمان المتصالحة في الحصول على نسخ مدهشة في دقتها للاتفاقية المعقودة بين شيوخها وبين الحكومة البريطانية .. وإذا استثنينا وكالة المؤسسة البريطانية جراى وبول وشركاهم في بوشهر .. التي كان يمثلها منذ سنة ١٨٩٠ رجل من أهل البحرين يجيد الانجليزية في المنامة فقد كانت هذه الوكالة الألمانية اول وكالة أوروبية في البحرين .

منع استيراد المشروبات الروحية في البحرين ١٩٠٠ :

ولما كان لدى شيخ البحرين من الاسباب ما يحمله على الشك في أن هذه الوكالة الجديدة التى لم تكن افتتحت بعد ستميل إلى المتاجرة

بالمشروبات الروحية الرخيصة فقد نشر في سنة ١٩٠٠ أمراً يمنع تقديم المشروبات في البحرين وبمصادرة الشحنات الواردة منها إلى الجزر ، ولما كان هذا القرار لا يسري على الخمور التي يستوردها الاوربيون لاستهلاكهم الشخصي ، فلم تعترض حكومة الهند عليه .

مشكلة الوضع السياسي والحماية :

وسرعان ما برزت مشكلة شراء مستر ونكهاوس لبيت ، وحسمتها حكومة الهند في سنة ١٩٠٢ حين أفادت بأنه ما دامت القضية هي مجرد امتلاك قطعة من الأرض فقط فلا داعي للمعارضة في منح مستر ونكهاوس تصريحاً بذلك على أن يشرح له ـ هو وشيخ البحرين أيضاً ـ بأن هذا التصريح لا يعني على الإطلاق أية امتيازات إقليمية او يتيح أية علاقات مباشرة بين الممثل القنصلي لدولة أجنبية أو سواه من الممثلين السياسيين وبين حكومة البحرين .

وقد قررت حكومة الهند فعـــلا في سنة ١٩٠٠ متعلقاً بالسيد ونكهاوس أنه في حالة حدوث خلاف ـ تجاري أو غيره ـ بين واحد من رعايا دولة اوربية ومواطن من البحرين فعلى ممثل بريطانيا أن يمد حمايته لتشمل المواطن الاوربي ، وأن على الممثل البريطاني لدى الحاجة أن يؤكد حمايته له كما لو كان مواطناً بريطانياً .

★ ★ ★

المصالح الفرنسية في البحرين ١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

في سنة ١٩٠٤ حين بدأ بعض رعايا فرنسا مشروعاً لصيد اللؤلؤ في الخليج بحث السفير الفرنسي في لندن ما إذا كان ثمة أي اعتراض على أن تصبح البحرين تابعة للوكالة القنصلية الفرنسية في بوشهر . وحين استشيرت حكومة الهند في ذلك اوصت بإرجاء الرد حتى تسوّى بعض المشكلات المعلقة بشأن صيد اللؤلؤ والتي نوردها في الملحق الخاص بذلك .

ولعلّه نتيجة ترحيل هؤلاء البحارة الفرنسيين من البحرين لم ترجع الحكومة الفرنسية مرة أخرى لتكرار ذلك السؤال .

★ ★ ★

قطع العلاقات بين الحكومة البريطانية وشيخ البحرين ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥

سوء سلوك علي بن احمد . مايو ـ سبتمبر ١٩٠٤ :

أشرنا من قبل إلى الخلاف بين الشيخ عيسى وابن شقيقه علي بن أحمد . وفي بداية سنة ١٩٠٤ يبدو أن خلافاً جديداً قد نشب بينهما لأن الشيخ عيسى شكا للمستر جاسكن في مايو من نفس السنة من أن علي بن أحمد يجمع حوله عدداً من الأشرار لخدمته ، وأنه قد بدأ يمارس أعمال العنف والابتزاز ضد الناس ، ويبدي إحتقاراً لعمّه ، بل ويشق عليه عصا الطاعة . واقترح عقد مجلس العائلة من جديد لتسوية هذه الامور ، ولكن كان من المرغوب فيه تأجيل هذه الخطوة حتى يحدث التحسن المرتقب في التمثيل السياسي البريطاني في البحرين . وفي نفس الوقت وكما كشفت الأحداث اللاحقة هبطت سيطرة الشيخ الحاكم على مدينة المنامه التي زارها مرات قليلة أولم يزرها على الإطلاق حتى إن أحداً لم يكن يجرؤ على الوقوف في وجه أعمال الفوضى والتخريب التي يقوم بها أنصار أحمد بن علي ومعظمهم من أشرار الزنوج .

اعتداء على وكالة ونشهوس وشركاه ٢٩ سبتمبر ١٩٠٤ :

وفي ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٠٤ حاول بعض رجال علي بن أحمد جمع الرجال بالسخرة لمهاجمة وكالة التاجر الألماني ونكهاوس ففتحوا أبواب الوكالة واعتدوا على أحد المساعدين فيها ـ وهو اوربي يدعى مستر باهنسون ـ كذلك اعتدوا على بعض الموظفين الاهليين في الوكالة . وكان علي بن احمد يشهد ما يحدث دون أن يبذل أي جهد لمنع رجاله من ارتكابه .

مهاجمة الايرانين ١٤ نوفمبر ١٩٠٤ :

وفي مساء ١٤ نوفمبر وقع انتهاك آخر للقانون لكنه أكثر خطورة . فقد حدثت مشاجرة عرضية بين أحد عبيد أحمد بن علي وأحد خدم حاجي عبد النبي كبير التجار الإيرانيين في المنامة .. ولاحت الفرصة مناسبة أمام الحرس الخاص لأحمد بن علي كي يشنوا هجوماً على كل التجار الإيرانيين .. وارتفعت صيحاتهم تطالب «بقتل المارقين» وأرسل جاسم —أحد زعماء المسلمين السنيين في البحرين— الرجال الذين كانوا يصلون في مسجده للاشتراك في الأمر الذي تطور إلى حركة منظمة معادية للشيعة ، وقد لجأ الإيرانيون جميعاً إلى بيوتهم يحتمون بها ، واستخدمت العصي فقط في هذه الاضطرابات ورغم ذلك فقد أصيب والد حاجي عبدالنبي إصابات خطيرة ، كذلك جرح سبعة من الإيرانيين الآخرين جراحاً أقل خطورة . وقام الرئيس بريدو الوكيل السياسي الجديد في البحرين والذي بذل محاولات كثيرة فاشلة للوصول إلى تسوية لقضية مستر باهنسون ، بمقابلة الشيخ بسبب هذا الاضطراب ، لكن الشيخ رفض تدخله على أساس أن الإيرانيين مسلمون وبالتالي فلا معنى لتدخله في هذا الخلاف الذي ستحسمه محاكم الشرع الموجودة في البحرين . لكن هذه المحاكم —وأعضاؤها من السنة— لم يكن متوقعاً منها أن تنصف الإيرانيين . وأخيراً تم الاتفاق بين كابتن بريدو والشيخ عيسى على انتظار تعليمات المقيم العام الذي كان آنذاك يقوم بجولة في مكان بعيد . وقد ظل الإيرانيون مغلقين محلاتهم التجارية عدة أيام خوفاً من أن يعاود رجال أحمد سيرتهم ، وكان واضحاً أن الشيخ عيسى يخشى ابن شقيقه العاصي ولا يستطيع كبح جماحه .. لكن الأمن استعيد بوصول سفينة صاحبة الجلالة « رد برست » إلى البحرين في ٢٧ نوفمبر .

وفي نفس الوقت رفع المسئولون عن الوكالة الألمانية أمر هذه الحادثة الى القنصل الألماني في بوشهر الذي كتب فوراً ومباشرة للشيخ عيسى يطلب منه التعويض ، وردت السلطات البريطانية على خطابه هذا . كما

أبرق التجار الإيرانيون المتضررون إلى الشاه في أمر هذه الاحداث وقد أجابتهم السلطات البريطانية بأنها ستتخذ الإجراءات الكفيلة برد حقوقهم اليهم .

زيارة المقيم السياسي البريطاني للبحرين ٣٠ نوفمبر ـ ١٠ ديسمبر ١٩٠٤ :

ووصل ميجور كوكس المقيم السياسي البريطاني في الخليج إلى المنامة في ٣٠ نوفمبر وتولى قضية التاجر الألماني في البداية . وفي ١٤ ديسمبر تم التوصل إلى إتفاق بدفع مبلغ ١٠٠٠ روبية له كتعويض وجلد أربعة من الذين تزعموا هذا الهجوم علناً ثم منعهم من الإقامة في البحرين ، وانقضت الأيام الأربعة التالية في التحقيق في قضية التجار الإيرانيين دون التوصل إلى نتيجة . وحاول الشيـــخ في البداية الزعم بأن الإيرانيين هم الذين بدأوا بالعدوان لكن الأدلة كلها كانت ضد زعمه هذا فرجع إلى موقفه الأصلي وقال إن هؤلاء الإيرانيين خاضعون لحكمه هو فقط ويجب أن تعرض هذه القضية على محـاكم البحرين . وكان وضع الإيرانيين من حيث هم أجانب يعيشون في جزر تحت الحماية البريطانية ، إلى جانب الظلم المتوقع الذي لا مهرب منه لو عرضت القضية على المحاكم السّنية يحتم عدم التنازل عن هذا المبدأ ، ووصلت القضية إلى طريق مسدود . فغادر الميجور كوكس البحرين في ١٠ ديسمبر وأبلغ الأمر لحكومته وترك سفينة صاحبة الجلالة «رد برست» لتحافظ على النظام في المنامة . وبفضل تعهد من جانب الشيخ بترحيل أحمد بن علي وأنصاره من البحرين خلال اسبوع من رحيل المقيم ، أبحر الشاب العاصي بعد ثلاثة أسابيع متوجهاً إلى قطر يوم ١٧ ديسمبر ، وكان آخر عمل قام به هو استيلاؤه على ثلاث سفن صغيرة فيما كانت تعمل في تفريغ حمولة الباخرة البريطانية « كانجرا » .

تقديم إنذار لشيخ البحرين ٢٥ فبراير ١٩٠٥ :

وفي ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٥ رجع الميجور كوكس إلى البحرين يحمل هذه المرة أوامر رسمية بمطالب حكومة صاحبة الجلالة من الشيخ عيسى . وقد صدر التفويض له بأن يستخدم كل الوسائل التي تبدو ضرورية —بما في ذلك القوة البحرية . وقد اجتمع الآن الطواف «فوكس» والقارب المسلح «سفنكس» إلى جانب السفينة الحربية «رد برست» — في الميناء . واتخذت إجراءات إنزال قوة قوامها ١٥٠ جندياً لحماية ارواح وممتلكات الاجانب في حالة اضطرار السفن الحربية للقيام بعمل يطلب منها . وفي صباح يوم ٢٥ فبراير سلم إنذار للشيخ عيسى ، وتركت له مهلة ٢٤ ساعة لتنفيذ نصوصه . وكانت الحكومة البريطانية تطالب بابعاد ستة رجال حددت شخصياتهم ، وثبت أنهم كانوا من زعماء الهجوم على التجار الإيرانيين من البحرين ، ومعهم اولئك الأربعة الذين عوقبوا من قبل بالنفي لكنهم عادوا إلى الجزيرة ، ودفع مبلغ ٢٠٠٠ روبية كتعويض لهؤلاء التجار عن طريق الوكيل البريطاني ، وان يوضع رجال من حرس الشيخ لحماية سوق المنامه ، وأن يبعد علي بن احمد عن البحرين ولا يسمح له بالعودة لمدة خمس سنوات ، وأخيراً أن يمنع عمل السخرة للاجانب بقانون عام .

وقد أنذر الشيخ —في نص المذكرة التي سلمت اليه— بأن الحكومة البريطانية لا تستطيع تحمل أي رفض لنصائحها في المستقبل ، وأنه إذا استمر على موقفه هذا غير الودي فستسحب هذه الحكومة عونها عنه ، وقد تتخذ تجاهه موقفاً مضاداً ، وأخيراً جاء في هذه الوثيقة أن تنفيذ النصوص المتعلقة بعلي بن أحمد وغيره من المعتدين يقتضي تسليمهم إلى الوكالة البريطانية ومنها سينقلون على ظهر سفينة حربية إلى أماكن محددة وخلال هذا اليوم زعم الشيخ عيسى أن أحمد ينتوي الهرب وطلب

(١) قرر الميجور كوكس ضرورة حضور المطلوب تسليمهم شخصيا ليمكن التعرف عليهم بعد ذلك لاحتياطات الامن في المستقبل ، علاوة على أنه لم يكن يستطيع ضمان تنفيذ أمر ابعادهم الا بنقلهم من البحرين على سفينة بريطانية .

المعونة للقبض غليه في بيته . وحين وصله العون المطلوب تبين أن علياً قد استطاع الهرب بالفعل ، وأنكر الشيخ أن تكون له أية علاقة بهرب علي . وعرض أن تبحث قواته عن الهارب في كل أنحاء الجزر عندما يهبط الليل ، ووافق ايضاً على إبقاء ابنه حمد كرهينة على ظهر السفينة « سفنكس » .

خضوع شيخ البحرين لمطالب بريطانيا ٢٦ فبراير ١٩٠٥ :

وفي الساعة الثامنة والنصف من الصباح التالي –وقبل انتهاء مدة الإنذار بنصف ساعة– وصل الشيخ عيسى إلى الوكالة البريطانية يصحبه ابناه حمد وعبدالله ، وهو يحمل مبلغ الغرامة المطلوبة ، والإعلان الخاص بوقف أعمال السخرة .. وأعلن أن الحرس المخصص لحراسة السوق موجود ومستعد للتفتيش . أما علي والأشخاص العشرة المطلوب تسليمهم فقد قال إنه لم يستطع العثور عليهم . وظل الشيخ يؤكد طيب نواياه ، وعاون في الاستيلاء على بيت ابن أخيه المتمرد ومنقولاته ، كذلك قواربه التي تم إحراقها . وفي ٢٨ فبراير وبعد تأكيد الشيخ عيسى أن علياً وأنصاره قد هربوا من الجزر إلى الأرض المجاورة وأصبحوا خارج نطاق سيطرته ، قرر الميجور كوكس على أساس تعهد الشيخ بدفع مكافآت سخية لمن يقبض على أحد منهم بأنه لا ضرورة لاتخاذإجراءات جديدة .

وقد اقترحت حكومة الهند أن تتولى الإشراف على جمارك البحرين في ظروف خاصة ، غير أن حكومة صاحبة الجلالة لم توافق على هذا . وكانت الوسيلة الوحيدة للضغط في هذا السبيل على الشيخ عيسى بعد قبوله معظم ما جاء في الإنذارهي ضرب البحرين من البر ، وكان ميجور كوكس يرى ألا ضرورة لهذا الإجراء . ثم أطلق سراح حمد –الذي كان أخذ كرهينة– كتعبير عن إمكان قيام علاقات ودية في المستقبل وقدم الشيخ هدية من جانبه قطعة أرض كانت الوكالة تود شراءها منه . وقبل مغادرة المقيم في ٤ مارس لرفع الأمر للحكومة

التقى بملا جاسم وملا أحمد زعيمي المسلمين السنة في البحرين ووجه اليهما إنذاراً ، وكان هذان وأنصارهما قاموا بدور في الاضطراب الذي نسب إلى شريده في سنة ١٨٩٩ كما نسب أيضاً إلى محمد بن عبدالوهاب أحد رعايا تركيا في دارين ، وكان الرجلان من أسوأ مستشاري الشيخ (١) .

علي بن أحمد يسلم نفسه :

وقد رأت حكومة الهند أن النتيجة التي أمكن التوصل اليها كانت نتيجة مرضية عموماً ولكن استمرار وجود علي مطلق السراح كان أمراً ينطوي على شيء من التهديد للمنامة . وأخيراً في ١٨ يوليو سنة ١٩٠٥ سلم علي بن أحمد نفسه طواعية لأنه بعد أن ألف الحياة الناعمة في البحرين لم يستطع الصبر على حياة التجول والشظف بين بدو قطر ، وأثناء غيابه عن البحرين تباحث غير مرة في الشروط التي يمكن أن يعود بموجبها إلى البحرين ، وقد ذكر له رداً على تساؤله بأن الاوامر القديمة بشأنه ما زالت سارية المفعول . . وأما فيما يتعلق بالتفاصيل فعليه أن يثق بعدالة الحكومة البريطانية وتقديرها . وكان مع علي حين سلم نفسه أربعة من الرجال المطلوب تسليمهم وكذلك مجموعة من خدمه . وقد تقرر إبعاد علي بن أحمد ليقيم كسجين سياسي في بومباي براتب قدره ٦٠٠ روبية في كل شهر ، أما باقي الرجال فيسجنون لمدة ستة أشهر في السجن المركزي بحيدر آباد في السند . وقد وجه إنذار لحمد ولي العهد الذي كان مسلكه في هذه الأزمة غير مرض كمسلك أبيه جاء فيه أن اعتراف حكومة الهند به ولياً للعهد أمر يتوقف على سلوكه في المستقبل .

---

(١) أدى ملا جاسم الى احداث اضطراب في البحرين سنة ١٨٩٢ حين أشار على الشيخ بأن يزيد رسوم الوفاة بحيث تصبح ١/٥ الميراث .. وأثار هذا القرار سخط المسلمين في البحرين مما أدى الى ايقافه بسرعة . أما محمد بن عبد الوهاب فيبدو أنه هو نفس الرجل الذى أحدث بعض الاضطراب في قطر سنة ١٨٨٦ ـ ١٨٨٧ .. والذى خلف أباه كوزير لشيخ البحرين في ١٨٨٨ .

الشئون الخارجية والمصالح الاجنبية ... الخ
في البحرين ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧

مكانة بريطانيا في البحرين :

لا شك في أن ازمات سنة ١٩٠٤ ــ ١٩٠٥ قد دعمت وضع ونفوذ بريطانيا في البحرين وكانت العلاقة بين شيخ البحرين والوكيل السياسي البريطاني تتحسن ببطء وثبات خلال السنة التالية رغم أن الشيخ استمر يرى في النصائح التي يقدمها له الوكيل البر يطاني انتقاصاً من سلطته في الشئون الداخلية . وظلت التجارة الخارجية على توسعها ونموها السريع وزادت في سنة ١٩٠٥–١٩٠٦ بنسبة ٥٧,٥٪ عن أحسن سنة ازدهرت فيها من قبل ، وفي سنة ١٩٠٦–١٩٠٧ زادت ايضاً بنسبة قدرها ٥,٥٪– عن السنة السابقة ، وبلغ حجم الاموال المستثمرة فيها ٤٧,٣٨٨,٢٠٢ روبية .

لكن الأحوال لم تكن مرضية على هذا النحو في كل النواحي . فلم يحدث أي تقدم في مشكلة إصلاح نظام العوائد الذي كانت الحكومة البريطانية تهتم به اهتماماً كبيراً . وكانت تجارة المهربات والمحظورات رائجة على نطاق كبير مع إيران .. وذلك أساساً لسببين : ازدياد حجم التجارة من ناحية .. ثم رغبة الشيخ في عدم تدخل أية دولة في نظام العوائد من الناحية الأخرى .

كما كان ثمة شعور أيضاً بأن جوانب كثيرة من الإدارة الداخلية في البحرين لم تكن على مستوى الدولة التي تفرض عليها الحماية . وكانت تجارة الرقيق ما زالت ناشطة .. فالرقيق يستورد دون اعتراض من قطر والأحساء وأحياناً من صور في سلطنة عمان . وكان هناك اضطهاد على مستوى كبير للرعايا .. لا من جانب شيخ البحرين وأفراد أسرة آل خليفة فقط . بل ومن جانب صغار المسئولين وجامعي الضرائب وبعض القضاة ممن اعتادوا استخدام مناصبهم لفائدتهم الشخصية

وكان معظم الظلم يقع على عاتق المواطنين المشتغلين بالزراعة .. والذين كانوا يعيشون في حالة واضحة من البؤس متعرضين لأعمال السخرة وغيرها من المشاق .

وقد أثير موضوع البحث عن حل لهذه المشكلات جميعاً ، وعن مزيد من التحديد والوضوح لعلاقات البحرين الخاضعة لبريطانيا العظمى بعد أزمات ١٩٠٤–١٩٠٥ . ورفع الأمر مباشرة إلى حكومة صاحبة الجلالة التي قررت بدورها اتبـــــاع سياسة حذره تحصر عمل السلطات البريطانية في البحرين في توجـــيه السياسة الخارجية للشيخ والسيطرة عليها . أما إصلاح الإدارة الداخلية فالسبيل إلى تحقيقه هو السبيل السلمي غير المباشر عن طريق ممارسة مزيد من النفوذ على الشيخ وبكسب المزيد من ثقته .

وفي سنة ١٩٠٥ فوض الوكيل السياسي باعتاق العبيد كلما وجد فرصة مناسبة لهذا الإجـــــراء دون الرجوع إلى المقيم العام في بوشهر . وفي هذه السنة وفي سنة ١٩٠٦ بذلت محاولات للحصول على تصديق من شيخ البحرين على وعد غير رسمي قطعه بعض زعماء البحرين في سنة ١٨٩٥ لقائد سفينة صاحب الجلالة «بيجون» بأنهم لن يبيعوا أو يشتروا أو يتعاملوا بالرقيق في المستقبل .. غير أن هذه المحاولات لم يكن لها أثر يذكر .

عمليات مسح وسواها :

وفي موسم ١٩٠٤–١٩٠٥ انتهت عملية مسح بحرية لخور القليعة أجرتها سفينة صاحبة الجلالة «رد بريست» بقيادة القائد سومرفيل . وفي ١٩٠٥ تمت عملية مسح برية لجزر أرخبيل البحرين ورسمها بنسبة بوصة واحدة لكل ميل . وفي شتاء ١٩٠٦–١٩٠٧ حدثت عدة عمليات حفائر بحثاً عن المدافن الترابية التي تشتهر بها البحرين .. وقد اجريت هذه العمليات باشراف الكابتن بريدو الوكيل السياسي بالقرب من عوالي .

العلاقات التركية :

وقد أفصحت تركيا عن اهتمام كبير بالأزمة التي نشبت بين الحكومة البريطانية وشيخ البحرين في سنة ١٩٠٤–١٩٠٥ ورغم تذكيرها مراراً بأن البحرين ورعاياها إنما هم خاضعون جميعاً للحماية البريطانية فقد استمرت تطالب الحكومة البريطانية بتفسير لما حدث حتى قطعت حكومة صاحب الجلالة هذه المشكلة برفض استمرار المناقشة . وباستثناء فترة قصيرة من خريف ١٩٠٥ إلى ربيع سنة ١٩٠٧ فإن البريد الرسمي التركي ظلّ ينقل من العراق إلى الأحساء عن طريق البحرين .. كما كان منذ زمن طويل . وفي سنة ١٩٠٧ تأكد أن موظفاً تركياً كان موجوداً في البحرين بهدف إعداد الترتيبات اللازمة لذلك . وكان أقرب أقرباء الشيخ عيسى وأهم مستشاريه هو محمد بن عبدالوهاب من دارين ، وكان له نفوذ كبير على الشيخ .. وفي سنة ١٩٠٦ انتشرت شائعات – واضح أنها لم تكن جميعاً بلا أساس – بأن الشيخ يود ان يضع نفسه تحت حماية تركيا .

العلاقات الايرانية :

أما الحكومة الإيرانية فرغم أنها وافقت شاكرة ممتنة على الإجراءات التي اتخذتها السلطات البريطانية في سبيل تعويض رعايا إيران الذين منوا بخسائر في اضطرابات سنة ١٩٠٥ ، فقد عادت في نفس السنة إلى تأكيد مزاعمها القديمة بالسيادة على البحرين ، وقد رفضت أن تعترف لمواطني البحرين –المقيمين في إيران– بأية حقوق تزيد عن حقوق المواطنين الإيرانيين . وفي فبراير سنة ١٩٠٦ –وبعد مناقشة طويلة ودون تعليمات محددة من حكومة صاحب الجلالة– أعلن ممثل بريطانيا في طهران أن للحكومة البريطانية حق الوقوف إلى جانب رعايا البحرين في إيران ، وأنها ليست مستعدة لتقبل مزيد من مزاعم إيران في البحرين مما اعتبر الآن « موضوعاً غير قابل للمناقشة » .

لكن المشكلة تجددت مرة أخرى في سبتمبر سنة ١٩٠٦ من جانب

كبير وزراء ايران الذي أشار في خطاب له إلى اتفاقية كابتن بروس التي لم يكن مفوضاً بعقدها في سنة ١٨٢٢ . وجاء في الرد على خطاب الوزير بهذا الصدد أن الاتفاقية التي يعنيها ـ ما دامت حكومة صاحبة الجلالة لم تصدق عليها ـ قد اعتبرت لاغية ونقل الكابتن بروس المسئول عن عقدها بعد ذلك من وظيفته ، وأن شاه إيران سحب من جانبه تصديقه على تلك الاتفاقية ووجه اللوم لأمير شيراز لأنه دخل في مثل تلك المفاوضات دون تفويض منه .

مصالح المانية وفرنسية وغيرها :

وفي ١٩٠٦ افتتحت شركة هامبورج الألمانية الامريكية للملاحة خطاً للخدمة في الخليج ووصلت أولى سفن هذا الخط الجديد «كانديا» إلى المنامة في ٢٦ أغسطس . وعين مستر ونكهاوس ـ ولم تكن أعماله الخاصة تسير على ما يرام ـ وكيلا للشركة في البحرين حيث قام بمحاولات للحصول على امتياز رفع علم هذا الخط الملاحي على بيته ، لكن الشيخ كان مصراً على رفض منحه مثل هذا الامتياز .

وفي صيف سنة ١٩٠٥ زارت البحرين أسرة فرنسية مهتمة بأمور عامة كصيد اللؤلؤ ولحق بها هناك مسيو جوجير ـ عدو الانجليز الشهير وتاجر السلاح في مسقط ـ ويبدو أن هذا الرجل كان وراء الخطابات التي يشكو فيها الشيخ عيسى من معاملة السلطات البريطانية له ، والتي أرسلها عقب وقت قصير إلى وزير الدولة لشئون الهند ، ولنائب الملك في الهند .

وفي سنة ١٩٠٥ داهم وبأ الطاعون البحرين مرة أخرى خلال فترة ثلاث سنوات ـ كما هو مبين في الملحق الخاص بالأوبئة ـ وكان من أهم ضحاياه هذه المرة شريده الشهير . وفي ١٩٠٦ كان الشيخ يميل إلى فرض ضريبة خاصة على اليهود الذين استقر منهم حوالي الخمسين في جزر البحرين خلال السنوات العشر الأخيرة لكنه رضخ لنصيحة الوكيل السياسي البريطاني للعدول عن هذه الضريبة الجديدة .

ملحق رقم (١)
الاتفاقية الاستثنائية بين شيخ البحرين والحكومة البريطانية ، ١٣ مارس سنة ١٨٩٢

أقرّ أنا –« عيسى بن علي» شيخ البحرين– في وجود الليفتنانت – كولونيل أ. س. تالبوت المقيم السياسي في الخليج – بأنني بكامل إرادتي أرتبط واوافق– باسمي وباسم ذريتي ومن يخلفني على ما يأتي : –

أولا : ألا أكون طرفاً في أية اتفاقيات أو اتصالات بأية دولة أجنبية عدا بريطانيا العظمى .

ثانياً : ألا أسمح –دون موافقة الحكومة البريطانية– باقامة وكيل أو معتمد لاية دولة أجنبية على أرض البحرين .

ثالثاً : ألا أبيع أو أوجر أو أرهن أو أمنح بأية طريقة أخرى أي جزء من أجزاء البحرين لاحتلال دولة أجنبية سوى بريطانيا العظمى .

مؤرخ في البحرين .. ١٣ مارس ١٨٩٢ الموافق ١٤ شعبان ١٣٠٩

توقيع	توقيع
عيسى بن علي	أ. س. تالبوت
شيخ البحرين	ليفتانانت كولونيل –مقيم الخليج

لاندسدون

نائب الملك وحاكم عام الهند

صدق عليها صاحب السعادة نائب الملك وحاكم عام الهند في سيملا يوم ١٢ مايو ١٨٩٢ .

ه. م. دوراند

وزير الدولة لشئون الهند – وزارة الخارجية

★ ★ ★

الفصل السادس

تاريخ الاحساء .. (١)
الاحتلال الوهابي الاول للاحساء ١٧٩٥ ـ ١٨١٨

غزو الوهابيين للأحساء حوالي سنة ١٧٩٥ :

حين ظهر الوهابيون للمرة الاولى من داخل شبه الجزيرة إلى شطآن الخليج كان شيوخ قبيلة بني خالد هم حكام الأحساء ، وكانوا يمثلون إدارة وحكماً منظماً فيها قبل أن يغزوهم هؤلاء المتعصبون . وكان حكم بني خالد معتدلا ومشجعاً للتجارة ، ففي سنة ١٧٩٠ كانت ضريبة الاستيراد في ميناء القطيف لا تتجاوز ١٪ وكان التجار الأجانب يلقون معاملة طيبة .. وكانت هناك حركة تجارية مزدهرة لا بأس بها مع نجد . وكان مقر شيوخ بني خالد في واحة الأحساء .

---

(١) المراجع الوحيدة ـ باستثناء تقارير حكومة الهند ـ التى تتناول الاحداث في الاحساء وما حولها هى « يوميات سادلر » لرحلته عبر الجزيرة العربية (في سنة ١٨١٩) المنشورة في سنة ١٨٦٦ ، وكتاب بالجريف عن « وسط وشرق جزيرة العرب .. » المنشور في سنة ١٨٦٥ .. وكلا الكتابين وصفى أكثر منه تأريخى . أما أكثر المصادر فائدة ـ وهى تلك التى تعتمد على وثائق رسمية ـ فهى : سجلات بومباى رقم (٢٤) سنة ١٨٥٦ وفيها تلخيص للمراسلات المتعلقة بشئون الخليج للفترة من ١٨٠١ ـ ١٨٥٣ اعداد ج. أ. سالدانها المنشور سنة ١٩٠٦ . وتلخيص للتوسع التركى في أرض الجزيرة العربية ، لنفس المؤلف ، منشور سنة ١٩٠٤ ، وتلخيص أحوال البحرين من ١٨٥٤ ـ ١٩٠٤ له أيضا ، وقد نشر في ١٩٠٤ . وتلخيص أحوال قطر ، لنفس المؤلف ، عن الفترة من ١٨٧٣ ـ ١٩٠٤ المنشور في ١٩٠٤ ، والتقارير الادارية السنوية للمقيمية السياسية في الخليج . أما تاريخ لو عن البحرية الهندية فيقدم بعض التفاصيل المهمة عن عمل البحرية البريطانية على ساحل الاحساء .

تعزيز مركز الوهابيين في الأحساء ١٧٩٥ ـ ١٨١٠ :

وحوالي سنة ١٧٩٥ استطاع أمير الوهابيين أن يقضي على حكم بني خالد ونجح في احتلال جزء من الأحساء ، وجعلها قاعدة يمد منها نفوذه نحو الكويت والبحرين وقطر وعمان ، وتاريخ الوهابيين في كل من هذه الأقاليم موجود في الجزء الخاص بكل منها . ولن نهتم هنا إلا بأحداث الأحساء والقطيف والصحاري المجاورة لهما فقط .

وفي سنة ١٧٩٩ حدث أول اشتباك مسلح بين قوات العثمانيين والدولة الوهابية الجديدة .. لكن هذه الحملة تخص تاريخ نجد قبل أي شيء آخر .. ولهذا فهي مذكورة هناك .

وفي سنة ١٨٠٠ استولى الوهابيون على مدينة القطيف بالقوة بعد ارتكاب مذابح رهيبة بين أهلها . وفي ١٨٠١ كانت المعارضة للحكم الوهابي ما تزال مستمرة .. أو لعلها انبعثت من جديد في الأحساء .. لأنه قد ذكر في هذه السنة أن الاتصال قد انقطع بين القطيف ونجد، وان التجارة وسط الجزيرة مع الهند ، وكانت تتبع دائماً طريق الأحساء ، قد أصبحت تتخذ طريقها مروراً بالبصرة فالكويت ، لكن وضع الوهابيين في الأحساء كان قد تدعم في سنة ١٨٠٢ إلى حد جعلهم يعترفون بأنهم يقدمون المساعدات للعتوب في البحرين للخلاص من نير حاكم مسقط . وفي سنة ١٨١٠ ضمت جزر البحرين والأقاليم المجاورة لها في القطيف وقطر في حكومة وهابية واحدة ، عهد بها إلى عبدالله بن عفيصان . وكانت البحرين هي مقر هذه الحكومة . وفي سنة ١٨١١ أرغم تقدم القوات المصرية أمير الوهابيين على سحب حامياته العسكرية التي كان قد جعلها في المفوف والقطيف ، ولكن نفوذ الوهابيين في سنة ١٨١٤ ــ ورغم أنه قد انتهى تماماً من البحرين ــ كان ما يزال سائداً في الأحساء .

استقرار رحمة بن جابر في الاحساء

قلعة رحمة بن جابر :

بني رحمة بن جابر القرصان الشهير من الجلاهمة العتوب الذي كان مستقراً في خور حسان في قطر قلعة لنفسه في الدمام على ساحل الأحساء إلى أقصى الجنوب من واحة القطيف .

الوهابيون يطردون رحمة بن جابر ١٨١٦ :

وظل رحمه مقيماً بالأحساء كممثل لمصالح الوهابيين ونصير لهم حتى سنة ١٨١٦ حين تخلى عن مناصرة قضية الوهابيين واشترك مع سيد عمان في هجوم على البحرين التي كانت إلى حد ما تحت حماية الوهابيين ، وبعدها وجد نفسه مرغماً على أن يعبر الخليج ويلتمس له مأوى على الأرض الإيرانية . وفي يوليو سنة ١٨١٦ ، وقبل أن يرحل رحمة نهائياً عن الساحل العربي دمر الوهابيون قلعته في الدمام .

★ ★ ★

الاحتلال المصري الاول للاحساء ١٨١٨ ـ ١٨١٩

وصول القوات المصرية إلى الأحساء ١٨١٨ :

بعد أن استولى ابراهيم باشا قائد القوات المصرية على الدرعية عاصمة الوهابيين في سبتمبر ١٨١٨ نقل أهل المدينة إلى الأحساء ، ثم سار هو بنفسه إلى هناك ، ويبدو أنه كان يهدف إلى ضم هذا الإقليم الخصب نسبياً إلى مقره الاداري في الجزيرة العربية .

ونحن لا نعرف عن حركة القوات المصرية في الأحساء إلا أقل التفاصيل ، ولكن يبدو أن رحمة بن جابر كان يقدم معونته لإبراهيم باشا ـ وقد جاء لهذا الغرض من بوشهر ـ باخضاع ميناء الوهابيين في القطيف بنيران المدفعية . واستفاد رحمة من تفاهمه الكامل مع القوات

المصرية فعاد للاستقرار في الدمام وبدأ من جديد بناء حصنه الذي دمره الوهابيون في العام السابق . وفي نهاية سنة ١٨١٨ وصلت قوات كبيرة من العرب من ساحل القراصنة على ١٧ سفينة حربية لمعونة الوهابيين ضد القوات المصرية ، لكن وصولها جاء متأخراً جداً . وعادت القوات إلى مقرها بسلام عن طريق البحرين .

★ ★ ★

الاحداث خلال احتلال المصريين الاول للاحساء ١٨١٨ ـ ١٨١٩

رحلة الكابتن سادلر في الأحساء ثم جلاء القوات المصرية عن هذا الاقليم ١٨١٩ :

وفي ظهر يوم ١٨ يونية ١٨١٩ وصل الكابتن ج . فورستر سادلر من فرقة صاحبة الجلالة ٤٧ إلى ساحل الأحساء في مهمة خاصة لإبراهيم باشا ، على نحو ما هو موجود بالتفصيل في تاريخ عمان المتصالحة ، لكن مرشداً جاهلا من بوشهر كان مسافراً على ظهر سفينة شركة الهند «فستال» أرشد السفينة خطأ إلى ساحل رملي ظلت جانحة فيه طول الليل . وتباطأت السلطات المصرية على الساحل في تقديم معونتها ، ولكن بعد ظهر يوم ١٩ يونيو ، وصل وفد للتهنئة من رحمة بن جابر إلى ظهر السفينة . وفي اليوم التالي وصلت السفينة بسلام إلى ميناء القطيف بإرشاد اثنين من المرشدين الأذكياء أرسلهم رحمة . وكان كابتن سادلر ينوي أن يجعل من العقير نقطة انطلاقه إلى داخل الأحساء غير أن رحمة بن جابر ونائب الحاكم المصري في القطيف استطاعا خداعه وإقناعه بالرسو في سيهات إلى أقصى الجنوب من واحة القطيف . فوصلها يوم الاثنين ٢١ من نفس الشهر ، وأدى هذا التغيير في الخطة ـ الذي لا نستطيع أن نلوم كابتن سادلر من أجله ـ إلى ضياع عدة أيام هامة جداً مما ساهم في إفشال مهمته .

ولقد كان المصريون وقت وصول الكابتن سادلر ، قد اقتنعوا بضرورة تركيز قواتهم في شبه الجزيرة ، وكانوا على وشك الجلاء عن الأحساء ، وكانت الأوامر قد صدرت لخليل آغا –نائب الحاكم المصري في القطيف– بالرجوع إلى الهفوف مع اثنين من مساعديه ، وأن يعهد بالقطيف إلى مشرف ، هو ابن شقيق الشيخ محمد شيخ بني خالد . ولم يكن الطريق مأموناً بين القطيف والهفوف حيث بدأت حوادث الهجوم على البعثات المصرية بين الهفوف ومقر قيادة إبراهيم باشا في نجد .

وكان خليل آغا ، وكل قوته لا تتجاوز ٦٠ عربياً مأجوراً انصرف معظمهم ، تد بدا عاجزاً عن القيام بعمل كبير . وقبل الكابتن سادلر عرض شيوخ بني خالد بأن يصحبوه في رحلته ، فخرج من سيهات يوم ٢٨ يونيو سنة ١٨١٩ تحت حماية المشرف لكن مسلك هذا الرجل في الصحراء كان « كالوحش الضاري الذي وجد فريسته بين يديه» ولم يكن سلوك الشيخ محمد الكبير الذى كان عاجزاً وأصم أو سلوك شقيقه ماجد أفضل من سلوك المشرف . ولم يصل كابتن سادلر إلى الهفوف قبل يوم ١١ يوليو بعد أن سُحِبَ في جولة طويلة إلى آبار بدراني وعزيز المليحة وأبواب وأم ربيعه والحفيره وعيندار ودميجة ، وقرية عيون . وفي كل هذه الاماكن تعرض كابتن سادلر لارهاق وقلق لا حد لهما ، وكان عليه الخضوع لما يأمره به البدو في كل هذه الأماكن .

وفي الهفوف لقي المبعوث البريطاني استقبالا حسناً من جانب محمد أغا الكاشف أو الحاكم المصري في الأحساء الذي تلقى أوامر فيما بعد بأن يسلم الإقليم لشيوخ بني خالد ويلحق بإبراهيم باشا في سدير ومعه الحامية المصرية في الأحساء ، ولم تكن هذاه الحامية تضم وقتذاك أكثر من ٢٥٠ رجلا ، وكان الضباط المصريون الذين التقى بهم الكابتن سادلر مبتهجين لاستدعائهم إلى مقر القيادة بعد أن أرهقتهم فترة طويلة من العمل في ظروف قاسية ومناخ صعب . وقد أبدى محمد أغا اهتماماً كبيراً بمهمة الكابتن سادلر ، وعرض عليه أن ينتظر ويصحبه في الانسحاب

إلى مقر القيادة الذي كان محدداً له يوم ٢٢ يوليو ، لكن محمد أغا ـبعد أن قدم لكابتن سادلر بعض الإمدادات ـتسلل وحده يوم ٢١ يوليو ، وتبعه كابتن سادلر في اليوم التالي مع الجزء الأكبر من القوات المصرية . وفي يوم ٢٤ يوليو وقبل ان يخرج من إقليم لأحساء إلى نجد مر كابتن سادلر ـمرة ثانيةـ بآبار أم ربيعه . وأثناء وجوده في الهفوف عرف أن الغزاة المصريين كانوا قد انتهجوا كل وسيلة ممكنة لتعزيز سلطتهم في الإقليم الذي احتلوه ، وعرف أيضاً أن الأهالي كانوا ينتظرون رحيلهم بفارغ الصبر .

ويبدو أن إبراهيم باشا كان يعتقد أنه حين يضع حامية في عنيزه بوسط الجزيرة يستطيع أن يظل على اتصال بالأحساء وأن يأخذ الجزية بشكل منتظم من شيوخ بني خالد الذين أطاح الوهابيون بسلطتهم ، لكنها عادت بعد رحيل القوات المصرية .

وجود وكيل بريطاني في القطيف : ١٨٢٣

ووقت زيارة الكابتن سادلر لم يكن بالقطيف هندوكي أو مسيحي واحد ، ولم يكن يجرؤ أحد على التفكير في أن يعمل وسيطاً أو سمساراً أوما إلى ذلك . فكل من كانت تبدو عليه امارات الثراء يطالبه المصريون بالمساهمة المادية . ولكن في سنة ١٨٢٣ وأثناء رحلة المقيم السياسي على طول الشاطىء العربي كان يوجد وكيل وطني لمقيمية بوشهر في القطيف اقترح الملازم ماكلاود انتقاله إلى الشارقة على ساحل القراصنة .

★ ★ ★

أعمال رحمة بن جابر ١٨١٨ ـ ١٨٢٦

ترتيبات لاحلال السلام بين رحمة بن جابر والعتوب في البحرين : ١٨٢٤

بعد أن عاد رحمة بن جابر مرة أخرى للاستقرار في الدمام سنة ١٨١٨ أثناء احتلال القوات المصرية للاحساء بدأ في مضايقة العتوب في

البحرين وأصاب في ذلك نجاحاً متزايداً ، وأدى هذا الصراع العنيف إلى اضطراب الأمن في البحر اضطراباً جعل السلطات السياسية البريطانية تتبع كل الوسائل فيما بين ١٨٢٢ و ١٨٢٤ كما هو مذكور في تاريخ البحرين لتسوية الأمور بين الطرفين المتنازعين . واخيراً في فبراير ١٨٢٤ —وكما جاء في تاريخ البحرين— عقد الصلح بين الطرفين بشرط ألا يتدخل رحمة لمنع شيخ البحرين من إيقاع العقاب بقبيلة آل بوسميط المتمردة التي كانت استقرت مؤخراً تحت حماية رحمة في الدمام .

أحداث أخرى في سنة ١٨٢٤ :

ثم قام رحمة بن جابر بزيارة لمسقط ، ولدى عودته إلى الدمام سار مباشرة لحصار القطيف التي كان أهلها قد توقفوا عن دفع الجزية —أو فلنقل الأتاوة— التي كانوا يؤدونها له في مقابل حماية تجارتهم في البحر . وكان رحمة في ذلك الوقت يقترب من السبعين وقد أدى سوء الحظ إلى ضياع جانب كبير من مصادره المادية ، لكنه كان كما هو دائماً من حيث قوة العزم وروح الإصرار . وقد عمد شيخ بوشهر بأمر من حكومة شيراز التي اسخطها عقد الصلح بين رحمة والعتوب إلى احتجاز عائلة أحد أبناء رحمة هناك . ولجأ هذا إلى السلطات البريطانية يطلب منها أن تأذن له بإعلان الحرب على شيخ بوشهر ، لكن المسألة سويت بعد إطلاق سراح هؤلاء المحتجزين وعودتهم إلى الدمام بفضل تدخل المقيم البريطاني في بوشهر . وفي نفس الوقت فإنه بسبب خضوع أهل القطيف وربما استيلاء رحمة على بعض السفن أثناء عملياته ضدهم استطاع التخفف من مشاكله المالية .

حصار رحمة بن جابر للقطيف ١٨٢٥ :

وفي أوائل سنة ١٨٢٥ عاود رحمة زيارة مسقط ، وحصل في نفس الوقت على ترخيص من المقيم السياسي البريطاني بأن يتدخل لمناصرة الشيخ طحنون في الحرب التي كانت دائرة وقتذاك بين حكام

أبو ظبي والشارقة في عمان المتصالحة . وقرب نهاية سنة ١٨٢٥ بدأت المشاكل مرة أخرى حول الإتاوة التي كان يدفعها أهل القطيف ، وبدأ رحمة وهو يتجاهل تحذيرات المقيم البريطاني تجاهلا تاماً ينهب سفن هذا الميناء غير المسلحة ، ووضعت سفينتان حربيتان بريطانيتان نتيجة ذلك خارج الدمام وأبلغ رحمة بأنه اذا لم يكف عن هذه الغارات فستتخذ السفن الحربية عملا حاسماً ضده . لكنه تقرر أخيراً عدم القيام بأي عمل ضد رحمة إلا إذا امتدت إغاراته إلى سفن أخرى غير سفن القطيف كما وجه اليه انذار آخر . ويبدو أن عناد رحمة كان يرجع لثقته بانبعاث قوة الوهابيين من جديد . وهو يعرف أنها قوة ترحب بوجود عمليات القرصنة في البحر ولا ترفضها .

نزاع جديد بين رحمة وشيوخ البحرين :

وفي نفس الوقت تجددت القطيعة ثانية بين رحمة والعتوب في البحرين لكن الأعمال العدوانية بين الطرفين لم تبدأ إلا بعد اتخاذ السلطات البريطانية قرارها بعدم التدخل بين رحمة وأهل القطيف ومغادرة السفن الحربية البريطانية للدمام . ولم يكن أي من هذين الطرفين مستعداً للدخول في حرب شاملة منظمة ، وطلب كلاهما من المقيم البريطاني عقد الهدنه ، لكن المقيم اشترط أن يكون أهل القطيف طرفاً في هذه الهدنة ، فرفض رحمة وتركت السلطات البريطانية الأمور تسير في مجراها .

المعركة الاخيرة وموت رحمة ١٨٢٦ :

وقرب نهاية سنة ١٨٢٦ حين وجد رحمة نفسه محاصراً من أعدائه الذين احتلوا الدمام ، عبر الخليج إلى بوشهر محاولاً كسب المقيم إلى جانبه في هذه القضية . وحين فشل في تحقيق ذلك اختار معه عدداً من البلوش يقاربون الثلاثين رجلا وعاد بهم في سفينته إلى الدمام التي كان يرابط بها أسطول للبحرين . ولدى وصول رحمة إلى الدمام أطلق مدافع

سفينته تحية على سبيل الإهانة . واستفز هذا العمل العتوب استفزازاً جعل أحمد بن سلمان ابن شقيق الشيخ الكبير يقترح متطوعاً أن يهاجم سفينة رحمة بسفينته هو ، وقبل رفاقه اقتراحه . فاقترب من سفينة رحمة ودار بين السفينتين قتال حاد وحاسم ثم انسحبت سفينته إلى البحرين لتأخذ مزيداً من الرجال من بقية سفن العتوب ، ثم عادت إلى القتال حتى أيقن رحمة الذي كان قد كف بصره تماماً في ذلك الوقت أن سفينته لا بد سيتم الاستيلاء عليها من جانب هذه السفن الكثيرة التي تفوقه عدداً ورجالا .. وأيقن أيضاً ألا مهرب له .. فأمر بأن تندفع سفينته إلى سفينة العدو . واسترشد رحمة بأصغر أبنائه —وهو صبي في الثامنة— ليقوده إلى مخزن البارود في السفينة وأشعله بيده وانفجرت سفينته وترامت أشلاؤه هو ورفاقه جميعاً .. وأشعل هذا الانفجار النار في في السفينة المهاجمة بطبيعة الحال .. وغرقت ولكن بعد أن تم انقاذ الرجال الذين على ظهرها (١) .

وكان مظهر رحمة بن جابر ، كما وصفه بكنجهام وصفاً تفصيلياً حياً في سنة ١٨١٦ ، يدعو إلى النفور.. فثيابه غاية في الاتساخ ووجهه «قاس قبيح» بطبيعته زادته قبحاً الندوب والجروح وفقدان عين من عينيه . أما جسمه فكان «نحيلا ذا أطراف ضامرة .. كلها قد عملت فيها الجروح والندوب والقطوع من السيوف والحراب والرصاص .. في كل جزء منها وربما كان عددها يتجاوز عشرين جرحاً مختلفاً» وكانت العظمة التي تصل الكتف بالساعد مفقودة في ذراعه اليمنى نتيجة ضربة سيف لكنه كان يستطيع ان يقبض على الخنجر بيده اليمنى .. ويضرب به بمساعدة اليسرى . وكانت نفسية رحمة بن جابر قاسية ضارية ميالة

---

(١) هذا ما يروى عادة بهذا الصدد . ولكن نظرا لان رجال رحمة جميعا قد قتلوا ولم يبق منهم أحد ممن كان في السفينة .. فاننا لا نعرف المصدر الذى نقلت عنه كيفية حدوث الانفجار فيها .

للانتقام لكنه كان يستطيع أن يضع على وجهه قناع الهدوء بنفس البرود الذي يواجه به الآلام التي يعانيها . وبين أتباعه ـــ ومعظمهم من العبيد ـــ كان يقال إنه يحفظ النظام بأحقيته المطلقة في الأمر بعقوبة الإعدام ، ولم يكن هناك رجل يجرؤ على عصيان امره . وقد اثبت رحمة حصافته في تجنبه طوال حياته أي تواطؤ مباشر مع الحكومة البريطانية ، وبحفظ علاقته الودية والوثيقة ببعض المسئولين البريطانيين في مقيمية بوشهر ، ولا بد أن نقول بأن رحمة كان يتمتع بمؤهلات قيادية حقيقية ، ورغم ذلك فقد تنفس الخليج كله الصعداء يوم قتل (١) .

★ ★ ★

الوهابيون يعودون لفتح الاحساء
١٨٢٤ ـ ١٨٣١

اشتباكات غير حاسمة بين الوهابيين وبني خالد ١٨٢٤ـ١٨٣٠ :

نجح بنو خالد وشيوخهم الذين استعادوا سلطتهم في الأحساء عن طريق القوات المصرية في المحافظة على مكانتهم هذه لعدة سنوات . غير ان أمير الوهابيين بعد أن اعترف بولائه للمصريين ودفع لهم الجزية ثم اشتبك في حرب مع بني خالد جعل من المتعذر وصول الاموال التي كانت تدفع لهم كل سنة من الأحساء . وقد اتخذ بنو خالد من الهفوف عاصمة لهم كما استولوا أيضاً على الميناء البحري في القطيف . وكان بدء الاشتباكات بين الوهابيين وبني خالد سنة ١٨٢٤ غير أنها ظلت حتى سنة ١٨٣٠ دون ان تصل إلى نتيجة حاسمة .

---

(١) الوصف الوحيد لرحمة بن جابر ممن رأوه هو الموجود في كتاب بكنجهام : « أسفار بلاد الآشوريين .. الخ » من ص ٣٥٦ الى ص ٣٥٨ . وواضح أن هذا الكاتب المنافق بعض الشيء لم يستطع أن يتقبل ذئب البحر العجوز .

الوهابيون يوقعون الهزيمة النهائية ببني خالد ١٨٣٠ :

وفي بداية سنة ١٨٣٠ أخذ بنو خالد زمام المبادرة بأن ساروا إلى نجد في قوات ضخمة خرج اليها فيصل بن تركي ابن الامير على رأس قوات الوهابيين لمناجزتها . وهنا أصاب سوء الحظ بني خالد بمرض وموت أعظم قوادهم العسكريين وهو الشيخ ماجد ، وتولى الشيخ محمد الذي كان السن قد تقدم به كثيراً قيادة هذه القوات بموافقة شقيق الشيخ ماجد ، لكن الشيخ محمداً كان يعرف أنه عاجز عن أن يتحمل القيادة فعهد بها إلى ابن شقيقه برغش . وسار القائد الجديد بقواته —بعد تردد— لمقابلة الوهابيين .. لكن هؤلاء تراجعوا أمام قواته .. وفي ليلة ٢٣ مارس سنة ١٨٣٠ خرج تركي بن عبدالله أمير الوهابيين بنفسه من الرياض على رأس ١٢٠٠ رجل من أتباعه ، ونجح في أن يطوق جناح جيش بني خالد ويصل إلى وبرة قاعدة عملياته ومصدر الماء له — فاستولى عليها نظراً لقلة الحراسة الموضوعة عليها(١) . وهكذا وجد بنو خالد أنفسهم بعيدين عن الماء محرومين منه ومحاصرين بين جناحين من جيش العدو . وبعد مهلة يوم واحد باشر الهجوم في الصباح التالي كلا جناحي الوهابيين ، وفي هذه المعركة هزم بنو خالد واستولى الوهابيون على نسائهم وأطفالهم وخيامهم وخيلهم وإبلهم وماشيتهم ، واستطاع الشيخ محمد وبرغش الفرار من الهفوف حيث واصلا المقاومة منها بعد قليل . لكن معظم بني خالد أعلنوا خضوعهم للوهابيين ، فتقدم هؤلاء إلى الهفوف عاصمة الأحساء ، وسرعان ما سقطت بين أيديهم وتبعتها القطيف بعد قليل .

---

(١) الاسم المذكور في التقارير هو « دبره » وليس ثمة مكان بهذا الاسم لكن « وبرة » مكان معروف فيه بئر ماء ومفترق عدة طرق في صحان ، ولا بد أنه هو المقصود . وعلى أية حال .. فكثيرا ما يحدث الخلط بين الحرفين و ، د في العربية .

السياسة المستنيرة لأمير الوهابيين في الاحساء ١٨٣١ :

. وتميزت سياسة الفاتح الجديد الذي لم يكن على غرار أسلافه أو من سبقوه بالتسامح والمصالحة فاستتب له الأمر في الأحساء ، ووضع فيها بعض الحاميات واكتفى بجمع الزكاة المعتادة فقط وعاد إلى داخل الجزيرة سنة ١٨٣١ . ولا شك في أن هذا التغير جاء في مصلحة إقليم الأحساء نفسه لأن تلك الفوضى والحروب الأهلية التي سادت أثناء حكم بني خالد قد انتهت ، وقد قام الشيخ محمد شيخ بني خالد الذي بقي على قيد الحياة ببعض أعمال المقاومة ضد الوهابيين لكنها كانت جميعاً ضعيفة وبلا جدوى .

★ ★ ★

الاحداث خلال احتلال المصريين الاول للاحساء ١٨٣٠ – ١٨٣٨

بدأ الحكم الوهابي يحاول الامتداد من الأحساء التي اتخذها قاعدة له إلى جزر البحرين ، لكن نجاحه في هذا الاتجاه لم يكن كاملا أو مطلقاً كنجاحه في الأحساء . وظل الاحتكاك بين الوهابيين والعتوب والبحرين مصدر تهديد دائم للرفاه الاقتصادي والهدوء في المنطقة .

اقامة بشير بن رحمة على جزيرة تاروت ١٨٣١–١٨٣٢ :

وحين طلب أمير الوهابيين من شيوخ البحرين الاعتراف بالولاء له في سنة ١٨٣٠ كان يهدف إلى أن يجعل بشير بن رحمة ابن القرصان رحمة بن جابر على الدمام كمصدر إزعاج للعتوب ، وكان سيد عمان يوافق على هذا المشروع كما أنه آوى بشيراً منذ موت أبيه في سنة ١٨٢٦ .. وكان يلتمس عونه في حملة جديدة يعدها من مسقط على البحرين غير أن الوهابيين بموجب التسوية التي عقدوها مع العتوب في البحرين سنة

١٨٣١ تجاهلوا المشروع ولكنهم بعدها مباشرة وربما بفضل تدخل السيد سعيد سمحوا لبشير بالاستقرار في جزيرة تاروت المواجهة لمدينة القطيف ، وسرعان ما لحق ببشير معظم قبيلة آل بو سميط التي كانت -كأسرة بشير نفسه- على عداء صريح لشيوخ البحرين لكنه من جرّاء عداوة أهل القطيف له وجد أن معونة آل بوسميط وحدهم لا تكفي لاستمرار بقائه في دارين . وفي سنة ١٨٣٢ وعقب هدم القلعة التي كان أقامها بشير مؤخراً رجع وأنصاره المقربون معه إلى مسقط مرة أخرى .

مشاكل الوهابيين في الاحساء ١٨٣١ - ١٨٣٥ :

وفي سنة ١٨٣١ ولعلّه من جرّاء المشاكل التي كانت قائمة في نجد بين تركي بن عبدالله وواحد من أقربائه كان يزعم أنه الجدير بأمارة الوهابيين هاجم بعض بني خالد من العوامر الهفوف والقطيف .. لكن هجومهم فشل .

وحدث نزاع بين بني عمير من جنة ومعهم بعض أفراد من قبيلة سودان وبين سكان القطيف. وكان السبب الرئيسي هو رفض أهل القطيف الاستمرار في دفع الإتاوة التي يسلبها بنو عمير .

غير أن مشاعر الناس قد استثيرت نتيجة الخسائر التي حدثت ، خاصة ما تعرض له أحد الشيوخ على أيدى بني عمير في محاولات منهم لفرض مطالبهم بالقوة ، ولم يجد توسط أمير الوهابيين بين الطرفين شيئاً . وكان من نتائج هذا الصراع أن هاجم بنو عمير في سنة ١٨٣٢ سفينة بحرينية خارج القطيف وقتلوا ١٢ رجلا من ٣٠ كانوا على ظهرها . وفي سنة ١٨٣٣ وبتشجيع مستتر من جانب العتوب في البحرين اتخذ بنو عمير مستقراً لهم في الدمام ، وحاصروا القطيف وبدأوا يتدخلون في تجارتها .

وحين تضايق شيوخ البحرين من هذه الاضطرابات أعلنوا في سنة

١٨٣٣ ولاءهم لامير الوهابيين ، واستنجد بهم الحاكم الوهابي في القطيف وكان يظن سيده في موقف حرج .. لكن تركي بن عبدالله استطاع بهمته الفائقة أن يتغلب على الصعوبات التي يواجهها في الأحساء .. وتم جمع الزكاة – ربما للمرة الأولى – من سكان ساحل الأحساء .

استيلاء العتوب على جزيرة تاروت ١٨٣٤ :

وفي سنة ١٨٣٤ حاصر شيخ البحرين مينائي الوهابيين في القطيف والعقير ، وبعد اغتيال تركي بن عبدالله ضم جزيرة تاروت إلى البحرين وحرض بني خالد على مهاجمة الوهابيين في الهفوف والقطيف لكن الحاكم الوهابي في الهفوف عمرو بن عفيصان استطاع أن يصد هجومهم وكبدهم خسائر فادحة . وأرغم بنو خالد على اللجوء إلى جزيرة تاروت في حماية حامية البحرين هناك .

القوات المصرية تؤكد سيطرتها على الاحساء ١٨٣٥ :

وحوالي منتصف سنة ١٨٣٥ وصل إلى مسقط قادماً من مكة المكرمة تاجر معروف كان يقيم من قبل في البحرين ، واسمه عبدالله بن مشاري وكان يحمل خطابات من احمد باشا الحاكم المصري في الحجاز موجهة إلى سيد عمان وشيخ البحرين وأمير الوهابيين .. وجاء في هذه الخطابات أن لحاملها حق الالتزام بالعوائد في القطيف لمبلغ بين ٢٠ – ٢٤ الف روبية في السنة من قبل الحكومة المصرية وهو يرجو السماح له بتأدية هذا العمل دون معارضة من أحد . ويبدو أن المصريين كانوا يهدفون إلى التمهيد لإعادة فتح نجد من الغرب متوسلين لذلك باقامة قواعد على حدود أمير الوهابيين في الشرق . وقد استقبل السيد سعيد عبدالله بن مشاري استقبالا حافلا ، وقدم له سفينة تنقله من مسقط إلى القطيف ، أما فيصل بن تركي الذي استطاع الآن إبعاد قتلة أبيه وأصبح أمير الوهابيين الجديد فقد أرسل قوات كبيرة للدفاع عن

حقوق أهل القطيف ، وسرعان ما اختفى جامع العوائد المنتظر من القطيف بعد وصوله اليها مباشرة . وقد تبين أيضاً أنابناء بن مشاري. كانوا قد استطاعوا الحصول على خطابات توصية من حكومة بومباي وحاولت القوة الوهابية التي ارسلت لطرد بن مشاري أن تعيد الاستيلاء على جزيرة تاروت من شيخ البحرين لكن جهودها فشلت ، وانتقم العتوب لانفسهم بأن جددوا حصار مينائي القطيف وعقير بعد أن كانوا رفعوا الحصار عنهما .

فشل الوهابيين في استعادة جزيرة تاروت وتملك العتوب للدمام ١٨٣٥ الصلح بين العتوب والوهابيين ١٨٣٦ – ١٨٣٨ :

وفي منتصف سنة ١٨٣٦ ، كانت القوات الإيرانية تهدد البحرين والقوات المصرية تهدد نجد ، فوجد كل من الوهابيين وشيوخ العتوب من الافضل تصفية الخلافات القائمة بينهم ، وبدأت المحاولات الأولى في هذا الاتجاه من جانب شيخ البحرين لكنها صادفت قبولا فورياً من جانب الأمير ، ووضع العتوب أنفسهم تحت حماية الوهابيين ورفعوا الحصار عن ساحل الأحساء . وفي سنة ١٨٣٧ كانت قوى أمير الوهابيين مستنفدة تماماً في الصراع العنيف الدائر في نجد بينه وبين والي المصريين هناك وكان يدعى خالداً . وشرع بنو عمير من بني خالد ، وانضم اليهم بعض بني هاجر المستقرين في الدمام تحت حماية العتوب في البحرين ، يرتكبون أعمال القرصنة ضد قوارب القطيف والعقير ، غير أن شيخ البحرين حصل على ترخيص من المقيم البريطاني في بوشهر ، وقام فوراً بأعمال حاسمة ضدهم أنهت محاولاتهم لتعكير الأمن في البحار .

★ ★ ★

الاحتلال المصرى الثانى للاحساء ١٨٣٨ ـ ١٨٤٠

القوات المصرية تطرد الوهابيين ١٨٣٨ – ١٨٣٩ :

في نهاية سنة ١٨٣٨ انتهت عمليات المصريين العسكرية في نجد باستسلام أمير الوهابيين فيصل بن تركي في ديلم بالخرج حيث أرسل سجيناً إلى مصر ، وقبل هذا حدث أن دبر آل عمير من بني خالد في الهفوف مؤامرة لحساب القوات المصرية لكنها انكشفت وعاقبهم عمرو بن عفيصان أمير الوهابيين في الأحساء عقاباً رادعاً إذ أمر باعدام ثلاثة من كبار المشتركين فيها . وحين سقطت ديلم خضعت واحتا الأحساء والقطيف تلقائياً للقوات المصرية ، على حين لجأ ممثل الوهابيين إلى البحرين . وألقى المصريون القناع الذي كانوا يتقنعون به وهو مساعدة خالد المطالب بالحكم فأعلنوا أنهم يفتحون هذه الأرض باسم محمد علي باشا والي مصر . ولا نعرف على التحديد ما إذا كان خورشيد باشا القائد العام المصري الذي كان يتخذ مقر قيادته اولا في السلمية بالخرج ثم بعد ذلك في ثرمده بالوشم ـ قد زار الأحساء بنفسه ام لا .. لكن إدارة مصرية منظمة أقيمت هناك على الفور ، كما وضعت حامية من ٣٠٠ جندي غير نظامي في الهفوف ووضعت حاميات أخرى صغيرة في القطيف وسيهات والعقير على ساحل الأحساء .

أعمال القوات المصرية في الاحساء ١٨٣٩ :

وفي وقت من الأوقات بدا محتملا أن القائد المصري يود أن يمد فتوحاته لتشمل جزر البحرين وعمان أمّا ما عملته الحكومة البريطانية التي استطاعت أن تستبق هذا الهدف فهو موجود بالتفصيل في تاريخ عمان المتصالحة وجزر البحرين .. ولكن لم يحدث صدام فعلى من جانب أي من الطرفين لذلك كان إعلان شيخ البحرين في سنة

١٨٣٩ خضوعه للمصريين شيئاً سابقاً لأوانه ولا ضرورة له على الإطلاق . وفي سنة ١٨٣٩ وأثناء احتلال المصريين للأحساء أرسلت حملة تتكون أساساً من بعض القوات النظامية المصرية إلى جانب عدد من عرب المخضبة من بني هاجر ضد بني نعيم في قطر ممّن رفضوا أن يدفعوا الجزية ، لكن اغتيال محمد أفندي الحاكم المصري في الأحساء على يد بعض الأعراب في الهفوف حتم رجوع هذه الحملة .

جلاء القوات المصرية عن الاحساء ١٨٤٠ :

وكان وضع خورشيد باشا في نجد يزداد حدة وصعوبة ، فعداء أهل البلاد جعل من المتعذر عليه أن يرسل الامدادات إلى مواقعه أو يحافظ على خطوط مواصلاته دون انقطاع ، كما أنه كان ينتظر وصول اربع سفن مسلحة تحمل أسلحة وذخائر عن طريق البحر الاحمر لكنها لم تصل ، ووصل بدلها قارب واحد في نوفمبر ١٨٣٩ كان يحمل شحنة من الذخائر. وشيئاً فشيئاً بدأ يتضح أن غزو البحرين —وهو الهدف المحتمل لتقدم المصريين حتى شواطىء الخليج— شيء لن تسمح به الحكومة البريطانية وهناك أخيراً أن سيده محمد علي باشا بدأ ينظر بغيرة وكراهية إلى نجاح قائده خورشيد باشا .

في هذه الظروف أصبح التراجع الشامل أمراً لا مفر من حدوثه . وفي الأحساء وهي أول الأقاليم التي تم جلاء القوات المصرية عنها يبدو أن ذلك قد بدأ تنفيذه في إبريل أو مايو سنة ١٨٤٠ . وكان آخر ما عملته القوات المصرية هناك هو تنفيذ حكم الإعدام في الشيخ برغش شيخ فرع آل حميد من بني خالد ، وقيل إنه أعدم انتقاماً لإطلاق النار على محمد أفندي حاكم الأحساء المصري . وأثناء انسحاب القوات المصرية كانت الحكومة البريطانية مهتمة اهتماماً كبيراً بالحصار الذي كان المصريون قد فرضوه على ساحل الأحساء ، شاملا موانى القطيف وعقير وسيهات .

الحالة الداخلية في الاحساء منذ احتلال المصريين الثاني لها حتى احتلال الاتراك ١٨٤٠ ـ ١٨٧١

إن تقسيم الاحداث التي وقعت في الأحساء خلال الجيل الذي قام بعد جلاء القوات المصرية عن هذا الاقليم في سنة ١٨٤٠ تحت عناوين الحالة الداخلية والعلاقات مع البحرين والعلاقات مع الحكومة البريطانية هو تقسيم يبدو بالضرورة سطحياً جداً .. غير أننا نطبقه هنا ابتغاء الوضوح فقط .

الأحساء تحت حكم الامير خالد ١٨٤٠ ـ ١٨٤٢ :

حين انسحب المصريون من نجد جعلوا من خالد ـ دميتهم التي أعدّوها ـ أميراً لنجد تعاونه فرقة من قواته تبلغ حوالي ٨٠٠ جندي نظامي . وبدأ الحاكم الجديد وكان لا يعي ضعف قواته في الواقع يحلم بالتوسع والفتح .. وهكذا خرج في اكتوبر سنة ١٨٤١ متجهاً نحو الأحساء وفي نيته ارسال حملة على عمان .. لكن الاضطرابات التي حدثت بالقرب من مقر حكمه أجبرته على الرجوع إلى نجد . وفي ديسمبر ١٨٤١ ـ أو أوائل سنة ١٨٤٢ ـ استطاع عبدالله بن ثنيان ـ وهو أحد منافسيه الأقوياء ـ أن يطرده من الرياض ، فتراجع الى القطيف مع قواته الاجنبية التي كان وجودها نفسه أمراً يرهق رعاياه ، كما كان أحد الأسباب الرئيسية لسقوطه . وكان أهل الأحساء قد بدأوا بالفعل يراسلون عبدالله الأمير الجديد . وسرعان ما أرغم أهل القطيف خالداً على إبعاد جنوده المصريين ، وطلب اللجوء لحماية مبارك ابن شيخ البحرين في قلعة الدمام المواجهة للبحر ، وقد استقبله مبارك مرحباً به كضيف ، وفي إبريل ١٨٤٢ زار شيخ البحرين في خور حسان بقطر وعومل هناك معاملة كريمة كما لقي تشجيعاً ووعداً بالمساعدة في استعادة القطيف ، وانتهت العمليات التي تمت باسمه ضد واحة الأحساء وميناء

العقير ببعض النجاح ، لكن مبارك بن عبدالله تراجع بسرعة قبل وصول جيش الأمير عبدالله المنتصر ، وبعدها رحل خالد من الدمام إلى الكويت .

الإحساء تحت حكم الأمير عبدالله ١٨٣٢ — ١٨٤٣ :

ولم تكن تحدث أحداث داخلية هامة تستحق التنويه خلال حكم عبدالله الذي تبع الأمير خالداً في الأحساء . وفي نهاية سنة ١٨٤٢ كان أهل الإحساء الذين رحبوا بهذا الامير في البداية قد بدأوا يسخطون عليه بسبب أعماله في القطيف . . ولكن لم تتبلور أية حركة ضد سلطته بين أهل الأحساء . وقد رفض بعض قبائل البدو المجاورة الخضوع له في البداية ولكن يبدو أنها ارغمت على هذا الخضوع . وفي سنة ١٨٤٣ كانت سلطته قد انتهت تماماً .

الاحساء تحت حكم الامير فيصل ١٨٤٨ — ١٨٦٣ :

وفي سنة ١٨٥١ قام فيصل الذي خلف الأمير عبدالله بزيارة قطر . وربما قام بجولة في الأحساء قبل هذا التاريخ ، ويبدو أنه كان يهدف من هذه الجولة إلى تأديب بعض قبائل البدو . وحتى ذلك اليوم ما يزال يقال إنه الحاكم الوحيد من نجد الذي استطاع أن يحقق بعض النجاح في إخضاع آل مرة المتمردين الأقوياء .

★ ★ ★

علاقات الاحساء بالبحرين خلال نفس الفترة ١٨٤٠ — ١٨٧١

ولا يبقى شيء في شئون الإحساء يستحق الذكر خلال هذه الفترة اللهم إلا علاقتها بالبحرين .. وهذه موجودة بالتفصيل الكامل في تاريخ البحرين .. لذا تجمل هذه الاحداث باختصار هنا .

دعوة لشيوخ البحرين كي يضموا اليهم الإحساء ١٨٤٠ :

في ١٨٤٠ —واثناء انسحاب القوات المصرية من البلاد دعا بعض السكان بواسطة مشرف وهو شيخ بني خالد على الارجح(١) الشيخ محمد بن خليفة شيخ البحرين لاحتلال الأحساء وطرد خالد صنيعة المصريين منها . وكان رفض هذه الدعوة بإلحاح من عبدالله الشيخ الكبير أحد أسباب الانقسام الذي تحول إلى حرب أهلية سرعان ما نشبت بين شيوخ البحرين .

الخلاف بين الوهابيين وعبدالله شيخ البحرين :

وخلال المرحلة الاولى من مراحل هذا الصراع بين الشيوخ المتنافسين في البحرين كان النصر لعبدالله الشيخ الكبير ، وانسحب محمد إلى الأحساء سنة ١٨٤٢ ومنها رحل إلى الرياض حيث أبدى عبدالله الأمير الوهابي الجديد استعداداً لتبني قضيته وكانت نتيجة هذا العمل القطيعة بين أمير الوهابيين وشيخ البحرين القائم ، فحاصر الشيخ ساحل الأحساء ومنح معظم سكان سيهات الذين هاجروا فراراً من مظالم الحاكم الوهابي في القطيف مأوى في البحرين ، وألقى الأمير من ناحيته القبض على شيخ بني هاجر المدعو شافعي وكان وثيق الصلة بشيخ البحرين . وكانت الدمام على ساحل الأحساء ما تزال تابعة للبحرين لكن بشير بن رحمة كان يزعم أيضاً أنه ورثها عن أبيه . ومن مجرى المفاوضات التي دارت لإطلاق سراح شافعي يتضح أن ميناء العقير كان ايضاً في ذلك الوقت تابعاً لشيخ البحرين لكنه لم يستمر طويلا في حوزته .

وحين طرد الشيخ عبدالله من البحرين في إبريل ١٨٤٣ أقام مع أبنائه في الدمام —المكان الوحيد الذي بقي من ممتلكاته— وهناك حاصره

---

(١) لا شيء يشير — على أية حال — الى أن هذا المشرف كان هو نفسه الذى لقى كابتن سادلر على يديه معاملة غير انسانية في سنة ١٨١٩ ·

الشيخ محمد بعد زمن قصير يساعده بشر بن رحمه وعيسى بن علي ..
أما البر فقد كانت تحتله قوة من الوهابيين ابتداء من نهاية ١٨٤٣ .

وفي مارس ١٨٤٤ أستسلمت الدمام للوهابيين ، بل إن الشيخ عبدالله نفسه كان معرضاً للأسر في وقت ما خارج النطاق الذي كان يحاصر المدينة ، واحتل الوهابيون باسم أميرهم محمد فيصل بن تركي مما أسخط بشير بن رحمة الذي كان الشيخ محمد شيخ البحرين قد وعده بتسليمها اليه . وهذه الامور جميعاً تتعلق بتاريخ البحرين أكثر منها بتاريخ الأحساء .

الائتلاف بين الوهابيين والشيخ عبدالله شيخ البحرين السابق ١٨٤٥ – ١٨٤٧ :

وفي سنة ١٨٤٤ أو ١٨٤٥ بدأ الشيخ عبدالله مفاوضاته مع الوهابيين بهدف الاستعانة بهم ، وقدم هؤلاء العون له بسرعة ربما لأنهم وجدوا أن الشيخ محمد بمجرد أن أصبح حاكم البحرين أصبح معارضاً لنفوذهم . وفي ١٨٤٥ حين أعلنت الحرب بين الوهابيين و البحرين حاصر شيخ البحرين ساحل الأحساء وجعل في خدمته قرصاناً معروفاً يدعى حميد بن مجدل الذى سيكون لدينا الكثير لنقوله عنه حين ننتقل إلى علاقات بريطانيا بالإحساء– ونزل الشيخ السابق عبدالله سراً على ساحل الإحساء بالقرب من رأس تنوره ، وخلال اتصالات أجراها الشيخ مع ابنه مبارك الذي ظل منذ سقوط الدمام مقيماً وسط بني بدو هاجر في البر– ومع عبدالله بن سعود الحاكم الوهابي في القطيف ، كان الشيخ السابق يعد حملة على البحرين ، لكن خططه أحبطت جميعاً –لحظة البدء في تنفيذها– نتيجة انتقال أخبارها إلى شيخ البحرين . وظل حصار الشيخ شواطىء الأحساء مستمراً طوال سنة ١٨٤٦ . وفي سبتمبر من هذه السنة استقر الشيخ عبدالله موقتا في الدمام تحت حماية الوهابيين ثم انتقل عقب فترة قصيرة إلى جزيرة تاروت ، وحدثت اشتباكات

طفيفة على البر بين الفريقين لم يشترك فيها الشيخ السابق بنفسه . وفي بداية ١٨٤٧ تخلى القرصان حميد بن مجدل وانصاره من قبيلة آل عمير عن شيخ البحرين . وحين عرف الشيخ عبدالله بهذه الخيانة انتقل من الدمام ولم يتخذ الأحساء قاعدة لعملياته بعد ذلك .

الوهابيون يجعلون أبناء الشيخ عبدالله شيخ البحرين السابق على الدمام ١٨٥٢ :

وفي ١٨٥٠ توترت العلاقات مرة أخرى بين شيخ البحرين وأمير الوهابيين وعاد الشيخ مرة أخرى في سنة ١٨٥١ إلى حصار شاطىء الإحساء . لكن أبناء الشيخ السابق عبدالله استطاعوا أختراق هذا الحصار بأسطولهم من الشاطىء الايراني ودخلوا إلى ميناء القطيف حيث وضعوا الاسطول في خدمة الامير فيصل . وأدى وصول اسطول بريطاني إلى خارج البحرين إلى إيقاف العمليات العدائية على هذه الحزر من جانب الوهابيين وحلفائهم . لكن أبناء الشيخ عبدالله تلقوا مكافأة من الوهابيين على مساعدتهم بأن سمحوا لهم باعادة احتلام الدمام .

محاولة لغزو البحرين من القطيف والدمام ١٨٥٩ :

وفي ١٨٥٩ –وكما هو مذكور بالتفصيل في تاريخ البحرين– بدأت الاستعدادات في القطيف من جانب حاكمها الوهابي ، وفي الدمام من جانب محمد ابن الشيخ السابق عبدالله لغزو البحرين .. لكن خططهم هذه أحبطها وصول الاسطول البريطاني بقيادة القائد بلفور الذي أدى إلى ايقاف كل نشاط من جانب الوهابيين إيقافاً كاملا .

السلطات البريطانية تطرد محمد بن عبدالله من الدمام ١٨٦١ :

وظل وجود محمد بن عبدالله في الدمام على علاقة وثيقة بالدولة الوهابية مدى سنوات طويلة خطراً ماثلا يتهدد البحرين ، وبعد مناقشة أعقبت أحداث سنة ١٨٥٩ قررت حكومة الهند ضرورة طرده منها .

ومن قبل حين اقترح كابتن فيلكس جونز المقيم السياسي على أمير الوهابيين إبعاد محمد بن عبدالله .. أجابه هذا الأمير بخطاب ساخط . والآن حين تكرر هذا الطلب لنفس الأمير حسب اوامر حكومة الهند لزم هذا الصمت التام . وهكذا ، في نوفمبر سنة ١٨٦١ —وكما هو مذكور في تاريخ البحرين— ارغمت نيران السفن الحربية البريطانية محمد بن عبدالله وأنصاره على الهجرة من الدمام .

هذا وإن شئون إقليم الأحساء من حيث كان قاعدة للعمليات التي أدت إلى نجاح الشيخ السابق محمد بن خليفة بمعاونة قبيلة بني هاجر من البر في غزو البحرين مذكورة بالتفصيل في تاريخ إمارة البحرين .

★ ★ ★

علاقات بريطانيا بالاحساء خلال نفس الفترة
ضم الاحساء الى تركيا ١٨٧١

عملية قرصنة يرتكبها قارب من الدمام ١٨٤٠–١٨٤١ :

في أوائل سنة ١٨٣٠ حدثت عملية قرصنة على قارب كويتي من المنطقة الواقعة بين خور موسى ومدخل شط العرب ، وظل الفاعلون مجهولي الهوية حتى أغسطس سنة ١٨٤١ حين تبين أن أحد أنصار مبارك ابن عبدالله الذي كان يحكم الدمام باسم أبيه كان من المشتركين في هذا العمل . وعلى هذا الاساس طلب الى شيخ البحرين دفع مبلغ ٢٧٤ روبية « من روبيات محمد شاه » أو تسليم القرصان وقاربه . وقد رضي الشيخ بالمطلب الاول .

بعثة الملازم جوب في الإحساء ١٨٤١ :

وكان لبعثة الملازم جوب الذي زار أمير الوهابيين بالإحساء في نوفمبر ١٨٤١ علاقة بالخطط التي تردد أن الأمير ينوي تنفيذها بالنسبة لعمان والتي سنشير اليها تفصيلا في مكان آخر .

قرصنة حميد بن مجدل وعقابه ١٨٤٥-١٨٥٤ :

وفي خلال المدة من ١٨٤٥ إلى ١٨٥٤ تركز اهتمام السلطات البريطانية عدة مرات في ساحل الاحساء نتيجة أعمال السوء التي اقترفها حميد بن مجدل - وهو أحد بني عمير من قبيلة بني خالد وحليف شيخ البحرين، كما أشرنا وذلك ضد الوهابيين وفي سنة ١٨٤٥ . وكان انتقل للجانب الآخر سنة ١٨٤٧ . ففي أوائل ١٨٤٥ خرج حميد - ومعه بعض قبيلته - إلى مأواه المعتاد في جزيرة أبو علي بعد أن أصبح يعمل لصالح شيخ البحرين ، واستولى في طريقه على سفينة تابعة لخارج كانت على وشك دخول ميناء القطيف تحمل شحنة قمح م ن ريق ، وحمل السفينة وشحنتها إلى جزيرة أبوعلي ، أما البحارة فقد سمح لهم بالعودة إلى بلدهم بسفينتهم الفارغة بعد أن جردوهم من كل ممتلكاتهم ، وقدرت الخسائر بمبلغ ١٥٠٠ روبية شاهية .. وذكر أن حميد بن مجدل حين وجه اليه تحذير بأن هذه الشحنة التي نهبها تخص فرداً تحت الحماية البريطانية ، ضحك ساخراً وتساءل : «ومن هم هؤلاء البريطانيون ؟ » .

ولم يكن ممكناً تحمل هذا الاحتقار الواضح للأمن في البحار والقائمين على حمايته ، وفي مايو سنة ١٨٤٥ ارسل المقيم مساعده الكابتن كمبول لعقاب هذا القرصان الذي اتخذ لنفسه الآن مقراً في جزيرة جنة . وتم تنفيذ هذه المهمة التي تولاها القائد هوكنز بسفينة صاحبة الجلالة رافعة العلم «كووت» والطراد «كونستانس» يعاونهما قاربان مسلحان ، بعد عدة صعوبات ملاحية ، وقد رد خميد - الذي كان يتصور أن جزيرة جنة هذه لا يمكن الوصول اليها - على الإنذار الأول الذي وجه اليه بالاستسلام بوقاحة سافرة ، لكنه حين طلع الصباح ووجد جزيرته محاصرة من كل جانب بالسفن والقوارب المسلحة سارع الى الاعتذار ، وقد ارغم على تسليم سفينته التي ظلت محتجزة حتى أكتوبر التالي ، ولم تسلم اليه الا بعد أن دفع ٢٠٥٩ روبية شاهانية نقداً و ١٤١ عيناً .

وكانت هذه العمليات مرهقة أشد الارهاق للذين قاموا بها بسبب حرارة الجو الملتهبة تلك الأيام في شهر يونيو ، وقد أثنى مجلس المديرين ثناء حاراً على الطريقة الناجحة التي سيرت بها الحملة . . .

التحركات البريطانية البحرية في القطيف ١٨٤٦ :

وفي صيف سنة ١٨٤٦ وجد الحاكم الوهابي في القطيف في نفسه من الجرأة ما يجعله يوجه خطاباً للمقيم البريطاني يطلب فيه أن تقوم السلطات البريطانية بطرد حميد بن مجدل من المنطقة وباعادة سفينة كبيرة وخمسة قوارب كان هذا قد استولى عليها من القطيف . وهدد الامير المقيم في حالة عدم تنفيذ هذه المطالب بالسماح لبني هاجر وغيرهم من قبائل البدو بارتكاب عمليات القرصنة . وقد اجيب المسئول الوهابي الغاضب على خطابه هذا إجابة ودية لكنها حاسمة نقلها اليه طرادان من بحرية صاحبة الجلالة .

تكرار القرصنة من جانب حميد بن مجدل وتكرار عقابه ١٨٤٥ :

وفي سنة ١٨٥٤ ارتكب حميد ن مجدل عملية قرصنة أخرى ــ وكان يبدو أنه قد استقر في عانق بالقرب من مدينة القطيف ــ بأن استولى على سفينة كبيرة ورفض إطلاقها رغم أن المقيم البريطاني ، كابتن كمبول ــ ذهب إليه بنفسه يطلب تسليمها ، ويبدو أنه كان يظن نفسه تحت حماية العلم التركي حماية مطلقة ، ما دام قد رفعه حيث يقيم ، وحين رفع الأمر إلى حكومة بومباي صدرت أوامرها بتحطيم السفينة التي يملكها القرصان بالقوة لو لزم الأمر ، دون تورط مع ذلك في أية اشتباكات برية .

وفي نوفمبر ١٨٥٤ وصل اسطول من سفن البحرية الهندية خارج عانق ، وكان يتكون من السفينة رافعة العلم «كليف» يقودها القائد روبنسون ، والسفينة «تيجرز» يقودها الملازم فولبرتون والسفينة

«فولكلاند» يقودها القائد هيويت ، والسفينة «كونستانس» يقودها الملازم كرين . وكان الوصول إلى عانق نفسها بحراً غير ممكن ولكن شوهدت بالقرب منها سفينة أقام العرب حولها إستحكامات رملية وكانت على وشك الإبحار ، فهاجمها اسطول مكون من ١٣ قارباً .. كان أحدها مجهزاً بالبنادق والبقية يحمل كل منها مدفعين عيار ١٢ رطلا و ٦ مدافع عيار٣ أرطال إلى جانب قوة من ٢٤٠ جندي وبحار . وخلال هذا الاشتباك انحسر المد عن القوارب البريطانية فأصبحت على أرض جافة ، فسارع اليها العرب يريدون الاستيلاء عليها ، ولكن صدتهم عنها نيران حامية من البنادق والمدفعية ، وحين انحسر الجزر ظن حميد بن مجدل إلا مناص له من طلب الهدنة . فرفعت سفينته العلم الابيض ، واستسلمت السفينة ثم احرقها في الصباح التـــــالي الاسطول الذي عاد إلى الساحل لهذا الغرض . ومن جانب البريطانيين جرح عدة رجال فقط في هذا الاشتباك ، لكن خسارة العرب كانت جسيمة . كما أن الصواريخ والقذائف ثبطت من هممهم .

وقد أشرنا من قبل إلى مظاهرات البحرية البريطانية في القطيف والدمام سنة ١٨٥٩ ، وطرد القوات البريطانية محمد بن عبدالله من الدمام سنة ١٨٦١ ضمن علاقة ذلك بأحداث البحرين . وقد أثارت أعمال البريطانيين في الدمام سنة ١٨٦١ احتجاجاً عنيفاً من جانب الوالي التركي في بغداد في السنة التالية .. على أساس أن الدمام تابعة «لفيصل بك قائمقام نجد» وهي بالتالي «جزء من أملاك السلطان الموروثة» ، ورد المقيم البريطاني على هذا الاحتجاج باستنكار زعم تركيا وتأكيد حقوق بريطانيا في التعامل مباشرة مع الدولة الوهابية وأميرها .

عمليات بريطانيا في القطيف والدمام ١٨٦٦ :

وفي سنة ١٨٦٦ ، وعلي أثر انقطاع العلاقات بين الحكومة البريطانية وأمير الوهابيين بدأت سفينة صاحبة الجلالة «هاي فلاير»

بقيادة الكابتن باسلي العمل في القطيف والدمام ، وهي الاماكن الوحيدة -باستثناء العقير- التي يمكن الوصول اليها بحراً من أرض الدولة الوهابية . ويرد هذا العمل وخططه العامة بالتفصيل في الجزء الخاص بتاريخ نجد . وفي ١٣ يناير سنة ١٨٦٦ وجه إنذار -مدته ١٧ يوماً- إلى أمير الوهابيين في الرياض عن طريق ممثله في القطيف ، وفي ٣٠ يناير - وبعد مقابلة في خليج الفينستون مع الرائد بيللي المقيم السياسي - عاد كابتن باسلي مرة أخرى بسفينة صاحبة الجلالة «هاي فلاير» إلى القطيف حيث تأكد من عدم وصول رد على الانذار ، وعلى هذا فقد دخلت القوارب بقيادة الملازم فيلوز ميناء القطيف يوم ٢ فبراير وحطمت الحصن الصغير المعروف باسم برج أبو الليف كما دمرت سفينة وطنية لم تكن تستحق أن يستولى عليها ، وفي اليوم التالي ارسلت القوارب يقودها الملازم بونج لتدمير قلعة الدمام اذا تيسر لها ذلك . ونزلت فرقة منها إلى البر ، وكان عليها أن تتقدم مسافة طويلة ثم تهاجم القلعة ، لكنها فوجئت بوجود حامية فيها أكبر مما كان متوقعاً ، وتأكد المهاجمون بأنهم لن يجدوا مدخلا اليها . وعلى هذا تراجعوا إلى قواربهم بعد أن فقدوا ثلاثة رجال قتلى وجرح ضابطان وثلاثة جنود . وفي يوم ٤ فبراير جدد الملازم لونج هجومه على الدمام وقت ارتفاع المد ، ومالت القلعة نتيجة ما أصابها من طلقات الرصاص والقذائف والصواريخ ، لكنها لم تدمر تماماً وبقيت في أيدي الأعداء ، وعادت السفينة البريطانية بعد ذلك من الإحساء إلى طرف الخليج وقامت بعمليات أخرى حققت فيها مزيداً من النجاح في سور .

وربما يرجع فشل العمليات البريطانية التي تمت على شاطىء الأحساء إلى عدم وجود مسئول بريطاني ذي معرفة وخبرة على ظهر السفينة « هاي فلاير » فقد كان الممثل السياسي الوحيد الموجود مع كابتن باسلي هو وكيل المقيمية (الوطني) في الشارقة الذي أنابه الرائد بيللي بدلا منه أثناء اضطراره للتغيب .

المصالح التجارية البريطانية :

وخلال هذه الفترة استقرت جالية صغيرة تحترف التجارة من مواطني الهند البريطانية في القطيف وكانت تعمل أساساً في استيراد التجارة العامة من الهند وتصدير التمور المجففة اليها . وكانت اول وكالة تجارية هندية في القطيف هي التي يمتلكها كالونجا وهو تاجر ثري من كاش بدأ عمله في الأحساء سنة ١٨٦٤ تقريباً . وتبعتها وكالتان اخريان في سنة ١٨٦٦ تقريباً .

★ ★ ★

ضم الاحساء لتركيا

معنى حركة تركيا إلى الدمام :

كشفت مواقف المسئولين الاتراك في العراق تجاه شيخ الكويت عن مخطط للتوسع الاقليمي في شرق الجزيرة منذ وقت مبكر يرجع إلى سنة ١٨٦٦ . وفي سنة ١٨٧١ بدأت سياسة التوسع من جانب الحكومة العثمانية أو مسئوليها المحليين تزداد وضوحاً ، ولم تكن الأسباب المؤدية إلى هذه السياسة موجودة في الخليج نفسه ، بل ربما كانت ذات طبيعة أعم وأشمل ترتبط برغبته الحكومة التركية في تأكيد سلطتها على القارة العربية ككل .

وفي الخليج كشفت اتجاهات المسئولين الأتراك من زمن بعيد عن غيرتهم من الوضع الذي اكتسبته الحكومة البريطانية في الخليج ، ويبدو أن هدف الباب العالي كان مد سلطته إلى الساحل العربي وجزره من الكويت إلى مسقط ، لكن تحقيق هذا الهدف اعترضته عقبات طبيعية إلى جانب معارضة بريطانيا .

وكان المنفذ الأول لهذا التوسع هو مدحت باشا الحاكم التركي

للعراق في ذلك الوقت ، وأتاحت الخلافات التي نشبت بين الاسرة الوهابية الحاكمة في نجد فرصة مناسبة للتدخل . فقد نشب الصراع بمجرد موت الأمير فيصل بن تركي في سنة ١٨٦٥ بين ابنيه عبدالله وسعود ، وأفاد الاتراك من هذه الفرصة ليجعلوا من عبدالله قائمقاماً لنجد باسمهم . ويحصلوا منه على اعتراف بسيادتهم على وسط الجزيرة العربية .

محادثات بين الباب العالي والحكومة البريطانية :

ويبدو أن إشارة إلى نوايا الحكومة التركية قد وصلت إلى مسامع حكومة الهند في اوائل سنة ١٨٧١ ، ففي فبراير من نفس السنة صدرت الأوامر للرائد هربرت المقيم السياسي في بغداد بتحري الأمر . ولم يجد في البداية ما يعزز هذه الشائعة لكنه أخيراً –في اواخر مارس– كتب تقريره الذي جاء فيه أن حملة تركية سترسل قريباً عن طريق البحر من العراق للقطيف للوقوف إلى جانب عبدالله في وسط الجزيرة . وعلى الفور ، لفتت حكومة الهند نظر حكومة صاحبة الجلالة إلى عدم رغبتها في نشوب هذه الحرب من جانب الباب العالي لانها ستخرق السلم في البحار ، وقد تؤدي إلى تدمير التجارة البريطانية ، إلى جانب المشكلات السياسية التي ستنجم عن حرب مثلها ، وبالإضافة إلى ذلك فقد أبلغ الرائد هربرت في بغداد بأن النية تتجه إلى مد السيادة العثمانية إلى « البحرين ومسقط والقبائل العربية المجاورة في جنوب الجزيرة العربية» ، وأجرت حكومة الهند اتصالا جديداً بحكومة صاحبة الجلالة ، وفي نهاية إبريل أو أوائل مايو ورد تأكيد من الباب العالي في القسطنطينية بعدم وجود أية نوايا توسعية في هذه المنطقة ، وأضاف الأتراك في ردهم يقولون إن هدفهم الوحيد هو عودة الهدوء إلى نجد ، وأنهم لا يودون أبداً إحداث ما من شأنه تعكير السلم في البحار .. لكنهم سيقتصرون على نقل قوة عن طريق البحر إلى أقرب نقطة على الساحل يمكن منها السير إلى نجد في الداخل .

. وفي مايو تأكد أن مدحت باشا ـــ الذي وصف البحرين سنة ١٨٧٠ بأنها «بلاد تابعة للسيطرة العثمانية .. وهي جزء من قائمقامية نجد» ـــ كان يعرف يقيناً الأعذار التي تعلل بها الباب العالي ، فأعلن أن قائد الحملة قد صدرت له أوامر صريحة «بعدم التعرض لجزر البحرين على الإطلاق » . وفي نفس الوقت سأل شاه إيران ممثل بريطانيا في طهران عن نوايا الحكومة التركية فيما يتعلق بالبحرين ، وأبلغ بالتأكيدات التي صدرت عن الباب العالي . أما رئيس الوزراء في القسطنطينية فقد وضح أنه ساخط بعض الشيء على المصالح البريطانية واهتمامها بحركة التوسع التركية ، وأصبح ضرورياً تخليصه من اعتقاده الراسخ بأن السلطات البريطانية هي المحرض الأول للقبائل العربية كي تتمرد على سلطة تركيا في الجزيرة والخليج .

السياسة البريطانية في الخليج من حيث علاقتها بالحملة التركية :

وكان احتمال اضطراب حبل الامن في الخليج ، وهو حدث مستبعد قد اوقع حكومة الهند في مأزق ، ووضح الآن أكثر من أي وقت مضى عدم كفاية الأسس الرسمية ، أي المعتمدة على اتفاقيات قائمة بالفعل ، للتدخل العسكري في الأمر . ولم تكن المشكلة هي الاعمال العدائية بين الموقعين على اتفاقية السلم الشاملة ، بل الحرب المحتملة بين الموقعين عليها وغير الموقعين ، ولم يكن في الاتفاقية نص يتعلق بهذه الحالة . وتقدم بعض مشايخ العرب إلى الرائد بيللي المقيم العام في الخليج يتساءلون عما اذا كانت السلطات البريطانية ستمنع القبائل البحرية من الوقوف إلى جانب الأمير سعود الوهابي في نجد ضد الأتراك ، كما ارسل سعود كتاباً إلى المقيم يخطره فيه بضرورة منع شيخ الكويت من تقديم العون للاتراك ، وإلا فانه حر في أن يقوم بأعمال بحرية ضده ، ومن ناحية ، كان ثمة إحساس من جانب السلطات البريطانية بأن منع القبائل

العربية من تقديم عونها لسعود يعني تأييداً بشكل غير مباشر للحملة التركية ، ومن الناحية الاخرى ، كان ثمة خوف من أن يؤدي إطلاق حريتهم الكاملة إلى اضطراب التوازن القائم في الخليج ، والى تقديم تبريرات للأتراك يمارسون بمقتضاها مزيداً من التدخل وضم أرض هذه القبائل إلى الدولة العثمانية .

وأخيراً في ٣٠ مايو سنة ١٨٧١ صدرت التعليمات للمقيم السياسي بزيارة البحرين ليؤكد للشيخ أنه طالما ظل ملتزماً باتفاقية سنة ١٨٦١ مع الحكومة البريطانية فان هذه الحكومة –بدورها– ستوفي بالتزاماتها نحوه(١) . وفي ٥ يونيو صدرت تعليمات جديدة للرائد بيللي بأن يمنع شيوخ عمان المتصالحة من القيام بأية عمليات بحرية سواء في صف الأتراك أو ضدهم ، وأن يستخدم نفوذه مع غيرهم من الشيوخ لتحقيق السلم في البحار . ولم يرسل أي رد حتى ذلك الوقت إلى سعود أمير الوهابيين . وحين نشبت هذه الأزمة لم تكن ثمة سفينة بريطانية واحدة في الخليج . ولكن أخيراً وصلت السفينة «بولفينش» إلى البحرين يوم ٣ يونيو ، ومرت السفينة «مجباي» بجاشك يوم ٥ يونيو ووصلت السفينة «لينكس» هانجام في ١٦ يونيو .

وأبلغت الحكومة التركية بالتعليمات التي صدرت للمقيم السياسي ، وقدم كبير الوزراء شكره وامتنانه ، لكنه أضاف ، أنه اذا شاء بعض مشايخ عمان المتصالحة الوقوف إلى جانب تركيا فان الحكومة التركية لا بد أن تقبل هذا من جانبها ، فهي لا تعرف شيئاً عن اتفاقيات السلم البحرية هذه . ولتفادي هذا المأزق قدمت فوراً نسخ من الاتفاقيات المعقودة بين الحكومة البريطانية والشيوخ المتصالحين للوزير التركي .

---

(١) يبدو أن الهدف كان هو تأكيد تقديم المعونة . أما في الاتفاقية فلم تعد الحكومة البريطانية بأن تتجاوز حمايتها « زعماء وقبائل الخليج .. » فقط .

احتلال الاتراك واحة القطيف :

لكن تفاصيل هذه العمليات من جانب تركيا ناقصة في معظمها . فالجانب البحري من الحملة –كما وصفه الرائد هربرت في البصرة في أوائل مايو– كان يتكون من السفينة الحربية البخارية «برونزة» المسلحة بخمسة وعشرين مدفعاً ، والسفينة «نيبتون» وهي أصلا سفينة غير مسلحة، ولكنها زودت بأربعة مدافع ، والسفينة «خوجة بك» وهي سفينة حراسة خشبية قديمة عليها ١٨ مدفعاً قديماً معظمها لا يساوي شيئاً ، وثلاث سفن صغيرة –أصغر من «خوجه بك»– من صنع البصرة تحمل ١٢، ٦، ٤ مدافع ، وقد اضيفت إلى الاسطول سفينتان أخريان . لكن معظم السفن المستخدمة في النقل كان على شيخ الكويت أن يقدمها ، وقد لحق هو بنفسه بالحملة ومعه ٣٠٠ سفينة من سفن مينائه، واصطحبت القوات التركية السيد محمد سعيد ابن نقيب البصرة منصور شيخ المنتفق وغيره من وجهاء العرب في العراق .. ربما «كناطقين بلسانها» أو وسطاء سياسيين لها . ونزلت القوات التركية التي كانت تتكون من حوالي ٤٠٠٠ جندي نظامي و ١٥٠٠ عربي و ٩ مدافع إلى رأس تنوره في ٢٦ مايو سنة ١٨٧١ وسارت براً إلى القطيف دون أن تلقي معارضة تذكر ، ولما رفض الحاكم الوهابي في القطيف أن يستسلم هوجمت المدينة براً وبحراً في ٣ يونيو . وتم الاستيلاء عليها بعد أن استمر ضربها ثلاث ساعات . وارسلت فرقة احتلت عانق بعد مقاومة طفيفة .

واستولت هذه الفرقة على ثلاثة مدافع وكمية من الذخيرة ، ثم سارت إلى الدمام التي سقطت يوم ٥ يونيو . وهرب عبدالعزيز –ابن الأمير سعود الوهابي– من الدمام قبل سقوطها ، تاركاً وراءه سجيناً أطلق سراحه الأتراك هو محمد بن فيصل ، كما استولى الأتراك أيضاً على تسعة مدافع جديدة ومدفعين من النحاس وبعض مخازن الأسلحة الصغيرة

والذخائر . وفي نهاية يونيو عاد اسطول الكويت إلى مينائه وكانت القوات التركية ما تزال في واحة القطيف لكنها لم تتقدم بعدها .

الاعلان التركي في القطيف :

وحين وصل الأسطول التركي مدينة القطيف أصدر قائده نافذ باشا بياناً أعلن فيه أنه جاء على رأس هذه الحملة لاسترجاع سلطة عبدالله قائمقام نجد من معارضيه ، وأن غريمه سعود وأنصاره سيصفح عنهم اذا جاءوا وأعلنوا خضوعهم ، أما القبائل التي تظل هادئة مسالمة في القطيف فستحظى ولا شك بحماية تركيا وإحسانها .

تقدم القوات التركية الى واحة الاحساء :

وفي أوائل يونيو خرجت القوة التركية من القطيف إلى الهفوف ، واستغرقت هذه المسيرة عبر الصحراء –رغم عدم وجود أية مقاومة– حوالي ١٥ يوماً ، وبعدها احتلوا واحة الأحساء دون قتال ، وأبعدت الفرقة العربية –كذلك أبعد المتكلمون الوسطاء السياسيون– وأعيدوا إلى ديارهم ، ويبدو أن السبب في ذلك كان ناشئاً جزئياً عن عدم توافر الإمدادات في الجيش . وخسر آل المنتفق أثناء العودة إلى ديارهم عبر الكويت كثيراً من خيولهم لندرة الماء والكلأ . وكانت القوات التركية –منذ نزولها إلى شاطىء الأحساء– معرضة لنقص الزاد وكذلك لانتشار الحمى والكوليرا ، وقد زادت المسيرة إلى الهفوف من ضعفها .. والآن أصبحت معرضة للإبادة التامة في الأحساء بسبب الرياح الحارة وانتشار الملاريا بشكل عنيف . وفي أغسطس – حين كان عدد القوات التركية الموجودة في الأحساء كلها حوالي ٣٤٠٠ رجل موزعين على النحو الآتي : ٢٥٠٠ في الهفوف ٥٠٠ في القطيف ، ١٥٠ في العقير ، ٢٥٠ في مواقع صغيرة على الطريق –ذكر أن ثلث هذه القوات كانوا من الجنود المرضى غير القادرين على العمل – وسجل القائد التركي الذي أصبح الآن يجد

صعوبة كبيرة في الاتصال بالساحل اسماء ٩٠٠ رجل من أهل البلاد كجنود أتراك في مقابل ست روبيات في الشهر لكل منهم . وصدمت مشاعر المسلمين في الإقليم كله من جراء وصول سفينة محملة لآخرها ببائعي النبيذ والبغايا من بغداد ، ولكن يبدو أن الطبقات المشتغلة بالتجارة كانت تفضل مساوىء الإدارة التركية على القيود الرهيبة التي يفرضها الحكم الوهابي .

أعمال الوهابيين :

وفي الوقت الذي نزلت فيه القوات التركية إلى الأحساء لأول مرة ، كان الشقيقان عبدالله وسعود يقاتل واحدهما الآخر في الداخل على بعد حوالي ٢٠٠ ميل من الساحل ، ويبدو أن الكفة كانت تميل في ذلك الوقت لصالح سعود -الذي يعارض مصالح الأتراك- والذي كان يسيطر على العاصمة الرياض . وفي أغسطس وصل عبدالله إلى مقر القيادة التركية بعد أن منعته أخطار الطريق من بلوغها قبل ذلك التاريخ ، لكنه هرب في أكتوبر بعد أن تبين أن الباب العالي لا ينوي إعادته إلى السلطة . بل إلى حرمانه منها ، ثم سار من الهفوف إلى نجد يسبقه شقيقه محمد ويصحبه ابنه تركي . وفي شهر أكتوبر لم يتخذ أي من الطرفين عملا إيجابياً ، وفي نوفمبر هاجم سعود الأتراك في الأحساء لكنه هزم وارتد على أعقابه هو وجماعة من البدو إلى الصحراء باتجاه قطر حيث بقي زمناً طويلا . وفي ذلك الوقت بدأ سعود يراسل شقيقه عبدالله من أجل الصلح والتحالف معاً لقتال الأتراك ، ولكن بلا جدوى .

زيارة مدحت باشا للاحساء نوفمبر - ديسمبر ١٨٧١ :

وفي ٩ أو ١٠ نوفمبر سنة ١٨٧١ سافر مدحت باشا وكان حريصاً على أن يرى آثار عمله بأم عينيه ، من شط العرب إلى الكويت حيث قضى فيها يوماً واحداً ومنها سار في ثلاث سفن بخارية تحمل قوارب

كبيرة إلى القطيف فوصلها يوم ١٣ أو ١٤ من نفس الشهر ، وفي ٢١ منه نزل في فرقة قوامها ٣٠٠ جندي إلى العقير وسار منها إلى الهفوف .

وكان هدف زيارة مدحت باشا -كما جاء في حديث القائد التركي للرائد بيللي - هي أن يحقق في بعض اتهامات بالتخريب . وأن يقر الإدارة في الأحساء ، ثم يضع ترتيبات تقدم القوات التركية نحو الرياض . ولكن حين وجد أن حامية الأحساء في حالة يرثى لها ولا تستطيع سوى الدفاع عن نفسها .. تخلى عن هذا الهدف الأخير ، واكتفى مدحت باشا بأن أعلن عزل الحكام الوهابيين من أسرة آل سعود وعين نافذ باشا بدلهم متصرفاً في نجد . لكنه لم يتخل عن بقية خططه التي لم يستطع تنفيذها . وفي طريق عودته إلى بغداد -التي وصلها في ٢٨ ديسمبر- اشترى الوالي السفينة البخارية «سينوب» التي كانت بريطانيا من قبل تهدف لاستخدامها في تنظيم الاتصال بين البصرة والقطيف . وقد عاد مع مدحت باشا عدد كبير من الجنود غير الصالحين للعمل ، وفي أول يناير ١٨٧٢ أرسل فرقة جديدة قوامها ٣٠٠ جندي إلى الاحساء .

نتائج الحملة التركية على أحوال قطر والبحرين :

ولم يكن القائمون على تنفيذ السياسة التركية ملتزمين التزاماً تاماً بتأكيد الحكومة التركية عدم ارتكاب أي عمل عدواني ضد جزر البحرين أو ضد القبائل العربية المستقلة في المنطقة ، ففي يونيو ١٨٧١ تقريباً أنكر مدحت باشا ضمن مراسلات بينه وبين الرائد هربرت إمكان وجود أية قبائل مستقلة في نجد . وكان تعبير «نجد» الذي يستخدمه مدحت باشا معتمداً على قائمة نشرت في جريدة بغداد الرسمية تحمل بين «بيوت وحدائق نجد» مدن الشارقة ودبي وأبو ظبي في عمان المتصالحة .

وكما ذكرنا في تاريخ قطر ، كان العلم التركي مرفوعاً على ميناء الدوحة في هذا الإقليم في يوليو سنة ١٨٧١ ، وكانت حامية تركية مقيمة هناك في يناير ١٨٧٢ ومحتمل أن تكون مثل هذه المحاولات قد بذلت

أيضاً في البحرين –لولا اهتمام الحكومة البريطانية بهذه الجزر بوجود سفنها الحربية دائماً هناك– . وقد حاول الأتراك غير مرة واحدة إغراء شيخ البحرين بالوقوف إلى جوارهم كما ذكرنا ذلك في مكان آخر . فمنذ المرحلة الأولى للعمل تبين أن اللاجيء البحريني ناصر بن مبارك موجود في الجزر على رأس قوة تركية ، وأفصح شيخ أبو ظبي في وقت من الأوقات عن رغبته في التآمر مع الأتراك ، لكن اتجاهه تغير بعد زيارة قام بها لسلطان عمان سنة ١٨٧٢ ، وفي أوائل سنة ١٨٧٢ أكدت الحكومة التركية من جديد تأكيدها بأن عملياتها هذه قاصرة على تثبيت سلطتها في الأقاليم الصحراوية المتمردة ، وأشارت إلى استدعاء مدحت باشا مؤخراً إلى القسطنطينية كدليل على رغبة الباب العالي في عدم توسيع هذه العمليات .

★ ★ ★

احتلال الاتراك العسكرى للاحساء ١٨٧٢ ـ ١٨٧٤

المفاوضات مع الوهابيين :

وفي ربيع سنة ١٨٧٢ بدأت المفاوضات بين سعود ورءوف باشا ، الوالي الجديد على العراق التركي . ووصل إلى الأحساء عبد الرحمن شقيق سعود يصحبه رجل يدعى فهد بن سنيتان لبدء المحادثات مع الأتراك ، ودعي عبد الرحمن لزيارة بغداد ، حيث ألقي به في السجن حتى أغسطس سنة ١٨٧٤ . ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى وجهت إلى فهد بن سنيتان تهمة التآمر على مدحت باشا –الذي كان قد أصبح في ذلك الوقت متصرف الأحساء خلفاً لنافذ باشا– وأرسل مكبلا بالأغلال من الأحساء إلى بغداد . وفي سنة ١٨٧٣ حين سرح جنود الحامية وبذلت الجهود لإقامة اتصال دائم منتظم بين البصرة والقطيف ، بدا أن مخطط التقدم إلى الرياض قد صرف النظرعنه موقتاً على الأقل .

الحالة الداخلية :

وفي نفس الوقت بدأ أهل الأحساء يضيقون بحكم العثمانيين ويجهرون بالشكوى من مظالم جندهم وموظفيهم ، وتردد أن أهل البلاد العرب لم يكونوا يضمرون أية مودة للحكومة التركية وظلت الاوبئة على انتشارها بين جنود القوات التركية .

العلاقات ببريطانيا :

وفي ١٨٧٣–١٨٧٤ قامت السفينة البريطانية «كونستانس» باجراء عملية مسح بحرية لساحل الأحساء باتفاق خاص مع الباب العالي والسلطات التركية في العراق .

★ ★ ★

حكم الاتراك للاحساء بواسطة شيخ قبيلة بنى خالد ١٨٧٤

تعيين بركة بن عرير مارس ١٨٧٤ :

وفي مارس ١٨٧٤ ، حين تبين الأتراك أن سيطرتهم على إقليم الأحساء تشكل عبئاً جسيماً على مصادرهم المالية والعسكرية ، قاموا بتجربة لم تعمر طويلا في الإدارة الإقتصادية للإقليم : وكانت تنحصر في خفض عدد جنود الحامية إلى أقصى حد ممكن ، ووضع بركة بن عرير شيخ قبيلة بني خالد التي كانت حاكمة في يوم ما كمتصرف للأحساء بدل المسئول التركي . وقد عين بركة بن عرير ناصر باشا شيخ المنتفق الذي وصل إلى رأس تنورة على رأس السفن «آشور» و «أبوس» و «لبنان» و «سينوب» ، وجاء بصحبته أحمد باشا بوصفه قائداً لما تبقى من القوات التركية . وكان على السفن أيضاً شحنة من الحبوب للقوات التركية . وعقد مؤتمر كبير في الأحساء أعلن فيه تعيين بركة بن عرير .

ثم عاد ناصر باشا إلى البصرة مع معظم القوات التركية وعدد من الأسرى من الذين يعارضون تعين بركة متصرفاً للأحساء ، وأمد المتصرف الجديد بقوة من رجال الضبطيّة ، أو الشرطة العسكرية ، وكان الأمل أن يستطيع بها و ببدو القبائل أن يحافظ على سلطته .

التمرد والاطاحة ببركة :

وقد استمرت هذه الإجراءات عدة شهور ، بدأت تتواتر بعدها الشكاوى من أعمال المتصرف الجديد وغيرها من أعراض سخط الأهالي على الحكم التركي . وبدأت الامور في التطور . ففي مطلع خريف ١٨٧٤ أطلق سراح الأمير عبدالرحمن الوهابي وسمح له بمغادرة بغداد فسار إلى البحرين ومنها بدأ يتراسل سراً مع بعض القبائل العربية في البر(١) . وبعدها بعدة أسابيع نزل الى العقير ، فأسرع الوف الناس يلتفون حوله ، ووجد الشيخ بركة نفسه محاصراً في قلعة الهفوف ، وأرسل الأتراك –بسرعة غير معهودة فيهم– ٢٤٠٠ جندي وأربعة مدافع بقيادة ناصر باشا الذي كان مسئولاً عن تعيين بركة . ووصلت القوة بحراً إلى موقع المتمردين .

وكان ما عملته هذه القوة التركية سريعاً وحاسماً ومخيفاً . فقد استطاع عبدالرحمن الفرار(٢) وتفرقت قواته في كل الاتجاهات ، واستولت القوات التركية مرة أخرى على واحة الأحساء وراحت تمارس فيها الفظائع ، وبعد أن استقرت الأمور على هذا النحو رجع ناصر باشا في فبراير ١٨٧٥ إلى العراق وترك أبنه فريد باشا مسئولاً عن

---

(١) يرد هذا الاسم أحيانا « بازه ٠٠ » أو « بازى ٠٠ » ٠٠ الخ ، غير أننا نعتقد أن « بركة » هو الاسم الصحيح ٠

(٢) احتجت تركيا على أعمال عبد الرحمن في البحرين كما هو مذكور في تاريخ هذه الامارة ٠

الأحساء بدل بركة الذي عزل ، وبعدها بوقت قصير تم فصل الأحساء وغيرها من الأقاليم التابعة للبصرة عن بغداد وأصبحت ولاية مستقلة عهد بها إلى ناصر باشا ، وظل هذا الإجراء متبعاً حتى سنة ١٨٨٠ .

★ ★ ★

الاحداث التالية في الاحساء ١٨٧٥ ـ ١٨٧٧

أمور أخرى ١٨٧٥ – ١٨٧٨ :

وخلال السنوات الثلاث التالية لم ترد تقارير كثيرة عن الحالة الداخلية في الأحساء اللهم إلا ما يتعلق بانتقال القوات التركية الموسمي . وفي ١٨٧٦ خلف سعيد بك فريد باشا في حكم الأحساء ، وفي سنة ١٨٧٧ بدأت مفاوضات ـ لم تصل إلى نتيجة ـ بين الأتراك وعبدالله بن فيصل الوهابي بهدف تعيين هذا الأخير متصرفاً لتركيا في الأحساء .

★ ★ ★

تفشي القرصنة على ساحل الاحساء
١٨٧٨ ـ ١٨٨٠

جرائم القرصنة في أغسطس إلى نوفمبر ١٨٧٨ :

لقد ركز اهتمام كبير بساحل الأحساء سنة ١٨٧٨ نتيجة اندلاع عمليات القرصنة اندلاعاً خطيراً أوضح عجز الأتراك حيالها ، وقد بدأت جزر البحرين وإقليم قطر يتأثران بهذا الاضطراب الخطر في الأحساء ، وتبعاً لهذا أثيرت مشاكل كثيرة بشأن سياسة الحكومة البريطانية ناهيك عن مسئوليات الحكومة التركية ووضعها في شرق الجزيرة العربية ودار حول ذلك جدل شديد . ويبدو أن لهذه الاضطرابات من حيث أصلها علاقة وثيقة بالتمرد في القطيف .

ولكي نفهم الأبعاد الحقيقية لخطورة هذا الموقف علينا أن نشير باختصار إلى الغارات التي ارتكبها القراصنة ، ولا بد أيضاً أن نذكر بعض هذه الجرائم المتعلقة باقليم قطر لاننا لا نستطيع الإشارة اليها إلا في هذا المقام .

قامت عصابة من بني هاجر بعبور الخليج ، حيث هاجمت عدة سفن إيرانية ونهبتها في مكان قريب من جزيرة الشيخ شعيب وجرحوا رجلين من بحارتها ، ثم قاموا أيضاً بمهاجمة قارب غير معروف الجنسية ، وقتلوا بحارته واستولوا على مبلغ ١٠,٠٠٠ روبية نقداً ، وعادوا إلى قطر . وثمة عصابة أخرى كان أفرادها من بني هاجر وبعض بني مرة قامت بالاستيلاء على قارب مملوك لبني عمير في القطيف ، ونزل أفرادها به إلى البحر حيث استولوا على سفينة أخرى من سفن القطيف أيضاً وحملوها إلى الدمام حيث نهبوها ، ثم واصلوا سيرهم في سفينة القطيف حتى ساحل قطر حيث استولوا على سفينة تابعة لميناء الدوحة في مكان قريب من رأس لفان .. وأخيراً حملوا غنائمهم إلى دوحة «سلوى» حيث تخلصوا مما حصلوا عليه في جولتهم .

وقد نزلت جماعة من بدو بني هاجر يقودهم زيد بن محمد أحد رجال بني هاجر في الظهران إلى الدوحة كمسافرين على ظهر سفينة من رأس الخيمة ، وأرغموا قائد السفينة على الرسو بها في مكان على ساحل قطر ، وهناك أجبروه ، بمعاونة ١٧ بدوياً آخر كانوا في الموقع على الاتجاه نحو الساحل الإيراني . وبين جزيرتي قيس وهندرابي استولوا على سفينة صغيرة تابعة للساحل الإيراني ، وجرحوا ملاّحها وابنه ، ثم عادوا إلى رأس لفان على ساحل قطر حيث نقلوا أربعة من ضحاياهم إلى قارب تابع لرأس الخيمة وسمحوا له بالسير ، واحتفظوا باثنين منهم كأسرى . كما هاجم بنو هاجر سفينة بحرينية صغيرة كانت في سبيلها من القطيف

إلى البحرين ونهبوها بالقرب من الدمام وحملوا اثنين من العبيد كانوا على ظهرها ، كما لقيت سفينة بحرينية أخرى نفس المصير في نفس المكان على يد نفس العصابة في أغلب الظن . وفي ٤ سبتمبر هوجمت سفينة قطرية كانت في طريقها إلى العقير أثناء مرورها بالزبارة ، هاجمها أهل هذا المكان في سفينتين وقتلوا ثلاثة من المسافرين وجرحوا ستة مات منهم واحد متأثراً بجراحه وخطفت فتاة صغيرة ، وتم الاستيلاء على ٧٠٠ روبية نقداً ، وكان يقود هذا الهجوم محمد بن رشيد ابن شيخ الزبارة الذي كان ابوه يطل عليه من قمة حصنه ولم يجد شيئاً يعترض عليه سوى ترك بعض الضحايا دون ان يقتلوا .

وفي دارين بجزيرة تاروت استولت عصابة من ٢٥ رجلا من بني هاجر على قارب للمدعو إبراهيم بن يوسف ، وهو تاجر محايد من رعايا بريطانيا وحمله زايد بن محمد زعيم العصابة إلى الدمام . وهناك أطلق سراح من على ظهر القارب ما عدا غلام وعبد احتفظ بهما القراصنة كما استولى بعض البدو —والراجح أنهم من بني عمير— على قارب كان راسياً داخل ميناء القطيف ، ووضعوه على ظهر سفينتهم المحملة بالتمور ، كما خطفوا الملاح وبحارين كانوا على ظهره ، ثم وجد هذا القارب وهو يعمل في خدمة القراصنة خارج جزر البحرين . كما كانت ثمة سفينة صغيرة راسية في المرسى الداخلي لميناء القطيف فأحاطت بها اربعة قوارب لبني عمير فنهبت منها ٢٠٠ روبية وسارية كبيرة وقارباً صغيراً .

كما هاجم سبعة من بني عمير قارباً تابعاً لرأس الخيمة على الشاطيء تحت أسوار قلعة القطيف نفسها ، ونهبت بضائع قيمتها ٣٦٠ روبية تقريباً ، وأطلق اللصوص النار على ضحاياهم حين حاولوا الهرب منهم سباحة فجرحوا الملاح وسحب القارب إلى عانق ، كما حملت عصابة من بني عمير أيضاً سفينة مسافرين تابعة للبحرين وحملوها خارج مدينة القطيف . وفي ٢٧ سبتمبر هاجم قارب وسفينة صغيرة تحملان

١٣ و١٦ رجلا من بني هاجر قارباً بحرينياً وصل إلى قرب مدينة القطيف ونهب اللصوص قلاعه وقاربه الصغير ومرساته ، كما نهبت ايضاً ممتلكات البحارة الشخصية وخطف القراصنة أحد العبيد ونزلوا بغنائمهم إلى الدمام .

كل هذه الحوادث التي ذكرناها ــ والتي ربما لم تكن مرتبة ترتيباً زمنياً متتابعاً ــ قد وقعت خلال شهري سبتمبر وأكتوبر سنة ١٨٧٨ .

عمليات القرصنة من ديسمبر ١٨٧٨ حتى يوليو ١٨٧٩ :

وفي نهاية ديسمبر ١٨٧٨ استولى منصور بن مناخير ، وهو شيخ من شيوخ عجمان ، وزايد بن محمد الذي أشرنا اليه قبلا بالقوة على قارب تابع للبحرين ونزلا به إلى البحر فنهبا سفينتين بالقرب من مدينة القطيف حملا من إحداهما ما قيمته ٢٠ الف روبية .. وكانت على مرمى النظر في ذلك الوقت عشر سفن تركية تنقل جنوداً من القطيف إلى العقير لكنها جميعاً تجاهلت استغاثة الضحايا . وفي اوائل ١٨٧٩ قامت عصابة جديدة من بني هاجر شجعها نجاح زيد بن محمد بعمليات قرصنة جديدة فاستولت على حمولة سفينتين تابعتين للبحرين من التمور ، وبعد ارسال غنيمتهم إلى البر ونقلها إلى الداخل ، واصلت العصابة سيرها بحثاً عن صيد جديد . وفي ١١ فبراير حدثت غارة جريئة على جزيرة البحرين قام بها حوالي ثلاثين رجلا من بني هاجر نزلوا من الظهران إلى عقارية وقتلوا أحد مواطني البحرين ، وتبعتها سلسلة كاملة الحلقات من أعمال القرصنة ارتكبها زايد بن محمد من الظهران وبقية أنصاره من بني هاجر بمعاونة بعض رجال من عجمان ، ووصلت هذه الأعمال قمتها في يوليو سنة ١٨٧٩ بهجوم على سفينة بحرينية من سفن اللؤلؤ ، وقتل أحد بحارتها وجرح ثلاثة آخرون ونهبت السفينة نفسها ، وكان عليها ما قيمته ٢٠٠٠ عزان بالإضافة إلى عبدين استولى عليهما القراصنة .. لكن أمكن استرداد السفينة بعد فترة طويلة ..

وفي يونيو ١٨٧٩ قدرت الخسائر المادية التي نتجت عن هذه الحوادث بما قيمته ٦٧,٠٠٠ غران تقريباً كانت الحكومة البريطانية تهتم منها فقط بمبلغ ٨٨٣٤ غران هو قيمة ما يخص رعاياها ، وفي إحدى هذه الحالات هوجمت سفينتان متجهتان نحو كراتشي هما «هارسنجر» و«افتخار» وأطلق عليهما القراصنة النيران ونهبوهما على بعد ميلين فقط من مدينة القطيف.

وفي يونيو ويوليو ١٨٨٠ ذكرت حوادث قرصنة جديدة ارتكبها زايد بن محمد وأنصاره .

العمليات التي قامت بها كل من السلطات المحلية البريطانية والتركية :

وكان مما يسر السلطات التركية أن تتجاهل هذه الحوادث جميعها ، رغم أنها كلها قد ارتكبت من مواطنين تابعين – اسمياً على الأقل – لتركيا وفي مياه إقليمية تركية . لكن الحكومة البريطانية التي حققت السلم في الأحساء من قبل لم يسعها أن تقف طويلا مكتوفة اليدين :

١٨٧٨ :

ففي أكتوبر ١٨٧٨ ، ونتيجة الجريمة التي ارتكبت آنذاك مؤخراً في الزبارة صدرت التعليمات للرائد روس المقيم السياسي بأن يطلب من الوالي التركي في بغداد عقاب الذين ارتكبوا هذه الحادثة .. وأن يعرض عليه المساعدة البحرية من جانب بريطانيا . وفي نفس الوقت تقريباً استطاعت سفينة صاحبة الجلالة « فليتبشر » بقيادة القائد برنجل أن تستولي على ١٥ قارباً لبني عمير خارج القطيف ، كما استولت أيضاً على ثلاث سفن واربعة قوارب لبني هاجر كان من بينها قاربان مملوكان أصلا للبحرين ، وذلك في المياه جنوبي القطيف ، وسلمت كل هذه السفن والقوارب إلى الحاكم التركي للقطيف ، وقد أشادت بعمل قائد السفينة كل من حكومة الهند ووزارة الخارجية في لندن .

وفي لقاء ودي بين الرائد روس وعبدالله باشا الوالي التركي في البصرة رفض الوالي معونة السفن الحربية البريطانية لكنه وعد بتوقيع العقوبة على الزبارة اذا ثبت له أنها قد ارتكبت هذا العمل وفي هذا الوقت تقريباً لم تعد الزبارة على قيد الوجود .. فقد دمرتها تماماً القبائل العربية المعادية على نحو ما جاء في تاريخ قطر .

١٨٧٩ :

وفي يناير ١٨٧٩ ، وكانت هذه الاضطرابات ما تزال مستمرة سارت قوة تركية عن طريق البر إلى القلعة الصغيرة المعروفة باسم قلعة الحسين في الظهران لكنها لم تنجح في القاء القبض على أي من القراصنة ولا في استعادة شيء من الأشياء التي نهبت . وفي نفس هذا الوقت تقريباً جنحت السفينتان الحربيتان التركيتان «بروسا» ،و«الاسكندرية» اللتان ارسلهما وزير الحربية التركية إلى ساحل الأحساء . وفي شهر فبراير من نفس السنة —وبهدف أساسي هو حماية البحرين—رست سفينة صاحبة الجلالة «سبارتان» خارج القطيف ، وعين مساعد المقيم السياسي كابتن دوراند مؤقتاً في البحرين . وفي إبريل استعادت سفينة صاحبة الجلالة «فليتشر» سفينتين للبحرين كان القراصنة قد استولوا عليهما ، وبدا أن الأمور قد استقرت بعض الشيء . وفي يوليو من نفس السنة ، وبعد تجدد أعمال القرصنة على يد زايد بن محمد لفت نظر الباب العالي والإدارة التركية في البصرة غير مرة واحدة دون أية نتائج مرضية.. بل دون نتائج على الإطلاق . وفي نوفمبر بذلت محاولة لإغراء ضابط باشا —الذي خلف عبدالله باشا على ولاية البصرة— ليقوم بعمل لمنع القرصنة في الأحساء لكنه لم يكن مستعداً لمثل هذا العمل بحال من الأحوال وفي ديسمبر وجه المقيم البريطاني في الخليج خطابات إنذار إلى شيوخ قطر سلمها لهم الضابط البحري الأول في الخليج بتجنب الاشتراك في جرائم بني هاجر .

١٨٨٠ :

وفي إبريل ١٨٨٠ وجه خطاب إلى ضابط باشا بخصوص القرصان زايد بن محمد ، ورد هذا بأنه لم يستطع بعد القاء القبض عليه .

١٨٨١ :

وأخيراً في مارس ١٨٨١ وحين ضجر والي بعداد من فقدان السلطات البريطانية صبرها خاصة وقد قدمت شكاوى جديدة من أعمال زايد بن محمد ، أبلغ الوالي ممثل بريطانيا بأنه «ليست هناك جرائم قرصنة أو نهب سفن قام بارتكابها زايد » وأن «الحالة في قطر هادئة تمام الهدوء في البر والبحر » .

وباختصار .. فرغم أن الأحساء إقليم تركي اسمياً إلا أن الأمن على طول ساحله إن كان ذلك موجوداً أصلا لم يتحقق إلا نتيجة العمل البريطاني الذي لم يكن يستند في تلك الفترة إلى مبررات شرعية بالنسبة للأحساء .

★ ★ ★

مناقشة لحقوق تركيا في السيادة ومسئوليتها عن ساحل الاحساء وصدور الاوامر للسلطات البريطانية بالعمل في المستقبل على أساسها ١٨٧٨ ــ ١٨٨١

لقد ثارت مشكلة حادة بسبب تداخل استبدال السيادة التركية الاسمية على ساحل الأحساء بالسيادة البريطانية الفعلية ونتيجة عدم وضوح حدود هذه الحقوق التركية المزعومة ، أو التي يطالب الأتراك بالاعتراف بها . فمن ناحية ، كانت لدى بريطانيا الرغبة في عدم الاعتداء على تركيا ، ومن الناحية الاخرى كان أي تنازل للباب العالي يعني مزيداً من عمليات القرصنة .

رأي حكومة الهند :

وجاء رأي حكومة الهند وكانت بدأت مناقشة هذه المشكلة في سنة ١٨٧٨ وأوضحت آراءها تحديداً في مايو ١٨٧٩ منكراً الاعتراف بأي حق لتركيا بالسيادة على أي مكان جنوبي العقير باستثناء مدينة الدوحة بقطر التي تقيم فيها حامية تركية . واعتبرت حكومة الهند مشيخات عمان المتصالحة خارج النفوذ التركي تماماً سواء مناطقها الساحلية أو الداخلية كما أوصت بضرورة ترتيب الأمور مع شيخ البحرين بحيث تفرض الحماية البريطانية على إمارته ، وبألا تمنعه السلطات البريطانية من مطاردة المعتدين على الجزر حتى الأرض التركية . ولضمان تحديد الوضع السياسي لهؤلاء المشايخ العرب —من وجهة نظر العلاقات الدولية— اقترح أن يدفعوا في المستقبل جزية صغيرة للحكومة البريطانية في مقابل تعهد هذه بحمايتهم أما بالنسبة لمنع القرصنة فقد أصدرت حكومة الهند تعليماتها باستمرار مطاردة السفن الحربية البريطانية للقراصنة في المياه التركية بل وحتى على الارض التركية ما دامت في نطاق مرمى مدافع السفن ، على أن يعهد الى المقيم السياسي البريطاني في الخليج بمعاقبة القراصنة الذين يتم القبض عليهم تحت هذه الظروف ، وتكون السلطات التركية مسئولة عن دفع التعويض في كل الحالات التي يرتكب القرصنة فيها رعايا أقاليم تابعة لتركيا .

رأي حكومة صاحبة الجلالة :

وكان مفروضاً أن يتولى مكتب الهند تنفيذ توصيات حكومة الهند غير أن وزارة الخارجية كانت تعتقد أن قبول الباب العالي هذا المخطط —الذي كان يعني تنازلا من جانبها عن بعض المطالب الإقليمية واعترافاً بحق دولة أخرى في التدخل في مياه تركية— ليس متوقعاً . كما أن إعلان الحماية البريطانية الواضحة كان —في رأي لورد سالسبورى— سيؤدي إلى

نتائج أوخم وأخطر من هذه التي تبذل الجهود لتجنبها . وكانت وزارة الخارجية تميل إلى الأخذ بأن يكون تدخل البحرية البريطانية في المياه التركية قاصراً على الأمور الخطيرة فقط وبعد موافقة السلطات التركية المحلية على ذلك .

وقف عمل السفن الحربية البريطانية على شاطىء الاحساء مايو ١٨٧٩ :

وفي نفس الوقت ، كان موضوع استخدام السفن الحربية البريطانية ضد القراصنة في المياه التركية او على الساحل التركي قد صدر به تفويض من حكومة الهند في مارس ١٨٧٩ ورفعه قائد عام البحرية في الهند إلى الاميرالية البريطانية التي ابلغته بدورها إلى وزارة الخارجية . وفي مايو ١٨٧٩ صدرت الأوامر بإيقاف عمل هذه السفن الحربية . وأفاد المستشارون القانونيون لحكومة صاحبة الجلالة بأن هذا العمل -حتى بالنسبة للظروف الخاصة على ساحل الأحساء- أمر يمنعه القانون الدولي .

مفاوضات مع تركيا :

وبمضي الوقت ، ولعدم وجود أية دلائل تشير إلى أن هذا الاضطراب سيتوقف في القريب ، أصبح ضرورياً توجيه الانتباه بإصرار من وقت لآخر عن طريق ممثلي بريطانيا للحكومة التركية ، لكن هذه لم تقابل تلك المحاولات كلها إلا بالإرجاء والمراوغة ، وهكذا صدرت التعليمات لسفير صاحبة الجلالة في القسطنطينية بأن يتخذ من الإجراءات ما يجعل الحكومة التركية تسمح بتدخل بريطاني يهدف أساساً لوقف القرصنة على مدى ثلاثة أميال شمالي العديد ، كذلك كان من المقرر التعاون مع الحكومة التركية لفرض هيبة هذه الحكومة نفسها في مياهها ، ودامت المفاوضات على هذا الاساس في القسطنطينية معظم سنة ١٨٨٠ ، لكنها لم تؤد إلى نتيجة تذكر .

ولما فشلت كل السبل المؤدية إلى تسوية هذه المشكلة تسوية ودية قررت حكومة صاحبة الجلالة أخيراً سنة ١٨٨١ ألا يتقيد ضباط البحرية البريطانية في الهند الشرقية بمسافة الاميال الثلاثة في مطاردة سفن وقوارب القراصنة في المياه التركية ، وبعدها شرح وزير الدولة لشئون الهند الأمر لحكومة الهند فأشار إلى أن الهدف من ذلك أشمل مما يبدو في الظاهر ، فهو يعني في الحقيقة أن لقادة السفن البريطانية في الخليج حرية العمل وقت الضرورة لمنع الاضطراب في البحر او توقيع العقاب على مرتكبيه ، على أن يتجنبوا -بطبيعة الحال- إثارة مشاكل لا داعي لها مع الحكومة او السلطات التركية حيث لها وجود ، وان يتجنبوا أيضاً المساس بسيادة السلطان في المناطق التي يتمتع فيها بسيطرة فعلية على طول الساحل شمالي العديد . ولم ينتج عن المفاوضات والمحادثات التي دارت من قبل -وأشرنا اليها- أي تحديد دقيق لأملاك تركيا في شرق جزيرة العرب ، والواقع قد تجنبت السلطات البريطانية إثارة هذه المشكلة مع تركيا . فقد كان من المعروف أن مزاعمها في هذا الصدد مبالغ فيها وتشمل البحرين وكل عمان . ورغم أنه لم يكن في النية الاعتراف بسيادة تركيا على البحرين أو على أي مكان شرقي خور العديد على الإطلاق ، إلا أن حكومة صاحبة الجلالة تجنبت الوصول إلى قرار بهذا الشأن .

★ ★ ★

الحكام الاتراك في الاحساء ١٨٧٨ - ١٩٠٧

يمكننا الآن مواصلة استعراض الشئون الداخلية في الأحساء من سنة ١٨٧٨ . وسنذكر اولا الحكام الذين تتابعوا على هذا الإقليم ، ثم نشير إلى الأحداث التي وقعت خلال هذه الفترة ، والتي لم يكن لأشخاص الحكام تأثير كبير عليها .

المتصرفون في الاحساء ١٨٧٦ – ١٨٧٧ :

عين سعيد بك في سنة ١٨٧٦ ، وظل متصرفاً طوال السنة التالية ثم استدعي إلى العاصمة بعد أن ذاع صيته كاداري ناجح .

١٨٧٧ – ١٨٧٩ :

وكان سعيد باشا الذي خلفه مواطناً من بغداد وليس تركياً بحكم الميلاد . وكان رجلا على شيء من الذكاء والنشاط ، وخلال فترة حكمه للمرة الأولى اكتسب سمعة طيبة حببت فيه أهل الأحساء وأكسبته رضاهم فاستطاع أن يحكم الإقليم بكفاءة . وكان عزله في سنة ١٨٧٩ نتيجة الفضيحة ثم الطرد االذين حصلا لولي نعمته عبدالله باشا والي البصرة ، الذي كان قد عينه متصرفاً في الأحساء .

١٨٨٠ – ١٨٨١ :

وفي ديسمبر ١٨٧٩ أعيد تعيين سعيد بك متصرفاً في الأحساء ، وواصل سعيد سيرته الطيبة حتى عزل نهائياً سنة ١٨٨٠ . وفي نفس السنة تقرر ضم إقليم الأحساء وغيره من الأقاليم التابعة للبصرة إلى ولاية بغداد مرة أخرى .

وأرسل عبدالغني باشا من القسطنطينية خلفاً لسعيد بك ، وقيل إنه متعصب ديني وقليل الذكاء وقدأدت ثورة قبيلة عجمان في سنة ١٨٨٠ إلى إيقاف هذا الوالي وتغريمه من قبل قائد القوات العسكرية ، ورغم أن اللجنة التي ارسلت لتحقيق الأمر جاء تقريرها في صف عبدالغني باشا إلا أنه عزل في العام التالي .

١٨٨١ : ١٨٨٥ :

وعين سعيد باشا بعده متصرفاً للمرة الثانية ، وظل قائماً على أداء واجبات منصبه بكفاءة وروح ودية من ١٨٨١ إلى ١٨٨٥ . وفي سنة

١٨٨٤ فصلت أقاليم البصرة بما فيها الأحساء فصلا نهائياً عن بغداد وأصبحت ولاية مستقلة .

١٨٨٥ — ١٨٨٦ :

وجاء نظيف باشا خلفاً لسعيد باشا في نوفمبر ١٨٨٥ ، لكن المدة التي قضاها متصرفاً كانت مدة قصيرة انتهت في سنة ١٨٨٦ .

١٨٨٧ — ١٨٩٠ :

وظل خلفه محمد صالح باشا متصرفاً خلال المدة من مارس ١٨٨٦ إلى أوائل ١٨٨٧ . ومن ١٨٨٧ إلى يناير ١٨٩٠ كان يحكم الأحساء رفعت بك ، وخلال مدة حكمه قام نافذ باشا والي البصرة بزيارة القطيف والعقير . ويرجع عزله في الاحساء حسب إحدى الروايات إلى خلاف بينه وبين السلطات العسكرية فيها ، لكن الأكثر احتمالا هو ان عزله جاء نتيجة تغيير والي البصرة . ففي ذلك الوقت ترك نافذ باشا الولاية لهداية باشا . ويبدو أن رفعت بك كان رجلا إدارياً ناجحاً .

١٨٩٠ — ١٨٩١ :

أما المدة من ١٨٩٠ إلى ١٨٩١ فقد قضاها عاكف بك متصرفاً للأحساء ، وكان هذا ضابطاً عسكرياً لديه برامج مستفيضة للإصلاح السياسي والتوسع ، لكنه كان عاجزاً عن تنفيذ معظمها . وقد ترك عاكف بك متصرفية الأحساء نتيجة اعتلال صحته في أوائل ١٨٩١ وقيل إنه مات في الطريق قبل ان يصل إلى منزله . .

١٨٩١ — ١٨٩٤ :

وفي مايو ١٨٩١ تولى سعيد باشا متصرفية الأحساء للمرة الثالثة ، وظل بها حتى استقال في إبريل ١٨٩٤ ، وخلال فترة حكمه قام والي البصرة بجولة في الأحساء استمرت من أكتوبر ١٨٩٢ إلى مايو ١٨٩٣

وسنشير اليها تفصيلا فيما بعد ، وقد بذلت بعض الجهود ـ فيما يبدو ـ لتحسين الإدارة ، ونقل قائمقام القطيف في يوليو ١٨٩٣ وعين بدله رءوف أفندي في يناير ١٨٩٤ .

١٨٩٤ - ١٨٩٦ :

وكان الحاكم التالي هو ابراهيم باشا ـ الذي كان مسئولا من قبل عن الحديدة ـ وظل في عمله حتى سنة ١٨٩٦ .

١٨٩٦ - ١٩٠٠ :

ثم عين سعيد باشا في الأحساء للمرة الرابعة . واستدعي نهائياً في ١٩٠٠ . وفي محادثة مع الوكيل السياسي البريطاني المساعد في البحرين ـ أثناء رحلته الأخيرة من العراق في يناير ١٩٠١ ـ أرجع سعيد باشا عزله إلى مؤامرات القائد العسكري في الأحساء الذي وصفه بأنه «تركي جاهل» ويبدو أن سياسة سعيد باشا الأخيرة في الأحساء كانت تعتمد على تكوين قوة عسكرية محلية من أهل البلاد ، في مواجهة قوة الاحتلال التركية الموجودة بقيادة القائد العسكري ، ويبدو ان هذا القائد قد استطاع إقناع السلطات العليا بأن نتيجة سياسة سعيد باشا المتسامحة مع أهل البلاد هي تصدير السلاح بكميات كبيرة اليهم مما أصبح يهدد أمن جيش الاحتلال التركي . وقد مات سعيد باشا متقاعداً في بغداد سنة ١٩٠٥ .

وخلف القائد العسكري في الأحساء سعيد باشا كمتصرف للإقليم . ويبدو أن مبالغة أعدائه في وصف خلقه وشخصيته كانت تقوم على أساس أنه لم يبق في وظيفته إلا لسبتمبر ١٩٠١ حين استبعد بعد أن ساد السخط الشامل من أعماله الاستبدادية .

١٩٠٠ - ١٩٠١ :

وخلفه قائد عسكري آخر هو توفيق بك متصرفاً للأحساء .

١٩٠٢ – ١٩٠٥ :

وفي ١٩٠٢ عين مسئول مدني متصرفاً للأحساء هو السيد طالب باشا ابن نقيب البصرة الذي وصل الأحساء في يونيو من هذه السنة ، وأبدى السيد طالب نشاطاً كبيراً في تسوية المشاكل القبلية . لكن تصرفاته غير المشروعة كانت بلا حدود ، وقد بلغت قمتها في أوائل سنة ١٩٠٣ حين نهب بيت حاجي منصور باشا وهو رجل من البهرة في القطيف كان مدير أملاك الدائرة السنية في الأحساء وأغنى تاجر في الاقليم كله . وقد اتهمه السيد طالب بعدم الولاء للحكومة التركية كما أمر بسجن شقيقه أحمد بن جمعه . وبلغت الغنائم التي نهبت من بيت حاجي منصور حمولة ثلاث سفن ورد ذكر رحيلها في تقرير ممثل بريطانيا في البحرين . وأشار القنصل البريطاني في البصرة إلى ما يؤكد وصول السفن وحمولتها إلى مقر السيد طالب في صبيحات على شط العرب . واستدعى طالب باشا موقتاً في أكتوبر ١٩٠٣ وعين فائق باشا القائد العسكري متصرفاً خلال فترة غيابه ، لكنه لم ينقل نهائياً من عمله إلا في فبراير سنة ١٩٠٥ ، ويبدو أن معاملته السيئة لحاجي منصور كانت هي السبب الرئيسي في عزله(١) .

وكان الحاكم التالي هو نجيب باشا ، وفي عهده ظلت المشاكل قائمة بين حاجي منصور باشا وجامعي العوائد في الإقليم ، وقد وقف إلى جانب هؤلاء – الذين كانوا تحت حماية طالب باشا – المسئولون عن السلطة العسكرية بشكل عام وبعض المسئولين المدنيين ، وكان نجيب باشا ما يزال في الحكم في أوائل سنة ١٩٠٧ .

---

(١) يبدو أن طالب باشا كان قد كتب مذكرة طويلة ذات طابع اسلامى شامل عن السياسة التركية في جزيرة العرب ، وقد حصل السفير البريطانى في القسطنطينية على نسخة منها .

الإدارة المالية والعامة في الأحساء ١٨٧٧ ـ ١٩٠٧ :

ومنذ البداية ، كانت حكومة الأحساء عبئاً مالياً بالنسبة للحكومة التركية ، ويرجع معظم المشاكل السياسية التي كان على الحكام المحليين مواجهتها إلى محاولات المتصرفين الدائمة بأوامر من الباب العالي لتنمية عوائد الإقليم حتى تتوازن الواردات والنفقات.

١٨٨٢ :

في بداية ١٨٨٢ وربما بأمر من عبدالغني باشا بدأ تحصيل عوائد الميناء في دارين على السفن الداخلة إلى ميناء القطيف او الخارجة منه ، كما بذلت محاولات كثيرة لتحصيل متأخرات الضرائب الزراعية المقدرة بمبلغ ١٧٠ ألف روبية عن القرى المحيطة بواحة الأحساء . وبالنسبة لهذا المطلب الأخير ، فقد كان معظم هذه المتأخرات مفروضاً على زراعات كان يملكها الأمراء الوهابيون ثم آلت إلى الحكومة التركية ، وبار معظمها نتيجة الاهمال . وفي إحدى المرات خرجت قوات مسلحة بالمدافع لتطالب أهل إحدى القرى بدفع العوائد ، وحين وصلت القرية وجدتها مهجورة من أهلها تماماً .

١٨٨٧ — ١٨٨٨ :

وفي سنة ١٨٨٧ بذلت محاولة محمومة لانشاء ميناء في دارين على المحيط بهدف تحويل تجارة الأحساء ووسط الجزيرة عن البحرين ، لكن التجربة فشلت فشلا ذريعاً ، ولم تستمر في السنة التالية .

١٨٩١ :

وفي سنة ١٨٩١ ذكر أن سخطاً شاملا ساد أهل القطيف نتيجة «القوانين الجديدة» الخاصة بضرائب الارض والأيلولة والوصية . وكان سبب هذه الاضطرابات فتح مكتب في الأحساء لقسم تسجيل الاراضي

الذي أدخل إلى العراق لاول مرة سنة ١٨٨٩ وكان لا بد أن يمتد إلى الأحساء بعد ذلك .

١٨٩٤ — ١٨٩٥ :

وخلال سنة ١٨٩٤ ظل الصراع قائماً في القطيف بين التجار وجامعي العوائد من الاتراك ، وكان يتعلق بفرض ضريبة على التمور المعدة للتصدير ، وكان جامعو الضرائب يطالبون التجار بمتأخر سنتين من هذه الضريبة . ورغم الوفود التي ارسلت إلى البصرة ، ورغم الهجرة إلى البحرين يبدو أن السلطات التركية قد حققت ما كانت تريده . وقد حدثت هذه الأحداث أثناء حكم ابراهيم باشا الذي حاول أيضاً تحصيل مزيد من الضرائب من بدو عجمان وآل مرة وغيرهم لكن النتيجة النهائية لذلك كانت — كما سنرى — هي استدراج المتصرف إلى نزاع قائم بين قبيلتين من قبائل البدو .

١٩٠٠ :

وقرب نهاية سنة ١٩٠٠ صدرت التعليمات لحاكم الأحساء بتحصيل ضريبة قدرها ١٢ الف ليرة من الإقليم لصالح الخزينة التركية — الامبراطورية ، وقد أثار هذا القرار مزيداً من السخط بين الأغنياء من أهل الإقليم الذين كان سيقع على كاهلهم هذا العبء الجديد .

١٩٠١ :

وفي سنة ١٩٠١ ذكر المتصرف المتقاعد في الأحساء — أثناء وجوده بالبحرين — أن العوائد السنوية للإقليم كانت ٦٠ الف ليرة تلتهم نفقات الجيش منها ٥٤ الفاً ، وما يتبقى لا يكفي الخدمات المدنية .

١٩٠٣ :

وذكر أيضاً ان احصاء أشجار النخيل في واحة الأحساء الذي أجرى

سنة ١٩٠٣ قد أدى إلى زيادة عدد الأشجار الخاضعة للضريبة فيما بعد .

١٩٠٤ – ١٩٠٦ :

وقد ارتفعت مدخولات الجمارك لسنة ١٩٠٥–١٩٠٦ بنسبة تزيد عن ٣٧٪ مما كانت عليه في السنة الماضية ، وفي ١٩٠٦–١٩٠٧ زادت أيضاً بنسبة ١٢,٥٪ عما كانت عليه في ١٩٠٥–١٩٠٦ ، وفي خريف سنة ١٩٠٥ وربيع سنة ١٩٠٦ بذلت محاولة لإحصاء السكان في القطيف وواحة الأحساء وكان واضحاً أن ذلك يهدف إلى فرض ضريبة على الرؤوس لكن الاضطرابات العنيفة التي حدثت في الهفوف والمبرز اوقفت هذا الإحصاء .

★ ★ ★

الادارة السياسية والاضطرابات بين القبائل
١٨٧٨ – ١٩٠٧

كان الوضع السياسي في الأحساء –اذا استثنينا الواحتين الكبريين– يسوده الاضطراب وفقدان الأمن بشكل عام ، ولم يتحسن هذا الوضع خلال الثلاثين سنة التالية ، بل لعله ازداد سوءاً على سوء .

تمرد سنة ١٨٧٨ :

ففي صيف ١٨٧٨ حدث تمرد على السلطة التركية تزعمه محمد وعبدالرحمن ابنا سعود أمير الوهابيين السابق في واحة القطيف ، وسقطت الدمام بسرعة في أيدي الوهابيين ، وحاصرت حشود البدو مدينة القطيف . لكن هؤلاء تفرقوا حين ظهرت سفينة صاحبة الجلالة «فلتشر» مصادفة على الساحل ثم وصلت تعزيزات تركية قوية من العراق. وفي ديسمبر لم يستطع إبنا سعود مواصلة التمرد فلجآ إلى البحرين ولكن

لم يسمح لهما بالبقاء فيها . كما لجأ أيضاً كثير من أهالي القطيف إلى البحرين بعد حصار البدو لمدينتهم .

: ١٨٧٩

وفي سنة ١٨٧٩ ، ونتيجة الغارات التي ارتكبها بعض بني خالد حول القطيف انتقل سعيد باشا اليهم على ظهر القارب المسلح «اسكندرية» ودمر حصناً من حصونهم ، لعله المعروف باسم قصر آل صبيح على الساحل شمالا ، وبعدها أعلن هؤلاء العصاة خضوعهم ووعدوا بالعدول عن هذا المسلك مستقبلا . لكن المتصرف لم يستطع شيئاً ضد قبيلة بني هاجر العنيدة المتمردة ، فقد استطاع زايد بن محمد ، القرصان الشهير من هذه القبيلة استدراج تاجر ثري من تجار الأحساء وقتله .

: ١٨٨١ – ١٨٨٠

وفي ١٨٨٠ هاجمت قبيلة عجمان واحة الأحساء متصورة أنها ستأخذ الحامية التركية على غرة ، لكن السلطات التركية كانت تعرف نواياهم مسبقاً فاستقبلتهم استقبالا حامياً فقتلت ٦٠ رجلا من رجالهم وأسرت اثنين من شيوخهم . ويبدو ان المتصرف المدني عبدالغني باشا كان يعتبر هو المسئول محلياً عن هذه الحادثة . . حتى إن قائد القوات العسكرية مضى إلى حد القبض عليه نتيجة اتهامات وجهت اليه بصدد هذه الحادثة كما أشرنا من قبل . وأثناء عودة سعيد باشا إلى الأحساء في سنة ١٨٨١ حاول استدراج شيوخ قبيلة عجمان للعودة إلى الأحساء التي هربوا منها ، لكنهم ظلوا فترة مصرين على رفض هذا الاستدراج .

: ١٨٨٢ – ١٨٨٠

وخلال عدة سنوات تلت ، ظل إقليم الأحساء في سلام ، ولكن الاضطرابات عادت مرة أخرى في سنة ١٨٩٠ ، ففي اواخر هذه السنة

أو أوائل سنة ١٨٩١ قام بدو آل مرة بنهب قافلة تمور ضخمة واشترك معهم بنو هاجر وسواهم من القبائل . وأدى هذا العمل إلى توقف الحكومة التركية عن دفع الإعانات التي كانت تدفعها للقبائل ، وأعدم بعض البدو نتيجة هذه الغارة . ويبدو ان عاكف بك المتصرف في ذلك الوقت قد شرع بتكوين قوة على ظهور الجمال لتولي مثل هذه الامور مع قبائل البدو ولحراسة القوافل بين الهفوف والعقير ، كما اقترح أيضاً إقامة عدد من المراكز يوضع بكل منها عدد من الجند ، وأقيمت بالفعل عدة مراكز .

١٨٩٢ — ١٨٩٣ :

وربما نتيجة هذه الإجراءات ظل المسافرون بين الهفوف والعقير لا يتعرضون لأية مضايقات ما بقي من سنة ١٨٩١ وجزءً من ١٨٩٢ ، ولكن في ١٤ مايو ١٨٩٢ قام بدو قبائل المناصير وبني هاجر وآل مرة —وقد تجمع منهم أكثر من ٣٠٠ رجل— بتمرد خطير فهاجموا قافلة مسافرة من الهفوف إلى العقير في حراسة فرقة تركية من ٢٥ جندي ، فقتلوا ١٥ منهم وجرحوا ١٠ وحملوا معهم ٥٠ الف روبية نقداً وما قيمته ٢٠ الف روبية من البضائع ، كما نهبوا أيضاً ٤٠ حاجاً كانوا مسافرين بصحبة القافلة ، وبدأت حوادث سرقات عديدة —تنسب إلى بني هاجر وآل مرة— تحدث في الهفوف مما جعل أهل المدينة لا يجرءون على الخروج في رحلات إلا مصحوبين بحماية ما لا يقل عن ٢٠ رجلا مسلحاً وبصحبة أدلاء وأصدقاء من القبائل .

وحوالي منتصف اكتوبر ١٨٩٢ وصل والي البصرة إلى القطيف ليحقق في أحوال الأحساء وسار عن طريق العقير إلى الهفوف . وكان أول ما فعله في الهفوف هو أن أخذ الأمان من أهل المدينة وما جاورها على ألا يشتركوا مع أهل القبائل المتمردة الذين تراجعوا إلى الصحراء .

وفي فبراير ١٨٩٣ حين كان الوالي في نزهة قصيرة بقطر — كان الاعراب يتولون حماية القوافل المسافرة بين العقير والهفوف والقوات النظامية تتكفل بالإغارة على القبائل البدوية الهاربة إلى داخل الصحراء . وحققت في ذلك بعض النجاح ، وفي هذا الوقت تقريباً يبدو أن الأتراك قد طلبوا معونة شيخ الكويت الذي جاء بعدها إلى الأحساء مع فرقة من الرجال المسلحين . وفي مايو ١٨٩٣ عاد والي البصرة عن طريق القطيف بعد أن شهد بعينيه كارثة كانت تحيق بالأتراك في قطر ، لقد فشل في أن يعيد الأمن والنظام في الإقليم وظل طريق العقير — الهفوف يعتبر طريقاً غير مأمون . وفي يونيو ١٨٩٣ كان يتوقع حدوث هجوم شامل من المناصير وبني هاجر وآل مرة على قبيلة بني خالد ، وزودت القوافل الخارجة من العقير مرة أخرى بالحرس العسكري ، لكن هذه الغارة المنتظرة لم تحدث .

١٨٩٤ — ١٨٩٥ :

وفي فبراير ١٨٩٤ هوجمت قافلة في الطريق من الهفوف إلى القطيف. هاجمها بدو قبيلة الدواسر لكنهم تراجعوا عن القافلة حين وجدوا أنها في حماية دليل من الدواسر . وفي ١٨٩٥ حين طلب المتصرف من القبائل زيادة الضرائب التي تدفعها تعللت قبيلة عجمان بعدم استطاعتها دفع شيء الا اذا استرجعت الغنائم التي نهبها منهم بنو مطير ، فقام الحاكم ، بمعاونة عجمان وغيرها من القبائل بمهاجمة بني مطير والاستيلاء على بعض ماشيتهم .

١٨٩٨ :

وفي إبريل استدرج بعض بني مرة قافلة البريد ونهبوها في الطريق بين القطيف والهفوف ، وتولت قوات الخيالة مطاردة هؤلاء اللصوص من الهفوف . وفي هذا الوقت نفسه هاجم الدواسر عصابة آل مرة ، وحين وصلت القوات التركية حملت على الدواسر ، وكانت النتيجة

هي قتل اثنين من الجنود الأتراك وجرح اثنين آخرين واستيلاء الدواسر على ثلاثة من خيول الفرسان .

١٩٠١ – ١٩٠٢ :

وفي ١٩٠١ ازدادت مرة أخرى خطورة الطريق بين الهفوف والعقير وفي ٣٠ إبريل سنة ١٩٠٢ هوجمت قافلة كانت على الساحل في حماية ١٢٠ فارساً نظامياً و ٣٠ جندياً نظامياً من المشاة و ٨٠ رجلا من خيالة الضبطية . وقد هاجم القافلة واستولى عليها رجال آل مرة وبني هاجر ، وكان ابرز المشتركين في هذا الهجوم الذي حدث في القفطية على بعد ١٥ ميلا من العقير فرع آل بحيح من آل مرة .

وقد قتل رجال الحرس أو أسروا حيث أخذهم البدو كرهائن في مقابل أقربائهم المسجونين في الهفوف ، وتجاوزت أسلاب هؤلاء اللصوص مبلغاً يقارب المليون روبية بالإضافة إلى حوالي ٦٠٠ بعير و ٣٠٠ حمار . وفي يونيو ١٩٠٢ وصل طالب باشا متصرفاً للاحساء ، وفي يوليو زودت الحامية التركية هناك بخمسمائة جندي من المشاة ، ٢٠٠ فارس و ٤ مدافع خفيفة . وفي ١٠ سبتمبر استطاعت فرقة تركية أرسلت من الهفوف أن تفاجيء معسكراً كبيراً لآل مرة وتأخذهم على غرة في مكان يسمى الزرنوقه على بعد ٤٠ ميلا جنوبي واحة الأحساء ، وقد قتل في هذه المباغتة عرب كثيرون من بينهم شقيق أحد شيوخ آل بهية ، ووقع الكثير من أملاك البدو في أيدي الأتراك . ومنع المتصرف الجديد للأحساء أهل الإقليم من التجارة مع آل مرة ، وفي أكتوبر من نفس السنة ، وبعد اشتباك مع معسكر آل مرة استطاع الأتراك الاستيلاء على قافلة من ٨٠ بعيراً محملة بالأرز والتمر مملوكة لهذه القبيلة . وقد خسر الأتراك ارواح جنود كثيرين في هذا الاشتباك . وبادر المسئول التركي فوضع مراكز للضبطية في جزر المسلمية وجنة هادفاً لتعزيز سيطرته على القبائل ولتأكيد سيادته على الساحل الشمالي .

وفي بداية ١٩٠٣ ، كان الوضع الداخلي ما يزال في حالة سيئة لأن فرقة جديدة قد اضيفت في يناير من هذا العام لحامية الأحساء .

١٩٠٦ — ١٩٠٧ :

وفي يناير ١٩٠٦ حدثت اشتباكات خطيرة في الرقيقة —وهي ارض واسعة تجمع بها البدو على مسافة ميل واحد جنوبي الهفوف بين قبيلتي عجمان وآل مرة .. لكن تدخل الأتراك اوقف هذا القتال بينهما . وبعدها بيوم او يومين قتل محمد بن شريم شيخ آل مرة ، ويبدو أن قبيلته قد اعتبرت الأتراك مسئولين بشكل من الاشكال عن هذا الحادث ، وكانت النتيجة أنه في ٣ مارس التالي كمن آل مرة وبنو هاجر والمناصير لقافلة ضخمة بين الهفوف والعقير ، واستولوا عليها بالقرب من مكان يدعى بريمان على بعد خمسة أميال فقط من القفضية حيث حدثت مثل هذه الكارثة سنة ١٩٠٢ . وفي هذه المرة قتل ٤٥ رجلا من رجال الحرس التركي إلى جانب عدد من راكبي الجمال والمسافرين ، وحمل اللصوص اموالا وبضائع تجاوزت ٣٠٠ الف روبية . ولم يتخذ الاتراك أية إجراءات بقصد الانتقام . وفي إبريل وأغسطس وسبتمبر نهبت قوافل أخرى عديدة على أيدي البدو في مختلف الطرق المؤدية إلى واحة الأحساء او الخارجة منها . وفي أغسطس حدث اشتباك بين أهل المبرز وقبيلة عجمان .. ضاعت فيه أرواح بعض الأفراد من الجانبين ، وفي اكتوبر من نفس السنة حدث صراع أكثر خطورة بين أهل مدينة الهفوف تعاونهم القوات التركية من ناحية ، وبدو عدة قبائل من الناحية الأخرى، وفي هذا الاشتباك خسر أكثر من ٢٠ جندياً تركياً ارواحهم ، كما خسرت القوات التركية مدفعاً(١) . وفي نهاية ديسمبر بدأ العسكريون

---

(١) حسب ما ورد في خطاب جاء من الطابور الغازى في الهفوف الى البصرة ، كانت خسائر الاتراك أكثر جسامة : ضابطان و ٧٦ جنديا من القتلى ، و ٥٩ رجلا جريحا ، و ٨٥ بغلا ، و ١٤١ بندقية ، ومدفع واحد ، كما نهب العرب قرية شقيق وأحرقوها ، وهذا المدفع — كما جاء في هذا المصدر نفسه — ثم استرجاعه بعد دفع مبلغ ٧٠٠ روبية .

المسرحون يصلون من البصرة إلى الأحساء ، واستفادت السلطات التركية من هذه الزيادة في عدد الحامية التركية لتخضع واحة الأحساء وما حولها وتنشر فيها السلم ، ولكن بدأ انسحاب هؤلاء المسرحين بعد قليل بسبب الظروف الصعبة التي كانوا يؤدون واجباتهم في ظلها في الأحساء . وفي فبراير ١٩٠٧ أسرع سعدون باشا زعيم المبرز وابنه إلى البصرة ليؤكدا للسلطات التركية هناك براءة ساحتهما من الاضطراب الدائر في الاحساء .

★ ★ ★

عمليات القرصنة على ساحل الاحساء
١٨٨١ ـ ١٩٠٧

أحداث القرصنة من ١٨٨١ إلى ١٨٨٨ ووقوف الاتراك موقف المتفرج :

وفي نفس الوقت ، استمرت عمليات القرصنة على طول ساحل إقليم الأحساء لكنها كانت بمستوى أقل من هذا الاجتياح الوبائي الذي حدث في الخروج على القوانين في البحر في ١٨٧٨ إلى ١٨٨٠ .

١٨٨١ :

في مايو ١٨٨١ حاول قرصان بني هاجر الشهير زايد بن محمد أن يستولي على بعض القوارب التي يملكها بنو عمير لكنه فشل ، وتبعت ذلك عمليات قرصنة محدودة بالقرب من القطيف وبين القطيف والبحرين ، وأخيراً هاجم بنو هاجر قارباً لبني عمير وقتلوا رجلين كانا فيه . ورغم أن هذه الاعتداءات كلها ارتكبت بجوار القطيف مباشرة إلا أن السلطات التركية المسئولة لم تحرك ساكناً لمعاقبة المعتدين من بني هاجر .

١٨٨٣ :

وفي يونيو سنة ١٨٨٣ استولى قراصنة بني هاجر على سفينة تابعة للبحرين بالقرب من ساحل القطيف ونهبوها بعد أن أصابوا ملاّحها بجراح مميتة . وبعدها بشهر استطاعت السلطات التركية في القطيف رد أربعة عبيد كانوا قد حملوا في هذا الهجوم إلى أصحابهم .

١٨٨٤ :

وفي أغسطس ١٨٨٤ ارتكب بنو هاجر عملية قرصنة جديدة على قارب لقطر كان راسياً خارج القطيف ، وألقت السلطات التركية القبض على بعض الرجال من بني هاجر .

١٨٨٦ :

وفي ١٨٨٦ حدثت عدة حوادث قرصنة في ميناء القطيف .. كانت الخسارة فيها جميعاً تقع على سفن وقوارب تابعة للبحرين ، وكان استمرار هؤلاء القراصنة في أعمالهم دون ان تستطيع قوة ردعهم سبباً لسخط شيخ البحرين ، وساد شعور بالخطورة وفقدان الأمن على طول الساحل ، وجاءت سفينة بخارية تركية فرست خارج ميناء القطيف بعد أن تكررت هذه الأعمال .. ورغم ذلك وحتى ذلك التاريخ لم تبذل السلطات التركية أي جهد جاد لردع المعتدين وعقابهم .

١٨٨٧ :

وفي سنة ١٨٨٧ حدثت اعتداءات كثيرة . في أول اغسطس استولى بنو هاجر على قارب بحريني ونهبوا منه ما قيمته ٦٤٥ روبية ، وفي يوليو استولوا أيضاً على قارب صيد كويتي يساوي حوالي ٤٠٠ روبية خارج رأس تنورة ، وقد جرح أربعة رجال كانوا فيه . وفي سبتمبر هاجمت عصابة من ٣٠ بدوياً قاربا يملكه شقيق شيخ البحرين كان راسياً في ميناء القطيف وسلبوا منه كل شيء له قيمة ، وفي ١٤

سبتمبر تعرض قارب كويتي خارج دارين لهجوم عصابة من البدو وتجاوزت الخسارة ٢٣١٨ روبية . وفي ١٦ أكتوبر قامت عصابةمن بني هاجر بمهاجمة قارب بحريني خارج عانق . وفي ٢٧ أكتوبر هاجم بنو هاجر سفينتين — احداهما تابعة للكويت والأخرى للبحرين —بالقرب من العقير ، وجرحوا بحارين وخمسة من المسافرين وحملوا كل شيء أمكنهم حمله من السفينتين .

١٨٨٨ :

وفي إبريل ومايو ١٨٨٨ حدثت حادثتان أو ثلاث حوادث جديدة في مياه القطيف رغم أن نافذ باشا والي البصرة كان قد زار القطيف في فبراير من نفس السنة وأخذ عهداً على محمد بن عبدالوهاب في دارين بأن يمنع ارتكاب عمليات القرصنة فيما جاوره .

محادثات حول هذه القرصنة بين الحكومة البريطانية والباب العالي ١٨٨٣ — ١٨٨٩ :

وفي ١٨٨٣ وعلى أثر حوادث القرصنة التي ارتكبت في هذه السنة لفتت حكومة صاحبة الجلالة انظار الباب العالي إلى ما يحدث ، ولكن بالنظر إلى رغبة حكومة صاحبة الجلالة في عدم إثارة موضوع حق تركيا في السيادة على الساحل الشرقي لجزيرة العرب فانها لم تتخذ خطوات أخرى في هذا السبيل وأهملت الأمر . وفي ١٨٨٧ و ١٨٨٨ وجه قارب تركي مسلح عدة انذارات للقراصنة على ساحل الأحساء . لكن هذا كان إجراءاً خاطئاً كل الخطأ فقبيلة بني هاجر التي كان يجب توقيع العقاب عليها بشكل خاص لم تكن قبيلة مشتغلة بالبحر وإنما كانت تمارس عمليات القرصنة دائماً باستخدام سفن وقوارب تحصل عليها عن طريق الإيجار او السرقة ، كما ان المياه التي كانت تقوم بعملياتها فيها كانت مياهاً ضحلة جداً حتى لا تسهل فيها حركة سفينة بخارية مسلحة . ثم إن زيارة القطع البحرية التركية المسلحة في الخليج لم تكن أمراً

لا جدوى منه وحسب ، ولكن غير مرغوب فيه ايضاً ، وقد بذلت جهود كثيرة لاقناع الباب العالي بأن المطلوب هو القيام بعمل على البر ، ولهذا أقيمت قاعدة عسكرية صغيرة لمنع القرصنة في رأس تنورة سنة ١٨٨٩ ، وهدأت حدة القلق الذي كان ينتاب حكومة صاحبة الجلالة ، فقد توقفت عمليات القرصنة فترة قصيرة ، وحين بدأت مرة أخرى ، قام الاتراك بمحاولة للقضاء على القراصنة في البر .

انفجار جديد للقرصنة ، وتدابير فاشلة للسلطات التركية ١٨٩١ – ١٨٩٢ :

وفي موسم صيد اللؤلؤ لسنة ١٨٩١ و ١٨٩٢ تجددت حوادث القرصنة مرة أخرى على ساحل الأحساء . ففي ١٨ يونيو ١٨٩١ قامت عصابة من ١٤ رجلا يعتقد أنهم من بني هاجر باطلاق النار على سفينة صغيرة راسية في سيهات فقتلوا أحد بحارتها والقوا بالباقين في البحر ، وقد ارسلت قوات تركية –على ما يبدو– لمطاردة المعتدين لكنها لم تستطع العثور عليهم . ثم هاجمت نفس العصابة قارباً آخر ودمرته تدميراً تاماً بعد أن قتل أفرادها واحداً من بحارته ، وخرج قارب تركي مسلح للبحث عن العصابة لكنه ايضاً لم يستطع العثور عليها . وفي يوليو هاجم ١٨ رجلا من بني هاجر سفينة صغيرة تابعة للقطيف في مكان قريب من العقير ، وجرح واحد من البحارة ، ونقل كل ما كان على ظهر السفينة كذلك ساريها نفسه وعبدان وابن عم البحار ، وفي هذه الأثناء خرجت قوة تركية لمطاردة هؤلاء المعتدين لكنها لم تفعل شيئاً . وفي ٢٠ اغسطس استولى ١٦ من بني هاجر على سفينة صغيرة تابعة للطاهري وهي مكان على الساحل الإيراني وكانت محملة ببضائع خاصة بالبحرين ، فنهبوها وحملوا منها بضائع قيمتها ٢٤٩٥ روبية نقلوها إلى دوحة سلوى ولم يحرك الأتراك ساكناً في هذه المرة . وفي العام التالي وبدقة أول مايو سنة ١٨٩٢ هاجم ثلاثة من البدو قارباً للدارين كان متوجهاً إلى القطيف . وفي ٢١ مايو استولى بنو هاجر على سفينتين تابعتين للقطيف ،

وبعد مطاردة للقراصنة تولاها محمد بن عبدالوهاب من أبرز وجهاء القطيف أمكن استرجاع إحدى السفينتين . وفي ١٨٩٢ وضعت سلطات القطيف قارباً به ٢٠ جندياً تركياً لحماية القوارب المسافرة بين القطيف والبحرين .. ولكن رغم هذا حدثت عمليات قرصنة دون ان يتلقّى القائمون بها أي عقاب .

تصرفات السلطات البريطانية حيال هذه القرصنة ١٨٩١ ـ ١٨٩٢ :

وبهدف إعادة الأمن والنظام قدم الرائد تالبوت المقيم السياسي في الخليج اقتراحاً صدق عليه الرائد موكلر المقيم في بغداد وهو ان تلتمس السلطات البريطانية موافقة الحكومة العثمانية على أن تقوم الطوافات البريطانية المسلحة بعمل للقضاء على القرصنة في مياه القطيف ، سواء بالتعاون مع السفن التركية او مستقلة عنها . غير ان حكومة صاحبة الجلالة قررت استمرار نظام العمل البحري المنفرد الذي كان متبعاً سنة ١٨٨١ ، بحيث لم تر داعياً لطلب موافقة الحكومة التركية او معاونتها ، وكانت السلطات التركية تقدم شيئاً من التعويض عن بعض عمليات القرصنة .. ولكن حكومة صاحبة الجلالة قررت عدم الرجوع إلى السلطات التركية بخصوص أية تعويضات .

عمليات قرصنة أخرى :

وفي سبتمبر ١٨٩٣ هاجم ١٥ رجلا من اللصوص قارباً كويتياً كان راسياً في القطيف فأصابوا أحد بحارته بجراح ، وقتلوا واحداً آخر . وقد قام بعض حرس الجمارك من الأتراك بمطاردة اللصوص بلا جدوى .

وفي ١٨٩٥ قام رجل عربي بمفرده(١) ـ كان مسافراً في قارب من القطيف إلى البحرين بصحبة تلك تشاند داس من الوكاله الهندية المعروفة

---

(١) يبدو أن هذا الرجل العربي المشار اليه هو أحمد بن سلمان الذى اصبح لاحقا من مشاهير القراصنة .

باسم جانجارام تيكام داس وشركاه في البحرين— قام بهجوم وحشي غادر على رفيقه المسافر الهندوكي واستطاع هذا ان ينجو بنفسه بعد أن قطعت يده واصيب بجراح أخرى خطيرة حين القى بنفسه خارج القارب . ونزل العربي بعدها إلى الشاطىء ومعه كل ما كان في القارب —ومعظمه من اللالىء— وبلغت قيمته أكثر من ٤٠ الف روبية . ومن التقارير لا يبدو أن أية مطالبة قدمت بالتعويض أو الاعتذار عما حدث لرجل من رعايا بريطانيا .

١٨٩٦ :

وفي ١٨٩٦ أصبح وجود القوارب التركية المسلحة في الإحساء أكثر من ذي قبل . لكن بني هاجر رغم ذلك ارتكبوا المزيد من عمليات القرصنة في مياه البحرين .

تفاقم عمليات القرصنة ١٨٩٩ — ١٩٠٠ :

وفي سنة ١٨٩٩ بدأ انفجار جديد خطير للقرصنة على ساحل الإحساء وكان موجهاً كالمعتاد ضد سفن البحرين وهي أغنى السفن وأقلها تسليحاً في هذه المياه .

وبدأت اولى هذه الأعمال في ١١ أغسطس ١٨٩٩ بالهجوم على قارب بحريني على شاطيء اللؤلؤ في المكان المعروف باسم شيكاته شمال غرب البحرين .. وكان اللصوص من عمير هالة دارين بجزيرة تاروت ، وتجاوزت قيمة المسروقات ١٥٠٠ روبية .

وفي العام التالي في ١٧ أغسطس ١٩٠٠ هوجم قارب بحريني آخر خارج رأس تنورة ومرة أخرى هاجمه أهل دارين ، واستطاعوا أن ينهبوا منه مسروقات بلغت قيمتها ٣٩٢٤ روبية ، كما غرق مسافر القى بنفسه إلى البحر هرباً من القراصنة . وفي ٢ سبتمبر سنة ١٩٠٠ استولى قراصنة بني هاجر على سفينة بحرينية على بعد عدة أميال فقط من مدينة المنامة ، وبلغت الخسائر في هذه الحادثة ٧٣٢ روبية ،

وفي نفس اليوم أغار بنو هاجر أنفسهم على بعض الأعراب في جزيرة أم نعسان . وفي ٦ سبتمبر هاجم آل محمد من بني هاجر قارباً بحرينياً بالقرب من العقير ، وجرح رجلان ونهبت أشياء كثيرة كان معظمها لتجار الإحساء .

مسلك الاتراك تجاه حوادث القرصنة في ١٨٩٩–١٩٠٠ :

وفي آخر هذه الحوادث اهتم سعيد باشا متصرف الإحساء بارسال قوات نظامية استولت على إبل هذه القبيلة وألقت القبض على شيوخها ، كما دفع تعويضات مناسبة لتجار الأحساء الذين وقعت عليهم الخسارة .. غير أنه لم يدفع شيئاً على هذا النحو لرعايا البحرين . وفي حادثتي القرصنة برأس تنورة وشكانة .. لم يتلق مواطنو البحرين الذين نهبت أموالهم سوى تعويضات جزئية فقط . وقد لفت البريطانيون —عن طريق القنصل العام في بغداد— أنظار الوالي إلى هذه الحقيقة ، لكن هذا الأخير ظل يعامل رعايا البحرين بفظاظة ، ورفض في النهاية مبدأ مناقشة هذا الأمر لأن البحرين تابعة لتركيا كما زعم وليس لبريطانيا .

وفي أغسطس ١٩٠١ قدمت مطالب جديدة لوالي البصرة بطلب التعويض او العمل على وقف عمليات القرصنة ولكن بلا جدوى . وبقدر معلوماتنا ، نستطيع القول بأن الإجراءات التي اتخذت من جانب تركيا للمحافظة على السلام في البحر ظلت كما كانت عليه في الماضي ، كما درج الأتراك في حالات نادرة على إرسال قارب مسلح من القطيف إلى البحرين ، يقضي عدة أيام في المنامة ثم يعود أدراجه مباشرة إلى الساحل التركي .

زيارة سفينة صاحبة الجلالة سفنكس للقطيف ١٩٠٢ :

وهكذا ، ولتأكيد الخطوات التي اتخذت من جانب تركيا —اذا كان ثمة مثل هذه الخطوات— سمح لسفينة صاحبة الجلالة «سفنكس» بزيارة القطيف ، وتمت الزيارة بالفعل في فبراير سنة ١٩٠٢ ، غير أن

النتائج لم تكن مرضية ولم يتيسر الحصول على المعلومات المطلوبة . ومن الناحية الأخرى لقي قائد السفينة البريطانية والوكيل السياسي المساعد في البحرين الذي كان يصحبه ــ معاملة مهينة ، فقد احتجزا أولا في مبنى الجمارك ، ثم في الميناء بعد ذلك ، وبصعوبة شديدة استطاعا مقابلة القائمقام ولكن لم يسمح لهما ابداً بالدخول إلى المدينة .

قرصنة أحمد بن سلمان ١٩٠٢ ــ ١٩٠٧ :

وفي سنة ١٩٠٢ بدأت سلسلة جديدة من أعمال الاضطرابات البحرية وظهر قائد جديد للقراصنة سرعان ما أثبت جدارته بأن يكون خلفاً لزايد بن محمد هو أحمد بن سلمان ــ ابن أحد أفراد الأسرة الحاكمة في البحرين من ابنة شيخ من شيوخ آل محمد من بني هاجر ، وكان أحمد فاراً من البحرين منذ وقت طويل عاش بعضه في قطر . لكنه الآن كان مستقراً تماماً على أرض تركية .

١٩٠٢ :

ففي أوائل يوليو سنة ١٩٠٢ قام هذا الرجل بصحبة بعض رفاقه من بني هاجر بسرقة قارب من سيهات بالقرب من القطيف ونزلوا به إلى البحر بهدف القرصنة ، لكنهم اضطروا للرجوع إلى الشاطىء نتيجة رياح معاكسة . وهناك استعادت القارب جماعة مسلحة من سيهات . وفي ٤ أغسطس نجح أحمد في سرقة قارب آخر من سنابس على جزيرة تاروت ، وعبر في نفس اليوم الخليج إلى جزيرة أم نعسان بامارة البحرين حيث استطاع الاستيلاء على قارب بحريني حمولته ٢٨ طناً ، وساقه بحمولته وبحارته إلى الظهران . وفي ١٢ أغسطس استخدم أحمد القارب الجديد ليستولي على سفينة بحرينية أخرى كانت في الظعائن بقطر وعاد إلى القاعدة التي اتخذها لعملياته ــ وهي الآن دوحة ضلوم ــ وقد غنم ما قيمته أكثر من ٥٤٠٠ روبية معظمها من اللآلىء . وحتى هذا الوقت ، ظل أحمد على علاقة ما بقطر ، فحتى سبتمبر سنة ١٩٠٢ كانت عائلته

ما تزال تقيم في السميسمة ، وقد نقل إلى هناك جانباً مما غنم في أم نعسان .. لكنه جعل أسلاب قرصنته الثانية على الأرض التركية وسرعان ما تبعته عائلته إلى هناك . وفي أكتوبر ١٩٠٢ –ونتيجة طلبات قدمتها السلطات البريطانية إلى والي البصرة ألقى متصرف الأحساء القبض على أحمد ، وقام المتصرف –بناء على اتصال مباشر به ودون وساطة بريطانيا – برد عبد حمل في القرصنة الثانية لمالكه في البحرين ووعد برد بقية الأسلاب .

١٩٠٣ :

وفي يوليو ١٩٠٣ جاءت الأخبار بأن أحمد بعد أن أطلق سراحه أو سمح له بالفرار كان مقيماً مع أربعة رفاق من آل عمير في عانق ، ثم في سيهات ينتظرون فرصة سانحة لتكرار فرصتهم . ووضعت هذه الحقيقة تحت بصر السلطات العثمانية التي اعترفت في ردها بأنها تبذل الجهود لالقاء القبض عليه ، وأنه قد استطاع الهرب بطول الساحل في اتجاه الكويت ، لكن هذه التأكيدات كلها انكشف كذبها حين ظهر أحمد في الأحساء وقام في ١٢ أغسطس بعملية فاشلة للاستيلاء على قارب من الدمام ، وفي هذه الأثناء حاكمته محاكم الأحساء غيابياً ، وحكمت عليه « بالسجن خمسة عشر عاماً » .

١٩٠٤ :

ولم يسمع شي بعد عن أحمد حتى صيف سنة ١٩٠٤ حين ظهر في أول أغسطس يقود قارباً على ساحل القطيف بالقرب من صفوه ، وبعدها بعدة أيام قام و ١٤ رجلا من رفاقه باطلاق النيران على سفينة قطرية راسية في فشت الديبل ، وحملوا منها اسلاباً تبلغ قيمتها ٣٦٤٢ روبية ، وكانت هذه حادثة القرصنة الوحيدة التي تردد فيها اسم أحمد خلال سنة ١٩٠٤ ، وظل الشاطىء التركي على حالته من فقدان الأمن ، ففي ليلة ٤ ديسمبر ١٩٠٤ وثب اللصوص إلى سفينة إيرانية راسية في القطيف وقتلوا ثلاثة من بحارتها ثم حملوا معهم ما قيمته ٢٠٠٠ روبية .

وفي هذه الحادثة ألقت السلطات التركية في البداية القبض على ثلاثة من سكان جزيرة تاروت واثنين آخرين من المشتبه فيهم .. لكن الإيرانيين لم يحصلوا على أي تعويض. وبعدها بعدة أسابيع عاد الايرانيون في قارب شراعي في قوة كبيرة ، وهاجموا اول قارب محلي شاهدوه ـوكان تابعاً لدارين ـ وقتلوا ثلاثة من الرعايا الأتراك .

١٩٠٥ :

وفي ٢٥ يونيو ١٩٠٥ عاد أحمد بن سلمان ـوكانت عائلته آنذاك مستقرة في عانق بالقرب من القطيف ـ إلى الظهور واستولى على قارب ، ثم استولى على آخر في اليوم التالي ، وفي هاتين العمليتين قتل رجلان وجرح آخران ونهبت أسلاب قيمتها ٣٦٠٠ روبية . وبعدها بشهر قام عشرة رجال من البدو ـكانوا يزعمون أنهم من أنصار أحمد بن سلمان ـ بالهجوم على سفينة بين القطيف والبحرين وحملوا منها ـبعد أن قتلوا صبياً وجرحوا رجلين ـ أسلاباً قيمتها ١٠٠٠ روبية ، وفي أكتوبر قام ثلاثة من البدو كانوا مسافرين في قارب من الدوحة بقطر إلى البحرين ـ بالانقضاض على بقية الركاب ونهب أموالهم وأمتعتهم ، ثم ارغموا قائد القارب على تغيير طريقه إلى الظهران بساحل الأحساء .

١٩٠٦ :

وفي أوائل يوليو ١٩٠٦ عاد أحمد بن سلمان للظهور مرة أخرى فاستولى على قاربين صغيرين تابعين للبحرين على ساحل الظهران أثناء انشغال البحارة بالبحث عن أخشاب للنيران ، فاغرق أحد القاربين وركب الآخر هو وبعض رفاقه وهم عشرة رجال من بني هاجر وآل مرة ، وكان معظم القراصنة رجالا من غير المشتغلين بالبحر ، لذلك أتعبهم دوار البحر كثيراً ، واضطروا لقضاء اسبوع كامل على البر بالقرب من رأس البريكات ـوكان الطقس خلالها سيئاً ـ واستطاعوا بعدها الإبحار إلى دوحة عين السيح . وفي ١٤ يوليو وقعوا على قارب من

البديع كان يحمل مسافرين إلى القطيف ، ولم يكن بهذا القارب سوى بندقيتين فقط لكن الرجال أحسنوا استخدامهما بحيث جرحوا أحمد بن سلمان نفسه وقتلوا مساعده الأول وهو رجل من آل مرة . وأدت هذه الحادثة إلى توقف العصابة عن نشاطها طوال ذلك الموسم .

عمل السلطات البريطانية حيال قرصنة أحمد بن سلمان ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ :

وفي يونيو ويوليو ١٩٠٥ خرج الكابتن ف. ب. بريدو الوكيل السياسي في البحرين في رحلتين شراعيتين استغرقت كل منهما أربعة أيام للبحث عن أحمد بن سلمان صحبه فيهما حوالي ٥٠ رجلا مسلحاً من رجال شيخ البحرين لكنه لم يستطع اكتشاف مخبأ القرصان . لكن كابتن بريدو عثر على عبد هارب من عبيد أحمد شهد بعينيه عملية القرصنة الثانية التي ارتكبها سيده ، وقد أرسل إلى القطيف ليدلي بشهادته أمام السلطات التركية . ويبدو أن القائمقام التركي هناك ألقى بالشاهد في السجن لكنه أيضاً ألقى القبض على أربعة رجال من أنصار أحمد ، وردت العصابة على هذا العمل بقرصنة ثالثة ارتكبت في يوليو . وفي سبتمبر قام كابتن بريدو بزيارة القطيف حيث التقى بالقائمقام الجديد الذي وصل مؤخراً لقاء ودياً كانت نتيجته إطلاق سراح العبد الذي كان شاهداً ، ثم أعتق في ما بعد . وفي صيف سنة ١٩٠٦ حين عاد أحمد بن سلمان إلى الظهور ظل قارب بريطاني مسلح موجوداً في البحرين أو على شواطىء اللؤلؤ طوال موسم الغوص . وفي أغسطس زار هذا القرصان الدوحة ، ورغم أن زيارته هذه تمت خلسة فيما يبدو فقد طلبت السلطات البريطانية تفسيراً لزيارته من الشيخ جاسم . ولم يتخذ أي إجراء آخر .

١٩٠٧ :

وفي يونيو ١٩٠٧ وبعد ما أشيع من أن أحمد على وشك أن يعاود

أعمال القرصنة قامت سفينة صاحبة الجلالة « لابونج » بزيارة القطيف لكي يناقش قائدها هذا الأمر في لقاء ودي مع القائمقام ، الا أن الاخير رفض الاجتماع وقوبل الضابط البريطاني ورفاقه بمعاملة بلغت من السوء ما جعل حكومة صاحبة الجلالة تتقدم باحتجاجات على ذلك إلى الباب العالي .

* * *

علاقة بريطانيا بالاحساء ١٨٧١ ـ ١٩٠٧

العلاقات العامة والسياسية :

نبدأ الآن الحديث عن علاقات بريطانيا بالأحساء وكان معظم هذه العلاقات متعلقاً بعمليات القرصنة مما أشرنا اليه فيما سبق ، أو بأمور البحرين وسنشير اليه فيما بعد ونكتفي هنا بالإشارة إلى أنه في سنة ١٨٨٤ كانت السفينة «مبارك» وهي سفينة تاجر هندي في البحرين راسية في ميناء القطيف فأرغمتها السلطات التركية على أن تنقل جنوداً من القطيف إلى العقير . وحين رفع ممثلو بريطانيا الأمر إلى الباب العالي ، دفع التعويض عن هذا العمل وقد قدر بمبلغ ٥٠ روبية .

العلاقات التجارية :

وقد سبق أن أشرنا إلى وجود جالية هندية كانت تعمل في التجارة بالقطيف قبل أن يحتلها الأتراك ، وسنواصل الآن متابعة أخبار هذه الجالية

١٨٧١ ــ ١٨٩٠ :

وباحتلال الأتراك الفعلي للأحساء وإقامة دور للجمارك والعوائد انتهت الفترة الذهبية للتجارة الخارجية وإن ظلت حالة الجالية الهندية المشتغلة بالتجارة على حالها من الازدهار عدة سنوات تالية . وقد قدر حجم التجارة بين أيدي هؤلاء التجار ــ حين كانوا في قمة رخائهم ــ بما لا يقل

عن ١٥ لاكاً من الروبيات كل سنة . وفي المواسم التي تزدحم بالعمل كان يضاف اليهم حوالي ٦٠ تاجراً هندوكياً أيضاً تصحب سبعة منهم عائلاتهم في القطيف .

وحوالي سنة ١٨٨٠ بذل هانجام رام تيكام داس وشركاه — وهو أحد كبار التجار الهنود في البحرين — جهوداً كبيرة لتحسين حال الجالية بأن أقام وكالة قوية تكون مسئولة عن تجارة الهنود في القطيف ، وتبعته في ذلك وكالة هندية أخرى .

١٨٩٠ — ١٨٩٧ :

وأخيراً بدأت تجارة الهنود في الانهيار بسبب تعسف جامعي الضرائب والعقبات التي يقيمها أمامهم المسئولون في الميناء بايعاز من التجار المحليين ولمصلحتهم . وكانت البضائع المصدرة إلى الهند خاضعة لضريبة قدرها ١٪ فقط لكن الضريبة التي كانت تجمع بالفعل كانت تصل إلى ٨٪ . وكان المفروض أن ترد نسبة الـ ٧٪ عندما يثبت وصول هذه البضائع إلى الهند. لكن محصلي الضرائب نادراً ما كانوا يفعلون ذلك ، وقد قدرت الضرائب الزائدة التي حصلت من التجار الهنود في ثلاثة المواسم المنتهية سنة ١٨٩٤ بمبلغ يتجاوز ١٩,٥٠٠ روبية ، بلغ ما تمت استعادته منها —بعد طلب ممثلي بريطانيا من الباب العالي— مبلغ ٥٠١٢ روبية فقط . وكانت المضايقات الأخرى التي يشكو منها التجار الهنود تتمثل في التأخير المتعمد لوزن بضائعهم أو حجز سفنهم مدداً طويلة دون مبرر في الحجر الصحي ، وكذلك في الأوامر التي كانت تجعل من المتعذر عليهم الحصول على دواب يستخدمونها في نقل بضائعهم ، وفي تقصير السلطات التركية في تقديم العون لهم لاسترجاع ديونهم . وزادت الاضطرابات السياسية ومظاهر الخروج على القانون من صعوبات الموقف ، وبعد الهجوم العنيف الذي شُنّ في سنة ١٨٩٥ على بيت أحد أصحاب وكالة السادة جانجارام تيكام داس وشركاه ، انسحب التجار الهنود

تدريجياً من القطيف كلها ، وأصبح عملهم خلال سنة ١٨٩٧ هو نصف وربما ثلث ما كان عليه . وما بقي من العمل كان يسير سيراً سيئاً عن طريق وكلاء مسلمين من أهل البلاد .

١٩٠١ - ١٩٠٣ :

وحاول تجار الهند البريطانية في البحرين، بما عهد عنهم من إصرار ، تعزيز مركزهم في القطيف ، فعرضوا ،في سنة ١٩٠١ أن يسهموا بدفع مبلغ ١٢٠٠ روبية في كل سنة -لمدة خمس سنوات- في مقابل تعيين وكيل قنصلي بريطاني في القطيف . وفي نوفمبر سنة ١٩٠٣ -وبمناسبة زيارة لورد كيرزون للبحرين - جددوا طلبهم بإيجاد حماية قنصلية في الأحساء، وعرضوا أن يساهموا في نفقاتها بمبلغ ٢٠٠٠روبية في كل سنة . وكانت ضرورة القيام بعمل إيجابي ضرورة ملحة ، ما دام المبلغ الذي جمع دون وجه حق من تجار الهند البريطانية قد وصل في سنة ١٩٠٣ فقط إلى أكثر من ٢٥ الف روبية . وقد تم لفت نظر الباب العالي إلى هذه الإجراءات عن طريق ممثلي بريطانيا العظمى ، وتم الحصول على وعد من والي البصرة بتصحيح هذا الوضع وبرد المبالغ التي سبق تحصيلها دون حق . ونتيجة هذا الوعد ، تم التخلي عن المشروع المقترح وهو الحصول على اعتراف بالوكيل السياسي في البحرين كوكيل قنصلي للأحساء أيضاً ، ثم تعيين وكيل أهلي تابع له في القطيف .

★ ★ ★

علاقات الاحساء الخارجية بدول أخرى غير بريطانيا العظمى ١٨٧١ - ١٩٠٧

ظلت العلاقة الوثيقة بين الإحساء والبحرين بسبب اعتماد هذا الإقليم تجارياً على إمارة البحرين مستمرة بحكم الضرورة في ظل الحكم التركي . وكانت هذه الإمارة هي التي تتأثر مباشرة بأعمال القراصنة

على الساحل التركي مما وصفناها سابقاً ، وكانت الأحساء هي القاعدة –كما شرحنا ذلك في تاريخ البحرين– التي تود تركيا أن تنطلق منها لتأكيد سيطرتها على جزر البحرين .

مذبحة شيوخ البحرين وأنصارهم في الإحساء وعمل السلطات البريطانية حيال ذلك ١٩٠٠ – ١٩٠٤ :

وقد وقعت حادثة مؤسفة –لا تتصل بأي من هذه المشاكل– لكننا لا نستطيع إهمالها ، ففي نهاية سنة ١٩٠٠ خرج سلمان بن دعيج ابن عم عيسى بن علي شيخ البحرين للصيد بالصقور على شاطىء الظهران في الإحساء ، وكان بصحبته ابناه دعيج وبشير وابن شقيق له اسمه عبدالرحمن ابن راشد ، وتبع الشيوخ ٢٠ خادماً وأربعة أدلاء : أحدهم من آل مره ، والثاني من عجمان والباقيان من بني هاجر . وفي الصباح الباكر ليوم ٣ ديسمبر هوجم مخيم الشيوخ إلى جوار بئر ابن عقدان على مسافة خمسة أميال من دوحة عين السيح .. هاجمته عصابة مكونة من حوالي خمسين رجلا من بدو آل مرة التابعين لآل بحيح يقودهم راشد بن مقارح شيخ فرع آل بحيح الذي قتل ابن من ابنائه في العام السابق في عراك نشب مع العمامرة رعايا شيخ البحرين . ولم ينج من هذه الجماعة كلها سوى بشير ابن الشيخ سلمان واثنين من رجال القبائل استطاعوا النجاة من الموت ، وفروا جرحى . كما قتل أيضاً رجل من دواسر البحرين كان خارجاً للصيد مع جماعة أخرى ولكن تصادف أن كان في خيمة الشيخ سلمان وقت حدوث هذه المباغتة فشاركه المصير . ومن الجانب الآخر قتل القائد راشد وابن من ابنائه كما جرح واحد أو أكثر من رجال القبائل . وحمل آل بحيح معهم فيما حملوا ثلاثين بعيراً وعشرين بندقية . وكان يبدو أن هدفهم هو النهب لا الانتقام ، وكان مسلكهم هذا منافياً لكل التقاليد العربية . وقد قام محمد بن عبدالوهاب من القطيف بالسفر إلى مكان الحادثة خصيصاً للقيام بدفن جثث الشيخ سلمان ورفاقه .

وقام القنصل البريطاني في البصرة بابلاغ النبأ مباشرة إلى والي البصرة وكان من المتوقع أن تبادر السلطات التركية لتقديم التعويض العاجل . ويبدو أن هذه السلطات في البداية كانت تقلل من شأن الانتقام من آل بحيح ، وكانت أيضاً تخشى الإجراءات الانتقامية التي قد يقوم بها شيخ البحرين ضد هذه القبيلة . والحقيقة إن خطاباتهم لشيخ البحرين كشفت عن استعدادهم لقبول قيام الشيخ بالانتقام منهم ، لكن هذه السلطات بمجرد أن عرفت قدرة هذه القبيلة على الإفلات والمراوغة ، وعرفت أيضاً أن السلطات البريطانية ستحول بين شيخ البحرين والقيام بعمل انتقامي مفاجىء هدأت حماستها وأصبحت تنظر للقضية ببرود واضح .

وقد تأخرت حكومة صاحبة الجلالة في تقديم مطالبها واحتجاجاتها الشديدة إلى الباب العالي بسبب شكها فيما اذا كانت سلطة تركيا تمتد جنوباً حتى مكان وقوع الحادثة ، لكنها أخيراً ــ في أغسطس سنة ١٩٠١ قدمتها على أساس أن آل بحيح يقيمون في أرض تابعة لتركيا ، وقبل أن تقع الكارثة التي وقعت للاتراك كما ذكرنا سابقاً في القفطية بالقرب من العقير في إبريل ١٩٠٢ كانت الحكومة التركية قد خضعت لمطالب بريطانيا فيما يتعلق بمذبحة الظهران حتى إنها أرسلت أوامر صريحة مشددة إلى مسئوليها المحليين لإلقاء القبض على القتلة وعقابهم . وبما أن آل بحيح قاموا أيضاً بدور بارز في مذبحة الأتراك في القفطية فقد زود هؤلاء بمبرر جديد للعمل . وزاد احتمال نجاح المفاوضات المتعلقة بقضية شيخ البحرين خاصة بعد انتصار القوات العثمانية على آل مرة في سبتمبر سنة ١٩٠٢ .

وفي نفس الوقت طلبت حكومة الهند من شيخ البحرين أن يحدد التعويض الذي يرى أنه يستحقه . وأجاب الشيخ بأن قتل ثلاثة من أقربائه لا بد أن يقابل بتسليم ثلاثة في مقابلهم ودون قيد اوشرط من آل بحيح . وبالنسبة لديه الدم فانه يستحق مبلغ ٢٣,٥٢٠ روبية عن العشرين تابعاً والضيف الدوسري . أما قيمة الممتلكات التي نهبوها فتصل

إلى ١١,٦٢٠ روبية : وقد اعترض الأتراك على هذه المطالب ، من حيث نوعها وكمها كذلك ، ومن المحتمل أن نجاحهم وانتصارهم على تلك القبيلة كان لا يكاد يكفي لتغطية تعويضاتهم هم عن كارثة القفطية . وفي الداخل ، تقدم آل بجيح –عن طريق آل ثاني شيوخ الدوحة في قطر– بطلب لشيخ البحرين لتسوية الأمور تسوية ودية . وسمحت السلطات البريطانية للشيخ باجابتهم إلى مطلبهم ، غير أن آل بجيح تراجعوا أخيراً، ولم تبدأ المفاوضات المنتظرة .

وفي سنة ١٩٠٣ حين لم تكن أية خطوات قد اتخذت من جانب السلطات التركية لتعويض شيخ البحرين عن هذه الكارثة استمرت المفاوضات دائرة حولها بين الحكومة البريطانية والباب العالي ، وثبت كذب إدعاء السلطات التركية بأن هؤلاء القتلة قد لقوا حتفهم في الاشتباكات التالية مع القوات التركية . وسرعان ما وضح أن الباب العالي لا يود ولا يستطيع أن يقوم بأي عمل بهذا الصدد ، وقررت حكومة صاحب الجلالة الترخيص لشيخ البحرين بالثأر من آل بجيح على ألا يقوم بعمله هذا في إقليم تابع لتركيا . وأبلغ هذا القرار للباب العالي في أكتوبر سنة ١٩٠٤ ، لكن الترخيص سحب من الشيخ نظراً لسوء تصرفه في بعض الأمور الوارد تفصيلها في تاريخ البحرين .

وفي فبراير ١٩٠٥ حدث اعتداء جديد على رعايا البحرين من جانب قبيلة آل بجيح في دوحة حويقيل في برّ القارة ، وكان الضحايا في هذه المرة هم بحارة سفينتين صغيرتين تابعتين للحد في جزيرة المحرق نزلوا إلى البر لجمع بعض الأخشاب فهاجمتهم عصابة من ٣٥ بدوياً ، وجرح عبد كان مملوكاً لهم . وفي ١٩٠٧ يبدو ان آل بجيح كانوا يعتبرون أنفسهم بسبب منع الشيخ لهم من الدخول إلى البحرين على عداء دموي لكل أهل هذه الجزر من العرب .

العلاقات بقطر وعمان المتصالحة :

وكان المتصرفون الاتراك للأحساء ـبعد احتلال هذا الاقليمـ هم الادوات الرئيسية في التوسع التركي باتجاه قطر وعمان المتصالحة لكن أعمالهم بهذا الصدد تتعلق بتاريخ قطر .. وهي مذكورة في مكان آخر .

العلاقات مع الكويت :

وقد أشرنا من قبل إلى استخدام الكويت أحياناً كقاعدة عمليات ، وكذلك أشرنا إلى المعونة التي قدمها شيخ الكويت للأتراك في احتلال الأحساء سنة ١٨٧١ ، كما ذكرنا كذلك تعاون المفرزة الكويتية بقيادة الشيخ مبارك نفسه لاستعادة الاحساء سنة ١٨٩٣ ، وقرب نهاية سنة ١٨٩٩ أصدر سلطان تركيا إرادة سلطانية بمد خط برقي بين البصرة والقطيف عن طريق الكويت ، ولكن لم تتخذ أية خطوات لتنفيذ هذا المشروع .

العلاقات مع نجد :

وقد أشرنا قبلا إلى المفاوضات والمحادثات التي دارت بين الأتراك في الإحساء والحكام الوهابيين في وسط الجزيرة بقدر ما يتعلق هذا باحتلال الأحساء ، وبخطط تركيا للتوسع في نجد .

وفي ١٨٩٢ قدم الأتراك ملجأ ومرتباً لعبدالرحمن زعيم آل سعود في نجد الذي طرده ابن رشيد في وسط الجزيرة العربية .

كما كان ثمة اتصال يتم أحياناً مع ابن رشيد أمير جبل شمر . وهكذا حين هاجم ابن رشيد قبيلة عجمان في مارس ١٨٩٤ في مكان يدعى سلوى ناحية الكويت لجأت هذه القبيلة إلى السلطات التركية تطالبها بالتعويض على أساس أنهم تدفع الجزية للباب العالي . وكتب متصرف الأحساء باسمهم إلى الأمير إبن الرشيد لكن هذا أجابه ببساطة بأن أهل هذه القبيلة «لصوص.. وإنه اتخذت بحقهم اجراءات تكفل

سيادة النظام والقانون» . وفي ١٨٩٥ شكا ابن الرشيد بأن المواصلات بين الكويت ونجد تهددها غارات قبيلة عجمان وآل مره وغيرهما من القبائل الخاضعة اسمياً لتركيا وطالب إما أن يقوم المتصرف باخضاع تلك القبائل او يسمح له بالقيام بذلك ، ولكن يبدو أن الرد الوحيد الذي جاءه كان هجوماً من جانب قوات المتصرف بمساعدة قبيلة عجمان على آل مطير ، وهي القبيلة التي كانت تعتبر دائماً تحت حماية الأمير ابن رشيد ، والتي سبق أن اشرنا اليها من قبل .

وفي يوليو واغسطس ١٩٠٥ زار عبدالعزيز —ابن أمير الوهابيين الذي أصبحت له الغلبة على ابن رشيد في وسط الجزيرة— ناحية صحراء الجافورة المجاورة للدوحة سلوى . ويبدو ان وجوده هناك رغم كونه مسئولا تركياً اسمياً على الأقل كان محرجاً للسلطات التركية في الأحساء . لكنه استقبل الطابور التركي الغازي الذي مر لزيارته في معسكره في دعيلج بصحراء الجافورة .

★ ★ ★

الفصل السابع

تاريخ الكويت (١)
التاريخ القــديم

العتوب يؤسسون الكويت ١٨١٦ :

على الرغم من إن تأسيس مدينة الكويت ليس حدثاً موغلا في القدم فهونهب لروايات وأقاويل مختلفة ومتعارضة . ولكن لاشك في أن المستقرين هناك كانوا من العتوب وهي قبيلة تتكون من ثلاثة فروع رئيسية : الجلاهمة وآل خليفة وآل الصباح ، وقيل إن أصل القبيلة من عنيزة شمال وسط الجزيرة (٢) . ويبدو إن مدينة الكويت قد خرجت إلى

(١) فيما يتعلق بالحقائق الخاصة بتاريخ الكويت لم نرجع كما فعلنــا بالنسبة لقطر والبحرين والاحســاء الى التقــارير والمذكــرات الرسمية • ويمكننا أن نذكر المراجع المنشورة الآتية : كتاب آيفز « رحلة •• » سنة ١٧٧٣ • والجزء من « مراسلات موناتليش » الخاص من يوليو الى ديسمبر ١٨٠٥ ، وكتاب بريدج : « تاريخ مختصر للوهابيين •• » ١٨٣٤ • وكتاب ستوكيلر : « الحج في خمسة عشر شهرا •• » ١٨٣٢ ا ومقال بيللى وكولفيل بعنوان « جولة حديثة حول القسم الشمالى من الخليج •• » المنشور في مجلة الجمعية الجغرافية في بومباى مجلد رقم (١٧) سنة ١٨٦٥ • وتقرير بيللى بعنوان : « تقرير عن رحلة الى عاصمة الوهابيين في الرياض •• » سنة ١٨٠٦ ، وتقرير بيللى أيضا بعنوان : « تقرير عن القبائل الموجودة حول شواطىء الخليج •• » سنة ١٨٧٤ • والمصــادر الرسمية التى تحوى معظم المعلومات هى « مختارات بومباى •• » رقم (٢٤) سنة ١٨٥٦ ، و « مختصر المراسلات المتعلقة بشئون الخليج •• » من سنة ١٨٠١ الى ١٨٥٣ اختيار ج• أ• سالدنهــا سنة ١٩٠٦ ، و « مختصر شئون الكويت •• » لنفس المؤلف سنة ١٩٠٤ ، و « مختصر في أحوال نجد •• » له أيضا سنة ١٩٠٤ الى جانب التقارير الادارية السنوية من المقيمية السياسية في الخليج •

(٢) كان ثمة قسم رابع أيضا هو آل فضيل لكنهم لم يلعبوا دورا هاما في التاريخ •

الوجود مع بداية القرن الثامن عشر ، وتحدد إحدى الروايات هذه البداية بسنة ١٧١٦ . ومن الاسم نفسه نستطيع أن نفهم أنها كانت مجرد مستوطنة عربية صغيرة تقوم على حمايتها قلعة صغيرة . وحسب رواية ما يزال يرددها آل الصباح حكام الكويت إلى اليوم ، فان أجدادهم قد جاءوا إلى الكويت بعد أن طردهم الأتراك من أم قصر على خور الزبير وهو مكان قديم كانوا يتخذونه لقطع الطريق على القوافل المتجهة إلى البصرة أو القادمة منها وكذلك للقرصنة على السفن في شط العرب . وحين أنشئت الكويت كان شيخ الجلاهمة رجلا يدعى جابر ، وشيخ آل خليفة هو خليفة بن محمد ، وشيخ آل الصباح حسب إحدى الروايات هو شيخاً يسمى سليمان بن أحمد ، وكان لآل الصباح لون من السيطرة السياسية على بقية فروع القبيلة . وتقول رواية أخرى بأن شيخ آل الصباح في ذلك الوقت كان رجلا يدعى رحيم .

نمو المستوطنة السريع ١٧١٦ – ١٧٦٦ :

ونمت مدينة الكويت من حيث الثروة والأهمية نمواً عظيماً في الخمسين سنة الأولى الي أعقبت تأسيسها ، ونجح العتوب بواسطة تحالفهم البحري مع سواهم من القبائل المجاورة في أن يدعموا وجودهم في مواجهة بني خالد الذين كانوا حتى وقت قريب آنذاك يسيطرون على كل الساحل شمال شرقي شبه الجزيرة . وكان شيخ الكويت في الفترة من حوالي سنة ١٧٥٦ حى سنة ١٧٦٢ هو الشيخ صباح الذي خلفه ابنه الشيخ عبدالله .

علاقات الهولنديين في خارَج بشيخ الكويت ١٧٥٨ :

وفي ١٧٥٨ ، حين مر دكتور آيفر ورفاقه بخارَج في طريقهم من من الهند إلى اوروبا ، كنت تقوم علاقات ودية وثيقة بين البارون نيبهاوزن المسئول عن المستعمرة الهولندية في خارَج وشيخ الكويت الذي كان

«يدين له كثيراً .. بل ربما كان واقعاً تحت نفوذه ، وقد قام البارون باتخاذ الإجراءات المناسبة لسفر مجموعة الرحالة البريطانيين بمصاحبة قافلة تسير من الكويت إلى صحراء حلب وهو طريق على صعوبته كان أقصر بكثير من طريق البصرة وبغداد . وعلى هذا الاساس ارسل قارب في ٣١ مارس ليعود بشيخ الكويت إلى خارج لكن القارب لم يعد إلا في ١٤ إبريل . وحين جاء الشيخ وأملى شروطه كانت مبالغاً فيها مبالغة جعلت البارون يتساءل عن إمكانية تنفيذ الخطة التي اقترحها ، ولتنقذه جماعة البريطانيين من هذا الحرج الذي أحس به أعلن أفرادها أنهم لأسباب عديدة يفضلون مواصلة طريقهم المعتاد عن طريق البصرة وبغداد .

هجرة آل خليفة والجلاهمة من الكويت إلى الزبارة في قطر ١٧٦٦ :

وفي سنة ١٧٦٦ ، وفي ظروف لا يمكن أن تفسّر إلا تفسيراً خيالياً خالصاً ، انعزل فرع آل خليفة عن بقية القبيلة وانفصلوا في الزبارة بقطر حيث اسسوا لهم مستوطنة مستقلة . وتبعهم الجلاهمة بعد فترة قصيرة ، وظل آل الصباح فقط يسيطرون على الكويت سيطرة مطلقة .

أثر سقوط البصرة في أيدي الايرانيين على الكويت ١٧٧٦—١٧٧٩ :

وظلت العلاقات الودية قائمة بين العتوب في الكويت وهؤلاء الذين في الزبارة ، ولو حدث وانقطعت هذه العلاقات الى حين فهي ما تلبث أن تستعيد سيرة الود سريعاً . وفي سنة ١٧٧٦ لجأ واحد من شيوخ الكويت وعدد من وجهاء السكان فيها إلى الزبارة بعد استيلاء الإيرانيين على البصرة . ولم تضارّ الكويت ، كما كان يخشى من احتلال الإيرانيين للبصرة ، بل ان جزء كبير من تجارة البصرة تحول إلى الكويت عقب الاحتلال الإيراني .

بداية علاقة بريطانيا بالكويت ١٧٧٥ — ١٧٧٨ :

ويبدأ التاريخ المسجل لعلاقات بريطانيا بالكويت في سنة ١٧٧٥

حين احتل الإيرانيون البصرة وبدأ ارسال البريد الصحراوي من الخليج إلى صحراء حلب يتوجه إلى طريق الكويت بدل الزبير ، واستمر هذا الإجراء طوال احتلال الإيرانيين للبصرة حتى سنة ١٧٧٩ . لكن هذا الطريق لم يكن آمناً ، ولم يكن على المسافرين أية رقابة ، وقد ضاعت مرة حزمة من الرسائل في نهاية ١٧٧٨ .

الكويت تابعة للبصرة ١٧٧٥ :

وفي ١٧٧٥ كان ينظر إلى الكويت على أنها تابعة للبصرة ، وحين تعطل الاسطول البريطاني ــ التركي في شط العرب لدى انتقال الوكالة البريطانية إلى بوشهر ، كانت الكويت مرفأ آمناً يمكن فيه نزول المواطنين الأتراك والعرب .

القاء القبض على ضابط فرنسي في الكويت ١٧٧٨ :

وقد وقعت حادثة غير مألوفة في الكويت في نهاية ١٧٧٨ أو أوائل ١٧٧٩ . ففي ٣ أغسطس ١٧٧٨ خرج مسيو بوريل دي بورج وهو ضابط فرنسي شاب من مارسيليا يحمل رسائل مكتوبة بالشيفرة للسلطات الفرنسية في بوندشيري وموريشوس . وسافر الضابط عن طريق حلب إلى الخليج . وبعد مسيرة ١٥ يوماً من البصرة هددته جماعة من البدو ، وكان من سوء حظه أن أطلق النار على رجل منهم . وجرح الضابط جرحاً خطيراً بضربة سيف ، وأنقذ نفسه بأن احتمى بأكبر هؤلاء اللصوص سناً وتعهد له بدفع مبلغ ١٠٠ جنيه انجليزي اذا نقله سالماً إلى الكويت . ولدى وصوله إلى الكويت استطاع أن يقترض المبلغ المطلوب من رجل ارمني هناك ، وكتب إلى مسيو روسو القنصل الفرنسي في البصرة يطلب اليه تزويده بما يمكنه من إكمال رحلته إلى بوندشيري . ويبدو أن المقيم الفرنسي قد رفض أو لعله تردد في تقديم المعونة لمواطنه الفرنسي . لأن العرب حاملي البريد نقلوه معهم إلى الوكالة البريطانية في البصرة . وهكذا عرفت السلطات البريطانية بوجود مسيو دي بورج في الكويت .

ونشبت آنذاك مشكلة حادة، لان تقريراً جاء إلى البصرة باعلان الحرب بين بريطانيا وفرنسا(١) . وفي هذه الحالة كان يصبح من المحتم على السلطات البريطانية في خارج أن تلقي القبض على مثل هذه البعثات الفرنسية المتجولة . لكن العواقب كانت ستكون وخيمة بالنسبة للمقيم البريطاني لو اتخذ إجزاء على أساس تقرير ثبت فيما بعد أنه غير صحيح . وقرر مستر و. ديجيس لاتوش كمسئول عن الوكالة البريطانية ، وربما كعمل طيب من جانبه وإنساني إلى أبعد الحدود – القاء القبض على الضابط الفرنسي ، وأرسل وكيله مستر ابراهام في باخرة لتنفيذ القرار .

ورست السفينة على مسافة من المدينة ، وبعد أن هبط الظلام نزل مستر ابراهام يصحبه الكابتن شريف وهو رجل قوي البنية جداً في قارب إلى البر ، وكانت أهم العقبات التي تجابه تنفيذ مهمتهم هي معارضة شيخ الكويت الذي كان رغم نواياه الطيبة تجاه الحكومة البريطانية يعارض معارضة شديدة في إلقاء القبض على رجل ينزل في ضيافته ، وبعد نقاش طويل أمكن التخلص من هذه المعارضة ربما بناء على تأكيد بأن مسيو دي بورج لم يكن سوى مدني مفلس هارب . ومضى ممثل بريطانيا بعد ذلك إلى بيت مسيو دي بورج ، وحين فتح الضابط الفرنسي الباب – ولم يكن عليه سوى قميصه فقط لانه كان ينتظر رداً من المقيم الفرنسي في البصرة على ما يبدو – فاجأه الكابتن شريف بأن أوثق ذراعيه بقوة ، ودخل مستر ابراهام لتفتيش منزله ، واستطاع العثور على هذه الرسائل ، لكن مسيو دي بورج استطاع اتلاف مفتاح الشيفرة الذي كان في ثنية سترته وهكذا لم يستطع أحد أن يعرف فحوى الرسائل على وجه التحديد . ومن المفرح أن نعرف أن مسيو دي بورج حين وصوله إلى

---

(١) لم يكن هذا التقرير غير صحيح . فقد كانت هناك حرب بين فرنسا وبريطانيا في المدة من ١٧٧٨ الى ١٧٨٣ بسبب وقوف فرنسا صراحة الى جانب الولايات المتحدة الامريكية في حرب الاستقلال .

البصرة كان قد اكتسب بفضل سوء حظه والاعتداء الذي تعرض له «شفقة» هؤلاء الذين القوا القبض عليه . كما كان ساخطاً على مسيو روسو إلى درجة أنه رفض القيام بأي اتصال بالقنصلية الفرنسية . وأصبح مسيو دي بورج موضع « كل رعاية واهتمام » لدى المسئولين عن الوكالة البريطانية ، حتى إن جراحـــه التي كانت بلغت حداً خطيراً لعدم توفر وسائل العلاج قد التأمت تماماً ، ثم ارسل أخيراً في الطريق إلى بلاده عن طريق حلب «مزوداً بكل معونة ممكنة من جانب السادة العاملين في وكالتنا» .

مشاركة عتوب الكويت في فتح العتوب للبحرين ١٧٨٣ :

وكما ذكرنا في تاريخ البحرين ، ساهم عتوب الكويت بدور هام في طرد الإيرانيين من جزر البحرين وفي إعادة البحرين إمارة عربية يحكمها أقرباؤهم العتوب في الزبارة . وقبلها بثلاث سنوات –أي في سنة ١٧٨٠– اشترك العتوب في الكويت والعتوب في الزبارة في خرب ضد قبيلة بني كعب فيعربستان . لكننا لا نعرف شيئاً عن أسباب هذه الحرب وظروفها .

تجارة الكويت ١٧٧٥ – ١٧٩٠ :

وكانت الكويت –التي كان رخاؤها آنذاك يسير في اتجاه عكسي مع رخاء البصرة– قد أفادت فائدة كبرى من احتلال الإيرانيين للبصرة ، لأن تجارة الهند التي كانت تتخذ طريقها عبر بغداد وحلب ثم القسطنطينية قد تحولت إلى الكويت بين ١٧٧٥ و ١٧٧٩ بل حتى بعد هذا التاريخ . وفي سنة ١٨٧١ كان بعض التجار مع حلب ما يزالون يفضلون طريق القوافل مباشرة إلى الكويت لتفادي دفع الضريبة التي فرضها باشا بغداد على التجارة المارّة بالبصرة . . . .

وفي ١٧٩٠ بدأت الكويت تأخذ نصيبها من الرخاء التجاري الذي جلبه فتح البحرين على قبيلة العتوب كلها لاشتغال أفرادها في تجارة النقل واستيراد البضائع من مسقط والزبارة والقطيف والبحرين ، وفرضت الضريبة على البضائع المستورة بنسبة ١٪ فقط .

انتقال وكالة البصرة (البريطانية) مؤقتا الى الكويت ١٧٩٣ ـ ١٧٩٥

نظام الوكالة والعاملون بها :

كانت نتيجة الصعوبات والعقبات التي وضعتها السلطات التركية في وجه الوكالة البريطانية في البصرة كما بينا في تاريخ العراق التركي أن قررت الوكالة الانسحاب مؤقتاً إلى الكويت ، وتم ذلك في ٣٠ إبريل ١٧٩٣(١) وبقيت الوكالة بالكويت حتى ٢٦ أغسطس ١٧٩٥ . ونستطيع أن نستنتج من اختيار الكويت مقراً تلجأ اليه الوكالة التي انسحبت من العراق التركي أن الكويت لم تكن في سنة ١٧٩٣ وبأي حال من الأحوال رغم كل ما يقال ـ تابعة لتركيا . وكان المسئول عن الوكالة آنذاك هو مستر س. مانستي وهو رجل لعب دوراً هاماً ونشيطاً إلى حد ما في العلاقات بين بريطانيا والعراق التركي في هذه الفترة ، وكان ممن صحبه في هذه الرحلة الوكيل الآخر مستر هارفورد جونز الذي اشتهر فيما بعد بالسير هارفورد جونز سفير بريطانيا في إيران . كذلك صحبهم أيضاً مستر رينو الذي اشتهر بعد ذلك بأنه أول اوربي يقوم بزيارة الدرعية في نجد . ولحماية الوكالة في الكويت ظل طراد صغير راسياً في الخليج ، ووضعت فرقة حرس من الهنود يقودها ضابط هندي على الشاطىء . لكن العاملين في هذه الوكالة عانوا الكثير من حرارة الجو اللاهبة في الكويت مما سبب لهم ليالي طويلة ارقة بلا نوم » ومن الماء «الذي هو سيء دائماً ، ويتغير طعمه من يوم ليوم .. فمرة هو مالح .. وأخرى حلو ، وثالثة مر» ، وقد اضطر مسر هارفورد جونز ـنتيجة تدهور صحتهـ الى السفر في إجازة إلى اوربا .

---

(١) يذكر سير هارفورد جونز بريدجس في كتاب « الوهابى .. » هذا التاريخ على أنه سنة ١٧٩٢ .. لكن هذه ولا شك زلة قلم .

عدوان الوهابيين على الكويت ١٧٩٣ – ١٧٩٥ :

وأثناء إقامة الوكالة البريطانية في الكويت كان الوهابيون في حرب معها وكانوا متحرقين لإخضاع الكويت لسلطانهم وكثيراً ما ظهروا في جوارها وعلى أطرافها مسببين الخوف والهلع ، وكانت المدينة في ذلك الوقت لا تتوفر لها الحماية الكافية . فحولها سور من الطين كثيراً ما يتصدع في أيام المطر مما يفزع الناس ، لكن هؤلاء دائماً كانوا يتشجعون لثقتهم في الشيخ عبدالله بن صباح الذي تردد وصفه بأنه رجل قوي جدير بالزعامة . وكانوا يرون فيه أباً أكثر منه حاكماً ، لكن اعتداء الوهابيين لم ينتج عنه على أية حال سوى وضع مجموعة من ١٠ أو ١٢ بدوياً حول آبار المياه التي استولوا عليها ، واستطاع حملة البنادق ذات الفتيل في المدينة إجلاءهم عنها بعد اشتباك من بعيد لم يقتل فيه أحد . لكن الوهابيين من ناحيتهم كانوا يعاملون كل من يلقونه حول المدينة في الليل معاملة غير انسانية على الإطلاق . فيقتلون الرجال على الفور ويستولون على النساء . ومن الثابت كما يروى دكتور سيتزن أن مستر رينو رأى بعينيه رجلين من الوهابيين يذبحان رجلا كويتياً سيء الحظ على الساحل ثم يغسلان يديهما بدمه . وأثناء الفترة التي قضتها الوكالة البريطانية في الكويت حدث هجوم واحد فقط –وأمكن صده– من جانب الوهابيين . وكان موقف الوكالة البريطانية من هذا الصراع موقفاً غير واضح ، وكان من المفروض من الناحية النظرية أن يكون موقفاً حيادياً(١) .

---

(١) لا يتفق ما ذكره سير هـ . ج . بريدجس بهذا الصدد في كتابه « الوهابى .. » (من ص ١٢ الى ١٦) مع ما ذكره مستر رينو في حديثه الى دكتور سيتزن . (انظر كتاب فون زاش) « مراسلات مونتاليش .. » من يوليو الى ديسمبر ١٨٠٥ ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥) . فسير هارفورد يذكر أن هذا الهجوم الذى قام به حوالى ٥٠٠ وهابى قد استطاع صده مدفع واحد قديم أمر الشيخ بنقله =

تاريخ الكويت من انتقال الوكالة البريطانية الى وصول القوات المصرية للاحساء
١٧٩٥ ـ ١٨٣٨

التاريخ الداخلي :

خلال أكثر من أربعين سنة بعد عودة الوكالة البريطانية إلى البصرة ، لم يكن اسم الكويت يتردد في تقارير الخليج إلا نادراً .

ففي سنة ١٨٢٠ ذكر ان بالكويت سكاناً مسلحين يتراوح عددهم بين ٥٠٠٠ و ٧٠٠٠ رجل ، منهم عدة مئات فقط يرجع أصلهم إلى العتوب .. وأنها تعتمد في مصادرها المائية على جزيرة فيلكه . وفي ١٨٣٩ كان يخضع لسلطة شيخ الكويت معظم القبائل البدوية على الساحل جنوباً حتى رأس الخفجي ، وقدرت وارداتها بما قيمته ٥٠٠,٠٠٠ روبية وصادراتها بما قيمته ١٠٠,٠٠٠ ، وذكر أيضاً أن الكويت ، التي كان الرخاء يسودها ، بفضل السياسة السلمية التي ينتهجها حاكمها لها قوة بحرية تجارية قوامها ١٥ سفينة تتراوح حمولتها من ٤٥٠ إلى ١٠٠٠ طن ،

ـ من احدى سفنه ، كما أن سير هارفورد حريص على أن يثبت أن الوكالة البريطانية لم تقم بأى دور في هذا العمل .. بل يزيد مؤكدا أن العلاقات الطيبة كانت قائمة بينها وبين ابن سعود . أما مستر رينو فيؤكد ـ من الناحية الاخرى ـ ان المهاجمين كانوا على ٢٠٠٠ بعير ، يحمل كل بعير رجلين .. الراكب الامامى مسلح ببندقية ، وزميله مسلح برمح ليحميه أثناء اعادة مــلأ بندقيته بالرصاص ، وهو يزعم أيضا أن مستر مانستى أصــدر أوامره بانزال مدفعين من الطراد البريطانى في الميناء ، وأمر الجنود الهنود بالاشتراك في صد الوهابيين ، وان الوهــابيين قد خسروا كثيرين من رجالهم بسبب نيران الطراد البريطانى نفسه أثناء فرارهم على الساحل ، ويضيف أن رد الوهابيين على هذا الاشتراك من جانب الوكالة البريطانية تمثل في هجومهم على بريدها الصحراوى مما تسبب في رحلته هو الى الدرعية . وسير هارفورد لا شك مصــدر أكثر اطلاعا ، لكننا في نفس الوقت لا نستطيع اعتبار كل ما جاء في رواية مستر رينو من نسج الخيال .

و٢٠ تتراوح حمولتها من ١٢٠ إلى ٥٠ طناً و١٥٠ قارباً آخر تتراوح حمولتها من ١٥٠ إلى ٢٥٠ طناً . وفي ١٨٣١ امتدت المدينة ميلا واحداً على طول الشاطىء بعمق قدره ميل إلى الداخل ، وأصبحت شوارعها أكثر اتساعاً من شوارع مسقط وبوشهر ، لكن الدفاع الوحيد عنها ظل مجرد سور لا يبلغ سمكه أكثر من قدم واحد يحيط بالمدينة من ناحية الصحراء وقد حفر خلفه خندق جعلت فيه ثغرتان للمدافع يحرس كلاً منهما ثلاث بوابات . وفرض الشيخ في سنة ١٨٣١ ضريبة قدرها ٢٪ على كل الواردات لكنه لم يجعل لنفسه قوة مسلحة .

ويبدو أن تضامن العتوب في الكويت مع ابناء عمومتهم في البحرين وقطر ظل سائداً طوال هذه الفترة ، وظلت مشيخة الكويت تقاوم بنجاح على وجه العموم ثم بحماية من جانب تركيا فيما بعد محاولات أمراء الوهابيين ضمها إلى منطقة حكمهم . وحكم الشيخ عبدالله بن صباح الكويت حتى سنة ١٨١٢ حين مات مأسوفاً عليه وعلى حكمه المتسامح الذي أتاح نمو التجارة واتاح أيضا تضاعف السكان في مدينته ، وخلف الشيخ عبدالله ابنه جابر بن عبدالله .

وفي سنة ١٨٣١ قام اسطول الكويت بتقديم المساعدة لأسطول عرب بني كعب في حصار البصرة لصالح داود باشا الذي كان على وشك أن يعزل عن العراق التركي . وفي نفس الوقت تقريباً بدأ رخاء الكويت وازدهارها يتزايدان سريعا بفضل الكوارث التي حلت بالبصرة .

علاقة الكويت بالبحرين :

وفي سنة ١٨٠٠ أو ١٨٠١ إثر سماح الكويت بلجوء بعض رؤساء العتوب الذين طردهم السيد سعيد من البحرين اليها ، قام السيد سعيد من مسقط بزيارة للكويت باسطوله على سبيل الاستعراض والمظاهر العسكرية ، ان لم يكن للهجوم الفعلي عليها . ويبدو أنه حظي من شيخ الكويت على تكريم أصبح فيما بعد يراه حقا على كل العتوب .

وفي سنة ١٨٠٩ ، وقبيل الحملة البريطانية الاولى على رأس الخيمة، استطاع القرصان المشتغل بالسياسة رحمة بن جابر– وقد أدخل عتوب الكويت ضمن دائرة كراهيته الشديدة لبريطانيا والبريطانيين– أن يستولي على ٢٠ سفينة كويتية كانت في طريقها إلى مسقط . وهدد عبدالله بن الصباح شيخ الكويت –الذي كان واحد من أبنائه مسئولا عن حراسة هذه القافلة ولقي مصرعه في الحادثة– بالقيام بعمل بحري ضد رحمة وخور حسان ، ولكن يبدو أنه لم يستطع تنفيذ تهديده هذا . وفي سنة ١٨١٧ ترددت سفن الكويت على موانى البحرين وقد حمل وجودها هناك القوسم على تحويل نشاطهم ضد السفن البحرينية إلى سفن إيران في الجانب الآخر من الخليج .

علاقات الكويت بالوهابيين :

ثم أدى نزول سيد عمان الى جزر البحرين في سنة ١٨٠٠ و ١٨٠٢ إلى عقد صلح مؤقت بين العتوب في الكويت وأقربائهم العتوب في البحرين وبين الوهابيين . وفي سنة ١٨٠٣ –وبأمر من الوهابيين وبعد تردد كبير من جانب أهل الكويت – هجر هؤلاء موسم صيد اللؤلؤ وراحوا يطوفون البحار ضد سلطان مسقط مع أقربائهم أهل البحرين وقواسم رأس الخيمة في عمان المتصالحة ، ويبدو أنهم لم يحققوا شيئاً من هذه الأعمال الا الفشل .

وفي ١٨٠٥ ، وحين خاف شيوخ العتوب في الكويت والزبارة من نوايا الحكومة البريطانية الواضحة لإيقـــاع العقاب بالقواسم القراصنة في رأس الخيمة أعلن هؤلاء الشيوخ أنهم من رعايا أمير الوهابيين ، وأشاروا إلى احتمال قيام الأمير بارغامهم على التعرّض للتجارة البريطانية ، وطلبوا أن تؤمن لهم السلطات البريطانية حق اللجوء إلى البحرين في حالة قطع علاقتهم بالوهابيين . لكن طلباتهم هذه لم تقبل .

وقبل ذلك بزمن وفي سنة ١٨٠١ على وجه التقريب ، أدت المشاكل القائمة بين الوهابيين ورعاياهم في الأحساء إلى مزيد من التطور

في الكويت ، فقد تحول طريق تجارة الهند إلى اواسط شبه الجزيرة عن مجراه المعتاد مروراً بالأحساء وأصبحت موانى الكويت والبصرة –بدل القطيف والعقير – تستخدم مدخلا لقلب شبه الجزيرة . وفي سنة ١٨٠٩ تبين أن امير الوهابيين بعد أن رفض شيخ الكويت دفع الجزية له إثر صد الحملة الوهابية على الكويت في سنة ١٨٠٨ كان يحرض شيخ القواسم وسيد عمان للقيام بحملة بحرية على الكويت .. لكن اياً منهما لم يجد أن هذا الغرض يستحق القبول من جانبه . وفي سنة ١٨١٣–١٨١٤ أصبح ميناء الكويت مستقلا تماماً عن نفوذ الوهابيين .

علاقات الكويت بتركيا :

وفي ١٨٢٩ ، ذكر ان شيخ الكويت قد اعترف بخضوعه للأتراك وأنه يدفع اليهم كل سنة جزية سنوية قدرها ٤٠ كيساً من الارز و ٤٠٠ سباطة من التمور ، وأنه يتلقى في كل سنة خلعة تكريماً له . وحوالي سنة ١٨٣٦ –وحسب اوامر السلطات التركية– قدم شيخ الكويت عونه للأتراك في القضاء على تمرد أهل مدينة الزبير ، غير ان عونه كان قاصراً على حصار مداخل المدينة من ناحية البحر . وحين سقطت المدينة لجأ واحد من شيوخ عائلة زهير في مدينة الزبير ويدعى يعقوب إلى الكويت .. ومن هناك قيل إنه باع للشيخ إمارة «صوفية» في إقليم المعامير بشط العرب وقد أثارت هذه الحادثة كما سنرى لاحقاً مشاكل كثيرة في المستقبل .

وفي سنة ١٨٠٩ عرض شيخ الكويت أن يشترك في الحملة البريطانية على رأس الخيمة باسطوله الذي كان اضخم من اسطول القواسم لكن القيادة البريطانية رفضت هذا العرض .

علاقة الكويت بعربستان :

وفي سنة ١٨٣٧ ، يبدو أن الشيخ ثامر شيخ قبيلة كعب في إقليم عربستان كان قد لجأ موقتاً إلى الكويت إثر احتلال تركيا لمدينة المحمرة .. . .

علاقات بريطانيا بالكويت :

وفي ١٨٢١–١٨٢٢ ، انتقلت المقيمية البريطانية في البصرة في أعقاب الصعوبات التي كانت تواجهها من جانب السلطات التركية المحلية إلى جزيرة يبدو أنها جزيرة فيلكة التابعة لإمارة الكويت(١) . وفي ١٥ ديسمبر سنة ١٨٢١ ترك الكابتن تيلور المسئول آنذاك مؤقتاً عن المقيمية العلم في البصرة وأقام بالكويت حتى ١٩ إبريل سنة ١٨٢٢ حين عاد هو والمقيمية كلها إلى البصرة .

ويبدو أن السلطات البريطانية قد أهملت شأن الكويت فترة طويلة بعد ذلك . وحين زار الرحالة ستوكويلر هذا الميناء في سنة ١٨٣١ ، تأكد من أنه لم يهبط به اوربي واحد منذ سنين واتضح ذلك من استغراب الناس من مظهره ، واندفاعهم لتأمل شكله وثيابه بدهشة بالغة .

★ ★ ★

حالة الكويت بعد احتلال القوات المصرية للاحساء ١٨٣٨ ـ ١٨٤٠

تعين وكيل مصري في الكويت ١٨٣٨ ـ ١٨٣٩ :

وفي سنة ١٨٣٨ حين وصلت القوات المصرية إلى ساحل الأحساء على الخليج ارسلت وكيلا عنها ليقيم في الكويت على أنه وكيل لشراء الإمدادات اللازمة ، وقد استطاع بالفعل أن يسير عدة قوارب محملة بالشعير إلى القطيف . لكن الهدف الحقيقي من إقامته هناك كان العمل كمبعوث سياسي يتولى جمع الأخبار تمهيداً لخطة خورشيد باشا قائد القوات المصرية لانتزاع العراق من تركيا . وكان شيخ الكويت يعامله معاملة

---

(١) يمكننا أن نستنتج من هذه الظروف (انظر الفقرة السابقة) أن الكويت لم تكن حتى ذلك الوقت تابعة تبعية تامة لتركيا .. وربما وردت هذه الاشارة الى « جزيرة .. » من باب الخطأ .

متميزة . فيمنحه مكان الصدارة دائماً في كل مجالسه . وكانت الشحنة الوحيدة من الذخيرة والعتاد التي وصلت الى القوات المصرية طوال فترة احتلالها للاحساء هي شحنة حملتها إلى القطيف في نوفمبر ١٨٣٩ سفينة كويتية من ميناء الحديدة على البحر الأحمر . وكان أسطول الكويت في ذلك الوقت –كما قيل– كبيراً ومجهزاً تجهيزاً طيباً .

مقابلة غير لائقة من شيخ الكويت للسلطات السياسية البريطانية اكتوبر – نوفمبر ١٨٣٩ :

وكان الشيخ جابر شيخ الكويت صديقاً دائماً للحكومة البريطانية ، ولم يحدث أبداً أن جانب الذوق أو اللياقة في مراسلاته المكتوبة ، لكنه في سنة ١٨٣٩ –ربما بسبب إهمال المسئولين المحليين في الحكومة البريطانية لعقد الاتفاقيات وإقامة العلاقات الشخصية به ، ونتيجة فزعه أيضاً –كشيخ البحرين– من نجاح قوات محمد علي في الجزيرة العربية –حدث أن عامل شيخ الكويت مسئولا بريطانياً معاملة فظة تجافي اللياقة . وذلك أنه في يوم ٣٠ أكتوبر ١٨٣٩ وصل الملازم إدموندز مساعد المقيم السياسي البريطاني في بوشهر مبعوثاً عنه ليقابل الشيخ جابر ويتباحث معه بشأن إنشاء خط بريدي بريطاني عبر الصحراء من الكويت إلى البحر المتوسط . ووصل ادموندز إلى الميناء على سفينة حربية بريطانية أطلقت مدافعها بالتحية لشيخ الكويت كالمعتاد فلم يرد الشيخ التحية . وحين ارسلت اليه رسالة مكتوبة من المقيم رد شفوياً واعداً برد مكتوب في الصباح التالي . ولم يحدث ما كان يحدث دائماً حين يرحب الشيوخ بزيارة مسئول بريطاني فيصعد أنصارهم وأقاربهم إلى ظهر السفينة للتحية ، وظل الملازم إدموندز على ظهر سفينته دون ان يتم أي اتصال بينه وبين الشيخ حتى انقضت ثلاثة أيام ، وحينذاك طلب مقابلة الشيخ جابر ، وسمح له بأن يلقاه .. وكان الرجل حين لقي الملازم إدموندز محاطاً بقوم كثيرين ، وهم فقط بالقيام عن مقعده ، ولم يرفع من فمه الغليون الذي كان يدخنه ، وأنكر أن من عادة الكويت أن ترد التحية

التي تطلقها السفن البريطانية . لكنه قدم اليه رداً مكتوباً من قبل على خطاب المقيم .

واتفق الملازم إدموندز والكابتن هينيل المقيم السياسي على أن هذا المسلك الغريب من جانب الشيخ جابر لم يكن صادراً عن نوايا سيئة نحو السلطات البريطانية لكنه كان يهدف لخداع الوكيل المصري عن حقيقة العلاقة القائمة بينه وبين السلطات البريطانية . وأخذت حكومة الهند بوجهة نظرهما فقررت عدم ارسال انذارات للشيخ بصدد هذه الحادثة .

مشكلة إقامة قاعدة بريطانية في منطقة الكويت ١٨٣٩ :

وأثناء عودة الملازم إدموندز إلى بوشهر مضى لزيارة جزيرة فيلكه، وكتب تقريراً عنها جاء فيه أنها لا تصلح كقاعدة بحرية وعسكرية بريطانية بدل خارج لكنه كان معجباً بمزايا ميناء الكويت نفسه ، وذكر في تقريره أنه يصلح لأغراض كثيرة للحكومة البريطانية ، وربما لنفس الغرض أيضاً كتب الملازم فيلكس جونز من البحرية الهندية تقريراً عن ميناء الكويت في نفس السنة .

★ ★ ★

تاريخ الكويت من جلاء القوات المصرية عن الاحساء حتى احتلال الاتراك للكويت وضمها الى الامبراطورية العثمانية ١٨٤٠ ـ ١٨٧١

وخلال الثلاثين سنة التي أعقبت جلاء القوات المصرية عن شرقي جزيرة العرب كانت أهم العلاقات السياسية للكويت هي القائمة بينها وبين العراق التركي . لكن العلاقات الودية ظلت قائمة بينها وبين ممثل الحكومة البريطانية في الخليج ، وكان ثمة دلائل على ازدياد التقارب بين حكام الكويت ووسط الجزيرة . ومن الناحية الأخرى ، فان علاقة شيوخ الكويت بأقربائهم في البحرين ، وهي العلاقة التي توقفت منذ سنة

١٨٢٠ وعادت تبعث من جديد لفترة قصيرة من ١٨٤٣–١٨٤٦ ، قد وصلت الآن نهايتها تماماً .

التاريخ الداخلي :

وكان حاكم الكويت خلال الجزء الاكبر من هذه الفترة هو الشيخ جابر إلى أن مات في سنة ١٨٥٩ تقريباً وخلفه ابنه الشيخ صباح . ووصف الشيخ صباح في سنة ١٨٦٣ بأنه نحيل طويل القامة تجاوز عمره الثمانين خشن المظهر لكنه شفوق رحيم ، وكان يحكم الكويت كأب يجلس كل يوم إلى باب بيته ينظر شئون أبنائه ، ولم يكن المسؤلون في الكويت يتدخلون كثيراً في شئون رعاياهم ونادراً ما كانت توقع عقوبات بأحد ، وكان الشيخ يحتفظ بالسلطة السياسية لكن السلطة القضائية كانت في يد القاضي وحده ، ولم تكن ثمة عوائد أو غيرها من الوان الضرائب ، وكان المبلغ المخصص للأغراض العامة يصل إلى حوالي ٢٠ الف روبية كل سنة يدفعها التجار وسواهم عن طواعية ، وكان التسامح الديني من جانب الشيخ الحاكم يمتد ليشمل حتى اليهود ، وخارج حدود المدينة كان نفوذ الشيخ يمتد حوالي ثمانية أميال أو عشرة ولم يكن مسموحاً للبدو بدخول مدينة الكويت مسلحين . وحين مات الشيخ صباح في سنة ١٨٦٦ تقريباً خلفه أكبر أبنائه عبد الله .

علاقة الكويت بالبحرين :

وقد ذكرنا بالتفصيل في تاريخ إمارة البحرين تدخل الشيخ جابر في شئون البحرين نتيجة الصراع الذي كان دائراً فيها بين عبدالله ومحمد آل خليفة . ويكفي هنا القول بأن شيخ الكويت توجه برغبة من جانبه وبموافقة السلطات البريطانية– لزيارة البحرين وحاول هناك أن يعقد صلحاً بين شيوخها ولكن دون جدوى . وفي سنة ١٨٤٣ أو ١٨٤٤ حاول تقديم الإمدادات إلى قلعة الشيخ عبدا لله في الدمام وكانت قوات الوهابيين تحاصرها آنذاك من البر وأسطول الشيخ محمد من

البحر لكن السلطات البريطانية حالت بينه وبين ذلك ، وفي سنة ١٨٤٤ وبعد سقوط الدمام سمح للشيخ عبدالله بأن يلجأ إلى مدينة الكويت ، وأخيراً سمح للشيخ السابق بالبقاء فيها من سنة ١٨٤٥ الى ١٨٤٦ ، وكان طوال هذه الفترة حريصاً – كما طلب منه المقيم البريطاني في بوشهر بشكل خاص – على أن يمنع الشيخ عبدالله من إثارة الشغب في البحر ، وفي سنة ١٨٦٩ نفي الشيخ محمد أحد شيوخ البحرين السابقين إلى الكويت لكنه لم يبق بها طويلا .

علاقة الكويت بنجد :

وفي هذه الفترة التي نحن بصددها خفت حدة عداء شيخ الكويت للدولة الوهابية – بعد أن كان الموقف قد اتخذ طابع العداء الصريح أو ، في أفضل الأحوال ، الخلاف الذي لا شك فيه . وفي سنة ١٨٤١ لجأ للكويت عبد الله بن ثنيان قريب أمير الوهابيين خالد ومنافسه ، وظل بها فترة قصيرة فقط ، عاد بعدها قبل أن تنتهي السنة إلى وسط الجزيرة حيث استطاع أن يتغلب على خالد ، فلجأ هذا بدوره إلى الكويت . وفي ١٨٦٣ قامت علاقات ودية بين شيخ الكويت وفيصل ابن تركي حاكم نجد عندئذ ، لكن شيخ الكويت لم يكن يدفع أية جزية للوهابيين . وفي سنة ١٨٦٦ كما سنرى لاحقاً قدم الامير الوهابي عبد الله – الذي ظل مقيماً كوكيل في الكويت لأغراض سياسية كما فعل أبوه تماماً من قبل في سنة ١٨٥١ – عوناً لشيخ الكويت في نزاع بينه وبين الأتراك . وربما في هذا الوقت – كما جاء في تاريخ نجد – عاد عبدالله إلى الكويت بعد إغارة على بعض قبائل العراق التركي .

علاقة الكويت بعربستان :

وفي سنة ١٨٤١ يبدو أن الشيخ ثامر شيخ بني كعب عاد مرة أخرى فلجأ للكويت بعد أن طرده حاكم إقليم عربستان الفارسي من مشيخته لكنه سرعان ما رحل إلى البصرة .

علاقة بريطانيا بالكويت :

ويبدو أن المراسلات الرسمية بين المقيم البريطاني في الخليج وشيخ الكويت لم تكن دائمة ، لكن العلاقة الشخصية بينهما ظلت قائمة على أساس قوي . وفي سنة ١٨٦٣ قام الرائد بيللي المقيم العام وبصحبته دكتور كولفيل بزيارة للكويت ، فوصل في يوم ٣ مارس إلى الجهرة براً عن طريق البصرة ، ومن هناك صحبه مبارك ابن الشيخ إلى الكويت حيث قضى يومين مع الشيخ صباح . وفي ٧ مارس أعد شيخ الكويت ترتيبات رحيل المقيم إلى الأرض التركية ، وقضى هذا يومين في الأخوار المجاورة لجزيرة بوبيان . وقد بدأت رحلة الرائد بيللي المشهورة إلى الرياض ربيع سنة ١٨٦٥ من الكويت ، حيث قضى فيها عدة أسابيع منها أسبوع في الجهرة ليرتب أموره ، وينتظر إذن أمير الوهابيين . ولا شك في أن الرائد بيللي قد استطاع أن يتعرف بوضوح على مستقبل الكويت المحتمل كميناء تجاري ونقطة التقاء لتجارة البحر وسواها ، إلى جانب صلاحيتها ــ في ظروف خاصة ــ كي تكون قاعدة لمحطة تلغراف بريطانية او مستودعات للفحم ، بل إنه أيضاً قد ذكر بدقة رائعة ضرورة وصول البواخر إلى خور عبدالله في طريقها إلى العاصمة التجارية للعراق التركي ، وأن يربطه في يوم من الأيام خط حديدي بالبحر المتوسط . وفي إبريل ١٨٦٦ بدأت بواخر شركة الهند البريطانية للملاحة البخارية تتردد على ميناء الكويت .. لكن زياراتها هذه أوقفت بعد فترة قصيرة لأسباب سياسية سنشير اليها لاحقاً .

علاقة الكويت بتركيا ١٨٤٠ ــ ١٨٦٣ :

وكانت علاقة الكويت بسوى هذه الدول الأجنبية علاقات واهية في معظمها نتيجة التصاقها بتركيا . وفي سنة ١٨٤٧ حذا شيخ البحرين حذو شيخ الكويت الذي أعلن أنه ينوي ــ في ظروف خاصة أن «يضع نفسه تحت حماية الباب العالي» . وفي سنة ١٨٦٣ أكد الشيخ صباح للمقيم السياسي أن حكام الكويت كانوا دائماً يدفعون الجزية

لتركيا ، لكن الرائد بيللي استطاع أن يتأكد من مصادر أخرى أن شيخ الكويت قد رفع العلم التركي عدة سنوات ، وان سبب توقفه عن رفعه على سفنه هو ان التجارة التي تحملها هذه السفن لم تكن تلقى معاملة طيبة في بومباي . وكانت الأسباب التي دفعت شيخ الكويت إلى التوقف عن رفع العلم هي نفسها التي دفعت شيخ البحرين لهذا العمل نفسه سنة ١٨٤٧ .

ولا يرد في سنة ١٨٦٣ أية إشارة إلى الجزية التي تدفعها الكويت إثباتاً لسيادتها وفي مقابل حماية الباب العالي المزعومة لمدخل شط العرب .

خلاف حول إمارة صوفية في الارض التركية :

وفي ١٨٦٦ نشأت المشاكل حول تملك الشيخ صباح لإمارة صوفيّة على شط العرب التي قيل إن الشيخ جابر قد اشتراها من أحد أفراد عائلة الزهير بمدينة الزبير منذ ثلاثين سنة . وقد أثار المشكلة القائمقام التركي نتيجة شكاوى تلقاها من عائلة الزهير تفيد أن الرجل الذي عقد الصفقة مع الشيخ جابر لم يكن يملك سوى جزء صغير من المدينة فقط ، وطلب في نفس الوقت من الشيخ صباح أن يطرد من الأرض التابعة له في فاو بعض المزارعين الذين هاجروا من ارض إيرانية . وقد كشفت السلطات التركية منذ البداية عن وقوفها إلى جانب عائلة الزهير وشكاواها ، وبالكاد أفلت عبدالله بن صباح —الذي ارسله ابوه وكيلا عنه لمناقشة الأمر في البصرة — من السجن لانه رفض ان يتعهد على مسئوليته الشخصية بدفع نتاج سبع سنوات كان المدّعون يزعمون أنها من حقوقهم . وأخيراً حسم والي بغداد هذا الخلاف لصالح شيخ الكويت ، وقد نظر أهل الكويت إلى أعمال السلطات التركية بهذا الصدد على أنها تهدف للإيقاع بينهم وبين أهل مدينة الزبير ، وبدأوا يتهيأون للصراع . وأخيراً جاء أمر والي بغداد بأحقية شيخ الكويت في إمارة صوفية ربما لانه قد رفع اليه تقرير يؤكد أن شيخ الكويت سيقوم بالهجوم على مدينة

الزبير اذا لم يكن القرار في صالحه ، وأنه قد تلقى وعداً بتقديم المعونة والسلاح له من أمير الوهابيين .

خطط تركيا بالنسبة للكويت ، وتوقف خط الملاحة البخارية البريطاني ١٨٦٦ :

وفي سنة ١٨٦٦ حاول نامق باشا الحاكم التركي في العراق أن يحول سيطرة الباب العالي الاسمية على الكويت الى سيطرة فعلية ، وطلب إرسال سفينتين مسلحتين من القسطنطينية ، وفهم الرائد كيمبول المقيم البريطاني في بغداد أن «حرية الكويت المكتسبة منذ زمن بعيد» ستصبح قريباً مجرد أثر من آثار الماضي .

وكانت السلطات التركية في العراق تنظر بحسد وغيرة الى زيارة البواخر التجارية البريطانية للكويت ، وقد حاولت جمع الاحصاءات التي تؤكد أن رخاء الكويت التجاري أمر يضر بمصالح البصرة . وفزع شيخ الكويت من خطط تركيا ونواياها نحوه فالتمس من السلطات البريطانية ألا تقف البواخر البريطانية بميناء الكويت ، وقد أوصى الرائد كيمبول بوقف الخدمة الملاحية البريطانية فيها .

★ ★ ★

الشيخ عبد الله بن صباح ١٨٦٦ ـ ١٨٩٢

ظل عبدالله بن صباح يحكم الكويت منذ موت أبيه في سنة ١٨٦٦ على الأرجح حتى وفاته في سنة ١٨٩٢ .

★ ★ ★

علاقات الكويت بالباب العالى ١٨٦٦ ـ ١٨٩٢

مساهمة الكويت في الحملة التركية على الاحساء ١٨٧١ :

يبدو أن عبدالله بن صباح ظل على علاقة وثيقة بالحكومة التركية طوال مدة حكمه ، وأنه كان مطيعاً ومتحمساً لان يكون أداة للسياسة التركية وفي سنة ١٨٧٠ او ١٨٧١ كان هو الوسيط الذي من خلاله قدم عبد الله بن فيصل أمير الوهابيين المعزول عونه للأتراك . وفي سنة ١٨٧٠ قدم الشيخ عبدالله وسائل النقل البحري المؤلفة من ٣٠٠ سفينة أهلية لنقل القوات التركية المتجهة لفتح الاحساء ، وقد صحب الحملة بنفسه ، وعن طريقه تم إقناع شيخ الدوحة في قطر برفع العلم التركي .

وحين ذهب مدحت باشا والي بغداد في جولة تفتيشية بإقليم الأحساء قبل نهاية السنة توقف يوماً في الكويت قيه انه خلاله «نصب» الشيخ عبدالله على الكويت . وواضح أنه كان « قائمقاماً» للحكومة التركية في الكويت من المراسلات التركية الي اعتبرت أن الكويت أصبحت تابعة لتركيا في الوقت الذي أصبحت فيه الأحساء كذلك .

★ ★ ★

علاقات الكويت بالوهابيين ١٨٦٦ ـ ١٨٩٢

وفي وقت ما بين سنتي ١٨٧٢ و ١٨٧٤ سمح شيخ الكويت لعبدالله ابن فيصل المطـالب بالإمارة الوهابية والذي كان موقفه من تركيا مشكوكاً فيه بعض الشيء بالإقامة إلى جوار الكويت .

وفي سنة ١٨٧٢ وكما هو مذكور في تاريخ نجـد هدد الأمير سعود أمير الوهابيين مدينة الكويت ، لكن الشيخ استطاع أن يهاجمه بعد أن استدرج أنصاره بعيداً وأن يرغمه على الفرار ، وحوالي سنة

١٨٨٤ كان يبدو أن شيخ الكويت يناصر أمير شمر الذي بدأ باعتداءات على الوهابيين .

★ ★ ★

علاقات الكويت ببريطانيا العظمى
١٨٦٦ - ١٨٩٢

عزوف بريطانيا عن شئون الكويت :

يبدو في أثناء حكم الشيخ عبد الله أن السلطات البريطانية في الخليج لم تكن لها علاقة مباشرة بالكويت حيث كان ينظر إلى هذا المكان على أنه تابع لسيطرة تركيا إلى حد كبير أو قليل . وفي سنة ١٨٧٦ أشار الرائد بريـــــدو المقيم السياسي البريطاني آنذاك إلى الكويت هي والقطيف والعقير على أنها موانئ تركية على الخليج . وفي سنة ١٨٨٨ ، ونتيجة الخوف من تقدم الأتراك نحو عمان أبلغت حكومة صاحبة الجلالة السفير البريطاني في القسطنطينية بأنها لا توافق على الاعتراف بأية حقوق لتركيا على الساحل العربي جنوبي القطيف ، وأنها تود لو مارست الحكومة التركية سلطانها داخل هذه الحدود ، أما الشيوخ المحليون جنوب القطيف فان حكومة صاحبة الجلالة تعتقد أنهم مستقلون ولم يتم إبلاغ الباب العالي بهذا في حينه . وكانت الأوامر التي صدرت في سنة ١٨٨١ بتفويض ضباط البحرية البريطانية بالعمل اذا دعت الضرورة لمنع القرصنة حتى في المياه التركية تشمل ساحل الكويت كساحل قطر والأحساء على حدٍّ سواء .

★ ★ ★

علاقات الكويت بالامارات والقبائل العربية
١٨٦٦ ـ ١٨٩٢

زيارة مبارك للبحرين : ١٨٨٣ :

شهدت سنة ١٨٦٩ نفي الشيخ محمد شيخ البحرين السابق إلى الكويت لكنه لم يمكث بها طويلا . وفي سنة ١٨٨٣ قام مبارك الأخ الأصغر غير الشقيق لشيخ الكويت بزيارة ودية للبحرين ، وهناك لقي ترحيباً وكرم ضيافة ورحل محملا بالهدايا . وقبل هذا التاريخ سبق للسلطات التركية أن استخدمت مبارك مندوباً سياسياً لها غير مرة ، وكانت هذه الحقيقة تستدعي أن يكون في البحرين تحت مراقبة دقيقة ، ولكن لم يتضح أنه كان لزيارته تلك أية دوافع سياسية .

النزاع مع بني هاجر ١٨٩٢ :

وفي مارس سنة ١٨٩٢ حدث هجوم على قبيلة بني هاجر ـ ربما في الأحساء ـ من جانب قريب لشيخ الكويت قتل فيه أربعة منهم وحمل عدداً كبيراً من ابلهم وأغنامهم ، وبعدها بقليل انتقم بنو هاجر لأنفسهم بأن هاجموا قارباً كويتياً في الليل وقتلوا اثنين من بحارته .

★ ★ ★

الشيخ محمد بن صباح ١٨٩٢ ـ ١٨٩٦

التاريخ الداخلي للكويت وعلاقاته بتركيا ١٨٩٢ ـ ١٨٩٦

وجاء بعد الشيخ عبد الله أخوه الشقيق محمد ، وكانت فترة حكمه قصيرة ولولا الطريقة التي انتهت بها ما استحقت أن تذكر .

إرسال قوات لمعاونة الاتراك في الاحساء ١٨٩٣ :

ولم يمض وقت طويل على تولي الشيخ محمد حكم الكويت حتى طلب منه الأتراك التعاون معهم في إقرار الأمور بالأحساء التي كانت قد

بدأت تضطرب اضطراباً خطيراً في سنة ١٨٩٢ . وفي مارس ١٨٩٣ وصل مبارك بن الصباح إلى الأحساء لهذا الغرض ومعه قوات كبيرة من البدو جاءت سيراً عن طريق البر من الكويت .

اغتيال الشيخ محمد ١٨٩٦ :

وفي مايو ١٨٩٦ قتل الشيخ محمداً أخوه الشقيق جراح لحساب أخيه غير الشقيق مبارك ، وقيل إن مباركاً بنفسه هو الذي قتل الشيخ محمد ، وتكفل واحد آخر من الأسرة يعاونه رجل من قبيلة عجمان بقتل جراح . ولا تتضح لنا الأسباب الحقيقية لهذه الحادثة .. هل كان الخلاف على قضايا عامة أم شخصية ؟ أم كان مجرد جشع وطموح من جانب مبارك ؟ . وتقول إحدى الروايات ان الشيخ محمداً كان مكروهاً كحاكم بشكل عام ، والمؤكد أن شعب الكويت لم يبد أسفاً واضحاً لمقتله .

★ ★ ★

العلاقات البريطانية مع الكويت ١٨٩٢ ـ ١٨٩٦

مكانة الكويت السياسية :

خلال فترة حكم الشيخ محمد القصيرة ظلت العلاقات بين بريطانيا والكويت كما هي غارقة في اللامبالاة ، ولم تبدأ أية دلائل على أن الحكومة البريطانية قد غيرت وجهة نظرها بالنسبة لوضع الكويت السياسي . وفي إبريل ١٨٩٣ كتب المستر س. فورد السفير البريطاني في القسطنطينية رسمياً إلى وزير الخارجية التركية يبلغه أن حكومة صاحبة الجلالة تعترف بحقوق تركيا في السيادة على طول الساحل من البصرة إلى القطيف . وفي سنة ١٨٩٥ حدثت حادثة قرصنة في شط العرب كانت ضحيتها السفينة «هاريباسا» وهي سفينة تحت الحماية البريطانية ، وقد أدت ظروف هذه الحادثة لاحقاً لدى موت الشيخ محمد إلى إثارة شكوك السلطات البريطانية بصدد طبيعة العلاقة بين شيخ الكويت والحكومة التركية.

الشيخ مبارك بن صباح ابتداء من سنة ١٨٩٦
التاريخ العام للكويت منذ تولى الشيخ مبارك حتى الاتفاقية الخاصة مع بريطانيا العظمى
١٨٩٦ – ١٨٩٩

اعمال أبناء محمد وجراح ١٨٩٦ – ١٨٩٨ :

خلال السنوات الثلاث الاولى من حكم الشيخ مبارك ظل موقفه حرجاً وخطيراً نتيجة خوفه من انتقام بقية أفراد عائلته و لافتقاره إلى العون الخارجي .

وانتقل أبناء الشيخ محمد القتيل وأخيه جراح إلى العراق التركي بعد أن أقاموا فترة قصيرة بالكويت حيث ناصرهم وتولى قضيتهم قريبهم من ناحية الأم(١) – يوسف بن عبدالله «ويذكر اسمه عادة يوسف بن ابراهيم» وهو تاجر ثري ومن كبار ملاك الاراضي في ولاية البصرة ، وبذل يوسف كل جهده لاقناع والي البصرة ، أو حتى ابن رشيد أمير جبل شمر ، بتبني قضية هؤلاء الأبناء ولم يفوت فرصة لتكدير الشيخ مبارك . ففي ٣٠ يونيـــو ١٨٩٧ أرسلت حملة من القوارب أعدها يوسف على ساحل إقليم الهنديان في إيران ووصلت خارج الكويت لكنها اضطرت إلى الرجوع دون ان تطلق طلقة واحدة بعد أن وجدت الميناء محصناً ومستعداً للدفاع .

وربما بايعاز من يوسف ، تقدم أهل مدينة الزبير الواقعة على الحدود

(١) كانت هذه العلاقة في الحقيقة معقدة بعض الشيء . فعلى بن جابر – أصغر اخـوة الشيخ صباح شيخ الـكويت تزوج صغرى بنات على بن محمد بن ابراهيم ، وانجب منها ثلاثة فتيات ، تزوجت كبراهن بالشيخ محمد ، واصبحت أم ابنائه صباح وسعود وخالد وعربى ، وتزوجت الوسطى جراح وانجبت منه ابنا هو حمود وفتاة تزوجت ابن عمها صباح بن محمد ، وتزوجت البنت الكبرى لعلى بن محمد بن ابراهيم بعبد الله – ابن عم أبيها – وولدت له يوسف .

التركية بالتماس للباب العالي يطلبون فيه إبعاد مبارك عن الكويت ، وبذل واحد من أبناء الشيخ محمد جهوداً كثيرة مع السلطات السياسية البريطانية وعرض أن يقبل وضع نفسه تحت حمايتها إذا استعادت له بنفوذها حقوقه في الكويت . وفي أغسطس ١٨٩٧ ظهر يوسف في البحرين ربما بعد أن طردته السلطات التركية من العراق نتيجة فراره من الكويت وذلك ليطلب عون السلطات البريطانية ، لكنه أبلغ بأنها لا تستطيع أن تقدم له عوناً ضد شيخ الكويت . وفي نفس الوقت راح شيخ الكويت يطلب تحكيم شيخ البحرين ، لكن هذا الاقتراح الذي كانت حكومة الهند مستعدة للموافقة عليه لم يؤد إلى شيء بسبب زهادة شيخ البحرين في أن يكون حكماً في هذا النزاع . وخلال سنة ١٨٩٧ و ١٨٩٨ تردد مراراً أن أبناء إخوة الشيخ يتأهبون للهجوم على الكويت ، لكن هذا أعلن في ثبات وهدوء أنه قادر على رد أي هجوم .

موقف السلطات التركية من الشيخ مبارك :

وكان موقف السلطات التركية من الشيخ مبارك محايداً ، وظل كذلك زمناً طويلا ، فقد صور حمدي باشا والي البصرة آنذاك لأول مرة حكم مبارك في الكويت على أنه فرصة لإقامة علاقات تركية وثيقة بها . ورغم أن مبارك اعترف في هذه المناسبة بولائه للسلطان بل ورفع العلم التركي ـ كما لاحظ ذلك الضابط الذي كان يقود سفينة صاحبة الجلالة «سفنكس» أثناء زيارة قام بها للكويت في يوليو ١٨٩٦ـ إلا أنه ظل زمناً طويلا دون ان يدخل في مفاوضات او مباحثات مع السلطات التركية . فمن ناحيته كانت هناك الجهود التي يبذلها أبناء إخوة الشيخ وأقاربهم والاعتبارات السياسية التي يراها والي البصرة ، ومن الناحية الأخرى كانت هناك الرشاوى الضخمة التي يقدمها الشيخ مبارك لرجب باشا مشير قوات الجيش في بغداد ولشيخ الإسلام والشيخ عبد الهادي في القسطنطينية ولآخرين أيضاً انكشفوا فيما بعد . وفي نفس الوقت لم تكن سياسة الوالي في الاستيعاب الإداري مرفوضة كلها ،

وفي فبراير ١٨٩٧ –استباقاً للقرارات التي وافق عليها مكتب الصحة العامة بالقسطنطينية في هذه السنة– وصل مسئول تركي عن الحجر الصحي وأقام في الكويت دون أي احتجاج على قدر ما نعرف من جانب الشيخ . وأخيراً وفي ديسمبر ١٨٩٧ أبلغ محسن باشا الذي خلف حمدي باشا والياً على البصرة برقياً من حكومته بأن ارادة سلطانية صدرت بتعيين الشيخ مبارك قائمقاماً للكويت . وبدأ اسم الشيخ يتردد بعد ذلك في التقارير الرسمية للولاية ، وبدأت مراسلاته من البصرة على هذا الاساس، وقد جعل له راتب قدره ١٥٠ كاراً من التمور كل سنة ، أصبحت بعد ذلك راتباً نقدياً قدره ٣٠٠ جنيه تقريباً في العام الواحد .

عدوان شيخ الدوحة في قطر ١٨٩٧–١٨٩٨ :

وبجانب الخطر الماثل دائماً في أوضاع مبارك كان على هذا الشيخ أن يواجه قبل مضي وقت طويل تحالفاً واسعاً لكنه ضعيف نشأ عن زيارة يوسف بن ابراهيم للبحرين في صيف ١٨٩٧ . وفي سبتمبر من نفس السنة ذكر أن جاسم بن محمد شيخ آل ثاني في الدوحة بقطر يعد العدة لهجوم على الكويت من البر والبحر يشترك فيه مع ابن شقيق شيخ الكويت ، وأنه يحاول أيضاً إغراء ابن رشيد بالانضمام اليهم كما يحاول إبعاد قبيلة عجمان عن مناصرة الشيخ مبارك . وفي بداية نوفمبر كان واضحاً أن هذه الخطة بسبيلها إلى التنفيذ رغم معارضة تركيا ، لكنها لم تنفذ بالفعل . وفي نفس الوقت اوقع شيخ الكويت بعض العقاب بقبيلة بني هاجر التي كانت من أنصار شيخ الدوحة ، وفي أوائل سنة ١٨٩٨ حدث تمرد محدود على الأتراك في الدوحة كان مردّه الاعتقاد السائد بأن هجوم شيخ الكويت على بني هاجر كان بتحريض من الأتراك .

وفي نوفمبر ١٨٩٨ ارسلت السلطات التركية نقيب البصرة لمحاولة الوصول إلى تسوية بين الشيخين لكن مهمته فشلت .

شكوك بريطانيا في طبيعة العلاقة بين شيخ الكويت والحكومة التركية ١٨٩٦ – ١٨٩٧ :

وبسبب هذه الاحداث وأمثالها بدأ اهتمام حكومة صاحبة الجلالة يتجه شيئاً فشيئاً نحو الكويت ، وبدأ يتبلور بين المسئولين البريطانيين رأي بأن علاقة الحكومة التركية بالكويت أقل قوة مما كان مفترضاً بشكل عام في السنوات الاخيرة . وانتشرت شائعة سخيفة في دوائر القصر بالقسطنطينية في سنة ١٨٩٦ تقول بأن المقيم البريطاني في الخليج هو الذي حرض على قتل إخوة الشيخ مبارك . ونتيجة هذه الشائعة قام السفير البريطاني في القسطنطينية بتحريات واسعة كشفت عن أنه –حتى في القسطنطينية– هناك من يؤكد أن الكويت مستقلة تمام الاستقلال عن تركيا . وفي نهاية سنة ١٨٩٦ حين كانت حادثة القرصنة على السفينة «هاريباسا» موضع الاهتمام آنذاك قدم اقتراح باعتبار شيخ الكويت مسئولا عن هذه الحادثة لأسباب مذكورة في تاريخ العراق التركي ، غير أن الاقتراح لم يعجب السفير البريطاني في القسطنطينية . وكان سير ب. كوري يعتقد أن شيخ الكويت على الرغم من اعترافه بسيادة الباب العالي إنما هو حاكم مستقل في الحقيقة ولا يخضع للسلطان إلا خضوعاً إسمياً فقط ، غير أن حاكم الهند رأى في أوائل سنة ١٨٩٧ –ولأسباب عملية– تجنب هذا الرأي ونصح بأن تلقى مسئولية اعمال شيخ الكويت على عاتق تركيا . وأخيراً ، ونتيجة معلومات تلقاها سفير بريطانيا في القسطنطينية من كابتن هوايت الذي كان منذ فترة قصيرة مساعد الوكيل السياسي في البصرة ، وبمناسبة تقدم سير ب. كوري يطلب رأي حكومة صاحبة الجلالة فيما يتعلق بسيطرة تركيا على الكويت ، جاء الرد بأن حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف على الإطلاق بأن الكويت تابعة للحماية التركية لكنها تعتقد في نفس الوقت بأنه من الصعب وربما من المستحيل إنكار وجود نفوذ تركي فيها .

محاولة الشيخ اكتساب الحماية البريطانية فبراير–أغسطس ١٨٩٧ :

ولم يقدم المقيم السياسي البريطاني في الخليج أي احتجاج ضد الجريمة التي ارتكبها الشيخ مبارك وتولى بها حكم الكويت ، لكن الشيخ حين قامت سفينة صاحبة الجلالة «سفنكس» بزيارة الميناء في يوليو ١٨٩٦ أبدى إمارات واضحة تدل على خوفه الشديد ، فرفض زيارة السفينة ، وراوغ في الإجابة على الاسئلة التي وجهت اليه بشأن رفعه العلم التركي . وكان الانطباع الذي خرج به القائد بيكر من زيارته هذه ان الكويت –رغم أنها مستقلة نظرياً– إلا أنها واقعة تحت النفوذ التركي الذي ازداد بشكل خاص منذ تولى الشيخ مبارك الحكم . وظلت الأمور كما هي حتى فبراير ١٨٩٧ –الشهر الذي ارسل فيه الأتراك مسئولا صحياً إلى الكويت– حين طلب الشيخ مبارك فجأة أن يقابل الرائد ويلسون المقيم السياسي او وكيلا عنه . وبالنظر إلى الشائعات التي ترامت منذ شهور في القسطنطينية حول تدخل السلطات البريطانية في الكويت فقد رفع الأمر إلى حكومة صاحبة الجلالة ، وردت هذه بأنه يمكن السماح له بالمقابلة على أن يتولاها المقيم السياسي ، وأصبح معروفاً بعد ذلك أن الهدف كان طلب الشيخ مبارك الحماية البريطانية . وفي نفس الوقت حدثت واقعة القرصنة على السفينة «هاريباسا» فصدرت التعليمات من حكومة صاحبة الجلالة للمقيم العام في مايو بأن يبلغ شيخ الكويت –حين يلتقي به– بأنه سيعتبر مسئولا في المستقبل اذا ما استمر رعاياه في ارتكاب قرصنتهم على السفن التي تحت الحماية البريطانية . وكان هذا اول دليل يشير إلى أن حكومة صاحبة الجلالة قد غيرت رأيها فيما يتعلق بالوضع السياسي لشيخ الكويت . وحتى منتصف يوليو– أي بعد انقضاء ثلاثة أسابيع على الهجوم الذي حاوله يوسف الابراهيم على الكويت– لم يحدث أي لقاء بين المقيم والشيخ مبارك ، وبعدها عرف أن ممثلا للشيخ قد وصل إلى البحرين وهو في سبيله لمقابلة المقيم السياسي الرائد ميد في بوشهر ، لكن هذا الرجل حين عرف باحتمال وجود يوسف بن ابراهيم في

البحرين عاد ادراجه إلى الكويت دون أن يؤدي مهمته . وفي هذا الوقت نفسه حدثت حادثة قرصنة جديدة في مياه الكويت .

زيارة مستر جاسكين للكويت سبتمبر ١٨٩٧ :

وفي أغسطس أرسل الشيخ مبارك يقول إنه لا يجد بين رجاله رجلا ذكياً بما يكفي لإرساله ممثلا له إلى بوشهر ، وهو لهذا يرجو إرسال مندوب من المقيمية اليه يستطيع أن يشرح له وجهة نظره . وعلى هذا ارسل مستر ج. س. جاسكين –المساعد الإضافي للمقيم– إلى الكويت على سفنية صاحبة الجلالة «لورانس» فوصلها في ٥ سبتمبر ١٨٩٧ . ورفض الشيخ الذي كانت مفاوضاته مع الباب العالي متوقفة تماماً أن يصعد إلى ظهر السفينة حتى لا يخالف السلطات التركية ، وتم بينهما لقاءان على البر حضرهما أيضاً كابتن هبويت قائد السفينة البريطانية . وفيما يتعلق بالقرصنة في مصب شط العرب فقد أنكر الشيخ أن يكون رعايا الكويت بين المرتكبين لهذه العمليات ، لكنه أعترف بأن بعض أهل إمارته على النهر ممن ليست له أية سيطرة عليهم قد يكونون من بينهم ، وقال أيضاً إنه عرض أن يقوم بحراسة مصب النهر لكن السلطات التركية رفضت السماح له بذلك ، وأن القوارب الكويتيه لا تستطيع الآن أن تقترب من شط العرب إلا في مجموعات من قاربين أو ثلاثة توفيراً للحماية ، وهو مستعد للتعاون –ووضع كل إمكانياته لذلك– مع الحكومة البريطانية في منع القرصنة . وبالإشارة إلى مطلب الشيخ الذي كان الهدف الأول من زيارة مستر جاسكين فقد ذكر أنه هو وشعبه يريدون –لكي يمنعوا الأتراك من ضم الكويت بعد أن ثبت أنه لا يمكن الإعتماد عليهم– أن يضعوا أنفسهم تحت الحماية البريطانية تماماً كشيخ البحرين وشيوخ عمان المتصالحة . وتعهد اذا اجيب إلى طلبه هذا بمساعدة الحكومة البريطانية بكل إمكاناته لتحقيق السلام والأمن في هذه المنطقة من الخليج .

الحكومة البريطانية ترفض طلب شيخ الكويت اكتوبر ١٨٩٧ :

ورفع طلب الشيخ مباشرة إلى حكومة صاحبة الجلالة . وردت هذه بأنه لا داعي لوضع الكويت تحت الحماية او التدخل في شئوبها أكثر مما هو ضروري لتحقيق السلم العام في منطقة الخليج . وبعدها بعدة أيام وفي يوم ٢٠ أكتوبر عندما ورد تقرير يفيد أن قارباً تركياً مسلحاً كان بطريقه من البصرة إلى الكويت أثارت حكومة الهند المسألة مرة أخرى فأشارت إلى أن الكويت فيما يبـــــدو مركز للقرصنة (١) وسوق لتجارة الرقيق ، وتساءلت : ألا يجوز في هذه الظروف تغيير السياسة ؟ لكن وزير الدولة لشئون الهند أكد التعليمات التي أصدرها من قبل ، وأضاف أنه لا شيء في الوضع السياسي للكويت يمنع ضباط البحرية البريطانية من تحميل شيخ الكويت مسئولية كاملة عن حوادث القرصنة التي تقع في حدوده .

الشيخ مبارك يجدد محاولاته — نوفمبر ١٨٩٧ :

وفي نوفمبر ١٨٩٧ وفي الوقت الذي ساد فيه الاعتقاد باقتراب الهجوم الذي يعده الشيخ جاسم شيخ الدوحة ويوسف شيخ دوره على الكويت ارسلت سفينة صاحبة الجلالة « بيجون » لتراقب الأحداث على شاطىء الكويت . وصدرت التعليمات لقائدها بعدم التدخل إلا اذا حدث تهديد للمصالح البريطانية مباشرة ، وانتهز الشيخ مبارك الفرصة فكرر طلب الحماية البريطانية .

اخطار تهدد الكويت من جانب روسيا وتركيا ١٨٩٨ :

وأخيراً وفي سنة ١٨٩٨ ، جاءت الظروف التي ارغمت الحكومة البريطانية على اتخاذ إجراءات استبعاد النفوذ الاجنبي من الكويت . فقد

---

(١) لنا أن نشك في صحة هذا الزعم ، فقد حـــدث نوع من الخلط بين الكويت ومقاطعات الشيخ في العراق التركى . ولم تحدث أى شكاوى — لا قبل هذا التاريخ ولا بعده — من حوادث قرصنة ارتكبها أهل الكويت .

كان هناك ما يدعو للظن بأن الحكومة الروسية تفكر في إقامة مستودع للفحم في الكويت ، كما كانت الجهود تبذل للحصول على حق امتياز من الباب العالي يمنح للكونت كابنيست ، وهو مواطن روسي ، مد خط حديدي من البحر المتوسط إلى الخليج ، وهي خطة ستؤدي في حالة عدم وجود أية اتفاقية بين الحكومة البريطانية وشيخ الكويت إلى خلق امتيازات إقليمية لروسيا في أرض الكويت . وفي نفس الوقت ، ورغم الاعتراف الأخير بالشيخ مبارك كقائمقام فقد شاب العلاقات بين الشيخ والسلطات التركية توتر لم تتضح اسبابه ، كما ذكر أيضاً نبأ تعيين لجنة تركية لبحث الشكاوى المقدمة ضد شيخ الكويت ، وتناثرت الشائعات عن احتمال ارسال قوات تركية من البصره إلى الكويت .

★ ★ ★

الاتفاقية المانعة مع بريطانيا ٢٣ يناير ١٨٩٩

أوامر حكومة صاحبة الجلالة :

وفي يناير ١٨٩٩ ، ولإيقاف تلك الخطة الروسية ، قررت حكومة صاحبة الجلالة عقد اتفاقية مع شيخ الكويت على نسق الاتفاقية التي وقعت مع سلطان عمان في ٢٠ مارس ١٨٩١ تقيده هو وخلفاءه بعدم التنازل عن أي جزء من ارض الكويت بغير موافقة الحكومة البريطانية . وبهذه الطريقة كما كان مؤملا يصبح ممكنا تفادي اتخاذ خطوات صريحة نحو إعلان الحماية البريطانية على الكويت . وكان العرض الذي سيعرض على الشيخ في مقابل ذلك هو أن يتسلم مبلغ ٥٠٠٠ جنيه أو أقل كدفعة مقطوعة أو يتقاضى معونة سنوية لا تتجاوز ٢٠٠ جنيه .

توقيع الاتفاقية ونصوصها ١٨٩٩ :

وحسب هذه الأوامر توجه الرائد ميد المقيم السياسي في الخليج على سفينة صاحبة الجلالة «لورانس» إلى الكويت فوصلها في ٢١ يناير

١٨٩٩ ، وكانت السفينة التركية الصغيرة «زحاف» موجودة في الميناء لكنها غادرته في اليوم التالي . وفي يوم ٢٣ يناير وقع الشيخ مبارك الاتفاقية المطلوبة ، وفيها تعهد ، هو وأبناؤه وخلفاؤه من بعده بعدم السماح لممثل أية دولة أو حكومة أجنبية بالإقامة في الكويت أو سواها من الأرض التابعة له دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية ، وألا يبيع أو يؤجر أو يرهن أو يعطي أو يتنازل –بغرض الاحتلال أو أي غرض سواه– عن أي جزء من أرضه لدولة أجنبية أو رعايا دولة أجنبية دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية . وكان هذا النص الأخير يمتد ليشمل الاراضي التي كانت تابعة للشيخ في ذلك الوقت ومملوكة لأية حكومة أخرى أو لرعاياها . وكان حمود وجابر شقيقا الشيخ مبارك حاضرين عند توقيع الاتفاقية، لكنهما رفضا أن يصدقا عليها لعدم موافقتهما على نصوصها ، لكن الشيخ مبارك أكد للرائد ميد أن موافقة أخويه ليست أمراً ضرورياً كي تسري هذه الاتفاقية عليه وعلى خلفائه من بعده .

خطاب تأكيد للاتفاقية ٢٣ يناير ١٨٩٩ :

وبعدها سلم الرائد ميد خطاباً للشيخ يؤكد له فيه باسم الحكومة البريطانية نوايا الحكومة الطيبة نحوه ونحو ورثته وخلفائه ما ظلوا على التزامهم بنصوص هذه الاتفاقية . وفي هذه الوثيقة تمت الإشارة إلى طابعها السري . وقد تم دفع مبلغ ١٥ الف روبية للشيخ عقب توقيعها (١) .

تفسير الشروط التي لم يصدر تفويض بشأنها :

وبعدها شرح الرائد ميد أنه أكد شرط عدم استقبال ممثلي أية دولة أجنبية بعد أن أشار الشيخ إلى أن ثمة طلباً قد قدم اليه بالفعل من فرنسا . وكان النص الخاص بالأرض المملوكة بالفعل لرعايا دولة

---

(١) النص الكامل لهذه الاتفاقية وللخطاب الملحق بها موجود في الملحق رقم (١) لهذا الفصل .

أجنبية مقصوداً به التحفظ على نقل ملكية المنازل التي للرعايا الأتراك في الكويت إلى الروس او غيرهم .

التصديق على الاتفاقية ١٦ فبراير ١٨٩٩ :

وحين رفعت نصوص الاتفاقية إلى حكومة صاحبة الجلالة وافقت على الإجراءات التي قام بها المقيم السياسي وفوضته بالتصديق عليها رغم أنها قد تجاوزت ما كان مسموحاً به . وهكذا تم التصديق عليها في ١٦ فبراير ، وكان ثمة أمل لدى الشيخ مبارك مستمدٌ من اوامر وزير الدولة في أن الحكومة البريطانية لا بد ستبذل كل جهودها لحماية مصالحه ومصالح اخوته في مقاطعاتهم بفاو داعمةً بذلك مطالب أبناء إخوته في تلك الأرض التركية . أما مبلغ الألف جنيه الذى دفع للشيخ مبارك فقد ساهمت الحكومة الأم بنصفه وحكومة الهند بالنصف الباقي .

★ ★ ★

التاريخ العام للكويت من توقيع الاتفاقية المانعة حتى تعيين وكيل سياسى بريطاني فيها ١٨٩٩ ـ ١٩٠٤

محاولات الاتراك لتأكيد سيطرتهم على الكويت ومقاومة الشيخ يناير ــ سبتمبر ١٨٩٩ :

وشهدت الأشهر القليلة التالية جهوداً موصولة من جانب السلطات التركية فيالبصرة لتأكيد سيادتها على الكويت ربما بسبب معرفتهم بالاتفاقية التي عقدت بين الشيخ مبارك وبريطانيا . وكان الشيخ مبارك من ناحيته جموحاً مصراً على موقفه هذا لأول مرة ، وتوتر الموقف بين الطرفين . وأثناء زيارة الرائد ميـــد للكويت احتج المسئول التركي الصحي المعين هناك على نزول المقيم العام وجماعته من السفينة «لورانس» من حيث أنه خرق للتنظيمات الصحية التركية ، وقد أهملت هذه

الاحتجاجات ، وتبعها احتجاج آخر من الحكومة التركية لم يؤد أيضاً إلى نتيجة . وفي فبراير ١٨٩٩ ساد التوقع بأن يقوم الاتراك بعملية بحرية على الكويت ، وناقشت حكومة صاحبة الجلالة إجراءات الحماية التي يجب اتخاذها ، ثم أصدرت اوامرها بأنه من الممكن اذا دعت الحاجة توجيه إنذار إلى الباب العالي . وفيما عدا ذلك فعلى السفن الحربية البريطانية أنْ تتجنب أي استخدام للقوة . ويبدو أن الحالة وصلت حداً من التأزم -في شهر مارس- دفع حكومة الهند لأن تأمر ببقاء سفينة صاحبة الجلالة «لابونج» بالقرب من شاطىء الكويت ، وفي نفس الشهر وصلت السفينة الحربية الروسية «جلياك» إلى ميناء الكويت ، والتقى القنصل الروسي في بغداد -الذي كان على ظهر السفينة- بشيخ الكويت لقاء عادياً . وفي مايو فرض الشيخ مبارك حين بدا الآن متلهفاً للتسرع في تسوية الامور مع الحكومة التركية عوائد جمركية منظمة قدرها ٥٪ على كل الواردات بما فيها القادمة من ميناء البصرة وغيرها من الموانى التركية التي كانت حتى ذلك الوقت معفاة من العوائد إعفاءً كاملا . وفي يوم ٢ سبتمبر وصل مدير تركي للميناء -يصحبه خمسة جنود- لتولي إدارة ميناء الكويت ، لكن الشيخ رفض استقبالهم ، وارغم المدير على العودة إلى البصرة في اليوم التالي . ووصلت اوامر من القسطنطينية إلى البصرة باعتبار هذه المسألة منتهية . وبعدها تردد أن الأتراك يعتزمون إنشاء دار للعوائد في الكويت كذلك ربط فاو بالقطيف تلغرافياً عن طريق الكويت وان السلطات العسكرية التركية تطالب باستخدام العمل المسلح ضد الكويت .

انذار من الحكومة البريطانية للباب العالي ١٨٩٩ :

بعد هذه الدلائل التي تشير إلى نشاط السياسة التركية قدم السفير البريطاني في القسطنطينية -حسب أوامر حكومة صاحبة الجلالة- انذاراً للباب العالي بأن الحكومة البريطانية وإن لم تكن لها أية أطماع في الكويت فهي ترتبط بعلاقات ودية مع شيخها ، وانه اذا قامت السلطات التركية

بأية محاولة لفرض سيطرتها او رقابتها على الجمارك في الكويت دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية فلا مفر من نشوب مشكلة خطيرة . وأكد وزير الخارجية التركية رداً على هذا الانذار أن قضية استقبال الشيخ لمندوب عوائد تركي قد انتهت ، وأنه ليست هناك أية نوايا لإقامة دار عوائد عثمانية في الكويت او لإرسال حملة عسكرية اليها لأنه رغم أن والي بغداد قد اقترح القيام بهذه الأعمال إلا أن السلطان قد رفضها . وبعدها ذكر للسفير البريطاني أن لهجة انذاره هذا قد ازعجت السلطان كثيراً وهو يعتبر هذا الانذار رغبة من جانب الحكومة البريطانية في التدخل في حرية السلطان في إدارة ارض تابعة لتركيا ، لكن السير ن. اوكونر تحاشى مناقشة القضية الأساسية وهي تبعية الكويت لتركيا واكتفى بأن كرر إنذاره الذي قدمه من قبل ، واعتبرت القضية منتهية لفترة . كما صدر أيضاً تحذير لوالي البصرة من قِبَل القنصل البريطاني هناك بعدم اتخاذ أي عمل عدائي ضد الكويت .

تودد الشيخ لحكومة إيران اكتوبر ١٨٩٩ :

وفي الشهر التالي ، اكتوبر ١٨٩٩ ، تأكد أن الشيخ مبارك قد تقدم إلى شاه إيران عن طريق شيخ المحمرة بطلب شموله بالحماية الإيرانية . وكان الشيخ يهدف بهذه الحركة التي لم يبذل أية محاولة لإخفائها إلى اختبار مدى اهتمام الحكومة البريطانية بأمور الكويت وقد رفض الشاه طلب الشيخ على أية حال .

تغيير والي البصرة ١٨٩٩ :

وفي نفس الوقت كان الشيخ مبارك قد اتخذ إجراءاته –عن طريق التآمر في البصرة– لمواجهة النتائج الاكثر خطورة التي قد تنجم عن سياسته تلك غير المتهادنة مع تركيا ، ونجح بالتعاون مع نقيب البصرة في نقل حمدي باشا والي البصرة آنذاك وكان مسئولا نزيهاً لكنه لم يكن محبوباً وعيّن بدله في خريف سنة ١٨٩٩ محسن باشا ، وهو ضابط

عسكري ، كان مستعداً لان يرفع امور الكويت إلى الباب العالي في ضوء جديد .

وكان بين الاخطار الرئيسية التي كان على الشيخ مبارك أن يتفاداها في ذلك الوقت خطر القاء القبض عليه أثناء الزيارة الرسمية التي قام بها شخصياً للبصرة .. دلالة على خضوعه وتبعيته التي اصرت عليها الحكومة التركية إصراراً شديداً . ولعب محسن باشا دوره بمهارة ، فلم تستمر إعتداءات تركيا على استقلال الشيخ مبارك أكثر من عام ونصف ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل ان الشيخ مبارك استطاع أن يقوم بزيارته الرسمية للبصرة بسلام ، وهناك تلقى تكريماً خاصاً من السلطان ، واستطاع أيضاً أن يجاهر فيما بعد بعدائه للعميل التركي ابن رشيد في نجد ، بل وأن يضع يده على جزء من اراضيه .

زيارة لجنة الخطوط الالمانية للكويت يناير ١٩٠٠ :

وقبل هذه الأحداث قامت بعثة المانية بزيارة الكويت للبحث عن موقع مناسب لنهاية خط بغداد الحديدي المقترح ، وكان يرئس هذه البعثة الهر ستمريش القنصل الألماني العام في القسطنطينية . وكانت مهمته —لولا وجود إتفاقية سنة ١٨٩٩ — شبيهة بالمشروع الروسي للخط الحديدي نفسه ، وقد نقل قائد سفينة صاحبة الجلالة «ميلبوميني» انذاراً إلى الشيخ بألا يتخذ أية اجراءات في هذا الصدد قبل موافقة حكومة الهند عليها ، وقد كان يمكن أن تؤدي هذه الحادثة إلى الإضرار بمصالح بريطانيا العظمى في الخليج . ومن رواية الشيخ مبارك للقائه بهذه البعثة في الكويت بتاريخ ١٩ يناير سنة ١٩٠٠ وهي رواية أيدها التقرير التالي للبعثة نفسها يبدو أن الشيخ قد أفصح عن عدم ترحيبه باقامة نهاية الخط الحديدي على ارضه ، وأنه أوضح أيضاً لاعضاء البعثة أنه هو المسيطر الوحيد على ارضه لا سلطان تركيا . ويبدو أن اعضاء البعثة حاولوا أن يبدأوا معه المحادثات بشأن شراء كاظمة على رأس خليج الكويت

واستئجار الارض المحيطة بكويكب وغاضي وهي خطة تعني وضع اليد على مساحة تزيد عن ٢٠ ميلا مربعاً ، لكن أهدافهم هذه احبطها التزام الشيخ مبارك التزاماً دقيقاً باتفاقيته مع الحكومة البريطانية من ناحية ، وشكه في نوايا هذه البعثة وخشيته من أن تكون مناورة بارعة في التنكر والتخفي من جانب الأتراك . وفي البصرة صرح رئيس البعثة بأن المسؤولين عن مشروع الخط الحديدي سيتفاهمون مع السلطات التركية مباشرة ويهملون شيخ الكويت .

وأدت هذه الأعمال من جانب لجنة الخط الحديدي في بغداد إلى ضرورة إبلاغ بريطانيا رأيها فيما يتعلق بالكويت وبمنتهى الوضوح للباب العالي والحكومة الإيرانية . وعلى هذا قام سفير صاحب الجلالة في القسطنطينية في ١٥ إبريل سنة ١٩٠٠ خلال لقاء بينه وبين وزير الخارجية التركية بتوضيح مفاده أن الحكومة البريطانية رغم كونها لا تود التدخل في شئون تركيا في الخليج ، فهي تود أن تظل الحالة القائمة هناك كما هي . وهي لا تستطيع ان تظل ساكنة تنظر بلا مبالاة إلى أي عمل يكون من شأنه تغيير الحالة القائمة او يمنح دولا أجنبية أخرى حقوقاً أو امتيازات اقليمية في أرض الكويت . وفي نفس اليوم التقى سير ن . أوكونر بالسفير الألماني ، وحتى لا يدع سبيلا لأي نوع من الغموض شرح له بوضوح وضع بريطانيا في الكويت .. وأوضح له أن شيخ الكويت ليس حراً في أن يبيع لشركة خط بغداد ، او يؤجر لها ، كاظمة أو أي جزء آخر من ارض الكويت دون موافقة حكومة صاحبة الجلالة .

اندلاع النزاع في وسط الجزيرة ١٩٠٠ :

والآن نعود لاستئناف متابعة الخط الرئيسي لروايتنا . في صيف سنة ١٩٠٠ بدأت سلسلة من الحركات أدت إلى توغل الشيخ مبارك في داخل وسط الجزيرة وإلى عودة الحكم الوهابي في جنوب نجد . ومنذ سنة ١٨٩٧ كان عبدالرحمن بن سعود منافس عبدالعزيز ابن رشيد في

نجد ـ مقيماً في الكويت متقاعداً في ضيافة الشيخ ، وكان هذا في ذاته سبباً كافياً لاثارة عداء ابن رشيد لشيخ الكويت . ولا شك في أن سخط أمير شمر الطبيعي على شيخ الكويت الذي استضاف اعداءه ، قد الهبه أبناء إخوة الشيخ ويوسف بن ابراهيم من دوره الذي حاول الاستنجاد بابن رشيد منذ وقت طويل ، ويبدو انه أصبح ساعده الايمن في سنة ١٩٠٠ . ولا نعرف على وجه اليقين كيف بدأت الأعمال العدوانية في وسط الجزيرة . كل ما نعرفه ان ابن سعود رحل عن الكويت في أغسطس سنة ١٩٠٠ ، وطلب في الشهر التالي وبعد أن أصاب قدراً من النجاح إمدادات من حامية الشيخ مبارك . وفي نفس هذا الوقت ، او ربما بعده بقليل ، بدأ سعدون باشا زعيم قبيلة المنتفق الخارج على سلطات العراق التركي يشن بعض الغارات على القبائل العربية المجاورة المستقرة على الفرات والمواليه لابن رشيد . وكانت الدلائل تشير بوضوح إلى أنه يرتكب هذه الاعمال متواطئاً مع شيخ الكويت . وكان الشيخ مبارك نفسه بعيداً عن بلده أثناء زيارة السفينة الفرنسية الحكومية «دروم» للكويت من ١٤ إلى ١٦ أكتوبر . كذلك لم يكن الشيخ مبارك موجوداً حين وصل الرائد كمبـــول المقيم البريطاني في الخليج إلى الكويت في أوائل الفترة الاخيرة من الشهر نفسه ليقنع الشيخ بالكف عن الاشتراك في هذه الاعمال التي قد تقدم للسلطات التركية مبرراً للتدخل . وفي ضوء الاحداث التالية كان واضحاً أنه كان بالصحراء طوال هذه المدة يحاول أن يقدم لابن سعود كل ما يستطيع تقديمه .

تدخل والي البصرة ــ نوفمبر ١٩٠٠ :

وفي نهاية اكتوبر سنة ١٩٠٠ ظهر ابن رشيد في السماره على الفرات ومعه أنصار كثيرون ، وطلب من الحكومة التركية تعويضاً عن الأضرار التي الحقها سعدون باشا برعاياه وتعويضاً آخر من شيخ الكويت وانصافاً لأبناء إخوته ، وهدد بالهجوم على الكويت اذا لم يجب إلى مطالبه . وفي نفس الوقت كان شيخ الكويت قد انضم إلى سعدون باشا

وأصبح الصدام بينهما وبين ابن رشيد أمراً محتوماً . لكن الأتراك تدخلوا في اللحظة المناسبة بنجاح كبير . فمن خلال نفوذ السيد أحمد والسيد طالب ابني نقيب البصرة تم اقناع ابن رشيد بالرجوع إلى مقره ، وإقناع شيخ الكويت بمقابلة والي البصرة في الرافضية .. في منزل ريفي يملكه النقيب هناك بالقرب من مدينة الزبير وهناك أقنع سعدون باشا بوسائل أخرى كي يختفي موقتاً عن مسرح الأحداث . وفي يوم ١٧ نوفمبر وصل مبارك مع الوالي صديقه محسن باشا إلى البصرة حيث قضى فيها اليوم التالي ، وتلقى وساماً مجيدياً من الطبقة الثانية ، ووعد بألا يقيم أية علاقات «بالدول الأجنبية» ، وعاد في ٢٤ من نفس الشهر سالماً إلى الكويت . وهكذا ارضى الشيخ مبارك رغبة الاتراك في أن يقوم بزيارة رسمية لهم ، وحقق محسن باشا انتصاراً حاسماً .. فالى جانب أنه استطاع منع صدام خطير من الوقوع .. فقد أكد سيطرة الباب العالي على اثنين من كبار زعماء الجزيرة .

شيخ الكويت يغزو وسط الجزيرة ديسمبر ١٩٠٠ — مارس ١٩٠١ :

لكن هذه الإجراءات التي اتخذت كانت زائفة كلها .. فخضوع الشيخ مبارك لتركيا كان خضوعاً كاذباً .. فقد كان ينتهج بالفعل سياسة مستقلة كل الاستقلال وراح ابن رشيد يضطهد قبائل البدو التي تناصر شيخ الكويت في صحراء الدهناء والسمان . وفي ١٨ ديسمبر سنة ١٩٠٠ بعد أن أعلن الشيخ مبارك أنه لا يستطيع أن يمتنع عن العمليات العدائية هذه ما دام ابن رشيد يؤوي يوسف بن ابراهيم من دوره ويحميه ، وسار الشيخ على رأس قواته إلى حفار حيث كان يظن ان ابن رشيد معسكراً هناك ، وكانت قوات الكويت اساساً تتكون من بدو العوازم والرشايده ومطير وعجمان وبني هاجر وبني خالد ، لكنها أيضاً كانت تضم حوالي ١٠٠٠ رجل من سكان مدينة الكويت ولاجئي نجد . وفي بداية فبراير

١٩٠١ ارغم شيخ الكويت ـــ بسبب هزيمة بعض أنصاره من بني مطير ـــ إلى التراجع قريباً من الكويت .. لكن تراجعه كان لفترة قصيرة فقط .

وقبل ذلك كان قد صدر اليه تحذير في خطاب من الحكومة البريطانية بأنها لاترغب في مظاهرات استعراض القوة من جانبه، وأنه ما دام لم يلتزم بهذه النصيحة فلا داعي لتكرارها ونجد تفاصيل هجومه التالي على وسط الجزيرة مذكورة في تاريخ نجد . لقد كانت في البداية انتصاراً رائعاً فاستطاع احتلال القصيم وعين ابن سعود حاكماً اسمياً للرياض ، وبدأت جماعة من عائلة ابن رشيد تفاوض الغازي المنتصر ، وعزز الشيخ مبارك مركزة بين أنصاره من البدو بزواجه من ابنة سلطان الدويش وهو قائد مشهور في بني مطير . ثم جاء الاشتباك الدموي التالي يوم ١٧ مارس في صريف ، على بعد حوالي ٢٠ ميلا شمال شرق بريده في القصيم ، وكانت الخسارة فادحة لكلا الجانبين لكنها غيرت الموقف كله وأرغمت شيخ الكويت على الانسحاب السريع من نجد . وساد القلق الكويت كلها ، وتناثرت الشائعات بان الشيخ نفسه كان بين القتلى ، ووصل الشيخ إلى عاصمته سالماً غير جريح في ٣١ مارس ، وتبعه بعد عدة أيام ابن سعود وسعدون باشا ، وكافح الجيش الكويتي الذي تفرق في طريق العودة جماعات صغيرة لكي يصل لبلده لكن ٥٠ رجلا على الاقل(١) لم يعودوا ابداً من بينهم حمود شقيق الشيخ وابنه صباح وخليفة ابن شقيق الشيخ ، وكانوا جميعاً من ضحايا معركة ١٧ مارس .

زيارة والي البصرة للكويت وطلب الشيخ الحماية البريطانية ـ مايو ١٩٠١ :

وسرعان ما عادت هذه المغامرة بنتائج وخيمة على الشيخ في الداخل ،

---

(١) ربما كانت الخسارة في هذه المعركة أكثر من ٥٠ رجلا بكثير . وقد حددت الروايات الشعبية المتواترة في سنة ١٩٠٧ عدد القتلى بأكثر من ٧٠٠ رجل من أهل الكويت . قتل منهم حوالى ١٥٠ رجلا كأسرى بعد انتهاء المعركة .

فقد بدا ان الحكومة التركية تود تعيين مشير بغداد وكيلا لها في تحقيق هذا الأمر مما كان من شأنه حرمان شيخ الكويت من ثمار تفاهمه مع محسن باشا ، بل ربما عرضت هذا المسئول نفسه للمتاعب ، غير ان المفاوضات بقيت –حتى ذلك الوقت– بين يدي الوالي . وظل محسن باشا ضيفاً على شيخ الكويت من ١٩ إلى ٢٣ مايو سنة ١٩٠١ ، واستغل خوف مبارك وضغط عليه لقبول وجود حامية تركية في الكويت ، لكن الشيخ رغم استمراره في معاملة ضيفه باحترام كبير ومرافقته بنفسه حتى فاو في طريق عودته إلى البصرة– لم يقرر شيئاً ، غير أنه أحس بحاجة شديدة إلى العون والتأييد بعد هذه المحاولة الداخلية لإغرائه بالتنازل عن استقلاله فاتصل في ٢٨ مايو بواسطة قائد سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » بالمقيم السياسي البريطاني في الخليج يطلب منه ان تسارع الحكومة البريطانية باعلان حمايتها الدائمة على الكويت في أقرب وقت ممكن . وتأكد أنه اتصل في نفس اليوم أيضاً بالقنصل الروسي العام في بغداد . لكن حكومة صاحبة الجلالة لم تقتنع باعلان الحماية على الكويت نظراً لما يتضمنه هذا العمل من مشاكل دولية ومن جهود تالية للسيطرة على أعمال الشيخ ، فرفضت اقتراح الشيخ في يونيو من نفس السنة . كذلك أيضاً رفض طلب ابن رشيد للحماية البريطانية في نفس الوقت تقريباً .

حادثة في الكويت تؤدي للتفاهم بين بريطانيا وتركيا على إبقاء الحالة الراهنة في الكويت كما هي أغسطس – سبتمبر ١٩٠١ :

وحين كان طلب الشيخ ما يزال قيد البحث اتخذ موقف الحكومة التركية طابع التهديد والوعيد ، ففي الفرات كانت تتجمع قوات كبيرة كان يعتقد أنها متجهة إلى الكويت ، وكان سلطان تركيا – استجابة لنفوذ السفير الألماني والروسي في بغداد– يوالي طلبه برقياً من والي البصرة بأن يقيم في الكويت –وبالوسائل السلمية– داراً للعوائد ومكتباً للبرق ، كأدلة عيانية لسيادة تركيا . ولمواجهة هذا الخطر فوض قائد السفينة

البريطانية المسلحة «برسيوس» ، وكان آنذاك في الكويت ، بتعليمات من حكومة صاحب الجلالة بأن يمنع نزول أية قوات تركية إلى الكويت بالقوة إذا اقتضى الأمر ، وقام الرائد كيمبول المقيم السياسي بزيارة الكويت لإبلاغ الشيخ بتوفير الحماية والعون على شرط أن يظل على التزامه باتفاقية ١٨٩٩ . وفي ٢٤ أغسطس سنة ١٩٠١ أصدر قائد السفينة «برسيوس» إنذاراً إلى القائد التركي بعدم إنزال قوات تركية إلى أرض الكويت ، وأمضى القائد يوم ٢٥ كله يحاول عبثاً أن يحصل منه على اعتراف بالسيادة العثمانية دون جدوى . فمضى إلى فاو وهو يتهدد الشيخ بالعقاب في المستقبل ، وتلقت الحكومة البريطانية احتجاجات على ما عملته السفينة «برسيوس» من السفيرين الالماني والتركي في لندن ، وفي الاحتجاج الذي قدمه السفير التركي جاء أن اتفاقية سنة ١٨٩٩ اتفاقية غير صحيحة لأنها عقدت مع مسئول تابع لتركيا . وكان رد حكومة صاحب الجلالة على السفيرين معاً أن الحكومة البريطانية لا ترغب في تغيير الوضع القائم في الكويت . وفي ٩ سبتمبر انتهت المحادثات الدائرة بين الحكومة البريطانية والباب العالي بشأن الكويت –فيما يبدو– باتفاقهما على ابقاء الوضع القائم فيها كما هو .

الفزع في الكويت من اقتراب ابن رشيد سبتمبر – أكتوبر ١٩٠١ :

وفي الوقت الذي كانت هذه المفاوضات تدور فيه بأوربا لم يكن ابن رشيد ملتزماً بالسكون ، ففي نهاية سبتمبر أغار بعض أنصاره على معسكر للرشايده بالقرب من الجهرة ، ورغم أنهم تراجعوا أخيراً إلا أنهم استطاعوا أن يحملوا معهم أسلاباً كثيرة وأن يقتلوا بضعة رجال من قوة الكويت التي ارسلت لهم . وسارع البدو في كل الصحراء المجاورة إلى التجمع بالقرب من الكويت التماساً للحماية ، وامتد معسكر طويل يضم آلافاً من البدو بماشيتهم وأغنامهم بطول الساحل حتى رأس الارض لكن غارة ثانية قام بها أنصار ابن رشيد على منطقة قريبة من جبل حموده ورأس مشاعة كانت أقل نجاحاً من الأولى ، وتراجع المغيرون نحو وسط

الجزيرة ، وذاب هذا التجمع الكبير من البدو في الكويت كما جاء .
وظل ابن رشيد مقيماً زمناً آخر في حفار ، وكانت إقامته هذه مضافا لها أعمال الأتراك تسبب للشيخ مبارك قلقاً عظيماً . وخلال هذه الفترة المضطربة كانت عدة قوارب بريطانية مسلحة موجودة دائماً على أهبة الاستعداد في الكويت أو قريباً منها ، وخولت حكومة الهند السلطات البحرية استخدام القوة لصد أي هجوم من جانب ابن رشيد ، ووضع الضابط البحري الأول مخططاً للدفاع عن المدينة . وقد كشفت الخبرة المستفادة من هذه المناسبة أن الكويت لا يمكن الدفاع عنها ضد الهجوم البري عن طريق البحر فقط . وفي مقابل نوايا بريطانيا في الوقوف إلى جانب الشيخ طلبت السلطات البريطانية منه أن يتعهد باطاعة كل النصائح التي تصدر اليه منها فوعد بذلك .

ازمة في الكويت بسبب محاولة للأتراك لتغيير الوضع القائم فيها نوفمبر – ديسمبر ١٩٠١ :

وفي منتصف نوفمبر ١٩٠١ –وبعد أن تحرك ابن رشيد هابطاً من حفار إلى صفوان– وهي مكان على الحدود بين العراق التركي والكويت ، قام نقيب البصرة بزيارة الكويت حسب اوامر برقية من سلطان تركيا . وقد جاء في هذه البرقية لوالي البصرة أن يرسل النقيب لمقابلة الشيخ مبارك وتحذيره من نتيجة التهور والطيش في أعماله هذه .. وأن يرجع عن غيه ويلتمس لنفسه الأمان بالعودة إلى الدين والخضوع للسلطان ، وتقول إحدى الروايات أن الشيخ مبارك رد على ذلك بأنه على الولاء للباب العالي وشكا من أعمال ابن رشيد ويوسف ابن ابراهيم من دوره ضده ، ولكن يبدو أن النقيب قد ذكر في تقريره لحكومته أن الشيخ قد رفض الاعتراف بتبعيته للسلطان وأشار على السلطات التركية بالرجوع إلى الحكومة البريطانية لكنه بفضل نشاط السفير البريطاني في القسطنطينية لم يقر الباب العالي أعمال نقيب البصرة .

ثم حدثت بعد اسبوعين من هذا التاريخ محاولة أخرى أكثر خطورة

لقلب النظام القائم في الكويت والذي تعهدت الحكومة البريطانية بالإبقاء عليه ، وذلك حين رست السفينة المسلحة التركية « زحاف » في ميناء الكويت في أول ديسمبر تحمل النقيب وشقيق والي البصرة ، وكان في خليج الكويت آنذاك من السفن البريطانية الطراد «بومون» والقارب المسلح «ردبريست» . وقدم إنذار تركي للشيخ يطلب منه إما قبول حامية تركية عسكرية ، على أن تكون تابعة لأوامره ، أو السفر للتقاعد بعيداً في القسطنطينية أو ما جاورها . ووضح أن الأتراك يفضلون هذا الحل البديل . وفي ٣ ديسمبر طلب الشيخ إمهاله ثلاثة أيام يقدم بعدها إجابته ، وفي ٤ ديسمبر خرجت السفينة «ردبريست» من الميناء وعليها رسالة لبوشهر . فسحب المسئول التركي هذه المهلة وطلب من الشيخ الرد فوراً ، ووصلت السفينة «سفنكس» من بوشهر دون ضمان كتابي بالحماية من المقيم البريطاني كما كان يود الشيخ مبارك الذي تردد كثيراً لكنه قام ـ تحت ضغط من القائد البحري الأول الموجود بالكويت ـ بابلاغ مندوبي السلطان أخيراً بأن السلطات البريطانية تمنعه بالقوة من إبداء رأيه ، وأكد ذلك كابتن سيمونس شخصياً للمسئولين الأتراك . وحين فشلت مهمة المبعوثين تراجعا بالسفينة «زحاف» وغادرا الميناء في الصباح الباكر من اليوم التالي ، وقضى كابتن سيمونس الليلة التالية في بيت الشيخ من قبيل الحيطة . وحتى يوم ٦ ديسمبر بعد أن انقضت الأزمة لم تكن وصلت بعد أوامر حكومة صاحبة الجلالة التي تعتبر ما قام به النقيب خرقاً للتفاهم القائم بين تركيا وبريطانيا ، وأن حكومة بريطانيا تؤيد شيخ الكويت ولن تسمح بأي هجوم من جانب القوات أو السفن التركية على الكويت ، وأن على الشيخ عدم مغادرة الكويت والاستمرار في الوفاء بنصوص اتفاقيته مع الحكومة البريطانية . وتلقى الشيخ هذه الرسالة بسعادة غامرة ، وقام بابلاغها إلى جميع رجاله ذوي الشأن ، وفي وقت بعثة النقيب وربما بعدها بقليل نقل محسن باشا من ولاية البصرة .

تهديد الاتراك وابن رشيد بالهجوم على الكويت والإجراءات التي . اتخذتها السلطات البريطانية للدفاع عن الجهرة والكويت ديسمبر سنة ١٩٠١ — يناير سنة ١٩٠٢ :

واستنكر الباب العالي ودوائر القصر في القسطنطينية أعمال الوكلاء الأتراك في الكويت ، ورغم ذلك ففي نهاية ديسمبر سنة ١٩٠١ كان ابن رشيد بصفة دائمة مع بعض قواته متواجداً في إقليم البصرة ، واتصالاته دائمة بالوالي والمشير وأدت الأوامر بتقديم إمدادات ضخمة له ، والتعليمات التي صدرت من القسطنطينية بمنحه معونة مالية ضخمة من خزانة البصرة التي كانت خـــاويه آنذاك إلى توقع قيام حملة برية على الكويت من جانب القوات المشتركة للأتراك والأمير . وفي نفس الوقت صدر أمر بمنع تصدير البضائع من البصرة إلى الكويت فزاد من المخاوف . واتخذت القوة البحرية البريطانية استعداداتها للتعاون في الدفاع عن المدينة ، فتم تحصين قلعة الشيخ في الجهرة في مدخل خليج الكويت ، وفي أول يناير سنة ١٩٠٢ صدر أمر من بومباي للسفينتين «فوكس» و «برسيوس» باللحاق بالسفن «بومون» و «سفنكس» و «ردبريست» التي كانت موجودة بالفعل في الكويت ومعها مدافع إضافية ، وقد يكون خوف ابن رشيد من هذه الإجراءات ، وربما لأن الأتراك نصحوه بالتراجع سبب عدم تقدمه أكثر من مكانه الذي كان فيه . بل وشاع بعدها مباشرة أنه قد تراجع حتى وصل آبار لينة داخل حدود إقليمه هو ، وعندها انتهى الفزع ، وأنزلت المدافع الاضافية من ظهور السفن . وقد شهد هذه الأزمة في الكويت الطراد تحت الحماية الروسية «فارياج» الذي وصلها في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠١ وغادرها في ٢٣ منه بعد أن عرض على الشيخ عدة مرات «معاونته في تحقيق استقلاله» .

الاتراك يقومون باحتلال ام قصر وصفوان وجزيرة ببيان ١٩٠٢ :

لكن الأتراك لم يتخلوا عن محاولاتهم اخضاع شيخ الكويت

بطريقة أو بأخرى . فنهاية نشاطهم في اتجاه ما كان يعني بدايته في اتجاه آخر مما استدعى تغيراً في تكتيكهم وخططهم ونقل مسألة الكويت إلى مرحلة أخرى . وجاء تقرير يفيد أن قواعد تركية عسكرية قد أقيمت في أم قصر وصفوان ، وصدرت الاوامر بتسيير قارب بريطاني مسلح إلى خور عبدالله وخور الصبيح لاختبار صحة هذه المعلومات . وقامت سفينة صاحبة الجلالة «سفنكس» بأداء هذه المهمة بعد أسبوع من التأكد من وجود قاعدة عسكرية تركية بها ٤٠ جندياً في أم القصر ، وحامية أكبر منها في صفوان . وخلال هذه الجولة استطاع القائد كمب أن يجمع معلومات هامة وذات قيمة عن خور عبدالله ، وذلك بالنسبة لأهميته لمشروع الخط الحديدي الذي سبق أن أشرنا اليه . وفي رحلة العودة اكتشف كمب أن قاعدة عسكرية تركية بها حامية من عشرين جندياً أقيمت على الجانب الشرقي من جزيرة بوبيان لكن هذه الحامية لم يستمر وجودها أكثر من اسبوعين .

وفي مارس من نفس السنة زيدت حامية البصرة زيادة كبيرة ، وساد الخوف من ان تحتل هقيجة وصبيحة وهما مكانان على الأرض التي تواجه غرب جزيرة بوبيان . ولإحباط مثل هذه المحاولة وجهت النصيحة للشيخ مبارك باحتلال هقيجة احتلالا فعلياً ، فأرسل اليها حامية من ٤٠ رجلا . وفي نفس الوقت تردد في القسطنطينية أن الأتراك لم يعودوا يعتبرون كاظمه في خليج الكويت مكاناً مناسباً لنهاية الخط الحديدي ، وذكر أيضاً أن اهتمامهم قد انصرف بهذا الصدد إلى خور عبدالله وما يجاوره . وذكرت حكومة صاحب الجلالة أنه اعتماداً على المعلومات المتوفرة حالياً عن ملكية هذه الأماكن في الماضي لا يمكن وصف احتلال تركيا لأم القصر وصفوان وبوبيان بخرق للاتفاق الخاص بالإبقاء على الوضع الراهن أو مبرراً للمطالبة بإنهاء الاحتلال التركي ولكن الباب العالي أبلغ بأن حكومة صاحب الجلالة ترجو ألا يكون في احتلال هذه الأماكن ماينتقص من حقوق

شيخ الكويت . وبالصدفة ، وأثناء هذه المحادثات ، أبلغت حكومة صاحب الجلالة حكومة الهند اعترافها بأن الكويت جزء من الأرض العثمانية في نطاق الحدود التي كررتها من قبل ، وهي أن خضوعها للسلطان ليس خضوعاً كاملا بل ان شيخها يتمتع بدرجة كبيرة من الاستقلال الفعلي ، ولكن يجب القول أيضاً بأن هذا الرأي لم يتم إبلاغه للباب العالي كما كان مقصوداً . وبلغ خوف شيخ الكويت من سياسة التسلل البطيء هذه التي يمارسها الأتراك معه حداً جعله يعرض رشوة ضخمة على والي البصرة من أجل إيقاف هذه السياسة لكن الوالي رفض قبول الرشوة .

وفي إبريل ١٩٠٢ اشتكى الشيخ من محاولة احتلال جزيرة المسلمية الواقعة إلى أقصى الجنوب من ارضه ، أو من منطقة نفوذه ، بقوات تركية من القطيف . ولكن لما ثبت أن هذه الجزيرة واقعة داخل حدود سنجق الأحساء لم يلق الشيخ مبارك تشجيعاً من الحكومة البريطانية لاعتراضه على هذا الحق المشروع .

وسائل تركية أخرى لمضايقة شيخ الكويت ١٩٠٢ :

وفي نفس الوقت لجأت الحكومة التركية إلى ممارسة أساليب أخرى ــ سوى هذا الالتفاف الاقليمي ــ لمضايقة شيخ الكويت وإرغامه على أن يتخلى عن جفائه لهم . فقد رفع أبناء إخوته في العراق التركي قضايا أمام المحاكم التركية خاصة بأملاك الأسرة هناك ، وانتزعت فعلا أجزاء من أرضه سببت له شيئاً من العجز المادي . كما تكرر كثيراً حدوث اغارات على ماشية الرعايا الكويتيين على الحدود بالقرب من صفوان . وقد تأكد أن يوسف بن ابراهيم من دوره هو الذي ينظم هذه الإغارات الصغيرة ، وأن الحامية التركية في صفوان لا تبذل أي جهد لمنعه عنها ، لكن أهل الكويت كانوا يردون عليها بإغارات مماثلة في بعض الاحيان ، كما حدث

هجوم أيضاً على صبيحه وعلى خور الصبيحة من قِبَل رجال يوسف الذين ساقوا معهم عدداً كبيراً من الإبل . وفي ٢٨ مايو ١٩٠٢ القي القبض على وكيل الشيخ في البصرة وفتش بيته بزعم أنه مراسل لصحيفة عربية اسمها «الخلافة» كانت في ذلك الوقت تطبع في لندن وتنشر في كل ارجاء الامبراطورية العثمانية تحريضاً لها ، وقد ثبت اشتراكه في هذا العمل فحكم عليه بالسجن مدة عشر سنوات في قلعة صغيرة بعيدة . وكان هذا العمل ضربة قوية لنفوذ شيخ الكويت ، ولم تكن هذه الحادثة خلواً من الدلالة السياسية ، فقد كان من بين الاوراق التي اخذت من بيت الوكيل ما يلقي الضوء على علاقة الشيخ بالحكومة البريطانية ، كما وقعت في أيدي العثمانيين أيضاً حجج أملاك الشيخ مبارك الموجودة بالعراق التركي ، لكن وساطة الديبلوماسية البريطانية استطاعت استعادتها ، ولم تكن هذه حادثة غير هامة بالنسبة للشيخ ما دامت قضية الخلاف على هذه الأرض بينه وبين أبناء إخوته لم تحسم بعد .

علاقة الكويت بنجد ، وضمان الحماية الكاملة لها من قِبَل الحكومة البريطانية أغسطس — اكتوبر ١٩٠٢ :

واستمرت الغارات على اقليم الكويت من قِبَل البدو المناصرين لابن رشيد ، وفي اغسطس سنة ١٩٠٢ حدث قتال بين بعض هؤلاء وعدد من رعايا شيخ الكويت في مكان لعله آبار الصبيحة على بعد ثلاثين ميلا فقط من الكويت نفسها . وفي هذه الأثناء انقلبت الحالة في نجد مؤقتاً لصالح ابن رشيد ، ولما كان يُخشى من ان يسارع الشيخ مبارك إلى نصرة حليفه ابن سعود ، فقد أصدر المقيم العام البريطاني تحذيراً صريحاً له —بناء على اوامر حكومة صاحب الجلالة— بعدم القيام بأي عمل من هذا النوع لئلا ينتج عنه إقحامه في صراع داخل نجد أو مع الحكومة التركية . وفي نفس الوقت وبسبب هذا الاتجاه العدائي من خصوم الشيخ فقد طلب رسمياً من المقيم العام تزويده

بمدفعين أو ثلاثة لوضعها على قلعته في الجهرة وصد هجوم ابن رشيد اذا حاول الهجوم من هذه الناحية ، لكن طلبه رفض خشية أن يستخدم هذه الاسلحة في أعمال هجومية ، وأبلغ في مقابل ذلك بعد منتصف أكتوبر سنة ١٩٠٢ أنه اذا ظل موجوداً بالكويت ، وظل على التزامه بنصوص اتفاقية ١٨٩٩ ، فان الحكومة البريطانية تعتبر نفسها مسئولة عن الدفاع عن الكويت وخليجه ، وسخط الشيخ على هذا الاجراء لكنه ظل ملتزماً باتباع النصائح التي تقدم اليه .

محاولة اعداء الشيخ مباغتة الكويت سبتمبر ١٩٠٢ :

وكانت أخطر الهجمات المباشرة التي كان على الشيخ مبارك أن يواجهها ولا ندري أكانت بتحريض من الحكومة التركية أم بغير ذلك الهجمة التي استعد لها يوسف بن عبدالله من دوره وكانت تهدف إلى الاستيلاء المباغت على مدينة الكويت ، وربما اغتيال شيخها أيضاً . فقد جاء عدد كبير من عرب الشريفات على الساحل الإيراني يقودهم عتبي بن محمد وحمود بن جراح من ابناء إخوة الشيخ مسلحين تسليحاً جيداً بالبنادق .. وصعدوا إلى ظهور القوارب في دوره على شط العرب ، وخرجوا يتلكأون في البحر الواسع انتظاراً لحلول الظلام وقد وصلت أخبار هذه الحملة إلى فاو فعرفها القائد ارمسترونج قائد سفينة صاحبة الجلالة «لابونج» فأسرع إلى الكويت لإبلاغ أهلها لكنه وجد المدينة مستعدة بسلاحها للقاء الغزاة بفضل أخبار تلقاها الشيخ من مواطنيه . وفي اليوم التالي دار البحث بلا جدوى عن الأعداء او سفنهم ، وفي صباح يوم ٥ استطاع القارب البريطاني المسلح اكتشاف مكان وجودهم في خور عبدالله فتولى مباشرة مطاردة اثنتين من سفنهم تحملان من ١٠٠ إلى ١٥٠ رجلا عربياً مسلحين بالبنادق ولم تكن السفينتان ترفعان أي أعلام ، وحين خرجتا من شط العرب جنحتا الى منطقة ضحلة كثيرة الأوحال ، وبعد أن اختفتا جيداً بين

الحشائش والأعشاب الطويلة انطلقت النيران الحامية منهما على القارب المسلح الذي يطاردهما ، وقتل بحار انجليزي وجرح اثنان .. ولكن تم الاستيلاء على السفينتين بكل معداتهما حتى سلالم التسلق ، وقد ثبت فيما بعد أن إحداهما كانت ليوسف بن عبد الله شخصياً ، وعلى أي حال فقد تم إحراقهما مباشرة في عرض البحر بعد الثلاثة أميال المحددة للمياه الإقليمية . وسنجد بقية تفاصيل هذه الحادثة في مكان لاحق . . لكن النتيجة الرئيسية التي تهم الكويت كانت هرب او طرد يوسف من العراق التركي إلى نجد حيث ارتبط بابن رشيد . لكنه قبل أن يغادر العراق اشترك في حملة هجوم أخيره من الزبير على بعض القبائل المقيمة في حماية الشيخ مبارك إلى جوار الجهرة .

مظاهرة لابن رشيد ضد الكويت ١٩٠٢ ــ ١٩٠٣ :

وبهذه الحادثة التي وصفناها ، نستطيع القول بأن المحاولات الخطيرة لقلب حكم الشيخ مبارك من خارج الكويت قد انتهت ، وبدأ اهتمام الأتراك يتحول عنها إلى وسط الجزيرة حيث كان الصراع قائماً في ذلك الوقت بين ابن سعود وابن رشيد هناك ، ويبقى فقط أن نشير إلى سلسلة من الحركات الصغيرة فيما جاور الكويت .

ففي ديسمبر سنة ١٩٠٢ عاد ابن رشيد يدخل إقليم الكويت ، وتقدم فيه حتى أصبح على مسيرة ١٢ ساعة من المدينة ، لكن رجال الشيخ مبارك استطاعوا أن يصدوه في حفار ، وتحرك الشيخ بنفسه إلى الجهرة حيث راح يجمع الرجال ويعبئهم استعداداً للدفاع . . وربما للهجوم . وقد خشيت السلطات التركية أن يكون هذا التجمع في الجهرة من أجل الهجوم على مدينة الزبير ، وطلب وزير الدولة تحذير شيخ الكويت مرة أخرى من القيام بأعمال يكون من شأنها إقحامها في مشكلات مع وسط الجزيرة أو مع الحكومة التركية ، غير أن الرائد كيمبول ،

المقيم البريطاني كان قد استبق هذه التعليمات فالتقى بالشيخ مبارك لقاء ودياً طويلا في يوم ١٨ يناير ١٩٠٣ واستطاع إقناعه بالعدول عن القيام بأي عمل ضد ابن رشيد في وسط الجزيرة خاصة وأن قوى هذا الامير كما أكد الشيخ مبارك نفسه كانت بسبيلها إلى الوهن . وبعد ذلك ، وفي بداية مارس سنة ١٩٠٣ قام امير الوهابيين يرافقه شقيقه محمد بزيارة للكويت للاجتماع بالشيخ مبارك ، وفي ذلك الوقت كان جابر ابن شيخ الكويت ما يزال معسكراً في الجهرة بقوات كبيرة وكانت هذه نهاية الفزع الذي سببه ابن رشيد لأهل الكويت .

زيارة سفن حربية روسية وفرنسية للكويت ١٩٠٢–١٩٠٣ :

وفي هذه الظروف التي تحسنت كثيراً ، لم تؤد زيارة الطراد الروسي «آسكون» للكويت في ١٤ ديسمبر سنة ١٩٠٢ ، والزيارة المشتركة التي قام بها الطرادان الفرنسي «انفرنيت» والروسي «بويارين» لها واستمرت من ٤ إلى ٨ مارس سنة ١٩٠٣ إلى أية مخاوف بشأن الموقف المحلي . وفي الزيارة الأخيرة هذه دارت محادثات بين القنصل الروسي العام في بوشهر وعبدالعزيز بن سعود الذي تصادف وجوده بالكويت آنذاك نوقشت فيها مشاكل وسط الجزيرة .

وأكدت الزيارة التي قام بها صاحب السعادة لورد كيرزون نائب الملك وحاكم عام الهند للكويت والتي استمرت يومي ٢٨و٢٩ نوفمبر سنة ١٩٠٣ —وتفاصيلها مذكورة في مكان آخر— أكدت تدعيم نفوذ بريطانيا في هذه الإمارة ، وأوضحت العلاقة الودية التي تربط شيخها بالحكومة البريطانية ، واعتماده على هذه الدولة لحمايته . والحقيقة إن الشيخ بمجرد أن تسلم سيفاً هدية له من يدي نائب الملك وصف نفسه تلقائياً بأنه قد أصبح «ضابطاً عسكرياً من ضباط الامبراطورية البريطانية» ، وكانت الهتافات التي قوبل بها صاحب العظمة حين نزوله إلى أرض الكويت تؤكد شعبية الارتباط ببريطانيا ، ولا يجب أن نهمل

الانطباع الذي تركته مشاهدة أسطول الهند الشرقية في نفوس أهل البلاد وشيخها كنتيجة سياسية هامة من نتائج رحلة صاحب العظمة في الخليج ، وقد صعد الشيخ مبارك إلى ظهر السفينة الحربية رافعة العلم «هياسينث» وكان سعيداً بما رآه . فقد كانت المرة الأولى التي يصعد فيها الى ظهر سفينة حربية كبيرة .

وقد تمت مقابلة خاصة بين عظمته والشيخ مبارك على ظهر سفينة صاحبة الجلالة « هاردنج » وفيه أكد صاحب العظمة نصحه للشيخ مبارك بأن ينأى بنفسه عن أي صراع وسط الجزيرة ، وأكد له أن الحكومة البريطانية قد وعدت بحمايته وحماية الكويت من أي هجوم عليهما ، لكنها لا تستطيع أن تتدخل إذا زج بنفسه في مشاكل وسط الجزيرة ، وأكد الشيخ مبارك رداً على ذلك أنه قد فهم نصيحة عظمته فهماً صحيحاً ، وانه سيلتزم بتنفيذها . وفي ٣٠ نوفمبر دخلت سفينة صاحبة الجلالة «لورانس» —وعلى ظهرها لورد كيرزون— خور عبدالله وصعدت حتى لقاء خور أم قصر بخور الزبير حيث بقيت هناك فترة قصيرة .

★ ★ ★

تعيين وكيل سياسي بريطاني في الكويت ١٩٠٤

اقتراح انشاء مكتب بريد ومستوصف في الكويت ١٩٠١—١٩٠٤ :

وبعد زيارة صاحب العظمة نائب الملك مباشرة ، قررت الحكومة البريطانية الاستفادة من الفرصة المتاحة كي تؤمن بإجراء واحد تحسين الاتصال البريدى بالكويت ، ومد الخدمة الطبية إلى هذه المدينة ، ورفع درجه التمثيل السياسي البريطاني مع شيخها . وفي يوليو سنة ١٩٠١ افتتحت شركة الهند البريطانية للملاحة البحرية وكالة لها في الكويت ،

وجعلت هذا الميناء بين المواني التي تقف عندها بواخرها . وفي نوفمبر من نفس السنة اقترح الشيخ مبارك نفسه إنشاء مكتب بريد بريطاني في الكويت ، ولكن بالنظر إلى أن مكتباً للبريد لا يمكن إقامته إلا كجزء من مؤسسة سياسية بريطانية ، ولم يكن الوقت آنذاك قد حان لتغيير ممثل بريطانيا السياسي في الكويت الذي كان حتى ذلك الوقت رجلا صحفياً من أهل البلاد فقد أهمل اقتراح الشيخ بعض الوقت . على أن الشيخ جدد طلب فتح مكتب بريدي أثناء زيارة لورد كيرزون للكويت فتقرر افتتاحه في سنة ١٩٠٤ على أن يعهد به إلى معاون طبي من أهل البلاد يمارس فيه أيضاً عمله الطبي بين الناس . وكان الشرط الوحيد الذي اشترطته الحكومة البريطانية ووافق عليه الشيخ مبارك هو ألا يسمح من جانبه لأية دولة أخرى بانشاء مكتب بريدي في أرضه ، وقد تم ترتيب اتفاقية بينهما تقضي بهذا نصها موجود بمكان آخر من هذا الكتاب . وفي يوليوسنة ١٩٠٤ —وبعد أن تم اتخاذ الإجراءات التمهيدية— تقرر التوقف موقتاً عن العمل بالنظر إلى المفاوضات التي كانت دائرة آنذاك في القسطنطينية لجلاء الأتراك عن جزيرة بوبيان .

إقامة وكالة سياسية بريطانية في الكويت اغسطس ١٩٠٤ :

وقد قدر لهذا المكتب البريدي ألا يبدأ عمله ، ثم أهمل بسبب اهتمام الحكومة البريطانية في صيف سنة ١٩٠٣ بأمر آخر أكثر خطورة هو رغبتها في أن تعين مسئولا بريطانيا «ضابطاً» في الكويت تكون مهمته الأولى بل المقصود به أصلا كبح النوايا العدوانية للشيخ مبارك . وفي ربيع سنة ١٩٠٤ وعلى أثر تدخل الأتراك في شئون وسط الجزيرة مما جعل ابن سعود حليف الشيخ مبارك في مركز ضعيف تجدد التفكير في تعيين المسئول السياسي البريطاني في الكويت ، ولكن لأهداف أخرى وعلى نطاق اوسع هذه المرة . وفي ٢٤ يونيو ١٩٠٤ أصدرت حكومة صاحبة الجلالة اوامرها بارسال وكيل سياسي بريطاني

إلى الكويت ، وفي ٦ أغسطس وصل الكابتن س. ج. نوكس من بوشهر إلى الكويت واعتمده الشيخ فوراً وأحسن استقباله ، وأغلقت وكالة للأنباء كانت قائمة ، ثم التحق بالعمل بعد ذلك مساعد جراح بصفته المهنية ، ورغم أن مساعداً مسئولا عن البريد قد وفد معه فإن مكتب البريد لم يباشر أعماله حتى ذلك الحين .

التعليمات الصادرة للوكيل السياسي قبل تعيينه :

وكانت التعليمات الصادرة للكابتن نوكس تكشف سياسة حكومة الهند بصدد الوكالة السياسية فقد أكدت : إن الهدف الأول من وجود الوكيل السياسي هو العمل على إقامة العلاقات الودية وتدعيمها مع الشيخ وغيره من الشخصيات الهامة في الكويت كما أن عليه تأمين حماية مصالح التجارة والتجار البريطانيين في الكويت والمشتغلين بالاتجار عبر الطرق الممتدة إلى الجزيرة العربية . وكذلك مراقبة تحركات الأتراك على حدود إقليم الكويت بيقظة وحذر وأن يؤكد الحدود الحقيقية لسيطرة الشيخ الفعلية على خور الصبيحة . وعلى الوكيل السياسي أن يذكر في تقاريره أولا بأول أية أحداث تشير إلى نوايا من جانب الأتراك أو غيرهم من الدول للتدخل في الوضع الراهن بالكويت أو تغييره ، كذلك أية إشارات تتكشف له عن وجود خطط قائمة لدى دول أجنبية فيما يتعلق بالمرافيء الطبيعية داخل إقليم الكويت وما جاوره . وعليه أيضاً أن يوجه جهداً خاصاً لمنطقة خور عبدالله والمياه المجاورة لجزيرة بوبيان وأم قصر . وعلى الوكيل السياسي أن يبذل جهده للحصول على أخبار صحيحة أولا بأول فور حدوثها عن الصراع الدائر على السلطة بين عائلتي ابن سعود وابن رشيد في نجد . وعليه أخيراً أن يتحرى حقيقة ما يقال عن توريد الأسلحة إلى الكويت خاصة لابن سعود ، وما لم تصله تعليمات أخرى عليه ألا يسمح للشيخ بالاستمرار في تجارة الاسلحة او بالكف عن ذلك تماما .

وفي نوفمبر سنة ١٩٠٤ شكت الحكومة التركية من تعيين وكيل بريطاني في الكويت واعتبرت هذا الإجراء خرقاً للاتفاق على إبقاء الحالة القائمة كما هي . وكانت ثمة مشكلة هامة قائمة بين الحكومتين التركية والبريطانية حول قاعدة عدن مما جعلت الوقت غير ملائم بالمرة لإثارة قضية الكويت ، لهذا قررت حكومة صاحب الجلالة سحب وكيلها المعين مؤخراً بمجرد أن يتيسر ذلك ، على أن يكون انسحابه هذا بصورة مؤقتة فقط وبكيفية لا تنم عن أي معنى من معاني التنازل أو الخضوع لإرادة تركيا . وكان كابتن نوكس قد نجح أثناء إقامته القصيرة بالكويت في تنفيذ التعليمات الصادرة له مما كان بمقدوره تنفيذها بالتعاون مع الشيخ مبارك لذلك لم تشب الفترة التي قضاها هناك شائبة واحدة تعكر سير العمل .

وظل كابتن نوكس بالكويت حتى ١٦ مايو سنة ١٩٠٥ حين ارغمه المرض على ان يسافر في إجازة إلى انجلترا ، وهكذا جاء سحبه المؤقت بطريقة جنبت الشيخ نتائج سيئة كانت ستترتب على هذا الانسحاب لو تم بطريقة أخرى . وظلت الأعمال العادية في الوكالة بيد المساعد الطبي داود الرحمن حتى عودة كابتن نوكس في ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٠٥ .

* * *

التاريخ العام للكويت منذ قيام الوكالة السياسية البريطانية ١٩٠٤ ـ ١٩٠٧

والآن نستطيع متابعة مشكلة أو اثنتين من المشاكل التي ظلت معلقة تشغل الأذهان عقب وصول الكابتن نوكس إلى الكويت ، لكن بعض التفاصيل الضرورية المتعلقة بها تقتضينا الرجوع إلى ما قبل سنة ١٩٠٤ .

قضية ممتلكات شيخ الكويت في العراق التركي ١٩٠١–١٩٠٤ :

أشرنا من قبل إلى الخلاف الدائر بين الشيخ وابناء إخوته اللاجئين

حول بعض أملاك الأسرة في العراق التركي على شط العرب ، ورأينا كيف كان الشيخ يأمل عقب توقيع الاتفاقية المانعة في سنة ١٨٩٩ في استخدام النفوذ البريطاني من أجل عدم المساس بمصالحه هناك . وكانت الأراضي والضياع التي يدور عليها الخلاف والتي تشمل أنصبة المستحقين فيها تقع في جارديلان وجزيرة عجيراوية بالقرب من البصرة وفي زين المواجهة لمصب نهر قارون ، وفي صوفية باقليم الدواسر ، وفي فاو . وقد ظل الشيخ يؤجل المشكلة لمدة سنتين عن طريق رفضه الخضوع لحكم المحاكم التركية ، لكن الأتراك بعد أن قرروا في ديسمبر سنة ١٩٠١ كسر معارضته لهم في الكويت استدعوه ليدافع عن قضيته أمام محكمة البصرة ، وحين لم يستطع الشيخ الذهاب بطبيعة الحال أصدرت المحكمة حكمها غيابياً وكان يقضي بأن يسلم الشيخ لابناء إخوته ضيعه زين . و لجأ الشيخ مبارك مباشرة إلى السلطان التركي الذي أمر في أوائل سنة ١٩٠٢ بتعيين لجنة لحسم الخلاف بين الشيخ وأبناء إخوته . واخيراً وبعد تسويف طويل وصعوبات كثيرة تم التوصل إلى اتفاق بين حاجي منصور ممثلا للشيخ مبارك وعبدالوهاب آل قرطاس ممثلا للجانب الآخر ومستر كراو القنصل البريطاني في البصرة والذي قام بدور في هذه القضية حسب تعليمات صدرت من القسطنطينية ، وبعد تصديق اللجنة على هذه الاتفاقية وقبول الأطراف المتنازعة لها ارسلت كوثيقة رسمية إلى البصرة في ١١ يوليو ١٩٠٤ وهناك لم يعتمدها والي البصرة ومجلس الولاية فقط بل اعتمدها أيضاً القنصل البريطاني هناك كطلب الشيخ مبارك . وكانت الخلاصة العامة لهذه الاتفاقية هي أن يضع الشيخ مبارك يده على الأملاك الموجودة في فاو كملكية خاصة ومطلقة له ، على حين يتملك الطرف الآخر الاملاك الموجودة في جارديلان وجزيرة عجيراوية وزين وصوفية ومبلغ نقدي قيمته ٧٢٩٦ ليرة عثمانية . أما نصيب أبناء الأخوة في أملاك مورثيهم المنقولة في الكويت فقد ذكر في الاتفاقية دون ان يؤثر

عليها أي تأثير ، فقد نص على أن تظل حقوق الطرفين هناك دون أي تغيير ولكن ثبتت أيضاً صحة الحجج التي قدمها الشيخ مبارك لبعض هذه الاملاك المنقولة .

وفي أوائل سنة ١٩٠٤ تقدم الشيخ مبارك يطلب قرضاً من حكومة الهند قيمته ١٠٠ الف روبية ليتمكن من تنفيذ نصوص الاتفاقية المذكورة وأسرعت حكومة الهند إلى المبادرة بتقديم القرض دون فوائد على شرط ألا يقوم الشيخ بالاقتراض من أي مصدر آخر دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية قبل سداده هذا الدين كاملا ، وحددت نهاية سنة ١٩٠٥ موعداً لهذا السداد . وقام الشيخ الذي كان يثبت دائماً أنه رجل عملي وناجح بسداد التزامه هذا قبل حلول موعد السداد بسنة كاملة .

وقد حدثت حادثة في ضيعة الشيخ بفاو أدت إلى شيء من الاضطراب في ذلك الوقت وإن لم تكن لها أية دلالة سياسية ، ففي ١٠ أكتوبر سنة ١٩٠٤ جاء وكيل زراعة الشيخ إلى قائد سفينة صاحب الجلالة «ميرلين» بجثة رجل وإمرأة عربيين وثلاثة من جنود الجاندرمة الأتراك زعم أنهم قتلوهما ، لكن قائد السفينة «ميرلين» رفض أن يتسلم هؤلاء الثلاثة الذين ألقى الوكيل القبض عليهم ، واعتبرت الحادثة منتهية .

وفي سنة ١٩٠٤ وبعد زيارة لورد كيرزون التفتيشية لخور عبدالله رفعت حكومة الهند إلى حكومة صاحب الجلالة رغبتها الحارة في عدم السماح لأية دولة أجنبية ليست موالية للنفوذ البريطاني بوضع يدها على أي من جانبي هذا الخور ، فهو أنسب الأماكن لنهاية الخط الحديدي من بغداد إلى الخليج . كما اثيرت مشكلة جزيرة بوبيان التي كان شيخ الكويت يؤكد أنها تابعة لإمارته فيما الحكومة البريطانية تعتبر احتلال الأتراك لها خرقا للاتفاق القائم على إبقاء الاوضاع كما هي في الكويت . وكانت إثارتها بالوسائل الديبلوماسية في القسطنطينية ، ولكن لم تتح فرصة مناسبة لجلاء الأتراك عن هذه الجزيرة وبقيت حاميتهم فيها .

علاقات الكويت بتركيا ووسط الجزيرة العربية
خلال نفس الفترة ١٩٠٤ ـ ١٩٠٧

وساطة شيخ الكويت بين السلطات التركية وابن سعود فبراير ١٩٠٥ :

تحدثنا في تاريخ نجد عن كيفية ارسال قوة تركية في مايو سنة ١٩٠٤ من العراق لمعاونة ابن رشيد ، وكيف لقيت الهزيمة على يد ابن سعود وحلفائه بالقصيم في الصيف التالي ، وكيف أن الأتراك أعدوا في شتاء ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ حملتهم الثانية التي أفزعت ابن سعود حتى جعلته يعقد اتفاقية يوافق بمقتضاها على أن تحتل القصيم قوات عثمانية . ويكفي هنا القول بأن هذه الاتفاقية قد تم التوصل اليها أساساً عن طريق الشيخ مبارك شيخ الكويت الذي قبل دور الوسيط على غير توقع حيث عقد اجتماعان لهذه المباحثات على الحدود بين الكويت والعراق الأول في صفوان بتاريخ ٨ فبراير والثاني قرب آبار القشعانية في ١٣ منه بين ابن سعود ومخلص باشا الوالي المعين حديثاً في البصرة و شهد كلا الاجتماعين الشيخ مبارك مع حرس كثير لكنه رفض بعد أن اجتمع الطرفان معاً أن يقوم بدور إيجابي في مفاوضاتهما .

وكان استخدام الشيخ مبارك في مراسلاته الخاصة بهذا الصدد للقب «حاكم الكويت وشيخ قبائلها» بدلا من «قائمقام الكويت» يثير استياء تركيا، لكن هذا لم يؤثر على سير المحادثات . وقد اقترح الوالي في أحد هذه الاجتماعات إرسال مسئولين مدنيين وقوات تركية إلى الكويت لكن الشيخ مبارك رفض ذلك العرض كما ثبت لاحقاً مبيناً أنه ملتزم بالولاء لارتباطاته مع الحكومة البريطانية .

العلاقات التالية للشيخ مبارك بالباب العالي ١٩٠٥-١٩٠٧ :

ولعل الخدمات التي أداها الشيخ مبارك جعلت علاقته بالسلطات التركية في البصرة من سنة ١٩٠٥ فصاعداً علاقة أكثر

وداً . وفي أغسطس ١٩٠٥ ساهم الشيخ بمبلغ ٤٥٠ ليرة عثمانية لبناء ثكنات تركية جديدة في البصرة ، وحين قبلت هذه العطية من جانبه أعلن الشيخ ولاءه للسلطان ووعد بدفع ٢٠٠ ليرة عثمانية أخرى . وفي ١٩٠٥ بدأ سيل من الجنود والضباط الأتراك الهاربين من نجد يتدفق على الكويت فكانوا يصلونها في حالة تعسة ، وكان الشيخ مبارك يأمر بإطعامهم ومساعدتهم في السير إلى البصرة ، وكان عدد هؤلاء اللاجئين في مارس سنة ١٩٠٦ حوالي ٥٠٠ رجل . وفي أغسطس من نفس السنة وصل الفريق صدقي باشا بنفسه ومعه حرس من حوالي ١٥٠ رجلا ، وفي ديسمبر وصل فوج جديد من ٨٠٠ رجل كان هو آخر ما تبقى من قوة الاحتلال التركية في القصيم المجاورة للكويت ، ولم يسمح الشيخ لهذا الفوج الاخير بدخول الكويت ربما لخوفه من ان يحاول احتلالها . وفي سبيل جمع وإعادة ذلك الحشد المشرد أصدرت السلطات التركية امرها باطلاق سراح عبدالعزيز وكيل شيخ الكويت في العراق التركي الذي كان مسجوناً وتدخلت السلطات البريطانية لتخفيف مدة سجنه ، وسمح له بالسفر إلى الكويت ، ثم سمح له بعد ذلك بالإقامة تحت المراقبة في العراق . ولم تكن ثمةخشيةمن هربه نظراً لوجود أملاكه فيالعراق التركي.
ومن خريف سنة ١٩٠٥ حتى ربيع سنة ١٩٠٧ كان البريد التركي الرسمي بين العراق والأحساء ينقل عن طريق البر عبر الكويت بدلا من نقله بواسطة باخرة بريطانية عبر البحرين كما كان متبعاً . غير ان الشيخ مبارك رفض تماماً الدخول في أية اتفاقيات بشأن هذا البريد أو أن يكون مسئولا عن تأمينه ، واخيراً رجع البريد إلى طريقه القديم . وفي أغسطس سنة ١٩٠٦ أعلن أن الشيخ مبارك قد أسهم بمبلغ ٥٠٠ ليرة عثمانية لميزانية سكة حديد الحجاز ، لكن هذا المبلغ لم يكن أول تبرع من جانبه للمشروع ، إذ سبق أن تسلم بالفعل في يناير سنة ١٩٠٤ الوسام الذي يمنحه السلطان لكبار المتبرعين له .

علاقات الشيخ مبارك بوسط الجزيرة بين ١٩٠٥-١٩٠٧ :

وبعد سنة ١٩٠٥ ظلت العلاقات الودية سائدة بين شيخ الكويت وأمير الوهابيين ، وكان الاول قد بدأ في سنة ١٩٠٦ اتخاذ الإجراءات لعقد صلح في نجد طلبه ابن رشيد . وبعد موت يوسف بن عبدالله بالقرب من حائل في يناير سنة ١٩٠٦ بدا من جانب شيخ الكويت نوع من التعاطف مع أمير شمر . وفي مارس سنة ١٩٠٦ بدا أن الشيخ مبارك (او هكذا زُعِمَ على الأقل) يحاول مشروعاً خيالياً لتقسيم ودي لوسط الجزيرة بحيث يصبح جبل شمر وما حوله ملكاً لابن رشيد ، ومعظم اجزاء نجد الجنوبية لابن سعود ويستولي هو لنفسه على القصيم وأملاك الوهابيين في سدير والوشيم .

وفي يوليو سنة ١٩٠٦ نجحت جهوده الودية لتحقيق السلام ، وبدأت قوافل الحج تخرج من الكويت إلى مكة ، بعد أن انقطعت بعد الحروب في نجد . وفي سنة ١٩٠٦ بلغ عدد الخارجين للحج أكثر من الفي نسمة .

★ ★ ★

علاقة الكويت ببريطانيا العظمى
١٩٠٤ - ١٩٠٧

وعلى رغم توقف الأعمال العدائية بين شيخ الكويت والأتراك ظلت علاقة الشيخ بالحكومة البريطانية وممثليها في الكويت ظلت علاقة ممتازة . وكان الاستثناء الوحيد لذلك سوء تفاهم محدود وقع نتيجة التبليغات التي قدمها كابتن نوكس بأوامر من الحكومة متعلقة بتجارة الاسلحة في الكويت ، والحديث عن هذه الازمة وارد في الملحق الخاص بموضوع تجارة السلاح .

مشكلة العلم الكويتي :

ووقعت مشكلة جذبت اليها الاهتمام وقتاً ما في سنة ١٩٠٧ لكنها ظلت بلا حل ، وهي ضرورة قبول شيخ الكويت علماً مميزاً عن العلم التركي . ففي سنة ١٩٠١ قدم اقتراح بضرورة استحداث علم غير العلم التركي وذلك لعدة أسباب ، أهمها التناقض بين منع القوات التركية من النزول إلى أرض الكويت ورفع العلم التركي فوق هذه الارض في نفس الوقت . وارتأت الحكومة ضرورة رفع الشيخ العلم العربي الأحمر ، لكن الشيخ قال انه —ومن قبله أبوه وجده— رفعوا العلم الموجود عليه الهلال رمزاً للإسلام لا لتبعية تركيا . ولكن جاءت الاتفاقية التي عقدت بين الحكومة البريطانية والباب العالي في سبتمبر سنة ١٩٠١ لإبقاء الحالة الراهنة في الكويت كما هي لتضع حلا لهذه المشكلة — وقتاً ما .

وفي سنة ١٩٠٤ ومن جرّاء مناقشات سنشير اليها فيما بعد متعلقة بحماية الرعايا الكويتيين في إيران تجدّدت مشكلة علم الكويت ، وصدرت اوامر حكومة صاحب الجلالة بالتفاهم مع الشيخ حول هذا الموضوع في يوليو سنة ١٩٠٥ . وأفصح الشيخ آنئذ عن رغبته في أن يكون له علم مميز عن العلم التركي عليه الهلال نفسه ولكن مضافاً اليه كلمة «الكويت» ، كما طلب أيضاً شهادات بهذه الجنسية للسفن التابعة للميناء .

وفي مارس سنة ١٩٠٦ تردد الشيخ نظراً لعدم وجود أي ضمان بعدم مضايقة سفنه في الموانى التركية في أن تستخدم الحروف اللاتينية في العلم ووافق على ضرورة أن تكون كلمة «الكويت» مكتوبة باللغة العربية ، ووافقت حكومة صاحب الجلالة على العلم المقترح للكويت بعد أن تم أخيراً الاتفاق عليه ، ولكن مرة أخرى عاد الشيخ في سبتمبر سنة ١٩٠٦ يقول إنه حتى التغيير الطفيف الذي أدخل على العلم قد يدفع السلطات

في الموانى التركية إلى مضايقة سفن الكويت كما طلب ضماناً من الحكومة البريطانية بهذا الصدد . ومرة أخرى رفعت حكومة الهند هذا الأمر إلى حكومة صاحب الجلالة .

استكشافات أرضية ومسح بحري ١٩٠٤–١٩٠٧ :

وقد تم انتهاز فرصة موافقة شيخ الكويت على هذا بعد تعيين وكيل سياسي بريطاني في الكويت للحصول على المعلومات الدقيقة فيما يتعلق بما يحيط بالكويت براً وبحراً . وفي ديسمبر سنة ١٩٠٤ خرجت جماعة من الضباط المسهمين في هذا الدليل عن طريق البر بصحبة كابتن نوكس إلى الحدود الكويتية التركية ، وانتهزت هذه الفرصة لإجراء عملية مسح واسعة من الجهرة والسواحل الشمالية لخليج الكويت إلى موقعي صفوان وأم القصر على الحدود التركية . وفي إبريل ١٩٠٥ قام كابتن نوكس بجولة جنوبي الكويت ووصل في إبريل سنة ١٩٠٥ إلى خفار ، الموقع البعيد الهام اللذي لم يكن اوربي واحد قد وصل اليه من قبل على الحدود بين إقليم الكويت ووسط الجزيرة ، وفي كلتا الرحلتين قدم الشيخ مبارك للكابتن نوكس حرساً من البدو . وفي شتاء ١٩٠٦–١٩٠٧ قام الوكيل السياسي برحلتين هامتين جنوبي الكويت وقد امكن أن تصحبه السيدة نوكس في رحلته الاولى منهما .

وقد بدأت سفينة صاحب الجلالة «انفستجيتور» عملية مسح بحري لخليج الكويت في نوفمبر سنة ١٩٠٤ ، واستمرت موسماً بعد آخر حتى تم العمل في نوفمبر سنة ١٩٠٧ .

★ ★ ★

علاقة الكويت بايران ١٩٠٤ ـ ١٩٠٧

إدارة الجمارك الامبراطورية الايرانية تضطهد رعايا الكويت ١٩٠٤–١٩٠٥ :

في سبتمبر سنة ١٩٠٤ ساد السخط الشعور العام في الكويت نتيجة استيلاء الباخرة الإيرانية المخصصة للعوائد «مظفري» على سفينتين صغيرتين تابعتين للكويت بغير مبرر ، وعمت الشكوى في ذات الوقت من تدخل مسئولي إدارة العوائد التي كان أعيـــد تنظيمها مؤخراً في أعمال أصحاب القوارب الكويتيين على الساحل الإيراني واضطهادهم . ولم يكن الزعم بأن هذه القوارب الكويتية تعمل في تصدير الأسلحة إلى إيران زعماً بلا أساس ، لكن اضطهاد هذه السفن الكويتية بلغ حداً جعل من المحتم أن ترفع حكومة الهند الأمر إلى وزير الدولة وإلى الوزير البريطاني المفوض في طهران .

وضع وحماية رعايا الكويت في إيران ١٩٠٤–١٩٠٦ :

وفي مارس ١٩٠٥ ناقش الوزير البريطاني المفوض في طهران مشكلة رعايا الكويت في إيران بعد ظهور تلك المشاكل مع الحكومة الإيرانية وشرّع سير أ. هاردنجز أن الكويت ليست بحكم الأمر الواقع الفعلي تابعة لتركيا . وليس لهذه أية سيطرة على الكويت . وقد حاول بتعليمات من حكومة صاحبة الجلالة أن يكسب الرعايا الكويتيين في إيران نفس المكانة والاحترام اللذين تعامل بهما بريطانيا رعايا أفغانستان أي «قبول التوصيات والرغبات الودية من جانب حكومة بريطانيا تجاههم» ، ولكن بدا أن الحكومة الإيرانية برغم أنها لا تعارض تدخل الممثلين القنصليين والديبلوماسيين البريطانيين من أجل رعايا الكويت إلا أنها لا تود أن تضع هذا التدخل موضع التنفيذ خشية إغضاب الحكومة التركية التي قام ممثلها فعلا بالاحتجاج لدى الحكومة الإيرانية على تدخل المقيم البريطاني في بوشهر في أمور الكويتيين . وأخيراً أصدرت الحكومة الإيرانية اوامرها للمدير العام للجمارك في بوشهر بألا

يعامل سفن الكويت هذه المعاملة الخشنة حتى لا تبدو مشكلة السفن الكويتية واضحة على مثل هذا النحو ، ولكن عليه في نفس الوقت ألا يعترف بتدخل المقيم السياسي البريطاني في قضايا الرعايا الكويتيين . وحتى سنة ١٩٠٧ لم يتم التوصل إلى أية اتفاقية لتسوية هذا الامر .

صداقة بين الشيخ مبارك وشيخ المحمرة :

وقامت علاقة صداقة وثيقة بين الشيخ مبارك شيخ الكويت والشيخ خزعل شيخ المحمرة ، لكن الاساس الذي قامت عليه هذه الصداقة لم يكن واضحاً ، إلا إذا كان هذا الاساس هو تشابه وضعهما السياسي . وقد قام الشيخ مبارك بعدة زيارات للمحمرة والفيلية .

★ ★ ★

علاقات الكويت بالدول الاوربية سوى بريطانيا العظمى ١٩٠٤ ــ ١٩٠٧

وبعد سنة ١٩٠٤ لم تفصح أية دولة اوربية باستثناء بريطانيا العظمى عن اهتمام واضح بأمور الكويت .

وفي سبتمبر ١٩٠٤ وعقب وصول كابتن نوكس مباشرة إلى الكويت تلقى الشيخ تبليغاً من البصرة بأن يحاول الاستفادة من وجود بعض المسئولين الروس ممن كانوا حينذاك بالبصرة محاولاً الاستعانة بهم للتوصل إلى تسوية مع تركيا ، وأضيف إلى ذلك أن الحكومتين الروسية والفرنسية تتعهدان بضمان هذه التسوية إذا ما وافق الشيخ على قبول قنصل روسي وآخر فرنسي في الكويت . ولم يتم التعرف على المصدر الفعلي وراء هذا الاتصال الذي رد عليه الشيخ مبارك رداً رسمياً بلا معنى .

وفي سبتمبر سنة ١٩٠٥ وصل مستر باهنسون ممثل شركة ووكهاوس وشركاه في البحرين إلى الكويت لبحث أحوالها التجارية ، غير أن الشيخ لم يسمح له بأن يقيم فيها طويلا .

الاحوال الداخلية في امارة الكويت
١٩٠٤ ـ ١٩٠٧

لم تكن السلطات البريطانية قبل تعيين وكيل سياسي بريطاني في الكويت تبدي اهتماماً كبيراً بشئون الكويت الداخلية لكنه بعد ذلك التعيين أصبحت السلطات تمارس الاهتمام بشئون الكويت بقدر ما تفيد مصالح بريطانيا من الرخاء العام في الكويت واستقرار حكومتها ، وكان واضحاً أنه ما من أحد يستطيع إدارة شئون الكويت الداخلية أفضل من الشيخ مبارك .

وقد مات اثنان من ابناء الشيخ مبارك في سنة ١٩٠٦ أحدهما ابنه الاصغر فهد الذي كان ارسل قبل عامين للعلاج في الهند . وكان الهدف من انشاء مستوصف إلى حد ما العناية بابن الشيخ .

الشئون المالية :

ورغم التزايد العظيم في تجارة الكويت فقد زاد الشيخ كل الضرائب مما أثار بعض التذمر ، وقد رفعت العوائد الجمركية بشكل خاص ولكن بذلت جهود كثيرة لتقديم بعض التسهيلات للتجار مثل إعداد مخزن حجري كبير لبضائعهم مزود بالحراس وجميع وسائل الأمن . وكان قسم العوائد على العموم يدار إدارة جيدة تحت اشراف عبيد الشيخ مبارك ، كما رفعت ضرائب التصدير والاستيراد على البضائع التي تستخدم طريق البر . وفي سنة ١٩٠٧ تواترت الشكاوى من ضرائب جديدة باهظة فرضها الشيخ على المواطنين الذين ذهبوا إلى الحج حين عودتهم . وكانت أخطر شكوى من دافعي الضرائب تتمثل في الطلب الذي طلبه الشيخ في يناير ١٩٠٧ من أصحاب البيوت المقامة على ارض قدمها الشيخ مجاناً . وكان جزء كبير من المدينة يتشكل منها . فقد طلب لمن شاء الإحتفاظ ببيته أن يدفع ثلاثة ارباع قيمة المباني ثمناً للارض ،

أو ان يقبل ربع هذهالقيمة ويخلي المنزل . وكانت هذه الضرائب الباهظة سمة من سمات الإدارة في الكويت ، ولم تكنأسبابها الحقيقية واضحة خاصة أنها فرضت في وقت ساد فيه الرخاء والإزدهار. في ١٩٠٦–١٩٠٧ اشترى الشيخ مبارك يختاً بخارياً بما قيمته مائة الف روبية ، وربما كان ثمن هذا اليخت ناهيك عن نفقات صيانته أحد أسباب الأزمة المالية التي واجهها الشيخ منذ ذلك الوقت .

شئون القبائل :

وكانت أمور القبائل في الكويت مستتبة بحيث إننا لم نسمع عنها شيئاً ، وكانت المعارضة لما يريده الشيخ مبارك من القبائل الواقعة تحت نفوذه معارضة لا تذكر . وقريباً من نهاية فبراير ١٩٠٧ أغار بعض أفراد قبيلة عجمان على العـــــرب المقيمين في الصحراء حول مدينة الكويت ممن هم في حمايتها مباشرة . غير أن الشيخ مبارك شرع فوراً في الرد على هذه الغزوة لولا أن أعلن أهل القبيلة خضوعهم ووعدوا بدفع التعويض كاملا وسلموا محمد بن حثلين ، أحد شيوخهم وكان حينذاك سجيناً في الكويت. وقد أدى تجنيد السكان لأداء الخدمة العسكرية ضد قبيلة عجمان ، وفي مناسبة أخرى جمع الزكاة من مختلف قبائل البدو إلى إثارة شيء من الاستياء من الشيخ في مدينة الكويت .

★ ★ ★

ملحق رقم (١) اتفاقية شيخ الكويت بصدد عدم قبول ممثلين لاى دولة أجنبية ، وعدم التنازل عن أى أرض اقليمية لاية دولة أجنبية ، أو لرعاياها ٠ ٢٣ يناير ١٨٩٩

إن الغرض من كتابة هذه الاتفاقية المشروعة المعظمة هو النص على أنه قد تم الاتفاق بين العقيد مالـــكولم جــون ميـــــد المقيم السياسي لحكومة صاحبة الجلالة ـ ممثلا للحكومة البريطانية طرفاً أول وبين الشيخ مبارك بن الشيخ صباح شيخ الكويت طرفاً ثانياً ، على أن الشيخ المذكور مبارك بن الشيخ صباح قد تعهد وهو في كامل حريته وإرادته هو وخلفه ومن يعقبه بألا يستقبل وكيلا أو ممثلا لحكومة دولة أجنبية في أرض الكويت أو سواها داخل حدوده الاقليمية دون موافقة مسبقة من جانب الحكومة البريطانية .

كما يتعهد الشيخ أيضاً هو وخلفه ومن يعقبه بألا يبيع أو يتنازل أو يؤجر أو يرهن أو يتنازل بأى شكل آخرمن أشكال التنازل عن أي جزء من اراضيه الإقليمية للاحتلال أو ســـواه من الأغراض من قِبَلِ حكومة او رعايا أية دولة أجنبية أخرى دون موافقة مسبقة من حكومة صاحبة الجلالة على أهداف هذا التنازل . وتمتد هذه الاتفاقية لتشمل أي جزء من إقليم الشيخ مبارك المذكور يكون اليوم في ملكية رعايا أية حكومة أخرى .

وقد وقع هذه الوثيقة القانونية الواجبة الاحترام كل من العقيد مالـــكولم جـــون ميـــد المقيم السياسي لحكومة صاحبة الجلالة البريطانية في الخليج والشيخ مبارك بن الشيخ صباح . الاول ممثلا للحكومة البريطانية والثاني ممثلا لنفسه ولعقبه ومن يخلفه . وكلاهما وبحضور الشهود مهـــر هذه الوثيقة بتوقيعه في اليوم العاشر من

مضان سنة ١٣١٦ الموافق اليوم الثالث والعشرين من يناير ١٨٩٩ .

توقيع : م. ج. ميد . خاتم : مبارك آل صباح
المقيم السياسي في الخليج

الشهود

توقيع : أ. ويكهام هور . خاتم : محمد رحيم بن
كابتن بجيش الامبراطورية عبد النبي سفير

توقيع : ج. كالكوت جاخكين .

★ ★ ★

خطاب مرفق بنص الاتفاقية المذكورة

في ٢٣ يناير ١٨٩٩ .

من العقيد م. ج. ميد المقيم السياسي في الخليج .

إلى الشيخ مبارك بن صباح ، شيخ الكويت .

بعد التحية . نظراً لاتمام توقيع الاتفـــاقية التي أسعدنا إبرامها بينكم ، الشيخ مبارك بن صباح ، ممثلا لنفسه ولخلفه ومن يعقبه ، من ناحية ، وبيننا ممثلي حكومة صاحبة الجلالة البريطانية فانني أؤكد لكم بصفتكم حاكماً للكويت نوايا الحكومة البريطانية الطيبة نحوكم ونحو خلفكم ومن يعقبكم ما دمتم ملتزمين أنتم وخلفكم ومن يعقبكم بتنفيذ الوثيقة المشار اليها بدقة وإخلاص .

وسترسل ثلاث نسخ من هذه الوثيقة إلى الهند للتصديق عليها من قبل صاحب العظمة كيرزون لورد كدلستون ، نائب صاحبة الجلالة الامبراطورية والحاكم العام في الهند ، ولدى وصولها ساسلم لكم

نسخة بعد التصديق عليها ، كما أنني سأتخذ من جانبي الإجراءات اللازمة لارسال مبلغ ١٥ الف روبية لكم من الخزانة البريطانية كما جرى الاتفاق بيننا . وإن من أهم الشروط لتنفيذ هذه الاتفاقية هو بقاؤها في سرية مطلقة ، وألا تعلن أو تذاع بأي شكل دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية .

★ ★ ★

الفصل الثامن

تاريخ نجد ووسط الجزيرة العربية ★

الحركة الوهابية

يبدأ التاريخ الحديث لوسط الجزيرة العربية بقيام الوهابيين الذين أصبحوا هم الذين يحددون سَيْرَ الأحداث فيها إلى حد كبير . ولهذا فمن الضروري ونحن نهتم بتناول هذة الحقبة التاريخية ان نشير إلى أصل الحركة الوهابية .

---

(١) هذه هي أهم المصادر الرئيسية لتاريخ نجد : كتاب كورانزس « تاريخ الوهابيين » سنة ١٨١٠ ، وكتاب سادلر : « يوميات رحلة عبر جزيرة العرب .. سنة ١٨١٩ » المنشور سنة ١٨٦٦ ، وكتاب مينجن « تاريخ مصر في ظل حكم محمد علي .. » سنة ١٨٢٣ (لم أتمكن من الحصول على هذا الكتاب ..) وكتاب بيركهارت : توطئة لدراسة تاريخ الوهابيين .. » . ١٨٣٤ . « مختارات بومباي » المجلد (١٤) ، « الخليج ..» ١٨٥٦ . كذلك كتاب بالجريف : «حكاية رحلة استمرت سنة في وسط وشرق جزيرة العرب .. ١٨٦٢ ـ ١٨٦٣ .. » المنشور في سنة ١٨٦٥ . وتقرير الرائد ل. بيلي « تقرير عن رحلة الى الرياض عاصمة الوهابيين » سنة ١٨٦٦ ، وكتاب الرائد أ. روس « ذكريات في نجد .. » الموجود في التقرير الاداري للخليج عن سنة ١٨٧٩ ـ ١٨٨٠ . وكتاب مستر س. م. دوتي : « أسفار في صحارى الجزيرة .. » ١٨٨٨ . وكتاب البارون أ. نولد « رحلة في جزيرة العرب ـ بالالمانية .. » سنة ١٨٩٥ . وتلخيص مستر أ. ج. سالدنها : « ملخص أحوال نجد .. » ١٨٠٤ ـ ١٩٥ . وفي كتابات مستر س. هيوبر بعض المعلومات التاريخية المتعلقة بنجد .

مؤسس الوهابية :

إن المعلومات التي تتوفر عن مؤسس جماعة الوهابيين رغم أنه عاش منذ قرن ونصف فقط ، ورغم أن الاهتمام كان منصباً منذ البداية إلى النتائج السياسية لأعمال الوهابيين– نقول إن المعلومات المتوفرة المتفق عليها قليلة والباقي نهب الروايات المتضاربة . فمن المتفق عليه أنه خرج من بني تميم وهي قبيلة زراعية قوية في نجد ، وتحدد سنة ١٦٩١ كسنة ميلاده . أما شرف المكان الذي ولد فيه فمتنازع عليه بين مدينة حوطة في الجنوب وقرية عيينه في وادي جنيعه بل حتى اسمه مختلف عليه ، فيقول البعض إنه عبدالوهاب ويؤكد البعض الآخر أن عبدالوهاب هو اسم أبيه . وأنه هو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان . وقد تلقى العلم في الخارج في البصرة ودمشق وربما غيرهما لكنه عاد اخيراً إلى بلده حيث بدأ في سنة ١٦٧٢ يدعو إلى التعاليم التي اعتنقها خلال دراسته ، وتقول الرواية التي تحدد مسقط رأسه بقرية عيينه إنه بدأ في دعوته العامة يواجه معارضة اضطرته لنقل نشاطه إلى مدينة الدرعية المجاورة . لكن كل المصادر تجمع على أن السنوات الاخيرة التي قضاها بالدرعية كانت السنوات التي بلغ فيها نفوذه أقصاه ، وقيل إنه تزوج عشرين مرة وكان له ثمانية عشر ابناً ، ويحدد يوم ١٤ يونيو سنة ١٧٨٧ يوماً لوفاته .

الدعوة الوهابية في جانبها الديني الاصلي :

وكانت حركة الوهابيين في بدايتها حركة دينية خالصة ، لكنها اكتسبت بعد ذلك بفعل الظروف من حولها طابعاً دنيوياً وسياسياً . وفي البداية كانت هذه الدعوة دعوة إصلاحية بالنسبة للدين الإسلامي وممارستة ودعوة للعودة إلى الحياة الإسلامية الأولى في رهدها وبساطتها ، واتخذت الحركة في جوهرها طابع الاحتجاج على الخرافة والترف في العالم الإسلامي . ومن المتفق عليه بشكل عام أن الدعوة الوهابية ملتزمة تمام الالتزام بما جاء بالقرآن الكريم والتراث الإسلامي المعترف به ،

والاختلاف بين الوهابي المخلص والمسلم العادي إنما يرجع لأن هذا الأخير بعيد عن التمسك بروح الدين الإسلامي أكثر مما يرجع لانحراف الأول عن هذا الدين .

الوهابية في جانبها السياسي فيما بعد :

وكان تزايد المؤمنين بهذه الدعوة في وسط الجزيرة من جرّاء فشلها في أن تلقى القبول في مكان غيرها قد جعل لها في نجد أهمية سياسية وقومية ، بل وأهمية عسكرية أيضاً . وأدت العقيدة المشتركة إلى تهيئة الناس للخضوع لسلطة إدارية واحدة وهي سلطة أخضعت الأفراد للشريعه وجمعتهم من المدن والأقاليم في إمارة واحدة متماسكة ومنظمة . ولما تحققت هذه الوحدة الداخلية دفعت الحماسة العسكرية هؤلاء الأفراد إلى التفكير في نشر عقيدتهم خارج حدود إمارتهم ، وربما داعب طموحهم أيضاً انتشار عقيدتهم حتى اقاليم البحر الأحمر والحجاز واليمن ، أما الصراعات العنيفة التي سرعان ما بدأت بين الوهابيين والقوى المختلفة من جيرانهم ، والتي استمرت باستمرار دعوتهم إلى عقيدتهم هذه فلا نستطيع أن نعتبر أياً من الجانبين المتصارعين مسئولا عنها مسئولية كاملة . فالوهابيون من جانبهم كانوا متعصبين أشد التعصب خاصة ضد الأتراك الذين كانوا يعتبرونهم غير مسلمين من حيث أخلاقهم ومظاهر حياتهم ، في حين أن خصومهم — الذين كانوا يعرفون ما في الدعوة الوهابية من صدق منطقي كانوا يسخطون على تمسك الوهابيين بأهداب الدين والفضيلة ويلجأون إلى مختلف اساليب سوء التفسير والتصوير . والنتيجة هي أن كلا من الجانبين كان يخرج الآخر عن الإسلام وكان الوهابيون يعلنون بروح أكثر ميلا إلى الحرب أن ارواح أعدائهم وممتلكاتهم حلال لهم بحكم خروجهم على الدين ، وسيضطلعون هم (أي الوهابيون) بتنفيذ هذا الحكم .

ومن ناحية أخرى يجب أن نعترف بأن معظم الذين تزعموا معارضة الحركة الوهابية كانو أشخاصاً مثل أشراف مكة ، تهدد هذه الحركة مصالحهم المادية ، وتهاجم مصادر هيبتهم باعتبارهم قيمين على أضرحة الاولياء . ومن ناحية أخرى يجب القول بأن معظم الوهابيين ممن لم يتفهموا الامور في مبادئها العامة والشاملة كانوا يتصرفون بشكل يتسم دائماً بضيق الافق والجمود ، من ذلك تدخلهم في التفاصيل الثانوية مثل تحريم لبس ثياب الحرير والتحلي بالذهب وحمل المسابح وتحريم التدخين ، كذلك كانوا يعتبرون أعمال النهب والسلب ضد من لا يؤمنون بدعوتهم لا مجرد إجراء مشروع ، بل فرضاً لازماً . ولم يتصل الوهابيون الأوائل بالمسيحيين واليهود كثيراً في بداية حركتهم ولكن يبدو أن مشاعرهم نحو هؤلاء كانت أقل حدة ومرارة مما كانت عليه بالنسبة لهؤلاء الذين يعتبرونهم مسلمين كذبة .

وسوف تتضح هذه الملاحظات التمهيدية في استعراضنا المقبل لتاريخ الدولة الوهابية في نجد .

★ ★ ★

محمد بن سعود قبل سنة ١٧٦٥

كان محمد بن سعود شيخ الدرعية أول رئيس زمني يقبل تعاليم الوهابيين ويحاول أن يصلح من نظام حكمه لتحقيقها . وفي مدينته وتحت حمايته عاش محمد بن عبد الوهاب آخر مراحل حياته وأحفلها بالنشاط . ومحمد بن سعود ينتمي إلى عائلة معروفة باسم آل مقرن من فرع المساليخ من قسم ولد علي من قبيلة عنيزه ، ومن اسم ابيه اشتق الاسم البديل للعائلة فأصبحت العائلة السعودية ، وقد أطلق اسم ابن سعود —الذي ما يزال قائماً حتى اليوم— تمييزاً لأمير الوهابيين من «ابن رشيد» أمير جبل شمر آنذاك . وكان محمد بن سعود وقت اعتناقه المذهب

الوهابي على خلاف مع دحام ابن الدويش شيخ مدينة الرياض المجاورة . ومكنته القوة التي امده بها الوهابيون من التغلب على خصمه الذي اضطر إلى أن يخضع ويدفع الجزية . ثم انتقل ابن سعود بقواته إلى إقليم الأحساء شرقاً ليهاجم بني خالد —الذين كانوا يحكمون هذا الاقليم منذ حوالي مائة سنة— لكنه لم يفلح(١) .

★ ★ ★

عبد العزيز بن محمد ١٧٦٥ ــ ١٨٠٣

وخلف محمد بعد موته ابنه عبد العزيز الذي كان كثيراً ما يتولى قيادة جنود الوهابيين والذي كان قد تزوج من ابنة المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

★ ★ ★

الاحوال في نجد ١٧٦٥ ــ ١٨٠٣

حين تولى عبد العزيز حكم الوهابيين عهد بقيادة الجنود وتوجيه العمليات العسكرية إلى ابنه سعود الذي تولى هذا العمل وحقق فيه نجاحاً كبيراً .

إخضاع الرياض ١٧٧٢ :

فالرياض —بعد أن كانت تدفع الجزية— تم إخضاعها نهائياً في ١٧٧٢ ، ولجأ الشيخ دحام بن الدويش إلى الأحساء ، وضمت الرياض إلى أملاك الوهابيين .

---

(١) تقول احدى الروايات ــ ان محمدا ــ بعد أن استطاع توحيد جزء كبير من وسط الجزيرة ــ بما في ذلك جبل شمر أيضا ــ لم يشأ أن « يهدم الجبل على رأسه .. » أو بتعبير آخر أن يثير حفيظة القوى المجاورة التى تمثل خطرا . واذا كان الامر كذلك ، فلا شك في أن سياسة الحذر والانكماش هذه قد استبدلها ابنه بسياسة أخرى عدائية .

إغتيال الامير عبدالعزيز ١٨٠٣ :

ولا تشـــير التواريخ التي بين أيدينا لهذه الفـــترة من تاريخ نجد حتى تذكر اغتيال عبدالعزيز الذي حدث في الدرعية في يوم يختلف في تحديده ما بين ٤ أكتوبر و ١٢ نوفمبر ١٨٠٣ . وقد اغتيل في المسجد وقت صلاة العشاء على يدأ حد السادةالإيرانيين الذى كان الوهابيون قد قتلوا بعض أقاربه ، وقد أعدم القاتل فوراً ، وكان عمر عبد العزيز وقت مصرعه حسبما يروى ٨٢ عاماً(١) .

★ ★ ★

عمليات الوهابيين العسكرية في غرب الجزيرة ١٧٦٥ ـ ١٨٠٣

ثم ابتدأت حركة الوهابيين المتحمسين القـوية لنشر دعوتهم ، وكان اتجاه تحركهم غرباً أكثر من اتجاهها نحو الأقاليم التركية على شاطىء البحر الاحمر .

الحرب مع شريف مكة ١٨٩٢ ـ ١٩٠٢ :

وفي سنة ١٧٩٢ أو ١٧٩٣ بدأت الأعمال العدائية بين الامير الوهابي وغالب شريف مكة الذي كانت آراؤه السياسية والدينية لا تتفق وآراءهم بطبيعة الحال . واستمرت الحرب بين الجانبين زمناً طويلا ، وتمثلت في شكل إغارات متفرقة وإغارات مضادة تقوم بها القبائل الموالية لكل من الجانبين على القبائل الموالية للجانب الآخر . وفي وقت من الأوقات رجحت كفة الشريف غالب ، فقد ظل سنة كاملة مسيطراً على

---

(١) كورانسيز في كتابه « تاريخ الوهابيين » أكثر وضوحا ، فهـو يذكر أن القاتل ـ الذى استخدم الخنجر في تنفيذ جريمته ـ كان درويشا كرذيا التحق بالخدمة العسكرية مـع الامير عبد العزيز بهدف قتله ، لان الوهابيين ذبحوا ثلاثة من أبنائه في مذبحة كربلاء سنة ١٨٠١ .

القرية الصحراوية «لعلها شقرا» في نجد ، غير أنه استطاع الإفلات مرة أخرى من قبضة الوهابيين وهرب مع عدد قليل من أنصاره فقط إلى بيشاه . وفي سنة ١٧٩٩ استطاع سعد —ابن امير الوهابيين أن يأتي إلى مكة ومعه عدد كبير من أنصـــاره المسلحين ، وكرر هذا العمل في السنة التالية ، وتلك أعمال معناها بالمصطلح الحديث استعراضات عسكرية . وفي سنة ١٨٠١ خضعت القبائل المستقرة في إقليم الطائف لنفوذ الوهابيين ، وولى الأمير عليها شيخ البدو عثمان المضايفه الذي كان صهر الشريف غالب لكنه كان على عداء له منذ سنوات عديدة .

استيلاء الوهابيين على الطائف وقنفذه ١٨٠٢ — ١٨٠٣ :

وفي سنة ١٨٠٢ استسلمت للشيخ عثمان مدينة الطائف المسماه «بستان مكة المكرمة» وهي التي تقـــع على مسيرة يومين فقط شرقي الاماكن المقدسة ، وأعمل الوهابيون السيف في أهل المدينة حتى الأطفال والنساء ، وقبل نهاية السنة نفسها استطاع الوهابيون أن ينتزعوا ميناء قنفده على البحر الاحمر من قبضة الشريف غالب .

استيلاء الوهابيين على مكة ١٨٠٣ :

وفي إبريل او مايو سنة ١٨٠٣ وبعد دفاع استمر شهرين أو ثلاثة أشهر سقطت مكة في أيدي الوهابيين بعد أن حاصروها حتى لم يعد أهلها يجدون طعاماً أو شراباً وهكذا استولى سعود على المدينة المقدسة . وخلال إقامة الوهابيين القصيرة فيها كان مسلكهم معتدلا إلى حد كبير ، لكن القبور التي كان المسلمون يتبركون بها سويت بالأرض ، ودعا الوهابيون إلى إصلاح الأخلاق وتعديل القيم ، وقبل أن يغادروا مكة جعلوا عليها أميراً باسمهم هو عون شقيق الشريف غالب . أما الشريف غالب نفسه فقد فر حين سقطت مكة في أيدي الوهابيين إلى جده على شاطيء البحر الأحمر واعتصم بها ، وإلى هناك سارت وراءه بعض قوات الوهابيين لكنها لم تستطع أن تقهر استحكاماته فاضطرت إلى وقف

المحاولة والعودة بعد ١١ يوماً . وقد خضعت الآن للوهابيين أكثرية قبيلة حارب التي كانت تقاومهم ، كذلك خضعت لهم أيضاً ينبع وهي ميناء على البحر الاحمر ، أما المدينة فلم تستسلم بعد رغم حصارها ، وبدأ مرض الدوستاريا يسري في معسكر الغزاة .

الصلح ودعوة الشريف إلى مكة ١٨٠٣ :

وفي يوليو سنة ١٨٠٣ حين عادت معظم قوات الوهابيين إلى نجد رجع الشريف غالب من جدة ، وأخضع حاميتين صغيرتين كان الوهابيون تركوهما وراءهما في مكة واستعاد حكم المدينة ، لكنه بعدها أعلن خضوعه لأمير الوهابيين بشروط أفضل . فقد اعترف له الأمير بأن يظل مسئولا عن العوائد والنفوذ السياسي في المدينة ، كما استثناه هو وأهلها من دفع الجزية له . وفي مقابل ذلك تعهد الشريف بألا يأخذ رسوماً جمركية في جدة من الوهابيين .

★ ★ ★

عمليات الوهابيين العسكرية في شرقي الجزيرة ١٧٦٥ ـ ١٨٠٣

ورغم انشغال الوهابيين واهتمامهم البالغ بالأقاليم الساحلية الممتدة على البحر الأحمر ، كانت طاقاتهم ومصادرهم تسمح لهم أيضاً بأن يستعرضوا نشاطهم على طول الساحل العربي من الخليج حيث حققت دعوتهم انتصاراً واضحاً .

هجوم الوهابيين على الكويت ١٧٩٣ ـ ١٧٩٥ :

وخلال الفترة من ١٧٩٣ الى ١٧٩٥ وفي الوقت الذي انتقلت فيه الوكالة البريطانية موقتاً من البصرة إلى الكويت شن الوهابيون عدة غارات وهجمات على مدينة الكويت ، لكنهم لم يحققوا أي نجاح ، وقد أشرنا إلى بعض تفاصيل هذه الأعمال العدوانية في تاريخ إمارة

الكويت ، أما طبيعة العلاقات القائمة بين ممثل الحكومة البريطانية في الكويت وأمير الوهابيين فتكتنفها الشكوك . فمن ناحية ، تردد أن الهدايا كانت تحمل بانتظام إلى أمير الوهابيين الذي كان من جانبه يقوم بتوفير الحماية لخط البريد الصحراوي البريطاني إلى أوربا(١) . وقد قيل من الناحية الأخرى إن الوكالة البريطانية في الكويت قد ساعدت أهل الكويت في صد هجمات الوهابيين وأبدى الأمير عبد العزيز بعدها دلائل سخطه واضحة . وفي ١٧٩٨ – ١٧٩٩ كذلك في سنة ١٨٠٢ سارت حملات الأتراك على الوهابيين عبر الكويت كما سنرى .

فتح الوهابيين للإحساء :

وتم للوهابيين فتح إقليم الاحساء تماماً في سنة ١٧٩٥ بعد أن خضع معظمه في ١٧٩٢ ، ووضع الإقليم تحت حكم أفراد من الوهابيين وغيرهم من الدعاه . وهكذا أصبحت الأحساء قاعدة لمنطلق الوهابيين نحو التوسع في شرق الجزيرة ، وبعدها بعدة سنين كما سنرى أصبحت الاحساء ارض المعركة الأولى بين الوهابيين والاتراك .

تدخل الوهابيين في شئون البحرين ١٨٠٢ – ١٨٠٣ :

وبمجرد أن تدعم مركز الوهابيين في الاحساء ، بدأوا يحاولون مد نفوذهم إلى البحرين ، ومن خلال مساعداتهم كما هو مذكور في تاريخ البحرين استطاع العتوب حكام البحرين أن يصدوا السيد سلطان مسقط عن اتخاذ قواعد دائمة له في الجزر . وفي ١٨٠٣ يبدو أن شيخ البحرين سلمان بن أحمد قام بزيارة أمير الوهابيين ومعه مبلغ من المال لدفعه كجزية ، غير أنه اعفى من هذا الدفع .

ومن الأحساء أيضاً خرجت قوات الوهابيين يقودها حريق وهو

---

(١) حسب ما يذكره كورانزس (ص ٥٠) فقد تعهد الامير بحماية البريد البريطاني طالما ظل الصلح قائما بينه وبين باشا بغداد . لكنه أمر بقتل رجل – على أى حال – لانه حاول التعرض لهذا البريد .

عبد نوبي إلى واحة البريمي وتمت له السيطرة عليها واحتلالها بهدف مواصلة العمل مستقبلا ضد إمارات عمان المتصالحة وسلطنة عمان ، وتفاصيل عملياتهم في هذا الاتجاه مذكورة ضمن تواريخ مختلف الإمارات المعنية . وفي منتصف ١٨٠٢ امتد النفوذ الوهابي على طول الساحل من جوار الكويت إلى دبي .

احتلال الوهابيين للبريمي وعلاقتهم بعمان ١٨٠٠ ـ ١٨٠٣ :

وفي سنة ١٨٠٣ ، وفي أعقاب العون الذي قدمه السيد سلطان مسقط لعدوهم الشريف غالب شريف مكة ، قام الوهابيون باعلان الحرب على السلطان ، واستطاعوا بإرغام العتوب في الكويت والبحرين والقواسم في رأس الخيمة على مهاجمته في البحر أن يضعوا سلطان عمان في مأزق خطير . ولكن تم الصلح بعد ذلك مباشرة على أن يدفع السلطان جزية سنوية قدرها ١٢ الف روبية لأمير الوهابيين ، ويسمح بوجود ممثل سياسي لهم عنده . لكن هذا الصلح سرعان ما خرقه الوهابيون الذين يبدو أن هدفهم كان إخضاع عمان إخضاعاً تاماً بطريق الغزو ، لكن أخبار اغتيال الامير عبد العزيز التي وصلت في نهاية هذه السنة ، ارغمتهم على أن يوقفوا نشاطهم هذا زمناً . وفي نفس الوقت كان السيد بدر الذي خلف السيد سلطان على مسقط فيما بعد قد ترك عمان ولحق بالوهابيين .

★ ★ ★

عدوان الوهابيين على العراق التركي ١٧٦٥ ـ ١٨٠٣

اغارات الوهابيين على حدود العراق ١٧٨٤–١٧٩٨ :

منذ وقت مبكر يرجع إلى سنة ١٧٨٤ بدأ الوهابيون يثيرون الفزع في قلوب حكام العراق الأتراك . وخلال السنوات العشر التالية تزايد

خطرهم تزايداً مطرداً ، وكانت هجماتهم التي يشنونها على أماكن بعيدة كل البعد عن الموقعة تحقق النجاح في معظم الأوقات . وكانت السرعة التي يستطيع بها الوهابيون حشد قوة ما ، ثم السرعة التي تنطلق بها هذه القوة في سبيلها إلى هدفها ، أمراً يندهش له دائماً العثمانيون الذين تميزت عملياتهم بالبطء ، وأصبح الريف والقرى والمدن الصغيرة على الحدود الغربية للعراق هدفاً سهلاً لغارات الوهابيين لا سيما منطقة النهاية السفلى لإقليم البصرة . وفي بعض الأحيان ونظراً لان باشوية بغداد لم تكن تستطيع أن تقدم الحماية اللازمة كان الأهالي يدفعون للوهابيين الأتاوات التي يطلبونها منهم .

وقد قضى الوهابيون على قوة قبيلة بني خالد التي كان يمكن أن تصدهم عن هذا الزحف أثناء فتحهم للأحساء سنتي ١٧٩٢ و ١٧٩٥ ، ومن ذلك الوقت فصاعداً راح الباب العالي يتخذ من الإجراءات ما يكفل سيادته على ممتلكاته . خصوصاً أن تآمر شريف مكة ، وشكاوي الحجاج الإيرانيين وغيرهم من الحجاج قد دفعت الباب العالي إلى الإسراع بالعمل .

الحملة التركية الاولى على الوهابيين ١٧٩٨–١٧٩٩ :

ولمدة سنتين او ثلاث سنوات ظل الباب العالي عاجزاً عن إقناع ممثله في بغداد الذي لم يكن آنذاك سوى الرجل القوي والنشيط سليمان باشا بإعداد حملة على الوهابيين ، ولكن أخيراً في سنة ١٧٩٨ وبعد أن أصبحت غارات الوهابيين تهدد حتى مدينة الحلة تخلى سليمان باشا عن معارضته التي كانت قائمة على اعتبارات شخصية ومالية . وأعد الوالي قوة قوامها حوالي خمسة آلاف جندي يصحبهم طابور من المدفعية لم يكن على درجة كبيرة من الكفاءة . ثم أضيفت اليها قوة أخرى تعادل ضعف عددها تقريباً من قبائل شمر وظافر والمنتفق . ويبدو أن الجزء النظامي من هذه الحملة الذي كان معسكراً في سبتمبر سنة ١٧٩٨ على الضفة اليمنى لدجلة في بغداد وصل إلى البصرة في أواخر ديسمبر . وكانت

الحملة كلها تحت قيادة علي باشا وكان هذا ياوراً شخصياً لسليمان باشا وهو أصلا عبد رقيق من جورجيا لكنه تزوج بابنة سيده وقد وصفه أحد الذين عرفوه(١) بأنه «رجل جاهل مغرور عنيد خائن وسيء الخلق» ونظراً لجهله بالشئون العسكرية رمعاملته السيئة لزعماء قبائل البدو الذين كان عليه أن يعتمد عليهم فقد تنبأ الكثيرون بفشل الحملة وانهيارها حتى قبل ان تتحرك . وكان هدف الحملة هو عاصمة الوهابيين في الدرعية ، وكان مقرراً أن تسلك اليها الطريق الطويل الاكثر أمناً الأحساء . وقد أخضعت الحملة هذه الواحة في طريقها .

ومن البصرة سار علي باشا براً إلى الأحساء ، حيث استطاعت قواته احتلال مواقع الوهابيين فيها كافة باستثناء كوت الهفوف وقصر سعود في المبرز ، فقد استطاع هذان الموقعان الصمود لهجمات غير مركزة وإطلاق نيران مدفعيه دون مهارة أكثر من شهرين . وأخيراً رضخ علي باشا لنصيحة معاونيه العرب ومن أشهرهم محمد بك الذي كان يظن أنه يراسل الوهابيين فرفع الحصار عنهما ورجع أدراجه إلى البصرة .

لكن سعوداً ابن امير الوهابيين سد عليه طريق العودة عند الثج في وادي المياه ، وظل الجيشان يواجهان أحدهما الآخر لمدة ثلاثة ايام ولا يستطيع أيهما أن يغامر بالهجوم على الآخر تم عُقدت هدنة مدتها ست سنوات بين الوهابيين وباشوية بغداد في مايو ١٧٩٩ ، وللتصديق على هذه الهدنة عاد مبعوث عن الوهابيين مع علي باشا لبغداد . وفي نفس الوقت قام سعود بزيارة الأحساء فكافأ الحاميات الموجودة في كوت الهفوف وقصر صهود لثباتها وعاقب أفراد تلك التي استسلمت للأتراك ، على طريقة الوهابيين المشهورة أي بمصادرة جميع أملاكهم . وتمت

---

(١) هكذا وصفة سير هـ. ج. بريدجس لكن مستر مانستي من الناحية الاخرى وصفه بأنه « شاب شجاع ومتحمس » .

تسوية الأمور أخيراً بين الباشا وامير الوهابيين في بعداد بعد تعاظم وصلف واضحين من ممثل الوهابيين(١) .

وكانت النتيجة الرئيسية لهذه الحملة الفاشلة هي استهتار الوهابيين التالي بالقوات التركية ، فلا عجب أن رأينا الوهابيين لا يلتزمون بشروط هذه الهدنة التزاماً كاملا . لكن كان لديهم شيء من العذر على أية حال ، فقد قام بعض الأعراب بمهاجمة قافلة للحجاج الإيرانيين يحرسها الوهابيون في المنطقة الواقعة بين الحلة والنجف ونهبوها . وبدأت عصابات السلب والنهب الآن تمارس نشاطها في إقليم البصرة ، وبلغت الأمور ذروتها عندما مني سليمان باشا بهزيمة ساحقة على يد الوهابيين ، فعجلت بموته «وسادت العالم الاسلامي سحابة من الأسى ، بينما تعززت مكانة هذه الطائفة «الوهابيين» وتزايدت ثقتهم بأنفسهم» .

مذبحة كربلاء ٢٠ ابريل ١٨٠١ :

وفي صباح ١٨ من ذي الحجة الموافق الاربعاء ٢٠ إبريل سنة ١٨٠١ على الأرجح ظهرت حشود الوهابيين فجأة في كربلاء وكان كثير من أهلها قد هجروها في ذلك الوقت للحج إلى النجف وهي فرصة لا بد أن العدو بني خطته عليها ، وقد قدرت قوة الغزاة هذه المرة حسبما تقول عدة مصادر بما لايقل عن ستة آلاف . وقد جعل على كل جمل رجلان . وبعد أن توقف الوهابيون قليلا وأقاموا معسكراً صغيراً في الحدائق الواقعة غربي المدينة ، وبعد أن ارسلوا فرقتين اتخذتا مواقعهما في الشمال والجنوب ، بدأوا بمهاجمة بوابة المدينة المواجهة للخانقاه عن طريق مربط القوافل هناك ، ولم يمض وقت طويل حتى استطاعت مدفعيتهم(١) إحداث ثغرات في سور المدينة . واستطاع

---

(١) يصف لنا سير هـ. ج. بريدجس ــ الذى كان شاهد عيان ــ المشهد الهزلى الذى جرى لدى استقبال الباشا لممثل الوهابيين .

(٢) هكذا تقول احدى الروايات .. لكن الوهابيين لم تـــكن لديهم مدفعية .

النقيب ، السيد مرتضى ، والحاكم المدني في كربلاء الهرب عن طريق بوابة أخرى ، وساد المدينة ذعر شامل ، واندفع الوهابيون مباشرة إلى مقام الإمام الحسين لان التقديس الذي كان يحظى به يتنافى مع عقائدهم . وخلال هذا اليوم نهب الوهابيون القبر والمقام بقدر ما إستطاعوا حتى السياج النحاسي المضروب حوله استطاعوا أن ينتزعوا نصفه ، ثم اكتسحوا شوارع المدينة كلها عدا الجزء الذي يقع فيه قبر عباس ينهبون المنازل ويقتلون كل رجل يلتقون به في هذه المنازل ؛ وبعد الظهر ، انسحبت قوات الوهابيين من المدينة واختفت في الصحراء وحملوا معهم كما قيل حمولة أكثر من مائتي جمل ومما نهبوه من الأماكن المقدسة وغيرها عدا عن الأسرى . وحدثت كل هذه المأساة في زمن لم يتجاوز ثماني ساعات .

وقد قدر عدد القتلى من أهل كربلاء في هذا اليوم المريع بحوالي ثلاثة آلاف ، لكن البحث التالي أثبت أن العدد أكثر من هذ بكثير وربما بلغ أكثر من خمسة آلاف رجل ذبح منهم حوالي ٥٠٠ حول قبر الحسين فقط . ولم يقتل من الوهابيين حسبما قيل سوى رجل واحد . وساد الحزن السنة التالية كلها بين من تبقى في المدينة الحزينة ، ولم يخفف منه إلا ما قدمه مستر هارفورد جونز «سير هـ.ج. بريدجس فيما بعد» المقيم في بغداد باسم شركة الهند الشرقية المعظمة ، والمعونة التي اكتتب بها الإيرانيون لافتداء الأسرى . وتولى المقيم في بغداد هذا الامر أيضاً وأثمرت جهوده .. فأطلق سراح حوالي ٢٠٠ رجل منهم ونقلوا إلى إيران كما ارادوا .

وبعد انسحاب الوهابيين من كربلاء هاجموا النجف لكنهم صدوا عنها ، فاغاروا على بعض المستعمرات الصغيرة على شط العرب وصدهم عنها أهل مدينة الزبير .

الحملة التركية الثانية على الوهابيين سنة ١٨٠٢ على الارجح :

وأصبح موقف سليمان باشا بعد هذه المذبحة حرجاً . فرغم أن الباب

العالي لم يكن ينوي عزله عن وظيفته إلا أنه كان محتملا أن يقوم شاه إيران الذي كان معظم الضحايا من رعاياه بعمل حاسم ضده كأن يطالبه بتعويض عن كل الخسائر التي لحقت بأثر الشيعة المقدس في كربلاء . وحتى لا تتكرر المأساة في النجف نقلت الأشياء الثمينة الموجودة في مقام الإمام علي موقتاً إلى قبر الإمام موسى حسبما روى في في الكاظمية بالقرب من بغداد . ولاستعادة هيبة تركيا وإيران مرة أخرى شرع سليمان باشا في إعداد حملة ضخمة معظمها من قوات البدو هذه المرة للسير إلى الدرعية . وكان يقود هذه الحملة ثويني شيخ المنتفق وتضم قوات من قبائل ضفير وشمر وكعب ومن المنتفق أيضاً ، لكنها انتهت كحملة علي باشا السابقة إلى كارثة . فأثناء توقف الحملة عند آبار الصبيحة على بعد ثلاثين ميلا جنوب الكويت قام عبد باغتيال ثويني واقترب سعود أمير الوهابيين بقواته فوقعت الحملة كلها في الفوضى والاضطراب أما القسم النظامي (غير البدو) من الحملة فلم يستطع أن يجد طريقه في الصحراء وتهدده العطش بالموت ، فاستسلم معظمهم للوهابيين . أما من كان مصيره الاستسلام لقبائل جنوب نجد الاكثر تعصباً مثل قحطان وعتيبه فقد قتل . وأدت الكوارث المتتابعة هذه إلى القضاء على سليمان باشا فمات في ٧ أغسطس ١٩٠٢ .

أما استسلام الأتراك عموماً لهذه الاستفزازات الخطيرة من جانب الوهابيين فلا يمكن فهمه إلا من حيث ارتباطه بوضعهم في اوربا الذي كان خلال الفترة من ١٧٦٨ إلى ١٨٠٨ في تدهور مستمر نتيجة أسباب خارجية في البداية ثم داخلية بعد ذلك (١) .

(١) في سنة ١٧٦٨ أعلن السلطان مصطفى الثالث الحرب برا وبحرا على كاترين امبراطورة روسيا . واستطاع الروس احتلال القرم ، وتوالت خسائر الاتراك ولم يوقفها الا عقد الهدنة التي تم بموجبها تقسيم بولندا . وفي سنة ١٧٧٣ نشبت الحرب مرة أخرى وظلت دائرة حتى صلح كوتشك ـ كينارجي في سنة ١٧٧٤ وأصبحت القرم بمقتضى هذا الصلح مستقلة عن تركيا ، وأصبحت آزوف وكيرتش وكنبورن تابعة لروسيا . وفي سنة ١٧٨٣ ضمت الامبراطورة كاترين القرم نهائيا الى روسيا ، وفي سنة ١٧٨٨ قامت النمسا وروسيا =

سعود بن عبد العزيز (١٨٠٣ - ١٨١٤)

تولى سعود إمارة الوهابيين بعد أبيه بغير معارضة لأن اباه عبدالعزيز كان قد عينه أميراً قبل موته . وكان سعود يمثل الحاكم الوهابي أصدق تمثيل من حيث إدارته ومن حيث حياته اليومية أيضاً ومن هنا اعتقد أن الحديث عنه وعن شخصيته -لهذه الأسباب- ليس خارج الموضوع (١(

شخصية سعود :

كان سعود رجلا وسيماً ، لحيته أطول من المألوف ، وكان شعر شاربه كثيفاً جداً حتى أطلق عليه لقب «أبو الشوارب» ، وكان صوته عميقاً هادئاً ونفاذاً . وكان ضليعاً في التشريع الإسلامي ، ومن حيث قدرته على تطبيق هذه الشرائع لم يتفوق عليه واحد من الأمراء الوهابيين ، وكان الناس يطمعون في عدله بقدر ما يرهبون قسوته . أما مشاعره العائلية وقوتها ، وصفاء عقله وإخلاصه لأصدقائه وتمسكه

= بهجوم مشترك على تركيا بهدف السلب والاتلاف . وفي ١٧٩١ عبرت الجيوش الروسية نهر الدانوب ، وفي ١٧٩٢ عقدت معاهدة جاسى التى انتقل بمقتضاها اقليم تفليس والاقليم الممتد بين القرم والدنياستر من تركيا الى روسيا . وبعد تولى الامبرطور بول في روسيا ظلت تركيا وروسيا كما هما في مواجهة قوات نابليون التى احتلت مصر التابعة لتركيا في سنة ١٧٩٨ . غير أن الانكشارية المتمردين ، وحكام الاقاليم غير المخلصين ، والرعايا المسيحيين الساخطين .. سرعان ما ساروا جميعا بالامبراطورية التركية في سبيل التدهور . وفي سنة ١٨٠١ تمردت الصرب على تسلط الانكشارية أولا ثم على السلطة التركية كلها فيما بعد ، وفي سنة ١٨٠٥ حدث هجوم جديد غير ناجح من قبل روسيا على تركيا التى أصبحت الآن حليفة لفرنسا ، ثم قامت قوات بحرية بريطانية بعملياتها على القسطنطينية ، وفي سنة ١٨٠٧ عزل الانكشارية السلطان سليم الثالث ، وخلال مدة حكم السلطان محمود الثانى الذى خلفه (١٨٠٨ - ١٨٣٩) توقف بعض الشيء انحلال الامبراطورية التركية .

(١) المصدر الرئيسى هنا هو بيركهارت بطبيعة الحال ، وكتابه القيم : « توطئه لتاريخ الوهابيين .. » وهو كنز حقيقى للدارسين المهتمين بالموضوع .

بكلمته فقد كانت كلها فوق مستوى الريب ، لكنه كان ضيق الصدر دائماً . ولا يستطيع أن يتحمل الخديعة وذا طبع متقلب كثيراً جداً . وكان يلبس أبسط اللباس ومسلكه متواضع وقد أبطل كل الاحتفالات والمظاهر واستبدل ذلك بكرم ضيافة اشتهر عنه . وكان سعود في شؤونه الشخصية العائلية معتدلا ومقتصداً إلى أبعد الحدود ، وان كان البعض يتهمه بالجشع وحب الثراء خاصة بعد نهب كربلاء ومدن الحجاز ، وبأن دوافعه لمصادرة الأموال والممتلكات كانت تختلط فيها الحماسة لتطبيق الشريعة بالمصالح الشخصية . وتمثل مظهر إسرافه الوحيد في الخيول التي كان يملك أجمل مجموعة عربية أصيلة منها . فقد كان يحتفظ في الدرعية بأكثر من ثلاثمائه او أربعمائه منها غير الموجود في الأحساء ، كما كان لديه أيضاً مجموعة من أحسن الجمال الصالحة للركوب . وقد قيل إن سعود اشترك في معركة أيام أبيه وهو في الثانية عشرة ، وكان في شبابه يقوم دائماً بأدوار هامة في القوات الوهابية وكان كثيراً ما يقودها . لكنه بعد أن تولى الإمارة لم يعد يعرض نفسه لهذا الخطر في الميدان حتى بدأت الشكوك تسري بين الناس حول شجاعته . فقد ظل بعد اغتيال أبيه يرتدي سراً درعاً حديدية تحت ثيابه ، وأثناء زياراته لمكة كان يحيط نفسه بإجراءات أمن غير عادية ، وفي الدرعية نادراً ما كان يخرج من بيته إلا في يوم الجمعة ، وطوال مدة حكمه كانت مقابلته شخصياً أمراً بالغ الصعوبة . كما كشف أيضاً عن شيء من عدم الثقة بأخوته ، ولم يول أياً من أبنائه سلطة ما إلا ابنه عبدالله لكنه استعان بهم كثيراً في عملياته العسكرية .

الادارة العامة للامير الوهابي :

ولم يكن وضع سعود أبداً وضع الحاكم اوالملك المطلق .. لكنه كان أقرب لأن يكون شيخاً كبيراً من شيوخ العرب يحكم مستمداً مبررات حكمه من نفوذه الذي يدع للأفراد قدراً كبيراً من الحرية بمعنى أنه لم يكن يستطيع أن يتجاهل آراءهم ورغباتهم ، وكانت سلطة الامير تتجاوز سلطات الباقين لا لشيء إلا لأنه كان يعتبر تجسيداً لمذهب

الوهابيين وكان الناس لهذا السبب يخضعون له بارادتهم . وكان الامير حريصاً قدر الطاقة على توفير السلطة الوراثية للعائلات المخلصة في ولائها للدعوة الوهابية ، أما غير المخلصين فقد كان يقضي على نفوذهم بأن ينقل كبارهم إلى الدرعية ويجعل مكانهم الأغراب . وفي معظم الأحيان كان المعينون في وظائف السلطة يتم انتخابهم محلياً ويصدق الأمير على هذا الانتخاب فقط . وكانت منطقة نفوذ الوهابيين مقسمة إلى أقاليم أهمها خلال عهد سعود الأحساء والقصيم وجبل شمر والحرمين (مكة والمدينة والحجاز باستثناء الأماكن المقدسة وحتى جنوبي الطائف) واليمن ، والبحرين ، وقطر ، وربما عمان أيضاً . وكان المسئولون في هذه الأقاليم باستثناء الأحساء التي اتخذها سعود قاعده له وعاصمة وجعل حكمها في يده كانوا يقومون بمهام الحكومة المحلية ، وكانوا كلهم بمن فيهم الشريف غالب في مكة من الروساء ذوي النفوذ المنحدر اليهم بالوراثة ، وتنحصر أعمالهم بالاضافة لمسئوليتهم في الرقابة السياسية في جمع الضرائب وتجهيز قوات عسكرية بالقدر الذي تطلبه الحكومة المركزية . أما القانون وتطبيق العدالة فلم يكونا من عمل هؤلاء بل عمل القضاة الذين يتم اختيارهم اختياراً دقيقاً في الدرعية وارسالهم إلى حيث يمارسون عملهم في الأقاليم . وبالنسبة لتعيين لهؤلاء كما هو بالنسبة للحكام أيضاً كان لا بد دائماً من موافقة الأمير . وفي أوقات السلم كان سعود يلتزم بنصيحة أسرة مؤسس المذهب الوهابي المعروف باسم «اولاد الشيخ» التي كانت في الحقيقة بمثابة مجلس غير رسمي للدولة .

ميل الحكومة الوهابية إلى الاصلاح في الداخل :

وكان اتجاه حكومة نجد ونظامها يعتبران بالنسبة للحكومات قبلها متحضرين كثيراً . فقد كان تطبيق الشرع وسيادة النظام من بين أهداف الحكومة فضلا عن القضاء على الحروب المحلية والنزاعات الشخصية ، وابدال هذه بعقوبات توقعها الدولة او بتعويضات تدفعها ، وقد استخدم منتهى القسوة في تنفيذ هذه الأهداف حتى يمكننا

القول بأن الحرية المطلقة التي كان يمارسها العرب في تسوية خلافاتهم ونزاعاتهم انتهت ووضعت حولها قيود إلى شديدة . وكانت مسئولية القضاء على الجرائم لا سيما النهب والسرقات ملقاة على عاتق الحكام المحليين ويحاسبون عنها حاباً عسيراً . فكثيراً ما كان يوقع العقاب بكل من فشل في منع ارتكاب الجرائم قبل وقوعها وحاول أمير الوهابيين أيضاً بالترغيب عن الطلاق رفع المستوى الخلقي بين رجاله . وكان جانب كبير من هذا النظام منفراً للبدو الذين اعتادوا أن يعيشوا على النهب والسلب ، ولا بد أنهم سخطوا أشد السخط على هذه البدعة الجديدة التي تقضي بنبذ الاعراف القديمة الخاصة بالجماعة القبلية وما البها(١) .
وكان هذا الأمن الذي بسطه الحكم الوهابي خيراً على أهل المدن، زغم أن هؤلاء أيضاً كانت لهم شكاواهم . وعلى أي حال، فيبدو أن معظم الرأي العام كان يؤيد الأمير في إصلاحاته . كانت العقوبات قاسية ، لكنها كانت في معظمها مفيدة للخزانة العامة لأنها كانت تأخذ شكل الغرامات المالية وكانت عقوبة الإعدام موجودة لكنها كانت نادرة ولا تطبق إلا في حالة القتل عمداً باستخدام السلاح . أما بالنسبة للرجال ذوي المكانة فقد كانت اقسى العقوبات هي حلاقة اللحية ، وكانت تدفع غرامات مالية ضخمة لتلافي هذه العقوبة المهينة .

الجوانب الدينية في الإدارة :

وتميزت الإدارة على وجه العموم بدرجة أقل من التعصب الديني الذي كان متوقعاً من القائمين بالإدارة ، فبعد السنوات القليلة الأولى لم يعد أحد يحرم تدخين التبغ في الحلوه حتى في نجد ، وبعد ١٨١٠ حين فشلت الجهود لمنع الاتصال «بالكفرة» ، انتظمت مرة أخرى خطوط التجارة مع العراق والشام . لكن إقامة الصلوات الخمس كانت أمراً

(١) بالنسبة لقوانين الحماية القبلية انظر : بيللى : « رحلة الى عاصمة الوهابيين في الرياض .. » الملحق (١٣) .

يحرص على الالتزام به وتنفيذه حتى لو استدعى الامر الضرب بالعصي.
وكانت سياسة سعود التجارية سياسة متحررة ، ورغم منعه الربا إلا أنه لم يكن يتدخل في شئون من كانوا يجلبون بضاعتهم رخيصة ويبيعونها بأغلى الأثمان حتى في أوقات القحط والندرة .

النظام المالي في الحكومة الوهابية :

وكانت الادارة المالية في حكومة الوهابيين بسيطة الاجراءات وفعالة . وكانت أملاك الدولة هي المصدر الرئيسي للعوائد وهى وتتكون أساساً من أراضي المتمردين وسواهم من المجرمين التي كانت تصادرها الدولة ، وكثيراً ما كانت تعاد لاصحابها الأصليين يستأجرونها في مقابل نصف أو ثلث المحصول . وكانت هذه الأملاك كثيرة ممتدة فهي تشمل في القصيم على سبيل المثال معظم الارض الصالحة للزراعة . وكان المصدر الثاني للعوائد هو الزكاة أو الجزية وكانت تجبى من مختلف الناس حسب النصوص التي حددها القرآن فكانت الارض غير المستصلحة تدفع عشر محصولها والأرض المستصلحة تدفع جزء من اثنى عشر منه من غلتها ، ويدفع (١) التجار نسبة ٢,٥٪ من رأسمالهم ، ويقسمون على قيمة رأس مالهم الذي تقدر عليه الزكاة —وكان خمس الغنائم التي يحصل عليها من الحروب مع «الكفرة» تخصص للأعمال العامة ، والباقي يوزع على أفراد القوة التي اشتركت في الحرب . وفي السنوات الأولى للوهابيين حين كانت حروبهم ناشبة في الحجاز واليمن والعراق وساحل الخليج في وقت واحد كانت هذه الغنائم مصدراً هاماً لخزانة الدولة لا شك فيه . كما أن مختلف الغرامات التي كانت تفرض كانت تعود بدخل لا بأس به على الخزينة العامة ، وكانت تحصل من البدو عيناً في صورة خيول ومواش وأغنام .

وكل هذه العوائد باستثناء زكاة البدو التي كانت تدفع لأمير الوهابيين مباشرة ويبقيها لنفقاته الشخصية كانت تجمع مع الاحتياطات الكثيرة ضد الرشوة والاختلاس ، وتحمل إلى بيت المال أو الخزانة

---

(١) هكذا وردت في الاصل الانجليزى وهكذا لم يوفق المؤلف في تظاهره بمعرفة الاسلام

العامة_ الموجودة في كل إقليم ، ومن هذه الأموال التي تدخل إلى بيوت المال المختلفة كان يحمل الربع من كل منها لبيت المال العام في الدرعية وينفق الباقي على الأغراض العامة المحلية . ولم يكن المبلغ الإجمالي الذي يصل الخزانة العامة من هذا الربع يتجاوز مليون روبية كل سنة ، لكنها وصلت في إحدى سنوات حكم سعود كما يقال إلى مليوني دولار . ومن هذه الخزانة العامة كانت تدفع التعويضات للوهابيين الذين لحقت بهم الخسارة على أيدي العدو ولمن بحاجة إلى العون بسبب فقدان ماشيتهم بفعل الحوادث أو المرض ، ولكن في عهد سعود كانت هذه النفقات تعادل جزءاً قليلا من الدخل ، فلا جرم كان هناك وفر مدخر في الدرعية . وكانت زكاة البدو التي كانت تجمع منهم في ربيع كل سنة حول أماكن المياه تقدم للامير مباشرة وتتكفل بنفقات سخائه ومرتبات حرسه ، ونفقات الأقارب والضيوف الذين ينالون الطعام على موائده والذين كان يقدر عددهم بين ٤٠٠ و ٥٠٠ نسمه كل يوم ، وبلغت نفقات الحرس الخاص مبلغاً لا يقل عن ١٠ آلاف جنيه استرليني .

وكان من أبرز مظاهر نظام الوهابيين منع اغتصاب المال او قبول الهدايا الإجبارية بأى شكل حتى إن أسوأ اتهام وجّه للأمير سعود هو أنه كان يتحايل ليصادر املاكاً هو شخصياً طامع فيها . ولم تكن لحاكم الوهابيين عملة خاصة بل كان الريال هو العملة المستخدمة في نجد أما العملة التركية فكان يرفض تداولها دائماً بزعم أنها مزيفة .

نظام الوهابيين العسكري :

كانت الحرب تدار وفق التقاليد البدوية المعروفة ، فباستثناء حرس الأمير الذي يتقاضى رواتب ، وكان عددهم يبلغ حوالي ٣٠٠ رجل ، عدا أبنائه وأتباعهم فلم يكن ثمة جيش نظامي ثابت ، لكن كل الذكور من ١٨ إلى ٦٠ سنة كانوا يعتبرن جنوداً في الدولة عليهم أن يؤدوا الخدمة العسكرية حينما يطلب اليهم ذلك ، وأحياناً كان يستدعى

بعض جنود الإقليم فقط . وأحياناً أخرى كان يستدعى الجنود جميعاً ، وكانت الغرامات الباهظة تفرض على هؤلاء الذين يهربون أو يختفون بعد استدعائهم . وربما كانت هذه الخدمة العسكرية الإلزامية في الميدان هي السمة المنفرزة من حكومة الوهابيين وعلى الأقل لدى سكان المدن المستقرين ، وكان الأمر شديد الوطأة على أصحاب الخيول فباعوها حتى أصبح عددها في نجد أقل مما كان عليه كثيراً ، وكان حملة البنادق من أهل المدن والقرى هم الذين قاموا بدور رئيسي في مذبحة كربلاء ، وكان يطلب من الجندي الوهابي المتجه إلى ميدان القتال أن يقدم إضافة لسلاحه وفرسه أو جمله مساهمة في الحملة حددت بمائة رطل من الدقيق و ٥٠ أو ٦٠ رطلا من التمر ، ٢٠ رطلا من الزبد ، وغرارة من القمح أو الشعير لدابته وقربة ماء . وكان النظام العسكري الوهابي ملائما للغزوات والغارات ودوريات الاستطلاع ، لكنه لم يكن يسمح باحتلال دائم في أرض أجنبية ، وفي الحقيقة إن الوهابيين لم تكن لهم حامية من الجنود ترابط لمدة طويلة في مكان خارجي إلا في المدينة . وكان الوهابيون متفوقين في القيام بالغارات السريعة المدمرة على أعدائهم ويعتمدون عليها لتحطيم معنوياتهم . وكان هذا يتم دائماً بسرية وحرص شديدين ، فلم يكن القائد يخبر رجاله بوجهة الحملة ، بل إنه كان يتعمد السير في اتجاه خاطىء . وفي الغزوة الوهابية التي اجتاحت حوران في الشام سارت قوات الوهابيين مدة ٣٣ يوماً متواصلة قبل أن تصل هدفها ، ودمرت في طريقها قرى كثيرة ، ولم يكن أمام باشا دمشق غير مهلة يومين لاتخاذ الترتيبات الدفاعية ضدهم . وكانت شجاعة الوهابيين في القتال مستمدة من إيمانهم بأن من يقتل منهم فهو شهيد في الجنة ، وكان من المشين لاي منهم أن يتراجع عن القتال .

وفي العمليات العدائية التي تمت في الحجاز خلال الفترة الأخيرة من حكم سعود لم يحدث مرة واحدة أن انقذ رجل وهابي حياة جندي

تركي واحد . ومن الناحية الاخرى فاذا قدم للرجل «الامان» سواء كان أماناً عاماً يشمل الروح والمال او كان يشمل الروح فقط فقد كان يتم الالتزام به التزاماً دقيقاً . كما كانوا يحترمون دائماً أعراض النساء .

وقد ذكرت هذه التفاصيل كلها لأنها هي التي تضع تاريخ الوهابيين في سياق معقول . ومن المحتمل ان هذا النظام الوهابي الذي كان مطبقاً على عهد سعود يعتبر حتى اليوم النظام النموذجي للحكم الوهابي .

★ ★ ★

التاريخ الداخلي لنجد ١٨٠٣ ــ ١٨١٤

يبدو أن نشاط الوهابيين العظيم خارج حدودهم على عهد أميرهم سعود قد حجب احداثاً كثيرة وقعت في نجد ، ثم إن العداء والانغلاق المتبادلين بين أهل نجد وجيرانهم ساهما في القاء مزيد من الغموض على الشئون الداخلية في وسط الجزيرة . وقيل إن تمرداً داخلياً لا نعرف زمانه او مداه على وجه التحديد قد حدث في إقليم حريق لكنه قمع بسرعة . وفي سنة ١٨٠٨ ضرب نطاق من السرية على ما يدور بالداخل لمدة سنتين أو ثلاث. وفي ١٨٠٩ أضاف الوهابيون إلى أملاكهم واحة الجوف ــ الأمير الشمالية لأن باشا دمشق كان قد قام بمحاولة لم يقدر لها النجاح لإعداد حملة على هذا المكان . ومات سعود بالحمى في الدمام في ربيع سنة ١٨١٤ ، وتاريخ موته على وجه التحديد مختلف عليه لكنه بين ١٠ و ١٧ إبريل ، ويقدر عمره وقت وفاته بثمانية وستين عاماً (١) .

---

(١) يحدد بيركهارت عمره بين الخامسة والاربعين والخمسين ، لكن هذا لا يتفق مع قوله ان أحد أبناء أصغر أبناء الامير قدم اليه أثناء احدى زيارته لمكه .

أعمال الوهابيين في غربي جزيرة العرب
١٨٠٣ ـ ١٨١٤

الوهابيون يسيطرون على المدينة ١٨٠٤ :

أكمل الوهابيون فتح الأقاليم التركية على البحر الإحمر بقيادة سعود بن عبدالعزيز ، فاستسلمت المدينة بعد حصارها في ربيع سنة ١٨٠٤ وعومل أهلها بقسوة شديدة لميلهم إلى الأتراك ، فرغم احترام ملكيات الناس الخاصة إلا أن الجزية فرضت عليهم ـ كما فرضت من قبل على أهل مكة يدفعونها لأمير الوهابيين . وطرد ممثل تركيا من المكان ، ووضع أحد شيوخ قبيلة حرب حاكماً بدله ، واستولى الوهابيون على الكنوز الموجودة في قبر النبي محمد أو على تلك التي لم يقتسمها أهل المدينة قبل استسلامهم ، بل وقاموا بمحاولة لهدم قباب القبر نفسه أيضاً(١) وقد كان نهب قبر النبي محمد عملا خاطئاً وقصير النظر ، لأنه ملأ العالم الإسلامي كله بالفزع .. ولأنه أيضاً قد باعد بين السنين وبين تبني قضية الوهابيين تماماً كما باعدت مذبحة كربلاء بينهم وبين الشيعة .

وفي نفس السنة قام ابو نقطة أكبر شيوخ عسير باجتياح منطقة اليمن باسم الوهابيين من قنفده إلى بيت القاضي ، ونهب موانى لاهية والحديدة وأعاد عمله هذا وبنفس الطريقة غير مرة واحدة خلال السنوات الثلاث أو الأربع التالية . ولكن لم تبذل أية محاومة للاستيلاء على صنعاء وربما كان ذلك لأن أمير الوهابيين كان يتلهف على تأجيل هذا العمل كي يشارك بنفسه في غنائمه وأسلابه .

---

(١) حسب ما يذكره الرائد روس فان محاولة هدم قباب القبر لم تحدث الا في سنة ١٨١٠ حين قام الامير نفسه بزيارة المدينة .

الوضع العام على الساحل الغربي للجزيرة ١٨٠٤ – ١٨٠٨ :

وتحت حكم الوهابيين ساد الهدوء الأقاليم التي فتحوها على البحر الأحمر ، ولما كان الاتصال بينها وبين نجد لا قيد عليه ، واتصالها بمصر أيضاًغير مقطوع ، فقد كانت السلع متوفرة بها بأسعار رخيصة . لكن التجارة الخارجية بقيت عموماً على ما هي عليه نتيجة التعرض للحجاج وتقلص تجارة الأجانب بالتالي . وقد بدأ نفوذ الشريف غالب شريف مكة الذي كان يحول دائماً بين الوهابيين وممارسة السلطة ممارسة كاملة يتقلص لكنه ظـــل قوياً في كل مكان خاصة في جده ، وكانت سمعته من القوة بحيث لم تتح للوهابيين أية فرصة ينتهزونها للتعرض له . وبنجاح الشريف غالب في إقناع سعود بأن يوقف الدعاء لسلطان تركيا في المساجد في صلاة الجمعة تفاقمت الخلافات العميقة القائمة بالفعل بين الباب العالي والوهابيين ، وقد كان الوهابيون ينظرون بامتعاض شديد إلى مواكب الحجاج المنظمة الكبيرة التي كان يشرف عليها المسئولون الأتراك في دمشق والقاهرة ، فضلاً عمّا يأتي من اليمن وإيران .

معاملة الوهابيين للحجاج ١٨٠٢ – ١٨١٠ :

وكان الوهابيون أنفسهم يؤدون فريضة الحج بخشوع، وكان أميرهم يؤديها في معظم السنوات ، ولم يكن لديهم اعتراض على الحج نفسه بطبيعة الحال ، ولا حتى اعتراض على زيارة المدينة لكنهم كانوا يسخطون وتتأذى مشاعرهم لكثير من الأعمال والبدع التي يقوم بها كثير من الحجـــاج ، كما أنهم كانوا يعترضون قطعاً على تدخـــل الحكومة التركية «الكافرة» في شئون الحج . وفي سنة ١٨٠٢ أصبح حجاج دمشق يجدون صعوبة كبيرة في الوصول إلى مكة ، وأرغموا في سنة ١٨٠٣ على أن يرجعوا قبل الوصول إلى المدينة(١) ، وتوقف حجاج

---

(١) يحدد كورانسيز في كتابه « تاريخ الوهابيين .. » سنة ١٨٠٦ (لا ١٨٠٣) على أنها هى التى أرجعت فيها قافلة الحجاج .

مصر وإيران أيضاً في سنة ١٨٠٢ أو ١٨٠٣ ، وفي هذه السنة الأخيرة لم يسمح الوهابيون بتقدم «المحمل» القادم من مصر عن طريق البحر إلى أكثر من جدة حيث أنزل هناك . وفي سنة ١٨١٠ سمح سعود لموكب حجاج من المغرب وشمال إفريقيا بزيارة مكة نظراً لما هو معروف عن المغاربة من تدين . لكن السلطات الوهابية في الحجاز لم تكن أبداً تمنع الأفراد الذين يريدون تأدية مناسك الحج كما يؤديها الوهابيون .

وفي سنة ١٨٠٥ أصبح محمد علي باشا والياً لمصر(١) ، فاتخذ إجراءات لاسترجاع الحجاز باسم سلطان تركيا ، وفي نفس السنة ارسل حوالي ٤٠٠ أو ٥٠٠ جندي يقودهم شريف باشا إلى جده ، حيث أقام هناك حاكماً لها غير أنه مات هناك ، وظلت وظيفته شاغرة .

---

(١) كان محمد علي جندنيا البانيا عصاميا حالفه الحظ .
وقد بدأ ابنه أبراهيم باشا ـ الذى تعتبر بعض الروايات أنه ليس ابنه حقيقة بل ابنه بالتبنى فقط بسلسلة ناجحة من الحروب في أوربا بعد حملته على نجد ، وفي سنة ١٨٤٨ أصبح ابراهيم حاكما لمصر بدل أبيه لمدة شهرين ، وقد مات قبله . والخديوى عباس حلمي الثانى خديوى مصر هو حفيد ابراهيم باشا الاكبر من ناحية الاب .

أما طوسون ـ ابن محمد على الثالث (أو الثانى) فقد مات بالطاعون في روزيتا سنة ١٨١٦ قبل أن تنقضى سنة واحدة على عودته من نجد ، وكان عباس الاول ـ الذى حكم مصر من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٥٤ ابنه ، لكننا لا نستطيع أن نجد في هذا الرجل الشهوانى الضيق الافق اى شبه بطوسون في جنديته وعسكريته .
ومنذ تولى محمد على حتى سنة ١٨٤١ كانت مصر عمليا مستقلة عن الباب العالى ، وكانت بالفعل أقوى ـ سواء في البر أو في البحر ـ من كل الاجزاء الباقية من الامبراطورية التى كان مفروضا أن تتبع لها ، ولهذا فضرورى أن نؤكد أن الحملات على وسط الجزيرة والاحتلال في ١٨١٥ ـ ١٨١٨ و ١٨٣٥ ـ ١٨٤١ كانت مصرية وليست تركية . ويجب أن نذكر أيضا أن ما كان يسمى بالقوات المصرية انما كان يضم خليطا من الالبان والليبيين والبدو .. الخ مع عدد من الترك بطبيعة الحال .

وسقطت السويس في يد محمد على سنة ١٨٠٥ ، والقصير في سنة ١٨٠٨ . وحين أعلن محمد علي إغلاق هذه الموانى في وجه تجارة الحجاز ، وكان أهل هذا الإقليم يعتمدون في غذائهم على ما يأتيهم من مصر ، فقد قام أهل الإقليم أنفسهم على الارجح بطرد الوهابيين من ارضهم . ربما احتراماً للأماكن المقدسة . وربما لكراهيتهم الإضرار بتجـــارة الصادرات المصرية . فتجاهل محمد علي هذه الفرصة وأجل استعادة الحجاز حتى يكون في مركز ييسر له استعادته بقوة السلاح . ولم تبدأ استعدادات الباشا لهذا العمل إلا في نهاية سنة ١٨٠٩ ، ومن الناحية الأخرى لم تكن المشاكل في الداخل قد انتهت إلا حين قُضِي على تمرد المماليك وانتهي من امرهم نهائياً في سنة ١٨١١ . وحين بدأ ، كانت استعداداته شاملة ومنظمة ودقيقة ، فقيل إنه بعد الحملة أعد اسطولا كبيراً لنقلها من السويس ، وأعد لها سلسلة من المواقع مجهزة بالحاميات على طول البحر الأحمر نزولا حتى ميناء الوجه ولم تكد تترامى إلى اسماع الشريف غالب نوايا محمد علي حتى بادر إلى الاتصال به .

احتلال القوات المصرية ينبع وصدها عن المدينة ١٨١١–١٨١٢ :

وعهد محمد علي بقيادة الحملة إلى إبنه طوسون بك الذي كان ما يزال شاباً في الثامنة عشرة لكنه أثبت شجاعته وكفاءاته في حروب المماليك . ووصل طابور المشاة الذي كان يضم عدداً يتراوح بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ جندي الباني إلى ينبع عن طريق البحر في أكتوبر سنة ١٨١١ ، واستسلم هذا الموقع ـ الذي كان فيه حامية للشريف غالب باسم الوهابيين لا يزيد عددها عن مائة جندي ـ بعد مقاومة ضعيفة دامت يومين فقط . وبعدها باسبوعين وصل طوســـون بك وطابور الفرســـان الذي كان يضم حوالي ٨٠٠ فارس بعضهم من الأتراك وبعضهم من البدو ولم يجد أية مقاومة في طريقه برأ . وحين كان الشريف غالب يبحث عن الاعذار التي يستطيع بها أن يؤيد أحد الطرفين

تقدمت القوات المصرية من ينبع عن طريق التلال الى المدينة .. لكنها حين كانت تعبر مضيقاً بالقرب من قرية جديد فاجأتها قوات ضخمة من الوهابيين كانت قد وصلت لتوها من نجد ، ولا تعرف القوات المصرية عن امرها شيئاً . واستطاعت أن تحتل الجبال المشرفة على هذا المضيق بهمة وسرعة . وكانت النتيجة كارثة محققة للقوات الغازية التي خسرت ٤ مدافع و ١٢٠٠ رجل و ٢٠٠ فرس ، وكل أمتعتها المحمولة على ظهور الجمال . لكن شجاعة طوسون بك شخصياً هو والأغا ابراهيم ـ وهو الاسم الجديد لتوماس كيث ـ(١) استطاعت أن توقف الوهابيين عن مطـــاردة فلول القوات المهزومة حين تصدّت لهم بفرقة من الفرسان المصريين . وحين عرف الشريف غالب بما حدث سار بنفسه لينضم إلى الوهابيين لكن هؤلاء كانوا قد عادوا إلى الداخل وتركوا قبيلة حرب مسئولة عن مراقبة ينبع .

القوات المصرية تستولي على المدينة ١٨١٢ :

وفي أكتوبرسنة ١٨١٢ ، وبعد أن وصلت إلى طوسون بك إمدادات ضخمة من مصر وبعد أن استطاع أن يضم اليه بعض قبيلة حرب ، وبعد أن اتصل به الشريف غالب ليعرض عليه ما سبق أن عرضه من استعداده لأن يسلم مكة وجده للقوات المصرية إذا تم استيلاؤها على المدينة قد تقدم طوسون بك مرة ثانية نحو المدينة ، ولم يلق هذه المرة أية مقاومة في طريقه لكن المدينة نفسها التي أخلاها الوهابيون من أهلها ليحتلوها استطاعت أن تقاومه مدة أربعة عشرة أو خمسة عشرة يوماً ، واخيراً استطاع المحاصرون إحداث ثغرة في سور المدينة بواسطة زرع الالغام لأن مدفعيتهم كانت خفيفة لا تيسر مثل هذا العمل . واندفعوا يتقدمهم توماس كيث إلى الداخل حيث استطاعوا أن يقتلوا أكثر من الف رجل

---

(١) توماس كيث كان في الاصل مواطنا من أدنبرة وجنديا في الفرقة ٢٧ هاى لاندرز ، لكنه أسر في مصر ، فأسلم واستطاع ـ بعد مغامرات طويلة غريبة ـ أن يصبح كبير أغوات طوسون بك .

من الوهابيين الذين بوغتوا بهذه المفاجأة . ونهب الغزاة المدينة . وظل بالقلعة التي حوصرت لمدة ثلاثة أســـابيع حوالي ١٥٠٠ وهابي اضطروا أخيراً بعد نفاذ المؤونة والذخيرة للاستسلام بموجب شروط مناسبة . لكن القوات المصرية خرقت هذا الاتفاق فقتلت منهم أكبر عدد استطاعت أن تقتله وأثارت بذلك موجة من العطف بين البدو على الوهابيين ، وجمعت القوات المصرية جماجم الوهابيين وأقامت منها برجاً على طريق ينبع كان ما يزال جزء منه باقياً سنة ١٨١٥ ورآه الرحالة بيركهارت .

القوات المصرية تحتل مكة وجدة والطائف ١٨١٣ :

وبعد سقوط المدينة تقدمت قوة من ١٥٠٠ رجل يقودها مصطفى بك صهر محمد علي من ينبع إلى مكة ، وكان الشريف غالب يؤيد هذا التقدم ، وكان القائد الوهابي المحلي وهو صهر الشريف غالب ، عثمان المضايفه أضعف من أن يعارضه . وفي يناير سنة ١٨١٣ دخلت القوات المصرية مكة واحتلت فرقة أخرى جدة في نفس الوقت ، وبعدها بأسبوعين سقطت الطائف التى تبعد حوالي ٢٦ ميلا شرقي مكة — بين أيدي مصطفى بك يعاونه الشريف غالب بعد مناوشات خفيفة مع عثمان . ومن الطائف تقدم مصطفى بك إلى «ترابه» شرقي الطائف لكنه هزم في الهضاب القريبة منها واضطر للرجوع بعد أن فقد ٤٠٠ أو ٥٠٠ من رجاله . ووصل طوسون بك الذي أصبح الآن باشا جده إلى مكة حاجاً في شتاء هذه السنة ، وفي سبتمبر ١٨١٣ أسر عثمان المضايفة بالقرب من الطائف وأرسل إلى القسطنطينية حيث ضرب عنقه .

وصول محمد علي إلى الحجاز وعزل الشريف غالب ١٨١٣ :

وفي ٢٨ أغسطس سنة ١٨١٣ وصل لجده محمد علي بعد أن صدرت اليه أوامر صريحة من الباب العالي بالسير شخصياً إلى الحجاز فخشي أن يفقد باشوية مصر إن لم ينفـــذ هذا الامر . وكانت تصحبه قوات قوامها ٢٠٠٠ جندي من المشاة ، و لحق به عن طريق البر طابور

فرسان أيضاً يضم ٢٠٠٠ فارس و ٨٠٠٠ جمل للنقـــــل . وكان أول ما فكر فيه محمد علي هو مشكلة توفير الإمدادات والتموين لقواته ، وكانت هذه قد أصبحت مشكلة حادة فقد كانت الحاميات التركية الموجودة في مكة والطائف تعتمد على ميناء جدة لإمدادها بحاجياتها ، وكان النقل قليلا وبطيئاً لا يستطيع إمدادها بما تريد بسرعة . ولكي يضع محمد علي حلا لهذه المشكلة استولى على كل السفن الموجودة في جدة وينبع واتخذ إجراءات لاستئجار عشرين سفينة من السيد سعيد سلطان مسقط لمدة سنة . وبسرعة ، ارتاب محمد علي في نوايا الشريف غالب ، وكان لذلك سببان : الأول فشله في أن يقدم لمحمد علي الجمال التي طلبها منه لاستخدامها في النقل ، والثاني أنه كان واضحاً أن العرب ينظرون إلى الشريف غالب على أنه الذي يحميهم من الوهابيين والمصريين على السواء . وأدت شكوك محمد عـــــلي قبل مضي وقت طويل إلى القبض على الشريف غالب بحيلة ذكية فقام بنفيه إلى القسطنطينية حيث مات بالطاعون في سالونيك سنة ١٨١٦ لكن تأثير هذا العمل على المستوى المحلي كان سيئاً فقد أدى إلى انتقال كثير من الشخصيات العربية ذات النفوذ إلى معسكر الوهابيين ، ومن بين هؤلاء راجح قريب الشريف غالب الذي عينه أمير للوهابيين ممثلا له في الحجاز بدل عثمان .

حملة فاشلة لطوسون باشا على ترابه ١٨١٣ :

وكانت هذه هي الصورة العامة للأمور حين قرر محمد علي في أواخر أكتوبر أو أوائل نوفمبر سنة ١٨١٣ إرسال حملة على «ترابة» حيث كان راجح قد جعل مقر قيادته وحيث التف كثير من أنصار الشريف غالب حوله . ونجح الباشا في أن يحصل على بعض الإمدادات من الطائف ، وأمر ابنه طوسون باشا بالتقدم من الطائف إلى ترابه ومعه قوة من ٢٠٠٠ رجل وإمدادات تكفي لثلاثين يوماً . لكن هذه القوة تعطلت في طريقها بعد اشتباك مرهق في منطقة جبلية مع قبيلة عتيبه ، وكادت امداداتهم أن تنفذ ولم يقتربوا من ترابة بعد . وفي ترابة كانت تعيش قبيلة البقوم.

وتنزعمها امرأة مسنة تدعى غالية كان الأتراك يعتبرونها عرافة ساحرة . وبعد محاولة واحدة فاشلة للهجوم على ترابه صدرت الأوامر للقوات المصرية بالتراجع ، وخلال مطاردة العدو التي استمرت اربعة أيام في طريق الانسحاب إلى الطائف فقدت القوات المصرية حوالي ٧٠٠ رجل ، وفي هذه المرة كالسابق أيضاً انقذت القوات المصرية من الإبادة الكاملة بشجاعة طوسون نفسه ومساعده القائد الاسكتلندي .

ولما كانت الطائف هي الموقع الوحيد الذي يمكن اتخاذه قاعدة للقيام بعمليات أخرى كان لا بد بالتالي من جعلها أيضاً مركز تموين وامداد ، وكان هذا غاية في العسر . فمن بين الثمانية آلاف جمل التي ارسلت من مصر لم يبق أكثر من ٥٠٠ في الحجاز بعد ثلاثة أشهر ، ومن كل هذه البلاد الشاسعة لا يمكن جمع أكثر من ٥٠٠ جمل مرة واحدة ، وإلى جانب ذلك فالطريق بين جده والطائف طريق غير مأمون تتهدده دائماً غارات الوهابيين ومباغتاتهم ، والحرس والسائقون الذين يصحبون أية قافلة إمدادات لا بد سيستهلكون أكثر من ثلثها في الطريق . وهكذا ظلت القوات المصرية متوقفة تماماً عن عملياتها خلال شتاء ١٨١٣–١٨١٤

اعادة فتح طريق الحج ١٨١٢ – ١٨١٣ :

ويبدو أن قافلة منظمة من الحجاج المصريين وصلت مكة في نهاية سنة ١٨١٢ ، ولكن في نوفمبر سنة ١٨١٣ فقط جاءت للمرة الأولى منذ سنة ١٨٠٢ قافلة الحجاج من الشام وتقدمت في أمان إلى الأماكن المقدسة يترأسها سليمان باشا ، وفي الطريق أضطر الباشا أن يرضخ لطلبات البدو الملحة في أن يمنحهم اعطياتهم عن السنوات العشر التي توقف فيها الحج ، وجاء أيضاً حجاج كثيرون من آسيا الصغرى وتركيا الاوربية إلى الحجاز عن طريق السويس فجدة ، وفرح أهل مكة بالرخاء الذي عاد اليهم بعد انقطاع .

أعمال الوهابيين في شرق الجزيرة
١٨٠٣ ـ ١٨١٤

ترد تفاصيل أعمال الوهابيين في شرق الجزيرة على عهد الأمير سعود ضمن التواريخ المستقلة الخاصة بتلك الامارات وبشكل خاص البحرين وعمان المتصالحة وسلطنة عمان . وهنا يكفي أن نشير إشارة عامة إلى أعمالهم هناك .

أعمال الوهابيين في الكويت :

في سنة ١٨٠٨ رفض عتوب الكويت دفع الجزية وكان موقف أميرهم من الوهابيين هو التجاهل والإهمال فسارت اليهم حملة وهابية ضخمة لكنها رجعت عن مدينة الكويت وقد تكبدت خسارة كبيرة ورحب باشا بغداد بهذا العمل ولم يخف سروره فأرسل لشيخ الكويت خلعه تكريمية وهدايا أخرى ، وفي العام التالي أصدر أمير الوهابيين لتغطية هزيمته السابقة اوامره إلى العتوب ،في البحرين والقواسم في رأس الخيمة وسيد مسقط لإعداد حملة بحرية على الكويت والبصرة ، لكن القواسم فقط هم الذين أبدوا استعدادهم لإطاعة الأوامر ، وحتى هؤلاء لم يعملوا شيئاً .

نشاط الوهابين في الكويت والاحساء وقطر :

وقد حاول سعود كثيراً في أوائل حكمه أن يؤكد السيطرة التي كانت للوهابيين في عهد أبيه على البحرين وقطر ، ولم تكن محاولاته في هذه الناحية تفشل ما دامت لا تشغله مهام في مناطق أخرى . وفي سنة ١٨٠٣ حدث صراع على الحكم في عمان ، فاستطاع أن يرسل اسطولا من العتوب في البحرين إلى عمان ليراقب الأحداث باسم الوهابيين ، وفي سنة ١٨٠٩ اكتسب الأمير إلى صفه القرصان المشهور رحمة بن جابر وبمعونته استطاع أن يؤكد سيطرته على قطر واستطاع في سنة ١٨١٠

أن يعين لها حاكماً وهابياً يحكم قطر والبحرين والأحساء ويكون مقره البحرين . وفي سنة ١٨١١ ، وبسبب الأخطار التي كانت تهدد الوهابيين من ناحية مصر والحجاز اضطر الأمير لأن يرخي قبضته عن تلك الأقاليم التي سيطر عليها مؤخراً في الشرق ، وقد قام حاكم مسقط بهجوم فاشل على الزبارة في قطر ، وانسحبت الحاميات الوهابية او طردت من هذا المكان ومن البحرين ، كما انسحبت أيضاً من القطيف والهفوف في الأحساء . وفي سنة ١٨١٤ كان نفوذ الوهابيين على شئون البحرين قد تقلص تماماً لكنه ظل قوياً في الأحساء حيث كانت تؤيدهم عناصر محلية ذات قوة .

نشاط الوهابيين في عمان المتصالحة :

ولم يكن إنشاء قاعدة للوهابيين في واحة البريمي منذ سنة ١٨٠٠ بلا تأثير في تلك المنطقة التي تعرف اليوم بامارات عمان المتصالحة ، وفي خلال ١٨٠٤–١٨٠٥ تعاظم نشاط القواسم في القرصنة ، وسواء كان هذا النشاط بتحريض مباشر من الوهابيين أو نتيجة غير مباشرة لتدخلهم في أمور السياسة المحلية ، فتلك قضية لم يقطع في حقيقتها . وفي نهاية سنة ١٨٠٨ عزل الوهابيون سلطان بن صقر عن مشيخة القبيلة ، وفي سنة ١٨٠٩ عينوا حسين بن علي شيخ الرمس الذي كان قد زار الدرعية مؤخراً حاكماً باسمهم على كل ساحل القراصنة . وفي سنة ١٨٠٨–١٨٠٩ تجددت حوادث القرصنة تجدداً خطيراً وبدت على مظاهرها أعراض التعصب ولكن ظل الدليل ناقصاً على تحريض الوهابيين . وقد قيل على أي حال إن حسين بن علي قد تعهد بأن يحمل إلى الأمير في الدرعية خمس الغنائم التي يحصل عليها رجاله من «الكفرة» في البحر . وفي سنة ١٨٠٩ عزز الوهابيون قبضتهم على ساحل عمان الجبلي بأن أحتلت حاميتهم قلاع الفجيرة والباطنة وخور فكان في الشميلية ، واستطاعوا في نفس السنة أن يلقوا القبض على الشيخ سلطان بن صقر ونقلوه إلى الدرعية حيث ألقي في السجن لكن الشيخ استطاع الهرب من سجنه قبل مضي وقت طويل ، وسار عبر اليمن إلى ميناء مخا ومنها عاد عن طريق البحر إلى مسقط .

وفي نهاية السنة حين هاجمت الحملة البحرية البريطانية ميناء القراصنة في رأس الخيمة قيل إن مطلق قائد الوهابيين في البريمي قد تحرك لنجدة القواسم لكنه وصل متأخراً . وفي سنة ١٨١٢ تجددت القرصنة مرة أخرى على الساحل الخاضع للقواسم ولكن لم يتضح أن لها علاقة بالوهابيين .

نشاط الوهابيين في سلطنة عمان :

وقد سبق أن اشرنا إلى تدخل الوهابيين في الصراع على الحكم في مسقط سنة ١٨٠٥ ، وكانت نتيجة هذا الصراع في صالح صنيعة الوهابيين السيد بدر الذي وصل إلى قمة السلطة وحكم مسقط من ١٨٠٥ إلى ١٨٠٧ ، ولكنه اغتيل في هذه السنة الاخيرة على يد ابن عمه السيد سعيد . وتلقى نفوذ الوهابيين بهذا العمل ضربة قاضية وهربت حامية من جنودهم كانت مقيمة في بركة . وقد أوضح الحاكم الجديد السيد سعيد عن موقفه الودي من ابن سعود الذي ظل يمثله في مسقط وكيل سياسي وبعض معلمي الدين ، لكن الوهابيين كانوا يعرفون تماماً كراهية السيد سعيد الخفية لهم ولنفوذهم . وفي سنة ١٨٠٩ ، وبعد أن راوغ السيد سعيد في تنفيذ أمر صدر اليه من أمير الوهابيين بالتحرك ضد إمارة الكويت أرسل القائد العام الوهابي مطلق المطيري إلى واحة البريمي كي يعد حملة على عمان . وهنا بالضبط حدثت العمليات البحرية البريطانية على قواسم رأس الخيمة ، أساساً لإيقاع العقاب بالقراصنة وأيضاً لإبعاد خطر الوهابيين عن السيد سعيد ، وانتهت الحملة في أوائل سنة ١٨١٠ ونتج عنها أن استعاد السيد مدينة شناص من قبضة الوهابيين الذين كانوا يسيطرون عليها ، لكن تأثير هذه الحملة كان موقتاً ولم يكن في صالح السيد سعيد على المستوى البعيد للأحداث . ففي سنة ١٨١١ تحرك مطلق حيث لا شيء الآن يعوقه لينفذ مهمته في إخضاع عمان ، وبعد حصار لم ينجح لبركة ومطرح احتل مطلق حصن السمايل في قلب عمان ، وانسحب إلى البريمي بعد أن جعل فيه حامية وهابية قوية . وفي سنة ١٨١٢ استطاع رعايا السيد سعيد بمعونة فرقة إيرانية أن

يستعيدوا حصن السمايل لكن هذا النصر أعقبه اشتباك حاسم بالقرب من إزكي هزم فيه العمانيون وحلفاؤهم هزيمة ساحقة . وفي نفس السنة أو ربما في سنة ١٨١٣ انتقل الوهابيون انتقـــاماً مروعاً من السيد سعيد ، فقامت قواتهم وعلى رأسها تركي وفيصل ولدا أمير الوهابيين باجتياح أقاليم مسقط وشرقي حجر وأقاموا عسكرهم وقتاً ما في جعلان وجعلوها قاعدة انطلاق غاراتهم المدمرة ، كذلك نجحوا في أن يحولوا أهل قبيلتي بني بو علي وبني راسب القبيلتين القويتين في تلك المنطقة إلى المذهب الوهابي . وبعدها انسحبوا دون خســائر إلى قاعدتهم الرئيسية في البريمي .

وفي اواخر سنة ١٨١٣ وبعد أن قام السيد سعيد بمراسلة طوسون باشا وتعهد له بأن يعيد شيخ القواسم المعزول ، قام مطلق بغزو الباطنة في قوات كاسحة ، وأرغم سيد مسقط على أن يدفع له مبلغ ٤٠ الف دولار وعاد بعدها إلى نجد . لكن ابن عذركه الذي جعله خليفة له هناك قتل فاضطر مطلق للرجوع ، لكنه رجع كي يلقى مصرعه على أيدي بني هاجر . وخلفه رجل اسمه ابن مزروع في البريمي .

★ ★ ★

الاتصال الاول للسياسة البريطانية بالوهابيين

أدت الأحداث التي سبق أن وصفناها في كل من عمان المتصالحة وسلطنة عمان إلى أول اتصال بين الوهابيين والدولة البريطانية . لكن هذا الاتصال لم يكن ودياً على الاطلاق . فالوهابيون كانوا متهمين من جانب بريطـانيا بتحريض القواسم على ممارسة القرصنة فضــلا عن تهديدهم استقلال سيد مسقط الذي كانت الحكومة البريطانية حريصة على المحافظة عليه .

تسوية بين بريطانيا والقواسم ١٨٠٠ :

وفي نفس الوقت اتخذت السلطات البريطانية جانب الحيطة لكي

لا تبدو على علاقة عداء بابن سعود . وفي سنة ١٨٠٥ حين أقدمت بريطانيا على العمل لاول مرة متعاونة مع السيد بدر ضد قراصنة القواسم أصدرت حكومة بومباي تعليمات صريحة لوكيلها بأن يتجنب ما أمكنه إغضاب أمير الوهابيين ، وفي المعاهدة التي عقدت مع القواسم في سنة ١٨٠٦ تجاهلت السلطات البريطانية تماماً أية علاقة لهذه القبيلة بالوهابيين .

بداية اتصال أمير الوهابيين بالحكومة البريطانية ١٨١٠ — ١٨١٢ :

وفي سنة ١٨٠٩ حين قامت الحملة البريطانية على رأس الخيمة ألتزمت نفس السياسة ، وصدرت التعليمات الصريحة للمقيم بأن يتجنب أي صدام مع ممثل ابن سعود ، ولكن يبدو أن الفوضى التي كانت ضاربة اطنابها في شناص أدت إلى عدم الالتزام بهذه التعليمات فأراق السلاح البريطاني بعض دماء الوهابيين في سبيل الاستيلاء على هذه القاعدة الحصينه(١) . وقد أفلت قرصان قطر المشهور رحمة بن جابر من العقاب على أيدي هذه الحملة لأسباب منها علاقته بالوهابيين .

وفي نهاية الحملة وجهت السلطات البريطانية فيما يبدو خطاباً إلى ابن سعود تطلب‌منه أن يمنع أفراد القبائل الخاضعة له من ارتكاب عمليات القرصنة ، وتلقت هذه السلطات رداً منه جاء فيه أنه رغم أنه لا يرهب هذه العمليات البريطانية في البحر إلا أنه لاعداء بينه وبين المسيحيين ، وسيعمل على منع الاعتداء على السفن البريطانية .

بداية اتصال أمير الوهابيين بالحكومة البريطانية ١٨١٠ — ١٨١٢ :

ولكن زيادة المشاكل التي كان يواجهها الوهابيون في غربي الجزيرة أدت فيما يبدو إلى تبادل الاتصالات والمراسلات الودية بينهم وبين الحكومة البريطانية . ففي سنة ١٨١١ أو ١٨١٢ وفي حركة مضادة

---

(١) بيركهارت ·· (الجزء (٢) ص ٢٠٨) ، ويذكر هذا المرجع أن أحد أبناء عمومة الامير سعود كان بين هؤلاء القتلى ·

لرحلة السيد سالم من مسقط إلى شيراز التماساً لعون إيران أرسل أمير الوهابيين مبعوثاً عنه يدعى إبراهيم بن عبدالكريم إلى حاكم فارس الذي أحسن استقباله ، وبعد أن أنهى مهمته في شيراز التقى بالمقيم البريطاني ـ الملازم بروس ـ في بوشهر حيث نقل اليه رغبة سيده ابن سعود في قيام علاقات ودية بينه وبين الحكومة البريطانية بحيث لا يتعرض أي من الطرفين لتجارة الطرف الآخر . ورفعت هذه الرغبة بطبيعة الحال إلى حكومة الهند التي قررت في سنة ١٨١٤ على الأرجح أنه من غير الضروري توقيع معاهدة أو اتفاقية مع امير الوهابيين أو الدخول معه في علاقة وثيقة بل يكفي إقامة علاقة ودية معه ، وحمّله بقدر الإمكان على أن يسلك الطريق المطلوب .

★ ★ ★

هجمات الوهابيين على العراق التركي
١٨٠٣ ـ ١٨١٤

وفي عهد سعود استمرت غارات الوهابيين على أطراف العراق التركي ، لكن أهل هذا الإقليم كانوا دائماً على أهبة الاستعداد لذلك لم يستطع المغيرون ان يحققوا نجاحاً كبيراً . لكن الوهابيين ظلوا يشنون مع ذلك غارات سنوية بل واحياناً كانوا يعبرون الفرات إلى ما بين النهرين .

مظاهرات وهابية سلمية ١٨٠٣ :

وفي نهاية سنة ١٨٠٣ وفي محاولات واضحة للثأر لاغتيال الأمير السابق عبدالعزيز الذي كانت الشكوك تحوم حول باشا بغداد بأنه حرض عليه قامت قوة من الوهابيين بالإغارة على تخوم النجف ونهبها ، ولكن حين تقدم الباشا لملاقاتهم وقد جعل بين مستشاريه شيخاً يدعى فارس من جنوبي نجد ، تراجعت قوة الوهابيين إلى اراضيها .

هجمات وهابية فاشلة على الزبير والبصرة ١٨٠٤ :

وفي سنة ١٨٠٤ اجتاحت القوات الوهابية أكناف مدينتي الزبير والبصرة لكنهم لم يحدثوا أي تأثير في أي من المدينتين رغم أنهم استطاعوا أسر أحد شيوخ المنتفق وهو شقيق حاكم الزبير . لكن البرج الذي يمد مدينة الزبير بالماء انفجر عرضاً فأدى إلى قتل الحامية الموجودة به بعد بسالتها في مقاومة الوهابيين وصدهم عدة أيام .

حملة تركية على الوهابيين من الحلة ١٨٠٤–١٨٠٥ :

وفي نوفمبر سنة ١٨٠٤ قرر علي باشا والي بغداد أن يحاول الاشتباك بالوهابيين فتقدم إلى مدينة الحلة في قوات كبيرة ، وكان يصحبه عبدالله باشا الذي قام بقيادة آخر فوج من حجاج الشام إلى المدينة في ١٨٠٣ كما صحبه أيضاً مستشاره العربي الشيخ فارس . وظلت القوات تنتظر في الحله حتى أوائل سنة ١٨٠٥ حين انفصلت عنها فرقة مختارة مكونة من ٤٠٠ رجل خرجوا إلى الصحراء يحاولون الاشتباك بالعدو ، ويبدو أن عملياتهم بدأت وانتهت بزيارتهم لعين سيد في سامراء وكان أهلها قد أعلنوا انضمامهم للوهابيين ، لكنهم سرعان ما تراجعوا واعترفوا بولائهم للأتراك . وبعد رحيل هذه الفرقة بعدة أيام وصل سعود إلى حيث كانت ، واوقع العقاب بأهل المكان الذي تخلى عن الوهابية ، ولكن يبدو أن هؤلاء لم يكونوا مستعدين لممارسة هذا الانتقال من جانب لجانب مرة أخرى فهاجر بعضهم متقدماً نحو بغداد ليتحاشى التعرض للوهابيين .

هجوم وهابي فاشل على النجف والسمارة والزبير ١٨٠٦ :

وفي إبريل سنة ١٨٠٦ وبعد غارة على قبائل البدو في ضفير وعنيزه هاجم عبد الله بن سعود انتقاماً من عمل باشا بغداد في العام السابق مدينتي النجف والسماوة لكنه لم ينجح في هجومه هذا ، وفي الشهر التالي قرر الاغارة على مدينة الزبير . وفي النجف نجح الوهابيون

ولم يكن أحد يشك في وجودهم بالقرب من المكان في تسلق أسوار المدينة ليلا لكن أهلها سارعوا إلى السلاح وصدوهم عن المدينة بعد أن كبدوهم خسائر فادحـــة ، أما السماوة فقد كانت مستعدة للقائهم ، وقام عبد الله بن سعود بعدة محاولات متردده للهجـــوم عليها وأخيراً اضطر إلى الانسحاب بعد أن تكبد خسائر أكبر من خسارته في النجف . وبعد ذلك ظهرت قواته أمام الزبير والبصرة ، ورغم أن أهل الريف المجاور هرعوا إلى ما وراء أسوار المدينة نفسها فقد استطاع الوهابيون إحداث شيء من الفزع في البصرة ، لكن قوات الوهابيين فقدت الكثير من رجالها وخرجت مثخنة بالجراح . وإلى جانب ذلك استطاع رجال قبائل المنتفق وكعب أن يطردوا جماعاتهم التي انتشرت في القرى المجاورة وكبدوهم مزيداً من الخسائر .

وفي سنة ١٨٠٧ بات من المتوقع حدوث هجوم وهابي جديد ، ومضى باشا بغداد بقواته إلى الحلة ليكون قادراً على الحركة السريعة إلى كربلاء أو النجف اذا ما حدث هجوم على أي منهما . وفي يونيو سنة ١٨٠٧ بدأ المقيم البريطاني في البصرة –عقب حصوله على موافقة باشا بغداد بعد تردد طويل– تشييد مقيمية محصنة في جارديلان على الجانب الشرقي من شط العرب في مواجهة البصرة(١) .

صد الوهابيين من شيفاثة وهندية ١٨٠٨ :

وفي سنة ١٨٠٨ ظهرت قوات الوهابيين في إقليم كربلاء ، وقيل إن جيشاً كبيراً منهم يتحرك نحو بغداد نفسها التي سادها الفزع فترة طويلة ، فأغلقت الأسواق ، بل وأصدر الأتراك اوامرهم للتجار بتسليح أنفسهم وعززوا حاميات المدينة . لكن الضيف المنتظر لم يصل وقيل بعد ذلك ان اضطرابات داخليه في نجد هي التي أعاقت تقدمهم ،

---

(١) يبدو أن هذا يعتمد على ما ذكره كورانسيز (ص ١١١) ، فهو يحدد تاريخا دقيقا لهذا العمل .

لكنهم أقاموا لأنفسهم قاعدة على أية حال في كربلاء . في واحة شيفاثه غربي المدينة ، وحاصروا كربلاء وهندية وظهروا أيضاً في عين سيد بالقرب من السماوه لكن سليمان باشا أسرع لملاقاتهم بقوات كبيرة من بغداد واستطاع أن يجبرهم على التراجع من كل هذه المواقع ، ثم أعدم زعيم شفاثه لرفضه أن يتخلى عن المذهب الوهابي . وعاد منتصراً إلى بغداد فوصلها في ١٥ أغسطس .

غارة وهابية أخرى ١٨١٠ :

وحوالي سنة ١٨١٠ قام عبدالله بن سعود بحملة جديدة للسلب والنهب ووصل بقواته حتى مسافة قصيرة من بغداد .

النفوذ الوهابي بالقرب من كربلاء ١٨١٢ :

وفي سنة ١٨١٢ كان نفوذ الوهابيين على حدود العراق ما يزال قوياً بما مكّن جامعي الضرائب باسم سعود من جمع الزكاة من البدو حول هندية بالقرب من كربلاء .

★ ★ ★

نشاط الوهابيين في اتجاه الشام
١٨٠٣ ـ ١٨١٤

بدء غارات الوهابيين على الشام ١٨٠٦ :

استمرت غارات الوهابيين خلال هذه الفترة أيضاً على حدود الشام ، ويبدو انها بدأت بجولة قام بها حراك(١) وهو عبد أسود من عبيد الأمير سعود بين سنتي ١٨٠٦ و ١٨٠٨ .

(١) يبدو أن « حراك » هو نفسه حارق الذى أقام قاعدة للوهابيين في البوريمى بعمان سنة ١٨٠٠ .

غارة وهابية على حوران ١٨١٠ وتعزيز نفوذ الوهابيين ١٨١٢ :

وفي سنة ١٨١٠ أشاع الوهابيون الفزع في قلب الشام حين قامت قواتهم بغارة مفاجئة على إقليم حوران ، واستطاعت في ثلاثة أيام أن تنهب وتدمر ٣٥ قرية في هذا الاقليم ، ولو اهتم الوهابيون بالهجوم على العاصمة دمشق لسقطت بين أيديهم في غير عناء . وفي سنة ١٨١٠ كانت قبيلة عنيزه في الشمال ما تزال ترفض دفع الجزية لسعود ، وكان راغباً عن الدخول في صراع مع شيوخها ولكن يبدو أن نفوذه قد تدعم هناك في سنة ١٨١٢ لأنه تلقى في هذه السنة الزكاة عن مكان كثير المياه لا يبعد عن حلب نفسها أكثر من ١٢ ساعة .

★ ★ ★

عبد الله بن سعود ١٨١٤ ـ ١٨١٨

ولاية عبـــدالله :

وخلف سعود ابنه عبدالله وهو أكبر أبنائه من أولى زوجاته . وتذكر إحدى الروايات أن سعوداً قد جعل عبدالله ولي عهده منذ سنة ١٨٠٥ . وكانت آخر كلمات سعود نصيحة لابنه عبدالله بألا يشتبك مع القوات المصرية في معركة بسهل مكشوف ، وقد التزم الوهابيون بهذه النصيحة التزاماً كاملا ، وكان ينازع عبدالله في الإمارة عم له يدعى عبدالله أيضاً ، ورغم أن هذا الرجل كان له أنصار كثيرون بين علماء الدرعية إلا أنه لم يستطع الصمود في معارضته طويلا .

خلق عبدالله وامكانياته (١) :

وكان عبدالله في طفولته جريئاً مقداماً ، استطاع أن يروض فرسه وهو في الخامسة من عمره ، وأصبح فيما بعد محبوباً من البدو لصراحته

(١) ثمة صورة لعبد الله بن سعود نشرها بريدجس في كتاب « تاريخ مختصر للوهابيين .. » .

وبساطة مسلكه وقد تزوج بفتاة من عائلة باقليم الاحساء ، وقبل أن يتولى الإمارة كان الجميع يرون فيه تجسيداً لكل الفضائل ، لكن أعماله كحاكم فيما بعد رغم أنها أكّدت تلك السمعة القديمة من حيث جرأته ومهارته في فنون الحرب لكنها كشفت عن نقص خطير فيه كسياسي ورجل دولة . وربما كانت أهم أسباب فشله عجزه عن التوقيق بين القبائل المختلفة الخاضعة له ، وهكذا كان على الوهابيين في الجنوب بعد موت سعود أن يحاربوا القوات المصرية وحدهم بلا عون تقريباً من الوهابيين في الشمال .

★ ★ ★

أعمال المصريين في الحجاز واليمن ١٨١٤ ـ ١٨١٥

الحملة على قنفدة مارس ـ مايو ١٨١٤ :

ظلت القوات المصرية لمدة تزيد على سنة بعد وصول محمد علي نفسه إلى الحجاز لا تقوم بنشاط يذكر بسبب قلة عددها وندرة وسائل النقل والإمدادات . واتخذت أول خطوة لفتح اليمن بارسال حملة على قنفذه استولت عليها في مارس سنة ١٨١٤ قبل موت الأمير سعود ، لكن القوات المصرية اضطرت للتراجع عنها في مايو من نفس السنة وقد خسرت كل مدفعيتها و ٤٠٠ حصان وعدداً كبيراً من الجمال . وفي نفس الوقت في ربيع سنة ١٨١٤ عزز محمد علي قواعده في الطائف ، واثناء الصيف أرسل حسان باشا القائد المشهور الذى كان وصل في شهر يونيو ويصحبته ١٥٠٠ من أفضل جنود المشاة في مصر ليحتل موقعاً يبعد ٣٠ ميلا شرقي الطائف في الطريق إلى ترابة .

حالة القوات المصرية :

وكانت قوات الاحتلال التي لم تتجاوز خمسة آلاف رجل تكفي

لحماية الاماكن المقدسة من أي هجوم عليها لكنها لا تكفي للقضاء على الوهابيين كما أنها لم تكن في حالة مرضية في ذلك الوقت لذلك بدأت تتململ من طول إقامتها في ظروف مناخية قاسية وغير صحية ، وكانت تكاليف المعيشة باهظة تفوق مرتباتها كثيراً ، وكانت معنويات الجنود في هبوط للانتصارات التي يحققها العدو ، ولرفض القيادة دائماً منحهم اجازات ، ويقول الرحالة بيركهارت الذي رأى الجنود في ذلك الوقت إنهم كانوا «جنداً ساخطين ، تتفشى بينهم المخاوف» .

علاقاتها بالبدو :

وكان لا بد لمحمد علي وهو يعرف يقيناً أن فشله في الحجاز سيؤدي إلى ابعاده عن باشوية مصر ويدمر مصيره كله من أن يتبع سياسة جديدة في التفاهم مع أهل البلاد وقبائل البدو على السواء ، لكنه ظل هو وضباطه جاهلين إلى حد كبير العلاقات المتشابكة والمتبادلة بين القبائل التي كانوا يتعاملون معها . وفي أغسطس ١٨١٣ بدأت بعض قبائل البدو المجاورة تميل إلى باشا مصر نتيجة لمسلكه المتساهل معهم ، وفي الشهر التالي وصل اليه الشريف راجح بنفسه ، فجعله محمد علي قائداً لفرقة البدو التي كونها في جيشه .

النقل والتموين :

لكن صعوبات التموين ظلت كما هي . فحتى ذلك الوقت بلغ عدد الجمال التي نفقت من قوات الجيش في الحجاز أكثر من ٣٠ الفاً ، حتى في مصر نفسها ندرت الجمال وما بقي منها كان ضرورياً لنقل الإمدادات إلى الساحل عن طريق قنا ـ القصيرة أو القاهرة ـ السويس . ورفضت قبيلة حارب التي كانت تقدم الجمال للقوات المصرية أن تتقدم جمالها أبعد من الطائف . وحتى في الطائف لم يكن لدى القوات الموجودة فيها أبداً أكثر من تموين عشرة ايام . كذلك كان الحال في كولاخ وفي المواقع المتقدمة التي أنشئت باتجاه الظهران .

هزيمة القوات المصرية في الظهران ١٨١٤ :

وظلت نتائج الاشتباكات أيضاً في غير صالح المصريين . ففي سبتمبر باغت الوهابيون بقيادة « بخروج » زعيم الوهابيين في الجنوب مفرزة من خيرة قوات المصريين يقودها واحد من أشهر قوادهم وأوقعت بها هزيمة شديدة في الظهران أفقدتها حوالي ٨٠ فارساً و ٨٠٠ من المشاة . لكنهم رجعوا إلى الطائف يحملون رؤوس ٦٠ وهابياً . وفي نفس الوقت ظلت الغارات متبادلة بين قبائل البدو الموالية للوهابيين والقبائل الموالية للمصريين .. وكان النصر غالباً في صف القبائل الأولى .

تعزيزات للقوات المصرية وتحسينات في وسائل النقل :

وبعد هذه الهزيمة بقليل بدأت الأمور تتحسن لصالح المصريين . فقد وصل إلى الحجاز ٨٠٠ فارس بدوي جاءوا من صحراء ليبيا ، فوضع نصفهم في الطائف ونصفهم في المدينة وبدأوا على التو يشنون الغارات على الوهابيين بطريقتهم البدوية . وفي نوفمبر جاءت قوافل الحجاج ، وجاء مع قافلة الشام أربعة آلاف جمل للقوات المصرية جعل الف جمل منها في المدينة . كذلك وصل من مصر مع المحمل الذي لم يصحبه سوى الجنود والرسميون فقط ٢٥٠٠ جمل وإمدادات جديدة قوامها ١٠٠٠ فارس من الأتراك واستخدمت القوات المصرية أيضاً ١٢ الف جملاً كانت مع قافلة الشام لنقل الإمدادات من جدة إلى مكة .

هزيمة الوهابيين الكبرى في بيسال ١٣ يناير ١٨١٥ :

وأخيراً ، بدأت الحركة إلى الأمام ففي ١٥ ديسمبر سنة ١٨١٤ تحركت معظم قوات المشاة التي كانت في مكة إلى كولاخ ، وفي يوم السبت ٧ يناير لحقت بها بقية القوات وفيها محمد علي وأكثر من ١٢٠٠ فارس بعد أن تأخرت يوماً واحداً لاشتباكها مع قوة وهابية بالقرب من قنفذة . ولم يتقدم محمد علي أبعد من ذلك حين جاءت أخبار بأن جيش الوهابيين قد احتل بيسال وهي مكان بين القطيف وكولاخ . وفي يوم

الثلاثاء ١٢ يناير تقدم محمد علي بمعاونة قوات كبيرة من البدو بقيادة الشريف راجح وبعض العتوب لملاقاة جيش الوهابيين . وكانت نتيجة القتال في اليوم الأول غير حاسمة ، وفي اليوم الثاني نجح المصريون في القيام بحركة تراجع خادعة جعلت الوهابيين يتخلون عن أماكنهم فوق التلال المحيطة وينزلون وراءهم للسهل المكشوف . وأوقع المصريون بهم هزيمة لم تترك في نفوسهم شيئاً يطلبونه بعد ذلك . وكان معظم القوات المدحورة التي ذكر أن ٥٠٠٠ رجل منها قد قتلوا في هذه المعركة خاصة في الأودية الضيقة حيث حوصروا أثناء فرارهم من الوهابيين الجنوبيين في اليمن ولكنها كانت تضم أيضاً فرقة من الشماليين يقـــــودها فيصل شقيق أمير الوهابيين . وحمل من تبقى منها على قيد الحياة أخبار الهزيمة إلى نجد .

حملة ناجحة للقوات المصرية في الجنوب :

وكانت معركة بيسال هي نقطة التحول في الصراع الدائر بين القوات المصرية والوهابيين وقد انتقل ميدان العمليات الحربية بعدها إلى الشمال ، لكن هزيمة الجنوب عززها تقدم القوات المصرية المنتصرة واستيلاؤها على ترابة ثم مواصلتها السير واستيلاؤها على رنية وبيشة ومن هذه رجعت إلى الساحل بالقرب من قنفذه . لكن هذه الحملة في الجنوب رغم نجـــاحها تماماً من الوجهة العسكرية كبدت القوات المصرية خسارة كبيرة في الرجال والأموال . فمن ٤٠٠٠ جندي خرجوا في بداية الحملة رجع ١٥٠٠ هدهم الإجهاد ، ومن ١٠ آلاف جمل استولت القوات المصرية على نصفها تقريباً من الوهابيين ، لم يبق أكثر من ٣٠٠ جمل على قيد الحياة للوصول إلى مكة . ووجه محمد علي خطاباً إلى ابن سعود يطلب منه الاستسلام .

غزو القوات المصرية الاول للقصيم والمعاهدة التالية ١٨١٥

ارسال طوسون باشا إلى المدينة ١٨١٤ :

نعود الآن إلى الشمال حيث سيتقرر مصير الدولة الوهابية في النهاية . في يونيو ١٨١٤ أغلق أفراد قبيلة حرب الذين قتل الحاكم المصري في المدينة أحد شيوخهم الطريق بين المدينة والساحل ، فأرسل محمد علي ابنه طوسون باشا إلى هناك ليسوي الأمور . ونجح طوسون في هذا بعد شيء من الصعوبة وبعد أن استرضى العرب وصل إلى المدينة في ٥٠٠ فارس و ٣٠٠ جندي مشاة ثم أرسل فرسانه مباشرة إلى حنكية لمراقبة حركة الوهابيين في نجد والإغارة على أراضيهم . وفي خريف سنة ١٨١٤ وخاصة في موسم الحج تلقى طوسون باشا إمدادات كثيرة كما ذكرنا ، وفي بداية ربيع سنة ١٨١٤ وبعد أن بدأت أنباء الهزيمة في بيسال توئتي آثارها في نجد وكان طوسون باشا مستعداً للاستفادة من الفرصة المتاحة في اقتراح لبعض زعماء وسط الجزيرة خاصة شيخ القصيم . وفي يناير ١٨١٥ كان امير الوهابيين في القصيم مستعداً لمواجهة تحركات طوسون لكنه حين عرف باخبار الهزيمة في بيسال تراجع بسرعة إلى الدرعية خشية أن تتقدم القوات المنتصرة نحو عاصمته في الجنوب .

تقدم طوسون باشا إلى القصيم مارس – مايو ١٨١٥ :

وقرب نهاية مارس سنة ١٨١٥ تقدم طوسون باشا إلى القصيم التي كان قد ارسل اليها حوالي ٤٠٠ فارس من قبل ، واصطحب معه ٢٠٠ او ٣٠٠ فارس آخر و٤٠٠ جندي من المشاة و حوالي ٤٠٠ بعير للنقل وكذلك بضع مئات من بدو قبائل حرب مطير ، وتوقف شهراً في طريقه عند حنكية ، وهناك جاءته الأوامر من محمد علي بالرجوع إلى المدينة لكن طوسون بسبب إعتقاده وقتذاك أنه ليس أقل في المكانة من أبيه

رفض أن يطيع الأمر . ويجب أن نلاحظ أن محمد علي نفسه كان في المدينة إذ جاء اليها على غير توقع في ١٤ إبريل لأن وقته كان مشغولا تماماً بالمشاكل المحلية . وفي أوائل مايو وصل طوسون باشا إلى القصيم ، وفي الرس لحق به حلفاؤه السياسيون من رجال القصيم ومنهم الفرسان الذين طلبوا منه التقدم . لكن حجيلان أقوى رجل في القصيم كان مخلصاً في ارتباطه بقضية الوهابيين فلم يشترك في هذا الأمر ، بل على العكس جمع أنصاره حوله واستعد للحرب في بريدة .

تحرج موقف القوات المصرية في القصيم مايو — يونيو ١٨١٥ :

وحين وصل الأمير عبدالله إلى شنانه في قوات كبيرة من البدو وغيرهم أصبح طوسون باشا في موقف حرج . فالوهابيون يستطيعون منع وصول الإمدادات اليه إلا من عدة قرى قريبة ، وفي نفس الوقت أباد الوهابيون قوة من ٢٥٠ فارساً كانت متقدمة من المدينة لنجدة طوسون ، وكانت هذه الجماعة سيئة الحظ يقودها إبراهيم أغا أو توماس كيث الذي كان طوسون باشا قد جعله حاكماً للمدينة والذي أثبت شجاعته حتى اللحظة الأخيرة حين قتل أربعة رجال من الأعداء بيديه قبل أن يسقط قتيلا . وفي نفس الوقت أسرع محمد علي باشا الذي بدا غير مهتم بنتائج عمليات ابنه في القصيم ، بل حتى داخلته الغيرة من أعماله— أسرع من ينبع عائداً إلى مصر ، وذكر في تبرير هذا الرحيل المباغت أن صحتة ساءت كثيراً لطول إقامته في جزيرة العرب وأنه كان يخشى هجوم الاسطول التركي على ميناء الاسكندرية .

المعاهدة ، وعودة طوسون باشا إلى المدينة يونيو ١٨١٥ :

ويبدو أن ضعف القوات المصرية لم يكن واضحاً تمام الوضوح للوهابيين ، وكان أميرهم لهذا يعتقد أن موارد مصر الكثيرة لا بد ستنتصر في النهاية على مصادره المحدودة .. وظن أن من المناسب أن يتراجع عن الاستمرار في هذا الصراع .. ومهما كان السبب فقد استجاب الامير

عبدالله لعقد تسوية اقترحها طوسون ، وتم التوصل إلى اتفاقية تخلى فيها الأمير عن مطالبته بالأماكن المقدسة في الحجاز واحتفظ بحقه في زيارتها لهدف الحج فقط ، كما اعترف أيضاً بسيادة سلطان تركيا عليه . وفي مقابل ذلك تعهد طوسون باشا بالانسحاب من القصيم ، وتم الاتفاق على أن تكون منطقة حنكية هي الحدود الفاصلة بين المناطق التابعة للوهابيين والتابعة للمصريين . وهكذا رجع طوسون باشا إلى المدينة في يونيو سنة ١٨١٥ بعد أن ظلت إقامته في القصيم أربعة أسابيع بالضبط (١) .

عدم التصديق على الاتفاقية :

وفي أغسطس وصل مبعوثان من الوهابيين إلى القاهرة للتصديق على هذه الاتفاقية لكن محمد علي ردهما رد آغير واضح بدا منه أنه كان لا يمانع في الصلح بشرط أن يضم إقليم الأحساء على ساحل الخليج . ورجع طوسون باشا نفسه إلى القاهرة يوم ٧ نوفمبر سنة ١٨١٥ فاستقبله ابوه استقبالا فاتراً .

★ ★ ★

القوات المصرية تغزو القصيم للمرة الثانية ١٨١٧ ـ ١٨١٨

الاستعدادات للحملة ١٨١٦ :

وظلت الامور كما هي عدة شهور بعدها . وكان معظم السبب في ذلك اقتناع محمد علي بأن الانجليز لا بد سيحاولون النزول إلى مصر ، وحين تبدد خوفه هذا استأنف مواصلة حربه في جزيرة العرب ، وقد

(١) وتذكر رواية أخرى أن عبد الله قد وافق أيضا على ان يقدم بعض الرهائن ويسلم الدرعية الى أى حاكم يعينه السلطان ، وان يعيد الكنوز التى نهبت من قبر النبى محمد (ص) بل وان يسافر بنفسه الى القسطنطينية اذا طلب اليه ذلك .

حدثت اضطرابات واسعة في جنوب الحجاز وارغمت الحاميات المصرية على التراجع من بيشه ورانية وترابة . وفي أغسطس ١٨١٦ خرج ابراهيم باشا ابن محمد علي الاكبر (أو ابنه بالتبني) من القاهرة ومعه قوات قوامها ٢٠٠٠ جندي من المشاة و ١٥٠٠ فارس من بدو الصحراء الليبية ، وقيل إن الأموامر صدرت اليه بالتقدم من المدينة إلى الدرعية عن طريق القصيم .

عمليات القوات المصرية في حنكية :

وانقضى وقت طويل على أية حال قبل أن يستطيع ابراهيم باشا تنفيذ التعليمات التي صدرت اليه ، فلم يصل حنكية إلا بعد انقضاء وقت طال عدة أشهر من سنة ١٨١٧ ، وجعلها مركز انطلاق غارات متعددة على القبائل المجاورة .. وكانت قبائل حرب وعتيبه من الذين عانوا من هذه الغارات وكان من نتائجها أن أعلنت قبائل كثيرة ولاءها للمصريين . وكان العمل التالي لابراهيم باشا هو حملته على منطقة جبل شمر ، مستعيناً أساساً بقبائل البدو الموالية له ، يتبعها طابور من الفرسان المصريين وراءهم . وأصيبت هذه القبائل بخسائر فادحة .. ونجا المصريون فلم يفقدوا أكثر من ٢٠ رجلا .

انتصار القوات المصرية في جبل ماوية ١٨١٧ :

وبناء على طلب قبائل البدو الموالية للقوات المصرية والتي بدأ الوهابيون يلحون في مضايقتها ارسل القائد المصري قوة من جنوده إلى جبل ماوية على الطريق بين حنكية ورأس .. وهناك اشتبكت هذه القوة بقوات العدو بقيادة الأمير عبدالله ، وكانت نتيجة المعركة في صالح المصريين ويستدل على ذلك من الهياكل العظمية البالية التي كانت ما تزال تغطي ساحة القتال عندما تفقدها الكابتن سادلر في سبتمبر ١٨١٩ . واضطر الأمير إلى الهرب عن طريق رأس عنيزة في القصيم . وفعل إبراهيم باشا الذي وصل إلى ميدان الحرب بعد انتهائها

تقريباً كفعل الوهابيين في مثل هذه الحالات ، فأمر بإعدام الأسرى جميعاً . وحين تجمعت قواته في ماوية ــ ووصل عددها إلى ١٢٠٠ فارس و ٤٠٠٠ من جنود المشاه (١) تقدم نحو الرس ، ولحق به شيخ قبيلة مطير علناً فقد كان له ثأر عند الوهابيين ، وقام في الطريق بغارة على قبيلة عنيزة

القوات المصرية تضرب حصاراً فاشلا على رأس ١٨١٧ :

وحين وصل إبراهيم باشا إلى الرس أعد العدة للاستيلاء عليها مرة واحدة ، لكن أسوارها استطاعت أن تقاوم نيران مدفعيته لثلاثة أيام ، وحين أحدثت ثغرة في الأسوار وبدأت قواته في الاندفاع منها اضطرت إلى التراجع متكبدة خسائر جسيمة . واستمر الحصار بلا جدوى ثلاثة أشهر ونصفاً ثم رفع نهائياً . وخسرت القوات المصرية ٩٠٠ قتيل و ١٠٠٠ جريح في هذه العمليات ، كما استهلكت حمولة ٤٠٠ بعير من ذخيرة الأسلحة الخفيفة إلى جانب ٣٠ الف دانة للمدفعية . كل هذا في حين لم تتجاوز خسارة المحاصرين داخل المدينة أكثر من ٥٠ قتيلا و ٧٠ جريحاً . وحدث شبه اتفاق مع أهل الرس أصبح مصير هذه المدينة بموجبه مرتبطاً بمصير عنيزه عاصمة القصير .

القوات المصرية تستولي على ضرمة وعنيزة ١٨١٧ :

وعوض ابراهيم باشا عن فشله هذا بالاستيلاء على ضرمة التي لم تستطع مقاومة الحصار أكثر من يوم واحد ، وتقدم بعدها إلى عنيزة في نفس الوقت الذي انسحب فيه الأمير عبدالله إلى بريده ، وسقطت عنيزه بعد ضربها بالمدافع مدة ستة أيام ، وانسحب أمير الوهابيين غرباً إلى شقره حيث قضى فيها الشهرين التاليين ثم احتل إبراهيم باشا بريده بعد أن جلا عنها الأمير عبدالله وأصبح إقليم القصيم كله خاضعاً للمصريين (٢) .

---

(١) يقدر كابتن سادلر عدد القوات المصرية بأقل من هذا كثيرا .
(٢) يورد سادلر رواية أخرى لهذا الجزء من الحملة .

الاستيلاء على شقره ٢٢ يناير ١٨١٨ :

وفي ١٣ يناير ١٨١٨ وصلت القوات المصرية قريباً من شقره المركز الرئيسي في وشم . وأرسل ابراهيم باشا دورية استطلاعية قوامها ٨٠٠ فارس لما حولها ، وفي اليوم التالي وبعد مسيرة مجهدة في الرمال الناعمة استطاع أن يجعل قواته شرقي المدينة وجنوبها ، وبدأ مهاجمتها مرة واحدة بعد أن وصلت تعزيزات جديدة جعلت قواته تبلغ أكثر من ٤٥٠٠ جندي نظامي .

وفي ١٦ يناير سقطت ضواحي المدينة بعد اشتباك بالسلاح الابيض وجهاً لوجه خسرت فيه القوات المصرية حوالي ١٥٠ رجلا ، وترك الوهابيون وراءهم ٦٨ جثة في مكان القتال . وأمر إبراهيم باشا بقتل بعض الوهابيين الذين وقعوا في الاسر ، وعاد لمواصلة الحصار . وفي ٢٢ يناير سقطت شقره بعد أن تم الاتفاق على أن يلقي أفراد الحامية سلاحهم ويغادروا . وفي هذا الجزء الأخير من العمليات خسرت القوات المصرية ١٣٠ قتيلا ، وقتل من الوهابيين ١٧٠ وجرح ٢٤٠ رجلا .

مذبحة في ضرمة :

وبعد إقامة قصيرة في شقره هطلت خلالها أمطار غزيرة ترك القائد المصري الجرحى والمرضى فيها وواصل تقدمه إلى الدرعية . ومر في طريقه بضرمة حيث اعترضت قواته بعض المقاومة غير النظامية فأمر بإعمال القتل في عدد كبير من أهلها . أما الحاكم الوهابي الذي كان قد تحصن في القلعة لا يبرحها فقد أعطى الأمان على أن يخرج إلى الدرعية تاركاً وراءه ممتلكاته وكان من بينها عدد كبير من الخيول الثمينة وألا يحمل السلاح مرة أخرى في وجه المصريين .

الوصول إلى الدرعية والاستعدادات الاولى مارس ١٨١٨ :

وفي ٢٢ مارس ١٨١٨ ومرة أخرى بعد تأخر سببه المناخ السيء إستطاع إبراهيم باشا بمشقة كبيرة عبور الهضاب الفاصلة بين ضرمة

ووادي حليفة ، وقد وصلت قواته الآن إلى خمسة آلاف ما بين راكب وراجل . وكانت مدفعيته تتكون من ١٢ قطعة قطعتى مورتر وقطعتى هويتزر (١) وغيرها وأقيم معسكر في العينين ، وارسلت دوريات الاستطلاع حتى أسوار الدرعية وفي ٦ إبريل اتخذ ابراهيم باشا مواقعه في مواجهة عاصمة الوهابيين التي اندفع أهلها للدفاع عنها ، وفي ١٤ إبريل بدأت القوات المصرية إطلاق النيران على أحد استحكامات الوهابيين الأمامية فدمروا مدفعين وأسروا بعض الوهابيين ، وقد أعدم هؤلاء مباشرة ، وبعدها بقليل سقط استحكام آخر بعد أن جاهد الوهابيون طويلا للاحتفاظ به ، وبهذا ارغم الوهابيون على التخلي عن خطة الدفاع المتقدم هذه ، وكان يقودهم فيصل شقيق الأمير .

خطورة موقف القوات المصرية مايو — يونيو ١٨١٨ :

وأدّى وصول التعزيزات والإمدادات من مصر من ناحية والعراق التركي من ناحية أخرى إلى أن يتشجع قائد القوات المصرية الذي كان إبطاؤه سيسبب له أوخم العواقب فقام بعمل هجومي على منطقة غسيبة(٢) ، غير أن قواته رفضت أن تتقدم لمواجهة العاصفة بعد أن أحدثت نيران مدفعيتها ثغرة في السور المحيط بهذة المنطقة . و قد أدى هذا الفشل إلى الانتقاص من هيبة القوات المحاصرة ، وبدأ الوهابيون بسلسلة من الهجمات اليومية على معسكر المصريين موقعين بهم خسائر كبيرة . وفي نهاية شهر مايو بلغ موقف القوات المصرية غاية الحرج والخطورة ، وواصل الوهابيون مضايقتها بصورة دائمة وكانت نشاطاتهم بهذا الصدد تتزايد يوماً بعد يوم ، علماً بأن المصريين لم يكونوا قادرين على إحكام الحصار حول الدرعية ، فقد كانت الإمدادات تصل إليها عن

---

(١) يذكر كابتن سادلر عدد الفرسان على انه ١٩٥٠ فارسا ، والمشاة ٥٦٠٠ لكننا لا نعرف مصدره في الحصول على هذه المعلومات .

(٢) لا زال اسم غسيبة يطلق على احد المناطق يسار أو شمال الجانب الشمالى من وادى حنفية .

طريق الأحساء أن دون تستطيع القوات المصرية منعها . وفي يوم ١٢ يونيو حملت الرياح النيران إلى مستودع ذخيرة القوات المصرية ، وحدث انفجار مروع التهم الذخيرة كلها . وقد وقعت هذه الحادثة عقب اشتباك عنيف قتل فيه ١٦٠ رجلا من القوات المصرية بينهم كثير من الضباط ذوي الرتب الكبيرة . وهكذا أصبح الجيش المحاصر في مواجهة عدو رهيب ، وخطوط تموينه طويلة وبعيدة ، ولا ذخيرة إلا ما تبقى في بنادق الجنود وفي بطاريات المدافع ، وفي اليوم التالي ، حين ترامى إلى الوهابيين نبأ الكارثة التي حلت بالقوات المصرية قاموا بهجوم على القوات المصرية بجيش قوامه ١٥٠٠ رجل (١) ، لكن إبراهيم باشا الذي كانت شجاعته مضرب الأمثال استطاع أن يلهب حماسة قواته ويبث فيها روحاً عالية ، فاستطاعوا أن يصدوا هجوم الوهابيين مسببين خسارة فادحة بنيران مدفعيتهم ، وأفقدت هذه النتيجة الوهابيين عنصر المبادرة وجعلتهم يقتصرون على الدفاع مرة أخرى .

تحسن حالة القوات المصرية وتزايد نشاطها :

وبعد انقضاء فترة تزيد على الثلاثة أسابيع بدأت الإمدادات تصل من عنيزه وغيرها من المواقع المتقدمة إلى القوات المصرية التي استعادت سيطرتها على الموقف . وفي١٨ أغسطس وفي أثناء غياب إبراهيم باشا في حملة تأديبية على بعض القرى المجاورة شن الوهابيون هجمة كبيرة على معسكر المصريين ولم يرجعوا إلا بعد جهـــــد شديد بذلته القوات المصرية . وأخيراً حين عرف المصريون بأن محمد علي قد ارسل خليل باشا ومعه قوات كبيرة لمساعدتهم بدأوا يواصلون الهجوم . ووقع فيصل شقيق أمير الوهابيين الذي قام بدور كبير في الدفاع قتيلا بإحدى

---

(١) كان ابراهيم ــ في ذلك الوقت ــ في السادسة والعشرين من عمره وثمة تشابه واضح بين موقف القوات المصرية أمام الدرعية ، وموقف القوات البريطانية أمام ريدج في المراحل الاولى من حصار دلهي سنة ١٨٥٧ .

القذائف . وتقدم المصريون بفرقة صغيرة مزودة بثلاثة مدافع وبعض الذخيرة إلى جوار منطقة غسيبة ، واستطاعوا ان محاصرة قلعة يقودها سعد أحد أبناء الأمير ، وبعد يومين سقطت القلعة لنفاذ الإمدادات والذخيرة . وأسر سعد لكنه عومل معاملة حسنة ، كذلك ضربت قلعتا غسيبة وسهيل(١) بالمدافع وسقطتا في أيدي المصريين وأسر الحاكم السابق في ضرمة الذي سبق أن وعد بعدم رفع السلاح أمام القوات المصرية محارباً وأعدم ، وألقى المدافعون عن قلعة طرفية أسلحتهم ، وبقيت قلعة طريف (٢) فقط التي يتحصن بها الامير عبد الله نفسه مستمرة في المقاومة .

استسلام الامير عبدالله ٩ سبتمبر ١٨١٨ :

وأخيراً في يوم ٩ سبتمبر ١٨١٨ استجاب الأمير لنصيحة مستشاريه جميعاً فرفع الراية البيضاء وبدأت المفاوضات ، وتم اللقاء في نفس اليوم بين الأمير عبدالله وإبراهيم باشا ، ولم يستطع الرجل العربي أن يخفي حقيقة مشاعره وان استطاع تغطيتها بالهدوء والوقار ، كذلك قام الرجل التركي من ناحيته بمنتهى اللياقة فاحترمه كعدو مهزوم بل إنه أمر باطلاق سراح ابنه سعد(٣) . وعرض ابراهيم الصلح على أن يستسلم الأمير ويرحل إلى القاهرة . وأمهله أربعاً وعشرين ساعة للتفكير في الأمر وكان ثمة خوف من ان ينتحر الأمير خلال هذه المهلة أو يفر إلى الصحراء ولكن أخيراً وافق الأمير بعد أن ضمن له إبراهيم باشا مطالبه وهي تأمين حياته والمحافظة على مدينة الدرعية وعدم إيقاع العقاب بمن كان يحارب ضد القوات المصرية ، وبدأ الأمير يتخذ الترتيبات اللازمة لرحلته .

---

(١) الدرعية الآن في المكان المسمى بصريحة في وادى حنيفة بالقرب من غسيبه .

(٢) تقع طريف الى الجانب الجنوبى أو الايمن من وادى حنيفة ، وما زالت حتى اليوم موجودة باسمها هذا .

(٣) مرة أخرى ، تختلف هنا رواية سادلر عن رواية منجن .

ونمر بسرعة على ما بقي من قصة عبدالله بن سعود . فقد صحبه الرجال المقربون اليه وبينهم المقيم على بيت المال ، وأمين سره وعبيده المخلصون وساروا بحراسة ٤٠٠ جندي مصري على طول الساحل . ووصل عبد الله إلى القاهرة في نوفمبر والتقى بمحمد علي الذي طمأنه ، وأعاد الأمير بعض الكنوز التي كانت في قبر النبي بالمدينة . غير أن المعاملة التي لقيها في القسطنطينية كانت شيئاً يناقض تماماً ما لقيه قبلها فبعد أن عرض في شوارع العاصمة ضرب عنقه في ميدان القديسة صوفيا مع عدد من المقربين اليه .

* * *

فترة خلو الحكم الوهابي من وجود الامير ١٨١٨ ـ ١٨١٩

القوات المصرية تحتل نجد والاحساء للمرة الاولى ١٨١٨ وارسال أشقاء الامير عبدالله إلى القاهرة :

تحطمت تماماً في ذاك الوقت الدولة الوهابية المنظمة في نجد ، وبدأت القوات المصرية تحكم البلاد حكماً مباشراً . وقد تم أسر أربعة من أشقاء الأمير وأرسلوا إلى القاهرة حيث سجنوا فيها ، وسبّب فرارُ أخ خامس لعله مشاري قلقاً عظيماً للقوات الغازية .

تدمير الدرعية وما إلى ذلك :

وقد نهبت مدينة الدرعية في البداية ، واحتفظ إبراهيم باشا لنفسه ببيوت آل سعود التي لم يكن بقي فيها شيء يذكر ، وراح الجنود يضعون أيديهم على ما يستطيعون العثور عليه ، وبدأ تعذيب هؤلاء الذين كان يشك في أنهم يخفون ممتلكات أو أشياء ذات قيمة . أما التدمير

الكامل لمدينة الدرعية فلم يبدأ إلاّ بعد صدور الأوامر به من القسطنطينية ، وبعد أن خضع بعض أهل المدينة فدفعوا مبالغ ضخمة لاستثنائهم وبيوتهم من هذه العقوبة وبعدها بدأت عملية هدم وتدمير شاملة للمدينة حتّى لم يبق فيها حجر على حجر ، وقطعت أشجار النخيل حتّى آخر شجرة ، لكن القائد المصري لم يأمر بهدم المدينة إلا بعد أن أمر بنقل أهلها إلى الأحساء وبعد انتقال بعضهم للإقامة في بساتين النخيل القريبة من منفوحة .

وبعد ذلك قامت القوات المنتصرة بهدم كل التحصينات والقلاع في كل المدن والقرى بنجد وتسويتها بالأرض . وقد أشار الكابتن سادلر إلى دقة تنفيذ بها هذه العملية في كل من منفوحة والرياض وترمدا وشفرة وعنيزة وذلك بعد أن زارهذه المناطق سنة ١٨١٩ ، وقد أبقيت المنازل وأشجار النخيل كما هي إلا في أماكن خاصة كالدرعية وعنيزة .

احتلال الخرج والأحساء :

وجعلت القوات المصرية لها موقعاً في سليمية بالخرج ومنها تقدم إبراهيم باشا إلى إقليم الأحساء ، الذي كان يبدو أن الفاتحين سيجعلون عاصمتهم فيه . وبعد وصول إبراهيم باشا إلى الأحساء لحق به القرصان المشهور في قطر رحمة بن جابر وعاونه في الاستيلاء على مدينة القطيف بعد ضربها بالمدافع . وفي مقابل ذلك سمح له ابراهيم بالإقامة في قلعة الدمام في ساحل الأحساء . وكان ابراهيم باشا يفكر في أن يباشر مزيداً من العمل باتجاه الأحساء . لكن الصعوبات الطبيعية التي كانت تحيط بموقف القوات المصرية الزمته بالتخلي عن هذه المشروعات .

عقاب قبائل البدو :

وخرجت الحملات التأديبية في كل اتجاه ضد قبائل البدو التي كانت تساعد الوهابيين ، وقد لحقت معظم الخسائر ببني سبيع الذين كانوا مستقرين إلى جوار آبار رمة في عرمة .

علاقة الاتراك بالعرب عموماً :

ويبدو أن علاقة القوات المصرية بأهل البلاد أينما كانوا كانت على أسوأ حال ، فقد كان هؤلاء في حالة واضحة من العوز والبؤس وكانت القوات المصرية تنهك مصادرهم القليلة . وبعد إقامة عامين في نجد ظل بعض كبار المسئولين في القوات المصرية على جهل واضح بجغرافية البلاد ، كأنهم لم يغادروا القاهرة قط .

★ ★ ★

انسحاب القوات المصرية انسحابا جزئيا ١٨١٩

وشيئاً فشيئاً بدأ يتضح أن القوات المصرية ليس بوسعها أن تحتل نجداً احتلالا كاملا ، وذلك أساساً لصعوبة الاتصال بين مواقعها المختلفة بسبب عداء قبائل البدو وتزايد مشاكساتها ولا سيما قبيلتي عجمان وسعده (١) .

الجلاء عن الاحساء يوليو ١٨١٩ :

وفي يونيو سنة ١٨١٩ تقريباً ارتأت قيادة القوات المصرية وضع ممثلين من البدو لها في كل البلاد شرقي وجنوبي القصيم ، وشهد الكابتن سادلر من فرقة صاحب الجلالة ٤٧ عملية الجلاء كما صحب القوات المنسحبة ؛ وكابتن سادلر هذا نفسه هو الذي أرسل إلى إبراهيم باشا موفداً من قبل حكومة الهند على نحو ما هو موضح في تاريخ عمان المتصالحة ، ولحق سادلر بكاشف الأحساء وقواته التي كانت تبلغ ٢٥٠ جندياً و ٦٠٠ بعير للنقل ، وقد بدأ الكاشف يعد العدة للرحيل فجمع من أهل الأحساء حوالي مليون قرش وترك وراءه شيخ بني خالد ممثلا للحكومة التركية في الأحساء . وكان شيوخ بني خالد هم الاعداء التقليديين للوهابيين ،

---

(١) رغم أن المؤرخين يشيرون الى قبيلة بنى سعدة كقبيلة مستقلة ، الا أنها على الارجح فرع من عجمان .

وقد سبق للوهابيين أن حطموا قوتهم من قبل . وكان مقرراً أن يحملوا الجزية السنوية من الأحساء إلى القصيم حيث كانت ستقيم حامية مصرية إقامة دائمة .

السير من الاحساء إلى منفوحه يوليو – اغسطس ١٨١٩ :

وكان الطريق الذي يسلكه الأتراك بين الأحساء والقصيم يمر بالسليمانية في الخرج ، وقال الكاشف إنه ينوي السير في هذا الطريق ، لكنه في اليوم الثاني من مسيرته خشي أن تهاجمه قوات بني سعدة التي كانت تثير الاضطرابات والقلاقل مؤخراً في السليمانية ، فغير طريقه إلى آبار روحه في عرمة ، وهناك كان مفروضاً أن تلحق به حامية السليمانية وكانت تتكون من عدد من الفرسان يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ فارس . لكن هذه الحامية لم تظهر في الطريق (١)بسبب حصار البدو لها في موقعها . واضطر الكاشف للسير إلى منفوحة حيث وصلها عن طريق بنبان في ٣ أغسطس ، وأرسل نصف قواته لفك الحصار عن حامية السليمانية .

السير من منفوحة إلى الرس أغسطس ١٨١٩ :

وفي ١٣ أغسطس وصلت حامية السليمانية سالمة إلى منفوحة ، وبدأ السير إلى القصيم ، وكانت كل البلاد المحيطة واقفة بسلاحها على أهبة الاستعداد ، وقد فشل الكاشف في تنفيذ خطة وضعها للقضاء على الشخصيات الهامة من الوهابيين في منفوحة قبل رحيله (٢) ومرت القوات المنسحبة في اليوم نفسه بخرائب الدرعية التي لم يكن بها كائن حي واحد ،

---

(١) وكان السبب في هذا تأديبيا . فقد جاء في أوامر ابراهيم باشا بالانسحاب من الاحساء أن تقضى القوات المصرية على مقاومة أربعة من الشيوخ المعاندين كانت القوات المصرية ما زالت تعاملهم معاملة طيبة . وحين فشل قائد الحامية في تحقيق ذلك بالقوة ، دعا المشايخ الى وليمة ، ثم أمر بهم فقتلوا ، وحوصرت الحامية بسبب هذا العمل .

(٢) ترك لنا كابتن سادلر وصفا تفصيليا للدرعية كما رآها .

وعسكرت القوات لقضاء ليلتها في العينيه . وفي اليوم التالي عبرت القوات مضيق حايسية الذي كان ما يزال يحمل آثار مدافع إبراهيم باشا(١) ، واجتازت القوات المنسحبة بعرة التي وجدت مهجورة تماماً في ١٥ أغسطس ، ووصلت ترمدا في ١٦ أغسطس وشقرة في ١٧ منه ، وكان وصولها لشقرة في الوقت المناسب لمطاردة جماعة من العتوب كانوا قد وصلوا إلى تلك المدينة ونهبوا ماشيتها ، واستطاعت الفرقة المصرية التي طاردتهم أن تقتل عشرين رجلا منهم وتأسر خمسة قطعت رؤوسهم مباشرة . وكان مفروضاً أن تستبدل جمال النقل التي قدمها بنو خالد للقوات المصرية في ذلك الحين بجمال أخرى لبني مطير . لكن مشكلة حدثت في ذلك الوقت أدت إلى مصادرة القوات المصرية هذه الجمال وطرد بني خالد دون ان يقبضوا أجوراً أو تعويضات . وطوال المسيرة لم تسمح القوات المصرية للعرب بأن يأخذوا جمالهم لترعى في أي مكان خارج حدود المعسكر ، فقد كانت تخشى هربهم ، ووصلت القوات إلى مذنب في ٢٣ أغسطس وعنيزة في ٢٤ ثم الرس في ٢٦ وكان إبراهيم باشا قد رحل من الرس إلى المدينة في ٢٤ أغسطس ، لكنه ترك معسكراً وراءه ، فيه خليط غريب من الجند الأتراك والألبان والفرسان الليبيين ، انضم اليهم كابتن سادلر ومن معه من الإيرانيين والهنود والبرتغاليين والأرمن .

السير من راس إلى حنكية اغسطس—سبتمبر ١٨١٩ :

ورفضت السلطات المصرية في الرس أن تسهل له العودة إلى الهند عن طريق البصرة ، فاضطر كابتن سادلر أن يواصل رحلته مع القوات المنسحبة إلى البحر الأحمر . ووصل في ٣١ أغسطس إلى وادي المياه ، واجتاز في ٢ سبتمبر المكان الذي دارت فيه معركة جبل ماوية ، وفي ٤

---

(١) في معظم العمليات .. كانت الجمال هى التى تسحب مدافع ابراهيم باشا .

سبتمبر وصل إلى موقع القوات المصرية في حنكية بعد سير مرهق مستمر طوال ٢٩,٥ ساعة دون ماء على الإطلاق (١) .

رحيل إبراهيم باشا إلى مصر نوفمبر ١٨١٩ :

أما باقي أعمال كابتن سادلر في الحجاز فهي خاصة بتاريخ عمان المتصالحة ويكفي هنا القول بأن ابراهيم باشا ظل معسكراً على الساحل حتى يوم ١٧ نوفمبر حيث أقلع من جدة نهائياً إلى القصير .

★ ★ ★

مشارى بن سعود ١٨١٩ ــ ١٨٢٣

وعقب رحيل الجزء الأكبر من القوات المصرية مباشرة قام مشاري شقيق الأمير السابق ولعله هو نفسه الذي استطاع الهرب من السجن قبل الجلاء فجمع مجموعة من أنصاره وتولى السلطة في نجد دون علم القوات المصرية التي كانت بعض حامياتها ما تزال موجودة . وفي سنة ١٨٢٢ أرسل ٧٠٠ فارس إلى عنيزة في القصيم ، وأصدر محمد علي أوامره بضرورة بناء قلعة في الدرعية لاستقبال الحامية المصرية ، وبعدها بقليل وضعت حامية من ١٠٠ فارس مصري في الرياض وكان واضحاً أنها ستصبح عاصمة نجد الجنوبية بدلا من الدرعية ؛ لكن البدو استطاعوا مباغتة هذه الحامية وإبادتها . ولا نعرف يقيناً كيف انتهت فترة حكم مشاري ، وربما كما يقول أحد المصادر أطاح به حاكم الأحساء من بني خالد ، أو كما يذكر مصدر آخر وقع بين أيدي القوات المصرية التي أعدمته .

---

(١) يصور لنا كابتن سادلر هذا الانسحاب بكل ما فيه من قسوة ونزاع في صفحات كثيرة من يوميات رحلته .

تركي بن عبد الله ١٨٢٤ ـ ١٨٣٤
التاريخ العام والداخلى ١٨٢٤ ـ ١٨٣٤

طرد القوات المصرية ١٨٢٤ :

وخلف مشاري قريب له يدعى تركي ينتمي إلى الفرع الأكبر من عائلة آل سعود ، وهو تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود أول أمير للوهابيين . ويبدو أن تركي تولى الحكم بعد أن طرد الحامية المصرية من الرياض ، وأنه حصل بعدها مباشرة على اعتراف أنصاره وأهل بلده به أميراً للوهابيين . ويبدو أنه بعد إحراز هذا النجاح الأوّلي راح يواصل عملياته الهجومية غرباً . وبما أننا لا نجد من هنا فصاعداً إشارة لأية حامية مصرية في أي موقع بالقصيم ، فاننا نستطيع أن نستنتج أن القوات المصرية قد طردت من نجد كلها ، ولا بد أن علاقات ودية قد قامت بعد ذلك لأن تركي بدأ حكمه بدفع جزية سنوية صغيرة لحاكم مصر لكنه كان من سائر النواحي الأخرى حاكماً مستقلا .

السياسة الداخلية لتركي :

وكانت سياسة تركي في الإدارة الداخلية بعد أن استتب له الامر تتفق والتراث الوهابي التقليدي ، لكنه كان في نفس الوقت أكثر تحرراً واستنارة ممن سبقوه . وفعل فعل الأمير الوهابي الاول في القضاء على الاضطرابات القبلية وإيقاع أقسى العقاب بمرتكبي حوادث السرقة والنهب ، لكنه على عكس أسلافه شجع مرور الحجاج السنية والشيعة بأرضه في طريقهم إلى الأماكن المقدسة ، بل وتعهد أيضاً بضمان سلامتهم . وفي عهد تركي لم تكن القيود الدينية التي يفرضها الوهابيون تسري على هؤلاء الذين لا يشاركونهم العقيدة إلا فيما يتعلق بالتدخين علناً وفي الأماكن العامة .

تمرد مشاري واغتيال تركي ١٨٣٤ :

وفي سنة ١٨٣١ قام أحد أبناء شقيق لتركي ويدعى مشاري

بالتمرد على عمه بعد أن أيدته قبيلة قحطان وسواها من القبائل ، لكن تمرده هذا رغم أنه أشاع شيئاً من الاضطراب وعدم الاستقرار في البلاد لم يستطع أن ينال شيئاً من تركي بالوسائل الشريفة الواضحة . وفي سنة ١٨٣٤ نجح على أية حال في أن يدبر عملية اغتيال تركي .

★ ★ ★

أعمال الامير تركي في شرق الجزيرة
١٨٢٤ ـ ١٨٣٤

وفي عهد تركي استعاد الوهابيون لفترة محدودة المكانة التي كانت لنفوذهم في شرق الجزيرة ، وفي سنة ١٨٣٣ كان كل ساحل خليج عمان والخليج العربي شمالا حتى القطيف خاضعاً يدفع الجزية لهم .

فتح الوهابيين للاحساء ١٨٢٤ ـ ١٨٣٤ :

وكان من أول الأهداف التي عمل تركي على تحقيقها استعادة إقليم الأحساء الذي كان بنو خالد قد عادوا إلى حكمه منذ ولتهم القوات المصرية عليه في سنة ١٨١٩ . وطوال المدة من ١٨٢٤ إلى ١٨٣٠ ظل الموقف هناك كما هو ، ولكن في سنة ١٨٣٠ اضطر بنو خالد أخيراً إلى الاستسلام لقوات الامير في المعركة الاخيرة التي خاضوها معه في وبره ، وكان يقود قوات الوهابيين تركي بنفسه ومعه ابنه فيصل . وفي سنة ١٨٣١ غامر بنو خالد متشجعين بتمرد مشاري فهاجموا الهفوف والقطيف لكنهم صدوا عن المدينتين .

وحين قوي مركز الأمير في الأحساء في سنة ١٨٣٠ بادر بطلب الجزية من شيخ البحرين ، وخشي هذا تحالف الأمير مع سيد عمان عليه فاضطر لدفعها .

علاقة الوهابيين بالبحرين ١٨٢٤ ـ ١٨٣٤ :

ولم تكن هذه الاتفاقية نهائية ، ولا كان أحد الطرفين مخلصاً في

عقدها أو الالتزام بها ، فظل الوهابيون على محاولتهم أن يجعلوا بشير ابن القرصان الشهير رحمة بن جابر في الدمام مصدر مضايقة للعتوب في البحرين ، كذلك فعل شيخ البحرين بمجرد أن تمكن من ذلك بعد رحيل بشير من الدمام سنة ١٨٣٣ فنقض اتفاقيته وحرض بني خالد في الأحساء على مناوشة الوهابيين . وهناك بعض الأسباب التي تحملنا على الظن بأن تدبير مشاري اغتيال الأمير تركي في سنة ١٨٣٤ كان بتحريض من شيخ البحرين أو على الأقل بإيحاء منه وكان هذا قد أعلن الحرب قبل هذه الحادثة مباشرة وحاصر مينائي القطيف والعقير من البحر .

النفوذ الوهابي في عمان المتصالحة ١٨٢٤–١٨٣٤ :

ولم يكد تركي يعزز من مكانته على عرش نجد حتى بدأ أكثر الشيوخ المثيرين للاضطراب فيما يعرف اليوم بعمان المتصالحة يهيجون أطماع الأمير خاصة شيوخ الشارجة وعجمان . وفي سنة ١٨٢٥ اعترف الشيخ القاسمي في الشارقة سراً بخوفه من أمير الوهابيين وطلب وعداً من السلطات البريطانية بتقديم العون له إذا ما رفض الرضوخ لما يطلبه منه الأمير ، ولم يقدم اليه هذا الوعد على أية حال لكن السلطات البريطانية قدمت اليه نصائح حازمة بعدم الاتصال بأية حركة معادية لسيد مسقط .

وأدى ظهور الوهابيين على ساحل الأحساء في سنة ١٨٣٠ إلى إثارة مزيد من القلاقل في عمان المتصالحة ، وأصبح تقدمهم نحوها مرتقباً يتطلّع له شيوخ عجمان وأم القيوين بفرح لانه سيخلصهم من سيطرة شيخ القواسم ، وطبيعي أن هذا كان يترقب تقدم الوهابيين بفزع شديد . ومرة أخرى طلب شيخ الشارقة عون الحكومة البريطانية ، ولم يقدم اليه وعد بذلك ، وفي نفس الوقت طلب شيخ عجمان وهو يذكر الأيام التي كان حسين بن علي من الرمس يحكم فيها البلاد باسم الوهابيين طلب من الأمير تركي ارسال بعثة اليه تكون بمثابة تمثيل للوهابيين

في البلاد . ورفض الامير هذا الطلب على اعتبار أنه لا يعترف بشيوخ في عمان إلا شيخ الشارقة وسيد مسقط فقط ، لكنه أخيراً استعان بشيخ عجمان في الوساطة لاتصال ودي بينه وبين الحكومة البريطانية .

علاقات الوهابيين بسلطنة عمان ١٨٢٤–١٨٣٤ :

أما العلاقات بين أمير الوهابيين وسيد مسقط فقد كانت من جرّاء بعد المسافة الفاصلة بين حدودهما مستمرة ولكن ببطء شديد .

ويبدو أن السيد هو الذي أخذ زمام المبادرة بهذا الصدد حين ارسل في سنة ١٨٣١ وفداً محملا بالهدايا إلى الرياض يطلب مساعدة الوهابيين في إخضاع البحرين .. واستغل الأمير هذا الطلب لصالحه كي يخضع شيخ البحرين ويفرض عليه الجزية . وفي سنة ١٨٣٣ وضح ضغط الوهابيين مرة أخرى في سلطنه عمان ، ففي هذه السنة ارغم حاكم مسقط على التفاهم مع القائد الوهابي سعد بن مطلق ، وكانت شروط الاتفاق بينهما تقضي بأن يدفع السيد ٥ آلاف روبية في السنة كزكاة أو جزية لأمير الوهابيين ، وأن يساعد كل من الطرفين الآخر في القضاء على الاضطرابات الداخلية والتمرد ، واعترضت السلطات البريطانية على هذا النص الاخير لكن السيد طمأنها مؤكداً أنه لن يلتزم بهذا الشرط إلا بقدر ما يتسق مع رغبات البريطانيين تماماً .

★ ★ ★

علاقة الامير تركي بالحكومة البريطانية ١٨٢٤ ـ ١٨٣٤

اقتصرت علاقة الأمير تركي خلال مدة حكمه بالسلطات البريطانية في الهند على حادثة واحدة ففى منتصف سنة ١٨٣١ تقريباً تلقى حاكم بومباي رسالة من أمير الوهابيين عن طريق شيخ عجمان جاء فيها رغبته في «تجديد المعاهدة التي عقدت بينكم ،الحكومة البريطانية ، وبين

الأمير سعود»(١) ، وعقب وصول هذه الرسالة دار البحث في وثائق حكومة الهند للعثور على معاهدة عقدت مع الوهابيين ، ولم يسفر البحث عن شيء . وأخيراً تلقى الامير رداً عاماً بروح ودية من السلطات البريطانية عن طريق المقيم البريطاني في الخليج .

★ ★ ★

فيصل بن تركي (الفترة الاولى من حكمه) ١٨٣٤ - ١٨٣٨

التاريخ العام ، وعلاقات الامير بالمصريين ١٨٣٤ - ١٨٣٨

تولي فيصل ١٨٣٤ :

حين وقع اغتيال الامير تركي كان ابنه فيصل منهمكاً في الدفاع عن إقليم الأحساء ضد عدوان شيخ البحرين لكنه عاد مباشرة إلى الرياض حيث حاصر مشاري القاتل الذي تولى الحكم في قلعة الرياض . ولم يمض وقت طويل حتى استطاع فيصل بمساعدة بعض حامية القلعة المحاصرة أن يدخلها في الليل ويعمل السيف في مشاري وعشرين رجلا من من أنصاره المقربين . وكان أحد الذين عاونوا فيصلا في هذا العمل —وتقول الروايات إنه هو الذي ذبح مشاري بيده— عبدالله بن علي بن رشيد الذي عينه الأمير الوهابي فيما بعدمحافظاً أو وكيلا باسمه في جبل شمر . وأصبح من ذلك الوقت مؤسس الأسرة التي تحكم شمال نجد في الوقت الحالي . واستعاد فيصل الاعتراف الكامل به أميراً على الوهابيين وكان في ذلك الوقت في الأربعين من عمره .

(١) مما يدل على الجهل الذى كان سائدا في ذلك الوقت بالنسبة لما يجرى في وسط الجزيرة العربية ما جاء في خطاب حكومة بومباى اشارة الى سعود الذى مات منذ ١٧ عاما فقط والذى ينتمى الى نفس جيل فيصل بأنه « جدكم العظيم .. » .

المصريون يستعيدون سيطرتهم الفعلية على نجد ١٨٣٥–١٨٣٨ :

ولم يكن محمد علي باشا مصر قانعاً بهذه السيطرة الاسمية التي قللت الأحداث الاخيرة في نجد من قدرها ، فبدأ يعد العدة عقب تولي فيصل مباشرة لاستعادة سيطرته الفعلية . وكانت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه هي تعيين تاجر بحريني جابياً للضرائب في ميناء القطيف التابع للوهابيين في الأحساء بأمر من أحمد باشا حاكم الحجاز ، لكن هذا العمل الذي يبدو أنه لم يكن إلا اختباراً وجساً للنبض قد أحبطته قوات فيصل بعمل حاسم كما هو مذكور في تاريخ الأحساء ، حين أرغمت الشيخ الذي عينه المصريون في القطيف على التماس الفرار . وفي سنة ١٨٣٦ كانت قوات مصرية كبيرة قد تمركزت في المدينة ، وطلب محمد علي من فيصل أن ينضم بقواته اليها في حملة على عسير . لكن فيصلاً تعلل بمرضه ، وأرسل شقيقه يعتذر عنه ومعه هدية من الخيول ، وكان من المعتقد على أية حالة أن فيصلاً قد ارسل معونته سراً إلى القبائل التي تعارض المصريين في الجنوب . وعمد محمد علي إلى إبدال الأمير فيصل بأمير آخر أكثر خضوعاً له ، فأطلق سراح الأمير خالد شقيق الأمير السابق عبد الله من سجنه بالقاهرة ، وارسله مع اسماعيل بك يقود قوة مصرية لتساعده في الحصول على السلطة . ويبدو أن الأمير خالداً كان له بعض الأنصار والمؤيدين في نجد ، وفزع فيصل من هذه الاعمال ، فسارع بارسال الرسل وخطابات الخضوع والولاء لباشا مصر ، لكن الوقت كان متأخراً جداً . وفي سنة ١٨٣٧ ، وبمعونة قوة مصرية قوامها من ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ فارس و ٥٠٠ جندي من المشاة مزودين باثني عشر مدفعاً و ٤ هاون ، احتل خالد القصيم وهزم فيصلاً في معركة بالقرب من الرياض ، وحين ارتد الامير المهزوم إلى قلعته بالرياض وجد أن بعض أنصار خالد قد احتلوها في غيبته . ووصل خورشيد باشا على رأس قوات جديدة من مصر وأصبح هو القائد العسكري العام في نجد.

استسلام فيصل ونفيه ١٨٣٨ :

أما الأمير فيصل فقد تراجع إلى إقليم الخرج وعزز مواقعه في الديلم لكنه سرعان ما حوصر هناك بثلاث قوات الأولى يقودها خورشيد باشا والأخرى يقودها شريكه خالد ، والثالثة أحد شيوخ العرب من أعدائه . وحين وجد فيصل ألا جدوى من المقاومة استسلم بعد فترة قصيرة ونقل إلى القاهرة في ديسمبر ١٨٣٨ .

★ ★ ★

وضع الوهابيين في شرق الجزيرة ١٨٣٤ - ١٨٣٨

علاقة الوهابيين بالبحرين ١٨٣٤-١٨٣٨ :

وفي غمرة الاضطراب الذي أعقب قتل الأمير تركي في ١٨٣٤ انتهز شيخ البحرين الفرصة فضم اليه جزيرة تاروت التي كانت تابعة للوهابيين . وفي سنة ١٨٣٥ حاول فيصل استعادة الجزيرة بقوة ارسلها لكن محاولته فشلت وعاد شيخ البحرين يواصل حصاره البحري لميناء القطيف الذي كان قد رفع عنه الحصار . وفي سنة ١٨٣٦ بذل الوكيل الوهابي في البحرين بأوامر من سيده محاولات كثيرة لإغراء سيد مسقط وبعض القبائل العربية على الساحل العربي بمهاجمة البحرين من البحر باسم الوهابيين . لكن حاكم مسقط أجاب بأنه غير مستعد للمساهمة في مثل هذا العمل دون معرفة الحكومة البريطانية وموافقتها . وهكذا انتهى الأمر إلى لا شيء . وبعدها مباشرة تم الصلح بين الامير الوهابي وشيخ البحرين حين أصبح كلاهما في خطر : الأول من خطط القوات المصرية ، والثاني من محاولات الحكومة الايرانية . وتمت الهدنة بين الطرفين بمقتضى معاهدة نصّت على أن يدفع الشيخ جزية قدرها ٢٠٠٠ روبية للامير في كل سنة . وتعهد فيصل من ناحيته بحماية البحرين ضد أي عدوان خارجي ، وبألا يتطلب معاونة شيخ

البحرين إذا تقدم بنفسه لمهاجمة سيد عمان . وفي سنة ١٨٣٨ أعدم عمرو بن عفيصان والي الوهابيين في الأحساء ثلاثة شيوخ من عماير بني خالد ممن كانوا يؤيدون القوات المصرية فيما كانت تلك القوات تواصل تقدمها الآن بسرعة نحو الأحساء ثم التجأ الحاكم الوهابي إلى شيخ البحرين .

علاقة الوهابيين بسلطنة عمان ١٨٣٤—١٨٣٨ :

وقد سبق أن أشرنا إلى المحاولة التي قام بها الوهابيون في سنة ١٨٣٦ لجر سيد مسقط إلى القيام بعمل لحسابهم ضد البحرين ، وفي نفس السنة سقطت مدينة صحار في الباطنة بين يدي حمود المتمرد على سيد عمان ، واستعان هذا بسعد بن مطلق ممثل الوهابيين في عمان ، وتم الاتفاق بينهما على أن يقوم سعد بعملياته على صحار من جهة البر ، على حين يحاصرها السيد بحراً ، لكن فقدان الثقة الذي دب فجأة بين الحليفين جعل سيد عمان يتراجع عن هذا الاتفاق قبل القيام بأي عمل ضد صحار .

★ ★ ★

فترة خلو عرش الوهابيين ١٨٣٨ ـ ١٨٤٠
القوات المصرية تحتل نجدا والاحساء للمرة الثانية
١٨٣٨ ـ ١٨٤٠

الإدارة المصرية المباشرة :

بعد نفي الأمير فيصل ، اتخذ قائد القوات المصرية التي وصل عددها آنذاك ما بين نظاميين وغير نظاميين إلى حوالي ثلاثة آلاف رجل مقر قيادته في السليمية بإقليم الخرج ، وأرسل ٣٠٠ رجل من قواته غير النظاميين إلى الأحساء حيث انقسمت حاميات صغيرة في مواني القطيف وسيهات والعقير . وكان وضع خالد الذي كان منذ البداية دمية في أيدي القوات المصرية قد أصبح الآن غير محدد ، فرغم أن المصريين كانوا في تعاملهم مع الدول المجاورة يزعمون أنهم موجودون فقط لتأكيد

الحقوق الشرعية للامير الوهابي ، ورغم أنهم أقاموا احتفالا كبيراً بتنصيب الأمير خالد وخلعوا عليه ثوب الشرف ، إلا أن خورشيد باشا كان مصراً على أن يجعل الامر كله بين يديه ، وعلى أن يعلن سيطرة سيده محمد علي المطلقة على كل نجد .

سياسة الحكومة المصرية وتعارضها مع المصالح البريطانية :

وكانت خطة الحكومة المصرية هذه المرة أبعد مدى مما كانت عليه في ١٨١٨–١٨١٩ ، ويبدو أن هدفها لم يكن أقل من إخضاع كل شرق الجزيرة ووسطها ثم وضع اليد لاحقاً على إقليم العراق التركي . وواضح أن التأكيد الذي قدمه محمد علي لممثل بريطانيا السياسي في القاهرة سنة ١٨٣٨ بألا يمد سلطته باتجاه الخليج لم يكن يلزم قواده ، مما أثار معارضة بريطانيا التي أدت في النهاية – وكما سنرى – إلى إفشال العمل كله .

وكانت السلطات البريطانية تنظر إلى ازدياد قوة محمد علي في اوربا بعدم الرضا (١) ، أما في منطقة الخليج فقد كانت هذه السلطات تعتقد

---

(١) من الضرورى هنا أن ننتقل الى استعراض سريع للموقف في أوربا ونواصل بذلك هامش ص ١٠٦١ .

لم يؤد تولى محمود الثاني عرش تركيا رغم اتجاهاته الاصلاحية التى قيضت للامبراطورية العثمانية أن تستمر حتى اليوم الى منع الكارثة تماما ففى سنة ١٨١٢ استولت الروسيا على اقليم بيساربيا الواقع بين اقليمى الدنيستر والدانوب . وفي سنة ١٨٢٠ حين كان الباب العالى منهمكا في القضاء على تمرد باشا جنينا في اليونان وقد طلب السلطان عون نائبه محمد على الذى كان قد استطاع تعزيز سيطرته على مصر خلال السنوات الحرجة التى أعقبت جلاء الفرنسيين عنها وقد أصبح له أسطول بحرى أقوى من اسطول السلطان نفسه الى جانب جيش قوى منظم تنظيما جيدا على النسق الاوروبى . وبسرعة تحرك ابراهيم باشا قائد القوات المصرية فأخضع كريت واليونان تماماكما أخضع القصيم ونجدا . فاستولى على كريت في سنة ١٨٢٤ ، ثم سقطت ساموس وتبعتها موريا ثم ميسلونى في سنة ١٨٢٦ ، وأخيرا الاكروبول وأثينا في سنة ١٨٢٧ . وهنا انقطعت انتصارات ابراهيم باشا في موقعة نافارينو التى دمر =

أن النفوذ البريطاني سيعاني من ضربة قوية اذا ما أقام المصريون لهم قاعدة دائمة في شرق الجزيرة . وفي فبراير ١٨٣٩ صدرت تعليمات صريحة للمقيم السياسي البريطاني في بوشهر بأن يستخدم كل نفوذه لوقف تقدم القوات المصرية .

= فيها أسطوله البحرى تدميرا تاما على يد أساطيل مشتركة من بريطانيا وفرنسا والروسيا ، وفي العام التالى ، وبعد أن انتهت الحرب بين روسيا وتركيا بمعاهدة أدريا نوبل ، حصلت اليونان علـــى استقلالها ٠

وفي سنة ١٨٣١ أرسل محمد على ــ الذى كان مشغولا بتوسيع رقعة حكمه ــ جيشا الى الشام ، وتبعت ذلك الحرب بين مصر وتركيا وأوقع ابراهيم باشا هزيمة ساحقة بالقوات التركية عند قونيـــه بآسيا الصغرى ، وكانت نتيجتها ضم الشام الى مصر وطروء تقارب بين تركيا وروسيا بمعاهدة انـكيار سـكلسى في سنة ١٨٣٢ ٠ وفي سنة ١٨٣٩ ــ ورغم الاصلاحات التى أحدثها مولتكه وغيره من الضباط البروسين على الجيش التركي ــ استطاع ابراهيم باشا أن يوقع هزيمة ساحقة أخرى بالقوات التركية في موقعة نصـــيبين ، وانضم قائد الاسطول التركي بأسطوله كله الى محمد على ، غير أن هذا كان أكثر مما تستطيع أوربا ــ باستثناء فرنسا التى كانت تعطف على محمد على ــ أن تتحمله ٠ وهكذا استولت الاساطيـــل البريطانية والنمسوية والتركية على عكا وأرغم ابراهيم باشا على التراجع من الشام ٠ ونتج عن هذا التدخل الذى لعبت فيه بريطانيا أعظم الادوار أن أعيدت الشام الى حكم تركيا ، وخفض الجيش المصرى الى عدد لا يزيد على ١٨ ألفا ، وأصبح الاسطول المصرى موجودا في ميناء الاسكندرية فقط ٠ لكن محمد على ــ وهو يعلن خضوعه الرسمى للسلطان ــ أصبح حاكم مصر حكما وراثيا له ولعائلته ٠

من هذا الذى سبق يتضح لنا أن تقدم القوات المصرية في وسط الجزيرة سنة ١٨٣٧ انما كان جزءا من مخطط كبير ، وان انسحابهم منها في سنة ١٨٤٠ كان نتيجة فشل هذا المخطط نفسه ٠

مؤامرات(١) القوات المصرية في شرق الجزيرة وعلاقتها بالحكومة البريطانية ١٨٣٨ ـ ١٨٤٠

علاقة القوات المصرية بالبحرين ١٨٣٨–١٨٤٠ :

والآن نستطيع الانتقال لمتابعة بعض الأعمال العدوانية التي بدأت القوات المصرية تشنها من قاعدتها في الاحساء على دول الخليج .

ففى أوائل سنة ١٨٣٩ أفصح خورشيد باشا عن هدفه فيما يتعلق بالبحرين حين طلب من شيخها أن يدفع اليه في كل سنة الجزية التي كان يدفعها للأمير فيصل ، وأن يتخلى له عن جزيرة تاروت وميناء الدمام ، كذلك أيضاً تسليمه عمرو بن عفيصان حاكم الاحساء الوهابي اللاجيء عنده . وطلب الشيخ مرة واحدة حماية بريطانيا ، لكن حكومة الهند التي كانت لا تعرف على وجه التحديد اتجاه الحكومة الأم بالنسبة لمحمد علي لم تستطع أن تقدم له الضمانات التي طلبها ، حينئذ حاول الشيخ المراوغة في إجابة مطالب الباشا باعلان تبعيته لإيران . وفي إبريل ١٨٣٩ قامت حكومة الهند على مسئوليتها الخاصة بتفويض الأميرال سير ف. ميتلاند الذي كان يطوف في الخليج على رأس اسطول بريطاني بأن يحاول منع قائد القوات المصرية من الهجوم على البحرين ، وبأن يقدم لشيخها من المعونات ما يستطيع تقديمه دون ان يتورط في اشتباك مباشر مع القوات المصرية . وكان الهدف من هذه التعليمات هو كسب الوقت وإبقاء الوضع على ما هو عليه ، وبعدها بأسبوعين او ثلاثة صدرت أوامر أكثر صراحة وحسماً تفوض الاميرال في ظروف معينة ، وبعد أن يقدم إنذاراً للقوات المصرية– بأن يدافع عن البحرين ضد قوات خورشيد باشا . وخلال زيارة متتلاند للبحرين قبل صدور هذه التعليمات المحددة وعد الشيخ رسمياً بألا يجعل من نفسه تابعاً لأية دولة أجنبية

---

(١) التعابير التى يستخدمها المؤلف مثل « المؤمرات » و « والقرصنة » و « التعصب » وغيرها ناشئة عن الشرعية التى يعطيها الانجليز لوجودهم دون سائر الامم في الخليج وغيره ، وكأنما بلاد الآخرين خلقت لتكون لهم · وقليلا ما يتصورون أن الحكم الحيادى بالحق على الامور يجعلهم أكثر المؤهلين لانطباق هذه التعابير عليهم ·

قبل التشاور مع المقيم البريطاني . وفي نفس الوقت كتب خورشيد باشا إلى المقيم البريطاني بهدف استكشاف نوايا بريطانيا بالنسبة لهجومه على البحرين لكنه تلقى في الرد طلباً بألا يقوم بأية حركة قبل إبلاغ المقيم العام حتى يستطيع أن يتخذ إجراءات حماية الرعايا البريطانيين في البحرين . وبعدها صدرت تعليمات من الحكومة للمقيم بتحذير الباشا من أي عمل ضد البحرين . لكن شيخ البحرين رغم كل الإجراءات التي اتخذت لتدعيم سلطته دخل سراً في مفاوضات مع المصريين في يوليو ١٨٣٩ على الارجح ، وتعهد بموجبها بأن يدفع جزية سنوية قدرها ٢٠٠٠ روبية شريطة امتناع الباشا عن التدخل في شئون البحرين الداخلية ، وألا يقيم ممثل مصري في الإمارة . ويبدو أن دوافع الشيخ نحو هذا العمل الذي أسخط السلطات البريطانية سخطاً شديداً كانت الرغبة في الخلاص من هذا الموقف الدقيق من ناحية ، وعدم اطمئنانه إلى استطاعة الحكومة البريطانية أن تقدم له العون ضد الهجوم البري من القوات المصرية على البحرين . وقد وجه المقيم البريطاني احتجاجاً على هذه الاتفاقية لكل من شيخ البحرين وقائد القوات المصرية . لكن المسألة لم تتطور أكثر من ذلك وفي العام التالي حين جلت القوات المصرية عن الأحساء لم يعد للاتفاقية أية قيمة عملية على الاطلاق وترد هذه المسائل بتفصيل أشمل في تاريخ البحرين .

علاقة القوات المصرية بعمان المتصالحة ١٨٣٨–١٨٤٠ :

وفي عمان المتصالحة ايضاً ارغمت السلطات البريطانية على أن تتخذ إجراءات ضد تقدم القوات المصرية. فقد التحق سعد بن مطلق الذي عزله الامير فيصل عن البريمي قبل نهاية حكمه بخورشيد باشا في نجد منذ بداية احتلال القوات المصرية لها ، وفوضه الباشا بأن يسير إلى عمان المتصالحة ليحصل من الشيوخ المهمين بها على إعلان الخضوع لصنيعته الامير خالد . ووصل سعد إلى الشارقة في مارس ١٨٣٩ واستقبله الشيخ القاسمي فيها استقبالا حافلا وقدم له بيتاً يستقر فيه ، وقد جاءت معه

حامية من جنود الوهابيين اراد سعد أن يجعلها في البريمي لكن بني نعيم الذين كانوا يحتلون واحة البريمي في ذلك الوقت ويحظون بتأييد السيد حمود في صحار رفضوا السماح له بذلك ، ورغم نجاح سعد في إغراء شيخ أبو ظبي بتأييده ، إلا أنه كان أضعف من أن يستطيع فرض هذا الامر بالقوة . وفي هذا الوقت نفسه قام مسئول سياسي بريطاني بزيارة للساحل في صحبة الاميرال سير ف. ميتلاند ووعده شيوخ مواني ساحل عمان بمقاومة ، ناهيك عن عدم مساعدة . عميل القوات المصرية ، ولكن بمجرد رحيل الاسطول مباشرة تسابق شيوخ الشارقة وابو ظبي إلى كسب رضاه . وفي عمان المتصالحة —كما في البحرين تماماً— ساد الاحساس بأن القوات المصرية بسبيلها إلى التقدم نحوها . وفي يوليو ١٨٣٩ زار المقيم البريطاني الساحل وحصل على ضمانات كتابية من الشيوخ المهمين بتأييد السياسة البريطانية والوقوف ضد السياسة المصرية ، وقام باجراءات —عن طريق شيخ الشارقة— لطرد سعد بن مطلق من البلاد ، كما شجع بني نعيم في البريمي وحضهم على الثبات في موقفهم ، وفي نفس الوقت أبلغ وكيل القوات المصرية أن بني نعيم قد أصبحوا تحت الحماية البريطانية . وحين أدت هذه الاجراءات إلى إحباط خطة سعد بن مطلق اضطر للرحيل من الشارقة إلى العقير بعد أن حمل من جزيرة قيس حوالي ٤٠٠ رأس من الغنم وأشياء أخرى ، ولكن يبدو أنه لم يستطع الاحتفاظ بثقة المصريين الذين يعمل لاجلهم لانه القى في السجن فور عودته ثم نقل إلى الرياض . ونتيجة هذه الاحداث أصدرت السلطات البريطانية تحذيراً لأهل القطيف بأن أية حملة من الاحساء على أي ميناء من موانى ساحل عمان ستقاومها القوات البحرية البريطانية في الخليج .. وفي يناير سنة ١٨٤٠ زار المقيم ساحل عمان المتصالحة مرة أخرى ورتب في عجمان حلفاً دفاعياً ضد كل الأعداء بين بني نعيم والدواسر في واحة البريمي . كما زار ضابط بريطاني أيضاً البريمي . ومعظم هذه الإجراءات واردة بتفصيل أكثر في تاريخ ساحل عمان المتصالحة .

علاقة القوات المصرية بالشعب في عمان :

وواصلت القوات المصرية أعمال الشعب التي كان يقوم بها اسلافهم الوهابيون ضد سيد مسقط ، بل إنهم استخدموا لذلك أيضاً بعض العملاء الذين سبق أن عملوا للوهابيين مثل سعد بن مطلق ورجل آخر يعرف باسم بن بطال . وكان السيد يود في البداية أن يرتبط بالمصريين مؤملا أن يستولي من خلالهم على حكم البحرين لكنه أخيراً رضي لوجهة نظر حكومة الهند فجعل مراسلاته مع المصريين حسب ما تشير به هذه الحكومة . وقد كان للصلح الذي توسط البريطانيون في عقدة بين السيد وقريبه حمود في سنة ١٨٣٩ علاقة بخطر القوات المصرية ، وفي هذه المعاهدة ارتبط حاكم عمان بمساعدة حمود الذي كان عدواً عنيداً لمحمد علي ضد كل اعدائه .

علاقة القوات المصرية بالكويت :

وكانت الكويت من أبعد الاماكن التي ارسلت اليها القوات المصرية بعثات منها بعد وصولها إلى شواطيء الخليج . ويبدو أن الهدف من تعيين ممثل مصري في الكويت كان هدفاً سياسياً له علاقة ما بخطة غزو العراق ، ولم يكن الرجل مجرد رجل مسئول عن توفير المؤن للقوات المصرية كما كان في الظاهر . وكان شيخ الكويت يعطي مكان الصداره لهذا الممثل المصري في كل مجالسه ، وربما كان وجود هذا الممثل هو السبب في شيء من سوء معـــاملة من شيخ الكويت لمساعد المقيم البريطاني في سنة ١٨٣٩ ، وهذه حادثة مذكورة بتفاصيلها في تاريخ الكويت .

★ ★ ★

جلاء القوات المصرية عن نجد والاحساء ١٨٤٠

وإلى جانب المعارضة القوية من جانب الحكومة البريطانية لخطط الحكومة المصرية وطموحاتها التوسعية ، لقي المصريون صعوبات كثيرة من أهل البلاد التي احتلوها بالفعل ، وفي أوائل سنة ١٨٤٠ بدأت قواتهم

حركة تراجع . وأطلق بعض العرب في الهفوف النار على الحاكم المصري في الاحساء فقتلوه ، وأصبح من الضروري استدعاء قوة صغيرة كانت قد ارسلت ضد بني نعيم في قطر . وكانت قبيلة عجمان ،بي سجن المصريون شيوخها لكنهم كثيراً ما كانوا يستطيعون الهرب تعادي القوات المصرية عداءً عنيفاً ، وبدأت خطوط المواصلات تصبح مهددة بالأخطار .. بل وحتّى ثرمدا التي نقل اليها الباشا مقره لم تكن تصلها الإمدادات إلا بحراسة ثقيلة .

وأضيف إلى هذه الصعوبات المحلية التي كان يواجهها الباشا سوء علاقته بمحمد(١) نتيجة غيرة هذا الأخير منه ، فلم تعد تصله الإمدادات عن طريق البحر كثيراً . ووصلت سفينة واحدة فقط إلى القطيف في نوفمبر ١٨٣٩ بدل أربع سفن كان الباشا ينتظرها منذ وقت غير قليل . وفي مايو سنة ١٨٤٠ حين كانت البحرية البريطانية تحاصر مواني القوات المصرية في القطيف وسيهات وعقير جاءت الاخبار بانسحاب الجزء الاكبر من القوات المصرية في نجد . وقد سبق انسحاب القوة جولة قام بها خالد مصحوباً بفرقة من الجنود المصريين في أقاليم الداخل ليحصل على تأييد الشيوخ الذين سيحكمهم وحده بعد ذلك . وقوبل أمر الانسحاب في الاحساء كما قوبل من قبل سنة ١٨١٩ بمظاهرة من الضراوة والجشع من جانب الضباط المنسحبين ، وقتل برغش ، أحد شيوخ بني خالد انتقاماً لقتل محمد أفندي . وكان من المفروض أن تظل نجد بعد ذلك خاضعة عن طريق خالد للحكم المصري في المدينة ، ولتمكين الموظف المصري من تعزيز سيطرته تركت له قوة قوامها ٨٠٠ رجل ثلثاها من المشاة .

---

(١) المقصود طبعا هو محمد على باشا .

خالد بن سعود ١٨٤٠ ـ ١٨٤٢
التاريخ العام والداخلى

ضعف مكانة خالد :

كانت فترة حكم خالد الذي كان مكروهاً عموماً لأنه صنيعة المصريين ولأنه ايضاً لم يكن في كفاءة الحكم فترةً قصيرةً مليئةً بالاضطراب ، وقد اهتزت سلطته في البداية بسبب الشائعات التي ذكرت أن الامير السابق فيصل بن عبدالله قد هرب من مصر أو انه قد أطلق سراحة عندما وصلت أخبار التراجع الذي ارغمت عليه القوات المصرية في الشام . كذلك قدم الباب العالي مطالبه بالسيادة على نجد ، وأعلن خالد الذي كان يعمل بنصيحة خورشيد باشا ولاءه للسلطان وارسل إليه الهدايا . لكن السلطان الذي كان يعرف أن هذه كلها مناورات من جانب المصريين سرعان ما سيتخلون عنها في أقرب فرصة ـ بادر بتعيين وال تركي لوسط الجزيرة . ولم تتلق القوات المصرية التي يعتمد عليها خالد رواتبها لمدة طويلة فسادها السخط إلى جانب أن أعراب البلاد كانوا يغارون منهم ويعتقدون أن الامير الوهابي يجب أن يعتمد حكمه على رجال بلده فقط .

زيارة الامير للاحساء ١٨٤١ :

وفي أكتوبر ١٨٤١ وبرغم هذه الصعوبات سار الامير خالد إلى الأحساء وبدا انه يعد الحملة على عمان ، وأنذرته السلطات البريطانية بعدم القيام بمثل هذا العمل وبادرت بارسال ضابط بريطاني إلى الهفوف كما سيلي .

تمرد عبدالله بن ثنيان سبتمبر ١٨٤١ـ ابريل ١٨٤٢ :

لكن تفكير الأمير في هذا التوسع الخارجي إن كان قد فكر فيه فعلا سرعان ما بدّد التمرد في الداخل الذي تزعمه أحد أقربائه البعيدين

وهو عبدالله بن ثنيان يعضده تركي آل جيزاني أحد الشيوخ المتنفّذين في إقليم الخرج بنجد . وكان هذا الغريم قد فر إلى الكويت حين أحس بأن خالداً يشك فيه ، لكنه عاد في سبتمبر سنة ١٨٤١ إلى وسط الجزيرة واستولى فيما يبدو على ضرمة وحائل ومنفحة في عريضة ؛ وحصل على الاموال اللازمة للحرب بمصادرة ضياع شيخين من أثرياء المنطقة كانا يعارضانه فأمر باعدامهما ، وانضمت اليه قبيلة السهول وغيرها من القبائل ، واستطاع أن يضمن الحياد إن لم يكن التأييد من قبائل عجمان وآل مرة وسبيع ، لكن ظلت قبائل عنيزة ومطير وبنو هاجر مؤيدة للامير خالد . وفي ديسمبر سنة ١٨٤١ وجد عبدالله نفسه في وضع جعله يهدد الرياض لكنه تراجع عنها عقب اشتباك خفيف ، وكان له أنصار كثيرون في المدينة نفسها فتحوا له أبوابها الجنوبية في نفس اليوم بعد هبوط الظلام فدخلها وأعلن نفسه أميراً على نجد . وسقط قواد جيش خالد بين يديه فأعدم ثلاثة منهم ، لكنه استبقى أحدهم ويدعى عمرو بن عفيصان لعله هو الذي كان يحكم الأحساء في عهد الامير السابق فيصل ، وفر الامير خالد إلى الأحساء ، وأعلن كما سبق أن فعَلَ من قبل بأنه سيجلي القوات المصرية التي تجعل كبار أنصاره ساخطين عليه ، لكنه تخلى عن وعده مرة أخرى فتحول أهل الهفوف بولائهم إلى عبدالله بن ثنيان . ووجد خالد نفسه مرغماً على الفرار إلى القطيف حيث لحقت به قواته . ولكن طارده فيها أيضاً الشعور الشعبي المعبأ ضده بشكل عام فتخلى عنه كثيرون من أنصاره ــ وبعد أن طرد خالد جنوده من المرتزقة لجأ إلى الدمام عند مبارك ابن شيخ البحرين . ومن الدمام قام خالد بزيارة لخور حسان في قطر حيث أعد له شيخ البحرين استقبالا هائلا ، لكن المحاولات التي جرت باسمه في الهفوف وعقير باءت بالفشل ، وأخيراً اضطر للانسحاب إلى الكويت بهدف مواصلة صراعه ناحية القصيم حيث كان له بعض الأنصار .

علاقات الامير خالد بالمشيخات العربية
١٨٤٠ ـ ١٨٤٢

علاقته بعمان المتصالحة :

كانت علاقات الامير خالد بالدول العربية الاخرى في شبه الجزيرة علاقات بسيطة وقاصرة بالفعل على عمان المتصالحة . ولاشك في أن بعض مشايخ هذه الإمارات بدأوا مراسلته والاتصال به ومنهم شيخ الشارقة . فقد استطاع بنو نعيم في البريمي أن يحصلوا على خطاب منه للامير خالد بشأن خطة عمل ضدهم هناك سنة ١٨٤١ . وفي أكتوبر من نفس السنة يبدو أن خالداً كان يعد حملة على البريمي ، ولكن لو صحّ هذا فان التمرد الذي حدث هو الذي منعه من القيام بها وهو الذي أدى به في النهاية إلى الطرد من ارضه كلها .

★ ★ ★

علاقة الامير خالد ببريطانيا العظمى
١٨٤٠ ـ ١٨٤٢

وجه خالد في أوائل حكمه خطاباً إلى مساعد المقيم البريطاني في البحرين يشير فيه إلى رغبته القوية في أن تتجدد «علاقات الود والصداقة التي كانت قائمة بين أبيه سعود والحكومة البريطانية» ، وأشار إلى أنه كان يود أن يتخذ هذه الخطوة من قبل لكن محمد علي كان يمنعه منها .

مهمة الملازم جوب ١٨٤١ :

أما فيما يتعلق بعمان المتصالحة فقد كان موقف خالد منها غامضاً كما ذكرنا من قبل ، وانتهز المقيم فرصة التعليمات الصادرة اليه من حكومته بأن يراقب حركة الامير جيداً وان يحذره اذا اقتضت الضرورة من أن أي عمل لغزو عمان سيلقى مقاومة السلطات البريطانية ، فأرسل

ضابطاً هو الملازم جوب لمقابلة الأمير في الهفوف وشرح الموقف له . أما حكومة الهند التي كانت ترى ألا يعامل خالد بالشدة نفسها التي تعامل بها القوات المصرية فكانت تميل إلى الشك في أن هذا المبعوث سيستطيع أن يحقق شيئاً ، لكنه استطاع أن يرجع بتأكيد صريح من الأمير بأنه لا خطط لديه ضد عمان على الاطلاق ، كذلك رجع الملازم جوب أيضاً ببعض المعلومات الجغرافية الهامة التي سجلها في رحلته من العقير إلى الهفوف ومن الهفوف إلى القطيف في نوفمبر ١٨٤١ (١) .

★ ★ ★

عبد الله بن ثنيان ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣

الحالة الداخلية ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣ :

كانت فترة حكم عبدالله بن ثنيان الذي نجح في تمرده فترة قصيرة وعاصفة أيضاً . ففي الأحساء سرعان ما أثارت شدة الضرائب حفيظة الاهالي الذين كانو في البداية يؤيدونه بشكل عام ، وظلت قبائل من البدو في هذه الناحية على موقفها العدائي منه . أما الامير السابق خالد فقد هدد بهجوم من ناحية القصيم . وفي مارس سنة ١٨٤٣ ظهر الامير السابق فيصل أيضاً وكان قد استعاد حريته بالفعل في ذلك الإقليم وأصبح مصدر خطورة أكثر من خالد . وفي يونيو سنة ١٨٤٣ سار فيصل جنوباً دون ان يلقى أية مقاومة حتى حاصر عبدالله في عاصمته الرياض التي ارغم على التراجع اليها مع حفنة قليلة من أنصاره ، وسرعان ما ارغم عبدالله على الاستسلام له . وقد عرض فيصل في البداية على خالد أن يشترك معه في عملياته لكن هذا الرجل الواحد الذي لا حول له رفض العرض وتراجع إلى المدينة . وبعدها لم يعد التاريخ يعرف عنه شيئاً . وفي هذه العمليات لقي الامير فيصل مساعدة ذات قيمة كبيرة من واليه المخلص له في جبل شمر : عبدالله بن علي .

---

(١) مختارات بومباى . مجلد ٢٤ . ص ١١١ ـ ١١٥ . وواضح ان الملازم جوب كان اول أوربى يسافر من العقير الى الهفوف على الاطلاق ، واول من سافر بين الهفوف والقطيف بالطريق العادى .

علاقاته بالبحرين ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣

حدث في ١٨٤٢ خلاف بين الشيخين المشتركين في حكم البحرين ، وقام أكبرهما بطرد الاصغر محمد بن خليفة من البحرين فسار إلى الرياض حيث نجح في أن يستثير اهتمام أمير الوهابيين بقضيته ، فقام الشيخ عبدالله شيخ البحرين بحصار الساحل الوهابي ، واستولى موقتاً على العقير وسمح للمهاجرين الساخطين من سيهات باللجوء إلى واحة القطيف . وفي إبريل ١٨٤٣ استطاع محمد بدوره أن يطرد الشيخ عبدالله من البحرين فأقام هذا في الدمام على ساحل الاحساء . ولم يكن أمير الوهابيين في وضع يمكنه من التدخل تدخلاً فعالاً في هذا الأمر .

★ ★ ★

خططه في عمان المتصالحة ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣

وعلى الرغم من ضعف الامير الوهابي في ذلك الحين ، فلم يكن يليق بشرفه ألا يزعم سيادته المطلقة على إقليم عمان البعيد . وقد حقق عبدالله هذا الالتزام بأن أبلغ شيوخ الساحل المتصالح أن في نيته جعل سعد ابن مطلق ممثلا له في البريمي ، لكن شيوخ البريمي ـ وكانوا ممن وجه اليه هذا التبليغ ـ أعلنوا مباشرة أنهم في حماية الحكومة البريطانية أملا منهم في أن هذا الإعلان سيبعده عن التدخل في شئونهم ، غير أنهم انقسموا على أنفسهم ، وكانت مراسلات بعضهم السرية مع أمير الوهابيين كما يقال تكتب بلهجات ومضامين مختلفة .

★ ★ ★

علاقاته بالحكومة البريطانية ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣

استطاع المقيم البريطاني في الخليج أن يضع يده على كل الخطابات التي ارسلها الأمير عبدالله إلى شيوخ عمان المتصالحة عدا خطاب واحد كان الامير قد ارسله إلى شيخ ابو ظبي ، وكانت هذه الخطابات موضوع احتجاج من المقيم على عمل الوهابيين ، وكانت حجة المقيم في ذلك هي أن نفوذ الوهابيين على هذه المنطقة فيما سبق أدى إلى انتشار القرصنة على شواطئها مما أدى بدوره إلى ضرورة قيام السلطات البريطانية باجراءات تأديبية تجاهها . وأجاب عبدالله رداً على ذلك بتأكيد رغبته في التعاون مع الحكومة البريطانية لقمع القرصنة ، وذكر أيضاً أنه اتصل بأهل عمان المتصالحة بهدف كفهم عن الاشتباك في أعمال عدائية بحرية ؛ غير أنه لوحظ انه أشار في خطابه لأهل عمان المتصالحة على أنهم من رعاياه .

★ ★ ★

فيصل بن تركي (فترة الحكم الثانية)
التاريخ العام والداخلى
١٨٤٣ ـ ١٨٦٥

حياة فيصل وخلقه :

أشرنا الى الطريقة التي تولى بها فيصل الحكم مرة ثانية ، وكانت فترة حكمه هذه في الداخل عادية بغير حوادث ذات بال .

لقد كان فيصل يتميز بالوقار والقدرة على ضبط النفس ، وكان يلقى الاحترام لعدالة الأحكام التي يصدرها ، لكنه كان مرهوباً أيضاً إلى أقصى حد خاصة من البدو لقسوته التي لا حدود لها . وكانت مشاعر رعاياه نحوه كما كانت من قبل نحو سعود أشهر أسلافه مزيجاً مختلطاً من الكراهية والإعجاب . وقد فقد فيصل في أواخر عمره

بصره وكثيراً من صلابته لكن امكاناته العقلية ظلت كما هي ، وظل هو لفترة طويلة يمسك بكل شيء بين يديه . وفي يونيو ١٨٦٥ هاجم الشلل الامير فيصل ومات في يونيو ٢ ديسمبر التالي بالرياض ، وقيل إن الكوليرا كانت السبب المباشر في وفاته .

الادارة الداخلية في نجد ١٨٤٣ — ١٨٦٥ :

ويبدو أن فيصلاً كان يسيطر على الارض الخاضعة له سيطرة تامة ، وقد أوضح منذ السنة الاولى لحكمه تصميمه الحاسم على حماية الحجاج الذين يذهبون كل سنة لزيارة الاماكن المقدسة من اعتداءات البدو في الطريق . وكان في سجنه بالرياض دائماً عدد ليس قليلا من معارضيه السياسيين ذوي السلطة والنفوذ ، وكان يحكم على كبار معارضيه بالإعدام أحياناً وأحياناً يحكم بعقوبات أقل وطأة مثل النفي إلى القطيف ، وكانت هذه العقوبة تعد عند أهل وسط الجزيرة قاسية لانها قد تعني الموت بالحمى . وفي سنة ١٨٤٨ ، أو خلال السنوات القليلة التالية استعاد الامير معظم إقليم القصيم الذي خرج على جبل شمر لكنه لم يستطع الاستيلاء على مدينة عنيزة . وقام الامير بمحاولات أخرى لإخضاع هذه المدينة في سنتي ١٨٥٣ و ١٨٦٢ بلا جدوى .

حكم الاحساء ١٨٤٣ — ١٨٦٥ :

وفي الاحساء حيث كان الاهالي بعيدين عن تقبل العقيدة الوهابية اعتمد حكم الوهابيين أساساً على التخويف والارهاب . وفي هذا الاقليم حيث كانت حركات التذمر تندلع بين الحين والحين لم تكن أخلاق المسئولين الوهابيين فوق مستوى الشبهات ، وكانت اساليبهم تتسم بالتعسف . وفي سنة ١٨٥١ قام فيصل نفسه بزيارة لواحة الاحساء والصحراء الممتدة جنوبها ، وأوقع العقاب بقبائل البدو التي كانت تقطع طريق التجار والحجاج ، وما يزال اسمه يذكر حتى اليوم على أنه الامير الوحيد الذي استطاع أن يقهر قبيلة آل مرة في أرضهم بنجاح . وقد قيل

إن حالة الجنود الوهابيين حين استطاعوا أخيراً أن يرغموا آل مرة على الاستسلام في صحراء الجافورة كانت لا تسمح للامير إلا بمجرد الاستقرار الشكلي فيها .

الــدخــل :

وبلغ الدخل السنوي الكامل للدولة الوهابية بما فيها الاحساء في سنة ١٨٦٥ مثلا ٨٠٠ الف روبية كان ستة أسباعها من السكان المستقرين في المدن .

★ ★ ★

علاقات الحكومة الوهابية مع الدول المجاورة في الجزيرة العربية ١٨٤٣ ـ ١٨٦٥

كان طبيعياً مع استتباب الامن والنظام في الداخل ووجود مصادر كافية للحكومة أن تنطلق طاقات الوهابيين نحو الخارج ، وأن تصبح تحركاتهم في هذا الاتجاه أكثر عدوانية مما كانت عليه خلال السنوات السالفة .

العلاقات مع تركيا ومصر ١٨٤٣ ـ ١٨٦٥ :

وثمة ظلال تخفي العلاقات التي كانت قائمة بين حكومة الامير فيصل في اوائل حكمه وحكومتي تركيا ومصر . ففي سنة ١٨٥١ كان مفهوماً أن الامير يدفع جزية سنوية للباب العالي ، لكن مبعوثي باشا مصر كانوا دائماً في معسكره وكان وكيل الوهابيين في الكويت يقوم برعاية المصالح المصرية العليا . وفي سنة ١٨٥٥ أعلن الأمير في مراسلات بينه وبين المقيم السياسي البريطاني في الخليج أنه «تابع للحكومة التركية المعظمة» ، وأكد أن خلافه مع باشا مصر إنما يرجع إلى تعارض سياسة هذا الباشا مع سياسة الباب العالي . وحوالي سنة ١٨٦٠ وأثناء مناقشة مشكلة الأمور في البحرين عاد امير الوهابيين ليؤكد مرة أخرى ولكن بطريقة أقرب للغموض هذه المرة أنه «حسب المعاهدات التي

ارتبطت بها مع السلطان عبد المجيد هناك امور لا يحق لاي طرف أن يتدخل فيها إلا على أسس خاصة» . هذه الإعلانات الدورية من جانب الأمير أثبتت أنه لم يكن يمانع في إعلان تبعيته لتركيا إذا لم تتعارض مع مصالحه ، أما الاتراك فكانوا يؤكدون دائماً من ناحيتهم سيادتهم الكاملة على الدولة الوهابية ، مثال ذلك هذا الاحتجاج الذي قدمته الحكومة التركية عن طريق باشا بغداد سنة ١٨٦٢ ضد ضرب البحرية البريطانية لميناء الدمام في العام السابق ، فقد وصف هذا الميناء بأنه « تابع لفيصل بك قائمقام نجد» التي هي بدورها «جزء من الاملاك الموروثة لسلطان تركيا» . أما في أواخر حكم فيصل ، فقد كانت الجزية التي يدفعها الامير الوهابي للباب العالي شيئاً اسمياً فقط ، والغالب أنه كان يدفعها عن طريق شريف مكة .

علاقته بجبل شمر ١٨٤٣ — ١٨٦٥ :

وطوال فترة حكم عبدالله الحاكم الأول لجبل شمر ظل ولاء هذا الاقليم لامير الوهابيين أمراً غير قابل للمناقشة . ويبدو أن فيصلا قد لقي بعد رجوعه من مصر عوناً كبيراً من تابعه المخلص هذا في استرداد مكانته بنجد . وتزوج طلال بن عبدالله بابنة الامير فيصل وظل حتى وفاته في سنة ١٨٦٧ يقوم بزيارة سنوية للرياض حيث يدفع بنفسه الجزية من الخيل . وحوالي سنه ١٨٤٨ أصبح القصيم الذي كان حتى ذلك الحين خاضعاً خضوعاً مباشراً للامير الوهابي خاضعاً لحماية شيخ جبل شمر كوسيط بينه وبين الوهابيين .

علاقته بالكويت ١٨٤٣ — ١٨٦٥ :

وحوالي سنة ١٨٥١ جعل الامير فيصل له وكيلا في الكويت كما أشرنا ، وتأكد في سنة ١٨٦٣ طابع العلاقة الودية التي تربطه بالكويت على الرغم من ان شيخها لم يكن يدفع له الجزية .

وحين تولى فيصل عرش نجد كان الخلاف على أشده بين الشيخين

عبدالله ومحمد في البحرين وقد أفاد فيصل من خلافهما معاً ليحاول تأكيد سيطرته على البحرين . ولولا جهود السلطات البريطانية التي عملت دائماً على أن يبقى نفوذ الوهابيين مقتصراً على ارضهم فقط لكان من المحتمل أن يستطيع فيصل النجاح في إرغام شيخ البحرين على قبول شروط تجعلها خاضعة له تماماً .

وقد وقف الامير اولا في هذا الصراع إلى جانب الشيخ الشاب محمد بن خليفه الذي طرده فيما بعد عبدالله بن احمد من البحرين ، ثم كان معظم السبب في طرد هذا الاخير حتى الدمام راجعاً لجهود الوهابيين ، وكانت الدمام مقره الوحيد الذي بقي له وقد كان الامير يعتقد أنه هو صاحب الحق الشرعي فيه .

١٨٤٥ — ١٨٤٧ :

وبعدها بفترة قليلة ، وبعد أن نجح الوهابيون في تحقيق هدفهم الاساسي وهو استيلاؤهم على الدمام ظلوا هادئين . ولكن في سنة ١٨٤٥ ، وحين ازداد عناد محمد بن خليفة ورفض أن يدفع الجزية السنوية او العوائد المتأخرة والتي كان وافق على دفعها قبل سقوط الدمام ، بدأ عبدالله بن سعيد الحاكم الوهابي للقطيف بعد عودته الهجوم على البحرين. وقام محمد ، وكان يتوقع هذه الخطوة . بفرض الحصار على ساحل الوهابيين . وأعد الشيخ السابق عبد الله بالاشتراك مع حاكم القطيف الوهابي حملة هجوم مباغتة على البحرين من الاحساء ، لكنها اوقفت لحظة تنفيذها نظراً لتسرب خطتها وتفاصيلها إلى البحرين .

وفي سنة ١٨٤٦ حدث اشتباكان بريان بين قوات الوهابيين وقوات البحرين استطاع كل من الطرفين أن يحوز الانتصار في أحدهما . وأخيراً، في أغسطس ١٨٤٧ وبعد أن ضعف شيخ البحرين بسبب انسحاب بعض بني خالد من جانبه تمت التسوية بينه وبين أمير الوهابيين على أن يكف هذا الأخير عن تقديم العون للشيخ عبدالله في مقابل أن يدفع له شيخ البحرين مبلغ ٤٠٠٠ دولار في كل سنة كزكاة .

١٨٥٠ – ١٨٥١ :

وفي سنة ١٨٥٠ توترت العلاقات مرة أخرى بين الشيخ محمد والامير فيصل بسبب العقاب الذي اوقعه الامير على أحد مبعوثيه لانه نافق شيخ البحرين نفاقاً واضحاً ، وللاستقبال الفاتر الذي استقبل به الشيخ محمد سعد بن مطلق وكيل الوهابيين في عمان . وفي سنة ١٨٥١ وصل الامير بنفسه إلى جوار قطر ، وراح يغري أهل المناطق الهامة في هذا الإقليم بالتخلي عن ولأئهم لشيخ البحرين ، وطلب زيادة باهظة في الجزية التي كان مفروضاً ان تدفعها البحرين والتي كانت توقفت تماماً ، حينذاك قام محمد بمحاصرة ساحل الأحساء لكن استعدادات الوهابيين الذين تحالفوا الآن مع ابناء الشيخ السابق كانت أخطر مما يتصور ، ونستطيع القول بأن البحرين لم تسلم من هذا الخطر الا عندما ظهر ، فجأة سرب من القطع البحرية البريطانية كان المقيم ارسله ليقوم بدوره في حماية الجزر. وفي يوليو ١٨٥١ عاد السلم مرة أخرى بفضل جهود شيخ ابو ظبي في الوساطة ، لكن التوتر ظل في الخفاء كما هو ، وسمح الأمير لابناء شيخ البحرين السابق بالإقامة في الدمام .

١٨٥٥ – ١٨٥٦ :

بعد هذه الاحداث وخاصة في سنتي ١٨٥٥ و ١٨٥٦ جرت بعض المراسلات حول البحرين بين امير الوهابيين والمقيمية السياسية في بوشهر ، وزعم الامير لنفسه الحق في أن يوقع العقاب كما يشاء بتابعه شيخ البحرين ، وصدر رداً على ذلك انذار من ممثل بريطانيا بتفويض له من حكومة الهند بأن الحكومة البريطانية لا تسمح بأي تدخل في شئون البحرين . وامتلأ صدر الامير غيظاً وانزعاجاً من هذا الرد .

١٨٥٩ :

وفي ١٨٥٩ تجاهل الامير فيصل الإنذار البريطاني ووجود سفينة حربية بريطانية صغيرة على الساحل ، وزعم وربما كان مصيباً في زعمه هذا أن شيخ البحرين يحرض قبائل الاحساء على القيام بأعمال عدائية

ضد رعاياه ، وأصدر أمره لحاكم القطيف بأن يبدأ استعداده بمعاونة أحد ابناء الشيخ السابق لحملة كبيرة تغزو البحرين . وارسل اسطولا بريطانياً آنذاك لتهديد الدمام ، وكانت نتيجته أن فشلت الحملة ، بل واعتذر المسئول الوهابي لقائد الاسطول البريطاني عن الاستعدادات التي قام بها . وأدى هذا التدخل الناجح إلى استثارة مزيد من غضب الامير فيصل وحنقه على بريطانيا .

١٨٦١ :

وفي سنة ١٨٦١ بدأ شيخ البحرين بالهجوم على أمير الوهابيين دون استشارة المقيم البريطاني مسبقاً ، فقام بمحاصرة موانئ الوهابيين وارسل ست سفن حربية للطواف حول الدمام . ولم يتمكن المقيم البريطاني من حمل شيخ البحرين على الكف عن هذا العمل غير المرغوب فيه إلا بجهد جهيد وصل حد الإرغام . وأصبح الآن واضحاً أن الأمن في مياه البحرين لن يعود إلا باستعادة ابناء الشيخ السابق من الدمام ، وهذا ما قامت البحرية البريطانية بتنفيذه في نوفمبر ١٨٦١ . بل وقيل أيضاً إن طرد هؤلاء الذين كانوا يثيرون الفوضى في مياه البحرين لم يكن مغضباً لبعض المسئولين الوهابيين في القطيف ممن كانوا لا يستطيعون أن يأخذوا حريتهم كاملة في العمل ضدهم دون خرق لتقاليد الضيافة العربية .

ونشير هنا عرَضاً إلى أنه لولا اليقظة التي كانت تبذلها السلطات البريطانية في المحافظة على أمن البحرين خلال هذه الفترة لكان محتملا تماماً أن ترتبط هذه الإمارة بالأحسا. ومنها تنتقل إلى حكم الأتراك بطبيعة الحال .

علاقاته بعمان المتصالحة ١٨٤٣ ــ ١٨٦٥ :

وفي عمان المتصالحة وخلال هذه الفترة نفسها كان النشاط الوهابي على أشده . ففي يوليو ١٨٤٣ وصلت خطابات ورسائل من الامير الى كبار الشيوخ في المنطقة يبلغهم في نهايتها بأنه حين ينتهي موسم

الحرارة الشديدة سيعود سعد بن مطلق ومعه قوات ضخمة لإخضاع البلاد كلها . ويبدو أن معظم هؤلاء الشيوخ باستثناء شيوخ دبي والبريمي قد ردوا على هذه الرسائل مبدين اغتباطهم بما جاء فيها .

١٨٤٥ :

وفي أوائل سنة ١٨٤٦ ظهر سعد بن مطلق في البريمي ومعه قوة صغيرة ، ولم يكن واثقاً فيما يبدو كل الثقة في النجاح ، لكن القبائل المحيطة افصحت في البداية عن حماسة لقضية الوهابيين ، ولهذا تشجع على وضع خطط لاحتلال ضنك وذياد بل وايضاً منطقة ورزا على الساحل لكن قسوة الامير وعنجهيته ابعدا عنه الكثير من الانصار ، وانقطع اتصاله المباشر آنذاك بنجد ، وأصبح رسله يُضربون او يُهانون ، وبدأت الشكاوى في حقه ترفع لأمير الوهابيين ، وأصبح من المتوقع أن يسخط الأمير على قائده سعد ، لكن هذا استطاع بطريقة ما أن يبرز مسلكه هذا وان يستعيد مكانته ، ولا شك في أن تسليم الاموال التي أخذها من الاحساء أثناء مروره بها بحراً كان من العوامل التي جعلت الامير يرضى عنه .

١٨٤٨ :

وفي مايو سنة ١٨٤٨ استولى شيخ أبو ظبي على قلاع البريمي يعاونه في ذلك حاكم إقليم صحار وقبائل بني نعيم والدواسر ، ولجأ سعد بن مطلق الذي لم يكن موجوداً ساعة هذا الهجوم إلى شيخ الشارقة . وظهرت الخلافات والمشاحنات القبيلة ، وتحول شيوخ عمان المتصالحة جميعا ضد شيخ ابو ظبي ، ولكن هذا استهان بتحالفهم ضده وظل يسيطر على هذه القلاع حتى فبراير ١٨٤٩ حين سلمها طواعية إلى الوهابيين عقب أن وصل اليه رسول من شريف مكة .

١٨٥٠ – ١٨٥١ :

وفي مارس ١٨٥٠ أعاد شيخ ابو ظبي بعد اتصال أجراه مع نائب سلطنة عمان هجومه على الوهابيين في البريمي لكنه فشل في تحقيق أي

شيء هذه المرة ، كذلك فشل أيضاً هجوم على نفس المكان في نوفمبر التالي على أثر تحالف من بني ياس والقواسم وبني نعيم . وفي ١٨٥١ تحالف شيوخ ابو ظبي والشارقة ضد الوهابيين لكنهم لم يستطيعوا شيئاً .

١٨٥٢ — ١٨٥٣ :

وفي نهاية ١٨٥٢ وصل عبدالله ابن امير الوهابيين الى البريمي ، لكن أعماله هناك كما سنرى في القسم التالي تتعلق أساساً بسلطنة عمان وقد زاره شيوخ عمان المتصالحة جميعاً باستثناء شيخ الشارقة وشيخ ابوظبي الذي بذل كل جهده للحيلولة بينه وبين العدوان تجاه الغرب وكانت الزيارة في البريمي لتقديم آيات الولاء له .

١٨٥٤ — ١٨٥٥ :

وعين رجل اسمه احمد السديري حوالي هذا الوقت وكيلا للوهابيين في البريمي خلفاً لسعد بن مطلق . وفي ١٨٥٤ بدا أن هذا الرجل مهتم بمنع شيوخ عمان المتصالحة من العدوان بعضهم على بعض ، وبتقييد حرية قبائل البدو بهذا الصدد ايضاً ، لكن نشاطه اتخذ مسلكاً سيئاً في سنة ١٨٥٥ حين تبين أنه كان يضع خطة للاستيلاء على قرية المحمرة التي تقع على البحر . وفي سنة ١٨٥٦ أصبح ممثل الوهابيين في البريمي هو تركي بن احمد —ربما ابن احمد السديري هذا — لكن اهتمامه كان موجهاً بشكل أساسي لشئون سلطنة عمان .

وفي ١٨٥٥ وصف الامير فيصل في رسالة منه للمقيم البريطاني في بوشهر بعثته في عمان المتصالحة بأنها بعثة خير تهدف إلى كبح جماح القبائل الهمجية في الداخل والحيلولة بينها وبين ذبح المواطنين العزل على الساحل .

علاقاته بسلطنة عمان ١٨٤٣ — ١٨٦٥ :

وكانت قاعدة الوهابيين في البريمي تستخدم بشكل أساسي لاعمال العدوان على سلطنة عمان في ١٨٤٥ و ١٨٥٣ ثم في ١٨٦٥ .

١٨٤٥ :

وعند وصول سعد بن مطلق إلى عمان المتصالحة في سنة ١٨٤٥ طلب الجزية من حكام صحار ومسقط : خمسة آلاف دولار عن الاولى و٢٠ ألف دولار عن الثانية ، ولكي يعزز مطالبه اجتاح إقليم الباطنة واستولى على ماجيس بعد أن قتل الحامية المقيمة فيها ، وبعد ذلك دفع حاكم صحار مبلغ الجزية المطلوبة منه ، وتم الاتفاق على أن البت بشأن ما تدفعه مسقط يظل بيد السيد سعيد الذي كان غائباً حينذاك في شرق إفريقيا . وسرعان ما خرق الوهابيون هذا الاتفاق ، لكن السلطات البريطانية التى كانت تعضد السيد ثويني نائب الحاكم في مسقط أرغمت الامير في النهاية على أن يرضى بجزية سنوية قدرها ٥ آلاف دولار فقط . ودفع السيد ثويني مبلغ ٢٠٠٠ دولار كمنحة لسعد بن مطلق عقب الاتفاق ، وأعيدت ماجيس إلى أصحابها .

١٨٥٣ :

وفي سنة ١٨٥٣ طلب عبدالله ولى عهد أمير الوهابيين أثناء إقامته القصيرة في البريمى إلى سيد مسقط أن يسلمه مدينة وإقليم صحار ، وأن يدفع جزية ضخمة عن باقي سلطنته ، وكان مفهوماً بالنظر إلى هذا الطلب المبالغ فيه أن الوهابيين يبحثون عن ذريعة لإعلان الحرب ، وبتشجيع من السلطات البريطانية بدأ السيد ثويني يتخذ إجراءات الدفاع عن صحار فتخلى الوهابيون عن نيتهم في غزو إقليم الباطنة .. لكن النتيجة النهائية كانت قبول السيد أن يستعيد صحار في مقابل رفع الجزية إلى مبلغ ١٢ ألف دولار كل سنة عن سلطنة عمان كلها ، وتم الاتفاق أيضاً على أن يتم تبادل المعونة بين سيد عمان وممثل الوهابيين ضد أي عدوان على أحدهما ، وحسب هذا الاتفاق قدم الوهابيون عونهم للسيد ثويني في العام التالى لاخضاع بعض القبائل المتمردة في الباطنة . وقام الأمير الوهابي عقب هذه الاجراءات بزيارة لإقليم عمان نفسه في الداخل ، ربما كجامع للضرائب .

١٨٦٤ — ١٨٦٥ :

وفي ١٨٦٤ لجأ الوهابيون إلى طريقة غير مباشرة للضغط على سلطان عمان ـــ السيد ثويني الذي خلف أباه السيد سعيد ـــ وذلك بتأييدهم لثائر على سلطته هو السيد عزان بن قيس في رستاق ، غير أن السلطان طلب مباشرة عون الحكومة البريطانية ، وابرق الرائد بيللي المقيم السياسي إلى حكومته بالأمر . وفي مارس ١٨٦٢ قام الرائد بيللي بزيارة شخصية سنشير اليها فيما بعد لأمير الوهابيين في عاصمتة الرياض ، وهناك تأكد أن الامير بنفسه هو الذي أمر بمحاولة بث الفزع في قلب السلطان الذي قال عنه صراحة إنه يحتقره أعظم الاحتقار ، وإنه مصمم على ان يرفع الجزية من ١٢ الفاً إلى ٤٠ الف دولار .

وفي إبريل ١٨٦٥ سار الرائد بيللي أثناء عودته إلى الخليج إلى مسقط حيث علم هناك بأن السيد عزان قد وضع نفسه تحت حماية الوهابيين تماماً وأن هؤلاء يطالبون بزيادة الجزية ويهددون بغزو عمان . وفي هذه الظروف قام الرائد بيللي الذي سبق للسلطان بالفعل في سنة ١٨٦٤ أن عرض اسمه على الامير كوسيط بينهما دون تفويض منه ــ بالكتابة إلى مضيفه السابق الامير فيصل يعرض عليه وساطته للوصول إلى تسوية الخلاف ، لكن الامير الوهابي لم يرد بشيء على هذا العرض . وفي أغسطس ١٨٦٥ زار مسقط وفد وهابي غير عادي ، وطلب هذه المرة أربعة اضعاف الجزية التي كانت تدفع في الماضي ، لكن السلطان بنصيحة من السلطات البريطانية دفع المبلغ المتفق عليه فقط ، وذكر أنه فيما يتعلق بتسوية الامور نهائياً فهو كان ما يزال ينتظر نتيجة عرض الوساطة من جانب الرائد بيللي . وفي نفس الشهر ارسل الوكيل الوهابي في البريمي استجابة لطلب بني جنابه المتمردين في صور قوة وهابية إلى ذلك المكان ، استولت على قلعة كانت تحتلها حامية باسم السلطان بعد أن قاومتهم يومين ، ونهب الوهابيون سوق صور وقتل واحد من رعايا الهند البريطانية وجرح آخر ، حينذاك رضخ

السيد ثويني ودفع ضعف الجزية ، أي مبلغ ١٦ الف دولار للوهابيين ثمناً للسلام لكن الحكومة البريطانية لم توافق كما سنرى على تسوية الامور بهذه الطريقة .

★ ★ ★

العلاقات بين أمير الوهابيين والحكومة البريطانية ١٨٤٣ ـ ١٨٦٥

السياسة البريطانية بعدم التدخل على طول الساحل العربي ١٨٤٣ :

ما يزال علينا أن نحلل سياسة الحكومة البريطانية تجاه هذه الاعتداءات المنظمة الوهابية على طول خط مواز للساحل ، ونستطيع أن نصف هذه السياسة بأنها تقوم على غض الطرف في عمان المتصالحة ، والمقاومة المعتدلة في سلطنة عمان ، والمقاومة التي لا مهادنة فيها بالنسبة للبحرين .

وخلال احتلال القوات المصرية لنجد في ١٨٣٨ــ١٨٤٠ كان الممثل السياسي البريطاني في الخليج مفوضاً بأن يستخدم كل نفوذه لمنعهم من التوسع في أي اتجاه . وحين حاول الامير الوهابي بعد أن خلف القوات المصرية في الاحساء أن يواصل نفس السياسة العدوانية كان هناك اقتراح بأن يواجه بالمعارضة نفسها ، لكن حكومة الهند رأت أن مطامع الامير فيصل في التوسع إنما هي أقل خطورة من مطامع محمد علي ، فقررت التريث وانتظار تطور الاحداث ، وانتهاج سياسة متحفظة بعيدة عن التدخل المباشر قدر الامكان . ورفضت على هذا الاساس اقتراحاً مقدماً لها من حكومة بومباي بأن تضع سياسة ثانية للعمل وأن ترغم الامير الوهابي على ان يكون بين الشيوخ المرتبطين بالحكومة البريطانية باتفاقيات السلم البحري ، ونتيجة هذا القرار أبلغ شيوخ البريمي الذين كان شجعهم اتجاه السلطات البريطانية إلى مساعدتهم في مواجهة القوات المصرية أن يطلبوا هذه المساعدة ضد الوهابيين ،

بأن الحكومة البريطانية لن تتدخل في صالحهم بعد أن قطعت كل علاقاتها بالأمور الداخلية في الجزيرة العربية . وحين كتب الامير الوهابي خطاباً إلى الممثل البريطاني يعبر فيه عن رغبته في «تجديد العلاقات الودية التي كانت قائمة بين أبيه الامير تركي والحكومة البريطانية» تلقى رداً ودياً يؤكد له أن الحكومة البريطانية لا أهداف لها سوى المحافظة على السلام في البحر الذي قال في خطابه إنه هو أيضاً مهتم بالمحافظة عليه . وكان يُرى أن العلاقات الودية لو أمكن أن تقوم وتستمر بين السلطات البريطانية والامير فان أثر ذلك لا شك سيكون طيباً جداً على أهل السواحل .

تعديل السياسة البريطانية بعدم التدخل ابتداء من سنة ١٨٤٥ الا بالنسبة لعمان المتصالحة :

وعلى أية حال ، فسرعان ما وضح أن مطامع أمير الوهابيين لن تقف دون الاستيلاء على سلطنة عمان وإمارة البحرين ، وخشيت جكومة الهند أن تتطور الامو وتسير الحوادث بأسرع مما تستطيع ملاحقتها ، فقررت العدول عن سياستها هذه في عدم التدخل .

عون بريطانيا لسيد مسقط ١٨٤٥ :

وفي سنة ١٨٤٥ وازاء تهديد الوهابيين لمسقط صدر تفويض للمقيم السياسي بأن ينقل رأي الحكومة البريطانية في هذا الامر لامير الوهابيين وأن ينظم مظاهرة بحرية ، ولكن أن يكون حريصاً فيتجنب التهديد بما لا يمكن تنفيذه إلا بارسال قوات برية من الهند ، وكتب على ضوء هذه التعليمات لكل من أمير الوهابيين ووكيلهم في البريمي ، وأعد في نفس الوقت أسطولا قوياً على ساحل الباطنة ، وقد رأينا أن هذه الاعمال قد حققت نتائج مرضية ، فرضي الامير الوهابي ، وانسحبت قواته من ماجيس وهبطت الجزية إلى الحدود المعقولة .

حماية بريطانيا للبحرين ١٨٥١ :

وفي ١٨٥١ حين كانت جزر البحرين مهددة بالغزو من قبل

الوهابيين الذين وصل اميرهم نفسه إلى مقربة من الجزر في الارض المجاورة أمكن تلافي هذا الخطر حين أمر المقيم العام على مسئوليته الخاصة كل القوة البحرية البريطانية في الخليج بأن تكون على مقربة من الجزر . وقد لوحظ بعد هذه الحادثة مباشرة أن موقف الامير فيصل من الحكومة البريطانية ولفترة على الاقل أكثر ميلا إلى التهادن . وقد كان من الضروري قبل هذا في سنة ١٨٤٦ توجيه انذار حاسم للحاكم الوهابي في القطيف الذي كان يعطي لنفسه حق التهديد بالقيام بأعمال القرصنة .

العون البريطاني لسيد عمان ١٨٥٣ :

ومرة أخرى في سنة ١٨٥٣ وحين كان ابن أمير الوهابيين يهدد عمان بالغزو استدعى المقيم العام شيوخ عمان المتصالحة من البريمي إلى الساحل حيث عقد معهم معاهدة السلم الشاملة ، ووجه إنذاراً لعبدالله نظراً لاحتجازه شيوخ البريمي ، وأرسل سفينة حربية لتقوم بجولة على الساحل ، ووعد بمساعدة سلطان عمان اذا احتاج هذه المساعدة في الدفاع عن عاصمته . وبهذه الإجراءات كلها أمكن انسحاب الوهابيين من صحار وقبولهم الصلح مع السلطان بشروط أقل إجحافاً له من حيث الجزية ، وما كان الحصول على هذه النتيجة ممكناً دون كل تلك الإجراءات .

حماية بريطانيا للبحرين ١٨٥٩ — ١٨٦١ :

وفي سنة ١٨٥٩ انقذت البحرية البريطانية البحرين مرة أخرى من نزول الوهابيين اليها نزولا كان محتملا أن يكون خطيراً ودائماً . وقد أثار هذا العمل بالإضافة لطلب إبعاد أبناء شيخ البحرين السابق من الدمام غضب أمير الوهابيين وسخطه على السياسة البريطانية .

وبالنسبة للهياج الذي حدث في صور سنة ١٨٦٥ فقد تعهدت الحكومة البريطانية بأن تحصل من المعتدين على تعويض عنها ، وهذا أمر لم يكن حتى في مقدور سلطان عمان أن يحققه .

السياسة البريطانية بعدم التدخل في عمان المتصالحة :

ومما هو جدير بالذكر عن الامير فيصل تأكيده أنه لم يحاول أبداً على عكس ما اذيع عنه أن يعبّر عن معارضته للحكومة البريطانية بالقيام بأعمال القرصنة ، بل إن الأمر كما اشار كان على العكس تماماً .. فهناك فترة من التفاهم دامت أكثر من مائة عام مع الحكومة البريطانية من أجل التعاون على تأمين التجار والمسافرين في البحار .

رحلة الرائد بيللي إلى الرياض فبراير – مارس ١٨٦٥ :

وقد أشرنا من قبل إلى الرحلة المشهورة التي قام بها الرائد بيللي المقيم السياسي البريطاني من بوشهر إلى الرياض سنة ١٨٦٥ ، وكان هدفه من هذه الرحلة هو القضاء على العداوة التي سببتها أعمال البريطانيين في قمع تجارة الرقيق وفي إحباط السياسة الوهابية على الساحل العربي . وكان الرائد بيللي يهدف أيضاً إلى إثبات أن وسط جزيرة العرب ليس منطقة يصعب اقتحامها على ضابط بريطاني يؤدي وظيفته ، وكان يأمل أن يلقي بعض الضوء على جغرافية هذه البلاد وشيء من تاريخها الطبيعي .

وكانت الكويت هي نقطة البدء في رحلته ، فوصلها في يناير ١٨٦٥ وقضى فيها عدة أسابيع ينتظر إذن الامير بالسير ، وأخيراً جاء هذا الإذن مقتضباً مختصراً ، ولم يرسل دليلا . وكان يصحب الرائد بيللي دكتور و. ه. كولفيل طبيب المقيمية الذي جعله بيللي مسئولا عن بعثته من الناحية الصحية ، ومسئولا أيضاً عن القيام ببعض الأبحاث المتعلقة بالجيولوجيا وعلم النبات ، والملازم إي. دافيس من البحرية الهندية الذي كان قبطان سفينة المقيمية « بيرنيس » وقد جعل الرائد مهمته مراقبة خطوط الطول والعرض ، ثم المترجم ج . لوكاس وهو مسيحي من أهل الموصل ادعى الإسلام وتسمى باسم عبدالله . وكانت قافلة المقيم كلها تضم حوالي ٣٠ بعيراً ، وكانت جماعته بما فيها الحرس الهندي

والخدم والحمّالون لا تزيد عن ٣٣ رجلا . ولم يأخذ المقيم معه سوى خيمة صغيرة واحدة . وبدأت القافلة سيرها من الكويت في ١٧ فبراير ، وظلت سفينة المقيمية بانتظارها في ميناء العقير ، وسارت عن طريق وفرة ووبرة ورميحية إلى سدوس في عريضة ، ومنها عادت لتأخذ طريقها هبوطاً في وادي حنيفة إلى الرياض فوصلتها في ٥ مارس .

وفي يوم ٦ مارس قام الرائد بيللي ومعه مساعدوه جميعاً بزيارة مجاملة للأمير فيصل في قلعته بوسط المدينة ، وفي اليوم التالي تم عقد اجتماع خاص بينهما لم يصحب المقيم فيه سوى مترجمه فقط . وكان الامير في ذلك الوقت قد تقدم به السن كثيراً وفقد بصرة تماماً لكنه كان يبدو بموضع الاحترام والتوقير من أقاربه الادنين ، ومن رعاياه جميعاً ممن كانوا ينادونه غالباً باللقب الديني «الإمام» . وفي كلتا المقابلتين كان حديث المقيم العام مع الامير حديثاً عاماً شاملا ، ورغم ان الموضوعات السياسية كانت تشكل معظمه بطبيعة الحال ، إلا أن المقيم كان حريصاً على ألا يتطرق النقاش إلى مشكلات محددة مثل جزية مسقط او ما اليها . وفي خلال الحديث أشار الامير إشارة عارضة إلى أن له السيطرة المطلقة على كل شرق الجزيرة من الكويت إلى رأس الحد وما وراءها . وكان مسلك فيصل يتسم بالأنفة ، وبالصداقة ، وأحياناً بالمودة ، وكان على العموم سعيداً بزيارة المقيم العام له ، وتم اتخاذ الترتيبات اللازمة لمرور المقيم العام في طريق عودته من الرياض إلى الساحل بصايح في الخرج كي يشاهد اسطبلات الخيول التي يملكها الامير . وهنا(١) بدأت النزعات العدائية عند حاشية الامير من الرجال المتعصبين ضيقي الافق تلعب دورها . وانتهج سكرتير الامير المقرب وهو « رجل حقود ومتعصب وضيق الأفق » اسمه محبوب مسلكاً مهيناً ، فأحرق أوراق ورسومات الملازم دوس من باب الحذر والاحتياط ، وفي يوم ٨ حدثت

(١) أورد الشيخ على من سبيع وهو دليل فاسد استخدمه الرائد بيللى رواية محرفة لما قامت بـه الجماعة في رحلتها الى الرياض .

محاولة لاحتجاز الجماعة الانجليزية في الرياض عن طريق الاستيلاء على جمالها . ولم تتخذ الترتيبات لعقد مقابلة أخيرة مع الامير في هذه الظروف . وبعد الظهر ظن المقيم أن من الضروري أن يرحل دون انتظار موعد من القلعة ، لكنه التقى بالامير على أية حال لقاء أخيراً لم يكن أقل مودة من سابقيه . وطلب الأمير في هذه المناسبة أن يبلغ فيما بعد بأحداث القرصنة أو حرق السفن التي تقع على شاطىء الاحساء لإيقاع العقاب الرادع بمرتكبيها ، كما طلب أيضاً أن تتولى المقيمية رعاية مصالحه البحرية على الساحل الإيراني ، وأكد الرائد بيللي صداقته المخلصة ، وأخيراً أفصح عن رغبته في أن تنتظم المراسلات بينهما . وفي الساعة التاسعة من بعد ظهر يوم ٨ مارس تركت قافلة الرائد بيللي مدينة الرياض ، وبدأت السير إلى الساحل مبكرة في الصباح التالي . وفي ١٧ مارس اجتاز المسافرون الهفوف ووصلوا في ١٨ منه إلى مرسى سفينة المقيمية في العقير .[٥]

ولم تحقق هذه الرحلة التي كان لها طابع المغامرة كما سنرى نتائج سياسية ذات قيمة وربما لحالة العجز التام التي تردى فيها الامير بعد ذلك بثلاثة أشهر فقط ، لكن ملاحظات الملازم دوس قدمت بيانات ومعلومات هامة لم تضف اليها أية تفصيلات فيما بعد لرسم خريطة دقيقة لإقليم جنوبي نجد الهام . وقد أصيب الملازم دوس بضربة شمس قاسية في الرياض ، وعانى كثيراً من الحمى في طريق العودة .

★ ★ ★

علاقات الامير الوهابي بفرنسا
١٨٤٣ ـ ١٨٦٥

بعثة مستر بالجريف ١٨٦٢ :

سبق الرائد بيللي إلى الرياض الرحالة و. ج . بالجريف الذي مر بعاصمة الوهابيين أثناء مروره عبر الجزيرة في سنة ١٨٦٢ . ولم تكن بعثة مستر بالجريف رغم أنه من رعايا بريطانيا باسم الحكومة البريطانية ،

وقد قيل إنه كان يمثل نابليون الثالث الذي كان مهتماً اهتماماً خاصاً بمصر والشام ، وربما كان قد وجه اهتمامه إلى نجد لعلاقتها بموضوع قناة السويس الذي كان قد تم اقتراحه آنذاك بالفعل .

مراسلات مع فرنسا :

وقد اعترف الامير فيصل في محادثاته مع الرائد بيللي في الرياض أنه تلقى مرتين عروضاً سخية من الحكومة الفرنسية بالمعونة . وفي الثانية منهما وكان وقتها يتفق تماماً وبعثة مستر بالجريف طلب من الامير أن يبلغ رده للقنصل الفرنسي في دمشق ، وأبلغه الامير فعلا شكره وأوضح له أنه ليس في حاجة إلى مساعدة في الوقت الحالي .

★ ★ ★

عبد الله بن فيصل (فترة حكمه الاولى)
١٨٦٥ - ١٨٧١

الحالة الداخلية عند تولي عبدالله ١٨٦٥ :

وخلف الامير فيصل بعد موته أكبر ابنائه عبدالله الذي كان قد اكتسب سمعة طيبة كقائد ناجح ، وقد استخدمه أبوه سنة ١٨٥٢ - ١٨٥٣ ممثلا للوهابيين في البريمي ليتفق مع سيد مسقط على زيادة الجزية . وكان عبدالله موجوداً بالرياض أثناء زيارة الرائد بيللي في مارس ١٨٦٥ ، لكنه استطاع أن يكبح فضوله ويتجنب اللقاء بالمقيم خشية أن يطلع الأخير على بعض جوانب ضعفه مما قد يؤثر عليه في المستقبل . وكانت إحدى النتائج المباشرة لتولي عبدالله هي إبعاد محبوب سكرتير فيصل المقرب الذي أشرنا اليه . وكان مركز الامير الجديد ضعيفاً منذ البداية نظراً لمنافسته وعدائه الشخصي لأخيه التالي عليه سعود ، الذي كان يعتبر أثناء زيارة الرائد بيللي للرياض شخصية أقرب إلى الاعتدال من عبدالله ، كما كانت صراحته وتحرره وجرأته أسباباً جعلت البدو يتعلقون به أكثر من شقيقه الاكبر . وكان عبدالله وشقيقه محمد مولودين

لوالدتين من آل سعود ، فكانا وهابيين متعصبين . أما سعود وشقيقه عبدالرحمن فكانت والداتهما من البدو ولذا كانا أكثر استعداداً للكرم . ومرة واحدة اندفع سعود الذي كان مقره الخرج معلناً التمرد على شقيقه عبدالله بمعاونة قبيلة الدواسر لكنه هزم في بداية الامر .

★ ★ ★

قطع علاقات الحكومة البريطانية بأمير الوهابيين ١٨٦٥ - ١٨٦٦

قرار من حكومة الهند بمساعدة سلطان عمان :

من جملة الميراث المحزن الذي انتقل من الامير فيصل إلى ابنه كانت تسوية مشكلة صور التي وقعت فيها اعتداءات على اثنين من رعايا الهند البريطانية على يد رجال من قبائل البدو الذين حرضهم وكيل الوهابيين في البريمي . وقبل موت الامير فيصل كانت حكومة الهند قد اتخذت قراراً بتشجيع سلطان عمان على بذل مزيد من الجهود في مقاومة الوهابيين ، فصدرت اوامرها بتقديم العون على شكل ذخائر حربية ، بل وأموال ايضاً اذا اقتضت الضرورة ، كما كفل له تأييد القوات البحرية ايضاً بشرط ألا يقوم بعمليات على البر .

خطاب من الامير ، وعزم حكومة الهند على أن تطلب من الوهابيين تعويضاً عن الاضرار التي اوقعت بالرعايا البريطانين في صور :

وفي نوفمبر سنة ١٨٦٥ وفيما كان الرائد بيللي آنذاك في طريقه إلى بومباي عقب إجازة قضاها في اوربا وصل إلى السلطات البريطانية في بوشهر خطاب كان رداً مرسلا من الامير فيصل على الطلبات التي قدمتها اليه هذه السلطات بشأن مسلك الوهابيين في صور . وجاء في هذا الرد ان الامير قد أطلق سراح رعايا الهند البريطانية الذين أسروا في صور ، وأمر أيضاً برد ممتلكاتهم اليهم . لكنه أهمل تماماً

مسألة التعويضات وأشار إلى اتفاقية مع الحكومة البريطانية عقدت لاول مرة في عهد المرحوم الامير سعود ، وصدق عليها مرة أخرى في عهد هذا الحاكم » . وبعد دراسة الخطاب قررت حكومة الهند عقب إجراء تحريات كثيرة ضرورة إبلاغ الامير الوهابي أن سلطان عمان صديق للحكومة البريطانية وحليف لها ، وأن هذه الحكومة يسعدها أن تسوي الامور بينه وبين الامير ، وهي لا تستطيع إلا أن تنظر باهتمام شديد إلى أية محاولة للانتقاص من ارضه ، كما أبلغ الامير أيضاً أن حكومة الهند مصرة على أن يدفع الوهابيون التعويض للرعايا البريطانيين الذين وقع عليهم الاعتداء في صور .

انذار من المقيم البريطاني إلى أمير الوهابيين يناير ١٨٦٦ :

وفي نفس هذا الوقت حدثت حادثة أدت إلى قطع العلاقات بين الحكومة البريطانية والوهابيين وذلك حين قامت السلطات البريطانية المحلية بتنفيذ التعليمات الصادرة لها بمساعدة سلطان عمان . فأبلغت شيوخ عمان المتصالحة أن لهم مطلق الحرية في أن يقدموا المعونة للسلطان ضد الوهابيين . واتخذت الإجراءات لإرسال اسطول لمسقط يقوده السيد تركي شقيق السلطان لمحاصرة موانى الوهابيين في القطيف والعقير ، وبدا موقف شيخ البحرين نحو هذه القضية مريباً وغامضاً فقامت السلطات البريطانية بالاستيلاء على إحدى سفنه الحربية وهي «دينار» لمنعه من مساعدة الوهابيين وللقضاء على الشكوك المثارة ضده أيضاً . وفي ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٦٥ خرجت سفينة صاحب الجلالة «هاي فلاير» يقودها الكابتن بازلي من بومباي تحمل ١٨ مدفعاً مع ذخيرتها لسلطان عمان ، ونزلت في صحار ثم عقد اجتماع في هذا المكان نفسه في يناير ١٨٦٦ بين الرائد بيللي وقائد البحرية . وفي هذا الوقت قامت قوات الوهابيين بالهجوم على منطقة سحام في الباطنة ، ودفع التجار من رعايا الهند البريطانية الذين كانوا مقيمين فيها الى البحر فغرق واحد منهم .

وكان من نتيجة المداولات التي أجراها الرائد بيللي والكابتن

بازلي أن وجها خطاب إنذار إلى أمير الوهابيين يطلبان فيه اعتذاراً كتابياً عما حدث في صور ، وتأكيداً خطياً بأن هذه الاحداث لن تتكرر في المستقبل ، ودفع تعويض قدره ٢٧ الف دولار عن الممتلكات التي ضاعت أو دمرت ، وأضاف الإنذار أنه اذا لم تتم إجابة هذه المطالب خلال فترة قدرها سبعة عشر يوماً من تاريخ وصول الخطاب إلى الحاكم الوهابي في القطيف ، فستدمر قلاع الوهابيين المقامة على ساحل الأحساء ، وستصادر سفنهم الموجودة في موانيه .

ولم يستطع الرائد بيلي أن يصحب بنفسه الكابتن بازلي ، فقد كان وجود المقيم في عمان ضرورياً لتشجيع سلطانها الذي كان يعد الترتيبات للقيام بهجوم على موقع الوهابيين في البريمي ، فأرسل مع بازلي وكيل المقيمية في الشارقة الذي أنزل في البحرين في ١٣ يناير سنة ١٨٦٦ بصفته حامل خطاب لامير الوهابيين . وغادرت السفينة «هاي فلاير» البحرين في نفس اليوم إلى أبو ظبي ومنها سارت على طول ساحل القراصنة ودمرت برجاً أقامه القواسم باسم الوهابيين في مضيق زورا . وفي ٢٣ يناير التقى الرائد بيلي بالكابتن بازلي في خليج الفينستون ، وكان موعدهما مضروباً في المركز البريطاني للبرق والتلغراف الموجود هناك .

العمليات البحرية البريطانية على ساحل الاحساء وفشلها في الدمام فبراير ١٨٦٦ :

وسارت «هاي فلاير» مرة أخرى إلى القطيف يوم ٢٨ يناير فوصلتها في ٣٠ منه ، وهناك عرف كابتن بازلي من وكيل المقيمية أنه لم يصل بعد رد من الامير وان الحاكم الوهابي في القطيف طلب مهلة اثني عشر يوماً لإبلاغ الرسالة إلى الرياض . وظل كابتن بازلي ينتظر حتى يوم ٢ فبراير وهو اليوم المحدد لانتهاء المهلة ، ثم بدأ تنفيذ ما جاء بالإنذار ، فارسل عدة قوارب مسلحة إلى القطيف يقودها الملازم فيلوز فهدمت القلعة القائمة في جزيرة ابو الليف ودمرت سفينة وهابية واحدة وجدت في

الميناء ولم تكن تستحق أن تنقل . وفي ٣ فبراير ارسلت جماعة يقودها الملازم لونج إلى قلعة الدمام التي ذكرت معلومات وكيل المقيمية أن بها حامية قوامها ١٢ رجلا . لكن القوارب المسلحة لم تستطع بالنظر إلى ضحالة الماء أن تتقدم أبعد من ٢٠٠ متر عن الخليج ، فنزلت القوات من القوارب إلى البر واستطاعت الاستيلاء على الساحة الخارجية للقلعة ، وبدأت الحامية الموجودة فيها تصد هجومهم . وقد تبين أنها أكبر بكثير مما أشار اليه وكيل المقيمية ، وكانت النتيجة تراجع المهاجمين بعد أن أوقعت بهم خسائر تمثلت في مقتل ثلاثة جنود ، وإصابة ضابطين وثلاثة جنود آخرين بجراح .

وفي ٤ فبراير ، وقت ارتفاع المد ، جدد الملازم يونج هجومه على قلعة الدمام واستخدم في ضربها الرصاص والقنابل والقذائف لكن المدى كان بعيداً ولم يمكن إحداث أي صدع بها . وفي ٩ فبراير لحقت السفينة «هاي فلاير» بالرائد بيللي في مسقط ، وتمت عمليات عسكرية ناجحة ضد قبيلة جنابه في صور يومي ١١ و ١٢ فبراير . وأخيراً تلقى الرائد بيللي اوامر من حكومة الهند بالكف عن طلب التعويض من أمير الوهابيين وعادت السفينة «هاي فلاير» من الخليج إلى بومباي .

رد الأمير الوهابي على الانذار البريطاني فبراير ١٨٦٦ :

ومضى بعدها الرائد بيللي إلى خليج الفينستون وظل هناك ينتظر خبر استيلاء سلطان عمان على البريمي حين تلقى فجأة يوم ٢٠ أو ٢١ فبراير نبأ مقتل السيد ثويني قتلة بشعة على يد خدمه مما جعل عمليات القوات العمانية في البريمي تتوقف توقفاً تاماً . وفي نفس هذا الوقت تقريباً وصل إلى المقيم خطابان من أمير الوهابيين ، وفي أحدهما وهو مؤرخ في ٢٨ يناير يوافق الامير عبدالله على الاقتراح الذي سبق أن قدم لابيه فيصل قبل عدة شهور بأن يتوسط الرائد بيللي في الخلافات القائمة بينه وبين سلطان عمان . أما الخطاب الثاني الذي كان رداً على

الإنذار البريطاني- فقد ذكر فيه الامير عبدالله أنه راغب في التشاور وأنه على استعداد لارسال وكيل عنه لهذا الغرض ، وأضاف يقول إن قبيلة جنّابة كانت هي المسئولة عن ارتكاب تلك الاعمال في صور لكنه أي الامير لا يستطيع الحصول على تعويضات منها .

عقد الصلح مع مبعوث للوهابيين في بوشهر ٢١ ابريل ١٨٦٦ :

وبعدها مباشرة وصل بوشهر مندوب للوهابيين وهو رجل يدعى محمد بن عبد الله بن مانع ومعه طلب محدد للصلح ، والتقى به الرائد بيللي بعد عودته إلى بوشهر في ٢١ إبريل حيث حصل منه باسم أمير الوهابيين عبدالله بن فيصل على إعلان بانسلام، وتطمين للمقيم إلى أن الرعايا البريطانيين سيجدون كل الحماية في الأرض الوهابية ، ووعد بأن الوهابيين لن يتدخلوا في شئون الإمارات العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية مستقبلا بأكثر من جمع الجزية كما كان يحدث من قبل . مع تأكيد خاص لسلطنة عمان . ورفعت هذه النصوص إلى حكومة الهند ، وبأوامر منها أبلغ المقيم مندوب الوهابيين في رسالة للأمير سلمها اليه بأن الحكومة البريطانية لا تود في الوقت الحاضر أن تتوسط أو تضمن أية اتفاقية تعقد بين الامير والسلطان لكنها تفوض المقيم في أن يبذل وساطة حميده لصياغة الاتفاق .

وقد أوضح المقيم لمندوب الوهابيين أثناء المحادثات الّتي جرت بينهما في بوشهر أن «الاتفاقية» الموقعة مع الحكومة البريطانية والّتي أشار اليها أمير الوهابيين فيما سبق لاوجود لها في الواقع ، وان الامير يشير بهذا إلى الخطابات الودية التي كانت الحكومة البريطانية تتلقاها من الامير بين الحين والحين والّتي كان الامير يعتقد أنها اتفاقيات . واتضح أيضاً أن للأمير عبدالله أعداء كثيرين وأن وضعه في بلاده دقيق وحرج . واعتبرت حكومة الهند ، بشكل عام ، أن نتاج عمليات فبراير ١٨٦٦ كان مرضياً على وجه إجمالي ، لكنها اعتبرت الأعمال الّتي تلتها ، في الدمام وفي صور ، أعمالا طائشة وغير لازمة .

علاقات الامير الوهابي بتركيا ١٨٦٦

بعثة وهابية إلى بغداد ابريل ١٨٦٦ :

وحوالي نفس الوقت الذي ارسل فيه عبدالله بن فيصل مندوباً عنه إلى بوشهر ارسل مندوباً آخر هو عبدالعزيز السويلم إلى الوالي التركي في بغداد ، ليشكو اليه ، فيما يبدو ، أعمال البريطانيين ضد السفن والموانى الوهابية وليطلب تدخل الباب العالي من أجل عدم تكرار حدوثها . وكان نامق باشا في البداية مستعداً لان يطلب عن طريق المقيم البريطاني في بغداد أو مباشرة عن طريق اتصال تلغرافي بنائب الملك في الهند ايقاف أي عمل آخر حتى تمّ مناقشة المسألة بين الحكومتين البريطانية والتركية ، لكن مشكلةً ما لا نعرف طبيعتها على وجه التحديد ثارت بين والي بغداد ومندوب الوهابيين وانتهت بأن غادر الاخير بغداد في ٣ مايو ، وهو يستشعر بالإهانة .

غارة الوهابيين على حدود العراق التركي ابريل ١٨٦٦ :

وربما كان أحد أسباب تعثر هذه المفاوضات غارة شنها الوهابيون بقيادة الامير عبد الله بنفسه على القبائل العربية المقيمة على حدود العراق التركي . ويبدو ان الامير عبدالله قد سلك لحملته طريق جبل شمر عند منازل قبيلة ظافر وجانب من قبيلة عنيزة . وحين كان يطارد بني ظافر نحو الفرات اشتبك بقبيلة المنتفق ، وحدث بين الجانبين قتال عنيف لم تعرف نتيجته على وجه التحديد ، وعاد الامير بقواته ، بعد توقف قليل قرب الكويت إلى الرياض . وقد أبلغ المسئولون الاتراك في بداية الأمر بأن رعاياهم قد هزموا في هذا الاشتباك ، وفي الوقت الذي ساد فيه هذا الاعتقاد كتب والي بغداد لمساعديه في البصرة يأمرهم «بالإغارة على القبائل الموالية للوهابيين ، ويوصي باتباع هذه الطريقة نفسها للانتقام» ، لكن هذا المسئول نفسه ارتضى فيما بعد أن يقبل عشر خيول وعشرة جمال اعترف زعيم المنتفق بأنه استولى عليها من الوهابيين .

علاقة الوهابيين بالكويت ١٨٦٥ ـ ١٨٧١

أشرنا من قبل إلى استخدام أمير الوهابيين للكويت كخط للرجعة بعد الغارة التي قام بها على حدود العراق التركي سنة ١٨٦٦ ، ويبدو أن الامير عبدالله بن فيصل قد عرض على شيخ الكويت في نفس السنة أن ينضم اليه في القيام بهجوم على مدينة الزبير إذا اتخذ الوالي التركي في العراق قراراً ضد الشيخ في نزاع كان قائماً وقتذاك بينه وبين بعض أقارب له مقيمين في العراق التركي .

★ ★ ★

علاقات الوهابيين بالبحرين وقطر ١٨٦٥ ـ ١٨٧١

شيخ البحرين يدفع الجزية للوهابيين ١٨٦٦ :

أثبت البحث الذي أجراه الرائد بيللي ـ بأوامر من حكومة الهند ـ عقب ازمة سنة ١٨٦٥ـ١٨٦٦ أن شيخ البحرين كان مستقلا تمام الاستقلال عن النفوذ الوهابي فيما يتعلق بالجزر التي يحكمها ، لكنه كان يدفع جزية سنوية قدرها اربعة آلاف دولار لأمير الوهابيين في مقابل توفير الحماية لرعاياه في إقليم قطر ضد هجمات القبائل الموالية للنفوذ الوهابي . وفي نفس الوقت كان لأمير الوهابيين في الفترة من ١٨٥٢ إلى ١٨٦٦ ممثل في الدوحة بقطر ، ولكن يحتمل أن يكون هذا الممثل مجرد شيخ من الشيوخ المحليين هناك .

غزو البحرين من ساحل الوهابيين ١٨٦٩ :

وقد تمت عن طريق الساحل الوهابي عملية غزو البحرين سنة ١٨٦٩ ، ولقي فيها علي بن خليفة الشيخ الحاكم آنذاك مصرعه . لكن ليس ثمة دليل قاطع على اشتراك الوهابيين فيها ، وقد كتب الامير يعلن ألا علاقة له بالأمر كله ، فاكتفت حكومة الهند بأن تطلب منه دون تهديد أن يعمل على منع تكرار هذا العمل في المستقبل .

علاقات الوهابيين بسلطنة عمان وبعمان المتصالحة
١٨٦٥ - ١٨٧١

البحرية البريطانية تدمر حصناً في منطقة زورا يناير ١٨٦٦م :

أشرنا من قبل خلال حديثنا عن العمليات العسكرية البريطانية التي تمت سنة ١٨٦٦ إلى هدم قلعة كان شيخ الشارقة الذي كان ممثلا للوهابيين في ذلك الحين قد أقامها في منطقة زورا . وبهدم هذه القلعة عاد السلم الذي كان مهدداً إلى الساحل المتصالح .

قتل وكيل الوهابيين في البريمي ابريل ١٨٦٩ :

وفي ٧ إبريل سنة ١٨٦٩ كان السديري ممثل الوهابيين في البريمي موجوداً في الشارقة ومنهمكاً في التآمر والتدخل في الخلافات الداخلية القائمة بين أفراد القواسم حين أطلق عليه الرصاص وقتل مع بعض رجاله في اشتباك وقع في المدينة يومذاك .

استيلاء سلطان عمان على واحة البريمي من ايدي الوهابيين ١٨ يونيو ١٨٦٩ :

وتبع هذا الحادث اختفاء الوهابيين من البريمي التي ظلوا من قبل مواظبين على احتلالها بصورة دائمة مدة تقارب السبعين عاماً . وربما قبل مصرع وكيل الوهابيين في الشارقة كان الوهابيون قد طلبوا من السيد عزان بن قيس الذي تولى مؤخراً صلاحيات سلطان عمان أن يدفع لهم الجزية وقاموا بغزوة لصحار . وبعد أن ذاع نبأ مصرع الوكيل الوهابي طلب بنو نعيم في البريمي من السيد عزان الانضمام اليهم لطرد الوهابيين من الواحة ، ولم يتردد السيد عزان وكان قوي الإرادة حاسماً ، في الاستجابة لهم . وفي يوم ١٨ يونيو سنة ١٨٦٩ على وجه التقريب استسلمت الحامية الوهابية الموجودة في البريمي بعد مقاومة هينة لقوات عزان التي كانت تضم حوالي ١٥٠٠ رجل . وبعد أن وضع السيد في البريمي حامية من جنده ، وعقد تحالفاً مع شيخ أبي ظبي عاد ظافراً إلى مسقط .

ولم يكن عبدالله بن فيصل مستعداً لأن يتقبل ببساطة انتهاء قاعدته في البريمي ونفوذه في سلطنة عمان وعمان المتصالحة بالتالي ، لكن ظروفاً قاهرة هي التي حالت بينه وبين القيام بعمل حاسم لاستعادتها .

استعدادات لم تكتمل من قبل الامير الوهابي لاستعادة البريمي ١٨٦٩ — ١٨٧٠ :

ففي أوائل سنة ١٨٧٠ هبط الامير عبدالله إلى الأحساء وبدأ هناك يجمع القوات ويعبئها ، وكان من المعتقد أن وكلاءه يقومون بجمع عدد كبير من القوارب من سواحل قطر والإحساء لأعداد حملة على عمان المتصالحة ومنها على البريمي . وقيل بعدها مباشرة إن الأمير بنفسه قد انتقل إلى العقير . وقد تم على أية حال تذكير الامير بالوعد الذي قطعه على نفسه في سنة ١٨٦٦ بعدم القيام بعمل عدائي ضد أي من الدول العربية المرتبطة برباط العلاقة الودية بالحكومة البريطانية ، ثم ان قيام القوات البحرية البريطانية بالقضاء على بعض الزعماء المتمردين الذين كانوا قد استولوا على البحرين اوضح للامير أخطار الدخول في صراع مع بريطانيا ، فضلا عن يقينه بأن الحكومة البريطانية ستعتبره مسئولا في حالة ما إذا حدث غزو للبحرين من ساحل الأحساء ، ثم ان تحالفاً قام بين شيخ ابي ظبي وسعود شقيق الامير المتمرد عليه والسيد عزان في مسقط زاد من صعوبة مهمة الامير الوهابي في عمان ، هذا ايضاً بالإضافة إلى حرارة الجو اللاهبة وندرة مصادر الماء بين الأحساء والبريمي . وفي إبريل سنة ١٨٦٦ عاد الامير بعد أن أيأسته هذه الصعوبات إلى عاصمته حيث كانت المؤامرات من جانب أقاربه الادنين قد أصبحت تمثل خطراً كبيراً .

وقد كان ضياع البريمي تأكيداً لحقيقة ظهرت في اوضح صورها من احتلال القوات المصرية لنجد سنة ١٨١٨—١٨١٩ ، و ١٨٣٨—١٨٤٠ واحتلال الاتراك للقصيم سنة ١٩٠٥—١٩٠٧ ، وهي أن السيطرة السياسية

حتى في جزيرة العرب ، لا يمكن أن تكتمل الا بوجود القوة المادية الكافية في عدد من المواقع المحددة ، وبفقد بعض هذه المواقع لا يمكن استمرار السيادة السياسية .

★ ★ ★

تمرد سعود بن فيصل ١٨٧٠ ـ ١٨٧١

نجاح سعود في تمرده :

وبعد أن قام سعود الاخ الاصغر غير الشقيق للامير عبد الله بزيارة لسلطنة عمان رجع فأعلن التمرد وبدأ يتلمس الحلفاء والأنصار في كل مكان . وقد استطاع المقيم السياسي البريطابي أن يُرجع شيخ البحرين عن نواياه في تقديم المعونة لسعود ، غير ان عدداً كبيراً من قبائل البدو في الاحساء سرعان ما انضموا تحت رايته ، وأعلن سعود سيطرته على واحتي الأحساء والقطيف ، وهزم عبدالله هزيمة ساحقة عند آبار جدة في تاف وأسر محمد ، شقيق عبدالله ، وحبس في قلعة الدمام .

فرار الامير عبدالله :

وهنا يمكننا أن نعتبر فترة الحكم الأولى لعبدالله بن فيصل قد بلغت نهايتها ، لأنه قد هرب إلى جبل شمر الذي كان اميره مرتبطاً به برباط المصاهرة ، وحاول عن طريق شيخ الكويت طلب المعونة من الاتراك واعداً بأن يدفع لهم الجزية ، وكان دفع الجزية للأتراك غير منتظم بل ربما كان منقطعاً تماماً منذ عهد الامير فيصل .

★ ★ ★

سعود بن فيصل ١٨٧١ ـ ١٨٧٥
غزو الاتراك للاحساء ١٨٧١

وقبل الأتراك دعوة عبدالله دون تردد ، وبادروا فأعلنوه قائمقاماً لهم في نجد ، وأرسلوا ـعن طريق شيخ الكويت كما هو مذكور بالتفصيل في مكان آخرـ قوات لفتح الأحساء والتقدم منها إلى وسط الجزيرة . وتفاصيل هذه الحملة والأعمال التي تلتها من جانب الأتراك موجودة بالتفصيل في تاريخ الأحساء . فقد نزلوا في رأس تنورة يوم ٢٦ مايو سنة ١٨٧١ ، وسقطت القطيف في أيديهم يوم ٣ يونيو ، ثم الدمام في ٥ منه ، وفي الدمام استطاع عبدالعزيز ابن الأمير سعود الهرب لكنه ترك وراءه الاسير محمد بن فيصل الذي أطلق الأتراك سراحه ، وأعلن نافذ باشا قائد القوات التركية في القطيف أن الهدف من هذه الحملة هو إعادة سلطة «القائمقام» عبدالله في نجد ، وأن سعوداً وأنصاره سيتم العفو عنهم إذا أعلنوا استسلامهم . وفي يوليو احتلت القوات التركية واحة الأحساء دون ان تلقى أية مقاومة ولكن اتضحت لهم الآن صعوبات عبر الصحاري واجتيازها إلى الرياض فبقيت الهفوف مقراً لقوات الاحتلال .

تحرك قواد الوهابيين ١٨٧١ :

ولا بد أن عبدالله قد عاد إلى نجد بعد وصول عون الأتراك الذي طلبه ، فقد ذكر أن القوات التركية حين كانت تجتاح الأحساء كان الامير سعود يحاصر عبد الله في قلعة باقليم الخرج ، وأرغم عبدالله الذي كانت قبيلة قحطان ماتزال تناصره ، على الهرب من الخرج ، وحين التقى بسعود مرة أخرى غربي الرياض لم تكن النتيجة في صفه ، وبعدها استولى الامير على العاصمة وتعلل عبدالله بعدم أمن الطرق في الداخل ، ولحق بنافذ باشا في الأحساء . لكنه سرعان ما تبين أن للاتراك هدفاً آخر مختلفاً كل الاختلاف عن إعادته إلى السلطة . وفي أكتوبر ـوبعد أن القي

عبدالله زمناً في الحبس وأرغم على الاستقالة استطاع الفرار من المعسكر العثماني متراجعاً إلى نجد مع ابنه تركي حيث كان قد سبقه شقيقه محمد . أما الامير سعود ، ربما لانه كان يأمل أن يخلف عبدالله نائباً للاتراك ، فقد تجنب بحذر وحرص القيام بأية عمليات عدوانية على القوات التركية في الأحساء .

وقد عم التذمر في الرياض نتيجة أعمال قوات البدو الموالية لسعود ، وتملص عمه عبدالله بن تركي من تلك المهمة الثقيلة وهي السيطرة على العاصمة ، فكتب محمد عند ذلك إلى القائد التركي في الهفوف ، وتلقى منه الرد وبعض المال والمؤن وتكريمه بتعيينه مديراً للرياض تحت القائمقام عبدالله . ورداً على هذه الإجراءات قام سعود بالاشتباك مع القوات التركية في الأحساء بقوات جمعها من قبائل عجمان وآل مرة والدواسر ، ولكن لم يقدر له النجاح . وبعد فشله أقام سعود في جوار قطر ، وارغم أهل هذا الساحل على أن يكتتبوا لإعانته هو وأنصاره . وظل يقوم من حين لحين بإغارات على خطوط المواصلات التركية .

★ ★ ★

الاتراك يضمون اليهم الاحساء نهائيا ١٨٧١ ـ ١٨٧٢

وبعد فرار عبدالله وهجوم سعود على الأحساء أعلن مدحت باشا والي بغداد خلال قيامه بجولة زار فيها الهفوف في نهاية نوفمبر سنة ١٨٧١ أن الحكم الوهابي في نجد قد انتهى ، وأن الاتراك سيحكمون البلاد حكماً مباشراً ، وعين نافذ باشا اول متصرف تركي . وقد أعلن أن هذه الخطوات تم اتخاذها بناء على التماس قدمه أهل الأحساء ، ولكن يبدو أن هذا الالتماس قد أسيء فهمه ، أو أسيء تقديمه . وعلى أية حال .. ففي مثل تلك المرحلة المبكرة ربما كانت حكم الأتراك مفضلا عند أهل الأحساء بالنظر إلى مرونته في بعض النواحي ولأن أهل الأحساء لم يكونوا يرتاحون إلى حكم الوهابيين على الإطلاق .

النتائج السياسية لضم الاحساء لتركيا :

وقد تأثر التاريخ التالي لنجد تأثراً كبيراً بضم الأتراك للإحساء ، لأنه وضع كل الطرق المؤدية من البحر إلى بلاد الوهابيين تحت سيطرة العثمانيين . والحقيقة إن كل السبل المطروقة المؤدية إلى وسط الجزيرة عدا طريق الكويت كانت تمر بأرض تركية . وهكذا تحكمت قبضة الباب العالي في نجد . ويجب أن نلاحظ هنا أن احتلال الاتراك للأحساء بسبب عدم إمكان تدعيمه إلا عن طريق البحر قد جعل وضع تركيا في الخليج أكثر تعرضاً للخطر في مواجهة الدول البحرية عما كانت عليه من قبل .

مسلك قادة الوهابيين ١٨٧٢ :

وكتب الامير عبدالله بعد ذلك يلوم الأتراك لمسلكهم هذا المزدوج ، وفي غير مرة واحدة تم ترتيب تسوية صورية للامور بينه وبين أخيه سعود ، لكن هذه التسوية كانت تنهار دائماً نتيجة غدر عبدالله ومهاجمته القبائل المخلصة لاخيه سعود مثل شمر وعجمان ، كما أن الامير سعود أيضاً قد بدد جانباً كبيراً من قواه التي كان يجب أن يحتفظ بها لحرب الأتراك في منازعات ومناوشات مع قبائل صغيرة مجاورة .

★ ★ ★

الاعمال التالية لزعماء الوهـابيين وعلاقتهم بالاتراك ١٨٧٢ ـ ١٨٧٤

هزيمة الامير سعود قرب الكويت ١٨٧٩ :

في أوائل سنة ١٨٧٢ ظهر الامير سعود إلى جوار الكويت بقوات سادها الانقسام والتمزق ، وهدد بنهب المدينة إن لم تجب طلباته فيها ، واستطاع شيخ الكويت بعد أن أغرى معظم أنصاره بالابتعاد عنه أن يهاجمه ويرغمه على الفرار بصحبة خمسة عشر رجلاً من أنصارهفقط .

بعثة حاجي أحمد خان ، وقبض الاتراك غدراً على شقيق الامير ووكيله ١٨٧٢ – ١٨٧٣ :

وكان الاتراك في ذلك الوقت قد قطعوا شوطاً في مفاوضاتهم مع سعود ، وعرضوا عليه الاعتراف بسلطته شرط أن يعترف هو بتبعيته للباب العالي ، وأن يتخلى عن منطقة الساحل ، ويدفع الجزية السنوية كما كان ابوه الامير فيصل يفعل وأن يدفع تعويضاً للأتراك عن عملياتهم في الاحساء ، ويرسل اثنين من أبنائه ليقيما رهينتين في بغداد . وعقب عودة سعود من الكويت ، وحين وجد أنه يواجه ظروفاً بالغة القسوة ، كتب الامير إلى حاجي أحمد خان في بوشهر —الذي أصبح فيما بعد نائب الحاكم في بندر عباس والذي كان سابقاً وزيراً لسلطان عمان— يفوضه في قبول الشروط باسمه . وبعد زيارة قام بها حاجي لرءوف باشا والي بغداد وصل إلى الأحساء في سبتمبر سنة ١٨٧٢ . لكن الامير سعود —الذي كان لا يثق على الإطلاق في نوايا أخيه عبدالله ولا نوايا الأتراك— رفض أن يغادر إقليم الخرج الذي كان مقيماً به وقتذاك ، وتعذر عقد لقاء شخصي ، فأرسل لتمثيله شقيقه عبدالرحمن ورجلا يدعى فهد بن سويدان كان قد جعله وكيلا له في الأحساء ، واستطاع أحمد خان استدراج عبدالرحمن إلى بغداد حيث القى في السجن كرهينة ، ولم يلق فهد معاملة أفضل فقد القى القبض عليه في فبراير سنة ١٨٧٣ بتهمة التآمر وكبل بالأغلال ثم ارسل بدوره إلى سجن بغداد .

طرد عبدالله من جنوبي نجد ١٨٧٣ :

وأخيراً بدا أن وضع سعود آخذ في التحسن ، فقد أدى قبض الأتراك على أحد شيوخ عجمان الكبار إلى وقوف كثيرين منهم في صفه ، فاستطاع أن يوقع الهزيمة بعبدالله في الخرج وأن يحاصره في الرياض ، وأخيراً استطاع الاستيلاء على العاصمة وفر عبدالله إلى جوار الكويت ، أو أنه كما تقول رواية أخرى ، قد وجد له ملجأ بين قبائل

البدو في إمارة جبل شمر(١) . وكان عبدالله وثيق الصلة ببيت رشيد فقد تزوج أولا نوره(٢) ابنة أمير شمر المعروفة ، وتزوج بعد موتها شقيقة حميد بن عبيد ، لكن الامير محمداً لم يكن يسمح له بالاقتراب من حائل ، ولم يفعل له شيئاً أكثر من إمداده ببعض الخيول والجمال والأغنام التي طلبها لمؤونته .

مفاوضات عبدالله مع الاتراك :

وقد نصح محمد شقيقه عبدالله في ذلك الوقت بالاستسلام لسعود ، لكنه لم يقبل مجرد مناقشة الفكرة ، وقام بدل ذلك بمحاولة للاتصال بناصر باشا زعيم المنتفق وممثل الأتراك ، ولم يكن هو يستطيع أن يغامر بالسير إلى بغداد أو حتى إلى الكويت ، فأرسل سكرتيره الموثوق به ، محبوب ، وكان رجع الآن يتصدر رجاله كما سبق لعبد الله أن جعله على البريمي لكنه طرد منها وذلك لنقل مقترحاته إلى الأتراك . وكانت هذه المقترحات تتمثل في أن يحتفظ لنفسه بالقطيف والأحساء ، على أن يدفع عنهما الجزية ، بشرط ألا يضع نفسه تحت سيطرة تركيا .

تمرد غير ناجح يقوده شقيق الامير عبدالرحمن ضد ممثل تركيا في الأحساء ١٨٧٤ :

وفي مارس ١٨٧٤ استجاب الاتراك لنصح ناصر باشا زعيم المنتفق فسحبوا قواتهم العسكرية من الأحساء ، وجعلوا عليها براك بن عرير شيخ بني خالد ممثلا لهم كحاكم ، وتركوا له حامية صغيرة من رجال الشرطة . وفي أغسطس من نفس السنة أطلق الأتراك سراح عبدالرحمن ، شقيق سعود ، ثم تبعه فهد بن سويدان ، ووصل عبدالرحمن بعدها إلى البحرين حيث بدأ في مراسلة قبائل الأرض المجاورة ، وبعدها بأسابيع

---

(١) ربما كانت هذه الرواية تشير الى فراره الاول الى جبل شمر سنة ١٨٧٠ .

(٢) كان شقيقها محمد ، امير شمر ، معتادا على القسم باسمها دائما لتاكيد ما يقول .

نزل إلى العقير حيث لحق به آلاف من العجمان وآل مرة وسواهما من القبائل ، وقتل بعض أفراد من الشرطة وحاصر براك في قلعة الهفوف، لكن الانقسامات سرعان ما دبت بين أنصار عبدالرحمن من قبيلة عجمان . وحين وصل ناصر باشا زعيم المنتفق وهو الذي كان قد رتب هذه الاتفاقية بالنسبة لبراك ومعه قوات تركية كبيرة اختفى جيش الوهابيين تماماً ، وسار عبدالرحمن ليلحق بشقيقه أمير الرياض ، وقد أوقع الأتراك بعد رحيله عقاباً قاسياً بالقبائل التي ناصرته في الأحساء .

موت سعود :

وفي ٢٥ يناير سنة ١٨٧٥ مات الامير سعود بالجدري .

★ ★ ★

علاقة الامير سعود بالحكومة البريطانية ١٨٧١ ـ ١٨٧٥

السياسة العامة للحكومة البريطانية :

كان سعود أثناء فترة حكمه القصيرة المضطربة يتراسل مع المقيم البريطاني في بوشهر بحرية كاملة لكنه لم يتلق العون الذي كان يهدف اليه من هذا التراسل . وفي تاريخ الأحساء تحليل تفصيلي لسياسة الحكومة البريطانية تجاه احتلال تركيا لهذا الاقليم وكانت هذه السياسة ـ باختصار ـ تقوم على طمأنة حكام الإمارات العربية المجاورة للاحساء ، ومنعهم من الاشتباك مع الاتراك، وتحديد مدى العمليات العسكرية التركية قدر الامكان

المراسلات مع سعود ١٨٧١ ـ ١٨٧٣ :

ففي بداية الحرب طلب سعود من السلطات البريطانية إما أن تمنع شيخ الكويت عن تقديم العون للأتراك ممثلا في السفن الحربية أو تسمح له ـ أي لسعود ـ بالقيام بعمل بحري ضد هذا الشيخ ، لكنه لم يتلق رداً على رسالته تلك . وفي سبتمبر ١٨٧١ ذكر سعود في رسالة له أن العمليات

التي ينفذها الأتراك ضده إنما تدخل في نطاق الاعتداءات البحرية التي اعتادت الحكومة البريطانية أن تمنعها . واقترح أن تقوم بريطانيا بدور الوسيط بينه وبين الأتراك . وفي يونيو ١٨٧٢ وفي مارس ومايو ١٨٧٣ كرر سعود المطالبة بمعونة السلطات البريطانية على عدة أسس ، وخاصة تلك الصداقة القديمة بين أمير نجد والحكومة البريطانية والسياسة التقليدية لهذه الحكومة نفسها في منع النزول إلى شواطىء الخليج والتي بسببها أهمل سعود ، أو هكذا زعم، الدفاع عن إقليم الأحساء . وأخيراً تخلى الامير عن نغمة المحاجّة هذه ، وطلب ببساطة وصراحة عون السلطات البريطانية مستنداً إلى نواياها الحسنة . وبعدها صدرت التعليمات للمقيم العام –الذي كان قد رفع مشكلة طلب سعود العون البريطاني كحق من حقوقه– بابلاغ الامير سعود أنه ليس طرفاً في أية معاهدة بحرية مع بريطانيا ، وأنه لم يتلق منها أي وعد بالحماية ، وليس له بالتالي أي حق في طلب وساطة بريطانيا او عونها .

اطلاق سراح شقيق الامير ووكيله :

أما عن وكيله في الأحساء ، فهد بن سويدان ، فقد شكا الامير سعود إلى المقيم البريطاني في الخليج غدر الاتراك به وإلقاءهم القبض على وكيله هذا ، ورد عليه المقيم بأن الحكومة البريطانية ليس بوسعها أن تتدخل في مثل هذه المشكلة ، لكنه رفع الامر إلى المقيم البريطاني في بغداد والسفير البريطاني في القسطنطينية ، وربما جاء إطلاق سراح عبدالرحمن وفهد فيما بعد نتيجة مساعي هذا السفير .

* * *

عبد الله بن فيصل (فترة حكمه الثانية)
١٨٧٥ - ١٨٨١
التاريخ العام لنجد ١٨٧٥ - ١٨٨١

الانقسامات بين آل سعود يناير - يوليو ١٨٧٥ :

ترك موت سعود بن فيصل حكم الوهابيين نهباً للخلاف الشديد بين مختلف الاقارب . وكان عبدالرحمن بن فيصل ميالا إلى التفاهم مع أخيه غير الشقيق عبدالله ، لكن الدعاة الوهابيين لم يكونوا يوافقون على ذلك نظراً لعلاقات عبدالله بالأتراك . ويبدو أن قوة ارسلت ضده فعلا من الرياض في إبريل سنة ١٨٧٥ على وجه التقريب ، وانضم أكبر أبناء الامير السابق سعود إلى جماعة عبدالرحمن في العاصمة ، على حين أرغم عبدالله على البقاء خارجها والعسكرة بجنده خارج أسوارها .

وفي يوليو ، تلقى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر ووكيل المقيمية في البحرين رسائل من عبدالرحمن يعلن فيها أنه الآن أمير نجد وانه مسيطر على العاصمة وأن عبدالله قد أصبح شريداً في الصحراء غير أنه لم يتلق رداً على رسائله تلك .

الصلح بين أفراد اسرة آل سعود أغسطس ١٨٧٥ :

وفي أغسطس على وجه التقريب استطاع عبدالله أن يهزم عبدالرحمن ويعود ليدخل مدينة الرياض وليقيم من نفسه -في ظاهر الامر على الاقل- حكماً في النزاعات السائدة بين آل سعود . وأصبح عبدالرحمن وزيراً لعبدالله وناصحاً اميناً له . وتصالح محمد وعبدالعزيز -أكبر أبناء الامير الراحل سعود ، وكانا ما يزالان صغيرين وبلا نفوذ- مع عمهما عبدالله . وقد أدى هذا الصلح بين آل سعود إلى أن يتراجع متصرف الأحساء عما جاء في رسالة منه كان كتبها إلى عبدالله يغريه فيها بالحرب حين كان عبدالرحمن على عرش الرياض . وظلت قبيلة عجمان هي القبيلة الوحيدة التي لم تعلن خضوعها فوراً لسلطة الامير عبدالله .

التمرد على الاتراك في الاحساء ١٨٧٨ :

ومن نهاية سنة ١٨٧٥ حتى نهاية سنة ١٨٧٨ ساد الهدوء في ظاهر الأمر وسط الجزيرة ، ولكن في صيف سنة ١٨٧٨ اندلع تمرد في الأحساء ضد الادارة التركية يتزعمه محمد وعبدالرحمن ولدا الامير الوهابي الراحل سعود . غير أن هذا التمرد لم ينجح على نحو ما هو مذكور في تاريخ الأحساء رغم الانتصارات الأولية التي أحرزها . وفي ديسمبر سنة ١٨٧٨ وصل الزعيمان الوهابيان مهزومين إلى البحرين ومعهما حوالي ٦٠ رجلا من أنصارهما ،وهناك استقبلهما شيخ البحرين الذي بذلت السلطات البريطانية جهداً كبيراً لمنعه من المبالغة في إعلان مظاهر الحفاوة بهما .

الانقسام ثم الصلح بين آل سعود ١٨٧٩ — ١٨٨٠ :

وفي سنة ١٨٧٩ اختلف الأمير عبدالله مرة أخرى مع ولدَيْ أخيه سعود فطردهم في أول إبريل من هذه السنة من الخرج واستطاع محمد أكبر الاثنين أن يستعيد الخرج في أكتوبر أو نوفمبر التالي ، لكن نجاحه لم يعمر طويلا ، لأن عمه كان عائداً لتوه من غارة ناجحة على بني مرير فقام بهجوم مفاجيء على الخرج واستطاع أن يأسر محمد بن سعود . ويبدو أن الامير لم يسجن محمداً طويلا لأنه قد ذكر في سنة ١٨٨٠ أنه على حين كان عبدالله بن فيصل مع أخويه محمد وعبدالرحمن يعيشون في الرياض ويحكمون أقاليم عريضة وسدير ووشيم كان ولدا سعود يحكمان بموافقته الخرج والحوطة وحريق والأفلاج ، ويتوليان شئون قبائل عجمان والدواسر وآل مرة . وفي نفس السنة أصبح من المتوقع حدوث هجوم جديد للوهابيين على العراق ، وانتشرت شائعات كثيرة أثارت الفزع والرعب ، ربما كان يروجها أنصار قبيلة المنتفق التي كانت متمردة في العراق آنذاك ، غير أن شيئاً يبرر هذا النزاع الشامل لم يقع .

رحلة عبدالله بن عبدالله إلى القسطنطينية ١٨٧٩ – ١٨٨٠ :

وفي سنة ١٨٧٩ ظهر مطالب جديد بامارة الوهابيين هو عبدالله ابن الامير الوهابي السابق عبدالله بن ثنيان . فقد قام هذا الرجل ، الذي كان مستقراً في البصرة منذ سنة ١٨٧٦ ، برحلة إلى القسطنطينية للسعي لاستصدار فرمان من الباب العالي بالوكالة عنه في نجد والاحساء ، بحيث يتولى دفع جزية الاقليمين ويدين للسلطان بالولاء . فإن لم يتحقق له ذلك فلا أقل من أن يؤمن لنفسه نصيباً من أملاك آل سعود في الاحساء التي صادرتها السلطات التركية . وفي طريق عودته إلى الخليج قام عبدالله ابن عبد الله بزيارة للرائد روس المقيم السياسي البريطاني في بوشهر ، وحاول إقناعه بالمزايا التي ستتحقق للأتراك لو عينوه ، وطلب اليه أن يحصل له على دعم من السفير البريطاني في القسطنطينية لمطالبه تلك . ومن جده –حيث التقى بمستر زهراب القنصل البريطاني هناك كتب عبدالله بن عبدالله مرة أخرى للرائد روس مؤكداً الفوائد التي ستعود على المصالح البريطانية والتركية جميعاً من خطته . ومشيراً إلى الفائدة التي ستحقق في حالة اقراضه أموالا انجليزية . وقام عبدالله بعد ذلك بزيارة للقاهرة حيث التقى بمستر ماليت القنصل البريطاني فيها ، ثم سار إلى دمشق في يوليو حيث التقى هناك أيضاً بنائب القنصل البريطاني . غير أن الحكومة البريطانية اتخذت قراراً على أية حال بألا علاقة لها بالطلب الذي قدمه عبدالله للقسطنطينية ، ولم يسمع أحد عن مشروعات عبدالله هذا منذ وصوله إلى القسطنطينية مرة أخرى في آب أغسطس سنة ١٨٨٠.

الوضع في سنة ١٨٨١ :

وفي سنة ١٨٨١ كان الامير عبدالله ما يزال يسيطر على الرياض ، وكان يزوره هناك من وقت لآخر ابن أخيه محمد وزعماء قبائل عجمان الذين كانوا ساخطين على الحكم التركي .. رافضين الإقامة في الاحساء ، وأصبحت لهم علاقات شخصية وثيقة بالأمير عبدالله .

بداية الاعمال العدائية بين أمير جبل شمر
والوهابيين ١٨٧٧ ـ ١٨٨٤

وفي نفس هذا الوقت حدثٍ اضطراب لم يكن أحد آنذاك قادراً على التكهن بتأثيره على الدولة الوهابية . وكان ذلك في العلاقات القائمة بين عائلة آل رشيد الحاكمة في جبل شمر بالشمال وحكام الرياض . ويبدو أن أول الأعمال العدائية في هذا الصدد كانت تلك الحملة التي قام بها أمير جبل شمر سنة ١٨٧١ على قبيلة عتيبة الموالية للوهابيين ، وبعدها بدأ أمير الشمال يهاجم أرض الوهابيين حيث لهم سيادة اسمية على الاقل هجوماً سافراً استولى به على إقليمي القصيم وسدير واحتل مدينتي بريده ومجمع لكن عنيزه في القصيم ظلت ممتنعة عليه .

وفي فبراير سنة ١٨٨٠ كان من المعتقد أن تفاهماً قد تم بين ابن رشيد وابن سعود ولكن لو صح هذا فان هذا التفاهم لم يعمر طويلا . ففي سنة ١٨٨٢ حاول أمير الوهابيين استعادة القصيم وسدير بالقوة المسلحة لكن قوات ابن رشيد كانت أكثر من قواته عدداً فاضطر للتراجع إلى الرياض ، واكتشف بعد ذلك أن ابن رشيد كان يتآمر مع ابناء أخيه سعود لينضموا اليه او ليظلوا على الاقل محايدين . وحتى يزيد عبدالله من تماسك القضية الوهابية استعاد في مارس سنة ١٨٨٣ لقب الإمام إلى جانب السلطة الزمنية بطبيعة الحال . وظل كل جانب يقوم باغارات على أنصار الجانب الآخر ، وفي سنة ١٨٨٥ استطاع محمد بن سعود أن يحرز انتصاراً على أمير شمر في القصيم وارغمه على الجلاء موقتاً عن بريدة ، لكنه عرف من خطابات وقعت في يده أن عمه يتآمر لإيقاع الهزيمة به وقتله ، فأوقف عملياته العسكرية وعاد إلى مستقره في الخرج . بعد ذلك أصبح الانتصار بشكل عام من نصيب ابن رشيد الذي كان لديه أربعة مدافع متنقلة وعددٌ كبيرٌ من بنادق المارتيني . وكان تنظيمه العسكري أكثر كفاءة من تنظيم قوات الوهابيين ، وقيل أيضاً إنه كان يستفيد كثيراً من صداقته لشيخ الكويت .

استمرار الانقسام بين آل سعود وعزل الامير عبد الله ١٨٨٤ ـ ١٨٨٧

ووضح أن الخلافات بين الامير عبدالله وأبناء أخيه لم تنته ، لكن قلة معلوماتنا عن هذا الخلافات تجعل أسبابها عندنا مكتنفة بشيء من الغموض . فنحن نعرف أن ابناء سعود كانت لهم علاقة ما بالبحرين لأن محمد بن سعود وصل هناك في فبراير سنة ١٨٨٦ وظل بها قرابة الشهر ، وكذلك زارها أخوه عبدالله في أغسطس من نفس السنة ، وقيل عن زيارته إنها كانت للحصول على بعض المعونة والهدايا .

وفي نفس الوقت كانت سلطة الامير عبدالله في نجد ما تزال قائمة ، وان تكن مهتزة غير ثابته ، لكنه ظل يسيطر على العاصمة حتى خريف سنة ١٨٨٧ حين أسره أبناء أخية بغتة وسجنوه . وكتب محمد بن سعود عقب ذلك إلى شيخ البحرين وشيوخ عمان المتصالحة يعلن اليهم توليه إمارة نجد ، غير أن هذا الانتصار لم يدم طويلا كما سنرى .

★ ★ ★

علاقة الاتراك بوسط الجزيرة خلال هذه الفترة ١٨٧٥ ـ ١٨٨٧

مما تقدم يتضح لنا أن علاقة الأتراك بالوهابيين خلال الفترة الثانية من حكم عبدالله بن فيصل علاقة هينه ، ولانكاد نعرف عنهم شيئاً اللهم الا التمرد الذي حدث ضدهم في الأحساء سنة ١٨٧٨ ، لكن النفوذ التركي ــ في حين أنه لم يكن موجوداً على وجه التقريب في نجد الجنوبية ــ إلا أنه كان يزداد يوماً بعد يوم في جبل شمر . فقد حدث احتكاك بين أمير شمر والأتراك ، كما هو مذكور في تاريخ جبل شمر ، وذلك على الحدود السورية سنة ١٨٧٢ وربما أيضاً في سنة ١٨٨٠ ، لكن في سنة ١٨٨٦ استقبل الامير بحفاوة كبيرة وفداً تركياً كان الهدف من إرساله

الحصول على إذن بتشييد مسجد ومدرسة تابعين للسلطات العثمانية في حائل ، وحملهم الامير بالهدايا قبل رحيلهم وإن لم يجب مطلبهم . وخلال هذه الفترة التي نتعرض لها أفصح الاتراك عن غيرتهم الشديدة من النفوذ الذي توهموا أن بريطانيا كانت تتمتع به في وسط الجزيرة .

★ ★ ★

علاقة بريطانيا بوسط الجزيرة خلال نفس الفترة ١٨٧٥ ـ ١٨٨٧

وفي حقيقة الأمر لم يكن للسلطات البريطانية كما رأينا أية علاقة بنجد على الإطلاق ، بل وحتى معلوماتها عن الأحداث التي كانت دائرة فيها معلومات ناقصة إلى أبعد الحدود . فاهمال الحكومة البريطانية الرد على خطاب من عبدالرحمن في سنة ١٨٧٥ ، ونصيحتها لشيخ البحرين بألا يقحم نفسه في شئون الوهابيين سنة ١٨٧٨ ، ثم لا مبالاتها التامة باقتراحات عبدالله بن ثنيان في سنة ١٨٨٠ تعزز جميعها موقف بريطانيا المشار اليه .

★ ★ ★

فترة خلو العرش الوهابي من أمير ١٨٨٧ ـ ١٩٠٢

أمير جبل شمر يغزو جنوبي نجد ١٨٨٧ ـ ١٨٩٢

ابن رشيد يغتصب حكم نجد الجنوبية ١٨٨٧ــ١٨٨٨ :

حين نمى إلى علم أمير جبل شمر ، وهو آنذاك محمد بن عبدالله بن رشيد خبر أسر الأمير عبد الله على يدي أبناء أخيه بادر إلى السير بقواته نحو الرياض التي استسلمت له وفتحت ابوابها عقب دفاع قصير . وحين رحيل ابن رشيد اصطحب معه الامير المعزول وجعل على الرياض وكيلا

عنه يشرف على حكم أقاليم الوهابيين بالتعاون مع محمد بن فيصل شقيق الامير السابق ، ثم أبلغ الاتراك بنبأ انتصاره الذي زعم أنه قد أحرزه باسمهم . وفي أغسطس ١٨٨٨ – ربما باقتراح من الامير السابق عبدالله أمر وكيل ابن رشيد في الرياض بأن يقتل محمد وعبدالله في الخرج ، وهما الابنان الباقيان من أبناء الامير الوهابي السابق سعود بن فيصل ، باستثناء عبدالعزيز الذي التحق بمقر أعمامه في حائل . ولقد أثبتت هذه المذبحة التي نفذها وكيل ابن رشيد في الرياض مع قوة قوامها ١٨ رجلا فقط قوة النفوذ الطاغي الذي أصبح لامير الشمال في نجد الجنوبية . ومرت شهور طويلة وأنصار محمد بن سعود الذي كان الناس يحبونه حباً جماً عاجزون عن تصديق أنه مات ، مؤملون أن يعود اليهم يوماً بعد هربه واختفائه .

بعض النجاح يحرزه آل سعود ضد ابن رشيد ١٨٩٠ :

أما الامير السابق عبدالله الذى أصبح الآن قليل الخطر فقد سمح له في خريف سنة ١٨٨٩ بالعودة من حائل إلى الرياض حيث مات بعد وصوله مباشرة ، لكن عبدالرحمن – أخاه ومستشاره السابق – استطاع في العام التالي أن يستولي على الرياض وأن يأسر ابن الصبان وكيل أمير شمر الذي أعدم ابني سعود . وكان من المعتقد أن عبد الرحمن قد قام بعمله هذا استجابة لنصيحة العاطفين عليه في القصيم الذين قالوا له إن ابن الرشيد يعد خطة لإبادة كل من بقي على قيد الحياة من نسل فيصل أمير الوهابيين الأسبق . واستسلم وكيل أمير شمر في الخرج ، دون مقاومة ، كما تذكر إحدى الروايات . وأعلن زعماء عنيزة وبريدة – وأهل القصيم بشكل عام – ولاءهم لعبدالرحمن .

وسار أمير شمر الغاضب إلى الرياض مع قوات من قبائل شمر وحرب وغيرها ، غير أن حصاره للرياض لم يكن فعالا ، ولم يكن ضربه لها بالمدافع ذا جدوى ، وبدأت الاغتيالات والمذابح تحدث بين قواته ،

وراح أنصاره من البدو يتخلون عنه ، فاضطر للدخول في صلح أضحت بمقتضاه أقاليم الخرج وسدير ووشيم تابعة له ، على أن يترك الرياض وبقية نجد الجنوبية ككل . وتجمعت قبائل البدو من مطير وعتيبه للقضاء على سلطة ابن رشيد ، وتوقفت الخلافات الدامية ، وتناسى الناس الانشقاقات العائلية في مواجهة طغيان ابن رشيد ، وكانت هذه الجبهة الموحدة بزعامة زامل أمير بريده .. ومن بيته أعلنت الحرب .

معركة بريدة وانتصار ساحق لابن رشيد ١٨٩١ :

وفي فبراير ١٨٩١ كانت قوات هؤلاء الحلفاء قد وصلت القصيم وتجمعت هناك معتمدة على مدينتي عنيزة وبريده ، وقيل إن عدد الرجال الذين كانوا في الميدان آنذاك لم يعرفه وسط الجزيرة في تاريخها كله . وانضم حسان بن مهنا ، زعيم بريده الذي كان امير شمر يعتمد اعتماداً كبيراً على مساعدته ، إلى الحلفاء بمجرد بدء الاشتباكات . وظل القتال دائراً طوال شهر كامل دون الوصول إلى نتائج حاسمة . ورغم استخدام أعداد كبيرة من الجمال لنقل المياه والمؤن إلا أن امدادات قوات ابن رشيد بدأت في التناقص . وقرب نهاية مارس حاول ابن رشيد عدة مرات أن يقوم بهجوم يائس لصدع جبهة الحلفاء لكن رجاله كانوا يصدون في كل مرة رغم تفوق سلاحهم على سلاح الوهابيين ويتكبدون في هجماتهم خسائردامية . وأخيراً جهز ابن رشيد قواته كلها وعبأها للقيام بهجوم حاسم وجعل أمام قواته عدة آلاف من الجمال ستاراً للتغطية ، ورغم أن الخسارة في الجمال كانت فادحة إلا أن قوات ابن رشيد استطاعت ان تجلي قوات القصيم عن مواقعها . وقيل إنه مئة رجل قد قتلوا في هده المعركة التي تعرف باسم معركة بريده او معركة موليده(١) ، وكان بين القتلى القائد زامل ونائبه علي ، كما قتل في المعركة

(١) في نجد تعرف هذه المعركة باسم معركة مليدة نسبة الى مكان بهذا الاسم قريب من شيحيه . والرواية التى سقناها هنا اعتمدنا فيها على كتاب البارون نولد « الحرب في وسط الجزيرة .. » (بالالمانية) .

أيضاً اثنان من أقاربهما وقبض على آخرين سُجنا في حائل ، وفر حسن بن مهنا أمير بريده لكنه قبض عليه في الصحراء وسجن في حائل واستسلمت مدينتا عنيزة وبريده ، وأرسلت مدينتا الرس وشقره بل وحتى الرياض تطلب الصلح من الامير المنتصر ، ولجأ عبدالرحمن بن سعود إلى البحرين ،ووضع امير شمر حاكماً باسمه ينوب عنه في القصيم .

محاولة فاشلة لتجديد الحرب ضد ابن رشيد يقوم بها عبدالرحمن ابن سعود :

وبعدها بقليل لقي نائب ابن رشيد في الخرج مصرعه في اشتباكات مع قبيلة عجمان ، بعد أن نهبت قافلة من قوافل الحجاج ، وانتهز عبد الرحمن هذه الفرصة ليعود إلى احتلال الخرج والرياض ، غير أن أمير شمر باغته وهزمه هزيمة ساحقة ، ثم أمر بقلاع الرياض فسويت بالأرض . وأحرق نصف أشجار النخيل المثمرة ، وحول قلعة القصر في الرياض إلى خرائب . وانتهت الحرب عندئذ . وأصبحت قبضة ابن رشيد محكمة على وسط الجزيرة كلها ، ولم يعد من آل سعود إلا عدة أفراد مشردين هائمين .

الحركة التالية لعبد الرحمن ١٨٩١ – ١٨٩٢ :

ولحق عبد الرحمن أولا ببدو الاحساء ، وظل مقيماً بينهم فترة قصيرة يخاف في كل يوم أن يقبض عليه أنصار أمير شمر ، وعاش من أغسطس إلى نوفمبر ١٨٩٢ في حماية شيخ الدوحة بقطر ، ولحقت به عائلته التي كانت في البحرين . وأخيراً في نوفمبر سنة ١٨٩٢ وبدعوة من الوالي التركي في البصرة استقر عبدالرحمن في الأحساء وجعل له راتب شهري قدره ٣٣ ليرة عثمانية ضمنها له الباب العالي .

علاقة أمير شمر بالاتراك أثناء حكمه نجد الجنوبية ١٨٩١ ـ ١٩٠٠

في سنة ١٨٨٨ ، وعقب النصر الأول على آل سعود ، اتصل ابن رشيد بالأتراك ، واعترف بتبعيته للباب العالي ، وأعلن أنه قام بهذه الفتوحات باسمه . وتلقت الحكومة التركية هذا الاعتراف بالرضا والارتياح .

توقع حملة على عمان المتصالحة وسياسة الباب العالي في نجد ١٨٨٨ ـ ١٨٨٩ :

وفي نفس السنة دارت شائعات ملحة بأن ثمة حملة يعدها ابن رشيد باسم الاتراك لغزو عمان المتصالحة ، بالتعاون مع شيوخ آل ثاني في الدوحة بقطر ، وتفاصيل الجوانب المحلية لهذه الحادثة واردة في تاريخ عمان المتصالحة . ولنا أن نشك في أن مثل هذا المشروع كان حقيقياً بالفعل ، اللهم إلا بالنسبة لشيوخ آل ثاني فقط ، لكن الذي حدث أن هذه الشائعات كانت ملحة إلحاحاً جعل الحكومة البريطانية تتصل بالحكومة التركية بشأنها ، وردت هذه بأنه لا علاقة بين السلطان وأمير شمر أكثر من تبادل الهدايا في المناسبات فقط . وفي سنة ١٨٨٩ تأكد السفير البريطاني في القسطنطينية من وجود تصارع في السياسات بين هذين الجانبين ، فابن رشيد يود أن يوسع سيطرته لتشمل الأحساء وأن يظل مستقلا عن تركيا ـ اللهم إلا تبعية اسمية فقط ـ على حين كان الباب العالي يود بطبيعة الحال أن يسيطر سيطرة مباشرة على جزيرة العرب والأحساء جميعاً .

الطرفان المتصارعان في نجد يراسلان السلطات التركية ١٨٩٠ :

وفي سنة ١٨٩٠ حين عقدت هدنة موقتة بين آل سعود وآل رشيد في نجد طلب كل من الطرفين عون الأتراك ، فاتهم ابن رشيد أعداءه

بتنفيذ خطط مضادة في الأحساء ، وشكا زعيم الوهابيين وكانت السلطات التركية أميل إلى تجاهله ، اعتداءات ابن رشيد وأعلن عن رغبته في الخضوع للأتراك . وقد ذكرنا من قبل أن الأتراك قد سمحوا لزعيم آل سعود بالإقامة في الأحساء وأجروا عليه راتباً شهرياً في سنة ١٨٩٢ .

اشتباكات بين ابن رشيد والاتراك ١٨٩٥ :

وفي ١٨٩٥ كما هو مذكور في تاريخ الأحساء حدث اشتباك بسبب بعض المنازعات القبلية بين امير شمر والسلطات التركية المحلية على حدود هذا الإقليم غير أنه لم يسفر عن نتائج ذات بال . وفي نفس السنة تلقى ابن رشيد من شيخ آل ثاني في قطر خطاباً يطلب فيه اللقاء معه لكنه خشي أن يجيبه إلى طلبه كي لا يعتدي على السلطات التركية .

★ ★ ★

آل سعود يجددون نضالهم للاستيلاء على نجد الجنوبية ١٩٠٠ ــ ١٩٠٢

استقرار عبدالرحمن في الكويت ١٨٩٧ ــ ١٩٠٠ :

في سنة ١٩٠٠ ، أي بغد ثلاث سنوات من موت محمد بن عبدالله أمير شمر الذي فتح نجد الجنوبية ، بدأ عبدالرحمن زعيم آل سعود اللاجيء يتحرك من جديد . ومن المحتمل أن يكون قد شجعه على ذلك أمارات التفكك التي بدأت تتضح في دولة جبل شمر على عهد عبدالعزيز أبن متعب ، خليفة الامير محمد وابن شقيقه . فحوالي سنة ١٨٩٧ ترك عبدالرحمن ملجاه في الأحساء واستقر في الكويت يحظى بعون شيخها وعون الحكومة التركية ، وكان شيخ الكويت بالنظر لما كان ابن رشيد يقدمه من معونات كثيرة لابناء إخوته المتمردين عليه ، قد أصبح أكثر اهتماماً وحماسةً للمشاركة في قضية الوهابيين .

بداية الاشتباكات ١٩٠٠ :

وفي أغسطس سنة ١٩٠٠ غادر عبدالرحمن الكويت فجأةبعد أن تلقى تشجيعاً من بعض الأنصار في نجد وسار إلى داخل الجزيرة حيث أحرز بعض النجاح على البدو المؤيدين لابن رشيد . وفي سبتمبر من نفس السنة دعا الشيخ مبارك للحاق به ومعه تعزيز لقواته . وليس ما عمله شيخ الكويت للوهلة الأولى واضحاً بالنسبة لنا ، غير أنه كان متغيباً عن عاصمته طوال معظم شهر أكتوبر . وفي نوفمبر كانت الدلائل تشير إلى وقوع اشتباك وشيك على حدود العراق التركي بين قوات ابن رشيد من ناحية وقوات الشيخ مبارك وسعدون باشا زعيم المنتفق المتمرد من الناحية الأخرى . غير ان السلطات التركية في البصرة استطاعت أن تتفادى هذا الاشتباك على نحو ما هو مذكور في تاريخ الكويت .

حملة شيخ الكويت على القصيم ومعركة صريف ١٩٠١ :

ولم يعلن شيخ الكويت ، رغم تدخل تركيا ، نيته تقديم عون فعال لابن سعود . وفي ١٨ ديسمبر سنة ١٩٠٠ قاد الشيخ مبارك قوات كبيرة مختلطة من البدو وأهل المدن وسار بها إلى القصيم ، وأعماله هناك مذكورة في تاريخ الكويت . وبعد تطهير صحارى السمان والدهانه من الاعداء بدأ اعلان الولاء لابن سعود ينهال من مختلف البقاع في نجد الجنوبية والقصيم ، وعين عبدالعزيز أكبر أبناء عبدالرحمن الذين بقوا على قيد الحياة ليحكم عاصمة الوهابيين التي كانت ما تزال في أيدي العدو . وبعد وصول سعدون باشا الذي كان ينتظر فيما يبدو في الصحراء على حدود القصيم واصل الحلفاء تقدمهم . غير أن أمير شمر كان في ذلك الحين إلى جوارهم . وحين وصلت قوات الحلفاء إلى طرفيه في القصيم كان أمير شمر قد اتخذ مواقعه في صريف على مسافة عدة أميال فقط . وفي ١٧ مارس سنة ١٩٠١ دارت المعركة الحاسمة المعروفة بمعركة صريف في قلب وادي الرماح في منتصف المسافة بين المعسكرين ، وانتهت بتشتيت قوات الشيخ مبارك وابن سعدون . ومن جانب

ابن رشيد قتل سالم ومهنا ولدا حمود عم الامير ، لكن خسائر الحلفاء كانت جسيمة فقد كانت تضم على الأقل ثلاثة من أقارب شيخ الكويت الادنين إلى جانب ستة من أعضاء اسرة أبو الخيل الحاكمة في بريده . وحسب ما تذكره رواية أهل شمر فان جيش الحلفاء لم يثبت في المعركة وإنما اوقعت به كل هذه الخسائر أثناء فراره ، وقد استخرج كثير من المختبئين من مكامنهم وسط الحقول المزروعة وأكوام القش ، وقتل العبيد بعضهم بأوامر من ابن رشيد . وخلال أسبوعين وصل الشيخ مبارك وابن سعود وسعدون باشا إلى الكويت سالمين وجيشهم المشتت ما يزال يحاول شق طريق العودة .

نتائج هذه الحملة ١٩٠١ - ١٩٠٢ :

وكان فشل هذه الحملة يعني كارثة خطيرة لبعض المشتركين فيها خاصة شيخ الكويت وسكان القصيم الذين انضموا اليها ، فقد انتقم ابن رشيد من هؤلاء انتقاماً مروعاً ، لكن النجاح الجزئي الذي أحرزه الحلفاء قد افزعه فزعاً شديداً ، فحاول في أوائل مايو عن طريق وكيل له في البصرة طلب حماية بريطانيا دون جدوى .

وكان الطرف الوحيد من الخارج الذي يهتم بهذا الموقف هو الحكومة التركية التي كانت حريصة على كسب النفوذ عند شيخ الكويت فأرسلت فوراً مشير الجيش السادس من بغداد إلى البصرة فوصلها في أوائل مايو وظل بها عدة شهور . وكانت مهمة هذا القائد الكبير تسوية الصلح بين الاطراف الرئيسية في الخلاف ، وقد بدأ عمله بمراسلة كل من هذه الأطراف ، ولكن لا يتضح لنا أنه لقي استجابة وتأييداً اللهم إلا من ابن رشيد . وفي اغسطس بدأ الاتراك حين وضح انحيازهم التام إلى ابن رشيد يعبئون القوات في منطقة الفرات ، وفي سبتمبر ١٩٠١ قام ابن رشيد بغارة على الكويت نشرت الفزع في المدينة وضواحيها حتى جعلت السلطات البحرية البريطانية تتخذ الاجراءات الكفيلة بحماية هذا المكان ومساعدة الشيخ مبارك اذا دعا الأمر . وفي نوفمبر وديسمبر سنة

١٩٠١ ، وكان ابن رشيد آنذاك في صفوان ' وهو مكان يتوسط المسافة بين البصرة وحدود الكويت ، بذلت السلطات التركية في البصرة جهوداً مضنية لاغراء الشيخ باعلان خضوعه للباب العالي وقبول حامية تركية في عاصمته ، لكن هذه الجهود كلها قد أحبطها الموقف الحاسم الذي وقفه الضابط البحري البريطاني في الكويت . وأعقبت ذلك ازمة طارئة ذكرناها بالتفصيل في تاريخ الكويت لكنها لم تترك أية نتائج ، ربما بسبب الاستعدادات البحرية البريطانية للدفاع عن الكويت ، وتحرك أمير شمر ببطء وعلى مضض حتى اسوار لينه على الحدود الشرقية لإمارته .

وهنا بدأت قضية ابن سعود تحرز تقدماً واضحاً في الجنوب . ففي ١٥ يناير سنة ١٩٠٢ قام عبدالعزيز بن عبدالرحمن بهجوم مفاجىء من ناحية الأحساء التي كان قد أقام بها زمناً ما يجمع حوله الأنصار ، واستطاع عبدالعزيز أن يفتح الرياض باسم أبيه عبدالرحمن فدخل المدينة ليلا ومعه ثمانية من خيرة رجاله ، ثم لحق به بقية أنصاره داخل الاسوار ولم يكونوا جميعاً يتجاوزون ثمانين رجلا استطاع بهم أن يباغت حاكم الرياض من قبل أمير شمر ويقتله ويستولي على المدينة وسط ابتهاج أهلها . وتبع ذلك طرد حاميات ابن رشيد من الأقاليم المجاورة في الخرج وحريق ، وأعلن ابن سعود للباب العالي أنه سيحكم هذه البلاد التي حررها كواحد من رعايا السلطان المخلصين له .

★ ★ ★

عبد الرحمن بن فيصل ٠ ابتداء من ١٩٠٢

وباستعادة الرياض انتهت فترة خلو العرش في نجد الجنوبية ، وبدأ عهد الامير الوهابي عبدالرحمن بن فيصل .

الحرب بين ابن سعود وابن رشيد
١٩٠٢ ـ ١٩٠٤

مصاعب ابن رشيد ١٩٠٢ :

وأصبح ابن رشيد يدرك تماماً الآن حرج موقفه . فان ميناء الكويت لم يعد في أيد صديقه ، وهو بالتالي لا يستطيع أن يحصل منه كما كان معتاداً على المؤن والأسلحة والذخائر الضرورية لاستمرار سيطرته في نجد . وكان يعرف أيضاً أن كثيرين حتى من رعاياه التقليديين قد ضاقوا بما ساد حكمه من قسوة وجشع وسوء إدارة . وهكذا ارسل في منتصف مارس سنة ١٩٠٢ مبعوثاً إلى الوالي التركي في البصرة يلح في طلب العون من تركيا لإخضاع هذا «التمرد» الذي اعترف بأنه لا يستطيع مواجهته وحده ، وذكر في خطاب أرسله إلى الصدر الاعظم في القسطنطينية حوالي هذا الوقت نفسه أن للحكومة البريطانية خططها في إقامة علاقات وثيقة بوسط الجزيرة عن طريق ابن سعود وشيخ الكويت .

تقدم قوات الوهابيين ١٩٠٢ :

وفي نجد ، كان ميدان الحرب يتسع تدريجياً نحو الشمال . ففي ٨ إبريل من هذه السنة اوقع عبدالعزيز بن عبدالرحمن هزيمة شهيرة بقوات كبيرة من قبيلة قحطان التي كانت تناصر ابن رشيد ، في مكان بالقرب من مجمع ، وفي ذلك الوقت كانت قبائل عتيبة والدواسر والسباع وعجمان وآل مرة ومطير في الجنوب والشرق قد أعلنت جميعاً ولاءها لابن سعود ، ولم يبق لابن رشيد سوى قبائل قحطان وحرب وظافر إلى جانب قبيلة شمر التي ينتسب اليها . وبدأ كثيرون من زعماء آل سعود ممن كانوا اختاروا المنفى أثناء حكم ابن رشيد في نجد الجنوبية يعودون من البصرة وسواها من الأماكن في الخارج ، وكان الناس حتى في القصيم والاقاليم المجاورة لها مؤيدين لقضية الوهابيين على

وجه العموم ، وساد شعور عام في وقت من الاوقات بأن حائل يجب أن تؤول سريعاً إلى حكم الرياض . وفي ١١ مايو سنة ١٩٠٢ غادر الامير عبدالرحمن الكويت إلى الرياض ليتولى عرش أجداده بعد أن أوقع بعض الخسائر ببدو شمر وظافر في طريقه . وفي ٢٧ مايو استطاع ابنه عبدالعزيز أن يأسر بعض أقارب ابن رشيد الادنين . ووضح بذلك أنه قد اكتمل فتح نجد الجنوبية تماماً .

هزيمة خطيرة لابن رشيد في الخرج :

على أن ابن رشيد بذل جهداً مضنياً في محاولة استعادة الأقاليم الجنوبية التي كان فقدُها يهدده بفقد القصيم أيضاً في وقت قريب . وفي نهاية يوليو سنة ١٩٠٢ اندفع بعض أنصاره إلى إقليم الكويت حتى وصلوا آبار الصبيحية لكنهم ارغموا على التراجع . وبعدها بقليل بدأ أمير شمر نفسه يتحرك نحو الجنوب ، فاحتل بريده في القصيم وشقين في وشم أثناء مروره ، وأرسل بعض قواته لمهاجمة الرياض ، وألح عليها بكل الوسائل في طلب عبدالعزيز بن عبدالرحمن الذي كان وقتذاك في الخرج . ثم استولى على السليمانية وعسكر بقواته في دِلِم عاصمة الخرج حيث بقي أياماً قليلة دون نشاط كان أثناءها أهل أقاليم الحوطة وحريق ، وقبيلة الدواسر أيضاً ، قد انضموا إلى عبدالعزيز في المحمدي وهو مكان ذو زرع على بعد ثلاثة أميال فقط إلى الشمال . وفي أول نوفمبر سنة ١٩٠٢ —وعقب ثلاثة أيام من الاشتباكات غير الحاسمة— حدث اشتباك حاسم ظل القتال العنيف دائراً فيه خمس ساعات متواصلة هزم بعدها ابن رشيد هزيمة ساحقة وارغم على الفرار تاركاً وراءه عسكره وكثيراً من الخيول والجمال وأحد ألويته فوقعت كلها في يد العدو . وتابع عبدالعزيز نجاحه فواصل التقدم نحو القصيم حتى وصل شاوره ، على حين اتخذ ابن رشيد موقعه بعد تمكنه من الفرار في زلفى عند أقصى شمال سدير .

وفي نهاية ديسمبر سنة ١٩٠٢ حدثت غارة قيل إنها كانت بقيادة

ابن رشيد نفسه– على رعايا الكويت في جوار الجهرة وأحدثت بعض الخسارة لكن أمكن صد المغيرين في النهاية وإيقاع الهزيمة بهم . وتراجع ابن رشيد بعدها إلى القصيم وانقضت فترة دون اشتباكات قام عبدالعزيز خلالها بزيارة للكويت .

لقاء بين امير الوهابيين ومسئول روسي في الكويت ١٩٠٣ :

وتلقى ابن سعود في ذلك الوقت بعض التشجيع من دولة اوربية ، فقد كان معروفاً في البصرة منذ المراحل الأولى من الصراع في وسط الجزيرة العربية أن عملاء الحكومة الروسية مهتمون اهتماماً خاصاً بهذا الصراع ، والآن تم اللقاء أثناء وجود عبدالعزيز في الكويت بينه وبين القنصل الروسي العام في بوشهر الذي جاء إلى الكويت على ظهر الطراد الروسي «بويارين» وكان يصحبه الطراد الفرنسي «انفرنيت» في زيارة للكويت . وقد جاء من الكويت في ذلك الوقت أن القنصل الروسي عرض أن يمد عبدالعزيز بالمال والسلاح ، وأكد هذه الاقوال مصدر مستقل . وقد حدث هذا اللقاء في أوائل مارس سنة ١٩٠٣ .

الوهابيون يستعيدون اقليم سدير – ١٩٠٣ :

وشغل ابن رشيد نفسه بمطاردة قبائل البدو المناصرة لابن سعود ، وحاول أن يستميل إلى صفه سعدون باشا زعيم المنتفق المتمرد . وفي ليلة ٣ إبريل سنة ١٩٠٣ قام بمحاولة لاستعادة الرياض حيث كان الامير عبدالرحمن قد عزز إقامته فيها ، وتكبد ابن رشيد خسارة فادحة قبل أن يُرغم على التراجع . وبعدها بعدة أيام استطاع عبدالعزيز الذي عاد مؤخراً من الكويت أن يشن هجوماً معاكساً على قبائل البدو المؤيدة لابن رشيد وأوقع بها خسائر فادحة . وانتهت سنة ١٩٠٣ بالاستيلاء على زلفى واستعادة الوهابيين إقليم سدير استعادة كاملة .

الباب العالي يقدم العون الذي التمسه ابن رشيد ١٩٠٤ :

وضاعف ابن رشيد جهوده للحصول على معونة الأتراك ، فاتصل

برقياً بالصدر الاعظم في القسطنطينية يوم ٧ يناير سنة ١٩٠٤ يطلب أوامر الباب العالي ، وقد ذكر الصدر الاعظم أن ابن سعود يحاول أن يقيم علاقات وثيقة ببريطانيا العظمى ، ومن المحتمل ان تقدم له هذه الدولة الأسلحة والذخائر . ولا بد أن الباب العالي قد استجاب لطلبه هذا فقد ارسلت اليه في شهر إبريل من نفس السنة كمية من الاسلحة والذخائر من بغداد ، وصدرت الاوامر بتجميع القوات التركية في السماوه على نهر الفرات .

الوهابيون يستعيدون وشم والقصيم : ١٩٠٤ :

وفي هذه الفترة تعاظم نجاح عبدالعزيز بن عبدالرحمن وتزايد تزايداً أسرع وأكثر حسماً . ففي ٧ فبراير سنة ١٩٠٤ هاجَمَ قوة يقودها حسين جراد حاكم ابن رشيد على القصيم في مكان يسمى فيضة في وادي ياسر ، وهزم القوة وقتل الحاكم نفسه وأرسل علمه وخاتمه إلى الكويت بشارة بالنصر ، وقد فقد عدد كبير من وجهاء شمر حياتهم في هذا الاشتباك ، وبخضوع إقليم وشم تمت استعادة نجد الجنوبية بكل أقاليمها وسار عبد العزيز بن سعود بعد ذلك إلى القصيم وهو إقليم كان اعتاد على الاستقلال عن حائل والرياض معاً . ودخلت قواته مدينة عنيزة في ٢٢ مارس بمساعدة أهلها وتعاطفهم ، وهزم ماجد أحد ابناء حمود ابن عم ابن رشيد وقد كان معسكراً خارج المدينة للدفاع عنها ، وقتل من قواته كثيرون كان من بينهم عبيد أحد أبناء حمود نفسه . وقد أخضع هذا الاشتباك الحاسم كل إقليم القصيم بما فيه مدينة بريده لنفوذ الوهابيين دون إبطاء . وربما كانت هذه الاحداث التي ذكرناها مؤخراً هي التي جعلت الحكومة العثمانية تقرر أخيراً أن تتدخل تدخلا فعالا لنجدة عميلها ابن رشيد الذي بدا أنه قد وصل نهاية الطريق ، وأن استسلامه الكامل لابن سعود بات وشيك الحدوث .

الحملة العسكرية التركية على القصيم ١٩٠٤

حين سارت الحملة التركية من السماوه على شاطىء الفرات في الايام الاخيرة من مايو سنة ١٩٠٤ كانت تضم حوالي ٢٠٠٠ جندي من جنود المشاة ، و ٦ مدافع خفيفة حمل كل منها على عارضة بين بغلين بالإضافة لحشد كثيف من بدو شمر وعنيزة . غير أن عدد هذه القوات تناقص كثيراً نتيجة المرض والهرب قبل أن تصل مسرح الأحداث . وكان من المتعذر انقاذ بريده فقد فات الوقت ، لكن وصول هذه الحملة أخر زحف الوهابيين الذي كان يهدد حائل ، وبدأت الحرب على أرض العدو تمتد جنوباً نحو القصيم .

معركة البكيرية ١٥ يوليو ١٩٠٤ :

وبدأ الاشتباك الأول في بكيرية ، بعد ظهر يوم ١٥ يوليو ويبدو أن هذه المعركة قد سادتها الفوضى كثيرا . فقد حدث أول هجوم على ابن رشيد وحلفائه الأتراك من قبل رجال قبيلة عريضة يقودهم عبدالعزيز بن عبدالرحمن ، لكن هذا الهجوم فشل ، واستطاع الفرسان من رجال ابن رشيد أن يردوهم إلى الصحراء بعد أن أوقعوا بهم خسارة كبيرة . وفي نفس الوقت كان رجال القصيم الذين لا يعرفون شيئاً عن مصير رفاقهم لأن تلالا منخفضة تفصل بينهم قد تقدموا نحو المعسكر التركي واستطاعوا في المساء أن يستولوا عليه ، وقد قتل في هذه المعركة القائد التركي وحوالي اثني عشر من ضباطه وعدد كبير من الجنود كما استولى رجال القصيم على كل المدافع التي كانت مع القوات التركية واسروا كثيرين من رجالها ، وكان ماجد أكبر أبناء حمود ابن عم ابن رشيد بين القتلى في هذه المعركة إثر منازلة فروسية عند نهاية الاشتباك ، وهكذا سقط الرجل الرابع من عائلة واحدة في يوم واحد في محاولة يائسة لانقاذ جبل شمر من مصيره المحتوم . بعد هذا الانتصار انسحب رجال القصيم إلى عنيزة ، وحاول ما بقي من القوات التركية استعادة مدافعهم ،

فاستطاعوا العثور على خمسة . وكان العدو قد حمل واحداً منها ونقله إلى الرياض لكن ثلاثة من هذه المدافع الخمسة كانت مدمرة لا جدوى منها .

العمليات التالية وتراجع الاتراك إلى قحافة يوليو–أكتوبر ١٩٠٤ :

ولتحسين هذا الموقف أو ربما للظهور بمظهر المهاجم قام الأتراك وحلفاؤهم حوالي منتصف أغسطس بالسير عدة أميال إلى الجنوب الغربي واحتلوا شنانه إحدى القرى المنفصلة التي تضمها جميعاً مدينة الرس ، وظلوا بها دون حركة مدة ستة أسابيع يجلبون مؤنهم من قرية نبهانية على مسافة بعيدة إلى الغرب على حين كان العدو يسيطر على بقية البلاد شرقاً ، بل وربما أيضاً على بقية مدينة الرس . وأخيراً ، حوالي يوم ٢١ سبتمبر سار الاتراك وابن رشيد من شنانه وحاولوا ضرب معقل محصن في مكان يعرف باسم قصر ابن عقيل ، على بعد عدة أميال غربي الرس التي كان يحتلها زعيم بريده وصديق ابن سعود .

وحين عرف العدو بهذا التحرك قام بهجوم من الرس انهزمت فيه القوات التركية وفر ابن رشيد مختفياً . واستولى الوهابيون وأهل القصيم على مدفع آخر ومزيد من الغنائم لكن هذه المعركة كانت خسائرها في الأرواح ضئيلة . وبعدها اتخذ ما بقي من القوات التركية التي لم تكن تتجاوز ٧٠٠ رجل مواقعهم في قحافة في منتصف الطريق بين بريده وحائل لأن ابن رشيد قد رفض رغم مجيء هذه القوات لنجدته أن تقترب أية خطوة أخرى نحو عاصمته . وهكذا انتهت الحملة التركية إلى فشل تام . لكن السلطات العثمانية حتى ولو كانت تعرف هذه الحقائق فقد كانت أبعد ما تكون عن الاعتراف بها ، فقد ظلت بعض الأعلام التي قيل إنه تم الاستيلاء عليها من ابن سعود تعرض وسط مظاهر الابتهاج بالنصر في شوارع كربلاء طوال شهر كامل بعد الهزيمة التركية الأولى .

المفاوضات ، ثم الاتفاقية الودية بين ابن سعود والباب العالي ١٩٠٤ – ١٩٠٥ :

ويبدو أن ابن سعود قد أصابه بعض الفزع من النجاح الكاسح الذي أحرزه على القوات العثمانية . ففي نهاية أكتوبر سنة ١٩٠٤ ارسل خطاب اعتذار إلى فخري باشا الوالي التركي النشيط في البصرة ، وهو رجل مستنير مدرب على قيادة الجيوش والعمليات العسكرية(١) . وفي هذا الخطاب حاول أمير الوهابيين تبرئة نفسه مما يتعلق بهجماته على القوات التركية في القصيم ، وسأل عما إذا كان بالوسع قبول إعلان الخضوع من جانبه ، وطلب استمرار المرتب الذي كان يتقاضاه ، من الحكومة التركية . ورفعت اقتراحاته إلى القسطنطينية . ولقيت قبولا هناك في الظاهر إلا أن الاستعدادات التي كانت قد بدأت في النجف لارسال حملة تركية جديدة إلى وسط الجزيرة لم تتوقف ، ولكن في ذلك الوقت كان من المفهوم عموماً أن أهداف هذه الحملة سلمية وليست تأديبية ، وهذا يشير إلى أن الوعد الذي قدمه ابن سعود بحسن السلوك في المستقبل قد اعتبر مرضياً وموثوقاً به على الرغم من ان ابن سعود لم يذهب بنفسه لتأكيده .

ولم يستمر انتظار هذا التأكيد طويلا . فلم تكد القوة التركية تبدأ سيرها من النجف حتى كان الامير عبد الرحمن قد وصل بنفسه ومعه الشيخ مبارك شيخ الكويت إلى قرية صنوان الصغيرة على حدود العراق والكويت . وهناك التقى بهما مخلص باشا الذي كان قد تولى ولاية البصرة مؤخراً ، وتبع اللقاء الاول الذي تم في صفوان بتاريخ ٨ فبراير إتصالات ومناقشات تلغرافية بين البصرة والقسطنطينية . وفي اللقاء الثاني الذي حدث عند آبار القشعانية يبدو أن ابن سعود قد أبلغ ان السلطان

---

(١) وتذكر رواية أخرى أن الخطوة الاولى في هذا السبيل قد خطاها فخرى باشا لا ابن سعود .

عينه قائمقاماً او حاكماً انجد الجنوبية في ظل الباب العالي . وأبلغ أيضاً أن ابن رشيد لن يتدخل بأية صورة من الصور في شئون أقاليمه تلك . ويبدو ان ابن سعود من جانبه قد وافق على وضع مجموعة من المسئولين المدنيين وحاميات عسكرية تركية في القصيم .

★ ★ ★

احتلال الاتراك السلمى للقصيم ١٩٠٥

في هذا الوقت نفسه ، اواخر يناير سنة ١٩٠٥ ، سارت القوات التركية التي تجمعت في النجف في نهاية ١٩٠٤ إلى القصيم ، وكانت تضم حوالي ثلاثة آلاف رجل معهم ٦ مدافع بقيادة أحمد فيضي باشا مشير قوات الجيش السادس في بغداد ، وهو «رجل عجوزٌ محنّك» ، تجاوز السبعين من عمره لكنه ذو طاقة حيوية كبيرة .

دخول القوات العسكرية التركية الى القصيم ابريل ١٩٠٥ :

وقد أدت الاتفاقية التي عقدت مع ابن سعود بعد رحيله مهمة هذه الحملة التي التقت بطابور ارسل من المدينة يضم ٧٥٠ رجلا معهم بطارية من مدافع الميدان ، ولكن التقارير التي بين ايدينا لا تخبرنا بصورة مؤكدة عن نقطة اللقاء أوعن خط سير الحملة . ولم تواجه القوات مقاومة ما ، فأهل نجد قد ارهقتهم الحروب ، ورحبوا في ذلك الوقت بالسلم حتى لو جاء في ظل القوات التركية . واحتلت القوات مدينة بريده في القصيم يوم ١٥ إبريل سنة ١٩٠٥ وعنيزة بعدها بثلاثة أيام ، ووضعت في كل حامية مئة جندي أو أقل ، ورفع العلم العثماني ، وعزف السلام الحميدي ، ودعى لسلطان تركيا من فوق المنابر في الصلوات الجامعة . وقد لوحظ ان ابن رشيد لم يكن موجوداً وقتذاك حتى كمجرد مشاهد في هذه الاحتفالات ، والنتيجة التي استخلصت من ذلك هي أن أهل القصيم قد اشترطوا لخضوعهم للباب العالي ألا يكون لامير شمر أي تدخل

في امورهم . وهذه نقطة أكدها ابن سعود غير مرة واحدة أثناء مفاوضاته مع الاتراك . ثم قسمت نجد بعد ذلك أقساماً إدارية على الطريقة التركية المعتادة ، فجعلت بريده قضاءً يتولاه القائمقام صالح بن حسان ؛ وجعلت عنيزة مديرية ، مديرها عبدالعزيز . لكن العلاقات بين هذين المسئولين لم تكن محددة في ظاهر الأمر على الأقل . فلم يكن بوسع العرب أن يعرفوا ما إذا كانت هذه الأقسام الإدارية تابعة للبصرة أو للمدينة ، غير أن المسئولين الأتراك كانوا يعتقدون أنها تابعة لولاية البصرة . وكان مفهوماً أن نجد الجنوبية قد أصبحت قضاء تابعاً لولاية البصرة وابن سعود وأصبح لها قائمقام مقره الرياض . ولم تكد هذه الاقسام التي كان من السهل تنفيذها بطبيعتها الاسمية تكتمل حتى أسرع أحمد فيضي باشا ، بمجرد وصول الأوامر اليه بالسير لقمع تمرد حدث في اليمن ، فامتطى ظهر بعيره وهرع عن طريق المدينة إلى ميناء ينبع على البحر الاحمر .

★ ★ ★

التاريخ العام لوسط الجزيرة أثناء احتلال الاتراك للقصيم ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦

زيارة عبدالعزيز ابن سعود لقطر ٥ يوليو–أغسطس ١٩٠٥ :

وربما تكون هذه الإجزاءات في القصيم قد ضايقت الامير الوهابي بعض الشيء لأنها ارغمته على عدم مواصلة عملياته العسكرية ضد ابن رشيد وحولت انتباهه كله إلى منطقة ساحل الخليج . وفي يوليو وأغسطس سنة ١٩٠٥ خرج عبدالعزيز ابن امير الوهابيين إلى جولة في صحراء الجافورة وحدود قطر ، وكانت زيارته غير المتوقعة هذه مصدر مضايقة للسلطات التركية في الأحساء . وارتبكت في البداية ولم تعرف ماذا تفعل لكنها أخيراً أرسلت طابور شرف لاستقباله عند آبار دعيلج في صحراء الجافورة ، وكان اللصوص وقطاع الطريق قد اوقفوا قافلته على الطريق بين الأحساء والعقير ، فانتهز عبدالعزيز هذه الفرصة ، وأمر باعدام

بعض البدو من هؤلاء ، ليظهر بمظهر حامي القانون والنظام ، ثم زعم أيضاً أنه قد سوى الخلافات الدموية التي كانت قائمة بين قبائل عجمان وبني هاجر وآل مره . وتوقف عبدالعزيز غير مرة عند آبار المياه إلى جوار خليج سلوى والتقى بجاسم شيخ آل ثاني بالدوحة في عريق . وكان يعتقد أن جاسماً قد قدم لابيه عبدالرحمن بن سعود معونات قيمة في سنة ١٩٠٤ . وأخيراً حين وجد عبدالعزيز أن حراره الجو لم تعد تطاق ، رجع إلى بلاده عن طريق آبار زرنوقة في حزمة لكنه كتب قبل رحيله خطابات لشيوخ عمان المتصالحة يعلن لهم نيته في زيارة عمان في الربيع التالي . واوجدت هذه الرسائل شيئاً من الحماسة كما هو مذكور في تاريخ عمان المتصالحة خاصة بين الشيوخ الذين ارسلت اليهم ، واضطرت السلطات البريطانية إلى متابعة هذا الامر متابعة دقيقة .

تجدد الاشتباكات بين ابن سعود وابن رشيد ثم موت هذا الاخير ١٩٠٥ — ١٩٠٦ :

وأما العمليات العدوانية بين أمير الوهابيين وأمير شمر التي توقفت فترة قصيرة احتراماً للقوات التركية فقد عادت من جديد . فقد كان الغريمان المتنافسان كما وصفهما فيما بعد باشا تركي تعامل معهما على طرفي نقيض من حيث شخصياتهما . فعلى حين كان ابن رشيد «مقاتلا من الصحراء» خالصاً وبسيطاً ، كان ابن سعود أقرب لان يكون «ديبلوماسياً من الصحراء» ، لكن هذا النقص في أمير الوهابيين قد عوضه ابنه عبدالعزيز بمقدرته العسكرية الفائقة . وهكذا بدأ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بمعاونه شقيقه محمد في أواخر سنة ١٩٠٥ يغير على قبيلة حرب وفرع بني عبدالله من قبيلة مطير إلى الغرب ، وقد اتخذ عبدالعزيز قاعدته في القصيم ، واتخذ ابن رشيد قاعدته في قحافة على أقصى الحدود الشمالية الغربية لنفس الإقليم . وفي نهاية سنة ١٩٠٦ كانت القوات الوهابية معسكرة في عين ابن فهيد في القصيم ، وكانت قوات ابن رشيد معسكرة في ثمامي وهو مكان ذو ماء في باطن على مسافة سبعين ميلا شمال

شرقي موقع الوهابيين . وكان ابن رشيد قد طلب في ذلك الوقت وساطة الشيخ مبارك شيخ الكويت والتمس منه أن يعتبره ابناً من أبنائه ، وبدأ هذا السياسي المحنك يضع خطة لإعادة السلم في نجد على أساس أن يجعل بين الأميرين المتحاربين إقليماً محايداً يكون تحت سيطرته هو نفسه ويضم أقاليم القصيم ووشم وسدير . وفي هذا الوقت نجح الوهابيون في مباغتة قوات ابن رشيد التي كانت آمنة في معسكرها بمكان يسمى رويضة على بعد عشرين او ثلاثين ميلا شرقي بريده في ليلة ١١ إبريل سنة ١٩٠٦ . وكانت عاصفة رملية تهب في هذه الليلة ، وكان بوسع ابن رشيد أن يهرب اذا شاء . لكنه خرج وأعلن عن نفسه بكل جرأة وخرّ صريعاً بالرصاص المنهمر من بنادق أعدائه وهو يرتجز شعره الحماسي ، وقتل مع الامير عدد من أنصاره المقربين ، وقطعت رأسه ووضعت على رمح طاف البلاد كلها وسط مظاهر الانتصار ، لكن هذا العمل لقي استنكاراً واضحاً من الرأي العام العربي ، وساد نوع من الأسى لموت ابن رشيد حتى عند شيخ الكويت نفسه الذي ارسل اليه ابن سعود خاتم الامير القتيل إشارة للانتصار .

ابتهاج ابن سعود ابريل – يونيو ١٩٠٦ :

وأرسل الأمير الوهابي الرسائل والرسل لإعلان انتصاره هذا لسلطان تركيا ، وللواليين التركيين في بغداد والبصرة ، ولشيوخ العرب وزعمائهم في الأحساء وقطر والبحرين . وقيل إن الوفد الذي ارسل إلى البصرة لقي من الحاكم استقبالا حسناً ، كذلك رجعت الوفود من عند معظم الشيوخ الذين ارسلوا اليهم يحملون التهنئة وبعض الهدايا . وأعلن ابن سعود نفسه حاكم «الشرق» ولعله كان يعني بهذه الكلمة شرقي جزيرة العرب كلها ، وساد فتور موقت في العلاقة بين أمير الوهابيين وشيخ الكويت بسبب خلاف حول ولاء بعض قبائل البدو والزامها بأن تدفع الجزية ، وهذا هو السبب الشائع غالباً للخلافات التي قد تقوم بين الزعماء في وسط الجزيرة ، وقيل إن ابن سعود قد تكلم عن الشيخ مبارك بطريقة لا تليق وهو في

نشوة انتصاره ، ولكن عون شيخ الكويت كان ضرورياً لأمن الامير الوهابي ، ولذا لم تدم القطيعة بينهما طويلا .

نفي قائمقام بريدة وبعض أعمال الوهابيين العدوانية ابريل — يونيو ١٩٠٦ :

وسار عبدالعزيز بعد أن قضى على ابن رشيد مصمماً على أن يستفيد من نجاحه إلى أقصى حد . ففي إبريل أو مايو من السنة نفسها استطاع بالخدعة أن يأسر صالح بن حسان قائمقام الأتراك في بريده ، ولم يقف دونه في ذلك منصبه الرسمي أو وجود قوات تركية في القصيم ، ونفاه إلى الرياض هو وأخويه مهنا وعبدالعزيز ، ويبدو أن السبب في ذلك أن صالحاً كان يبذل في عمله كقائمقام للأتراك كل ما وسعه من جهد لتحقيق مصالح الباب العالي والدفاع عنها ، لكن هذا الاسلوب مضافاً إليه شعبية صالح الشخصية في القصيم أثارا شكوكا خطيرة لدى الوهابيين ، وواصل عبدالعزيز بعد ذلك غاراته نحو الشمال ، وفي مايو تقريباً بدأ يتحرش بقبائل البدو إلى جوار حائل ويطالبهم بمتأخر الجزية التي كان يدفعها أمير شمر للرياض من قبل ، لكن أبواب المدينة نفسها أغلقت أمامه ، وأرغمه نقص المؤن والعتاد على التراجع . وأطلق سراح بعض آل سعود الذين كانوا معتقلين في حائل ، ومن بين هؤلاء شاب يدعى عبدالعزيز بن محمد ، وهو حفيد الامير الوهابي سعود بن فيصل ، وقد وصل الكويت في أوائل يونيو وتلقى علاجاً طبياً في مستوصف بريطاني هناك ، وفي هذا الوقت نفسه أطلق أيضاً سراح اشخاص ينتمون إلى عائلات في عنيزه وبريده كانوا محتجزين كرهائن سياسية .

اعلان السلم بن ابن سعود وابن رشيد يوليو ١٩٠٦ :

وفي نفس الوقت ظل متعب ابن الامير الوهابي الراحل وخليفته على اتصال بشيخ الكويت وطلب منه أن يبدأ المفاوضات باسم أبيه ،

ويبدو أن الشيخ مبارك كان بالفعل يبذل كل جهوده من أجل التوصل إلى اتفاقية للسلم . وفي يوليو تم عقد الصلح في القصيم ، وتوقفت الأعمال العدوانية من الجانبين ، لكن مبعوثاً ارسله ابن سعود إلى شيخ الكويت لإبلاغه بهذه الظروف لقي مصرعه في الصحراء على يد بعض رجال شمر ، إما انتقاماً لمقتل أميرهم عبدالعزيز أو لأن القتلة لم يكونوا يعرفون بعد أن الصلح قد عقد . ولا يبدو أن أمير الوهابيين قد بارح عاصمته الرياض خلال هذه الاعمال كلها .

مواقف الاتراك وتصرفاتهم ازاء نجاح ابن سعود يوليو – سبتمبر ١٩٠٦ :

يمكننا الآن ان نتساءل ، كيف تقبلت الحكومة التركية هذه الأعمال التي كانت تدل على اللامبالاة التامة والازدراء من ابن سعود لسلطة العثمانيين في وسط الجزيرة . لقد ارسل ابن سعود وفداً إلى البصرة ولقي استقبالا حسناً من واليها كما ذكرنا ، لكن مشاعر الباب العالي كانت طبعا مع عائلة ابن رشيد ، الذي ظل معترفاً بولائه للسلطان زمناً طويلا ، والذي أدى سقوطه دون شك إلى انهيار نفوذ تركيا في نجد . وقد عزا والي البصرة النهاية الفاجعة التي لقيها ابن رشيد إلى تدخل شيخ الكويت متنكراً في هيئة صانع السلام فيما بين الطرفين المتحاربين ، لكن الباب العالي كان يميل إلى الاعتقاد بأن تدخلا غير ضروري قد حدث من جانب العسكريين في أمور الموظفين المدنيين وبتعبير آخر فان قادة القوات التركية كانوا يحاولون فرض سيطرتهم كثيراً على مشايخ العرب المحليين .

وقبل نهاية إبريل وصلت إلى البصرة برقية من امين سر السلطان تقضي بإبلاغ الامير الجديد متعب أسف السلطان لمقتل أبيه الامير عبدالعزيز ، وبعزم الباب العالي على إيقاع العقاب بقتلته ، والتصديق على أن يكون متعب خلفاً لأبيه براتبه الذي كان مخصصاً له . وقد ذكر أن

المعونة التي كان يتلقاها ابن رشيد من الأتراك في ذلك الحين كان قوامها ٢٠٠ ليرة عثمانية في الشهر و ٢٠٠ كيس من الأرز في السنة ترسل الاولى من بغداد عن طريق كربلاء ، والأخرى من البصرة عن طريق الكويت .

وفي بداية يوليو سار سامي باشا ـ الذي كان قد عين قائداً عسكرياً ومتصرفاً مدنياً في نجد قبل سنة لكنه كان يرجىء رحيله الفعلي حتى ذلك الحين ـ سار من المدينة في ٥٠٠ جندي من المشاة ومدفع واحد إلى القصيم فوصلها بعد شهر . وجعل مقره في شيحيه على بعد ٣٠ ميلا إلى الجنوب الغربي من بريده . وارسل سامي باشا يستدعي عبدالعزيز بن سعود للمثول بحضرته ، لكن القائد الوهابي رفض أن يدخل معسكره ، وتم أخيراً تدبير اللقاء بينهما في الصحراء المكشوفة بين الشيحية وبريده ، وكانت أهم الموضوعات التي نوقشت في هذا اللقاء على ما يبدو ضرورة إقامة قلاع في عنيزة وبريده لاستقبال حاميات تركية دائميه ، ثم إطلاق سراح القائمقام صالح بن حسان . وفيما يتعلق بالمطلب الأول فقد نجح ابن سعود ـ ومن ورائه أهل القصيم ـ في أن يذكر لسامي باشا الوعد الذي سبق أن قطعه الأتراك على أنفسهم بألا تزيد الحامية المقيمة في أي من المدينتين على مئة جندي ، أما الطلب الاخير فقد أهمل نظراً لتأكيد ابن سعود تأكيداً ثبت زيفه فيما بعد بأن صالحاً قد هرب من سجنه في الرياض وقتله بعض بدو آل مره في الصحراء .

ورحل الفريق صديق أو (صدقي) باشا الذي كان قائد القوات التركية في نجد قبل وصول سامي باشا إلى الكويت عن طريق زلفى فآبار الصفاة في سمان فصبيحية في ٢١ أغسطس . وكان معه طابور من الجند يتكون من ١٤٢ رجلا لم يفقد منه رجل واحد في الطريق .

وقرب نهاية سبتمبر ارسل المتصرف الجديد جماعة من رجاله لابتياع مؤن في عنيزة ، لكن كبار الرجال في المدينة رفضوا أن يبيعوا

الأتراك شيئاً متعللين بنقص المواد ، وحين كانت الجمال التركية عائدة إلى معسكرها في الليل هاجمها بعض الرجال وقتلوا عدداً من جنودها .

وفي نفس الوقت كان طالب باشا وهو ياوري السلطان وربما كان هو المتصرف السابق للاحساء مسافراً من بغداد إلى حائل يحمل شارة تعيين الامير الشاب متعب بن عبدالعزيز . وذكر أنه وصل سالماً إلى حائل في نهاية سبتمبر ، ولم يكن الامير متعب يتلقى راتبه الذي كان يدفع له من خزينة كربلاء بانتظام ، ولعل ذلك يعود إلى أنه رفض أن يدفع بعض الرشاوى التي طلبها منه المسئولون الأتراك .

★ ★ ★

الانسحاب الفعلي للاتراك من نجد نوفمبر ١٩٠٦

صعوبات امام جيش الاحتلال :

وأتضح للحكومة التركية أن احتلالها القصيم الذي لم يعد يتقبله الناس هناك قد أصبح خطراً وغير مفيد في الوقت نفسه ، فقد بات من الصعب توفير المؤن للقوات التي كانت كما يقول رجال الصحراء لا تحصل على نصيب من التبغ على الإطلاق ، والتي اضطرت غير مرة لأن تأكل خوص النخيل لنقص المؤن والطعام ، كما كانت القوات مهلهلة الثياب رثة الهيئة ، وكثيراً ما كان العرب يغيرون على الجنود ويهاجمونهم ، واذا حاول بعض الجنود الانتقام لانفسهم كان ضباطهم يسلمونهم إلى الشيوخ الذين كانوا يأمرون باعدامهم .

لهذه الاسباب كان جنود جيش الاحتلال جميعاً ، ومعظمهم من العرب يعتبرون هذه البلاد بلاداً ملعونة أو « بنت ابليس » كما كانوا يدعونها ، فتفشى بينهم الفرار والمرض ، وباع كثيرون منهم سلاحهم وذخيرتهم لاهل البلاد ليحصلوا فقط على ضرورات الحياة .

انسحاب القوات التركية انسحاباً شبه كامل نوفمبر ١٩٠٦ :

في هذه الظروف يبدو أن الحكومة التركية قد اتخذت قرارها(١) في خريف سنة ١٩٠٦ بتخفيض جيش الاحتلال في القصيم من ٢٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ رجل وذلك بعد أن انضمت اليه القوة التي رافقت سامي باشا عند توجهه إلى المدينة . وبدأ الانسحاب في نوفمبر ، وكانت الوحدات التي بدأت الانسحاب هي وحدات الجيش الغربي في ٣ نوفمبر (٢) ، وبعدها بثلاثة أسابيع بدأت قوات بغداد سيرها نحو الساحل ، وكانت هذه القوات الاخيرة تضم ٨٠٠ جندي مزودين بمدفعين من مدافع الميدان وأربعة مدافع خفيفة ، وزودت بألفي بعير مملوكة لاشخاص من بريده وعنيزه وزلفى لاستخدامها في النقل . وفي ٢٥ يوماً وصلت القوات من بريده إلى الكويت التي لم يسمح شيخها للجنود بدخولها . وأخيراً وصلت إلى البصرة في سلام . ولا شك في أن الانسحاب من القصيم بسبب إصرار أهلها على تخفيض الحاميات التركية كان أشمل مما اراده الباب العالي ، فواضح أنه لم يعد باقياً في القصيم إلا عدد لا يتجاوز خمسين رجلا ، بل إن بعض الروايات تنقصه إلى ستة وعشرين فقط .

النتائج العسكرية والسياسية المترتبة على الاحتلال ثم الجلاء :

ولما كان العدد الكلي للقوات التي ارسلت من العراق إلى القصيم في ١٩٠٤ و ١٩٠٥ قد قدر بحوالي ٤٥٠٠ جندي على الأقل وكان عدد هؤلاء الذين بقوا منهم في القصيم او عادوا إلى العراق قد قدر بحوالي

---

(١) تذكر رواية اخرى أن سامى باشا ـ الذى تراجع الى المدينة ـ هو الذى أمر بالجلاء على مسئوليته الخاصة ، وكان سبب ذلك هو عدم وصول الامدادات أو التعليمات اليه من القسطنطينية .

(٢) يقول نفس المصدر السابق ان سامى باشا لم يعد الى المدينة الا في فبراير ١٩٠٧ ، وقد كانت معظم القوات التى انسحبت في هذا الاتجاه تعتمد على الجراد في طعامها .

١٠٠٠ جندي فسيتضح لنا أن الحسارة التي منيت بها هذه القوات في نجد ـسواء بالفرار أو الموتـ كانت ثقيلة وفادحة جداً . وقد بدأ فرار هذه القوات الى الكويت في سنة ١٩٠٥ وقدر عدد الجنود الاتراك الذين مروا بها من نجد حتى مارس ١٩٠٦ بحوالي ٥٠٠ جندي ، وذكر أن معظم الذين ماتوا في القصيم انما سقطوا ضحايا الأوبئة .

وأضرّ الجلاء عن القصيم بهيبة تركيا في جزيرة العرب كلها . فقد كان سبب الاضطرابات التي حدثت في الاحساء هو تلك الثقة التي بعثها الانسحاب في نفوس العرب . وفي ربيع سنة ١٩٠٧ ساد القلق الدوائر التركية التي كانت تخشى أن يهاجم ابن سعود القوات التركية التي تعمل في مد الخط الحديدي في الحجاز . ولم يكن من المؤكد على أية حال أن هذا الانسحاب التركي كان نهائياً ، خاصة وأن إكمال سكة حديد الحجاز التي كانت الآن تقترب من المدينة بسرعة كان لا شك سيعزز السياسة التركية ويدعمها في وسط الجزيرة .

★ ★ ★

التاريخ العام لوسط الجزيرة بعد جلاء الاتراك عن القصيم ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧

علاقة ابن سعود وابن رشيد بشيخ الكويت ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧ :

عقب رحيل القوات التركية من القصيم سادت هدنة ثقيلة . وفي نجد كانت تقطعها الشائعات دائماً عن تجدد الاشتباكات بين قوات ابن سعود وابن رشيد . في يناير ١٩٠٧ ، وكما هو مذكور في تاريخ نجد الشمالية ، قتل متعب أمير شمر الجديد على يد قريبه سلطان بن حمود الذي كان يعارض سلطته في ذلك الحين . وكان اتجاه ابن رشيد الجديد الناتج عن حرج موقفه الذي لاشك فيه اتجاهاً متهادناً مع ابن سعود ، وكان موقف شيخ الكويت كموقف أهل القصيم بل حتى كموقف الاتراك

أنفسهم كارهاً لقيام سيطرة كاملة ودائمة في نجد لا لحاكم الرياض ولا لحاكم حائل ، وكان بالتالي يميل لان يمنع مساعداته عن ابن سعود ويقدمها لابن رشيد الذي كانت سلطته قد وصلت مرحلة من الضعف لا شك فيها . وكان الشيخ مبارك قد سبق أن أعلن أن حكومة ابن سعود ينقصها التنظيم ، ثم زاد الآن على ذلك بأن انتقد شخصية ابن سعود نفسه فذكر أنه «سريع الغضب سريع الرضا» . وربما كان الشيخ مبارك لا يعني بملاحظته هذه الامير الوهابي عبدالرحمن بن فيصل بقدر ما يعني ابنه عبدالعزيز الذي أصبح الآن يطلق عليه عادة اسم «ابن سعود» نظراً لنشاطه وجرأته وشهرته .

امور سياسية أخرى ١٩٠٧ :

أما في نجد الجنوبية فقد ظلت مدينة مجمع في سدير تقاوم سلطة أمير الوهابيين بشكل أو بآخر ، فهي ترضى بدفع الجزية التي كانت تدفعها لامير شمر ، لكنها لا توافق على زيادتها ، ولا على الدخول في علاقة وثيقة بالوهابيين . وأخيراً تأكد دون أي شك أن صالح بن حسان أمير بريده السابق كان ما يزال حياً في سجنه بالرياض ، وقيل إن أخويه سليمان وعبدالرحمن قد لحقا بابن رشيد .

★ ★ ★

علاقات الحكومة البريطانية بوسط الجزيرة ١٩٠٠ ـ ١٩٠٧

ظلّ وسط الجزيرة يعتبر دائماً بسبب من صعوبة الوصول اليه وقلة موارده الاقتصادية خارج مدى اهتمام الحكومة البريطانية وحكومة الهند . ولكن بعد عودة الدولة الوهابية إلى القوة في نجد سنة ١٩٠٠ تعدل الموقف قليلا بالنظر إلى تحالف شيخ الكويت مع ابن سعود ، ومساعي الحكومة التركية لاستمالة ابن رشيد .

حكومة الهند تقرر ارسال وكلاء مسلمين إلى نجد ١٩٠١ :

في بداية سنة ١٩٠١ فكرت حكومة الهند في إرسال وكلاء مسلمين لجمع معلومات موثوق بها عن الحياة السياسية والدينية في وسط الجزيرة، وكان غموض هذه الجوانب سبب تردد السياسة البريطانية، ولكن أرجىء تنفيذ الخطة نظراً لاضطراب الوضع في المناطق الداخلية آنذاك .

محاولات ابن سعود الاولى للتقرب إلى الحكومة البريطانية ١٩٠٢ :

وحين بدأ ابن سعود محاولاته من الكويت في مايو سنة ١٩٠٢ لإعادة الاستيلاء على عاصمة أسلافه أرسل خطاباً إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج التمس فيه النظر اليه «كرجل تربطه بالحكومة البريطانية علاقة وثيقة» وأن «تهتم الحكومة البريطانية المحبة للخير بالنظر اليه» ، وذكر أنه قد رفض أثناء وجوده في الكويت عروضاً بالمساعدة من جانب مسئول روسي كبير لأنه يعتقد أن مثل هذه العلاقة يجب أن تكون مع الحكومة البريطانية لا غيرها . وقد وافقت حكومة الهند على إهمال المقيم البريطاني الرد على هذا الخطاب ، وصدرت اليه التعليمات بألا يقدم إلى ابن سعود أي نوع من أنواع التشجيع لأن سياسة الحكومة البريطانية تقضي بالابتعاد عن التدخل في شئون نجد خاصة وأنها لم تكن مستقرة .

موقف الحكومة البريطانية من الحملة التركية على نجد ، وطلب ابن سعود حماية بريطانيا ١٩٠٤ :

وفي ١٩٠٤ حين كان الباب العالي على وشك ارسال قوات عسكرية لمعاونة ابن رشيد في نجد رأت الحكومة البريطانية أنها لا تستطيع أن تظل على لا مبالاتها تلك زمناً طويلا لأن لها مصالح هامة في بقاء الوضع القائم في الكويت ، وكانت تخشى أن ترغم القوات التركية التي وصلت لمناصرة ابن رشيد الشيخ مبارك على النزول بنفسه إلى الميدان دفاعاً عن حليفه ابن سعود . وهكذا صدرت التعليمات لسفير بريطانيا في القسطنطينية

في فبراير سنة ١٩٠٤ بأن يطلب تنفيذ الوعد الذي قطعته الحكومة التركية على نفسها في أكتوبر سنة ١٩٠١ بأن تكبح جماح ابن رشيد على أن تقوم الحكومة البريطانية من ناحيتها بتقييد شيخ الكويت .

ومرة أخرى ، حين جاءت الأخبار بأن الاوامر قد صدرت للقوات التركية بالتقدم من المدينة إلى القصيم قدم السفير البريطاني تحذيراً بهذا الصدد إلى الباب العالي ، غير أنه أحس بأن اعتداءات الوهابيين أضعفت من حجته كثيراً حتى حملته على الشك فيما إذا كان قيام الامبراطورية الوهابية برمتها في نجد يمكن اعتباره مفيداً على أي نحو من الانحاء . وأشارت حكومة الهند إلى أن الدولة الوهابية قد أصبحت الآن دولة إقليمية غير متعصبة ، وأن النفوذ البريطاني في الكويت قد يعاني الكثير لو حيل بين الشيخ مبارك ومناصرة حليفه ، فابتلاع الأتراك لنجد أمر أسوأ بكثير من قيام دولة وهابية فيها ، فقد يستطيع الأتراك مهاجمة الكويت من ناحية ليست محصنة فيها ولا مزودة بامكانات الدفاع عنها . وقدم إنذار آخر في القسطنطينية لكنه كان بلا جدوى ، ومضت الحملة التركية في سبيلها . وكانت النتيجة الوحيدة للمناقشة التي دارت بين الحكومة البريطانية وحكومة الهند هي تعيين وكيل سياسي بريطاني في الكويت بعدها بشهرين أو ثلاثة .

وكتب ابن سعود وقد أفزعه احتمال التدخل التركي إلى المقيم السياسي في الخليج طالباً حماية الحكومة البريطانية . لكنه لم يتلق رداً على خطابه ذلك .

التفكير في ارسال موفد بريطاني إلى الرياض ١٩٠٤ :

وفي بداية سنة ١٩٠٤ كانت حكومة الهند ما تزال تفكر في مزايا ارسال ضابط بريطاني مسئول إلى الرياض(١) لدراسة الوضع القائم هناك

---

(١) في سنة ١٩٠٣ كان كاتب هذه السطور في اجازته بأوربا ، ودار الحديث حول احتمال اختياره للسفر الى وسط الجزيرة ، وهو اقتراح كان يبحث بالفعل في ذلك الوقت .

والدخول إذا أمكن في علاقات أوثق مع ابن سعود . وتبين من البحث أن هذه البعثة يمكن تدبير أمرها بسهولة عن طريق شيخ الكويت ، وأبدت حكومة صاحبة الجلالة في تلك الظروف القائمة بعض الاقتناع بهذا الاقتراح لكنها أصدرت تعليماتها بعدم الدخول في علاقة بنجد أو إرسال وكلاء إلى هناك دون اذن سابق منها . وأخيراً أبلغت حكومة الهند الحكومة الأم أنها رغم اعتقادها أنها ستضطر في القريب إلى إبداء اهتمام أكبر بشئون وسط الجزيرة إلا أنها لن تبدأ عملها مباشرة بهذا الصدد . ووافقت حكومة صاحبة الجلالة على ذلك ، لكنها أفصحت عن رغبتها في ضرورة الحصول على مزيد من المعلومات عن نجد ، ولم تهمل هذا الموضوع لكنها أملت العودة اليه مستقبلا في ظروف أكثر ملاءمة . وفي نهاية تلك السنة عادت حكومة صاحبة الجلالة فافصحت عن رغبتها في أن يكون مفهوماً أن الحد الساحلي لشرق الجزيرة هو الحد الذي تنحصر داخله مصالح بريطانيا ونفوذها ، وألا شيء يربط هذه الحكومة ولو بطريقة غير مباشرة بالحرب الدائرة داخل وسط الجزيرة ، وليت الحكومة التركية اقتدت ببريطانيا في ضبط النفس هذا .

موقف الحكومة البريطانية من خطط ابن سعود في الخليج ١٩٠٥–١٩٠٦

ولم تكد الحكومة التركية تضع مخططاتها في القصيم موضع التنفيذ حتى بدأت تحركات الامير الوهابي نفسه باتجاه الخليج تصبح مصدر قلق للحكومة البريطانية . فالحقائق المتعلقة بزيارة ابنه عبدالعزيز لصحراء الجافورة وقطر في سنة ١٩٠٥ ومراسلاته مع شيوخ عمان المتصالحة سبق أن أشرنا اليها في فقرة سابقة ، كذلك ذكر بالتفصيل في تاريخ عمان المتصالحة . وقد اعتذر الامير الوهابي عن أية ملاحظة عرضية ربما تكون قد صدرت عنه وسببت هذا القلق . وقبل تلقي هذا التأكيد كانت حكومة الهند قد أشارت على حكومة صاحبة الجلالة أنها ترى من الضروري الحصول على تأكيد من ابن سعود عن طريق شيخ الكويت أو سلطان مسقط لنيته الالتزام بالاتفاقية التي سبق أن التزم بهـــا سلفه

عبدالله بن فيصل في سنة ١٨٦٦ والتي كانت تقضي بألا يضايق الرعايا البريطانيين المقيمين في بلاده ، وألا يعتدي على الإمارات العربية المجاورة لبريطانيا . وكانت حكومة الهند ترى أيضاً أن الامير لو رد على ذلك رداً غير مقنع ، فيجب إبلاغه رسمياً بأن الحكومة البريطانية ستعتبر أية محاولة من جانبه للتدخل في شئون عمان عملا معادياً للحكومة البريطانية ، وأن هذه الحكومة ستتخذ ضده من الإجراءات ما تراه مناسباً . وأخيراً قررت حكومة صاحب الجلالة ألا حاجة لاتخاذ هذه الإجراءات التي تقترحها حكومة الهند إلا اذا قام أمير الوهابيين بتحركات باتجاه الساحل لتنفيذ خططه ، وفي هذه الحالة يجب إبلاغه الإنذار مباشرة دون وسيط .

تجدد محاولات ابن سعود مع الحكومة البريطانية ١٩٠٦ :

وطول سنة ١٩٠٦ ظل الامير الوهابي يواصل محاولاته للحصول على عون من الحكومة البريطانية ، والأقرب إلى الدقة أن تقول إن إبنه عبدالعزيز هو الذي ظل يوالي بذل هذه الجهود عن طريق عدة وسطاء .

وقد عرض هذا الموضوع لأول مرة على كابتن بريدو الوكيل السياسي في البحرين عن طريق مسعد بن سويلم مبعوث ابن سعود الذي جاء من قطر واقترح أنه في حالة نجاح الامير في طرد الأتراك من الأحساء توقع اتفاقية بينه وبين الحكومة البريطانية تتعهد فيها هذه بحمايته من الاتراك إذا عادوا مرة أخرى للهجوم عليه من البحر ، على أن يسمح لهذه الحكومة بأن تعين لها ممثلا سياسياً في واحة الأحساء والقطيف . ولم يشجع كابتن بريدو هذا الاقتراح ، ثم سافر المبعوث مباشرة من البحرين إلى بوشهر ، وتحاشى مقابلة المقيم البريطاني ، وأرسل من هناك برقية طويلة من الشيخ جاسم شيخ آل ثاني في الدوحة بقطر يوصي فيها السلطان خيراً بابن سعود . وقام ابن سعود بمبادرته الثانية عن طريق الشيخ جاسم ، الذي اقترح ، في لقاء جرى في قطر بينه وبين المقيم

السياسي الميجور كوكس ، أن يجتمع الأمير الوهابي مع مسئول بريطاني في أي مكان على الساحل العربي . وفي أغسطس ١٩٠٦ بذل الشيخ مبارك شيخ الكويت جهده غير مرة لمحاولة إقناع الوكيل السياسي هناك -كابتن كوكس- بمزايا وضع ابن سعود تحت الحماية البريطانية خاصة بالنسبة لتجارة بريطانيا . وفي أكتوبر تلقى كابتن بريدو في البحرين من الشيخ جاسم خطاباً عاجلا يطلب فيه مقابلته شخصياً بالحاح ، وأرسل هذا الضابط الذي لم يكن يستطيع الذهاب بنفسه إلى قطر مترجمة الخاص السيد إنعام الحق ، وقال الشيخ جاسم في تفسيره لهذا الخطاب إن عبدالعزيز ابن سعود قد عاد للاتصال به ، وذكر أنه يخشى ألا يكون الشيخ مبارك قد عرض قضيته على المسئولين البريطانيين بالحماسة الكافية ، وأنه يود أن يلتقي بالكابتن بريدو -في أي مكان يحدد بالصحراء- هو شخصياً أو ينيب عنه شقيقه . ويبدو أن عبدالعزيز الذي كان مصمماً على إستعادة إقليم الأحساء لأنه أهم أقاليم الوهابيين من الناحية الاقتصادية كان متلهفاً على الاطمئنان إلى التمتع بحماية البحرية البريطانية في حالة نجاحه ، وأنه أيضاً يود أن يرتبط بالحكومة البريطانية باتفاقيات كتلك التي ارتبط بها شيوخ عمان المتصالحة ، وهو يوافق على أن يقيم في بلاطه مسئول سياسي بريطاني . وأرسلت هذه الاقتراحات مباشرة إلى السلطات العليا . وفي نوفمبر عاد شيخ الكويت إلى إثارة الموضوع من جديد . وسنلاحظ أن ابن سعود كان قدم مقترحاته في سنة ١٩٠٦ قبل انسحاب القوات التركية من القصيم ، وكانت ملحة وعاجلة بالنظر لوصول سامي باشا بقواته من المدينة .

أوامر حكومة صاحب الجلالة بصدد مقترحات ابن سعود ١٩٠٧ :

وفي فبراير سنة ١٩٠٧ رفعت حكومة الهند مشكلة الرد الذي يجب تقديمه لمبعوثي ابن سعود إلى حكومة صاحب الجلالة بشكل رسمي ، وردت هذه الحكومة في أواخر مايو التالي بأنه من المستحسن أن يتفادى ميجور كوكس هذه المشكلة ، وإلا فعليه أن يبلغ وكلاء الامير أن مقترحاته هذه تنطوي على اعتبارات لا يمكن للحكومة البريطانية أن تتدخل فيها ؛ وبالتالي فليس له أن يتوقع رداً عليها .

ملحق رقم (١)
تاريخ مستقل لامارة جبل شمر أو شمال نجد

التاريخ الخارجي لشمال نجد موجود بالتفصيل في الفصل السابق .. ولكن من المفيد أن نورد هنا بعض الملاحظات الإضافية التي تتناول أساساً الشئون الداخلية لهذه الإمارة -:

★ ★ ★

التاريخ المبكر لجبل شمر

علاقاتها بالوهابيين ١٨٠٩ :

لا نعرف إلا معلومات قليلة جداً عن الأحداث في جبل شمر قبل أن تتولى حكمه أسرة آل رشيد . وربما اجتاح الوهابيون هذا الاقليم فاتحين قرب نهاية القرن الثامن عشر في مرحلة مبكرة من انتصاراتهم الاولى في وسط الجزيرة لأن سلطتهم كانت راسخة منذ سنة ١٨٠٩ على الأقل في الواحة الشمالية المعروفة باسم جوف الأمير حتى ان الباشا التركي في دمشق فشل في أن يجمع القوات بهدف إجلائهم عنها .

علاقاتها بالقوات المصرية ١٨١٧ :

وفي سنة ١٨١٧ قام إبراهيم باشا فيما كان في طريقة للقضاء على عاصمة الوهابيين بهجوم من جنحية على جبل شمر ، ولكن يبدو ان حملته هذه لم تحقق النجاح ، وأنها منيت بخسارة فادحة بين القبائل العربية التي كانت تقاتل في صفوفها .

قيام آل رشيد :

وكانت العائلة ذات السيادة في جبل شمر وقتذاك هي «بيت علي» من من فخذ جعفر من بطن عبده من قبيلة شمر ، وكان مقرها حائل . وحوالي سنة ١٨١٨ حين قضت القوات المصرية موقتاً على سلطة

الوهابيين استطاع شاب من فخذ جعفر من بطن خليل أن يطيح بشدة بيت علي ، وكان هذا الشيخ الشاب هو عبدالله بن علي بن رشيد مؤسس حكم آل رشيد الذى نجح في أن يكسب إلى صفه معظم أهل حائل ، لكن أهل مدينة قفار المجاورة التي لم تكن في ذلك الوقت تقل عن حائل من حيث مصادرها وعدد سكانها ظلت مناصرة لأعدائه ومعارضيه .

مغامرات عبدالله بن علي ١٨١٩ ــ ١٨٣٤ :

وارغم عبد الله بن علي إثر خلاف دب في حائل على الهرب من البلاد متخذاً طريق جوف الأمير إلى الشام ، لكن جماعة من قبيلة عنيزة هاجمته هو وأصحابه وراء جوف الامير ، وجرح هو جراحاً خطيرة حتى إن المهاجمين اعتقدوا أنه من القتلى ، لكن تاجراً مر بالطريق بعد ذلك حمله إلى دمشق حيث عولج بها وشفي من جراحاته .

وبعدها وضع عبدالله نفسه في خدمة الوهابيين . ويبدو أنه قام بدور هام في حملتهم الناجحة على بني خالد في الأحساء سنة ١٨٣٠ . وفي سنة ١٨٣٤ كان عبدالله ما يزال في الأحساء يعاون فيصل بن تركي أمير الوهابيين في صد هجمات شيخ البحرين على هذا الإقليم . وحين اغتيل امير الوهابيين في الرياض في نفس السنة كان أحد الذين عاونوا فيصل في استعادة الرياض وتولي إمارة الوهابيين ، بل إن عبدالله بنفسه هو الذي قتل المتمرد مشاري في الرياض .

★ ★ ★

عبد الله بن علي ١٨٣٥ ــ ١٨٤٧

الامير الوهابي يعين عبدالله بن علي محافظاً لجبل شمر ١٨٣٥ :

ولم يكد فيصل يتولى عرش أسلافه في الرياض حتى بادر إلى مكافأة مساعده المخلص عبدالله بأن جعله حاكماً على جبل شمر ، وجعل لقبه

محيفيث(١) ، وفوضه في إخضاع تلك الفرق الجنوبية من قبيلة عنيزه الكبيرة ، وأمده في نفس الوقت بالمال والرجال . وكانت المهمة الأولى لعبد الله على أية حال هي التغلب على بيت علي ، وبسرعة طردهم من حائل إلى قفار ، ومن هذه تولى شقيقه عبيد طردهم أيضاً .

عبدالله يفتح حيات وجوف الامير في القصيم :

وأخيراً لجأ أهل بيت علي إلى القصيم ، حيث كان لهم كثير من الانصار بين الأهالي . وطلب عبدالله مزيداً من عون امير الوهابيين ، فقدم له العون بشرط أن تصبح أية أرض جديدة يفتحها تابعة لولايته هو ، بل تابعة مباشرة لحكم الرياض . وبهذه المعونة استطاع عبدالله أن يجتاح القصيم ويستولي على قراه واحدة بعد الأخرى ، وكاد أن يبيد خصومه من بيت علي ، وأخيراً سلم هذه الأرض الجديدة حسب شروط تعاهدية لامير الوهابيين(٢) . وقد أصاب عبد الله بعض النجاح في مهمته المتعلقة بقبيلة عنيزة حين حرمهم من واحة حيات في الغرب ، وهي أكثر الاماكن غنىً بالمياه . كما أنه بدهاء شقيقه عبدالله الذي أرسله إلى الواحة الشمالية في جوف الامير كي يوجد بها الانقسام استطاع فرض سيطرته على المنطقة .

سياسة عبدالله في الداخل :

وكانت سياسة عبدالله الداخلية توصف بأنها لم تكن محبوبة من معظم رعاياه ، فقد أعلن أن الوهابية هي مذهب دولته ، وشجع الدعاة والمعلمين من الوهابيين . كما كان أيضاً يميل إلى محاباة قبائل البدو واستغلالها في

---

(١) ربما كانت الكلمة الحقيقة هنا « محافظ .. » لا « محفوظ .. » لانها هى التى تعنى المعنى المراد بها .. لكنها هكذا وردت في الاصل .

(٢) ربما استطعنا أن نستبعد هذه التفاصيل التى سبقت ونصفها بأنها غير تاريخية ، لكنها تعتمد فقط على روايات جمعها بالجريف بعد حدوثها بخمسة وعشرين عاما،وهى لا تتفق مع الرواية التى يذكرها واليه وهو أكثر دقة وأقدم عهدا . ويؤكد واليه على أى حال ، خدمات عبد الله في الاحساء ودوره في القضاء على مشارى .

كسر شوكة المدن والقرى ، وهو اسلوب اضطر ابناؤه من بعده بالضرورة إلى انتهاج عكسه تماماً . وقد بدأ قبل نهاية حكمه يبني مقراً جديداً في حائل خصصه لإقامته هو وذوي قرباه .

علاقة عبدالله بالوهابيين :

ويبدو أن عبدالله قد ظل حتى نهاية أيامه مخلصاً وقانعاً بأن يكون تابعاً للامير الوهابي فيصل ، فقدم له المساعدة سنة ١٨٤٣ —بعد عودته من مصر— ليستعيد سلطته في نجد . ويبدو أن الأمير لم يكن يأخذ منه جزية سوى هدية سنوية من الخيول .

علاقته بالقوات المصرية :

وربما لم يكن عبدالله على علاقة ودية بالمصريين فقد قيل إن حادثة الفرقة المصرية التي ضاعت في صحراء النفوذ حتى مات أفرادها جميعاً من الجوع والعطش —ومحتمل أنها إحدى الفرق التي كانت منسحبة من نجد سنة ١٨٤٠— قيل إن هذه الحادثة لم تكن عارضة لكنها كانت مدبرة بإحكام من جانب المحافظ بواسطة شقيقه عبيد . ومن المعتقد أن السويدي المدعو جورج اوغسطس ويليم الذي زار حائل سنة ١٨٤٥ ثم سنة ١٨٤٨ بعد وفاة عبدالله بسنة واحدة ، انما كان موفداً من قبل محمد علي باشا مصر ليتعرف على القوة السياسية الناشئة في جبل شمر ، بل ربما كان مكلفاً بهدف سياسي أكثر تحديداً .

★ ★ ★

طلال بن عبد الله ١٨٤٧ ــ ١٨٦٨

توسع إمارة جبل شمر في عهد طلال ١٨٤٧—١٨٥٥ :

وترك عبدالله أبناء ثلاثة هم طلال ومتعب ومحمد ، وكان أكبرهم طلال في العشرين من عمره حين مات أبوه . ولم يعارض أحد تولي طلال الإمارة وقد أفاد كثيراً من تأييد عمه المخلص عبيد وشقيقه متعب ،

وعلى عهده استمرت حدود جبل شمر في الامتداد والتوسع ، وقام بحملة من حملاته الأولى عبر خيبر فخضعت له وأرسل حاكماً لها من حائل . وحوالي سنة ١٨٤٨ انتهت مفاوضات سرية بإعلان من أهل القصيم ولاءهم المباشر لحائل بدلا من الرياض ، ففي حائل اعتاد أهل القصيم الفارون من طغيان الوهابيين أن يجدوا ملجأهم ، واضطر الأمير الوهابي إلى القبول بهذا الوضع على مضض بعض الوقت ، ونجحت عملياته العسكرية على تيماء أيضاً —وكان يقودها بنفسه— واستطاع بالتالي أن يوسع حدود إمارته من ناحية الغرب . وأكمل في سنة ١٨٥٥ العمل الذي بدأ على عهد أبيه في جوف الامير فاخضع هذه الواحة له وجعل عليها حاكماً من حائل يساعده ثلاثة حكام محليين عينهم بنفسه .

سياسة طلال في الداخل :

وكانت السياسة الداخلية التي انتهجها طلال سياسة تقدمية وسلمية . وكان معظم اعتماده على أهل المدن ، ووضع نصب عينيه أن يقلص نفوذ البدو الذين رفع أبوه من شأنهم كثيراً . وكان الناس في عهده آمنين على أرواحهم وممتلكاتهم في الطرق وفي القرى . وكانت سعادته القصوى تتمثل في بناء القصور والاسواق والمتاجر وشق الطرق وإقامة الحصون والقلاع ، كما فتح طلال أبواب إمارته للتجار الأغراب ، فاجتلب بعض التجار الشيعه —ولم يكن طلال وهابياً مخلصاً— من البصرة ومشهد علي ، وجاء أيضاً بتجار من المدينة واليمن ، ويقال أيضاً إنه حاول إغراء بعض اليهود والمسيحيين للإقامة في حائل لكنه فشل .

علاقات طلال بكل من الوهابين والمصرين وتركيا وايران :

ورغم الحماية التي كان طلال يسبغها على اللاجئين والمتمردين على الوهابيين من أهل القصيم ، ورغم أن عاداته المنافية للدين كارتداء الحرير وتدخين التبغ كانت تثير حفيظة الوهابيين ، فان علاقته بسادته في الرياض ظلت ودية كما هي ، وكان طلال قد تزوج مؤخراً بابنة الامير

فيصل صديق أبيه ، وظل يقوم بزيارته السنوية للرياض حيث يقدم الهدايا المعتادة من الخيول بنفسه للأمير ، واعترف طلال في نفس الوقت بسيادة الباب العالي ، وأمر بالدعاء للسلطان في صلوات الجمع بمساجد حائل ، وزعم أن فتوحاته كلها باسم السلطان ولأجل المصالح العثمانية ، وهذا الموقف الذي كان طلال مرغماً عليه إلى حد ما نتيجة زيادة الاحتكاك بالأتراك في الغرب والشمال كال إشارة هامة إلى المصير الذي ستلقاه أسرة آل رشيد فيما بعد . فعلى حين أنه كان حريصاً على عدم توريط نفسه في مخطط عباس الأول والي مصر الذي كان يظن أن بوسعه ، اذا تحالف مع البدو في الشمال وتفاهم من الوهابيين في الجنوب ، أن يعلن استقلاله عن الباب العالي وسيادته على شبه جزيرة العرب ، فقد ظل طلال على علاقة ودية بهذا الباشا وبخلفه سعيد . لكنه كان يعرف من الوهلة الأولى أن أياً منهما أضعف من أن يقدم له أية حماية ضد اعتداءات الوهابيين أو الأتراك . كما كان لطلال علاقة وثيقة بعض الشيء بإيران ، وذلك أساساً على أمل أن يتحقق مشروع من أهم مشروعاته وهو تحويل طريق الحج والتجارة الذي يمر ببريده في القصيم إلى المرور بحائل .

موت طلال ١٨٦٧ :

وأثناء عودته من إحدى زياراته السنوية للرياض ، سقط طلال مريضاً بعلة خطيرة ، وخشي أن يفقد قواه العقلية ، ولعله قد فقدها بالفعل ، فانتحر بأن أطلق على نفسه الرصاص سنة ١٨٦٧ .

* * *

متعب بن عبد الله ١٨٦٧ ـ ١٨٧١

موت عبيد ١٨٦٩ :

وترك طلال عمه عبيد وإخوته متعباً ومحمداً وعدداً من الابناء أكبرهم بندر سنة ١٨٥٠ . ووقع الاختيار على متعب الذي تميزت فترة حكمه القصير وهي أربع سنوات فقط بنهايتها المؤسية وبموت العم العجوز عبيد بعد أن تقدمت به السن كثيراً في سنة ١٨٦٩ . وكان عبيد وهابياً مخلصاً ، ولكنه رغم ذلك ، ورغم طبعه الحاد فقد كان محبوباً إلى أبعد الحدود ، كما كان مشهوداً له بالقدرة والنفوذ حتى إن أحد المصادر يذكر أنه كان الحاكم الفعلي لإمارة جبل شمر منذ موت شقيقه عبدالله . وترك عبيد بعده ستة أبناء ، وخلف لهم ارثاً ضخماً من الاراضي بحائل ، والنخيل في جوف الامير ، ونصف العائد من حيات . لكن أكبر أبنائه أصيب بالجنون ــ وهو المرض الوراثي في العائلة ــ كذلك ظهرت إمارات مختلفة في الشذوذ والانحلال على أبنائه الباقين جميعاً عدا حمود الذي سيتردد اسمه كثيراً فيما بعد .

اغتيال متعب ١٨٧١ :

وكان متعب رجلا معتدلا وذكياً ، لكن دماثة خلقه لم تنجه من مطامح بندر وبدار ابني شقيقه طلال ، فاغتالاه في سنة ١٨٧١ على وجه التقريب ، وربما في خلال حكم متعب وجد الامير الوهابي عبدالله بن فيصل الذي طرده أخوه سعود من الرياض ملجأ في جبل شمر لأول مرة .

★ ★ ★

بندر بن طلال ١٨٧١ ـ ١٨٧٢

وبعد أن اغتصب بندر إمارة جبل شمر ، وتزوج بالأرملة الصغيرة التي تركها عمه القتيل ، وولدت له ابناً هو عسار يبدو أن غضب السماء كان يلاحقه لذلك ، فعصفت الكوليرا بالبلاد في ذلك اليوم ثم فقد عرشه وحياته أيضاً قبل أن تنقضي على ذلك سنة واحدة . ولجأ محمد ــ الأخ الوحيد الباقي على قيد الحياة لمتعب ــ إلى الرياض حيث عاش هناك زمناً قصيراً في حماية ابن سعود ، لكنه عاد أخيراً إلى حائل بعد وساطة الوهابيين ، وظل هناك يؤدي العمل الذي كان يؤديه وهو الاشراف على طريق الحج من بغداد لمكة تحت حكم ابن اخيه الامير . ولم يتأخر الصدام بين هذين الغريمين طويلا . وفي مشاجرة وقعت خارج أبواب حائل كان واضحاً أنهم لم تكن مدبرة من قِبَل محمد . وفي وجود بدار وحمود اللذين صحبا بندر إلى هذا اللقاء طعن محمد بندراً طعنة قاتلة ، وفر بدار وانحاز حمود إلى جانب محمد الذي كان من الواضح أنه يناصره من البداية ، أما أهل حائل فقد ظلوا سلبيين كأن الأمر لا يعنيهم في شيء .

★ ★ ★

محمد بن عبد الله ١٨٧٢ ـ ١٨٩٧
التاريخ العام لجبل شمر أثناء حكم محمد بن عبد الله ١٨٧٢ ـ ١٨٩٧

تولي محمد ومقتل أبناء طلال ١٨٧٢ :

وهكذا انتقلت السلطة إلى محمد الابن الثالث الباقي على قيد الحياة من أبناء عبدالله أول محافظ لجبل شمر ، وكأن القدر شاء ألا تنتقل السلطة إلى جيل قبل أن يفنى الجيل الذي قبله . وكان اول ما عمله محمد فعلاً يدل على تعطشه للدم ، فباستثناء عسار الطفل الصغير ابن بندر ونايف ابن طلال

أمر بقتل جميع أبناء طلال من الذكور بمن فيهم بدار الذي ألقى القبض عليه ، كما قتل عبيدهم الذين كانوا معهم وعدداً كبيراً آخر من الرجال الذين يخشى منهم ، وبينهم حسبما تقول الروايات أربعة ابناء لأخت محمد من زوجها جبار أمر بقتلهم جميعاً يوم توليه الإمارة .

استقبال الامير الوهابي السابق ١٨٧٣ :

وفي سنة ١٨٧٥ طرد الامير الوهابي عبدالله بن فيصل مرة أخرى من الرياض على يد شقيقه سعود فالتمس اللجوء في إقليم شمر ، لكن محمداً ـ رغم أنه أجاب كل مطالبه وأمن له كل احتياجاته ـ رفض السماح له بالاقتراب من حائل . وتزوج عبدالله بنورا أخت محمد المحببة اليه ، وبعد موتها تزوج بابنة من بنات عبيد ، وهكذا ارتبط بأسرة آل رشيد برباط مضاعف من المصاهرة .

★ ★ ★

فتح نجد الجنوبية على يد أمير شمر
١٨٧٧ ـ ١٨٩١

انتهى في هذه الفترة الصراع الذي بدأ منذ مدة للسيطرة المطلقة على نجد ، والذي ذكرناه بالتفصيل في الفصل السابق بانتصار محمد ، وسنذكر فقط الحقائق التي تجعل روايتنا للاحداث هنا متماسكة دون ثغرات .

الانتقاص الاول من املاك الوهابيين ١٨٧٧ ـ ١٨٨٤ :

في ١٨٧٧ أغار ابن رشيد على قبيلة عتيبة التي يفترض أنها كانت خاضعة للرياض ، وبعدها اقتطع إقليم سدير وجزءاً من القصيم من أملاك الوهابيين ، وتأكد استيلاؤه على هذه الأقاليم التي فتحها باتفاقية قصيرة الأجل عقدت مع الوهابيين في سنة ١٨٨٢ . وفي سنة ١٨٨٨ فشلت محاولة للوهابيين لاستعادة إقليم سدير ، وكان استرجاعهم لبريدة على

يد القائد الوهابي محمد بن سعود في سنة ١٨٨٥ موقتاً فقط . ومنذ سنة ١٨٨٤ فصاعداً أصبحت الغلبة في ميدان القتال من نصيب أمير جبل شمر .

القضاء الكامل على الدولة الوهابية واخضاع القصيم ١٨٩١ :

وفي سنة ١٨٨٧ انتهز محمد فرصة وجود انقسام عائلي في الرياض ليستولي على عاصمة الوهابيين وليحمل معه الأمير عبدالله حيث أبقاه مدة عامين سجيناً في حائل ، وجعل على الرياض حاكماً من شمر . وفي سنة ١٨٨٨ لقي محمد بن سعود ، أكثر أعضاء اسرة آل سعود عملا ونشاطاً مصرعه في الخرج مع شقيقين له . وفي سنة ١٨٩٠ نجح عبدالرحمن ـ الأخ الأصغر للامير الوهابي السابق ـ في استعادة الرياض ، وحاول محمد استرجاع المدينة بضربها بالمدافع لكنه فشل . وفي نهاية نفس السنة تقريباً تكونت جبهة متحالفة ضد ابن رشيد من الوهابيين وأهل القصيم وعدد من قبائل البدو ، وفي مارس او إبريل سنة ١٨٩١ استطاع أمير شمر أن يقضي على هذا التحالف بعد المعركة الشهيرة التي تعرف بمعركة بريده أو ميلده ، ثم وقعت عنيزه ـ التي ظلت حتى ذلك الحين تقاوم عمليات ابن رشيد ضدها صامدة لقصفها بنيران المدافع ـ بين يدي الامير المنتصر ، ودمرت مدينة الرياض ، وسادت سلطة محمد بن عبدالله مطلقة على وسط الجزيرة كلها وظلت هكذا حتى نهاية حياته .

★ ★ ★

علاقة محمد بن عبد الله بالاتراك ١٨٧٢ ـ ١٨٩٧

محاولة تركية لاقامة موقع تركي في جوف الامير ١٨٧٢ ـ ١٨٧٤ :

في سنة ١٨٧٢ وعقب تولي محمد إمارة شمر مباشرة ، هاجمت قوة تركية صغيرة تضم عدداً من الجنود السوريين والمغاربة غير النظاميين مدينة جوف الأمير في أقصى الشمال من معان ، واستطاعت الاستيلاء عليها

دون مقاومة ، وسارع الامير إلى المدينة ودخل في مفاوضات مع قائد القوة التركية ، وتم الاتفاق أخيراً على أن تبقى جوف الامير تابعة لإقليم شمر بشرط أن يدفع ابن رشيد عنها جزية سنوية قدرها ١٥٠٠ مجيدي للسلطان ، وأن يقبل وجود قائمقام تركي وحامية عسكرية فيها .

وفي سنة ١٨٧٤ تمرد الجنود المغاربة الذين يشكلون الحامية في جوف الأمير لعدم تسلم رواتبهم فسلموا المكان لابن رشيد الذي ضمه مرة أخرى إلى حكمه المباشر ، وجعل معظم جنود الحامية من رجال حرسه الخاص ، وكان محمد يهتم بمدينة جوف الامير اهتماماً خاصاً فقد جرحت قدمه أثناء محاولة الاستيلاء عليها للمرة الأولى خلال حكم أخيه طلال .

الامير يغزو حدود سوريا ١٨٨٠ :

وفي سنة ١٨٨٠ اقتحم محمد إقليم حوران متوغلا حتى بصرى على بعد سبعين ميلا فقط من دمشق ، وكانت نتيجة هذه الغزوة إعادة الاتفاق مع القبائل الجنوبية واحتفل محمد بتوقيع هذه الاتفاقية احتفالا كبيراً .

علاقات وثيقة بتركيا ، واحتكاك متقطع على حدود الاحساء . ١٨٨٥ — ١٨٩٧ :

ويبدو أن علاقة الامير محمد قرب نهاية حكمه قد أصبحت أكثر تقارباً وأكثر مباشرة بجيرانه الأتراك ، وربما كان هذا نتيجة الاهتمام المتزايد به من جانب الاتراك الذين حاولوا دون شك الاستفادة من قوة ابن رشيد المتزايدة وتوسعه المطرد في وسط الجزيرة . وفي سنة ١٨٨٦ وبعد أن تم تمهيد الطريق بارسال الهدايا في العام الاسبق جاءت بعثة تركية لزيارة حائل ، ولتحصل على موافقة الامير باقامة مسجد ومدرسة تابعين للحكومة العثمانية فيها . وقد رد الامير أفراد البعثة محملين بالهدايا لكنه لم يجبهم إلى ما طلبوه منه . وفي ١٨٨٨ حين بدأ نجاح ابن رشيد في نجد الجنوبية يلفت النظر حرص على أن يبلغ انتصاراته للسلطان اولا بأول ،

مع زعمه أنه يقوم بهذه الفتوحات باسم المصالح التركية ، وفي نفس السنة وردت أخبار بأن ابن رشيد يعتزم غزو عمان المتصالحة بتأييد من الحكومة التركية ولكن ثبت أنها شائعات لا تقوم على أساس ، وقد أنكر الباب العالي وجود أية خطط على هذا المستوى .

وكما ذكرنا في تاريخ الأحساء ، كانت تقع احتكاكات أحياناً نتيجة المشكلات القبلية والإغارات المتبادلة بين أمين شمر والسلطات التركية في الأحساء .

★ ★ ★

حكومة محمد بن عبد الله وشخصيته ، ثم موته

قمع مقاومة قبائل البدو على يد الامير محمد :

في كل سنة تقريباً طوال حكم الأمير محمد كان لا بد أن يقوم بغزوة لإحدى قبائل البدو المتمردة ، وقد عانت من سطوته قبائل عنيزة وعتيبه ومطير كل بدورها . وفي إبريل ١٨٨٥ —وانتقاماً لبعض المظالم التي اوقعت بعدد من رعاياه— أغار ابن رشيد بالفعل على عسكر لقبيلة عجمان ونهبه بعيداً عن عاصمته هناك قريباً من الخليج عند عودته في وادي الميه ، غير ان عجمان نجحت —بمطاردتها لحملة ابن رشيد— أن تسترد بعض الخيول التي استولى عليها . وقد أشرنا بالفعل إلى المشكلات والمصاعب التي واجهت الأمير في ١٨٩٤ و ١٨٩٥ من القبائل العربية على حدود الأحساء .

خلق الامير محمد وشخصيته :

ويبدو أن تاريخ أعمال محمد بن رشيد يثبت أنه كان رجلا ذا طاقة وقدرة غير عاديتين ، لكن كثيراً من الفضل يرجع دون شك إلى التأييد والتعضيد اللذين كان يلقاهما من ابن عمه حمود بن عبيد . وقد تركت شخصية هذا الرجل في الزوار الاوربيين الذين زاروا حائل انطباعاً أعمق

من شخصية الأمير نفسه ، فخلال حكم محمد زار نجد الشمالية كل من السيد و. س. والسيدة آن بلنت كذلك الفرنسي س. هيوبر و س. م. دوتي الذي كان بلا شك أعظم مكتشفي وسط الجزيرة وأكثرهم دقة وتفهماً .

وكان محمد أقرب إلى القصر منه إلى الطول ، لكنه كان قوياً متين البنيان ، وكانت لحيته مهذبة على الطريقة التي نسميها الأسبانية .

تاريخه الشخصي وموته في ١٨٩٧ :

وقد تزوج الامير محمد مرات كثيرة ، لكن أكثر ذلك كان لاعتبارات سياسية فقــد ارتبط مثــلا بالأسرة الحاكمة في بريدة بزواجه بشقيقة حسان بن مهنا لكن هدفه الأول بلا شك كان تكوين أسرة كبيرة له ، غير أنه لم يستطع تحقيق هذا الامل ومات بلا ابناء في سنة ١٨٩٧ وهو مصير ربطت الخرافة الشعبية بينه وبين تلك القسوة التي ذبح بها أبناء أخيه طلال .

★ ★ ★

عبد العزيز بن متعب ١٨٩٧ ـ ١٩٠٦
وضع عبد العزيز في بداية حكمه

كان عبدالعزيز هو أقرب الشبان إلى قلب الامير السابق ، وهو ابن أخيه القتيل متعب ، فتولى امارة شمر عقب وفاة عمه ، ولا نعرف شيئاً عن موقف حمود وابنائه من هذا الحدث ، وكان عسار بن بندر قد لقي حتفه من قبل . وكان وضع عبدالعزيز صعباً في البداية بالنظر إلى إتساع الأقاليم التي كان عليه أن يحكمها وقلة مواردها المالية في نفس الوقت ، ويبدو أنه قد زاد هذه الصعوبات بظلم الرعايا البعيدين الذين كان يشك في ولائهم ، ويتجاهل ابن عم أبيه الرجل ذي النفوذ حمود ، وبمعاداة الشيخ مبارك شيخ الكويت . وكان النزاع مع الكويت قد بدأ بخلاف

حول ولاء بعض القبائل ، وزادت من حدته المعونات التي قدمها أمير شمر لبعض أبناء إخوة شيخ الكويت المتمردين عليه والمقيمين في حائل . وكان هذا النزاع يلحق الضرر بشكل خاص بمصالح عبد العزيز الذي كان يعوّل كثيراً على شخصية الشيخ مبارك المرموقة ونفوذه الواسع وخدماته . كما ان اغلاق ميناء الكويت في وجه ابن رشيد جعل اعتماده كله قائماً على جيرانه الأتراك ، غير الموثوق بهم للحصول على السلاح والعتاد والذخائر . وكانت نتيجة ذلك أن ضاعت خلال عدة سنوات كل نجد الجنوبية والقصيم ، وخضع ابن رشيد نفسه مرغماً للاعتماد المطلق على الباب العالي .

* * *

انحلال سلطة أمير شمر تدريجيا على يد الوهابيين ١٨٩٩ ـ ١٩٠٦

وفي ١٨٩٩ ، وبتحريض على ما يبدو من جانب الأتراك ، نهج ابن رشيد منهج التهديد ازاء شيخ الكويت . وفي العام التالي بدأت الحرب السافرة بين أمير شمر وعبدالرحمن زعيم الاسرة الوهابية الحاكمة الذي ظل فترة طويلة لاجئاً عند شيخ الكويت ، وغدا الآن يحصل منه على المساعدات بصورة علنية .

شيخ الكويت يغزو القصيم والوهابيون يعيدون فتح نجد الجنوبية . ١٩٠٠ ـ ١٩٠٣ :

ان سير حملة الوهابيين ضد جنوب نجد موجود بالتفصيل في الفصل الخاص بتاريخ تلك البلاد . وهنا يكفي فقط أن نشير إلى أهم أحداثها . في أغسطس ١٩٠٠ ترك الزعيم الوهابي الكويت إلى الداخل وأصاب شيئاً من النجاح ، وبعدها بشهرين أو ثلاثة استطاع الأتراك بجهد شديد بعد أن كان ابن رشيد قد طلب عونهم أن يحولوا دون حدوث المعركة بين

قوات ابن رشيد وقوات شيخ الكويت على حدود العراق . وفي أوائل سنة ١٩٠١ تقدم شيخ الكويت داخل القصيم يصحبه عبدالرحمن بن سعود ، ووضح ان وضع ابن رشيد أصبح غاية في الدقة والحرج ، لكنه استطاع في ١٧ مارس أن يوقع هزيمة ساحقة بالغزاة في معركة صريف . وقُتل من قوات ابن رشيد سالم ومهنا ابنا حمود بن عبيد . وفي خريف السنة نفسها بادر ابن رشيد إلى مهاجمة الكويت التي سادها الفزع في شهر سبتمبر لإغارة أنصاره على ضواحيها . ومن نوفمبر ١٩٠١ إلى يناير ١٩٠٢ ثار القلق بعد تحرك ابن رشيد إلى صفوان بالقرب من البصرة حيث ظل بها على تراسل منتظم مع المسئولين الأتراك وقد توقع الجميع هجوماً على الكويت . واتخذت السلطات البحرية البريطانية كل الإجراءات الممكنة للدفاع عن شيخ الكويت ضد أي عدوان يتعرض له ، وفي النهاية رجع ابن رشيد إلى بلده مرة أخرى عن طريق آبار لينه .

وفي الوقت الذي تقدم فيه ابن رشيد إلى صفوان استعاد ابن سعود الرياض وإقليمي الخرج وحريق ، واستنجد ابن رشيد بالوالي التركي في البصرة وبالصدر الأعظم في القسطنطينية ، وارغمهما على معاونته زاعماً أن الحكومة البريطانية تؤيد المعارضين وتقدم لهم المساعدات . وقد أصبح إقليم القصيم الآن مؤيداً للوهابيين بشكل عام ، وفي نوفمبر سنة ١٩٠٢ —وبعد أن قام ابن رشيد بمحاولة لغزو نجد الجنوبية— مني أمير شمر بخسارة كبيرة ، فقد ضاع منه إقليم الخرج كله ، باستثناء سدير ووشم ووادي السير . وفي بداية ١٩٠٣ كان أمير شمر ما زال يسيطر على زلفى في سدير ، ولكن في نهاية نفس السنة كان الوهابيون قد استردوا المدينة ، وفي فبراير سنة ١٩٠٤ —وبعد هزيمة قوات شمر في وادي السير— كان الوهابيون قد استرجعوا نجداً الجنوبية كلها .

الوهابيون يستعيدون القصيم ١٩٠٤ :

وواصل الوهابيون انتصاراتهم بالتقدم مباشرة إلى القصيم ، وفي ٢٢ مارس سنة ١٩٠٤ حدثت معركة حاسمة خارج اسوار عنيزه هزمت

فيها قوات شمر التي كان يقودها ماجد بن حمود ، وتكبدت خسائر كثيرة من بينها عبيد بن حمود شقيق القائد . وبهذه الهزيمة ضاع القصيم كله من ابن رشيد .

هزيمة الاتراك وابن رشيد في القصيم ١٩٠٤ :

وأرسل الأتراك بعدئذ قوات من العراق لمساعدة ابن رشيد في استعادة القصيم ، لكن القوات المتحالفة هزمت في موقعتين حاسمتين : الأولى في بكيرية بتاريخ ١٥ يوليو ، والثانية في قصر ابن عقيل في ٢٧ سبتمبر . وتراجع ما بقي من القوات التركية إلى قحافة .

الاحتلال التركي للقصيم والتمرد في الداخل على ابن رشيد . ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦ :

وفي إبريل سنة ١٩٠٥ ومن جرّاء التسوية التي عقدها الباب العالي مع ابن سعود ، قامت قوات تركية بعضها جاء من العراق وبعضها من الحجاز باحتلال القصيم دون مقاومة . وتمت المهزلة حين وضعت القصيم تحت إدارة اسمية تابعة لتركيا . وفي يونيو ١٩٠٥ تمرد سلطان بن حمود بن عبيد على سلطة قريبه أمير شمر ، وواضح أنه استطاع الاستقلال بجوف الامير في أقصى الشمال بموافقة أهلها وأهل القبائل المجاورة لها ، كما شكا من ابن رشيد إلى سلطان تركيا دون جدوى .

موت الامير عبد العزيز بن متعب ١١ ابريل ١٩٠٦ :

وبعد هدنة قصيرة ، بدأ الوهابيون ، بعد أن شجعهم ضعف الحامية التركية في القصيم ، يعدون عدتهم لمواصلة الهجوم على ابن رشيد . وكان أمير شمر في ذلك الوقت مرابطاً على حدود القصيم ربما ليحقق هدفاً مزدوجاً ليمنع التحرك شمالاً ضد حائل ولكي يوقع بالعدو إذا لاحت له فرصة مواتية . وفي ديسمبر سنة ١٩٠٥ كان ابن رشيد في قحافة ، وفي مارس ١٩٠٦ كان ثمامي في إقليم الباطنة ، وفي ١١ إبريل ١٩٠٦ باغته الوهابيون وقتلوه في الرويضه وهي مكان لا يبعد عن الموقع التركي أكثر

من ثلاثين ميلا . وقبل مصرعه بزمن قليل كان الامير عبدالعزيز قد طلب وساطة شيخ الكويت والتمس منه أن يعتبره ابناً من أبنائه ، وأن يتوسط باسمه عند الوهابيين في طلب الصلح .

★ ★ ★

شخصية الامير عبد العزيز بن متعب

اكتنف الغموض شخصية عبدالعزيز الحقيقية ، ويعود بعض السبب في ذلك إلى العداء الذي كان قائماً بينه وبين شيخ الكويت ، مما أدى إلى عدم وصول أخبار صحيحة فيما بعد عن أحوال جبل شمر وأحداثه إلى السلطات السياسية البريطانية في الخليج . أما الانطباع الأول الذي خرج به مسئولو بريطانيا السياسيون من لقائهم بالأمير فهو أنه كان متهوراً ومندفعاً وحاد الطباع ، ويفتقر إلى التبصر ورجاحة الرأي ، وكانت إدارته شديدة القسوة تشجع الناس على الخروج عن طاعته والولاء له . لكن نتيجة التحريات التالية عدلت عن هذا الاعتقاد وكشفت عن أنه كان في النهاية ضحية سوء الحظ لا الحماقة . أما شجاعته وكفاءته العسكرية كقائد رغم قلة انتصاراته في ساحات القتال ، فلم تكن قط موضع سؤال.

★ ★ ★

علاقة عبد العزيز بن متعب بالحكومة البريطانية ١٨٩٧ ـ ١٩٠٦

محاولات امير شمر الاتصال بالحكومة البريطانية ١٩٠١ :

قام عبدالعزيز بمبادرة للاتصال بالحكومة البريطانية في مايو سنة ١٩٠١ وذلك بعد غزو شيخ الكويت وابن سعود للقصيم وإثر إحساسه بخيبة الأمل لسلبية الأتراك وعدم قيامهم بدور فعال في مناصرته . واستهوته المزايا التي يتمتع بها شيخ الكويت في ظل الحماية البريطانية .

وكانت المناسبة التي أتاحت له ذلك رسالة تلقاها من السلطات السياسية البريطانية تطلب فيها أن يعمل على تسوية خلافه مع الشيخ مبارك ، ورد الأمير على الرسالة بخطاب فيه بعض الغطرسة ، لكنه أبلغ وكيله في البصرة في الوقت نفسه بأن هذا الرد لا يمثل رأيه تمثيلا صحيحاً ، وأنه يود أن يبلغ مستر راتيسلو القنصل البريطاني هناك رغبته في تنمية علاقة ودية مع الحكومة البريطانية ، واقترح أن تتولى الحكومة البريطانية إمداده بالاسلحة والذخائر على نفقته ، وان تعزل عدوه شيخ الكويت وتجعل ابن شقيقه بدلا منه . وسيتعهد الأمير من جانبه بعدم التدخل في أمور الكويت ويضمن أيضاً سلامة المنشآت البريطانية المتمثلة في الخط الحديدي عبر جزيرة العرب .

أوامر حكومة صاحب الجلالة بالنسبة لهذا الموضوع ونتائجها :

وكانت حكومة الهند رغم اعتقادها بأن مطالب الأمير هذه لا يمكن إجابتها حريصة على الإبقاء على الصلات الودية معه . فاقترحت ارسال ضابط بريطاني إلى العقبة للالتقاء بالأمير والتأكد بشكل خاص من آرائه وطبيعة شخصيته ، وكان من المرغوب فيه وقتذاك أن تقوم السلطات البريطانية مستقبلا بتقييد شيخ الكويت عن مواصلة هجماته على أمير شمر . واستخدام وساطتها لمنع اعتداءات الأتراك على نجد . غير أن حكومة صاحبة الجلالة خشيت أن يؤدي إرسال هذا الضابط إلى إثارة مشكلات مع الحكومة التركية ، فان أي شكل من أشكال الحماية لا بد أن يعني التزاماً باستخدام القوة ، وهذا شيء لم تكن السلطات البريطانية تود أن تلجأ اليه . وهكذا لم يتخذ أي عمل ، وبعدها بعدة شهور ازداد أمير شمر كما رأينا خضوعاً لمشيئة الأتراك بل انضم اليهم مهدداً بغزو الكويت ، وبعدها لم يتم أي اتصال بين الأمير عبدالعزيز والحكومة البريطانية .

متعب بن عبد العزيز ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧

مكانة متعب عند توليه الامارة ابريل ١٩٠٣ :

وخلف الأمير عبدالعزيز أكبر أبنائه متعب ، وكان شاباً في الثامنة عشرة من عمره ، لكن جرأته وكرمه والغاءه الضريبة عن سنة كاملة ، وإعادة الرواتب التي كان أبوه قد قطعها ، أو أنقصها ، كل هذه الأعمال حببت فيه رعاياه منذ أول عهده بالحكم ، لكن إمارة جبل شمر كانت قد أصبحت فقيرة فقراً أعجز الامير الشاب عن أن يجد الجزية السنوية التي جرت العادة على تقديمها لسلطان تركيا وهي ثمانون حصاناً .

علاقته بابن سعود وشيخ الكويت :

وعقب موت عبدالعزيز ، ظل الوهابيون يواصلون انتصاراتهم على من خلفه ، وفي يونيو سنة ١٩٠٦ وصل ابن سعود بقواته خارج أسوار حائل نفسها يطلب الجزية ، لكنه لم يستطع أن يستولي على العاصمة ، وأرغمته قلة المؤن على الانسحاب من الإقليم كله . أما شيخ الكويت الذي كان قد وافق على ان يتوسط لدى الامير الوهابي باسم أمير شمر الراحل عبدالعزيز ، فقد استجاب للرجاء الملح من جانب أمير شمر الجديد وقريبه المسن حمود وعدد كبير من رجالات العائلة نفسها ليواصل مسعاه ، وأخيراً وفي يوليو سنة ١٩٠٦ ، وبعد محادثات طويلة بين الاطراف المعنية أو وكلائهم في القصيم ، تم التوصل إلى اتفاقية دائمة للسلام على أن يحتفظ كل أمير بما في يده وقت ذاك .

علاقته بالباب العالي :

كان الاتراك يعطفون على الأمير متعب حين توليه الإمارة ، لكن وضعهم في القصيم كان أضعف من ان يتيح لهم تقديم العون الفعال اليه ، واكتفى السلطان بتعزية الامير الشاب بموت والده ، والاعتراف به خلفاً له ، ووعده بعقاب قتلة أبيه واستمرار دفع الراتب الذي كان مخصصاً

له . وفي سبتمبر سنة ١٩٤٦ وصل طالب باشا أحد رجال السلطان إلى حائل ومعه حامية تركية انسحبت من القصيم ، وانتهى وجود النفوذ التركي في نجد تماماً .

قتل متعب بن عبدالعزيز يناير ١٩٠٧ :

وفي الاسبوع الأول من يناير سنة ١٩٠٧ أضيفت جريمة جديدة إلى السجل الدموي لعائلة آل رشيد . فقد عاد إلى حائل سلطان بن حمود الذي كان قد تراجع إلى جوف الامير في سنة ١٩٠٥ ، واستطاع إقناع الامير متعب بأن يشترك معه في رحلة صيد ، وخلال هذه الرحلة غدر به سلطان وأطلق عليه الرصاص بنفسه فأرداه قتيلا . وفي نفس الوقت قام أخوا سلطان سعود وفيصل وابن عمه ضاري بقتل مشعل ومحمد أخوي الأمير وقتل طلال بن نايف ابن عم الأمير . ولدى عودتهم من هذا المعسكر ذكر القتلة أن طلال قتل ابناء عبدالعزيز وأنهم انتقموا لهم . لكن أحداً لم يصدق روايتهم . كما قتل أيضاً طفل لطلال بن نايف . وبهذه الجرائم لم يبق من خلف عبدالله بن علي أول محافظ لجبل شمر رجل على قيد الحياة إلا طفل لعبدالعزيز بن متعب استطاعت أمه أن تخرج به إلى المدينة للحج . كذلك فعلت بالإناث من عقب عبد الله ، فهاجرن جميعاً أو طردن إلى المدينة ، ولحق بهن أيضاً حمود بن عبيد أكبر أعضاء أسرة آل رشيد سناً فوصل المدينة في يوم ٧ إبريل . وكان حمود قد عاش متقاعداً في حائل طوال حياة عبدالعزيز الذي لم يكن يوافق على سياسته ، ولم يكن هو بدوره يلتمس مشورته ، لكن إحدى بناته تزوجت بعبدالعزيز وأنجبت الامير متعباً وإخوته ، ويبدو أن الرجل المسن قد أثقل قلبه الحزن لمقتل أحفاده بأيدي أبنائه .

سلطان بن حمود ــ ابتداء من ١٩٠٧

كان موقف سلطان بعد توليه الإمارة متسماً بالخضوع لابن سعود الذي حاول غير مرة أن يقيم معه علاقات طيبة . ويبدو أن الحكومة التركية لم تعترف به خلفاً لمتعب ، لأنها قطعت الإعانة التي كانت تدفعها لأسلافه ، وقد قام سلطان بمحاولتين للاتصال بالحكومة البريطانية عن طريق شيخ الكويت لكن أحداً لم يعن بالرد عليه (١٩٠٧) .

* * *

ملحق رقم (٢)
تاريخ مستقل لاقليم القصيم
التاريخ المبكر للقصيم

ان روايتنا للاحداث في وسط الجزيرة في الفصل السابق والملحق الخاص به لا تترك الا القليل فقط إلى جانب التفاصيل الداخلية في العرض الحالي المستقل لتاريخ القصيم .

ويبدو أن القصيم كان من اوائل الاقاليم التي فتحتها الدولة الوهابية الناشئة في نهاية القرن الثامن عشر ، لكننا لا نعرف تفاصيل الطريقة التي تم بها احتلال هذا الاقليم أو ضمه إلى أملاك الوهابيين .

★ ★ ★

القوات المصرية تدخل القصيم ، ١٨١٥ ثم تحتله ١٨١٧ ــ ١٨٢٤

أشرنا من قبل في مكان آخر إلى دخول طوسون باشا وقواته المصرية إلى القصيم في سنة ١٨١٥ ، والصلح الذي عقد بعد ذلك بينها وبين الوهابيين ، كما ذكرنا بالتفصيل أيضاً احتلال القوات المصرية لهذا الإقليم في سنة ١٨١٧ إلى سنة ١٨٢٤ . ويستدل من مظاهر التأييد التي قوبلت بها قوات طوسون باشا من قبل- بعض وجهاء القصيم في سنة ١٨١٥ إلى أن جانباً من الاهالي كان ساخطاً على الحكم الوهابي آنذاك ، لكن حجيلان أقوى زعماء القصيم ظل مخلصاً لابن سعود ولم يكن على اتصال بالمصريين . وكانت أهم العمليات التي قامت بها حملة إبراهيم باشا في القصيم هي حصارها الفاشل للرس ، واستيلاءها على خبرة وعنيزة واحتلال بريدة دون ان تقيم فيها . ويبدو ان معظم القوات المصرية قد انسحبت من القصيم في سنة ١٨١٩ ، وهي السنة التي مر فيها الكابتن سادلير بعنيزة والرس كمبعوث سياسي من حكومة الهند لمقابلة إبراهيم باشا . لكن بعض هذه القوات بقي كما يبدو حتى سنة ١٨٢٤ حين طردها الاميرالوهابي فيصل بن تركي عقب توليه الإمارة .

الوهابيون يعيدون فتح القصيم عن طريق محافظ جبل شمر حوالى سنة ١٨٣٥

لا نعرف شيئاً عن الوضع في القصيم خلال السنوات التي أعقبت انسحاب القوات المصرية منه مباشرة ، ولكن من المحتمل أن الإقليم كان مستقلا تماماً آنذاك . وحين جعل الامير الوهابي فيصل عبد الله بن علي أول حاكم من آل رشيد في جبل شمر وعلى حكم القصيم أيضاً في سنة ١٨٣٥ ، كان أهل القصيم يناصرون بيت علي ، وهم خصومه الألداء الذين كانت لهم السيادة في الإمارة الشمالية حتى ذلك الحين . وكانت النتيجة النهائية لهذا الصراع هي إخضاع القصيم على يد عبدالله بن علي الذي سلمه لسيده أمير الوهابيين . ويبدو أنه خلال هذه الفترة خرجت تلك الحملة المشئومة من عنيكسة لمهاجمة أمير حائل ، ومنيت بهزيمة قاسية على يد شقيقه علي .

★ ★ ★

احتلال القوات المصرية للقصيم ١٨٣٧ ـ ١٨٤٢

لقد ذكرنا الاحتلال الثاني من جانب القوات المصرية للقصيم كما ذكرنا الاحتلال الأول ، في مكان آخر . وقد بدأ سنة ١٨٣٧ على وجه التقريب حين ارسل المصريون بعض قواتهم إلى نجد لمعاونة خالد بن سعود الذي ابرزوه كمطالب بامارة الوهابيين منافساً لفيصل بن تركي . ومن القصيم بذل خالد محاولة فاشلة ـ بعد أن كان عبدالله بن ثنيان قد عزله هو أيضاً عن السلطة ـ لاستعادة نجد الجنوبية في سنة ١٨٤٢ . ومن القصيم أيضاً بدأ الأمير السابق فيصل بعد أن عاد من سجنه في مصر مسيرته الظافرة إلى الرياض سنة ١٨٤٣ . ولا يمكننا أن نحدد على وجه الدقة تاريخاً مضبوطاً لانسحاب آخر حامية مصرية من القصيم ، ولكن لا بد أن هذا قد حدث بعد ربيع سنة ١٨٤٢ لأن بعض الجنود المصريين كانوا موجودين برفقة الأمير خالد في الأحساء وقتذاك .

الفترة من ١٨٤٢ الى ١٨٦٢

وخلال السنوات القليلة الاولى التي أعقبت انسحاب القوات المصرية، يبدو أن أهل القصيم تعاونوا مع الوهابيين لإعادة النظام إلى نجد ، وكونوا منهم فرقاً عسكرية وواظبوا على دفع الجزية السنوية بانتظام لحكومة الوهابيين .

تمرد القصيم على الوهابيين ١٨٤٨ ثم إخضاعه :

وفي ١٨٤٨ أقدم أهل القصيم الذين جبلوا على معارضة كل سلطة جديدة على تحويل ولائهم في أعقاب مفاوضات سرية من الرياض إلى حائل . وقد قبل الأمير الوهابي هذا التحول في البداية ، وتقبل التبرير الذي قدمه نائبه في حائل ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى عمد الأمير إلى سياسة الإخضاع بالقوة التي كان أهل القصيم قد ساعدوه على تنفيذها في نجد الجنوبية من قبل . وكانت بريدة وهي أصغر من عنيزه وأقل شأناً هي أول مكان تعرض للإخضاع . وبعد أن قطع الوهابيون طريق تجارتها تلهفت المدينة على الصلح ، عند ذلك دعا أمير الوهابيين بعض أعضاء الاسرة ذات السيادة فيها ــ وهي أسرة بني عليان ــ لمناقشة شروط الصلح في الرياض ، لكنه أمر باعدامهم بمجرد وصولهم وارسل ابنه عبدالله مباشرة بجيش إلى القصيم ، واستسلمت بريدة التي بوغتت بهذا العمل ، وتم تعيين رجل وهابي متعصب من الرياض يدعى مهنا حاكماً عليها .

نجاح ثورة عنيزة على الوهابيين ١٨٥٣ :

وليس في وسعنا تحديد تاريخ دقيق لهذه الأحداث أو لضم عنيزة التي كان يحكمها في سنة ١٨٥٢ جلوى شقيق الأمير ، ولكن في سنة ١٨٥٣ ثار أهل عنيزة على طغيان الوهابيين الذي لم يكن محتملا ، وكان يقودهم يحيى الذي كان ابنه عبدالله شيخاً في ذلك الوقت ، وبهدوء تام ، ودون

إراقة الدماء نقل الثائرون جلوى إلى بريدة . وسار أمير الوهابيين مباشرة من الرياض إلى عنيزه ، ولحق به عند أسوارها محافظ جبل شمر لكن قواتهما المشتركة لم تستطع أن تنال شيئاً من المدينة العنيدة التي كانت قادرة على الاكتفاء الذاتي بمحصول حقولها ونخيلها داخل أسوارها . وتقول إحدى الروايات إن شريف مكة استطاع إقناع الوهابيين برفع حصارهم عنها ، فقد كانت مصالح الشريف تتفق مع بقاء عنيزة مستقلة عن نفوذ الوهابيين ، وكان شيخ عنيزة هو الذي طلب وساطته .

ادارة الوهابيين للقصيم ١٨٥٢ — ١٨٦٢ :

ولعدة سنوات بعد هذه الحملة الفاشلة انشغل الوهابيون بمطاردة بدو قبائل حارب وعتيبة المناصرة لعنيزة ، وبمد حدود بريدة ، قاعدتهم في القصيم ، وتوسيعها بهدف عزل عنيزة ومحاصرتها . وكان مهنا الحاكم الوهابي في بريدة طاغية قاسياً ، وكان يعمل على تدمير روح أهل القصيم بارسالهم في حملات عسكرية عديدة لمصلحة الوهابيين . وقد هاجم سنة ١٨٥٦ قافلة حجاج إيرانيين هجوماً جعل الحج من إيران عبر الجزيرة يتوقف تماماً سنتين متواليتين . ونتيجة أعماله هذه فر رجل من بريدة هو عبد الله بن عبدالعزيز أحد أعضاء الأسرة الحاكمة في الماضي . وقد تلقى أهل عنيزة هذا اللاجيء اليهم بالترحاب لكن الوهابيين استطاعوا قتله بعد ذلك في بعض أطراف الصحراء .

محاولة فاشلة للوهابيين لاخضاع عنيزة ١٨٦٢ :

وقد تكون الحرب التي أعلنها ابن سعود على عنيزة بعد ذلك نتيجة لهذه الحادثة ، لأن أهل عنيزة اعتبروا أن لهم ثأراً عند الوهابيين الذين قتلوا ضيفهم . ولكن قيل أيضاً إن الأمير أعلن الحرب لرفض شيخ عنيزة المثول أمامه بنفسه ورفضه دفع الجزية التي طلب اليه دفعها .

وكانت عنيزة في هذا الوقت تحت حكم زامل الذي رأيناه في شبابه يقود فرقة عنيزة في حملة الوهابيين على عمان ، والذي سيشتهر اسمه

كثيراً خلال الجزء اللاحق من تاريخ القصيم ، وقد خلف زامل ابن عمه عبدالله الذي كان شيخ عنيزة في سنة ١٨٥٣ لكن أباه أيضاً كان شيخاً لها في وقت من الأوقات . وبدأ الوهابيون عملياتهم على عنيزة بحصار مفكك نظمه مهنا من مدينة بريدة المجاورة ، وانتقم أهل عنيزة لأنفسهم انتقاماً رهيباً بتخريب الأراضي والبساتين في بريدة . وكان أهل القطيف جميعاً يتعاطفون سراً مع أهل عنيزة ، بل إن بريدة نفسها التي كان بينها وبين عنيزة عداوة دائمة أصبحت على وشك التمرد على الوهابيين . وكان ابن رشيد وشريف مكة يرغبان في الوساطة ، لكنهما خشيا القطيعة مع ابن سعود وترك الجميع عنيزة وحدها(١) .

وشيئاً فشيئاً ، تجمعت قوات كبيرة من الوهابيين في مواجهة عنيزة ، يقودها قريب لأمير الوهابيين استطاع جمع القوات من إقليم الأحساء ومن عمان البعيدة أيضاً . وانضم طلال أمير جبل شمر وعمه عبيد إلى معسكر الوهابيين الذي كان يضم ، فيمن يضم ، مهنا حاكم بريدة ووهابيي القصيم . وضرب حصار منتظم حول عنيزة ، لكن مدفعية الوهابيين لم تستطع أن تؤثر في أسوار المدينة بشيء ، وكان وسط الجيش من أهل القصيم يتمنى له الفشل ، والبدو الذين جاءوا من بعيد لا يرون لهم مصلحة في نجاح هذا الحصار . وفي إحدى المرات استطاع بعض المحاصرين أن يوقعوا الهزيمة بجانب من القوات المحاصرة وأن يستولوا على علم من أعلام الوهابيين . لكن زامل الذي كانت إنسانيته لا تقل عن شجاعته عرض نفسه للخطر حتى لا تحدث مذبحة بين اللاجئين . وفي هذا الوقت هبت عاصفة مطيرة أفسدت ذخيرة الفرسان من عنيزة ، فاجتاحهم الوهابيون وأوقعوا بهم أشد هزيمة عرفوها طوال الحصار . وبعدها لم يحدث غير اشتباكين صغيرين ثم تراجع الوهابيون وتركوا عنيزة كما جاءوا اليها مدينة حرة .

---

(١) في هذه الفترة اجتاز بالجريف ـ الذى يشك في أنه كان مبعوثا من امبراطور فرنسا الى أمير الوهابيين كما أشرنا في تاريخ نجد ـ القصيم في طريقة من حائل الى الرياض .

الفترة من ١٨٦٢ الى ١٨٩١

القصيم مستقل وبعيد عن الاضطرابات ١٨٦٢ – ١٨٨٩ :

ويبدو أن القصيم ظل لمدة الثلاثين سنة التالية بعيدة عن الاضطرابات بعداً واضحاً باستثناء فترة تميزت بعدوان متبادل بين قبائل البدو ، وباستثناء الحملات التاديبية التي كان يقوم بها أهل المدن على البدو الذين يعكرون صفو السلم فيها . وفي ١٨٧٨ لحقت هزيمة مشهورة بقبيلة قطحان بالقرب من آبار دخنة على يد قبيلة مطير يعاونها بعض أهل مدينة عنيزة . وفي سنة ١٨٨٠ كانت بريدة عملياً قد أصبحت مدينة مستقلة ، ولم تعد تبالي بأمير الوهابيين على الإطلاق ، لكنها ظلت على احترامها لامير جبل شمر الذي كانت قوته آخذه في الازدياد يوماً بعد يوم . وفي هذا الوقت تجول في القصيم رسام الخرائط الفرنسي المشهور مستر س. هيوبر وبصحبته الرحالة الانجليزي المشهور وأعظم معاصريه مستر تشارلز دوتي. الذي يعتبر هو ونيوبوز أبرز من عملوا في المجال العربي على الإطلاق .

ابن رشيد يفتح القصيم ١٨٨٠ – ١٨٩١ :

وبعدها بقليل عزز ابن رشيد مركزه في بريدة وما حولها لكن جهوده لإخضاع عنيزة لم تؤد إلى أكثر مما أدت جهود الوهابيين . وفي سنة ١٨٨٥ استطاع القائد الوهابي محمد بن سعود أن يوقع الهزيمة بقوات أمير شمر في القصيم وأن يسترجع بريدة موقتاً ، وكان هذا آخر نجاح أحرزه الوهابيون في القصيم . وفي ١٨٩٠ تكونت جبهة لمقاومة تقدم ابن رشيد تضم كل القصيم ونجد الجنوبية إلى جانب قبائل البدو عتيبة ومطير ، لكنها هزمت هزيمة ساحقة في معركة بريدة أو موليده التي دارت رحاها في مارس أو إبريل سنة ١٨٩١ . أما زامل شيخ عنيزة الذي كان على ما يبدو محور هذا التحالف فقد كان من بين القتلى وسقط معه ثاني أبنائه علي وقريباه خالد بن عبدالله وعبدالعزيز بن إبراهيم ، كما أسر عدد من أعضاء أسرة السالمي الحاكمة في بريدة .

القصيم اقليم تابع لامارة جبل شمر
١٨٩١ ـ ١٩٠٤

ووضع أمير شمر على القصيم حاكماً من قبله ، وظل الوضع السياسي لهذا الإقليم عشر سنين على حاله . وفي سنة ١٩٠١ شجع غزو شيخ الكويت للقصيم باسم الوهابيين أهل البلاد على الخلاص من طغيان حكم أمير شمر ، لكن آمالهم خابت عندما اندحر الغزاة في معركة صريف ، وأوقع عقاب شديد بالذين تجاسروا منهم وأظهروا تعاطفاً سابقاً لاوانه مع قضية ابن سعود . ومن بين الذين قتلوا في هذه المعركة صالح بن عبدالله ومحمد بن عبدالله ومحمد بن حسان وصالح بن عبدالله وعلى بن عبدالله ومحمد بن ابراهيم وجميعهم من أسرة ابو الخيل الحاكمة في البريدة ، كما نفى ابن رشيد أعضاء آخرين من نفس الأسرة إلى حائل أو أرغمهم على الفرار إلى المنفى طلباً للنجاة . وأخيراً في مارس سنة ١٩٠٤ ، فقد ابن رشيد القصيم كلها ، وضاعت منه على أثر معركة دارت بين قواته وقوات الوهابيين بالقرب من عنيزة .

★ ★ ★

غزو الاتراك للقصيم (سنة ١٩٠٤) واحتلالهم للاقليم (١٩٠٥ ـ ١٩٠٦)

أما سير الأحداث تاليا في القصيم فقد ذكرناه تفصيلا في الفصل السابق الخاص بتاريخ نجد ، وليس لدينا ما نضيفه الآن اليه .

وفي سنة ١٩٠٤ غزا الاتراك القصيم متحالفين مع ابن رشيد ، لكن هذه القوات المتحالفة لقيت هزيمتين خطيرتين على أيدي أهل القصيم وابن سعود وأجبرت على التراجع إلى قرية قحافة في جبل شمر . وفي إبريل سنة ١٩٠٥ ـ وبتدبير مع ابن سعود ـ استطاعت القوات التركية أن تحتل القصيم احتلالا سلمياً استمر حتى نوفمبر سنة ١٩٠٦ ، لكنه لم

يكن احتلالا عملياً على الاطلاق ، وقد عجزت القوات التركية عن الحيلولة بين ابن سعود والاشتباك مع ابن رشيد ثم قتله على حدود الإقليم وعجزت أيضاً عن الحصول من ابن سعود على أية ترضية لخطفه صالح بن حسان الأمير الذي عينوه قائمقاماً في بريده . وفي سنة ١٩٠٧ لم يكن عدد القوات التركية الباقية في القصيم يتعدى ٥٠ جندياً . وعقب موت ابن رشيد أطلق سراح عدد من الأسرى الذين ينتمون إلى الأسر الحاكمة في عنيزة وبريدة والذين أسروا بعد معركة بريدة (١٨٩١) ، وصريف (١٩٠١) . وآخرون كانوا مقيمين بالخارج عادوا إلى ديارهم من المنفى .

تم الجزء الثالث بحمد الله

فهرس دليل الخليج الجزء الثالث

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
علاقات الحكومة الوهابية مع الدول المجاورة في الجزيرة العربية ١٨٤٣—١٨٦٥	١٦٥٣
العلاقات بين امير الوهابيين والحكومة البريطانية ١٨٤٣ — ١٨٦٥	١٦٦٢
علاقات الامير الوهابي بفرنسا ١٨٤٣ — ١٨٦٥	١٦٦٧
عبدالله بن فيصل (فترة حكمه الاولى) ١٨٦٥ — ١٨٧١	١٦٦٨
قطع علاقات الحكومة البريطانية بأمير الوهابيين ١٨٦٥ — ١٨٦٦	١٦٦٩
علاقات الامير الوهابي بتركيا ١٨٦٦	١٦٧٤
علاقة الوهابيين بالكويت ١٨٦٥ — ١٨٧١	١٦٧٥
علاقات الوهابيين بالبحرين وقطر ١٨٦٥ — ١٨٧١	١٦٧٥
علاقة الوهابيين بسلطنة عمان وبعمان المتصالحة ١٨٦٥ — ١٨٧١	١٦٧٦
تمرد سعود بن فيصل ١٨٧٠ — ١٨٧١	١٦٧٨
سعود بن فيصل ١٨٧١ — ١٨٧٥	١٦٧٩
غزو الاتراك للاحساء ١٨٧١	١٦٧٩
الاتراك يضمون اليهم الاحساء نهائياً ١٨٧١ — ١٨٧٢	١٦٨٠
الاعمال التالية لزعماء الوهابيين وعلاقتهم بالاتراك ١٨٧٢—١٨٧٤	١٦٨١
علاقة الامير سعود بالحكومة البريطانية ١٨٧١ — ١٨٧٥	١٦٨٤
عبدالله بن فيصل (فترة حكمه الثانية) ١٨٧٥ — ١٨٨١	١٦٨٦
التاريخ العام لنجد ١٨٧٥ — ١٨٨١	١٦٨٦
بداية الاعمال العدائية بين أمير جبل شمر والوهابيين ١٨٧٧—١٨٨٤	١٦٨٩
استمرار الانقسام بين آل سعود وعزل الامير عبدالله ١٨٨٤—١٨٨٧	١٦٩٠
علاقة الاتراك بوسط الجزيرة خلال هذه الفترة ١٨٧٥ — ١٨٨٧	١٦٩٠
علاقة بريطانيا بوسط الجزيرة خلال نفس الفترة ١٨٧٥ — ١٨٨٧	١٦٩١
فترة خلو العرش الوهابي من أمير ١٨٨٧ — ١٩٠٢	١٦٩١
أمير جبل شمر يغزو جنوبي نجد ١٨٨٧ — ١٨٩٢	١٦٩١
علاقة أمير شمر بالاتراك أثناء حكمه نجداً الجنوبية ١٨٩١ — ١٩٠٠	١٦٩٥

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

تم بعون الله هذا الجزء الثالث

من دليل الخليج

الدوحه ــ رمضان ٩٥ سبتمبر ٧٥

مطابع علي بن علي

دليل الخليج

القسم التاريخي

الجزء الرابع

تأليف: ج. ج. لوريمر

طبعة جديدة منقحة ومصححة
أعدها قسم الترجمة
بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر

طبع على نفقة
الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر

Bibliotheca Alexandrina

دليل الخليج

القسم التاريخي

الجزء الرابع

تأليف: ج. ج لوريمر

طبعة جديدة معدلة ومنقحة
أعدها قسم الترجمة
بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر

طبع على نفقة
الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر

مقدمة

لقد أولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ، عناية عظيمة لرعاية التراث الثقافي والمحافظة عليه والمساعدة على نشره ، ودأب على تشجيع العلوم والفنون والآداب والبحوث العلمية مؤكداً في توجيهاته السامية على الموضوعية والدقة والأمانة العلمية ، ومن هنا كانت تعليماته باعادة ترجمة «دليل الخليج » الذي يعتبر من أضخم المؤلفات وأهمها عن تاريخ المنطقة وجغرافيتها .

ويسر الذين اضطلعوا باعادة الترجمة ان يغتنموا هذه المناسبة للاعراب عن عظيم عرفانهم وعميق تقديرهم للرعاية الكريمة التي شمل بها حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى هذا المشروع العلمي ، سائلين الله سبحانه ان يمد في عمر سموه وأن يسدد خطاه لما فيه خير البلاد والعباد .

مكتب حضرة صاحب السمو
أمير دولة قطر

« ملاحظـــة »

لقد وضع هذا الكتاب حوالى نهاية القرن المـاضى وتضـــمن ملاحظات وآراء وتعابير تحمل رأى المؤلف وحده ، وهى بذلــك لا تقيد حكومة قطر بحال من الاحوال ، ولا تعبر عن وجهـات نظرها ٠

الفصل التاسع

تاريخ العراق التركي

في سنة ١٦٠٠ التي يبدأ منها مسحنا لتاريخ العراق التركي كان محمد الثالث هو سلطان تركيا ، وقد نشبت الحرب بينه وبين عباس الأول ملك ايران الصفوي على نحو ما ذكرنا في التاريخ العام للخليج . وفي سنة ١٦٠٠ كان جزء كبير من شمال غرب إيران — الذي فتحه الاتراك قبل عدة سنوات من هذا التاريخ — ما يزال خاضعاً للباب العالي ويكون باشوية تبريز التي كانت لها المكانة الثالثة بين مستعمرات الدولة العثمانية بعد باشويتي القاهرة وبغداد ، ولكن في سنة ١٦٠٣ ، أي قبل موت محمد الثالث بفترة قصيرة ، نجح الايرانيون في استعادة تبريز واستطاعوا أن يطردوا الاتراك موقتاً من ايران .

★ ★ ★

أحمد الاول ١٦٠٣ ـ ١٦١٧(١)

ومات محمد الثالث في ٢٢ ديسمبر سنة ١٦٠٣ ، وخلفه أحمد الأول أكبر ابنيه اللذين بقيا على قيد الحياة .

---

(١) المصادر الخاصة بتاريخ العراق التركي من سنة ١٦٠٠ الى ١٧٧٣ هى تلخيص رسمى مجهول المؤلف للمعلومات المتعلقة ببداية الاتصال بين شركة الهند الشرقية المعظمة وشبه جزيرة العرب التركية ، سنة ١٨٧٤ وتحوى مختارات مستر ج. أ. سالدنها من أوراق الدولة فى بومباى علاقة شركة الهند الشرقية بالخليج مع تلخيص للاحداث من سنة ١٦٠٠ الى ١٨٠٠ ، وهو مطبوع سنة ١٩٠٥ . الى جانب كتاب نيبور « رحلة في جزيرة العرب .. » عن رحلته التى قام بها في هذه البلاد سنة ١٧٦٥ ـ ١٧٦٦ ، وفي الكتاب قدر كبير من المعلومات المهمة . أما الحقائق التى تتناول فترات بعينها من هذا التاريخ فنستطيع أن نجدها في الاعمال الآتية : « رحلات بيدرو تيكسيرا » المطبوع سنة ١٩٠٢ ، ويرجع تاريخ الرحلات الى =

علاقاته بايران ١٦٠٣ ـ ١٦١٧

و استمرت الحرب مع ايران دائرة في عهد السلطان الجديد في غير صالح تركيا . وفي سنة ١٦٠٦ استطاع القائد الايراني علي فردي خان أن يتقدم بقواته حتى مكان قريب من بغداد ، لكن الشاه استدعاه لأنه كان قد قرر أن يهزم الاتراك في الميدان ، واستطاع بعد إكمال استعداداته أن يوقع بهم هذه الهزيمة فيما بعد ، واستمرت الحرب دائرة على أية حال دون ان تتخللها أحداث مهمة طوال فترة حكم أحمد الأول . وفي سنة ١٦١٤ قيل إن ثمة اسطولا ايرانياً من مائة فرقاطة وسفينة صغيرة يرابط في بوشهر بهدف قطع الاتصال بين الميناء التركي في البصرة والميناء البرتغالي في هرمز ، وكان الايرانيون يعتبرون كلا الميناءين عدواً لهم .

★ ★ ★

= سنة ١٦٠٤ « رحلات بيترو ديلا فالى ٠٠ » المطبوع سنة ١٦٦٥ ، ويرجع تاريخ رحلاته الى سنة ١٦٢٥ ، و « مجموعة الاسفار من تركيا الى ايران وجزر الهند الشرقية ٠٠ » سنة ١٦٨٤ تأليف ج٠ ب٠ تافرنييه ٠ الذى قام برحلته في العراق التركي سنة ١٦٥٢ ٠ و « تاريخ جديد للهند الشرقية ٠٠ » المطبوع سنة ١٧٣٩ من تاليف الكابتن أ٠ هاميلتون ، ويبدو أن اقامته في هذه البلاد استمرت من سنة ١٦٨٨ الى ١٧٢٣ ٠ ويمكن الرجوع الى كتاب الاستاذ أ٠ س٠ كريزى « تاريخ الاتراك العثمانيين ٠٠ » فيما يتعلق بشئون تركيا في هذه الفترة بشكل عام ٠ كذلك يمكن الرجوع الى كتاب سير ج٠ مالكولم « تاريخ ايران ٠٠ » فيما يتعلق بالعلاقات التركية الايرانية ٠

التاريخ الداخلي ١٦٠٣ ـ ١٦١٧

كتب الرحالة البرتغالي بيدرو تيكسيرا الذي زار العراق في سنة ١٦٠٤ وصفاً طريفاً لهذا الاقليم كما كان آنذاك . وتكمن فائدة هذا الكتاب بصورة خاصة فيما يتعلق بالنتائج غير المباشرة التي نجمت في العراق من جراء الحرب المدمرة التي كان الاتراك يخوضونها آنذاك في إيران .

وكان يوسف باشا يحكم بغداد التي كانت في هذه الفترة تحتل المكانة الثانية بين الاقاليم العثمانية فلا تتفوق عليها إلا القاهرة . وهو رجل قوقازي الاصل عين باشا لبغداد قبل سنة ١٦٠٤ بفترة قصيرة . وكان لهذا الباشا سلطة مطلقة في معظم الامور في السلم والحرب على السواء لكنه كان عليه فيما يتعلق بأمور التجار والأجانب أن يستشير رجلا عينه سلطان تركيا كي يحمي هذه الفئات وجعله مقيماً في بغداد . ولما كان الايرانيون قد هددوا بغداد في هذه الفترة ، فان مشكلة الموارد والاستعدادات العسكرية كانت مشكلة ذات أهمية قصوى في تلك الفترة التي زار فيها تيكسيرا العراق . وقد لاحظ هذا الرحالة أنه كان لدى الباشا ، إلى جانب حرسه الخاص الذي يضم ما بين ١٥٠٠ و٢٠٠٠ رجل ، قوة قوامها من ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ جندي في بغداد فقط معظمهم من الانكشارية ، وحوالي عشرة آلاف رجل في بقية الاقاليم . وكان السور الذي يحيط بالمدينة من ناحية ايران مبنياً في ذلك الوقت من الآجر المحروق ، وترتبط به عدة منشآت إضافية بينها اربعة تحصينات في كل منها عدد من المدافع البرونزية الثقيلة في حالة جيدة ، وخارج السور كان ثمة خندق عميق ، وكان في بغداد بذلك الوقت دار تصك النقود الذهبية والفضية والمعدنية . كما كان بها مدرستان انشأتهما الحكومة إحداهما للرماة والأخرى لحملة البنادق . وكانت التجارة تسير إلى الهند

عن طريق دجلة والبصرة ، وإلى حلب عبر الصحراء ، وفي أوقات السلم كان ثمة طريق ثالث مباشر للتجارة مع ايران .

جبهة كربلاء والنجف في سنة ١٦٠٤ :

وكانت كربلاء والنجف خاضعتين للامبراطورية العثمانية ، والحاميات التركية موجودة في كلتا المدينتين ، وكان اكبر شيوخ الصحراء نفوذاً ، وهو ناصر بن مهنا ، يعترف بولائه للباب العالي ، ولكن في سنة ١٦٠٤ – وعقب الهزائم التي منيت بها القوات التركية على يد القوات الايرانية سحبت هذه الحاميات من المدينتين . وكانت كربلاء في حالة تمرد ، وخلال إقامة تيكسيرا بها كانت خيول وثياب واسلحة ٣٠ او ٤٠ جندياً تركياً قتلهم العرب مؤخراً تباع علناً في سوق المدينة . وفي كل من كربلاء والنجف كان تعصب الشيعة ضد المسيحيين واليهود بالغاً أقصى شدته .

البصرة في سنة ١٦٠٤ :

وكانت مدينة البصرة في نفس السنة تضم حوالي عشرة آلاف بيت كثير منها من البيوت الكبيرة لكنها فقيرة البناء ويجاورها مجرد أكواخ ليس إلا . وكانت تحصينات المدينة في حالة سيئة من الخراب والدمار ، غير ان خندقاً واسعاً عميقاً كان يحيطها ، وكان دائماً مملوء بالماء . وكان يحكم المدينة وما حولها باشا تركي تحت امرته قوات يبلغ عددها حوالي ثلاثة آلاف رجل من الأتراك والأكراد والعرب ، ودار للعوائد كان يبقى منها فائض كثير بعد كل النفقات الإدارية . وكان بالمدينة ترسانة بها بعض المدافع التي لا بأس بها ، لكن السفن المسلحة التي كان يعدها الاتراك « لاستخدامها في النهر وما حوله ، وللمحافظة على النظام بين العرب المتمردين الذين كانت تحصل منهم الجزية .. كانت سفناً قليلة وفي حالة سيئة من حيث البناء والتصميم » . وكان شيخ عربستان الذي كانت تتبعه حويزه ودورق ومكانهما الحالي فلاحيه

يزعم لنفسه الحق في البصرة . ودارت بينه وبين الاتراك حرب في سنة ١٦٠٤ ، وقامت السلطات العثمانية ، بهدف القضاء على مقاومة العرب المتمردين ، ببناء بعض القلاع والتحصينات في أماكن عديدة على ضفة النهر . من بين هذه المواقع واحد على جانب عربستان من النهر في مواجهة سراجي ، على بعد ثلاثة أميال أسفل البصرة حيث كان مرسى السفن الكبيرة التي تزور الميناء . وكانت التمور في ذلك الوقت كما هي الآن أهم صادرات البصرة ، وتنقل إلى بغداد وعدد من الموانئ الايرانية وإلى هرمز . وكان معظم تجارتها مع بغداد وايران والقطيف عن طريق هذا الميناء الاخير الذي كان البرتغاليون ما يزالون ميسطرين عليه ، بينما تصدر بعض المواد الغذائية من دورق في عربستان وبوشهر على الساحل الايراني .

★ ★ ★

العلاقات البريطانية ١٦٠٣ ـ ١٦١٧

لم يكن لشركة الهند الشرقية أية منشآت في العراق التركي خلال هذه الفترة ، لكن ارسال مستر كونوك باسم الشركة إلى ايران في سنة ١٦١٦ ـ كما هو مذكور في الفصل الخاص بالتاريخ العام للخليج ـ قد أدى إلى فتح طريق بريطاني للمواصلات بين ايران واوروبا عبر بغداد وحلب. وفي يونيو ١٦١٧ طلب كونوك وكان حينذاك في أصفهان من القنصل البريطاني في حلب أن يؤمن رجلين عربيين موثوق بهما لينقلا رسائله من بغداد إلى حلب . وكان الخطر الرئيسي الذي يهدد هذه المراسلات في ذلك الوقت هو وقوعها في أيدي البعثات البرتغالية في بغداد . وفي أغسطس من نفس السنة نقل كونوك عن هذا الطريق نفسه أخبار نجاحه في الحصول على فرمان للتجارة البريطانية من الشاه عباس .

مصطفى الاول (فترة حكمه الاولى) وعثمان الثاني ١٦١٧ ـ ١٦٢٢

وبعد موت السلطان احمد الاول في ٢٢ نوفمبر سنة ١٦١٧ ، تولى العرش شقيقه الاصغر مصطفى ، لكنه عزل بعد أن ثبت أنه ضعيف العقل عقب فترة لم تتجاوز الثلاثة أشهر ، وبعدها تولى العرش عثمان الثاني ابن احمد الأول ، وظل في الحكم حتى سنة ١٦٢٢ حين قتله الانكشارية.

واثناء حكم عثمان الثاني عقد صلح مع ايران تنازلت تركيا بموجبه عن كل الاقاليم التي فتحتها في ايران ، وخلال فترة حكمه لم تقع أي حادثة ذات اهمية في العراق . وفي ١٦١٩ ظل مجلس إدارة شركة الهند الشرقية في لندن يتلقى الاخبار عن ايران وشئونها عن طريق حلب .

★ ★ ★

مصطفى الاول (فترة حكمه الثانية) ومراد الرابع ١٦٢٢ ـ ١٦٤٠

وبعد موت عثمان الثاني عاد مصطفى الأول سلطاناً لتركيا ، لكنه عزل مرة أخرى قبل انقضاء سنة واحدة ، وخلفه مراد الرابع الشقيق الأصغر لعثمان الثاني ، وكان عمره وقت توليه العرش في ١٠ سبتمبر سنة ١٦٢٣ لا يتجاوز ١١ عاماً . وظل مراد على العرش حتى موته في ٩ فبراير سنة ١٦٤٠ .

★ ★ ★

علاقته بايران ١٦٢٢ ـ ١٦٤٠

احتلال الايرانيين لبغداد ١٦٢٣ :

ولم يدم الصلح بين ايران وتركيا وقتاً طويلا . لأن الايرانيين وقد تزايد ادراكهم لتفوقهم على الاتراك من الناحية العسكرية ، سرعان ما

هددوا بغداد . وكان يحكمها في ذلك الحين «طاغية» صغير ، يمسك بين يديه كل امور الحكم ويبذل جهده كله للاستقلال عن الباب العالي ، غير أن ابنه المسمى درويش محمد غدر به في سنة ١٦٢٣ وسلم المدينة إلى الشاه عباس الذي احتلها مباشرة واعدم حاكمها في ساحة عامة . كما استولى الايرانيون على كركوك والموصل ووضعوا فيها حاميات من جندهم ، لكنهم لم يستطيعوا البقاء طويلا في عانه فقد طردهم منها مطلق —الشهير بأبو الريش— أعظم الشيوخ العرب في الصحراء وأقواهم نفوذاً ، عقب عودة الشاه عباس إلى ايران . ويبدو ان الحلة وكربلاء والنجف قد خضعت جميعاً للايرانيين بعد سقوط بغداد ، وسادت بعض مخاوف لا مبرر لها بين الاتراك خشية تهديد حلب نفسها . ولم يستطع إمام قولي خان حاكم شيراز الذي أمره الشاه بالانضمام اليه لمواصلة عملياته ضد بغداد — اللحاق به إلا بعد أن انتهت تلك العمليات ، فقد تأخر في الطريق بسبب بعض العقبات التي وضعها في سبيله شيخ حويزه الذي كان بدوره يحب أن يلحق بالحملة على أساس انه وال تابع لايران .

هجوم الايرانيين على البصرة وما حولها ١٦٢٤ — ١٦٢٥ :

وعقب سقوط هرمز في سنة ١٦٢٢ صفى البرتغاليون أعمالهم تماماً في ايران ، وبدأوا ينقلون بضائعهم إلى البصرة ، وقد الحق هذا الطريق التجاري اضراراً بالغة بالايرانيين ، وبالنظر إلى ضعف ايران البحري فلم يكن الشاه يأمل في القضاء على هذا الطريق الا باستيلائه على البصرة ، وهكذا ارسل يطلب من الباشا فيها —وكان حينذاك مواطناً منها يدعى أفراسياب— أن يعلن خضوعه لايران ، وذلك بأن يأمر بصك عملات إيرانية ، وأن يستبدل سلطان تركيا بشاه ايران في الدعاء على المنابر ، وأن يأمر أهل البصرة بأن يعقدوا عمائمهم على الطريقة الايرانية ، ووعده —إذا أجاب هذه المطالب— بأن يجعل حكم البصرة وراثياً له ولأبنائه من بعده ، وان يعفيهم من دفع الجزية ، ويترك لهم مطلق الحرية في

ادارة شئونهم الداخلية . ورفض باشا البصرة هذه الاقتراحات دون تردد، فقد كان معتمداً على معونة البرتغاليين البحرية له . لان مصالحهم كانت متفقة تماماً ومصالحه ، وهنا أصدر الشاه عباس امراً إلى خان شيراز بالسير إلى البصرة . وقام جيش ايراني نزل في عربستان عن طريق ششتار بالهجوم على كوبان التي كانت تعتبر في ذلك الحين من أعمال البصرة واستولى عليها ، لكنها انقذت بمساعدة سفن البرتغاليين المسلحة التي أطلقت النيران على معسكر الايرانيين من مواقعها في نهر قارون وفي خليج كوبان جميعاً ، فارغمت الغزاة على التراجع . وكان الجنود الايرانيون الذين قاموا بهذه العملية تماماً كالذين قاموا من قبل بعملياتهم في بغداد — يطلق عليهم اسم قيزيلباش .

سنة ١٦٢٥ :

وفي أوائل سنة ١٦٢٥ شنت القوات الايرانية مرة أخرى بقيادة إمام قولي خان هجوماً جديداً على إقليم البصرة ، فقامت اولا بطرد شيخ حويزة لأنه رفض استدعاء الشاه له إلى بغداد ، فلجأ إلى البصرة في حوالي ٥٠٠ رجل من أنصاره . وفي نفس الوقت كان افراسياب قد خلفه ابنه علي في باشوية البصرة ، ولكن لما كان كل من بغداد والحلة —اللتين تسيطران على دجلة والفرات على التوالي— في ايدي الايرانيين ، فلم يستطع الاتراك ان يرسلوا أية امدادات للباشا الجديد في البصرة . وفي مارس سنة ١٦٢٥ ، حين كان الرحالة الايطالي بيترو دي لافالي موجوداً بالبصرة ، كان الفزع يسود المدينة كلها وكان جل اعتماد الباشا على خمس سفن برتغالية ، كان البرتغاليون قد تلقوا معونة كبيرة في مقابل خدماتها وهي راسية في النهر لحماية المدينة. وفي يوم ١٣ مارس خرج المنادون إلى شوارع البصرة يطلبون أن يقدم كل بيت رجلا مسلحاً لينضم إلى معسكر الباشا لمقاومة الايرانيين الذين قيل إنهم عندئذ أصبحوا على مقربة من المدينة . وفي يوم ١٤ جاءت الاخبار بأن الايرانيين قد

أصبحوا فعلا إلى جوار القرنه ، وان هدفهم كان العبور دون مقاومة إلى الساحل العربي من شط العرب ، وسار الباشا بقواته البرية كلها ، وبثلاث من السفن البرتغالية للقائهم . وفي يوم ١٦ مارس تردد أن الجيشين قد اشتبكا في القتال ، وفي نفس اليوم ارسل جونسالفودي سليفيرا قائد الاسطول البرتغالي السفينتين الباقيتين وأخرى صغيرة لكي تعترض سبع قطع من المدفعية قيل ان الايرانيين ارسلوا في طلبها من دورق لاستخدامها ضد البصرة . وفي يوم ١٩ خرج مواطن مشهور في البصرة هو الشيخ عبدالسلام على رأس عدد كبير من الرجال المسلحين لنصرة الباشا وكانت قواته تضم أكثر من مائتي رجل يحملون الأسلحة النارية وغيرها ، ولكن لم يكن تبدو عليهم سيماء المحاربين .

وفي صبيحة يوم ٢٣ جاءت الأخبار بأن الايرانيين قد اسرعوا في ترك معسكرهم والسير إلى بلادهم ، وقد تركوا وراءهم مؤنهم ، بل حتى المؤن التي كانت مطبوخة ومعدة للطعام خلفوها وراءهم أيضاً ، وقيل إن ذلك تم بناء على استدعاء عاجل . ولم تكن قوات الباشا قد أوقعت بهم أية خسائر بعد . وفي ٣١ مارس عادت السفينتان البرتغاليتان اللتان كانتا قد خرجتا يوم ١٦ من البصرة وقد فشلتا في تأدية المهمة التي كلفتا بأدائها ، لكن السفن البرتغالية استطاعت أن تأسر ثلاثة طرادات إيرانية صغيرة ، وأمر البرتغاليون جرياً على مألوف طريقتهم في الهمجية والتوحش باعدام المسلمين الذين كانوا على ظهرها جميعاً حتى الأطفال ، ولم يستبقوا على قيد الحياة الا رجلا غنياً طامعين منه في فدية ضخمة . وحين أصبح الايرانيون على مسافة بعيدة ، أمن الباشا على نفسه فعاد ودخل البصرة بقواته كلها وسط مظاهر الانتصار .

الحالة من ١٦٢٥ إلى ١٦٣٨ :

وبعد هذه الاحداث ظلت الحالة كما هي لعدة سنين . ويبدو ان الأتراك قد بذلوا خلال هذه المدة أكثر من محاولة لطرد الايرانيين من

بغداد ، واستطاع هؤلاء بقيادة صافي قولي خان ، وهو رجل ارمني الاصل كان يحكم بغداد باسم الشاه أن يصدهم عن بغداد مرتين قرب نهاية هذه الفترة . وفي سنة ١٦٢٥ امتد نفوذ الايرانيين هابطاً في الفرات حتى عرجة ، وهي مكان يقارب مكان الناصرية الآن ، وكان شيخ عرجه لاجئاً كردياً يدعي حسان أغا استطاع أن يبسط نفوذه على العرب المحيطين بها ، وكان يظن أنه في حقيقة الأمر مخلص للمصالح الايرانية رغم تكرار اعترافه بالولاء للباب العالي .

الاتراك يستعيدون بغداد ١٦٣٨ :

وفي سنة ١٦٣٨ سار السلطان التركي مراد الرابع الذي كان قد استخلص إريفان من أيدي الايرانيين في سنة ١٨٣٥ بنفسه وسط قوات كبيرة لاسترجاع بغداد ، وتحركت قواته من سكوتاري يوم ٨ مايو ، ووصلت امام بغداد يوم ١٥ نوفمبر أي بعد مائة يوم وعشرة من السير المتواصل ، وقد وجد أن حامية المدينة تضم حوالي ٣٠ الف رجل من بينهم حوالي ١٢٠٠ فارس مدرب . وفي ٢٢ ديسمبر سنة ١٦٣٨ سويت استحكامات بغداد ، على طول جبهة قدرها ٨٠٠ ياردة بالأرض حتى أصبحت ، على حد تعبير كاتب عثماني ، « بوسع الاعمى أن يجوس فيها على ظهر حصان لالجام له دون ان يعثر مرة واحدة » ، وحاول الاتراك اقتحام هذه الثغرة بقواتهم لكنهم فشلوا يومين متتاليين ، واخيراً استطاعوا اقتحامها يوم ٢٤ ديسمبر بعد أن خسروا محمد باشا الصدر الاعظم الذي كان يقود الهجوم وسقط قتيلا . وقد منح الأمان أولا لرجال الحامية ، غير ان الاتراك آخر الامر ذبحوا أكثر من ٢٠ الف رجل من الايرانيين سواء عن طريق الغدر ، او نتيجة لانتهاك هؤلاء بعض الشروط ، وبعدها بعدة أيام وقعت مذبحة شاملة بين المدنيين في بغداد بأمر من السلطان مراد ، وكان سبب ذلك انفجار مخزن بارود أدى إلى خسائر جسيمة بين قواته ، وظل السلطان في العراق حتى فبراير سنة ١٦٣٩ ، وربما قام أيضاً بزيارة النجف حيث ما تزال إحدى

بوابات المدينة مسماة باسمه «باب مراد » (١) . وعند رحيله من بغداد قيل إنه خرج من « باب الطلسم » وأنه بني من بعدها ولم يفتح حتى الآن . ووضعت حامية تركية قوية يقودها ضابط قدير في بغداد ومن يومها —وحتى اليوم— بقيت بغداد تحت الحكم التركي ، لكن سلطاناً غيره لم يقم بزيارتها في ذلك الحين (٢) .

الصلح مع ايران ١٦٣٩ :

وفي ١٦٣٩ عقد صلح دائم بين ايران وتركيا . كما تم في نفس الوقت تعيين الحدود المشتركة بين الامبراطوريتين تعييناً دقيقاً بعد(٣) «مناقشات عاصفة طويلة» بين الصدر الاعظم العثماني والمبعوث الايراني . وتستحق منا نصوص هذه الاتفاقية التي صدق عليها في سنة ١٧٤٦ ثم في سنة ١٨٢٣ ملاحظة سريعة .

★ ★ ★

(١) تذكر القصص الشعبية المحلية أن السلطان مراد دخل النجف سائرا على قدميه اظهارا لاحترامه للامام علي ، وأنه حين كان يجتاز هذه البوابة المذكورة طارت عمامته عن رأسه لتزاحم الناس وتدافعهم ، وتبدو هذه حكاية غير محتملة الحدوث الى حد كبير لكن هذا لا ينفي أنه قد زار النجف .

(٢) الرواية السابقة عن استعادة بغداد مصدرنا فيها كتاب الاستاذ كريزي « تاريخ الاتراك العثمانيين .. » المجلة الاول ص ٤٠٨ — ٤١١ . أما تافرنييه في « اسفاره الفارسية » ، الكتاب الثاني ، الفصل السابع ، فيقدم رواية أخرى لكنها رغم أنه نقلها من مكان الواقعة نفسها .. وكادت أن تكون معاصرة لحدوثها — فهي ليست محتملة الحدوث الى حد كبير . لكن كلتا الروايتين تتفقان على أن أكثر من ٢٠ ألف جندي من الحامية قد قتلوا بعد أن منحـــوا الامان .

(٣) نصوص معاهدة سنة ١٦٣٩ موجودة في « مذكرة راولينسون عن الحدود التركية الايرانية .. » سنة ١٨٤٤ .

التاريخ الداخلى ١٦٢٢ ـ ١٦٤٠

ربما في أوائل القرن السابع عشر أصبحت باشوية البصرة في حكم أفراسياب الذي أشرنا إليه ، وكان هذا رجلا ذا نفوذ فيما جاور البصره وتقول إحدى الروايات بأنه حصل على باشويتها في مقابل ٤٠ الف قرش دفعها لعيوض الرجل المعين رسمياً من قبل الباب العالي . ورضي الاتراك بهذا الامر حين رأوا نفوذ أفراسياب في المنطقة إلى جانب حسن ادارته وكفاءته ، ثم بإعلان الولاء للباب العالي ، واهم من هذا كله ، صعوبة إخراجه من البصرة او طرده بالقوة . ومن ذلك الحين حتى سنة ١٦٦٩ يجب أن نعتبر باشوية البصرة وما حولها مستقلة عملياً عن حكم الاتراك المباشر . وكان افراسياب يعامل الأجانب المقيمين في بلده معاملة طيبة ، وقد ازدهرت التجارة في عهده ، وقد مات على ما يبدو في نهاية سنة ١٦٢٤ او بداية ١٦٢٥ ، وخلفه ابنه علي باشا الذي « استولى على الحكم بالقوة قبل ان يلفظ ابوه انفاسه الأخيرة » .

وكان من اهم الواجبات التي واجهها علي باشا الدفاع عن البصرة ضد الايرانيين الذين هددوها في مارس سنة ١٦٢٥ ، ثم وصلت أنباء تثبيته في باشوية البصرة من قبل السلطان الذي أهداه أيضاً خلعة ووساماً . وكان ذلك في ١٣ ما يو سنة ١٦٢٥ أثناء إقامة الرحالة بيترو ديلافالي في البصرة . وبعدها بفترة قصيرة حصن علي باشا مدينة قرنه التي كانت مدينة مفتوحة .

الحالة على جبهة كربلاء والنجف ١٦٢٢ ـ ١٦٤٠ :

وفي سنة ١٦٢٥ ساد الاضطراب حدود العراق من ناحية الغرب بسبب أعمال مطلق الملقب بأبي الريش وناصر بن مهنا ، وهما أعظم شيوخ الصحراء نفوذاً ، وكانت الحرب دائرة بينهما في ذلك الحين .

وكان اولهما أكثر قوة لانه كان زعيم قبيلة أخرى قوية في الشمال(١) ، وكان الاخير أقربهما إلى العراق فكانت قوافل التجارة المسافرة من البصرة إلى كربلاء وما وراءها تسير في حمايته وتدفع له رسوماً مرتفعة . وحين استولى الايرانيون على بغداد في سنة ١٦٢٣ أعلن ناصر ولاءه للشاه في حين ظل ابو الريش على ولائه لتركيا ، لكن ناصر سرعان ما انشق عن الايرانيين ، وحاول في شهر حزيران – بعد أن جعل في خدمته أفراد قافلة ضخمة كانت متجهة من البصرة إلى حلب – أن يطرد الايرانيين من كربلاء ، لكن الحامية الموجودة بها استطاعت أن تصد هجومه وان تكبده الخسائر ، وفي نفس الشهر ضرب الرحالة بيترو د يللا فالي خيامه في قصر الخيبضر ، على مقربة من شفعاثه ، فأرغم على دفع مبلغ من المال للشيخ ابو طالب ابن الشيخ ناصر الذي كان ابوه ، بعد أن تقدمت به السن ، واعتزل شئون الحياة ، قد أناط به تصريف شئون القبيلة . وبعد مسيرة عدة فراسخ أخرى ، دخل بيترو ديللا فالي منطقة نفوذ ابو الريش ، حيث اضطر ايضاً للدفع ضريبة المرور .

★ ★ ★

العلاقات مع انجلترا ١٦٢٢ – ١٦٤٠

بداية التجارة البريطانية في البصرة ١٦٣٥ :

قامت العلاقات التجارية بين انجلترا والعراق التركي لأول مرة خلال الفترة التي نحن بصددها ، وربما كان سبب إقامة هذه العلاقات هو الاعتقاد بأن تجارة شركة الهند الشرقية التي كانت كاسدة في ايران نتيجة صعوبات عديدة قد تجد طريقا ميسوراً في ظل العلم التركي ، وكانت اول خطوة في هذا الاتجاه هي ارسال باخرة عليها « شحنة » صغيرة إلى البصرة في سنة ١٦٣٥ .

(١) ليس بوسعنا تحديد القبيلة التى ينتمى اليها كل من هذين الزعيمين بالفعل ، ربما كانتا من قبائل عنيزة أو بن خالد أو شمر الشمالية. وربما لم يكن الشيخان ينتميان الى نفس القبيلة ، ومن الناحية الجغرافية يبدو من المحتمل أن يكون مطلق هو شيخ قبيلة عنيزة .

الفرنسيون في العراق التركي ١٦٢٢ ـ ١٦٤٠

عين اول اسقف للكنسية الرومانية ببابل في بغداد سنة ١٦٣٨ ، وكان المسيو برنارد دوفال رجل الدين الفرنسي من طائفة الكرمليين .

* * *

ابراهيم ١٦٤٠ ـ ١٦٤٨

عقب وفاة مراد في ٩ فبراير سنة ١٦٤٠ خلفه أخوه ابراهيم الذي ظل في الحكم حتّى اغسطس ١٦٤٨ حين قتله الانكشاريه .

* * *

العلاقات مع انجلترا ١٦٤٠ ـ ١٦٤٨

١٦٤٠ ـ ١٦٤٣ :

لا نعرف إلا القليل عن الحالة في العراق التركي طوال عهد السلطان إبراهيم(١) لكن التاريخ حفظ لنا بعض الحقائق المتعلقة بشئون تجارة شركة الهند الشرقية .

ففي سنة ١٦٤٠ وتحت ضغط المنافسة من جانب الهولنديين في أسواق أخرى ارسل مجلس ادارة الشركة السيدين ثرستون وبيرس الموظفين فيها إلى البصرة ومعهما شحنة تجريبية ، فوصلاها في ٣١ مايو ، وحصلا من الباشا على ترخيص لبضائعهما ، لكن السوق كان متخماً آنذاك بتجارة اسطول برتغالي جاء مؤخراً من مسقط فلم يبيعا من شحنتهما إلا ما قيمته ٣٠ الف روبية فقط .

(١) أسماء الباشوات الذين تعاقبوا على بغداد وتاريخ توليهم موجودة في كتاب نيبور « رحلة في جزيرة العرب » ، المجلد الثانى ، ص ٢٥٢ .

ويبدو أن الاضطرابات السياسية التي حدثت في العراق سنة ١٦٤١ قد أرجأت أي عمل جديد من جانب الشركة ، لكن وكالة انجليزية قد فتحت أبوابها في البصرة سنة ١٦٤٣ على أساس موقت ، وكان دخلها كافياً كي يجعلها تظل في البصرة بشكل دائم ، ولم تكن منافسة الهولنديين في التجارة قد وصلت بعد إلى هذه المدينة ، وهناك أمكن تحويل المنتجات الانجليزية الفاخرة التي كان يقبل عليها الأثرياء إقبالا طيباً إلى بضائع وسلع يمكن بيعها في انجلترا .

١٨٤٥ – ١٨٤٨ :

وفي يونيو ١٦٤٥ نقلت ممتلكات شركة الهند الشرقية في بندر عباس موقتاً إلى البصرة خلال ازمة حدثت بين الهولنديين والايرانيين . لكن الهولنديين الآن قد وجدوا طريقهم إلى أسواق البصرة ، وفي سنة ١٦٤٥–١٦٤٦ كان ممثلا الشركة في البصرة هما توماس كوغان وويلم ويل . وقد كسدت التجارة البريطانية في العراق موقتاً في سنة ١٦٤٥ نتيجة وصول اسطول الهولنديين إلى البصرة ، وخلال ١٦٤٧–١٦٤٨ ظلت الأعمال التجارية بين الهند والبصرة لا تحقق ارباحاً بسبب المنافسة الحادة من جانب الهولنديين .

★ ★ ★

محمد الرابع ١٦٤٨ – ١٦٨٧

وخلف ابراهيم على سلطنة تركيا محمد الرابع الذي امتدت فترة حكمه من ١٦٤٨ إلى ١٦٨٧ .

★ ★ ★

الحالة الداخلية ١٦٤٨ ـ ١٦٨٧

بغداد في سنة ١٦٥٢ :

كل معلوماتنا عن الحالة الداخلية في دولة العراق أثناء حكم محمد الرابع مصدره الرحالة تافرنييه الذي زار بغداد ونزل في دجلة هابطاً حتى البصرة سنة ١٦٤٢ .

وقد وجد تافرنييه بغداد تحت حكم أحد الباشوات ، وكانت أهميتها في ذلك الحين أهمية عسكرية قبل أي شي آخر . وكانت أسوار المدينة مبنية من الآجر ، ومنصوباً عليها حوالي ٦٠ مدفعاً لكن أياً منها لم تكن قذيفته تزيد عن خمسة أرطال او ستة ، وكان الخندق المحيط بالمدينة واسعاً ، وعمقه يتراوح بين خمسة أقدام وستة ، أما القلعة فكان بها حوالي ١٥٠ مدفعاً لكنها كانت في الغالب لا تنقل من مكانها ، وكانت القلعة تشمل نفس المكان الذي تشغله اليوم على مقربة من باب المعظم . أما حامية بغداد فكانت تتكون من حوالي خمسة آلاف رجل بينهم ٣٠٠ من الانكشارية وبعض الفرسان و ٦٠ طوبجياً يقودهم السنيور ميشيل وهو ضابط اوربي اشترك في حصار سنة ١٦٣٨ إلى جانب الاتراك .

وكانت تجارة المدينة ـ على رواجها ـ أقل مما كانت عليه أيام الايرانيين ، وذلك راجع إلى المذبحة التي قام بها الاتراك في بغداد حين استيلائهم عليها والتي كان من ضحاياها عدد كبير من التجار الأثرياء . ويبدو من الملاحظات التي يسوقها تافرنييه أن بغداد في ذلك الوقت كانت مدينة مهجورة من معظم سكانها ، ومعظم الباقين كانوا من الشيعة ، لكنهم كانوا مرغمين على حسن السلوك مع السنية وسواهم من المذاهب الدينية ، واتباع الديانات الأخرى . وعلى دجلة أسفل بغداد كان المسئولون الأتراك يفرضون الضرائب على الجاموس وغيره من الحيوانات كما يفعلون اليوم تماماً .

البصرة في سنة ١٦٥٢ :

وكان حاكم البصرة في سنة ١٦٥٢ هو حسين باشا ابن علي باشا وحفيد أفراسياب باشا ، وكان هذا الحاكم -كسابقيه- يعتبر نفسه مستقلا عن الباب العالي ، ومنذ توليه الحكم راح يعزز مدينة قرنه التي كان ابنه حاكمها . فبنى لها سوراً ثانياً زودت قلاعه بمدفعية قوية . وفي قرنه كانت تفحص كل السفن الهابطة في النهر ، وتمنح تراخيص يحدد فيها قدر الضريبة الذي يجب أن تدفعه في البصرة . وفي البصرة كانت إجراءات الشرطة والأمن مدعاة للاعجاب ، ويتردد على الميناء كثيرون من الأجانب من بينهم الهولنديون بشحنات التوابل في كل سنة ، والتجار الانجليز بشحنات من الفلفل وقليل من حب القرنفل ، والتجار الهنود بالنيلة والبفت وبضائع مختلفة أخرى ، وكثيرون غيرهم من تجار مختلف ارجاء الامبراطورية العثمانية . وكان المصدر الرئيسي لثروة الباشا هو الضرائب المفروضة على التمور ، لكنه كان يفيد أيضاً الشيء الكثير من صك عملة خاصة به ، وكانت الضرائب تجمع في البصرة بنسبة محددة رسمياً بـ ٥٪ لكنها كانت بالفعل لا تزيد عن ٤٪ . ولم يعد ثمة برتغاليون في البصرة ولكن كان فيها عدد غير قليل من رجال الدين . الكرمليين ، وهم من الايطاليين .

الاحداث في البصرة بعد سنة ١٦٥٢ :

وكانت سياسة حسين باشا تتسم بالتساهل خاصة تجاه المسيحيين ، مما جلب له مزيداً من الثروة ، وقد مد أسوار مدينة البصرة حتى ضفة شط العرب ، وبنى داراً حصينة في الضاحية المعروفة اليوم باسم منعاوي وأخيراً اوقعه اهتمامه برخاء البصرة في الإغارة على أطراف باشوية بغداد وضم بعض قراها إلى ولايته ، وقد استطاع أن يصد قوة ارسلها الاتراك ضده ، لكن قريباً له ارسله إلى القسطنطينية ليتفاوض باسمه مع الباب العالي غدر به فعاد معه وقوات تركية كبيرة وتفويض من

السلطان بأن يكون له هو حكم البصرة . وحدث اشتباك بعد ذلك لم تكن نتيجته في صالح حسين باشا الذي ارغم على التراجع إلى ايران ، وأصبحت البصرة وضواحيها تحت حكم غريمه . إن هذه الثورة التي أعادت السيطرة التركية المباشرة مرة أخرى على البصرة وتوابعها حدثت سنة ١٦٦٩ أو نحوها (١) .

* * *

العلاقات الانجليزية ١٦٤٨ ـ ١٦٨٧

تجارة شركة الهند الشرقية مع البصرة ١٦٤٨ ـ ١٦٨٧ :

تقوم العلاقات البريطانية بالعراق خلال هذه الفترة التي تتناولها الآن على الرابطة التجارية بين شركة الهند الشرقية والبصرة فقط .

استيلاء الباشا على ممتلكات الشركة في البصرة ١٦٥٧ :

يبدو أن الوكالة التجريبية التي انشئت في البصرة حوالي سنة ١٦٤٣ ، والتي لم يشر اليها تافرنييه رغم أنه زار البصرة في هذا الوقت ، قد ظلت قائمة حتى سنة ١٦٥٧ وفيها استولى باشا البصرة على مؤسسات الشركة وممتلكاتها في المدينة بسبب الشائعة التي روجتها شركة التجار المغامرين عن قرب تصفية أعمال شركة الهند الشرقية . وفي نفس السنة قام مستر بيل بزيارة للبصرة على إحدى سفن الشركة لكنه لم يستطع أن يعود بأكثر من حمولة قيمتها ٩٠٠ روبية .

زيارة السيدين كرانمر وسانتهيل للبصرة ١٦٦١ :

وفي ابريل سنة ١٦٦١ ارسل السيدان جورج كرانمر وروبرت سانتهيل إلى البصرة على الفرقاطة «اميريتا» وهي تحمل شحنة من الاقمشة

(١) يقدم الملازم أ. ت. ويلسون رواية مختلفة بعض الشيء لهزيمة حسين باشا ، وهي حافلة بالتفاصيل ايضا وذلك في « تلخيص للعلاقات بين الحكومة البريطانية وقبائل وشيوخ عربستان .. » . سنة ١٩١٢ .

والفلفل والاخشاب والارز وغيرها . وصدرت لهما التعليمات بأن يذكرا الباشا بالوعد الذي وعده في السنة التي قبلها بأن يقدم للشركة « مقراً أفضل من ذلك الذي استولى عليه » وإذا فشلا في هذا فعليهما أن يستأجرا مكاناً مناسباً على نفقتهما ، وتنزل السلع إلى البر على أن تظل هذه المعروضة للبيع فوق ظهر السفينة تفادياً لدفع العوائد حتى يثبت لهم أنهم سيربحون من بيعها . وكان مفروضاً ان يرجع مستر سانتهيل بالفرقاطة « اميريتا » التي لا يجب أن تحجز بعد يوم ٢٠ سبتمبر على أن يظل مستر كرانمر باقياً حتى يتم جمع ثمن السلع التي بيعت جميعها .

رحلة لامبتون وبرومفيلد إلى البصرة :

وفي سنة ١٦٦٢ أمرت وكالة سورات بارسال شحنة على السفينة « سي فلور » تحت اشراف السيدين رالف لامبتون وهنري برومفيلد

رحلة مستر آدمز إلى البصرة ١٦٧٦ :

وفي إبريل سنة ١٦٧٦ عينت رئاسة صورات مستر جيمس آدمز نائباً لمؤسستها في إيران وارسلته إلى الخليج على ظهر الباخرة « ريفنج » وأصدرت له تعليمات بأن يسير اولا إلى البصرة لانزال بعض البضائع المخصصة لها ، ثم يعود إلى بندر عباس ليتسلم مهام وظيفته .

وفي عام ١٦٦١ ، وقعت اتفاقية الامتيازات الاجنبية في الشرق مع تركيا ، وكانت تتألف من عدة بنود تحدد بشكل عام حقوق رعايا انجلترا في الامبراطورية العثمانية ، وقيدت العوائد التي عليهم دفعها بنسبة لا تتجاوز ٣٪ ووقع هذه الاتفاقية هينيج ايرل وينتشلسي السفير فوق العادة للملك انجلترا لدى الباب العالي . وتم التصديق عليها من جانب سيرجون فينش السفير البريطاني الآخر في سنة ١٧٦٥ .

---

(١) نص هذه الاتفاقية ــ التى سميت أخيرا بعد التصديق عليهــا (واضافة بعض التعديلات اليها) باتفاقية الســلام الموقعــة في الدردنيل سنة ١٨٠٩ ــ موجود في معاهدات أتشيسون .

الفرنسيون في العراق التركي ١٦٤٨ ـ ١٦٨٧

في سنة ١٦٧٩ أصدر لويس الرابع عشر في فرنسا مرسوماً يقضي بأن يكون راعي الطائفة الكرمليه في البصرة بحكم منصبه قنصلا لفرنسا في هذا المكان بصرف النظر عن جنسيته .

★ ★ ★

سليمان الثاني ، أحمد الثاني ، مصطفى الثاني وأحمد الثالث ١٦٨٧ ـ ١٧٣٠

لم تتميز فترات حكم السلاطين الأربعة التالين بأية أحداث هامة في منطقة الخليج وهؤلاء على التوالي هم : سليمان الثاني (١٦٨٧ — ١٦٩١) أحمد الثاني (١٦٩١—١٦٩٥) ، مصطفى الثاني (١٦٩٥—١٧٠٣) ، احمد الثالث (١٧٠٣—١٧٣٠) . وسير العلاقات التركية — الايرانية عموماً بعد احتلال أفغانستان لايران في سنة ١٧٢٢ مذكور بالتفصيل في الفصل المخصص للتاريخ العام في الخليج ، ومنه نتبين أن الاتراك استطاعوا أن يتملكوا جزءاً كبيراً من شمالي وغربي ايران ، وأنهم كانوا يودون تقسيم البلاد بينهم وبين روسيا وممثل الصفويين من قبل في ايران ، لكنهم استطاعوا بعد ذلك التوصل إلى تفاهم مع الافغانيين قبل أن يبدأوا أخيراً في الانسحاب من ايران أمام قوات نادر شاه .

★ ★ ★

الحالة الداخلية ١٦٨٧ ـ ١٧٣٠

ان ضعف العلاقات الرسمية مع البصرة خلال هذه الفترة ، وعدم توفر مذكرات لرحالة زاروها في خلالها بشكل عام يجعلاننا على جهل

تام تقريباً بالحالة في دولة العراق من ١٦٨٧ إلى ١٧٣٠ (١) .

احتلال الايرانيين للبصرة ونهايته في سنة ١٦٩١ :

يبدو أن الايرانيين خلال عدة سنين انتهت في ١٦٩١ قد احتلوا البصرة ، ولا بد أن هذا الاحتلال قد بدأ على الارجح خلال الفترة الاخيرة التي أشرنا اليها (١٦٤٨–١٦٨٧) ، وربما كان نتيجة انسحاب حسين باشا الحاكم الشرعي إلى ايران عقب طرده من البصرة على يد قريب له كما ذكرنا . وليست هناك حقائق نعرفها عن الادارة الايرانية في البصرة ، لكن هناك إشارات إلى أنها كانت مشجعة للتجارة ، وقد انسحب الايرانيون من البصرة بعد انتشار وبائي عنيف للطاعون ، وبعده ظلت المدينة شاغ ة سياسياً وقد هجرها كثير من أهلها حتى سنة ١٦٩٥ حين عادت الحكومة العثمانية للسيطرة عليها .

الادارة في بغداد ، ثم ادماج حكومتي بغداد والبصرة ١٧٠٢–١٧٢٣ :

وفي سنة ١٧٠٢ حين عين حسن باشا للمرة الثانية حاكماً في بغداد كان اقليم العراق وتوابعه في حالة سيئة من التفكك الشديد . وكان الانكشارية هم السادة في بغداد بينما العرب يسيطرون على الريف من حولها . ولم تكن قوافل التجارة وخطوطها آمنة ، كما هاجر معظم التجار المحليين إلى أصفهان . وكان اقليم كردستان المجاور يحكمه باشا مستقل من الطراز الاول ، وكان حاكم ماردين يعين من قبل القسطنطينية مباشرة ، بل ان البصرة كانت باشوية مستقلة عن بغداد ، وكان حسن باشا الذي لا بد كان رجلا عازماً يستمد هيبة جديدة من قدرته على التدخل دائماً وكسب امتيازات جديدة لصالح تركيا في خليط

---

(١) هاميلتون • (انظر : رواية جديدة •• ، المجلد الاول ص ٧٥ — ٨٨) « وهو المصدر الوحيد المعاصر لهذه الاحداث ولديه المعرفة المحلية بها • ويورد نيبور قائمة كاملة بباشوات بغداد في كتابه « رحلة في جزيرة العرب •• » المجلد الثاني ص ٣٥٢ — ٣٥٣ •

المشكلات الموجودة في ايران . وقد نجح خلال فترة حكمه التي استمرت ٢١ عاماً في القضاء على كثير من المتاعب والصعوبات . وفي باشوية بغداد استطاع الباشا القضاء على سيطرة الانكشارية وسيطرة العرب ، وأعاد نشر الامن على الارواح والأملاك في أقاليمه ، وباصراره الدائم على وضع الصعوبات والعقبات في وجه الباشا المرسل من القسطنطينية لحكم البصرة نجح في النهاية في أن يجعل ابنه أحمد حاكماً لها . ولدى وفاته في سنة ١٧٢٣ خلفه أبنه أحمد هذا الذي علت منزلته لدى الباب العالي بأعماله التي قام بها في ايران علوا جعل الباب العالي يبقيه حاكماً لبغداد والبصرة وماردين جميعاً .

سوء الادارة في البصرة حوالي سنة ١٧٢١ :

ومن المحتمل ، نظراً لسوء الادارة والتفكك اللذين لاحظهما هاميلتون في البصرة أثناء زيارته لها حوالي سنة ١٦٢١ أن هذه المدينة كانت قد دخلت في حكم حسن باشا القوي عن طريق ابنه احمد ، قبل فترة قصيرة فقط فقد كان ثمة قوات ضخمة من الانكشارية في قرنة والبصرة ، وكانت حامية المدينة الاولى أقوى من الثانية وفي ميناء قرنه كان هناك ما يتراوح بين ٨و١٠ سفن مسلحة ، في حين أنها لم تزد في البصرة عن ٥ سفن . وكان ضباط هذه السفن الذين يقودهم قبطان باشا قائدهم الخاص مستقلين عن السلطات المدنية القائمة . وفي سنة ١٧٢١ وأثناء تمرد قام به السكان المدنيون على حاكم للبصرة اضطهدهم اضطهاداً كثيراً وقف مفتي البصرة وضباط السفن البحرية إلى جانب المتمردين وأقاموا معسكرهم إلى جوار شط العرب في منعاوي او بالقرب منها ، وأخيراً أرغم حاكم البصرة المدني على طلب التفاهم دونما قتال ، وتم ذلك بتراجع الحاكم وأمره باعدام واحد من حاشيته كان لصاً ينهب ويفرض الإتاوات . وكانت السرقات الرسمية هي القاعدة حتى أخذ التجار يتحسرون على أيام الاحتلال الايراني للبصرة ، ولم يسلم حتى التجار الاوربيون من المضايقة . ففي سنة ١٧٢١

أرغم الباشا كابتن هاميلتون نفسه وكان معه شحنة من الفلفل ليبيعها ، على أن يبيع له جانباً منها بسعر أقل بكثير مما عرضه التجار في السوق . أما الاضطرابات الدائرة بين الاتراك والعرب بسبب الجشع في جمع الضرائب من جانب الاتراك فكانت أمراً مألوف الحدوث . ويذكر الكابتن هاميلتون تفاصيل حكاية جماعة من الانكشارية ذهبوا ليجمعوا الضرائب من بعض العرب فأبادهم هؤلاء عن آخرهم ، ويذكر هاميلتون ان هذه الحادثة وقعت في قبعان . ولكن من المحتمل ـ كما تشير تفاصيل حكايته ـ أن هذه المأساة قد حدثت في جزيرة عبدان (١) .

تعين محمد باشا حاكماً للبصرة ١٧٢٧ :

وفي نهاية ١٧٢٧ عين محمد باشا حاكماً للبصرة ، والارجح ان تعيينه جاء من جانب احمد باشا والي بغداد .

★ ★ ★

العلاقات الانجليزية ١٦٨٧ ـ ١٧٣٠

خلال الجزء الاول من نصف القرن الذي نتناوله هنا كانت التجارة تحمل من صورات إلى بندر عباس ثم إلى البصرة لاننا نجد في سجلات شركة الهند الشرقية إشارات كثيرة إلى « سفن البصرة » دون أية اشارة لوجود وكالة بالبصرة . وقد أشرنا قبلا إلى حادثة اتجار الكابتن هاميلتون بالفلفل وسوء المعاملة التي لقيها في البصرة سنة ١٧٢١ .

اقامة وكالة دائمة في البصرة حوالي سنة ١٧٢٣ :

وحوالي سنة ١٧٢٣ وربما قبل ذلك أنشئت أخيراً وكالة دائمة في البصرة . وفي إبريل ١٧٢٤ عقد الرئيس والمجلس في بومباي اجتماعاً

(١) حتى هذا الافتراض أيضا لا يخلو من الشوائب بسبب التغير الطفيف الذى حدث في مجرى شط العرب .

لمناقشة حالة تجارة الشركة في البصرة ، وجاء في تقريرهم : « يبدو أننا حتى الآن لم نستطع القيام بشيء يذكر في خدمة السادة أصحاب العمل ، فباستثناء وعد حصلنا عليه من الباشا بألا ندفع ضرائب أكثر من ٣٪ على مصنوعاتنا من الثياب(١) ، لم يقدم لنا مستر هوساي أية نصائح بشأن إمكانيات السوق والبيع ، ولا يبدو أنه سيقدم شيئاً كهذا ما دام مشغولا هكذا بتجارته الخاصة . وكان مستر هوساي هذا قد حمل معه كمية كبيرة من بضائع وكالة بندر عباس التي نقلت دون ان يقدم حساباً بها . وقيل إنه كان ينوي أن يسافر مباشرة إلى اوربا دون ترخيص بالإجازة ودون العودة إلى مقر عمله كما تقضي قوانين الشركة . وتقرر استدعاؤه إلى بندر عباس . وحتى لا تظل وكالة البصرة شاغرة صدرت الاوامر لوكيلها في إيران بأن يمضي مباشرة إلى البصرة ، أو يرسل بدله اذا لم يستطع الذهاب بنفسه مستر أ. إدلين . وفي نفس هذا الاجتماع تقرر وضع إعلان ينشر في البصرة يطلب من جميع التجار من رعايا بريطانيا العظمى والمتمتعين بحماية الشركة المعظمة أن يخضعوا لقوانين الوكالة الموجردة في البصرة ، ولا يتدخلوا مع الحكومة في شيء من أمورهم إلا بواسطة الوكالة » .

وفي سنة ١٧٢٧ ، وكان مستر فرنش وقتذاك يمثل الشركة في البصرة ، حدثت عدة متاعب مع الحكومة المحلية لكنها سويت في النهاية على نحو مناسب . وفي سنة ١٧٢٧ طلب الباشا فجأة مكوساً جديدة قيمتها خمسة قروش عن كل رأس من الايرانيين العاملين بخدمة الاوربيين في البصرة .

---

(١) كانت هذه النسبة ـ هي الحد الاقصى كما جاء في الامتيازات التى أشرنا من قبل اليها . ولكن يبدو أن باشا البصرة لم يكن مستعدا للتسليم بشيء أقرته حكومة القسطنطينية ، بل ان الباشا نفسه ـ كما سنرى ـ ذكر أنه ليس لديه ، ولا لدى أى من ممثلى الشركة في البصرة ـ نص هذه الامتيازات . وفي سنة ١٧٠٢ . حين أرسل سير ن. ويت من الشركة الانجليزية الجديدة للهند الشرقية وكلاءه الى البصرة للقيام بدراسات تمهيدية ذكر هؤلاء أن الضرائب هناك تجمع على أساس نسبة ٨٪ .

وتملص الهولنديون من هذا الامر بأن استغنوا عن خدمهم ، أما مستر فرنش فقد رفض صراحة أن يدفع ، متمسكاً بالفرمان الذي حصل عليه الانجليز(١) والذي يعفيهم من مثل هذه المكوس. وبعد ذلك بقليل وصل المستر فرنش بعد أن قدم هدية مناسبة لوكيل الباشا على سفينة الشركة « بريتانيا » ولم يرفع العلم الانجليزي عليها كالمعتاد . عامداً ، وقدم له الباشا ضمانات جديدة بالصداقة والحماية ، وبعدها ظلت العلاقات قائمة على أساسٍ أفضل فترةً من الزمن .

وفي سنة ١٧٢٨ تلقى ممثل الشركة في البصرة –عن طريق السفير البريطاني في القسطنطينية على الارجح – أمراً موجها من سلطان تركيا إلى باشا البصرة بأن « يطبق تلك النصوص التي تم الاتفاق عليها في زيارة مستر هوساي الأولى » . ومنه يتضح أن افتتاح الوكالة في البصرة سنة ١٧٢٣ قد سبقته بعض الإجراءات كالاتفاق مع السلطات المحلية ، لكن هذا الامر لم يطبق مباشرة وبشكله الكامل لأنه أشار إلى نصوص لم يكن لدى باشا البصرة ولا لدى مستر فرنش نسخة منها ، واضطر مستر فرنش للرجوع إلى السفير مرة أخرى . وفي أغسطس سنة ١٧٢٨ حدثت مشكلة جديدة بسبب إلقاء السلطات التركية القبض على مترجم مستر فرنش لأنه كان يدير ضيعة رجل ارمني متوفى دون الحصول على إذن من القاضي ، وحمل في الاغلال إلى السجن . وانسحب مستر فرنش إلى ظهر السفينة «بريتانيا» مع بقية الجالية الانجليزية في البصرة ، لكن هذا الامر انتهى على أفضل ما يكون لأن الباشا او ربما القبطان باشا(١) قد أكد لمستر فرنش ضمان كل الحماية والمعونة التي في وسعه ، واصدر أوامره بأنه « يكون من حقنا في حالة قيام خدمنا بارتكاب جرائم في المستقبل أن نوقع فيها العقاب عليهم ، وحين ينشب خلاف بين أي

---

(١) لا بد أن هذه اشارة الى ضمان مكتوب من الحكومة المحلية . انظر الهامش السابق .

(١) سنشرح هذا التعبير فيما بعد .

فرد منا وبين واحد من أهل البلاد ، فيما عدا آمر الديون المتعاقد عليها ، فان القاضي ينظر في القضية في حضور المقيم العام ، واذا حدث أن هذا المقيم لم يرض بحكم القاضي ، فلا ينفذ هذا الحكم الا بعد أن يستمع الباشا إلى ظروف القضية ويصدق على حكم القاضي » . وفي الوقت الذي كانت تُسوّى فيه هذه المتاعب كان للشركة عدة مطالب من الباشا . ولكن لا يبدو أنها استطاعت ان تحصل على شيء منها . لكن موقف الباشا بعد ذلك أصبح أكثر صداقة للوكالة .

تجارة الشركة في البصرة ١٧٢٧ — ١٧٢٨ :

وكانت تجارة الشركة في البصرة في ذلك الحين تتكون أساساً من الاقمشة الناعمة بكل أنواعها ، لكنها أيضاً كانت تتجر في الحديد ، ربما لأسواق حويزه وششتار ، وكان شهرا اكتوبر ونوفمبر هما أنسب الاوقات لحمل البضائع إلى الهند لأن القوارب من بغداد والقوافل من حلب كانت جميعاً تصل البصرة خلالهما .

وقد بلغت العائدات من الضرائب في الفترة من ٣١ يوليو ١٧٢٧ إلى اول يناير ١٧٢٩ مبلغ ٢٦,٩٠٤ محمودي و ١٩ قرشاً ، وكان السفراء والقناصل الانجليز يجمعون هذه الضرائب عن البضائع المحملة على سفن وبواخر انجليزية ، ومعترف بها حسب المادة ٣٣ من اتفاقية الامتيازات ، ويبدو أن ممثل الشركة في البصرة كانت له صفة قنصلية لأنه كان يجمع هذه الضرائب(١) ، لكن نسبتها غير محددة .

---

(١) يبدو أنه كان من سلطة السفراء الانجليز في ذلك الحين أن يعينوا قناصل في أى مكان من الامبراطورية العثمانية ، — انظر المادة ١٤ من الامتيازات في صورتها الاولى ، كما هي موجودة في « تلخيص للمعلومات المتعلقة بأول اتصال لشركة الهند الشرقية المعظمة بجزيرة العرب التركية . ١٨٧٤ » ملحق (أ) . ولكن نظرا لان التصريح باقامة قنصلية في البصرة قد صدر في سنة ١٧٦٤ فقط فان الصفة القنصلية لممثل الشركة في البصرة لم يكن معترفا بها من جانب الباب العالي حتى ذلك الحين .

محمود الاول ١٧٣٠ ـ ١٧٥٤

نشبت الحرب كما شرحنا في الفصل المختص بالتاريخ العام للخليج بين تركيا وايران عقب تولي السلطان محمود الأول العرش في سنة ١٧٣٠ واستمرت حتى عام ١٧٤٤ ، وتقلبت فيها الحظوظ . وتخللتها هدنة قصيرة بعد سنة ١٧٣٦ ، وأهم أحداث هذه الحرب في العراق هي العمليات التي قام بها نادر شاه على بغداد في سنة ١٧٣٣ ، والمحاولتان اللتان قام بهما الايرانيون للاستيلاء على البصرة ، وكانت المحاولة الثانية منهما سنة ١٧٤٣ .

وفي سنة ١٧٣٣(١) غزا نادر شاه ، الذي أصبح مؤخراً حاكم ايران بعد عزل الشاه طهماسب ، العراق التركي فحاصر بغداد التي كان يحكمها أحمد باشا الرجل القوي النشيط وابن حسان باشا ، الذي كان اهم أعدائه الصدر الاعظم طوبال عثمان او عثمان الأعرج الذي ارسل خصيصاً من القسطنطينية ليقود قوات السلطان ضد الايرانيين . وقد وصف عثمان هذا بأنه « رجل يجمع على تقديره الكتاب المسلمون والمسيحيون جميعاً ، ولم يكن شجاعاً وحكيماً ومتزناً فحسب ، بل كان فيه أيضاً نبل وكرم وعرفان للجميل واحترام للانسان » ، وتقدم نادر شاه بمعظم قواته ـ بعد ان ترك بعضها خارج خنادق بغداد ـ لملاقاة عثمان الذي كان معسكراً في سامراء على نهر دجلة ، وهناك وفي يوم ١٨ يوليو سنة ١٧٣٣ على وجه التقريب حدث اشتباك من أعنف الاشتباكات التي دارت بين الايرانيين والأتراك . وانتهت المعركة بعد أن دام القتال الضاري ثماني ساعات متواصلة بهزيمة تامة وساحقة لقوات نادر شاه الذي لم يكف عن التراجع حتى وصل همدان . وحين وصل الى أحمد باشا نبأ انتصار الاتراك ، هاجم الحامية الايرانية المعسكرة في بغداد

---

(١) يذكر نيبور أن حصار نادر شاه لبغداد قد استمر ثمانية شهور ، ولا بد في هذه الحالة قد بدأ في ديسمبر سنة ١٧٣٢ .

وطردها بعد أن ذبح من أفرادها خلقاً كثيراً حتى إن قليلين فقط هم الذين استطاعوا الرجوع إلى ايران سالمين باستثناء قوة صغيرة من البلوش كان يقودها محمود خان . وخلال ثلاثة أشهر هاجم نادر شاه الذي لم تفت هذه الكارثة من عضده الاقاليم التركية بجيش جديد ، ودارت معركة أخرى انتصر فيها الايرانيون هذه المرة ، وكان عثمان طوبال نفسه بين القتلى ، وحملت رأسه إلى نادر شاه الذي أمر بأن ترد بكل مظاهر التكريم إلى المعسكر التركي .

هجوم الايرانيين على البصرة ١٧٣٥ — ١٧٤٠ :

وقد قاوم البريطانيون في البصرة أعمال نادر شاه بمساعدتهم أو محاولتهم مساعدة الاتراك في الدفاع عن البصرة ضد قوات ايرانية هاجمتها في سنة ١٧٣٥ تقريباً . ولسنا نعرف على وجه التحديد ما حدث لكن الظروف دفعت نادر شاه إلى أن يطلب من الانجليز إصلاح خطأهم بأن يقدموا له العون في هجومه على البصرة ، كما جاء في يوميات رئاسة بومباي بتاريخ ٢٢ أكتوبر سنة ١٧٣٥ ، ان « هذا الأمر المحزن الذي حدث في البصرة من قبل (والذي أفاد منه التجار اصحاب رؤوس الأموال الخاصة فقط) هو الذي أدى إلى هذه المشكلة القائمة اليوم » . غير أن سلطات بومباي كانت تشك في الطريقة التي تنظر بها دول اوربا إلى قرض من السفن الحربية تقوم بتقديمه لنادر شاه ، وكانت أيضاً تخشى أن يثير هذا الاجراء حفيظة الاتراك بما يجعلهم يقومون بعمل متطرف في شدته ضد البريطانيين في البصرة ، فأصدرت اوامر حاسمة للوكيل في بندر عباس بألا يضع أية سفينة — موقتاً — في خدمة الايرانيين او تحت تصرفهم ، واذا لم يجد مفراً من هذه ، وكانت تلك هي الطريقة الوحيدة لحماية المصالح البريطانية ، فعليه أن يرحّل الوكالة . وثمة سفينتان لديه معدتان لذلك .

وفي ١٧٣٦ وقعت الهدنة بين الايرانيين والأتراك فأبعدت موقتاً شبح أية مشكلات جديدة بهذا الصدد .

١٧٤٣ :

وفي سنة ١٧٤١ بدت دلائل تجديد هذا النشاط من جانب الايرانيين الذين قيل إنهم يبنون قوارب مسلحة في حويزة ، وفي يوم ٢٨ أغسطس ١٧٤٣ بدأ الايرانيون محاصرة المدينة بقوات تبلغ أكثر من ١٢ الف رجل ووجد مستر دوريل المقيم البريطاني نفسه في وضع حرج ، وفعل كا ما بوسعه لتفادي تعقيد الأمور ، فمنع السفن البريطانية من البقاء في الميناء ، بل وأمر بابعاد فرقاطة صغيرة كان يملكها هو شخصياً ، لكن بحارة هذه الاخيرة كانوا من العرب ، فارغموا قائدها على ان يرجع بها الى البصرة . وقد رفض مستر دوريل بحزم أن يعير أياً من سفنه للسلطات المحلية ، فأمرت هذه السلطات بالقاء القبض عليه وسجنه عدة أيام في خيمة على أسوار المدينة ، ورضخ لارادتهم خشية ان تزداد العواقب سوءاً ، لكنه أمر في نفس الوقت بتدمير هذه الفرقاطة وأغرقت بالفعل ، وحين عرفت السلطات المحلية بما فعل أطلقت سراحه واعتبرت الموضوع منتهياً . وبأوامر من نادر شاه رفع الحصار في ٢٧ نوفمبر ، وسارت القوات الايرانية بمدفعيتها من أمام المدينة في ٥ ديسمبر وقد دمر الايرانيون أثناء حصارهم المباني التي كانت مقامة فوق قبري طلحة والزبير في المدينة القديمة — فهما قد حاربا الإمام علي— لكن أهل المدينة أعادوا بناءها بمجرد رحيل القوات الايرانية .

١٧٤٦ :

ولم تحدث أية اشتباكات أخرى بين الايرانيين والاتراك في العراق التركي خلال حكم محمود الأول ، وفي سنة ١٧٤٦ أعيدت الحدود المشتركة بين الامبراطوريتين بمعاهدة كالتي سبق عقدها بين السلطان مراد الرابع ومعاصره الايراني في سنة ١٦٣٩ على خط تقسيم نهايته الجنوبية إقليم خوزستان (أو عربستان) غير ان هذا الخط نفسه لم يكن محدداً . وسويت أيضاً بموجب هذه المعاهدة جميع القضايا المعلقة بين تركيا وايران .

الحالة الداخلية في العراق التركي

خلال حكم محمد الأول ظلت بغداد والبصرة وتوابعهما في باشوية واحدة ، وكان الباشا وهو يقيم عادة في بغداد ينيب عنه «متسلماً» أو حاكماً يعينه هو على البصرة . وفي بعض الاحيان ، وليس دائماً ، كان يوجد قبطان باشا في البصرة أيضاً .

حكم احمد باشا حتى سنة ١٧٤٨ :

وكان احمد باشا ما يزال يحكم بغداد كما رأينا حين هاجمها الايرانيون في سنة ١٧٣٣ . وقد عزله السلطان لفترة ، وتقبل هو هذا العزل بسماحة وروح طيبة في سنة ١٧٣٤ تقريباً ، لكن حلفاءه عجزوا عن إقرار النظام في الباشوية فأعيد اليها في سنة ١٧٣٦ ، وفي سنة ١٧٤١ اقترح الباب العالي أخذ البصرة من أحمد باشا وإعطائها لرجل يدعى حسين باشا لكنه عجز فيما يبدو عن تنفيذ هذه النوايا . وقد قيل إن أحمد باشا هو الذي تسبب في هجوم الايرانيين على البصرة في سنة ١٧٤٣ بهدف إظهار قدرته وأهميته ، او لتمديد ولايته لفترة أخرى ، وكانت هذه هي الوسيلة التي يستطيع بها الحصول على أموال وأسلحة ومؤن من الباب العالي ، وبعد فشل هذا الهجوم ظل أحمد باشا في الباشوية لا ينازع سلطته منازع حتى وفاته في سنة ١٧٤٧ أو ١٧٤٨ أثناء حملة كان يقوم بها على الاكراد . وكان احمد باشا قاسياً شجاعاً ، هوايته الوحيدة صيد السباع التي قتل منها غير واحدة مفردة ، وليس بيده سوى الرمح .

وفي سنة ١٧٤١ أوقع أحمد باشا عقاباً رهيباً بقبائل البدو التي تمردت عليه حتى جعل من المعتقد أن هذه القبائل لن تثير أية اضطرابات عدة سنوات قادمة ، لكن العرب حول البصرة قاموا بحوادث شغب في سنة ١٧٤٦ وأرسلت اليهم قوات من بغداد يقودها الكخيا او نائب الباشا ، وكان الكخيا يتلهف لزيارة البصرة بنفسه ، لكن الباشا منعه من ذلك فاقتصر على ان يرسل لبعض كبار أهلها الذين ابتز منهم الهدايا . وفي

ربيع سنة ١٧٤٧ ارسل احمد باشا متسلماً جديداً إلى البصرة ومعه اوامر بأن يعيد إحصاء وتسجيل أشجار النخيل « بهدف إرغام العرب على دفع الضرائب عنها » كما جاء في كتاب مستر جريندون المقيم البريطاني في البصرة . وكان هؤلاء العرب يظنون انفسهم في حماية قبيلة المنتفق المتمردة ، فكان عليهم أنيطلبوا من هؤلاء النجاة بأنفسهم وبأن يتركوا للاتراك كل شيء آخر ، وفتحوا هم فتحات في ضفتي النهر فاغرقوا الصحراء بالمياه ، وأصبح سكان البصرة في هم جديد خشية أن تؤدي الروائح العفنه إلى تفشي الحمى الوبائية بينهم » ، وفي يونيو وصل الفيضان حداً خطيراً انهارت معه ثلاث من قلاع البصرة ، وعمل أهل المدينة جميعاً ثلاثة أيام متوالية لترميم ما انهار ، واستطاعت قوات أحمد باشا أن تأسر سعدون باشا زعيم المنتفق مرتين ، وفي المرة الثانية أمر سليمان نائب الباشا به فأعدم ، واستطاع أيضاً أن يستدرج عدداً من زعماء القبيلة نفسها يتراوح بين ١٥ و٢٠ رجلا ـ وامر بإعدامهم أيضاً . وفقدت القبيلة المتمردة بذلك كل قوة لها ، وظلت هكذا سنوات طويلة . كذلك تشتت شمل قبيلة بني لام على ضفاف دجلة عندما شن عليها أحمد باشا غارة مفاجئة .

حكم سليمان باشا ابتداء في سنة ١٧٤٩ :

ولم يعقب أحمد باشا نسلا من الذكور ، لكنه كان قد زوّج نائبه سليمان باشا الذي كان في الأصل عبداً من الكرج ابنته عديلة خاتون التي كانت سيدة مترفعة طموحة وأصبح يعتبر كبير الاسرة ، وهو بالتالي وريث الباشوية بعد ، لكن الباب العالي كان له رأي آخر ، فجعل من البصرة باشوية مستقلة منحها لسليمان باشا ترضية له ، وشاء أن يجعل باشوية بغداد مرتبطة بالحكم العثماني مباشرة فارسل ثلاثة أو أربعة من الباشوات على التوالي من القسطنطينية ، لكنهم جميعاً كانوا أعجز من أن يستطيعوا التعامل مع قبائل البدو المتمردة في الريف . وجاء أول هؤلاء الباشوات إلى بغداد لكن الانكشارية حاصروه في قصره وأطلقوا

عليه النيران وطردوه في ١٣ مارس ١٧٤٧ ، وجاء بعده حاجي أحمد باشا ـ الذي كان في الاصل معيناً كمتسلم للبصرة ، وأصدر اوامره للباشا القبطان فيها بأن يحكم باسمه حتى وصوله . وفي أوائل سنة ١٧٤٩ كان سليمان باشا قد عين رسمياً باشا للبصرة فتقدم في الفرات ماراً بالسماوة والديوانية حتى جوار الحلة . وكان بصحبته في البداية حرسه الخاص فقط ، لكن علي آغا حاكم الديوانية خانه سراً فسار فجأة إلى بغداد كي يغري الباشا الحاكم فيها ، وكان في ذلك الوقت حاجي محمد باشا الوزير السابق ، على السير للبصرة . ونجح في ذلك لدرجة أن قوات كل من باشا بغداد وسليمان باشا التقت بالقرب من الحلة ، وارغم باشا بغداد على الفرار رغم أن قواته كانت تربو على ١٤ الف جندي في مواجهة ٨٠٠ جندي فقط مع سليمان . وبعدها اعترف الباب العالي بسليمان باشا حاكماً لكل الاقاليم التي كان يحكمها من قبل صهره أحمد باشا .

وفي ٢٢ فبراير ١٧٥٠ وصل سليمان باشا المتسلم الى البصرة وتسلمها من القبطان باشا الذي كان يحكمها حتى ذلك الحين ، وكان من المتوقع ان يرفض هذا إبعاده او يقاوم في ذلك ، لكنه تراجع في هدوء الى منعاوي وكان من المتوقع أن يقوم سليمان باشا بنفسه بزيارة للبصرة « حيث سيجد في انتظاره عدداً من الرؤوس التافهة التي لا تستحق غير القطع » ، لكنه لم يفعل . بل إن القبطان باشا ربما قد نجا من المصير الذي كان مقدراً له لأنه أهان عائلة سليمان باشا أثناء وجود هذا الاخير في حملته على بغداد . وفي سنة ١٧٥٢ بدأت آثار إدارة سليمان باشا تتضح في الامن الذي ساد البصرة وما حولها ، واستطاع المقيم البريطاني أن يكتب في تقريره : « كانت هذه البلدة هادئة خلال فترة طويلة مضت ، وكان العرب مرغمين على الهدوء والسكينة ، وكل أنواع الحبوب والغلال متوفرة ورخيصة ، والتجار لا يقربهم أحد بأذى ، والمكان على وجه العموم أكثر هدوءً مما كان عليه منذ سنوات طويلة » .

العلاقات السياسية والعامة بين بريطانيا والعراق التركي ١٧٣٠ ـ ١٧٥٤

مصاعب في البصرة ١٧٣٥ :

ظلت العلاقة السياسية بين بريطانيا والعراق التركي محصورة فقط في نطاق التعامل بين ممثلي شركة الهند الشرقية والحكومة المحلية في الإقليم .

وقد أشرنا من قبل إلى المشكلات التي تورط فيها البريطانيون نحو عام ١٧٣٥ بسبب الصراع الذي كان دائراً بين الايرانيين والأتراك ، والتنازلات التي كان لا بد من تقديمها بهذا الشأن لنادر شاه ، لكن المقيم البريطاني في البصرة لم يُسْحَب كما كان مظنوناً بهدف إقناع الايرانيين بأن البريطانيين لا يميلون إلى الاتراك ، كما صدرت التعليمات لوكيل بندر عباس في سنة ١٧٣٥ بأن يمنع السفن التي تتمتع بحماية الشركة من زيارة البصرة لكنه لم يجد الفرصة لتنفيذ هذه التعليمات .

رحلة المقيم إلى بغداد ١٧٣٥ ـ ١٧٣٦ :

وفي مارس ١٧٣٦ كان مستر فرنش المقيم البريطاني قد رجع مؤخراً من بغداد إلى البصرة . وكان الهدف من رحلته إلى العاصمة التي قام بها على مسئوليته الخاصة أن يحاول الحصول على تعويض من باشا بغداد عن سوء تصرف متسلم البصرة ، وقد أصاب في ذلك نجاحاً كبيراً .

رحلة مساعد المقيم إلى بغداد ١٧٣٨ ـ ١٨٣٨ :

وفي سنة ١٧٣٨ ارسل المقيم في البصرة مستر وايتول مساعده مستر دوريل ليقابل أحمد باشا في بغداد ومعه هدية وليطلب عونه في تحصيل متأخرات الديـون على البدو المستحقة لمستر فرنش المُتَوفّى قبلها بعام . كذلك قام مستر دوريل بزيارة لبغداد في سنة ١٧٣٧. وبعد تحصيل ما قيمته ٢٠ الف تيلوت(١) من الشعير والتمر والقمح ،

---

(١) لم تحدد لنا قيمة هذه العملة .

استدعى الباشا الأغا الذي كان ارسله إلى البصرة ليتولى هذا الامر ، ولم يعد ثمة شيء يمكن تحصيله بعد ، وصدر الأمر لمستر دوريل بالعودة إلى البصرة ، وحسبت مصاريف رحلته على تركة مستر فرنش التي ظل منها مبلغ ٣٠ الف تيلوت لم تحصل من المدينين .

وقد أدى حصار الايرانيين للبصرة في سنة ١٧٤٣ كما رأينا إلى وقوع أضرار جسيمة بمستر دوريل ، كما ان تصرف المتسلم وسواه من المسئولين تجاهه ومطالبتهم الدائمة له بالقروض كانت قد بلغت حداً كبيراً من الارهاق حتى إنه هدد في سنة ١٧٤٤ بأن ينسحب إلى ظهر السفينة ، إذا لم يلب أحمد باشا مطالبه . وأن يترك البصرة اذا ظلت إجراءات ملاحقته مستمرة . ونصحته سلطات بومباي ، على أية حال ، بأن يظل باقياً حيث هو ، وان يرضخ لما يطلب منه في حدود نفقات بسيطة ، وبعدها يبدو ان المسألة قد سويت موقتاً . وفي سنة ١٧٤٥ عادت متاعب جديدة إلى الظهور بين المقيم والمتسلم نتيجة مطالبة الدائنين من أهل البلاد بمبالغ تصل قيمتها ١٦٦,٠٠٥ محمودي على تركة مستر فرنش ، وأعد مستر دوريل عدة الهرب إلى بوشهر . لكن الاتراك وضعوا أيديهم على بضائع مملوكة لبعض خدم الشركة في بومباي وارغموه على ان يهرع إلى بغداد حيث كان يقيم الدائنون . واستقبل أحمد باشا المقيم استقبالا حسناً هذه المرة ، وامر بعزل متسلم البصرة وتعيين حاكم كان قد أثبت نجاحه من قبل وهو يحيى أغا متسلماً بدله ، كما أمر بمصادرة بعض أملاك المتسلم المعزول .

اقتراح بانسحاب المقيم من البصرة :

وفي سنة ١٧٤٧ ونتيجة الفيضان الذي أحدثه المتمردون العرب عمداً أثناء مقاومتهم لسلطة الباشا ، ولما توقع حدوثه بعد ذلك من انتشار الأوبئة طلب مستر جريندون المقيم العام الاذن له بالانسحاب موقتاً إلى بغداد او خارج أو ريق او بوشهر ، لكن الوكيل والقنصل الأول في بندر عباس رفضا طلبه .

وكالة البصرة يعهد بها الى كاتب فيها ! ١٧٤٨ :

وفي يونيو ١٧٤٨ سافر مستر جريندون وكان يبدو أن البصرة لم تكن تعجبه فجأة إلى بومباي بعد أن عهد بالوكالة إلى الكاتب مستر برومبت ، وكان سفره في مهمة خاصة له ودون ان يحصل بذلك على إذن مسبق من رؤسائه ، ووجه له الوكيل والقنصل في بندر عباس لوماً شديداً لمسلكه هذا ، واعتبراه عملا يستحق التقريع ، لأن حسين باشا الذي كان احد دائني مستر فرنش وصل في ذلك الوقت بعد عدة أيام من رحيله عن البصرة .

تهديد المقيم بالانسحاب من البصرة ١٧٥٩ :

وفي إبريل ١٧٤٩ ، وكان سليمان باشا قد سار من البصرة للهجوم على باشا بغداد ، طلب نائبه الذي تركه عليها قرضاً من المقيم إلى جانب قرض آخر كان قد حصل عليه من قبل . وأنزل المقيم البريطاني علمه وهدد بترك البصرة ، بعدها تراجع الوكيل ، وارسل اليه التماساً مؤثراً يلتمس فيه من المقيم أن يظل حيث هو .

وفي سنة ١٧٥١ اتهم المتسلم في البصرة مرة أخرى باتباع «اجراءات عنيفة والقيام بتصرفات فظة تجاه المقيم العام » وشكا المقيم إلى سليمان باشا فأصدر هذا اوامره إلى جميع مسئوليه بضرورة معاونة أعمال التجارة البريطانية على ان تستمر في طريقها دون مضايقة او عقبات .

جمع الوثائق المتعلقة بضمانات البريطانيين وامتيازاتهم ١٧٥٢–١٧٥٤ :

وفي سنة ١٧٥٢ صدر الامر للمقيم في البصرة بأن يقوم بترجمة كل الضمانات والتأكيدات التي يكتسب البريطانيون بمقتضاها أي امتيازات في العراق وان يرفعها إلى رئاسة بومباي . ولم يكن ممكناً الحصول على جميع الوثائق المطلوبة من البصرة ، ورفع المقيم الأمر بالتالي الى السفير البريطاني في القسطنطينية ولكن حتى فبراير سنة ١٧٥٤ لم تكن هذه الأوراق الهامة وصلت بعد إلى البصرة .

تعليمات للمقيم في البصرة ١٧٥٣ :

وفي سنة ١٧٥٣ عين مستر شو مقيماً في البصرة وتلقى بعض التعليمات العامة من الوكيل والقنصل في بندر عباس وكان مما قالاه له : « إننا أيضاً مكلفان بابلاغك ان الشركة لا تتسامح على الاطلاق في قبول أي عذر يقدم لها بشأن تقديم قروض للحكومة ، او بيعها بضائع دون تسلم ثمنها مقدماً ، وبهذه الطريقة تكون الشركة المعظمة على يقين من عدم حدوث خسائر بتجارتها بسبب هذه الديون » .

تودد سليمان باشا للمقيم في البصرة ١٧٥٤ :

وفي يوليو سنة ١٧٥٤ قام سليمان باشا ، ربما بسبب المضايقات التي كان يسببها له الهولنديون في خارج ، ببادرة تدل على المودة والصداقة تجاه مستر شو المقيم البريطاني في البصرة ، فأرسل اليه هدية قوامها سيف تركي نادر وحصان أصيل عليه سرج مذهب » ، ثم خطاب مديح جاء فيه : إن الباشا والكخيا والخازندار والشاهبندر .. الخ يعبرون عن رضاهم الكامل لمسلك الدولة البريطانية السليم والمجامل نحو حكومة بغداد ، وهم بالتالي على استعداد لا للتصديق على الضمانات التي سبق منحها فقط ، بل وإضافة جديد اليها اذا لزم الامر ، لأنهم يعتقدون أننا نقدم في كل يوم دليلا جديداً على أننا جديرون بمزيد من رعاية الباشا وتفضله . واستطاع مستر شو ، بعد أن تلقى الهدايا والخطاب في حفل استقبال كبير بالسراي ، أن يستجمع بلاغته ويجيب اجابة مناسبة ، كذلك أيضاً كتب يطلب السماح له بأن يحسب على الشركة تكاليف الهدية التي ستقدم من جانبه رداً على هدية الباشا « فهذا هو العرف المتبع في مثل هذه الاحوال في جميع انحاء العالم » .

التجارة وضرائب القنصلية وغيرها من شئون
شركة الهند الشرقية في العراق التركي
١٧٣٠ ـ ١٧٥٤

وليس في السجلات الرسمية سوى ملاحظات قليلة فقط عن تجارة شركة الهند الشرقية في هذه الفترة ، وفي سنة ١٧٣٣ اضطربت الحالة في أسواق العراق التركي اضطراباً شديداً نتيجة الغزو الايراني في هذه السنة ، ولكن في الفترة من ١٧٣٧ إلى ١٧٣٩ التي منيت فيها تجارة الشركة في بندر عباس بضربة قاسية بسبب الحملة التركية على عمان من هذا الميناء ، نقلت الوكالة إلى البصرة ، وعكست نسبة ضرائب القنصلية بين الميناءين .

وكان النحاس بشكل خاص ينقل إلى البصرة وكان يحمل على سفن البنجال من الخليج . وفي ١٧٤١ استفادت تجاره الصوف البريطاني كثيراً من الحظر الذي فرضته السلطات المحلية في هذه السنة على القوافل بين البصرة وحلب . وفي ١٧٥٢ و ١٧٥٣ اشتد الطلب كثيراً على المنسوجات الانجليزية في العراق التركي .

الرسوم القنصلية وغيرها :

وكانت قضية الرسوم القنصلية وسواها من الضرائب التي كان يجمعها ممثلو الشركة في البصرة ترد كثيراً في المراسلات اليومية . ونفهم منها أن كل ما كان يجمع من البصرة كان « رسوماً قنصلية » ، ولكن يبدو أن الشركة حددت إطلاق هذا الاسم على نسبة من العوائد فقط كان يحتفظ بها ممثلو الشركة لأنفسهم ، أما الباقي فقد كانت تطلق عليه كلمة « العوائد » فقط .

١٧٣١ :

وفي سنة ١٧٣١ استطاع مستر فرنش الحصول على فرمان من الباشا

بتحديد الضرائب التي تدفع على التجارة البريطانية بنسبة ٣٪(١) وكان مستر فرنش قد اتخذ الإجراءات الكفيلة بتحويل هذا الامتياز —ذي الصبغة الشخصية الخاصة— الى مصلحة التجارة بوجه عام ، فصدرت اليه التعليمات من الشركة بأن يحول اليها فائض النسبسة ، ويحتفظ لنفسه بمكافأة تكريمية قدرها ثلاثة آلاف قرش . وفرضت ضريبة إضافية قدرها ١٪ كما يبدو على كل البضائع التي يملكها التجار أصحاب رؤوس الأموال الخاصة عممت على التجارة البريطانية كلها في البصرة ، وصدرت الاوامر بأن تظل هذه الاتفاقية سارية المفعول حتى يتم جمع المبلغ كله بالارباح المستحقة عنه .

١٧٣٣ :

وفي سنة ١٧٣٣ لم تجمع أية ضرائب قنصلية في البصرة نتيجة توقف التجارة تماماً لاقتراب الجيوش الايرانية منها .

وفي ١٧٣٥ — سواء قبل رفع الضرائب التي فرضت في سنة ١٧٣١ أو بعد ذلك — أضيفت ضريبة جديدة من جانب الشركة في البصرة لتعويض النفقات التي تكبدتها أثناء الهجوم الايراني الاول على المدينة . وفتح بند جديد خاص لهذه الضريبة تحت عنوان : « مشاكل البصرة » .

١٧٣٦ :

وقد كافأت رئاسة بومباي مستر فرنش المقيم البريطاني في البصرة بمبلغ ١٠٠ تومان مساهمة منها في نفقات رحلته لى بغداد في سنة ١٧٣٦. وصدرت اليه الاوامر بأن يكون مسئولا أيضاً عن ضرائب البصرة .. « فالتجار جميعاً سيستفيدون من هذا الاجراء » .

وفي ١٧٤٠ خفض البند المخصص « لمشاكل البصرة » والذي وضع سنة ١٧٣٥ إلى ٢١٢,١٦٧ شاهياً ، وكان من المتوقع ان يصفى تماماً خلال الموسم التالي .

---

(١) كانت هذه هى النسبة التى حددتها نصوص اتفاقية الامتيازات سنة ١٦٦١ .

منشآت شركة الهند الشرقية في العراق التركي
١٧٣٠ ـ ١٧٥٤

القائمة الطريفة التالية تحدد هيئة العاملين في مقر الشركة بالبصرة

اسم الشخص ووظيفته	تاريخ الوصول إلى الهند	الراتب بالجنيهات	الراتب السنوي الحالي	العمر	اللقب
برابازون اليس المعين مقيماً	٢٢ فبراير ١٧٤٩	٥	٣٠	٢٨	تاجر صغير
ناثانييل بوبميت الذي نقل إلى المقيمية	٩ ديسمبر ١٧٤٦	٥	١٥	٢٦	كاتب
جون هولمز مساعد المقيم	١٠ يونيو ١٧٥٠	٥	١٥٠	٣٦	الشخص الخامس في مجلس الوكالة
دانفرز غريفس	١٨ مايو ١٧١٩	٥	٤٠	٦٢	تاجر أول
فرانسيس وود سكرتير	١٧ أغسطس ١٧٤٣	٥	١٥	٢٢	وكيل

وقبل ذلك التاريخ ـأي في ١٧٤١ كانت الوكالة تضم اثنين فقط هما مستر توماس دوريل المقيم الاقليمي ومستر دانفرز غريفز مساعد المقيم ، وكان راتبهما في السنة ٣٠ جنيهاً و٥ جنيهات على التوالي .

وكانت الشركة تدفع للمقيم مبلغاً آخر للمصروفات النثرية وإيجار المنزل وما إلى ذلك ، غير أنه لم يكن تتجاوز ٥٠ روبية في الشهر في سنة

١٧٤٠ ، وهي لم تكن تكفي مجرد إيجار المنزل فقط ، وأوصى الوكيل والمجلس في بندرعباس بضرورة زيادتها ، ولكن في سنة ١٧٤٧ فقط صدر الامر بأن يحسب المقيم نفقات إيجار منزله وراتب المترجم الخاص به على مصروفات الشركة .

وكانت البصرة في ذلك الوقت مكاناً أفضل — من الوجهة الصحية — من بندر عباس ، ولكن في سنة ١٧٣٧ اجتاح الوباء المدينة فقضى على « جميع السادة الانجليز(١) من بينهم مستر فرنش المقيم نفسه الذي مات في ٧ نوفمبر ، ولم ينج من الوباء سوى مستر ستيرلنج وباستثناء » هذه الحادثة .. لا نجد في سجلات الشركة إشارة إلى وفيات أخرى بين العاملين في الشركة بالبصرة .

★ ★ ★

الهولنديون في العراق التركي ١٧٣٠ — ١٧٥٤

كان للهولنديين خلال القسم الأعظم من الفترة التي نتناولها الآن مقيمية في البصرة ، ارسل رجل من العاملين فيها في نهاية سنة ١٧٤٧ ليعيد فتح المؤسسة الهولندية التي كانت موجودة من قبل في بوشهر . وفي سنة ١٧٥٢ على وجه التقريب حدثت كارثة قضت على المقيمية الهولندية في البصرة التي كان مسئولا عنها في ذلك الحين البارون نيبهاوزن المشهور والقت السلطات التركية القبض على البارون يوماً واحداً بتهمة علاقة له مع احدى البغايا ، وقيل إنه لم يطلق سراحه إلا بعد أن دفع رشوة قدرها ٥٠ الف روبية ، كما انتزعت مبالغ أخرى في نفس الوقت من أشخاص آخرين يمتون بصلة ما للمقيمية الهولندية وقد سافر البارون فور اطلاق سراحه إلى باتافيا فوصلها مع خطاب يتضمن شكوى في حقه ارسلتها الحكومة التركية في البصرة عن طريق الوكالة الهولندية في بندر عباس ،

---

(١) لم يحدد لنا عددهم .

واغلقت المقيمية الهولندية في البصرة عند رحيله أو بعده بقليل . وبعد أن استطاع البارون ان ينفي عن نفسه كلّ ما يغضب السلطات المسئولة في شركة جزر الهند الشرقية الهولندية عاد ثانية كما ذكرنا في مكان آخر إلى الخليج في نهاية سنة ١٧٥٣ ، واستقر في جزيرة خارج ومعه قوات بحرية وعسكرية ، وفي نفس الوقت كان السفير الهولندي لدى الباب العالي قد استطاع الحصول على فرمان بأن يعاد رفع العلم الهولندي مرة أخرى في البصرة . وحين وصول البارون نبيهاوزن إلى خارج ارسل خطاباً موجهاً من القائد الهولندي العام في باتافيا الى سليمان باشا يطلب فيه رد الأموال التي انتزعت من العاملين في المقيمية ، واستقبال البارون بنفسه في البصرة ، ويهدد باستخدام القوة إذا لم يجبه إلى هذه المطالب ، ويبدو أن الباشا قد رد بأنه لن يدفع شيئاً ، وكل ما يستطيع أن يقدمه هو السماح لمقيم هولندي غير البارون بأن يظل في البصرة شريطة ألا يكون مفروضاً عليه بالقوة . ويبدو ان كثيرين من كبار أهل البصرة كانوا يعارضون عودة البارون إلى مدينتهم معارضة قوية ، وأنهم هددوا بالهجرة عنها إذا سمح له بالعودة .

وفي يوليو سنة ١٧٥٤ سار البارون لحصار مصب شط العرب ، وبعد ذلك بقليل استولى على سفينتين ثمينتين يملكهما رعايا تركيا كانتا راسيتين في خارج ، وارغمت هذه الإجراءات سليمان باشا على طلب التفاهم ، وسرعان ما اعيدت النقود التي سبق ان أخذت وذلك في اوائل سنة ١٧٥٥ ، كما سمح للهولنديين بأن ينقلوا بعض البضائع التي كانوا قد خلفوها وراءهم في البصرة ، وبأن يستوفوا الديون التي كانت لهم فيها . وبعدها دعا الاتراك الهولنديين ــ أو هكذا قال هؤلاء على الاقل ــ للعودة إلى البصرة ، لكنهم لم يتخذوا من جانبهم أية خطوات لتنفيذ هذا الاذن .

الفرنسيون في العراق التركي
١٧٣٠ ـ ١٧٥٤

أقيم نظام التمثيل القنصلي في البصرة على اسس جديدة عام ١٧٤٠ عندما عين في بغداد قنصل فرنسي لاول مرة هو مسيو بابيه ، وهو أحد رجال الكرمليت الفرنسيين ، واصبح فيما بعد اسقف الكاثوليك في بغداد . وفي سنة ١٧٤٨ عين قنصل فرنسي من المواطنين العاديين في البصرة ، وكان قد تولى هذا المنصب بين عامي ١٦٧٩—١٧٣٩ أحد عشر مسئولا كلهم من رجال الكهنوت . غير ان المسئول الجديد المدعو مسيو دي مونتانفيل توفي عام ١٧٤١ بعد قليل من تعيينه . وفي سنة ١٧٤٨ ، وبعد أن أمضى القنصل الفرنسي الذي أصبح الآن يلقب بالمقيم سنتين كاملتين دون ان يتسلم أية مخصصات ، قام بجمع كل ما كان في حوزة المقيمية الفرنسية من ممتلكات ، ونقلها على ظهر سفينة تجارية برتغالية ورحل . وربما كانت متاعبه تعود إلى الحرب التي كانت دائرة آنذاك بين بريطانيا وفرنسا .

★ ★ ★

عثمان الثالث ١٧٥٤ ـ ١٧٥٧

لا تتميز فترة حكم السلطان عثمان الثالث القصيرة بأية أحداث هامة في العراق التركي .

★ ★ ★

العلاقات بين بريطانيا وفرنسا

اعادة فتح المقيمية الفرنسية في البصرة ١٧٥٥ :

في صيف سنة ١٧٥٥ أعاد مسيو بردريا فتح المقيمية الفرنسية في البصرة ، وصدرت التعليمات للمقيم البريطاني مستر شو بأن يضع هذا الرجل وأعماله تحت المراقبة الصارمة ، فقد كان «من المعتقد به» أن ارساله في تلك الفترة الحرجة إنما كان يهدف الحصول على المعلومات ونقلها لأوربا . وكلف مستر شو بأن يبرق بهذا أولا بأول إلى مجلس مديري شركة الهند الشرقية ، وارسلت هذه الاوامر من بومباي عن طريق الوكيل والمجلس في بندر عباس ، وقد وصف الوكيل في ذلك الوقت بأنه « وكيل لكل شئون الدولة البريطانية » ، وربما نشأ هذا اللقب عن حالة الحرب التي كانت قائمة ، لكنه ظل يستعمل عدة سنوات تالية بعدها .

رحلة المقيمين البريطاني والفرنسي إلى بغداد ١٧٥٦ :

وفي بداية سنة ١٧٥٦ تقريباً أهان أحد أصحاب القوارب في نهر البصرة شو وهدده ، فذهب يطلب التعويض من المتسلم ، لكن هذا الرجل بدل أن يرضيه نصر هذا الرجل من الغوغاء عليه . وحدثت مشادة كاد المقيم البريطاني أن يفقد فيها حياته ، ولأن باشا بغداد قد تقبل رواية المتسلم لهذا الامر بحيث كان اللوم كله يقع على المقيم ، فقد عزم مستر شو على القيام برحلة إلى بغداد بعد أن ترك امور المقيمية لمساعده مستر جاردن ، وصحبه في هذه الرحلة مسيو بردريا المقيم الفرنسي وكان يبدو أنه على علاقة طيبة به . وفي بغداد استطاع مستر شو خلال لقاء شخصي بسليمان باشا أن يحصل منه على أمر بنقل المتسلم من وظيفته ، كذلك بتوقيع العقوبات على الذين ارتكبوا هذا العمل ضد المقيم ، وأصدر فرماناً يقضي « بتقديم كل مظاهر التكريم والحفاوة لممثل الأمة البريطانية ، وأعلن أن أي خرق لهذا الفرمان ستكون عقوبته الموت فوراً ومصادرة الأملاك » . وقد أثار المقيمان أثناء وجودهما في

بغداد مشكلة رسوم الميناء التي كانت تدفع بالبصرة بواقع ٩٠٠ قرش عن كل سفينة صغيرة و ١٥٠٠ قرش عن الكبيرة ، فأصدر الباشا فرماناً بالغاء تلك الرسوم . وتسرع مسيو بردريا بأن قدم إلى الباشا مبلغ ٦ آلاف قرش في هذه المناسبة ، وخشي مستر شو أن يكون عايه دفع مثل هذا المبلغ ، لكنه اقترح أن يدفع فقط مبلغ اربعة آلاف ، ويعوضه بان تستمر السفن الانجليزية موقتا في دفع رسوم الميناء التي كانت تدفعها في البصرة فترة تكفي لتعويض هذا المبلغ ، وأبدت حكومة بومباي بعض الامتعاض لهذه التكاليف التي تورط فيها مستر شو دون ضرورة ملحة ، ووافقت على الفرمان الجديد بشرط أن يحترمه الاتراك ، ووافقت كذلك على تعويض ما تورط فيه المقيم بالطريقة التي اقترحها ، واستمر هذا الإجراء متبعاً حتى سنة ١٧٦٠ حين تم جمع المبلغ المطلوب .. فأوقف العمل به . وكان من المؤمل أن يؤدى الغاء هذه الرسوم إلى تشجيع السفن التي كانت ترجع أدراجها من بوشهر او بندر عباس او حتى مسقط على زيارة البصرة .

ويبدو أن ثمة مشكلات كانت تثار بين الحين والحين نتيجة نشاط بعض السادة العاملين في مؤسسة شركة البنغال ، والذين كانت لهم تجارة واسعة في البصرة ، وكانوا يحاولون دائماً تجاهل المقيم . وكان من أشهر هؤلاء المتمردين رجل يدعى بالدريك كان يباشر أعماله هناك سنة ١٧٥٤ وفي أوائل سنة ١٧٥٧ أصدرت حكومة بومباي التي بدأت تحس الآثار الوخيمة لأعمال هؤلاء البنغاليين اوامرها للمقيم بأن يمنع السلطات التركية من قبول أية طلبات تقدم عن غير طريقة .

★ ★ ★

السلطان مصطفى الثالث ١٧٥٧ ـ ١٧٧٣

لم يتأثر تاريخ العراق التركي على عهد مصطفى الثالث بما كان يجري في باقي أنحاء الامبراطورية العثمانية ، الا في ناحية واحدة هي أن الحرب التي كانت قائمة بين روسيا وتركيا منعت السلطان من ان يفرض نفوذه المباشر على باشا بغداد . كما كانت العلاقات السلمية مع ايران مستمرة طوال هذه المدة . وقد مات مصطفى الثالث في الايام الاخيرة من سنة١٧٧٣

★ ★ ★

باشوات بغداد من ١٧٥٧ الى ١٧٧٣

في هذه الفترة ظل باشا بغداد هو الذي يحكم العراق التركي كله ، وشغل هذا المنصب سلسلة من الرجال الذين كان لهم بعض النفوذ المحلي ، فلم يستطع الباب العالي حتى ولو اراد ذلك ، أن يستغني عن خدماتهم .

سليمان باشا حتى مايو ١٧٦٢ :

استولى سليمان باشا على حكم بغداد كما ذكرنا في سنة ١٧٤٩ ، ثم صدق الباب العالي على تعيينه حاكماً فيما بعد . وقد ظل في منصبه هذا حتى مات في ١٤ مايو ١٧٦٢ . وقد بذلت محاولات كثيرة ـ من القسطنطينية على الأرجح ـ لتحطيم سلطته والقضاء عليه تماماً لكنها فشلت جميعاً ، ورغم أنه لم يكن يدفع قرشاً واحداً زيادة عن الجزية المحددة . فقد كان قادراً في كثير من السنين على أن يثبت أنه قد دفع في سبيل مصالح الحكومة التركية أكثر مما تلقى . وقد أظهر سليمان باشا همة كبيرة في الادارة والحكم ، وأصبح العدو المخيف لقبائل العرب التي تشتغل بالسرقة وأخضعها اخضاعاً جعلها تطلق عليه اسم « أبو الليل » لحملاته التي تغير عليهم دائماً في الليل . وفي بغداد كان اسمه « سليمان الأسد » وفي عهده أصبح الطريق بين بغداد والبصرة سواء عن طريق الفرات أو دجلة آمناً للمسافرين دون حماية قبيلة من القبائل ، وأدى

استتباب الامن والنظام — في الوقت الذي كانت الفوضى والاضطراب يسودان في إيران— إلى اجتذاب عدد كبير من التجار الهنود الذين كانوا يفضلون البقاء في بندر عباس او أصفهان فجاءوا بتجارتهم إلى البصرة وبغداد . وقد تأثر سليمان باشا كثيراً بزوجته عديلة خاتون التي كان لها مجلس تستقبل فيه الكبراء ، وتتدخل في الحياة العامة ، بل وجعلت لنفسها وساماً خاصاً بها يتكون من شريط حريري يلف حول الرأس ، وبتحريض منها قام سليمان باشا بحملة على الزعيم الكردي سليم الذي مات ابوها أحمد في حملة ضده من قبل . واستدرجه إلى بغداد حيث امر باعدامه شنقاً في سنة ١٧٥٨ . وفي نفس السنة زار الدكتور آيفز بغداد فوجد سليمان باشا رجلا في الستين من عمره ، بلا أبناء ومنغمساً في ممارسة الشذوذ .

علي باشا ١٧٦٢ — ١٧٦٤ :

وبعد موت سليمان باشا دون ان يعقب ، قام علي أغا ، متسلم البصرة الذي كان من قبل حاكم الديوانية ، وقدم لسليمان باشا معونات كثيرة للمحافظة على بقائه في الباشوية — واستطاع ، عن طريق التوصيات من المسئولين المحليين في بغداد ، وتقديم الرشاوى إلى المسئولين في الباب العالي أن يحصل على المنصب الشاغر . وكان تعيينه في يوليو سنة ١٧٦٢ ، وظلت حكومتا بغداد والبصرة على غير ما كان متوقعاً مندمجتين في حكومة واحدة . وكان اول الأخطار التي واجهت علي باشا تمرد الانكشارية في بغداد الذي أرغمه على أن يترك المدينة زمناً ، لكنه عاد سريعاً بمناصرة أهل الريف وكبار أهل المدينة الذين كانوا جميعاً إلى جانبه ، واستطاع القضاء على هذا العصيان ، بل وإعدام كبار قادته . وبعدها أخضع كردستان حتى أجبرها على الطاعة ، ثم قام بحملات كثيرة —سيأتي ذكرها فيما بعد— على القبائل العربية . ومن هذه الحملات انتهت واحدة نهاية مؤسفة وهي الحملة ضد الخزاعل . وكان سقوطه في سنة ١٧٦٤ . ويعتقد أن تآمر عديله خاتون هو الذي أدى به إلى هذا

المصير ، فقد طردها علي –وهو الذي تربى في بيت أبيها– من السلطة طرداً عنيفاً ، وكانت تتهمه بالعمل على إخراجها من بغداد .

وكان علي باشا –الذي ينحدر من أسرة متواضعة– ايراني الأصل ، واستغل أعداؤه هذه الحقيقة واتهموه بأنه شيعي يخفي عقيدته ، ويتأهب لتسليم البلاد لشاه ايران . وساعد على شيوع هذه الفكرة عنه انتصاره على الانكشارية السنية والأكراد السنيين وفشله بالنسبة للخزاعل من الشيعة . واخيراً استطاعت عديله خاتون ايهام بعض كبار المسئولين في بغداد –وكانوا من بين أنصار علي باشا المقربين– بأنه ينتوي اعدامهم ، وأن عليهم أن يؤمنوا حياتهم باعلان العصيان عليه ، وفعلوا هذا فجأة ، وبنجاح ارغمه على الإسراع قدر إمكانه بالاختفاء من بغداد ، وبعد أيام قبض عليه في زي النساء وهو يحاول الخروج من بغداد إلى الريف ، وأعيد إلى السراي حيث أعدم فيها .

عمر باشا بعد سنة ١٧٦٤ :

وخلف علي باشا في ولاية بغداد عمه الزوج الثاني لصغرى شقيقات عديله خاتون ، وكانت هذه المرأة القوية قد أقنعت علي باشا بأن زوج شقيقتها الاولى خائن له حتى أمر باعدامه ، وكان ينظر إلى عمر باشا على أنه رجل ذو إمكانيات محدودة ومتواضعة ، وأن عديلة خاتون لن ترضى به في باشوية بغداد ، لكن مجلساً من الرؤساء في بغداد هو الذي اقترح اسمه ، ثم صدق عليه الباب العالي .

★ ★ ★

متسلمو البصرة من ١٧٥٧ الى ١٧٧٣

ظلت البصرة والاقاليم التي حولها تحكم كما كانت منذ حوالي ١٧٢٠ ، أي عن طريق متسلمين او نواب للحكام كان باشا بغداد هو الذي يعينهم ويعزلهم .

علي آغا ١٧٦١ :

ويبدو أن علي أغا ـالذي أصبح باشا بغداد فيما بعدـ كان متسلماً للبصرة في سنة ١٧٦١ وهي السنة التي قام فيها بحملة على قبيلة كعب .

محمود ١٧٦٤ :

وفي صيف ١٧٦٤ كان متسلم البصرة رجلا اسمه محمود عرف عنه أنه عسكري كفء ، وكان أحد المرشحين للباشوية لأنه كان أحد الموجودين في بغداد عند موت علي أغا .

سليمان آغا ١٧٦٥ ـ ١٧٦٨ :

ولقد خلف محمود سليمان أغا على ما يبدو ، وهو من أصل كرجي وقدر له أن يلعب دوراً هاماً في تاريخ العراق التركي فيما بعد حين ارتفع إلى باشوية بغداد . وخلال فترة حكمه الأولى في البصرة كان يتسم بالاعتدال ويتميز بعدم الجشع ، لكنه كان موضع غيرة اسماعيل نائب الباشا في بغداد فعزله عن عمله في أوائل سنة ١٧٦٨ رغم احتجاج الوكيل البريطاني في البصره بدعوى أنه لا يرسل اموالا كافية إلى بغداد ، وأنه قد فشل في تنفيذ بعض ما أمره به الباشا بالنسبة للعوائد العامة في البصرة .

عبد الرحمن بك ١٧٦٨ :

وتولى بعده عبدالرحمن بك متسلمية البصرة بعد أن دفع رشوة ضخمة لباشا بغداد ووعده بأن يجعل من البصرة إقليماً مفيداً من الناحية المادية لبغداد أكثر مما كان ، لكنه لم يبق في منصبه هذا طويلا ، ففي أكتوبر سنة ١٧٦٨ أصبح هذا المنصب شاغراً مرة أخرى عقب وفاة عبدالرحمن بك فجأة ، ويعتقد أنه مات مسموماً .

سليمان آغا ١٧٦٨ ـ ١٧٦٩ :

وبعدها عاد سليمان أغا ليتولى نيابة الحاكم في البصرة من جديد ، لكن سلوكه تجاه المسيحيين والبريطانيين لم يكن مرضياً خلال فترة

حكمه الثانية هذه ، وفي سنة ١٧٦٩ عزله باشا بغداد إثر احتجاجات قدمتها شركة الهند الشرقية .

يوسف آغا ١٧٦٩ – ١٧٧١ :

وكان موقف يوسف أغا ، المتسلم الجديد ، من الجاليات الأجنبية ودياً ، لكنه عزل الصالح سليمان أغا الذي عاد مرة أخرى ، وأسفت الجاليات الأجنبية أسفاً شديداً لعزله . ويوسف أغا هذا هو نفسه حاجي يوسف الذي كان مسئولا عن مدينة البصرة في سنة ١٧٦٣ .

سليمان آغا ١٧٧١ – ١٧٧٦ :

وظل سليمان أغا بعد ذلك –وباستثناء فترة قصيرة انتهت في سنة ١٧٧٣ كان عزل خلالها وتولى مكانه يوسف أغا– هو متسلم البصرة حتى غزو الايرانيين لها في سنة ١٧٧٦ بعد انتهاء الفترة التي نتعرض لها الآن ، وسنشير في مكان آخر إلى مسلكه الجدير بالإعجاب في الدفاع عن المدينة .

★ ★ ★

الرئاسات الادارية في العراق التركي في ١٧٥٨ ـ ١٧٦٥

ترك لنا الرحالتان آيفز ونيبور اللذان زارا بغداد والبصرة في ١٧٥٨ و ١٧٦٥ و ١٧٦٦ على التوالي أوصافاً دقيقة لهاتين المدينتين اللتين كانتا وما تزالان حتى اليوم مركزي السلطة في العراق التركي .

وكان شكل الحكومة في بغداد صورة مصغرة لما في القسطنطينية . فمعظم المناصب الرسمية منحة من الباشا في حدود ما هو مسئول عنه ؛ لكن عليه أن يعرض المشكلات الهامة على المجلس او الديوان الذي كان يضم –إلى جانب الأغا او قائد الانكشارية وكبير القضاء ونقيب مزار عبدالقادر– كل المسئولين السابقين من أصحاب المناصب العالية المقيمين

في البصرة ، كما كان من أعضائه أيضاً بعض أصحاب المناصب الدينية الكبيرة . أما قاضي القضاة فقد كان يعين من القسطنطينية كل سنة .

وكانت المناصب التالية في السلطة والقوة لمنصب الباشا هي الكخيا أو الوزير الذي كان مسئولا امام الباشا عن كل الشئون سواء كانت مدنية أم عسكرية . ثم هناك عدد من المسئولين ، بعضهم من الوجهاء وبعضهم الآخر من بيت الباشا نفسه . وكانت القوات الموضوعة مباشرة تحت تصرف باشا بغداد ؛ بما فيها حرسه الخاص ، تتراوح بين ستة آلاف وسبعة آلاف جندي ، بالإضافة إلى ذلك فقد كان في الثكنات قوة كبيرة للمدفعية وعدد كبير من الانكشارية قدر أنه يتراوح بين ١٠ آلاف و ٤٠ الف رجل . وكانت هذه القوات الامبراطورية تتلقى اوامرها مباشرة من القسطنطينية ولم يكن للباشا أي سيطرة عليها أو على قوات المدفعية ، وكان بعض الانكشارية يتولون مناصب مدنية مختلفة لكنهم كانوا يقيدون ضمن هذه القوات بهدف الحصول على الحماية والامتيازات التي يحصلون عليها ، بل إن باشا بغداد نفسه كان يجد من المناسب أحياناً أن يدرج اسمه بين قوات الانكشارية . وقد كان من المألوف في بغداد كلما دعت حاجة لمزيد من القوات لمقاومة الأكراد او القبائل العربية المتمردة أن تلجأ الحكومة إلى بعض المرتزقة وهم يعملون ضباطاً للقوات غير النظامية التي يقدمونها .

وكانت الاستحكامات الدفاعية في مدينة بغداد وقتذاك سوراً كبيراً يلتف حولها وتتخلله المتاريس ، وحوله تسع دشم في كل واحدة عدد من المدافع النحاسية يتراوح بين ٦ و ٨ مدافع من مختلف الأحجام . وخارج السور كان ثمة خندق يبلغ الارتفاع من قاعه إلى نهاية السور الحالي ٤٠ قدماً . وكان عدد المدافع الموجودة في بغداد كلها لا يتجاوز ١٥٠ مدفعاً من مختلف الأحجام سواء كانت مثبتة أم محمولة .

البصره :

أما في البصرة التي أجمع الرّحالان على التنويه بسوء نظافتها فقد كان المسئول الأول هو المتسلم . وكان يقيم بمكان واسع في المدينة القديمة على ضفة خليج العشار الجنوبية بعيداً عن شط العرب ، وفي الايام التي سبقت الغاء باشوية البصرة في سنة ١٦٢٠ . كان إلى جانب نائب الحاكم شخصية هامة أخرى هي القبطان باشا ، او القائد البحري المعين من قبل الباب العالي ، وكان من الشخصيات ذات الهيبة والنفوذ ، ولكنه أصبح عقب ادماج البصرة في باشوية بغداد يعين من قبل باشا بغداد وتناقصت سلطاته إلى حد كبير .

وكان القبطان باشا يقيم بالضبط حيث يقيم اليوم القائد التركي في البصرة . وفي هذه المدينة كما في بغداد كان ثمة جهاز كبير من المسئولين بينهم القاضي الذي كان يرسل كل سنة من القسطنطينية . وكان يطلب من متسلم البصرة تماماً كباشا بغداد أن يستشير المجلس او الديوان في الشئون الهامة ، وكان هذا المجلس يضم إلى جانب القبطان باشا والقاضي عدداً من وجهاء المدينة وذوي المناصب فيها، وكان يطلق على هؤلاء الوجهاء جميعاً ومن بينهم نقيب البصرة « رجال البلد»(١) وكان لهؤلاء امتيازاتهم الخاصة المتمثلة في اعفائهم من دفع ضرائب الأرض ، وحقوق سن تشريعات خاصة في اقطاعياتهم . أما الانكشارية الذين كانوا بالبصرة ، فقد كانوا ، بالنظر إلى بعدهم عن عيون ضباطهم الكبار المقيمين في قرنه أكثر إثارة للشغب مما هم عليه في بغداد . وعقب موت سليمان باشا في سنة ١٧٦٢ لم يستطع متسلم البصرة بكل قواته أن يمنعهم من أن يسلبوا في وضح النهار بيوت الارمن واليهود والهندوس ، بل والمسلمين أيضاً ممن لم يقيدوا اسماءهم في سجلات الانكشارية . وفي هذه الاضطرابات التي سادت البصرة انقسم

---

(١) هذا الاسم يذكره نيبور فقط، أما بقية المصادر الانجليزية فتشير اليهم بكلمة « الاعيان .. » .

الانكشارية على أنفسهم فصار يقتل منهم كل يوم عدد يتراوح بين ٨ و ١٢ رجلا إلى جانب عدد مماثل من المواطنين الأبرياء . ونستطيع أن نفترض أن المتسلم المحاط بتلك القوى المستقلة لا بد أنه كان بالفعل بلا سلطة . لكن الأمر لم يكن على هذا النحو دائماً ، فمن الملاحظ أن المتسلم كان في العادة رجلا قادراً ، يستطيع أن يلعب على مختلف هذه الحبال ، ويضرب كل واحدة من هذه الفرق بالأخرى ، وبهذه الطريقة لا يعزز سلطانه في المدينة فقط بل ويستطيع جمع ثروة ضخمة عن طريق الاكراه والابتزاز .

الديوانية والحلة :

وكانت المراكز الاخرى ذات الاهمية الرسمية بالإضافة لبغداد والبصرة هي الديوانية التي كانت تعرف في العادة باسم الحسكة ، ثم الحلة . وقد قام مستر آيفز وجماعته بزيارة للمدينتين أثناء صعودهم في الفرات ، ووجدوا على حكم الديوانية علي أغا الذي أصبح فيما بعد باشا بغداد۔ وقد فاجأهم بأنه « رجل كريم وكفء وجليل » وكان حكم الديوانية في ذلك الوقت يمتد من قرنه إلى الحلة .

★ ★ ★

الشؤون القبلية الداخلية ١٧٥٧ ـ ١٧٧٣

ورغم العقوبات القاسية التي كان يوقعها أحمد باشا ثم سليمان باشا من وقت لآخر على القبائل العربية المتمردة ، فان مستر ايفس وجماعته حين كانوا يصعدون في الفرات سنة ١٧٥٨ وجدوا هذه القبائل أبعد ما تكون عن الخضوع او الاستكانة لسيطرة الأتراك .

تمرد بني لام ١٧٦٣ :

وفي أكتوبر ١٧٦٣ سار علي باشا بنفسه ، وكان يحكم العراق التركي كله منذ حوالي السنة ، لتأديب قبيلة بني لام الذين كانوا يثيرون

الشغب والاضطراب في ذلك الوقت ، وواضح أنه هزمهم على مقربة من حويزه .

تمرد الخزاعل ١٧٦٣ – ١٧٨٥ :

لكنه كان أقل نجاحاً مع الخزاعل الذين كانت عاصمة قبيلتهم في لملوم ، حيث كان هؤلاء لا يسمحون للقوارب على الاطلاق بالمرور في الفرات إلا بعد أن تدفع لهم الإتاوة المطلوبة . وقد استطاعوا أن يوقعوا الهزيمة الساحقة بقوات علي باشا ، لكن عمر سار بعد توليته فغزا بلادهم فأحرق لملوم ، وطرد شيخهم حمود وأعدم ستة أو سبعة من زعمائهم وأرسل رؤوسهم إلى القسطنطينية . غير أن حمود سرعان ما عاد إلى الظهور فطرد الشيخ الذي كان الاتراك قد جعلوه مكانه ، ولم يود عمر باشا أن يكرر حملته مرة أخرى فآثر الاعتراف به ، وبعدها ورغم ان الاتراك الذين كانوا يمرون ببلده كانو يعيرون دائماً ويهانون لأنهم من السنة ، توقف بنو خزعل عن محاولة اعتراض سفنهم في النهر .

تمرد المنتفق ١٧٦٩ :

وفي ١٧٦٩ حدث أن قبيلة المنتفق التي كانت تحتل الضفة الغربية من شط العرب من البصرة إلى القرنه وضفتي الفرات من القرنة إلى جوار ما يعرف اليوم بالناصرية ، والتي كانت قد استراحت من اضطهاد أحمد باشا لها –عادت إلى التمرد ضد الاتراك بقيادة عبدالله شقيق سعدون باشا المشهور . وقطع المتمردون الاتصال بين البصرة وبغداد في دجلة والفرات معاً ، كما نجح المتمردون في احدى المرات في الاستيلاء على عدة قرى إلى جوار البصرة ، بل واستطاعوا أيضاً أن يحاصروا أهل البصرة نفسها داخل أسوار مدينتهم عدة أيام . وكان سبب هذا التمرد هو رفض الشيخ عبدالله أن يدفع أي مبلغ عن عوائد الأرض التي كانت متأخرة للاتراك مذة تسع سنين . وفي شهر نوفمبر وصل باشا بغداد

حدود اقليم المنتفق عند ام لباس في منتصف الطريق تقريباً بين السماوة وقرنه ، وطلب الباشا عون قبيلة كعب التي ارسلت ١٤ سفينة صغيرة إلى البصرة سارت تسع منها إلى جانب عدد من السفن التركية تحت قيادة القبطان باشا مصعدة في شط العرب لتقوم بعملياتها ضد قبيلة مواليه للمنتفق كانت إقامتها على الضفة الشرقية لشط العرب بين البصرة وقرنة . وكان الاسطول يحمل حوالي ١٥٠٠ رجل مسلح وفي أغسطس ١٧٦٩ وقبل أن تبدأ الحملة على المنتفق ، أعلن باشا بغداد عزل عبدالله عن مشيخة القبيلة وتولية أخيه فضل ، لكننا لا نعرف على وجه التحديد كيف انتهى هذا الأمر .

تجدد الاضطرابات ١٧٧٣ :

وقرب نهاية ١٧٧٣ انقطع الطريق بين بغداد والبصرة مرة أخرى ، وكان السبب كما هي العادة تمرد القبائل العربية .

★ ★ ★

مشكلات بين الاتراك وقبيلة كعب ١٧٥٧ ــ ١٧٧٣

وكان هناك مشكلات أخرى أكثر خطورة تنتظر الاتراك والبريطانيين أيضاً الذين أصبحوا حلفاءهم في هذه المعركة وذلك من عرب كعب في قوبان ودورق الذين كانت قوتهم تتزايد يوماً بعد يوم بقيادة شيخهم سليمان . وكان المعتقد في البصرة أن بني كعب هم من الرعايا الأتراك(١) وكان مفروضاً أن يدفعوا الجزية عن ارضهم المجاورة لقوبان ، غير ان شيخهم رفض ذلك وراح يحاول الايقاع بين ايران وتركيا ، ومنع

(١) كان هذا رأى المصادر التركية ورأى الوكيل البريطانى في البصرة سنة ١٧٦٧ أيضا . ولعله كان متأثرا بالجو التركى السائد حوله، أما نيبور فيذكر أن اقليم بنى كعب كله كان ــ منذ البداية ــ في ايران ، أما أراضيهم التى كانت في الاقــليم التركى فهى التى استولوا عليها من الاتراك فيما بعد .

الجزية ، في الوقت نفسه . عن الدولتين جميعاً ، وراح يضايق حكومة البصرة بالاستيلاء على القرى والطرق على شط العرب . بل وعلى ضفته الغربية أيضاً ، وخلال هذه الأعمال كلها كان شيخ بني كعب حريصاً على أن يظل على علاقات طيبة بكل الوجهاء العرب في ما جاور البصرة ، واستطاع أن يبعد بعضهم عن الوقوف إلى جانب المصالح التركية بتقديم الرشاوى له ، كما بدأ ، بعد أن غزا كريم خان قائد إيران بلاده في سنة ١٧٥٧ ، يعد اسطولا جديداً انزلت اولى سفنه إلى البحر في سنة ١٧٥٨ .

الحملة الانجليزية–التركية الاولى على قبيلة كعب ١٧٦١–١٧٦٢ :

وفي ١٧٦١ وبعد أن أصبح شيخ بني كعب «متهماً بارتكاب جرائم عديدة» أمر باشا بغداد متسلم البصرة بالسير اليه ، وأطاع الأغا الأمر الصادر اليه فسار بقواته عن طريق البر –بعد أن عززها بقوات أخرى أرسلت من بغداد وبفرق من رجال القبائل العربية– حتى قوبان . وفي يونيو من نفس السنة –وبعد إلحاح مستمر من جانب نائب الحاكم التركي أصدر مستر دوجلاس الوكيل البريطاني في بندر عباس أمره بأن تشترك سفينة الشركة «سوالو» مع سفن الاتراك الاربع عشرة في حصار خور موسى أو أحد خلجانه حيث كانت ترسو بعض قوارب العدو المسلحة . ولجأ الشيخ سلمان فراراً من هذه الحملة إلى قلعته في دورق او فلاحية ، التي كان من العسير الوصول اليها ، غير أنه آخر الأمر أدرك أنه لن يستطيع المقاومة فطلب الصلح بارسال الهدايا إلى الباشا . وعند ذلك انسحبت القوات التركية من عربستان ، وفي نفس الوقت رجعت السفينة «سوالو» إلى البصرة . وفي ١٧٦٢ عاد بنو كعب الى حصار البصرة باغلاق شط العرب في وجه السفن الصاعدة والهابطة معاً .

الحملة الانجليزية – التركية الثانية على قبيلة كعب ١٧٦٣ :

وفي أكتوبر ١٧٦٣ ، دخل عدد من أنصار شيخ كعب إقليم الدواسر على الضفة الغربية من أسفل شط العرب وطردوا أهل الاقليم

من بلادهم ، ولما كان لشركة الهند الشرقية بعض المصالح في تمور هذا الاقليم فقد اعتزم مستر برايس الذي كان قد فتح مؤخراً الوكالة البريطانيةفي البصرة وكان ما يزال مسئولا عنها- ان يرسل سفينة تمنع هؤلاء الغزاة من طردهم ، لكن المتسلم نصحه بألا يقوم بعمل من ذلك النوع ، وكتب له بدل ذلك خطاباً ليرسله إلى الشيخ سلمان ، وفي نفس الوقت وصل علي باشا إلى جوار البصرة ، وهو نفسه الذي سبق له أن قاد الحملة السابقة على قبيلة كعب حين كان متسلم البصرة . وحين سمع بنو كعب بوصوله انسحبوا من اقليم الدواسر ، وفي نفس الوقت هبطت في النهر السفينة «سوالو» يقودها الكابتن نسبيت وبصحبتها مجموعة من القوارب تحمل مائة جندي ارسلها نائب الحاكم لتأمين التمور المتنازع عليها . وكان علي باشا -على أية حال- متلهفاً لتحطيم قوة هذه القبيلة ، وكتب إلى مستر برايس ما يلي :

« انني اريد في سبيل تأمين مصالح حكومتي أن اسير بجيش عن طريق البر ، وترسل أنت سفنك لمحاصرة مصب النهر ، ولك الحرية المطلقة في أن تحرق او تدمر او تستولي على أي شيء تصادفه مما تملكه هذه القبيلة ، وباختصار عليك أن تسيطر تماماً على الوضع لأنهم لا شك سيحاولون الهرب عن طريق البحر ، ويكفي خطابي هذا لمواجهة أي شيء يحدث في المستقبل ، وسيكون القضاء على قبيلة كعب انتصاراً لبلدكم ، وليس انتصاراً لي ، كما ارجو أن تثق بأن مساعدتكم الفعالة هذه ستلقى من السلطان كل اعتراف وتعويض ، ويبقى أن ترسل سفنك بمجرد وصول خطابي اليك ، وتأكد أن نجاح هذا الأمر كله يعتمد على مثابرتك وصداقتك وإخلاصك » .

وعلى أثر هذا الطلب أرسلت سفن الشركة «تارتر» و «سوالو» لمساعدة الباشا ، وحدث غير اشتباك لها باسطول قبيلة كعب . ومرة أخرى تم الصلح ، وانسحبت الحملة دون تحقيق أية تسوية نهائية .

الحملة الانجليزية–التركية الثالثة على قبيلة كعب ١٧٦٥ :

وفي سنة ١٧٦٥ حين سار كريم خان حاكم إيران بقواته للمرة الثانية ضد قبيلة كعب بهدف إخضاعها تلقى من الاتراك وعداً بالمساعدة. وكان اسطول الشيخ سلمان شيخ كعب في ذلك الحين يتراوح بين ١٠ و ١٢ سفينة كبيرة، وحوالي ٧٠ سفينة صغيرة. وحين دخل كريم خان إقليمه ظل يتراجع أمامه من نقطة إلى أخرى في البحر حتى عبر شط العرب في النهاية ودخل الاراضي التركية. واستدعى الاتراك –الذين كانوا ينتوون بالفعل تقديم العون للايرانيين كما وعدوهم– فرقة مشاة من بغداد كانت تعرف باسم البرتاليه، كذلك استطاعوا أن يؤمنوا عدداً يتراوح بين ١٠ و ١١ تكنة وسفينة صغيرة، والاصطلاح الأول يطلق على نوع من القوارب المسلحة، مسطح الشكل ومغطى بالقار، وكان يقود الاسطول القبطان باشا. وتعاقد الاتراك مع سفينة بريطانية خاصة هي «فاني» يقودها الكابتن باركنسون للاشتراك في الحملة على أساس اتفاق منظم فيما يتعلق باحتمال المخاطرة ودفع أجور العاملين عليها، وامداداتهم. كما استطاعوا أيضاً الحصول على عون اثنين من الشباب الانجليز لقيادة اثنتين من سفنهم. لكن الاتراك ماطلوا وتأخروا كثيراً في تنفيذ تلك الإجراءات. وحين كانت قواتهم على وشك التحرك وصل خطاب من كريم خان يعبر فيه عن استيائه لمسلكهم ويبلغهم أنه قد انسحب من اقليم قبيلة كعب. وجمدت حركة القوات التركية بعدها حتى جاءتها الاوامر بأن تواصل السير وحدها دون حاجة للايرانيين. وبدأت القوات البرية التركية البالغة حوالي خمسة آلاف رجل زحفها هابطة على الضفة اليمنى لشط العرب فيما سار الاسطول في النهر يساند تحرك القوات البرية. وقد لوحظ ان المتسلم ظل ومعه خيرة القوات في المؤخرة، على حين راحت بقية القوات تطهر الطريق. واخيراً وصلت طلائع القوات التركية إلى مواجهة الطرف الشمالي من جزيرة عبدان حيث كان اسطول كعب راسياً، وباتت ليلتها في حماية السفينة

البريطانية «فاني» . أما المتسلم والقبطان باشا فظلا معسكرين على بعد فرسخين فقط من البصرة . وفي ساعات الظلام باغت أسطول كعب السفن التي يقودها القبطان باشا واستطاع أن يستولي على ثلاث منها دون مقاومة تذكر . وفي اليوم التالي سار اسطول العدو مبحراً في النهر أمام أعين الأتراك جميعاً ، ونهب عدة قرى بجوار البصرة واستولى على بعض القوارب في طريقه ، وبعدها أعلن الشيخ سلمان أنه على استعداد لأن يدفع للاتراك دفعة واحدة وتم الصلح على هذا الاساس ، ورجعت القوات التركية إلى البصرة بعد أن قضت في الميدان أقل من ثلاثة أسابيع .

تجدد المشاكل مع قبيلة كعب اغسطس–اكتوبر ١٧٦٥ :

وكان اشتراك المواطنين البريطانيين في هذه الحملة الفاشلة قد وافق عليه ، إن لم يكن قد رتبه بنفسه ، مستر بيتر إلوين رنش وكيل شركة الهند الشرقية في البصرة الذي قال عنه الرحالة نيبور إنه كان تاجراً ماهراً أكثر منه رجل سياسة . وكان شيخ كعب مقتنعاً بأن مصلحته مع الاتراك لا تعني أبداً إسقاط حقه في الانتقام لنفسه من البريطانيين ، الذين أثاروا حفيظته بأعمالهم العدائية ضده .

وتبع ذلك هجوم خطير قامت به قبيلة كعب على السفن البريطانية على نحو ما هو مذكور بالتفصيل في التاريخ الخاص باقليم عربستان وذلك في يوليو ١٧٦٥ . وفي ٢٤ أغسطس ظهرت ثماني سفن صغيرة من سفن كعب أمام البصرة ، وهاجرت قبيلة المنتفق بزعامة الشيخ عبد الله من ارضها بزعم صد الغزاة إلى غابات النخيل على الضفة اليمنى من النهر أسفل البصرة ، وهناك اشتركوا مع العدو في اقتسام الثمار . وكان المتسلم الذي يخشى كل الخشية أن يعلن فجأة عن التعاون السافر بين قبيلتي كعب والمنتفق بدل هذا التفاهم السري بينهما في منعاوي . وقد ركز قواته جميعاً للدفاع عن المدينة ، ولم يقم بعمل آخر ، وظل هذا الموقف المتوتر مستمراً حتى يوم ١٠ أكتوبر حين تراجع أفراد

كعب واسطولهم . وفي ذلك الوقت كان جانب صغير من محصول التمر فقط هو الذي بقي لاصحابه .

الحملة الانجليزية التركية – الرابعة على قبيلة كعب ١٧٦٦–١٧٦٨ :

وقد ارغمت الاعتداءات التي لا تحصى من جانب قبيلة كعب على السفن التي ترفع العلم البريطاني في سنة ١٧٦٥ شركة الهند الشرقية على ان ترسل في العام التالي قوات كبيرة مشتركة لعقاب هذه القبيلة . وهذه الحملة مذكورة بتفاصيلها في تاريخ عربستان . يكفي القول بأن تركيا قد اشتركت فيها على نفس الاسس الاسمية فقط الى جانب بريطانيا ، وان النتيجة النهائية للعمليات كانت هزيمة محزنة للبريطانيين ، وأن هذه العمليات لم تتوقف إلا بعد وساطة من كريم خان حاكم ايران . وفي مارس وابريل ١٧٦٧ –وكما ذكرنا في عرضنا التاريخي للضفة الايرانية من الخليج– بذلت بعثة ارسلها كريم خان جهوداً متصلة للحصول من قبيلة كعب على تعويض للاتراك دون جدوى . وظل الحصار البحري لإقليم كعب الذي فرضه البريطانيون بعد تراجعهم قائماً حتى سنة ١٧٦٨ . وفي هذه السنة خسر البريطانيون عون حاكم ايران لفشلهم في الاستيلاء على جزيرة خارج طبقاً لاتفاقية سابقة مع كريم خان ، وقد قطعت مفاوضات بشيراز بين الفريقين في أوائل بدايتها ويبدو أن الحصار البحري لأرض هذه القبيلة قد رفع في ذلك الوقت ، وحين ادرك بنو كعب أنهم أحرار أخيراً بدأوا يشيدون القلاع ويحصنونها على ضفتي شط العرب .

معونة قبيلة كعب للاتراك ١٧٦٩ :

وفي نهاية ١٧٦٩ ، وكما أشرنا من قبل ، بدأ بنو كعب يحاولون قطع علاقتهم بالايرانيين ، وسار اسطولهم المكون من ١٤ سفينة بالفعل لمساعدة متسلم البصرة ضد قبيلة المنتفق .

تجدد الاحتكاك بين قبيلة كعب والاتراك ١٧٧١–١٧٧٣ :

وفي سنة ١٧٧١ كان الاتراك ما يزالون على صلح مع قبيلة كعب ، ويبدو أن هؤلاء أيضاً كانوا قد تخلوا عن عدائهم للبريطانيين ، ولكن يبدو أنه لا الاتراك الذين كانوا يزعمون ان لهم عند هذه القبيلة أكثر من ٢٠ الف روبية ولا البريطانيون الذين لم يتلقوا أي تعويض عن خسائر سنة ١٧٦٥ قد وجدوا من هذه القبيلة ما يرضيهم . وقبل نهاية سنة ١٧٧٣ حدثت قطيعة جديدة بين قبيلة كعب والاتراك ، وقطع بنو كعب تجارة البصرة بأن أغلقوا الملاحة في النهر بوقوف ثلاث من سفن اسطولهم في عرضه .

★ ★ ★

علاقات البريطانيين العامة والسياسية في العراق التركي ١٧٥٧ ـ ١٧٧٣

زيارة مستر جاردن لبغداد ١٧٥٨ :

في سنة ١٧٥٨ كان مستر جاردن ما يزال مساعداً لمستر شو ، وقام بزيارة لبغداد في امور هامة ، وترك وراءه الخوجا رافائيل وهو تاجر أرمني كان يقوم دائماً بدور الوكيل العادي للمقيم . وفي بغداد التقى مستر جاردن بالرحالة البريطاني دكتور آيفس وجماعته ، وقد سر هؤلاء للقائه ووصفه دكتور آيفس بأنه «شاب بريطاني مهذب» .

رحلة المقيم البريطاني إلى بغداد والحصول على فرمان من الباشا ١٧٥٩ :

وفي صيف ١٧٥٩ قام مستر شو المقيم البريطاني في البصرة برحلة إلى بغداد ، وذلك بهدف تحييد الآثار التي خلفتها زيارة المقيم الفرنسي مؤخراً لبغداد ، وليسر سليمان باشا الذي ارسل اليه اموالا ودعوات للزيارة ، ثم للاشراف على شئون تجارته الخاصة أيضاً . وظل مستر شو مقيماً في ضيافة الباشا من نهاية يونيو حتى منتصف أغسطس ، وقد لقي

خلال إقامته كل حفاوة وتكريم .. او كما يقول هو بنفسه ، « لقد توالت على مظاهر التكريم والحفاوة العلنية توالياً أفرح أصدقاءنا ، وقتل أعداءنا حسداً وكمداً » . وكانت نتيجة رحلة المقيم –من وجهة النظر الرسمية– هي الحصول على فارمان من الباشا يأمر فيه متسلم البصرة بأن يراقب بعناية تنفيذ كل مادة من مواده ، وحتى لا يتهم مستر شو من جانب رؤسائه بأن هذا الفرمان الذي حصل عليه لا قيمة له ، أكد لرؤسائه أن هذا الفرمان الجديد لا يعني فقط مجرد اعفاء الشركة من «ضرائب المرسى» أو هدايا السفن التي قد تم الاتفاق بشأنها سنة ١٧٥٦ ، بل يلغي أيضاً –وللمرة الاولى– أنواعاً أخرى من الضرائب كانت مفروضة على الشحن وعلى نقل البضائع إلى الداخل .

وكان اعفاء الشركة من ضرائب نقل البضائع إلى الداخل ، وهو اعفاء لم يطبق بالفعل ، جديراً بأن يمكنها من ان تقدم بضائعها لتجار بغداد على نفس الأسس التي تقدمها بها لتجار البصرة . على أن يتحمل التجار نفقات الشحن إلى الداخل .. وبذلك يتمتع مستهلكو الاقمشة الصوفية في بغداد بتخفيض في الأسعار يبلغ ١٣٪ . وحين عاد مستر شو من بغداد إلى البصرة حوالي منتصف سبتمبر لقي من المسئولين والتجار والمواطنين في المدينة كلها كل مظاهر الحفاوة في استقباله ، وذلك بسبب حفاوة باشابغداد به. ولتوفيقه في تسوية بعض مشكلات البصريين في بغداد

رفع عوائد الاستيراد على البضائع الانجليزية من ٣ إلى ٥ ٪ سنة ١٧٦٠

ويبدو أن تجديد الباشا لهده الامتيازات ، والحفاوة التي لقي بها مستر شو قد تبددت في العام التالي ، فقد ذكر سليمان باشا أنه حسب الاوامر التي تصله من القسطنطينية ، فهو مضطر لأن يفرض على التجار الاوروبيين ضريبة الاستيراد على بضائعهم بنسبة قدرها ٥ لا ٣٪ ، كما حددت الاتفاقية من قبل ، وقد ابلغ متسلم البصرة المعروف بميله للانجليز مستر شو بشكل خاص هذا الأمر ، وأنبأه بتدخل السلطات في

بغداد في تجارة التجار الاوربيين ، ونصح له بأن يقدم احتجاجاً ضد الزيادة الضريبية وان يحتجز السفينة « سوالو » في البصرة بزعم إعدادها لنقل بضائع الشركة منها ، ووعده بأنه سيقف إلى جانبه في هذا الامر . وتم أخيراً سحب القانون الجديد البغيض لكن ذلك لم يتم إلا بعد أن وافق الانجليز على تنازلات بصدد الموضوع ، ولكنهم رفضوا تقديم هدية طلبت من السكرتير الشخصي لمستر شو في بغداد ، وقد أصبح معروفاً أن سلوك الباشا المتشدد كان بناء على نصيحة من الكيخا الجديد الذي كان يعادي المسيحيين جميعاً ، وكان عليه عبء تدبير المال لخزينة خاوية .

وقد ذكرنا من قبل شيئاً عن المعونة التي قدمها البريطانيون للاتراك ضد قبيلة كعب في سنة ١٧٦١ .

رفع مقيمية البصرة إلى درجة وكالة ١٧٦٣ :

وحسب الاوامر التي اقرها مجلس المديرين في العام الذي قبله ، أعدت حكومة بومباي عدتها في يناير ١٧٦٣ لنقل المقر الرئيسي للشركة في منطقة الخليج من بندر عباس إلى البصرة ، وكان لا بد من إجراء بحوث وتحريات حول مسلك المقيم السابق هناك ، واعتبر مستر دوجلاس الوكيل في بندر عباس غير صالح لملء المركز نظراً لارتباطاته السابقة بمقيم البصرة ، وارسل مستر ويليام اندرو برانس من بومباي خصيصاً لتولي تلك الوظيفة الحساسة وليشرع في الوقت نفسه ببناء مبنى الوكالة .

وكان دوجلاس قبل وصوله إلى الخليج قرب نهاية مارس سنة ١٧٦٣ على نحو ما ذكرنا في مكان آخر — قد نقل بالفعل ممتلكات الشركة في بندر عباس ، وارسل معظم بضائعها إلى البصرة ، وهكذا استطاع مستر برانس بعد فترة قصيرة قضاها في بوشهر بهدف الإعداد لإنشاء مقيمية هناك حسب اوامر حكومة بومباي أيضاً — ان يبدأ عمله في البصرة دون إبطاء ، وقد وصلها في ١٣ مايو فوجد عليها متسلماً جديداً وصفه بأنه «رجل متكبر وجشع يعادي المسيحيين عداء قاتلا» ، وكان قد وصل من

بغداد ليتولى حكومة البصرة قبل ثلاثة أيام فقط ، وقد لقي بعض الصعوبات في تدبير الاستقبال اللائق به على الشاطيء ، ولكن أخيراً وفي يوم ١٨ مايو أرسل القبطان باشا والمفتي والشهبندر لاستقباله ، ونزل مستر برايس ليقيم الوكالة الجديدة .

وليس من الضروري أن نشير هنا أيضاً إلى تدخل مستر برايس في المشاكل التي كانت قائمة بين حكومة البصرة وقبيلة كعب سنة ١٧٦٣ .

البراءة القنصلية ١٧٦٤ :

وفي أغسطس ١٧٦٤ ، استطاع مستر جرانفيل السفير البريطاني في القسطنطينية الحصول على «براءة قنصلية»(١) او أمر يسبغ على وكيل شركة الهند الشرقية في البصرة صفة قنصل بريطاني هناك وقدمت هذه البراءة إلى مستر رنشن ومعها توصية من الباب العالي بمعاملته معاملة السفير البريطاني نفسه ، وكانت الوظيفة التي يشغلها مستر رنش رسمياً هي وكيل البصرة . ولا شك في أن مستر جرانفيل قد واجه صعوبات كثيرة لدى الحكومة التركية في سبيل الحصول على تلك البراءة التي كان يقدر قيمتها تقديراً كبيراً ، وفرح مستر جرانفيل بانتصاره هذا .. وكتب إلى الوكيل يزف اليه الخبر : « إن هذه أفضل الطرق وأ‌ منها في هذا الجزء من العالم لحماية تجارة الشركة وملكياتها وحقوقها ، انها تؤمن لوكلاء الشركة إلى الابد ، وبأسلوب أكثر ثباتاً من أي اسلوب آخر إقامة هادئة في البصرة كما أنها تحرس نهائياً لعبة الباب العالي الخطرة في التغيير السنوي لنسبة الضرائب . وهذا ما طبقته فروع شركة

---

(١) هذه البراءة القنصلية ·· » لسنة ١٧٦٤ أو الترجمة التى قام بها المقيم في البصرة لهذه البراءة نفسها بعد عدة سنين موجودة بالنص في « معاهدات اتشيسون ·· » المجلد ١٣٠ ص ٧ ــ ٩ ، الطبعة الرابعة · وبالرجوع الى هذه الترجمة يتبين لنا أن نصوصها تتفق في جوهرها مع البراءة التى حصلت عليها مقيمية بغداد في سنة ١٨٠٢ ·

الشرق الادنى على كل مستويات العمل التجاري في بلدان تلك المنطقة لهذا نادراً ما لقي القناصل فيه أية مضايقات بشأن عمل الشركة وموسساتها» وان فوائد ومزايا هذه البراءة واضحة وسافرة .

وكانت النقطة الوحيدة التي يكتنفها الشك هي إمكان الحصول عليها ، لا لعدم استعداد الباب العالي لمنحها فقط ، بل لأنها أيضاً تطبق لأول مرة بالنسبة لنا في البصرة . الامر الذي جعل الباب العالي يعتبرها بدعة غريبة ، ومع ذلك كله فقد نجحت في الحصول عليها واني أهنئكم مرة أخرى ولتجن الشركة طويلا ثمارها .

وكانت البراءة باسم مستر جاردن الذي كان يعمل وكيلا في البصرة حين كانت المفاوضات بشأنها دائرة في القسطنطينية ، لكن السفير البريطاني طمأن مستر رنش وأكد له أنه يمكن بعد انقضاء فترة قصيرة تغييرها إلى اسمه هو على النحو المتبع في كل مكان آخر .

وفي ١٧٦٥ نشأت بعض الصعوبات من جانب السلطات المحلية التركية أمام تنفيذ اوامر الباب العالي واحترامها ، ولكن كان مفهوماً أن تلك المعارضة جاءت نتيجة رشوة ضخمة قدمها بعض التجار الاهليين لباشا بغداد ممن كان يضيرهم أن تحصل بريطانيا على براءة قنصلية . ولم يكن لدى مستر رنش وقنصليته شك في أن مستر جاردن الموجود آنذاك في بغداد سيستطيع تسوية الامور مع الباشا خاصة وقد فوضاه في أن يقدم له هدية أثمن من الرشوة التي قدمت له . وقد فهم الوكيل والمجلس أن الامتياز تم عملياً بالممارسة. بمعنى أنهم يستطيعون ان يسلموا البضائع لعملائهم من أهل البلاد في مقر الشركة ، وان يكونوا مسئولين أمام الحكومة التركية عن العوائد التي تدفع عن بضائعهم من جانب هؤلاء العملاء ، ويسلموها مباشرة الى المستوردين ، وهكذا يستطيعون أن يجنبوا عملائهم المضايقات وزيادة المصروفات التي لم يكن بد منها لمرور أية بضائع من أية دار تركية للعوائد . وكانت نتيجة هذا كله أن

توقعت الشركة أن يقوم التجار الوطنيون عموماً ، والارمن الذين كانت وارداتهم من الهند أكبر حجماً من أية واردات أخرى خصوصاً بنقل بضائعهم مستقبلا على سفن بريطانية الامر الذي يكفل استرداد ما انفقته الشركة من نفقات ضخمة للحصول على الامتيازات في القسطنطينية ، ولسنا نعرف على وجه اليقين ما اذا كان هذا التفسير الواسع للامتيازات القنصلية قد تحقق أم لا ، كما لا نعرف أيضاً هل كانت نتائجه المالية على قدر توقعات الوكيل وكل ما نعرفه لا يتجاوز بعض الملاحظات عن التجارة في سنة ١٧٦٩ سنذكرها تحت عنوان آخر.

وكان لوجود مقر المقيم العام للشركة بميناء البصرة ، على حين أن حاكم إقليم العراق التركي كله يقيم في بغداد صعوبة ومتاعب بذلت محاولات للتغلب عليها في مناسبات عديدة .

مقيمية موقتة في بغداد ١٧٦٥ – ١٧٦٦ :

ففي سنوات ١٧٣٧ و ١٧٣٨ و ١٧٥٨ زار بغداد مساعد المقيم ، وفي ١٧٣٦ و ١٧٤٥ و ١٧٥٦ و ١٧٥٩ زارها المقيم بنفسه ، كما كان لمستر شو –أثناء مسئوليته عن البصرة– وكيل دائم في بغداد هو تاجر أرمني من أصل ايراني اسمه خوجا رافائيل ، أما في هذا الوقت الذي وصلنا اليه فقد كان الوكيل والمجلس مقتنعين بضرورة وجود موظف أوربي يمثلهما في بلاط الباشا .

١٧٦٥ :

وكان السبب الرئيسي لارسالهما مبعوثاً عنهما للمرة الاولى إلى بغداد صعوبة نشأت لهما من جراء عدم تقديمهما مع التهنئة لسليمان باشا الهدية المعتادة بمناسبة توليه الحكم . وكانت المشكلة عند محاولة تحصيل دين ضخم للشركة على رجل يدعى حاجي يوسف في البصرة ، وكانا أيضاً يعتقدان أن الوقت مناسب للحصول على اعتراف الباشا بالصلاحيات القنصلية الممنوحة للوكيل البريطاني التي بدا أن الباشا –كما أشرنا– يميل إلى

تجاهها ، ولم يكن مقصوداً من البداية أن يقيم هذا المبعوث إقامة دائمة في بغداد . وقد وقع اختيارهما على مستر روبرت جاردن لتأدية هذه المهمة لأنه سبق أن زار بغداد في سنة ١٧٥٨ ، ولأنه يجيد اللغة التركية ولانه أيضاً يلي الوكيل نفسه في ترتيب الوظائف بالوكالة . وخرج مستر جاردن من البصرة في ٢٨ مارس ١٧٦٥ ، وتكلفت رحلته هذه حوالي ١٢٠٠ روبية وحين استدعى مستر جاردن إلى الهند ارسل مستر لايستر ليحل محله .

١٧٦٦ :

ويجب أن نلاحظ هنا أن استبدال هذا الموظف بموظف آخر لم يكن أمراً دائماً لأنه في يناير وفبراير ١٧٦٦—حين كان الرحالة نيبور في بغداد— لم يكن ثمة مندوب بريطاني هناك . وكان وجود موظف بريطاني ببغداد سنة ١٧٦٥ و ١٧٦٦ لا شك مفيداً فائدة كبرى في تنسيق العمل المشترك بين البريطانيين والاتراك ضد قبيلة كعب ، لكن مجلس المديرين حين نمي الى علمه ما حدث ، لم يوافق على تصرف حكومة بومباي ، وفي ٢٣ نوفمبر سنة ١٧٦٦ استدعى مستر مورلي إلى الهند .

العلاقات المالية بين الحكومة التركية وشركة الهند الشرقية بالحملة الانجليزية التركية الرابعة على قبيلة كعب ١٧٦٦—١٧٧١ :

إن تفاصيل الحملة التي قام بها الاتراك متحالفين مع شركة الهند الشرقية على قبيلة كعب في سنة ١٧٦٦ واردة بالتفصيل في الفصل الخاص بتاريخ اقليم عربستان الذي كان ميداناً لعمليات هامة ، لكننا سنشير هنا إلى الاتفاقيات المالية بين الحلفاء .. فهذا أنسب مكان لها . وقد كانت المعونة التي قدمتها الشركة في البداية بلا مقابل ، ولكن حين تباطأ الاتراك في تنفيذ عملياتهم وجد ممثل الشركة من الضروري في نهاية مايو أن يبلغ الاتراك بانهم لو احتجزوا القوات البريطانية البحرية والعسكرية إلى

ما بعد نهاية يونيو التالي ، فعليهم أن يتحملوا نفقاتها ، وقبل شاه بغداد هذا الاقتراح ، وتم الاتفاق على ان يدفع معونة قدرها ١٠٠٠ تومان في كل شهر ، على أن يدفع هذا المبلغ مقدماً عن طريق الكخيا ، وجاء هذا من بغداد قرب نهاية يونيو ليتولى قيادة القوات التركية فسلم الوكيل البريطاني أمر دفع على دار العوائد في البصرة بما قيمته ٦٠٠ تومان كدفعة من الحساب . ولكن سرعان ما توقف الاتراك عن دفع أقساطهم بانتظام، وفي أغسطس استطاع الوكيل أن يحصل من الكخيا –بعد ضغط كثير ومجهودات مضنية– على مبلغ ٣٢٠ توماناً نقداً وعلى تمور قيمتها ١٠٨٠ توماناً آخر . وفي ٢ فبراير ١٧٦٨ بلغ العائد المتأخر للشركة مبلغ ١١,٧١٨ توماناً ، وراح متسلمو البصرة يرددون أنه يكفي ما دفع للبريطانيين ثمناً لخدمات أسطولهم . ورداً على ذلك هدد الوكيل بسحب هذا الاسطول من البصرة وتركها دون حماية ، وواضح أن هذا التهديد قد حقق ثماره المرجوه لأنه في أكتوبر سنة ١٧٦٨ كانت المتأخرات على الحكومة التركية قد هبطت إلى ٢٠٥٠ توماناً ، ثم بدأت مشكلات أخرى –كما سنرى– في سنة ١٧٦٩ ، ولم تنخفض هذه المتأخرات ابداً حتى أغسطس ١٧٧١ . ويبدو أن جانباً من هذه المدفوعات كان يتم الحصول عليه من العوائد التركية في البصرة فقد كان سليمان باشا قد خصص نصف تلك العوائد للبريطانيين وفاءً بديونهم .

مشكلات مع سليمان آغا ونقله من متسلمية البصرة ١٧٦٩ :

ولكن مسلك سليمان أغا لم يكن دائماً على ما يرام ، ففي يونيو ١٧٦٩ اضطر مستر مور الوكيل البريطاني في البصرة للشكوى إلى باشا بغداد ضد جشع وظلم ممثله في البصرة ، خاصة معاملته القاسية والمهينة للأرمن وسواهم من التجار المسيحيين ، وأشار في نفس الوقت(١)

---

(١) انصافا لسليمان اغا ينبغى القول هنا بأنه ثبت أن مستر مور كان شخصية متهورة ضعيفة – ، وأن سليمان – كما رأينا وكما سنرى – كان دائما على علاقة طيبة بالمسئولين البريطانيين . أما في النص التالى فان لدينا رواية مستر مور فقط للقضية .

كمثال على اتجاه المتسلم نحو البريطانيين ، بأنه سمح لاثنين من انصاره بأن يضربا حصان رجل كان برفقة الوكيل البريطاني ، كما أنه أمر بسجن وضرب بواب الوكالة لا لشيء سوى أنه كان مسيحياً وكان خادماً في الوكالة . وقبل أن يصل خطاب الباشا الذي يستنكر فقط أعمال المتسلم ويأمره بأن يعدل عن مسلكه هذا في المستقبل كان سليمان أغا نفسه قد تقرب من الوكيل طالباً الصلح والتهادن ، وذكر انه مستعد للالتزام بالشروط التي وضعها مستر مور الوكيل البريطاني . ومن هذه الشروط يهمنا الاخيران لأنهما يلقيان ضوءاً على جانب من مشكلة العوائد القنصلية ، وإعادة دفع المتأخرات على الحكومة التركية للشركة :—

أولا : أن يرسل المتسلم مبعوثاً عنه للوكالة البريطانية معتذراً عن الاهانات التي حدثت لا سيما سجن بواب الوكالة ، ويعد ألا يعود لمثل ذلك المسلك في المستقبل .

ثانياً : أن يدفع المتسلم للوكيل أمراً بمبلغ ٢٠ ألف قرش سداداً لعوائد على بضائع انزلها التجار الاهليون من سفن بريطانية معينة ، كما يوافق على أن تقوم شركة الهند الشرقية بالاحتفاظ بقيمة العوائد التركية عن البضائع التي انزلت من سفنها في مقابل بعض الديون المستحقة للشركة على السلطات التركية .

ثالثاً : أن تقسم العوائد على السفن المتوقع وصولها خلال الموسم على الوجه التالي : « ان تدفع نسبة ٣٪ عن كل البضائع الانجليزية للشركة المعظمة» . أما «نسبة ٧٪ التي تدفع عن كل البضائع في البلاد سواء قام ببيعها تجار بريطانيون أم أهليون فتقسم مناصفة بين المتسلم والشركة المعظمة بواقع ٣,٥٪ لكل منهما » .

من هذه الشروط يتبين لنا أن عدداً من التجار الاهليين كانوا ما يزالون معتادين على إنزال البضائع التي استوردوها في دار العوائد التركية وليس في مقر الشركة كما أمل الوكيل والقنصل في سنة ١٧٦٥ .

ولا بد أن مسلك سليمان أغا –رغم قبوله شروط مستر مور– قد ظل على غير ما يرام ، لانه في ٣١ أكتوبر سنة ١٧٦٩ حين جاءت الأخبار بأن سليمان باشا قد خرج من بغداد ضد قبيلة المنتفق– أبحر مستر مور ومستر جرين على ظهر الطراد «اكسبديشن» تصحبهما السفينة قاذفة القنابل «فانسي» ، وسارا في الفرات حتّى ام لباس على الضفة الجنوبية من النهر في منتصف الطريق بين القرنة وسماوه وهناك كان الباشا معسكراً ووصلاها في ٦ نوفمبر وتبينا أن المتسلم كان قد سبقهما إلى الاستيلاء على آذان الباشا منذ عدة أيام ولكن في يوم ١٢ من الشهر نفسه ، وبعد رحيل المتسلم إلى البصرة ، التقى الوكيل لقاء خاصاً بالباشا نتج عنه ارسال الكخيا الذي كان شقيق الباشا في نفس الوقت –بعد عدة أيام– ليعزل سليمان أغا من متسلمية البصرة ويعين بدله يوسف أغا الذي ذكر عنه إنه رجل شريف وعلى خلق .

رفض البريطانيين عون الاتراك ضد قبيلة المنتفق ١٧٦٩ :

وفي أغسطس ١٧٦٩ طلب الباشا بالحاح من الوكيل البريطاني إعارته مساعدة سفن الشركة للقضاء على تمرّد قبيلة المنتفق بزعامة الشيخ عبدالله الذي أشرنا اليه . لكن مستر مور –الذي كان يذكر جيداً النتائج السيئة التي تمخض عنها تدخل البريطانيين بين الاتراك وقبيلة كعب من قبل والذي كانت علاقته بعبدالله شيخ المنتفق علاقة ودية دائماً ، والذي كان أيضاً ما تزال له اموال متأخرة عند متسلم البصرة– راوغ في إجابة هذا المطلب متعللا بأن السفن البريطانية الكبيرة لا تستطيع أن تقوم بعملها في مجرى الفرات . وذكر الوكيل أيضاً أنه كان محتملا أن تستولي المنتفق على مدينة البصرة نفسها .. وكان هذا في ذاته سبباً آخر يحمله على زيادة التمسك بالحياد .

انسحاب العاملين بالوكالة من البصرة ٢٣ ابريل ١٧٧٣ :

وفي ربيع سنة ١٧٧٣ انتشر الطاعون فجأة في البصرة فقضى على

الكثيرين وأفزع الجميع ، وفي بداية إبريل انسحب الوكيل (مستر مور) وبعض عمال الشركة إلى «بلفوار» حيث كانت ترسو سفينتا الشركة «دريك» و «دجلة» ، وظل بقية العاملين في الوكالة مغلقين على أنفسهم أبوابها ممتنعين تماماً عن الاتصال بالعالم الخارجي . وفي ٧ إبريل وصلت السفينة الحربية الصغيرة «سوالو» إلى البصرة وعلى ظهرها ٦٣ بالة من البضائع من صورات ، ولما كان سير جون كلارك القائد قد امر بألا تقترب أية قوارب من السفينة خشية أن تنقل اليها العدوى ، فقد نقلت هذه الحمولة مرة أخرى إلى ظهر سفينة الشركة «دريك» بغية إنزالها إلى البصرة بعد انتهاء الوبأ . واستشرى الوبأ بقدوم الصيف يوماً بعد يوم ، وأصبح وضع موظفي الشركة غاية في الحرج والخطورة ، فقد هجرهم الخدم العاملون معهم ، ونفذت المواد الغذائية عندهم او كادت ، ولم يكونوا ليأمنوا على أنفسهم ابتياع طعامهم من الخارج .

وأخيراً في ٢٣ إبريل — قام موظفو الشركة بإحكام ختم مخزن الوكالة ، وأوصوا الحكومة المحلية بالعناية بها ، وعينوا خوجه بطرس ورجلا ارمنياً آخر يشتغل بالتجارة لتمثيل الشركة في غيابهم ثم غادروا البصرة إلى بومباي على ظهر السفينتين «تايجر» ذات الثمانية مدافع و «دريك» ذات الأربعة عشر مدفعاً . وفي المضبطة التي كتبوها مباشرة قبل رحيلهم – والتي تركوها لترفع إلى مجلس مديرى الشركة في لندن– برروا هذا المسلك بأنه لم يكن في البصرة أية ديون مستحقة للشركة ، وأن الطاعون قد أدى إلى توقف العمل توقفاً تاماً ، وأنه ليس من المأمون الاتصال بالأهالي او التعامل معهم قبل انقضاء ستة أشهر على الاقل . وعند رحيلهم كانوا حريصين على تشجيع الاعتقاد في البصرة بأنهم لن ينتقلوا بعيداً إلى بومباي .

الاستيلاء على السفينة «دجلة» في شط العرب ٢٦ ابريل ١٧٧٣ :

وبعدها بثلاثة أيام –حين كانت السفينتان ما تزالان هابطتين في شط العرب– وكانت السفينة «تايجر» تسبق «دريك» بحوالي ثلاثة اميال

أو اربعة هاجمت «دجلة» أربع من سفن القراصنة عند ريق وأطلقت عليها النيران ، واعتقد الملازم سكوت قائد السفينة أن هذه السفن المهاجمة من مسقط ، وحين تبين أن كل بحارة السفينة قد القوا بنفسهم من فوقها ، ولم يبق حوله سوى ١١ جندياً اوربياً يواجه بهم العدو ، القى الملازم سكوت بنفسه أيضاً إلى الماء ، والتقطته السفينة «دريك» بعد ذلك ومعه اثنان من البحارة الاوربيين واثنان من طاقم السفينة الهنود . وقد اسر السيدان بومونت وجرين وهما تاجران كبيران كانا قد ظلا على ظهر السفينة ، أما باقي البحارة فلم يرد شي عن مصيرهم .

وقد بذلت السفينة «دريك» كل جهدها لاسترجاع السفينة المنكوبة ، لكن سفن القراصنة الاربع بعد أن انضمت اليها سفينة خامسة استطاعت أن تنجو بصيدها . ولم تفلح «دريك» في مطاردتها نظراً لعدم استطاعة غاطسها السير في المياه الضحلة ، وحين رأى الوكيل الا فائدة من السير بالسفينة «دريك» التي كانت تحمل أكثر من الطاقة القصوى لها باتجاه ريق للمطالبة باستعادة «تايجر» وتخليص الاسرى ، قرر السير في طريقه بأسرع ما يمكنه خشية أن تفقد السفينة «دريك» طريقها وقد قارب الموسم الانتهاء .

أما عن مصير السيدين بومونت وجرين ، وتشغيل الايرانيين السفينة «تايجر» فيما بعد فذلك مذكور بالتفصيل في الفصل الخاص بتاريخ الساحل الايراني .

وكان المسافرون الذين وصلوا بومباي على ظهر السفينة «دريك» هم على ما يبدو السادة مور ولويس ولاتوش ، ولا يتضح لنا ما إذا كان مستر رايلي جراح الوكالة قد غادر البصرة منذ بداية الرحلة .. فقد كان ما يزال موجوداً بها في منتصف أكتوبر سنة ١٧٧٣ أي قبل عودة الوكيل وغيره من العاملين في الوكالة إلى مقرهم بأكثر من شهرين .

وليس في هذا الجزء أية اشارة إلى حادثة سببت كثيراً من الاتصالات

بين الوكالة والحكومة التركية دامت من سنة ١٧٦٥ إلى ١٧٦٨ ، وكان سببها مسلك بعض موظفي الوكالة (السادة شو وجاردن) ، ولهذا فقد آثرنا أن نذكرها في مكان آخر .

★ ★ ★

تجارة شركة الهند الشرقية في العراق التركي ١٧٥٧ ـ ١٧٧٣

كانت تجارة شركة الهند الشرقية في البصرة تعتبر مزدهرة كثيراً خلال هذه الفترة ، ويبدو أنه لم يكن لممثلي الشركة غير أعمال قليلة في بغداد حتى خلال وجود المقيمية فيها .

البضائع الصوفية :

وكانت أهم الواردات ـ تماماً كما هو الحال بالنسبة لايران ـ هي المنسوجات الصوفية بأنواعها المختلفة . وحين قام مستر شو بزيارة بغداد في سنة ١٧٥٩ لترتيب امور نقل بضائع الشركة في المستقبل إلى بغداد دون دفع رسم مرور داخلية عنها ، حمل معه بالفعل ١٠٩ بالات من المنسوجات الخشنة ، و ٣٠ بالة من المنسوجات الرقيقة . وقد تبين مستر شو ان قدراً كبيراً من الملابس المستوردة كان ما يزال يأتي إلى بغداد من حلب ، لكنه كان يعتقد أن تجارة الشركة ـ لو أحسن تنظيمها ـ فبوسعها القضاء على منافسة تلك الواردات . وفي فبراير سنة ١٧٦٨ كان في وكالة البصرة «فضلات كثيرة» ، لكن وصول ١٠٠ بالة من الثياب قيمتها حوالي ٣٠,٥٦٩ روبية كانت شحنت من بومباي بالفعل ، ومعظمها من النسيج الخشن والملون ، كان جديراً بأن يساعد على التخلص من الفضلات التي بقيت من الاقمشة . وفي سنة ١٧٧١ كانت كمية كبيرة من البضائع الصوفية المعدة للبيع موجودة في منطقة الخليج في كل من البصرة وبومباي ، لكن مجلس المديرين اتخذ قراراً خاصاً بالسماح

باستبدال هذه البضائع بالحرير الخام ، على ان يدفع ما لا يقل عن ٧٥٪ من ثمن الحريز بالصوف ، وبعدها تتوقف الشركة عن شراء الحرير . ومن سنة ١٧٦٣ إلى سنة ١٧٧٣ بلغ متوسط الواردات من الهند إلى البصرة عدداً يتراوح بين ٣٠٠٠ و ٣٥٠٠ بالة من البضائع الهندية ، وكان معظمها ملكاً لتجار مقيمين في البنغال ومدراس وصورات وتنقلها أساساً سفن يملكها رعايا بريطانيون او تجار مسلمون من صورات . وكان معظم مردود هذه البضائع بضائع أيضاً . وخلال نفس السنوات العشر صدرت شركة الهند الشرقية بعض المنسوجات من البصرة ، وقليلا من الثياب المصنوعة .

واردات أخرى :

وكان البن اليمني الذي تحمله سفن عمان بنداً هاماً من بنود التجارة في البصرة خلال هذه الفترة ، ولكن حدث أن انقطعت التجارة في هذه السلعة ثلاث مرات : في سنة ١٧٦٥ نتيجة الاضطراب الذي أثارته قبيلة كعب في شط العرب ، وفي سنة ١٧٦٧ بسبب جشع المير مهنا في خارج ثم في سنة ١٧٦٩ نتيجة الحرب بين الوكيل في ايران والإمام في عمان . وفي سنة ١٧٦١ جرت محاولة لإدخال تجارة القصدير إلى البصرة لكنها لم تنجح مباشرة . ولكن في سنة ١٧٦٤ نشطت التجارة بهذه السلعة هناك . وبعدها أصبح الحديد والصلب والسجاد من الصادرات أيضاً ولكن بكميات قليلة .

التمور :

وقد أصبح تصدير التمور الآن سلعة هامة كما تشير كثير من الدلائل. ففي أكتوبر سنة ١٧٦٣ ارسلت السفينة «سوالو» إلى إقليم الدواسر أسفل شط العرب لمنع الاستيلاء على التمور التي كان مستر شو –المقيم السابق في البصرة– مديناً بها لحساب الشركة . وفي أكتوبر ١٧٦٧ ذكر ان مستر لايستر من وكالة البصرة كان موجوداً في محارزي وهي جزء من

عبدان يطلق عليه هذا الاسم في الغالب « ليجمع من هناك قدر ما يستطيع من التمور» ، لكن هذه العملية اوقفت نتيجة مسلك قبيلة كعب ، وفي سنة ١٧٦٨ وافق الوكيل والقنصل على ان تدفع الحكومة التركية بعض ديونها لشركة الهند الشرقية بالتمور .

وفي سنة ١٧٥٩ حين ندرت الروبيات الفضية في البصرة ارسل المقيم والوكيل في بندر عباس يطلبان تعليمات بشأن العملة الذهبية التي يمكن أن يتم بها الدفع ، والتي يمكن نقلها بدل الروبيات الفضية من البصرة إلى الهند . وفي العام التالي —وحين لم يتلق المقيم أية تعليمات واضحة ومحددة بهذا الصدد ، وحين لم تعد ثمة روبيات فضية متداولة ارسل المقيم عملات من عملات البندقية والنادري إلى بندر عباس ومنها إلى بومباي .

الشحن والنولون :

والنص التالي المأخوذ عن ورقة من اوراق « المشاورات في قلعة بومباي» في ٢٤ إبريل ١٧٦٩ هام لأنه يلقي الضوء على عمل الشركة في شئون الشحن والنظم التجارية .

« بالاشارة إلى الالتماس المقدم من الارمن وسواهم من تجار البصرة وشكاواهم من عدم تخصيص سفينة في موعد سنوي منتظم لنقل بضائعهم من صورات وغير ذلك من الصعوبات التي تواجه تجارتهم في ذلك المكان فان الرئيس يعلن أن ما جاء بصدده هو من تلك الشكاوي هو مجرد اختلاق كاذب .. فهو لم يصدر ابداً أية أوامر ، ولا كتب إلى مستر برايس كلمة واحدة بهذا الصدد ، على نحو ما يروى السادة التجار . أما بخصوص الاتهام الموجه إلى مستر برايس بهذا الصدد فلا بد من استدعائه وسماع أقواله ، وسنعمل من جانبنا على اتخاذ الاجراءات الكفيلة بالقضاء على هذه الشكاوي ومثيلاتها المتعلقة بأمور الشحن بشكل عام .

« ونحن لا نستطيع أن ننهي هذا الموضوع دون اشارة إلى دهشتنا

الشديدة لأن السيدين : القنصل والوكيل قد رفعا هذا الالتماس المشار اليه إلى سادتنا المعظمين مباشرة ، وكان الواجب أن يرفع الينا نحن ـ بصفتنا الرؤساء المباشرين لهما ـ ومن خلالنا يرفع إلى الشركة المعظمة . والعمل على غير هذا النحو يتعارض مع الاوامر الصادرة لهم ـ ولنا ـ من اوربا بهدف تنظيم العمل » .

★ ★ ★

مؤسسات شركة الهند الشرقية في العراق التركي
١٧٥٧ ـ ١٧٧٣

التنظيم والتعيين :

كان يمثل مصالح شركة الهند الشرقية في العراق التركي حتى سنة ١٧٦٣ ـ وكما رأينا ـ مقيم في البصرة يتبع وكيل الشركة في بندر عباس ، ولكن في هذه السنة المشار اليها نقلت الوكالة من بندر عباس إلى البصرة التي أصبحت من ذلك الحين أهم القواعد البريطانية في منطقة الخليج وظلت كذلك حتى قرب نهاية هذه الفترة . ويبدو أن مستر جاردن بفضل مؤهلاته وكفايته عين في سنة ١٧٦٠ قبل حدوث هذا التغيير مقيماً مشاركاً لمستر شو الذي كان مساعداً له من قبل . ولكن في العام التالي كما سنرى نقل الاثنان وصفيت الوكالة . وفي ١٧٦٤ أضيف رجل متمرس بأعمال المحاسبة ومسك الدفاتر هو مستر ج. سكيب إلى هيئة العاملين بالوكالة ، وكان يتقاضى راتباً شهرياً قدره ٢٠ روبية في الشهر لمسئوليته عن الحسابات . وفي العام التالي طلب الوكيل والمقيم تعيين مساعد آخر ليستطيعوا أداء العمل المعتاد . وفي ١٧٦٥ ـ ١٧٦٦ ـ وكما شرحنا من قبل ـ انشئت مقيمية مؤقتة تابعة للبصرة في بغداد .

وكان مبنى الوكالة في البصرة قد انشيء في سنة ١٧٦٥ على الضفة الجنوبية من خليج العشار على مسافة من شط العرب ، أسفل مقر المتسلم

بقليل ، وكان هذا في وسط المدينة القديمة كما كان للوكالة أيضاً مقر ريفي أو فرع تابع لها في منطقة «بلفوار على شط العرب ، على بعد ٤ أميال من البصرة ، ربما في المكان المعروف اليوم باسم « كوت الفرنجي » .

ويبدو أن العاملين بمقر الشركة في البصرة كانوا وقت صفو العلاقات فيما بينهم يأكلون على مائدة واحدة . ففي سنة ١٧٦٣ ، حين أوفد مستر برايس ليكتب تقريره عن الشئون الخاصة بالعاملين هناك أوصت حكومة بومباي : « بأن يعيش كل رجل من العاملين في البصرة في منزل مستقل (إذا أمكن) وتكون له مائدة طعامه الخاصة ، على الا يضيع الانسجام بينهم جميعاً » .

وكان البريطانيون المقيمون في البلاد مرغمين لأن يحافظوا على وقارهم ومظهرهم ، فلم يكن مستر جاردن في سنة ١٧٥٨ يسمح لأي مواطن انجليزي بأن يسير في الشوارع والطرقات على قدميه ، بل لا بد أن يركب حصاناً مطهماً بأفخر السروج . وكان المستوطنون البريطانيون يلبسون الثياب التركية في العادة ، وكانت تكلفة طقمين منها على مستوى طيب تبلغ في ذلك الحين أكثر من مائة جنيه انجليزي .

ولم تكن الاصابات بالمرض كثيرة خلال هذه الفترة ، لكن مستر جاردن ارغم بسبب المرض في سنة ١٧٧٠ على العودة إلى الهند بعد بضعة أشهر فقط من وصوله للبصرة ليصبح مسئولا ثانياً عن الوكالة ، وفي صيف سنة ١٧٧١ انتشر « مرض عام » بين جميع العاملين في الوكالة ، وفي سنة ١٧٧٣ انتشر وبأ الطاعون انتشاراً مخيفاً في البصرة كما أشرنا لكن أحداً من العاملين بالوكالة لم يقع ضحيته .

وعلينا الآن ان نشير باختصار إلى حادثة تتعلق بسلوك اثنين من موظفي الشركة في الخليج أدت في البداية إلى اتصالات رسمية كثيرة ، وترتب عليها بعد ذلك مشاكسات ومتاعب مع الحكومة التركية .

قضية السادة شو وجاردن ١٧٦١ — ١٧٦٨ :

كان مستر شو —الذي ظل في منصب مقيم البصرة من سنة ١٧٥٣ إلى سنة ١٧٦١— رجلا متحرراً وكريماً ، وكانت سمعته جديرة بالاحترام في كل أنحاء البلاد ، كما كانت تربطه علاقات ودية بعدد كبير من المسئولين الاتراك في مختلف المناصب . وفي وقت من الاوقات عرضت عليه الشركة دليلا لتقديرها أن يختار بين وكالة السند او وكالة البصرة ، غير ان مسلكه أخذ يزداد سوءً تجاه رؤسائه يوماً بعد يوم . وتبدو الضرورة التي أدت الى رحلته إلى بغداد في سنة ١٧٥٩ أمراً محفوفاً بالشكوك . وقد شكا مجلس المديرين في سنة ١٧٦٠ من أن الطريقة التي يشرف بها مستر شو على الخدمات البريدية إلى اوربا طريقة ناقصة وليست فعالة . وفي أوائل سنة ١٧٦١ وجدت حكومة بومباي من الضروري استدعاء الوكيل في بندر عباس وابلاغه رغبتها في ضرورة ضغط مصروفات وكالة البصرة ، وجعلها في الحدود المعقولة « ولا سيما بند الهدايا الذي لوحظ أنه قد زاد زيادة كبيرة » .

وفي فبراير ١٧٦١ حدث استياء عام بين السلطات المسئولة في الهند نتيجة احتجاز مستر شو للسفينتين «دريك» و «سوالو» خلافاً للاوامر الصريحة الصادرة اليه ، وعينت حكومة بومباي لجنة لمراجعة تصرفاته وقررت عملا بتوصيات اللجنة أن تقصيه عن وظيفته ، وتعين مستر ستيوارت بدلا منه ، غير أن خطاباً وصل من مجلس المديرين يأمر باقصاء مستر شو إذا عجز عن تبرير مسلكه بعد مشكلة البريد البري . وعلى هذا قررت حكومة بومباي أن يقوم مستر دوجلاس الوكيل في بندر عباس بزيارة البصرة لبحث هذه النقطة إرضاء لمطالب مجلس المديرين .

١٧٦١ :

ووصل السيدان دوجلاس وستيوارت إلى البصرة في ١٤ مايو ١٧٦١ وفجأة تحولت القضية إلى مجرى آخر . فقد تبيّن الآن أن على السادة شو

وجاردن –المقيم بالوكالة– عجزاً لمدفوعات الشركة النقدية قيمته ١٢,٣١٧ توماناً (أي حوالي ٦١,٥٨٥ روبية) ، واوقف مستر جاردن مباشرة عن عمله . ويبدو أن مستر شو أيضاً كان قد أوقف بالفعل . وظل مستر دوجلاس مقيماً في البصرة حتى ١٧ أكتوبر ١٧٦١ حين عاد إلى بندر عباس وترك مستر ستيوارت مسئولا عن مقيمية البصرة . وعندها شكا مستر شو إلى حكومة بومباي سوء المعاملة التي لقيها من مستر دوجلاس الذي كان بذل جهوداً كثيرة فاشلة للمصالحة بينه وبين السلطات التركية ، وقال إن مستر دوجلاس قد حرض عليه دائنيه من أهل البلاد ، وأنه رحل في وقت كان تأخير رحيله بعده عدة أيام جديراً باعطائه الفرصة لتسوية هذه الحسابات ، وطلب الامر بالعودة إلى البصرة لتصفية أعماله وابراء نفسه من الاتهامات الموجهة اليه .

١٧٦٢ :

وفي ٢١ يوليو ١٧٦٢ مات مستر ستيوارت المقيم الجديد فجأة في البصرة ، وكاجراء موقت ارسل مستر دوجلاس مستر لايستر من بندر عباس ليكون مسئولا عن المقيمية .

١٧٦٣ :

والقت تقارير مستر شو حكومة بومباي في حيرة حول ما إذا كان مستر شو قد اختلس اموال الوكالة أم أنه ، كما اعترف هو ، قد أخطأ وخالف الأوامر الصريحة وأعطى بضائع صوفية كثيرة بالدين لتاجر من أهل البلاد هو حاجي يوسف . فقررت ارسال محقق محايد ليوضح الحقيقة ، وكان الرجل الذي اختير لهذه المهمة هو مستر و. أ. برايس الذي أنعم عليه ، في أوائل سنة ١٧٦٣ ، بلقب « الوكيل الموقت في ايران » وصدرت الاوامر الى مستر دوجلاس بأن ينقل وكالة الخليج من بندر عباس إلى البصرة ، وان يصبح مسئولا عنها بعد ذلك إذا شاء ، على أن تعلق سلطاته كوكيل خلال فترة إقامة مستر برايس ، غير أنه اتيحت له فرصة لنفي التهم التي الصقها به مستر شو .

وفضل مستر دوجلاس ، الذي كانت وظيفته أعلى من وظيفة مستر برايس ، ألاّ يذهب إلى البصرة بتلك الشروط ، فقام بعد أن نقل مؤسسات الوكالة ومعظم بضائعها من بندر عباس إلى البصرة ، بالسفر مباشرة إلى الهند دون أن يلتقي بخليفته . وأثبتت تحريات مستر برايس بأنه رغم عدم اطاعة شو وجاردن للاوامر إلا أنهما لم يكونا مذنبين بخيانه ما لأموال الشركة ، وان حاجي يوسف هذا مدين فعلا لمستر شو بمبلغ يتجاوز ١١,٦٧٤ تومانا ، ونجح مستر برايس في أن يحصل من حاجي يوسف على « صك بذلك الدين » .

١٧٦٤ :

وهنا ردت حكومة بومبباي ، في يناير ١٧٦٤ بقيام مسئولية السيدين شو وجاردن عن أموال الشركة البالغة ١١,٨٠٧ توماناً والمقيدة بتاريخ ٢٤ مارس سنة ١٧٦٢ ، واستدعى مستر شو إلى بومباي حيث ظل في انتظار قرار مجلس المديرين بشأنه ، والغت الشركة قراراً بوقف مستر جاردن لكنها رفضت أن تعيده مسئولا ثانياً عن وكالة البصرة كما جاء في توصيات مستر برايس . غير ان مستر شو لم يشأ أن يلتزم بهذه الاوامر فسافر إلى حلب حيث ظل مقيماً بها فترة طويلة دون ان يهتم حتى بابلاغ مجلس المديرين في لندن بوجوده هناك ، وحين علم مجلس المديرين بهذا العمل أيضاً أصدر اوامره بفصل مستر شو من خدمة الشركة ، واستدعاء مستر جاردن فوراً من البصرة إلى الهند . وحين أتم مستر برايس مهمته عاد الى بومباي في يناير ١٧٦٤ .

١٧٦٥ :

وكانت هذه هي نهاية القضية فيما يتعلق بموظفي الشركة ، وبقي استعادة قيمة البضائع التي أخذها حاجي يوسف من مستر شو . ولم يطرأ أي تقدم في الأمر حتى مارس ١٧٦٥ ، وأصر باشا بغداد على ضرورة تقديم أدلة يقبلها القاضي ، وقام الوكيل والمجلس في البصرة ، بموافقة

السفير البريطاني في القسطنطينية ، برفض ذلك الطلب . وفي هذا الشهر نفسه عاد مستر جاردن إلى العراق التركي وأرسل لمقابلة باشا بغداد بشأن هذه القضية وغيرها من القضايا . وطلب الكخيا أن يفحص مستندات خاصة بمبلغ تسعة آلاف تومان كان اودع عند حاجي يوسف بالبصرة ، ورد الوكيل والمجلس على ذلك بأنهما مستعدان لتسليم تلك المستندات إلى متسلم البصرة ، لكنهما لا يستطيعان تحمل مسئولية تسليمها في بغداد .

وأخيراً حصل مستر جاردن على أمر ببيع ممتلكات حاجي يوسف ، لكن المتسلم ذكر انه ، لما كانت لبعض الانكشارية وغيرهم من أهل البلاد ديون على نفس تلك الممتلكات فمن المستحيل أن يزايد أحد على شرائها واقترح الاعلان عنها على أساس أنها ملك لشركة الهند الشرقية لا للحاجي يوسف . ووافق الوكيل على ذلك بشرط أن تسلم اليه حجج الأملاك اولا بأول ، وحاول المتسلم أن يراوغ مرة أخرى فذكر ان هذه الحجج هي « إما قديمة بالية أو أنها غير موجودة بالمرة » ، وقال إنه إذا وجد الوكيل مشترياً فستسلم اليه حجة من السلطان تبطل مفعول أية حجة قديمة .

١٧٦٦ :

وفي يونيو ١٧٦٦ وعد الكخيا لدى وصوله من بغداد لقيادة الحملة التركية على قبيلة كعب بأنه خلال عشرين او ثلاثين يوماً سيتم القضاء على العدو ، وسيتم أيضاً تحصيل الدين « بأن توزع الأرض على الابناء ويطلب اليهم جميعاً سداد الديون المستحقة قبل أن يضع أحدهم يده على شيء » . ورغم أن الشرط الذي كان معلقاً عليه هذا السداد لم يتحقق ، إلا أن الدفع بدأ فعلا من ابريل ١٧٦٧ .

١٧٦٧ — ١٧٦٨ :

ولفترة بعدها ، ظلت الاقساط تدفع بانتظام في موعدها ، وبعد بداية ١٧٦٨ لم يعد أحد يشير إلى هذه القضية بكلمة ، ويعد ذلك راجعاً إلى سداد الدين بكامله .

ضيعة مستر فرنش ١٧٦٨ :

ومن التعليمات الصادرة من حكومة بومباي إلى الوكيل في البصرة سنة ١٧٦٨ نستطيع أن نفهم أن مشكلة ضيعة مستر فرنش المقيم الأسبق الذي مات في البصرة سنة ١٧٣٧ كانت ما تزال قائمة وصدرت التعليمات للدائنين من أهل البلاد بأن يقدموا طلباتهم بصددها إلى شركة الهند الشرقية في لندن .

قضية مستر سكيب ١٧٦٨ :

وفي أكتوبر ١٧٦٨ عندما عاد مستر سكيب من رحلته إلى شيراز الموصوفة بالتفصيل في تاريخ الساحل الايراني ، وكان هذا قد عين موظفاً لسجلات وكالة البصرة سنة ١٧٦٤ ، صدر أمر من الوكيل والمجلس هناك بوقفه عن العمل لخروجه على الاوامر . وواضح أنه كان متهماً بالاختلاس وبالاشتراك مع مستر رنش ، الوكيل السابق ، في بيع بعض سلع الوكالة بأثمان أقل من المحدد لها واستيلائهما على فروق السعر ، غير أن حكومة بومباي كانت تعرف أيضاً العداء القائم بين مستر مور الوكيل هناك ومستر سكيب بالنظر إلى اختلاف مناهجهما في العمل ، فتبينت ان مستر سكيب مخطىء فقط في الحكم على الأمور ، فألغت قرار وقفه عن العمل وأعادته إلى وظيفته مؤكدة له «أن يراعي مستقبلا ضرورة الالتزام بالاسعار المحددة » . ووجهت حكومة بومباي وهي لا ترى مبرراً لوقف مستر سكيب عن العمل النقد إلى الوكيل والمجلس لأنهما أمرا بذلك التوقيف دون إتاحة أية فرصة لمستر سكيب لشرح وجهة نظره .

★ ★ ★

الاتصال البرى بين البصرة وأوربا
١٧٥٧ - ١٧٧٣

البريـــد :

أشرنا سابقاً في حديثنا عن قضية مستر شو إلى اهتمام مجلس مديري الشركة المعظمة بضرورة المحافظة على الطريق البري للاتصال بين اوربا والهند عن طريق البصرة ، ونضيف هنا أن مجلس المديرين قد وصف العناية بهذا « الطريق الهام » على أنه من أهم واجبات المقيمية في البصرة ، وأكد لحكومة بومباي بأنه « مهما كان الرجل الذي سيعين في المستقبل مقيماً للبصرة فلا بد أن تراقب الحكومة بيقظة تامة اشرافه على هذا الطريق وأنه إذا اضطربت مواصلاتنا البريدية معكم فلا داعي للرجوع الينا ، عليكم استدعاء المقيم فوراً لتوجيه النصح اليه ، ان النصائح المبكرة شيء ضروري جداً وهام بالنسبة لأعمالنا ، خاصة في أوقات الحرب » .

المسافرون :

وكان طريق البصرة أحياناً يرتاده مسافرون اوربيون ، معظمهم من العاملين في شركة الهند الشرقية المسافرين من اوربا إلى الشرق ، لكن هذا الطريق كان خطراً وغير مأمون العواقب لمن يسير فيه دون استعدادات كافية . فقد نهب الكابتن فريزر في سبتمبر سنة ١٧٣٧ في طريقه من البصرة إلى حلب . وفي بداية سنة ١٧٥٨ كان مستر بارتون التاجر المتقاعد بشركة الهند الشرقية ، والذي عاش زمناً في بلاده كسيد في الريف ، قد قرر أن يزور الهند ، لكن أمتعته نهبت وشارف هو على الموت في الطريق بين حلب وبغداد . وقد وصل دكتور آيفس وجماعته الذين كانوا بالعراق التركي من إبريل إلى يونيو ١٧٥٨ والرحالة العالم نيبور الذي أمضى في ريف العراق الفترة من أغسطس ١٧٦٥ إلى مارس ١٧٦٦ معاً إلى البصرة من الخليج ثم عادوا إلى اوربا عن طريق بغداد ، ديار بكر ، حلب . كذلك مر السير آير كوت بالبصرة في رحلته عائداً عبر الصحراء سنة ١٧٧١ .

الفرنسيون في العراق التركي ١٧٥٧ ـ ١٧٧٣

الفرقاطة البحرية الفرنسية « بريستول » في البصرة ١٧٥٨ :

في بداية حرب السنوات السبع ، كانت سفينة فرنسية حمولة ٣٠٠طن مزودة بعشرين مدفعاً من عيار ٣ بوصات راسية في النهر عند البصرة . وظلت بأمان في الميناء لكونه ميناءً جديداً حتى سنة ١٧٥٨ حين وصلت فرقاطة حربية فرنسية هي « بريستول » يقودها الكابتن ريفاج كي تعود بها . وكان على الفرقاطة برستول ٣٠ مدفعاً و ١٤٠ بحاراً بينهم ٨٥ أوربياً . وحين كان دكتور آيفز وأصدقاؤه بالبصرة في إبريل ١٧٥٨ وجدوا أن السفينتين الفرنسيتين ما تزالان هناك . وعلى الأرض التركية المحايدة . وقد ظل الكثير من الفرنسيين والبريطانيين برغم الحرب الدائرة بين بلادهم في اوربا يتبادلون المجاملات والمودة في البصرة التي كان يقيم فيها آنذاك مستر شو ومسيو برديار المقيمين البريطاني والفرنسي على التوالي . وفي حفل عشاء دعي اليه المقيم الفرنسي في بيته الريفي حضر كل العاملين في الوكالة البريطانية ، والزوار البريطانيون إلى جانب كل الضباط العاملين على السفينة «بريستول » ، ووصل عدد هؤلاء الاوربيين جميعاً حوالي ٢٦ رجلا قيل إنه أكبر عدد من الاوربيين اجتمع في البصرة .

صراع على السيادة بن المقيمين البريطاني والفرنسي في البصرة ١٧٥٩ — ١٧٦٥ :

وفي بداية ١٧٥٩ تقريباً ، وحرب السنوات السبع ما تزال مستعرة ، خرج المقيم الفرنسي في رحلة لزيارة بغداد وحصل من سليمان باشا على فرمان يخول له أن « يكون اول المستقبلين في الحفلات الرسمية ، وأن يلقى الاحترام بصفته اول المقيمين الاوربيين » ... وحين عاد المقيم الفرنسي إلى البصرةحاول أن يؤكد هذا الفرمان بمعاملة المقيم البريطاني معاملة الرجل الأقل في المرتبة . كما أبلغ عظماء المدينة وتجار البصرة ،

خاصة المسيحيين منهم ، أن يزوروا بيته قبل بيت المقيم الانجليزي في المناسبات العامة . ورفض الناس الذين صدر اليهم هذا الامر تنفيذه وابلغوا مستر شو المقيم البريطاني أنهم يفضلون البريطانيين على الفرنسيين . وارسل مستر شو حينذاك احتجاجاً إلى باشا بغداد كان من نتيجته أن كتب إلى متسلم البصرة « يأمره هو وكل العاملين أن ينظروا إلى المقيم البريطاني على أنه صاحب المرتبة الأولى » ، كما كتب إلى المقيم الفرنسي يطلب الغاء ما فهمه من الأمر الأول ، وكتب كذلك إلى مستر شو خطاباً يعبر فيه عن « قلقه لتلك الوقاحة من جانب المقيم الفرنسي » .

ويبدو أن رحلة مستر شو التالية إلى بغداد في العام نفسه كانت لها علاقة ما بهذا الأمر ، فقد ذكر على الاقل أن « سوء مسلك المقيم الفرنسي كان السبب الرئيسي في توجيه الباشا تلك الدعوة له » . وظل الخلاف قائماً بين الرجلين بعد انتهاء الحرب وحتى سنة ١٧٦٥ حين حسمه سليمان أغا بعد تعيينه متسلماً للبصرة بأن أصدرأوامره بأن « تكون للمقيم البريطاني الاسبقية على المقيم الفرنسي في دخول سراي المتسلم . وأصدر أوامره لحرسه بأن المقيم الفرنسي لو حاول دخول السراي قبل أن يكون المقيم البريطاني قد وصل إلى مجلس المتسلم بالفعل فعليهم أن يمنعوه .. وهكذا حسم الخلاف أخيراً لصالح قضيتنا » .

وضع الفرنسيين في سنة ١٧٦٢ – ١٧٦٦ :

وفي ١٧٦٥–١٧٦٦ ، وهي السنة التي زار فيها نيبور العراق التركي ، كان يمثل الفرنسيين في البصرة مقيم لا يعمل بالتجارة ، وكان يعتمد على راتبه الرسمي الذي لم يكن يدفع له بانتظام ، وكان منصبا القنصل الفرنسي في بغداد واسقف كنيسة الروم في بابل ما يزالان في يد مسيو بيليه حتى مات بالطاعون في بغداد سنة ١٧٧٣ . وقد افتتحت الوكالة الفرنسية في البصرة سنة ١٧٦٥ في المدينة القديمة إلى الضفة الجنوبية من خليج العشار على مسافة من مقر المتسلم .

الجاليات الاوربية في العراق التركي
١٧٥٧ ـ ١٧٧٣

البرتغاليون :

يبدو أن البرتغاليين كانوا قد اختفوا تماماً من العراق التركي في هذا الوقت .

الهولنديون :

أما الهولنديون فبعد أن انتقلوا من البصرة سنة ١٧٥٢ ، على وجه التقريب ، لم يرجعوا اليها مرة أخرى . ولكن في الفترة من ١٧٥٤ إلى ١٧٦٥ كانت لهم جالية مقيمة في جزيرة خارّج القريبة ، وكان التجار الأهليون يستوردون جميع أنواع التوابل والمشروبات الموجودة في أسواق البصرة من خارّج .

الايطاليون :

وفي هذه الفترة أصبح في البصرة عدد ليس قليلا من التجار الايطاليين الذين كانوا يتعاملون مع البندقية وليجهورن عن طريق حلب . وكان من أغنى هؤلاء في سنة ١٧٦٥ تاجر يدعى مسيو ليوني كان يمثله في بغداد وكيل شاب نشيط .

★ ★ ★

عبد الحميد الاول ١٧٧٣ - ١٧٨٩(١)

تميز عهد السلطان التركي عبدالحميد الأول(١) الذي خلف مصطفى الثالث في نهاية سنة ١٧٧٣ وحكم حتى ربيع سنة ١٧٨٩ بالحرب الدائرة ضد الروس والتي من أشهر أحداثها معاهدة كاينارجي التي فرضت على الاتراك في سنة ١٧٧٤ ، ثم ضم روسيا لاقليم القرم نهائياً في سنة ١٧٨٣ .

---

(١) المراجع الرئيسية للفترة التى تشمل حكم عبد الحميد الاول وسليم الثالث (١٧٧٣ - ١٧٨٩ و ١٧٨٩ - ١٨٠٧) في العراق التركى ، هى المصادر الرسمية - مجهول فيها اسم المؤلف - التى تتناول بداية العلاقات بين شركة الهند الشرقية المعظمة وجزيرة العرب التركية . طبعة سنة ١٨٧٤ . كذلك منتخبات مستر ج. أ. سالدنها من أوراق الدولة في بومباى ، وتتناول علاقات الشركة بالخليج ، وتلخيصا للاحداث من سنة ١٦٠٠ الى ١٨٠٠ ، طبعة سنة ١٩٠٥ ، وكلا المرجعين يغطى أحداث هذه الفترة كلها . وثمة مصادر أخرى هامة هى : « رحلات في آسيا وافريقيا » ١٨٠٨ تأليف مستر أ. بارسونز الذى كان موجودا بالبصرة سنة ١٧٧٤ - ١٧٧٥ في بداية حصار الايرانيين لها . كذلك في ملاحظات في الطريق الى الهند ، ١٧٨٤ ، تأليف الرائد ج. كابر الذى زار البصرة في ١٧٧٨ - ١٧٧٩ قرب نهاية احتلال الايرانيين لها . و « ملاحظات على رحلة من البنغال الى ايران » سنة ١٧٩٠ تأليف اناين فرانكلين ، و « يوميات الرحلة في الهند » تأليف الدكتور ت. هاول وكلاهما كان في البصرة في بداية ١٧٨٧ عقب فشل تمرد الشيخ ثوينى مباشرة . و « تاريخ مختصر للوهابيين .. » ١٨٣٤ تأليف سير هـ. ج. بريدجس الذى كان أحد العاملين في مقيمية البصرة من ١٧٨٧ الى ١٧٩٥ ، وكان بعد ذلك مقيما في بغداد من ١٧٩٨ الى ١٨٠٦ . ثم أخيرا « رحلة في الامبراطورية العثمانية ومصر وايران ١٨٠١ - ١٨٠٧ (بالفرنسية) تأليف مسيو أوليفر الذى زار بغداد مرتين في ١٧٩٦ - ١٧٩٧ وتاريخ البروفيسور أ. س. كريزى « الاتراك العثمانيون .. » سنة ١٨٥٦ ، يضم التاريخ العام لتركيا خلال هذه الفترة .

(٢) كتب الوكيل القنصلي في البصرة الى حكومة بومباى في تاريخ ٢٣ ابريل سنة ١٧٧٤ يقول : « لا أمل في الصلح بين الروس والاتراك قريباً ، فقد تولى سلطان جديد هو السلطان حليم ، عرش تركيا بعد موت أخيه مصطفى » .. ونحن لا نعرف تفسيرا لهذا التغير في الاسماء .

وكان اهتمام الباب العالي مركزاً في المشكلات التي يواجهها في اوربا ، فلا يكاد ينتبه لسواها ، كذلك كانت المشكلات الادارية تمنع الحكومة التركية من تحديد سلطات باشا بغداد أو تقديم العون له ، او إرغامه على احترام سيادة الدولة أو تمكينه من صد الغزاة عن ارضه لا سيما حين اجتاحتها قوات كريم خان ، الوكيل في ايران .

★ ★ ★

وبأ الطاعون في العراق التركي ١٧٧٣

كانت بداية اندلاع الطاعون الذي أدى الى انسحاب الوكالة البريطانية من العراق التركي في أبريل سنة ١٧٧٣ على نحو ما وصفنا ، في مدينة بغداد خلال شهر مارس من نفس السنة ، وكانت العدوى قد انتقلت من قافلة قادمة من ارضروم لكنه انتقل مباشرة إلى البصرة . وظل الوبأ في بغداد ، التي قضت أكثر من ٦٠ عاماً لا تعرف الأوبئة ، حتى منتصف مايو ، أما البصرة فلم ينقطع عنها حتى نهاية سبتمبر . وكان الأب بيليه أسقف كنيسة بابل من أشهر ضحايا ذلك الوباء ، واتخذ الباشا ورجاله احتياطاتهم بأن انعزلوا في منزل ريفي تحيط به البساتين والحدائق على مسافة حوالي ثلاثة أميال من المدينة . . وكانت الوفيات التي سببها هذا الوبأ كثيرة جداً في الريف وتوقفت التجارة وساد قحط شامل ، ولكن العدد الحقيقي لضحايا الوباء ، والذي لم يعرف وقتها على وجه اليقين قد بالغ فيه الكتاب المعاصرون (١) .

---

(١) ذكرت المصادر التركية لمستر بارسونز ــ في سنة ١٧٧٤ ــ أنه من كل ٥٠٠ ألف نسمة في بغداد مات ٣٠٠ ألف من هذا الوباء · خلال مدة لم تتجاوز الاربعة أشهر ويضيف قائلا : ان السلطات كانت تسجل دفن الضحايا أولا بأول · أما في البصرة فيعتقد مستر بارسونز أن ٢٠٠ ألف نسمة قضى عليهم الوباء من ٣٠٠ ألف · ويقول مصدر آخر ــ هو المذكور رسميا في الوكالة البريطانية ــ أن عدد الضحايا في مدينة البصرة وما جاورها بلغ ٢٠٠ ألف ، وان عدد الضحايا في =

الحالة في العراق التركي من وبأ الطاعون حتى حصار البصرة ١٧٧٣ ــ ١٧٧٥

عودة الوكالة البريطانية إلى البصرة يناير ١٧٧٤ :

ظل مستر مور الوكيل البريطاني في البصرة وعدد من العاملين معه في الحجر الصحي بجزيرة بوشهر بميناء بومباي بعد وصولهم من البصرة في ١٤ مايو ١٧٧٣ وحتّى ١٧ يونيو التالي حين سمح لهم بالنزول إلى الميناء . وبأوامر من الحكومة غادروا بومباي مرة أخرى إلى البصرة في ٢٨ أكتوبر ١٧٧٣ ومعهم سفينتان جديدتان كل منهما تحمل ١٤ مدفعاً ، وواضح أنهما بنيتا في بومباي بأوامر صريحة من باشا بغداد وهما «دجلة» و «الفرات» ، وبقيت الجماعة في مسقط من ١٧ نوفمبر حتّى اول ديسمبر لإجراء بعض التّرميمات في السفينة «الفرات» التّي جنحت إلى الشاطىء أثناء دخولها ميناء مسقط .

وفي ٥ يناير ١٧٧٤ وصلوا إلى البصرة ، وأعادوا تشغيل الوكالة البريطانية التّي وجدت في حالة جيدة . ويبدو أن باشا بغداد قد اغتبط كثيراً لرجوع الوكيل ، ولوصول السفينتين ، فأهدى الوكيل حصاناً مطهماً تعبيراً عن امتنانه .

الادارة الداخلية ١٧٧٣ ــ ١٧٧٥ :

وكان حاكم اقليم بغداد في ذلك الوقت رجلا يدعى حماد باشا(١) لا نعرف عنه سوى أنه أصبح حاكماً في سنة ١٧٧٤ وظل كذلك عدة سنين

= الاقليم كله يقارب المليون ، وواضح أن هذا الرقم الاخير يزيد عن مجموع سكان الاقليم في الوقت الحاضر . لكن تجارب الهند وغيرها تثبت لنا أنه في الاماكن الكبيرة ــ وحتى حين لا يكون الوباء شديدا ــ لا تمضى عملية تناقص السكان على هذا النحو السريع .

وأنه كان يهمل الامور العامة وينصرف إلى لهوه وحياته الخاصة ، وقام في سبتمبر سنة ١٧٧٤ بعمل يدل على نكرانه لجميل أبيه بالتبني الذي ساعده بنفوذه حتى وصل إلى باشوية بغداد فأمر باغتياله هو وابنائه بزعم أنهم يعارضون سياسته واوامره .

وظل دولاب الحكومة يدور أثناء زيارة مستر بارسونز للعراق التركي في سنة ١٧٧٤ ، كما كان قبل عدة سنوات حين زار بغداد آيفز ونيبور . فأغا الانكشارية ما يزال يمثل الحكومة المركزية في بغداد، لكنه أصبح ، ربما لانشغال الباب العالي بشئون تركيا في اوربا ، بلا وزن في الحياة السياسية . وكان القبطان باشا موجوداً ما يزال في البصرة وتحت سيطرته الشواطىء التركية على الخليج ومياه العراق أسفل بغداد والحلة ، وكانت مهمته جمع العوائد المستحقة على السفن غير البريطانية التي تصل البصرة أو تخرج منها ، كذلك كان يجمع الضرائب المفروضة على القوارب التي تشتغل بالتجارة في أنهار العراق ، وضريبة شهرية تفرض على قوارب الصيد .

وكانت القبائل العربية في ذلك الوقت في نفس مستوى القوة التي كانت عليه من قبل على أقل تقدير ، وكانت هذه القبائل القاطنة على بعد ٢٠ ميلا أسفل الحلة وحتى البصرة ، وبعيداً أسفل شط العرب مستقلة من الناحية العملية استقلالا فعلياً ، فيما عدا بعض الأموال التي تدفعها كجزية للباشا في مقابل حمايته ، لكنهم لم يكونوا يسمحون لممثليه بالمرور في ارضهم ، وكانوا يجمعون الضرائب على القوارب النهرية في أماكن مثل عرجه وسماوه باسم شيوخهم ورؤسائهم . وقد قام مستر بارسونز في سنة ١٧٧٤ بزيارة أحد هؤلاء الشيوخ ولعله شيخ قبيلة المنتفق في مقره على النهر بين سوق الشويخ وقرنه ، وكان معسكره من الخيام ويغطي مساحة كبيرة حاوياً عدداً ضخما من الناس ، ومتوفرة فيه كل مواد الامدادات والتموينات المطلوبة . ومن الحيوانات كانت القبيلة وشيوخها يملكون أجمل الخيول الاصيلة . وكلاب الصيد والصقور بلى حتى

بعض الحيوانات النادرة كزوج من النعام الداجن وقد طوقا بأطواق حمراء وأجراس نحاسية حول عنقيهما .

وكان من أهم مصادر الدخل العام في العراق التركي وقتذاك ضريبة البحر التي تجمع في البصرة بواقع ٣٪ من رأس المال على البضائع التي يوردها الاوربيون ، وترتفع النسبة إلى ٨٪ بالنسبة للرعايا الاتراك وغيرهم من الآسيويين . وكذلك كانت تفرض نفس النسب على البضائع التي يعاد تصديرها من البصرة إلى حلب او تصدر إلى بغداد من البصرة ، وتقيّم الضرائب في هذه الحالة الاخيرة استناداً إلى الأسعار في سوق بغداد. كما كانت الضريبة على النخيل فيما جاور البصرة مصدراً هاماً آخر من مصادر الدخل(١).

وكانت بغداد مركزاً تجارياً رئيسياً في تلك الفترة ، بحيث جعل ذلك المستر بارسونز يكتب عنها بعد أن زارها : « إنها السوق الكبير لمنتجات الهند وايران والقسطنطينية وحلب ودمشق ، باختصار إنها أكبر مخزن في الشرق » .

وكانت البصرة بالتالي تعتبر الميناء البحري لبغداد ، لكن تجار حلب كانوا يتخذون الطريق مباشرة إلى بغداد عن طريق القوافل عبر الصحراء في بعض الاحيان . وكان الحلبيون يجلبون معهم السلع الاوربية لبيعها بالبصرة ، خاصة انتاج البندقية ، ومن الناحية الأخرى كانت أهم الصادرات من البصرة هي التوابل الهندية وانواعها المختلفة ، والبن والمشروبات من جزيرة العرب وإيران . وكان البن والصموغ والمشروبات العربية تصل البصرة غالباً في سفن عمانية ، وأحياناً كانت تقوم سفينة بريطانية بنقل شحنة منها ، أما البضائع الايرانية فكانت دائماً تحمل على

---

(١) في سنة ١٧٧٤ قيل ان عائد ضريبة التمور هذه تبلغ حوالى ١٠٠ ألف تومان مجلى أو ١٨٧٫٥٠٠ جنيه استرلينى في السنة ، لكن هـذا لا بد تقدير مبالغ فيه .. فهذا الرقم المذكور هو عائد ولاية البصرة كلها ــ من جميع مصادرها ــ في الوقت الحالى ..

سفن ايرانية ، وكان ينقل قسم كبير من التوابل التي تصل البصرة إلى أزمير والقسطنطينية . أما المشروبات فكانت غالباً تشحن إلى الاسكندرون ومنها يعاد تصديرها إلى البندقية وليون ومارسيليا ولندن وامستردام . وكانت الخيول تصدر من البصرة إلى الهند حيث كانت تباع بأسعار مرتفعة . وإلى جانب التجار الاتراك والاوربيين كان هناك عدد كبير من التجار الأرمن واليهود الاثرياء في البصرة وكانوا يعتمدون على تجارة النقل والشحن ، يشترون على أساس العمولة او اذونات الدفع المسبق على مسئوليتهم الخاصة .

ويستحق موضوع القوافل من البصرة إلى حلب إشارة أخرى ، فقد كان دائماً موضوعاً من الموضوعات التي تدور الرسائل حولها بين وكيل الشركة في البصرة وباشا بغداد ، وكان هذا الاخير لا يوافق على أن تخترق قوافل التجارة أرضه إلا من العاصمة نفسها حيث تسهل مراقبتها .

وفي ربيع سنة ١٧٧٣ ، ونتيجة انتشار الطاعون في بغداد ، سمح الباشا بارسال قافلة من البصرة مباشرة إلى حلب لكن مستر مور الوكيل البريطاني لم يستطع ، في زحمة انشغاله بالرحيل ، أن يستفيد من هذه الفرصة ، وبعد رجوعه لم يستطع الحصول على تجديد لهذا الإذن مرة أخرى . وفي إبريل سنة ١٧٧٤ جاءت قافلة من حلب إلى البصرة أيضاً .

الوكالة البريطانية في البصرة ، عوائد شركة الهند ورسومها القنصلية ١٧٦٢ - ١٧٧٥

وكانت الوكالة البريطانية في البصرة ما تزال تشغل نفس الموقع في المدينة القديمة الذي كان لها في سنة ١٧٦٦ ، وكانت السفن التي تبلغ حمولة الواحدة منها ٨٠ طناً تقف راسية على الخليج مستعدة لنقل أو شحن البضائع حتى بوابة المدينة ، وعلى الضفة الأخرى من الخليج كان للوكالة بستان كبير ، وكان للوكيل في نفس الوقت منزل ريفي يطل على أجمل المناظر وأسفل شط العرب رغم أنه يبعد عن مجراه حوالي نصف ميل في المكان المعروف اليوم باسم كوت الفرنجي .

وكانت كل البضائع المحملة على سفن بريطانية ، بما فيها كل واردات الهند ، تدفع « الضريبة والرسوم القنصلية » لشركة الهند الشرقية بنسبة تصل إلى ٦٪ وهذه ضريبة متميزة عن العوائد التي كانت تحصلها السلطات التركية ، وكانت ضخامة التجارة الهندية هي السبب في إثارة قضية هذه العوائد بين الحين والحين . وفي فبراير ١٧٧٤ أبلغ المقيم البريطاني أنه يخشى أن جزءاً كبيراً من التجارة كان يُهرّب من دار العوائد في بغداد باسم المقيم ، وتدفع عنه بالتالي نسبة العوائد الخاصة بالاوربيين ، وطلب عدم اعتماد أي بضائع على أنها انجليزية في المستقبل إلا بشهادة منه تفيد بذلك .

★ ★ ★

حصار الايرانيين البصرة واستيلاؤهم عليها
١٧٧٥ ـ ١٧٧٦

لم يكن احتلال الايرانيين البصرة ، في أهم حادث شهده العراق التركي خلال حكم السلطان عبد الحميد شيئاً مفاجئاً أو غير متوقع ، بل على النقيض .. فالهجوم على المدينة ظل التهديد به قائماً لمدة سنة قبل وقوعه الفعلي ، ويبدو أن السلطات التركية كانت تتوقعه كردّ فعل للإنتصارات التي أحرزتها في إقليم كردستان .

وكانت مدة السنة التي انقضت بين حصار البصرة وسقوطها كافية لوصول أي عون اليها من بغداد أو حتى من القسطنطينية ، ولكن يبدو أنه لا الباشا(١) ، وهو « حاكم ضعيف وجشع » ولا السلطان كانا مستعدين لتقديم أي عون فعال للمدينة المحاصرة .

---

(١) وهو الذى يسميه كل من بريدجس وأوليفر « عمر باشا ٠٠ » ولكنه لا يمكن أن يكون هو عمر الذى خلف على باشا في سنة ١٧٦٤ الا لو كان يطلق عليه أيضا اسم « حماد باشا ٠٠ » ٠

الاحداث التي أدت لحصار البصرة ١٧٧٣ – ١٧٧٥ :

وفي خريف سنة ١٧٧٣ ، حين كان الوكيل وجماعته في رحلتهم عائدين من بومباي ، تردد للمرة الاولى أن كريم خان يهيىء للهجوم على البصرة . وكان معروفاً أن علي قولي خان ، الحاكم الايراني في كرمان شاه يعد العدة لاحتلال كردستان ، التي كانت آنذاك ولاية تابعة لباشوية بغداد . وساد الخوف من أن يكون الاسطول الذي يعد بأمر الوكيل على الشاطيء الايراني ، والجيش الذي يجمع هناك ، في ظاهر الامر لغزو مسقط ، مهيأين أساساً لغزو البصرة . وكان الخوف في البصرة قوياً بحيث أن خوجه بطرس ، الذي كانت بضائع شركة الهند الشرقية متروكة تحت مسئوليته ، فكر في شحن هذه البضائع إلى بغداد التماساً لمزيد من الأمن ، واستعد الوكيل بنفسه بعد عودته لنقل هذه البضائع على السفينتين « ريفنج » و «دريك» اللتين جاء بهما معه بمجرد حدوث الغزو الذي كان متوقعاً في القريب العاجل .

فبراير – مارس ١٧٧٤ :

ولكن تبين أن الوضع في البصرة أقل خطورة مما كان يتصور البعض ، غير أنه في فبراير سنة ١٧٧٤ ، وبعد إعادة فتح الوكالة البريطانية بستة أسابيع ، تردد أن كريم خان قد طلب صراحة من متسلم البصرة تعاون السلطات التركية والبريطانية معه وتقديم أساطيلهما للهجوم على إمام عمان ، وهدد بغزو البصرة إذا لم يُجَب إلى مطلبه . وعززت هذه الأخبار الرسائل التي وردت من السيدين بومونت وجرين الموظفين بالشركة اللذين احتجزهما كريم خان في شيراز . وأبلغ مستر مور باشا بغداد أن طلب الوكيل خدمات السفن البريطانية مرفوض ، وأضاف قائلا « وفي رأيي المتواضع أن تأمروا سموكم فوراً بتحرك القوات للدفاع عن البصرة ، وتأمروا القبائل العربية المختلفة بالسير هبوطاً على ضفتي النهر لمنع الايرانيين من النزول على هذه الضفة منه ، وكلما أسرعتم بذلك

كان أفضل ، لأن البصرة ، حسب معلوماتي ، ليست حصينة بما يكفي ».
وفي نفس الوقت كان المقيم حريصاً على تأكيد عدم استطاعته توفير السفن البريطانية الموجودة في البصرة لأعمال التجارة والتي طلبتها الحكومة التركية من مسقط وعمان بسبب تجدّد وبأ الطاعون ، واحتمال هجوم الايرانيين في أية لحظة وعدم وجود حماية لها ضد هجوم الايرانيين .

وفي ٢٠ فبراير ١٧٧٤ أصدر الوكيل أوامره ، بناء على تصوره الشخصي للموقف ، بأن يكون في السفينتين «ريفنج» و «دريك» من التموين ما يكفيهما مدة ثلاثة أشهر ، وتهيأ بعد ذلك لنقل شحنة البضائع الصوفية التي كانت بالوكالة اليهما ، لكن متسلم البصرة سليمان أغا اعترض على نقل بضائع الوكالة ، مؤكداً أن هذا العمل سيثير الرعب بين أهل المدينة وسيدفع كثيرين منهم إلى الفرار ، وسيؤدي إلى توقف التجارة ، وهذا بعينه ما يريده كريم خان الذي يهدف إلى القضاء على التجارة في البصرة ، حتى يعود البريطانيون إلى فتح وكالتهم في بوشهر .
وأخيراً ، وبعد تأكيد المتسلم أن لديه معلومات حقيقية عن تحرك القوات الايرانية ، وأنه قد اتخذ إجراءات عزل قبيلة كعب عن مساعدتهم ، القوات الايرانية ، إذ أنه دون أسطول هذه القبيلة لا تستطيع القوات الايرانية الحركة . ثم عاد فقدم المتسلم للوكيل ضماناً باسم الباشا والسلطان اشترك فيه أيضاً الدفتردار والشيخ درويش الذي يبدو أنه كان نقيب البصرة في ذلك الحين ، بتعويض الشركة عن أية أضرار قد تقع لبضائعها في حالة عدم نقلها الى الشاطىء . وأجل الوكيل أعمال الانتقال عدة أيام أخرى ، لكنه أصر على ألا تشترك سفن الشركة في ضرب سفن قبيلة كعب خلال عملية الدفاع عن المدينة ، وذلك لأن للشركة حقوقاً وديوناً على القبيلة المذكورة تخشى ضياعها .

أما بالنسبة لمساهمة البريطانيين في الحرب مباشرة إلى جانب الاتراك فقد رد الوكيل بحزم على هذا الاقتراح قائلا إنه يمثل رغبة جماعة من التجار

في البصرة ، وأنه لذلك مضطر إلى التزام الحياد التزاماً تاماً ، وهو يتعهد بألا يهجر البصرة طالما ظلت في أيدي الاتراك ، لكنه سينسحب ، ومعه أكبر قدر من بضائع الشركة ، إلى ظهور هذه السفن البريطانية نفسها في حالة حدوث الهجوم على لمدينة . وكذلك أبلغ المقيم باشا بغداد ، في مارس من نفس السنة على الأرجح ، ما دار بينه وبين المتسلم ، وألح مرة أخرى في طلب تعزيز الدفاع عن المدينة ، ولكن في نهاية إبريل جاءت الأخبار من شيراز بأن الايرانيين لم يتخذوا أية استعدادات لحملتهم على البصرة ، وهي حقيقة ذكرها شيخ كعب للمتسلم أيضاً ، وبدا واضحاً أن كريم خان قد أجل عملياته الهجومية لفترة على الاقل . وفي نفس الوقت بذل متسلم البصرة كل جهوده للتقرب من الوكيل ، فوعده بأن يساعده ضد عدوه إمام عمان بأن يقدم له السفينتين « دجلة » و «الفرات» لكنه لم يرسلهما ، ولا كانت لديه أية نية لذلك .

ابريل ١٧٧٤ :

ورد بنو كعب على اقتراح المتسلم بتأكيدهم أنهم سيتخلون عن الايرانيين في حالة نشوب الحرب ، وينتقلون بأسطولهم من دورق ، ولكن لم يكد يقدم هذا التأكيد حتى قام بنو كعب ، على نحو ما هو مذكور في تاريخ عربستان ، بالاستيلاء على السفينة التركية « فايز إسلام» عند مصب شط العرب ولم تحبط هذه المحاولة إلا حين ارسل الطراد البريطاني « ريفينج» من البصرة لاسترجاع السفينة المهددة ، وكان متسلم البصرة ممتناً لهذا العمل حتى إنه ذهب بنفسه إلى دار الوكالة ، حين عادت السفينة « فايز إسلام» يوم ١٥ إبريل ، ليعبر عن شكره للوكيل البريطاني ، وبعدها بيومين انسحب كل رعايا شيخ كعب المقيمين في البصرة منها فجأة ، وسادت الخشية أن يكون هذا الاجراء ، الذي تواقت مع حركة أسطولهم الموجود في مدخل شط العرب ، تمهيداً لهجوم على البصرة أو على السفن البريطانية فيها بتحريض من الحكومة الايرانية لقبيلة كعب لكن شيئاً من تلك الهواجس لم يتحقق .

يناير ١٧٧٥ :

وخلال صيف وخريف سنة ١٧٧٤ هدأت المخاوف وخفتت الشائعات في البصرة ، ولكن في بداية ١٧٧٥ حدثت سلسلة هجمات مروعة من بني كعب على البصرة ، وقد وصفناها في التاريخ الخاص باقليم عربستان ، فنشرت الخوف والذعر في المدينة لأنها كشفت عن عدم وجود استعدادات دفاعية فيها . وكان كريم خان هائجاً بسبب الهزائم التي أوقعتها قوات باشا بغداد بقواته في كردستان وكان من المتوقع أن ينتقم لنفسه عموماً ، بعمل ضد بغداد او البصرة .. وكانت الثانيه هي أرجح الاحتمالين .

وفي ١٣ يناير ١٧٧٥ زار المتسلم والدفتردار والشيخ درويش الوكيل البريطاني في مقر الوكالة للتشاور معه في الموقف ، ومعرفة ما سيقوم به هو نفسه في حالة حدوث الغزو . ورد مستر مور بأن علق ببساطة على ضعف التحصينات ، وكذلك ضعف المدفعية والحامية الموجودة في البصرة ، وأوصى بأن ترسل من بغداد تعزيزات تتراوح بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف رجل ، وبأن تصدر الاوامر لقبيلة المنتفق بأن تمنع الايرانيين من العبور إلى الضفة اليمنى من شط العرب ، وأن ينظم جهاز من المخابرات العسكرية في ايران . وشرح مرة أخرى كيف أن وضع البريطانيين يحتم عليهم التزام الحياد ، وان الطرادات البريطانية قد أبقيت في ميناء البصرة فقط بهدف حمل بضائع الشركة اليها في حالة الضرورة .

وبعدها بيومين ، أي في ١٥ يناير ١٧٧٥ ، وصلت الأنباء إلى الوكالة البريطانية في البصرة ، عن طريق بوشهر ، بأن جيشاً ايرانياً من ٥٠ الف رجل قد غادر شيراز بالفعل بقيادة صديق خان شقيق الوكيل لمهاجمة البصرة(١) وكانت الحجة الظاهرية التي ساقها كريم خان أخيراً

---

(١) يقول أوليفر (الرحلة ، مجلد ٢ ، ص ٣٩٩) ان كريم خان طلب رأس باشا بغداد والغاء ضريبة كانت على الحجاج الايرانيين .

لتبرير عمله هي سوء المعاملة التي كان يلقاها الحجاج الايرانيون في العراق التركي حين يزورون الاماكن الشيعية المقدسة . ويبدو أنه قدم إلى الاتراك طلباً أو أكثر للتعويض أو الاعتذار لكن الاتراك اهملوها قبل أن تحدث القطيعة الاخيرة . وهناك ايضاً من الأسباب ، كما كشفت الاحداث التالية ، ما يحملنا على القول بأن الجهود التي بذلها ممثلو شركة الهند الشرقية بالبصرة في تحويل التجارة الخارجية من ايران إلى العراق التركي كان لها أثرها في الوصول بالأمور إلى قمة التوتر .

وظلت مضايقات بني كعب للبصرة مستمرة بل وتزايدت أيضاً . وفي ليلة ٢٥–٢٦ يناير سنة ١٧٧٥ استطاعت عصابة من أكثر من ثلاثمائة رجل منها الدخول ليلا الى المدينة بتسلق أسوارها ثم كسروا عدداً من المتاجر في السوق الكبير ، واستطاعوا أن ينجوا بمنهوباتهم دون عقاب ، وكان معظم ذلك من الثياب الهندية الفاخرة .

ولم يحدث شيء آخر حتى يوم ٦ مارس حين تجلت حقيقة أحوال المدينة المضطربة في هجوم ارتكبه عدد من المسلحين على ثلاثة ضباط بريطانيين من طاقم الطراد الراسي بالميناء . وكان هؤلاء قد خرجوا للصيد على الضفة اليسرى من النهر على بعد أربعة أميال أسفل البصرة ، وقد أصيب الضباط بجراح خطيرة ، ثم سلبت ثيابهم وتركوا ليموتوا كما اعتدي بالضرب أيضاً على طاقم بحارة القارب ، واستولي على القارب نفسه ، وفي الليل استطاع هؤلاء الضحايا أن يسيروا على ضفة النهر حتى تحاذي مرسى سفنهم ، وهناك أدركهم زملاؤهم ونقلوهم إلى ظهر السفينة ، لكن حالة أحد الضباط كان ميؤساً منها وقد اخترق رمح رئته أختراقاً تاماً .

وفي صباح ١٦ مارس وصلت الأنباء إلى البصرة بظهور طليعة الجيش الايراني ومعظم فرقه الأخرى المؤلفة من ٣٠ الف راكب وراجل إلى مصب صويب أحد روافد شط العرب على الضفة اليسرى من النهر

الرئيسي ، وعلى مسافة ٣٥ ميلا أعلى البصرة ، وكان منتظراً وصول المؤخرة ، وبها المدفعية والقائد العام ، خلال يومين . وقد وجد الايرانيون أنفسهم في أول الأمر في مواجهة قوات عربية كبيرة عسكرت منذ أيام على الضفةاليمنى من شط العرب ، لتمنع عبور الغزاة . وكان يبدو أنها تضم محاربي قبيلة ما ، لعلها المنتفق ، بقيادة شيخ منهم اسمه عبد الله .

وبعد ظهر اليوم نفسه وصل البصرة مبعوث من صديق خان يحمل رسائل لكل من المتسلم والوكيل البريطاني وشيخ العرب وزعماء الجاليتين الارمنية واليهودية ، وفيها يطلب من كل رئيس ارسال ممثل عنه كي يتفاوض مع القائد العام الايراني بشأن افتداء المدينة ، لكن المبعوث طرد دون ان يتلقى رداً من أي من المقصودين بالرسائل .

واجتاح الاتراك خوف عظيم في ذلك الوقت من الخطر الداهم الذي تهددهم دون ان يكونوا اتخذوا أية استعدادات لمواجهته رغم يقينهم بوشك وقوعه من قبل ثمانية عشر شهراً ، اللهم إلا استعدادات اتخذت على عجل وفي الأيام الاخيرة فقط .

الاستحكامات في البصرة مارس ١٧٧٥ :

وقد قام الرحالة مستر بارسونز بفحص استحكامات البصرة الدفاعية فحصاً عن كثب ، فقد كان موجوداً بها في هذه الأثناء ، وأكدت الاحداث التالية صدق ما كتبه الرحالة . كما يلي :

« المدينة مسورة يحيط بها خندق واسع عميق ، ولها اربعة بوابات وميناء ، والأسوار مبنية بالطين يتراوح سمكها بين ٢٠ و ٢٥ قدماً ، وعليها استحكامات مرتفعة بها كوى لرماة السهام (والعرب رماة ماهرون) . ولا تحيط الأسوار بالمدينة من ناحية الأرض فقط ، بل تلتف حولها كذلك من ناحية الخليج الذي يبعد مدخله عن المدينة بعض الشيء ، وعند هذا المدخل ينتهي السور من الناحيتين ، وفي كل من هذين

الطرفين استحكام عليه بوابة تبعد ثلاثة أميال عن المدينة . وفي هذه المساحة التي تتوسط الاسوار والمدينة آلاف الأشجار من النخيل وغيره من أشجار الفاكهة تقوم إلى جانب مزارع الارز ، ويبلغ طول محيط السور حوالي ١٢ ميلا ، ورغم ان نصف هذه الاراضي لا مباني فوقها إلا أن مدينة البصرة مدينة كبيرة ، وكانت مزدحمة بالسكان ازدحاماً كبيراً قبل وباء الطاعون . والبوابتان الكبيرتان تواجهان الأرض المحيطة بالمدينة إحداهما تسمى بوابة بغداد والأخرى بوابة الزبير . وليس حول ايهما خندق لحمايتها ، مع ان وجود مثله أمر حيوي . وأساس هذه الأسوار المبنية من الآجر المحروق يرتفع إلى مستوى أعلى من منسوب الماء حين يمتلىء الخندق ، مباشرة من الخليج ، وتحول البوابات دون دخول المياه إلى المدينة .

وهناك ثمانية دشم ، في كل دشمة ثمانية مدافع نحاسية و ١٢ مدفعاً صغيراً ، إلى جانب ٩,٠٦ مدافع مثبته على سفينتين تواجهان الأسوار لكن هذه المدافع كانت في حالة لا تسمح باستخدامها . وحين وصلت الأخبار ، باعتزام الايرانيين محاصرة المدينة ، تعجل المسلمون إصلاح هذه المدافع وجعلها بحالة صالحة للاستعمال . وكانت دانات المدافع وطلقات الرصاص متوفرة بكثرة ، فقد كانت تصنع في المدينة وتصدر منها إلى ما جاورها .

وكان على مدخل الخليج من ناحية اليمين قلعة مزودة بثمانية مدافع فوهاتها إلى أسفل ، وعلى الناحية المقابلة ثمانية مدافع أخرى تتجه فوهاتها إلى أعلى وإلى عرض النهر . وإلى اليسار بطارية من اربعة مدافع تتحكم في مدخل الخليج وموضوعة بحيث يتسق عملها مع عمل القلعة التي على اليمين في الدفاع عن مدخل الخليج . وعلى بعد حوالي مائة ياردة أسفل منها بطارية أخرى مزدوجة ، مكونة من ١٢ مدفعاً على صفين ، وتسمى هذه القلعة القبطان باشا فالى جوارها يقع بيته وبيوت ضباطه ورجاله . وثمة بوابة أخرى بالقرب من القلعة في الناحية اليمنى من مدخل الخليج ،

تفتح ابوابها على المدينة ، وتقع القلعة على نهاية اسوار المدينة من هذه الناحية . لكن هاتين البوابتين صغيرتان ، والأقرب إلى الدقة ان نصفهما بأنهما بوابتان خاصتان او سريتان .

السفن البريطانية في البصرة مارس ١٧٧٥ :

وفي نوفمبر ١٧٧٤ ، حين وصل مستر بارسوتر إلى البصرة ، كانت هذه السفن التابعة لشركة الهند الشرقية راسية في الميناء ، وظلت جميعها ، ما عدا السفينة الاولى فقط ، راسية حتى بداية الحصار وهي : السفينة « ريفنج » التي تحمل من ٢٦ إلى ٢٨ مدفعاً منها ٢٠ مدفعاً عيار ١٢ رطلا ، وهي أكبر سفينة محاربة في أسطول الشركة كله ، ثم السفينة «إيجل» التي تحمل١٦ مدفعاً ، والسفينة الصغيرة « سكسس » التي تحمل ١٤ مدفعاً . وكان الوكيل قد احتجز السفينتين الأخيرتين في ميناء البصرة دون استطلاع رأي السلطات المسئولة او استصدار إذن منها ، ودون ضرورة أيضاً . وقد أعلن الحاكم والمجلس في بومباي أسفهم لذلك العمل على نحو ما هو مذكور في تاريخ الشاطيء الايراني ، كما اسفوا أيضاً لمسلك وكيل البصرة المعادي لكريم خان . ونتيجة اضطراب الحالة بين المراهطة أصبحت السلطات في بومباي بحاجة شديدة إلى هذه السفن المحجوزة في البصرة دون ضرورة فأرسلت اوامر عاجلة مع السفينة « دريك » التي كانت متجهة إلى الخليج بلزوم رجوع تينك السفينتين خلال فترة لا تزيد على عشرة أيام من تسلم الاوامر .

ويجب ان نضيف الى هذه السفن البريطانية سفينتين أخريين ، ما دامتا كانتا تابعتين لأوامر الوكيل البريطاني ، وهما السفينتان « دجلة » و «الفرات» ، وكل منهما مزودة بأربعة عشر مدفعاً ويملكهما باشا بغداد ، لكنهما كانتا ما تزالان ترفعان العلم البريطاني ويقودهما ضباط من العاملين بخدمة الشركة ، وبين بحارة كل منهما عدد من الاوربيين . وسنرى أن احتجاز مستر مور تينك السفينتين وإبقاءهما تحت سيطرته إنما

كان خروجاً على سياسة الحياد التي اعترف هو مرتين من قبل بأنه ملتزم بها .

العمليات العسكرية حتى انتقال الوكالة البريطانية من البصرة — من ١٧ مارس الى ١٠ ابريل ١٧٧٥ :

ولم تكد القوات الايرانية تصل إلى مدخل نهر صويب حتى سارع الشيخ عبدالله بالرحيل عن المكان تاركاً لهم عبور النهر دون مقاومة . وبدأت هذه الطلائع من القوات الايرانية العبور على قوارب من جلد الماعز ، لكن ظل صديق خان عاطلا من الوسائل المناسبة لنقل مدفعيته وعتاده الثقيل إلى الضفة اليمنى للنهر . ولم يكن لدى سليم أغا متسلم البصرة سوى حوالي ١٥٠٠ رجل من القوات النظامية تحت امرته ، ولما لم يكن ولاؤهم له مؤكداً ، فقد قرر المتسلم انتظار الهجوم الايراني وراء سور المدينة ، لكنه ضرب اروع الامثلة للجميع في الشجاعة واليقظة والتضحية، وبذل جهوداً كثيرة متصلة في الاستحكامات والتحصينات الدفاعية .

١٩ مارس :

وفي يوم ٩ مارس ارسل مستر مور إحدى سفينتي الباشا لتصعد في النهر وتعود بمعلومات عن تحرك القوات الايرانية ، وكان يقودها في هذه الرحلة أحد ملازمي الطراد البريطاني ، وكان طاقم بحارتها من البريطانيين أيضاً ، وعلى ظهرها مستر ابراهام أحد العاملين بالوكالة .

٢١ مارس :

وفي الساعة الثالثة من صباح ٢١ مارس استطاع أسطول الخونة بني كعب ، الذين وعدوا الاتراك من قبل بأنهم لن يتعاونوا مع الايرانيين ثم عدلوا عن وعدهم لما لاح لهم من احتمال انتصار الايرانيين ، الصعود في النهر للانضمام إلى قوات صديق خان . وكانت لدى الطرادات البريطانية اوامر من وكيل البصرة بأن تمنع مثل هذا العمل لكنها لسوء الحظ لم

تستطع رؤية سفن كعب ، وعددها ١٤ سفينة ، إلا بعد أن أصبحت بعيدة بما يكفي لتمكينها من الإفلات . واستطاعت السفينتان «سكسس» و «إيجل» أن تستولي كل منهما على إحدى سفن كعب ، وأحرقت السفينة التي استولت عليها اولاهما في وسط النهر ، أما الثانية فقد عادت بصيدها إلى البصرة ، ووصلت باقي سفن اسطول كعب إلى المعسكر الايراني . وفي بعضها عطب قليل او كثير ، وكانت بطاريات المدفعية التي وضعها الفرس على مناطق مختلفة من ضفة النهر تمنع الطرادات البريطانية من مهاجمتها بعد أن وصلت إلى هناك ، وإحراز أي نجاح في هذا العمل .

٢٢ مارس :

وفي صباح ٢٢ مارس انسحب الوكيل إلى السفينة «إيجل» ربما لإحساس منه بأن تدخله الخاطىء بدأ يؤتي أوخم العواقب . وكان قد سبق أن نقلت إلى السفينة اموال الشركة والأشياء الثمينه فيها . وبعد ظهر نفس اليوم عادت السفينة البريطانية « سكسس » وإحدى سفن الباشا من مطاردة العدو ، وفي المساء عادت سفينة الباشا الأخرى التي كانت تستكشف تحركات العدو يوم ١٩ بعد أن واجهت في طريقها عدة مخاطرات .

فعند مرورها في النهر قرب المعسكر الايراني اوقفت ودار معها التحقيق لأنها لم تطلق مدافعها تحية للقائد العام ، ورد المسئولون في السفينة على ذلك بأنها مصعدة في النهر وكانت تنتوي أن تطلق مدافع التحية أثناء عودتها . وفي يوم ٢١ وكان الاشتباك بين الاسطول البريطاني وأسطول كعب قد حدث ، كان على السفينة أن تجتاز مرة أخرى مواقع بطاريات المدفعية الايرانية وهي تهبط النهر بعد رحلتها ، وطلبت منها السلطات الايرانية أن ترسو عند الشاطىء ، وأن يقوم قائدها بتقديم التحية ، فأرسل القائد جندياً يدعى رايلي وهو بزيه الرسمي مندوباً عنه للتحية ، واحتجز في مقابله رجلين ايرانيين كرهينتين على ظهر السفينة . وحدثت حادثة

أدت لاطلاق الايرانيين النيران على السفينة ، كذلك أيضاً ساهمت في الضرب مراكب بني كعب التي كانت راسية إلى الضفة الغربية من النهر ، وردت السفينة على النيران بالمثل ، وجرح رجلان من رجالها ثم واصلت السير في طريقها إلى البصرة . وتركت السفينة الجندي رايلي وراءها لهدف لم يتبينه أحد ، وبعد أن قضى فترة إقامة عومل فيها معاملة طيبة من جانب الايرانيين واستطاع الحصول على معلومات هامة ودقيقة عن حركة قواتهم وصل سالماً إلى البصرة ، وأعيد الرجلان الايرانيان اللذان كانا رهينتين على ظهر السفينة محملين بالهدايا .

٢٣ مارس :

وفي ٢٣ مارس وصل مبعوثان من صديق خان إلى البصرة وقابلا المتسلم والوكيل البريطاني وكانا يطلبان دفع مبلغ ٢٠٠ الف روبية فدية للبصرة ، وهددا بأنه إذا لم يدفع المبلغ فسوف يستولى على المدينة عنوة ، لكنهما طردا ايضاً دون جواب كما حدث في المرة السابقة .

وفي نفس اليوم وبناء على اقتراح قدمه الرحالة مستر أ. بارسونز ، الذي اقتبسنا عنه غير نص واحد ، والذي كان في الأصل ضابطاً بحرياً وكان مؤخراً قنصلاً ووكيلا بحرياً لشركة تركية في الاسكندرية ، وهو يقضي بإقامة سد يمنع الملاحة في شط العرب فوق خليج العشار مباشرة، وقد تم ذلك بالفعل عن طريق صف القوارب بعضها إلى جوار بعض ثم ربطها بالحبال والسلاسل ، وذلك بهدف منع عبور مزيد من سفن الايرانيين كان متوقعاً أن تلحق بأسطول كعب فوق البصرة . وبمواصلة العمل من جانب ضباط البحرية البريطانية ورجال القبطان باشا أمكن الانتهاء من عمل هذا السد في مساء يوم ٢٥ مارس «بالشكل الذي يرضي كل من يهتم بالدفاع عن البصرة ، بل وبدأت الآمال تتزايد في أن يرحل الجيش الايراني « نتيجة عدم وصول إمدادات من الذخائر والمدفعية والمؤن» ، ووضعت سفينتان صغيرتان من سفن الباشا القبطان ، تحمل كل

منهما ٨ مدافع ومن ٨٠ إلى ١٠٠ رجل ، تحت قيادة بريطانية ، وكان العلم البريطاني مرفوعاً فوقهما .

٢٦ مارس :

وفي ٢٦ مارس أصدر الوكيل البريطاني أمراً بتدمير سفينة كعب التي استولت عليها السفينة البريطانية «إيجل» قبل أيام ، وخلال هذه العمليات أصيب أحد ضباط السفينة «سكسس» بحروق خطيرة وهو يحاول إطفاء النار التي كانت تقترب من كمية من البارود وتهدد بالانفجار .

٢٧ مارس :

وفي يوم ٢٧ أصبح معروفاً في البصرة بعد وصول الجندي رايلي أن معظم قوات الايرانيين موجودة الآن على الضفة اليمنى من النهر ، وأن القيادة ما زالت على الضفة اليسرى كما أنه كان لدى الاعداء ، رغم قلة عدد مدافعهم الثقيلة ، كميات ضخمة من الذخائر والامدادات .

٢ ابريل :

وفي يوم ٢ إبريل عرف ان الشيخ عبدالله ، الذي كان قد تقهقر أمام القوات الايرانية بمجرد ظهورها ، قد وصل إلى الزبير مع كل رجاله ، ووعد بمساعدة الحكومة في الدفاع عن المدينة ، وفي نفس اليوم وصل إلى البصرة الشيخ تامر شيخ قبيلة المنتفق ، وكان منتظراً أن يعوق تقدم الايرانيين بأن يقطع النهر ، ومعه ٣٠٠ رجل من رجاله دون ان يعمل شيئاً لمنع تقدم القوات الايرانية .

٣ ابريل :

وفي يوم ٣ إبريل ظهر حوالي ٢٠٠ انكشاري جاءوا من بغداد ، ونزلوا من قواربهم في عزير وواصلوا السير براً حتى القرنه ، ثم عادوا إلى قواربهم وعبروا الى الضفة اليمنى من شط العرب ، وبهذا انتهت رحلتهم دون ان يدخلوا مع العدو في أي اشتباك ، وكانت معهم رسائل

من الباشا يعد فيها بتقديم المساعدة ، وكان واضحاً أنه عاجز تماماً عن تقديم ما يعد به .

٦ ابريل :

وفي الصباح الباكر من يوم ٦ إبريل بدأت طلائع الجيش الايراني تبدو على مرمى النظر من البصرة وبدأت تنصب خيامها على بعد ثلاثة أميال من بوابة بغداد في البصرة ، وفي مساء اليوم نفسه أصبحت خيامهم تمتد لاكثر من ميل حتى كوت الفرنجي ، وكان واضحاً ان معسكرهم يضم آلاف الرجال ما بين راكب وراجل .

٧ ابريل :

وفي اليوم التالي وصلت بقية قوات صديق خان وضربت معسكرها بحيث أصبح البيت الريفي للوكالة البريطانية في كوت الفرنجي وسط معسكر الايرانيين الكبير الممتد . وحوالي الظهر بدأت الاشتباكات بطريقة غريبة .. فقد تقدم اربعة فرسان ايرانيين من أسوار المدينة حتى اقتربوا منها قرباً جعل حوالي عشرة رجال يتسللون اليهم من دشمة في ركن السور ويباغتوهم فيقتلوهم جميعاً ويستولوا على ثلاثة من خيلهم . وكان كل الرجال في البصرة يحملون السلاح ، وواضح ان قواهم المعنوية كانت مرتفعة ، وقد ظلوا طوال الليل على الأسوار على أهبة الاستعداد الكامل لصد أي هجوم بمجرد محاولة القيام به .

٨ ابريل :

وفي صباح ٨ إبريل راح حوالي ٣٠٠ فارس ايراني يتعرفون على أسوار المدينة لكنهم ظلوا حريصين على البقاء خارج مرمى المدفعية التركية.

وفي الساعة الثالثة من بعد الظهر اليوم نفسه خرجت السفينتان البريطانيتان «إيجل» و «سكسس» ومعهما سفينتا الباشا وانطلقت السفن بأقصى سرعتها هابطة النهر تطارد أسطولا من بوشهر مكوناً من ١٦ سفينة شوهد يصعد في النهر في الصباح وقد وصل الآن إلى مسافة فرسخ

واحد من المدينة ، لكن السفن الايرانية أحست بالمطاردة فلاذت بالفرار ، وكان وجود المجاذيف ، إلى جانب الأشرعة ، في هذه السفن سبباً في سرعتها التي تجاوزت سرعة مطارديها ، وكان من بين سفن اسطول بوشهر سفينة شركة الهند الشرقية «تايجر» التي كان بنو كعب استولوا عليها عند شط العرب قبل عامين ، والباقي يتكون من ٥ سفن صغيرة كل واحدة منها مزودة بعشرة مدافع ، و١٠ سفن تتراوح مدافعها بين٦و٨ . وكان الذي أمر بتحرك الاسطول البريطاني هو الملازم روبنسون والملازم ثستلتون اللذان منحهما الوكيل الحرية الكافية في الحركة بشرط منع هذا الاسطول من الانضمام لأسطول بني كعب .

وفي الساعة الرابعة نزل مستر مور ومعه كل الاعضاء العاملين في الوكالة ومستر بارسونز وركبوا حول الاسوار متجهين باقصى سرعة إلى مصب خليج العشار . وفي الطريق قابلوا المتسلم الذي وعدهم بأن يدافع عن المدينة من البر إذا استطاعت الوكالة ان تدافع عنها من البحر . وقد لاحظوا أن العرب والاتراك جميعاً كانوا متحمسين للدفاع عن المدينة ، وان أحدهم لم يكن يترك مكانه المكلف بحراسته على الاسوار ليلا أو نهاراً

٩ ابريل :

وفي حوالي الساعة الثانية من صباح ٩ إبريل ، وكانت الليلة تامة الاظلام بلا قمر ولا نجوم حاولت جماعات من الايرانيين تسلق الأسوار في أماكن مختلفة بين بوابتي الزبير وبغداد ، ودار القتال رجلا لرجل بين المهاجمين والمدافعين واستمر التلاحم أكثر من ساعتين . ووسط هذا الهرج والاختلاط سارع البريطانيون بترك مبنى الوكالة وجدّوا في السير نحو مصب خليج العشار فوصلوه سالمين رغم كثافة الظلام ، وكان مستر بارسونز ومعه رجل آخر هما آخر من ترك مبنى الوكالة ، واستغرقا في الطريق أكثر من ساعة يتهددهما القتل فيها غير مرة من الاحجار التي تلقيها النساء البصريات عليهما من فوق أسطح المنازل لتصوّرهنّ أنهما من

الايرانيين . وكان مدخل خليج العشار يحرسه أكثر من ثلاثمائه رجل عربي من رجال القبطان باشا ، وأحاط رجاله بجماعة البريطانيين من الناحيتين حتى وصلت ظهر السفينة «إيجل» بسلام .

وحين انتشر ضياء النهار تبين أن المدافعين عن البصرة استطاعوا صد الهجوم ، ورأى مستر بارسونز بعد ذلك ٢١ رأساً من رؤوس الايرانيين معلقة على بوابتي الزبير وبغداد ، لكنه ارغم أيضاً على أن يسمع بأذنيه السباب الموجه إلى البريطانيين وأن يرى مستر مور وقد استبد به الاضطراب والخلط نتيجة الغزو الايراني .

وبعد ظهر اليوم نفسه دفع الفضول بمستر بارسونز ومعه أربعة من العاملين في الوكالة إلى القيام بجولة بلغت حوالي ١٠ أميال حول أسوار المدينة ، فوجدوا على كل بوابة من البوابتين الرئيسيتين حوالي ٥٠٠ رجل وحوالي ٢٠٠ رجل عند كل دشمة من الدشم ، ووجدوا أن التجار الارمن واليهود الاثرياء قد ارغموا على البقاء وراء المتاريس ، والذي أدهشهم أنهم وجدوا الآباء الكرمليين الفرنسيين يفعلون الشيء نفسه ، ربما لضرب المثل الصالح قبل أي اعتبار ، وظهر أن الفضل الاكبر في صد هجوم الايرانيين الليلة الماضية كان يرجع للشيخ ثامر ورجاله المحاربين من قبيلة المنتفق .

وفي نفس الوقت تقريباً ، وحين ترامى خبر هجوم الايرانيين على البصرة إلى الزبير لاذ الشيخ عبدالله بالفرار من هناك . ووقع بيد الايرانيين ما كانوا في مسيس الحاجة له من جميع المؤن والإمدادات التي تركها وراءه ، والتي جاء عنها في أحد التقديرات أنها تكفي تموين البصرة كلها شهرين كاملين .

١٠ ابريل :

ومر يوم ١٠ إبريل هادئاً حتى المساء . ولكن في الساعة التاسعة منه اكتشفت سفن الباشا التي كانت تتجول عند الجانب البعيد من النهر

بالقرب من السد المقام ، وجود رجال على الشط فأطلقت عليهم النيران وبعدها بقليل تبين أن القاربين المربوط أحدهما بالآخر بجانب هذه الضفة من النهر قد اشتعلت فيهما النيران ، كذلك اشتعلت أيضاً في قرية مجاورة ، وظلت هذه القرية ، التي واصلت السفينة «سكسس» إطلاق النيران عليها مراراً عديدة ، تحترق ست ساعات متواصلة .

انسحاب الوكالة البريطانية من البصرة الى بوشهر من ١١ الى ١٥ ابريل ١٧٧٥ :

وقد كتب الوكيل ومجلس الوكالة ،الذي يضم السادة جرين ولاتوش ، إلى بوشهر في يوم ٢٣ مارس يطلبون من مستر بومونت ، الذي كان قد احتجزه الايرانيون ، أن يرسل اليهم دون ابطاء أية سفن للشركة تصل اليه من بومباي . ووصل هذا الخطاب إلى مستر بومونت في بوشهر بتاريخ ٣٠ من نفس الشهر ولكن الميناء كان عندئذ خالياً من أية سفينة بريطانية . وبعدها ظهر الاسطول البريطاني من بوشهر في النهر أسفل البصرة يريد اللحاق باسطول كعب في أعلى النهر ، وظن مستر مور الوكيل البريطاني أن من الافضل الانسحاب من البصرة ، لكنه لم يقم بأية محاولة لنقل بضائع الشركة إلى ظهور السفن ، وترك كل شيء وراءها عدا خزانة الشركة التي نقلت من قبل إلى ظهر السفينة ، وبقيت تحت رحمة البحارة . ولا يبدو ان هذا التصرف جاء بسبب ضيق الوقت بقدر ما يبدو أنه كان إملاء من السلطات التركية التي أجبرت الوكيل على الوفاء بوعده عدم مغادرة البصرة ما دامت باقية في أيدي الاتراك .

وبدأ النزول إلى النهر في الحادية عشرة من ظهر يوم ١١ إبريل ، وكان قادة الاسطول ، الذي يتكون من «إيجل» و «سكسس» وسفينتي الباشا الصغيرتين وسفينتين تركيتين ، متفقين على ضرورة مهاجمة أسطول بوشهر وبعدها ترجع السفن إلى البصرة . وحوالي الساعة الثالثة من بعد الظهر شوهد أسطول مكون من ١٢ سفينة صغيرة و ١٣ قاربا مسلحاً

راسياً على بعد ثلاثة أميال أسفل الجزيرة الأولى ، وكانت القوارب في هذا الاسطول تحمل إمدادات للقوات الايرانية . وفي الساعة الرابعة بعد الظهر أطلقت سفينة القيادة بين هذه السفن النار على السفينة «إيجل» التي كان على ظهرها الوكيل واعضاء مجلس الوكالة ، وعندئذ تبين أن السفينتين البريطانيتين كانتا مقصودتين بالهجوم . وفي الرابعة والنصف كانت «إيجل» قد اتخذت مدى مناسباً فبدأت إطلاق نيرانها الثقيلة ، وتبعتها السفينة «سكسس» بنفس الطريقة ، وبعدها مباشرة بدأت السفن الايرانية في التراجع إلى مضيق في النهر وهي تواصل إطلاق النيران ووراءها «إيجل» و «سكسس» محافظتين على المسافة الضرورية كي يكون أكبر عدد ممكن من السفن داخل مدى النيران . ولم تستطع سفينتا الباشا ولا السفينتان التركيتان أن تصمدا في المعركة إلى جانب السفينتين البريطانيتين إيجل وسكسس فجنحتا إلى البر غير مرة . وحوالي الخامسة والنصف كانت السفينة «سكسس» قد أصيبت بمزيد من الخسائر علاوة على إصابات مباشرة وثلاث وقعت لها في المعركة ، وبعدها بقليل لاذت السفن الايرانية بالفرار وراحت السريعة منها تشد اليها البطيئة لتعاونها . وحوالي السادسة من بعد الظهر كانت ترسو في منطقة ضحلة المياه بالقرب من الشاطئ الايراني . وتابعت «إيجل» و «سكسس» المطاردة فاقتربتا منها بقدر ما يسمح لهما الغاطس بالاقتراب ، وراحتا تطلقان النيران حتى هبط الظلام فكف الطرفان عن تبادل النيران كما لو كان الامر متفقاً عليه . ولم تكن أي من سفن الباشا قريبة بما يكفي لان تطلق طلقة واحدة ، ولم تبرح كل مرساها حتى انتهى الأمر ، ومن الحقائق الجديرة بالذكر أن المعارك هذه كلها لم يقتل فيها رجل واحد ، او حتى يجرح ، وقيل أيضاً أن الايرانيين انسحبوا دون خسائر في الارواح ، لكن السفينة «إيجل» أصيبت إصابات خطيرة (١) .

(١) من الصعب ــ نظرا للمصالح الشخصية وراء كل من كتب وصفا لهذا الامر ــ أن نعرف يقينا ما الذى حدث بين الاسطولين البريطانى =

وفي صباح ١٢ إبريل تبين أن الايرانيين استطاعوا أن يبعدوا سفنهم عن مرمى السفن البريطانية بالتراجع إلى منطقة ضحلة داخل المياه نهر قارون ، وفي السادسة من الصباح رفعت السفينة «إيجل» مرساتها ، والشيء المدهش فعلا هو أن بحارة السفينة «سكسس» لم يكونوا يعلمون أن الوكيل ينوي إعلان الدور الذي قام به في الدفاع عن البصرة ، وسارت هابطة في شط العرب .

وفي الثالثة من بعد الظهر شوهدت ثلاث سفن إيرانية تتقدم مصعدة في النهر ، وحين اقتربت منها السفن البريطانية والتركية لاذت بالفرار إلى خليج قريب ، وبعدها بنصف ساعة شوهدت سفينتان ايرانيتان تتقدمان من نفس الاتجاه ، وأطلقت إحداهما طلقتين على السفينتين البريطانيتين ثم أسرعتا بالفرار ، وكان الغرض هو الابقاء على مسافة تفصل بين الاسطولين حتى يهبط الظلام .

= والايرانى يوم ١١ ابريل سنة ١٧٧٥ فالروايات المختصرة التى رواها كل من مستر مور المقيم البريطانى والشيخ ناصر شيخ بوشهر وقائد الاسطول الايرانى ـ كلها روايات تتباعد تباعدا كبيرا (انظر : ص ٢٩٢ ، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ من تلخيص مستر سالدنها للاحداث من ١٦٠٠ ـ ١٨٠٠) لكننا اتبعنا هنا رواية مستر بارسونز لرحلته لانها أقرب للواقع ، فقد كان مستر بارسونز يعمل في ذلك اليوم كملازم على ظهر السفينة « سكسس » مكان ضابط جرح في انفجار حدث يوم ٢٦ مارس وكان ما يزال جريحا في حالة خطرة ، وكانت لديه على الاقل فرصة ممتازة لمراقبة حوادث المعركة . وتختلف رواية مستر مور عن رواية مستر بارسونز ـ بشكل أساسى ـ في تأكيد الاول أن الاشتباك قد حدث كله وبين السفن مدى بعيد ، وان السفن البريطانية لم تصب بأية أضرار . وحسب ما يذكره الشيخ ناصر فان السفن البريطانية هى التى بدأت المعركة وان سفن بوشهر ـ التى كانت تحت قيادته ـ لم تقم بأى دور في اطلاق النيران . وكانت الطلقات القليلة التى انطلقت من سفن ايرانية هى تلك التى أمر الميرعلى ـ من جزيرة خاراج باطلاقها من سفنه الصغيرة . ويؤكد الشيخ بعد ذلك أن السفن البريطانية ظلت في مرساها يوما كاملا بعد هذا الاشتباك . والصعوبة بالنسبة لرواية مستر بارسونز هى أن الخسائر التى حدثت في مدفعية السفن تؤكد تقارب المسافة بينهما .

١٣ ابريل :

ورسا الاسطول الانجليزي ،التركي في المساء ، لكن سفنه عادت إلى الطواف مرة أخرى في الرابعة من الصباح ، وبحلول الظهر كان الحاجز المقام على مدخل شط العرب قد أمكن اجتيازه ، وخلال ساعة تم نقل الجنود العرب والاتراك الذين كانوا على سفينتي الباشا إلى السفن التركية وكان عددهم مئتين وثلاثين رجلا وانتقل إلى سفينتي الباشا من بحارة «إيجل» و «سكسس» وأبحرت السفينتان التركيتان إلى الكويت ، وكانت في ذلك الوقت تابعة لولاية البصرة . وسارت السفن البريطانية وسفينتا الباشا إلى بوشهر فوصلتها بعد ظهر يوم ١٥ إبريل .

أعمال البريطانيين في بوشهر ضمن عمليات حصار البصرة — ٧ — ٢٣ ابريل ١٧٧٣ :

وفي نفس الوقت ، وكما هو مذكور في الفصل الخاص بتاريخ الساحل الايراني ، كلفت حكومة بومباي مستر ر. جاردن الذي كان وكيلا في البصرة من قبل ، والذي أصبح عندئذ أحد أعضاء إدارة الوكالة في بومباي وكان في طريقه الى البصرة لأعماله الخاصة ليواصل الرحلة إلى أوربا ، بأن يبدأ المفاوضة مع كريم خان بشأن إطلاق سراح مستر بومونت الذي كان الوكيل الايراني قد سجنه في شيراز تنفيساً عن غضبه من أعمال شركة الهند الشرقية . وكانت حكومة بومباي تستهدف أيضاً إقامة علاقات طيبة قدر الممكن بالحاكم الايراني وتغيير السياسة العدوانية التي انتهجها معه مستر مور الذي كان أمر بمقاطعة السفن البريطانية جميعاً ، وحتى الخاصة منها ، الموانى الايرانية .

ووصل مستر جاردن إلى بوشهر يوم ٧ إبريل على ظهر الطراد «دريك» وفي حمايته جاءت ثلاث سفن تجارية صغيرة محملة بشحنات ثمينة من البضائع إلى البصرة . وأبلغه مستر بومونت بطلب الوكيل في البصرة المعونة البحرية قبل عدة أيام ، وأبلغه أيضاً أن عليه إجابته فوراً

بالسلب أو بالايجاب . ونظراً لعدة اعتبارات فضل مستر جاردن انتظار التعليمات من بومباي بدلا من مساعدة مستر مور الذي كانت مواقفه العدائية من الايرانيين قد أصبحت معروفة للجميع ، ثم هو أيضاً كان يعتقد أن الايرانيين سينتصرون أخيراً على الاتراك ، وأن كريم خان لو عزز قبضته على الخليج فسيستحيل التوصل إلى أي تفاهم بينه وبين البريطانيين على الإطلاق ، كما ظن أيضاً أنه من باب المجازفة أن يواصل شق طريقه إلى البصرة وفي حمايته تلك السفن التجارية الثلاث ، كما كان يعتقد بأن وكالة البصرة كانت مستطيعة تجنب الموقف السيء الذي ترددت فيه لو قامت منذ البداية بنقل كل ممتلكاتها إلى ظهري السفينتين اللتين تملكهما بالفعل وهما «إيجل» و «سكسس» ، لذلك كله رأى أن البدء بالتفاوض مع الوكيل قد يكون أفضل الطرق لضمان أموال الوكالة في البصرة ، التي هددها عمل الوكالة هناك باقحام نفسها طرفاً في الحرب إلى جانب الاتراك . وكان يأمل أيضاً أن ينجح في مفاوضاته هذه لأنه كان يرى أن تصرف مستر مور في وقف التعامل التجاري مع ايران إنما كان السبب الاساسي لغضب الوكيل الايراني عليه بل وحتى لهجومه على البصرة ، وقد خولته سلطات بومباي في أن يعد باسمها ، في حالة التوصل لاتفاقية ، أن يعود البريطانيون إلى فتح وكالتهم في بوشهر مرة أخرى واستئناف التجارة مع ايران . وارسل مستر جاردن خطابه الأول إلى الوكيل الايراني في شيراز بتاريخ ١١ إبريل . وفي يوم ١٥ ، يوم وصول مستر مور وجماعته إلى بوشهر ، كتب مرة أخرى إلى كريم خان يلتمس منه تأكيداً بأن الأملاك البريطانية في البصرة لن تمس ، وكرر طلبه هنا مرة أخرى لدى الشيخ ناصر شيخ بوشهر الذي كان يقود الاسطول الايراني أمام البصرة .

وفي ٢٣ إبريل تلقى مستر جاردن رداً مطمئناً من كريم خان ، فانزاح القلق الذي كان مستبداً به ، وألقى كل اللوم في «تلك

الاضطرابات الخطيرة التي حدثت مؤخراً بين البريطانيين والايرانيين على مستر مور وحده » .

تقدم الحصار ابريل – اغسطس ١٧٧٥ :

ولم يحرز الايرانيون في البداية الا نجاحاً ضئيلا في عملياتهم ضد البصرة ، وقد جاء في خطاب كتب منها يوم ٢٠ إبريل .. « إن رجال قبيلة المنتفق وغيرها من قبائل العرب مجتمعون لحماية البصرة ، وأن الصحراء تفيض بالمحاربين ، وألا خطر على البصرة من الجيش الايراني» وفي يوم ٢٦ يونيو أمكن شحن خمسين مدفعاً كانت للبرتغاليين من بوشهر ، وسط مظاهر الفرح والابتهاج ، لتؤدي عملها في احتلال البصرة ، وخلال ما بقي من هذا الشهر ظلت سفن النقل رائحة وغادية بين البصرة وبوشهر . لكن مدفعية الايرانيين ، رغم أنها كانت تحت قيادة رجلين من الاوربيين لم تستطع أن تحقق أي نجاح في مواجهة استحكامات الاتراك ، وكان المنجمون والعرافون يأمرون الجيش الايراني بتأجيل الهجوم كلما حاول ذلك حتى وصل الحصار إلى مستوى سيء من التفكك وعدم الاحكام . وفي أغسطس ١٧٧٥ ، وبعد القضاء على اسطول من السفن الايرانية يقوده الشيخ ناصر شيخ بوشهر وصل اسطول قوى أرسله إمام عمان لمساندة الاتراك ، واتخذ الاسطول مواقعه عند مدخل شط العرب ، فأمن السيطرة على هذا النهر فترة ما . وانتهزت هذه الفرصة لتوصيل الإمدادات إلى المدينة كي تستطيع الصمود في الدفاع . ويبدو من حقيقة أن سلطان عمان طالب الاتراك في سنة ١٧٩٨ ثم في سنة ١٧٢٦ بأن يدفعوا التزاماتهم المالية في مقابل الخدمات البحرية التي قدمها أسلافه للاتراك أثناء حصار البصرة أن السلطات التركية كانت قد وعدت العمانيين بمكافأة مادية قبل أن يوافقوا على تقديم العون البحري لهم ، كذلك حصل الايرانيون على مساعدة ذات قيمة من قبيلة خزعل على الفرات ، وهي رغم عروبتها تشاركهم عقيدتهم الشيعية .

رحيل الوكيل البريطاني من بوشهر الى بومباي ١٥ يوليو ١٧٧٥ :

ورداً على سؤال لمستر جاردن فور وصوله إلى بوشهر أجاب مستر مور بأنه ينوي الرجوع إلى البصرة فقد لا تسقط في أيدي الايرانيين ، أما إذا سقطت فسيحاول أن يرى أفضل ما يمكن عمله . غير ان الحوادث سارت على غير ما يهوى ، ففي ١٢ مايو(١) دخلت سفينة صاحب الجلالة « سي شور » المزودة بعشرين مدفعاً بقيادة الكابتن فارمر المضيق إلى بوشهر وفي حمايتها سفينة كبيرة من البنغال متجهة إلى البصرة ، وبهذا وصل عدد السفن التي كانت ترفع العلم البريطاني في ميناء بوشهر إلى تسع سفن ، ونشير هنا إلى أن السفينة «سكسس» قد سافرت الى الهند في أول مايو لنقل البريد ، وخشي الايرانيون أن تقوم السفن البريطانية بهجوم مضاد في البصرة لصالح أصدقائهم الاتراك .

وفي ٢٤ مايو صدرت الاوامر الى الكابتن فارمر من قائده سير ادوارد هيوز بأن يقدم العون لممثلي شركة الهند الشرقية إذا احتاجوا لذلك وحيثما التقى بهم . وهكذا وضع الكابتن فارمر نفسه لحماية أية سفن تنوي الاقلاع من بوشهر إلى البصرة ، لكن مستر مور رفض ، بجبن شديد ، هذا العرض . وأخيراً ، في مساء ١٥ يوليو أبحرت كل السفن البريطانية ، باستثناء السفينة « دريك » من بوشهر إلى بومباي في حماية سفينة صاحب الجلالة «سي شور» وقد تعهد قائدها بأن يحميهم من المراهطة ومع هذا الاسطول وعلى ظهر السفينة «إيجيل» عاد مستر مور ، الذي

---

(١) يبدو أن الاميرال نلسون الكبير كان قائد السفينة « سيشور .. » في ذلك الوقت ، وقد ظل كذلك من ١٧٧٣ الى ١٧٧٦ « وقد زار خلال جولاتها العادية في أيام السلم كل الموانى من البنجال الى البصرة .. » كابتن ماهون « حياة نلسون .. » ، ص ١٤ . وقد كتب نلسون نفسه يقول عن عمله في الشرق : « لست أظن رحلة أقصر من هذه الرحلات كافية لاشباع رغباتى في الاستزادة من علوم البحر .. » لكنه رجع للعمل بانجلترا لانه لم يكن يتحمل العمل في الشرق .

كان قد أرهقه طول البقاء على ظهر السفن فهو لم يهبط في بوشهر بل واصل السفر إلى بومباي ، وعلى السفينة «سيشور» كان مستر بارسونز ، أما السادة لاتوش وابراهام فقد بقيا في بوشهر كي ينتهزا أول فرصة متاحة ويعودا إلى البصرة ليتوليا الإشراف على شئون الوكالة فيها . وكتب مستر مور ، أثناء سفره إلى الهند ، خطاباً لمتسلم البصرة ذكر فيه أنه قد اصطحب السفينتين التركيتين الصغيرتين معه إلى الهند لنفس السبب الذي حمله من قبل على إبعادهما عن البصرة ، وهو انقاذهما من الوقوع في أيدي الايرانيين . وطلب منه أيضاً ، بالنظر لصعوبة عودة السفينتين ، أن يفوضه ببيعهما لحسابه في بومباي . وفي هذا الاتصال ذكر مستر مور لسليمان أغا : « وسأظل دائماً أذكر الشرف الذي احطتموني سموكم به في طلب مساعدتنا للدفاع عن البصرة ، وأود ان اقول لك إنه كان بوسعنا تقديم مزيد من الدفاع لكنني أعتقد أنك ستقدر الظروف الصعبة التي واجهناها منذ خرجنا من البصرة » .

وكان مسلك مستر مور الطائش أحق باللوم من مسلك المتسلم . لأنه بعد أن تخلى عن سياسته في عدم التدخل ووقف بالفعل إلى جانب الأتراك كان عليه أن يستمر في مساعدتهم إلى آخر ما يستطيع ، وقد أدى هذا الموقف بمستر بارسونز لأن يكتب في نهاية حكايته(١) : « وهكذا ترك البصريون التعساء وحدهم ، وتخلى عنهم من كان من واجبهم ومن مصلحتهم أن يدافعوا عنهم ، ولو فعلوا هذا واستمروا في الوقوف معهم لما استطاعت كل جيوش ايران شيئاً ضد المدينة .. » . وكان من رأي مستر جاردن أيضاً ان مستر مور مخطىء ولا شك في التخلي عن وعده الذي قطعه على نفسه بالنسبة للمتسلم ، وأنه من الخطر أن يرجع إلى البصرة حتى لو حدثت تسوية بين الايرانيين والاتراك .

---

(١) نستطيع أن نفترض أن هذه الكلمات مكتوبة فقط من أجل باشا بغداد والحكومة التركية ، فلم يكن من رأى مستر بارسونز أن يظل البريطانيون في البصرة . (انظر ص : ١٨٠ من كتابه) .

استسلام البصرة – ١٥ ابريل ١٧٧٦ :

واستطاعت البصرة ، بفضل الحماسة التي كان سليمان أغا قادراً على بثها بين الناس أن تصمد سنة كاملة منذ بدء الحصار ، وهي مدة كان يمكن أن تضايق هذه المدينة بسكانها الكثيرين ، لكن الحصار الايراني لم يكن حصاراً محكماً في أي وقت من الاوقات .

وأخيراً وفي مساء ١٥ إبريل ١٧٧٦ ، وبعد أن يئس المدافعون تماماً من وصول أية امدادات لهم من بغداد(١) ، قام الوجهاء والأعيان العرب في البصرة وما حولها بزيارة لصديق خان في معسكره لاتخاذ إجراءات تسليم المدينة ، وفي صباح اليوم التالي تم استيلاء الايرانيين على البصرة . وكانت شروط الاستسلام تنحصر فقط في « معاملة أهل البصرة باحترام لأرواحهم وممتلكاتهم وعائلاتهم » ، وعومل المتسلم ووجهاء المدينة معاملة الأسرى ، فأرسلوا إلى شيراز ، وأمر صديق خان ، بمجرد تسليم المدينة اليه بأن يحتلها ٦ آلاف جندي نظامي تحت قيادة ابنه علي تقي خان وعلي محمد خان الذي سنلتقي باسمه كثيراً فيما بعد ، وفي يوم ٢١ إبريل دخل المدينة رسمياً في قوات أخرى ، وطلب من عدد من المواطنين إخلاء بيوتهم لإقامة هؤلاء الجنود فيها .

ولم توقع القوات المحتلة بأهل البصرة أية مضايقات أخرى ، حتى إن اثنين من الجنود اتهما بالسلب والنهب فأمر القائد بضربهما حتى مات أحدهما من قسوة الضرب ، لكن القحط ظل سائداً بين الفقراء في البصرة كما كان أثناء الحصار ، فقد باعوا كل ما كانوا يملكون أثناء الحصار الطويل ، ولم تكن ثمة أعمال يستطيعون أن يشتغلوا فيها .

---

(١) حسب ما يذكر أوليفر (الرحلة ، مجلد ٢ ، ص ٤٠٢) ، فان باشوات الموصل وديار بكر وحلب ودمشق ساروا الى بغداد في وقت واحد بأوامر صدرت لهم من القسطنطينية ، وأعدموا باشا بغداد ترضية للايرانيين ، لكن صديق خان لم يرفع الحصار عن البصرة ، رغم أنه أعلن رضاه عما حدث .

وقد قيل أن كريم خان قد أمر ، بمجرد أن تلقى أخبار استسلام البصرة ، بأن يختم على كل البيوت التي هجرها أصحابها او غابوا عنها ، وترفع اليه قائمة كاملة بهذه البيوت ، كما أمر بأن يقدم اليه وصف تفصيلي وواضح للبلاد الممتدة من البصرة باتجاه مسقط » ، ومن هذه التعليمات الاخيرة يبدو أن الوكيل لم يكن يهدف لأن يستغل هذا الاقليم مالياً فقط ، بل وينوي أيضاً اتخاذه قاعدة لفتوحات أخرى . وفي يونيو ١٧٧٥ صدرت الاوامر لسفن الاسطول الايراني بالعودة إلى موانيها في ايران . ووصل الشيخ ناصر إلى بوشهر ، أبعد تلك الموانى ، في اليوم الأول من الشهر التالي .

★ ★ ★

الحالة خلال احتلال الايرانيين للبصرة ١٧٧٦ ــ ١٧٧٩

عودة العاملين في الوكالة البريطانية الى البصرة مايو ١٧٧٦ :

قبل استسلام البصرة كان مستر جالي أحد الموظفين بشركة الهند الشرقية موجوداً بالمدينة ليرعى مصالح الشركة ، وقد استقبله « صديق خان استقبالا مهذباً جداً » ، وعاونه الشيخ ناصر معاونة حقيقية صادقة ، وفي يوم ٢٠ إبريل سمح له بأن يتسلم الوكالة البريطانية في المدينة حيث وجد كل شيء فيها بحالة طيبة ، وقد ظل بالبصرة طوال فترة حصارها ممثل شركة الهند الشرقية الفرنسية ، وبعض الرعايا الايطاليين تحت حماية فرنسا كذلك الآباء الكرمليون . وفي ٣ مياو وصل خطاب من مستر جالي إلى بوشهر ، واستعد الرجال العاملون بالوكالة والمقيمون هناك ، وهم السادة لاتوش وأبراهام لانتهاز الفرصة المناسبة والعودة إلى البصرة دون ابطاء . وبعد أن حملوا معهم الهدايا المناسبة لصديق خان والشيخ ناصر ، واسرعوا إلى ركوب سفينة أهلية ، وتركوا للمقيم في بوشهر أن

يكتب لحكومة بومباي بتحركهم ، هبت ريح معاكسة فاحتجزت السفينة بعد أن أبحرت واضطرتهم للبقاء حتى يوم ٥ مايو . وقد تركت الاوراق والسجلات الخاصة بوكالة البصرة موقتاً في بوشهر لأنها كانت هناك في مأمن أكثر من وجودها بالبصرة . وحين وصل الرجلان إلى غايتهما كتبا يقولان إنهما وجدا « حالة وكالة الشركة الموقرة ممتازة ، وإن صديق خان بنفسه عرض عليهم مودته ورعايته ، وأبلغهم أن شعبه يحتفظ باحترام خاص للوكيل وللمجلس . وأنه إذا كانت الامور قد تعقدت في البداية ، فهم يستطيعون اليوم دون شك أن يأملوا في أن تزدهر تجارتهم أيما ازدهار في ظل الحكم الايراني للبصرة » . وربما كانت أسباب هذا الوضع الممتاز ، أو بعض أسبابه على الاقل ، هي جهود ميرزا محمد حسين أكبر مستشاري صديق خان الذي استخدم كل نفوذه كي يبسط حماية سيده على بعض الاشخاص الذين طلب الوكيل البريطاني الحماية لهم . وكان صديق خان في بداية الأمر مستعداً لمجاملة البريطانيين والتفاهم معهم حتى إنه أبلغ مستر لاتوش ، الذي عهد اليه بمهام الوكيل ، بأن « مبنى الوكالة البريطانية هو المبنى الوحيد في البصرة الذي يصلح لإقامته ، لكنه ، إكراماً للبريطانيين لن يقيم فيه ولو كانت حوائطه من الذهب » .

حكم الايرانيين في البصرة وعلاقاتهم بالوكالة البريطانية فيها ١٧٧٦ – ١٧٧٩ :

وبدا أن القصد والاعتدال هما طابع الحكم الجديد في البصرة في بداية الأمر فقط ، ففي أول يونيو فرض صديق خان ضريبة ثقيلة على مدينة البصرة كجزية ، وعهد الايرانيون بجمع هذه الضريبة إلى وجهاء الأهالي ، وكان هذا الاجراء نفسه سبباً في وقوع العبء الأكبر منها على الفقراء العاجزين عن الدفع ، لأن اهتمام الوجهاء كان منحصراً في إعفاء أنفسهم ، وبعدها لجأت السلطات الايرانية إلى وسائل الضغط والقسر

لتنفيذ بقية مطالبهم ، وهكذا أصبح أهل البصرة يعتبرون الوكالة البريطانية الملجأ الوحيد القادر على حمايتهم من جشع حكامهم الجدد .

سبتمبر ١٧٧٦ :

وكان العداء بين الوكالة البريطانية والسلطات الايرانية نتيجة طبيعية لهذه الظروف ، وفي سبتمبر ١٧٧٦ ، وبسبب القاء رجال صديق خان القبض على بعض التجار من الاهالي ممن لجأوا إلى الوكالة ، وهو أمر اعتبره البريطانيون خدشاً لهيبتهم وكرامتهم ، أصبح التوتر حاداً بين الجانبين . وكان الايرانيون يعرفون جيداً أن وجود الوكالة البريطانية في البصرة مفيد لهم لأنها ذات أهمية في المدينة ، وهي تشجع أهلها على عدم الهجرة منها وهي أيضاً أساس لازدهار تجارة الاجانب فيها مستقبلا . وهكذا حين عرف الحاكم الايراني باعتزام الوكيل والمجلس نقل مؤسسات الوكالة من البصرة إلى بوشهر ، وهو بالمناسبة قرار كان البريطانيون أنفسهم يعرفون جيداً أن السلطات الايرانية لن تسمح لهم بتنفيذه ، بادر إلى طمأنته ، وأكد له أنه لن يحدث مستقبلا أي انتقاص من امتيازاته ، والتمس منه البقاء في البصرة .

وأحس موظفو الشركة أنهم قد أصبحوا بالفعل سجناء في البصرة ، كما أوصت ملاحظة من الوكيل أيضاً أنهم لن يستطيعوا استئناف نشاطهم طالما بقي الايرانيون مسيطرين على المدينة ، فقد جاء في هذه الملاحظة : « وقد بذلت جهوداً كثيرة لاقناعهم بأن القوة لا تجدي في دنيا التجاره ، وخاصة معنا نحن ، وقد وفقت في إقناعهم في بداية الأمر ، لكن إقناعهم الآن أصبح في نفس استحالة اقتناعهم بأن مذهبهم الديني عبث وسخف » .

يناير ١٧٧٧ :

وفي ٣١ يناير ١٧٧٧ وصلت الأمور حد التأزم في موضوع المدعو خوجا يعقوب وهو أكثر التجار اليهود في البصرة ثراء وكان أيضاً سمساراً للوكالة البريطانية . فقد هاجمته قوات الايرانيين واقتادته من بيته ،

ومعه عدد كبير من النساء وأفراد أسرته . وارغموه بالضرب المبرح الذي شارك فيه علي محمد خان ، خليفة صديق خان في البصرة ، بنفسه على توقيع صك لهم بستة آلاف تومان . كما رفضوا السماح لمترجم الوكالة ، الذي ارسله الوكيل للحصول على تفسير لذلك التصرف بمقابلة كبار المسئولين . واعتصم الوكيل وبقية الموظفين ، بعد أن ارسلوا خطاب شكوى إلى كريم خان عن طريق بوشهر ، في مبنى الوكالة ورفضوا التفاهم مع السلطات المحلية . وقد أثار اغلاق الوكالة البريطانية كثيراً من التعليقات في المدينة حتى إن السلطات الايرانية أرغمت على مضاعفة حراسة بوابات المدينة لمنع خروج الناس منها في هجرة جماعية . وكان المبلغ الذي استطاعوا أن ينتزعوه من خوجة يعقوب ، ورغم كل أساليبهم في استخدام القسوة ، أقل مما توقعوا الحصول عليه . وبدأت السلطات المحلية تحس بعدم الرضا من جانب كريم خان ، وأخيراً ، وبعد أن تغاضى الوكيل عن بعض هنات من جانب علي محمد خان ، وطلب تسوية الامور معه ، ارسل هذا رجلين من رجاله الى مبنى الوكالة يطلبان من مستر لاتوش مقابلة الخان ، وتسوية كل شيء على نحو مرضٍ .

مارس ١٧٧٧ :

لكن الوكيل لم يوافق على هذا الاقتراح ، وفي ١٧ مارس تلقى الوكيل خطاباً ودياً من كريم خان ، به فرمان يطلب من علي محمد خان فوراً الإقلاع عن مسلكه الذي شكا منه البريطانيون في البصرة ، ويطلب اليه ضرورة معاملتهم باحترام . . وكانت كلمات الخطاب ، كما ترجمت في ذلك الوقت ، كما يلي :

« تلقيت التماسكم ، وفهمت كل ما ذكرتموه عن الاحوال في البصرة . وقد كنت شخصياً ، وما أزال ، أنظر باحترام إلى الدولة البريطانية ، وأعرف أن هذه الدولة تبادلني الاحترام . وقد كنت صديقاً

للبريطانيين من قبل . وقد كتبت فرماناً لعلي محمد خان حاكم البصرة وأمرته فيه بأن يسلك نحوكم ونحو رعاياكم المسلك الذي يرضيكم ويجعل تجارتكم تتقدم وتزدهر لمصلحتكم ومصلحة رعاياكم على السواء . وقد أمرت أيضاً بألا يتعرض كائن من كان لكم بشيء من المضايقة ، بل أن يسلك الجميع نحوكم بما يكفل لكم حرية تنشيط أعمالكم التجارية وأصدرت أيضاً فرماناً يتعلق باليهود والأرمن في البصرة ، وقد أمرت بألا يؤخذ منهم فلس واحد(١) باستثناء ضريبة الرؤوس ، وإذا شاء أحدهم السفر لأمور تجارية إلى أي مكان في الخليج فهو يستطيع ذلك إذا أبلغ خوجة يعقوب وخوجة اراتون . إن أوامري هذه واجبة الالتزام على علي محمد خان وتستطيعون دائماً الاعتماد على صداقتي العظمية لكم» .

يونيو ١٧٧٧ :

وفي يونيو ١٧٧٧ أصدر كريم خان فرماناً جديداً بناء على طلب مستر لاتوش ، وفيه يأمر علي محمد خان بأن يجمع من البريطانيين ضرائب الصادرات والواردات على نفس الأسس التي كانت تجمع بها على عهد متسلمية سليمان أغا ، وأن يسمح للتجار اليهود والأرمن في البصرة الخروج لتجارتهم إذا ما طلب المقيم البريطاني لهم هذا الاذن .

نوفمبر ١٧٧٧ :

وفي نوفمبر ١٧٧٧ سطا اللصوص على الوكالة بتحريض من علي محمد خان ، لكن المسروقات أعيدت مرة أخرى خشية غضب كريم خان

إن ما تقدم مستقى من معلومات المصادر الرسمية ، لكن يوميات الرائد ج. كاير الذي زار البصرة في نهاية سنة ١٧٧٨ تلقي بعض الضوء على علاقة الايرانيين أثناء احتلالهم البصرة مع كل من أهل المدينة أنفسهم وبالعرب فيما جاورهم .

---

(١) فلس ، وجمعها فلوس ، والفلس واحد من ألف في الدينار .

ويبدو أن الحامية الايرانية في البصرة كانت تضم اولا حوالي ٧٥٠٠ رجل . وكان أهل المدينة أقلية ضعيفة بعد انتشار الطاعون واستمرار الحروب والقحط اللذين أضرا بالمدينة مؤخراً ، وكان الحاكم الايراني ، أو نائب الحاكم ، رجلا فظاً قاسياً ، حاول في البداية أن يتظاهر بالاعتدال والانصاف ، لكنه سرعان ما أفسح المجال أمام عواطفه وغرائزه كي تمارس نشاطها ، فلم يصبح أحد من هذه المدينة في مأمن على حياته أو ماله . ولم تكن اعتداءاته ونزواته هذه قاصرة على الافراد فقط . ففي إحدى الليالي « وتحت جنح الظلام قام بهجوم مفاجىء من البصرة على الزبير فأحرق بيوتها وذبح عدداً كبيراً من أهلها ، ثم واصل السير إلى قرى الكويبيده ، التي تبعد عدة أميال عن الزبير على طريق القوافل إلى حلب ، ففعل بها الشيء نفسه ، ثم عاد أدراجه إلى البصرة . وبعدها نجح الشيخ ثامر شيخ المنتفق في استدراج قوة ايرانية كبيرة من البصرة إلى مساحة من الأرض يحدها مجرى الماء من الشمال ، وشط العرب من الشرق وخليج من الجنوب وهي تبعد حوالي ١٧ ميلا عن المدينة ، وهناك كان عدد ضخم من عرب المنتفق بانتظار وصول القوة الايرانية حيث أعملوا فيها القتل حتى أبادوها عن آخرها ، وكان من بين القتلى على محمد خان نفسه ومن هذه الحوادث نستطيع أن نفهم أن الايرانيين لم تكن لهم أية سيطرة خارج أسوار مدينة البصرة .

وقد وجد الرائد كاير (الذي وصل البصرة من حلب في ١٨ ديسمبر سنة ١٧٧٨ ورأى صديق خان يدخل المدينة في حوالي أربعة آلاف فارس يوم ٢٤ ثم غادرها إلى بومباي يوم ٣٠ من الشهر نفسه) ، وجد البصرة يخيم عليها الوجوم ويوم وصوله خيل اليه أن عدد سكانها لا يزيد على ستة آلاف نسمة بمن فيهم القوات الايرانية « وكانت الشوارع الرئيسية أشبه بالمدافن ، لا يفصل القبر عن الآخر أكثر من ثلاثة أقدام (هكذا في النص) .

ولاحظ الرحالة أن الوكيل البريطاني كان يلقى كل الاحترام من

العرب القلائل الموجودين فيها وهو يمر بشوارعهم وعزا ذلك إلى كرم مستر لاتوش وعطفه ، فقد استطاع ، بعد الاستيلاء على المدينة ، إعتاق كثير من العبودية وارسالهم إلى أهلهم في الريف .

اقتراح بالغاء الوكالة البريطانية في البصرة وتحويلها إلى مقيمية ١٧٧٧ — ١٧٧٨ :

وحين نمى الى علم مجلس مديري شركة الهند الشرقية في لندن الصعاب التي واجهها موظفو الشركة في البصرة خلال شتاء ١٧٧٦ ، ١٧٧٧ أصدر أوامره إلى حكومة بومباي باتخاذ ترتيبات الغاء الوكالة في البصرة . وأوصى لتجنب حدوث أية مخاطرة بأرواح العاملين في الوكالة أو بممتلكاتها الحصول على إذن من كريم خان بنقل الوكالة أولا إلى بوشهر ، وبعدها يمكن أن تقتصر وكالة بوشهر على موظف أوربي واحد لان قيمة المخزون فيها لا يتجاوز أبداً مبلغ ١٠ آلاف روبية . واذا استطاع الاتراك استعادة البصرة ، أمكن التفكير في إرسال مقيم إلى البصرة .. ولكن باذن سابق منهم اولا .

ولا بد أن حكومة بومباي قد أبطأت في تنفيذ هذه الاوامر ، المؤرخة في ٤ يوليو ١٧٧٧ والتي لم تصل الهند إلا في ٣٠ إبريل ١٧٧٨ ، لأن هذه الحكومة لم تتخذ أية إجراءات لتنفيذ الاوامر قبل أغسطس من العام التالي حين أيقظ احتمال نشوب الحرب مع فرنسا حكومة بومباي إلى أن ترى من الضروري وجود مقيمية في البصرة إذا اندلعت مثل تلك الحرب ، وذلك لكي تؤمن توصيل البريد من اوربا والهند . وفعلا تقرر الابقاء على المقيمية وعرضت الحكومة تعيين مستر لاتوش لهذا المنصب في البصرة ، وأصدرت اوامرها بالوقت نفسه إلى مساعديه السيدين ابراهام وجالي بالعودة إلى الهند مباشرة على ظهر السفينة « إيجل » . أما مخزون البضائع في الوكالة فكان قد تم نقله إلى بوشهر ، ومنها تقرر نقله

إلى الهند . ورد مستر لاتوش على حكومة بومباي بأن شكرها على شرف تعيينه مقيماً لكنه كان أبطأ من اللازم في تنفيذاً اوامر رؤسائه ، الذين عدلوا بدورهم بعض الشيء من اوامر مجلس مديري الشركة في لندن . وفي ٢٥ إبريل ١٧٧٩ ، وهو الوقت الذي انتهى فيه احتلال الايرانيين للبصرة ، كان مستر ابراهام وجراح الوكالة ما يزالان مع المقيم في البصرة .

التجارة البريطانية في البصرة أثناء الاحتلال الايراني :

وحين انتقلت البصرة إلى أيدي الايرانيين ، وصلت التجارة الخاصة التي يمارسها الاوربيون هناك الى نقطة النهاية ، ولم يحدث أن ازدهرت بعدها بمرور الوقت وكان كل التجارة التي ظلت مستمرة تجارة البن وغيره من البضائع الثقيلة من مسقط وبوشهر كما استمر بعض الاتجار في التوابل من صورات . وقد سببت هذه الحالة قلقاً شديداً للمقيم الذي كان يحصل ، إلى جانب راتبه ، على عمولة قنصلية قدرها ١٪ على واردات التجار الاوربيين . وفي سنة ١٧٧٧ لم يتجاوز دخله من هذا المصدر أكثر من ٢٠٠روبية بل كان متوقعاً ان يقل عن ذلك في السنة التالية . وطلب مستر لاتوش في هذه الظروف الاستثنائية أن تتكرم حكومة الهند بالغاء نسبة أل ٣٪ التي كان يدفعها للشركة في البصرة على البضائع التي يصدرها لحسابه . ولكي يعزز قضيته ، ذكر أن عليه دفع ضرائب تصل نسبتها إلى ٨٪(١) للايرانيين عن كل البضائع المجلوبة إلى البصرة . كذلك كان يدفع ضريبة تصدير تبلغ ٦٪ للشركة عن السلع المستوردة من صورات ، وأضاف يقول إن التجار الاهليين يستطيعون بطريقة أو بأخرى انزال بضائعهم إلى البصرة بضريبة تقل عن ٨ ٪ وهم

---

(١) لا يتضح لنا لماذا كان عليه أن يدفع نسبة ٨٪ لان كريم خان قد سبق أن أصدر أوامر — قبل سنة ونصف من هذا التاريخ — بالا يجمع من البريطانيين أكثر من نسبة ٣٪ المحددة في امتيازاتهم من قبل السلطات التركية .

بالتالي يبيعون في الأسواق بأسعار أرخص مما يستطيع هو أن يبيع . ولم يذكر لنا نتيجة هذا الطلب . وقبل نهاية الاحتلال الايراني للبصرة قيل إن ثمة تلاعباً حدث في بعض الثياب المستوردة إلى البصرة لكن عدم وجود معظم التجار في المدينة وكساد تجارتها بشكل عام منعا اتساع نطاق ذلك التلاعب .

حادثة لبريد الصحراء :

وأثناء احتلال الايرانيين للبصرة أصبح البريد البري البريطاني إلى حلب يرسل عن طريق الكويت بدل الزبير كما كان الحال في البداية . ولم يكن هذا الإجراء الجديد مرضياً عموماً إذ لم يكن ممكناً ممارسة الرقابة الكاملة على ناقلي الرسائل ما داموا رعايا أتراك أو ما داموا يبدأون السير وينتهون إلى مدن تركية . وزادت المشاكل التي يواجهها المقيم نتيجة الاضطراب الذي ساد الصحراء في نهاية ١٧٧٨ ، وفي إحدى المرات ، في ديسمبر ١٧٧٨ أو يناير ١٧٧٩ ، هاجم بعض البدو قافلة الرسائل أثناء سيرها ، فنهبوها مع الجمال بل وثياب الرجال أيضاً ، لكن نسخاً ثانية من الرسائل وصلت حلب سالمة بعدها بتسعة عشر يوماً ، وذكر في البصرة أن رزمة الرسائل التي فقدت قد وقعت في أيدي جماعة من العرب قاموا بتوصيلها إلى غايتها .

قتل مستر هير :

وربما في هذه الفترة نفسها ، حين كانت هيبة الحكومة التركية بلا معنى في نظر العرب ، أختطف مستر هير ، وهو رجل انجليزي من البنغال وقتل بالقرب من لملوم على الفرات .

القنصلية الفرنسية في البصرة :

وكان القنصل الفرنسي بالبصرة في ذلك الوقت هو مسيو روسو الذي عرف عنه أنه رفض أن يساعد ضابطاً فرنسياً شاباً هو مسيو بوريل دي بورج كان يحمل رسائل إلى الشرق في ١٧٧٨ ، ١٧٧٩ . وقد هاجمه العرب وأصابوه بجراح في الصحراء ، ثم أسره الانجليز في الكويت فيمابعد

الاتراك يستعيدون البصرة ١٧٧٩

الشائعات .. والمفاوضات ١٧٧٦ — ١٧٧٨ :

كان احتلال الايرانيين للبصرة عبئاً ثقيلا إلى جانب أنه مشروع خاسر من وجهة النظر الاقتصادية ، ولهذا انتهى في سنة ١٧٧٩ . ولم تكن الحكومة التركية تعتبر ضياع البصرة ضياعاً نهائياً ، وكان الغزاة ينزعجون من حين لآخر بأخبار الاستعدادات الحربية من جانب السلطات التركية . وفي سبتمبر ١٧٧٦ ، ورغم استمرار خط التجارة مفتوحاً بين بغداد وشيراز ، تردد أن عبدالله باشا والي بغداد قد تلقى معونة مالية ضخمة من الباب العالي ، وانه كان بسبيله للهجوم على الايرانيين في البصرة ، وفي مايو ١٧٧٧ على وجه التقريب كان أهل المدينة التعسه يترقبون بفرح أخبار تحرك السلطات التركية ، كما كان متوقعاً أيضاً أن يحدث هجوم تركي على إيران من غير اتجاه واحد . لكن شيئاً من هذه التوقعات لم يتحقق . وفي يناير ١٧٧٨ تأكد في البصرة ، وتأيدت هذه الاخبار في الشهر التالي ، بأن ثمة مفاوضات دائرة من أجل الصلح بين الاتراك والايرانيين في شيراز ، ولكن حتى موت كريم خان في ٢ مارس سنة ١٧٧٩ لم يؤد بهذه المناقشات إلى أي تغيير في حالة البصرة.

صديق خان يجلو تلقائياً عن البصرة ١٩ مارس ١٧٧٩ :

وأدت المصالح الخاصة في النهاية إلى إحداث التغيير الذي عجزت المصلحة العامة عن إحداثه . ففي ١٦ مارس ١٧٧٩ أرسل صديق خان إلى الشيخ درويش والملا أحمد ، سكرتير متسلم البصرة السابق ، يبلغهما أنه مضطر ، بالنظر لموت كريم خان إلى مغادرة البصرة إلى شيراز ومعه الحامية الايرانية كلها . واقترح استدعاء سليمان أغا بعد إطلاق سراحه من سجنه في شيراز ، ليتولى حكم البصرة باسم الايرانيين ، واذا رفضوا ذلك فسيسلم المدينة لشيخ قبيلة كعب . وبعد أن تشاور هذان الرجلان مع السيدين لاتوش وابراهام وحصلا منهما على قرض قيمته

٦٠٠ تومان للنفقات الإدارية وافقا على قبول المهمة . وفي يوم ١٩ مارس خرج صديق خان من البصرة مع آخر جزء من قواته وعبر إلى الضفة الشمالية لشط العرب . وفي اليوم التالي غادرت سفن الاسطول الايراني التي كانت خليطاً من أساطيل ريق وجنافه وبوشهر ميناء البصرة عائدة إلى موانيها . ورغم توقع حدوث هجوم عليهم من جانب كعب أثناء عبورهم النهر إلا أنهم وصلوا الخليج في سلام . وفي ٢٤ مارس ظهرت أربع سفن من سفن كعب أمام البصرة وقدمت عدة مطالب من بينها أن يخلفوا الايرانيين على حكم المدينة . واستعانت الحكومة المؤقتة في البصرة بقبيلة المنتفق ، فوصل عدد كبير من رجالها ، وفي اليوم التالي وصل أحد شيوخها ، وهو الشيخ ثامر بنفسه إلى البصرة ، وعلى هذا اضطر الزوار إلى الرضا بالحصول على ثلاثة مدافع أو أربعة كانت موجودة في قلعة جورديلان على الضفة الأخرى من النهر في مواجهة المدينة ، وكان صديق خان قد انشغل باصلاح هذه القلعة منذ عاد من شيراز بهدف تأمين خطوط انسحابه لأن حياة كريم خان في ذلك الوقت كانت امراً محاطاً بالشكوك » .

المقيمية البريطانية أثناء الجلاء :

وقبل رحيل صديق خان ، قدّم لكل من العاملين في الوكالة البريطانية خلعة تكريمية ، وزاد عليها ، بالنسبة للمقيم حصاناً مطهماً ، كما دفع للمقيمية بين ٤٠٠ و ٥٠٠ حمولة من التمور سداداً لدين قيمته ١٧٠٠ تومان كان بذمة علي محمد خان أثناء حكمه للبصرة . كما أمر بأن ترد الى المقر شقيقة زوجة مترجم المقيمية ، وكان احد الضباط الكبار في جيشه قد خطفها من بيت أبويها وكان ينوي أن يصحبها معه إلى إيران ، ووجد ممثلو شركة الهند الشرقية أنفسهم مضطرين في مقابل ذلك إلى تقديم هدية قيمتها ٣٠٠ تومان إلى صديق خان إلى جانب هدية أخرى للشيخ ثامر ، وقرض –أشرنا اليه – للادارة المؤقتة . ويبدو ان هذه النفقات هي كل النفقات الطارئة التي وجد ممثلو الشركة أنفسهم مضطرين

لانفاقها بعد تغير الحكومة ، لكنهم كانوا ينظرون إلى الموقف كله بفرحة وأمل . فقد كانوا جميعاً على علاقة طيبة بسليمان أغا ، الذي أصبحت عودته متوقعة في القريب بعد المدة الطويلة التي قضاها سجيناً في شيراز . كذلك كانوا يقفون دائماً إلى جانب العرب في البصرة وما جاورها ، وقد استطاعوا بالفعل تحرير كثيرين منهم من العبودية ، كما كانوا على علاقات ودية ، طوال فترة احتلال الايرانيين للبصرة ، مع أهل ريق وجنافه وبوشهر بل انه حتى شيخ كعب جدد تعهده « بالصداقة وبالعلاقات الودية .. وارسل قارباً كان المقيم قد كلفه باستطلاع الانباء ، ومعه معلومات تفيد بموت كريم خان ، وعليه خمس غرارات من البر هدية لمستر لاتوش » .

ورجع سليمان أغا ، المتسلم التركي السابق ، إلى البصرة بعد إطلاق سراحه ، وكان يصحبه بعض الاعيان والوجهاء الذين آثروا ان يشاركوه المنفى ، وكان من بينهم خوجه يعقوب الوسيط والسمسار الذي اشرنا اليه من قبل ، كما عاد بصحبته خادم أسمه أحمد كان سائساً للخيول في البداية ، لكنه استطاع — بفضل سيده وبفضل كفاءته — أن يصل إلى أرقى المناصب بعد منصب الباشا في بغداد .

★ ★ ★

الاحداث من استعادة الاتراك للبصرة حتى تعيين سليمان باشا على بغداد ١٧٧٩

تعيين سليمان حاكماً للبصرة ١٧٧٩ :

وحين رجع سليمان أغا إلى البصرة ، وكانت أسهمه مرتفعة في أوساط الحكومة التركية لبلائه المشهور في الدفاع عن البصرة ، صدر الأمر بالإنعام عليه بالباشوية وبتعيينه في عمله السابق على أن يكون خاضعاً ، هذه المرة ، للباب العالي مباشرة لا لباشوية بغداد وأعاد سليمان

بدوره تعيين خوجه يعقوب ، الذي أمده بالأموال أثناء فترة سجنه ، في وظيفته السابقة كسمسار ومستشار مالي لحكومة البصرة ، كما جعل خادمه أحمد ، الذي تفاوض باسمه مع اليهود بشأن التزاماتهم الماليه محققاً نجاحاً كبيراً في ذلك ، أحد المسئولين عن قصره .

تعيين سليمان باشا لبغداد :

واذا كانت حكومة البصرة قد استقلت عن حكومة بغداد بمنح سليمان الباشوية ، فلم يكد ينقضي وقت طويل حتى عادت الحكومتان إلى اندماجهما القديم ، وتحت إدارته هو هذه المرة . ففي ٢٧ أكتوبر ١٧٧٩(١) قام الانكشارية بعزل حسين باشا حاكم بغداد وارغموه على مغادرة العاصمة ، وأصبح سليمان باشا مرشحاً لتولي المنصب الشاغر ، واستطاع بمعونة البريطانيين أن يحصل عليه قبل انقضاء وقت طويل مع تفويضه في أن يقيم في البصرة او في بغداد كما يراه مناسباً . واستفاد أحمد من ترقي سيده فأصبح هو المهردار ، أي المسئول عن خاتم الباشا ، لكن سليمان ظل ، عامداً ، يرجىء أمر تعيين نائب او وزير له لأن هذا التعيين كان لا بد له من تصديق الباب العالي ، وهذا لم يكن ليحدث دون تقديم الهدايا الثمينة للمسئولين في القسطنطينية . وتوقع الناس أفضل النتائج لتولي سليمان باشا حكم الإقليم كله . ورغم أنه رأى ان حالة التفكك السائدة في الاقاليم الشمالية تقتضي الإقامة في بغداد لا سيما بسبب موقعها الذي يتوسط الاقليم كله لكنه كان من المؤمل أن تحظى البصرة بفضل ارتباطاته القديمة بها ونظراً لاستقلالها عن بغداد في أمور كثيرة كما اتضح خلال الاحتلال الايراني ، بمزيد من الجهود الادارية . وقد

---

(١) يذكر بريدجز أن الباشا الذى خلفه سليمان كان اسمه أحمد وأنه أعدم .. (انظر : مختصر تاريخ الوهابيين ، ص ١٨٧) . وربما كان أحمد هذا هو حماد الذى كان باشا في سنة ١٧٧٤ . ويذكر أوليفر أن الباشا الذى خلفه سليمان كان اسمه حسان باشا ، وأنه قد عزل لعدم كفايته في الحكم . (انظر : الرحلة ، مجلد ٢ ، ص ٤٠٣) .

وصف السيدان لاتوش وابراهام تفاؤلهما في يناير سنة ١٧٨٠ على النحو الآتي « وعلى وجه العموم يتضح من نوايا سليمان باشا وأعماله ، كذلك من وجود الرأى العام الذي يشاركه هذه النوايا ، أنه ليست بغداد والبصرة فقط هما اللتان ستحظيان بالاهتمام .. بل وايضاً كل الاقاليم المجاورة لهما . ولنا الآن أن نأمل في أن تصبح هذه البلاد ، في خلال سنوات قليلة ، على حالة من الرخاء افتقدتها منذ بداية هذه الاضطرابات ، أما الاتصال ببغداد ، الذي قطعه الخزاعل (بنو خزعل) وقتاً طويلا فقد عاد الآن إلى الوجود .. وليس العرب في بغداد والبصرة فقط هم الذين يكنون لسليمان باشا الاحترام ويضمرون الطاعة .. بل العرب في كل أقاليم العراق .

★ ★ ★

الحالة الداخلية أثناء الفترة الاولى من حكم سليمان باشا ١٧٧٩ ــ ١٧٨٩

قمع تمرد سنة ١٧٨٠ :

وفي بداية أغسطس ١٧٨٠ على وجه التقريب ، انتهى التمرد الذي حدث على سلطة الباشا الجديد بعد هزيمة المتمردين في موقعه حاسمة ، وقتل في هذه المعركة ابن محمد قتيل ، الذي كان يقود قوات المتمردين ، أما محمد بك الذي كان يطالب بباشوية بغداد فيبدو أنه استطاع الفرار أو لاقى حتفه . غير أنه كان من المتوقع أن يثير هذا النجاح الذي أحرزه الباشا مشكلات تالية خاصة مع الخزاعل الذين عادوا مجدداً لقطع الطريق بين بغداد والبصرة بشكل حتم ضرورة ارسال حملة في المستقبل ضدهم .

الحملة التركية على قبيلة كعب ١٧٨٤ :

وفي سنة ١٧٨٤ استأنف الاتراك الحرب مع أعدائهم القدامى بني كعب في عربستان ، وقامت قبيلة المنتفق ، وكان يتزعمها في ذلك الوقت

شيخ من أشهر شيوخها هو ثويني ، بدور هام في هذه العمليات إلى جانب الاتراك. وقد شهد السادة لاتوش وهارفورد جونز من مقيمية البصرة حادثة غريبة من هذه الحملة ، وكان الاول في طريقه لأوربا مروراً ببغداد وحلب ، فرتّب لقاء مع الشيخ ثويني الذي كان معسكره على الضفة اليمنى لشط العرب فوق البصرة . وعقب انتهاء الزيارة في الغروب مباشرة ، أمر ثويني رجاله وكان عددهم يتراوح بين ١٠٠٠ و ١٢٠٠ رجل بعبور النهر الكبير سباحة إلى الضفة الاخرى ، وخلال الليل والصباح التالي كان رجال المنتفق قد ساروا مسافة تتجاوز ٦٥ ميلا في الأرض إلى جانب عبورهم خليجين كبيرين ، وفي التاسعة من مساء اليوم التالي استطاعوا أن يباغتوا العدو في معسكره ويبيدوا رجاله عن آخرهم ، وكان بنو كعب على علم بموعد ثويني مع مستر لاتوش ، وعلى هذا لم يكونوا يتوقعون أن يباغتوهم بهذه السرعة .

تمرد حاجي سليمان بك ١٧٨٦ — ١٧٨٧ :

وفي ١٧٨٦ ، بعد سنة من تعيين سليمان باشا صنيعته أحمد نائباً له وكان حينذاك في السادسة والثلاثين من عُمره ، حدث تمرد جديد في الاقليم بزعامة حاجي سليمان بك وهو شيخ قبيلة عربية قوية إلى جوار بغداد(١) . وقد ضبط حاجي سليمان ، الذي أقام سنوات طويلة في بلاط الباشا ، متهماً بالتآمر الساسي . وأمره الباشا بمغادرة العاصمة فأطاع ، لكنه مباشرة رفع السلاح ضد الحكومة معززاً بحزب قوي في تمرده على الباشا . وحدثت اشتباكات عديدة بين قوات الباشا بقيادة نائبه وبين قوات المتمردين ، وفي بداية فبراير ١٧٨٧ كانت الكفة تميل نحو حاجي سليمان الذي قيل إنه انتصر على باشا كردستان ، أحد قواد سليمان باشا ، وأسره . بل ودارت الشائعات تقول إن الباب العالي قد أمر بتعيين حاجي سليمان خلفاً لسليمان باشا على باشوية بغداد ، ولكن تبين ، رغم رواج

---

(١) تذكر أحيانا على أنها قبيلة طيء .

هذه الشائعات وانتشارها ، أنها غير صحيحة ، وأخمد التمرد أخيراً أو وصل نهايته .

مشكلات عديدة ١٧٨٧ :

وفي ربيع سنة ١٧٨٧ وضح أن الموقف لا يدعو إلى الاطمئنان على الإطلاق ، ولم يكن ذلك بسبب هذا التمرد الذي ذكرناه فقط ، بل بسبب نقص المواد الغذائية والتموينية في إقليم البصرة بسبب هبوط في المنسوب المعتاد لمياه النهر ، كذلك قطعت قبيلة خزعل اتصال البصرة ببغداد عن طريق الفرات ، وارغم التجار على استخدام طريق دجلة الذي كان أطول واكثر كلفة .

الشيخ ثويني يحتل البصرة ٦ مايو — ٢٥ اكتوبر ١٧٨٧ :

ومن الأحداث الغريبة في تاريخ البصرة استيلاء الشيخ ثويني شيخ قبيلة المنتفق عليها واحتلالها بضعة أشهر من سنة ١٧٨٧ ، وقد وصف أحد الرحالة المعاصرين هذا الشيخ ، الذي أشرنا من قبل إلى مساهمته في الحملة على قبيلة كعب في سنة ١٧٨٤ ، بأنه « رجل في منتصف العمر ، شجاع وكريم ، وهو إلى جانب هذا حاد الفهم ، معتدل وعادل في حكمه وقد حببت فيه هذه الصفات قبيلته كلها ، كما أكسبته الاحترام من الجميع وقد انتهز الشيخ ثويني فرصة زيارة قام بها متسلم البصرة لمدينة الزبير كي يهنئه بالنصر الذي أحرزه على عدوه فأسره ، واستطاع أن ينجح في ذلك دون ان يريق قطرة دم واحدة ثم أرسل بعدها قوات كبيرة من رجال القبيلة لاحتلال البصرة . ولم تجد هذه أية صعوبة في احتلال المدينة التي لم يكن بها أكثر من ٢٠٠ جندي وعدد قليل من الاتراك . وفي ٦ مايو دخل الشيخ ثويني المدينة بنفسه وسط ٥٠٠٠ عربي من أنصاره وتولى حكم البصرة مستولياً في الوقت نفسه على الاسطول الايراني . ولم تحدث أية حوادث عنف ، واحترمت الملكية الاحترام الكامل ، لكن المسئولين المدنيين عزلوا من مناصبهم وعين آخرون بدلهم ، كذلك تولى

بعض العرب قيادة سفن الاسطول ، ونفي المتسلم ، وكبار أنصاره ، أو لعلهم اختاروا المنفى بارادتهم ، فنقلوا بحراً الى الهند . وكتب الشيخ ثويني بعدها خطابات إلى القسطنطينية ذكر فيها لقبه الرسمي الموروث كحاكم للبصرة ، وطلب الموافقة على الإجراءات التي قام بها نظراً لاضطراب الامور وعدم استتبابها على عهد من سبقوه ، ووعد بأن يكون خاضعاً للسلطان بشرط تعيينه باشا على بغداد والبصرة معاً . وبعد أن انتزع ثويني قرضاً قيمته ستة آلاف تومان من التجار اليهود والارمن وغيرهم في البصرة سار إلى موقع على الفرات بين قرنه وما يعرف اليوم بالناصريه ووقف بقواته على أهبة الاستعداد ليصدّ الهجوم الذي كان ينتظر أن تشنه عليه حكومة بغداد . وكان مع سليمان باشا في ذلك الوقت أخ أكبر لثويني اسمه أحمد كان يزعم أنه أولى منه بمشيخة القبيلة . وقد تخلى عن ثويني حين بدأ هذا تمرده . ولذا استقبل بحفاوة شديدة في بغداد ، وكان الباشا حريصاً قبل أن يتحرك على أن يتحالف مع قبيلة كعب فاتصل بشيخها ولكن لم تعقد بينهما أية اتفاقيات . وفي أوائل أكتوبر .. ارسل الباب العالي يقول ، إنه إنما يكون مسروراً لو أرسل رأس ذلك المتمرد إلى القسطنطينية ، وبعدها خرج سليمان باشا من بغداد .

وفي يوم ٢٣ من الشهر نفسه اقتربت قوات الباشا من معسكر العدو ، وفي يوم ٢٥ وبعد قتال طويل مرير على ضفة الفرات انهزم المتمردون ولاذ ثويني بالفرار من الميدان مع حفنة قليلة من أنصاره فقط . وعين الباشا بعدها مصطفى أغا متسلماً للبصرة ، واعترف بأحمد شيخاً لقبيلة المنتفق ، ولم يكتف بارغام تجار البصرة على تقديم الهدايا له فقط ، بل أمر أيضاً بمضاعفة العوائد على بضائعهم في هذه السنة بصرف النظر عما كان ثويني قد أخذ منهم قروضاً أو عوائد . وبعدها بمدة حاول ثويني التقرب إلى الباشا لاستصدار عفو عنه ، لكن محاولاته هذه كان مصيرها الفشل ، في بداية الأمر على الاقل وقد ترك لنا اثنان من الرحالة البريطانيين وصفاً لثورة الشيخ ثويني هما إنساين ووليم فرانكلين اللذان قضيا بالبصرة من

٢٨ ديسمبر ١٧٨٧ إلى ١٢ فبراير ١٧٨٨ ، ودكتور توماس هاول الذي استمرت إقامته فيها من ٢٣ فبراير إلى اول مارس ١٧٨٨ ، وقد فحص دكتور هاول بنفسه آثار معركة ٢٥ أكتوبر وكتب عنها يقول : « إنها لا بد كانت مذبحة رهيبة .. فالميدان كله مغطى بعظام الرجال والخيول » .

حالة التجارة البريطانية بشكل خاص ١٧٧٩ – ١٧٨٩ :

وانتعشت التجارة فيالبصرة ، إلى حدّ ما ، بين ١٧٨٠ و ١٧٨٧ لكنها عادت فانتكست في العام التالي بسبب تمرد ثويني والمصاعب التي كانت تواجهها تركيا في اوربا . وبعد ١٧٨٦ كان حصل ربح قليل فقط ، أو لم يكن هناك ربح على الاطلاق من تجارة التوابل الهندية في العراق التركي . وفي سنة ١٧٨٩ بلغ عدد بالات التوابل الهندية المستوردة إلى البصرة ٨٠٠ بالة فقط ، ولم تتجاوز أجور شحن السفن العائدة إلى الهند كلها ٥٠ الف روبية . كما أن الثياب التي كانت الشركة تتجر بها لم تعد تحقق ربحاً ، ولم تكن تباع إلا بالدين وعلى مدى طويل . وكان لهذا أسباب عديدة : منها ارتفاع الثمن ، ومنافسة البضائع الفرنسية المشابهة لها ، وانخفاض سعر التبادل النقدي الذي كان يعني خسارة دائمة كلما نقلت الاموال أو الأشياء الثمينة إلى الهند ، كذلك لندرة التوابل وارتفاع سعرها ، وعدم وجود ذهب تركي صالح للتصدير إلى الخارج على الاطلاق . وعرف السوق انواعاً رخيصة من الثياب المصنوعة محلياً حلت محل المستورد منها ، وأصبح كثير من مسلمي الهند يسافرون إلى اوربا بأى طريق بحرى لا بطريق البصره وبغداد كما كان الأمر من قبل . وكان للبريطانيين في العراق التركي امتياز تجاري هام وهو أنه في حالة إفلاس أحد التجار الاهليين يصبح ما لدائنيه من البريطانيين وبمقتضى فرمان صادر من قبل ، مستحقة السداد بكاملها قبل توزيع ما يتبقى على دائنيه من أهل البلاد .. وكانت المستوردات قد أصبحت في سنة ١٧٩٠ هي : « الصوف الانجليزي ، وتوابل البنغال التي تزيد على خمسين نوعاً ، والشيت الملون بمختلف أنواعه من ساحل الكروماندل ، وثياب مدراس الطويلة ، والذهب الازرق من يورت نوفو ، والثياب من

من ملبار ، وجميع أنواع التوابل من صورات ، كذلك أيضاً التوابل من جوجرات ، والقطن والشيلان القطنية من بروش والسند إلى جانب الخزف والسكر والفواكه المسكرة والفلفل والبنجر والجبهان وزهور الأكاسيا والكراوية والمسك والكافور والنيلة والحديد والصلب والرصاص والقصدير والبن والتبغ ، والوان عديدة من المشروبات .. إلى جانب واردات أخرى أقل أهمية . وكانت تنقل جميعها ، باستثناء ما يكفي حاجة البصرة وما جاورها ، مباشرة إلى حلب ، فتتجه إلى بغداد بالقوافل وهناك تنزل إلى دجلة ثم الفرات عبر الحلة وششتار » . أما الصادرات من حلب وبغداد فكانت : « النحاس والزرنيخ والمر والاوتار والسجاد الايراني والحرير الايراني وشرائح الذهب والفضة والشيلان والصوف من أنقره ، وتوابل حلب وزهورها ، والكتانيات من بغداد وحلب والمخمل والحرير والساتان والثياب الصوفية الانجليزية والفرنسية ، كذلك الخرز والمسابح والعقود بأنواعها المختلفة ، والنظارات المكبرة صغيرة وكبيرة ، والزجاج ، والزجاج المصنفر ، وأسلاك النحاس والخزف والتبغ والأفيون وأنواع عدة من المشروبات . هذا الى جانب أنواع أخرى من المستوردات الاقل أهمية . وكان هذا كله يأتي إلى البصرة فيحتجز منه قدر حاجتها وحاجة الاقاليم التي حولها ، ثم ينقل الباقي في السفن التي أشرنا اليها والتي كانت تقوم برحلاتها من البصرة واليها بشكل دوري منتظم ، لاسواق باقي الخليج ، ومسقط ، والهند .. وبجانب إعادة التصدير إلى الخارج الذي ذكرناه بالتفصيل ، كان في البصرة نفسها صادرات على درجة كبيرة من الاهمية هي التمور التي تجمع من الاقاليم نفسه ، وكان المحصول السنوي يقدر ، في المتوسط ، بما يساوي مليون روبية من روبيات بومباي ، وكان الجانب الاكبر من المحصول يصدر إلى مختلف الموانئ في الخليج والهند والبحر الأحمر . وكانت هناك تجارة مزدهرة بين البصرة وششتار عن طريق نهر قارون .

الضرائب على البضائع :

وكانت ضرائب الاستيراد والتصدير مرتفعة بحق في البصرة ، وكانت التجارة تنقسم قسمين : التجارة في البضائع «الخفيفة» والتجارة في البضائع «الثقيلة» . والأولى تشمل كل أنواع الثياب والملابس ، والأخرى تضم كل «المواد الثقيلة» كالمعادن والبن والتبغ والفلفل والسكر . وبالنسبة للتجار الاوربيين فقد حددت المعاهدة الضريبة التي يدفعونها على وارداتهم بنسبة ٣٪ من رأس المال ، لكنهم كانوا بالفعل يدفعون أكثر من هذه النسبة ، فبعد أن تصل بضائعهم إلى البصرة يدفعون ٣٪ ، ثم يدفعون مثلها للانتقال إلى بغداد ، وربما دفعوا مثلها للانتقال إلى حلب .

كذلك حددت ضريبة الصادرات بـ ٣٪ أما التجار الوطنيون فقد كانوا يدفعون ضريبة استيراد قدرها ٧,٥٪ على البضائع الخفيفة التي تصلهم إلى البصرة من البحر او من بغداد و ٨,٥٪ بالنسبة للبضائع «الثقيلة» وكانت ضريبة البضائع المصدرة من البصرة إلى حلب هي نفس النسبة ، ويدفع جميع التجار الوطنيون نسبة قدرها ٥٪ على صادراتهم البحرية . وللهرب من هذه الضرائب ، التي كانت تصل أحياناً مجموعاً كلياً قدره ١٧٪ ، كان كثير من التجار الوطنيون يلجأون للتهريب ، وكانو يستخدمون مدينة الزبير لهذا الغرض ، فكانوا يلجأون بالبضائع إلى هذه المدينة عن طريق انزالها إلى أماكن مختلفة من شط العرب ، ويدخلونها بعد ذلك خفية إلى البصرة أو يرسلونها في القوافل مباشرة عبر الصحراء إلى حلب . كما كانوا يستغلون الكويت أيضاً في عملياتهم هذه .

نقل البضائع :

وقد أشرنا من قبل إلى ما كانت تتكلفه القوافل ويتكلفه نقل المياه بالنظر لاهمية هذا الامر ، في الفصل الخاص بالتاريخ العام للخليج .

إن التفاصيل السابقة مستمدة في معظمها من تقرير عن التجارة وضعه السيدان مانستي وجونز ممثلا شركة الهند الشرقية بالبصرة في سنة ١٧٩٠ .

العلاقات السياسية بين بريطانيا والعراق التركي
١٧٧٩ ـ ١٧٨٩

علاقة البريطانيين بسليمان باشا ١٧٧٩ — ١٧٨٩ :

أشرنا في جزء سابق من هذا الفصل إلى علاقة ممثلي شركة الهند الشرقية بسليمان باشا ، سليمان أغا حينذاك ، أثناء وجوده متسلماً للبصرة ، وذكرنا عدة ملاحظات حول هذه العلاقة ، والآن قد رأينا أن بعض أسباب اطلاق سراحه من السجن في إيران تعود إلى النفوذ البريطاني . ويبقى أن نشير إلى بعض الحقائق عن علاقاته التالية بالمسئولين البريطانيين .

١٧٧٩ :

حين أصبح سليمان في سنة ١٧٧٩ مرشحاً لتولي منصب الباشوية الشاغرة في بغداد قررت الوكالة ، ما دام سليمان مديناً بمبالغ طائلة لافراد عديدين من وكالة البصرة ، وما دامت حكومة بغداد مدينة لشركة الهند الشرقية بمبالغ طائلة أيضاً ، أن تؤيد ترشيح سليمان لباشوية بغداد ؛ فتوليه الباشوية هو الضمان الوحيد للوفاء بتلك الالتزامات وارسل مستر لاتوش ،لحساب الباشا ، اموالا إلى السفير البريطاني في القسطنطينية كي يقوم بتوزيعها على كبار المسئولين هناك ومن بينهم أم السلطان ، والوزير ، وعدد من كبار المسئولين وتم الحصول على النتيجة المرتجاه .

وفي كشف الحساب الذي قدم للباشا فيما بعد ، جاء مبلغ ٢٠٠٠ جنيه انجليزي دفعت لشخص « ليس من اللائق الكشف عن شخصيته » ، واندهش الباشا لذلك ، وظل حتى آخر حياته لا يخفى شكوكه بالنسبة لهذا المبلغ متصوراً أن السفير البريطاني في القسطنطينية استولى عليه لنفسه .

١٧٨٢ — ١٧٨٤ :

وخلال ١٧٨٢—١٧٨٣ تسلم سليمان باشا بسعر الكلفه ومصاريف الشحن فقط — ١٣٠٠ قطعة من السلاح وكمية كبيره من البارود والذخيرة

ودانات المدافع ، وذلك بناء على طلب منه لحكومة بومباي أيدته الحكومة التركية تأييداً كاملا . كذلك صممت ست سفن حربية صغيرة في بومباي وسلمت اليه في البصرة . وكان من أحد أهداف مستر لاتوش من السفر إلى اوربا عن طريق بغداد في نهاية سنة ١٧٨٤ ، كما أشرنا في مكان آخر ، أن « يستأذن من سليمان باشا الذي قام بدور كبير وأساسي لتعيينه في الباشوية ، والذي كان له معه حسابات كثيرة لا بد أن تسوى » .

١٧٨٧ :

وفي سنة ١٧٨٧ حين تردد ان قائد التمرد الذي حدث في تلك السنة قد اعتمده الباب العالي خلفاً لسليمان باشا ارسل الباشا الذي صدق هذا هو نفسه « يطلب الخوجه ماركار ممثل الشركة المعظمة في بغداد ، وفي وجوده أمر بكتابة خطاب إلى سفير صاحب الجلالة لدى الباب العالي التمس منه فيه أن يبذل كل جهده ويستثمر الصداقة القائمة بينه وبين الباب العالي لاقناع المسئولين بالعدول عن هذا التعيين الذي قيل إنه قد صدر لحاجي سليمان بك . وأصر على تأكيد التزاماته وولائه للانجليز » . وفي نفس السنة ذكر مستر مانستي ، الوكيل البريطاني في البصرة ، أنه يرى أن سليمان باشا ، رغم مسلكه الاخير الذي لا يتفق والأفضال الكثيرة التي أغدقها عليه البريطانيون ، ما يزال في رأيه « موالياً » لهم ، وأنه بقدر من اللين في المعاملة ، قدم للتجار امتيازات لم يحظوا بها على عهد أسلافه مجتمعين .

علاقات البريطانيين بذوي النفوذ من أهل البلاد ١٧٧٩–١٧٨٩ :

ويبدو أن المقيم البريطاني في البصرة والاعضاء العاملين معه ، قد استطاعوا ، إلى جانب تعاملهم مع المسئولين الاتراك ، أن يقيموا علاقات ودية مع عدد كبير من شيوخ العرب ووجهاء البلاد . وكان هدف زيارة مستر لاتوش للشيخ ثويني في سنة ١٧٨٤ هي أن يقدم هدية لشيخ المنتفق اعترافاً بجميله وسلوكه الطيب حيال خط البريد البريطاني

الصحراوي ، وكان بمقدوره دائماً أن يسهل السير في هذا الطريق أو يقطعه تماماً ، كذلك استطاع مستر مانستي أن يقوم بخدمة من أجل رجل يدعى محمد بك في سنة ١٧٧٥ ، وظل شقيقه يحتفظ بهذا الجميل . وهذا الشقيق هو حاجي سليمان بك نفس الرجل الذي تمرد سنة ١٧٨٦ والذي كان محتملاً أن يصبح باشا بغداد في العام التالي .

وفي سنة ١٧٨٧ استطاع المقيم ، في تقرير عن الحالة العامة ، أن يشير راضياً إلى « النفوذ الكبير الذي يمارسه الانجليز الآن في العراق التركي ، والصداقة الملموسة التي تربطهم بكل شيء في البلاد دون استثناء » .

* * *

المنشآت البريطانية في العراق التركي ١٧٧٩ - ١٧٨٩

كانت حكومة بومباي ومجلس مديري لندن قد أمروا سنة ١٧٧٨ بتخفيض جهاز موظفي وكالة البصرة البريطانية بسبب مسلك الحاكم الايراني العنيف هناك ، لكن هذه الاوامر لم تكن قد نفذت بعد حتى أوائل ١٧٧٩ .

العاملون في مقيمية البصرة ١٧٧٩ :

وحين عادت البصرة ولاية تركية كتب مستر لاتوش المقيم البريطاني إلى حكومة بومباي يطلب منها أن ترفع إلى مجلس المديرين أنه لم يعد من المناسب أن تعمل الوكالة بالحد الادنى من موظفيها فقط ، وطلب السماح له باستبقاء مستر ابراهام مساعداً له ، والاحتفاظ بجراح الوكالة فيها . وقد تمت الموافقة على طلبه في الحالين .

الحمى في البصرة ١٧٨٠ :

وفي صيف ١٧٨٠ انتشرت في البصرة « حمى وبائية » وأحدثت وفيات كثيرة ، وكان من ضحاياها مستر أبراهام مساعد المقيم الذي

كان محمولا على السفينة «إيجل» في طريقه إلى بوشهر لتغيير الهواء ، لكنه طلب إنزاله إلى البر في يوم ١٦ يونيو ، ومات في اليوم التالي ، وكان مستر باتري وهو مسافر آخر على نفس السفينة مريضاً جداً لكنه نجا بحياته . كذلك أيضاً كان كابتن شريف قائد السفينة ومعظم بحارته مرضى ، لكنهم جميعاً استردوا عافيتهم خلال الفترة التي قضوها في بوشهر والتي استمرت من ١٦ إلى ٢٢ يونيو .

تعيين وكيل من أهل البلاد في بغداد ١٧٨٣ :

وفي نوفمبر ١٧٨٣ وافقت حكومة بومباي على اقتراح رفعه اليها المقيم بتعيين وكيل دائم من أهل البلاد في بغداد ، براتب شهري قدره ١٠٠ روبية ، يكون عمله تسهيل الامور مع باشا بغداد لصالح الشركة ، والإشراف على نقل شحنات البضائع إلى البصرة والحصول على المعلومات ، وكان أول من رفع عليه الاختيار لهذا المنصب هو خوجه ماركار الذي كان يؤدي أعمال هذه الوظيفة بالفعل منذ يوليو ١٧٨١ ، وكمكافأة له أمرت الحكومة بأن يحصل على متأخر راتبه عن هذه المدة كلها.

أوامر جديدة بالنسبة للضريبة القنصلية ١٧٨٤ :

وفي سنة ١٧٨٤ أصدرت حكومة بومباي أوامرها بأن تصبح العوائد القنصلية ونسبتها ٢٪ والتي كانت تقسم مناصفة بين المقيم في البصرة وحاكم بومباي ، من حق شركة الهند الشرقية نفسها .

★ ★ ★

الفرنسيون في العراق التركى ١٧٧٩ ـ ١٧٨٩

من ١٧٨٢ إلى ١٧٩٤ ظل شخص واحد يقوم بمهام أسقف بابل والقنصل الفرنسي في بغداد ، وكان ذلك الشخص هو الأب بوشامب نائباً عن عمه مسيو ميرودو دي بورج . وكان الأب بوشامب عالماً ، وبهذه الصفة صحب بونابرت في حملته على مصر فيما بعد .

* * *

سليم الثالث ١٧٨٩ ـ ١٨٠٧

وخلف عبد الحميد الاول في سلطنة تركيا ابن أخيه سليم الثالث ، وهو ابن مصطفى الثالث ، وقد تولى العرش في ٧ ابريل ١٧٨٩ ، وعزل في ٢٩ مايو ١٨٠٧ ، وكانت الامبراطورية العثمانية في عهده تتكون من ٢٦ ولاية أو حكومة من بينها بغداد التي كانت تشمل البصرة لكنها لا تشمل الموصل . وكانت هذه الفترة هامة ، بل وحرجه ، بالنسبة لتركيا الغربية . فقد كان السلطان يبذل كل جهوده هناك كي يفرض سلطة الحكومة المركزية على مناطق سقطت عنها هذه السلطة من أمد طويل ، وكان يقاوم السلطان في ذلك العلماء والانكشارية جميعاً ، والحقيقة إن هذا الاقليم الذي نحن بصدده هو آخر الولايات الآسيوية في الامبراطورية العثمانية آنذاك ، وكان الاقليم بعيداً عن تلك التقلصات والتشنجات التي تميز بها العصر النابليوني ، كذلك كان بعيداً عن حركة الاصلاح ، أو محاولات الاصلاح على الاقل ، التي تميز بها عهد سليم الثالث . ولولا الآثار المالية للحروب مع النمسا وروسيا وفرنسا التي كان دائماً يطلب من باشوية بغداد المساهمة فيها ، ولولا تعاظم قوة الوهابيين في جزيرة العرب في ذلك الوقت ، وعجز الباب العالي عن حماية بغداد منها ، لولا ذلك لظلت باشوية بغداد لا تتأثر إلا بما يجري فيها فقط .

لكن رغم أن الحكام الوطنين والشعب في العراق التركي لم يكونوا يهتمون كثيراً بتطور الاحداث في اوربا ، فقد كان هذا الاهتمام موجوداً بطبيعة الحال بين ممثلي الدول الغربية هناك . وتفسير هذا يقتضي منا استذكار عدة حقائق . فمنذ تولي السلطان الجديد العرش في ١٧٨٩ حتى معاهدة جاسي سنة ١٨٩٢ كانت تركيا في حرب مع روسيا ، وقبلها كانت في حرب مع النمسا ، وفي هذه الاثناء كانت بريطانيا وفرنسا تقفان بنفوذهما إلى جانب تركيا ، بل واشتركت فرنسا ، التي كانت تعيش في أيام ثورتها وقتذاك ، في جانب من هذه الحروب . ومن ١٧٩٨ إلى ١٨٠١ اشتعلت الحرب بين تركيا وفرنسا نتيجة غزو بونابرت لمصر ، وكانت تركيا تتلقى معونات فعالة من بريطانيا وروسيا بعد سنة ١٧٩٩ . وأخيراً في سنة ١٨٠٦ أصبحت العلاقات بين تركيا وفرنسا علاقات ودية .. بل وحميمة أيضاً وحدثت القطيعة بين تركيا وروسيا ، وتبعها الخلاف بين تركيا وبريطانيا وانسحب السفير البريطاني من القسطنطينية في بداية سنة ١٨٠١ وقام الاسطول البريطاني بقيادة الاميرال ذكوورث بمناورة كبيرة أمام المدينة . وكانت أيام بغداد التي اشتدت فيها الازمة هي تلك الفترة بين ١٧٩٨–١٧٩٩ ، فوقتها كان متوقعاً أن يتقدم بونابرت – عن طريق الفرات أو غيره – من مصر في طريقه إلى الهند .

أما موضوع غزاوت الوهابيين للأراضي التركية فسنشير إليه فيما بعد في هذا الفصل نفسه ، كذلك هي مذكورة بتفصيل أكثر في الجزء الخاص بتاريخ نجد ، وليس من الضروري هنا أن نصف التحسينات التي طرأت على الإدارة ، مدنية كانت أم عسكرية ، والتي خصص لها سليم الثالث جانباً كبيراً من اهتمامه وكانت أحد أسباب عدم شعبيته ثم عزله فيما بعد ، وذلك لأن هذه الإصلاحات لم يكن لها أثر في العراق التركي ، أو كانت لها آثار هينه لا تكاد تذكر .

الحالة الداخلية في الفترة الاخيرة من حكم سليمان باشا ١٧٨٩ ـ ١٨٠٢

أشرنا من قبل إلى أحمد الذي كان في الاصل خادماً عند سليمان باشا الذي عينه نائباً او وزيراً له في سنة ١٧٨٥ ثم حصل له على رتبة الباشوية في نفس الوقت . ومنذ ذلك الحين ولسنوات طويلة بعد ذلك ظل معظم عمل الحكومة على المستوى الداخلي والخارجي معاً ملقى على كاهل أحمد باشا .

اغتيال الكخيا أحمد نائب الباشا ١٧٩٨ :

ويبدو أن سليمان باشا اقترح على أحمد حوالي سنة ١٧٩٠(١) أن يصاهره ، وبالتالي يستطيع هو أن يتنازل عن الباشوية ويوصي الباب العالي بأن يخلفه أحمد باشا ، لكن هذا ظل متردداً في قبول ذلك التشريف لأن زواجه من بنت الباشا كان يعني تخليه عن علاقاته الأسرية التي كانت قائمة بالفعل(٢) ، لهذا راوغ كثيراً . وعرفت ابنة سليمان باشا رفض أحمد الزواج منها . فحقدت عليه واستطاعت أن تغري أحد عبيد أبيها ، واسمه علي ، وكان يعمل خازندار للباشا بأن يقضي على أحمد ، وأغرته بأنها ستتزوجه هو إن نجح في ذلك واستطاع علي أن يحصل على تأييد بعض حرس سليمان الذين كانوا يكرهون أحمد باشا بالفعل . وذات صباح حين كان احمد باشا داخلا إلى قاعة مجلس الباشا وكان سليمان في مجلسه بالفعل ، وثب اليه علي وطعنه طعنة قاتلة بخنجره في صدره ، وتواثب بعده بعض رجال الحرس فأجهزوا عليه . واكتفى سليمان باشا بأن يغطي عينيه بكوفيته بدل أن يقوم بأية محاولة لانقاذ

---

(١) الرواية الوارده هنا تعتمد رواية بريدجز (الوهابيون ص ١٧٨ ـ ١٨٦) . ويقدم أوليفر رواية أخرى للظروف التى أدت الى اغتياله، ويذكر أن هذا حدث حين كان الباشا في بغداد (الرحلة. مجلد ٢ ص ٤٤١) وقد رأى ذلك بالفعل الطبيب الفرنسى أوترى .

(٢) كانت هى الابنة الوحيدة لسليمان باشا .

ربيبه ، وبدا أن الباشا غاضب ومتأثر لمقتله ، فترك المجلس وانسحب إلى بيته بالداخل ، لكن محمد بك ، أحد مستشاريه من العرب ، وعبدالله ، الوسيط اليهودي في بلاطه ، وكان هذان أول من استدعاهما الباشا استطاعا إقناعه بأن يتساهل في هذه القضية . وهكذا أعلن سليمان أن أحمد باشا قد قتل بأوامره نتيجة ثبوت تهمة الخيانة عليه ، كذلك أعلن أيضاً الاحتفال بزفاف ابنته إلى علي في نفس المساء . حدثت هذه الحادثة في إبريل ١٧٩٦ بعد أن استرد الباشا صحته مباشرة ، وقد كان مريضاً بمرض أقعده عن متابعة أموره بنفسه .

مصادر باشوية بغداد في ١٧٩٦ ـ ١٧٩٧ :

وقد ذكر الرحالة الفرنسي مسيو اوليفر ، الذي زار بغداد في ١٧٩٦–١٧٩٧ ، أن مصادر باشوية بغداد المالية والعسكرية كانت بحالة جيدة . فقد كان حرس الباشا يضم ٤٠٠٠ راكب و ٢٠٠٠ راجل أما الفرسان الاتراك فلم يكن منهم في الاقليم كله أكثر من ١٢٠٠ فارس ولم يستطع الكاتب تحديد عدد الانكشارية . وكانت حاميته تتكون من حوالي ثمانية آلاف رجل ، وكان يعتقد أنها تصل إلى ١٥ الفاً يمكن جمعهم عند الضرورة ، لكن الباشا لم يكن بوسعه استخدام الانكشارية في أي غرض إلا الدفاع عن المنطقة التي يقيمون بها فقط ، أما غير ذلك فالباب العالي وحده هو القادر على إصدار الأوامر اليهم .

وكان جانب كبير من مصادر باشوية بغداد العسكرية يعتمد على ما تقدمه كردستان ، وكان يحكمها في ذلك الوقت باشوات ثلاثة يعينهم حاكم بغداد . الباشا الكبير منهم كانت قواته تتراوح بين ١٢ الف و١٥ الف فارس . ومن عرب الإقليم نفسه كان يمكن أيضاً جمع قوات من الفرسان تتراوح بين ١٠ و ١٢ الف رجل ، لكن هذا الإجراء كان باهظ التكاليف ولا يمكن الوثوق به . ومن القوات غير النظامية كان يمكن جمع عدد غفير وذلك وفق كمية الغنائم المرتقبة ومدى النجاح

المتوقع . وقدرت القوات العسكرية لباشوية بغداد كلها بعدد يتراوح بين ٤٠ و ٥٠ الف رجل وكان مفهوماً أن هذا العدد يمكن جمعه دون أن تتكبد الباشوية أية نفقات إضافية .

أما المصادر المالية للباشوية فقد قدرت في إحدى السنوات العادية حسب ما يذكره مسيو اوليفر بمبلغ ٤ مليون فرنك من ضرائب الارض المفروضة على العزب والأكراد ، ومن الجزية التي يدفعها غير المسلمين . ومن العوائد ... الخ . وكان دخل الباشوية من هذه العوائد أمراً على جانب كبير من الاهمية خاصة بعد تحول جانب من تجارة الهند إلى العراق التركي بدل إيران في عهد كريم خان . ولم يكن ما يرفع إلى الباب العالي يتجاوز ثُمن الدخل والباقي تمتصه النفقات المحلية . وفي سنوات الحرب مع العرب أو الأكراد كان المبلغ الذي يرفع إلى القسطنطينية يخفض إلى أقصى الحدود .

وحسب ما يذكر مستر جونز ، الذي كان مقيماً بريطانياً في بغداد سنة ١٧٩٨ ، فان دخل الباشوية في السنوات السابقة على ١٧٩٧ لم يكن يقل عن مليون جنيه انجليزي (١) ، لا يدفع منها للباب العالي أكثر من ١٠٠ الف جنيه ، ويدخل جيب الباشا نفسه مبلغ يتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ الف جنيه .

وفي أوائل إبريل ١٨٠٢ ظهر الطاعون الدملي مرة أخرى في بغداد وبلغ عدد ضحاياه ، حتى يوم ٩ مايو ، الفي نسمة في أحد التقديرات ؛ لكننا نستنتج أن الطاعون لم يعمر طويلا لأننا لا نجد إشارة أخرى اليه فيما بعد .

وترك الباشا بغداد بمجرد ثبوت ظهور الطاعون بها ، ولم يأمر باتخاذ أية خطوات من جانبه لايقاف تقدم الوباء ، لكنه اكتفى باصدار اوامر

---

(١) العائد السنوى اليوم لولايتى بغداد والبصرة معا لا يتجاوز ٤٠٠ ألف جنيه انجليزى .

« غير عادلة ولا إنسانية » تحرم على أي من أهل المدينة أن يحذو حذوه فيفر من المدينة الموبوءة .

الحالة السياسية في باشوية بغداد ١٨٠٢ :

أما سليمان باشا ، الذي اشتهر في شبابه بالنشاط والحزم ، فقد استسلم الآن لمتعة منصبه الرسمي(١) ، وأصبحت باشوية بغداد كلها على وجه العموم تعيش في حالة من الاختلاط والفوضى والتخبّط . فلم تكن مدينتا بغداد والبصرة محصنتين تحصيناً كافياً لصد أي هجوم عليهما ، وكانت حامية المدينة الاولى تضم بين ٦ آلاف و ٧ آلاف انكشاري وكلهم « غير منظمين وغير مخلصين ، واذا حدث ان حوصروا داخل المدينة فسينقضّون عليها وعلى من فيها كوحش جريح » . وكان الجزء الاكبر من كردستان ما يزال تابعاً لبغداد ، لكن كبار العائلات الكردية فيه كانت تتصارع دائماً بعضها مع البعض ، ولم يكن الاقليم كله ، لولا القوات العسكرية التي كان يستطيع تقديمها مصدر أية فائدة لباشوية بغداد . ومن قبائل العرب في الريف كانت قبيلة شمر دائمة التمرد ، وطالما أوقعت السلطات بها العقاب القاسي . كما كانت قبيلة لام البعيدة المنازل في حالة تمرد بسبب هجوم أحد شيوخها بعد عزل الاتراك له على الشيخ الذي عين بدله . وكانت الفوضى شاملة في الإقليم الممتد من كوت العمارة إلى حسان ومنها إلى الحويزة نتيجة كل هذه الاسباب . والى جانب هذه الاضطرابات في الداخل فقد كان ثمة خطر دائم ، أو خوف دائم على الاقل ، من وقوع غزو من ناحية وسط جزيرة العرب او من إيران من الناحية الأخرى .

---

(١) في سنة ١٧٩٦ حين زار مسيو أوليفر سليمان باشا وجده في حالة من الخلط المناخوليا ، عازفا عن العمل وعن اللهو جميعا . لكنه من الواضح أنه استرد صحته من هذه النوبه .

موت سليمان باشا ٧ اغسطس ١٨٠٢ :

وفي نهاية يوليو سنة ١٨٠٢ كان مركز سليمان باشا قد بلغ من الضعف والاهتزاز(١) ما أدى لترعرع الخطط ، وحوك المؤامرات حول من يخلفه ، هذا علاوة على تدهور صحته ، وكان الطبيب الذي يعالجه جراحاً فرنسياً ، هو مسيو اوتري ، قد أقام فترة طويلة في بغداد . وفي يوم ٦ أغسطس قام بزيارة سليمان ، بناء على طلب أقاربه عدد من الرجال ذوي النفوذ من بينهم دكتور شورت طبيب المقيمية البريطانية الذي أدرك أن سلطات الباشا أضحت معدودة على قيد الحياة .. وكانت النهاية في اليوم السابع من اغسطس قبل صلاة الظهر .

أما حكومة سليمان باشا ، التي كانت يوماً حكومة حازمة وصارمة فقد وصفها المقيم البريطاني قبل موت سليمان بفترة قصيرة بأنها «وصلت أقصى درجات التفكك والغباء » ، وقيل عن سليمان نفسه إنه قد تخلى عن شرفه وسمعته ، والحقيقة إننا لا يجب أن نذكره في أيامه هذه ، بل نذكره في تلك الايام التي كانت شخصيته فيها كما وصفه سير هـ. ج. بريدجس الذي عرفه جيداً : —

« ربما كان سليمان نموذجاً بديعاً للباشا التركي عز مثيله وكان من مواليد جورجيا ولذلك امتاز بجمال ورجولة تضفي عليها الثياب التركية الفاخرة هيبة وقوة . وكان خبيراً لا يشق له غبار في كل الأعمال العسكرية وفي الميدان ، وكان هذا مما يجعله أكثر كفاءة في ممارسة عمله ، كذلك كان سليمان متديناً لكنه كان متسامحاً مع كل من اوصاه دينه بالتسامح معهم . وكان حكيماً مدبراً في نفقاته ، وإن اتهم بالتقتير لكنه كان دائماً يبرر ذلك بأن بلاده تتهددها الأخطار ، واستطيع ان اشهد (لأن هذا قد تم عن طريقي وطريق عبدالله اليهودي) أنه أرسل أكثر من نصف مليون جنيه استرليني لمساعدة يوسف باشا الصدر الاعظم في

---

(١) في أوائل مايو ١٨٠٢ ذكر المقيم البريطاني في أحد تقاريره أن الباشا أصبح مشلولا من الخصر حتى أسفل شللا تاما .

حملته على الفرنسيين في مصر ، وكان بلاطه حاشداً وبيته مقاماً كما لو كان حاكماً مستقلا تمام الاستقلال ، وقد تلقى في الأيام الأولى من حكمه معاونة قيمة من البريطانيين ، وظل حتى آخر حياته يعترف بهذا الجميل، حتى إن أي رحالة بريطاني كان واثقاً تمام الثقة من إجابة المطالب التي يطلبها ، مهما كانت هذه المطالب، طوال مدة بقاء سليمان باشا في بغداد» .

كما كان لسليمان باشا ، حسب ما يذكر هذا المصدر نفسه ، حس قوي بالفكاهة .

وظل للتجارة في باشوية بغداد خلال هذه الفترة ١٧٨٩–١٨٠٢ نفس الطابع الذي كان لها في الفترة من ١٧٧٩ إلى ١٧٨٩ . وفي سنة ١٨٠٠ قدر متوسط قيمة الواردات الهندية إلى البصرة بثلاثين لكاً من الروبيات (أي ثلاثة ملايين روبية) .

★ ★ ★

العلاقات الخارجية للعراق التركي ١٧٨٩ ـ ١٨٠٢

غزوات الوهابيين وحملاتهم ١٧٨٩ ــ ١٨٠٢ :

كانت حالة القلق على الجبهة الغربية بسبب الخلافات غير الممكنة الحل بين الاتراك والوهابيين هي السمة المميزة للعلاقات الخارجية للعراق التركي خلال الفترة الاخيرة من حكم سليمان باشا . وكان الوهابيون على وجه العموم أكثر نشاطاً وعدواناً . وتفصيل هذا الصراع موجود في الفصل الخاص بتاريخ نجد ويكفي هنا أن نشير إلى بعض أحداثه الرئيسية .

الحملة التركية الاولى ١٧٨٩ :

قبل سنة ١٧٩٨ شن الوهابيون حملات متعددة على الاراضي التركية ، وفي هذه السنة بدأت مدينة الحلة تعاني من ويلات تلك الهجمات فخرجت حملة تركية من البصرة ، كان هدفها الدرعية عاصمة الوهابيين

وغايتها ليست أقل من إخضاع نجد كلها . وكانت هذه القوة بقيادة علي سليمان باشا الكخيا الثاني الذي قتل أحمد باشا وخلفه في منصبه . وقد رجعت الحملة من الاحساء بعد جولة قصيرة لم تحقق فيها انتصاراً يذكر . وكانت نتيجتها الوحيدة عقد هدنة مدتها ست سنوات تم الاتفاق عليها في «ثج» أثناء انسحاب الحملة إلى البصرة ، وتم التصديق عليهاببغداد فيما بعد .

مذبحة الوهابيين في كربلاء ثم الحملة التركية الثانية ١٨٠١–١٨٠٢ :

وحتى هذه الهدنة لم يلتزم بها الطرفان طويلا ، ففي ٢٠ إبريل سنة ١٨٠١ حدثت كارثة للسلطات التركية حين باغت الوهابيون مدينة كربلاء وأعملوا الذبح في أهلها ، وكانت هذه المدينة مقدسة عند الشيعة وهي كذلك بالتالي عند كل الامة الايرانية . وحاول سليمان باشا الانتقام بارسال حملة ثانية على الدرعية لم تكن بقيادة مسئول تركي هذه المرة ، بل كان عليها الشيخ ثويني ، أكبر شيوخ قبيلة المنتفق ، غير أن هذه الحملة كانت أكثر فشلا من الحملة الاولى فقد اغتيل قائدها على مسافة قريبة من الكويت ، لأسباب غير واضحة قد تكون سياسية او شخصية . وتشتت هذه القوات التي لم يعد لها فائدة ، وقضى الوهابيون على جانب كبير منها . هذه هي الاحداث التي اسخطت سليمان باشا العجوز ، الذي استطاع يوماً ، وهو في أواسط عمره ، أن يدافع عن البصرة دفاع الابطال ضد الايرانيين سنة كاملة . أما الآن .. وحين وصلته أنباء مذبحة كربلاء فقد قال الرجل المسن : «إنني لا أستحق الحياة بعد اليوم» .

وكان موقف بعض القبائل العربية في العراق التركي من الوهابيين في مايو سنة ١٨٠٢ موقفاً مشكوكاً فيه ، فقد كان من المحتمل أن تنحاز قبائل الخزاعل وشمر ، وقد لقيت عناء كثيراً على أيدي الاتراك ، إلى جانب الوهابيين اذا حاول هؤلاء احتلال الاقليم بالقوة ، بل وكان ولاء قبيلة المنتفق نفسها موضع شك وريبة . وأدى الخوف العظيم من الخطر الى نوع من اللامبالاه كان من نتيجتها ترك مدينة الحلة دون

تحصين او دفاع مع أن الوهابيين قصدوها بالهجوم غير مرة واحدة . وكان مستر هارفورد جونز المقيم البريطاني في بغداد قد اشار في خطاب له إلى الحاكم العام في الهند : « وأنا أخشى أن تتهمني سموكم بالخطأ إذا قلت لكم إن الحكومة هنا لا تهتم كثيراً بمدينة الحلة .. غير أنني أقسم لكم بشرفي وبربي أن هذا صحيح » .

العلاقات مع ايران ١٧٨٩ — ١٨٠٢ :

وكانت ايران هي الجارة الخطرة الاخرى على العراق التركي . وبعد قيام حكم الكاجارات في ايران رأى سليمان باشا من الانسب أن يعامل هذه الدولة بعناية واحترام . وكان موسس حكم الكاجارات ، أغا محمد خان ، معروفاً بأن له خططاً مبيتة ضد بغداد ، وبعد موته في ١٧٩٧ ، بدأت الازمات تحدث بين الحين والحين ، من ذلك ما حدث خاصة على عهد فتح علي شاه حين حدثت مذبحة كربلاء في ١٨٩١—١٨٠٢ وتوقع الاتراك أن يطالبهم الشاه بالتعويض لعجزهم عن توفير الحماية للاماكن المقدسة .

الخلاف مع قبيلة كعب ١٨٩١ :

وفي سنة ١٧٩١ حدثت ازمة أخرى لم يكن للاتراك يد فيها وذلك بين مسئوليهم في البصرة وقبيلة كعب شبه المستقلة في إقليم عربستان . ففي هذه السنة تجاسرت قبيلة كعب على مهاجمة اسطول البن العماني السنوي وهو في طريقه إلى البصرة لكنهم تراجعوا عنه وقد تكبدوا خسائر كبيرة ودمرت معظم سفنهم . وانتقاماً لهذه الهزيمة أقام بنو كعب قواعد عديدة لهم على ضفتي شط العرب وحاولوا أن يمنعوا أسطول عمان من المرور في طريق عودته بين أكتوبر وديسمبر ، لكن العمانية كانوا في حماية الاسطول التركي بقيادة القبطان باشا بنفسه ، وبعد اشتباك هين بين سفن الاسطول والقواعد المقامة على ضفتي النهر استطاع الاسطول أن يصل إلى الخليج بسلام . ورفع بنو كعب عندئذ قواعدهم وانسحبوا إلى

دورق ، وعاد الاسطول التركي إلى البصرة ، لكن السلطات التركية كانت مستثارة وساخطة أشد السخط على قبيلة كعب لتجرؤها على إنشاء قواعد لها في الأرض التركية على الضفة الغربية من النهر ، وكذلك لمطالبتها بالتعويض عن الخسائر التي أحدثتها محاولاتها للهجوم على السفن العمانية ، غير أن المسألة انتهت هنا دون حدوث تطورات جديدة .

مشكلة مع سيد عمان ١٧٩٨ :

وحدث خلاف بسيط أيضاً أشرنا اليه سنة ١٧٩٨ في تاريخ سلطنة عمان وذلك بين السيد سلطان حاكم مسقط والسلطات التركية في العراق ، فقد طالب السيد سلطان بأموال زعم أنها مستحقة له في مقابل المعونات التي قدمها أبوه للأتراك أثناء حصار البصرة في ١٧٧٥-١٧٧٦ وقد أنكر الباشا هذا الزعم ، وهو الذي كان يتولى الدفاع عن البصرة بنفسة أي أنه يعرف حقيقة الامر جيداً ، واتخذ حاكم عمان أهبته للقيام بعمل بحري على البصرة في يوليو ١٧٩٨ ، وقبلها راح يفاوض عدوه شيخ راس الخيمة من أجل عقد الصلح بينهما على الاقل إذا تعذر التحالف لمصلحة مشتركة .

أما سليمان باشا فقد كان في ذلك الوقت يعرف نبأ غزو الفرنسيين لمصر ثم احتلالها ، وكان في سبيله لارسال الحملة الاولى على الوهابيين ، ورأى الا يضيف جديداً إلى هذه المشكلات فاتصل في ٢٠ أغسطس سنة ١٧٩٨ بمستر رينوود الوكيل الذي تركه المقيم البريطاني ليسير أمور العمل في بغداد ، وطلب وساطته لاقناع سيد عمان وشيخ القواسم بعدم الالتجاء إلى العمل العنيف . ووافق مستر مانستي المقيم العام على ذلك الاقتراح ، لكنه تبين بالبحث أن متسلم البصرة كان بالفعل على اتصال بكلا الجانبين ، ودارت مفاوضات مباشرة بين المتسلم وملا ابراهم علي قائد اسطول البن العماني السنوي ، وانتهت المفاوضات بتسوية الخلاف مؤقتاً ، وقام أسطول مسقط بزيارته الودية التقليدية للبصرة .

العلاقات السياسية البريطانية في العراق التركي
١٧٨٩ ـ ١٨٠٢

يبقى أن نشير إلى علاقة بريطانيا ، كما تمثلها شركة الهند الشرقية ووكلاؤها في العراق التركي خلال الجزء الاخير من حكم سليمان باشا .

مشكلة بين المقيم البريطاني في البصرة والسلطات التركية بسبب دعوى بين يهودي ومسيحي ١٧٩١ ــ ١٧٩٣ :

ففي مارس او إبريل ١٧٩١ توسط مستر مانستي المقيم البريطاني عند متسلم البصرة لصالح أحد الاهالي المسيحيين ، واسمه ريشا وواضح أنه ليس بريطانيا وربما لم يكن اوربياً بالمرة . وكان هذا متهماً بقتل رجل يهودي . وكان أساس تدخل المقيم هو عدم توفر الادلة من ناحية وعدم محاكمة المسيحي محاكمة عادلة من ناحية أخرى . ورغم أنه لم ينجح في إقناع المتسلم بالتخلي عن تصميمه على القبض على الجاني وإعدامه إلا أنه نجح في أن يثنيه عن إيقاع العقوبة القصوى به ، وفي نفس الوقت وجهت الجالية اليهودية في البصرة تهديدات للمقيم البريطاني ، وإلى بعض أعضائها بتمزيق علم شركة الهند الشرقية ، فقد أثارتهم هذه القضية كثيراً لكنهم ارغموا في نهاية الامر على الاعتذار لمستر مانستي في حضرة المتسلم وغيره من المسئولين الاتراك ، وقبل مستر مانستي اعتذارهم في البداية ، وبعدها عرف ، من مصدر خاص ، أن زعيم الجالية اليهودية قد كتب يشكوه إلى نائب الباشا في بغداد ، فطلب مستر مانستي فتح القضية كلها مرة أخرى وطرد «كبير اليهود» من البصرة ، وفرض الغرامات او توقيع العقوبات بعشرة آخرين من الذين اشتركوا في التمرد ، لكن متسلم البصرة رفض أن يقوم بأي عمل على أساس أن اليهود قد اعتذروا بالفعل عما بدر منهم ، فرفع مستر مانستي الامر كله إلى باشا بغداد . وظلت المسألة تؤجل قرابة سنتين بعدها ، ثم اراد الباشا أن ينهيها فاستدعى كبير اليهود الى بغداد وامر بانذار العشرة

الباقين وتحذيرهم . أما متى تم اطلاق سراح السجين « ريشا » فلا نعرف ذلك على وجه التحديد .

انتقال المقيمية البريطانية من البصرة الى الكويت ١٧٩٣–١٧٩٥ :

لكن مستر مانستي رفض هذه التسوية التي حاولها الباشا ، وفي ٣٠ إبريل ١٧٩٣ انسحب مستر مانستي إلى الكويت محتجاً وبصحبته مستر هارفورد جونز الذي ظل يشاركه في وكالة البصرة منذ نوفمبر ١٧٨٨ . وكتب الباشا حينئذ إلى الحاكم في بومباي يشكو سلوك مستر مانستي ويطلب استدعاءه إلى الهند وجعل مقيم آخر في مكانه ، ورفعت المشكلة التي أثارتها هذه الاحداث من حكومة بومباي إلى الحاكم العام في الهند ومنه إلى مجلس مديري شركة الهند الشرقية في لندن .

أما تفاصيل بقاء مقيمية البصرة في الكويت من ١٧٩٣ لى ١٧٩٥ فموجودة في الفصل الخاص بتاريخ ذلك الاقليم . وتلقى المقيم ، أثناء وجوده بالكويت غير دعوة واحدة من الباشا للعودة إلى البصرة لكنه رفضها جميعاً لانه كان يصر على مطلب أساسي هو توقيع العقوبة على عشرة من اليهود ، ويبدو أخيراً أنه وجه نداء بالعون إلى وزراء صاحب الجلالة عن طريق السفير البريطاني في القسطنطينية .

أوامر مجلس المديرين ابريل ١٧٩٥ :

ولم يصدر مجلس المديرين اوامره في هذه القضية إلا في إبريل ١٧٩٥ وانتقد المجلس سلوك مستر مانستي ومستر جونز لانهما تسببا في إحداث هذه القضية مع اليهود بعد أن انتهت المشكلة عملياً ، وأمر المجلس بأن ينقل هذان الموظفان من عملهما في مقيمية البصرة ، وبأن يؤكد المسئولون الذين سيتولون عملهم لباشا بغداد ، بمجرد وصولهم إلى الكويت أن شركة الهند الشرقية ليست مصممة على إيقاع العقاب بهؤلاء اليهود العشرة وإذا تلقوا رداً طيباً منه فعليهم أن يرجعوا بالوكالة إلى البصرة . وفي ١٥ سبتمبر ١٧٩٥ ، حين وصلت هذه التعليمات عينت حكومة

بومباي السيدين ن. كراو و ب. لومسرير بدل السيدين مانستي وجونز ، وكان الاخير من هذين قد غادر الكويت في إجازة إلى اوربا متعللا بسوء صحته . لكن الباشا ، على أية حال ، لم يكن يعرف أن السلطات العليا في شركة الهند الشرقية قد وافقت على وجهة نظره في المسألة ، وقبل وصول البعثة الجديدة بوقت قصير كان الباشا قد وافق على شروط مستر مانستي . وفي ٩ أغسطس ١٧٩٥ وصل اسماعيل أفندي ، وهو مسئول تركي كبير إلى الكويت كي يسوى المسألة ويعيد المقيم معززاً محروساً بكل حفاوة وتكريم حتى البصرة ، وأقلع مستر مانستي من الكويت في ١٦ أغسطس فوصل البصرة في ٤ سبتمبر وهناك لقي استقبالا حسناً ، وهناك أيضاً سلم اليه اليهود العشرة « ليوقع بهم العقاب بنفسه او يأمر بسجنهم » وليس هناك شيء يشير إلى ما حدث بالفعل حين أصبحت له هذه السلطة .

وأدى وصول مستر كراو بعد ذلك إلى البصرة ومعه التعليمات بأن يخلف المقيم إلى مشاكل رسمية عديدة سنشير اليها فيما بعد .

علاقات ودية بين المقيم والمسئولين الاتراك :

وعقب رحيل مستر كراو وبقاء مستر مانستي(١) في المقيمية عادت العلاقات إلى الود والانسجام بين الوكالة البريطانية والمسئولين الاتراك في العراق . وعن هذه العلاقات كتب مستر مانستي في مايو سنة ١٧٩٨ يقول :

« وانا سعيد حقاً بابلاغ الحكومة بأن شئون الوكالة اليوم تسير كأحسن ما يكون ، وليس لدى أدنى شك في أنها ستستمر كذلك طويلا فالحكومة التركية ، على كل مستوياتها ، تسلك بالنسبة لكل أمور

(١) إتخذ مجلس المديرين قراره في ابريل ، ومن المحتمل جدا أن يكون مستر مانستى قد نمى الى علمه هذا القرار عن طريق أحد من أصدقائه في يونيو أو يوليو ، فراح يبذل جهوده كي يطوى معارضة الباشا ، وكان مستعدا لان يعرض عليه أن يامر باطلاق سراح هؤلاء اليهود العشرة بشرط أن يسلموا اليه أولا ، وهذا ما حدث .

الوكالة وأموري مسلكاً يتّسم بالود والارضاء في كل امر (هكذا في الاصل) . ونفوذي بين هؤلاء المسئولين كأعظم ما اريد ، ونفوذي بين الحكام والشيوخ المجاورين ، وهؤلاء البعيدين في الصحراء ، وصداقتي لهم تمكن لي دائماً تقديم الخدمات اليهم على كل المستويات ، وسكان البلاد على وجه العموم خاضعون لارادتي . وباختصار يا سيدي المبجل فأنا لم أحصل بعد على تلك الأهداف المرجوة التي حققتها اتصالاتي السياسية هذه بحكم عملي كمقيم سياسي ، لكن التمجيد والتكريم والشهرة والاحترام والنفوذ موجودة جميعاً بشكل دائم ومحدد ، والدولة البريطانية كلها ، والشركة المعظمة على نحو خاص ، تنعمان اليوم بهذه المزايا الثمينة ، التي أستطيع أن أعتز قليلا فأقول إنها يمكن أن تزيد لو حظيت بتأييد الحكومة المعظمة ورضاها » .

انشاء مقيمية بريطانية في بغداد ١٧٩٨ :

وجاء رحيل بونابرت إلى الشرق وخططه التي كان يضمرها ضد الهند لتفرض ضرورة إعادة النظر في كفاءة المقيمية السياسية ببغداد في سنة ١٧٩٨ . وكانت مقيمية بريطانية في مسئولية موظف اوربي قد انشئت ببغداد سنة ١٧٦٥ لكنها الغيت في ١٧٦٦ ، وظلت بريطانيا مدة خمسة عشرة سنة بعد ذلك لا يمثلها أحد في عاصمة الباشوية . وفي ١٧٨١ اتخذ حل وسط بفتح وكالة أهلية هناك . وأخيراً في يونيو ١٧٩٨ استدعى مستر هارفورد جونز ، الذي كان باجازة منذ ١٧٩٥ ، إلى دار الهند في لندن ونوقشت معه خطط كثيرة لإحباط مخططات بونابرت من بينها خطة تقضي لقيامه هو برحلة لكسب التأييد بين الزعماء والشيوخ العرب على ساحل البحر الاحمر ، لكن البيان الذي صدر بعدها كان يذكر أنه «بناء على اقتراح منه فقد عينه صاحب الجلالة واللجنة السرية لشركة الهند الشرقية مقيماً عند سليمان باشا في بغداد ، بدرجة وكيل سياسي ، لكن عمله الاساسي كان إقناع هذا المسئول ، المستقل عملياً ، بتقديم

المساعدات المالية للباب العالي ، وان يعارض ، بقدر امكانه ، ويعمل على إحباط أي من خطط بونابرت التي خرج إلى الشرق لتحقيقها(١) » ، وأعلن هذا التعين في لندن يوم ٥ يوليو ١٧٩٨، ووصل « المقيم البريطاني في بلاط باشا بغداد » يوم ٢٤ أغسطس التالي، وتسلم مهام عمله بدل مستر رينوود الذي كان مستر مانستي المقيم العام ارسله إلى بغداد كاجراء موقت .

ووضعت اسس العمل البريطاني-التركي المشترك ضد بونابرت في الشرق في معاهدة تحالف دفاعي عقدت مع الباب العالي ووقعها سفير صاحب الجلالة فوق العادة في القسطنطينية يوم ٥ يناير ١٧٩٩ وكان هدفها المباشر تعاون تركيا وبريطانيا ضد بونابرت في مصر .

وكان انشاء مقيمية جديدة ، من نفس الدرجة في مقر الباشوية ببغداد لا يقلل كثيراً من أهمية مقيمية البصرة ، وسرعان ما نشأ الاحتكاك وسوء التفاهم(٢) بين السيدين مانستي وجونز ، وكان الاول ارقى من حيث الدرجة في حين أن مكانة الاخير في ذلك الوقت كانت أهم وأكثر نفوذاً . وفي ديسمبر ١٧٩٨ انتهز مستر مانستي فرصة مرور الكيخيا علي باشا بالبصرة أثناء خروجه في حملة على الوهابيين وأقام معه علاقات شخصية وثيقة ، لكنه سأل في فبراير سنة ١٧٩٩ عما اذا كان من حقه أن

---

(١) انظر : سير هـ· ج· بريدجز ، « الوهابى » ، ص ١٦ · وقد جاء في هامش لصفحة ١٧٧ أن « الهدف الاساسى من ارساله كان العمل على اقناعه بأن يقدم للباب العالى كل المعونة التى يمكنه تقديمها ، بهدف أن تتقوى تركيا وتصبح أقدر على القيام بالتزامات تحالفها مع بريطانيا ضد فرنسا » · (وبعد كتابة هذا استطاع الكاتب (لوريمر) أن يعثر على بعض المراسلات المتعلقة بانشاء المقيمية في بغداد ، وهى موجودة في الملحق رقم ٢ لهذا الفصل) ·

(٢) وصل الامر بهذا التشاجر حد تبادل الاتهامات والسباب ، وقد قام كل من الطرفين بابلاغ الحكومة بشكولها وينقل اليها « صورا طبق الاصل » من الخطابات البذئية التى تلقاها من خصمه ·

يقوم بزيارة لبغداد ، وجاءه رد حكومة بومباي بأنه غير مسموح له بذلك إلا اذا كان يسافر من أجل هدف لا يمكن تحقيقه عن طريق مستر جونز ، وهكذا اوقف مانستي مشروع زيارته التي كان ينتويها .

معاونة بريطانيا لباشا بغداد في الشئون العسكرية ١٧٩٨-١٧٩٩م :

وفي مناسبات عدة في ١٧٩٨ و ١٧٩٩ أمدت حكومة بومباي باشا بغداد بكثير من الاسلحة والرصاص والذخيرة بثمن التكلفة فقط ، كذلك طلب الباشا ارسال بعض رجال المدفعية « من الهنود المسلمين الذين دربوا مع قوات الشركة المعظمة بالهند» (١) ، فأرسل له ثلاثة من رجال المدفعية الاوربيين وصلوا البصرة في أغسطس ١٧٩٩ » .

اعتراض سفارة من سلطان طيبو إلى الباب العالي بمدينة البصرة اكتوبر ١٧٩٩ :

وفي أكتوبر ١٧٩٩ أدرك مستر مانستي وجود بعثة لسلطان طيبو في ميسور أرسلها إلى سلطان تركيا ، محملة بالهدايا والرسائل ، طالبة مساعدته ضد البريطانيين في الهند . وكانت البعثة تضم السيد علي محمد كاندري والسيد مراد الدين وسكرتيراً اسمه حسن علي وبعض الخدم . ودبر مستر مانستي أمر إبلاغ هؤلاء السفراء عن طريق أغا محمد نبي ، وهو تاجر إيراني أصبح فيما بعد سفير إيران في الهند ، بسقوط جكم سير نجاباتام وموت سيده ، وكانت هذه معلومات تلقى مخابرات عنها ، لكن السفراء ظنوا أن هذا لايثنيهم عن عملهم ونقل رسالتهم باسم خلفاء طيبو ، كذلك اتصل المقيم بعبدالله أغا متسلم البصرة وحاول إغراءه بأن يحتجز هؤلاء السفراء ولا يمكنهم من مواصلة سيرهم ، ولكن يبدو أنه كان قد

---

(١) انضم عريف هؤلاء الثلاثة ـ المدعو ريموند ـ الى الفرنسيين فيما بعد زاعما أنه من أصل فرنسى • وعينته الحكومة الفرنسية بعد ذلك قنصلا لها في البصرة وأخيرا استطاع الاتراك أن يقبضوا عليه سنة ١٨٢٦ ، فسلموه للسلطات البريطانية التى نقلته الى بومباى كجندى فار ، لكنهم عفوا عنه هناك نتيجة تقادم تاريخ جرمه •

تلقى اوامر صريحة من باشا بغداد بتسهيل رحلتهم فلم يستطع أن يخرج عليها.

وبعدها أرسل مستر مانستي أغا محمد نبي ومترجم الوكالة ورجلا آخر في بعثة لمقابلة هؤلاء السفراء ، وأحيطت سفارتهم بالمظاهر المميزة لمن هم في خدمة دولة منتصرة ، ونبهوا البعثة الموفدة لتركيا إلى المصاعب التي سيواجهونها في القسطنطينية بعد عودتهم ، فالسلطان لن يستطيع – نظراً لتحالفه مع بريطانيا – أن يكون صديقاً لهم ، كذلك أيضاً أبلغوهم تصميم المقيم على ان يمنع مواصلة رحلتهم بأية طريقة ، وأن يرغمهم على السير إلى بومباي على ظهر السفينة «انتيلوب» التي كانت جاهزة ومستعدة. وحينذاك بدا الخوف عليهم ، وطلبوا اعتبارهم رعايا بريطانيين ينزلون عند رغبة المقيم ، واستولى متسلم البصره ، برغم احتجاج مستر مانستي ، على الهدايا والخطابات التي كانت معهم ، وربما كان هذا في ذاته ضرورة لا مفر منها لاستنزال عبدالله أغا أعضاء مجلسه عن رأيهم المخالف له بضرورة تشجيع الوفد على مواصلة رحيلهم إلى القسطنطينية .

زيارة كابتن مالكولم للعراق التركي ١٨٠١ :

وقد قام كابتن ج. مالكولم بزيارة العراق التركي أثناء عودته من بعثته الاولى إلى البلاط الايراني ، وكان الباشا يعرفه أيضاً ويثق به . وفي ١٥ مارس سنة ١٨٠١ سافر من همدان فوصل الحدود المفتوحة غير المحضنة بين تركيا وايران ومنها إلى ضفاف دجلة. ولما أظهر باشا بغداد تخوفه من العدد الكبير من الايرانيين الذين بصحبته ، قام كابتن مالكولم بصرفهم بلطف وبشاشة . وقد رفض باشا بغداد أن يدفع كابتن مالكولم الضرائب المفروضة على ما جاء معه ، وأثبت بهذا أنه أكثر كرماً من السلطات الايرانية التي طالبته بدفع مثل تلك الضرائب ، لكنه لم يكن يخلو من شكوك حيال مالكولم ففي إحدى المرات ارسل اليه يطلب الا يرفع الجنود البريطانيون الذي يصحبونه سيوفهم وهم في الارض التركية وكان الباشا متلهفاً يود التحالف مع بريطانيا ، وقد أفصح عن أسفه لأنه

لم يكن طرفاً ثالثاً في تلك الاتفاقية التي عقدها كابتن مالكولم مؤخراً بين بريطانيا وايران . لكن التعامل الرسمي معه كان في أضيق الحدود ، وبعد زيارة احتفالية كبيرة تُلي فيها خطاب من الحاكم العام للهند مصحوباً بتقديم الهدايا القيمة يوم ٣١ مارس ، غادر كابتن مالكولم بغداد الى البصرة في قارب نهري قدمه اليه الباشا ، لكنه في ٨ أبريل انتقل إلى ظهر سفينة للمستر مانستي المقيم البريطاني في البصرة وقد التقى به في النهر إلى جوار القرنه . وفي ١٤ إبريل وبعد أن قضى كابتن مالكولم عدة أيام مع مستر مانستي في بيته الريفي بكوت الفرنجي ، وبعد تبادل الزيارات والهدايا مع المسئولين المحليين ، أبحر على ظهر السفينة «جوناثان دنكان» التي كانت بانتظاره في البصرة لتقله إلى بومباي .

خلاف بين المقيم والباشا في بغداد ١٨٠١ :

وفي صيف سنة ١٨٠١ تعكر صفو العلاقة بين مستر جونز المقيم في بغداد وسليمان باشا بسبب حادثة مؤسفة . ففي يوم ٩ يونيو أبلغ الباشا مستر جونز بأن شعوراً خطيراً يتزايد ضده في المدينة نظراً لمشاهدة سيدة تركية تخرج من منزله ، وعرض عليه أن يساعده في الهرب من المدينة ، ذاكراً له أنه لو صمم على البقاء فان السلطات المحلية لا تستطيع أن تكون مسئولة عن سلامته . ورفض المقيم ان يغادر المدينة على أساس براءته مما يتهم به ، حينذاك أبلغه الباشا ، الذي لم تكن دوافعه واضحة من إثارة وتضخيم تلك القصة ، أنه لم يعد يعترف به ممثلا للحكومة البريطانية ، ومنع العاملين في الباشوية من الاتصال به لا شفوياً ولا خطياً وأبلغه أنه لم يعد يتمتع بالحماية التركية الرسمية . وفوراً رفع مستر جونز الامر إلى حكومة الهند والى مجلس المديرين في لندن ، وابلغهم عن تدابير الباشا ونتائجها المتوقعة ورغم أن سليمان باشا مال إلى اللين بعد ذلك ، لكن مستر جونز رفض أن يؤدي مهام وظيفته كمقيم في بغداد إلا إذا صدر من الباشا خطاب اعتذار صريح له مشفوع باعلان ببراءته من التهمة التي نسبت اليه ، وانسحب من بغداد الى مكان على ضفة الفرات ،

وأقام ينتظر أوامر رؤسائه . وفي ٢٠ أكتوبر أعلن الباشا خطياً براءة مستر جونز مما نسب اليه ، ووعد أن يمنحه بعد ذلك كل تقدير واحترام . وانتهت المسألة في ٢٠ نوفمبر بعودة المقيم إلى بغداد حيث استقبله الباشا بالحفاوة والتكريم المألوفين وباشر فوراً مهام عمله .

ادخال التطعيم الى العراق التركي ١٨٠٢ :

وأدخل نظام التطعيم إلى العراق التركي على يد طبيب المقيمية البريطانية عقب أن تلقى قدراً من امصال اللقاح من فينا في ٣٠ مارس ١٨٠٢ ، واستخدمت أثناء بداية ظهور الطاعون ببغداد في إبريل من نفس السنة وفي البصرة في مايو بعدها .

★ ★ ★

الشئون الرسمية البريطانية في العراق التركي ١٧٨٩ ـ ١٨٠٢

تولي مستر كراو مقيمية البصرة من يناير حتى سبتمبر ١٧٩٦ :

أدى استبدال مستر مانستي ، في مقيمية البصرة ، بمستر كراو حسب أوامر حكومة بومباي في سبتمبر ١٧٩٥ إلى شيء من الخلط والتعقيد ، وذلك بأن انباء التفاهم بين مستر مانستي وباشا بغداد لم تصل بومباي إلا بعد أن أبحر منها مستر كراو بالفعل ، وحين وصل هذا ، مع مساعده مستر لومسريير في أول يناير ١٧٩٦ تولى مسئولية المقيمية بمقتضى الاوامر التي يحملها ؛ وفي نفس الوقت أبلغ مجلس المديرين بالنتائج المرضية التي انتهت اليها مشكلة مستر مانستي مع السلطات التركية ، وفي نفس يوم ابعاد مستر كراو له وصله خطاب معنون باسمه شخصياً أبلغه فيه مجلس المديرين أنه يرى من المناسب الغاء الامر القديم بنقله من وظيفته ووصل الخطاب إلى البصرة يوم ٣ إبريل ١٧٩٦ ، ورغم أن مستر

مانستي ما يزال هناك لتصفية أموره الخاصة فقد اعترف السيدان كراو ولومسرير بأن بعض الشكوك دارت بأنفسهما حول فاعلية ذلك الخطاب . ولم يقوما بشيء سوى الاحتجاج العنيف الذي رفعاه إلى مجلس المديرين وإلى حكومة بومباي ضد إعادة تعين مستر مانستي . وفي خطابهما إلى مجلس المديرين عبرا عن رأيهما في أن « نفوذ المقيمية البريطانية وهيبتها قد أصيبتا بضربة عنيفة ، وأن السلطات التركية قد تباعدت كثيراً عنها ». أما في خطابهما لحكومة بومباي فقد ذكرا أن « إعادة مستر مانستي لعمله لن تتيسر إلا على أساس اوخم العواقب على ما تبقى من سمعتنا القومية هناك ، ولمصالح شركة الهند الشرقية ومنشآتها . وقد ينظر الباشا إلى عدم ثباتنا وتذبذبنا في مثل هذه الامور الرسمية بالسخرية والاحتقار » . لكن مجلس المديرين كان ابعد من أن يتأثر بمثل هذه الاحتجاجات . فرد بتوجيه اللوم لمستر كراو لأنه لم يسلم مهام المقيمية لمستر مانستي قبل هذا الوقت ، وأمره بأن يسلمه هذه المهام بمجرد وصول خطابهم اليه دون إرجاء يوم واحد . وصلت هذه التعليمات إلى البصرة في ٢٥ سبتمبر وتم تنفيذها في نفس اليوم . وفي ٤ أكتوبر غادر مستر كراو ومستر لومسرير البصرة في طريقهما إلى بومباي ، وفي ٨ نوفمبر أفرغ مستر مانستي مشاعره نحو الموقف كلّه ، ببلاغة تميز بها ، على النحو التالي :

« إذا كنت قد سمحت لنفسي ، في ساعة من ساعات قسوتكم التي صدرتم فيها عن التزام بما تحسبونه مصلحة العمل ، فخاطبتكم بروح مستقلة متحررة واسلوب ودي رجولي ، فانني أرجو الآن أن تسمعوا مني هذه الكلمات الهادئة : إن قراركم الذي رد الى سمعتي وعملي يجعلني أؤكد كل اخلاصي وتفاني الكامل في خدمة السادة الموقرين من رؤسائي وأصحاب عملي ، ليس هذا فقط ، بل أود أيضاً أن أؤكد أني بعد رد اعتباري علي أحسن فيممارسة عملي بهمة ونشاط متجددين والشركة المعظمة تعرفني جيداً ولسوف تجدني إذا ما استطاعت امكاناتي أن ترقى لمستوى استقامتي وتمكنت صحتي أن توازي آرائي ورغباتي خادماً يستاهل تقديركم واهتمامكم وتأييدكم .

بريد الصحراء البريطاني ١٧٩٣ ــ ١٨٠٢ :

وظلت المراسلات البريطانية الرسمية تنقل بانتظام عبر الصحراء من مقيمية البصرة إلى قنصلية حلب ، وخلال الحروب مع فرنسا ، التي بدأت في غضون هذه الفترة ، اكتسب هذا الطريق ، لبعده عن تدخل الدول الاوربية أهمية فاقت أهميته في أي وقت مضى . وحين كانت المقيمية في الكويت حدثت بعض الاضطرابات في هذا الخط بسبب نشاط الوهابيين أو تحريضهم(١) ، ولكن لم يحدث أبداً أن انقطع الطريق أو أصبح مهدداً تهديداً خطيراً . وفي ١٧٩٨ كان المقيم قلقاً بشأن النتائج التي قد تترتب على الحملة التركية ضد الوهابيين والتي كانت الاستعدادات لها قائمة وقتذاك ، غير أن ما توقعه من أثر للحملة لم يكن في محله حيث أدت إلى مزيد من الحماية لمستخدميه في نقل البريد . وقد وصلت أخبار معركة النيل إلى الهند عند طريق البصرة ، وفي سنة ١٨٠١ تسلم مستر مانستي المقيم في البصرة خطاب شكر من حكومة الهند لتحقيقه وسائل الاتصال السريع بين الهند والقوات البريطانية في مصر

افتتاح مقيمية في بغداد ١٧٩٨ :

وجاء انشاء مقيمية ببغداد مستقلة عن مقيمية البصرة في سنة ١٧٩٨ كما أشرنا ــ لاعتبارات كثيرة من بينها حقائق العلاقات بين بريطانيا والعراق التركي في ذلك الوقت .

امداد المقيمية بطبيب وحرس عسكري ١٨٠٠ :

وفي سنة ١٨٠٠ سقط مستر جونز المقيم ببغداد مريضاً ، ولما رفض مستر مانستي ، المقيم بالبصرة ، إرسال طبيب مقيميته فقد اضطر هو

---

(١) هناك اختلاف في الروايات فيما يتعلق بتعرض هذا الخط البريدى للمداخله بين ما يذكره سير هـ . ج . بريدجز (مستر جونز) في كتابه « الوهابيون » (ص ١٥ ــ ١٦) ، وما ينقله مستر رينوولد عن مراســلات فون راخ موناتيش من يوليو الى ديسمبر ١٨٠٥ (ص ٢٣٤ ــ ٢٣٥) .

للسفر إلى البصرة ، وحين رفع مستر جونز إلى الحكومة نبأ المخاطرة التي قام بها والصعوبات التي اضطر لمواجهتها دون ضرورة صدرت الاوامر بتعيين « طبيب مدني » في مقيمية بغداد في سبتمبر ١٨٠٠ ، وجاء بعدها دكتور جيمس شورت من مقر بومباي ، لشغل تلك الوظيفة .

وقد ذكر المقيم في بغداد رغبة الباشا في وجود طبيب بريطاني قريب منه كعامل من العوامل التي تسهل تعين الطبيب الذي يطالب به ، لكن الباشا لم يلجأ إلى دكتور شورت ، بعد وصوله لأول مرة ، إلا في أحوال نادرة ، وبسبب هذا التجاهل رفض الطبيب أن يذهب إلى سليمان باشا وهو على فراش مرضه الأخير إلا بعد أن كلفه المقيم العام رسمياً بذلك .

وفي أغسطس ١٨٠٠ ، وبناء على طلب مستر جونز ، زودت مقيمية بغداد بحرس وطني من الهند يضم ٢٦ جندياً و ٣ من ضباط الصف الهنود، وأضيف اليهم بعد قليل جنديان من قارعي الطبول .

وتم فحص حساب مصروفات مقيمية البصرة في سنة ١٨٠١ ، حين تبين أن بند الرواتب والإجازات والعلاوات والإيجار قد زاد في سنة ١٧٩٨ زيادة كبيرة في المتوسط عما كان عليه في ١٧٨٨ ، وفي سنة ١٨٠١ حددت حكومة بومباي هذا البند بمبلغ ٥٥٢٠ روبية في السنة لا يتجاوزه . واعتبر تكاليف نقل البريد بنداً مستقلا بذاته وهكذا أيضاً استقل بند الهدايا التي تقدم للشيوخ العرب ، وبلغت قيمة هذا البند حوالي ١٦ الف روبية في السنة .

الفرنسيون في العراق التركي ١٧٨٩ ـ ١٨٠٢

في سنة ١٧٩٦–١٧٩٧ ، وبعد الثورة الفرنسية ، كان يمثل فرنسا في بغداد « وكيل للشئون الخارجية » وهو بعبارة أخرى لم يكن سوى قنصل وكان يشغل هذا المنصب «المواطن» روسو وربما كان نفس الشخص الذي كان قنصل فرنسا في بغداد قبل عشرين عاماً . وقد زار بغداد في سنة ١٧٩٦–١٧٩٧ وفد سياسي فرنسي يرئسه السيدان بروجيير واوليفر وقد سبق أن أشرنا إلى مهمة هذا الوفد وعمله في الفصل الخاص بالتاريخ العام للخليج .

وفي ٨ أكتوبر ١٧٩٨ — وقبل انقضاء شهرين على إقامة قنصلية بريطانية في بغداد — وصلت إلى الباشا اوامر من القسطنطينية « بسجن القنصل الفرنسي والعاملين في خدمته ، ورعايا فرنسا المقيمين بالبصرة ، وارسال هذا القنصل والعاملين معه — واوراقهم جميعاً ، إلى القسطنطينية ونفذت هذه الاوامر فور وصولها .

وفي أكتوبر ١٧٩٩ كانت الوكالة الفرنسية في أيدي الأتراك ، وقد استخدموها لإيواء الوفد الذي أشرنا اليه — والذي كان مبعوثاً من طيبو سلطان ميسور إلى الباب العالي .

★ ★ ★

فترة خلو باشوية بغداد أغسطس ١٨٠٢

مطامع آغا الانكشارية :

كان أغا الانكشارية في بغداد وقت وفاة سليمان باشا رجلا يتمتع بكفاية عالية وبرضا الباب العالي ، وله سمعة طيبة بين الشعب أيضاً في بغداد لما تميزت به إدارته الحازمة للشرطة . وحين عرفت حقيقة المرض الخطير الذي أصاب سليمان باشا طلب الأغا مقابلة مستر جونز المقيم

البريطاني ، معترفاً له بأنه يطمح في منصب الباشوية ، وملتمساً منه ارسال خطاب لصالحه إلى السفير البريطاني في القسطنطينية ، ورفض مستر جونز كتابة ذلك الخطاب ، وذكر للأغا ما يتوقعه منه ، بحكم منصبه ، وهو ان يتولى حراسة خزانة الباشوية والتحفظ عليها باسم الباب العالي ، وأن يستمر على إدارته الحازمة للشرطة حتى يصل الباشا الجديد المعين من القسطنطينية ، ونصحه في نفس الوقت بأن يقنع في الوقت الحاضر على الاقل بأداء هذه الواجبات وألا يطالب بالباشوية قبل أن يضع يده على خزائن الباشا لأن هذه لو وقعت في أيدي أعدائه ستعكس على مركزه انعكاسات سيئة لأنها سوف تستخدم ضده بكل الوسائل .

وفي صباح اليوم الذي توفي به سليمان باشا قام الأغا ، وقد طرح بوضوح كل هذه النصائح وراء ظهره ، بمحاولة للاستيلاء على الحكومة بالقوة ، فأرسل بعض الانكشارية لإلقاء القبض على محمد بك(١) «الزعيم العربي الكبير الذي كان يمثل كل شيوخ العرب في القبائل التي تدفع الجزية للباشا ، وكان المقيم في بيت كبير بضاحية بغداد على الضفة الغربية لدجلة » ، لكن محمد بك كان قد قضى الليل كله في قصر الباشا ، وهكذا فشلت محاولة الأغا في أن يأسر رجلا ذا قيمة كمحمد بك . وبعد الساعة العاشرة من الصباح بقليل جاء الأغا إلى مقر المقيمية البريطانية على رأس حشد من الغوغاء يتراوح عددهم بين ١٠٠٠ و١٥٠٠ رجل كلهم « يلبسون الثياب البالية وتبدو على سيماهم أقسى أمارات الهياج والغضب» وكان الأغا في سبيله للاستيلاء على القلعة . ليقوم بعد ذلك بمهاجمة القصر الذي كان فيه الكيخيا علي باشا وأنصاره ، لكنه أبلغ المقيم أنه لا داعي لأن يخشى هو أو المقيمية شيئاً من أعماله هذه .

---

(١) لا شك في أن محمد بك هذا هو نفسه الذى أشار على سليمان باشا بأن يتساهل في أمر مقتل احمد باشا ، وهو الذى صحب على باشا فيما بعد في حملته على الوهابيين في ١٧٩٨ ـ ١٧٩٩ ٠ ومحتمل ايضا أن يكون هو محمد بك الذى تمرد أخوه حاجى سليمان بك في سنة ١٧٨٦ ٠

وفي الثانية عشرة ظهراً ، وكان سليمان قد مات بالفعل ، بدأ اطلاق النيران من القلعة على القصر ، لكن التصويب كان سيئاً جداً حتى إن القصر لم يكد يصيبه شيء من تلك النيران . ومن اللحظة التي انطلقت فيها أولى القذائف ، أغلقت المتاجر والمحلات وتوقفت الحياة العامة في بغداد وسجن الناس أنفسهم داخل بيوتهم .

وظل الأغا خلال الايام الثمانية او التسعة التالية قائماً في مركزه بالقلعة لكن الرشاوي التي استطاع علي باشا وأنصاره توزيعها ، وقد وقعت خزانة الباشوية تحت أيديهم ، أفلحت في أن تبعد عن الأغا كثيرين من أنصاره ، وحاول بعد ذلك أن يجعل من أحد عبيد الباشا السابق منافساً لعلي باشا لكن مناورته فشلت وأصبح عليه أن يتراجع إلى بيته الذي سرعان ما ضرب حوله الحصار ، وأخيراً وقع في الأسر ، فقطع جسمه أشلاء صغيرة في حضرة علي باشا ، كما أعدم اربعة عشر رجلا من أنصاره الانكشارية ، وكانت المدافع تطلق طلقة واحدة كلما أطاح الجلاد برأس من الرؤوس . وخلال أسبوعين او ثلاثة من موت سليمان باشا استطاع علي باشا إعادة الأمن وإقرار النظام ، صحيح ان النيران أطلقت فترة طويلة في بغداد لكن عدد ضحاياها بالفعل كانوا لا يتجاوزون عدداً قليلا .

وكان السبب الرئيسي لقلق المقيم البريطاني خلال هذه الاضطرابات هو وجود عدد من القوارب في النهر ، على مسافة قصيرة من البصرة ، محملة بالبارود والذخائر والأسلحة كان سليمان باشا قد طلبها قبل مرضه من بومباي ، وامر مستر جونز بأن ترسو هذه القوارب بعيداً عن ضفة النهر ، ورفعت عليها الاعلام البريطانية ، وأبلغ كل من الكيخيا والأغا أن حمولة القوارب كانت ما تزال ملكاً لبريطانيا ، وبالتالي لا يجوز أن يمسها أحد . وبهذا فقط استطاع المقيم أن يمنع وقوع هذه الشحنات الاضافية الكبيرة من الأسلحة والذخائر في أيدي المتحاربين (١) .

---

(١) هذه الازمة كلها موجودة في كتاب سير هـ. ج. بريدجس (مستر جونز) ، في هامش مذكور في كتابه « الوهابيون » ، ص ٢٠٤ ـ ٢١٠ .

التاريخ الداخلي في العراق التركي أثناء حكم علي باشا ١٨٠٢ ـ ١٨٠٧

التماس من علي باشا لتعيينه في باشوية بغداد ١٨٠٢ :

بعد أن سيطر علي باشا الكيخيا على الموقف ، أرسل التماساً إلى الباب العالي لتعيينه باشا لبغداد وقع عليه كبار الاهالي والوجهاء في بغداد ، وارسل مع التماسه هذا مبلغاً لا يزيد عن ٦٠ الف جنيه انجليزي « كان كل ما حصل عليه الباب العالي من تركه سليمان باشا إلى جانب بعض المجوهرات والشيلان الفاخرة والفراء والأثاث والتحف الهندية » ، لأنه انفق الكثير في حروبه ضد الوهابيين وفي المساهمة في الحملة التركية على مصر ، وفي تعويض كل من الايرانيين والاتراك عن مذبحة كربلاء الرهيبة ، ولم يشارك أسد بك ، ابن سليمان باشا وكان في الثالثة عشرة من عمره ، في تلك الاضطرابات التي أعقبت موت أبيه ، وربما لهذا السبب سمح له بالاحتفاظ بجزء من ميراث أبيه . وتقبل الباب العالي المبلغ الذي ارسله على باشا رغم قلته ، ووصل الأمر الرسمي بتعيينه باشا لبغداد في ٦ يناير سنة ١٨٠٣ .

الاحوال ١٨٠٥ :

ولم يثبت علي باشا كفايته كحاكم رغم حسمه الذي اتضح في قضائه على غريمه الأول أحمد باشا ومثابرته على فرض نفسه في الباشوية ففي سنة ١٨٠٦ كانت البلاد كلها في حالة من الاضطراب والفوضى حيث نشبت الحرب بين عدد من القبائل العربية المتحالفة معاً ضد فرع الجربة من قبيلة شمر . وقد امر الباشا باعلان النفير الكامل في مقاطعة كردستان لتشكيل قوة للقضاء على المتحالفين وتخليص الجربة الشمريين الذين كانوا في خطر محدق . لكن هذا أدى إلى كارثة أخرى . ففي الطريق من بغداد إلى كردستان وقعت حادثة غريبة بين الشخصيتين الموفدتين

لجمع القوات الكردية ذلك بأن عبدالرحمن باشا ، زعيم الأكراد الخاضعين لتركيا واحد الرجلين دعا محمد باشا الرجل الثاني في الحملة ، إلى خيمته حيث قتله ، ثم أعلن التمرد على الحكومة المركزية في بغداد . وفي هذا الوقت الحرج أمر علي باشا بسجن الكيخيا نائبه متهماً اياه بالخيانة وكذلك سَجَنَ قريباً له يدعى عبدالله أغا كان متسلماً للبصرة في وقت من الاوقات .

اغتيال علي باشا ١٨٠٧ :

ولا حاجة بنا لان نتتبع التطور التالي لهذه الاحداث . فقد استمر علي باشا مكروهاً من رعاياه ، وأخيراً اغتالته جماعة من العبيد في ١٨ أغسطس سنة ١٨٠٧ واستراح الناس منه ، وقد وقع هذا الحادث بعد عزل السلطان سليم الثالث بوقت قصير أي بعد نهاية هذه الفترة التي نتناولها هنا .

وقد كتب مستر جونز عن علي باشا قبل توليه السلطة مباشرة في سنة ١٨٠٢ يقول : « إنه ليس رجل عمل ولا هو رجل لهو ، فليست له الامكانيات التي تجعل منه الرجل الأول ، كما أن تعصبه يحول بينه وبين أن يكون من النوع الثاني » . كذلك ذكر نفس المصدر أنه كان يضطهد المسيحيين واليهود ، وكان مسلكه العام « مثيراً للنفور والتقزز » ، وشجاعته الشخصية موضع شك ، لكنه عرف بوفائه للصداقة ، ولم يحدث أبداً أن أخل بوعد أو كلمة قطعها على نفسه .

★ ★ ★

العلاقات البريطانية مع العراق التركي
١٨٠٢ ـ ١٨٠٧

كان هناك عاملان أثرا في المصالح البريطانية بالعراق التركي خلال الفترة القصيرة التي قضاها علي باشا حاكماً .

الاتجاه الودي من جانب علي باشا لدى توليه الباشوية ١٨٠٢–١٨٠٣ :

فقد أفصح علي باشا في البداية عن اتجاه متعاطف مع مصالح شركة الهند الشرقية ، وحين تلقى أنباء التصديق على تعيينه في الباشوية وجه خطاباً طويلا إلى مجلس المديرين في لندن عبّر فيه عن صداقته للدولة البريطانية ، وعن احترامه لمستر جونز المقيم في بغداد . لكن اتجاهه الودى هذا حيال من أشار اليهم قد ثبت فيما بعد أنه كان مفتعلا غير صادق .

اعتراف سلطان تركيا بممثل بريطانيا في بغداد نوفمبر ١٨٠٢ :

وكانت المتاعب تنشأ أحياناً في بغداد بسبب عدم اعتراف الحكومة التركية بالمقيمية البريطانية فيها قنصلية وفق قانون الامتيازات الاجنبية(١) وانتهز سفير صاحب الجلالة في القسطنطينية فرصة تعين باشا جديد في سنة ١٨٠٢ لتصحيح ذلك الوضع بالحصول على براءة الاعتراف بالمقيمية قنصلية بريطانية ، وفي هذه الوثيقة(٢) المؤرخة في ٢ نوفمبر سنة ١٨٠٢ تم الاعتراف بمستر جونز قنصلا لبريطانيا في بغداد وفق الامتيازات الأجنبية ، وبحقه في حماية التجار والرحالة البريطانيين وتنظيم مواعيد

---

(١) يعزو لورد الجن اضطهاد سلطات بغداد لمستر جونز في سنة ١٨٠١ الى هذا السبب ، غير أنه يحتمل أنه كان مبالغا في تقدير أهمية اعتراف القسطنطينية به بالنسبة لموضعه في بغداد شأنه فى ذلك شأن جرانفيل في سنة ١٧٦٤ وكما سنرى لاحقا ، فان هذا الاعتراف الرسمى لم يمنع باشا بغداد من طرد مستر جونز منها في سنة ١٨٠٦ .

(٢) نصوص هذه الامتيازات موجودة في « معاهدات اتشيسون » ، مجلد ١٣ ص ١٠ ـ ١١ ، الطبعة الرابعة .

ترحال السفن البريطانية . كذلك أصبح جميع العاملين تحت امره ، ومساعديه ، وخدمه ، وعبيده معفيين من مختلف الضرائب والمكوس ، كما كان هو أيضاً بصفته الشخصية ، كذلك أصبح ممنوعاً على أية سلطة أن تلقي القبض عليه او تفتش بيته ، وأصبح واجباً رفع الشكاوي ضده إلى سلطان تركيا مباشرة دون أي من السلطات المحلية ، كما أصبحت للقنصل حرية الانتقال في البلاد طولا وعرضاً دون أن يعترضه معترض وأضحى له الحق أثناء تجوله في «المناطق الخطرة أنيلبس عمامة بيضاء وان يحمل سيفاً أو ما اليه من أسلحة القتال » ، وبات على السفن الوطنية ان تنقل له اشياء ه ومتاعه « حسب النظام المعمول به » ، وصدرت الاوامر لجميع المسئولين في الامبراطورية التركية ان يقدموا له العون والحماية في أي مكان يكون فيه ، وان يتعاملوا معه ، في جميع الحالات على أساس نصوص الامتيازات . وهكذا أصبحت المقيمية البريطانية في بغداد ، التي لم تكن في بدايتها سوى بعثة إلى الباشا ، على نفس الأسس التي انشئت بموجبها قنصلية البصرة حسب « البراءة القنصلية الصادرة لها في سنة ١٧٦٤ » .

مشكلة بين المقيم في البصرة والسلطات التركية :

وحدثت أزمة ثانية حادة ، تشابه ما حدث في سنة ١٧٩٣ ، بين مستر مانستي المقيم البريطاني في البصرة والسلطات التركيه في الباشوية . ففي ٤ أبريل سنة ١٨٠٣ دخل بعض الغوغاء إلى بيت الكابتن هوايت ، قائد سفينة مستر مانستي التجارية الخاصة وحملوا معهم امرأة مسيحية من القاهرة كانت تعيش تحت حمايته ، وكان يقال عنها إما أنها مسلمة أو أنها اعترفت أمام بعض المسلمين برغبتها في اعتناق الإسلام ، وسارع مستر مانستي إلى المتسلم يطلب التعويض ، وكان يشك في أن المتسلم هو المحرض الفعلي على هذا العمل ، ولكن دون جدوى ، وفي اليوم التالي أنزل المقيم العلم البريطاني ، وأغلق بوابة الوكالة ، ومنع التعامل بين أهل المدينة والسفن البريطانية التي كانت راسية في النهر ، وكتب إلى

باشا بغداد يطلب ضرورة إعادة هذه المراة فوراً ، وتعويض كابتن هوايت عن بقية الأضرار التي لحقت به ، ونفي وسجن جميع الذين اشتركوا في العمل . وهدد ، إذا لم تجب طلباته هذه جميعاً ، بالانسحاب إلى كلكتا ورفع الامر إلى الحاكم العام في الهند . كذلك اتصل مستر مانستي بمستر جونز المقيم في بغداد وطلب منه تولي الامر بعناية . وبعد وقت قصير لم تصدر الاوامر فقط بعزل المتسلم واستدعائه إلى بغداد للاجابة على الاتهامات الموجهة اليه ، بل أضيف اليها أيضاً اوامر للذين سيقومون بعمله بأن يوقعوا العقاب بكل الاشخاص الذين يتهمهم مسترمانستي بالمشاركة في ارتكاب ذلك العمل ، وبتعويض كابتن هوايت عن الخسائر المادية التي لحقت به . لكنه رفض مناقشة إعادة المرأة بزعم أن هذا مخالف لدينه ، وحين رفض مستر مانستي أن يتعامل معه على غير الاسس التي حددها ، قطع الباشا هذه المراسلات جميعها . واخيراً ، في يوليو سنة ١٨٠٣ ، ونتيجة اصرار مستر مانستي على موقفه ، أمر الباشا بتسليم المرأة ، وأرسلها المقيم إلى كابتن هوايت في كلكتا . وحين اجيبت كل مطالب مستر مانستي عاد فرفع العلم البريطاني مرة أخرى ، وفتح ابواب الوكالة للتعامل وذلك في يوم ٢٣ من الشهر نفسه ، ولا جرم كان علي باشا قد شهد انتصار مستر مانستي على سيده القديم سليمان باشا في ١٧٩٣–١٧٩٥ ففضل ألا يمضي في النزاع إلى نهايته المرة مع مثل هذا الرجل الذي يقدر الأمور الشخصية أعظم التقدير .

وقرب نهاية سنة ١٨٠٣ أرسل علي باشا سفيراً إلى الحاكم العام للهند هو رجل يدعى سليمان أغا . ووصل هذا الرجل إلى بومباي في ١٦ فبراير ١٨٠٤ حيث منحته الحكومة جواز مرور له ولجماعته إلى كلكتا ، فسافروا على ظهر السفينة «آبون كاسل» التي أبحرت من بومباي في ٣ إبريل . ولسنا نجد شيئاً عن أسباب هذه السفارة ولا عن نتائجها ، ويحتمل بالتالي ان تكون بعثة شرفية بهدف تقديم التهاني مثلا .

وظلت المبادىء التي تحدد التعرفة الجمركية المطبقة على بريطانيا

العظمى في الامبراطورية العثمانية هي نفس التي نصت عليها الامتيازات الأجنبية ، أي لا تتجاوز العوائد المدفوعة نسبة ٣٪ من قيمة البضائع حسب سعر السوق ، وتبين بعد ذلك أنه من الأفضل تثبيت سعر البضائع وتحديد الضريبة الواجبة الدفع على أساس نسبة الـ ٣٪ ، وتم بالفعل إعداد جدول بذلك في سنة ١٧٩٤ ، ولكن في سنة ١٨٠٠ ، وبسبب ارتفاع أسعار جميع السلع ، أصبح ما يدفع بالفعل أقل من قيمة الـ ٣٪ المحددة ، وعلى هذا وافقت بريطانيا العظمى على تعديل الجدول لصالح الباب العالي ، وتبين بعدها أن العوائد التي كان يدفعها التجار البريطانيون حسب الجدول المعدل كانت في بعض الحالات تزيد عما يدفعه التجار من الدول المسيحية الأخرى ، وفي سنة ١٨٠٥ وضع جدول جديد يزيل تلك المظلمة ، وبدأ العمل به حسب الاتفاق بين بريطانيا وتركيا .

خلاف بين المقيم البريطاني في بغداد والباشا ١٨٠٤ — ١٨٠٥ ثم ابعاد المقيم من بغداد يناير ١٨٠٦ :

وفي سنة ١٨٠٤ نشأ خلاف بين مستر جونز وعلي باشا في بغداد بسبب المعاملة غير المهذبة التي لقيها مترجم الوكالة البريطانية على يدي الباشا ، وطلب المقيم التعويض فرفضه الباشا وانتهت الاتصالات الرسمية بينهما . وفي نوفمبر سنة ١٨٠٥ كتب الباشا إلى السفير البريطاني في القسطنطينية وإلى السلطان أيضاً يطلب اتخاذ الاجراءات الكفيلة بابعاد مستر جونز عن بغداد . ووافق السلطان بحماسه على الطلب ، لا لأنه يؤيد اعتراضات علي باشا ضد مستر جونز ، ولكن لأنه كان يخشى أن يرفض طلباً لمثل هذا الحاكم شبه المستقل الذي يحكم إقليماً بعيداً . ولأن مستر تشارلز اربوثنت كان يعرف أن مجلس وزراء صاحب الجلالة لن يتابع هذه المسألة كثيراً بالنظر إلى التحالف القائم وقتذاك بين بريطانيا وتركيا ، ولأن السلطان لم يضمن أمن مستر جونز إذا مكث في بغداد بعد هذا ، فقد طلب من مستر جونز مغادرة المدينة ، وهكذا عهد مستر جونز بمهام منصبه إلى دكتور هاين جراح المقيمية ، وترك بغداد

في أوائل يناير ١٨٠٦ ، وكان في الموصل في فبراير ، وفي ٢١ مايو وصل إلى القسطنطينية .

زيارة مستر جونز للقسطنطينية مايو ــ اكتوبر ١٨٠٦ :

وكان خط مستر جونز صلباً بما جعل السفير البريطاني هناك يحمل عنه رأياً ايجابياً ، فدعاه للاقامة مدة معه ، وطلب خدماته في الحصول على معلومات عن أهداف بعثة سياسية إيرانية كانت تقوم بزيارة القسطنطينية في ذلك الوقت . وفي ١٣ أكتوبر ١٨٠٦ أثبت السلطان ألا اعتراض له على مستر جونز ، وذلك حين منحه وسام الهلال من الطبقة الثانية ، وبعد ستة أيام غادر الرجل القسطنطينية إلى انجلترا ، وقد حمله السفير خطابات ومراسلات هامة ، وفي أغسطس سنة ١٨٠٧ منح مستر جونز لقب البارونية(١) ، إما تقديراً لعمله الذي دام ثماني سنوات في بغداد كما اوصى السفير في القسطنطينية التهيؤ لبعثته الجديدة إلى ايران .

الوضع السياسي في العراق بعد اعلان الحرب بين بريطانيا وتركيا في اوربا ١٨٠٧ :

وإذا كنا مانزال نفتقر إلى دلائل على استقلال علي باشا الفعلي عن الباب العالي بشأن معاملته للدول الاجنبية ، فيحسن بنا أن نشير إلى مسلكه في سنة ١٨٠٧ حين نشبت الحرب في اوربا بين بريطانيا العظمى وتركيا . فقد قام الباشا اولا بابلاغ المقيمين في بغداد والبصرة بضرورة مغادرتهما البلاد ، لكنه حين أعمل فكره في الأمر عاد فطلب اليهما البقاء ، ووعد بأن يوفر لهما الحماية الكاملة في شئونهما العامة والخاصة تماماً كما كان الامر في أيام السلم ، وكان هذا المسلك مناقضاً تماماً للمعاملة التي لقيها الفرنسيون عقب قيام الحرب في سنة ١٧٩٨ بين الباب العالي وحكومة

---

(١) وقد سمى نفسه أولا سير هارفورد جونز ، لكنه أخيرا ــ ربما بعد تقاعده ــ اختار لنفسه الاسم المستعار بريدجز .

الديركتوار الفرنسية لكن كلا الرجلين طلبا السماح لهما بعدم البقاء في منصبيهما ، وقد أقر الحاكم العام للهند تصرفهما . . . .

★ ★ ★

الشئون الرسمية البريطانية في العراق التركي
١٨٠٢ ـ ١٨٠٧

مضايقات مستر مانستي ورحلته إلى بومباي غير المصرح بها — ١٨٠٥ — ١٨٠٦ :

ان أصدق مثل للصعوبة القائمة منذ مئات السنين في موضوع التزام موظفي الشركة العاملين في الأماكن البعيدة ،مثل البصرة بأوامر رؤسائهم هو تصرف مستر مانستي في سنة ١٨٠٥ . فهو قبل ذلك سنة ١٨٠٤ ، وكما سبق وأشرنا في مكان آخر ، اتخذ لنفسه ، دون مراجعة رؤسائه صفة سفير خاص في إيران ، وعقب عودته من هناك اعتبره الحاكم العام للهند مسئولا عن كل النفقات التي تكلفتها رحلته . وحين وجد نفسه في سنة ١٨٠٥ عاجزاً عن الوفاء بالتزاماته لدائنيه استصدر سندات على حكومة بومباي بما قيمته ٩٣ الف روبية وفي ظنه أن « الحكومة ستتكرم بسدادها » ، وغادر مقر عمله مرة واحدة إلى بومباي كي يشرح مطلبه هذا تاركاً شئون المقيمية للملازم أ. ه. بيلاسيس ، من مهندسي بومباي ، فوصل اليها دون اعلان في ١٠ إبريل ١٨٠٥ ومضى مباشرة ليشرح مطلبه هذا ومعه مطلب آخر بزيادة دخله من مقيمية البصرة . وكان من رأيه أن المكان الذي يعمل به هو « من أتعس وأسوأ وأكثر أماكن العمل في شركة الهند الشرقية مدعاة للتعب ثم ثبت أيضاً أنه مكان لأي ربح فيه » ، ومضى يقول : « وإذا لم أستطع التفاهم حول الأسس التي تمكنني من العمل بها ، والتي أنا على استعداد لشرحها للحكومة ، والتي على أساسها فقط يمكن لأي موظف ذي كرامة أن يقبلها ، فانني ارجو قبول

استقالتي في الوقت الذي تحددونه ، وإنني لأفضل الهدوء والسلامة الشخصية وراتباً ضئيلا في إحدى المستعمرات البريطانية على هذه السلطة والمكانة والرتبة والمؤسسة الكبيرة .. وكل هذا يضعني في حالة من التعب لا حد لها ، عمل مرهق ، وأخطار كثيرة ، ثم الدمار في نهاية الامر في صحراء العرب .. وإذا لم تقدر خدماتي السابقة بشكل مجز ، وإذا لم تجب طلباتي العادلة هذه ، وإذا لم ارجع مقيماً للبصرة على أساس مريح ومجز .. فانني افضل ان استغل امكاناتي التي استطيع الإعادة بانها يجب ان توضع في الاعتبار ، في بلدي كما كنت من قبل » .

ورفضت الحكومة على أية حال أن تزيد راتب مستر مانستي ، وبصعوبة شديدة ، وبعد ضمانات كافية من طرفه لإعادة المبلغ المستحق عليه ، وافقت الحكومة على سداد قيمة السندات التي اصدرها باسمها .

وفي إبريل سنة ١٨٠٥ صدرت الاوامر لمستر ج. لو ، وكان على وشك الرحيل كمساعد لمستر مانستي ، بأن يتسلم مهام المقيمية كلها من الملازم بيلاسيس ، وتم هذا بالفعل في ٣ يوليو سنة ١٨٠٥ لكنه مات عقب وصوله بمدة قصيرة ، وتولى الملازم ايرول من البحرية الهندية مسئولية المقيمية حتى ١٣ يونيو سنة ١٩٠٦ حين عاد مستر مانستي من الهند وباشر عمله .

تعليمات للمراسلات بين الهند ومقيمي بغداد والبصرة ١٨٠٦ :

وفي يناير ١٨٠٦ قررت حكومة الهند ، بناء على مذكرة مرفوعة لها من حكومة بومباي ، أن يكون المقيمان في بغداد والبصرة خاضعين مباشرة لها ، وألا يتراسل أي منهما مباشرة مع أية سلطة سواها . وربما كان الهدف من هذا الامر هو تأكيد احترام سلم الوظائف : وطاعة الموظفين لرؤسائهم المباشرين ، لكن هناك من الأسباب ما يحملنا على

الاعتقاد بأن هذا الأمر قد الغي بعد بعثة جنرال مالكولم الثانية إلى إيران في سنة ١٨٠٨ حين كان ، وهو مبعوث الحاكم العام في الهند ، مخولا صلاحية الاشراف والسلطة العامة على كل موسسات الشركة في الخليج والعراق التركي معاً .

العوائد والرسوم القنصلية في البصرة ١٨٠٦ :

وتميزت سنة ١٨٠٦ بزيادة كبيرة ومفاجئة في العوائد والرسوم القنصلية التي حصلت عليها شركة الهند الشرقية في البصرة ، لكننا لانعلم يقيناً إن كان سبب الزيادة هو تحسن مستوى الدقة في جمع العوائد أم نمو حجم التجارة ، او مزيج من كلا السببين . فقد بلغ إجمالي العوائد المتحصلة في الفترة من أول مايو ١٧٩١ إلى أول مايو ١٨٠٦ مبلغ ٢٧,٥١٢ روبية فقط ، في حين كان المبلغ الذي حصل في شهر يوليو سنة ١٨٠٦ هو ٤١,٦٦٣ روبية ، وكان متوقعاً تحصيل مبلغ آخر لا يقل عن ٢٠ الف روبية قبل نهاية إبريل من العام التالي . وأضاف مستر مانستي بعد أن اورد هذه الحقائق : « وطالما بقيت أنا مسئولا عن العمل هنا ، فلا بد أن يزيد المتحصل دائماً .. وقد يصل إلى رقم كبير هو ٥٠ الف روبية » . لكن حقيقة شمول فترة بقائه في المقيمية سنوات لم يتجاوز فيها التحصيل مبلغاً زهيداً تشير إلى أن هذه الزيادة كان مرجعها نشاطه في تحصيل العوائد لا أكثر .

مصطفى الرابع ١٨٠٧ ـ ١٨٠٨
ومحمود الثاني ١٨٠٨ ـ ١٨٣٩ (١)

بعد عزل سليم الثالث قام الانكشارية بتنصيب أكبر أبناء السلطان السابق عبد الحميد الأول على العرش باسم مصطفى الرابع ، وظل هذا يحكم تركيا من ٢٩ مايو ١٨٠٧ حتى ٢٨ يوليو ١٨٠٨ حين عزله أنصار السلطان سليم المخلوع ، وفي الساعات الاخيرة من حكم مصطفى رفض سليم أن يرجع إلى العرش ، ولم يبق أمام هؤلاء الذين نجحوا في انقلابهم سوى تعيين محمود شقيق مصطفى والذكر الوحيد الباقي على قيد الحياة من آل عثمان .

وفي الداخل بذل السلطان الجديد ، الذي أصبح يعرف باسم محمود الثاني ، محاولات متعددة للقضاء على سلطة الانكشارية لكنه فشل في البداية . وفي الخارج ظلت تركيا خلال ١٨٠٧ و ١٨٠٨ على عداء لبريطانيا ولكن بعد توقيع معاهدة تيلسيت في ٧ يونيو سنة ١٨٠٧ حين تحالفت فرنسا وروسيا في سبيل القيام بعمل مشترك ضد الامبراطورية العثمانية ، مالت العلاقات بين بريطانيا وتركيا إلى التحسن ، وفي ١٥ يناير ١٨٠٩ ، ورغم الجهود المضنية من جانب فرنسا ، انتهى الخلاف بين الدولتين بتوقيع معاهدة الدردنيل ، واستؤنفت الحرب عند ذاك بين تركيا وروسيا وهي حرب لعبت فيها المشاعر الإسلامية دوراً كبيراً تماماً

(١) ثمة بعض المعلومات الاضافية عن الحالة العامة لتركيا خلال هذه الفترة قد ذكرناها في هامشين للفصل الثامن . والمصادر الرئيسية عن المعلومات المحلية عن العراق التركي هي التلخيص الذي يضم معلومات عن بداية الاتصال بين شركة الهند الشرقية المعظمة وجزيرة العرب التركية . ١٨٧٤ ، وكتاب مستر ج. أ. سالدنها : « تلخيص الاحوال في جزيرة العرب التركية .. ١٨٠١ ـ ١٩٠٥ » المطبوع سنة ١٩٠٥ . والمصادر الاخرى الخاصة بتفاصيل معينة موجودة على هوامش النص . ورواية ريتش عن عمله كمقيم في كردستان ، سنة ١٨٣٦ ، تلقى بعض الضوء على الموقف بشكل عام .

كالحرب الايرانية الروسية في ١٨٢٦–١٨٢٨ ، وظلت العمليات الحربية دائرة بين الدولتين حتى توقيع معاهدة بوخارست في ٢٨ مايو سنة ١٨١٢.

وفي نفس هذا الوقت ، أي في الفترة من ١٨٠٤ إلى ١٨١١ ، كانت الولاية التركية في مصر قد أصبحت تحت حكم مباشر قوي يمارسه محمد علي باشا الذي دبر مذبحة المماليك في مصر وتخلص منهم ، ثم بدأ عملياته ضد الوهابيين لاستيلائهم على الأماكن المقدسة في مكة والمدينة ، وكان هؤلاء قد أصبحوا ، بعد مذبحة كربلاء الرهيبة في سنة ١٨٠١ مصدر خوف وذعر عظيمين على طول حدودهم مع الشام وبين النهرين ، واخيراً اجتاحت القوات المصرية ارضهم في سنة ١٨١٨ على نحو ما هو مبين في تاريخ نجد .

وجاءت سنة ١٨٢٦ بالخلاص من متاعب الانكشارية . فقد طلب اليهم أن يتمرنوا على أداء الاعمال العسكرية على النظم الحديثة ، فرفضوا وتمردوا ثم قضي عليهم ، لكن نفس السنة تميزت بمعاهدة إكرمان المجحفة التي وقعت مع روسيا . وفي ١٨٢٨ بدأت حرب أخرى ضد روسيا استمرت حتى توقيع معاهدة أدرنه في ٢٨ اغسطس ١٨٢٩ .

وفي الفترة من ١٨٢٠ إلى ١٨٢٧ كانت اليونان في نضال متصل من أجل تحقيق استقلالها عن تركيا ، وفي النهاية تدخلت أساطيل بريطانيا وفرنسا وروسيا في صف اليونان واستطاعت أن تدمر الاسطول المصري في موقعة نفارين ، وكان محمد علي قد كلف من قبل الباب العالي بالقضاء على تمرد اليونان .

وكان محمد علي نفسه قد أصبح في ذلك الوقت خطراً على السلطان ، وفي سنة ١٨٣١ بدأ يتحيف من ارض سيده . فاحتلت قواته الشام وآسيا الصغرى فتدخلت بريطانيا وفرنسا وروسيا وتم التوصل إلى اتفاقية بينهما في سنة ١٨٣٣ ، وبعدها بشهرين عقدت معاهدة انكيار سكيليسي التي خلقت بالفعل تحالفاً هجومياً دفاعياً بين روسيا وتركيا ، وجعلت

لروسيا نفوذاً على الباب العالي . وفي ١٨٣٤ تم تطبيق نظام حكم مركزي مبالغ فيه في كل أنحاء الامبراطورية العثمانية ، وأدى هذا النظام إلى شل كل أنظمة الحكم الاقليمية وخلق مساوىء كثيرة لكنها كانت من نوع يختلف عن الاستقلال الاقليمي . وفي سنة ١٨٣٩ تجدد الصراع بين محمد علي والسلطان ، وكان اتجاه محمد علي عدائياً جداً حتى حتم تدخل الدول الاوربية ، بما فيها بريطانيا ، إلى جانب تركيا . ومات السلطان محمود في ١ يوليو سنة ١٨٣٩ قبل أن تصل المسائل شكلها الاخير وحتى قبل أن يعرف أن جيشه وجزءً من أسطوله قد استسلم للمصريين .

★ ★ ★

التاريخ الداخلي في العراق التركي ١٨٠٧ - ١٨٣٩

اغتيال علي باشا حاكم بغداد وتولي سليمان بعده ١٨٠٧ :

في ٨ أغسطس ١٨٠٧ حين لم يمض طويل وقت على تولي السلطان مصطفى الرابع عرش تركيا ، وقعت حادثة اغتيال علي باشا حاكم بغداد وجماعة من أنصاره على يد جماعة من العبيد . ونشر موته «راحة وخلاصاً في الباشوية كلها» ، ولم يأسف عليه ممثلو شركة الهند البريطانية في العراق أكثر مما اسف عليه رعايا تركيا هناك . وكان سليمان الذي عينه الباب العالي خلفاً لعلي باشا هو ابن شقيق سليمان الذي حكم بغداد من ١٧٧٩ إلى ١٨٠٢ . وأثناء عمله كخيا للباشا السابق قام بجهد في حرب ضد الايرانيين سنة ١٨٠٦ ، وأسر فيها ، ولهذا أعطى نفسه حق الزعم بتوليه الباشوية بعد قتل علي باشا .

تمرد سليم آغا متسلم البصرة وطرده من البلاد ١٨١٠ :

وفي سنة ١٨١٠(١) تمرد سليم أغا متسلم البصرة على سليمان باشا لأنه

(١) ربما كان عبدا أعتق - أصلا من جورجيا - له نفس الاسم هو الذى تزوج ابنة سليمان باشا غير الشرعية • وكان رجلا على بعض الذكاء لكنه لم يكن حاكما ناجحاً •

كان يطمع في أن يشغل منصبه ، لكن قبيلة المنتفق — التي كان المتسلم يعتمد على تأييدها وقفت فجأة ضده . وفي ١٤ يوليو احتل رجال المنتفق مدينة البصرة دون اراقة دماء ، وسمحوا لسليم أغا بالخروج مع عائلته وجميع ما يملك إلى بوشهر ، وعين باشا بغداد أحمد بك متسلماً للبصرة بدله ولم تعارض قبيلة المنتفق دخوله إلى المدينة .

عزل سليمان باشا من جانب الباب العالي ١٨١٠ :

وفي نفس السنة ، ولأسباب مجهولة ، قرر الباب العالي عزل سليمان باشا عن حكومة بغداد ، وارسل الباب العالي موفداً خاصاً لتنفيذ هذا الامر ، وكان الباشا مؤيداً من جانب الحاميات المحلية ، لكن الاكراد بقيادة عبدالرحمن باشا الذي أدت خلافاته مع سليمان باشا إلى الحرب مع ايران من قبل ، وقف بقواته في صف المبعوث العثماني . وظلت بداية الصراع مشكوكاً فيها عدة أيام ، ولكن في ٥ أكتوبر دارت معركة حاسمة إلى جوار بغداد ، بدأ القتال فيها خلال الساعات الاولى من بعد الظهر حين هجمت فرقة من الاكراد على قوات الباشا لكن المدفعية نجحت في صدها ، غير أن المدافع الموجودة لم تستطع ان تواصل الضرب بالذخيرة التي لم تكن تناسبها ، ولما كان الاكراد متفوقين في العدد تفوقاً واضحاً فقد بدأوا يهاجمون قوات الباشا واوقعوا بها خسارة ثقيلة حين بدأت الشمس تميل إلى الغروب . وكان بين صفوف الباشا بعض الأكراد اعتمد هذا عليهم اعتماداً كبيراً لكنهم تخلوا عنه في أحرج اللحظات . وفي صباح يوم ٦ وحين وجد سليمان باشا أن معظم أنصاره قد تخلوا عنه فر عن طريق البصرة مع حفنة من عبيده المخلصين ، وحين وصل نهر ديالة آمنا عبره ثم هدم الجسر وراءه ، لكن عدداً من عرب شمر من فرع طوقة ممن كان يمر بأرضهم ، استطاعوا أن يبيدوا جماعته الصغيرة ثم يقتلوه ، واحتزوا رأسه ثم جعلوه فوق سارية مرتفعة ، وحملوها إلى المبعوث التركي الذي أمر أن « يلف بعناية ويرسل — تذكار انتصار — إلى القسطنطينية . »

وقد ظل سليمان باشا على شجاعته التي لا يستطيع أحد انكارها حتى آخر لحظات حياته . وقد اسف على مقتله المستر رينش المقيم البريطاني في بغداد أسفاً كثيراً ، ووصفه بأنه « كان رجلا يجيش بالمشاعر الطيبة ، ويلتزم في عمله بمبادىء جيدة » ، وأضاف : « إن أخطاءه كانت جميعاً ناتجة عن حماسة الشباب ، ولا شك أنها كانت ستعدل وتصحح بتقدم العمر وزيادة الخبر .. » ، وكان سليمان باشا يوم مقتله في الرابعة والعشرين من عمره فقط .

تعيين عبدالله باشا حاكماً لبغداد ١٨١٠ :

ووقع اختيار الناس في بغداد ، خلفاً لسليمان ، على أسد بك بن سليمان باشا الذي حكم هذا الاقليم من ١٧٧٩ إلى ١٨٠٢ وكان وقتذاك في الثامنة عشرة . ووافق الفتى في البداية على تولي الباشوية اذا عرضت عليه ، لكنه لما عرف مصير سلفه بكى وتوسل اليهم الا يشركوه في الحياة العامة على أي نحو ، وهكذا عين الباب العالي رجلا يدعى عبدالله باشا لولاية بغداد ، وربما كان هذا هو عبدالله نفسه الذي كان متسلم البصرة من قبل(١) ، وكان يعيش في منفى اجباري سنة ١٨٠٨ وقت

---

(١) رسم لنا مستر جونز المقيم في بغداد هذه الصورة لعبد الله أغا (كما كان عليها) في سنة ١٨٠٢ : « عبد الله أغا مواطن من أهل بغداد ، وسليل احدى العائلات الكبيرة المحترمة فيها ، وقد عين متسلما للبصرة بعد أن كان خازندارا للباشا ، وقد عمل بالبصرة سنوات طويلة بكفاءة شهد له بها الجميع .. وهو في حوالى الثانية والاربعين من عمره ، فظ غليظ في معاملته الشخصية ، لكنه مفيد وواع في مناقشاته وفي حديثه ، به هذه الميزة النادرة بين مثله من الرجال ، وهى أنه يعرف كيف يتبسط مع جماعته دون أن يفقد ذرة واحدة من هيبته أو وقاره ، وهو كاتب وسياسى وأديب ورجل مال وتجارة . كما كان لديه شيء ينقص الرجال جميعا في مثل هذه البلاد « وهو المعرفة الشاملة الصحيحة لما يجرى بأوربا ، كما كان على المام بقدر من مبادىء الجغرافيا ، وهو المسئول الوحيد الذى التقيت به بين الاتراك يعرف بالضبط ما يجرى خارج بلده ، ويعرف بالضبط ما يجرى خارج =

بعثة سير هارفورد جونز إلى البلاط الايراني . واذا صح هذا فان الباشا الجديد كان رجلا على ذكاء وخلق غير عادي وموالياً للبريطانيين موالاة عملية مباشرة ، وكان اول أعماله هو تعيين ابراهيم أغا بدل أحمد بك متسلماً للبصرة .

حملة عبدالله باشا على كردستان ١٨١٢ :

وكانت أهم الواجبات التي تنتظر عبدالله باشا إخضاع عبدالرحمن باشا الكردي الذي ناصر المبعوث العثماني من أجل أهدافه هو الخاصة في القضاء على سليمان باشا ، والذي تحول الآن إلى الارتباط ارتباطاً وثيقاً بايران ولم يعد يعلن ولاءه للباب العالي . وفي يونيو ١٨١٢ دخل عبدالله باشا كردستان ، واستطاع في يوم ١٨ من نفس الشهر أن يحقق انتصاراً « حاسماً وغير متوقع » على عبدالرحمن باشا ، مما أفسح المجال للامل في خضوع كردستان كلها لباشا بغداد ، وكانت الباشوية تزداد بهذا قوة واحتراماً « قد فقدتهما منذ أكثر من عشر سنين وكانت مهيأة لتصبح أقوى إقليم في الامبراطورية العثمانية كلها » ، ولكن يبدو ان المسألة انتهت بصلح ، مع ايران .

= بلده ، ويعرف العلاقة بين بلده وبين مختلف أقاليم الامبراطورية ، ثم بين هذه جميعا وبين العاصمة ، وهو متحرر من حيث عقيدته الدينية ، ولا يتنازل عن تحرره هذا مهما أرغمته الظروف ، وهو متحرر مع شعبه دون تبذل ، وله القدرة على أن يضع أسس المشروعات الضخمة بحيث لا تزيد نفقاتها عما هو ضروري ، وكان يرتاح بيتلقى المعلومات من أى مصدر ، أو من أى شخص يقدمها اليه ، ولا يقنع أبدا بمعرفة أنصاف الاشياء أو الوقوف عند ظاهرها السطحى ، وأثناء حكمه للبصرة كان حازما ومنصفا وشجاعا ، واشتهر أيضا بتمسكه بكلمته وبانسانيته وعدالته ، وقد اتهم بأنه جاحد لكن عمله في حكم البصرة لم يثبت هذا الاتهام .. وهو أيضا (لمصلحة المقيم في البصرة) يوالى الانجليز ومصالحهم ولاءا تاما ومحددا ، وهو يعتبر — عن حق — أن مصالح هؤلاء — في مثل هذه الاقطار — لا يمكن فصلها عن مصالح الباب العالى .. » .

موت عبدالله باشا على ايدي قبيلة المنتفق ١٨١٣ :

على ان حكم عبد الله باشا ، مهما كانت مزاياه ، لم يستمر طويلا . فقد خرج في بداية سنة ١٨١٣ لقتال شيخ المنتفق الذي كان يهدد البصرة بقوات كبيرة ، لكن معظم قوات الباشا انصرفت عنه ، وهو على مسافة بعيدة من عاصمته ، وانضمت إلى صفوف العدو . وكان ذلك في الاسبوع الأول من فبراير . حينئذ استسلم عبدالله باشا للمنتفق بشرط ضمان سلامته الشخصية ، لكنه قتل غدراً بعد عدة أيام . وازدادت قبيلة المنتفق ، وكان ابرز زعمائها آنذاك الشيخ حميد بن ثامر ، قوة ومنعة بعد انتصارها على باشا بغداد ، وخضع لها ريف الفرات كله حتى السماوة .

وخلف عبدالله باشا سعيد الذي كان في الثانية والعشرين من عمره وقد نادى به قاضي بغداد حاكماً بعد أن تأكد موت عبدالله باشا .

ولا شك في أن ذلك الاختيار ارضى شيخ المنتفق ، لأنه أفصح عن رضاه بسيره في موكب سعيد أثناء دخوله الرسمي إلى العاصمة . في ١٧ مارس سنة ١٨١٣ ، لكن أنباء التصديق على تعين سعيد حاكماً عاماً لبغداد لم تصل من القسطنطينية حتى ٣٠ من يونيو التالي . وقد تميزت فترة حكم سعيد القصيرة بالاضطرابات في بغداد والبصرة جميعاً ، وفي اثنائها اقتحمت جماعة من العرب مدينة البصرة ونهبت القصر واعتدت بالضرب على المتسلم ، وفي النهاية استطاع المتسلم أن يصدهم ويعيد الهدوء إلى المدينة . وفي ٤ نوفمبر ١٨١٦ صدرت الاوامر من القسطنطينية بعزل سعيد باشا وتعيين داود أفندي الذي وصل مؤخراً إلى بغداد .

تولي داود أفندي (١) ١٨١٦ ــ ١٨١٧ :

ولما أن رفض سعيد الخضوع لاوامر الباب العالي ، أصبح على داود أفندي أن يحصل على حقوقه بقوة السلاح ولم يكن نجاحه في هذا سهلا أو

---

(١) لقصة تولى داود باشا وعمله ، انظر : كتاب ستوكلر « الحج في خمسة عشر شهرا .. » ، مجلد ١ ، ص ٤٤ ــ ٥١ .

مباشراً . ففي ٧ يناير ١٨١٧ هاجمه سعيد واستطاع تشتيت القوات الضخمة التي جاءت معه ، ولم تمض فترة قصيرة حتى انفضت معظم قوات سعيد باشا عنه ، وحدث تمرد في بغداد أسهم فيه المماليك بدور كبير ، وهكذا اغتنم داود الفرصة ودخل بغداد ظافراً في ٢١ فبراير واستسلمت له المدينة ، وأعلن نفسه باشا لها ؛ وفي ٢٤ من الشهر نفسه تم إعدام سعيد الباشا السابق الذي حاول ان يتحصن في قلعة بغداد .

ولم يكن الباشا الجديد الذي كان لقبه « باشا بغداد والبصرة وكردستان » ، أقدر من سلفه على إعادة النظام ، فقد شهد منتصف سنة ١٨١٩ خضوع جزء كبير من البلاد لارهاب العصابات المسلحة فقطعت خطوط المواصلات خاصة ما كان منها باتجاه الشمال ، وكادت الحياة التجارية تتوقف تماماً في بغداد . وفي سنة ١٨٢٠(١) وقعت على البصرة سلسلة طويلة ومخيفة من غارات عرب من نجد ، لاخذ الثأر من حرس المتسلم من ناحية ، وشفاء غليل بعض تجار نجد المقيمين في البصرة لأنهم كانوا يعتقدون أن باشا بغداد قد اضطهدهم في شأن بعض الاراضي التي يملكونها ، من الناحية الاخرى .

وفي يوم ١٦ يوليو دخلت جماعة من أهل نجد إلى البصرة ، وحاولت الاستيلاء على سراي الحكومة لكنها فشلت فاكتفى أفرادها بنهب المكان وقتل عدد من الاهالي ثم انسحبوا وقتلوا أثناء انسحابهم قائد فرقة صغيرة من البلوش كانت في طريقها لتعزيز حامية السراي .

---

(١) يبدو أن الملازم أ. ت. ويلسون يشير الى هذه الاضطرابات التى دارت في البصرة في « تلخيص العلاقات .. الخ » ص ١٤ . لكنه يقول - رغم أنه يذكر حاجي يوسف لا حاجي جابر - انها حدثت في وقت لاحق .. أى في سنة ١٨٢٧ ، وحسب ما يقوله الملازم ويلسون ، فان البصرة قد وقعت فعلا بأيدى أهل الزبير ونجد ، وقد أنقذ بنو كعب متسلم البصرة - عزيز أغا - من هذا الخطر ونقلوه الى المحمرة ، ثم قاموا بعد ذلك بمعاونة الاتراك لاسترداد البصرة .

العلاقات الكردية والايرانية ١٨٢, :

وفي صيف ١٨٢١ ارسل داود باشا نائبه إلى موقع جيزيل رباط لمراقبة الاكراد والايرانين لكن الأكراد استطاعوا أن يوقعوا به الهزيمة . وحين علم الباشا بهذا الامر أمر بالقاء كل كبار الايرانيين المقيمين ببغداد في السجن قاصداً مصادرة اموالهم وسارت قوات الباشا من جورجيين إلى كربلاء والنجف ليثبتوا أنهم اذا كانوا لا يجيدون القتال فهم يجيدون السلب والنهب » ، وفي نفس الوقت تقريباً اجتاحت الكوليرا بغداد وقضت على عدة آلاف من أهلها .

المنتفـــق :

أما بالنسبة لقبيلة المنتفق ، التي كانت معارضتها هي السبب في القضاء على الباشا السابق ، فقد طبق داود باشا عليهم سياسة فرق تسد ونجح في ذلك ، فاستطاع أن يختلق منافساً للشيخ حميد بن ثامر شيخ المنتفق في شخص أحد ابناء إخوته ويدعى عجيل . ودارت الحرب الاهلية بين الغريمين زمناً طويلا مما جعل القبيلة كلها مشلولة عن القيام بأي عمل موحد ، وظلت كذلك عدة سنين .

عزل داود باشا ، والادارة في عهده ١٨٣١ :

وفي سنة ١٨٣١ عزل الباب العالي داود باشا بسبب اعدامه أفراد بعثة اوفدت اليه من حكومة القسطنطينية ، وعين حاجي علي رضا باشا ، وهو الذي عرف باسم محمد علي باشا أو علي باشا فقط ، مكانه في حكم بغداد ، وحاول عجيل شيخ المنتفق الذي شجعه داود على التمرد على عمه شيخ القبيلة أن يقوم بمحاولة لتأييد سيده ، فاستعان ببني كعب وبأهل الكويت ، وحاصرت اساطيلهم البصرة وأحدثت بها فزعاً واضحاً ، لكن هذه المظاهرات جميعاً لم تستطع أن تؤثر على مجرى الأحداث في بغداد ، ولو كان داود باشا على قدر من القوة لرفض امر عزله ، وهو بالفعل استطاع أن يصمد عدة أيام بعد أن حاصر أعداؤه بغداد . لكنه

أخيراً التمس ملجأ له في بيت محمد أغا الذي اعتبره اسير حرب ، لكنه لم يقتله ، بل ارسله إلى القسطنطينية .

وقد أثبت داود باشا في اوائل حكمه كفاية في الحكم والإدارة ، ولكن سرعان ما اتضح أن هدفه الوحيد هو جمع المال ، وكان من المعتقد أنه لا يهتم بشيء آخر حتى إنه ترك كثيراً من الامور لمستشاريه يسيرونها وأنه لم يحاول مرة واحدة ردع المخربين والجشعين من معاونية .. كان هذا على الاقل هو رأي مستر رينش(١) الوكيل السياسي البريطاني الذي سلك نحوه في بداية حكمه مسلكاً غير مقبول ، غير أن الاضطرابات التي حدثت في عهده كانت أقل مما حدث في عهد من سبقه ومن خلفه على السواء ، وكانت تحت امرة الباشا قوات نظامية قوامها ثلاثة آلاف من الفرسان ، وخمسة آلاف من المشاة ، وبعض المدفعية ، وكان هذا كافياً لحفظ الامن والنظام بشكل عام .

تولي حاجي علي رضا باشا ١٨٣١ :

ويقال ان الباشا الجديد كان اول باشا تركي يحكم بغداد منحدراً فعلا من أصل تركي . وكان تعيينه إشارة لبدء نظام جديد . فقد كانت مهمته الاولى القضاء على نفوذ تلك العائلات الجيورجية التي كانت تحكم بغداد ، وأن يجعل قبائل العرب تحت الحكم المباشر بدل حكمهم من خلال زعمائهم ، كما كان من المفهوم أنه مكلف بادخال بعض الاصلاحات من أجل فائدة رعايا السلطان المحبين للسلام . وقد تمت هذه التجربة ، مهما كانت طبيعتها ، على نطاق كبير ، لان الموصل وديار بكر ،

---

(١) في سنة ١٨٢١ ــ وبعد رحيل ريش نهائيا عن بغداد ــ كتب يقول : « كل شيء مختلط هنا تسوده الفوضى ، ويبدو أن الحرب مع ايران لا مناص منها ، فالقوات الايرانية تنهب كل شيء ، وتوقع المهانة بكل انسان ، والاسواق كاسدة لا حياة فيها ، والباشا يلقى القبض على كل من يستطيع أن ينتزع منه المال ، وكل من يستطيع الفرار يترك المدينة الى أى اتجاه » · « انظر رواية مستر ريتش لمقيميه كردستان » مجلد ٢ ص ٢٥٥ ــ ٢٦٦ ·

بل وحتى حلب ، قد أصبحت الآن تابعة لبغداد ، وكان الباشا الجديد ، وهو بالفعل وزير من وزراء الامبراطورية العثمانية ، قد أنعم عليه بلقب « الخليفة » تجديداً لذكرى الخلافة القديمة في بغداد .

ولم يكن الوقت الذي وصل فيه حاجي علي رضا بالوقت المناسب على أية حال ، فلم تكن البلاد قط في حالة اسوأ مما هي عليه ، وكانت بعض الأقاليم حزينة تماماً بسبب ما تعرضت له خلال حكم الباشوات السابقين عليه ، او نتيجة الكوارث الطبيعية كالأوبئة(١) والفيضانات ، وكانت البصرة بالذات قد فقدت معظم سكانها خلال ١٨٣١–١٨٣٢ على حين زاد عدد السكان في مدن المحمرة والكويت على حسابها .

وكان اول إجراءات الحكومة الجديدة متسماً بالفهم والإنصاف . فعفا الباشا عن بعض الذين كان متوقعاً ان يعدمهم ، وعين محمد أفندي كبيراً لمستشاريه ، وهو رجل معروف بحسن الخلق وطيب السمعة ، وكان يتفقد أحياء بغداد كل يوم على قدميه وسط جماعة صغيرة من رجاله ، وكان مسلكه ومسلك ضباطه متسماً بالاعتدال والتحرر من الجمود والتعصب .

لكن السياسة الجديدة نحو القبائل سرعان ما اثبتت فشلها ، وفي خلال عدة سنين أصبحت الإدارة في أحط درجة من درجات التفكك كما سنرى ، ويلخص لنا الرحالة مستر ج. ب. فريزر في سنة ١٨٣٤ خلق الباشا على النحو التالي :

« وعلي الباشا الحاكم الحالي كان حاكم حلب من قبل ، وهو الذي خلف داود باشا على بغداد ، وهو في حوالي الخمسين من عمره ،

---

(١) يصف « ويلستيد » الطاعون الذى أصاب بغداد سنة ١٨٢١ في كتابه : « رحلة الى مدينة الخلفاء ·· » المجلد ١ ، ص ٢٨٠ – ٢٨٩ ·· ، ويذكر لوفتس في كتابه « رحلة وابحاث ·· » ص ٧ – ٨ ، هذا الطاعون فيقول انه قضى على ١٢ ألف نسمة من عدد سكان بغداد البالغ ٧٠ ألفا ، ويذكر أيضا ان النهر قد فاض على أسوار المدينة ، فجرف في ليلة واحدة أكثر من سبعة آلاف بيت ·

ضعيف العقل معتل الحكم ، وهو لا يستقر على شيء حتى أصبحت كلمته لا يوثق بها لساعة واحدة ، وهو رجل أناني ومنحرف إلى أبعد الحدود ، نهم جشع ، ولا يهتم أقل اهتمام بالطريقة التي يجمع بها الاموال ؛ وهو ليس بطبيعته ميالا الى القسوة او الظلم ، لكنل لا يستطيع أن يتحمل متاعب العمل وأعباءه ، لهذا تراه يفضل إصدار الحكم في أية جريمة ترتكب اعتباطاً دون ان يكلف نفسه عناء دراستها وإصدار الحكم الصحيح فيها . كذلك هو ضعيف أيضاً من حيث شجاعته الخلقية وقدرته على اتخاذ القرارات حتى إنه لا يستطيع تحمل أعباء العمل في الازمات والمواقف الحرجة التي يجد نفسه مقحماً فيها ، والتي تتطلب حزماً وصراحة يفتقر اليهما . أما الشيء الوحيد الذي يمكن أن يشهد له به فهو سماحته الطبيعية ، وقدر من التذوق الادبي والفني ربما كان يساعده في حياته الخاصة لا في حياة عامة يتحمل فيها أعباء العمل ومشاقه .

ولسوء الحظ لم تكن نقاط الضعف هذه في خلق الباشا تجد تعويضاً لها في مواهب رجاله وخدمه . فلم يكن فيمن حوله جميعاً رجل واحد يمكن أن يفيد سيده أو يفيد الصالح العام . أما ضباطه الذين كانوا على هذه المقدرة فكانوا ماتوا بالطاعون او اغتيلوا ، ومعاونو سلفه ظلوا بعيدين ، بدافعي السياسة والخوف ، من الاشتراك في أية مسئولية ، وكل مؤسساته العامة والخاصة باتت على أسوأ درجة من درجات الانحطاط » .

وكان من أهم المصاعب التي لا بد لحاجي باشا من مجابهتها القبائل العربية الكبيرة في الاقاليم المجاورة لبغداد والتي كانت متلهفة للحصول على ارض صالحة للزراعة .

اضطراب بين قبيلة الجربا بالقرب من بغداد ١٨٣٢ــ١٨٣٤ :

وفي سنة ١٨٣١ راح أهل قبيلة الجربا ، او شمر الشمالية ، الذين كانوا قد حصلوا بالفعل على امتياز بأجود الاراضي وأخصبها على قناة دجيل وفي الجزيرة يسعون في امتيازات جديدة ، ورفض الباشا

مطالبهم ، ورأى ان السياسة تقتضيه أن يدخل الانقسام بينهم وذلك بأن يضع شاباً موالياً له بدل شيخهم صفوق ، وأن يمنح هذا الشاب وأنصاره الأرض التي كانت تمتلكها القبيلة بأكملها . حينذاك انسحب صفوق ومعظم رجال القبيلة إلى الشمال حيث تحالفوا مع غيرهم من المتمردين ضد الباشا في إقليم الموصل .

وفي سنة ١٨٣٣ عاد صفوق وأنصاره إلى الظهور بالقرب من بغداد، واستطاعوا أن يعملوا السلب والنهب في الريف دون ان يعترضهم معترض ، لا الشيخ الجديد ولا باشا بغداد ، وبعدها قاموا بحصار المدينة وبعد شهرين أرهقهم الحصار فتراجعوا إلى الشمال مهددين بالعودة له في العام التالي .

وخاف علي باشا من التعرض لهذا الغزو السنوي فاستنجد بقبيلة عنيزه القوية في صحراء العرب الشمالية واعداً اياهم بأن يقطعهم الاراضي التي كانت لقبيلة الجربا إذا تعاونوا معه ، ووافق رجال عنيزة على ذلك واستطاعوا أن يجمعوا قوات ضخمة في إقليم بغداد . وفي ذلك الوقت أصبح معروفاً أن صفوق قد تخلى عن فكرة العودة إلى بغداد ، وظن الباشا أنه يستطيع العدول عن الصفقة التي عقدها مع أهل عنيزة ، لكن هؤلاء أصروا على ضرورة تسليمهم الأراضي التي تم الاتفاق عليها ، وأضافوا إلى ذلك مطالبتهم بأن تمنح لهم كل الأراضي غرب الفرات ، واستنجد الباشا ، الذي لم يكن مستعداً لإجابة أي من مطالبهم ، بالجزء الموالي له من قبيلة الجربا للخلاص من قبيلة عنيزة ، وفي أكتوبر ١٨٣٤ حدثت هذه المحاولة المشتركة لكنها منيت بفشل ذريع ، وفقد أهل الجزيرة كثيرين من رجالهم . وحاصرت عنيزة مدينة بغداد من الغرب على حين راح جانب من رجالهم يجوب الريف المجاور ويعمل السلب والنهب في الرحالة والقوافل .

مشاكل مع قبيلة عقيل في بغداد ١٨٣٤ :

وفي نفس الوقت حدث خلاف مع قبيلة عقيل التي كانت ، حوالي سنة ١٨٣٢ مقيمة في قسم بغداد الواقع على الضفة اليمنى لدجلة ، وفي هذه السنة هدد أفراد القبيلة بنهب قافلة ضخمة كانت في حمايتهم . وبهذا التهديد استطاعوا أن يحصلوا على الإذن الذي لم يكونوا حصلوا عليه حتى ذلك الحين بالإقامة داخل أسوار المدينة . ويجب أن نشير هنا إلى أن أفراد قبيلة عقيل يمتون بصلة القرابة إلى أهل نجد في وسط الجزيرة ، وكان عملهم الوحيد هو حماية وارشاد القوافل المسافرة بين بغداد وحلب أو دمشق ، وكان عدد من يتجمع منهم في بغداد يصل أحياناً عدة آلاف وحين حصل هؤلاء على الإذن بالإقامة في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة أصبحوا هم سادته المطلقين ، فأنكروا سلطة الباشا ، وراحوا يعبثون في مكانهم ذلك من المدينة وعبثاً ارغمهم معظم السكان المقيمين به على الفرار منه إلى أحياء أخرى .

وفي سنة ١٨٣٤ قرر الباشا أن وجود بني عقيل داخل أسوار المدينة لم يعدأمراً محتملا لا سيما بعد وقوع حادثة سرقة لجماعة من ضباطه بالقرب من بغداد ثبت أن أفراداً من قبيلة عقيل هم الذين ارتكبوها ، فطلب من شيخ عقيل وقبيلته هجر المدينة مهدداً إياهم بالهجوم عليهم وطردهم بالقوة ، وطلب الشيخ الحصول على ضمان من أن هجوماً لن يحدث عليه خارج اسوار المدينة من جانب قوات الباشا او حلفائه العرب ، بعد أن كان بالفعل قد استدعى شيخ قبيلة زبيد سليمان غانم وهو عدو معروف لشيخ عقيل لمساعدته فر فض ان يقدم للعقيلي الضمان الذي طلبه وذهب الشيخ الى السراي مستعطفاً . وحين كان بداخل القصر سرت اشاعة بأنه قتل ، وهرع اهل القبيلة إلى السلاح ، وقطعوا جسر القوارب ، وقاموا بهجمات في وقت واحد على مختلف أحياء المدينة على الضفة اليسرى حيث كان السراي ، وعلى فرقة من جنود الباشا بقيادة الكخيا الذي كان معسكراً خارج الأسوار على نفس الضفة من النهر ، وصرف

الباشا شيخ عقيل محملا بالهدايا وأذن له بالخروج من المدينة ، وارسل في نفس الوقت إمدادات إلى الكخيا الذي كان قد خسر أحد مدافعه أثناء هجمة العرب الاولى عليه لكنه استرده بعد ذلك ، وكان رجاله يطاردون بني عقيل حتى ديارهم ، وظل القتال دائراً داخل بوابة الحلة ، وانتهى دون ان تعرف نتائجه بعد ذلك ، لكن كفة الباشا رجحت فجأة حين وصلت إمدادات من الذخيرة والسلاح سالمة من ضفة النهر اليسرى إلى اليمنى ، كذلك تقدم عدد من جنود الالبان من قنطرة القوارب التي قطعت واستطاعوا إصلاحها ، وتحصن أهل عقيل في بيوتهم حتى الصباح التالي ، حين سمح لهم بالخروج من بغداد كمحاربين ، وانحاز بعضهم إلى قبيلة عنيزة المتمردة ، وكان يقال إنهم كانوا على اتصال سري بها وانحاز بعضهم الآخر إلى قبيلة الجربة من شمر ، لكن أياً من القبيلتين لم تساعدهم على استرداد مساكنهم في بغداد ، وهو ما كانوا يتلهفون لاستعادته . واجتاح جند الباشا مساكن المدينة على الجانب الجنوبي الغربي من النهر ، وكان الضحايا في هذا كله هم سكان هذا الحي من غير بني عقيل اللذين قتل منهم عدة أفراد .

وبقي على الباشا لكي يسوي أموره مع شيخ قبيلة زبيدة والشيخ سليمان غانم اللذين استعان بهما ولم يعد الآن بحاجة إلى خدماتهما .

ولا نعرف على التحديد كيف انتهت المشكلات التي اثارتها قبيلتا عنيزه وعقيل ، لكن انقساماً في سنة ١٨٣٤حدث بين فروع القبيلة أدى إلى منع حصارهم للمدينة .

الحالة في باشوية بغداد سنة ١٨٣٤ :

ووصلت الإدارة في باشوية بغداد خلال سنة ١٨٣٤ حداً مؤسفاً من الفوضى ، فقد كان أصحاب الحرف — كما يذكر مستر ج. ب. فريزر لا سيما المشتغلين منهم بالزراعة معرضين للاضطهاد الدائم من جانب المسئولين وللغارات من جانب قبائل العرب حتى انكمشت أعمالهم

إلى الحد الادنى ، وراحوا يقارنون بحسرة بين ما أصبحوا عليه ، وما كانوا عليه من قبل في عهد سليمان باشا — من ١٧٧٩ إلى ١٨٠٢ . أو حتى في عهد داود باشا ، وقد ضاع نصف العوائد التي حصلت من مدينتي البصرة وبغداد ، بسبب فساد الجباة . وكان المسئولون يسيطرون على الطرق الهامة في البلاد باسم «التمليك» أي أن يدفع كل من يجتازه ضريبة معينة كان للمسئول حوالي الثلثين منها . وكانت حالة الفوضى في البلاد تعوق التجارة كما تعوق الزراعة ، ولم تكن العوائد محددة ، بل كان الجباة يتجايلون لزيادتها بمختلف الوسائل . وقد عهد بجمع ضرائب أنواع معينة من السلع إلى أناس ملتزمين ثبتت عليهم السرقات والاختلاسات غير مرة ، وأصبحت القوافل الصغيرة لا تجروء على الخروج إلى الطرق الصحراوية ، وكان الطريق الوحيد الآمن هو شط العرب أسفل البصرة ، وكان مشايخ العرب على ضفتيه يفرضون الضرائب الباهظة على القوارب التي تمر به . لكن مستر فريزر كان يلقي معظم اللوم في هذه الحالة السيئة على نظام الحكم أكثر من إلقائه على الباشا الحاكم نفسه ، الذي وصفه « بأنه رجل مستنير ومتحرر في آرائه بعض الشيء » . وبلغ العائد السنوي لباشوية بغداد فقط — أي الأقاليم التابعة لمدن بغداد والبصرة — على ما يذكر مستر فريزر — مبلغ ١٧,٠٣٠ جنيهاً انجليزياً ، وأضاف يقول إنها لو كانت تحت إدارة حازمة لأمكن أن يرتفع هذا العائد إلى ١,٣٨٩,٣٣٧ جنيهاً انجليزياً كل سنة . وقد قدر مستر فريزر الواردات الاوربية التي كانت تأتي إلى بغداد عن طريق حلب ودمشق — والتي لم تعد القوافل تستطيع أن تقطع الطريق اليها — بحوالي ربع مليون جنيه استرليني سنوياً .

علاقة العراق التركي بايران ١٨٠٧ ـ ١٨٣٩

الحروب مع ايران ١٨٠٦ ، ١٨٢١ – ١٨٢٣ :

أشرنا في الجزء الخاص بالساحل الايراني إلى الحربين اللتين دارتا مع الايرانيين على الجبهة الكردية من وجهة نظر ايران . ويقول مصدر آخر لم نورده في ذلك الفصل إن سوء معاملة الحجاج الايرانيين في الارض التركية هي التي سببت حرب ١٨٢١–١٨٢٣ التي انتهت بسبب انتشار الكوليرا دون تحقيق انتصار حاسم للايرانيين . وقد حددت الحدود الفاصلة بين ايران وتركيا عقب الحرب الثانية بمعاهدة ارضروم الاولى (٢٨ يوليو ١٨٢٣) التي أعادت ما سبق تجديده بهذا الصدد في سنة ١٦٣٩ ، كما سوت بعض المشكلات الخاصة بالحج والتجارة .

استيلاء الاتراك على المحمرة ثم جلاؤهم عنها ١٨٣٧ :

وفي ١٨٣٧ قام علي رضا باشا حاكم بغداد بحملة على المحمرة ، وكانت دوافعه لذلك هي الخسارة التي أصابت ميناء البصرة بسبب وجود ميناء حر في المحمرة ، ثم الخلاف القائم بين الشيخ محيسن شيخ المحمرة ونصيره شيخ كعب في الفلاحية . ويقال(١) إنه استولى على المدينة عنوة وأمر بنهب المخزون من البضائع في أسواقها وبتسوية أسوارها بالارض وانتزاع المدافع المقامة عليها ، ويقال أيضاً إن الباشا قام بمناورة ضد الفلاحية أدت إلى فرار شيخ كعب إلى الكويت ، وإنه قد عين شيخين جعلهما مسئولين عن القبيلة باسم تركيا وإن شيخ كعب السابق قد عاد بنفسه ، فأتم إلغاء تلك الإجراءات حيث وقع مع باشا بغداد « اتفاقية

---

(١) المرجع الرئيسي لهذه الاحداث هو كتاب سير هـ. راولينسون في « مذكرته .. » عن قبيلة كعب والمحمرة ، ١٧٤٤ . ولكن يبدو من الدلائل الداخلية التي يمكن الاعتماد عليها انه قد استقى روايته من مصادر تركية . ولا شك بطبيعة الحال في أن الاتراك قد استولوا على المحمرة سنة ١٨٧٣ .

يضمن بها بقاءه في المشيخة ، ويعلن ولاء قبيلته للبصرة » . غير أن الشيخ محيسن بدلا من الخضوع للاتراك آثر شق طريقه إلى بوشهر حيث طلب هناك من الحكومة الايرانية بالحاح شديد أن تبذل الجهود لاسترجاع المحمرة باسم إيران ، لكنه يئس من المسئولين الايرانيين فرجع إلى المحمرة ساخطاً بعد أن جلا الاتراك عنها ، واستأنف استيلاءه على المدينة ، رافضاً سلطة كل من شيخ كعب ووالي بغداد على السواء .

★ ★ ★

علاقات العراق التركي بالبلاد الاخرى في الخليج ١٨٠٧ ـ ١٨٣٩

سلطان عمان يحاصر البصرة :

كما ذكرنا في تاريخ سلطنة عمان ، فقد سار سلطان عمان في سنة ١٨٢٦ ليحصل بالقوة على متأخرات استحقاقات من السلطات التركية الناشئة من العون الذي قدمه ابوه أثناء حصار البصرة ، وقام هو أيضاً بحصار البصرة من البحر ، وبلغت قيمة المتأخرات التي كان يطالب بها حوالي ١٠ آلاف جنيه انجليزي . واستمر الحصار من أغسطس إلى نوفمبر ١٨٢٦ وكانت نتيجته رضوخ الباشا لمطالب سلطان عمان ، وكان السلطان قد فكر في فرض الحصار سنة ١٨٢٥ غير أن تهديدات محمد علي باشا والي مصر منعته من القيام بذلك .

★ ★ ★

علاقات بريطانيا بالعراق التركي ١٨٠٧ ـ ١٨٣٩

العلاقات الطيبة رغم الحرب بين انجلترا وتركيا ١٨٠٧ـ١٨٣٩ :

كانت بريطانيا في بداية هذه الفترة ، والى مدى عامين مشتبكة في حرب ضد تركيا في اوربا ، أما في العراق التركي فان موقف الباشا الحصيف الذي كان سيخسر كثيراً من الوجهة التجارية لو أنه قاطع شركة الهند الشرقية ، قد ترك الامور قائمة بينه وبينها على أساس الود والصداقة ، كما استمر تبادل المكاتبات الودية بين حكومتي بومباي وبغداد في مناسبات معينة ، ونحن نعرف على سبيل المثال أن البراءة القنصلية التي كانت صدرت في سنة ١٨٦٤ قد جددها الباب العالي باسم مستر ما نستي المقيم البريطاني في البصرة خلال تلك الظروف .

ومن هذه الحقيقة نستطيع أن نستنتج أن الرغبة في الحصول على الاعتراف بالمكانة القنصلية للمقيمين الجديدين في بغداد والبصرة كانت دائماً هدفاً نصب أعين المسئولين الانجليز ، وقبل سنة ١٨٠٨ لم يكن المسئولون في حكومة بومباي ، على ما يبدو ، يعرفون نصوص البراءة القنصلية لسنة ١٨٦٤ رغم علمهم بوجودها . وفي سنة ١٨٠٨ انسحب إلى البصرة كابتن باسلي الذي كان جنرال مالكولم جعله لدى سفره إلى الهند مسئولا عن بعثة الهند إلى إيران وذلك حين رأى سلامته الشخصية مهددة في بوشهر .

وفي مارس سنة ١٨٠٨ وصل خطاب رسمي من مستر مانستي المقيم في البصرة إلى دكتور هاين ، المقيم العام في بغداد ، عن الطريق المعتاد بوساطة متسلم البصرة ، وقرىء أمام باشا بغداد ، وقد أثار هذا العمل احتجاجاً حاراً من جانب مستر مانستي ، وأمرت حكومة بومباي برفع المسألة إلى الجنرال مالكولم(١) الذي جعلته حكومة الهند ، أثناء سفارته

(١) كان جنرال مالكولم معتمدا أيضا لدى باشا بغداد ، غير أنه لم يجد الفرصة ملائمة ـ في هذه المناسبة ـ لزيارته .

الثانية إلى البلاط الايراني ، مسئولا عن كل موظفيها ومنشآتها في الخليج ، ولكن لما كان الباشا قد وعد مستر مانستي بألا يتكرر مثل ذلك العمل في المستقبل ، وأفصح في نفس الوقت عن دهشته للتعبيرات الغاضبة التي استخدمها مستر مانستي في خطابه ، فقد اعتبر الموضوع منتهياً .

نشوء مشكلات بين سليمان باشا والمقيم ببغداد ثم تسويتها ١٨٠٩ — ١٨١٠ :

وفي سنة ١٨٠٩ لاحظ مستر رينش المقيم البريطاني في بغداد أن الباشا لا يعامله بالاحترام اللازم ، بل إنه كان أميل إلى تجاهله ، فقام بابلاغ الامر إلى حكومة بومباي ، وفي نفس الوقت انسحب إلى مكان قريب من بغداد حين ظلت العلاقات على توترها ، وبعد أن تلقى سليمان باشا خطاباً حازماً وإن كان ودياً من مستر دنكان حاكم بومباي أبلغ مستر رينش أنه يرغب في التفاهم معه وتسوية الامور بينهما ، وقد أعلن في رسالة إلى مستر رينش مؤرخة في ٢٥ يناير سنة ١٨١٠ « أن كل السلطات لا تستطيع أن تتدخل فيما يجري بالمقيمية ، من احتفالات ، خاصة قرع الطبول ، والاحتفال بعيد ميلاد الملك » كما تعهد أيضاً بأن يلتزم بالعرف السائد في عدم منع المقيم من تبادل الزيارات ، كذلك جرى الاتفاق على أن يتولى نقل الرسائل بين الباشا والمقيم وكلاء محترمون موثوق بهم ، كما اتفق على أنه لو حدث خلاف في فهم أي نص من نصوص ذلك الاتفاق فانه يجب تفسير الشك لصالح فهم المقيم خاصة في شئون الاحتفالات. وتشير نصوص هذه الاتفاقية التي لخصناها بوضوح إلى طبيعة الخلاف الذي كان قائماً . وقد حمل الخطاب الرسمي الذي يضم هذه الاتفاقية إلى مستر ريتش في منزله الذي انسحب اليه الضابط الثاني من ضباط حاشية الملك مصطحباً معه قوات قوامها مائتا جندي عادت بالمقيم إلى بغداد وسط مظاهر الحفاوة والتكريم . وفي ٢٧ يناير ١٨١٠ قام مستر رينش « بزيارة احتفالية عامة » للباشا تلقى بعدها هدية فرساً مسرجاً ، وعومل هو ود كتور هاين وباقي العاملين في المقيمية بالود

والتكريم . وكان المقيم العام يرى أن هذه الاتفاقية مرضية جداً ، وظل الباشا حريصاً على الالتزام بها طوال الفترة القصيرة التي قضاها في الباشوية فيما بعد .

مقتل الملازم فوثرنجهام والكابتن جرانت ١٨١٠ :

وفي ربيع سنة ١٨١٠ ارسل جنرال مالكولم ، أثناء سفارته الثالثة والاخيرة من حاكم عام الهند إلى شاه ايران ، الملازم فوثرنجهام والكابتن جرانت في مهمة استكشافية لأراضي الريف الواقع بين بغداد وأصفهان ، لكنهما نهبا وقتلا على يد كلب علي خان ، وهو زعيم من اللور كان متمرداً على الشاه وملتجئاً لحماية قبيلة بني لام العربية في العراق التركي ، وكان الخان قد سمع بأن هذين الرجلين يحملان معهما كمية كبيرة من العملات الذهبية ، ويبدو ان هذا لم يكن صحيحاً ، فأمر بعض أنصاره بمباغتتهما على الضفة اليمنى لمجرى مائي يسمي شانجولاك(١) ، وقتل الكابتن جرانت في هذه الهجمة ، واحتفظ المهاجمون بالملازم فوثر نجهام وبعض الخدم الارمن أحياء عدة أيام ، ثم أمروا باعدامهم أيضاً حتى لا يرشدوا اليهم ، ونظراً لانكماش سيطرة كل من السلطات الايرانية والتركية في منطقة الحدود التي ارتكبت بها هذه الجريمة فقد كان من المستحيل إيقاع العقاب بالجناة .

عودة جنرال مالكولم من رحلته الثالثة لايران عن طريق العراق التركي ١٨١٠ :

أما جنرال مالكولم فقد رجع من سفارته الثالثة بايران من تبريز إلى الخليج عن طريق كرمانشاه فبغداد ثم البصرة ووصل بغداد في ٢٠ سبتمبر سنة ١٨١٠ ، وهناك استضافه ومن معه مستر رينش المقيم

---

(١) انظر تقرير الكابتن د. ل. ر. لوريمر عن « بوشتيكوه » ١٩١٩ ، ص ٨ ـ ٩ .

البريطاني وزوجته مدام رينش(٢) . وخلال الفترة القصيرة التي قضتها البعثة في بغداد هاجم بعض اللصوص العرب أحد العاملين بالمقيمية وانتزعوا منه مبلغ ٥٠٠ قرش من أموال الحكومة ، وخرج جنرال مالكولم ببزته الرسمية وحرسه يطارد اللصوص فاستطاع ان يمسك بأربعة منهم ، وفر الخامس ، وكان مع الجناة خيولهم واسلحتهم وقسم من المسروقات ، وقد أمسك بهم بعد مطاردة عنيفة لمسافة تزيد على الميلين ، وظل جنرال مالكولم عدة أيام كي يقوم حرسه الخاص بحماية المقيمية البريطانية أثناء الاضطرابات التي كانت دائرة وقتذاك والتي انتهت بعزل سليمان باشا ثم قتله ، وفي يوم ٥ أكتوبر وفيما كان الصراع يحتدم بكل عنفوانه كان معسكر البعثة قد اتخذ كل الاحتياطات العسكرية للدفاع عن نفسه وعمن فيه ، وفي مساء اليوم نفسه لجأ اليه ديوان أفندي وهو أحد أنصار الحاكم المهزوم ، وكان سليمان باشا قد طلب من المقيم مستر رينش أن يمده بقوات من حرس جنرال مالكولم .. لكنه لم يكن بمقدور المقيم تنفيذ ذلك الطلب بطبيعة الحال .

وفي يوم ٢٥ أكتوبر وصل جنرال مالكولم وجماعته إلى البصرة حيث استقبلهم مستر مانستي ، المقيم السابق فيها الموقوف آنذاك عن عمله ، وفي يوم ٢٩ أبحروا جميعاً على ظهر سفينة شركة الهند الشرقية « تيرينيت » إلى بوشهر ومنها إلى الهند .

العلاقات الودية بعبدالله باشا ١٨١٠ – ١٨١٣ :

ويبدو أن علاقات بريطانيا بعبدالله باشا ظلت خلال فترة حكمه القصيرة مرضية تماماً . فقد أفصح الباشا بنفسه بمجرد توليه الباشوية عن رغبته في قيام علاقات ودية وثيقة بالبريطانيين ورد عليه المستر دونكان حاكم بومباي رداً مناسباً .

امتيازات جديدة من باشا بغداد ١٨١٢ :

وفي مايو أو يونيو من سنة ١٨١٢ نجح مستر رينش المقيم ببغداد في الحصول على بعض الامتيازات الهامة بصدد اوامر متسلم البصرة . فقد

أصدر باشا بغداد اوامره للمتسلم بأن يسلم إلى وكيل المقيم العام في البصرة كل البحارة والجنود والعاملين على السفن البريطانية الذين يهربون من السفن التي يعملون عليها ، ويلجأون إلى حماية المتسلم نفسه او الباشا القبطان . وكان الامتياز الثاني يقضي بأن يسلم إلى وكيل المقيم البريطاني سائر الرعايا البريطانيين الذين تجلبهم السفن المحلية أو سفن مسقط إلى البصرة كي يباعوا في اسواقها كعبيد وإماء ولكن لا شك في أن هذه الامتيازات ظلت فترة قصيرة موقوفة عن التنفيذ .

بداية العلاقات بداود باشا ١٨١٧ — ١٨١٩ :

وحين عين داود باشا على باشوية بغداد بادر إلى الاتصال بمستر رينش الوكيل السياسي البريطاني فيها وأبلغه النبأ ودعاه لتهنئته ، لكن مستر رينش ، الذي كان يشك في شرعية الطريقة التي استولى بها داود باشا على السلطة تباطأ في إجابة تلك الدعوة . ولكن حين استطاع داود باشا التغلب على منافسيه جميعاً ارسل اليه الوكيل البريطاني خطاباً مناسباً أشار فيه إلى « الصداقة الخاصة والحميمة » التي تربط بين الطرفين من قديم ، وبعدها تتابعت رسائل التهنئة بين باشا بغداد وسير ايفان ينبون حاكم بومباي . وفي منتصف ١٨١٩ عكرت سحابة عابرة صفو التفاهم بين داود باشا ومستر رينش ، وشكا هذا أخيراً من حدوث هجوم في أثناء الفوضى التي بدأت تشتد على مبعوث لشركة الهند الشرقية كان يحمل رسائل هامة من وكيل الشركة في القسطنطينيه فضاعت منه .

موقف مساعد الوكيل السياسي من الاضطراب الذي احدثه النجديون بالبصرة ١٨٢٠ :

وفي سنة ١٨٢٠ حين قام بعض الأعراب من نجد بهجمات متعددة على البصرة بتحريض من التجار النجديين المقيمين بها أصدرت حكومة الهند اوامرها لكابتن تيلور ، مساعد الوكيل السياسي في البصرة، بأن يلتزم جانب الحياد التام بين السلطات التركية ومثيري تلك الاضطرابات

وألا يرضخ لرغبة المتسلم في مصادرة بعض البضائع العائدة لاولئك التجار المحرضين والتي كانت على ظهر سفينة بريطانية في النهر ، وصدرت اليه التحذيرات بألا يمنح حمايته الرسمية إلا لمن يثبت أنه من رعايا بريطانيا أو المتصلين بالوكالة ، ولكن عليه أن يحاول التوسط بين الطرفين مستخدماً نفوذه في ذلك « إذا كان هذا ضرورياً لمنع رعايا بريطانيين من أن يقع بهم أي ضرر » وسمح له أيضاً « في حالة وقوع اعتداءات على الوكالة او إهانات للعاملين بها او حتى حين تصبح مهددة بالخطر » بأن ينسحب بالوكالة من البصرة إلى بوشهر او إلى جزيرة قشم حيث كانت اقيمت هناك حديثاً قاعدة عسكرية بريطانية . وقد عززت حكومة الهند اوامر حكومة بومباي هذه وصدقت عليها .

تجاهل داود باشا لحقوق الاوربيين وامتيازاتهم وقطعه العلاقات مع مستر رينش ١٨٢٠ :

وفي نفس الوقت ازدادت حدة الخلاف بين داود باشا ومستر رينش الوكيل السياسي ببغداد . وأصبحت عملية إخراج ولو بالة واحدة من البضائع البريطانية من دار العوائد ، او المطالبة بدين صغير مستحق لأحد رعايا بريطانيا أمراً ينتهي بالشجار والملاحاة ، ووصلت الازمة إلى قمتها حين أعلن وزراء الباشا ، وكان مفهوماً أن الباشا نفسه موافق على إعلانهم : « إنه ليس للاوربيين حقوق معترف بها في بغداد » ، وأنه في المستقبل ستجمع العوائد عن بضائع الاوربيين بضعف النسبة التي تجمع بها اليوم . وفي نوفمبر ١٨٢٠ وجد مستر رينش نفسه مرغماً لأن يرسل مساعده كابتن تيلور إلى البصرة ، بمناسبة احتجاز السلطات التركية لبضائع تاجر بريطاني هو مستر سكوبودا(١) في دار العوائد هناك ، وأمره بأن ينزل العلم المرفوع على الوكالة ، وأن يمنع أي تعامل لها مع

---

(١) ربما كان الاسم هو « سوفوبودا » ، وما تزال هناك عائلة تعيش في بغداد حتى اليوم بهذا الاسم ، لكنها الآن تحت حماية النمسا .

سلطات البصرة ، وأن يوقف كل ألوان النشاط التجاري وغيره التي قد تقوم بين السفن البريطانية الموجودة بالميناء وسفن الاهالي . وحين تم استيلاء السلطات التركية على بضائع مستر سوبودا . كما كان مرتقباً ، انسحب كابتن تيلور والعاملون معه من البصرة إلى المحمرة ، ويجب أن نشير هنا إلى أن مستر رينش كان متغيباً عن بغداد في جولة طويلة باقاليم كردستان وايران والموصل خلال الفترة من ١٦ إبريل سنة ١٨٢٠ إلى ١٢ مارس سنة ١٨٢١ ، ولو قد كان موجوداً لسويت مثل تلك المتاعب مع باشا بغداد ، وحيث كان رينش قد زار سابقاً «في مارس–إبريل١٨٢٠» قصر شيرين في شمال العراق فقد كان داود باشا يعتقد بأنه متآمر مع الاكراد والايرانيين .

ولم تذهب الإنذارات التي وجهها المقيم مما عمله الباشا مع الريح وحسب ، بل إنها أيضاً أثارت مشكلات جديدة ، وبدأت مضاعفة الضريبة على كل البضائع البريطانية التي تدخل حدود الباشوية ، واخيراً أعلن مستر رينش عزمه على الانسحاب من العراق إلى الهند ، على حين أعلن الباشا من جانبه أنه لن يسمح له بمغادرة بغداد . وفي ٢٥ مارس ١٨٢١ جاءت معلومات خاصة إلى مستر رينش بأن الباشا سيرسل قوات لالقاء القبض عليه ، فقام فوراً ، بمعاونة بعض السادة (١) الذين كانوا يزورون بغداد وكانوا بصحبته في ذلك الوقت ، باعداد مبنى المقيمية للدفاع

وبلغت حامية الوكالة السياسية مع حرسها العسكري المقيم وبعض المتطوعين من الاهالي المخلصين لمستر رينش والذين رفضوا التخلي عنه مئة شخص ، وتولى الكابتن ج. ايليوت ، وهو أحد ضيوف مستر رينش إعداد الاستحكامات الدفاعية ، وكانت واجهة البيت التي تطل على المدينة

---

(١) السادة المعنيون هم : الكابتن ج. ايليوت الذى صار قائد فرقة الدراجون الحادية والعشرين فيما بعد والمستر تيلور من خيالة مدراس والمستر هوست مساعد جراح فرقة المشاه رقم ١٧ وكذلك مساعد آخر للجراح يساعد مستر يل .

محمية بسبب ضيق الأزقة المؤدية اليها ، لكن المبنى كان معرضاً لنيران المدفعية من ناحية النهر ، وكاجراء دفاعي جعل تحت الوكالة أسفل أسوارها مباشرة حتى لا يستولي عليه الاتراك ، وكان الوكيل السياسي محبوباً في ذلك الوقت من أهل المدينة قدر ما كان الباشا مكروهاً منهم ، وكان من المعتقد أنه لو أطلق الأتراك طلقة واحدة فسيهب المناصرون للبريطانيين في غير حي من أحياء المدينة للايقاع بالأتراك . كذلك قيل إن قائد مدفعية الامبراطورية التركي في بغداد رفض أن يقوم بعمل ضد البريطانيين إلا لو استصدر الباشا أمراً بذلك من القسطنطينية .

ولم تكد تكتمل الاستعدادات الدفاعية من جانب البريطانيين حتى بدأت قوات الباشا في التحرك ، واحتل بعضها ضفة النهر أسفل الوكالة — ربما ليقطعوا على الوكيل خطالرجعة عن طريق النهر— وجعلت عدة مجموعات منها في مواقع مختلفة داخل أحياء المدينة ، وتقدمت قوات كبيرة واتخذت مواقعها بجوار الوكالة مباشرة ، وأغلقت أسواق المدينة وتوقفت فيها كل مظاهر الحياة والعمل . وكان قائد مشاة الباشا صديقاً قديماً لمستر رينش ، وكان هذا قد أنقذ حياته من قبل فقام بزيارته في الوكالة وبصحبته ضابط تركي آخر ، وعرض هذا الاخير استعداده لنقل أية رسالة يود مستر رينش ارسالها للباشا فأملى عليه قائد المشاة مذكرة مستعجلة بالتركية يشكو فيها من تهديد هذه القوات التي تحركت ضده . وأثناء غياب الضابط الآخر وجد قائد المشاة الفرصة مناسبة كي يؤكد لمستر رينش تصميمه على منع أي عمل تقوم به قواته ضد الوكالة بأية وسيلة يستطيعها ، وبعدها ظهر بعض المسئولين الاتراك وحاولوا أن يحصلوا من الباشا على وعد بأن يغادر بغداد حتى تسوى مشكلته مع السلطات المحلية ، واكتفى مستر رينش بأن يقول إنه ما دام ثمة جندي تركي واحد إلى جوار الوكالة فلن ينسحب منها ، كذلك أكد أنه لن ينسحب خلال الليلة التالية ، وأخيراً انسحبت القوات التي كانت إلى جوار الوكالة ، لكن الحامية الصغيرة التي كانت تخشى المباغته

ظلت طوال الليل دون ان تضع السلاح ، ويبدو ان الباشا بدوره كان يؤيد وجود مثل هذه الاستحكامات حول قصره وضرورة بقاء القوات على أهبة الاستعداد خاصة في تلك الأحياء التي لم يكن يؤمن جانب سكانها أو يوثق بهم .

وفي مساء ٢٩ مارس كان الوكيل والعاملون معه ما يزالون محتجزين بمبنى الوكالة ، ولم يعترض أحد على مغادرة الضيوف البريطانيين لها ؛ وواضح أنهم غادروا بغداد بمجرد تأكدهم من ان الاتراك لن يلجأوا إلى العنف .

ولا يتضح لنا إلى متى أو تحت أي الظروف ظل الوكيل السياسي محتجزاً في بغداد ، لكن الباشا افترض أن مستر رينش(١) كان مطلوباً في الهند كي يتولى مسئولية العمل في صورات ، وهو افتراض لم يكن من الضروري أن يكذبه أحد في هذه الظروف ، فسمح له بمغادرة بغداد قبل حلول الصيف ، بل قد سلمه الباشا خطاباً يمتدح فيه سلوكه وشخصيته لكي يقدمه إلى حاكم بومباي ، وفي يوم ١٩ مايو وصل الوكيل سالماً ومعه جماعته وأمتعته إلى البصرة بعد أن ترك بغداد « حزينة عليه .. يصحبه الأسف والأمنيات الطيبة من جانب كل أهلها » . وقد صحب الوكيل معه كل هؤلاء الذين تهددهم علاقاتهم بالوكالة بعقاب من الباشا ، وصمم على البقاء قريباً من بغداد حتى يحصل على ترضية من داود باشا .

وبعدها بشهر تقريباً انتقل الوكيل من البصرة إلى بوشهر وبصحبته البغداديون الذين كانوا يعملون لمصلحة الوكالة البريطانية ولكن بقي مساعد الوكيل السياسي ، كابتن تيلور ، الذي رجع من المحمرة إلى مكان وظيفته ، وظل طوال هذا الوقت مقيماً بالبصرة . وفي ٥ أكتوبر ١٨٢١ مرض مستر ريتش بالكوليرا في شيراز التي ذهب اليها التماساً

---

(١) والحقيقة انه قد عرضت عليه وظيفة في الرئاسة وقبلها . انظر « حكاية مقيمية كردستان .. » مجلد ٢ ، ص ١٥٨ .

لتغيير الجو وقد اتخذت الترتيبات لنقله إلى الهند لكنه مات بعد إصابته بالمرض بعدة ساعات .

أعمال حكومة بومباي فيما يتعلق باحتجاز المقيم السياسي في بغداد ، انتقال الوكالة إلى الكويت ، ثم استقرارها أخيراً . مايو ١٨٢١ — سبتمبر ١٨٢٣ :

وحين وصلت اول اشارة من مستر رينش عن الموقف الحر الذي أصبح فيه في بغداد كتب مستر الفينستون حاكم بومباي خطاباً جاف اللهجة إلى الباشا يبلغه فيه أن الاوامر صدرت لرينش فعلا بمغادرة بغداد ، وأنه يرجو أن ترفع القيود المفروضة عليه ، وأشار أيضاً إلى أن التفاهم بشأن عودة العلاقات الودية لا يمكن أن يبدأ إلا اذا جاء من مستر ريتش ما يفيد وجوده في أي مكان خارج حدود باشوية بغداد .

وبنفس التاريخ ، ١٢ مايو سنة ١٨٢١ ، كتب مستر الفينستون إلى السفير البريطاني في القسطنطينية يطلب منه اتخاذ خطوات مباشرة لانقاذ مستر رينش في بغداد ، وتعويض ما أصاب الشرف القومي من إهانة هناك ، وقد حلت المشكلة المتعلقة بحرية المقيم داخل بغداد يوم وصول تلك المراسلات ، ولكن بقي ضرورة الحصول على تعويض عن الإهانات إلى جانب التأكد من أن الباشا لن يواصل فيما بعد مسلكه إياه . وعلى هذا الاساس طلبت حكومة بومباي ، بموافقة حكومة الهند ، من داود باشا ضرورة الاعتذار لمستر رينش شفوياً وخطياً ، والاعتذار للآخرين كتابياً فقط ، وتخفيض العوائد على التجارة البريطانية إلى الحد الذي عينته الامتيازات ، ورد كل المبالغ التي تم تحصيلها زيادة على تلك النسبة ، ودفع قيمة البضائع التي أتلفت أثناء الاضطرابات والعائدة للسيدين سكوبودا وستورمي وكانا تاجرين يعملان في بغداد تحت الحماية البريطانية ، والتعهد بأن يعامل ممثل الحكومة البريطانية بالاحترام اللازم في المستقبل ، وأن يحمي كل الرحالة والمسافرين البريطانيين في الباشوية ،

وألا يأخذ منهم شيئاً أكثر من العوائد المقررة ، وأن يهتم بتلبية مطالبهم .
وأضاف خطاب حكومة بومباي قائلا ان الباشا إذا لم يلتزم باجابة تلك المطالب فستجد حكومة بومباي نفسها مضطرة لقطع العلاقات التجارية بين الموانى البريطانية وموانى العراق التركي . واستخدام القوة البحرية لقطع تلك العلاقات لو لزم الامر . كذلك صدرت التعلميات لمستر رينش بأن ينقل وكالة البصرة إلى أي مكان آخر في الخليج حتى يجيب الباشا تلك المطالب ، لكن مستر رينش توفي قبل أن تصله الاوامر المؤرخة في ٢ أكتوبر ١٨٢١ ، وقام الكابتن تيلور الذي خلفه بتنفيذها فانسحب في ١٥ ديسمبر سنة ١٨٢١ إلى «جزيرة الكويت» ، وهو تعبير قد يكون المقصود به جزيرة فيلكة . اما في القسطنطينية فقد تولى السفير البريطاني بها اللورد سترانجفورد القضية بنشاط فكتب في إبريل سنة ١٨٢١ « رغم أنني لم تتح لي فرصة للتدقيق في وجهة نظر الباشا تدقيقاً كاملا إلا أن المعلومات التي تجمعت لدى تشير إلى أن الذنب الوحيد الذي ارتكبه مستر رينش هو معارضته الانسانية المشروعة للاضطهادات والقيود التي كان يفرضها الباشا على التجارة البريطانية في بغداد » .

وبمجرد ان تلقى الباشا خطاب حكومة بومباي أعلن موافقته على كل المطالب التي جاءت فيه ما عدا المتعلق منها بالاعتذار . ورأى كابتن تيلور من الأنسب أن يتخلى عن هذا الشرط حتى لا يسبب مشكلة أخرى فترك الكويت الى البصرة هو والعاملون معه في يوم ١٩ إبريل ١٨٢٢ ؛ ودخل مدينة البصرة في موكب عام يوم أول مايو واستقبله المتسلم بكل الحفاوة والتكريم ، وقدم اليه هذا المسئول — حسب اوامر باشا بغداد — فرساً مطهماً ، وصدقت حكومة الهند على عمل الكابتن تيلور فيما بعد .

وظلت التسوية النهائية لهذه المشكلات معلقة حتى سنة ١٨٢٣ ، ففي يوم ٢٩ مارس من تلك السنة أعلن الباشا أخيراً قبوله لكل الشروط التي فرضتها حكومة بومباي ، لكن السلطات في الهند رأت من الانسب في ذلك الوقت ضرورة عقد اتفاقية دائمة وتفصيلية بهذا الصدد . وفي الفترة

من إبريل إلى أغسطس ١٨٢٣ استطاع كابتن تيلور التوصل اليها كتابة . وكانت هذه الشروط الاثنا عشر « التي وافق عليها الباشا وأقرها دون تحفظ » هي :

أولا : الالتزام بنصوص الامتيازات الاجنبية كما هي محددة في المعاهدات الامبراطورية والفرمانات الملكية قديمها وحديثها .

ثانياً : رد المبالغ التي أخذت من مستر ستورمي زيادة عن النسبة المقررة للعوائد ، كذلك تعويض مستر سكوبودا عن بضائعه التي تلفت .

ثالثاً : اتخاذ كل ما من شأنه توفير الأمن الكامل — في كل مجال من مجالات الحياة — لحياة وأملاك وشرف كل وكلاء الحكومة ورعاياهم والعاملين معهم، والاهتمام برغباتهم ووجهات نظرهم ، وواجب إحاطتهم بمظاهر التجلة والتكريم والاعتراف بامتيازاتهم وحقوقهم القديمة ، وحقهم في أن يستخدموا العدد الذي يشاؤون من الخدم .

رابعاً : إذا عين وكيل غير بريطاني لوكالة بغداد فيجب أن يلقى كل الاحترام والتكريم ، لمنصبه لا لشخصه .

خامساً : لا تنتزع من موظفي ورعايا بريطانيا صكوك الدفع ، ولا تجبى منهم أموال أو تنتزع منهم ممتلكاتهم عنوة وقهراً ، ولا يحصل منهم شيء أكثر من العوائد التي حددتها الامتيازات .

سادساً : يجب ألا تجبى أية ضريبة فيما عدا ضريبة واحدة حددت آنفاً على القوارب أو الممتلكات التي تخص الرعايا البريطانيين ومن في حمايتهم ، كعوائد المرور بين البصرة وبغداد مثلا ، ولا يستولى على قواربهم للأغراض

العامة ، كما أن بضائع التجار – سواء كانوا رعايا بريطانيين أم في حمايتهم لا تدخل دار العوائد في البصرة أو بغداد حسب ما هو محدد في نصوص الامتيازات والاتفاقيات .

سابعاً : وإذا فقد الرعايا البريطانيون أو من في حمايتهم أية ممتلكات في المدينة او في الطرق العامة ، سرقة أو اغتصاباً ، تبذل السلطات المحلية كل الجهود لاستعادة المسروقات .

ثامناً : إذا وقع اعتداء من أحد الرعايا البريطانيين على أي من رعايا الحكومة التركية يدفع له التعويض فوراً .

تاسعاً : في المعاملات التجارية لا ترد البضائع المباعة الا على أسس مشروعة وعادلة ، وترفع مشكلات التجارة إلى مجلس من التجار حسب ما جرت به العادة .

عاشراً : إذا حدث وهرب أحد الهنود العاملين من البحارة على سفينة بريطانية فيجب ألا يقسر على اعتناق الإسلام ، وإذا شاء اعتناق الإسلام برغبته فيجب تسليمه بعد ذلك إلى السلطات المسئولة حتى لا يتسبب في الاضرار بمصلحة سفينته .

حادي عشر : يرخص للمقيم بتملك قطعة ارض لمنزل وحديقة في المكان الذي يحدده ويرغب فيه .

ثاني عشر : حق البريطانيين في أن يفرضوا حمايتهم على من يشاؤون من الناس ما دامت هذه الحماية لا توقع الضرر بأحد .

وتم بالفعل رد المبالغ المحصلة زيادة على العوائد المقررة من مستر ستورمي كذلك تم تعويض مستر سكوبودا عن بضائعه التي تلفت . وبهذه

الاتفاقية . التي رفعها كابتن تيلور رسمياً بتاريخ ٥ سبتمبر ١٨٢٣ تم وضع أساس قوي وكامل لعلاقات ودية في المستقبل .

رفض طلبات مختلفة لداود باشا ١٨٢٤ – ١٨٢٨ :

وانتهز داود باشا هذه الفرصة بعودة التفاهم كي يفرض بعض مطالبه على السلطات البريطانية في الهند . فمنذ فبراير ١٨٢٤ تقدم يطلب خدمات طبية من حكومة الهند ، وكذلك طلب امداده بالأسلحة والذخائر التي تكفي لتسليح كتيبة من ١٠٠٠ جندي من المشاة ، غير أن حكومة بومباي خشيت أن يكون في تعين طبيب بريطاني في بلاط الباشا من الاضرار أكثر مما يحتمل أن يكون من المزايا ، ولهذا لم تستطع إجابة رغباته هذه أو تلك . ومرة أخرى قدم الباشا حوالي نهاية سنة ١٨٢٧ ، لدى تهنئة سير ج. مالكولم بتعيينه حاكماً لبومباي طلباً بتقديم عون عسكري ضخم له من الرجال والعتاد على أساس الاوامر التي تلقاها مؤخراً من القسطنطينية بتنظيم جيشه وإعداد قواته إعداداً حديثاً . وكان الطلب يشمل بعض الضباط المتخصصين في مختلف المجالات العسكرية والحربية ، وصنع ثلاث سفن من أحجام مختلفة تبلغ حمولة كبراها ٦٠٠ طن و ٤٨ مدفعاً ، وكذلك تزويده بالاطقم والعتاد اللازم لثلاثة آلاف جندي من المشاة ، و ٤٠٠ برميل من البارود .

وأعلن الباشا بنفس الوقت استعداده لأن يدفع تكاليف تلك الصفقة الضخمة ، كذلك أن يدفع أجوراً عالية لهؤلاء الضباط والخبراء أثناء عملهم في خدمة تركيا . وكان هذا الطلب أميل إلى القبول على أساس أن سير مالكولم سبق أن أعار مثل هؤلاء الخبراء للجيش الايراني . ونظراً لوجود القوات الروسية على حدود باشوية بغداد ، أيدت حكومة بومباي طلب الباشا وناصرته بقوة ، باستثناء مستر ف. واردن أحد أعضاء المجلس الذي كان من رأيه عدم إجابة الباشا إلى طلبه استناداً للخلافات والمشكلات وقلة الربح التي تميزت بها علاقات بريطانيا بالعراق التركي من قبل . وفي مايو ١٨٢٨ قررت حكومة الهند رفض طلب الباشا رفضاً

حاسماً . وكان أحد اسبابها للرفض انطباع خاطيء لديها بأن حرباً وشيكةً بين بريطانيا وتركيا لم تعد بعيدة الاحتمال كذلك أيضاً كان محتملا أن يستغل الباشا تلك الصفقة الجديدة للتمرد على سيده سلطان تركيا ، لكنها فوضت الباشا في إرسال وكيل عنه سمحت له بأن يبتاع من مخازن السلاح في بومباي ما تكون باشوية بغداد بحاجة اليه .

وقد أسف مجلس المديرين لرفض حكومة الهند طلبات الباشا التي كان المجلس يعتبرها فرصة ثمينة لاقامة وكالة استخبارات هامة في موقع هام . وأوصى المجلس بقبول هذا الطلب فوراً لو كرّره الباشا . وأشار المجلس وهو يؤيد وجهة نظره إنه « لا شيء ارخص من المعلومات وهي ميزة للدولة التي تحوزها على تلك التي لا تتوفر لها ، ونحن نود أن يكون هذا في ذهنكم دائماً لا فيما يتعلق بباشا بغداد فقط بل بكل البلاد المجاورة . وأهمل الباشا فكرة إنشاء قوة بحرية لبغداد لأنها لن تفعل شيئاً لتهدئة الحالة في الداخل ، ولن تفيد في الدفاع عن الباشوية ضد أي هجوم عليها من البر ، وكانت أطماع روسيا قد أصبحت في ذلك الوقت عاملا هاماً من عوامل رسم السياسة البريطانية في آسيا ، وربما كان مجلس المديرين مهتماً بالقضية لانه يخشى تسلل مواطنين أوربيين من دول غير بريطانيا إلى العراق التركي كمدربين وخبراء عسكريين .

موقف السلطات البريطانية من النزاع بين سلطان عمان وباشا بغداد ١٨٢٥ :

وفي ١٨٢٥ حين كان سلطان عمان يعد العدة كما مر بنا للقيام بحملة على البصرة اتصل المقيم البريطاني في بوشهر بالوكيل السياسي البريطاني في العراق التركي يقترح وساطة بريطانيا . وأصدرت حكومة بومباي تعليماتها إلى مسئوليها اولئك بأن يقتصروا في تدخلهم على ممارسة نفوذهم على كل من أطراف النزاع على حده . وحين رفض الباشا

الاستماع إلى نصائح الكابتن تيلور أبلغ سلطان عمان بأن له مطلق الحرية في أن يفعل ما يريد . وقد سبق أن أشرنا إلى نتائج هذا العمل من قبل .

احتجاز موظف بريطاني أثناء رحلة له في دجلة ١٨٣٠ :

وفي سنة ١٨٣٠ كان مستر بايكي الجراح المساعد في مؤسسة مدراس يقوم بحملة هابطاً في دجلة بقاربٍ للوكالة السياسية يرفع العلم البريطاني فاحتجزه أحد شيوخ العرب هناك بعد أن انتزع منه ضرائب أكثر من المحددة عن امتعته . ورفع مستر بايكي الامر فوراً إلى حكومة بومباي التي أحالته على الوكيل السياسي في العراق التركي ، لكننا لا نعرف النتيجة التي انتهت اليها هذه الحادثة .

أوامر من حاجي علي رضا باشا للمسؤولين الاتراك في البصرة باحترام حقوق البريطانيين ١٨٣١ :

وعقب تعيين حاجي علي رضا باشا في باشوية بغداد أصدر اوامره رسمياً إلى القاضي والمفتي والمتسلم وأعيان البصرة وكل من يهمهم الامر باحترام حقوق ممثلي بريطانيا في البصرة وامتيازاتهم ، « وينطبق هذا على ممثل الدولة البريطانية ووكلائه ومساعديه ومترجميه وجميع العاملين معه ، ومن تحت حمايته وعلى رعايا الهند الذين يأتون للبصرة وسفنهم .. وكل ما إلى ذلك » ، وقد تليت هذه الوثيقة المؤرخة في ٢ أكتوبر ١٨٣١ علناً في مجلس متسلم البصرة ، وسجلت رسمياً في اوراق القاضي والدفتردار .

رفض اقتراح للوكيل السياسي بالتغيب لفترات من الوقت عن بغداد ١٨٣٣ :

وفي يوليو ١٨٣٣ اقترح الكابتن تيلور الوكيل السياسي البريطاني في العراق التركي أن يسمح له نظراً لتغلغل النفوذ الروسي ووضوح تآمر روسيا على تركيا بالسفر إلى أقصى ما يمكنه في الاقاليم الشمالية من الباشوية بل وأن يقيم فترة قصيرة في مواقع يصلح قربها لمتابعة نشاط الروس .

لكن حكومة الهند رأت ومعها حكومة بومباي أن بغداد من حيث هي مركز الباشوية وعاصمتها تشكل الموقع الصحيح لإحباط المؤامرات الروسية أكثر من غيرها وان وجود الوكيل السياسي بشكل دائم فيها ضروري بالنظر إلى عدم استقرار حالة الباشوية : وبناء عليه صدرت له التعليمات في ديسمبر سنة ١٨٣٣ بأن يظل في بغداد إلا إذا تلقى أوامر بخلاف ذلك من حكومة صاحب الجلالة .

تقرير مستر ج. ب. فرايزر عن الحالة في باشوية بغداد ١٨٣٤ :

ويبدو ان الحكومة البريطانية أصبحت الآن توجه اهتماماً خاصاً إلى العراق التركي ، وفي نوفمبر ١٨٣٤ كتب الرحالة مستر ج. ب. فرايزر الذي أشرنا اليه من قبل ، وكان مكلفاً بزيارة العراق وايران ، وصفاً شاملا وتفصيلياً للحالة الادارية في باشوية بغداد ، ورفع الوكيل السياسي الرائد تيلور نسخة من التقرير إلى حكومة بومباي ، لكن هذه الحكومة ربما سهت سهواً عن رفع نسخة منه إلى حكومة الهند .

وكان هدف مستر فرايزر هو ان يعرف الطريقة والمدى اللذين يمكن بهما استغلال موارد الاقليم وتنميته في ظل حكومة أفضل ، ويجب أن نضع في اعتبارنا أن الحكومة البريطانية كانت تفكر وقتذاك في إقامة خط بحري ملاحي في العراق التركي . وأشار مستر فرايزر في نهاية تقريره قائلا :

«إنه لا يمكن أن نطنب ونسهب في وصف الميدان الذي يفتحه مثل هذا التغير في الحكومة بالنسبة للصناعة ورأس المال فيما بين النهرين . إنها منطقةمن أفضل المناطق في هذه البلاد من حيث المناخ والتربة والقرب من مراكز الحضارة والتمدن في العالم القديم . بل حتى التقدم الحديث الذي أحرزته مصر في رخائها الظاهر ليس مقياساً صحيحاً يمكننا أن نقيس به ما كان يمكن ان يحدث هنا ، فمحمد علي باشا ، رغم أنه رجل متحرر ومستنير بعض الشيء ، إلا أنه لا ينظر إلا لنفسه في النهاية ... وهكذا ...

إذا تطور هذا الاقليم وساده الهدوء والأمن فانه سيصبح هدفاً هاماً من أهداف الدولة البريطانية ، ومهما كان شكل الحكومة التي تقوم فيه أو طبيعة ومدى ارتباطها بالباب العالي مستقبلا ، فان على هذه الدولة واجباً وفرضاً أن يكون لها نفوذ دائم في حكومته ، بل إنها يجب أن تقوم هي نفسها بتوجيه كل السياسة والاشراف على كل التطوير والإصلاح ، مهما كانت الاداة التنفيذية التي تنفذ رغباتها » .

★ ★ ★

علاقات العراق التركي بالدول الاوربية الاخـرى عدا بريطانيا ١٨٠٧ ـ ١٨٣٩

خلال هذه الفترة لم يكن العراق التركي يتأثر عملياً بنفوذ أية دولة أخرى سوى بريطانيا العظمى .

وفي يناير ١٩١٨ طلب مستر فيجورو ، القنصل الفرنسي في بغداد أن يقابل الباشا الذي لم يكن قد اجتمع به من قبل . ورغم ذلك فان القنصل تقدم بطلب بأولوية ممثل فرنسا على ممثل بريطانيا في كل الاقاليم الامبراطورية وفقاً لاتفاق تعاقدي قديم مع العثمانيين . وقد رفض باشا بغداد هذه المزاعم بطبيعة الحال .. وكان في ذلك الوقت هو داود باشا وقد أشار إلى أن « مستر رينش مقيم بدرجة وزير ، أما مسيو فيجورو فليس إلا قنصلا ، ولا يمكن في أية ظروف أن تكون هناك مقارنة بينهما »

موقف روسيا بعد ١٨٣٣ :

ونتيجة التفاهم بين روسيا وتركيا عقب توقيع معاهدة أنكاير سكليسى في ١٨٣٣ بدأت حركات روسيا في باشوية بغداد تصبح مفهومة للسلطات البريطانية ، غير أن مؤامراتها لم تتوقف . وقد استطاعت الديبلوماسية الروسية أن تثير شكوك المسئولين في الباب العالي حول دوافع الحكومة البريطانية لإنشاء خط ملاحي بحري في أنهار العراق .

الشئون الرسمية البريطانية فى العراق التركى
١٨٠٧ ـ ١٨٣٩

دمج مقيميتي البصرة وبغداد ١٨٠٩–١٨١٠ :

بعد أن سكنت المخاوف من المؤامرات الفرنسية في الشرق الاوسط وقبل أن تبدأ حروب آسيا الناجحة ضد إيران وتركيا في ١٨٢٦–١٨٢٩ كان نفوذ روسيا في هذه المنطقة وأهميتها أو تأثيرها على مكانة بريطانيا السياسية فيها قد هبطت إلى الحد الأدنى . ولعله بسبب ذلك قرر مجلس مديري شركة الهند الشرقية في توصياته لحكومة الهند سنة ١٨٠٩ الاستغناء عن إحدى المقيميتين الموجودتين في العراق التركي ، والاكتفاء بواحدة في البصرة تكون مسئولة عن المصالح البريطانية في الاقليم كله كما كان الحال قبل ١٧٩٨ ، على أن يرسل المقيم إذا لزم الامر مساعداً اوروبياً يعين لاحقاً في المقيمية لزيارة الباشا في بغداد ، ونفذت هذه التوصيات في سنة ١٨١٠ فأدمجت مقيمية بغداد في مقيمية البصرة ، ولكن لم تتخذ أية خطوات لإحداث تغيير آخر كان موضع النظر ألا وهو إتباع ممثل الشركة في البصرة للمقيم العام في بوشهر ، وقد حدث الدمج باشراف مستر ريتش(١) الذي عينته حكومة بومباي مقيماً في بغداد سنة ١٨٠٨ .

الفصل في حالة مستر مانستي مقيم البصرة ١٨١٠ :

وبمناسبة هذا التعديل عاود مجلس المديرين النظر في مسلك مستر مانستي — المقيم الفعلي في البصرة ، خلال مدة خدمته كلها ، وقرر المجلس بشأن الاتهامات الموجهة اليه بعدم إطاعة رؤسائه وعدم الرجوع

---

(١) وصل مستر ريتش الى بغداد فى ٤ مايو ١٨٠٨ خلفا لدكتور هاين الذى جعله مستر جونز مسئولا عن المقيمية فى ١٨٠٦ ، وكان مساعدا مستر ريتش من الاوربيين هما دكتور كولكاهون من ١٨١٠ الى ١٨١٨، وكابتن تيلور من ١٨١٨ الى ١٨٢١ ، وكلاهما كان مقيما بالبصرة .

إلى مسئوليه عزله عن وظيفته ، وتنفيذ دمج مقيميتي البصرة وبغداد بالتالي تحت مسئولية مستر رينش(١) .

وأصدر المجلس في نفس الوقت أمراً بمنع مستر مانستي من تولي أي عمل من أعمال السياسة الخارجية او البعثات الديبلوماسية دون امر منهم . ويجب أن نذكر ان مستر مانستي كان قد تورط في مشكلات خطيرة مع الباشا الحاكم في بغداد مرتين في ١٧٩١–١٧٩٥ ثم في ١٨٠٣ ، وأنه منح نفسه صفة المبعوث إلى البلاط الايراني دون تفويض بذلك في ١٨٠٤ كما أصدرت سندات دفع على حكومة بومباي في سنة ١٨٠٥ دون وجود تفويض أو أموال مرصودة لذلك ، وأخيراً غادر مقر عمله في زيارة لبومباي دون استئذان من أحد . وفي هذه الظروف لا نستطيع وصف القرار الذي اتخذه المجلس ضده بالقسوة ، كذلك أيضاً لا نستطيع إلا أن نشارك المجلس دهشته للين الذي كانت تعامله به حكومة بومباي . وسلم مستر مانستي مهام المقيمية إلى دكتور كولكاهون طبيب المقيمية في ١٢ يونيو سنة ١٨١٠ ، لكنه أعلن في نفس الوقت اعتزامه البقاء في البصرة لمزاولة أعماله الخاصة حتى أول سبتمبر ، وبعدها سيسافر مباشرة إلى انجلترا عن طريق القسطنطينية دون ان ينهي خدماته رسمياً . ورد عليه مجلس المديرين بأن عليه أن ينهي خدماته في الشرق رسمياً قبل أن يرجع إلى الوطن حسب النظم المعمول بها ، وفي وسع حكومة بومباي أن توصي بتنصيبه في عمل آخر إذا رغب هو في ذلك . وحين تلقى مستر مانستي هذا التبليغ قرر قبول العرض الذي عرضته عليه « لجنة الإدارة في مؤسسة بومباي المدنية » ، ولكن الإذن له بالسير إلى القسطنطينية لتسليم حكومتها أوراقاً خاصة بحسابات طلبتها منه بشأن

---

(١) كان لمستر مانستى – على أى حال – بعض المزايا الطيبة . فقد كان وطنيا وكريما ، وكان يعيش فى البصرة كسادة من ملاك الارض فى ريف انجلترا ، وكان متزوجا بسيدة أرمنية . ويعيشان حياة عائلية رغدة .

تسديد جميع الديون والالتزامات العامة المستحقة عليه قد تأخر ، ولا نعرف النتيجة التي انتهى اليها الأمر .

تحويل مقيمية البصرة إلى وكالة سياسية للعراق التركي ١٨١٢ :

وفي ٢٣ سبتمبر ١٨١٢ ، واتساقاً مع توصيات حكومة الهند ، أمر مجلس المديرين باحداث تغيير رسمي في تنظيم العمل بالعراق التركي يوازي التغيير الفعلي الذي حدث فيه . وهكذا أصبح « المقيم في البصرة » هو « الوكيل السياسي في شبه الجزيرة التركية » ، وخول حق الإقامة في بغداد أو البصرة كما يرى مناسباً ، وان يرسل مساعده من أيهما إلى الآخر ليؤدي عمله . ولما كان مستر رينش المعين للمنصب حتى سنة ١٨٢١ مقيماً في بغداد فقد ظل يلقب في معظم المكاتبات الرسمية وغيرها كما كان من قبل « المقيم في بغداد » .

وضع نظام جوازات السفر للرعايا البريطانيين الذين يزورون العراق ١٨٢١ :

وقد أصدرت حكومة الهند بناء على اقتراح قدمه المقيم البريطاني مستر رينش قراراً في سنة ١٨٢١ بمنع الرعايا البريطانيين من الدخول إلى باشوية بغداد دون الحصول على جواز سفر معتمد من أحد السكرتيرين السياسيين لرؤساء الهند . وكان الهدف من هذا الحظر هو تقليل عدد المغامرين والأفاقين الذين يتدفقون على باشوية بغداد فيثيرون المتاعب ويسيئون إلى سمعة بريطانيا وهيبتها ، وأعلنت حكومات البنغال وبومباي ومدراس التزامها بهذه الاوامر في ٢٤ إبريل ١٨٢١ . وكانت العقوبة الوحيدة التي توقع على من لا يلتزم بهذا القرار هي منعه من التجول في العراق التركي بعد وصوله بغداد . وكان في النية وقت الغاء مقيمية بغداد في سنة ١٨١٠ أن يعهد بكل مصالح الشركة في العراق التركي إلى ممثلها الرئيسي في الخليج ، وكان متوقعاً في سنة ١٨٢١ أن يكون هذا التغيير قد حدث لو لم يحدث ذلك الخلاف الحاد بين مستر رينش وداود باشا ،

وأخيراً في ٩ مايو سنة ١٨٢٢ ، وبعد أن عادت العلاقات الودية مع الباشا بعض الشيء عقب موت مستر رينش ، عين الكابتن و. بروس من بحرية شركة الهند الشرقية ، المقيم السياسي في بوشهر وقتذاك « وكيلا سياسياً في الخليج » تمتد سلطته إلى العراق التركي ، ويكون مقره البصرة أو قشم وأصبح كابتن تيلور ، ممثل بريطانيا في البصرة ، مساعد الوكيل . ومن المشكوك فيه أن يكون هذا التغير قد حدث بالفعل فالمعروف أن تنفيذه أوقف بسبب أوامر جديدة صدرت للكابتن بروس ولغيره من جميع المسئولين السياسيين بتصفية أعمالهم التجارية الخاصة والامتناع عن ممارسة التجارة ، ولم يكن بمقدوره تنفيذ هذا قبل أول نوفمبر ١٨٢٢ حين نقل من وظيفته على نحو ما هو مبين في تاريخ الساحل الايراني .

اعادة الوكالة السياسية في العراق التركي ، وخفض درجة مقيمية البصرة الى وكالة وطنية ١٨٢٢ :

ولدى تعيين خلف للكابتن بروس في بوشهر ظن حاكم بومباي أن من الأفضل — ما دامت الحامية البريطانية الموجودة في قشم على أهبة الانسحاب ، وما دام اهتمام المقيم في بوشهر سينصرف كله أو معظمه إلى متابعة أمور القبائل البحرية والمشتغلة بالقرصنة على الساحل العربي — إعادة فتح الوكالة السياسية في العراق التركي وجعلها مستقلة عن مقيمية الخليج . وكان اول من عين لهذا المنصب هو كابتن ر. تيلور من فرقة مشاة بحرية بومباي الثالثة ، ومساعد الوكيل السياسي في العراق التركي سابقاً ، وقد تردد اسمه غير مرة خلال هذه الأحداث ، أما البصرة نفسها فقد جعلت فيها وكالة وطنية لكن الوكيل السياسي ظل مقيماً فيها لعدة سنين تلت .

خضوع الوكالة السياسية في العراق التركي جزئياً — للمقيمية في بوشهر ١٨٢٤ :

وفي سنة ١٨٢٤ حدث تغير إداري آخر أصبح الوكيل السياسي البريطاني في العراق التركي بمقتضاه تابعاً جزئياً فقط لسلطة المقيم البريطاني

في بوشهر . وقد صدرت اليه الاوامر بأن يتعامل مع المقيم في بوشهر في سائر الشئون الخاصة بالقبائل العربية المشتغلة بالبحر وشئون الساحل الايراني وأن يلتزم بالتعليمات التي يصدرها اليه هذا المسئول في تلك الامور كما أصبح عليه أيضاً أن يرفع للمقيم نسخة من مراسلاته بشأنها . أما بالنسبة لباشوية بغداد وحدها ، فقد ظلت سلطته كاملة لم تنتقص . ولم يعد ممكنا لوكيل العراق التركي دون موافقة المقيم في بوشهر اتخاذ أية إجراءات في العراق التركي يكون من شأنها التأثير على مناطق أخرى وفي الخليج كوقف التجارة البريطانية مثلا .

وظل مقر الوكلاء السياسيين في العراق التركي يتغير لعدة سنين بتغير الظروف ، فهو أحياناً في بغداد العاصمة الإدارية والسياسية للباشوية ، وأحياناً في البصرة الميناء التجاري الهام . وفي سنة ١٨٢٨ عاودت حكومة بومباي إصدار الأوامر التي سبق أن صدرت في سنة ١٨١٢ وقت إقامة وكالة سياسية في بغداد للمرة الاولى . وسميت هذه المرة بالتعليمات الصادرة من مجلس المديرين ، وتقضي بتفويض الوكيل السياسي في الإقامة ببغداد او البصرة كما يراه مناسباً ، كما اقترح المجلس أيضاً أنه في حالة غياب الوكيل السياسي في بغداد يقوم مساعد أوروبي بتصريف أعماله في البصرة . ويبدو على أية حال أنه كان ثمة اعتراضات من جانب السلطات الهندية على مغادرة الوكلاء البصرة لأنه حدث سنة ١٨٣٠ أنه حين أراد مقيم البصرة زيارة بغداد بناء على دعوة صريحة من الباشا فقد ارسل يستأذن حكومة بومباي للسماح له بالسفر . وفي نفس السنة طلب الباشا ان يبقى العقد تيلور الوكيل السياسي مقيماً بشكل دائم في بغداد بدل البصرة . ورد حاكم بومباي بأن تأسف لعدم استطاعته إجابة مطلب الباشا بالنظر للاعتبارات التجارية . وفي نفس الوقت صدر تأكيد للباشا بأنه سيسمح للمقيم بأن يزور العاصمة بين الحين والحين . وفي ١٢ مايو ١٨٣١ ، وكان الطاعون منتشراً في بغداد ، كان الوكيل السياسي فيها منذ حوالي سنة ، وقد شهد عزل داود باشا علي يدي خان علي رضا

باشا ، وبعدها عاد إلى البصرة ، ومات صهره الذي كان يصحبه بهذا الوباء في الطريق ، وفي يناير ١٨٣٢ انتقل الطاعون إلى البصرة ، فانتقل العقيد تيلور إلى بغداد بناء على طلب الباشا الجديد .

وبعدها بقليل أشار مجلس مديري شركة الهند الشرقية إلى رغبته في أن «يثبت الوكيل السياسي إقامته في بغداد» تسهيلا لوصوله إلى المعلومات الأكثر دقة ، ولتسهيل تنمية مصالح الشركة عن طريق حاجي علي رضا باشا ، على أن يتولى أعماله في البصرة مساعد أوروبي . فاذا لم يكن هذا متوفراً ، فوكيل وطني يستطيع أن يقوم بالعمل الروتيني . ونتيجة هذه الاوامر استقر الوكيل السياسي في بغداد معظم الوقت ، واقترح الوكيل أن يبعد قليلا عن بغداد باتجاه الشمال ليكون أكثر قدرة على متابعة نشاط الروس عن قرب ، لكن حكومة بومباي رفضت هذا الاقتراح كما أشرنا من قبل .

العلاقات مع باشا بغداد ١٨٣١ – ١٨٣٢ :

ووضع مجلس المديرين في شركة الهند الشرقية في سنتي ١٨٣١–١٨٣٢ بعض خطوط عريضة لارشاد الوكيل السياسي البريطاني في العراق التركي ، ولا يتضح لنا ما إذا كان هذا العمل منهم قد جاء نتيجة ملاحظتهم نزوع الوكيل على مسئوليته إلى تخطي حدود عمله بين بريطانيا والامبراطورية العثمانية . وقد حذر الوكيل مباشرة من اعتبار باشا بغداد حاكماً مستقلا أو اعتبار الوكيل نفسه مندوباً فوق العادة في بلاط أجنبي ، بل عليه أن يلتزم دائماً بحقيقة عدم استقلال الباشا عن الباب العالي وعدم استقلاله هو بالتالي عن السفير البريطاني بالقسطنطينية . وعليه أن يتراسل مع هذا السفير بحرية كاملة في كل الشئون التي يعتقد أنها تؤثر بشكل عام على العلاقات القائمة بين بريطانيا وتركيا ، وعليه أن يرفع لحكومة بومباي نسخاً من هذه المراسلات ، وعليه أن ينتظر تعليمات الحكومة بشأن المسائل التي لا يستطيع هذا المسئول توجيهه بشأنها ، وفي حالة الافتقار

لتعليمات خاصة فعليه أن يولي اهتمامه للأعمال القنصلية ولا سيما حماية المصالح والرعايا البريطانين وجمع المعلومات السياسية ، وعليه أيضاً أن يتجنب إقحام نفسه في شئون الباشوية داخلية كانت أم خارجيه ، وفيما يتعلق بايران فعليه أن يسترشد بآراء السفير البريطاني في طهران .

وجاء الغاء الوكالة السياسية المستقلة في بغداد ، الذي أعلن عنه سنة ١٨١٠ ونفذ في ١٨٢٢ بمثابة هدف طالما تطلعت إلى تحقيقه سلطات الهند البريطانية . وفي سنة ١٨٢٧ كان من رأي مستر الفينستون حاكم بومباي أن وكالة بغداد لم تعد لها امتيازات ما ، وأقره المجلس على ذلك .. لكنه ترك لخلفه سير ج. مالكولم الذي كان من رأيه في سنة ١٨٢٨ عدم استمرار الوكالة غير أنه رأى أن الظروف غير مناسبة لإنقاص حجم التمثيل البريطاني في منطقة الخليج نظراً للعلاقات المتوترة بين روسيا وكل من ايران وتركيا في ذلك الوقت .

وفي تقرير مؤرخ في ٢٦ إبريل سنة ١٨٣٠ جاء في توصيات اللجنة التي عينت في الهند لفحص مالية الحكومة ضرورة الاقتصار على وكالة واحدة فقط في بوشهر ، ويبدو أن حكومة الهند قد وافقتها على هذا الاقتراح ، غير ان مجلس المديرين — الذي رفعت اليه التوصية بين توصيات واقتراحات عن إعادة التنظيم — قررت عدم إحداث أي تغيير في الوضع القائم آنذاك بالعراق التركي(١) . وكان هذا القرار يرجع من ناحية إلى عدم استقرار الامور في الباشوية ، ومن الناحية الاخرى إلى « تعقد وتشابك الظروف الخاصة التي جعلت مصالح دول أجنبية كثيرة تلتقي على أرض العراق في ذلك الوقت » .

---

(١) ربما كانوا متأثرين بملاحظات حاكم بومباى (لورد كلير ٠٠) الذى لاحظ انه لو كان المطلوب هو مجرد حماية التجـارة البريطانية فان وكيلا وطنيا فى البصرة يستطيع أن يؤدى المهمة ولا حاجة لوكيـــل سياسى أوربى ٠ لكنه كان يرى مصالح الهند هناك أعمق وأشـمل ، ومن وجهة نظر العلاقة بين السياستين الاوربية والهندية فلم يكن من المرغوب فيه بأية حال ـ فى ذلك الوقت ـ الغاء الوكالة السياسية فى جزيرة العرب التركية ٠

وضع الوكالة السياسية البريطانية في العراق التركي تحت اشراف حكومة الهند مباشرة ١٨٣٥ :

وفي ١٨٣٥ الغيت أوامر سنة ١٨٠٦ التي كانت تجعل الممثل السياسي البريطاني في العراق التركي خاضعاً تماماً لحكومة بومباي . وصدرت أوامر جديدة بجعل ذلك المسئول مرتبطاً بالمقيم في بوشهر مباشرة مع حكومة الهند وبقائه ملتزماً بأوامرها ، وان تكن تلك الاوامر ستصل إلى المقيمين على أية حال عن طريق حكومة بومباي التي تحتفظ بنسخ منها.

مساعدو الوكيل السياسي في البصرة ١٨٠٧ — ١٨٣٩ :

وخلال الجزء الاول من هذه الفترة — أي من ١٨١٠ إلى ١٨٢٢ — كان في البصرة مساعد اوروبي للوكيل السياسي البريطاني ، لكنه أثناء غيابه عنها في بعض الأحيان كان يقيم على عمله وسيطاً من أهل البلاد ، أصبح منذ سنة ١٨١٩ يتقاضى راتباً شهرياً قدره ٢٠٠ روبية . وعقب موت مستر رينش مباشرة في سنة ١٨٢١ الغي منصب المساعد الاوروبي ، وأصبح الوكيل الوطني يلقب « بوكيل وطني » لتحديد مكانته السياسية . وكان اول من شغل هذا المنصب هو خوجا يوحنا الذي مات سنة ١٨٢١ ، وخلفه ابنه خوجه يوحنا أيضاً الذي بقي في هذا العمل مدة ثلاثين سنة . وفي ١٨٣٢ حين انتقل الوكيل السياسي أخيراً من البصرة أصبح الوكيل الوطني مسئولا عن أعمال هذا الاول مسئولية كاملة .

ادخال (١) خط ملاحي بحري لاول مرة في الفرات ودجلة على يد الحملة البريطانية بقيادة الرائد ر. أ. تشيزني خاصة ١٨٣٤ — ١٨٣٧ :

وكانت مشكلة تحسين خطوط المواصلات مع الهند مطروحة أمام الحكومة الام لعدة سنوات وقد تمت خلال الفترة من ١٨٢٦—١٨٣٢

(١) المصادر الرئيسية عن حملة الفرات ودجلة هى عمل الجنرال ف . ر . تشيسنى « مسح نهرى الفرات ودجلة . » ١٨٥٠ . وحكايته لحملة الفرات . ١٨٦٨ ورواية مستر و . ف. آنترورث لما شاهده شخصيا فى هذه الحملة ، كذلك أسفار دكتور ومدام هالفر ، ١٨٧٨ . والتاريخ المختصر المركز لهذه الحملة موجود فى « تاريخ مستر لو للبحرية =

عمليات مسح هامة لجزء من ساحل الشام ولنهري دجلة والفرات قام بها الملازم اورمسبي من البحرية الهندية ؛ وعاونه في جانب من البحث مستر و. اليوت ، ووجه اهتمام خاص في العملية لأسفل دجلة ، وهي منطقة اعتبرها الميجور تيلور — الوكيل السياسي البريطاني في العراق التركي — ذات أهمية خاصة .

كذلك بدأ الكابتن ف. ر. تشزني دراسة مشكلات الطريق البري خلال زيارة قام بها لمصر سنة ١٨٢٩ ، وكان موضوع الأبحاث هو المزايا النسبية لاستخدام طرق مصر والشام بين اوروبا والهند بتوصية من مدير دار الهند في لندن . وفي ١٨٣١—١٨٣٢ قام الكابتن تشزني بسياحة متصلة ولفترة طويلة في منطقة البحر المتوسط والبحر الأسود والخليج ، ووصل في رحلته حتى أسفل الفرات ثم بحراً إلى بوشهر ، ورجع إلى أوربا عن طريق نهر قارون والطريق المار بايران وآسيا الصغرى . وفي سنة ١٨٣٣ تشرف الكابتن تشيزني بعد أن وضع خطة مشروع للاتصال بالهند عن طريق العراق التركي بمقابلة صاحب الجلالة وليم الرابع ، وشجعه الملك الذي كان مهتماً بالمشروع على الاستمرار ، ونصحه بأن يعمل على اعداد اسطول بخاري صغير ، يكون جزءاً من البحرية الهندية ، ويكون مرساه فيما بين النهرين ليساعد على تقوية تركيا وإيران ضد تقدم روسيا . وفي سنة ١٨٣٤ مثل كابتن تشزني أمام «لجنة للملاحة البخارية» وعرض عليها مشروعه ، وأوصت هذه اللجنة باعتماد مبلغ ٢٠ الف جنيه لتجربة الاتصال عن طريق نهر الفرات . وتم اعتماد المبلغ بالفعل ، وأضافت اليه شركة الهند الشرقية مبلغ خمسة آلاف جنيه أخرى ، وقام كابتن تشزني بتنظيم الحملة وصدر مرسوم ملكي مؤرخ في ٢٨ نوفمبر سنة ١٨٣٤ بتعيينه لقيادتها وتوجيهها .

= الهندية ٠٠ » ، ١٨٧٧ ، مجلد ٢ ، ص ٣١ ـ ٤٣ ٠ ومستر هـ٠ف٠ هيلبريشت : « سياحة فى أرض الانجيل فى القرن التاسع عشر ٠٠ » ١٩٠٣ ، أما الاعمال الاولى التى قام بها الملازم أورمسبى فمذكورة فى رحلات ويلستيد لمدينة الخلفاء ٠٠ » ٠

فرمان الملاحة لسنة ١٨٣٤ :

وفي ٢٩ ديسمبر التالي أصدرت الحكومة التركية فرماناً يعطي لاصحاب شركة الملاحة البريطانية الحق في تسيير سفن بخارية دورية لهم في الفرات ما دام هذا من شأنه تسهيل التجارة لفائدة كل من تركيا وبريطانيا » ، وطلب إلى الرائد تشزني في حدود مهمته أن يحاول جهده إقامة أسس علاقة طيبة بكل ممثلي ورعايا الباب العالي الذين يتصل بهم . كذلك صدرت التعليمات إلى السلطات التركية بأن تقدم كل ما بوسعها من معونات لاعضاء البعثة البريطانية . وكان من المتوقع أن يقدم علي رضا باشا على التعاون في هذا المشروع بنية صادقة لأنه كان قد سبق وأوصى الباب العالي بضرورة إقامة خطوط ملاحة بحرية في الفرات . وقد قام فعلا باصدار اوامر حاسمة لكل معاونيه والعاملين تحت إمرته في منطقة الفرات في فبراير ١٨٣٥ بتقديم المعونة والخدمة والحماية لأعضاء الحملة البريطانية .

وغادر الرائد تشزني لندن في فبراير ١٨٣٥ وبصحبته معظم العاملين معه باستثناء الملازم هـ. ب. لنش من البحرية الهندية ومساعده الأول الذي سبق الحملة للقيام بالترتيبات المحلية الضرورية . وكانت سوريا في ذلك الوقت في قبضة محمد علي باشا والي مصر ، وقد حاول ابنه ابراهيم باشا أن ينكر على البعثة حق الدخول إلى الاقليم ، لكن هذه الصعوبة ، مع غيرها من الصعوبات الطبيعية ، أمكن التغلب عليها ، ونقلت «دجلة» و «الفرات» وهما باخرتان نهريتان صممتا خصيصاً في ليفربول قطعاً صغيرة(١) عبر الصحراء إلى مكان يدعى «بورت ويليم» على الفرات الأعلى يبعد ميلين ونصف عن وموقع بيرجت .

---

(١) كان نقل الاجزاء الكبيرة من هاتين الباخرتين عمــلا يتطلب جهـدا عظيما ، فقد نقلت « غلاية » السفينة « دجلة » يجـرها ١٠٤ من الثيران يقودها ٥٢ رجلا من السائقين من أهل البلاد .

وفي ٢٦ سبتمبر ١٨٣٥ أنزلت السفينة «الفرات» وقوتها خمسون حصاناً إلى النهر الذي سميت باسمه ، ولم يكن ارتفاع الضفتين عندها يقل عن ٢٥ قدماً ، وفي الربيع التالي أمكن إنزال السفينة «دجلة» أيضاً وقوتها ٢٠ حصاناً وبدأت عملها . وفي إبريل ١٨٣٦ بدأت السفينتان رحلتهما معاً هابطتين في النهر ، ووزع ضباط المجموعة على السفينتين كما يلي :

الفرات :

كابتن ايستكورت ، من الفرقة ٤٣ مشاة خفيفة ، القائد .
الملازم ر. ف. كليفلاند . ضابط اول .
الملازم هـ. ف. ميرفي . ضابط .
مستر أ. ب. شارلوود . ضابط .
مستر ج. فيتز جيمس . ضابط .
مستر و. آينزوورت .
مستر ت. هيرست . مهندس .
دكتور ومدام هيلفر . رحالتان نمساويان .
المسافرون .

دجلـــة :

الملازم هـ. ب. لنش . القائد .
مستر هـ. ايدن . ضابط .
ملازم ر. كوكبورن . ضابط أول .
دكتور ستانتون .
السادة و. اليوت و ج. سادر : مترجمان .
مستر أ. كليج . مهندس .
ملازم ر. ب. لنش من فرقة مشاة البنغال الحادية والعشرين .
شقيق الملازم هـ. ب. لنش : مسافر .

كذلك قسم البحارة والجنود والموظفون المدنيون بالتساوي بين الباخرتين . وعقب ذلك مباشرة تلقى الرائد تشزني اوامر من سير ج. هيبهوس رئيس مكتب الإدارة يستدعيه من قيادة الحملة لكن تنفيذها أرجىء بعض الوقت .

وسار كل شيء على ما يرام حتى ٢١ مايو ١٨٣٦ . حين تم مسح أكثر من ٥٠٠ ميل من النهر بنجاح . وبعد ظهر اليوم الحاسم ، وفي مكان لا يبعد كثيراً عن عانه ، أثارت الرياح المحملة بالرمال عاصفة غربية شمالية وسط الظلام فأغرقت السفينة «دجلة» ، وقد قضى نحبه في هذه الكارثة كل من الملازمين كوكبورن و ر. ب. لنش إلى جانب ١٣ آخرين من الاوربيين و ٥ من الوطنيين ، ولم يستطع الرائد تشزني الذي كان على ظهرها ، وبقية الضباط أن ينجوا منها إلا حين القوا بأنفسهم إلى البحر . كذلك تعرضت الباخرة « الفرات » لبعض الاضرار التي أصابتها من جراء العاصفة نفسها ، لكنها كانت أضراراً طفيفة . ومع «دجلة» غرقت كل الاموال التي كانت تخص الحملة إلى جانب جزء كبير من العدد والمعدات ، ولم يمكن تحديد المكان الذي غرقت فيه مباشرة ، وراحت الجهود تبذل مرة بعد الاخرى لانتشال السفينة الغارقة لكنها بقيت في مكانها عشر سنوات .

وبعد خسارة دجلة نقل من بقي من ضباطها والعاملين عليها إلى انجلترا ، وظل باقي الحملة يمسحون الفرات بسفينة أخرى ، وانتهوا منه حتى نهر قارون في ١٨ يونيو ١٨٣٦ . وفي اليوم التالي وصلت السفينة المتضررة إلى البصرة ومنها إلى الفرات فبوشهر لاعادة ترميمها ، في الترسانة البريطانية هناك وقد سافر على ظهرها بعد افراغ حمولتها كثيرون من المتطوعين على سفن شركة الهند الشرقية .

وبتاريخ ٢٥ يوليو غادرت السفينة «الفرات» بوشهر في عهدة المستر الفينستون متوجهة إلى شط العرب وأبحرت عباب ذلك النهر إلى كوت الفرنجي حيث مقر الوكالة السياسية للبصرة ، وكان الملازم اول مورفي

عضو البعثة قد توفاه الله حديثاً في أثر مرض عضال . بعد ذلك صعدت السفينة نهر دجلة وعلى متنها الرائد تشزني متوجهة إلى بغداد ووصلتها بتاريخ ٣٠ أغسطس ١٨٣٦ وتركتها ثانية إلى المحمرة في الخامس من سبتمبر . ومن المحمرة تحركت متجهة إلى شط العرب والفرات ووصلت الى حدود لملوم حاملة معها البريد الهندي البري إلى اوربا . بعد هذا حصل لآلاتها عطب شديد اضطرها للعودة إلى المحمرة سائرة مع مجرى الماء حيث أجريت لها الاصلاحات اللازمة بمعونة سفينة الحكومة الهندية المسماة «هيو لندزي» .

وفي هذا الوقت كان الرائد تشزني قد استلم اشعاراً بايقاف صرف المال المخصص لاتمام رحلة البعثة على ان يعاد الصرف في نهاية شهر يناير ١٨٣٧ ، فحول هذا الاشعار بدوره إلى العقيد ايستكورت في القيادة وسافر هو إلى بومباي حيث وصلها في ١ ديسمبر وأثناء فترة غيابه في الهند استقل العقيد ايستكورت سفينة «الفرات» وتقدم بها عبر نهر «قارون» حتى حدود الاهواز وحالت هناك تيارات النهر دون استمرار تقدمه وبعدئذ زار ايستكورت بغداد ثانية وسار بسفينة «دجلة» إلى نقطة تبعد عن بغداد عشرين ميلا . ولكن إصابة دفة السفينة بعارض اضطره للعودة وكانت حكومة صاحبة الجلالة قد أعدت الترتيبات لتحويل سفينة «الفرات» إلى شركة الهند الشرقية على أن تدفع الاخيرة ثمنها المقدر من قبل لجنة بعد معاينتها وتبعاً لذلك وضعت السفينة في عهده تاجر بريطاني في بغداد ، وتفرق معظم ضباطها ورجالها عائدين إلى مزاولة أعمالهم في وطنهم او في الهند بعد أن أصبح مصير البعثة ، التي كانت تحت إمرة الحكومة البريطانية ، في طور النهاية . في هذا الوقت ترك الرائد تشزني بومباي حاملاً معه رسائل مهمة إلى مجلس المراقبة بتاريخ ٢٨ إبريل ١٨٣٧ . وبتاريخ ٨ أغسطس وصل لندن ، ثم عاد إلى وطنه من البصرة ماراً بالزبير والصحراء . وفي مارس ١٨٣٨ انزلت سفينة «الفرات» إلى النهر الذي تحمل اسمه بقيادة القائد هاوكنز وسارت فيه إلى

حدود هيث ، ولكنها واجهت صعوبة في سيرها نظراً لانخفاض مستوى ماء النهر هناك .

تتمة مسح نهر العراق التركي من قبل القائد هـ. بي. لينش عام ١٨٣٧ – ١٨٣٩ :

ورغم توقف الاعمال التجريبية للاتصالات النهرية على نهر الفرات ، فان فكرة البريد الهندي والاوربي عن طريق العراق كانت ما تزال قائمة . وكان الملازم اول هـ. ب. لينش ، الذي عينته اللجنة السرية التابعة لادارة شركة الهند الشرقية في إبريل ١٨٣٧ قائداً لسفينة الفرات أو مثيلاتها من سفن يمكن استخدامها فيما بعد في أنهار العراق التركي ، قد اوعز اليه باجراء محادثات ودية مع القبائل التي تقطن عادة بجوار نهري العراق والعمل بجد لإقامة علاقات طيبه معها بشكل يخدم مصالح بريطانيا العظمى ويزيد من التسهيلات في سرعة نقل البريد بين الخليج وشاطيء سوريا ، وكذلك بما يسهل اتمام مسح نهري الفرات ودجلة فضلا عن الدراسات الفلكية والجغرافية والاحصائيات ذات المساس المباشر بمهمته الاساسية . أما مهامه السياسية فكان عليه انجازها بالاتفاق والتنسيق مع الرائد تايلور والمقيم على أن تظل المهام السابقة الذكر عمله الرئيسي . على أنه كلف بالاضافة إلى ذلك القيام بانهاء شئون البعثة التجارية التي انتهى أمرها وتصفية مخازنها ومستودعاتها وحطام سفينة دجلة ، على أن يضع في ذهنه ملاحظة أية ترتيبات او اتفاقات سبق التوصل اليها مع القبائل العربية أو السلطات المحلية في نفس المواضيع .. وخلال السنتين اللتين تلتا تعيينه ارتقى الملازم اول لينش سفينة دجلة مع مركبة متوجهاً إلى كوت عبدالله الواقع شمال بغداد ماراً عبر قناة الصقلاوية ووصل بعد ذلك إلى ملتقى نهري دجلة والفرات بالقرب من بغداد فانجز بذلك خريطة لمجرى نهر دجلة من الموصل إلى الزيزفون فتاج كسرى في أسفل بغداد ، مع ربط نينوي وبغداد ، وبابل والزيزفون بطريقة المساحةالتثليثية.

وفي سنة ١٨٣٣ الغي الطريق الصحراوي للبريد البريطاني بين حلب والبصرة ، الذي كان ذات يوم ذا اهمية للمواصلات السياسية بين أوروبا والهند أثناء العصر النابليوني .

وفي عام ١٨٣٦ أُنشيء ، تسهيلا لاعمال تشزني ، طريق جديد للبريد ينقل على الجمال بين بيروت على الشاطيء السورى وهيث على نهر الفرات ماراً عبر دمشق تحت مراقبة وإشراف القنصل البريطاني في سوريا . وقد استمر استخدام هذا الطريق البريدي إلى البصرة على ظهور الخيل من قبل الوكالة السياسية البريطانية في العراق التركي وذلك بموجب أوامر من حكومة بومباي . وفي عام ١٨٣٧ نظم هذا الخط ، رغم أن الطريق البري إلى اوروبا عبر البحر الاحمر كان قد بُدىء باستعماله رسمياً. وقد ضاعف استخدام هذا الطريق كثرة الوسائل المهمة المارة بين انجلترا والهند وبالعكس مما كان مفروضاً ارسالها عن طريق بيروت ــ البصرة ، وكانت بيروت عندئذ تعتبر كمدينة الاسكندرية من ناحية المواصلات التجارية مع اوروبا . وقد بلغت تكاليف صيانة طريق البريد (بيروت ــ البصرة) من فبراير عام ١٨٣٨ لغاية عام ١٨٤٣ حوالي ٩٠,٠٠٠ روبية .

★ ★ ★

التجارة فى العراق التركى عام ١٨٠٧ ــ ١٨٣٩

في هذه الفترة توقفت الاعمال التجارية الخصوصية لوكلاء شركة الهند الشرقية في تركيا والعراق ، مثلما توقفت أعمال الشركة نفسها . وحيث لم يعد ير أشخاص بريطانيون يتعاملون بشئون هذه التجارة ، فان ذكرها يصبح محدوداً جداً في المكاتبات الرسمية .

رسوم الضرائب التي فرضت على بضائع وسلع التجار المواطنين عام ١٨٠٩ :

وفي نهاية عام ١٨٠٩ أعد المستر مانستي ، المقيم البريطاني جدولا يبين معدلات الضرائب التي تجبيها السلطات التركية على سلع وبضائع التجار

المواطنين من العثمانيين ، وهو وصف لا يشمل الرعايا البريطانيين الآسيويين ، فكانت تلك النسب المئوية تزيد بكثير ، كما سنرى ، على المعدلات التي منحتها الامتيازات الاجنبية في الشرق للتجار البريطانيين وكل من هو تحت علمهم . وكانت نسبة الجباية المئوية على البضائع المستوردة في البصرة تتراوح ما بين ٣,٥ و ٨,٥ في المائة ، وفي بغداد ما بين ١٣ إلى ٨,٥ في المائة . أما نسبة الرسوم على السلع المصدرة في البصرة فكانت ١٤ في المائة . وكان يضاف رسم في البصرة على كل رزمة ترسل فيما بعد إلى بغداد . وأكثر الرسوم اعتدالا كانت على السلع المسماه بالتركية الجوزارت ، واللبرس والتعزيق والجرماسو . وكان هدف تخفيض الرسوم المفروضة على مثل تلك السلع هو للحد من موجة التهريب . ولكن في نفس الوقت كان مراقبو الجمارك أحياناً يقدرون نسبة الرسوم على أجود هذه السلع كل حسب قيمتها . وكان من بين المواد التي تفرض عليها رسوم باهظة : خشب الصندل ، الخشب الأسود ، الحديد ، التنك ، الرصاص ، السكر ، وسكر النبات ، القهوة ، أنواع التوابل ومواد الطلاء وغيرها من السلع الكمالية .. وكذلك القطن المغزول من النوع المسمى شقير ويليها في المرتبة الثانية في ارتفاع الرسوم السلع البنغالية بأنواعها جميعاً وهي الصورات وجوجرات ومختلف سلع الكتان وكذلك بضائع الكامهي كذلك كانت تفرض رسوم إضافية على السلع التي تمر بحلب ثم القسطنطينية .

* * *

عبد المجيد ١٨٣٩ ـ ١٨٦١ (١)

كان السلطان محمود الثاني يتسم بروح الحزم والجد والمثابرة والصبر على مجابهة الشدائد . وقد استخلف من بعده ابنه عبد المجيد ، البالغ من العمر عندئذ ست عشرة سنة . وقد اتاه الله مقدرة وكفاءة فطرية في إدارة دفة الحكم . وكان ذا ثقافة واسعة تؤهله لحمل عبء التاج . وقد ترعرع (٢) السلطان عبدالمجيد على نبل الأخلاق وطيبة القلب والنوايا الحسنة . ولكنة كان ضعيف البنية موهون القوى ، وكان مظهره منسجماً مع خلقه . وكانت قامته قميئة ووجهه شاحباً ، واذا جلس القى ببصره إلى الأرض .

واول مهمة واجهها هذا السلطان الفتى هي التقليل من الاذعان لواليه المتمرد في مصر محمد علي باشا . ولكن التفاف القوى الاوربية المؤلفة من بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا جعلته يتخلى عن أي

(١) المصادر الرئيسية عن الشئون المحلية تعتمد في هـذه الفترة على ملخص يحتوى على المعلومات المتعلقة عن اول امتياز نالته الشركـة الهندية الشرقية الموقرة في البلاد العربية التركية عـام ١٨٧٤ . وايضا على ملخص الشئون العربية التركية عـام ١٨٠١ ـ ١٩٠٥ والمطبوع عام ١٩٠٥ لمؤلفه المستر ج.أ. سالدنها . ويحتمـل ان اضيف الى هذه المعلومات مقتطفا عن بومباى رقم ٦٣ ، والجـزيرة العربية التركية الخ . عام ١٨٥٧ وبعضا من المؤلفات التى قطعهـا المسافرون (وسنشرح بعضا منها فى الحواشى) التى تلقى ضوء على نقاط خاصة امثال : رحلات لوفيتش وتحرياته ورحلة ميتفورد من الهند لسيلان سنة ١٨٨٤ .
أما بخصوص قضية الحدود التركية الفارسية فان اكثر المصادر قيمة فى هذا الشأن هى المراسلات التى لها علاقة بمفاوضـات الحدود بين تركيا وفارس وتقع فى ثلاثة اجزاء طبعت لحساب مكتب الشـئون الخارجية عام ١٩١٢ . ولكن كتاب : اللورد كيرزون بعنوان أرمينيا يشتمل على بعض من الحقائق الاضافية . كما ان كتاب تاريخ لو عن البحرية الهندية يؤدى خدمة فيما يختص بمسح ارض الجزيرة والملاحة فى نهر دجلة الخ .

(٢) راجع رحلات ليارد الاولى مجلد ٢ ، ص ٤٥٢ .

إجراء يتخذه ضده حيث أخذت تلك الدول هذا العمل على عاتقها بفعالية أفضل من السلطان . وكانت فرنسا تعطف في الخفاء على محمد علي وتحبذ إقامة علاقات طيبة معه لكي تسيطر من ورائه على حوض البحر الابيض المتوسط ، كما أنها كانت ترغب في استمرار استيلائه على سوريا . وحتى تصل إلى هدفها استنكرت القرار الذي تبنته الدول المجتمعة الاخرى في يوليو ١٨٤٠ والذي كان يقضي بتوجيه انذار نهائي إلى محمد علي باعلان طاعته للباب العالي ، واعتبرته إهانة لكرامة الانسان .

بعد تبني هذا القرار ظهرت قطع من الأساطيل البريطانية والروسية والنمساوية في شهر اغسطس على الشاطىء السوري . وقد ضربت بيروت بالقنابل واخضعت عكا وازاحت الجيش المصري المحتل من سوريا بإثارة هيجان السكان فيها . ثم أتبعت ذلك بمظاهرة بحرية ضد مدينة الاسكندرية فما كان من محمد علي إلا أن أعلن ولاءه للسلطان . وهنا اصدر السلطان بمشورة الدول المذكورة فرماناً في ١٣ فبراير عام ١٨٤١ منح به لقب الباشوية لمحمد علي في مصر ، وجعلها وراثية في عقبه من بعده على شكل يحفظ كرامة وسيادة تركيا . وفي ١٣ يوليو من السنة ذاتها وقع ممثلو الدول الخمس الكبرى معاهدة تقضي باغلاق مضيق الدردنيل والبوسفور في وجه السفن الحربية الاجنبية ما دام الباب العالي في حالة سلم .

وقبل وقوع هذه الحوادث ، كانت قد صدرت في تركيا قوانين إدارية في ١٥ نوفمبر باسم السلطان عرفت بالتنظيمات . وكان لهذه القوانين أهمية كبرى في تاريخ حكم الامبراطورية التركية الداخلي لكونها – رغم موجه السخرية والخوف الذي رافق اصدارها لدى علماء الدين المسلمين المتسلطين في الامبراطورية التركية– قد وضعت موضوع حقوق أصحاب الجنسيات التركية من العناصر المسيحية المختلفة في قوالب جديدة تحت امرة السلطان وعلى أسس معترف بها . وكانت هذه التنظيمات عامة في فحواها . فلم تكن تنص فقط على المساواة بين

مواطني الدولة العثمانية دون النظر إلى الجنس او العقيدة فحسب ؛ بل تعدتها في ذلك بالغاء سلطة الهيئة العرفية في جميع أنحاء البلاد وتأسست بدلا منها هيئة مدنية . وجدير بالذكر ان حكومة الامبراطورية ، كما هو معروف قد أصبحت مركزية مغالية ربطت سائر الشئون بالقسطنطينية منذ سنة ١٨٣٤ .

وكان الشقاق الخطير الوحيد الذي شهده حكم عبد المجيد مع الدول الاجنبية الكبرى هو قطع العلاقات مع روسيا بسبب حرب القرم . وحيث دخلت روسيا بالاتفاق المشترك مع الدول الكبرى الاخرى بخصوص القضية المصرية عام ١٨٤١ ، فانها بذلك خسرت سيطرتها على السياسة التركية منذ معاهدة أنكير سكيلسي . وربما كان سخط القيصر نيقولا على ما آلت اليه الامور هو الذي جعله يستأنف خططه القديمة ليقطع أوصال الامبراطورية التركية . وفي عام ١٨٤٤ اقترح القيصر تجزئة تركيا في أثناء زيارة البريطانيين وكانت النتيجة الوحيدة لتلك الخطة التي قوبلت بالرفض من جانب الحكومة البريطانية ، هي بعث شكوك بريطانيا في مقاصد روسيا . وقد جدد القيصر اقتراحه هذا في سان بطرسبرغ في يناير عام ١٨٥٣ مستعملا لاول مرة في حديثه مع السفير البريطاني عبارة (الرجل المريض) في الاشارة الى تركيا والسلطان تلك الاشارة التي ذاعت كثيراً منذ ذلك الحين . في تلك الظروف طلب نابليون الثالث من الباب العالي انصاف الكنيسة اللاتينية ، باعادة حقوق معينة قيل إنها كانت سلبتها اياها الكنيسة الارثوذكسية في نطاق الحقوق والامتيازات الممنوحة في الديار المقدسة في فلسطين . ولكن الامبراطور نيقولا وقف في وجه ذلك المطلب وعارضه بشدة مصراً على الابقاء على الوضع الراهن في الاماكن المقدسة دون تغيير . كما أصر بالاضافة إلى ذلك على وجوب الاعتراف بالحماية الروسية للمسيحيين الارثوذكس القاطنين في سائر أنحاء الدولة العثمانية . وكان من الممكن تسوية قضية الأماكن المقدسة . أما طلب القيصر الثاني بشأن حماية الارثوذكس فكان من المستحيل إيجاد

حل له . عندئذ وجهت روسيا إنذاراً نهائياً إلى تركيا في ٥ مايو ١٨٥٣ فرفضته تركيا بتشيجع من كل من بريطانيا وفرنسا وعندها اجتاحت الجيوش الروسية ولايات الدانوب العثمانية . وفي أكتوبر عام ١٨٥٣ أعلنت تركيا الحرب على روسيا . وفي ٢٧ مارس ١٨٥٤ ، وبعد أن زاد الأمر تعقيداً دخلت فرنسا وبريطانيا الحرب مع تركيا .

وقد انتهت حرب القرم بتوقيع معاهدة باريس في ٣٠ مارس ١٨٥٦ من كل من ممثلي بريطانيا ، وفرنسا وتركيا ، وروسيا والنمسا وبروسيا وسردينيا . وكانت تشمل بنداً ينص على حظر تدخل أي من الدول الاوربية الموقعة في الشئون الداخلية لتركيا او بين السلطان ورعاياه . وقد دل هذا دلالة وا ضحة على فشل الطلب الروسي لحماية جميع المسيحيين الارثوذكس في تركيا ، كما أنها جددت تأكيد ميثاق عام ١٨٤١ مع اضافة بنود معينة طفيفة عليه . وكان من ضمن بنود المعاهدة واحد يقضي بادخال تركيا عضواً في مجموعة الدول الاوربية والاعتراف بحقها في الانتفاع من مزايا القانون الاوروبي الدولي وضمانة استقلال وسلامة اراضي الامبراطورية العثمانية . كما أنه اتفق على تحييد البحر الأسود وفتحه للملاحة التجارية الحرة لسائر الدول كما حظر على سائر الدول بما فيها تركيا وروسيا الاحتفاظ بقطع حربيه اوبناء ترسانات حربية على شواطئه .

ولسوء الحظ لم يكن «للتنظيمات» المستحدثة في تركيا ذلك الأثر الحميد الذي كان يتوقعه لها الاوروبيون بحماسة بعد صدورها ، فقد كانت تثور بين الحين والآخر حوادث اعتداءات على الرعايا المسيحيين في الامبراطورية التركية . ففي عام ١٨٥٦ انفجرت موجة من التعصب الديني في جده . وفي عام ١٨٦٠ حصلت أيضاً مجازر دموية ضد المسيحيين في سوريا كانت السبب الذي دعا فرنسا لاحتلال هذه المنطقة موقتاً ومنح لبنان ، في النهاية ، وضعاً خاصاً ما يزال يتمتع به حتى الآن .

التاريخ الداخلى للعراق التركى ١٨٣٩ ـ ١٨٦١

تميزت هذه الفترة في العراق التركي تميزاً واضحاً بجهود مخلصة من السلطات التركية المحلية لدعم هيئة ومركز الحكومة حتى لدى القبائل العربية كذلك بذل جهد صادق لاصلاح النظم المالية في الاقاليم . وقد لاقت هذه السياسة القاسية بعض النجاح ، ونتج عنها قمع غير نوع واحد من أنواع الجريمة والاخلال بالامن ، لكن هذه السياسة نفسها كانت تثير لوناً من الفوضى الدائرة في كل مكان ، فضلاً عمّا واكبها من اهمال تام للنواحي الاقتصادية والتجارية بحيث كانت حصيلتها النزوع بالبلاد عموماً إلى الخراب دون التحسين .

العصيان في كربلاء وإخماده ووقوع مجزرة شاملة (١) :

ظلت مدينة كربلاء منذ عام ١٨٤٢ وبعد ذلك بحوالي عشرين سنة ، تتمتع بحكم ذاتي كأنها شبه جمهورية مستقلة ومعفاة من مطالب ممثلي الباب العالي الا من جزية مقدارها غير مستقر. وكان ثلاثة ارباع السكان من الايرانيين او من أصل فارسي . ولم يكن التاريخ الحديث لهذه المدينة مما يشرفها كاحدى المدن التركية ، فقد قتل أهاليها اثنين او ثلاثة من الولاة ممن أوفدهم اليها باشوات بغداد في مراكز أعمالهم . وفي عام ١٨٤١ أو قبله قام داود باشا بمحاولة لفرض سلطته على كربلاء ، لكنها انتهت ، بعد حصار دام أحد عشر شهراً ، بمجرد وعد من السكان بدفع ضريبة سنوية . وقد منع علي رضا شابا الخلف المباشر لداود باشا من الدخول إلى كربلاء حتى كحاج . ويظهر أنه بعد أن حصل على مبلغ من المال وبعد قبول الأهالي بمرشح حسن الاخلاق زكّاه الباشا ويدعى سعيد عبدالوهاب ، وهو من عائلة عريقة في بغداد . ليصبح والياً على المدينة ، أذعن الباشا وقبل الوضع الاستقلالي الراهن للمدينة .

---

(١) ما يزال الايرانيون فى كربلاء يذكرون هذه المجزرة باسم « تمارتى » ومعناها السلب . ويذكرها العرب باسم الدقة ومعناها الضربة . ويقابل العام الميلادى لهذه الواقعة عام ١٢٥٨ هـ .

وقد عمت داخل المدينة أوضاع شاذة . فقد كانت الحكومة ، في الواقع ، تحت سيطرة حوالي الفين او ثلاثة آلاف من العصاة الصعاليك أطلق عليهم بازمار(٢) وهم أصلا من المجرمين الفارين والخارجين على القانون من مختلف أنحاء العراق التركي وفارس ممن كانوا يعيشون على أكتاف السكان والحجاج الوافدين . وكان هؤلاء البارامازداثماً شاكي السلاح ، ويتبعون جماعة ممن نصبوا أنفسهم زعماء . وكان من أكثر رؤسائهم قوة وبطشاً في عام ١٨٤٣ شخص يدعى السيد إبراهيم الزعفراني وهو فارسي مستعرب . ويليه ميرزا صالح ومحمد علي خان اللذان كان معظم أنصارهما من الايرانيين . وكان كثيراً ما يحدث بين هؤلاء الاشرار مشاحنات ومعارك دموية . جعلت كرام الناس من سكان كربلاء يحيون في ذعر وخوف دائمين ولم يسلم أي مقيم اوحاج من جورهم وقسوتهم إلا اذا وضع نفسه تحت حماية إحدى زمرهم مقابل منحة ترضيتهم . وقد وصف الرائد تايلور ، المفوض السياسي البريطاني في بغداد الحالة كما يلي : لقد أصبحت سلطة الحكم بصورة دائمة تحت سيطرة عصابة شريرة من الخارجين على القانون والساقطين الفارين من بيوت أهلهم من كل ناحية في الباشوية ، فبينهم جنود فارون من الخدمة وزمر من صغار الموظفين المتهربين من مواقف محرجة أو المديونين ولوا فراراً من دائنيهم ومجرمين وعهرة فارين من وجه العدالة يرحب بهم حالما يلتحقون بهذه الزمر ويسلمون السلاح ، ويحال بينهم وبين التسليم لسلطات الدولة .

وقد اضطر علماء الدين الشيعة المجتهدون او معظم أساتذة الشريعة أن يلعبوا دوراً ثانوياً بالنسبة لقضية عصابة باراماز والأمور السياسية المحلية ، رغم أنهم جماعة لها وزنها ونفوذها الفعال لكون كربلاء إحدى أهم مركزين في تدريس الفقه الشيعي . وكان أبرز العلماء السيد كاظم

---

(٢) باراماز كلمة تركية معناها (عديم القيمة) رغم انها فى صيغة الافعال تستعمل كصفة بمعنى (الرجل الشرير) و (الولد الخبيث).

الرشتي(١) والسيد ابراهيم القزويني وكان التنافس على النفوذ بينهما شديداً . فكل منهما حائز على تأييد جماعة الباراماز . فالرشتي يعتمد على مساندة السيد إبراهيم الزعفراني ، والقزويني على الميرزا صالح . أما الحاكم الصوري سعيد وهاب فقد كان يحاول جهده مسايرة سيده الباشا البعيد عنه في بغداد وأسياده القريبين منه من الباراماز ، ويميل داخلياً إلى التحالف مع السيد ابراهيم ضد انصار ميرزا صالح ومحمد علي خاى الايرانيين .

هكذا كان نظام الشيعة في كربلاء عندما عين نجيب باشا في صيف عام ١٨٤٢ والياً لاقليم بغداد . كان نسيج الباشا الجديد امتن من نسيج سلفه المباشر . فبعد مضي حوالي شهرين على استلام الحكم ، وعندما رفض الكربلائيون تقديم المؤن أو السماح له بالدخول إلى المدينة حتى بصفة حاج إذا كان بصحبته أكثر من اربعة أو خمسة من المرافقين ، استفزه هذا التصرف منهم وأصر على قبولهم بحامية عسكرية تركية داخل أسوار المدينة . وقد حدث هذا في حوالي نهاية أكتوبر من عام ١٨٤٢ . وكان نجيب باشا عندئذ معسكراً مع حكمدار الجيش سعدالله باشا في المسيب حيث كان الاخير يعمل مع جنوده في أعمال قنوات يقصد بها تسهيل العبور إلى اراضي قبيلة المعدان المتمردة مما يدل على أن السلطات العثمانية لم تكن نائمة عن كربلاء وحدها ولكن عن سائر الاقاليم حولها . وتلا ذلك مفاوضات اسفرت عن زيارة وفد مؤلف من المجتهد السيد كاظم والحاكم الصوري سعيد وهاب «وظل السلطان ابن المرحوم شاه إيران الذي كان يعيش كلاجىء في كربلاء ، وآخرون معسكر الباشا الموالي . وبناء على طلبهم ارسل الباشا رجلا من بغداد يدعى الحاج عبدالرحمن إلى كربلاء لكي يتوسط بينه وبين المتمردين . وفي البدان تعهد شيوخ المدينة ووجهاءوها خطياً بالسماح بدخول خمسمائة جندي

(١) هو مؤسس جماعة الشيخية التى ما زالت قائمة الى الآن . ومحمد على مؤسس فرقة البابيين التي درست تحت اشرافه فى كربلاء . ويعيش الآن حفيده السيد قاسم فى كربلاء وله املاك كثيرة .

إلى المدينة ، ولكن هذه الاتفاقية مزقت قبل أن يجف حبرها . وبينما كان زعماء البارامازأشدّ المتحمسين للصمود والاستمرار في المقاومة ، كان المجتهدان السيد كاظم وظلّ السلطان من دعاة الاذعان والتسليم . لهذا زاد رؤساء البارامازمن تأهبهم واستعدادهم للدفاع عن المدينة وشرعوا بنصب بنادقهم فوق الأسوار وبجلب رجال عرب مسلحين من الضواحي .

وعندما رأى نجيب باشا أنه ليس في نية المتمردين الخضوع والاستسلام وأنهم إنما كانوا يحاولون فقط استغلال الوقت لكي يعززوا مواقفهم ويزيدوا من قوتهم ، طلب امدادات عسكرية من بغداد وأمر حكمدار الجيش بالزحف إلى كربلاء بفرقة واحدة من الفرسان وعشرين مدفعاً وثلاث فرق من جنود المشاة . وقد وصل سعدالله باشا بهذه الفرق ومعهم بعض العرب الموالين إلى كربلاء في ١٩ ديسمبر ١٨٤٢ . وقد ضرب معسكره في الجانب الجنوبي مى البلدة خارج أحراج النخيل المحاطة بها ، وهناك اطلقت على الجيش النار لكنه لم يرد عليها . وعندئذ زار المجتهدان السيد كاظم وظل السلطان الحكمدار في معسكره ، واقترحا بأن تسلم اليه أفراد أسرة رئيسي البارامازالسيد إبراهيم والميرزا صالح كرهينتين، ثم ينسحب الحكمدار بقوته الرئيسية إلى المسيب مع إبقاء خمسمائة جندي خارج كربلاء . وحينما يصل بالقوة الرئيسية إلى المسيب يسمح للقوة الصغيرة بدخول كربلاء وفي أثناء ذلك تغادر جماعة البارامازومعتمديهم البلدة دون تكدر او مضايقة . وعندما يتم جلاء البارامازتماماً تعود القوات من المسيب بحرية إلى كربلاء . ويظهر أن سعدالله باشا قبل بهذه الشرط ، وكان عليه أن يخبر بها نجيب باشا الموجود في المسيب . عند ذلك بدأ أهالي كربلاء يخاطرون بالتنقل خارج الاسوار بينما كان مرتزقتهم من العرب يتفرجون ويؤدون رقصات الحوسة ويطلقون النار من بنادقهم في الهواء حسب تقاليدهم المعتادة . وفي اليوم التالي ، وكان ذلك في ٢١ او ٢٢ ديسمبر ، ذهب ظل السلطان إلى المعسكر التركي وبمعيته أفراد أسرة السيد إبراهيم الزعفراني وميرزا صالح

شخصياً واستقبلوا استقبالا حسناً من جانب الحكمدار التركي ، ولكن في نفس الوقت وصل سليمان باشاميرزا ، وهو أمير فارسي آخر لاجىء من المسيب حاملا معه أنباء بأن نجيب باشا قد رفض الموافقة على إنسحاب أي جزء من القوات المرابطة بالقرب من كربلاء . وفي صباح اليوم التالي تبين للحكمدار أن الميرزا صالح قد ولى الأدبار إلى البلدة وان الرهائن الآخرين المطلوبين قد فقدوا . وتبين له أيضاً أن بعض الرهائن الذين سلموا له لم يكونوا نفس الاشخاص المتفق عليهم لذلك قام بايفاد إبراهيم أغا ، ضابط المدفعية ، إلى كربلاء ليستطلع ما يجري فيها . وتجمعت حشود من أهالي البلدة والعرب آتية من بساتين النخيل عند مرور المبعوث بها يسألونه عن الاخبار ثم تبعوه إلى بوابة البلدة . وبينما هو ما يزال على البوابةنفخ حراس الاسوار أبواق الخطر وأشيع ان الجنود الأتراك أخذوا بالزحف . وكان الحكمدار أثناء ذلك ، في الواقع ، يعمل فقط على تحسين وترتيب الاوضاع في معسكره . ولكن لم يأبه المتمردون لهذا ، فاندفعوا وأطبقوا على إبراهيم أغا وأخذ إلى داخل البلدة حيث وجد بعد ذلك سالماً عند المجتهد السيد كاظم . وكانت نتيجة الاشتباك ، الذي لم يتعمده الجانبان ، في مصلحة العرب وأهالي البلدة . فاستولوا على المدافع التركية ولكن بدون قطع التنسيق وحملوا بعضاً منها معهم وهم في نشوة من النصر ، ثم رموا الباقي في خندق حيث استردها الجنود بعد ذلك في الليلة التالية ، واستمر الاشتباك حتى غروب الشمس وسقط عدد من الجرحى من الطرفين . وبعد هذه الحادثة تصرف سعدالله باشا مع ظل السلطان ، الذي كان ما يزال في المعسكر ، بكل فظاظة وخشونة وأرسله والرهائن إلى نجيب باشا في المسيب حيث نقلوا منها إلى بغداد .

وبعد وقوع هذا الاشتباك جرى تنظيم القوة الدفاعية في كربلاء تنظيماً أصولياً ، وكانت تحصل يومياً مناوشات بين الطرفين في بساتين النخيل يستعمل فيها الطرفان المدافع . وكان الاتراك يطلقون قذائفهم في الفضاء فلا تحدث غير أضرار طفيفة في المدينة قاصدين مجرد التخويف

والازعاج . ورغم هذا كله كانت المفاوضات ما تزال مستمرة . وفي أول شهر يناير ١٨٤٣ وصل القنصل الايراني من بغداد إلى المسيب وبمعيته المجتهد السيد ابراهيم ، وهو منافس السيد كاظم ، واقنعا نجيب باشا بأن يتعهد ، ليس فقط بالحفاظ على سلامة البلدة فحسب اذا هي استسلمت ، بل بأن يسمح أيضاً لجماعة البازامار بمغادرة البلدة بأمن وطمأنينة عبر الممرات البعيدة عن المعسكر التركي وقد أجاب المتمردون على هذه الاقتراحات مستندين إلى إشاعة كاذبة بأن الجيش الايراني كان يزحف لنجدتهم وبأنهم سوف يسمحون بدخول مائتي رجل مسلح إلى البلدة فقط ، مع جماعة صغيرة لترابط في مداخل البلدة . واغتاظ نجيب باشا من هذا الرد . وقد عاد القنصل الايراني بعد إقامة قصيرة دامت اربعة أو خمسة أيام في معسكر الباشا وعاد معه المجتهد القزويني إلى بغداد . ولسوء الحظ فان تقصير القنصل في التأكيد لسكان البلدة بأن نجيب باشا كان مصمماً على فرض سيادته على البلدة ساعد على بث الثقة في نفوس المدافعين عنها وقوي في اعتقادهم بأن الاتراك ليسوا جادين في نواياهم . وقد بلغ الغرور بالناس حداً ربما لم تكن تجدي معه رسالة يوجهها لهم القنصل الايراني .

وشرع الآن حكمدار الجيش بالتقدم نحو البلدة ونشبت معركة حامية بين أحراج النخيل، ثم عمل الجيش جدياً في قطع أشجارها من أجل توضيح معالم الممرات وتنظيفها . وكانت حصيلة هذه المعركة أن استخلص الجيش بصعوبة ضريح ابن حمزة من أيدي جماعة البارامار وتم الاستيلاء على أربعة مدافع ثم نصبت المدافع عند الضريح على بعد ٣٥٠ ياردة من أسوار المدينة وعم داخلها شعور قوى مُعاد للسنة ، وأعلن الملا الجهاد الديني ، وعلت صرخات الذم والإهانة ضد السلطان وجيشه من فوق شرفات الاسوار المواجهة لقوات العثمانيين وقام أهالي المدينة بصهر قفص ضريح العباس النحاسي لكي يسدوا النقص الذي أصابهم في الرصاص والقذائف ، واشترك العلماء في إكمال ترميم الاسوار بعد اضرار القصف التي حلت بها .

وأخيراً وبسبب الموقف الحرج الذي أصبحت القوات فيه أصبح حتماً على قيادة الجيش اتخاذ قرار حاسم فقد أضرّت بالجنود الاتراك قلة المؤن ورطوبة الجو حتى بات الجنود على وشك الفرار من المعسكر . وفي ١١ يناير قامت المدفعية التركية(١) بالتركيز على قسم من سور المدينة على بعد ٦٠ ياردة من بوابة النجف بحيث أحدثت فيه خرقاً واسعاً ، ثم أوفد شخص عربي يدعى علوان حاملا معه راية بيضاء وداعياً أهالي المدينة للاستسلام ، وكان سيتم تحرير شروط التسليم حين هرع إلى المكان ميرزا صالح شاهراً سيفه وطارحاً عمامته على الأرض ، وصائحاً بأنه قد فات اوان التراجع . ومال الرأي العام إلى جانب ميرزا . ثم رجع المبعوث إلى المعسكر التركي . وفتحت نار المدافع ثانية واستمرت حتى غروب الشمس . موسعة عرض الخرق في السور إلى خمسين ياردة .

وحتى ذلك الحين لم يكن عصاة كربلاء على يقين من الخطر الذي يتهددهم . وفي صباح يوم ١٣ يناير ، وقبل بزوغ النهار ، قام الاتراك باستطلاع الثغرة في السور فوجدوا الحراس عليها بين متغيبين أو نائمين حول نار في أسفل السور . على أن جماعة من المدافعين تجمعوا عند الثغرة بعد الفجر وقبل أن يقتحم الجيش الموقع . وقد تم اقتحام السور بفقدان حوالي ٥٠ رجلا . وفتحت بعد ذلك بوابة النجف لتتدفق عبرها القوات التركية الرئيسية .

وعندما احتشد الجنود داخل البلدة جرى تقسيمهم إلى ثلاث كتائب . أمرت الاولى بالتقدم إلى وسط المدينة ، بينما أمرت الكتيبتان الاخريان بالسير نحو الجانب الداخلي من السور في جهات تعاكسة إلى أن التقوا سوياً بعد احتلال مختلف المداخل التي مروا بها .

وعندما وصلت إحدى هاتين الكتيبتين إلى بوابة الخيمة ، وجدت جمهوراً من العرب والباراماز ومواطنين عاديين من كل جنس

---

(١) كانت الاضرار التي لحقت بأحراج النخيل ما تزال ظاهرة للعيان عام ١٨٤٩ راجع كتاب « رحلات لوفتس » صفحة ٦٥ .

محتشدين هناك لم يتمكنوا من الفرار لانغلاق البوابة . وأطلق بعض العرب النار على الكتيبة فرد عليهم الجنود بطلقات نارية مميتة . وتبع ذلك عملية كر وفر ، وصرع ودعس عدد من الرجال والنساء والأطفال الذين تراجعوا فراراً ولحق بهم الجنود إلى بوابة الحور . وعندما وصلوها ظهرت كتيبة السور الأخرى من الجهة المعاكسة وشرعت بإطلاق النار بين العرب ، وقاموا بذلك ثانية إلى أن فُتحت بوابة السور إلى مدى ٩ أقدام فقط . وتلا ذلك عملية سحق جنونية عاني وقاسى منها النساء الفظاعة والهول . عندئذ ثارت ثائرة الجمهور . وهرب معظم السكان للالتجاء إلى الأضرحة ومنازل الاغنياء ، ورمى بعضهم بأنفسهم من فوق أسوار المدينة . وفي نفس الوقت كانت كتيبة الجنود تتقدم عبر وسط المدينة ووصلت ضريح العباس متتبعة فلول العرب . وكانت بوابة الضريح مغلقة . وعندما توقفوا امامها فتحت عليهم النار من بيت مجاور وقتل عدد منهم . فما كان منهم إلا أن ضربوا البوابة ، فأطلق عليهم النار ثانية من قبل البارامان والعرب من الداخل ومن فوق المآذن . وأثار هذا غضب وسخط الجنود ، فنزلوا إلى ساحة الضريح على رؤوس اللاجئين التي اكتظت بهم الساحة غير مميزين بين جنس وسن أو بين محارب وغير محارب ، واقتفوا أثر ضحاياهم إلى أقصى داخل المحراب وفتكوا ببعض منهم وهم ممسكون بقفص ضريح العباس الفضي ، حتى قيل إن طنافس الضريح نفسه قد ابتلت بدمائهم . وفي هذه اللحظة كانت الحملة التأديبية قد بلغت نهايتها . وذهب الضباط إلى الحكمدار بعد أن فقدوا السيطرة على جنودهم الذين انتشروا في نواحي المدينة يدخلون وينهبون البيوت ومن فيها بطريقة وحشية لا تمت إلى الانسانية بصلة ، وذبحوا عدداً من الاشخاص الذين كانوا خارج منازلهم في الشوارع . وأثخنت بالجروح زوجة أمير فارسي لاجرىء ، كما اصيبب أيضاً عدد آخر من أفراد العائلة الملكية الايرانية بجروح طفيفة . وكان معظم الضحايا من الطبقة

الفقيرة وأخيراً امتطى الحكمدار جواده متوجهاً إلى ضريح الحسين ووصله في وقت امكنه من ايقاف عمليات التشنيع والقتل التي دارت رحاها في ضريح العباس . ولكي يؤكد موقفه هذا قام بنفسه بقتل اثنين او ثلاثة من الجنود . وجرت محاولة ايضاً لإعادة الأشياء التي سلبها الجنود إلى أصحابها ولكن هذه المحاولة لم تكن فعالة . وكان الوقت حوالي غروب الشمس حينما تمت السيطرة على الفوضى والاضطراب . وعاد الجنود إلى معسكرهم ، وهم في حالة من التعب الشديد مما حملوه من غنائم السلب والنهب ، وأصبحوا مطيعين لأوامر ضباطهم ، ولكن بعد هذا قامت السلطات العسكرية التركية بعمل لا يتفق واللياقة بتاتاً ، فسمحت لجنودها بتحويل ساحة الجامع(١) إلى ثكنة عسكرية وربطت الخيول في أماكن مختلفة منها ، ثم أخذوا يعزفون الالحان الشعبية وينشدون الاغاني الخليعة لغرض إثارة الرعب في نفوس أبناء الشيعة .

وكانت الحصيلة العامة لهذه العمليات أن أصبحت مدينة كربلاء كلياً تحت السيطرة التركية . والقى القبض على زعيمي البارامار الميرزا صالح ومحمد علي خان ، واستسلم قائدها السيد ابراهيم الزعفراني وكذلك الحاكم الصوري السيد وهاب . ثم عفى عنهم جميعاً(٢) .

وبعد مضي بضعة أيام على احتلال المدينة ، دخل نجيب باشا كربلاء حيث أخذ من السكان وفق الاسلوب التركي المعروف تصريحاً مختوماً يشهدون فيه بأن الخسائر في الارواح كانت طفيفة . ومن ثم انتقل من كربلاء إلى النجف ، وهي مدينة دينية أخرى قليلة الولاء للدولة معظم سكانها من الايرانيين ، لكنه بالطبع ، لم يلق هناك أي نوع من المقاومة ووطد سلطته فيها دون اية صعوبة تذكر .

---

(١) جامع ضريح العباس .

(٢) لقد عفى عن بعض منهم بواسطة الرائد فارانت . المندوب البريطانى الخاص المذكور اسمه فى الفقرة الثانية .

مسئولية السلطات التركية والتحقيق الدولي عام ١٨٤٣ :

كانت التقارير قد بالغت ، في البداية ، في نشر الأنباء عن الوضع في كربلاء ، حتى إنها ذكرت أن عدد القتلى بلغ ٣٠,٠٠٠ شخص معظمهم من الايرانيين ، وأن المدينة نهبت ودمرت برمتها . وقد أثارت هذه الأنباء والاشاعات المماثلة سكان مناطق فارس إلى درجة الهوس والجنون . وبدا أن قطع المفاوضات الجارية بين تركيا وايران في ارضروم بشأن الحدود وإعلان حرب بينهما ليس بعيد الاحتمال . وفي هذه الظروف انتدب السفير البريطاني في القسطنطينية الرائد ف. فارانت الملحق بالسفارة البريطانية في إيران ، والذي وضع الوزير البريطاني في طهران خدماته تحت تصرف السفير في اسطنبول وكان عين سابقاً لمهمة في ارضروم ليستقصي حقائق الوضع هناك . وكان الرائد تيلور الوكيل السياسي البريطاني في بغداد قد اتخذ موقفاً غريباً من الموضوع إذ أرسل إلى الباشا كتاباً يهنئه على نجاح عملياته ضد كربلاء دون اعلام السفير بذلك . ويظهر أنه لهذا السبب وجد أن تعيين مندوب خاص أمر ضروري . لذلك أوعز إلى الرائد فارانت « بأن يبقى في بغداد أثناء سير مفاوضات ارضروم وبأن يأخذ على عاتقه ادارة الامور الخاصة بالنزاع على الحدود بين حكومتي ايران وتركيا» . وقد طلب المفوض الروسي في القسطنطينية م. د. بوتينو رسمياً بأن يمثله الرائد فارانت أيضاً وبذلك أصبح ذلك الضابط يمثل كلا الحكومتين البريطانية والروسية .. وقبل الباب العالي بتراخ ارسال مندوب عثماني لاستقصاء الحقائق في كربلاء ، وقد وقع اختياره على رجل كان غير ممكن ايجاد من هو أكثر منه حكمة وحصافة وهو نامق باشا .

وفي ١٥ مايو ١٨٤٣ وقع الرائد فارانت على تقرير في بغداد . بين فيه اعتقاده بأن الاشخاص الذين قتلوا لم يزد عددهم عن ٥٠٠٠ شخص ،

(١) يحتمل أن يكون نفس نامق باشا الذى يرد اسمه فى مؤلف لايار « الرحلات الاولى » المجلد الثانى ، صفحة ٣٨٣ ـ ٣٨٨ .

منهم ٣٠٠٠ لاقوا حتفهم داخل المدينة . ومن بين العدد الأخير عدد كبير من العرب . ويظهر أنه كان هو نفسه متشككاً في كون الارقام التي اوردها ، كانت مبالغاً فيها ، لانه أشار في تقريره أنه كان من الصعوبة بمكان العثور على إيراني في كربلاء يعترف بأن قريباً او صديقاً له او حتى شخصاً يعرفه بالنظر قد قتل ، مع أن نسبة الايرانيين بين القتلى كانت دون ريب عالية .

وكان من حسن الحظ أن آلافاً من الايرانيين كانوا فروا هاربين من الخطر مغادرين المدينة قبل بدء العمليات العسكرية ، او ربما في أثنائها . ولكن لم تتمكن الطبقة الفقيرة من السكان من الهرب ، وأصبح في النهاية الحصول على عربات نقل ليس سهلا حتى على الاغنياء . ولم يقع ضحايا بين الرعايا البريطانيين غير ان ثلاثة لوكنهويين هنود من اوض التي كانت عندئذ مملكة هندية قتلوا في ضريح العباس . وفقد بطريقة غامضة أيضاً حوالي عشرين اوثلاثين شخصاً من اهالي البنجاب وكشمير ممن لم يكونوا آنذاك من الممتلكات البريطانية . وقيل إن عدد الضحايا من الرعايا الروس كان كبيراً ، ولم يكن بالإمكان التثبت من شخصياتهم سوى ضحية واحدة .

وزار الدكتور روس الطبيب الجراح للوكالة البريطانية في بغداد ، كربلاء حالما انتهت المجزرة بصفة غير رسمية ، وذلك لكي يطلع على أحوال بعض الجرحى من الايرانيين الذين تربطهم صداقة شخصية به .

وقدر المندوب التركي نامق باشا عدد الجرحى من جانب المتمردين والعامة بـ ١٥٠ ايرانياً فقط وأكثر من ٢٠٠ بقليل من الآخرين . وان مجموع خسائر الارواح من الاتراك كان حوالي ٤٠٠ قتيل و ٢٠٠ جريح مما يدل على أن الاتراك قد جوبهوا بمقاومة شديدة من السكان . وقد دهش الرائد فارانت حينما وجد أن الاضرار في الاضرحة كانت طفيفة وأن الخسائر في ممتلكاتها الخاصة قليلة الاهمية . ولم يثبت ادعاءات الناس في هذا الصدد ، كما لم تهتك أعراض النساء إطلاقاً كما كان اشيع .

ويرى الرائد فارانت أنه لا يكاد ينهض أي مبرر لاعتبار نجيب باشا مسئولا عن الكارثة ، فهو منذ البداية لم يخف تصميمه وعزمه الوطيد على قهر تمرد المدينة واخضاعها . وفي ١٨ نوفمبر ١٨٤٢ أخبر بذلك خطياً القنصل الايراني وقنصلي بريطانيا وفرنسا العامين في بغداد . كما أنه منع بعض الحجاج الايرانيين من التقدم إلى المدينة المهددة ، وقام بمفاوضات دائمة مع المتمردين حتى بعد اشتباك اولي مع حرسها واخيراً فهو لم يكن حاضراً وقت اندلاع الفتنة ووقوع القتلى إلى آخر ذلك .

أما تصرفات حكمدار الجيش سعدالله باشا فكانت أكثر عرضة للنقد فقد أصدر أمراً قبل القيام بالحملة بمنح ١٠٠ قرش عن كل رأس يؤتى به من جماعة البارامز . فكان من نتيجة هذا الامر الطائش أن قام الجنود بقطع رؤوس عدد من الاشخاص الابرياء . وكما تبين كذلك أنه لم يتزحزح عن مكانه على السور بالقرب من بوابة النجف إلى ما بعد حوالي ساعتين من بدء المذبحة . ولكن المأساة كانت في الحقيقة حصاد عناد وانشقاق رؤساء جماعة البارامز والعامة من المتعصبين مما حال دون استسلام المدينة وكذلك لعدم تمكنهم من ضبط رجالهم بعد أن دخلوا مدينة الضباط الاتراك . الذين كان رد فعل أحدهم المدعو طاهر بيه الذي قال لجنوده إذا ما تسللتم عبر ثغرة السور فافعلوا ما يحلو لكم وكان من الممكن التخفيف من عدد خسائر الارواح ، لو أن القنصل الايراني في بغداد قام بنفسه بزيارة كربلاء وباقناع الرعايا الايرانيين بمغادرة المدينة . ثم إن فقدان الاتصالات العامة وعودته من المسيب إلى بغداد رسّخ في أذهان الايرانيين شعوراً خاطئاً عن حالة الأمن .

وقد أعرب السفير البريطاني في القسطنطينية في سبتمبر ١٨٤٣ عن رأيه في قضية كربلاء ، على أثر استلامه تقرير الرائد فارانت . وكان كما يلي :

« مع أن الاعتداءات غير الانسانية التي ارتكبها الجنود الاتراك أثناء الحملة مؤكدة وثابتة خصوصاً بالنسبة للامور الكبيرة التي وقعت ، الا أن

عدد القتلى ، ومدى الاساءة لا سيما في أرواح وممتلكات الايرانيين وطبيعة سلوك نجيب باشا ومدى الاستفزاز الذي وقع تبدو الآن كلها في منظور مختلف من الانطباع الاصلي الذي وصل الينا ولا شك ان اجراءات الباشا خاصة هي أقل استحقاقا للملامة مما شاء المندوب الايراني والمندوب الفرنسي أن يحملانا على الاعتقاد به .

وتلاقت وجهات نظر السير ستراتفورد مع وجهات نظر زميله الروسي . وقد رتب السفيران في القسطنطينية فيما بعد نصوص تسوية لهذه القضية ، عملاً بتعليمات هي في صالح الحكومة الايرانية . وهذه النصوص هي :

١ ــ أن على الباب العالي توجيه كتاب الى رئيس وزراء ايران وارسال نسخ منه إلى ممثل الدول الوسيطة .

٢ ــ أن يقدم جناب السلطان مبلغاً ملائماً من المال لاغاثة المصابين في كربلاء .

٣ ــ أن يعلن الباب العالي استنكاره للحملة العسكرية ضد كربلاء ، وأسفه للحوادث التي جرت باعتبارها غير مأذون بها وغير معقوله ، وحزنه على الدم الذي اريق بسببها .

٤ ــ أن يؤمر نجيب باشا بالعمل على إصلاح ما خرب ودمر من أضرحة كربلاء ، وإدارة شئون منطقته بعدل وانصاف ، وحماية الرعايا الايرانيين هناك خصوصاً الزوار القادمين من ايران . واخيراً عدم قيام نجيب باشا بأي عمل من شأنه أن يثير سخط السلطان .

٥ ــ أن يهدد نجيب باشا بالطرد في حالة إساءة التصرف في المستقبل .

٦ ــ أن تعلن جميع هذه النقاط خطياً إلى السفيرين بتعليمات توجه من قبل رفعت باشا إلى ترجمان الباب العالي ، وتودع نسخة منها بحوزة السفيرين .

وهكذا لم يوافق على طلب حكومة إيران التي كانت قد تقدمت به بضرورة عزل نجيب باشا من منصبه .

لقد تناولت قضية كربلاء بشيء من التطويل المبالغ فيه نوعاً ما ، لأنها تصور لنا اتجاهات ونزعات خاصة في العراق التركي ما زالت قائمة حتى الآن رغم أنها أصبحت أخف من ذي قبل .

إخضاع محلة الشيخ في مدينة بغداد للطاعة عام ١٨٤٧ :

ويمكن الاشارة ، قبل البدء بالتحول إلى القضايا القبلية المتنوعة بأن نجيب باشا رغب في عام ١٨٤٧ بصدد خطته لفرض ارادة السلطان على مستوى واحد في سائر العراق ان يسوى موضوع الحي المضطرب في بغداد والمنسوب اسمه للشيخ عبدالقادر الجيلاني وحتى بل بالنسبة للضريح نفسه . وكان معروفاً قبل هذا ، أن أي عصيان او تمرد يطرأ في بغداد ، إن لم يكن منشؤه من حي الشيخ فقد يكون دبر تحت ستار ذلك الضريح نفسه . ويظهر أن اجراءات الباشا اشتبكت بها ترتيبات مالية تتعلق بالضرائب بحيث قامت مظاهرة تعدادها ١٥٠٠ شخص توجهت إلى منزل الباشا الريفي حيث قدمت له مذكرة هجومية تتحدى إجراءاته المتخذة . وبعد عودة حملة عسكرية من كردستان كانت في الواقع قد استنفذت جميع الطاقات العسكرية في بغداد وضع الحراس على الضريح وهناك القى القبض على موظفين من كبار موظفي المكان ، وكان احدهما في المسجد نفسه ، ثم نقلا بعد ذلك إلى البصرة .

العلاقات مع قبيلة بني لام ، والصعوبات مع قبائل شمر وخزعل وعنيزة عام ١٨٤٣ ــ ١٨٤٤ :

وفي نهاية عام ١٨٤٣ توقفت الشكوى من الدسائس والمكائد الايرانية في صفوف قبيلة بني لام ، وعهد إلى حامية عسكرية تركية رسمية صغيرة تحصيل الضرائب من القبيلة . وكان قد ارسل إلى المنطقة حامية واحدة لتقف في وجه قبيلة شمر في الشمال ، وأخرى ارسلت ضد قبيلة

الخزاعل القاطنة في الاهواز من عمر الفرات . وفي عام ١٨٤٤ تم الاستيلاء على جزيرة كانت معقلا للخزاعل ووضعت حامية تركية فيها . أما قبيلة عنيزة القاطنة في الجهة الغربية من الفرات والتي كانت تظهر دائماً جموحاً وتمرداً ، فقد كانت أبعد من متناول الحملة المذكورة

مضايقات قبائل عبيد ، غنيرة ، وعفج والمنتفق ١٨٤٥–١٨٤٦ :

ويبدو أن الهدف الرئيسي لنجيب باشا في تنفيذ سياسته الداخلية هذه ، كان إخماد أي نوع من النفوذ من شأنه أن يناقس سلطة الحكومة العثمانية

وبعد اخضاع مدينة كربلاء اتجه اهتمامه بصورة خاصة إلى باشوية السليمانية في الشمال ، حيث تقطن هناك الأسر الكردية من البابا زنده التي كانت ما تزال متنفذه ولكنا غير معنيين بمعالجة اجراءاته هناك ويبدو أن منطقة كردستان أخذت تشغل اهتمامه الشخصي عام ١٨٤٥ . ففي هذه السنة ، وحين عودته بقوة عسكرية من كردستان إلى بغداد عبر ضفاف نهر دجلة ، نزلت قبيلة عبيد ، خشية أن تشن هجوم عليها ، إلى محلة الكاظمية المجاورة واستولت على موقع هناك وعطلت وسائل المواصلات بين بغداد والموصل وحلب . وفي نفس الوقت أخذت القبائل العربية من جهة نهر الفرات ومن ضمنها قبيلة عنيزة بتطويق مدينة بغداد من ناحيتي الغرب والجنوب . لكن يبدو أن هذا العمل كان عديم الفائدة ولم يلحق أي ضرر بالاتراك . وفي مايو من العام التالي قامت قبيلة عنيزة بعصيان آخر وانهمكت بقطع الطرقات على القوافل ، وشرعت قبيلة شمر الشمالية بسد الناحية العليا من نهر دجلة والطريق المؤدي إلى الموصل . كما أن قبيلة عفج القاطنة قرب الديوانية كانت أيضاً في ثورة . واستمر رئيس المنتفق بتأجيل زيارته إلى بغداد بناء على دعوة وجهت له . وقد تم إخضاع حصون قبيلة عفج ، لكن حالة الامن فيها بقيت معكرة . وكان سبب السخط بين العرب ناشئاً من محاولات نجيب باشا زيادة عوائد المنطقة من الضرائب إلى أكثر من الضعف ، مما استلزم وسائل صارمة

وعنيفة لجباية ضريبة الرأس . وكان من نتائج هذه الاجراءات الطارئة أن القبائل أظهرت ميلا لتغيير طرق معايشها القائمة على التنقل والترحال ، واستبدالها بالاستقرار والاستيطان ولا سيما عشائر الزبيد والديلم وخزعل والمنتفق . لذلك أخذوا يظهرون استعدادهم للتخلي عن زراعة الاراضي التي يملكونها مفضلين عليها اللصوصية وقطع الطرق لشعورهم بأن الجهد الذي يصرفونه في الزراعة أصبح من الصعب أن تجنى فائدة منه .

وباء الكوليرا عام ١٨٤٦ – ١٨٤٧ :

وفي عامي ١٨٤٦ و ١٨٤٧ عم وباء الكوليرا بغداد . وكان الوباء في السنة الثانية من هذين العامين أخف وطأة ، فترك الباشا والقنصل العام الفرنسي المدينة ، وذهب الوكيل السياسي البريطاني إلى المعسكر في كراره وشل هذا الوباء جزئياً حركة سير الاعمال .

ادارة نجيب باشا عام ١٨٤٨ :

وفيما يلي بيان سيء عن إدارة نجيب باشا ، كتبه الوكيل السياسي البريطاني ، الذي استهله في البداية بتكوين إحصاء مفيد عن سياسة سعادته الداخلية وتصرفاته :

مما لا ريب فيه ان أعظم واحدة من التهم الموجهة بالإنصاف إلى نجيب باشا هي من ذلك النوع المسيء إلى نوعية حكومة السلطان والمنفّر لقلوب الناس منه بقدر ما كانت تهدد بتحويل العراق درة أقاليم الامبراطورية العثمانية إلى صحراء مقفرة ، ألا وهي قسوة ادارته الضريبية والطمع الاشعبي الذي يحدو موظفي حكومته في طول العراق وعرضه لتحقيق هدف وحيد لهم هو جمع المال . ولقد سعيت عبثاً للحصول على بيان مفصل بين ارقام الجباية التي يمكن وصفها بالجور والظلم . ولكن هذه المهمة لم تكن ممكنة عملياً البتة لان الارقام والمبالغ تتغير وتتبدل حسب ما يكتشف الجباة من وسائل جديدة تعود بالنفع والفائدة على جيوبهم من جمع الضرائب وان أي كشف متقن ومصدق

عليه رسمياً عن ارقام الجباية لا يمكن الاعتماد عليه لان ملتزمي الضرائب كانوا يلجأون للوسائل المعيبة والضغط والاكراه الحقيقي على الطبقات العامة وفقراء المستهلكين ، لقد كان تقدير نسبة الضريبة على كل سلعة رهناً بارادة ملتزمين أبيح لهم استعمال جميع وسائل الاغتصاب والاكراه المفهومة في عرفهم ، حتى ولو أدى ذلك إلى التعذيب الجسماني شريطة أن يفي هؤلاء الملتزمون بتعهداتهم المالية للحكومة . وكان احتكار تجارة الحنطة في نهاية الموسم الماضي بأيدي الحكومة . فهي التي تحدد السعر للمستهلك ، وقد وصل السعر إلى أكثر من ضعفي ما هو مبرر على ضوء موارد البلاد من هذه السلعة . وكان معدل نسبة الرسوم على علف الحيوانات والفواكه والخضار يقارب ٥٠ في المائة وتختلف حسب نوعها وجودتها . أما الرسوم على أنواع التمور التي تعتبر من المواد الغذائية الأولية للسكان العرب فكانت نسبها لا تقل كثيراً في ارتفاعها عن القمح كما ان جميع اشكال التجارة الداخلية وخدماتها كانت محتكرة وتعطى لاعلى مزايد . من أمثلة هذه الاحتكارات صناعة الصابون والكحول ودباغة الجلود والصباغة وتلوين الاقمشة وتنظيف القطن وتخزين ووزن الارز والحبوب وأجور التحميل ، والسمسرة ألخ . وكانت نسبة الرسوم على بضائع الترانزيت مرتفعة جداً على جلود الحيوانات والخشب وجلود الأغنام والجون ... الخ . بالإضافة إلى رسوم أخرى تفرض على السلع قبل ان تصل مداخل مدينة بغداد . وهناك نسبة ١٢ في المائة تضاف على البضائع عند دخولها إلى المدينة . وكانت تفرض أيضاً ضرائب جديدة باستمرار . ويطلب من العامة لصق الطوابع على سائر الاستدعاءات والمستندات سواء أكانت وثائق أم اعلانات ام اتفاقيات ام حتى عرائض . وتفرض رسوم صارمة على جوازات سفر الطبقات الفقيرة ، ورسوم تتجاوز الحد على نقل الملكيات العقارية ، وتحديد الثروات المالية ، وحتى على مجرد توقيع الاتفاقيات . ولقد أفسدت هذه الاجراءات على الاغنياء الاستفادة من رؤوس اموالهم . واستناداً

إلى المعلومات التي جمعتها من جهات مختلفة عن النتائج التقديرية لاجراءات نجيب باشا المالية خلال السنة الاخيرة ، وجدت أن سعادته منح التزام القمح لباشوية بغداد بقيمة سنوية إجمالية صورية قدرت بـ ٦٠٠٠٠ بدره عثمانية (٣٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني) ، قد زاد من ثروته الخاصة عن طريق اتباع أساليب باينه واضحة إلى ما فاق ١٢٠,٠٠٠ بدره عثمانية (٦٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني) . وقد جمع هذه الثروة من وراء احتكاره للحنطة ومن الجزية التي فرضها على الرعايا العرب ومن مصادراته ، ومن الغزامات المالية والهدايا وفوق كل هذه الرشوة المباشرة . ومن واجبي هنا أيضاً أن أقدر الدخل العام للحكومة بما لا يقل عن مليون جنيه استرليني . فعندما تعتبرون أنه حلال هذه الفترة لم يجر فتح مصدر دخل واحد شرعي . ولم يكن هناك توسع في الاقاليم ، ولم تعمر أي ارض قاحلة من الصحراء ، ولا زيد في التجارة او حسن في الزراعة ، ولا اكتشفت ثروات معدنية ، ولا حدث ابتكار في الصناعة أو اتساع في الانتاج ، بل على العكس من ذلك فان كل فرع من الزراعة والتجارة والمشاريع والصناعة قد تأخر وانحط مستواه من الجذور . انك سوف تدرك أن هذا المبلغ الضخم غير المتناسب مع امكانات الاقليم العراقي المالية لم يكن ممكناً جمعه دون ان توقع ظلامات وآلام بالأفراد والناس ، ودون ان يستوجب الامر بغضا عاماً رهيباً للسلطة الحاكمة التي تجيز ، إن لم تكن تسمح ، بمثل ذلك الجور الساحق .

تمرد بني لام وشمر ١٨٤٩ :

وبعد ذلك ببضعة اشهر كان على الوكيل السياسي البريطاني أن يكتب تقريراً عن قبيلة بني لام الكبيرة التي كانت في عصيان بسبب تلزيم الباشا الضرائب المستحقة عليها لشيخ المنتفك عدوها التقليدي . وذكر أنها بدأت تغير على مناطق سندالي وجازان وبدره وتقدمت إلى بعد ثلاثين ميلا من بغداد ثم ذكر ان الباشا أصبح ميالاً لالغاء الالتزام المعطى لرئيس المنتفك ، وهي خطوة كان يحتمل ان تؤدي الى غضب هذا

الاخير بدوره . وكانت شمر الشمالية من جملة القبائل التي زرع نجيب باشا بين روسائها الفتن والانشقاق . لكنها في إحدى المرات ائتلفت فأصبحت قادرة على اكتساح البلاد برمتها حتى مداخل مدينة بغداد . وعمت أثناء الليل أعمال اللصوصية والسرقات وما شابهها من أعمال الاثم والشر حتى في شوارع المدينة نفسها . واعتقد أن هذه الاعمال قامت بها عصابات مسلحة من العرب بُعِث بها من الخارج لإشغال الحكومة . وقد لاحظ الميجور رولينسون أن من المعروف ان بعض الشغب يقع في العراق بالضرورة بين العرب والاكراد وفي هذه المرة نتج الشر حتماً من سوء الادارة المالية .

ثورة عرب الهندية الخطيرة وحدوث احتكاك بين السلطات المدنية التركية والسلطات العسكرية في مايو – يونيو ١٨٤٩ :

وأخيراً نشأت أزمة حادة جداً في صيف سنة ١٨٤٩ بصدد شط الهندية بسبب نِسَب الباشا الباهظة من الضرائب على اراضي العرب الزراعية هناك . وقدرت قيمة الضرائب المفروضة رسمياً على الاراضي التي تروى من الهندية وبواسطة قنوات أخرى من الضفة اليمنى لشط العرب بما يعادل ١٧,٨٠٠ جنيه استرليني . لكن الشيخ وادى ، وهو غريب عن المنطقة ، ورئيس لقبيلة زبيد أُعطِي التزام المنطقة ، فجمع من عرب الهندية في سنة واحدة ما لا يقل عن ١٠٥,٠٠٠ جنيه استرليني . بعد ذلك ثارت قبائل المنطقة التي عرفت دائماً بالتزام القانون فطردت الملتزم ومعاونيه وقامت بسلب ونهب مخازن الغلال العامة والمستودعات التي كانت تحتوي حصصهم من الحنطة بعد جمعها . عندئذ طلب نجيب باشا من العابدي باشا حكمدار الجيش بأن يضع حداً للعصيان وإعادة الشيخ وادي إلى المزرعة بقوة السلاح . لكن هذا الضابط كان مقتنعاً بأن القبائل على حق في ثورتها نظراً للضيم والظلم اللذين لحقا بها فلم يرسل اليهم أكثر من مفرزة واحدة من الجنود مع تعليمات معينة باعادة الامن إلى نصابه فقط . فنتج عن هذا التصرف خصام شديد بين الباشا

والحكمدار وألفت لجنة مختلطة من المدنيين والعسكريين لارسالها إلى مكان الحادث لتقوم بالتحقيق في الأسباب التي أدت إلى الانفجار وهنا لم تتفق وجهات نظر أعضاء اللجنة . فكل يؤيد وجهة نظر رئيسه . وحصل نزاع بين رؤساء المصالح المدنية والعسكرية وانتشر خبر هذا النزاع بين العامة فأصبح فضيحة عامة .

مضايقات في آن واحد مع قبائل شمر الشمالية وبني لام وشمر طوقه في يونيو عام ١٨٤٩ :

في هذا الوقت الحرج ثارت قبيلة شمر الشمالية ثانية ، وشرعت بسلب ونهب المنطقة الواقعة بين سامرا ، وتكريت وكركوك ، وزاد من ذلك مضاعفات جديدة مع بني لام بعد فشل المحاولة لاستمالة رئيسهم الشيخ مدخور بأن يضع نفسه تحت رحمة الاتراك . وأرسل نجيب باشا الضابط التركي ، الذي استخدمه في وضع ترتيبات اغتيال صفوق(١) الرئيس الكبير لقبيلة شمر الشمالية الذي أعطى أماناً بالوصول إلى حضرة الباشا فلم ينفعه الامان ، وهو درس تعلّمه جيداً شيوخ بني لام الحصفاء ذوو الدقون البيضاء وأصبح بنو لام يشكلون خطراً على جميع وسائل الشحن في نهر دجلة إلى حد جعل بعض تجار بغداد ممن يتاجرون مع البصرة يصدرون اوامرهم إلى قافلة من المراكب كانت تحمل بضائع لهم على النهر بالتوقف عند عزير . ثم ارتكبت قبيلة شمر طوقه على الضفة اليسرى من نهر دجلة ، أسفل بغداد ، أعمالا عدائية ضد الحكومة .

انتهاء تمرد الهندية في يونيو عام ١٨٤٩ :

ثم تأكد أن شيخ قبيلة المنتفك البعيدة عن بغداد والقوية جداً كان شريكاً في ثورة الهندية وان المتمردين يتلقون مساعدات على شكل فرق

---

(١) صفوق ، هو رئيس شمر الشمالية بعد اغتيال منافسه في القبيلة المدعو نجرس ، وقد قتل هو الآخر عام ١٨٤٧ على يد مبعوث من والي بغداد . للايضاحات والمعلومات عن صفوق وشئونه عام ١٨٤٦ راجع كتاب لايارد « نينوى واطلالها » صفحة ٦١ ــ ٧٨ .

مسلحة من قبائل الديلم والظافر وعفج وخزعل ممن كانوا يعطفون عليهم ويشدون من ازرهم . وأصبح حكمدار الجيش ينتابه الخوف من اتساع حجم المصروفات المالية التي سوف يعتبره الباب العالي ، حسب اقوال نجيب باشا ، مسئولا عنها . وقد دفع ذلك العابدي باشا للذهاب شخصياً إلى مناطق الهندية حيث أصدر هناك منشوراً اراد به تهدئة القبائل وعقد اجتماعات مع روساء عرب الهندية وعفج وخزعل ، وأقر جميع الشيوخ بولائهم للسلطان وحصل الحكمدار من روساء الهندية على اتفاق خطي تعهدوا به بدفع قيمة الضرائب الرسمية المفروضة على مناطقهم كاملة بالإضافة إلى عشرة آلاف جنيه استرليني ، وقد رفض نجيب باشا — وكان منهمكاً خلالها في تزوير البيانات الحسابية ليبرهن بها أن وارداته العامة تعادل قيمة ايصالات مصروفاته — تسوية عادلة مع الباشا . وهنا توسط بينهما درويش باشا المبعوث العثماني لتخطيط الحدود التركية الايرانية ، لكن وساطته آلت إلى الفشل فانضم عابدي باشا لجاري الجيش وبعد ذلك بوقت غير طويل ازيح نجيب باشا عن باشوية بغداد ربما بسبب سوء سيرته وربما بسبب احتجاجات قدمها العقيد رولنسون .

الخطر في كربلاء في يونيو عام ١٨٤٩ :

وفي أثناء استمرار ثورة عرب الهندية ترك الحبل على الغارب للحامية العسكرية في كربلاء فأخذ جنودها ينتهكون حرمة السكان فيها وبدأ المواطنون والجنود ينظرون إلى بعضهم نظرة ريب وشك وكل يخشى من انفجار العنف والاضطراب . وقد كان رد نجيب باشا على شكاوي الايرانيين وعلى الإهانات والشتائم التي تعرض لها رجال الدين من قبل الحملة العسكرية قوله بأنه فقد السيطرة على الجيش وعليهم الدفاع عن أنفسهم ، وكان نجيب باشا ، دون شك ، يضمر بهذا الكلام الخبيث مضايقة خصمه الحكمدار الذي وصل خلافه معه إلى حد كبير . ثم أعقب باستدعاء الحاكم المدني في كربلاء إلى بغداد ، مبرراً ذلك

الإجراء الشديد بقوله ، إنه لم يعد باستطاعته تحمل مسئولية إدارة أماكن لم يعد له فيها وسائل ناجحة أو جيش مطيع يمكنه بواسطته دعم اوامره . واهتم الوكيل السياسي البريطاني بهذا الوضع خوفاً من حدوث كارثة أخرى في كربلاء يكون لها أثرها السيء على العلاقات التركية الايرانية . فشرح لنجيب باشا سوء العاقبة التي يمكن أن تطرأ من وراء تصرفه المتهور لكن الباشا كان مصمماً ، على ما يظهر ، على تدمير خصمه او القضاء على نفسه . ولم تنجح محاولات الاقناع لتغيير موقفه . فأرسل عابدي باشا ضابطاً من خاصته يثق به إلى كربلاء لاملاء فراغ مركز الحاكم المدني ، ولم يحدث بعد ذلك ما يعكر صفو الأمن هناك .

استمرار سوء سلوك قبائل بني لام وشمر طوقة يوليو ١٨٤٩ :

وبعد التسوية التي قام بها العابدي باشا ، هدأت الاضطرابات في الهندية . لكن بقايا العصيان ظل لها فعلها إلى وقت ما في أنحاء أخرى من البلاد بطريقة غير مباشرة . فقد حدث بعد فترة أن هاجمت قبيلة عفج معقلا كان في أيدي الشيخ وادي رئيس قبيلة الزبيد ، فاضطر عابدي باشا أن يضع كامل الحامية في حالة أهبة واستعداد . وقام مذخور شيخ بني لام بسد نهر دجلة وتعطيل جميع المواصلات بين بغداد والبصرة ، ثم شرعت قبائل العبيد في الشمال وشمر طوقة في جنوب بغداد بسلب ونهب المناطق التي تصل أيديهم لها .

سلوك نجيب باشا عام ١٨٤٢ — ١٨٤٩ :

وقد لخص الوكيل السياسي البريطاني مجمل سلوك نجيب باشا وتصرفاته التي وصلت آخر حدود السوء كما بيناها سابقاً ، في تقرير رفعه سنة ١٨٤٨ وجاء فيه ما يلي :

---

(١) كان في بغداد قاعدة ثابتة تقريبا هى أنه كلما جاء باشا جديد او والى الى كرسى الحكم يترك حين وصوله في بادىء الامر انطباع التودد والمحبة نحو الممثل البريطانى • ثم يأخذ هذا الانطباع ، كعادة الرسميين الاتراك على تكشف تصرفاتهم عن حقيقتهم ، في التضاؤل تدريجيا ويحل محله الاحتقار والعداوة للمقيم •

« لقد كان نجيب باشا يتمتع بقدرة طبيعية هائلة وروح لا تهادن ولا تلين في قيادة دفة الحكم . مع أنه في كثير من الاحيان كان يصل بنفسه إلى درجة العناد والتصلب بالرأي . وكانت ميزات هذه السياسة المتسمة بالحزم والشدة أن خلقت قدراً كبيراً من الاخطار في غير مناسبة واحدة ولو قد اتبع سياسة أقل ثباتاً وحزماً لكانت وبالا وهلاكاً على نفسه . ثم كان من مزاياه تلك الوراثة المتمرّسة باصول الحكومات الشرقية مما يمكن اكتسابه من خبرة خمسين سنة ، وهاتان وحدهما هما الميزتان الوحيدتان اللتان في صالحه عند تقييم شخصيته ، لكن لسوء الحظ يقابلهما عدد ضخم من المساوىء والاحقاد ، والتحامل ، والشهوات التي اتسم بها سلوكه الشخصي . لقد كان متكبراً يؤمن بالخرافات ويتداعى مع الرشوة ويفتح قلبه للنفاق وللريـــاء . وكانت انانيته تزداد بازدياد ثروته . وكان يكره المسيحيين والشيعة على السواء ويضعهم في مرتبة الكافرين والغرباء . وكانت معاملته لكلا الطائفتين تتباين وتتفاوت حسب العلاقات التي تكون عليها تركيا مع ايران والدول الاوروبية ، أو حسب ما يضمر لكل منهما من مقدار الحقد والضغينة . وكان له في المسيحيين رأى ثابت لا يتغير هـــو نعتهم بالفئة المعيبة في المجتمع ، وكانوا يشكون من سوء المعاملة وقلة مبالاة الباشا بالحيف والجور اللاحقين بهم ، ومن الميل لفرض مزيد من القوانين ضدهم مما كان يعيق ممارسة حقهم في الحياة المدنية والاجتماعية ، بينما كانت هذه القوانين في نفس الوقت في أنحاء أخرى من الامبراطورية إما متروكة جانباً أو ملغاة رسمياً » .

ومن الاهمية بمكان مقارنة هذا الرأي الذي تكون بالخبرة بالاقوال التي تفوه بها الميجر رولينسون قبل ذلك بخمس سنوات .

« ويبدي نجيب باشا مع ادارته الداخلية نفس روح القوة والحزم التي كانت من صفاته المميزة . إن أعظم همه منصرف إلى القضاء على السرقة والسلب والفوضى ، وتمكينه من فرض سلطة الباب العالي على القبائل

التابعة للباشوية ، والتشدد ، لكن دون العسف في تحصيل عائدات الحكومة وادخال النظام والترتيبات الجديدة في أعمال الإدارات المختلفة . ومن المعقول أن نفترض أنه لو توفرت لهذه الاهداف استمرارية التنفيذ بعزم كهذا الذي بدا من الرجل في أول عهده فان الاقليم العراقي سيجني من ذلك احسن الثمرات » .

حكومة عابدي باشا والصعوبات مع شمر الشمالية ١٨٤٩–١٨٥٠ :

ورغم أن نجيب باشا قد ترك وراءه في بغداد ديوناً غير مدفوعة ، لكنه لم يفشل في حمل مبلغ كبير من المال معه عند مغادرته المنطقة وقد جاء إلى الحكم بعده اثنان لم يكونا على مستوى مقبول من الجدارة والاستحقاق . كان اولهما عابدي باشا ، حكمدار الجيش السابق الذي خصص له الباب العالي مرتباً سخياً ليضعه في موقف ينأى به عن ارتكاب أعمال الابتزاز والاغتصاب . ولكن هذا الباشا خيب الآمال فيه كحاكم مدني ، فلم يكن في سياسته كما كان أثناء معالجته الموفقة لثورة الهندية . إذ أنه وضع نفسه كلياً تحت ارشادات وتوجيهات الطواشي البهلول ملاّ علي وأصبح وضع البلاد يسير من سيء إلى أسوأ ، وسقط مركز للدولة يقع قرب الحلة في أيدي العرب الذين سفكوا دماء حاميته المؤلفة من ستين جندياً وحاصرت القبائل مدينة بغداد نفسها وأصبح من الصعوبة بمكانٍ على المسافرين المجازفة بمغادرتها لأية جهة كانت بسبب البدو الذين كانوا معسكرين بالقرب من الاسوار . وكان رأي الباشا هو إخضاع قبائل «المعدان» القاطنة في الاهواز بما فيها قبيلة عفج التي كان متشوقاً لمضاعفة ضريبتها البالغة تسعمئة جنيه استرليني . وتحقيقاً لذلك كرس جهده لاغلاق رأس شط الهندية الذي تنصب منه نصف كمية مياه الفرات مستعيناً بقوة تعدادها الفا رجل ، عدا غير النظاميين ، لكن مجرى النهر قضى تقريباً على السد حالما تمّ بناؤه . لكن الباشا عاود العمل مرة أخرى حتى نجح في اتمامه . كذلك عمد عابدي باشا إلى اعتقال وسجن الشيخ وادى بك صديق نجيب باشا وجامع ريع التزامه ، لكن

ضباطه عوملوا بازدراء واستخفاف من قبل فهد ، شيخ المنتفك الذي كان قد استخلف أخيراً على رئاسة القبيلة بعد وفاة أخيه بدر . وكانت خطوة الباشا الثانية هي التركيز بنفسه في الديوانية مع ثلاثة آلاف رجل على إعادة تنظيم الشئون القبليه وجمع متأخرات الضرائب غير أن السد الذي بناه على فم الهندية انهار فجأة فانهارت معه بقايا هيبة وكرامة الباشا . وقد وقعت هذه الحوادث خلال شتاء عام ١٨٤٩—١٨٥٠ .

وفي أوائل سنة ١٨٥٠ ، ومن جرّاء استمرار انشغال القوات النظامية في محاربة الأكراد فقد دعا الباشا قبائل شمر الشمالية لاستلام مواقع القوات النظامية . ومعروف ان الاتراك كانوا يستخدمون هذه القبيلة لمعاقبة القبائل العربية الصغيرة وهي مهمة كانت شمر تؤديها بمنتهى النية الحسنة دون كبير تمييز بين أصدقاء وأعداء القبيلة . لكن شمر كانت الآن تغير على ضفاف نهر دجلة بنشاط وقوة فتحولت المنطقة حتى كوت العمارة إلى صحراء وأصبح السفر غير مأمون في بر أونهر وتعطلت سبل التجارة فيهما . وكان صفوق(١) شيخ قبيلة شمر ، الذي اشتهر اسمه في حوادث عام ١٨٣٣ قد قتل غدراً على يد عميل ارسله نجيب باشا ، كما ذكرنا سابقاً ، فخلفه على القبيلة ابنه فرحان عام ١٨٥٠(٢) .

مشاكسات المنتفك عام ١٨٥٠ :

وفي عام ١٨٥٠ اختفى الشيخ فهد بطريقة غامضة ، وحصل نزاع على رئاسة قبيلة المنتفك بين فارس بن عجيل وابن عمه منصور بن رشيد ، وأدى هذا إلى نتائج خطيرة على التجارة والمنطقة عموماً . واعترف الاتراك رسمياً برئاسة منصور ، لكنهم لم يعملوا على مساعدته عندما

---

(١) كان صفوق على علاقة طيبة مع الوكيل السياسى البريطانى . وقد استرد عام ١٨٤١ ، بناء على طلب من الدكتور روس ، مقالات كان كتبها جراح الوكالة ليارد وسلبت منه أثناء قيامه برحلة .

(٢) فى عام ١٨٥٥ منح الاتراك فرحان اعانة مالية شهرية لكنها لم تكن كافية له ، على حد قوله ، لتغطية نفقات شراء القهوة للضيوف . وكان يعتبر هذه الاعانة زهيدة لا يعتد بها .

هاجمه منافسه وطرده إلى الخارج ثم اجبره على طلب اللجوء إلى منطقة كعب وعندئذ لم تر السلطات التركية بدأ من قبول الاعتراف بفارس بن عجيل .

حكومة نامق باشا عام ١٨٥٢ :

وفي عام ١٨٥٢ ، وبعد مرور تسع سنوات من سوء الادارة التي أحالت البلاد الى ما يشبه الصحراء وصل بغداد حاكم جديد هو نامق باشا(١) . لكن تصلبه برأيه وعناده في استعمال القسوة والعنف ، واستخدامه وسائل غير مجدية لتركيز حكم مطلق جلبت الوبال والهلاك على البلاد تماماً كما وقع في عهد سلفيه السابقين . وننقل هنا رأي العقيد رولينسون ، الوكيل السياسي البريطاني ، في الوضع عام ١٨٥٢ . :

« لقد دشن نامق باشا عهد حكومته بأعمال عنف وقسوة لا داعي لها اطلاقاً ، ثم دفع برؤساء القبائل واحداً بعد الآخر نحو تحالف عدائي ضد الحكومة ، وبسبب من ضعفه العسكري ، وتأييده لإجراءات الغدر وعمليات القسوة التي يصعب وصفها ومن جراء كلماته القاسية المريرة وسلوكه المتسم بالكبرياء والغطرسة والتي تنافي تماماً نفسية بدو الصحراء قد أحال السكان إلى كتلة ملتهبة من السخط يحتاج معها إلى قوة لا تقل عن خمسين الف رجل لاستعادة النظام وهيبة الدولة » .

ولو أن نامق باشا كان على شيء من الفطنة والحصافة العاديتين ، لاستطاع في المناسبة الاخيرة لانشقاق المتمردين عليه ، كما أشرت لذلك في رسالتي السابقة ، إحداث تغيير مشرف في موقفه الصعب . وقد انسحب من صفوف المتمردين في الواقع عددٌ من الرؤساء العرب من ذوي النفوذ والتأثير وذهبوا إلى بغداد لوضع شروط اتفاق . ولو تمت

---

(١) يحتمل ان يكون نامق باشا هو نفسه الذى انتدب من القسطنطينية فى عام ١٨٤٣ ليقدم تقريرا عن مجازر كربلاء • وكان السائد انه الرجل المسئول الذى يرجى منه الخير لكنه اصبح فيما بعد يسير بخطى واسعة نحو طريق رجعى معاكس •

مصالحة مع هؤلاء الفرقاء لتلا ذلك إخضاع الآخرين بكل الوسائل . لكن جواب السلطات الوحيد الذي كان يكرر لكل واحد من هؤلاء بمنتهى الغطرسة والاستبداد انه مما يحط من كرامة ممثل السلطان أن يتفاوض مع المتمردين ، لقد طلب منهم أن يستسلموا دون قيد او شرط ، ويحضروا بانفسهم إلى بغداد لالتماس العفو والصفح ، وبعدها يمكن النظر في قضاياهم وأخذها بعين الاعتبار . وبالطبع ، كانت هذه الشروط في رأي الروساء محاولة من السلطان لوضعهم في السجن او نفيهم . بناء على ذلك ، ولشعورهم بأن قوتهم ما زالت على حالها لم يصبها أي وهن او ضعف فانهم ضربوا صفحاً عنه واتفقوا جميعاً على مقاومة العدو المشترك . ومنذ ذلك اخذت الامور تتطور يومياً من سيء إلى أسوا . وبدأ الأذى يلحق بمفارز الجنود التركية البعيدة التي قطعت عن العاصمة أو حصرت في بغداد كما حوصرت معسكرات أكبر فيها جنود أكثر ، وشرعت قوافل البدو تقوم بعمليات السلب والنهب بالقرب من أسوار بغداد . وبينما كانت فرق الفرسان ، البالغ تعدادها عشرة آلاف او اثني عشر الفا من الرجال الاقوياء تتحرك من جهات مختلفة كان هناك أمل بحدوث تخريب في المدينة على أيدي أعداد أضخم من الفرسان غير النظاميين .

تمرد قبائل الفرات في يوليو عام ١٨٥٢ :

وبعد ذلك بمدة وجيزة ، أعلن وادي بيه — شيخ زبيد الكبير الذي كان منحه نجيب باشا التزام منطقة الهندية ، والذي كان قد اعتقله عابدي باشا — الحرب على نامق باشا بعد أن وجد منه تصلباً في الرأي تجاه مطالب معينة قدمها له . وركز نفسه في المسيب الواقعة على نهر الفرات وهي نقطة حساسة يمكن بواسطتها السيطرة على الطرق الممتدة من بغداد إلى كربلاء فالنجف فالحلة فالديوانية ، وبدأ فرسانه مع أمثالهم من الديلم وعنيزه ، الذين كانوا أيضاً على خلاف مع الحكومة ، باكتساح المنطقة إلى حدود مداخل بغداد ، وأخذت القوافل تقوم بأعمال النهب والسلب ، وإجلاء وإحراق القرى المجاورة مستخدمين بذلك أشد وسائل الدمار

والتخريب ، وفي نفس الوقت كانت قوات مختلطة من عرب خزعل ومعدان وعنيزة تحاصر الحامية التركية في الديوانية وتقطع عنها سبل التموين وبدأ الجند الاتراك يتذمرون كما كانوا في عهد نجيب باشا من الحرمان والفاقه ومن الشدائد التي يتكبدونها بسبب سياسة الحكومة الخرقاء ، وعزل نامق باشا حكمدار الجيش شاكر باشا بسبب الحرية التامة التي مارسها في قوله ان الإمكانيات العسكرية في المنطقة لا تفي بحاجة إجبار سائر القبائل العربية على الطاعة . وزاد الطين بلة في تلك الظروف الحرجة ، قيام ثورة في النجف سنبينها لكم في الحال . فما كان بعد ذلك من نامق باشا إلا أن أذعن وتنازل لطلب المفاوضة ، وإن لم يقبل أن يتفاوض اولا مع المتمرد الداهية وادى بيه . لكنه لم تصل لنا تفاصيل التسوية النهائية مع قبائل نهر الفرات .

التمرد الاول في النجف عام ١٨٥٠ :

كان في النجف مثل ما بها اليوم حزبان من العرب . الاول يعرف باسم « شومرد» والثاني باسم «زجرد» وعلى العموم ، قام هذان الحزبان باحتلال المدينة متضامنين . وكان حزب شومرد قبل عام ١٨٥٢ ببضع سنين قد طرد حزب زجرد . وفي عام ١٨٥٢ ، وتحت قيادة رئيس عربي محلي من ذوي السمعة السيئة والذي كان نامق باشا أساء معاملته ، استطاع شومرد أن يتحدوا حكومة بغداد نفسها ، ولو ان الباشا كان خطط لضرب زجرد وشومرد ببعضهما ، لامكنه استعادة النجف للدولة دون أية صعوبة . لكنه خشي من تكاتف هذين الحلفين وقام بحشد قوات الحلة والديوانية ودعاره على مداخل النجف تحت امرة ضابط يدعى سليم باشا . وقد وضعت مهمة هذا القائد في ذلك اليوم في التقرير البريطاني التالي :

إن هؤلاء الشومرد ينظرون باستخفاف وسخرية إلى القوات التركية وهم يدركون انه ما دام وادي بيه وقبيلة عنيزة يسيطران على الاراضي

المكشوفة ، فانه ليس بامكان الاتراك القيام بأي إجراء عسكري ضد مواقعهم . وتبين هنا ، في الواقع أن خطة الدفاع المنسقة التي تبنتها هذه القبيلة هي بمثابة اختبار ومحك لقوة معدن أفضل الجنود في العالم . ولم يعتمد الحزبان في ترتيب خططهم العسكرية على الاسوار ، لكنهما حصنا نفسيهما بالخنادق في أقوى واكبر الأحياء الآهلة بالسكان ، واقاما المتاريس عبر جميع الشوارع ، وربطا البيوت بشبكة من الالغام والدهاليز وثقبا الجدران لاطلاق النار من خلالها . واحتلا كل بقعة مرتفعة بواسطة رجالهما في هذا الجزء من البلاد . وعلى هذا الاساس فان سليم باشا سيواجه ان هو حاول طرد شامورد بالقوة نفس المجابهات الحادة التي واجهها «كافكنك» في «فوبورج سانت انطون» ، وذلك بسبب الشوارع الضيقة والساحات المحاطة بالجدران المرتفعة التي تتميز بها المدن الشرقية ، والتي تمكن المدافعين من الالتجاء اليها والاحتماء بها . ومن المعروف ان الجندي التركي شجاع وجريء في حرب الميدان ، لكن عزيمته تنهار أمام العدو الكامن المختفي .

وفي هذه الظروف لم ير سليم باشا امامه إلا طلب المفاوضة مع شامورد بواسطة المجتهدين الشيعة في المدينة . ولا شك أن هؤلاء الوسطاء ، كانت تمثل في أذهانهم أطياف وذكريات مجزرة كربلاء عام ١٨٤٣ ، فاستخدموا كل ما لهم من نفوذ وسلطة مع رئيس المتمردين حتى قَبِلَ هذا بالجلاء عن المدينة والانتقال الى الحلة ، شريطة ضمان سلامته الشخصية والسماح له ولأتباعه بحمل اسلحتهم وامتعتهم معهم . ويبدو أنه تم تنفيذ هذه التسوية ، لكن بعد أن وقعت حادثة تعسة كما يتضح في البيان التالي الذي أعطاه نامق باشا إلى العقيد رولينسون في بغداد :

لقد رأى الضابط التركي الذي أجرى المفاوضات السابقة أنه من الضروري توقيف الفئات الأخرى في النجف ممن لم يتم انسحابهم وحاول هؤلاء انقاذ أنفسهم فهب السكان لمساعدتهم ثم دارت رحى معركة عنيفة دامت مدة ٢٤ ساعة بخسائر جسيمة من كلا الطرفين ، وقد نهب

ودمر عدد وافر من الممتلكات ، وفي النهاية تم إخراج المقاتلين العرب من المدينة ، فجاءت السلطات لاحلال النظام والأمن وإعادة الامتعة التي سلبت إلى أصحابها الحقيقيين » . وقد دفع هذا العقيد رولينسون إلى الظن بأن القضية كلها كان قد سبق ترتيبها ، بأن أُغري الروساء أولا بالابتعاد من المدينة ، ثم فوجيء السكان بالقوات التركية بعد إبعاد حمايتهم واعتمادهم على شروط الاتفاقية . لكنه يعتقد مع ذلك أنه لم تحدث أضرار خطيرة .

التمرد الثاني في النجف عام ١٨٥٤ :

وفي بداية عام ١٨٥٤ ، حين أعلن رشيا باشا حاكماً عاماً في بغداد خلفاً لنامق باشا تجمع تمرد ثان في النجف ضد السلطة التركية ، من جراء عدم انسحاب الحامية العسكرية التي كانت معسكرة في البلدة . فقد تشجع حزبا شامورد وزجرد وهما متحدان هذه المرة . وحشدا حوالي الفين من الرجال فأخذوا المدينة عنوة . وبعد فترة أرسل رشيد باشا خلالها جنوداً من بغداد إلى الحلة وامر حكمدار الديوانية بأن يكون مستعداً للتعاون ، تقدم بنفسه إلى الحلة . وفي نهاية مارس تم لقوات تركية الاستيلاء على النجف وطرد المتمردين منها مع الحاق خسائر طفيفة بهم وإصابات طارئة بين العامة . وعلى كل حال فقد قيل بأن السكان العرب أصيبوا بخسائر جسيمة .

ولعل ما كتبه القائد فيلكس جونز عام ١٨٥٤ يشرح فيه الحالة الداخلية في باشوية بغداد وكيفية إدارة الشئون القبلية فيها ان يكون تقريراً هاماً وممتعاً وفيه يقول :

« وموجز القول في هذا الموضوع فإن تحكم العادات والاعراف البدوية في هذه القبائل يجعل اشراف الحكومة التركية عليهم ضعيفاً تماماً . وصحيح أن نوعاً من الفهم الصامت لوجهات النظر المتبادلة بينهم وبين السلطات فحواه أنهم أي البدو يظلون بخير طالما قدموا ما عليهم من

الضرائب التي يجري تخمينها سنوياً وان كان الوفاء بها كاملة لا يتم بغير مشقة حيث إن موقف العربي عموماً يتلخص في إظهار الفقر فهو يعتقد بأنه حين يدفع للحكومة شيئاً هذه السنة فان الدفع سيغريها بزيادة المطلوب منه في السنة التالية . لهذا فالحكومة والقبائل دائماً في خلاف وصراع ان لم نقل في حرب مكشوفة . وحيث إن الحكومة التركية اشد ضعفاً من معالجة الامور بقوة فانها تلجأ لاسلوب الضعفاء من الحاكمين في تأليب الناس بعضهم على بعض . لذلك تجد الاحزاب المترعرعة في القبائل والمشيخة سلعة تباع لأعلى المزايدين عليها سعراً ، وترى الحكومة تؤجج التنافس على السيادة بينهم لتتخلص من روح التجمع في سبيل التمرد مما يجنح له العرب من جميع الاعمار في مجتمعاتهم الفريدة في نوعها . ان هذا النظام في الحكم هو الذي أفقر كلا من المدينة والقرية على السواء .

ويقدم لنا القائد جونز ملاحظات عن حكومة مدينة بغداد فيه الكثير من الدقة والامتاع معاً ، وما يزال معظم ما يقوله ينطبق على الاقليم العراقي حتى ايام كتابة هذا المؤلف ، واليك تلك الملاحظات.

أما بشأن حكومة هذا الاقليم ونظام السلطة المتحكمة فيه التي لا هم لها إلا إضعاف هؤلاء الفقراء الذين إذا اتحدوا عرفوا السبيل لهز أركان الدولة ، فاني قد قلت الكثير آنفاً ، وعلى العموم فان نوع الادارة في بغداد وفي المدن الصغرى هو من نوع ما في القسطنطينية ، فيما عدا فروق بسيطة لملائمة البيئات والاعراف المحلية بشرط ألا يصطدم ذلك بالقانون العام اصطداماً كبيراً الا وهو شريعة القرآن التي يقدمها العلماء لمجملات أحكامه . وقد مضى الآن بعض سنين على انتهاء الحكم الاستبدادي المطلق ، وهناك الآن مجلس يرئسه الباشا يسمع جميع القضايا ويعالجها ، والمجتمع مؤلف من مسلمين ومسيحيين لكن الآخرين ليسوا من المكانة بما يجعلهم يؤمنون مكانتهم كلما رجحت عليهم كفة المسلمين بسبب من الخلاف الديني او نتيجة رشوة للحكام . ولكي أقول الحق فان ما يقع من حيف على المسلمين في بغداد من ذلك القبيل هو أقل

مما يقع في أي مكان آخر من تركيا بل هي تكاد تتقدم في ظل الباشا المستنير الحالي محمود رشيد ، وهو اذا اتجه همه لشيء فذلك هو مصلحة الدولة ومحاولة رفع ابناء امة الترك لمستوى انساني أفضل وهي مهمة جبارة لكنها تستاهل الاطراء . وحيث إن الرجل نال تدريباً طيباً خلال دراسته في اوروبا فان لهمن الحصافة والنزاهة ما يجعله جديراً بإحداث التغيير نحو الافضل في هذا الاقليم المهمل. ولسوء الحظ ليس عنده مساعدون من طرازه ، فكل مساعديه جهلة كالاتراك ويعطلون آثار جهوده بعنادهم البليد . ولاشك ان اضرار الحرب الحالية على الخزينة تعوق جهود الباشا الاصلاحية ، ولا يجد له والمطالب للنفقات تدق ابوابه من حيلة يحتالها سوى اللجوء للمزيد من الضرائب لذلك فالشكوى مستعلنة بقدر ما الاصلاح أخرس . وحيث يمنعه الفقر من تعين موظفين أكفياء وشرطة مستنيرة لذلك فان الاحوال المالية والامنية في الحضيض . وتقع أعمال لصوصية رهيبة بينما تضيع اموال الدولة من جراء فقدان الشرطة الكفوءة والموظفين المؤهلين . والواقع إنه لا يوجد نظام من أي نوع . وطالما ظلت المتصرفيات والطرق العامة والجمارك والعوائد وتداول السلع الاساسية كلياً تصرف بالاحتكارات وأعلى الملتزمين في المزادات العلنية فلا مجال لتحسين ما . إن كل ملتزم يستغل المصلحة ليكسب أكبر كسب وينفق أقل انفاق ضارباً صفحا عن مصالح الافراد ومصائب الدولة كذلك الجيش النظامي في الباشوية صغير العدد جداً حتى إنه ليس كافياً للحفاظ على الامن في أعظم الايام سلماً . والواقع إنه لو وقع عصيان في مدينة بغداد نفسها او في مناطق القبائل فان هذه القوات لا تكاد تكفي لاخماد أي منهما . وحين يفكر المرء في طبع القبائل الكارهة للقانون من حول بغداد فانه يعجب كيف تتمكن مثل تلك الحكومة المفككة الاوصال أن تظل قائمة . ولكن السر كامن في عناصر الحكم المتضاربة . وطبيعة العقلية العامة العازفة عن الشر ، وفي غفلة الشعب عن الماضي والحاضر والمستقبل وعلى العموم فالشعب هادىء ، ومظاهر التعصب

الديني غير موجودة فيه . وهناك تسامح في معاملة اليهود والمسيحين حيث إنهم يتمتعون بحصانة لا يتمتع بها إخوانهم في أي مكان آخر . والضريبة الوحيدة المفروضة عليهم وهي الخراج تجبى سنوياً من الذكور الذين تبلغ أعمارهم فقط ما فوق ١٥ سنة ، وذلك بنسبة حوالي عشرة أو خمسة او اثنين ونصف من الشلنات على كل فرد . وتعفيهم هذه الضريبة من جميع المطالب الأخرى . والفائدة التي كان هؤلاء يجنونها من وراء هذه المعاملة هي أنهم كانوا في آخر النهار يركنون هادئين مطمئنين بين أفراد عائلاتهم وليس من يعكر صفوهم ، بينما كان المسلم الفقير يجر أحياناً من عند زوجته وأولاده لكي يذهب الى ساحة الحرب . ورغم هذا فانهم لم يكونوا راضين عن الوضع . فهل وقفوا عند هذا الحد؟ كلا ... فالمسيحيون واليهود في تركيا ، في الوقت الذي كانوا ينهبون ويسرقون بالمكر والخداع ثروات جميع الطوائف الاخرى ، كانوا لا يكفون عن العويل والشكوى من الظلم والاضطهاد . ومن سوء الحظ فإنهم كانوا يلقون أذاناً صاغية من اولئك الذين يجهلون صفاتهم وأخلاقهم وحقيقة أمرهم في تركيا . ويمكن القول والتأكيد بأن العداوة السائدة نحو اليهود في بلدان اوربا هي أقوى مما عليها في تركيا . كذلك فان ما يضمره الروم الكاثوليك والبروتستانت من كراهية بعضهم بعضاً هو أكثر رسوخاً في الدول الاوربية من أية كراهية للطوائف في ديار السلطان . وليس في عالم المسلمين ما يمكن مقارنته برفض الكاثوليك الاسبان دفن موتى إخوانهم المسيحيين . فكل طائفة هنا من المسيحيين لها كنائسها ومدافنها الخاصة بها ، والمخالطة العامة بين الافراد من مختلف المعتقدات الدينية هي أقل تقييداً وأكثر لطفاً ومجاملة نحو الطوائف المسيحية منها في البلدان الاوربية نفسها المعترفة بالمسيحية . ان هذه البلاد لا تعرف قتل الناس بسبب معتقداتهم وإذا كانت قد حدثت أعمال قتل لبعض المسيحيين ، فانها لم تكن نتيجة لوجود كراهية عقائدية في نفوس المسلمين نحو إخوانهم المسيحيين ، بل في الحقيقة لكونها السلاح السياسي

الاول في أيدي المتمردين من سكان المدن الذي يستطيعون استخدامه ضد الحكومة . وفي بعض الحالات الاجرامية كان المسيحيون يمهدون لذلك بأنفسهم وذلك عن طريق تحديهم للقوانين التي يعيشون تحت ظلالها بأمن وسلام ، إذا لم نقل بحرية مطلقة .

★ ★ ★

لقد أعطت قوانين التنظيمات ، التي اوقفت العمل بعقوبة الاعدام في المناطق التي يحكمها الباشوات ، ثماراً مختلطة من الخير والشر ، ولقد كان من الحكمة والانسانية وضع قيود على الحكام الذين يجنحون للظلم والاستبداد ، خصوصاً من كان منهم في المناطق القريبة من القسطنطينية . لكن للمرء أن يتساءل عن حكمة وقف القصاص الذي كان يردع القبائل الفوضوية المترحلة في أطراف الامبراطورية العثمانية قريباً من عاصمة العراق . لقد رحب الاشرار في العراق بهذا القانون واعتبروه عفواً عاماً عن الجناية والجناة بينما استقبله الموقرون من الناس بالرعب . لقد ازدادت حوادث الاضطرابات ، والسرقة ، والقتل ، مع ان قانون بتر الايدي او الاقدام ، والوضع على الخوازيق ، وقطع رؤوس الاوغاد (يجب علي قول الحقيقة وان كنت أشعر بالاسف لضرورتها) كان يعمل به منذ زمن طويل في هذه المناطق فيؤتي أحسن الثمار وإن كان الامر يخلو من مرات يستغل فيها الباشوات نفوذهم لإساءة استعمال هذه الاحكام بإعدامهم اناساً يكرهونهم هم أكثر مما تكرههم الشعوب ، كما أن تنفيذ القانون كان يتطلب وقتاً طويلا . لذلك كنا نرى المذنبين بعد إدانتهم بجرائم قتل ، يتلاشون عقاب الموت الذي يستحقونه بوضعهم مدة طويلة في السجن لما يتطلبه الحكم من تصديق من القسطنطينية . وكان يجب تعديل هذا القانون بالنسبة للمناطق البعيدة فيسمح لها بتنفيذ الاحكام العادلة بعد إصدارها مباشرة . وانني لا أنكر أن سجن المدى الطويل يمكن أن يكون اشد وطأة على المذنب من الموت . ولكن مثل

هذه الطريقة في انزال العقاب غير مجدية في هذه البلاد حيث أن مفهوم التأديب وإعطاء المثل يجب ان يكون على مرأى من الناس ، انك هنا لا تستطيع أن تسجن بغلا لتمنع البغال الاخرى من الركل . فالرأي العام لم يصل بعد إلى مستوى كاف من الوعي لكي يفهم الدوافع في إصدار الاحكام التهذيبية المنصوص عليها في قوانيننا الاوروبية .

الضرائب المفروضة على المنتفك عام ١٨٥١–١٨٥٥ :

إن الزيادة المضطردة في طلب المال في هذه الفترة ، والتغييرات المتكررة في مشيخات القبائل ، تتمثل بوضوح في وضع قبيلة المنتفك . فقبل وصول نجيب باشا عام ١٨٤٢ كان على شيخ هذه القبيلة للدول مبلغ قدره مائة الف شامي(١) فقط . وبحلول خريف ١٨٥١ عندما كان فارس هو الشيخ كان تخمين الضريبة عليه (٢٠٠,٠٠٠) شامي .

وفي خريف ١٨٥١ تعهد الشيخ منصور بأن يدفع سنوياً مئتين واربعين الف شامي . لكن الشيخ صالح رفع هذا المبلغ ودفع ثلاثمائة الف . وفي أكتوبر عام ١٨٥٣ فرض على منطقة السماوة ، التي انفصلت عن سلطة المنتفق ، سنوياً مائة الف شامي . وتكفل الشيخ منصور أن يدفع سنوياً ثلاثمائة وعشرة آلاف شامي عن بقية أجزاء منطقته . وفي عام ١٨٥٥ إستمر الشيخ بدر بدفع ثلاثمائية وعشرة آلاف شامي سنوياً رغم النقص الذي طرأ على مساحة مقاطعته .

تمرد قبيلة آل بو محمد عام ١٨٥٥ :

في عام ١٨٥٥ تمردت قبيلة آل بو محمد ، القاطنة على ضفاف نهر دجلة أسفل العمارة لاسباب مالية وشرعت بنهب القرى ومهاجمة القوارب التي تعمل في النهر . وأصبح من المستحيل إخضاعهم فهم ما يكاد الجنود الاتراك يظهرون حتى يكونوا قد تلاشوا في الاهواز ، وبعد مرور ستة أشهر على تعطيل الملاحة في نهر دجلة قبلت الحكومة التركية أي مبلغ تتعهد القبيلة تلقائياً بدفعه .

(١) كان الشامي في ذلك الوقت يعادل شلنا انجليزيا واحدا وستة بنسات ·

التنظيمات الادارية التركية ١٨٣٩ ـ ١٨٦١

هناك عدد من الحقائق تجذب اهتمام دارسي الادارة التركية ظهرت في سجلات ذلك الوقت . ويشتمل بعضها على تغييرات تدل على رغبة وحماسة السلطة المركزية في القسطنطينية المتمثلة في السلطان عبدالمجيد في إجراء إصلاح إداري شامل في مدن الاقليم . وهو اول سلطان يستخدم سلطته في عمل كهذا ويكون له اثره الواضح في مدينة بغداد . وتظهر الحقائق الأخرى في التخطيطات التركية في المحمرة .

التجنيد العسكري في بغداد عام ١٨٤٤ :

وفي أوائل عام ١٨٤٤ جرت محاولة لانشاء فرقة عسكرية محلية عن طريق التجنيد التطوعي فتم الحصول على حوالي مائتي شخص . وأحدثت الحركة فزعاً ما لبث أن عم المدينة تحسباً من انقلاب تلك المحاولة إلى تجنيد اجباري ، فهرب ثلاثة آلاف او اربعة آلاف من سكانها . وكتب لهذه المحاولة الفشل .

تعين دفترداربن او محاسبين عامين عام ١٨٤٥ :

وفي عام ١٨٤٥ عين اول «دفتردار» أو محاسب قانوني عام في بغداد أصبح معروفاً هناك لأول مرة وكان ذلك الموظف قد جاء ليعمل في بادىء الامر تحت توجيه مباشر من الحكومة المركزية حيث حلت سلطته محل الحاكم الاداري للباشوية في بعض شئون الايرادات ولا يدلك على ان هذه الوظيفة ذات الصلاحيات المركزية ما كان لها ان تدوم طويلا وهي على حال مواتية مثل ما حصل من تعسف وأعمال مالية مخزية في عهد نجيب باشا وخلفائه منذ سنة ١٨٤٥ .

رسوم الاحتساب او الدخولية عام ١٨٤٧ :

وفي عام ١٨٤٧ تلقت بغداد امراً من القسطنطينية بالغاء رسوم «الاحتساب» أو الدخولية في المدن . ويمكن القول بأن هذا الاجراء كان

اسلوباً من اساليب الاصلاح المالي التي بدء بها في تركيا الغربية في ذلك الوقت . أما بالنسبة للعراق التركي فكان المفترض فيه بقاء هذه الرسوم سارية المفعول لسنين عديدة . وقد قام الدفتردار برحلته إلى البصرة لكي يرى ما اذا كان بالإمكان فرض ضريبة تحل محل رسم الدخولية .

لجنة راغب باشا عام ١٨٤٧ :

وأصبح الآن امر تأليف لجان تحقيق عملا مألوفاً . ففي عام ١٨٤٧ أوفدت واحدة منها برئاسة راغب باشا من القسطنطينية إلى نجيب باشا مع «فرمان» وسيف شرف واستقبل في بغداد بكثير من الهتاف . وقد كانت لديه تعليمات بأن يقوم بعملية تفتيش في البصرة ومناطق شط العرب عامة ، وكتابة تقارير عن انجح الوسائل لتحسين الاوضاع . وعن كيفية زيادة الايرادات المحلية ، وتحسين اوضاع الملاحة التركية في النهر . واعتبر الوكيل السياسي البريطاني مهام ذلك المندوب عملا سيثير الشكوك ليس لدى الايرانيين الذين هم في نزاع مع الحكومة التركية على خط الحدود . بل لدى قبيلة المنتفك لاسباب أخرى ، وكان إنشاء باشوية منفصلة في البصرة في السنوات الثلاث الاخيرة نتيجة لانتداب راغب باشا .

وجود الكيخيا في بغداد عام ١٨٤٩ :

وفي عام ١٨٤٠ كان مكتب «الكيخيا» القديم ما يزال قائماً في بغداد . والكيخيا في الأصل هو عبارة عن موظف سري جداً يعمل في منزل الباشا ويصفه البيان أحياناً أنه أمين لماله وعضو في عائلته أكثر من كونه من هيئة موظفيه الرسميين . لكن بدا في عام ١٨٤٩ أنه أصبح موظفاً عاماً تعادل رتبته رتبه مساعد الوالي او المعاون كما يطلق عليه في هذا الوقت .

انفصال البصرة عن بغداد واقامة باشوية فيها في عام ١٨٥٠ :

وفي أواخر عام ١٨٥٠ كان الحاكم التركي العام في البصرة ما يزال يحمل لقب «المتسلم» ووظيفته هي كوظيفة القائمقام المتعارف عليها في هذا

العصر ، ويعمل تحت إمرة الباشا الذي هو والي بغداد . وفي عام ١٨٥٠ انفصلت مناطق البصرة فجأة عن مناطق بغداد وأصبحت تقريباً تحت إدارة باشا مستقل . وشملت باشوية البصرة الجديدة جميع المناطق التركية الواقعة على شط العرب وتلك التي على نهر الفرات بما فيها مناطق السماوة. ثم مناطق نهر دجلة ، ومناطق العمارة على ضفته الشرقية ، ومناطق ضفته الغربية في حدود شط العرب حيث تنتهي عند الحي ، او شط العراق. وعلى هذا الاساس فقد شملت مناطق البصرة مقاطعة قبيلة المنتفك بأكملها التي كان لسلطانها تأثير عظيم في تسيير الامور السياسية الداخلية للعراق التركي الاسفل والتي كانت اتصالاتها مع بغداد ضعيفة جداً . وعهد إلى باشا البصرة بأن يبعث بتقاريره إلى الباب العالي مباشرة . أما التقارير التي تتعلق بالقضايا العسكرية والمالية فيرسلها إلى حكومة بغداد .

وكان اول مسئول استلم زمام الامر في الباشوية الجديدة هو معشوق باشا ، الذي وصل بغداد في الثالث من إبريل عام ١٨٥٠ ثم غادرها في اليوم التالي لاستلام مهام منصب حكومته برفقة عدد من الضباط البحريين والموظفين المختصين الذين قدموا معه من القسطنطينية .

★ ★ ★

علاقات العراق التركي مع ايران ١٨٣٩ ـ ١٨٦١

أثناء هذه الفترة التي تستحوذ الآن على اهتمامنا ، كانت العلاقات بين تركيا وإيران تصل أحياناً إلى درجة كبيرة من التوتر توشك فيها على الانقطاع . وقد أمكن تجنب وقوع حرب بينهما في إحدى المرات بفضل تدخل بريطانيا وروسيا اولا ، ثم بعمل انفرادي من قبل بريطانيا في مناسبة ثانية ، ذلك بأن منطقة حدود العراق التركي التي هي في الاصل المكان الذي توالدت منه بعض المشكلات الخطيرة بين هاتين الدولتين

الشرقيتين ، كانت ايضاً مسرحاً للإجراءات العدائية ، والوقائية وأعمال الوساطة التي كانت تنجم عن المنطقة ذاتها.

قضايا الحدود والاجراءات التي نتجت عن المعاهدة الثانية في « ارضروم » عام ١٨٣٩ – ١٨٤٧ :

لقد تضمنت معاهدة ارضروم الأولى التي عقدت عام ١٨٢٣عدداً من البنود الممتازة التي كان من شأنها ان تساعد على تحسين العلاقات التركية–الايرانية . لكن عند القيام بتنفيدها فشلت في تحقيق الامن والسلام على الحدود . وفي عام ١٨٤٢ حدث احتكاك بين البلدين المجاورين وتوتر الوضع إلى حد أصبحت الحرب بينهما محتملة الوقوع . ثم نشأت صعوبات كثيرة مشتركة نحو كيفية السيطرة على أعمال النهب وقطع الطرق التي كانت تقوم بها القبائل المقلقة في مناطق الحدود الواقعة شمال بغداد . لكن كان هناك ايضاً مشكلات أضخم مطروحة على بساط البحث . وكان العمل الذي قام به الاتراك بتدمير مدينة المحمرة المتنازع عليها في عام ١٨٣٧ قد الحق ضرراً كبيراً بالحكومة الايرانية فطلبت تعويضاً تعادل قيمته حوالي مليون جنيه استرليني . ثم إن الحكومة التركية في بغداد آوت بعض الاشخاص المطالبين بعرش إيران وخصصت لاثنين منهم مرتبات مالية بالاضافة إلى آخرين منهم قدموا من بريطانيا حيث كانوا في زيارة لها. وفي عام ١٨٤٠ احتلت قوة عسكرية ايرانية السليمانية وهي عموماً من ملحقات بغداد . وفي السنة ذاتها قام شاه ايران بنفسه بجمع ثلاثة عشر الف رجل مزودين ببعض بنادق الميدان وعدد كبير من الجمال ، وظهر على أنه يتقصد الهجوم على مدينة بغداد . لكن اقنع(١)

(١) على حد قول « ليارد » فان رجوعه كان نتيجة لضغط روسى خوفا من أن تقدم بريطانيا على الوقوف بجانب تركيا فى حالة نشوب نزاع • كتاب ليارد « المغامرات الاولى » المجلد الاول ، صفحة ٢٤٨ • راجع ايضا كتاب متفورد « الزحف الارضى » المجلد الاول ، صفحة ٣٦٠ •

أخيراً بالرجوع من «كانكوفار» . واعتبر الاتراك الحملة العسكرية التي ارسلها حاكم عربستان الايراني إلى الفلاحية والمحمرة بمثابة رد على عملهم الذي قاموا به في المحمرة عام ١٨٣٧ حينما كانت تحت ايدي الايرانيين . ووصل الوضع عام ١٨٤٢ إلى الدرجة القصوى من الخطورة حينما عمدت السلطات التركية في السليمانية إلى تنظيم فرقة عسكرية وشنت بها هجوماً مفاجئاً على المقر الصيفي للوالي الايراني في وادى أرديلان . وكان الايرانيون في هذه المرة هم المعتدين الفعليين ، لكن الحقيقة لم تظهر إلا فيما بعد . ولم يمنع ذلك الحكومة الايرانية من التوسل إلى سفير بريطانيا(٢) وروسيا في القسطنطينية واحرزاها نجاحاً في هذا الصدد وشرعت الدولتان في حشد الجنود على كلا الجانبين من الحدود . وبناء على نصيحة السفيرين الوسيطين وضغط الوكلاء البريطانيين والروس ممن وصلوا إلى الموقع توقفت الاستعدادات العسكرية التي كانت تهدد بقيام حرب مع تردد شديد من جانب الاتراك .

واتفق بعد ذلك على تأليف لجنة مشتركة تضم السفيرين المفوضين لتركيا وايران تساعدهما وفود تمثل الدولتين الوسيطتين بريطانيا وروسيا ، وان تجتمع هذه اللجنة في «ارضروم» لأجل التحقيق ، ثم إنهاء مشاكل الحدود والقضايا الأخرى المتصلة بالنزاع اذا امكن . وكان المندوب البريطاني هو الرائد وليامز(١) وشاركه في البداية المستر كيرزون من

(٢) كانت الرسائل المهمة التي تتعلق بهذا الوضع قد حملها المستر ليارد الى الرائد تايلور ، الوكيل السياسى البريطانى بعد أن أخذت الحالة فى التدهور • ثم حملها هذا بدوره الى السفير البريطانى فى القسطنطينية فى شهر مايو ـ يوليو ١٨٤٢ • راجع كتاب ليارد المذكور اعلاه المجلد الثاني ، صفحة ٣٦٦ •

(١) الرائد وليامز كان المرشح الاول ، لكنه سقط مريضا • فحل محله المستر كيرزون الذى كان فى هذه الفترة يعمل سكرتيرا خاصا للسر ستافورد كانج فى القسطنطينية • وعندما تم شفاء الرائد وليامز سافر هو والمستر كيرزون الى ارضروم كمندوبين مشتركين • وفى اكتوبر عام ١٨٤٣ ، وبينما كان فى ارضروم اصيب المستر كيرزون =

السفارة البريطانية في القسطنطينية . وكان اول اجتماع عقده المندوبون في ارضروم في ١٥ مايو ١٨٤٣ . وكانت الصعوبات التي جابهت اللجنة في بادىء الأمر ناتجة عن المجازر الاخيرة التي قام بها الاتراك ضد الايرانيين والرعايا الآخرين من الشيعة في كربلاء . وعن طريق المداولة والمناقشة استمرت الاجتماعات في ارضروم حتى مارس عام ١٨٤٤ حيث تعطلت نتيجة للوقاحة التي ابداها المندوب التركي انور بيه(١) نحو طلب زميله الايراني ميرزا تقي خان(٢) بالسماح للشيعة ببناء مساجد خاصة لهم في تركيا . وكان ان تحولت المفاوضات الرئيسية بعد ذلك إلى اوروبا وبقي أعضاء اللجنة ينتظرون النتيجة في ارضروم . وكما كان يحدث دائماً ، قام جماعة من أهل السنة في عام ١٨٤٦ بمحاصرة ونهب منزل المندوب الايراني ولم تتحرك السلطات التركية لمساعدته ، مع أن الرائد وليامز خاطر بحياته في سبيل انقاذ المسئول الايراني . وقتل أيضاً اثنان من معتمدي الممثل الايراني . واستلم مبلغ ثمانية آلاف دولار كتعويض من الحكومة التركية .

وأخيراً وفي ٣١ مايو عام ١٨٤٧ وقع المندوبان التركي والايراني ، انور أفندي وميرزا تقي خان المعاهدة الثانية في ارضروم بحضور

= يحمى الدماغ فاضطر بعد شفائه للعودة الى وطنه • وكان قبل ذلك قد اوصى السفير البريطانى فى القسطنطينية السر سترافورد كاننج بتعيين المستر ليارد ، مندوبا مشتركا لبريطانيا فى المباحثات ، لكن توصياته لم تجد قبولا من اللورد ابردين السكرتير البريطانى للشئون الخارجية • واخيرا منح اللورد بالمرستون الذى كان قد خلف اللورد ابردين فى منصبه ، المستر ليارد عضوية بريطانيا فى الوفد ، لكن فى هذا الوقت كان المستر ليارد قد حصل على عمل آخر •

(١) كان المندوب التركى الاول هو نيازى افندى الذى عمل سفيرا لبلاده فى لندن وفيينا • لكنه توفى قبل بدء المفاوضات فى ارضروم • فحل مكانه انور افندى الذى كان سكرتيرا له •

(٢) كان المندوب الايرانى الاول هو ميرزا جعفر الذى كان سفيرا لبلاده لدى الباب العالى • لكن المرض جابهه وهو فى طريقه الى ارضروم • فعاق ذلك تقدمه الى ابعد من « تبريز » •

المندوبين البريطاني والروسي الرائد وليامز والرائد رينيير وتبودلت نصوص المعاهدة في القسطنطينية في ٢١ مارس ١٨٤٨ .

وكانت بنود المعاهدة الرئيسية التي تتعلق بمنطقة الخليج كما يلي :

معاهدة ارضروم الثانية عام ١٨٤٧ :

فيما يختص بالقضايا المالية ، فقد اتفق الجانبان على اسقاط مطالباتهما واستثني منها رسوم معينة على المراعي والخسائر التي لحقت بكل منهما منذ عام ١٨٤٥ مما حققته لجنة مشتركة أجرت تحريات في الشكاوى المتبادلة بين الطرفين . وحالت نصوص المعاهدة بوجه عام ، كما سنرى دون تحقيق طلب ايران للحصول على تعويض بسبب الاضرار التي الحقها الاتراك عام ١٨٣٧ في المحمرة وفي كربلاء عام ١٨٣٤ .

وبالاشارة إلى قضية الحدود ، فان الحكومة التركية تعهدت رسمياً بالسماح لدولة ايران بوضع يدها ، بسيادة تامة ، على مدينة المحمرة ، وجزيرة خيضر (عبدان و المرسى) . وأيضاً على الجزر الواقعة على الضفة الشرقية من شط العرب التي تقطنها قبائل معترف بها بأنها من رعايا إيران . وكذلك يحق للسفن الايرانية التمتع بحرية كاملة في الملاحة بشط العرب من مصبه حتى النقطة التي تلتقي فيها الحدود التركية الايرانية على الضفة الشرقية . أما الحدود الممتدة من المحمرة في الجنوب حتى « زهائي » في الشمال فلم يأت ذكرها في المعاهدة مطلقاً . لهذا تقرر ترك أمر تسويتها ، بموجب بند نهائي ، إلى معاهدات لاحقة .

أما بخصوص إدارة الحدود فقد تقرر بأن تجبر كل قبيلة بأن تقطن فقط على جانب واحد من الحدود ، وأن أعمال الغارات والجرائم التي ترتكب عبر الحدود فيجب أن تتولى المعاقبة عنها السلطات الحدودية المسئولة في موقع كل غارة ، كما تقرر وضع جنود في المراكز الملائمة لردع القبائل التي تقوم بالنهب وقطع الطرق .

وتضمنت المعاهدات بنوداً أخرى باطلاق الحرية للحجاج الايرانيين بتأدية فرائض الحج في تركيا دون كدر او ازعاج ، وحماية التجار

الايرانيين والرعايا الآخرين منهم ومعاملتهم بعين الاعتبار ، وأن تعترف الحكومة التركية بالقناصل الذين تعينهم الحكومة الايرانية لأي مكان في تركيا يمكن أن يمثلوا فيه (ما عدا مكة والمدينة) ومنحهم الامتيازات التي يتمتع بها قناصل الدول الأخرى . وكانت هذه الترتيبات الأخيرة متبادلة بين الدولتين ، فتعهدت ايران بموجب المعاهدة بأن تحمى رعايا الاتراك وتعترف بالقناصل الذين تعينهم الحكومة التركية في ولاياتها .

وصدقت المعاهدة مع تفسيرات معينة لبنودها أعدها السفيران الوسيطان في القسطنطينية ، اللورد كاولي والمسيو تيتو استجابة لطلب من الباب العالي وقد نالت التفسيرات موافقة كل من الحكومة التركية والمندوب الايراني . ثم ضمت هذه التفسيرات في مذكرة مشتركة باسم الممثلين الوسيطين وقدمت إلى الباب العالي ، وكانت لا تخلو من الاهمية فهي تبين بأن (مرسى المحمرة) يعني به المكان المقابل لتلك المدينة وضمن قنال الحفر ، وان الاماكن التي اعطيت إلى ايران في المنطقة المشار اليها تشمل المرفأ ومرسى المحمرة ، وأيضاً جزيرة خيضر ، وبذلك فالباب العالي لم يتخل عن أراض أخرى أو مرافيء يمكن أن تقام في المنطقة المذكورة ، كما أصبح لا يحق للدولة الايرانية تحت أي ادعاء بأن تطالب بالمناطق الواقعة على الضفة اليمنى من شط العرب ولا بالاراضي التي تخص تركيا في الضفة اليسرى ، حتى في حالة إقامة القبائل الايرانية ، بشكل جزئي أو كلي ، على الضفة او الاراضي المذكورة ، وان جميع التعويضات التي تطالب بها الدولة الواحدة الاخرى قد أصبح أمرها مقضياً ، فيما عدا تعويضات الافراد الخاصة التي تنظر فيها اللجنة المشتركة المؤلفة للتحقيق في الخسائر الاخيرة ورسوم المراعي . كذلك شملت مذكرة السفيرين التفسيرية تأكيداً أكثر وضوحاً يتعلق بالمعاملة المتبادلة للقناصل ورعايا الاتراك في ايران . وقد نقل ذلك الى الباب العالي وأعلم بأن الحكومة الايرانية في ايران قد اقرته كما أخبر الباب العالي في نفس الوقت بأن الشاه قد وافق على أنه طالما ان تركيا لا تقوم بانشاء تحصينات على الضفة

اليمنى من شط العرب المقابلة للحدود الايرانية ، فان ايران تتعهد من جانبها أن تمتنع عن بناء تحصينات مماثلة على أي قسم من الضفة اليسرى المعطاة لها بموجب المعاهدة .

ويمكن لنا الآن بحث حالة الشئون التي طرأت محلياً على أجزاء معينة على الحدود أثناء الفترة التي تخللت موافقة السلطان عبدالمجيد وإنجاز المعاهدة الثانية في ارضروم .

الاحوال على حدود البصرة ــ المحمرة عام ١٨٣٩ــ١٨٤٦ :

لقد رأينا أن الاتراك عندما سحبوا جنودهم من المحمرة بعد الحملة العسكرية عام ١٨٣٧ تركوا لشيخ كعب سيادته على المناطق التي تحت نفوذه مع بقاء ولائه لتركيا .

١٨٤١ :

على أن الشيخ ثامر اضطر سنة ١٨٤١ كما اوردنا بالتفصيل في تاريخ عربستان إلى الانسحاب من الفلاحية إلى المحمرة حيث التمس من الاتراك العون والتأييد في وجه مطالبة ايران له بدفع متأخرات العوائد وتحريكها قوات كبيرة نحو منطقته ، وعندها أبلغ حاكم عربستان الايراني حاكم البصرة التركي عزمه على ملاحقة شيخ المحمرة الهارب وطلب منه معاونة الاسطول التركي لمنعه من الفرار عن طريق البحر . وقد تردد الاتراك بين مساعدة الرجل التابع لهم والتنصّل منه . فالتجأ الشيخ ثامر للمرة الثانية إلى الكويت . وعندها احتل الحاكم الايراني المحمرة وهدد بالتقدم إلى الدعيجي ، لكن موقف العرب المحليين نحوه منعه من تنفيذ أي مخطط آخر له . وقدم الاتراك احتجاجاً متأخراً وسارت مظاهرة ضد حركة الايرانيين ، لكنها قوبلت من جانبهم بالتجاهل وعدم الاهتمام . وأكد الحاكم الايراني تعيين نفسه مسئولا عن عربستان ومشيخة كعب الشاغرة .

: ١٨٤٢

وفي عام ١٨٤٢ ، وعلى أثر فرار الشيوخ الجدد وتقهقر الحاكم الايراني إلى الجهة الشرقية لمعالجة متاعب طرأت في قسم آخر من منطقته، تلقى حاكم البصرة التركي أمراً من باشا بغداد باعادة الشيخ ثامر إلى مركزه ومطالبة الايرانيين بمغادرة المحمرة . لكنه كان واضحاً في هذا الوقت ان الشيخ ثامر قد فقد نفوذه على قبيلته الخاصة ، حتى مؤيديه من الأتراك بدأوا يستخفون به ، فآثر أن لا يأخذ على عاتقه أي إجراء فعلي في هذا الصدد . أما بخصوص الطلب بجلاء الايرانيين عن المحمرة فيبدو أن الايرانيين أجابوا على ذلك بادعائهم حقهم في جميع الضفة اليسرى من شط العرب إلى «القرنه» ، حيث أن شط العرب في ذلك الوقت كان يبدأ عند نقطة التقاء نهري دجلة والفرات في القرنه .

: ١٨٤٣

وفي السنة التالية وردت اشاعات إلى الشيخ جابر ، رئيس المحيسن والحاكم الحقيقي للمحمرة ، بأن لجنة ارضروم التي اجتمعت مؤخراً تحتمل أن تضع في النهاية منطقة المحمرة بيد السلطة التركية وانها قدمت اقتراحات إلى الساطات التركية تتضمن الشروط التي يسمح له بموجبها حكم المحمرة . ويبدو أيضاً أنه رافقت قضيته هذه صعوبات وجد نفسه فيها في ورطة مع سلطات الاقليم الايرانية . لكنها انتهت دون نتيجة معينة .

: ١٨٤٤

في غضون ذلك كان ثامر شيخ كعب ، قد ارتحل من الكويت ملجأه الاول إلى البصرة ، واستقر فيها كمالك بيوت واراضٍ وبساتين . وفي عام ١٨٤٤ ، وبناء على اقتراح باشا بغداد وبمساعدة من السلطات البريطانية التي كانت معظمها تحبذ ادعاء تركيا بحقها في المحمرة ، مَثَّلَ الشيخ ثامر أمام اللجنة في ارضروم نيابة عن الجانب التركي وأعطى لها

دليلا يتعلق بالوضع الدولي لقبيلة كعب . وفي إبريل عام ١٨٤٤ ، وفيما كان الرجل عائداً من رحلته احتجز في بغداد بناء على طلب الوكيل السياسي البريطاني لئلا يثير ظهوره ثانية في البصرة اضطرابات في المناطق المجاورة للمحمرة ولأن قضية الحدود لم تحل بعد . وأخيراً ، وبعد مرور ثلاثة أشهر على حجزه في بغداد سمح له بالسفر إلى جهات وطنه على أساس إعطاء تأكيدات ملائمة .

١٨٤٥ :

وفي أثناء هذه الفترة الحرجة ، ارسل حاكم عربستان الايراني فرقة من الجنود المشاة ، مزودين بمدفع واحد ، إلى المحمرة كحامية عسكرية وربما لاخذ الحيطة من وقوع هجوم مباغت يشنه الاتراك والشيخ ثامر . على ان الغرض الحقيقي لتلك التحركات كان تحصيل الايرادات من الشيخ جابر الذي كان ما يزال متسلماً زمام الامر في المنطقة . وأول ما نتج عن ذلك كان هرب شيخ المحيسن عبر شط العرب إلى الحدود التركية حيث كان شيخ كعب المطرود قد سبقه واستقر هناك . وتقدم الباب العالي باحتجاج على عودة الاحتلال العسكري الايراني للمنطقة المتنازع عليها والتي ما زال أمرها معلقاً . وشرع الايرانيون بتوسيع وتحسين التحصينات في المحمرة ، بينما رحل عدد كبير من قبيلة كعب من الضفة الايرانية إلى الضفة التركية من شط العرب ، ربما نفوراً من وجود الحامية العسكرية بجوارهم ، وفشلت كل المحاولات لحملهم على العودة . وفي حوالي نهاية عام ١٨٤٥ حاولت السلطات الايرانية اقناع الشيخ جابر بالعودة إلى المحمرة بمنحه شروطاً مفيدة . لكنه خاف من الغدر به وفضل الا يخاطر بنفسه كي يصبح في قبضة حكمهم وفي هذا الحين لجأ مسالم بن بركات ، وهو عضو آخر من أسرة كعب الحاكمة وأحد الطامحين لكرسي المشيخة ، إلى الضفة التركية من النهر هرباً من الشيخ المعترف به من الإيرانيين كأمر واقع وأخذ يعمل ضده . وقد أظهرت السلطات التركية موقفاً لائقاً نحو اللاجئين ، فامتنعت من

استغلال وجودهم في تدبير المكائد . ويبدو أن اتخاذها هذا الاتجاه نتج عن تأثير الوكيل السياسي البريطاني في بغداد بوصفه ممثلا لإحدى الدولتين الوسيطتين في ارضروم والذي كان لنصيحته ، دون شك ، شأنها في هذا الموضوع .

١٨٤٦ – ١٨٤٧ :

ويبدو أن استمرار وجود الحامية الايرانية في المحمرة ، رغم صغر حجمها لم يسبب اضطرابات في البصرة . ومن باب التهدئة والحفاظ على الحق التركي في المحمرة ، وضعت عام ١٨٤٦ سفينة حراسة تركية على مصب نهر قارون . فاعترضت الحكومة الايرانية بشدة على وجودها وقبل الباب العالي نقلها على أساس إحلال ممثلين بدلا منها . لكنها استمرت في التجول في المناطق المجاورة . وأجاب الباشا على احتجاج قدم إلى بغداد ، ربما من الوكيل السياسي البريطاني بأن السفينة لا تؤثر ، بأية حال من الاحوال على الحركة التجارية في المحمرة . ولم يكن هذا هو بيت القصيد ، بل كانت هناك شكوى واحدة على الاقل قدمت إلى بغداد عام ١٨٤٧ من مركب كان متوجهاً إلى المحمرة فاجبرته السفينة على الذهاب إلى البصرة أولا لدفع الرسوم على جميع حمولته هناك . وأخيراً ، وبناء على طلب الوكيل السياسي البريطاني ، وبموجب طلب تلقاه من الوزير البريطاني في طهران ، وافق الباشا على سحب السفينة إلى البصرة وأصدر أمراً قطعياً في ذلك الشأن .

وفي النهاية ، وبعد اعطاء المحمرة لايران بموجب المعاهدة الثانية في ارضروم ،عاد الشيخ جابر إلى هناك ، وحصل على اعتراف رسمي كحاكم للبلدة . لكن الشيخ ثامر لم يتمكن أبداً من استرداد مركزه كرئيس لكعب .

الاحوال على حدود بغداد–كرمنشاه عام ١٨٣٩–١٨٤٧ :

يمكننا الآن تقدم لمحات عن شئون الحدود على الناحية الشمالية . ففي مايو عام ١٨٤٣ أخبر باشا بغداد الرائد فارانت ، الذي عين موقتاً

بعدئذ كمندوب خاص للحكومة البريطانية لشئون الحدود في بغداد ، أنه رغم الاحتياطات التي اتخذت لمنع حوادث الاحتكاك القبلي ، فان قسماً من قبيلة جاف الكبيرة القاطنة في السليمانية قامت بغارات مفاجئة داخل أراضي ايران وسلبت القبائل هناك . وقد كتب الباشا إلى حاكم السليمانية يطلب منه اتخاذ إجراء سريع وشاف في الموضوع . وبعث أيضاً الرائد فارانت برسائل عن طريق القنصل الايراني في بغداد إلى نفس الحاكم المحلي والحاكم الايراني المدني للسنّة أبدى فيها رغبته اليهما بمحافظة الرعايا الاكراد على الامن والنظام . لكن هذه المحاولة لم تجد نفعاً .

وفي ديسمبر من السنة نفسها أفاد الوكيل السياسي البريطاني في بغداد ، الذي عاد واستأنف مهمته في الاشراف على سير العلاقات على الحدود بعد مغادرة المندوب الخاص ، بأن قسماً من قبيلة جاف التي هاجرت إلى إيران قد رجعت باختيارها إلى تركيا . فأزالت بذلك ثقلا هاماً ، لأن الحكومة التركية كانت قد طالبت بتسليمهما إياها ، فرفضت الحكومة الايرانية طلبها ، واستمرت القبائل الكردية في ارتكاب أعمال نهب طفيفة على الحدود لم ينتج عنها عواقب خطيرة . لأن السلطات المحلية التي تمثل كلا الجانبين على الحدود كان باستطاعتها ، اذا رغبت القيام بعمل مشترك دون التضحية بكرامة حكومتيهما المعنيتين أو الاضرار بمصالحهما.

وفي مارس عام ١٨٤٧ زاد الوضع سوءاً على الحدود ولم تكن معاهدة ارضروم الثانية قد وقع عليها بعد . وأفاد الوكيل السياسي البريطاني في بغداد بأن القبائل القاطنة على الجانب الايراني يئست من أية وصاية فبدأت تطرح عنها كل اعتبار للسلطة وتعمل على احلال العدالة بأنفسها على طريقتها البربرية الخاصة وحسب ما تقتضي بذلك الظروف . ورافق هذا اعتداءات واعمال سلب بالجملة وخسارة في الارواح وأصبحت تتكرر في كل يوم . وكما اعتقد فانه من الصعب إعادة الأمن والنظام دون القيام بعمل عسكري واسع النطاق » . ونجح العقيد رولينسون ، بواسطة المفوضية في طهران ، في الحصول على رسالة كتبها

حاكم «كرمانشاه» بخصوص ارسال ضابط ايراني إلى الحدود ، ولما عرف باشا بغداد بهذا الموضوع امتنع عن ايفاد أي شخص للتعاون مع المندوب الايراني مدعياً أن التجارب السابقة جعلته لا يثق بنوايا الايرانيين . وأنه يمكن له فقط الاقدام على هذه الخطوة في حالة ضمان الوكيل السياسي البريطاني التوصل من مثل تلك الاجراءات إلى نتيجة مرضية . وكتب رسالة إلى العقيد رولينسون بهذا الخصوص ورجاه أن يبعث بترجمتها إلى القسطنطينية وطهران . لكن الرسالة ترجمت للحكومة الايرانية بلهجة عدائية بحيث صارت تدل على أن طلب إيفاد ممثل تركي إلى الحدود قد رفض .

معاملة الرعايا الايرانيين في العراق التركي عام ١٨٣٩–١٨٤٧ :

ويبدو ان موقف الرعايا الايرانيين خلال فترة الترقب هذه لم يكن مما يحسد عليه . وفي عام ١٨٤٦ تقدموا بشكوى ذكروا فيها بأن ضرائب داخلية غير قانونية قد فرضت على تجارتهم ، وان رسوم الدفن في الاراضي المقدسة في كربلاء والنجف قد زيدت ، وأنه قد منحت احتكارات ضارة لغسل الاموات في المدن المقدسة ، وانه تضاعف رسم الدخولية المفروضة على الايرانيين الذين يعبرون معدية الكوفة بالقرب من النجف ، وأنه فرضت الآن ضرائب كانت ملغاة من قبل المدافن حتى في «الخيمهجة» في كربلاء ، وأنه فرضت ضريبة على الحجاج الايرانيين القادمين الى مكة ، وأن الايرانيين الزموا اسوة بالاوروبيين بحمل جوازات سفر ، وأنه لا حماية كافية للحجاج الايرانيين ، حتى انهم لا يعوضون عن الخسائر التي يلحقها بهم المعتدون ولو القي القبض عليهم . وكان بعض هذه الشكاوى لا يستند إلى براهين ثابتة ، وأخرى منها ليست بذى بال . لكن الحقيقة تبقى بأن الرعايا الايرانيين كانوا يعاملون بطريقة عدائية مستمرة من جانب السلطات المحلية التركية . ويقع الخطأ جزئياً على الاقل ، على الحكومة الايرانية نفسها . ففي مارس عام ١٨٤٣ كتب الوكيل السياسي البريطاني ما يلي : « رغم أنه قد مضى الآن ثلاثة

أشهرونيف على وفاة القنصل الايراني فانالحكومة الايرانية لم تعمد إلى اتخاذ الاجراءات اللازمة لاحلال بديل عنه . وان جهودي الرامية إلى حماية المصالح الايرانية في بغداد أثناء فترة الترقب ليست غير معترف بها أو غير مدعومة من طهران وحسب بل إن محاولاتي احبطت لا بسبب إلا لأنني راغب بحمية وغيرة على تأدية خدمة مخلصة في هذا المجال . وفي نفس الوقت كنت في كل موقف أدافع فيه عن القضايا الايرانية اسيء إلى وضعي مع نجيب باشا وإلى سلامة الحقوق البريطانية وأتعرض للتصادم مع القنصل العام الفرنسي . وأخيراً وجدت نفسي مضطراً أن أبقى ، إلى حد ما ، بعيداً عن جو هذه القضايا ولا اتدخل فيها » .

تخطيط الحدود التركية الايرانية بموجب معاهدة ارضروم الثانية عام ١٨٤٨ — ١٨٥٢ :

وفي عام ١٨٤٨ تألفت لجنة لتخطيط الحدود بموجب معاهدة ارضروم الثانية . وقد احتوت على كل من درويش باشا ممثلا عن تركيا ، وميرزا جعفر خان ، ممثلا عن ايران كعضوين رئيسيين وعلى المندوبين البريطاني والروسي الرائد وليامز والرائد تريكوف كمساعدين وكان المساح البريطاني هو الكابتن جلاسكوت والمساح الروسي هو م. أجرانوتيش . وعين المستر دبليو. ك. لوفتس(١) جيولوجياً ملحقاً باللجنة البريطانية ، فانفصل بذلك إلى حد بعيد عن مهماته الاساسية المتعلقة بالآثار

١٨٤٩ :

واجتمعت اللجنة عام ١٨٤٩ في بغداد . غير أن اجراءاتها تعطلت بسبب تأخر وصول المندوب التركي ، الذي كان منهمكاً في أعمال يتخذها من جانب واحد على الحدود الشمالية ، ثم راح يتجول في الموصل معرقلا مجيئه ، فتأخر بذلك كثيراً عن الحضور إلى مكان الاجتماع

(١) كان قد عين المستر لوفتس فى المسح الجيولوجى للهند • وتوفى عام ١٨٥٨ بينما كان عائدا الى وطنه من ذلك البلد •

في موعده . وانقضى صيف عام ١٨٤٩ في بغداد ، وفي الخريف قام الاعضاء البريطانيون والروس والاتراك بجولة في الحلة والنجف وكربلاء حيث دخلوا فناء الضريح في النجف فأثار ذلك سخط الشيعة ، عندها لم يجازفوا بالتقدم نحو ضريح الإمام علي .

١٨٥٠ :

ولم تبدأ المفاوضات إلا في يناير عام ١٨٥٠ في المحمرة . وكان الوقت صيفاً . وقد ضُرِبت اربعة مخيمات ضمت أعضاء اللجنة . الذين عانوا الامرين من شدة الحر والبعوض ومن مرض جلدي غريب . وللفرار من هذه المتاعب قام الممثلون البريطانيون بجولة في الهضبات الايرانية ففقدوا واحداً منهم مات هناك وقد اعطى المندوب التركي ، الذي كان تشدد موقفه لا يوحي بأمل ما منذ البداية دليلا على موقفه غير التصالحي بادعائه بحق تركيا في جزء كبير من المنطقة إلى شرق وشمال المحمرة بالاضافة إلى « كوبان » حيث تقع الممتلكات التركية إلى غربي شط العرب وبذلك فهو يطالب بمدينة وميناء ومرسى المحمرة شاملة جزيرة عبدان . وقد قام هذا المندوب أيضاً بأعمال مسح انفرادية واستقصاءات احصائية بين القبائل الايرانية التي تحيط بالمحمرة كما حاك الدسائس مع رؤسائها ، ثم أخذ يصدر عن بيانات حماسية . وقد أكد المندوب الايراني ، حتى لا يفوقه زميله في وقاحة الادعاءات ، بأن حقوق ايران على الضفة اليسرى من شط العرب تمتد بعيداً إلى ما فوق ذلك النهر عند التقائه بنهر «المسيب» . وهي نقطه تبعد عدة أميال فوق البصرة . ويمكن تلخيص الاسس التي تستند عليها كل منهما بالكلمات التالية :

« السيادة المطلقة القديمة على القبائل القاطنة هناك » . وبادر المندوبان البريطاني والروسي إلى اقتراح خط يقسم ما بين أقصى الحدود التي ادعاها الفريقان ووافقت عليها الحكومتان الوسيطتان . لكنه قوبل بالرفض من جانب الباب العالي . أما موافقة الحكومة الايرانية فكانت مشروطة .

وذهب المندوب التركي بعيداً إلى حد الاقتراح في فبراير عام ١٨٥٠ بوقف أعمال جباية الضرائب التي تقوم بها السلطات الايرانية في المحمرة وان يتم سحب الموظفين والجنود الايرانيين منها ، نظراً لانها لم تسلم بعد رسمياً إلى ايران(١) . وشدد على قوله بوجوب عزل الشيخ جابر الذي كان الايرانيون قد اعترفوا به كحاكم على المحمرة . بالاضافة إلى طلبات أخرى مثيرة . وعلاوة على ذلك ، ورداً على استبدال العلم الايراني المحلي لحكومة الشاه المحلية في المحمرة الذي مضى على رفعه ستون سنة بالعلم الامبراطوري الإيراني في عملية دلّت على الغرور وقلة الادب فقد قامت بوارج البحرية التركية بالظهور في الموقع وقامت لفترة بمحاصرة نهر قارون .

١٨٥١ :

وحوالي نهاية ١٨٥١ وبعد ورود اشاعات بأن قوات ايرانية كانت قادمة للدفاع عن المحمرة ، وافق المندوب التركي ، الذي كان لا يزال في « روهاب » مع بقية أعضاء اللجنة ، خطياً على تعليق قضية الحدود إلى حين يوجد لها حل نهائي على أن لا يباح لاي من الطرفين خلال مدة التعليق المطالبة بأي حق في منطقة المحمرة . وبمعنى آخر ، وهو امر لمصلحة الجانب الايراني ، وجب الحفاظ على الحالة الراهنة في المنطقة . وكانت هناك نقطة في مصلحة الاتراك بشأن جزيرة المحلة (أو حاجي سلبوق) التي كان للسلطات الايرانية وكيل فيها حيث ووفق على رفض المندوب التركي لاعتبارها جزءاً من عبدان ، فتقرر سحب الموظف الايراني منها موقتاً .

ولم يكن من مصلحة المندوب التركي أو حكومته أن تستمر هذه

---

(١) كان قد تم التنازل عنها الى ايران بمعاهدة ارضروم التى تعمل اللجنة بموجبها - لكنه يظهر ان درويش باشا كان يأمل ايجاد وسائل لنقض نصوص المعاهدة -

الترتيبات المؤقتة . وتبين ذلك من تصرف معشوق باشا حاكم باشوية البصرة الجديدة الذي أخذ لاجئين من المحمرة ووضعهما تحت حمايته وشملهما برعايته . وهما سليمان الغضبان وموسى الجنديل وأمدهما بدار للسكن في الجانب التركي من شط العرب المقابل لجزيرة الحاجي سلبوق دون الاكتراث باحتجاجات الشيخ جابر . وسكن الاخير في منزل مصادر في البصرة كان في السابق ملكاً للحاجي جابر وأخذ يقوم بأعمال القرصنة ونهب السفن المحلية في شط العرب .

وكانت قد جرت قبلا محاولة لتخطيط الحدود في منطقة زوهاب الواقعة بين بغداد وكرمانشاه قام بها العقيد رولينسون ، الوكيل السياسي البريطاني في بغداد ، والقائد فيلكس جونز ، من البحرية الهندية ، وأدى ذلك إلى خلاف بين درويش باشا وزملائه . وقد طلب درويش باشا في مندالى بتاريخ ١٩ يناير ١٨٥٢ ، وعملا بتعليمات من حكومته ، نقض ما يسمى بالحالة الراهنة في المحمرة وزوهاب ، وانزال العلم الايراني في المحمرة ، وعزل الحاجي جابر ...الخ . ولعدم وجود استجابة لطلباته فقد أعلن أنه سوف لن يتعاون من الآن فصاعداً مع بقية أعضاء اللجنة وبهذا ، وبسبب اصراره ، قرر المندوبون الآخرون السير نحو الجهات الجنوبية عبر الحدود حيث قاموا بعمليات تخطيط لمنطقة الحدود من مندالي إلى الحويزه ، ولم يلاقوا خلال قيامهم بعملهم أي فشل رغم معارضة درويش الشديدة الذي ارتد بنفسه إلى بغداد.

بعد ذلك جرت محاولة في القسطنطينية لاستبدال التحكيم الذي تتولاه بريطانيا وروسيا . لكن هذه المحاولة فشلت لعدم قبول الباب العالي الاقتراح . وحددت مهمة المندوبين الوسطاء ، بعد انسحاب الممثل التركي ، في القيام بأعمال التخطيط وجمع المعلومات المفيدة . وفي نهاية إبريل عام ١٨٥٢ ، تقريباً في الوقت الذي الحق فيه الملازم جاكسون باللجنة البريطانية ، كان قد تم التخطيط ابتداء من الطرف الشمالي

لزوهاب حتّى الخليج ، وفي مايو عاد المندوب التركي فانضم إلى زملائه في اللجنة . وذلك بقصد إعاقة عملهم بتدبير الدسائس مع القبائل الايرانية اثناء إتمام التخطيط في الجهات الشمالية حتّى جبال ارارات .

إجراءات اضافية عام ١٨٥٣ – ١٨٥٧ :

وفي اوائل عام ١٨٥٣ سافر الرائد وليامز إلى انجلترا في اجازه ، وأدى اندلاع حرب القرم لاحقاً إلى توقف موقت للتعاون الانجلو روسي في أمر الحدود العراقية التركية . وبعد ذلك بقليل وضعت حرب القرم اوزارها . وفي نوفمبر عام١٨٥٧ انتقل مقر اللجنة البريطانية من القسطنطينية إلى سان بطرسبرج في روسيا حيث استمر العمل في إعداد خرائط الحدود إلى مدة أطول .

وكان في نية الرائد وليامز كتابة تقرير شامل يتضمن آراءه شخصياً وآراء زميله الروسي عن موقع الحدود عند كل نقطة منها . لكن حادثاً مشئوماً ، فقدت بسببه اوراقه في البريد العابر إلى وولوتش عطل تلك النية وكان من شأن التقرير ان يشرح الحالة الراهنة للمنطقة القبلية كما حددت عام ١٨٤٩–١٨٥٢ والتي ظلت ماثلة حتّى الآن دون حل ..

معاملة الرعايا الايرانين في العراق التركي بعد معاهدة ارضروم الثانية عام ١٨٤٨ – ١٨٥٢ :

لقد اتضح ان بنود معاهدة ارضروم الثانية التي نصت على معاملة الرعايا الايرانيين بالحسنى في العراق التركي ، بقيت ، بجميع أهدافها وأغراضها حبراً على ورق . ففي أثناء حكم نجيب باشا كان الايرانيون يتعرضون لشتى أنواع المضايقة الوحشية على أيدي الرسميين الاتراك . وإليك ملخصاً من رسالة بعث بها عام ١٨٢٨ الوكيل السياسي البريطاني في بغداد إلى السفير البريطاني في القسطنطينية بهذا الخصوص .

ان الرعايا الايرانين ، الذين ينعتهم سعادته في حديثه العادي بنعت الرافضين المخزي، هم دائماً عرضة لاضطهاد وجور سافرين دون تمييز .

وإذا اردت احصاء أعمال الاذى والظلم التي تعاني منها هذه الفئات فان ذلك سيتخطى كثيراً ما لدى سعادتكم من وقت وطاقة على الصبر . وقد شرحت هذه المظالم في معظم رسائلي السابقة وهي تشمل كل ناحية من النواحي السياسية ، وكل حق يطالب به الفرد ، سواء أكان حق الدين أو الضمير ، او الجنسية ، أو الممتلكات او التجارة او الحماية الشخصية . إن التصفية الاخيرة التي لفتت انتباهي والتي تدل على العنف والقسوة بأجلى معانيها (حيث تعدت إلى حظر سائر وصايا الوقف وأعمال البر والاحسان الخاصة بالمزارات المقدسة ، والالتزام اجبارياً بالشرع السني عوضاً عن الشرع الشيعي في مدينتي كربلاء والنجف ، ليس فقط فيما يتعلق بالعقود المدنية ، ونقل الممتلكات ، وفي إعداد نصوص الوصايا ... الخ ، بل في القضايا الشخصية (كالزواج والطلاق) . وقد أصدر سعادته حظراً رسمياً منع بموجبه الاحتفال بالشعائر الدينية التقليدية التي كان مسموحاً بها قبلا للايرانيين خصوصاً في إحياء ذكرى شهداء أئمتهم . ويعتبر هذا التحريم مساوياً في خطورته لعمل القضاء على المذهب الشيعي نفسه . وقد أدى ذلك إلى إثارة سخط عام في صفوف السكان الايرانيين .

وعندما قامت الحكومة الايرانية بتعيين قنصل جديد لها في بغداد ، وكان ذلك على ما يبدو عام ١٨٤٩ ، ذكر بأن أوراق اعتماده لا تخوله الحق في مثل حقوق القناصل الاوروبيين الذين يتمتعون بموجبها بالامتيازات الاجنبية في الشرق . وأصر الأتراك بأن بتقدم سائر الرعايا الايرانيين الى محاكم الدولة السنية في الاقليم . وفي عام ١٨٥٢ منعت الحكومة الايرانية رعاياها من عبور الحدود إلى باشوية بغداد . ويظهر أن ذلك المنع كان ناشئاً عن اضطراب الحالة في العراق التركي في ذلك الحين أكثر من كونه نتيجة للصعوبات الدبلوماسية بين البلدين .

أزمة على حدود البصرة والمحمرة ومظاهرة بحرية بريطانية عام١٨٥٤

وفي بداية حرب القرم تبين أن هناك احتمالا لقيام ايران وروسيا بعمل مشترك ضد تركيا وحلفائها . وفي عام ١٨٥٤ حشد حاكم «ديزفول»

الايراني جنوداً بالقرب من حدود ايران بقصد الهجوم على البصرة في حالة قطع علاقات البلدين . ودعا باشا بغداد من جانبه القبائل العربية إلى السلاح وباشر بتدبير الدسائس هو والشيخ جابر ، حاكم المحمرة الايراني . وكان لارسال حكومة الهند البارجتين البخاريتين البريطانيتين «اوكلاند» و «أكبر» على التوالي إلى البصرة في بداية عام ١٨٥٤ كجزء من المظاهرة البحرية العامة في الخليج ، أثر في تهدئة الوضع ، وفي قرار الحكومة الايرانية أخيراً بأن تبقى على الحياد . وتقدمت البارجة « أكبر » أثناء قيامها برحلتها للمياه التركية وعلى متنها حاكم البصرة التركي سائرة في المياه الى ان وصلت «القرنه» حيث على ما يبدو التقت مع البارجة «كومت» وكان على ظهرها مستر هـ . رولينسون الوكيل السياسي البريطاني في بغداد . ويظهر أن هذه المناورة هدأت من روع قبائل عربية ثائرة معينة قاطنة على الحدود التركية وجعلتهم يقتنعون بعدم جدوى الاعمال العدائية التي كانوا يتوقعونها من ايران ضد السلطات التركية المحلية .

العراق التركي والحرب بين بريطانيا وايران ١٨٥٦–١٨٥٧ :

وأعارت الحكومة العثمانية في العراق التركي أكبر اهتمام للحرب بين بريطانيا وايران عام ١٨٥٦ و ١٨٥٧ ، خصوصاً ما تعلق بعمليات المحمرة كما هو مفصل في تاريخ عربستان من هذا الكتاب . وفي البصرة حيث لم تكن توجد سوى تحصينات متقطعة لم تكن تستاهل تسميتها بدفاعات عسكرية كان لسقوط المحمرة في أيدي الحملة البريطانية وقع عميق . وقد أمكن الحصول بكثرة على الجمال والبغال كوسائل لنقل القوات البرية البريطانية في تلك الحملة بشرائها من العراق التركي .

المصالح البريطانية العامة في العراق التركي
١٨٣٩ ـ ١٨٦١

تتميز هذه الفترة بتضخم المصالح البريطانية في العراق التركي مع زيادة الصعوبات في الحفاظ عليها وحمايتها . وقد نشأت بعض هذه الصعوبات حسبما يظن ، عن تعدد نقاط الاتصال والاحتكاك مما لم يكن منه بد ، وبعضها نتج عن تأثير سلطة القسطنطينية في تسيير شئون بغداد ، وبعضها يعزى إلى التعجرف ونزعه الروح القومية التركية التي جبل عليها الباشاوات الذين عينوا في بغداد من قبل السلطات المركزية .

وإنه لمن الضروري من الآن فصاعداً أن ندرك التمييز بين المصالح التجارية الخاصة بالرعايا البريطانيين والمصالح السياسية للحكومة البريطانية خصوصاً وأن الاثنين ليسا على وفاق دائماً .

لقد تأسست قبلا في عام ١٨٤٠ شركتان تجاريتان بريطانيتان في بغداد وبدأتا مزاولة التجارة في البصرة تحت العلم البريطاني بواسطة قوارب محلية تملك الشركتان بعضاً منها . وكان عمل هذه القوارب ، في المواسم المشجعة من السنة ، هو نقل منتوجات البلاد الى البصرة لغرض التصدير ثم تعود محملة بالبضائع البريطانية المستوردة . وتستخدم أحياناً في جلب الملح والحطب والسلع الاخرى إلى بغداد من شواطىء أنهار المناطق المجاورة .

وفي عام ١٨٤١ كان ميناء البصرة ما يزال في حالة ركود نسبي فقد كانت الاصناف التي تصدر عن طريقه تنحصر تقريباً في الخيول العربية في بومباي ، وبعض من الصوف والقطن الى انكلترا حيث يجري نقلها عبر ممر رأس الرجاء الصالح . وكان يصدف أحياناً أن تأتي سفن تجارية بريطانية محملة بالبضائع من مانشستر ومعها بعض المنتجات البريطانية الاخرى لبيعها للقبائل العربية في بغداد ثم تزور البصرة . لكن أمثال هذه

السفن كانت تجد صعوبة في عودتها محملة ببضائع محلية ، وأخيراً ، أخذت تظهر علامات تحسن في سير الحركة التجارية في الميناء .

الشركات البريطانية في بغداد ومشاريع الملاحة التجارية عام ١٨٤٠ – ١٨٤٥ :

وفي حوالي عام ١٨٤٠ اقترح على التجار البريطانيين في بغداد فكرة استخدام سفن بخارية في نهر دجلة في الاغراض التجارية ، وذلك باعداد أسطول صغير مؤلف من سفن الحكومة البريطانية . وبعدها أظهر التجار ازدراءهم الشديد للخطوات التي اتخذها باشا بغداد عام ١٨٤٣ بمساعدة الوكيل السياسي البريطاني الرائد تايلور للحصول على سفينة بخارية نهرية مصنوعة من الحديد من بومباي لاجل تأمين خدمات القائد لينش وما يتصل بها . وقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك ، فقدموا شكوى ضد الرائد تايلور لمحاولته التدخل في قضايا التجارة المحلية ، وألمحوا بأن الغرض من ورائها مصلحة ذاتية ، وضمنوا ذلك في عريضة للباشا رفعها تايلور الى حكومة الهند التي رفضتها وانتقدت الرائد تايلور لارساله اياها والتوصية بها . لكن الباشا كان في وضع يمكنه من إحباط مشاريع التجار البريطانيين المناوئة ولم يقصر في ذلك .

قضية الملاحة التجارية البريطانية :

وفي عام ١٨٤٥ بلغ عدد الشركات البريطانية العاملة في بغداد ثلاثاً على الاقل ، هي :

١ – السادة ميلز وشركاهم . ٢ – السادة أ. هكتور وشركاهم

---

(١) كان المستر الكسندر هكتر صاحب مشروعات كبيرة وله علاقات خاصة واسعة مع شيوخ القبائل العربية . وفى عام ١٨٣٦ اقترحت حكومة بومباى تعيينه وكيلا لبريد الهجانة ومديرا لعمليات البريد بين سوريا والمحمره ودمشق براتب شهرى قدره ٣٠٠ روبية . لكن اللجنة السرية لشركة الهند الشرقية التى كان يعود لها البت النهائى فى هذا الامر رفضت الاقتراح . ويبدو ان المستر ليارد قام بمفاوضات مع مؤسسة المستر هكتر بخصوص حفرياته فى نينوى . راجع كتابه: الرحلات الاولى ج ٢ ص ٣٨٦ .

٣ — الساده لينش وشركاهم .

نهر دجلة والاتفاق بشأنه ١٨٤٥ — ١٨٤٦ :

وأخيراً أثيرت رسمياً عام ١٨٤٥ قضية حقوق بريطانيا في الملاحة التجارية في نهر دجلة . وبدأت المحادثات على أثر حادثة تعرضت لها السفينة «كربلاء» البريطانية ، وأخذت القضية شكلها العام حتى تم الوصول الى وضع بنود اتفاقية بشأنها . وكان قد بنى السفينة «كربلاء» تاجر في بومباي على اسس ثابتة تتسم بالمهارة والحذق بحيث تلائم حاجتها في رحلاتها البحرية إلى التوجه من بومباي إلى البصرة رأساً ومنها إلى بغداد بطريق النهر دون تفريغ شيء من حمولتها .

وكانت النقاط التي أثيرت بخصوص السفن البريطانية أربعاً هي :

١ — فيما اذا كان يجب استخدامها في النهر من البصرة إلى بغداد بصورة دائمة .

٢ — فيما اذا كان يجب ، فهل يحق لها رفع العلم البريطاني على السفن أثناء قيامها برحلاتها .

٣ — فيما اذا كانت ستتعرض لدفع الرسوم التي يطالب بها الشيوخ العرب القاطنون على ضفاف النهر والتي ستمر السفن عبرها .

٤ — فيما اذا كانت الضريبة التركية المعروفة بـ «الطالبية» والمفروضة على الزوارق المحلية ستجبى منها .

وبخصوص ضريبة الطالبيه فقد فرضت في بغداد عام ١٨٢١ ، وكانت تجبى من السفن بنسبة الحمولة وطول الرحلة . وعن كل رحلة تقوم بها . وهي بذلك نوع من رسوم الحمولة . وحتى هذا التاريخ لم يكن يسري مفعولها على أصحاب القوارب البريطانية . وهي أصلا ضريبة محلية جائرة كان المفروض أن ينفق إيرادها على صيانة الجسور والزوارق في بغداد . لكن حينما وجد أنها تجلب دخلا مربحاً وضعت

ضمن جدول ضرائب الامبراطورية . ولكونها انشئت في الاصل بطريقة غير قانونية لذلك لم تجر أية محاولة لتحصيلها من الرعايا البريطانيين . ولم ير فيها أصحاب الزوارق البريطانية أي مبدأ للشرعية لانها في الواقع فرضت على حمولة السفن . وحيث ان تطبيقها كان مقصوراً على الزوارق العاملة بالمنطقة التجارية في بغداد فلم يتطلب الامر تقديم شكوى بشأنها من قبل أصحاب الزوارق البريطانية . لكن توسيع تطبيقها على التجارة الاجنبية التي تمر عبر البصرة كان عملا لا مبرر له لانها اتخذت بذلك شكل رسوم اضافية غير مصرّح بها على بضائع التصدير وهي لأجل ذلك كانت تخالف في طبيعتها عن اتاوات شيوخ العرب القاطنين على ضفاف النهر التي كانت موضوع المراسلة بين السفير البريطاني في القسطنطينية والسكرتير البريطاني للشئون الخارجية عام ١٨٤٣ فالرسوم التي يأخذها الشيوخ في نهر دجلة تبلغ حوالي ١٥٠٠ قرش على كل رحلة إلى البصرة وتصل إلى حد معين ، وصارت شرعية لطول مدة تطبيقها . وكانت تسري على السفن أكثر من سريانها على الحمولة . وحيث إنها كانت خاصة بشيوخ العرب فان جباية الأتراك لها في حالة اخضاعهم المشايخ العرب يلزمهم بدفع تعويض عنها .

وتمسك العقيد رولينســــــون ، الوكيل السياسي البريطاني في بغداد بالقول بأن إمكانية عبورالسفن البريطانية إلى بغداد يعطي المدينة وصف الميناء لتلك السفن ، كما ناقش بقوة موضوع حق السفن البريطانية برفع علمها الخاص وراء البصرة ، ليس لان القوارب التركية التي يملكها بريطانيون او في عهدة أناس تحت الحماية البريطانية ظلت بها منذ اربعين سنة تعمل في الملاحة النهرية العراقية وهي ترفع اعلامها البريطانية وحسب بل ايضاً لخوفه من ان يفسر تنازله عن هذا الحق على أنه تنازل من بريطانيا عن الملاحة التجارية البريطانية في أنهار العراق . وكان موقف باشا بغداد من هذه النقطة صلباً لا يقبل الجدل . وتساءل

العقيد رولينسون عن حق السفينة كربلاء بدخول نهر دجلة بصورة دائمة فأجاب الباشا بأنه سيحول هذا الموضوع الى القسطنطينية . لكنه أصر ، على ما يظهر بموجب تعليمات من العاصمة ، بأن لا ترفع هذه السفينة العلم البريطاني فوق البصرة . وأعلن عدم استطاعته منع العرب من مهاجمتها في حالة رفضها دفع الرسوم المعتادة لمشايخ المنطقة من العرب .

الكتاب الوزاري ١٨٤٦ :

وبحث السير ستز اتفورد كانينغ ، السفير البريطاني في القسطنطينية تلك العراقيل التي وضعت في وجه الملاحة البريطانية في أنهار العراق مع الباب العالي . وفي إبريل عام ١٨٤٦ ، وبفضل جهود السفير ، تم الحصول على كتاب وزاري موجه الى باشا بغداد بالنص الفرنسي . وفيما يلي فقرته الاخيرة التي تضمنت حلا للقضية « او ترجمتها » .

« ومن ثم فانني أكتب اليك كما ارسل هذه البرقية ، لتقوموا سعادتكم بالعناية بكل المراكب التجارية الانكليزية التي – كما ذكر بوضوح – سوف تستخدم مستقبلا النهرين المذكورين أعلاه لاغراض التجارة الداخلية ، وان تطبق عليها الحقوق الممنوحة لمراكب الرعايا العثمانيين ، بحيث لا تفرض أية رسوم على المراكب الانكليزية القادمة من الخارج او المتجهة إلى البلاد الاجنبية ، خلاف رسوم الجمارك المقررة ، ورسوم الرسو بواقع خمسة قروش » .

وهذا كل ما هو مطلوب من سعادتكم » .

وقد شرح السفير البريطاني احساسه بفهم الحل الذي تم التوصل اليه على ضوء المباحثات التي تمت قبل صدوره بالعبارات التالية :

ان السفن التي يملكها بريطانيون سوف تستمر في الملاحة في مياه العراق تحت العلم البريطاني سواء أكانت تعمل في تجارة أجنبية او محلية .

وستستمر ايضاً في دفع الرسوم على البضائع التي تنقلها بالنسبة الى كل حالة كما تنطبق عليها اتفاقية «بلطية ليمان» .

وفي حالة استخدام السفن أكثر من ميناء دخول عادي في الحركة التجارية الداخلية للبلاد ، فانها سوف تكون معرضة لدفع رسوم المرسى التي تدفع هنا دائماً والمصدق عليها في «الامتيازات الاجنبية في الشرق» .

وليس هناك اي خلاف في موضوع الزوارق البخارية والسفن الشراعية .

ومن جهة السفن المصنوعة في البلاد والتي يملكها رعايا بريطانيا وليس بامكانها بموجب انظمتنا الخاصة حمل العلم البريطاني دون تسجيلها تحت السلطة البريطانية ، فانها سوف لا تدفع رسوماً أعلى من الرسوم السارية على الطبقة المحظوظة من السكان الذين يعملون في التجارة الداخلية . لكن على مثل تلك السفن أن تمارس الملاحة على غرار السفن الاخرى في البلاد . ورغم أنه ليس من المستحيل أن تكون أمثال تلك السفن متمتعة بامتياز رفع علمها الوطني فمن المحتمل ضمناً أن يسمح للسفن البريطانية بنفس التصرف . وإنه ليس من اللائق ، كما أعتقد ، لاية سلطة بريطانية تأييد دعوى تمس منزلة القانون التركي وتتعارض بوضوح مع قوانيننا وتشريعاتنا الخاصة .

حالة التجارة ١٨٥٠ :

وفي عام ١٨٥٠ كانت الحركة التجارية في البصرة ما تزال ضعيفة . فقد كانت بعض السفن التي تؤم الميناء تخص التجار البريطانيين في بغداد . كما كانت تصل سفينة بين الحين والآخر تابعة لشركة الهند الشرقية . ويعزى السبب الوحيد لهذه الحالة إلى سوء الإدارة والحكم .

احتجاج التجار البريطانيين ضد انتشار الفوضى في باشوية بغداد ١٨٥٢

وفي عام ١٨٥٢ قام التجار البريطانيون بتقديم شكوى خطية إلى الوكيل السياسي البريطاني في بغداد استعرضوا فيها الخسائر والمخاطر التي

تجاريهم نتيجة لانفراط عقد الامن على نهر دجلة ، ولتعطل طرق المواصلات بين بغداد والبصرة بسبب الاضطرابات التي تثيرها القبائل هناك . ورجوه العمل على اتخاذ التدابير اللازمة التي من شأنها أن تضع نهاية لتلك الاعمال ، وأثاروا في الشكوى « حقهم في تدخل السفينة التجارية المسلحة التابعة لشركة الهند الشرقية الموقرة » بأن تستخدم على نهر دجلة لحماية مصالحهم التجارية التي تعاني كثيراً من الفوضى السائدة في البلاد ولعدم استطاعة الحكومة التركية إصلاح الوضع » .

وعارض العقيد رولينسون بشدة استخدام سفينة الحكومة البخارية بحجة أن ذلك يعرضها للاصطدام مع القبائل التي يعلق على علاقاته الطيبة معها لأسباب سيشرحها فيما بعد – أهمية بالغة . وفي اعتقاده أن معظم الصعوبات التي كان يتعرض لها التجار البريطانيون هم مسببوها « لانهم كانوا يحتجون باستمرار على رسوم النهر المفروضة عليهم والتي يعتمد عليها الرؤساء العرب في دعم أنفسهم . ثم إنهم يلاحقون المدنيين العرب بقسوة وشدة ويبتزون التعويضات عن خسائرهم عن طريق الرسميين الاتراك وهذه التصرفات تعتبر في نظر العرب المستقلين أبغض الأشياء اليهم.

وكانت السفينة «نيتوكريس» في تلك الاثناء في حالة لا تمكنها القيام بخدمات طلبت منها . لذلك اقترح العقيد رولينسون على الرائد «روز» القائم بأعمال السفارة البريطانية في اسطنبول وأيضاً على وزير الخارجية البريطانية في لندن بأن يقدما احتجاجا لدى الباب العالي على سوء إدارة وحكم نامق باشا . وسواء أكان هذا الاقتراح قد طبق أم لا ، فانه خلال عام ١٨٤٥ ، إن لم يكن قبل ذلك ، تم عزل نامق باشا من منصبه .

الحماية البريطانية للرعايا الهنود في النجف ١٨٥٢ :

وكان قد بدأ ظهور أول مستوطنة هندية في العراق . رغم أن الهنود لم يكونوا حتى ذلك الحين معروفين في المنطقة على مستوى أصبحوا

عليه فيما بعد . وفي اوائل عام ١٨٢١ كانت طائفة منهم تدعى «نواب» تسكن بغداد وهي التي سلب منها داود باشا مبلغ خمسة آلاف روبية . ثم جاءت من بعدها طائفة «نواب اوض» وسكنت هناك عام ١٨٥٠ .

وعلى أثر انفجار اول ثورة في النجف في أغسطس عام ١٨٥٢ بات الوكيل السياسي البريطاني في بغداد يشعر بقلق على سلامة الرعايا البريطانيين الهنود القاطنين فيها . وحيث إن مدينة النجف كانت تغص باللاجئين الايرانيين والمتقاعدين الهنود فان السلطات التركية أخذت تنظر بعين الريبة والشك في علاقتهم بانفجار الثورة . وكان العقيد رولينسون مقتنعاً بأن لا دخل للاجانب وأموالهم في الحركة . واستجابة لطلب «اوض» الذي سنشرحه فيما بعد — أنفقت الحكومة الهندية في النجف خلال سنة مبلغ خمسة آلاف جنيه استرليني وجذبت هذه الدفعة انتباه عدة مهاجرين من الهند . بناء على ذلك ارسلت الوكالة السياسية البريطانية في بغداد مندوباً سرياً إلى النجف لكي يطلع على مصالح الهنود هناك وينصحهم بأن يلتجئوا الى كربلاء في حالة توتر الوضع توتراً خطيراً . وعاد هذا المندوب الى بغداد حاملا رسائل مطمئنة الى العقيد رولينسون من رئيس المجتهدين في النجف . ولم يظهر بأن المقيمين البريطانيين الهنود في النجف اصيبوا بأي أذى او سوء من جرّاء الشغب الذي حدث بعد مغادرته المدينة . .

بدء الملاحة التجارية البريطانية بالسفن البخارية ١٨٥٩—١٨٦١ :

في عام ١٨٥٩ اقترحت شركة السادة لينش وشركاهم العاملة في بغداد ،ا ستناداً فيما يبدو إلى الكتاب الوزاري الصادر عام ١٨٤٦ ، انزال سفينة بخارية تجارية في نهر دجله لتعمل بين بغداد والبصرة وارتأى السير هـ. بولوير السفير البريطاني في القسطنطينية الشك في إمكانية حصول الشركة على ترخيص من هذا النوع ، لمجرد الاعتماد على مفعول الكتاب الوزاري الذي يمكن الغاوه في أية لحظة بوثائق أخرى مشابهة . لكنه

أعرب عن امله بأن يستطيع الحصول على «فرمان» او امتياز بتأسيس خط من السفن التجارية اذا قدمت الشركة المذكورة طلباً بذلك الخصوص وبناء عليه طلبت الشركة الحصول على فرمان رسمي « تمنح بموجبه حق الملاحة في أنهار البلاد بسفن بخارية بريطانية مسجلة » .

الكتاب الوزاري ١٨٦١ :

وكانت حصيلة هذا الطلب أن أصدر فقط كتاب وزاري آخر إلى باشا بغداد مؤرخ في ١٥ يناير ١٨٦١ . وفي هذا الكتاب وربما عن قصد ، شُبكت قضايا مختلفة بعضها ببعض بطريقة تدعو إلى اليأس وعدم الرجاء لكنه اعتبر بمثابة قبول لطلب الشركة . وكان كل ما حواه الكتاب هو العكس تماماً . فقد ذكر فيه ، الفرمانات الصادرة في عامي ١٨٣٤ ، ١٨٤١ والمتعلقة بسفن الحكومة البريطانية التجارية في العراق التركي ، بالاضافة الى فرمان عام ١٨٤٦ ، مشيراً لى أنه يجب السير حسب فحوى تلك الفرمانات . ولم يرد فيه حتى اسم الشركة . ومع ذلك يبدو أنها نجحت بموجبه في إنزال اول سفينة بخارية لها تدعى «مدينة لندن» .

★ ★ ★

المؤسسات الرسمية ، والمشروعات والسياسات البريطانية ١٨٣٩ ـ ١٨٦١

شهد العراق التركي في العقدين المتوسطين من القرن التاسع عشر زيادة كبيرة في النشاط البريطاني الرسمي . وكان من اسبابها الرئيسية في المجال الدولي خلاف الحدود الايراني ـ التركي وسوء الادارة العثمانية وسوء ادارة الحكم التركي ، وتوقع زوال الامبراطورية التركية ، وعدم ثقةبر يطانيا في روسيا . أما من الناحية البريطانية البحتة ، فكانت تلك الاسباب هي التجارة البريطانية المحلية التي ربما تكون ناتجة عن اهتمام الرأي العام في بريطانيا بالنواحي التجارية في العراق التركي ، بدليل بعثة

تشزني ، وتدفق الهنود إلى مدنه المقدسة ، والى حماسة ونشاط الضباط البريطانيين الذين عينوا فيه ونذكر منهم على الاخص العقيد رولينسون والقائد ڤيلكس جونز اللذين سلكا كل السبل الممكنة في سبيل القضية ولم يهملا أية مناسبة في الزام الحكومة بآرائهم ، بسبب عمق ايمانهما بامكانات العراق الهائلة للمصالح البريطانية .

اقتراح حكومة بومباي إلغاء الوكالة السياسية البريطانية في العراق التركي ١٨٤٣ :

ويبدو ان التطورات الكبيرة التي كانت وشيكة الحدوث في العراق التركي لم تكن في حساب حكومة بومباي التي أخبرت حكومة الهند رأيها بأن الوكالة السياسية في العراق التي انشئت عام ١٨١٢ تنفق منذ مدة طويلة اموالا طائلة أكثر مما هوضروري لها ، وأن الاعمال التي تحتاجها في ذلك القطر كل من حكومة صاحب الجلالة او شركة الهند الشرقية المعظمة يمكن أن يؤديها مجرد مساعد للمقيم في الخليج يكون مقره البصرة أو تعيين قنصل لجلالته على المستوى المعمول به في مسقط . فبهذه الطريقة يمكن تخفيض حوالي ثلثي نفقات الوكالة في بغداد .

تصرفات غير مرضى عنها للمعتمد الرائد تايلور :

ويبدو أن هذه العودة من جانب حكومة بومباي إلى مبدئها العام الذي ثبتت استحالة تطبيقه فيما بين ١٨٠٩-١٨١٠ و ١٨٢٢ كان سببه عدم رضاها عن تصرفات الوكيل السياسي ، الرائد تايلور في ذلك الحين . وقد سبق ان ذكرنا توصيات هذا الرجل الممقوتة بخصوص مساعدة باشا بغداد على تأسيس اسطول تجاري تركي لاستخدامه في أنهار الجزيرة ، والتي ارفقها بتوصية أخرى بوجوب السماح للباشا بشراء عشرين ألف قذيفة مدفع من مختلف الاحجام . وفيما يتعلق بمأساة كربلاء التي حدثت عام ١٨٤٣ فهو بالفعل(١) أظهر تهاوناً وعدم مبالاة بشأن الموضوع إن لم يكن في الواقع قد وقف بجانب السلطات التركية المحلية .

(١) ربما كان الرائد تايلور سيء الحظ في الاتصالات التى اقترنت باسمه = فى الوثائق الرسمية - ويحدثنا ليارد « أنه كان رجلا واسع الاطلاع،

الابقاء على الوكالة السياسية في بغداد وتعين الميجور رولينسون من قبل حكومة الهند ١٨٤٣ مع تعليمات وصلاحيات خاصة :

ومع ان حكومة الهند كانت تقر بأن الاقتراحات التي ابدتها حكومة بومباي ربما اصبحت جديرة بالتنفيذ في وقت ما في المستقبل ، فقد وجدت انه من الضرورة الملحة آنذاك ارسال ضابط حائز على ثقة الحكومة لكي يمثل المصالح البريطانية في بغداد ، بالنظر للاهمية البالغة للحفاظ على السلم بين تركيا وايران بعد أن ساءت علاقات البلدين نتيجة تأليب كل منهما على الاخرى . وبناء على ذلك ، وقع الاختيار على العقيد رولينسون(١) . الضابط الفني الذي جذب انظار الحاكم العام فكتب تقريراً جيداً عنه . وكان في كلكتا ، حين اختير ليكون هو الوكيل السياسي في العراق التركي بدلاً من الرائد تايلور . وقد سافر على سفينة الحرب البريطانية «كلايد» فوصل إلى بغداد في ديسمبر ١٨٤٣ .

وكانت الاوامر التي يحملها الوكيل الجديد هي أن يناضل لرفع وتشريف مركزه بدلا من الاستهانة به . كما اوصي بأن يأخذ في اعتباره الأول الحفاظ على السلم بين تركيا وايران ، وان يكون على اتصال دائم مع السفير البريطاني في القسطنطينية والوزير البريطاني في طهران ،

= واديبا ممتازا ملما بمختلف اللغات الشرقية ومن بينها اللغة السريانية التى درس كتبها على يد احد كهنتها » وكانت ايضا مكتبة ثمينة غنية بالمخطوطات والمؤلفات النادرة التى تتعلق بجغرافية وتاريخ الشـ ق وكان حسن الضيافة الى حد كبير ·

(١) ولد الميجر رولينسون (وقد أصبح فيما بعد سير) في عام ١٨١٠ وتوفى عام ١٨٩٥ ، وكان ملحقا بالجيش الهندى · وفى عام ١٨٣٤ كان من ضمن بعثة المدربين البريطانيين العسكريين التى اعـيرت الى ايران · وفى حرب الافغان كان وكيلا سياسيا فى « قندهار » أثناء الاحتلال البريطانى لها · وفى عام ١٨٥٩ ، وبعـد مغادرته بغداد وتقاعده من الخدمة ، عين وزيرا بريطانيا فى طهران · وشهرته كأديب خصوصا فى فك رموز الكتابة الاشورية أقل من شهرته كضابط سياسى ·

ويكرس جهده في اعطاء فعالية لآراءهما . « وخول له ... مطلق الحرية والصلاحية لاصدار التوجيهات وطلب استدعاء سائر الضباط السياسيين والبحريين في الخليج كلما دعت الحاجة » . وقد اثارت هذه الفقرة الاخيرة من التعليمات صعوبات سياسية رسمية عام ١٨٤٨ و ١٨٤٩ ولوحظ ذلك في تاريخ عربستان . ويتبين من المراسلة المتبادلة في عهد الرائد تايلور بأن علاقة الوكيل السياسي في العراق التركي قد أصبحت مباشرة مع حكومة الهند ولم يعد لحكومة بومباي أية سلطة عليه .

الرائد فارانت المندوب البريطاني الخاص في بغداد ١٨٤٣ :

وعلى أثر وصول العقيد رولينسون الى مقر عمله وجد ان الرائد فارانت ، الذي كان وقتها مقيم بريطانيا في القسطنطينية قد انتدبه الى العراق التركي للاستطلاع على الاوضاع في كربلاء ، وكان ما يزال في بغداد . وكان قد امر من قبل السفير نفسه بأن يبقى هناك خلال سير المفاوضات في ارضروم ، ويحتفظ بادارة الشئون الخاصة بنزاع الحدود بين الحكومتين التركية والايرانية . وحاول العقيد رولينسون بحذر تجنب تشابك صلاحياته مع صلاحيات المندوب الخاص ، فلم يتدخل في قضايا الحدود الا من قبيل التعاون بناء على طلب الرائد فارانت نفسه . وظل على ذلك إلى أن غادر ذلك الضابط بغداد .

جولة الميجور رولينسون على الحدود ١٨٤٤ :

وقام رولينسون في عام ١٨٤٤ ، على اثر استلام مهامه بشأن الحدود ، بجولة في «زوهاب» و «كرمانشاه» و «السليمانية» ورافقه في تلك الجولة القائد فيلكس جونز الذي تولى مسح المناطق التي اجتازاها .

المركز السياسي والقنصلي للمندوب البريطاني في بغداد ١٨٣٩–١٨٦١

وأصبح الآن المركز الرئيسي او الهندي للممثل البريطاني في بغداد هو مركز «وكيل» بدلا من مقيم التي كانت مستعملة منذ عام ١٨١٢ .

ولم يحدث للعقيد رولينسون ومن جاء بعده ان نعتوا أنفسهم في رسائلهم المتبادلة مع حكومة الهند بغير عبارة «الوكيل السياسي» .

ويبدو ان قنصل صاحب الجلالة في بغداد منذ عهد اول قنصل عام ١٨٠٢ حين حصل على براءة التمثيل القنصلي من الباب العالي المستر هارفورد جونز والى عام ١٨٤١ حينما عين الرائد تايلور قنصلا كان مجرداً من الصفة القنصلية . لكن لم ينشأ بسبب هذا الشذوذ الشكلي صعوبات عملية . وفي مارس ١٨٤٤ جرى تعيين العقيد رولينسون قنصلا لصاحب الجلالة البريطاني في بغداد خلفاً للرائد تايلور . وقد شرح له سكرتير الشؤون الخارجية مهام منصبه بالكلمات التالية « انني اعتقد أنه من عين الصواب أن ابين لك بأن رتبة القنصل التي اعطيت إلى وكيل شركة الهند الشرقية في بغداد لم تكن الغاية منها جعل الوكيل خادماً خصوصياً للتاج ، بل أن يعمل بمفرده وان يكون باستطاعته اذا دعت الظروف أن يمارس التدخل القنصلي بالتصرف كقنصل . وقد ذكرنا ذلك في تعليماتنا إلى الرائد تايلور عندما عين في ١٠ أغسطس ١٨٤١ وستجدها في الارشيف في بغداد . لم يكن في نية صاحبة الجلالة التدخل في مركزه كمقيم لشركة الهند الشرقية في بغداد ، فيما عدا وضع نائب قنصل بريطاني في الموصل تحت إشرافه » .

وتبين هذه الفقرة بأن طبيعة العمل المزدوجة في بغداد كان معترفاً بها من قبل حكومة صاحب الجلالة . وان استعمال السكرتير كلمة «مقيم» في شرحه والتي تنزع عنه الصفة القنصلية التي يمثلها الضابط — جديرة بالملاحظة .

وفي ٢٢ نوفمبر ١٨٥١ عين الرائد رولينسون — الذي كان غائباً(١) في إجازة لمدة سنتين فانيب عنه الملازم كيمبول قنصلا عاماً لجلالته في

---

(١) لقد سافر عبر الموصل ، حيث تقابل هناك مع ليارد ، في اكتوبر عام ١٨٤٩ ، الى انجلترا مارا بالقسطنطينية .

بغداد . ومنذ ذلك الحين صار مركز القنصلية للوكالة السياسية البريطانية او المقيمية يأخذ صفة القنصلية العامة وكان الراتب المعطى للوكيل السياسي البريطاني في سنة ١٨٣٦–١٨٤٤ (٢٥٠٠) روبية شهرياً ومعاش جراح المقيمية من ٥١٥–٧١٥ روبية .

الحرس البريطاني العسكري في بغداد ١٨٣٩ – ١٨٦١ :

وكان الحرس البريطاني العسكري في بغداد يختلف قليلا عدداً وقوة منذ تأسيسه عام ١٨٠٠ حتى عام ١٨٤٣ ، حيث كان عدده يتراوح ما بين ٢٥ و ٣٢ حارساً هندياً . وكان يجري أحياناً استبدال العازفين على الناي بالطبالين . وعند تعيين العقيد رولينسون وكيلا سياسياً عام ١٨٤٣ كان الحرس يتألف من ضابط واحد ، وخمسة ضباط صف ، و ٢٤ جندياً هندياً ، واثنين ايطاليين . وبما أنه كانت هناك صعوبات تعترض مناوبة الفرقة ، اقترح العقيد رولينسون في البداية الاستغناء عن جميع الحرس الهندي العسكري والاستعاضة عنه بحرس راكب مع ١٥ او ٢٠ حساماً ، وذلك بتكوينه محلياً . ويحتمل ان يكون العقيد رولينسون قد تأثر باعتبارات أخرى بأن الحرس الراكب أكثر نفعاً وفائدة له اثناء رحلاته(١) . لكنه لم يستطع فيما بعد ، حسب قوله إيجاد أشخاص يؤتمن عليهم . ولأنه من الضروري الحرص على سلامة الخزينة قام بتعديل اقتراحاته الاولى ، فطلب ترخيصاً بالاستيفاء على ضابط صف وتسعة من جنود الفصيلة الهندية العسكرية لاستخدامهم كحرس للخزينة ، وتكوين فرقة من «دافادار» ، وثمانية فرسان ، وطبيب بيطري وثلاثة

(١) كان حرس المستر ريتش عند رحلته الى بابل عام ١٨١١ يتكون من جنوده الخاصة « الهوسار » ، وضابط نوبه ، وضابط صف هندى ، وعشرين جنديا من الهنود ، وفى عام ١٨٢٠ ، وعلى اثر زيارته كردستان أخذ معه حرسا مكونا من ٢٥ جنديا من الهنود وقائدهم ، وهو الحرس الذى سمحت حكومة بومباى بمرافقته للمقيم فماذا يكون شعور الاتراك فى هذا الوقت اذا قام المقيم البريطانى بزحف عسكرى داخل البلاد بحرس المقيمية .

سواسي خيل . وقد اجيب إلى طلبه . وفي عام ١٨٥٩ استبدل فارس آخر بطبيب بيطري . وخلاف ذلك ، لم يحدث تغيير في حرس الجنود الهنود او في الخيالة ، الى ان جاء عدم ١٨٦١–١٨٦٢ حيث خُفِّض ، لاسباب اقتصادية ، عدد الفرقة إلى ١٣ رجلا (من ضمنهم الثلاثة السواس) .

التمثيل البريطاني في البصرة عام ١٨٥١ :

على اثر وفاة خوجا نارسي جوهانز الوكيل البريطاني(٢) في البصرة ، قبلت الحكومة في يونيو عام ١٨٥١ توصية تقدم بها كل من العقيد رولينسون والملازم كيمبول الذي عين بموجبها المستر ج. تايلور ، أحد ابناء الوكيل السياسي الرائد و. تايلور ممثل بريطانيا في البصرة تابعاً للوكيل السياسي البريطاني في بغداد . وجاءت هذه الخطوة ، دون ريب ، عندما أنشأت الحكومة التركية باشوية منفصلة في البصرة قبل سنة من ذلك ويبدو أن مركز المستر تايلور لم يمكنه من تحقيق تأثير كبير على باشا البصرة الجديد . عندها وجد الرائد وليامز ، المندوب البريطاني في قضية الحدود ، نفسه مضطراً في نوفمبر عام ١٨٥١ أن يكتب في اشارته إلى إجراءات معشوق باشا التي سبق أن تكلمنا عنها في مكان آخر ما يلي : «لقد كنت في شك من امكانية تسيير أمور باشوية في البصرة ، حتى في الظروف العادية ، لكن عندنا هنا رجلا كالحاكم الحالي يتصرف بدون توجيه من سلطة عليا او إشراف من القنصلية في بغداد ، يعمل على خلق شقاق في بلده ، واحباط آراء حلفائها المفيدة . وينتابني خوف من ان يتمادى هذا الرجل بنفسه فيصل به الحد إلى إيجاد جهاز واسع من أهل الفساد والرشوة ، والتمس بأن أقدم إلى سعادتكم(١) طلب الموافقة على عزله قبل ان تسخط الحكومة الايرانية فترد على تصرفاته بأعمال

---

(٢) يطلق عليه ليارد ، المستر « بارساك » ويصفه بانه جنتلمان ارمنى.

(٢) السفير البريطانى فى القسطنطينية .

انتقامية مما سينتج عنه عواقب وخيمة على حركة التجارة في البصرة والمحمرة . وانتهز هذه المناسبة فالفت انتباه سعادتكم إلى هذا التقرير العاجل عن المستر تايلور ، واقترح بأنه في حالة وجود الاصرار على تثبيت باشوية البصرة المنفصلة ، فانه من الاصول ان يسلم مستر تايلور انتداباً اعلى بحيث يستطيع الاتصال بسعادتكم مباشرة » .

التمثيل البريطاني في النجف عام ١٨٥٤ :

وفي إبريل عام ١٨٥٤ اشير في مراسلات رسمية إلى وجود شخص يعمل كوكيل بريطاني في النجف . وقيل حينذاك بأنه من الممكن أن يكون ذلك الشخص من الرعايا البريطانيين مفوضاً بطريقة غير رسمية لان الاتراك لم يعترفوا لنا بتمثيل بريطاني في النجف ، رغم أنه كان بوسع العقيد رولينسون بصفته القنصل العام بأن يعين فيها موظفاً يقوم بمهمة نائب قنصل . حيث إنه لم يرد أي نص عن اعتراف تركي بأي ممثل بريطاني في النجف ومن الجائز أن تعيينه نتج على أية حال من تدفق المستوطنين الهنود إلى المدن المقدسة التي سبق أن أشرنا اليها ، والخطر الذي كان يحدق بالمهاجرين الهنود أثناء الثورات المحلية عام ١٨٥٢ و ١٨٥٤ .

تشكيل الاسطول التجاري البريطاني المسلح وعمله في مياه العراق ١٨٣٩ — ١٨٤٠ :

وفي عام ١٨٣٩ ارسلت شركة الهند الشرقية ثلاث سفن بخارية إضافية صنعت من الحديد ووصلت من انجلترا عبر ممر رأس الرجاء الصالح ، وهي «اشور» و «نمرود» و «نيتوكريس» ، وكذلك السفينة «الفرات» التي كانت الشركة قد احتفظت بها سابقاً في العراق ، وذلك ليتشكل منها اسطول تجاري من اربع سفن مسلحة للعمل في نهري الفرات ودجلة . ووصلت أجزاء السفن ، على ظهر السفينة «اورانيا» إلى البصرة في شهر جزيران فوصلت بها في ٢٢ ديسمبر ١٨٣٩ . وحوالي نهاية

شهر ابريل عام ١٨٤٠ أنزلتا معاً بنجاح للعمل . وكانت كل سفينة بخارية مقسمة داخلياً إلى ثلاثة أقسام وتحمل ستة مدافع متحركة بالاضافة إلى مدفعين في مقدمتها ومؤخرتها . وكان وقود السفن هو خشب العبل يمدها به العرب في المحطات المعينة بموجب عقود مبرمة .

وعهد إلى الملازم(١) هـ. ب. لينش بقيادة هذا الاسطول الذي كان يعمل بتوجيه من الوكيل السياسي ، بحيث لا يكون لرئيس البحرية الهندي الذي الحقت السفن برئاسته ، الحق في إصدار أية اوامر لها علاقة بمهماتها الخاصة التي استخدمت من أجلها .

ولم يذكر بأنه كان لشركة الهند الشرقية أهداف أخرى غير تحسين التجارة بفتح تلك البلاد ونشر المدينة فيها . ولكن يجب القول(٢) بأن نقل البريد بين الهند واوروبا كان جزءاً حيوياً من خطة تشغيلها .

وحدث أن أطلق العرب النار على السفن البخارية وأصيبت في أول رحلة لها إلى بغداد . فأجابت السفينة على النار بطلقات من المدفع وجهت على قطعان من الجاموس وقتلت عدداً منها .

وكانت أهم مهام ذلك الاسطول صعوده الفرات بالسفينتين «نيتوكريس» و «نمرود» سنة ١٨٤١ بقيادة الملازم سي. دي. كيمبول وبمساعدة الملازم فيلكس جونز حيث كان القائد لينش في اجازة .

---

(١) هناك شرح عن حياة الملازم هـ. بي. لينش في كتاب تاريخ الملاحة الهندية لو مجلد ٢ ص ٣٣ ، ٣٤ ، ٢٨٩ وقد فقد هذا أخا له في حادث لسفينة « دجلة » في بعثة تشزني وآخر بسبب مرض اصابه بينما كان يقود احدى سفن اسطول العراق .

(٢) يقول الرحالة ميتفورد « انني اظن بأن وجود هذا الاسطول التجارى هنا هو لغرض سياسي اكثر من كونه لاداء خدمات تتعلق بالبريد او التجارة . اولا لان الغرض الاخير لا فائدة ترجى منه . وثانيا لتأخر الرسائل في الوصول الى الهند : وعلى افتراض ان خط السويس يعوق البريد فانه يوجد طريق برى عبر الصحراء الى بيروت ، وآخر بواسطة ناقل يمر عبر تركيا في آسيا الى مدينة القسطنطينية الذى يمكن له ايصال البريد بسرعة اكثر .

وبعد أن جرى كشف دقيق على نهر الفرات ابتداء من «عانة» إلى «الحلة» بمساعدة القوارب الهندية بالاضافة الى مسح نهر دجلة من بغداد إلى «القرنة» واستكشاف شط العرب و « جهاجله » غادر الملازم كيمبول البصرة في أول إبريل عام ١٨٤١ ماراً بعانة في السابع من مايو ووصل مسكنة في ٣١ مايو . وقام الملازمان كيمبول وجونز بزيارة للبحر الابيض المتوسط من مسكنه وربطا ذلك البحر كرونومترياً من نهر الفرات العلوي. وعاد القائد لينش الى مسكنه في أغسطس ، حيث جرت عمليات المسح حتى نهر الفرات وغرقت السفينة «نمرود» باصطدامها بجذع في الماء ، لكنها انتشلت أخيراً . وكان الوصول الى عانه في ٢٩ إبريل عام ١٨٤٢ . وكانت نتيجة هذه الرحلة ، لسوء الحظ ، هي اثبات عدم صلاحية نهر الفرات للملاحة العملية للسفن البخارية .

فرمان الملاحة او الكتاب الوزاري عام ١٨٤١ :

ولم يرد ذكر لشكوى او معارضات من جانب السلطات التركية وفي عام ١٨٤١ تم الحصول في القسطنطينية على فرمان او كتاب وزاري للملاحة ، ملحق بالذي أصدر عام ١٨٣٤ . وذكر أن الغرض منه هو حماية(١) قائد(٢) السفينتين التجاريتين لتسهيل تأدية مهماته . واشارت الوثيقة إلى بعثة تشزني وفرمان عام ١٨٣٤ . وختم بهذا الارشاد الموجه ، بدون شك ، إلى باشا بغداد ، او ربما إلى الرسميين الاتراك عموماً .

---

(١) فى عام ١٨٤١ ، كما سبق ان شاهدنا ، احتجزت سفينتان بخاريتان من الاسطول فى مسكنة على حدود باشوية حلب . وكان لابد من القيام بترتيبات خاصة لمنع العرب المحليين من التصدى لهما .

(٢) كان قائد الاسطول فى ذلك الحين الملازم لينش . واذا كان قد ذكر اسمه في الفرمان ، فلتجنب الخلط الذى حدث فيما بعد بين اسم الحكومة البريطانية التي تقوم بالملاحة فى الانهار وشركة لينش . ويجب الاشارة بان القائد لينش كان غائبا او فى اجازة مرضية من يونيو حتى اغسطس عام ١٨٤١ . ولسوء الحظ لم يحتفظ بنسخة من الفرمان فى ارشيف حكومة الهند او حكومة بومباى .

« النص باللغة الفرنسية » .

عليك العناية بالمراكب المذكورة أعلاه التي تقوم بالملاحة في النهر كما كان في الماضي ، بشرط أن لا ينتج من ذلك أي ضرر ، وان تشير على كل من الطرفين » .

تخفيض الاسطول والابقاء فقط على السفينة «نيتوكريس» عام ١٨٤١ – ١٨٤٣ :

وفي صيف عام ١٨٤٢ سحبت من العمل السفن «الفرات» و «نمرود» و «استريا» بناء على اوامر من حكومة الهند لاستخدامها في نهر «الاندوس» وبلغت تكاليف صيانة الاسطول من عام ١٨٣٧ – في الوقت الذي تحولت فيه سفينة «الفرات» إلى شركة الهند الشرقية حتى عام ١٨٤٢ ، حين ايقافه – حوالي ٣٥٠,٠٠٠ روبية . ولم تجن المنافع التي كانت متوقعة من الاسطول ، أو أنها كانت مطابقة للمصاريف . ولعل ثبوت عدم امكانية الملاحة في نهر الفرات كانت من عوامل صرف ذلك الاسطول وهكذا انهارت سائر الآمال لايجاد خط نهري منتظم للبريد بين الشرق واوربا .

وفي عام ١٨٤٣ بقيت السفينة نيتوكريس وحدها في مياه العراق ، وحل الملازم فيلكس جونز مكان الملازم لينش في قيادتها . وكانت تكاليفها تقدر سنوياً بحوالي ٥٥,٠٠٠ روبية .

قضية استبقاء أية سفينة بخارية بريطانية مسلحة عام ١٨٤٤ – ١٨٤٥ :

ويبدو أن حكومة الهند أثارت عام ١٨٤٤ الفائدة من وجود السفينة نيتوكريس في العراق التركي . وقدم اقتراح بوجوب نقلها كما حصل للسفن الاخرى من الاسطول . وعارض ذلك العقيد رولينسون في رسالتين صريحتين ، نقتطف منهما الفقرات التالية :

« إنه لمن المستحيل ، كما يظهر ، أن نتنزل بهذه القضية إلى مجرد حسابات مالية ، ذلك بأنه اذا كان الانفاق فيها واضحاً ومحدداً فان العوائد

ليست في معظم الحالات محددة مما يتيح فيها مجالا واسعاً للتخمين . إن الفوائد المباشرة التي نود جنيها من وجود السفينة البخارية في نهري العراق هي حماية تجارنا والمحافظة على تجارتنا التي أخذ مداها يتسع في العراق . ففي خلال السنوات الاخيرة انشئت ثلاث وكالات تجارية بريطانية مستقلة في بغداد ، مما شجع الفرقاء الآخرين ، بفضل تحسين الاوضاع التجارية على التفكير في الدخول إلى الميدان التجاري بمشاريع مماثلة . أما من ناحية فقدان الامن في النهر وأعمال السلب والنهب من قبل العرب الذين يعيشون على الضفاف والذين قاموا في السابق بأعمال أعاقت كثيراً دخول منتوجاتنا إلى باشوية بغداد ، فهؤلاء الاشرار قد اختفوا الآن تقريباً ، بسبب عرض القوة الذي أظهرناه في دجلة والفرات والى العلاقات الودية التي اقمناها مع المنتفك وبني لام والزبيد والقبائل العربية الأخرى القاطنة على الضفاف وليس بفضل تحسن فعاليات الادارة التركية او أي تحسين ملموس في خلق العرب . وطالما ظلت هناك سفينة بخارية واحدة لنا تعمل باستمرار في النهر ، فان العرب سيظلون يتذكرون قوتنا . وهم لا يحترمون الزوارق البريطانية فحسب ، بل أيضاً مثيلاتها التي تخص حلفاءنا من الاتراك . وفي حالة سحب السفينة البخارية فان القبائل ستعود بالتأكيد إلى أساليبها القديمة في السلب والنهب ، وتصبح الحركة التجارية في النهر تحت رحمتهم .

إن الفوائد الرئيسية من وجود سفينة بخارية في نهر دجلة هي ، كما ذكرت ، عرضية وكونها مهمة او غير مهمة يتوقف على النظرة العامة للسياسة الشرقية التي ليس في استطاعتي ولا من مصلحتي البحث فيها . كما أن مثل هذه السفينة يعزز من سلطة الوكيل البريطاني بأسلوب اشد ما يكون فعالية وأقل ما يمكن تباهياً لما تمكنه أيضاً من اثبات حقوق الرعايا الذين هم تحت حمايته وكذلك تدعم موقف وساطته بين السلطات التركية والايرانية ، وتضعه في مكان على مستوى كبير يصون هيبة الحكومة البريطانية مما يتطلب جميعه بأن يكون له نفوذ على الصعيد المحلي ، اذ

بدونه تصبح تلك الاحداث الاخرى بعيدة المنال . ان الحكومة الفرنسية لا تألو جهداً منذ عدة سنوات للتفوق على النفوذ البريطاني في تركيا الأسيوية ، وليست هي الآن أكثر نجاحاً في هذا المجال ، رغم ما تتمتع به من امتيازات كحامية للكاثوليكية في الشرق ، فهذه الحماية ، كما أعتقد ، مدينة كثيراً لعرض قوتنا هنا وفي الخليج ، وإلى نجاحنا العسكري الاخير في سوريا ، ووجود اسطولنا في البحر الابيض المتوسط . ومما هو أيضاً جدير بالملاحظة أن حق الملاحة في أنهر ارض الجزيرة بسفن بخارية قد واجه بعض الصعوبات قبل الحصول عليه باصدار فرمان خاص من السلطان . وطالما ان هذا الحق ما زال نافذ المفعول فانه يُستبعد قيام محاولة لالغائه . ولو أننا تخلينا عن هذا الامتياز من تلقاء أنفسنا وتركنا الملاحة في يد دولة أخرى ، فانه سيصبح من الضروري ، اذا اردنا بعد ذلك استرداد حقنا ، تقديم طلب جديد إلى الباب العالي . ونظراً للروح الانعزالية التي أخذ المجلس العثماني يحكم بها البلاد منذ مدة والتي تقود الحكومة يوماً بعد يوم إلى التشديد في اصدار قوانين من شأنها ان تفتح طريقاً للتدخل الاوربي ، فان مثل هذا الطلب سيقابل بكثير من الريبة والشك ، وسينتج عنه أيضاً إرباك خطير في القسطنطينية .

★ ★ ★

وقد كون القائد(١) ، عن طريق إنشاء محطات للوقود بالحطب عبر مجرى النهر ، صلات ودية قوية ومنتظمة مع القبائل العربية التي كانت تقطن الضفاف . وكان رؤساء القبائل يزورونه في كل مناسبة ينزل بها الى النهر ، فيوزع عليهم بدوره هدايا زهيدة الثمن مما ساعده على الاحتفاظ بعلاقة طيبة معهم لاهداف وراءها استمرار الملاحة في النهر دون تكدير او ازعاج ، ومكن ذلك أيضاً السفينة من القيام بزيارتها الشهرية إلى البصرة . ووجد ان لهذا فائدة عظمى في تزويد وزيري صاحبة

(١) قائد السفينة « نيتوكرس » .

الجلالة في القسطنطينية وطهران والمندوب البريطاني في أرضروم بالمعلومات الصحيحة في وقتها عن حالة الوضع في اقليم كعب. ولما كانت حركة انتقال الضباط الاتراك بين بغداد والبصرة تضطر الحكومة المحلية إلى أن تطلب مساعداتنا في نقلهم وتتحمل جمائلنا فان ذلك يساعدني جداً في اتصالاتي بالباشا . كل هذا يعود في الحقيقة إلى وجود السفينة البخارية في بغداد ، حيث إنني كما هو في جميع المناطق الاخرى من الامبراطورية التركية التي تكثر فيها عادة المنازعات بين الحكومة المحلية والمقيم البريطاني ، لم يضطرني الأمر حتى ولا في حالة واحدة منذ تعييني في هذه الوكالة ان أطلب تدخل السفير في القسطنطينية من أجل دعم مصالحنا او اثبات حقوقنا الوطنية .

وفي نفس الوقت فان النقطة الحقيقية في هذا الرأي هي ، كما أعتقد ، وجوب اعتبار الابقاء على سفينة بخارية مسلحة في نهر دجلة كجزء من سياستنا البعيدة المدى التي تقضي بالحفاظ على سيادتنا البحرية أمام العالم . إن علمنا ما يزال حتى الآن رغم ما يعاني من صعوبات يخفق عالياً في مياه العراق . واذا حدث أن أنزلناه يوماً ما فان علماً آخر سيحل مكانه ، ونمنع بعد ذلك من الملاحة في نهر دجلة أو الفرات كما حصل لنا في الدانوب . وكما نحن مهددون بتكراره في النيل .

محاولة الوصول الى الموصل في سفينة نيتوكريس عام ١٨٤٦ :

وفي عام ١٨٤٦ قام القائد فيلكس بتعليمات من العقيد رولينسون بمحاولة للصعود بسفينة نيتوكريس في نهر دجلة أثناء فيضان الربيع للوصول بها الى الموصل . وكان رولينسون يعلق أهمية كبرى على نجاح هذه العملية . وكان قد سبق ان انزلت السفينة إلى النهر عام ١٨٤٣ إلى مسافة ما فوق بغداد وفشلت في مهمتها لعدم تمكنها من الوقوف أمام التيارات في البقعة التي يجري فيها النهر ضمن فجوة في تلال «حمرين» بالقرب من «دور» . وكانت غاية العقيد رولينسون من هذه الرحلة هي

إنشاء علاقات ودية مع قبائل عبيد وعزة وطي ، وشمر والذين (١) خول قائد السفينة صلاحية بعض الانفاق لاسترضائهم وكان هدفه الرئيسي من الرحلة هو محافظة بريطانيا على حق الملاحة « في ممارسة نشطة حيثما وجد ماء كاف في النهر يمكن السفينة البخارية حاملة علمنا من عبوره .

غياب نيتوكريس في بومباي عام ١٨٤٩–١٨٥٢ :

وتجلت أهمية نيتوكريس في عام ١٨٤٩ حينما عطلت الاضطرابات القبلية سائر أنواع الملاحة المحلية ، بينما استمرت سفن البريطانيين ورعاياهم في عبور نهر دجلة بحرية تامة . وفي عام ١٨٥٠ تبين أن نيتوكريس أصبحت غير صالحة للعمل ، مما دفع المقيم بالوكالة الملازم كمبول إلى طلب إحلال سفينة أخرى مكانها . وفي عام ١٨٥٢ توقفت حركة عملها بسبب عطل أصاب المراجل فيها حتى لم يعد في الامكان تشغيلها في أي مكان تطلب فيه خدمتها لمواجهة مع العرب حتى لو لو طلب المقيم نفسه ذلك .

الاستعاضة بسفينة «كومت» بدلا من «نيتوكريس» عام ١٨٥٢ :

واخيراً في عام ١٨٥٢ ، وبعد تأخير بسبب الحرب البورمية جرى اصلاح السفينة كومت بما جعلها صالحة للخدمة دون إحداث تجديدات فيها ، وأرسلت الى البصرة لتأخذ مكان نيتوكريس . وعهد اليها القيام بنفس أعمال السفينة السابقة ، وعلى الاخص حمل البريد البريطاني ، والحفاظ على العلاقات الودية مع القبائل ، والاشراف على التجارة البريطانية ووسائل الشحن وحمايتها والاضطلاع بأعمال المسح والمراقبة .

---

(١) منذ عام ١٨٤٢ خصصت الحكومة لقائد السفينة نيتوكريس مبلغ مائة روبية شهريا لغرض تقديم هدايا صغيرة الى الشيوخ العرب الذين تربطه بهم علاقات خاصة ٠

مستودعات السفن البخارية البريطانية في البصرة (كوت الفرنجي أو «ماجيل» (وفي بغداد عام ١٨٣٩ ـ ١٨٥٨ :

في عام ١٨٣٩ استلزم الامر الحصول على موقع لوضع السفن البخارية التابعة للحكومة البريطانية التي كانت ترسل على شكل قطع من اوروبا ليجري تجميعها ، ومستودع للفحم الحجري ومستودعات للاسطول البريطاني الذي باتت الظروف تتطلب وجوده في كوت الفرنجي أو «ماجيل» الواقعة على الضفة اليمنى لشط العرب على بعد أربعة أميال شمال البصرة والتي كان إشغالها موقتاً حتى ذلك الحين. وكان الذي اشترى موقع «الماجيل» المستر مانستي عندما كان وكيلا بريطانياً في البصرة من مالكيه المحليين وشيد عليه منزلا لسكناه . ثم اشتراه منه الرائد تايلور الذي أصبح فيما بعد الوكيل السياسي البريطاني في العراق التركي .

١٨٤٠ :

وفي عام ١٨٤٠ اقترح القائد لينش ، الضابط المسئول عن الاسطول ، وجوب شراء الحكومة «الماجيل» من الرائد تايلور ، الذي كان ما يزال وكيلا سياسياً في بغداد ، لاستخدامه كمستودع بحري . وبعد ذلك قامت لجنة من الضباط العسكريين من جزيرة خارج التي كانت واقعة تحت الاحتلال البريطاني ، بزيارة الموقع بنفس السنة . وقدمت اللجنة تقريراً عن مدى صلاحية الارض والمباني للغرض المطلوب كما اثير أيضاً موضوع استئجار منزل مع حديقة في بغداد كان يستخدمه الاسطول كمستودع ، وكان أيضاً ملكاً خاصاً للرائد تايلور .

١٨٤٢ :

وطالت المراسلة في هذه القضية إلى أن جاء عام ١٨٤٢ حينما وافق الرائد تايلور على بيع مستودعي البصرة وبغداد بثمن الكلفة . الاول بمبلغ ٣٠,٠٠٠ روبية والثاني بمبلغ ١٠,٠٠٠ روبية ، او أن تستأجرهما الحكومة بقيمة ٢٥٠ روبية شهرياً . وفي أثناء ذلك صرف الاسطول من

المنطقة ولم يبق منه غير السفينة نيتوكريس ، وبدا أنه لم يعد هناك لزوم للمستودع فاستغني عنه .

١٨٤٤ :

لكن احتياجات الوضع اضطرت العقيد رولينسون والقائد فيلكس جونز لإثارة القضية ثانية عام ١٨٤٤ ، عندما أصبحت شركة لينش تدير الماجيل نيابة عن الرائد تايلور الذي كان قد غادر البلاد . ويبدو أن مستودع الماجيل لم يتم في الحقيقة اخلاؤه . ورأى ناظر البحرية الهندية أن الحاجة تدعو الى وجود مستودع وان الماجيل هو أنسب مكان له وأخيراً، أذنت حكومة بومباي في مايو ١٨٤٤ بدفع القيمة كما جرت التوصية بها من قبل العقيد رولينسون وذلك بايجار شهري قدره مائة روبية . فطلبت شركة لينش نيابة عن الرائد تايلور ضعف هذا المبلغ . ثم أردف الرائد بطلب دعم فيه رأي الشركة بتأجير الماجيل من اول نوفمبر ١٨٣٩ حتى أول مايو ١٨٤٤ بمبلغ ٢٠٠ روبية في الشهر ، ومستودع بغداد من اول ١٨٤٠ إلى أول اغسطس ١٨٤٣ بمبلغ مائة روبية في الشهر أو كلاهما بمبلغ ١٤٧٠٠ روبية .

١٨٤٧ :

وفي عام ١٨٤٧ تم الاتفاق بأن تستأجر الحكومة الاثنين معاً بمبلغ مائة روبية (بدلا من ٣٠٠ روبية) في الشهر عن المدة التي جرى فيها استخدامهما موقتاً . وكان مجموع ما دفع عن هذه المدة هو ٥٤٠٠ روبية وبعد ذلك كان يتجدد إيجار الماجيل بين حين وآخر .

١٨٥١ – ١٨٥٢ :

وفي عام ١٨٥١–١٨٥٢ كانت حكومة الهند مستعدة لشراء الماجيل بمبلغ الف جنيه استرليني ، لكن القضية التي لم تتم لعدم استكمال لينش التي تدير الماجيل صلاحيات التفويض الكافية لاتمام تلك الصفقة

أصبح مقيماً سياسياً في بوشهرإنجازاً هائلا دل على عظم قدرته ومتوقد ذكائه غير أن الاوروبيين الذين عملوا من بعده في العراق ربما كانوا لا يدركون مدى فضله عليهم جميعاً .

وفي اغسطس وسبتمبر من عام ١٨٤٤ رافق القائد فيلكس جونز العقيد رولينسون ، الوكيل السياسي ، في رحلة إلى زوهاب وكرمانشاه والسليمانية حيث قام بعملية مسح مهمة للمنطقة التي اجتازها لجمع معلومات للجنة الحدود في ارضروم . وفي إبريل عام ١٨٤٦ نزل بسفينته نيتوكريس إلى نهر دجلة ووصل إلى نقطة تقع فوق «دور» وسجل استقصاءات مفيدة . لكنه فشل ، كما ذكرنا من قبل ، في الوصول إلى الموصل . وفي إبريل عام ١٨٤٨ قام بمسح قناة النهروان وفي عام ١٨٥٠ بعملية اختبار ومسح المنطقة الواقعة على الجانب الغربي من نهر دجلة بين بغداد ورأس الدجيل . وفي عام ١٨٥٢ وبناء على اوامر تلقاها من حكومة الهند ، التي منحته علاوة خاصة قدرها ١٥٠ روبية في الشهر لكونه «مساح» واخرى الى «مساعده» ، أخذ على عاتقه أعمال المسح التثليثي للمنطقة بين نهر دجلة والتلال الايرانية ، ومن بغداد حتى الشمال والموصل ، شاملة مناطق الكفرى «الصالحية» وكركوك وآلتون كوبرو وأربيل والموصل . وفي عام ١٨٥٣ أنجز مع مساعده ميدشيمان كولينجوود مشروع تخطيط(١) شامل لمدينة بغداد ، ارفقه بترجمة لتاريخ المنطقة مملوءة بالمعلومات الاحصائية كتبت بقلم القائد جونز شخصياً . وفي

---

(١) مايزال هذا المشروع يعد من احسن المشاريع التي وجدت • وقد استعاره والي بغداد من المقيم البريطاني عام ١٩١٢ لاغراض عملية• وجرى استخدامه من قبل مهندسين كهربائيين يمثلون شركة بريطانية كان عهد اليها تأسيس تراموای كهربائي ومشروع اضاءة في بغداد • وكان على كولينجوود أن يعمل خلسة بسبب شك السلطات التركية فيه ، واضعا علامات وخطوطا بقلم رصاص على قميصه الابيض • وبعد انتهاء المشروع ترك القائد جونز من تلقاء نفسه بغداد لاعمال أخرى •

عام ١٨٥٤ ارسل إلى انجلترا مع مذكرة تقع في ثلاث صفحات بياناً عن أعمال مسح بابليه قام بها تمتد من المسيب على نهر الفرات حتى الزاوية الشرقية–الغربية من بحر النجف . لكن الخرائط فقدت في مكتب الهند . بلندن . بعد ذلك ، وكان قد عاد قبل انتهاء مدة اجازته ليعمل كوكيل سياسي في بغداد من مارس حتى اكتوبر عام ١٨٥٥ .

القائد دبليو. بي. سلبي :

وفي عام ١٨٥٥ خلف القائد سلبي القائد فيلكس جونز في أعمال مسح العراق . وقد أعاد مسح مناطق بابل وكربلاء والكوفه والنجف بالطريقة التثليثية بمساعدة الملازمين كولينجوود وبيوهر وهي مناطق كان مسحها القائد جونز ، بغير تلك الطريقة وزيدت عليها مساحة من الأرض في الناحية الشرقية .

وقد تم انجاز هذا المسح في عام ١٨٦١ . لكن الخرائط النظيفة فقدت للمرة الثانية مع اوراق القائد سلبي المتقنة . وجرى الحصول على سجلات المنطقة والاوراق الاصلية من بغداد وكون عنها الملازم كولينجوود خريطة واضحة المعالم . وهي تحتاج إلى بعض التصحيحات خاصة بالتغيرات الطبيعية لكنه لايبدو محتملا الغاؤها . هذا وقد قام الملازم كولينجوود بأعمال مسح اضافية أخرى .

وهكذا كانت الحصيلة العامة لبعثة تشزني وعمل الضباط البحريين الهنود اثنين وعشرين عاماً ، هي تحويل العراق التركي من بلد مجهول المعالم إلى بلد رسمت معالمه الرئيسية بشكل واضح ، حيث إن مناطق مهمة معينة قد جرى تخطيطها ومسحها بعناية مع مشروعات وافية عنها .

المشاريع الاثرية البريطانية عام ١٨٣٩–١٨٦١ :

وكانت من ضمن المشاريع الأقل قيمة من الوجهة السياسية ، وان كانت بالغة الأهمية في مجال التنقيب عن الآثار التاريخية ، تلك الحفريات والاكتشافات التي قام بها الرحالون والرسميون البريطانيون

أثناء هذه الفترة في عسيري وبابل عن عصور ما قبل التاريخ . ونكتفي هنا بمجرد ذكر الرحلتين اللتين قام بهما السير أ. ه. لبارد إلى عصيرية وبابل في عام ١٨٤٥–١٨٤٧ وعام ١٧٤٩–١٨٥٠ واللتين أعطتنا نتائج مفيدة للغاية والى اعمال المستر ديليفرك لوفتس في نيفار ، والوركه والمقير . ثم عمليات العقيد رولينسون في أماكن مختلفة أثناء تحمله أعباء الوكالة السياسية في بغداد من عام ١٨٤٣ إلى عام ١٨٥٥ . وقد وسع هؤلاء الحفارون أعمال التنقيب توسيعاً عظيماً في بغداد من عام ١٨٠٨ حتى عام ١٨٢١ لكن لسوء الحظ لم تسفر أعمالهم هذه عن نتيجة ملموسة .

نقل البريد البريطاني على الهجن عام ١٨٣٩–١٨٦١ :

وبعد أن أخذت الملاحة البريطانية تنتظم في نهر دجلة ، الغي نقل البريد البريطاني على الخيل مما كان معمولا به بين بغداد والبصرة واستمر حتى سبتمبر عام ١٨٤١ . ويبدو أن كلا الطريقتين كانتا صالحتين من الوجهة العملية حيث إن الرسائل بين البصرة وبغداد كانت تصل اليهما في خلال خمسة أيام، او نفس المدة التي تستغرقها الآن السفن البخارية البريطانية ناقلة البريد . وكان العرب يقابلون البريد البريطاني وهو في طريقه بكثير من الاحترام والتقدير ويحمون الاشخاص الذين يرافقونه . وقد استمرت عملية نقل البريد على الهجن عبر دمشق . وفي عام ١٨٤٤ فوض الوكيل السياسي البريطاني في العراق التركي بفرض طابع بريد على المواد التي ترسل بواسطته وعن طريق أشخاص خصوصيين . وفي نفس الوقت ، قدمت حكومة الهند منحة للبريد قدرها ٢٠٠ روبية شهرياً لمجابهة العجز في عوائد طوابع البريد ، ضماناً لاستمراره .

سياسة الضباط البريطانيين المحليين في العراق التركي ١٨٣٩–١٨٤١ :

واذا كان بعض الضباط البريطانيين الذين كانوا يعملون حينئذ في العراق يتطلعون سراً الى اليوم الذي يصبح فيه العراق ملكاً لبريطانيا فتلك حقيقة لا تثير الدهشة . ولقد كانت علاقات الحدود بين تركيا وايران تسير تحت اشراف المندوب البريطاني في بغداد ، كما كانت المصالح البريطانية المحلية في تزايد مستمر . ثم إن كل تحسين لاوضاع تلك البلاد ، سواء أكان من ناحية الملاحة البخارية أو أعمال المسح البرية والنهرية والمواصلات البريدية أو التجارة ، إنما يعود الفضل فيه إلى بعد نظر بريطانيا وجهودها الدائبة .

ومن جهة أخرى فقد بدا للادارة الاقليمية التركية التي بنيت على الظلم والفساد وعدم الكفاءة ، أنه فات الاوان لاصلاح ما أفسد . ثم إن سياسة العداء والخصومة التي كانت تتبعها مع سائر الاجانب مما تميز بالازعاج وخلق العراقيل جعل ممثلي هؤلاء بحكم الضرورة راغبين في سقوط الدولة العثمانية . وفي عام ١٨٤٨ كتب العقيد رولينسون الى السفير البريطاني في القسطنطينية عن علاقاته الاخيرة مع نجيب باشا :

« لا بد وان سعادتكم أدركتم من سلسلة رسائلي في الستة أشهر الماضية الروح الاستفزازية العامة التي يسير عليها نجيب باشا . إن عداوته تعزى في الاصل إلى كرهه الفطري لكل ما هو اوروبي . والملاحظ ان اعماله الاستفزازية تصبح بلا ريب ، أكثر جهراً واستعلاناً كلما رأى تدخل الامتيازات البريطانية في مصالحه المالية . ان تأكيدي المستمر لهذه الامتيازات ، يقف حجر عثرة أمام ممارساته التجاريه التي لا يرى فيها سوى استعمال للسلطة ، لقد أخذ ببطء يستيقظ على حماقته في تعريضه نفسه للخطر الشديد الذي ينشأ من استعمال سعادتكم نفوذكم ضده لدى الباب العالي لذلك بات في الوقت الحاضر عازفاً عن مهاجمة حقوقنا وأصبح أقل نسياناً لاظهار ما كان يظهر من أمور خلال ثقته في حصانة اوضاعه

مما كان الفضل فيه يعزى لنا ولمصالحنا ، ومع ذلك ليس هناك شيء في تصرفه وسلوكه الآن مما يسمى مودة قلبية او جنوحاً للمصالحة . لقد دفعه الخوف مما أصبح يعرفه إلى هدنة بيننا قد عكر صفوها حادث عرضي محض . غير أنه ابدى القاء سلاحه جانباً ، وبامكاني فقط المحافظة على أمان نسبي مما حصل بتأييد سعادتكم الفعال ، وذلك عن طريق يقظتي الدائمة وفي إظهار نفسي بأنني مستعد لتقويض أي هجوم يأتي من أية جهة كانت .

ويمكن معرفة آراء الرائد رولينسون(١) الخاصة بشأن مستقبل العراق من رسالته التالية التي بعث بها الى حكومة الهند عام ١٨٥٢ :

تتمتع الحكومة البريطانية حالياً ، دون ريب بأعلى درجات النفوذ المحلي هنا نتيجة لرسوخها وذلك بفضل جهودها الوطيدة التي واصلتها دون كلل او ملل خلال الستين سنة الاخيرة . وامامنا احتمالان اوروبيان ربما لا يكونان الآن وشيكي الوقوع ، لكن لا بد من وقوعهما في الوقت المناسب ، وسيكون لهما تأثيرهما العظيم على نفوذهما هنا من حيث علاقته بالهند . ان احد هذين الاحتمالين هو استئناف العمل في الخطط الطموحة التوسعية التي يحتمل ان يدشن بها حاكم الامبراطورية الروسي الجديد . اما الاحتمال الآخر فهو تقسيم تركيا التي سيؤدي وضعها الحالي المتدهور الى عدم اتمام ذلك التقسيم بغير حرب اوروبية .

لذلك رأيت من واجبي ، منذ تعييني في الوكالة السياسية في بلاد العرب التركية ، أن أتبنى سلوكاً سلمياً عاماً ، وأن أعمل على تقوية وامتداد نفوذنا المحلي حتى نبلغ تلك الغاية دون إثارة استياء السلطات

---

(١) لقد طلب الرائد رولينسون في مذكرة مطولة بعث بها الى سكرتير الدولة للشئون الخارجية في ١٣ يونيو عام ١٨٥٣ بخصوص امكانية الشروع بتقسيم الامبراطورية التركية كما حث بوجوب احتلال جنود من الهند كامل قطاع الاقليم الممتد من نهر الزاب الادنى حتى عانه فالبحر .

التركية . وليس مما يبعد تصوره أبداً أن حماسته ونشاط ضباط الوكالة السياسية في أعمال الملاحة والمسح كانتا تنبعان من أمنيات ضخمة لا تنسجم مع سيادة تركيا على العراق ، ولا بد أن شيئاً من تلك الظاهرة قد وصل إلى ادراك الترك والعرب ولا ريب في أن قناعتهم بمطامح بريطانيا في العراق وغيظ السلطات التركية من اتصالات بريطانيا المباشرة بشيوخ العرب ربما كانا ابرز ملمحين من ملامح الوضع الراهن في العراق التركي عائدين كلاهما الى هذه الفترة من فترات التحرك السياسي والتجاري السريع .

★ ★ ★

مصالح بريطانية ـ هندية خاصة فى العراق التركى ١٨٣٩ ـ ١٨٦١

المشروع البريطاني المقترح لانشاء سكة حديد وادي نهر الفرات بين البحر الابيض المتوسط والخليج ١٨٥٦–١٨٥٧ :

عندما انتهى التفكير في المشروع الداعي لانشاء مواصلات سريعة بين اوربا والهند بواسطة السفن البخارية البريطانية العاملة في نهر الفرات حل مكانه مشروع انشاء سكة حديد تحت الرعاية البريطانية تمتد من البحر الابيض المتوسط حتى الخليج . وقد طرح فكرة هذا(١) المشروع في

(١) كان قد سبق مشروع المستر اندريو مشروع آخر أكثر شمولا يعود الفضل فى ايجاده الى السير مكدونالد ستيفنسون وجاء الى حيز الوجود بشكله الاصلى حوالى عام ١٨٤٠ • وكان يتضمن في صورته الاولى انشاء سكة حديد متواصلة تربط بين الغرب والهند عبر القسطنطينية وآسيا الصغرى وحلب ووادى نهر الفرات والبصرة وبندر عباس وكراتشى • وفى شكل آخر له اتجهت النية بأن يمر الخط عبر خربوط عن طريق تبريز ، طهران ، مشهد وهراة وقندهار حتى السند • ولم يطلب أحد ضمانا لهذا المشروع الذى بقى قائما حتى عام ١٨٧٩ على الاقل • لكن لم يبد على انه قد جارى فى تقدمه ركب المرحلة العلمية •

مارس عام ١٨٥٦ المستر و. ب. آندرو الموظف الرسمي السابق في مكتب البريد الهندي الذي قام بدراسة خاصة لقضايا سكك الحديد في الشرق الاوسط . وكانت محكمة المديرين التابعة لشركة الهند الشرقية المعظمة سنداً له في اقتراحاته كما أسس فريق من دبلوماسيي حكومة صاحبة الجلالة شركة من أجل تنفيذ مشاريعه وعينوا المستر اندرو رئيساً لها . وتم الحصول بالنيابة عنهم على امتياز لها من الباب العالي . وعين الجنرال ف. ر. تشزني ، قائد بعثة نهر الفرات ودجلة عام ١٨٣٤–١٨٣٦ مندوباً للشركة في القسطنطينية ، وأصبح السير جون مكنيل الخبير البارز في شئون سكك الحديد رئيساً للمهندسين ، ووضعت سفينة صاحب الجلالة شيرامبولي تحت تصرف الجنرال تشزني والسير ج. مكنيل . وجرى اختبار مينائي حلب والسويدية ، ثم مسحت الطريق الممتدة من السويدية حتى حلب بالاضافة إلى الاعمال الاستطلاعية من حلب الى مسكنة الواقعة على نهر الفرات . وقد لاقى المشروع استحسان اللورد ستراتفورد دي ردكليف سفير بريطانيا في القسطنطينية واللورد كلارندون وزير الدولة البريطاني للشئون الخارجية .

وفي ٢٢ يونيو عام ١٨٥٧ قابل وفد يدعو الى فكرة تقديم الحكومة البريطانية دعماً مالياً لمشروع سكة حديد وادي نهر الفرات بمقابلة اللورد بالمرستون رئيس الوزراء . وكان يترأس الوفد اللورد شافتسبري والمستر اندرو وتضمن الوفد أعضاء بارزين من مجلس ادارة الشركة والبرلمان وكذلك عدداً من الاخصائيين أمثال الجنرال تشزني ومساعده السابق المستر و. اينزوورث ، والجنرال السير فينويك وليامز بطل الدفاع عن ولاية قارص ، والسير جستن شيل ، الوزير البريطاني السابق في طهران ، والمستر ث. ك. لينش وآخرون . وأكد اللورد بالمرستون للوفد بأن الحكومة واعية تماماً لاهمية طريق الفرات ، وأنه قد دعم وسيواصل دعمه لمشروع سكة حديد وادي الفرات دون الرجوع إلى زملائه . ولم يكن في استطاعته قول أي شيء عن موضوع الضمانة المالية من جانب

الحكومة البريطانية . وقد طلب لاجل ذلك بأن تقدم اقتراحات الشركة اليه خطياً ، واعداً بأنها ستلقى الاهتمام الكامل وان الحكومة ستساعد المشروع بقدر استطاعتها .

وعلى ما يظهر فقد توصلت حكومة صاحبة الجلالة في النهاية بأنه ليس في امكانها إعطاء ضمانة مالية . ثم اتضح طبعاً أن المشروع دون ضمانة يركن لها يصبح غير مُغْرٍ لاصحاب المال للدخول فيه . وفي النهاية انقضت المدة المقررة لاستعمال حق الامتياز الذي منحه الباب العالي دون ان تنتفع منه الشركة .

منحة من سمو مير ناصر خان السندي لتنظيف قناة الحسينية ١٨٣٦ – ١٨٤٣ :

أخذت المصالح لهذا اعتباراً من الفترة التي نحن بصددها الآن تتضخم أكثر فأكثر في نطاق عمل الوكالة السياسية البريطانية في بغداد .

لقد كان تنظيف قناة الحسينية التي تغذي كربلاء بالمياه والبالغ طولها عشرين ميلا يشكل صعوبة ضخمة للسلطات التركية المحلية لسبب كثرة رواسب الطين في القناة . وفي عام ١٨٣٦ أخذ سمو مير ناصر خان السند على عاتقه بأن يجعل تنظيفها واجباً دينياً ورغب الى ممثل حاكم بومباي أن يتلقوا منه مبلغ عشرين الف روبية كدفعة اولى لخدمة المشروع وفي مقابل ذلك اوفد شخصين الى كربلاء كوكيلين عنه في تنفيذ الاعمال أولهما يدعى السيد مهدي شاه والثاني حاجي صالح . وكانت رغبته بأن تدفع اليهما سلفاً الاموال التي هما بحاجة اليها عن طريق الممثل البريطاني في بغداد . وأوعز بتنفيذ الترتيبات التي يدبرها . وفي عام ١٨٣٨ أخبر المير بواسطة وكيله بأن العمل سوف يكلف مائة الف روبية فحول مبلغاً اضافياً قدره خمسون ألف روبية الى الوكيل السياسي البريطاني في بغداد ، بواسطة الحاكم العام في السند وحكومة بومباي . وفي ١٨٣٩ طالب المير ناصر بفتح اعتماد إضافي له من خمسين الف روبية في بغداد ، فاستجيب

لذلك . وفي عام ١٨٤٢ أفاد الرائد تايلور ، جواباً على استفسارات السلطات البريطانية في الهند ، بأنه قد دفع مبلغ ١٠٩,٩٩٩ روبية بكامله الى وكيل سموه ، وذلك في اكتوبر ١٨٣٧ ، وإبريل ونوفمبر عام ١٨٤٠ ، ويونيو عام ١٨٤٢ حيث اقفل باب الحسابات .. وقد سدد رصيد الاعتماد الاخير بقيمة الخمسين الف روبية الذي كان فتح باسم سموه أخيراً في حينه .

وصية اوض ١٨٤٩ — ١٨٦١ :

ونأتي الآن على ذكر موضوع وصية «اوض» الامانة القيمة غير العادية التي كانت منذ أن وجدت سبباً في خلق صعوبات خطيرة ومستمرة للممثل البريطاني في بغداد .

في عام ١٨٢٥ ، وخلال فترة من الاتفاق المالي الواسع بسبب حرب بورما ، قبل اللورد امهرست الحاكم العام للهند ، قرضاً عرف عموماً بقرض اوض الثالث ، من غازي الدين حيدر ملك اوض . وحددت نصوص القرض في اتفاقية تمت في لكنهو بواسطة المستر موردونت ريكتس المقيم البريطاني في اوض . وكانت قيمة القرض عشرة ملايين روبية وميزته ان يكون أبدياً لايسدد راسماله. أما فائدته البالغة خمسة في المائة سنوياً فتستمر حكومة الهند بدفعها إلى أبد الدهر لاغراض خاصة معينة .

انجاز الاتفاقية بين ملك اوض والحاكم العام للهند في ١٧ أغسطس ١٨٢٥ :

لقد جرى انجاز الاتفاقية المذكورة في لوكنو في ١٧ أغسطس عام ١٨٢٥ على نسختين كتبت الاولى باللغة الايرانية ومهرت بختم ملك أوض ، وسلمت الى المستر ريكتس . وكتبت الثانية باللغة الايرانية ووقع عليها المستر ريكتس بصفته ممثل الحاكم العام ، وسلمت الى الملك تحت شرط ورد في كلا النسختين ، وهو إعادتها عندما يتم استبدالها

بوثيقة مطابقة لها تحمل ختم وتوقيع الحاكم العام . وصدق اللورد أمهرست الاتفاقية في ٣٠ سبتمبر عام ١٨٢٥ . ولسوء الحظ ورغم أن محتويات النسختين الاصليتين والوثيقة الموقعة من الحاكم العام والتي تحوي ترجمة انجليزية لها في عمود مواز للنص الايراني كانت كلها متشابهة كثيراً ، الا ان النص الدقيق كان مختلفاً عن النسخ الثلاث .

وتضمنت الاتفاقية ، بين أشياء أخرى ، علاوات شهرية من ١٠,٠٠٠ روبية و ٢٥٠٠ روبية و ١١٠٠ روبية و ١٠٠٠ روبية تدفع كل على حدة إلى نواب مبارك محل وسلطان مريم بجام وممتاز محل وسرفراز محل مدى الحياة . والاسمان الاولان هما لزوجتي الملك . واعطى الحق إلى كل منهما بأن تورث ثلث علاوتها بعد وفاتها لاي شخص أو جهة ترغبها . أما الثلثان المتبقيان من كل علاوة ، بالاضافة إلى قسم لم يوص به في الثلث الاول فيجب تخصيصه للاحسان في كربلاء والنجف . وهناك علاوات أخرى ، بلغ مجموعها ٩٢٩ روبية في الشهر خصصت لخدم ومعتمدي سرفراز ، مع شرط أنه اذا توفي أي من الموصى لهم دون أن يرثه أحد فإنه يجب إضافة علاوته على المبالغ المخصصة لاعمال البر في كربلاء والنجف . وهذه المبالغ التي خصصت لصرفها في المدن المقدسة هي التي عرفت بوصية اوض .

التناقضات في أقسام الاتفاقية المختلفة :

ان فقرة الاتفاقية المتعلقة بوصية اوض كانت في القسم الذي وقعه ملك اوض ، وينص بصراحة ووضوح تام في موضوع الوصية على ما يلي :

« وعلى شركة الهند الشرقية الموقرة بعد تقسيم المبلغ المتبقي السابق ذكره إلى جزئين ان يواصلوا تحويل النصف الاول منهما الى النجف الاشرف والنصف الآخر إلى كربلاء المعظمة لمقر المجتهدين ساكني الاعتاب

المحروسة بالملائكة حيث يمكن لهؤلاء المجتهدين الاستمرار في توزيعها على الاشخاص المستحقين نيابة عنا اكتساباً منا لرضائه جل وعلا .

أما قسم الاتفاقية الموقع من مستر ريكتس ، فقد نصت الفقرة المطابقة هكذا : (كتبت بلغة غير انجليزية ، ربما تكون ايرانية ، وهي مترجمة الى اللغة الانجليزية) . :

ويجب تحويل كامل العلاوة الشهرية المتبقية على اساس تقديم النصف الاول الى النجف الاشرف والنصف الآخر إلى كربلاء المعظمة والى المجتهدين ساكني الاعتاب الشريفة نيابة عن الملك الجليل المقدم ذكره ، وذلك لكي ينعم الله على جلالته بفيض من السعادة والاطمئنان .

وكان النص الايراني في الوثيقة التي تحمل اللغتين والتي صدق بموجبها الحاكم العام على الوثيقة ، هو نفسه تماماً الموجود في قسم الاتفاقية الموقع من المستر ريكتس ما عدا حذف الشطب الذي كان فوق حرف ايراني مما جعل النص مخالفاً لقواعد اللغة الصحيحة ، وترك مجالا للشك فيما اذا كان الاشخاص الواجب الدفع لهم من المجتهدين المجاورين .

ولا تشمل عبارة «مجتهد» غير علماء اللاهوت الشيعة من أعلى مقام بينما كلمة «المجاورين» تعني اولئك الأشخاص الذين يعملون رسمياً في المزارات المقدسة وربما حتى الاشخاص الذين استقروا في المزارات او بالقرب منها لاسباب دينية .

وكانت الترجمة الانجليزية للنص في الوثيقة ، والتي صدقت بموجبها الاتفاقية ، ضعيفة نوعاً ما ، وهذه الترجمة كما يلي :

.... يجب تقسيم باقي الثلثين إلى جزئين متساويين . يعطى نصف منه إلى النجف الاشرف ، والنصف الآخر إلى كربلاء لكبير(١) الكهنة

---

(١) يلاحظ ان هناك استعمالا جائرا للفرد بدلا من الجمع ، واكثر من ذلك فان كلمة « كبير الكهنة » او حتى كاهن هى ترجمة خاطئة لكلمة « مجتهد » . فمهمات المجتهدين هى استاذية ، قضائية ، وشرعية وليست قربانية .

والمجاورين (أو الاشخاص المنوط بهم العمل فيه نيابة عن الملك المذكور) لكي ينعم الله على جلالته بالخيرات والبركات .

المعنى الحقيقي للاتفاقية :

ليس هناك مجال للشك بأن قسم الاتفاقية الذي صدق عليه الملك أوض هو ذلك الذي كشف منه عن نواياه الحقيقية بأصح عبارة . وقد نص ذلك القسم المذكور ، كما سنلاحظ ، بأن الأموال المحولة الى المجتهدين القاطنين في عتبة الملائكة المحروسة هي للتوزيع من قبلهم على «الاشخاص المستحقين» . وهذه النقطة لم تذكر في المستندات الأخرى . ومن الواضح أنه لم يكن في نية الملك بأن يكون المجاورون من ضمن المجتهدين الذين تحول لهم الاموال ولم يجر مطلقاً ذكر المجاورين في وصية اوض ، كما أنها لم تكن نتيجة لخطأ ارتكبه الكاتب الايراني حيث أدى ذلك إلى ترجمة الاتفاقية إلى الانجليزية بطريقة غير صحيحة .

البدء بتنفيذ وصية اوض عام ١٨٤٩ :

وفي عام ١٨٤٩ توفي كل من سلطان مريم بيجام ونواب مبارك محل ، وكان الملك غازي الدين حيدر قد توفي قبلهما في عام ١٨٢٧ ، واصبحت فقرات الاتفاقية المتعلقة بوصية اوض سارية المفعول . وأخذ الملازم كمبول ــ الوكيل السياسي بالنيابة في بغداد أثناء غياب الوكيل السياسي الرائد رولينسون في أجازة ــ بعين الاعتبار كيفية تطبيق قضية نصوص الوصية عموماً فيما يختص بهما .

أوامر الحكومة بخصوص ادارة الوصية في عام ١٨٤٩ــ١٨٥٢ :

لقد بدا أن جسامة أهمية الوصية والصعوبات السياسية التي أخذت تهدد الوكالة السياسية البريطانية في بغداد ، قد أخافت الممثل البريطاني . فمبلغ ١٦٦٨ روبية شهرياً من علاوة السلطان مريم بيجام ، وكذلك مبلغ ٦٦٦٦ روبية شهرياً من علاوة نواب مبارك محل بدأ مفعولهما من

تاريخ ٦ إبريل و ٣٠ يونيو ١٨٤٩ ، وتراكمت بسرعة بيسبهما مبالغ كبيرة . عندها كتب الملازم كمبول الى حكومة الهند وسفير صاحبة الجلالة في القسطنطينية مشيراً إلى مجزرة كربلاء التي حصلت عام ١٨٤٣ والى التنافر المتأصل والقائم دائماً بين الطائفتين الاسلاميتين السنة والشيعة ، وارتباط الوصية بالاخيرة ، ثم تأييد حكومة العراق التركي للطائفة الاولى وخشي ان تكون مبالغ الوصية المتجمعة بكيفية كبيرة ، «سوى القرض الذي يحتمل ان تتراكم دفعاته الشهرية القادمة » سبباً في إفساد الحاميات العسكرية التركية الموجودة في كربلاء ان كانت ما تزال محتاجة للفساد « أو في أي حال في تأمين المساعدة والعون إلى عدد كبير من أفراد الشيعة المتعصبين ، الذين نادراً ما يطلبون ربحاً مادياً للتضحية بحياتهم في سبيل قضية تعتبر في نظرهم شيئاً مقدساً» ، الا وهي تحرير كربلاء والنجف من السيطرة التركية . وأضاف الملازم كمبول « لقد حاولت أن أبين ان امداد المجتهدين في كربلاء والنجف بمبالغ كبيرة على شكل دفعات شهرية يمكن بسبب انعدام المراقبة على مصروفاتهم أن يصبح سبباً في إثارة عناصر الشغب في هذه الباشوية ، كما ان الطريقة غير المشروطة في تسليمي الاموال لهم يحتمل ان تثير من ورائها فيما بعد سخط الحكومة التركية » . ولفت الانتباه أيضاً إلى الصعوبات التي يمكن ان تنشأ عن ضمان استمرار امداد خزينة الوكالة بالأموال اللازمة للوفاء بالدفعات المطلوبة . وفي الواقع لقد طلب فقط «منحه سلطة مطلقة بتسليم أو إيقاف الدفعات المشار اليها دون الاشارة إلى تواريخ استحقاق الدفع . لكن اتضح من لهجة رسالته أنه غير موافق على استمرار الحكومة البريطانية التعهد في تنفيذ الوصية ، حتى ولا عن طريق ممثليها في بغداد .

وأجاب السير سترانفورد كاننغ ، سفير صاحبة الجلالة في القسطنطينية ، بأنه يبدو من الصعب في الظروف الحالية السماح بمخالفة بنود وصية الملك اوض وان أفضل طريقة هي أن يجري الدفع سنوياً

حسب الوصية مع جعل المستلمين مسئولين عملياً عن التزاماتهم حيال مستحقيها . واعتبر السفير أن قضية بمثل هذه الدقة تستلزم تحويلها الى حكومة صاحبة الجلالة . وقال في تعليماته الى الملازم كمبول : « وعلى أية حال يجب عليك أن تقف في وجه أي سوء تفاهم يمكن أن ينشأ في فترة اضطراب ينتج عن قيام الوكالة البريطانية بتأدية الدفعات ، واتصور أنه رغم وجود اعتبارات أخرى يجب أن يتجنب بعناية أي عمل خفي أو مستتر يتعلق بتلك القضية أثناء العملية المالية » .

١٨٥٠ :

على أن حكومة الهند قررت خلال هذه الفترة عدم وجوب دفع المبالغ في بغداد ، وأنه بدلا من تحويلها الى المجتهدين في النجف وكربلاء يمكن لهؤلاء ان يوكلوا عنهم من يسحب من حسابهم في خزينة بومباي وعبر لورد بالمرستون سكرتير الدولة للشئون الخارجية عن موافقة حذرة على هذا الترتيب الاخير وظل العمل بالوصية قائماً وفق هذا الترتيب حتى سنة ١٨٥٢ .

١٨٥٢ :

في هذه السنة أعيد فتح القضية على أثر رجوع الرائد رولينسون من اجازته . فقد أشار بأن طريقة الدفع الدائرية هي ، في الحقيقة ، مظهر من مظاهر التخفي والتستر وأنه يحتمل أن تسبب مشكلات مع السلطات التركية أكثر مما لو دفعت المبالغ مباشرة وعلانية عن طريق بغداد ، كما أنه اعتقد أيضاً بوجود خطر حقيقي من الاموال بسبب اساءة المجتهدين استعمالها لعدم وجود المراقبة اللازمة ، ثم قال :

« يمكن أن اضيف بأن المشكلات التي تصورتها مقترنة بأسلوب الدفع الجاري حالياً لم تكن مجرد افتراضات خيالية . انني أعتقد أنه لدى المبرر للقول بأنه هذه الاموال كانت تستخدم بطريقة تآمرية مخالفة

للقانون ، وان هناك مبالغ محترمة حولت من أهدافها الخيرة لتصرف في سبيل أطماع شخصية . وعلمت أيضاً ان سلطات الباشوية قد لفت انتباهها تدفق الاموال المفاجيء الى كربلاء والنجف ، فعبّرت عن عدم ارتياحها عن ذلك حين نعت الباب هذه الاموال بعبارة « الدفعات السرية للاماكن المقدسة من السلطات الهندية البريطانية » .

والعلاج في نظر الرائد رولينسون ، كان بوضع المدفوعات دون تحفظ باسم الوكيل السياسي لدى محكمة بغداد ، حيث هو في نفس الوقت قنصل عام لصاحبة الجلالة ، وتفويضه بأن يتحرى — طبقاً للاجراءات المطبقة في لوكنو في حالات معاشات التقاعد المضمونة — فيما اذا كانت الاموال المشار لها تصرف في الاحوال المقصودة لها حسب ارادة المحسن الملكي ، وفي أعمال خيرية ودينية ، وليس في إثارة الاضطرابات السياسية او الفساد العسكري . ثم اعطاء الوكيل السياسي سلطة مطلقة اثناء الحالات الطارئة لايقاف كل الدفع .

ولم تكن هذه الاقتراحات تطابق آراء اللورد دلهوزي الحاكم العام للهند . وبموجب اوامره نصح الرائد رولينسون بأنه ليس لحكومة الهند ولا للوكيل السياسي أي حق في ممارسة أية رقابة على الدفعات المالية التي ترك امرها حسب بنود الوصية الى المجتهدين » . وارسل كتاب الى محكمة المديرين التابعة لشركة الهند الشرقية يقترح وجوب الاخذ برأي السفير البريطاني لدى الباب العالي . وكانت النتيجة ان الرائد روس (أصبح فيما بعد اللورد ستراتنيرن) القائم بالاعمال البريطاني في القسطنطينية أيد اقتراحات الرائد رولينسون مشيراً إلى أنه من الضروري الحفاظ على العلاقات الطيبة مع الحكومة التركية وان استعمال وسائل الثورة وتدبير المكائد يجب انتزاعها من أيدي المناوئين الطائفيين من أفراد الشيعة المتعصبين .

بناء على ذلك الغت حكومة الهند في أكتوبر عام ١٨٥٢ اوامرها

الاولى في هذا الصدد . وجرت عمليات الدفع من خزينة بغداد ، وعهد إلى الوكيل السياسي «بمراقبة حكيمة على كيفية صرف الاموال» .

ويبدو محتملا خلال هذه الفترة أن محادثات كانت تدور حول وصية اوض على أسس الترجمة الانجليزية الخاطئة لاتفاقية عام ١٨٥٢ وقد اشارت الى هذا فقرات مختلفة من مراسلات الرائد رولينسون والملازم كمبول .

نتائج وصية اوض في النجف ١٨٥٢ :

ففي عام ١٨٥٢ كتب الرائد رولينسون الى وزير الدولة للشئون الخارجية عن حالة الثورة في النجف ما يلي :

« لا بد ان سيادتكم تتذكرون ان الحكومة الهندية تدفع مبلغاً سنوياً قدره خمسة آلاف جنيه استرليني ، بمقتضى اتفاقيتها مع ملك اوض الراحل ، للحفاظ على مزارات النجف بالاضافة الى الاحسانات المتعلقة بها . وإنكم سوف تدركون بأن هذه الدفعة نتج عنها قدوم عدد كبير من المتعبدين من الهند للسكنى في المدينة . إن وجودهم يمدني بدافع إضافي للعمل على منع تكرار مشهد تلك المذبحة التي دارت رحاها في كربلاء منذ عشر سنوات ..... » .

الادارة المحلية للوصية ١٨٥٢ — ١٨٥٤ :

لقد وصف الميجور رولينسون ، الوكيل السياسي في بغداد طريقة تصرفه في الادارة المحلية لوصية اوض وفاقاً لقول الحكومة وانه « نتيجة لتعليمات الحكومة بممارسة حق الاشراف العام على مدفوعات هبات لوكنو الخيرية إلى كربلاء والنجف ومنعاً لاساءة استعمال الاموال لاغراض سياسية او شخصية » فقال في رسالة بعث بها الى المقيم السياسي في لوكنو ، في مايو عام ١٨٥٤ ما يلي :

لقد اتصلت السنة الماضية بالمجتهدين في هذه الاماكن(١) ، ميرزا

---

(١) كربلاء والنجف .

علي ناجي والشيخ مرتضى ، واتفقت معهما على خطة توزيع الاموال التي – كما اعتقد – سوف تجيز استخدام أكبر مبلغ في سبيل الصالح العام طبقاً لنصوص الوصية الاصلية . وحيث انني حافظت تماماً على المطالب الفردية للمجتهدين ومختلف المؤسسات الدينية ذات الصلة بالمزارات ، كما أمنت في نفس الوقت في هذه الخطة علاوة سخية تصرف من أجل أغراض خيرية بحتة وحتى على المصالح والفوائد العامة ، كاصلاح المساجد والكليات ، واستمرار فتح قناة الفرات التي تمد كربلاء بما تحتاجه من المياه فإنه لمن باب العدل والانصاف وحدهما ان اقول بأن المجتهدين قد استجابا بترحاب كلي لكل اقتراح قدمته وطلبت منهما بتحويل توزيع الاموال الى أغراض تعم فائدتها على الجميع بما يعوق استخدامها في سبيل أهداف دينية محضه .

وبعد حصول العقيد رولينسون على بيان دقيق من ميرزا علي ناجي بالمبالغ التي تحتاجها كربلاء بموجب هذه الخطة خلال عام ١٨٥٢–١٨٥٣ بعث بذلك الى المقيم البريطاني في لوكنهو ، مع الملاحظات التالية :

علاوة على ذلك ، فان غرضي من ارسال هذه الاوراق ليس مجرد ارضاء صاحب الجلالة ملك اوض بأن أعمال البر التي جاءت أصلا من خزينة لوكهنو يجري صرفها كما يجب ، بل أيضاً لكي أحوز على موافقة جلالته على خطة التوزيع العامة ، بسبب وجود حزب معين متعصب في كربلاء يرئسه بعض المجتهدين الحديثي السن ، ممن يرفضون تخصيص أية مبالغ للأهداف الخيرية والعامة .

وأجاب الرائد سليمان المقيم في لوكهنو معبراً عن موافقته التامة على الترتيبات التي أجريت والتي تبدو له بأنها «من أكثر الاعمال خيراً وحكمة» ثم قبوله تقديم البيانات إلى ملك اوض . لكنه اوضح بأنه رغم امكانية الحصول على موافقة جلالته على الاجراءات فانها في أي حال من الاحوال ليست ضرورية .

علاقات الدول الاوروبية الاخرى مع العراق التركى ١٨٣٩ ـ ١٨٦١

يبدو أن الدولة الاوروبية الوحيدة غير بريطانيا التي كان لها ممثل في العراق التركي كانت فرنسا .

تمثيل المصالح الفرنسية في بغداد :

هناك اشارات متكررة في مراسلات السنوات التي تلت عام ١٨٤١ إلى وجود قنصل فرنسي عام في بغداد ، يظهر ان موقفه من الممثل البريطاني كان عدائياً ربما بسبب اختلاف سياسي بريطانيا وفرنسا حول سوريا وفشل وفد فرنسى كان ارسل أخيراً إلى إيران .

ويبدو أن هذا الموظف الرسمي كان يشغل نفسه كثيراً بشئون البلاد المحلية رغم ان بلاده لم يكن لها مصالح محليه ما عدا ما اتصل بقضايا الكاثوليك الدينية . ولقد لاحظنا آنفاً كيف ان نجيب باشا ، قبل توجهه لاخضاع كربلاء عام ١٨٤٢ ، رأى أنه من الضروري اطلاع كل من الممثل الفرنسي والممثل البريطاني في بغداد على نواياه . وفي أثناء سير العمليات العسكرية في كربلاء قام بعض الايرانيين بزيارة القنصل العام الفرنسي « وطلبوا نصيحته فيما اذا كان يجب عليهم التقدم إلى كربلاء لمساعدة الشيعة لأن الحرب كانت حرباً دينية » .

وفي عام ١٨٤٣ ، كما ذكر تحت عنوان العلاقات مع ايران ، وجد الوكيل السياسي البريطاني أن قيامه بمحاولات التوسط بين السلطات التركية والرعايا الايرانيين قوبل بالغيرة والحسد من قبل زميله الفرنسي . وفي عام ١٨٤٥ ، أثناء المفاوضات بخصوص ضرورة الاحتفاظ بسفينة بريطانية مسلحة في العراق ، أشار العقيد رولينسون ، كما سبق أن ذكرنا ، إلى أطماع فرنسا في تركيا الآسيوية .

عبد العـزيز ١٨٦١ ـ ١٨٧٦
ومراد الخامس ١٨٧٦ (١)

توفي عبدالمجيد في الخامس والعشرين من شهر يونيه سنة ١٨٦١ ، فخلفه في السلطنة أخوه عبدالعزيز الذي حكم الامبراطورية العثمانية خمسة عشر عاماً ، وقد بلغ تركيز السلطة والادارة ، في عهده ، منذ سنة ١٨٣٤ حداً لا يطاق ، لا سيما بالنظر لقلة وسائل الاتصال . وفي سنة ١٨٦٤ أعيد بصورة جزئية نظام تفويض السلطة الاقليمي ، حتى اذا كانت سنة ١٨٦٧ طبق في جميع أنحاء الامبراطورية مشروع تنظيم مدني ، كان قد اعده علي باشا ، وذلك بعد ان اختبر تطبيقة في إقليم الدانوب من قبل مدحت باشا الذي صار فيما بعد والياً على بغداد .

وفي ظل حكم عبدالعزيز تأثر سير الحوادث في العراق التركي بعض الشيء بالأحداث الجارية في تركيا الغربية ، ولا داعي للخوض في تفاصيل تلك الاحداث هنا . لقد كان الاضطراب يجتاح البلقان باستمرار وبلغ مداه في فظائع بلغاريا عام ١٨٧٥ـ١٨٧٦ كما ساد التعصب للاسلام في سالونيكا بصورة مروعة ، حيث قتل قنصلان أجنبيان ، ولعل العجز

(١) مصادر المعلومات الخاصة بتاريخ العراق التركى ، فى ظل حكم عبد العزيز ومراد الخامس ، تكاد تكون جميعا رسمية ، وقد لخصها مستر ج٠أ٠ سالدنها فى مقاله عن الشئون العربية التركية ١٨٠١ ـ ١٨٠٥ المطبوع فى ١٩٠٥ ، كما ان ثمة تعقيبات جديرة بالذكر فى مؤلف مستر ج٠ك٠ لماك جونز حمايتنا الجديدة ١٨٧٩ تتعلق بالادارة العامة بصفة خاصة ، كما تتضمن أيضا معلومات عن هـذه الفترة مؤلفات السيدة آن بلنت عن بدو الفرات ، ١٨٧٩ مع أنها تشير الى عام ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ والى حجة نجد ، وينبغي ذكر مؤلف مستر ج٠ جيرى « عبر آسيا التركية » سنة ١٨٧٨ وتحتوى رحلة وتلغـراف جولدميد سنة ١٨٧٤ بعض الحقائق عن انشاء خط تلغراف الخليج ، بغداد ـ ايران ٠ وثمة تقرير قيم عن نظام السلطة التنفيذية التركى كما شكل في عام ١٨٦٧ ولماك كونز حمايتنا الجديدة وقد أعقبـه بملاحظات عن النظام القضائى ٠

الاداري والاسراف المالي ان يكونا من الاسباب الواضحة لتدهور مركز تركيا بصفة عامة ، وقد مهد لهذا الاسراف قبول تركيا –بعد حرب القرم– عضواً في الدول الاوربية ، فيسر لها ذلك سبيل الحصول على القروض الاجنبية ، وانحدرت تركيا في الواقع إلى هوة الافلاس بسبب نفقات الحرب في البلقان ، تلك التي افضت بها الى المركز التعس الذي وصلت اليه عند سقوط عبدالعزيز ، كما كان تبذير السلطان شخصياً من بعض أسباب الكارثة التي حدت بحزب سياسي يضم الوزير الاكبر ووزير الحرب ومدحت باشا والي بغداد السابق الى ترك الحكم في مايو سنة ١٨٧٦ بناء على فتوى شيخ الاسلام ، ثم ما لبث ان ادركته الوفاة بعد ذلك ، ولا تخلو واقعة وفاته من شبهة الخيانة ، وقد خلفه في الحكم ابن اخيه باسم مراد الخامس وكان فاشلا ، فعزل في اغسطس سنة ١٨٧٦ لعدم كفايته بعد حكم لم يمتد أكثر من ثلاثة أشهر .

ونظراً لسوء الحالة التي منيت بها تركيا بسبب احداثها الداخلية ، استفحل النفوذ الروسي في القسطنطينية ، واستحدث الباب العالي نظام النقيب البلغاري فزال ما كان للبطريركية اليونانية بالقسطنطينية من ولاية شرعية على الكنيسة البلغارية ، وانتعشت لذلك الروح القومية في بلغاريا ، وبعد ان تغلبت المانيا على فرنسا في عام ١٨٧١ نجحت روسيا في الحصول على الغاء جزئي لمعاهدة باريس مما رفع من قدرها في البوسفور ، واتاح تعديل المعاهدة لروسيا وتركيا مجدداً حريتهما في الاشراف على القوات الحربية في البحر الاسود ، وكان ذلك تحولا نافعاً لروسيا ، ولكن المضايق ظلت موصدة في وجه الجميع فيما عدا رجال الحرب من الاتراك .

وقد نشر في يونيو سنة ١٨٧٦ قانون يهم جميع الشعوب الاجنبية ، يتعلق برعاياها في تركيا ، فقد خول للاجانب –بمقتضاه– حق تملك العقارات في المستقبل ، في جميع أنحاء الامبراطورية العثمانية ، فيما عدا الاراضي المقدسة بالحجاز وذلك بشرط الخضوع لتشريعات الادارة التركية بهذا الصدد .

علاقات تركيا بايران ١٨٦١ ـ ١٨٧٦

زيارة صاحب الجلالة ناصر الدين شاه ايران للعراق التركي ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ :

كانت أعظم الحوادث التي تسترعي النظر في تاريخ العلاقات التركية الايرانية ، خلال حكم السلطان عبدالعزيز ، تلك الرحلة التي قام بها ناصر الدين شاه ، حاكم أيران ، لزيارة الاماكن المقدسة الشيعية في العراق التركي ، وكان موضوع تلك الزيارة قد بحث في مايوسنة ١٨٧٠ او قبل ذلك ، وتمت الزيارة نفسها في الشتاء التالي ، ولا بد أن تكون هذه الزيارة قد سببت قلقاً شديداً للحكومة التركية ، نظراً للكراهية المتبادلة بين السنيين والشيعة ، وكذلك العداوة التقليدية بين العرب والايرانيين ، والاحتكاك المستمر والعلاقات المتوترة بين الحكومات التركية والايرانية المتعاقبة متعلقاً بالخلاف على الحدود ، الذي كان يوشك أن يفجر ازمة . أما ان تلك الزيارة لم تتم دون ازعاج شديد للرسميين الاتراك . بمختلف درجاتهم ، فظاهر من الفقرة التالية . ففي ٢٧ أكتوبر سنة ١٨٧٠ حرر القائم بالاعمال في ايران خطاباً خاصاً من كرمانشاه الى مستر أليسون الوزير البريطاني في طهران ، يقول فيه :
« لا يمكن أن تتصور ما سببت لنا هذه الرحلة المشئومة من متاعب لا تحصى ، وما نعاني من الآلام التي لا نهاية لها ، حتى لقد قعد بي المرض من الإعياء والحرمان ، واذا كنت الآن بخير ، فلا تعتقدوا أني رضي البال . لقد وصل الملك إلى كرمانشاه ويقال إنه سيبقى بها عشرة أيام . واذا تم ذلك فسنصل الى بغداد بعناية الله » إمضاء .

إن الاجراءات الخاصة بوصول الشاه وإقامته في بغداد موصوفة تماماً في رسالتين ارسلهما الرائد هربرت المعتمد البريطاني هناك ، إلى سفير بريطانيا في القسطنطينية ، ونتولى ايرادهما كاملتين فيما يلي :

٢٤ أكتوبر سنة ١٨٧٠

يشرفني أن أبلغكم أنه في ٢٠ الجاري وصلت أنباء إلى بغداد عن قرب حضور سعادة مشير الدولة(١) والسفير الايراني في القسطنطينية وكامل باشا والقومسير الامبراطوري ليكونوا في استقبال جلالة شاه إيران وسعادة مدحت باشا يرافقهما كبار ضباط حكومته عند زيارتهما للاماكن المقدسة وقرية المعظم على بعد حوالي ثلاثة أميال شمالي المدينة ..

وقد ارسلت سرية فرسان ، كحرس شرف ، لاداء التحية عند وصولهم » .

وقد جاء الوفد بغداد بعد الظهر يوم ٢٢ الجاري ، وأقام الزائرون بالسراي ، حيث وضعت الاجنحة الرئيسية منها تحت تصرفهم .

وكان لي الشرف ان ازورهم رسمياً امس ٢٣ الجاري ، حيث أنبأني مشير الدولة أنه يزمع التوجه ، في ذات المساء ، أو صباحاً ، الى كرمانشاه للانضمام إلى الشاه .

اما كامل باشا فانه ينتظر هنا لمراقبة الحاكم العام إلى الحدود .

٧ ديسمبر سنة ١٨٧٠

إلحاقاً برسالتي رقم ١٩ المؤرخة ٢٣ أكتوبر الماضي أتشرف بابلاغكم أنه في الخامس من الشهر الماضي وصل –بالبرق– نبأ من مشير الدولة الذي وصل معسكر الشاه ، يفيد أن جلالته سوف يغادر كرمانشاه إلى الحدود في ذلك اليوم ، وان سعادة مدحت باشا يرافقه كامل باشا والمندوب الملكي ورؤوف باشا وقائد القوات وطائفة من كبار الضباط ، بحراسة ثمانمائة من جنود المشاة وثلة من الفرسان قد غادروا بغداد لمقابلة جلالته في خانقين .

---

(١) وهو ميرزا حسين خان الذى صار فى سنة ١٨٧١ رئيسا للوزارة فى ايران ، وفى سنة ١٨٧٢ حمل الشاه على اصدار ارادته بمنح امتياز روتر المشهور .

لقد وصل الشاه الى بغداد مبكراً بعد ظهر يوم ٢٢ الماضي ، وقصد فوراً إلى حيث يقيم ، بكشك(١) جديد ، اعد في حديقة كبيرة خارج أسوار المدينة ، وقد أثبت على نحو فاخر ، لاستقباله .

وصل جلالته في أبهة ، بحراسة الضباط آنفي الذكر ، ووزرائه المرافقين له وغيرهم ، ومر جلالته ، وحاشيته ، بطريق أعد خصيصاً لذلك ، على مسافة تزيد –فيما يبدو لي– على ميلين من المدينة ، وكان الطريق يعج بالسكان ، وقد صفت به قوات الحرس ، والتلاميذ من مختلف المدارس في مظهر أنيق ، وكان بعضهم يرتدي الحلة الرسمية ، وتلك ظاهرة(٢) جديدة في البلاد .

وكان يتقدمه فصيلتان من جنود المشاة الايرانيين ، تتألف كل منهما من حوالي مائتي محارب ، ثم فرقته الخاصة المؤلفة من ألف ومائة محارب ، وعلى رأسها جوقة موسيقية كبيرة بارعة .

وساد النظام على أكمل وجه أثناء مرور جلالته ، واتخذ الحاكم العام للاقليم كل الاحتياطات اللازمة لكفاية الأمن .

وقد انعقدت سحابة من الغبار كادت تخفي الشاه وحاشيته عن نظر المشاهدين ، القريب منهم والبعيد عن طريق مرور جلالته ، وانفضت الجموع الحاشدة التي كادت تستوعب كل سكان المدينة ، وعاد الجميع أدراجهم إلى منازلهم في هدوء .

وارفق بهذا قائمة بالاشخاص الذين رافقوا جلالته ، وقد كانت مرفقة أيضاً برسالة بعث بها وزير جلالتها في طهران إلى ايران جرانفيل الذي تفضل على بصورة منها .

---

(١) ما زال هذا البناء قائما ١٩١٢ وقد اتخذ مستشفى ، ويقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة ، أعلى المدينة مباشرة .

(٢) وتبدو هذه الظاهرة فى المناسبات العامة فى بغداد فى الوقت الحاضر ١٩١٢ وفيها اشارة – ثانوية الاهمية – عن الروح الحربية التى تهدد بتخريب تركيا .

ولدى مرور الشاه بمعسكر القوات العثمانية ، التي كانت تعسكر منذ مدة سبقت في الخيام على بعد ميل من المدينة ، أطلقت مدفعية الميدان واحداً وعشرين طلقة للتحية ، وجينما ترحل إلى منزل الحديقة أطلقت القلعة مائة مدفع ومدفعاً .

ولوحظ —بشعور من خيبة الامل لدى الجمهور— الذي يقدر المجاملة سمة للكرامة وعزة النفس —انالشاه لم يرد التحية على أحد ، كبيراً كان ام صغيراً .

وحتى لدى استقبال جلالته للحاكم العام وكبار الضباط في خانقين لم يشأ أن يعير تحيتهم أدنى اعتبار .

ويقولون ان هذا هو العرف في البلاط الايراني .

وبدا جلالته مشغولا بنفسه تماماً ، وقد وصفه الذين رافقوه من الحدود بأنه مغرور بالجواهر والحلي المتوجة وأنه لا يفتأ ينظر إلى نفسه ، متحسساً حليه بلطف ، فكان لا يأبه إلى من حوله إلا نادراً ، وهو إذا فعل لم يكن ليزيد على أن يلقي اليهم بعض الاسئلة المقتضبة .

وفي الضحى ، عقب وصوله ، قصد الى زيارة مزار(١) الشيعة ، وهي عامة لجميع المذاهب الاسلامية ، في المعظم .

وعاد جلالته متأخراً بعد الظهر ، وتوجه إلى المعسكر التركي ، حيث كانت القوات مع عتادها الحربي منذ بضع ساعات في انتظار مقدمه.

وقد ترتب على تأخر موعد وصوله إختصار العرض العسكري الذي كان في النية إجراؤه ، ولكن ، بعد قليل من حركات العرض وأداء السلام ، عمد جلالته إلى توزيع كثير من الاوسمة ، فمنح مدحت باشا

---

(١) ويحتمل أن يكون المكان المقصود هو قبر أبى حنيفة وهو سنى لاشيعى، انظر المجلد الثانى من هذا القاموس الجغرافى ص ١٢٤٣ مقـــال موادهدام .

وساماً من الدرجة الاولى ، وكلاً من رؤوف باشا وكامل باشا وساماً من الدرجة الثانية ، ومنح آخرين عديدين اوسمة أقل درجة .

ويبدو ان هذا التوزيع لم تراع فيه الدقة ، كما يبدو أنه لم يقابل بالارتياح ، ذلك بأن الاوسمة التي منحت لكبار الضباط وأقرانهم ، هي مما يمنح عادة لصغار العاملين في بلاط طهران .

وفي صباح الرابع والعشرين انتقل جلالته ، وبرفقته كالعادة مدحت باشا وكثيرون غيره ، بالباخرة العثمانية الموصل لزيارة الاطلال العظيمة في القصر الايراني القديم في المدائن « تسفون » .

وبهذه المناسبة ، وفي ساعة متأخرة قبيل قيام الباخرة «الموصل» بأقل من ساعة ، طلب ، إلى شاكر بك شخصياً وهو المتصرف بالنيابة عن مدحت باشا السماح لباخرة جلالتها «كومت» بمراقبتهم اذا ما نشأت صعوبات بسبب «ضحولة» مياه النهر .

وبناء على ذلك تبعتهم السفينة ، بقدر ما اسعفت طاقة بخارها ، ومع ذلك فانه لم يحتج إلى خدماتها ، نظراً لتمام رحلة «الموصل» بأمان . وعادت السفينة حوالي العاشرة مساء .

وكان الليل مظلماً ، ولكن المنازل الرئيسية المطلة على النهر والتي كانت مزدانة بالأنوار في كل ليلة منذ وصول جلالته ، قد أعيدت إضاءتها ، كما كان الجسر عبر النهر مزداناً بالأنوار كذلك ، وبينما كانت الموصل الباهرة الاضواء تنساب برفق على صفحة النهر الهادى تماماً ، انبعثت أضواء زرقاء كبيرة ، كانت قد أعدت على طول ضفتي النهر ، باعثة ضوءاً جميلا صافياً فيما حولها ، ومعطية أثراً بهيجاً أخاذاً .

وفي المساءين السابقين شاهد جلالته عرضاً للالعاب النارية على الضفة الاخرى من النهر حيث كان يخيم معسكر جلالته .

وفي ظهر الخامس والعشرين استقبل الشاه ممثلي الدول في المدينة ، بما فيهم القائد والمعتمد السياسي العام لهذه القنصلية والقنصلية الفرنسية والنائب عن قنصلية ايطاليا .

وقد صحب جمعنا مستر اونجلي ملحق وفد جلالة الشاه في طهران ، الذي جاء مع المعسكر .

واستقبلنا جميعاً في خيمة يحيى خان ومعتمد الملك وكبير أمناء القصر ، حيث لقينا سعادة مدحت باشا ، وفي الوقت المحدد قدمنا سعادته وبصحبته مشير الدولة وعلي حنا بك إلى جلالة الشاه .

وقادنا مدحت باشا الى الحجرة الكبيرة في وسط الكشك حيث وجدنا جلالته جالساً على اريكة ، مرتدياً حلة من قماش غامق ، وقد رصع صدرها بضفادع من الماس ، ولم يكن يرتدي نعلا ولا حذاء ، وإنما كان يلبس جورباً طويلا أبيض .

وعملا بالمعروف المقرر في بلاطه لم يلتفت لتحياتنا ، ولدى تقديمنا اليه ألقى إلى كل منا بعض ملاحظات محلية عامة ، انسحبنا بعدها .

ولدى مغادرتنا ، طلب إلى الجمع كله ، بما فيه حاكم عام الاقليم أن يشكلوا جماعة تحت ظل أسوار الخيمة التي اقيمت لستر مقام جلالته من تطلع الدهماء ، وأخذت لهم صورة شمسية بناء على طلب الشاه ، الذي يبدو أنّ له ميلا للاحتفاظ بالصور الشمسية لكل من يسمح له بالمثول في حضرته .

وفي ظهر اليوم التالي زار جلالته مقام الشيخ عبدالقادر الجيلاني الذي تجله جميع المذاهب الاسلامية ، ثم حضر بعد ذلك عرضاً آخر للقوات التركية .

وفي يوم الاحد ٢٧ استقل جلالته باخرة إلى الكاظمية التي تحول اليها معسكره ، وفي صباح اليوم التالي استأنف رحلته متجهاً إلى كربلاء .

وقد رافق مدحت باشا جلالته وسيظل في صحبته خلال مدة إقامته في الاراضي العثمانية .

واستحق سعادته أعظم تقدير ، هو والضباط الذين نشطوا خلال زيارة الشاه للمدينة ، ولروعة الاستقبال الذي حظي به جلالته ، والذي فاق كثيراً ما يمكن توقعه في هذه الجهة ، ويقال إن جلالته قد عبر عن عظيم رضاه عن كل التدابير التي اتخذت .

وينتظر وصول جلالته إلى بغداد في حوالي أسبوعين في طريق عودته إلى بلاده .

قائمة بالذين يتألف منهم معسكر الشاه .
والدة الملك وجميع زوجاته وست من بناته وتابعيهن .
صاحب السمو الملكي الحسام السلطاني وخدمه. (مشرف على المعسكر)
سعادة وزير الخارجية وخدمه .
سعادة معاير الملك ومعه ابنه وزوجته وحريمه الخاص .
سعادة زهير الدولة رئيس التشريفات وخدمه .
سعادة يحيى خان وزوجته وخدمه .
باشا خان أمير الملك ومعه خدمه .
أغا علي أمين الهوزار ومعه خدمه .
علي رضا خان حامل أختام الملك .
حاجي حسين خان أمير اوتومان معه مائة وخمسون من فرسانه .
كامير علي خان ومعه مائة فارس .
الفرقة القزوينية من ألف ومائة محارب .
مائتان وخمسون جندياً من فرقة النورست .
مائتان وخمسون جندياً من فرقة الديمافند .
اثنا عشر مدفعاً .
كل الباشخدم والتابعين الشخصيين للشاه .

الحرس الملكي .
محمد مهدي خان رئيس الحرس الملكي وزوجته .
أمير الخلفت .
ستون من رجال المدفعية ومدفع .
ويقدر الجميع بعشرين الفاً ، من بينهم ستة آلاف هم حاشية الملك شخصياً .

وعقب زيارة الاماكن المقدسة في الكاظمية وكربلاء والنجف عاد الشاه الى بغداد في مساء يوم ٢٠ ديسمبر ، وقد روى الرائد هربرت في السابع عشر من يناير سنة ١٨٧١ تحركات جلالته على النحو التالي :

« بعد إقامة ثلاثة أيام ، عاود خلالها زيارة المدائن لمدة يوم أمضاه في التسلية بصقورة وبنادقه ، غادر جلالته في صباح الرابع والعشرين من ديسمبر إلى السامراء(١) حيث توجد أضرحة الأئمة على النوكي المعروف بعلي الهادي وحسن اشكيري ثم توجه —تواً— إلى خانقين على الحدود ، مغادراً القطر العثماني في التاسع من الشهر الجاري » .

ونظراً لوجود سعادة مدحت باشا في معسكر جلالته وعنايته الدائمة وسهره لم تقع أية اضطرابات ذات بال ، الا أن زحف المعسكر قد وصم بالاتهام المتبادل من الايرانيين والعرب بالسرقة والنهب .

واعتقد أنه لا شك في اقتراف العرب بعض السرقات ، ولكن تابعي جلالته قد نهبوا أهالي الاقليم ، واقترفوا اعمالا همجية شديدة ، تركت اثراً عكسياً في أذهان الناس من جميع الطبقات .

ورجع سعادة مدحت باشا من الحدود حيث رافق الشاه في الثالث عشر من الشهر الجاري ، وكان لي بالامس الشرف في ان ازوره .

---

(١) أمر الشاه ــ بعد هذه الزيارة ــ باعادة تمويه القبة الرئيسية فى السامراء بالذهب .

ولقد أعطاني تقريراً مفصلا عن المتاعب التي سببها سوء سلوك الاشخاص الذين كانوا في المعسكر الايراني ، ونهبهم أهالي الاقليم ، ممن وجد –سعادته– من الضروري تعويضهم ، وكذلك حول الاسلوب الشائن الذي انتهجه الخدم وسواس الخيل وغيرهم من رجال البلاط ، في بيعهم علناً وفي المعسكر أجزاء من المؤن التي جمعها سعادته بناء على اوامر الباب العالي لاستعمال جلالته وخدمه ، وخيولهم وحيواناتهم الكثيرة ، وانعدام التعاون من جانب سعادة مشير الدولة وميرزا سعيد خان وزير الخارجية ، من حاشية جلالته ، الذي بدا أنه ينظر إلى هذه الامور كحوادث يومية وطبيعية .

ووصل الشاه الى كرمانشاه من بلاده ، بسلام في الرابع والعشرين من يناير سنة ١٨٧١ .

طلب تركيا تسليم اللاجئين إلى ايران في سنة ١٨٧١ من قبيلة هماواند:

في غضون زيارة الشاه للعراق التركي ، لفت والي بغداد نظر جلالته الى سؤال هام بشأن الحدود ، والخارجين على القانون من الاقليم التركي ، وهم من قبيلة هماواند ، وهم أغلب القبيلة الذين هاجروا الى ايران ، فيما يبدو حوالي سنة ١٨٦٥ ، ويظهر أنهم يتمتعون برضا ملك نياز خان حاكم زوهاب الايراني ، وكانوا يهاجمون باستمرار –من ملجئهم الأمين– المقاطعات التركية في كركوك والسليمانية . واضاف مدحت باشا أنه يرجو القبض عليهم كمجرمين وتسليمهم الى السلطات التركية .

وبدا الشاه موافقاً في اول الأمر ، فأصدر اوامر مشددة في الموضوع الى ملك نياز خان الذي قرر فوراً القبض على ما لا يقل عن مائتين وثمانين رجلا ، ويحتمل ان يكون قد قصد بذلك معظم قبيلة هماواند الذين كانوا حينئذ في دائرة اختصاصه ، ولما تبلورت الامور أبدت هيئة وزراء الشاه وموظفوه الرسميون وعلى راسهم مشير الدولة والسفير الايراني في القسطنطينية اعتراضهم على تسليم الأسرى الى تركيا بحجة

أن في إجراء ذلك ما يحط من مقام ايران . وشكلت لجنة تركية ايرانية مشتركة لبحث الموضوع في خانقين تضم –مع آخرين– مدحت باشا وكامل باشا عن الجانب التركي ومشير الدولة عن الجانب الايراني ، واخيراً اتفق –أو قال الاتراك انه قد أتفق– على تسليم زعيم هماواند وعشرين من اتباعه الرئيسين مع الابقاء على حياتهم ، ونفيهم الى روسيا ، وعلى أي حال فان الايرانيين تغاضوا عن تنفيذ الاتفاق ، اذا صح ان ذلك كان اتفاقاً ، بل لقد بدوا مستعدين لنقضه ، وراجت في بغداد ادعاءات بأن الشاه قد أكرم لقاء الجناة الذين ارسلهم اليه حاكم زوهاب واهدى الى زعيمهم سيفاً مرصعاً بالجواهر .

واقترح الرائد هربرت المعتمد البريطاني في بغداد على وزير جلالة ملكة بريطانيا في طهران ، استخدام النفوذ البريطاني لدى الحكومة الايرانية لتسليم هماواند وذلك لما بدا امن صواب طلب تركيا ، ولأن في قبوله درءاً للاشتباكات المحدقة الاندلاع على الحدود ، إلا انه لما كان الشاه مصمماً على عدم القبول فقد رأى مستر اليسون أن من غير اللائق أن يتدخل لا سيما وان المفاوضات كانت جارية بين تركيا وايران للوصول الى تسوية مباشرة لجميع خلافاتهما المتعلقة بالحدود دون الرجوع الى الحكومتين البريطانية والروسية .

مسألة الحدود التركية الايرانية ١٨٦١ – ١٨٧٦ :

ويسوقنا نزاع هماواند الى موضوع الحدود التركية الايرانية ، التي كان تم تخطيطها في سنة ١٨٥٢ ، وربما كانت الخرائط التي رسمت على اسس المعاينات البريطانية والروسية قد اعدت في سنة ١٨٦٥ ، الا أنه تبين لدى فحصها أنها تتضمن بعض الأخطاء ، مما اضطر السفارتين البريطانية والروسية في القسطنطينية إلى الامتناع عن توقيعها ، وتبعاً لذلك أعيد النظر فيها ، ولم تنفذ نهائياً حتى عام ١٨٦٩ .

وفي أغسطس سنة ١٨٦٩(١) عقدت تركيا وايران معاهدة تعهدت

(١) نشر البروتوكول فى معاهدات ايتشيسون مجلد رقم ١٢ ص٦٢،٦٣ .

كل منهما بمقتضاها بقبول تأجيل التسوية النهائية ، إبقاء على الحالة الراهنة ، وعدم إنشاء أية أبنية جديدة في مناطق النزاع ، ولما كان مفهوم الحالة الراهنة مختلفاً عليه من الجانبين فان المعاهدة لم تثمر نتائج طيبة ، وعلى العكس فقد تولدت أمور كثيرة على الحدود ، مما يعتبر موضوع هماواند مثلا على واحد منها .

وامتد الاضطراب إلى قطاع بوشتكوه(١) على الحدود ، الذي لم يكن يسمع عنه إلا القليل من قبل فيما بين سنة ١٨٦٩ حتى سنة ١٨٧٣ وعلى الرغم من الاتفاق المشترك لاستبعاد اللاجئين عبر الحدود إلى مسافة من الخط الفاصل وإحالة مسألة الحدود على لجنة مشتركة في القسطنطينية ، فقد أصبح ذلك الاضطراب متزايد الخطر .

وقد ارسلت نسخ من الخريطة البريطانية الروسية إلى الباب العالي في أكتوبر سنة ١٨٦٩ والى حكومة ايران في فبراير سنة ١٨٧٠ ووفقاً لاتفاق تم بين بريطانيا وروسيا في سنة ١٨٦٥ عبرت الدول الوسيطة في ذات الوقت عن أملها في أن يكون الخط الفاصل بين الاملاك الخاصة للسلطان والشاه ضمن التخوم المرسومة على الخريطة ، وأن تعين الحكومتان العثمانية والايرانية نفساهما ذاك الخط ، على أنه في حالة نشوء أي خلاف بين الطرفين بشأن أي موقع معين بالذات فانه يجب احالة مواضيع النزاع الى الحكومتين البريطانية والروسية .

ولم يلتق في القسطنطينية ــ حتى ديسمبر سنة ١٨٧٤ أي مندوبين

---

(١) يرجع النزاع الرئيسى فى قطاع بوشتى كوه الى ملكية أراض معينة تعرف باسم السيفى مالخاتى الى الشرق والشمال الشرقى من بدره ، وبخصوص بعض هذه الاراضى المعروفة للاتراك مثل سعيد حسن وللايرانيين مثل باكسى وغرين كان اتفاق سنة ١٨٦٩ التركى الايرانى قد جدد فى سنة ١٨٧٣ (راجع كابتن د٠ل٠ر٠لوريمر) عن بوشتى كوه سنة ١٩٠٩ ص ٣٢ وموجز الملازم أ٠ت٠ ويلسون علاقات الحكومة البريطانية بقبائل وشيوخ عربستان سنة ١٩١٢ ص ٥٤ ٠

اتراك وايرانيين ، لتعيين الحدودعلى الخريطة ، حتى اذا كان يناير سنة ١٨٧٥ فشلت الإجراءات . وحينذاك شكلت لجنة أخرى تضم ممثلين للدول الوسيطة وكان المندوب البريطاني هو سير ارنولد كيمبل وعند ذلك اعترف الباب العالي رسمياً بالمنطقة بوصفها شاملة أقصى التخوم التي تبين رسم خط الحدود ضمنها . ولكن أضيف أن هذا الاعتراف سوف يسقط تلقائياً اذا لم تصل اللجنة التي كانت منعقدة حينذاك إلى تسوية نهائية في مسألة الحدود .

وحوالي ذلك الوقت اقترحت الحكومة الايرانية الموافقة على تحكيم بريطانيا العظمى وروسيا ، وقبول أي خط داخل المنطقة التي رسمها مندوبو الدول الوسيطة .

وكانت آخر جلسة للجنة قد انعقدت في يناير سنة ١٨٧٦ ، وأحضرت المذكرة التركية ورسم الحدود التي يدعيها الباب العالي ولكن بالنظر لخطأ للمندوب الايراني في اللجنة لم تكن المذكرة الايرانية وتخطيطها قد أعدا ، فترتب على ذلك عطل طويل ، فلما نشبت حرب الصرب في يوليه سنة ١٨٧٦ توقفت الاجراءات ، ولم ترسل المستندات الايرانية الا عشية الانتهاء من تلك الحرب .

ميثاق بصدد سلطات قناصل ايران الرسميين وحصانات الرعايا الايرانيين في تركيا سنة ١٨٧٥ :

وبمقتضى ميثاق عقد بين تركيا وايران في ديسمبر سنة ١٨٧٥ سوى أخيراً ذلك الموضوع الشائك الخاص بسلطات قناصل ايران الرسميين وحصانات الرعايا الايرانيين في تركيا ، وهو موضوع كان مثار متاعب كثيرة في الماضي . وكانت مسافة الخلاف حول هذه المسائل بعيدة بين وجهتي نظر الحكومتين التركية والايرانية ، فبينما كانت الاولى تطلب معاملة الرعايا الايرانيين في تركيا كرعايا عثمانيين ، كانت الثانية مصرة على منحهم حقوقاً تشبه الحقوق الممنوحة للدول العظمى الاوربية ، وقد

أقر الميثاق لقب القناصل الايرانيين والترجمان القنصلي الايراني في تركيا، واعترف لهم بذات الامتيازات التي يتمتع بها قناصل وترجمانات الدول الاخرى ، كما خول القناصل الايرانيون مطلق السلطة على رعايا ايران سواء فيما يتعلق بالمسائل المدنية او الجنائية وفي مواد التركات ، ولكن كان واضحاً أن تركيا ترى ان يذعن رعايا ايران لولاية القضاء التركي في حالة قطع العلاقات الودية ، وفي القضايا المختلطة ، المدنية والتجارية ، على أن يحتفظ مع ذلك ببعض إجراءات المساعدة والحماية للممثلين القنصليين الايرانيين . وقرر ضمن مسائل أخرى إعفاء رعايا ايران من الضرائب التي كانت مقررة على الرعايا العثمانيين وحدهم ، وأقرت الاتفاقية أيضاً تطبيق الاحكام الخاصة برعايا ايران في تركيا ، بالمثل ، على رعايا تركيا في ايران ، وان يحظى كل منهما بمعاملة رعايا الامم الأكثر رعاية (١) .

★ ★ ★

التاريخ الداخلي للعراق التركي ١٨٦١ ــ ١٨٧٦

تميزت السنوات الاولى من حكم عبد العزيز ببروز مشكلات إدارية في العراق التركي فيما بين الاتراك والقبائل العربية لم تكن تقل خطورة عن تلك التي سادت البلاد من سنة ١٨٤٥ الى سنة ١٨٥٥ . وكان السبب المثير مشابهاً وهو محاولة جازمة بذلتها الحكومة المحلية بموارد غير كافية ، ودون اكتراث لخبرة نجيب باشا ونامق باشا لإحكام القبضة على العشائر البدوية ، ولبسط سلطة الادارة التركية على نواح جديدة لم تكن غالباً مطروقة من الاتراك . وأدت مناسبة القيام بانشاء خط تلغرافي من بغداد إلى الخليج ــ كان قد تكفل به الباب العالي بمشورة بريطانيا ومعاونتها الرسمية ــ إلي اضطرار المعتمد السياسي البريطاني في بغداد للتدخل إلى مدى أبعد كثيراً من المألوف في الشئون الداخلية للبلاد .

---

(١) نجد نص هذه الاتفاقية فى معاهدات ايتسيسون مجلد ١٢ صفحات من ٦٤ ــ ٦٦ .

مشكلات المنتفك نوفمبر سنة ١٨٦٣ إلى اغسطس سنة ١٨٦٤ :

وسيظل مذكوراً أنه في سنة ١٨٥٥ اعترف بالشيخ بندر رئيساً لقبيلة المنتفك على أن يؤدي مبلغاً كبيراً سنوياً لزراعة عدد من المقاطعات التي كان بعضها من اراضي مشيخة المنتفك فيما سلف ثم نزعت منهم . وفي سنة ١٨٦٣ ولاستمرار تخلف الشيخ بندر عن الاداء ارسل نامق باشا(١) اوامره إلى البصرة وبمقتضاها القى منيب باشا ، الحاكم التركي هناك ، القبض على بندر حينما جاء لزيارته على باخرة تركية . ومهما يكن فقد أطلق سراح الشيخ فوراً . وإذ كان نامق باشا مرتاباً في أن إطلاق سراحه كان بسبب الرشوة ، فقد أمر باحضار منيب باشا نفسه مقبوضاً عليه إلى بغداد حيث ثبت أنه في الواقع كان متلبساً بالجريمة . وتبعاً لذلك حمل شيخ بندر —أملا في استئناف استغلال مناطق المنتفك لمصلحته— على الحضور إلى بغداد ودفع مبلغ مئة وخمسين الف شامس لحساب المتأخرات المطلوبة منه ، ولكنه توفي وهو ما يزال في بغداد في الثالث عشر من نوفمبر سنة ١٨٦٣ مديناً بحوالي خمسة وعشرين الفاً للخزانة التركية .

وظن نامق باشا ان الفرصة أصبحت سانحة لبسط السيادة التركية المباشرة على أجزاء جديدة من مناطق المنتفك ، واعتزم دون مصادقة حكومة القسطنطينية فصل الاراضي الواقعة على شط العرب ادنى القرنة وتلك التي تقع على الضفة اليمنى لنهر دجلة أعلى القرنة بما في ذلك بقاء الحي او شط الغراف من مشيخة المنتفك وإلحاق الأولى بالقائمقامية التركية من البصرة ، والأخرى بعازفية . وكان لابد في نفس الوقت من تجريد شيخ المنتفك من سلطات العفو والاعدام ، وقطع الاعضاء ،

---

(١) ليس من المحقق ان كان هو نامق باشا نفسه الذى كان باشا بغداد فى الفترة من ١٨٥٢ ـ ١٨٦٤ ، ويحتمل انه لم يكن هو .

والعقوبات البدنية ، بصفة عامة ، وهي سلطات ما فتيء يمارسها منذ القدم ، كما كان لا بد من حرمانه من اقتضاء الديات في المنازعات القبلية ، والاتاوات الأخرى غير المصرح بها . كما تقرر ان يكون النظام المحلي لفرض الضرائب مشابهاً لنظام الامبراطورية العثمانية بوجه عام . وكان واجباً أن يتولى الفصل في القضايا الجنائية والمدنية —مستقبلا مجلس أو محكمة مشكلة من ملاك الارض والتجار وبعض أعيان المنطقة ، مع وجوب مصادقة باشا بغداد على تعيينهم قضاة . وكوسيلة لتنفيذ هذا النظام، الذي تنبأوا بعدم رضا الجمهور به ، عين نامق باشا منصوراً أحد شيوخ المنتفك ليكون أول قائمقام تركي في إقليم المنتفك . على أن يتخذ مركزه الاداري في سوق الشيوخ ، واشرك معه كمحاسب سليمان بك ، وهو ضابط تركي كان مريداً لحانقين وقد اصدر اليه تعليمات بأن يبدو إيجابياً وليناً في مستهل سلوكه مع ذوي النفوذ المحليين .

ولما كان الشيخ منصور معتزماً فيما بينه وبين نفسه معارضة ما قصد اليه الباشا من الاطاحة بالحكم الذاتي للمنتفك ، فانه ما كاد يصل إلى بغداد حتى الغى البلاغ الذي حد من سلطته الادارية ، وعمد الى عرقلة مجهود سليمان بك وذلك بأن احاطه بالحراس بحجة المحافظة على حياته من الخطر ، واوفد مبعوثين إلى جميع الجهات لتشوية نوايا الحكومة ، ولدعوة زعماء العائلات للانضمام اليه لتكوين جبهة للنضال عن حقوق العرب ، وبذلك تمكن الاحتفاظ على الاقل باشباه المستقلين منهم كمجرد تابعين . واستجابت القبائل الصغيرة التابعة للشيخ منصور بحيث إنهم توقفوا عن الملاحة في نهر الفرات ، وهاجموا البواخر التركية ونهبوا القمح الذي اعتزمت الحكومة تصديره إلى جده ، ولكنهم لم يبدوا في ذلك الوقت اختياراً صريحاً لحكم شيخهم وتفضيله على حكم الاتراك . وبدا موقفهم في جملته موقف ترقب وأمل ، ولم تستجب مطلقاً قبائل بني لام الكبرى وآل بو محمد والخزاعيل للعروض التي

قدمت لهم ، وكتب الشيخ منصور في ذات الوقت أيضاً إلى نامق باشا معلناً ولاءه الشخصي ، ولكنه صرح بأن الزعماء التابعين له معترضون على نوع الحكومة الجديدة ، وبأن أخاه ناصراً(١) كان يؤلب عليه القبائل ، وأنه وسليمان بك كانا ، في خطر شخصي ، وعاجزين عن ممارسة سلطاتهما بغير معاونة من جنود من بغداد .

١٨٦٤ :

وما إن تسلم نامق باشا هذه الرسالة حتى استدعى الشيخ منصور وسليمان بك الى بغداد وتظاهر بعطفه على اولهما في موقفه الشائك ، ولكنه أرسل في ذات الوقت في يناير سنة ١٨٦٤ جنوداً من بغداد إلى الديوانية والكوت وارسل باخرة الى العمارة لاخضاع الشيخ فهد آل علي منافس الشيخ منصور الذي كان معسكراً على شاطيء نهر دجلة قريباً من ذلك الموقع ، ووافق الرائد كيمبول المعتمد السياسي البريطاني في بغداد في ذلك الوقت على خطة الباشا ظناً منه أنها تيسر إذا تحققت إنشاء خط التلغراف .

ولكن معارضة المنتفك لمشروعات نامق باشا أصبحت أشد مما كانت عليه في اول الامر ، ورفض الشيخ فهد منصب القائمقام التركي في سوق الشيوخ حينما عرض عليه ، وجاهر صغار شيوخ المنتفك بعزمهم على الدفاع عن شبه استقلالهم بقوة سواعدهم اذا لزم الأمر . وازاء هذه الظروف أبدى الباشا الذي استقدم في غضون ذلك الوقت قوات إضافية إلى بغداد من الموصل وكركوك واتخذ تدابير أخرى عسكرية لحمل المنتفك على الاذعان ، أبدى إنكاره لفكرة تغيير الترتيبات لحكومة إقليمهم ، وأعلن رغبته في تعيين الشيخ ناصر شقيق الشيخ منصور زعيماً للقبيلة ، وملتزم الدخل في المنطقة لمدة عام واحد بذات شروط الشيخ

---

(١) ايكون هذا هو شيخ المنتفك الذى صار فيما بعد والى البصرة ؟

بندر . وقد اقحم الرائد كيمبول في هذه المرحلة من مراحل سير هذه المسألة على النحو الذي وصفه كالآتي :

تسلمت بعد قليل من عودتي من بغداد رسالة موقعة من ذلك الزعيم(١) وآخرين غيره من وجهاء قبيلة المنتفك ، وقد اعتذروا فيها عن الخطة التي وضعها الباشا ورجوني ان اتدخل لاقناعه بالعدول عن المضي في انتهاجها . وعرضت تلك الرسالة فوراً على سعادته ليطلع عليها مع مشروع الرد الذي اعددته ، وألغى سعادته طبعاً هذا الرد ليتحول عما اعتزم عليه . ولكني ألحقت به نسخة لاحاطة سعادتكم(٢) بأني قد أشرت فيه إلى أنه –مع موافقة سعادته– قد اعتزمت أن انتهز فرصة مغادرة وكيل الشيخ ناصر لبغداد ، مكلفاً رسمياً بدعوة من رئيسه الذي زارني لاقرر أنه ليس ثمة أمل في تنفيذها الا اذا اعطيت كلمتي كضمان لسلامة الشيخ شخصياً ، وكان طبيعياً أن ارفض تحمل مثل هذه المسئولية ، إلا اذا طلب ذلك نامق باشا خطياً ، ولهذا فقد أحلته اليه ، ولكن مخاوفه لم تكن تسمح له على ما يبدو بالتحدث الى سعادته في هذا الشأن . وقدرت ان من واجبي أن أخطر نامق باشا بما دار بيننا ، وأجاب سعادته بأن التعهدات الخطيرة التي أعطاها فعلا ، بالاضافة الى امله في تقلد المنصب لا بد أن تكون كافية في رأيه لتأمين الشيخ ناصر ، وفي الوقت الحاضر فانه لن يجني فائدة من تدخلي .

وبعد ذلك ، في الحادي عشر من فبراير سنة ١٨٦٤ دخل الشيخ ناصر بغداد ، بعد أن أصر على ضمان غير عادي لحصانته ضد القبض عليه وحصل على ذلك ولكن شيئاً ما لم يحسم بينه وبين الحكومة المحلية ، وطلب الباشا الزام الشيخ بأن يؤدي قبل تنصيبه رسمياً مبلغ ١٥,٠٠٠ جنيه كان قد قدمه عربوناً من قبل حينما كان يتنافس وأخوه على التعيين

---

(١) أعنى الشيخ ناصر .

(٢) سفير صاحب الجلالة البريطانية فى القسطنطينية .

في منصب المشيخة ، ورداً على ذلك أصر الشيخ على أنه غير مستطيع تدبير مثل هذا المبلغ الكبير قبل أن يعود إلى وطنه أولا ، وكانت النتيجة حبوط المسعى ، واحتج الرائيد كيمبول على التأخير الذي حدث على هذا النحو ، وكان ذلك بدون جدوى ، وإنه ليقول : « أشار سعادته لدى عرضي هذا الموضوع إلى أن الاهتمام بخط التلغراف يجب أن ينُتَحّى أمام ما تهتم به الحكومة ، ومع أنه ما يزال يبحث عن حل سريع للمسألة ولو بتأجيل العمل إلى الخريف القادم فانه لم يوافق على تضحية السلطة التي يجبَ ان تنتهي الى تأكيد ما يشبه استقلال زعماء المنتفق ، وبتأمينهم كلما دعت الحاجة في المستقبل من الإفلات من التزاماتهم العادلة .

وعند ذاك استدعى الباشا الشيخ فهد ثانية إلى بغداد ، كما استدعى أيضاً شيخاً آخر يدعى مشاري على امل أن يتمكن من تأليبهما على الشيخ منصور وعلى بعضهما البعض إن لم يكن لتعيين قائمقام لسوق الشيوخ ، فعلى الاقل لكي يضع تحت الحكم التركي المباشر أقاليم أدنى وأعلى القرنه التي كان قد اعتزم منذ البداية فصلها عن مشيخة المنتفك . ومع ان الرائد كيمبول كان ما يزال يرى أن مساواة وضع إقليم المنتفك بالأوضاع السائدة في الاقاليم التركية الاخرى أمر مرغوب فيه إلا أن الشك بدأ يساوره في قدرة الحكومة المحلية عسكرياً على إحداث التغيير في أي وقت معقول ، وغادر بغداد إلى الحلة ، واستعد لان يدفع قدماً موضوع مد الخط التلغرافي جنوباً في اول فرصة تسنح .

وفي الثالث عشر من مارس سنة ١٨٦٤ عاد المعتمد السياسي البريطاني إلى بغداد بناء على طلب نامق باشا الذي تلقى برقية من القسطنطينية تطلب تفسيراً لطول تعليق مشكلة المنتفك ، وأنبأه الباشا أن كلا من الشيخ ناصر والشيخ فهد قد رفض أن يأخذ على عاتقه التزام مناطق المنتفق ، بينما كان الشيخ مشاري غير ذي نفوذ واضعف من أن يحمي نفسه فيما لو عين ،

فقد اعترف بأن عشائر المنتفك كانت حينذاك مجمعة في تصميمهما على مقاومة مشروعاته ، وان موسم فيضان الربيع كان اقرب من ان يسمح بالقيام بعمليات عسكرية ، فضلا عن أن في القيام بها ما يزعج الباب العالي وطلب في النهاية رأي الرائد كيمبول ، ونصح الضابط بأن موضوع شكل حكومة اقليم المنتفك يجب ان يحال الى القسطنطينية ، مع وجوب تنصيب الشيخ فهد زعيماً ، وذلك لتجنب أي ظهور بالخضوع لتهديدات الشيخ منصور والشيخ ناصر وأنه اذا طلب الشيخ فهد إخراج الاخوين من دائرة اختصاصه فإنهما سيكونان مضطرين او مخمولين على الإقامة في بغداد بضمانة يؤكدها الباب العالي اذا لزم الامر ، وذلك لسلامة شخصيهما وتأمين املاكهما بما في ذلك الاملاك الواسعة التي كانت لهما على شط العرب.ويبدو ان هذه النصيحة قد صادفت استحسان نامق باشا ، على الاقل بصفة جزئية . وفي التاسع عشر من شهر مارس ارسل باخرة برخصة وعلم تنصيب الى الشيخ فهد آل علي ، ولم يذكر الخطاب المرفق بالترخيص الا أن مشيخة المنتفك قد خلعت على الشيخ فهد بذات الشروط التي كان قد شغلها بها الشيخ بندر من قبل ، ولم يرد به أي ايضاح دقيق لنطاق ولاية الشيخ الجديدة او مقدار التزاماته المالية ، او المدة التي يبقى فيها ذلك التدبير نافذاً ، وكان ذلك غموضاً قدر الرائد كيمبول أنه خليق باثارة الريبة في ذهن المنقول اليه نبوءه . ولدى عودة المعتمد السياسي البريطاني من بغداد إلى الحلة ، بموافقة نامق باشا السابقة ، حرر خطابات من المحتمل ان تكون للانذار او العتب ، الى الشيخ منصور والشيخ ناصر .

وفي بداية أبريل ، وبسبب حجز الشيخ ناصر في بغداد على غير إرادته . من جهة —وكان ذلك خيانة أمانة واضحة لم يقعد الرائد كيمبول عن الاحتجاج عليها— اذ كان الشيخ قد سلك سبيل المسالمة ، ونتيجة لتعيين الشيخ فهد . من جهة أخرى . ظهر فجأة في طريق بغداد سليمان بن الشيخ منصور ومعه فريق من رجال القبائل المدججين بالسلاح

وكان التلغراف وكل وسائل الاتصال الاخرى معطلة بين البلدين . ورفض نامق باشا ما عرض عليه الرائد كيمبول من جعل نفسه على صلة بالشيخ منصور او حتى اذا لزم ان يتقدم بشخصه إلى معسكره ، ولكن الشيخ فهد استمر يماطل في شروط تعيينه ، وبقيت الامور معلقة . ولم يعلن عفو عام ، مما كان يعين على استرضاء أنصار الشيخ منصور ولكن الباشا اقتنع أخيراً بارسال خطابات تأمين عن طريق الشيخ فهد إلى الروؤساء الذين كان موقفهم يثير الشك . وفي اوائل مايو عسكر الشيخ فهد ، الذي لم يكن قد قبل بعد النهوض بمسئولية المنتفك كاملة ، على الشاطىء الايمن لنهر دجلة عند علي الشرقي وتمكن بمعاونة فصيلة من ثلاثمائة من رجال المشاة الاتراك ومدفع واحد ومائتي عقيلي من ذوي البنادق ذات الاصبع التي يقدم لذخيرتها بالثقاب ومائة مدني من العمارة من صد هجوم فاتر شنه عليه اعوان الشيخ منصور ، ولكنه كان او بدا غير قادر على التقدم . واذا استفزت وقاحة الشيخ منصور وأسرته نامق باشا فقد صمم هذا على القيام بعمليات عسكرية ، على الرغم من المشكلات الناجمة عن سوء الحال في الاقليم وتأخر الموسم ، وكونه على غير استعداد . وغادرت بغداد الى الكوت قوة مؤلفة من الف جندي نظامي من المشاة ومدفعين بقيادة حافظ باشا حكمدار الجيش ، وفي الكوت كانت القوة ستتلقى مدداً من خمسمائة جندي نظامي من المشاة ، وكان عليها ان تتقدم إذا أمكن الى سوق الشيوخ . وطلب الى قبيلتي بني لام وبني ربيعه أن يساعدوهم ، كما كلف شبلي باشا — قائد الديوانية ، بالمعاونة ومعه فرقة من الفرسان واربعمائة من الخيل غير النظامية واربعة مدافع ، وبدا ان نامق باشا إنما كان يقصد إلى غل يد الباب العالي بجعل إرجاع الشيخ منصور مستحيلا .

وفي منتصف يونيه سنة ١٨٦٤ كان نفوذ الشيخ فهد قد توطد على نحو كاف لقبول عودة القوات التركية الى معسكراتها فيما عدا فصيلة من ثلاثمائة رجل ومدفع ، تركت — بناء على طلب الشيخ — في رأس

الجزيرة وهي موضع على شط الجوف قريب من الكوت . وكان فهد نفسه حينذاك قريباً من شطره مشغولا –وهو في طريقه الى سوق الشيخ– بتلقي خضوع القبائل الصغيرة وبتأجير المناطق . وقد اتهم بالخيانة العظمى بسبب اعدامه سليمان آل خليف شيخ الاجواد إحدى أقسام المنتفك الرئيسية والقبض على شيخين آخرين ، وكانوا جميعاً قد سالموه . واستنكر نامق باشا هذا السلوك ، وأعلن استهجانه له ، ولو أنه أضاف أنه لما كان هؤلاء الشيوخ قد قاوموا –من قبل– استبدال الحكم التركي بالعربي في منطقة المنتفك ، فانه لا يأسف على انهم كانوا اول من يقاسي آثار الحكم الاستبدادي الذي عاونوا بأنفسهم على إقامته . وقد ذاع قبل نهاية الشهر أن الشيخ منصور قد جمع مرة أخرى قوة كان يهدد بها السماوة ، وأن بني مالك وهم قسم كبير من المنتفك قد جددوا بتحريضه مطالبتهم ببعض الاراضي جنوبي البصرة التي كان منيب باشا قد أجلاهم عنها ، أثناء حكمه البصرة ، وكان من اعوان الشيخ منصور الظاهر بن عثمان بك وهو ابن حاكم سابق للموصل كان قد هرب إلى العرب لاختلاسه اموال الدولة غداة عزله من مديرية السماوة . ورغبة في مقاومة هذه المظاهرات كلف شبلي باشا بالتقدم إلى السماوة بكل حامية الديوانية بينما نقلت فصيلة من حملة البنادق بقيادة محمد باشا على باخرة في بغداد للعمل في البصرة .

وفي يوليو سنة ١٨٦٤ نزلت بالقوة المتقدمة للنجدة في السماوة كارثة خطيرة ، ذلك أنه بينما كان فريق المشاة المؤلف من ثلاثمائة وخمسين من حملة البنادق وثلاثة مدافع يتقدمون إلى غايتهم بطريق البحر إذا بهم يهاجمون على غير انتظار من الباري حكيم وآل بو حسين والدواليم ، وكان المفروض أن الجماعتين الاولين منهم كانتا على غير وفاق . وجاء شبلي باشا في اليوم التالي بطريق البر وكان معه فرسانه وفرقة من خيالة قبيلتي الجبور وزبيد . الا أنه نظراً لتفوق عدد العدو اضطر للانسحاب ، وطلب النجدة من بغداد . وقد قتل أكثر من نصف المشاة

فضلا عن قائدهم ، وبعد أسبوع تمكن تسعون فقط بينهم ثلاثون جريحاً من العودة الى الديوانية ، وفقدت الثلاثة المدافع جميعها الا ان اثنين منها أعادهما فيما بعد سكان دسكرة صغيرة بالقرب من موقع القتال .

ولم يتوان نامق باشا في ارسال قوات اضافية بقيادة حافظ باشا لانزال العقاب بالثائرين ، وإنقاذ السماوة اذا امكن . وكان زعيم بني حكيم معروفاً بأنه على صلة بالشيخ منصور والشيخ مطلق رئيس الخزاعل الذي كان تحت امرته آل بو حسين . ولهذا كان ثمة ما يوعد بالخوف من الهجوم على القوات التركية نتيجة لتآمر العرب الواسع النطاق . وفي الحادي والعشرين من يوليه زحفت من الديوانية حامية لحافظ باشا مؤلفة من الفي جندي نظامي وثلاثمائة وخمسين من الفرسان غير النظاميين . وفرقة وفرقة كبيرة من العرب . وكان الشيخ فهد ما يزال في منطقة الهاي الا انه كان يعد العدة للتقدم الى الدراجي بالحامية التركية المؤلفة من ثلاثمائة رجل ومدفع واحد كان قد وضع أصلا في رأس الجزيرة واخيراً في شطره . وأخمدت غارة كان قد شنها سليمان بن الشيخ منصور. وبينما كان المغيرون يرتدون عبر الفرات وكان بنو زرج قد اغراهم الاتراك ، فقد بدأوا سلسلة من الاغارات على آل بو حسين والدواليم اعدائهم القبليين . ولدى وصول قوات الحكومة لمعاونة بني زرج أذيع نبأ قيام حرب قتل فيها ستون أو سبعون من الاعداء واسترد المدفع المفقود . ووقع اشتباك اخير على ضفتي قناة تدعى ابو كليب قيل ان العرب قد فقدوا فيه ٦٠٠ ، ما بين قتيل وجريح ، منهم النساء والاطفال بينما سلبت القوات في ذات الوقت بعض الماشية ، وعدداً ضخماً من الاغنام وغيرها من الغنائم . وطبقاً لنبأ من غير المصادر التركية لم يكن من وقع بهم العقاب قاسياً على هذا النحو من الاعداء إطلاقاً ، وإنما هم قبائل ريفية وادعة ، كانوا قد قدموا عروضهم السلمية الى الحاكم التركي فأكد لهم أنه لن ينالهم سوء . وقد أضفت قلة الخسائر التركية ، التي كانت تافهة تماماً ، ووجود نساء العرب واطفالهم لوناً من الصدق على هذا

التحول في الاوضاع ، وجعل من الضروري التقليل من اهمية النصر الذي ادعاه الاتراك . وعلى اية حال فقد وصل حافظ باشا بحاميته الى السماوة في اوائل اغسطس حيث انضم اليه فيها الشيخ فهد، وسلم عثمان بك نفسه الى السلطات التركية في الديوانية ، وأعلن ان الشيخ منصور كان منسحباً إلى نجد عن طريق الكويت ، وأنه بوصول القوات بقيادة محمد باشا حبطت محاولات بني مالك لاثارة الفتنة قرب البصرة .

ويمكن ان توصف هذه العمليات بالنجاح إلى الحد الشمالي الغربي من إقليم المنتفق ولكنها أسفرت في النهاية عن إعادة الوضع الى ما كان عليه من قبل حينما بدأ نامق باشا يتحرش بالقبيلة .

ويبدو أنه لم تترك اية حامية في السماوة ، وكل ما حدث من تغيير هو استبدال فهد بالشيخ منصور ، وفضلا عن ذلك فان موقف الشيخ فهد نفسه كان مشوباً بالابهام ، وحتى السابع من شهر سبتمبر كان قد دفع للخزانة مبلغ خمسة آلاف جنيه فقط لحساب دخل السنة المالية التي تنتهي في اليوم الحادي عشر من ابريل ، وأبى الحضور إلى بغداد لبحث تثمبرها رسمياً مع المشيخة ، بل إنه قد رفض المنصب ما لم يكن بضمان أن يصفح الأتراك لثلاث سنوات عن كل اعتداء على الامتيازات وولاية القضاء المقررة لشيخ المنتفك ، ومع انه كان حينئذ بالغ القوة في إقليم المنتفك الا أنه اعترف بعجزه عن حماية السفن في نهر الفرات ، وكان واضحاً أنه لم يبذل نفوذه لارجاع النظام في نصابه ، وابدى كراهية للقاء حافظ باشا ، ورفض تماماً مشاركة الترك في أية حملة ضد شيخ الخزاعل الذي كان حينذاك مهدداً .

وفي مارس سنة ١٨٦٥ كان الشيخ منصور ما يزال مطلق السراح في الصحراء الى جنوبي سوق الشيوخ ، بينما كان الشيخ فهد قد حمل على زيارة بغداد حيث تعهد بأداء الرصيد المطلوب للخزانة على سلفه الشيخ بندر وقد صودق على مشيخة للقبيلة لمدة ثلاث سنوات اعتباراً من سبتمبر سنة ١٨٦٣ .

وفي مايو سنة ١٨٦٦ وردت الانباء بأن الشيخ منصور الذي كان يعيش عند قبيلة «الظاقر» لن يجيء إلى بغداد ، لعدم ثقته واطمئنانه الى ما بذل الاتراك من وعود بالعفو وكرم المعاملة ، بينما لم يسمح نامق باشا من جانبه بأي ضمان فيما عدا مجرد الكلمة التي اعطاها . وكان الشيخ ناصر الذي تخلص من الحرمان من حماية القانون بالإذعان الموقت غائباً في رحلة الحج إلى مكة ، الا انه كان من المنتظر أن يعود في وقت التنافس على تأجير التزام مناطق المنتفك في نهاية مدة الالتزام الممنوح للشيخ فهد في سبتمبر سنة ١٨٦٦ . وأقبل شهر أكتوبر ولكن المشيخة ظلت شاغرة . وكان من المأمول أن يعاد تقليد الشيخ فهد اياها ثلاث سنوات اخرى .

تمرد واخضاع قبيلة الخزاعل : ١٨٦٤–١٨٦٦ :

وما إن انتهت قلاقل المنتفك في عام ١٨٦٤ حتى نجم اضطراب الخزاعل في اقليم الشامية من مشيخة مطلق الممتدة من الشناقية الى النجف من جهة ، وإلى أبي جوارير من جهة أخرى ، ولم ينسب قط إلى الشيخ مطلق أنه قصر كملتزم بالدخل المفروض على اراضي قبيلته اذ كان قد اعتاد في الواقع أداءه في المواعيد المقررة ؛ هذا بالاضافة الى هداياه الى عمال الترك ، كما انه ينسب له انه أبدى عطفاً على المنتفك في ثورتهم الاخيرة ، ولكنه كان في الواقع مستقلا . فلم يكن ليظهر ولاءه الشخصي لباشا بغداد ، وكان متهماً بالتستر واخفاء المجرمين من آل بو حسين والدواليم بعد هجومهم على فرقة شبلي باشا .

وقبل اللجوء الى العمليات العسكرية ، استطلع نامق باشا مرة أخرى رأي المعتمد البريطاني ، وتلقى منه رأيه قاطعاً وهو في جملته ملائم للوضع في العراق التركي في الوقت الحاضر .

وكان من رأيي أنه مهما يكن من وطنية في موقف سعادته من إخضاع القبائل في الجزيرة العربية التركية للاشراف الكامل . فان القوة التي كانت

تحت إمرته لم تكن كافية لتحقيق ذلك الغرض ، بل ولا لتأديب العرب حينما يلاقون الجزء الرئيسي من القوات ، وإنما كانت تكفي فقط للاحتفاظ بالمواقع التي يحتمل احتلالها على التوالي . وتبعاً لذلك ، وهو ما يحتمل ان يكون لمدة طويلة ، لن تكون طرق المواصلات هي وحدها المتعذرة ، بل ان المناطق الهادئة سوف تتعرض للاغارات التي لا بد ان تسفر عن نتائجها العادية ، من تدمير البلاد ، الى شل التجارة ، الى ضياع الدخل ، الامر الذي تضطر الحكومة معه ـ عاجلا او آجلا ـ الى العمل على تعديل موقفها وإعادة الامور في نصابها . وسرعان ما اعترفت بان سيادة العرب وتسلطهم على المناطق الخصبة من الاقليم يشكلان شراً مستطيراً لا يمكن قمعه بالجهود الفردية المهزومة ، ومن المحقق أنه أهون الشرين إذا قورن بالفوضى التي تنجم عن الفشل والإخفاق ، ومن الأدلة على ذلك أحدث قضية لقبيلة المنتفق ، فان سعادته لم ينكر ان محاولة ادخال الحكم التركي في سوق الشيوخ قد باء بهذه العاقبة . وبعد ان تردد نامق باشا عدة أيام ، ومسايرة لاتجاهه في استخدام القوة ، واندفاعاً مع توجيه المنافقين الذين كانوا في الواقع يستهدفون توريطه وإيقاعه في المآزق التي تنتهي بسجنه ، سيّر حملة ضد الخزاعل . وفي الرابع من سبتمبر سارت قوة تتألف من ثلاثة آلاف من الجنود النظاميين ، والف من غير النظاميين من الديوانية ، ولكن الشيخ مطلق واتباعه ارتدوا الى الصحراء فيما وراء نهر الفرات دون قتال ، ومع ذلك كان المفهوم ان ارتدادهم ان هو الا نذير باضطراب خطير واسع المدى .

١٨٦٥ :

وفي غضون ستة الاشهر التالية كتب الشيخ مطلق غير مرة واحدة الى المعتمد البريطاني طالباً اليه التوسط والشفاعة له عند نامق باشا ، والظاهر ان الرائد كيمبول لم يفعل . وفي ربيع سنة ١٨٦٥ أعلن الباشا شيخ الخزاعل أنه إذا اذعن شخصياً وأطاع بدون قيود فانه يخوله الاقامة

في بغداد في هدوء ، وفي اغسطس من السنة نفسها عمد شبلي باشا — للترويج لحملة الخزاعل — الى اجراء في وجه البحاحيث إحدى بطون عفج وآل بودير من جهة الدغارة . وقد هدمت القوات الطوابي التي انشأتها تلك القبائل من الطين . ولكن رجال القبائل وعائلاتهم انسحبوا بعد قتال يسير الى ما كان قائماً حينذاك من دور ومستنقعات العفج والدعارة حيث لا يتسنى لمهاجميهم متابعتهم . ولقد حُمِل عبد المحسن أحد شيوخ العنيزة الذي كان قد لجأ اليه ولاذ به شيخ مطلق ، حمله بناء على طلب نامق باشا على مغادرة معسكره ، ولكن رئيس المنطقة اعترف في نفس الوقت بالذات بعجزه عن ردع الشيخ اسمير ويحتمل الا يكون أحد الخزاعل ، وقد قتل أخيراً بمساعدة أحد اقارب عبد المحسن نفسه سائة بعير في بغداد بمرعى قريب من المدينة .

سنة ١٨٦٦ :

واخيراً ، وفي شهر مايو سنة ١٨٦٦ قبل الشيخ مطلق العفو المبذول له ، بعد أن أعيته حياة متشردي البدو وضاق بجشعهم ورشوتهم ، وجاء بغداد ، رافعاً فروض الولاء الى نامق باشا ، وقررت له ولأتباعه الادنين الاراضي الواقعة شرقي دجلة ، واحتفظ في إقليمه السابق او بالأحرى مملكته بنظام جديد للتعامل المباشر بين الحكومة والشيوخ .

غزوات وحصانة الهماوند في سنة ١٨٦٥ :

وفي عام ١٨٦٥ ساد القلق العام في شهر زور من جراء افكار عن تقسيم كركوك بسبب اغارات الهماوند وهي قبيلة تعيش في المنطقة المجاورة كانت تشتهر بالتمرد والخروج على القانون حتى الوقت الحاضر . وفي مارس سنة ١٨٨٥ أعلن في بغداد أن الحملة التركية التي توجهت من كركوك والسليمانية اليهم استطاعت أن تحرز عليهم نصراً لا بأس به ولكن عما قريب سيزداد نشاطهم في الإغارة على الطرق وإحراق القرى وابتزاز الاموال حتى إنهم هددوا السليمانية أثناء غياب حاميتها العسكرية

ويظهر ان الخسارة التي عانوا منها بشكل رئيسي كانت اسر بعض نسائهم مما لم يؤد الا الى إثارة سخطهم ومع أنه تم ارسال امدادات عسكرية من بغداد إلى كركوك الا أن نامق باشا كان يرى في نفس الوقت أن خطة إخضاعهم غير عملية ولذا امر تقي الدين باشا محافظ كركوك بأن يعيد نظام الاعانات المالية الذي جرى العمل به في السابق وتُرك فيما بعد .

تحركات عنيزة وشمر وتمرد العنزة من اغسطس الى ديسمبر ١٨٦٥ :

كانت تنقلات بدو عنيزة وشمر نحو المقاطعات الشمالية التابعة لبغداد والتي تجري في كل سنة قد استؤنفت في سنة ١٨٦٥ على نطاق واسع . ورافقها في هذه السنة عدد غير عادي من حوادث الصدام والاحتكاك . وفي اغسطس بدأ الشعور بالقلق عندما علم ان قبيلة عنيزة ومعها ٤,٠٠٠ من الخيالة والهجانة قد عبرت دجلة ، فخشي باشا بغداد من اتساع دائرة الاضطراب ولذا قدم اليه المعتمد السياسي البريطاني رسالة حول ملاحظاته عن الموضوع جاء فيها : « ان وجود البدو في الاقاليم الزراعية سواء أكانوا غزاة أم لاجئين يثير الفزع على حد سواء ومهما كانت رغبة فخامته في حصر الصدام بين هذه القبائل البدوية فانها تدعو للارتياح الا ان فخامته عاجز للاسف في كلا الحالين عن منع إحدى هذه القبائل من اجتياز الحدود او منع انسحاب الأخرى ، وعلى أية حال فان هاتين القبيلتين الكبيرتين المتعادلتين استقرتا في منتصف أكتوبر في مواقعهما الخريفية المعتادة فنزلت شمر على ضفة دجلة اليمنى أسفل بغداد بحوالي ١٠–١٢ ميلا أما عنيزة فنزلت على جانبي الفرات أسفل المسيب على مقربة من كربلاء والنجف ، وقد قدمت السلطات التركية إلى شيوخهم إعانات مالية حتى يمنعوا قبائلهم من قطع الطرق وغزو المقاطعات الزراعية مثلما تحدث في السنوات العادية ، وفي هذه السنة كان الشيخ فرحان رئيس شمر مهتماً بنقل قبيلته الى مسافة أخرى أبعد جنوبي بغداد الا ان نامق باشا رفض السماح له بذلك . وقد استجاب الشيخ للحظر ولاحظ الرائد كيمبول بأنه بسبب قرب مجرى النهرين في هذه

النقطة فان وضع الشيخ هناك قد يعرض انسحابه للهجوم عليه اذا تحدى الحكومة ودفعها الا الاتفاق مع عنيزه ضده ، فتلك هي الطريقة الرئيسية لدى السلطات الاقليمية للسيطرة على القبائل البدوية المتنافسة ، ولكن نظراً لتقدير القبائل الكامل لمصالحها العامة بعيداً عن التطلع الى غنائم أكبر ، ونظراً للصعوبات الناشئة عن قيادة مثل هذه الطوابير التي لا تميز بين ممتلكات الاصدقاء والاعداء ، فان مثل ذلك الوضع كان يعتبر خطيراً وذا تأثير غير مأمون ، ويجب الا يستغل الا عند الضرورة القصوى فقط».

في هذه الاثناء ارتكبت الفدعان والسباعه وهما من فروع قبيلة عنيزة حادث نهب ذا أهمية أكثر من الحوادث المعتادة فقد وصلت من حلب الى العانة —الواقعة على نهر الفرات— قافلة . ثم قطعت الطريق على قسم منها مكون من ٧٥ جملا بأحمالها من البضائع الانجليزية البالغة قيمتها ٦,٠٠٠ جنيه استرليني عائدة لكبار التجار من الرعايا الاتراك في بغداد . وكانت تعبر النهر في هذه المنطقة متوجهة بطريق البر رأساً إلى بغداد وكان دليل هذا الجزء من القافلة متزوجاً من عائلة من عنيزة وسواء كان الاعتقاد بأنه جانب الصواب كثيراً في اختياره طريقاً غير مأمونة او أنه كان على اتفاق مع اللصوص فان البضائع والحيوانات وقعت في أيديهم اذ لقيهم شرذمة من رعاة عنيزة واخذوها جميعاً ثم وجهت الحكومة التركية اوامرها الى روؤساء الفروع المعتدية باعادة الاشياء المنهوبة ، وقد اضطر المعتمد السياسي البريطاني الى ان يذكر في تقريره في ١٧ أكتوبر « اما عن احتجاجات نامق باشا فان شيخاً منهما لم يرسل رداً اليه ودافع الآخر عن عدم امتثال جماعته للاوامر ، مما دفع فخامته الى السيف كوسيلة وحيدة لتأكيد سلطة الحكومة وهدد فخامته بمقابلة الشر بمثله والغى إصدار المسابلة أي «تصاريح المرور في المدن» ، ويتخذ هذا الاجراء عادة خوفاً من اندلاع الاضطراب العام ولعدم امكانية تمييز المسيئين الحقيقيين ، وتلا ذلك هبوط أسعار ملابس الاطفال وغيرها بشكل مفاجيء وكان هذا دليلا أكيداً على ان الغزاة قد قايضوا الغنيمة مع الباعة المتجولين وصغار

التجار» وأعيد في الحال ٤٠ جملا من الجمال المسلوبة إلى أصحابها الذين كانوا من قبائل عربية مثل العنزة وكان من المتوقع أن تعاد الخمسة والثلاثون جملا دون حدوث متاعب الا ان الامور سارت بشكل مختلف ، حيث حدث ما جعل استعادة بعض التعويض ممكناً . فقد نشب نزاع بن الاطراف المعتدية مما أدى الى انشقاق العديد من العائلات على بعضها فانقض شيخ العنزة الكبير على مضاربهم وسلبها ، وعلى أية حال فانه لم يقم بذلك تأييداً للحكومة التركية ، اذ ادعى هو ورجاله بأن الغنيمة لهم ولم يؤمن من الالفي جمل التي اكتسبت في الغزو الا ١٤٢ جملا بواسطة جنود اتراك غير نظاميين كانوا قد ارسلوا ليتعاونوا مع الشيخ الا أنه لم يصل بغداد الا ٨٢ جملا ومع ذلك فقد بدت حيوانات عجفاء . وفي النهاية أمكن الحصول على تعويض عن البضائع المفقودة بنسبة رُبع قيمتها وقد ذكر الرائد كيمبول في ملاحظاته : « كانت هذه الحادثة في الحقيقة تعكس الثقة التي نالتها ادارة نامق باشا والتي توصلت الى نتيجة مادية تفوق الجهود الصورية التي تبذلها عادة أجهزة التنفيذ التركية للمحافظة على المظاهر ، كما ان هذه الحادثة لم تكن الا مثلا آخر على عجزها في مثل هذه الحالات . ولم تكن تلك النتيجة صافية المكسب فقد غضب الجناة من الفدعان والسباعة من تعاون الشيخ عبد المحسن ضدهم ، وأخلدوا او تظاهروا بالاخلاد الى القرابة التي تربطهم . الا انهم كانوا يبحثون عن وسيلة لمباغتة أتباعة البعيدين عنه ، وقد قطعوا الطريق على قافلة كان معها نقد مقداره ٣٥ الف جنيه استرليني ذهبي متجهة من النجف الى كربلاء وغنموها منها » .

وفي شهر ديسمبر بدأت العنزة وشمر في العودة كعادتهم الى المراعي الغربية الشمالية في الصحراء العربية .

الكوليرا والطاعون ١٨٦٦ إلى ١٨٦٧ :

وظهر في خريف سنة ١٨٦٦ كما يحدث غالباً وباء الكوليرا في بغداد وانتهى بعد شهرين إلا أن عدد الوفيات بسببه لم تسجل في أي يوم أكثر

من ١٥ وفاة . وعاد الوباء للظهور في صيف سنة ١٨٦٧ ولكن لم يصل إلى شكله الحالي وقد استمرت حوادث الاصابة به في بعض مقاطعات إقليم الفرات لبعض الوقت .

حوادث السطو في بغداد سنة ١٨٦٦ :

وحدث في نهاية عام ١٨٦٦ ، وكما كان يحدث من حين لآخر ، حوادث سطو خطيرة مصحوبة في بعض الحالات بجرائم قتل حتى أصبح الامر مألوف الوقوع في مدينة بغداد ، وكما كان الحال في الظروف الاخيرة فقد حامت الشبهات الكبيرة أيضاً حول جنود الحامية العسكرية وقد اورد المعتمد السياسي البريطاني في تقريره ثلاث حالات حدثت أخيراً رافقها إهدار الحياة وذكر فيه :—

« وعلى أية حال فانني لا أذكر في أية حالة من الحالات التي حدثت أن أدين فيها اللصوص وان الرأي الرسمي السائد هو ان انتشار التنظيمات بدون الحاق آليات الشرطة معها كما هو متبع في التشكيلات الأوروبية يجعلها مجردة من الفعالية لاكتشاف المجرمين . وحدث في حالة من الحالات الثلاث التي ذكرتها أعلاه ان سطوا على متجر هندي بريطاني وقتلوا الحارس(١) ولما كان نفس المتجر قد سرق في مناسبة سابقة بمبلغ ١٥٠٠ جنيه فقد اكتشف الجناة واودعوا السجن وما لبثوا ان فروا منه في ظروف تستلزم كون الضبطية تغاضوا عنهم ، وانني اتوقع ان لا يكون لهذه الحادثة خاتمة أفضل من سابقتيها ما دام اللصوص قد استطاعوا أن يزجروا من طريقهم الشاهد الوحيد على جريمتهم . وحتى لا يتبع حوادث السطو حوادث اغتيال فقد كف الناس عن الشكوى الى الشرطة لمعرفتهم بعدم جدواها حتى إنهم كانوا يتجنبون اللصوص ولو كانوا في بيوتهم .

---

(١) القى هذا الرجل على الارض وقطع عنقه عمدا .

ادارة نامق باشا ١٨٦٣ – ١٨٦٥ :

حدثت جميع الحوادث الآنفة الذكر تحت سمع حكومة نامق باشا ومع أنه اتبع سياسة عدائية ضد القبائل العربية الا انها كانت فاشلة في مجموعها ولم تؤثر في متطلبات الاعمال العامة مثلما كان الحال دائماً في بغداد مع معظم الحكام الاتراك . وعلى أية حال فقد أهمل الجزء المفيد والمطمئن من برنامجه الاداري في وقت مبكر لافساح المجال لاعمال الشهرة . وكان طموحه الرئيسي اول ما وصل بغداد إقامة سد الجزيرة على أساس من الرضاء الدائم بدون «اللجوء الى النظام الرديء السابق في التعاقد عن طريق شيوخ العرب مع أدواتهم بسبب ما يلازمهم من شرور أعمال القهر والابتزاز التعسفي » ويبدو انه رصد ٤٠,٠٠٠ أو ٥٠,٠٠٠ جنيه لهذا المشروع المقترح في حالة موافقة الباب العالي عليه واذا أمكن الحصول على مهندس كفوء من مصر . وقد حث الحكومة التركية على الاستفادة من خدمات موظف خبير هولندي لهذا الغرض ، يكون قد اضطلع بتنفيذ مثل هذا العمل في السابق » وعلى اية حال فانه لم يسمع فيما بعد أي شيء عن المشروع خلال فترة حكم نامق باشا .

ويبدو ان نامق باشا قد أعقبه تقي الدين باشا الذي يحتمل أنه كان حاكماً لكركوك ثم أصبحت السلطة في بغداد في يده سنة ١٨٦٨ .

تعين مدحت باشا على بغداد سنة ١٨٦٠ :

مدحت باشا هو أكثر حكام بغداد نشاطاً وأعظمهم شهرة في العصر الحديث واول من حمل لقب امام ديني (والى) او حاكم عام يدل لقب الباشا الذي ينطوي على سعة في المعنى أكثر . وقد تولى إقليم العراق التركي في إبريل سنة ١٨٦٩ واستحق ظهوره الانتباه لانه اول من افتتح الإدارة المدنية التركية الحالية في بلاد ما بين النهرين وكانت أعماله التي

تلت ذلك تتوقف على شخصية الرجل ذاته ، وعلى أية حال فقد مكنته قوة أخلاقه وذكاؤه وفكره بعد سنوات قلائل من ان يلعب دوراً قيادياً في شئون استانبول ، وان يقرر إلى حد كبير وكما أثبتت الحوادث مصير تركيا النهائي ، . وقد جاء في رسالة للرائد س. هربرت ممثل المعتمدية السياسية البريطانية والقنصل العام في بغداد الوصف المسهب التالي عن أوليات أعمال مدحت باشا في بغداد وهي مؤرخة بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٨٦٩ وموجهة الى سفير صاحب الجلالة البريطانية في استانبول :

يشرفني ان ارفع اليكم تقريراً عن وصول صاحب الفخامة مدحت باشا حاكم عام بلاد العرب التركية في ثلاثين من الشهر الماضي بصحبة شاكر بك وكيل محافظ (متصرف) بغداد ورؤوف بك سكرتيراً (مصونا) وحمدي بك ملحقاً (مديراً) للشئون الخارجية بالإضافة الى موظفين مساعدين من درجات مختلفة .

وقد دخل فخامته المدينة في موكب رسمي في ساعة مبكرة واستقبله كبار الموظفين في الحكومة وممثلون عن القنصلية الانجليزية والفرنسية .

وقرأ في اليوم الثالث لوصوله فرمان تعيينه في دار الحكومة (السرايا) في اجتماع عام ثم خطب في الاجتماع وأخبر الحاضرين أنه جاء إلى هنا برغبة وشغف للعمل لمصلحة البلاد ولإسعاد أهلها واقترح ادخال تغييرات واصلاحات كثيرة يأمل ان تكون ذات فائدة قد لا يقرونها بادى الامر جميعاً ولكنهم سيقدرون قيمتها عندما يلمسون الفوائد التي سوف تنجم عنها .

وقد استهل عمله بالغاء الضرائب التالية التي قيل عنها إنها ذات طابع محلي وثبت أنها معوقة ومضايقة :

١ ــ الاحتساب او رسوم الدخولية التي تجبى عن جميع المنتجات التي تدخل أبواب المدينة لتباع في اسواقها .

٢ — طالبيه — وهي الضريبة المفروضة على الزوارق الشعبية التي تعمل في الأنهار .

٣ — خمس حطب — ضريبة بمقدار ٢٠٪ على الوقود الذي يجلب الى المدينة في العوامات او القوارب .

٤ — روس بقر — ضريبة على دواليب ري المزارعين العرب . وقد سنّ بدل هذه الضرائب ضريبة واحدة بمقدار ١٠٪ على انتاج المزارع والحقول.

ونظم فخامته العديد من مجالس الشورى (المجالس) الجديدة بحيث يدفع مرتبات لاعضائها بخلاف الوضع السابق حيث كان الاعضاء بدون رواتب مما وفر لهم فرصة للحصول على الاموال بأية وسيلة فكانوا مصدر فساد وازعاج .

وأدخل نظام الولاية ويشرفني أن اقدم لكم نسخة (مع الترجمة) للرسائل التي وجهت الى القنصليات حول الموضوع .

وقد انتدب فخامته سري افندي لاعادة افتتاح القناة القديمة المسماة «القنانية» التي تصل بين الفرات وقناة الصقلانية وذلك بقصد إيجاد قناة تربط النهرين الكبيرين وتصلح لسير مراكب بخارية صغيرة فيها ، وتعمل عليها واقترح جلبها من اوروبا .

وقد انتدب أيضاً سفينة بخارية لتسير الى اعلى الفرات وتقوم بتنظيم المرور فيه عند اقصى (١) اتساع له يسمح بذلك واقترح ان يكون من ضمن

(١) فى مايو سنة ١٨٧٢ توجه مدحت باشا بذاته الى أعلى الفرات مبتدءا من رأس قناة الصقلاوية الى مسكنه على ظهر الباخرة التركية «الفرات» وكان يصاحبه فى هذه الرحلة كضيف الرائد بويل الذى الحق أخيرا بالاسطول الهندى والذى كان قائدا لباخرة المقيمية والمسماه «كوميت» والتى قامت بجزء من الرحلة وظهر من خلالها أن هناك صعوبات بالغة فى السير على النهر رغم أنه كان عاليا .

عملها ملاحظة السدود على النهر في مقاطعة الجزيرة وحصر مياه النهر في مجراه الاصلي ، ومنع الفيضانات التي تغمر كل سنة بقعة كبيرة من الارياف في الجنوب قد تصل الى مدينة البصرة .

وكانت هذه الفيضانات من قبل تحول جميع الارياف الى مستنقع واسع موبوء عديم الانتاج ، وفي حالة انخفاض المياه في المجرى يتحول النهز الى ممر مائي لا يصلح للملاحة .

ويظهر ان تفكير فخامته متصرف الى برامج متنوعة لاصلاح البلاد.

وقد أدرك في الحال حاجة البلاد الماسة إلى امرين هما توفير الامن للممتلكات ووسائل المواصلات (التي ما تزال محرومة منها حتى الآن) للاتصال مع العالم ولنقل المنتجات .

وقد فكر في إنشاء سكة حديد إلى كربلاء كخطوة اولى في هذا الاتجاه ، وتناول تفكيره ايضاً وسائل الملاحة في الفرات على اساس استيراد عدة بواخر للابحار في النهر والبحر حتى يربط الاقليم بقناة سويس أخرى . وفكر في استيراد آليات لتنظيف قنوات النهر واخرى للري وللصناعات الاخرى . وقد زرت فخامته مصطحباً معي الموظفين التابعين لهذه المعتمدية وللقنصلية العامة بالاضافة الى اعضاء من الجالية البريطانية في اليوم الذي تلا وصوله وزرته بعدها زيارة خاصة .

ادارة مدحت باشا في العراق التركي ١٨٦٩–١٨٧٢ :

اعتبرت البلاغات الرسمية منجزات مدحت باشا الفعلية في بغداد تافهة ونقتبس مما كتبته سيدة انجليزية رحالة عاصرت فترة حكم مدحت باشا عن قرب وتعتبر على درجة كبيرة من الثقة والذكاء وصفاً للاوضاع بالشكل الآتي(١) :–

---

(١) السيدة آن بلنت فى كتابها بدو الفرات المجلد الاول ص ١٩٤ ـ ١٩٧ وكتابها الحج الى نجد المجلد الاول ص ١٥ ـ ١٧ ـ ١٨ .

وخلاف النكبات الاخرى التي عانتها بغداد ، وإلى جانبها يبدو أنه كان من سوء حظها أن تقع قبل عدة سنوات في قبضة الباشا المصلح مدحت صاحب دستور سنة ١٨٧٧ المشهور والذي أدى إلى تجديد تركيا الآن .

وقد ارسل رجل الدولة هذا ، المفرط التعاسة إلى بغداد ، السلطان عبدالعزيز ليجربه فيها قبل ان يفسح له المجال في استانبول والامبراطورية. وعلى أي تقدير كان ، فقد كان مدحت رجلا شريفاً في غاية الاخلاص لمصلحة بلاده إلا أنه نصف متعلم وينتمي إلى تلك المدرسة من السياسين الاتراك التي تعتقد بأوربة الامبراطورية بالملابس والمظاهر الاوروبية الخارجية . ويبدو أنه منح ثقة للاصلاح لا حد لها ، كما أعطى حرية كاملة في برامجه لا يمكن الانكار بأن بعضها كان ممتازاً في تصميمه إلا أنه كان عاجزاً عن العمل خارج نطاق تفاصيل ما يرسمه ، كما أنه كان لا يحسب مطلقاً حساب تكاليف كل من مخاطراته التي أدت كل واحدة منها او في مجموعها بالتالي إلى أشد العجز ، بل إنها أدت إلى خاتمة شديدة البلاء . أما برنامجه الاول فقد كان حسناً ، فقد رغب في الاتصال مع حلب بخط مواصلات عن طريق الفرات ، ولذا ترى أنه بنى قلاعاً في الغابة والرمادى واماكن أخرى لحماية الطريق ، في حين أنه أوصى على بواخر من انجلترا للملاحة النهرية ، ومع ذلك فقد كانت القلاع كبيرة دون ضرورة ، واوفت بالغرض المقصود منها وما زالت موجودة أما القوارب فقد اختفت باستثناء واحدة منها ، وربما تركت في البصرة لتتعفن لعدم ملاءمة آلياتها . أما الباخرة الوحيدة الممثلة لاسطول الفرات فانها تحتاج الى وفرة من الماء حتى تصعد النهر في فترات ما بعد الفيضان وسرعان ما أهملت رحلاتها المنظمة على طول النهر حالما بدأت هذه الرحلات ، وقد أنشأ مدحت أيضاً ببعض النجاح خط تراموای بين بغداد وضاحيتها المعروفة بالكاظمية وما زال يسير حتى الآن ، وتبقى الامور حسنة عند هذا الحد ، الا ان مغامرته التالية لم تكن في الحقيقة

معقولة ، وتوضح عدم صحة ادعائه في أنه يجب أن يعتبر رجل دولة عظيم . فقد سمع او ربما رأي تحصينات فينا وبعض المدن الاوروبية الاخرى تهدم لكي تفسح المجال للمدن التي تحتويها للاتساع بعد ازدياد نموها . وشجعته هذه الحقيقة بالاضافة الى ان اسوار بغداد تعود الى ما قبل التاريخ لمسحها ، ويمكنني القول بأنه رآها ليست بذات منظر وخشي أن تذكر الاجانب على الاقل بعصور العالم المظلمة قبل مدافع البارون وقيام الامبراطورية العثمانية وعصر هارون الرشيد ، ويظهر أنه كانت لديه أيضاً فكرة عجيبة وهي تشغيل جنوده في هذا العمل حتى يدفع لهم متأخرات رواتبهم من الآجر الذي لا يباع . ومما يثير التأمل في الانسان ان هذا البلد يبني القليل ولا اصلاح فيه لشيء على الاطلاق وليكن الامر كما كان ، فقد ازيلت اسوار الخلفاء وتركت المدينة مفتوحة لكل من يود دخولها من اللصوص والذئاب والبدو ولم تمض سنوات قلائل حتى هددت شمر بغداد بالسلب . وقد احتج أهل المدينة على ذلك إلا أن الامر قد انتهى وأصبحت بغداد الآن بدون سياج لها مثل أية قرية من القرى التي تجاورها (١) .

ولم يكتف بذلك فقد توهم مدحت بالفكرة الخائبة التي صورت له أنه سيجني الفوائد اذا ما وصل جميع البلاد بقناة ضخمة تقليداً لمشروعات الري التي أدت في مرة من المرات إلى زيادة النماء في الجزء الجنوبي من بلاد ما بين النهرين . فانهمك المهندسون وحشد العمال وجبيت ضريبة خاصة لتسديد النفقات. وكانت لدى مدحت نفسه القناعة بأنه سيفتتح القناة الجديدة شخصياً قبل ان تنتهي فترة حكمه هناك مثلما يفعل أصحاب المقامات الرفيعة في اوروبا ولكن يا للقدر القاسي فبعد أول فيضان للنهر

---

(١) وقد شارك قصر المدائن الذى يعتبر من عجائب الدنيا نفس المصير الذى لاقته اسوار المدينة وعندما تدخل القناصل الاجانب انهمك جنود مدحت فى العمل وهذا هو ممثل الترقى فى تركيا • وقد نشر عنه مؤخرا كاتب صحفى معروف يعمل مراسلا لصحف فرنسية وانجليزية مقالا فى صحيفة ريفيو النصف شهرية (السيدة آن بلنت)•

وبدل الترعة التي ستجلب الخير وتخصب الارض العطشى اندفع فيها الطوفان وأفسح بذلك مدحت باشا بجاروفه لان يحول بغداد إلى جزيرة تقف وسط مستنقع موبوء تضطر معه في بعض الفصول للاتصال مع العالم الخارجي بواسطة القوارب . وفي هذا الكفاية فقد رأى الباب العالي ضرورة استدعائه وأسند اليه على الرغم من ذلك إعادة تنظيم الامبراطورية ولتكن هكذا قوة الفضيلة فان مدحت لم يترك كل السمعة السيئة خلفه في بغداد وحدها وما زالوا يتندرون في أنه غادرها ولم يكن في جيبه شلن واحد وأنه رهن ساعته وقسماً من حاجياته ليستأجر الخيل اللازمة لرحلته. انه رجل شريف في ارض خيانة ، والتعصب في الحقيقة ليس خبثاً .

* * *

ظهر مدحت باشا عندما وصل دمشق ليصبح حاكماً عاماً لسوريا كرجل من نوع مختلف كثيراً ، ولكنه يثير فينا الاهتمام أيضاً . فقد جاء محاطاً بابواق عالية كثيرة لانه مفترض فيه أنه يمثل مبدأ الاصلاح الاداري الذي اعتقد الاوروبيون بخطورة ضرورته للامبراطورية التركية . وقد كان مدحت صنيعة لدائرة خارجيتنا وكان من المنتظر ان يتم على يديه أشياء عظيمة ، أما بالنسبة لنا فاننا نرتاب في هذا الامر ارتياباً تاماً لاننا نعلم جيداً تاريخ أعمال مدحت في بغداد بحيث أنها لم تترك لنا فيه أية ثقة كمصلح عظيم . أما دوافع زيارتنا له لتقديم الاحترام فتعود إلى كونها مسألة يقتضيها الواجب من ناحية ومن ناحية أخرى ضرورة الحصول عليها من باب حب الاستطلاع . وقد اوضحت هذه الزيارة أنه لا يمكن اعتبار هذا الرجل الذي يبتكر أي شيء خيالي مثل ابتكار حكومة برلمانية لتركيا أكثر من انسان غريب شاذ الاطوار وقد تأثرنا بأسى أثناء هذه الزيارة وخاصة على هذا المنصب العام الجوهري ، ومن المحدث الغبي ، وخصوصاً من شخص مزهو بنفسه في سذاجة . ولم نحرج في الحديث عن اوربا وربما اختار هذه النغمة معنا كنوع من الحديث الذي يلائم الشعب

الانجليزي الا أنني لا اعتقد أن اختياره كان بناء على ذلك . وقد احتفظنا طبعاً بما تقصد من وراء خططنا ولم نذكر له سوى أننا نأمل في رؤية بغداد والبصرة وفي الذهاب من هناك إلى الهند التي ستكون أقصى ما نقصد اليه على طريقنا . وعند ذكر تلكما المدينتين بدأ يطري إدارته هناك ويطري البواخر التي أنشأها في الانهار والاسوار التي دكها والترام الذي بناه « يا له من ترام » هذا ما عبر عنه بتأثر « انني أنا الذي ابتكرته وما يزال يسير حتى الآن . وسوف أعمل تراماً حول دمشق وسوف يركب كل انسان حافلاته وسيدفع ٥٪ فقط وعندما تذهبون الى البصرة ستشاهدون بواخر هناك . إن ما تحتاجه هذه البلاد الفقيرة هو البواخر والترام ولولا أنهار دمشق صغيرة جداً على البواخر لاحضرت بعضها لتسير فيها ولكنني سأعمل تراماً فيها ولو أننا استطعنا أن نجعل البواخر والترام في كل مكان من تركيا لاصبحت غنية «والقنوات» اقترحناها ولكن نذكر بمرارة كيف غرقت بغداد من تجاربه في هذا المضمار « نعم والقناة أيضاً فالقنوات والبواخر والترام هو ما نحتاجه » « وسكك الحديد » « نعم سكك الحديد فانني آمل أن يمد قريباً خط حديدي على امتداد طريق العربات من بيروت فالخطوط الحديدية مهمة لتأمين النظام في البلاد . ولو وجد خط حديدي عبر الصحراء لما كانت لنا متاعب من البدو مثل اولئك البدو الفقراء الذين رفعتهم في بغداد وانني أضمن بأن شهرتي سوف لا تنسى هناك » وأكدنا له انها لن تنسى .

★ ★ ★

وعلى العموم فقد تركنا مدحت بعد أن تأثرنا أكثر ولكن ليس على الشكل الذي كنا نأمله فقد أدهشنا ولكن ليس بحكمته وقد يكون من القول بأن مثل هذا الباشا المصلح قد عمل على تحطيم تركيا أكثر مما عمله عشرون من عناصر الخيانة القديمة . ومع أن مدحت فشل في تنظيم ثروته الخاصة فربما أتى ليقضي على تلك الثروة العامة التي في دمشق مثلما عمل في بغداد حيث انفق مليوناً من الجنيهات الاسترلينية على مشروعات عقيمة في سنة واحدة .

ويقترن ذكر مدحت باشا في العراق التركي حتى الوقت الحاضر بشكل رئيسي بأنه هو الذي مسح أسوار بغداد وأنشأ ترام بغداد — الكاظمية وأوجد المدينة الجديدة أو على وجه الدقة الضاحية الجنوبية لكربلاء . ولا شك في أن هدم أسوار بغداد يعتبر إساءة لآثارها ومنظرها وحتى من وجهة عملية يمكن التساؤل عن مدى ملاءمة هذا العمل ليس فقط للاعتبارات العسكرية وإنما من ناحية ضريبة الدخولية . أما بالنسبة لترام الكاظمية فمع أنه صغير الا أنه أثبت فائدته البالغة ، أما توسيع كربلاء فانه مع ذلك شوه مظهر المعالم القديمة في المدينة وخاصة إذا ما قورنت مع النجف . وكان من الواجب أن يكون الاصلاح فيها على أساس أنها منطقة مكتظة بالسكان ولم ينشىء الخط الحديدي الذي كان ينوي مده الى كربلاء .

أما اصلاحاته خارج المدن غير تنظيمه للضرائب المتعلقة بالأرض فان اهم اصلاحات مدحت باشا في هذا المضمار كانت تكملته للتدابير التي بدأت على طرف الطريق من عند حلب قبل عدة سنوات لحماية الطريق الذي تسير عليه القوافل والممتد بين حلب وبغداد » وهو الذي أكمل ذلك الخط من دور الحراسة عليه فيما بعد الرمادى واصبحت العانة بالنسبة لبغداد مثلما أصبحت الدير بالنسبة لحلب — مركز قيادة الجيوش الحربية التي تسيطر على طريق الفرات وأصبحت القوافل منذ ذلك الوقت تمر في أمن يزيد او يقل عبر الوادي كما وضع في نفس الوقت يده على المدن القليلة الموجودة على دجلة (١) .

ومدحت باشا هو الذي أظهر للوجود مدينة الرمادى الصغيرة الواقعة على طريق حلب ومنحها عدا ذلك خانات لطيفة وثكنات عسكرية وربما عزى مد خط التلغراف إلى هذا المكان لابداعه ، وما تزال القلعة التي

---

(١) كتاب السيدة آن بلنت « بدو الفرات » سنة ١٨٧٩ المجلد الثاني صفحة ١٨٢ .

بناها مقابل العانه تستقبل الحامية التي تشرف على قطاع من وادي الفرات وطريق حلب موجودة بمنظرها الأخاذ حتى الآن إلا أنه لا يشغلها أحد . وعلى أية حال فقد استمر رغم كل جهوده يفضل حتى بعد مغادرته بعدة سنوات الطريق الملتوي المتجه الى استنانبول والمار بالموصل وديار بكر الاكثر أمناً من الطريق القصير المار في حلب . ومهما يكن من أمر فقد أنصف الزمن عمله وأصبحت طريق الفرات عبر حلب مقصورة من عموم المسافرين بين بغداد واستانبول بعد أن أصبحت آمنة مثل أي طريق آخر في البلاد .

وأسس مدحت باشا مدرسة صناعية في بغداد ملحقة بدار أيتام ما تزال موجودة ولكنها لم تحقق نتائج باهرة اذا أنها يجب ان تفي بالحاجة الحقيقية المطاوبة منها . وقد افتتح أيضاً في زمنه مدرستان تركيتان حكوميتان في بغداد ، واضيئت الاسواق والشوارع المتصلة بها كما أضيء الجسر المكون من قوارب في الليل بمصابيح الكيروسين وتعود كل هذه الاصلاحات إلى مدحت باشا . واقام في البصرة بلدية وانهمك في إنشاء أبنية حكومية جديدة لكي تهجر المدينة القديمة التي ما زالت تقع جنوباً على ضفاف شط العرب .

وقد ورد ايضاً ذكر استقبال مدحت باشا لشاه ايران عندما كان في طريقه للحج الى المدن المقدسة في سنة ١٨٧٠–١٨٧١ وسيذكر فيما بعد ضمه إقليم الاحساء للدولة سنة ١٨٧١ .

ويظهر على العموم أن سياسة مدحت باشا قد أجملت بشكل قاس من واحد ممن خلفوه في الوظيفة لاحظ(١) ضرورة توفر ثلاثة أشياء في

---

(١) بدو الفرات للسيدة آن بلنت المجلد الثاني ص ٧ .
توجد عدة نقاط شبه بين مدحت باشا وناظم باشا آخر وال لبغداد والذى اصبح فيما بعد وزير الحربية التركية وقائد عام الجيوش التركية المتحدة فى حرب سنة ١٩١٢ ـ ١٩١٣ مع دول البلقان واليونان والذى ارسلته حكومة الاتحاد والترقى التركية الى =

الحاكم حتى يؤثر تأثيراً حسناً في الادارة التي يديرها ــ الأدارة والمعرفة والمقدرة ، وكانت تتوفر في مدحت الصفة الاولى والاخيرة . ولكنه لم يتمتع بالثانية اذ انه كان رجلا نصف متعلم .

وقد كان مدحت باشا على الاقل شريفاً إلى حد الوسوسة وتبدو قصة اضطراره إلى بيع ساعته وسلسلته في نهاية فترة حكمه حتى يؤمن وسيلة مواصلات ليعود بها الى استانبول جد موثوقة .

الاعمال الاجرامية في البصرة سنة ١٨٧٢ :

حدث في وقت مبكر من صيف عام ١٨٧٢ في مدينة البصرة أعمال اجرامية كانت أكثر إضاعة لهيبة السلطات المحلية من تلك الفتنة التي اندلعت في بغداد سنة ١٨٦٦ وقد وصفها السيد روبرتسون قنصل صاحبة الجلالة البريطانية في البصرة بما يلي في كتابه المؤرخ بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٨٧٢ الموجه إلى قنصل عام صاحبة الجلالة البريطانية في بغداد .

« أبلغتكم في كتبي شبه الرسمية الاخيرة عما يحدث من سرقات ليلا ونهاراً في البصرة وحواليها خلال الشهرين الماضيين ، وقد حدث في ليلة السابع عشر من الشهر الحالي أن طوق ما يقارب من اربعين أو خمسين رجلا مكتب السادة لينش وشركاه وحاولوا اقتحامه وقد اطلق رجل من داخل المكتب مسدسه عندما رأى رجلاً يحاول كسر نافذة

= العراق التركى سنة ١٩١٠ وزودته بسلطات واسعة لتجديد الاقليم وقد انغمس كلاهما فى الاصلاحات البلدية التى اشتملت على هدم الابنية الموجودة،وبذل كل منهما محاولات عقيمة لانشاء ملاحة فى الفرات فكانت محاولة الاول عن طريق ايجاد بواخر اما الثانى فكان عن طريق القوارب الميكانيكية وعرض كلاهما مدينة بغداد الى اخطار جسيمة احدهما عن طريق شق قناة والآخر عندما حاول انشاء سد ضخم لحجز مياه الفيضان ومن الواضح ان مشاريع كليهما كانت خالية من العنصر الحسى وانها كانت مجرد مشاريع لها فائدة كثيرة الجاذبية وكان كل منهما يفتقد بقدر متساو الصبر والنظرة الثاقبة الا انهما كانا رجلين شريفين واستدعى كلاهما فيما يلى الى وظيفة اعلى فى اوربا ٠

مفتوحة وجاء ، على صوت الاعيرة النارية اثنا عشر حارساً ممن يعسكرون قرب الدروازة الشمالية ، وهاجم اللصوص الجنود وقتلوا اثنين منهم ولاذ الباقي بالفرار سالمين على ما يظهر .

وقد كتب الى وكيل المتصرف «قائمقام» بخصوص الحادث ووضحت له أنه في حالة سرقة أي بيت يشغله أي انسان تحت حماية وكالة القنصلية فانني سأطالب السلطات المحلية بالتعويض عن الممتلكات المسروقة . وقد وعد في رده بأن يتخذ جميع الاحتياطات التي بامكانه لحماية ممتلكات الرعايا البريطانيين ولكنه لم يسلم بمسئولية الحكومة في التعويض عن الممتلكات المسروقة .

ولما كان اللصوص الذين يغيرون على البصرة لصوصاً عاديين يرتكبون سرقاتهم العادية بالخفاء وبمراوغة يقظة البوليس المتوسط الفاعلية فان القائم مقام كان على صواب تماماً وبدون شك عندما رفض قبول تحمل مسئوليات غير عادية ، الا أن حالة الامور الراهنة أدت الى التشهير بضعف السلطات وعدم مبالاتها وبالتواطوء الحاصل بين معاوني السلطات واللصوص وانني على ثقة من أنكم ستدعمونني في الموقف الذي سأتخذه إذا حصلت المناسبة .

كان اللصوص عبارة عن عصابة منظمة مكونة من مئة شخص يرئسهم علوان وشاهين ومجويد وابراهيم أغا ، وهو تركي من استانبول كان في السابق موظفاً في السراي ومن المعروفين تماماً لدى الشرطة وكان يصاحبهم عن بعد بعض أتباعهم ومعهم أسلحة مخبأة تحت عباءاتهم ويتجولون في البصرة ويجلسون في المقاهي والبيوت التي في المدينة يومياً .

وسواء أكانت الشرطة متواطئة معهم أم تتصنع عدم رؤية رجالهم الخصوصيين فقد كان مطلوباً منهم القاء القبض على كل من يحمل السلاح وكانوا تحت رحمتهم تماماً وقد اختاروا في المدة الاخيرة عادة ارسال

رسائل الى اشخاص من ذوي الدخل المعروف يطالبونهم فيها دفع مبالغ من المال تتراوح من ١٠٠–٥٠٠ شامي(١) ويهددونهم بالقتل اذا لم يذعنوا لمطالبهم .

وقد اوحى ضعف السلطات الى هؤلاء بدفع المبالغ المطلوبة في فزع وبدون مواربة . وقد زارني في هذا الصباح المقدس عيسى الخوجا ابراهيم وكيل الكنيسة الفرنسية ليخبرني بأنه قد تسلم تهديداً بدفع ١٠٠ شامي ويطلب مني النصيحة بوجوب الدفع أو عدمه وقد أشرت عليه بعدم الدفع ولكني أتصور ان مخاوفه سترجح على نصحي .

وقد اتهم بعض رجالات البصرة من ذوي النفوذ ، الشيخ سليمان الزبير وقاسم الشهبي والنقيب سيد محمد سيد وأخاه ، اللذين كانوا على عداء مع المتصرف بتشجيع اللصوص وحمايتهم للحصول على نقل للمتصرف الا أنني لا افترض المسألة بهذا الشكل مع أنه من المؤكد في نفس الوقت ان الشيخ سليمان والنقيب كانا يميلان لذلك وكان باستطاعتهما وضع حد للسرقات بسهولة واعتقد أنهما تقدما حقيقة طالبين السماح لهما باحضار ٢٠٠ من الرجال المسلحين من الزبير الا ان المتصرف كان يخاف منهم أكثر من اللصوص وأعرض عن خدماتهم .

(١) الشامي من النقود العثمانية ثمنه الاصلي ٩ قروش و ٣٠ بارة (عن تاريخ العراق بين احتلالين مجلد ص ٣١) .

التنظيمات الادارية الداخلية في العراق التركي
١٨٦١ ـ ١٨٧٦

حكومة البصرة ١٨٦٣ — ١٨٧٢ :

يبدو ان باشوية البصرة شبه المستقلة التي تشكلت سنة ١٨٥٠ لم تعش طويلا ، ومن الواضح ان ذلك كان مرتبطاً باجراءات تخطيط الحدود التركية الايرانية في سنة ١٨٤٩–١٨٥٢ وزالت بسبب زوال سبب وجودها وليس هناك تاريخ محدد لالغائها إلا أنه في سنة ١٨٦٣ كانت باشوية البصرة قد خفضت إلى قائمقامية أي الى مقاطعة يديرها قائمقام أو موظف مدني من نفس رتبة المتسلم حسب نظام التسمية القديمة الذي ألغي الآن . وكما راينا سابقاً فان منيب باشا قائمقام البصرة سنة ١٨٦٣ كان يتبع في اوامره للباشا في بغداد . وفي السنوات التي تلت سنة ١٨٦٣ مباشرة وكما روي سابقاً انهمك نامق باشا في توسيع حدود البصرة على حساب مشيخة المنتفك إلا أنه فشل في ذلك ، وعلى أية حال فلابد أن إحدى خططه في هذا الاتجاه قد تحققت بعد فترة غير طويلة من مغادرته لها اذ اصبح ناصر باشا فيما بعد شيخاً للمنتفك ومتصرفاً لسوق الشيوخ سنة ١٨٧٢ ويقوم بمهام موظف تركي .

ضم الاحساء للبصرة وانشاء ولاية البصرة ١٨٧١ — ١٨٧٥ :

وكان مدحت باشا قد احتل في سنة ١٨٧١ تلك المقاطعة القاسية المنعزلة الواقعة شرق بلاد العرب والمعروفة بالاحساء كما جاء في الفصل الخاص من تاريخها وألحقها بالعراق التركي وأصبحت متصرفية او لواء مدنياً .

وفي سنة ١٨٧٤ انفجرت في الاحساء ثورة بذل خلالها ناصر باشا شيخ المنتفك والمتصرف التركي لسوق الشيوخ خدمات قيمة للباب العالي للقضاء عليها وظهر بالنسبة لرؤساء العرب كرجل يتمتع بقدرة واستنارة

غير عاديتين وكان نفوذ ناصر باشا المحلي يعتبر كافياً للحكم على عملية ضم مقاطعة المنتفك للبصرة بأنها كانت إجراءً سليماً . وأصبحت الاحوال متوقفة على قبوله فقط . وهكذا جنيت الفائدة من ولائه فضمت جميع مقاطعات البصرة مع ناحية الاحساء في ولاية البصرة الجديدة ، التي كان ناصر باشا اول وال يعين عليها ، ويقال إنه دفع ٧٠,٠٠٠ جنيه ثمناً لتعيينه ، وأصبحت الآن مدينة الناصرية عاصمة لمتصرفية المنتفك التي أنشأها ناصر باشا وسميت فيما بعد باسمه . وخلال فترة حكمه بدأت شهرة مدينة العمارة الواقعة على دجلة والتي تدخل في دائرة اختصاصه .

وحدث هنا مثال لما رأيناه في السابق من اعتبار مسألة اجتماع السلطة الرسمية الكاملة والنفوذ المحلي العظيم في شخص واحد مسألة مزعجة . فقد وقع ناصر باشا تحت سلوك الباب العالي فاستدعي الى استانبول قبل نهاية التزامه لولاية البصرة بوقت قصير حيث حجز هناك وعين مستشاراً معتمداً للحكومة ولكنه كان في الحقيقة سجيناً سياسياً . وجاء بعده في ولاية البصرة عبدالله باشا الكرد الذي احتفظ بمنصبه هذا حتى سنة ١٨٧٩.

تنظيم الادارة المدنية في العراق التركي سنة ١٨٦٩ :

عندما يذكر تعيين مدحت باشا كأول وال لبغداد فان ذلك يشير الى أن ادخال نظام جديد للحكم المدني هناك كان جزء من مهمته فيها وهو نظام الولاية المتناسق والذي أدخل في أجزاء أخرى من تركيا بحيث أصبح يعم القسم الاكبر من الممتلكات العثمانية .

وتوضح الترجمة التالية للرسالة التي وجهها مدحت باشا بعد وصوله بقليل إلى القنصليات الاجنبية في بغداد كيفية تعامل الممثلين الاجانب مع النظام الجديد .

ترجمة رسالة صاحب الفخامة مدحت باشا حاكم عام بلاد العرب التركية إلى معتمد صاحبة الجلالة البريطانية السياسي في بلاد العرب

التركية المؤرخ في بغداد بتاريخ ٥ صفر ١٢٨٦ و ٥ مارس سنة ١٢٨٥ و ١٧ مايو سنة ١٨٦٩ .

حيث إن نظام الولاية قد ادخل وطبق على جميع أقاليم الممتلكات التركية الاخرى فقد نظم أقليم بغداد الآن تبعاً لذلك حسب نفس النظام وقد تغير بالتالي شكل الادارة تسهيلا للامور التي قد تحدث . وإني أرى من الضرورة شرح شكل مثل هذه الأدارة ، فقد قسمت ولاية بغداد إلى تسع حكومات ثانوية «متصرفيات» مختلفة وتعتبر مقاطعة بغداد «سنجقا» واحداً من هذه الحكومات الثانوية «متصرفية» وعين هذا المكان ليكون مركزاً لرآسة هذه الولاية حيث توجد فيه دوائر منفصلة(١) للسكرتارية (ماكونليك) وأنشئت معتمدية (مديرية) للشئون الخارجية حتى توجه أعمال الحكومة .

وعندما تقتضي أمور رعاياكم الهامة في المقاطعات «السناجق» الاخرى إذا حدث أي شيء يستلزم البت فيها ؛ فعليكم ان تتصلوا بهم على غرار ما يتبع هنا . وحتى تسهل الاعمال فمن الضروري اتباع نفس الاسلوب اذ عليكم ان تتصلوا بنائب المحافظ (المتصرف) حول نفس الموضوع لانجازه . وفي حالة عدم تدبير الامور فيما يتعلق بنفس الموضوع فيمكنكم مراجعة رأس الولاية. وحتى تنجز أعمال رعاياكم مع الحكومة المتعلقة بشئونهم ومطالبهم فيجب رفع هذه الامور الى هيئة اتصال رسمية الى من هو دون المحافظة «ايصرفية» او معتمدية «مديرية»

---

(١) الترجمة هنا غير موفقة كثيرا ، فمكاتب معاون ومدير الامور الاجنبية مازالت موجودة والمكتب الاول منها كما يدل عليه اسمه هو «معاون الوالى » أو مساعد الوالى اما الاخير فهو « مدير الشئون الاجنبية » وعنده سكرتارية الشئون الخارجية للوالى · والمعاون موظف تنفيذى يعمل بأمر من الوالى فى الشئون الداخلية أما المـــدير فهو الوسيط للاتصال مع القنصليات الاجنبية وخبير الولاية فيما يتعلق بحقـــوق المعاهدات والامتيازات الاجنبية ·· الخ ·

الشئون الخارجية حسب ما يقتضيه الحال . وإذا كانت هناك ضرورة فيمكنكم الاتصال بي مباشرة او مع السكرتارية (ماكونلك) في حالة غيابي .

بواخر الحكومة التركية ١٨٦٣ – ١٨٧٦ :

طرأت امور عديدة تسترعي الانتباه على الإدارة المحلية في العراق التركي وخاصة في السنوات الاولى لحكم السلطان عبدالعزيز .

وتوضح وثائق المراسلات الرسمية التي تمت في وقت مبكر من سنة ١٨٦٣ أنه كان للحكومة التركية بواخر تستعملها في أنهار بلاد ما بين النهرين في الاغراض الإدارية بدون تفصيلات مؤكدة عن عددها أو حجمها او نوعها او الطريقة التي حصل بها عليها . وكانت هذه البواخر على ما يظهر تتعرض في بعض الأحيان لهجوم القبائل العربية او على الاقل لتهديدها . وقد اسس في سنة ١٨٦٧ خط نهري من البواخر التي تعمل تحت العلم التركي على شكل مشروع تجاري تحت اشراف حكومي باسم مصلحة عمان–العثمانية ومن الواضح ان الباخرتين السابقتين اللتين كانتا للحكومة التركية وهما «بغدادي»(١) و «بصره» قد ضمتا الى المصلحة الجديدة . ومع أنهم تعودوا وصف المشروع بأنه شركة إلا أنه ربما كان جزء من رأس ماله عائداً لأشخاص خصوصيين . وفي سنة ١٨٦٩ ضمت السفن «الموصل» و «الفرات» و «الرصافة» التي بنيت في انتورت سنة ١٨٦٦ بناء على طلب من نامق باشا الى اسطول عمان–العثماني ثم اضيف الى هذا الاسطول سفينتان أخريان إحداهما «مسكره»(٢) وبذا ارتفع عددها الى سبع وقد كانت سفن المصلحة هذه بعد بداية حكم مدحت باشا لبغداد تستخدم في الاغراض التجارية بشكل خاص .

---

(١) بنيت بغدادى فى سنة ١٨٥٩ م .

(٢) بنيت السفينة « مسكرة » في تريستا سنة ١٨٧١ واصبحت في سنة ١٨٨٣ عديمة الفائدة ومتعطلة أما السفينة الجديدة الاخرى « تل عفر » فقد أتت عليها النيران فى البصرة سنة ١٨٨٤ .

تصدير الحكومة للحبوب إلى جدة ١٨٦٤ — ١٧٦٨ :

يبدو ان الحكومة التركية قد طلبت من نامق باشا خلال فترة توليه الحكم في العراق التركي ان يتخذ الترتيبات لتصدير كميات محددة من الحبوب إلى جدة الواقعة على البحر الاحمر وذلك احتياطاً لمنع حدوث مجاعة في موسم الحج الهام . وقد حدث خلال الفوضى التي اندلعت في المنتفك سنة ١٨٦٤ أن نهبت كمية كبيرة من الحبوب التي جمعتها السلطات التركية لذلك الغرض . وكانت اوامر التصدير في السنتين الاخيرتين ما تزال إجبارية . وقد حدث في بغداد تذمر خطير من المعاملات السيئة والمضايقات التي سببتها هذه الاوامر ورد في تقرير الرائد كيمبول المعتمد السياسي البريطاني في بغداد بهذا الصدد في نهاية نوفمبر سنة ١٨٦٦ ما يلي :

ارتفعت أسعار القمح والشعير الى ضعف السعر العادي نتيجة لعمليات الحكومة المحلية في الوفاء بوعدها في تزويد جدة بالحبوب مما أدى بالتالي إلى حدوث تبرم عظيم في اوساط سكان المدينة . وكان هذا الشعور يستند إلى أساس متين من الاعتقاد بأن الضائقة التي يعانون منها ليست ناتجة عن قحط حقيقي : لكنها نتيجة المنافسة بين الحكومة والاحتكار التي اضطرتهما الى اللجوء الى التنافس في النقل حتى تؤمن الارساليات المطلوبة . وقد رفعت وفود السكان التي شملت جمعاً من النساء طلبات استغاثة الى فخامته الا أنها لم تؤمن الا القليل من العون .

وقد اعرب صاحب الفخامة عن ملاحظاته الى ترجمان القنصلية الفرنسية في أن اسعاراً عالية تسود الاحوال الحاضرة موقتاً . وان ذلك ليس مصيبة وعزا ذلك إلى المجاعة التي في الهند ، وان الحبوب على خلاف ذلك يجب ان تصرف خارج البلاد . ويمكن أن يستخلص من تدابير فخامته تلك أنه يعمل وفق خطة خاصة إذ أنه تم نقل أكثر الحبوب المخصصة عن هذه السنة إلى جدة وقد خزنت الآن الحبوب الى

حد ما ، قبل اوانها وأعدت للتصدير في الخريف القادم . وانني في أمس الحاجة لابلاغ فخامة اللورد بأن نامق باشا يخشى حقيقة أو يتظاهر بالخوف من المجاعة في مقاطعات البنغال البعيدة . وان هذه المخاوف لا أساس لها في مجموعها اذ لم تأت في هذه السنة مراكب الى البصرة لنقل الحبوب إلى الهند ، حتى إن مستأجري السفينة او الاثنين واللذين يوفقون في إيجاد حمولة لها كل سنة لترسل الى جزيرة الموريشيوس قد فشلوا هذه السنة في الحصول على حمولات لها . وقد عبرت عن رأي فيما سبق بأن تزويد جدة بالحبوب هو مضاربة تجارية خالية من العمل الحكومي ولو اتخذت تدابير مناسبة في هذا المجال لتطورت موارد هذا البلد بشكل ممتاز اذا شجع توسيع الزراعة وليس عرقلتها مع التجارة كما هو متبع الآن بحسب التدابير الحالية .

البريد التركي بين البصرة وبغداد سنة ١٨٦٤ :

أنشأ نامق باشا في صيف سنة ١٨٦٤ خدمات بريدية بواسطة سعاة من العرب ينقلون البريد مرتين في الاسبوع بين البصرة والديوانية . ويمكن القول بأن الديوانية كانت في نفس الوقت مرتبطة بطراز مشابه او افضل مع بغداد . ومن المحتمل ان يكون هذا البريد قد أنشيء للاغراض الرسمية فقط وقد يكون وسيلة موقتة لنقل الاخبار بسرعة أثناء العمليات الحربية التي حدثت في تلك السنة ؛ اذ كانت الديوانية مكاناً هاماً للطوابير والجيوش التي ارسلت الى البصرة .

مصادرة الحكومة التركية رواتب موظفيها عن شهر اغسطس سنة ١٨٦٦ :

ابتكرت هذه الايام ، بسبب الحاجة الماسة في تركيا لنفقات القطاع العام مما لا يمكن للدولة مواجهته بمواردها العادية ، وسائل التبرعات العامة . وكانت هذه التبرعات تجمع أحياناً من المستخدمين العموميين ؛ بعد الحصول على موافقتهم بضغط رسمي على شكل اقتطاع من رواتبهم .

ومنذ ٥٠ سنة مضت ، كان مثل هذا الاجراء أكثر فعالية ويمكن استخلاص شهادة على ذلك من الرسالة الرسمية التالية التي كتبها الرائد كيمبول في نهاية سنة ١٨٦٦ : « بلغ إجمالي مجموع رواتب مستخدمي الحكومة (من أعلى موظف إلى أقل واحد بما فيهم العسكر الخصوصيون) التي صادرها الباب العالي من شهر اغسطس لجميع الاقاليم ٤,٤٣٦ كيساً(١) وقد ارسلت المبالغ راساً إلى العاصمة نقداً أما تبرع السكان الإجباري والبالغ ٧,٠٠٠ كيس فيجري جمعه الآن » .

وهكذا تشير الدلائل الاقليمية الى ان الخزينة المركزية تسير نحو الافلاس .

ميزانية ولاية بغداد — البصرة سنة ١٨٧٤ :

كان دخل ولاية بغداد—البصرة في سنة ١٢٩١هـ (التي تكاد تطابق سنة ١٨٧٢م) هو ٦٤٨,٤٣٥ جنيهاً تركياً بينما بلغت النفقات حوالي ٢٨٥,٨٨٠ جنيهاً تركياً والرقم الأول لا يشمل حصيلة دور الجمارك ؛ بينما يحتوي الاخير على النفقات العسكرية والبحرية والتلغرافية . واذا كانت هذه الارقام صحيحة(٢) فانه لا بد أن يكون قد ظهر خلال الثلاثين سنة التي انقضت عجز خطير في الدخل وزيادة كبيرة في النفقات.

---

(١) الكيس يساوى خمسة جنيهات ٠

(٢) راجع كتاب « عبر تركيا الآسيوية » لجيرى المجلد الاول ص٢٣٩ وقارن بينه وبين المجلد الثانى من هذا الدليل بند « العراق التركى » ٠ حيث يتضح ان حصيلة الجمارك فى سنة ١٨٧٤ ، سنة ١٩٠٢ نفس الشيء تقريبا ٠

المصالح البريطانية العامة فى العراق التركى
١٨٦١ ـ ١٨٧٦

واجهت رحلات الباخرة البريطانية «مدينة لندن» التي استحضرها السادة لينش وشركاه من انجلترا سنة ١٨٦١ او سنة ١٨٦٢ للملاحة في دجلة في اول الامر معارضة بلغت حد المنع من قبل السلطات التركية في بغداد . واقتضى ذلك تقديم طلب جديد الى الباب العالي بواسطة السفير البريطاني في استانبول وكانت نتيجة هذا الطلب الحصول على كتاب وزاري آخر في يوليو سنة ١٨٦٢ يطابق في مغزاه كتاب سنة ١٨٦١ . وكان هذا كافياً لوضع حد للفترة التي مارست فيها السلطات المحلية في بغداد وضع الصعوبات أمام سير الباخرة المذكورة . وعلى أية حال فقد نشأ جدال حاد عندما علم في سنة ١٧٦٤ ان السادة لينش قد اقترحوا تسيير باخرة ثانية هي «دجلة» على نهر دجلة . وعندما علم الرائد كيمبول المعتمد السياسي البريطاني في بغداد أن الاتراك ينوون معارضة استخدام الباخرة دجلة كتب الى نامق باشا مشيراً الى حرية الملاحة التي تتمتع بها البواخر البريطانية في بلاد ما بين النهرين ، وطلب منه أن يحدد الشكوك التي تخامره بهذا الصدد ؛ فأجاب نامق باشا مدعياً بأن عدد السفن التي تحمل العلم البريطاني والمصرح لها بالعمل في الأنهار قد حددت باثنتين . وما دامت السفينة «كوميت» و «مدينة لندن» تعملان في دجلة فلا يمكن إذن إضافة أية واحدة أخرى . ومن الواضح ان المعتمد السياسي البريطاني قد اشار إلى تسوية عام ١٨٤٦ والتي تسري على جميع البواخر البريطانية ؛ والتي يجب ان تعتبر قضية الباخرة دجلة بموجبها قضية متفقاً عليها ؛ في حين كان الذي يخطر في ذهن الباشا هو فرمان سنة ١٨٤٦ الذي يقتصر في علاقته على مراكب الحكومة البريطانية والذي لا يقتصر انطباقه حالياً على مجرد السفينة «كوميت» التي تعود الى الاسطول الهندي . وسرعان ما انتقل البحث في الموضوع الى اوروبا حيث كانت

السلطات البريطانية تميل اول الامر بسبب بعض العوامل التي أدت الى عدم ادراك القضية الى قبول وجهة النظر التركية في الموضوع ، وقبولها سحب السفينة «كوميت» من بلاد ما بين النهرين حتى تفسح المجال للسفينة «دجلة» . وعندما اشار الرائد كيمبول الى ان الباخرة «دجلة» تعود الى السادة لينش وانه لن يكون بالامكان ارسالها ، مثلما ادعى الباب العالي في مذكرته الرسمية الى السفارة البريطانية ، لتحل محل السفينة « كوميت » التي تعود ملكيتها إلى الحكومة الهندية ؛ فتغير مجرى البحث وسمح لها بالعمل بصرف النظر عن وجود السفينة كوميت .

وحدث في سنة ١٨٦٧ أن تحدى خط عمان ، العثماني الذي مر معنا ذكر انشائه احتكار البواخر العملي للملاحة في دجلة : والذي تتمتع به شركة «لينش » الا ان مناقشة هذه الشركة الجديدة او الدائرة التركية لهم لم تكن ذات أثر فعال .

وقد اقترح السادة لينش وشركاه في سنة ١٨٧٤ تحويل الباخرة «مدينة لندن» إلى سفينة تخزين على أن تحل محلها باخرة جديدة مع مركب بخاري؛ الا أن الباب العالي جدد اعتراضاته وحججه القديمة التي تصر على عدم التمييز بين الحكومة البريطانية والسادة لينش وأنه يجب الا توجد أكثر من سفينتين عليهما العلم البريطاني في دجلة في وقت واحد ؛ وما دام هذا العدد قد زاد بوجود البواخر «كوميت» و «مدينة لندن» و «دجلة» في آن واحد فليس باستطاعة السادة لينش الادعاء بأي حق في إضافة باخرة جديدة إلى اسطولهم . وقدمت مذكرة تركية إلى الرائد هربرت بهذا الخصوص وقد شرح لهم مرة أخرى نوعية السفينة «كوميت» بالاضافة إلى كشفه لهم عن العديد من الحقائق المغلوطة . وكان السفير البريطاني في استانبول قد تبنى وجهة النظر هذه . وبعد مدة وفي ٣١ مارس سنة ١٨٧٥ أمكن الحصول على اوامر الباب العالي بالتصريح للسادة لينش باستبدال واحدة من سفنهم القديمة بأخرى جديدة والسماح لهم أيضاً باستعمال مركب بخاري في الحالات الاضطرارية عندما تكون مياه النهر منخفضة .

ظهرت شركة لينش قبيل عام ١٨٧٠ باسم «شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية» ، وربما كان ذلك لاشراك(١) أصحاب رؤوس أموال آخرين الا أن الاتراك لم يعترفوا بهذه التسمية وما زالوا يصرون حتى هذا الوقت على وصف الشركة باسم «شركة لينش» .

هبة نواب هندي لتنظيف ترعة الحسينية سنة ١٨٦٣ :

عادت ترعة الحسينية في سنة ١٨٦٣ وربما قبل ذلك الى الامتلاء بالطين بعد أن صرف على تنظيفها أمير السند مبالغ كبيرة من سنة١٨٣٦ الى سنة ١٨٤٢ والآن خصص «أمير هندي توفي حديثاً» مبلغاً يقارب ١٠,٠٠٠ جنيه لتنظيفها ، ولا خلاف في وصفه فانه تحت كل الاحتمالات أحد رعايا بريطانيا ، وكان نامق باشا الذي وقعت عليه بشكل ما مهمة صرف النقود قد انتدب «مهندسين مصريين خبراء في هذا المجال ليقدروا العمل وليضعوا تقريراً عن أفضل طريقة لانجازه » .

الاضرار التي لحقت بالرعايا البريطانيين ودعاواهم سنة ١٨٦٦ :

كان بين الذين قاسوا من اعمال اللصوصية في بغداد سنة ١٨٦٦ وكما شرح في الجزء المتعلق بتاريخ الإقليم الداخلي رعايا بريطانيا أو التابعون لها ممن لم يحصلوا على أي تعويض مادي عنها .

وحدث في أغسطس سنة ١٨٦٦ مراسلة بين المعتمد السياسي البريطاني في بغداد والسلطات المحلية حول بالة تحتوي ٦٥ ثوباً من البفت تعود ملكيتها إلى أحد رعايا بريطانيا وتساوي في قيمتها ٤٢٣,٥ غراناً كانت قد نهبت على الطريق بين بعقوبة وشهربان قبل أكثر من سنة ؛ والقى القبض على بعض اللصوص ممن اشتركوا في الحادث في دائرة اختصاص تقي الدين باشا الذي كان محافظاً لكركوك فاستعاد منهم مبلغ ١٤٨ غراناً حولها نقداً الى بغداد وأشار إلى ان بقية الحساب مستحق على

---

(١) تشكلت « شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية » في ابريل سنة ١٨٦١ .

شركائهم الذين ما يزالون طلقاء . وقد اعترض الرائد كيمبول على الحل الوارد في هذه السطور وكتب الى نامق باشا قائلا : « ارجو أن أعرض على فخامتكم بأن القبض على أي سارق بسبب مسئوليته عن حصته في السرقة التي ارتكبت جماعياً لا يكاد يكون عدلا ؛ وربما كان محتملا أن تكون مسئولية المساهم في العمليات التجارية محصورة بقيمة رأس المال الذي ساهم فيه المشروع الا أنه من الصعب تطبيق نفس المبدأ على الجناة واسمحوا لي أن آمل في أن يتفضل فخامتكم باجبار الافراد الموجودين في السجن فعلا بأن يسددوا بقية الحساب المتبقي في ذمتهم الى أغا محمد حسين » .

اقتراح بريطاني بانشاء سكة حديد وادى الفرات من البحر الابيض المتوسط الى الخليج ١٨٧١ — ١٨٧٢ :

ولم ييأس السيد أندرو المبتكر النشيط المتحمس لخطة انشاء سكة حديد الفرات في سنة ١٨٥٧ كما ذكر سابقاً من الامل بعد ان فشلت الشركة التي تشكلت لمشروعه في تأمين كفالة مالية لمشروعها من الحكومة البريطانية ، بالرغم من ان الامتياز الذي حصل عليه من الباب العالي قد انتهت مدته . وبقي السيد اندرو على اتصال مع الوزراء البريطانيين والاتراك ومع أشخاص آخرين من ذوي النفوذ حول موضوع مخططه واستمر من سنة ١٨٦٦ حتى سنة ١٨٧٠ في الضغط على مشروعه بجد كبير وقد زود تمرد الهند وإنجاز قناة السويس القضية بحجج جديدة ، وعلقت أهمية كبيرة على التسهيلات التي يمكن أن يقدمها(١) الخط في

(١) دفع التفاؤل الكبير الذى شعر به المروجون لسكة الحديد هذه الى توقع رغبة الحكومة التركية فى الموافقة عليه فى المدى الطويل على الاقل لانها ستصبح الممر المالوف لفيالق الجيوش الاجنبية الهائلة التى ستعبر عليه عبر مقاطعاتها البعيدة حيث كانت قواتها العسكرية هناك تافهة جدا ، ويبدو أن نقص تفكيرهم دفعهم الى تقدير الوضع الكاذب الذى ستوضع فيه تركيا اذا ما قامت الحرب بين بريطانيا وروسيا ، وان بريطانيا ستستفيد من هذا الخط الحديدى الذى يجرى =

نجدة الحامية البريطانية في الهند وامدادها بواسطة طريق بديل عن الطريق الذي يمر عبر البحر الاحمر وأكثر سرعة منه .

وقد لخص المستر أندرو في سنة ١٨٥٣ فوائد سكة حديد وادي الفرات بما يلي :

إن هذا الخط يمكن من ربط البحر الابيض المتوسط مع البصرة الواقعة على رأس الخليج والتي يوجد بينها وبين كراتشي وبومباي اتصالات منظمة يؤديها خط بواخر تدعمه الحكومة الهندية .

وفي جعل كراتشي الميناء الاوربي للهند بدلا من بومباي تختصر المسافة بين انجلترا والهند بمقدار ١٠٠٠ ميل وهكذا يختصر الوقت الذي تستغرقه الرحلة الى النصف على الاغلب .

وبواسطته يمكن توفير مبالغ طائلة على الحكومة بما يمكن ان يقدمه من تسهيلات عند نقل الجيوش والمؤن في حالات الضرورة الطارئة .

وعن طريقه يمكن للجيوش المرسلة من بريطانيا أن تحط في كراتشي في حوالي ١٤ يوماً وعندما يكتمل خط سكة حديد وادي السند يمكن بزيادة يومين او ثلاثة على ذلك الوصول الى لاهور وبيشاور او دلهي .

إنه سيجعل غزو الهند مستحيلا تقريباً .

انه سيعرض تقدم العدو نحو حدود الهند الشمالية الغربية لهجوم سهل على الجناح والمؤخرة .

إنه سيدفع نمو الثروة في انجلترا بتوفير امكانية الاستفادة السريعة من

فى اقاليم تركيا للاغراض العسكرية ٠ وان فكرة نقل جيوش اجنبية عبر تركيا من البحر الابيض المتوسط الى الخليج ليست بالفكرة الجديدة ولذا راجع ملاحظات الدكتور ج٠و٠وينشستر حول تقدم الجيوش من اوروبا الى آسيا عبر أقاليم الفرات ودجلة فى تقريره الى جمعية بومباى الجغرافية المجلد السادس من سبتمبر سنة ١٨٤١ الى مايو سنة ١٨٤٢ ٠

الشرق ويمكن من ان تصبح تشاتام وبورتسموث مركزي عمليات مالية بنفس السهولة التي في كراتشي او بومباي ، وإن أية حركة معادية توجه لنا سواء كانت من داخل أو خارج حدودنا الهندية يمكن إخمادها بفعالية قبل أن يتضخم خطرها .

وبه يمكن وضع حد للعزلة الحالية الخطرة لإيران ويؤدي الى تخلص هذا البلد من الضغط غير المناسب الذي تتعرض له من روسيا ويمكنه ان يمنح تجارتها مع اوروبا منفذاً إلى البحر الأبيض المتوسط قريباً ورخيصاً وسهلا ومأموناً بدلا من الطريق الطويل الباهظ التكاليف والصعب المار في البحر الاسود والذي يقع تماماً تحت رحمة روسيا .

كما أنه يمكن الدفاع عنه بسهولة لان كلا طرفيه يقعان على البحر .

وقد يكون طول سكة الحديد من البحر الى البحر ٨٥٠ ميلا .

والبلاد لا تشكل أية صعوبات هندسية خطيرة وقدرت تكاليف الخط الكاملة بما بين ٨,٠٠٠ — ١٠,٠٠٠ جنيه للميل الواحد .

وسوف لا يتعدى رأس المال المطلوب ٨,٥ مليون . وفي سنة ١٨٧٩ سعى المستر أندرو فضلا عن ذلك إلى تقوية قضية الخط الحديدي بالتشديد على الفوائد التي سوف يؤديها للمواصلات البريدية والتجارية البريطانية والنفوذ السياسي الذي يمنحه لها وعلى الخدمات التي يمكن أن تعود منه للمحافظة على عدم تجزئة الامبراطورية العثمانية .

وكان الباب العالي يعتقد أنه من المستحسن إقامة بعض السكك الحديدية التي تصل بين بلاد الرافدين وبقية تركيا .

وكانت لدى الحكومة التركية أسباب للاعتقاد بأفضلية خط يمتد من من بغداد عبر آسيا الصغرى إلى استانبول عن خط آخر ينتهي على البحر الابيض المتوسط .

وفي النهاية وفي ٢٣ يونيه سنة ١٨٧١ عينت لجنة منتخبة من مجلس

العموم «لفحص جميع المواضيع التي تتصل بالمواصلات الحديدية بين البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود والخليج ، ووضع تقرير عنها» وكان يرئس هذه اللجنة السير ستافورد نورثكوت . واجتمعت في اوقات مختلفة من سنتي ١٨٧١ و ١٨٧٢ وقد تدارست عدداً كبيراً من الشهادات الهامة كما أنها أخذت بعين الاعتبار التقارير التي حصلت عليها خصوصاً من عدد من موظفي القنصليات البريطانية في تركيا .. ومن بين هؤلاء الذين ادوا الشهادة امام هذه اللجنة اللورد ستراتفورد دي ردكليف واللوردين ساندهرست وستراثنيرن القائد العام السابق في الهند والسير بارتل فرر حاكم بومباي السابق . والسير هـ. س. رولنسون والسير أ. ب. كمبول والكابتن فيلكس جونز من الاسطول الهندي والكابتن سلبي من الاسطول الهندي. واستمعت اليهم اللجنة كخبراء في السياسة والطوبوغرافيا . والسيد توماس ك. لينش الذي رافق أخاه القائد لينش إلى العراق التركي سنة ١٨٤١ وعمل فيما بعد بالتجارة في بغداد والسيدبول والسيد أي. دوز وهؤلاء استمع لهم كتجار او من ذوي المعرفة والخبرة المحلية .

والسيد و. ماكينون رئيس مجلس ادارة شركة الهند البريطانية للملاحة البخارية ، ومن بين الذين استشيروا من موظفي السلك القنصلي الرائد هربرت المعتمد السياسي الذي اوصى بانشاء خط بين حلب وبغداد ماراً في بيرة جيك ونصيبين والموصل ، والسيد و. جيفورد بلجريف مكتشف اواسط بلاد العرب الذي أصبح القنصل البريطاني في طرابزون .

وستساعد المقتبسات التالية من تقرير اللجنة المنتجة في إعطاء صورة عن تحقيقاتهم وطبيعة استنتاجاتهم .

إن البينة التي أخذت بها لجنتكم والتي كان يمكن أن يضاف اليها الشيء الكثير قد أقنعتها (الحكومة) بأنه لا توجد صعوبات قاهرة في طريق انشاء خط حديدي بين أحد الموانيء المناسبة على البحر المتوسط وميناء واحد يمكن اختياره على اي من طرفي الخط ؛ كما توجد عدة طرق يمكن

اتباعها ولا توجد صعوبات في تدبير العون اللازم للعمل ، او المواد اللازمة لانشاء الخط الحديدي ؛ ولا ضرورة للتخوف من تعرض الخط لأذى السكان المحليين : سواء كان ذلك أثناء عملية إنشائه او بعدها . كما انهم وجدوا ايضاً مبرراً لتوقع مصادقة الحكومة التركية عليه حتى ربما تقدمت بمساعدة فعالة نتيجة ادراكها الجيد للمشروع .

★ ★ ★

وقد بحثت عدة شهادات بشأن مزايا النهايات المتعددة سواء أكانت نقطة النهاية على البحر الابيض المتوسط أم الخليج . أما النقطة الرئيسية المتعلقة بالطرف الاول فهي : أيهما أفضل كنهاية للخط ، الاسكندرونه أم السويديه . أما بالنسبة للطرف الاخير فلم يكن هناك داع للتساؤل عن اوضاع الموانيء المختلفة مثل أفضلية البصرة أم المحمرة أم خور عبدالله أم جران ام بوشهر بل كانت المسألة أبعد من ذلك وهي فيما اذا كان الخط سيمتد على طول الشواطىء الشمالية للخليج حتى يشكل اتصالا مباشراً مع شبكة سكة الحديد الهندية عند كراتشي ام لا .

★ ★ ★

أما بخصوص نهاية الخط الذي عند الخليج ، فقد أخذت بالفكرة التي تستحسن نقل الخط إلى نقطة يكون الاتصال فيها ممكناً مع البواخر التي تمدها الحكومة في الوقت الحالي بعون مالي لنقل البريد والتي تتردد بين الموانىء الهندية والبصرة ، وقد استحسنت هذه الفكرة أكثر من تلك التي ترى استمرار الخط على طول الساحل الى كراتشي في طريق باهظة التكاليف .. وربما تكون غير مربحة . أما بخصوص الموانىء التي ذكرت فانهم يميلون الى تفضيل ميناء جران(١) ويعتقدون بأنه من المرغوب فيه قيام مصادر علمية مختصة بالتحقيقات المحلية اللازمة حول هذه النقطة وكذلك الحال بالنسبة لاختيار الميناء على البحر الابيض المتوسط .

---

(١) تعنى الكويت .

وانتقالا من موضوع نهايتي الخط الى الطريق نفسها فان الادلة التي وجدتها لجنتكم والتي تؤيد او تعارض ما يتعلق بطرق الفرات ودجلة يمكن ايضاحها بالشكل التالي :—

تعتبر طريق الفرات الطريق الاقصر والارخص ، أما من حيث السرعة ، فمن الممكن أن تكون هذه الطريق هي الطريق الاسرع لعبور الاشخاص او الجيوش او البريد بين انجلترا والهند . اما بالنسبة لطريق دجلة فانها قد تجذب كمية أكبر للمرور عليها ، وان تتصل بشكل أفضل مع شبكة سكة الحديد التركية .

وعلى العموم فانه من رأي لجنتكم أنه اذا اعتبر المشروع بكل بساطة مشروعاً يؤثر على المصالح البريطانية ، فمن الحكمة عندئذ أن تختار الطريق الاكثر قصراً واتجاهه أكثر مباشرة لا ذلك الطريق الذي يثير عدة اعتراضات صريحة . أما عن تفضيل أي من الطريقين المارين في الفرات ، فيترك ذلك إلى هؤلاء المهتمين بتحسين المواصلات بين المدن التي تقع على دجلة ، أو التي تقع أبعد الى الشرق حتى يقرروا ربط هذه المدن مع الخط الرئيسي بفرع أو أكثر من خطوط السكك الحديدية ، أو باستعمال المواصلات المائية التي تتوفر بين النهرين . ولكن اذا كان هناك اعتبار آخر حول الموضوع يحتم الاخذ به ، فهو على الاخص احتمال عرض الحكومة التركية مشاركتها في انشاء خط . وفي هذه الحالة ، فانها قد تقدم سبباً لتفضيلها الطريق الذي يحاذي نهر دجلة وإن أي تفضيل من هذا النوع سيكون عنصراً أساسياً في حسم الموضوع .

لذا توصلت لجنتكم إلى نتيجة وهي عدم وجود احتمال لإنشاء الخط من قبل أي مشروع خاص غير مدعوم. والآن يجب أن يدخل في الاعتبار السؤال التالي :—

عندما تأخذ انجلترا على عاتقها عمل خط حديدي يخص تركيا ، هل في هذه المسألة قضية تستحق اهتمام انجلترا ؟ وهل يوجد احتمال القيام بترتيبات عملية في هذا الخصوص ؟

ومما لا شك فيه أنه إذا قدمت حكومة انجلترا مساعدتها على شكل ضمان كاف ، فان الحكومة التركية عندئذ ستظهر تأييدها العام لتنفيذه ، مهما كانت الطريق التي ستختار له . ولقد كان من رأي عدة شهود على درجة كبيرة من الكفاءة أن مسألة تقديم مثل هذه الكفالة يعتبر أمراً يستحق اهتمام هذا البلد ، لما سيتضمن من تضحية مالية جسيمة في حين كان آخرون على رأي مخالف لهذا . ومع ذلك فانهم أقروا بأن بريطانيا ستحصل على فوائد محددة من افتتاح خط حديدي عبر بلاد ما بين النهرين ولم يعتبروا تلك الاستفادة على درجة من الاهمية بحيث تبرز انفاقاً دولياً هائلا .

ولعل لجنتكم تذكر أنه كان من بين الذين أيدت شهاداتهم تأييداً شديداً دعم سياسة تحمل التكاليف أو المخاطرة بضمان دولي الفايكونت سترادفورد دي رد كليف واللورد ستراثنيرن والسير هـ. بارتل فرير والسير دونالد ماكليود والسيد لينش والرائد السير هـ. جرين والرائد مالكولم جرين والرئيس تايلر والسيد و. جيفورد پلجريف ... الخ .

واذا أرادت لجنتكم معرفة الذين قدموا تحفظات ومالوا الى إثارة الشك في سلامة انفاق هذه الاموال فيمكن لها ان تلاحظ شهادة اللورد ساندهرست والسير هـ. رولينسون والميجور تشامبين .. الخ . وقد وضعت لجنتكم أمامها رسالة رسمية من حكومة الهند تعبر فيها عن رغبتها المتلهفة في أن تجدوا المشروع ممكن التنفيذ . وجاء في ملاحظاتها أنها تعتبره أمراً ذا أهمية كبيرة لمصالحها ولكن ليس إلى درجة هائلة .. واستنتج من ذلك ان الحكومة الهندية في حين تعد نفسها للانتفاع من هذا الخط الحديدي اذا انشيء . وفي حين أنها ستدفع طبعاً عن الخدمات التي تحتاجها منه إلا انها ربما ترفض المساهمة بشكل مباشر أو غير مباشر في مسألة انشائه .

وقد أقرت لجنتكم رأيها القائل بأنه في حالة اتخاذ أية خطوة لانشائه فان افضل طريقة لذلك أن تضع حكومة صاحبة الجلالة نفسها على اتصال

دائم مع الحكومة التركية ، نظراً لطبيعة بعض الترتيبات المذكورة آنفاً ، وان على الحكومتين ان تشتركا معاً في مسح الاراضي حتى يمكن تحديد اختيار الطريق بالضبط .

إن لجنتكم لم تحصل على البيانات الكاملة لتكاليف الخط المقترح ، الا أن الحكومة تعتقد بأنه ربما يكون مبلغ عشرة ملايين جنيه كافياً لتغطية نفقات أقصر الطرق مهما كانت الاحوال .

ثم ما هي الفوائد التي يمكن للبلاد ان تتوقع جنيها من هذه التكاليف ؟ إنها بشكل أساسي تلك التي تحصل عليها من الإسراع في نقل البريد ومن حصولها على طريق بديل أكثر سرعة لنقل الجيوش ، وما يؤديه من منافع تجارية لكل من الهند وانجلترا عند افتتاح هذا الخط .

وقد قدر الشهود المختلفون الزمن الذي سيوفر في نقل البريد من إنجلترا الى بومباي تقديرات متعددة ، فقدره بعضهم بأربعة أيام وارتفع تقدير آخرين الى سبعة او ثمانية أيام ، بينما يجب أن يعتمد ذلك طبعاً وأساساً على : اولا — طول الخط الحديدي . ثانياً — على عامل السرعة التي يستطيع ان يسير بها القطار ، والتي تعتمد بالتالي جزئياً على مقياس عرض الخط الحديدي الذي سيختار له . وبهذا تحول حل المسألة الى قضية تكاليف . وقد قدر الكابتن تيلر الذي كان شديد الاهتمام بالموضوع أن التوفير في المسافة بين لندن — برنديزي الاسكندرونة بومباي عن طريق الفرات إذا ما قورنت مع مسافة طريق برنديزي—الاسكندرونة عبر السويس تصل الى ٧٢٣ ميلا وقدر الوقت الذي سيوفره هذا الطريق باثنتين وتسعين ساعة . وعند احتكار كراتشي بدلا من بومباي للتفريغ ، فان التوفير في الوقت سيزداد طبعاً وستزداد المنفعة منه على الاخص في فصل هبوب الزاوبع الموسمية وتجنب المرور في المحيط الهندي .

وفيما يتعلق بنقل الجنود فان لجنتكم قد أخذت بآراء عدة شهود من ذوي الكفاءة العالية منهم اللورد دين ستراثيرن وساندهرست اللذان

تعاقبا على منصب القائد العام في الهند والسير هنري اولنسون والسير بارتل فرير وآخرون .

وعند مقارنة فوائد طرق الخط الحديدي المقترح وطريق قناة السويس بالنسبة للرحلات العادية ، ساد الخلاف في الراي بخصوصها وتعادلت الآراء بالنسبة للاستفادة من الوقت وكسب بعض الأيام ، وكان هناك خلاف في رأي بعض الشهود حول ما اذا كان بالامكان ارسال رجال من نقطة المغادرة الىالمكان المقصود دون نقل بحري. وكان اللورد ساندهرست والسير هنري رولنسون يفضلان طريق السويس بهذا الخصوص . وكان اللورد ستراثنيرن والرائد السير هنري جرين من ناحية أخرى يعتبران ان الطريق الاقصر هي الافضل في الشتاء ، الا أن جميع الشهود تقريباً أجمعوا على أهمية وجود طريق ثان ، كبديل ، يكون صالحاً للعمل عليه في حالة تعرقل الطريق الاول ، او في حالة نشوب ظرف طارىء يستدعي ارسال جيوش بسرعة وفعالية كلما كانت مطلوبة في الشمال الغربي من الهند .

* * *

وفي المناقشة من ناحية عامة ، فقد كان من رأي لجنتكم ان الطريقين المارين بالبحر الاحمر او الخليج يمكن الاحتفاظ بهما واستعمالهما في وقت واحد في بعض الفصول ، وبعض الاغراض ، ويمكن جني الاستفادة من احدهما في فصول واغراض معينة ومن الآخر في فصول وأغراض أخرى . وان الامل ضعيف في أن يطور كلاهما نفسه مع الزمن من ناحية الوقت اللازم لقطعها فإن تلك النتيجة يجب ألا تتوقع قريباً .. أما الفوائد السياسية والتجارية من إنشاء طريق ثان فيمكن ان تكون مناسبة في أي وقت وربما تكون تحت ظروف محتملة عظيمة للغاية . وذلك يجب ان يستحق اهتمام الحكومة الانجليزية في بذل الجهود لتأمين تلك الفوائد ، مع اعتبار المخاطرة المالية المعتدلة التي ستتحملها .

وتعتقد الحكومة بأن أفضل ما يمكن عمله فتح مشاورات مع الحكومة التركية باتصال شبه رسمي يدل على هذا المغزى بعد أن لفت نظارهم إلى ذلك .

ولم يتبين ما اذا كانت حكومة صاحبة الجلالة قد اتخذت أي إجراء في استانبول حول هذا التقرير ، وان كانت فعلت فأي شيء كذلك عن العقبات التي تقف في طريق التفاهم مع الاتراك ، او عن جمع رأس المال اللازم لمواجهة المشروع لكن المعروف بوضوح ، أنه بعرض تقرير هذه اللجنة المنتخبة ، اختفى نهائياً عن اهتمام الرأي العام موضوع سكة الحديد البريطانية بين البحر المتوسط والخليج .

ولقد بلغ العصيان العام ، الذي إندلع في البصرة سنة ١٨٧٢ ، والذي وصف سابقاً ، قمة خطره في اعتداء جريء وغير عادي على سفينة البريد «كشمير» التي تمتلكها الشركة الهندية البريطانية للملاحة البخارية عندما كانت راسية على الميناء وتحت حماية الحكومة التركية .

ارتكاب قرصنة في البصرة على سفينة البريد البريطانية «كشمير» سنة ١٨٧٢ :

وفي ساعات الصباح الاولى من يوم ١٣ يونيه سنة ١٨٧٢ اقتحمت المركب فجأة عصابة مكونة من٢٨ قرصاناً في ثلاثة قوارب. وقد استطاع رجال القارب الاول ان يجدوا طريقهم الى ظهر السفينة عندما تظاهروا بأنهم من المسافرين في حين كانت بنادق وذخيرة «كشمير» فيأجزاء مختلفة من السفينة ولم يكن بالامكان الحصول عليها في الحال. لذا تمكن القراصنة من الاستيلاء عليهادون مقاومة . وبعد ان اقترفوا ما يكفي من ايذاء الاشخاص بالسلاح الابيض ليروعوا البحارة نهبوا المركب واختفوا بسرعة غريبة ، وقد قتل في هذا الهجوم شخص واحد من السكان المحليين يعمل وقاداً في السفينة واسمه اسماعيل خان وقد قطع رأسه عن جسمه تماماً بضربة سيف عندما ظهر من موقد السفينة . وجرح ١٢ من الرجال

الذين كانوا على ظهر السفينة منهم خمسة من الاوروبيين من بينهم كاتب السفينة المستر «برادفورد» الذي طعن بخنجر طعنة خطيرة ، وكبير المهندسين المستر مكنزي الذي أوذي في يده وقد سلبوا نقداً مقداره ٤٢,٠٥٠ روبية واشياء تتعلق بالموظفين والبحارة قيمتها ٥,٥٥٢ روبيه وبلغ مجموع الخسارة ٤٧,٦٠٢ روبية .

وتأكد فيما بعد بأنه كان يشترك في العصابة التي ارتكبت الحادث أفراد من عربستان ومن المنتفك على الفرات وأفراد من سكان حي المقام في مدينة البصرة ومن بعض السود ومن آخرين غيرهم : وكان قائد العملية جاسم بن خلف من سكان الاحساء يساعده محمد الحاج وربما كان هذا من المنتفك أيضاً وعلوان وهو حساوي آخر ذو سلوك سيء معروف في البصرة . ومما يدل على اشتراك أفراد من حي المقام مع المهاجمين تلك الاستعلامات الممتازة التي كانت عند العصابة والتي أدت الى سرعتهم في الحصول على الخزينة من على ظهر السفينة لان رجال حي المقام كانوا يستخدمون بكثرة في السفن البريطانية التي تزور الميناء .

وقد اقتسم القراصنة الاموال المسلوبة في موقع سراجي . وحدث في الليلة التالية أن التقى قارب تابع لسفينة حربية تركية قارباً آخر مشكوكاً فيه عند البصرة على بعد قليل من همدان وحاول القارب المشبوه إلا أن القارب التركي صده مكبداً اياه قتيلا وخمسة جرحى .

وقد قام رؤوف باشا حاكم بغداد التركي بجهود نشطة . وقبل أن يمضي وقت طويل على الحادث استطاعت السلطات التركية أن تلقي القبض على عدد كبير من الاشخاص في البصرة كما القى القبض على محمد الحاج في سوق الشيوخ . وقام ناصر باشا شيخ المنتفك ومتصرفها بالبحث الجدي عن جاسم بن خلف . واستمر البحث عنه على قدم وساق ، وهكذا أخذ القراصنة في البحث عن ملجأ لهم في عربستان .. وسوف

يرد في الفصل الخاص من تاريخ هذا الاقليم سرد لإجراءات القبض عليهم . وفي بداية عام ١٨٧٣ قدم للمحاكمة ما بين ٣٠–٤٠ متهماً أمام المحكمة التركية في البصرة .

وكانت النتيجة أن أُدين ١٦ منهم حكم على تسعة بالموت وعلى اربعة بالسجن مدى الحياة . وقد نفذ الحكم في سبعة من المحكومين بالموت في البصرة في ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٣ بعد أن صدقت استانبول الاحكام عليها وكان تنفيذ الحكم في المجرمين ، الذين كان محمد الحاج من بينهم ، شنقاً وعلناً في أماكن مختلفةمن المدينة. وعلم فيما بعد ان ثمانية آخرين من الجناة قد لاقوا حتفهم في حوادث موت عنيفة وبأشكال مختلفة وبقي ستة منهم في السجن وبقي سبعة ما يزال البحث عنهم جارياً .. وقد قبض على علوان بعد وقت مبكر من اتخاذ الاجراءات في جزر البحرين التي هرب اليها في اول الامر ، وقد تم القبض عليه بعد ان استجاب شيخ البحرين للطلب الذي قدمه له بهذا الخصوص المقيم السياسي البريطاني في بوشهر. وارسل الجاني الى البصرة على السفينة الحربية البريطانية «هيو روز» حيث سلم للسلطات التركية . أما جاسم بن خلف رئيس العصابة والمعتقد بأنه هو قاتل الوقاد فقد وجده الاتراك في الاحساء وأحضر إلى البصرة في أغسطس سنة ١٨٧٣ .. ومع أن نتيجة محاكمة جاسم وعلوان لم تصدر بعد، الا أنه مهما تكن الظروف فقد اتخذ من الاجراءات ما يكفي لتأكيد احترام الراية البريطانية التجارية. وما زالت قضية «كشمير» تذكر كنموذج فعال للعقاب البريطاني في العراق التركي حتى هذه الأيام .

وقد تعقبت السلطات التركية أثر جزء من الاموال المسلوبة ، ومع أنها تأخرت بعض الشيء الا أن مجموع الاموال التي استردت بلغت أخيراً ٣١,٣٤٧ روبية منها ما يعادل ١٧,٩١٧ روبية بالنقد التركي ، و١٣,٤٣٠ روبية بالنقد الايراني وتبقى ١٠,٧٠٣ روبية حتى يسوى الحساب المذكور وكان مرسلو هذا الاموال والمرسل اليهم جميعاً من التجار الاهليين .

وقد طالب السادةجري وبول وشركاهم وكلاء الشركة الهندية البريطانية للملاحة البخارية في بو شهر منذ البداية بأن تتحمل الحكومة التركية المسئولية في التعويض عن كامل الخسارة التي حدثت نتيجة لهذه القرصنة ، وتبنت حكومة الهند وجهة النظر هذه ، وتمسكت بظروف الهجوم الغربية والتي حدثت في ميناء تركي كبير وتحت مدافع بارجة تركية مما يبيح للقضية أن تعامل معاملة استثنائية ، الا ان موظفي التاج القانونيين نصحوا حكومة صاحبة الجلالة ، واعتبروا أن طلب التعويض من حكومة وقعت ضمن دائرة اختصاصها أعمال إجرامية يعتبر سابقة مقلقة وإن لم تكن خطيرة . ومع هذا وبناء علية فقد اعترف رؤوف باشا شفهياً بمسئولية الباب العالي في دفع التعويض بالكامل . وقد قدم الرائد هربرت المعتمد السياسي البريطاني طلباً الى رديف باشا(١) الذي تلا رؤوف باشا بدفع مبلغ ١٠,٧٠٣ روبية وهي بقية ما فقد من الاموال ومبلغ ٥,٥٥٢ روبية عن أمتعة لم تسترد ومبلغ ١٠٠٠ روبية كتعويض لاسرة الوقاد الذي قتل في الحادث و ٢٠٠ جنيه و٢٥ جنيه كتعويض للكاتب والمهندس الاول للسفينة على التوالي . ولم تقدم احتجاجات حول الموضوع الى الباب العالي ولا كان بالامكان الحصول على شيء .

وقد استنفذت تسوية قضية «كشمير» عملا شاقاً استغرق عدة أشهر قام به ممثلو بريطانيا في العراق التركي ، من الرائد هربرت المعتمد السياسي في بغداد ، الذي يعود الفضل في الحصول على نتائج مرضية جداً في القضية الى نشاطه وحزمه ، ومن المستر روبرتسون المعتمد السياسي في البصرة الذي كان يراقب سير الاجراءات في هذا المكان ، وفي عربستان، وهو الذي عمل بشكل ما تحت إشراف الرائد هربرت . كما أمكن

---

(١) كانت سمعة رديف باشا بعد مغادرته حسنه وهو « الذى عمل على شنق الجناة الذين حكم عليهم بالموت وقام باشياء اخرى بحزم قاطع أدت الى اعطاء بلاد الرافدين انطلاقة جديدة نحو الحضارة » (من كتاب جرى عبر آسيا التركية مجلد ١٣٨) .

الحصول على مساعدة طيبة داخل العراق التركي من رؤوف باشا والي بغداد ، ومن ناصر باشا شيخ المنتفك الذي ارسل من يمثله بعد اربعة أيام فقط من وقوع السرقة ، وسيد عبدالرحمن أفندي نقيب البصرة وقاسم الزهير الشلبي رئيس محكمة البصرة التجارية . وتلقى الرائد هربرت الشكر من الحكومة الهندية كما قدمت توصيات بشأنه الى حكومة صاحبة الجلالة بسبب النجاح الذي أحرزه في تصريف الامور . كما قبلت منه التوصيات التي قدمها بخصوص زملائه الرئيسيين . وقد تحسن مركزه الرسمي عندما تغيرت تسمية هذا المركز باسم «المعتمد السياسي المساعد» في البصرة وقد نقلت شكر حكومة الهند الى رؤوف باشا ، وقدمت له وللآخرين هدايا مناسبة سنة ١٨٧٤ فاستلم شيخ المنتفك خيمة بعمودين وتسلم كل من النقيب الشلبي ساعة ذهبية مع سلسال . وقد ارسلت التعليمات الى سفير صاحبة الجلالة البريطانية في استانبول لتوجيه الشكر الى الحكومة التركية للمستوى المرضي في معالجتها للقضية .

★ ★ ★

المشاريع والمؤسسات البريطانية الرسمية فى العراق التركى ١٨٦١ ـ ١٨٧٦

انشاء خدمات بريطانية بين العراق التركي والهند ١٨٦٢–١٨٦٣ :

يتضمن ملحق هذا الدليل وصفاً لانشاء الخدمات البريدية البريطانية بين بغداد والبصرة سنة ١٨٦٢–١٨٦٣ وتحسينها سنة ١٨٦٦ وسنة ١٨٦٧ وانشاء مكاتب بريد بريطانية هندية منظمة بين بغداد والبصرة سنة ١٨٦٨ تحت عنوان «المواصلات البريدية» . ويمكن الرجوع اليها هناك ويحتوي التذييل رقم ٢ من ذلك الملحق وصفاً للعقود المبرمة لنقل البريد البريطاني بين بغداد والبصرة والتي أحالت الحكومة البريطانية بموجبها نقل البريد من سنة ١٨٦٣ فصاعداً على شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية «السادة

لينش » ولا يوجد حتى الآن في الإقليم مكاتب بريد تركية ، بل حتى لا توجد أية خدمات بريدية عامة عدا بريد الهجانه البريطاني الذي يربط بلاد الرافدين بالعالم الخارجي . وهكذا شارك مكتب البريد البريطاني الهندي مشاركة كبيرة بمشاريعه في تدشين عهد تجاري واجتماعي وحتى سياسي جديد في العراق التركي .

الابقاء على بريد الهجانة البريطاني :

واحتفظ ببريد الهجانه البريطاني بين بغداد وبيروت .. ولكن مساهمة المئتي روبية الشهري في نفقاته التي كانت تقدمها حكومة الهند منذ سنة ١٨٤٤ سحبت سنة ١٨٧١ اذ كانت الخطابات في السابق ترسل عبر بغداد إلى الهند بواسطة هذا الخط ، الا أن انشاء خط مباشر من الخدمات البريدية بين العراق التركي والهند حرم هذا الخط من اولئك الزبائن ، وفضلا عن ان الخط الآخر وفر مواصلات بديلة بين بغداد واوربا أطول منه ، ولكنها ليست شديدة البطء فهو يضارع الخط المدار بدمشق ، وتبعاً لذلك أخذت الاستفادة من هذا الخط تتضاءل منذ سنة ١٨٧١ ، وضعفت موارده وبدأت هذه المؤسسة القديمة في التدهور ولم تلغ إلا أخيراً بعد انتهاء فترة حكم السلطان عبدالعزيز .

المعتمدية البريطانية تنشيء خطوطاً تلغرافية بين استانبول — بغداد ، وبغداد — طهران ، وبغداد — الخليج ١٨٦١ — ١٨٦٥ :

ومهما كانت عظمة النتائج التي اسفر عنها تأسيس خدمات بريدية فان ما ينتج في نفس الوقت عن تأسيس خدمات هاتفية بين بغداد واستانبول وإيران ، وبغداد والهند ، كان اعظم وأكبر . وقد انشأت هذه الخطوط وكالة بريطانية تعمل ضمن حدود الامبراطورية العثمانية ولمصلحة الحكومة العثمانية وقد سلمتها الخطوط بعد إتمامها . وسوف يرد تاريخ كامل لهذا العمل في الملحق تحت عنوان « تلغراف الخليج » . ويكفي هنا أن نذكره مراعاة لتسلسل الحوادث وقد افتتحت هذه

المواصلات بين بغداد واستانبول في يونيه سنة ١٨٦١ ، وبين بغداد وخانقين الواقعة على الحدود الايرانية في أكتوبر سنة ١٨٦٤ ، وبين بغداد والفاو الواقعة جنوب البصرة ونقطة الالتقاء مع شبكة تلغراف الخليج في يناير سنة ١٨٦٣ .

الدور الذي لعبه الرسميون البريطانيون في الجزء الخاص بالعراق التركي من المشروع :

وقد لعب بعض الرسميين البريطانيين من ذوي الخبرة المحلية في شئون العراق منذ البداية دوراً هاماً في إعداد الترتيبات للجزء الخاص ببلاد الرافدين من المشروع . وتولى القيام بالمباحثات الاولية في استانبول سنة ١٨٥٩ السير هـ. رولنسون المعتمد البريطاني السابق في بغداد وهو الآن المبعوث المعتمد لدى البلاط الايراني والذي يتمتع بذخيرة لا تبارى من العلم والمعرفة . وفي ١٥ ديسمبر سنة ١٨٦٠ وصل الرائد كيمبول المعتمد السياسي البريطاني في بغداد الى استانبول منتدباً من حكومة صاحبة الجلالة ، بعد أخذ موافقة الباب العالي لتفقد الجزء الذي اكتمل من الخط بين استانبول وبغداد وليضع تقريراً عن ذلك . وقد انجز هذه المهمة بسرعة فائقة عندما قام برحلة على طول الخط من اسكودرا(١) إلى بغداد في الفترة من ٩ يناير الى نهاية إبريل ١٨٦١ .

وقد ساهم الرائد كيمبول في التدابير الاضافية الاخرى التي اتخذت في الفترة من سنة ١٨٦٣ — ١٨٦٥ لمد خط التلغراف من بغداد الى الخليج ، وقام في الفترة الواقعة ، بين مارس وابريل سنة ١٨٦٣ باستطلاع هو والمستر جرينر المهندس الكهربائي الاخصائي على امتداد الخط المقرر الذي يجب ان يتبع حتى يصل إلى البصرة استغرق منهما شهراً . وقد عملا رسمياً تخطيطاً ودليلا له . واختير لهذا الخط الطريق المار بالحلة والديوانية

(١) فى تركيا على مضيق البسفور .

وهور الحمار والقرنة . وقام الملازم بيوشر من الاسطول الهندي(١) باضافة تفصيلات دقيقة عن مسح الاراضي بين الديوانية وهور الحمار كما قام المستر جونستون نائب القنصل البريطاني في البصرة برحلة من بغداد جنوباً إلى البصرة ضمن الاعمال المساعدة لعمل بيوشر . ولقد كان الرائد كيمبول يعتمد بحكم الضرورة على التعاون العملي من نامق باشا حاكم بغداد التركي في إنشاء ما تبقى من الخط وفي مدّه عبر اقليم المنتفك شبه المستقل . وكان يشتد غضبه من المتاعب التي تسببها سياسة زميله التركي وما ينشأ عنها من تأخير ، وجاء في ملاحظات السير ف. ج. جولدميد(٢)في هذا الصدد قوله «.... وفي تكفل المعتمد السياسي بالاشراف على العمل بمقدار ما تستلزم ذلك المصالح البريطانية فقد كدس على نفسه كمية هائلة من العمل . فكان لصالح نجاح القضية ان الرجل قادر وراغب في معالجة جميع الصعوبات الناجمة عن التفصيلات الثانوية بنفس الشكل الذي يتناول فيه الصعوبات ذات الطابع السياسي المحض . وبينما نجده يستنهض روح الحماسة للاجراءات المحلية بمحاولة ارضاء العرب بدل استفزاز كبريائهم وهياجهم فانه لم يهمل أتفه الامور أو أكثرها أهمية » .

وفي نهاية سنة ١٨٦٣ قامت عصابة من بدو ظافر على ظهور الدواب ومن رجال المنتفك المسلحين ببنادق تُشْعَل بالثقاب بسرقة بعض أعمدة

---

(١) جاء فى الملاحظات التى كتبها السير ف٠ج٠ جولد سميث سنة ١٨٧٤ « لم يبق هذان الموظفان المتحمسان الذكيان على قيد الحياة ، فقد وقع الملازم بوشر منهوك القوى وعاد الى الوطن وتوفى سنة ١٨٦٩ فى منتون (فى فرنسا : المترجم) أما المستر جونستون فقد ترك العمل عندما تدهورت صحته سنة ١٨٦٨ وعندما كان على وشك العودة الى عمله فى السنة التالية وقع محطما فى كرنيكاد (فى الهند :المترجم) فى سبتمبر ثم وصل البصرة ليموت فيها فى نوفمبر ٠

(٢) فى كتابه التلغراف والسفر ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ٠

التلغراف في قطاع الحلة ، وكان يقود هذه العصابة عبد من عبيد الشيخ منصور شيخ قبيلة المنتفك والذي كان في هذا الوقت متمرداً على قوانين الحكومة المحلية ، الا أن السلطات التركية أخذت على عاتقها فيما بعد تأمين المتضررين في أعقاب الاضطرابات التي نشبت بين الادارة التركية والمنتفك . وفي بداية سنة ١٨٦٤ اغتُصِب قارب مُحمَّل بأدوات تلغرافية مطلوبة في الديوانية ولم يؤد ايفاد الباشا للموظف المدعو أحمد بك والذي وصف بأن له خبرة خاصة في التداول مع العرب إلى أية نتيجة .. وفي يونيه من نفس السنة ارسل الشيخ فهد شيخ المنتفك الجديد أحد أقربائه ليمرر القوارب إلى أعلى الفرات وكان من المشكوك فيه أن يتم العبور بسلام كما يستخلص من رسالة كتبها الرائد كيمبول في ٢٣ يوليه :—

« أصبح الوضع الآن بالنسبة للتلغراف يدعو لليأس وذلك بعد مرور ما يقارب السنة من التعلق بمقدرة نامق باشا في توفير الظروف لانشائه ، وأعتقد أنه لم يبق أمام الباب العالي الا اختيار أحد سبيلين لاتمام هذا المشروع ، فاما أن يسمح لي في النهاية أن أعمل مستقلا واتفاوض مباشرة مع العرب لتأمين مرور الخط أو ان تجرد حملة عسكرية كافية لاخضاع المقاطعات الواقعة على كلا ضفتي الفرات من الديوانية حتى البحر ، وإني أتمسك بالإجراء الاسبق الذي شرحته والقاضي بأن يقوم المعتمدون البريطانيون بالاضافة الى رسميين أتراك من ذوي النوايا الحسنة بالتعامل المباشر مع العرب ، وهذا يجعلنا لا نعاني من صعوبات تقف أمام الشروع في التنفيذ . الا أن السياسة المقترحة هذه ستكون غير عملية في ظل حكم نامق باشا . وإن ما حدث في الفاو من حوادث عندما أنزلت الاسلاك ليوضح بأجلى صورة شدة غيرته وحساسيته البالغة حيال اي عمل مستقل من جانبنا . ان فخامته(١) حذر من أي عروض من جانبي تضعني على اتصال شفوي خطي مع الرؤساء الثائرين بشأن تحقيق مصلحة تلغرافنا

(١) فخامة سفير صاحبة الجلالة البريطانية فى استانبول .

باقناعهم بحسن الطاعة للسلطة التركية ، لان أي غرض من هذا القبيل سيرفض على أساس نفور فخامته من أي شكل للتدخل الاجنبي . وربما تألم فخامته من ناحية وطنية اذا فضل السبيل الثاني الذي أشرت اليه إلا أن اختياره هذا يحتاج إلى وقت ، وقد يجر الى تضحية أكبر في الواردات والى تكاليف مادية أعظم مما يرغب الباب العالي في تحمله .

وقبل ان اختتم هذه الرسالة ارجو من فخامته أن يغفر لي تناول مسائل ذات طابع شخصي اذ يوجد في انجلترا شعور بالاستياء الكبير بسبب عدم تكملة تلغراف بلاد الرافدين . ولما كان النجاح يوءخذ على أنه امتحان للكفاءة فانني أعتقد أن مذلة الفشل ستنعكس الى حد ما على أنا . أما مدى صحة توجيه جهودي فباستطاعة فخامتكم وحده أن يحكم عليها . ولكن إذا استطاعت هذه الجهود ان تكون حسنة الحظ فانها ستنال موافقتكم ، وإني آمل بكل احترام في تدابير يسودها التبصر ، وفي أن أتشرف بمساندة فخامتكم وان يسمح لي على الاقل باكمال المهمة التي اوكل الى تنفيذها وانني لا أستطيع إلا أن اشعر بالمهانة اذا ما فشلت في المرحلة الاخيرة منها » .

وفي أغسطس سنة ١٨٦٤ ودون اهتمام بالحملة التي كان قد ارسلها نامق باشا حينئذ لاخضاع شيخ خزعل أمر الباشا سامي أفندي الموظف التركي الذي يعمل بالاشتراك مع الرائد كيمبول في الامور المختصة بالتلغراف بابلاغ الاخير بأن الباشا «مصمم على استئناف عمليات انشاء التلغراف» وأنه يدعوه الى انتداب المهندسين البريطانيين وتكوين فرق العمال لاتمام المشروع . ولكن أصبح الدور الآن للمعتمد السياسي البريطاني في الاصرار على التأخير لأن المواد اللازمة لانهاء الخط لم تسلم في البصرة الا أخيراً . وقد برر مسلكه هذا في الرسالة التي ارسلها الى سكرتارية الدولة للشئون الخارجية لحكومة الهند بالعبارات الآتية :

لقد اقترح على نامق باشا استئناف العمليات لهذا الغرض ، ولما كان

فخامته يستعد لحملة عسكرية لإخضاع الشيخ مطلق شيخ قبيلة خزعل القوى ، والذي تقيم قبيلته على مسافة قريبة من السماوة ، ولما كان شيخ المنتفك الثائر منصور لا يزال طليقاً ويحتمل انضمامه مع الجزء الساخط من قبيلة خزعل ، لذا فانني لا اشاركه الحماسة في الاحساس باستعادة السكينة ، وحسب اعتقادي فانني يجب الا أقتنع بتعريض موظفي من الاوربيين للعيش تحت ناموسية خوفاً من ملاريا المستنقعات في انتظار توزيع المواد على طول ضفتي الفرات وان ينتظروا الطقس حتى يصبح أكثر برودة في هذه الاحوال التي يستغرق كل منها شهراً كاملا حتى تتحقق . ان فترة تأخير بسيطة لن تكون كبيرة الضرر ، ذلك لأنه لو حدث ووقعت أية كمية ملموسة من مخازننا في أيدي الثوار العرب او اجتاحتها مياه النهر ، فان تأخير العمل لن يكون لاقل من سنة أخرى ، وسيؤدي حدوث أي من هذه الاحتمالات المتوقعة طبعاً إلى مخاطرة تأجيل فخامته للخطط التي هي الآن تحت متابعته والتي على وشك الصدور .

وعلى أية حال فان جميع الصعوبات قد ذللت في النهاية ، واستطاع الرائد كيمبول في شهر اكتوبر سنة ١٨٦٥ أن يقول «انني اعتقد بأن العمل في قطاعات تلغراف بلاد الرافدين من بغداد الى فاو يسير باضطراد جيد وذلك منذ تاريخ انشائها على شكل خطوط مزدوجة . ولا شك ان المستر كارثو(١) المفتش المسئول عن هذه القطاعات موظف قدير وان شكل الصيانة منذ اللحظة الاولى لانشائها يختلف عن النظام المعلق عموماً في تركيا وذلك بمضاعفة عدد الشاويشية مع استبدالهم بأشخاص من الاهالي المسمون «المسيرون» او الخفر المناطة بهم إدارة النفط التي تقع في اراضي شيوخ العرب » .

---

(١) كان السيد كارتو ضابطا متقاعدا من المدفعية غير منتدب راجع كتاب السير ف٠ج٠ جولد سميث التلغراف والسفر ٠

موقف نامق باشا من المصالح البريطانية ١٨٦٢–١٨٦٨ :

لقد اتيحت لنا الفرصة آنفاً للاشارة الى العداء الذي خلقه التدخل السياسي البريطاني ومشاريع بريطانيا في حكام العراق التركي في عصر السلطان عبدالمجيد . ويجب الاعتراف بأن المكانة التي اكتسبتها الحكومة البريطانية من نجاحها في انشاء خدمات تلغرافية وبريدية في عصر السلطان عبدالعزيز لم تكن أقل من المكانة التي اوجدها احتكار البواخر الفعلي للملاحة التجارية في دجلة ، مما أدى إلى زيادة حدة الكراهية التي تعودت السلطات التركية على اظهارها نحو مظاهر النظام البريطاني في الاقليم . وكان استمرار تدخل المعتمد السياسي البريطاني في الشئون القبلية والداخلية التي كان لا بد منها بحكم مسئوليته عن إنشاء التلغراف قد اثارت سخط السلطات المحلية البالغ ، وتكشف المقتبسات التالية من رسالة الرائد كيمبول بتاريخ ٤ مايو سنة ١٨٦٤ عن مجريات الامور بشكل لا يثير الدهشة .

« أعتقد على ضوء مشاعر نامق باشا المعروفة ان هدفه الحقيقي هو الضغط في هذا الموضوع فلقد بلغت مخاوفه من توسع النفوذ البريطاني بين العرب حد الهوس . ولم يعد يخفي إظهار ذلك . وعندما نصحته بعض المصادر الحسنة بأن كبار رجال المنتفك لا يحتاجون سوى تأكيد مني عن اخلاص نامق باشا في الموافقة على اعادة اراضيهم وحسن معاملته لهم حتى يذعن قيادهم له . وعندما قدمت وساطتي في هذا الموضوع قدمت له مسودات الرسائل التي اقترحت ارسالها اليهم (ومرفق نسخة منها) فاجاب فخامته ، مع أنه يعترف باحتمال جدواها ، بأن الصورة التي حدثت في لبنان بعد احتلال ابراهيم باشا لسوريا قد اقنعته برفض التدخل الاجنبي في جميع المناسبات ، وعلى أية صورة مهما كانت . ولم يقتنع بأي من حججي عن عدم وجود قياس او مقارنة بين الحالتين .

ومثال آخر على ذلك أنه عندما أبلغه شبلي باشا في رسالة برقية من الديوانية ان روؤساء عشائر المنتفك اقترحوا أن يكتبوا لي خطاباً جماعياً يطلبون فيه وساطتي ، ارسل فخامته إلي في الحال وقال إنه من المرغوب فيه أن ارفض طلبهم وأن لا أجيبهم ايضاً .

وقد رفضت اتباع هذا المسلك لانه فظاظة لا ضرورة لاتباعها مع الذين سيراسلونني . ولكنني أكدت لفخامته أنني سوف أضع رسالتهم حال تسلمي لها بين يديه في الحال ، وأن أنقل اليهم قرار فخامته ، مع الاحتفاظ بعدم ازدواج طبيعة الموضوع مما يمكن أن يعرضني الى الشكوك او الريبة . وتصورت أنه من الصواب تحديد هذه الظروف فقد حدث في هذه المناسبة الاخيرة عندما ارسلت بموافقة فخامته رسالة الى الشيخ ناصر ومنصور (انظر الرسالة رقم ١٦ المؤرخة بتاريخ ٢٦ مارس سنة ١٨٦٤) حرض فخامته الشيخ الاول عندما كان ضيفاً عليه في بغداد ليس فقط على رفض تدخلي ، بل وذكرله ان التلغراف هو المتسبب في القلاقل الموجودة. وأدرك طبعاً الشيخ ناصر من هذا الرأي الفخ الذي نصب له ورفض قبوله ولكن بدون ان يفشي السر عن معرفتي باجراء فخامته . وتجاسرت فاغتنمت الفرصة ولمحت بنفسي الى الاسلوب أثناء سير المناقشة لابين سخافة حجة فخامته . وقد لاحظت أن اعادة النظر في موضوع من هذا القبيل لم تكن فقط غير منسجمة مع العداوة التي أظهرها العرب عندما نهبوا كمية كبيرة من حبوب الدولة المرسلة الى جده (وهو عمل يصعب التصور بأنهم قاموا به بسبب موقفهم من مشروع التلغراف) ولكن أيضاً يظهر العكس ، فان التجاء الروؤساء الثائرين الى الاستغاثة بي ، وسلوكهم الودي اللطيف تجاه المستر جونسون وموظفي السفينة «كوميت» في المناسبة الاخيرة (وهي الرحلة التي تمت بالاتفاق مع سامي أفندي) كل هذه الاسباب كافية لان تفند مانسب لهم من دوافع غير صحيحة ، ومن

جهة اخرى فان فخامته لا يجهل الاعتقاد السائد بينهم في أنه هو الذي عمد الى اثارة التشويش الحالي لعرقلة العمل . في حين كان من المفروض أن يكون موقفه على العكس ، وقد أكد لي فخامته فيما بعد بانني أسأت فهم قصده ، ولكنني نوهت بظروف الموضوع على الاقل لكي لا يعمد من أجل تبرير سياسته وما أدت اليه من تأخير أعمال المشروع الى اللجوء الى مثل هذه الحجج في مراسلاته مع الباب العالي . واعتقد أنني في امس الحاجة لان اوكد لفخامتكم بأن الدسائس التي حملتها هذه المراسلات لا أساس لها كلية وانه لا شيء يمكن أن يكون أكثر وداً من استعادة القبائل الحالي للتعاون مع الانجليز او اكثر رغبة منهم في ذلك . وانني مقتنع بأن تعاونهم يصل الحد المعروف لانهم يعرفون أن ذلك ينسجم مع اوامر السلطان ، وان هدفهم من إيقاف القوارب المحملة بالمواد هو محاولة لزعزعة الثقة بين نامق باشا والحكومة المركزية وليس عدم التعاون معنا » .

نقل مستودع سفينة الحكومة البريطانية من ماجيل (كوت الفرنجي) الى البصرة ١٨٦٩ — ١٨٧٣ :

طلبت حكومة الهند سنة ١٨٦٩ اقتراح توفيرات في نفقات المعتمدية السياسية البريطانية في بغداد فاقترح الرائد هربرت نائب المعتمد السياسي وجوب نقل مخزن فحم سفينة الحكومة البريطانية «كوميت» ومستودعها اللذين في ماجيل (او كوت الفرنجي) الى البصرة ويوءدي هذا الى امكانية استبدال البواب البلوشي بجامدار واحد واستبدال السبعة رجال المخصصين لماجيل(نظراً لموقعها المنعزل) ببواب واحد ، كما ان هناك توفيراً بسيطاً في الايجار . وعلاوة على ذلك وطبقاً للترتيبات الجديدة ، فسوف يكون لقائد السفينة «كوميت» مستودع ورصيف خاص به بدلا من المنشئات المشتركة التي في ماجيل حيث لا يمكن أن ترسو إلا سفينة واحدة على الرصيف في حين توجد في نفس الوقت سفن أخرى للسادة لينش

وشركاه ، تلك المؤسسة التي أصبحت المالك لماجيل والتي تحصل من الحكومة على ١٠٠ روبية شهرياً كايجار عن المكان الذي تحتله مخازن السفينة كوميت : وقد اصبحت الآن تخشى على ملكيتها له في حالة انقطاع ارتباط الحكومة البريطانية به ، وبالتالي احتمال قيام السلطات التركية باحتلاله . ولذا قدمت هذه الشركة في وقت مبكر من سنة ١٨٧٣ اعتراضاً على التغيير المقترح ، ووصفته بأنه اقتراح مؤسف ؛ لان العقار معتبر منذ مائة سنة ارضاً بريطانية وانه اقترن اقتراناً شديداً باسم بريطانيا وهيبتها ، وقد ايد وجهة نظرها هذه المستر رولنسون وأيدتها معه الى حد ما سكرتارية الدولة في الهند . وفي وقت متأخر جداً اتفق الرائد هربرت مع شخص يدعى حاجي ابراهيم على استئجار بناية في مكان مناسب في البصرة يتصل مع المدينة وأبنية الحكومة التركية بطرق جيدة ، وبايجار سنوي مقداره ١,٢٠٠ روبية . وفي ٣٠ يونيه سنة ١٨٧٣ كان المستودع الجديد قد شغل ولم تجر أية محاولة واضحة من الاتراك لطرد السادة لينش من ماجيل ذلك المكان الذي خول للمؤسسة امتلاكه حسب قانون سنة ١٨٦٧ الجديد الذي منح الاجانب حق امتلاك عقارات ثابتة في تركيا .

سفينة الحكومة البريطانية كوميت :

وضح فيما سبق ان السفينة «كوميت» التابعة للحكومة البريطانية قد اعيقت عن السير أثناء الخلافات التي قامت مع الحكومة التركية سنتي ١٨٦٢—١٨٦٤ حول حق المؤسسة التجارية البريطانية السادة لينش وشركاه في إضافة سفينة ثانية على دجلة ، وسوى الموضوع تقريباً سنة ١٨٦٤ عقب سوء التفاهم الذي حدث ، عندما طالبت الحكومة التركية سحب السفينة «كوميت» من بلاد ما بين النهرين كلية .

وفي سنة ١٨٦٨ أبلغ المعتمد السياسي البريطاني في العراق التركي عن ضرورة استبدال السفينة «كوميت» التي وصفت بأنها غير مأمونة منذ عام ١٨٦٢ بمركب آخر جديد وأن الموضوع هام ومستعجل واقترحت

حكومة الهند على حكومة صاحبة الجلالة أن تسعى لها للحصول على موافقة الباب العالي على هذه الخطوة، وحدث ذلك فعلا، ووافق الباب العالي في مذكرته المؤرخة بتاريخ ١٣ يونيه سنة ١٨٦٩ على «استبدال السفينة كوميت وهي المركب التابع للاسطول الملكي المقيمة في بلاد الرافدين بسفينة اخرى» .

وبرزت بعد ذلك مسألة الاهداف والوسائل التي يتحقق ذلك بموجبها ، فقد وجد ان تكاليف مركب جديد في حجم كوميت تبلغ ٦١,٢٠٠ روبية للشراء و ٣,٠٣٩ روبية للصيانة . وسجل في مجلس الوزراء في فبراير سنة ١٨٧٠ قرار صادر عن الحاكم العام يوصي باستبدال السفينة كوميت بمركب آلي صغير قيمته في حدود ١٠,٠٠٠—١٢,٠٠٠٠ روبية مع انشاءات تبلغ تكاليفها السنوية ٦,٠٠٠ روبية وذلك كاقصى حد كاف . وارسلت نسخ من هذا القرار إلى دائرة البحرية وإلى نائب المعتمد السياسي في العراق التركي . وقد التمس المرجع الاخير هذا بحرارة إعادة النظر في القضية . واعرب في التماسه عن ان زيادة عدد السفن التركية في دجلة تحتم بالضرورة استبدال السفينة «كوميت» بمركب في نفس المستوى، وأضاف الرائد هربرت بأن السلطات التركية تعمل جاهدة لطرد مراكب شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية من النهر ، واشار إلى أنهم اذا نجحوا في ذلك فان المركب الحكومي التابع للمعتمدية السياسية سيكون الوسيلة الوحيدة القادرة على الاحتفاظ بالاتصال البريدي مع البصرة وكذلك مع الهند . وقدم أيضاً نقطة أخرى تستحق الاهتمام وهي الدعم الادبي الذي يمنحه وجود مركب بريطاني حكومي في بغداد للمشاريع التجارية البريطانية . وذكر ايضاً أنه في المدة الاخيرة عندما كانت نسبة كبيرة من البلاد في حالة ثورة سنة ١٨٦٩ وجرت محاولة تمرد في مدينة بغداد ، كانت السفينه «كوميت» تعتبر وسيلة الهرب عند

الحاجة . ولكن هذه الحجج لم تقنع مجلس الحاكم العام للهند الذي أصدر قراراً جديداً في ١٣ يونيه سنة ١٨٧٠ هذا نصه :

« من رأي مجلس نائب الملك والحاكم العام فيما يتعلق بهذه القضية بعد معاودة دراستها أنه من غير الضروري في الوقت الحاضر استبدال السفينة «كوميت» حتى ولو بمركب بخاري ، في حين توجد تسهيلات واسعة لنقل البريد في البواخر الانجليزية او التركية التي تجوب الآن الفرات(١) . وهناك القليل من الاحتمال في أن يكون المركب المطلوب — فيما تأخذ أسباب الحضارة في آسيا التركية في الارتقاء — يجب ان يكون مركباً حربياً بريطانيا وذلك رداً على ملاحظة المعتمد السياسي في اعتبار المركب مكاناً محتملا للجوء الرعايا البريطانيين في بغداد . لذلك فان رأي فخامته متفق بالاجماع مع هذه الدائرة في ان السفينة «كوميت» يجب أن تصرف في الحال عن مأموريتها ، وان يصرف بحارتها عدا بعض الرجال الذين يحتاج اليهم للعناية بالمركب كما تلغى توصية استبدالها بمركب صغير .

وهناك سبب آخر قدم لتبرير اصدار ذلك القرار بشأن السفينة «كوميت» وهو أن وجودها يثير مشاعر الكراهية لدى دولة حليفة وفية» ولكن ربما كان من الصعب تقديم حجة على أية فائدة جوهرية جنتها بريطانيا في العراق التركي من العلاقات الوثيقة والعواطف الودية التي ظهرت والتي كان يفترض لها وجود وهمي :

على ان وجهة نظر الرائد هربرت وجدت موافقة من السفير البريطاني في استانبول الذي نفذها موضحاً ان الفرصة التي سنحت «لاستبدال مركب قديم بآخر سليم » ليست ممكنة اذا سمح للخطأ أن

(١) ربما يعني الخلط بين الفرات ودجلة في هذه المناسبة ان دراسة الوضع المحلي لبلاد الرافدين كانت دراسة سطحية .

يتكرر ، وعندها أثارت حكومة بومباي نقطة ذكرت فيها « أنه من الصعب مواجهة المعارضة التركية وربما معارضة الدول الكبرى الاخرى لمحافظة انجلترا على امتيازاتها بعد أن تنازلت عنها لاعتبارات اقتصادية » وأخيراً قررت حكومة الهند « مراعاة منها فقط لوجهة نظر وزير الدولة » ليس قبول استبدال السفينة «كوميت» فقط ولكن استبدالها بمركب من نفس الحجم . وعلى أية حال فلم تتخذ أية خطوات عملية بهذا الصدد إلا بعد بضع سنوات من ذلك .

وفي أثناء ذلك ، وكما ذكر سابقاً عن قضية إضافة بواخر أخرى على اسطول شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية ، أثارت الحكومة التركية مسألة وضع السفينة «كوميت» متظاهرة ، كما حدث سنة ١٨٦٤ ، بالخلط بينها وبين مراكب السادة لينش ، وأخيراً في ٣١ مارس ١٨٧٥ أمكن الحصول على مذكرة من الباب العالي ميزت بموجبها السفينة «كوميت» عن بواخر السادة لينش وجاء فيها :

« أما فيما يتعلق بالسفينة كوميت التابعة للبحرية الملكية فيسمح باستمرار عبورها أنهار الرافدين حسب الاتفاق السابق .

ويشرفني أن أحمل لفخامتكم قرار الباب العالي هذا والذي أبلغ إلى والي بغداد برقياً » .

وبعد الغاء الاسطول الهندي سنة ١٨٦٣ أصبحت السفينة كوميت مركباً من مراكب بحرية بومباي ، وفي سنة ١٨٧٣ كان على قيادتها المستر باول وهو ضابط متقاعد في الاسطول الهندي السابق دون أن تحدد لها مهام معينة ، وكانت أسلحتها مكونة من مدفعين عيار ٩ أرطال فقط واحد على مقدمتها والثاني على مؤخرتها . وكان بحارتها يتألفون في غالبيتهم العظمى من مسيحيين شرقيين من رعايا تركيا .

منع السفينة كوميت من اطلاق مدافع التحية سنة ١٨٧٣ :

وكانت السفينة كوميت قبل سنة ١٨٦٣ أي خلال الفترة التي كان الاسطول الهندي فيها موجوداً تطلق دائماً مدافع التحية وذلك طبقاً

لشهادتي القائد فيلكس جونز والسر أ. كامبول . ولم تثر اية اعتراضات على ذلك من السلطات التركية . ولكن عملها هذا في اطلاق التحية توقف عندما أزيل اخيراً واحد من مدفعيها ليفسح المجال لاتساع أكبر على ظهرها .. وقد استقبلها الرائد هربرت نائب المعتمد السياسي حوالي سنة ١٨٧١ عندما كانت في هذه السنة في البصرة فأطلقت مدافع التحية في الاحتفال السنوي بمناسبة تولي السلطان الحكم وهي مجاملة يبدو أن قائد الاسطول التركي في ذلك الموقع كان حريصاً على تأديتها . وفي سنة ١٨٧٣ قدم رديف باشا احتجاجاً عقب اطلاقها ١٣ طلقة تحية لعودة المعتمد السياسي من رحلة له ، ثم رفعت القضية الى استانبول . وادعى الرائد هربرت أن التحية أطلقت مطابقة بالضبط لعرف قديم الا أن رأي القائم بأعمال سفارة صاحبة الجلالة البريطانية في استانبول كان يميل الى وجهة النظر القائلة بأن بغداد ليست ميناء على بحر مفتوح ولكنها مدينة كبيرة تقع على نهر وعلى مسافة بعيدة داخل البلاد ولذا فان رغبة السلطات التركية في الموضوع يجب ان تحترم . وعند بحث القضية بتفصيل أكثر وجد ان عملية اطلاق مدافع التحية من السفينة «كوميت» التي تحمل أقل من عشرة مدافع لم تكن مطابقة للوائح الاميرالية ، والقى مكتب الخارجية التبعة على الرائد هربرت الذي تصرف دون حكمه في إحياء هذا العمل بعد الغائه . وقد شاركت حكومة الهند القائم بالأعمال ذلك الرأي أيضاً .

زيارة السفينة العاملة في خدمة فيلوميل ومسألة حرية شط العرب :

وبرزت في سنة ١٨٧٤ مشكلة حق السفن الحربية الاجنبية في الملاحة في شط العرب شمال البصرة وذلك عندما زارت السفينة العاملة في خدمة جلالتها «فيلوميل» القرنه عند التقاء دجلة والفرات .

وقد جاء في رد المعتمدية السياسية على موضوع الشكوى التي قدمها والي بغداد بهذا الخصوص ما يلي : « ان الشيء» المفترض في شط العرب

أنه دائماً نهر حر ، وهو عملياً بالتأكيد كذلك ونادراً ما كان غير ذلك وان القرنة تشكل المستودع الرئيسي الذي تصدر منه التمور حيث اعتادت الناقلات البحرية التي تحت أعلام أجنبية أخذ حمولاتها ... الخ » .

وقد رد الوالي « أنه امر لا يحتاج الشرح في أن الجزء الواقع بين البصرة والقرنة من النهر ليس نهراً حراً وأن الجانب التركي وملحقاته حتى نقطة على شط العرب جنوب البصرة وخاصة كلا الضفتين الكائنتين أعلى البصرة هي من املاك الحكومة العثمانية الثانية وان دخول المراكب التجارية الاجنبية والمراكب الحربية على الاخص في مثل هذا النهر الذي يقع من منبعه الى مصبه في ممتلكات الحكومة العثمانية دون رضى وقبول الحكومة يعتبر طبقاً للقوانين غير مسموح به » .

ويبدو ان الامر لم يتطور إلى أبعد من ذلك ولم يتوصل الى خاتمة له .

اعادة تحويل المعتمدية السياسية البريطانية في العراق التركي إلى مقيمية سنة ١٨٧٣ :

وقد استعاد المعتمد السياسي البريطاني في العراق التركي رتبة المقيم التي كان حرم منها سنة ١٨١٢ بموجب بلاغ دائرة خارجية حكومة الهند المؤرخ بتاريخ ٢٢ أغسطس سنة ١٨٧٣ . وقد اعلن في هذا البلاغ أنه سوف يصار الى تصنيف الموظفين في أعلى المناصب السياسية كمقيمين ضمن ثلاث درجات وستكون الرواتب التي يتقاضونها محلية ووفق تعييناتهم ضمن تلك الدرجات » ووضع المعتمد السياسي في بلاد العرب التركية في النظام الجديد على رأس المقيمين من الدرجة الثانية . وكانت المقيميات الاخرى التي وضعت على هذه الدرجة هي مقيمية الخليج ومقيمية نيبال ومقيمية جواليور . ومع أن المعتمد السياسي بالعراق منح مركز مقيم إلا أنه ظل يخاطب في المكاتبات الرسمية بلقب المعتمد السياسي وستجد قائمة بالمعتمدين السياسين في بغداد خلال هذه الفترة في الملحق الخاص بالتمثيل الديبلوماسي والقنصلي .

الوضع الرسمي لممثل بريطانيا في بغداد سنة ١٨٧٤ :

وفي نفس السنة قام خلاف حول مركز ممثل بريطانيا المحلي نفسه ، عندما طلب والي بغداد قائمة باسماء موظفي القنصلية البريطانية العامة في بغداد ، وكان طلب الوالي هذا تنفيذاً للوائح التركية التي جددت بغير الحالات الاستثنائية . عدد المترجمين والقواسين في(١) القنصليات الاجنبية العامة في الامبراطورية العثمانية بأربعة لكل من الفئتين . وقد رفض الرائد هربرت الذي دأب على اعتبار جميع أعضاء طاقمه تحت حمايته سواء أكانوا رعايا أتراك أم غير أتراك مرتين تزويد الوالي الباشا بالمطلوب ، وعلل ذلك بأن الموظفين الذين هم موضوع المسألة ليسوا مساعدين قنصليين ولكنهم تابعون « لمقر المعتمد السياسي لحكومة صاحبة الجلالة في الهند » . ثم رفع الموضوع بعد الاخذ والرد الى مراجع أعلى وجاء في رسالة له الى سفير صاحبة الجلالة البريطانية في استانبول أنه مقتنع « بأن مكتب وظيفة المقيم أسبق من وظيفة القنصل في بغداد وان هذه الوظيفة قد اعترف بها مكتب الخارجية واعترفت استانبول بها بالتالي وأن قصرها على الصفة القنصلية فقط سيفقدها طابعها الدبلوماسي والسياسي في أعين الذين ينظرون اليها نظرة هامة جداً ، في حين أنه يجب أن يكون للمعتمد السياسي نفوذ كبير » واستشهد بالتعليمات التي اعطيت للعقيد رولنسون سنة ١٨٤٤ مشيراً الى طابع وظيفته المزدوج ، واقترح ان يُعترَف له صراحة بطبيعة مركزه التابع للسلطات الهندية من كل من وزارة الخارجية الانجليزية ، والسفارة البريطانية في استانبول والباب العالي .

وقد عبرت حكومة الهند عن رأيها في الموضوع بما يلي :—

« بالاشارة الى هذا الموضوع نرجو أن نبين أن حكومة الهند ما زال يمثلها في بغداد منذ سنة ١٧٩٨ معتمد سياسي كان يسمى في بعض الاحيان

(١) ميز هؤلاء بحكم وجودهم بالتمتع بحماية الدولة التى تتبع لها القنصلية مع انهم رعايا اتراك وضمن حدود معينة ولم يحدد عدد الموظفين الذين لا امتياز لهم .

بالمقيم السياسي وفي البعض الآخر بالمعتمد السياسي ، ومع أن الباب العالي لم يعترف رسمياً لاي موظف آخر على الاطلاق بأكثر من قنصل او قنصل عام ، ومع ان المعاهدات المبرمة بين بريطانيا العظمى وتركيا لا تحتوي على أي اتفاق حول الموضوع ، فان حكومة بغداد المحلية قد اعترفت بوضع المعتمد السياسي لحكومة الهند شكلياً ورسمياً . ومن هذه الحقيقة ، ومن استمرار هذه الوظيفة لأكثر من ثلاثة ارباع القرن دون أي اعتراض من جانب الحكومة التركية فاننا نفترض أن اذعان الباب العالي لهذا الوضع وقبوله به يمكن الافتراض بأنه كان موافقة على الترتيبات المذكورة .

ان التمييز بين العمل القنصلي والعمل الدبلوماسي مسألة لها أهميتها . ونحن نرى أنه يجب الا يطمس هذا التمييز بالشكل الذي اقترحه الرائد هربرت ، ولذا نرجو أن نعبر عن املنا في ان يتمتع هذا المركز باسم المعتمد السياسي دون تغيير كما كان عليه منذ عهد بعيد .

وكان رأي وزارتي الهند والخارجية على أية حال عندما سلم الى الرائد هربرت يفيد بأنه من غير المناسب له أن يثير أية قضية حول وضعه كمعتمد سياسي في العراق التركي . وأنه « تمكن سداد احتياجات دائرتك بأي عدد من الموظفين زائد عما تنص عليه اللوائح القنصلية(١) التي اقرها الباب العالي بالطريقة التي اعتدت عليها في إجراءاتك » .

وبحثت حكومة الهند المسألة الخاصة بتحيات السفينة «كوميت» وأوردت الملاحظات التالية بشأن مركز معتمدها السياسي في بغداد في نطاق الجهاز الهندي الوظيفي .

« أما حق الرائد هربرت في أن يُحَيّى في مناسبات معينة فتلك مسألة أخرى فهو كوكيل سياسي برتبة مقيم له الحق بموجب أمر صاحب الجلالة التشريعي بتاريخ ٢٣ يناير سنة ١٨٦٠ أن يُحيّى من ١٣ مدفعاً .

---

(١) بموجب اللوائح القنصلية تعنى طبعا اللوائح التركية المتعلقة بالقنصليات الاجنبية .

نقل الرائد هربرت من المعتمدية السياسية في بغداد سنة ١٨٧٤ :

وعدا عن تمسك الرائد هربرت بحقه في أن تؤدي له السفينة «كوميت» التحية في بغداد ، وادعاءاته بمركز أعلى من مركز القنصل العام ، فقد تصادم هربرت مع رديف باشا والي بغداد حول امور متعددة من بينها حرية ملاحة السفينة كوميت في مياه العراق ، وحماية السلطات البريطانية لمواطنين من البحرين يقيمون او يستوطنون تركيا ، وقد تقرر أن الرائد هربرت على الرغم مما أصاب من نجاح في قضية كشمير فقد وقف عموماً موقفاً تنقصه اللباقة والقدرة في مداراة مصاعب وظيفته ، وان موقفه تجاه السلطات التركية قد أدى الى اثارة نفسية لاضرورة لها . وطبقاً لذلك أشارت حكومة صاحبة الجلالة الى رغبتها من أن المصلحة العامة بأن يُنقل إلى وظيفة أخرى يصلح لها أكثر من هذه وشاركتها حكومة الهند في هذا الرأي ، واتخذت الترتيبات لنقله ، الا أنها عبرت في نفس الوقت عن رغبتها في الحصول على نقل رديف باشا أيضاً من بغداد لان لهجته مع الممثل البريطاني كانت فظة للغاية وقد لا يكون مستبعداً ترقيته في أعقاب نقل الرائد هربرت .

التمثيل البريطاني في البصرة ١٨٦١ — ١٨٧٣ :

كان يشغل منصب ممثل بريطانيا السياسي ومنصب نائب القنصل في البصرة حتى سنة ١٨٦٢ المستر ر. روجرز أمين حسابات السفينة «كوميت» السابق الذي جاء عقب المستر ج. تيلور المنقول سنة ١٨٥٨ كقنصل في ديار بكر . وكان راتب المستر تيلور في الاصل ٢٠٠ روبية شهرياً وقد زيد راتبه سنة ١٨٥٦ وبأثر رجعي حتى سنة ١٨٥٤ الى ٤٠٠ روبية هي نفس الراتب الذي ظل خلفه يتقاضونه .

وعندما توفي المستر روجرز سنة ١٨٦٢ عين مكانه وبناءً على توصية من الرائد كيمبول المستر و. جنستون المساهم الصغير في مؤسسة السادة لينش . وفي ابريل سنة ١٨٦٨ أخذ المستر جنستون أجازة مرضية عاد منها ليموت في البصرة في نهاية سنة ١٨٦٩ .

واثر وفاة هذا ، ثبت المستر بي. ج. سي. روبرتسون الموظف المعاون في نفس المؤسسة والذي رشحه الرائد كيمبول لان يكون نائباً للمستر جونستون في نفس الوظيفة وبنفس الشروط حتى سنة ١٨٧٣ عندما حول اسم وظيفته مثلما ذكر سابقاً من «المعتمد السياسي» في البصرة الى « المعتمد السياسي المساعد » .

المعتمد السياسي المساعد في البصرة سنة ١٨٧٣ :

وقد تم هذا التغيير على اثر بلاغ صدر عن حكومة الهند في ١٧ يوليو سنة ١٨٧٦ كان قد اقترح اصداره المعتمد السياسي البريطاني في العراق مكافأة للمستر روبرتسون على خدماته الممتازة في قضية « كشمير » .

وكانت الدوافع الاولية لذلك هي تحسين مركز المستر روبرتسون في نظر المسافرين وخاصة الهنود منهم الذين يحتمل أن يعلق لقب «المعتمد البريطاني» في أذهانهم بوظائف نظيره يمكن أن يشغلها غير الاوروبيين . ومع ذلك فالتغيير لم يحمل في طياته أية زيادة مباشرة في الراتب ، وكان من أثر هذا التغير ان جعل من المستر روبرتسون عضواً في الهيئة السياسية الهندية .

وظيفة المعتمد الاهلي في معتمدية بغداد السياسية سنة ١٨٦٨ :

وفي فبراير سنة ١٨٦٨ اشتكى نامق باشا حاكم بغداد التركي من سلوك المستر ميخائيل ميناس الذي عين نائب قنصل في بغداد سنة ١٨٥٩ ، ووصفه بأنه وقح وغير محترم ، وطلب اختيار أي شخص آخر كوساطة للاتصال بينه وبين القنصل العام البريطاني . وقد رفض السير أ. كمبول نقل المستر ميناس على تهمة عائمة لم يقم عليها دليل محدد ، وطلب من نامق باشا ان يعين أمثلة على سوء سلوكه معه . ولكن الحاكم تجاهل ورفع المستر أ. كمبول الموضوع الى السفارة البريطانية في استانبول الا أن ردها كان « لا يمكن طلب الاعتراف بنائب قنصل في مكان يوجد له موظف قنصلي مع ملاحظة أنه اذا اعترف لكم بنائب قنصل كوسيط

اتصال بينكم وبين السلطات التركية فليس لنا حق الادعاء بأكثر من ذلك وإن نائب القنصل في استانبول غير معترف به رسمياً مثلما تعترف به الحكومة التركية عندكم مع أنه يقوم بوظيفته بتعيين من دائرة الخارجية . وعلى هذا فقد وصف المستر ميناس بأنه معتمد أهلي فقط .

المقر الرسمي للممثل البريطاني في البصرة ١٨٦٧–١٨٧٥ :

رأينا فيما سبق كيف استمرت المفاوضات التي دخلت فيها حكومة الهند مع الرائد تيلور لشراء ملكية عقاره في ماجيل أو كوت الفرنجي المستخدم كمستودع لسفن الحكومة البريطانية في العراق ، وذلك من سنة ١٨٣٩–١٨٧٣ ومع ذلك كانت المفاوضات عقيمة. وعلى أية حال فقد كان الممثل البريطاني الذي يشغل جزءً من العقار المستأجر لحكومة الهند حتى سنة ١٨٧٤ قد ترك ماجيل . كما أقام المستر روبرتسون المعتمد السياسي البريطاني في بيت كان موجوداً مكان القنصلية البريطانية الحالية في البصرة ، على ضفة شط العرب اليمنى ، وعلى مسافة قصيره أسفل مصب سيل العشار . وفي سنة ١٨٧٢ اشترى العقار الذي كان يشغله المستر روبرتسون شخص وصف في صك البيع باسم «حاجي ابراهيم بن عثمان ابن عبدالواحد ميمني يسكن محله الباشا في البصرة» إلا أن اسمه حيث ولد في الهند هو «حاجي عمر بن عثمان بن عبد المولى» . وكان هذا يعمل وكيلا محلياً لمؤسسة هندية يملك معظمها على الاقل عثمان قيدينا ، وكان الاسم الذي انتحله في البصرة مطابقاً لاسم طفل لاكبر المساهمين في المؤسسة . وربما كان ذلك لتسهيل شراء العقار .

وأصبح هذا التعقيد ، أو من المحتمل هذا الخداع ذا أهمية فيما يتعلق بتاريخ العقار . إذ أنه بموجب الاتفاقية التي عقدت في أغسطس سنة ١٨٧٢ بين المستر روبرتسون و «حاجي ابراهيم» ، تعهد الاخير ببناء دار جديدة على هذا العقار وأن يؤجرها للحكومة للمدة التي ترغب الحكومة المذكورة في الاحتفاظ بها مقابل أجرة سنوية مقدارها ١,٢٠٠ روبية تدفع

على أربعة أقساط ، وفي سنة ١٨٧٥ ندم حاجي ابراهيم على هذه الصفقة وطلب إما زيادة الايجار أو أن تعاد له الدار ، ولكن عندما أجريت الاستشارات القانونية رفض طلبه .

وسنمر الآن بأمور تتعلق بشكل خاص برعايا مصالح هندية بريطانية في العراق التركي .

تقاعد نواب اقبال الدولة ١٨٦٥–١٨٦٦ :

كان نواب اقبال الدولة الابن الثالث لنواب شمس الدولة ، الذي كان الابن الثاني لسعادة علي خان نواب وزير اوض ، وقد أمرت حكومة الهند مقيميتها في لكنو سنة ١٨٦٥ باستعمال نفوذه عند ملك اوض للحصول على منحة لاقبال الدولة ولأخويه ولأختيه بدل الـ ٢,٤٠٠ روبية الشهرية التي كانت تدفع لامهم التي توفيت أخيراً . وكان سبب هذا التدخل هو ان فرع العائلة المالكة في اوض الذي منه إقبال الدولة كانت له حقوق استثنائية على الحكومة البريطانية في أحسن المناصب .. وكان ملك اوض ناصر الدين حيدر من ناحيته على استعداد للموافقة على فكرة منح ورثة شمس الدولة هبة مقدارها ٢,٥٠٠ روبية شهرياً تدفع لهم عن طريق السلطات البريطانية . وكان نصيب إقبال الدولة الشخصي منها ٦٢٥ روبية شهرياً . وحوالي سنة ١٨٦٣ وربما قبل سنة ١٨٣٩ انتقل إقبال الدولة من الهند الى العراق التركي ، وأقام في بغداد واصبح له بعد سنة ١٨٤٤ حصة في المنحة من خزينة المعتمدية السياسية .

وحدث في سنة ١٨٥٦ أن ضُمّت اوض الى الهند البريطانية ، وقامت في السنة التالية لذلك الحرب بين بريطانيا وايران التي قيل إن إقبال الدولة أدى فيها خدمات قيمة للحكومة ، ليست ذات طابع شخصي ، كما أظهر نوايا طيبة حيال مبررات تلك الحرب . وفي سنتي ١٨٥٧–١٨٥٨ أظهر إقبال الدولة ولاءً واضحاً في أثناء تمرد الجنود الهنود وخروجهم على سلطة الحكومة في اوض حيث يعيش العديد من اقربائه ، وحدث في سنة ١٨٥٩

أن ضوعف راتبه وأصبح ١,٢٥٠ روبية شهرياً ، وذلك اعترافاً بالمساعدة الخاصة التي قدمها خلال الحرب الايرانية . وعلى أية حال فان الوزن الحقيقي لتلك المساعدة يعتبر مسألة فيها نظر .

ويبدو ان الامير مع ذلك قد شعر بضائقة في ظروفه فقدم أثناء زيارته لانجلترا سنة ١٨٦٥ حين وجد ترحيباً به في الاحياء الراقية طلباً مشهوراً لزيادة راتبه ، وقررت سكرتارية الدولة أخيراً في أكتوبر سنة ١٨٦٦ ، بعد أن أصبح له أكثر من سنة في اوربا ، رفع علاوته الى ٢,٥٠٠ روبية شهرياً ومدى الحياة ، ابتداء من ٢١ أكتوبر سنة ١٨٦٥ .

وفي هذا الو قت كان الامير الابن الوحيد الحي من أبناء شمس الدولة والذي كان يعتبر زعيماً في عائلته ، حتى اثناء حياة أخويه الاكبر منه ، وأصبح الآن شيخاً كبيراً وليس له أولاد .

التصرف في تقاعد واملاك نوا ب تاج محل ١٨٧٥-١٨٧٦ :

نشأت في العراق التركي قضية قانونية هامة ، عرفت باسم المدعية فيها وهي «كلثوم نيزا» على أثر وفاة الاميرة تاج محل ارملة ملك اوض ناصر الدين حيدر ، الذي توفي قبلها سنة ١٨٣٧ ، وتعهدت حكومة الهند بموجب اتفاقية تم الوصول اليها مع ملك اوض سنة ١٨٢٩ ، تشبه بعض الشيء اتفاقية سنة ١٨٢٥ بخصوص تنفيذ وصية عن تركة اوض ، أن تدفع بموجبها تقاعداً لتاج محل مقداره ٧٢,٠٠٠ روبية شهرياً مدى الحياة وبعد وفاتها إما أن يستمر دفع المنحة لورثتها أو أن تدفع لهم الأموال التي تقوم الحكومة برعايتها .

وبعد وفاة زوج تاج محل الملكي تزوجت دون اعلان من شخص يعرف بقلب الحسن ، وقد أنجبت منه بنتاً اسمها البيجوم مزهرة ، وأصبحت هذه فيما بعد زوجة لشخص يدعى جعفر حسن وأنجبت بنتاً اسمها البيجوم كلثوم نيزا ، التي ادعت بالتركة لاحقاً ، ثم تزوجت ثانياً

بعد وفاة جعفر حسين بأخيه مهدي حسين . ويمكن الملاحظة بأن قلب الحسين نفسه قد وهبها مالا يقل عما لها من تركة تاج محل ، فقد ترك لها بيتاً في كونبور وبيوتاً وبساتين متعددة في لكنو واوراقا مالية تبلغ قيمتها ١,٥٦٠,٠٠٠ مودعة في بنك بومباي .

وفي سنة ١٨٥٩ غادرت تاج محل لكنو لتحج الى كربلاء ، حيث لم تعد الى الهند ، بل على العكس استقرت في كربلاء ، واشترت عقارات ثابتة وعاشت هناك حتى وفاتها سنة ١٨٧٥ ، وكان يدفع لها راتبها خلال مدة إقامتها في العراق التركي عن طريق خزينة المعتمدية السياسية البريطانية ، وكان لها عند وفاتها عدا راتبها الموروث أملاك خلفها لها زوجها قلب الحسين ، وأملاك تخصها في كربلاء وبعض العقارات الثابتة في أوض وبعض الممتلكات غير الثابتة في العراق التركي وتبلغ القيمة النقدية لراتبها وحده ١٥٠,٠٠٠ جنيه استرليني بالضبط وهو مبلغ يعد بحد ذاته قيمة كبيرة .

واتخذت بنت بنتها كلثوم نيزا ، التي كانت ما تزال قاصرة بعض الاجراءات التنفيذية ، للادعاء بالتركة وتولى ذلك ايضاً رمضان علي خان الاخ غير الشقيق الحي لتاج محل نفسها ، الذي تصور أن له حقاً أكثر من أخته في التركة . وكانت ادعااءات كلثوم نيزا تعتمد على قانون التركات الشيعي بالاضافة الى صك هبة من تاج محل ، يفيد مصلحتها لو نفذ ، ولكن الطرف المعترض إدعى ان الصك مزور ، وقد كانت حجج رمضان علي خان ، تعتمد على انكار شرعية بنوة كلثوم نيزا ، وكان من الواضح ان الامير إقبال كان يشجعه على ذلك .

وليس من الضروري الدخول في تاريخ القضية ، بأكثر من الملاحظة بأنها خلقت مصاعب قانونية وعملية ، في كل من بغداد والهند ، وقد تقرر يقيناً في لكنو الحكم لصالحها حسب قانون الارث الشيعي باعتبارها الحفيدة الحقيقية لتاج محل .

ولم تكن القضية ذات أهمية سياسية . ولكن الاهتمام بها نشأ من كون البيجوم كلثوم قاصرة ، وقد أحدث تأخر الاجراءات بطبيعة الحال تشويشاً ومكائد بين الجالية الهندية في العراق التركي وصلت في وقت من الاوقات حداً أربك المعتمد السياسي البريطاني هناك بشكل خطير . ومن النقاط الصعبة التي نشأت في بغداد قضية من الذي سيكون وصياً على القاصر ؟ وقد تباحث الرائد نيكسون مع رمضان خان المنافس في الادعاء بالمطالبة بممتلكات تاج محل عن مدى أفضلية مهدي حسين عم البيجوم كلثوم بيزا وزوج أمها الذي كان في الهند لتولي هذا الامر . وكان هذا الترتيب بخلاف وجهة النظر التي أخذت بها محكمة ابتدائية في الهند ، مختصة بأحوال الاسرة ، وقد أيد الرائد نيكسون رمضان على خان أيضاً في تسميته وريث أملاك تاج محل في العراق التركي ، وقد الغي هذا القرار مباشرة فيما بعد ، بحكم من السلطات الهندية القضائية .

ولم يتوصل الى تسوية نهائية للموضوع حتى سنة ١٨٧٩ .

★ ★ ★

وقف أوض ١٨٦١ ـ ١٨٧٦

الصعوبات في ادارة تركة اوض :

اتخذت احتياطات ضد بعض الصعوبات السياسية ذات الطابع الدولي مما كان يخشى ظهورها نتيجة وجود تركة اوض في الوضع الذي وصفناه سنة ١٨٥٢ ، الا أن الصعوبات لم تتخذ في هذه الفترة ولا في أية فترة أخرى وضعاً ملموساً . ونشأ على أية حال وقبل مضي فترة طويلة ، بدل التعقيدات السياسية المخوفة مصاعب حقيقية ذات طابع اداري وإجرائي أدت في أصلها وما تفرع عنها ، الى خسارة لاطراف النزاع بالتركة ليست بالقليلة ، وقد سبق التحذير من هذه الصعوبات التي حدثت مثلما رأينا فيما قبل سنة ١٨٥٤ .

١٨٦٠ – ١٨٦٧ :

وحوالي سنة ١٨٦٠ أدخلت بعض التغييرات المحدودة في الادارة المحلية للتركة التي كونها العقيد رولينسون خلال فترة معتمدية الرائد كمبول السياسية في بغداد ، وربما كان ذلك بتأثير من الامير إقبال الدولة ، ابن أخ الملك غازي الدين حيدر ، على اسس وصية اوض بحيث تصبح بموجب هذه التغييرات نوعاً من الوقف يضم ثلث حصة كربلاء ، وثلث حصة النجف الى بعضهما ، وكانت قيمة الحصتين حوالي ٣,٣٠٠ روبية شهرياً ، يوزع ثلثها على الهنود في كربلاء ، وثلث آخر على الهنود في النجف ، والثلث الباقي على الهنود في الكاظمية ، وعين في كربلاء شخص هندي محترم لتوزيع الاموال الهندية في كربلاء والنجف وآخر مثله في الكاظمية ، وكان الاول يتلقى منحة مقدارها ٢٥٥ روبية شهرياً ، والآخر ٢٨٠ روبية من الوقف الهندي. وفوض الهنديان بتوجيه الوقف ، والاشراف على اموال الجالية الهندية العامة التي تتعلق بهم ، ومنحا لقب المعتمد الفخري في كربلاء ، والمعتمد الفخري في الكاظمية على التوالي ، ومن الواضح ان ذلك كان بترتيب من المعتمد السياسي البريطاني في العراق التركي ، وعلى مسئوليته الخاصة .

ويبدو ان الامير إقبال الدولة كان يمارس الاشراف على توزيع الأموال الهندية ، بتأييد من المعتمد السياسي ، وليس من الثابت أن إشرافه هذا بدأ قبل سنة ١٨٦٧ ، السنة التي صدرت فيها اوامر الرائد السير أ. كمبول الذي اعتزل مهام منصب المعتمدية السياسية في بغداد بعد فترة وجيزة من اصدار توجيهاته للأمير بذلك الصدد . وتوضح الكلمات التالية التي ختم بها هذه التوجيهات الثقة الكبيرة التي اولاها الرائد لاقبال الدولة « إعمل ما تعتقد أنه صواب ومناسب ، لأن الثقة وضعت فيك وانت حر في استعمال فطنتك ، وإن أية شكوى تقدم ضدك بدافع العداء ، او النفاق اوالكراهية او التحامل او الانانية البغيضة سوف لا ينظر اليها او يوثق بها » .

ونظراً للميوعة التي كانت سائدة بسبب الصياغة المهلهلة لاتفاقية سنة ١٨٢٥ بخصوص الاهداف المحددة للاموال الموقوفة ، أخطر إقبال الدولة خلال زيارته للندن ، ان يكتب الى سكرتارية الدولة في الهند اعتراضاً حول الموضوع فيما يلي ترجمته :

« أعرض عليكم الآن ، ارث سيدتين من حرملك ملك اوض السابق غازي الدين حيدر ، لقد كانت هاتان السيدتان تتقاضيان خلال حياتهما منحة مقدارها ٥,٠٠٠ روبية شهرياً لكل منهما ، وتوفيتا دون اولاد او ورثة ، وقد تركتا وصيتين توصيان فيهما بأن تسلم مخصصاتهما الى المجتهدين في كربلاء والنجف ، ليقوموا بتوزيعها على الفقراء والمحتاجين

وقد نفذ هذا الوضع الموصى به بعد موتهما ، وكان يدفع كل شهر ١٠,٠٠٠ روبية عن طريق المقيمية في بغداد إلى أيدي علماء الدين العرب والايرانيين في النجف وكربلاء ، الذين لم يكونوا على قدر من الأمانة يوفى بالغاية ، ومن هذا يمكن ملاحظة التفصيلات الآتية : اولا — أنه من الصعب تعريف من هو المجتهد الصادق او تمييزه ، واننا لا نرى كشفاً باسماء المجتهدين المعترف بهم ، وأنهم ليسوا كالأساقفه او المطارنة الذين في انجلترا ، والذين لديهم شهادات من الحكومة ، او سلطات عامة تتبعها ، بل أبعد من ذلك ، فان أي محتاج من البلاد العربية ، او ايران تواتيه الفرصة لتنصيب نفسه ، وكل من يلف بعض الياردات من القماش الاسود او الابيض حول رأسه ويحمل عصاً طويلة في يده ، ويطلق لحية كثيفة ويجمع حول نفسه حزمة من البلطجية الفاسقين يسمى مجتهداً ، وليس هناك ما يثبت اجتهاده سراً او علانية سوى لحيته وعصاه وعمامته .

ثانياً — تذهب كل هذه الأموال في غير موضعها ، وتنفق في غير أهدافها ، وغالباً ما تنفق على أغراض غير مقدسة ، ويذهب كل قرش منها إلى أيدي أشخاص أغنياء لا يحتاجون اليها ، وإلى الاوغاد والبلطجية والمتشردين ، او إلى التجار العرب والايرانيين الذين يملكون اراضي

وثروات تغل لهم زراعتها او الاتجار بها دخلا وارباحاً حلالا من كل نوع في حين نجد المواطنين الهنود فقراء ومعظمهم أصلا من اصحاب الاسر الكبيرة المحترمة من نسل امراء ونبلاء ، اتخذوا كربلاء والنجف مسكناً لهم واستوطنوا هناك يمضون حياتهم في فقر وجوع ، ويحرمون من المشاركة في اقتسام هذه الاموال ، ولا يعطون الا النزر اليسير مما لا يستحق الذكر ، بل يقصد منه المحافظة فقط على التظاهر باعانتهم ، والآن أصبحت هذه المبالغ تُعتصر اعتصاراً بالقوة .

ومن الواضح الآن ان العرب والايرانيين ليسوا أصدقاء ، وليسوا رعايا للحكومة الانجليزية مثلما هو الحال بالنسبة للمواطنين الهنود . إنه أمر لا يتفق مع الادراك السليم والعدالة ، كتسمين عدو وتجويع صديق . بل أكثر من ذلك ، إدعاء حق العرب أو الايرانيين في الاموال الهندية ، وماذا يقول المثل ؟ « خير الأرض يصرف عليها » ، وشعب الهند لم يحصد خيراً او نفعاً من العرب والايرانيين ، ولماذا تتدفق المنافع والفوائد من المواطنين في الهند على العرب والايرانيين ؟ ويقول المثل «أعط الناس ما أعطوك » ، وعدا عن كل ذلك فان العرب والايرانيين ، في حين أنهم يتمتعون بمنافع من شعب الهند ، لايشكرونهم ، بل على العكس يردون على ذلك بالجحود ، كما سمعت ذلك بأذني مرات ومرات . وبينما تصرف جميع هذه الاموال في الدعارة وأشياء آثمة سخيفة ، تؤدى إلى الآلاف من المنازعات والمشاجرات ، التي اعرفها جيداً ورأيتها بعيني ، وإن المقيمين السياسيين في بغداد سواء من كانوا في الماضي او في الحاضر قد تعرفوا على واقع الحال . وانني أطلب منكم أن تتأكدوا منهم عما جاء في هذه الرسالة حتى ينجلي أي شك في الموضوع وسينكشف الغطاء بهذا الشكل عن حسنات وسيئات هذه المسألة ، وستبدو معروفة بوضوح . وقد تعرف السير هنري رولينسون على هذه الظروف جيداً ، الا أن السير ارنولد كمبول قد خبر الأمر أكثر لانه اضطلع بالأمر تماماً ونقبه . لذا ارجو الاستفسار من هذين الموظفين لان العلم بالشيء خير من الجهل به .

وان مسألة تقصي الحقائق واجبة لأن الاموال تسحب من الهند وتوجه الى اغراض غير شرعية .

وارجو بعدئذ ان اقترح إيقاف صرف هذه الصدقات جميعها في البلاد العربية ، وان تصرف في الهند وخاصة في مقاطعة اوض نفسها حيث إن هذه الاموال في الاصل منها ، وان تنفق على الغرض المقصود هناك ، او أن تخصص للاشخاص الفقراء من العائلة الملكية في اوض ، وبذلك تكون الطلقة قد اصابت الهدف تماماً ، وتكون هذه الحالة مثل ابواب سومنات التي اعيدت الى اماكنها بعد عدة عصور .

واذا كان من المعتقد أنه من الانسب تنفيذ وصية الاشخاص المتوفين سواء أكان صرف هذه الصدقة في البلاد العربية صواباً ام خطأ فيجب عندئذ إيجاد خطة مناسبة تحقق وصية الرجال الذين تركوا هذه الصدقة مع الانتباه الى وجوب صرف الاموال على مشاريع ذات قيمة . إن الخطة الوحيدة هي أن توضع إدارة هذه الصدقة في أيدي المقيم السياسي في بغداد وبهذا فانه سيقوم دائماً بما يتراءى له أنه صواب ومناسب بعد أن يكون قد أجرى الاستفسارات المطلوبة ليعين موزعاً للأحسان يكون موثوقاً به ومحترماً ليترك له مطلق التصرف في تقسيم الهبة وليكون الشخص الذي يقصده أصحاب الاستحقاق . ولندعه يتصرف دون محاباة العرب والايرانيين ، او المواطنين الهنود ، وان لا يظهر أي اعتبار لطول أو عرض لحاهم او عماماتهم اذ ان الاستقامة تقوم على الصفات الباطنية للانسان وليس لكونه ولد من هذه الامة او تلك . ولندع الاموال تعطى جميعها للمواطنين الهنود مع تمييز خاص لاولئك الناس الذين من اوض او لنقسمها الى قسمين ، نترك قسماً منها يعطي للمواطنين الهنود ، والآخر للعرب والايرانيين في حالة ما اذا كانوا أشخاصاً محترمين في عملهم وسلوكهم .

ويمكن في حالة ربط الصدقة كلية تحت إشراف المقيم السياسي في

بغداد انجاز امور ممتازة في خدمة للصالح العام مثل الكليات والاستراحات للمسافرين والمستشفيات لجميع زوار المساجد الآتين من الهند ، وبذلك تخلد ذكرى هذه الاعمال الحسنة في هذه المقاطعات الى الابد . وستخلد ذكرى اولئك الذين أنشأوا هذه الصدقة وتحل بركتها على الحكومة البريطانية . وسيجد الناس الذين قدموا من الهند بيتاً في هذه الانحاء القاصية يمضون فيه وقتهم باطمئنان ، وما دامت هذه المزارات باقية في العالم ، فان تردد المواطنين الهنود عليها سوف لا ينقطع .

ويمكن بالاضافة الى ذلك ، اقتطاع المبالغ البسيطة(١) التي تأخذها الحكومة البريطانية سنة بعد أخرى من المواطنين الهنود . أعني الخمسة شلنات على الرأس الواحد من قيمة هذه الصدقة ، اذ انها من الضخامة بحيث ان الحكومة البريطانية سوف لا تخسر شيئاً من تلك المبالغ التي تجمعها دون حدوث فضائح ، كما ان في ذلك تخفيفاً عن الناس ايضاً . وهكذا يجب ان يكون الاحسان مصدر راحة واطمئنان للجميع ، ويتوقف الشغب الحاصل بسببها ، كما يمكن عمل أي نظام آخر مناسب ، لتوزيع هذه الصدقة ، وذلك بالصرف منها على جنازات الاشخاص الذين يموتون دون خلف .

وفي بداية سنة ١٨٨٦ أحيلت الاقتراحات التي لا تنكر اهميتها واحتوتها مذكرة إقبال الدولة الى السير أ. كمبول المعتمد السياسي البريطاني في بغداد ليكتب تقريراً عنها ، وقد قام هذا الموظف بتصحيح الخطأ الذي وقع فيه الامير فيما يتعلق بأصل التركة ، ذاكراً أن المبلغ الذي خصص للتوزيع قد ازداد (باستحقاق موارد جديدة) من ٨,٣٣٣ روبية شهرياً الى ٨,٤٥١ ، ووضح ان الاموال توزع الان على كلا المدينتين المقدستين بواسطة كبير المجتهدين ، ميرزا علي النقيب في كربلاء وسيد علي بحر

---

(١) يظهر انه يشير هنا الى الرسوم القنصلية على تسجيل الرعايا البريطانيين .

العلوم في النجف يعاونهما عدد من المساعدين . واختار المعتمد السياسي للمكان الاول ١٩ شخصاً ، واختار ٦ للمكان الثاني ، « وإذا حدث اختلاس في الاموال فانني اتوقع ان يكون ذلك قد حدث من قبل اوائل المستلمين » وواصل السير أ . كمبول الذي من المحتمل ان يكون قد استشار إقبال الدولة حول تفصيلات برنامج الاخير عندما رجع الى بغداد .

« ان اختيار المجتهدين يعتمد فقط على التفضيل الشعبي لهم ، الامر الذي يؤدي إلى آراء مختلفة في الغالب كمكائد الشخص نفسه وأطماعه وتضليله وادعائه لرفعة وعلو الشأن في معرفة امور الشريعة او تزمته في الفرائض الدينية . ويجب ان اضيف الى ذلك أن المجتهدين الذين اختيروا للنجف وكربلاء قد تعاقبت عائلاتهم على ذلك لعدة أجيال وان هؤلاء من رعايا تركيا ، الا أنهم من أصل ايراني ، وتمتعوا في نفس الوقت بأعلى شهرة ، وما يزال الاخير منهم يعمل وكيلا لتوزيع الصدقات الآتية من هذه الهبات ، وقد توفي الأول وخلفه مجتهد اختاره نائبه خلال فترة غيابي في انجلترا سنة ١٨٦٠ .

واذا نظرنا الى عملية توزيع الاموال في هذه المسألة ، فان هناك اساساً متيناً للاعتقاد بدقة المعلومات التي كتب عنها الامير فيما يتعلق بتخصيص شيء محدد لاسعاف زوار هذه المزارات ، كما أنه لا يركن حقاً للمجتهدين ، اذ أنهم يفضلون طبعاً اصدقاءهم وأقرباءهم وأتباعهم . وان أغلب المنتفعين يتمتعون بوسائل عيش مستقلة ، في حين ان النبلاء الهنود وجموع النساك والحجاج من الطبقات كافة يعيشون على الاحسان وفي حالةفقر مدقع .

وانني أعتقد ان شروط الوصية تهب هذه الصدقة الى المجتهدين والهنود المجاورين ، وإنني سأكون مرتاحاً تماماً اذا قمت بتوجيه هذا الامر اذا وقع الاختيار على حيث لن أقتصر على نسبة ما يحتاجه هؤلاء على

الاقل ، ومع ذلك فانني سأتأثر من اتساع العمل ومن المسئولية التي سيجرها هذا التدبير على المعتمدية . وقد اقترح الامير إقبال الدولة أن تخصص الاوقاف بنسب مختلفة ، الى : اولا — الدفع منها لتزويد المحتاجين والمقيمين هناك كمجاورين بمسكن ، وكذلك لاغاثة حاجات الحجاج الفقراء المستعجلة والارامل واليتامى الهنود ، (الذين يجب ان يفضل من بينهم من كانوا مواطنين من اوض) ، كما يدفع منها على النفقات المعتادة لجنازات الاشخاص الذين يتوفون منهم وما شابه ذلك .

ثانياً — إنشاء استراحات ومستشفيات في الاماكن الرئيسية التي يقصد اليها . وأخيراً يجب أن توفر الوسائل المناسبة لانشاء مدارس ودور ايتام للاطفال الهنود . واقترح ان يكون هناك نظام لتنفيذ هذه الخطط ، وذلك بتأليف لجنة من الهنود الملائمين لهذا العمل المقيمين هناك ، وان يشرفوا على توزيع الاموال من الآن ، كما يجب أن تودع هذه الأموال لدى زاوية المجتهدين الهنود ، وان يوضع الجميع بدون تحفظ على الاطلاق تحت ادارة المقيم السياسي وسيحمل هذا الوضع ذلك الموظف على أية حال اعباءً اضافية شاقة ومتعددة وذلك لاعتبارات أخرى . وحتى يكون العمل المقترح هذا فعالا ، ارجو تعيين مساعد لائق (بعقد او بغير عقد) لادارة هذه المشاريع الخيرية موضوع البحث ، على ان يكون راتبه من هذه الصدقة بقدر مناسب ، وبشكل شرعي ، وقد اعترف الامير أن هذا الاسلوب مناسب .

إن الاعتراض الوحيد الذي يساورني ، هو المخاطرة باستفزاز مشاعر السلطات الاقليمية التركية ، وخاصة استفزاز مأمور من طراز نامق باشا ، ولكن خبرة ١٥ عاماً لم تبرز مثل هذه السابقة أو اللاحقة ، بالنسبة للمتاعب والمشكلات ، ما دام هذا الامر تحت القيادة المباشرة لموظف بريطاني مسئول حيث لاخوف من مثل هذه النتيجة ، في حين يمكن إقناع الباب العالي بالسلوك الحسن غير الضار بالترتيبات الجديدة » .

وقد تلاقت وجهة نظر الحكومة في الهند مع وجهة نظر المعتمد السياسي في بغداد ، في اعتبار مسألة نقل الاستفادة من الوصية من العراق التركي ، الى الهند ، خارجة تماماً عن نطاق الموضوع ، الا أنها لم تكن قادرة على تطبيق توصياته بأن نظام التوزيع يجب أن يعدل . وجاء في كتابها الموجه الى سكرتارية الدولة للهند حول الموضوع ، والمؤرخ في ٧ أغسطس سنة ١٨٦٧ ما يلي :

« أما اذا أساء رجال الدين استعمال الاموال ، فان الخطأ يقع عليهم ، وعلى عدم تبصر غازي الدين حيدر ، المتوفي ، وإن الحكومة البريطانية لا تتحمل على الاطلاق أية مسئولية في الموضوع ، وأن غازي الدين حيدر رعاية منه لسعادته الروحية فقط وليس للسعادة الدنيوية للحجاج أو أي أحد آخر ، تعاقد مع الحكومة البريطانية ، لاستثمار سندات حكومية معينة بشكل أبدي كوقف على مزارات الشيعة في كربلاء ، والنجف . وقد اشار الى « المجتهدين المجاورين لهذين المكانين » على أنهم الاشخاص المعروفون بالمجتهدين المجاورين لكربلاء والنجف لذلك فاننا نعتبر حكومة الهند مقيدة بالدفع لهذه الفئة في كلا المكانين ، ولا تستطيع تقييد او تحوير هذه الطريقة في الدفع دون خيانة لأمانتها .

وان التسهيلات الوحيدة التي يمكننا السماح بها في رأينا ، هي تلك التي تحمل في طياتها ما يتلاءم مع فقرات العقد الواضحة ، المتعلقة بسعادة البشرية العامة ، والمحافظة على السلام بين الشعوب . وإن حكومة الهند بموجب ترتيبات ينفذها الآن السير هنري رولينسون لم تف فقط بتعهداتها الخاصة التي ارتبطت بها مع الملك غازي الدين حيدر ، ولكنها أيضاً أرضت تعهداتها السياسية العامة تجاه الامم الحليفة عندما اوقف توزيع الهبة ، لمنع متعصبي الشيعة من بذر الشقاق بين ايران وتركيا .

وحتى تظهر لنا هذه الترتيبات مطابقة لاسس العدالة والواجب ،

فمن الضروري تنفيذها بحزم . وليس من المرغوب فيه على الاطلاق فتح أي نقاش حولها وذلك لاسباب عديدة لا ضرورة للفت الانتباه اليها .

كما ان هناك وجهات نظر ثانوية أخرى تحتم عند الاخذ بها ترك الامور على ما هي عليه ، اما اذا حملت اقتراحات الامير اقبال الدولة وتوصيات السير أ. كمبول محمل التنفيذ فان الحكومة البريطانية تكون قد القت بنفسها دون شك للترويج لمصالح الديانة الاسلامية بين المواطنين الهنود ، ذلك السلوك الذي يتعارض بشكل مباشر مع التدابير الجديدة كلها ، كما يحتمل ان يشجع هجرة رعاياها الى العراق التركي ولا يمكن اعتبار هذه السياسة سياسة مناسبة .

وقد اعترفت حكومة الهند كما اشار السير أ .. كمبول الى ان عبارة « الاشخاص الذين يقومون عليها » الواردة في الترجمة الانجليزية لاتفاقية سنة ١٨٢٥ كما نقلها اللورد امهرست ، كانت على الاقل(١) مقحمة اقحاماً ، وللأسف لم يؤد التحقيق في هذه النقطة ، ولا التحقيق لاكتشاف جزء الاتفاقية الذي صدق عليه ملك اوض بخاتمه أية نتيجة . وبدل استنتاج هلهلة ترجمة الاتفاقية واكتشاف زج كلمة المجاورين في القضية خطأ ، فانها حذفت الفقرة التي تقضي بأن يوزع المجتهدون المتسلمون الاموال على « الاشخاص المستحقين » . وقد توصلت الحكومة الهندية الى النتائج المدونة أعلاه ، واستشهدت قياساً على ذلك بفقرة من الوقف الخاص الذي أنشأه الملك غازي الدين حيدر في لكنهو ، « لامام منبر النجف الاشرف » لتأييد وجهة نظرها في الموضوع .

---

(١) كانت حكومة الهند فى هذا الوقت تفكر فى ان حاشية الاتفاقية ليست بدون مغزى ، الا أن مثل وجهة النظر هذه لم تعد قوية منذ أن عرفت العبارة الايرانية التى ترجمت الى شبه جملة انجليزية لتوضع بين قوسين ، والتى كانت هى نفسها خطأ فى نسخ كلمتين ايرانيتين لهما معنيان خاصان .

وقد وافقت سكرتارية الدولة للهند في نوفمبر سنة ١٨٦٧ على استنتاجات الحكومة العامة مع ملاحظة كما يلي :—

بالاشارة الى فقرات صك اتفاقية سنة ١٨٢٥ ، فانه ليس من المحتم على الحكومة البريطانية بأن تفعل أكثر من دفع النقود بانتظام الى المتسلمين الذين عينتهم الوصية أي الكاهن(١) الكبير المكلف بالمزارات . وإن مثل هذه الدفعة لكبيرة ضخمة ، بحيث إنه ليس في استطاعة الحكومة البريطانية تحمل الاشراف على منتهى توزيع نقودها التي يقوم الكاهن بتوزيعها بين النساك الذين ربما كانوا مقيمين في أماكن الزيارة المتعلقة بالقضية ، او يترددون عليها .

الشكاوى المتعلقة بادارة الوصية ١٨٧٥ — ١٨٧٦ :

وأعلن سنة ١٨٧٥ عدد من المقيمين في مدينة النجف عدم رضاهم عن توزيع السيد علي . وكان هؤلاء ينتمون بشكل رئيسي الى عدة مناصب مذهبية ودينية وقد زعموا أن هذا المجتهد الذي ليس الا واسطة لنقل هذه الاموال يتصرف بها وكأنها مخصصة لنفسه ولاقاربه ، وطلبوا عزله لمصلحة مرشح جديد . وفي الحقيقة لم تكن هذه الشكوى التي قدمت الاولى من نوعها ، اذ ان احتجاجات أخرى من نوع مشابه توالى تقديمها لمدة عشرين سنة . وقد استدعى المعتمد السياسي البريطاني السيد علي الى بغداد ، حيث وضعه مجابهةً أمام متهميه ، ولكن الرائد نكسون حين أنب المجتهد ونصحه بأن يجعل عملية التوزيع في المستقبل علنية ، اعتبر أن اوامر الحكومة سنة ١٨٦٧ ، فيما يتعلق بوصية اوض لا تجيز لها تدخلا أكثر في الموضوع . أما الفرقاء المتظلمون فقد رفعوا التماساً الى حكومة بومباي عن طريق صاحب العظمة الاغا خان ، وأبلغ الرائد نيكسون تلك الحكومة بالحقائق ، ووجهات نظره فيما يختص باستحالة التدخل .

(١) ان حقائق قضية وصية أوض أصبحت معروفة الآن بشكل احسن ، وربما كان من غير الضروري أن نلاحظ هنا أن المجتهدين لم يكونوا وما كانوا هم المكلفين بالمزارات ·

مصالح الدول الأوربية الكبرى غير بريطانيا فى العراق التركى من ١٨٦١ الى ١٨٧٦

المشروع الفرنسي للملاحة التجارية في دجلة :

يبدو أن المرجع الوحيد الذي عثر عليه عن النشاط غير البريطاني في العراق التركي خلال هذه الفترة هو ما جاء في الكتاب التالي الذي ارسله المعتمد السياسي البريطاني في بغداد سنة ١٨٦٤ الى السفير البريطاني في استانبول متعلقاً بما اثارته السلطات التركية من عقبات أمام زيادة عدد السفن التجارية البريطانية على دجلة الذي جاء فيه ما يلي :

أنتهز هذه الفرصة لاذكر لفخامتكم أن شركة فرنسية تقدمت في الفترة الماضية بطلب للملاحة في دجلة بسفن تحمل العلم الوطني . وفي حين أن نامق باشا يفترض عدم وجود حد يقيد عدد المراكب الانجليزية ، الا أن فخامته يبدو ميالا لتشجيع مثل هذه المضاربة ، ولكن فخامته اعترف في النهاية نظراً لاستياء الاطراف المعنية أن الامتياز الممنوح لحكومة صاحبة الجلالة في كل من أصله وطبيعته ، امتياز استثنائي لا يمكن ان تتطاول عليه أية امة أخرى . وكان رد الجانب الفرنسي على هذه الحجة أنه مهما كانت شرعية حالة الاستثناء الممنوحة لمراكب حكومة دولة أجنبية فانه لا يمكن توسيع الاستثناء الى المراكب التجارية لتلك الدولة دون التداول في حق عام بموجب عبارة «الامة الاكثر تفضيلا» وعملا بوجهة النظر هذه من القضية رفعت المسألة الى استانبول لتبت فيها.

وعلى أية حال فانه لم يسمع أي شيء أكثر من ذلك عن المشروع الفرنسي المقترح المتعلق بالموضوع .

عبد الحميد الثاني ١٨٧٦ (١)

إن ايراد خلاصة موجزة لتاريخ تركيا العام خلال فترة حكم عبدالحميد الثاني الذي كان أخاً للسلطان السابق مراد والذي نودي به سلطاناً في أعقاب هذا الامير في ٣١ اغسطس سنة ١٨٧٦ سوف يجعل صورة الشئون في العراق التركي خلال هذه الفترة التي نحن بصددها أكثر وضوحاً .

عندما اعتلى عبد الحميد العرش كان هناك اضطراب في مقاطعات البلقان واقترحت مشروعات للاصلاح منها الحكم الذاتي كعلاج للاضطراب ، ولكن الحاكم الجديد عارض ذلك في حين كانت روسيا تعد نفسها لعمل حاسم لمصلحة القوميات المسيحية في تركيا . وفي نهاية سنة ١٨٧٦ أعلن السلطان فجأة منح تركيا دستوراً متحرراً يشمل الامبراطورية كافة ، ورفض الباب العالي ان ينفذ المقترحات التي قدمها المؤتمر الدولي المنعقد في استانبول حول أفضل شكل للحكم في المقاطعات الاوروبية من تركيا . ولم ترض روسيا عن الصور الغامضة التي حواها الدستور الجديد لتحسين الادارة العامة وأعلنت الحرب على تركيا في ٢٤

---

(١) من بين المصادر الرسمية التى يمكن ذكرها عن تاريخ العراق التركى فى هذه الفترة مختصر أحوال بلاد العرب التركية من سنة ١٨٠١ ـ ١٩٠٥ للمستر ج٠أ٠ سالدنها الذى طبع سنة ١٩٠٥ و موجز علاقات الحكومة البريطانية مع قبائل وشيوخ عربستان سنة ١٩٠٢ للملازم أ٠ت٠ ويلسون ٠ أما المصادر غير الرسمية فهى عبر « آسيا التركية » للسيد جى٠ جراى سنة ١٨٧٨ و بدو الفرات للسيدة آن بلنت سنة ١٨٧٩ و والحج الى نجد وكتاب السيد ميكون حامينا الجديد ـ تركيا فى آسيا سنة ١٨٧٩ وكتاب القائد ف٠ل٠ كميرون طريقنا الرئيسية فى المستقبل الى الهند سنة ١٨٨٠ وكتـــاب مدام جين ديفلوى من باريس الىقلدية عبر السويس سنة ١٨٨٧ ٠هذا وبالاشارة الى كتابى السير و٠ ويلكوكس فيما يتعلق بمسائل الرى والمياه عامة فيمكن الرجوع اليهما وهما تجديد كللدانيا سنة ١٩٠٣ و الرى فى بلاد ما بين النهرين سنة ١٩١١ ٠

إبريل سنة ١٨٧٧ بسبب قضية المقاطعات الاوروبية . وقد اسيء الى سمعة بريطانيا بسبب فظائع تركيا الجديدة في بلغاريا وبسبب فشل تركيا في مواجهة التزاماتها المالية منذ سنة ١٨٧٥ ، ولذا راعت الحياد التام وتابعت الجيوش الروسية غزو الارض التركية وهزمت الجيش التركي الوحيد في البلقان الذي أبدى مقاومة شديدة في هذه الحرب ، وعندها عقدت هدنة في ٣١ يناير سنة ١٨٧٨ في أدرنه ووقع في ٣ مارس على معاهدة للسلم بين تركيا وروسيا في سان استيفانو . وكانت شروط الاتفاقية الرئيسية هي فصل مقاطعات رومانيا وصربيا والجبل الاسود فصلا تاماً عن الامبراطورية العثمانية وخلق حكم ذاتي لبلغاريا التي بقيت تابعة لتركيا ولكن مع توسيعها بحيث تمتد من البحر الاسود إلى بحر إيجه ودفع غرامة حربية .

وتبع ذلك فترة عصيبة بقي خلالها الجيش الروسي معسكراً خارج استانبول في حين أعلنت بعض الدول عن عدم رضاها عن شروط المعاهدة لمحاباتها الشديدة لروسيا ، وارسل أسطول بريطاني الى البسفور واستدعيت القوات الاحتياطية في المملكة المتحدة . وبعد مدة وافقت روسيا تحت تاثير جزئي من تخوفها من انقضاض النمسا على خطوط مواصلات جناح جيشها على إعادة النظر في معاهدة سان استيفانو . وكانت النتيجة انعقاد اجتماع دولي في برلين في ١٣ يوليه سنة ١٨٧٨ ، وفي غضون ذلك وفي ٤ يونيه ، ابرم اتفاق بين بريطانيا وتركيا تعهدت الاولى بموجبه وفقاً للظروف بالدفاع عن الممتلكات الآسيوية للأخيرة ، في مقابل ذلك تتسلم بريطانيا وفقاً للظروف أيضاً ، ملكية جزيرة قبرص .

أما معاهدة برلين التي وقعت في ١٣ يونيه سنة ١٨٧٨ والتي كانت نتيجة للمؤتمر الذي عقد فيها ، فقد عدلت بموجبها شروط معاهدة سان استيفانو لصالح تركيا . وحصلت رومانيا وصربيا والجبل الاسود على الاستقلال . وخصص لروسيا تعويضات عن الاضرار الحربية مقدارها

٣٠٠٠ مليون روبل لكن الاستقلال الجديد والتبعية التي قررت لبلغاريا اقتصرت على شمال البلقان ، وأصبحت الآن أكثر المقاطعات الجنوبية ، التي كانت بموجب معاهدة سان استيفانو ضمن بلغاريا ذات الحكم الذاتي المنفصل ، ولايةً تابعةً تحت اسم « روملي الشرقية » .

ويبدو ان بعض اتصالات قد حدثت سنة ١٨٧٧ بين سلطان تركيا وامير أفغانستان . كما يظهر ان الملك الاول قد استغاث بالأخير لمساعدته ضد روسيا ، وعرض عليه نصيحة بالتغاضي عن احتلال حكومة الهند لمقاطعة كويته وان ينمي علاقات حسنة مع بريطانيا . وقد أوضح له الامير أنه مضطر لان يرد عليه بأنه ليس باستطاعته تقديم أية مساعدة ، وانه يثير نوعاً من السخرية أن يشير السلطان إلى مساعدة الحكومة البريطانية التي هو في حاجة اليها .

وأصبح دستور سنة ١٨٧٦ التركي عقيماً فلم يلبث أن ألغي ، وحل البرلمان الذي انعقد بموجبه ، ونفي الواضع الرئيسي للدستور ، مدحت باشا والي بغداد السابق ، من العاصمة ، وبقيت نصوص معاهدة برلين أيضاً حول تحسين الادارة التركية دون جدوى ، وانهمك المستشارون العسكريون والماليون الالمان في تنظيم الجندرمه كما أنهم أتوا بموظفين بريطانيين لاعادة تنظيم هذه القوة الا أنه لم يلاحظ أي تحسن حقيقي للاحوال السائدة .

وكانت الشئون المصرية قد احتلت مكاناً بارزاً في أحداث السنوات من ١٨٧٩–١٨٨٢ حيث شملت خلع الخديوي اسماعيل وإقامة حكم انجلو–فرنسي مشترك موقت في مصر وقيام ثورة عرابي باشا ، واحتلال بريطانيا لمصر . كل ذلك لم يؤثر كثيراً على الحياة السياسية في الامبراطورية العثمانية وكان أكثر أهمية لتركيا إقامة دائرة الدين العام سنة ١٨٨١ تحت إشراف دولي وهي التي أقامت علاقات على أساس متين مع أصحاب الديون في الخارج وكذلك الثورة البيضاء في «مدينة فيليب» التي أدت الى اندماج الروملي الشرقي في بلغاريا .

ومنذ سنة ۱۸۹۰ فصاعداً أصبحت تركيا فريسة لمتاعب كانت في معظمها ذات طابع شبه داخلي وشبه خارجي .

وكانت كريت في اضطراب وأدت شئونها الى قيام حرب بين تركيا واليونان سنة ۱۸۹۷ انتصرت تركيا فيها بسهولة وحصلت على تعديل الحدود بين الدولتين عدا عن تعويض عن الخسائر الحربية مقداره ٤ مليون جنيه بينما حرم رعايا اليونان من الامتيازات التي كانوا حتى ذلك الوقت يتمتعون بها في تركيا خارج إقليمهم .

وفي سنة ۱۸۹۸ عينت اربع دول ، كانت تتخذ من كريت محطة لها ، الامير اليوناني جورج ليحكم الجزيرة كمفوض عام .

وفي خريف سنة ١٨٩٤ قمعت الثورة الارمنية(١) بقسوة متناهية واقترحت بريطانيا مشروعاً لتسوية القضية الارمنية اما روسيا وفرنسا فقد فزعتا من المذابح الواسعة الانتشار التي دبرت للأرمن في آسيا الصغرى سنة ۱۸۹٥ ، والتي قدر عدد القتلى فيها بمئتي الف ارمني . وقامت مذبحة في استانبول سنة ۱۸۹٦ كان بالامكان السيطرة عليها قتل فيها ۳۰۰۰ ارمني .

كما كانت علاقات الحكومة التركية مع رعاياها المسلمين أيضاً في عدة أماكن غير حسنة وبعد سنة ۱۸۹۲ تكرر العصيان في اليمن واستمر الاضطراب في البانيا .

وبحلول سنة ۱۹۰۳ أصبح على النمسا وروسيا ان تختارا بحكم الضرورة مشروعاً مشتركاً للاصلاحات ولكن وجد عند تطبيقه أنه عديم التأثير .

كما كان هناك من حين لآخر احتكاك أيضاً بين تركيا والدول الاجنبية وفي سنة ۱۹۰۱ كان لا بد لفرنسا من احتلال قلعة متلين حتى

---

(١) بدأت المسألة الارمنية تأخذ شكلها سنة ١٨٧٨ وقد حتم البند ٦١ من معاهدة برلين على الباب العالى تنفيذ الاصـــلاحات فى المقاطعات الارمنية لحماية الارمن من الشركس والاكراد ، ورفع تقرير دورى عن النجاح الذى يحقق فى هذا المضمار الى الدول الكبرى ٠

تحصل على تسوية لمطالب بعض رعاياها . وتكررت الصعوبات من بريطانيا في سنتي ١٩٠١–١٩٠٢ بشأن الاراضي التي تلي عدن ، وفي سنة ١٩٠٦ فيما يختص بالحدود المصرية . وكان البلد الاجنبي الوحيد الذي بقي محتفظاً بعلاقات طيبة مع تركيا هو المانيا التي احرزت نفوذاً بارزاً في استانبول ولم تهتم على العكس بتركيا في المسألة الارمنية .

وفي نهاية الفترة كان حزب «تركيا الفتاة» في طريق التكوين وكان هذا الحزب يهدف الى قلب نظام الحكم واستطاع فعلا في آخر الفترة من ان يخلع عبد الحميد من الحكم .

أما سلوك عبد الحميد كحاكم(١) فقد وصف سنة ١٨٧٨ بما يأتي :

إن عاداته غاية في البساطة ولم يرتكب أي أسراف . اما اهتمامه بأمور الحكومة فانه لا يفتر حتى إنه عصبي في قلقه للتعرف على كل شيء حتى التفصيلات التي قد يكون من الأفضل تركها الى مساعديه الاكفياء . ولم يترك لوزرائه فرصة للراحة فبعد أن يكونوا مجتمعين معه معظم ساعات النهار يرسل اليهم ثانية في الليل ويعيد النظر في بحث الامور التي نوقشت وهو في الحقيقة قلما ينتابه التبرم والهم ولكن بالتأكيد دون اهمال او تفريط لمصالح الدولة . وكانت نواياه طيبة ورغبته في عمل ما هو حق وافضل للامبراطورية تبلغ حداً كبيراً ولكن عدم تمرسه في الشئون العامة اثر عليه تأثيراً سيئاً . وكان هذا هو السبب الحقيقي لتردده الذي كان في كثير من الاحيان واضحاً ومؤلماً . ولم يكن متأكداً على الاطلاق من المقياس الذي أخذ به لتصريف الامور من أنه ليس خاطئاً بعد كل ذلك . حتى كان من المحتمل الغاء أمر حال الشروع فيه .

وقد اتصف عصر عبد الحميد باستمرار المثابرة في الاهتمام بالأعمال الرسمية ولكن عندما استبدل بعد مدة قصيرة جهله بالمعرفة ونمو التجربة

---

(١) عبر آسيا التركية المجلد الثانى ص ٣١٠ .

أصبح مميزاً بدهاء دبلوماسيته وأساليبه الخالية من الشفقة التي كانت تعتمد على التجسس والمراقبة السرية .

ومن ملامح بداية عصر عبد الحميد ظهور طبقة جديدة من رجال الادارة المدنيين والعسكريين الاتراك ، من غير الذين أخذوها بالوراثة في تركيا العامة . وينتمي إلى هذه الطبقة الجديدة عثمان باشا الذي دافع عن البلقان وغازي مختار باشا أكثر القادة الاتراك نجاحاً بعد عثمان باشا في الحرب الروسية وعدد من وزراء الدولة المدنيين في تلك الحقبة . وهذه النجوم التي لمعت وسرعان ما اختفت حلت مكان معظم الطبقة المختارة من الباشوات ذوي الانساب الذين كانوا يتمتعون في عصر السلاطين السابقين باحتكار السلطة الفعلية . ويمكن ملاحظة ميزة أخرى في هذه الطبقة الجديدة من رجال الدولة وهي أنهم أكثر من غيرهم تضجراً من التوجيه الاجنبي والقيادة الاجنبية كما يتضح ذلك من النصائح والبلاغات الاجنبية .

وربما كان اكثر العيوب وضوحاً في ادارة البلاد عدم كفاءة موظفيها المدنيين من سائر الرتب وفي جميع الفروع . هذا ما كان عليه الحال خصوصاً في بداية الفترة ، وليس بالامكان القول إن أية من التحسينات المناسبة قد أخذ مكانه إلى نهاية الشوط وان الخدمات المدنية ، هذا اذا كان بالإمكان تكريمها باسم خدمات ، كانت مهملة أكثر من النواحي العسكرية . وكان التعيين فيها يتم عن طريق المحسوبية والرشوة . أما الكفاءة والخبرة المكتسبة فلم يكونا معترفاً بهما ، كما لم يكن هناك استقرار في سلك الوظائف . وكان التطلع الى نهب الاموال عن طريق الوظيفة قاعدة أكثر منه استثناءاً .

ملامح العراق التركي في عصر عبد الحميد
١٨٧٦ ـ ١٩٠٥

شهد عصر عبد الحميد نمو سلطة المجالس المحلية التي كان بعض أعضائها ينتخبون انتخاباً حتّى أصبحت مصدر دعم لكل الجهاز التنفيذي من الوالي الى المدير ، وبذلك أصبحت هذه المجالس في الحكم أكبر من كونها مجرد مجالس اسمية . وكانت الجاليات اليهودية والمسيحية ممثلة في بعض هيئات هذه المجالس وقد أمكن التوصل الى نتائج حسنة نوعاً ما من إشراك هؤلاء العناصر المسلمة ذات الاغلبية في بحث إنجاز الامور ، إلا أنه تبين أن المجالس بينما توفر بعض الحماية من سيئات أشرار الموظفين كانت قابلة لاعاقة أعمال النوع الافضل منهم ، ويزعم بأن إيجاد هذه المجالس أدى الى زيادة رقعة الرشوة المتفشية والفساد ، والواقع إن المجالس كانت بحاجة الى روح جماعية أكثر ومستوى خلقي ومدني أعلى مما كان متوافراً في الناس لكي تصبح مؤسسات نافعة حق النفع ، ومع ذلك فهي لم تكن دون بعض الفوائد في مجال تدريب الناس على حكم أنفسهم بانفسهم .

ويبدو أن العراق التركي في سنة ١٨٧٨ شهد قدراً لا بأس به من حرية القول والرأي في المسائل العامة اذ لم يكن قد شكل بعد نظام الجاسوسية في الاقليم . وكانت الشخصيات الرسمية والاجراءات تنتقد علناً ودون تحرج ، وكان النائب الذي مثل بغداد في اول برلمان تركي واحداً من أكثر السياسيين تقدمية في تلك الايام وغير موثوق به من قبل حزب الاتحاد في استانبول . ومن هذه الناحية ربما تحقق من الرجعية أكبر مما حصل من التقدمية بالانتشار التدريجي لمبادىء عبد الحميد واساليب حكومته .

أثر الحرب الروسية سنة ١٨٧٧ - ١٨٧٨ في العراق التركي

كان الاثر الرئيسي للحرب الروسية التركية على العراق التركي أنها جردت الاقليم تجريداً تاماً من حاميته العسكرية ، ومن الجندرمة وهم الشرطة الحقيقية الوحيدة . وقد بذلت السلطات التركية طاقة كبيرة في حشد الجنود لخدمة العلم حتى إنك كنت ترى جماعات من الرجال على الطرق الريفية وقد أخذت للخدمة العسكرية يسيرون في القيود وتحت الحراسة إلى أقرب مراكز للقرعة . ولم تكن نتيجة ابعاد الجيوش وقوع فوضى عامة كما كان يخشى ، وان تكن المشاحنات القبلية وقطع الطرق قد تفاقمت أكثر من العادة ، غير ان الشعور بضعف الامبراطورية العثمانية واهتزازها كان متفشياً تفشياً واسعاً أفسح المجال لظهور مخاوف مبالغ فيها بسبب الفوضى المطلقة .

أما صافي نتيجة الحرب على التجارة الخارجية في العراق التركي فمن الصعب تقديرها ، ومما لا شك فيه ان الثقة وقوة الشراء لرعايا تركيا قد انخفضتا وراجت من ناحية أخرى التجارة العابرة بين العراق التركي وايران بسبب عرقلة التجارة بين البلد الاخير وروسيا .

ويبدو ان المسافرين الاجانب قد وجدوا الناس في الاقاليم سواء أكانوا من رجال القبائل العربية أم من رجال الاتراك الرسميين على اتصال أكثر من ذي قبل في الاوقات العادية . وفي سنة ١٨٧٨ كان المسافرون الانجليز يعاملون معاملة ودية على الرغم من الانطباع المحلي الشامل بأن تركيا قد أجبرت على تحالف دفاعي هجومي مع روسيا ومن الممكن أن تجبر قريباً على الدخول في عداء مع بريطانيا .

حالة العراق التركى العامة ١٨٧٨

أحوال الارياف :

كان العراق التركي في اولى سنوات عصر عبدالحميد ما يزال إقليماً مقفراً غير متحضر على قدر ما هو عليه وقت تأليف هذا الكتاب وربما جاز ان يضرب مثلا على ذلك بأن أسود العراق التي انقرضت الآن كانت آنذاك ما تزال باقية .

بل وحتى في سنة متأخرة مثل سنة ١٨٧٤ قتل(١) أسد ولبوتان أو ثلاث لبوات من على ظهر سفينة من السفن النهرية البريطانية التي كانت تمخر عباب دجلة . على ان السلطات التركية على أية حال حققت بعض التقدم في تهدئة واستقرار الارياف وقد أجملت الكلمات الآتية الحسنة التبصر الوضع في سنة ١٨٧٨ بهذا الخصوص فيما يلي :

ليس عندي عطف على الاتراك في بلاد العرب وما زلت أقل تعاطفاً مع ادارتهم هناك ، اذ أنها فاسدة تماماً ، ولكنني لا أعتقد أن نظريتهم عن الحكومة هناك نظرية فاسدة أو أن حمايتهم للقبائل المسالمة وكبحهم جماح النزاعة منها للحرب ، او تشجيعهم لزراعة الارض ، او مستوى الامن الذي حققوه على الطرق الرئيسية او الاحتلال العسكري للقرى والتحالف مع رؤساء البدو والمغريات التي تقدم لهم حتى يغروهم بالقيام بعمل الشرطة في الصحراء ، لم تكن كلها في وضع حسن شبيه بما في

(١) كان الكابتن كلمنتس الذى اصبح فيما بعد قائدا للسفينة بلوص لينش مشتركا في هذه المغامرة وقد وجد هذه الحيوانات على قطعة من الارض عزلتها الفيضانات في جزء من النهر حيث لا يوجد فيها حرج ، وقفزت احدى هذه اللبوات في الماء وقتلت عندما كانت تحاول الصعود الى ظهر السفينة اما الاسد واللبوة فقد قتلا بالقرب من دير الزور على نهر الفرات فى نهاية سنة ١٨٧٧ . من كتاب الليدى آن بلنت بدو الفرات المجلد الثانى صفحة ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

اوروبا وانما فشل الاتراك في الناحية العملية وربما لاسباب تستعصي على الحلول لكنهم لم يفشلوا فيها تماماً ، ومن وجهة النظر العسكرية يحق للباشوات أن يفخروا وهم صادقون الى حد ما بأنه اذا ما قورن العراق بحاله قبل عشرين سنة فانه لا توجد بلاد خطت خطوات نحو المدينة أسرع منها وان قوة القبائل البدوية في هذه الفترة قد شكمت خلالها تماماً ان لم تكن قد تحطمت . ويمكن الادراك تماماً بأنه خلال عشرين سنة أخرى بنفس معدل السرعة فان قبيلة عنيزة ستكون قد اختفت من الصحراء السورية العليا ، وان شمر ستكون قد تحولت الى حياة الاستقرار في بلاد الرافدين ، وفي اليوم الذي سيزرع فيه وادي الفرات المكون من الطمي بكامله ، وينقطع اقتراب البدو من النهر صيفاً فان من هم بدو حقيقيون منهم يجب أن يتراجعوا إلى نجد من حيث جاءوا او يهجروا حياتهم المستقلة .

ولا ريب في أن تفاؤل الاتراك له ما يبرره اذا كانوا يستندون الى هذه العوامل أما أنا شخصياً فانني لا اومن ببعث تركيا او حتى بالمحافظة على قوتها العسكرية لمدة أطول من الزمن .

أحوال المـــدن :

وربما كانت أكثر الملامح لفتاً للانتباه في المدن في ذلك الوقت الحركة المفاجئة تجاه التعليم الحديث بين أفراد الجالية اليهودية الكبيرة الاصلية التي في بغداد ممن يتحدثون بالعربية . وعندما أنشأ اتحاد الجامعة العبرية في باريس مدرسة يهودية هناك في سنة ١٨٦٤ قابلتها العائلات اليهودية الشديدة المحافظة على التقاليد القديمة في بادى الامر بالشكوك ولكنها سرعان ما نجحت في الفترة الاخيرة . وبحلول سنة ١٨٧٨ عندما أصبح السيد جارات مديراً لها ، وهو مواطن من بغداد تعلم في باريس ، أصبح بالمدرسة ١٧٢ تلميذاً ، واصبح التعليم فيها ممتازاً كما أصبحت مناهج التدريس تشمل اللغة الانجليزية والفرنسية ، وبعد سنة ١٨٧٨ كان الاقبال عليها ما يزال مستمراً وباضطراد .

التنظيم الاداري في العراق التركي ١٨٧٦ ـ ١٩٠٥

الاقسام الادارية للاقليم :

ربما(١) كانت الاقسام الادارية لاقليم بلاد العرب التركية كما يلي :

كانت هناك ولايتان هما ولاية بغداد وولاية البصرة ، وكانت الاولى تشمل متصرفيات الموصل وكركوك (التي كانت تعرف باسم شهرزور) والسليمانية عدا قائمقاميات الكاظمية والديلم والعانة وسامراء وخراسان وخانقين ومندلي والعزيزية ، وكانت الاخيرة منها تشكل من رآسة ادارية مقسمة الى نواح تشمل مديرية الفاو وقائمقامية القرنة ومتصرفيات الحلة (وتشمل كربلاء والنجف حتى العمارة) والمنتفك والاحساء ، وكان شيخ المنتفك متصرفاً للمتصرفية المسماة باسم قبيلته .

انشاء ولاية الموصل :

وفي بداية سنة ١٨٧٩ فصلت الاقسام الشمالية من ولاية بغداد عن بقية الولاية واقيم منها ولاية منفصلة سميت ولاية الموصل واسفر ذلك عن تقلص حجم ولاية بغداد كثيراً وانحسار أهميتها .

ضم ولاية بغداد والبصرة وانفصالهما ١٨٨٠–١٨٨٦ :

وفي ربيع سنة ١٨٨٠ دمجت ولايتا بغداد والبصرة في ولاية واحدة مركزها بغداد، وكان هذا بمعنى آخر عودة الى النظام الذي كان سائداً قبل سنة ١٨٧٥ الا أنه لم يستمر طويلا. ففي ربيع سنة ١٨٨٤ اعيد تأسيس ولايتين منفصلتين في كل من بغداد والبصرة وسوف نرى أكثر من ذلك أن النفوذ البريطاني كان يعمل في سنة ١٨٨١على عدم تشجيع تفتيت

(١) راجع المجلد الاول من كتاب السيد جراى « عبر آسيا التركية » ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ويبدو ان تقديره معرض للشك فيما يتعلق بتبعية كربلاء والنجف لولاية البصرة الامر الذى يعتبر غاية فى الغرابة ·

نظام الولاية الضخمة لصعوبة ادارتها . وعندما أعيد للبصرة وضعها كولاية سنة ١٨٨٤ استبعد منها النجف وكربلاء (هذا اذا كان لم يستبعد في كل وقت) وظهرت العمارة في هذه الولاية كمتصرفية بدلا من قائمقامية كعهدها في السابق ، وفي نهاية سنة ١٨٨٦ حدث فصل جديد بين ولاية بغداد والبصرة ، مما يدل على أن عهداً من ضم الولايتين قد سبق فصلهما بالطبع .

فساد الادارة التركية وعيوبها الاخرى :

وكان الفساد متفشياً جداً في الادارة كما تدل على ذلك المقتبسات التالية(١) التي تشير الى الاحوال في سنة ١٨٧٨ :

« الا أن هناك استثناءات على القاعدة مشرفة بين أعلى الرسميين الاتراك . ومن الامثلة الكثيرة التي تشرح العادات التي تسود طبقة الرسميين والتي علمت عنها بينما كنت في بغداد أذكر واحدة فهناك حاكم معين لاحدى المقاطعات في الاقليم له دار كبيرة لكثرة من عنده من الحريم وفي اسطبله سبعة رؤوس من الخيل وعنده خدم كثيرون ، ولما كان راتبه الشهري ١٥ ليرة تركية فقط ، وليست له ثروة خاصة فان أصدقاءه كانوايستغربون كثيراً كيف كان ينفق ذلك الانفاق وكيف يستضيف شيوخ العرب فيكرمهم اوسع الكرم ، ومن اين يقدم الهدايا النفيسة لذوي النفوذ في بغداد دون ان يظهر عليه أبداً أنه في حاجة الى النقود . إلا أن حجر الفلاسفة الذي يصنعه لم يكن غامضاً على الذين دخلوا في وسطه المباشر فما كان يُخفي عنهم حقيقته . وقد اخبرني ثلاثة من مدراء دار جمارك بغداد الذين تقاعدوا على المعاش بعد فترة قصيرة من الوظيفة ، بأنه نظراً لقلة رواتبهم وعدم الانتظام في قبضها فانهم كانوا يعتمدون على التوفير مما استطاعوا أن يصلوا اليه بمهارتهم خلال

(١) عبر آسيا التركية للسيد جراي المجلد الاول ص ٢٤٧ ــ ٢٤٨ وص ٢٤٥ .

سنتين من الوظيفة . وان عيشتهم حسنة ولهم مكانتهم في المجتمع منذ كانوا موظفين عموميين هامين في خدمة بلادهم وقد أخبرت أنهم كانوا يستضيفون كبار الباشوات بغير مشقة بل كانوا في كثير من الاحيان يقضون لهم حاجاتهم الخاصة ، أما كيف يمكن عمل كل هذا من راتب ثمانية او عشرة ليرات في الشهر والتي كانت نادراً ما تدفع اليهم في حينها فانه من غير اليسير الاجابة على ذلك .

* * *

حكومة ولاية بغداد ١٨٧٦ ـ ١٩٠٥

عاكف باشا حوالي سنة ١٨٧٨ :

استقيت بعض المعلومات عن ولاة بغداد خلال هذه الفترة مما كتبه الرحالون ومن المصادر الاخرى .

كان عاكف باشا الذي جاء مباشرة بعد رديف باشا حاكم الولاية سنة ١٨٧٤ وصاحب الشهرة الطيبة ، كان رجلا ذا طابع مختلف تماماً عن سابقه ، فهو تركي من المدرسة القديمة أديب ولطيف في ظاهره إلا أنه اكتسب في آخر وظيفة له في اوروبا سمعة قبيحة مكروهة بسبب مذابح البلغاريين ، وقد كتب (١) عنه في سنة ١٨٧٨ :

لعاكف باشا شهرة في أنه أكثر حكام بغداد فساداً على الاطلاق ولكن هذا الرأي مبالغ في تقديره وطبقاً للتقارير العامة فانه جمع بعد انقضاء ثمانية أشهر عليه وهو في الوظيفة ٥٠,٠٠٠ جنيه نقداً عدا عن المجوهرات وانواع أخرى من الثروة المتعددة ودعنا نأمل في أن تكون المبالغ هذه مبالغاً فيها ، فانه من الصعب على الانسان أن يصدق على حد

---

(١) كتاب الليدى آن بلنت بدو الفرات المجلد الاول ص ٢٠٣ .

سواء ان الستين أو السبعين رأساً من الخيل العربية التي يتألف منها اصطبله قد اشتريت ودفع ثمنها من دخل غير دخل مكتب الوالي .

وقد نقل من بغداد في ربيع سنة ١٨٧٨ بسبب المشاغبات التي حدثت هناك والتي سوف تذكر فيما بعد .

قدري باشا سنة ١٨٧٨ :

وجاء بعد عاكف باشا في الولاية قدري باشا وهو إنسان مثقف يتكلم الفرنسية بطلاقة وله المام لا بأس به باللغة الانجليزية بحيث كان قارئاً منتظماً لجريدة التايمز ، وهو ينتمي الى مدرسة مدحت باشا وكان يتظاهر بكراهية له ، كما كان صنيعة خاصة من صنائع وفيق أفندي وهو قائد آخر من قواد حزب الحرية بفضله حصل قدري باشا على وظيفته في بغداد ، وقد ترك قدري باشا انطباعاً محبّباً في نفوس الرحالة الاوروبيين الذين اتصلوا به .

ويبدو أنه كان ذا كفاءة ونشاط ونزاهة بحيث عقدت عليه الآمال الكبيرة لتحسين ادارة الولاية في بداية فترة حكمه ، ولم يظهر فيما اذا كان قدري باشا قد حقق الآمال التي عقدت عليه ، الا أنه لوحظ منذ البداية أن السياسات الاوروبية تحظى عنده على ما يبدو باهتمام أكثر من امور مقاطعته ، ومن أقواله المأثورة ان التسامح الديني في تركيا ليس كافياً بل يجب إدخال المساواة الدينية الحقيقية اليها .

الولاه الآخرون ١٨٨٠ ــ ١٩٠٥ :

فيما يلي ولاة بغداد المتعاقبون والذين يعتبرون أقل شهرة من الواليين الذين ذكرا قبل قليل :

عبد الرحمن باشا	١٨٧٩
تقي الدين باشا	١٨٨٠ــ١٨٨٦
مصطفى عاصم باشا	١٨٨٧ــ١٨٩٠

سري باشا	١٨٩٠–١٩٨٢
حسن باشا	١٨٩٢–١٨٩٦
عطا الله باشا	١٨٩٦–١٨٩٨
نامق باشا	١٨٩٨–١٩٠٢
فيضي باشا	١٩٠٢–١٩٠٤
عبد الوهاب باشا	١٩٠٤–١٩٠٥
مجيد باشا	١٩٠٥

وقد قيل عن تقي الدين باشا إنه تورط رسمياً في وقت سابق في مذبحة المسيحيين في حلب ، وكانت علاقاته مع ممثلي الامم الاوروبية في بغداد على أسوأ حال ، حتى إن تبادل حفلات المجاملة قد توقف في عهده الى حد ما . وقد لاحظ عليه السيد بولدوين المقيم البريطاني في بغداد سنة ١٨٨١ أنه عاجز عن العمل بسبب تقدمه في السن ، وكان مبدؤه ، الخاص الكراهية التقليدية لجميع الاوروبيين . وقد أحيل على التقاعد على رواية الرائد تويدي سنة ١٨٨٦ « مثقلا بالسنين والاموال ليعيش في موطنه حلب » وكانت البصرة طوال فترة حكمه ضمن ولاية بغداد .

أما فيضي باشا فقد كان شخصية عسكرية متقدمة في السن الا أنه كان بالغ النشاط والاستنارة ، وكان يقود فيلق بغداد بنفس النشاط الذي كان يدبر فيه حكم الولاية .

أما عبدالوهاب باشا فكان ألباني الأصل وحاكماً واضح العجز وقليل الكفاءة ، وكانت سياسته معاداة الأجانب ، وقد أدى سلوكه في مناسبات متعددة الى احتجاج الممثلين البريطانيين والفرنسيين والروس في بغداد عليها بشدة .

الشئون الداخلية فى ولاية بغداد
١٨٧٦ ـ ١٩٠٥

طاعون بغداد ١٨٧٦ ـ ١٨٨٧ :

عانت مدينة بغداد مثلما عانت المدن والأماكن الأخرى في الولاية من انتشار وبأ الطاعون الدملي الخطير سنة ١٨٧٦ وسنة ١٨٧٧ وقد بحثت الأحداث المتعلقة بذلك في الملحق تحت عنوان منظمة الصحة والأوبئة .

حوادث العصيان في كربلاء والنجف :

قامت في صيف سنة ١٨٧٧ ثورات خطيرة في كربلاء والنجف ضد سلطة الحكومة التركية تعزى أسبابها الى تجريد الولاية من الجيوش في أعقاب الحرب الروسية التركية .

ففي كربلاء يبدو أن أهل المدينة رفضوا امداد الجيش بانفار القرعة، ورفضوا حتى دفع الضرائب ، وانفجرت الثورة في الرديف العسكري الذي جند محلياً هناك ، أما في المدينة نفسها فقد سيطرت الفوضى مثل أيام تسلط اليار اماز قبل سنة ١٨٣٤ ، وكانت عصابات العرب تظهر لاعدائها في الشوارع العامة ، وتعرض السكان الأجانب المقيمين هناك من ايرانيين وهنود لاخطار كبيرة ، واتخذت الاستعدادات لمقاومة الحكومة ، حتى إن المسافرين والتجار الذين كانوا يقتربون من المدينة كانوا يتعرضون لاطلاق النار عليهم من بساتين النخيل التي تحيط بها ، وقد ارسل اليهم من بغداد طابور مؤلف من ٤٠٠ من المشاة النظاميين ومعهم مدفعان او ثلاثة ، واستطاع هؤلاء أخيراً أن يشقوا طريقهم الى المدينة وقد تكبدوا بعض الاصابات ، ولكنهم اوقعوا خسارة أكبر في الثائرين . وقد هدمت نيران المدافع في الاشهر الاخيرة البيوت ، كذلك اجتثت الاشجار لتسهل العمليات العسكرية حيث ما تزال آثار هذه العمليات ترى خارج كربلاء . ثم استطاعت القوة التركية هذه في النصف الثاني من اغسطس ان

تحتل المدينة ، وقد أقفلت جميع الاسواق في المدينة في وقت واحد احتجاجاً على أعمال الطغيان التي قاموا بها ، وبقي أفراد الرديف العسكري الثائر معتصمين في بعض غابات النخيل المجاورة يشنون الغارات على القوافل المارة من هناك ، ليؤمنوا حاجاتهم بما يستولون عليه من أموال ومواد تموينية . وفي ٢٤ أغسطس هاجم الجيش التركي الثوار فقتل منه جنديان إلا أنه عاد ومعه خمسة رؤوس من الثائرين علقت في أماكن عامة متفرقة . وفي الخامس والعشرين من نفس الشهر جردت حملة أخرى نتج عنها قتل ضابط وجرح عدة رجال ، وفي السادس والعشرين حضر ٦٠٠ رجل من بني حسن من الهندية وبعض العنزة لمساعدة الجيش التركي إلا أنهم وجدوا الثوار قد جلوا عن مواقفهم ، وفي اليوم التالي هدموا تحصينات الثوار هناك .

وخلال الازمة طلب عاكف باشا والي بغداد من الرائد نيكسون المعتمد البريطاني السياسي تحذير رعايا بريطانيا المقيمين في كربلاء من مساعدة المتمردين . ولم يكن هذا الطلب وارداً على الاطلاق ، ومع ذلك فقد نقل التحذير في حينه حيدر علي خان المعتمد البريطاني الفخري في نفس المكان الى الجالية الهندية البريطانية التي تقيم هناك .

وقد حدث في نفس الوقت تقريباً مشاغبات في النجف بعد حدوث انشقاق على الحامية العسكرية التركية هناك . وتراجعت العصابات المحلية المتمردة من الزوجرد الأعداء اللدودين للشمورد الى الكوفة حيث أعدوا للدفاع عن انفسهم بالقوة . الا أنهم في النهاية أصغوا لوفد مؤلف من علماء النجف وشيوخ القبائل العربية في لواء الهندية الذين اوفدهم الرائد حاجي بك حكمدار الحامية العسكرية التركية في النجف ليتوسطوا في إخضاعهم . وعاد الثوار الى النجف في خضوع واضح تاركين عصابات رؤوسهم متدلية على اعناقهم والقوا بأنفسهم على أقدام الحكمدار الذي منحهم عفواً عاماً . وقد لعب دوراً بارزاً في هذه الوساطة التي انتهت بنهاية سعيدة علي بحر العلوم المجتهد المتولي على وقف أوض. وكان تدخله

بناء على رجاء الحكمدار العسكري ، كما كان هذا الرجل أيضاً على اتصال بالرائد نيكسون ، وكان ابن أخيه سيد علي النقي واحداً من الذين قاموا بدورهم في الوفد الى الكوفة .

وانتهت هذه الفتنة بعد يومين او ثلاثة فقط ، ولكن يبدو ان تمرداً آخر أيضاً وقع في النجف شبيه لما حدث في كربلاء وبسبب جمع القرعة العسكرية وفرض الضرائب ، إلا أنه انهار بمجرد وصول مفرزة من الكتيبة التركية في كربلاء حيث قبض على ثلاثين شخصاً واودعوا السجن.

وفي سنة ١٨٧٩ رابطت حامية مكونة من اربع بلوكات مشاة في النجف وقوة أكبر منها في كربلاء .

مشاغبات في بغداد بسبب الحبوب ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ :

وجرت ١٨٧٧ عمليات كبيرة لنقل الحبوب من بغداد الى بومباي وانجلترا فتضاعف سعرها المحلي مما سبب ذعراً في الاوساط الشعبية . ولما كان محصول الربيع منها غير محقق ونظراً للحاجة الماسة لنقل وارسال المواد الغذائية بسبب الحرب الروسية فقد منع تصدير المواد الغذائية الى أمد غير محدود ، وفي هذه الظروف طلبت حكومة استانبول من والي بغداد أن يمنع تصدير الحبوب وقام هذا بذلك بالفعل إلا أن التجار انتهكوا الحظر . وقد قبض على تسعة مراكب محلية كانت تسير متجهة أسفل النهر ونهبها الأهلون . وكانت حامية بغداد في تلك المدة مؤلفة من كتيبة واحدة من المشاة مع بعض رجال من المدفعية ولكن الهدوء استعيد دون صعوبة ، وقد تركت اوامر المعتمد السياسي البريطاني الموجه الى الرعايا البريطانيين بوجوب مراعاة الحظر مراعاة دقيقة أثراً حميداً .

ولاحظ المصدرون ان الاسعار أخذت تهبط مرة أخرى وتوقعوا أن يرفع الحظر قريباً ، لذا بدأوا يشترون كميات كبيرة من الحبوب ويخزنونها مرة أخرى ، الأمر الذي أثار مشاعر عامة الناس كثيراً .

وقد ادعى تاجر اوربي سنة ١٨٧٨ أنه حصل على ترخيص خاص من الوالي لتصدير الحبوب وشحن الباخرة النهرية البريطانية « بلوص لينج» بالحبوب لارسالها الى البصرة ، وسرت إشاعة تقول إن الحبوب ستنقل على قوارب محلية ، ولذا تركت جماعة من المشاغبين بغداد متوجهة إلى المدائن ليلحقوا بالقوارب الاهلية التي افترضوا أنها تعمل في نقل الحبوب ، الا أنهم فشلوا في العثور على أي واحد منها يحمل حبوباً ، كما حاصر جمع من الناس دار الجمارك حيث كانت السفينة «بلوص لينج» ترسو خارجها وهددوا بتدمير المركب اذا لم يُصَرْ إلى تفريغ الحبوب منها وأفرغت حمولة السفينة «بلوص لينج» بموافقة المعتمد السياسي البريطاني تفادياً للهياج العام والسلب ، الأمر الذي كان محتمل الوقوع اذ لا توجد في نفس الوقت قوة عسكرية كافية لفرض الحماية . وبحلول شهر ابريل سنة ١٨٧٨ زالت جميع أخطار شحن الحبوب وعادت الامور الى مجاريها الطبيعية . وقد أدت جميع هذه الاضطرابات التي ذكرت الى عزل عاكف باشا والي بغداد ، الذي يبدو أن الحكومة التركية القت عليه مسئولية حدوثها .

الوضع في بغداد سنة ١٨٧٨ :

كانت حالة مدينة بغداد العامة في ربيع سنة ١٨٧٨ متأخرة ويسودها الضيق ، ومن الواضح أن التجارة كانت في ركود حتى انعدمت الحياة والنشاط في عامة النواحي ، وانتشرت أعمال العنف في الضواحي القريبة منها ولم يكن في البلد فندق أو حتى نزل يمكن قبوله . وكان من الصعب على المسافر أن يحصل فيها على سندات دفع في الموصل او ديار بكر او الاسكندرونة الا في مصرف كان قائماً على رأس مال مشترك هو «شركة بنك بغداد» ولم يكن في البلد أية تسهيلات بنكية يمكن الاستعانة بها سوى اغنياء التجار من اليهود او المؤسسات التجارية البريطانية .

وحدث خلال يومين وعلى مسافة قليلة خارج المدينة أن أطيح

بضابط تركي عن حصانه وجرح جرحاً بليغاً وأخذ منه مهاجموه حصانه وتلقى من الأذى ما خيف عليه من النهاية المحتومة . أما في الارياف فقد انتشرت الخصومات وأعمال النهب على الطرق .

نقباء بغداد :

وقد شغل منصب نقيب بغداد من سنة ١٨٧٣ الى ١٨٩٨ سيد سليمان الذي جاء عقب سيد علي ، وعند وفاته سنة ١٨٩٨ تولى أخوه سيد عبدالرحمن .

★ ★ ★

الشئون القبلية في ولاية بغداد ١٨٧٦ ــ ١٩٠٥

أصبحت المعلومات الواردة عن شئون القبائل في ولاية بغداد بعد أن تولى عبدالحميد الحكم قليلة . ويحتمل ان يكون مرد ذلك هو زوال أهمية القبائل العربية السياسية وانقطاع الممثل البريطاني عن الاهتمام بالامور المتعلقة بهم حيث كانوا في السابق يحتشدون لمحاربة الحكومة التركية فيدمرون جميع المقاطعات بل كانوا يهددون بغداد نفسها . وقد أصبحوا الآن أعجز من القيام بأكثر من الغزو والنهب في الصحراء بعيداً عن الاماكن المأهولة ، الا أنه حدث استثناء جزئي لهذا التبدل العام في سلوك القبائل على يد قبيلة الهاموند الكردية التي تقيم قرب الحدود الايرانية وقد جاء في تقرير الرائد تويدي المقيم السياسي البريطاني في بغداد سنة ١٨٨٦ ما يلي :

تصرفات الهموائد سنة ١٨٨٦ :

في الوقت الذي أكتب فيه هذا التقرير أصبحت الحدود في سنجق بغداد والموصل مثلما حدث من حين لآخر في السنوات السابقة أمراً مزعجاً بسبب أعمال قبيلة الهماوند او همداواند . في السنة الحالية انقطع

من جرّائهم خط المواصلات الكبير هذا مرة او مرتين الا في وجه أكبر القوافل . وقد جاء ان الحامية العسكرية عليه مكونة من ١٣٠ من الخيالة موزعين حسب وضع الطريق الى مجموعات مكونة من ٢٠ او ١٥ خيالا عدا عدد من الظابطية «الجندرمة» . واستطرد قائلا « ان الهموائد أثاروا فزعاً على طول الخط على الرغم من وجود أعداد كبيرة من السرايا العسكرية تتجول فيه ويظهر أنهم لن يلتقوا بهم» ، وما يزال هذا التهديد قائماً على الحدود بين الحكومتين الكبيرتين ممثلا في حفنة من الرجال المحاربين لا يكاد يصل عددها ٥٠٠ ، مسلحين ببنادق من نوع مارتيني ، ويركبون خيولا ساعدتهم بها شمر ، وهم كالاشقياء ينتشرون في كل وقت ومكان مثل الزنابير الامر الذي يصعب معه الايقاع بهم وقاموا قبل يوم فقط بجرح ضابط وقتل جندي قرب السليمانية .

شمر الشمالية سنة ١٨٨٩ :

بقيت قبيلة شمر التي تقيم في الشمال لمدة طويلة تحت حكم الشيخ فرحان بن صفوق . ويوضح تاريخ هذا الشيخ وتاريخ أقاربه الادنين أسباب الانهيار والخراب الذي حل بالقبائل العربية في العراق التركي. وقد تولى الشيخ فرحان رئاسة القبيلة عقب او بعد فترة قليلة من مقتل والده سنة ١٨٤٧ ويبدو أنه قضى في الفترة السابقة عدة سنوات في استانبول وكان على الارجح خلالها معتقلا سياسياً ، وقد تعلم هناك التركية وتشرب الآراء التركية . وبعد عودته إلى بلاد ما بين النهرين اعترف به مرة أخرى شيخاً على قبيلته وتلقى أخيراً منحة مقدارها ٣،٠٠٠ جنيه سنوياً من الحكومة التركية لكي يحافظ على النظام في منطقة القبيلة وليؤثر على جماعته حتى يختاروا حياة الاستقرار . ولكي يشجعهم على ذلك اتخذ لنفسه مسكناً ثابتاً في الشرفات الواقعة على نهر دجلة حيث بنى بيتاً فيها سنة ١٨٧٨ إلا أنه لم يحقق أي تقدم في تعويد شمر على حياة الزراعة على النحو الذي كان يؤمل منهم عمله ، وقد حصل الشيخ في هذا الوقت على لقب باشا ، وكان يثقف اولاده الصغار باللغة التركية .

ويبدو أن نسبة كبيرة من شمر الشمالية كانت غير راضية باستمرار عن الشيخ فرحان ، لكونه من ام بغدادية من ناحية ، ولميوله التركيه من ناحية أخرى ، وهي غير راضية عن الشكل الذي وضع فيه الشيخ نفسه في المخططات التركية لتحويل حياة القبيلة الى حياة متحضرة . وكانت النتيجة أن تخلى عن الشيخ من وقت لآخر أكثر أتباعه نفعاً ، أعني هؤلاء الذين يتمسكون بشدة بالنزعة البدوية للاستقلال في الحياة . وقد نازعه في رئاسة القبيلة في مرة من المرات أخ أصغر منه اسمه عبدالكريم يرجع نسب أمه إلى أسرة عريقة من عرب الصحراء ، ودأب هذا على توجيه الإهانة والازدراء وإغاظة السلطات التركية وقد نجح في الافلات من السجن لفترة ما . وعلى أية حال ففي النهاية سلمه الشيخ ناصر شيخ المنتفك سنة ١٨٧٣ الى الحكومة ثم طلبه والي البصرة حيث سجنه هناك ، وأخيراً أعدم في الموصل . كما أن أخاً صغيراً آخر للشيخ فرحان وهو عبدالرزاق كانت له ميول سياسية مشابهة لميول عبدالكريم وقد لاقى حتفه على أيدي الاتراك في نفس الفترة . وفي سنة ١٨٧٥ عاد فارس وهو شقيق لعبد الكريم وكان عمره حينذاك ٢٤ سنة ، من نجد حيث كان ملتجئاً اليها موقتاً واستطاع أن يؤمن بسرعة ولاء الجزء المعارض من قبيلة الشيخ فرحان . وفي سنة ١٨٧٧ دخل فارس في مفاوضات مع السلطات التركية في دير الزور للحصول على منحة من الحكومة نظير مساعدته لها في شئون القبائل ، ولتأمين المساعدة للسلطات الرسمية ضد الشيخ وابنيه الكبيرين عيسى ومجول . وقد التقى فارس في سنة ١٨٧٨ بالسيد و. س. بلنت والسيدة آن بلنت عندما كانا يتجولان في البلاد العربية ، وقد تركت صراحة سلوكه وروحه العالية فيهما أثراً طيباً جداً ، وقد تبادل فارس مع المستر بلنت يمين الاخوة البدوية .

وحوالي سنة ١٨٨٦ قامت قبيلة الدليم بغارة يائسة على شمر وارتكبوا أعمالا دموية أكثر مما هو معتاد حدوثه في مثل هذه الحالات ، ومع ان الدليم هي المهاجمة إلا أنها هزمت . ولما كانت تعيش تحت طائلة القانون فقد ارغمتها السلطات التركية على دفع ثمن غال لقاء عملها .

النزاع القبلي قرب كربلاء سنة ١٨٠٢ :

أما بقية مجرى الاحداث مع شمر فهو غامض إلا أنه يبدو أن بعض المتاعب وقع سنة ١٨٨٩ بين شمر والحكومة التركية واختار فرحان الذي كان ما يزال شيخاً عليها سياسة الخضوع .

وحدث في أكتوبر سنة ١٩٠٢ اضطراب خطير للامن في الولاية بين كربلاء والمسيب التي كانت مسرحاً لمدة يومين اوثلاثة لقتال بين قبيلة العنزة الرحل وقبائل مسعود المستوطنة ، وكانت قبائل شمر الشمالية تساعد الاخيرة لانها في وقت من الاوقات كانت تخيم في اراضيها ، ولقد نجا الكابتن كوكس جراح المقيمية البريطانية في بغداد بصعوبة من التشليح على يد أحد عصابات المتحاربين خلال هذه الحوادث الاخيرة . وفي النهاية استعيد النظام بحضور فرقة فرسان من الحلة الى مواقع الاشتباكات .

★ ★ ★

حكومة ولاية البصرة
١٨٧٦ ـ ١٩٠٥

ولاية البصرة :

فيما يلي قائمة ربما كانت غير كاملة للولاة الذين حكموا البصرة خلال الفترة التي صارت فيها ولاية ، والتواريخ المذكورة تقريبية في بعض الحالات :

عبدالله باشا ١٨٧٥–١٨٧٩

ثابت باشا ١٨٧٩–١٨٨٠

(لم تكن البصرة ولاية في سنة ١٨٨٠–١٨٨٤ وفي سنة ١٨٨٦)

صالح باشا ١٨٨٤

قائد البحرية علي رضا باشا (بالنيابه) ١٨٨٤

شعبان باشا	
هداية باشا	١٨٩١ـ١٨٩٢
حافظ باشا	١٨٩٣
حمدي باشا	١٨٩٤ـ١٨٩٦
أمين باشا	١٨٩٧
حمدي باشا (للمرة الثانية)	١٨٩٨
عارف باشا	١٨٩٨
محسن باشا (بالنيابة)	
حمدي باشا (للمرة الثانية)	١٨٩٩ـ١٩٠٠
محسن باشا	١٩٠٠ـ١٩٠١
مصطفى نوري باشا	١٩٠١ـ١٩٠٤
فكري باشا (بالنيابة)	١٩٠٤
مخلص باشا	١٩٠٤

ولا يكاد يعرف عن الرعيل الاول من هؤلاء الولاة أكثر من مجرد اسمائهم .

وقد حاول عبدالله باشا وهو كردي أن يدخل من مصر زراعة السكر بمساعدة الخديوي إلا أنه اتضح فشله في ذلك .

وكانت سياسة العنف التي اتبعها ثابت باشا ضد المنتفك قد أدت إلى إلغاء ولاية البصرة موقتاً سنة ١٨٨٠ .

حمدي باشا ١٨٩٤ ـ ١٩٠٠ :

كان حمدي باشا الذي تولى ولاية البصرة معظم الفترة من سنة ١٨٩٤ إلى سنة ١٩٠٠ رجلا شريفاً ورجل ادارة مقبولا من عامة الوجوه إلا أنه لم يكن لامعاً او محبوباً ومن المحتمل أنه خدم في الاسطول ، وقد جلبت عليه طبيعته المستبدة ومزاجه الحاد كثيراً من الاعداء . لكن جهوده للقضاء على الرشوة والاختلاس أوجدت خصومة بينه وبين

مساعديه ويظهر أن عزله النهائي يعزى بشكل رئيسي الى دسائس نقيب البصرة الذي كان على عداء شخصي معه . وقد ارسل أخاه السيد طالب إلى استانبول حتى يحسن وضعه عند الباب العالي كما ان شيخ الكويت أوضح بالمثل ان الصعوبات القائمة بينه وبين الحكومة التركية قد نشأت من تعيين حمدي باشا كوسيط بينهما . كما يبدو أن التهم المتعلقة باجراءات البعثة الالمانية للسكك الحديدية في البصرة قد وجهت الى هذا الموظف الرسمي التعيس الحظ من قبل محسن باشا القومونداان العسكري في البصرة الذي طمع في الولاية لنفسه .

ويبدو ان امين باشا وغارف باشا اللذين حكما الولاية في فترات حكم حمدي باشا المتقطعة تهافتا سريعاً في امور شائنة وقد حقق في الشكاوي المقدمة ضدهما محسن باشا الذي أصبح والياً فيما بعد ، وكان عندئذ ما يزال في منصب عسكري في بغداد .

وقد ارسل من بغداد للتحقيق فيما تقدم . وتولى ولاية البصرة لفترة قصيرة ريثما يرجع حمدي باشا .

محسن باشا :

كان محسن باشا عسكرياً ذا عقلية مستنيرة وقد توفي في الخدمة العسكرية عن جدارة واحتل منصب رئيس الاركان للفيلق السابع (في اليمن) . وعلى أي حال فان سياسته المعقولة بشأن الكويت التي ربما كانت بناء على معرفة لتاريخ تلك الإمارة العربية والتي استطرد اتباعها خلال سنتين بمساعدة نقيب البصرة ، قد توّجت في لحظة من اللحظات بنجاح ظاهري انتهت بعده الى فشل كلي . وكان برنامج محسن باشا المفضل هو انشاء طريق من البصرة الى الفاو عبر مزارع النخيل على الضفة اليمنى لشط العرب إلا أن الأرض التي تمر فيها الطريق وما يستلزمه الامر من تشييد الجسور كانا يتطلبان نفقات باهظة ، ولذا لم ينفذ برنامجه وكانت فكرة الطريق عسكرية أكثر منها مدنية ، إلا أن تنفيذها كان يمكن أن يقوى

قبضة السلطات التركية على القرى النهرية ويؤدي بالتالي إلى وقف القرصنة في شط العرب .

نوري باشا ١٩٠١ — ١٩٠٤ :

كان مصطفى نوري باشا الذى جاء عقب محسن باشا قومونداناً عسكرياً ووالياً للبصرة وقد أظهر ثباتاً ومقدرة في مصارعة المتاعب الداخلية التي كانت مستشرية في وقته كما سيأتي وصفه فيما بعد .

فخري باشا ١٩٠٤ :

أما فخري باشا الذي تلا نوري باشا كوال وقومندان موقت فكان ضابطاً عسكرياً حسن التعليم وقد لجأ الى القسوة البالغة في جريمة بشعة حدثت في البصرة حيث ما يزال أهلها يذكرونه باسم «أبو الجواني» أو «رجل الاكياس» . وقد زعم أنه أمر بربط المجرمين داخل أكياس والقائهم سراً في النهر وقد افتتح أيضاً مفاوضات سلمية انتهت مؤخراً مع ابن سعود كما هو مذكور في مكان آخر ، بصدد الحملة التركية في اواسط الجزيرة العربية .

مخلص باشا ١٩٠٤ — ١٩٠٦ :

وكان من بين المرشحين لمنصب ولاية البصرة بعد مغادرة ناصر باشا لها طالب باشا أخو نقيب البصرة . وكان هذا قدم في استانبول مذكرة مطولة عن السياسة التركية المناسب اتباعها في بلاد العرب ، إلا أن مطالبه لم تجب مع أنها كانت مدعومة من زمرة القصر بزعامة أبي الهدى الصيادي ووقع اختيار الحكومة على مخلص باشا القومندان السابق للجندرمة في سالونيك ، وقد استطاع هذا أن يصل بالمفاوضات التي كان بدأها فكري باشا مع ابن سعود الى نجاح تام .

الشئون الداخلية لولاية البصرة ١٨٧٦ ـ ١٩٠٥

نقيبا البصرة السيد محمد سعيد ١٨٧٤–١٨٩٦ والسيد رجب ١٨٩٦ :

كان السيد محمد سعيد نقيباً للبصرة من سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٨٩٦ وقد جاء عقب اخ له يسمى السيد عبدالرحمن كان محمد سعيد مساعداً له ، ثم لعب دوراً لا بأس به في سياسة الولاية الخارجية . وفي سنة ١٨٨٦ عين نائباً لمدير ادارة الاملاك السلطانية في البصرة ولكنه رفض قبض راتب الاربعين جنيهاً المخصصة لهذه الوظيفة قائلا إن شرف خدمة سيده السلطان منحة كافية ، ولم يكن السيد محمد سعيد رجلا ذا مبادىء خلقية عالية ، ولذا كانت علاقاته سيئة مع حمدي باشا الذي يعتبر أشرف ولاة البصرة . وفي سنة ١٨٩٩ أعفاه الباب العالي منها بحجة تقدمه في السن وعين أكبر أبنائه السيد رجب نائباً له ليقوم بمهام نقيب البصرة . وفي هذه السنة نال رتبة «استانبول بياسي» وحصل على وسام العثمانية ووسام المجيدية من الطبقة الاولى ، وكان الوسام الاول اعترافاً له بالخدمات السياسية التي قام بها في قطر . وانجب السيد رجب ولدين هما السيد أحمد والسيد طالب ويعتبر الاول منهما ، ابرز عضو في الاسرة ، وقد استخدمته السلطات التركية رسمياً في اوقات مختلفة لمعالجة شئون نجد والكويت في حين أن الاخير تولى مرة منصب متصرفية الاحساء وبعد طرده من هذا المنصب تمتع بنصيب وافر من رضاء البلاط في استانبول .

وقد نجح السيد رجب في الوصول الى منصب نقيب البصرة بعد موت والده في أغسطس سنة ١٨٩٦ .

الفوضى في البصرة ١٨٩٢ :

ساد مدينة البصرة سنة ١٨٩٢ خطر كبير عندما استطاع السجناء في شهر ابريل التغلب على حراس السجن التركي فتمكن ثمانية عشر مجرماً عربياً من الهروب بينهم سفاكو دماء مشهورون . وفي ليلة الثالث من مايو

سطت عصابة من قطاع الطرق العرب على متجر وقتلت رجلين وجرحت آخر ، وحملت معها محتويات خزينة المتجر وأشياء قيمة أخرى .

الخروج على القانون في ولاية البصرة ١٩٠١ :

اندلع في ولاية البصرة سنة ١٩٠١ تمرد عام زاد من حدته ، إن لم يكن ذلك سبباً له ، فشل المحصول والضائقة الزراعية في هذه السنة. وقد ارتكبت في مدينة البصرة ثلاثة أعمال سطو على نطاق واسع قامت بها عصابات مكونة من ٢٠ الى ٢٥ من العرب المسلحين ، وقد علقت بهذه الحوادث دلائل لا تقبل الشك على تواطؤ الادارة المدنية التي يحتمل انه كان لها ضلع في تلك الاعمال مما أدى إلى عزل محسن باشا عن ولاية الصرة . وقد استعيد النظام في المدينة وما جاورها من أجزاء في الولاية عندما تولى نوري باشا امر الولاية في أعقاب عزل محسن باشا .

★ ★ ★

الشئون القبلية فى ولاية البصرة ١٨٧٦ ـ ١٩٠٥

في حين كان سلوك القبائل العربية في ولاية بغداد ، كما رأينا يتجه نحو تحسين واضح خلال هذه الفترة ، كانت الشئون القبلية في البصرة تبدو باقية على حال غير مرضية كما كانت منذ القدم . ومما يجب تذكره أن البصرة أثناء حكم تقي الدين باشا لهاكوالٍ من سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٨٨٦ كانت جزءاً من ولاية بغداد .

تمرد قبيلة بني لام :

لقد انقسمت قبيلة بني لام في سنتي ١٨٧٨—١٨٧٩ ، على نفسها نظراً للعداء المستحكم ، بين مزبان شيخ مشايخ القبيلة واخوته غير الأشقاء ، موسى وعقل وحميدي بسبب ذبح مزبان لولد من اولاد موسى .. وفي سنة

١٨٧٨ جرت على نهر دجلة(١) معركة بين طرفي النزاع ، اللذين على ما يظهر احتلا جانبي النهر المتقابلين لانتفاعهما من تغطية أنفسهما ضد بعضهما بسفينة المعتمدية البريطانية «كوميت» عند مرورها من هناك ، فكانوا يقومون بقتال متنقل من جانبيها وهي تتقدم على النهر ضد التيار . وفي مارس سنة ١٨٧٩ كان القتال ما يزال مستمراً ولكن الشيخ مزبان وموسى كانا قد ذهبا الى العمارة تلبية لاستدعاء المتصرف لهما لتسوية خلافاتهما ، وقد قام أتباعهما بغارات وغارات مضادة على بعضهم البعض أثناء غياب الشيخين وأصبح الامل ضعيفاً في أن يتمكن المسئول التركي من التأثير عليهما للتصالح .

وقد قام السيد و. س. بلنت ، والليدي آن بلنت أثناء هذه الأزمة بمخاطرة التجول في اراضي بني لام من دجلة الى عربستان ، فواجها غلظة شديدة من جانب بنياح بن الشيخ مزبان ، الذي كانت أخلاقه كأخلاق البرابرة واللصوص ، وكانت أمتعتهما إن لم تكن حياتهما في وقت من الاوقات في خطر قبل ان يتمكنا أخيراً من التخلص من اراضي بني لام .

القلاقل التي قام بها آل بو محمد ١٨٧٨–١٨٨٠ :

وفيما كان بنو لام في حرب مع بعضهم البعض عكفت قبيلة آل بو محمد المتاخمة لهم على القيام بالسطو في دجلة . وفي حالتهم هذه بدأت المتاعب عندما انسحبوا إلى مستنقعات شيخ القبيلة الذي أخذ معه ما كان جمع من رسوم من قبيلته عن سنة ونصف غير أنه لم يكن يقصد دفعها إلى الحكومة . وكان الشقاق الذي قام بينه وبين الرسميين الاتراك إيذاناً ببداية مجموعة من التعديات على مرور الناقلات النهرية ربما لا يكون

(١) راجع كتاب السيد جرى عبر آسيا التركية المجلد الاول ص ١١٠ ويظهر ان المؤلف قد عين مكان الحادث فى مكان بعيد جدا أسفل النهر يعنى فى المنطقة الواقعة بين اراضى آل بو محمد والقرنة .

الشيخ نفسه حرض عليها ، إلا أن الجناة كانوا يرسلون له عن خبث نصيباً منها . وفي مارس سنة ١٨٧٨ قتل تسعة أشخاص على ظهر قارب نهبه آل بو محمد ، وبذا أصبح من الضروري تنظيم اقلاع المراكب الاهلية في النهر في أساطيل أكبر بحيث تحرسها عبر المنطقة الخطرة المراكب البخارية التركية ، وكانت البواخر النهرية التركية وليست البريطانية هي المهددة بالهجوم . ونظراً لخلو البلاد من الجيوش بسبب الحرب ، فان الحكومة التركية لم تستطع القيام بأية عمليات ضد آل بو محمد في ذلك الوقت .

وفي سنة ١٨٨٠ خلال مشيخة الشيخ سيحود على قبيلة آل بو محمد هاجم لصوص من هذه القبيلة الباخرة النهرية البريطانية «خليفه» في نهر دجلة إلا أن هذه الحادثة وما نشأ بسببها من إجراءات سيأتي ذكرها في مكان آخر .

ثورة المنتفك :

وفي سنة ١٨٨١ كان ناصر باشا شيخ المنتفك تحت الاقامة الجبرية في استانبول ، ولذا قامت قبيلة المنتفك بثورة علنية ضد الحكومة التركية . وكانوا قبل ذلك قد تسببوا بمتاعب للسلطات التركية لسنة أو أكثر ، وقد أدى فشل الاجراءات القوية التي اتخذها والي البصرة ضدهم الى زوال هذه الولاية والحقت تبعاً لذلك الى والي بغداد ليستعيد النظام فيها .

وفي منتصف يونيه أصبح الوضع خطيراً ، فقد قطع الثائرون المواصلات التلغرافية ، بين البصرة وبغداد . ولم يكن في الناصرية ، وهي المركز الرئيسي لاراضي المنتفك ، سوى ١,٥٠٠ جندي تركي ، وأصبحت مسألة إخضاعهم بالغة الصعوبة لأن حامية بغداد ، وهي القوة العسكرية الرئيسية في كافة الاقليم ، كانت قد اقتصرت على ٨٥٠ رجلا ٣٠٠ منهم مشاة و ٣٠٠ فرسان ٢٥٠ من المدفعية . وفي ١٠ يونيه رفعت جماعة مكونة من ١,٠٠٠ من العرب حواجز المياه لمسافة ثلاثة أميال

شمال الناصرية بقصد إغراق المدينة الا أنهم صدوا بعد ساعتين من العمل مع تكبيدهم بعض الخسائر ، وفي اليوم التالي هاجم الثائرون مدينة الناصرية نفسها الا أنهم هزموا وقتل وجرح عدد كبير منهم .

ويبدو ان الشك بدأ يزداد في حكمة السياسة التركية في رفض تعيين أحد من شيوخ قبيلة المنتفك كمتصرف للناصرية . وكان في القبيلة مرشحان لذلك المنصب هما منصور باشا الذي هرب لاسباب ما من المنطقة وفلاح باشا ابن شيخ القبيلة المتغيب ، وكان من المعتقد به ان مثل ذلك التعيين سيؤدي الى زوال الثورة ويؤمن استئناف دفع الرسوم ، إلا أن مثل ذلك الاجراء من ناحية أخرى قد يعيد للمنتفك وشيوخه حالة الاستقلال الدائم التي كانوا عليها أيام السلطان عبدالعزيز .

أما الاتراك الرسميون المحليون ، فيبدو أنهم كانوا يحبذون القيام بعمل حاسم ضد الثائرين ، في حين ان الباب العالي كان يفضل استرضاءهم ربما لنصيحة من ناصر باشا في استانبول ، أما عن اختيار أي من السياستين فان ذلك غير واضح ولكن مسألة المنتفك أسقطت مرة أخرى من الملاحظة

وسوف يبدو واضحاً من السنوات التي سبقت الفترة بين سنة ١٨٧٨ وسنة ١٨٨١ أن بني لام وآل بو محمد والمنتفك وهما القبيلتان المهتمان الوحيدتان في هذه المنطقة من البلاد كانتا على الدوام تثيران الاضطراب وتتمردان . وسواء ازاد ذلك ام قل فالنتيجة واحدة وهي اقلاق الامن العام في المنطقة على نطاق واسع . ومع ان اتفاق تلك القبائل على العمل معاً لم يكن وارداً ، لكن الأرجح بأن موقف البعض منها كان يتأثر إلى حد ما بمواقف الأخرى ، وكانت منازعات المنتفك فيما بينهم بشكل خاص تخلق الفوضى خارج اراضي تلك القبيلة .

الاضطرابات بالقرب من العمارة ١٨٨٣ :

حدث في ربيع سنة ١٨٨٣ اضطرابات على الضفة اليسرى من دجلة بالقرب من العمارة وأصبح من الضروري أن تقوم السلطات التركية باجراءات استثنائية لحماية الملاحة .

ثورة آل بو محمد بقيادة الشيخ سيحود :

وفي سنة ١٨٩٢ ، ولاسباب غير مؤكدة ، تمردت قبيلة آل بومحمد التي يحكمها الشيخ سيحود مرة أخرى ضد الحكومة التركية فقطعت المواصلات التلغرافية بين بغداد والبصرة ونهبت عدة قوارب أهلية بين قلعة صالح والقرنة ، كما أطلقت النار على الباخرة التركية «الموصل» التي لم تستطع المرور عبر المنطقة المضطربة . ووضعت حامية عزيز «ضريح عزرا» في حالة دفاع . أما السفن البريطانية فلم يحدث لها ما يضايقها أثناء تلك . وكان متصرف العنزة يرغب في تأخير المركب « بلوص لنش » هناك لعدم تمكنه من تزويده بالحرس ، إلا أنه واصل طريقه إلى البصرة دون حدوث أي حادث ، وقد أخذت السفينة «خليفه» طريقها من البصرة صاعدة الى بغداد مزودة بحراسة تركية دون أي تدخل ضدهامن رجال القبائل. وعندما تقدم والي بغداد إلى المنطقة ، ومعه الجيوش ، أصبح موضوع النصر على القبائل او الهزيمة أمامهم بعيداً عن النهر .

ثورة الشيخ حسن الحيون شيخ بني أسد ١٨٨٩ـ١٩٠٠ :

وانفجر الاضطراب سنة ١٨٩٩ في مكان جديد في أدنى دجلة على شكل غارات كان يشنها على النهر بين العمارة والقرنة الشيخ حسن الحيون شيخ قبيلة بني أسد الذي يبلغ عدد اتباعه حوالي ٦٠٠ رجل . وكان رئيس القبيلة هذا يتلقى في السابق من الحكومة التركية منحة مقابل حمايته للملاحة في النهر ، وخطوط التلغراف من قلعة صالح الى القرنة ، الا أن دسائس شيوخ المنتفك وإثارة الفتن من جانبه أدت إلى إسقاط حقه فيها منذ سنوات سبقت سنة ١٨٩٩ . وأصبح الشيخ في وقت مبكر من تولي حمدي باشا لولاية البصرة ثائراً وخارجاً على القانون . ولم يكن بالمستطاع التوصل إلى تسوية معه في حكم حمدي باشا إلا أنه في مايو سنة ١٩٠٠ بعد تعيين محسن باشا والياً للبصرة قدم الثائر خضوعه وعلى ما يظهر فإن خضوعه قُبِل منه .

الغارة التركية على بو محمد سنة ١٩٠٣ :

وفي نوفمبر سنة ١٩٠٣ حدث أمر خطير في منطقة العمارة السفلى بسبب التقسيم الجديد للاراضي الاميرية وفق ترتيبات سلطات الضرائب التركية وتحولت اراضي الارز من قبيلة آل بو محمد الذين تأخروا في مدفوعاتهم الى قبيلة العزيرج أصدقاء بني لام والسولاخ . وعهد متصرف العمارة الى ضابط عسكري ارغامهم على الانتقال وقيل إن الجيش الذي تحت امرته قتل عدداً من رجال ونساء وأطفال بني لام . وقد زار والي بغداد العمارة واطلع على هذه المسألة فأوقف المتصرف وأعاد الاراضي المنقولة إلى آل بو محمد وزعم أن الضابط المسئول عن المذبحة قد امر بالمثول أمام مجلس عسكري لمحاكمته .

ثورة سعدون باشا في المنتفك ١٩٠٠ — ١٩٠٥ :

وفي سنة ١٩٠٠ كان سعدون باشا من شيوخ قبيلة المنتفك وابن أخ ناصر باشا الذي كان والياً على البصرة على خلاف خطير مع السلطات التركية بسبب أمور خارجية ليست ذات مساس بالعراق . وكان سعدون باشا في هذا الوقت مجرد قاطع طريق ممتهن أكثر منه رجل سياسة .

وفي صيف سنة ١٩٠٠ أغار سعدون على أتباع لأمير شمر قاطنين شمال نجد كما وصفنا في الفصل الخاص بتاريخ الكويت ، فمهد لصدام خطير على الحدود الغربية للعراق التركي بين شيخ الكويت الذي كان سعدون باشا يواليه وبين ابن الرشيد . ومما حاولت به السلطات التركية اغراء الشيخ الاخير على التراجع الى بلاده وعود قطعتها بأن يُحصّل له بواسطة الحكومة العثمانية على ترضية من سعدون باشا .

سنة ١٩٠٠ :

ووفاءً لهذا الارتباط ارسل القومندان التركي محمد فاضل باشا الداغستاني في حملة ضد سعدون باشا ، والداغستاني من اقرباء القوقازي

المشهور الشيخ «شامل» الذي نقل ولاءه أثناء الحرب سنتي ١٨٧٧–١٨٧٨ من قيصر روسيا الى السلطان . وكان الداغستاني يعتبر واحداً من أحسن الضباط في فيلق بغداد . وكانت خيالة الفيلق تحت امرته لكن عملياته ضد سعدون باشا مع ذلك فشلت في إذاعة شهرته حيث عجز عن القبض على نهاب المنتفك الذي كان معتصماً في السخارية في الصحراء غرب الفرات إلا أنه كان في بعض الاحيان عندما يضغط عليه بشدة يلجأ الى مستنقعات ما بين النهرين . وفي ديسمبر سنة ١٩٠٠ اختفى متجهاً الى اراضي ضفير او الكويت .

سنة ١٩٠١ :

وأخيراً ظهر سعدون باشا بعد شهرين من التخفي كقائد في غزوة شيخ الكويت على اواسط الجزيرة العربية ، وبعد هزيمة الغزاة ورجوعهم إلى بلادهم ارسل محمد باشا مرة أخرى ليطارده .

سنة ١٩٠٣ :

ويبدو أنه لم تتخذ أية حركة عسكرية فعلية ولم يسمع أي شيء عن سعدون باشا حتى سنة ١٩٠٣ عندما انتهت حكومة نوري باشا في البصرة : ففي هذه السنة توغل قائد المنتفك الذي لا يهدأ وبدأ في مضايقة القبائل المستقرة هناك مطالباً إياها بدفع الدية عن حوادث مر عليها أكثر من ٤٠ سنة فضلا عن طلبات أخرى معقولة . وقد فشل اعتراض والي البصرة الخطي في وقف إجراءات سعدون التعسفية ، وارسلت كتيبة عسكرية الى الشطرة لتتدخل بين سعدون والقبائل ، ولكن نظراً لسوء إدارة ضابط الكتيبة قام شغب عند القنال وذبح ٥٠ من الجنود الاتراك مرة واحدة وعدد من الضباط بينهم القائد ، وارسل بعد ذلك محمد باشا لمحاربة سعدون باشا للمرة الثانية ووصل الناصرية في بداية نوفمبر ، وعلى أية حال ، فان عملياته هذه المرة لم تكن ذات أثر فعال أكثر مما كانت في الحالات السابقة وهو فشل يعزى هذه المرة الى تزوجه من إحدى

قريبات سعدون باشا ، الا أنه يحتمل أن يكون على الاكثر بسبب العجز في سلاح الفرسان الذي معه . وفي ديسمبر هرب الخارج على القانون الى إقليم الكويت إلا أنه في هذه المرة لم يتلق المؤازرة من شيخها .

سنة ١٩٠٥ :

وقد فهم في يناير سنة ١٩٠٥ أن سعدون باشا التمس العفو من الباب العالي ، ولكن قبل مضي وقت طويل أصبح مجرماً مرة أخرى لتسببه في اضطرابات على ارض تركية فعمل مخلص باشا والي البصرة على مصادرة املاكه الثابته . وسعى للقبض عليه إلا أن ذلك لم يتحقق على أية حال .

* * *

علاقات العراق التركى بالكويت ونجد
١٨٧٦ ـ ١٩٠٥

شرحت علاقات العراق التركي مع الكويت ونجد في هذه الفترة بالتفصيل ضمن التاريخ الخاص لكل منهما . وكانت الملامح البارزة لهذا العصر ، اولا جهود السلطات التركية الدائمة بين سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٢ لضم الكويت الى ولاية البصرة . وثانياً الحملة التركية في القصيم سنة ١٩٠٤ والتي تلاها احتلال سلمي لتلك المقاطعة دام حتى سنة ١٩٠٦ حين أصبحت تلك البلاد في حالة يرثى لها .

* * *

علاقات العراق التركي مع ايران

موضوع جزيرة الشلحة :

استمرت الاوضاع المائعة للحدود الايرانية التركية تخلق الصعوبات والمتاعب بين حين وآخر في عهد عبدالحميد ، وذلك بعد فشل الجهود المشتركة لبريطانيا وروسيا خلال ثلاثين سنة في معالجتها .

سنة ١٨٧٧ :

وكان الخلاف الرئيسي الذي نشب في هذه الفترة حول الشلحة وهي جزيرة تكونت لاول مرة كجرف طيني حوالي سنة ١٨٧٠ وأصبح ظهورها في سنة ١٨٧٧ موضع جدل . وقد شرح تاريخها المقدم كولفيل جرّاح المعتمدية السياسية في بغداد حتّى ذلك الوقت بالفقرات التالية :

تبعد جزيرة الشلحة عن أسفل المحمرة بحوالي ٣٢ ميلا وعن أعلاها بستة أميال ، وهي تقع على مرأى البصرة من دار الجمارك التركية في الدواسر . وهي في الحقيقة ليست جزيرة ولكنها ضفة قد انفصلت وحدها حتى ليطغى عليها المد البحري من كلتا ناحيتيها الآن .

ومجرى شط العرب في هذه النقطة أعرض من المعتاد اذ يبلغ حوالي ٣٠٠٠ ياردة وتكون ضفته على الجانب الايراني هنا شبه خليج ، وتبعد الجزيرة حوالي ١٠٠٠ ياردة عن الجانب الايراني و ٢٠٠٠ ياردة عن الشاطىء التركي وبهذا الوضع فان الجزيرة تقع على مدخل الخور الذي على الجانب الايراني . والنتيجة أنه مهما كان أصلها فان معظم قوة التيار المائي تمر الآن بين الجزيرة والضفة التركية بينما يطفح الخور بمائه بعيداً ، وبمقدور أي انسان الآن أن يخوض الماء أثناء الجزر من الجزيرة الى الضفة الايرانية . ومع أن الموضوع لا ينطوي حالياً على مشكلة إلا أنه حين تصبح الجزيرة جزءاً من الارض الايرانية فهناك يرتقب النزاع . ولوصف

الجزيرة يمكن أن نتصور قطعة من الارض الغرينية الموحلة مساحتها ثلاثة أو اربعة أفدنة (لأنني لم استطع أن أقيسها جيداً على شكل مستطيل طوله ضعف عرضه) تمتد مع النهر من أعلى إلى أسفل ويحيط بها سد من الطين والبوص يكفي لوقف تسرب ماء المد ، ولكن توجد فيه فتحات للري ويحيطها شراسيب من البردى على امتداد مساحته تبلغ ثلاثة أضعاف مساحة المستطيل يكون الماء فيها عند المد كافياً لتعويم قارب ، وبهذا نكون قد أخذنا فكرة حسنة عن جزيرة الشلحة .

أما الضفة الايرانية من شط العرب المقابل للجزيرة فانه منخفض ومن الواضح أنه غير مأهول في حين أن الجانب التركي مبتور ومغطى بغابة من الشجيرات ، وهو ملك خاص لفخامة ناصر باشا . وقد بني هذا المالك الخاص للضفة المقابلة سداً من الطين والبوص على الجزيرة وزرع في سنة ١٨٧٦ بعض فسائل النخل في حين كان اثنان او ثلاثة من المزارعين يزرعون البطيخ والقرع ، غير ملتزمين بالسكنى الدائمة عند زراعتهم ، وكان لناصر باشا هدف بعيد من تحديد السد لان المكان على درجة من البؤس بحيث إنه لا توجد عائلة من الفلاحين مهما كانت فقيرة تقبل الجزيرة هدية شريطة ان تعيش فيها باستمرار .

وقد وافقت تركيا أخيراً وبسبب ارتباكها في الحرب مع روسيا على إخلاء الشلحة مشترطة عدم إقامة أبنية فيها من قبل الرعايا الايرانيين إلى أن تبت بعثة الحدود الدولية في مسألة البلد الذي يجب أن تتبعه الجزيرة . وقد أقلع الايرانيون من جانبهم عن خطتهم التي أقاموها لاحتلال الجزيرة بالقوة ، وأمر ناصر باشا باتخاذ الترتيبات لاخلاء المكان ، وقد ارسل المقدم الجراح كولفيل من بغداد ليطمئن الى ان الإخلاء نفذ بشكل مناسب ، وكان مفهوماً بوضوح ان الجزيرة يجب أن لا تزرع من قبل رعايا أي من الجانبين حتى تتم التسوية النهائية .

: ١٨٨٤

واثيرت قضية الشلحة مرة أخرى سنة ١٨٨٤ من قبل متصرف البصرة اذ لم تكن البصرة ولاية حينذاك . وقد زعم هذا بأن الجزيرة لا تعود إلى أي من الرعايا الايرانيين ولا لشخص ناصر باشا ولكنها ملك للحكومة التركية التي ترغب الآن في الانتفاع بها .

وعند تقصي الأمر الآن وجد أن الشلحة منذ اخلائها سنة ١٨٧٧ وقعت في يد مزارعين من الجانب الايراني موالين لشيخ المحمرة . وفي سنة ١٨٨٤ كان عليها أشجار نخيل تحمل ثماراً إلا أن الابنية الوحيدة التي فيها كانت أكواخاً من الطين ، وحاول شيخ المحمرة أن يتجنب البحث في الموضوع مع متصرف البصرة رغبة منه في أن يضطره الى مخاطبته عن طريق القنصل الايراني في البصرة وليس مباشرة ، ولكن لما فشلت هذه الحيلة وأعلن المتصرف عن تصميمه على أخذ الجزيرة بالقوة فقد اوعز الشيخ خزعل لبعض الآلاف من العرب التابعين له بالتجمع على الارض الايرانية مقابل الشلحه انتظاراً لوصول الاتراك .

وقد ظهر في الطريق العادي قارب حربي تركي ملىء بالجنود ويحمل المتصرف الذي ثاب إلى رشده عندما رأى عدد العرب المحتشدين ، واستمر سائراً إلى أسفل النهر حتى فاو ، وعاد القارب في اليوم التالي إلى الشلحه إلا أن العرب الذين كانوا على الشاطىء الايراني كانوا ما يزالون هناك منهمكين كالسابق في رقص الحرب الصاخب ، ولذا واصل سيره أعلى النهر إلى الفيليه ورسا هناك وتقابل المتصرف مع الشيخ . وعندما طلب المتصرف بيان سبب تحشد العرب عند الشلحة تظاهر الشيخ مزعل اول الامر بأنهم ارسلوا ليصطادوا الحجل حياً لصاحب العظمة الملكية ظل السلطان الحاكم العام الايراني لعربستان ، ولكن لما لم يقبل المتصرف هذا التفسير فانه في النهاية «أعلن صراحة أن جزيرة الشلحه

كانت ايرانية ويجب ان تبقى كذلك ما دام في جسمه نفس » وقد انسحب المتصرف الذي لم يكن لديه رد فعل على ذلك وتركت الشلحة في حوزة الايرانيين تحت الامر الواقع .

وجود لرعايا ايران على ضفة شط العرب اليمنى :

وكان ثمة ظرف غريب يرتبط ارتباطاً هاماً بعلاقات الحدود التركية الايرانية ناشىء عن وجود عدد هائل من رجال القبائل العرب على الجانب التركي من شط العرب ممن يعتبرون أنفسهم «ويعتبرون عموماً» رعايا لشيخ المحمرة ، وتبعاً لذلك فقد كانوا رعايا للحكومة الايرانية وأجانب في تركيا . وقد(١) وصفت هذه الحقائق جيداً فيما يلي :

« ان وضع الشيخ امام القبائل العربية التابعة لايران والمقيمية مع ذلك في تركيا لسنوات عديدة وضع غريب لا ينطبق عليه غير العرف والعادات القديمة ، وأفراد من مثل هذه القبائل قابلون للخدمة العسكرية ولكن الشيخ لم يستدعهم الا نادراً في عمليات ضد بني طروف والقبائل المتمردة الاخرى . ولا شك في أن رجال القبائل يكرهون مثل ذلك الارتباط ، الا أنهم لم يجادلوا أبداً في حق الشيخ باصداره ، وأن مالكي الاراضي الهامين من الرعايا الاتراك مثل عائلة النقيب وأحمد أفندي وسيد طالب وآخرين قد جعلوا أنفسهم بمقتضى التعهدات المؤرخة منذ أيام الشيخ الحاج جبر مسئولين شخصياً عن جمع وارسال الجنود . وهو إجراء لم تكن السلطات التركية ترتاح له بطبيعة الحال .

والمعروف ان سلطة الشيخ في الامور القبلية ليست موضع نقاش كذلك فان وساطته لازمة لتسوية حالات الثأر كما هي أيضاً في المسائل الاخرى التي تسودها القوانين القبلية ، وان فكرة نقل هذه القضايا إلى

---

(١) راجع كتاب الملازم أ.ت. ويلســـون موجز العـــلاقات ... الخ . ص ٥٧ ـ ٥٨ .

محكمة العدل التركية مسألة غريبة كلية عن افكار العرب ، مما كان يكدر الاحساسات التركية مرة بعد مرة .

ومقابل ذلك منح الشيخ لمثل هؤلاء البدو الذين يقيمون في اراضيه التركية على كثرتهم الاعفاءات القبلية المألوفة من ضرائب الرعي وضريبة الويركو او الميري ومن ضرائب أخرى أقل شأناً وان كان لها ذات الاهمية من حيث المبدأ . وكان الكثير منهم أيضاً يتملكون حتى شهادات جنسية تركية (تلك الوثيقة التي كان يعتبرها العرب مجرد وثيقة ادارية ليس لها ارتباط بالمسائل القبلية) يتداولها الابن عن الاب وتمنحهم حق زراعة اراضي القمح في مقاطعة الاهواز ، وهكذا نجد قبائل كعب ومحيسن الذين يعيشون في أبو خصيب وزين في شهري ديسمبر ويناير يحرثون اراضيهم التي تقع شمالا حتى تصل إلى الويص . كذلك نجد في رجال القبائل هذه شذوذاً غير مألوف اذ أنهم يحوزون على شهادات جنسية تركية ومطالبون بالخدمة العسكرية التركية وربما قاسوا فعلا من التدريب عليها مع اقرارهم في نفس الوقت بأنهم مطالبون بالخدمة تحت العلم الايراني ويقطعون سنوياً ١٠٠ ميل أو أكثر من مساكنهم في الاراضي التركية ليزرعوا اراضي في ايران فلحوها هم واجدادهم لعدة أجيال .

ونادراً ما تنشأ قضايا متبادلة بين ايران وتركيا فيما يتعلق بهذه الحدود بسبب القبائل العربية التي تقيم هناك وخاصة أنه في جميع الاحوال لا توجد قبائل عربية تتبع تركيا وتقيم في الاقليم الايراني مع ان الوضع المقلوب كان قائماً كما شرحنا من قبل .

الرعايا والمهاجرون والحجاج والتجارة الايرانية ١٨٧٧—١٨٧٨ :

وكانت تثور من وقت لآخر قضايا ذات طبيعة عامة بين تركيا وايران وقد برزت جميعها في وقت واحد سنة ١٨٧٧ عندما نشبت الحرب بين البلدين .

ومن هذه المسائل مسألة التفسير الذي يجب أن يؤخذ به لاتفاقية سنة ١٨٧٥ المعقودة بين تركيا وايران فيما يتعلق بالصلاحيات الاقليمية الاضافية للممثلين القنصليين لبلادهم في البلد الآخر . ويظهر ان ايران كانت تدعي بأن الصلاحيات المخولة لموظفيها القنصليين في تركيا يجب أن تشابه ما كان يتمتع به قناصل عدة دول اوروبية بموجب الامتيازات الاجنبية إلا أن وجهة النظر هذه رفضها الباب العالي بوضوح ولم تؤيدها الحكومة البريطانية ، وهكذا لم تستطع ايران تثبيتها .

وكانت لايران شكوى من إقامة ميرزا عباس الدائمة في بغداد وهو الاخ الفار لصاحب الجلالة الشاه . وقد زعم أن الحكومة التركية قد أعطت وعداً مكتوباً بابعاده إلى مكان آخر ، وقد ضغطت إيران على هذا الامر بشدة سنة ١٨٧٧ بعد أن قضى(١) الامير الايراني عدة سنوات في بغداد ، وقد اعطى تأكيد للرجل باجباره مستقبلا على جعل استانبول مكاناً لاقامته الا أنه فضل مصالحة الشاه والعود إلى طهران .

وثار سخط كبير بعد فترة قصيرة من زيارة الشاه لمقدسات الشيعة بالعراق التركي ، سنتي ١٨٧٠–١٨٧١ بسبب المضايقات التي أثارها رسميو الحكومة التركية والابتزاز الذي مارسوه ، وبسبب اجراءات لجنة استانبول للشئون الصحية ضد حجاج الشيعه إلى مقام علي والحسين في العراق التركي .

وقد انتهزت الحكومة الايرانية المشاعر العامة لمنع هؤلاء الرعايا الايرانيين عموماً من الحج الى العراق وبذلت الجهود لتحويل سيل المتعبدين (بما يصحبهم من منافع) الى «مشهد» الواقعة في إقليم خراسان الايراني إلا أن منع الحج هذا الى الاراضي التركية لم يلبث أن ازيل او بالاحرى لم يعد مرعياً فترة طويلة ، وفشلت محاولة جعل مشهد بديلا

---

(١) طبقا لمصدر كان موجودا هناك منذ ارتقاء ناصر الدين شاه عـرش ايران سنة ١٨٤٨ .

للنجف وكربلاء ، ومع ذلك فقد طرأ انخفاض ملحوظ في عدد الحجاج الايرانيين الى العراق التركي لعدة سنوات . الامر الذي تضررت منه تجارة الاقليم الداخلي ضرراً ملحوظاً . وقد ازيلت أخيراً أي في سنة ١٨٧٨ أهم أسباب شكوى الحجاج الايرانيين عندما عقدت اتفاقية بين تركيا وإيران تنظم المحاجر الصحية وتسمح بدفن الجثث الآتية من إيران ومعاملة الرعايا بجوازات السفر والرسوم وسرعان ما استعادت اماكن الحج اهتمام الايرانيين .

وقد منع استيراد الملح من ايران إلى تركيا كما حصر استيراد التبغ بظروف خاصة ، ونظمت هذه التجديدات بموجب اتفاقية أبرمت بين البلدين سنة ١٨٧٥ وسنة ١٨٧٨ لصالح الدخل التركي العام الذي كانت احتكارات الملح والتبغ تشكل جزءاً هاماً من حصيلته .

القلعة التركية في فاو ١٨٨٥ ــ ١٩٠٥ :

وأبلغ والي البصرة في ديسمبر سنة ١٨٨٥ المعتمد السياسي البريطاني المساعد فيها أن نية الحكومة التركية تتجه الى اقامة قلعة كبيرة في فاو وفي مايو سنة ١٨٨٦ عسكرت هناك مفرزة عسكرية مكونة من ١٦٠ رجلا (ربما كانت كتيبة) كما كدست في الموقع مواد البناء .

١٨٨٧ :

وعندما زار الرائد مردوخ سميث مدير عام التلغراف الهندي الاوربي فاو سنة ١٨٨٧ وجد عملية إنشاء القلعة في تقدم ونشاط ووعد بأن يكون العمل عملا ضخماً ، وكان من الواضح أنها ستتحكم في الملاحة في شط العرب وخاصة القناة التي تبعد عنها ٥٠٠ ياردة فقط .

ومما يجدر ذكره أن السفيرين البريطاني والروسي في استانبول أبلغا الباب العالي قبل التصديق على معاهدة ارضروم (سنة ١٨٤٧) أن إيران قد تعهدت بأن تكف عن إنشاء تحصينات على الضفة الايرانية من شط

العرب ما دامت تركيا لا تقيم أياً منها على الشاطىء التركي مقابل الاقليم الايراني ، وحصلت الحكومتان الوسيطتان على نفس التأكيد من إيران بناء على طلب خاص من الباب العالي . وقد اعتبرت مسألة إقامة قلعة تركية في الفاو تهديداً للمصالح البريطانية . ووجه احتجاج حول الموضوع الى الحكومة التركية في اغسطس سنة ١٨٨٧ إلا أن وزير الخارجية التركية لم يتقبله بقبول حسن وكانت المحاورة البريطانية تستند الى تاريخ التعهد الملحق بمعاهدة ارضروم بالشكل الآتي :—

« وتبعاً للحقائق المبينة أعلاه فان الحكومة التركية والايرانية مرتبطتان بتعهد مشترك كل نحو الأخرى بالامتناع عن تحصين أي من جانبي شط العرب ، كما انلبريطانيا العظمى وروسيا اللتين كانتا وسيلة للباب العالي في الحصول على هذا التعهد من الحكومة الايرانية مصلحة مباشرة وحق في مراقبة الوفاء بالالتزام المذكور من طرفي التعاقد لمصلحة جميع الاطراف » .

ويحتمل ان يكون وزير الخارجية غير واع على هذه الحقائق او ربما يكون مدركاً لها فيجادل في أنه لما كان التعهد تعهداً متبادلا فان للحكومة التركية حرية الاختيار في التنصل منه ولكن بشرط ترك الطرف الآخر حراً في أن يعمل نفس الشيء . وإن حكومة صاحبة الجلالة لا تستطيع أن تقر نظراً لتاريخ المفاوضات بأن مثل هذه الصيغ تعتبر شرعية في القانون الدولي ، وأن الباب العالي يمكن أن يعفي نفسه من التعهد الذي اعطي للوسطاء البريطانيين والروس مثلما أعطى للحكومة الايرانية بدون ترتيبات سابقة معهم .

وحتى عند ترك المسألة القانونية جانباً فان حكومة صاحبة الجلالة مهتمة بسلامة كل من إيران والامبراطورية العثمانية ، مدخلة في اعتبارها حقيقة الرعايا البريطانيين الذين لهم وضع تجاري هام في كل من البصرة والمحمرة ، وإنها لتأسف كثيراً من انشاء تحصينات مضادة على كل من

ضفتي النهر مما يسبب تهديداً للملاحة الآمنة فيه ، وفي ظروف معينة قد تصبح مصدر خطر يهدد الاحتفاظ بعلاقات طيبة بين البلدين أو بين أي منهما وبريطانيا العظمى .

واستمرت المناقشات حتى ٣١ يوليه سنة ١٨٨٨ عندما سلمت الحكومة التركية ردها النهائي متضمناً الفقرات الآتية :

« لقد طالعنا مذكرتكم الجوابية التي تقرر أن إقامة تحصينات في الفاو مخالفة للقرار الذي توصل اليه عندما أبرمت معاهدة ارضروم ، أي أنه يجب أن لا تقام تحصينات على ضفاف شط العرب وتعلن أن أي تأويل لهذا القرار يجب أن يقترن بموافقة الدول الوسيطة ، وأنه لا ضرورة للشرح بأن الاتفاق الذي توصل اليه بهذ االخصوص ليس ذا مفهوم متبادل ولكنه كان من صالح تركيا في ذلك الوقت أن تحتفظ لنفسها بحق إنشاء تحصينات على هذه الضفاف فمهدت السبيل لتعهدها ، وما دامت تركيا يجب أن لا تحصن الضفة اليمنى للنهر ، فان ايران يجب أن تمتنع عن بناء قلاع على ضفتها اليسرى ، وتركيا الآن قد أصبح لها قلاع ، وذلك يجعل ايران في حل من تعهدها وأنها حرة أيضاً في إقامة قلاع على أراضيها ، وليس لها حق الاعتراض . وما دامت هذه الاتفاقية بين حكومتين فانه لا توجد تعهدات مقابلة للدول الوسيطة وإن الحكومتين المذكورتين لا تتبعان أحداً في موافقتهما وأن إنشاء مثل هذه الاعمال ليس تعدياً على أية معاهدة بين البلدين .

ويبدو واضحاً من مغزى هذه المراسلة ان الحكومة التركية كانت تنوي الاصرار على خطتها في تحصين الفاو ، وقد اقترح السير هـ. ب. ولف وزير صاحبة الجلالة البريطانية في طهران وجوب قيام قوات من الاسطول البريطاني بزيارة الخليج ، وقد وافقت الجهة الادارية التي رفع توصيته اليها على المبدأ ولكنها ارجأته (واخيراً لم تنفذه) حتى لا ترتاب روسيا التي كانت قد استاءت من فتح نهر قارون للملاحة تحت الرعاية البريطانية .

سنة ١٨٨٩ :

وفي فبراير سنة ١٨٨٩ وبناء على طلب سفير صاحبة الجلالة البريطانية في استانبول وجه السفير الايراني لدى الباب العالي مذكرة للحكومة التركية بالمعنى التالي :—

« من الواضح ان انشاء تحصينات على شط العرب مخالف للاتفاقية المبرمة بوساطة روسيا وانجلترا في الوقت الذي تبودل فيه في استانبول التصديق على معاهدة ارضروم المؤرخة في ٢١ مارس سنة ١٨٤٨ . ولا يمكن اعتبار أي عمل مخالف لنصوص الاتفاقية عملا قانونياً دون موافقة الدولتين الموقعتين على المعاهدة المذكورة أعلاه مثلما يقتضي أيضاً موافقة الدول التي توسطت في الحصول عليها . والآن فان هذا العمل يتعارض مع الاتفاقية التي سبق ذكرها والتي تعتبر شروطها نافذة في الوقت الحاضر مما أدى إلى احتجاجات قوية من جانب انجلترا وايران . وتسليماً بالحقيقة في أن هذه الاحتجاجات لم تلق بعد اهتماماً فان ذلك لا يساعد بطبيعة الحال على المحافظة على المشاعر الودية القائمة بين البلدين» .

وعلى أية حال فان هذه الاتصالات لم تؤد الى نتيجة ولا حتى الاحتجاجات الاخرى التي قدمها السفير البريطاني واستمر العمل في قلعة الفاو مع توقف موقت نظراً للأحوال الطارئة خلال سنة ١٨٨٩ .

وكانت خرائط ومخططات العمل في هذا الوقت من تصميم محاسب محطة التلغراف البريطانية في الفاو الذي نجح في الوصول الى المكان والعمل فيه .

١٨٩٠ :

في سنة ١٨٩٠ زارت قطع من أسطول الهند الشرقية وهي سفينكس وجرفون وردبول الفاو بأمر من القائد العام . وفي ١١ مارس تقدم القائد بولديرو قائد القطعة سفينكس يصحبه القائد بلاكسلاند الى الشاطىء لزيارة الضابط التركي المسئول عن القلعة ، ولكن ما إن لامس قاربه

الارض حتى فتحت النيران على الجانب البريطاني من استحكامات القلعة التي عسكر خلفها حملة البنادق . ولحسن الحظ لم يصب أي منهم بسوء وقرر القائد بولديرو عدم الرد على إطلاق النار والعودة الى سفينته وطلب بموجب تعليمات من أمير البحر من آمر القلعة تفسيراً لما حدث فأجاب دون ان يشير إلى إطلاق النار من رجاله بأنه لم يتلق أية تعليمات رسمية عن عزم الضباط البريطانيين زيارة القلعة وان الاوامر التي لديه من المراجع العسكرية العليا في البصرة تقضي بعدم السماح لاي أحد بالدخول أو الاقتراب من القلعة ، هذا بالاضافة إلى وجود حصار صحي .. وقد بعث القنصل البريطاني في البصرة أيضاً تقريراً إلى استانبول كانت نتيجته أن سمح للقائد بولديرو بزيارة القلعة في ٢٢ مارس وأعطي تأكيداً بالتالي بأن الضابط التركي المسئول عن إطلاق النار قد عزل عن قيادته وحكم عليه بالسجن لمدة ٦ أشهر .

١٨٩٠ — ١٨٩٤ :

وفي الوقت الذي زار فيه القائد بلديرو الفاو لم يكن العمل الذي تم كبيراً مع أنه كان تحت الانشاء منذ ما يقارب الاربع سنوات وكان ما يزال غير كامل ، ففتحات المدافع لم تكن معدة ولم تقم المتاريس ولا توجد مصاطب للمدافع . واستؤنف العمل في القلعة سنة ١٨٩٢ وسنة ١٨٩٣ بشكل متقطع ونتيجة لذلك عبر السفير البريطاني في استانبول في أغسطس من السنة الاخيرة للباب العالي عن رجائه في ان « يصدر اوامره بالتوقف السريع عن العمل في هذه المسألة واذا ما كان يجب اكمال القلعة ، واتخذت الخطوات لتسليمها فان حكومة صاحبة الجلالة تأسف لمثل هذا العمل لانه استعداد عدائي الامر الذي يحق لها استنكاره ويبرر لها اتخاذ الاجراءات الضرورية لمواجهته » . وفي نوفمبر سنة ١٨٩٣ جددت بريطانيا اعتراضاتها وتلقت تأكيداً بأن اوامر ايقاف العمل سوف تصدر ولكن لم يتوقف العمل فعلا حتى مايو سنة ١٨٩٤ .

سنة ١٩٠٥ :

بقيت القلعة غير مسلحة بالمدفعية ، وفي سنة ١٩٠٥ كانت قوة الحامية التركية التي فيها حوالي ٤٥ بندقية فقط .

ومما يجدر ذكره أن الحكومة الايرانية خلال المناقشات أبدت عدم اهتمام كلي بموضوع القلعة وتحملت الحكومة البريطانية بالتالي أعباء معارضة انشائها بالكامل .

المراكز التركية الاخرى على شط العرب ١٨٩٠–١٨٩٤ :

وقد بنى الاتراك فيما سبق سنتي ١٨٩٠–١٨٩٤ دور حراسة عسكرية صغيرة على جزيرة شمشمية وفي كوت الزين على الضفة التركية مقابل مصب نهر قارون تقريباً . وكذلك في أماكن أخرى على الجانب التركي مثل الجتعه الواقعة بين كوت الزين والدواسر . وكانت هذه الابنية من اللبن المحروق من طابق واحد عال مع سور ذي كوى تحيط بسطحها . وكان هناك حديث في سنة ١٨٩٠ عن انشاء قلعة تركية مشابهة لقلعة الفاو إلا أن هذا المخطط لم يخرج الى حيز الوجود .

النقل المفتوح لمركز الحجر الصحي من البصرة الى الفاو ١٨٩١ – ١٨٩٧ :

وفي سنة ١٨٩١ اقترحت الحكومة التركية نقل مركز الحجر الصحي من البصرة الى الفاو وكان الغرض الظاهري لذلك منع تهرب المسافرين ممن يحتمل عزمهم الى البر في المحمرة ومتابعة سيرهم هناك من دفع رسوم الحجر الصحي في البصرة . وكان الكثيرون فعلا يتهربون على هذه الطريقة او قد يخرجون بقوارب صغيرة الى البصرة ، ولكن السلطات التركية في الحقيقة كانت تهدف الى فرض سيادتها على طريق شط العرب المائي .. الغرض الذي لم يكلف لتحقيقه انشاء القلعة التركية في الفاو . ومن الواضح انها كانت تأمل في توجيه ضربة موثرة للازدهار التجاري في المحمرة ، وقد عارضت هذا البرنامج ، المعادي للتجارة البريطانية

كما هو معاد للمصالح السياسية ، حكومة صاحبة الجلالة وقاومه مندوبو بريطانيا وروسيا في لجنة استانبول للشئون الصحية ، وفشلت تركيا في وضعه موضع التنفيذ فطرح مرة أخرى سنة ١٨٩٤ واستمر مبتدعوه في الترويج له بعض الوقت بعد أن أحيوه سنة ١٨٩٧ ولكن دون طائل . وقد كانت الاعتبارات العلمية والعملية كيفما كان الامر في غير صالحه لان اعلان السفن المتجهة الى المحمرة الميناء الايراني لا يمكن أن يجعل ايقافها في الفاو عملا قانونياً .

تحصيل الجمارك التركية في الفاو من السفن المتجهة الى المحمرة ١٨٩٣ – ١٨٩٤ :

وقامت السلطات التركية في الفاو بمحاولة جريئة سنة ١٨٩٣ على أساس اعتبارها شط العرب أسفل المحمرة نهراً تركياً فبدأت تتدخل في الملاحة فيه بشكل يخالف معاهدة ارضروم (سنة ١٨٤٧) . وكانت اولى هذه المحاولات منع مركب شراعي هندي بريطاني وصل الى شط العرب ومعه حمولة من الفحم النباتي الى المحمرة فأوقف في الفاو ووضع في المحجر الصحي لمدة ٢٤ ساعة واجبر رئيسه على التوقيع على ورقه لم تكن مفهومة بالنسبة له لتقديمها الى دار الجمارك التركية في الدواسر في نقطة أعلى النهر . وكانت تقضي بأن يضع أحد أشرعته هناك كرهن لخضوعه ، ولم يلتفت الى ورقة الفاو في الدواسر وسمح للمركب بالسير الى المحمرة . وعند عودته من المحمرة نحو البحر وعليه شحنة من التمور اتجه المركب مباشرة الى فاو وهنا اعترضوا عليه لانه لم يمر بالدواسر ورفضوا شهادة (استيفاء دفع رسوم التصدير في إيران) التي حصل المركب عليها من شيخ المحمرة لأنها غير كافية ، وعاد المركب إلى الدواسر ، ولكن السلطات الجمركية التركية هناك رفضت منحه الشهادة التي طلبها اولئك في الفاو ، وطبقاً لذلك أقلع رئيسه الى البصرة وقدم شكوى للمتعمدية السياسية المساعدة . واعتقد المعتمد السياسي البريطاني المساعد أن هناك بعض الخطأ ودفع الامر الى مدير الجمارك

التركي في البصرة ، الذي بعث اليه جواباً غير متوقع وهو « بما أن المحمرة ميناء تركي فانه أي المأمور تلقى تعليمات بأخذ الرسوم الجمركية من جميع الشحنات التي ترسو هناك » وعندئذ وجه الخطاب الى والي البصرة فاقتصر هذا على مجرد ترديد تصريحات المدير ، وكانت نتيجة اتصال القنصل الايراني في البصرة الشيء ذاته . ولم تكن المطالب التركية مباغتة تماماً اذ كانت تدور في وقت مبكر من سنة ١٨٩١ همسات في البصرة عن تجديد تركيا ادعاءاتها في المحمرة . ومنذ تلك السنة فصاعداً طالبت تركيا برسوم عن الحمولات والحجر الصحي كما مارست في الفاو ابتزاز الاموال من المراكب الاهلية المتجهة الى المحمرة .

وقد دفعت الرسوم الجمركية في الفاو ، مع الاحتجاج عليها من قبل مركبين شراعيين هنديين بريطانيين كانت وجهتهما المحمرة وربما كان أحدهما المركب الذي ذكرت حالته فيما سبق .

وبناء على طلب شاه ايران ، قدّم احتجاج قوي ضد مطالبة تركيا بالمحمرة من قبل سفير صاحبة الجلالة البريطانية في استانبول ، ومن الواضح أنه أعد بالتشاور مع السفارة الروسية هناك . وفي نفس الوقت عمل السيد دي بتزو الوزير الروسي في طهران بياناً غريباً بخصوص المذكرة التوضيحية ، التي اغتصبها ، بعد ابرام معاهدة ارضروم بقليل ، القائمان بالاعمال البريطاني والروسي في استانبول من المندوب الايراني وهي تقرر بأن المعاهدة لم تمنح ايران حق تملك المحمرة . وأكد السفير التركي في طهران ان مثل هذه الوثيقة موجودة ولم ترفضها تركيا في حين زعمت حكومة الشاه أنه يجب في أي حال رفضها لانها غير مصدقة من قبل السلطات الايرانية المختصة . وعلى أي حال فان الباب العالي سرعان ما أقر بأنه ليس له مطالب في المحمرة ، وبهذا فان حقيقة او رواية اعتراف المندوب الايراني لم تعد تثير الاهتمام . ويبدو أن الحكومة التركية في تفسيرها سلوك موظفيها المحليين في شط العرب قد ميزت الفرق بين

الرسوم على الشحنات المرسلة مباشرة الى المحمرة ورسوم الشحنات المستوردة من هناك عن طريق ميناء تركي او عبر إقليم تركي إلا أن الموضوع لم يتابع أكثر من ذلك ، وتوقفت مطالبة الاتراك للمراكب المتوجهة الى المحمرة ، ووجد أنه ليس من الضروري ارسال قارب حربي بريطاني الى فاو لحماية سير السفن البريطانية الهندية هناك كما كان مقترحاً من قبل .

مجتهدو العراق التركي والشئون الايرانية ١٩٠٣ــ١٩٠٥ :

أدى التبذير الشخصي لمظفر الدين باشاه حاكم ايران ، وقبول إيران قروضاً كبيرة من الحكومة الروسية إلى إعادة تنظيم الجمارك الايرانية على أسس اوروبية على أيدي مفوضين اوروبيين ، وجباية رسوم على الخمور والمشروبات الروحية في أماكن تحرم بيع الخمور تحريماً قاطعاً فأدى كل ذلك إلى استياء حاد سنة ١٩٠٣ في أوساط مجتهدي النجف وكربلاء من الايرانيين ، ومع أن رؤساءهم يقيمون على ارض تركية فانهم القادة الحقيقيون للحركات الدينية الايرانية كافة كما يمارسون نفوذاً على أفكار الايرانيين لا تملكه أية سلطة في إيران نفسها .

وفي وقت مبكر من سنة ١٩٠٣ وجه بعض المجتهدين المقيمين في العراق التركي احتجاجاً إلى الشاه يعبرون فيه عن رغبتهم في تعديل سياسته إلا أن هذا الاعتراض مر دون الالتفات اليه . وقد أمر القنصل العام الايراني في بغداد ، بمجرد زيارة كربلاء والنجف ، نقل تحيات صاحب الجلالة الايرانية الى بعض المجتهدين مجتمعين مع التأكيد لهم بأن الامور وصلت اليهم محرفة. وكان محمد الغراوي (شرابياني) وحاج محمد حسين وميرزا خليل (ممعاني) والملا محمد قاسم «خراساني» أنشط المجتهدين في الهياج ضد سياسة الحكومة الايرانية . وفي شهر يونيه سنة ١٩٠٣ اندلع الشغب في تبريز ضد بائعي الخمور من الارمن وموظفي الجمارك

البلجيكيين في هذا المكان وتبع ذلك قيام صخب في أصفهان وقد اغتيل خلاله عدد من البابيين . وقد عزت الحكومة الايرانية هذه الفتن إلى تحريض مجتهدي النجف وكربلاء ، وظهر من نتائج تحري المراجع البريطانية في العراق التركي أن المجتهدين الايرانيين ، الذين كان الشرابياني أبرز شخصية فيهم رغم تنصلهم من مشاعر العداء للمسيحيين والاوروبيين ، قد اقروا الاعدام بالجملة للبابيين . وفي أعقاب الاضطرابات أبرق الشاه الى المجتهدين عن طريق القنصل العام الايراني في بغداد يؤكد لهم أن جميع التدابير التي اتخذتها حكومته هي لمصلحة الدولة الايرانية . وقد رد المجتهدون على هذه الرسالة حالا رداً يشجبون به في عبارات معتدلة كل تقليد للأساليب الاوروبية كما شجبوا بدون غموض اختيار تدابير يعتقدون أنها بحاجة إلى تبصر ، ربما كان ذلك مثل جمع حاصلات الاراضي بآلات اوروبية ، مما يؤدي الى ثورة دينية في ايران ، وانهم يلتمسون من الشاه أن يسدد القروض الروسية والا يخفض العملة بعملة فضية غير محصورة . الا أن السلطات الايرانية ارتابت في اخلاص نوايا المجتهدين لانها كما قيل قد أظهرت وثيقة موقعة من الشرابياني وآخرين تفيد اقرارهم لأعمال العصيان في تبريز . وعلى الرغم من ذلك فقد رد الشاه على المجتهدين رد مجاملة الا أنه أعلن فيه عن استعداده للاسترشاد برأيهم في الامور الدينية ، ورفض تدخلهم في أمور الدولة . وقد وصل إيران أخيراً منشور موقع من بعض المجتهدين مؤرخ في ٣ أغسطس سنة ١٩٠٣ منع بموجبه مضايقة الرعايا الاجانب باعتباره عملا غير قانوني ، وهو يصف قضايا البابيين والخمور بأنها امور من اختصاص السلطات المدنية الاقليمية التي تحاول التنظيم بشكل مرض . لكنه صدرت في ١٤ سبتمبر وثيقة عن أشخاص معنيين من الجمعية ذات طابع مختلف على شكل نشرة حرمان موجهة ضد الوزير الاعظم الاتابك الاعظم الذي أقام سياسة يرفضونها . واستخرج من هذه الوثيقة في كلكتا نسخ طبق الاصل عن طريق التصوير الفتوغرافي وزعت بعد قليل

على طول ايران وعرضها ، واذا لم تكن هذه هي السبب المباشر في سقوط الاتابك فانها جعلت رجوعه على الاقل الى الحكم مستحيلا حتى إنه جاء فيها أنه إذا لم يطرد الوزير المقيت فان حكماً مشابهاً سوف يصدر قريباً ضد سيده الملكي . وبهذه الاجراءات فان المجتهدين على ما يبدو قد سمحوا لانفسهم بأن يكونوا أدوات لاعداء الاتابك السياسيين ، الا أن دوافعهم ربما كانت وطنية .

وفي مرحلة مبكرة من الخلاف حاول المجتهدون ممارسة ضغط على الشاه عن طريق سلطان تركيا الا ان الحكومة الايرانية استعادت بسرعة السلاح من درع منتقديها على أمل التمهيد لطردهم من المدن المقدسة ، ووشت بمجتهدي النجف وكربلاء الى الباب العالي كأصدقاء للبريطانيين . وقد اختيرت هذه الحملة بمهارة وكانت نتائجها قد عززت بشرح خطر المجتهدين على الشيعة المسلمين بتشريعهم الطائش الذي أصدروه سنة ١٩٠٣ ضد استعمال طريق حائل الى مكة خلال استمرار العداء بين ابن رشيد وابن سعود . وقدمت الحكومة الايرانية امرهم هذا الى الباب العالي اذ أن صدوره كان لصالح شيخ الكويت «واصدقائه» كالحكومة البريطانية . ويظهر أن الممثل الروسي في استانبول قد اشتكى بعد بضعة أشهر من النشاط الخطير الذي يقوم به وكلاء المجتهدين في إيران واواسط آسيا وتبعاً لذلك هددت السلطات التركية في يونيه سنة ١٩٠٤ بعض مجتهدي كربلاء والنجف بالنفي الى المدينة ، كما أجرت هذه السلطات استقصاء سرياً عن علاقاتهم بالدول الاجنبية .

ويبدو ان المجتهدين وفقاً لهذه الاجراءات ونتيجة للضعف الذي حدث بموت قائدهم الشرابياني في ديسمبر سنة ١٩٠٤ والذي أدت جنازته الى حدوث هياج تقريباً في النجف ضد السلطات التركية عقب تدخل موظفي الصحة الاتراك فيها ابتداءً من هذه النقطة قد عدلوا نغمتهم ، وكانوا قد تابعوا نشر حملة ضد «الحبل المتين» الجريدة الايرانية التي تصدر في كلكتا والتي تطابق أهدافها السياسية ما لديهم ، والتي اتضح منها مغزى

اتصال بعضهم مع سلطات تركيا . كما أنهم ابطلوا أخيراً تحريمهم الذي وجهوه الى الحجاج بعدم السير في طريق حائل وارسلوا في مارس سنة ١٩٠٥ عقب حدوث اضطرابات جديدة ضد الاجانب في مشهد وكاشان برقيات ولاء وأوصوا رجال الدين والشعب في ايران بمساعدة العرش وكان لتلك الخطوة على مايبدو أثر مهدىء . ومع الزمن زال الصدام الذي قام بينهم وبين الحكومة الايرانية .

★ ★ ★

القرصنة فى شط العرب ١٨٨٨ ـ ١٩٠٥

من الامور التي كانت موضع اهتمام لعدة سنوات خلال هذه الفترة قضايا القرصنة المتركزة في شط العرب والتي كان من مصلحة تركيا وايران العامة الاهتمام بها الآن .

قضايا القرصنة من ١٨٨٠ ــ ١٨٩٥ :

كان مراقب محطة التلغراف البريطانية في فاو في ٣ يناير سنة ١٨٨٠ يسير في قارب متجهاً الى البصرة ومعه اثنان من كتبته عندما هاجمته عصابة مؤلفة من ثمانية من العرب في مكان يبعد حوالي ١٢ ميلا جنوبي البصرة ، وقد باغتوهم وهم نيام وضربوهم وجرحوهم بالاضافة الى سلبهم أشياء تخصهم تبلغ قيمتها ١,٠٧٠ روبية ، وقد أفاد أحد بحارة المراقب بأنه تعرف على زعيم القراصنة وهو عربي يدعى بخاخ بن شبعان من قبيلة محيسن . وكان الشخص معروفاً جيداً بسوء سلوكه وهو يتبع شيخ المحمرة . وقد اطلع ثابت باشا والي البصرة والحاج جابر شيخ المحمرة في الحال على ما حدث عن طريق السلطات البريطانية التي طلبت منهما اتخاذ الاجراءات . وأنكر الشيخ جريمة بخاخ إلا أن حكومة الهند تمسكت بصحتها وفرض الشيخ على عائلته غرامة تقدر بمبلغ ١٥٠ جنيهاً استرلينياً ، وفي نفس الوقت استعيدت جميع الاشياء المسروقة عدا بعض

النقود عن طريق الشيخ خزعل بن الحاج جابر ، وقد بذلت الجهود ايضاً لالقاء القبض على بخاخ ومعاقبته وفقاً لمطالبة من روبرتسون المعتمد السياسي المساعد في البصرة ، ولكن يبدو أنها كانت غير مجدية اذ أن الرجل هرب الى المستنقعات .

سنة ١٨٨٨ :

وهاجم القراصنة في أكتوبر سنة ١٨٨٨ مركبين بريطانيين هنديين شراعيين في الزيادية الواقعة على الجانب التركي من النهر وقد قتل في هذا الحادث ثلاثة أشخاص وجرح اثنان ونهبت أموال قيمتها ٣٠٠٠ روبية ، وقد حوكم بعض الرعايا الاتراك في هذه القضية الا أن الجريمة لم تثبت عليهم وقد تدخل لصالحهم ناظر أملاك الخاصة الملكية .

سنة ١٨٨٩ :

ونهب في ٦ نوفمبر سنة ١٨٨٩ المركب الهندي البريطاني «شاتورباسا» وهو مركب شراعي من كوتش على مقربة من جزيرة حاجي صلبوق ، وقد نزعت منه جميع الاموال المنقولة بما فيها النقود حتى أشرعة القارب . وقتل شخص واحد على ظهره وجرح اربعة آخرون وكان عدد القراصنة في هذا الحادث حوالي عشرين شخصاً ذكر أنهم جاءوا من الضفة الايرانية ومع أن شيخ المحمرة اتخذ الخطوات لتعقبهم الا أنهم لم يكتشفوا .

وفي ١٢ ديسمبر جرد مركب شراعي هندي بريطاني آخر هو «دولتباسا» من جميع الممتلكات المنقولة بما فيها ٧٠٠ جنيه استرليني نقداً ، إلا أنه في هذه الحالة لم تقع خسارة في الارواح او أي إيذاء شخصي ، وقد كانت «خاست» مسرحاً لهذه القرصنة إلا أنه لم يكن بالإمكان اقتفاء أثر أحد من اللصوص الذين كانوا حوالي ٣٠ شخصاً .

وجرت في اليوم التالي محاولة فاشلة على المركب الهندي البريطاني «فلاي» في نفس المكان إلا أن الجناة في هذه المرة كانوا على ما يبدو من الاقليم التركي غير أن والي البصرة أصر على أنهم من الجانب الايراني .

سنة ١٨٩٠ :

وفي ١٣ سبتمبر سنة ١٨٩٠ نهبت عصابة من اربعين قرصاناً المركبين «هارسينغا» و «سوكرابلسا» اللذين يمتلكهما رعايا بريطانيون يقيمون في «جوادر» بالقرب من «بريم» ، وهي قرية تقع على جزيرة عبدان الايرانية . ومن الواضح ان المعتدين كانوا من الجانب الايراني . وقد قتل في الحادث شخصان وجرح ثلاثة وأخذت كل الاموال المنقولة بما فيها نقداً يبلغ حوالي ٨٦٠ روبية ، وكان على ظهرها شخصان او ثلاثة من الجنود الاتراك وكتبة كانوا مسافرين من فاو الى البصرة ، الا أنهم لم يقدموا للبحارة أية مساعدة ضد اللصوص . وقد أصر كل من والي البصرة وشيخ المحمرة بأن القراصنة يتبعون سلطة الآخر .

سنة ١٨٩٥ :

وقاست المراكب العربية والايرانية في سنة ١٨٩٥ مثلما قاست المراكب الهندية على أيدي القراصنة في شط العرب والمناطق المجاورة لمصبه ، وكانت بعض الهجمات التي شنت اشد مما عرف بربرية وسفكاً . وقد عثر على سفينة مهجورة لا تحتوي الا على جثث ، ومن بين المراكب التي كانت ضحية لهذه الاعمال في هذه السنة المركب «هاريباسا» من جمناجار وهي إحدى الولايات الهندية . وقد هوجم في ١٩ سبتمبر بالقرب من فاو وقتل منه اربعة رجال وجرح ثلاثة ونهبت منه أموال قيمتها ٣٤٠٠ روبية . ويظهر أن اللصوص في هذه المرة كانوا من انصار «كعب» في الضفة الايرانية وبعد التحقيقات التي قام بها مدير فاو تنصلت السلطات التركية من أية تبعة عن الحادث . وقد أبدى شيخ المحمرة نفوراً قوياً من اتخاذ أي عمل .. ولم يتم بمقتضى اوامره الا حجز شخص واحد فقط .

ولم يتم الحصول في أية حالة من الحالات السابقة على ترضية ، وكانت السلطات التركية والايرانية تحاول بثبات القاء المسئولية كل على الأخرى عند حدوث أي حادث جديد .

التدابير الرادعة لمكافحة القرصنة ١٨٩٦ :

اضطرت الحالة غير المرضية لسير الامور الممثلين البريطانيين في البصرة والمحمرة الى الاصرار على السلطات المحلية في المكانين بوجوب اتخاذ اجراءات فعالة لحراسة النهر ، وكانت النتيجة انشاء مراكز خلال سنة ١٨٩٦ تستطيع المراكب الاهلية ان ترسو فيها ليلا في سلام . وأدخلت السلطات التركية والايرانية نظام الخفارة الليلية بقوارب مسلحة . وقد اقيمت نقط الحراسة على الجانب التركي في سنجار وجزيرة شمشمية وكوت الزين والزيادة وفاو في مكان بير الزيادية وفاو ووزعت على هذه المراكز نصف فرقة من المشاة الاتراك النظاميين تحت امرة ضابطين ووضعت المراكز على الضفة الايرانية في مواقع حادثة والجرف ونريم وشتيت ومنيوحي وقصبة وفي أماكن أخرى . وقد أصدر شيخ المحمرة توصيات مشددة الى سكان القرى الواقعة على ضفة النهر بحماية الناقلات الشراعية الهندية البريطانية . وفي الخريف تمركزت السفينة «لابوينج» العاملة في خدمة جلالتها في شط العرب . وكان لهذه الاحتياطات بمجموعها ، بالاضافة الى مظهر التوافق بين السلطات على ضفاف النهر المتقابلة اثرها الممتاز . وبعد انشاء المراكز المذكورة لم يبلغ إلا عن القليل من حوادث القرصنة التافهة . وقد حدثت جريمة خطيرة واحدة بعيداً عن ضفاف النهر قتل فيها رئيس المركب وجرح تاجران وسلبت بضائع وأموال نقدية تبلغ قيمتها حوالي ٣,٠٠٠ روبية . ومن الواضح أن هذا الحادث قد وقع قبل اتخاذ التدابير المار ذكرها أعلاه . وفي ديسمبر سنة ١٨٩٦ هوجم قارب ايراني من ديلام بعد ان ارتطم بالارض عند نريم وجرح فيه شخصان او ثلاثة بجروح متفاوتة الخطورة وجرد المركب من الشحنة التي كان يحملها . وكانت الشكوى الوحيدة الأخرى التي قدمت خلال الجزء الاخير من هذه السنة من مركب كويتي كان قد هدد او تعرض للمضايقة بالقرب من القصبة الا أنه لم يتكبد أية خسارة .

ولم يحصل في الحالتين الاخيرتين المعزوتين إلى الجانب الايراني أي تعويض.

تفشي القرصنة من جديد سنة ١٨٩٧ :

وكان واضحاً في سنة ١٨٩٧ وجود تراخ في تيقظ السلطات ولذا عادت القرصنة تظهر من جديد .

ففي مايو من تلك السنة وقعت ثلاث حوادث من أعمال القرصنة على مراكب كويتية عند مصب النهر وقتل في احداها أحد البحارة وسلبت فيها أموال تعادل قيمتها ٥،٥٠٠ روبية . وفي ٦ ديسمبر جرد مركب ايراني شراعي من محتوياته من قبل مركب آخر خارج النهر إلاأنه صادف ذلك وجود السفينتين العاملتين في خدمة صاحبة الجلالة «بيجن» و«لورنس» بالقرب من المكان فقامتا في الحال بالمطاردة . وقد نجحت لورنس في اليوم التالي بالقبض على الجناة فسلم اربعة من القراصنة الذين كانوا رعايا إيرانيين الى السلطات الايرانية وحكم على كل واحد منهم بالسجن ستة أشهر ، وقد بيع المركب الذي ارتكب الجرم ومحتوياته وسلم كتعويض للطرف المتضرر الذين جرح بعضهم بجروح بليغة .

أما الحادثة التالية فقد كانت أشد ايلاماً وهي حادثة «كاليان باسا» المركب الشراعي الهندي البريطاني الذي هوجم في النهر عند سيحان ليلة الاول من ديسمبر وفيه فقد أحد الهنود البريطانيين واحد الرعايا العمانيين حياتهما وسلبت منها كمية من الممتلكات القيمة . وتقع سيحان في الاقليم التركي . الا أن القراصنة على ما يبدو كانوا من الجانب الايراني وكان الشخص الوحيد الذي احتجز من الرعايا الايرانيين . وفي الحقيقة لم يكن له ضلع في الحادث إلا أن الشرطة التركية قبضت عليه لاسباب تخصها وبقيت القضية تحت الملاحقة لبعض الوقت الا أنها لم تسوء .

المزيد من الاحتياطات ضد القراصنة ١٨٩٨ — ١٨٩٩ :

استوجبت هذه الحوادث المزيد من الاجراءات الوقائية القوية والتي تولت فيها السلطات البريطانية مكان القيادة . فقد حطت السفينة

«رد بريست» العاملة في خدمة جلالتها في النهر في سبتمبر سنة ١٨٩٨ وبقيت حتى يناير سنة ١٨٩٩ وعملت السلطات التركية والايرانية على بذل المعونة . ففي سبتمبر سنة ١٨٩٨ زيد عدد المراكز التي في الاقليم التركي على جانب النهر التي عسكرت فيها قوات عسكرية الى ١٣ مركزاً وتأهبت السفينتان التركيتان المسلحتان «ألوسي» و «زحاف» للخدمة ولم يعتبر قطعاً هذا التظاهر التلقائي بالقوة سبباً كافياً لقبول الطلب الذي قدمه الباب العالي لسحب السفينة الحربية البريطانية ، وعلى الجانب الايراني زاد شيخ المحمرة عدد نقط الحراسة لى ١٢ نقطة ورسا في كل منها قارب يرفرف عليه العلم الايراني . ومنعت القوارب الخاصة من أية حركة ليلا عند المياه المجاورة للضفة الايرانية . وقد اقترحت السلطات الايرانية وجوب تحذير رؤساء القرى بأنهم سوف يتحملون المسئولية عن ارتكاب اي قرصنة من قبل من ضم تحت سلطتهم . وفي الحالات المشبوهة سوف تفرض غرامة على سكان كلا الضفتين . ومع ان السيد راتسلو قنصل صاحبة الجلالة الامبراطورية في البصرة قام بالاتصالات اللازمة مع والي البصرة بهذا الشأن الا أنه من غير المؤكد فيما اذا كان الوالي قرر أن يتخذ الخطوات المطلوبة .

الكف عن القرصنة ١٨٩٧ — ١٩٠٠ :

وحصل انقطاع كامل عن القرصنة في شط العرب لمدة ثلاث سنوات من نهاية سنة ١٨٩٧ الى نهاية سنة ١٩٠٠ . وفي كل سنة منها كان يبقى باستمرار قارب حربي بريطاني واحد على الاقل لمدة تزيد أو تقصر وذلك خلال فصل تصدير التمور . وكان وجوده دون شك هو السبب الرئيسي لتحسن حالة الامور بشكل مباشر وغير مباشر .

تجدد القرصنة ١٩٠١ — ١٩٠٤ :

عندما بدأت القرصنة مرة أخرى في سنة ١٩٠١ كانت أساليب القراصنة قد تغيرت ، ومن تلك السنة فصاعداً كانت حوادث السلب

ترتبط على الاغلب بفترة التراخي عندما لا يكون في متناول اليد قارب حربي بريطاني ، وكانت الحوادث تقع بشكل رئيسي عند السدود خارج النهر حيث لا تحتفظ السلطات التركية والايرانية بمراقبة فيها أو بمجرد مراقبة واهنة .

وكانت اول قرصنة ترتكب بعد سنة ١٨٩٧ في شط العرب قد حدثت في ٢٧ يناير سنة ١٩٠١ مع القارب «حسيني» من البحرين عندما ارتطم بالارض على مسافة من معامرة الواقعة على الجانب التركي من النهر وكانت الخسارة في الاموال في هذه الحادثة لا بأس بها إلا أنه لم تكن هناك فواجع . أما الحادثة التالية فقد حدثت عند مدخل شط العرب في ٤ نوفمبر ١٩٠١ عندما هاجم زورق فيه ٢٠ قرصاناً المركب الشراعي «ياسمين» الذي يملكه خوجا في بندر عباس من الرعايا البريطانيين ، وبعد أن نهب القارب تركه بحارته خوفاً من هجوم ثان ، إلا أنه استعيد مرة أخرى على مقربة من جزيرة خاراج وكانت الضحية الثالثة لسنة ١٩٠١ هي المركب البريطاني الهندي «بدارات» الذي نُهب عند مدخل النهر في ٢٧ ديسمبر ، وتبين أن الجناة في هذه الحالات الثلاث من عرب كعب بزعامة شخص يدعى خليف من الفداعية في الاقليم التركي . ومع أن الاتصالات قد تمت بين والي البصرة وشيخ المحمرة إلا أنه لم يقدم أحد للعدالة .

وفي ٨ إبريل سنة ٩١٠٢ هوجم «فتح الخير» البحريني عند مدخل النهر ايضاً وجرد وجرح احد ركابه وحبس البحارة لمدة يومين واجبروا على تسليم نقودهم التي كانوا قد أخفوها . وبعد ذلك نهب المركب بوشهر وربما كان ذلك بفعل نفس العصابة الذين قيل عنهم إنهم يقيمون في دوره والفداعية على الضفة التركية من شط العرب . وفي ٢٧ مايو كان المركب الكويتي « حسيني » يحمل مسكوكات من المحمرة تبلغ قيمتها ١٥,٠٠٠ روبية حين اعترضه زورق واحتجزه على مسافة من جزيرة بوبيان وسرق ما فيه ، وكان الزورق قد تابع المركب من

شط العرب . وقتل واحد في هذا الحادث ، وقيل أيضاً في هذه المرة إن الرجال الذين هاجموه كانوا من دوره والفداعية . ربما كان لهذا السبب قيام شيخ الكويت بزيارة شيخ المحمرة تلك الزيارة التي لم تثمر أية نتيجة بصدد هذه القضية . وفي ٢٩ مايو طاردت دورية من خفر شيخ المحمرة بلمين اقتربا من قارب أصله من بوشهر بشكل مريب إلا أن رجال الزورقين أطلقوا النار على قارب الخفر ، ثم التجأوا أخيراً إلى سيل الحاجيه بالقرب من الفداعية ، لكن أهل القرية انقضوا عليهم فلم يساعدوهم .

وكان عند شيخ المحمرة في هذا الوقت الذي حدثت فيه كل هذه الحوادث قارب مسلح واحد فقط بين القصبة وبوغاز بهمنشير ، وكان الاتراك قد كفوا عن استعمال القوارب المسلحة جميعها . وعلى أية حال فقد ارسل الشيخ سفينته البخارية «إيران» الى القصبة ورابط «بكمان» مسلحان بين مصب شط العرب وبوغاز بهمنشير غير «بوم» آخر في مدخل شط العرب . وقد وضعت الباخرة التركية «ألوسي» في الخدمة على النهر إلا أن خدماتها كانت ضئيلة نظراً لتعطل آلاتها في أغلب الاحيان . وقد أمرت السفينة «سفينكس» العاملة في خدمة جلالتها مباشرة بالتعاون مع السلطات المحلية ونتج عن ذلك توقف موقت للقرصنة إلا أن المعتدين في الهجمات الاخيرة بقوا دون اكتشاف او عقاب .

وقبل نهاية موسم النخيل استؤنفت التعديات . ففي ليلة ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٠٢ بينما كانت السفينة العاملة في خدمة جلالتها «أساي» منهمكة في تحرياتها خارج مدخل النهر كان القراصنة قد قفزوا على ظهر المركب المسقطي «فتح الخير» وهو مسجل في مسقط كمركب بريطاني ويحمل العلم البريطاني . ووقع الحادث على الجانب التركي من شط العرب بالقرب من معامر . وبهذا القارب وكيل قبطان طعن في أماكن مختلفة من جسمه وكان عدد القراصنة في هذا الحادث ١٠ او ١٢ من العرب والملونين وقد قيل عنهم إنهم من الجانب الايراني .

وفي ٣ فبراير سنة ١٩٠٣ هوجم مركب كويتي يحمل قبطاناً وخمسة بحارة وتاجراً كان مسافراً عليه في خور موسى ، وأسر المركب بعد قتال دام اربع ساعات وقتل جميع من فيه عدا أحد البحارة ، وجرد القارب من محتوياته وعزي هذا الحادث الى أهالي دوره الواقعه على شط العرب ، ويعتقد أن أربعة او خمسة من رجالها قد قتلوا أو جرحوا في هذا الحادث ولم يحصل المتضررون على أية ترضية في أي من حوادث القرصنة التي جرت سنة ١٩٠٢ او سنة ١٩٠٣ .

وفي بداية سنة ١٩٠٤ تجددت المتاعب ، فبينما كان المركب الشراعي «سوجاربارسا» من كراتشي يرسو في ٣٠ يناير في مركز الحجر الصحي على مرأي من البصرة ، صعدت على ظهره عصابة مكونة من ٢٠ رجلا وصلوا اليه في بلم وجرحوا رئيس المركب بالسكاكين وحملوا أمتعة ونقود البحارة ، وكان الاتراك في هذا الوقت غير منتظمين في حراسة المياه حتى إن شرطتهم كانت على اليابسة في البصرة عديمة القدرة . وكانت حماية الممتلكات على نهر في البصرة تعتمد على الحراس الخصوصيين الذين كانوا كثيراً ما يتبادلون إطلاق النار في الليل مع اللصوص المتجولين وقد حدثت في وقت مبكر من صباح ٣ فبراير حادثة خطيرة جداً ، وكان المركب الذي هوجم هذه المرة هو «فتح السلامات» المسجل في كراتشي وحمولته ١٥٣ طناً ، وكان المكان الذي شهد الاعتداء يقع خارج مجرى شط العرب على بعد ١٠ أميال من فاو ، وكان «فتح السلامات» قد أبحر من معامر وعليه شحنة من التمور ، وقد تابعه مهاجموه في مركب عليه ٢٠ رجلا من القصبة ، حيث كان راسياً هناك خلال ثلاثة الأيام السابقة ، وقد عمد القراصنة إلى إطلاق أسلحتهم النارية بكثرة فقتلوا اثنين وجرحوا اثنين من بحارة «فتح السلامات» الخمسة عشرة ، وبعد أن نهبوا المركب ثقبوه حتى يغرق وحطموا قاربه الصغير وتركوا من عليه ليغرقوا ، وقد استطاعت البقية الباقية من البحارة على أية حال انتشال قعر القارب الصغير قبل ان تلتقطهم الباخرة البريطانية «دويتا» التي نقلتهم الى البصرة

وتقدر الخسارة المادية التي أحدثت في هذه القضية بما فيها خسارة فتح السلامات بمبلغ ٢٥,٠٠٠ روبية . وطبقاً للمعلومات التي أبلغت كان ثلاثة من القراصنة ينتمون إلى القصبة وينتمي عشرة آخرون الى مكان يقع عند مصب نهر الهندية وقد أخفيت الاموال المسروقة في المكان الآخر ، وتبعاً لذلك تقدمت السفينة العاملة في خدمة صاحبة الجلالة «لايوينج» إلى مصب نهر الهندية وقامت بالبحث عن المسروقات في بيوت عزبة هناك ولكن دون جدوى ، فقد أعاق الطقس الشديد امكانية النزول على الارض مما أعطى الأهالي هناك متسعاً من الوقت لاخفاء الدليل على جريمتهم بعد أن رأوا «لابوينج» . وقد اعلنت السلطات البريطانية عن مكافأة مقدارها ١٠٠٠ روبية لمن يبلغ عن معلومات تقود إلى إدانة أي من الجناة ، إلا أنه لم يبلغ عن أي دليل . واخيراً أبلغ قنصل صاحبة الجلالة البريطانية في البصرة بأنه لا يمكن عمل أي شيء أكثر في هذه القضية أو في قضية «سوجار باشا» ، وقد اشتكت الحكومة الايرانية من الاجراءات التي قامت بها «لابوينج» عند مصب نهر الهندية وأبلغت في الرد على شكواها بأنه ربما كان هناك شكوى في احترام الحقوق الملكية لايران إلا أن عمل سفن صاحب الجلالة البريطانية لكبح القرصنة لا يمكن تقييدها بقيود .

فشل المحاولة البريطانية لانشاء تعاون بين السلطات التركية والايرانية :

وارسلت في اغسطس ١٩٠٤ السفينة العاملة في خدمة صاحب الجلالة «ميرلين» لحراسة شط العرب ، وبذلت في نفس الوقت تقريباً جهود لاغراء السلطات التركية والايرانية لتتعاونا بشكل جدي لتعقب القراصنة المحليين والقاء القبض عليهم ، وكان شيخ المحمرة الذي كان خفره ونقط حراسته عموماً أكثر فاعلية في المحافظة مما كان عند والي البصرة . يرغب في التعاون مع الاتراك ، واقترح بأنه يجب أن تكون له سلطة القبض على الاشخاص السيئي السلوك على كلا الضفتين من النهر . وقد أبدى الباب العالي أيضاً استعداداً للدخول في بعض الترتيبات إلا أن الحكومة

الايرانية رفضت ان تلزم نفسها بأي شيء له طبيعة اتفاقية لتسليم المجرمين لتركيا ، وهكذا فشلت الاقتراحات البريطانية .

وكانت النتيجة الطبيعية للتعاون غير المكتمل أن تجددت المتاعب حال مغادرة السفينة سفينكس النهر في بداية يناير سنة ١٩٠٥ . ففي الحادي عشر من نفس الشهر اقترفت القرصنة المعتادة على قارب كويتي في شط العرب ، وحدث في بداية مارس هجوم أكثر خطورة على قارب من البحرين في مكان لا يبعد كثيراً عن البصرة قتل فيه القبطان الذي كان من رعايا شيخ الكويت . كما وقعت أيضاً حادثة واحدة او حادثتان أقل أهمية . وأعقب ذلك فترة هدوء يظهر أنها أدت جزئياً الى توطين شيخ المحمرة لما يقارب من ١٥٠٠ من رجال قبيلة عيدان في الاراضي البور المجاورة للقصبة .

وبعد سنة ١٨٩٨ وهي السنة التي قامت فيها الحكومة البريطانية بمشاركتها الاولى في حراسة شط العرب خلال موسم التمور ، ظلّ النهر وما عليه في افتقار للأمان خلال أشهر العمل ، فقد استمر وقوع أعمال القرصنة في فترات غير محددة رافق بعضها خسارة في الارواح دون ان يقدم الجناة ولو في حالة واحدة إلى المحاكمة أو يحصل تعويض عن الخسائر المادية التي وقعت على المراكب الهندية البريطانية التي تحمل العلم البريطاني والتي تعرضت تعرضاً غريباً لفتك العصابات الصغيرة ، اذ أن بحارتها فضلا عن فزعهم الشديد كانوا غير مسلحين .

وعلى الرغم من ذلك كله زادت الشحنات الهندية المتجهة الى البصرة. ويعزى الامر جزئياً الى زيادة الامن على النهر خلال مواسم النخيل .

★ ★ ★

علاقات العراق التركي مع الدول الاجنبية الاوروبية الاخرى غير بريطانيا ١٨٧٦ ـ ١٩٠٥

كانت الدولة الاوروبية الوحيدة الممثلة في بغداد في بداية هذه الفترة عدا بريطانيا هي الجمهورية الفرنسية ، وقد أجريت عمليات تنقيب عن الآثار التاريخية في طالو من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٩٠٠ باشراف السيد دي سرزيك الذي عمل أثناء هذه الفترة كنائب لقنصل فرنسا في البصرة وعمل في جزء آخر منها كقنصل لفرنسا في بغداد . وكان لهذه العمليات أهمية بالغة .

أما بالنسبة لروسيا فانها لم تبد أي دلائل اهتمام بالاقليم ، غير أن الجالية الارمنية التي كانت تتظاهر بالولاء للحكومة التركية إنما كانت في الحقيقة ذات ميول روسية . ومن المعتقد ان الحكومة الروسية كانت على علم كاف بشئون العراق التركي عن طريق وكلاء من الارمن .

وقد اعارت مختلف الدول الاوروبية في الفترة الاخيرة اهتمامها للعراق التركي في عصر عبدالحميد ، فانشئت قنصلية روسية عامة كما أنشئت عدة قنصليات أجنبية أخرى كما هو مبين في ملحق الممثلين الدبلوماسيين والقنصليين .

الولايات المتحدة الامريكية :

وفي سنة ١٨٨٥ زارت بعثة آثار تاريخية امريكية العراق التركي واجريت بعد ذلك من سنة ١٨٨٧ــ١٩٠٠ عمليات تنقيب في نفار باشراف منقبين امريكيين متعاونين مع جامعة بنسلفانيا .

روسيا في سنة ١٨٨٣ :

وكانت روسيا هي الدولة التي تلي بريطانيا ولها أكثر ارتباط بالاقليم قبل الشروع في مخطط سكة حديد بغداد ، وقد اشتبه في أن روسيا هي التي حرضت السلطات التركية عندما حاولت هذه منع المراكب البريطانية من الملاحة على نهر دجلة سنة ١٨٨٣ .

المانيا في سنة ١٨٨٣ :

واحتلت المانيا فيما بعد المركز الثاني ، وذلك عقب اتخاذ الترتيبات لمد سكة حديد بغداد، إلا أنه خلال الفترة التي نحن بصددها لم تتخذ مصالح كل من المانيا وروسيا محلياً تجسداً ملحوظاً . وقد أجريت على أية حال تنقيبات عن الآثار على نطاق واسع في بابل ابتداء من يناير سنة ١٨٩٨ باشراف بعثة المانية يرئسها الدكتور كولديوي .

زيارة المراكب الحربية الروسية للبصرة في مارس سنة ١٩٠٠ :

ومما يجدر ذكره أن بقاء المركب الروسي «جلياق» في البصرة من الخامس حتى الثالث عشر من مارس سنة ١٩٠٠ ، دفع القنصل الروسي الى انتهاز هذه الفرصة للتظاهر نوعاً ما بالزهو في بغداد . وقد اختصرت السلطات التركية فترة نظام الحجر الصحي تكريماً له من عشرة أيام الى خمسة أيام ، كما وافقت على أية حال لجنة استانبول للشئون الصحية بناء على اعتراضات المندوب البريطاني على توسيع هذا الاستثناء ليشمل جميع السفن الحربية الاجنبية المتجهة الى البصرة ، وهكذا انعكست الفائدة الرئيسية الدائمة لهذا الامتياز على الاسطول البريطاني .

★ ★ ★

قضايا الملاحة فى العراق التركى ١٨٧٦ ـ ١٩٠٥

سيكون من الانسب بحث قضايا الملاحة في العراق التركي كافة في هذه الفترة على الرغم من ان المصالح التي تحتويها هذه القضايا ذات طابع تركي أجنبي .

اسطول لينش وشركاه :

ففي سنة ١٨٧٦ غرقت السفينة «دجلة» المملوكة لشركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية (السادة لينش) في نهر دجلة عندما اصطدمت

بحطام مركب أهلي كان قد غرق في قعر النهر قبل سنتين . وقد فشلت جميع الجهود لإعادة تعويمها رغم ارسال غواصين وأجهزة لهذا الغرض من انجلترا ، وبعد فترة متأخرة استبدلها مالكولم بالسفينة «بلوص لينش» وهو مركب حديدي بمدخنتين طوله ٢٢٥ قدماً وعرضه ٢٩ قدماً وحمولتة ٣٨٣ طناً ، وقد بنى هذه السفينة البخارية الجديدة السادة ريني وشركاهم في لندن وبلغت تكاليفها ٢٢,٠٠٠ جنيه قبل أن يتم تجميعها في ورش السادة لينش في ماجيل بالقرب من البصرة حيث صرف على تنصيبها هناك عدة آلاف أخرى من الجنيهات . وكان لها مخطط يتضمن طموحاً أكثر من سابقتها إلا أن حجمها الاكبر لم يكن يخلو من معوقات تبعاً لذلك .

البواخر التركية النهرية سنة ١٨٧٨ :

وكان لشركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية سنة ١٨٧٨ سفينتان بخاريتان تعملان على دجلة ، وقبل أن صافي ارباح عملياتها تبلغ حوالي ٢٥٪ من رأسمالها كل سنة .

أما بواخر الحكومة التركية العاملة على دجلة فقد بلغ عددها سنة ١٨٧٨ سبع بواخر ، وكانت هذه البواخر في سنة ١٨٧٩ تعمل تحت إدارة رئاسة الاسطول التركي في البصرة ، إلا أن هذه الادارة تداولتها الايدي عدة مرات ، وكانت في جميع الاحوال ادارة فاشلة وتختار كيفما اتفق الحال . وكان من عادة تلك الادارة ارسال مركب واحد إلى أعالي الفرات كل سنة فوق مياه فيضان الربيع ، الا أن تاريخ بدء الرحلة من البصرة كان دائماً غير محدد ، ولم تكن الرحلة التي تزداد في طولها حتى تصل عادة إلى بريجيق مربحة . وكان غالبية موظفي المراكب التركية في هذا الوقت من البريطانيين ، ويعتقد أن صافي ايراد الأسطول النهري التركي السنوي كان بمعدل ٨٪ رغم حالات التعطيل الناشئة عن سوء الادارة .

وحدث أن كان تساقط الثلوج على جبال ارمينيا في شتاء سنة ١٨٧٧– ١٨٧٩ قليلا جداً ، مما أدى إلى انخفاض مستوى مياه دجلة في الصيف الذي تلاه انخفاضاً لم يسبق له مثيل . وتلافياً للضرر المتوقع لزراعة الارز في الجهات المنخفضة من النهر ، دبر والي بغداد حلا غريباً وذلك بعمل سد موقت عبر القناة الرئيسية عند العزيز «قبر العزيز» مما يوءدي الى استحالة الملاحة بين البصرة وبغداد دون النقل من مركب إلى آخر . وقد أثارت هذه الخطة احتجاجات التجار الحادة من مختلف الجنسيات في بغداد ، وبيّن المحتجون ان خسارة الحكومة التركية لعائدات الجمارك ربما كانت أكبر من كسبها «أو توفيرها» من الحاصلات الزراعية ، وان الملاحة في دجلة ربما تأثرت بشكل دائم ، الا أن هذه الحجج لم تتغلب على غيرها عند الوالي ، وعندما كان المشروع على وشك التنفيذ اوقف فجأة بأمر من استانبول .

هجوم العرب على « خليفة » سنة ١٨٨٠ :

وبينما كانت باخرة شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية «خليفه» متجهة إلى أعلى دجلة في صباح الثامن من يوليو سنة ١٨٨٠ وعليها البريد البريطاني وحمولة عادية خفيفة و ٨٠ راكباً ، هاجمها قطاع الطرق العرب على مسافة عدة أميال من العزير ، وقد ظهر العرب فجأة من بين بعض الاعشاب الطويلة التي على ضفة النهر وفتحوا نيراناً سريعة على الباخرة استمرت حوالي ٤٠ دقيقة ، وتابعوها من على الارض محاولين الصعود إلى ظهرها ، ولكنهم لم ينجحوا وقد ثبت قائدها الكابتن كلمنتس وكبير مهندسيها السيد كول في الموقف ببسالة . وفي النهاية كف العرب عن المطاردة وقد قتل على ظهرها أحد المسافرين ومُوجّه الدفة الذي كان من أهالي البلاد ، وجرح الكابتن كلمنتس بطلقة في الرئتين ، وكان الجناة في هذا الهجوم من رجال قبيلة آل بو محمد التابعين لنفوذ الشيخ سيحود . ولا يمكن تحديد الدوافع لهذا الهجوم الذي لم يسبق له مثيل إطلاقاً إلا حب

العرب المعتاد للسلب . وربما تضاعف غرام آل بو محمد هذه المرة رغبة منهم في لفت الأنظار الى استيائهم من الحكومة التركية التي كانت حينئذ قد شردتهم لانهم ثاروا عليها ، ولم تتعرض «بلوص لينش» للأذى عندما مرت بعد ذلك بقليل متجهة إلى أسفل النهر لاي اعتداء . وقد زودت خليفة في رحلتها التالية من بغداد إلى البصرة بحراسة تركية مكونة من ٣٠ جندياً كما أمر قارب حربي تركي بالتوجه معها الى البصرة .

وقد قدمت الاحتجاجات فور ذلك الى استانبول ووعد الباب العالي بارسال حملة ضد القبيلة المعتدية ، ووعد بأن تحرس النهر باخرة تركية مسلحة . وفي اغسطس سنة ١٨٨٠ جاء في تقرير أن الشيخ سيحود الذي انسحب الى جزيرة تسمى أبو شدر الواقعة في المستنقعات بين دجلة والفرات فوق نقطة التقائهما في القرنة استطاع رد هجوم قام به أخوه الاكبر الشيخ وادى وأقاربه الآخرون بناء على طلب من السلطات التركية. وقد تكبد أتباعه خسارة بسيطة في حين قتل سبعة من القوة المهاجمة وجرح عشرون . وكانت أطراف الهور الوحيدة التي تمكن المدافعين من التراجع محروسة بالباخرتين التركية «البصرة» على دجلة و «الرصافة» على الفرات . وفي الاخير تقدم صالح بك متصرف العمارة ضد الشيخ سيحود ومعه جنود نظاميون الا أن الشيخ هرب دون ملاقاتهم ، واصبح واضحاً بعد ذلك ان احتمالات القبض عليه صارت ضئيلة ، وعلى أية حال فان معقله في ابو شدر وإن كان قوياً قد هدم .

وقد نبهت شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية إلى أنها ستطالب بالتعويض عن الهجوم ، وواصل الرائد مايلز المقيم السياسي البريطاني في بغداد الضغط سواء على الصعيد المحلي أو عن طريق سفارة صاحبة الجلالة البريطانية في استانبول لاتخاذ اجراءات تأديبية فعالة ، ولكن والي بغداد على ما يظهر جبن عن التصريح باتخاذ الاجراءات الاضطرارية

وكان غير ميال لذلك ، حتى إنه اقترح الغاء الحراسة العسكرية التركية التي زودت بها البواخر البريطانية . وقيل أخيراً إن الحاج مطير الذي له ضلع في الهجوم على «خليفه» قد القي القبض عليه وحكمت عليه المحكمة التركية في فبراير سنة ١٨٨١ بالإعدام إلا أن الحكم بقي مدة طويلة دون تنفيذ لانه استأنف الحكم في استانبول ولم تعرف النتائج النهائية . واستمر سفير صاحبة الجلالة في استانبول والمقيم البريطاني في بغداد في مواصلة الضغط في القضية ، ولكن لم يتحقق المزيد من النجاح . ويظهر أن السلطات التركية كانت قلقة على مصالحة الشيخ سيحود أكثر من تأديبه وقد توهمت أنه هاجر إلى إيران مع أنه في الحقيقة كان ما يزال مختبئاً في مستنقعات دجلة . وجاء في تقرير أنها عرضت عليه إيجار بعض اراضي الدولة في حالة حضوره شخصياً ، إلا أنه لم يبد اهتماماً بالاقتراح وربما كان ذلك غطاءاً لخطة القبض عليه عن طريق الخيانة .

وقد أصر الباب العالي عقب تقارير المقيم البريطاني في بغداد والتي وصفت الوضع بأنه غير مطمئن وطالبت بارسال مراكب حربية بريطانية إلى البصرة ، أصر على أنها غير صحيحة ، وأكد الباب العالي ثقته بقول والي بغداد إن «السلامة على النهر لم تترك شيئاً للتوضيح» وبعد ذلك بعدة سنوات وكما مر معنا سابقاً خلق الشيخ سيحود متاعب أكثر للسلطات التركية .

قضية حق البواخر البريطانية في قطر الصنادل سنة ١٨٨٠-١٨٨١ :

وفي غضون ذلك قام خلاف حول حق البواخر النهرية البريطانية في جر الصنادل على نهر دجلة . وقد بدأت شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية عمليات الجر في بداية سنة ١٨٨٠ بعد أن قدمت إخطاراً لمدة ٦ أشهر عما تعتزم القيام به من استعمال الصنادل ، ولكن حدث في مارس من نفس السنة ، بعد أن انقضى ثلاثة أشهر على استعمال أحد الصنادل وبعدأن

قام صندل آخر بعدة رحلات أن اعترض والي بغداد على العملية وأشار إلى أن الصنادل يجب الا تقطر إلى أن تستلم إذناً خاصاً بذلك من استانبول .

وكانت حجة الوالي التي سرعان ما تبنتها الحكومة التركية هي أن التصريح المعطى للسادة لينش وشركاه (أو بالاحرى مثلما اعتبره الباب العالي) ضمن للشركة البريطانية تسيير باخرتين فقط . وبما أن الصنادل لم تذكر في الفرمان فان (الباب العالي) يعتبر أنه ليس باستطاعة السادة لينش استعمال أي منها دون مصادقة خاصة من السلطات التركية . أما الشركة من جانبها فانها كانت مقتنعة بأنه لم تتخذ في الماضي أية معارضة لقطر البواخر البريطانية لقوارب أهلية عندما يتطلب الامر ذلك ، وأنه لا يوجد خلاف في المبدأ بين جر القوارب الاهلية او قطر الصنادل ، وأن حق تسيير بواخر يقتضي حق استعمالها بأية طريقة يمكن استخدام البواخر فيها ، وذلك يشمل سحب الصنادل . وأخيراً فان الصنادل كانت تقطر من قبل بواخر الاسطول النهري التركي ، وكان الهدف من الجدال على ما يظهر ان يوضح أنه كان مسموحاً لشركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية استعمال الصنادل في سنة ١٨٨١ عندما كان النقص في البواخر في بلاد ما بين النهرين قائماً ، ولذا فانه يجب استمرارها في استعمال الصنادل .

وأثناء المفاوضات قام السيد بلاودن المقيم البريطاني في بغداد بالتدقيق الشامل في الاصول القانونية والتاريخية لحقوق الملاحة البريطانية في بلاد الرافدين ، وقد سجل استنتاجاته بجلاء وبراعة في رسالة رسمية أشار فيها السيد إلى أنه بالاضافة الى الترخيص المحلي واجازات من انواع مختلفة ضمنتها المادة ٢٢ من اتفاقية الامتيازات الاجنبية لسنة ١٦٦١ المعقودة بين بريطانيا وتركيا وأكدتها معاهدة سنة ١٨٦١ التجارية كان ثمة ترخيص عام لحرية الملاحة البريطانية في جميع المياه التركية .

حماية البواخر البريطانية في دجلة سنة ١٨٨٣ :

وحدث في ابريل سنة ١٨٨٣ بعد الفوضى التي سادت دجلة بالقرب من العمارة أن أعيد تزويد البواخر النهرية البريطانية بالحراسة العسكرية التركية حيث كان الحراس يتنقلون معها كمسافرين على ظهر المركب .

محاولة الحكومة التركية منع الملاحة البريطانية في دجلة سنة ١٨٨٣ :

وفي مايو سنة ١٨٨٣ ارادت شركة الملاحة البخارية في الفرات ودجلة إضافة المركب الجديد «المجيدية» لاسطولها ، الا أن والي بغداد أصر في مراسلاته مع المقيم البريطاني ، على أن الشركة قد خول لها حق امتلاك مركبين فقط ، وفي حالة ما اذا وجدت ضرورة لاستبدال واحدة من سفنها فان ذلك يجب أن يكون بسفينة من نفس الحجم . وربما لوحظ الافتراض بأن (المجيدية) أكبر من أية باخرة استخدمتها الشركة ، ولكن مع ان عرضها كان يفوق عرض (بلوص لينش) بستة أقدام حيث يعطيها ذلك غاطساً ضحلا فان حمولتها أقل بعشرة أطنان ، وهكذا كشف من البداية عن أن الاعتراض على الحجم ليس له ما يبرره وأنه معقول كما بين سابقاً . وتمسك الوالي بموجب اوامره من استانبول وبمقتضى فقرات الترخيص (المفترض) بحجة ان الشركة ليس لها حق الملاحة في دجلة على الاطلاق ، ولكن لها الحق على الفرات فقط . وفي ١٤ يونيه سنة ١٨٨٣ طلب رسمياً من الرائد تويدي منع بواخر السادة لينش وشركاه من دخول دجلة . وعلى اثر ذلك أبرق المقيم إلى سفير صاحبة الجلالة في استانبول مشيراً إلى الموضوع .

وفي ٢٨ يونيه منعت باخرة بريطانية(١) من حمل شحنتها من بغداد ، وأبلغ الوالي المقيم في نفس اليوم بأنه تلقى اوامر برقية من استانبول تحظر

(١) سميت هذه الباخرة في المراسلات «بالموصل» ولكن ربما كان المعنى بها « المجيدية » حيث كان هناك باخرة تركية تسمى « الموصل » .

على البواخر البريطانية دخول دجلة . وطلب الرائد تويدي تأجيل تنفيذ الاوامر اذ أن الموضوع تحت المداولة في استانبول الا أن الوالي أجاب : «يشرفني أن أكرر الإخطار الذي كان قد قدم اليكم ، اذ أن امتياز الساده لينش وشركاه يتعلق بالفرات فقط ، وأن الحكومة العثمانية قد قررت أخيراً منعهم من الاحتفاظ ببواخر في دجلة ، وحيث أن «المجيدية» على أية حال قد وصلت بغداد قبل تسلم تعليمات الحكومة التركية فيسمح لها بتفريغ شحنتها وأضاف الوالي : «وقد أعطيت الاوامر النهائية لقبطان باخرتنا في القرنة ورؤساء البواخر الاخرى مطالباً إياهم من الآن فصاعداً عدم اعطاء أية حمولة لبواخر لينش . وانه أيضاً في حالة رغبتهم في السير على دجلة والرجوع الى بغداد فانه من الضروري اعاقتهم وعدم افساح الطريق لهم للدخول الى دجلة » .

وقد احتج المقيم البريطاني على ذلك وأشار إلى العواقب الخطيرة التي تهدد هذه الخطوة بإثارتها ، واعترض مرة أخرى على ما تشمله من تدخل في الخدمات البريدية البريطانية ، إلا أن الوالي أجاب بأنه مجرد شخص يعمل بموجب التعليمات وان البريد البريطاني يمكن ارساله بباخرة تركية .

وفي ٥ يوليه ارسلت الجندرمه تطبيقاً للادعاءات التركية إلى ظهر «المجيدية» التي كانت تستعد لرحلتها أسفل النهر ، فمنعوا المسافرين والشحنات من الوصول الى المركب ، ومارسوا وسائل متعددة لإهانة ومضايقة موظفيها وبحارتها ونقلت بضائع المواطنين التي كانوا ينوون نقلها على «المجيدية» إلى الباخرة التركية «الفرات» بدلا منها بناء على تلقين موظفي الجمارك التركية لهم . وفي ٦ يوليه تركت «المجيدية» بغداد متوجهة الى البصرة وعليها البريد البريطاني ، ونظراً لخلوها التام وخفتها فان ابحارها كان يعرضها للخطر . وكانت شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية تنقل الرسائل التركية الرسمية في مختلف الأوقات مجاناً كما كانت ترتبط بعقود لتسليم البضائع . كما أنها استؤجرت لنقل حمولات من البصرة لاعادة تصديرها الى الجهات الأعلى لذا فان الشركة قد استاءت

جداً بطبيعة الحال من هذه المعاملة الفظة واشارت مطالبة عن خسائرها راجية مساندة حكومة صاحبة الجلالة . وقد بعث المقيم البريطاني تبعاً لذلك باحتجاج رسمي مختصر آخر الى الوالي ، إلا أن هذا لم يلتفت اليه . وقد شاهد الرائد تويدي دلائل اضطراب في المدينة وخشي منه أن يؤدي إلى قلاقل تعرض حياة وممتلكات جميع الاوروبيين في بغداد للخطر ، ولذا قام ببحث الامر مع زميليه الفرنسي والروسي ، وكذلك الصعوبات التي يلاقيها في الولاية . وقد وعد الأول بمساعدته بتوجيه خطاب رسمي إلى الوالي إلا أن الاخير قال بأن رأيه لا يؤيد وجود أي خطر ورفض اتخاذ أي عمل .

وفي ١٤ يوليه وصلت باخرة بريد بريطانية ومن الواضح أنها الباخرة «خليفه» قادمة من البصرة ، وقد وضعت على ظهرها في الحال حراسة تركية ولم يسمح سواء للبحارة او الركاب بالنزول الى الارض كما منع أيضاً انزال طرود البريد البريطانية الى الارض . وفي المساء ارسل الرائد تويدي ترجماناً ليحتج عند الوالي على اجراءاته بأسلوب ودي غير رسمي ، إلا أن الوالي كان في جميع النقاط «متشدداً ومصمماً» مع أن اسلوبه كان مجاملا وان ما قاله عن الطرود البريدية كان لمجرد أنه يود أن يضطرهم (حرفياً) لارسالها الى البصرة ثم احضارها الى هنا مرة أخرى على ظهر باخرة «تركية» . وفي ١٥ يوليه تركت «خليفه» بغداد متوجهة إلى البصرة .

ومن الواضح ان السلطات التركية كانت تخشى اللجوء الى القوة في منع السفينة من المغادرة بعد أن كانت السلطات هددت بعمل ذلك . ويظهر ان الباخرة قد اضطرت لحمل رسائل البريد فقط دون حمولة أو ركاب .

وقد وصف المقيم البريطاني تأثير الاجراءات التي اتخذتها السلطات التركية بما يلي : « ان قوتنا المنظورة (وغير المنظورة) تختبر من بعد الآن

كل يوم بسبب وجود جميع رعايا صاحبة الجلالة من المواطنين الهنود والآخرين في هذا المكان » ومضى أبعد من ذلك في ملاحظاته العامة : وان الوضع في نظر هؤلاء الناس الجهلة أصبح وكأنه يشبه حرباً قد اندلعت بين انجلترا والباب العالي ، وقد انحصرت الاعمال العدائية لمدة ثلاثة أسابيع على جانب واحد ومن الطبيعي أن تكون وجهة النظر هذه خاطئة ، ولكن مظاهرها أخذت منذ البداية تخطو إلى أبعد من ذلك .

★ ★ ★

كما بلغني بشكل موثوق أن مكتب الملاحة العثماني قد لجأ الى رفع أسعار أجرة نقل البضائع بعد أن توقفت تجارتنا وتحول سير التجارة جميعها الى يد هذا المكتب لفترة قصيرة . وقد أدى هذا الامر إلى نفور الكثير من كبار أصحاب رؤوس الأموال والتجار الذين كانوا قد تواطأوا في التمهيد لهذه الضريبة الحالية . والحقيقة ان الملاحة في دجلة بين البصرة وبغداد كانت في قبضة فوضى الادارة التركية وجشعها وستنهار تدريجياً . ولا يوجد أحد من أصحاب رؤوس الأموال مهما كانت مخاطرته عظيمة من يستطيع المحافظة على مركزه طويلا تحت رحمة حكومة مترددة مثل هذه الحكومة ، وإن تجارة البلاد سوف تركن إلى القنوات القديمة أي بالزوارق الشعبية التي يسيرها أناس فقراء جداً وفي عمى عن التفكير بأي شيء أفضل مما في مقدورهم عمله ، ومع خضوعهم للاغتصاب إلا أنهم يلجأون الآن للتملص منه عن طريق الرشوة او الاحتيال وقيادة حياة المخاطرات التي تعود الاسيويون عليها كقاعدة لهم في حياتهم .

وقد اتخذت الحكومة أثناء ذلك تدابير فورية في استانبول ولندن لرفع الحظر عن الملاحة البريطانية . وفي ٤ أغسطس قام موسوروس باشا بابلاغ سكرتارية دولة صاحبة الجلالة للشئون الخارجية بأن «الباب العالي قرر موقتاً الغاء الاجراءات التي اتخذتها السلطات في بغداد فيما يتعلق بملاحة مراكب السادة لينش وشركاه في نهر دجلة » إلاأنه اوضح بأن هذا القرار مقيد بثلاثة شروط :—

١ ــ يجب ألا يفسر هذا القرار بأية حال من الاحوال بأنه ارتياب او تقليل من قيمة الحقوق التي يدعيها الباب العالي بخصوص الملاحة في دجلة .

٢ ــ ان مسألة هذه الحقوق ومدى طبيعة الامتيازات التي منحت للشركة يجب تدقيقها ومناقشتها بين الحكومتين .

٣ ــ يجب الا تكون هناك قضية للمطالبة بالتعويض بسبب ما حدث .

وقد ابلغ لورد جرانفيل السفير التركي أنه لا يستطيع قبول الشرط الاخير من هذه الشروط .

وفي ٤ أغسطس توقفت عمليات مقاومة شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية في العراق التركي . وفي ٢٠ أغسطس انهيت المقاومة لها نهائياً .

ويظهر من الملاحظات التي قدمها السفير التركي في لندن إلى السير ج . بونيفوت في ١٥ أغسطس ان الوثائق المتعلقة بالملاحة البريطانية على دجلة والفرات وخاصة تلك التي عينت فيها تسوية سنة ١٨٤٦ قد ترجمت من قبل السلطات البريطانية والتركية بشكل مغاير إلا أنه لم يظهر من مناقشة ترجمتها المناسبة أن هذه المناقشات ستؤدي إلى نتيجة او إلى اتفاق عام حسب ما تؤديه من معنى .

ويعزى تدخل الحكومة التركية في الملاحة البريطانية سنة ١٨٨٣ جزئياً على ما يبدو ، وكما ذكر الرائد تويدي ، الى دسائس مطامح محلية(١) لاحتكار الملاحة في دجلة . ومن الواضح ان الباب العالي لم يكتشف إلا سنة ١٨٨١ أن فرمان سنة ١٨٤٣ يشير إلى الفرات وليس الى دجلة وإلا لكان من المحتمل أن يضطره ذلك العمل به بعض الشيء . كما لوحظ أيضاً

---

(١) قيل ان مؤسسة يهودية في بغداد قد قدمت طلبا لذلك وانها حصلت على ترخيص لها بالملاحة .

أن التدخل هذا قد اتفق وقوعه مع ظهور القنصل الروسي لاول مرة في بغداد حيث لم يكن فيها الا القليل من رعايا روسيا الاوروبيين هذا اذا وجدوا ولم تكن التجارة الروسية قد وجدت بعد .

انشاء شركة ملاحة عثمانية سنة ١٨٩٤ :

وقد تم التصديق على تكوين شركة عثمان للملاحة على دجلة والفرات بمرسوم امبراطوري سنة ١٨٩٢. وقد ظهر ان هذه الخطة التي تبنتها تركيا منذ سنة ١٨٨٣ والتي كانت على وشك التحقيق (٢) سنة ١٨٨٨ على ارتباط بخطه أخرى لري الاراضي على جانبي دجلة مما اشترته الدائرة السنية او إدارة املاك السلطان الخاصة . وكان من المعلوم عن الشركة الجديدة هذه والتي كان يتوقع ان يكون رأسمالها ١٠٠,٠٠٠ جنيه أنها سوف تتمتع بمساندة الحكومة التركية الكاملة وانها ستستخدم أربع بواخر . وقد اوصت وزارة البحرية التركية فعلا على باخرتين من لندن مما يشهد بشكل كاف على الرعاية الرسمية التي توفرت لها إلا أن إحدى هذه البواخر فقدت مع كل من عليها في رحلتها الى الخارج وحولت الأخرى إلى استانبول .

تعطل الملاحة على دجلة ومحاولات او اقتراحات معالجتها ١٨٩٨ — ١٨٩٩ :

وبدأت جوالي سنة ١٨٩٨ مواجهة صعوبة شاذة في فصل انخفاض المياه في الملاحة بين القرنة والعمارة وبين كوت العمارة وبغداد أيضاً ، وقد تعرض الجزء الاكثر انخفاضاً من القطاعين المذكورين والذي يعرف عادة «بالمستنقعات» الى خراب أكثر بسبب قنوات الري التي عملها العرب والتي وجهت فتحاتها في اتجاه معاكس للتيار ، وكذلك لكونها واقعة تحت ادارتهم غير الخاضعة لاي اشراف علمي مما نزع بها دائماً الى

---

(٢) طلب مؤسسوها سنة ١٨٨٨ ايقاف البواخر البريطانية الا انه لم يكن بامكانهم الحصول على ذلك .

التوسع وسحب مياه أكثر واكثر من النهر وهكذا انخفض عمقها فغمرت الاراضي على كلا الجانبين .

وقد بذلت السلطات التركية بعض الجهود لمقاومة الضرر الا أن الاموال التي رصدتها الحكومة التركية لم تكن كافية كما ان أصحاب القنوات العرب امتعضوا من التدخل الرسمي في أملاكهم . وفي شتاء سنة ١٨٩٨ـ١٨٩٩ هاجم القبائل بعض الموظفين الاتراك الذين استخدموا للعمل هناك وجردوهم من ملابسهم واضطروهم للفرار حفاظاً على أرواحهم وليس عليهم من الملابس الا سراويل الكتان .

واقترحت شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية التي رأت خطورة تهديد مصالحها بأنه يجب على الباب العالي أن يتحرك ويمنح الحالة على النهر اهتماماً فورياً وخاصة الجزء الواقع بين القرنه والعمارة ، وان يتخذ التدابير لاغلاق أكثر القنوات إضراراً بالنهر والاصرار على تغيير رؤوس فتحات الري حتى تكون في اتجاه تيار الماء . واقترحت الشركة أيضاً أن يلحق مهندس من مؤسسة هندية بالمقيمية البريطانية في بغداد على أن تدفع حكومة الهند والوطن معاً مرتبه بنسبة متساوية لكي يقدم المشورة لما يتطلبه العمل ، ويشرف على تنفيذه .

وقد ارسلت هذه الخطة الى الحكومة الهندية والى المقيم في بغداد لأخذ رأيهما فيها الا أن الجهة الاخيرة لم توافق عليها مشيرة إلى ان النفقات التي تنطوي عليها ربما كانت أكثر مما باستطاعة الحكومة التركية مواجهته ، وأنه ربما تأثر بها ري ممتلكات السلطان الخاصة وأنها ستثير بالتأكيد معارضة القبائل العربية .

قضية جر الصنادل من قبل البواخر البريطانية ١٨٩٢ـ١٨٩٩ :

بقيت في غضون ذلك قضية استخدام شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية الصنادل دون بت فيها ، وقد استخدمت الشركة صنادل ولكن باذن فقط . وفي سنة ١٨٩٢ عندما تكونت شركة الملاحة العثمانية

الجديدة التي ذكرت سابقاً اقترح الممثل المحلي للسادة لينش الذي لم يعاود الضغط للمزيد من التسهيلات بأنه يجب ازالة جميع القيود المفروضة على استعمال الشركة للصنادل إلا أن سفير صاحبة الجلالة في استانبول اعتبر أن الوقت لم يحن بعد لتقديم مثل هذا الطلب .

وفي سنة ١٨٩٩ عملت شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية مرة أخرى على تسهيل الملاحة المعطلة في النهر ، وذلك بالسعي للحصول على اذن واضح لاستعمال الصنادل في فصل انخفاض المياه او على الافضل السماح لها باستخدام باخرة . وفي يونيه من السنة ذاتها استطاع السير ن. اوكونور سفير صاحبة الجلالة في استانبول الحصول بحجة الضرر الذي لحق بالملاحة على دجلة ، والذي لم تستطع الحكومة التركية معالجته ، على استصدار كتاب وزاري الى والي بغداد يسمح فيه للبواخر البريطانية بقطر الصنادل . وفي أغسطس سحب الاذن الذي منح بأمر من صاحب الجلالة السلطان مرة أخرى ولكن حيث إن التعليمات لم تعط للشركة البريطانية بمنع استعمال الصنادل فان حكومة صاحبة الجلالة أذنت للشركة بالاستمرار في العملية عندما يكون عندها شحنات متراكمة ما لم تمنع الشركة رسمياً عن ذلك وبأوامر خطية .

وهكذا بقيت المسألة أخيراً على حالتها الراهنة مع أن سفير صاحبة الجلالة طالب بأن التصريح الممنوح لا يمكن الغاؤه .

تراكم الشحنات في البصرة ١٩٠٤-١٩٠٥ :

وفي نهاية عام ١٩٠٢ تكدست الشحنات في البصرة بكمية ملحوظة نظراً لعدم مقدرة شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية على نقل البضائع المرسلة اليها لتوصيلها الى بغداد حال تسلمها بسبب تقييد وسائل النقل .

وقد بلغت كمية البضائع المتراكمة والملقاة في مستودعاتها في البصرة في الأول من ديسمبر سنة ١٩٠٢-٢,٥٢٦ طناً ، وقد زاد المشكلة تعقيداً

عدم الطمأنينة على النهر مما دفع الحكومة التركية الى ان تمنع موقتاً تحميل البضائع القيمة في مراكب شراعية أهليه . واقترح الرائد نيومارش المقيم البريطاني في بغداد ازاء هذه الظروف تقديم طلب الى الباب العالي نيابة عن الشركة لمنحها حق استعمال باخرة ثالثة ، إلا أنه لم يظهر من سجلات الحكومة الهندية فيما اذا كانت قد اتخذت اجراء ما بذلك الخصوص في استانبول . وبحلول شهر سبتمبر سنة ١٩٠٣ كانت مشكلة تكدس البضائع قد حلت وفقدت المناقشات التي ترتبت على ذلك ما يبررها .

انشاء مكتب الملاحة الحميدية «التركي» ١٨٩٠–١٨٩٤ :

وكانت البواخر التركية العاملة على أنهار العراق تشغل من قبل الإدارة العثمانية التي كانت فرعاً من وزارة البحرية التركية . وحدث في وقت مبكر من سنة ١٩٠٤ أن حولت المراكب والآلات الهندسية والمكاتب والممتلكات الادارية الاخرى الى الدائرةالسنية(١) وهي ادارة الخاصة الملكية للسلطان مقابل دفع مبلغ ٩,٥٠٠ جنيه تركي . وقد سميت الادارة الجديدة هذه التي شكلت ادارة الخاصة الملكية بمكتب الملاحة المجيدية ، وقد كان عدد البواخر التي اضطلع بها المكتب عند تكوينه اربع بواخر ، «بغدادي» و «الفرات» و «الرصافة» و «الموصل» ، مع صندلين وباخرتين جديدتين هما «الحميدية» و «البرهانية» اللتين بنيتا في اسكتلندا والحقتا جميعاً بالمكتب في السنة الاولى من عملهما بالاضافة إلى اربعة صنادل جديدة .. ومع أن الباخرتين الجديدتين لم تكونا وفق مواصفات العقد إلا أنهما كانتا حديثتين من الدرجة الاولى ومزودتين بالإضاءة الكهربائية والأنوار الكاشفة وهما من كل جهة ارقى من أي شيء تمتلكه شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية .

---

(١) ستجد بيانا كاملا عن الدائرة السنية فى العراق التركى فى المجلد الثانى من هذا الدليل فى بند العراق التركى ص ٨٦١ ــ ٨٦٨ .

وقد استخدم النفوذ الرسمي لتحويل العملاء من الشركة البريطانية الى خط السلطان ولكن لم يتوفر لذلك النجاح . وكان متوقعاً أن تؤدي المنافسة الى تخفيض أجور النقل مما تفيد منه التجارة عادة بما فيها تجارة التجار البريطانيين .

طلب السادة لينش الترخيص لهم بتسيير باخرة ثالثة سنة ١٩٠٥ :

وفي سبتمبر سنة ١٩٠٥ طلبت شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية بواسطة المقيم البريطاني في بغداد مساعدة حكومة صاحبة الجلالة في الحصول على ترخيص لتسيير باخرة ثالثة على دجلة إلا أن السفير البريطاني في استانبول اعتبر أنه لا يمكن للطلب في الوقت الحاضر أن ينال أي أمل بالنجاح .

محاولة السير ج. مكنزي استئجار البواخر التركية :

وجرت في اكتوبر سنة ١٩٠٥ محاولة لتأجير تشغيل مكتب الملاحة الحميدية التركي لمدة ٣٠ سنة للسيد سي. ثيودوريدي وهو وكيل بواخر في استانبول والسير جورج مكينزي الممول الرئيسي للمؤسسة البريطانية المعروفة باسم جراي ومكينزي وشركاهم في البصرة مقابل قرض مقداره ١٠٠,٠٠٠ جنيه تركي على أن يُقسّم صافي الدخل السنوي ، بعد عمل احتياط لتأمين ولفائدة القرض البالغة ٥٪ وخصم ٣٪ سنوياً لدفع الدين المستهلك وجميع النفقات المنصرفة ، بين ادارة الخاصة الملكية والمستأجرين بنسبة ٩ : ١ ويشمل هذا المخطط مثلما كان الحال احتكاراً لحقوق الملاحة على دجلة وشط العرب والفرات عدا عن كونه ضد السادة لينش وأنه سوف يضع كافة النقل النهري في العراق التركي تحت السيطرة البريطانية وأنه يمكن أن يدخل في نفس الوقت العنصر المفيد من المنافسة الفعالة الذي بقي ناقصاً حتى الآن ، وعلى أية حال فان المفاوضات المتعلقة بهذا الشأن قد انتهت على ما يبدو بالفشل .

قضايا الرى وضبط الأنهار فى العراق التركى
١٨٧٦ ـ ١٩٠٥

تعتبر امور الري وضبط دجلة والفرات لمنع الفيضانات من الشئون الحيوية ان لم تكن ذات الاهمية القصوى في العراق التركي ، ولم يبدأ مع ذلك بإيلائها الاهتمام الذي تستحقه في عصر عبد الحميد .

الفرات :

ومشكلة العراق الرئيسية في الفرات هي اولا حركة النهر في الجهة الغربية خارج قناته الخاصة وجريانه عبر الحلة في قناة أخرى تعرف بشط الهندية المارة بطويريج والكوفة ، وثانياً ميل النهر في جزء منه إلى الاندفاع خارج ضفته اليسرى أعلى المسيب وغمره الاراضي الواقعة بينها وبين بغداد .

وفي سنة ١٨٧٨ كان أكثر من نصف مياه الفرات ما يزال كحاله في سنة ١٨٤٩ يتدفق في قناة الحلة ، إلا أن التيار الرئيسي في سنة ١٨٨٦ كان قد سحب(١) الى الهندية وكانت النتيجة أن هددت الزراعة على القناة السابقة بالزوال في حين ان الاراضي التي تقع على المجرى الجديد للنهر أصبحت معرضة للفيضانات المدمرة . وقد حصلت الحكومة التركية على خدمات السيد م. شكوندوفير المهندس الفرنسي الذي أقام سداً صغيراً في الهندية على مقربة من رأس القناة سنة ١٨٩٠ او سنة ١٨٩١ وأمكن تحويل النهر عن مجراه القديم بشكل جزئي موقت . وفي يوليه سنة ١٩٠٣ تبعثر الجزء الاوسط من السد(٢) وفي السنة التالية كان كل مياه الفرات بالفعل ينحدر في الهندية .

---

(١) يعزو السير و . ويلكوكس هذا التغير في هذا الجزء من النهر الى اغلاق مدحت باشا لقناة الصقلاوية . راجع الفقرة التالية من هذا المرجع وصفحة ١٢ من كتاب السير و . ويلكوكس « الرى فى بلاد الرافدين » .

(٢) ربما لم يقفل الممر في الوسط راجع كتاب السير و . ويلكوكس « الرى فى بلاد الرافدين » ص ١٢ .

وكانت قناة الصقلاوية في الاوقات السابقة تبتعد عن ضفة الفرات اليسرى بمسافة قصيرة أعلى الفلوجه ثم تدخل على بعد عدة أميال جنوبي بغداد مكونة مصرفاً للمياه الزائدة عن النهر ، وكان عمقها في سنة ١٨٣٨ كافياً للسماح بمرور باخرة بريطانية ، وفي الفترة الاخيرة قفل مدحت باشا والي بغداد هذه القناة من عند رأسها ليمنع الفيضانات التي تمتد في فصل ارتفاع النهر الى ما يجاور بغداد . وقد أدى هذا العمل ما هو مطلوب منه إلى حد لا بأس به إلا أنه حدثت فيما بعد ثغرات في أماكن متعددة على ضفة الفرات اليسرى وكانت الفيضانات تصل من وقت لآخر جدران بغداد . وفي سنة ١٨٧٧ قيل إنه صرف ١٢,٠٠٨ جنيهات لتقوية سدود الفرات في نقاط مختلفة . ومع أن الاراضي التي تقع شمال غربي بغداد غمرتها المياه المتسربة من النهر في ربيع سنة ١٨٧٨ فان معظمها وجد له في الاخير طريقاً الى دجلة .

دجلة :

أما دجلة فكانت توجد عقبات محددة ترتبط بضبطة ذكرت سابقاً في موضوعات الملاحة ، ويمكن الاضافة الآن بأنه وقعت في سنة ١٨٨٦ مضايقة كبيرة لشركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية من مشروع لانشاء قناة جديدة من ضفة دجلة اليمنى في الدجيلة على بعد عدة أميال أسفل كوت العمارة بقصد ري الاراضي التي حصلت عليها ادارة الخاصة الملكية للسلطان . ويبدو أن السادة لينش كانوا يخشون من تحويل النهر تحويلا كبيراً على نحو ما حدث للفرات مع شط العرب . وقد أشاروا إلى مخاوفهم هذه فأعطيت التعليمات لسفير صاحبة الجلالة في استانبول عقب احتجاجاتهم للاتصال مع الباب العالي ، وسواء نفذت القناة بالتالي مع تعديل من قبل الدائرة السنية او لم تنفذ فانه لم يظهر عنها شيء في سجلات الحكومة الهندية وربما بولغ في أهمية المسألة .

مشروعات السير و. ويلكوكس لري بلاد الرافدين :

وبعد طول انتظار بدأ الاهتمام بمسألة ري وضبط الانهار في بلاد الرافدين، وكان أصل الموضوع اهتماماً خاصاً بداه المهندس الانجليزي الشهير و. يلكوكس الذي صمم سد أسوان على النيل والذي كان مديراً لخزانات المياه في مصر . وقد القى في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٣ في اجتماع للجمعية الجغرافية الخديوية محاضرة (١) عن «تجديد العراق» وضح فيها الاستنتاجات التي توصل اليها فيما يتعلق برى العراق التركي . وكانت معلوماته عن البلاد في ذلك الوقت قد استقى معظمها من كتابات الكوماندر فيلكس جونز من الاسطول الهندي ، وقد زار السير و. ويلكوكس بغداد في شتاء سنة ١٩٠٤ – ١٩٠٥ وقضى عدة أسابيع في تقصي احوال الاقليم الطبيعية والزراعية ، وبعد عودته الى مصر وضع تقريراً ناقش فيه مسألة وضع سائر الاراضي من هيت وسامراء الى الخليج تحت الري الدائم ، ووضع في المقدمة مشروعين تحضيريين للمباشرة السريعة يعتمد احدهما على دجلة ويعتمد الآخر على الفرات. وتوفر هذه المخططات الاولية استصلاح مليون فدان من الاراضي بتكلفة مقدارها ٧,٥ مليون جنيه استرليني . وتوقع السير و. ويلكوكس مردوداً حسناً لهذه التكاليف . وفي سنة ١٩٠٥ قام السفير البريطاني في استانبول بلفت النظر السلطات الى مشروع الفرات إلا أن المشروع لم يلق الاستحسان بسبب ضخامة التنفيذ الذي يقتضي ضرورة تكوين شركة له . وحتى تعرف الشروط التي تطلبها الشركة فانه سوف لا يعلن عن أي رأي باجازة هذه الخطة وعلى أية حال فان جلالته أبدى رغبة في تزويده بملخص بالتركية عن مقترحات مستر و. ويلكوكس .

---

(١) ربما يعذر الكاتب الحالى لذكره سلسلة من مصادفاته الشخصية اذ كان موجودا فى القاهرة سنة ١٩٠٣ عندما القى السير و . ويلكوكس محاضرته الاصلية هناك وتمتع معه بضيافة المقيمية السياسية فى بغداد سنة ١٩٠٥ عندما كان يشرف عليها الرائد نيو مارش وكان له فى الفترة الاخيرة من سنة ١٩٠٩ الى سنة ١٩١١ عندما عين السير و . ويلكوكس مستشارا لوزارة الاشغال العامة التركية فى العراق التركى علاقات رسمية حيث كان مقيما سياسيا في بغداد .

مسألة المواصلات البرية في العراق التركي
١٨٧٦ ـ ١٩٠٤

طريق بغداد ـ حلب :

على الرغم من التدابير التي اتخذها مدحت باشا قبل بضع سنوات لتأكيد الامن على الطريق المباشر المار في وادي الفرات بين بغداد وحلب إلا أن الطريق ما يزال غير آمن . وقد حدث في يوليه سنة ١٨٧٨ أن نهبت عليه قافلة كانت مسافرة على مقربة من ميا الدين بمبلغ قيل إنه وصل إلى ٣,٠٠٠ جنيه . وكان الطريق الملتف الذي يمر في الموصل وديار بكر ما يزال حتى سنة ١٨٧٨ الطريق الملتف الاكثر تداولا من قبل المسافرين بين بغداد وحلب . وكانت الحكومة التركية توجر الخيل في المراكز التي على هذا الطريق ، كما كانت الطريق من بغداد الى الموصل تمر في موقعي (الصلاحية) وكركوك واربيل وكان عليه ١٣ محطة للتبديل. وكانت اجرة الحصان ٣,٥ قرشاً في الساعة (حوالي ٧ بنسات) وتصل ساعات العمل بين بغداد والموصل الى ١٠٠ ساعة . وعلى أية حال فقد تغلب طريق وادي الفرات شيئاً فشيئاً نظراً لانه أكثر ملاءمة وأقصر طولا وأخذ الامن يستتب عليه تدريجياً . وبحلول نهاية الفترة التي نحن بصددها الآن كان هذا الطريق قد حل محل الطريق المنافس له تماماً وبدأت عربات المسافرين تغدو عليه .

ترام بغداد الكاظمية :

واستمر الترام الذي افتتحه مدحت باشا بين بغداد والكاظمية في الازدهار كمشروع تجاري طوال هذه الفترة ، وفي سنة ١٨٧٨ ذكر أن الخط يسدد سنوياً مئة في المئة من التكاليف الاصلية البالغة ١٨,٠٠٠ جنيه مع أن أجرة الرحلة عليه كانت تعادل ٢,٥ بنس فقط وأن أسهم المشروع التي ارغم مدحت باشا مرؤوسيه الرسميين على شرائها على غير

رغبه منهم لم يعد بالمستطاع شراؤها في بغداد إذ لا يوجد بائعون لها .

ووصف أحد الرحالة(١) الوضع المحلي للترام بالشكل الآتي :—

« رغم الرد الطبيعي الذي تكون لدى الاتراك حول النبوغ الغربي فان ذلك لم يمنع البغداديين من إظهاز زهوهم بالترام بالقدر الذي يزهو فيه الفرنسيون بفتح قناة السويس او مد الأمريكيين لسكة حديد نيويورك — سان فرانسيسكو » .

انشاء بريد تركي بين بغداد ودمشق :

وأنشأت الحكومة التركية سنة ١٨٨١ مواصلة بريدية بين بغداد ودمشق بواسطة الجمال تسير جنباً إلى جنب مع بريد الهجانه البريطاني القديم . وبهذا توفر خط اتصال بين بغداد واستانبول أكثر سرعة من ذلك الذي بين الموصل وديار بكر . وربما ينحصر قريباً استعمال الاخير لنقل الرسائل فقط . ويمكن الحصول على معلومات أكثر عن هذا البريد الذي استمر وجوده إلى نهاية هذه الفترة في الملحق بعنوان المواصلات البريدية .

المشاريع البريطانية للسكك الحديدية في العراق التركي ١٨٧٨—١٨٧٩ :

ولقد صرف مبتكرو فكرة سكة حديد وادى الفرات بين البحر الابيض المتوسط والخليج النظر عن فكرتهم سنة ١٨٧٢ بعد ١٦ سنة من الجهد فشلوا خلالها في تجنيد دعم الحكومة البريطانية المالي . وتلاه مشروع بريطاني آخر لسكة حديد وادى دجلة . وقد اقترن اسم دوق سوذرلند بالمخطط الاخير . هذا ويبدو أن السيد أندرو عندما يئس من نجاح مشروعه الخاص السابق قد اولى المشروع الاخير مساندته . وكان المخطط الذي ينوى اتباعه ذلك الذي يربط ديار بكر والموصل وبغداد والكويت بخط حديدي جديد ، وقد سعى للحصول على كفالة من الحكومة البريطانية بقيمة رأس المال الذي سيصرف على المشروع ويبلغ ٢٠ مليون

---

(١) مدام بلوفوى « من باريس الى كلدية عبر السويس » .

جنيه إلا أنه لم يستطع الحصول على هذه الكفالة ولحق المشروع الجديد بمصير سابقه ومن بين الذين شغلوا أنفسهم في المشروع مثلما حدث في المشاريع المنافسة الاخرى والتي أصبحت الآن لا تقل في عددها عن تسعة القائد ف. ل. كمرون من الاسطول الملكي الذي سافر في شتاء سنة ١٨٧٨–١٨٧٩ إلى العراق وعمل مسحاً للاراضي التي سيخترقها الخط .

المشروع الالماني لسكة حديد بغداد وامتيازه ١٨٩٨–١٩٠٥ :

وورد في تقرير سنة ١٨٩٨ وجود مسعى في استانبول لاخذ امتياز لسكة حديد تمتد من البحر الابيض المتوسط الى الخليج باسم الكونت كابنست وهو من رعايا روسيا . وكان هناك سبب للاعتقاد بأن روسيا تهدف الى انشاء محطة وقود في الكويت وعلى أية حال فان هذا المشروع حتى لو وجد حقيقة فانه لم يكن ليكتمل . وكانت نتيجته الوحيدة عقد اتفاقية هامة كما شرح في الفصل الخاص بتاريخ الكويت بين شيخ الكويت والحكومة البريطانية وسرت إشاعات في نفس الوقت تقريباً بمناسبة زيارة امبراطور المانيا لتركيا التي لم تؤخذ في ذلك الوقت على محمل الجد عن مشروع الماني لربط بغداد باستانبول بخط حديدي . وكان المشروع نتيجة طبيعية لتطور المشروع الالماني للخط الحديدي السريع في آسيا الصغرى منذ أن قام البنك الالماني وبنك ورتبرج فرينز سنة ١٨٨٩ في تأسيس سكة حديد الاناضول العثماني .

١٨٩٨ – ١٩٠٣ :

ولا نستطيع الدخول هنا في تفاصيل الخطوات التي قام بها الممولون الالمان أخيراً في تأمين امتياز لتوسيع سكة حديد الاناضول من قونيه الى الخليج او الظروف التي حرمت الممولين البريطانيين من المساهمة في المشروع مع أنهم منحوا الفرصة التي كان من رأي كبار رجال الدولة البريطانيين وجوب قبولها . ويكفي القول بأن انتقال حقوق الافضلية في المشروع الى شركة سكة حديد الاناضول قد صادقت عليها الحكومة

التركية في نهاية عام ١٨٩٨ ووقعت في سنة ١٨٩٩ اتفاقية بالحروف الاولى بين الباب العالي والشركة . وبعد أن دققت بعثة فنية المانية سنة ١٨٩٩–٩٠٠ في نتائج الخط التجارية المتوقعة والمنتظرة قدمت مسودة اتفاقية ، وفي ٢١ يناير سنة ١٩٠٢ ظهرت الاتفاقية الى الوجود واخيراً في مارس سنة ١٩٠٣ عقدت اتفاقية منقحة محددة تصادق على المشروع وتحدد في تفصيل كبير طريقة تنفيذه . وورد في اتفاقية سنة ١٩٠٣ أن أصحاب الامتياز تعني شركة سكة حديد الاناضول . وسوف يمر في هذا الملحق كيف تشكلت شركة عثمانية تحت اسم الشركة العثمانية الامبراطورية لسكة حديد بغداد التي حلت محل شركة سكة حديد الاناضول العثمانية ، والتي اختصت بالخط لحديدي المار بين قونيه والخليج مع تفرعاته .. وكانت الشروط والاجراءات التي حددت تنفيذ تكوين شركة سكة حديد بغداد طبقاً للاتفاقية وترتبط بها وتم التوقيع عليهما معاً .

١٩٠٥ :

وحتى نهاية عام ١٩٠٥ لم تقم انشاءات او أعمال مما نص عليه الامتياز في منطقة العراق التركي .

تأثير خط حديد بغداد على المصالح البريطانية :

وإذا تركنا أمر التفاصيل جانباً فاننا يمكن أن نلاحظ أن للمشروع مظهراً فيما يخص بريطانيا بالذات وهو تأثيره البالغ على مركز بريطانيا العسكري والسياسي والتجاري في الخليج ، فقد كان من المعتقد بصفة عامة أن اكمال خط حديدي من القسطنطينية حتى شواطىء الخليج تحت رعاية الالمان والاتراك سيجعلهم يتحكمون فيه بل وينفردون به بل كان يعتقد أيضاً ان إكمال هذا الخط يحمل في طياته تهديداً محتمل الوقوع لهذا المركز ، ولذلك فقد كان ضرورياً أن يمنع تنفيذ المشروع ان كان ذلك ممكناً ، إلا اذا حصلت بريطانيا على نصيب كاف من إدارة الخط الحديدي . وكان ضرورياً كذلك معارضة انشاء ميناء عند نهاية الخط في الخليج

تحت شروط تحول دون صيرورة هذا الميناء خطراً على المصالح البريطانية ، ومهما يكن من شيء فان هذه الآراء لم تحرز قبولا دولياً في بادىء الامر ، أما آراء حكومة الهند فيما يتعلق بالمشكلة فقد ارسلتها الى جكومة صاحب الجلالة فيفبراير عام ١٩٠٤ في رسالة رسمية فيما يلي جزء منها :—

« إننا لسنا من أنصار هذه الآراء التي ظهرت في بعض الاوساط دفاعاً عن مركز بريطانيا العظمى في جنوب إيران والخليج فيما يتعلق بانشاء خط حديد بغداد . ونحن لا نوافق على هذه الفكرة التي تقول إن مصالحنا السياسية والاستراتيجية في هذه المناطق يمكن أن يحميها حماية أكيدة تفاهم مع ألمانيا . وفي رأينا أن مصالح ألمانيا في العراق والخليج ربما كانت عدائية لمصالحنا أكثر مما هي نافعة لها ، ولا نرى سبباً كافياً للاعتقاد أن هناك تجمعاً دولياً ينبغي علينا أن ننظر اليه كركيزة لمصالحنا او تأثيرنا في هذه الناحية . وان هذه الآراء قد قيلت منفصلة عن المشكلة التي لم يؤخذ رأينا فيها ألا وهي مشكلة الإكمال التام لخطوط حديد آسيا الصغرى الالمانية حتى الخليج ، لاننا نظن أن أحد مبادىء حكومة جلالة الملك التي لا يمكن النقاش فيها هو أنه لو أن هذا الخط امتد إلى جنوب بغداد فان ذلك لا يمكن أن يتم دون تعاون بريطانيا وموافقتها ، وأنه لا يمكن اختيار ميناء عند نهاية الخط إلا اذا وافقت بريطانيا كذلك ، وإلا اذا جعل هذا الميناء مفتوحاً وذا صفة دولية . زد على أنه ذلك حكومة جلالة الملك لو سلمت بهذه الآراء أيضاً فاننا نعتقد أنه إذا أحيطت ألمانيا علماً بها فلن ينتج عن ذلك إلا النفع ، وذلك خشية أن تجأر بالشكوى من أنها لم تكن على علم بسياسة بريطانيا أو نواياها ، وذلك عندما يصل خطها الحديدي إلى بغداد .

وقد استلزمت إقامة هذا الخط الحديدي الذي كان مجرد مشروع ثم ظهر الى الوجود جمع مبالغ كبيرة من الاموال كرأس مال لان الصعوبات الهندسية في بعض مراحل هذا الخط كانت صعوبات كبيرة ، وكان يتوقف تطمين المستثمرين على ضمانات مالية من شأن الحكومة

التركية أن تمنحها لاقامة الخط والعمل فيه . وقد أملت بعض السلطات البريطانية أن يكون مثل تلك العقبات كافياً لتوقف العمل بالمشروع قبل أن يمضي قدماً في التنفيذ ، خصوصاً وأن المتاعب بدأت فعلا أخطارها بإحجام بريطانيا عن المشاركة في المشروع ، ولكن آمال هذه السلطات كانت باطلة ، فألمانيا كانت مدركة لمشاق وأخطار الانفراد بالمشروع ونقصد به خط بغداد الحديدي ، ولكنها لم تقعد عن القيام به لانها كانت واثقة من مقدرتها السياسية والمالية في أن تنجح في تنفيذه حتى ولو كانت بمفردها .

والأثر الوحيد الواضح الذي نشأ عن موقف بريطانيا هو تأجيل القرار الخاص بالموقع الذي يجب أن يصل اليه الخط الحديدي في منطقة الخليج ، وكما بيناً في الفصل الخاص بتاريخ الكويت فانه يبدو أن اللجنة الفنية الالمانية التي زارت كادبامه في خليج الكويت في بداية عام ١٩٠٠، قد فضلت اختيار هذا الميناء كنهاية للخط الحديدي ولكن الممثلين السياسين البريطانيين الذين أوفدوا إلى الباب العالي والى السفير الالماني في القسطنطينية في إبريل عام ١٩٠٠ عطلوا ذلك بحجة وضع الكويت السياسي. وعندما قدمت شركة الخطوط الحديدية للاناضول إلى الحكومة التركية اقتراحات محددة عن انفاق خطوط حديد بغداد وذلك في خريف عام ١٩٠١ اقترحوا فيما يبدو نهاية للخط عند أسفل شط العرب قرب فاو بدلا من أن تكون النهاية عند الكويت . ومهما يكن من شيء فان الباب العالي كان يكره الموافقة على هذا التدبير الذي يعني الشك في شرعية دعواه في السيادة على الكويت ، وأخيراً نص في اتفاق عام ١٩٠٣ ، كتسوية ، واغفالا للمشكلة بعض الوقت ، على أن الخط يجب أن يمتد من بغداد ماراً بكربلاء والنجف الى الزبير والبصرة ، ومن الزبير يجب أن يمتد إلى نقطة على الخليج ، « وذلك عن طريق الاتفاق الودي بين حكومة الامبراطورية العثمانية وصاحب الامتياز » .

العلاقات البريطانية مع العرب والايرانيين فى العراق التركى ١٨٧٦ ـ ١٩٠٥

لم يكن ممكناً للبريطانيين موظفين أم مقيمين أم مسافرين في العراق التركي إلا أن يتصلوا بالعرب الذين يكونون عدد السكان جميعاً في المنطقة تقريباً ، او الايرانيين الذين تعيش منهم جاليات كبيرة في الكاظمية وكربلاء والنجف ، ولكن السلطات التركية المحلية كانت تنظر بريبة كبيرة إلى هذه العلاقات التي تنشأ نتيجة لمثل ذلك الاتصال ، وكانت هذه هي الحال بعد الحرب الروسية عام ١٨٧٧–١٨٧٨ .

شك تركيا في الاتصالات البريطانية بالقبائل العربية ١٨٧٧ :

ففي عام ١٨٧٧ وضعت السلطات الرسمية العقبات في طريق رحلة أزمع القيام بها مستر و. س. بلانش والسيدة آن بلانت بين القبائل العربية في شمال بلاد ما بين النهرين ، ولكنهما نجحا أخيراً في القيام بها . وقد وصف موقف السلطات التركية في هذا الشأن كما يلي(١) :—

« لقد كانت الحكومة التركية دائماً تحنق على الدسائس الاجنبية بين قبائل البدو التي كان من سياسة تركيا أن تبقيهم كالاطفال لا يعلمون شيئاً مما يجري في العالم الخارجي ، وكان من سياستها أيضاً أن تبذر بذور الخلافات بينهم . وكما شرحت من قبل ، ولست أدري إن كان ذلك من حسن الطالع او حسن التدبير ، بأن أكثر القبائل خطراً كانت في هذا الشتاء مشغولة بحرب أهلية طاحنة ، ومما لا شك فيه أن السلطات كانت تعتقد أنه من المؤسف أن يتدخل في مثل تلك الاحوال التي ترضيها مجرد اناس فضوليين من اوروبا ربما أنهوا إلى البدو أنباء الاحوال السيئة التي تردى فيها السلطان في بلغاريا ، وبالحصون والطرق الحربية التي خلت من الجنود في سوريا . ولقد كان شعار «فرق تسد» شعاراً ممتازاً . وحاول

(١) كتاب السيدة آن بلانت : بدو الفرات حـ ١ ص ١١٠ ـ ١١١ .

الاوروبيون قبل الآن أن يوحدوا القبائل ضد الحكم العثماني او يعتقدوا صلحاً بينهم قائماً على دوافع إنسانية حمقاء فما الذي يخشون عليه ما دام كل مطلع شمس قد يجيء بأخبار مشئومة تهدد بتداعي الامبراطورية ، ومن المعروف ان انجلترا كانت لها أطماع في الفرات ، فماذا إذن يكون الاحتمال المرجح إلا أن تكون بعثتنا بعثة شبه رسمية لنعرف واقع هذه البلاد تماماً ؟ » .

وبالرغم من كل شيء فان وساطة القناصل الاجانب كانت ما تزال تطلب أحياناً من قبل البارزين من العرب الذين كانت لهم مشكلات مع الحكومة التركية ، وفي نفس هذه السنة طلب سمير وهو شيخ من قبيلة شمر الشمالية (وكان طريداً للعدالة) الخدمات الجليلة من قبل الرائد نيكسون المفوض البريطاني في بغداد ، ولكن نتيجة هذا الطلب ليست معروفة .

الشعور المحلي نحو الحكومة البريطانية ١٨٧٨ :

وقد صور رحالة بريطاني في عام ١٨٧٨ مشاعر السكان الاكثر تمدنا في المنطقة ممن هم من غير الاتراك على أنها أكثر ميلا الى الحكومة البريطانية منها للولاء المتحمس للباب العالي ، فلقد قال هذا الرحالة(١) :

« ... بدا أن رجالا من الاسر البغدادية العريقة الذين يدينون بالاسلام وأناساً من العرب والمسيحيين كانوا يعتقدون أن أيام حكم السلطان معدودة وأن استقلاله لم يعد له وجود في الوقت الحاضر .

ولقد سئلت غير مرة من قبل مسلمين من ذوي النوايا الحسنة : لماذا لم تأت انجلترا وتتسلم مقاليد الامور في الوطن ليظل بعيداً عن الروس ؟ ولقد أنبأوني أن الناس جميعاً سيسرون لهذا التغيير لأن السخرة وضرائب الحرب قد جعلت الناس متذمرين تماماً ، وقالوا : إن البلاد سوف تزدهر لو حكمتها انجلترا ، فسرعان ما ستزداد التجارة وتختفي السخرة ،

---

(١) جيرى فى كتابه : فى تركيا الآسيوية حـ ١ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

ولقد وجدت أن حضارة .بومباي وبهاءها قد شغلا فراغاً كبيراً في خيال الناس في بغداد ، وان التجارة والرخاء والمباني الجميلة في ذلك الميناء الهندي كان مرجعها ، حسبما ظنوا ، أنها تحت الحكم البريطاني ، فالعرب الذين يزورون بومباي كل عام لاغراض التجارة ليسوا قلة بأي حال ، وعند عودتهم يسهبون في الاوصاف البراقة عن ثرائها وروعتها التي يجب أن نعترف أنها تفوق بكثير أي شيء يرونه في بغداد المتخلفة ، ولا يعتبر السكان العرب استبدال حكم السلطان بالحكم البريطاني في هذه المنطقة نكبة بل العكس هو الصحيح . ومن رأي الرجال الذين توفرت لديهم فرص كافية لتكوين رأي صحيح أنه لا يوجد أحد ، باستثناء الموظفين والجنود ، يمكن أن يقاوم أدنى مقاومة ليمنع إتمام مثل هذه المهمة ، ولكن الأمر يختلف تماماً عندما يتم هذا الاستبدال فيما اذا كان السكان من العرب الرحل سوف يخضعون طويلا وعن طيب خاطر لحكم الكفار وخاصة إذا أذكى ذلك فيهم رجال الدس من الخارج . والحرب الطاحنة الطويلة هي الطريقة الوحيدة اربط هذه البلاد إلى بريطانيا ربطاً مستمراً إن كان ذلك شيئاً ممكناً ومطلوباً من الناحية السياسية ، ولكن هذا ليس مطمئناً فالتوسع في ذلك الجزء من العالم سوف يفرض آخر أمر نفسه على أي سياسي انجليزي ، ومن أجل هذا نفسه فقد فوجئت بعديد من الاستفسارات عن إمكانية وضع هذه البلاد تحت الحكم الانجليزي في يوم ما . وهذا الاستنتاج له شقان ، فالسكان بطريقة او بأخرى قد اقتنعوا بالاعتدال والعدل اللذين يميزان حكمنا ، كما ان الرأي العام يمهد الطريق تدريجياً لتغييرات كبيرة » .

التدخل البريطاني في مشكلة المنتفك ١٨٨١ :

وفي عام ١٨٨١ أدت الاضطرابات التي هزت منطقة المنتفك وهددت بصورة غير مباشرة الملاحة والتجارة في نهري دجلة والفرات إلى أن يقترح المفوض البريطاني في بغداد «مستر بلاودن» تدخل سفير

صاحبة الجلالة البريطانية في القسطنطينية ، وقد بين مستر بلاودن أن تأثير «المنتفك» يمكن أن يكون له في بعض الطوارىء فائدة كبرى للمصالح البريطانية وأن اكتساب صداقة تلك القبيلة له ما يبرره . ولهذا فقد أوصى كعلاج للاضطرابات القائمة بأن يعاد إنشاء ولاية البصرة التي الغيت في العام السابق ، وأن يعين عليها ناصر باشا الذي رأى فيه مستر بلاودن حاكماً قوياً وقديراً وصديقاً للمصالح البريطانية ، ولأنه كان قد تولى سلطة البصرة منذ أعوام قليلة ، ولكنه كان قد أبعد واستبقى في القسطنطينية لأسباب سياسية .

ومهما يكن من شيء فقد فشل ذلك المسعى لانتهاجه وسائل إحياء أساليب كان يمكن أن تنجح في عصر العقيد رولنسون وكابتن كمبول ولم يعد ناصر باشا إلى وطنه ولا أعيد إلى السلطة كما اقترح لورد دوفرين ولم تتم إعادة ولاية البصرة إلا بعد ثلاث سنوات كانت نصائح السفير البريطاني وقتها في حكم النسيان .

قضية قاسم باشا الزبير ١٨٨٣ :

وفي عام ١٨٨٣ ألحت الحاجة بضرورة تقديم الحكومة البريطانية وساطتها الحميدة إلى قاسم باشا الزبير «شلبي البصرة» الذي أدى خدمات جليلة عام ١٨٧٢ جعلت القراصنة الذين هاجموا سفينة البريد البريطانية «كشمير» يمثلون أمام العدالة ، والذي استرد جزءاً من الاشياء المنهوبة في ذلك الهجوم . وكان الشلبي قد استدعي الى القسطنطينية فيما بعد على اثر شجار مع والي البصرة ، واستبقى هناك برتبة «عضو مجلس الدولة» وهو يكاد يكون نفس الاسلوب الذي اتبع مع ناصر باشا المنتفك .

وعن طريق المفوض البريطاني في الخليج طلب صديق الشلبي عيسى بن قرطاس المعونة البريطانية لتأمين إطلاق سراح الشلبي . وكان الشيخ عيسى على وشك القيام برحلة إلى القسطنطينية ، ولذا فقد قامت حكومة

الهند بالترتيبات لتقديم الشيخ إلى سفارة صاحبة الجلالة البريطانية هناك . وعلى أية حال فان القائم بالأعمال البريطاني رأى أن تدخله ربما يضر بمصالح الشلبي أكثر مما يفيدها ، ومن ثم فقد أحجم عن القيام بشيء ، ولم ينجح الشيخ عيسى بن قرطاس في مهمته ، ولكنه قال عنه عودته إلى البصرة إن سبب استبقاء قاسم باشا هو أن السلطان قد ارتاب في أنه كان يتآمر لتسليم البصرة إلى البريطانيين ولكنه كان يعامل معاملة طيبة في القسطنطينية وأنه قد تم الصلح هناك بينه وبين ناصر باشا المنتفك الذي كان على خلاف معه من قبل والذي كان مبعداً سياسياً من ولاية البصرة مثل الشلبي .

موقف الباب العالي من الموظفين القنصليين الانجليز :

تسلم والي بغداد ووالي اليمن وولاة الاماكن الاخرى للامبراطورية ما يسمى بنشرة سرية من الصدر الاعظم التركي وذلك في عام ١٨٨٤ ، كانت تنتقد السياسة الاجنبية البريطانية انتقاداً مراً ، وكان يتحتم على متسلم النشرة أن يتحفظ في معاملاته مع الممثلين القنصليين الاجانب وعلى وجه الخصوص مع هؤلاء التابعين لبريطانيا العظمى ، وعلى أية حال فقد كان هناك ما يدعو الى الاعتقاد بأن التعليمات التي تتعلق بمعاملة القناصل كانت في الحقيقة لا تعني شيئاً وان النشرة ما كتبت الا لتذاع بهدف ان تحدث انطباعاً في ذهن الحكومة البريطانية .

طلبات رجال قبائل المنتفك الحماية البريطانية ١٨٩٩–١٩٠٢ :

في عام ١٨٩٩ تقدم سليمان بك وهو ابن منصور باشا الذي كان شيخاً سابقاً لقبيلة المنتفك إلى قنصل صاحبة الجلالة البريطانية بالبصرة بهدف الحصول على الحماية البريطانية لنفسه ، وربما كان يطلب الجنسية ولكن المستر «رادس لو» رفض طلبه . وقد سعى نفس المسعى أعضاء

بارزون آخرون من نفس القبيلة ، عن طريق وساطة مسلم هندي .
ويبدو ان هؤلاء بعد حبوط مسعاهم لدى الممثل البريطاني بالبصرة توجهوا إلى القنصل العام الروسي في بغداد ولكن دون نجاح أيضاً .

علاقات الموظفين البريطانيين مع «المجتهدين» الايرانيين في كربلاء والنجف ١٩٠٣ :

وسيراً على ما أشار به السير ارثر هاردنغ وزير صاحب الجلالة البريطانية في طهران ، فقد بذلت الجهود عن طريق المفوضية البريطانية في بغداد للحد من الاعمال التي يقوم بها «المجتهدون»(١) الايرانيون في كربلاء والنجف ممن كانوا يسعون بنفوذهم إلى تشجيع معارضة إجراءات حكومة الشاه في إيران ، ولقد كان السير د. أ. هاردنغ يعتقد أن الدافع الرئيسي الذي كان يحفز المجتهدين هو الخوف من زيادة خطورة روسيا في إيران ، ولقد أمل أنه عن طريق الود والعطف من جانب الوسيط الذي يقوم بهذه المهمة يمكن إقناع قادة الرأي العام الايراني هؤلاء بأن يشرحوا آراءهم وأهدافهم الحقيقية والتي كانت غامضة نوعاً ما ، بل ويوجهوا اليه خطاباً بشأن الموضوع ، ومن ثم فقد أبلغت الرسالة التالية بعد أن وافق عليها لورد لانزداون وزير خارجية صاحب الجلالة إلى أغا محمد القروي شارابياني بواسطة ميرزا محمد حسن محسن الذي كان وقتئذ الترجمان الأول للمفوضية البريطانية في بغداد ثم أصبح بعد ذلك نائب القنصل في كربلاء ، ولم يكن أحد أنسب منه لانجاز مثل تلك المهمة والرسالة هي :

«ان الحكومةالبريطانية ظهير قوى الاستقلال ايران، ومصالحها السياسية مطابقة تماماً للمصالح السياسية لتلك المملكة وإدارتها في وقف «اوض»

---

(١) المجتهدون : اسم يطلق على كبار علماء الشيعـــة استنادا الى رأيهم فى ان باب الاجتهاد فى الفقه مفتوح وليس قاصرا على الائمـــة الاربعة .

لهو دليل صغير من أدلة كثيرة تثبت احترامها للديانة الاسلامية التي يدين بها الملايين من رعاياها ، وهي لن تقف في صف أية اجراءات تضر بايران او تضعفها ، ولكنها تستنكر بقوة كل التجاء الى الكراهية الدينية التي ربما كان ضررها على إيران أكثر من نفعها . ومهما قيل عن التعريفة الجمركية الايرانية فانه لم يوافق عليها الروس فحسب بل وافقت عليها انجلترا وتركيا ويمكن تغييرها عن طريق المفاوضات فقط مع تلك الدول الثلاث . انها لمفاوضات يمكن ان تجر الى صعوبات كبيرة في الوقت الحاضر .، واذا كان لدى حضرته أية شكاوى فليتوجه بها الى الشاه او الصدر الاعظم بأسلوب لائق ، والى ان يتم ذلك فلنجمد كل كلام يقوله رجال الدين هنا مما يمكن أن يسيء الجهال فهمه ظانين أنه يحرض على أعمال الشغب والعنف » .

وعلى أية حال فقد كانت النتيجة مخيبة للآمال ، فقد اكتفى الشارابياني بالقول إنه قد ارسل تنبيهات الى كل «المجتهدين» في إيران أن يخلدوا الى الهدوء ، وأن يمنعوا الاضطرابات . وفي حين أنه يرغب في التراسل مع سير أ. هازدنج فانه يعتقد ـ إظهاراً لهيبته وجلاله ـ ان الوزير البريطاني يجب أن يرسل الخطاب الاول . وقد بدا أنه يثق في الحكومة البريطانية ويعتقد أنها صديقة لايران حقاً ، ولكنه لم يستطع أن يخفي كرهه لطلب المساعدة من المشركين . ولم يذهب الامر إلى أبعد من هذا فقد أدرك لورد لانزداون أنه لن يجني الكثير من التراسل مع «المجتهد» حتى لو أمكن قيام مثل هذا التراسل . وفي النهاية عام ١٩٠٣ مر سير أ. هاردنج ببغداد في طريق عودته إلى طهران من الخليج حيث كان قد قابل لورد كيرزون حاكم الهند ، وهكذا تهيأت له الفرصة لكي يدرس على الطبيعة تقريباً مسألة نفوذ «المجتهدين» وصفاتهم .

قضية عبد العلي حراتي ١٩٠٣ :

وفي صيف عام ١٩٠١ طرد من طهران رجل أفغاني من هراة يدعى عبد العلي لاشتراكه في مؤامرة ضد عطا بك أعظم رئيس وزراء

الشاه ، وذهب عبد العلي الى القسطنطينية ومنها الى بغداد ، وأخيراً ذهب الى كربلاء في مايو ١٩٠٣ بعد أن تردد على المفوض البريطاني في بغداد ولم يلق منه تشجيعاً . وقد اشترك بعد وصوله الى كربلاء في القلاقل التي كان يدبرها «المجتهدون» الايرانيون الذين يعيشون في كربلاء والنجف ضد الحكومة القائمة في إيران . وكان هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن أمين الدولة الذي كان منافساً سياسياً لعطا بك كان يمد عبد العلي هذا بالمال . وقد طلبت الحكومة الايرانية من مفوضية صاحب الجلالة البريطانية إبعاد ذلك الرجل من المدن المقدسة ربما لأنه كان من الرعايا الافغان . وفي الثامن من يوليو عام ١٩٠٣ أبرق سير أ. هاردنغ إلى الرائد نيومارش المفوض البريطاني في بغداد طالباً منه أن يعمل على ترحيل ذلك الرجل إلى مكان آخر دون إكراه ، وكان من المتوقع أن تحث الحكومة الايرانية الباب العالي أيضاً ليأمر بابعاده . وفي السادس عشر من يوليو ارسل عبد العلي إلى الهند على نفقة الحكومة البريطانية ، وبقي هناك حتى بعد سقوط عطا بك وأعوانه . وفي اكتوبر عام ١٩٠٤ أنبيء عبد العلي أنه ليس لدى الحكومة الايرانية اعتراض على عودته إلى العراق التركي ، وقد خوُل المندوب السامي في السند الحق في أن يهيء له المرور إلى بغداد إن رغب في الذهاب اليها ، ولكنه فضل البقاء في الهند ، ولهذا فقد اعتقد سير أ. هاردنغ أن من المحتمل أن يكون الرجل مخبراً سرياً لحساب «المجتهدين» ، ولكن الرائد نبومارش استراح فؤاده لقرار الرجل عدم العودة لأنه كان يعتبره أداة ليست بذات نفع إن لم تكن خطيرة ، ولما كانت هويته واتصالاته بالسلطات البريطانية لا تخفى على أحد فقد اعتبر الرائد أن من المستحيل استخدامه كمخبر سري .

ولنعد الآن إلى أمور ذات صبغة سياسية كان الاتراك فيها هم الطرف الايجابي ، أما البريطانيون فالطرف السلبي .

افتراض استخدام نقيب بغداد بين المسلمين البريطانيين ١٨٨٩—١٩٠٥

في عام ١٨٨٠ زار القسطنطينية نقيب بغداد الذي كان حينئذ السيد سليمان او سلمان ومكث فيها ما يقارب من ستة أسابيع ضيفاً على سلطات تركيا ، وكان يعامل معاملة ممتازة للغاية إذ إن مكانه النقيب التي استمدها من انحداره من الشيخ عبد القادر الجيلاني ومن سدانته لقبر ذلك الولي تمتد الى جميع ارجاء العالم الاسلامي السني بما في ذلك افغانستان والهند وشمال افريقيا . وكانت مكانته الدينية في ذلك الوقت من التعظيم بحيث اضطرت حتى شيخ الاسلام في القسطنطينية إلى تقبيل يده . وقد علق السلطان عبد الحميد أهمية كبيرة على مكانته هو كخليفة او رأس للديانة الاسلامية ، وكان من سياسته أن يمد نفوذه الديني كخليفة الى الاقطار الاسلامية بما فيها المستعمرات البريطانية التي لم يكن له مجال لأن يفرض سلطانه السياسي فيها وذلك عن طريق وسطاء مثل نقيب بغداد ، وبوسائل أخرى .

وعندما اوشك السيد سليمان على الإياب إلى بغداد من القسطنطينية وصل سفير صاحب الجلالة البريطانية في القسطنطينية تقرير جاء فيه :—

« من الممكن استخدام هذه الشخصية لتحريك سكان الهند وسوف يكون غريباً ان يطلب قنصل انجلترا العام تعليمات لخدمة حركة السيد سلمان افندي » .

وعلى ذلك فقد وجه نظر المفوض البريطاني في بغداد إلى الأمر . وكما ورد في الملحق الخاص بالطوائف الدينية فقد سافر بعد ذلك بعدة سنوات مختلف الافراد من أسرة النقيب إلى أماكن كثيرة في الهند بل وفي أفغانستان أيضاً ، ولكن لم يثبت أن تحركاتهم كان لها قصد او تأثير سياسيان ، وفي الحقيقة ، لقد دل اتجاه ما توفر من البراهين على أن أهداف نشاطهم كانت مالية وشخصية . ومات السيد سليمان في مايو عام

١٨٩٨ ، وخلفه في نقابة بغداد أخوه السيد عبد الرحمن(١) .

نشاط الاسطول التركي ١٨٩٨ – ١٨٩٩ :

في إبريل عام ١٨٩٩ أعيد تعيين حمدي باشا الذي كان في الاصل ضابطاً بحرياً وشغل مرتبة نائب أمير البحر على ولاية البصرة ، وكان قد شغل ذلك المنصب من قبل . وكان الباب العالي يحاول نوعاً من إعادة تنظيم الاسطول او توسيعه . ويمكن الزعم بأن ذلك كان استعداداً للتصدي للخطر الوهمي لغارة بريطانية على العراق التركي من البحر ، ويبدو أن هذا كان لا يغيب عن بال الاوساط الرسمية العثمانية . وقبل ذلك بشهور قليلة زارت السفينة الحربية التركية «زحاف» لنجة بدعوى اضطرابات دخيلة هناك . وأذيع بعدها ان الاسطول البحري التركي الصغير في البصرة سيزداد وان موانىء حديثة سوف تنشأ بعد وقت وجيز على نهر دجلة في كل من بغداد وكوت العمارة والعمارة وعلى نهر الفرات في الناصرية وسوق الشيوخ وفي قرنه عند ملتقى النهرين وفي الكويت وأماكن أخرى من الخليج ، في حين أن البصرة نفسها سوف ترتفع الى منزلة ميناء رئيسي ممتاز . وقد منعت التعقيدات التي تلت ذلك في الكويت والتي فصلناها تفصيلا دقيقاً في تاريخ تلك الولاية إتمام تنفيذ ذلك البرنامج ولكنه نفذ بحذافيره بالنسبة للعراق التركي ، باستثناء أنه لم تنضم أية سفن إلى الاسطول الصغير الموجود .

---

(١) منذ تاسيس حكومة تركية غير دينية ١٩٠٩ – ١٩٢١ كان من الواضح انه ليس هناك مايدعو لاستخدام نقيب بغداد او اقربائه للدعوة فى الخارج الى مبدأ الخلافة ، والاسرة التى تضاءلت أهميتها بشكل ملحوظ فى تركيا مع تضاؤل الاهمية الدينية بصفة عامة تنظر الى التغييرات التى حدثت فى الامبراطوزية العثمانية بسخط كبير ، وان اخفت ذلك ، ولهذا فقد تميزت علاقة هذه الاسرة بالمفوضية البريطانية بصداقة اكيدة ، وان كانت بالضرورة متحفظة وغامضة ، وفى الواقع كان موقفها هذا موقفا طبيعيا نحو قوة لم تهدم مكانة هذه الاسرة في البلاد الواقعة تحت سيطرتها ، كما هدمت من جانب تركيا .

اظهار الشعور العدائي لبريطانيا من قبل تركيا ١٩٠٥ :

ولقد كانت المشاعر والتصرفات المعادية تماماً لبريطانيا من جانب الموظفين الاتراك عامة في بغداد والبصرة واضحة في عام ١٩٠٥ ، الامر الذي استلزم احتجاجات في القسطنطينية . وبدا أن الأسباب الرئيسية لذلك الموقف هو ما سيحدث من نشاط بريطانيا في الخليج بما في ذلك الجولة التي قام بها هناك اللورد كيرزون نائب الملك في الهند وحاكمها العام وذلك في عام ١٩٠٣ ، فضلا عن حملة الكراهية الجنونية للانجليز التي كان يشنها في مصر قسم الصحافة المحلية في ذلك البلد . ومن بين الاشياء التي برز فيها الشعور العام السائد النزعة الى إرجاع كل القلاقل بين الادارة التركية والقبائل العربية إلى المؤامرات الانجليزية .

★ ★ ★

أمور خاصة بسفن الحكومة البريطانية في العراق التركي ١٨٧٦ ـ ١٩٠٥

حق السفن الحربية البريطانية في الاتجار ابعد من قرنه او البصرة ١٨٨١ :

ينبغي أن نتذكر ان الباب العالي أصدر في عام ١٨٧٤ استثناء يخول العسكريين البريطانيين التقدم في شط العرب من البصرة حتى قرنه ، واختتمت المناقشة في ذلك الوقت بطلب من جانب سفير صاحبة الجلالة البريطانية في القسطنطينية « أنه لو رغب الباب العالي في أي وقت ان يقترح تنظيمات جديدة او أن يبدل أمراً مألوفاً فيما يتعلق بوجود السفن الحربية في أي جزء من الاراضي الخاضعة للسلطان ، فيمكن تقديم مذكرة لائقة بذلك الى حكومة صاحبة الجلالة ، والحكومة لن تعجز عن تبليغ مثل تلك التعليمات التي من شأنها أن توفر كل احترام لحقوق الباب العالي من قبل قادة السفن الحربية البريطانية » .

وفي عام ١٨٨١ أعيد فتح باب المشكلة بطريقة مبهمة إلى حد ما

وذلك بمكاتبة من وزير الخارجية التركية . وكان محل الخلاف في ذلك هو أن السفن الحربية البريطانية لم يسبق لها مطلقاً أن سارت في النهر « أبعد من قرنه » دون موافقة مسبقة من السلطات التركية . واقترح أنه يجب أن تصدر الاوامر من السلطات البريطانية لمنع السفن الحربية البريطانية من المرور أبعد من قرنه ، وذلك بهدف تفادي أي «صدام» . وبدا محتملا أن هناك خطأ في الرسالة التركية ممن اصدرها أو من أبلغها ، وأن ما اراده الباب العالي في الواقع هو ان يمنع العسكريون البريطانيون من زيارة شط العرب بعد البصرة ، ولكن الرسالة فسرت طبقاً لفحواها الحرفي ، وصدرت الاوامر ألا تتعدى السفن الحربية البريطانية قرنه ، وكان مستر بلاودن المفوض البريطاني في بغداد معارضاً حتى لهذا التنفيذ ، فعلى الرغم من أن السفن الحربية البريطانية من طراز ما كان معتاداً على زيارة البصرة كانت تستطيع التغلغل داخلا ، لكنها لم تكن تتعدى القرنه ولم يعرف عنها أنها حاولت ذلك ، إلا أنه اعتقد أنه من المستحسن أن يستبدل قارب حربي تابع للاسطول الملكي «بالكوميت» ليجوب دجلة ، وربما كان الهجوم العربي على سفينة «الخليفة» الانجليزية في العام السابق هو الذي ساق باقي تلك الفكرة .

مشكلة السفن الحربية البريطانية في البصرة ١٨٨٣–١٨٨٦ :

لم ينظر الباب العالي برباطة جأش لزيارة قوارب الاسطول البريطاني الحربية للبصرة على الرغم من أن الميناء كانت تؤمه بواخر المحيطات . ففي عام ١٨٨٣ استفسر السفير التركي في لندن عن سبب وجود سفينة حربية بريطانية في مياه البصرة ، ولكن وزير الدولة للشئون الخارجية لصاحبة الجلالة أنبأه أنه مراعاة لرغبات الباب العالي فان السفن الحربية البريطانية لا تتعدى قرنه في سيرها بشط العرب ولكن حكومة صاحبة الجلالة ليس لديها علم بأي أجراء يحول بين مثل هذه السفن وبين زيارة البصرة» . وفي ديسمبر عام ١٨٨٥ كان بالبصرة قاربان حربيان

بريطانيان في آن واحد ، وطلبت الحكومة التركية بقلق تفسيراً لزيارتهما من السفارة البريطانية في القسطنطينية ، وقدمت التأكيدات بأن ذلك ليس له هدف خاص .

الاعتراضات التركية على استخدام «الكومت» في نهر دجلة بعد بغداد ١٨٨٥ - ١٨٩٤ :

في إبريل عام ١٨٨٥ قام مستر بلاودن المفوض البريطاني في بغداد برحلة في باخرة المفوضية «كوميت» في أعلى دجلة ووصل «تكريت» في التاسع والعشرين من إبريل ، وذلك بعد موافقة مسبقة من حكومة الهند وسفير صاحبة الجلالة البريطانية في القسطنطينية . وعلى أية حال فقد جنحت «الكومت» في طريق عودتها عند مكان يسمى «وشوش» . وذلك في أول مايو ، وعاد المفوض إلى بغداد ولكن الباب العالي انتهز الفرصة ليحتج على استخدام الكومت بعد بغداد ، فشرح لورد سالزبري وزير الدولة للشئون الخارجية في مذكرة بتاريخ ١١ يوليو ١٨٨٥ أن القنصل العام البريطاني في بغداد ما سار في النهر الا ليزور جزءً من دائرته القنصلية وعبر عن أمله ألا يقوم اعتراض على الحق الثابت للقنصل العام اذا ما عادو سيره في النهر لنفس الغرض بعد تقديم اشعار مسبق بعزمه الى السلطات التركية المحلية . وقبلت المذكرة من الباب العالي دون تردد . وفي عام ١٨٩٤ حدث اضطراب خطير في سامراء تهدد بالخطر حياة الرعايا الهنود البريطانيين فتوجه الرائد مكلز المفوض البريطاني الى هناك في «الكومت» بعد أن أعطى إشعاراً للوالي الذي لم يعترض ، ومهما يكن من شيء فقد شكا الباب العالي من فعل المفوض ، وجواباً على هذه الشكوى فقد أحيل إلى مذكرة عام ١٨٨٥ التي لم يعترض عليها في ذلك الوقت أو بعده ، وفضلا عن ذلك فقد اقيم الدليل للباب العالي على ان استخدام «الكومت» بذلك الاسلوب المعقول وعلى أساس من الموافقة الخالصة لا يحتمل شرعية الاحتجاج ، فان مصالح الرعايا البريطانيين استلزمت قيام القنصل العام بهذه الرحلة ، وقد قام بها بموافقة الوالي .

ولقد كان من المؤمل في مثل هذه الظروف أن يعفى الباب العالي الرائد «مكلار» من اللوم . وأنه لن يعارض في استخدام القنصل العام لصاحبة الجلالة سفينة «الكومت» م نوقت لآخر بهدف زيارة اماكن في دائرته القنصلية على نهر دجلة وبعد بغداد . وعلى أية حال فقد أجابت الحكومة التركية أن من رأيها الاعتراض على استخدام «الكومت» في أعلى النهر لأن ذلك يمكن أن يستشهد به على أنه سابقة تعضد حق منح امتيازات مماثلة لسفن الامم الاجنبية الأخرى .

معاملة لاتليق «للكومت» من قبل السلطات التركية ١٨٩٣–١٨٩٤ :

وفي ديسمبر ١٨٩٣ زارت «الكومت» البصرة حيث سحبت الى حوض السفن للمعاينة ، واستبدلت مدافعها بمدافع أخرى من طراز جديد كانت ارسلت من الهند ، وأعطيت كل الفرص للموظفين الاتراك لأن يروا ما يحدث . وبالرغم من ذلك أمر والى البصرة بمراقبتها وأمرها البوليس التركي بالتوقف متبعاً ذلك تهديداته أنه سوف يطلق عليها النار إن لم تفعل ، وذلك في ثلاثة أماكن مختلفة عند سير السفينة في النهر الى بغداد .

وعلى أية حال فان قائدها لم يعر هذه التحديات التفاتاً . وعندما أحيط والي بغداد علماً بهذا «التظاهر الصبياني الوقح» عبر عن أسفه لحدوث ذلك . ومهما يكن من شيء فقد كانت السلطات التركية من التهور بحيث استفسرت عن حقيقة ما ذكره القائد البريطاني من حقائق ، وفي تقرير الرائد مكلار عن هذا الامر لسفير صاحبة الجلالة البريطانية في القسطنطينية وصفه على أنه من التفاهة بحيث لا يستدعي عملا دبلوماسياً .

المشكلات الرسمية بين السلطات التركية والسلطات البريطانية في العراق التركي ١٨٧٦ - ١٩٠٥

إن موقف السلطات التركية تجاه المصالح البريطانية في العراق التركي خلال هذه الفترة كلها كان يتسم بالتعويق بل وبالضغينة الايجابية من حين لآخر ، وإننا لنجد ايضاحاً لهذه الحقيقة فيما سبق ذكره ، كما نجده فيما يلي بعد ذلك .

جريمة قتل مستر مايلن ، وسير هذه القضية ١٨٨١-١٨٨٨ :

ففي السادس من يناير عام ١٨٨١ طعن مستر «جيمس مايلن» طعنة أودت بحياته في أحد شوارع بغداد الرئيسية ، وكان مستر مايلن موظفاً سابقاً في «شركة الفرات و دجلة للملاحة البخارية » وقد باشر أعمالا لحسابه الخاص كمهندس عام في بغداد ، وكان رجلا ذا طبيعة مسالمة ، ولكن عداء نشأ بينه وبين محمد صالح وهو مسلم من بغداد له نفوذ قوي ، وكان العداء بسبب عاهرة مسيحية تدعى «فريده» كان قد تزوجها «مايلن» وهدده محمد صالح بأنه سوف ينتقم منه .

وفي ليلة الجريمة كتب مستر بلاودن المفوض البريطاني الى الوالي طالباً اتخاذ اجراءات فعالة لاكتشاف جميع الاشخاص الذين لهم ضلع فيها والقبض عليهم ومعاقبتهم . وفي اليوم التالي الموافق ٧ يناير أبرق مستر بلاودن الى سفير صاحبة الجلالة البريطانية في القسطنطينية بأنه يجب دفع الباب العالي ليصدر اوامر مشددة للسير في القضية بهمة كبيرة دون خوف او انحياز . وفي الثامن والتاسع من يناير فحص المفوض القضية وجمع الأدلة ، ولكن الحقيقة المادية الوحيدة التي اكتشفت كانت ان شخصاً يدعى أحمد وهو خادم لمحمد صالح قد زار بيت القتيل في يوم الجريمة ، وتحقق من التحركات التي كان يزمع الضحية القيام بها . وقد بدا أن زوجة مايلن وخادماً كان معه عندما هوجم « يحجمان تماماً عن أن يتكلما بشيء يمكن ان يربط محمد صالح بالجريمة » ولكن الزوجة

نقلت الى الباخرة «كومت» لتكون بمأمن ، وذلك عندما عبرت عن خوفها من محمد صالح ورغبتها في الحماية منه . وفي التاسع من يناير أبرق مستر بلاودن الى وزارة الخارجية الانجليزية يحثها على ضرورة اتخاذ الترتيبات لتكوين لجنة لفحص القضية تضم عضوين اوروبيين ، وذكر ان خادماً بسيطاً بدار المفوضية قد اضطر لترك بغداد خوفاً من محمد صالح ، وقال في تقريره ان التحريات عن عمل السلطات البريطانية في القضية تحريات شديدة . وفي العاشر من يناير كتب المفوض الى الوالي للمرة الثانية يطلب نسخاً من الاعترافات التي سجلت في القضية حتى ذلك الحين ، ويحتج على الإفراج عن محمد صالح بكفالة ويطلب إعادة القبض عليه . وأجاب الوالي في الحادي عشر من يناير متجاهلا الطلب الذي ضمنه مستر بلاودن في خطابه ، وإنما قال فقط إن إجراءات تتخذ سريعة فعالة ، وقال إنه يمكن ارسال ترجمان ليراقب سير القضية . وفي نفس اليوم قال الوالي إن زوجة مايلن يمكن ان يصحبها موظف وتأتي إلى المحكمة للإدلاء بشهادتها ، ولكن المفوض لم يمتثل لذلك . وفي الثاني عشر من يناير عاود مستر بلاودن كتابته للوالي مكرراً طلبه لنسخ من الاعترافات التي ادليت ومطالبته بالقبض على محمد صالح .

وأبرق في نفس اليوم الى وزارة الخارجية الانجليزية قائلا إنه حتى الانجليز في بغداد خائفون من الإدلاء بشهاداتهم ضد محمد صالح ، وفي الرابع عشر من يناير اجتمع مع زميله الفرنسي والروسي اللذين وافقا على اقتراحاته بتكوين لجنة مختلطة وأبرقا الى حكومتيهما الموقرتين يعضدان هذه الاقتراحات . وفي ذلك اليوم أجاب الوالي على خطاب مستر بلاودن الأخير قائلا إن محمد صالح لا يمكن القبض عليه دون دليل ، وأن هذا الدليل لم يظهر نتيجة لرفض المفوض حضور زوجة مايلن ، وقد شكا من ان مستر بلاودن قد أصدر تعليماته للترجمان الانجليزي ألا يوقع الاعترافات التي تمت في المحكمة ، وقد رد مستر بلاودن على ذلك بعد يومين بأنه اذا كان الدليل لم يظهر فان عمل

الشرطة كان يتميز بالتهاون وتنقصه الكفاءة الى أبعد الحدود ، وأن مسئولية خطيرة تقع على عاتق صاحب السعادة لأن الشرطة تحت إدارة الولاية . وفي تقريره عن القضية بعد ذلك بوزارة الخارجية الانجليزية برر مستر بلاودن أعماله التي ربما كانت موضعاً للانتقاد وذلك بأن شرح الملامح الخاصة للنظام القائم في بغداد في ذلك الوقت ، فلم يكن هناك بادرة أمل لكي يحصل الاجانب على العدالة في المحاكم التركية أو أن تفعل الشرطة شيئاً لضبط الذين يقترفون حتى أشنع الجرائم ضدهم . ولقد أمكن الاستدلال الكامل على ذلك من قضايا أخرى جديدة ، وأيد المفوض في موقفه رأي زملائه الاجانب .

وأخيراً حضرت زوجة مايلن الى المحكمة التركية لتدلي بشهادتها وقبض على محمد صالح وحوكم هو وخادمه أحمد ، ولكن بينما أدين الخادم وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً فاننا نجد أن محمد صالح قد برئت ساحته برغم أنه ليس هناك دليل على اشتراكه في الجريمة .

وبناء على الطلب العاجل للورد ديفرين سفير صاحبة الجلالة لدى الباب العالي الغت محكمة الاستئناف في القسطنطينية المحاكمة التي أجرتها محكمة بغداد ووافقت على إعادة النظر في القضية وأمرت بمحاكمة جديدة ولكن نتيجة المحاكمة الثانية كانت إخلاء سبيل كل من المتهمين وذلك في التاسع عشر من يونيو عام ١٨٨٢ ، وعندئذ أطلق سراحهما بكفالة .

وأدت الايضاحات المجددة التي قامت بها السفارة البريطانية الى انتقال القضية الى ديار بكر لإعادة المحاكمة ولكن سير القضية انتهى ثانية دون إدانة ، وأبطلت محكمة الاستئناف في القسطنطينية حكم محكمة ديار بكر كما حدث فيما سبقها من محاكمات . وفي عام ١٨٨٧ ، او عام ١٨٨٨ أجريت محاكمة أخيرة في حلب وانتهت في صالح المتهم ، ويبدو أنه لم يكن هناك شك مقبول في جرم السجينين ، ولكن ما أحبط مقتضيات العدالة هو ثروة محمد صالح ونفوذه يسندهما بلا جدال الشعور العنصري والديني .

معارضة السلطات التركية لمكاتب البريد البريطانية في بغداد والبصرة لا سيما في الفترة ما بين ١٨٨١ – ١٨٨٧ :

وخلال الجزء الاكبر من الفترة التي نحن بصددها وخاصة بين عامي ١٨٨١–١٨٨٧ كانت تبذل محاولات دائمة من قبل السلطات التركية للحصول على الغاء مكاتب البريد البريطانية في بغداد والبصرة او تعويق عملها . ولكن هذه المحاولات فشلت وان استتبعتها أضرار طفيفة بالامتيازات التي كانت قد احرزت من قبل .

مشكلة الرحلات الرسمية التي كان يقوم بها المفوض البريطاني١٨٨٥ :

وكان قد نص بوضوح في البراءة الاولى التي منحها الباب العالي لاول مفوض بريطاني في بغداد عام ١٨٠٢ على أنه «اذا رأى القنصل المذكور أن من المحتم سفره الى مكان في البلاد سواء أكان ذلك بطريق البر او بطريق البحر فلن يعترض أحد في المحطات او الموانىء التي يصل اليها ولن يزعج احد خدمه او دوابه او امتعته أو أي شيء يتعلق به » . ويبدو حتى عام ١٨٨٥ أنه لم يلق أي موظف بريطاني أي اعتراض على حرية تحركاته في الولاية من قبل السلطات التركية ، فقد قام مستر رتش والرائد رولنسون والرائد كمبول برحلات عديدة وشاملة إبان توليهم للمفوضية في بغداد أو للمعتمدية السياسية وكذلك القومندان فيليكس جونس ، وحتى بعد ذلك بوقت طويل كانت الرحلات التي يقوم بها الرسميون البريطانيون تعتبر أمراً طبيعياً . وفي عام ١٨٧٦ وافقت حكومة الهند من ناحية المبدأ على سفر الرائد نكسون على خط الحدود الايرانية ، ولكن لسبب ما لم تتحقق الرحلة . وفي عام ١٨٧٩ زار الرائد مايلز مدينتي كربلاء والنجف اللتين لم يظهر فيهما الممثل السياسي لبضع سنين على الرغم من وجود جالية هندية بريطانية كبيرة بهما ، وفي عام ١٨٨١ سعى مستر بلاودن للحصول على إذن للقيام برحلة الحدود التي كان الرائد نكسون قد حصل على تصديق عليها قبل ذلك ولكنه لم يقم بها، ومنح مستر

بلاودن هذا الاذن، وفي صيف ١٨٨١ سافر الرجل نفسه بعد أن زار كربلاء والنجف مؤخراً ، الى كرمانشاه بايران، ومنها الى الموصل ماراً بالسليمانية و«قرى سنجاق» «وأربيل» . وبسبب مرضه عاد من الموصل الى بغداد على «عوامة» في نهر دجلة . وفي عام ١٨٨٢ زار كربلاء الرائد تويدي كنائب للقنصل . وفي عام ١٨٨٤ اقترح مستر بلاودن رحلة جديدة على الحدود الايرانية جنوب شرق بغداد وإلى الموصل في الشمال ، وجاءت الموافقة من قبل حكومة الهند ومن سفير صاحبة الجلالة البريطانية في القسطنطينية ، وأعدت الأدوات العلمية التي ستستخدم في الرحلة ، وعلى أية حال فلو لم تؤخذ رحلته التي قام بها في نهر دجلة في إبريل ١٨٨٥ والتي أشرنا اليها من قبل بالاعتبار فانه من المقدر ألا يكون قد تم شيء من ذلك المشروع .

١٨٨٥ :

وبعد أن خلف الرائد تويدي مستر بلاودن كمفوض عام ١٨٨٥ اقترح استبدال رحلة الى كربلاء والنجف بأخرى على الحدود الايرانية. وفي ذلك الحين أثار الاتراك الاعتراضات لاول مرة على التحركات التي يقوم بها المفوض مع عساكره . وكما هو معهود تكرمت حكومة الهند بالموافقة على مقترحات المفوض ، ولكن سفير صاحبة الجلالة البريطانية وجد أنه من المحتم أن يطلب اليه التخلي عن الرحلة التي كان يزمع القيام بها الى المدن المقدسة « بسبب الاعتراضات السياسية القوية التي يثيرها الباب العالي» ووجه الرائد تويدي خطابه في الحال الى السفير و. وايت بشأن هذا الحظر عارضاً عليه أن حق قنصل بريطانيا العام في بغداد بأن ينتقل في الولاية كما يشاء قد تأكد دائماً وتأيد حتى ذلك الوقت ، وأن هناك جاليات هندية بريطانية كبيرة في كربلاء والنجف ، وعديد من الحجاج الهنود البريطانيين الى هاتين المدينتين ، وأن صلاحيات وترتيبات حماية هؤلاء والإشراف عليهم من قبل ممثل فخري وغير رسمي في كربلاء تعتمد على الاشراف الفعال للقنصل العام البريطاني في بغداد ، وهو اشراف لا تمكن ممارسته من بُعْد ، وأن الإذعان للاعتراضات التركية على زيارته لكربلاء والنجف

يمكن ان ينتج عنه منعه من الذهاب الى الموصل وهي أبعد من كربلاء والنجف بكثير ، وبها نائب قنصل تحت سلطته ، وأخيراً فانه اذا اقتصرت رحلاته الآن ولأول مرة على رحلات بين بغداد والبصرة فان من المحتم أن جدواه ستتضاءل كثيراً خاصة كموظف لحكومة الهند . ونتيجة لهذا التوضيح فقد قدمت مذكرة للباب العالي في يونيو عام ١٨٨٦ تسترعي انتباهه الى الظروف الملحة التي يجد القنصل العام البريطاني نفسه تجاهها بسبب القيام بواجباته على خير وجه من زيارات بين الحين والآخر للقنصليات التي تقع تحت إشرافه ، واعتناء بشئون الرعايا الهنود البريطانيين الذين هم تحت دائرة اختصاصه وذلك في إماكن وجودهم . وجاء رد مفاده أنه قد تم التنبيه على ولاة بغداد والبصرة والموصل لبذل يد المعونة التي يطلبها القنصل العام البريطاني كل فيما يخصه داخل ولايته.

واغتنم الرائد تويدي هذه الاوامر فقام في شتاء عام ١٨٨٦–١٨٨٧ بجولة طويلة استمرت من اكتوبر حتى فبراير وزار خلالها أبو غريب وهيت وتكريت وكركوك والسليمانية وقرى سانجاق وأربيل والموصل وسنجار ودير الزور وعانه وهيت والرمادي والرحاليه والشفاثه وكربلاء والنجف .

ولولا تغييرات في الموظفين الاداريين الاتراك استدعت عودته من النجف الى بغداد لاستمر في جولته حتى البصرة ماراً بأراضي الخزاعل والمنتفك والظافر وقد جمع الرائد تويدي في هذه الرحلة قدراً كبيراً من المعلومات القيمة والهامة ضمن كثيراً منها أحد تقاريره . ففي البداية وضعت بعض العراقيل في طريق اتصاله بالناس في المنطقة وذلك من قبل قائد الحرس التركي الذي أرسل معه من بغداد ، وكان يراقب كل حركة من حركاته ، والذي كان مظهره يسبب نفور بعض من صادفوهم من العرب ونظرتهم له كصنف من الجلادين وجباة الضرائب في آن واحد ، وهذا ما جعلنا نأنس اليهم رغم خشونة طبعهم ، وفي الحقيقة

لقد بدا أنهم من الشراسة بحيث يمكن أن يذبحوا الانسان من أجل ازرار صفراء على ثيابه والتي لا شك أنهم يحسبونها ذهباً » .

وهكذا اعيد تثبيت حق تنقل المفوض البريطاني كما يشاء ، ولم يعد هذا الحق موضع شك لدى السلطات التركية ، وقام الرائد نيومارش بعديد من الرحلات المفيدة في أماكن مختلفة من البلاد وذلك أثناء عمله كمفوض (١٩٠٢–١٩٠٦) .

والجدير بالذكر أنه في عام ١٨٩٧ اقترح الرائد لوخ المفوض حينئذ أن تصدق حكومة صاحبة الجلالة على ثلاث رحلات : رحلة من البصرة الى حائل وجوف الامير في وسط الجزيرة العربية والاخرى بين بغداد والموصل عن طريق كركوك ، وثالثة من بغداد الى كرمانشاه ، ومن هناك الى الاهواز عبر لورستان ، وقد حظر القيام بالأولى على اساس أنها يمكن أن تثير شكوك الحكومة العثمانية وتثير اتهامات عن مؤامرة بريطانية في نجد ، ولم يسمح بالقيام بالرحلة الثالثة لأن معظمها سيقع في الاراضي الايرانية ، أما الثانية فقد سمح بها لانه ليس هناك ما يدعو للاعتراض عليها .

منع البواخر من الرسو المباشر عند المفوضية البريطانية في بغداد : ١٨٨٨ – ١٨٨٩

لقد كانت العادة المتبعة حتى عام ١٨٨٨ أن تنزل البواخر البريطانية مع البريد الذي عليها الموظفين الهنود الآخرين القادمين إلى بغداد ممن يحلون ضيوفاً على المقيم البريطاني ، وكذلك تنزل أمتعتهم ، وذلك عند المفوضية البريطانية قبل ان تصل هذه البواخر إلى الجمرك . ومهما يكن من شيء فقد اعترضت السلطات التركية على هذا الاجراء على اساس أنه يمكن ان يتخذ ستاراً للتهرب من الضرائب الجمركية ، فامر سفير صاحبة الجلالة البريطانية في القسطنطيطية بعدم استمرار ذلك الترتيب.

حظر استيراد «الخرطوش» المحشو من خارج البلاد ١٨٩١ :

وتجدر الاشارة الى امر قليل الاهمية له علاقة بأوجه الترفيه لدى الرعايا البريطانيين بل لدى الرسميين البريطانيين في العراق التركي فقد سمحت الاتفاقية التجارية المعقودة عام ١٨٦١ بين بريطانيا وتركيا باستيراد بنادق الصيد من الخارج مع كميات صغيره من البارود للاستعمال الخاص في الاراضي العثمانية . وفي عام ١٨٦٣ صدر قانون تركي يعفي الاسلحة والذخيرة المستعملة للترفيه من كل قيود ، ولكن تنظيماً تم عام ١٨٧٠ ألغي بمقتضاه هذا القانون، والغيت فيه كل القواعد الاخرى القائمة . ومن ثم فقد كانت المشكلات تقوم بين الحين والآخر على الرغم من ان منع متطلبات الترفيه الرياضية من البلاد لم يعمل به بدقة . ففي عام ١٨٨٧ حجزت بندقية وبعض «الخرطوش» كانت مرسلة الى مستر روبرتسون مساعد الممثل السياسي في البصرة لبعض الوقت في الجمرك المحلي ، ولكن أفرج عنها أخيراً بناء على أمر من وزير الخارجية . وفي نفس السنة ارسلت بندقية وذخيرة الى العقيد موكلر الذي كان يشغل منصب الوظيفة ولكن هذه الاشياء لقيت نفس المعاملة ، وفي عام ١٨٩١ أمر الملازم ستراتون الذي خلّف مستر روبرتسون للعقيد موكار بألفي خرطوشة من الهند بعد أن حصل على اذن من الوالي ، ولكن الجمرك التركي في البصرة حجزها لكي يعيدها الى الميناء الذي شحنت منه ، وذلك بناء على قانون يمنع دخول الخرطوش المحشو الى تركيا مهما كان نوع ذلك الخرطوش . وارسل سفير صاحبة الجلالة البريطانية الى المقيم في بغداد الذي كان الموضوع رفع اليه يخبره أنه لا يمكن عمل شيء ، وهكذا عانى الذين يهوون الرياضة من قيد يبعث على الضيق ، لأن الذخيرة كانت إما عسيرة المنال محلياً وإما من نوع غير موثوق به . هذا فيما لو أمكن الحصول عليها .

تعرض استفزازي للسفن الهندية البريطانية المسافرة عبر شط العرب ١٨٩٣ – ١٨٩٨ :

وفي عام ١٨٩٣ بدأت السلطات التركية أسلوباً في الهجوم المتكرر على السفن الهندية البريطانية المسافرة في الجزء الادنى من شط العرب . ولقد كان واضحاً أن هذا الجزء من خطتهم جاء لتأكيد السلطة الشرعية لتركيا على النهر كله . وكان بناء حصن على النهر عند فاو ومحاولة إعادة الضريبة الجمركية ، هناك وعند الدواسر ، على البضائع المرسلة الى المحمرة هي عناصر أخرى من هذه الخطة .

١٨٩٣ :

بعد أن بدأ موسم تصدير التمور شرع المدير التركي بفاو في خريف عام ١٨٦٣ يجبر بحارة كل سفينة هندية بريطانية سائرة في النهر على أن يودعوا في حوزته ، والى ان يعودوا الى البحر ، كل الاسلحة النارية التي لديهم باستثناء اربع قطع يسمح لهم بالاحتفاظ بها للدفاع عن أنفسهم ضد القراصنة ، وذلك بزعم أن أصحاب هذه الاسلحة الزائدة ربما باعوها إلى أهل البلاد . زد على ذلك أن اموال المودعين كانت تُبتز منهم عند إرجاع اسلحتهم اليهم ، ولم تجر استشارة السلطات البريطانية بعد هذه البدعة التي كانت تؤثر في رعاياها .

١٨٩٤ :

وفي خريف العام التالي بدأ ابتزاز القوات الهندية البريطانية بالجملة ، وكان من المعتاد منذ حقبة طويلة من الزمن – وانْ كان ذلك شاذاً ، وقف سفن أهل البلاد المتجهة من الخليج عند «فاو» حتى ولو كانت قاصدة الى «المحمرة» . وفي «فاو» تتعرض لمستلزمات لوائح الحجر الصحي التركي ، وكان امراً مألوفاً من جانب الموظفين الاتراك في فاو فضلاً عن موظفي دائرة الحجر الصحي ، أن يعتدوا على السفن المحجوزة

ويبتزوا الاموال من بحارتها بحجة أن حيازة الاسلحة والذخيرة والطباق والنشوق وغيرها ، من أشياء كانوا يحملونها لاستعمالهم الشخصي هي حيازة غير شرعية في ميناء تركي . ولم يكن البحارة يستلمون إيصالات بما يدفعونه . وكان من الواضح أن ما سلب من أموال لم يذهب إلا إلى جيوب الغاصبين أنفسهم ، ولكن الحكومة التركية لم يكن لديها الحافز للحد من هذا الانتهاك الذي كان يساعد على تثبيت سلطتها على النهر ، وفي هذه السنة هوجمت سفن عديدة كانت قد غفلت عن التوقف في «فاو» ، وتعرضت للسلب والتأخير الممض ، وذلك بعيداً عن «فاو» ، من قبل موظفي الحجر الصحي التركي . وعلى ظهر قارب هندي بريطاني أيضاً تم اغتصاب أسلحة كانت للدفاع عن النفس وذلك عند فاو والبصرة ، وعند اعتراض مساعد الممثل السياسي في البصرة أخبروه أن الشرطة التركية لم تكن تعرف هوية هذه السفن ، وقامت متاعب أيضاً بشأن عدم حيازة طواقم القوارب الهندية المحليين لشهاداتهم الصحية التي تعطى لهم في الموانيء التي كانوا يبحرون منها ، وعلى ذلك فقد أصدر مساعد الممثل السياسي في يونيو عام ١٨٩٥ بياناً ينصح فيه قادة السفن الهندية البريطانية بأن يرفعوا اعلامهم ليل نهار في أثناء فترة مكوثهم كلها في شط العرب ، وان يزودوا أنفسهم مستقبلا بشهادات صحية من موانيء رحيلها ، وألا يدفعوا أية أموال للموظفين الاتراك دون الحصول على ايصال بذلك ، وان يبلغوا القنصلية البريطانية في البصرة في الحال عن أية معاملة شاذة يمكن أن يلاقوها على أيدي السلطات التركية . وقال الاعلان أيضاً إن السفن من الخليج المتجهة الى المحمرة ليست خاضعة للسلطة التركية في طريقها وليس هناك حاجة لان تتوقف عند فاو ، ولكن السفن التي وجهتها البصرة الى أي ميناء نهري تركي آخر عليها أن تتوقف وتمتثل للوائح الصحية التركية .

١٨٩٥ :

وفي خريف عام ١٨٩٥ تجددت المتاعب التي أصبحت مألوفة في ذلك الموسم ، فقد هاجم الجنود الاتراك السفن الهندية البريطانية بحجة

البحث عن أسلحة «محظورة» ، ورفضوا أن يتركوها إلا عن طريق الرشوة ، وحدثت أنواع أخرى من سلب الاموال وما شابه ذلك ، واثير الامر في القسطنطينية ، ولكن دون نتيجة في بادىء الامر .

١٨٩٦ :

وفي تقرير سير ب. كري السفير البريطاني لدى الباب العالي عن الموضوع الى حكومة صاحبة الجلالة في فبراير عام ١٨٩٦ كتب ملاحظاته بأن «ليس هناك من شك في أن البعثات الاجنبية في القسطنطينية قد تمسكت حتى الآن بمبدأ أن السفن التجارية الاجنبية في المياه العثمانية تشبه المقرات الاجنبية في الاراضي العثمانية ، ولا يمكن أن يقتحمها أحد دون موافقة ممثليها القنصليين» ، ولكنه تشكك في إقامة احتجاج على هذا الاساس لاسباب ليس لها علاقة بتركيا . واخيراً جاءت اليه التعليمات في مايو ١٨٩٦ بأن يبلغ الحكومة التركية أنه ليس من اللائق ان تخضع سفينة بريطانية لمداخلات الموظفين الاتراك سواء على أساس صحي أو غيره حتى تتعدى هذه السفينة خليج «خيين» أعلى النهر وهو المكان الذي كانت تعتبر كلتا الضفتين بعده ضمن الاراضي التركية ، او حين تصل أي مكان على الضفة اليمنى او الغربية داخل الاملاك التركية . أما تفتيش السفن البريطانية بحثا عن الاسلحة فيمكن ان يسمح به في البصرة وفاو فقط وبحضور موظف قنصلي بريطاني ، ومهما يكن من شيء فقد أمر الباب العالي والي البصرة إبان ذلك الوقت ألا يكترث بكل الاحتجاجات البريطانية ، وان يأمر مروشيه عند مصب شط العرب بأن يستمروا في إيقاف جميع السفن التي تدخل هناك وتفتيشها مهما كانت جنسيتها أو وجهتها ، دون اعتبار لكون هذه السفن قد دخلت دائرة الاختصاص التركية ام لا .

وفي ذلك الوقت قررت حكومة صاحبة الجلالة أن تعين ممثلا قنصلياً بريطانياً في «فاو» ولكن الحكومة التركية رفضت أن تعترف بمثل هذا

التعيين ، وفي الثاني والعشرين من سبتمبر أصبح لزاماً إبلاغ الحكومة التركية أن احد العسكريين البريطانيين سيرسل إلى فاو إن لم تتفضل بالاعتراف ، وفي ذلك الوقت الحرج روعت بعض السفن الشراعية الهندية البريطانية المتجهة الى المحمرة مرة ثانية من قبل السلطات التركية حين أرغمت على التوقف في فاو حيث حصلت منها رسوم الحجر الصحي . وأكد والي البصرة الاجراءات التي قام بها مدير فاو قائلا إن ذلك الموظف لا يعمل هذا إلا بناء على اوامره . وعجلت هذه الأحداث بالامور ، فقد اتجه كابتن وايت مساعد الممثل السياسي في البصرة الى فاو بنفسه . وفي الثالث والعشرين من اكتوبر وصلت الى هناك سفينة صاحبة الجلالة «لابونج» وبظهورها توقفت المضايقات التي كانت موضع الشكوى ، وعرف كثير من قادة السفن الشراعية الهندية لأول مرة أن تعرض الموظفين الاتراك لهم في فاو كان شاذاً في كثير من الحالات .

وفي ديسمبر عام ١٨٩٦ تم أخيراً تبادل المذكرات بين الباب العالي والسفير البريطاني في القسطنطينية ، وبدا من نتيجة هذا التبادل تفاهم بأنه لو كان من المحتم تفتيش السفن البريطانية فينبغي أن يكون ذلك في البصرة ، وان السفن البريطانية يجب ان تتمتع بالحرية الكاملة في أن تتجه مباشرة الى المحمرة او إلى أي ميناء نهري آخر في الاراضي الايرانية ، وانها لا يمكن أن تجبر بأية حجة على التوقف في فاو في طريقها الى المحمرة أو البصرة .

١٨٩٧ :

ومن الجلي أن «لابونج» بقيت قرب فاو حتى مارس عام ١٨٩٧ ، وبعدها تم سحبها بعد أن حققت الهدف الذي ارسلت من أجله . وإبان ذلك الوقت أقيم مركز مراقبة على شكل سفينة شراعية خشبية تحمل ثلاث بنادق ، عند دوازير التي تبعد قليلا عن فاو ، ولكن لم تكن هناك ضرورة للضغط على رحيلها حسبما كان الرأي في وقت ما ، وذلك بسبب التسوية التي تمت .

١٨٩٨ :

وفي عام ١٨٩٨ شرع موظفو المركز الصحي التركي في خرق اتفاق ذلك العام نفسه عندما اضطروا السفن الشراعية الهندية البريطانية الى التوقف في فاو والخضوع للحجر الصحي هناك ، وذلك بعد أن انتشر وباء في الهند قبل ذلك بقليل ، وفرض الحجر الصحي في البصرة ، وعلى أية حال فان تهديداً بتجديد الطلب البريطاني للتمثيل القنصلي في فاو حمل الباب العالي على إلغاء الاجراءات المشار اليها على الفور .

اساءة استعمال الحجر الصحي في شط العرب ١٨٩٠–١٩٠٥ :

وكان فرض قيود الحجر الصحي على السفن الاجنبية سلاحاً اغتنمته السلطات التركية كثيراً لتعيق الملاحة والتجارة البريطانيتين ولتضر أيضاً بالمصالح الايرانية ولتفرض سلطانها على شط العرب ، وأول مثل لإجراء دل على سوء استعمال من هذا النوع وقع عام ١٨٩٠ عندما تمت محاولة لفرض عقاب على إنزال السفن البريطانية المتجهة من الخليج الى البصرة ركابها في المحمرة او منعها من العبور . ويبدو ان الاوامر في هذه الحالة قد صدرت من قبل الحكومة التركية دون الرجوع الى مجلس الشئون الصحية للقسطنطينية وهي السلطة الوحيدة المختصة بمثل ذلك الشأن . وكان تقديم احتجاج كافياً ليتم إلغاء هذا المنع . وهناك أمثلة أخرى لاستخدام الاحتياطات الصحية كستار للإضرار بالمصالح البريطانية والايرانية نجدها في الفقرة السابقة مباشرة ، وفي الجزء الاول من هذا الفصل المتصل بالعلاقات الايرانية ، ويمكن أن نعرف القيود المفروضة على النشاط التجاري في البصرة منذ ١٨٩٦ وما بعده إذا رجعنا الى الملحق الذي يتحدث عن الاوبئة والمنظمة الصحية .

واذا قورنت هذة القيود بما تكفله مقررات المؤتمر الصحي الدولي الاخير فاننا نجد أنها قيود مرهقة ومن ثم تبعث على الشك في أن هدفها سياسي .

الشئون الرسمية والمصالح البريطانية في العراق التركي ١٨٧٦ ـ ١٩٠٥

مرتبة الممثل البريطاني في بغداد سنة ١٨٨٠ في السلك السياسي الهندي :

لقد أعيد تصنيف الممثل البريطاني في العراق التركي في مرتبة مقيم من الدرجة الثانية ، وذلك بمقتضى إعادة تنظيم الوظائف السياسية لحكومة الهند الذي تم باشعار من وزارة الخارجية بتاريخ ١٩ فبراير عام ١٨٨٠ . وفي الجدول المرفق بهذا الاشعار عرفت وظيفته على أنها وظيفة مفوض بدلا من وظيفة ممثل سياسي كما كان قبلا ، وعلى ذلك فيبدو أن تسميته الصحيحة منذ ذلك الوقت هي مفوض . ولتوضيح الغموض الذي اكتنف هذا الموضوع يمكن أن نذكر ان نسخة الإشعار التي ارسلت اليه كانت نفسها موجهة الى الممثل السياسي في الجزيرة العربية التركية . وسنجد قائمة بواجبات المعتمدية او المفوضية السياسية في بغداد أثناء تلك الفترة في الملحق الخاص بالتمثيل الديبلوماسي والقنصلي . وقد كان مستر بلاوند (١٨٨٠ـ ١٨٨٥) اول عضو من الموظفين الملكيين في الهند يعين في بغداد منذ وفاة مستر رتش في عام ١٨٢١ ، أما الذين خلفوه أثناء هذه الفترة فقد كانوا جميعاً ضباطاً عسكريين .

المركز العام للمفوض البريطاني في بغداد ومدى سلطته الشرعية ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨ :

وفي خطاب دوري عام ١٨٨٤ طلب سفير صاحبة الجلالة البريطانية في القسطنطينية معلومات بشأن نقاط معينة ، وكان جلياً أن ذلك كان نتيجة لرفض الباب العالي الاعتراف بأن تكون مناطق قنصلية بريطانية معينة ضمن دائرة النفوذ التي تطالب بها السلطات البريطانية ، وأجاب مستر بلاودن المفوض في بغداد ، في رده على ذلك الخطاب ، بأن الاماكن الوحيدة المذكورة في «براءته» أي البراءة التركية كما في

براءات نواب القنصل في البصرة والموصل هي بغداد والبصرة والموصل كلٌ فيما يخصه ، ولكن السلطات التركية لم تحاول عملياً أن تحدد السلطة الشرعية للموظفين المذكورين بقصرها على المدينة التي عين فيها كل منهم . أما بالنسبة اليه هو فمنذ أن صغرت مساحة ولاية بغداد في عام ١٨٧٩ــ١٨٨٤ لم يحدث اعتراض على تدخله في شئون البصرة والموصل ، على الرغم من بعدهما عن حدود ولاية بغداد . واقترح مستر بلاودن أنه اذا حدثت فرصة مواتية ينبغي أن يطلب من الباب العالي تعديل براءات الممثلين القنصليين البريطانيين في العراق التركي بطريقة توضح ان دائرة القنصل العام في بغداد تشمل ولاية البصرة كلها ، ودائرة نائب القنصل في الموصل تشمل ولاية الموصل كلها ، ولم يبد أن تنفيذ تلك التوصيات كان مما يُستطاع تحقيقه .

ونتيجة لما شكا منه المفوض عام ١٨٨٧ من ان والي البصرة أغفل المرور به أثناء زيارته لبغداد ، فقد قدم سير و. وايت سفير صاحبة الجلالة البريطانية في القسطنطينية ملاحظاته بأن الرائد تويدي كقنصل عام في بغداد ليس معتمداً من والي البصرة . ولهذا السبب ولأسباب أخرى فليس للرائد «تويدي» الحق في أن يتوقع زيارة من الوالي في هذه الظروف المذكورة . وعندما استلم الرائد تويدي هذا الرد أثار مسألة الصفة المزدوجة لوظائف بغداد ، والتي نوقشت في عام ١٨٧٤ ، وأشار إلى أن الممثل البريطاني في بغداد هو اول مفوض سياسي في الجزيرة العربية التركية ممثل لحكومة الهند ، وهو نائب قنصل عام لحكومة صاحبة الجلالة البريطانية في باشوية بغداد ، وأنه منذ ان أنعم عليه باللقب القنصلي ، أظهرت الحكومة العثمانية ميلا لتجاهل مركزه كمفوض مقيم ، وهي تعامله على أنه قنصل عام فحسب ، وإن واجبات ومسئوليات الممثلين البريطانيين في بغداد تتضاءل وتقيد تدريجياً لان المناطق التابعة لباشوية بغداد قد قلت في الايام الاخيرة بسبب فصل البصرة ومناطقها عنها ، ونتيجة لهذا فان نفوذه في البلاد الى فناء . وكان الاتجاه في ذلك الوقت

هو اعتباره كقنصل لولاية بغداد فقط ، في حين أن المطلوب ، في رأي الرائد تويدي ، وخاصة في ظروف ذلك الوقت ، هو «ممثل سياسي قوي لا يقيده قيد ، وذلك حسبما كانت ترى حكومة الهند ، ممثل سياسي يخترق بشخصه أو نفوذه او امواله كل جزء من الامبراطورية العثمانية يقع على امتداد الخليج » . وأهم المسائل التي أثارها الرائد تويدي في رسالته كانت اولا مسألة الوضع الرسمي للمفوض في المستقبل ، وذلك فيما يتعلق بالبصرة ، وثانياً مسألة الترتيبات اللازم اجراؤها لانقاذ مركزه الرسمي من التلاشي . وعندما أحال سفير صاحبة الجلالة البريطانية في القسطنطينية هذه المكاتبة الى وزير الدولة للشئون الخارجية أشار من بين ما أشار اليه الى الملاحظات التالية :

ان وظيفته كوكيل سياسي أجنبي في بلاد مستقلة كالامبراطورية التركية هي وظيفة شاذة تماماً ، ومنشوها هو امر ظني بحت . حيث إن الباب العالي لم يعترف بها .

وبالنسبة لسفارة صاحبة الجلالة فان الرائد تويدي هو قنصل عام ولا شيء غير ذلك ، ولم يعترف الباب العالي مطلقاً بأن له صفة أخرى ، وبراءته وفرمانه هما نفس البراءات والفرامانات التي تمنح للمواطنين القنصليين الآخرين ، ويتمتع بنفس الامتيازات التي يتمتع بها الموظفون القنصليون الآخرون .

« وان محاولة للحصول على الاعتراف به كوكيل سياسي سوف تثير حتماً أقوى مشاعر الاستياء الشديد من جانب الحكومة الامبراطورية، والوسيلة الوحيدة التي يمكن بها لهذه المشاعر أن تهدأ ، إن أمكن ذلك ، هي إعادة تأكيد الايضاحات عن مركز مثل هذا الموظف وواجباته » .

وكان من رأي السير و. وايت أنه يجب تحديد وظيفة وواجبات المفوض السياسي البريطاني في العراق التركي بهدف محاولة الحصول على اعتراف الباب العالي بها ، والا نظر في إلغاء المنصب. وعندما طلبت

مشورة مكتب الهند رفض بشدة أي تغيير في طبيعة منصب بغداد في حين قرر السفير البريطاني في القسطنطينية في رده على استفسار من وزارة الخارجية الانجليزية أن نفع المفوض لم يقل في رأيه ، لانه على الرغم من أن البصرة قد انفصلت عن ولاية بغداد فان بها قنصلا بريطانيا يتراسل مع القنصل العام في بغداد ويعمل تحت إمرته ، واشار سير و. وايت أيضاً إلى أن « الباب العالي لا يعترف بالسلطة الشرعية لموظف قنصلي خارج الولاية الواحدة التي عين بها ، ويقيم فيها ، والتي لديه براءة بها ، وسفارة صاحبة الجلالة لم تنجح مطلقاً في الحصول على أي تحول عن هذه القاعدة الثابته منذ أن وضعت » والذي يلي هو الاوامر الخاصة بهذه القضية ، والتي بلّغها أخيراً ماركيز سالزبرى الى سير و. وايت وذلك في مارس عام ١٨٨٨

« ربما لا يدري الرائد تويدي بالاعتراضات التي سوف يثيرها الباب العالي حتماً ضد الاعتراف بهذا المنصب من حيث إنه يمكن اعتباره كسابقة دبلوماسية ذات دلالة على ان السلطة الرئيسية للدائرة التي يقيم بها القنصل العام لها مركز شبه مستقل يشبه مركز الاميرين السابقين للصرب ورومانيا ، او مركز خديو مصر الحالي او امير بلغاريا .

وطالما لم يكن الممثل السياسي ممثلا للحكومة البريطانية أو فرعاً من فروع تلك الحكومة ، ولكنه كان ممثلا لشركة الهند الشرقية فان هذا الاعتراض لم يكن صحيحاً بنفس القوة السابقة .

وعلى أية حال فليس من شك في أن حكام الولايات البعيدة للامبراطورية في الازمنة السابقة كان لهم في الواقع مركز أكثر استقلالا بكثير مما هي الحال الآن ، وان تقدم مركزية الادارة في الامبراطورية العثمانية أصبح في السنين الاخيرة ملحوظاً تماماً . وهناك اتجاه مستمر للحد من سلطة حكام الولايات وجرهم الى الاعتماد الكامل على حكومة القسطنطينية ، وكما لاحظتم سعادتكم غير مرة فإن الحقد يتضاعف تضاعفاً ملحوظاً ضد التدخل الاجنبي وضد امتيازات القنصليات الاجنبية

واستثناءاتها ، وضد حقوق الحماية التي اكتسبتها سواء بالاتفاق او العرف .

ان هذه الاشارات التي يبدو أن الرائد تويدي هو المعني بها ملاحظة بنفس الدرجة في الاجزاء الاخرى من الاراضي الخاضعة لتركيا ، ولن نجني أية منفعة من وراء محاولة المطالبة باعتراف رسمي بلقب لا يتفق مع العرف الدولي العام ، وان كان يميز مركز الرائد تويدي في الخدمة الهندية كما يحب .

ويجوز لنا ان نتساءل عما اذا كان الممثل السياسي البريطاني قد نال في يوم من الايام مثل ذلك المركز المعترف به كممثل دبلوماسي ، في هذا المركز الذي يبدو أن الرائد تويدي يتصور أنه قد ألحق في يوم من الايام بتلك الوظيفة ، ونتساءل أيضاً عما اذا كان الاحترام والنفوذ اللذان تمتع بهما بعض أسلافه لم يكونا إلى حد بعيد نتيجة لحسن النية والاحترام الشخصيين من قبل السلطات التركية .

ومهما يكن من شيء فلا يمكن ان يكون هناك شك في أهمية المصالح التي عهد بها الى القنصل العام لصاحبة الجلالة في بغداد بصفته ممثلا لحكومة الهند ، فهذه المصالح كانت الأسباب الاصلية لانشاء هذه الوظيفة ، وهي في كل الاحوال السبب الرئيسي لاستمرارها . وكما حدث حتى الآن فانني لعلى يقين ان الرائد تويدي سوف ينال دائماً المعونة والمساعدة كاملتين من سعادتكم في أي وقت يحتاج اليه ، وذلك لحماية هذه المصالح وأداء الواجبات المتصلة بها .

ويجب أن يدرك الرائد تويدي أن المركز الذي يشغله والامتيازات التي يتمتع بها كقنصل عام لصاحبة الجلالة تختلف اختلافاً بيناً عما يناله الموظفون القنصليون في معظم البلاد الاوروبية ، وسوف يعتبر مركزه وامتيازاته كأشياء تخص المنصب الدبلوماسي فقط ، ولكن لا بد من الاعتدال والتعقل الكبيرين في ممارسة الحقوق التي اعتمدت في الاصل على

القبول والمجاملة ، والتي كثيراً ما يكون في مقدور السلطات المحلية أن توقفها عملياً حتى ولو كان معترفاً بها من ناحية المبدأ ، ومن المؤكد أن محاولة تأكيد هذه الحقوق تأكيداً صارخاً والحصول على توسيع نطاقها سوف يثير الشكوك والحقد في الوقت الراهن في كل من القسطنطينية والمنطقة ذاتها ، بل ويسبب العداء المتزايد وتعويق إنجاز الاعمال » .

وفي يونيو سنة ١٨٨٨ أبدت حكومة الهند تعليقاتها على تلك الاوامر في رسالة رسمية الى وزارة الدولة لشئون الهند :

لا يخامرنا شك في أن حكومة صاحبة الجلالة سوف تتخذ أية تدابير يمكن اعتبارها ضرورية لصد الخطر المحتمل من تناقص عام للنفوذ البريطاني في الجزيرة العربية الخاضعة للحكم التركي بسبب تقلص الحدود الجغرافية للولايات التي يعمل بها القناصل . وأما بشأن المصالح الهندية فاننا نعتقد ان هذه المصالح يمكن حمايتها حماية كافية من قبل المفوض السياسي دون اعتراف آخر بهذا اللقب من قبل الباب العالي .

« ومن رأينا ان خطاب لورد سالزبري ، المؤرخ في العشرين من مارس سنة ١٨٨٨ والمرسل الى سفير ومعتمد صاحبة الجلالة في القسطنطينية ، يفي باحتياجات هذه القضية ، ونحن نتفق مع اللورد في الاعتقاد بأنه ليس ضرورياً أن يسير لابعد من ذلك في هذا الموضوع » .

مشكلة استخدام لقب « مقيم » ١٩٠٣ ــ ١٩٠٤ :

وكتب الرائد مارش المفوض البريطاني في مناسبة عيد ميلاد الملك الامبراطور في نوفمبر ١٩٠٣ خطابات الى زملائه الاجانب في بغداد ، ووقع هذه الخطابات بلقب مزدوج هو المفوض والقنصل العام ، وعلى ذلك فقد ارسل له الممثلون القنصليون لفرنسا وألمانيا وروسيا خطابات متشابهة يطلبون منه فيها ألا يستخدم لقب مقيم بل يستخدم في مخاطبته لهم لقب قنصل عام فحسب ، وأبلغ الرائد نيومارش الامر الى حكومة

الهند طالباً منها التعليمات . ولقد ظهر من سجلات المقيمية أن مستر بلاودن (الذي أصبح سير تريفور فيما بعد) قد استخدم لقبي المنصبين أثناء شغله في منصب المقيم ببغداد ، وذلك في مراسلاته مع زملائه الاجانب ، وأنهم لم يعترضوا على ذلك على الرغم من أنهم كانوا يخاطبونه في ردودهم بلقب قنصل عام فقط . ومنذ رحيل مستر بلاودن عام ١٨٨٥ لم يستخدم هذا المنصب المزدوج في المراسلات مع القنصليات الاجنبية ، ولكن الرائد نيومارش لم يلاق أي اعتراض في بادىء الامر على إعادته للمنصب ، وأحيلت المشكلة إلى حكومة صاحبة الجلالة التي قررت في يناير سنة ١٩٠٤ ان الممثل البريطاني في بغداد لا ينبغي أن يستخدم في اتصالاته مع السلطات العثمانية او الهيئة القنصلية لقب مقيم سياسي . وعندما استلم الرائد نيومارش هذه الاوامر رد على خطابات زملائه الاجانب المتشابهة برسالة أنهاها بعبارة : « ولذلك فانني ساخاطبكم مستقبلاً بلقب قنصل عام فقط » .

بادرة مسلكية من الرائد نيكسون الممثل السياسي البريطاني في بغداد تستوجب التعنيف ١٨٧٧ — ١٨٧٨ :

وحدث في بغداد عام ١٨٧٧ مايشبه التمرد من جانب الممثل السياسي البريطاني . ومع ان القضية مشكوك في صحتها الا أنها جديرة بالملاحظة لانها تبين أخطاراً محققة تنتج عن السلطة الانفصالية الامر الذي استطاع أن يتحاشاه جميع الممثلين والمفوضين السياسيين في بغداد سواء قبل الرائد نيكسون او بعده . ويبدو ان الرائد نيكسون كان يكره مستر روبرتسون مساعد الممثل السياسي ونائب قنصل صاحبة الجلالة البريطانية في البصرة والذي كان تحت إمرته . وفي عام ١٨٧٥ قدم اتهامات ضده الى السفير البريطاني في القسطنطينية واقترح نقله ، ولم يعضد سير هـ. إليوت توصيات الرائد نيكسون . والنتيجة الوحيدة بشهادة الرائد نيكسون أنه أنذر مستر روبرتسون بسبب موقف أبداه أثار مشكلات غير

ضرورية مع السلطات التركية ، ولم تحط حكومة الهند علماً بتلك الاجراءات التي تخص أحد موظفيها . وفي عام ١٨٧٧ قام الرائد نيكسون من تلقاء نفسه بتعيين شخص يدعى مستر كارتر(١) خلفاً لمستر روبرتسون في البصرة . وذلك بعد أن نقلت حكومة الهند مستر روبرتسون موقتاً الى مسقط كقائم بأعمال الممثل السياسي هناك . ويبدو أن هدف نيكسون ربما كان منع عودة مستر روبرتسون، لانه عندما أبلغ وزير دولة صاحب الجلالة للشئون الخارجية عن استعداد مستر كارتر لقبول المنصب بصفة دائمة قال في ملاحظاته : « ولو وافقتم فانني ارجوكم أيها اللورد ان تبلغوا موافقتكم الى حكومة الهند التي تدفع المرتبات ، والتي يبدو أنها هي التي تجري الترقيات الآن » . وبعد أن علمت حكومة الهند بالتصرف الشاذ للرائد نيكسون أبلغته أن تعيين مستر كارتر يجب ان يعتبر تعييناً موقتاً فقط . وطلبت من الرائد نيكسون نفسه شرحاً لسلوكه هذا ، ورد الرائد نيكسون مشيراً الى خطاب دوري صادر من وزارة الخارجية الانجليزية يخوله تعيين قناصل بالوكالة وذلك في حالات معينة ولاغراض معنية ، ثم أضاف : « ان مركزي هنا هو مركز غريب الى حد ما ، لانه في حين ان رغبتي هي أن أعمل طبقاً لمشيئة الحكومة الهندية تماماً ، إلا أننا يجب ألا ننسى أن على أن أعمل طبعاً كتابع لوزارة الخارجية الانجليزية ولسفيرنا في القسطنطينية » ، ولقد نتج عن هذا الدفاع هذه الملاحظات القاسية التالية من قبل حكومة الهند : « ان ما بينته في خطاباتك آنفة الذكر لا تعتبره حكومة الهند شرحاً مقنعاً ، والوظيفة الاصلية التي كان يشغلها مستر روبرتسون قبل نقله الى مسقط هي وظيفة مساعد الممثل ، وحكومة الهند هي التي تدفع المرتب والعلاوات المتعلقة بهذه الوظيفة ،

---

(١) لقد كان مستر كارتر موظفا بشركة بريطانية محلية ، وقد مات أخيرا بالبصرة وكان يعرف « بالشيخ الابيض » ، لما كان يعتقد من أن له نفوذا شخصيا ملحوظا بين العرب .

وكل التعيينات المتعلقة بها سواء أكانت عامة أم دائمة هي من سلطة صاحب السعادة نائب الملك ورئيس المجلس وليس من حق سلطة أخرى . وصحيح ان مساعد الممثل السياسي في الجزيرة العربية الخاضعة للحكم التركي عادة ما يتلقى مرتبه وصلاحيات نائب القنصل من القسم الاجنبي لحكومة صاحبة الجلالة ، ولكن مركزه كنائب قنصل لا يستتبعه أي مرتب وهو ثانوي بالنسبة لمركزه الاصلي .

ولقد تعديت سلطاتك وتجاهلت سلطة صاحب السعادة نائب الملك والحاكم العام للهند .

وإنه ليسر الحاكم العام ان يعلم من خطابك أنك تقر أن عدم الاحترام الواضح في إجراءاتك لم يكن متعمداً ، ولكن في حين يبرىء صاحب السعادة ، رئيس المجلس ، ساحتك من عدم الاحترام المتعمد فانه مضطر إلى إعتبار أن اجراءاتكم كان ينقصها الذكاء والحكمة » (١) .

وفي الثلاثين من يوليو عام ١٨٧٧ أبلغت حكومة الهند حكومة صاحب الجلالة والرائد نيكسون أنها لم توافق على تعيين مستر كارتر في البصرة ، وأن شخصاً في بوشهر هو الكابتن إ. ا. فريزر قد أمر بأن يحل محله . وعلى أية حال فقد كان خطأ الرائد نيكسون الذي شرحناه سابقاً بسيطاً ، لو قارناه بآخر وقع فيه : فبعد أن استُدعي الكابتن فريزر إلى الهند في نوفمبر عام ١٨٧٧ ، وأصبح رجوع مستر روبرتسون الى البصرة وشيكاً كتب الرائد نيكسون في نفس الوقت تقريباً الى وزير حكومة الهند في القسم الاجنبي ، والى سفير صاحبة الجلالة البريطانية في القسطنطينية معارضاً إعـــادة تعيين مستر روبرتسون في البصرة ، ففي خطابه الى السفير أعاد شكواه ضد مستر روبرتسون التي انتهت

---

(١) وقد اختتمت هذه الرسالة بعبارة وعلى أن اضيف ان اللورد ليس مستعدا لتعيين ولدك فى هذه الوظيفة (اى مساعد الممثل السياسى فى البصرة) .

منافشتها عام ١٨٧٥ ، واتهمه بأن « له نزعة غير مسالمة» واقترح ضرورة نقله الى حكومة الهند بصفة دائمة ، او ان يعين في وظيفة قنصلية في مكان آخر . وكان هذا العرض للقضية بلا مسوغ ، لان حكومة الهند قد شرحت للرائد نيكسون قبل ذلك وبمنتهى الوضوح أن مستر روبرتسون موظف في دائرة هندية ، وان وظيفة البصرة ما هي إلا وظيفة تابعة لحكومة الهند . ورد وزير حكومة الهند في القسم الاجنبي أنه لا يمكن نقل مستر روبرتسون ، ولكن عرض الرائد نيكسون للقضية والذي بعث به الى السفارة نال تأييداً مشروطاً من قبل وزارة الخارجية الانجليزية .

ومهما يكن من شيء فقد تعرضت إجراءات الرائد نيكسون للتدقيق الشامل ، وذلك بعد ان نوقش الامر بين وزارة الخارجية الانجليزية ومكتب الهند ، وبدأ التساؤل حينئذ عما اذا كان يمكن أن يسمح بالبقاء له في بغداد . وكانت مدة خدمته تحت إمرة المكتب السياسي لحكومة الهند قد انتهت عام ١٨٧٧ عند بلوغه الخامسة والخمسين من عمره ، ولكنه قد منح تمديداً خاصاً لمدة عامين ينتهيان في أول يوليو سنة ١٨٧٩ وذلك بناء على ما عرضته وزارة الخارجية البريطانية . ووضعت حكومة الهند ملف خدمته قيد البحث ، وتبين أنه قد وجه اليه توبيخ عنيف في عام ١٨٧٦ لمسلك بَدَرَ منه بحق الكابتن وارنر الذي كان يقود «الكومت» وأن اعماله في قضية « كلثوم نيسا بيجام » التي سنشرحها فيما بعد كانت تتسم بالضعف والتعويق كما وصفتها السلطات العليا في الهند . واقترحت حكومة الهند إلغاء التمديد الخاص لخدمته ، وترك وزير دولة صاحب الجلالة لشئون الهند الأمر في هذا الشأن لحسن تقدير حكومة الهند ، وتوسط سير ه. لايارد سفير صاحبة الجلالة البريطانية في القسطنطينية لصالح الرائد نيكسون مبيناً أنه من الواضح أنه محبوب تماماً في بغداد ، وأن صلاته مع السلطات التركية صلات طيبة ، وأن وجوده لذلك في العراق الخاضعة للحكم التركي مفيد في مثل تلك الاحوال التي كانت

سائدة في ذلك الوقت ، ولكن وزير دولة صاحب الجلالة للشئون الخارجية لم يشأ أن يتدخل ، وأخيراً كتبت حكومة الهند في أغسطس سنة ١٨٧٨ إلى الرائد نيكسون تعقب على عدم كفاية ما قدم من ايضاحات ، وتبلغه القرار الذي توصلت اليه ، وذلك بالعبارات الآتية : « إن من رأي صاحب السعادة الحاكم العام أنه من غير المجدي شرحنا ثانية لعدم لياقة الرجوع إلى جهة أخرى غير حكومة الهند بشأن الاوامر التي تتعلق بالوظائف الخاضعة لهذه الحكومة أو أن نلومك للمرة الثانية لهذا الخطأ ، ويبدو من المؤكد أنك تجد صعوبة كبيرة في التفريق في علاقاتك بين رئاستين مختلفتين تمام الاختلاف ، وفي المحافظة على التمييز الضروري بينهما ، ولذلك فقد صمم صاحب السعادة أنك يجب أن تنقل من بغداد الى وظيفة بالهند ، نظراً للارتباك والخلل الواضحين في الاعمال العامة مما كان السبب فيهما عجزك عن أن تفهم المركز الذي تشغله أنت ومرؤسك في الجزيرة العربية الخاضعة للحكم التركي ، وعجزك عن تفهم الوظائف المزدوجة مع حكومتين » .

ولكن بعد أن قدم الرائد نيكسون اعتذاراً عما بدر منه قبلت حكومة الهند أخيراً هذا الاعتذار ، وألغت اوامرها بنقله وسمح له بأن يتم خدمته في بغداد (١) .

---

(١) ربما كان الرائد نيكسون مثل سلفه الرائد تيلور الذى كان اقل حظا منه ، وربما كان غير سعيد الحظ في تلك النواحي من سلوكه التى كانت بادية تماما في أعين السلطات الرسمية ، فقد نوه غير رحالة بالكرم الانجليزى الهندى الذى ميز بيته في بغداد ، فقد قالت السيدة آن بلانت : « ان الرائد نيكسون هو الكرم بعينه ، ويبدو ان أبوابه مفتوحة دائما لتؤوى المسافرين تعيسى الحظ مثلنا بعد وصولنا متسخين ومنهوكى القوى نتيجة للاحوال الجوية الى مدينة غير كريمة لولا وجوده » بدو الفرات جزء ١ ص ١٨٩ راجع أيضا كتاب : طريق مستقبلنا للكوماندان كاميرون الجزء الثانى ص٢٨٥ . اما مستر جيرى فاشار الى نقطة اكثر أهمية : ان الرائد نيكسون الممثل السياسى الحالى فى بغداد هو موظف انجليزى هندى ذو تجربة كبيرة =

علاقات المقيمية البريطانية في بغداد مع الحكومة المحلية والقنصليات الاجنبية ـ ١٨٨٩ :

وفي عام ١٨٨٩ أحيا العقيد تالبوت القائم بأعمال المقيم البريطاني في بغداد والمسيو بيكنون القنصل الفرنسي عادة القيام بزيارة رسمية بالزي الرسمي الى رئيس الحكومة المحلية بمناسبة عيد ميلاد صاحب الجلالة سلطان تركيا ، وذلك بعد أن أبطل استعمال هذه العادة لبضع سنين . ومن الواضح ان هذه العادة قد أبطلت في عهد وال متعصب من ولاة بغداد وهو تقي الدين باشا ، فحلت زيارات التراجمة محل زيارات الموظفين ، وبالتالي كف ممثلو الدول الاوروبية في بغداد عن تبادل الزيارات الرسمية في مناسبات الاعياد الوطنية في بلادهم . وقد خطا العقيد تالبوت الخطوة الاولى للعودة لتلك العادة الودية السابقة ، وذلك بأن قام بزيارة رسمية وبالزي الرسمي للقنصلية الفرنسية في الرابع عشر من يوليو عام ١٨٨٨ . وبمناسبة عيد ميلاد صاحب الجلالة السلطان قام ممثلو بريطانيا وفرنسا وايران في السابع عشر من ابريل عام ١٨٨٩ وبزيهم الرسمي ، بزيارة المشير نصرت باشا القائم بأعمال رئيس حكومة بغداد ، وذلك لاعتقادهم بأن هذه التحية سوف ترد عند اول فرصة .

وعلى ذلك فقد اقيم استقبال في المقيمية البريطانية وفي الهواء الطلق في الرابع والعشرين من مايو ١٨٨٩ في عيد ميلاد صاحبة الجلالة الملكة الامبراطورية وكان ذلك بعد الغروب لاننا كنا في شهر رمضان ، وحضر هذا الاستقبال والي بغداد والمشير نصرت باشا وقناصل فرنسا وروسيا وامريكا وإيران ، ورجال الدين الارمن والكلدانيون والسوريون ، وجميع الرعايا البريطانيين الاوروبيين ، والاوروبيون الآخرون في

= وله موهبة عظيمة صقلها سير هنرى لورنس في اكتساب حب الشرقيين ثم : لقد لاحظت ان الناس من كل الطبقات والمذاهب سواء كانوا مسلمين او مسيحيين أو يهودا كانوا يحيون الممثل السياسى البريطانى باحترام كبير بل وباخلاص . كتاب : في تركيا الآسيوية الجزء الاول ص ١٤١ ـ ١٤٢ ـ ٢٠٢ .

بغداد ، وحشد هائل من الرعايا الهنود البريطانيين ومواطنون مسيحيون ومسلمون من بغداد .

مشكلة تعيين مساعد للمقيم في بغداد ۱۸۸۱ – ۱۸۹۱ :

وفي فبراير عام ۱۸۸۱ أثار المستر بلاودن مسألة تعيين مساعد اوروبي للمقيم في بغداد ، وكان بلاودن هو الذي يشغل ذلك المنصب حينئذ ، ولكن حكومة الهند ردت بأنها غير مستعدة لتدعيم هيئة الموظفين . وفي يوليو من العام نفسه عاد مستر بلاودن الى نفس الموضوع ولكنه لم يفلح ، وخول ملء هذا الفراغ بتعيين مساعد من الوطنيين في المقيمية . ومن الجلي أن المنصب ترك شاغراً على امل الموافقة على تعيين مساعد اوروبي ، وعندما كان مستر بلاودن في عطلة بانجلترا عام ۱۸۸۳ ارسل وزير الدولة الى حكومة الهند مذكرة كتبها مستر بلاودن عاود فيها طلبه تعيين مساعد في بغداد وذلك للاسباب التالية : « ليس هناك موظف بالسلك السياسي الهندي عليه أن يتصرف بمفرده في مهمة كبيرة كالمهمة المعهود بها الى المقيم في الجزيرة العربية الخاضعة للحكم التركي والقنصل العام في بغداد ، فالبلاد التي تقع تحت المراقبة السياسية من جانبي بلاد تبلغ مساحتها ما يقرب من ١٤٤ الف ميل مربع ، ومن ضمن واجبي أن أبلغ الحكومة الامبراطورية والحكومة الهندية بالاحداث السياسية الهامة التي يمكن أن تقع في هذه البلاد الشاسعة ، وبتحركات الاكراد في الشمال والشمال الشرقي ، وعن سير الامور على الحدود التركية الايرانية ، وبعلاقات القبائل العربية نحو بعضها البعض وتجاه الموظفين العثمانيين ، وعلى أن اتراسل مع الموظفين العثمانيين المحليين ، ومع القناصل الاجانب لفرنسا وروسيا وايران . (والمراسلة مع الاولين منهما هي باللغة الفرنسية التي على ان أترجمها بنفسي) ومع مساعدي في البصرة والموصل ومع المفوض في الخليج ، ومع حكومتي الهند وبومباي ، ومع وزارة الخارجية الانجليزية والسفير في القسطنطينية ، ومن وقت لآخر مع الوزير في طهران. وفي عهدتي أيضاً مكتب بريد هندي كثيراً ما تستورد عن طريقه السلع

القيمة ، وفي عهدتي أيضاً خزينة . وبينما في الهند يقوم مساعد مأمور شاب عادة، وبصفة شخصية، بمهمة الاعلام عن الرصيد النقدي في الخزينة في اليوم الاخير من الشهر ، وتسليم الخزينة وحسابات طوابع البريد في تواريخ معينة تابعة ، فان هذه المهمة في بغداد تقع على كاهلي ، وهي تربكني كثيراً ، لانها تضطرني لان أكون موجوداً في بغداد في أيام معينة مخصصة لذلك كما أن القضايا والمنازعات الصغيرة بين الهنود البريطانيين تستنفذ جانباً كبيراً آخر من وقتي ، زد على ذلك أنني أتلقى عدداً من البرقيات وهي حتماً بالشفرة لان السلطات التركية تطلّع على كل برقية عادية ، وعليّ أن ارد على هذه البرقيات بالشفرة ، والحكومتان الانجليزية والهندية لا تستخدمان نفس المصطلحات ، ولذلك فعلى أحياناً أن أبلغ نفس الرسالة بشفرتين مختلفتين ، ولأن الاوامر المشددة تحتم علي أن أقوم بمهمة الشفرة بمفردي تماماً ، فكل الاعمال الاخرى في هذه الفترة يجب ان تترك جانباً .

ولدي بالطبع أعمال كثيرة مع الوالي والموظفين العثمانيين الآخرين . وفي بغداد لا يكاد يتم شيء عن طريق الرسائل الرسمية وفي نفس الوقت ليس من المناسب او اللائق دائماً أن أذهب شخصياً الى الوالي او مرءوسيه ، ومع ذلك فليس عندي شخص استطيع الاعتماد عليه لارسله بدلا مني ، والممثل الذي هو من أهل البلاد والترجمان الارمني هما مسيحيان وطنيان لا يقام لهما وزن ، ويخشيان الوالي في الحقيقة ، وانا أحجم كثيراً عن إرسالهما لانهما نادراً ما ينجزان شيئاً . ومع هذا فانا عمليا ليس لي الخيار ، ولتقارنوا مركزي بمركز المقيم في الخليج ، فلدي من الاعمال مثل ما لديه على الاقل ، ومع ذلك ، فبينما أنا بمفردي فلدي المفوض في بوشهر مساعد مقيم (وحتى وقت قريب كان لديه اثنان) وموظف للخزينة في مركز مساعد اضافي للمأمور . وليس هناك وجه للمقارنة بين عملي وعمل

القنصل الفرنسي في بغداد ، فالنسبة هي كنسبة عشرة الى واحد ، ومع هذا فان حكومة القنصل الفرنسي قد عينت له مساعداً اوروبياً مدرباً تدريباً جيداً في الكلية الشرقية في باريس . وبالاضافة الى ذلك فان قيمة بغداد كحقل لتدريب موظف سياسي شاب هي جديرة بشيء من التفكير فسوف يحصل على فرصة لا نظير لها لتعلم اللغات العربية والفارسيـــة والتركية ، وللاختلاط بالشرقيين من اجناس كثيرة مختلفة ، ولمعرفة الاسلام في بلد يسوده دين الاسلام . ولا أستطيع إلا أن اعتقد أن ضرورة تعيين مساعد للمفوض كان سيتم إقرارها قبل ذلك بوقت طويل لو أن بغداد كانت أقرب للهند ، ولدى اعتقاد قوي بأن المصالح العامة تكابد كثيراً لاغفال تعيين هذا المساعد » .

وكان رد حكومة الهند على وزير الدولة كما يلي :

« مما لا شك فيه ان اضافة مساعد لهيئة موظفي المفوضية سوف يكون له منفعة بالنسبة للمقيم كما له فائدته بالنسبة لحكومة الهند . وفي نفس الوقت فلسنا مقتنعين بأن العمل في مقيمية بغداد وقنصليتها هو من الكثرة بحيث يبرر التكاليف التي ستنشأ عن إنشاء وظيفة جديدة في سلكنا السياسي ، كما اقترح مستر بلاودن :

وعلى أية حال فسوف نحاول أن نوفد إلى بغداد بين الحين والآخر أي موظف شاب يمكن ألا يكونمطلوباً بواجب أكثر أهمية في مكان آخر » .

وعندما كان الرائد تويدي قائماً بالاعمال في بغداد ذلك الوقت تقريباً اقترح إضافة ملحق أو ملحقين من المسلمين السنيين الهنود الى المقيمية بدلا من الموظف الاوروبي .

وعندما أصبح الرائد تويدي مقيماً وسلم في عام ١٨٩١ مشروعاً لاعادة تنظيم وقف «اوض» الذي كان يوشك ان يلقي على كاهل المفوضية قدراً كبيراً من العمل الاضافي ، استشهد برأي كان قال به

الرائد كمبول في عام ١٨٦٧ ، وبين أنه لو لاقت اقتراحاته الخاصة القبول فان الامور ستتطلب بالتأكيد تعيين مساعد لهيئة موظفي المقيمية ، ولكنه لم يُقِم اقتراحه على أساس من ازدياد العمل مما كان سينشأ عن تغيير تنظيمات «وقف» اوض ، فقطعاً كما هو واضح في الفقرة التالية من أحد خطاباته :

« إن الموظف الثاني الوحيد لدينا الآن الموكول اليه بعمل هو طبيب المفوضية ، والواقع إن اللواء الطبيب بومن ليس خلواً من التجربة في المسائل المدنية ، ويستحق استعداده لمدّ يد المساعدة في الاعمال غير المتعلقة بمهنته الاعتراف الكامل . لكن خلفه في الوظيفة مستقبلا قد لا تكون له مثل مؤهلات بومن لكي يقوم بين الحين والآخر بواجبات سياسية او قنصلية او قضائية او أعمال خاصة بالخزينة ، وعلى أية حال فان إنجاز الأعمال في مقيمية هامة او حتى مساعدة المفوض في واجباته ومراسلاته اليومية ليس من عمل الطبيب ، خاصة اذا كان هذا الطبيب يمارس مهنته على حد سواء في الاوساط الروسية والفرنسية والتركية كما هي الحال هنا عادة » .

★ ★ ★

وقبل كل شيء هناك أسباب عامة لطلب المساعد : إن روسيا تلقي ظلالها سريعاً على دجلة والفرات ، فقد أعادت إنشاء قنصلية هنا في مايو من العام الماضي بعد أن اوقفتها لثلاث سنوات ، ومنذ مدة وصل الى بغداد رجل شاب له نفس جنسية القنصل ومنزلته الاجتماعية ليعمل كسكرتير او مساعد . وهو متخرج من الكلية الشرقية بسانت بطرسبرغ مما جعله يجيد اللغة الفارسية تماماً ، وهذا هو المهم . ويدير قنصلية فرنسا أيضاً رجلان فرنسيان على الرغم من أن عدد رعاة هذ القنصلية في بغداد والموصل كما أعتقد لا يبلغون المئة في حين أن سيل الحجاج من المقاطعات الروسية المنشأة حديثاً اذا تدفق فانما يتدفق إلى كربلاء والنجف.

ومن ناحية أخرى فالمفوض البريطاني برغم مما يتبعه من رعايا يعدون بالآلاف سواء أكانوا من الانجليز أم الألمان أم اليونان أوالافغان او الهنود ورغم ما يجيء له من زوار من اوروبا او من الهند وبنظرته الى ميناء البصرة كمركز للانطلاق ، ليس لديه شخص يثق به سوىطبيب أثقل كاهله بالاعمال ، وليس لديه شخص يساعده في الاعمال الثانوية حتى يتفرغ هو أكثر من ذلك بغية توسيع نفوذه الشخصي عن طريق الاتصال بكل الطبقات ، ذلك النفوذ الذي يعتمد عليه الكثير من الامور هنا . والاخطر من ذلك كله أنه ليس لديه أحد جدير بأن يعهد اليه بالمفوضية بكل مسئولياتها وطوارئها المتعددة عندما يسافر حتى إلى كربلاء او البصرة » .

وعلى أية حال فقد أقر الرائد تويدي بعد ذلك أنه إلى أن تتم زيادة جادة بالاعمال المتعلقة بوقف اوض او في الاعمال التي تستدعي سفر المفوض ، فان مسألة الحاق مساعد بالمفوضية يجوز ان توقف ، وقد اوقفت فعلا بصفة موقتة .

تعيين مساعد تجاري للمقيم في بغداد ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ :

وفي نوفمبر عام ١٩٠٤شرح العقيد نيومارش مصاعبه في كتابة التقارير التجارية ، وتصريف الاعمال القنصلية للمقيمية ، الى جانب القيام بالاعمال السياسية التي هي أكثر أهمية والتي كانت تشغل معظم وقته ، ونتيجة لطلبه هذا عين مساعد للقنصل في بغداد لشئون التجارة والحرف وذلك سنة ١٩٠٥ ، وقيد مرتب هذا المساعد مناصفة بين حكومة الهند وحكومة صاحب الجلالة ، ولكن السلطات القنصلية لم تمنح لهذا الموظف الجديد . واول من شغل هذه الوظيفة التي انشئت بهذه الصورة هو مستر ج. س. جاسكن الذي عمل في وظائف مختلفة في الخليج تحت إمرة حكومة الهند لبضع سنين ، إلا أنه قدم اقتراح بأن يكون خلفه في الوظيفة من السلك القنصلي للشرق الأدنى .

باخرة الحكومة البريطانية «كومت» ١٨٨٠ — ١٨٩٤ :

وينبغي أن نتذكر أنه قد تقرر منذ عام ١٨٦٨ أن تحل سفينة جديدة محل باخرة المفوضية الخاصة كوميت . وقد تم الحصول على إذن بذلك من الباب العالي عام ١٨٦٩ وإن يكن قد تأخر لأسباب مختلفة .

١٨٨٠ — ١٨٨٤ :

وتقرر في عام ١٨٨٠ على وجه التحديد بناء سفينة جديدة . وقبل إتمامها أصبحت الكومت غير صالحة للعمل وكان ذلك في عام ١٨٨٢. وعلى ذلك فقد استوءجرت باخرة اسمها «لندن» لتستخدمها المفوضية موءقتاً ، ولكنها غرقت بشط العرب دون ان تصل الى بغداد . وعلى الرغم من بذل الجهود للحصول على مركب بخاري مناسب ليحل محلها إلا أنه لم يكن بالإمكان الحصول على أي مركب . وعندما تم بناء سفينة في بومباي لتخلف الكومت وجد أنها من الكبر بحيث لا تستطيع الابحار في نهر دجلة ونتيجة لهذا فقد طالت مدة التأخير . وتهيأت أخيراً السفينة الجديدة وبلغت تكاليفها ٨٣,٤٩٤ روبيه ساهمت حكومة صاحبة الجلالة فيها بمبلغ ٣,٠٠٠ جنيه استرليني . وكانت السفينة مسلحة بمدفعين من طراز «نوردن فلت » وتسمت باسم الكومت لانه كان اسماً مألوفاً لامد طويل . وحام بعض الشك حول الاسلوب الذي ستتقبل به السلطات التركية استبدال الكومت القديمة بالكومت الجديدة ، ولكن الباب العالي منح الاذن بذلك على شرط أنه لا يجب على كلتا السفينتين أن تكونا في الفرات في نفس الوقت ، ولهذا كان نصيب الكومت أن حطمت في بغداد ، ودخلت السفينة الجديدة(١) الى النهر في أكتوبر عام ١٨٨٤ .

---

(١) نقلت السفينة الجديدة الى بمباى وزيد في طولها في عام ١٩٠٤ — ١٩٠٥ ، وطولها الآن ١٩١٢ هو ١٣١ قدما و ٦ بوصات ، أما حمولتها الاجمالية فهى ١٨٢ طنا ، وغاطسها من ثلاثة اقدام الى ثلاثة اقدام وست بوصات . وفي عام ١٩٠٩ صفحت بنطام من الصلب لا تنفذ منه طلقات الرصاص مما يحمي مركز الربان والمدافع وحجرة الآلات حماية كاملة .

١٨٨٧ — ١٨٨٩ :

وبعد أن ارتطمت الكوميت أثناء احدى الرحلات اقترح المقيم تويدي عام ١٨٨٧ ضرورة نقلها لمكان آخر وجلب سفينة الى بغداد تكون أكثر ملاءمة لأنهار العراق. لكن حكومة الهند رفضت هذا الاقتراح لان السفينة لا يمكن الانتفاع بها في مكان آخر ، كما لا يمكن بيعها إلاّ بخسارة فادحة ، ولأنه يجب أخذ رأي حكومة صاحب الجلالة بشأن التخلص منها . وفي عام ١٨٨٩ كتب الرائد تويدي ثانية بخصوص عدم صلاحية الكومت ، وألح على أن تستبدل بمركب تجاري يكون أكثر نفعاً وتوفيراً للنفقات . وقد أسيء فهم مقصده ، فهو قد كان بعيداً كل البعد عن أن يدافع عن نقل الكومت إلا أذا اقترن ذلك بتزويد بغداد بسفينة أخرى تبنى بطريقة مختلفة ويراعى فيها أن تكون قطعة تابعة لاسطول كبير «البحرية الهندية» بقدر ما تكون وسيلة لتنفيذ أعمال معينة معقولة في المياه العثمانية . وكان يرى أنه لو توقفت سفن «شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية» عن السير في يوم ما فسوف لا تُقدّر الكومت ساعتها بثمن كسفينة لانجاز الاعمال بسرعة وكوسيلة للنقل . ولقد أُبلغ الرائد تويدي على الرغم من هذه الآراء التي أبداها ان استبدال الكومت يواجه بعض الصعوبات ، ولذلك فانه لن يُتخذ عمل فوري . وفي إبان ذلك الوقت فشل اقتراح بوضع الكومت عند البصرة بصفة خاصة ، وذلك نتيجة لرفض مشروع لتعيين مساعد للممثل السياسي في البصرة ليعمل قنصلا في المحمرة أيضاً ، مما كان يقتضي خدمات باخرة تابعة للحكومة البريطانية في شط العرب ونهر قارون .

١٨٩٣ — ١٨٩٤ :

وكما ذكرنا في موضع آخر استُبدل في البصرة المدفعان من طراز «نور دن فلت» اللذان كانا سلاح الكومت بآخرين من طراز أحدث يعبآن بذخيرة من نوع « مارتيني هنري » وكان ذلك في شتاء عام ١٨٩٣—١٨٩٤

مسألة مركب بخاري لمقيمية بغداد ١٩٠٤ – ١٩٠٥ :

في عام ١٩٠٤ طلب الميجر نيومارش المفوض أن يزود بمركب بخاري للرحلات القصيرة في النهر عند بغداد ، وبيّن أن الحاجة كانت ماسّة في ذلك الوقت لمثل إحدى وسائل الراحة هذه ، وذلك بمناسبة نقل المفوضية من قلب المدينة إلى أطرافها . وكانت حكومة الهند مستعدة لتزويده بهذا المركب ولكن سفير صاحب الجلالة البريطانية في القسطنطينية كان يعتقد أن الحديث مع الباب العالي عن هذا المركب المستجد سيخلق متاعب كثيرة واقترح السفير وسائل أخرى . وأجريت الترتيبات وتم تزويد المقيمية بمركب آلي من صنع ثورنيكرفت ولكن ذلك كان بعد عام ١٩٠٥ .

الحرس العسكري البريطاني في بغداد ١٨٧٨ – ١٩٠٥ :

ذكرنا سابقاً أن الحرس العسكري الهندي لمقيمية بغداد كان يتألف في عام ١٨٦١ من عشرة رجال فقط بعد تخفيضه من قوة سابقة قوامها ثلاثون رجلا ، وذلك بعد أن عين للمفوض عدد من الحرس الفرسان الذين جندوا محلياً .

١٨٧٨ – ١٨٨٢ :

كان على الحرس العسكري أن يحرس بناء المقيمية المشتمل على خزينة ، كما يحرس ثكناته هو واسطبلات الحراس الفرسان التي كانت في ذلك الوقت تبعد قليلا عن المقيمية ، وفي عام ١٨٧٨ تبين أن هذا الحرس العسكري قليل جداً بالقياس الى الواجبات الملقاة على عاتقه ، فزيد الى ستة عشر من حملة البنادق . وفي مايو سنة ١٨٨٢ ارتفع عدده الى خمسة وعشرين من جميع الرتب وفي جملتهم ضباط جُندوا محلياً .

١٨٨٣ — ١٨٨٥ :

وفي عام ١٨٨٣ شكا الباب العالي من هذه الزيادة . وفي بداية عام ١٨٨٤ قدم المقيم المستر بلاودن تقريراً عن الموضوع سارداً تاريخ الحرس والتحولات التي طرأت عليه من يوم إنشائه ، وشارحاً الظروف التي استلزمت وجوده وأدت الى تقويته ، ثم عبر عن عدم موافقته على تخفيضه إذعاناً للمطالب التركية . وحيث كان الحرس لمدة تزيد على النصف قرن يُستبدل سنوياً دون أن تبدي السلطات التركية أية إشارة ، فان مستر بلاودن أرجع الاعتراضات التي اثيرت حينئذ إلى نفوذ الوالي تقي الدين باشا وكبار الموظفين الآخرين في بغداد ممن كانت لهم نزعة شديدة ضد بريطانيا ، وكذلك الى سياسة الحكومة التركية يومئذ النازعة إلى قمع النفوذ الاجنبي في كل أجزاء الامبراطورية . وبعد أن شرحت ظروف القضية للباب العالي لم يجر حديث عنها أكثر من ذلك من أي من الجانبين لكنه لدى وصول الحرس الذي يستبدل كل عام على ظهر باخرة بريطانية في مارس سنة ١٨٨٥ عبر الرئيس التركي في بغداد لترجمان المفوضية عن شكة فيما اذا كان يحق له أن يسمح لهم بالنزول بأسلحتهم في حالة عدم وجود مستند خاص من القسطنطينية ، ولكن هذا الشك أمكن التغلب عليه في النهاية .

١٩٠٤ :

وفي بداية ١٩٠٤ وقع حادث فظيع ومشين في حرس المفوضية الذي ظل حتى ذلك الوقت ، وخلال مئة سنة مرت على وجوده خلواً من أية جريمة خطيرة بقدر ما عرف عنه .

لقد كان المفوض ميجر نيومارش في رحلة شتائية حين اختفى جامادار غلام الدين الضابط الوطني الذي كان يرئس فصيلة الحرس من فرقة نابيير رقم ١٢٥ بنادق . ولبعض الوقت لم يمكن العثور على أثر ذلك الضابط ، ولم يكن الجامادار محبوباً تماماً من رجاله لانه كان مدرباً

صارماً ، وكان يسود الفرقة عموماً شعور بالكراهية له ، وذلك بسبب ترقيته اليها بتكليف من فرقة بومباي التاسعة «مشاة» التي كان صف ضابط بها . وأخيراً أدلى أحد جنود الفرقة واسمه عبد الكريم بمعلومات في الحادي عشر من فبراير أدت الى اكتشاف جثة الجامادار مدفونة مع فانوس يده في خان أو مخزن بضائع على الضفة الاخرى من النهر . وكان يستأجر الخان المذكور مستر دارسي الذي يعمل بشركة الزيت الايرانية ، وكانت الجثة تحمل اربع عشرة طعنة خنجر ، ودلت التحريات أن جريمة القتل ربما كانت نتيجة لمؤامرة حيكت بالفصيلة .

وفي الثامن عشر من فبراير اندفع الجندي عبدالكريم كالمجنون وأطلق الرصاص على ثلاثة من رفاقه في الحرس فقتلوا ، كما قتل اثنان من القواصين الافغان ينتميان الى دائرة المقيمية . وكان الدافع الوحيد الذي يمكن الكشف عن لتلك الفعلة هو خشيته عاقبة ما كشف للمفوض من أمور عن بعض الرجال بالفصيلة ، ففكر في أن ينتقم سلفاً ، وانسحب من المقيمية إلى ثكنات الفصيلة في المدينة ، واتخذ موقعه هناك على سطح الثكنات وهدد باطلاق الرصاص على كل من يقترب منه ، ولكن العقيد نيومارش والرئيس كوكس طبيب المفوضية اقنعاه بتسليم نفسه ، وذلك بعد أن اقتربا منه عن طريق سطح مجاور .

وسلم العقيد نيومارش اثني عشر رجلا من الحرس المشتبه في اشتراكهم في جريمة قتل جامادار ، كما سلم الجندي عبدالكريم إلى السلطات التركية ليحبس حبساً موقتاً ، وذلك عندما ظهر أن الحرس بصفة عامة لا يمكن أن يوثق بهم بسبب تلك الاحداث ، وان قتل القواصين قد سبب بين الافغان في بغداد هياجاً أزعج السلطات التركية تماماً . ولم يهدىء من هذا الهياج إلا نفوذ النقيب . أما بقية الحرس فقد حجزهم العقيد نيومارش في مقرهم ووضع حرس تركي لحمايته ، وبناء على طلب العقيد نيومارش أرسل أيضاً حرس تركي الى المفوضية كبديل

موقت لحرسها ، وظل هناك حتى الحادي والعشرين من مارس عندما وصلت من الهند فصيلة جديدة من فرقة بومباي رقم ١٢٠ مشاة ، بقيادة الرئيس فيشر .

وفي قضية قتل الجامادار لم يكن بالمستطاع الحصول على دليل يبيح إحالة أي شخص إلى المحاكمة . وبناء على الحقائق القليلة التي تأكدت فان اقرب الآراء الى المنطق هو ان الضحية قد استدرج الى الخان حيث وجدت جثته وحيث لايسكن سوى حارس أفغاني يدعى عبدالله ، وهناك قتله عبدالله وأفغاني آخر يدعى أكرم ، وربما ساعد في قتله بحار يدعى «عباس» وهو من الرعايا الاتراك .

وبحث العقيد نيومارش ظروف جرائم القتل التي ارتكبها الجندي عبدالكريم . وحاكم المتهم في بغداد في التاسع عشر من إبريل مستر ج. ب. بيجوت قاضي المحكمة القنصلية العليا لصاحب الجلالة البريطانية في الاراضي العثمانية الذي سافر من القسطنطينية لذلك الغرض . ولقد كان هذا هو الاجراء الذي وافقت عليه حكومة الهند التي كتب اليها سفير صاحب الجلالة البريطانية في القسطنطينية موصياً بالتصرف في القضية عن طريق المحكمة القنصلية العليا ، او المحكمة العليا في بومباي ، أو مجلس عسكري هندي . وكانت نتيجة المحاكمة هي إدانة السجين والحكم عليه بالإعدام ، ولكن هذا الحكم خفف بعد ذلك الى السجن لمدة عشرين عاماً مع الاشغال الشاقة ، وهو أقصى عقاب يمكن أن يوقع طبقاً للنظام العثماني ، ونقل المتهم الى الهند ليقضي مدة الحكم عليه هناك .

أما الرجال الباقون من الحرس فقد أرسلوا ثانية الى الهند وطردوا من الجيش ، وأما الافغانيان عبدالله وأكرم اللذان كان من المعتقد أن لها ضلعاً في جريمة قتل الجامادار ، فقد أبعدا إلى الهند ومن ثم الى أفغانستان ، ومنحت الأرملتان العربيتان للقواصين القتيلين معاشاً يدفع لهما إلى أن يتوفيا أو يتزوجا ثانية .

ويجب أن نذكر ان السلطات التركية أظهرت ميلا شديداً لأن تستبقي تحت تحفظها رجال الحرس الذين سلموا لها واللذين كان من المشتبه أنهم مشتركون في جريمة قتل الجامادار ، وطالبت بوجوب التصرف بجميع المشتبه فيهم في القضية عن طريق الشرطة والمحاكم التركية ، لأن أحد الرعايا الاتراك وهو عباس واحد منهم . وعلى أية حال فقد أفلح سفير صاحب الجلالة البريطانية بالقسطنطينية في صد هذا للطلب ، فأعيد نقل المسجونين الذين نحن بصددهم ليحتجزوا من قبل السلطات البريطانية . وفي الثالث والعشرين من إبريل تركت هذه الفصيلة المتقاعدة بغداد إلى الهند في رعاية الرئيس فيشر .

وفي إحدى مراحل هذا الامر طلب المقيم من قائد الكومت ان يمده بحرس من البحارة الهنود لحراسة المسجونين في المقيمية من الجنود الهنود ، واستجاب القائد للطلب ، ولكن مدير البحرية الهندية الملكية قدم احتجاجاً شديداً على ذلك على أساس أن «عمل المقيم غير قانوني نظراً لان بحارة الكومت ليسوا مدرجين تحت لائحة البحرية الهندية ، ولا خاضعين لاحكام قانون الحرب الهندي وأنه لو كان تحتم استخدام القوة فان الضابط الذي يقود الكومت كان يمكن أن يورط في تبعات خطيرة ».

ومهما يكن من امر فان حكومة الهند استبعدت تللك الاعتراضات وقالت في ملاحظاتها : « لقد تحققت حكومة الهند أن ما فعله المقيم لم يكن غير قانوني ، وكان من الضرورة البحته أن يتصرف في هذا الامر ، وحيث إنه رأى عدم استطاعته أن يأمن على السجناء من حراس من بني قومهم من الهنود فكان حتماً عليه أن يتخذ أية خطوة يعتبرها ضرورية بالعدل والنية الخالصة لكي يكونوا في سجن مأمون ، ولذلك فقد وفق في طلب المساعدة لاجل هذا الغرض من أي ضابط او رجل يعمل في خدمة الحكومة الهندية ، والحقيقة القائلة بأن البحارة الهنود ليسوا خاضعين للائحة البحرية ، أو لبنود قانون الحرب لا تغير من الموقف شيئاً ، ولهذا فان حكومة الهند ترى أنه ليس ضرورياً ان تصدر أية تعليمات تمنع

المفوض من استخدام البحارة الهنود كحراس مستقبلا ، ويجب ان يكون المقيم هو الشخص الوحيد الذي يقدر ضرورة مثل هذا الاجزاء ، ولا يمكن مناقشة وجاهة أي إجراء مشابه يتخذه بسلامة نية وبحق . وفي هذه الاحوال فان مسئولية أية ظروف مؤسفة تنتج عن استخدام البحارة الهنود متروك امرها للمفوض » .

مقر المقيمية في بغداد :

وفي الاول من ابريل عام ١٩٠٥ نقلت المقيمية البريطانية في بغداد من المكان الذي انشئت فيه منذ ما قبل عام ١٨٤٠ في مواجهة النهر، وفي منتصف البلدة تقريباً إلى موقع أكثر لياقة وعلى النهر الى أسفل قليلا ، ولكن على نفس الضفة ، أعني الضفة الشرقية .

وكانت للمقيمية القديمة مميزاتها ، وقد وصفتها عام ١٨٧٨ إحدى الرحّالات بقولها : « إن أكثر الأماكن بهجة في بغداد حقاً هي المقيمية البريطانية ، فانها بيت قديم جميل بُني حول ساحتين كبيرتين وله واجهة طويلة على النهر ، وفيها شرفة بهيجة تطل على الماء وبها ممشى يشتمل على أشجار برتقال قديمة و «كشك» ودرج يؤدي الى رصيف صغير حيث ترسو القوارب التابعة للقنصلية ، أما في الداخل فالبيت مزدان بالطابع الايراني للقرن الماضي وهو من أعظم الاساليب التي استخدمت إتقاناً وسحراً ، فالأسقف منقوشة نقشاً عميقاً والجدران عليها اطارات خشبية دقيقة في صنعها وهي أحيانا مطعمة بقطع من المرايا وأحياناً أخرى مطلية بالذهب طلاء سخياً ، وحجرة الطعام هي التي حرص على أن تكون ذات طابع انجليزي لتوافق ميل الانجليز والهنود ، وزينتها التي كان من الواضح أنها جلبت حديثاً من محل «ميبل» كانت موضع إعجاب أهل بغداد ممن يحضرون ليقدموا احترامهم للقنصل العام لصاحبة الجلالة » .

وكان البناء ملكاً لنواب اقبال الدولة في وقت وفاته عام ١٨٨٧ ، وقد استؤجر منه بمبلغ ٤٠١٤ روبية في السنة ، شاركت حكومة الهند فيه بمبلغ

١٨٤ روبية ، والمفوض بمبلغ ١٢٠ روبية ، وطبيب المفوضية بمبلغ ٥٧٠ روبية ، وحكومة صاحب الجلالة بمبلغ ٣٦٠ روبية . وبعد وفاة نواب استمر استئجار البيت من وكلائه بنفس الشروط . وفي عام ١٨٩٦ ابتاع أغا محمد البناء بمبلغ ١,٢٤,٧٥٠ روبية ، وكان أغا محمد نفسه أحد وكلاء نواب كما كان هو الممثل البريطاني في الكاظمية . ومن أول مايو من هذه السنة زيد الايجار إلى ٤٩٩٠روبية في السنة تحملت منه حكومة الهند مبلغ ٢٥٦٠ روبية ، (وسمحت حكومة الهند بمبلغ لا يزيد عن ١٢٠٠ روبية في السنة للاصلاحات) والمقيم بمبلغ ١٤٠٠ وطبيب المقيمية بمبلغ ٥٧٠ روبية وحكومة صاحب الجلالة بمبلغ ٤٧٠ روبية . وأعيد تجديد عقد الايجار عام ١٨٩٩ لفترة ثلاث سنوات بتلك الشروط ، ومرة أخرى عام ١٩٠٢ لثلاث سنوات أخرى بنفس الشروط القديمة بالنسبة للسنة الاولى ولكن ، بايجار شهري بلغ ٤٦٠ روبية للسنة الثانية ، و٥٨٠ روبية للسنة الثالثة ، هذا عدا بدلات الاصلاحات .

وفي إبان ذلك الوقت تبين أنه كان لمبنى المقيمية القديمة عدة مساوىء فلقد كان الموقع في منتصف المدينة فيما ثكنات الحرس العسكري كانت في مكان آخر . وكان بناء المفوضية قد نال منه القدم ، وأما فيما يتعلق بالمقيم فقد كان يسكن حجرات قليلة كان يفترض أن تكون مكتباً عاماً مما كان يحرم المنزل من الحرية البيتية . وكان تنظيم الغرف والساحات مناسباً لوجيه مسلم له عدد كبير من الحريم ، ولكنه كان غير مناسب كمسكن لموظف بريطاني . زد على ذلك أن المالك بعد عام ١٨٩٦ كان ممثلا فخرياً لبريطانيا ، وكانت إدارته لشئون وقف اوض قد أثارت تعليقات ليست في صالحه . ولم تكن نواياه مؤكده ولكن كان من المعتقد أنه اراد أن يضع يده على بعض اموال الوقف ، وكان من غير المرغوب فيه أن يكون المقيم البريطاني (بل يمكن أن نقول الحكومة البريطانية) على صلة بذلك الرجل او التزام نحوه . كذلك كان يخشى من انه لو رفض تجديد

العقد فان من المشكوك فيه إيجاد مسكن صالح آخر في بغداد يكون ايجاره مقبولا على الاقل .

في هذه الظروف وجه المقيم الرائد موكلر في عام ١٨٩٢ نظره إلى عقار آخر للمرحوم نواب إقبال الدولة كان هو الآخر آل أيضاً إلى أغا محمد . وكان عبارة عما يقرب من ثلاثة أفدنة على ضفة النهر فاقترح الرائد موكلر أن تمتلكها حكومة الهند لتكون موقعاً لبناء مقيمية جديدة تكون ملكاً لها . وسارت الامور سيراً بطيئاً ، ولكن في عام ١٩٠٠ ووفق على شراء الارض بمبلغ ٣٦,٠٠٠ روبية وتم ذلك بتسجيل العقار في الدائرة التركية لتسجيل الاراضي قياساً على القنصلية البريطانية في البصرة التي جرى بصددها جدال طويل مع الباب العالي . وكان التسجيل باسم سفارة صاحب الجلالة البريطانية في القسطنطينية . وقد عهد بتشييد المباني إلى السادة هيرمان وشركاه من كراتشي الذين أتموه بين عامي ١٩٠٢ــ١٩٠٥ بتكاليف إجمالية بلغت ٣٢٤,٣٠٣ روبية وكانت هذه المباني تضم مكاتب عامة ومسكناً للمقيم وبيتاً منفصلا لطبيب المفوضية وثكنات حربية ومخفراً ومستشفى ومكتباً للبريد وبيوتاً للخدم واصطبلات ومخازن وسوراً عالياً يحيط بالبناء . وكانت المفوضية الجديدة مبهجة من كل الوجوه باستثناء المكاتب العامة ومسكن المفوض لانهما كانت تحت سقف واحد . وقد شيد نقيب بغداد فيما بعد بيتاً يميل قليلا في اتجاه النهر ويقع في مواجهة المقيمية مباشرة مما قلل من جمال موقعها . على انها عندما تمت كانت أعظم صرح في بغداد مهابة .

وفي وقت من الاوقات اثارت السلطات التركية المحلية مصاعب بصدد الجدار الاستنادي للشرفة المطلة على النهر زاعمة أن ذلك الجدار سيعرقل مجرى النهر ، ولكن اعتراضاتها كانت مما لا يُؤبه له . وقد انتفت عندما تدخل سفير صاحب الجلالة البريطانية في القسطنطينية .

تمثيل المصالح البريطانية في كربلاء والكاظمية ١٨٧٦-١٨٩٣ :

كان موضوع تمثيل المصالح البريطانية في كربلاء والكاظمية أثناء الجزء الاكبر من الفترة التي نحن الآن بصددها متصلا اتصالا وثيقاً بمسألة ادارة وقف اوض كما سيتضح ذلك عند التعرض لاحقاً في هذا الفصل للموضوع . ففي عام ١٨٧٧ كان حيدر علي خان يشرف على شئون الجالية الهندية البريطانية المستوطنة في كربلاء التي كانت دائماً جالية كبيرة . وحيدر علي خان هو رجل هندي عريق النسب ومن بلدة لكنو ومن المعتقد أنه أحد أقارب نواب إقبال الدولة ، وكان لقبه في المراسلات هو الممثل البريطاني الفخري ، وكان لمحمد حسين خان ، أحد أبناء غلام محمد خان من آركوت منصب مماثل في الكاظمية . وفي حوالي عام ١٨٨٤ حل محمد تقي خان محل محمد حيدر علي خان في كربلاء ، وكان محمد تقي خان ابناً آخر لغلام محمد خان . وعند وفاة محمد حسين خان عام ١٨٨٨ أنعم بمنصب الكاظمية على آغا محمد وهو ابن المتوفى ، وكان يطلق على محمد تقي خان وأغا محمد عادة لقب الممثلين الفخريين » للمفوضية ، وكان ذلك صحيحاً بمعنى من المعاني لان الحكومة البريطانية لم تكن تدفع لهما شيئاً ولكنهما ، كما بينا في مكان آخر ، سمح لهما بأن يقتطعا مرتبات من وقف اوض اللذي كانا من بين «موزعيه الهنود» . وكان عملهما هو تمثيل المفوض في كل الامور المحلية والاشراف على الاعمال القانونية والمنازعات ... الخ . مما يخص المقيمين من الهنود البريطانيين . وليس هناك شك في أن وجود موظف للقيام بتلك الواجبات كان ضرورياً في كربلاء . أما الكاظمية التي لا تبعد كثيراً عن بغداد فان الحاجة الى موظف بها كان موضوعاً لم يُبت فيه باستثناء وجود موظف للقيام بالتوزيعات التي ينص عليها وقف أوض ، والتي كانت تتم هناك حتى عام ١٩٠٢ .

وكثيراً ما كانت تنشأ متاعب بسبب الطبيعة غير الرسمية للوكالات السياسية بسبب عدم اعتراف السلطات التركية بها . وبعد قيام المفوض الرائد مايلز برحلة إلى كربلاء أشار في عام ١٨٧٨ بأن الممثل هناك وهو

حيدر علي خان ينبغي أن يمنح مركزاً قنصلياً بحالته الراهنة ، وأن يظل ممثلا فخرياً وذلك في كربلاء والنجف ، وان تعين له هيئة صغيرة للموظفين ، لكن حكومة صاحب الجلالة رفضت الاقتراح بسبب النفقات. وفي عام ١٨٨٥ كان من رأى المفوض في ذلك الوقت وهو مستر بلاودن أن تنشأ وكالات قنصلية بريطانية في كربلاء والكاظمية ، ولكن الوقت اعتبر غير مناسب للسير في ذلك الشأن بسبب المناقشات التي كانت تجري فعلا بين حكومة صاحب الجلالة والباب العالي حول الوكالات القنصلية الجديدة .

وفي عام ١٨٩٠ قدم المفوض في ذلك الوقت الرائد تويدي آراء أخرى بشأن الموضوع وذلك عندما كان يقترح إعادة تنظيم ترتيبات وقف اوض . ويمكن ذكر العبارات التي ساقها في خطابه كلمة كلمة لانها تلقي ضوءاً على طبيعة وكالة كربلاء في تلك الفترة وفي فترة سابقة لها :

« أما في كربلاء فالأمر على النقيض من ذلك(١) اذ ليس من المستحيل ترك المفوضية هناك بغير تمثيل وحسب ، ولكن إعداد معتمدية أفضل مما كان لدينا هناك حتى الان هو من الضرورات في الوقت الحاضر ، وإن هذا الكلام الذي يشتمل على حقيقتين يحتاج الى بعض الشرح ، أولا : كربلاء ، كما بينا من قبل ، هي على مسيرة ثلاثة أميام من بغداد وذلك بالسفر المعتاد ، ثم هناك ما يقرب من اربعة أو خمسة آلاف من الرعايا الهنود البريطانيين يقيمون فيها (بما فيهم الكشميريون) الذين ليسوا حجاجاً وحسب) ولذلك فهناك قضايا كثيرة يجب أن يتم فيها إجراء أو حماية فوريان من جانب المقيمية ، فربما ارتكب هندي جريمة قتل ، أو تم قتله هو ، أو مات فجأة مخلفاً أحمالا من الاشياء الثمينة على راحلته ، أو ربما كان آخر مطلوباً للتجنيد الاجباري ، أو أودع السجن ، فمن

---

(١) اى على النقيض مما هو حاصل بالكاظمية والنجف .

الطبيعي والحالة هذه أن ينشأ الاقتراح لاستبقاءموزع هبة اوض الهندي الحالي، وهو محمد تقي خان، في مكانه وإعلانه رسمياً كممثل وإعطائه راتبه من الاموال الامبراطورية . ودعنا لا نشير ثانية إلى ذلك الاحتمال العارض (أي : وصية « نواب سر إقبال الدولة » وامكان تنفيذها) مما سيجعل هذا الرجل يجد نفسه عندئذ المنفذ الرئيسي لها ، زد على هذا كل صفاته المحبوبة ، وكل هيبته كهندي له مكانته ، فما يجعل من المستحيل علينا تماماً أن نعتبره مجرد موظفاً بمفهومنا لهذه الكلمة . ولقد أعطيت لمحة عن هذا الرجل في مذكرة الدكتور بومان كما أن فيها مثالا نموذجياً يرينا كيف سمح لخادم حاذق من حاشيته بأن يسلب الناس . ولقد كان في أيام العهد السابق مجرد رمز أقامة نواب سر اقبال الدولة في كربلاء ، ومما لا شك فيه أن مساندة نواب له بنفوذه (وربما حتى بأمواله أحياناً) مكنه من ان يحمي هؤلاء الذين كان عليه أن يحميهم في كربلاء وذلك بطرق لولبية لا حصر لها . بل إنه استطاع بهذه الطرق أن يضغط على موظفي المدينة الذين كان الكثير منهم يدينون بوظائفهم لمصالح سر إقبال الدولة مع حكومتهم . إلا أن ذلك كله قد انتهى . فالذي تحتاج اليه كربلاء والنجف الآن هو موظف بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، موظف يمكن نقله في أي وقت إلى أي مكان آخر . كما يجب أن يكون مركزه هو مركز ملحق تابع لهذه المفوضية وان يسهل تواجده ليقدم خدماته خصوصاً في هذين المركزين الهامين ، وربما ظن البعض ان الملحق يجب ان يكون شيعياً لان رعايانا هناك هم من الشيعة ، ومع احترامي لهذا الرأي إلا أنني أميل الى الاختلاف معه . إن الاوروبي في مثل هذه الحالة قد يشعر أنه في غير محيطه ، لكنني أعتقد أن الملحق ينبغي أن يكون سنياً لان الموظفين العثمانيين في هاتين المدينتين اللتين نحن بصددهما ، بل وفي هذه البلاد بصفة عامة ، هم غالباً سنيون ، ولأن قدرة ممثلنا على مساعدة الهنود في شؤونهم مع الحكومة المحلية سوف تعتمد على نفوذه مع هؤلاء الموظفين العثمانيين ورضاهم عنه ، ولا فرق عند موظفي

الحكومة العثمانيين بين شيعي وسني اذا نالوا من ايهما نفوذاً ، ولكن بالنسبة لموظف ليس لديه اعتماد مالي للخدمات السرية ليسنده فانه كلما ازداد اتصاله شخصياً بالسلطات كان ذلك أفضل بالنسبة لمن يعتمدون عليه . وكما ستلاحظون فان الدكتور بومان يسجل في مذكرته حقيقة مؤكدة كل التأكيد وهي أنه لا يمكن العثور على أحد بين جميع الهنود المقيمين في كربلاء له أدنى المؤهلات التي تمكنه من خدمة الحكومة هناك كممثل يتقاضى مرتباً . وقد عرفت مَنْ كان قبل محمد تقي خان ، وكان في عدم استقراره أكثر من الموزع الحالي . وما كان محمد تقي خان ليبقى في منصبه طول هذا الوقت لو كان بالامكان تعيين شخص أقوى من الموجودين او دون أن يفحص الموضوع برمته فحصاً مستفيضاً من قبل الحكومة » .

وفي نفس العام حدثت قضية رفضت فيها السلطات التركية كل الرفض أن تعترف بالممثل في كربلاء او أن تتعامل معه ، وكان ذلك عندما القى البوليس التركي القبض على ثلاثة من الهنود . وفي عام ١٨٩١ قدم الرائد تويدي ملاحظاته مرة أخرى قائلا :

« إن ممثل المقيمية في كربلاء والنجف ليس كفوءاً لمهمة التأثير على «مجتهدَيْن» ذوَيْ صولة ونفوذ ، وهما عالمان في نفس الدين الذي يعتنقه وذلك لانه :

أ — ذو شخصية ضعيفة ولولبية .

ب — صحته ضعيفة على العموم .

ح — هندي .

د — شيعــي .

هـ — لم يمنح مركزاً رسمياً محدداً تماماً او معترفاً به .

وإني لا أقول ذلك لأحط من قدره . فالأمر ليس أني لا أعرف

شخصاً أصلح منه. فحسب ولكني لا أعرف مطلقاً بين الهنود المقيمين في كربلاء من يمكن ان يملأ مركزه العجيب جداً لو أنه استقال منه » .

ومهما يكن من شيء فان تصوير الرائد تويدي للحالة لم ينتج عنه أي تغيير في النظام ، وكان ذلك غالباً بسبب رفض حكومة الهند أن تأذن في ذلك الوقت بأية تغييرات في إدارة وقف اوض .

تعيين ممثل قنصلي بريطاني في كربلاء ١٨٩٣ :

وفي عام ١٨٩٢ أعاد المفوض الذي خلف الرائد تويدي وهو الرائد مكلر تقديم الموضوع على شكل طلب براءة لوكيل كربلاء ، وتم تبني هذا الاقتراح بعد أن بين المفوض لحكومة صاحب الجلالة أن مرتب هذا الوكيل سوف يدفع من وقف اوض كما كان قبلا . وفي العاشر من أغسطس عام ١٨٩٣ أصدر الباب العالي تعليماته إلى والي بغداد بأن يعترف بالممثل البريطاني في كربلاء كممثل قنصلي . وفي إبان ذلك الوقت كان آغا ابراهيم ، وهو ابن أخ لمحمد تقي الدين وأخ لآغا محمد قد خلف عمه وأصبح طبقاً لذلك اول ممثل قنصلي بريطاني في كربلاء . وفي عام ١٨٩٤ قام والي بغداد بزيارة كربلاء ، وهناك عامل آغا ابراهيم بأدب ولطف واضحين ، ولو أنه من المعتقد أن ذلك كان غالباً لاعتبارات شخصية .

تعيين نائب للقنصل البريطاني في كربلاء والغاء معتمدية الكاظمية ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ :

ولم يحدث تغيير بعد هذا حتى عام ١٩٠٢ عندما أخذ العقيد نيومارش على عاتقه ، وكان مفوضاً في ذلك الوقت ، القيام باصلاح جذري في تنظيمات وقف اوض . وكما ذكرنا في موضع آخر فانه الغى المعتمدية ذات الوضع الشاذ في الكاظمية والتي لم يعترف بها الاتراك . كما العي الى جانب ذلك راتب الممثل الذي كان يتقاضاه كموزع بمقتضى وقف أوض . وفي حين أنة أوصى بالإبقاء على الممثل البريطاني في كربلاء ، وسمح باستمرار دفع راتبه من وقف اوض موقتاً ، الا أنه اقترح دفع

راتب هذه الوظيفة مستقبلا من الحكومة . كما اقترح ضرورة تغيير الموظفين ، وكانت توصياته كما يلي :

« إن مسألة دفع مرتب الممثل القنصلي في كربلاء مستقبلا لهي أمر هام إلى حد ما ، وانني اعتقد أن الغاء هذا المركز سيكون امراً موسفاً حقاً ، لانه يمكن ان يصبح نقطة انطلاق هامة ومفيدة لو قام عليه شخص كفء . وفي رأيي أن الذي يقوم على هذا المنصب الآن هو شخص ليس أهلا للمهمة ، فهو لا يستطيع التحدث باللغة الهندوستانية ، كما أنه في رأيي ليس ذكياً او نشيطاً بما فيه الكفاية ، ثم إن له ضلعاً كبيراً في الفضائح المتعلقة بوقف اوض بما لا يجعل من المناسب استبقاءه هناك .

ولو أذنتم لي بأن اقدم أية اقتراحات فاني اوصي بأن يخلفه مسلم شيعي من اسرة طيبة من الهند تكون له خبرة وظيفية في الدرجات الدنيا من السلك المدني او في ولاية من ولايات البلاد . وإنه لمن الضروري وجوب اتقانه اللغة الفارسية اتقاناً تاماً ، ومن المستحسن أن يعرف اللغة الانجليزية بما يمكنه من كتابة خطابات سرية .

وإني لا أقترح تعيين موظف اوروبي لان مركزه سيكون معزولا بما لايطاق ، بل ويمكن أن يكون خطيراً في اوقات الاضطرابات الدينية ، زد على ذلك أني أتصور أن تكاليف وظيفته ونفقاته سوف تكون اكثر بكثير من تكاليف المسلم . والإقامة في كربلاء هي شيء مستحب بالنسبة للشيعي ، وربما يوجد كثير من وكلاء الجباة في الهند ممن يرحبون بانفاق رواتبهم في كربلاء بل والموت فيها » .

وكانت ثمرة اقتراحات نيومارش هي إنشاء وظيفة نائب للقنصل البريطاني في كربلاء بموافقة الباب العالي وذلك في الأول من نوفمبر عام ١٩٠٣ : وقد عين لها ميرزا محمد حسن خان محسن وهو أحد الرعايا البريطانيين . وكان ذكياً ومثقفاً ومن أسرة افغانية استقرت في إيران ، ثم إنه ولد في العراق في العهد التركي . وقد أصبحت تكاليف راتب

نائب القنصل ومقره قاصرة على الحكومة الهندية ولا تشترك حكومة صاحبة الجلالة في تأدية أي نصيب منها .

نيابة الوكالة السياسية البريطانية في البصرة ورفعها (١٨٧٩) من نيابة للقنصلية إلى قنصلية ١٨٧٦ – ١٨٩٨ :

لقد رأينا أن لقب مستر روبرتسون الممثل البريطاني « ونائب القنصل» في البصرة قد تغير في عام ١٨٧٣ إلى لقب مساعد الممثل السياسي ، وأن مستر روبرتسون في نفس الوقت قد أدرج في السلك السياسي الهندي ، وكما بينا في موضوع آخر فقد قامت مشكلة عام ١٨٧٧ بشأن الوضع الصحيح للمستر روبرتسون بالنسبة للحكومتين الهندية والانجليزية ، وقد حدد هذا الوضع في ذلك الوقت . وفي أكتوبر من ذلك العام أدرج منصب البصرة في القائمة المتسلسلة للقسم السياسي التابع لحكومة الهند . وفي عام ١٨٧٨ رفع المركز القنصلي للمستر روبرتسون من نائب قنصل الى قنصل صاحبة الجلالة ، وذلك عندما قدم طلباً في الموضوع سانده فيه المفوض في بغداد ، وكان خاضعاً في منصبه الجديد للشرط الذي وضعته وزارة الخارجية الانجليزية في لندن بأن ذلك التعيين لا يرتب للمستر روبرتسون أية حقوق على حكومة صاحبة الجلالة لقاء خدماته كقنصل لصاحب الجلالة، وسوف يظل تحت دائرة اختصاص القنصل العام لصاحب الجلالة\في بغداد كما كان من قبل .

وفي عام ١٨٨٤ أثيرت مشكلة الحصول على براءات قنصلية تركية لكل مساعد ممثل سياسي يعين موقتاً او دائمياً العمل في البصرة بحيث يسمى قنصلا . وكان ذلك في غياب مستر روبرتسون القنصل الدائم في الاجازة حيث قدم طلب وقتها للحصول على براءة جديدة باسم الملازم هـ. رامزي وهو ضابط عين للخدمة بدلا من مستر روبرتسون ، وأبلغت حكومة الهند باسم وزارة خارجية صاحبة الجلالة بأن وزارة الدولة للشئون الخارجية لصاحبة الجلالة البريطانية لها صلاحية تعيين من تشاء كقائم

بأعمال الوكالة دون الرجوع الى الباب العالي اذا ما كان القنصل الدائم حامل البراءة موجوداً .

وفي عام ١٨٨٥ حينما شرع الرائد موكلر مساعد الممثل السياسي في البصرة بصفته قنصلا يكتب لوزير الدولة للشئون الخارجية لصاحب الجلالة مباشرة ، احتج الرائد تويدي المفوض السياسي في بغداد على هذه البدعة ، وصدر الامر من حكومة الهند بأن مساعد الممثل السياسي في البصرة يجب ان يبعث بمراسلاته القنصلية الى وزارة الخارجية الانجليزية عن طريق القنصلية العامة لصاحبة الجلالة البريطانية في بغداد .

وفي عام ١٨٨٨ لاحظ الرائد تويدي بأن الاوامر كانت ما زالت تُرسل من وزارة الخارجية الانجليزية الى مساعد الممثل السياسي في البصرة مباشرة ، فأبلغت حكومة الهند الموظفين المعنيين كليهما أن جميع المراسلات بين وزارة الخارجية الانجليزية وقنصلية البصرة يجب ان تتم بالبريد العاجل عن طريق القنصل العام لصاحبة الجلالة البريطانية في بغداد .

نقل التعيين بالبصرة من حكومة الهند الى حكومة صاحبة الجلالة ١٨٩٧ – ١٨٩٨ :

وفي نهاية عام ١٨٩٧ اتصل مستر ج. س . مكنزي من لندن وهو شريك في شركة جراي ومكنزي وشركاهما في البصرة ، بوزارة خارجية صاحبة الجلالة بشأن التغييرات الكثيرة في موظفي قنصلية صاحبة الجلالة البريطانية في البصرة ، وقد ارفق جدولا بخطابه يبين فيه أن المسئولين عن القنصلية قد تبدلوا تسع عشرة مرة في ستة عشر عاماً ، وجادل الرجل بأن مثل ذلك النظام لا يتيح للموظفين المعنيين فرصة توطيد نفوذهم لدى الموظفين الاتراك المحليين وعند أهل البصرة أنفسهم مما تضار به التجارة البريطانية .

وعندما أحيل الامر الى حكومة الهند رأت ان كثرة التغييرات تلك كانت حتمية طالما ان التعيين لتلك الوظائف يكون من قائمة الدرجات

للقسم السياسي وفق تنظيمات ذلك القسم في ذلك الوقت . وعلى ذلك فقد اقترحت حكومة الهند نقل وظيفة البصرة الى حكومة صاحبة الجلالة لكي يمدها السلك القنصلي لصاحب الجلالة بالموظفين في المستقبل . وفي نفس الوقت اقترحت دفع نصيبها في نفقات القنصلية بما يساوي متوسط تكاليفها الكلية في الخمس سنوات الاخيرة . كذلك المحت الى رغبتها في أن تنسق حكومة صاحبة الجلالة العلاقات بين القنصل في البصرة والمفوض في بغداد ، الذي كان حتى ذلك الوقت يشرف على قنصل البصرة .

وقد وافقت حكومة صاحبة الجلالة على هذه الاقتراحات ، وحددت الحصة الهندية بمبلغ ١٤٠٠ جنيه استرليني ، وهي حصة قابلة لاعادة النظر بعد مضي خمس سنوات . ووضع قنصل صاحبة الجلالة في البصرة تحت اشراف المفوض السياسي في بغداد بصفته قنصلا عاماً ، وظل مكتب البريد الهندي البريطاني على نفقة حكومة الهند وتابعاً للقنصلية ، وأما الخزينة الهندية التي كانت موجودة بالقنصلية فقد أغلقت . وكان أول قنصل بمقتضى هذه التنظيمات الجديدة هو مستر أ. س. راتيلسو الذي تسلم مسئوليات منصبه في البصرة في الثاني عشر من ديسمبر سنة ١٨٩٨

السماح بموظف طبي للبصرة اعتباراً من ١٨٩٠ :

وقد تأكدت الحاجة الى ترتيبات طبية لخدمة الجالية البريطانية في البصرة وهي حاجة طالما استشعرت من قبل ، بوفاة المستر روبرتسون ، مساعد الوكيل السياسي وطفليه في اغسطس ١٨٨٩ بإصابتهم بالكوليرا ، كذلك فان خلفه الكابتن رافن شو أصيب بحادثة في العام التالي فلم يحصل على رجل عليم بالامر يسعفه . وكانت الجالية البريطانية صغيرة العدد بحد ذاتها ، ولكن عدد البريطانيين المتواجدين على السفن بالميناء كان أحياناً يصبح كبيراً . وقد قررت حكومة الهند حيال هذه

الظروف ان تسهم بمبلغ (١٠٠) روبية شهرياً لراتب موظف طبي قد تتعاقد معه المؤسسات البريطانية التجارية لخدمة موظفيها في البصرة على أن تشمل خدماته موظفي الحكومة أيضاً هناك . وكان الدكتور اوستيس والدكتور حاجانا دام أول من استخدم بموجب الترتيب التعاوني المشروح آنفاً ، وقد دمجت مساعدة الحكومة الهندية ضمن دفعة الـ (١٤٠٠) جنيه استرليني التي اصبحت الهند تقدمها سنوياً لحكومة صاحبة الجلالة لحساب مركز البصرة .

المقر الرسمي للممثل البريطاني في البصرة :

ومما يذكر ان الممثل البريطاني في البصرة كان سنة ١٨٧٥ يسكن في بيت مستأجر كان يدفع عنه مبلغ ١٠٠ روبية شهرياً الى ملاك من الوجهاء يدعى حاجي ابراهيم كانت ملكيته لذلك العقار مثاراً لبعض الشك ، ولم يسمح في عقد الاجارة بفسخه الا بموافقة المستأجر (بكسر الجيم) ، وبذلك اصبح موقف مساعد المقيم السياسي بالنسبة للعقار قوياً من الناحية القانونية ، لكن حوالي سنة ١٨٨٣ ، وبسبب سخط الحاجي بصدد قيمة الاجارة فيما بين ١٨٧٨–١٨٨١ زيد الايجار الذي يتقاضاه الحاج الى ٢٥٠ روبية شهرياً حتى لا تقوم أية اعتراضات ضد استبقاء البيت في يد الحكومة الهندية خلال عام ١٨٨٤ . وكانت توجد قطع ارض للبيع في مواقع جميلة على الضفة الاخرى من شط العرب في جارديلان وطنومه ، وكانت حكومة الهند تود لو اشترت أحدها وبنت عليه لولا عقبات كانت تعترض الشراء ، ومن ثم تحتم عمل عقد جديد للبيت الذي كانت تحتله القنصلية ، وذلك لعام ١٨٨٥ وللاعوام التالية أيضاً . ونتيجة للتوصيات التي قدمها الرائد تويدي – كمقيم ، في عام ١٨٨٥ فقد قررت حكومة الهند أخيراً في عام ١٨٩٠ أن تشتري هذا البيت الذي استأجرته لهذه الفترة الطويلة ، بالاضافة الى ارض أخرى ، وذلك بمبلغ ٦٥,٠٠٠ روبية . وكان هذا التأخير الكبير في التوصل الى هذا القرار

راجعاً الى العقبات التي قامت بشأن صحة حجة ملكية البيت ، والى نقاط أخرى أمكن التغلب عليها أخيراً .

وعندما حان الوقت لتسجيل نقل الملكية حاولت السلطات التركية أن تصر على ضرورة تدوين اسم شخص معين بالذات في سجلاتها الرسمية كمالك لذلك العقار ، ورفضت ما وسعها الجهد في أن يبدو وكأنما العقار سيكون مملوكاً للحكومة الهندية او وزير الدولة لصاحبة الجلالة او لسفير صاحبة الجلالة البريطانية في القسطنطينية او حتى القنصل البريطاني . ويبدو أن هذا العائق قد امتد من عام ١٨٩٠ او ١٨٩١ حتى عام ١٨٩٥ عندما أصدر صاحب الجلالة السلطان ارادته بالتصديق على تسجيل العقار باسم السفارة البريطانية في القسطنطينية .

وفي حوالي عام ١٩٠٠ أصبح مبنى القنصلية غير صالح للسكنى بسبب هبوط أساسه ، واضطر القنصل في عام ١٩٠١–١٩٠٢ الى استئجار مبنى كي يتخذه مقراً له بصفة موقتة ، ومن ذلك الوقت كانت وظيفة البصرة قد آلت الى حكومة صاحبة الجلالة ، غير أن حكومة الهند أخذت على عاتقها إعادة تشييد البناء على نفقتها الخاصة ، وذلك بسبب حالته السيئة التي كان عليها عند نقل الملكية . وفي عام ١٩٠٣ تم بناء مقر جديد وجميل في نفس الموقع وباشراف حكومة الهند على عمليات بنائه ، وقد تكلف قرابة ٤,٠٠٠ جنيه استرليني . وقد عقد اتفاق خاص بشأن تقسيم تكاليف صيانة المبنى مستقبلا بين حكومة صاحبة الجلالة وحكومة الهند لأن الغرف الخاصة بمكتب البريد في المبنى اعتبرت ملكاً لحكومة الهند .

وظيفة نائب قنصل صاحب الجلالة في الموصل ١٨٧٦–١٩٠٥ :

واستمرت خلال معظم الفترة التي نحن بصددها وظيفة نائب القنصل في الموصل منذ انشئت قبل منتصف القرن التاسع عشر وكانت تحت إشراف المقيم السياسي في بغداد بصفته قنصلا عاماً ، ولكن شئونها كانت

غير ملحوظة بسبب عدم وجود رعايا بريطانين او مصالح بريطانية محسوسة في الموصل . وقد زادت أهمية نيابة القنصلية عندما أصبحت الموصل ولاية في عام ١٨٧٩ ، ولكن حتى نهاية عام ١٨٨٦ كان نائب القنصل نفسه ، عموماً هو الوحيد من الرعايا البريطانيين الذي يقيم في دائرة الموصل القنصلية .

وكان الممثل البريطاني في الموصل عام ١٨٧٨ هو مستر ج. ف. راسل الذي عمل تحت إمرة السير صامويل بيكر في إفريقيا الاستوائية ، والذي كان ابن الصحفي البارز دكتور هوارد راسل . وقد خلفه مستر و. س. ريتشاردز الذي ظل في هذه الوظيفة من نوفمبر عام ١٨٨٣ حتى ديسمبر عام ١٨٨٥ ، ثم جاء مستر هـ. هـ. لامب بعد مستر ريتشاردز .

اقتراح بانشاء فرع للقنصلية البريطانية في فاو ١٨٩٤–١٨٩٦ :

وفي نهاية عام ١٨٩٤ اقترح الرائد موكلر المفوض في بغداد أنه ينبغي تعيين موظف من محطة التلغراف البريطانية في فاو ليكون ممثلا قنصلياً لبريطانيا هناك خلال فصل تصدير التمور ، أي في أشهر سبتمبر واكتوبر ونوفمبر من كل عام . وكان هذا الاقتراح نتيجة مضايقات السلطات التركية المستمرة للسفن الهندية البريطانية في أسفل شط العرب . ووافقت حكومة الهند على الاقتراح ، وتبنته حكومة صاحبة الجلالة وخصصت مبلغ ٣٠ جنيهاً استرلينياً في العام كمكافأة لهذه الوظيفة . وفي عام ١٨٩٦ أصدر الرائد موكلر خطاباً رسمياً بتعيين مستر منجافش التابع لقسم التلغراف الهندي البريطاني ليكون ممثلا قنصلياً لبريطانيا في فاو ، ولكن الباب العالي رفض أن يعترف بذلك التعيين . وفي الثاني والعشرين من سبتمبر عام ١٨٩٦ وجهت مذكرة الى الحكومة التركية تبلغها أنه اذا لم تقبل بهذا التعيين ، فان سفينة حربية بريطانية سترسل الى فاو لحماية المصالح البريطانية . وبعد شهر توجهت الى هناك سفينة صاحبة الجلالة «لابونج» ، واخيراً في ديسمبر عام ١٨٩٦ سحب

الطلب الخاص بانشاء فرع قنصلي بريطاني في فاو وذلك بعد تلقي تأكيدات مرضية من الباب العالي بشأن معاملة السفن الهندية البريطانية ، كما بينا ذلك في موضع آخر .

مكاتب البريد الهندية البريطانية في العراق التركي ١٨٧٦–١٩٠٥ :

ان امر مكاتب البريد الهندية البريطانية في العراق التركي قد شرح شرحاً مفصلاً في الملحق الخاص بشأن المراسلات البريدية ، وبعد عام ١٨٩٩ كانت هناك شكوى من الاختلاس وعدم انتظام المواعيد في عربة البريد البريطاني التابعة لشركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية. ولم تنقطع هذه الشكاوى عند عقد اتفاق جديد مع الشركة عام ١٩٠٤ .

★ ★ ★

مصالح هندية بريطانية خاصة فى العراق التركى ١٨٧٦ ــ ١٩٠٥

نواب اقبال الدولة وشئونه :

تبرز على هذه الصفحات بين الوقت والآخر الشخصية القوية لنواب إقبال الدولة الذي ينتمي لمملكة اوض ، خاصة فيما يتعلق بوقف اوض والمعتمديتان البريطانيتان في كربلاء والكاظمية ، ويمكن أن نذكر هنا بعض الاشياء الخاصة به وبشئونه الشخصية . بعد ان قدمنا آنفاً في هذا الفصل شيئاً من ترجمة حياته حتى عام ١٨٦٦ ، وهناك صورتان طريفتان لشخصية نواب ساقهما اثنان من الرحالين البريطانيين في ذلك الوقت ، ويمكن ان نذكر هاتين الصورتين بالتفصيل :

(١) « منذ اربعين عاماً كان نواب اقبال الدولة ملكاً على اوض لايام معدودة ، ولكنه رحل عن لكنهو والهند واستقر في بغداد لأن الحكومة

---

(١) جيرى فى كتابه (فى تركيا الآسيوية) جزء ١ ص ٦٤٠ ــ ٦٤١ .

البريطانية لم تسمح بحقه في الوراثة . وقد زار اوروبا مرتين او ثلاث مرات وجادل مكتب الهند في لندن موكداً حقه في عرش اوض وبالطبع كان هذا الجدال بلا ثمرة . والواقع ان المرتب الذي يلغ سبعة آلاف او ثمانية آلاف روبية شهرياً الذي كانت الحكومة البريطانية تدفعه له من ايرادات اوض ، ما هو الا جزء يسير من دخله . اذ أن املاكه الخاصة كانت كبيرة . وهو رجل قوي الادراك ذو ذهن متقد ، ولو أنه قد ظل على عرش اوض لكان محتملا وقوع سوء الإدارة الذي اتخذه اللورد دلهوزي ذريعة لضم اوض الى بقية البلاد في الهند . والناس عادة تتحدث عن نواب على أنه ملك اوض ، وهو يتمتع بنفوذ كبير يعرف كيف يستفيد منه أيما إفادة ، كما يعتبر زعيماً للجالية الكبيرة من المسلمين الهنود المقيمين في بغداد ، وهو بحصافته ونفوذه الشخصي كان يجنب بني قومه في كربلاء والنجف الكثير من السوء الذي من اليسير تماماً أن يصيبهم في بلاد لا تكاد تعرف فيها « القواعد الصحيحة للخطأ والصواب » حتى الآن ، وفيها يتواجد العرب والفرس والاتراك والمسيحيون في حال من الخصومة والشحناء . والخدمات التي كان يؤديها سموه للممثل السياسي البريطاني بسياسته وتوجيهه لثمانية او عشرة آلاف هندي يقيمون في المناطق المجاورة للمدن المقدسة ، وبتجنيب الحجاج القادمين من الهند كل سوء ما زالت حكومة الهند تعترف بها بين الحين والآخر بمودة قلبية ، ولذا فقد منح حديثاً زيادة في مرتبه تقديراً له » .

★ ★ ★

(١) « إن بغداد هي مقام المنفيين السياسيين من الهند من المسلمين الذين يكرهون الحياة تحت حكم المسيحيين والذين استقروا في هذا المكان كأقرب ملاذ لهم في دولة الاسلام ، وهم يحسدون على مركزهم

---

(١) كتاب السيدة آن بلنت بدو الفرات جزء ١ ص ٢١٢ ـ ٢١٥ ، وقد اهدت المؤلفة الموهوبة كتابها هذا الى اقبال الدولة .

لأنهم يتمتعون بميزتين : التوافق الديني مع أهل بغداد ، والحماية الاجنبية كرعايا بريطانيين . وكثير منهم في منتهى الثراء ويعيشون على ما يملكونه من الاراضي في الهند ، كما أن قليلاً منهم على وفاق تام مع القنصل العام . وأبرز هؤلاء حَسَباً ومالا ، بل وابرزهم بجلال شخصيته المجردة هو نواب اقبال الدولة ملك اوض ، الذي نُحي عن ملكه ومُنح معاشاً . ونحن الآن نقيم معه في بيته الصحراوي قرب الكاظمية التي سوف تكون مُنطلقنا في رحلتنا الى الشمال . وأنا لا أكاد أعرف كيف أتحدث عن نواب دون ان اقول الكثير ، فهو رجل مسن وفيلسوف ، وهو لا يعبأ باظهاري لصالح أعماله . وعلى الرغم من ذلك فاني لا أستطيع إلا أن أسجل ما أشعر به نحوه ، فهو بحق أعظم شخصية جليلة صادفناها ، على الرغم من أنه قليلا ما يتكلم بشخصية ملك سابق . إن في خلقه وأسلوب حياته بساطة كأكثر ما تكون البساطة ، وفيه شيء من احتقار البدو للمظاهر ، زد على ذلك ان كراهيته للادعاء أصيلة ، أصالة السيد الانجليزي المهذب الذي كان يعيش قبل خمسين عاماً . كما أنه سافر كثيراً ورأى كثيراً ، ويفهم اسلوب التفكير الاوروبي كما يفهم أسلوب التفكير عند الشرقيين ، والى جانب ذلك فان له اصالته الخاصة به بمنأى عن أي مدرسة للتفكير . وهو في حديثه جذاب تماماً ، ويفاجيء المرء دائماً باتجاهات غير متوقعة في التفكير ، وأساليب مبتكرة للتعبير ، ولو أننا استطعنا أن نحسن تفهمه لوجدنا يقيناً انه رجل في منتهى الذكاء والظرف . والى جانب ذلك فهو رجل رحيم ومحسن ، ومركزه في بغداد مركز عظيم . إن هذا المركز من وجهة النظر الاخلاقية هو من العظمة بحيث يمكن أن يعزيه عن فقد ملكه السابق ، وأبهة بلاطه في فاو ، إنه هنا في بغداد يستحوذ على قوة حقيقية هي قوة فعل الخير ، كما أنه يتمتع بحرية حقيقية في أن يقول ما يراه حقاً للقناصل والباشوات وعلماء الدين ومن هم على شاكلة هؤلاء جميعاً ، بل وللبدو الفقراء الذين يعيشون على أعتابه . وإنني أعتقد أن رأيه يؤخذ في معظم المشكلات

السياسية «للسراي» حيث تمكنه معرفته بالناس والبلدان ، مما يعتبر عنصراً هاماً من مكونات الحكمة في الشرق كما تمكنه فطنته في التعبير عن آرائه من أن يقول الحق دون ان يسيء الى أحد في هذه الاوساط العليا التي لا يقال الحق بينها كثيراً . ومن أجل ذلك فان لاسمه صولته في بغداد ، وقد كسب بهذا ايضاً صداقة الكثيرين من كل طبقات المجتمع ، ومن بين هؤلاء الاصدقاء نجد نصيره المخلص فرحان شيخ قبيله شمر . فكلما جاء هذا الشيخ الى المدينة كان مستقره هو بيت أخيه ملك الهند كما يطلق العرب على نواب ، وهذه الحال ستساعدنا كثيراً في خططنا ، لاننا سنتجه الآن الى الصحراء ومعنا خطابات توصية ستكون سبباً في أن يتم استقبالنا هناك كأحسن ما يكون الاستقبال .

والبيت الصحراوي الذي ننعم فيه بكرم الضيافة بهيج وبعيد عن التكلف فهو أحد البيوت العديدة التي يملكها نواب في بغداد وحولها ، وهو يقوم وحده تماماً في السهل المجدب الذي يحيط بالمدينة ، ويبعد ما يقرب من نصف الميل عن مسجد الكاظمية . ويعتقد سكان المدينة الذين يهابون أن يخاطروا بخروجهم من المدينة ليلا ان نواب مجازف إلى أبعد الحدود حين يعيش في مثل هذا المكان ، ولكن عزلة البيت بالنسبة له ولنا هي ما يخلع عليه سحره الحقيقي . وعلى أية حال فهو يعيش في بغداد بصفة عامة ، ولكنه يجيء الى هنا بين الحين والآخر ليمارس رياضة روحية فيها الفلسفة وفيها التدين بين علماء الدين وأساتذته في الكاظمية ، إذ أن المسجد هو ملجأ للاتقياء من الشيعة ومكان شهير بينهم .

واصالة البيت نفسه مثل اصالة موقعه ، وقد وضع نواب تصميماته بنفسه ، والبيت يشبه الحصن في شكله ، فله جدران عالية ومدخل واحد وهذا حيطة واجبة اتقاء اللصوص الكثيرين وقطاع الطرق الذين يسكنون الصحراء . وتوجد الغرف في الطابق العلوي ، ونوافذ بعضها تطل على الخلاء ، وذلك طبقاً لطراز المباني التركية أكثر مما هو طبقاً للطراز العربي في المباني . وبعض الغرف الاخرى يطل على شرفة بني فوقها طابق آخر .

ومدخل البيت هو عند نهاية الفناء الذي تقع على جانبيه الاسطبلات وأبراج الحمام التي تحوي آلاف الحمام الابيض . اما الدور الارضي فليس الا مجموعة من السراديب . ومن الفناء يؤدي الدرج الحجري إلى الغرف ، وهذه عبارة عن غرف صغيرة ليس فيها من الاثاث إلا السجاد . لكن حجرة الاستقبال فسيحة ، وهي من الغرابة في شكلها بحيث اني رسمت شكلا لها ، فشكلها هو شكل الصليب ، فتوجد نافذه في كل من أطرافها الثلاثة القصيرة حتى إن النصف العلوي للحجرة يقارب في شكله المشكاة ، أما التجويفات التي بين هذه النوافذ فتحتلها ارائك عريضة تشعر بالارتياح وأنت تجلس عليها لتشاهد هذا المنظر .

لقد تجلت اصالة نواب اقبال الدولة بوضوح فيما أوتي من مواهب لوضع الوصايا ، كما تجلى ذلك في كل تصرفات حياته . فمنذ عام ١٨٤٧ بدأت فكرة من يخلفه في ممتلكاته بعد موته تثقل كاهله . وقد عبر للممثل السياسي ، العقيد روبنسون عن رغبته في أن يضع وصية تُنقل بمقتضاها املاكه الى المفوض البريطاني في لكنهو لتكون وقفاً لصالح بعض أقربائه في تلك المدينة ، وذلك بعد سد حاجة زوجته وبعض الخدم الطاعنين في السن ، وكذلك بعد سد حاجة ما يحتاج اليه قبره من إصلاحات وكذا قبر ابنه الوحيد الذي مات قبله . وقد طلب أيضاً أن يسمح له بايداع الوصية التي سيقوم بعملها لدى الممثل السياسي البريطاني في بغداد ، كما يعين الممثل السياسي الذي سيكون متقلداً هذه الوظيفة عند وفاته كمنفذ رسمي لوصيته . وقد وافقت حكومة الهند على الاذن المطلوب في عام ١٨٨٤ ، وذلك عندما استشيرت في هذا الشأن . ولكن لا يبدو أن نواب قد اودع أية وصية لدى المفوضية السياسية حتى عام ١٨٧٥ ، ويبدو أن الوصية التي اودعت حينئذ كان مصدقاً عليها من قبل جراح المفوضية وشاهدين انجليزيين آخرين وذلك عام ١٨٨٣ .

وفي عام ١٨٨٤ طلب نواب أن تكون السندات المالية الصادرة من حكومة الهند بمبلغ ١,٠٠٠,٠٠٠ روبيه والتي كان يحملها نافذة الدفع

بفائدة ، وذلك من خزينة حكومة الهند ببغداد . وقد أجيب الى طلبه كتكريم شخصي ، على الرغم من أن دفع مثل هذه الفائدة في أماكن خارج الهند كان منافياً للعرف ، ولا يمكن المطالبة به كحق . وفي عام ١٨٨٥ كان نواب يتوق الى نقل السندات باسم المفوض الذي ينبغي أن تستخدم عن طريقه ارباحُ السندات المالية في صيانة قبر نواب بعد موته . كذلك كان يتوق أيضاً الى أن يستمر دفع الارباح المذكورة في بغداد . وعلى أية حال فقد قررت حكومة الهند ان الامتياز بشأن مكان الدفع كان خاصاً بنواب ويجب أن يتوقف عند وفاته ، وقد بينت ان السندات يمكن ايداعها بسهولة في أحد البنوك في الهند ، حيث يمكن لمنفذ الوصية المحلي ، أو للأوصياء أن يحصلوا على الفائدة عندما يحل موعد دفعها ، وذلك بسحب كمبيالات على هذا البنك . ومن الجلي أن حكومة الهند قد منعت المفوض في بغداد من تحمل أية مسئولية فيما يتعلق بقبر نواب .

وقد توفي نواب اقبال الدولة في الكاظمية في الحادي والعشرين من ديسمبر عام ١٨٨٧ . واتضح أن هذه الوصية كانت شاذة وغامضة ، غير أنه ليس من الضروري هنا أن نفصل القول في نصوصها . وباختصار لقد بدا أنها تكرس كل الممتلكات التي تركها عند موته لصيانة قبره في الكاظمية وصيانة البيت الذي يحتوي هذا القبر وذلك بصفة دائمة . ولقد نصت هذه الوصية على تعيين المقيم البريطاني في بغداد كمدير لاعتماد مالي موقوف تتكون منه جملة ممتلكاته وذلك للغرض الذي أسلفنا ذكره الآن . وكان جلياً أن محمد حسين خان الممثل البريطاني في الكاظمية ، ومحمد تقي خان الممثل البريطاني في كربلاء وآخرين غيرهما يشاركون المفوض في إدارة هذا الموقف .

وكانت حكومة الهند حريصة ، ما أمكنها ذلك ، على احترام رغبات المرحوم نواب ، ولكن هذه الوصية حفتها مصاعب إذ لا يمكن أن يبت فيها الا القضاء بإجراءات قضائية سليمة ، فليس للمتولي الحق طبقاً للشريعة الاسلامية أن يوصي لاعمال البر بأكثر من ثلث ما يملك ،

كما أن بعض تنظيمات نواب بشأن الاعانات المالية كانت في حد ذاتها غير صالحة قانونياً ، أضف إلى ذلك أنه لم يكن واضحاً أن المقيم البريطاني قد عين بالفعل منفذا للوصية ، ولو افترضنا أنه قد عين بالفعل فان التعليمات بهذا الشأن كان منصوصاً عليها بطريقة يفهم منها أنها تنطبق فقط على المقيم الذي يتقلد المنصب بعد وفاة نواب وذلك بصفته الشخصية . وحتى بغض النظر عن هذه المصاعب الخطيرة فان حكومة الهند لم تكن ترى من المرغوب فيه أن يكون موظف بريطاني في بلد أجنبي مسئولا عن إدارة وقف مثل هذا الذي تنص عليه الوصية . ومن ثم فقد أصدرت تعليماتها الى المفوض بألا يأخذ على عاتقه تلك المهمة . وعلى أية حال فقد أخذ المقيم على عاتقه بصفته قنصلا عاماً إجراء حراسة موقتة على هذه الممتلكات ، وعين حارساً قضائياً لادارتها ، وقد أظهرت السلطات التركية اهتماماً كبيراً بتدبير هذه الممتلكات ، ورغبة قوية في الاشراف على العقارات الثابتة منها وذلك خلال ادارة سجلات الاراضي التركية الامر الذي أسخط الرائد تويدي المفوض حتى لقد قال إنه « لو أن ورثة المرحوم نواب جعلوا ممتلكاته أو عائداتها من الاموال تذهب من الحراسة البريطانية الى الحراسة العثمانية ، فليعتبروا أنها قد ضاعت منهم الى الابد، وليس من المجدي حينئذ الاتجاه الى القضاء بشأنها لانها ستكون في حكم الموضوعة على القمر » .

وفي عام ١٨٨٩ رفعت دعوى لبطلان القضية في محكمة كلكتا العليا وكان المدعون تسعة من أقرب أقرباء نواب . أما المدعي عليهم فهم الحكومة البريطانية والاوصياء الوطنيون المذكورون في الوثيقة نفسها . وفي عام ١٨٩٠ قدم طلب لإثبات صحة الوصية الى المحكمة القنصلية العليا لصاحب الجلالة البريطانية بالقسطنطينية وذلك من قبل الاوصياء الوطنيين الذين نحن بصددهم ، وقد عارض المدعون هذا الطلب في دعواهم في كلكتا . وأخيراً تمت تسوية بين الاطراف المعنية خص أقرباء نواب بمقتضاها ثلثا الأملاك كلها ، وخصص الاوصياء الوطنيون

المذكورون في الوصية بالثلث الباقي ، وقد حصل انتهاك للثقة وبالتالي بعض التأخير في تنفيذ الاتفاق ، ولكن سويت كل الدعاوى أخيراً في نهاية مايو ١٨٩٦ . وقد اشترى أغا محمد الممثل البريطاني في الكاظمية باسمه بعض ما خص أقارب نواب إن لم يكن جميع ما خصهم ، غير أنه ابتاع ذلك بالمساعدات المالية الموقوفة كما عرف ذلك عند موته عام ١٩٠٣ وكانت المفوضية البريطانية (القديمة) من بين الاشياء التي آلت اليه بمقتضى تلك الصفقة(١) .

قضية كلثوم نيسا بيجام ١٨٧٦ – ١٨٧٩ :

واستمر النزاع بين كلثوم نيسا بيجام ورمضان علي خان بشأن الميراث الكبير لنواب تاج محل حتى نهاية ١٨٧٦ .

وقد صدر في السادس والعشرين من أكتوبر عام ١٨٧٦ حكم من إحدى المحاكم البدائية في الهند لصالح كلثوم نيسا بيجام ، ثم تم التصديق على هذا الحكم عند استئنافه . وفي إبريل عام ١٨٧٨ مات خصمهما الرئسي رمضان علي خان ، ولكن حيث ان رمضان علي خان قدترك ابنا يدعى سيد أحمد حسين وما زال الاحتمال قائماً في أن يقدم استئنافاً للحكم لدى مجلس البلاط ، فان حكومة الهند لم تعط أحداً من الطرفين عقار نواب تاج محل أو المبلغ الضخم الذي كان من الممكن أن يُستبدل به ذلك العقار ، لأن حكومة الهند كانت حريصة على أن تخلي نفسها من المسئولية . وقد استمر موقف حبوط المسعى هذا حتى عام ١٨٧٩ .

وفي إبان ذلك بدأت كلثوم نيسا بيجام في جمع القروض من بغداد اعتماداً على حجة ملكيتها الثابتة موقتاً ، وقد أمرت حكومة الهند ممثلها السياسي في بغداد أن يعلن للناس أن حكومة الهند لن تتحمل أية مسئولية

(١) لا شك ان ادارة الوقف منذ ذلك الحين كانت فاسدة لانه لم يكن تحت اشراف من ليس بذى مصلحة ، غير أن قبر نواب والبيت الموجود به هذا القبر مازالا حتى سنة ١٩١٢ يحتفظ بهما في حالة لائقة ، وان كان يصرف على ذلك مبلغ ضئيل من مخصصاته الكبيرة .

في تسديد هذه الديون ، وان ينصح كلثوم نيسا بيجام ان تذهب الى الهند وان يبذل ما في استطاعته لكي يمنعها من أن تغرق في الديون او أن تتورط في زواج متهور . وفي مايو عام ١٨٧٩ أعلنت كلثوم نيسا بيجام عزمها على الزواج من ابن عمها سيد عسكر حسين الذي كانت مخطوبة له منذ فترة طويلة ، وعن عزمها أيضاً على البقاء في العراق التركي بصفة دائمة ، ووافقت على ذلك حكومة الهند التي كانت تعتبر كلثوم كشخص تحت حراستها ، وقد تم الزواج في الخامس من يونيو عام ١٨٧٩ .

وفي عام ١٨٧٩ زعمت إحدى الصحف أن أحمد علي خان الممثل الوطني في مقيمية بغداد قد اختلس بعض المجوهرات التي كان يملكها نواب تاج محل ، ويبدو أن الرائد نيكسون الممثل السياسي كان قد ارسله إلى كربلاء ليشرف على المقتنيات الشخصية للمتوفي نواب تاج محل ، وقد اتهم نواب إقبال الدولة كذلك بالاشتراك في هذه الخيانة المزعومة ، وقد حوكم أحمد علي خان ولكن برئت ساحته (١) .

---

(١) عين احمد على خان الذى كان مشهورا باسم احمد اغا فى المفوضية كممثل وطني وذلك عند تقاعد مستر ميشيل ميناس عام ١٨٧٥ ، وقد كان هناك اعتراض قوى على تعيينه من قبل بعض الاعضاء الارمن فى مكتب دائرة المفوضية ، وقد نشأ اعتراض عن اتهامه عام ١٨٧٦ باختلاس بعض الاملاك التى آلت رسميا الى احد الهنود من قضية ميراث • وقد اجرى تحقيق رسمى من قبل لجنة كانت تضم الرائد نيكسون والعقيد جراح بومان ومستر ريت الضابط الاول فى الكومت ونواب اقبال الدولة ، واسفر هذا التحقيق عن تبرئة ساحة احمد على خان ، وطرد رئيس الكتبة مستر جوهانز تاديوس بأمر من حكومة الهند • وقد مات أحمد على خان الذى كان هنديا من أسرة مرموقة فى أوض فى بغداد بعد أن طعن فى السن وذلك فى اغسطس عام ١٩١٠ ، وكان عند موته عميدا للجالية الهندية فى بغداد ، وكان معروفا بولائه لصاحب الجلالة الملك الامبراطور ، كما كان ذا حظوة كبيرة فى المجتمع الاوروبى ، وقد عين ابنه سجاد على خان نوايا عام ١٩١١ بدار بار المعظمة بدلهى حيث كان يقيم •

حركات ايوب خان ١٨٨٨ :

لقد كان ايوب خان احد افراد أسرة باراكزاي الحاكمة في أفغانستان ، وقد امرته الحكومة البريطانية أن ينتقل إلى الهند وذلك بعد محاولته الاخيرة الفاشلة في إثبات مطالبه في افغانستان ، وقد وصل إلى بغداد من طهران في الثامن والعشرين من مارس عام ١٨٨٨ ثم ، اتجه الى الهند في الثامن والعشرين من إبريل .

★ ★ ★

وقف أوض ١٨٧٦ ـ ١٩٠٥

لقد بلغت الشئون الخاصة بوقف اوض في الفترة التي نحن بصددها شهرة واهتماماً تجعل من المحتم علينا النظر للوقف منفصلا عن جميع المصالح البريطانية الرسمية الاخرى في العراق التركي . ولقد بقي تأثير نواب إقبال الدولة في إدارته قوياً للغاية حتى وفاته عام ١٨٨٧ . أما نظام توزيع جملة عائدات الوقف فظل سارياً حتى عام ١٩٠٢ . وكان التوزيع يتم بمقتضاه عن طريق «مجتهد» مختار في كربلاء وآخر في النجف . وبقيت فكرة اعتبار ثلث العائدات كمبلغ منفصل لاعانة الهنود مطبقة حتى سنة ١٩٥٢ وكان قد اصطلح عليها طبقاً لما اوضحناه سابقاً منذ عام ١٨٦٠ .

وكان المجتهد الموزع في كربلاء هو ميرزا سيد عبد القاسم الطباطبائي المعروف «بحجة الاسلام» وبقي موزعاً حتى وفاته في الثالث عشر من ديسمبر عام ١٨٩١ ، وهو أحد الرعايا الايرانيين ويرجع تاريخ تعيينه إلى عام ١٨٧٢ . وكان المجتهد الموزع في النجف شخصاً يدعى سيد علي «بحر العلوم » وبقي موزعاً حتى مات عام ١٨٨١ ، ولقد أنعم عليه بهذا المنصب عام ١٨٥٨ أو ١٨٥٩ ، ولقد خلفه أحد الرعايا الاتراك هو سيد محمد بحر العلوم . ويبدو أن جميع هؤلاء المجتهدين الموزعين كانوا يعينون من قبل الوكيل السياسي البريطاني او المقيم السياسي البريطاني في

بغداد وذلك بتوصية من نواب إقبال الدولة ، ولهذا كان مركز ايوب قوياً للغاية في شئون ذلك الوقف .

المعونة المالية الهندية المنفصلة ١٨٧٧ إلى ١٨٨١ :

وتم بشكل منظم سنة ١٨٧٧ الاعتماد المالي المنفصل لإعانة الهنود الذي جرى العمل به لعدة سنين ، وذلك عن طريق خطابات وجهها الموزعون المجتهدون في كربلاء والنجف الى الممثل السياسي البريطاني في بغداد ، فقد عبروا في هذه الخطابات عن رغبتهم في أن يستقطع ثلث المبالغ التي تدفع لهم وهو يبلغ ثلاثة آلاف روبية لاعانة فقراء الهنود في كربلاء والنجف والكاظمية ، خصوصاً هؤلاء الذين كانوا ينتمون الى أسر عريقة . والخطابان اللذان كانا متشابهين تقريباً في نصوصهما لا يمكن أن يكونا قد صدرا بمحض ارادة المجتهدين ، فمن العسير ألا نجد أصبع إقبال الدولة في الموضوع إذا ما نظرنا الى مذكراته عن عام ١٨٦٦ . وقد تمت الموافقة الفورية على هذا التنظيم المقترح من قبل الرائد نيكسون الممثل السياسي البريطاني الذي قام بتنفيذه في حدود دوره من ذلك التنفيذ . وقد ضمت المبالغ التي سلمها الموزعون المجتهدون إلى خزينة المقيمية السياسية في بغداد والمخصصة منهم لاعانة الهنود ، ومن ثم فبموافقتهم اعتبر الاعتماد المالي المخصص للهنود ساري المفعول ولا تشوبه شائبه . ويبدو أن التوزيع على الهنود كان قد تم على قوائم بأسماء أعدت بعد التحقق منها . والمعروف أن قائمة هنود الكاظمية قد روجعت عام ١٨٨١ عندما طالعها مستر بلاودن بالاتفاق مع نواب سر إقبال الدولة وأجري فيها تعديلات رأى أنها ضرورية ، وربما قام بهذا العمل نواب سر إقبال الدولة وحده بتعليمات من مستر بلاودن .

فحص مركز وسلوك الموزعين المجتهدين ١٨٨٢-١٨٨٣ :

وفي أكتوبر عام ١٨٨٢ زار الرائد و. تويدي ، وكان قائماً بعمل المقيم في غياب مستر بلاودن مدينة كربلاء وفحص على الطبيعة سمعة

الموزعين المجتهدين هناك وفي النجف وهما : ميرزا ابو القاسم وسيد محمد ، كما فحص الإدارة المحلية للوقف ووجد أن :

(١) على الرغم من ان جميع الاشخاص العاقلين قد رضوا أن يكون لهذين العالمين اسم ومرتبة «مجتهد» ، إلا أن أكثر الناس إعجاباً بهما لا يستطيعون أن يدّعوا لهما تفوقاً على كثير من إخوانهما الذين يرد ذكر اسمائهم .

(٢) بل على النقيض من ذلك ، فان قبولهما لهذا الاهتمام والوظيفة الدنيويين(١) كان في أعين الكثيرين بمثابة ارتداد يدعو للأسى عن طابع الشخصية التي يجب أن يكونا عليها .

وطبقاً للاعتقاد العام فان كلا منهما كان حريصاً على أنه لو قل ما يتلقيانه من هدايا المتدينين للأسباب سالفة الذكر او غيرها فان التعويض الملائم لهذا سوف يكون من أموال وقف اوض التي يوزعانها بأيديهما .

وفي عام ١٨٨٣ وضع الرائد تويدي عندما ترك العمل كمقيم بين يدي مستر بلاودن تقريراً تلقاه من راجا باقر حسين فايز أباد من اوض وهو أحد زوار كربلاء والنجف ، وهو كذلك رجل غني وفاضل ولم يكن مغرضاً في تقريره الذي قال فيه إن عائدات وقف اوض كان يساء استعمالها «مما يعود بالضرر على اسم بريطانيا» وإن الأموال كانت تخصص بصفة رئيسية لإثراء الموزعين المجتهدين وإعانة اقاربهم وأصدقائهم ، ولا يصيب الفقراء منها إلا النذر اليسير ، وإن اللذين يقومان بالتوزيع ليسا مجتهدين (أي فقيهين) ولكنهما مجرد طالبي علم . وقد اقترح الكاتب ضرورة إعداد قوائم بالهنود المعدمين حقاً والموجودين حول الاماكن المقدسة ، وأنه يجب ألا يتقاضى أحد من هؤلاء المدرجين في مثل تلك القوائم أقل من روبيتين ، اذ كان معدل التوزيع الفعلي على الفقراء في ذلك الوقت هو نصف روبية او ربع روبية شهرياً .

---

(١) يعنى ادارة الوقف .

أثر وفاة اقبال الدولة ١٨٨٧ :

مات نواب إقبال الدولة في ديسمبر عام ١٨٨٧ ، وكان قد قام بآخر زيارة له لكربلاء والنجف بصحبة المقيم البريطاني وذلك عام١٨٨١ وقد تبعت وفاته وفاة صديقه الحميم محمد حسين خان الموزع الهندي والممثل البريطاني الفخري في الكاظمية ، وقد كان لوفاة نواب تأثير عميق في مجرى الامور في وقف اوض ، اذ كان له الفضل دون شك في إيجاد الاعتماد المالي المنفصل لمساعدة الهنود الذي كان في بادىء الامر على أساس غير رسمي ، ثم صار بعد ذلك على أساس منتظم ومحدد ، كما كان له الفضل في تنظيماته وإدارته . ومهما قيل في تدخله الذي كان يفتقر الى اللياقة ، فان نتائج هذا التدخل كانت على وجه العموم ذات فائدة ، وقد استتبع اختفاءه من مجرى الحوادث تردي الامور الى الأسوأ بالنسبة لموقف الموزعين المجتهدين اللذين كانوا قبل موته قد اعتادوا الانصياع لنصائحه ، كما استتبع أيضاً ازدياد إساءة استعمال المجتهدين للأموال .

وكان الذي خلف محمد حسين خان كموزع هندي وممثل بريطاني فخري في الكاظمية هو ابنه أغا محمد الذي كان حتى ذلك الحين كاتباً للغة الفارسية في المقيمية البريطانية في بغداد ، وكان الرائد تويدي حريصاً عند ابلاغ أغا محمد بتعيينه أن يلفت نظره الى أن بقاءه في ذلك المنصب موقت ، كذلك نصحه ألا يغير خطة توزيع الاعتماد المالي للهنود دون استشارة المقيم اولا ، وكان المرحوم إقبال الدولة هو الذي وضع هذه الخطة

الماجور تالبوت يحاول اصلاح تنظيمات التوزيع ١٨٨٩ :

وفي مارس من عام ١٨٨٩ زار العقيد أ. س.تالبوت ، الذي كان قائماً بأعمال المقيم البريطاني نيابة عن الرائد تويدي ، كربلاء والنجف ونظر في شكاوى عديدة قدمت بشأن توزيعات «حجة الاسلام» في كربلاء ، وكانت هذه الشكاوى قديمة العهد ويبدو أن لها أساساً من

الصحة ، وقد وجد تالبوت أن ذلك الموزع المجتهد غارق في الديون ، فقد استدان ثلاثة عشر الف روبية من صراف المقيمية البريطانية وذلك بضمان أموال وقف اوض التي ينتظر دفعها له حتى نهاية شهر أغسطس التالي . وقد قيل إن عليها ديناً يبلغ عشرة آلاف روبية بفائدة تتراوح بين ٤٢٪ و ٤٨٪ في السنة ، وهذا الدين كان لاسترابادي يدعى حسن بن الحاج مهدي ، وقد دفع ميرزا أبو القاسم بأن هذه الديون قد تمت لاغراض الاحسان ، ولكن ما تلا ذلك من تحقيقات أجراها الرائد تويدي أظهر أن هذه الديون كان مردها أبناؤه الثلاثة ، حيث إنه «كان من الضعف وعدم المرونة بحيث لم يستطع أن يكون له أية رقابة شديدة على سلوكهم او ما يقترضونه من أموال . وأما فيما يتعلق «ببحر العلوم» الموزع المجتهد في النجف فقد تبين للعقيد تالبوت أنه لابد من ان يستدين «فقد كان على النقيض تماماً ، اذ أثرى من الوقف » ، وقد تدفقت الشكاوى الى المقيمية ضده أيضاً . وبعد أن أخبر العقيد تالبوت حجة الإسلام أن استمرار الأمور على ذلك المنوال سوف يستدعي الرجوع الى حكومة الهند مما يمكن أن يكون له نتائج سيئة ، رضي ذلك المجتهد باعداد قائمة منتظمة بمن سيدفع لهم الاعانات ، وبتسليم ايصالات هؤلاء الى المقيمية البريطانية ببغداد بعد التصديق عليها من قبل الممثل البريطاني في كربلاء . وقد نجح المفوض كذلك في إقناع صراف المقيمية بأن يخفض الفائدة على قرضه لميرزا أبو القاسم الى ١٢٪ في السنة ، وقد رأى أن المجتهد سيكون حكيماً لو أنه جمد ديونه ، غير أنه لم يكرهه على ذلك .

وقد وجه العقيد تالبوت إنذاراً إلى بحر العلوم في النجف مقترحاً عليه أيضاً كتابة القوائم .

وعلى وجه العموم فقد اعتبر العقيد تالبوت الحالة التي انحرفت اليها الامور في وقف اوض «فضيحة صارخة» غير أنها حالة من الصعب معالجتها ، وقد سجل انطباعاته في مذكرة بتاريخ الثاني من مايو عام ١٨٨٩ كانت بمثابة توصية نهائية ، وقد قال فيها :

« ربما كان من المجدي بطريقة او بأخرى أن يوزع الوقف عن طريق لجنة ، لان اللجنة ستكون أقرب الى العمومية ، كما سيكون لديها فرصة أفضل للتوفيق بين المصالح المتضاربة أكثر من التنظيم الحالي الذي لا يتفق مع شروط الوقف ، اذ يقوم على أمره شخص واحد . وعلى أية حال يجب ان يكون الاصلاح المنشود اصلاحاً من الداخل ، وأن تُسدى الى ميرزا ابو القاسم النصيحة في أن ينظر الى الاصلاح كوسيلة لخلاصه من مسئولية لا يشكره أحد عليها ، وفي نفس الوقت ليس إصلاحاً من الممكن تنفيذه دون موافقته » .

وأخيراً كتب قائمة لتنظيم المدفوعات في كربلاء وذلك في سبتمبر عام ١٨٨٩ ، ولكن لا يعرف إن كان شيء من هذا القبيل قد تم في النجف

الرائد تويدي يحاول اصلاح تنظيمات التوزيع ١٨٨٩–١٨٩٠ :

وعند عودة الرائد تويدي إلى منصبه من العطلة حاول أن يضع مقترحات العقيد تالبوت بانشاء اللجان موضع التنفيذ . وبعد مقابلات عديدة مع بحر العلوم ، واتصالات مع حجة الاسلام عن طريق أصدقاء لكلا الطرفين شكلت لجان صغيرة في كربلاء والنجف تتكون كل منها من الموزع المجتهد في المدينة والممثل البريطاني في كربلاء وعضو ثالث . وكان العضو غير الرسمي في كربلاء رجلا ايرانياً نزيهاً من هذه المدينة يدعى سيد حسن حكيمزاده ، وكان العضو غير الرسمي في النجف تاجراً شيعياً من بغداد ، وهو كذلك نزيه ويتمتع باحترام كبير . اما النتائج التي أسفر عنها هذا فيمكن أن نصفها بكلمات الرائد تويدي الواضحة : وأسفرت النتيجة في النجف عن لا شيء ، فان تاجر بغداد الذي يتمتع باحترام كبير كان يرغب في أن يظل متمتعاً باحترام كبير ، ولذلك كان كالدمية ، مثله في ذلك مثل ممثلنا الفخري الذي كان يتمثل دوره وطبيعته في أن يرضي كل إنسان ، وهكذا ظل بحر العلوم كما هو لا يكدره شيء ، كما ظلت طرقه في التوزيع ملتوية . أما في كربلاء فقد

حاول العضو المستقل أن يسعى في إتمام الاصلاح مما أثار عليه عداءً شديداً من حجة الاسلام وجماعته كلها . وعندما رأيت ذلك صممت بعد المحاولات الصابرة ان استغني عن اللجنة التي يمكن أن نلخص ما توصلت اليه فيما يأتي : (١) ان التوزيع عن طريق حجة الاسلام في كربلاء وبحر العلوم في النجف هو بالتأكيد «فضيحة صارخة» على حد تسمية العقيد تالبوت لها في تقريره . (٢) إن الفشل هو مآل كل محاولة لاصلاح التوزيع يكون أساسها مخالطات هذين المجتهدين او أي مجتهدين آخرين بدلا منهما تتاح لهما فرصة مشابهة لجمع المال ، اذ سوف يظلون راغبين عن دفع أموال يستطيعون بشتى الطرق أن يحتفظوا بها لانفسهم . ثم إن فكرة تسليم أموال لمجتهد لتوزيعها لا يمكن أن تَمُتّ لإجراءات العمل السليم بصلة .

إن العمل الصحيح للمجتهد هو الدراسة وهو طفل ، بعيداً عن هذا المجال ، هذا ان كان مجتهداً بحق وليس دعياً ، ثم إن قيامه على أمر تقسيم الاموال يؤدي بلا شك الى التفاف الطفيليين حوله (ودعك من أفراد أسرته هو) بغرض ابتزاز الاموال منه .

وفي بداية عام ١٨٩٠زار كربلاء والنجف الضابط الجراح ر. بومان الطبيب في مقيمية بغداد والذي كان له تجربة أحد عشر عاماً في العراق ، وقد كتب تقريراً عن مجرى الامور في الوقف وفاءً لرغبة الرائد تويدي، وقد أشار في ختام تقريره إلى إمكان تشييد مدرسة للاطفال الهنود وكذلك مستوصف لعلاج الفقراء من الهنود في كربلاء ، وذلكمن أموال وقف أوض .

مجرى الامور في عام ١٨٩٠ :

لقد عم السخط عام ١٨٩٠ بشأن تصرف المجتهدين بالأموال ولم يكن منشأ ذلك السخط بالحديث العهد ، ففي أوقات متفاوتة عرف الرائد تويدي وأسلافه صوراً لهذا السخط «ليس بطريقة مباشرة من بعض

الأفراد فحسب ، بل وبطريقة غير مباشرة من الحكومة العثمانية والحكومة الايرانية وحكومة بومباي بل ومن حكومة حيدر أباد» « وكان مفادها أن المجتهدين المعنيين لتوزيع هذه الاموال كانا يتصرفان فيها كما لو كانت ملكاً لهما ، فقد ابتاعا الاراضي بمال الوقف ، وحولاها عما ينبغي أن تستخدم له إلى أشياء أخرى » ، ولم يكن للانذارات التي وجهها العقيد تالبوت ثم الرائد تويدي للموزعين المجتهدين أي أثر ، وفشلت اللجان التي ألفت للاشراف عليهما او ساعدتهما ، وبالرغم من أن كربلاء والنجف قد سلما قوائم بأسماء من تدفع لهم الأموال إلا أنها لم تكن لها جدوى عملية تذكر ، وقد قال الرائد تويدي بشأن هذه القوائم :

« ... ويبقى الشك : (١) كم من الأسماء المسجلة صحيح ، وكم منها مجرد دُمَى ؟ . (٢) وكم يبلغ عدد زوجات الموزعين المجتهدين وأطفالهم وخدمهم من هذه الاسماء الصحيحة ، وهم صور أخرى للموزعين أنفسهم ؟ . (٣) كم يبلغ عدد أسماء الاشخاص الذين ليس لهم حق شرعي للاستفادة من الوقف كأصحاب الاملاك والتجار الناجحين ؟

وتتركز المشكلة بطبيعة الحال في الحسابات ، فان الموزعين المجتهدين يؤجلان تسليمها ، ثم إن هناك مبرراً قوياً يسندهما لطلب مزيد من الاموال على وجه السرعة ، وذلك عن طريق الخطابات والبرقيات ، وهذا المبرر هو عزاء الفقراء . ورأيي المتواضع هو أنه لو أبقي على نظام التوزيع هذا ، فان طلب قوائم المستلمين او إعلان مراجعة مثل هذه القوائم وهي بين أيدينا ، كل هذا لن يؤدي إلى أية نتائج مرضية ذات بال »

وهناك مظهر آخر للتوزيع تم الاعتراض عليه ، وهو دفع مبالغ كبيرة الكسلدارات والموظفين الآمرين في الاماكن المقدسة في كربلاء والنجف الذين كان لهم مصادر أخرى للدخل ، والذين كثيراً ما كانت توزع عليهم مبالغ ضخمة من قبل الحجاج الاثرياء من الهند والاماكن الأخرى .

وكانت توزيعات الاعتماد المالي المخصص لاعانة الهنود معرضة للانتقاد لعدة أسباب خاصة بالنظر لحشد عدد كبير من أقرباء المرحوم إقبال الدولة هم وتابعيهم بين من يتسلمون الإعانة في الكاظمية ، وأيضاً بسبب بالنسبة الكبيرة من الاعتماد التي تبتلعها المفوضيات في الكاظمية وكربلاء والتابعون لهذه المفوضيات ، فان التكاليف الشهرية لمفوضية الكاظمية وحدها والتي كان عدد الموظفين فيها أحد عشر شخصاً الى جانب الموزع الهندي(١) بلغت ٤٨٨,٥ روبية .

الرائد تويدي يوصي بتغيير النظام مارس ١٨٩٠:

وفي مارس عام ١٨٩٠ أرسل الرائد تويدي إلى حكومة الهند يطلب تغييراً شاملا في نظام الوقف ، وقد تبين أن التنظيمات القائمة التي كان يمكن العمل بها الى حد ما في حياة إقبال الدولة لم تعد كذلك الآن ، وقد قال :

« هناك حقيقتان يمكن في حد ذاتهما أن يبرزا بوضوح هذه المسألة . الحقيقة الاولى هي الحيرة التي يتحتم على الموظف البريطاني أن يشعر بها عندما تقتضيه الظروف أن ينتقي مجتهداً ليكون قائماً على توزيع أموال ، أما الحقيقة الثانية فهي الصعوبة الكبيرة أو بالاحرى الاستحالة الاخرى وهي استطاعة موظف بريطاني يقيم في بغداد الاشراف على مثل ذينك الشخصين المعينين (وهما من رعايا حكومات أخرى) بشأن يتعلق بالمال . فلكل مجتهد دائرته ، وربما كان الشخص لامعاً اليوم ثم يخبو غداً ، وذلك للريبة في أنه انحرف عن الدين ، او بدر منه ما يظهر أنه مهتم بأمور الدنيا . والمجتهد الذي ليس هناك ما يعكر صفو سمعته في الاستقامة

---

(١) لقد لوحظ ان المبلغ الذى كان يذهب جهارا الى جيوب اسرة اغا محمد الوكيل فى الكاظمية ، والذى كان عمه محمد تقى خان وكيلا فى كربلاء ، هذا المبلغ كان يصل الى ٦٧٨ روبية شهـــريا من رواتب وبدلات ، وكان هناك شك فى أن هذا المبلغ لم يكن يرقى الى حقيقة ما كانت تستفيد به تلك الاسرة من الوقف .

وفعل الخير ، ربما أصبح شخصاً آخر بعد أن يعهد اليه بتوزيع مبلغ شهري ضخم » . وفي الواقع كان تصوّر الرائد تويدي للأمور هو أن توزيعات الاعانة للهنود في الكاظمية وكربلاء والنجف ينبغي ألا تستمر ، وأن يسمح للمعوزين من الهنود في الكاظمية بأن يهاجروا الى كربلاء والنجف حيث يمكن لكل المقيمين من الهنود أن يأخذوا مكانهم الصحيح بين الاشخاص الذين يحق لهم أن يستفيدوا من الوقف ، كذلك يجب الغاء مراكز توزيع المعونة الهندية في الكاظمية وكربلاء وأن يقوم المقيم البريطاني بتوزيع عائدات الوقف بين مجتهدي ومجاوري كربلاء والنجف كما أن عليه أن يعد قوائم بهؤلاء ويراجعها ، وذلك بمساعدة ممثل سياسي مساعد (يضاف الى هيئة موظفي المفوضية ، ولجان محلية غير رسمية يمكن توسيعها مستقبلا) ، والقنصل العام الايراني في بغداد .

وينبغي أن نذكر أنه مع أن هذه المقترحات قد سبقت الى حد ما مقترحات أخرى تم العمل بها عام ١٩٠٣ ، فانها كانت تتفق تماماً مع شروط اتفاق عام ١٨٢٥ الذي كان معروفاً لدى مفوضية بغداد في ذلك الوقت . وقد كانت نسخة الاتفاق المحفوظة في ملفات المفوضية لا تتفق فحسب مع النص المغلوط ذي اللغتين ، ولكنها حوت أيضاً «واوا» مدسوسة بين كلمتي «مجتهد» و «مجاور» ومن ثم فقد كانت وثيقة مضللة تضليلا ظاهراً ، فبمقتضى شروط هذه الوثيقة يجوز لممثل الحكومة البريطانية أن يوزع عائدات الوقف بين المجتهدين (و) المجاورين في كربلاء والنجف ، كما لن يحول شيء بين الممثل البريطاني وبين التعامل مباشرة مع المستحقين من المجاورين . وقد اعتبر الرائد تويدي أن عبارة مجاور تشمل جميع المقيمين من الهنود .

أوامر حكومة الهند بشأن توصيات الرائد تويدي مايو عام ١٨٩٠ :

وبعد النظر في مقترحات الرائد تويدي ، أبلغته حكومة الهند في مايو عام ١٨٨٠ أنه إشارة الى اوامر عام ١٨٦٧ ، فانه لا رغبة لها في التدخل

مطلقاً في توزيع ذلك الاعتماد المالي بعد أن خصص للمستحقين الذين نصت عليهم وثيقة عام ١٨٢٥ ، وأن هذا كان موقفها الثابت منذ سنين كثيرة ، وهي لا ترغب تغيير ذلك الموقف . وأما بخصوص التوزيع على الهنود في الكاظمية فقد طلبت حكومة الهند من الرائد تويدي أن يكتب تقريراً يوضح فيه إن كان ذلك قد تم بتوجيه من الموزعين المجتهدين أم لا. فان كان قد تم بتوجيههم فليس هناك أي أساس للتدخل من قبل حكومة الهند ، وأما ان كان دون توجيههم فيعني ذلك الخروج على اوامر عام ١٨٧٦ ، الامر الذي ينبغي أن يكون له سند يدعمه .

وقد شرح الرائد تويدي في رده أنه عندما أثار الموضوع كان يدفعه الشك فيما اذا كان الموزعون المجتهدون في كربلاء والنجف هم في واقع الامر المتسلمون الصحيحيون بمقتضى اتفاق عام ١٨٢٥ ، وبين أن الاعتماد المالي المنفصل المخصص لاعانة الهنود قد جاء إلى الوجود بمعاونة الموزعين المجتهدين .

ولم تصدر أوامر أخرى بهذا الشأن من قبل حكومة الهند .

محاولة اجراء اصلاحات اخرى من قبل الرائد تويدي ١٨٩١ :

ونظراً لنفور حكومة الهند من تغيير النظام فقد قام الرائد تويدي في أوائل عام ١٨٩١ بمحاولة جديدة لتحسين ادارة الانظمة القائمة ، وفي الوقت الذي بدأ فيه العمل كانت حصة كربلاء من الوقف قد دفعت حتى نهاية سبتمبر عام ١٨٩٠ . أما حصة النجف فكانت قد دفعت حتى نهاية أكتوبر من نفس العام . وكان هناك نظام جيد للتوزيع في كربلاء يتمثل في القائمة التي كتبت في سبتمبر عام ١٨٨٩ تبين من يدفع لهم من الاشخاص ، بيد أن قائمة الاسماء بالنجف ظلت غير معتمدة منذ بضع سنين . وكان معروفاً ان الموزع المجتهد بالنجف كان يجمع القروض معتمداً على قوة علاقته بالوقف . ثم ان الاشخاص الذين تعودوا على

الاستفادة من التوزيعات في كل من النجف وكربلاء بدأوا في الاستدانة بضمان ما توقعوا أن يتلقوه في المستقبل من أموال .

ولذلك أكمل الرائد تويدي دفع حصة كربلاء في نهاية عام ١٨٩٠ ، وذلك بأن أصدر اعتمادات مالية للتوزيع قائمة بمقتضى عام ١٨٨٩ ، وبحضور الممثل البريطاني في كربلاء . غير أنه حجز بقايا استحقاقات النجف إلى أن يعد بحر العلوم بمساعدة الممثل البريطاني قوائم جديدة وصحيحة للمجتهدين والمجاورين في ذلك المكان . وقد عرض ، أو بالأحرى هدد ، بأنه سوف يتجه الى كربلاء والنجف بنفسه إذا نشأت أية عقبات في ذلك السبيل . وبعد أن تأخر الممثل البريطاني شهراً لم يتم خلاله شيء نحو تنفيذ ما تمليه عليه التعليمات ، بيّن الرائد تويدي في مارس عام ١٨٩١ أن الوسيلة الوحيدة التي يمكن عن طريقها أن تنتظم الامور هي دفع كل المتأخرات حتى ذلك التاريخ . وبالرغم من أن المفوض قد استنتج من هذا الطلب أنه قد تم التصرف في حصة كربلاء في الربع الاخير من عام ١٨٩٠ بطريقة لا يمكن المجاهرة بها ، فقد امر بدفع حصة كربلاء للموزعين المجتهدين حتى نهاية فبراير عام ١٨٩١ .

وقد أبلغ الرائد تويدي كل هذه الاجراءات في حينها الى حكومة الهند ، ولكن لسوء الحظ أحبطت محاولة الاصلاح في النجف وذلك لشدة جشع وعنف الموزع المجتهد وتصرفه الغريزي مما جعله يسيطر سيطرة كاملة على زميله الممثل البريطاني ، وقد قال المفوض بعد ذلك عن بحر العلوم : « إنه هو وزميله في كربلاء ينهبان من الأموال أكثر من أي وقت آخر » .

حكومة الهند تعيد النظر في مسألة تنظيمات الوقف ١٨٩٠ :—١٨٩١ :

وفي إبان ذلك عكف السيد ج. كيرزون ، عضو البرلمان الذي أصبح فيما بعد لورد كيرزون وحاكم الهند ، على مسألة وقف اوض . وكان

قد زار كربلاء والنجف في بداية عام ١٨٩٠ ، وقضى يوماً في كل منهما وناقش شئون الوقف مع الرائد تويدي وسيد حسن حكيمزاده العضو غير الرسمي في اللجنة المشكلة في كربلاء عام ١٨٨٩ . وقد كتب مستر كيرزون في أكتوبر عام ١٨٩٠ الى لورد لانزداون حاكم الهند في ذلك الوقت مقترحاً فحص ادارة الوقف ، وان حكميزاده قد أبلغه أن الموزع المجتهد في كربلاء قد اختلس الاموال هناك . في حين ظل الممثل البريطاني على الحياد فإن إقدام حكيمزاده على فضح زملائه في اللجنة قد سبب له وضعاً لا يحسد عليه .

وفي هذا الوقت بدأت تصل إلى حاكم الهند وإلى وزير دولة صاحب الجلالة لشئون الهند والى وزير الخارجية التماسات بريدية وبرقية عن موضع ادارة الوقف ، وكانت هذه الاحتجاجات من الكثرة بحيث لم تكن الطلبات التالية لها تستحق أية ملاحظة .

وعندما استشار القسم الاجنبي لحكومة الهند دوائر التشريع بها رسمياً كان يميل الى الاعتقاد بأن خطابات الرائد تويدي تستحق النظر الجاد ، وأن حكومة الهند ملزمة بمقتضى شروط الوقف أن تعمل ما وسعها العمل لكي تضمن أن يستفيد من المبالغ المنصوص عليها في أحكام الوقف الاشخاص المعنيون في نصوص تلك الاحكام .

وقد احيلت المسألة أيضاً الى الرائد جاريت سكرتير لجنة الباحثين بكلكتا ، وطلب منه أن يقوم بترجمة انجليزية دقيقة لاتفاقية عام ١٨٢٥ ، كما يدلي برأيه في معنى كلمتي «مجتهد» و «مجاور» . ويبدو أن نسخة الاتفاق التي أعطيت للرائد المذكور كانت هي النص المهلهل ذا اللغتين ، أو أنه يأخذ أي نص آخر بعين الاعتبار إن كانت قد ارسلت اليه نصوص أخرى . وكانت ترجمته للفقرة الحاسمة في الاتفاق هي : « ويدفع النصف لحساب النجف الاشرف ، والنصف الآخر لحساب

كربلاء الجليلة ، وذلك ليد أرفع فقهاء الدين الذين يقيمون بصفة مستمرة قرب العتبات المقدسة » ، وقد اعتقد الرائد جاريت ان الرائد تويدي كان ينزع الى المبالغة غير المقبولة في تفسير مدلول مصطلحي «مجتهد» و «مجاور » .

وفي مارس عام ١٨٩١ ارسلت نتيجة بحث الرائد جاريت إلى زميله تويدي . وبعد أن اعتبرت ترجمة الرائد جاريت صحيحة طلب من تويدي أن يقول « من هم المجتهدون المعترف بهم المقيمون عند العتبات المقدسة ، وعما اذا كان من غير الممكن دفع الاموال لهم معاً او للجنة يختارونها من وقت إلى آخر» ، وقد أبلغ مستر كيرزون في حينه بالتدابير التي اتخذت اهتمامه بتلك الأمور في ذلك الوقت .

وقد رد الرائد تويدي في مايو عام ١٨٩١ على ما طلب منه ، وكان على وشك اعتزاله لوظيفة «مفوض» في العراق التركي ، بل واعتزاله للخدمة . واعترف تويدي في رده بصحة ترجمة الرائد جاريت للنص الصحيح المزعوم ، وذلك بشأن «المجتهدين المقيمين عند العتبات المقدسة» ، وليس «المجتهدين والمجاورين عند الاعتاب المقدسة» ، ولكن انتقد جلب المترجم لكلمة «أرفع» (عند الإشارة إلى فقهاء الدين) وكلمة «مستمر» (عند الإشارة إلى الاقامة) قائلا إنه لم يجد أيهما في النص الفارسي . وأما بشأن معنى كلمة «مجتهد» فقد رجع في ذلك الى أعظم مجتهد في هذه الايام وهو الحاج ميرزا شيرازي من سامراء ، وحصل على رد منه ، كما رجع أيضاً الى سيد محمد تقي ، وهو مجتهد في الكاظمية ، وذلك عن طريق القنصل العام الايراني في بغداد . ومما قاله سيد محمد تقي في بحثه «والمجتهد له درجات» ، ومن هذه العبارة استنتج الرائد تويدي «استحالة رسم خط ثابت» بين الشهادة الجامعية في العلوم الدينية وشهادة الاستاذية فيها ، وذلك إن صح لنا هذا التعبير» ، وقد سلم أيضاً قائمتين حصل

عليهما من مصدرين مختلفين لأشخاص في كربلاء والنجف يقول الناس عنهما إنهما مجتهدان ، غير أنه لم يعلق بشيء على هاتين القائمتين ، وأما بشأن اقتراحه العملي الذي ضمنه كتابه الذي أرسله الى حكومة الهند فقد قال :

« هناك امر يجب تصنيفه في حكم المستحيل ، ألا وهو عمل هيئة من المجتهدين ، أو ما يسمون بالمجتهدين ، في وفاق على شكل لجنة لتقسيم الاموال بينهم او لتوزيعها على الفقراء ، وذلك سواء عملت تحت إشراف المفوضية أو مستقلة ، فان الشعور السائد بينهم كل تجاه الآخر مثقل بالتزمت الديني والمنافسة الكلامية مما لايسمح بوفاق بينهم. ولو تمت دعوة لاجتماعهم سوياً من أجل مثل هذا الغرض فلن يحضروا هذا الاجتماع ، بل سيرسل كل منهم خادماً ، بينما تجد أتباع هذا المجتهد او ذاك والذين يؤملون الكسب من وراء هذا المجتهد أو ذاك يحومون حول مكان الاجتماع ، ومن هنا يمكن ان يحدث شغب في أي يوم » .

مناقشات اخرى . العقيد جننجز ينقب عن الحقائق والرائد موكلر يدلي برأيه ١٨٩٢ :

وفي فبراير عام ١٨٩١ كان الرائد تويدي قد عبر عن رأي له أهميته وهو ان مجرد تغيير هيئة الموزعين المجتهدين ليس بذي جدوى قائلا : «... بقدر ما أستطيع أن أحكم فان وسيلة تعيين مجتهدين آخرين بدلا من الحاليين ، حتى لو كان لنا الحرية في أن نحاول ذلك ، سوف لا يكون لها أية نتائج أفضل » .

وفي يناير عام ١٨٩٢ طلب من الرائد موكلر الذي خلف تويدي في مفوضية بغداد بصفة شبه رسمية أن يبلغ حكومة الهند رأيه بشأن النقاط العملية الموضوعة قيد البحث في القضية ، ونعني بها قضية اقتراح توزيع عائدات الوقف بين عدد من المجتهدين في كربلاء والنجف بدلا من

دفعها لمجتهد واحد في كل من هذين المكانين ، وأيضاً اقتراح إلغاء الاعتماد المالي لاعانة الهنود وخاصة في فرع الكاظمية (وذلك عن طريق الانقاص التدريجي) .

وفي مارس عام ١٨٩٢ ، زار بغداد العقيد ر. ه. جننجز الممثل السياسي المساعد في البصرة ، وانتهز الرائد موكلر تلك الفرصة ليحصل منه على معلومات جديدة بشأن الآراء والمشاعر في كربلاء . وفي أثناء ذلك الوقت كان المجتهد الموزع في كربلاء وهو ميرزا ابو القاسم قد مات ، وقد عين موكلر ابنه مكانه وهو سيد محمد باقر الطباطبائي ، وكلف العقيد جننجز الذي كان يصحبه مستر تاونلي سكرتير مفوضية صاحبة الجلالة في طهران خلال جولة في العراق ، محاولة مقابلة الشيخ زين العابدين أعظم المجتهدين في كربلاء في تلك الايام ، والذي كان من المعتقد أنه أبرق إلى حكومة الهند زاعماً أن سيد محمد ليس مجتهداً . وقد حالف النجاح جننجز في تلك المهمة ، فقد اعترف الشيخ في مقابلة خاصة أنه أبرق إلى حاكم الهند محتجاً على نية المفوض البريطاني المزعومة بجعل التوزيع «دون مجتهد» في المستقبل . وقد زعم أنه هو المجتهد الوحيد المعترف به من قبل الجميع في كربلاء . وأشار إلى أنه مستعد لقبول وظيفة «مجتهد موزع» في كربلاء . وقد كتب العقيد جننجز تقريراً نتيجة لتقصياته قال فيه إن سيد محمد باقر هو بغير شك مجتهد أصيل ، ويلقى احتراماً كبيراً ، وأن الشيخ زين العابدين غير مناسب لوظيفة موزع ، وأنه لا يمكن الحصول على موزع في النجف أفضل من «بحر العلوم» القائم فعلاً بهذا المنصب والذي كانت ادارته حسنة ، وان التوزيعات التي تتم في كربلاء والنجف توزيعات مرضية ، غير أنه ينبغي أن توفد المفوضية من بغداد ممثلا عنها ليكون حاضراً أثناء تلك التوزيعات .

وأخيراً ابلغ العقيد موكلر حكومة الهند برأيه وهو «أن التوزيع الحالي ارضى الجميع باستثناء قلة قليلة ، وأنه من الصعب تحسين هذا

التوزيع» ، وبعد أن قال ان السدس فقط من مجموع الاموال يوزع على الهنود في الكاظمية ، بينما أصاب الهنود في كربلاء سدس آخر ، وصف التوزيع في الكاظمية بأنه «في حدود شروط الوقف تماماً ، كما أنه إجراء نافع ومفيد ويدل على الفطنة» ، ثم أضاف « ولقد تهيأ لنا من خلاله ممثل وطني ممتاز في الكاظمية ، فهو يسوى كل المنازعات بين الجالية الهندية الكبيرة هناك ، وبهذا يوفر على المفوضية مجهودات المحكمين ، كما أن التوزيع كان يفرج كرب الطلاب والحجاج من الهنود المحتاجين ، كما يفرج كرب الاتقياء المعوزين من الهنود المقيمين ، ثم هو يعول فقراء الهنود المبعدين من بغداد إلى البصرة بمعدل خمسة عشر الى عشرين شخصاً في الاسبوع ، وهو يجعل قبضتنا كبيرة على السكان المجاورين من الشيعة المتعصبين في الكاظمية ، وإن أصبح هذا التوزيع سنة فليس هناك من يعترض عليه « باستثناء الرائد تويدي » .

« ويشرف مساعدي الوطني ، مستر مارين (وهو مسيحي) شخصياً أو يساعد الممثل الوطني في هذا التوزيع ، ولم تصدر أية شكوى ، وذلك بسبب حصافته واسلوبه الممتازين » .

وطبقاً لهذه الحقائق فقد أبلغت حكومة الهند المفوض رسمياً أنها قررت ألا حاجة لاجراء أي تغيير في الانظمة ، على الاقل خلال حياة الشيخ زين العابدين الذي كان من الجلي أنه ربما تسبب في خلق بعض العقبات .

تجديد المناقشات ١٨٩٤ :

وبعد ذلك اقترح الرائد موكلر المفوض السياسي ، لكي يتجنب صعوبة كتابة قوائم بالمجتهدين ، أن تكون له سلطة تعيين مقسمين يترتب عليهم أن يدفعوا الانصبة في حضور نظار ، ويكون هؤلاء مسئولين عن عدم تسجيل أية أنصبة في قوائم التوزيع إلا التي تدفع في

حضورهم . وقد أقرت حكومة الهند هذا التنظيم كاجراء موقت ، ولكنها في نفس الوقت أوضحت أن «الوقف قصد به إفادة هؤلاء المقيمين عند العتبات المقدسة في النجف وكربلاء ممّن ينظر اليهم على أنهم مجتهدون» ، ثم قالت «يجب أن يفهم بوضوح ان الهدف الاسمي المقصود هو أن يكون متسلمو دخل الوقف في نطاق أفراد الطبقة المبينة أعلاه » . ومن ثم فقد أعطيت التعليمات لاعداد قائمة بالمجتهدين مع وجوب مراجعتها من وقت إلى آخر. وكان هذا عام ١٨٩٤ ، وقد مضى بعد ذلك وقت طويل دون ان يسلم المفوض السياسي أية قائمة .

العقيد نيو مارش يفحص ادارة وقف اوض ١٩٠٢ :

ورقدت مشكلة وقف اوض لفترة عشر سنوات ، وإن كانت لم تجد حلا ، وقد اثارها العقيد ل. س. نيومارش ثانية بأسلوب غاية في النشاط ، وذلك بعد تعيينه مفوضاً في بغداد في مارس عام ١٩٠٢ .

وقد وصف العقيد نيومارش الأحوال التي وجدها سائدة حينئذ ، بأنها مشينة وغير مرضية إلى أبعد الحدود ، فلم تكن عائدات الوقف تدفع مباشرة إلى المجتهدين الموزعين في كربلاء والنجف او الى الموزعين الهنود في الكاظمية وكربلاء ، بل كانت تدفع الى الصراف اليهودي في المفوضية البريطانية في بغداد ، الذي كان يأخذ بين فترة وفترة ايصالات عن نصف المبلغ كله من كل من المجتهدين والموزعين . أما الاعتماد المالي لاعانة الهنود المخصص لكربلاء والنجف ، فلم يكن يرسل الى الموزع الهندي في كربلاء مباشرة ، بل عن طريق الموزع الهندي في الكاظمية . وكانت حسابات التوزيعات المنفذة تقدم متأخرة كثيراً ، فعلى سبيل المثال لم يسلم في بغداد حساب المجتهد الموزع في كربلاء عن ربع السنة المنتهي في الواحد والثلاثين من مارس عام ١٩٠١ الا في إبريل عام ١٩٠٢ . وقد أظهرت الحسابات ، بحالتها هذه ، سوء استخدام المجتهدين والموزعين الهنود لتلك الاموال بما يدعو للرثاء .

وقد احتفظ كل من المجتهدين الموزعين لنفسه بمبلغ ٦٣٠ روبية شهرياً ، ولم يكن هناك اعتراض على هذا ، غير أنه كان من المسلم به أن مبالغ طائلة كانت تدفع لأقارب واتباع الموزعين ، سواء كان هؤلاء الموزعون مجتهدين او هنوداً . وكانت هناك مبالغ لا يستهان بها تقيد باسماء نساء لا يحضرن شخصياً لاستلامها ، كما كانت تدون مبالغ معظمها يتعلق بودائع مما يدعو الى الشك في أن أفراد هيئة موظفي التوزيع كانوا يقومون باختلاسات . وكان بعض موظفي قنصلية بغداد الذين لا يكاد تكون لهم أية علاقة بادارة الوقف يتلقون مكافآت من الاعتماد المالي المخصص لاعانة الهنود . وقد تلقى العقيد نيومارش بصفة سرية العبارات التالية من شخص يعرف الحقائق جيداً هو سيد حسن حكيمزاده وهذه العبارات عززتها معلومات من مصادر أخرى،أما العبارات فهي :

« لقد اعتاد الموزعون السابقون والحاليون أن يسجلوا أسماء في كربلاء وهمية في الحسابات ، ويأخذوا الاموال لانفسهم ... إنهم ما زالوا يقومون بهذا ، بل ازداد نشاطهم، فهم يدونون أسماء أطفالهم وخدمهم وعبيدهم وغيرهم على أنهم يستلمون مبالغ معينة بينما هذه الاموال تذهب الى جيوب الموزعين . إن هذا ما زال قائماً ، وهناك شيء آخر يقوم به الموزعون وهو تسجيل أسماء أشخاص فقراء فعلا على أنهم يتلقون عشرة روبيات في الشهر مثلا ولكن الشخص الفقير لا يأخذ في الحقيقة سوى روبية واحدة من أجل توقيعه ، أما الباقي فيأخذه الموزع ، ويقال إنه لو أفشى هذه الحقيقة فسوف يحذف أسمه نهائياً » .

وكانت هيئة موظفي الموزع الهندي في الكاظمية تتكون من تسعة أشخاص وفي كربلاء من ثلاثة عشر شخصاً ، هذا باستثناء الخدم . وكان الموزع الهندي في الكاظمية يدفع لنفسه بمعدل أكثر من ٣٠٠ روبية في الشهر ، أما زميله في كربلاء فبمعدل أكثر من ٢٩٠ روبية في الشهر ، وقد اندس أغا حسن ، شقيق أغا محمد ، في منصب «الموزع المساعد» في

الكاظمية براتب يبلغ أكثر من خمسين روبية شهرياً . وقد أحاط كل من الموزعين الهنديين اللذين كانا في نفس الوقت ممثلين للمفوضية البريطانية في بغداد ، أحاط كل منهما نفسه «ببلاط صغير» يتسع حتى لمرافق طبي له راتب . وحينما كان ممثل كربلاء يذهب الى النجف ليشرف على إجراءات المجتهد الموزع هناك ، فان رحلته كانت «ضرباً من المواكب الملكيه» ، وكان هذا بطبيعة الحال على حساب وقف اوض ، أضف الى ذلك أن الاشراف الذي يمارسه ممثل كربلاء على المجتهدين الموزعين كان مهزلة ، فقد اعترف للعقيد نيومارش «دون أي إحساس ظاهر بالخجل أنه لم يشرف على التوزيع مطلقاً ، وأنه لم يكن حاضراً فيه ، بل ترك الامر كله في يد أحد منشئيه أو «كُتّابِه الذي كان هو نفسه شخصاً له راتب على حساب الوقف» ، «وقد وقع محمد ابراهيم خان اسمه باللغة الانجليزية على كل صفحة من حساب التوزيع ، وعندما سألته عن مدلول ذلك اعترف بصراحة أن ذلك لايعني شيئاً ، وان توقيعاته قد وضعت على صفحات الحساب بعد أن تم التوزيع بعدة أيام ، وأنه لم يحضر التوزيع مطلقاً» ، وقد اتضح أن إشراف مستر مارين ، ترجمان المفوضية على توزيع الكاظمية كان على نفس الغرار .

العقيد نيو مارش يجري اصلاحات اولية ١٩٠٢ :

وبدأ العقيد نيومارش في الحال يصارع المفاسد التي شرحناها آنفاً ، وازال منها ما استطاع الى إزالته سبيلا ، فبعد أن رأت حكومة الهند أن الاعتماد المالي الهندي شيء شاذ ، أنقص العقيد نيومارش الجزء المخصص منه للكاظمية من حوالي ١٨٠٠ روبية الى ٨٠٠ روبية شهرياً ، خصص منها مبلغ ٣٥٠ روبية للنفقة على مفوضية الكاظمية ، ٤٥٠ روبية لاستمرار رواتب الفقراء من الهنود في الكاظمية الذين لا يمكن إلغاء رواتبهم في الحال ، ولكن اوامر المفوض قضت بأن يحال بين الممثل

وبين توزيع ذلك المبلغ الاخير . وبالمثل أنقص الجزء المخصص لاعانة الهنود في كربلاء والنجف من ١٨٠٠ روبية تقريباً الى ٤٥٠ روبية شهرياً خصصت جميعها لصيانة مفوضية كربلاء . ويجب ان نلاحظ أن العقيد نيومارش لم يكن يعتقد أن هناك مبرراً للصرف من وقف اوض على صيانة مفوضيتي كربلاء والنجف . وقد فكر في إلغاء مفوضية الكاظمية إلغاء كاملا ، وتدبير المال لممثل كربلاء مستقبلا من مصدر آخر ، غير أنه لم يكن سهلا طرد كلا الممثلين في الحال دون موافقة الحكومة ودون اجراء بعض الترتيبات لتمثيل المصالح البريطانية في كربلاء .

توصيات بعث بها العقيد إلى حكومة الهند ـ سبتمبر عام ١٩٠٢ :

وقد أجمل العقيد نيومارش آراءه الخاصة بمركز السلطات البريطانية فيما يتعلق بوقف اوض في الفقرة التالية من خطاب له بهذا الشأن وجهه الى حكومة الهند :

« ان الفكرة الاصلية للتوزيع بطبيعة الحال كانت أن الاموال ينبغي أن تخصص للفقراء أكثر مما هي مخصصة للموزعين الذين يبدو أنهم من بداية الامر قد خصصوا لأنفسهم وأقربائهم أموالا كثيرة بقدر ما يستطيعون ، ولم يتَسَنَّ تعيين مشرف من حين إلى آخر لمراجعه تلك التوزيعات سوى الاحتكاك بين الموزع وبين المشرف ، والشكاوى التي لا تنتهي ، ثم شكاوى مضادة ، ثم تعيين مشرف جديد ، وربما موزع جديد ، ثم تتكرر نفس القصة مرة أخرى ، ويبدو أنه في حالات كثيرة ، وخاصة في السنوات الاخيرة ، كان المشرف أكثر سوءً من الموزع .

إن فكرة التوزيع تتسم بالإحسان ، ولكنني مقتنع أنه من المستحيل عملياً الاشراف عليها بطريقة فعالة ، ومن ثم فاني أعتقد أنها يجب أن تُلغى ويبدو لي أن التوزيع الوحيد الذي يهم حكومة الهند أو موظفيها هو توزيع الوقف بين المجتهدين ، ومن رأيي أنكم لو تعديتم هذا التوزيع ، فاننا

بذلك نتعدى حدود الوقف ، ونقوم بواجبات ومسئوليات غير ضرورية وغير مستحبة ، بل ومستحيلة » .

وكانت أهم مقترحاته التي كان لديه من الاسباب ما يجعله يأمل من حكومة الهند قبولها هي :

(١) أنه يجب إعداد قائمة بالمجتهدين المقيمين إقامة دائمة في كربلاء والنجف ، ويجب مراجعة هذه القائمة من وقت إلى آخر ، بادراج اسم أي مجتهد قد يكون استجد ، وبحذف أي مجتهد لم يعد يقيم في هذه الاماكن أو لم يعد يستحق لقب « مجتهد » .

(٢) توزيع كل الوقف بين المجتهدين في هذه القائمة ، إما بأنصبة متساوية ، أو بالنسبة التي يمكن تقديرها بعد ذلك .

(٣) يوقف التوزيع في الكاظمية .

(٤) عدم الاضطلاع رسمياً بأي توزيع غير ذلك الذي بين المجتهدين (والذي بيناه آنفاً) .

وفي حين ان العقيد نيومارش اعترف بالصعوبة الكبيرة في تقريره من هو «المجتهد» ، ومن هو غير ذلك ، فانه أوصى بوجوب أن يختار المفوض «المجتهدين » الذين لهم علاقة بالوقف ، ويكون اختياره نهائياً. وكان هناك سبيل آخر ممكن ، وهو ان يترك ترشيح المجتهدين اللدين سيتقاضون رواتب الاماكن الشاغرة ، والتي ينص عليها وقف اوض للمجتهدين أنفسهم ، ولكنه خشي أن ينتج عن هذا تكوين زمرة إيرانية وإبعاد جميع المجتهدين الهنود والعرب . ثم اقترح بعد مدة أنه يجب أن يقوم أصحاب الرواتب الفعلين بترشيح من سيتقاضون رواتب الاماكن الشاغرة ، غير أن هذا الترشيح ينبغي أن يكون خاضعاً لموافقة المفوض ، وأخيراً فان الرائد نيومارش كان يعتقد أن جميع المستحقين من المجتهدين بمقتضى الوقف يجب أن يتلقوا رواتب متساوية ، وأن عدد المستحقين

من المجتهدين في كربلاء يجب ألا يقل عن عشرة ، وكذلك في النجف لمنع تركيز مبالغ ضخمة بأيدي أفراد محدودين .

اصلاحات اخرى يقوم بها العقيد نيو مارش ١٩٠٢-١٩٠٣ :

وفي إبان ذلك بدأ العقيد نيومارش ينفذ سياسته في امور المجتهدين وهو متأكد من موافقة حكومة الهند سلفاً ، فبعد جمع معلومات عن المؤهلات الدينية لمن يزعمون الاجتهاد في الاماكن المقدسة عين مخصصات من الوقف لمن يتمتعون من هؤلاء بأحسن سمعة ، وكان يقبل مثل تلك المخصصات عدد من المجتهدين الذين يتمتعون باحترام كبير ، وان كان لم يقبلها أحد ممن يتمتعون بمنزلة رفيعة جداً . وفي مايو عام ١٩٠٣ ألغي توزيع الاعتماد المالي المنفصل لاعانة الهنود حتى في الكاظمية . والمجتهدون الآتية أسماؤهم كانوا يتلقون مرتبات شهرية منتظمة من الوقف ، وهذا بيان بالمرتبات وأصحابها :

في كربلاء :

١	سيد محمد باقر «حجةالاسلام» وهو شيخ المجتهدين الموزعين	١٥٠٠ روبية
٢	سيد هاشم القزويني	٥٠٠ روبية لكل منهم
٣	الشيخ حسين مازاندراني	
٤	سيد جعفر الطباطبائي	
٥	الشيخ علي يازدي	
٦	سيد مرتضى حسين	
٧	سبته حسين	

في النجف :

١ – سيد محمد «بحر العلوم» شيخ المجتهدين والموزعين	١٥٠٠ روبية
٢ – مللا علي نهاوندي ٣ – الشيخ محمد حسن جواهري ٤ – الشيخ عبدالله مازاندراني ٥ – عبد الحسن ٦ – سيد محمد هندي ٧ – محمد كاظم خراساني	٥٠٠ روبية لكل منهم

أوامر حكومة الهند بشأن توصيات العقيد نيو مارش يوليو عام ١٩٠٣ :

في يوليو عام ١٩٠٣ وافقت حكومة الهند على مقترحات العقيد نيومارش التي كان قد نفذ منها فعلا قدر كبير . وجاءت الموافقة بالعبارات الآتية : «لقد عبرت عن الرأي العام لحكومة الهند تعبيراً صحيحاً ، وهو ان دخل الوقف يجب أن يوزع تحت اشراف المفوض السياسي بين عدد معين من المجتهدين المقيمين اقامة دائمة عند الاعتاب المقدسة في كربلاء والنجف ، وانه ليس مجرد عطاء إحسان بين الفقراء في هاتين البلدتين . ولقد لاحظنا بعين الرضا أن التوزيع في الكاظمية قد توقف تماماً لان هذا التحويل بجزء من عائدات الوقف لا يتفق مع السياسة التي اعلنتها حكومة الهند ، وليس له ما يبرره طبقاً لشروط الوقف . ويجب توزيع الاموال المتوفرة في النهاية بالتساوي بين المجتهدين المقيمين إقامة دائمة في كربلاء والنجف ، طالما أن هذا يمكن إتمامه دون مصاعب لا ضرورة لها ، وأنه ليس هناك توزيع يمكن إتمامه رسمياً سوى التوزيع الذي يصيب المجتهدين . وتوافق حكومة الهند على اختيارك المؤقت للمجتهدين ، كما توافق على ان صعوبة اختيار»(١) شخص مناسب يوضع

(١) لقد عدل العقيد نيو مارش آراءه الاصلية بشان هذه النقطة .

في مكان شاغر ، يمكن التغلب عليها مستقبلا كقاعدة عامة ، بالحصول على موافقة المستلمين الباقين على الشخص المقترح إحلاله في المكان الشاغر ويكون هذا الشخص خاضعاً لموافقة المقيم السياسي الذي يجب أن يبقى في يده التعيين النهائي كما له سلطة إبعاد أي مجتهد من قائمة المستلمين ، إن كان لهذا الإبعاد ما يبرره .

ويجب ألا يقل عدد المجتهدين عن عشرة ولا يزيد على عشرين في كل من كربلاء والنجف ، مع ملاحظة أن مثل هذا العدد في كربلاء هو الحد الأدنى في الوقت الحاضر » .

وقد ابلغ العقيد نيومارش أيضاً « ان الحكومة الهند تقدر المثابرة والاتقان اللذين عالجتَ بهما هذا العمل المعقد الشاق ، وذلك بالرغم من مصاعب كثيرة لها اعتبارها ، وإني لأهنؤك على النتائج المرضية لمجهوداتك » .

أساس وأثر ما قام به العقيد نيو مارش من اعادة تنسيق تنظيمات الوقف ١٩٠٢ – ١٩٠٥ :

إن أساس خطة العقيد نيومارش وما استتبعها من اوامر من قبل حكومة الهند ، كانحل مشكلة النص المهلهل ذوي اللغتين لاتفاقية عام ١٨٢٥ التي لم يكن فيها أية إشارة تدل على الغرض الذي بسببه اوقف ملك اوض وقفه في صالح مجتهدي كربلاء والنجف ، ومن ثم فقد استقر الرأي في كل انجازات واوامر عام ١٩٠٣ على أن تصرف المستلمين المجتهدين بأموال الوقف ليس مقيداً بشروط. وان حكومة الهند التي ترعى اختيارهم واعتبارهم مستحقين ليس لها علاقة بسلوكهم في تصريف تلك الاموال .

ومن الجلي أن إعادة التنظيم الذيأنجزه العقيد نيومارش لم ينتج عنه توزيع دخل وقف اوض بطريقة يمكن وصفها من وجهة النظر الانسانية والخيرة بأنها أفضل من ذي قبل . فلم يكن هذا في الحقيقة

هو هدف خطته التي كانت تهدف فقط الى جعل ادارة الاموال تتفق وشروط اتفاقية عام ١٨٢٥ ، كما كان مفهومها في ذلك الوقت ، كما كانت تستهدف إلغاء المفاسد التي ترجع الى تدخل السلطاتالبريطانية في الماضي . وقد كان عمل العقيد نيومارش فعالا وناجحاً فيما يتعلق بهذين الغرضين الاخيرين . وقد جاءت احتجاجات ضد التنظيمات الجديدة في صورة التماسات الى الملك الامبراطور وإلى حاكم الهند وسائر السلطات . ولكن بالنظر الى عدد المصالح الشخصية التي أضر بها هذا التغيير ، فان هذا الاعلان عن المشاعر كان حتمياً ، ولم يكن له اعتبار كبير .

المظاهر السياسية لاعادة تنظيم الوقف ١٩٠٣ ـ ١٩٠٥

ومن جراء النفوذ الايراني الظاهر بين المجتهدين في كربلاء والنجف الذين احتفظ معظمهم بجنسيتهم الايرانية وبسبب الاثر الذي كان يحدثه في ايران في ذلك الوقتابرز زعمائهم فان إعادة التنتظيم الجذري لوقف اوض في عام ١٩٠٢ـ١٩٠٣ كان لها مظاهر سياسية هامة لم نشر اليها حتى الآن . وكان العقيد نيومارش يعرف هذه الاشياء ، وقد أمل في أن يكتسب بعض النفوذ على المجتهدين ، وذلك خلال السلطة المخولة له في أن يختار من بينهم مستلمي الاعانات المالية بمقتضى وقف اوض . وفي يونيو عام ١٩٠٣ ذكر في خطاب رسمي أن سيد محمد باقر في كربلاء ، وسيد محمد بحر العلوم في النجف ، أصبحا يرتبطان بنيومارش بعلاقة صداقة قوية ، وانهما مذعنان لسلطته . وقد وصل تقرير مشابه للموقف من سير أ. هاردنج وزير صاحب الجلالة البريطانية في طهران الذي كان يعتقد أن نفوذ المجتهدين في كربلاء والنجف يمكن استغلاله عن طريق المفوضية البريطانية ببغداد وذلك لمنع القلاقل والاضطرابات في ايران ، بل وفي إحباط السياسة الروسية فيها .

وقد أوصى سير أ. هاردنج العقيد نيومارش أن يخص بالرعاية اثنين أو ثلاثة من الايرانيين . وقد استطاع الموصي في حالتين أن يقنع أحد

المستلمين أن يعطي راتباً شهرياً لهذين الصنيعتين ، على الرغم من أنه لم يستطع أن يوفق بين عمله هذا وبين مبدأ عدم التدخل في توزيع أموال وقف اوض الذي يقوم به المجتهدون . وعلى أية حال فانه في حالة ثالثة اقترح وزير صاحب الجلالة البريطانية في طهران على حكومة الهند أن يخصص مبلغ ٥٠٠ روبية شهرياً (أي ٤٠٠ جنيه استرليني في السنة) لشخص يدعى الشيخ محمد مهدي على أنه مجتهد وفي الحالة الثالثة هذه شعر العقيد نيومارش أنه مضطر ألا يذعن لهذا الاقتراح ، على أساس أن اجتهاد الشيخ محمد مهدي مشكوك فيه ، كما أن التناول السياسي بهذه الصراحة لموضوع اختيار مخصصات وقف اوض سوف لا يؤدي الى تمكين النفوذ على مجتهدي كربلاء والنجف الامر الذي كانت إقامته مرغوبة .

المستحقون من المجتهدين بمقتضى الوقف – ابريل عام ١٩٠٦ :

وفي إبريل عام ١٩٠٦ ، كان المستحقون من المجتهدين بمقتضى وقف اوض في كربلاء والنجف هم :

في كربلاء :

١ – سيد محمد باقر الطباطبائي (وكان المجتهد الموزع الوحيد حتى عام ١٩٠٢) .

٢ – الشيخ علي يازدي .

٣ – سيد محمد هاشم القزويني .

٤ – سيد مرتضى حسين (هندي) .

٥ – سيد محمد كاشاني .

٦ – سيد علي تانجابوني .

٧ – سيد محمد باقر بهبهاني .

٨ – كلبي باقر (هندي) .

٩ – سيد حسن كومي .

في النجف :

١ ــ سيد محمد بحر العلوم (المجتهد الموزع الوحيد حتى عام ١٩٠٢ ، وفي ذلك الوقت كان طاعناً في السن وأعمى تقريباً) .

٢ ــ الشيخ عبدالله مازاندراني .

٣ ــ سيد محمد حسن جواهري .

٤ ــ ملا محمد كاظم خراساني .

٥ ــ الشيخ عبد الحسن .

٦ ــ الشيخ فتح الله شريعة .

٧ ــ سيد أبو القاسم أشقواري .

٨ ــ أخوند ملا علي خنساوي .

٩ ــ سيد أبو تراب خنساوي .

١٠ــ أغا شيخ مهدي .

* * *

ملحق رقم (١)
رحلة قام بها مسافرون انجليز الى بغداد ١٥٨٣
جزء من مذكرات فتش

في عام ١٥٨٣ ، أنا رالف فتش التاجر في لندن ، أردت أن أرى أقطار شرق الهند بصحبة مستر م. جون نيوبري التاجر (الذي زار هرمز مرة قبل ذلك) ووليم ديدز جويلر وجيمس ستوري بينتر وشجعني على ذلك ما أوضحه لي حضرة المبجل الفارسي سير إدوارد أوزبورن ومستر ريتشارد استيبر وهما من مواطني وتجار لندن . وعلى هذا فقد ركبت في سفينة من لندن تسمى تايجر أبحرنا فيها إلى طرابلس في سوريا ، ومن هناك اتخذنا طريقنا الى حلب التي وصلناها بعد سبعة أيام مع القافلة ، ولأننا وجدنا صحبة طيبة فاننا ذهبنا من حلب الى بيرا التي تبعد مرحلتين ونصف على الجمال .

وبيرا(١) مدينة صغيرة ولكنها غنية جداً بالأطعمة . ويجري نهر الفرات قرب جدارها ، وقد اشترينا من هذه المدينة قارباً ، واتفقنا مع بعض الملاحين ورئيس لهم أن يذهبوا بنا الى بابليون(٢) ، وهذه القوارب لرحلة واحدة فقط ، لان النهر يجري بسرعة كبيرة نحو مصبه بحيث لا يمكن لهذه القوارب أن تعود ، وهي تحملك الى مدينة يسمونها الفالوجة ، وهناك تبيع القارب بثمن بخس ، فالقارب الذي يكلفك خمسين جنيهاً في بيرا تبيعه هناك بسبعة جنيهات أو ثمانية ، والرحلة من بيرا الى الفالوجه تستغرق ستة عشر يوماً . وليس من الحكمة أن يبحر قارب بمفرده ، لانه لو حدث وتحطم قاربك هذا فعليك أن تعمل الكثير

---

(١) هى بدون شك بيريجيك .
(٢) ويعنى هنـــا بغداد كما يتضح بعد ذلك .

لتنقذ بضائعك من الأعراب الذين يتجولون دائماً في هذه الاماكن بقصد السطو ، وعندما يجن الليل ويتوقف قاربك ، فمن الضروري أن تكون يقظاً في حراستك له ، اذ ان الاعراب الموجودين في المكان سوف يسبحون اليك ، ويسرقون بضائعك ثم يولون الفرار ، ولتجنب هذا فالبندقية ذات فائدة كبيرة ، لأن هؤلاء الاعراب يخافونها خوفاً شديداً . وفي نهر الفرات من بيرا الى فالوجة توجد أماكن معينة ، حيث تدفع الضريبة الجمركية التي يأخذها أبناء أبو الريش(١) زعيم الاعراب ، وزعيم هذه الصحراء العظيمة كلها ، والذي له بعض القرى الواقعة على النهر . والفالوجة التي تنزل عندها بضائعك الآتية من بيرا هي قرية صغيرة تستغرق الرحلة منها الى بابليون يوماً واحداً .

أما بابليون فهي مدينة ليست باهرة العظمة ، ولكنها مكتظة بالسكان وهي ملتقى هام للغرباء الذين يتجهون منها الى ايران وتركيا والجزيرة العربية ، ومن بابليون تتجه القوافل الى هذه الاماكن وأماكن غيرها ، وبها كميات هائلة من الاطعمة التي تأتي على نهر دجلة من أرمينيا . وهي تنقل على عوامات تصنع من جلود الماعزالتي تنفخ بالهواء ، ويوضع فوقها الواح من الخشب ثم يشحنون فوقها بضائعهم التي تنقل الى بابليون ، وعند إنزال هذه البضائع يفتحون جلود الماعز هذه ويرجعونها على ظهور الابل لتستخدم مرة أخرى .

وكانت بابليون في العصور القديمة تنتمي الى مملكة الفرس ولكنها الآن تابعة لتركيا . وفي مواجهة بابليون توجد قرية رائعة الجمال تعبر منها الى بابليون على مجموعة من القوارب تكون جسراً طويلا مربوطاً بسلسلة كبيرة من الحديد مثبتة على جانبي النهر . وعندما يراد لاي سفن أن تمر رائحة أو غادية في النهر تسحب بعض هذه القوارب المكونة للجسر حتى تمر السفن .

---

(١) من الواضح انه ابو ريش .

وقد اقيم برج بابل(١) على هذا الجانب من نهر دجلة إلى ناحية الجزيرة العربية ، ويبعد عن المدينة حوالي سبعة او ثمانية أميال ، وقد أتلف من هذا البرج كل جوانبه . وبسقوط هذه الاجزاء التالفة أصبح مثل الجبل الصغير ، ولذلك فليس له شكل إطلاقاً ، وقد بني من القرميد المجفف في الشمس، ووضعت بين طبقات القرميد عصى سعف النخل ولا يستطيع الانسان أن يرى مدخلا ليدخله منه ، وهو يقوم في واد كبير بين نهري الفرات ودجلة .

وعلى مسيرة يومين من بابليون ، وفي حقل قرب هيت التي تقع على نهر الفرات ، هناك شيء غريب ألا وهو فم يخرج قاراً يغلي مع دخان قذر وذلك بصفة مستمرة ، وهذا القار يخرج إلى حقل كبير ملىء به . ويقول المغاربة(٢) أنها فم جهنم ، ولأن هناك كميات هائلة من هذا القار فان رجال هذا البلد يدهنون قواربهم به من الخارج بسمك بوصتين او ثلاث بوصات ، وذلك لكيلا يتسرب اليها الماء . وتسمى قواربهم بالدنك(٣) ، وعندما يكون هناك كميات وفيرة من الماء في نهر دجلة ، فانه يمكنك أن تذهب من بابليون الى البصرة في مدى ثمانية او تسعة أيام . أما اذا كانت كمية الماء قليلة فان الرحلة تستغرق أياماً أكثر .

وكانت البصرة في الماضي تحت حكم الاعراب ، أما الآن فهي تابعة للاتراك ، وهناك بعض الاعراب ممن لا يستطيع الاتراك إخضاعهم، وذلك لأنهم يعسكرون في جزر معينة في نهر الفرات لا يستطيع الاتراك أن يسلبوها منهم ، كما أنهم جميعاً لصوص ، وليس لهم مساكن مستقرة ، بل يتنقلون من المكان إلى آخر مع إبلهم وماعزهم وخيولهم وزوجاتهم واطفالهم وكل شيء آخر ، وهم يرتدون ملابس زرقاء

(١) من الواضح أن الاشارة هى الى عقر قوف .
(٢) أى المسلمون ، وهى عبارة كانت تطلق أصلا فى اسبانيا على المسلمين من اهل المغرب .
(٣) أى الدنك .

فضفاضة ، أما آذان زوجاتهم وأنوفهن فمليئة بخواتم النحاس والفضة ، كما يلبسن اساور من نحاس حول ارجلهن . وتقع البصرة بالقرب من الخليج ، وهي مدينة ذات تجارة واسعة في التوابل والمخدرات التي تأتي من هرمز . وتوجد أيضاً كميات كبيرة من القمح والارز والتمور التي تزرع حولها والتي تخدم بابليون وسائر أنحاء القطر ، وكذلك هرمز وسائر أجزاء الهند . ولقد ذهبت من البصرة الى هرمز عبر الخليج في سفينة معينة مصنوعة من ألواح من الخشب جمعت الى بعضها بخيوط مصنوعة من قشرة شجرة الكاكاو . ويدخل في صنعها أيضاً عصي معينة أو أوراق شجر جافة مثبتة في ثقوب ألواح الخشب وهذا يحفظها متماسكة تماماً . وهكذا سرنا حيث تقع بلاد الفرس دائماً على شمالنا وساحل الجزيرة العربية على يميننا ، ومررنا بجزر كثيرة من بينها جزيرة البحرين الشهيرة التي يأتي منها أحسن اللآلىء الشرقية المستديرة . وهرمز جزيرة يبلغ محيطها حوالي خمسة وعشرين او ثلاثين ميلا ، وهي أكثر الجزر جدباً في العالم ، إذ لا يوجد بها شيء سوى الملح ، ويأتي لسكانها الماء والخشب والأطعمة وكل الاشياء الضرورية من ايران التي تبعد عنها حوالي اثني عشر ميلا. وجميع الجزر حولها مليئة بالخيرات ، ومنها تأتي جميع أنواع الاطعمة الى هرمز ، وللبرتغاليين قلعة هنا تقع بالقرب من البحر يوجد بها قائد موفد من ملك البرتغال تحت إمرته عدد لا بأس به من الجنود الذين يبقى بعضهم في القلعة ويبقى البعض الآخر في المدينة . ويوجد في هذه المدينة تجار من جميع الامم ، وكثير من المسلمين وكميات كبيرة من اللآلىء التي تأتي من جزيرة البحرين ، وهي أحسن اللآلىء طراً ، وكثير من خيول إيران التي تذهب الى كل أنحاء الهند ، ويحكم هذا المكان ملك مسلم يختاره البرتغاليون ، ويأتمر بأمرهم .

أما نساؤهم فملبسهن غريب ، فهن يلبسن في أنوفهن وآذانهن ورقابهن وأذرعهن وأرجلهن خواتم كثيرة مطعمة بالجواهر ، ويضعن أيضاً في آذانهن أقراطاً من الفضة والذهب ، كما يضعن على انوفهن

قضباناً طويلة من الذهب ، وتتسع آذانهن نتيجة لثقل المجوهرات بحيث يمكن للانسان أن يضع ثلاثاً من أصابعه داخل آذانهن ، وقد وُضِعنا في السجن هنا بعد وصولنا ببرهة وجيزة ، وأخذ منا قائد القلعة جزء من بضائعنا ، أما اسم هذا القائد فهو دون ماتياس البوكركي . وفي الحادي عشر من اكتوبر أخرجَنا من السجن ووضَعَنا في سفينة مرسلا إيانا إلى جوا بالهند حيث نائب الملك الذي كان في ذلك الوقت هو دون فرنسيسكو دي ماسكارنهاس .

★ ★ ★

خطـاب من فتش

أصدقائي الاحبه : مستر بور وصحبه .

لم أكتب لكم أية رسائل منذ رحيلي عن حلب ، وذلك لانني كنت في بابليون مريضاً «بالاسهال» وذهبت وانا مريض من بابليون الى البصرة التي تبعد مسيرة اثني عشر يوماً في نهر دجلة وفي أثناء الرحلة كان الطقس شديد الحرارة ، وهذا كان مناسباً لمرضي ، وكان الطعام قليلا ، وأماكن النوم أكثر من الطعام سوءً ، وذلك لان سفينتنا كانت مكتظة بالناس ، وكان الذي أكلته في البحر خلال ثمانية أيام نزراً يسيراً جداً بحيث إنني لو بقيت في السفينة يومين آخرين لكان مصيري الموت . ولكنني عندما وصلت الى البصرة تحسنت والحمد لله ، ومكثنا في البصرة أربعة عشر يوماً ركبنا السفينة بعدها متجهين الى هرمز ، حيث وصلناها في الخامس من سبتمبر ، ووضعنا في السجن في التاسع من الشهر نفسه ، وبقينا في السجن حتى الحادي عشر من أكتوبر ، ثم وضعنا في سفينة القائد ، لتتجه بنا الى مدينة جوا .

خطاب من نيوبرى

كان خطابي الاخير الذي ارسلته لك من حلب في التاسع والعشرين من مايو الماضي مع جورج جل ، أمين حسابات السفينة «تابجر» التي رحلت عن حلب في اليوم الاخير من مايو ، ووصلت الى الفالوجه في التاسع عشر من يونيو وهذه المدينة تبعد عن هنا بمسيرة يوم . ولكن بعض رفاقنا لم يصلوا إلى هنا حتى اليوم الاخير من الشهر الماضي وذلك لحاجتنا إلى الابل لحمل بضائعنا ، اذ أنه في هذا الوقت من السنة قلما يستطاع السفر على الابل وذلك بسبب حرارة هذه البلاد الشديدة . ومنذ مجيئنا إلى هنا لم نبع من بضائعنا إلا النزر اليسير ، ولو ان الكثيرين يقولون إننا سوف نجد سوقاً رائجة لبضائعنا في الشتاء ، وارجو الله أن يكون كلامهم صحيحاً . وأنا أعتقد أن الاقمشة ، والاقمشة الصوفية والقصدير لم تصل أسعارها هنا الى هذا المستوى من الرخص كما هي الآن ، لكن لو أن معي نقداً بقيمة البضائع لكنت ربحت دون شك من رحلتي هذه الى هنا والى البصرة ربحاً طائلا ، ولكن يمكن شراء أفخر أنواع التوابل والبضائع الاخرى الآتية من الهند ، وذلك اذا دفعت نصف قيمتها نقوداً ، والنصف الثاني بضائع ، وبدون نقود لا تحصل في هذا الوقت إلا على ربح ضئيل.

وإني أنوي بمعونة الله أن أرحل بعد يومين الى البصرة . ومن هناك سوف يتحتم علي أن أذهب إلى هرمز لأني في حاجة إلى رجل يتكلم اللغة الهندية ، فعند إقامتي في حلب استأجرت اثنين من النصارى(١) وقد زار أحدهما الهند مرتين ، وهو يتقن اللغة الهندية ، ولكنه شخص في منتهى الفجور ، ومن ثم سوف لا آخذه معي .

وفيما يلي أسعار البضائع وقيمتها في هذا الوقت .

من بابليون في العشرين من يوليو عام ١٦٩٣ .

المخلص

جون نيوبري

---

(١) النصارى أى المسيحيون الشرقيون .

ملحق رقم (٢)
المراسلات المتعلقة باقامة المفوضية البريطانية في بغـداد (١)

تعيين المستر جونز ، وخطاب له يتضمن تعليمات من السكرتير مستر رامزي بتاريخ ٥ يوليو عام ١٧٩٨ :

من و. رامزي المحترم ــ السكرتير

إلى هارفورد جونز المحترم .

سبب تعيين مستر جونز :

لقد رأت اللجنة السرية ، ووافق على رأيها وزراء صاحب الجلالة واستحسنوه ، أنه بسبب الاحوال الراهنة والاشاعات التي انتشرت بأن الفرنسيين قد يحاولون أن ينفذوا إلى الهند إما عن طريق البحر الاحمر او الخليج فإنه يجب تعيين شخص في بلاط باشا بغداد ، وقد تم اختيارك لهذا الغرض .

تعليمات بشأن الطريق الذي سيسلكه :

وعلى ذلك فسوف تتجه بمنتهى السرعة إلى فينا حيث ستجمع كل معلومات يمكن الحصول عليها بشأن وجهة وتقدم القوة الفرنسية الموجودة الآن في البحر الابيض المتوسط ، ثم يجب أن يكون الذكاء هو رائدك في ذهابك دون تأخير الى القسطنطينية حيث تعيد استقصاءاتك (وخاصة عن طريق سفيرنا هناك الذي ستحمل له خطابات توصية) ثم تعيد استقصاءاتك أيضاً في طريقك من القسطنطينية . وعند وصولك إلى بغداد يجب أن تبعث كل هذه المعلومات التي قد تجمعها في الحال بالشفرة إلى

(١) مأخوذة من دفتر الخطابات الاصلى لمفوضية بغداد في عام ١٩١٢ .

عدن على ساحل الجزيرة العربية او الى مخا وذلك كما يتراءى لك ، وهناك يستلم هذه المعلومات الربان بلانكيت الذي ارسل من هذا البلد مع قوة بحرية بقصد مراقبة مضيقي باب المندب والخليج ، ومنع تقدم الفرنسيين إذا حاولوا أن ينفذوا إلى الهند من أحد هذين الطريقين .

المراسلة :

وينبغي أيضاً أن تبعث في الحال إلى حكومة بومباي بنسخة من هذه المعلومات ، بالاضافة الى الرسائل الهامة التي استودعتها إياك شركة شرق الهند ووزراء صاحب الجلالة .

ومن الضروري ان تستمر في إرسال المعلومات التي قد تتعلق بأي شكل ، بأهداف مهمتك ، وذلك لكل من الربان بلانكيت وحكومة بومباي .

كما ينبغي أن تهتم بالابلاغ عن وصولك بصورة لائقة الى باشا بغداد وبعد إهدائه مثل تلك الهدايا التي يمكن ان تكون مألوفة ، والتي ترى أنها مقبولة لديه ، بعد هذا يجب أن تبدأ في إخباره أن شركة شرق الهند قد اوفدتك لتقوي الصداقة التي قامت دائماً بينه وبين الشركة . واذا رأيت أن من الضروري أن تبين له النتائج الخطيرة التي ستصيب الاراضي الخاضعة له ، بل التي ستصيب الامبراطورية التركية بصفة عامة اذا أذن للفرنسيين بالدخول او العبور من أي جزء من الاراضي التابعة لتركيا ، أوسُمِح لهم بمواطىء قدم هناك او في مصر فافعل وبيّن ذلك . ويجب أن تحاول أن تجعله يكره مثل هذه المحاولة من جانب فرنسا ، كما تحاول أن تقيده بعهد لكي يعارض هذه المحاولة بكل الوسائل التي يملكها ، سواء كان ذلك بوسائله أو بنفوذه على بكوات مصر ، وقبائل الصحراء الرحل .

الاهداف المستقبلة للمهمة :

ويجب أن تحاول بكل ما لديك من وسائل أن تجمع كل المعلومات الخاصة بعدد السكان والقوى الحربية وموارد الثروة والتجارة ، في سائر

الاراضي التابعة لباشا بغداد أو لاي شيوخ او أمراء تحت نفوذه ، وكذلك الاراضي التابعة للحكومة الايرانية أو الحكومة المصرية ، او التابعة لاي امراء مستقلين يقطنون الجزيرة العربية ، او للاجزاء التي يمكن أن تتم عن طريقها غارة على الهند ، سواء أكان ذلك من قبل السكان أم الأجانب

وبالاختصار يجب أن تحاول جمع معلومات من شتى الانواع مما ترى أنها يمكن أن تكون مفيدة من أي وجه ، سواء بالنسبة لشركة شرق الهند أو بالنسبة لبريطانيا العظمى على وجه العموم .

حكومة بومباي تدفع الاموال اللازمة لنفقات المهمة :

وينبغي أيضاً أن ترسل من وقت إلى آخر تلك المعلومات التي جمعتها بهذا الاسلوب الى حكومة بومباي ، والى الرئيس الحالي لمجلس شركة شرق الهند ، الذي ستستمر في التراسل المنتظم معه . وستُزوَّد حكومة بومباي بتعليمات لكي تمدك من وقت إلى آخر بالاعتمادات المالية التي تمكّنك من تنفيذ أهداف هذه المهمة ، وسيتقرر راتب مناسب لمرتبك ومنزلتك كموظف والنفقات الضرورية لمهمتك ، كل هذا سيتقرر حالما يمكن الحصول على المعلومات المطلوبة التي تمكّن مجلس المديرين من البت في هذا الموضوع .

اللجنة السرية الموقرة تعتمد على حماسة مستر جونز .. الخ .

واللجنة السرية تعتمد على يقظتك وحماستك في تنفيذ التدابير الموضحة هنا ، وفي السهر على جميع الامور التي تتعلق من قريب أو بعيد بمهمتك وبمصالح الشركة عامة .

وأنا يا سيدي

خادمك الخاضع المطيع

«و. رامزي ـــ السكرتير»

دار شرق الهند — لندن

الخامس من يوليو عام ١٧٩٨

خطاب من ر. ه. هنري دنداس إلى باشا بغداد

نسخة من خطاب صاحب العظمة هنري دنداس وزير الدولة الاول لصاحب الجلالة ، أمين صندوق أسطول صاحب الجلالة ، الامين الاول لشئون الهند ، وعضو مجلس البلاط الموقر ... الخ ..

إلى صاحب السمو سليمان باشا والي بغداد والبصرة .. الخ .. الخ

سيدي صاحب الرفعة . .

اعلان تعيين ه. جونز :

بعد أن عينت الشركة الانجليزية لشرق الهند ، التي تتبع حكومتها الاراضي البريطانية في الهند مستر هارفورد جونز كمفوض لدى بلاط سموكم ، فاني قد تلقيت اوامر سيدي الملك بأن أبلغ سموكم أن هذا التعيين هو موضع الرضا القلبي والكامل من لدن جلالته .

ارسال مستر جونز إلى بغداد لتقوية الصداقة وحسن التفاهم بين الباشا والشركة الموقرة :

وإن أحرّ رغبات جلالته هي أن يحوز تعيين مستر جونز كمفوض في بغداد قبول ورضا سموكم ، ولعل هذا التعيين يفي من كل الوجوه بالغرض الذي قام من أجله ، ألا وهو تقوية ودعم الصداقة وحسن التفاهم اللذين ظلا من وقت طويل على ما يرام بين سموكم والشركة الانجليزية لشرق الهند . ولما كان هذا هو هدف مهمة مستر جونز ، فاني أشعر بالاقتناع بأن سموكم سوف تشرفونه بهذا القرار من الثقة والرعاية بحيث تؤدي مهمته الى النفع المشترك لسموكم ولشركة شرق الهند .

الظروف تستدعي الاتحاد والوفاق في أمتن صورة بينهما :

وإني لا أستطيع أن أخفي عن سموكم أنه يبدو أن ظروف العالم الراهنة تتطلب أن يقوم على الفور بين سموكم وشركة شرق الهند اتحاد

ووفاق في أمتن صورة ، وصداقة وتحالف بمنتهى الوثوق ، وذلك من أجل امنكما وسعادتكما ووقايتكما ، فان عدو السلام والأطمئنان والوجود لكل الدول والامراء ، وأعني به الحكومة الجمهورية في فرنسا ، هذا العدو يهدد ويطمع في كل شيء عزيز على سموكم وعلى شركة شرق الهند . إن هذه الدولة البغيضة القلقة تحرض الناس في كل الدول المجاورة لها لكي يثوروا على امرائهم وحكامهم الشرعيين ، وقد نجحت في أمثلة لا تحصى في طرد هؤلاء الحكام إلى المنفى ، وحتى في إعدامهم أحياناً ، كذلك نجحت في سائر الحالات في سلبهم ثرواتهم وكنوزهم وممتلكاتهم . ويقال إنها بعد ذلك مستعدة بجيش ذي سمعة سيئة جداً لمثل تلك الاعمال الكريهة ، وعلى رأسه قائدها المفضل ، وذلك لكي يقيموا نفس نظام التدمير والنهب في اراضي الشرق الغنية والسعيدة . وقد اضطر الآن سيدي الملك أن يدافع عن نفسه ضد هؤلاء الناهبين الهادمين لكل الحكومات ، وذلك طوال ست سنوات قاوم خلالها كل خططهم للدمار في كل جزء من اراضيه الشاسعة ، وذلك بتوفيق وشجاعة جيشه . ولو قدر لاعداء الامراء هؤلاء أن يسيروا بخطواتهم نحو الاراضي التي تنعم بحكم سموكم فان السبيل الوحيد الذي يمكن لسموكم به أن تأملوا في الاحتفاظ بقوتكم وثروتكم اللتين تتمتعون بهما الآن ، هو العمل ضدهم بنفس روح التصميم التي أبداها سيدي الملك ، وبالتنسيق مع شركة شرق الهند . إذ أنه مهما كانت الوعود الزائفة التي يلوحون بها لبلدكم فانهم بكل تأكيد سوف ينتهزون اول فرصة لكي يسلبوكم قوتكم وثروتكم ، ويشجعوا شعبكم على العصيان ، ويحرموا سموكم من الحرية وربما من الحياة ، بنفس الاسلوب الذي مارسوه مع ملكهم الفاضل المنكود الذي خلعوه وسجنوه ثم قتلوه قبل ان يعلنوا الحرب على سيدي الملك آملين في تحقيق نفس تلك الاهداف البغيضة .

وإن أمنية سيدي الملك هي أن يحفظ الله سموكم دائماً من هذه الويلات او غيرها ، وان يمكنكم ، بالصحة والسعادة الزائدة ، من

ملء مركزكم السامي الحالي ، وإني اذ أتمنى كل هذا لكم ، أستودع سموكم الله .

صديق سموكم المخلص والمحب

هنري دنداس

لندن

الرابع من يوليو عام ١٧٩٨

★ ★ ★

خطاب من صاحب الفخامة رئيس المجلس الى باشا بغداد

نسخة من خطاب مرسل من صاحب الفخامة جاكوب بوسانكي رئيس المجلس الموقر للمديرين لشئون الشركة المتحدة الموقرة لتجار انجلترا المتاجرين بشرق الهند ، إلى صاحب السمو سليمان باشا والي بغداد والصرة .... الخ ....

بعد التحيات

ليكن معلوماً لسموكم في هذه الآونة المليئة بالهناء الشامل أن الشركة الانجليزية الموقرة لشرق الهند ، اذ تنظر بكل ارتياح الى الصداقة الطويلة التي لم تنقطع ، وحسن التفاهم الذي دام طويلا بينها وبين سموكم ، فقد قررت هذه الشركة ، آملة أن ينال ذلك رضاءكم وأن يكون هذا بهدف دعم وزيادة المحبة التي تتوق اليها ، أن تعين أحد موظفيها لكي يقيم لدى بلاط سموكم في مدينة بغداد العريقة والشهيرة ، وإننا اذا نعتقد أن تعيين مستر هارفورد جونز ، الذي يتشرف بمعرفة سموكم له ، هو أوفق اختيار يمكن أن نجريه بين موظفينا لهذه المهمة الجليلة . وقد عين مستر جونز لكي يقيم في بغداد ، ووافق وزراء صاحب

فهرس دليل الخليج

الجزء الرابع

الفصل التاسع

الموضوع — رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
العلاقات السياسية والعامة بين بريطانيا والعراق التركي ١٧٣٠ — ١٧٥٤	١٧٨٥
التجارة وضرائب القنصلية وغيرها من شئون شركة الهند الشرقية في العراق التركي ١٧٣٠ — ١٧٥٤	١٧٨٩
منشآت الشركة في العراق التركي	١٧٩١
الهولنديون في العراق التركي ١٧٣٠ — ١٧٥٤	١٧٩٢
الفرنسيون في العراق التركي ١٧٣٠ — ١٧٥٤	١٧٩٤
عثمان الثالث ١٧٥٤ — ١٧٥٧	١٧٩٤
العلاقات بين بريطانيا وفرنسا	١٧٩٥
السلطان مصطفى الثالث من ١٧٥٧ — ١٧٧٣	١٧٩٧
باشوات بغداد ١٧٥٧ — ١٧٧٣	١٧٩٧
متسلمو البصرة ١٧٥٧ — ١٧٧٣	١٧٩٩
الرئاسة الإدارية في العراق التركي ١٧٥٨ — ١٧٦٥	١٨٠١
الشئون القبلية الداخلية ١٧٥٧ — ١٧٧٣	١٨٠٤
مشكلات بين الاتراك وقبيلة كعب ١٧٥٧ — ١٧٧٣	١٨٠٦
علاقات البريطانيين العامة السياسية في العراق التركي ١٧٥٧ — ١٧٧٣ ...	١٨١٢
تجارة شركة الهند الشرقية في العراق التركي ١٧٥٧ — ١٧٧٣	١٨٢٤
مؤسسات شركة الهند الشرقية في العراق التركي ١٧٥٧ — ١٧٧٣	١٨٢٧
الاتصال البري بين البصرة وأوروبا ١٧٥٧ — ١٧٧٣	١٨٣٤
الفرنسيون في العراق التركي ١٧٥٧ — ١٧٧٣	١٨٣٥
الجاليات الاوروبية في العراق التركي ١٧٥٧ — ١٧٧٣	١٨٣٧
عبد الحميد الاول ١٧٧٣ — ١٧٨٩	١٨٣٨
وباء الطاعون في العراق التركي ١٧٧٣	١٨٣٩
الحالة في العراق التركي من الوباء الى حصار البصرة ١٧٧٥	١٨٤٠
حصار الايرانيين للبصرة واستيلاؤهم عليها ١٧٧٥ — ١٧٧٦	١٨٤٠

الجلالة على هذا التعيين . وقد زودتنا بتعليمات خاصة وجازمة بألا يغفل أية فرصة أثناء إقامته لدى بلاط سموكم في تنفيذ ما تهدف اليه هذه المهمة المحبة الجليلة ، وذلك بالإصغاء الى رغبات سموكم ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

شيطانية الحكومة الفرنسية الراهنة :

وإننا لنحسب أنه قد جاءت لسموكم معلومات وافية ودقيقة عن قلب نظام الحكم الملكي العريق في فرنسا ، والدمار والخراب اللذين نشرهما الفرنسيون بدسائسهم وجيوشهم فوق أجزاء كثيرة من اوروبا ، وذلك باثارة روح التذمر والعصيان بين الدهماء من الناس تجاه حكامهم وحكوماتهم العريقة ، وبامتهان كل النظم الاخلاقية والمقدسة ، يساعدهم على ذلك هؤلاء الذين اعتنقوا مبادئهم ، لقد أحلوا الفوضى محل النظام ، والقسوة والاضطهاد محل العدالة ، والأغلال والإلحاد محل الدين .

ضرورة أخذ الباشا حذره من مخططاته :

ولا يمكن أن يفوت شخصاً له نظركم الثاقب وحكمتكم أن جميع الحكومات الشرعية تشترك في الاهتمام بمنع انتشار المبادىء التي تضرب في كيانها واساسها في الصميم ، لان هذه المبادىء التي يعتنقها الاشخاص الذين يحكمون فرنسا اليوم مرتبطة بطموح لا يحده حد وتعطش للنهب ، مما قد يحملهم على القيام بأعمال في منتهى الشذوذ والغرابة ، تبدأ تحت الستار الواسع للصداقة والحماية ، وتنتهي بتدمير كل ما هو قيم ومقدس، وقد حدث ذلك في جميع الاقطار التي تعاني من التدخل الفرنسي .

عرض للمساعدة الودية اذا اقتضت الحاجة :

ولذلك ، فنحن نعتبر ذلك عملا ينم عن الصداقة ، عندما نؤكد لسموكم أنه لو تمت محاولة لوضع هذه المبادىء موضع التنفيذ في البلدان التي تحت حكمكم او تحت نفوذكم ، فاننا سوف نقدم لكم ، في أي

وقت تريدوننا أن نفعل ذلك ، أية مساعدة تكون في مقدورنا لكي توقفوا مثل تلك المحاولة . وسوف نزود حكوماتنا في الهند بالتعليمات اللازمة من أجل هذا الغرض ، وكذلك من أجل التراسل المستمر مع سموكم ، والاهتمام الكامل بكل طلباتكم . وعلى أية حال فنحن على يقين من أن يقظة سموكم ، وبذلكم للجهود في ظرف كهذا سوف يجعل مثل هذه المساعدة من جانبنا غير ضرورية .

الثقة الممنوحة لمستر جونز :

وقد وجهنا مستر جونز الى أن يحيط سموكم علماً بالحالة الراهنة للسياسة في اوروبا ، وإننا اذ نثق ثقة كبيرة في حماسته لخدمتنا ، لنتوسل إلى سموكم ان تعتبروا أي شيء قد يقوله لكم ، بأمرنا ، صحيحاً ولا يتطرق اليه الشك. ونحن بكل إخلاص ينبع من القلب انتمنى لسموكم كل سعادة ، كما نتمنى أن يزداد على الدوام مجدكم وعظمتكم .

جون بوسانكي
رئيس المجلس

ختمت بالخاتم العظيم لشركة شرق الهند في مدينة لندن في اليوم السادس من يوليو عام ١٧٩٨ .

الموضوع	رقم الصفحة
الحالة خلال احتلال الايرانيين للبصرة ١٧٧٦ – ١٧٧٩	١٨٦٩
الاتراك يستعيدون البصرة ١٧٧٩	١٨٧٨
الاحداث من استعادة الاتراك للبصرة حتى تعيين سليمان باشا على بغداد ١٧٧٩	١٨٨٠
الحالة الداخلية أثناء الفترة الاولى من حكم سليمان باشا ١٧٧٩ – ١٧٨٩ ...	١٨٨٢
العلاقات السياسية بين بريطانيا والعراق التركي ١٧٧٩ – ١٧٨٩	١٨٨٩
المنشآت البريطانية في العراق التركي ١٧٧٩ – ١٧٨٩	١٨٩١
الفرنسيون في العراق التركي ١٧٧٩ – ١٧٨٩	١٨٩٣
سليم الثالث ١٧٨٩ – ١٨٠٧	١٨٩٣
الحالة الداخلية في الفترة الاخيرة من حكم سليمان باشا ١٧٨٩ – ١٨٠٢ ...	١٨٩٥
العلاقات الخارجية للعراق التركي ١٧٨٩ – ١٨٠٢	١٩٠٠
العلاقات السياسية البريطانية في العراق التركي ١٧٨٩ – ١٨٠٢	١٩٠٤
الشئون الرسمية البريطانية في العراق التركي ١٧٨٩ – ١٨٠٢	١٩١٢
الفرنسيون في العراق التركي ١٧٨٩ – ١٨٠٢	١٩١٦
فترة خلو باشوية بغداد أغسطس ١٨٠٢	١٩١٦
التاريخ الداخلي في العراق التركي أثناء حكم علي باشا ١٨٠٢ – ١٨٠٧ ...	١٩١٩
العلاقات البريطانية مع العراق التركي ١٨٠٢ – ١٨٠٧	١٩٢١
الشئون الرسمية البريطانية في العراق التركي ١٨٠٢ – ١٨٠٧	١٩٢٦
مصطفى الرابع ١٨٠٧ – ١٨٠٨ ومحمود الثاني ١٨٠٨ – ١٨٣٩	١٩٢٩
التاريخ الداخلي للعراق التركي ١٨٠٧ – ١٨٣٩	١٩٣٥
علاقة العراق التركي بايران ١٨٠٧ – ١٨٣٩	١٩٤٥
علاقات العراق التركي بالبلاد الاخرى في الخليج ١٨٠٧ – ١٨٣٩	١٩٤٦
علاقات بريطانيا بالعراق التركي ١٨٠٧ – ١٨٣٩	١٩٤٧
علاقات العراق التركي بالدول الاوروبية الاخرى عدا بريطانيا ١٨٠٧ – ١٨٣٩	١٩٦٤
الشئون الرسمية البريطانية في العراق التركي ١٨٠٧ – ١٨٣٩	١٩٦٥

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

تم بحمد الله وتوفيقه
طبع الجزء الرابع
من هذا الكتاب
بمطابع علي بن علي بالدوحة

دليل الخليج

القسم التاريخي

الجزء الخامس

تأليف : ج . ج . لوريمر

طبعة جديدة معدلة ومنقحة
أعدها قسم الترجمة
بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر

طبع على نفقة
الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر

Bibliotheca Alexandrina
0119219

دَلِيلُ الخَلِيجِ

مقدمة

لقد أولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ، عناية عظيمة لرعاية التراث الثقافي والمحافظة عليه والمساعدة على نشره ، ودأب على تشجيع العلوم والفنون والآداب والبحوث العلمية مؤكداً في توجيهاته السامية على الموضوعية والدقة والأمانة العلمية ، ومن هنا كانت تعليماته باعادة ترجمة «دليل الخليج » الذي يعتبر من أضخم المؤلفات وأهمها عن تاريخ المنطقة وجغرافيتها .

ويسر الذين اضطلعوا باعادة الترجمة ان يغتنموا هذه المناسبة للاعراب عن عظيم عرفانهم وعميق تقديرهم للرعاية الكريمة التي شمل بها حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى هذا المشروع العلمي ، سائلين الله سبحانه ان يمد في عمر سموه وأن يسدد خطاه لما فيه خير البلاد والعباد .

مكتب حضرة صاحب السمو
أمير دولة قطر

« ملاحظـــة »

لقد وضع هذا الكتاب حوالى نهاية القرن المـاضى وتضـمن ملاحظات وآراء وتعابير تحمل راى المؤلف وحده ، وهى بذلـك لا تقيد حكومة قطر بحال من الاحوال ، ولا تعبر عن وجهـات نظرها .

تاريخ عربستان (★)

احوال عربستان سنة ١٦٠٤ :

لا توجد الا معلومات قليلة عن تاريخ المنطقة قبل بداية القرن السابع عشر . فقد كان لموقعها وانعزالها عما يجاورها من المناطق بسلسلة من الجبال والمستنقعات ، أثر في حمايتها لمدة طويلة من التدخل الاجنبي .

وفي سنة ١٦٠٤ عبر اليهودي البرتغالي بدرو تكسيرا شط العرب ، فوجد المنطقة كلها شرقي ذلك النهر تحت حكم مبارك بن المطلب ، وهو زعيم عربي كان يطالب بالبصرة ، وكان في حرب دائمة مع الاتراك . وكان للأتراك عدة طواب مقامة على هيئة عزب دفاعية(١) قائمة على النهر لحماية اراضيهم من غارات أتباع مبارك . وأهم هذه الطوابي التي كان من مهامها تأمين رسو السفن الكبيرة القادمة للبصرة كانت تقع على البر الايراني للقنال في بقعة تواجه « سارجن » جنوب البصرة بحوالي ثلاثة

(★) المصادر الاساسية لتاريخ عربستان من ١٦٠٠ ــ ١٧٦٣ هي :

١ ــ كتاب السيد أ٠ج٠ سالدنها « مختارات من أوراق الدولة ، بومبي ، فيما يخص علاقة شركة الهند الشرقية بالخليج مع ملخص للاحداث منذ سنة ١٦٠٠ الى سنة ١٧٠٠ » المطبوع سنة ١٩٠٥ ٠

٢ ــ رحلات بدرو تكسيرا (١٩٠٢) وتشير الى أحداث ١٩٠٤ ٠

٣ ــ رحلات السنيور بيتروديللافال (١٩٢٥) ويشير الى أحداث سنة ١٩٢٥ ٠

٤ ــ نيبور : وصف جزيرة العرب ١٧٧٤ (باللغة الفرنسية) ٠

٥ ــ نيبور : رحلة جزيرة العرب ١٧٧٦ (باللغة الفرنسية) ٠

٦ ــ ميجور رولنسون : مذكرة عن النزاع بين تركية وايران سنة ١٨٤٤ ٠

٧ ــ أينسوورث : سرد ذاتي لرحلة الفرات سنة ١٨٨٨ ٠

(١) العزب الدفاعية هي مجموعة من المساكن المتلاصقة التي تفتح على فناء داخلي وجدرانها الخارجية صماء أي قليلة الفتحات ٠

أميال . وأهم الاماكن في منطقة مبارك كان «الحويزة» و «مجذوم» «غالباً مقطع» وهي مكان على البر الأيمن لقارون تبعد عشرين ميلا جنوب الموقع المعروف حالياً يناصري «الاهواز» و «دورق» فلاحيه الآ ن.

ويبدو أن مبارك كان واحداً من «ولاة الحويزه(١) الذين حكموا عربستان أو الجزء الاكبر منها قبل ظهور قبيلة كعب .

وكانت سهول عربستان الملاصقة لشط العرب في ذلك الوقت مهملة مع أنها غير جرداء ، ولكنها غير مستغلة خشية الاتراك .

ويبدو أن البرتغاليين حينما كانوا على غير وفاق مع الاتراك كانوا أحياناً يعرضون على مبارك عروضاً حرة لحثه على عقد اتفاق دفاعي هجومي معهم ضد العثمانيين ، ولكنه لم يكن يستجيب لإغرائهم .

احوال عربستان سنة ١٦٢٥ :

في سنة ١٦٢٥ زار الايطالي بيترو ديللا فال البصرة ، وكان مبارك قد توفي من سنوات . وعقب موته عين شاه ايران المنصور أخا مبارك حاكماً على الحويزه . ولكن المنصور وجد أن وطأة الشاه ثقيلة عليه ، فأرسل الى باشا البصرة لتأمين استقلاله (٢) .

وبمناسبة حملة الشاه الناجحة على بغداد سنة ١٦٢٣ أراد الشاه أن يختبر ولاء المنصور فطلب اليه أن ينضم الى الحملة الايرانية . ولكن إمام قولي خان ، رغم انتظاره أياماً وهو في طريقه من شيراز الى بغداد لم

---

(١) يقص لايارد في كتابه « وصف مقاطعة خوزستان » (١٨٤٦) التاريخ الاسطورى لهؤلاء الولاة .

(٢) ربما كان ذلك في سنة ١٦٢١ لاننا نجد أنه أقيم في الثامن من يناير سنة ١٦١٢ احتفال كبير في ميناي ـ التى وصلها خان صيراز في طريقه لمهاجمة هرمز ـ بمناسبة الانباء السارة لاستيلاء الشاه على قسم كبير من أملاك العرب وعلى الحويزة المدينة الرئيسية لهـذا القسم .

يستطع حثه على التحرك معه . وبعد ذلك استدعى الشاه منصوراً عدة مرات ليقوم على خدمته في أصفهان ، ولكن الشيخ الحريص ، رغم أنه بالطبع كان يرسل رداً ناعماً ، لم يستجب للاستدعاء المتكرر ، وفي النهاية ثار غضب الشاه عباس وأمره بالمثول إلى أصفهان متوعداً إياه بقطع رأسه . ولكن الرد الوحيد الذي أجاب به المنصور على هذا الانذار كان كما يلي :

« إنه إذا كان الشاه ملكاً لايران ، فانه هو نفسه ملك في الحويزه »

ورداً على ذلك أرسل الامام قولي خان على رأس قوة لتأسر او تقتل منصوراً وليولي مكانه ابن أخيه محمداً أحد أبناء المرحوم مبارك والذي تربى في البلاط الصفوي . ولكن الامام لم ينجح الا في الشق الاخير من مهمته اذ أن المنصور لجأ هو وخمسمائة من اتباعه عند باشا البصرة الذي منحهم مكاناً يستقرون فيه بالقرب من الحويزة . أما أتباع منصور الآخرون فقد أذعنوا لولاية محمد على شرط وافقهم عليه الامام قولي خان وهو عدم بقاء أية حامية إيرانية في الحويزة .

ووقعت هذه الاحداث سنة ١٧٢٥ قبل الهجوم الايراني على البصرة مباشرة في مارس من تلك السنة .

هجرة كعب الى عربستان :

يبدو أن قبيلة كعب التي ستلعب فيما بعد ولمدة أكثر من جيل واحد دوراً قيادياً في سياسات عربستان قد دخلت المقاطعه في وقت ما من القرن السابع عشر ، وكانت أكبر مواطنهم الاولى «كوبان» التي كانت تقع على رأس خور كنكه أحد فروع خور موسى ، ولا يعلم على وجه التأكيد الحي الذي جاءوا منه او سبب هجرتهم(١) .

---

(١) المصادر الاساسية للتاريخ الاول عن كعب :
نيبور في وصف جزيرة العرب ١٧٧٤ ص ٢٧٧٦ « رحلة في جزيرة العرب » ١٧٧٦ ص ١٧٦ .
العقيد رولينسون : مذكرة عن النزاع بين تركيا وفارس .
سير.د.لايارد : وصف مقاطعة خوزستان ١٨٤٦ .

ويصر الميجور رولينسون على وجود علاقة بين كعب والحكومة التركية قبل وبعد ظهورهم في عربستان . ولكن نيبور والرواة المحليين لا يذكرون شيئاً عن هذه العلاقة ، ولم يذكر العقيد رولينسون في مذكرته حقائق واضحة التوثيق أو يأتي ببينة عن تصريحات الموظفين الاتراك ضمن نظرياته التاريخية او تصوراته الجغرافية .

ويعزز الملخص الآتي لخطاب موجه من المندوب المفوض والمجلس بالبصرة الى بلاط المديرين المبجل نوعاً ما رأى رولنسون . على ان هذا المحتوى قابل للطعن لانه يمثل رأي المندوب المفوض السيد مور الذي كان محباً للاتراك بهوس وكارهاً للفرس :

« الكعوب أصلا من رعايا الترك ، وقد ظلوا لحقبة طويلة يملكون اراضي واسعة على حدود امبراطورية ايران ، التي كانوا يدفعون عنها لبضع سنوات مبلغاً كبيراً من المال لخزانة الباشا .. وفي خلال الاضطرابات التي تلت وفاة نادر شاه لبضع سنين أصبح للكعوب أراضٍ أخرى من املاك الفرس . وبهذا فقد أصبحوا رعايا كلتا الدولتين فمنطقة «جابان» وأحياؤها تقع في أراضي الترك ودورق في الجانب الايراني » .

ويشير الرواة الى تاريخ سابق قليلا لسنة ١٦٨٣ التي يعتمدها رولنسون كمبتدأ استيطان كعب لعربستان . وبالاشارة الى هذا التاريخ والى العلاقة المستمرة المزعومة بين كعب والاتراك فانه لا يجب ان يُنسى أن البصرة اصبحت تحت السيطرة التركية المباشرة حوالي سنة ١٦٦٩ فقط ، وانها وقعت في أيدي الفرس قبيل سنة ١٦٩١ بقليل ، ولم يستردها الاتراك الا في سنة ١٦٩٥ .

الفترة بين ١٧٠٠ ـ ١٧٦٣

سلوك والي عربستان سنة ١٧٢٢ :

وفي سنة ١٧٢٢ عندما كان الغزاة الافغان يهاجمون ملك ايران في عاصمته ، كانت الجيوش الايرانية المدافعة عن أصفهان تحت قيادة والٍ من عربستان كان سلوكه خصوصاً عندما رفض دعم حركات الارمن الجريئة في جولفا موضع شك كبير . وعند سقوط الموقع فان القائد الافغاني المظفر محمود لم يقتل الوالي كما فعل المتآمرون من الجانب الايراني ، ولكنه عزله وحرمه من أملاكه في خوزستان ، أي عربستان ، وأعطيت هذه الاملاك الى أخيه الاصغر ، ولا يوجد ما يدل على العائلة التي ينتسب اليها هذا الوالي . ولكن انتماءه الى العائلة الحاكمة القديمة للحويزة أمر محتمل .

ومن ١٧٢٢ الى ١٧٣٤ يقال إن قبيلة كعب كان يحكمها شيخ يدعى « فرج الله » .

★ ★ ★

نمو قوة كعب ١٧٠٠ ـ ١٧٦٦

استيلاء كعب على دورق سنة ١٧٤٧ :

وبعد هذا أخذت قوة كعب في الازدياد السريع في عربستان وفي أو حوالي ١٧٤٧ اغتصبوا دورق « فلاحية » الآن من جيرانهم الاتراك الأفشار الذين كانو القبيلة السائدة في هذا القطر وعاصمتهم دورق ، ويعود انتصار كعب الى معونة والي الحويزة العربي ولفعالية أساليبهم الحربية .

شيخ كعب سلمان او سليمان ١٧٣٧ـ ـ ١٧٦٦ :

ويرجع معظم الفضل في تقدّم كعب في هذا الوقت الى مقدرة وطاقة زعيمهم الشيخ سلمان او سليمان الذي تكاثر عددهم تحت زعامته كما تتكاثر كذلك أية قبيلة في عربستان تحت قيادة زعيم شعبي ناجح .

وتولى سليمان الزعامة عقب وفاة أخيه «طهماز خنفر» الذي قتل سنة ١٧٣٥ وابن أخيه «بندر» الذي حكم من ١٧٣٥ الى ١٧٣٧ ثم قتل واستمر عهده من ١٧٣٧ الى ١٧٦٦ . وفيما عدا السنتين الاخيرتين من حكمه فقد شاركه في الحكم أخ آخر يسمى «عثمان» .

واحتفظ سليمان باستقلاله منتفعاً بالنزاع بين السلطات الايرانية والتركية ، وهكذا أصبح بعد قليل حاكماً بدون منازع لبعض الاحياء المعروفة الآن بفلاحية والمحمرة بينما أمتد نفوذه بشكل ما الى الاهواز وجراحي وحتّى هنديان .

★ ★ ★

حملة كريم خان الاولى ضد كعب سنة ١٧٥٧

وفي سنة ١٧٥٧ قام كريم خان ، وسلطته في فارس ما تزال في اولى مراحلها، بحملة على كعب بقصد اخضاعهم والزامهم بدفع الخراج . ولكن المتاعب في مناطق أخرى أكثر أهمية جعلته ينسحب بعد أن حصل على مبلغ بسيط كجزية .

المتاعب بين كعب والحكومة التركية وأول حملتين تركية انجليزية ضد القبيلة بين سنة ١٧٥٨ ـ ١٧٦٣

لم يكن النجاح الجزئي الضئيل الذي انتهى اليه كريم خان ضد سلمان إلا عاملا لازدياد ثقة الشيخ في نفسه ولنمو ميوله العدوانية . والحقيقة الواضحة التي تبدو من خلال قيامه ببناء اول سفنه الكبيرة في العام التالي مباشرة هي أن هذه الحملة الايرانية ضده هي التي اوحت اليه بأهمية حيازته لقوة بحرية .

وفي سنة ١٧٦١ تحرك الترك شأنهم شأن فارس من قبل ضد كعب وحققوا بمساعدة الانجليز نجاحاً موقتاً ، ولكن في سنة ١٧٦٢ حاصرت كعب البصرة من البحر وغزت الاحياء التركية في البر الغربي لشط العرب وتلت ذلك حملة أخرى أنجليزية تركية وكانت أيضاً فاشلة .

★ ★ ★

كريم خان ١٧٦٣ ـ ١٧٧٩ (١)

تجدد العدوان بين كعب من جانب والترك والبريطانيين من جانب آخر سنة ١٧٦٥ . بعد محاولة أخرى لقهر القبيلة بذلها كريم خان .

(١) المصادر الاساسية لهذه الفترة عن عربستان هي :
السير ج أ. سالدنها مختارات من وثائق الدولة بمبا) ١٦٠٠ ـ ١٨٠٠ ورحلة نيبور في جزيرة العرب ١٧٧٦ .

حملة كريم خان الثانية ضد كعب سنة ١٧٦٥

في أوائل مايو سنة ١٧٦٥ كان كريم خان يعسكر في كوبان بعربستان مع قوة كبيرة . وكان قد طلب تعاون الترك معد ضد كعب فوعدوه بذلك لكنهم لم يستطيعوا تقديم أي عون مستعجل . وبسبب ذلك تمكن الشيخ سلمان من تضليل كريم خان وعبور قنوات الماء بأسطوله المكون من ١٠–١٢ مركب حربي و ٧٠ داناكه تجارية واحدة بعد الاخرى حتى وصل سالماً الى الارض العثمانية على البر الغربي لشط العرب .

ولما تأخر وصول الترك صرف الوكيل ، وذلك كان لقب كريم خان ، النظر عن الحملة في نفس الوقت الذي كان الترك قد أكملوا فيه استعدادهم ، وكانوا على وشك التحرك من البصرة . وحوالي منتصف مايو قسم الوكيل قواته مرسلا قسماً منها ليشترك في العمليات التي بدأت حينئذ بقيادة اللواء «أمير» كونه خان ضد «مير مهنا» زعيم القراصنة في ريق .

تخريب دورق وخزان السبلة :

وعلى أي حال فقد تمكن كريم خان ، بجانب تدمير دورق التي وجدها مهجورة ، من إنزال ضرر بالغ ودائم بالقبيلة الثائرة. ومعروف أن أراضي كوبان ، التي كانت عاصمة كعب في عربستان ، تبدو كما دل على ذلك تحليل حديث لتربتها انها تُروى من قناتين مستمدتان من نهر القارون ، الأولى تترك النهر عند جدول ماريد وتصب في خور كنكه قرب كوبان بينما الثانية وتعرف باسم «السلمانية» غالباً نسبة الى الشيخ سلمان نفسه تنبع قرب جزيرة بنفس الاسم . وكان مورد الماء للقناة الاولى يعتمد على خزان من البناء الحجري ما زالت بقاياه ترى قرب جدول ماريد . وأمام

ماريد على الشاطىء الأيمن لقارون كانت توجد مستوطنة لكعب تسمى «السبلة» ينسب اليها ذلك الخزان . وفي أثناء هذه الحملة قام كريم خان بهدم الخزان موثراً بذلك في رخاء كوبان ، كما أباد فيما يبدو مستوطنة لم يسمع عنها شيء في التاريخ التالي لقبيلة كعب . ومن المحتمل أن يكون انتقال عاصمة كعب من كوبان الى الفلاحية قد حدث في ذلك الوقت .

★ ★ ★

الحملة الانجلو تركية الثالثة ضد كعب وتعديات تلك القبيلة على السفن البريطانية سنة ١٧٦٥

ضمن الاتراك معونة البريطانيين في البصرة ، ولم يكونوا راغبين في النكوص عن الحملة المرسومة ضد كعب لمجرد انسحاب الايرانيين من الأمر ، لكنهم نفذوا هذه الحملة بمنتهى التراخي وحتى بدون أن يعبروا شط العرب الى ارض العدو ، او يستفيدوا من قطعة بحرية بريطانية استأجروها . حتى إنهم في الواقع تحملوا خسائر أكثر مما أوقعوا بالعدو . وقبل ان يقفل الاتراك عائدين الى البصرة جرى الاتفاق على سلام شكلي بينهم وبين كعب ، لم يرد فيه ذكر ما للانجليز .

كما أكد شيخ كعب ذلك فيما بعد .

ولم يمض غير وقت قصير حتى دوى في اوروبا اسم سليمان ، الذي أحنقه جداً سلوك الانجليز العدائي ضده فشن على غير انتظار غارة جريئة لم يسبق لها مثيل في الخليج العربي ضد السفن البريطانية .

استيلاء الكعبيين على السفينة سالي :

على أثر فشل الحملة الانجلو تركية انتاب الخوف الممثلين البريطانيين في البصرة . ولكن ما إن ثاب لهم رشدهم حتى أرسلوا يختاً تابعاً للشركة

لى «خارَج» وصلها حوالى ٢٠ يونيه ليكون بمثابة اعلان عام بعدم وجود أي خطر من كعب . وفي العاشر مع يوليه شوهد جزء من اسطول كعب بالقرب من خارَج متحداً على ما يبدو مع اسطول مير مهنا الذي لم يكن عادة على وفاق مع الشيخ سلمان ، ولكنه بات يشابهه الآن في الحرب ضد الايرانيين ، وفي ادعاء المظالم من الانجليز .

وفي الثامن عشر من يوليو بينما كانت «سالي» وهي سفينة ذات شراعين من مدراس تصعد شط العرب في طريقها الى البصرة التقت بعدة زوراق لم يلق اليها ضابط المراقبة بالا ، ولكن فجأة قفز منها عدد من رجال كعب وألقوا بأنفسهم على سطح «سالي» في صيحات عالية واستولوا عليها حتى قبل أن يفيق القبطان ويغادر قمرته .

كعب تستولي على يخت انجليزي في ١٩ يوليو ١٧٦٥

وفي نفس الوقت وصل للنهر يخت الشركة الذي كان قد غادر خارَج في التاسع من يوليه في حراسة «فورت وليام» ، وهي سفينة بنغالية ذات ثلاثة أشرعة خوفاً من مير مهنا . وفي اليوم التالي للاستيلاء على سالي ، حوصر اليخت واستولى عليه رجال كعب عندما كانوا يهبطون في النهر عائدين بغنيمتهم .

كعب تستولي على السفينة فورت وليم ١٩ يوليو ١٧٦٥

ولكن نجاح العرب لم ينته بهذا ، فعند مصب النهر ، صادفوا «فورت وليام» نفسها التي اراد ربانها عند رؤيته لمركبتين في كامل سلاحهما الرجوع ال الخليج لتجد مجالا ارحب . ولكنها للأسف جنحت للشاطيء . وعندما شاهد الكعبيون ما حصل ؛ انتظروا حتى انحسر الجزر ومالت السفينة على جانبها مما أفقد مدافعها وظيفتها ، فصعد اليها الكعبيون واستولوا عليها ، آسرين جميع أفراد طاقمها . وكان الرحالة نيبور قد تخلف في آخر لحظة عن ركوب الباخرة من خارَج الى البصرة ،

ولولا ذلك لكان قد أضاف فصلا شيقاً عن الحادث في كتابه . وعند ارتفاع المد قام الكعبيون بتعويم «فورت وليام» وساروا بها ومعها السفينتان الأخريان الى كوبان غالباً عن طريق خور موسى وخور كنكه . وقد قدرت قيمة المركبين وشحنتهما بمبلغ ٣٩٠,٩٣٠ روبية .

وعلى الفور قام وكيل شركة الهند الشرقية ، السيد ريتس بالاتصال بمتصرف البصرة على افتراض أن «كعب» هم رعايا الباب العالي مطالباً بالتعويض . وقبل المتصرف الموقف وبعث رسولا الى الشيخ سلمان بخطابات منه ومن الوكيل .

وجاء رد الشيخ في ٢٦ يوليه مقرراً أن لديه مطالبات طرف شركة الهند الشرقية ناشئة عن أعمال مقيمهم السيد «شو» ووكيلهم السيد «برايس» . واتهم الاول بأنه استولى على اراض من أملاك رعاياه في ماجيل والسيلك . ولكن هذا كان ادعاءً باطلا لان الارض موضع الاتهام كان معروفاً أن السيد شو اشتراها من أصحابها الشرعيين . ولكن الوسيط نجح على أي حال في اطلاق سراح القبطانين «فيلبس وهولاند» وجميع طاقميهما مقابل ارسال معاهدة سلام بين الطرفين على الاسس القديمة بين الشركة المحترمة وبين الشيخ . ورفض الشيخ إعادة السفن المأسورة حتى يتم التصديق على المعاهدة ، وإعادتها اليه من حكومة بومباي.

ولكن الوسيط الذي اعتبر المعاهدة مع الشيخ مجرد شكليات نافعة في تخليص رجالنا من بين يديه اتجه الى مناقشة الموقف مع السلطات التركية التي وعدت بمهاجمة كعب برياً بشرط أن تحميها قوة بحرية بريطانية ، كما وافقت أن يحصل البريطانيون بمقتضى هذه الشروط على نصف الغنائم بخلاف المراكب المأسورة التي تعود كاملة في حالة استردادها الى ملاكها .

وارسل الوكيل والمجلس الى حكومة بومباي مؤكدين بشدة على موضوع ما سوف ينشأ من أخطار ومتاعب على التجارة ان لم يوقف

الشيخ عند حده سريعاً وأوصوا بارسال اثنين على الاقل من الطرادات الرئيسية مع «النسر» أو أي سفن تعوم في الماء الضحل وأربع او اكثر من سفن «جاليفات» الخفيفة التي ستشهد الحاجة اليها لمطاردة الشيخ في الخور ، وختموا بترك الامر في النهاية لحكمة وتقدير المجلس الموقر .

وفي خلال شهر سبتمبر سنة ١٧٦٥ شغل الكعبيون أنفسهم بقطع سباطات البلح من النخيل في المناطق التركية جنوبي البصرة مباشرة . وتبعهم في ذلك قبيلة «المنتفك» التي تحركت الى هذا الاقليم متذرعة بحجة الدفاع عنه ضد كعب .

★ ★ ★

الحملة الانجلو-تركية الرابعة ضد كعب سنة ١٧٦٦

تصرفات واوامر حكومة بومباي في يناير سنة ١٧٦٦

ويبدو أن حكومة بومباي قد قدرت خطورة الموقف . فانها في بداية يناير سنة ١٧٦٦ استجابت لمقترحات الوكيل والمجلس ، وارسلت قوة حربية بحرية الى الخليج بقيادة القبطان ليسلي بابلي والقبطان جون بريور تالفت من «الجراب» بومباي و «الكتش» سكسس والفرقاطتين «دولفين وتايجر» و «الجلفاط» وولف وناقلة الجنود «فيم» وهي سفينة مستأجرة خصيصاً ، ومعهم ٥٠ جندياً اوروبياً من المشاة و ١٥ جندياً من المدفعية و ١٥٠ جندياً هندياً و ٢٥ من البحارة والخدم والهنود .

وأبحر القبطان بابلي ومعه تعليمات بضرب حصار بحري على طريق كعب للبصرة ، بوضع بعض من مراكبه في المراكز المناسبة .

وتضمنت التعليمات التي ارسلت الى الوكيل وللمجلس ضرورة قيامهم بتوجيه طلب مباشر الى كعب ، بمجرد اتمام الحصار ، بضرورة إعادة السفن البريطانية وشحناتها مع التعويض عن مدة حجزها والتكاليف

التي تكبدتها الشركة في إرسال الحملة البحرية ، فاذا قبل الشيخ بتلك المطالب ، فان ذلك يكون مقروناً بتعهد من قبله بأن لا يعاكس تجارة الشركة . وتلتزم الشركة من جانبها بأن لا تعود للتدخل في أي نزاع بينه وبين جيرانه . واذا ظهر أن الشيخ لا يسلك مسلكاً عملياً ، فعلى الوكيل والمجلس أن يلجآ الى الاتراك لاقتراح عمل مشترك ضد كعب ، على شرط أن تكون القوات التركية مستعدة للتحرك فوراً ، وأن يوافق الموظفون الاتراك على اتخاذ الاجراءات المرضية للوفاء بدين كبير مستحق للشركة على من يسمى «الحاج يوسف» ، ولكن اذا لم تتحقق هذه الشروط فان على القوات البريطانية « أن تتحرك بمفردها وان تتبع أكثر الوسائل فعالية لاسترداد سفنها وتدمير سفن الكعوب » .

★ ★ ★

الاجراءات التي اتخذها الوكيل والمجلس بالبصرة لدى وصول الحملة في مارس ـ مايو سنة ١٧٦٦

وصل القبطان بايلي والسفن التي تحت قيادته الى بوشهر في العاشر من مارس سنة ١٧٦٦ ، وغادرها في طريقه للبصرة في الثالث عشر منه . ويبدو انه نظراً لاعتقاد الوكيل والمجلس بأن السلام بينهم وبين كعب لن يحقق الامن للتجار بل سوف يضر بعلاقتهم بالاتراك ، وبالنظر أيضاً لوعدهم الباشا والمتسلم بالاعتماد على معونة بريطانية ، ولما كانوا يرون أن القوات البريطانية أضعف من أن تقود عمليات برية دون حلفاء . لذلك كله أخذوا على أنفسهم مسئولية إغفال التعليمات التي وصلتهم من بومباي ، بالتفاهم مع كعب وحدهم ابتداء؛ وعلى ذلك فقد اتجهوا مباشرة لترتيب معونة الاتراك الحربية. ويبدو أن اشتباكاً واحداً فقط حدث بين الحملة البريطانية واسطول كعب . فالاخير

احتياطاً للأسوأ لجأ بكل سرعة ومهارة الى التواجد قريباً من «دورق» حيث يأمن من الغارات البحرية . أما الاتراك فكانوا كالعادة بطيئي الحركة . وبناء على اقتراح المتصرف ارسل رجاء الى شيخ بوشهر لتقديم المعونة ، ولكن لم يرد منه جواب ما . بيد أنه قبيل نهاية شهر مايو تجمع معسكر تركي في مكان ما جنوبي البصرة ، وفي نفس الوقت وصلت من الخليج السفينة تارتر وارسلت لترسو بجوار المعسكر ، وتجمع الجزء الاكبر من القوة البريطانية في أو بجوار خور موسى وكانت تحت قيادة القبطان اندرونيس بسبب مرض الرئيس بايلي الذي توفي بعد ذلك بعدة أسابيع .

فشل هجوم بريطاني على قلعة منصور مايو ١٧٦٦

وقرب نهاية مايو ارسل القبطان نسبت ، الملازم دوتون مع عدة زوارق مسلحة لارتياد واختبار نهر دورق(١) . وكانت النتيجة اكتشاف عدة سفن وطنية راسية بدون قلوعها العليا في خور صغير قريب من طابية حديثة الانشاء تسمى المنصور . ومع أن القبطان «نيسبت» كان يخشى أنه لا يستطيع عمل شيء دون معونة الاتراك فقد ارسل «سكسس» و «دولفين» و «وولف» ومعها لنش والصندل بومباي وزورقان او ثلاثة مسلحة لتدمير السفن المكتشفة . وهي مهمة أديت بنجاح ، ولكن محاولة الاستيلاء على الطابية نفسها فشلت «بسبب الافتقار الى الماء والرجال لجر المدافع حيث إنها تبعد سبعة أميال عن مكان رسوهم» وانتهت العملية بالانسحاب في منتصف الليل ، واسفرت عن خسائر طفيفة تشمل مقتل الملازم ««نيسبت» وواحد من رجال المدفعية الاوروبيين وجرح اربعة آخرين .

---

(١) ليس من السهل تتبع تفاصيل هذه الحملة . حيث لا تذكر السجلات الا أسماء قليلة بعضها فقط يمكن التعرف عليه بشكل مؤكد . ونهر دورق هذا قد يكون اما النهير المعروف الآن بخور دورق أو الخور الكبير خور موسى . وأحد فروعه خور دورق .

مفاوضات الوكيل والمجلس مع الكعبيين والاتراك والايرانيين مايو — يونيو ١٧٦٦ :

وقبل أن يقع ذلك الفشل كان شيخ كعب قد ارسل الى الوكيل والمجلس بالبصرة مقترحاً لاجراء تسوية . ورداً على ذلك ابلغ بالمطالب البريطانية ، ولكن لم ينشأ أي اعتقاد في جدية رغبته في التسوية .

وحاول الوكيل والمجلس بدون نجاح حمل متصرف البصرة على الهجوم بقواته لكنه احتج بأن عليه انتظار المدد المحتمل ارساله من بغداد . لكنه بعد وصول الانباء عن فشل البريطانيين مال للتحرك على أساس أن «الكيخيا» كان في طريقه من العاصمة مع قوة من الجند ، وهو ما ثبت فعلاً . ومن المحتمل أن رضوخ الترك للتحرك في النهاية كان راجعاً الى اعلان الوكيل بأنه اذا استمرت خدمات الكتيبة البريطانية لما بعد نهاية يونيه وجب ان تدفع لها الحكومة التركية بمعدل الف تومان كل شهر(١) وكان هذا مصدر قلق الباشا خشية أن يترك ليواجه كعب منفرداً ، أو أن تسحب الشركة مفوضيتها من البصرة كما كانت تهدد أيضاً ، حتى إنه قبل هذه الشروط الاضطرارية(٢) وأخيراً وصل الكيخيا (أومحمود) آغا الى البصرة ومعه ١٥٠٠ رجل ، وبعد أيام قليلة لحق بالمعسكر ، معفياً المتصرف ليس فقط من قيادة القوة البحرية ولكن أيضاً من معظم الاشراف الاداري والسياسي .

وارسل الوكيل الى «كريم خان» الوكيل الايراني خطاباً يرجوه فيه أن لا يؤوي أي لاجيء كعبي ، ولكنه لم يتلق رداً على رسالته تلك.

---

(١) كانت بعض السفن راسية في حاجة الى اصلاحات ، علاوة على أن المرض بدأ يتفشى على السفن مع أن الطقس الحار لم يكن قد بدأ .

(٢) وتبعا لخطاب من الوكالة فان هذا الاجر حدد بالزيادة عن تكاليف الكتيبة الجدية ولكن هناك بالطبع مصاريف ثقيلة على الشركة مثل تلف واستهلاك المراكب وخسارة التشغيل .

تقدم الاتراك في عربستان يوليو — اغسطس ١٧٦٦ :

من المستحيل تتبع تحركات القوات المهاجمة لعربستان على وجه الدقة ، ولكن يبدو أنه بينما تحرك البريطانيون من جانب خور موسى ، فان الاتراك أقاموا قاعدتهم في مكان ما على نهر قارون . ومن اوائل الاجراءات التي قام بها القائد التركي هي امره قبطان باشا بأن يبحر بمراكبه الى كوبان حيث وصلها سالماً (١) مصحوباً بالمركب البريطاني «وولف» . وكان الاثر المعنوي لظهوره كبيراً جداً حتى إنه لم تحل فقط الحامية الكعبية عن طابيه كوبان بلا مقاومة ؛ ولكن قبيلة كاملة من رعايا الشيخ سلمان الذين كانوا يعتبرون خيرة فرسانه هجرته ولجأت الى المعسكر التركي والبعض الى السفن البريطانية سائلين الحماية لهم ولعوائلهم . وكان الظن ان شيخ كعب يواجه مصاعب كبيرة جداً حتى لقد قيل إن قواته كلها ستهجره لولا أنه يُبقي زعماءها باستمرار تحت بصره ، وأنه يوقع بهم أشنع ضروب البربرية لاي شك بسيط . وساد اعتقاد عميق بأنه إذا تقدم الترك لداخل البلاد فان الشيخ سيستسلم . ولكن القائد التركي بدأ يكتشف ذرائع لتأخيره . وفي ذلك الوقت قدم الشيخ سلمان عروضاً جديدة للسلطات البريطانية ، واستخدمت هذه العروض لحث الكيخيا الذي لم يكن يرغب في أية تسوية في هذه المرحلة على القيام باجراء قوي . وفي النهاية دفع الى التقدم ضد كعب ووعد بأن يسير حتى يبلغ خور موسى ويعسكر بجوار الاسطول البريطاني .

تحطيم السفينة سالي والسفينة فورت ويليم ٢٣ اغسطس ١٧٦٦ :

وفي الثالث والعشرين من اغسطس ، ولم يكن تحقق بعد اتصال بين

---

(١) حيث ان سد السابلة قد دمر سنة ١٧٦٥ فمن المحتمل ان قبطان باشا ذهب الى كوبان عن طريق الشط والخليج الفارسي فخور موسى حتى خور كنكه .

القوات التركية البرية والبريطانية ، اقنع الكابتن نيسبت ليقابل «غانم»(١) نجل شيخ كعب على الشاطىء على بعد ميل مما يسمى «الطابية السفلى» حيث كانت ترسو سالي وفورت ويليام السفينتان البريطانيتان المأسورتان .

لكن غانماً بدلا من ان يقترح شروطاً معقولة تصرّف بسفاهة مع الكابتن نيسبت ، الذي أحس من جملة شواهد أن هناك مذبحة تدبر له ولقواته لذلك بادر هو وهاجم العرب . وفي هذه المعركة التي بدأت في الساعة الخامسة بعد الظهر فقد البريطانيون اوربياً واحداً وجرح خمسة أوروبيين وثلاثة هنود ومن الجانب الآخر جرح غانم نفسه جرحاً بالغاً كما قتل وجرح عدة شيوخ وغيرهم . وفي العاشرة من مساء نفس اليوم حاول الكابتن نسيبت استرجاع «سالي» و «فورت ويليام» بالصعود اليهما ولكن العدو تمكن في آخر دقيقة من اشعال النار فيهما . فلم يكن امام البريطانيين بعد ذلك الا أن يتأكدوا من دمارهما التام بالبقاء بجوارهما حتى أكلتهما النار تماماً .

أما الوكيل والمجلس اللذان سبق ان أعطيا اوامر بأن كل شخص يتقدم للتفاوض للسلام باسم كعب ، يجب أن يرسل تحت حراسة مأمونة الى البصرة ، فقد وجها اللوم للقبطان نيسبت لقيامه بالتفاوض مع غانم نفسه ، وخاصة في مثل تلك الظروف الخطيرة ولكنهما وافقا على «أنه نظراً لما أبداه الرجال العاديون من شجاعة في المعركة » فان بعض الاسلاب التي غنمت في تلك العملية « يجب أن توضع تحت تصرفهم ولمنفعتهم على موخر المركب بصفة علنية » .

التجمع عند مقر قيادة الكعوب سبتمبر ١٧٦٦

وفي ٣٠ أغسطس بعد تلك الحادثة أحضر القبطان نسيبت المراكب الصغيرة التركية من كوبان حيث كان المعسكر التركي وكتب الى الكيخيا الذي كان فيما يبدو في مكان آخر ليسير براً إلى طابيه «كعب» السفلى .

(١) تبعا لرواية أخرى فان غانم هذا ــ اذا كان هو نفسه الذى أصبح شيخا لكعب فيما بعد ــ ليس ابن الشيخ سلمان ولكن ابن أخيه .

وفي نفس الوقت كانت هناك قوة بحرية تحت قيادة القبطان بريور ملحقة بفرقة بحرية تحت قيادة الملازمين هول وسمث تسير مصعدة في النهر ، وهو غالباً خور دورق ، ومعها ذخائر للمدفعية . وباختصار بدأت عملية تركيز عامة غالباً ضد المركز الرئيسي لكعب او قرب مدينة الفلاحية الآن . وعقب هذا الاتصال ارسل الكيخيا الى الوكيل البريطاني في البصرة يرجوه ان يحضر شخصياً الى الموقع . وفي الحال بدأ السير «ريتش» السفر ، ولكن قبل وصوله أصاب القوات المتحالفة حادثان هامان .

تدمير المواعين التركية سبتمبر سنة ١٧٦٦

أما المصيبة الأولى فوقعت على الترك ، فقد أحرق العدو تسعة مراكب من أصل اثني عشر مركباً لهم من بينها مركب القيادة . ويعود الحادث الى إهمال الترك « في عدم ارسال الكشافة اللازمين » . وشملت الخسارة ضياع كل بارودهم ومعظم ذخيرتهم الأخرى . وبعد هذه الحادثة ولعدة ليال متتابعة حاول الكعبيون الاستيلاء على المواعين الباقية ، ولكن الفرقاطات البريطانية ردتهم على أعقابهم في كل محاولة ، بعد تكبيدهم خسائر كبيرة . وفي ليل السابع عشر من سبتمبر هاجم الكعبيون الفرقاطات نفسها بقوة قدرت بألف مقاتل . ولكنهم ردوا على أعقابهم وتتبعهم الترك على الخيول وعلى الاقدام وقتلوا وأسروا عدداً كبيراً منهم .

وفي نفس الوقت فاجأ الكعوب أحد الصنادل التابعة للاسطول البريطاني فدمروه وأحرقوه ، بعد أن أخلد اثنان من ملاحيه و ٢٠ جندياً هندياً على ظهره للنوم ، غير أنه لم يقع سوى واحد من هذه الفصيلة في أيدي الكعبيين الذين أعادوه في اليوم التالي الى المعسكر بعد أن قطعوا يده اليمنى وأنفه وأذنيه ، وهو نوع من القسوة تبادله الطرفان على طول المدى .

بطء الاتراك :

والظاهر ان النقيب بريور زار يوم ١٨ سبتمبر المتصرف مقترحاً شن هجوم على حصون الاعداء ، وهي الفكرة التي كانت مستحسنة أولا . ولكن قدوم الشيخ درويش أحد الاعيان الرئيسيين غير كل شيء فقد كانت لديه أسباب للاعتقاد بأن لدى الكعوب أنباء وصلتهم في نفس الليلة . وفي النهاية طلب متسلم البصرة من النقيب بريور أن ينتظر ثلاثة أيام لانه يتوقع مساعدة الايرانيين ، ولكن هذا الضابط الذي بدأ ييأس حتى من المساعدة التركية ، أعد أخشاباً لصنع سلالم للتسلق وأعد باقي الترتيبات استعداداً للهجوم بدون أية مساعدة .

غياب طبيب القوة البريطاني

ونظراً لمرض طبيب القوات البريطانية فقد طلب النقيب بريور بديلا له من البصرة . واستطاع المجلس هناك بعد لأي أن يحصل على خدمات طبيب دار المقيم الفرنسي بأجر قدره ثلاثة فرنكات يومياً بالاضافة الى الغذاء وعلاوة خاصة لخادم أو مترجم .

★ ★ ★

فشل الهجوم البريطاني على كعب ٢٣ سبتمبر سنة ١٧٦٦ واقلاع القوة البريطانية

وفي يوم ٢٣ سبتمبر وهو نفس اليوم الذي وصل فيه الوكيل البريطاني على ظهر «تارتر» الى دوراكستان . ونعني بها خور موسى غالباً ، حدث هجوم بريطاني سيء الحظ جداً على حصون كعب . ويبدو أنه حصل دون معاونة الترك . وانتهى هذا الهجوم بفقد النقيب بريور واثنين من الملازمين ورقيب وثمانية عشر آخرين في الموقع علاوة على ٣٢ آخرين جرحوا جروحاً خطيرة ، بخلاف استيلاء العدو على المدافع التي انزلت للبر ومعها ١٣ صندوقاً من الذخيرة .

وبعد هذه الكارثة وبناء على تعليمات من السيد ريتش ، الذي أُقنِع بعدم جدوى مواصلة الابحار في الخور على أساس أن كلا الشطين تحت سيطرة العدو وان حضوره لن يحقق غرضاً نافعاً ، أبحرت القوة البريطانية كلها فيما عدا ستة من المدفعين تركوا مع الاتراك لمساعدتهم في قذف القنابل .

انسحاب الترك من الحملة اكتوبر سنة ١٧٦٦

وفي هذه المرحلة من العمليات وصل رسل كريم خان الوكيل الايراني الى الميدان بخطابات الى الكيخيا والى الوكيل البريطاني تطلب الكف عن العدوان على الكعوب الذين هم رعاياه والانسحاب من الاراضي الايرانية ، ولكنه وعد في نفس الوقت بأن يلزم كعب بأداء تعويضات عن الخسائر التي أوقعوها بالبريطانيين والترك . وقد فتح الكيخيا الخطاب وبقي لبعض الوقت مرتبكاً يخفي الأمر عن الوكيل رغم أنه تسلم الخطاب من ضابط بريطاني لإحالته . ولكنه ابلغ محتوياته الى الوكيل الذي عاد وقتها للبصرة وأخبره أنه سيستجيب الى طلب الايرانيين حيث أنه ان لم يفعل فقد تنشب الحرب بين ايران وتركيا . وانسحبت القوة التركية من حول كوبان عاصمة الكعبيين .

انتداب المستر سكيب الى الكيخيا ١٠–١٦ اكتوبر ١٧٦٦

وعقب استلام خطاب الكيخيا انتدب الوكيل والمجلس واحداً منهم هو المستر سكيب لزيارة الكيخيا والاحتجاج على قراره وليشرح له بأن البريطانيين ينتظرون من الترك التعويض وأنهم لا شأن لهم بالايرانيين . وقد أقلع المستر سكيب على ظهر تارتر في ١٠ أكتوبر قاصداً خور موسى لكنه عندما علم أن الكيخيا كان في كوبان ، ترك الباخرة وتوجه الى هناك عن طريق نهر قارون .

وقد أكد الكيخيا لمستر سكيب ان انسحابه موقت انتظاراً لوصول ردود من باشا بغداد كريم خان على ما ارسله اليهم ، وان مجلس اعيانه كان مجمعاً على ضرورة ذلك . ولكنه رجاه بان تبقى مراكب البريطانيين حيث هي على أن يستمر تحمل الاتراك لتكاليفها كما تعهد بالوفاء بالوعود الخاصة التي قطعها للوكيل في البصرة بالنسبة للمعونة الممنوحة للاتراك . واعتذر عن حجبه خطاب كريم خان عن المستر ريتش وأعطاه الآن للمستر سكيب ، معللا ذلك بأنه كان يخشى اساءة نقله . وأعلن الكيخيا أنه في خلال بضعة أيام سينقل معسكره الى مصب قارون حيث يأمل أن يشرفه الوكيل باللقاء . وعندئذ يمكن أن يسوي معه كل النقط بما يكفل تحقيق منتهى الرضا منه .

وعاد المستر سكيب الى البصرة في ١٦ أكتوبر وقدم تقريره في اليوم التالي .

انتداب المستر هولمبي المقترح الى الكيخيا في ١٩ اكتوبر سنة ١٧٦٦ :

وفي ١٩ أكتوبر وبالنظر لمرض المستر سكيب ، تقرر ايفاد المستر هولمبي الى الكيخيا ليوضح له بكل جلاء مسئولية الترك عن تعويض الخسائر التي لحقت البريطانيين من كعب ، وليلح في ضرورة الوفاء الكامل بأقساط معونة الكتيبة ، وليصرف النظر عن اللقاء مع الوكيل على أساس أنه غير ميال له ، ولكن نتيجة هذه المساعي الاخيرة ظلت غير مؤكدة .

المفاوضات التى تلت والحصار الفاشل
١٧٦٦ - ١٧٦٩

ارسال حكومة بومباي للامدادات في يناير ١٧٦٧

تحققت حكومة بومباي من خطورة الموقف الناشيء عن هزيمة الحلفاء من قبل الكعوب، وقررت عندما علمت بما جرى « أن تأخذ بأسرع وأنجع الوسائل لاسترداد الدَيْن الذي لنا وإعادة الامور الى وضع يمكن أن ترضى عنه قوتنا عند عودتها الى الرئاسة بعد الحجز الطويل الذي أدى في الخليج الى أبلغ الاضرار بسادتنا المحترمين هنا وسبّب كثيراً من المضايقات لاعمالهم ، وتبعاً لذلك ارسلوا إلى البصرة في يناير سنة ١٧٦٧ السفن سال باي ، وريفانس وسلر مندلر وإيجيل وباخرة تجارية موّجرة حملت المؤن .. وعلى هذا الاسطول أبحرت نجدة حربية تتكون من بطارية كاملة من المدفعية الاوروبية وضابطين وثلاثين جندياً وخمسة وسبعين جندياً هندياً .

فشل البريطانيين في الحصول على نتائج مرضية من ثوار كعب (١٧٦٧ - ١٧٦٨)

ولكن الرئاسة اعترضت على أية حال على استمرار الحرب مع البريطانيين دون حلفاء محليين كافين . وأدت التعليمات التي أصدروها بالاتصال مع سفارة ارسلها وقتئذ كريم خان الى بغداد والبصرة الى أن تنتقل تسوية قضية كعب الى شيراز لتعلقها بتاريخ الشاطىء الايراني . واستمرت المفاوضات في العاصمة الايرانية وعُهِد بها الى المستر سكيب من إبريل الى سبتمبر سنة ١٧٦٧ . وانتهت باتفاق الوكيل بأن يدفع خمسمائة الف روبية الى شركة الهند الشرقية بشرط إعارته معونة فعالة ضد القرصان مير مهنا من خارج كتعويض عما سببته كعب من أضرار

من بينها تكاليف الحملة . لكن التفاهم لم يدم طويلا بسبب فشل الهجوم البريطاني على بلدة «خارَج» في مايو سنة ١٧٦٨ ، ولسوء التوقيت في استدعاء المستر سكيب من بعثة ثانية الى شيراز في سبتمبر التالي . وكان المسئول عن اساءة التوقيت هو الوكيل البريطاني في البصرة المستر «مور» فقد انتهى التفاهم .

الحصار البحري لكعب (١٧٦٦–١٧٦٩)

ورغماً عن المفاوضات السياسية المشروحة في الفقرة السابقة ، فان الحصـــــار البحري الذي فرض على كعب منذ بدء الحرب ، استمر فيما يبدو لمدة سنتين ، وفي اكتوبر سنة ١٧٦٧ عندما ارسلت الباخرة التاعسة ديفيانس وغيرها في حملة ضد هرمز كانت المدمره بومباي والفرقاطة والجاليفات باقية في شط العرب لهذه الخدمة . وفي بداية فبراير سنة ١٧٦٨ كان مصب قارون ما يزال مراقباً بفرقاطتين وجاليفات وبعض المواعين التركية الصغيرة .

وفي اكتوبر سنة ١٧٦٨ خفت فيما يبدو حدة الحصار لان الوكيل البريطاني والمجلس في البصرة قررا أن « الكعبيين» كانوا يبنون طوابي على جانبي النهر من شط العرب فيما يبدو ، وان الاتراك كانوا في مركز لا يسمح لهم بمنعهم وأنهم أنفسهم انتهوا الى عدم التدخل ، ولكنهم عزموا على إبقاء نصف الكتيبة البريطانية في البصرة كاحتياط وقائي .

على أن الكتيبة كما يجب أن نذكر وصلت الآن الى حالة موسفة من الكآبة بالنسبة لرجالها او مخازنها حتى إن الوكيل والمجلس خشيا أن يضطرا الى توفير الطرادات الصغيرة حتى يمكن تحصين وتموين الطرادات الكبيرة . وفي نفس الوقت تجرأ الكعبيون وأرسلوا شحنة فورت ويليام للبصرة حيث بيعت ، مما اضطر الوكيل والمجلس لاتخاذ إجراء ضد العرب والتجار الارمن وكذلك المستر روبرت جاردن نيابة عن وكلائه البنغاليين .

زعامة كعب (١٧٦٦ – ١٧٦٩)

ويظهر أن الشيخ سلمان(١) الشهير توفي حوالي سنة ١٧٦٦ . وربما بعد نهاية العدوان البريطاني على القبيلة ، نظراً لعدم وجود إشارة مسبقة عن وفاته . وخلفه ابنه او ابن أخيه غانم الذي قتل سنة ١٧٦٩ .

★ ★ ★

علاقات كعب مع البريطانيين والاتراك
١٧٦٩ – ١٧٧٩

المعونة التي اعارتها كعب الى الاتراك ضد المنتفك سنة ١٧٦٩

في خريف سنة ١٧٦٩ كما ورد في تاريخ العرق التركي أعانت الحكومة التركية قبيلة كعب في البصرة ضد المنتفك باعارتها ١٤ جاليفات منها تسع صعدت النهر في الخدمة مع قبطان باشا بينما بقي خمس منها راسية أمام «منعاوي» . وفي هذه المناسبة فان النص الآتي الذي يظهر في يوميات الوكالة البريطانية لا يبدو غير طبيعي « وإنها لظروف مريرة أن نرى مراكب الكعوب تمر تحت انف طراداتنا ولا تجروْ على مسها لأن مجرد التفكير في ذلك يعتبر جنوناً بالنظر الى العلاقات الحالية بين الكعوب والترك والى مركزنا الحالي .

---

(١) يقرر الملازم أ٠ف٠ ويلسون ــ بناء على مصادر وطنية ــ أن الشيخ سلمان توفى سنة ١٧٦٨ ٠وان خليفته المباشر كان ولده غانم الذى توفى بعد ذلك بسنة ٠وتولى المشيخة بعد غانم داود بن سلمان الذى قتل بعد ستة أشهر ، وتولى بعد داود بركات بن عثمان سنة ١٧٦٩ ٠

« أنظر : ملخص علاقات الحكومة البريطانية مع قبائل ومشايخ عربستان ٠

وقيل في ذلك الوقت إن كلا من الباشا والمتصرف قد أرسل مصحفاً ممهوراً بخاتم كالتزام أمان للمراكب التي ارسلت لمساعدتهم، وقيل إن الشيخ الذي بعد سلمان كان مشمئزاً من الصلة التي ربطت قبيلته بالفرس والتي كلفتهم ضرائب في ثلاث سنوات أكثر مما دفعوه لحماتهم الاتراك السابقين في اثنتي عشرة سنة .

الشئون القبلية واقتراح بعث المطالب البريطانية ١٧٧١

وفي أغسطس سنة ١٧٧١ كان اسطول كعب مكوناً من ١٤ أو ١٥ مركباً من نوع «جاليفات» وذكران الشيخ الجديد للقبيلة وهو «بركات» الذي قيل إنه حكم من سنة ١٧٧٠ الى سنة ١٧٨٢ قد سمل عين «بسبوس» الابن الوحيد الباقي على قيد الحياة لعمه الشيخ الاسبق «سلمان». وفي ذلك الوقت اقترحت حكومة بومباي على الوكيل والمجلس بالبصرة أن يتصلا بزعيم كعب في شأن التعويضات عن خسائر سنة ١٧٦٥ ولكن الموظفين المحليين اعترضوا على ذلك لان الشيخ الحالي بخيل كسابقيه ، من ناحية ، وبسبب السلم السائد كأمر واقع والذي يمكن أن يتعكر باحياء الطلبات القديمة من الناحية الاخرى ، وخاصة إذا لم تؤيد هذه الطلبات بالقوة .. ولم يتخذ أي اجراء على ما يبدو ، ورغماً عن الصداقة التي سادت علاقات الترك مع الكعوب فانهم ظلوا عاجزين عن استرداد دين قديم لهم يزيد عن ٢٠,٠٠٠ روبية .

شقاق جديد بين كعب والاتراك سنة ١٧٧٣

وقرب نهاية عام ١٧٧٣ ساءت العلاقات بين الترك وكعب الذين حاصروا شط العرب بثلاثة «جاليفات» معطلين بذلك تجارة البصرة .

تراخي كعب عن مساعدة الحكومة من سنة ١٧٧٣ الى سنة ١٧٧٤

وبعد ذلك بقليل وصلت اوامر من كريم خان بطلب المدد لتدعيم الاسطول الذي يجمعه للاعتداء على إمام مسقط . ويقال إن شيخ كعب

خرق بعضاً من سفنه ، وعرضها بهذه الحالة على مندوبي الوكيل كبرهان على عدم قدرته على اطاعة الاوامر .

وفي اوائل السنة التالية اعتذر الشيخ أيضاً عن الاستجابة الى طلب ارسال حظيرة من ١٥ شخصاً لمساعدة زكي خان في بندر عباس . وبعد ذلك بقليل ، عندما بدأت الشائعات تذاع عن نيات كريم خان للاستيلاء على البصرة . أكد شيخ كعب للمتصرف التركي على البصرة أنه بدلا من مساعدة الايرانيين في الهجوم فانه سيرحل عن دورق بكل اسطوله حال ابتدائهم الزحف من شيراز .

ولقد كان ولاء كعب للايرانيين محل شك كبير في ذلك الوقت حتى إن المتصرف تعشم في مساعدات فعالة من القبيلة ، وفكر أن الأمر يستحق الحصول على تأكيد من الوكيل البريطاني بعدم تعرض الكتيبة البريطانية لسفن كعب اذا جاءت لتشارك في الدفاع عن البصرة ضد أهل ايران .

محاولة كعب أسر السفينة التركية « فايز اسلام » عام ١٧٧٤

وعلى أي حال فقد كان شيخ كعب بعيداً عن المودة الخالصة للترك حتى إنه عند وصول السفينة التركية «فايز اسلام» لمصب شط العرب ارسل كل اسطوله المكون من ٢٤ جاليفات واربعة قوارب مسلحة لأخذها . وعندما علم متصرف البصرة بذلك لجأ الى الوكيل البريطاني للمساعدة . فارسلت السفينة «ريفنج» فوراً الى الموقع . وعند وصولها المكان في ١٣ أبريل سنة ١٧٧٤ وجدت «فايز اسلام» راسية خارج حاجز الموج . بينما وقف اسطول كعب داخل الحاجز ، وهو وضع كان يواجه فيه كل من الطرفين الآخر لمدة ثلاثة أيام . ويبدو من انسحاب وكيل زعيم كعب من البصرة في نفس ذلك الصباح أنه لولا ظهور البارجة الانجليزية «ريفنج» في الوقت الملائم لكان محتملا ان تهاجم

القوارب الكعبية السفينة التركية . ولكن الكعبيين اختفوا بمجرد ظهور «ريفنج» البريطانية التي وصلت وفي صحبتها فايز اسلام الى البصرة يوم ١٥ أبريل . وبعدئذ اتخذ شيخ كعب اسلوباً تهديدياً ، فاستدعى رعاياه من البصرة حيث انسحبوا ليلة ١٧ أبريل هم وجميع أسطوله عن مصب قارون وخشي في ذلك الوقت أن يكون الرجل بتحريض من كريم خان يرتب هجوماً على مدينة البصرة او هجوماً ليلياً على الكتيبة البريطانية المعسكرة هناك .

غارات ليلية لكعب على مدينة البصرة في يناير ١٧٧٥

وفي يناير سنة ١٧٧٥ عندما بدأت تزداد المخاوف من الهجوم الفارسي على البصرة سبب الكعبيون فزعاً كبيراً بسبب سلوكهم الانتقامي لما فعله المتصرف من إعدامه لقاطع طريق من قبيلتهم . فقد دأبوا على المجيء لعدة ليال متتابعة في زوارق صغيرة والوصول للمدينة في جماعات قليلة، واغتصاب المنازل الخاصة ، والاختفاء في الصباح مع اسلابهم . ولكي يضع المتصرف حداً لهذا الاضطراب فقد قوّى حرس المدينة باستئجار عرب من الزبير والزام المواطنين بالمشاركة في الرقابة والحراسة . ولكن الجزء الاكبر من المدينة ساعد الغاصبين الذين استمروا في القرصنة كما كانوا قبلا وهزموا الجماعات المسلحة التي ارسلت لمقاتلتهم . وفي إحدى المرات حاولوا اشعال النار في السوق .

أعمال الكعبيين لدى سقوط البصرة بأيدي الايرانيين واصطدامهم مع السفن البريطانية ١٧٧٥ — ١٧٧٦

وفي الواحد والعشرين من مارس سنة ١٧٧٥ قبيل بدء هجوم الفرس الفعلي على البصرة بأيام ، صعدت ١٤ جاليفات كعبية النهر لتنضم الى معسكر الفرس قرب القرية ، فهاجمتها الكتيبة البريطانية في البصرة . ونتيجة الهجوم مذكورة في قسم العراق التركي . وقد اسرت السفينة الحربية البريطانية «الإنجيل» أحد مراكب كعب وكان طوله ٨٤ قدماً وعرضه ٢٣ قدماً مبنياً مثل قوارب لندن الطويلة الضيقة وله مؤخرة ساحبة وقلع واحد طويل يتصل به شراع كبير ويمكن دفعه أيضاً

بأربعة وعشرين مجدافاً وكان مسلحاً بعشرة مدافع عيار ستة ارطال على عربات . وفي إبريل سنة ١٧٧٦ بعد إخلاء المدينة من الترك فان الباقي من أسطول كعب كان كما قيل يرسو أمام ميناء فيها مركبان أو ثلاثة أرسلت الى دورق للاصلاح .

وعندما علم كريم خان بنجاح العمليات الفارسية في البصرة ارسل أو امرالى صديق خان لاستدعاء الشيخ بركات الى هناك وإعلانه بالنتيجة ولكنه كان لا يعلم شيئاً سواء عن الدافع لتلك التعليمات اونتيجتها .

وفي أغسطس سنة ١٧٧٧ ، نهب الكعبيون بعض أموال التجار من لشبونه وغالباً من البحر ، ولكن هذه البضائع أعيدت الى أصحابها في يناير سنة ١٧٧٨ بأوامر من كريم خان .

★ ★ ★

حكام أسرة الزند بعد كريم خان

يوجد ملخص لتاريخ فارس العام في عهد الخلفاء المباشرين لكريم خان في الفصل الخاص عن هذا المجلد الذي يتناول امور الشاطىء الفارسي ويتضح بالرجوع الى البيانات المعطاة فيه أن عربستان لم تكن خلال هذه الفترة مسرحاً لاية تغييرات وطنية ذات قيمة . ولا بد أن يكون جزء من المقاطعة قد أدمج في سلطة جعفر خان عندما كان حاكماً على بهبهان وشوشتان في عهد والده صديق خان .

★ ★ ★

التاريخ الداخلى لعربستان ١٧٧٩ ـ ١٧٩٥

لا يُعلم إلا القليل عن التاريخ الداخلي للمقاطعة خلال حكم آل الزند ولكن يبدو أنه من المؤكد أن قبيلة كعب استمرت في السيادة على أحياء عربستان المجاورة للخليج وانها كانت تتمتع باستقلال ذاتي واقعي في الامور المحلية .

المتعاقبون على المشيخة

في سنة ١٧٨٢ قتل الشيخ بركات وتولى بعده ابن عمه غضبان بن سليمان وهذا الاخير قتل سنة ١٧٩٢ وخلفه مبارك بن بركات .

وفي سنة ١٧٩٤ خلع «فارس بن داود» مباركاً هذا . ثم طُرِد فارس هذا بدوره بعد ذلك سنة ١٧٩٥ تاركاً مكانه لقريب له بعيد الصلة به اسمه « علوان » .

شوشتان في عام ١٧٩٠

وفي عام ١٧٩٠ جاء من مدينة شوشتان «وهي مدينة ذات أهمية بالغة لموقعها على ملتقى طرق التجارة التي استمرت بينها وبين البصرة ولا سيما لوجود صناعة الاقمشة الملونة بها» ، جاء أن حكومتها كانت في يد «خاند كان» عندما ظل في مركز حكمه لا يعترف مدى سنوات عديدة بسيادة الحكومة في شيراز عليه . وكان اعتماده في المدينة على كبار أهلها الذين كانوا دائماً حذرين منه لئلا يسيء استعمال سلطاته .

★ ★ ★

العلاقات الخارجية لعربستان ١٧٧٩ ـ ١٧٩٥

خلال الجزء الاخير من القرن الثامن عشر تطورت في البصرة ازمة سياسية من المؤكد أنها استرعت انتباهاً مباشراً من شيخ كعب . ولم يكن جلاء الفرس عن البصرة في ربيع عام ١٧٧٩ استثناء من هذه القاعدة العامة . ويرد شرح سلوك كعب في هذه المناسبة ، وهو امر لا يلامون عليه ، حيال الحكومة العربية المؤقتة بالبصرة وحيال دار المقيم البريطاني مشروحاً في مكان آخر في تاريخ العراق التركي . وقد مر صديق خان قائد الحملة الايرانية المنسحبة من البصرة بالكعبيين في دورق .

استيلاء كعب وبكير خان على بوشهر عام ١٧٧٩

وفي يوليه عام ١٧٧٩ لدى اغتصاب الزعيم التنجستاني «بكيرخان» للسلطة في حكومة بوشهر اعتمد هذا كثيراً على النجدة التي جاءته من

الكعوب وهي نجدة طلبها بمجرد استيلائه على بوشهر ، ولكن كما ذكر في تاريخ الشاطىء الفارسي فان شيخ كعب الذي كان مشغولا في حرب مع جارٍ قوي لم يستطع أن يقدم له أية مساعدة حقيقية .

الحرب مع العتوب عام ١٧٨٠

وفي يوليه عام ١٧٨٠ كانت قبيلة كعب في حرب مع عتوب الزبارة في قطر والكويت ولكن أسباب ذلك وطبيعته ونتائج الصراع كلها غير واضحة .

العلاقات بين كعب والاتراك في عامي ١٧٨٤ و ١٧٩١

واستمرت العلاقات بين كعب وعرب وأتراك البصرة وما حولها غير واضحة ومتأرجحة . ففي زمن سابق لسنة ١٧٨٢ استولى الكعبيون بزعامة الشيخ بركات على منطقة نجيدي الحصبة الواسعة بين تامان وحفار من أملاك الترك وخصصها لعرب «بادي» . وهي القبيلة التي تزوج منها .

وقرب نهاية عام ١٧٨٤ كانت تقع حرب بين كعب وقبيلة المنتفك التي قام زعيمها «ثويني» في ذلك الوقت بالتعاون مع الأتراك بغارة ملحوظة على اراضي كعب في شهر نوفمبر ، وسنرى ذلك في تاريخ العراق التركي . وفي عام ١٧٧٨ عندما سقطت البصرة موقتاً في أيدي ثويني ويبدو أن كعباً تعاونت مع الاتراك في طرد المعتدين .

ومذكورعن الشيخ(١) « غدلان » الذي حكم من سنة ١٧٨٢ إلى سنة ١٧٩٢ أنه «امتلك جميع الشاطىء الأيسر لشط العرب إلى جارديلان بل وحتى إنه استعمر مع الكعوب الشاطىء الايمن من البحر حتى مسافة عشرة أميال من البصرة . وكان في امكانه امتلاك المدينة نفسها . لكنه خشي الاعتداء على اراضيه الواسعة ، وبالتالي فقد رأى أن السياسة السليمة هي في الانسحاب كلية من الشاطىء الأيمن وتركيز قواته بين الشط والجراحي

وفي خريف عام ١٧٩١ ، وكما هو مذكور تفصيلا في تاريخ العراق التركي ، حدثت معركة بحرية بين أسطول كعب وبعض المراكب العمانية

(١) انظر رولنسون · مذكرة عن النزاع ·· الخ ١٨٤٤ ·

المشحونة بالبن والمتجهة الى البصرة . وهزم الكعبيون الذين يبدو أن قوتهم البحرية قد ضعفت في ذلك الحين ، ودمر الجزء الاكبر من جاليفاتهم وهي خسارة استعدوا للانتقام لها من العمانيين عند عودتهم من البصرة ، وأرادوا ان يحملوا الاتراك مسئوليتها . وفي نهاية السنة وقع اشتباك غير فاصل بين الاسطول التركي الذي كان يحمي الزائرين الخارجين من شط العرب وبين بعض بطاريات المدفعية التي أقامها الكعبيون على الجانب التركي للنهر . ولكن الاتراك رغم انزعاجهم من الحادث لم يتخذوا أي اجراء ضدهم فيما يبدو .

واثناء استمرار النزاع قدم «الكعوب» براهين مقنعة عن صداقتهم للشعب الانجليزي ، بسماحهم للجاليفات التي استأجرها المقيم البريطاني لنقل السير مكدونالد من البصرة الى مسقط بالمرور أمام مدفعيتهم في أحسن حالات التكريم كما في الحالات الاخرى .

★ ★ ★

آغا محمد خان ١٧٩٥ ــ ١٧٩٧

لدينا معلومات قليلة عن أحوال عربستان وتطور الاحداث فيها خلال حكم آغا محمد خان أول ملوك القاجار في فارس ، الذي حكم من ١٧٩٥ الى ١٧٩٧ . وكانت مشيخة القبيلة في ذلك الوقت في يد «علوان» الذي اغتصبها في سنة ١٧٩٥ واحتفظ بها حتى سنة ١٨٠١ . وفي هذا العهد فرضت على كعب الجزية التي كانت تدفعها الأفشار وهم السكان الاصليون قبل أن تطردهم قبيلة كعب ، ومقدارها ٤٠٠٠ تومان في السنة . ولم يكن يُجمَع أكثر من ربع هذا المبلغ في المتوسط ولكن على أي الحالات فقد اعتاد شيخ كعب ارسال هدايا من الخيل والمال الى الحاكم العام لفارس في شيراز .

فتح علي شاه (١) ١٧٩٧ - ٧٨٣٤

ابتدأت عربستان في عهد فتح علي شاه تُعامَل كاحدى مقاطعات الامبراطورية الفارسية نظرياً وحقيقياً . وكان من نتائج هذا التغير إخراج المنطقة ولو جزئياً من دائرة الظلام التي احتوتها منذ العدوان الانجلو تركي على كعب سنة ١٧٦٦ .

★ ★ ★

علاقات الحكومة الفارسية المركزية مع عربستان ١٧٩٧ - ١٨٣٤

حكومة ميرزا ابو الحسن قبل عام ١٨٠١

كان «ميرزا ابو الحسن» من اول من عينوا او استمروا في الحكومة في عهد «فتح علي شاه» وهو رحالة فارسي ثم أصبح مبعوثاً الى البلاط البريطاني . وكانت عاصمة حكومته في شوشتار وهي أعظم بلاد المقاطعة وقتئذ . وكان ابن اخت رئيس الوزراء في ذلك الحين الحاج ابراهيم ، متزوجاً من ابنته أيضاً . وفي سنة ١٨٠١ او ١٨٠٢ عند سقوط نفوذ حميّة ، انتهت فجأة امارته على عربستان .

حكومة محمد علي ميرزا حوالي ١٨٠٧ - ١٨٢٢

وتلاه مباشرة او بعد فترة قليلة الابن الاكبر لفتح علي شاه الذي

---

(١) المصادر الرئيسية لتاريخ عربستان خلال هذه الفترة هي :
ستوكار : خمسة عشر شهرا من الحج ١٨٣٢ .
رولنسون : مذكرة عن النزاع بين فارس وتركيا حول المحمرة والمركز السياسي لقبيلة كعب سنة ١٩٤٤ .
أ.هـ. ليارد : وصف مقاطعة خوزستان سنة ١٨٤٦ .
لورد كيرزون : فارس المجلد الثاني ١٨٩٢ .
راجع أيضا :
الملازم أ.ت. ويلسون : ملخص علاقات الحكومة البريطانية مع مشايخ وقبائل عربستان ١٩١٢ .

حكم أيضاً كرمانشاه وكردستان الفارسية ومعهما عربستان على ما يظهر من سنة ١٨٠٦ او قبل ذلك حتى وفاته سنة ١٨٢١ او ١٨٢٢ .

وميز هذا الامير عهده بإصلاح أهم الاعمال العامة الرئيسية في «شوشتر» أي إصلاح السدين المقام اولهما عند منبع نهر الجرجا ، والثاني على منبع ديزفول . ولكن الاخير ،رغم استمرار العمل فيه لمدة اربع سنوات (أكمل سنة ١٨١٠) تكلف فيها مبلغاً كبيراً من المال فيما نفذ تحت إشراف بريطاني ، دمر مرة أخرى في فيضان سنة ١٨٣٢ . وفي سنة ١٨١٨ ارسل محمد علي ميرزا قوة ضد الفلاحيه حيث استخلص من شيخ كعب مبلغ ١٣,٠٠٠ تومان تحت حساب الجزية المطلوبة منه لحكومة فارس .

ولا تبدو التنظيمات الادارية الفارسية لعربستان بعد سنة ١٨٢٢ واضحة ، ولكن يبدو واضحاً أنها استمرت في حالة شبه خضوع حيث كان الخراج يجمع منها على فترات بأيدي تجريدات عسكرية . وبمجرد انسحابها يعود الزعماء المحليون مثل شيخ كعب او والي الحويزة لاستئناف الغارات ضد بعضهم او يستبدلون رسمياً بمن يتولى سلطاتهم المتوارثة .

وخلال فترة من الوقت على الاقل في عهد فتح علي شاه كان أحد الموظفين الرئيسيين في شيراز يتسلم جانباً من راتبه على هيئة مُقرَّر سنوي قدره ١٠٠٠ تومان من الجزية المفروضة على قبيلة كعب .

★ ★ ★

تاريخ عربستان الداخلي
١٧٩٧ ـ ١٨٣٤

شئون قبيلة كعب :

كانت مشيخة قبيلة كعب في بداية عهد فتح علي شاه ما تزال لعلوان الذي طرد سنة ١٨٠١ على يد محمد بركات الذي احتفظ بمركزه حتى سنة ١٨١٢ . وكان خليفة «محمد» هو «غيث» حفيد الشيخ الشهير سلمان

وقد بدأ عهده سنة ١٨١٢ واستمر حتى سنة ١٨٢٨ حين قتل . وتلا غيث أخوه «مباشر» الذي حكم لمدة ثلاث سنوات ثم تلاه شيخ يسمى «عبدالله بن محمد» . وحوالي سنة ١٨٣٢ تولى المشيخة «تامر بن غضبان» .

ارتقاء قبيلة المحيسن وتأسيس المحمرة ونموها

كان انشاء مدينة المحمرة سنة ١٨١٢ حدثاً هاماً ، وقد اسهمت مادياً في تقدم قبيلة المحيسن التي لم تكن من قبل شيئاً مذكوراً ، ثم قدر لزعيمها أن تخلف شيخ كعب كقوة سياسية رئيسية في جنوب عربستان . لقد انشئت المحمرة بناء على اوامر شيخ كعب «غيث» لتكون مركزاً طليعياً حربياً ضد الترك او القبائل العربية الخاضعة لنفوذ الترك ، وقامت أصلا على جانبي نهر قارون ، وكان البناة الفعليون هم من قبيلة محيسن ورئيسهم مبرضو ، الذي كان مولى من موالي شيخ كعب ونجله حاجي يوسف . وتبع هذين الرئيسين حوالي سنة ١٨٩٩ حاجي جابر بن مبرضو أخو حاجي يوسف .

وقد كشفت عدة مغامرات خطرة قام بها حاجي جابر من مكان استقراره في الجزء الايمن على الشاطىء الشمالي لنهر قارون اتجاهه الى توكيد استقلاله عن زعيم كعب . ولكي يوقف شيخ كعب خطط حاجي جابر قام بتحصين القسم الجنوبي من المحمرة الواقع على الشاطىء الايسر للنهر ، والذي عرف تبعاً لذلك بـ «كوت الشيخ» او «قلعة الشيوخ» . وخلال حكم الشيخ غيث كان يقود حامية «كوتاشي شيخ» أخوه مبادر أو مباشر ، وقد عهد هذا الاخير عندما تولى مشيخة القبيلة لاخ آخر لهما هو تامر بزعامة الكوت .

وفي عام ١٨٣٠ أضحت المحمرة التي باتت قاصرة على القسم الايمن للنهر والخاضعة للمحيسن بلداً كبيراً نما من مجرد طابية صغيرة الى مدينة كبيرة ، وصارت مركزاً تجارياً ذا اهمية معتبرة ، وبدأت في اجتذاب الاهتمام العام .

طاعون سنة ١٨٣٢

وامتد الطاعون الذي تفشى في العراق التركي في عامي ١٨٣١–١٨٣٢

الى عربستان حيث سبب كثيراً من الدمار ، وغالباً كان ذلك في عام ١٨٤٢. وتقول رواية لاشك فيها ان الوباء قضى على ما يقرب من نصف عدد السكان .

ومن المؤكد ان شوشتر التي كانت حتى ذلك الوقت أهم مدن عربستان قد انحدرت حوالي ذلك الوقت بسرعة غير عادية الى مكان ثانوي أقل أهمية من ديزفول . ويبدو أن الطاعون كان أحد أسباب ذلك ، اذ كان أثره على شوشتر أكبر مما أثر على ديزفول . كذلك سدد الوباء ضربة قاسية للحويزة أيضاً .

★ ★ ★

علاقات عربستان مع تركيا ١٧٩٧ ـ ١٨٣٤

رأينا أنه خلال الجيل الذي تلا الحملة الانجلو تركية غير الناجحة ضد كعب عام ١٧٦٦ ، اعتدى الكعبيون على الاراضي العثمانية اعتداء بالغاً حتى إنهم عمروا مستعمرات لهم على الشاطىء الايمن او الغربي لشط العرب ، ولكن على أي الحالات فان الشيخ غيث لجأ فيما بين عامي ١٨١٢–١٨٢٢ الى الاقتصار على حدود اراضي كعب كما أسسها الشيخ سلمان . فلم يحتفظ بأملاك على شط العرب أعلى من حي تامر(١) لكنه في هذا الانسحاب كان متأثراً بالرغبة في عدم الاصطدام مع قوة «قبيلة المنتفك» النامية ، ولضرورات الاستعدادات ضد ايران وليس بدافع احترام لحقوق او رغبات الحكومة التركية . وكان ذلك مرتبطاً بسياسته في تركيز سلطانه كما سبق ان ذكر ضمن مركز حدود محصنة في الموقع الذي أصبح فيما بعد يدعى بلدة « المحمرة » .

(١) أمكن حديثا تحديد موضع حي تامر وهو يقع على الشاطىء الشرقي لشط العرب أعلى فيلية بأربعة أميال . (أنظر تقرير المليونيات أ.ت. ويلسون) عن مهمة خاصة الى المقيم بالخليج العربي المؤرخ ١٩١٢/٥/٥ .

الحدود بين عربستان والعراق التركي

لقد كانت المعاهدة التي ختمت الحروب التركية الايرانية على الحدود عام ١٨٢١–١٨٢٢ مجرد تأكيد لاوضاع الحدود كما رسمها الاتفاق القديم بين السلطان ومراد الرابع العثماني والشاه اسماعيل الصفوي الايراني ، وبها تبعت خوزستان لايران، وتبع العراق العربي لتركيا . ولكن مثل هذا الاتفاق كان بالطبع عرضة لاثارة النزاع من جديد .

متاعب بين شيخ كعب والسلطات التركية في البصرة ١٨٢٧

وفي عام ١٧٢٧ عندما وجد الشيخ غيث نفسه متورطاً في المتاعب مع السلطات التركية في البصرة طلب عون سلطان عمان ، ولكن لا ندري هل كان ذلك لاغراض الدفاع اوالهجوم ، وأحال حاكم عمان ملتمسه الى المقيم البريطاني في الخليج العربي . ولكن لعدم موافقة المقيم عليه لم ترسل أية معونة من مسقط ، وتبعاً لذلك تفاهم الشيخ غيث مع باشا بغداد وارسل اليه رسلاً . وقبل ان يستتب السلام يبدو انه نجح في الانتقام لاكثر من هجوم وقع على الفلاحية من الترك وحلفائهم المنتفك وشعب الكويت .

★ ★ ★

العلاقات البريطانية مع عربستان
١٧٣٤ ـ ١٧٩٧

إقامة المساعد السياسي البريطاني في العراق التركي موقتاً في المحمرة عام ١٨٢٠ :

وقرب نهاية عام ١٨٢٠ ، وكما ورد في تاريخ العراق التركي ، انتقل الرائد تايلور المساعد السياسي البريطاني بالبصرة بصفة موقتة هو ومكتبه الى المحمرة بناء على تعليمات رئيسه المقيم البريطاني في بغداد وذلك من جراء المتاعب التي نشأت مع باشا بغداد حول الحقوق والامتيازات البريطانية .

وتشير الحقائق الى اظهار المحمرة وكأنما كانت تعتبر في ذلك الوقت خارج نطاق الادارة التركية ونفوذها الفعال .

زيارة المستر ستوكلر لعربستان عام ١٨٣١

وفي سنة ١٨٣١ ، قام المستر ج. ه. ستوكلر وهو صحفي بريطاني هندي بجولة في عربستان على أساس أنه رحالة حين كان الشيخ «مبادر» يحكم قبيلة كعب ، وقد ترك ملاحظات عن زيارته لعربستان في كتابه المسمى « حجة خمسة عشر شهراً خلال المسالك غير المطروقة في خوزستان وايران » .

★ ★ ★

محمد شاه ١٨٣٤ ــ ١٨٤٨ (١)

وقع خلال حكم محمد شاه لايران نزاع بين تركيا وايران على ملكية جزء من عربستان يشمل المحمرة . لكنه في النهاية آل إلى ايران . وفي التاريخ الداخلي لعربستان كانت المعالم البارزة لهذه الفترة هي العناد الصلب على من تكون له السيادة : لشيخ كعب في الفلاحية أم لامتداد

(١) يعتبر لايارد المرجع الرئيسي تقريبا لكل المسائل المتعلقة بتاريخ عربستان خلال هذه المدة أساسا في كتابه « مغامرات مبكرة في فارس وسوسه وبابل ١٨٨٧ » وأيضا في كتابه « وصف مقاطعة خوزستان» مجلة الجمعية الجغرافية الملكية مجلد ١٦ سنة ١٨٤٦ صفحة ١ ــ ١٠٥ .

وتحتوى مذكرة العقيد رولنسون عن « النزاع بين تركيا وايران حول المحمرة والوضع السياسى لقبيلة كعب ١٨٤٤ » معلومات قيمة عن الموضوعات التى يدل عليها العنوان .

كما يلقي كتابه « ملاحظات على مذكرة فارسية سنة ١٨٤٤ أيضا بعض الضوء على استيلاء الترك على المحمرة سنة ١٨٣٧ . وترد في ذيل مذكرة السيد « الوين باركر » مذكرة بشأن الحدود بين المحمرة وتركيا التى طبعت سنة ١٩١٢ لاستعمال وزارة الخارجية .

وتناول لايارد مسائل الملاحة في النهر . ولكن المصدر الاختصاصي بهذا الموضوع هو سيلى الذى يوجد تقريره عن « الملاحة في أنهار قارون وديزفول وقناة أبى الجرجار حتى شوشتر » في صحيفة الجمعية الجغرافية الملكية مجلد ١٥ سنة ١٨٤٤ صفحات ٢١٩ الى ٤٦ ١ . ويمكن أيضا الرجوع الى كتاب الملازم س.ر.لو « تاريخ=

سلطان الحكومة المركزية الايرانية بشكل فعّال او غير قليل الفاعلية الى شواطىء شط العرب .

ولم يكن الصراع قائماً على ملكية المحمرة بين تركيا وايران فقط ، ولكن أيضاً بين شيخ كعب وشيخ المحيسن . وهذا جعل التاريخ السياسي للمقاطعة في هذا الوقت مختلطاً جداً حتى إنه يحسن بنا أن نترك تقسيمنا المعتاد للموضوع . ونعالج الاحداث تقويمياً متى كانت متعلقة بالمصالح التركية والايرانية . ولكن المصالح البريطانية والمصالح الاجنبية الاخرى ستعالج منفصلة عن الموضوعات الاخرى ويخصص لها موضع خاص للفترة كلها .

التقسيمات الادارية لعربستان ١٨٣٤

في بداية حكم محمد شاه كانت عربستان مكونة من ثلاثة أقسام إدارية . ديزفول وشوشتر التي كانت اسمياً تحت حكم موظف تعينه الحكومة المركزية . ثم الفلاحية والمحمرة التابعتان لمشيخة كعب الوراثية . ثم الحويزه التي كانت تحت ولايات وراثية لسلالات من السادة والعرب .

شوشتار ودزفول

وكان الحاكم الايراني لعربستان يقيم عادة في ديزفول ويشمل سلطانه هذه المدينة وشوشتر وبعض القبائل العربية المعتمدة على هذين المركزين وعلى الاحياء الملاصقة لها مباشرة . ونادراً ما تعدى حرس الحاكم ٥٠ أو ٦٠ فارساً . وكانت ارزاقه التي يجمعها بنفسه تبلغ ٥٠٠٠ تومان او ٢٥٠٠ جنيها سترليني . وكان الدخل المقرر للحكومة المركزية على الاقليم

البحرية الهندية » . ومن المراجع الاخرى النافعة :
مارون س.أ. ديبور « رحلات في لوريستان وعربستان ١٨٤٥ »
لوفتس « رحلات وابحاث في كلديا وسوسيا في ١٨٥٧ » .
لورد كيرزون « فارس والمسألة الفارسية ١٨٩٢ » .
ملازم أ.ن. ويلسون « ملخص علاقات الحكومة البريطانية مع قبائل ومشايخ عربستان ١٩١٢ .
مختارات بومباى رقم ٢٤ . الخليج الفارسى ١٨٥٦ ذو قيمة عرضية .

الذي تحت سلطانها ٤٠,٠٠٠ تومان سنوياً . وكان يمسك حساباتها موظف يسمى «المستوفي» يعينه المحاسب العام ، وهو ديوان من دواوين الحكومة المركزية . وكانت مدينتا ديزفول وشوشتر تداران داخلياً بطريقة غير نظامية بمعرفة زعمائهما المشاغبين . ولكن كان لأعيان السادة والمجتهدين والملات نفوذ معتبر في المسائل العامة هناك . وكان للحاكم الايراني قليل من السلطة الفعالة بحيث إن عامله كان يقتل او يطرد قبل نهاية سنة من حكومته .

الفلاحية والمحمرة

وكانت أعظم قوة في المقاطعة كلها خلال هذه الفترة اذا استثنينا خانات البختياري ، الذين كان نفوذهم منتشراً في الاحياء الشمالية من عربستان ، هي قوة شيخ قبيلة كعب الذي كان مقره في الفلاحية ، وكان هو الاقوى سلطاناً بصورة عامة في أحياء الفلاحية والمحمرة والأهواز وجراحي وهنديان .

وكان اشراف الخان مطلقاً على قبيلته ، وبصورة معتبرة على قبيلة محيسن . كما دان له بولاء مشكوك فيه نوعاً ما قبائل الباوية وبنو تميم . ويبدو أن الاشراف(١) الذين كانوا ضمن القبيلة الاخيرة في ذلك الوقت لم يكادوا يدينون له بأي ولاء . وكانت قوته الحربية من كعب ومحيسن والحيادر حوالي ٧٠٠٠ مقاتل منهم ثلاثة آلاف من المشاة المسلحين جيداً بالبنادق والف فارس . والباقون مجهزون بالسيوف والحراب كيفما اتفق .

ومن المحتمل أن يكون الشيخ قادراً على تجنيد قوات اضافية ولكنهم لم يكونوا مجهزين بأسلحة نافعة . وتكونت مدفعية الشيخ من ثلاثة مدافع انجليزية صغيرة ولكنها صالحة للعمل ومركبة بدقة ، ويعمل عليها ٤٠ فارسياً تدربوا على يد خبير هارب من المدفعية الفارسية . وكان عنده

---

(١) كان الاشراف ظاهرين في ذلك الوقت بأنهم من الكثرة بحيث أنه يبدو ضروريا أن نفترض أنهم بعينهم بنو تميم الحاليون .

أيضاً عدة مدافع مختلفة العيار غير مركبة ، واثنان او ثلاثة مدافع «مورتر» لم يكن قادراً على استعمالها . ومن بين اتباع الشيخ الذين لا يعتمد عليهم كان هناك الف فارس بجانب بعض المشاة يعوزهم السلاح الجيد ، بينما كان الاشراف (او بنو تميم) يحشدون الفي فرس و ٧٠٠ من المشاة .

وكانت الجزية السنوية التي يدفعها الشيخ للحاكم العام الايراني في ايران ، الذي كان يرتبط معه بعلاقات مالية وليس مع حاكم عربستان الايراني حتى سنة ١٨٤٠ هي ٣٤٠٠ تومان او ١٧٠٠ جنيه استرليني فقط ، كما لم يكن هناك أي ممثل للحكومة الفارسية مقيماً في أملاكه ، وهاتان علامتان موكدتان على استقلاله الحقيقي .

وكان المتولي مشيخة كعب سنة ١٨٣٤ هو ناصر بن غضبان من فرع آل بو ناصر من قسم «دريس» وهو الذي خلف قريبه عبدالله بن محمد حوالي سنة ١٨٣٢ كما ذكرنا آنفاً . وكان وزيره او مستشاره الرئيسي حاج مشعل من فرع «نصار» .

شخصية الشيخ ثامر شيخ كعب وسياسته الداخلية

يقول لايارد(١) لم يكن مظهر الشيخ ثامر جذاباً وكان رجلا طُوالا له هيبة آمره ، ولكن ملامحه كانت خشنة وسوقية بخلاف غالبية البدو ذوي الاصول العالية . وكانت جبهته ناتئة كجبهة زنجي . ويرجح أنه كان يجري في عروقه دم أسود مثل أكثر العتوب الذين نبذوا حياتهم البدوية وتزوجوا من الجواري . وكان ثامر وباعتباره عربياً رجلا مرموقاً بلا ريب . وتدين البلد التي حكمها بكثير من الرخاء الذي تمتعت به حينئذ الى تشجيعه للزراعة والتجارة وللحماية التي منحها للاجانب وللتجار في أراضيه . وكانت الترع والقنوات التي تعتمد عليها خصوبة التربة مصانة في حالة جيدة ، ويجدد غيرها باستمرار . وكان اعلان المحمرة ميناء حراً هو السبب في أن أضحت مستودعاً هاماً للبضائع ليس فقط لتموين مقاطعة خوزستان ولكن لسكان الاراضي التركية المجاورة .

ورغم ان الشيخ كان محل الاحترام من رعاياه الذين كان له عليهم

(١) انظر كتابه « مغامرات مبكرة » مجلد ٢ صفحات ٦٣ ـ ٦٦ .

سلطان غير محدد(١) ورغم سمعته بينهم كشخص شجاع وذكي الا أنه لدى أهالي عربستان التركية كان يوسم بالغدر والخيانة ، وأنه يحمل فوق رأسه دم أكثر من قريب قتله في سبيل الوصول الى المشيخة . وكان الشيخ كريماً على السادة المشايخ ، الذين تجمعوا في الفلاحية وتجاوزوا عن افعاله الشريرة . وكان الباوية والاشراف مصدر متاعب دائمة للشيخ ثامر . وقد حملت القبيلة الاولى السلاح غير مرة في وجه الشيخ ثامر . وسيبدو من خلال سردنا للاحداث كيف كانوا ينضمون الى اعدائه في الساعات المحرجة .

علاقات الشيخ ثامر بالحاج جابر شيخ المحمرة

ولكن المصدر الاكبر لتعب شيخ كعب كان عدم ولاء الباوية او الاشراف بسبب نزوعهم للاستقلال ونمو ثروة وقوة مولاه شيخ محيسن بالمحمرة وكان عندئذ هو «حاج جابر» . ولم يكن شيخ المحمرة يُعدّ في وضع يسمح بالخروج على تبعيته للفلاحية . واستمر في دفع حصته في الجزية السنوية المقررة على رئيسه الى حكومة شيراز ، وارسال حشود من قبيلته للمساعدة في الدفاع عن الفلاحية عند أي تهديد . ولكن تنفيذه لهذه الالتزامات كان ناقصاً وفيه قصور . كما أنه أنشأ علاقات خاصة لم يكن ينقصها شيء من خيانة سيده مع حاكم عربستان الفارسي ووالي الحويزة وربما أيضاً مع حاكم البصرة التركي(١) . وفي سبيل مراقبة حركات الشيخ جابر ومحاولة إخضاعه ارسل ابن أخيه «فارس بن غيث» ليقيم ممثلا له في كوت الشيخ المواجهة لمدينة المحمرة الرئيسية . كما أقام هو نفسه في زمن سابق ممثلا لاخيه مبادر .

علاقات الشيخ ثامر مع الترك

وبالنظر لحساسية الشيخ الشديدة لخطورة محاولات الايرانيين مدّ نفوذهم او تنظيم طبيعة تدخلهم في شئون قبيلة كعب قام ثامر بتنمية

---

(١) امتد سلطانه الى توقيع عقوبة الاعدام والبتر مع عقوبات أخرى .

(١) يقول الماجور رولنسون في مذكرته عن النزاع بين .. الخ ١٨٤٤ « أنه سوى مباشرة مع حكومة البصرة موضوع ايجار الارض في مدينة المحمرة » ولكن هذا المرجع البارز لم يذكر المصدر الذى استقى منه مثل هذه المعلومات الهامة .

علاقات الصداقة مع جيرانه الترك أكثر من أي شيخ سابق . وكان حريصاً أن لا يقبل سلطان حاكم البصرة عليه في أية مسألة أساسية . ولكنه غالباً ما أهدى متصرف البصرة هدايا من الخيل والمال، وتلقى منه خلع التكريم .

الحـويـزة

لقد تقلصت الحويزة(١) التي كانت فيما سبق حياً مزدحماً مزدهراً الى بلدة عديمة الاهمية نتيجة كارثة فردية هي انهيار جسر كبير عند كوت نهرها على بعد حوالي ١٥ ميلا فوق المدينة . وكانت النتائج فورية بقدر ما هي مدمرة . فقد حول نهر «الكركه» كل مجراه الى اسفل كوت نهر هاشم في ليلة واحدة . وتركت الحويزة وكل الاحياء المزروعة مرتفعة وجافة ، كما تحولت بعض الاصقاع التي كان لها بعض القيمة في الرعي او الزراعة الى مستنقعات لا فائدة منها . فنزلت الحويزة بسرعة من مدينة كبيرة سابقة الى قرية بها ٤٠٠ أو ٥٠٠ ساكن ، وأصاب الوالي الفقر بفقر رعاياه . وكانت الجزية التي يدفعها الوالي للسلطات الايرانية غالباً في ديزفول حتى الآن ٦٠٠٠ تومان (أو ٣٠٠٠ جنيه انجليزي) ، ولكنه أصبح الآن لا يكاد يحصل على المال الكافي لسد حاجات معيشته ، وبلغت المتأخرات عليه للخزانة الايرانية حتى سنة ١٨٤٠ مبلغ ٢٤١٠٠٠ تومان . واستمر يحتفظ بخمسة آلاف مقاتل تحت تصرفه ولكنهم كانوا مسلحين بلا عناية .

وكان سيد فرج الله وهو الوالي في ذلك الوقت رجلا قليل القدرة ، وقليل الشعبية، ولكن الصفة المقدسة للسادة منحته ميزة في مكايد السياسة . وكانت واحدة من زوجاته تعرف باسم «السبي» محل ثقته الكبيرة ، لانها كانت معتادة على إدارة اموره في الحويزة عند غيابه ، وكان الوالي في

---

(١) يقرر لايارد (مغامرات مثيرة جزء ٢ ص ١٦٦) و (وصف مقاطعة خوزستان ص ٣٥) تاريخ حياة الجسر في سنة ١٨٣٧ . بينما يقرر لالتس (رحلات ١ ص ٣٥٩) أنها سنة ١٨٣٢ . وقد قبل التاريخ الاول وذكر في المجلد الجغرافي من هذا التقويم بالنسبة الى الثقة العالمية في لايارد ، ولكن ربما كان التاريخ الاخير أصح لان لايارد نفسه يقرر أن انهيار الجسر سبق الوبا بفترة بسيطة . وقد وقع الوبا على وجه التاكيد سنة ١٨٣٢ .

ذلك الوقت ساخطاً من قلبه على حكومة ايران التي استمرت في إزعاجه بطلباتها بدخل أصبح غير قادر على سداده . وفي سبيل ذلك أبقته مدة سجيناً في كرمان شاه .

احتلال الاتراك للمحمرة ١٨٣٧

وفي عام ١٨٣٧ نظم علي باشا الحاكم التركي لبغداد حملة مفاجئة ضد المحمرة ، ويبدو أنه قادها بنفسه . وكان الدافع الذي ينسب عادة له هو الغيرة من ازدهار المحمرة التي كانت بسبب عدم فرضها ضرائب جمركية تستحوذ على تجارة البصرة مما أضر بالدخل التركي العام . وليس مستحيلا على أي حال أن يكون ما اشتهر به المشاة من خطط للاستيلاء على «هيرات» قد اوحى اليه امكانية عمل اضافة مناسبة للامبراطورية العثمانية في مواقع أخرى . وعلى أي الحالات فيبدو انه لم يكن لديه أي صعوبة في تحقيق مراده .

وكانت الرواية الايرانية لتلك الاحداث كما وردت في مراسلات الوزير البريطاني في طهران عام ١٨٤٥ الى حكومة صاحبة الجلالة هي ما يأتي :

« كان بين عرب تلك الجهات قبيلتان بالذات هما ادريس والانصار لهما قوة كبيرة ، واليهما يعود خراب المحمرة . فقد خصص جابر لنفسه بعد أن فرضه الشيخ تامر خاناً لحكم المحمرة كل الدخل الناشيء من البساتين دون ان يعطي شيئاً لعرب كعب ، إبان وصول باشا بغداد . وكانت العداوة قد نشبت في نفس الوقت بين القبيلتين(١) . ووضعت خطة لقتل جابر الذي علم بالمؤامرة بعد وصول الباشا بثلاثة أيام . وقبل أن تبدأ أية مذبحة هرب بعائلته وحشمه في قارب . وعند وصول هذا الخبر الى خارج ، تملك السكان جميعهم نوع من الروع فقذفوا بأنفسهم في ماء الشط وغرق النسوة والاطفال في الامواج بجهلهم السباحة ،

---

(١) أعني ادريس ونصار من بطون كعب . ولكن الخصومة بينهما كما سوف نرى فيما بعد لم يكن لها قليل علاقة بهذا الموضوع أو كثيرها.

كما أسر الأناووط والجنود الاتراك حوالي ٤٠٠٠ نسمه واسترقوهم . واستطاع الباقي النجاة بانفسهم .

واشترى مسلمو البصرة العديد من هؤلاء الاطفال بحوالي ١٨ أو ٢٠ كورته للرأس وأعادوهم لاهاليهم .

ووضع العقيد رولنسون الوكيل السياسي البريطاني في بغداد الملاحظات (٢) الآتية عن هذه المسألة :

لم يكن للمنافسة التي استمرت طويلا بين بطني قبيلة كعب المسلمين إدريس ونصارى فيما يبدو إلا تأثير قليل في ظروف المحمرة ، فلم يكن الحاجي جابر من أي البطنين كما لم يكن يسمح بالدخول الى مدينته لسوى القليلين منهما . وقد شكل حامية خاصة له وقواها ، وعلى قدر ما استطعت أن أتأكد ، كانوا صادقي الولاء له وفي خدمته .

ان هذه القصة التي اوردناها عن كيفية الاستيلاء على المحمرة بعيدة عن الصواب ، فلم تكن هناك خيانة بين الحامية كما لم يهرب جابر من شعبه ، ولكن من الجنود الاتراك . والحقيقة إنه كان يعول على عون من الفلاحية حبسه الشيخ تامر عنه حسداً وغيره ، ومع ذلك فقد رفض كل العروض ، وقرر أن يدافع عن المدينة حتى النهاية . وهكذا فان المكان وقف يدافع عن وجوده وراح يحطم جانباً بعد آخر الى ان سقط عنوه .

وفيما كان الشيخ جابر يهرب في زوراقه عبر نهر بهمانشير كان الاتراك مشغولين في نهب المدينة .

وقد اقتحمت المحمرة من جانبها الغربي ، وعندما تمكنت القوات المهاجمة من التشبث بثغرة السور بدأ الهرب بالقوارب في حفار الذي يجري على امتداد السور الجنوبي للمدينة . وقد غرق كثير من الناس عندما رموا بأنفسهم في الماء . وكان عدد السكان الكلي وقت الاستيلاء على المدينة بما فيه الحامية العربية من المقاتلين نحو ٣٠٠٠ نسمة . وكما يحدث دائماً عندما يقتحم مكان بهجوم عنيف فان الفقد في الارواح يكون جسيماً . ولم

(٢) انظر ايضا ديبود « رحلات في لورستان وعربستان مجلد ٢ ص ١٠٨ — ١٢٠ .

أستطع ابداً على أي حال أن أجمع معلومات مرضية عن هذه النقطة لا ولا استطعت ان احصل على تقدير تقريبي لمدى وقيمة الاملاك المنهوبة .

أعمال أخرى للاتراك : طرد الشيخ ثامر وتعيين عبد الرضا بن محمد ومسلم بن محمد شيخين يحكمان معاً في قبيلة كعب

ولتكن تفاصيل الاستيلاء على المحمرة ما تكون ، فانه من المؤكد ان الاتراك تملكوا المكان موقتاً ونهبوا الاسواق والمخازن ، وأحالوا المكان بلا حماية بتحطيمهم الحصون وأخذهم المدفعية . وقاموا بمظاهرة ضد الفلاحية ، ومن ثم هرب الشيخ تامر(١) الى الكويت . وعين مكان الشيخ تامر بعد هربه الى الكويت(عبد الرضا ومسلم)(٢) ولدا محمد أحد أقاربه البصريين كشيخين مساعدين وواليين تركيين .

ولكن الاتراك لسبب غير مفهوم انسحبوا من عربستان ، ولم يستطع الشيخان المساعدان اللذان عينا موخراً رغم تأييد الباوية لهما أن يستمرا طويلا ضد الشيخ تامر(٣) ، الذي عاد بسرعة ، وأعاد بسط حكمه على الفلاحية . وعندما التمس الباوية عفوه دعا زعيمهم الشيخ لعاصمته حيث دبر موامرة لصرعه برصاصة فيما كان يحتسي القهوة في استقبال رسمي هو وزعيم آخر . وعين بدلا منه شيخاً جديداً هو «عقيل» على الباوية .

ومن المحتمل أنه بعد هذا بقليل قام «مير مهنا» شيخ الاشراف في وجه الشيخ تامر، وحصن نفسه لعدة شهور في طابيته عند «ده مولا» في

---

(١) يقول لايارد في (وصف مقاطعة خوزستان ص ٣٨) انه لجأ الى الزعيم البختياري محمد تقي خان . وهذا يبدو غير محتمل حيث ان محمد تقى خان كما سوف نرى لجأ اليه .

(٢) رولنسون يدعوه عبد الرزاق ، أنظر مذكرته عن النزاع .. الخ ١٨٤٤ .

(٣) يقرر رولنسون في مذكرته أن الشيخ تامر عندئذ « وقع لاغراضه الشخصية اتفاقا مع باشا بغداد ضامنا لنفسه احتلال المشيخة ومتعهدا ولاء قبيلته للبصرة .. » ويضيف أن الشيخ جابر رفض أن يرتبط بهذا الاتفاق فحفظ بذلك استقلاله عن تامر . وهدد أن يستعين ، اذا تدخل في أمره ، بحماية الفرس .

حي هنديان . ولكنه استسلم في النهاية ونُفي الى الفلاحية . وعُين بدلا منه شيخ يسمى مير مذكور من السادة .

أما الشيخ جابر صاحب المحمرة ، التي كان خرابها ضربة أقسى عليه مما كانت على الشيخ تامر فقد هرب اولا الى بوشهر ، وهناك حاول بلا نجاح ان يحصل على عون الحاكم الايراني العام في ايران . وتبعاً لذلك عاد بهدوء الى مدينته الحزينة . ولم تمر سنوات قليلة الا وعادت ثانياً دولة مزدهرة كما كانت .

معتمد الدولة الحاكم الايراني على أصفهان ولوربستان وعربستان عام ١٨٣٩

وفي عام ١٨٣٩ عينت الحكومة الايرانية «منهو شهر خان» المشهور باسم معتمد الدولة ، وهو من جورجيا من ابوين مسيحيين تثقف كرقيق مسلم ، ومن المحتمل بتأثير من روسيا ، حاكماً على أصفهان ولورستان وعربستان . ولكن هذا الموظف الطاغي الذي كان يشبه آغا محمد المؤسس الشرس لدولة القاجار ، وكان خصياً ، جعل سلطانه تبدو بقسوة في طول وعرض المقاطعات التي عين عليها . وكانت سياسته تبدو بسيطة ومتماسكة ، ولكن سوء النية كان أداتها الرئيسية ، وكان يتفنن في وسائل الضرب والتعذيب المروعة ، كان بلا لحية وذا وجه ناعم لا لون له وخدود بارزة وصوت ضعيف أنثوي حاد النغمة . وكان قصيراً متيناً مترهلا شفتاه غليظتان بطيئتا الحركة ، وملامحه التي كانت ذات طابع جورجياني كانت ذات مظهر فاتر الهمة ومنهك (١) .

موقفه من محمد تقي خان البختياري ١٨٤٠–١٨٤١

وفي خريف ١٨٤٠ قام معتمد الدولة بالاستعداد لتحصيل الضرائب المستحقة على أهالي الاحياء الجنوبية من ولايته . ووجه طلباته الاولى الى محمد تقي خان الزعيم الاساسي لفرع شاهر لانج من قبيلة بختياري ، والذي كان كرسيه في قلعة تل فطلب منه أن يدفع فوراً قسطاً مقداره

(١) لايارد : « مغامرات مبكرة مجلد ١ ص ٣١٣ » .

١٠,٠٠٠ تومان او ٥٠٠٠ جلك تحت حساب الضرائب المتأخرة . وكانت الشكوك المنبهة قد تطرقت الى معتمد الدولة بأن الزعيم غير مخلص للشاه لانه رفض أن يكرم مبعوثي الحكومة الايرانية اليه ، ولانه بعث برسائل تنطوي على التآمر الى الامراء الايرانيين اللاجئين الى بغداد .

ولم يكن محمد تقي خان قادراً ، حتى ولو كان راغباً ، بأن يجهز المبلغ الكبير المطلوب منه في فترة قصيرة كهذه . ولكنه تردد في التنصل من الحاكم ، وبالتالي هيأ له أن يجتاز بلا مقاومة جبال البختياري مع قوة مكونة من كتيبة نظامية من المشاة بها الف غلام راكب ، بعضهم فرسان حسنو التسليح ، ثم ثلاثة مدافع ميدان صغيرة ومعها ١٥ مدفعاً .

وحدث اللقاء في فبراير عام ١٨٤١ في سهل «مال أمير» حيث عسكر المعتمد ومحمد تقي خان سوياً لحوالي ستة أسابيع . وحاول الأول فرض شروطه بالتسوية ، بينما واصل الثاني المقاومة بقدر إمكانه .

وسبق المعتمد الى «مال أمير» البارون ديبو السكرتير الاول بالمفوضية الروسية في طهران . الذي مكث معه فيها عدة أيام .

وكان محمد تقي خان قد جمع قوة من خمسة آلاف رجل مقابل قوة المعتمد البالغة ٢٥٠٠ رجل وشملت بجانب رجاله البختياريين عرباً من السهول حول شوشتر وحتى من شواطىء نهر الجراحي . فقد أراد أن يحقق تفوقاً على المعتمد وكان يمكنه أن يدمره هو ورجاله .

وبعد ذلك رحل المعتمد الى شوشتر ليجمع ضرائب الاراضي السفلى دون ان يسوي الموقف مع محمد تقي خان . ولكنه بمجرد أن وصل إلى الجهة التي يقصدها استدعى ذلك الزعيم للمثول أمامه . ولكن محمد تقي خان رفض أن يطيع ، فاستعد المعتمد للتحرك ضده بعد أن أعلنه رسمياً خارجاً على الحكومة . وقد أجبرت هذه التدابير الزعيم البختياري على أن يسلم بعجزه ونذالة ولده وأحد أبناء أخيه الى المعتمد رهينتين مع تأكيد ولائه ، وفعل هذا بعد أن أقسم المعتمد على تسيير حملته .

لكن «مانو شهر خان» ، الذي وصله في ذلك الوقت مدد من كتيبتين من المشاة الفرس وبعض المدفعية كما حصل على معاونة بعض

مشايخ العرب كان يتصرف بأسلوب الغدر المألوف ، فما إن وصل الطفلان إلى يديه حتى أعلن أنه سيعدمهما ان لم يسلم محمد تقي خان فوراً . وسرعان ما هبط الزعيم البختياري الى ما حول شوشتر . ولكن نظراً لأن المعتمد لم يكن ليمنحه أي ضمان موثوق لحياته او حريته ، إذا وصل اليه ، فقد هرب في النهاية باتجاه الفلاحية ، يتبعه المعتمد وقواته .

وفي المراحل الاولى لهرب محمد تقي خان صحبه عدد كبير من رجاله البختياريين ، لكنه أقنعهم بالعودة الى جبالهم . وبمجرد أن انفصل عنهم هوجم وسلب هو ومن معه من الاشراف .

ويقرر المستر لايارد ، الرحالة الانجليزي الذي كان شاهد عيان لمعظم العمليات المذكورة أعلاه بأن ضباط القوات الايرانية النظاميين والاشخاص الموظفين في خدمة المعتمد « كانوا مجموعة من العشاق الداعرين ، المنغمسين في شرب العرق والذين يقضون معظم اوقاتهم أنصاف سكارى يسمعون الموسيقى ويشاهدون الغلمان والفتيان الراقصات » .

حملة معتمد الدولة على الشيخ ثامر شيخ كعب وضيفه محمد تقي خان في الفلاحية ١٨٤١

وأرسل الحاكم النشط غلماناً الى مختلف زعماء البلد في قاصيها ودانيها ومن بينهم ميرزا كرما حاكم بهبهان الذي كان بينه وبين محمد تقي خان نزاع على الحدود والى الشيخ ثامر رأس عرب كعب .

وقد جرد اللصوص الرسول الموفد الى بهبهان في طريق عودته من كل شيء عند سهل راموز . ولكن الموفد الى الفلاحية الذي يحتمل أن بعثته كانت متعلقة بالمطالب الايرانية من كعب لدفع الضرائب عاد سالماً لسيده . وقد أصبحت البلد كلها الآن تغلي من الاضطراب ، وتبدو مهجورة الا من اللصوص الذين جاءوها من كل جانب .

وحسبما جاء في رواية المستر لايارد ، الذي قامت بينه وبين الزعيم البختياري الشهم صلة مليئة بروعة الخيال ، سار محمد تقي خان الى الفلاحية ، ووصل الى نهر الجراحي عند الغرايبه ، حوالي ١٢ ميلا فوق الفلاحية حيث علم في الصباح ان صديقه البختياري قد عبر النهر في الليلة الفائتة عند نقطة تبعد بثلاثة أميال .

وقبل طلوع النهار وصلت اوامر من شيخ كعب الى اتباعه لهجر قراهم العليا على الجراحي ، فانشغل جميع السكان فوراً في حل عششهم المبنية من شجر الغاب وتشكيل المواد الى اطواف عاموا عليها الى بر الامان في مجاورات الفلاحية هم وأدوات مطابخهم وفرشهم وحتى دواخينهم . وسيقت قطعان الغنم والماشية بسرعة ، ولاجل عرقلة حركات العدو قطعت جميع السدود وغرقت جميع البلد بالماء «وكان الكل يصرخ بأعلى صوته وأحياناً كان الرجال يقفون عن العمل ويتماسكون بألايدي ليرتصوا في حلقة صارخين باغنية الحرب» . وهو مشهد لا يمكن أن يبارح أذهان من خبروا ضجيج العرب وقلة جدواها .

وكان الباوية ، فيما عدا فرع بني خالد ، قد ألقوا بحظهم مع المعتمد وساد خوف عظيم وخاصة في القرى على جانب النهر الايمن ، لئلا يظهر فرسان هذه القبيلة فجأة . وما إن اتى المساء حتى كانت القرى العليا قد أخليت عملياً .

وعندما بزغ القمر ، صنع المستر لايارد لنفسه طوقاً على طريقة العرب ، وجرى نازلا في النهرحتى الفلاحية حيث وصل مبكراً بعد ظهر اليوم التالي . وكان المنظر على طول الطريق مثيراً مليئاً بالضوضاء غير العادية ، فقد أضرم الفلاحون النار في المحاصيل الناضجة — وهو ما يدل على أن الزمن كان اواخر الربيع او اوائل الصيف ، فكانت ترسل سحباً من الدخان في جميع جوانب السماء الصافية . وأحسن الشيخ تامر استقبال المستر لايارد . ولكنه أقسم جاداً أن محمد تقي خان ليس في بلده .

وفي المساء ركب ميرزا كوما حاكم بهبهان الذي شجعت عمليات المعتمد في عربستان حكومة ايران لتضغط عليه ، متوجهاً الى الفلاحية على رأس قوة من خمسين فارساً انهكهم جهد السفر .

تحركات اخرى لمستر لايارد

وفي الصباح التالي نجح المستر لايارد في أن يجد بنفسه خيمة محمد تقي خان التي كانت مقامة على قطعة ارض جافة محاطة بالمستنقعات قرب شاطىء ترعة البوزية ، وأمضى بقية اليوم والليلة في خيمته . وعند عودته

الى الفلاحية أخذ خطاباً من محمد تقي خان يرجو فيه الشيخ تامر أن يعامله بثقة . وعندئذ أعلن الشيخ أن حضور الزعيم البختياري لاملاكه قد أخفي حتى عن الكعبيين تجنبا لاثارة الفرس عليهم .

استعدادات الشيخ ثامر للدفاع عن الفلاحية

وأخذ الشيخ تامر فيما بعد المستر لايارد ليعاين الاستعدادات للدفاع عن الفلاحية بسلسلة من المتاريس والطوابي ومرابض المدافع ، واستمع بانتباه الى نصيحة الانجليزي التي كان جوهرها الاعتماد على مناعة المستنقعات المحيطة بالبلدة أكثر من قوة المدفعية . وفي أي الحالات يجب اختبار سلامة المدافع القديمة قبل وضعها موضل العمل.

ويقول لايارد (١)

« جاء العرب من القبائل المجاورة في جماعات عديدة الى الفلاحية تصحبهم موسيقاهم البدائية من الطبول والمزامير ، يلوحون بأعلامهم ويغنون أغاني الحرب . وعندما وصلوا الى المدينة رقصوا في حلقة حول مشايخهم ، وحملة اللواء يتداعون بصيحات الحرب، ويغنون في جماعة بعض أبيات شعرية على البداهة في هزيمة العدو او مدح الشيخ تامر مثل (لا تدع أحداً يعطي ابنته الى بور «القبيلة المعادية لكعب» (تامر ، النار الملتهبة) (تامر أسد الحروب) ومصاحبين الكلمات بحركات عنيفة من ايديهم، ملوحين بسيوفهم ورماحهم ، ومطلقين بنادقهم . واستمر هذا الغناء والصراخ والرقص طوال الليل والنهار . وكانت وجوه وشفاه هؤلاء العرب يغلب عليها السواد من كثرة التعرض للشمس وكانوا تقريباً عراة . وشعورهم مجدولة في ضفائر طويلة تلمع بما عليها من الزيت .

وبالاضافة الى هؤلاء الاعوان المساعدين كانت المدينة ومزارع النخل لمسافة كبيرة حولها مزدحمة بالرجال والنساء والاطفال الذين لجأوا اليها مع أغنامهم وماشيتهم وجمالهم خوفاً من تقدم الايرانيين. وكان تدبير الطعام لكل تلك الجموع من قبل الشيخ تامر لغزاً يحير الاذهان .

---

(١) لايارد : رحلات مبكرة . مجلد ١ ص ٨٥ ـ ٨٦ .

معتمد الدولة يوفد شافع خان الى الفلاحية

وذات صباح وصل الفلاحية شافع خان وهو زعيم بختياري .ارسله المعتمد مع بعض الضباط الايرانيين مكلفاً برسالة الى محمد تقي خان ، ولكن الشيخ تامر تمسك بأنه لا يعلم شيئاً عن تحركات الزعيم البختياري أو مكان وجوده .

وبعد ذلك جاءت سفارة ثانية من المعتمد في شخص جعفر علي خان ، وهو ايراني متعجرف ومحل ثقة منوشهر خان ، الذي كان يطمع ان يخلف الشيخ تامر ، وذلك لجعل تامر يسلم ضيفه البختياري ، ولكنه أجيب بحزم وقوة من مير مهنا وهوشيخ ومحارب قدير من كعب أخذ على نفسه مسئولية احضار محمد تقي خان الى الفلاحية دون علم الشيخ تامر ، وقد اثارت كلماته الملتهبة الغضوب ثورة في نفوس الجمع حتى إن رسول المعتمد أسرع هارباً بجبن يساوى نفخته الكاذبة .

معتمد الدولة يتقدم نحو الغرايبه

وبعد هذا ، وبناء على نصيحة وتأييد والي الحويزه(١) الذي وعد هو وشيخ الباوية ، بمشيخة كعب ، اذا عزل عنها الشيخ تامر ، تقدم معسكره الى الغرايبه فوجد المكان مهجوراً ومدمراً، وفشلت جميع محاولاته ليستقر قريباً من الفلاحية بسبب الفيضان والمقاومة الباسلة لفرسان كعب . وكانت الحاجة ضئيلة لعون مدفعية الشيخ تامر ، التي حرص الفرس أن لا يعرضوا أنفسهم لنيرانها وأعلن الاشراف حيادهم ولو أنهم لزموا معسكر الفرس، بينما اشتركت قبيلة زرقان مع الكعبيين في نصرة الشيخ تامر .

معتمد الدولة يقبض غدراً على تقي خان

وعندما وجد المعتمد أن قواته بدأت تعاني من الملاريا ودرجة الحرارة المتزايدة بها لجأ الى المفاوضات ، وذكر محمد تقي خان بالرهائن البختياريين الذين عنده والذين زادوا باضافة آغا كريم أخي محمد تقي ، وهدد بأنه

---

(١) كان والي الحويزة في عداء مع محمد تقى خان الذى يبدو أنه هيمن مؤقتاً على مدينة الحويزة سنة ١٨٣٩ .

سيعدمهم جميعاً ان لم يسلم الخان نفسه . ومن ناحية أخرى ، فقد وعد البختياري بعفو حر ، وبعطف الشاه عليهم وحتى بحكم عربستان ، اذا ما أعلنوا ولاءهم للشاه . وكان الوسيط في هذه المفاوضات المجددة شافع خان وهو بختياري آمن باخلاص المعتمد في هذه المناسبة وأخيراً اقترح المعتمد أن يقسم قسماً أمام مجتهد ، وأمام سليمان(١) خان قائد القوات الايرانية كضمان لتنفيذ الشروط المعروضة وأنه على محمد تقي خان بعدئذ أن يزور المعسكر الايراني في أمان .

وأخيراً قرر الزعيم البختياري ، الذي تبين أن وجوده في الفلاحية كان سبباً لاخطار وخسائر كثيرة لشيخ كعب وأتباعه ، أن يثق في المعتمد واخذ العهد المنشود أمام المجتهد وسليمان خان الذي تعهد بأن القوات الايرانية سترحل عن أراضي كعب خلال ثلاثة أيام ، فغادر محمد تقي خان رغم ارادة الشيخ تامر فيما يبدو وتوسلات عائلته الى المعسكر الايراني مصحوباً بالمجتهد وسليمان خان والمستر لايارد وآخرين .

وعند وصول البختياري ، أعلنه المعتمد باستخفافه المعهود أنه ثائر ضد الشاه وقيده بالسلاسل(٢) وحتى سليمان خان كان خجلا من هذه الفضيحة واحتج لدى المستر لايارد بأنها كانت خافية عليه بالكلية .

مطالب المعتمد من الشيخ تامر

وأثارت هذه الخديعة السخط في الفلاحية ، وتزايد الغضب هناك بوصول رسول من المعتمد بمجرد أن اصبح مصير محمد تقي خان معلوماً وراح هذا يطالب الشيخ تامر بدفع مبلغ ١٢,٠٠٠ تومان فوراً كثمن لانسحاب الجيش الايراني من بلاده .

وكان الشيخ ميالا في مبدأ الامر للرفض . ولكنه استجاب لاحد السادة الذي جاء وزاره من جانب المعتمد ، وكان لهؤلاء السادة تأثيرهم

---

(١) كان سليمان خان مسيحيا من جورجيا او ارمينيا وكان قريبا للمعتمد ومن المحتمل أن يكون ابن أخيه . وقد تلقى تدريبه الحربي تحت اشراف ضباط بريطانيين في خدمة الفرس وكانت رتبته جنرال .

(٢) مات محمد تقي خان هو وأكبر أبنائه في الاسر بطهران بعد عدة سنوات بعد ذلك وتعرض نساء عائلته لكرب عظيم من المعاملة الخسيسة .

الكبير عليه ، وسوّى الامر على أساس دفع ٥٠٠٠ تومان مقابل انسحاب الايرانيين تواً في اليوم التالي وتعيين أخ لمحمد تقي خان رئيساً للبختياريين .

ولكن ما كاد المعتمد يأخذ المال ، وكان قد وصلته امدادات جديدة عبارة عن ثلاث كتائب نظامية من المشاة وبعض المدافع وحشد كبير من الاعوان العرب واللور ، حتى بادر فجأة فوضع شروطاً جديدة لرحيله هو وقواته وهي تسليم جميع أفراد عائلة محمد تقي خان وجميع أتباع الزعيم البختياري الموجودين في اراضي كعب . وليعزز مطالبه تقدم معسكره قريباً من الفلاحية ناصباً اياه على شواطىء ترعة ام الصطر .

هجوم ليلي على المعسكر الفارسي

واستفز هذا المطلب الجديد ، الذي يتنافى مع التقاليد العربية ، والذي بدأ أكثر إثارة للغضب من كل ما سبقه ، هجوماً ليلياً على المعسكر الايراني بقصد انقاذ محمد تقي خان . وتولّى قيادة الهجوم البختياريون الذين سار في صحبتهم المستر لايارد وأيدهم رجال كعب ، ولكن الشيخ تامر لم يشترك بنفسه خشية أن يضع نفسه موضع الثائر ضد الحكومة الايرانية . وأخذت البغتة معسكر المعتمد واختلط الحابل بالنابل ، واطلق كثير من الاسلحة الصغيرة عشوائياً في الظلام .

وحمل الفرسان العرب والبختياريون خلال الخطوط محطمين كل ما يصادفونه في طريقهم . وجفلت الخيول الايرانية ، وفتحت بطارية مدفعية نيران قنابل الرش على حشد بدا كأنه يهجم على خيام المجتهد ولكن تبيّن أنها كتيبة ايرانية متقهقرة . ولسوء الحظ لم يمكن العثور على محمد تقي خان ، لانه من اول نذير نقل الى خيمة المعتمد . وبدأ الكعبيون الذين فقدوا عدداً كبيراً من شيوخهم في التردد ثم قرروا النكوص . وهكذا فشل الهجوم في تحقيق هدفه الرئيسي ولكن أمكن تحرير آغا كريم شقيق محمد تقي خان ، كما لجأ شافع خان الزعيم البختياري الذي استخدمه المعتمد في الوساطة الى اصدقائه ، كذلك تعرض الايرانيون أيضاً لخسائر جمة واعتراهم قنوط شديد .

واجاب المعتمد، الذي بدأ كأن شيئاً لا يخيفه ، على هذه المبادأة بمحاولة

الاقتراب أكثر من الفلاحية ، ولكن محاولته لانشاء كوبري لعبور ترعة تسد الطريق صدها العرب بصلابة ، وهكذا هددت قوات الايرانيين الضعاف القلب باستحالة تقدمهم عند الكوبري حتى لو تم انشاؤه . وخشي المعتمد أيضاً أن يلقي الشيخ تامر بنفسه في أيدي الاتراك اذا تعدى الضغط عليه الحدود ، ولذلك أنهى حملته وعاد الى شوشتر لقضاء الصيف هو وجيشه .

اجراءات معتمد الدولة لاحقاً في عربستان وحويزه

وفي طريق عودته الى شوشتر تسلى المعتمد باستنزاف المال من سكان مدينة ديزفول التعساء الحظ ، والاحياء المجاورة لها ومن قبائل العرب التي لم تجل بسماع النذر الى مسافة بعيدة تليها . وقد وضع سير لايارد الذي كان في المقاطعة في ذلك الوقت التقرير التالي عن تحركات المعتمد .

« ولهذا القصد ، فان زعماء سكان المدن وكتخدات القرى ومشايخ العرب الذين وقعوا بين يديه سجنوا جميعاً في القلعة حيث كانوا يعذبون يومياً وكانت العصي تستعمل دائماً . وتعرض الرجال الى الجلد على أقدامهم بطريقة شائنة . وابتكر هذا الخصي القاسي السفاك انواعاً جديدة من التعذيب لهؤلاء الذين اتهمهم بعجز أو اخفاء ممتلكاتهم . وبالتالي الخروج ضد الشاه . وقيل إن بعض التعساء وأغلبهم من مشايخ العرب الصغار الذين انضموا لكعب في مقاومة القوات الايرانية أو حاولوا الهروب لتجنب دفع المال المطلوب منهم ، قيل إنهم ربطوا صفوفاً مغموسين في النفط واشعلت فيهم النيران . وتركوا هكذا ليعانوا سكرات موت بطيء شنيع .

وطوال الصيف وجزء من الخريف ، شغل المعتمد نفسه في مهمة واحدة هي جمع(١) الضرائب وابتزاز المال من المقاطعة ، ولهذا القصد فقد حبس وجلد عدداً من الناس بخلاف تعذيب كثير من السكان النابهين في شوشتر ممن كان يظن أن لهم املاكاً اخفوها ، وترك الجنود الايرانيين

---

(١) لايارد . مغامرات مبكرة مجلد ٢ صفحات ١٤٥ ـ ١٤٦ .
(١) لايارد . مغامرات مبكرة . مجلد ٢ ص ٢٧٠ .

ليسلبوا وينهبوا البيوت والاسواق دون عقاب عليهم لأنهم كانو يطالبون بمرتباتهم المتأخرة من عدة شهور . وأرسل ضباط الفرسان والخيالة غير النظاميين الى القرى لجمع الضرائب . فاستعملوا القسوة في معاملة الأهالي ونشروا البلاء . وكانت النتيجة ان لجأ كثير من الاهالي الى العرب أو هربوا الى الجبال . وتحول اقليم خصيب ذو ثروة طبيعية عظيمة الى فقر ويبس .

بل ان سليمان خان القائد الحربي الايراني قام بغزو السهول غرب نهر ديز على رأس قوة ايرانية فوقع على بني لام ، التي قيل إن أحد فروعها فقط كان عندهم ١٢,٠٠٠ رأس من الغنم وعدد كبير من الجمال والخيل والحيوانات الاخرى سلبها جميعاً ، علاوة على سلب نسائهم وأسرهم .

وكانت السلطة الوحيدة التي أظهر المعتمد الرضا عنها هي سلطة والي الحويزة . لانه ساعده في حملته ضد الفلاحية ، وسمح له بالتفاهم على سداد متأخراته من الضرائب . وأخيراً عين حاكماً على عربستان .

أعمال الشيخ ثامر لاحقاً ١٨٤١

وعقب رحيل معتمد الدولة من الفلاحية ، دخل الشيخ تامر في اتصالات مع باشا بغداد ، وقام بزيارة تفتيشية للمحمرة ، التي اوضح للترك استعداده أن يديرها كوال للسلطان مقابل عونهم وحمايتهم . وصحب المستر لايارد ، الذي دعى خصيصاً لذلك ، الشيخ تامر الى المحمرة التي وجدها «محلة من عشش متوسطة البناء لها سوق لبيع مواد التموين ، وبعض الجماعات الاوروبية » وكان قصد الشيخ امتحان استعداد الدفاع عن المكان ، حيث كانت بعض بطاريات المدفعية والمتاريس قد أنشئت للتحكم في مدخل نهر القارون ، او المدخل البري للمدينة . لان رغبته الحقيقية كانت استرجاع استقلاله الذاتي ، ولهذا القصد كان يحاول أن يجعل المحمرة حصينة ضد كل من الترك والايرانيين .

ولم ينس الشيخ تامران يظهر للباوية سخطه من انضمامهم للمعتمد في حملته ضد الفلاحية ، فطردهم من اسماعيلي التي كانوا يحتلونها على نهر القارون سائقاً اياهم الى الاهواز في القسم الاسفل من سهل راموز .

معتمد الدولة يحتل المحمرة وهرب الشيخ ثامر وولاية الشيخ فارس ١٨٤١

وفي خريف نفس السنة هبط معتمد الدولة ، الذي لم ينصرف عن تصميمه عن أخذ أقصى ما يستطيع من الشيخ تامر ، نهر القارون حتى المحمرة ، واحتلها بالقوة في خريف عام ١٨٤١. وأثارت تحركاته التي قل أن يتضح نطاقها الرعب الشديد في قلوب بني لام ودعت الى تجمعهم على جوانب الدجلة في الاراضي التركية حيث ظنوا انه لن يجرؤ على مهاجمتهم .

وبناء على نصيحة والي الحويزة وقبيلة الباوية ، وضع المعتمد خطة لمهاجمة الفلاحية هذه المرة من الجنوب الغربي . ولكن الشيخ تامر الذي انفصل عنه وعدد من حلفائه من ابناء القبائل ومن أتباعه لم ينتظروا حضوره ، اعتماداً على ان المقاومة الناجحة ستكون مستحيلة في هذه الظروف المتغيرة ، فقد أسرع الشيخ تامر يشحن كل مدافعه وأملاكه وذهب مع عائلته الى الكويت ، وعقب رحيله خلفه ابن أخيه فارس بن غيث ، واعترفت به السلطات الايرانية .

وكان اقتراب المعتمد إشارة للحاج جابر للهرب أيضا . وكان هذا الشيخ المحيسني يملك المحمرة فعلا . ولكن المعتمد لم يجعل لغيابه أهمية ولم يبد أي اعتراض في الظاهر على أن يتولى الحاج محمد ابن أخ الحاج جابر ، والذي عهد اليه بالامر قبل هروبه ، إدارة الشئون المحلية . وعلى أي حال فقد عين المعتمد قبل رحيله ، موظفاً ليقيم في المحمرة نائباً عن الحكومة الايرانية كعلامة لسيادتها . وليلاحظ المؤامرات السياسية بين الشيخ والترك .

رحيل معتمد الدولة عن عربستان ١٨٤٢

وفي مارس من عام ١٨٤٢ عندما وجد المعتمد أنه لن يستطيع ابتزاز أموال أخرى من المقاطعة أدار ظهره لعربستان ، واتخذ طريقه الى اصفهان فترك حدود الكرخة فريسة لبني لام وأحياء كعب في حالة فوضى . كما ترك المحمرة وقد دمرت تجارتها موقتاً . ومن الغريب أن

آخر أعماله الرسمية تقريباً كانت محاولة تهيئة الرخاء للحويزة باعادة بناء السد على كوت نهر هاشم وهي مهمة فشل فيها بسبب الارتفاع غير الطبيعي للنهر .

ويرد بمكان آخر من الكتاب الحديث عن تاثير(١) تصرفات المعتمد في عربستان على العلاقات الايرانية التركية(٢) .

نزاع قبلي بين فارس شيخ كعب والخارجي جابر المحيسن شيخ المحمرة ١٨٤٢

وفي عام ١٨٤٢ بعد رحيل معتمد الدولة عن المحمرة بوقت قصير ارسل حاج جابر شيخ محيسن أخاه محمداً الى الفلاحية ليضع مع شيخ كعب الجديد وسائل التعاون المتبادل في حالة غزو البلاد ثانية من السلطات الايرانية .

وبذل «حكيم» ، شقيق الشيخ فارس ، الذي عهد اليه بمهمة مراقبة المحيسنيين من كوت الشيخ محاولة فاشلة للاستيلاء على المحمرة . وقد استعان الحاج جابر بالسلطات الفارسية لمواجهة هذه النزعة العدائية من قبيلة كعب .

---

(١) يبين العقيد رولنسون في مذكرته من النزاع ٠٠ الخ ١٧٤٤ :
انه منذ احتلال المعتمد المحمرة بدأ دفع مبلغ سنوى قدره ٥٠٠ قرش أو ٤٠ جك بانتظام الى السلطات التركية في البصرة بواسطة أو لحساب شيخ كعب كايجار أرض المدينة المستولى عليها ٠ ولكن حتى بعد الاحتلال استمر دفع ٣٠٠ طن من البلح عينا سنة بعد سنة الى موظفى البصرة وذلك لحساب الاصقاع المعروفة بتامان وحفار ٠ ولم يعط العقيد رولنسون مصدر هذه البيانات ، التى ربما تعكس اقرارات الموظفين الاتراك في البصرة ٠ ولم نجـد في الاعمال أو السجلات التى رجعنا اليها لجمع مواد هذا التقويم أى اشارة عن دفع ايجار للارض سواء من كعب أو محيسن الى الحكومة التركية ومن تاريخ علاقتهما فان مثل هذا الدفع يبدو غير صحيح وبالرجوع الى قادة « حفار » في المجلد ٢ من هذا التقويم يرى أن الصقـع المعروف بهذا الاسم يقع في مجال قارون فـوق المحمرة بعرض المسافة ٠

(٢) أى صفحة ١٣٧٤ هامش ٠

وتبعاً لذلك وصلت بعض القوات الايرانية من ديزفول الى المحمرة في ربيع ١٨٤٣ . ولكن بعد بضعة أشهر قام الحاج جابر (الذي لم يعد بحاجة اليهم) باخراجهم من المدينة باختلاق صعوبات في تموينهم ولكنه ابقى على أي الحالات ضابطاً ايرانياً مع حرس صغير كممثل لحكومته .

وظن الشيخ جابر الذي كان عليه تقدير الخطر الذي يواجهه من ناحيتي كل من ايران والترك أن من الاوفق له أن يبدي لهذا الضابط سلوكاً ظاهر المودة ، لكن الهوة التي نشأت بين زعيمي المحمرة والفلاحية بمقتل الحاج محمد كانت مستعصية على العلاج . وهكذا ظل سوء الظن يصبغ علاقاتهما باستمرار .

المحمرة عام ١٨٤٣

وكانت المحمرة في عام ١٨٤٣ عبارة عن حصن رباعي الشكل يبلغ حوالي ٣٥٠ ياردة طولاً و٣٠٠ ياردة عرضاً . وكان الحائط الطيني المحيط بها من نوع عادي جداً . وكان دفاعها يخلو من المدفعية . كانت تحتوي على فندق واحد لراحة التجار والباقي عشش فجه من الطين والغاب .

وعندما زار العقيد رولنسون الوكيل البريطاني السياسي في بغداد المحمرة في تلك السنة وجد حوالي ١٢ مركباً أفرغت لتوها شحناتها ووقفت راسية في ذلك المكان . ولكي نتجنب سفينة حربية تركية كانت راسية على مصب القارون لمنع المراكب المحملة بالبضائع الهندية من دخول الميناء فان الزوارق الحربية اعتادت الآن أن تبلغ المحمرة عن طريق نهر بهمنشير بدلاً من شط العرب ، أو تفرغ شحناتها في جزيرة عبادان تحت مصب القارون حيث تنقل منها البضائع براً الى نقطة مقابلة للمحمرة . ولم تكن هناك اية ضرائب جمركية في الميناء ، مما كان سبباً لانتعاشه .

لكنه قد كان بادياً احتمال زوال تلك الميزة نتيجة لامتداد الرقابة البحرية الفعالة لكل من تركيا او ايران في المنطقة .

ملكية المحمرة والاملاك المجاورة لها ١٨٤٣

ويعطي كاتب معاصر البيان الاول الآتي عن التوزيع السياسي

للمناطق المحيطة بالمحمرة في عام ١٨٤٣ ولكن(١) للاسباب المذكورة أدناه فيجب أن نتقبلها بحذر .

(١) الكاتب هو بالطبع العقيد رولنسون الوكيل السياسي في بغداد • في مذكرته عن النزاع • ومع الاحترام له كمصدر عال موثوق به ، فانه يمكن الاشارة الى بياناته المتكررة الخاصة بالمناطق التي تدعيها السلطات التركية في البصرة والمتنازع عليها بين ايران وتركيا بأنها لا تطابق المكاتبات الرسمية وأنه لا يعطي أى تعريف للادلة التي يبني عليها آراءه •

انظر هامش الصورة السابقة ، ومن مشاهدة عن نهر يوسف ودومان يمكن القول بأن رولنسون لم يكن له شخصيا معرفه وثيقة بالاصقاع موضوع السؤال فما يذكره باسم (بوحيدى) هي بلا شك (فيليه) الحديثة التي تقوم على أمن أبو جادى (وعرب البادية) يجب أن يكونوا من الباوية وما يذكره باسم (ثامان الجديدة) ربما كان دليلا آخر عن نقص في المعلومات حيث أن هناك صقعين مميزين هما « تمر » ، « حديد » يبعدان عن بعضهما بأكثر من ميل ويفصلهما عن بعضهما خميسة ، ونهر يوسف وصقع آخر هو خور حفار ويبدو أن العقيد رولنسون ظن أنه قريب من شط العرب وهو في الحقيقة على نهر القارون فوق مدينة المحمرة ببعض المسافة (أنظر المجلد الثانى من هذا التقويم) وقد أصبح موضوع الاراضى المتنازع عليها واضحا بفضل الخريطة الرائعة التى وضعها الملازم أ•ب• ويلسون وتقريره المؤرخ الرابع والخامس من مايو ١٩١٢ •

ويجب أن نذكر أنه في بدء المناقشات التى نتجت عن معاهدة ارضروم الثانية ١٨٤٧ ، حابت السلطات البريطانية مطالب الاتراك في المحمرة فقد كانوا متأثرين بلا وعى بتأييد الروس لمطالب ايران، التى أبدت حديثا خضوعها للنفوذ الروسى وعدم صداقتها لبريطانيا• واعتبر لايارد (أنظر مغامراته الاولى مجلد ٢ ص ٤٣٧) أن أقصى ارتباط لبريطانيا نحو وجهة النظر الفارسية انما هو تسليم عديم القيمة لروسيا •

وباعتبار العقيد رولنسون موظفا في تركيا ــ فقد تعرض بالضرورة الى وجهة النظر التركية فقط ومناقشاتهم وأدلتهم • وهذا يدخل جزئيا في حساب المشابهة في الميول مع الوكيل البريطانى في البصرة سنة ١٧٦٧ (أنظر هامش ص ١٦٢٧) ، ومن جانب المستر لايارد فلا بد أنه تحيز ضد السلطات الايرانية بسبب معاملتهم البغيضة لاصدقائه من العائلة الحاكمة لفرع شاهار لونج من قبيلة بختيارى •

« يوجد الآن مستقلا عن جزيرة عبادان ١٢ مكاناً يسكنها الكعبيون شمال قناة الحفار التي تتنازع عليها تركيا وايران . ومن هذه المواقع الاثني عشر هناك المحمرة وجيزان من املاك الشيخ جابر . وهما الآن تابعتان لايران ، التي لا تحصل منهما أي مقابل نقدي يتناسب مع قيمة حمايتهما . وتدفع بوحيدي وفوت النواضر ضرائبهما الى عرب ثويه الذين يعتبرون انفسهم رعايا التاج الايراني وليسوا تابعين لديزفول او الحويزة او الفلاحية .

أما ثمار الجديدة وخريصه و شاكوره ونهر يوسف وداريان ، والمحين ثم الحفار ، فهي تحت الاشراف المباشر لزعيم كوت الشيخ ، بصفته نائباً عن شيخ الفلاحية ، وعليهم دفع ٣٠ طناً من البلح سنوياً كإيجار للارض لحكومة البصرة .

ويمكن ان نلاحظ ان كلا النظرتين اللتين قامت عليها مطالبة الترك بالمحمرة خاطئة • فالاولى لرولنسون الذى اعتقد أن بهمانشير كان أصلا الحصن الشرقى لشط العرب • والذى كان المجرى المائى لمحمرة أحد فروعه والثانية للايارد الذى اعتبر أن مجرى المحمرة كان أصلا ترعة صناعية حفرت من قارون الى شط العرب• ويستشهد رولنسون بالجغرافيين القدامى لتاييد نظريته (ملاحظات عن الجغرافيا القديمة للمحمرة ومجاوراتها جريدة الجمعية الجغرافية الملكية سنة ١٨٥٧) ولكن ليس له اى دليل يقدمه عن انعكاس مجرى الماء في ترعة المحمرة الذى تنظمه بالضرورة نظريته • ويبدو أن تفسير لايارد يقوم على تصريف كلمة « حفر » التى ىى على أى حال تعنى باسم الفاعل (حفار) وليس الفعل « حفر » بينما على أى الحالات لا يقع صقع صفار على مجرى المحمرة المائى ولكن يقع فوقه •

ولننتهز هذه الفرصة لنصحح على ضوء ابحاث الملازم أ• ب• ويلسون الحديثة ، بيانا في هذا التقويم متعلقا بالامن الواقع للحدود التركية والفارسية على شط العرب فوق مصب قارون (انظر مجلد ٢ صفحة ١٥٧) مادة جنوب عربستان • لان الكلمات « عند خور خيابان الكبير المقابل للجزيرة التركية شمشامية » يجب أن تستبدل كما يبدو بـ « عند نقطة على نهر خيابان حوالى ١٥٠٠ ياردة أسفل مصب نهر دعيجى وفوق مصب خور يعرف بنهر أبو العرابيد » فعندما كمل المجلد الثانى ، لم يكن معروفا أن الاصقاع التركية المسماة : سليمانية وخارونوبية ومواسين ، كانت محاطة بالماء أو أن الاراضى الرئيسية لاصقاع سيد طالب وتامار التى تقع وراء خرنوبية وبوارين ، كانت تحت ولاية شيخ المحمرة •

علاقات بريطانيا مع عربستان
١٨١٣ ـ ١٨٤٨

حادث قرصنة للقواسم سنة ١٨٣٨ :

في عام ١٨٣٨ تعرض مركب أجنبي لقرصنة صحبها قتل عدة أشخاص في الجزء الشمالي من الخليج العربي على يد القواسم ، وكان زعيم العصابة سلطان بن صقر وأخاه محمداً .

وكان احد الضحايا رجل من رعايا شيخ كعب الاغنياء ، الذي كان قد هرب من المحمرة عند احتلال الترك لها عام ١٨٣٧ . وكان في طريق عودته لوطنه .

فأخذ المقيم البريطاني القضية باهتمام كان من نتيجته العثور على سلطان بن صقر في لنجه واعتقاله بينما اسر أيضاً أخوه وقائد المركب المعتدي ولكن أفرج عنهم مقابل سندات تعهدا فيها بأن يدفع كل منهما ١٠٠ كرون . وارسل المجرم الرئيسي الى شيخ كعب لعقابه ، ولكن لا يذكر التاريخ مصيره النهائي .

وكان لقواسم لنجه ورأس الخيمة قوارب اعتادت القيام برحلات سنوية الى البصرة . ولكنهم في هذه السنة خشوا انتقام شيخ كعب فأرسلوها مع بعضها في قوافل بحرية مكونة من ٢٢ مركباً للحماية المشتركة وسالوا المقيم البريطاني أن يشرح للشيخ تامر أن زعيم لنجة صادف صعوبات ومشقة ليحصل على التعويضات . ويبدو أن المقيم قد استجاب لهذا الرجاء فلم يتخذ الكعبيون أي إجراء ضد اسطول القواسم خلال هذه الرحلة .

علاقات بريطانيا السياسية مع الشيخ ثامر

ويبدو ان العلاقات بين السلطات المحلية والشيخ تامر كانت علاقات صداقة ، وان كانت غير وثيقة وذلك خلال مدة مشيخته لكعب . واحياناً كان الشيخ يقابل ضباط الاسطول الهندي في المحمرة الى ان هرب عام

١٨٤١ . وقد داوم على التراسل مع الممثل البريطاني في البصرة ، وتقبل منه عطفاً ومعونة في مناسبات عدة عندما كانت تصادفه متاعب . ويعود الاستقبال الودي الحار الذي قابل به الرحالة البريطاني مستر لايارد عام ١٨٤١ الى هذه الظروف .

معتمد الدولة والبريطانيون ١٨٤١

ولم يكن للسلطات البريطانية أية علاقات مع معتمد الدولة ولكن المستر لايارد خلال جولته الملحوظة في المقاطعة اتصل به غير مرة واحدة . ومن الواضح ان المعتمد كانت لديه اعتراضات كثيرة على وجود المستر لايارد في المقاطعة ، لاقتناعه بدون شك بأنه جاسوس بريطاني أو عميل سياسي . ولكنه كان يخشى أنه إذا حدث أي ضرر للرحالة فان الحكومة البريطانية ستحمل الحكومة الايرانية مسئولية الحادث . وإنها لحقيقة شاذة ان المعتمد شرح للمستر لايارد خلال محادثة(١) تمت في صيف ١٨٤١ حادثة مقتل الرسول البريطاني سير و. ماك ناجتين وضباط بريطانيين آخرين في كابل» كحقيقة حدثت ، بينما هي في الواقع قد حدثت بالطريقة التي شرحها بعد ذلك بعدة شهور . واخيراً قيل إنه أصدر أمراً باعتقال المستر لايارد . ولكن قبل ان تسنح فرصة تنفيذه ، اعلن الامان بعودة البعثة البريطانية الى طهران واستئناف العلاقات الطيبة بين ايران وبريطانيا .

محمد تقي خان زعيم البختياري والبريطانيون ١٨٤١

وفي نهاية عام ١٨٤٠ استخدم محمد تقي خان الزعيم البختياري العظيم صديقه المستر لايارد كوسيط لتقديم عروضه للسلطات البريطانية السياسية . وفي هذا الوقت لم تكن هناك مفوضية بريطانية في إيران . فقد كانت العلاقات بين البلدين متوقفة .

وكانت قوات بريطانية قد احتلت جزيرة خارج. وكان السياسيون العربستانيون يتوقعون الحرب بين ايران وبريطانيا ، ولهذا تقدم محمد

---

(١) أنظر لايارد : مغامرات مبكرة ، مجلد ٢ ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

تقي خان بأنه اذا حدثت قطيعة ، فللبريطانيين أن يفيدوا من عونه الحربي ضد إيران ، مقابل تعهدهم بحمايته بعد الوصول الى السلم من انتقام الشاه ، وبأن يعترف به كالزعيم الأعلى لعربستان .

وقدم لايارد أثناء إقامته في «خارج» التي دامت اسبوعين هذا العرض الى الكابتن «هنل» المقيم البريطاني في الخليج الايراني ، ولكن هذا الضابط لم يوفر أي أمل في الترحيب بالعرض المذكور . بل قرر مباشرة أن حلا سلمياً للمشاكل والمتاعب بين بريطانيا وإيران كان في الطريق .

المستر لايارد وصابئة عربستان ١٨٤١

ودوفع المستر لايارد خلال إقامته لعربستان الى الاهتمام بأمر الصابئة المنبوذين في الاقليم ممن تحولت معنوياتهم المتواضعة رغم جدهم ومثابرتهم الى حالة سيئة بسبب وقوع اضطهاد ديني عليهم ذي طبيعة رسمية وليست شعبية . وبفضل اعتراضه الشخصي لدى معتمد الدولة أمكنه أن يقدم عدة خدمات لعدد من عائلات الصابئة في شوشتر ، وأخذ على عاتقه فيما بعد مهمة حمل التماس وجهه مجتمع الصابئة الى ملكة انجلترا ، وحاول باسمهم بدون نجاح أن يجندهم للتعاون مع الرائد تايلور الوكيل السياسي البريطاني في بغداد ، ولا يعرف ان كانت لجهوده على النطاق الواسع أية نتيجة مباشرة(١) .

طوالع التجارة البريطانية مع عربستان

وكان من أهم مقاصد المستر لايارد عند ترحاله في عربستان هو فتح المقاطعة أمام التجارة البريطانية سواء للمملكة المتحدة او للهند . وقد نجح في إثارة اهتمام أصدقائه ومعارفه من مواطنيه بمشروعاته .

---

(١) عقب عدة سنوات من ذلك ـ وبصفته سير ا٠هـ٠ لايارد سفير صاحبة الجلالة البريطانية الى القسطنطينية ٠ حصل لايارد على فرمان من السلطان لحماية صابئة العراق التركى ٠ وكانت المساعدة التى قدمت عن طريق صاحبة الجلالة الملكة فيكتوريا شخصيا مساعدة نقدية الى الصابئة (مغامرات مبتكرة مجلد ٢ صفحـــات ١٧٠ ـ ١٧١) ٠

وفي البداية اعتمد أساساً على عون محمد تقي خان الزعيم البختياري لتحقيق أفكاره . وكانت بعثته الى «خارّج» في ديسمبر عام ١٨٤٠ ذات طابع تجاري علاوة على جانبها السياسي . وكان محمد تقي خان رجلا مستنيراً . وقد حاول مرة أن يصدر لحسابه منتجات بلاده إلى بومباي مباشرة ، ولكن المركب الذي شحنت عليه البضائع جنح(١) في الطريق ، وكان على استعداد لانشاء طرق تجارية تربط إقليمه بشواطىء الخليج الايراني وشط العرب .

وفي ١٨ ديسمبر عام ١٨٤٠ وجه المستر لايارد باسم محمد تقي خان خطاباً تجارياً الى المستر فريث التاجر المرموق في بومباي لتوصيله الى غرفة بومباي التجارية ، وأجابت هذه الهيئة فوراً تدعوه لارسال عينات ، ولكن المتاعب التي تورط فيها الزعيم البختياري بعد ذلك مباشرة بمعرفة معتمد الدولة خيّبت خطط المستر لايارد .

وقد جمع لايارد خلال سفرياته في عربستان عام ١٨٤١ وعلى الاخص في شوشتر كمية من المعلومات التجارية وكذلك الجغرافية والسياسية وحصل على وعود من عدد من زعماء البلاد وأعيان المدن بأنهم سوف يبذلون كل ما في قواهم لتنشيط وترقية التجارة البريطانية ، ولذا بدأت ، وعند عودته لبغداد في بداية عام ١٨٤٢ ، حملة لحث التجار البريطانيين وخاصة المستر أ. هكتور للالتفات الى عربستان الصالحة لتوريد البضائع . وكان الاكثر ذكاء من سكان المقاطعة حريصين على تنمية العلاقات التجارية الخارجية التي بيّن لهم المستر لايارد كيف ستكون عاملا للحد من الطغيان الايراني وسوء الحكم مما يجعل شئون عربستان محط اهتمام العالم .

---

(١) تبعا لسلبي (تقرير عن الملاحة صعودا في نهر القارون ٠٠ الخ ص ٢٣٧) فان المحاولة تمت بمعرفة مغامر بريطاني كان في خدمته ٠٠ بدون أى ضمان ، ولكن لايارد يقول فقط ان المسئول عن شحنة السفينة كان مسيحيا (مغامرات مبكرة مجلد ١ ص ٤٥٨) ٠

الملاحة في نهر القارون وكرخ شطيط وجرجر والديز وبهمنشير ١٨٤١ – ١٨٤٢

وفي عامي ١٨٤١–١٨٤٢ ، وبينما كانت «نيتوكريس» و «دوتمرود» غائبتين في حملة على أعالي الفرات يقودهما الملازم لينس وكامبل من الاسطول الهندي ، استمرت بقية قطع الاسطول البريطاني في الجزيرة «الفرات» و «أشور» بقيادة الملازم و. ب سلبي من الاسطول الهندي تتخذان مركز قيادتهما في بغداد .

وفي مايو سنة ١٨٤١ – أخذ سلبي واحدة منهما الى نهر قارون وصعد بها حتى الاهواز ، وهي نقطة سبق أن بلغها العقيد « إيست كورت » على الفرات سنة ١٨٣٦ حيث أجرى عمليات مسح جديدة ودوّن بعض المذكرات .

الكرخه

وفي أكتوبر عام ١٨٤١ أبحر سلبي بصحبة المستر لايارد على « آشور » مرتاداً نهر «صويب» حتى مسافة ١٠ أميال من شط العرب ، ولكن اضطره تفرع المجرى بعد ذلك إلى عدد من القنوات الصغيرة للتوقف . وتبعاً لذلك فقد نبذت فكرة مد الملاحة التجارية حتى الحويزة عن طريق الكرخة ، فقد كان من الواضح ان انهيار سد كوت نهر هاشم عام ١٨٣٢ او عام ١٨٣٧ قد جعل المجرى الاسفل لهذا النهر غير صالح للملاحة بعد أن كان صالحاً لها من قبل على أكبر الاحتمال .

القـــارون

واتخذت الخطوات(١) بعدئذ لاختبار نهر قارون وفروعه فوق الاهواز واستخدمت الباخرة آشور أيضاً .

---

(١) من الصعب أن نعين صاحب الفضل في اقتراح الرحلة في قارون التى ينسبها لنفسه كل من السير أ٠هـ٠ لايارد الملازم سلبي (أنظر لايارد مغامرات مبكرة مجلد ٢ ج ٣٣٢ و١٥٥ ـ ٥٦ هامش وسلبي تقرير عن الملاحة مصورا مصعدا في نهر قارون ٠٠ الخ ص ٢١٩ و ٢٢٠ من جريدة الجمعية الجغرافية الملكية مجلد ١٤ سنة ١٨٤٤ ٠ =

وصحب المستر لايارد الملازم سلبي كما في الحالة السابقة . وكان معهم الدكتور روس جراح دار المقيم البريطاني ، ودخلوا قارون في بداية مارس عام ١٨٤٢ وكان الماء عالياً في النهر. وكان معتمد الدولة ، وعداوته للعمليات البريطانية مشهور ، قد غادر المقاطعة الي الأقاليم الشمالية من ولايته وقد أمكن بسهو لةصعود منحدرات النهر عند الأهواز والتي كان من المتوقع ان تشكل عائقاً خطراً وذلك بزيادة القوة البخارية مع سحب المركب من على الشط وبذلك دخلت آشور الجزء الأعلى من النهر

شطيط

وعند بندى قير ، تبع المركب أولا شطيط أول فروع قارون وبلغ نقطة قبل شوشتر بستة أميال . لكن فيضاناً مفاجئاً أدى الى ترك المركب جانحاً على البعد عن المجري العادى للقناة .

وكانت ورطة مربكة لأنه لم يسبق إخطار السلطات المحلية بعمل الترتيبات اللازمة للزيارة . وكانت البلاد تجيش بعصابات قطاع الطرق فكان أحسن حل ممكن اذن هودعوة قادة المواطنين في شوشتر إلى حفل استقبال علي ظهر المركب . حيث رحب بهم الملازم سابي والدكتور روسي وهما بالزى الرسمى ، وكانت هذه الوسيلة من اقتراح المستر لايارد .

وبعد ذلك انزلت المدافع واقيمت علي متاريس حول المركب وبذلت المحاولات بمساعدة محلية لجذب المركب الى النهر على زلاقات ولكن بلا جدوى . وعندئذ بدأ الملازم سلبي محاولة لتخفيف المركب ، فأزال كل الآلات والمخزون وقام بحفر خندق عميق يمكن أن يعوم فيه

= وهناك اختلافات اخرى بين تقريرى هذين المرجعين فيذكر سلبي أن الكابتن هنل المقيم البريطاني في بوشهر كان قد كتب الى حكومة بومباى حانا (لاسباب سياسية) بعدم السماح لاى محاولة لاحضار مراكب الاسطول البريطاني في الجزيرة • وهذا الزم سلبي بان يقوم بالمحاولة تحت مسئوليته الخاصة بينما تبعا الى لاياود فان المشروع كان قد اعتمده الرائد تايلور الوكيل السياسى البريطانى في بغداد والذى كان الاسطول تحت أوامره وقتئذ • ومن المؤكد أنه يبدو من اشتراك جراح دار المقيم البريطانى في بغداد في الحملة أنها كانت أكثر من مغامرة شخصية غير مصرح بها للملازم سلبي •

المركب الى النهر . وكاد هذا يكمل ، واذا بالنهر يرتفع فجأة على غير أوانه . فهدد باغراق الآلات والمخازن التي كانت قد افرغت ، ولكن امكن انقاذها بسهولة . كما أمكن تحرير آشور بدون أي ضرر من الوضع المتعب الذي كانت فيه .

جرجار

وبعودتهم الى بندي قير ، دخلت آشور نهر الجرجار وسارت فيه حتى قبيل شوشتر بميل ، وقام بحارتها وملاحوها الاوروبيون بزيارة المدينة بحرية حيث سلكوا سلوكاً مهذباً ، وعوملوا باسلوب طيب .

ديــــز

وقبيل رحيل المركب عند شوشتر دعي بعض وجهاء الاهالي للرحلة على ظهرها ، وعند نزولهم عائدين ، كرموا بالتحية من مدافع السفينة ، وهي لفتة سروا بها كثيراً .

وقبل العودة الى المحمرة صعدت آشور إلى ديز رافد نهر قارون حتى مكان وفوق كوت بندر بعدة أميال ، وكان من الممكن أن تتقدم حتى مدينة ديزفول لولا أن الحذر من هبوط في النهر دعاهم للانسحاب .

وخلال هذه الاستكشافات التي دامت حتى ابريل شوهدت الشموع التي كانت شائعة في عربستان غير مرة واحدة .

بهمنشير

وأوضح الملازم سلبي أيضاً صلاحية بهمنشير للملاحة بنقل أحد سفنه البخارية من المحمرة حتى البحر ، ثم العودة عن طريق القناة . ولكن توقيت هذه التجربة غير واضح ، ولعله وقع سنة ١٨٤١ أو عند تنفيذ البرنامج سنة ١٨٤٢ .

مصاعب مع فارس شيخ كعب بشأن سفينة لأبوظبي ١٨٤٤ ـ ١٨٤٥

وفي ديسمبر سنة ١٨٤٤ أمر الشيخ فارس ، شيخ قبيلة كعب بالاستيلاء على صندل تابع لميناء ابو ظبي العربي تصادف وجوده في

المحمرة هو وشحنته البالغة قيمتها ٧٥ جنيه انجليزي . وكان عذره أن كعباً تطالب شعب أبو ظبي بدين يعود الى ٣٠ عاماً مضت ، وهو دين الغته أحداث تعاقبت بعده .

وبناء على طلب شيخ ابو ظبي بأن يحصل إما على ترضية منه أو يسمح له بنفسه باستعمال القوة ، قام المقيم البريطاني في بوشهر بالكتابة الى الشيخ فارس ينصحه بتسليم الزوزق ، ولكن الزعيم الكعبي أجاب بأنه ينوي أن يستمر في أعماله العدائية ضد أبو ظبي حتى يتحقق مطلبه . وبناء على ذلك ارسل العقيد هنل مساعده الرئيس كيمبول الى المحمرة على الطرادة إميلي ، ولكن « فارس » رغم وجوده على بعد مرحلتين فقط في الداخل لم يحضر للمحمرة حتى اليوم الحادي عشر ، انتظره خلالها الرئيس كيمبول ؛ ولا أجاب على خطاب سلم اليه . وعلى ذلك رجع المقيم بالامر الى طهران ، حيث حصل الوزير البريطاني الرائد «شيل» على فرمان من الشاه وخطاب من رئيس الوزراء الى الجنرال سليمان خان في المحمرة يأمره فيه بالتعويض . وبعد ذلك لجأ الشيخ الكعبي الى التحايل والهجوم مما دعا الى تقديم طلب جديد الى رئيس الوزراء الفارسي .

وبعد لأي ، استعيدت المركب وشحنتها من كعب وأبحرت في حماية الملازم فورد الذي كان قد ارسل على الطرادة كونستانس للافراج عنها .

★ ★ ★

العلاقات بين عربستان والدول الاجنبية الاخرى
١٨٢٤ – ١٨٤٣

لم يكن هناك من دولة أجنبية عدا بريطانيا وروسيا تبدي اهتماماً بشئون عربستان في ذلك الوقت .

وفي شتاء ١٨٤٠–١٨٤١ ارتحل البارون س. أ. ديبور ، السكرتير الاول في المفوضية الروسية في طهران ، خلال عربستان ماراً بين بهبهان إلى مال أمير ثم على شوشتر فديزفول . وبدا أنه على علاقات طيبة مع

معتمد الدولة الحاكم الايراني للمقاطعة ، ولكن لم تكن لرحلته أية آثار سياسية ظاهرة . ومن تقريره عنها يبدو أنه قام بها دون أي مقصد سياسي (١) .

★ ★ ★

ناصر الدين شاه ١٨٤٨ ـ ١٨٩٦(٢)

يتميز عهد ناصر الدين بنمو قوة حكومة طهران في عربستان التي جذب الانتباه اليها النزاع مع تركيا بشأن المحمرة ، والذي سوّي عام

---

(١) انظر : بارون ديبود : رحلات في لوريستان وعربستان ، وعلى الاخص المجلد الثاني ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٢) المصادر الرئيسية الرسمية للمعلومات المتعلقة بعربستان في عهد ناصر الدين شاه هي : ج. أ. سالدانها : خلاصة لمسائل عربستان الفارسية ١٩٠٤ ملازم أ. ب. ويلسون : ملخص علاقات الحكومة البريطانية مع قبائل ومشايخ عربستان ١٩١٢ .
وتغطي هذه الفترة كلها وتكملها منذ سنة ١٧٨٢ وصاعدا التقارير الادارية لدار المقيم البريطاني في الخليج .
ويحتوي كتاب لوفتس ، رحلات وابحاث في كلدانيا وسوسه ١٨٥٧ على معلومات عن الاحداث المحلية من ١٨٥٠ ـ ١٨٥٢ .
والمصادر الرئيسية لعمليات حرب سنة ١٨٥٦ ـ ١٨٥٧ هي : الرئيس ح.هـ. هنت ، حملة اوترام وهافلوك الفارسية ١٨٥٨ المحتوي على صور سريعة حية للمؤلف .
القائد سير ج.أ. اوترام : الحملة الفارسية سنة ١٨٥٧ وبه الرسائل والمكاتبات شبه الرسمية ولوحات .
ملازم م.س.ر.لو ، تاريخ الاسطول الهندي ١٨٧٧ .
الرائد مارك بل ، قصة الحروب البريطانية ـ الفارسية ١٨٨٩ .
مديم ج. ديبلافوا ، فارس وكلدانيا وسوسيانا سنة ١٨٨٧ ، والسوس سنة ١٨٨٨ . ويحتوي على معلومات سياسية . وأهم الاعمال الحديثة الرئيسية التي تناولت موضوع المقاطعة هو :
لورد كيرزون ، فارس والمسالة الفارسية ١٨٩٢ .
مستر ف. شيرول ، مسالة الشرق الاوسط ١٩٠٣ .
مستر هـ.ت. ويجهام ، المشكلة الفارسية ١٩٠٣ .
ويحتوي السابق خاصة على معلومات حديثة عن المشروع البريطاني لنهر القارون .. الخ .

١٨٤٧ بمعاهدة أرضروم . وكان المظهر البارز في المسائل المحلية هو قمع سلطان الشيخ الكعبي في الفلاحية ليحل محله الشيخ المحيسني في المحمرة كصاحب السلطة القبلية الاساسية في جنوب عربستان .

★ ★ ★

الادارة الايرانية لعربستان
١٨٤٨ ـ ١٨٩٦

في بداية هذه الفترة كان حاكم عربستان من قبل حكومة الشاه هو سليمان خان المعروف باسم حسام الدولة ، وهومسيحي من أقرباء منوشهر خان السيء السمعة والمعروف بمعتمد الدولة ـ أو ربما كان خليفته المباشر. ويبدو أن ادارتة كانت فعالة على قدر ما كانت تسمح به الظروف ، وفي عام ١٨٥٠ تحدى الزعيم البختياري الاعلى سلطانه ، كما حصل قتال حول الكرخ بين بني لام وآل كثير لم يستطع الحاكم ان يمنعه . والذي يبدو أن القبيلة الاولى من بني لام كانت لها الغلبة ، وكان آل كثير قد خضعوا خضوعاً منظماً للسلطان الفارسي لاول مرة في عهد محمد شاه . وكانت الجزية المفروضة عليهم عام ١٨٥٠ هي ٢٥٠٠ تومان او ٢٥٠ جنيه انجليزي . وقرب نهاية عام ١٨٥٠ كان مركز سليمان خان مقلقلا كما اوضح الرحالة البريطاني(١) الذي ترك لنا هذه المعلومات عن معتمد الدولة وأحواله .

لقد كان وجود حاكم مسيحي لمقاطعة اسلامية أمراً غير عادي . وكما سبق ان قلت يصعب علي أن أفهم كيف احتفظ معتمد الدولة بمركزه وسط مجتمع كاره له . ولقد كان سيداً عجوزاً متين البناء ، خفيف الروح ، وكما ينم عليه أنفه المحمر من إدمانه الخمر الفارسية او ربما مشروباً أقوى كان مليئاً بالمرح والشجاعة ، ولكن شمس عظمته كانت على وشك الافول ، وأيام مجده كانت معدودة .

---

(١) لوفتس : رحلات وابحاث ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

ففي ساعة نحس أمر بقمع تمرد وقع في بهبهان ، في اقليم عم الشاه ميرزا فيروز المجاور كان الامير عجز عن قمعه ، واذ نجح سليمان خان في ذلك تَنَفّس عليه الامير ان يفوقه كافر . لذلك تآمر لعزل منافسه الناجح من الوظيفة التي شغلها بقدرة ، واشتكى السيد العجوز بشدة من هذا السلوك ، وكان على وشك ان يسلم زمام الحكومة .

وفي سنة ١٨٥١ وقعت المقاطعة تحت ادارة صاحب السمو الملكي ميرزا خان لار الذي أصبح فيما بعد «احتشام السلطة» . ونقتبس فيما يلي ما نقله المؤلف(١) عن تفاصيل وصوله للسلطة .

وتحقق التهديد بعزل سليمان خان من ادارة المقاطعة ، وقد فعلت الرشوة ومؤامرات البلاط فعلها . وقد لعب المسيحي نفس اللعبة . وقامر بمبلغ كبير فأهدى الشاه ثروة من التومانات وفوقها ٢٠،٠٠٠ تومان للامير ، ولكن بلا جدوى إذ تولى ميرزا خان لار العم المقرب للشاه أمر المقاطعة . وكان قد حكم قبلا حتى خولبيجان قرب أصفهان حيث أكسبته الاحترام عدالته الخارقة . وأضيف لحكمه الآن لوريستان وكوزخستان وجبال البختياري . وبهذا أصبح خانلار ميرزا يحكم أهم وأكبر وأغنى اقليم في ايران . وكنتيجة طبيعية لتغير الحكام فان جميع هذه المناطق كانت في حالة قلق وان أمكن منعها من الثورة الصريحة . ولكن الامير الذي سرعان ما أصبح حكمه الحديدي محسوساً بين اللور والعرب قد ضرب بعض الامثلة على حصافته وحزمه . وقرب نهاية سنة ١٨٥١ كان النفور الوحيد الباقي من حكم هذا الامير قائماً فقط في الطرف الشمالي الغربي من البلاد بين اللور الغربيين فقط .

وفي بداية عام ١٨٥٢ زار ميرزا خانلار كوت نهر هاشم بغية إصلاح السد الذي سبب انهياره خراب الحويزة منذ ١٥ او ٢٠ سنة سلفت . ولكن لا بد وانه صادف نجاحاً في محاولاته أكبر من النجاح الذي صادفه معتمد الدولة عام ١٨٤٢ .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٥٥ ــ ٣٥٦ .

وقد ترك الرحالة(١) الذي استشهدنا به حتى الآن مرتين الوصف الآتي عن الامير الحاكم كما عرفه عام ١٨٥٢ .

« قد يبلغ عمر سمو الامير ميرزا خانلار عندئذ حوالي ٣٥ عاماً ، وهو رجل كان ملحوظ الوسامة رغم بعض الشحوب الذي في وجهه نتيجة انغماسه في الملذات ، كما كان يشاع همساً . وكانت ملامحه الذكية وجبهته العالية ، وعيناه الشديدتا السواد وأنفه الاقنى تثير الاعجاب في كل مكان ولم يكن عموماً يتمتع باسم محبوب ، ولكن من الظروف التي وصلت لعلمي استنتجت أنه كان حاكماً جديراً باعجاب الناس في مقاطعة إيرانية فهو حازم وقاس على المجرمين ولكنه لطيف وعطوف على الآخرين . واذا طالب رعاياه بزيادة كبيرة في الضرائب وهو الاتهام الرئيسي الموجه اليه (فقد كان ذلك كما ارغب أن اعتقد على نية استعمال الزيادة للمنفعة العامة) .

لقد كان يبني الكباري ويصلحها وينشيء الخزانات لحسن توزيع المياه . كما التزم بأعمال أخرى هامة لو تحققت بالكامل فسوف تحقق الازدهار لخوزستان . وقيل عنه إنه قاس في عقوبته . ولكن لخطأ في الناس بالنسبة لحكامهم . فهم لا يحترمون أبداً سلطان الحاكم الا اذا أعدم بعض الافراد في بداية حكمه .

وكانت القوات الايرانية التي طردها البريطانيون من المحمرة والاهواز في حرب عام ١٨٥٦–١٨٥٧ بقيادة ميرزا خانلار ، ولكن الامير ميرزا احتفظ بحكومة عربستان لبعض الوقت بعد ذلك .

وجاء بعد احتشام الدولة عام ١٨٦٠ ضياء الملك الذي استمر في الحكم حتى عام ١٦٢٢ . ثم خلف ضياء الملك صاحب السمو الملكي ميرزا فرهد ١٨٦٢–١٨٨٠ (المعروف باسم حشمت الدولة) وكلاهما من أعمام الشاه وثانيهما عرف قبلا بعلاقته بأمور خراسان أما اولهما فقدر له أن يصبح فيما بعد الحاكم العام لايران .

---

(١) لوفتس في رحلات وأبحاث ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ .

وكان المقر الرسمي لحشمت الدولة في خرّم آباد . وكانت لارستان وعربستان كلاهما تحت ولايته ، ولكن في نهاية أيامه كان عادة يضطر لجمع الضرائب بالقوة الحربية من الاراضي الواطئة . ولذلك جعل شوشتر مركز قيادته . وكان مجموع دخل عربستان عام ١٨٧٨–١٨٧٩ يساوي ١٣٧,٠٠٠ تومان خصص الحاكم لنفسه منها الربع باسم بشكانيشي ، والباقي وسمي «ديوان» خصص للخزانة الامبراطورية .

حكومة ظل السلطان ١٨٨٠ – ١٨٨٧

وفي عام ١٨٨٠ كان «ظل السلطان» هو أكبر أبناء الشاه ، ولكن ليس أفضل الباقين على قيد الحياة . وعهد اليه بادارة عربستان بالاضافة الى اصفهان ومقاطعات أخرى . ولكن أصفهان كانت موطناً له . ويظهر أنه لم يزر عربستان ، بل عين حكاماً محليين ليمثلوه . اولا جعفر قولي خان ثم أمير زاده عبدالله ميرزا ، واخيراً وليس بعد عام ١٨٨٢ صاحب السمو الملكي خانلار ميرزا ، احتشام الدولة ، الذي حكم المقاطعة ثلاثين عاماً لحسابه الخاص .

وقد زار احتشام الدولة الذى كان يعيش عادة في ديزفول وليس في شوشتر مقاطعة المحمرة مع كتيبة من المشاة الايرانيين في سنة ١٨٨٣ . وفي عام ١٨٨٤ أو ١٨٨٥ الغى «ظل السلطان» تعيين احتشام الدولة وضمت عربستان مع لورستان لمظفر الدولة الحاكم باسم صاحب السمو الملكي في بوروجرد ، وخرّم آباد . وقد قام هذا بجولة الى الفلاحية والمحمرة مع كتيبتين ايرانيتين مسبباً بذلك تهيوء كثير من مشايخ العرب لالتماس النجاة في تركيا .

حكومات نظام السلطنة وشهاب الملك والامير حسام السلطنة

وفي عام ١٨٨٧ أو ١٨٨٨ عين حاكم جديد لعربستان هو «نظام السلطنة(١) وأغلب الظن ان الحكومة المركزية الايرانية هي التي عينته .

---

(١) كان نظام السلطنة معروفا من قبل باسم سعد الملك ، وبالتالى منح هذا اللقب لاخيه حاكم بوشهر .

لان مجد «ظل السلطنة» في ذلك الوقت كان قد ضعف . وكان قد حكم لعدة سنوات نصف ايران تقريباً بما في ذلك كل المقاطعات الجنوبية والجنوبية الغربية التي سحبت الآن منه ، بحيث لم يبق له سوى أصفهان فقط .

وكان «نظام السلطنة» رغم عدم انتمائه الى عائلة طيبة ولا ينحدر عن اسلاف بارزين» يتحلى بسمعة طيبة في العدالة ، والقدرة على الادارة . ولكنه نقل عام ١٨٩١ الى بوشهر حيث رقي فيما بعد ليكون حاكماً عاماً لايران . وأخذ مكانه حاجبه غلام حسين خان المعروف باسم «شهادة الملك» الذي بقي سنتين ثم ترك مكانه في مارس عام ١٨٩٣ لصاحب السمو الملكي «حسام السلطنة» ، الذي زار المحمرة في يناير عام ١٨٩٤ . وكانت ادارة هذا الامير في جملتها ناجحة واحتفظ بالحكومة حتى مارس عام ١٨٩٥ عندما أعيد تعيين نظام السلطة حاكماً على عربستان .

وقد قاست المقاطعة من وباء الكوليرا عام ١٨٩٣ .

الاشغال العامة الايرانية ١٨٤٨ — ١٨٩٦

ولم تهمل السلطات الايرانية في عربستان كلية الاشغال العامة في عربستان وخاصة بعد افتتاح نهر القارون للملاحة عام ١٨٨٨ . ولكن نتائج محاولاتهم لم تكن ملحوظة كثيراً .

وفي عام ١٨٧٩ ربطت شوشتر والمحمرة موقتاً بمواصلات برقية مع طهران عن طريق ديزفول . ولكن الخط كان سيء التركيب وكثيراً ما كان ينقطع في بلاد اللور ولم يبق طويلا في العمل .

وفي عام ١٨٨٩ بنى نظام الدولة ديواناً للحكومة وثكنات ومرساة وحماماً عاماً في المحمرة كما بدىء أخيراً بإنشاءات مثل الثكنات في ناصري . وانفقت مبالغ كبيرة بلا جدوى لصيانة كوبري ديزفول في شوشتر .

وفي فبراير عام ١٨٩١ افتتح مكتب بريد ايراني في المحمرة . وفي أغسطس ربطت المحمرة والاهواز وشوشتر وديزفول بخط برقي ايراني

وُصِل في العام التالي عن طريق رامز بهبهان وديلام وريق بشبكة البرق الرئيسية في بورازجان .

وفي عام ١٨٩٤ أغلقت الخدمة البريدية البريطانية الاسبوعية التي كانت قد انشئت بين المحمرة وشوشتر لنقص الاعتمادات وأغلق المكتب حتى العام التالي .

تمديد شبكة الخارجوزار الى عربستان ١٨٨٩

وكان احد نتائج افتتاح نهر قارون عالمياً ان امتد الى عربستان النظام الذي يقضي بتمثيل وزارة الخارجية الايرانية في مراكز وجود المصالح الاجنبية الهامة بوكلاء اداريين او «كارجوزار» يناط بهم كل الاعمال العامة المتعلقة بالاجانب ، والتي لا تخضع لاشراف السلطات المحلية الايرانية . وفي بوشهر ، كما ورد في مكان آخر ، كان هذا النظام منذ زمن طويل سبباً خصباً للمشاكل . وفي يناير سنة ١٨٨٩ وصل سرتيب ميرزا كاظم خان الى المحمرة حيث كان قد عين كارجوزار تحت اشراف وزارة الخارجية الايرانية . كما عين موظف مماثل يتبع على أية حال ادارة أمين السلطان ، الملتزم العام للجمارك الايرانية في ناصري .

★ ★ ★

الامور الداخلية لشمال عربستان عدا راموز
١٨٤٨ ــ ١٨٩٦

نستطيع الآن أن نتعرض بايجاز للتاريخ الداخلي لمناطق عربستان الواقعة تحت الاشراف المباشر للحاكم الايراني بيسر أكثر مما في المناطق الملاصقة لشط العرب والخليج .

نهضة ديزفول وتقهقر شوشتر

بحلول سنة ١٨٧٩ ، كانت شوشتر المدينة الرئيسية لشمال عربستان

لمدة طويلة قد تخلت عن اهميتها لديزفول . ويذكر ثقة(١) واسع الاطلاع الأسباب الآتية لهذا التغيير :

« لم يترك طاعون سنة ١٨٣١–١٨٣٢ الذي لم يؤثر كثيراً في ديزفول الا عدداً قليلا من الناس أحياء في شوشتر . وقام اللور والايرانيون الذين كان خاناتهم المحاربون يبتعدون عن المدينة مسافة غير قليلة بالهجوم على المدينة الضعيفة ولو أنها كانت ما تزال غنية وسلبوها بلا رحمة . وامتلأت المنطقة المحيطة بقطاع الطرق من اللور والعرب ، فأخذت التجارة الايرانية التي كانت تسير في قارون بين شوشتر وأصفهان طرقاً أخرى أكثر أمناً . وكان أحدها يمتد من امارة على الدجلة الى ديزفول فخرم آباد . وهكذا استفادت ديزفول من ضرائب شوشتر ، وهي الآن مكان مزدحم عن باقي المقاطعة .

وكان تخمين الضرائب المفروضة على مدينة شوشتر وقضائها عام ١٨٨٣–١٨٨٤ مبلغ ٢٣٠,٠٠٠ قران .

اضطرابات البختياري ١٨٨٣ – ١٨٩٣

وفي ربيع عام ١٨٨٨ كانت بلاد البختياري في حالة اضطراب شديد فقد ثار «الخاني» المخلوع ضد الحكومة الايرانية . ولكن نظام السلطنة الحاكم الايراني لعربستان أخمد تلك الثورة حين سار من أصفهان على رأس قوات ايرانية . وعاونه البختياريون الذين لم يكونوا من حزب الخاني السابق . وفي سنة ١٨٩٢ تجددت الاضطرابات واعتقل الخاني السابق وخليفته وارسلا الى طهران . ولكن في السنة التالية ، نقلت اراضي البختياري من ولاية حاكم عربستان ووضعت تحت حكم ظل السلطنة بأصفهان ، الذي أعاد الزعيمين المنفيين الى رياستهما للقبائل وأقصى منافسهما الاساسي .

---

(١) مستر ب. ج. س. روبرتسون ، مساعد الوكيل السياسي في البصرة في : تقرير ادارة الاقامة في الخليج ١٨٧٨ – ١٨٧٩ .

انحلال الامن وحالة الفوضى ١٨٨٨ – ١٨٩٦

لقد أدى موقف قبائل البختياري والحملة الحكومية ضدهم الى عدم استقرار بعض أحياء شمال عربستان ، لكن هؤلاء عادوا حين ذاع نبأ نجاح العمليات الايرانية . ففي أكتوبر عام ١٨٩١ هاجم رجال قبيلة عنفجة قافلة قرب شوشتر فقتلوا وسلبوا ، ولكن الشيخ فرحان ، الذي يعتمدون عليه تصالح مع الحكومة . وهكذا لوحظ تحسن في المنطقة المجاورة التي كانت قد اهتزت اهتزازاً خطيراً .

وفي عام ١٨٩٢ حدث نقص جزئي في المحاصيل سبّب بالاضافة الى سوء ادارة شهاب الملك في اغارة بني طاروف في المناطق المجاورة للاهواز واغارات لور الساجوارد على طريق ديزفول شوشتر .

وفي عام ١٨٩٤ أصبح طريق ديزفول خرّم آباد غير آمن لسير القوافل . مما دعا «حسام السلطنة» الى اللجوء للعمليات الحربية ضد اللور وبراكواند بمعاونة بعض البختياريين . وفي مايو أسر ونفي بعض الديراكوانديين ولكن الطريق ظل مسدوداً ، فقد وقع البختياريون مع بعضهم في طلب الثأر مما هدد أمن طريق شوشتر–ديزفول أيضاً .

وفي عام ١٨٩٥–١٨٩٦ شن آل كثير إغارات في مناطق ديزفول انتقاماً لنقل ملكية اراضٍ كانوا يطالبون بها مما أوجب حملة تأديبية ضدهم فيما كانت قبائل اللور تحمل وزر أعمال من النهب والسلب سببت خلو كثير من القرى المستقرة من سكانها .

★ ★ ★

أمور مقاطعة راموز
١٨٤٨ ـ ١٨٩٦

حوالي عام ١٨٧٩ ، كانت الحكومة الايرانية تمنح التزام اقليم راموز الى عائلة شيخ المحمرة أحياناً وفي أحيانٍ أخرى الى أحد خانات البختياري .

وكان تخمين ضرائب الاقليم مربوطاً للحكومة الايرانية بمبلغ ١٤٠,٠٠٠ قرانٍ عام ١٨٨٣ — ١٨٨٤ .

١٨٨٨

وفي حوالي عام ١٨٨٨ ، حدثت ثورة في راموز انتهت الى خلع الحاكم المحلي المعين من قبل الحكومة الايرانية ووضع حاكم آخر عينه الاهالي أنفسهم . وأقر نظام السلطنة تعيين هذا الحاكم بعد أن حصل منه على زيادة في قيمة نصيبه من الجزية « البشكاش » .

★ ★ ★

أمــور الحويزة
١٨٤٨ ـ ١٨٩٦

لم تكن الحكومة الايرانية قادرة بسبب طبيعة اقليم الحويزة المليء بالمستنقعات الا على مباشرة قدر ضئيل من الحكم . وكان عليها بذل عناية كبيرة في اختيار حاكم الاقليم . حيث إن الاهالي ما كانوا ليدفعوا الضرائب الا للسلطة التي يوافقون عليها .

١٨٧٢

وفي عام ١٨٧٢ زار الامير الحاكم الحويزة حيث عيّنَ حاكماً جديداً هو «ملا محمد» .

١٨٧٩

وفي عام ١٨٧٩ ، كان هناك عرب كثيرون يقيمون في قضاء الحويزة هاربين من وراء الدجلة خوفاً من نهب شيخ المنتفك . وقد اعتاد مثل هؤلاء المهاجرين على دفع الضرائب للحاكم القوي أما الحاكم الضعيف فلا يدفعون له شيئاً .

١٨٨١ — ١٨٨٨

وفي خريف عام ١٨٨١ اعترفت الحكومة الايرانية بالملا فوراً ليكون حاكماً للحويزة . واستمر يحكم الاقليم حتى عام ١٨٨٣—١٨٨٤ مقابل ربط من الضرائب قدره ٢٣٠,٠٠٠ قران . ولكن في عام ١٨٨٩ اضطر ، رغم تأييد الحكومة الايرانية له ، أن يترك مكانه لمنافس أكثر شعبية هو «ملا ناصر الله» الذي استفاد منه نظام السلطنة في زيادة البشكاش عما كان اولا .

١٨٩١

وفي مايو عام ١٨٩١ وقعت اضطرابات خطيرة في الحويزة بسبب تعيين حاكم غير مرغوب فيه . وقد حمل مسئوليتها بنو طروف ولكن القوات الايرانية هزمت الثوار في معركة سريعة خارج قرية الحويزة . وسرعان ما خضع الشيخ الذي قادهم ، ونسبت أسباب الثورة الى سوء تصرفات المصطفى او محاسب الضرائب الايراني في عربستان ، الذي ارسل بالتالي الى الحبس .

١٨٩٤

وفي عام ١٨٩٤ تكرر وقوع الاضطرابات في الحويزة ، اذ قام السكان ضد القائد الحربي وكان في أغلب الظن ضابطاً ايرانياً ارسل هناك .

وفي ديسمبر من نفس هذه السنة اشتبك حزبان من بني طروف مع بعضهما في فتنة لم تهدأ حتى وصل الامير الحاكم للمقاطعة بنفسه على رأس قوات ألى ارضهم وهدم طابية لاحد الفريقين . وكانت

حدود الحويزة في ذلك الوقت مضطربة كثيراً ، وتبادل الاعراب التابعون لتركيا وايران الهجوم على بعضهما بحرية عبرها .

١٨٩٦

وفي عام ١٨٩٦ ثارت الدداوات حول الحويزة كنتيجة مباشرة لتدخل احتشام السلطنة في العام السابق . وقد تورط فيها بنو صالح وهدد فيها سيد نعمة الذي سبق ان استعان به الايرانيون . ولكن شيخ المحمرة وقع هدنة انهت الاضطراب ..

★ ★ ★

أمور مشيخة المحمرة
١٨٤٨ - ١٨٩٦

استمرت المحمرة وتوابعها تحكم في عهد ناصر الدين شاه كما كانت تحكم خلال عهد محمد شاه وجزءاً كبيراً من عهد «فتح علي شاه» بواسطة الشيخ حاجي جابر المحيسني الذي امتد حكمه من عام ١٨١٩- ١٨٨١ .

الموقف عند ختام الحرب الانجلو ايرانية ١٨٥٧

وفي ابريل عام ١٨٥٧ عقب وصول الانباء عن الاتفاق على السلم بين بريطانيا وإيران الى المحمرة ، ورغم استمرار الاحتلال البريطاني للمدينة بدأ الشيخ جابر المفاوضات مع صاحب السمو الملكي خانلار ميرزا الحاكم الايراني لعربستان الذي كان قد انسحب الى ديزفول بقصد ضمان بقائه شيخاً للمحمرة . ولعله قد ظن ان ولاءه قد يصبح واضحاً في عين الحكومة الايرانية ، بينما كان البريطانيون يريدون ان يضعوا مكانه منافسه الشيخ فارس الكعبي . وكان مقر الشيخ جابر في ذلك الوقت في الدعيجي(١) بالاراضي التركية حيث انسحب اليها قبل او عند وصول

(١) انظر اوتردام ٠ الحملة الفارسية في سنة ١٨٥٧ ص ٢٤٩ ٠

الحملة البريطانية الحربية ، ولم يتردد بحذقه المعهود أن يدخل في مكاتبات مع الحكومة التركية في البصرة بالنسبة لموضوع المحمرة . كما تظاهر بمعاونته في خططها لتقوية مطالبها في المنطقة .

ولم تفلح كل هذه المناورات في أن تجعل السلطات البريطانية حائلا يمنع من تسليم المحمرة الى ممثله الخاص عند نهاية الاحتلال البريطاني الحربي . كما أن الامير الحاكم لم يكتف فقط بتأكيد حيازة الشيخ جابر للمحمرة عقب رحيل القوات البريطانية . ولكن جعله أيضاً مسئولا عن الفلاحية وعزل الشيخ فارس .

عزل الشيخ جابر عن المحمرة ١٨٦٠ – ١٨٦٢

ولكن عند استدعاء صاحب السمو الملكي خانلار ميرزا من عربستان وتعيين ضياء الملك بدلا منه وقع الشيخ جابر ، لوقت ما في أيام نحسه ، فقد قامت ثورة ناجحة ضده في الفلاحية وهزمت كعب محيسن في معركة كبيرة عند موينح على نهرالبهمنشير ، بل واحتلت المحمرة حيث عين الشيخ «فارس» بتأييد من الحكومة الايرانية أخاه هاشماً كممثل له ، بينما أغرى الحاكم الايراني الجديد الشيخ جابراً للحضور من ملجئه في الدعيجي في الاراضي التركية الى معسكره في موران على القارون متظاهراً بأنه سيدبر معه حملة مشتركة ضد الفلاحيه ؛ فغدر به وسجنه . وارسل الشيخ بعد ذلك تحت الحراسة الى شوشتر . بينما سلم ابنه كرهينة لزعيم كعب حيث ظل كذلك تحت الحجز حتى نهاية حكومة «ضياءالملك»

اعادة الشيخ جابر للمحمرة ١٨٦٢

وعقب تعيين صاحب السمو الملكي «فرهد ميرزا» حاكماً على عربستان حرر الشيخ جابر فوراً واعيد الى المحمرة كنائب للحاكم مؤيداً بجنود ومدافع ايرانية . وعند وصوله لمدينته قتل شيخين كعبين هما : «سلطان بن تامر وهاشم بن غيث» والثاني أخ للشيخ فارس ، ولكن ظروف ذلك غامضة . وفي نفس السنة أنعم عليه بلقب «نصرة الملك» من الحكومة الايرانية .

حكومة الشيخ جابر الثانية ١٨٦٢–١٨٨١ ووفاته

لقد ادار الشيخ جابر منذ اعادته عام ١٨٦٢ حتى وفاته في سن متقدمة جداً غالباً فوق التسعين عام ١٨٨١ ، أملاكه الموروثة بقدرة ظاهرة ونجاح . وبين عامي ١٨٧٣ و ١٨٧٥ حث على تحسين نهر القارون بقصد فتحه للملاحة التجارية حتى نهر القارون . ولكن لم يقدر على إثارة اهتمام الحكومة الايرانية بمشروعيه ، بينما لم يقدر هو بنفسه ان يفعل شيئاً لتنفيذهما .

وفي عام ١٨٧٥ ثارت مصاعب قاسية بينه وبين الحكومة التركية بشأن الضرائب المستحقة على المحمرة ، كما اتهم بمقاومة قوات الحاكم الايراني وبالاتجاه نحو الاستقلال . ومن الواضح أن الاتهامات كانت بدون اساس وسقطت .

وفي فبراير عام ١٨٧٩ ، وكانت قوى الشيخ البدنية تخور رغم بقاء قدرته العقلية ونفوذه السياسي ، قام بزيارة بومباي بقصد العلاج وفي خلال غيابه قام نجله محمد خان على خدمة صاحب السمو الملكي «حمزه ميرزا» في شوشتر ، كما أنه حصّل ضرائب المحمرة كاجراء تأمل منه ان يتجنب زيارة «حشمت الدولة» الشخصية للمحمرة . وفي نفس الوقت بقي مزعل خان النجل الاصغر للشيخ جابر مسئولا وعن المحمرة نفسها .

ورحب الامير الحاكم بعطف على الاقل باقتراح قدمه محيي خان بأن يمنح التزام أحياء قبيلة كعب الى شيخ المحمرة ، ولكنه اوضح له أن إقامة الشيخ جابر في بومباي أمر غير مقبول من الحكومة الايرانية المركزية ، وان عليه أن يعود للمحمرة . وهو ما فعله . وعندئذ تحققت زيارة الامير الحاكم التي كان يخشى منها . «وتحققت معها النتائج المالية المعتادة »

وفي نهاية عام ١٨٨٠ ، تدهورت صحة الشيخ جابر ، وبعد صحوة الموت مات في اكتوبر من العام التالي بعد أن حكم أكثر من ٦٠ عاماً .

وكان الشيخ جابر «عربياً داهية قديراً يسمو كثيراً بذكائه عن أبناء شعبه» وكان له عدة مراكب تقوم بالتجارة والسفر بين مسقط وبومباي . وبهذه الوسيلة «وبالاستثمار الفطن للاراضي وخاصة في تركيا نمت ثروته بالتدريج ونما معها النفوذ الذي يجلبه المال » .

وقد مكنته اللياقة والاناة التي مارس بهما علاقاته مع الحكومة الايرانية من ان يحتفظ حتى النهاية بنوع من الاستقلال النافذ عنهم في إدارته الدولية .

وراثة خزعل خان لحكم المحمرة

ولم يترك الشيخ جابراً عند وفاته سوى ولدين صالحين لخلافته هما محمد خان ومزعل خان السابق ذكرهما . وكانا في ذلك الوقت أصغر من أن ينافسهما أحد على المشيخة كما ترك آخر يسمى سلطان ، إن كان ما يزال حياً فهو غبي غير طموح .

ويبدو ان الشيخ جابر نفسه تردد في اختيار خليفته ، فقد كان كل من محمد خان ومزعل خان رجلي حرب ، كما كانت شعبيتهما من مستوى واحد . وحتى عام ١٨٧٩ أو بعدها كان الشيخ جابر يعامل الاكبر منهما على أنه خليفته ، وبدا أنه يعامل الآخر بنوع من الغيرة الناشئة عن الشيخوخة . ولكن قبل وفاته بعدة أشهر استخدم الاصغر وكيلا له في جميع الشئون التجارية . ويبدو أنه ابدى رغبة رسمية في أن يعترف به كوريث للمشيخة . وعند وفاة الشيخ جابر انتهت حكومة المحمرة موقتاً الى محمد خان باعتباره النجل الاكبر ، في انتظار تعليمات السلطات الايرانية ، ولم يدخر هذا وسعاً في مصالحة أخيه الاصغر ولكن المحيسنين «ككتلة وفرع من كعب» فضلوا مزعل خان . وعندما وصلت هذه الحقيقة الى علم «ظل السلطان» ، وهو عندئذ الحاكم العام لعربستان ومقاطعات أخرى ، فقد أصدر الفرمان الايراني بتعيين الشيخ مزعل خان . وعلى عكس ما كان الكل يتوقعون لم يحاول محمد خان أن ينازع في هذه التولية بالقوة ، بل سار الى اصفهان حيث أمر ظل السلطان بحجزه ، وهكذا ساد السلام في المحمرة .

وفي أغسطس عام ١٨٨٣ عقب قمع بعض الثوار من فرع نصار من الكعبيين الذين يعتقد ان شيخ الكويت قد حرضهم على الثورة بدا أن قوة الشيخ مزعل خان مستقرة جيداً محلياً ، لكنه في عام ١٨٨٤ سمح لاخيه محمد خان بالهرب من ديزفول حيث كان معتقلا ، فأخذ طريقه للفلاحية ، بينما بدا أن الشيخ نفسه كان خائفاً من ان تزايد طلبات السلطات الايرانية سيجبره على ترك حكومة المحمرة التي كانت تمنح له من سنة لاخرى . وكان التزامها قد منح له من البداية مقابل ٤٥٠,٠٠٠ قران أو ١٨٠,٠٠٠ روبية في السنة .

وفي عام ١٨٨٣ أو ١٨٨٤ زار سعد الملك من بوشهر المحمرة بنية تغيير ادارة الجمرك من الشيخ الى السلطات الايرانية . ولكن الشيخ مزعل قاوم المشروع بنجاح . وفي عام ١٨٨٥ تمت مصالحة بين الشيخ وأخيه محمد خان ، واتفق على أن يقيم الاخير في سلبيات»» الذي يبدو أنه هو نفس المكان الذي يحمل هذا الاسم في الاراضي التركية على الشاطىء الغربي لشط العرب ، كما اتفق على أن يحصل على مرتب شهري قدره ١٠٠ تومان علاوة على مزرعة من النخيل .

وفي عام ١٨٨٧ تعرضت سلطة الشيخ للتحدي من فرع نصار من الكعبيين ، فاعير زورقاً حربياً ايرانياً لقمعهم مما ساعده على التغلب عليهم

وفي عام ١٨٨٨ انعم على الشيخ مزعل بلقب «معز السلطنة» وهو أمر كلفه من الزيارات التي قام بها للمحمرة عدة موظفين ايرانيين مبلغ ٢٠,٠٠٠ تومان زيادة على مبلغ الجزية السنوية .

ويعتقد ان الشيخ مزعل حاول تعطيل نمو المحمرة حتى لا يغري أي ازدهار لها السلطات الايرانية بالمغالاة في طلباتهم منه . وبالتأكيد كان ينظر الى كل امتداد في قوة الحكومة المركزية الايرانية في عربستان بفزع ، وربما كان هذا سبب عدائه للملاحة العامة في قارون التي سنتحدث بالكثير عنها فيما بعد .

وبالتدريج تضاءلت شعبية الشيخ بين القبائل التي يحكمها وخاصة

من جراء سلوكه الجشع . فبالاضافة الى الزيادة العامة في الضرائب ، وهو أمر من المحتمل أن الايكون له فيه خيار أمام مطالب الحكومة الايرانية ، فقد أدعى ملكيته الشخصية لاراضي المحمرة وما حولها . وهو امر لم يدعيه أبداً أخوه كما استباح لنفسه حق طرد الزراع من مزارع النخيل التي توارثوها لصالح المزايدين الذين يدفعون له ثمناً أكبر .

وفي عام ١٨٩٥ كان الشيخ ما يزال قادراً على السيطرة على اقطاعيته. ولكن رعاياه كانوا في غاية الضيق ، بل وقع كثير من زعماء القبائل بالفعل وثائق يتعهدون فيها بتأييد أخيه الاصغر خزعل في بعض الامور

★ ★ ★

أمور أقضية كعب
١٨٤٨ ـ ١٨٩٦

حكم شيخ المحمرة للفلاحية حوالي ١٨٥٧ — ١٨٦٠

سبق ذكر التطورات التي مرت بالشيخ جابر في نهاية الحرب الانجلو ايرانية عام ١٨٥٦—١٨٥٧ ، والتي نتج عنها نفي الشيخ فارس شيخ كعب «الذي حكم الفلاحية منذ عام ١٨٤١» الى طهران ، بعد أن استجاب لاستدعاء صاحب السمو الملكي خانلار ميرزا حاكم عربستان للمثول أمامه . وكذلك ما كان من تعيين الشيخ جابر نفسه كنائب للحاكم الايراني للفلاحيه في المحمرة . وقد ارسل الشيخ جابر ولده محمد خان ليمثله في الفلاحية . لكنه خلال غيابه في بور حيدر حيث استدعاه الحاكم الايراني للمثول بين يديه ثارت كعب على هذا النائب ولم يمكن تجنب ضياع هذه الاقضية من سلطانه الجديد الا بعودته المباشرة واستيلائه على الفلاحية .

حكومة الشيخ فارس في الفلاحية ١٨٦٠ — ١٨٦٨

وعند تعيين ضياء الملك على حكومة عربستان ، أفرج عن الشيخ فارس من معتقله في طهران بينما أثار قريبه «لطف الله» معظم قبائل

كعب ضد ادارة المحيسنيين التي ما بقي لها أي فرع وارث . وكانت النتيجة كما سبق ان رأينا هزيمة الشيخ جابر في منيخ ، وقيام حكومة كعب المؤقتة في المحمرة نفسها ، واعقب ذلك اعتقال الشيخ جابر ونفيه بدوره بمعرفة السلطات الايرانية . وفي عام ١٨٦٢ أعيد الشيخ جابر للسلطة في المحمرة .

وفي عام ١٨٦٨ أصيب الشيخ فارس بالعمى وخلفه في زعامة أحياء كعب ولده محمد .

مصرع الشيخ لطف الله وحكم الشيخ جعفر شيخ رحمه للفلاحية ثم الشيخ عبدالله ١٨٧٨ — ١٨٩٣

وفي مايو عام ١٨٧٨ قتل الشيخ لطف الله بن مبادر المشهور باسم «شيخ لطفي» أحد أفراد أسرة الفلاحية الذي كان فاجراً مغرقاً في السكر ، والذي كان قد استولى على المشيخة من محمد بن فارس في عام ١٨٧٢ او قبلها ، وقد قتل معه نجله «غضبان» في حي الجراحي بيد جعفر وسلمان ولدي محمد المذكور .

وعينت السلطات الايرانية أحمد بن عيسى ابن اخ الشيخ فارس في مكانه بعد ان وعدهم بجزية الفلاحية عن الفلاحية فقط مقدارها ١٠,٠٠٠ تومان سنوياً . وفي نفس الوقت فصلت أقضية الجراحي وهنديان ومعشور من مشيخة كعب ومنح التزامها الى امير عبدالله من دية الملا في هنديان مقابل ١٢,٠٠٠ تومان خلاف أل ٩٠٠٠ تومان التي دفعها مقابل التزام دية الملا وحيث كان الموسم سيئاً فقد فشل الامير عبدالله في الوفاء بالتزاماته . كما عجز «الشيخ رحمه» الذي كانت سيطرته ضعيفة عن ان يجمع أكثر من ٤٠٠٠ تومان من المبلغ المطلوب منه . وبناء على هذا ارسلت قوات ايرانية بقيادة الوزير أسد الله خان وزير الحاكم الايراني الى الفلاحية لمساعدته في تغطية مطلوباته .

١٨٨٠ — ١٨٨٤

وفي عام ١٨٨١ وبعد مفاوضات لتأجير تلك الاقضية للشيخ جابر ، لم تعرف نتيجتها على وجه التأكيد ، وبعد محاولة فاشلة لتولية جعفر بن

محمد حفيد الشيخ فارس ، المشيخة ، بقي رحمه مرة ثانية شيخاً على الفلاحية . بينما استمر أمير عبدالله في التزامه بباقي أقضية كعب الاخرى .

وفي عام ١٨٨١ ثُبّت الشيخ رحمه في حكومته التي احتفظ بها حتى عام ١٨٨٤ عندما ثبت عجزه فاستبدل بجعفر بن محمد الذي قام شيخ المحمرة بضمانته في سداد المبالغ المستحقة عليه من الجزية للسلطات الايرانية ، كما كان هو الذي ساعد جعفر في تولي المشيخة رغماً عن وجود حزب يناصر الشيخ رحمه . وكانت الجزية المفروضة على الفلاحية عام ١٨٨٣–١٨٨٤ تبلغ ١٥٠,٠٠٠ قران .

١٨٨٥

وفي سنة ١٨٨٥ ، وهي السنة التي قام بها «مظفر الملك» حاكم عربستان شخصياً بزيارة الفلاحية ، عزل الشيخ جعفر موقتاً ليحل محله الشيخ رحمة مجدداً . وقد دعي شيخ المحمرة لتأييده ، ولكن تعيينه الغي تقريباً في نفس الوقت الذي تم فيه .

١٨٨٨

وفي عام ١٨٨٨ زار نظام السلطنة حاكم عربستان الفلاحية مع قوة من ٥٠٠ فارس من المشاة وبعض فرسان البختياري . ويظهر أن حضوره كان مرتبطاً بثورة الكعبيين على الشيخ عبدالله المحتمل أن يكون أخاً للشيخ رحمه الذي كان قد عين منذ عدة شهور سابقة بدلا من الشيخ جعفر . ولم يكن القوم في مزاج يسمح لهم بمناقشة الامر معه ، فقد أغرقوا الاراضي حول الفلاحية جاعلين المكان صعباً أمام قواته . ولم يستطع أن يتقدم الى اكثر من الغرابيه على نهر الجراحي .

١٨٩٣ – ١٨٩٥

وفي عام ١٨٩٣ كان الكعبيون ساخطين على الشيخ عبدالله وخلعوه وولوا الشيخ جعفراً . ولكن شيخ المحمرة الذي كان يفضل عبدالله نجح في اقناع «حسام السلطنة» ليعيد تعيينه ، غير أن معارضة الكعبيين كانت من القوة بحيث إن الامير الحاكم خلال زيارته للمحمرة في يناير عام

١٨٩٤ اضطر أن يعكس أمره ويعود للاعتراف بالشيخ جعفر . وفي خلال السنة ظهرت حركة تأييد بين القبائل للشيخ عبدالله ، وقوبلت رغباتهم باعادته ثانياً للحكم .

وكما هو واضح قد تمزقت مشيخة كعب . ولم يعد هناك أي ضمان لبقاء الشيخ في سلطته . واصبح اختياره معتمداً على السلطات الايرانية وأحياناً لنفوذ شيخ المحمرة . وقد آل أمره في الحقيقة لان يصبح مجرد جاب لضرائب الحكومة الايرانية . وأصبح العوبة بين يدي من هم رعاياه إسماً فقط ، بدلاً من ان يحكم كما كان أسلافه من قبل .

★ ★ ★

علاقات عربستان مع تركيا
١٨٤٨ ـ ١٨٩٦

العلاقات التركية ـ الايرانية عموماً ومسألة حدود البصرة والمحمرة

يتناول الفصل الخاص بتاريخ العراق التركي أغلب الامور المتعلقة بعلاقات ايران وتركيا حول الحدود بين البصرة والمحمرة . وخاصة المسائل المتعلقة بوضع الحدود المشتركة واعمال القرصنة في شط العرب . وقد شرحت بالتطويل محاولة ابتلاع القسم العربستاني من الحدود الايرانية التركية كما يرد شرح الاجراءات المتخذة لاحقاً في موضوع جزيرة الشالحة .

١٨٩٣

وفي أكتوبر عام ١٨٩٣ بدأت السلطات التركية في جباية مكوس عند الفاو على البضائع الذاهبة الى المحمرة او الصادرة منها . وكان مفهوماً ان والي البصرة قد وصلت اليه تعليمات بأن يعامل المحمرة والشاطىء الايراني لشط العرب كارض تركية . فاشتكت الحكومة الايرانية . ونظراً لان بعض المراكب البريطانية الهندية قد عانت من

التعرض لها بسبب هذه الاجراءات الجديدة ، فقد قدم سفير صاحب الجلالة في استامبول احتجاجاً قوياً ، فنفى الباب العالي عندئذ ما نسب اليه وأوقفت جباية المكوس الشاذة عند الفاو .

العلاقات بين سلطات عربستان الايرانية والسلطات التركية ١٨٧٨

ولم يدخل الحكام الايرانيون لعربستان في اتصالات مع موظفي الباب العالي الا قليلا لان المناطق التي كانت تحت اشرافهم الشخصي لم تكن تتصل بالعراق التركي الا في اراضي القبائل عند حدود الحويزة .

وفي ربيع عام ١٨٧٨ قام بنو لام المشكوك في جنسيتهم بغارة عنيفة على أقضية شوشتر ، حيث خطفوا عدداً كبيراً من البغال والغنم . ولكن زعيماً بختيارياً طاردهم باتجاه من الحاكم الايراني ولحق بهم في الاراضي الايرانية . وقيل إنه أبادهم ، ولكن على أي حال كانت هناك صعوبة كبيرة في استعادة الاسلاب التي فقدها الشوشتريون من البختياري نفسه . وفي النهاية غرمته الحكومة الايرانية ٣٠,٠٠٠ تومان .

وفيما بين ١٨٦٠ و ١٨٨٠ اشترى الشيخ جابر حاكم المحمرة مساحات كبيرة من الارض لحسابه الخاص . وكان من أسباب اختياره الاستثمار في الخارج ضمان بعده عن سلطة الحكومة الايرانية ، التي تستطيع أن تفعل به ما تشاء ، باعتباره رعية ايرانية في ارض ايرانية . وقد اصبح نفوذ الشيخ جابر في ولاية البصرة نتيجة املاكه هناك كبيراً . ولكنه لم يسيء استعماله . كما أنه يبدو أن السلطات التركية في ذلك الوقت لم تعترض على وجوده . وفي أيامه لم يبد الموظفون الاتراك المحليون أي ميل عدائي ضد حاكم المحمرة ، وتلك ظروف يعود بعضها الى الاعتدال الذي تميزت به سياسة الشيخ جابر الخارجية والداخلية ، والبعض الآخر الى ضعف الحكومة التركية في البصرة . ولكن فيما بعد أيام خليفة الشيخ جابر أصبح موقف الاتراك من المحمرة أقل وداً ، ولكن النمو المنتظم وموارد المشيخة أجلا قيامهم بأي عمل عدواني ضدها . ولم يظهر الشيخ مزعل رغم أنه كان في كل معاملاته متساهلا وعلى استعداد للتعاون لقمع القرصنة في شط العرب أي قدر من الخصومة للسلطات التركية .

وفي عام ١٨٩٤ تبودلت الغارات بين القبائل العربية التي تقيم بالتوالي في الاراضي الايرانية والتركية فيما بين الحويزة وشط العرب ، ولكن الشيخ نفى اتهامات الاتراك للرعايا الايرانيين ووقف الامر عند ذلك الحد.

* * *

العلاقات البريطانية مع عربستان قبل الحرب الانجلو ـ ايرانية

اقتراح اجراء مناورات بريطانية أمام المحمرة ١٨٤٨-١٨٤٩

في أكتوبر عام ١٨٤٧ وجد العقيد رولنسون الوكيل السياسي في العراق التركي أنه من الضروري أن يوجه الى الشيخ جابر احتجاجاً قوياً على المعارضة المكدرة للتجارة البريطانية في المحمرة ، وذلك بسبب اعتراض عمليات السادة أ. هكتور وشركاهم ، وهم مؤسسة بريطانية مركزها الرئيسي في بغداد ، ولتعزيز الحقوق المضمونة للتجار البريطانيين في ايران بمقتضى المعاهدة التجارية الايرانية البريطانية عام ١٨٤١ .

وفي نفس الوقت طلب العقيد رولنسون من الرائد فارانت القائم بالأعمال البريطاني في طهران ، كما التمس من العقيد «هنل» المقيم السياسي في بوشهر أن ترسل له واحدة او اكثر من قطع الاسطول الهندي في الخليج العربي لتتعاون مع الباخرة المسلحة نيتو كريس التابعة للوكيل السياسي في بغداد في تظاهرة بحرية أمام المحمرة .

واستجاب العقيد «هنل» بارسال القطعتين الحربيتين « اليفينستون والفرات» في نهاية ديسمبر عام ١٨٤٨ . ولكن «الفرات» جنحت عند جزيرة خارج في الطريق ، وأصيبت بعطب اضطرها للعودة الى بوشهر. وفي نفس الوقت تلقى العقيد رولنسون من طهران تعليمات وجهها الشاه الى سليمان خان حاكم عربستان « الذي لم تكن مبادؤه التحررية أقل بروزاً من ادارته الحازمة» واذ أتيحت آمال طيبة للتعويضات بالطرق العادية فقد طرحت جانباً مسألة المظاهرة البحرية البريطانية .

ولم توافق حكومة بومباي على عمل العقيد رولنسون والعقيد «هنل» اذ اعتبرت أنه لم يكن عليهما أن يعدا لاستعمال القوة دون تعليمات من القائم بالاعمال البريطاني في طهران . ولما كان الوكيل السياسي في العراق التركي تحت الرئاسة المباشرة لحكومة الهند فقد أبلغته بالحادث . وبرر العقيد هنل موقفه في الاجراءات بالرجوع الى التعليمات التي كانت قد صدرت من حكومة الهند وقت تعيين العقيد رولنسون في بغداد عام ١٨٤٣ ، مخولة إياه «إصدار توجيهات وطلبات الى جميع ضباط الاسطول والسياسيين في الخليج حسبما تسمح به الظروف » . ولكن حكومة بومباي لم تعفه من اللوم . فقد تضمنت التوجيهات الآنفة الذكر القول بأن السلطات المخولة للعقيد رولنسون لم تكن لتستعمل في «كل الظروف المعتادة» وإنما فقط في الظروف التي «تتطلب اجراءات فورية» ومثل ذلك لم يتوفر في المناسبة الحالية ، وأيدت حكومة الهند آراء حكومة بومباي ، وأبلغتها للعقيد رولنسون لمراعاتها مستقبلا .

اقتراح تجميع قطع حربية انجليزية في مياه المحمرة ١٨٤٩

وقرب نهاية عام ١٨٤٩ طلب الرائد ويليامز مندوب بريطانيا في لجنة تحديد الحدود التركية الايرانية المجتمعة حينئذ في بغداد من الرئيس كمبول ، الوكيل السياسي في العراق التركي ، ان يتصل بالمقيم السياسي في بوشهر لازسال طرادات بريطانية الى المحمرة حيث كان سيبدأ عمل اللجنة ، وذلك ليعطوا للمنظر الافتتاحي لعملهم رونقاً حازماً ، وتأثيراً معنوياً على سكان منطقة كعب . وعلى أساس أن ذلك الطلب لم يتضمن أية إجراءات استكراهية أو تخويفية فقد اوصى الرئيس كمبول حكومة الهند بتنفيذه دعماً للعقيد هنل المقيم السياسي في بوشهر . ولكنه غير واضح ما اذا كانت قد تجمعت فيما بعد أي مراكب بريطانية لتدعم الاجراءات المذكورة آنفاً .

سير الحرب الانجلو ـ ايرانية في عربستان
١٨٥٦ ـ ١٨٥٧

انتهت الحملة البريطانية في جنوب ايران عام ١٨٥٦–١٨٥٧ بعمليات عند المحمرة وعلى نهر قارون .

استعدادات الانجليز لغزو عربستان

كانت نية سير ج. اوترام أن يسير الى المحمرة حيث عسكر الجزء الأكبر من الجيش الايراني في عربستان تحت قيادة صاحب السمو الملكي خانلار ميرزا ، فور عودته من الغارة على بورازاجان التي وصفت في تاريخ الساحل الايراني ، ولكن تأخر وصول قسم كبير من الفيلق الثاني من الهند سبّب التعطل حوالي ستة أسابيع . وكان هناك اعتبار خطير هو سلامة بوشهر التي ظن أن الجيش الايراني في اقليم فارس قد يهاجمها اذا حدث تخفيض في حاميتها . ولذلك فقد بقيت بها قوة مؤلفة من ٣٠٠٠ رجل تشمل عناصر مدفعية من المدافع الثقيلة ومدافع الميدان وضعت في الحصون التي تم بناؤها لتقوية المعسكر المحاط بالخنادق ، وترك القائد جاكوب قائد الفيلق الاول لحماية بوشهر .

وتكونت القوة الحربية التي وجهت للحملة على عربستان من فرقة واحدة من فيلق فرسان الدراجون الرابع عشر ، وبعض فرسان السند قوامهم ٣٩٢ هندياً ، والفرقة الثالثة من المدفعية الراكبة ، وبطارية مدافع الميدان الخفيفة رقم ٢ و ٦ مدافع عليها ١٦٦ و ١٧٦ رجلا على التتابع بجانب ١٠٩ من جنود الاشغال من بومباي و ١٢٤ من مدراس لشق الخنادق ووضع الألغام .كذلك كان في الحملة الكتائب الرابعة والستون المشاة والثامنة والسبعون الجبلية والثالثة والعشرون والسادسة والعشرون المشاة الوطنية وبطارية المدفعية الخفيفة الوطنية . وتختلف تعداد كلٍ منها بين ٧٠٠ الى ٩٠٠ فرد تبلغ في مجموعها ٣٩١٩ مشّاة .

وكان مجموع جميع الاسلحة ٤٨٨٦ مقاتلا منهم ٢٠٠٠ اوروبي معهم ١٢ مدفعاً . وكانت مراكب الاسطول الهندي التي وقع عليها عبء

القتال كما سنرى الآن هي: « فيروز» وهي طرادة بخارية بها اربعة مدافع ٦٨ رطل واربعة ٣٢ رطل ، و «آسي» وهي طرادة بخارية بها عشرة مدافع ٦٨ رطل و «سمير اميس» وهي طرادة بخارية بها مدفعان ٦٨ رطل ، ثم «آجوالي» وهي طرادة بخارية بها مدفعان ٦٨ رطل ومدفعان ٣٢ رطل . ثم « فيكتوريا » وهي مركب تجاري به اربعة مدافع عيار ٣٢ رطل ومعهما «كليف» و «فوكلاند » الزورقان الشراعيان ويحمل اولهما ١٤ مدفعاً عيار ٣٢ رطلا . وكان أغلب هذه السفن مسلحاً بالاضافة الى تسليحها الاساسي بمدفعين ١٢ رطلا ومدفعين عيار ٣ أرطال من المدفعية البحرية . ولكن كان نصف مدفعيتها الثقيلة مركباً على الجانب العريض وقادراً على الضرب في نفس الوقت على تحصينات الشاطىء .

وبدأ تحرك القوات من بوشهر في الرابع من مارس حين عبرت سفن المقدمة الحاجز المائي ، ودخلت شط العرب في الثامن منه ، ورست أمام المحمرة على جزيرة عبدان . ولكن لم يصل القائد هافلوك واركان حرب الفرقة الثانية حتى الخامس عشر من نفس الشهر . كما تأخر أيضاً وصول السير ج. اوترام ليتولى ادارة العمليات لعدة أسباب من بينها توقع هجوم ايراني على بوشهر والتأخر في استكمال الفرقة الثانية التي كان بدونها يصعب الاحتفاظ ببوشهر والهجوم على المحمرة . كما ساهم في التأخير انتحار القائد ستولكر ، والقائد البحرى ايثرزي وأخيراً سوء الاحوال الجوية . وخلال تجمع الاسطول من السفن الحربية وناقلات الجنود منع نزول القوات على أي من الشاطئين حتى تتجنب أية خسارة في الارواح ، ضمن مناوشات عديمة الفائدة على الشاطىء الايراني، ولتلافي الإخلال بحياد تركيا .

ولم يبد جنود العدو غير النظاميين الذين كانوا يحتلون قرية مواجهة للمرسى أي مظهر عدائي إلا باطلاق النار على القوارب التي اقتربت كثيراً من الشاطىء الايسر للنهر .

ووصل السير ج. اوترام الى العمارة في ٢١ مارس مع «فيروز» وفي

يوم الرابع والعشرين تحرك كل الاسطول ما عدا سفن الحرب صاعداً شط العرب وملقياً مراسيه عند قرية «حارثة» في جزيرة عبدان أسفل مصب القارون بثلاثة او أربعة أميال . وصادفت بعض السفن الكبيرة متاعب في الطريق ولم تصل الى مكان اللقاء مع الآخرين . وبذلك تأجل الهجوم على المحمرة الذي كان مقرراً لليوم التالي الى اليوم الذي بعده .

وكان قد سبق التأثير على القبائل العربية المقيمة بالجانب الايراني بجهود الرئيس كمبول الوكيل السياسي في جزيرة العرب التركية . وقد أمر المبجل السيد بادجر أحد القسس الملحقين بالقوة والمترجم العربي لنائب اللواء القائد بأن يلتزما الحيطة في العمليات القادمة وقد كتب السير ج. اوترام من «الحارثة» : «كان نجاح مفاوضات الرئيس كمبول معهم واضحاً بينا ، فخلال ابحارنا إلى هذا المرسى وفي عدة قرى كان العرب ، ذكوراً واناثاً ، يقتربون من النهر ملوحين بأعلامهم . ولم نكد نلقي المراسي حتى توافد العديد على ظهر المركب «فيروز» متطوعين باعطائنا كل ما لديهم من معلومات عن أعداد وتجمعات العدو» . كما وزع اعلان بين القبائل بقصد تبديد أي انزعاج قد يحسون به من جانبهم .

استعدادات الايرانيين للدفاع عن عربستان

وفي نفس الوقت لم يكن الايرانيون ساكتين في المحمرة ، التي اعتبروها بحق مفتاحاً لعربستان ، والتي كانوا قد شغلوا لعدة أشهر بتحصينها تحصيناً فنياً . فعلى جانبي قارون ووَصْلَته بشط العرب اقيمت طواب ارضية قوية ذات أسوار بارتفاع ٢٠ قدماً وسمك ١٨ قدماً ، وأقيمت كرات للمدافع مسقوفة ، وعزز تحصين الشاطىء بجذوع النخيل . وأعدت الطابية في الشاطىء الشمالي لقارون لثمانية عشر مدفعاً وتلك التي في الشاطىء الجنوبي لأحد عشر مدفعاً . وهذه الطوابي ولو أنها مفتوحة من الخلف كانت ذات وضع ممتاز للتحكم في النهر من أسفل وأعلى وامام المواقع الايرانية . كما كانت هناك تحصينات جانبية ، تتضمن طابية صغيرة في الموقع ، بينما امتدت خطوط طويلة من المتاريس على الجانبين الشمالي واليميني للطابية الرئيسية على القارون وشط العرب .

وقد أفاد الرئيس ميزون نيف قائد الفرقاطة الفرنسية سيبيل ، التي ارسلت لتجوب الخليج ، وقامت أخيراً بزيارة البصرة في أمر يتعلق بسرقة بعض الآثار الفرنسية من العراق ، أخبر السير ج. اوترام في بوشهر أنه فحص شخصياً التحصينات الايرانية في المحمرة ووجدها أقوى بكثير من المعروف عنها عامة . وقدر الحامية الايرانية بعشرة آلاف جندي نظامي ، وأربعة آلاف الى خمسة آلاف جندي غير نظامي . وقدر مدافعهم الصالحة للاستعمال بحوالي ٢٠ .

ووفقاً لمعلومات لاحقة حصل عليها الرئيس كمبول والمبجل السيد بادجر فان مدافع الايرانيين كانت ٣١ عدا بعض مدافع السفن القديمة . وتكونت قوتهم من ٦٠٠ مدفعي متمرن و ٦٣٠٠ من المشـــــاة و ٣٠٠ من الفرسان ، و ١٢٠٠ من فرسان البختياري ومثلهم من حملة البنادق و ٣٠٠٠ مجندين عرب و ٤٠٠ من الجنود المرتزقة من البلوش ومجموع ذلك ١٣٠٠٠ مقاتل .

الهجوم على المحمرة واحتلالها ٢٦ مارس ١٨٦٧؟

وكان الوضع ، لاسباب شتى ، في صالح الايرانيين . وحيث كان الجانب الغربي لشط العرب ارضاً تركية ، فلم يمكن اقامة بطاريات بريطانية مضادة . وكان المكسب المتوقع من نجاح انزال مدافع القوة البريطانية في جزيرة عبدان ضئيلا حيث توقع الايرانيون فيما يبدو أن اول محاولة بريطانية ستقع هناك لأن أمر عبور نهر قارون السريع الجريان سيظل تحت نيران المدافع ، قبل الوصول للعدو .

وفي هذه الظروف قرر السير ج. اوترام أن يقوم بهجوم بحري مباشر على المواقع الايرانية الرئيسية ، يتبعه مباشرة بمجرد وقف النيران عملية انزال جنود على الشاطىء الايسر لشط العرب فوق موقع الايرانيين ، ثم يبدأ زحف مباشر على معسكراتهم التي كانت في الصحراء خلف مدينة المحمرة . وانقضى يوم ٢٥ مارس في نقل القوات والمدافع وغيرها من مراكب الاسطول الكبير الى الصغير في الحارثة .

وفي المساء بدأ بضع مئات من العدو في اقامة غطاء على مدفعين من مدافع الميدان كانوا جلبوهما معهم قرب المرسى ، ولكن طلقات قليلة من «آساي» أبعدتهم . وسبق ذلك ليلة الرابع والعشرين او الخامس والعشرين فحص جزيرة مقابلة لطابية الفرس الشمالية تكون في الوقت الحالي جزءً من الجزيرة المعروفة بأم الخصاصيف، وذلك لاقامة بطارية من مدافع المورتر عليها ولكنها وجدت منخفضة جداً وطينية لا تصلح لهذا الغرض . وبالتبعية انشئت في يوم ٢٥ عوّامة لحمل مدفعي مورتار قياس ثماني بوصات واثنين قياس ٥ بوصات ونصف . وسبح بها في الليلة التالية في ترعة الى غرب الجزيرة الحديثة « ام الخصاصيف» قريباً من قرية «زين» على الشاطىء التركي وعلى بعد ألف ياردة من البطاريات الايرانية .

وكانت مهمة تلك العوامة التي كان يقودها الرئيس مورجان من المدفعية، التي ربطت في مكانها عقب الاظلام بواسطة باخرة الوكالة السياسية في بغداد «كوست» ، مهمة في غاية الخطورة كما اعتبرت نوعاً من المجازفة لانها لو اكتشفها العدو ، كما كان محتملا وجوده خلال الليل ، فلم يكن هناك مانع يمنعه من اسرها ، فقد كانت محرومة من كل دعم من الخلف. ولقد أدت حادثة وضع بطارية المورتر في ذلك المكان الى تسمية الجانب الشرقي من جزيرة ام الخصاصيف باسم «ام الرصاص» حتى هذا اليوم .

ولا يعرف يقيناً أحداث الهجوم على المحمرة يوم السادس والعشرين من مارس . فهناك بعض التناقض بين المراجع الرئيسية في تحديد ازمنة التحركات البريطانية . فقد فتحت مدافع المورتر التي على العوامة نيرانها في الفجر على كل الطوابي الايرانية الرئيسية . وأدت قنابلها ذات الثماني بوصات الى آثار مباشرة جسيمة . ولكن البطارية ذات القنابل الاخف سقطت دون الهدف . ووفقاً للسير ج. اوترام فان الرئيس مورجان «شغل طوابي العدو حوالي الساعتين قبل ان يؤيده الجنود مبرهناً على كثير من عدم الاكتراث وكثير من الشهامة» ورغماً عن ان قليلا من مدافع الإيرانيين أمكن جلبها لتحمل على العوامة فانها لم تنج دون اصابة

وقد غرق قارب كان متصلا بها . وظلت مدافع المورتر تطلق نيرانها حوالي خمس ساعات وقد أطلقت من البداية الى النهاية مئة وقنبلتين .

وفيما كانت سفن الحرب البريطانية تتقدم في طريقها وهي تسمع دوي المورتر فقد بدأت «سمبراميس» تقطر وراءها «كلايف» صعداً إلى موقع القتال على الجانب التركي للنهر لتوئيد الهجوم . ولكن بمجرد أن اهتز العدو بنيرانها المشتركة ، عادت هذه المراكب الى النهر الرئيسي لتقوي «فيروز» ، و «آساي» و «فيكتوريا» التي تقدمت قاطرة «فوكلاند» وصاعدة في النهر لتشغل البطاريات الايرانية من مدى قريب . وحوالي السابعة صباحاً اشتبكت «فيروز» تؤيدها «آساي» مع الطابية الشمالية بينما كرست «سمبر اميس» و «فيكتوريا» و «فوكلاند» اهتمامها على الطابية الجنوبية والطوابي المساعدة على الشاطىء الشمالي لقارون .

ووفقاً لشاهد عيان(١) «كان الصباح صافياً جداً ، مع نسمات تكاد تكفي لمنع تجمع الدخان ، لقد كان من النادر تخيل منظر أشد جمالا مما كان . فلقد كانت السفن تحمل الشارات على كل صارٍ فتظهر كأنها راسية ليوم عطلة . وكان النهر يلمع في شعاع الشمس المبكر ويتضارب شاطئاه القائمان بالنخيل مع الاشرعة البيضاء لفوكلاند التي فردت الشراع لتدخل المعركة عن كثب . وقد تكونت صورة زاهية من البطاريات المصوبة التي كانت لأياً ما تبدو من خلال السحاب الرصاصي الذي غطاها ومن جماعة الخيالة ذوي الاردية اللامعة وهم يمرقون على فترات خلال الاشجار حيث كان معسكرهم» . وكانت المسافة بين المراكب والتحصينات الايرانية ٢٠٠–٣٠٠ ياردة فقط بحيث سقطت الاسوار بسرعة تحت نيرانها .

وحوالي الثامنة الا ربعاً لم يبق منها الا ثلاثة أو اربعة مدافع عاملة في الطوابي الايرانية ، وأعطى القائد البحرى ج. و. يونج ، الذي قاد الاسطول ورفع علمه على فيروز ، إشارة وقف النيران بينما تقدمت «فيروز» و

---

(١) كابتن هنت : انظر كتابه ، حملة اوترام وهافلوك على ايران صفحات ٢٤٩ – ٢٥٠ .

«آساي» لتقفا على بعد ٦٠ ياردة من الطابية الايرانية الشمالية ، فيما ظلت باقي المراكب في خط خلفي .

وتدفقت نيران ثقيلة على التحصينات الايرانية . وفي هذه المرحلة الاخيرة من الاشتباك البحري ألقت السفن البريطانية مراسيها عدا «آساي» التي مخرت بالتبادل صاعدة حتى فيروز ثم ركبت نفسها لتعود مع التيار ، جارفة بنزولها شاطىء قارون تحت الطابية الشمالية .

واذ صمتت مدفعية العدو في الواقع ، رغم أن نيران البنادق الحامية من الطوابي ومن المتاريس استمرت ، ورد عليها حملة البنادق الاوروبيين من على ظهر المراكب ، فقد حان الوقت لتتقدم حاملات الجنود صاعدة النهر على استعداد لانزالهم . وتقدم الرئيس ج. ريني ، م. ن. من قوة فيروز ، وهو بحار جسور وصفه السير ج. اوترام بأنه «روح وحياة الاسطول» مستخدماً زورق تجديف سار به تحت النيران لتعجيل حركته . وفي الساعة التاسعة صباحاً صعد اسطول النقل في القناة ، واقترب احياناً من الشاطىء الايراني الى ١٠٠ ياردة ، متعرضاً لنيران عرضية من مدافع الميدان التي ردت عليها بعض ناقلات الجنود المزودة بمدافع وكذلك برصاص كثيف من حملة البنادق .

و لكن نظراً لأن سطوح المراكب كانت محصنة جيداً ببالات من المواد المضغوطة ، فلم يكن هناك خسائر الا مقتل ثلاثة من الاتباع الوطنيين لعدم أخذهم الحذر حين عرضوا أنفسهم للنار . وقد مرت «بيرينيس» حاملة الجنرال هافلوك واركان حربه وفرقة الهايلاندرز الثامنة والسبعون وبعض الجند المتخصصين ، ومجموع ذلك كله ١٤٠٠ رجل بسلام ولو أنها ضربت في بعض اللحظات ، وكانت اللحظة التي مرت بها أمام البطاريات الايرانية مليئة بالقلق لقائدها الملازم شيتي (من الاسطول الهندي) الذي كان على الدفة بنفسه .

وتمت عملية الانزال بسرعة ونظام حسن تحت اشراف القائد

هافلوك(١) في نقطة على شط العرب تبعد بعض الشيء عن البطارية الايرانية الشمالية . وفي معظم الاحوال من جوانب السفن الى الارض مباشرة .

وبمجرد أن بدأ الانزال انفجر المخزن الرئيسي في بطاريات العدو ، وبعد ذلك حدثت عدة انفجارات أصغر في نفس المكان . ودخلت سميراميس «نهر قارون» لتسكت مدفعاً ظل يطلق نيرانه . وشغلت قوة من النازلين من «آساي» البطارية الايرانية الشمالية ، بينما احتلت قوات أخرى من «سميراميس» و «فيكتوريا» و «كلايف و «فوكلاند» البطارية الجنوبية بعد بعض المقاومة .

ونظراً لارتفاع المد لم يمكن مباشرة انزال المدفعية الراكبة والفرسان فيما عدا سرية من فرسان السند . ولكن حوالي الساعة ١,٣٠–٢ بعد الظهر تقدمت بطارية مدافع الميدان وسلاح مدفعية القوة عقب نزولها وتشكيلها وذلك اولا بمحاذاة النهر ثم خلال أحراج النخيل الى سهل مكشوف لمواجهة معسكرين محصنين بخنادق واسوار أقامها العدو ، الاول للفرسان والمدفعية الى الشمال قليلا من المحمرة والثاني للمشاة الى الغرب قليلا منها .

وكان الايرانيون قد اصطفوا استعداداً للمعركة قرب المعسكر الاول الذي كان يشغله صاحب السمو الملكي ميرزا نفسه . ولكن ، باقتراب الطابور البريطاني المكون من اليمين الى الشمال من بطارية مدفعية الميدان الهايلاندرز السابعة والثمانين وجناح من فرقة المشاة الوطنية السادسة والعشرين والكتيبة الرابعة والخمسين الملكية وكتيبة المدفعية الخفيفة الوطنية ثم كتيبتي المشاة الثالثة والعشرين الوطنية ، فان الايرانيين فقدوا شجاعتهم

---

(١) تختلف الروايات كثيرا بالنسبة لموضوع الانزال ، فاحداها تقرره على بعد مائة ياردة فقط من البطارية الايرانية ، وأخرى تبعد به حتى ميلين فوقها . ومن المحتمل ان كل سفينة سارت قليلا بعد الاخرى لتجد لنفسها مكانا صالحا .

فجأة واختفوا كما لو كانو قد سحروا تاركين كل شيء وراءهم تقريباً . وبمجرد إخلائهم المكان انفجر مخزن كبير للذخيرة الاحتياطية .

وسواء أكان هذا الانفجار مدبراً أم صدفة فذلك أمر غير معروف . وظلت القوة البريطانية تتبع الايرانيين ثلاثة أو أربعة أميال وراء المحمرة ولكنها لم تقبض على أحد منهم الا الجرحى الشاردين .

وأخيراً عسكر الانجليز في المكان الذي وصلوه . وفي نهاية اليوم اقيم قداس للشكر على «الآساي» برئاسة القس المبجل مستر بادجر وحضور السير ج. اوترام واركان حربه والرئيس كمبول وآخرين .

وكان من الصعب التأكد من الخسارة الفعلية للايرانيين لكنه عثر على حوالي ٨٠ـ٩٠ جثة غير مدفونة في الطوابي ، وقدر مجموع قتلاهم بحوالي ٢٠٠ قتيل . وكان بين جرحاهم « سار تيب أغا خان» أحد ضباطهم المرموقين الذي سقط في الطابية الشمالية فحملوه معهم عند انسحابهم . ووجد قتلى عديدون في المعسكرات الايرانية اصيبوا رغم بُعْد المعسكرات عن النهر بنيران المدافع التي انطلقت من السفن من حين لآخر .

وشوهد قليل من الجرحى الايرانيين لكنه عرف لاحقاً أن العرب قتلوهم خلال محاولاتهم الفرار . وترك العدو ١٦ مدفعاً عيار ٧ الى ١٨ رطلا سقطت في يد القوات البريطانية وكذلك مدفع هاون برونزي عيار ٨ بوصات ، ولكنه هو ، وبعض المدافع الاخرى ، كانت في حالة غير صالحة للاستعمال . وحمل الايرانيون معهم خمسة مدافع وربما ستة مدافع ميدان . أما الباقي التي قيل إن طوابيهم كانت تحتوي عليها فقد اعتقد بأنها ألقيت في الانهار والميدان . وقد عثر في الطين على مدفعين منها . وجمع كثير من الاسلحة الصغيرة وبعض كميات الذخيرة من بينها ٣٦٠٠ قنبلة للمدفعية و ٤٠٠٠ قنبلة طلقة مدفع سائبة وأغلبها عيار ٩ أو ١٢ رطل و ١٤,٤٠٠ رطل من البارود . وقدر البارود المدمر بحوالي ١٤٤ الف رطل وذلك خلال الانفجارات التي حدثت في الخطوط الايرانية أثناء الهجوم أو بعده . كذلك استولي على خيام عددها ١٤٢٣ وكميات

كبيرة من المؤونة . وكان أحد الاسباب التي أجبرت الفرس على ترك أغلب مهماتهم أنهم بسبب اعتقادهم القدرة الكاملة على الدفاع عن المحمرة قد ارسلوا دواب النقل الى الاهواز حيث يسهل الحصول على المراعي ، لكن العرب الذين كانوا يحيطون بهم خلال انسحابهم كانوا يسلبون ما ينجح الايرانيون في نقله خارج الميدان من تلك المهمات الحربية .

وكانت خسائر البريطانيين في الحملة كلها طفيفة بلغت في الاسطول ٥ قتلى و ١٧ جريحاً وضابطاً واحداً هو الملازم هاريس (من البحرية الهندية) ، ولكن بعض السفن اصابتها اضرار جسيمة وخاصة فيكتوريا التي جنحت تحت النيران على بعد ٢٠٠ ياردة من مصب نهر القارون ، ووقعت ١٨ طلقة في جسمها ، ووجدت ٣٠٠ رصاصة مدفونة في جانب (فيروز) .

أما من القوة الحربية فلم يجرح أي فرد حيث كانت الحملة أساساً بحرية . ولوحظ أن السير ج. اوترام نفسه لم يترك شيئاً للجيش ليصنعه . فقد نزل للبر ليستولي على معسكرات العدو المحصنة ، وتبعته قوة من خيالة السند بقيادة الرئيس جرين ليلة السادس والعشرين من مارس ، وفي صباح السابع والعشرين . لكن العدو المنسحب كان وراء مرمى المدفعية بـ ١١ ميلا . وكان الفارون يتحركون بسرعة حالت لغياب قوة قوية من الفرسان دون مطاردتهم بنجاح .

وتبعاً لذلك ففي اليوم التالي ، ورغم ان بقية القوة التركية الضئيلة كانت حينئذ قد انزلت ، فان القوة البريطانية عادت الى المحمرة واحتلت معسكرات الايرانيين المحصنة . ووضع الحراس في المدينة لحفظ الامن والنظام . وفي أول إبريل كان متاع كل القوة قد فُرِّغ من المراكب ونصبت الخيام للجميع . وكان ذلك في الوقت المناسب لأن الحر اشتد فجأة .

استطلاع الطريق للاهواز ٢٩ مارس – ٤ ابريل ١٨٥٧

وفي ٢٩ مارس ، وبناء على اوامر السير ج. اوترام ، ارسلت حملة مصعدة في نهر القارون بسبب نقص وسائل النقل البري الصالحة لعمليات برية المدى . وكانت التعليمات المعطاة للضباط القائد(١) البحرى المحلي ج. ريني ان يسرع الى الأهواز وان يتعرف على المكان ، وان يدمر إن امكن أية تموينات او مخازن يكون العدو قد جمعها هناك . وتكون الاسطول من الباخرة المسلحة (كومت) التابعة لدار الوكالة السياسية في بغداد ، والباخرتين النهريتين «بلانيت واستريا» التي تقطر كل منهما زورقاً يحمل مدفعي هاويتزر عيار ٢٤ رطل . وكان الاسطول بقيادة بحارة اوروبيين . وحملت البواخر فيما بينها ١٥٠ جندياً من فرقة الهايلاندرز السابعة والثمانين ومثلهم من فرقة المشاة الرابعة والستين . وكانت هذه القوة تحت قيادة الرئيس ج. هـ. هنت من الكتيبة الاولى . وصحب الحملة الرئيس كمبول ، الوكيل السياسي في جزيرة العرب التركية كضابط سياسي .

والقت البواخر المراسي في الليلة الاولى عند «كوت» العين ، حيث شوهدت آثار العدو على الجانب الايمن للنهر ، ثم تقدمت الى «سبعة» في أعقاب ظهر اليوم الثالث ، والى «الاسماعيلي» مساء الثلاثين من مارس واكتشف عند سبعة آثار مبيت جيش الفرس في العراء وآثار عجلات خمسة مدافع وعربة صغيرة . وكان هناك ايضاً عدة قبور حديثة . وتأكد فيما بعد ان سارتيب أغا خان الذي كان قد جرح جرحاً قاتلا في المحمرة قد دفن هناك . وعند الاسماعيلي كان الاتصال بالاهالي مفتوحاً ، ومنهم عرف ان الجيش الايراني المنسحب قد مر في اليوم السابق يقطر في النهر زورقاً به مدفع كسرت عربته . وهنا أيضاً اكتشفت قبور جديدة . وفي صباح الواحد والثلاثين واصلت القوة تقدمها فوصلت بعد الظهر الى كوت العمارة ، حيث حصلت على معلومات مؤكدة عن وصول

---

(١) اضطر القائد البحرى يونج عقب الاستيلاء على المحمـــرة مباشرة للقيام باجازة مرضية وشغل مكانه الرئيس رينى من فيروز .

الجيش الايراني الى الاهواز في اليوم السابق ، وكانت الساعة عندئذ جد متأخرة فلا تسمح باقتراب آمن لموضع العدو ، ولكن في الثالثة من صباح يوم اول ابريل شق الاسطول الصغير طريقه واندفع نحو الاهواز باقصى سرعته .

وقد سبق وصف كتائب فرسان العدو من قبل ، ولكنها لم تقترب كثيراً . وأخيراً ظهرت للعيان القوة الاساسية للجيش الايراني فوق القمة التي تمهد لتلال الاهواز غرب النهر . واسر قارب على الجانب الأيسر فوجد أنه يحتوي على المدفع العاجز ذي عيار ١٢ رطل الذي شحن على الفور الى ظهر السفينة « كوميت » .

وفي هذه الاثناء وصلت معلومات تفيد انه ليس في الاهواز دفاع كاف بينما الجيش الايراني على الضفة المقابلة لا يجد وسيلة لعبور النهر . وفي الحال تقرر الاستيلاء عليها بغتة . فارسل قاربان مدفعيان ليشغلا انتباه الفرس بقصف مواقعهم الرئيسية في جزيرة تلي عند جنادل الاهواز .

وبين العاشرة والحادية عشرة صباحاً كان المشاة الـ ٣٠٠ قد نزلوا وتقدموا في البر الايسر حوالي ثلاثة ارباع الميل تحت موقع المدافع . وكانت القوة التي شكلت بأمر الرئيس هنت في وضع يعطيها في تلك الارض المليئة بالشجيرات مظهر القوة الكبيرة . قد أطبقت على نهر الاهواز من اتجاه البر واحتلتها دون مقاومة قبيل الظهر بقليل .

وفي نفس الوقت اتخذ القائد البحرى المحلي «ريني» موضعاً للسفينة كوميت في النهر يستطيع منه أن يقدم المساعدة لكل من زوارق المدافع والقوة البرية ان احتاجت اليها . ولكن لم تدع الحاجة لشيء وحضر فوراً شيخ الاهواز وأعلن خضوعه للرئيس هنت وللرئيس كمبول .

وفي هذه اللحظة الحاسمة بدأ الجيش الايراني على الشاطيء الآخر من النهر في الانسحاب في نظام جيد تاركاً كالعادة كثيراً من مهماته وراءه . وترجع هذه الحركة جزئياً الى نيران المدافع التي بدا أنهم غير قادرين على الرد عليها ، وجزئياً الى تغير وضع أجنحة الجيش باحتلال

الاهواز ، ولكن الاهم من ذلك غالباً الخوف من ان تكون القوة البريطانية المهاجمة طليعة قوات أكبر . وكان المشهد الذي قدمه العدو في انسحابه السريع شمالا ممتعاً ومؤثراً بقدر ما كانت دوافعه غير معقولة . وكانت مشاته التي قادت خط السير ومعها أربعة مدافع تبلغ ٦٠٠٠ مقاتل كانوا مقسمين الى اربعة طوابير كبيرة . وامكن بوضوح مشاهدة عربة هودج خضراء ذات نوافذ زجاجية وبغل صغير كتلك التي تستخدمها السيدات الايرانيات في رحلاتهن ، تحيط بها كوكبة قوية . وجاء في المؤخرة نحو الفين من خيالة الايرانيين والبختياريين التي لم ينقص مظهرها الوجاهة . وما كاد الايرانيون يتركون مواقعهم حتى نقلت زوراق المدافع بعض الضباط وقوة صغيرة من الهايلاندرز قامت بتدمير كمية صغيرة من الذخيرة خلفها الفرس . وما إن أشرفت الساعة الثانية بعد الظهر حتى كان الايرانيون قد اختفوا عن الانظار .

وفي خلال ذلك كانت مهمات الحكومة الايرانية في الاهواز قد وقعت بأيدي القوات البريطانية العاملة وشملت ١٥٤ ركيزة بندقية انجليزية جديدة تحمل علامة البرج و ٥٦ بغلاً في حالة ممتازة وسروجاً مختلفة وادوات للحفر وقطيعاً من ٢٣٠ رأس غنم وكميات هائلة من الدقيق والقمح والشعير تكفي لتموين الجيش الايراني من ١٥ الى ٢٠ يوماً ، فضلا عن الكثير من الحبوب والاغنام التي لم يمكن استهلاكها او حملها في البواخر فوزعت مجاناً على العرب المحليين .

وطوال الثاني والثالث من ابريل بقيت القوة البريطانية في الاهواز بقصد تنظيم أثر الغارة ولتمكين الرئس «كمبول» من الاتصال بالقبائل المحيطة . وفي الرابع من ابريل عاد الجميع الى المحمرة بعد ان حققوا نجاحاً كبيراً دون اية خسارة .

علاقات بريطانيا بشيخي المحيسن وكعب واخلاء المحمرة ١٧ مايو ١٨٥٧

وكان في النية عقب احتلال المحمرة أن يقوم شيخها جابر والشيخ فارس من الفلاحية بزيارة السير «ج. اوترام» . وان يتم تثبيتهما رسمياً في

مراكز السلطة التي تمتعا بها تحت الحكم الايراني . ولكن تأخر الامر بضعة أيام بسبب ذهاب الرئيس كمبول مع الحملة الاستطلاعية الى الاهواز . غير ان الانباء وردت في الوقت الذي عاد فيه كمبول الى القائد العام للحملة بوقوع اتفاق على السلم بين بريطانيا وايران .

وفي الحال عانى السلوك الظاهري للشيوخ الذين كانوا حتى ذلك الوقت يعترفون علناً بارتباطهم بالحكومة الايرانية من مطلب طبيعي . فقد بدأوا يشيرون بفزع الى مستقبل مركزهم تحت الحكومة الايرانية ، ويطلبون من السلطات البريطانية ضمانات للحماية لم يكن ممكناً التسليم بها لانها تتجاوز بكثير شروط البند الخاص بالعفو العام في معاهدة السلام . وكان من المعتقد ان شيخ كعب كان ما يزال راغباً في أن تعهد اليه السلطات البريطانية بحكم المحمرة كوسيلة وحيدة متاحة له لخلع منافسه المحيسني بها . ولكن السير ج. اوترام ، الذي لم يقتنع في نفسه بعدالة تلك الرغبة ، أو يرى أية فائدة من التدخل في المسائل المحلية الى هذا المدى كتب في الحادي عشر من ابريل ما يلي :

« تحت هذه الظروف قررت ان لا أغير في نسبة املاك الزعيمين الكعبيين او أن أثير طموح أحدهم او أختبر ولاء الثاني بالالحاح على كل منهما بأن يقدم نفسه شخصياً . فان استمرت الحرب — كما قد أقدر فان خطتي هي طلب الخضوع الكامل من كليهما بالكيفية التي فكرنا فيها من الاصل . وفي الحالة المقابلة فانه يكفيني ان نكون قد حصلنا على أهدافنا دون ارباك الحكومة بضمانات غير ملائمة ، وأيضاً دون التحيز بلا داع للسلطة التي تدعيها الحكومة الايرانية على الاقليم .

وكان مركز الامير حاكم عربستان عقب الغارة البريطانية على الاهواز التي مزقت ما بني له من هيبة داعياً لليأس بل وللشفقة ، فلم يكن لدى قواته ذخيرة كافية لتشق طريقها عائدة الى وسط ايران خلال منطقة اللور والبختياري التي أصبحت معادية . وكان على سموه الملكي أن يتجنب أية محاولة للوصول الى بوروجرد ، نظراً لعداء قبائل الجبل هناك . ويبدو واضحاً كما حسب السير ج. اوترام نفسه أن انحصار الامير

الحاكم وقواته في السهول كان يؤدي الى التسليم الكامل لو أن القوات البريطانية تقدمت الى عربستان الشمالية .

وبدأت القوات البريطانية في المحمرة في الصعود الى السفن في التاسع من مايو ، وقد اكملت صعودها في السابع عشر عندما رحل السير ج. اوترام نفسه الى بغداد كما يبدو . وفي الخامس عشر سلمت مدينة المحمرة الى الشيخ علي خان وهو ابن أخ أنابه الشيخ جابر ليمثله في استعادة الحكم المدني للمنطقة .

وتركت قوة بحرية موقتاً في المحمرة علامة على إبقائها تحت حكم بريطانيا ولمنع صاحب السمو الملكي خانلار ميرزا ، الذي وجه اليه خطاب من السير ج. اوترام ، من محاولة إعادة احتلالها عسكرياً حتى تنفذ الحكومة البريطانية شروط معاهدة السلام .

★ ★ ★

العلاقات البريطانية مع عربستان
بعد الحرب الانجلو ـ ايرانية ١٨٥٧ ـ ١٨٩٦

قضية السفينة كشمير ١٨٧٢ ـ ١٨٧٣

وصفت القرصنة التي حدثت في يونيه عام ١٨٧٢ بميناء البصرة ضد باخرة البريد البريطانية (كشمير) والاجراءات التي تلت ، في الفصل الخاص بتاريخ العراق التركي . ولكن الامر استلزم اجراء في عربستان وكذلك في مختلف المناطق التي لجأ اليها بعض اللصوص باسلابهم .

وفور ارتكاب العدوان ، علم ان أعضاء العصابة المسؤولة عنه قد لجأوا الى ايران . فأرسل للشيخ جابر بالمحمرة فأجاب مؤكداً معونته التي أثبتت الاحداث أنها كانت مخلصة . وكانت الجريمة من النوع الذي سبب فضيحة للسلطات العامة في تركيا وإيران ، كما كان يصح أن يُتوقّع من الشيخ جابر بصفته كان تاجراً وصاحب سفن أن يتعاطف مع ضحايا

العدوان ، ولكن وضع اللاجئين بايران أنفسهم تحت حماية غريمه وعدوه شيخ كعب ، وهو حينئذ الشيخ لطف الله أو لطفي ، قد أثار حماسته للعدالة كما لم يظهر منه في أية حادثة أخرى .

وفي أوائل يوليه عاد نقيب البصرة وقاسم الزهير شلبي رئيس المحكمة التجارية بها اللذان بعثت بهما السلطات التركية الى المحمرة للتفاوض مع الشيخ جابر ، عادا ومعهما اثنان من المساجين ونصيبهما من الأسلاب التي قدر بمبلغ ١٤٨٥ روبية . وقبل منتصف الشهر استرد شلبي بمعونة الشيخ جابر مبلغاً آخر قدره ٤٢٠٠ روبية .

وحوالي ٤ يوليه أبرقت الحكومة الايرانية التي لجأت اليها مفوضيتا تركيا وبريطانيا للمعاونة الى الشيخ جابر تدعوه الى القبض على المجرمين الهاربين وتسليم الاتراك منهم الى السلطات التركية في البصرة واسترداد ما يقدر على استرداده من الأسلاب . وفي الحال اتصل الشيخ بالامير أنو شروان ميرزا ، وهو قريب لصاحب السمو الملكي حمزة فوده حشمة الدولة والامير الحاكم العربستاني ، وبالشيخ لطفي شيخ الفلاحية للتعاون معهما في تنفيذ هذه الاوامر . ولكن الشيخ لطفي رفض اولا تسليم القراصنة الموجودين تحت ولايته محتجاً بأنه إن فعل ذلك فسيخرج عن تقاليد الضيافة العربية ، واستغل الشيخ جابر هذا الرفض ليقترح القيام بعمليات حربية بالاشتراك مع السلطات الايرانية ضد الفلاحية . وفي نفس الوقت اقترح أن يطلب الى شيخ الكويت اتخاذ الاجراءات اللازمة لمنع المعتدين من الهرب من الفلاحية . وهو اقتراح تبنته السلطات التركية .

وفي بداية اغسطس عام ١٨٧٢ ، وضع الرائد «هربرت» المعتمد البريطاني السياسي في جزيرة العرب التركية الباخرة «كوميت» التابعة لمفوضية بغداد تحت تصرف المستر ب. ج. س. روبرتسون المعتمد البريطاني في البصرة لاستخدامها في معاونة السلطات الايرانية في هذه القضية . وفور وصول السفينة سافر عليها مستر روبرتسون الى «فيليه» مقر الشيخ جابر حيث تسلم منه تسعة من الرعايا الاتراك الذين استطاع

الشيخ أن يقنع الزعيم الكعبي بتسليمهم ، والذين قام المستر روبرتسون بتحويلهم الى الحكومة التركية بالبصرة .

وبعد ذلك بقليل أعلنت الحكومة الايرانية مسئوليتها عن محاكمة القراصنة الذين ثبت انتماؤهم للرعوية الايرانية ، وحذرت الشيخ جابر من تسليمهم الى تركيا . ولكن يبدو أن هذه التعليمات لم تراع لان الذين قبض عليهم بعد ذلك ارسلوا الى البصرة مثل التسعة الاولين رغم أن واحداً منهم كان عبداً لعائلة بارزة في «بوزيه» .

في خلال الجزء الاخير من اغسطس والاول من سبتمبر كان الشيخ لطفي متغيباً عن مقر حكمه حيث كان يزور الامير الحاكم الذي كان في ذلك الوقت في خرّم آباد ، وأشيع عندئذ أنه دفع اليه رشوة مقدارها ٢٥ الف كران . وعاد لبلده ومعه خلعة تشريفية وهي ظروف لم توافق تماماً تقدم القضية .

وقد أدت هذه المناورات من جانب الشيخ لطفي الى قيام الوزير البريطاني في طهران باتصالات نشطة ، انتهت الى ارسال «محصل» او مندوب قضائي من وزارة الخارجية الى عربستان ليعين على تقدم القضية ولم يلق اقتراح للرائد هربرت بارسال «غلام» او رسول من المفوضية البريطانية قبولا من المستر طومسون الوزير البريطاني الذي ظن ان احساس الحكومة الايرانية بالمسئولية قد يضعف بحضوره . وفي نفس الوقت تمكن الشيخ جابر من كشف مسروقات أخرى .

وكانت تحركات المحصل الايراني على أقصى درجات البطء . ويبدو أنه لولا الرقابة البريطانية عليه ما كان وصل لجهة انتدابه مطلقاً . وفي نوفمبر عام ١٨٧٢ ، اكتشف وجوده صدفة في بغداد حيث كان يعبث بوقته وأرسل الى البصرة التي وصلها يوم ٤ ديسمبر . وفور وصوله ذهب مستر روبرتسون على «كوميت» الى الفلاحيه حيث انضم اليه «النقيب والشلبي» . وفي اليوم السادس عشر وصلت الكوميت الى ام التمر على القارون حاملة مستر روبرتسون والشلبي والمحصل . فقد علم في

ذلك الوقت ان بعض المجرمين المطلوب القبض عليهم كانوا في الحويزة التي وصل اليها الامير الحاكم نفسه في اوائل نوفمبر وبقي فيها منذئذ كذلك كان بعض المجرمين في الفلاحيه وآخرون في دار الملا(١) حيث كانوا في حماية المير عبدالله . ثم انتقل المحصل والمستر روبرتسون الى الحويزة حيث سلما قائمة بأسماء الخارجين على القانون المطلوبين الى حشمة الدولة . وفي ٢٤ ديسمبر استجوب الامير ومعه الامير انو شروان ميرزا والمندوبان التركيان بحضور الشيخ جابر والشيخ لطفي الذي كان قد خلع ظاهرياً من مشيخة كعب ووضع تحت التحفظ . ولكن الامير الحاكم لم يتخذ أي إجراء مدعياً التوعك مما اكره المستر روبرتسون على الابلاغ عن ذلك فان الأخير رغم ما أبدى من وعود طيبة عديدة إلا أن اتجاهه كان سلبيا .

وفي الثالث من يناير ، تخلى الايرانيون عن تظاهرهم بعزل الشيخ لطفي ووضعت الترتيبات بمعرفة الامير الحاكم لاعتقال المجرمين اللذين كانوا ما يزالون مطلقي السراح واعتقل بعضهم الشيخ لطفي. وأصبح الآن حشمت الدولة في حالة عدم استقرار وغالباً ما سأل اعارته الكوميت لتنقله الى الاهواز ، ولكن المستر روبرتسون لم يستجب لرجائه ، بل أبرق للسلطات العليا محتجاً على التصريح له بالرحيل قبل الاوان .

وعلى هذا فقد ارسلت الحكومة الايرانية تعليمات مكررة بأن يبقى الامير الحاكم في الموقع حتى تنتهي القضية . ولكنه لم يلتفت لها وسافر الى الاهواز في الحادي عشر من يناير في زورق بخاري للشيخ جابر . وقرب ختام اقامته رفض الاعتراف بالنقيب والشلبي اللذين فوضهما حاكم البصرة ، ولو بدون كتاب ، ليمثلا الحكومة التركية ، وذلك تحت تأثير الضغط الذي بدأ يثقل عليه . ولم يعترف بهما رسمياً الا بعد وصول تعليمات من طهران .

---

(١) هكذا ظهرت خلال المكاتبات ولكن لعل المقصود « ديه ملا » في اقليم هنديان الذى كان يحكمه بضع سنوات بعد هذا من يسمى أمير عبد الله .

وأثبتت الترتيبات التي أمر بها الامير الحاكم فعالية غير متوقعة . ففي ١٦ يناير وصل «الطيب» أحد الرجال المطلوبين تحت الحراسة الى المحمرة قادماً من فيليه حيث نقل على الكوميت الى البصرة . وفي ٢٢ يناير أحضر سجينان من الحويزة وتقلا بالمثل ، وقدم ملا «الحويزه» شهادة رسمية بوفاة الثالث من الهاربين المطلوب القبض عليهم .

وفي الثالث والعشرين من يناير عام ١٨٧٣ غادر المستر روبرتسون الفلاحية بناء على تعليمات الرائد هربرت تاركاً نقيب البصرة بها ومصطحباً قاسم الزهير الشلبي على الكوميت الى علي ابن آل الحسين على القارون حيث أخذ الاثنان طريقهما الى معسكر قناة الجعفري قرب الفلاحية . وهناك كان الامير الحاكم ، الذي قضى الفترة من الاجراءات الاخيرة في القضية في الأهواز ، يعسكر مع قوة من ٥٠٠ الى ٦٠٠ رجل ، وانضم اليهم ايضاً المحصل ، ولكن الشيخ لطفي كان غائباً في (وادي الملا) ، وقد أصبح الآن مؤكداً أن جزءاً من مسلوبات (كشمير) كان في حوزة بعض مشايخ كعب .

وفي الثالث من فبراير حضر الشيخ «لطفي» وحالا بدأت محاولة لتأجيل التعويض المطلوب من مشايخ كعب المتورطين في القضية ، ولكن المستر روبرتسون أحبطها .

ونجح المستر روبرتسون في استرجاع مبلغ ١١,٩٤٧ قران حتى العاشر من فبراير ، ولكن محاولته لاعتقال القراصنة المشتبه في وجودهم في دار الملا كانت غير ناجحة ولم يعتقلوا أحداً .

وفي ٢٢ فبراير عاد المستر روبرتسون والشلبي الى الفلاحية . وفي هذه المرة كان الاول قادراً على أن يقرر أن الامير الحاكم قد (تصرف بتقدير وعطف وأن إجراءاته لتأييد مطالبنا دون السؤال عن مدى فعاليتها كانت تحقق لنا أكثر من العدالة وأكثر مما تطلعنا اليه) ، وبلغت جملة ما استردته الحملة ٢٠,٦٣١ قران متضمنة مبلغاً دفعه الشيخ جابر نيابة عن الشيخ محمد بن فارس الزهير ، الشلبي وتأميناً قدره ٥٢٠٠ كران دفعه

الامير الحاكم لحساب المسلوبات التي اشتبه ان السجين (احطيّب) الذي كان عبداً لعائلة هليل مشايخ بوزيه كان قد سلمها لأسياده .

وفي الجملة فان ما يعادل ١٣٤٣٠ روبية قد استرجعت وألقي القبض على ١٢ متهماً في الاراضي الايرانية ولم يمكن استرداد المزيد ، ولو أن بعضاً من ممتلكات «كشمير» لم تدخل في الحساب ، وبقي بعض المجرمين مطلقي السراح . وكان سلوك الشيخ جابر محل تقدير جميع الاوساط حتى إن الحكومة الهندية قررت بناء على توصية الرائد هربرت إهداءه زورقين ذوي ستة مجاذيف من بومباي قيمتهما بين ٦٠٠-٧٠٠ روبية . كذلك فإن السفن التابعة لشركة الهند البريطانية للملاحة التجارية عند مرورها بمقر شيخ المحمرة على النهر ما تزال تطلق مدافعها اعترافاً بفضل جهود الحاج جابر في موضوع السفينة كشمير .

واستخدمت الكوميت مدة سبعة أشهر في القضية ، وأمضى المستر روبرتسون ١٢٢ يوماً على ظهرها . ولكن المجهود والوقت والمال التي بذلتها السلطات البريطانية لاقرار التعويض في تركيا وايران لم تكن لتضيع عبثاً . ففي خلال الاربعين عاماً التي مضت بعد الحادثة لم تسجل أية حادثة قرصنة ضد السفن البريطانية في مياه أي من تركيا او إيران من طراز حادثة كشمير المذكورة .

القرصنة في خور دورق سنة ١٨٧٣

حدث حوالي منتصف اكتوبر عام ١٨٧٣ أن سلبت القبائل مركباً وطنياً يحمل العلم البريطاني في فرع دورق أو بوزيه من خور موسى . ولكن أوامر قوية لاعتقال اللصوص واسترجاع قيمة البضائع التي سرقت صدرت من حكومة طهران .

المؤامرة المدعاة بين البريطانيين وشيخ المحمرة ١٨٧٥

وفي عام ١٨٧٥ ، وعندما تعكرت بعض الشيء العلاقات بين الشيخ جابر من المحمرة والحكومة الايرانية المركزية كما ذكر قبلا ، ظهرت مقالة بقلم الدكتور بولاك الطبيب السابق لشاه ايران في جريدة «الصحيفة

الجديدة الحرة» « نيو فري برس» تقول إن الشيخ علي وشك نبذ ولائه للحكومة الايرانية . ونقل امارته الى البريطانيين مما يجعلهم يحرزون وضعاً قيماً جداً يهيء لهم خطاً حربياً متقدماً داخل ايران ، وبالتالي مجابهة التقدم الروسي الى قلب جزيرة العرب . وقيل إن ترجمة لهذه المقالة أثارت غضب الشاه الذي ربما ربط في ذهنه بين الترتيبات التي نسبت الى الحكومة البريطانية وبين الاهتمام الذي أبدته السلطات البريطانية لزمن طويل مضى في مشروعات انشاء خط ملاحي بنهر قارون .

موقف الحكومة البريطانية من ولاية عهد مشيخة المحمرة عام ١٨٧٩

وفي عام ١٨٧٩ ، عندما أضحت وفاة الشيخ جابر متوقعة في موعد قريب ، وعندما بدا أن المنافسة بين ولديه محمد خان ومزعل[١] خان قد تتطور الى نزاع مسلح عند وفاته ، طلب المستر روبرتسون مساعد المعتمد البريطاني في البصرة تعليمات بصدد الموقف الذي يجب أن يتخذه اذا حدث النزاع المتوقع . ولم يقترح التدخل المباشر بين الاخوين ولكن روئي أنه يمكن تفويضه اعطاء نصيحة عامة الى مزعل خان لم يكن يشك كثيراً في أنها ستؤدي إلى انسحاب ذلك الزعيم من الحلبة دون اعتراض .

وقد احيل الموضوع عن طريق الرائد روس المقيم البريطاني في الخليج العربي الى الوزير البريطاني في طهران . ولكن لم يتضح ما اذا كانت قد أعطيت تعليمات في هذا الصدد ام لا .

وفي إبريل من هذا العام قام السير و. س. والليدي آن بليت بجولة في عربستان داخلين الاقليم من ارض بني لام في العراق التركي . وقد زارا ديزفول وشوشتر وراموز ، ومن ثم أخذا طريقهما خلال ديلام والساحل الى بوشهر .

العلاقات بين الشيخ مزعل والبريطانيين ١٨٨١–١٨٩٦ :

لقد نشأت علاقة متينة بين مزعل خان وبين مساعد المقيم البريطاني في البصرة ، «المستر روبرتسون» قبل تولي مزعل مشيخة المحمرة ، لكن

تلك العلاقة اتخذت شكلا متحفظاً ومفهوماً بعد ان تولى المشيخة ولكن في عام ١٨٨٨ زار الشيخ المستر روبرتسون في البصرة لاستشارته بخصوص الاعتداءات التي يخشاها من حكومة «امين السلطان» التي بدأت فعلا عملية إخضاع إقليم البختياري لطهران وكذلك اخضاع الشاطىء الايراني والجزر . وقيل ان العملية كانت تهدف الى الغاء مشيخة المحمرة أيضاً وتعيين حاكم إيراني لعربستان .

وتلقي النبذة الآتية المستخلصة من تقرير كتبه المستر روبرتسون في ذلك الوقت ضوءً كافياً على ميول الشيخ مزعل نحو السلطات البريطانية في تلك الاوقات الحرجة .

« اذا كان الايرانيون سيستولون على السلطة المباشرة على عرب عربستان ويستبدلوا حكاماً ايرانيين بالزعامة الوراثية للمحمرة ، فان نفوذنا وقوتنا الفعلية في تلك الأجزاء ستتأثران تأثراً ضاراً . فالشيخ مزعل كأخيه حاجي جابر خان وضع دائماً سلطانه ومعلوماته تحت تصرف هذه الوكالة ، وكان يقوم في الحال كلما دعي بوضع نفسه وقبيلته تحت اوامر الحكومة البريطانية . وطالما ظل هو الزعيم ، فان وضع المحمرة ومواردها ستظل مضمونة تحت الاشراف البريطاني ولخدمة التجارة ولأغراض أخرى . ومن المحتمل أن انكشاف هذه الحقائق أثار في الوقت الحالي رغبة الحكومة الايرانية لخلعه » .

وبعد افتتاح خط الملاحة في قارون ، ووفاة المستر روبرتسون صديق الشيخ مزعل عام ١٨٨٩ وَهَنَت صلات الشيخ بالبريطانيين عما كانت عليه .

وكان اكثر الاسباب وضوحاً لذلك استياؤه من منافسة مؤسسة بريطانية له في نقل تجارة قارون ، وتصرف الممثل البريطاني في المحمرة الذي غالباً ما اضطر عقب إنشاء وكالة قنصلية بها عام ١٨٩٠ الى ان يلجأ الكارجوزار الايراني الى الحاكم الايراني لعربستان ضد إجراءاته ، واخيراً الخوف القديم من إثارة شك الحكومة الايرانية .

وفي عام ١٨٩٥ وعندما شاع بين رعايا الشيخ مزعل السخط عليه أكد الشيخ مزعل ، الذي أصبح أمر ولايته للمشيخة يبدو ضعيفاً ، لنائب القنصل البريطاني ان « إخلاصه السياسي يقوم على مساعدة ، وليس معارضة البريطانيين وأنه اذا كان عليه كشيخ أن يختار سياسة فانها ستكون الصداقة الخالصة للحكومة البريطانية ، ولو أن مقتضيات السياسة قد تملي ضرورة إخفاء طبيعتها » .

★ ★ ★

الشئون الرسمية البريطانية في عربستان ١٨٤٨ – ١٨٩٦

لم يكن لبريطانيا حتى قرب نهاية هذه الفترة أي ممثل بريطاني دائم سواء أكان اوروبياً أم وطنياً في عربستان . والسبب الظاهر هو عدم وجود مصالح بريطانية في الاقليم . وفي هذه الظروف فان بعد المحمرة من بوشهر ، وقربها من البصرة قد جعلا الوكالة البريطانية في البصرة تصبح طبيعياً وسيطة الاشراف والحركة البريطانية في مسائل عربستان . وكما سبق ان راينا ، فان المعتمد البريطاني في البصرة انتدب للعمل في عربستان تحت اشراف المعتمد البريطاني السياسي في بغداد (١٨٧٢–١٨٧٣) للحصول على التعويضات في قضية القرصنة ضد الباخرة «كشمير» . وفي عام ١٨٧٨ ، كتب مستر روبرتسون دراسة قيمة عن الاقليم الذي جعلته الظروف خبيراً به .

نزاع اداري بين الوكالة السياسية البريطانية في العراق التركي ومقيمية الخليج البريطانية ١٨٧٨

لقد أدت هذه الترتيبات الملائمة جغرافياً ، والشاذة بوجه عام في سنة ١٨٧٨ الى صراع على الاختصاصات بين السلطات البريطانية . فعقب مقتل الشيخ الكعبي «لطف الله» في تلك السنة ، طلب الرائد نيكسون

المعتمد السياسي البريطاني في العراق التركي من المستر روبرتسون مساعد المعتمد السياسي بالبصرة تقريراً كاملا عن الاحداث مشيراً إلى أن الجريمة تدعو الى السخط الشديد . وعند وصول المكاتبات الى حكومة الهند طلب الرائد نيكسون برقياً أن يوضح ماهية العلاقة بين مشاكل قبيلة كعب والمصالح البريطانية التي تبرر تعليماته للمستر روبرتسون كما أوضح سابقاً . وقد تبين المقيم البريطاني بالخليج أن التعليمات المذكورة كانت تنطوي على اشراف مؤكد على شئون عربستان ، وهو إشراف كانت تمارسة قبلا مفوضية بغداد . وأشار الرائد نيكسون في رده الى التعليمات المعطاة اليه في السنوات السابقة بأن يبعث لحكومة الهند دائماً بالمعلومات الخاصة بتجمعات القوات الايرانية ، وغير ذلك من الامور الهامة فيما يجاور المحمرة .

ولكن حكومة الهند لم تر أن تعليماته كانت واردة لا سيما في الامور المتعلقة بالحرب الروسية التركية . وهكذا أبلغ المفوض البريطاني في العراق التركي بأن حكومة الهند ، بالنظر لعدم الملاءمة العامة للتدخل في النزاعات الداخلية على طول شاطيء الخليج الهندي مما لا يؤثر في المصالح البريطانية والسياسة العامة ، تعتبر ان الاستقصاء التفصيلي الذي أمر المستر روبرتسون باجرائه عن ظروف مقتل الشيخ «لطفي» كان غير ضروري .

وأضافت ان الارض التي يحتلها عرب كعب هي تابعة لايران ، وأن المقيم السياسي البريطاني في الخليج هو الموظف المسئول اولا عن كل الشئون التي تحدث في الاراضي الايرانية أمام محكمة الهند ، وأن المفوض البريطاني في جزيرة العرب التركية يجب أن يتعاون معه عند نظر الامور السياسية التي تهم كلا منهما » .

تعين نائب قنصل بريطاني في المحمرة عام ١٨٩٠

وفي مارس عام ١٨٨٩ أبلغ المندوب البريطاني في البصرة المقيم البريطاني بالخليج عن وجود حاجة عاجلة لتعين موظف بريطاني سياسي أو قنصلي بالمحمرة لرعاية مصالح المؤسسات البريطانية التي أخذت

تشتغل بالتجارة هناك عقب افتتاح الملاحة بقارون . وبعد مناقشة بين مفوضية صاحب الجلالة بطهران ودار المقيمية في بوشهر ، انتدب مساعد من الاخيرة للمحمرة كاجراء موقت . ثم اقترح الرائد روس المقيم السياسي بعدئذ أن يعين القنصل البريطاني في البصرة نائباً للقنصل في المحمرة ، وان يمنح علاوة في مرتبه ويزود بزورق بخاري لاستعماله . ولكن الحكومة الهندية لم تمل للنظر في أية اقتراحات تزيد في أعباء الميزانية الهندية . وفي النهاية قررت حكومة صاحب الجلالة أن الامر يقتضي إنشاء مأمورية قنصلية في المحمرة . وفي الرابع عشر من يونيه عام ١٨٩٠ عين المستر ماكدونال الذي كان حينئذ كاتباً بقسم البرق الهندي الاوروبي في الخليج ، والذي كان على المام جيد باللغة الايرانية وكفاية باللغة العربية ، في هذه الوظيفة ، ووضع تحت رئاسة المقيم البريطاني في بوشهر الذي عدلت دائرة سلطاته كقنصل عام لكي يشمل عربستان . وكان على نائب القنصل على أي حال ان يمارس اختصاصاته القانونية تحت احكام المرسوم الملكي الايراني لعام ١٨٨٩ الخاص بالشاطىء الايراني والجزر .

مبنى مأمورية القنصلية في المحمرة ١٨٩١–١٨٩٢ :

ظهرت مبدئياً بعض الصعوبات أمام توفير مبنى مناسب للمأمورية القنصلية ولكن تعهد الشيخ مزعل فوراً بموجب ترتيب وقع سنة ١٨٩١ بانشاء منزل وفقاً للرسوم التي يقدمها المستر مكدونالد ويؤجره له وفقاً لشروط معينة .

وفي السادس والعشرين من يوليو سنة ١٨٩٢ ، عندما انتهى البناء وحرر عقد(١) ايجار قانوني لمدة عشر سنوات قد تكون نسخة الشيخ منه قد فقدت لان خليفته الشيخ مزعل يرجع دائماً لاتفاقية البناء لسنة ١٨٩١ على أنها الوثيقة المنظمة للايجار . على أن هذه الاتفاقية المعتبرة لدى الشيخ هي الأكثر ملاءمة لمصالح الحكومة البريطانية اذ انها لا تحدد زمناً محدداً للايجار مثل عقد الايجار الذي تلاها .

---

(١) أ٠ن٠ ويلسون : مختصر العلاقات ٠٠ الخ صفحات ٧٦ ـ ٧٧ ٠

المعونة البريطانية البريدية لقارون ومكتب بريد المحمرة (١٨٨٩ – ١٨٩٦)

وفي سنة ١٨٨٩ طلبت شركة لينش واخوانه الذين افتتحوا حديثاً الملاحة التجارية البريطانية في قارون من الحكومة البريطانية منحة للبريد على أساس أن خدمتهم الملاحية تحقق خسارة، وأنهم فعلا يحملون من ٣٠٠–٤٠٠ طرد ومظروف بريدي في كل رحلة . واوضحت حكومة الهند عندما استشارتها حكومة صاحب الجلالة عدم رغبتها في منح أية منحة بريدية لاي مشروع لا يفيد مصلحة البريد الهندية ولكنهم اظهروا استعدادهم للمشاركة بمبلغ لا يزيد عن ١٠٠٠ جك(١) سنوياً لمدة خمس سنوات اذا كان استمرار الخط الملاحي يعد أمراً مرغوباً فيه لاسباب سياسية لدى حكومة صاحب الجلالة . وترتيباً على ذلك قررت منحة قدرها ٣٠٠٠ جك في السنة لمدة سنتين للسادة لينش . وكانت فيما يبدو بأثر رجعي من سنة ١٨٨٩ ، وقررت أيضاً منحة قدره ٢٠٠٠ جك لمدة الثلاث سنوات التالية كاعانة لمشروع بريطاني منافس وليس كمنحة للبريد ، وقسمت قيمة المنحة بالتساوي بين وزارتي الخزانة البريطانية والهندية .

وفي سنة ١٨٩٢ ، وبعد ان قررت شركة الملاحة البخارية الهندية البريطانية والخطوط البريطانية الاخرى اعتبار المحمرة ميناء تموين ، انشيء مكتب تموين هندي بريطاني بها ، ولكنه كان الوحيد في عربستان . ولم يؤد انشاؤه الى أية اعتبارات أخرى بالنسبة لنقل البريد عبر القارون .

وفي سنة ١٨٩٤ التمس السادة (لينش) الذين قاموا وما زالوا يقومون بالعمل بخسارة في قارون ، والذين خفضت منحتهم هم وشركة الدجلة والفرات للملاحة التجارية عن نقل البريد بين البصرة وبغداد من ٣٦,٠٠٠ روبية الى ٢٤,٠٠٠ روبية في السنة في ذلك العام ، التمسوا تجديد منحة قارون لمدة خمس سنوات أخرى . وافترضت حكومة الهند ان استمرارها

---

(١) جك : جنيه انكليزى .

في دفع نصف المعونة يجب أن يرتبط بالتزام حكومة صاحب الجلالة بدفع نصف اعانة الدجلة التي كانت تتحملها كلها حكومة الهند . ولم توافق حكومة صاحب الجلالة على الاشتراك في معونة الدجلة وبالتالي قررت حكومة الهند أنها غير مسئولة عن المساهمة بأي نصيب في معونة قارون التي تبدو أغراضها امبراطورية وليست هندية .

وفي النهاية عندما قرر السادة لينش ان عدم استمرار المعونة سيعني انسحابهم من الملاحة في قارون ، تقرر تجديد المنحة بمبلغ ٢٠٠٠ جك سنوياً لمدة خمس سنوات أخرى على الحساب المشترك لحكومة صاحب الجلالة وحكومة الهند التي التزمت بدفع النصف بصفة موقتة مقابل تعهد بأن يطرح موضوع المشاركة في منحتي الدجلة وقارون بين حكومة صاحبة الجلالة وبينهم على اللجنة الملكية التي كانت تتدارس عندئذ العلاقات المالية بين بريطانيا والهند .

★ ★ ★

خطط ومشروعات ملاحية في عربستان
١٨٧١ - ١٨٩٦

لقد كان اكبر تغيير حدث في عربستان تحت حكم ناصر الدين شاه هو ادخال الملاحة التجارية في القارون حين وضحت صلاحية النهر للملاحة خلال حكم محمد شاه . ولكن قضية استغلال النهر لم تناقش بجدية الا بعد ثلاثين سنة . ومضى أكثر من نصف قرن بين أول عبور لمركب تجاري الى الاهواز وانشاء خط ملاحي منتظم . وكما سيبدو ظاهراً فيما بعد فان الملاحة في قارون لم تكن هدفاً في حد ذاتها ولكن التجار البريطانيين والحكومة البريطانية التي بدأت المشروع اعتبراهما خطوة نحو جعل وسط وشمال ايران في متناول التجارة البريطانية من الخليج . وكانت نفس هذه الرغبة وراء الخطط المختلفة لانشاء طرق برية وحديدية بين حدود الملاحة في القارون وشمال ايران ، والتي ستذكر في

مكانها ، والتي كان نموها بسبب منافسة النشاط الروسي الكبير الذي هدد التجارة البريطانية في معظم أجزاء ايران .

مقترحات السادة (جراي وبول) وشركاهم ١٨٧١–١٨٧٥

ويبدو أن اول المقترحات العملية عن الملاحة التجارية في قارون نبعت من مؤسسة السادة جراي وبول وشركاهم في بوشهر ، فهم الذين وجهوا في يوليو عام ١٨٧١ خطاباً في الموضوع الى الرائد بيللي المقيم في الخليج كان فحواه أنه يمكن حث الحكومة الايرانية على الموافقة على اعادة تسيير بواخر المؤسسة الملاحية بين المحمرة وشوشتر بشروط مناسبة.

وكانت ثالث خطوة في هذه الخطة انشاء مشروع خط حديدي بتوصية من الرائد بيللي لوزير صاحبة الجلالة في طهران والى حكومة الهند ولكنها لم تحظ باهتمام أيهما . فقد لاحظ السير س. اليسون أن الوقت غير ملائم نظراً للمجاعة التي كانت تسود ايران والتي كانت تستدعي تجنيد كل مواردها لمواجهتها .

ولما كان السادة جراي وبول وشركاهم وكلاء شركة س. هـ. الهندية البريطانية في الخليج العربي فربما صح أن نستنتج أن المبادرة بهذا المشروع جاءت من تلك الشركة الكبرى .

وفي يونيو عام ١٨٧٣ أثار أحد أعضاء نفس الشركة موضوع الملاحة في قارون مرتبطاً بمقترحات انشاء طرق ولكن أيضاً دون جدوى .

غير أن الرأي الرسمي البريطاني الذي تأثر بالتحركات الروسية في منطقة مرف بدأ يميل الى مبدأ الحركة في جنوب إيران . وكتب لورد نورثبروك ، وهو حينئذ الحاكم العام في الهند ، محضراً رسمياً قال فيه «سأكون مستعداً لتشجيع وتأييد أي اقتراح جدي لفتح المواصلات بين الخليج وداخل ايران . فهذا لا يزيد التجارة مع الهند فحسب ؛ بل يقوي أيضاً مركزنا التجاري فيما اذ دعينا يوماً للتقدم داخل ايران .

ونتيجة لذلك أخذت حكومة الهند في الاعتبار التقرير الذي قدمه

مستر «ماكينزي» من مؤسسة السادة (جراي وبول) وشركاهم في عام ١٨٧٥ وكان قد عاين بنفسه الطريق بين أصفهان وشوشتر وضمن تقريره مقترحات جديدة عن الملاحة في القارون . وقد وصل التقرير لحكومة الهند عن طريق المقيم في بوشهر .

وفي عام ١٨٧٤ لم يكن هناك سوى باخرة صغيرة مملوكة على ما يبدو لشيخ المحمرة الذي كان يتشوق الى تحسين الملاحة على يد الحكومة الايرانية ، وكانت تقف في أسفل قاورن وعليها بضائع محلية صغيرة ولكن بخسارة .

تصرف السادة لينش وشركاهم عام ١٨٧٥

وفي نوفمبر عام ١٨٧٥ عندما تنبهت شركة دجلة والفرات للملاحة التجارية التابعة لشركة السادة لينش الى خطط السادة جراي وبول وشركاهم وجهت الى حكومة صاحبة الجلالة خطاباً ترجوها فيه ، اذا ما حصلت الحكومة على امتياز الملاحة في نهر القارون من الحكومة الايرانية ، بأن يعترف لهم بماضي خدماتهم للتجارة البريطانية في العراق وايران ، وذلك بالسماح لهل بأن يتقدموا لاي عطاء لانشاء الخدمة البريدية التي يسعى بجد لتوفيرها على نهر القارون ، والتمست الشركة أيضاً تأييد حكومة الهند لمطالبها .

المقترحات المعدلة للسادة جراي وبول وشركاهم وفشلهم في تأييد الحكومة البريطانية (١٨٧٥ — ١٨٧٧)

وفي نهاية عام ١٨٧٥ اقترحت حكومة الهند التي أصبحت تعبر مشروع قارون أهمية بالغة أنه في حالة وصول المشروع الى مرحلة التنفيذ يجب منح إعانة ما من الموارد الهندية الى السادة جراي وبول وشركاهم أو السادة لينش لتمكينهم من التنفيذ . وتقريباً في نفس الوقت اتصل المستر ماكينزي من الشركة الاولى بجلالة الشاه مقترحاً أن يسمح للسادة جراي وبول وشركاهم بتسيير بواخر في القارون دون اية إعانة من الحكومة الايرانية ، ووجدت مقترحاته في مبدأ الامر قبولا من تلك

الحكومة ، وأوصى مجلس مكون من الامراء والوزراء وكبار الموظفين أن تفتح الملاحة العالمية في القارون ، وهي نتيجة رضي بها المستر ماكينزي الذي ربما لم ير ضرورة للاحتكار(١) لنجاح المشروع . وبدا الموضوع منتهياً عندما أعلنت الحكومة الايرانية فجأة أنها تطالب بفرض رسوم ملاحة ، ورسوم موانىء على الملاحة في القارون اسوة بما هو معمول به في اوزوبا . وبسبب هذه الشروط التي وجد المستر ماكينزي أنها غير محقة ، وأنها لن تمكن من توفير خدمات للشركة من الحكومة الايرانية فقد توقفت المفاوضات .

ثم اتفقت كلمة حكومة صاحب الجلالة وحكومة الهند والممثل البريطاني في طهران على الرغبة الشديدة في فتح طريق القارون أمام التجارة البريطانية ، ولكن الاخير لم يجد الوقت ملائماً للمضي في الموضوع .

وفي نوفمبر عام ١٨٧٦ ، وبناء على تعليمات من لندن ، ذُكّر الحاكم الايراني بموافقة بلاده سابقاً على مبدأ الملاحة الحرة في القارون . ولكن رغم كثرة التذكير لم يمكن حث الايرانيين على اتخاذ أي إجراء .

وفي أغسطس عام ١٨٧٧ ، وجدت الشركة البريطانية التي تجدد اهتمامها فجأة بالمشروع ضرورة لمعاودة تذكير حكومة صاحبة الجلالة لدفع عجلة المشروع . وبدت الفرصة سانحة لان الحرب الروسية التركية أثرت كثيراً في قطع مواصلات الشمال فمالت التجارة الى النشاط في الجنوب . ووجه المستر طومسون همه الى إجراء اتصالات جديدة في طهران . فقام بها دون نتيجة ، وكان رد وزير خارجية ايران الرفض الذي وضع نهاية لجميع المناقشات كما جاء في النص الآتي :

« أتشرف بأن اوضح بكل احترام رداً عليكم ان الوزراء الايرانيين يشعرون دائماً بالشكر للصداقة الخالصة ، والاهتمام البادي من الحكومة

---

(١) في عام ١٨٨٢ وجد السادة جراى بول وشركاهم أنهم لن يستطيعوا المغامرة في مشروع الملاحة في القارون ما لم يتم منحهم الحق الوحيد في ذلك ــ لمدة خمسين عاماً ــ وهذا يدخل في الحساب لعدم وضعهم أى باخرة في النهر عندما يفتح بعد ذلك للملاحة العامة ٠

البريطانية . وهم في كل الاوقات حريصون على احترام وتنفيذ جميع وساطات المفوضية ، ولكن بالنسبة لموضوع نهر القارون والملاحة التجارية فيه فانهم يرجون ، نظراً للعقبات السياسية القائمة الآن ، والتي لا ضرورة لتحديدها ، ان يعذروا في الوقت الحالي ويأسفون لعدم قدرتهم على تنفيذ هذا الامر » .

على ان المستر طومسون كان لا يهمل أية فرصة كانت تتيحها مناقشات منح الامتيازات لاي دولة أجنبية أخرى ليؤكد للحكومة الايرانية المزايا التي تعود عليها من مشروع قارون . واشار الى انه سيعطي البلاد اتصالا مباشراً بالعالم الخارجي عن طريق الخليج واعالي البحار . وان هذا سيكون أكثر امناً من شركة سكة الحديد التي كانت تصل ايران بروسيا الاوروبية .

ويبدو ان بعض المؤتمرات أثرت على تفكير الشاه الذي اعترف في أغسطس سنة ١٨٧٨ بأن لديه ترتيبات بالنسبة للملاحة في قارون . على أنه رغماً من ذلك سرعان ما أصبحت اتجاهات الشاه نحو المقترحات البريطانية عدائية ، واكتشف أخيراً أن سبب تردده هو الخوف من أزدياد اهمية المحمرة زيادة كبيرة بحيث يصبح اغراء الاستيلاء عليها مستحيل المقاومة من الحكومة البريطانية . وبعد لاي انفجر تهيج الشاه من الحاح المفوضية البريطانية في خطاب كتبه لوزير خارجيته يحوي تعليمات بأنه يجب أن يقرأ محتواه للمستر طومسون وهو : « ان الحاح حكومة صاحب الجلالة في موضوع القارون أثار ريبه ، وان ايران ليست دولة غير مستقلة بل هي دولة مستقلة ، وأنه اذا كانت موافقته مطلوبة فلن يميل لاعطائها ، وأنه اذا قصد استعمال القوة فان ذلك يصبح شيئاً آخر » . وسحبت هذه الرسالة فيما بعد . ولكن بقي القارون مغلقاً في وجه الملاحة للاجانب .

تجديد المفاوضات بلا نجاح (١٨٨١ — ١٨٨٢)

وفي سنة ١٨٨١ ، وعد وزير الخارجية الايرانية المفوض البريطاني

في طهران انه لو أن الحكومة البريطانية استعملت نفوذها لتحقيق اجلاء الزعيم الكردي عبيد الله التركي الرعوية من مكانه على الحدود حيث كان يهدد الاراضي الايرانية ، فان الحكومة الايرانية ستفتح من جانبها القارون للملاحة الاجنبية ، بل وحتى تربط شوشتر مع طهران بطريق بري . وبناءً على ذلك قام سفير صاحبة الجلالة في اسطمبول بالتدخل . ولكن من المحتمل ، نتيجة فكرة طهران بأن ايفاد الزعيم الثائر يعود فضله لروسيا أكثر من نفوذ بريطانيا ، فان المستر طومسون لم يحصل عندما أعاد الاتصال في موضوع القارون الا على مراوغات غير مجدية .

وفي نفس الوقت عُين (ظل السلطان) نجل الشاه حاكماً عاماً على عربستان سنة ١٨٨٩ وعلى إقليم فارس سنة ١٨٨٩ بالاضافة الى مقاطعات أخرى ، وقد أقام هذا علاقات صداقة مع الرائد روس المقيم البريطاني في بوشهر .

وفي بداية سنة ١٨٨٢ أثار الشاه مع ولده موضوع الملاحة في القارون ، فتعهد بأن يمنح ترخيصاً للملاحة في النهر للبواخر البريطانية بشرط أن يمنح نيشاناً بريطانياً . ولكن مهندساً ايرانياً كان في خدمته قدم تقريراً في يوليه سنة ١٨٨٢ بأن قبول ملاحة السفن الاجنبية في قارون يشكل خطراً حربياً ، وأوصى في نفس الوقت بأن تستخدم الحكومة الايرانية سفناً ايرانية تابعة لها وثبت أن نفوذ «ظل السلطان» ، على فرض أنه كان حقيقياً ، لم يكن مجدياً في ازالة تحيّز الشاه .

وفي نهاية سنة ١٨٨٢ كان مفهوماً أن الامير قد فشل قطعياً ليس فقط في الحصول على امتياز للملاحة البريطانية كما اراد المقيم البريطاني في الخليج ولكن حتى في فتح النهر للتجارة الخارجية على وجه العموم الامر الذي دارت حوله مكاتبات مع المستر طومسون .

وقد أصبح لشيخ المحمرة في ذلك الوقت باخرة متوسطة الحجم كانت تقوم برحلات في النهر .

وفيما كانت المفاوضات السابقة تأخذ سبيلها قام الرئيس هـ. ويلز.

مصحوباً بالمستر و. يارنج ، السكرتير الاول بالمفوضية البريطانية في طهران ، بزيارة لمسح شلال الاهواز الذي كان يشكل الصعوبة الرئيسية أمام الملاحة وقدموا تقريراً عن ذلك كما قام الاخير بدراسة الطريق البري .

وفي سنة ١٨٨٢ بحثت مسألة صلاحية احدى روافد القارون كطريق للتجارة تكملة لطريق برية تتجه نحو الشمال . ويرد وصف العقبات السياسية والطبيعية التي كانت تعترض في سلسلة مكاتبات عديدة بين السير ه. رولنسون والسير أ. سانت جون والمستر و. يارنج من مفوضية طهران . وكان رأي السير ه. رولنسون معارضاً للغاية واعتبر ان مسألة فتح قارون للملاحة ما هي الا «وهم خادع» ونظر بحذر الى آراء المسئولين الآخرين.

وفي العام التالي أعاد وزير صاحبة الجلالة في طهران النظر في مذكرتهم بعد تلقي تقرير من الرئيس ويلز. ولكن النتيجة النهائية لكل المناقشات كانت غامضة وغير قاطعة نظراً للحاجة الى معلومات مساحية محددة .

مشروع القارون ـــ الكرخه الملاحي للسيد م. فوفييه ١٨٨٣

وفي خلال فترة الهدوء التي أعقبت توقف المساعي البريطانية نحو فتح القارون للملاحة قدم مهندس فرنسي اسمه (السيد م . فوفييه) يعمل في الحكومة الايرانية مشروعاً غريباً . غير أن تقريره المؤرخ في ٢٦ فبراير سنة ١٨٨٣ ، رغم اتمامه في كرمانشاه ، لا يقدم أي دليل على المعرفة الشخصية بالبلاد التي يمر بها . وكانت فكرته تقوم على وصل نهر الديز بنهر الكرخه قرب ديزفول بقناة ملاحية . اما وسائل النقل التي اقترحها لاستكشاف المنطقة فكانت قاربين بخاريين او ثلاثة وعوامة تقوم القوارب البخارية بحملها لدى توافر مياه كافية . أما العوامة فتحمل القوارب عندما لا تتوفر المياه . وهكذا تقدمت البعثة من المحمرة حتى كرمانشاه . ولكن يبدو أنه لم تتخذ أية خطوات لتنفيذ هذا المشروع الخيالي .

افتتاح القارون للملاحة التجارية امام جميع الامم سنة ١٨٨٨

وظلت المفاوضات البريطانية لافتتاح القارون للملاحة مغلقة حتى

سنة ١٨٨٨ عندما نشطت على يد السير هـ. دروموند وزير صاحبة الجلالة في ايران وانتهت بنجاح .

وفي ١٨ سبتمبر سنة ١٨٨٨ ، وجه المفوض البريطاني بمذكرة لحكومةالشاه مشيراً الى التأكيدات السابقة المشجعة ومشيراً الى أن ايران كانت وما زالت من الناحية العملية مقفلة في وجه تجارة العالم ، وأن مواصلاتها الشمالية تتحكم فيها قوة أجنبية وحيدة ، وشارحاً ان الحكومة البريطانية لا تطالب بأي امتيازات لها ولكنها تعطي النصيحة الصادقة للحكومة الايرانية بعد أن سبق لها وضمنت وحدة ايران واستقلالها . وانتهت المذكرة « ولهذا فان حكومة صاحبة الجلالة ، كأصدقاء وحلفاء لايران، قد امرتني ان استفهم عن متى يمكن أن نتوقع ان التأكيدات والوعود السابق اعطاوها يمكن ان توضع موضع التنفيذ علماً بأنهم على ثقة بأن الاجابة الرسمية التي تصلهم يمكن أن تكون متفقة تماماً مع مشاعر الصداقة والتفاهم القلبي بين البلدين مما تود حكومة صاحبة الجلالةالاحتفاظ به » .

ووجد ان الشاه أصبح يميل الآن الى فتح النهر للملاحة ولكنه يرى عقبتين في الطريق : الاولى وعده السابق سنة ١٨٨٧ بأنه لن يسمح بانشاء أي سكة حديد أو ممر مائي في ايران بمعرفة شركة أجنبية دون استشارة امبراطور روسيا . والثانية خوفه من ان تنشيء الحكومات الاجنبية تحصينات على القارون او تستغله للاغراض العسكرية . وأزيل اول هذه المخاوف بالاقناع بان فتح القارون للملاحة هو اجراء وطني وليس امتيازاً لاية شركة أجنبية . وبالنسبة للاخرى فبالتوكيد بأن حكومة ايران لها سلطة اصدار لوائح تمنع انشاء تحصينات حربية أو استيراد سلاح او أية عمليات خطيرة أخرى من الاجانب .

وفي النهاية مال الشاه الى الاستجابة لرغبات الحكومة البريطانية بشرط اهدائه باخرتين وتقديم بعض التأكيدات بالحماية ضد روسيا في معارضتها لفتح القارون للملاحة . وبقبول هذه الشروط ابلغ وزير صاحبة الجلالة في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٨٨ ان الحكومة الايرانية وافقت على فتح النهر أسفل الاهواز للملاحة والتجارة الاجنبية محتفظة بحقها

في اصدار لوائح للملاحة ولفرض رسوم ، وأن طريقاً للمركبات من ديزفول الى اصفهان سيستكمل خلال ثلاث سنوات، وان الحكومة الايرانية ستنشيء سكة حديد كهربائية حول شلالات الاهواز لتيسير النقل بين جزئي النهر الاسفل والاعلى اللذين احتفظت الحكومة الايرانية لنفسها بقصر الملاحة فيهما عليها . واحتفظ بالامر كله كسر حتى يظهر اعلان رسمي في الصحيفة الرسمية بطهران .

وظهر الاعلان الموعود دون أي تأخير وتضمن لوائح الملاحة في القارون التي جاءت كالآتي :

اللوائح الايرانية للملاحة في القارون سنة ١٨٨٨

لوائح نهر قارون (١)

ان الحكومة الايرانية في سبيل تيسير التجارة وزيادة ثروة البلاد

---

(١) هذه الترجمة منقولة من كتاب الملازم أ٠ن٠ ويلسون : ملخص العلاقات ٠٠ الخ سنة ١٩١٢ ص ٩٠ ـ ٩١ حيث أضاف المؤلف الملاحظات التالية :

ملاحظة ١ : الترجمة اعلاه وصلت الى نيابة قنصلية صاحبة الجلالة بالمحمرة في ٢٧ اكتوبر سنة ١٨٩٠ ٠ من المقيم العام في بوشهر ٠

ملاحظة ٢ : حيث ترد عبارة « السفينة التجارية » فان لكارجوزر اعتاد الاحتجاج كلما دخلت القارون القطعة البحرية الملكية الهندية « لورنس » وكذلك كلما القت هي أو أية سفينة حرب مراسيها في القارون أمام أو أعلى قنصلية صاحبة الجلالة٠ ولم تسفر هذه الاحتجاجات عن شيء ٠ ولم يبحث الموضوع في وزارة الخارجية الايرانية في طهران ولكن نظرا لانه ليس يعنينا أن نقرر حق السفن الاجنبية الحربية للرسو في قارون أسفل المحمرة فلم تتخذ أية اجراءات في السنوات الاخيرة لتأكيد مثل هذا الحق ٠

ملاحظة ٣ : الفقرة ١٤ عدلت سنة ١٨٩٠ بمعرفة أمين السلطان الذى أمر بأن يدفع كران واحد عن كل طن من الحمولة المسجلة للرحلة الصاعدة اذا كانت السفينة محملة ونصف كران ان كانت =

وجعل اراضيها مثمرة قد فتحت نهر قارون للملاحة وفقاً للقواعد الآتية التي سمحت بالملاحة بين المحمرة والاهواز للبحرية التجارية من كل الامم . وعلى السفن التي تمخر القارون ان تتبع لوائح الحكومة التي ستستمر سارية المفعول لمدة عشر سنوات وبعدها ستعدل وفقاً للظروف السائدة :

١ — على البواخر التجاريةالتابعة للتجار من الدول الصديقة أن لا تبقى في أماكن الرسو أو بالنهر أكثر من الوقت اللازم للتفريغ . والشحن والتموين للرحل .

٢ — الاشخاص الذين يكون في وجودهم ضرر للنظام ، أو إثارة للمتاعب لا يجب صعودهم الى ظهور السفن . وكل من يحضر يجب ان يحمل جواز سفر من حكومته والا فسوف يصعب فهم مأمورية أي واحد يصل دون جواز سفر .

٣ — لا يجوز لاية سفينة تحت أية ذريعة أن تحمي مواطناً ايرانياً بأية طريقة .

٤ — نقل السلاح محظور تماماً ، واذا خولف ذلك سيصادر السلاح موضوع المخالفة .

٥ — لا تنقل أية بضائع متفجرة مهما كانت .

٦ — لا ينشيء اصحاب السفن أية مبان مهما كان نوعها مثل مخازن الفحم او مخازن البضائع او الدكاكين او الفنادق او محلات مبيت القوافل او المصانع ... الخ على جانبي النهر .

٧ — ان تخزين البضائع ومخازن الفحم ومخازن البضاعة واماكن الرسو بكميات كافية سينشئها لحساب الحكومة الايرانية التجار الايرانيون.

= فارغة • وفي رحلة العودة يدفع كران واحد عن كل طن من الشحنة الفعلية ولا شيء ان كانت فارغة •

وفي حالة الزورق البخارى (اللنش) آسب تقرر سنة ١٨٩٣ ان لا تفرض عليه أية رسوم من أى نوع واتبعت هذه القاعدة منذئذ في حالتى المرور للزورقين البخاريين « بلبل » و « اشتار » •

٨ — يدفع أصحاب السفن أجوراً معقولة لإيجار المخازن .

٩ — يكون أمناء المخازن من الرعايا الايرانيين .

١٠ — لا تبحر السفن أعلى من الاهواز .

١١ — يختار لمخازن الايداع رجل موثوق فيه من ايران . ويختار آخر من جانب جميع اصحاب السفن ويدير الاثنان مخازن الايداع .

١٢ — رجال الحراسة من خفراء وغيرهم ستعينهم حكومة ايران .

١٣ — لا يسوغ لاي شخص من أية سفينة أن يشتري او يبيع أو يرهن ... الخ أية أملاك من أو إلى أية رعية ايرانية .

١٤ — يجبى من السفن الماخرة في القارون ذهاباً واياباً رسم قدره كران واحد عن كل طن من السفن التجارية وعشرة شاهيات من السفن الشراعية ، والسفن غير المحملة تدفع نصف القيمة والسفن الشراعية المملوكة لرعايا ايرانيين ولا تزيد حمولتها عن ٣٠ طناً تعفى من هذه الرسوم .

١٥ — عمال الشحن والتفريغ ستوفرهم الحكومة الايرانية وسوف تحتفظ بسجل بهم وتزودهم بعلامة مميزة .

١٦ — اذا وقع أحد الرعايا الايرانيين ممن يكون قد التحق بتصريح من الحكومة الايرانية بخدمة احدى السفن تحت طائلة القانون ، فان محاكمته وعقابه تتم أمام مندوب ايراني دون اي تدخل .

١٧ — تعامل أعلام السفن وفقاً لاحكام القانون البحري العام .

١٨ — موظفو السفن ممنوعون من اقراض الايرانيين عموماً أي مبلغ يزيد عن تومانين ، باستثناء التجار .

١٩ — ليس لاية حكومة صديقة أي حق كان ، للتدخل في عمق أو قاع او مجرى النهر .

٢٠ — يسجل عدد واسماء الموظفين الذين تسمح لهم الحكومة

الايرانية بالعمل على سفن الحكومات الصديقة . ويجب ان يحملوا جواز سفر ايراني وإلا فلن يسمح لهم بالعمل .

٢١ — لما كان التصريح بالملاحة التجارية للحكومات الصديقة للملاحة في قارون قصد به فقط تيسير وتشجيع التجارة ولا شيء آخر فانه لن يسمح لهم بأية وسيلة بأن يتخذوه ذريعة لمناقشات سياسية من أي نوع .

٢٢ — تصدر لوائح خاصة بانقاذ السفن الغريقة تحكم حالاتها ، على أن تدفع اجور الانقاذ للمواطنين بالشاطىء .

٢٣ — البضائع الخطرة كالاسلحة ...الخ لا يجوز بيعها بمعرفة موظفي السفن للرعايا الايرانيين أو البدو او القبائل . وإذا بيعت فسوف تصادر ويستولى على ثمنها .

٢٤ — اذا خالفت أية سفينة لحكومة صديقة هذه اللوائح فستغرم بمبلغ ٦٠٠ تومان ان كانت تجارية و ٣٠٠ تومان ان كانت شراعية وستمنع من الملاحة لمدة سنتين .

اضافة : في حالة النزاع يؤخذ بالنص الايراني لهذه الاتفاقية .

اختبار بهمنشير في ديسمبر سنة ١٨٨٨ :

وفي ديسمبر سنة ١٨٨٨ . قامت سفينة المقيم البريطاني في بوشهر وهي السفينة التجارية الملكية الهندية «لورانس» بقيادة القبطان بيتر وورث بارتياد مسافة ٢٠ ميلا من مجرى بهمنشير لاختبار صلاحيته للملاحة تمهيداً لافتتاح القارون . ثم بعد ذلك هبط القبطان النهر على طول مجراه آخذاً مقاسات صوتية للاعماق . وكانت نتيجة الاختبار عدم صلاحيته بحالته الراهنة لمرور البواخر القادمة من المحيط .

افتتاح الملاحة البريطانية التجارية في قارون الاسفل ١٨٨٨-١٨٩٢

وفي ٣٠ أكتوبر سنة ١٨٨٨ ، وفور وصول معلومات برقية بأن الملاحة في القارون أسفل الاهواز أصبحت مفتوحة أرسل الزورق البخاري «اللنش» (عرب) التابع للسادة (جراي ماكينزي) وشركاهم ، وهم

فرع البصرة للسادة جراي وبول وشركاهم ، من البصرة الى قارون كرائد يقرر الطريق الصحيح . ولكن بمجرد أن غطس في الماء خمسة أقدام تبعته مباشرة الباخرة (بلوس لينش) وهي سفينة ذات بدال جانبي كبير تابعة لشركة الدجلة والفرات للملاحة التجارية وكان غاطسها ثلاثة أقدام . ولما كان شيخ المحمرة لم يتسلم أي تعليمات من الحكومة الايرانية للسماح للسفن الاجنبية بدخول القارون رغم أن وعداً بذلك قد صدر في طهران ، فقد رتب الامر حتى لا يجرح شعور شيخ المحمرة على أن تعبر كلتا السفينتين المحمرة ليلا ، وأن يتقدم رباناها الى نظام السلطنة حاكم عربستان بتقرير عن ذلك .

واستمرت لعدة شهور رحلات نصف شهرية بين المحمرة والاهواز بالسفينة «بلوس لينش» وجد بعدها أنها طويلة وعميقة بالنسبة لنهر مليء بالمنحنيات الحادة وفي بعض المواسم ضحل كالقارون . فاستبدلت بالسفينة «شوشان» التي كانت ذات طارة في المؤخرة طولها مائة قدم وغاطسها قدمان ونصف ولها ثلاث دكات ، صممت اساساً للرحلة في النيل ، ولكنها نقلت في عام ١٨٩٠ الى النهر الاعلى . واستمرت مرة أخرى خدمة السادة «لينش» في القارون الاسفل معتمدة لفترة من الزمن على الباخرة بلوس لينش . وفي يوليه عام ١٨٩١ ، استبدلت هذه بزورق بخاري بحر صندلا ولكنه استبدل عام ١٨٩٢ بـ «مالامير» وهي سفينة من نفس طراز بلوس لينش وأصغر منها .

وجربت شركة بومباي وايران للملاحة التجارية حظها في القارون فترة من الزمن بباخرة صغيرة اسمها «ايران» ولكن العائد الناتج لم يكن مناسباً فسحبت بعد قليل تاركة السادة لينش البريطانيين وحيدين في الميدان لا ينافسهم غير الايرانيين فقط .

افتتاح الملاحة التجارية في قارون الاعلى واهداء « شوشتار » الى الشاه ١٨٨٩ ـ ١٨٩٠

وفي عام ١٨٨٩ ، وضعت الحكومة الايرانية الباخرة النهرية «سوسا» التي حصلت عليها من المانيا عام ١٨٨٥ في القارون الاعلى من أجل تحقيق

منافع الملاحة من الاهواز التي قصرتها الحكومة على نفسها . ولكن تبين عدم ملاءمة طراز السفينة(١) بالاضافة الى سوء الادارة . واضطر السادة لينش للحصول على تفسيرات من السلطات الايرانية لنقل شحناتهم بين الاهواز وشوشتر في مراكب شراعية وطنية تحت الادارة التركية .

ولتحقيق الشروط التي وضعها الشاه لفتح النهر ، اتفق اولا في نوفمبر ١٨٨٨ أن يهدى للشاه زوج من السفن قيمة كل واحدة منهما عشرة آلاف جنيه احداهما يدفع قيمتها السادة لينش والاخرى حكومتا الهند وبريطانيا بالتساوي .

وفي ديسمبر عام ١٨٨٩ ، تقرر أن تهدى «شوشتر» التي كانت تعمل في النهر السفلي الى الشاه من جانب السادة لينش . ولكن اموراً مسببة للنزاع حول الملاحة في النهر بدأت في الظهور . وانتهزت هذه الفرصة لتسوية بعض المشاكل . واخيراً في فبراير عام ١٨٩٠ تقبل الشاه بسرور بالع «شوشان» لنقل الركاب والبضائع بين الاهواز وشوشتر وديزفول وقدم في نفس الوقت تأكيد من رئيس الوزراء أمير السلطنة الى السير هـ. دروموند وولف بان ايران ستعمل باستمرار بالاتصال مع بواخر السادة لينش ، ما لم تمنعها أحوال كونية غير عادية ، بينما منحت وعود شفوية من الحكومة الايرانية للوزير البريطاني بأن ممثلي السادة لينش سوف يستشارون عند تعيين ربان للسفينة «شوشان» ، وأن جداول سيرها واسعار الشحن بها سوف تقرر بالاتفاق مع السلطات الايرانية . واخيراً فان الرسوم الجمركية الايرانية سوف تحصل في المحمرة او الاهواز او شوشتر وفقاً لمحطة الوصول . وبمجرد الاتفاق على هذه المواضيع نقلت شوشان عبر شلالات الاهواز في فيضان ربيع عام ١٨٩٠ وسلمت للسلطات الايرانية . وفي عام ١٨٩١ ، كانت «شوشان» و «سوسان» يعملان معاً بين الاهواز وشوشتر على «الجرجار» والثانية على «الشطيط» .

---

(١) كانت حمولة سموسا ٣٦ طنا وكانت تحمل في الاصل بعض المدافع ولم تصمم أصلا كسفينة تجارية ٠

أما السفينة الثانية التي وعد بها الشاه فلم تسلم في النهاية ومن المحتمل أنه تبين أنه لا حاجة لعمل سفينة ثالثة .

ابتداء متاعب السادة لينش وشركاهم ١٨٨٨ — ١٨٩٤

لكنه من سوء الحظ ان تطبيق لوائح الملاحة في القارون كان يتم بروح أشد تحرراً من تلك التي وضعت بها مسودة المشروع. وكانت التفسيرات التي وضعت للائحة وخاصة من جوازات المحمرة ، والناصري (الاهواز) ملتوية وعنيفة بل وغير معقولة . ويبدو ان انطباعاً ساد في البداية في عقول الموظفين الايرانيين بأنه بفضل هذه اللائحة فقد أبطلت امتيازات الرعايا البريطانيين في ايران وفي عربستان التي اعتبرت بالنسبة للاجانب مقاطعة استثنائية .

وقد تضافرت ظروف اخرى لم يكن السادة لينش مسئولين عنها في جعلهم غير شعبيين ، وبالتالي زادت خطورة مصاعبهم . فمشايخ العرب في المحمرة ورجال القبائل كانوا ينظرون اليهم باعتبارهم سبب ورود عدد أكبر من الموظفين الايرانيين الى البلاد . والتجار من الاهالي ورجال القوافل كرهوهم باعتبارهم منافسين في المهنة ، كذلك كرههم المسئولون الايرانيون الذين كانت مهمتهم الرئيسية الاشراف على تنفيذ الاجراءات كراهية مرة خصوصاً وان السادة لينش كمبدأ عدم تصلبوا في رفض دفع الرشاوى لاحد ما .

ونشأت الصعوبة الاولى للشركة في المواد ٦،٧،٨ من اللائحة التي منعت أصحاب السفن من انشاء المباني ... الخ لحسابهم ، وجعلتهم يعتمدون في ذلك على الحكومة الايرانية او التجار الايرانيين. وبمقتضى هذه المواد خابت مساعيهم في الحصول على ارض لانشاء ارصفة ومخازن ومستودعات ومكاتب في المحمرة والناصري .

ووجد وزير صاحبة الجلالة ان الوقت غير مناسب للتدخل لصالحهم وربما كان السبب — كما هو ظاهر في سائر تاريخ الساحل الايراني وجزره — ان موضوع مباني الشركات الاجنبية في ايران هو موضوع

قابل للاثارة ويقتضي البحث على اسس المعاهدات التعاونية . وكان على السادة لينش أن يبذلوا ما في وسعهم من ترتيبات مع الافراد الجشعين أو مع الحكومة التي لا تقل جشعاً عنهم والتي وجدوا أنفسهم تحت رحمتها . وفي الناصري ، حيث منح امتياز تزويدهم بالمرافق إلى «معين التجار» وهو تاجر غني من بوشهر وصديق لنظام السلطنة ، فان المفاوضات دامت بلا نجاح لمدة ثلاث سنوات ، شغلت خلالها الشركة سقيفة من حصير دفعوا لها ايجاراً خيالياً قدره ٦٠٠ تومان او حوالي ١٧٠ جك في السنة ايجاراً كأنه لبناء غير موجود . ولم يوفقوا الا في عام ١٨٩٤ في الحصول على عقد إيجار(١) لبناء كان عليهم أنفسهم أن يبنوه لحساب الحكومة الايرانية ، كما كان عليهم ان يدفعوا له إيجاراً بنسبة ١٥٪ من التكاليف الكلية للبناء في السنة . وفي الشليلي مرفأ شوشتر كانوا عاجزين عن توفير بناء من أي نوع لتخزين شحناتهم ، وأنكرت عليهم ابسط وسائل الشحن والتفريغ .

وقد تعرض موظفو السادة لينش في شوشتر وناصري في البداية لسائر انواع المضايقات والازعاج ، وطعن في السلوك الاخلاقي للسيد ج. س. جاسكين وكيلهم في الناصري . وكان الاساس الذي بني عليه الطعن أنه يلبس أحياناً الزي الوطني . وعندما رغب في تشغيل خادم خاص بجانب طاه مسيحي أحضره معه أحد المسئولين الايرانيين أصروا على تعيين الرجل بانفسهم وألحقوه بخدمتهم أيضاً وشاركوه في جزء من ماهيته .

ونتيجة لهذه المناورات لم يستطع المستر جاسكين أن يحتفظ برجل محلي في خدمته . وكانت الذريعة الوحيدة للمسئولين الايرانيين لتدخلهم هي المادة (١٥) من اللائحة التي نصت على أن الحمالين اللازمين لتفريغ شحنات السفن يجب أن يقدموا عن طريق الحكومة الايرانية . بل وذهب الكارجوزار الى حد الاحتجاج على مجرد تعيين المستر جاسكين في الناصري على أساس أنه اوربي . ورغم أن اللائحة لم تكن توفر أي أساس لاعتراض من ذلك النوع الا أن الكارجوزار استند الى المادة الثانية من اللائحة المتعلقة

(١) الملازم ويلسون : خلاصة العلاقات .. الخ ص ٨١ ــ ٨٢ .

بالاشخاص الذين يكون وجودهم خطراً على النظام . وساند أصحاب العمل المستر جاسكين بشدة لانهم شعروا أن نقله سيؤدي الى الحط من قدر بريطانيا ، ويشجع الايرانيين على الاعمال المعوّقة . وزكّى الرائد روس المقيم بالخليج أخلاق جاسكين . ولم يهتم نظام السلطنة الحاكم الايراني لعربستان بتلك الاتهامات الموجهة لجاسكين ، فهدأت المتاعب بعد فترة .

ووجد أول مندوب للسادة لينش في شوشتر في البداية متاعب في توفير أبسط ضروريات الحياة حتى مياه الشرب . ويبدو أنه أعلنت في ذلك المكان مقاطعة للتجارة البريطانية والتعامل الشخصي مع المندوب . ولكن في عام ١٨٩٠ تحسن الموقف كثيراً على أية حال . ووصفت العلاقات الطيبة التي نجح السادة لينش في توطيدها مع المحيطين بهم بأنها مصدر فخر لهم كما أنها كانت مفيدة لنجاح اعمالهم .

كذلك نشأ نزاع مبكر بصدد تفسير المادة ٤٤ من اللائحة الخاص برسوم الحمولة ، فكان الكارجوزار يطالب بغران واحد على كل طن من حمولة السفينة المسجلة لكل من رحلتي الذهاب والاياب ، بينما السادة لينش يحتجون بأن هذا الرسم يجب ان يشمل الرحلة من المحمرة الى الناصري مع العودة ، وتقرر احالة الموضوع الى طهران .

وفي نفس الوقت عرض السادة لينش تقديم اقرار بدفع كامل المطلوبات الايرانية في حالة ما اذا حكم صاحب الجلالة الشاه عند عودته من اوروبا لصالح الكارجوزار ، ولكن الكارجوزار رفض مثل هذا الاقرار ، وبعد لاي تم الاتفاق في العاصمة على ان تدفع السفن الصاعدة في النهر وهي محملة كراناً واحداً عن كل طن مسجل ، ونصف هذه القيمة للسفن غير المحملة ، بينما تدفع السفن النازلة المحملة كراناً واحداً عن كل طن من الحمولة الفعلية .

وأثارت حمولة السفينة بلوس لينش مناقشات غير مستحبة . فقد طلب كارجوزار المحمرة ابراز شهادة بناء السفينة الأصلية . وفي المبدأ

أوضح السادة لينش أنها موجودة في مكاتبهم الرئيسية بلندن. ولكنهم فيما بعد أفادوا الكاجوزار بأنها فقدت . وابرزت حينئذ شهادة بالحمولة مصدقاً عليها من سلطة قنصلية بريطانية ولكن الكارجوزار رفضها الى أن وصلته تعليمات من الحكومة الايرانية بقبولها .

ومضى وقت طويل قبل ان توافق السلطات الايرانية المحلية على العمل بترتيبات ووفق عليها في طهران كانت تقضي بأن الرسوم الجمركية المستحقة على البضائع المرسلة الى الاهواز وشوشتر تجبى في أماكن الوصول بدلا من المحمرة . وكان هذا ميزة هامة وبدونها فان البضائع المرسلة الى أعالي البلاد كانت تفتح للفحص في المحمرة . وكان ذلك يتضمن حظر الفقد والخسارة علاوة على التكاليف الاضافية للمستوردين ، والصعوبات الناشئة عن امتناع الحصول على وثائق شحن مباشرة للاهواز وشوشتر ، مما كان سبب ضيق شديد لدى التجار الذي كان عليهم أن يدفعوا رسوم عبور في النهر على البضائع التي دفعوا عنها رسوماً جمركية في المحمرة .

وفي يونيه عام ١٨١٩ أدى ذلك كله الى نقل البضائع براً الى شوشتر ، ولكن في أكتوبر التالي بدأ نقل البضائع من المحيط الى البواخر الهندية تحت نظام الايداع مما ازال متاعب البضائع المستوردة .

كذلك كانت «شوشان» في أعلى النهر رغم اهدائها للشاه سبباً في متاعب شديدة . وقد اعترضت الحكومة الايرانية في اقتراح السادة لينش الذين كان لهم بمقتضى الاتفاقية حق ابداء الرأي ، بجعل الربان والمهندس في شوشان من الاوروبيين نظراً لخطورة الملاحة بعد الاهواز ، على أن تدفع الحكومة الايرانية رواتبهم البالغة ٥٠٠ كران شهرياً . واتفق عندئذ أن يعهد بالسفينة بتمامها للسادة لينش لتشغيلها لحساب الشاه لمدة ثلاثة أشهر . وأخيراً ، ولتلافي الخسارة من تشغيلها ، عهدت الحكومة الايرانية بتشغيلها للسادة لينش بصفة دائمة مقابل أن يتحملوا خسائرها السابقة ، ووجد هؤلاء أن قبولهم بذلك أفضل لهم من ترك سائر سفن أعلى النهر تحت الادارة الايرانية .

وهكذا وقع العجز الناشيء من تشغيل شوشتر كلية على السادة لينش ، بينما شرعت الحكومة الايرانية أو الملتزمون الذين يمتلكون السفينة في تشغيل «سوسا» السفينة الثانية بعد الاهواز في منافسة معها .

وفي يونيه ١٨٩١ ، ورغم أن الشاه كان وافق بصراحة على قيام شوشان بنقل الركاب والبضائع الى ديزفول أيضاً علاوة على شوشتار ، الا أن حاكم عربستان اعترض على ملاحتها في نهر ديز حيث سبقتها سوسا الى هناك . ولكن في أغسطس التالي سحب الاعتراض .

وفي يناير سنة ١٨٩٢ قام الرائد تالبوت المقيم في الخليج بزيارة ناصري حيث أحسن شهاب الملك استقباله ، وقاما بصحبة المستر دايس وكيل السادة لينش في البصرة ، والسيدين جاسكين وهولاند وكيليهم في الناصري وشوشتر بالملاحة في نهر ديز الى آخر مدى أمكن لشوشان حملهم اليه . ولكن الانطباع الذي كونه المقيم السياسي كان ضد فكرة الملاحة هناك .

وفي مايو عام ١٨٩٢ ، ارسلت شوشان للبصرة للاصلاح ، ولكن انخفاض مستوى النهر بعد اتمام الاصلاحات منع الباخرة من عبور صنادل الاهواز مرة أخرى حتى شهر ديسمبر التالي . وطلب السادة لينش التصريح باستخدام مركب بخاري وصندل بدلاً من الباخرة خلال هذه الفترة ولكنه رفض طلبهم .

وفي مارس عام ١٨٩٣ ، استطاع المقيم البريطاني بصحبة مساعده الاول اختبار قابلية نهر ديز للملاحة مرة أخرى على الباخرة شوشان . ولكن الرائد تالبوت في هذه المرة تمكن من بلوغ «كوت عبدوش شاه» وهي أقصى نقطة استطاعت سفينة تجارية بلوغها . غير أن انخفاض النهر المفاجيء اضطره الى الانسحاب بسرعة وأقنعه بعدم فائدة الديز كمجرى مائي ملاحي للتجارة .

وكان جر الصنادل مشكلة أخرى . فبعد تصريح الحكومة الايرانية باستخدام صندلين أصر المسئولون على أن الصندل يعني مركباً خشبياً

فقط ، وحاول منع استخدام صندل حديدي بناه السادة لينش لاستخدامه في القارون الاعلى ولزم الرجوع لطهران لايضاح خطئهم .

وحدث أنه احتكم الى المادة «١٩» من اللائحة التي تمنع التدخل في أمور قاع النهر وعمقه ومجراه الملاحي ، لمنع ازالة بعض عوائق الملاحةمنه.

هجوم على ممثل شركة لينش في شوشتر ١٨٩٣

وفي يوليو عام ١٨٩٣ وخلال قمة احتفالات الشيعة بالمحرم ، قامت مظاهرة متحمسة من حوالي ٣٦٠٠ شخص أمام محل اقامة وكيل السادة لينش في شوشتر فتعرضت حياته للخطر ، وبفضل العناية الالهية وصل امر المظاهرة الى حاكم عربستان الايراني في الوقت المناسب ليمنع حدوث كارثة ، بارساله قوة مسلحة فرقت الشعب . وقام نائب القنصل البريطاني في المحمرة بتنظيم تقرير عن ظروف الحادث . وكانت النتيجة نفي اتهامات معينة نسبت للوكيل أثارها مثيرو الشغب لتبرير سلوكهم . وقدم نائب الحاكم الايراني لشوشتر تقريراً مكتوباً دحض فيه كل سبب للشكوى من وكيل السادة لينش .

وفي مارس عام ١٨٩٤ ، قام الرائد ويلسون المقيم البريطاني بجولة الى ناصري وشوشتر .

هجوم للجنود الايرانيين على ممثلي السادة لينش ١٨٩٥

وفي نوفمبر عام ١٨٩٥ ، سببت الاجراءات غير القانونية للجنود الايرانيين شغباً على ظهر باخرة السادة لينش في ناصري . فقام ممثلو المؤسسة المحليون بالانتقال الى مقر وكيل الحاكم لتقديم شكوى . وإثر ذلك قامت الحامية الايرانية في ناصري ، وهي جماعة عرف عنها الفوضى والقسوة ، بحمل السلاح وضموا اليهم اولئك الذين كانو بالخدمة فعلاً في مقر وكيل الحاكم ، وتعدوا على السادة لينش بكل وحشية مسببين لهم أضراراً بالغة . وقامت السلطات الايرانية باستعراض لعقاب الجنود المشتركين في قضية الباخرة . ولكن اولئك المتورطين في التعدي على

دار نائب الحاكم سمح لهم بالهرب جميعاً . ومرت ثمانية أشهر قبل أن تصرف التعويضات للمجني عليهم .

شركة ناصري الايرانية ١٨٨٧ — ١٨٩٦

وفي عام ١٨٨٧، وقبل افتتاح الملاحة في قارون ، اقترح بتأييد أمين السلطنة الوزير الايراني الاقوى نفوذاً في ذلك الحين تكوين اتحاد لاصحاب رؤوس الاموال برئاسة «ملك التجار» لاستغلال احتكار التجارة في القارون الذي تمنحه لهم الحكومة الايرانيه . وأبدى ملك التجار الذي كان من مواليد الهند البريطانية رغم أنه ايراني، أبدى عن طيب خاطر استعداده لقبول رأسمال بريطاني في المشروع ، ويبدو أن المشروع صادف قبولا من المؤسسة البريطانية السادة جراي وبول وشركاهم في نوفمبر كحل أفضل من اغلاق النهر المستمر أمام الملاحة .

وفي نهاية عام ١٨٨٨، وبعد أن فتح النهر السفلي لحركة المرور العامة، منح الشاه امتيازاً خاصاً(١) الى اتحاد رأس مالي ايراني سمي «شركة الناصري» وكان من بين أعضائه المعدودين ملك التجار «الحاج محمد مهدي معتمد السلطنة» ومعين التجار «الحاج آغا محمد وهو تاجر ثري من بوشهر» . وتمتعت الشركة بقصر حق استغلال الملاحة في نهر القارون وفروعه بعد الاهواز عليها باستثناء وحيد هو منح باخرة الشاه «سوسا» كما منحت الشركة ، حق تموين السادة لينش بما يلزمهم من تجهيزات في المحمرة وشوشتر(١) . وكان على الشركة أن تنشيء رصيفاً ونزلا ودكاكين في الناصري حيث سمح لهم بجباية رسوم تفريغ ورسو «إلا من الحجاج» وكان عليهم أن ينظموا خدمة عربة نقل أو خط ترام لخدمة المرور عبر جنادل الاهواز نظير أجور محددة سمح لهم بتحصيلها .

---

(١) انظر الملازم ١٠ب٠ ويلسون : مختصر الملاقات ٠٠ الخ ص ٩١ — ٩٣ ٠

(٢) لم تذكر ناصرى في هذا المجال في ميثاق الشركة ٠ ولكن هناك وضع السادة لينش بين يدى معين التجار منافسهم الاساسى وعصر الاتحاد الرأسمالى ٠

وشملت مراسيم الامتياز امتيازات اخرى لهم كما فرض عليهم رسوم يدفعونها ، كما تضمن المرسوم عدم جواز التنازل عن الامتياز للاجانب .

وكان يقف خلف شركة الناصري التي تكونت حسب ما ذكر أمين السلطنة، ونظام السلطنة حاكم الاقليم، والشيخ مزعل خان شيخ المحمرة . وكان هذا يستخدم نفوذه بذكاء لعرقلة أعمال السادة لينش، حيث تم سحب العمل منهم بالأمر أحياناً وبزيادة رسوم الجمرك في المحمرة التي كان يشغلها الشيخ محاباة لعملاء شركة الناصري وبتأخير العمال من العمل مع السادة لينش بقطع المؤونة عن اصحاب العمل ، وعلى العموم بتحريم أي تعامل من أي نوع بين المواطنين وبينهم . وكانت النتيجة في سنة ١٨٩١–١٨٩٢ أنه بينما حصل السادة لينس على معظم الركاب فان البواخر الايرانية نقلت حوالي ربع أو خمس شحنات البضائع رغم ارتفاع أجورها . وعلى الرغم من أنه بمقتضى عقد الامتياز كان عليهم أن يستخدموا سفينتين على الاقل في النهر الاعلى فانه ليس واضحاً أن شركة الناصري حققت ذلك دائماً . ولكن في سنة ١٨٠١ كان جميع ما يمتلكونه ثلاث سفن منها واحدة على الاقل — «الناصري» وطولها ٦٣ قدماً وتجر صندلين — كانت تجري في القارون من الاسفل منافسة للسادة لينش . كما أنشأوا بعد تأخير سنتين(١) خدمة نقل بين الناصري والاهواز بالترام وعملت المنافسة مع حركة النقل بالدواب على الاحتفاظ بأجور النقل على الترام في حدودها . وهو ما عملت السلطات الايرانية على الابقاء عليه بتخويف البغالين والكارو . كما أقامت الشركة النزل والاسواق في حينه .

وفي مايو عام ١٨٩٣ ، أعلنت شركة ناصري أنهم قد افتتحوا نهر ديز للملاحة وسيروا فيه « سوسا » التي أضحت حينئذ تدار بمعرفتهم وقامت هذه السفن بعدة رحلات في الديز ولكنها صادفت صعوبات في

(١) في ديسمبر سنة ١٨٩٠ وجد أنه من الضروري استعجال الحكومة الايرانية للتعجيل ببناء خط الترام ، وحصل وزير صاحبة الجلالة في طهران على تأكيد رسمي من الشاه بأنه لن يتأخر كثيرا .

احدى مرات العودة وكادت تغرق أسفل «كوت بندر» تاركة خلفها صندلا كانت تجره . وكانت هناك أيضاً صعوبات بالنسبة للتيسيرات الجمركية على هذا الطريق فتوقفت الخدمة عليه . وفي هذه السنة توقفت عمليات النقل التابعة للشركة ، أو على الاصح التابعة لشيخ المحمرة في النهر الاسفل ، وانفرد السادة لينش لفترة بالعمل فيه .

وفي عام ١٨٩٥ ، تأسست شركة ايرانية جديدة عرفت باسم «شاهنشاهي» من شيخ المحمرة وبعض تجار شوشتر لتجارة النقل على القارون . وفي التو انتزعت هذه من السادة لينش معظم حجم حركة النقل على السفن الى ناصري وكالى التجارة الى شوشتر .

وأعاق الاسلوب الاستبدادي غير المتفهم تصدير المواد الغذائية من عربستان مما أضر بالتجارة كلها على الساحل الايراني ولا سيما النمو الطبيعي للتجارة على القارون بسبب القيود على عمليات التجار البريطانيين وغيرهم من تجار الجملة المصدرين . وبالتالي ضعفت عزيمة المنتجين عن زيادة حاصلاتهم .

وما كادت الملاحة على القارون تفتتح حتى فرض حظر على تصدير القمح من النهر الاسفل ما لبث أن امتد حتى شمل النهر الاعلى بالرغم من الشك في وجود قحط ما كما أن تراكم الحبوب في البلاد لم يكن أمراً نافعاً للاهالي . ثم منع تصدير القمح مرة ثانية في يوليه عام ١٨٩١ ، من القارون الاعلى ثم من المحمرة في نوفمبر .

وفي عامي ١٨٩٣ و١٨٩٤ ، كانت المحاصيل في حوض القارون جيدة ولكن تصدير الحبوب حُظر مرة أخرى بصفة موقتة . وقد جدد حظر تصدير هذا المحصول فجأة مرة أخرى في اواسط عام ١٨٩٥ رغماً عن كفاية الغلة . ولكن المهلة التي اعطاها قرار الحظر كانت قصيرة قصراً غير معقول نظراً للعصوبات المحلية المتعلقة بالشراء والنقل براً ونهراً . وقد امكن بصعوبة الحصول على قرار بتأجيل فترة بدء نفاذ الحظر الذي سبب ضيقاً لشيخ المحمرة واتباعه ممن تظلموا تلك السنة حين وجدوا صعوبة في الوفاء بالضرائب الايرانية ذلك العام . ولكن

أمكن تذليل معظم الصعوبات بنقل الحبوب سراً من الحويزة وغيرها من الاقاليم الى البصرة في الارض التركية . وكان انتاج راموز يشحن من مرفأ معشور الايراني حيث لم يكن الحظر مطبقاً . وهكذا بينما أضر الحظر التجارة المضمونة للموسسات البريطانية فإنه أنعش حركة التهريب التي قام بها أهالي البلاد بينما فشل في تحقيق أهدافه الظاهرة وهي الحفاظ على الحبوب في ايران . ولما كانت المدة المقررة للحظر غير موكدة ، وكانت هناك دلائل على أنه مدبر من الموظفين الايرانيين لاسباب لم يستطيعوا الاعتراف بها ، فان التجار الاجانب استمروا في شراء القمح على أمل أنه قريباً او بعيداً ، بوسيلة او بأخرى ، سيصبح التصدير ممكناً . ولكن هذا لم يعجب مدبري الدسائس من وراء الستار . وفي الحال تقرر تجريم ليس من يصدرون الحبوب فقط بل وكل من يشتريها او يخزنها .

وفي يناير سنة ١٨٩٦ ، فك حاكم عربستان الحظر جزئياً باباحة تصدير محاصيل معينة . ويبدو أنه لم يكن مفوضاً بذلك من طهران ولو أن الحكومة المركزية سمحت بتصدير الحبوب التي تم شراوها ، بشرط أن لا يشتري المصدرون كميات جديدة الا بعد التأكيد من المحصول الجديد المقبل

وفي هذا الوقت كانت جميع الترتيبات المتصلة بمنع التصدير في حالة من الفوضى التي دلت على الدوافع الاحتيالية المختفية وراء القرار . فالكارجوزار يرفض الاعتراف بالاوامر الصادرة من الحاكم ، وشيخ المحمرة يسترد رسوم التصدير على البضائع المودعة التي حصلها الحاكم فعلا . وبالنسبة للمدفوعات المزدوجة التي دفعها المصدرون البريطانيون فلم يمكن استردادها الا في طهران . وفي مارس اوقف الحاكم تجارة التصدير رغماً عن محصول الربيع الذي كان على الابواب مبشراً بناتج وفير . وعلى أي حال فقد سحب الحاكم قراره بالمنع في التو مرة أخرى وفهم كل من يعنيه الامر أن قرار منع الاتجار انتهى ، وتصرف على هذا الاساس ولكن انهاءه بصفة رسمية لم يعلن ابداً .

ورغماً عن العوائق العديدة المشروحة أعلاه فقد حافظ السادة لينش على استمرار مشروعهم في القارون . ومع ان الاعانة المقررة لهم من

حكومتي بريطانيا والهند فشلت في تغطية خسارة عملياتهم في النهر الاسفل ولا نقول شيئاً عن الخسارة التي تكبدوها عن الشاه في النهر الاعلى ، فان الرخاء العام للبلاد وتجارتها أخذا دفعة قوية . ومع أن الواردات لم تظهر زيادة مؤكدة لكن الصادرات بلغت فيما بين ١٨٩٠–١٨٩٦ أكثر من الضعف . ونمت المحمرة بسرعة حجماً واهمية ، وحتى الناصري أصبحت مكاناً له أهميته .

★ ★ ★

مشروعات طرق عربستان بين ١٨٧٣ – ١٨٩٦

أصبح موضوع ربط عربستان بأقاليم ايران الشمالية والوسطى بطريق بري يصلح للقوافل ، وان امكن للعربات ذات العجلات ، أمراً مهماً في السنوات الاخيرة من حكم ناصر الدين شاه ، لاتصاله بمشروع طريق القارون التجاري ، فمثل هذا الطريق يصبح لا غنى عنه في غياب الخط الحديدي اذا اريد للبضائع المستوردة عبر الخليج العربي ان تصل الى الاسواق المراد لها اكتسابها بشروط مناسبة . وكانت مسألة الطريق ذات شقين . فأولا يجب تحديد أي خطوط التنظيم أفضل لطريق يربط عربستان بشمال ايران ثم ثانياً ما اذا كان الطريق الذي ينشأ وفقاً لهذا الخط يمكن أن يتفوق على الطريق القديم للتجارة بين الخليج وداخل ايران عبر بوشهر وشيراز وأصفهان .

كان من رأي السادة جراي وبول وشركاهم ، وهي المؤسسة البريطانية التي دفعت مشروع طريق القارون التجاري حتى فتح النهر للملاحة ، أن طريقاً للشمال يحسن أن يكون من عربستان ، فهو أفضل من أي طريق من بوشهر الى اصفهان . ومالوا في بعض الاحيان الى خط تنظيم من شوشتر الى اصفهان . ولكن الرأي بالنسبة لخط التنظيم – الذي رفضوا ان يرتبطوا به كلية – توقف على بعض البيانات القليلة . وكان موضوع طريق عربستان موضحاً شيئاً ما تحت مشروع طريق القارون

التجارية في سنتي ١٨٨٢–١٨٨٣ الذي اشترك فيه السير هـ. رولنسون والسير أ. سانت جون والمستر يارنج والكاتب ويلز والمستر ز. طومسون. ولكنّ الاتفاق بينهم كان محدوداً.

فالسير هـ. رولينسون كان يفضل طريق بوشهر، شيراز، أصفهان عن أي طريق يتجه شمالا من عربستان، بينما فكر السير أ. سانت جون أن ممراً للبغال من شوشتر الى اصفهان او من ديزفول الى خرّم أباد قد يكون افضل، واقترح المستر يارنج خطاً جديداً يمتد من بوشهر عبر بهبهان الى اصفهان.

وفي الحقيقة كانت المعلومات المتاحة في ذلك الوقت عن الموضوع أقل من أن تسمح بالوصول الى رأي نهائي. ومع ذلك فقد أُقر أن أقصر طريق من ميناء جنوبي الى ظهران يجب أن يكون طريقاً ممتداً من ديزفول عبر خرّم أباد وبوجيرد بطول ٤٠٠ ميل مقابل ٥٩٠ ميلا لطول الطريق الذي يليه في القصر من بغداد الى طهران و ٧٦٠ ميلا لطول الطريق الممتد من بوشهر عبر شيراز وأصفهان الى طهران. وكان هناك قبول عام لفكرة أن الخط الممتد من شوشتر الى اصفهان سيكون غير مطروق إلا كطريق قوافل.

وفي شتاء ١٨٨٨–١٨٨٩ زارت عربستان لجنة مساحة يرئسها نجم الملك عهد اليها بدراسة موضوع الطرق وغيرها من الاعمال الهندسية الهامة للاقليم.

وفي اغسطس سنة ١٨٩٠ منحت الحكومة الايرانية امتيازاً لانشاء واستغلال طريق تجاري من طهران الى الاهواز مع وصله بورجيرد الى أصفهان. وتقريباً تم في الحال تنازل صاحب الامتياز الاصلي وهو ايراني الى بنك ايران الامبراطوري بموافقة الحكومة الايرانية، وبذلك أصبح مصلحة بريطانية. وتضمن عقد الامتياز(١) الذي كان لمدة (٦٠) ستين عاماً حقوق إنشاء الطريق وتنظيم وخدمة منتظمة لنقل البضائع والركاب

(١) راجع الملازم ا٠ت٠ ويلسون، مختصر العلاقات ٠٠ صفحات ١١٣ – ١١٥ ٠

عليه مع حق فرض رسوم عبور على الكباري ، مع بعض الامتيازات المحدودة لزراعة أماكن معينة .

وابيح استخدام رأس المال الاجنبي ، وكذلك استخدام موظفين أجانب ، ولكن لم يزد عددهم عن ثلاثين ، على أن ينتهي انشاء الطريق في خلال سنتين ونصف — وهي فترة طالت فيما بعد حتى السابع والعشرين من مارس سنة ١٩١٣ — وعلى أن تنقل الشركة البريد الايراني بنصف الأجر

وفي عام ١٨٩٦ نجح السادة لينش في تنظيم تأمين لتنقلاتهم حتى أصفهان ضد جميع الاخطار بما فيها السرقة على البضائع المنقولة عبر طريقهم الى الناصري . ومن هناك تنقل على درب القوافل عبر جبال بختياري الى وسط ايران .

★ ★ ★

مشروعات السكة الحديدية لعربستان
١٨٧١ ـ ١٨٩٦

كامتداد لخط النقل النهري الذي كان يرجى انشاؤه على القارون بديلاً للطريق الممتد شمالاً من عربستان كان الممكن خط سكة حديدية . وبناء على ذلك فانه بعد سنة ١٨٧١ كانت تظهر من حين لآخر مشروعات لسكة حديدية تمتد عبر المقاطعة .

وفي سنة ١٨٧١ اقترح المستر راوس من مؤسسي السادة جراي وبول وشركاهم إنشاء خط سكة حديد ، تقدم له الحكومة الايرانية ضماناً أو مساعدة مادية بصورة ما ، يمتد من شوشتر عبر أصفهان الى طهران . واعيد تقديم هذا الاقتراح الذي لم يصادف قبولا من الحكومة الايرانية بعد ذلك بسنتين مع ملاحظة جعل الخط يمتد من ديزفول عبر خرّم أباد ، لاحتمال كونه أكثر نفعاً من ذلك الممتد من شوشتر الى اصفهان .

تبني مشروع خط شوشتر واصفهان وطهران ١٨٧٦–١٨٧٧

وبعد فترة أصبحت الحكومة الايرانية راغبة في مساعدة الرأسماليين الاوروبيين في إنشاء شبكة خطوط حديدية داخليه . وقفز موضوع السكة الحديدية بين الخليج وطهران الى المقدمة . ولما كان للبارون روثر مطالبات معلقة تحت البت طرف الحكومة الايرانية ، فقد قررت حكومة صاحبة الجلالة ان تسانده كمنافس للحصول على امتياز خط السكة الحديدية الجنوبي . وكان الخط الذي أوصى به وزير صاحبة الجلالة في طهران هو الخط الممتد من طهران الى شوشتر عبر أصفهان ، حيث اوضح أنه يمكن أن يفيد الحجاج القادمين الى «قُم»(١) من كلا الجانبين وكذلك يحمل الحجاج الايرانيين الى المزارات المقدسة في الحجاز والعراق . ولكن الحكومة الايرانية رفضت هذا المشروع لاقترانه بخط ملاحة قارون للمراكب الاجنبية غير المرغوب فيها .

تضارب السياسة الروسية والبريطانية في موضوعات السكك الحديدية بايران ١٨٧٨

ومما لا شك فيه أن المؤامرة الروسية كانت وراء معارضة الحكومة الايرانية للمشروعات البريطانية الخاصة بخط قارون التجاري ومشروعات الطريق البري والسكة الحديدية المرتبطة به . وبالمثل فقد بذل النفوذ البريطاني مزيداً من الجهد لمنع روسيا من الحصول على أية فوائد في الشمال . ففي سنة ١٨٧٨ عارض الوزير البريطاني بطهران مشروعات السكك الحديدية بين رشت وطهران وتبريز ، ولو ان الوزير الروسي عارض الخط الاول ايضاً . وكانت وجهة النظر الروسية أن أي خطوط سكك حديدية ايرانية يلزم مدها يجب ان تتصل بشبكة السكة الحديدية الروسية في (جلفا) وفقاً لخطة روسية تقررت سنة ١٨٧٤–١٨٧٥ . وبين المستر طومسون أن الخطر الروسي الذي تتعرض له ايران من الخطوط

(١) كان الاولى به أن يقول « الزوار القاصدون الى (قم والعراق) والحجاج القاصدون للحجاز اذ لا حج الا الى مكة »

الحديدية في الشمال يجب ألا يقارن بالطبيعة البريئة للاتصالات الحديدية مع الجنوب التي ترغب فيها بريطانيا بلا نتيجة ظاهرة . ومنح امتياز انشاء خط راشت-طهران الى شركة فرنسية ولكن نية روسيا الواضحة لمنع نجاح الخط التجاري باجراءات اتخذت داخل حدودها حالت دون تنفيذه .

دراسة الخبراء البريطانيين لمسألة خط السكة الحديد سنة ١٨٨٢

وشملت مناقشات مشروع خط قارون التجاري بين الخبراء البريطانيين سنة ١٨٨٢ التي أشرنا اليها موضوع خطوط السكك الحديدية وكذا الطرق البرية . ومن أهم الافكار المتعلقة بالسكك الحديدية ما أوضحه السير (أ. سانت جون) الذي حاول ضرب مثل بما حدث في اسبانيا او الشاطىء الغربي لجنوب امريكا بما يثبت عدم جدوى السكه الحديدية في مرتفعات جنوب ايران ، وانها لا توجد وسيلة أخرى غير ممرات البغال او السكك الحديدية الضيقة . وبالتالي فقد حبذ موضوع فكرة انشاء خط سكة حديد ضيقة تمتد شمالا من عربستان . ورأى الرئيس ويلز ان خط السكك الحديدية الذي يسير في خط مستقيم من شوشتر الى اصفهان غير قابل للتنفيذ واقترح إمكانية خط بين هذين المركزين من بهبهان وشيراز .

وفي سنة ١٨٨٧ ، نوقش مشروع انشاء خط حديدي بين الاهواز وطهران . وقد قدم على ما يظهر من شركة بريطانية . وطلب المنظمون ضماناً بالحصول على نصف دخل جمارك المحمرة وشوشتر وبوشهر . كما طولبت الحكومة البريطانية أيضاً ببعض الضمانات . ولكن المشروع كما خطط لم يصادف قبولا من وزراء صاحبة الجلالة . ولم يتم شيء منه سوى تعهد من الشاه سنة ١٨٨٩ بأن بريطانيا يجب أن تحصل على الاولوية فيما يتصل بانشاء خط حديدي في جنوب ايران .

مشروعات الري في عربستان
١٨٧٥ ـ ١٨٨٣

لما كانت مشروعات طريق القارون قد جذبت الانظار الى عربستان فقد أصبح مما لا مفر منه أن تبرز اقتراحات بشأن ري الاقليم باصلاح قناطر الاهواز المخربة .

مشروع الدكتور تولوزان ١٨٧٥ ـ ١٨٨٢

وفي ديسمبر ١٨٧٥ تقدم الدكتور «تولوزان» وهو طبيب للشاه كان له عليه تأثير كما كان رجلا واسع المقدرة ـ بمشروع للحكومة الايرانية لمنحه امتياز تنمية عربستان على ان يعهد بالمشروع الى شركة فرنسية ، ويشمل الامتياز اعادة بناء سد الاهواز واصلاح وري أصقاع واسعة من الاراضي الخصبة التي تتصل بها . كما يمنح الامتياز حق استغلال المناجم والغابات وانشاء الصناعات من كل نوع . وكانت صياغة مسودة مشروع الامتياز عامة ، ولكن الموضوع فيما بدا كان يتيح لفرنسا حقوقاً مطلقة دون ان يثير شكوكاً او يجرح احساسات الحكومة الايرانية . وعارض الوزير البريطاني بطهران منح هذا الامتياز على أساس أنه يجعل من المستحيل ايجاد تسوية ودية لادعاءات البارون رويتر البريطاني متعلقاً بامتيازه لدى الحكومة الايرانية . وتحت ضغط هذه المعارضة رفض الشاه المقترحات الفرنسية سنة ١٧٧٦ .

وفي أثناء ذلك عرض على مجلس الشاه في يناير عام ١٨٧٦ مشروع محلي للتوسع في الري وزراعة النيلة للاستهلاك الداخلي في ربوع بوشهر ولكن لم ينتج عنه شيء .

وعندما زار الشاه باريس سنة ١٨٧٨ ، عرض ثانية مشروع الدكتور تولوزان ولكن كل ما قاله جلالته عند عودته الى طهران للوزير البريطاني ان امتيازاً للري عند الاهواز ضمن في مشروع قام باعداده.. وفي بداية سبتمبر عام ١٨٧٨ أصبح معروفاً ان الامتيازات الفرنسية قد وافق عليها مجلس الدولة .

وفي اكتوبر ، ورغماً عن وساطات الوزير البريطاني بأن ادعاءات البارون رويتر يجب أن تنال تسوية عادلة . فقد منح الامتياز للدكتور تولوزان لاغرائه بالبقاء طبيباً خاصاً للشاه . وحالما منح الامتياز فعلا تعرض للهجوم من الوزير البريطاني على أساس أنه اعتداء مزدوج على الحقوق البريطانية التعاقدية لان احدى مواده أعطت اصحاب الامتياز الفرنسيين الاشراف الكمل على الملاحة في الاهوسة التي خوّلوا بانشائها عند سد الاهواز بما يتعارض مع حقوق البريطانيين . وفي مادة أخرى أعطي أصحاب الامتياز بدون سند قانوني الحق الوحيد في البناء على أي أرض تروى من السد المجدد أي فوق مساحة كبيرة من عربستان . كما أكد الوزير البريطاني وقوع التعدى علي امتياز البارون رويتر الملغي . لذلك ، ولان الامتياز الفرنسي لسبب ما لم يحظ بتأييد ممثل الحكومة الفرنسية بطهران ، فقد الغاه الشاه بموافقة الدكتور تولوزان .

ويبدو أن المشروع الفرنسي تعثر وظل بدون أمل كبير في التحقيق حتى يناير عام ١٨٨٢ حين قام مهندس من الحكومة الفرنسية يدعى ديالفوا خلال رحلته في إيران والعراق بفحص سد الاهواز على ضوء مشروعات الري والملاحة في القارون . ويبدو ان تقريره لم يكن في مصلحة المشروع . ومن الموكد أنه من تاريخ زيارته وما بعدها فان الأهتمامات السياسية الفرنسية بعربستان انحسرت حتى اختفت نهائياً . وفي نفس الموسم قامت لجنة ايرانية للمساحة برئاسة نجم الملك والمهندس البريطاني الرئيس ويلز بفحص سد الاهواز فيما يتعلق بالملاحة فقط .

الامتياز (لظل السلطان) عام ١٨٨٣

وفي ربيع عام ١٨٨٣ مُنح صاحب السمو الملكي «ظل السلطان» امتياز الري من سد الاهواز ، وكان احد شروط عقد الامتياز ان يستخدم رأس المال الايراني فقط ، ولكن الامير كان يأمل بتجاوز هذا الشرط . وما فتىء وزير خارجية صاحبة الجلالة في طهران يذكره بأنه في حالة نجاحه في ازالة هذا القيد فان للبارون رويتر أفضلية ، ولكن لم تكن هناك

ثمار عملية للمسعى . وكان قد سبق لمهندس ايراني استخدمه «ظل السلطان» أن أيد في يوليه عام ١٨٨٢ تجديد انشاء سد الاهواز ليخدم سياسة الري وليمنع دخول المراكب الاجنبية في القارون الاعلى .

* * *

البحث الاثري في عربستان ١٨٥٠ – ١٨٩٦

لا تدخل الاكتشافات الاثرية في نطاق هذا الكتاب ، ولكن الحفريات البريطانية والفرنسية في شوش يمكن ذكرها بسبب علاقتها بالسياسة وان كانت علاقات ضعيفة .

الحفريات البريطانية في شوش عام ١٨٥٠ – ١٨٥٢

قام السادة «لوفتوس وتشرتشل» بناء على اوامر من الرائد ويليامز ، ممثل بريطانيا في لجنة تخطيط الحدود الايرانية التركية بالفحوص الاولى لموقع «شوش» في ربيع عام ١٨٥٠ . ورغم أنهم كانوا مزودين بخطابات توصية من ميرزا جعفر خان العضو الايراني في اللجنة الى سليمان خان حاكم عربستان الايراني والى غيره من المسئولين فانهم لم يستطيعوا الحصول على عمال لعمليات الحفر ، ولكنهم استطاعوا في أيام قليلة أن يضعوا خريطة عامة للتلال .

وبعد شهر رقد خلاله المستر لوفتوس في ديزفول لحادثة وقعت له ، وصل الرائد ويليامز وباقي الجماعة البريطانية وامضوا الصيف في التجوال بالتلال وبهضبة في ايران الوسطى حيث زاروا كرمنشاه ، وهمدان واصفهان وشيراز وغيرها . وقرب نهاية السنة عادوا الى ديزفول وفي أثناء ذلك صدر فرمان يخولهم الحفريات في شوش ، وسبق المستر لوفتوس والملازم جلاسكوت ر. ن. الاخرين في وضع يدهم على الموقع ، وامضوا حوالي شهر في حفريات تجريبية دون نتائج مفيدة . وبعدئذ عادت الجماعة الى المحمرة لاستئناف عمل اللجنة الموسمي .

وخلال عام ١٨٥١ خصص البرلمان البريطاني مبلغ ٥٠٠ جك لحفريات في شوس تقرر ان تنفذ بمعرفة المسيو «لوفتوس» تحت اشراف العقيد رولنسون الوكيل السياسي في بغداد . ووصل السيد لوفتوس الى شوس في اوائل عام ١٨٥٢ بعد رحلة مثيرة اليها من معسكر اللجنة في منداني . وبمجرد أن لحق به الملازم جاكسون وهوملحق آخر باللجنة ، بدأ أعمال الحفر لمدة قاربت ثلاثة أشهر ، قام خلالها موظفو اللجنة البريطانية بزيارة خاطفة لمعسكره ، وتعرضت اعماله لمضايقات شديدة من تمرد القبائل المحيطة ، وتعصب الطوائف المختلفة في ديزفول ممن تؤمن بالخرافات ، وممن ترك وبأ الكوليرا الذي انتشر بعد حفريات عام ١٨٥٠ أثراً مدمراً في نفوسهم . ويمكن القول بأن عمل السيد لوفتوس رغم خلوه من العثور على آثار مادية مثيرة قد أثبت بوضوح ان شوش هي بلاد «سوس» التي ورد ذكرها في الأدب القديم وهي شوشان الواردة في التوراة

الحفريات الفرنسية في شوش ١٨٨٥–١٨٨٦

وكان المنقب التالي في شوس هو السيد ديبلافوا مهندس الحكومة الفرنسية الذي فحص ١٨٨٢ سد الاهواز هو وزوجته .

فبعد أن حصل عام ١٨٨٤ على ترخيص رسمي من الشاه نظمته ومولته الحكومة الفرنسية بدأ موسمه الاول من نهاية فبراير واستمر حتى مايو ١٨٨٥ . في نهاية السنة عـــاد الى عربستان حيث وضعت الباخرة الحربية «سكوربيون» خصيصاً تحت تصرفه فواظب على حفرياته عن شوش بهمة ونجاح من منتصف ديسمبر عام ١٨٨٥ حتى نهاية مارس عام ١٨٨٦ .

وقد لقي ، كالمستر لوفتوس ، متاعب ناشئة عن الحالة غير المستقرة للبلاد ومن التعصب الديني ، والعوائق الرسمية . ولما استأنف الحفر بعد انتهاء موسمه الاول عن طريق « العمارة » والدجلة قامت السلطات التركية بحجز الآثار التي عثر عليها في شوش بحجة أن شوش تقع في ارض تركية.

ولكن الاحتجاجات الفرنسية المدعومة بظهور البارجة «سكوربيون» في شط العرب في نوفمبر عام ١٨٨٥ أدت الى حل للازمة . وفي نهاية الموسم الثاني حاول «مظفر الملك» حاكم عربستان أن يلزم البعثة بتقاسم موجوداتها مع الحكومة الايرانية ، وهو إجراء لم يتضمنه الاتفاق الذي تم بين الحكومتين الايرانية والفرنسية . ولكن صرف النظر عن هذه المطالبة على أمل ان تمنح الحكومة الفرنسية نيشاناً الى ظل السلطان الحاكم العام . وقد ملأت الآثار التي عثر عليها في الموسم الثاني ٣٠٠ صندوق . وقد بذل الشيخ « مزعل خان» شيخ المحمرة مساعدات لا تقدر بثمن في العملية الشاقة لنقل تلك الآثار الى شط العرب . وكانت نتيجة حفريات السيد والسيدة «ديللافورا» المشتركة خلال موسمين مجموعة من الآثار ملحوظة الفائدة والأهمية .

وفي ١٢ مايو عام ١٨٩٥ حصلت الحكومة الفرنسية على امتيار عام من الحكومة الايرانية ، ولكن لم تتم أية حفريات في عربستان حتى حكم الشاه التالي في ديسمبر عام ١٨٩٧ حيث بدأت حفريات منتظمة في شوش تحت إشراف السيد ي. دي مورجان .

★ ★ ★

النشاط الفرنسي في عربستان
١٨٧٥ - ١٨٩٦

كانت هناك دلائل اخرى بالاضافة لمشروع الدكتور تولوزان اسد الاهواز والحفريات الفرنسية في شوش تشير الى انجذاب الاهتمام الفرنسي نحو عربستان .

في عام ١٨٨١ ، نظم خط مواصلات بين مرسيليا والبصرة ببواخر فرنسية . وظهر في المحمرة وكلاء تجاريون تبين أنهم ضباط بحريون وحربيون مما أعطى للمشروع صبغة سياسية . وكان هؤلاء يعملون في تصدير الحبوب واستيراد الخشب الزان والاسلحة والذخيرة . وكان هناك

ما يدعو للاعتقاد بأن استيراد هذه المواد مرتبط بمشروع الدكتور تولوزان الذي حاربته المفوضية البريطانية بنجاح معتبرة ان انشاء جالية فرنسية في عربستان قد يؤثر على المصالح التجارية والحربية البريطانية ، ويزيد الاحتكاك بين بريطانيا وفرنسا . ووفقاً لما ذكره ظل السلطان في مراسلاته مع الرائد روس المقيم البريطاني في الخليج العربي بخصوص الملاحة في القارون فان الوزير الفرنسي في طهران والدكتور تولوزان كانا مشغولين جداً في نهاية عام ١٨٨١ في السعي للحصول على امتياز الملاحة في ذلك النهر . وعضدت روسيا جهودهما رغبة في ابعاد بريطانيا .

وفي عام ١٨٨٥ ، توقفت على أية حال المشروعات الفرنسية في القارون وكذلك التجارة الفرنسية في المحمرة وأوقفت أيضاً حركة البواخر الفرنسية من اوروبا . فالخط الذي كان يعتمد على اعانات كبيرة من الحكومة الفرنسية كان ينقل اساساً بضائع بريطانية . واذا كان أصحاب السفن البريطانية قد عانوا من المنافسة الا ان التجار البريطانيين استفادوا من خفض أجور النقل .

★ ★ ★

مظفر الدين شاه سنة ١٨٩٦(١)

شهدت السنوات التي تلت عام ١٨٩٦ تقدماً سريعاً في النشاط السياسي والتجاري في عربستان ونمواً ملحوظاً في المصالح والمؤسسات البريطانية .

---

(١) المصادر الرئيسية الرسمية للمعلومات عن هذه الفترة هي :

١ ــ م٠ج٠أ٠ سالدنها ٠ ملخص للشئون الايرانية العربستانية ٢٩٠٤ ٠

٢ ــ ملازم أ٠ت٠ ويلسون : ملخص لعلاقات الحكومة البريطانية مع قبائل ومشايخ عربستان ١٩١٢ ٠

٣ ــ التقارير الادارية للمقيم السياسي البريطـــاني بالخليج العربي ٠

٤ ــ ليدى ديوارن : رحلة الخريف في غرب ايران ١٩٠٢ ٠

٥ ــ ف٠ شيرول : قضية الشرق الاوسط ١٩٠٣ ٠

الادارة الايرانية والتاريخ العام لعربستان
١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

حكومة نظام السلطنة ١٨٩٦

عزل نظام السلطنة الذي حكم عربستان منذ مارس عام ١٨٩٥ خلال عام ١٨٩٦ . وكان عزله مرتبطاً بفشله في تحقيق العدالة في قضية مواطن بريطاني كما سيرد لاحقاً . وقيل إن الحكومة الايرانية حرمته وأسرته من تقلد الوظائف الرسمية على الساحل الايراني وعربستان لعدد من السنين .

حكومة علاء الدولة ١٨٩٧ ـ ١٨٩٨

وعين علاء الدولة الذي أصبح فيما بعد حاكماً عاماً لايران في عام ١٩٠٣ـ١٩٠٤ ليخلف نظام السلطة . ووصل شوشتر في فبراير عام ١٨٩٧ . ويبدو أن ادارة امور الاقليم قد عهد بها بصفة موقتة لحين وصوله الى الخاني من قبائل البختياري الذي عين بعد ذلك حاكماً لشمال عربستان تحت رياسته .

حكومة صدري اكرام ١٨٩٧ ـ ١٨٩٩

وعقب علاء الدولة ، تولى «صدري اكرام» او «سعود السلطة» ويبدو أنه بقي في الوظيفة لمدة سنة فقط . وكان بشكل ما مرشح نظام السلطنة الحاكم العام السابق الذي كون ثروة عظيمة في الاقليم ، واحتاج لوكيل نبيه ليحصل على الإيجار .

حكومة صاحب السمو الملكي «عين الدولة» ١٨٩٩ـ١٩٠٠

وكان الحاكم العام التالي لعربستان هو صاحب السمو الملكي عين الدولة الذي أصبح فيما بعد رئيس الوزراء . ووضعت لورستان أيضاً تحت حكمه ، واحتفظ بكلا الاقليمين حتى ديسمبر سنة ١٩٠٠ حين استدعي الى طهران ليصبح محافظاً للعاصمة .

حكومة صاحب السمو الملكي ساطور الدولة ١٩٠١–١٩٠٤

كان خليفة «عين الدولة» هو «ساطور الدولة» الابن الثالث للشاه الحاكم ، وكان يظن انه ميال الى المصالح البريطانية . وقد ضمت لورستان الى عربستان تحت ادارته وكان مقر حكمه في بوروجرد . وزار شخصياً ديزفول وشوشتر في عربستان .

وفي نهاية عام ١٩٠١ ، انتوى زيارة المحمرة ولكن تبعاً لنصيحة شيخ المحمرة الذي أكد أن الاضطرابات ستنشب اذا زار الامير أياً من الاحياء العربية ، فقد حظرت عليه الحكومة المركزية السفر جنوباً الى شوشتر. وبعدها يبدو أن ساطور الدولة لم يعر سوى قليل من الاهتمام لشئون عربستان تاركاً ذلك لحاكم شمال عربستان وهومنذ يوليه عام ١٩٠١ عزم السلطنة ، ليبذل قدر استطاعته في مواجهة الاضطرابات والفوضى المتزايدة . وكان الانطباع الذي خلفته شخصية «ساطور الدولة» عندما تخلى عن مسئولية الاقليمين المتحدين عام ١٩٠٤ هو أنه رجل عنيد غير متبصر . وفي يونيه عام ١٩٠٢ قبل رحيل «ساطور الدولة» أخذ «يميني نظام» وهو ضابط بالجيش وظيفة «عظيم السلطنة» .

حكومة عظيم السلطنة ١٩٠٤ – ١٩٠٥

أصبح «عظيم السلطنة» النائب المحلي «لساطور الدولة» حاكماً عاماً لعربستان عام ١٩٠٤ . وقد وصل شوشتر في يوليه عام ١٨٩٤ بعد أن ترك الاقليم فترة من الزمن بلا حاكم وكان كاداري شخصاً عديم الاهمية .

وباء الكوليرا ١٩٠٤ :

وكان الحادث الوحيد ذو الاهمية الاقليمية خلال هذه الفترة انتشار الكوليرا ابتداء من يونيه سنة ١٩٠٤ في ديزفول ، حيث أبادت على ما قيل ٢٠٠٠ نسمه ، ثم انتشرت في شوشتر حيث كانت أقل تخريباً . وفي الناصري توقفت التجارة تماماً في سبتمبر بسبب ذلك الوبأ .

حكومة ساطور المعظم سلاري المكرم عام ١٩٠٥

وكان الحاكم العام التالي لعربستان هو عظيم السلطنة ، سالاري المعظم الذي منح بعد توليه السلطة بقليل لقباً أعلى هو سلاري المكرم في مايو سنة ١٩٠٥ . وربما كان أشهر أعضاء عائلته المشهورة بانجاب كبار الموظفين الايرانيين من أصل قزويني ، ولكنه تعلم في طهران . وكان سلاري المكرم ابن أخت أو ابن أخ لنظام السلطنة «ولسعود الملك» اللذين توليا في زمانهما كثيراً من الوظائف الهامة في جنوب ايران . وكان الاول حاكماً عاماً لعربستان مرتين ومرة لفارس . ولم يكن سالار متطفلا على العمل الاداري في ايران لانه كان حاكماً لموانيء الخليج من عام ١٩٠١ الى ١٩٠٣ ، وانتدب في السنة الاخيرة لاستقبال اللورد كيرزون نائب الملك والحاكم العام للهند في لنجه .

وسيرد شيء عن سلوكه العام تجاه المشاكل العامة في عربستان فيما بعد . أما خلقه الشخصي فقد لخصه الملازم لوريمر نائب القنصل في عربستان في الكلمات التالية :

«ان السالار رجل قوة ومقدرة ، ولكنه كان طماعاً وقاسيا وأنانياً تماماً وهو يبدو عاجزاً عن الشعور بأية عواطف كريمة . وعبثاً يحاول الانسان ان يجد في أعماله أي أثر للرحمة او العطف » .

وكان نائبه في عربستان «معز الملك» يشبهه، وهو شخص عرف كموظف في بوشهر . وجمع السالار ثروة خاصة لا بأس بها مدة ولايته لحكومة عربستان .

★ ★ ★

الشئون الداخلية في شمال عربستان
١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

عام ١٨٩٦

لم يكن تاريخ شمال عربستان خلال المدة التي ندرسها الآن سوى سجل من الفوضى المستمرة التي لم تكن تطاق .

ففي عام ١٨٩٦ عقدت القبائل العربية حول ديزفول وشوشتر تحالفاً عاماً تحت زعامة شيوخهم ضد الحكومة الايرانية ، ونهب اللور المنطقة المجاورة لديزفول . وفي يونيه تمكن الخائن زعيم البختياري الذي استعين به للقضاء على الاضطرابات ، من هزيمة المتمردين .

ووقع شغب في شوشتر حتى إن الاهالي اقترحوا ، عندما رأوا عجز السلطات الايرانية ، أن يدفعوا الضرائب السنوية الى العرب بدلا من الحكومة اسوة بما فعل الريفيون . وحدثت المعارك الجانبية والمصادمات بين الشعب والسلطات حتى في مدينة ديزفول وشوشتر . وفي الاهواز حدثت مشاجرة بين الاهالي وحامية عسكرية ايرانية كانت في ذلك الوقت سبباً للاضطرابات أكثر منها عوناً على النظام وحفظ السلطان .

عام ١٨٩٧

وفي عام ١٨٧٩ ، وبعد وصول علاء الدولة ، اتخذت تدابير لاعادة الاستقرار في شوشتر حيث وجهت إهانات لاشخاص تحت الحماية البريطانية ، وكانت النتيجة الاولى لهذه الخطوات انقلاب عام في البلدة ولولا ظهور قوة من ثلاثة آلاف بختياري في المدينة لكان من المحتمل أن تنتهي الامور نهاية مخزية بالنسبة للحكومة المحلية .

وأخمدت الثورة بعد ثلاثة أسابيع من قتال عنيف سقط فيه ٢٥ من الثائرين وخمسة من رجال الحاكم . ولكن الاجراءات التي اتخذها «علاء الدولة» لم تقرها الحكومة الايرانية . ولذلك استقال وغادر الاقليم دون انتظار وصول خلفه . وانسحب في نفس الوقت نائبه «شهاب

السلطنة» — وهو من البختياري — ساحباً معه كل أتباعه . وبقيت المنطقة لفترة فريسة للفوضى والاضطراب .

١٨٩٨

وفي السنة التالية وقعت ثورة في ديزفول حيث هاجم سكان أحد الاحياء الحاكم الذي قهرهم ، ولكنه فكر أنه من الاسلم ان ينسحب من المدينة حتى يتجنب المزيد من القتال . وظل احتلال الامن في شوشتر عظيماً عام ١٨٩٨ ، حتى إن ممثلي المؤسسات الاوروبية لم يتمكنوا من الاقامة بها .

١٩٠١ — ١٩٠٢

وفي عام ١٩٠١ اللذى كان عـــام جدب عاد الاضطراب بحدة في الاحياء الشمالية . ولم يكن هناك أي تحسن في عام ١٩٠٢ عندما حدث هجوم خطير على شوشتر في شليلي ، كما نهب أيضاً قارب «المعين التجار» صاحب النفوذ الكبير .

عام ١٩٠٣

وفي عام ١٩٠٣ ارسلت كتيبة فرسان من عساكر الشاه الايرانيين من الشمال لتساعد في استتباب الامن ، ولكنها نكبت بمصيبة في الطريق حيث هاجمها اللور في الثالث من فبراير بين خرّم أباد وديزفول وقتلوا ثمانين من رجالها ، ونزع ســـلاح الباقي ، كما نهبت قافلة كانت مسافرة في حماية هذه القوة . وبلغت المنهوبات كما قيل ٤٠٠٠٠ تومان . وفي إحدى المناسبات تدخل والي بشتي كوه في ديزفول ولكن تدخله لم يسفر عن نتيجة وأُخذ بثأر غارة اللور على القوة الايرانية على أي حال على يد قبائل البختياري . وأطلقت النار مرة أخرى على السفينة شوشان.

عام ١٩٠٤

وفي عام ١٩٠٤ كانت الطرق قرب ديزفول وشوشتر ما تزال غير آمنة . وكانت الاحوال العامة تزداد سوءً بالتدريج ، بينما بقيت السلطات الايرانية مشلولة او غير مكترثة .

وفي مارس عام ١٩٠٤ نهبت قافلة عضوين من أعضاء بعثة الآثار الفرنسية في شوش بينها وبين ناصري .

وفي ابريل تعرضت شوشان لهجوم آخر في شليلي . ولشهرين أو ثلاثة في أوائل الصيف بين رحيل ساطور الدولة ووصول سلاري مكرم اتخذ شيخ المحمرة إجراءات موقتة بطلب من الحكومة الايرانية لحفظ النظام في شمال عربستان وخاصة في القارون الاعلى .

عام ١٩٠٥ :

وكان وصول سلاري المكرم (المعظم فيما بعد) في عام ١٩٠٥ ايذاناً بمقاومة الصعوبات ، وأخذ الاضطرابات بحزم . وقد اصطحب السالاري معه قوة من الفي رجل ، ولكن كان عليه أن يشتري مروره الآمن خلال بلاد اللور من زعماء الديراكواند . وبمجرد وصوله الى عربستان كانت مهمته الاولى أن يعيد الامور الى نصابها في الحويزة . وكان هذا موضوع مهمته الاولى قبل تعيينه حاكماً عاماً ، ولكن لم يمض وقت طويل الا وقد وجه اهتمامه الى شوشتر وديزفول حيث حصل على نتائج سريعة مذهلة . وكما لاحظ الملازم لوريمر نائب القنصل في عربستان كان فقط « من المناسب ان يستخدم سلطاته الجبارة لادخال السلم والامن الى البلاد» ويعوذ نجاحه في رأي الملازم رانكنج خليفة لوريمر الى العلاقات الحسنة التي أقامها مع شيخ المحمرة والى المساعدات التي حصل عليها منه . وقد وصف نفس ذلك الموظف السالار بأنه «حصل بسرعة على سلطات ونفوذ لم تعرف لاي حاكم للاقليم منذ سليمان خان . ويرجع معظم انجازاته الادارية الى فترة تالية ، ولكنه عند نهاية عام ١٩٠٥ جعل شوشتر وديزفول تحت اشراف حازم . كما انضمت الى لوائه القبائل العربية المقيمة في الاراضي المجاورة .

شئون قضاء الحويزة
١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

ظل موقف قضاء الحويزة لبعض الوقت غير محدد . ولكن بحلول نهاية الفترة ، وبناء على تزايد قوة شيخ المحمرة باستمرار ، فقد أصبحت الحويزة بشكل أو بآخر مرتبطة نهائياً بجنوب عربستان .

سنة ١٨٩٦

وفي نهاية ١٨٩٦ ، عمت المتاعب الداخلية الحويزة . وكانت قد انفجرت من جديد في اول العام ، ولكن تدخل شيخ المحمرة اوقفها للمرة الثانية .

١٩٠٢ — ١٩٠٤

وفي عام ١٩٠٢ كانت الضرائب المستحقة على بني طروف من قضاء الحويزة متأخرة الجباية كثيراً . وكانت الحكومة على وشك الالتجاء الى القوة عندما تدخل شيخ المحمرة ، ودفع مبلغاً كبيراً للخزينة الايرانية نيابة عن القبيلة . ولكن القبيلة لم ترد الجميل ولم تسدد الدين فحصل «الشيخ خزعل» في خريف عام ١٩٠٣ على تصريح من الحكومة الايرانية للضغط على بني طروف . وتقدم بجمع قوة من أتباعه مع قليل من الاسلحة على بندر مظفري على القارون . وقبل نهاية يناير عام ١٩٠٤ وصله عدد من الفرسان الايرانيين من ديزفول وارسل اليه خانات البختياري فرقة من الفرســـــان من خان فارس مع رسالة تحية . وفي فبراير انضمت لمعسكره فرقة صغيرة من المشاة الايرانيين من بوشهر . وفي اوائل مارس انضمت أخرى من ديزفول ، كما انضم اليه في بندر مظفري «يميني نظام» القائد العام للقوة المسلحة الايرانية في عربستان ، ونائب صاحب السمو الملكي «سالار الدولة» الذي كان في لورستان . وفي نهاية مارس تقدمت القوات المختلطة تحت قيادة قائدها نحو الحويزة . وخضع بنو طروف بلا مقاومة . وفي خلال اسبوعين تم الاتفاق على أن يدفعوا فوراً

مبلغ ٨٠٠٠ تومان الى موظف ايراني ، وان يسددوا رصيد متأخراتهم البالغ ٥٠,٠٠٠ تومان في فترة قصيرة . وقدمت القبيلة رهائن للوفاء بعهدها ولكن رفضها شيخ المحمرة .

سنة ١٩٠٥

ولما لم يف بني طروف بالتزاماتهم ارسلت الحكومة الايرانية سالاري المعظم الذي أصبح حاكماً عاماً لعربستان لعقابهم بالاشتراك مع شيخ المحمرة . وتحركت الحملة المشتركة التي ساهم فيها سالار بألف وثلاثمائة رجل يوم ١٦ أكتوبر عام ١٩٠٥ . ومرة أخرى لم يكن هناك قتال . ولكن التسوية التي تمت كانت أكثر ترضية من سابقتها . فمن رصيد بلغ ٨٧,٠٠٠ تومان قيل إنه الآن مجموع متأخرات ضرائب سبع سنوات على بني طروف دفعوا ٤٠,٠٠٠ وأعطوا تاميناً ولو من نوع مشكوك فيه لسداد الباقي . ونفي أحد زعمائهم «الحاج صبحان» الذي رفض أن يخضع لزعامة شيخ المحمرة ووضع الشيخان «علي منيشد» و «زعير علي» في حراسة القبيلة بينما سلم الشيخ شرحان الى الشيخ مزعل خان كرهينة .

وفي نفس السنة حدث قتال بين بني صالح وشرفا الحويزة انتصر فيه الأولون .

★ ★ ★

شئون مشيخة المحمره (جنوب عربستان) ١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

إغتيال الشيخ مزعل وتولي الشيخ خزعل مشيخة المحمرة في يونيه سنة ١٨٩٧

في الثاني من يونيه سنة ١٨٩٧ لقي الشيخ مزعل خان شيخ المحمره مصرعه ، وكان النفور منه قد زاد بين رعيته . وقتل معه ابن أخيه المسمى عبد الجليل فيما كانا ينزلان من قارب عند بيتهما في الفلاحية . وكان القتلة تميقيون ٣٠ من الزنوج ، ولكن كان على مقربة منهم قوة كبيرة من

العرب والزنوج بقيادة سلمان بن منصور ابن عم الشيخ لمساعدتهم اذا اقتضى الامر . ويعتقد أن المؤامرة كانت على الاقل تحظى بمباركة أصغر اخوة خزعل خان ، ولو أنه من المحتمل أنه لم يكن محرضاً عليها . ويعتقد بأن الشيخ محمد علي راعي التجار ، الذي أصبح فيما بعد المستشار الاول لخزعل خان ، كان من وراء الجريمة . ومات الشيخ مزعل خان غير مأسوف عليه وبدون عزاء .

واستدعي خزعل خان من منزله ليلة الجريمة بواسطة سليمان بن منصور وتولى فوراً أمور المشيخة . وأصبح فيما بعد شيخاً «لمحيسن» بالانتخاب الفعلي ، واعترفت به الحكومة الايرانية حاكماً من قبلها على المحمرة . وسبب مقتل مزعل بعضاً من الاثارة المحلية ، وحمل عرب المحمرة سلاحهم لمدة أيام بعدها ولكن لم تحدث اضطرابات . وارسلت الى المحمرة السفينة الحربية «سفنكس» كإجراء وقائي . ولكن وجودها لم يكن له داع . وكان من اول اعمال الحاكم الجديد أن أرسل دون طلب حرساً مسلحاً لحماية وكالة القنصلية البريطانية في المحمرة . وكان سخاء الشيخ الجديد محل تقدير رعاياه عامة لانه مغاير للأنانية الصارمة التي سادت سنوات مزعل الاخيرة .

الامور القبلية تحت زعامة « الشيخ خزعل » . وأحوال مشيخة كعب سنة ١٨٩٧ — ١٩٠٥

ولم تتغير السياسة العامة للأسرة الحاكمة التي وضع أسسها الشيخ جابر أو تضعف بأي شكل بتغيير الرياسة . وفي الاقضية المجاورة للمحمرة تقوت الادارة ، وما هو الا قليل حتى أظهرت قوة الشيخ ميلا الى التوسع وراء الحدود التقليدية .

١٨٩٧ — ١٨٩٨

ومن الاحداث الهامة انقراض مشيخة كعب بفلاحية التي كانت سنة ١٨٩٥ كما رأينا تعاني حالة خطرة . فقد استمر النزاع على الحكم بين الشيخ جعفر والشيخ عبدالله ، وكلاهما من اسرة كعب الحاكمة . وكان

اولهما المتربع على دست الحكم مؤيداً من شيخ المحمرة سنة ١٨٩٧ ، بينما كان الثاني مشمولا بعطف «سردار أكرم» الحاكم العام الايراني لعربستان . ويذل كل من الجانبين أقصى نفوذه لدى الحكومة المركزية بقصد منع تعيين المرشح المنافس . واوضح السردار أنه اذا أخذ بنصيحة الشيخ ضد رأيه فان المحمرة ستسقط بعد قليل تحت الحماية البريطانية ، بينما هدد الشيخ بأنه اذا اهملت رغباته فسيكف عن اعتبار نفسه مسئولا عن الامور خارج نطاق قضاء المحمرة .

وكان لهذا التهديد أهمية بالغة الخطورة لنظام السلطنة حاكم عربستان العام السابق لانه لا يأمل بدون مساعدة الشيخ أن يستخلص أي فائدة من أملاكه الواسعة التي أحرزها في قضاء الحراص ، وغرب القارون ، والتي كان يشاركه فيها مشير الدولة الذي أصبح بعد قليل رئيساً للوزراء . وفي هذه الظروف أمرت الحكومة الايرانية «السردار أكرم» أن لا يغير حكام الفلاحية وحراص . ولكنه تحدى الاوامر وعين «الشيخ عبدالله» للقضاء الاول ، وواحداً اسمه «مير مرعي» للقضاء الآخر . والظاهر أن السردار أكرم اعتمد في هذه المناورة على تأييد البختياري . ولكن عندما وصلت الازمة الى قمتها لم يستطع خانات البختياري تنصيب الشيخ عبد الله على الفلاحيه ما لم توضع «حراص» تحت تصرفهم ، أو على أي حال تُقبَل مسئوليتهم عن الامور في المقاطعة الاخرى . وعند تقدم مرشحي السردار الى راموز في طريقهم الى الفلاحية وحراص جمع مرشحا شيخ المحمرة ، وهما كما يبدو «الشيخ جابر» و«المير فضيل» قواتهما بموافقة الشيخ خزعل خان ، واشترك الشيخ بنفسه بمفاوضة رئيس قبيلة السيجموند من قبائل اللور .

وفي ابريل سنة ١٨٩٨ ، حدث اشتباك بين الجماعات المتنازعة وقتل ابن المير فضيل . وما جرى بعد ذلك يصعب تتبعه بالتفصيل ، ولكن أخيراً وجد السردار أكرم نفسه مضطراً الى الانسحاب ، فأبعد شيخين من مشايخ كعب من الاسرة الحاكمة في الفلاحية الى المحمرة . ومن ذلك الحين حكمت فلاحية بواسطة شيخ المحمرة عن طريق رؤساء محليين .

وفي خريف سنة ١٨٩٨ أرسل الشيخ خزعل حملة ضد قبيلة الباوّية في الاقليم بين القارون والجراحي واضطرهم للتسليم .

١٨٩٨ — ١٩٠٥

وبعد ذلك سادت حكومة واحدة عامة على كل جنوب عربستان .

وكان بطن نصار من قبيلة كعب قد استقر في جزيرة عبادان ، وقد سبب متاعب للشيخ خزعل سنة ١٨٨٣ وسنة ١٨٨٧ ، كما عاد في سنة ١٩٠٥ يحاول رفع رأسه ، ولكن الشيخ خزعل وطن معهم ١٥٠٠ رجل من قبيلة عيدان من الاراضي التركية عند القصبة على شط العرب . ثم أرسل بصفة مؤقتة ٥٠٠ جندي بدوي الى هناك . فكانت النتيجة تشديد قبضته على هذا الاقليم البعيد الذي كان قليل السكان وكذلك فرض رقابة أكيدة على القرصنة بشط العرب .

وفي نفس السنة قام آل بورميح من مقاطعة الاهواز تساعدهم قبيلة أخرى بهجوم فاشل على بني نعيم . وهكذا كانت الاحوال في البلاد في وضع مستقر يعتبر مثيله أمراً غير عادي .

علاقات شيخ المحمرة بخانات البختياري ١٨٩٧—١٩٠٥

وبينما كان نفوذ شيخ المحمرة يمتد شمالاً كما في باقي الاتجاهات كان نفوذ خانات البختياري يمتد جنوباً .

وحوالي سنة ١٨٩٦ اشترى البختياري حي راموز من الحكومة الايرانية

وحوالي سنة ١٨٩٨ تملكوا سهل العقيلي من اصحابه الشوشتاريين الاصليين . وبجوار ذلك انتقلت الى ايديهم أجزاء كبيرة من الاقليم بين مدينة شوشتر ونهر الديز ، وكذلك بقعة بين نهري الكرخة والشاعور شمالي شوش .

١٨٩٨ — ١٩٠٤ :

لقد أخذ يجمع القبائل شعور مشترك بين الخانات وشيخ المحمره بعدم الثقة بالحكومة الايرانية . ولكن كان هناك أيضاً ميل الى التصادم بين

مصالحهم . ففي سنة ١٨٩٨ ، كما سبق القول ، فشل الحاكم الايراني العام بعربستان في اقناع الخانات بالتدخل بصفة مؤكدة في قضية الفلاحية بطريقة غير موافقة للشيخ . ولكن طريق البختياري بين الاهواز واصفهان الذي فتح في أواخر سنة ١٨٩٩ أصبح موضوعاً ينذر بالشقاق لانه بينما كان الفضل والربح الناشيء من الطريق يعودان على البختياري كان على الشيخ أن يحمي الجزء المار منه بمقاطعة الاهواز .

وفي سنة ١٩٠٣ هاجمت عصابة من قبيلة الخزرج (بني لام) قافلة مارة بالطريق في الاقليم المنخفض ، ونشأ نزاع حول المسئولية كان قرار الحكومة الايرانية فيه مضاداً للشيخ . ومع ذلك فقد ساعد خانات البختياري كما ذكرنا سابقاً الشيخ في حملته ضد بني طروف سنة ١٩٠٤ :

سنة ١٩٠٥

وفي سنة ١٩٠٥ ثار خلاف حول ملكية بقعة تسمى (رغاويه) واقعة على طريق البختياري في حدود مقاطعة الاهواز . وتجسم النزاع بلجوء بعض الهاربين من سلطان الشيخ الى هذه البقعة. ورفض الخانات تسليمهم . وأخيراً صدر أمر من طهران باستعمال القوة في استرداد اللاجئين ولكن اوقف تنفيذه ، وتنازل الشيخ خزعل خان على ما يظهر عن مطالبه وشكاواه .

★ ★ ★

علاقات شيخ المحمره مع الحكومة التركية ١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

عام ١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

لقد حافظ الشيخ خزعل في تعامله مع جيرانه الاتراك حكام ولاية البصرة على استقلاله ، ولكن دون ان يتحرش بهم كما كان يفعل سلفاه الشيخ جابر والشيخ مزعل . وكانت مصالحه في الارض التركية كبيرة وناشئة جزئياً من ولاء أعداد كبيرة من رجال قبيلته ممن يزرعون اراضي

غرب شط العرب . ولم يتوان عن ان يضيف الى املاكه بمشتريات جديدة الى الاملاك التي خلفها له أبوه وأخوه في العراق التركي . وتمتع نائبه في البصرة الميرزا «حمزه» ، وهورعية تركية بنفوذ واحترام عظيمين. ولكن القوة المتزايدة للشيخ في بلاده وفي الخارج كانت محل غيرة وحسد الموظفين الاتراك ، واصبح الاحتكاك بين البصرة والمحمرة معتاداً . وكانت الجرائم التي تحدث في الارض التركية السبب الاعم للمصاعب . وغالباً ما ادعى المسئولون الاتراك أنه اعتُدي عليهم من اتباع الشيخ ، واحياناً كان يرتكب الجرائم عملاء شخصيون للشيخ بناء على تعليماته . وكان حقيقياً أن في خدمة الشيخ عدداً من ذوي الاخلاق السيئة ولكنه زكّى استخدامهم بأنه أحسن وسيلة لابقائهم تحت المراقبة في الحجز.. ولا سند هناك لاتهام الشيخ بأنه أحياناً كان يشجع انتهاك الحرمات في الارض التركية بقصد الانتقاص من هيبة السلطات التركية لاعمالها غير الودية ، لكن هناك سنداً لادعاء تركي آخر بأن الشيخ يزداد سطوة برشوة الموظفين الاتراك لأنه لم يكن في تركيا وسيلة أنجع من الرشوة لقضاء الاعمال الرسمية . .

ويبدو أنه كان يسود المحمرة منذ تولية خزعل خان شيء كثير من عدم الثقة بينه وبين الحكومة الايرانية المركزية . ذلك بأن وزراء الشاه لم ينظروا باستحسان للمركز الاستثنائي الذي ورثه الشيخ في ايران وتمتع به وطمع في تحسينه . وهو من جانبه عاش في خوف من ان يعتدوا على حقوقه في حكومته الذاتيه شبه المستقلة .

اعتراف الحكومة الايرانية بالشيخ خزعل ١٨٩٧–١٧٩٨

وفور تولي الشيخ خزعل مقاليد الحكم في المحمرة ارسل سكرتيره الحاج «محمد علي» رئيس التجار الى طهران ليتفاوض مع الحكومة الايرانية على تثبيته في منصبه الذي تولاه بالوراثة والاختيار العام . ووصل الحاج إلى العاصمة في ديسمبر سنة ١٨٩٧ وأحسن الصدر الاعظم استقباله ولم يتأخر في اصدار الوثائق الرسمية بالاعتراف .

ولقد سبب النزاع حول الفلاحية الذي تورط فيه الشيخ مع السردار أكرم كثيراً من القلق ، لان مسألة تثبيته لم تكن قد استقرت او بالكاد استقرت . ذلك بأن الحاكم العام الايراني أظهر دلالات على تعيين مرشح جديد للمشيخة هو ابن عم خزعل المسمى «عبود» . ولكن بفشل مناورات السردار في إقليم كعب زال الخطر بعيداً .

نقل جمارك عربستان من شيخ المحمرة الى الجمارك الامبراطورية الايرانية في سنة ١٩٠٢ . الاحداث التي أدت الى ذلك والمصاعب المترتبة عليه ١٨٩٧ — ١٩٠٤

كانت الحكومة الايرانية راغبة منذ عهد طويل في الاستيلاء على ادارة الجمارك في عربستان من ايدي شيخ المحمرة . ولهذا بُذِلت محاولة فاشلة أوائل سنة ١٨٨٤ من حكومة بوشهر لاقناع مزعل خان بالتنازل عن ادارتها للسلطات الايرانية . وفي سنة ١٨٩٧ بُذِلت مساع لانشاء ادارة جمارك حكومية في المحمرة ، ولكنها باءت بالفشل بسبب معارضة الشيخ خزعل . وقبل هذا النظام الذي كان يُنوى تطبيقه كانت المحمرة في الواقع هي ميناء الجمارك الوحيد في عربستان . ولم يقم أي ادعاء لفرض ضرائب على الصادرات والواردات عن طريق البحر في الفلاحية او أي حي آخر شرقاً . وحتى في المحمرة فان البضائع الرئيسية المصدرة مثل البلح والصوف والفواكه الجافة ، والواردات مثل الشاي والبن والسكر والاسلحة والذخيرة كانت معفاة من الرسم الجمركي بينما كان الشيخ ورؤساء العشائر وغيرهم من الموظفين المحليين يتمتعون بحصانات شخصية معينة . وكانت جمارك المحمرة تمنح سنوياً للشيخ نظير مبلغ يتفق عليه يحدد في النيروز .

وفي سنة ١٩٠٠ قُدّر الدخل الصافي لجمارك عربستان بمبلغ ٣٠٠٠ جاك فقط . وكانت الترتيبات على قدم وساق لمد النظام الجمركي الامبراطوري ليشمل ايران كلها . وبدأت الحكومة الايرانية في التحرك في موضوع المحمرة . وحتى الحادي عشر من مارس سنة ١٩٠٠ الذي تمت

فيه مقابلة بين الشيخ خزعل خان والرائد «ميد» المندوب السامي البريطاني في الخليج العربي . فان الاول رغم عدم ابلاغه رسمياً بنوايا الحكومة الايرانية كان قد سبَّرَ غور الموضوع ، ومع ذلك قد تبصر في كل ما تحتمل البدعة المهدد بها .

وأبلغ الشيخ الرائد ميد أن رعاياه، الذين لم يعتادوا الدفع ، لن يتحملوا رسوماً جمركية على البلح أكثر مما يتحمله رؤساؤهم عن المواد الاخرى ، وان القبائل في الفلاحية وجراحي سوف تقاوم غالباً ادخال الرسوم الجمركية الى تلك المقاطعات ، وأنه هو شخصياً اذا قبل برغبات الحكومة فسوف ينظر اليه من أتباعه على أنه خان ثقتهم وعليه حينئذ إما أنه يثور أو يرجع الى أملاكه في تركيا . وبين المندوب السامي في رده المبني على تعليمات برقية وصلته من وزير خارجية صاحبة الجلالة في طهران أن الحكومة الايرانية لها بدون نزاع الحق في جباية رسوم جمركية في المحمرة التي هي أحد موانيها . وحدد موقفه في النهاية بالتعبير عن أمله في أن تتم موافقة بين الشيخ والحكومة تبدو ممكنة . ولكن المفوضية البريطانية اتخذت خطوات لحماية مصالح الشيخ بقدر الاستطاعة وأُعطيت تأكيداً من الحكومة الايرانية بأنه سيعامل بكل اعتبار، وسيعوض عن أي خسارة مادية كما سينتفع بخدمات المندوب السامي في الخليج أيضاً لتأمينه حيال النوايا الحقيقية للحكومة الايرانية . والذي كان الشيخ يخشاه أكثر من فقدانه الميزات الجمركية هو أن الحكومة بعد أخذها الجمارك ستتقدم خطوة لحرمانه من حكم المقاطعات واحدة بعد الأخرى ، وتزيل قوته تدريجياً ونهائياً .

وفي سنة ١٩٠١ كان وضع الشيخ على حاله ، وكان يعتقد أن سياسة الحكومة الايرانية تجاهه هي من وحي روسيا بسبب موقفه الموالي للمصالح البريطانية التي شكا منها الكارجوازات المتتابعون للمحمرة لوزارة الخارجية الايرانية . وفي يناير سنة ١٩٠١ زار المحمرة المستر «سيمانس» وهو مدير عام الجمارك في بوشهر، وكوّن رأياً بأنه لن تكون هناك صعوبات حقيقية عند حرمان الشيخ من الامتيازات الجمركية ، ولكنه

اقترح تخفيض الضريبة السنوية التي يدفعها الشيخ بمقدار ٦٠,٦٠٠ تومان قيمة ايراد الجمارك المسحوبة منه ، كما يمنح سماحاً جمركياً بين ١٢,٠٠٠ الى ١٥,٠٠٠ تومان بدلا من اعفاء بضائعه من الرسوم الجمركية التي تمتع بها حتى ذلك الوقت . وبحث اقتراح بأن دفع التعويض المخصص للشيخ مقابل حرمانه من عهدة الجمارك يجب ان تضمنه الحكومة البريطانية بمختلف سلطاتها ولكن بلا نتيجة عملية . ووصل الى علم وزير صاحبة الجلالة في طهران ما يلي :—

« ان الحكومة الايرانية انتوت في حالة بقاء الشيخ على عناده أن يرابط الزورق الحربي «برسيبوليس» في شط العرب ويمنع تفريغ أي شحنة في المحمرة لم تسدد عنها الرسوم الجمركية في بوشهر » .

وفي أغسطس سنة ١٩٠١ استلم الشيخ برقية من حاكم عربستان العام يأمره فيها بأن يسلم ادارة جمرك المحمرة الى الموظفين الامبراطوريين. ولكن نظراً لانتشار القحط وان الشعور العام غير مستقر فقد نجح في الحصول على مهلة قدرها خمسة أشهر . وخلال هذه المدة أصبح واضحاً أن الشيخ كان مؤيداً في مقاومته من بعض جيرانه . فقد قيل ان زعماء مقاطعة راشديستان قرب بوشهر قد وعدوه بالمعاونة في حالة مقاومته انشاء ادارة جمركية امبراطورية في المحمرة بالقوة . كما ان خانات البختياري الذين كانت تعتمد عليهم الحكومة الايرانية في حالة اللجوء الى القوة لم يكتفوا بالتصريح بأنهم لن يعاونوا مثل هذه السياسة ولكن تمادوا بالتصريح بصداقتهم المخلصة للشيخ .

عام ١٩٠٢ :

وفي مارس سنة ١٩٠٢ وجهت المفوضية الروسية في طهران احتجاجاً الى الحكومة الايرانية ضد عدم انتظام جباية الرسوم الجمركية في المحمرة وحثت من أجل الانتظام ومن أجل العدالة والمساواة في المعاملة بين التجار من مختلف الامم ان تنشأ ادارة جمركية سليمة دون تأخير . ومما يذكر ان بوشهر ومعظم أجزاء الساحل الايراني قد وضعت فعلا سنة ١٩٠١—١٩٠٢ تحت ادارة الجمارك الامبراطورية الايرانية . وعلى الفور

ارسل الشيخ خزعل سكرتيره الى طهران ليناقش الموضوع مع وزراء الشاه . ونجح «الحاج رئيس» الذي وصل طهران في اوائل ابريل واستشار المفوضية البريطانية بحرية خلال مفاوضات صعبة ، نجح أخيراً في الوصول الى اتفاق لا بأس به لرئيسه بجانب امتيازات بالغة الاهمية في امور لا تتصل بالجمارك .

ففي فرمان صدر في يونيه او يوليه سنة ۱۹۰۲ عن صاحب الجلالة الشاه الشيخ مزعل خان مديراً عاماً لجمارك عربستان تحت اشراف وزارة الجمارك الايرانية وبشرط ان يشاركه في الادارة المستر «وا فلبرت» وهو مدير بلجيكي من الجمارك الامبراطورية الايرانية الذي يعتبر على أي الحالات مرؤوساً له وكذلك «ميرزا يانتز» وهو مواطن ايراني . وكان على المدير البلجيكي ان يعامل الشيخ بخضوع واحترام وينفذ تعليماته وينصح في كل القضايا التي تمس العرب والمواطنين في البلاد . وعلى الشيخ من جهته أن يبدي وداً أكثر نحو موظفي الجمارك الجدد ويقدم لهم عونه ومساندته . ويحصل الرسم على أساس منتظم بنسبة قيمية قدرها ٥٪ من قيمة البضائع التي تحصل عنها الرسوم . وكان على الشيخ أن يضع زوارقه البخارية تحت تصرف الجمارك حينما تطلب خدماتها . وكان اختيار وتعيين صغار موظفي الجمرك يتم بموافقة الشيخ ويتسلم الشيخ شخصياً كمدير عام راتباً قدره ۱۰۹۰ تومان شهرياً من المتحصلات الجمركية .

وفي وثيقة رسمية أخرى سلمت لوكيل الشيخ في نفس الوقت تقريباً تعهدت الحكومة الايرانية بأن يكون تصدير البلح وغيره من الفواكه طازجه اوجافة معفياً من الرسوم الجمركية ولن يكون عرضة لأي رسم صادر قد يفرض في الاقاليم الاخرى . كما وعد أيضاً بأن تخفض الضرائب السنوية المربوطة على الشيخ والتي كانت تتضمن في ذلك الوقت مبلغاً لحساب الجمارك قد رسنة ۱۹۰۰ — بمبلغ ۱٥,۰۰۰ تومان من جملة مبلغ ۹۰,۰۰۰ تومان . واعطيت ضمانة أيضاً بأن لاتتدخل ادارة الجمارك في الامور الادارية التنفيذية .

ووفقاً لهذه الترتيبات التي حافظت كثيراً على هيبة الشيخ وسلطاته

الادارية أصبحت الادارات الجمركية في عربستان تتضمن جمارك في الناصري وشوشتار وديزفول كما يبدو ، بالاضافة الى المحمرة . وكلها تحت اشراف وزارة الجمارك الايرانية ابتداء من ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٠٢ .

وفي نهاية العام التمس المندوب البريطاني في طهران ان ترسل اليه صورة من الاتفاقيات التي تمت بين الحكومة الايرانية والشيخ . ولكن «الأتابك المعظم» الذي كان يجهل ان المفوضية البريطانية قد اطلعت على أصول هذه الاتفاقيات ، أنكر أن هناك أي تفاهم مكتوب ، واعترض على استعمال لفظ « اتفاق » في وصف الترتيبات المزعومة . ولكنه اعطى على أي حال تأكيداً شفوياً بأن الشيخ سيبقى كرئيس اسمي لجمارك عربستان . ولم يأخذ في الاعتبار تلميح الوزير البريطاني بأنه لو جرت أي تغييرات جديدة في المحمرة فان حكومة صاحب الجلالة قد تضطر للتدخل .

عام ١٩٠٣ :

في ١٤ فبراير سنة ١٩٠٣ قررت تعريفة جمركية جديدة حلت محل الرسم القيمي الثابت المقرر بـ ٥٪ في جميع أنحاء ايران . ورغم أنها أحدثت ضيقاً في عربستان لا يقل عما سبقه في باقي أنحاء الخليج فانها لم تحدث اضطرابات .

وفي ديسمبر من نفس السنة اشتكى الشيخ من ان الحكومة الايرانية تستعد لخرق الاتفاقات التي تمت معه سنة ١٩٠٢ بتعيين موظفين بلجيكيين جدد وبصفة عامة انقاص سلطاته ، كما أنها لا تلتزم بالتأكيدات التي أعطيت له أخيراً بعدم فرض أي رسوم على البضائع التي تستورد قانوناً لاستعماله الخاص . وعندما وصلت مخاوفه لعلم الوزير البريطاني في ايران الذي كان وقتئذ في المحمرة أبلغه باسم وزير خارجية صاحب الجلالة أنه في اعتقاد الحكومة البريطانية سيكون محقاً في مقاومته أي محاولة من الحكومة الايرانية لنقض اتفاقات سنة ١٩٠٢ .

عام ١٩٠٤

وفي سنة ١٩٠٤ نشأت صعوبات جديدة بين الشيخ والحكومة الايرانية حول المسائل الجمركية . ففي خريف تلك السنة ورغم أن الشيخ لم يفشل في اعداد الزوارق البخارية عند الحاجة وفقاً لاتفاقيات سنة ١٩٠٢ ، فان الباخرة «مظفري» المخصصة للجمارك والزورق الحربي بيرسبوليس قد وضعا في شط العرب ، وبدأ في البحث مع المواطنين في أمور داخلة في نفوذ الشيخ ودون الرجوع اليه . وأدت اعتراضات القائم بالأعمال البريطاني في طهران ضد هذه الاجراءات الى توقفها ، وربما ساعد على توقفها احتجاج والي البصرة التركي الى القنصلية الايرانية العامة في البصرة على أساس أن بعض السفن التي فتشت كانت متجهة الى البصرة لمحاكمة صراف هارب من ادارة جمارك المحمرة ، وسلمته حكومة الهند البريطانية بناء على ضمانة صادرة من الشيخ . ولكن هذا الاحتجاج رفض من الشيخ لانه يعتبر تعدياً على سلطانه القضائي كما نجح في إحباط محاولة تمت في أكتوبر سنة ١٩٠٤ للعهود لإدارة المستحقات الجمركية بالمحمرة بتحصيل رسوم على البلح ، حيث اعتبر ذلك نقضاً للاتفاق السابق بأن يكون تصدير البلح حراً .

منح أقضية المحمرة وعبادان وبهمنشير وقارون الى شيخ المحمرة واتباعه سنة ١٩٠٢

ويبقي أن نشير الى الامتيازات القيمة التي حصل عليها « الحاج رئيس » وكيل الشيخ خلال زيارته لطهران سنة ١٩٠٢ .

وأول هذه الامتيازات كان فرماناً وعد به في يونيه او يوليه سنة ١٩٠٢ ، ولكن لم يصدر الا في يناير سنة ١٩٠٣ . وبمقتضاة «منح الشاه» الى السردار «عرفه» والعرب(١) والقبائل التابعة له كل اراضي الحكومة الايرانية في مقاطعة المحمرة وعبادان وبهمنشير وقارون التي سكنها عرب

(١) اضيف النص على رعايا الشيخ بناء على اقتراح المفوضية البريطانية. واعتبره الحاج رئيسى غير ضرورى .

وقبائل صاحب العظمة الشيخ خزعل خان ومعز السلطنة والسردار منذ عهد اسلافهم وأجدادهم حتى الآن وزرعوا بها نخيل البلح والاشجار ، وشيدوا المباني كملك دائم بشرط دفع الضرائب المعتادة . ومنح السردار عرفه نفسه فوق ذلك «كل الارض التي كانت حينئذ قاحلة وغير مزروعة حتى ذلك الحين كملك دائم حتى يمكنه أن يعطيها الى رجال قبائله الذين يجب ان يزرعوها بنخيل البلح والاشجار وينفذوا مشروعات تعميرها» . واضيف أنه ليس للحكومة الايرانية حق في استرداد أي جزء من الاراضي الممنوحة للشيخ الا عن طريق نزع الملكية مقابل الثمن المعقول على ان يلتزم الشيخ ورعاياه بأنه ليس لهم الحق في بيع الاراضي الممنوحة ، أو أي من الاموال المنقولة الموجودة عليها الى أي شخص من رعية أجنبية ، وكان القصد الاول للحكومة الايرانية أن تحتفظ لنفسها بالاراضي البور غير المسكونة ولكنهم في النهاية قبلوا ترك هذه النقطة .

وقبل صدور هذا الفرمان كانت حقوق ملكية الشيخ واسلافه للارض التي في حوزتهم مشكوكاً فيها على الاقل من الناحية النظرية . وكان خانات البختياري قد اشتروا قضاء راموز من الحكومة الايرانية حوالي سنة ١٨٩٦ ، بينما استحوذ نظام السلطنة في حوالي نفس الوقت على أصقاع كبيرة من الارض في قضاء الجراحي بين نهري قارون وكرخة . وكان من الممكن ان تباع الاراضي المملوكة للشيخ بنفس الطريقة من وراء ظهره الى كبار موظفي الحكومة الايرانية او محاسب البلاط او أثرياء التجار كمعين التجار .

منح الفلاحية لشيخ المحمرة سنة ١٩٠٣

وبنفس الكيفية وبفرمان آخر وهبت منطقة الفلاحية الى الشيخ خزعل خان باعتبارها جزءاً من منطقة سلطانه الثانوي كملكية دائمة له بشرط دفع الصرائب المعتادة ، وعدم نقل أي حق من حقوق الملكية للاجانب . وكان واضحاً أنه مرخص له بمزاولة كل حقوق الملكية من أي نوع ، كما حرمت الحكومة الايرانية نفسها من حق الرجوع في هذه الهبة .

منح « هنديان » و « ديه مولا » والاراضي شرق نهر قارون الى شيخ المحمرة سنة ١٩٠٣

وفي فرمان ثالث في نفس التاريخ منحت له جميع اراضي هنديان وديه مولا التي كانت جزءاً من سلطانه القانوني هي والاراضي شرق القارون التي كان يزرعها بنفس الشروط التي منحت بها الفلاحية . وهكذا صار بمكنه ان يزاول بكل ثقة وأمل وحماسة نشاطاً في استثمار واستزراع وتحسين هاتين المنطقتين .

والظاهر ان الاثر المشترك لهذه المنح الثلاث كان في تمليك الشيخ بحق مؤكد كل جنوب عربستان ما عدا قضاء الحويزة التي كانت موقعاً عسكرياً ، و«معشور» وأصقاع أخرى كانت مملوكة لنظام السلطنة بالاشتراك مع مشير الدولة .

منح ألقاب ايرانية للشيخ خزعل وعائلته سنة ١٨٩٨–١٩٠١

في ابريل سنة ١٨٩٨ منح لقب « معز السلطنة » للشيخ خزعل . وفي سنة ١٩٠٢ رقي الى منتصف سردار عرفه او رتبة المشير العسكرية كما منح في نفس الوقت لقب «نصرة الملك» .

★ ★ ★

علاقات بريطانيا وروسيا مع شيخ المحمرة ١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

وجدت الحكومة البريطانية في الشيخ خزعل حاكماً محلياً قوياً حسن التصرف اتفقت مصالحه مع مصالحها . فكانت سياستها نحوه بناء على ذلك التأييد . وكانت السياسة البريطانية تسعى خلال هذه الفترة الى منع امتداد النفوذ الروسي الى الأقاليم الجنوبية . وكانت رغبة الشيخ العظمى ان يثبت استقلاله الداخلي الموروث ضد الحكومة الايرانية المركزية التي

كانت عرضة من خلال موظفيها للنفوذ الروسي . وهذا الاعتبار كان أقل أهمية للشيخ منه للحكومة البريطانية .

عام ١٨٩٧

وبمجرد تولية الشيخ خزعل في منصبه سنة ١٨٩٧ أخبر المستر ماكدونالد نائب قنصل صاحب الجلالة في المحمرة ، مشيراً الى محادثة سبق أن تمت بينهما من سنتين ، أنه سبق أن وعد بمساعدة التجارة البريطانية بمجرد ان يكون في السلطة وأنه الآن مستعد للوفاء بوعده . ولكن نظراً لانه ليس من الحكمة أن يصرح علناً بذلك فانه يود أن يكون معلوماً لدى الحكومة البريطانية بصفة سرية أنه صديق لها وان رغبته أن يتعاون مع الحكومة البريطانية . وحتى اذا لم يكن مقبولا كتابع لها فانه سيستمر في تقديم خدماته على أمل أنه في يوم ما سيستعد لهذا . ولما استفسر منه نائب القنصل عما يقصده ؛ قال الشيخ إنه اذا عزلته الحكومة البريطانية فانه سيسعى للجوء الى بومباي . وأنه بالنظر لضعف الحكومة الايرانية المتزايد ؛ فان معونة الحكومة البريطانية تصبح ذات قيمة لا تقدر بثمن .

وعند ارسال الحاج رئيسي الى طهران ليحصل على الاعتراف الرسمي بالشيخ أوصى هوا الوكيل بأن يكون على اتصال قريب مع المفوضية البريطانية بطهران للفائدة المشتركة . كما سحبت باخرة كان يسيرها في القارون أخوه الراحل وكانت منافسة لمؤسسة السادة «لينش» البريطانية .

عام ١٨٩٨ — ١٨٩٩

وفي نوفمبر سنة ١٨٩٨ أعرب الشيخ الى نائب قنصل صاحبة الجلالة في المحمرة ، وقد أقلقته الروح العدائية التي اكتشفها في تعامله مع الحكومة الايرانية ، بالدلائل التي اشارت الى انها تنوي أخذ جمارك عربستان من يديه ، أعرب عن رغبته أن يوضع سراً تحت الحماية البريطانية وقال إنه لا يرغب في هذه المرحلة أن يلح على توكيد كتابي ، ولكن كل ما يطلبه هو اخطار شفوي بأن الحكومة البريطانية تقبله كتابع لها .

ولم يطالب بحلف ضد حكومة ايران التي خدمها باخلاص ، ولو أنه لم يكن يجد الصدى المرغوب من حكومة عاش في خدمتها . ولم تتدخل الحكومة الايرانية أبداً مع المرحوم الشيخ مزعل الذي قاوم دائماً المصالح البريطانية . ولذلك كان من المحتم على الحكومة البريطانية أن تساند الشيخ خزعل طالما هو يساعد التجارة البريطانية ولا تسمح لنفوذه بأن يتقلص أمام الايرانيين . وقد أبلغ الشيخ الرائد « ميد » المقيم البريطاني في الخليج العربي . والذي زاره بعد ذلك بقليل ، أنه يتوقع سقوطاً كبيراً قريباً للعرش الايراني تتبعه قلاقل عامة وتجزئة المملكة . وهي حوادث يتوقع معها احتمال الحاجة إلى الحكومة البريطانية . واحيل طلبه الى وزير صاحبة الجلالة في طهران . وبناء على تعليمات منه أبلغ الرائد ميد الشيخ في مايو سنة ١٨٩٩ ان الحكومة البريطانية لا تستطيع أن تعد بمساندته ضد حكومته ولا تضمن في حالة سقوط الحكم الايراني استقلاله او حتى معرفة ما يمكن حدوثه ، ولكن حيث ان الشيخ كان اقوى الزعماء ذوي النفوذ في ذلك القسم من ايران ، فان الحكومة البريطانية ترغب في أن تراه قوياً والعرب تحت سلطانه متحدين . ويمكن ازاء ذلك ان يبقى واثقاً من انه : يمكن ان يجد المعونة والنصح من الوزير البريطاني في طهران في جميع الاوقات ، طالما يمكن اعطاء النصح والمعونة ايضاً في الظروف المناسبة عن طيب خاطر للحكومة الايرانية . والحكومة البريطانية واثقة من ان الشيخ مقابل ذلك سيعمل على تنمية المصالح التجارية البريطانية .

وفي أثناء ذلك رأت حكومة الهند أنه يبدو مستحيلا اعطاء الشيخ التأكيد الذي يطلبه ما دامت ترى ان المحمرة جزء من الاملاك الايرانية .

وفي يونيه سنة ١٨٩٩ — تقدم اول دليل على اهتمام روسيا بشئون عربستان بزيارة الامير دابيجا القنصل الروسي العام في أصفهان للمحمرة — ويعتقد أنه بذل مساعي جادة للضغط على الشيخ .

وزار السير م. ديوراند الوزير البريطاني المفوض في ايران شمال عربستان في خريف عام ١٨٩٩ ولكن اقامته في ناصري كانت قصيرة ،

ولم تتم مقابلة بينه وبين الشيخ خزعل . ومع ذلك فقد أُهدي الشيخ بواسطة الرائد ميد شارة فيكتوريا الملكية ووساماً(١) كهدية من الممثل البريطاني في ايران وقبلها بعد موافقة الحكومة الايرانية .

عام ١٩٠٠

وفي سنة ١٩٠٠ ـ أعلنت بوضوح وبعد لأي وجهات نظر الحكومة الايرانية المركزية حيال جمارك عربستان . وانتشرت الشائعات بأن الشيخ سيحرم من سلطاته الاداري الواسع وسلطاته القبلية المطلقة وكذلك من إشرافه على الجمارك . وتطوع القائم بالأعمال البريطاني في طهران بعرض وساطته واغتنمت الحكومة الايرانية هذه الفرصة لحد محدود . وكان المظهر المقلق في الموقف ظهور سفينة حربية روسية في الخليج العربي من فبراير ١٩٠٠ .

وفي مارس أنهي وزير الجمارك الايراني لمستر (سنجنج رايس) في سرية تامة ان الشـــــاه في الواقع يرغب في وضع حد لاستقلال القبائل العربية في جنوب ايران . وأضاف ان الحكومة الايرانية تفضل أخذ عضة واحدة من الشيخ عن أخذ اثنتين، وانه اذا قبل الشيخ اتفاقيات الجمارك المقترحة فانه سيحرم الحكومة الايرانية من ذريعة قوية لتغيير موقفه . وانه عند عودة الشاه من اوروبا حيث تقرر أن تؤجل الحركة حتى ذلك الوقت، فسوف تتخذ تدابير هامة وسترسل سفينة حربية الى المحمرة .

وبقيت الامور معلقة خلال سنة ١٩٠١ . ولكن سنة ١٩٠٢ كما سبق ان شرحنا تم تحويل جمارك عربستان من الشيخ الى الحكومة الايرانية بهدوء وبشروط ليست بأي حال مضرة للشيخ ، كما أنعم الشاه عليه بلقب يشمل معظم جنوب عربستان . ولم تظهر المفوضية البريطانية في المفاوضات

---

(١) هو في الواقع وسام يوبيل الملكه سنة ١٨٨٧ ـ الذى عهد بتوزيعه في ايران الى السير هـ. درموند وولف والذى لسوء الحظ يسمى لهذا السبب في ايران « وسام وولف » .

التي أدت لهذه التسوية ولكن ممثل الشيخ غالباً ما التمس نصيحتها عند استصدارها .

ولو لم تكن هناك بواعث غريبة في الموقف فربما ظلت الامور هادئة ولكن (الحاج رئيسي) مندوب الشيخ بطهران الذي بقي بها من ابريل سنة ١٩٠٣ حتى يناير سنة ١٩٠٣ — كان هدف اغراءات وتهديدات موجهة بانشاء محمية روسية في المحمرة — او أُوحي اليه بأن ذلك سيكون . ولهذا كان ملحاً في رجائه بتقديم مواثيق اضافية لمولاه من الحكومة البريطانية، واشار الى شيخ الكويت الذي طلب ان يكون للشيخ خزعل وضع مشابه لوضعه مظهراً أنه لا خوف هناك من الحكومة الايرانية ولكنه يرغب أن يشعر أن مصالحه ومصالح رعاياه ستكون آمنة .

وفي نوفمبر سنة ١٩٠٢ — وكان قد أصبح معلوماً أن نائب قنصل روسي سيعين حالا في عربستان بالرغم من أنه لا توجد تجارة روسية — أبرق السيد هـ. هادرنج وزير صاحب الجلالة في ايران الى اللورد لانسدون وزير الخارجية بأنه ما لم يصبح الشيخ متأكداً بثقة حقيقية في عزم وتصميم الحكومة البريطانية فان النفوذ الروسي سيتسرب بعد مدة قصيرة ويصبح متفوقاً ونشطاً في المحمرة . وتأيدت توصياته بسياسة أقل تحفظاً حيال الشيخ خزعل من اللورد كرزون نائب الملك والحاكم العام للهند . وأخيراً وتحت مسئولية حكومة صاحب الجلالة وجه الوزير البريطاني في ٧ ديسمبر سنة ١٩٠٢ الخطاب الآتي الى الشيخ :

« سعدت جداً لسماعي من الحاج رئيس التجار عن الاتفاقيات المرضية التي تُوصّل اليها بينكم وبين مصلحة الجمارك ، ولاسباب سياسية عامة فانه من المرغوب فيه ان يُتجنّب الخلاف بقدر الامكان بين السلطات الايرانية والقبائل العربية تحت حكمكم لأن العلاقات بين الحكومتين البريطانية والايرانية ذات طابع ودي ، كما أن صيانة وحدة واستقلال العرش الايراني كان لسنوات عديدة أحد الغايات العظمى للسياسة البريطانية في هذا الجزء من العالم ، لهذا فإن التشويش الضار على هذا الهدف شر جسيم وأنت ستربح قليلا وقد تضع نفسك في خطر كبير بطرح ولائك

للشاه ؛ وأنا مقتنع أن للعرب في الظروف الحاضرة ولك انت نفسك كحاكم كل مصلحة في إنمـــاء علاقات طيبة ومخلصة مع حكومة طهران . وان الاخيرة ليس لديها أي رغبة في الضغط عليك أو النيل من نفوذك . ولهذا السبب فاني أعتقد أنك تصرفت بحكمة عندما صرفت النظر عن فكرة مقاومة انشاء ادارة جمارك بالقوة وأرى ان تسعى كما سبق أن شجعتك الى تفاهم ودي مع مصلحة الجمارك .

وقد سألني الحاج رئيس التجار باسمك عن أي مدى تستطيع انت أن تعتمد على حماية الحكومة البريطانية ، وقد اخبرته أنه طالما أنك تسلك نحونا سلوكاً ودياً فان نفوذنا سيبذل هنا للحفاظ على تمتعكم أنتم وقبائلكم بحقوكم وجماركم الموروثة ولردع حكومة طهران عن أي مسعى لتقليلها او التدخل فيها . وبعد ذلك قال الحاج رئيس التجار انك لا تخشى من الحكومة الايرانية نفسها او من القبائل المجاورة التي تهجم او تتظاهر بالهجوم بناء على اوامرها ، ولكنك ترغب في معرفة هل نحميك من أية محاولة من دولة أجنبية لعزلك أو لحرمانك وشعبك من الحقوق التي لكم حالياً . وهذا يمكن أن يحدث بطريقتين :

إما أن تكون هذه الدولة في حرب مع ايران ويحتمل ، باعتبارها عدوة للشاه أن ترسل سفناً لمهاجمة اقليمك .

واما ان تكون هذه الدولة متظاهرة بالصداقة للحكومة الايرانية او تعمل لصالحها وانها تحاول بواسطة سفنها ان تقهرك أنت والعرب .

وقد أجبت بأن كلا الحالين غير متوقع ، ولكن اذا حدث أحدهما فاننا كما اعتقد سوف نتدخل بشرط أن تكون قد تصرفت وفقاً لنصيحتنا . وان اسطولنا وهو الاقوى من أي اسطول في الخليج ، سوف يستخدم لمنع أي إجراء بالقوة ضدك . واضفت على أي حال أنني سأحيل الموضوع لوزير الخارجية البريطاني وقد اجازني أن اقول : « اننا سوف نحمي المحمرة ضد أي هجوم بحري من قوة أجنبية مهما كانت ذريعة التدخل . وايضاً طالما أنت مخلص للشاه وتعمل وفقاً لنصائحنا فسوف نستمر في منحك التأييد والمساعي الحميدة .

وكما سبق ان قلت أعلاه فإنني لا اعتبر هذا الخطر بأي حال في هذا الوقت حقيقياً ، فأنا متأكد من ان الحكومة الايرانية ترغب بشدة —وكذلك نحن— في حفظ السلام في عربستان وان انشاء ادارة للجمارك في المحمرة هو كما اكدت لك في العام الفائت اجراء مالي وليس سياسياً . وقد ابلغتني فعلا بروح ودية بالشروط التي تم بمقتضاها الاتفاق الجديد وقد اعطتني الحكومة البريطانية تعليمات بالاخلاص في قبولها .

ونحن بالطبع نحتفظ لانفسنا بالحق في الاعتراض على أي تغيير اضافي نراه غير مرغوب فيه ويؤثر على الامن والتجارة في نهر قارون أو يضر بمصالحنا .

وآمل ان ينفذ الاتفاق الجديد بيسر وسهولة . ومن المحتمل أن تنشأ في البداية بعض الصعوبات الصغيرة والاحتكاك ، ولكني أثق في حكمتك وحسن ادراكك لعلاجها بحكمة وصبر . ولدى قنصلنا تعليمات ليقدم لك كل المعونة والنصح ، ويمكن أن تضع كل اعتمادك على صداقتي . ويمكنك ان تكتب لي بحرية عندما ترغب في ذلك وكذلك الى المقيم في بوشهر » .

وفي أثناء ذلك ، وفي الاول من ديسمبر سنة ١٩٠٢ ، تمت مقابلة بين الوزير البريطاني في طهران ورئيس الحكومة البريطاني دار فيها الحديث حول قضايا عربستان . وكُتِب عنها التقرير الآتي :

« تكلمت مع الوزير الاكبر في اللحظة الاولى حول المحمرة واشرت الى مذكرتين وجههما مستر دي جراز الى مشير الدولة حول الموضوع وما زالت الاخيرة منهما بلا رد . فحاول فخامته ان يقول عندئذ بأن مصالحنا لن تتأثر بأية تغييرات في وضع الشيخ الذي كان حاكماً محلياً كغيره . فقلت اني ارجو ان يسمح لي بأن أكون صريحاً معه في الموضوع وانه ليس لي أي رغبة في الشك في سيادة الشاه على رئيس وشعب المحمرة التي اعترفت بها دواماً حكومة صاحب الجلالة .

ان خبرتنا في سجستان كانت على أي حال درساً بالنسبة للتأثير الذي يحدثه على مصـــــالحنا قنصل روسي وموظف جمارك بلجيكي

حين يتواجدان في مقر حاكم ايراني قليل المعرفة في منطقة بعيدة . وفي قارون كما في سجستان لا يوجد للروس مصالح تجارية حقيقية، وأن تعيينهم قنصلا لهم هناك حديثاً لا يمكن الا أن يكون لاهداف سياسية فقط . ونحن مصممون اذا استطعنا أن لا تحدث سجستان أخرى في المحمرة ولذلك سنجعل الشيخ خزعل يفهم ذلك إذا حاول عملاء الروس ارهابه او الايعاز اليه أنهم قادرون على الضغط عليه نظراً لما لهم من نفوذ في طهران . ونحن من جانبنا على استعداد لمساندته ، ولعلي بسبب تهديدات من هذا النوع هدد بها الأمير دابيجا القنصل الروسي في أصفهان عندما زار المحمرة شعرت بأني مضطر بأن أسر للشيخ بأن قواتنا البحرية في الخليج أكثر قوة من تلك التي لدى روسيا وأنها قد تستخدم في بعض الحوادث المعينة للحفاظ على الوضع الراهن الذي يوافقنا نحن وهو » .

وفي الخامس من ديسمبر ، أرسل السير ا. هاردنج الى وزير الخارجية الايراني الخطاب التالي :

« ابلغت جميع ما كان بين صاحب السمو وبيني الى اللورد لانسدون الذي اعطاني الآن التعليمات لأبلغكم الاعلان التالي لنقله للحكومة الايرانية ليكون موقفنا في الموضوع واضحاً تماماً .

١ — لم تشك الحكومة البريطانية أبداً في الطبيعة المطلقة لسيادة الشاه على اراضي وحاكم وشعب المحمرة . وأي شك يمكن أن يكون قد ساور الحكومة الايرانية بأننا نقارن بين وضع شيخ المحمرةو بين اوضاع مشايخ الكويت والبحرين ، او نميز بينه وبين باقي الحكام الايرانيين — ولنأخذ المثل الذي ذكرته عظمتكم للتوضيح خلال مناقشتكم مع المستر دي جراز عن زعيم كوشان — لا يمكن الا ان يكون من اقتراح اشخاص راغبين في بذر عدم الثقة بين الدولتين الصديقتين . ونحن نعترف بكل تأكيد ووضوح ان عظمة (السردار عرفه) هو رعية ايرانية وخادم لصاحب الجلالة الامبراطورية .

٢ — وفي نفس الوقت فان المصالح الهامة التي لبريطانيا العظمى في جنوب ايران تمنعنا من النظر بلا اكتراث الى اي تغيير في نظام حكم

مقاطعة عربستان اذا كانت تضر بتجارتنا وأمن الرعايا الاجانب ، او تتيح الفرصة لتدخل دول أخرى مما يضطرنا الى ان نأخذ من جانبنا خطوات فعالة لحماية الحقوق البريطانية .

ولم تثر الملاحظات استياء مشير الدولة الذي رد في ١٣ يناير سنة ١٩٠٣ على الوزير البريطاني بالخطاب الآتي :

« كان لي شرف استلام خطابيْ جنابكم في ٩ و٦ ينـاير الماضي وتلقيت بالرضا المحتويات التي تدل على الصداقة الخالصة بين حكومتينا وأحب الآن أن اعبر عن إقتناعي العميق القلبي بأن تبادل المواثيق الودية بين الدولتين سيبقى ويشتد ، وان شعور المودة بين المسئولين في كلا الدولتين سيبقى كما كان دائماً ميالا للنمو نحو صداقة متزايدة » .

وفي ديسمبر عام ١٩٠٣ ، ابرق السير أ. هاردنج الذي عاد الى طهران من الخليج العربي ، حيث كان مجتمعاً مع اللورد كيرزون نائب الملك وحاكم عام الهند ورجع عن طريق المحمرة وبغداد . ابرق الى وزارة الخارجية والى اللورد كيرزون بأن مسألة المحمرة قد تتأزم ثانياً .

وذكر في نفس الوقت شكاوى الشيخ حول خرق الايرانيين لتفاهم معه ، ورغبته في أن يعرف تماماً هل ستسانده الحكومة البريطانية في مقاومة التعدي على حقوقه ، إن لزم الامر، بمنع الحكومة الايرانية من استعمال القوة ضده اذا خرق هو من جانبه التفاهم لان الايرانيين لم يراعوه . وكان السير هاردنج ميالا لاعطائه بعض المواثيق وخاصة أن روسيا مازالت تحاول الحصول على صداقته . وبمجرد استلام التعليمات من حكومة صاحب الجلالة كتب السير هاردنج للشيخ من بغداد في ٢٤ ديسمبر عام ١٩٠٣ يقول :

« يقول اللورد لانسدون إنه إذا كانت الحالة كوصفي لها نقلا عن عظمتكم ، لي وأن الحكومة الايرانية في الحقيقة تحاول أن تتنكر للاتفاق الذي تم معلـــك في السنة المــاضية ، فأنتم في رأيه محقّون في مقاومة مثل هذه المحاولة ، ونبهني ان اذكركم بالرسالة التي

ارسلها لكم العام الفائت ، ويضيف أنه يمكنكم ان تبقوا واثقين من مساندة الحكومة البريطانية طالما أنكم من جانبكم مراعون شروط الاتفاق بينكم وبين الحكومة الايرانية .

وقد خولني أن ابين للحكومة الايرانية ضرورة احترام شروط الاتفاق من جانبها ولكني لا أنوي أن أفعل ذلك حتى اسمع منك ثانياً حيث اني أظن أنه أفضل لمصلحة حسن العلاقات بين السلطات الايرانية وبينكم أنه لا يتم تدخلنا حتى تستهلك كل وسائل تسوية الامور بينهم وبينك » .

سنة ١٨٩٤

وفي العام التالي زاد نشاط الروس بدلا من ان يقل . ففي يناير عام ١٩٠٤ وصل ناصري قادمين من اصفهان جماعة من الرحالة الروس أعلنوا عن انفسهم بأنهم خبراء في علم الحشرات . وكان واحد منهم مبشراً مشهوراً هو السيد « زارودني » .

وفي فبراير ارتحلوا الى بهمنشير حيث مسحوها وفحصوها بدقة ثم زاروا كوبان وارتادوا جزيرة عبيدان ، واخيراً عادوا شمالا عبر ديزفول

وفي مارس قام (م. باسيك) القنصل العام الروسي في بوشهر بزيارة للمحمرة وأهدى الى الشيخ نيشان سانت ستانسيلاوس من الطبقة الاولى واوضحت براءة منح النيشان أن سبب منحه للشيخ هي سياسته المستنيرة وحكمته في قبول انشاء الجمارك الامبراطورية الايرانية في منطقة سلطانه. وقام المستر باسيك أيضاً بسياحة الى الاهواز وشوشتر . وحوالي نفس الوقت حولت وكالة الخط البحري الروسي في الخليج العربي من المستر بيز مولين الوكيل القنصلي في عربستان الى ابن للحاج رئيسي المستشار الاول للشيخ . وأصبح الشيخ نفسه او تظاهر بأنه أصبح يشك في قيمة المواثيق التي اخذها من الحكومة البريطانية . وفي أغسطس رحل الامير انطوني المدعي لنفسه أنه روسي ارمني وملحق بوزارة التجارة مصعداً الى قارون حتى شوشتر ، وكانت مأموريته في ظاهرها تجارية ولكن كان واضحاً أنه جاهل في المسائل التجارية .

وكان وكيل القنصل الروسي المعين في عربستان عام ١٩٠٢ هو المستر بيرْ موليه وهو تاجر هولندي وصل الى غرب الناصري في ديسمبر من تلك السنة ، وفيما عدا غيابه في اجازة من يناير الى يونيه عام ١٩٠٥ فقد بقي باستمرار في الاقليم طوال المدة . ومع ذلك لم يظهر لنفسه تأثيراً فعالاً في المصالح الروسية . وكان ناقص الهمة والتمييز مشكوكاً في أمانته وغير ناجح في تجارته الخاصة ، وأما علاقاته مع شيخ المحمرة والحاج رئيسي والكارجوازات وحتى مع الجمارك الامبراطورية الايرانية فكانت غير ودية . وفي بعض المرات وصلت خلافاته مع الاولين الحد الذي أدى إلى تدخل القنصل الروسي العام في بوشهر للصلح .

★ ★ ★

علاقات الدول الاوروبية الاخرى مع عربستان ١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

كان الاوروبيون الوحيدون تقريباً الذين ليسوا بريطانيين ولا روس ممن لوحظوا في عربستان هم بعض علماء الآثار الفرنسيين . فقد عملوا منذ ١٨٩٧ وما بعدها في حفريات شوشا تحت ادارة السيد مورجان . ولما كان الاقليم المجاور لهم في حالة اضطراب فقد وجدوا من اللازم أن يحبسوا أنفسهم في شبه قلعة قريبة من مسرح اعمالهم ، ولم يكن لهم أي اهتمام بالسياسة . كما لوحظ نشاط السيد « فان روجن » وهو مهندس هولندي في ميدان مشروعات الري بالاقليم .

قضايا ومصالح بريطانية في عربستان
١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

نشأت معظم القضايا السياسية على وجه الخصوص خلال الفترة التي سنتكلم عنها من اختلال الامن الذي كان سائداً بصفة عامة في شمال عربستان .

هجوم قاتل على السيد تانفيلد وعلى قافلة للسادة لينش ونهب مكتب السادة هوتز في شوشتر ١٨٩٦ — ١٨٩٧

وكانت حالة شمال الاقليم كما سبق أن رأينا مليئة بالفوضى . وكان الرعايا والمؤسسات البريطانية من بين ضحايا الفوضى الشاملة ، ويبدو أن عدم عقاب الجنود الايرانيين الذين هاجموا السادة لينش في ناصري عام ١٨٩٥ قد هيأ تشجيعاً للتهجم عليهم . ففي يونيه عام ١٧٩٦ حدث هجوم وحشي قاتل في منتصف الليل على المستر تانفيلد أحد موظفي السادة لينش في شوشتر من مواطن ايراني يعمل في خدمته . ومع أنه نجا بحياته الا أنه شوه تشوهاً فظيعاً ، ومثل هذه الحادثة قد تحدث في ظل أي حكومة ، ولكن هذه الحادثة احيطت بظروف استثنائية فقد تجمع جمهرة من الناس في اليوم التالي تتابعوا بالصراخ ورمي الأحجار على جماعة تنقل الجريح الى الباخرة .

والقي القبض على مساعد المستر تانفيلد ، ولكن لم يصنع شيء في مبدأ الامر حتى أصبح هذا التهجم محل تدخل دبلوماسي ، فنقل المتهم الى طهران حيث سجن . وعزل من منصبه كل من نظام السلطنة الحاكم العام للمقاطعة وأخيه ونائبه سعد الملك ممن اظهروا تهاوناً فظيعاً ان لم يكن إجحافاً في معالجة القضية .

وفي يناير عام ١٨٩٧ ، قام عصبة من الرعاع بعد سلب قافلة للسادة لينش في الطريق بين شوشتر والشليلي مرفأ البواخر بالإغارة على مكتب السادة هوتز وهي مؤسسة هولندية تحت الحماية البريطانية في المدينة ونهبوه تماماً .

وبعد ذلك بقليل أعيد النظام نوعاً ما بعد تولي علاء الدولة الذي خلف نظام السلطنة كحاكم عام . ولكن لم يمنح أي تعويض الى السادة لينش أو السادة هوتز عن خسائرهما . وفي عام ١٨٩٨ كان ما يزال من المستحيل على أي أوروبي أن يقيم في شوشتر .

الهجوم على شوشتر واختلال الامن في نهر قارون الاعلى ١٩٠٢ — ١٩٠٥

في ليلة ٥ سبتمبر هوجمت الباخرة «شوشان(١)» المملوكة لصاحب الجلالة الشاه ، والتي يديرها السادة لينش ، وكانت قيادتها معقودة في ذلك الوقت للقبطان (كنج)، بيد عصابة من اربعين عربياً من عشيرة الخزرج من قبيلة بني لام. وقد اطلقوا حوالي ٧٠ طلقة على السفينة فقتل صبي كان على على ظهرها وجرح جرحاً خطيراً أحد البحارة وثقب خشب القمرات من أثر الرصاص وكذلك المدخنة . وصعد اللصوص على ظهرها ومكثوا حوالي ساعة سالبين الشحنة وامتعة البحارة ، وبعد ذلك هربوا بالغنيمة . وكان هناك حرس من ثلاثة جنود ايرانيين على ظهر المركب عند الهجوم ولكنهم هربوا بمجرد اقتراب قطاع الطرق وجرح احدهم . وبعد ذلك أمر عظيم السلطنة حاكم شمال عربستان بمد شوشان بحرس حربي من عشرة جنود ، ووعد بأن قوات ستصل قريباً لحفظ النظام ولكن لم يصل شيء . واعتذر المسئولون الايرانيون عن عدم اتخاذ إجراءات ضد الخزرج على أساس أنهم رعايا أتراك .

وفي ٧ مايو سنة ١٩٠٣ أطلقت النار للمرة الثانية على شوشان في شليلي .

وفي ١٥ ابريل سنة ١٩٠٤ وقع هجوم ثالث على شوشان عند شليلي وكانت السفينة راسية على الشط وبها ١٠,٠٠٠ كران من البضائع وبدأ الاعتداء الساعة الثامنة والنصف مساء باطلاق ٥٠—٦٠ طلقة من

(١) عرفت شوشان بين عرب القطر بأسماء : « سلـــوفي القارون » و « أبو ذيل أحمر » و « خنزير الامير » وهاتان التسميتان الاخيرتان ترجعان الى لون الرفاص الخلفي ·

أرض مرتفعة لم يرد عليها حيث كان بعض المسافرين على البغال والحمير يسيرون على الشاطىء . ثم اندفع الغزاة البالغ عددهم حوالي ٥٠ من الارض المرتفعة ، وبينما شغل بعضهم انتباه المسافرين على الشاطىء صب الباقي نيراناً حامية على جسم السفينة . وفي أثناء ذلك بدأ الركاب الذين استطاعوا ركوب قوارب النجاة الهرب الى الشط الآخر . ولكي يكسب قائد الحرس الايراني الوقت بدأ في أخذ ورد مع قائد مجموعة من عشرة أعراب اقتربوا من معبر السفينة والخناجر في أيديهم . واتخذ القبطان ماكلور قائد السفينة واثنان من البحارة اماكنهم في غرفة الآلات واتخذ القبطان والحرس الايرانيون موقف الاستعداد . وعندما صاح قائد الاعراب على رجاله بالهجوم صعد حوالي عشرين رجلا ، وعندئذ أطلق الحرس الايراني النار بأمر ماكلور فسقط قائد الاعراب ميتاً ، كذلك ولى الباقون الادبار بسرعة . واستمر تبادل النيران حتى الساعة العاشرة والنصف ، ولكن دون أية محاولة جديدة للصعود للمركب . ولاشك أن السفينة نجت بحسن مسلك الحرس الايراني تحت قيادة «محمد حسن» الوكيل باشي .

وقتل على ظهر المركب سيدتان وجرحت ثالثة من الركاب وجرح آخرون . وعلى الشاطىء نهب بغل وأربعة حمير . وتقدر التلفيات التي أصابت خشب السفينة والمدخنة بحوالي ٥٠ ج.ك. وأبحرت شوشان لناصري في الصباح التالي وجثة قائد الاعراب عليها . ثم سلمت لنائب شيخ المحمرة للتعرف على صاحبها . وظهر أن المعتدين في هذه الحادثة كما في عام ١٩٠٢ كانوا من الخزرج وأنه كان هناك تفاهم بينهم وبين عرب ميناب ، وهذه الحقيقة الاخيرة جعلت الملاحة في الجرجار (بمجراه الضيق وقناته المتحكم فيها) امراً محفوفاً بالمخاطر في المستقبل . ولما كان عقد القبطان ماكلور مع السادة لينش قد انتهى ، وكان هناك خطر الانتقام منه فلم يعارض أصحاب العمل في تركه الخدمة .

وتدخلت المفوضية البريطانية في موضوع احتلال الامن في القارون الاعلى ، فالتمست الحكومة الايرانية من شيخ المحمرة ، نظراً لانه لم

يكن هناك حاكم عام في عربستان في ذلك الوقت ، أن يضطلع موقتاً بمهمة حفظ الامن ، فوافق وارسل ٤٠٠ فارس ليخدموا في شوشتر وديزفول ، ومن هؤلاء وضع ٦٠ في شاليلي ليكونوا حرساً راكباً للسفن على النهر الاعلى .

وبمقتضى هذه الترتيبات عاد الأمن سريعاً واستأنفت شوشان رحلاتها في يونيه بعد أن كانت قد اوقفت . وبوصول عظيم السلطنة كحاكم عام سحب رجال الشيخ من شوشتر وديزفول ، ولكنه قبل ان يترك حرساً في شليلي لوقت أطول . وقدر الشيخ تكاليف حماية النهر بين الاهواز وشليلي بمبلغ ١٠٠٠ رجل من منطقة سلطاته خارج حدود منطقته الا أنه رغب في أخذ مبلغ مقابل الخدمات التي اداها ، وكانت مكافآته الوحيدة خطاب ارسله احد الوزراء يتضمن شكر الشاه .

وظهر ان الامل قليل في عظيم السلطنة الذي كانت كل قوته الحربية مكونة من الحرس الخاص وهم ٨٠ خيالا بخلاف ٥٠ حرس طرق مسلحين كانت خدماتهم مطلوبة في مكان آخر وكانوا قادرين على حراسة القارون الاعلى بفاعلية . وتلت ذلك مناقشات طويلة بين المسئولين البريطانيين في إيران حول الاجراءات التي يجب حث الحكومة الايرانية او شيخ المحمرة على اتخاذها . وكان هناك اتفاق عام في وجهات النظر بأن الشيخ الذي يمتد نفوذه الى القبائل العربية شرق الديز — رغم ان سلطانه القانوني الفعلي ينتهي شمال «باندي كبر» بقليل — قادر على ان يكون أكثر الوكلاء قدرة في هذا الموضوع ، ولكن لما كان من غير المحتمل أن تقبل الحكومة الايرانية مكافأته عن أية خدمات يضطلع بها فقد أصبحت القضية هي الاعانة المالية التي قد تمنحها الحكومة البريطانية . وكان السير هاردنج الوزير البريطاني في إيران في صف مثل هذه المعونة . ولكن اثناء ذلك توقفت الاضطرابات ، وبوصول السردار المعظم في الربيع التالي خضعت شمال عربستان لحكم قوي مقبول من وجهات النظر البريطانية .

المصالح البريطانية التجارية والعامة
١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

خلال هذه الفترة وباستثناء الشركة الانجليزية الهولندية للسادة هوتز اقتصرت التجارة الاوروبية في عربستان على المؤسسة البريطانية للسادة لينش . وفي سنة ١٨٩٩ كانت الشركة ممثلة لعدة شهور في ديزفول بموظف بريطاني ولكنه سحب . وفي سنة ١٩٠٥ كان ممثلهم الاوروبي الوحيد في المقاطعة موجوداً في ناصرى .

منع تصدير الانتاج ١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

استمر نظام وقف تصدير المواد الغذائية معمولا به تماما عدا مواسم قليلة خلت من تطبيقه ، وغالباًما كان ذلك لتمكين الموظفين الايرانيين من شراء الحبوب رخيصة ، ثم تصديرها بمعرفتهم . ومثل هذا حدث عام ١٩٠٠ (١) .

وفي يونيه عام ١٨٩٦ رفع الحظر على تصدير القمح بصفة وقتية واعاده الحاكم العام ثانية ، ولكن على الفور تقريباً تسربت معلومات عن طريق المفوضية البريطانية في طهران بقرب رفع الحظر .

وكان المحصول التالي في عربستان وفيراً ، ولكن الاسعار استمرت في الارتفاع خصوصاً على اثر نقص محصول العراق . وفي يناير عام ١٨٩٧ أعلن حظر على تصدير الحبوب نفذ بعد شهرين ولكنه لم ينفذ في القارون الا في ابريل ، وكان المحصول الذي بعده ضعيفاً فاستمر الحظر مسبباً مضايقات للشركات البريطانية التي كانت قد دفعت مالا مقدماً للمزارعين لكنه في النهاية استثني السمسم من الحظر .

واستمر الحظر حتى عام ١٨٩٨ ، رغم أن المحصول الجديد كان وفيراً وفرة كبيرة .

وفي بداية عام ١٩٠٠ ، كتب المقيم في الخليج العربي بأن الآمال

(١) انظر مستر ا٠ سيرول ٠ مسالة الشرق الاوسط ص ١٦٦ ـ ١٦٧ ٠

الزراعية في عربستان كبيرة للغاية وأنه اذا توقف الحظر على منع تصدير القمح فان ازدهار الاقليم سيكون كبيراً . ومع ذلك فقد تميز صيف عام ١٩٠٠ بحظر يدعو للكدر .

الملاحة في قارون سنة ١٨٩٦ — ١٩٠٥

خلال السنوات الاولى على الاقل كانت عمليات شركة ملاحة دجلة والفرات تسير بخسارة رغماً عن الاعانة التي تدفعها حكومة الهند البريطانية والتي سنشير اليها فيما بعد ، واذا تركنا فتور الاعمال بعيداً عن تقديراتنا فان العجز في أعمال الشركة العادية في عربستان وصل (بمقتضى تقاريرهم) الى ٣٥,٤٦٠ جك في مدى عشر سنوات من سنة ١٨٩٠ الى ١٨٩٩ وبجانب ذلك كانوا عاجزين عن استرداد مبلغ ٤٦٢٣ جك من الخزينة الايرانية قيمة الخسارة التي نشأت عن تشغيل شوشان لحساب الشاه من أول سنة ١٨٩١ حتى ١٨٩٨ . وقد حصروا صافي خسارتهم في عربستان كلها بعد خصم قيمة الاعانة بمبلغ ٢١٤٤ جك(١) عن المدة من اول يناير عام ١٨٩٠ حتى ٣١ ديسمبر عام ١٨٩٩ .

وفي قارون الاعلى بين الاهواز وشليلي استمرت شركة الناصري أو معين التجار في تشغيل باخرة حتى عام ١٩٠٥ ورفضت عندما اتصل بها أن تنقل حقوقها الى الشركة البريطانية او تشاركها الا بشروط غير مناسبة .

وظلت الحكومة الايرانية أيضاً تعوق الأمور حتى نهاية عام ١٩٠٥ حين أعطت ترخيصاً لازالة ما ظن انه صخور والتي ثبت أنها بناء حجري من قاع نهر قارون الاسفل عند كوت عبدالله . ولم يصرح ببناء مخازن للبضائع عند شليلي . ولكن شركة لينش وفقت مع ذلك في تمديد عقد إجارتها لمخازن كبرى في المحمرة لمدة ست سنوات .

---

(١) وتضمن هذا المبلغ على اى حال اكثر من ٧٠٠٠ جك استهلك في طريق البختيارى (انظر فيما بعد) وهو استثمار مربح . ولم يعط السادة لينش اي بيان عن نتائج تجارتهم العامة والتى كانت اعمال شركة دجلة والفرات للملاحة التجارية التى يشرفون عليها مساهما كبيرا فيها .

محاولة الغاء ادارتي الجمارك في الناصري وشوشتر ١٩٠٢–١٩٠٣

قامت الادارة الامبراطورية للجمارك عند توليها الاشراف على جمارك عربستان في سبتمبر عام ١٩٠٢ باغلاق مكاتب الجمارك النهرية في ناصري وشوشتر واصرت على دفع جميع الرسوم الجمركية على الشحنات الصاعدة او النازلة في القارون في المحمرة . وأدت هذه البدعة الى ارتباك جميع ترتيبات حركة المرور وكانت غير موافقة للغاية للتجار داخل الاقليم ممن ليس لهم وكلاء في المحمرة . وتبعاً لذلك قدمت المفوضية البريطانية في طهران احتجاجاً بني على اساس الضمانات التي أعطتها الحكومة الايرانية عندما أهديت شوشان للشاه فأعيدت مكاتب الجمرك في ناصري بصفة موقته في نوفمبر عام ١٩٠٢ و في شوشتار في فبراير عام ١٩٠٣ . وجادلت الحكومة الايرانية في أن التسهيلات التي منحت في عام ١٨٩٠ لم يقصد بها الدوام وعملت فقط لان بضائع التجار الاوروبين كانت تدفع وقتئذ رسوماً عند دخول البلاد أكثر من بضائع الايرانيين وهي حالة توقفت . وفي النهـــــاية سحبوا اعتراضاتهم ، وفتحت مكاتب الجمارك في ناصري وشوشتر بصفة دائمة في ابريل عام ١٩٠٣ .

شركة دراسي لاستغلال الزيت ١٩٠١ — ١٩٠٥

في ٢٨ مايو عام ١٩٠١ ، حصل السيد و. ك. دراسي وهو متموّل بريطاني على امتياز من الحكومة الايرانية منحه احتكار صناعة الزيت المعدني والغاز الطبيعي والأسفلت وحق خاص بمد خطوط الانابيب لنقل الزيت عبر ايران باستثناء بعض المقاطعات الشمالية . فتكونت عندئذ شركة دارسي لاستغلال الزيت التي عقد بينها وبين خانات البختياري اتفاق في ١٥ نوفمبر عام ١٩٠٥ يضمن قيام الخانات بتقديم التسهيلات وحماية العمليات مقابل مبلغ سنوي يدفع لهم مقداره ٢٠٠٠ جك

يرتفع الى ٣٠٠٠ جك بجانب حق الخانات في المطالبة بـ ٣٪ من أسهم الشركة العادية بعد بدء استخراج الزيت .

★ ★ ★

مشروعات الطرق في عربستان
١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

يعود الفضل في التقدم في المواصلات البرية خلال هذه الفترة الى المشروعات البريطانية .

ففي سنة ١٨٩٧ ، منحت الحكومة الايرانية بعض خانات قبائل البختياري امتيازاً مدته(١) ستون عاماً لانشاء وصيانة واستغلال طريق خلال اقليم يمتد من الاهواز الى اصفهان . واعطت لاصحاب الامتياز حق جباية رسوم بمعدلات معينة ، وخولتهم الحصول على معاونة الرأسماليين لتنفيذ الاعمال الضرورية ، وحملتهم مسئولية سلامة الاشخاص والحيوانات والبضائع المسافرة عبر الطريق . وقبل نهاية العام ابرم اتفاق جانبي(٢) بين الخانات والسادة لينش ضمنته الحكومة الايرانية لانشاء وصيانة طريق الاهواز أصفهان يتضمن قيام الشركة البريطانية بانشاء الطريق لحساب أصحاب الامتياز البختياريين بشروط مالية واخرى معينة . وكانت قيمة التكلفة بمقتضى العقد مبلغ ٥٥٠٠ جك ولكن يمكن أن تزداد بالاتفاق المتبادل للاطراف . وبلغ المنصرف الفعلي حتى حوالي منتصف عام١٨٩٩ مبلغ ٧٣٣٣ جك . وبلغ طول الطريق عند اتمامه ٢٧٧ ميلا واختصر الرحلة الى١٥ او١٨ مرحلة ومر في إقليم جبلي شاق. وكان من معالمه البارزة كوبري حديدي معلق فوق واد مشهور عند جوادري بلوتاك . وفتح الطريق للمرور في ديسمبر عام ١٨٩٩ ووضعت نقطة جباية الرسوم عند جوادري بلوتاك .

---

(١) للاطلاع على النص انظر : الملازم ا٠ ف٠ ويلسون ملخص العلاقات ٠٠ الخ ص ٩٣ ـ ٩٤ ٠

(٢) للاطلاع على النص انظر : الملازم ا٠ف٠ ويلسون ملخص العلاقات ٠٠ الخ ٩٤ ـ ٩٦ ٠

وفي عام ١٩٠٣ ، قيل ان خانات البختياري اجروا حق الالتزام الى متعهد نظير مبلغ ٨٠٠٠ تومان سنوياً . وسرعان ما توطدت على الطريق تجارة ناجحة . ولو انه قد نشأت بعض المتاعب بين الخانات والسادة لينش بصدد فواتير الشركة عن الصيانة .

طريق طهران الاهواز ١٨٩٦ - ١٩٠٢

ووفقاً لامتياز ممنوح للبنك الامبراطوري الايراني استكمل انشاء طريق للعربات غير مرصوف بين طهران ومدينة «قم» عام ١٨٩٩ وبلغت تكاليفه ٨٠,٠٠٠ جلك .

وفي عام١٩٠٢ تمت اتفاقيات لتكوين شركة بريطانية تسمى شركة النقل الايرانية تأخذ على عاتقها علاوة على امتياز الطريق الممنوح للبنك الامبراطوري الايراني حقوق السادة لينش(١) في الملاحة في النهر وكذلك طريق البختياري الحديث الانشاء . وفي أثناء ذلك مدطريق طهران الاهواز من « قم » حتى سلطان آباد . والتمس مؤيدو مشروع الشركة منح اعانة مالية من الحكومة للزومها لنجاحهم . وعندما ظهرت الشركة للوجود اعطيت منحة قدرها ٢٠٠٠ جلك سنوياً لمدة عشر سنوات نصفها من حكومة صاحب الجلالة والنصف الآخر من حكومة الهند .

الهجوم على الرائد دوجلاس والملازم لوريمر عام ١٩٠٤

عين مندوب بريطاني لاول مرة في ناصري (أهواز) في بداية عام ١٩٠٤ هو الملازم د. ل. ر. لوريمر من الادارة السياسية الهندية ، وكان الواجب الاول والاهم الملقى على عاتقه ان يتأكد من الاجراءات المطلوبة لمد طريق الاهواز طهران عند لورستان وان يتأكد من سلامة العمل في هذا القطاع . وكانت لديه تعليمات ان يقرر مدى قدرة فرقة من حراس

(١) لا يوجد اى سبب لتوقع كون السادة لينش سيديرون ان لم يكن يملكون الشركة الجديدة كما فعلوا من قبل في شركة دجلة والفرات للملاحة التجارية .

الطرق المحليين على الانتشار في وسط قبائلي لاغراض سياسية . وسافر الملازم لوريمر سالماً من الاهواز الى خُرّم آباد وعاد ثانية في ربيع عام ١٩٠٤ تحت حماية قبائلية ، وقدم تقريراً مبدئياً ، وكان قد استقبل استقبالا حسناً هناك . وبدت الآمال في النجاح في هذا الوقت مناسبة . وفي خريف نفس العام شق ممر الى خرّم أباد بدون أي نكسة حيث قابل لوريمر الرائد دوجلاس الملحق العسكري البريطاني . ولكنه في يوم ٢٥ أكتوبر عام ١٩٠٤ أثناء السير من خرّم آباد الى ديزفول هوجم الضابطان بغدر من حرسهم الخاص من قبيلة الديركواند اللورية وجرحا جروحاً بليغه بجانب نهب كل ممتلكاتهم ، وبالكاد افلتا بحياتهما بصعوبة الى بوروجيرد حيث وجدا العناية الطبية .

وطالبت حكومة صاحب الجلالة باسمهم بتعويض كبير عن هذا التهجم . واعلنت الحكومة الايرانية عن عزمها على تجريد حملة تأديبية ضد الديركواند ، ولكنها لم تتخذ أي إجراء فعال .

وفي يوليه عام ١٩٠٥ وبمساعدة المعنيين من قبيلة الساجواند اللورية أغرت السلطات الايرانية بعض الرجال المشتركين في الهجوم بالحضور الى خرّم آباد بعد ان اعطتهم وعود شرف وهدايا ثم قبضت عليهم وارسلتهم الى كرمانشاه حيث سجنوا .

وأبدى خانات البختياري اهتماماً شديداً بالتهجم وعرضوا ان يتعهدوا بشروط حدودها بمعاقبة الجناة وتهدئة منطقة اللور ، ولكن عروضهم التي لم تقبل ربما كانت تفوق قدرتهم على التنفيذ .

وعندعودة لوريمر الىمنصبه بعدالإجازة في نهاية عام١٩٠٥ استطاع أن يستأنف مفاوضاته مع الساجواند ، ولكن ليس مع الديركواند اللوريين .

الامور الرسمية البريطانية في عربسان
١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

سياحة (١) السير م. ديوراند الوزير البريطاني المفوض في ايران خلال عربستان عام ١٨٩٩

كانت هذه الفترة مرحلة نشاط حكومي بريطاني كبير. ففي خريف عام ١٨٩٩ قام وزير صاحب الجلالة البريطاني في طهران بسياحة واسعة في ايران حيث وصل الى عربستان وغاب عن طهران من ٢٦ سبتمبر الى ١٤ ديسمبر ، ووصل ناصري حيث استقبله الرائد ميد المقيم السياسي في الخليج العربي والمستر ماكدوال نائب قنصل صاحب الجلالة البريطاني في المحمرة وبقي يومين او ثلاثة . وعاد الى طهران عن طريق شوشتر وديزفول وبلاد الديراكواند اللوريين وخوم أباد . وكما سبق ذكره لم يحدث لقاء بينه وبين شيخ المحمرة .

زيارة السير ا. هاردنج الوزير البريطاني في ايران للمحمرة وناصري عام ١٩٠٣

كما سبق ان ذكرنا في مناسبة أخرى ، فان السير أ. هاردنج وزير صاحب الجلالة في طهران عند عودته من رحلته البحرية في الخليج العربي مع اللورد كيرزون نائب الملك والحاكم العام للهند . زار المحمرة حيث قابل الشيخ وبحث معه المسائل السياسية وقام ايضاً بالرحلة في القارون حتى ناصري .

تعيين نائب قنصل بريطاني لعربستان وتحويل نيابة القنصلية في المحمرة الى قنصلية ١٩٠٣ ـ ١٩٠٤

وفي عام ١٩٠٣ ، وبمناسبة وجود خطط لافتتاح طريق مواصلات بين عربستان ووسط وشمال ايران ، تقرر رفع درجة التمثيل البريطاني في المحمرة الى درجة قنصل . وكذا تعيين نائب قنصل بريطاني في عربستان

---

(١) هذه السياحة مذكورة في كتاب اللادي ديوراند « رحلة الخريف في غرب ايران سنة ١٩٠٢ » .

وكان على القنصل في المحمرة ان يبقى مختصاً بالمصالح التجارية البريطانية في كل الاقليم ، بينما يعمل نائب القنصل اساساً في إنشاء علاقات مع قبائل شمال عربستان ولوريستان وجمع معلومات سياسية وجغرافية. وتقرر ان يكون مكتب نائب القنصل الرئيسي في الناصري بصفة موقته .

ولما اعتمد هذا الترتيب الجديد في يوليه عام ١٩٠٣ كان المستر ماكدوال الممثل البريطاني الدائم في المخمرة غائباً في إجازة ، وكان القائم بعمله العقيد أ. ف. بورتون من الجيش الهندي . وتولى موقتاً كلا المنصبين . وتجول بورتون بنشاط وجمع معلومات كبيرة القيمة مستكشفاً على وجه الخصوص الاقليم شبه المجهول حول مصب خور موسى ووادي نهر الديز . وكان اول نائب قنصل لصاحب الجلالة في عربستان هو الملازم اول د. ل. لوريمر من الادارة السياسية الهندية الذي تقلد وظيفته في يناير عام ١٩٠٤ .

واصبح المستر ماكدوال قنصلا في المحمرة ابتداء من ٢٣ فبراير عام ١٩٠٤ .

وكانت احدى المسائل التي تقتضي البت فيها بالنسبة لانشاء نيابة قنصلية في عربستان هي اين يوضع مركز رياستها الدائم ؟ ولما استشير الملازم لوريمر اوصى بالاهواز وفضلها على أي مكان آخر ملاحظاً ما يأتي :

١ — ان الاهواز عديمة الاهمية كموقع تجمع للمواطنين ؛ ولكن الشيخ يقضي الشتاء قربها وهي آخر بقعة على اتصال مباشر بالعالم الخارجي .

٢ — هي مركز رياسة السادة لينش في جنوب غربي ايران .

٣ — هي نقطة بداية طريق البختياري وكذا الطريق الى شوشتر وديزفول . ومهما يكن تخطيط طريق خرّم آباد فان الاهواز ستكون نهايته الحقيقية . واول التقارير التي تصل عن الحوادث المؤثرة في سلامة

مرورنا عادة ما تأتي هنا لوكيل السادة لينش الذي يعمل ايضاً لشركة النقل الايرانية .

٤ – وستبقى الاهواز بالضرورة مركز رئاسة جميع الاهتمامات البريطانية . ومن غير المحتمل ان أي شركة ستضع وكلاء اوربيين في أماكن اخرى مثل ديزفول . وعلى أي حال فان الادارة الرئيسية ستكون دائماً في الاهواز التي هي في الحقيقة ميناء عربستان ولوريستان وطريق البختياري .

وقبلت الحكومة الهندية رأي الرائد لوريمر . واقترح بعد ذلك استئجار منازل من الاهالي في شوشتر وديزفول وخرم آباد ورامهرمز ليسكن فيها نائب القنصل عند تجواله . ووجدت بعض الصعوبة في الحصول على موقع مناسب لبناء القنصلية بالناصري .

الطبيب البريطاني لعربستان ١٩٠٤ – ١٩٠٥

تقرر في عام ١٩٠٤ ، أن ينتدب طبيب من ادارة الخدمات الطبية الهندية الى ايران ليعمل كجراح بالقنصلية في الاهواز وكرمنشاه . وكانت النية ان يقدم ضمن اشياء أخرى خدماته الى خان البختياري الذي عبّر مراراً عن رغبته في خدمات طبيب تركي . وقد ثبت بعد ذلك أن مزج الواجبات على هذا المنوال كان غير عملي . ونتيجة لبعد المسافة وصعوبة المواصلات بين المكانين المقصود نفعهما فان الطبيب الذي ارسل وضع اولا في كرمنشاه ولم ير في عربستان .

الحرس العسكري لنيابة القنصلية في عربستان ١٩٠٤

صدرت اوامر عام ١٩٠٤ ، بناء على خطة عامة للحرس القنصلي في ايران ان يارسال سرية من ١٢ سيافاً راكباً من فرسان الهند لحراسة نائب القنصل ، وارسل هذا الحرس في الوقت المناسب ولكنه وصل متأخراً أكثر من اللازم فلم يصحب الملازم اوريمر في رحلته التي هوجم فيها هو والرائد لوريمر من الديراكواند .

اعانة شركة دجلة والفرات للملاحة التجارية في قارون

في سبتمبر عام ١٨٩٩ ، تقدمت شركة دجلة والفرات للملاحة التجارية التي سبق ذكر متاعبها المالية في عربستان بطلب لاستمرار منح الاعانة السنوية البالغة ٢٠٠٠ جاك والتي منحت لهم عام ١٨٩٤ لمدة خمس سنوات أخرى على النفقة المشتركة لحكومتي صاحب الجلالة والهند . ووافقت حكومة الهند على منح الاعانة مرة وحيدة أخرى أي لسنة ١٩٠٠ ، ولكنها ابت أن تدفع بعد ذلك ذاكرة في رسالة الى وزير صاحب الجلالة للهند « ولا نستطيع ان نوافق على مد الاشتراك بعد عام ١٩٠٠ ، ونرجو ان نوجه مرة أخرى نظر فخامة اللورد الى الحيف الواقع في الاتفاق حيث تتحمل الخزانة الهندية نصف قيمة اعانة قارون ، وإذا أمكن القول بوجود مصالح هندية فهي مصالح لاتكاد تذكر ، كذلك تتحمل الهند التزامات اعانة دجلة والفرات حيث مصالح الحكومة الامبراطورية على الاقل مساوية لمصالحنا ان لم تكن كما في رأينا أكثر أهمية » .

وفي أثناء ذلك قدم تقرير لجنة ملكية كانت مؤلفة منذ عام ١٨٩٧ لبحث مصروفات حكومة الهند . وكان قرارها بالنسبة لاعانة قارون انه اذا استبقت حكومة الهند خدمة خط بغداد البصرة فان تكاليف خدمة خط قارون يجب ان تتحملها بريطانيا العظمى .

★ ★ ★

مشروعات الري في عربستان
١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

في هذه الفترة أعيد النظر في مشروعات الري من نهر قارون بعد أن كانت تركت جانباً منذ عام ١٨٨٢ بعربستان .

واثيرت اولا المقترحات من جانب السيد «فان روجيه» وهو مهندس هولندي في خدمة الحكومة الايرانية ، باستزراع جانب كبير من البلاد

على الضفة اليسرى لقارون عند الاهواز بريّها بمياه من النهر . وقام المستر فان روجيه بفحص مبدئي للمنطقة في شتاء ١٩٠٣–١٩٠٤ ثم عاد لطهران حيث قدم مشروعاً ووفق عليه من الحكومة الايرانية . ولكن الشاه اشترط عند الموافقة عليه ان يكون قابلا للتنفيذ لشركة ايرانية . وكان كارهاً بشدة منح امتياز تنفيذه لشركة اجنبية كما عارض شيخ المحمرة المشروع ما لم يتم تنفيذه بمعرفته او بمعرفة الحكومة البريطانية وصرح بأنه يخشى أن يؤذي زراعة النخيل في قارون الاسفل ، وبهمانشير ، وكانت الحكومة البريطانية مهتمة بتوقع انخفاض مجرى القارون الذي كان فعلا بالكاد يكفي لصلاحية السفن الملاحية في مواسم معينة . وفي مذكرة مؤرخة اول اغسطس عام ١٩٠٤ قال اللورد كيرزون نائب الملك والحاكم العام للهند .

« واي مشروع كهذا لو نفذ بنجاح سيدمر عمليا القارون كنهر ملاحي وسيضع نهاية حاسمة لمشروع السادة لينش » .

« وحتى الآن فان عمق الماء في اماكن كثيرة هو ثلاثة اقدام وتجنح السفن على الارض في أماكن أخرى في طريقها شمالا الى الاهواز ، وسيوقف انخفاض مستوى الماء ولو لست بوصات الملاحة لاربعة أشهر من اغسطس حتى ديسمبر . إن خبرتنا الهندية في البنجاب تدل على جفاف المجرى تقريباً معظم اوقات السنة نتيجة لمشروعات الري الكبرى ولا أشك بأن ذلك سيكون حظ القارون » .

ويجب على حكومة صاحب الجلالة لذلك ان تزن الفوائد الناتجة عن الري مقابل الدمار الذي سيقع على التجارة البريطانية ، ومن الواضح انه اذا طرد السادة لينش خارجاً واخذ محلهم موظفون بلجيك ومهندسون هولنديون تابعون لاصحاب امتياز مشروعات الري الكبرى فإنهم سيعملون بأنانية اوبطريقة مضادة لمصلحة بريطانيا وسوف نكون في النهاية الخاسرين بهذا التغيير » .

« ومن الناحية الاخرى فانه اذا كان لنا صوت قوي واضح في الاشراف فاننا نستطيع استبدال صورة من النشاط التجاري بأخرى وقد

نستطيع فتح طريق آخر للملاحة في سهول عربستان باستعمال خور موسى او احد المداخل المتلاصقة التي ارتدناها حديثاً ، وبعمل طريق جديد من هناك الى الداخل » .

« وما قلته يؤكد الاهمية العظمى لمشاركة بريطانيا واشرافها على أي مشروع ري على القارون إن كان له أن يتحقق ، وكذلك الخطر على المصالح البريطانية اذا تركنا بعيداً عن الصورة في أي من هذه المشروعات » .

وفي نهاية عام ١٩٠٤ عاد المستر فان روجيه الذي قدر تماماً الرغبة في الحصول على التعاون البريطاني ، فحاول خلال زيارته لأوروبا أن يثير اهتمام وزارة الخارجية البريطانية في مشروعه ثم عاد الى الاهواز ومعه مساعدان اوروبيان وتقدم لتنفيذ مشروعه .

انتداب العقيد مورتون من الهند ١٩٠٤ — ١٩٠٥

في فبراير عام ١٩٠٥ ، وبمقتضى تعليمات من الحكومة الايرانية التي اتصلت بها المفوضية البريطانية ، شرح المستر فان روجيه مشروعه بالتفصيل للعقيد و. ر. مورتون ر. أ. الموظف بمصلحة الري البنجابية الذي انتدب من الهند لينوب عن حكومة الهند وحكومة صاحب الجلالة لدراسة مزايا المشروع وتأثيراته المحتملة على الملاحة . ووجدت مشروعات المستر فان روجيه غريبة من الناحية الفنية ومسرفة كذلك ان لم تكن مستحيلة ، فهي تشمل حفر خزانات تزيد سعتها على اربعة آلاف مليون قدم مكعب بقصد ري مساحة لا تزيد عن ٨٦,٠٠٠ فدان انجليزي ، وهي مساحة لا تبرر عمليات تمتد خلال فترة ٥٤ عاماً مما يكفي للدمغ المشروع بالفساد .

وحيث انه بدا مرجحاً على أي حال ، ان هناك ارضاً صالحة تزيد عن ٨٥,٠٠٠ فدان يمكن ريها من القارون ، عند الاهواز ، فان المستر مورتون بعد ان نسف مشروع المستر فان روجيه قد امر بجمع بيانات يمكن عمل مشروع بديل على اساسها ، ان لزم ، وقد نبه عليه ان يعتبر

امكانيات جانبي النهر ، وان يميز في تقاريره بين الخطط المتلائمة مع صيانة الملاحة في النهر ، وتلك التي لا تلائم الملاحة .

وغادر المستر فان روجيه عربستان الى اوربا في ابريل عام ١٩٠٥ ولكن المستر مورتون بقي في المنطقة حتى بعد نهاية الفترة .

وفي مايو عام ١٩٠٥ ، وفي خلال مفاوضات لعقد قرض كانت الحكومة الايرانية راغبة في عقده ، حاولت المفوضية البريطانية في طهران ان تشترط أنه في حالة الشروع في تنفيذ اعمال الري على القارون فيجب إعطاء الافضلية لشركة بريطانية ، ولكن المشروع لم ينفذ .

وبحث مشروع جديد لري جزء من عربستان من نهر الكرخة بمعرفة شيخ المحمرة في عام ١٩٠٥ ، ومع ان إمكاناته وجدت فيما بعد غير هامة فإنها عندئذ لم تحرز الاهتمام .

* * *

الفصل العاشر(١)
تاريخ الساحل الايراني والجزر

ان تاريخ الجزء المسمى في هذا الدليل «بالساحل الايراني والجزر» ، الذي كان يشير فيما قبل سنة ١٧٦٣ الى جميع الساحل الجنوبي لايران ، وباستثناء ما يدخل من ضمن الفصول الخاصة بعربستان ومكران يرد ذكره في الفصل الخاص بتاريخ الخليج العام ، إلا أنه من هذه السنة فصاعداً ، وللاسباب التي شرحت في الفصل المذكور ، فانه من الضروري بحث تاريخ الساحل الايراني بشكل منفصل عنها . ولذا فان الفصل الحالي قد اضيف أساساً لهذا الغرض . وعلى أية حال فان الشئون العامة للمملكة الايرانية بعد سنة ١٧٦٣ ، وعلى قدر ما تسترعي الملاحظة ، سوف تعالج في هذا الفصل حيث وجد أنه أكثر مناسبة لمعالجتها ، بدلا من أن يكون ذلك في تاريخ الاقاليم الايرانية القاصية كعربستان ومكران .

★ ★ ★

كريم خان ١٧٦٣ ـ ١٧٧٩(١)

الادارة الداخلية لكريم خان :

لقد شرحت في موضوع آخر المراحل المبكرة التي دفعت بكريم خان الى ان يمسك بزمام السلطة العليا في ايران . وقد ظلت الاحوال الداخلية في البلاد خلال فترة حكمه هادئة خالية من الاحداث خلواً

---

(١) يلاحظ في هذا الفصل أن اسماء آل نصر في بوشهر توضع باصرار من المؤلف باسم ناصر والتهجئة الانجليزية تطابق ذلك ، وقد تركت العبارة على حالها ٠

المترجم

(٢) يعتبر المصدر الرئيسي للمعلومات عن الساحل الايراني في فترة زند سنة (١٧٦٣ ـ ١٧٩٥) هو كتاب ج٠ آ٠ سالدانها المسمى مختارات من صحيفة الدولة « بومباى » فيما يختص بعلاقة شركة الهنـد الشرقية بالخليج مع ملخص للحوادث من سنة ١٦٠٠ ـ ١٨٠٠ الذى =

معقولاً . وفي ١٧٦٣ امتدت سلطته الى كل البلاد ولكن لم تكن مطلقة السيطرة . ومن تلك السنة فصاعداً ، وحتى نهاية عهده ، وبالرغم من حقد الكاجاريين في الشمال عليه فان أي منافس لم ينازعه السلطة منازعة ذات بال . وقد اكتفى كريم خان بوضع يده على السلطات الملكية ولم يغتصب اللقب الملكي ، وكان ذلك عن تعقل منه . واستمر في الحكم كوكيل أو نائب ملك نيابة عن الشاه الذي أضحى شاهاً بالاسم فقط والذي كان محتجزاً لديه . وقد تميزت حكومته بالاعتدال المقترن بالحزم والفعالية . وكانت رفاهية الرعية همه الرئيسي في جميع الاوقات ، وقد جنى أجزل الثواب نتيجة لكل من الرخاء الذي نعمت به البلاد أثناء فترة حكمه ومن الاحترام الذي كان لذكراه بعد وفاته . وباختصار فان السمعة الحسنة التي حظي بها من بين ملوك ايران تدعو للاعجاب ، وتقوم على اعتبارات صحيحة تجعل من الرجل شخصية غير عادية او حتى لا نظير لها . ولقد استفادت شيراز التي كانت خلال فترة حكم كريم خان عاصمة له ومقره الدائم غالباً أكثر من أي جزء آخر من ممتلكاته ،

= نشر سنة ١٩٠٥ والذى غطى جميع الفترة أما المراجع الرئيسية الاخرى فهى « رحلة في البلاد العربية » لنيبور سنة ١٧٧٦ وكتاب « مشاهدات جمعت في رحلة سياحية من البنغال الى ايران » الذى نشر سنة ١٧٩٠ لانساين و· فرانكلين الذى أقام بعض الوقت في شيراز سنة ١٧٨٧ ، وكتاب « سلالة الكاجار » سنة ١٨٣٤ للسير هـ· ج· بريدجيز الذى قام مثل السيد هـ· جونز من مقيمية البصرة - بزيارة شيراز سنة ١٧٨٧ كما زارها مرة أخرى في سنة ١٧٩١ وكانت له علاقات وثيقة بعدد من الرجال القياديين · وكتاب « رحلة عبر الامبراطورية العثمانية من مصر الى ايران من سنة ١٨٠١ - ١٨٠٧ » للسيد م· جي أ· أوليفير الذى زار طهران سنة ١٧٩٦ كمبعوث سيامى فرنسى وكتاب « رحلة الى شيراز » للسيد اى· س· ودرنج الذى زار شيراز وأمضى بعض الوقت هناك في سنة ١٨٠٢ وقد قام كل من السيد أوليفير والسيد ورانج بعمل دراسة خاصة عن تاريخ ايران الحديث ·

أما بالنسبة للاحداث العامة في ايران فباستطاعة القارىء الرجوع الى كتاب « تاريخ ايران » الصادر سنة ١٨١٥ للمؤلف مالكولم ·

استفادة ضخمة من انفاقه السخي على الاشغال العامة فيها، ومن افكاره العامة المستنيرة ، وقد كان تعلقه بسكانها أكثر من تعلقه بجميع رعاياه .

السلوك الشخصي وتعيين الاقارب

كان المعروف عن سلوك كريم خان الشخصي أقل مما يعرف عن سلوكه العام ، ولكن في حين ان الحكمة وحسن التقدير كانا الميزتين اللتين تسودان أعماله عموماً ، فانه كان انساناً رقيق الحاشية ومخلصاً. ولقد استفاد كريم خان بشكل لا بأس به كما سنظهر عقب هذا من خدمات أشقائه(١) وإخوته غير الاشقاء ، وهما صادق خان ، وزكي خان . ولقد كان الاول منهما هو المسئول المباشر عن العاصمة في الوقت الذي انشئت فيه المقيمية البريطانية في بوشهر سنة ١٧٦٣ ، وأثناء زيارة نيبور لشيراز سنة ١٧٦٥ . وقد قاد فيما بعد العمليات ضد لار سنة١٧٦٦ وضد البصرة سنة ١٧٧٥—١٧٧٦ بينما كان الاخر الذي كان أخاً غير شقيق وابن عم للوكيل فقط هو المسئول عن الحملة الى كنجون سنة ١٧٦٧ ، وعن حملة أخرى الى جنافه سنة ١٧٦٩ وعن حملة ثالثة الى بندر عباس سنة ١٧٧٣ ، وقد توفي كريم خان سنة ١٧٧٩ عن عمر يقدر بخمسة وسبعين او ثمانين عاماً .

سياسة كريم خان الخارجية :

ارتبطت سياسة كريم خان الخارجية بشكل رئيسي بعمان والعراق التركي ، وقد كرس جهوده بين سنة ١٧٦٩ وسنة ١٧٧٩ لاخضاع إمام عمان ولغزو جيوشه أيضاً للعراق سنة ١٧٧٥ واحتلالها للبصرة الذي بدأ في سنة ١٧٧٦ ، مما شُرح بشكل مفصل في تواريخ البلدان المعنية . ومن الممكن ان يكون من اهداف نشاط الوكيل في الخارج اشغال القوات المسلحة الايرانية بعيداً عن الوطن ، مستهدفاً بهذه الوسيلة ازالة

---

(١) كان صادق خان أكبر من كريم خان وربما لم يكن ليبرز لو لم يكن أخا للوكيل . وعلى أي حال فقد تعلم القراءة والكتابة في حين اقتنع الوكيل ببقائه أميا .

خطر قائم على أمن ممتلكاته . وفي الحقيقة وبدون توضيح منه فان اعتداءاته على حاكم عمان يمكن أن تظهر خارجة عن الانسجام مع روحه العامة المسالمة .

وقد أدت ظروف متعددة الى جعل كريم خان على صلة بالنفوذ البريطاني في الخليج أيضاً .. وسوف نتابع الآن ذكر جزء قصير عن هذه الظروف والعلاقات التي نشأت عنها والتي تمس بلطف اموراً تتعلق بتاريخ العراق او عربستان أكثر من مساسها لتاريخ الخليج .

★ ★ ★

العلاقات بين الدولة البريطانية وحكومة ايران المركزية مع الاشارة بشكل خاص الى شئون الساحل الايراني ١٧٦٣ ـ ١٧٧٩

في بداية هذه الفترة التي نحن بصددها كان التعامل بين شركة الهند الشرقية وايران قد توقف تماماً بشكل موقت ، ولم تكن هناك اتصالات جارية حول أي موضوع بين ممثلي الشركة والحاكم الفعلي لايران . وكان آخر مقر هام(١) للشركة في البلاد، وهي معتمديتها التي كانت في بندر عباس ، قد اغلقت ونقلت الى الاقليم التركي . ويبدو على أي حال أن حكومة بومباي ، سواء بموافقة او دون موافقة مسبقة من مجلس المديرين في انجلتره ، قد قررت حتى قبل سحب المعتمدية من بندر عباس إقامة مقيمية في بوشهر بدلا منها . وهكذا فان مجموع الفترة التي غابت فيها الشركة عن ايران كانت فترة قصيرة جداً .

بعثة المستر برايس الى الخليج وانشاء مقيمية في بوشهر في مارس وابريل ١٧٦٣

اختارت السلطات في بومباي في يناير ١٧٦٣ المستر ولم اندرو برايس ليذهب الى الخليج «كمعتمد إقليمي في إيران» بقصد التحقيق في

(١) يبدو على آية حال انه بقى في مكران مختص لغوي ولم يسحب حتى بعد ذلك .

اختلاسات خطيرة قد اكتشفت في البصرة ، وحيث أن صلاحيات المستر دوجلاس المعتمد الرسمي قد علقت أثناء زيارة المستر برايس فقد صدرت اليه التعليمات أيضاً بأن يتخذ الترتيبات لانشاء مقيمية في بوشهر «الهدف منها الترويج لتصريف البضائع الصوفية في المملكة الايرانية على وجه الخصوص » .

وقد وصل المستر برايس لميناء بندر عباس مساء الرابع والعشرين من مارس ، وعندما أطلقت المدافع وأضيئت الانوار الزرقاء من على ظهر مركبة «ترتار» لم يتلق أية اشارة جوابية من الشاطىء . وفي صباح اليوم التالي وحتى الساعة العاشرة لم يأت أي قارب في اتجاهه . وكانت الفرضة خالية من المراكب ولم ير على أي مكان أعلام بريطانية . فعمد السير برايس ، الذي كان محقاً في استنتاجه بأن المعتمدية قد سحبت بعد الاعمال العدائية، الى رفع العلم الهولندي واطلاق المدافع. وبهذه الطريقة حدث اتصال سريع مع اليابسة وأمكن الحصول على معلومات كاملة عما حدث من خادم في المعتمدية الاخيرة . وكانت السلطات الايرانية المحلية على أي حال راغبة كثيراً عن مواصلة النزاع بينها بين الشركة . وبناء على ذلك قام محافظ بندر عباس بدعوة المستر برايس لزيارته على الشاطىء ، وهي دعوة لم تقبل بحال من الاحوال . وعندما أعطيت الاشارة المعتادة الى الملا علي شاه في قشم قام بتزويد السفينة بمرشد عبر مضيق كلارنس وأرسل هدية من لحم الدجاج واللوز الى ظهر مركب المعتمد البريطاني .

وبعد بضعة ايام وصل المركب «ترتار» الى بوشهر . وفي السابع من إبريل قام أحد أبناء الشيخ سعدون ، الذي كان يشرف على المدينة أثناء غياب والده وغياب أخي والده الشيخ ناصر ، بزيارة المستر برايس على ظهر السفينة واقنعه بالنزول الى اليابسة وعامله على الشاطىء بأدب ولطف بالغين ، وبحث معه ظروف إمكانية إقامة مقر بريطاني في بوشهر. وهكذا بدأت المباحثات التي استؤنفت فيما بعد مع الشيخ سعدون نفسه ، ونظراً لوجوده على مسافة بعيدة فقد انتدب المستر برايس شخصاً يدعى ستيفن هيرمت المختص اللغوي في معتمدية بندر عباس السابقة . وكانت

النتيجة عقد اتفاقية(١) بالمعنى المطلوب في ١٢ إبريل سنة ١٧٦٣ . وقد عين المستر برايس في ٢٢ أبريل المستر ب جيرمش الذي أحضره معه على ظهر المركب «ترتار» لمكتب مقيم بوشهر ، ثم استوجب الامر بعدها انزال ضابط مدفعية وقوة عسكرية صغيرة للحراسة «لحماية بضائع الشركة الموقرة ولرعاية امورها » ثم أبحر برايس الى البصرة . وكان رأي المعتمد المؤقت ان كون بوشهر ترتبط بشيراز ضمن حكم كريم خان الذي نال عدله وادارته الحسنة شهرة عاليه ، بالاضافة الى ان طابع المدينة نفسها تجاري مما ينفي الحاجة «للفخفخة والاستعراض» ، يجعلان بوشهر هي أنسب موقع للمقيمية . ولاحظ بأنه من السهل دائماً الحصول على تعويض عن الاضرار التي يحتمل تكبدها في بوشهر عن طريق حجز المراكب التابعة للميناء .

الامتيازات التي منحها كريم خان للبريطانيين في يوليو ١٨٦٣

لم تمض فترة طويلة على ذلك حتى أصبح المستر برايس يدرك أن الشيخ سعدون لم يكن الا تابعاً لصادق خان أخي كريم خان حاكم شيراز ، ولذا طلب من المستر جيرفس الحصول على تصديق من الحاكم المذكور على الاتفاقية التي عقدت مع الشيخ سعدون . وقد ارسل صادق خان بهذه المناسبة هدية وعبر عن رغبته في أن يقوم شخص اوروبي محترم بزيارة لشيراز ، فانتهز المقيم هذه الفرصة وارسل المختص اللغوي ستيفن هيرمت يصحبه الملازم ديرنفورد لتسليم هدية مقابلة ولتقديم الطلب . وقد عاد هذان في الاول من اغسطس الى بوشهر ومعهما ترخيص بامتيازات وصل منه لاحقاً نسخة ممهورة بخاتم كريم خان ، وكانت شروط الترخيص الرئيسية ما يلي : للجانب البريطاني الحرية في إقامة وكالة في بوشهر او أي ميناء آخر في الخليج وله أن ينصب فيها من المدافع بالقدر

---

(١) وردت هذه الاتفاقية في « معاهدات اتشيسون » الطبعة الرابعة المجلد ١٢ ص ٢٣ ــ ٣٤ الا أنها كانت قليلة الاهمية فقد الغيت مباشرة بعد ما حصل على ترخيص من كريم خان نفسه راجع نفس المصدر ص ٣٤ ــ ٣٦ .

الذي يشاوه على الا يتعدى عيار المدافع ٦ أرطال وأن يبني فيما يتعلق بهذا الغرض في أي جزء من المملكة أي عدد من الابنية العادية ، كما يجب أن تعفى تجارتهم من رسوم الاستيراد والتصدير الداخلية في كل من بوشهر أو أي ميناء آخر . ويجب ان لا يتقاضى شيخ بوشهر والحكام المحليون الآخرون أكثر من ٣٪ كضريبة تصدير على البضائع البريطانية التي تشترى من قبل التجار الايرانيين ، ويجب أن يكون للبريطانيين حق احتكار توريد البضائع الصوفية أي مكان كاجراء احترازى ضد جميع الجنسيات الاخرى ، كما يجب على الحكام المحليين مساعدة البريطانيين في استيفاء ديونهم المشروعة في ايران . وفي حالة فشلهم فان للبريطانيين الحق في اتخاذ إجراءاتهم ضد المستدينين المحليين ، أما تجارتهم فيجب أن تكون حرة من جميع القيود في أنحاء إيران كما يجب على التجار الوطنين عدم شراء بضائع من أية سفينة بريطانية تصل الى ميناء ايراني دون معرفة وموافقة الممثل البريطاني الرسمي ، كما أنه يجب على السلطات المحلية الامتناع عن نهب أي مركب بريطاني في الخليج اذا ما ضاع او قذف الى الشاطىء بل عليها مساعدته دون مقابل . ويكون للبريطانين ومن هم تحت حمايتهم التمتع بتسامح ديني في جميع أجزاء البلاد . وعلى السلطات الايرانية أن تسلم للبريطانيين الاشخاص الفارين من الخدمة سواء كانوا بحارة أم جنوداً أم خدماً في حالة عدم معاقبتهم لاول وثاني مرة على جريمتهم . وأن يعفى المترجمون والوسطاء وخدم الوكالة من الضرائب الايرانية ، وكذلك جميع رعايا الادارة البريطانية ، كما يجب تحديد بقعة من الارض في أي مكان يعينونه كمقبرة لهم . واذا ما رغبوا في ارض يستخدمونها كحديقة لهم فيجب أن تقدم لهم سواء أكانت مجانية من اراضي التاج الايراني او مقابل ثمن زهيد ان كانت من الاملاك الخاصة كما يجب أن تعاد اليهم الدار السابقة التي تمتلكها شركة الهند الشرقية في شيراز وما يتبعها من حديقة وما يخصها من مياه .

ورغب الوكيل في الاشتراط بالاضافة الى البنود السابقة بأن يأخذ البريطانيون المنتجات الايرانية مقابل دفع كامل أو جزئي بالبضائع وعدم

تصدير كامل قيمة مبيعاتهم نقداً وألا يسيئوا معاملة المسلمين كما يجب تفضيل التجار الرئيسيين والرجال الموثوقين عند بيع مستورداتهم . كما يجب عليهم عدم ايواء الاشخاص الثائرين على السلطات الايرانية خاضعاً ذلك للفهم بأن هؤلاء لن يعاقبوا على اول او ثاني مساءة ارتكبوها، واخيراً يجب على البريطانيين عدم مساعدة أعداء حاكم ايران سواء بشكل مباشر أو غير مباشر . ويبدو من آخر رسالة لحكومة بومباي أنها لم تصادق على البند الذي قصد منه اخضاع جميع التجارة البريطانية في ايران لسيطرة مستخدمي شركة الهند الشرقية ، وقررت عدم التزامها في الموضوع كما أنها رأت أن ترفض البند الذي اقترحه كريم خان لتنفيذ تصدير النقد وتفضيل تجار معينين في سائر الظروف. وقد بلغ كامل نفقات البعثة التي حصلت على هذا الامتياز من الوكيل بما فيها من هدايا ٣٠٥٩ روبية فقط .

المفاوضات التي اجراها الايرانيون للحصول على مساعدة الاسطول البريطاني ١٧٦٣ – ١٧٦٤

وعلى كل فان المباحثات بين ممثلي شركة الهند الشرقية وحكومة كريم خان لم تتقيد في هذا الوقت بالأمور التجارية بل شملت مسألة مساعدة الاسطول البريطاني لسلطات الوكيل في الخليج وخاصة في إخضاع مير مهنا زعيم البحر في ريق الذي كان يميل الى مضايقة التجارة المارة بين بوشهر وشيراز، والذي حشد الايرانيون ضده منذ بضعة أشهر سبقت قوات برية . وطلب من شيخ بوشهر تعاونه معهم ، الا أنه حتى الآن لم يحقق أي شيء . وقد أثير الموضوع أثناء زيارة المستر برايس لبوشهر حيث قدم اقتراحاً خاضعاً لمصادقة روسائه في بومباي يقضي بأن تدفع الحكومة الايرانية مبلغ ٢٢,٠٠٠ روبية سنوياً مقابل إقامة سفينة حراسة في بوشهر من قبل شركة الهند الشرقية . ويبدو أن صادق خان خلال زيارة قام بها الملازم دور نفورد لشيراز قد قبل هذا الرأي ووعد باعطاء تعهد بدفع المبلغ المطلوب على حساب جمارك بوشهر أو أي من العائدات الاخرى. وعلى أية حال فان حكومة بومباي لم ترحب بالفكرة ، وكان من الواضح أنها تعتقد أن تكاليف سفينة الحراسة ستكون أكبر مما قدره

المستر برايس الذي قدم خطة لمرابطة غير سفينة حراسة واحدة في الخليج بل ثلاث سفن . وفي سبتمبر ١٧٦٤ كان كريم خان وهو يرابط مع قوة كبيرة في منطقة بختياري يأمل في إخضاع مير مهنا في بوشهر في نوفمبر أو ديسمبر التاليين . ولذا كان توّاقا للحصول على مساعدة مركب او مركبين لمنع هرب هذا المتمرد عن طريق البحر . وورد في احد التقارير « انه يرغب في التنازل للشركة الموقرة عن مبلغ ٤٠,٠٠٠ روبية سنوياً مقابل خدمة طرادين أو ٢٠,٠٠٠ روبية لطراد واحد يرابط في الخليج لحماية التجارة فية » وقدم عرضاً أيضاً يقضي بتسليم الشركة الموقرة مدينة وحكومة بندر ريق « اذا كان ذلك يوافقنا » وعلى أي حال فان حكومة بومباي لم تتخذ أية خطوة أكثر من أن تخول المقيم في شهر ديسمبر إعارة الوكيل خدمات مركب بريطاني من وقت لآخر. وقد عللت ذلك بأنه من مصلحة شركة الهند الشرقية في إيران القيام بهذا العمل على ألا يؤدي استبقاء السفينة هناك لاية متاعب .

تَعَدٍّ قرصاني على السفينة البريطانية « اسلام أباد » في ٦ فبراير ١٧٦٥ وما تلا ذلك من اجراءات

حدث بعد ذلك بقليل حادث قرصنة خطير أثبت أن الحاجة الى نوع من الشرطة البحرية لم يكن ضرباً من الخيال . فعندما كان المركب البريطاني «اسلام أباد» من البنغال ويقوده الكابتن ه. سوذرلاند عائداً في الخليج من البصرة الى الهند قابلته على مسافة من جزيرة قشم رياح عاتية آتية من الجنوب الشرقي ، فاضطر أمامها الى الاندفاع الى «موغوه». وكان قبل ذلك قد شغر فيه عدد من مراكز البحارة في رحلته نحو الخارج ، وفي البصرة تزود المركب بما كان ينقصه منهم عن طريق تجنيد بعض البحارة العرب ، أما بحارته الاصليون الذين بقوا فيه فقد كانوا من الهنود باستثناء واحد كان الأوروبي الحقيقي الوحيد الذي على ظهر «اسلام أباد» عدا القبطان وضباطه الثلاثة فقط . وكان من بين ركابها بعض التجار من الارمن . وعندما وصلت السفينة الى «موغوه» في ٦ فبراير كانت بحاجة للمؤن والماء فأرسل القبطان القارب الطويل للشاطىء بقيادة الضابط

الثالث لاحضار كمية من المؤن والماء، الا ان مجموعة البحارة العرب الذين بقوا على ظهرها باغتت الضباط وقتلتهم ، واستولت على السفينة «اسلام أباد» . وفي اليوم التالي عندما اقتربت المجموعة التي كانت في القارب الطويل .. والتي كانت تجهل ما حدث على ظهر السفينة بعد مغادرتهم لها كان الطقس سيئاً ، وسمح المتمردون العرب او بالاحرى القراصنة لعدد منهم بالعودة الى ظهرها . وحين حاول خادم القبطان أن يلحق بهم أصيب بجرح من حربة ثم القي به في الماء ، وتمكن زملاؤه من التقاطه بعد صعوبة بالغة . وعندما قتل الضابط المسئول عن القارب فجأة بطلقة من مسدس من على ظهر السفينة اخترقت رأسه طرح الآخروى أنفسهم في القارب، وتوجهوا الى أقرب نقطة من الشاطىء ورسوا على الارض مرة أخرى في «مدينة صغيرة على بعد فرسخ جنوبي موغوه» ربما كانت دوفان وهناك بادر شيخها لحجز القارب ، وجرد بحارته من جميع ما لديهم. أما قراصنة السفينة «اسلام أباد» فقد قادوها الى جزيرة قيس، ونزلوا هناك وقاموا اولا بالاستيلاء على جميع الاشياء القيمة التي على ظهرها واخذوها لانفسهم، وقتلوا احد التجار الارمن بعد أن انتفعوا هم أنفسهم من مشورته الفنية . إلا أن الشيخ المحلي سجنهم في الحال وانزلهم الى البر ، ولم يفشل في نفس الوقت أيضاً من تحويل الاشياء المسروقة الى منفعته الخاصة . أما الاشخاص الذين بقوا من مجموعة القارب الطويل وهم «الخادم ومدير الدفة والبحارة الهنود» فقد وصلوا بوشهر في ٦ مارس وأبلغوا المقيم هناك السيد جيرفس بما حدث . وقام هذا في نفس اليوم بارسال قارب سريع مع رسالة الى المعتمد والقنصل في البصرة الا أنه اتضح بأن الاخبار لم تصل البصرة الا في ٢٦ مارس بعد ان فقد الكثير من الوقت الثمين(١) وقد وضع المعتمد والقنصل الطراد «ترتار» تحت تصرف السيد جيرفس

(١) تطابق المعلومات الواردة أعلاه للسجلات الرسمية الا أن نيبور الذى مرت سفينته بالسفينة « اسلام آباد » بالقرب من سرى في ٢٥ يناير ذكر بان المأساة قد حدثت قبل يومين فقط وان اخبارها وصلت بوشهر « بعد قليل » من وصوله لها في ٢٤ فبراير ، وربما كان السيد جرفى يشك أو غير مصدق للاشاعة التى قيلت عن الفاجعة الى أن اقتنع بصحتها عندما وصل الاشخاص الذين سلموا منها .

بناء على اقتراحه بضرورة ارسال مراكب لتطلب من شيخ قيس حجز وتسليم المسروقات التي في حوزته . واعطيت التعليمات للاستفادة من خدمات الطراد حسب اقتراح جيرفس بألا يعرض هذا الطراد أية سفينة أو حمولة أخرى للخطر. وارسلوا مع «ترتار» السيد هولامبي المستخدم في الشركة في البصرة ليعمل كممثل للشركة في الموضوع شريطة أن يقوم السيد جيرفس بمراجعة الاجراءات التي يعهد للسفينة بتنفيذها .

وقد قدرت مجموع الحسارة في قضية السفينة «اسلام أباد» بصفة مبدئية بحوالي ٤٠٠,٠٠٠ روبية أكثر من نصفها وقع على كاهل البريطانيين والنصف الآخر على الارمن والتجار الآخرين . ومن الواضح ان السفينة استرجعت اذ قادها البحارة والركاب بعد الكارثة الى مسقط بمساعدة مرشدين من قيس . ولم يسفر ارسال «ترتار» عن أية نتيجة بهذا الصدد ، ويظهر انها لم تتقدم الى ابعد من بوشهر ، وربما كان ذلك بسبب ما عرف من ان شيخ قيس قد أجبر بواسطة الشيخ عبدالله شيخ هرمز الذي يعمل كنائب لناصر خان شيخ لار على أن يعيد الجزء الاكبر من الاموال المسلوبة . ولم يقدم أي طلب حول موضوع هذه السفينة إسلام أباد» الى كريم خان الذي قيل عنه بعد قليل ان نصيب ناصر خان من الاموال المسروقة قد وقع في قبضته وأدى إلى إبعاده عن لار ، الا أن مستخدمي الشركة لم يتوقفوا عن متابعة القضية . وعلاوة على ذلك فقد كانت هذه القضية وكما سنرى فيما بعد السبب غير المباشر في مصيبة أخرى أكثر خطورة بعد بضع سنوات .

الهجوم البريطاني الايراني المشترك على مير مهنا أمير ريق في مايو ويوليو ١٧٦٥

في ربيع سنة ١٧٦٥ قام كريم خان شخصياً بحملة على قبيلة كعب المتمردة في عربستان ، وشكل في نفس الوقت قوة مكونة من ١١٠٠ راكب و ٥٠٠ راجل لترابط في خرموج بالقرب من بوشهر بقيادة الامير كهنه خان، وذلك لاخضاع مير مهنا حاكم ريق . وقد أجل تنفيذ الحملة

على ريق، والتي عززت من أجلها الاجراءات في خرموج مرة أخرى ثلاثة أشهر أو أكثر ، لعدم استطاعة قائدها الحصول على قوة بحرية حليفة كافية للاحاطة بمير مهنا ومنع هروبه عن طرق البحر ، فلم يكن أسطول شيخ بوشهر الصغير كفوأً لتلك المهمة وحده ؛ أما بالنسبة لصغار شيوخ الساحل الآخرين الذين كان وضعهم يشابه وضع مير مهنا في عدم دفعهم حتى الآن إتاوة للحكومة الايرانية فلم يكن ممكناً الركون اليهم في العمل ضده . واتجه كريم خان في هذه الظروف الصعبة الى الحاكم الهولندي في خارَج، والى المقيم البريطاني في بوشهر، ولكنه لم يتلق من الاول المنهير بكمان ، أي تشجيع . اما السيد جيرفس فقد اعتبر هذه المناسبة واحدة من تلك التي يمكن إعارة الوكيل فيها خدمات المركب بموجب التعليمات التي صدرت عن حكومة بومباي ١٧٦٤ . وقدم طلباً بهذا الخصوص الى رؤسائه في البصرة لارسال الطراد «ترتار» ، وقد ظهر أن معتمد البصرة السيد رينش وقنصلها قد استاءوا من الوكيل لانه كتب الى المقيم في بوشهر حول موضوع له مثل هذه الاهمية بدلا من الكتابة اليهما ، كما أنهما استاءا أيضاً من السيد جيرفس لانه أهمل تقديم كتاب الوكيل اليهما مما أدى الى إثارة صعوبات أمام الاستجابة لطلبه، فادعيا أن «ترتار» غير مناسب للمهمة وقد يخطىء الطريق الى الهند ويحتجز في الخليج طوال فترة الرياح الموسمية وان ذلك أمر متعب للشركة كثيراً .

كما اوضحا بأن الهجوم على ريق قد لا يكتب له النجاح الكامل او حتى لو فشل فشلا جزئياً فمن المحتمل بعدها أن ينزل مير مهنا الى بوشهر عدا عن أنه سوف يهاجم كل مركب بريطاني يجوب الخليج . وعلى أية حال فانهما فكرا في النهاية بأنه من الافضل ترك القرار والمسئولية على المستر جيرفس وقد عملا ذلك بناءً على تعليمات مؤرخة في ٢٥ مارس. وبعد بضعة أيام ارسلا له «ترتار» لاستخدامه اذا كانت هناك حاجة اليه في قضيتي مير مهنا و«اسلام أباد» . وكما أظهرت الاحداث فان وجهة نظر المعتمد والقنصل لم تكن في مجموعها خاطئة ولكننا يجب أن نأسف مع ذلك لموقفهما المتراخي حيال قضية إخضاع مير مهنا التي كان المقيم في بوشهر أفضل

ادراكاً منهما للحاجة اليها أكبر من اسفنا لافتقارهما الى الحزم في وقف مغامرة لم يكونا يحبذانها .

من مايو الى ٣ يونيو

لم تحدث أية حركة فعلية حتى اواخر مايو، وبعدها وصلت قوات برية يقودها كهنة خان الى الجزء المقابل لريق، ثم انضم اليها بضعة آلاف من الرجال من معسكر كريم خان في كعيان في عربستان . أما الاسطول المتحالف فانه لم يكن على أي حال جاهزاً بعد للعمل . وقد حدث ان سقطت قنبلة من القنابل التي كان الايرانيون يحاولون قذفها بمدفع مورتر على مدينة ريق فسقطت بينهم وقتل عدد من الاشخاص . ومع أنه كان لدى مير مهنا الكثير من المؤن ؛ الا أن خيانة بعض رعاياه حذرته من محاولة إطالة الدفاع. وقام في ليلة الاول من يوليه ، بعد ان ذبح من قطيعه ما لم يستطع حمله ، بانزال المواطنين وامتعتهم في ١٧ مركباً منها خمسة «جلواطات» والباقي من نوع أصغر . ووصلوا في اليوم التالي الى جزيرة خراجوه المجاورة لخارج حيث حط فيها واتخذ هامقراً له مع ان هذا المكان كان يزخر بالكثير من المتاعب. اذ سرعان ما يصبح خالياً من الماء كما أنه موقع رملي لاظل فيه، وخال من الكلأ إلا أن مير مهنا أحضر معه موناً وفيرة ، وخلافاً لما اظهره الهولنديون من حياد فانهم سمحوا له بارسال قطعان ماشيته لترعى في جزيرة خارج . وهكذا كانت ظروف مير مهنا في هذا الوقت لا تبشر بمقاومة طويلة من جانبه، ومع ذلك فان قوات كهنه خان لم تستطع الوصول اليه . وقد توفي عدد من مواطنيه بسبب الحرارة البالغة واصيب هو نفسه بالعمى في إحدى عينيه وعاني من التهاب حاد في الاخرى واضطر في وقت من الاوقات الى ترك ترتيبات دفاعه الى مساعديه وكان بعض هؤلاء الرجال قد قطعت آذانهم في السابق لعصيانهم الاوامر ولمجرد العربدة من السكر .

من ٤ الى ١٨ يونيه

كان الاسطول الانجلو-ايراني المكون من المركب «ترتار» وهو من النوع المسمى «سنو» وعليه القبطان برايس وسفينة تعود للشيخ ناصر

وثلاثة مراكب من النوع المسمى جلواط، واثنين من النوع المسمى «بتيل» قد ترك بوشهر في ٤ يونيه للتعاون مع كهنة خان . ورسى في مساء نفس اليوم على مسافة من خارَج. وهكذا كان الاسطول متأخراً جداً لمنع هروب مير مهنا من ريق . وقد حاول ابن شيخ بوشهر الذي جاء على سفينة والده أن يضع نفسه قائداً على جميع الحملة، الا أن القبطان برايس قائد «ترتار» هو الذي أشرف فعلا على العمليات وكان يقود أكبر المراكب التي من نوع جلواط المستر ناتر، الكاتب في مقيمية بوشهر والذي قام في صباه بعدة رحلات كملازم متمرن في الاسطول . ولم تقدم أي من المراكب خدمات مفيدة في المناوشات التي حدثت عدا ما قامت به «ترتار» والجلواط الذي يقوده المستر ناتر . وخلال ليلة الرابع من يونيه اعيد تعويم الخمسة جلواطات والبتيل التي أمر مير مهنا بسحبها الى الشاطىء . وفي صباح اليوم التالي عندما لمحها الاسطول الانجلو-ايراني وأدرك ما حدث عند ساحل اليابسة جرى تبادل الطلقات بينهم لكنها لم تؤد الى إحداث أضرار لبعد المسافة بينهما . ومع أنها بقيت مرئية عند الجنوب الغربي وقت الغروب الا أن الاسطول لم يستطع اللحاق بها ووجد عند فجر يوم السادس من يونيه أن مراكب مير مهنا قد عادت سالمة ورابطت بين جزيرة خارَج وخارجوه، في حين كان الاسطول البريطاني والايراني مبعثرين في مختلف الاتجاهات . وكان ابن الشيخ قد رجع مع مركبين الى بوشهر . ومن الواضح أنه فعل ذلك حتى يتداول مع والده وليرجع فشل القوات المتحالفةالى اهمال القائد البريطاني لنصائحه القيمة . وبذا أصبح القبطان برايس والمستر ناتر دون مساندة من مركب بوشهر الكبير الذي وضع بحرس بعيداً عن الاحداث . وقد حاول القيام بهجوم مباشر على قطع مير مهنا الا أن هذه أصلتهم ناراً حامية ثنت عليها بطاريات الساحل في خارَج بنفس الشدة . وعندها وجد المهاجمون أنفسهم مضطرين للتراجع والرسو بعد الظهر على مسافة من خارَج مرة أخرى، ثم تلا ذلك عدة أيام من الركود . وفي العاشر من يونيه تحطم مركب ايراني من نوع جلفاط واصبح لا ينتفع منه بسبب عاصفة من الشمال الشرقي . وفي الخامس عشر شوهدت ثلاث جلفاطات وبتيل واحد تابعة للمير مهنا تترك خارجوه

وقدر أنها ذاهبة لملاقاة ابن الشيخ الذي كان من المعتقد أنه على وشك الرجوع من بوشهر . وخلقت مدافع الدخان التي اطلقتها المدافع الهولندية من خارج في الليلة التالية اضطراباً شديداً، وكان الحاكم المنهير بكمان قد أمر باطلاقها كتكته عملية من ناحية ؛ ولاختبار مدى استعداد حاميته للطوارىء من ناحية اخرى . فلم يدركها المتحاربون .. وظهر في اليوم السادس عشر ان هناك اشتباكاً وشيك الوقوع بين اربعة مراكب تابعة للمير مهنا وثلاثة أخرى تابعة للشيخ ناصر إلا أن الأمر قد انقلب بظهور سفينة بريطانية كبيرة صدفة آتية من مدراس وقد توجهت رأساً نحو المتعاركين دون ان تعلم عن الحال التي كانوا عليها وبذا اعطتهم فرصة للانفكاك لم يكن أحدهم ليرضى عنها .

من ١٩ الى ٢١ يونيه

وفي ١٩ يونيه عاد ابن الشيخ والمراكب التي ذهبت معه . لبوشهر الى خارج . وقد سعى السيد جيرفس بجر الهولنديين ليشتركوا مع البريطانيين والايرانيين الا ان المنهير بكمان لم يكن راغباً في الاشتراك في هذا الموضوع ، وفي اليوم العشرين علم ان هناك قاربين للصيد لرعايا مير مهنا موجودين في خارج فأرسل ابن شيخ بوشهر رجالا لاحتجازهما. وقد تم ذلك دون صعوبة ، بعد أن قتل احد الصيادين فيهما . الا ان الهولنديين لم يسمحوا بنقل القاربين من الجزيرة ، وعندها أصر المهاجمون على اخذهما وفتحوا النيران من مدافعهم الثقيلة ، واستطاع احد بحارة بوشهر أن ينجح في حمل غنيمتهم بعيداً إلا أن الآخرين ولّوا ظهورهم للشاطىء . وعند نزولهم الى الارض تجمع حولهم وأحاط بهم الرعاع من عرب خارج بعد ان ملأهم منظر الصياد القتيل بالحنق ضدهم . وعلى أية حال فقد وضع بحارة الجلواط الهولندي حداً للشغب باطلاق بنادقهم دون تمييز على جميع المحتشدين وحجز المنهير بكمان رجال بوشهر عنده واحتفظ بهم في السجن لحين إعادة قارب الصيد الذي أخذ .

من ٢٢ الى ٢٨ يونيه

وفي الثاني والعشرين من يونيه اندفع القبطان برايس الذي كان قد فقد كل ثقة في قطع اسطول بوشهر، باتجاه ريق بكل الاسطول الذي معه . وكان هدفه احضار قوات من الجيش الايراني للنزول على جزيرة خارجو طبقاً لخطة كان اتفق عليها مع الامير كهنة خان، الا ان القائد الايراني أصبح يدعي عند ذلك انه لايستطيع عمل شي ما قبل يوم ٢٩ يونيه حين يكون الاحتفال بمحرم قد انتهى وبعدها يمكن الانتفاع بخمسه آلاف رجل . وهكذا عادت المراكب المتحالفة في اليوم التالي الى خارج . وكان مير مهنا عندئذ يدفع لرعاياه روبية عن كل طلقة مدفع يلتقطونها ويحضرونها له ، وينشر الاستحكامات الرملية من حوله ، لحماية شعبه من ضربات المدافع المتتابعة الآتية من البحر على غير نظام ، وكذلك لتغطية اعمال النجارين الذين كانوا يعملون في إصلاح مراكبه المحطمة ولمواجهة التهديد بانزال قوات على الجزيرة . وأمر في نفس الوقت بالاحتفال بذكرى استشهاد الحسين بكل الحماسة المعتادة بين الشيعة في هذه المناسبة .

من ٢٩ يونية حتى الأول من يوليه

ولم يحدث اي شيء أكثر من ذلك حتى ٢٩ يونيه عندما عاد للظهور بعد غياب استمر بضعة أيام ثلاث جلواطات وبتيل واحد من أسطول مير مهنا وهي تقود معها جلواطاً ساقته من المنطقة الواقعة بين بوشهر والبحرين وعليها كمية من اللؤلؤ والنقود . وكانت أخبار هذه الحادثة قد وصلت قبل ذلك بيومين بواسطة زوج من المراكب من نوع بتيل كانا مع الجلواط عندما هوجم ، إلا ان مراكب أسطول بوشهر الصغيرة والتي كانت في خارج بالرغم من كونها أقوى من سفن المير مهنا ، وبالرغم من مشاهدتها اياها عياناً فقد تخاذلت عن التعرض لها ، حتى مرت بالغنيمة بسلام الى شاطىء خارجوه الشمالي ، وفي الحال أمر القبطان برايس بالهجوم على جزيرة خارجوه وتقدم بنفسه مع السفينة « ترتار » وأكبر سفن بوشهر لمساعدة مراكبه الاصغر . وفي الوقت الذي كان فيه مركبه ومركب المستر ناتر مشتبكين مع مراكب العدو وقد تكبد كل منهما

بعض الخسائر ، كان البوشهريون يتجولون هنا وهناك قرب المعركة بلا مبالاة وكان القبطان برايس من البداية قد تكدر من سلوك حلفائه ومن تجاهلهم الدائم للاشارات السرية التي كان تفاهم معهم عليها ، كما أنهم كانوا يتحاشون حتى مظهر الخطر في حين اعتبر ابن الشيخ أنه ليس من مقامه أن يتلقى الاوامر من اوروبي . وكان سلوكهم في المناسبة الاخيرة هذه غير مرض الى حد كبير مما دعا المستر ناتر وبعض المدفعيين من الاوروبيين الذين كانوا قد توزعوا بين مراكب اسطول بوشهر الى الانسحاب في اليوم التالي حيث عاد قسم منهم الى ظهر السفينة «ترتار» وعاد البعض الآخر الى ظهر يخت صغير يخص دار المعتمدية البريطانية في البصرة وكان هذا اليخت قد قام بدور في العمليات الاخيرة .

من ٢ الى ١١ يوليه

أخذ العدو في ٢ يوليه مركباً صغيراً من مراكب اسطول بوشهر كما أن مركباً آخر طرح على الشاطىء وفقد . وفي ٩ يوليه توجه يخت المعتمدية الى البصرة برفقة « فورت وليم » وهي سفينة انجليزية كبيرة من البنغال كانت متجهة الى خارج . وفي ١٠ يوليه اقام اسطول مير مهنا على مرأى البصر من خارج بالاتصال اتصالا مباشراً مع أسطول سلمان شيخ كعب الذي كان مثله في حرب مع كريم خان، والذي انفجر النزاع بينه وبين البريطانيين أيضاً في حرب الايام القليلة الأخيرة . وفي ١١ يوليه أعلن القبطان برايس عن عزمه على الرجوع الى بوشهر ، وفي الليلة التالية قرر ابن الشيخ ، الذي لم يعد معه نقود او مؤن ، الانسحاب مهما كانت خاتمة العمليات . ويعزى الفشل في هذه الحملة كلياً الى السلوك الرعديد لمفرزة(١) بوشهر ، ويبدو على الرغم من ذلك أن كريم خان اعتبر البريطانيين هم الذين أساءوا التصرف في هذا الموضوع .

(١) كان هذا الرأى على الاقل هو رأى الرحالة نيبور الذى كان شاهد عيان منصف لجميع الاجراءات وكتب عنها أن مير مهنا « كان من المحتم ان يهزم كليا لو أن القبطان برايس والسيد ناتر لم يفرا بهذا الشكل الجبان أمام عرب بوشهر » .

العلاقات التي برزت نتيجة لأمور كعب مع كريم خان ١٧٦٦ - ١٧٦٧

وما كاد الامر يصل الى هذه الخاتمة السيئة حتى بدأت سلسلة جديدة من الحوادث كانت النزعة فيها لا تزال تسير نحو مدى أبعد من انخفاض الثقة ببريطانيا في عين الوكيل، وذلك في نفس الوقت الذي تعرضت فيه مصالحه ومصالحهم للصدام . وأكثر هذه الحوادث أهمية والتي وصفت بتفصيل أكثر في تاريخ عربستان ذلك الاغتصاب القرصاني الذي قامت به قبيلة كعب في يوليه سنة ١٧٦٥ على السفن « سالي » و « فورت وليم » وبخت المعتمدية الذي ذكر قبل قليل، وما أعقب ذلك من ارسال قوة حربية بريطانية من بومباي في بداية سنة ١٧٦٦ لتتعاون مع قوة تركية للحصول على تعويض من كعب ؛ ثم الهزيمة الحقيقية للحملة الانجو-تركية المشتركة التي كان نصيب بريطانيا فيها تكبد نكستين خطيرتين في مايو وسبتمبر سنة ١٧٦٦ على مقربة من دوراق او الفلاحية الحديثة . وفي هذه الأثناء كان مير مهنا قد طرد في الأول من يناير سنة ١٧٦٦ الهولنديين من خارج وأخذ منهم تلك الجزيرة لنفسه ، ولكنه بعد ان فعل ذلك ، وفي الوقت الذي كان فيه ما يزال في حرب مع شيخ بوشهر الذي وعد كريم خان في مارس سنة ١٧٦٦ بمزيد من المساعدة ، فانه لم يبد حقداً على البريطانيين ، ولم تضار شركة الهند الشرقية ، مع ان موظفيها في بوشهر كانوا يرغبون في صيف سنة ١٧٦٦ في تخصيص طراد لحمايتهم منه ، لكنهم لم يعانوا أية مضايقات مما كان بامكانه أن يثيرها . أما بالنسبة لكعب فانهم على الرغم من حملة كريم خان ضدهم في السنة التالية فان معتمدية البصرة كانت تعتبرهم من الرعايا الحكومة التركية ، لذلك فان الوكيل لم يستشر قبل البدء في عمليات ضدهم الا أن المعتمد المستر رينش ارسل له كتاباً لم يرد هو عليه يطلب منه فيه عدم تقديم ملجأ في ممتلكاته للفارين من كعب .. وقد بذل الأتراك جهدهم حول الموضوع وربما كان ذلك عندما وصلت القوات الحربية البريطانية في مارس سنة ١٧٦٦ لتأمين تعاون شيخ بوشهر ضد كعب . ولكن عندما

اشترط الشيخ تقديم البريطانيين المساعدة له مرة أخرى ضد مير مهنا ، ذلك الشرط الذي اعتبره ممثلو الشركة بموجب تعليمات من بومباي بأنه من المستحيل قبوله ، لم تجر أية ترتيبات بهذا الشأن ولا كان من المحتمل أن يقدم اسطول بوشهر أي خدمات ذات قيمة ضد كعب أكثر مما فعله ذلك الأسطول ضد مير مهنا .

ولم يبد كريم خان ، أثناء تقدم العمليات الانجلو-تركية في عربستان في صيف سنة ١٧٦٦ أية دلائل اهتمام . وبعد مدة وحتى أيام قلائل من وقوع النكسة البريطانية الثانية في ٢٣ سبتمبر استلمت كل من السلطات البريطانية والتركية رسائل منه يلح فيها على ضرورة الانسحاب المباشر للقوات الانجلو - تركية من بلاد كعب لأنهم من رعاياه . واعترف بأنه منح رئيسهم حكومة دورق إلا أنه في نفس الوقت وعد بأنه سيعمل على إيجاد ترضية كاملة عن جميع الاضرار التي تكبدها البريطانيون والاتراك على يد قبيلة كعب . وجاء في تقرير أن كريم خان كان حانقاً جداً على البريطانيين وخاصة لانهم لم يمكنوه من اخضاع مير مهنا حتى إنه لم يعد يسمح بذكر اسمهم في مجلسه . وفي أكتوبر أمر المعتمد القنصل المقيم في بوشهر بابلاغه أنه اذا كانت عنده أية وسيلة فليقل بأن البريطانيين مجرد قوة احتياطية للاتراك في الحرب مع كعب . وكان من الواضح ان المستر رينش واصدقاءه قد استعدوا ، في حالة استياء الوكيل، الى اتخاذ إجراء عملي في بوشهر، إما بارسال مراكب لحماية مصالح شركة الهند الشرقية هناك او حتى اذا لزم الامر بنقل المقيمية منها دفعة واحدة .

زيارة مبعوث ايراني للبصرة في مارس وابريل ١٧٦٧

ويحتمل ان موقف الوكيل نحو الشركة كان بالتأكيد على درجة من العداء الشديد تضارع ما قدره ممثلو الشركة في البصرة . ومع انه كان موقفاً يبتعد عن بذل أية محاولة لايذائهم فقد ارسل كريم خان مبعوثاً من عنده الى العراق التركي ممثلا في شخص أغاسي خان . وقام هذا الشخص في ١٣ مارس سنة ١٧٦٧ بابلاغ السادة ليستر وسكيب في

سراي الحكومة التركية في البصرة بأنه قدم ليلح في طلب تعويض البريطانيين عن الممتلكات التي نهبتها كعب ، فاذا فشل في ذلك كان على الوكيل ان يتخذ الاجراءات ضد كعب ويضع نفسه مسئولا عن الخسائر البريطانية ، شريطة أن يقدم له تقرير عن تلك الخسائر ، وان يرسل أحد مستخدمي الشركة الاوروبية لتوضيحها له في شيراز . وربما أمكن في هذه الحالة ازالة سوء التفاهم الآخر أيضاً . وقد رد عليه هذان دون تسلم أية تعليمات من بومباي تناسب هذا الوضع الذي نشأ بهذا الشكل ، بأن البريطانيين قد دخلوا الحرب ضد كعب كحلفاء للأتراك الذين وقعت الاعتداءات من قبل القبيلة في إقليمهم ، وان ذلك لا يتفق ومبادئهم ، ولكن اذا كان بالامكان الوصول الى ترضية نتيجة لتوسط الوكيل ، فانه يمكن اعتبار ذلك برهاناً على حبه للعدالة وتقديره للامة البريطانية . وسلما للمبعوث الايراني خطاباً ربما كان ينفس معنى الرسالة الشفوية عندما زار بناية المعتمدية البريطانية في ١٧ مارس . وبعد ذلك وفي ٢٣ مارس كان المبعوث الايراني قد قابل شيخ كعب الا أن اقتراحاته لتسوية الادعاءات البريطانية قد استقبلت بالازدراء . وفي ٨ ابريل غادر البصرة بعد ان قدم انذاراً نهائياً مكتوباً الى كعب الا أنه لم يكن مجدياً .

بعثة السيد سكيب الاولى لشيراز في ابريل — سبتمبر ١٧٦٧

استلم المعتمد في البصرة بعد وصول المبعوث الايراني اليها في المرة الاولى بثلاثة أيام كتاباً من حكومة بومباي تقول فيه بعد تقديرها الحذر للخطوات التي يجب اتباعها عقب فشل الحملة الانجلو—تركية ضد كعب إنها توصلت الى قرار يقضي بعدم تحمل البريطانيين للحرب دون حلفاء وأنه اذا بقيت كعب مصرة على عنادها ولم يكن هناك أمل في الوصول الى تسوية بمساعدة من الاتراك وحدهم فانه يجب عمل الترتيبات للحصول على تعاون الوكيل الايراني . ولقد كانت الرئاسة حذرة جداً من الرفض في حين كان مجلس المديرين يعتبر التحالف مع قوات وطنية من الخليج مسألة معوقة الا أنه لم يكن بإمكانهم استرجاع مكانتهم السياسية والتجارية في هذا الجزء بأية وسيلة غير ذلك ، إلا أنهم لم يكونوا راغبين في التورط

بأية عمليات ضد مير مهنا على الأخص لمصلحة كريم خان . واعتقدوا أنه حتى لو كان هناك اضطرار لذلك ، اذا أصر عليه الوكيل كأمر لا بد منه لصداقته ، فانه يجب ان يكون بأفضل شروط يمكن الحصول عليها . وكانت تعليماتهم للمعتمد في البصرة في اطار هذه الكلمات فأوصوا بارسال المستر جورج سكيب وهو من قنصلية البصرة فوراً الى شيراز للسير بالمفاوضات . واقترحت ما يلي في نفس الوقت كبنود يجب اشتراطها اذا ما قدم وعداً بالمساعدة ضد مير مهنا : ان يشمل امتياز السماح باقامة مقر بريطاني في بوشهر إعطاء الحرية للشركة ببناء قلعة او وكالة هناك او في أي مكان آخر في إيران مقيمة عليها ما ترغب فيه من مدافع ، وان يخصص للشركة مبلغ ٢٠,٠٠٠ الى ٢٥,٠٠٠ روبية سنوياً من جمارك بوشهر او من أي بند آخر من العائدات العامة لتفي بتكاليف احتفاظها بطراد في الخليج بشكل دائم ، وان تمنح لها أية جزيرة يمكن ان تختارها الشركة اذا رغبت في إنشــــاء مستعمرة عليها ، وأنه يجب القيام بترضية سخية عن الخسائر التي تكبدها البريطانيون من الغنيمة التي ربما أمكن الحصول عليها فيما بعد من كعب . أما مراكب هذه القبيلة فانها يجب في نفس الوقت إما أن تدمر او تسلم أو تجبر على تقديم تعهد واف بعدم استخدامها ضد البريطانيين مرة أخرى . كما أنه يجب أن تسلم نصف الغنمية التي تؤخذ من مير مهنا الى البريطانيين مهما كانت طبيعتها ، واخيراً في حالة تحقيق الحملة الانجلو-ايرانية المشتركة النجاح ضد خارج يجب ان يسمح للمير مهنا بالاحتفاظ بملكية خارج على ان يتعهد بعدم التخلي عنها لأية سلطة اوروبية أخرى عدا السلطات البريطانية . كل هذا بالاضافة الى وجوب الإصرار على ارجاع مدافع الميدان البريطانية مهما كانت الظروف وكانت تلك المدافع هي التي غنمتها كعب في الحرب . كذلك اصر على بذل المساعي للحصول على منافع تجارية في ايران وخاصة فيما يتعلق بتجارة حرير جيلان الخام . وطبقاً للاوامر التي ارسلت من بومباي اشترط عدم تقديم الطلب الى كريم خان حتى تنتهي آخر فرصة للمهلة التي منحها المعتمد لكعب ، ولكن السلطات البريطانية في البصرة اعتبرت أنه ليس من الضروري ان تؤدي اجراءات المبعوث الايراني

الى مثل ذلك، وانه من غير المناسب إجراء المزيد من المراسلات مع القبيلة.. وعندها قررت هذه السلطات أن تسير قدماً في العمل بموجب تعليمات منها دون تأخير .

تعليمات المعتمد الى المستر سكيب

كان معتمد البصرة الآن هو المستر هنري مور وكانت شخصيته غريبة ولكنها بالتأكيد ذات تأثير نافع على المفاوضات مع كريم خان . وكانت اولى الدلائل على غرابة أطواره قد ظهرت من الطريقة التي حوّر فيها المعتمد اوامر المقيمية عندما نقلها الى المستر سكيب ، وكان تدخل المستر مور يتسم دائماً بطابع الحرص على عدم التقيد بأوامر الحكومة حتى إنه كان يحرض المستر سكيب على أن لا يولي عنايته لها في مجموعها جانحاً الى وصفها بأنها غير مقيدة . وقد وضع أمامه بدلا منها عدداً من الاقتراحات من عنده كان اهم ما فيها وجوب الضغط على الوكيل للتعاون على « تدمير كعب واذا فشل في ذلك عليه ان يتخذ الترتيبات لعقد سلام دائم بين كعب من ناحية والاتراك والامير من ناحية أخرى » على أساس دفع تعويض كامل عن الخسائر الانجليزية والتركية مع دفع ١٠٠,٠٠٠ روبية لحساب مصاريف الحملة التي اعدتها الشركة والاعتراف بايرانيي البلاد بأنهم يتبعون كبعان ، مع أنها ليست تابعة للدورق ، كرعايا للسلطة التركية .

وباختصار فانه يبدو واضحاً ان السيد سكيب قد لقي حرية تصرف فعليه للوصول الى افضل شروط يستطيعها مع كريم خان فيما يتعلق بالتعويض وجميع المسائل الاخرى ، وان يراعي باهتمام يقل او يزيد حسب اختياره لوجهات نظر رؤسائه في بومباي . ويبدو ان السيد سكيب قد وجد نفسه مضطراً لمغادرة البصرة الى بوشهر في طريقه الى شيراز في منتصف ابريل سنة ١٧٦٧ آخذاً معه توصية من المبعوث الايراني وخطابات خصوصية لكريم خان من حاكم بومباي والمعتمد في البصرة وهدايا قيمتها ١٠,٠٠٠ روبية . وكانت قيمة ما سلم له حسب بيانات السفينتين « فورت وليم » و « سالي » تبلغ ٣٩٠,٩٣٠ روبية .

تجارة بوشهر وبعض المصاعب هناك

مما يجدر ذكره هنا أنه في أعقاب المشروع الذي انهمك فيه المستر جيرمش سنة ١٧٦٥ ضد مير مهنا حظر مجلس المديرين على المقيم في بوشهر في مايو سنة ١٧٦٦ الاتصال مع الوكيل أو حاكم ايران ، وبشكل موقت في شئون الحصول على مواقع جديدة أو امتيازات ، إلا بموجب تعليمات من المعتمد والقنصل في البصرة ، كما منع من انتداب أي شخص لتمثيله في بلاط كريم خان او في شيراز . وعلى أي حال فقد اشتكى المستر جيرمش قبل تسلمه تلك الاوامر للحكومة الايرانية على الشيخ ناصر شيخ بوشهر وطلب نقله . وقد تحقق ذلك بعد ان تولى المقيمية المستر بويير عندما حاول ابن الشيخ ناصر رفع إيجار بناية الوكالة في بوشهر الى ١,٠٠٠ روبية سنوياً في حين ان الشيخ استدعى سمسار المقيمية الى شيراز لمجرد مضايقة المقيم .

وقد واجهت التجارة البريطانية في بوشهر أشياء أكثر خطورة من هذه المتاعب ، وفي الحقيقة إنها وصلت الى حالة من التوقف بسبب الحظر الذي فرضته اوامر كريم خان على تصدير العملة من إيران . وهكذا كانت مسائل تتعلق ببوشهر والتجارة البريطانية تتطلب من المستر سكيب ان يحسم فيها فضلا عن تسوية قضية كعب .

مفاوضات السيد سكيب في شيراز والاتفاق الذي توصل اليه

ورغم ان السيد سكيب قد حضر الى شيراز بصفة رسمية وبرغبة الوكيل نفسه فانه عومل في بادىء الامر بعدم اكتراث. ولم يستطع الحصول على مقابلة مع كريم خان . وبدت الامور للمعتد في البصرة في بداية أغسطس وكأنها بلغت غاية تأزمها لدرجة أنه وجه اوامره للسيد سكيب بترك شيراز في نهاية ذلك الشهر . واصدر اوامره لمقيم بوشهر بأنه عندما يصل اليه السيد سكيب عليه ان ينتقل من هناك مع جميع ممتلكات الشركة الى البصرة ، وان يحجز عند مغادرته لها أكبر قدر ممكن من المراكب التي تعود للوكيل ولشيخ بوشهر ولشيخ البحرين .. وقد وصلت أنباء هذه القطيعة المدبرة مع الوكيل ، والتي لم يجد المستر موز مناسباً ان يطلب

المشورة فيها من حكومة بومباي إلاّ في سبتمبر حين أذهلهم لأن الوقت أصبح متأخراً جداً لاتخاذ أية خطوات لمنعها . وفي غضون ذلك تحولت الامور في شيراز الى منحىً ملائم تماماً وربما كان ذلك في أعقاب محاولة سسيد سكيبّ الجدية لترك المكان ، وهو أمر لم يكن كريم خان ليسمح به . وأخيراً ، وفي اواسط سبتمبر وافق الوكيل على دفع ٥٠٠,٠٠٠ روبية لشركة الهند الشرقية حالما تجهز هذه الحملة ضد مير مهنا . ووافق على إعطائها الحرية في مهاجمة كعب ، ولكن دون مساعدة من الاتراك ، وفي أي وقت ومكان تختاره . وعلى أي حال فانه لم يكن باستطاعته أن يعد بتسليم اسطول كعب للبريطانيين ، ووصف ذلك الامر بأنه في اعتباره خيانه لنفسه كحاكم للقبيلة . واكثر من ذلك فانه يجدها مهمة صعبة او يستحيل الوفاء بها . وكان المعتمد والقنصل في البصرة يعتبران هذه النقطة في غاية الاهمية ، مما جعلهما يرفضان قبول أي تعهد من مستر سكيب بأن يكون مسئولا في المستقبل عن سلوك كعب . وتبعاً لذلك ارسلا الى كريم خان جواباً مسايراً للظروف رافعين اقتراحاته الى حكومة بومباي . ويظهر ان المستر بيمور أصبح الآن حاقداً على كريم خان فهو يصفه بأنه « كثير التردد والتقلب مما يجعلني على أقل ثقة في وفائه بوعوده » ويظهر أن وجهه نظره في هذا الموضوع كانت ترتكز على أنه يجب على البريطانيين أن يتابعوا قتالهم ضد كعب بقوة رئيسية دون اللجوء الى معونة من أي حلفاء آخرين .

الحملة غير المصرح بها على هرمز وخسارة « ديفيانس » اكتوبر — نوفمبر ١٧٦٧

بعد اختتام المفاوضات مع كريم خان وإحالة اقتراحاته الى سلطة أعلى في الهند وجد المعتمد في البصرة والقنصل أنه يوجد تحت تصرفهما قوة بحرية موقتة لا بأس بها ولكنها غير مستخدمة . فاخترعا لها عملا عجيباً لم يكن لديهما تفويض للقيام به ، فرجعا الى قضية « اسلام أباد » سنة ١٧٦٥ وأخذا في تصيد تفاصيلها من ملفات المعتمدية ، والتقاط التعليمات التي اعطيت بشأنها من حكومة بومباي في وقت مبكر من سنة

١٧٦٦ والتي كانت تتعرض لعمليات استعادة قيمة حمولتها اذا ما تهيأت فرصة مواتية بعد معاقبة كعب ، والتي تقول أيضاً بأن هناك طلباً مزعوماً كان قدمه كريم خان للمستر سكيب في شيراز بأن على الشركة أن تتعهد بالزام عبدالله شيخ هزمر بالطاعة للحكومة الايرانية . وقد قرر المستر مور وزملاؤه العمل في خطة جيدة لكنها خطرة . وتقضي هذه الخطة بدعوة الشيخ عبدالله بحجة علاقته بقضية « اسلام أباد » بعد وقوع الواقعة لدفع ٤٠٠,٠٠٠ روبية كتعويض لمالكي المركب السيء الحظ وللاشخاص الذين كانت لهم شحنات عليه ودفع ١٠٠,٠٠٠ روبية عن الخسائر التي لحقت بشركة الهند الشرقية و ٤٠٠,٠٠٠ روبية كمكافأة لأفراد الحملة ، وأن يسلم الشيخ عبدالله سفينته للبريطانيين بوصفهم حلفاء لكريم خان وكذا جميع الجلواطات التي في حوزته ، وان يتخلى لصالح البريطانيين أو لاية جهة يسميها الوكيل عن الممتلكات الآيلة اليه عن أجداده وهي جزيرة هرمز .. وتقضي الخطة بأنه اذا كان هذا التدبير غير كاف في حد ذاته للاستيلاء على المراكب المطلوبة فانه يجب ان تطلب ترضية من شيخ شراك « لاخذه قاربنا المسلح في شهر مايو الماضي عندما كان في طريق عودته من مسقط ولفظاظته مع شعبنا ولإهانته لهم بقوله بأن الانجليز لا يساوون حذاءه » على ان تشمل هذه الترضية اعادة القارب وشحنته التي تبلغ قيمتها ١٠,٠٠٠ روبية وحجز جميع جلواطات الشيخ بل والقاء القبض عليه وان يسلم كسجين الى كريم خان . كما يجب ان يحاسب شيخ قيس على مشاركته في العمل ضد « اسلام أباد » واخيراً ليس آخراً أمر الربان برايس « بأن يأخذ ويحرق ويغرق ويدمر كل جلواطة محاربة قد يقابلها خلال حملته عدا ما يعود منها للمير مهنا » . وعين السيد ليستر وبوير كمديرين مشتركين في الحملة . وقد اعطيت تفاصيل العمل للطراد « دفيانس » والمركب القاذف للقنابل « سلامندر » والجلواط « وولف » . ولقد كانت هذه العملية كارثة مريعة اسفرت عن أخطر كارثة حلت بعملية بريطانية في الخليج ، وختمت هذه المجازفة التي أسيء الحكم عليها بنهاية مفاجئة شرحت ظروفها بالتفصيل في الفقرات التالية المقتبسة من المفكرة اليومية لمعتمدية البصرة : —

ملخص المفكرة اليومية للملازم جيج بخصوص تفجر السفينة « دفيانس » .

وصل القارب المسلح قاذف القنابل « سلامندر » بقيادة الملازم جيج الذي حمل لنا النبأ الفاجع عن ضياع السفينة الحربية « دفيانس » التي يقودها القائد البحري برايس ، فقد انفجرت هذه السفينة في حملتها على هرمز تجاه جزيرة قشم . وحيث ان التفاصيل عن ذلك مثبتة في مذكرات جيج فنحن نوردها كما يلي :—

السبت ١٤ الشهر نسمات بهجة تهب من البر والبحر . لاحظت في الساعة الرابعة بعد الظهر ان الربان غير اتجاه السفينة معتزماً السير بين جزيرة قشم واليابسة فغيرت الاتجاه تبعاً لها . وفي الساعة ٨ مساء ألقت السفينة « دفيانس » مراسيها على عمق ٤ قامات تنقص ربع قامة . وعند ضوء النهار كان أقصى الطرف الجنوبي لقشم يقع شرق شمال الشرقي عن السفينة وهي تبعد عن الشاطيء بحوالي ٤ فراسخ .

الاحد ١٥ الشهر : في الساعة الواحدة بعد الظهر أقلعت «دفيانس» يصحبها يخت وقارب متجهة إلى شرق الشمال الشرقي حتى الساعة ٩ بعد الظهر ثم القت « دفيانس » مراسيها وفي الساعة ١١ بعد الظهر أقلع الاسطول والرياح شمالية شرقية . وفي الساعة الواحدة والربع صباحاً القت مراسيها بغتة ، وامرني الربان في نفس الوقت بالوقوف ما دام البحر سارياً . وفي الثانية والنصف صباحاً لاحظت شيئاً على الشاطيء المواجه لنا حسبته قارباً كبيراً تحت شراع وأطلقت عليه طلقة لحمله على الاطلاق وبعد ذلك بقليل سمع دوي كبير على ظهرها وفي الساعة الثالثة أطلقت ثلاث طلقات أخرى عليه واكتشفت أنه سفينة كبيرة راسية أطلقت علينا عدة بنادق من أعاليها ومررنا على بعد مرمى طلقة البندقية ورسونا الى الشرق منها على مرمى قذيفة المدفع ، عملت إشارة الى الربان أخبره أننا نرى سفينة عربية وارسل في الحال الملازم كير الى الربان ليخبره بأننا نرسو بجانب سفينة غريبة . كانت « دفيانس » في هذا الوقت راسية وتبعد عنا مسافة اربعة أميال تقريباً . أخبر الملازم كير الربان بأننا نرسو عند

السفينة ، وأقلع الربان متوجهاً نحونا وكنا نشعل أحياناً أضواء زرقاء حتى تعرف الربان بموقعنا . كانت هناك ريح قليلة وكان جزر البحر معاكساً له ولذا لم يستطع أن يقترب منا . وبعد ظهور ضوء النهار بقليل رست « دفيانس » ، على مسافة ميل من السفينة وعلى بعد ميل ونصف منا . وجد مع السفينة ثلاث جلواطات واربع سفن صغيره مسلحة وعاد الملازم كير في الساعة السابعة واخبرني ان الربان ينوي مهاجمة السفينة والصعود عليها حالما يكون ذلك ممكناً ، وأن علينا بسبب ذلك ان نجعل قواربنا مجهزة بالجند والسلاح انتظاراً لاشارة منه للعمل ، وفي أثناء كل هذا الوقت كانت السفينة والجلواطات تقوم بالاستعدادات . وفي الساعة الثامنة صباحاً كان اللنش مع قوارب الربان واقفة بجانبه متأهبة لاخذ الوضع الحربي للصعود الى ظهر السفينة . وفي الساعة الثامنة شوهد دخان يتصاعد من «دفيانس» حسبناه دخان مدافع أطلقت منها ، ولكن دهشنا جداً عندما رأيناها تنسف في أقل من دقيقتين. وكنا عند ذلك على بعد ميل ونصف منها ولم نستطع ان نلاحظ أي رجال أحياء على الحطام. والحقيقة ان الانفجار كان عظيماً لدرجة أننا لم نستطع أن نفكر بأنه من الممكن ان ينجو منه أي رجل . وحالما رأى العدو ذلك جهز سفينته وجلواطاته بعدد من الرجال لم يروا من قبل مما منعنا من الاندفاع باتجاه الحطام . وحتى لو أقلعنا فاننا كنا سنسقط عن ظهر السفينة لقوة جزر البحر وعدم وجود ريح . وفي الساعة التاسعة شاهدت ترنكات العدو تسير ، واعتقدت انها تتجه نحو الترنكي الذي نحن فيه والذي عليه ٤٠ من الجنود الهنود ، ولذا أقلعنا به الآن واخذ وضعه مرة أخرى . وما لبثنا ان رأينا ترنكيات العدو بجانب الحطام يخرجون منه ما يستطيعون اخراجه ، وفي الساعة الحادية عشرة مساءً عادت تر نكيات العدو من الحطام ذاهبة الى الشاطىء وبعدها بقليل عاد مد البحر وأخذنا نفكر بأنه من غير العملي لنا أن نتظاهر بمشاغلة العدو اذ كان عندهم الكثير من المراكب وعدد ضخم من الرجال . كان صعباً علينا بذل الجهد لمحاولة السير عن طريق جمبرون لنلحق بالجلواطة « وولف » التي كانت انفصلت عن مرافقتنا في ١٢ من الشهر الحالي ثم

التقدم الى قشم طلباً للماء اذ أنه لم يفكن بقي لدينا سوى خزان ماء واحد على ظهر المركب، ثم نحاول بعد ذلك جهدنا لاخذ طريقنا الى الصرة او بوشهر حسب ما يبقى معنا من ماء .

الاثنين ١٦ الشهر : رأينا بعض الاوروبيين على الشاطىء لذا أرسلنا قاربنا ليتعرف على هؤلاء وكنا عند ذاك الى الشرق من العدو وعلى بعد ميل ونصف. وما لبث القارب ان عاد ومعه عشرة منالبحارة الاوروبيين وجندي واحد وعشرة من البحارة الهنود وثمانية من الجنود الهنود ، وضابطان هنديان واثنان من خدم المستر بويير وخادم للربان ، ونجار أسود . وقد أخبرونا أنهم نجوا لانهم كانوا في الجزء الامامي من السفينة وقالوا بأن السفينة قد نسفت بسبب اهمال المدفعي ووكيل المخزن الذي سقطت منه شمعة مضاءة على عرق منسكب فاشتعل .

وكان الخمسة والثلاثون رجلا المذكورون هم جميع من نجا من ٣٠٠ أو أكثر اذ كان عليها ٨٦ من الاوروبيين . اما البقية فكانوا من الجنود والبحارة الهنود . ومن بين الذين لاقوا مصرعهم المؤسف في هذا الحادث السادة :

القبطان فونتين برايس

المديران المشتركان في حملة هرمز	دموك ليستر وليم بويير
عسكريون	الرئيس ليتون ليزلي الملازم روبنز الملازم ميلنبيرغ
رئيس بحري	ريتشارد واتكينز ج. داولنج واتكينز
جراح	ميكائيل كمينجز
مترجم بوشهر	ستيفن هرمت

وعلى ما يظهر فلقد كان مسرح الحادث بالقرب من لافت على الطرف الشرقي من مضيق كلارنس ولكن دلائل الموقع بعيدة عن الوضوح .

وعندما علمت حكومة بومباي بحادث «دفيانس» ارسلت في الحال الفرقاطة « رفينج » (١) أكبر مركب مسلح لشركة الهند الشرقية ويحمل ٢٨ مدفعاً لتحل محلها . ولكنها عبرت في نفس الوقت عن دهشتها لما حدث . اذ أنه مخالف لتأكيد سابق تعهدت به المعتمدية بأن تبقى السفينة الثابتة في مكانها تماماً حتى تتسلم اوامر من بومباي حول اقتراحات كريم خان . وكان هناك ظرف آخر مؤسف في هذه القضية وهو ان كريم خان الذي نفذت الحملة باسمه لما علم بواقع الحال احتج عليها وعبر عن استيائه منها ، في حين ان المستر سكيب كتب في اول ابريل سنة ١٧٦٨ ما يلي : « أما بالنسبة للشيخ عبدالله فان الوكيل منذ وصولي لاول مرة وحتى الآن لم يطلب مساعدتنا ضده او ان يكون قد ذكر اسمه أمامي » وقد شجب مجلس المديرين في لندن حتى قبل ان يعلم بفقد « دفيانس » الهجوم المقترح على هرمز لعدة أسباب . وكانت ملاحظات المجلس التي تضمنها كتابة المؤرخ بتاريخ ٢ ابريل سنة ١٧٦٨ والموجهة الى المستر مور ومساعديه ملاحظات تهكمية جاء فيها قولهم . « وباختصار ، فانكم اذا كنتم قد اجتمعتم لاختراع طريقة لارباك أمورنا فاننا نشك ان تكون هناك خطة لتحقيق ذلك أسوأ من الاجراءات التي اعددتموها » .

القسم الاول من بعثة السيد سكيب الثانية الى شيراز فبراير — ابريل ١٧٦٨ :

في نوفمبر سنة ١٧٦٧ جاء في رد حكومة بومباي على فرصة الاتصال الاولى مع البصرة بخصوص التسوية المقترحة مع كريم خان بأنها تأسف لان المعتمد لم ير من المناسب قبول العرض الذي قدمه الوكيل على مسئوليته الخاصة ، وامرته اذا كان العرض بخصوص الموضوع ما يزال

(١) فقدت رفينج في عاصفة سنة ١٧٨٢ على مسافة من بومباى .

مفتوحاً بأن يقبله في الحال، وعليه في هذه الحالة أن يرسل السيد سكيب ثانية الى شيراز « بأقصى سرعة » لعقد اتفاقية منظمة حول الموضوع ، وان ينقل في نفس الوقت خطاباً من حكومة بومباي الى الوكيل مباشرة عن طريق المقيم في بوشهر . واذا غير الوكيل رأيه فعلى المعتمد ان يتخذ أية خطوات تبدو له مناسبة للبت في الامر على أساس مفصل لا ينطوي على حرب مع الوكيل ، او تكوين تحالف ضده مع مير مهنا او أي شخص آخر ، وهكذا يجب تنظيم اتفاقية مع كريم خان تحدد فيها كمية الاصواف التي يشتريها الوكيل من شركة الهند الشرقية كل سنة ، والسعر الذي ترغب الشركة في دفعه لها ، ويجب ان يذكر فيها بشكل مشابه قيمة حرير جيلان الخام وصوف كرمان والنحاس الذي تقبله أية عروض يتقدم بها كريم خان بخصوص خارج .

٧ فبراير ١٧٦٨ :

من الواضح ان السيد سكيب لم يغادر البصرة الى شيراز قبل السابع من فبراير سنة ١٧٦٨ أو بعدها . وفي غضون ذلك ورد احتجاج جديد من حكومة بومباي ضد اقتراحات السيد مور بالاشتراك مع مير مهنا ضد كريم خان . وفيما يتعلق بالاخير فانها لاحظت ما يأتي : « اننا لا نذكر له أي موقف مسبب لنا بالضرر ، ولا نستطيع اختيار الفكرة التي تسيطر عليكم في أن له سلوكاً متقلباً . وان تمسكه الشديد بوعده الذي قطعه لكعب ورفضه المطلق للهدية التي حملها له السيد سكيب الى ان تسوى الامور ، وتصرفاته في المواقف الاخرى المذكورة في الاجزاء المختلفة من نصائحكم لنا ، كل ذلك يجعله يبدو في نظرنا على ضوء مختلف جداً » وأضافت الرسالة الموجهة الى المقيمية بأنه اذا ما استولي على خارج فيجب على قوات الشركة مسحها واحتلالها الى ان يكون بالإمكان الحصول على اوامر من مجلس المديرين ، وعدم اتخاذ أي عمل عنيف ضد كعب دون موافقة الوكيل ، ويمكن اعطاء تعهد في أن يحتفظ بسفينة حراسة بريطانية في الخليج شريطة أن يكون عند الوكيل الرغبة في دفع نفقات صيانتها المقدرة بـ ٦٫٤٤٠ روبية سنوياً لمركب من الدرجة الاولى و

٤٠,٠٩٩ روبية لمركب من الدرجة الثانية كما يجب ان ينص في أية معاهدة يتوصل اليها دون الاشارة المباشرة لأية أمة اوروبية أخرى أن لشركة الهند الشرقية البريطانية الحق المطلق في التجارة في الاراضي التابعة للوكيل .

وفي الوقت الذي غادر فيه المستر سكيب متوجهاً الى شيراز كانت ما تزال هناك عوائق للتجارة البريطانية في بوشهر فرضها كريم خان ملمحاً الى انه لا يمكن ازالتها دون مفاوضات .

١٤ ابريل ١٧٦٨ :

كان في هذه المناسبة تأخير أقل من جانب كريم خان في الوصول الى اتفاق مع المستر سكيب ، وفي ١٤ ابريل سنة ١٧٦٨ نجح الممثل البريطاني في الحصول على اتفاق موقع منه جاء فيه ان الوكيل يتعهد في حالة أخذ جزيرة خارَج والقبض على مير مهنا او قتله او كسر شوكته بواسطة البريطانيين بأن يسترد من « الشيخ المحترم سلمان شيخ كعب » ١٥,٠٠٠ تومان كتعويض عن الخسائر البريطانية وان يعطي نصف البضائع وجميع اسلحة ومراكب مير مهنا للبريطانيين وأن يتخلى لهم وللابد عن كامل ملك وسلطة جزيرة خارَج وتعهد الوكيل للبريطانيين بأن يعتبر نفسه مسئولا من الناحية المالية عن جميع الغارات التي قد ترتكب من الآن فصاعداً ضدهم من قبل كعب سواء كان ذلك في البحر او البر . وقد وعد بالاضافة الى ما جاء في الاتفاقية بأن تعاد إلى الاسطول البريطاني مدافع الميدان التي أخذتها كعب عندما تحتشد قواته امام خارَج ، وأن يعطي الاوامر بالافراج المباشر عن جميع المساجين الذين عند كعب ، وان يصدر انذاراً صارماً الى القبيلة بخصوص سلوكها مستقبلا تجاه البريطانيين والاتراك . أما بخصوص ازالة العوائق أمام التجارة البريطانية في ايران فقد ارجىء البت فيها على أية حال بحجة ان للوكيل عدداً من النقاط يريد تسويتها مع شيخ بوشهر قبل فتح الطريق من ذلك المكان الى شيراز ، وهي طريق كان الوكيل قد اغلقها ولكنه وعد عموماً بأنه حالما تعطى شركة الهند الشرقية برهاناً على كونها مهتمة بمسألة خارَج ، وتبدد

الشكوك التي يخشاها كريم خان صراحة ، فسيكون لتجارتها طريق في جميع أنحاء البلاد . وكان الوكيل في لحظة من اللحظات أثناء المفاوضات يظهر ميلا لقبول خدمات شيخي بوشهر وهرمز ضد مير مهنا مفضلا اياها عن تلك التي سيقدمها البريطانيون ، وبعد قليل من التردد قرر استبعاد عروضهم . وقبل ان يغادر المستر سكيب شيراز قبل الوكيل منه هدايا شركة الهند الشرقية وكان له مع حاملها في نفس الوقت مقابلة ودية جداً .

الهجوم البريطاني الفاشل على خارّج في مايو ١٧٦٨

اتخذت الخطوات دون أي تأخير لتنفيذ ما يتعلق بالبند الخاص باخضاع خارّج ، وجلبت قوة بريطانية لا بأس بها الى الخليج مع ضابط البحرية الكبير الذي كان في هذا الوقت هو القائد البحري الفينستون بينما كانت القوات الحربية تحت امرة الرئيس نلسون الا أن سلوك هذين القائدين كان في منتهى الارتباك بحيث ان العمليات انتهت الى فشل محزن .. ويظهر ان هذه النتيجة حققت شكوك كريم خان في ان البريطانيين غير راغبين أو ليس في مقدورهم تنفيذ ما كانوا قد تعهدوا به.

١٩ و ٢٠ مايو

وعقد في ١٩ مايو سنة ١٧٦٨ مجلس حرب على ظهر الاسطول البريطاني أمام خارّج تقرر فيه عمل ثغرة في اليوم التالي في ستار القلعة ، وإنزال مجموعات لاقتحامها . وعلى أية حال فقد هبت في ٢٠ الشهر ريح معاكسة مما منع السفن من الرسو على مقربة من الشاطيء كما كان معتزماً من قبل ، وبعد قذف القلعة بالقنابل لمدة ثلاث ساعات لم تحدث بها اي ضرر ، وثبت الجنود على مدافعهم ثباتاً لم يكن متوقعاً . وقد اشتعلت النيران في الغراب « بومباي » في جانبه الايمن ، وهو ثاني أكبر المراكب البحرية لشركة الهند الشرقية . وتوقف الهجوم بعد أن أصيب في هذه المعركة المركبان « رفنج » و « بومباي » باصابات جسيمة في سواريهما ونظام قلوعهما وتلقيا عدة إصابات في غلافهما الخارجي واصيب في

المركب « رفنج » « ثلاثة رجال في ارجلهم » وأصيب في « بومباي » عشرة رجال بجراح كانت إصابات بعضهم قاتلة . أما السكونه « دلفين » فقد قتل عليها رجل واحد . وقيل إن مدافع مير مهنا كانت أثقل من تلك التي في الاسطول والتي كانت من عيار ٦ و ٩ أرطال فقط . وفي نفس المساء عقد مجلس حرب ثان تقرر فيه وقف العمليات الأخرى الى أن تعرف نوايا كريم خان الحقيقية بشأن إرسال المساعدات العسكرية ، لانه لو أمكن الحصول على تعزيزات عسكرية فان احتمالات النجاح كانت ستزداد كثيراً ولكن الهجوم سيتأخر استئنافه على أي حال . وفي غضون ذلك كان على « بومباي » أن تحمل المرضى والجرحى إلى بوشهر « حالما يعتقد الجراح بأنه يمكن أن ينقل هؤلاء الناس المبتورين بسلام » وأنه يجب إقامة مستشفى على الشاطىء هناك تحت اشراف السيد ج. بيرتش .

٢٩ مايو

وفي ٢٩ مايو لم تكن وصلت أية مساعدة بعد من الوكيل ، واستؤنفت العمليات النشطة مرة أخرى ، وتقدمت بين الساعة ٣ والساعة ٤ بعد الظهر قوارب الاسطول المزودة بالجنود والسلاح نحو الشاطىء بقيادة الملازمين وتون شيريف وسكوت بلاير لحجز وحرق ثلاث جلواطات من جلواطات مير مهنا ولكنها جنحت على الارض على مقربة من الشاطىء ، وعندما شوهدت الجلواطات ترتفع مع الماء سالمة عادت القوارب الى السفن دون القيام بالمحاولة . وحدث بعدها بساعات قليلة لجماعة ينتمون لسفن وولف ، وايجل وسفينة للتخزين كانت ترسو امام خارجو منذ ٢٧ الشهر لتتزود بالماء ، ان باغتهم في تلك الجزيرة ٤٠ أو ٥٠ رجلا من رجال مير مهنا وتصرفوا معهم بقسوة شديدة . ومع ان الجزيرة كانت مضاءة منذ اليوم السابق إلا أن المهاجمين كانوا قد جاءوا اليها من خارج أثناء الليل وخبأوا أنفسهم في خنادق من الرمل . وكان قسم المياه هذا يتكون من ٤ من البحارة الاوروبيين غطوا بحراسة ٥٠ جندياً من الهنود تحت امرة صبحدار(١) ولكن معظم هؤلاء رموا أسلحتهم عندما هوجموا

(١) ضابط رئيسى من الاهالى على جماعة من الجنود الهنود الذين كانوا يعملون في شركة الهند الشرقية (المترجم) .

واندفعوا في البحر في حين قُطّع الذين كانوا منهم على الأرض إرباً . ويبدو أن نوعاً من الفزع قد استولى على جميع الحملة ولذا بقيت المفارز العسكرية في القوارب ولم تنزل الى الأرض . ومن الواضح ان جثث الموتى بقيت حيث سقط اصحابها على الشاطىء وسمح للعدو الذي كان في خارجو بالهرب في قوارب صغيرة دون مضايقة متجهاً الى خارّج ، وكان مجموع الخسائر التي تكبدها البريطانيون في هذا الحادث ٣٠ شخصاً وهم ٤ من البحارة الاوروبيين ، ١٧ جندياً هندياً ، وبحاران هنديان ، وطباخ هندي وجميعهم قتلى ، هذا بالاضافة الى ٥ جنود هنود جرحى وبحار اوروبي مفقود . وقد صرف المشرفون على الخطة النظر عنها في مجموعها على أساس « أنه ليس لدينا بأية وسيلة من الوسائل العدد الكافي للنزول على اليابسة بأنفسنا وخاصة ان الحر قد حل الآن » .

واعلنت حكومة بومباي في وقت تأخر حتى اوائل ابريل سنة ١٧٦٩ عن عزمها على فتح تحقيق في أسباب ذلك الفشل الذي حدث الا أنه لم يظهر ان ذلك قد تم . او حتى اذا كان تم فماذا كانت نتيجته ؟ وقد عبرت الرسالة المورخة في ٢ مارس سنة ١٧٦٨ عن وجهة نظر مجلس المديرين والتي كانت بنفس المعنى المذكور أعلاه . وربما كانت هذه الرسالة وصلت الى المعتمد والقنصل في البصرة في وقت أبكر ، ولكن ليس بعد طويل وقت من وقوع الفشل نفسه . وقد استنكر المجلس كامل اجراءات مستخدمي الشركة مع أنه كان حتى ذلك الوقت على معرفة بها وخاصة تساهلهم مع سلوك كريم خان في مسألة التجارة . وقد انتقد المجلس المعتمد والقنصل في البصرة لانهما لم يعملا على الغاء مقيمية بوشهر ، تلك الخطوة التي لو تمت لأعادت الوكيل الى صوابه ، وخلّصت الشركة على الاقل من الاعتماد على رضاه في شئون كعب والشئون الاخرى ، كما أنهم انتقدوا وشجبوا فكرة الهجوم على مير مهنا الا اذا كان هو البادىء في الهجوم وكذلك فكرة اقامة مقر للشركة في جزيرة خارّج سواء أكان ذلك بموافقته ام دون ذلك .

القسم الثاني من بعثة المستر سكيب الثانية لشيراز مايو–سبتمبر ١٧٦٨

استمرت المفاوضات مع كريم خان بواسطة المستر سكيب الذي بقي في شيراز لمدة شهرين او ثلاثة أشهر بعد فشل الهجوم على خارج إلا أنها أصبحت عندئذ لا طائل منها ، ولا توجد أية فرصة لنجاحها ، ليس فقط لاصرار المستر مور على « كراهيته غير العادله » لكريم خان ، واعلانه عن تفضيله للتحالف مع مير مهنا ولكنه كان ينطوي أيضاً على استياء شخصي غريب وكراهية .. للمستر سكيب » وقد وضعت تلك الجالة حداً لفعالية العمل وانسجامه . وفي السادس من سبتمبر توصل المعتمد والقنصل في البصرة الى قرار « أنه لن تكون لهما من بعد أية علاقات مع ذلك الرجل بسبب معاملاته الغادرة والمؤذية لنا » . وارسلا الى المستر سكيب اوامر بالغاء جميع ارتباطاته والرجوع الى شيراز . ورفضا اعادة النظر في هذا القرار رغم ما أعقبه من تسلم مقترحات ارسلها الوكيل قبل نهاية أغسطس ، ورغم قيامه بارسال قوة الى جنافه مقابل خارج معتبرين هذه التصرفات مجرد تغطية فقط . وعندما وصل المستر سكيب للبصرة في اكتوبر سنة ١٧٦٨ اوقفه اعداوه هناك بتهمة خيانة الأمانة والاخلال بالاوامر التجارية ، كما هو مفصل في مكان آخر ، ولذا وجد نفسه مضطراً للذهاب الى بومباي للدفاع عن سلوكه .

العلاقات غير المستقرة مع الوكيل ١٧٦٨

كان لفشل ممثلي الشركة في الوصول الى تفاهم مع كريم خان رد فعل غير مرضٍ في غير مجال واحد على اوضاع شركة الهند الشرقية في الخليج . ففي ١٧ أغسطس سنة ١٧٦٨ عندما كان المستر سكيب ما يزال في شيراز قام مير مهنا بمخاطرة ليعبر عن غضبه من الهجوم البريطاني الأخير على خارج واستولى على السنو البريطاني « سبيدويل » وهو في البحر خارج بوشهر . وفي اكتوبر بعد استدعاء البعثة اعتقد المعتمد والقنصل في البصرة أنه من الضروري الاحتياط في حالة قطع العلاقات مع الوكيل بتقليل المجازفة في قيمة مخزون الشركة في بوشهر إلى ٥,٠٠٠ روبية ، وحذرا في نفس الوقت المراكب المتجهة من مسقط الى

أعالي الخليج من الاخطار واصدرا اوامرهما للاسطول الذي تحت تصرفهما بالتجول باستمرار في قطاعين بين البصرة وبردستان لمنع وقوع المزيد من اعمال القرصنة من قبل مير مهنا . وكان هذا الاسطول سيء التكوين سواء من ناحية الرجال او الذخائر . وقد اعتبرت المراكب الاصغر المدخرة لوقت الحاجة الوسيلة الوحيدة لتزويد المراكب الاكبر منها بالمهمات المناسبة ، مما كان يشكل خطراً عليها .. وقبل أيام قليلة من وصول الجيش الايراني الى جنافه كان القسم الأكبر من القوة قد عاد الى الهند بمقتضى اوامر صادرة عن السلطات في البصرة .

الحصار البريطاني على خارَج ١٧٦٩

لم يحدث أي حادث خطير يعكر صفو الحالة الراهنة حتى بعد طرد مير مهنا من خارَج بواسطة رعاياه في ٢٦ يناير سنة ١٧٦٩ . وقد أتاح هذا الحادث لموظفي الشركة في الخليج فرصة جديدة للوقوع في سوء تقدير . ويبدو ان المستر مور ومعاونيه قد ظنوا ان مير مهنا قد كدس ثروة واسعة في خارَج ، وانهم بحصار الجزيرة ومنع نقل الغنيمة الى الساحل الايراني يمكن ان يحصلوا على تعويض عن الخسائر الاخيرة من خليفة مير مهنا أو ربما من كريم خان الذي كان يحتمل ان تسقط خارَج تحت سلطانه ، في حالة عدم تدخلهم. إلا أن الامور لم تجر حسب ما توقعوه ، وقد قوبل الامر الذي أصدروه الى زعيم خارَج الجديد بوجوب هدم تحصيناته وتسليم مدفعه الكبير بالرفض . وحوالي بداية ابريل اقتنعوا أخيراً باستحالة فرض حصار فعال على خارَج ، وساورهم القلق من الاشاعات عن احتمال مواجهتهم لاسطول بوشهر وكعب عند حنفيه بأمر من كريم خان ولذا نقلوا مراكبهم بعيداً ، وارسلوا في نفس الوقت بأوامر متناقضة الى قائد البحرية « لا تتصرف تصرفاً هجومياً ضد الخان او كعب أو المير الا إذا واتت فرصة تعتقدون فيها بامكانية الاستيلاء على او تدمير جلواطات كل منهم او على الاخص تلك التي تعود للقوتين الاخيرتين واذا وجدت نفسك قادراً على ذلك فحاول بكل الوسائل » .

سحب مقيمية بوشهر ١٧٦٩

وكان العمل الذي قام به المعتمد والقنصل في خارَج قد افزع مقيم بوشهر المستر جي. مورلي الذي يظهر أنه كان لديه تلميح عن مقاصدهما قبل التنفيذ ، والذي كان قد تنبأ بقطع العلاقات مع كريم خان كعاقبة محتملة ، فزعاً جعله في اوائل فبراير يتخذ الخطوات اللازمة لسحب المقيمية من بوشهر على مسئوليته الخاصة . وبعدها ، وعلى الرغم من بعض المعارضة المبدئية من جانب الشيخ المحلي الذي تلقى اوامر من زكي خان تأمر القوة الايرانية التي ارسلت الى جنافه بمنع البريطانيين من الذهاب ، وعلى الرغم من الحاجة الى ترحيل حوالي ١٠٠ شخص بعضهم مرضى في المستشفى ، فان عملية الانسحاب تمت بنجاح . ولم يكن الوكيل بقادر على منع هذه الحركة ولذا فقد تلطف وامر بارسال بعض حاجيات المقيم وخيول شركة الهند الشرقية التي تركت هناك .

أوامر حكومة بومباي ومجلس المديرين ١٧٦٩

لقد شجبت حكومة بومباي بشدة مسلك المعتمد ومجلس المديرين والمقيم السياسي حيال هذه الامور . وارسلت في نيسان سنة ١٧٦٩ تعليمات الى المعتمد والمجلس بالبصرة لمساعدة زكي خان في احتلال خارَج بأحسن شروط يتمكنون من أخذ موافقته عليها ان لم يكن الامر متأخراً . أما اذا تعذر ذلك فيجب عليهم التفاهم مع سكان الجزر « خارَج وما جاورها » . وعلى اية حال فيجب ان يحاولوا بكل وسيلة الحليولة دون استعادة مير مهنا للجزر . ولا يعرف ان كانت تلك التعليمات قد نفذت ام لاً . أما مجلس المديرين في لندن فقد كان المعتمد والمجلس في البصرة قد تمكنوا من كسب ثقتهم ، ولذلك جاء في جزء من مراسلاتهم الرسمية انهم يعتقدون بأن الاضطرابات في الخليج تُعزى كلية الى « انخداعهم بالثقة التي اوحاها اليهم المستر سكيب في كريم خان » ولذلك فقد حثوا على ضرورة اخلاء الموقع غير عالمين بما كان قد جرى في بوشهر .

مجهودات حكومة بومباي لاعادة تأسيس مقيمية بوشهر ١٧٦٩-٧٠

استنكرت سلطات بومباي ملاحظات مجلس المديرين في الموضوع وسياسة المجلس بالانسحاب من ايران . ولم تتقاعس تلك السلطات في أن تنتهز فرصة طلب قدمه مجلس المديرين نفسه للحصول على حرير جيلان وهو ما يتيسر بسهولة في بوشهر ، لطرح موضوع اعادة افتتاح المقيمية في بوشهر . كما أنه ساءهم أيضاً اصرار المعتمد والمجلس على تركيز تجارة الشركة الخليجية بالكامل في البصرة .

وكانت خطوتهم الاولى هي تعيين لجنة مؤلفة من ثلاثة أشخاص ، هم السادة رينش وجيرفس ومارتن (وكان الاولان قد خدما في الخليج) لتقرر فيما اذا كان لا يتحتم نقل معتمدية البصرة الى بوشهر ، وتخفيض المؤسسة التي في البصرة الى مرتبة مقيمية . وبعد ان تشاورت اللجنة مع السادة مورلي وسكيب عادت الى بوشهر . وكان تقريرها الذي وضع في ٣ نوفمبر سنة ١٧٦٩ يحبذ إقامة وكالة محصنة في بوشهر ، ووجهة نظرهم في ذلك أنها يمكن أن تؤدي الحماية للمقر الموجود في البصرة وخاصة ان لهذا المكان منافع أكثر لإجراء تبادل أكبر في التجارة . كما أن اللجنة تعتقد بأن الاقبال على الاصواف في إيران يمكن ان يكون في بوشهر أكبر بكثير من الاقبال عليه في النواحي التي تقوم البصرة بخدمتها . واعتقدت اللجنة بأن إعطاء كريم خان ما قيمته لاكان(٢) أو ثلاثة لاكات من الاصواف سنوياً مع الاشتراط عليه بدفع مقابلها حريراً خاماً هو امر معقول بينما نجد الترتيبات الراهنة تضطر التجار الايرانيين للذهاب الى الاقليم التركي على كره منهم لانجاز مشترياتهم من البصرة حيث لا يستطيعون دفع اسعار مرتفعة بسبب مصاريف الرحلة والجمارك المزدوجة .... ألخ مثلما لو كانت البضائع تسلم اليهم في بوشهر .

وفي هذه الاثناء كان قائد السفينة «اكسبيدشن» وقائد «فانسي» اللتين كانتا في بوشهر يقدمان استفسارات ملحة نيابة عن الشيخ عما اذا

---

(٢) اللك يساوى مئة الف روبية .

كان البريطانيون يعتزمون العودة للاقامة في بوشهر ذاكرين بأن التجار المحليين كان يسرهم أن يشتروا منها الملابس لو وجد أي شيء منها ، على أي من الطرادين . الا أن المعتمد والمجلس تمسكا بشدة بخطتهما في عدم ارسال أي شيء منها الى بوشهر وذلك لاجبار التجارة الايرانية على الذهاب الى البصرة . وقررت معتمدية البصرة في سبتمبر سنة ١٧٦٩ في سبيل تجنب الاساءة لكريم خان الذي كان في هذا الوقت في حرب مع امام مسقط ، عدم تنظيم الحراسة الخاصة التي كانت تقدم للاسطول العماني لتجارة البن حتى يتمكن من الوصول الى البصرة . وقد اتخذ هذا القرار برغم عدم الرغبة فيه امتثالا لروح الاوامر الواردة من بومباي. وفي سنة ١٧٧٠ أصدر مجلس حاكم بومباي التوجيهات الى المعتمد في البصرة بالرد على الشيخ ناصر الذي قدم كتاباً يدعو فيه البريطانيين الى العودة الى بوشهر ، بأنه اذا كان الوكيل راغباً في رؤية المقيمية وقد أعيد انشاؤها مرة أخرى ، واذا رغب في تقديم كتاب بهذا الشأن الى المعتمد ، ففي هذه الحالة يمكن أن ينتدب شخص اوروبي محترم لبحث الموضوع معه . وكانت النية في حالة قبول الاقتراح ارسال المستر مورلي الى شيراز بنفس التعليمات التي كان المستر سكيب قد تلقاها في بعثته الاخيرة باستثناء ما كان منها يتعلق بخارج مع طلب استعادة «سبيدويل» وحمولتها التي كان مير مهنا قد استولى عليها .

مجلس المديرين يمنع الرجوع الى بوشهر في اغسطس ١٧٧٠

وعلى أية حال فان المعتمد والقنصل في البصرة استطاعا تأخير الاستجابة لتلك الاوامر غير المستساغة ، بادعائهما بأنه لا توجد لديهما هدية مناسبة لارسالها الى كريم خان ، وبعدم وجود مترجم ثقة ليرافق المستر مورلي ، وبأن الشيخ ناصر نفسه ليس لديه اهتمام حقيقي بالموضوع وقد تتوج اسلوبهم المعوق هذا بالنجاح عندما بعث مجلس المديرين في أغسطس سنة ١٧٧٠ بأوامر حاسمة في رسالة نقلت من لندن الى البصرة عبر البر بأقصى سرعة . ويرد في هذه الاوامر القول « ولذا فاننا نحظر عليكم بأقصى تشديد ليس فقط عدم إعادة تأسيس مقيمية في بوشهر بل

وتكوين اي مقر في الولايات الايرانية دون إذن صريح منا . وإذا كنتم بدأتم خلافاً لاوامرنا سواء بواحد او أكثر من هذه المقرات فاننا في هذه الحالة نرجوكم ونأمركم بالغائها فوراً » .

وكان المديرون يرون ان نفقات الاحتفاظ بمقيمية في ايران ستكون باهظة ناهيك عما ينطوي عليه ذلك من المجازفة ، حيث إنهم كانوا يعتقدون بأن تحصين المقيمية ضد الاخطار فكرة سخيفة . وهكذا فان هذه المصاعب كانت أكثر كلفة من فروق الاسعار الممكنة في بوشهر ، كما أن مقيمية بوشهر ستضعف شأن مقيمية البصرة خصوصاً وانهم شهدوا أمام لجنة من بومباي بأن ثلث الاصواف المباعة في البصرة كان يذهب لايران .

القرصنة الخطيرة التي ارتكبتها قوارب خارَج وقوارب أخرى على المراكب البريطانية وغيرها في يونيه ١٧٧١

كان المظهر العام الخارجي للامور في خريف سنة ١٧٧٠ مطمئناً لدرجة أنه جاء في التقرير الوارد من البصرة بأن طرادين فقط يمكن أن يغطيا خدمات الخليج وان المقيمية قد استلمت عروضاً ودية لاقامة وكالة بريطانية في ريق من حسين خان الذي خلف مير مهنا ، الا ان مظهر الامور المشجع هذا كان خادعاً ولم يدم طويلا . ففي ٢٢ يونيه سنة ١٧٧١ استولت ثلاثة مراكب من خارَج أمام كنجون على السفينة البريطانية « بريتانيا » المحملة بالسكر والحديد والتوابل .. الخ والتي كان يملكها المستر شو ، وكذلك على سفينة وطنية من جوجو تحمل العلم البريطاني ومحملة بالغالي والرخيص ، والى جانب ما سبق استولي على قاربين من مسقط هما « بوتالاكتش » و « سندرى » . وفي ٩ يوليه وصلت أخبار هذا الحادث فأوفد القائد انس في ١٢ يوليه مع السفن « ريزوليوشن » و « اكسبيدشن » و « دولفين » ليستطلع الامر وليسلم الى رئيس خارَج خطاباً من المعتمد يطلب فيه استرجاعها . واذا فشل الخطاب في إحداث الاثر المطلوب فعلى القائد استرجاع المراكب المستولى عليها والقبض على جلواطات القراصنة اذا كان ذلك ممكناً ، والا فعليه أن يتخذ الترتيبات

لمرافقة المراكب البريطانية المتجهة لاعالي الخليج باتجاه البصرة . واذا وجد القائد ان هذه المهمة نافعة فعليه عند القيام بها ان يراقب جزيرة خارَج . وفي الوقت الذي قام فيه القائد إنز بزيارة خارَج وريق تلك الزيارة التي تمت في ١٤ يوليه للجزيرة الاخيرة لم يكن القراصنة عادوا بعد الى بلدهم مع غنائمهم . وبعد ان ارسل ترجماناً الى شاطىء ريق ، ومعه الرسالة الموجهة الى حسين خان تسلم الترجمان جواباً مرضياً ، وعاد الى البصرة في ٢٦ أو ٢٧ يوليه على ظهر « اكسبيدشن » . ولم تقم « دولفين » بأية ترتيبات لحماية التجارة البريطانية الى الشمال من مسقط . وفي ٢٧ يوليه وصل المركب الحربي « بريتانيا » والمركب جوجو الى ريق قادمين من البحرين حيث كانا قد احتجزا هناك بسبب هبوب ريح شمالية غربية قوية الا أن المركب « بريتانيا » ارتطم بالأرض عند الشاطىء وأصابه تلف خطير نتيجة لرداءة الطقس قبل ان يعود المد ويعومه مرة أخرى .

وكان القراصنة قد نقلوا اكثر من نصف ثمن المركب الى الجانب العربي من الخليج ، وكانت معاملتهم للبحارة الاسرى غير انسانية . وفي ريق كان من الصعب عليهم الحصول على مأوى مهما كان نوعه يقيهم حرارة الشمس او أية حاجة من ضروريات الحياة الأساسية . وفي الاول من اغسطس غادر الرئيس شو والمستر نيكلسون الضابط الاول في « بريتانيا » بناء على تعليمات من كريم خان الى شيراز ، حيث كان عليهما أن يفحصا محتويات شحنة السفينة ، ولكن الاول توفي في الطريق . أما المستر رو الضابط الثاني وقسم من البحارة فقد ارسلهم حسين خان في قوارب الى المعتمدية في البصرة مباشرة . أما بقيتهم عدا بعض البحارة الهنود فقد وصلوا بسلام الى نفس المكان في ١٦ اغسطس بعد ان كانت رحلتهم قد تمت عن طريق بوشهر حيث عاملهم الشيخ معاملة حسنة .

الحملة التأديبية التي اقترح المعتمد والقنصل في البصرة القيام بها

أكد حسين خان للترجمان شفهياً أثناء وجود الاخير في ريق ، أن كريم خان وشيخ بوشهر هما المسئولان الحقيقيان عن القرصنة

الاخيرة ، واما هو ، فمع أن مراكبه كانت مشتركة فيها ، فانه يرغب أن يكون صديقاً للبريطانيين حتى إنه يود أن يحول اليهم ملكية جزيرة خارج في حالة تلقيه وعداً منهم بحمايته . ولكنه أكد في كتابه الى المعتمد براءة كريم خان بنفس البراهين التي اوردها الاخير والقى كل اللوم في الحادث على « بريتانيا » التي اتهمت كذباً بالهجوم اولا على الجلواطات مما اضطرهم الى أسرها للدفاع عن النفس . وفي نفس الرسالة أعطى وعداً رسمياً ، لم يجد فيما بعد من المناسب أن يتحلل منه بأنه سيسلم المركب « بريتانيا » فور وصوله الى ريق . وقد وثق معتمد ومجلس البصرة جزئياً بالاقوال الشفهية لهذا الخان الذي لا يعتمد عليه مع انها كانت تناقض ما جاء في رسالته الخطية ، وتفسر بمعنى معاكس وجود ثلاثة وكلاء للوكيل في ريق ، وتسيء تفسير استدعاء الرئيس شو والمستر نيكلسون للمثول في شيراز ، كما تسيء تفسير تقصير كريم خان في الإجابة فوراً على الرسالة التي كتبها اليه المعتمد متسائلا فيها عما اذا كان القراصنة قد ارتكبوا عملهم بأمر منه . ونتيجة لتلك الثقة ارسل المعتمد والمجلس الى مجلس المديرين في لندن بأنه لا يوجد شك في تواطؤ كريم خان ، وبأن من الضروري لحكومة بومباي ارسال قوة مشتركة كبيرة الى الخليج لمعاقبة الوكيل واستئصال شأفة القرصنة التي أخذت تعود للظهور الواضح في الخليج . وكان رأيهم بأن هذه الخطط يمكن تحقيقها بأسطول مكون من سفينة كبيرة للضرب وواحدة أخرى او اكثر من الدرجة الاولى والثانية ، ومركب قنابل و ١٠ او ٢٠ مركب صغير للملاحقة الجلواطات في المياه الضحلة ، على أن تحمل جميعها قوات برية مكونة من ٥٠٠ اوروبي على الاقل وسلسلة من المدافع و ١,٥٠٠ أو ٢,٠٠٠ من الجنود الهنود . وكان الاسلوب الذي اقترحاه عبارة عن غارة مفاجئة على الخليج سواء بمساعدة إمام عمان او دونها . وعلى هذه القوات أن تقوم وهي في طريقها في الخليج ، بتدمير اساطيل هرمز وبوشهر وخارج وكعب بالتتابع ، وهي تقدر على التتابع باثني عشر جلواطاً و ٧ أو ٨ جلواطات وسفينتين ، و ١٠ جلواطات ، و ١٤ أو ١٥ جلواطاً عدا عن القوارب المسلحة ، كما انهما أدخلا في حسابهما تدمير او وضع اليد على الجزر والموانى والاماكن

الاخرى في الخليج سواء أكانت تدفع الضرائب لكريم خان او تقدم ملجأ للقراصنة .

مجلس المديرين يرفض الحملة التأديبية في نوفمبر ١٧٧١

عندما علم مجلس المديرين في نوفمبر سنة ١٧٧١ بهذه الخطة ، كتبوا في الحال الى مستخدميهم في البصرة بمنع تنفيذها لانهم اعتبروا أن نفقات العمليات يمكن ان يزيد مجموعها على قيمة الارباح التي تجنيها الشركة من تجارتها في الخليج . وكانت اوامرهم تفضل الرجوع الى المفاوضات اكثر من اللجوء الى القوة المسلحة . واذا أثبتت الوسائل السلمية عدم جدواها فجب على حكومة بومباي أن تقدم طلباً الى قيادة سفن صاحب الجلالة في الهند الشرقية لتوفير الحماية والمساعدة . واذا ظل الامن مفقوداً اثناء ذلك فجب عقد اجتماع في مسقط لوضع ترتيبات أكثر لحراسة النقل بين هذا المكان وبين البصرة الا أنه يمكن التأكيد يقيناً بأنه لم تتخذ أية خطوات أكثر بهذا الشأن .

استمرار سوء التفاهم مع كريم خان وحجز السفينة « تايجر » واعتقال السادة بيونت وجرين ١٧٧٣ — ١٧٧٥

في ربيع سنة ١٧٧٣ وفي الظروف التي شرحت في تاريخ العراق التركي قرر المستر مور وقنصليته مغادرة البصرة بسبب تفشي وباء الطاعون . وفي أثناء طريقهم في شط العرب وهم متجهون جنوباً ابتعد المركب « تايجر » وهو أحد المركبين اللذين كانا يقلانهم عن الآخر ، فأسره جلواط من ريق في ٢٦ أبريل . وأخذ السيدان جون بيمونت وجورج جرين اللذان كانا يعملان في معتمدية البصرة وكانا على المركب كسجينين . وعند حلول الصيف التالي كان من الواضح ان المستر مور ومعظم الموظفين قد وصلوا بومباي باستثناء أحد أعضاء القنصلية وهو المستر ابراهام الذي جعله المستر كولنجز كمساعد . وامرا بالتوجه من مسقط الى بوشهر للبقاء على علم بالوضع الصحي في البصرة ، كما امرا أيضاً بمحاولة استعادة « تيجر » وتخليص المستر بومونت والمستر جرين اللذين كانا قد ارسلا فور أسرهما الى شيراز ، حيث اعتقلهما الوكيل .

الا أن قائد الطراد الذي أقل المستر ابراهام حذر صراحة من الهجوم على الجلواطات الاهلية تنفيذاً لاوامر بومباي الصارمة . كما حذر من اللجوء الى القوة في التعامل مع أية قوة في الخليج « الا اذا اقتربت أكثر مما يسمح به الحذر » ، وبات واضحاً أنها « تنوي الهجوم عليه» . وقد وصل الى المعتمد عندما كان في مسقط في طريق عودته الى الخليج في نوفمبر سنة ١٧٧٣ خبر مفاده أن كريم خان أخذ جزءً من النفائس التي وجدت على ظهر « تايجر » لنفسه وتسبب في اعطاء جزء آخر للاشخاص الذين ألقوا عليها القبض كمكافأة لهم . وأنه اعطى التوجيهات لقادة الجلواطات لمتابعة الاعمال العدائية ضد البريطانيين . وامر بتحويل « تايجر » الى جلواطه ، ولكن هذا الخبر لم تؤكده مواقف كريم خان التي تلت ذلك ، وربما لم يكن صحيحاً بالمرة . وقد كتب السيدان بومونت وجرين بنفسيهما من شيراز بأنهما قدما طلباً الى الوكيل للإفراج عنهما ، الا أنهما تسلما رداً مراوغاً ، ولكنهما كانا صامتين عن التحدث عن طبيعة المعاملة التي يعاملانها ، ولكن تأكد على أية حال فيما بعد بأنهما عندما وصلا الى شيراز عوملا معاملة حسنة ومنحا ٧ روبيات (كانت تساوي حينئذ ١٧ شلناً و ٦ بنسات) يومياً كمصروف لهما ، كما خصص لهما بيت ، واتيح لهما التجول حيث يشاءان ، وكان السكان يعاملونهما معاملة رقيقة ومحترمة . وكان الشيء الوحيد الذي أخذ منهما هو ساعة المستر جرين التي احتفظ بها كريم خان لنفسه .

زيارة معتمد البصرة لبندر عباس في ديسمبر ١٧٧٣

زار موظفو المعتمدية العائدون وهم في طريقهم الى أعلى الخليج بندر عباس وبوشهر في ديسمبر سنة ١٧٧٣ ، وكان الشيخ محمود حاكم بندر عباس غائباً عنها في زيارة لبوشهر ، ولكن المعتمد وابن الشيخ تبادلا المجاملات ، الى حد ذهب فيه الاخير الى أبعد من ذلك بعرضه تقديم الوكالة الهولندية السابقة للبريطانيين في حالة رغبتهم الاستيطان مجدداً في بندر عباس ، وقد امر المستر مور المستر لاتوشج بكتابة رسالة من ذلك المكان تتضمن خطاباً الى الوكيل وارسلت على عنوان السادة بومنت وجرين .

زيارة معتمد البصرة لبوشهر في ديسمبر ١٧٧٣

وبعد بضعة ايام من وصول المعتمد الى بوشهر سلم للشيخ ناصر رسالة من حكومة بومباي ليوصلها الى كريم خان . وحيث إنه لم يتوفر في هذا المكان كاتب ايراني قدير فقد اضطر المعتمد الى ارسالها دون رسالة تقديم أخرى منه . وطلب من الشيخ ناصران يقدم الاعذار المناسبة عن ذلك الاغفال ، وفي الحين الذي ذهب فيه المستر ابراهام الى الشاطىء لترتيب هذا الامر بقي تاجر ايراني يدعى أغا كوتشيك وكان خادماً لشيخ بوشهر يقوم بجميع الاعمال له على ظهر السفينة « رفنج » واشترى كمية كبيرة من السكر نيابة عن مستخدمه نفسه وآخرين . وكان المركب البريطاني « تايجر » المأسور يقف وقت هذه الزيارة مصطفاً مع اسطول ريق وثلاث جلواطات وسفينة قديمة تابعة لبوشهر بالقرب من كنجون في حالة استعداد للتقدم في عمليات مطاردة ضد إمام مسقط ، ولكن شيخ كعب لم يكن مقتنعاً بارسال المفرزة البحرية التي تخصه وطلب منه ارسالها ولذا فان الحملة لم تقلع .

استمرار اعتقال السيدين بومونت وجرين في شيراز ١٧٧٤

لم تسفر الاتصالات مع كريم خان عن أية نتيجة سريعة فعالة فلقد بقي السيدان بومونت وجرين معتقلين في شيراز حتى بعد وصول المعتمد والقنصل الى البصرة . وكان من الواضح ان الوكيل كان ما يزال يمنحهما علاوة للسكن ، ولم يعترض عل مراسلتهما لاصدقائهما . وفي بداية فبراير سنة ١٧٧٤ كتبا رسالة تفيد بأن الوكيل ينوى طلب مساعدة بحرية من البريطانيين والاتراك لمساعدته ضد امام مسقط ،وفي حالة رفضهم ذلك فانه سيرسل قوة لتدمير البصرة . وقد أحدث هذا الخبر الذي جاء مصدقاً لتبليغ آخر من مصدر موثوق بعض المضايقة للمعتمد والمجلس الا أن المتسلم التركي بذل جهوداً واضحة في اقناعهم بأن اي تصرف من جانبهم قد يسبب فزعاً في البصرة وان عليهم ألا يحملوا بضائع

الشركة على ظهر السفن ، على سبيل الاسراع في الرحيل لو وقع الخطر . وقد حدث في بداية شهر مارس بعض التقدم في المراسلات القائمة بين معتمدية البصرة والوكيل الا أن رسالة السادة بومونت وجرين التي أغلقت في شيراز بتاريخ الخامس من ذلك الشهر واستلمت في البصرة في التاسع منه قد أحدثت بعض الشك في نوايا الوكيل ، فقد جاء فيها أنه ليس لدى كريم خان نية لاطلاق سراحهما ، وعلى العكس فانه مصمم على معاملة جميع الرعايا البريطانيين وسفنهم كقوة معتدية الى ان يلبى طلبه في مساعدة بحرية ضد مسقط . وكان من رأيهما ان اتباع سياسة سلمية مع الوكيل الى هذا الحد لن تؤدي الا الى تطاوله على شركة الهند الشرقية حيث إنه يعتبرها جبانة ولا قيمة لها .

نقل السيدين بومونت وجرين الى بوشهر مارس ١٧٧٤

وعلى أية حال وبعد أيام قلائل وصل نبأ مفاده ان الشيخ ناصر شيخ بوشهر الذي كان في ذلك الوقت على وئام كبير مع كريم خان كان في طريقه الى بوشهر للتفاوض مع إمام عمان كمفوض معتمد من قبل كريم خان ، وأنه سيجيء معه بالسيدين بومونت وجرين، وأنه كتب الى أخيه الشيخ سعدون ليعد بناية المقيمية البريطانية في بوشهر لنزول ذينك الرجلين المحترمين . وقد تم اطلاق سراحهما من الاعتقال في شيراز إما بجهود للشيخ ناصر نفسه الذي كان متشوقاً لاعادة انشاء وكالة بريطانية في بوشهر او الى « الخوجا سركيس » وهو تاجر ارمني « في غاية الخبث » ، ولكن كان له نفوذ واسع في شيراز . وقد وعده المعتمد بمكافأة قدرها ٥,٠٠٠ روبية في حالة نجاح جهوده في القضية . وعلى أية حال لم يكن بالمستطاع الحصول عندئذ على امتيازات او تنازلات أخرى من كريم خان . وقد أخذ يتكاثر في هذه الاثناء عدد القراصنة العرب في الخليج ومن ابرزهم شيخ جارك(١) ، في حين كان واضحاً أن الشيخ ناصر عندما وصل الى الساحل قد أسلم نفسه كلية لمهمة الوصول الى

(١) من الصعب اعتبار شيخ جارك مجندا جديدا في أعمال القرصنة ولم تكن هناك أية شكوى من سلوكه منذ سنة ١٧٦٧ .

تسوية مع حاكم مسقط . وقد سعى المعتمد والقنصل في هذه الظروف ودون الحصول على تعليمات من الرؤساء في بومباي للضغط على كريم خان بمقاطعة موانئه من قبل جميع المراكب البريطانية . ولولا التعليمات الصارمة من حكومة بومباي ضد مايمكن أن يؤدي الى قطع العلاقات من غير تصريح منها ، لعمدوا الى حجز كمية كبيرة من السلع الايرانية النفيسة التي كانت تنقل عندئذ على سفينة بريطانية تدعى « الاصدقاء الاربعة » .

اطلاق سراح المستر جرين في سبتمبر ١٧٧٤

في ١٧ اغسطس عاد الشيخ ناصر الى بوشهر من الجولة التي قام بها في الجهة الجنوبية بشأن مساعيه لحل المشكلة الايرانية — العمانية . وشملت رحلته كما كان مخططاً لها في البداية على مقابلة مع ممثل الامام في خور فكان . وربما كان ذلك لانه كان مفهوماً بأن طلب الوكيل لجزية من العمانيين ما كان ليعتبر إلا مجرد إهانة . ولدى عودة الشيخ ذكره السيدان بومنت وجرين بالوعد الذي كان قطعه لهما بارسالهما الى البصرة بعد رجوعه مباشرة ، ولكن الشيخ رفض في البداية إلا أن يعاملهما كسجينين مدعياً بأن السبب في ذلك خوفه من سخط كريم خان . غير أنه قرر في النهاية أن يتخذ منهما وسيطين لعروض تقدم للمعتمدية نيابة عنه ، حتى إنه سمح للمستر جرين أن يكون حامل اقتراحاته . وقد استطاع جرين أن يصل الى البصرة في ١٩ سبتمبر التالي . أما بنود التسوية التي اقترحها الشيخ ، فهي أنه في حالة تعيين شخصية اوروبية محترمة او تاجر ارمني بشكل موقت كمقيم في بوشهر ، وفي حالة إعادة فتح التجارة مع هذا المكان فسيعاد للبريطانيين المركب « تاجر » وحمولته . كما يتعهد الشيخ بأن يكون مسئولا عن أية قرصنة ترتكب ضدهم في المستقبل من قبل أسطول ريق وجنافة ، وأنه سيطلق سراح المستر بومونت . ولكن هذه الشروط رفضتها المعتمدية التي كانت قد تسلمت اوامر من بومباي تأمرها بعدم الدخول في أية ترتيبات « الى ان يتحقق بشكل قاطع إطلاق سراح السيدين بومونت وجرين » حيث انهم كانوا على ثقة من أن المثابرة على

تلك السياسة التي عزوا اليها والى المقاطعة التجارية لبوشهر كل تقدم أحرزه ناصر خان انما هي الوسيلة « التي يحتمل ان تؤدي الى نجاح آخر في موضوع المستر بومونت » . ولذلك كان واضحاً ان المستر جرين غير محتاج للعودة الى حالة الاسر الشكلية في بوشهر .

بعثة المستر جرين في فبراير ١٧٧٥

كانت حكومة بومباي قد تعبت كثيراً من الخلاف مع كريم خان ومن عواقبه المباشرة وغير المباشرة ، وعلى الاخص من مرابطة قوارب الشركة المسلحة في الخليج بشكل متكرر ولمدة طويلة وبتكاليف ثقيلة ، وكذلك من حبس المستر بومونت ومن تفشي القرصنة ، فقررت في فبراير سنة ١٧٧٥ أن تضع حداً لجميع هذه المتاعب اذا أمكن ، بتغيير السياسة والموظفين ، ولذا قررت تفويض المستر روبرت جارد الذي كانت له خبرة سابقة في الخليج ، والذي كان يتوجه عندئذ الى البصرة في عمل خاص به ، بأن يعالج مسألة إطلاق سراح المستر بومونت من بوشهر الواقعة على طريقه ، واذا وجد أنه لا يمكن تحقيق ذلك ولا يمكن استعادة الطمأنينة في الخليج بأية وسيلة أخرى ، فبامكانه ان يعيد انشاء مقيمية بوشهر على مستوى بسيط على الرغم من أن ذلك يتعارض معارضة مباشرة مع اوامر مجلس المديرين . وشددت التوصية في نفس الوقت على المعتمد والقنصل في البصرة لتنفيذ أي ترتيب قد يتفق عليه المستر جاردنر بموجب التعليمات المذكورة .

معتمدية البصرة تقطع علاقاتها مع شيخ كعب وشيخ بوشهر — مارس وابريل ١٧٧٥

وقد حدث قبل ان يستطيع المستر جاردن الوصول الى بوشهر لاقامة علاقات مع كريم خان ان وقعت أزمة البصرة الموضحة في الفصل الخاص بتاريخ العراق التركي ، فوضعت المعتمدية في صدام مباشر مع بعض رعايا الوكيل ، او أتباع حلفائه ، وبذا أصبح الغزو الايراني للعراق ، والذي كثر التهديد به ، عقب الهزيمة التي اوقعها الاتراك

بالايرانيين في كردستان حقيقة واقعة . وفي ١٧ أبريل سنة ١٧٧٥ وبنفس اليوم الذي وصل فيه المستر جاردن بوشهر ، كانت قوة كبيرة قد عبرت الحدود العثمانية مؤخراً تحت قيادة صادق خان أخي كريم خان ، وشرعت في محاصرة البصرة . وكان المستر مور ومجلسه قد ارتبكا حماقة قبل ذلك باسبوعين او ثلاثة ، بالسماح لمراكب الشركة وبأوامر منهم بمهاجمة جلواطات أسطول كعب أثناء اندفاعها الى أعلى شط العرب للاشتراك مع الجيش الايراني بالقرب من القرية . وقد نفذ ذلك بنجاح لا بأس به . وعندئذ كتب المعتمد الى المستر بومونت في بوشهر يطلب منه ارسال أي طراد قد يصل اليها لمساعدته ، وعلى وجه السرعة . وفي ١١ ابريل يئس المعتمد وقنصليته عندما اقترب اسطول ايراني كبير ، له ما يقرب من ٦٠ سفينة الى أعلى النهر ، متوجهاً الى المدينة التي تم غزوها ، فغيروا رأيهم وأسرعوا في ترك البصرة مقلعين بمراكبهم وتاركين وراءهم جميع ممتلكات الشركة تحت رحمة القدر . وحتى تزداد الامور تعقيداً ، فقد اشتبكت قطع الاسطول البريطاني الهابطة في شط العرب ، في قتال جزئي عند مصب نهر قارون ، مع اسطول بوشهر الصاعد في النهر ، وكان يقوده الشيخ ناصر. واستمر إطلاق النار لعدة ساعات ، ولكن لم يحدث أية خسارة مادية للجانبين .

استمرار المفاوضات بين المستر جاردن والايرانيين في ابريل ١٧٧٥

وعندما أطلع المستر جاردن على ما حدث في البصرة ، حتى تاريخ الهجوم البريطاني على جلواطات كعب ، قرر بحكمته عدم التقدم بطراده والسفن غير المسلحة الثلاث الملحقة به الى ما هو أبعد من ذلك في الطريق الى البصرة ، والا فانه كان سيعرض اموال شركة الهنـــــد الشرقية للخطر ، وكذلك ما معه من تجارة خاصة ، تبلغ قيمتها حوالي ـــ ٢,٠٠٠,٠٠٠ روبية ، ولكنه فضل تحويل الصراع الذي كان يدور باتساع أكثر ، بسبب اجراءات المعتمد والقنصل المتهورة ، بعقد تسوية عامة مع كريم خان ، بأقل تأخير ممكن . وطبقاً لذلك فقد ارسل في ١١ إبريل كتاباً الى كريم خان ، يشرح له مهمة بعثته . ولم يتردد الشيخ

سعدون والتجار الايرانيون المحليون في التجاوب معه تجاوباً مرضياً ، « حيث إنه لا يوجد في قلب الخان أكثر من انشاء وكالات بريطانية في ولاياته ، كما أنه لم يستطع أن يفكر في أية وسيلة أخرى لتحقيقها بأكثر من اعتقال المستر بومونت ، ولم يرغب في تقديم أية عروض أخرى الى المستر مور ، الذي يشعر نحوه بحنق شديد . وقد أكد الشيخ ناصر لبومونت في الليلة السابقة لسفره بأن عناد المستر مور كان السبب في الحرب الحالية ، ولو ان العلم البريطاني رفع على بوشهر لما وقعت الحملة الحالية » . وفي ١٥ إبريل كان المعتمد الهارب واعضاء المجلس الهاربون قد وصلوا بوشهر ، ومعهم أخبار ما حدث حتى الحادي عشر من ذلك الشهر . وعندها كتب المستر جاردن كتاباً ثانياً الى كريم خان يطلب منه أن يأمر قائده في البصرة أن يأخذ كل الاحتياطات الممكنة للمحافظة على الاموال البريطانية هناك . وارسل في نفس الوقت ، خطاباً للشيخ ناصر شيخ بوشهر الذي كان ما يزال مع القوة الايرانية بنفس المعنى السابق .

الوصول الى تسوية مرضية مع المستر جاردن في ٢٤ ابريل ١٧٧٢

وفي الرابع والعشرين من نفس الشهر وصل رد مرض من الوكيل يلقي فيه اللوم عن أسباب الخلاف بين البريطانيين والايرانيين كلية على المستر مور ، ووعد باعادة « تايجر » عند عودتها الى البصرة ، حيث كانت قد ارسلت للقتال مع الايرانيين هناك . وصرح بأن المستر بومونت والمستر جرين سيطلق سراحهما ، وفي ٢٦ من نفس الشهر عاد علم بريطانيا العظمى يرفرف مرة أخرى على الوكالة البريطانية في بوشهر في المكان الذي كان المستر جاردن يتخذه مسكناً له . وعلاوة على ذلك فانه لما كان الشيخ ناصر قد تلقى بسرور أخبار وصول المستر جاردن الى بوشهر مبيناً ان صداقته للبريطانيين لم تتأثر حتى بسبب المناوشات التي وقعت في شط العرب ، ولما كانت الاضرار التي وقعت لاسطول كعب من قبل الاسطول البريطاني في البصرة لم تصبح موضوع بحث ابداً ، فان من الممكن اعتبار التسوية التي توصل اليها المستر جاردن تسوية وافية

تماماً ومرضية وقد آذنت ببدء فترة علاقات سعيدة ومنسجمة مع حكومة ايران المركزية لم تنته الا عند موت كريم خان .

العلاقات الانجلو-ايرانية أثناء الاحتلال الايراني للبصرة ١٧٧٦ - ١٧٧٩

عندما استسلمت البصرة بعد مدة في ١٦ ابريل سنة ١٧٧٦ للايرانيين كان من الواضح ان المستر جاردن والمستر مور قد عاد كلاهما الى الهند، أما المستر بومونت فاصبح المسئول عن مقيمية بوشهر بعد ان عينه في هذا المنصب المستر جاردن بمجرد انتهاء أسره . أما المستر جالي فقد ذهب الى البصرة ليرعى مصالح وممتلكات شركة الهند الشرقية هناك بشكل غير رسمي . أما بقية جهاز المعتمدية وكان على رأسهم الآن المستر ديجز لاتوش فكان عليهم مراقبة الاحداث من بوشهر . وقد استقبل المستر جالي في البصرة استقبالا حسناً من قبل صادق خان الذي مكنه في ٢٠ إبريل من وضع يده على بناية الوكالة البريطانية . وقرر المستر لاتوش أن يعود الى البصرة بأقل تأخير ممكن ، وفي ٥ مايو أبحر هو وجماعته الى البصرة ، بعد ان احتجز في بوشهر لبعض الوقت بسبب هبوب ريح معاكسة في مركب أهلي ، وأخذوا معهم هدايا لطيفة لصادق خان ، وللشيخ ناصر شيخ بوشهر ، الذي كان قد بقي في البصرة مع اسطوله وأظهر ميلا حسناً نحو السيد جالي .

يونيه ١٧٧٦

أصبح باستطاعة المعتمد وقنصليته ان يبلغ في وقت مبكر من يونيه سنة ١٧٧٦ بأنه أعيد إنشاء الوكالة بنجاح ، وأن الايرانيين يظهرون ميلا حسناً لهم ، وان كل شيء يعد بالخير في المستقبل . وحوالي نفس هذا الوقت تفرقت السفن الايرانية التي كانت محتشدة هناك ، وعاد قباطنة السفن بها الى موانيها بينما وصل الشيخ ناصر الى بوشهر في ٣٠ يونيه من نفس العام .

من سبتمبر ١٧٧٦ الى مارس ١٧٧٧

لكن الادارة التي نصبها الايرانيون في البصرة ، ومثلما هو مبين في تاريخ العراق التركي كانت غير مرضية . ووجدت المعتمدية نفسها في سبتمبر سنة ١٧٧٦ مقيدة بقيود قاسية ، بل قد اضطرهم سلوك الحاكم الايراني علي محمد خان في فبراير سنة ١٧٧٧ الى اغلاق الوكالة على أنفسهم ، وارسال احتجاج خطي الى كريم خان في شيراز . وقد كان لهذا الاحتجاج الذي قدموه من جانبهم نجاح بارز ، اذ أن الحاكم لم يقتصر على تقديم سلفيات مالية رأوا من المناسب اهمالها الى ان يجيب على رسالتهم ، بل إن الوكيل الذي أصبح على اطلاع تام على الأوضاع في البصرة ارسل اوامر مشددة الى علي محمد خان باظهار أقصى الاحترام للبريطانيين وكتب خطاباً ودياً الى المستر لاتوتش استلم في ١٧ مارس سنة ١٧٧٧ . كذلك فقد أنعم كريم خان على المعتمدية في يونيه سنة ١٧٧٧ بفرمان آخر ذي فائدة .

التغيير المقترح للوضع الاداري لمقيمية بوشهر والذي لم يوضع موضع التنفيذ ١٧٧٧ — ١٧٧٩

قرر مجلس المديرين في لندن عندما وصلتهم أخبار الصعوبات التي تحيط بمستخدمي الشركة في البصرة سنة ١٧٧١ ، وذلك قبل نجاح الاحتجاج الذي قدمه المعتمد الى كريم خان ، إلغاء موسستهم في العراق التركي كلية ، وأوصى في سبيل هذا الغرض بوجوب نقل معتمدية البصرة كخطوة اولى وبموافقة كريم خان الى بوشهر ، ثم يخفض موظفوها تدريجياً بعد فترة مناسبة الى أن يبقى فيها مستخدم واحد فقط وبحيث لا تتعدى الاموال التي تشرف عليها في وقت واحد ١٠,٠٠٠ روبية . ولكن اذا عادت البصرة فيما بعد الى الحكومة التركية ، يمكن تعيين مقيم فيها مرة أخرى ، ولكن ليس على أية حال بدون مصادقة مسبقة من المجلس . على أن هذه الاوامر المؤرخة في ٤ يونيه سنة ١٧٧٧ لم تصل بومباي الا في ٣٠ ابريل من السنة التالية ، ولم تتخذ حكومة بومباي الخطوات لتنفيذها قبل ٢ اغسطس سنة ١٧٧٨ ، نظراً لاحتمال قيام

حرب مع فرنسا ، وما يتبع ذلك من ضرورة الاحتفاظ بمحطة متقدمة في البصرة لارسال الاخبار . كذلك كان الامر ضرورياً للحاجة الى وجود مكانين يحل الواحد منهما مكان الآخر ، في حالة وقوع حادثة . ولذا قررت العمل على مسئوليتها بتحوير تعليمات المجلس ، حيث إن الزمن يقضي بالاحتفاظ بمقيميتين منفصلتين ، تحتوي كل منهما على منصب منفصل ، واحدة في البصرة والأخرى في بوشهر . وقد اعطى المستر لاتوتش اختيار أي منهما ، على ان تعطى الثانية الى مستر بومونت والمستر جرين بالتعاقب . وقد حدث تأخير أكثر في البصرة في تنفيذ تلك الاوامر . وحدث في وقت من شتاء سنة ١٧٧٨–١٧٧٩ ثورة هناك اعادت المدينة مرة أخرى الى صلاحيات الحكومة العثمانية . وقد اعتبر المستر لاتوتش نفسه محقاً في رفع الامر مرة أخرى الى حكومة بومباي لاخذ تعليمات جديدة بشأنه . وأبقي على وضعه في نفس الوقت كمعتمد واحتفظ بالمستر ابراهام كمساعد له .

★ ★ ★

الحوادث في ريق وخارج ١٧٦٣ ـ ١٧٧٩

تناولنا فيما تقدم من فصول شئون الساحل الايراني بشكل كامل ، وذلك على مدى تأثير تلك الشئون على السياسة البريطانية ونشاطها ، إلا أنه بقي أن نلاحظ بعض الحوادث ذات الشمول الاكبر للمصالح الايرانية والمحلية مما وقع في أماكن معينة هامة .

مساعي الوكيل الفاشلة لارجاع مير مهنا زعيم ريق للخضوع اليه ١٧٦٤ – ١٧٦٥

يتصل تاريخ ريق وخارج خلال السنة الاولى من هذه الفترة بشكل رئيسي بأعمال مير مهنا رئيس قراصنة ريق ، الذي قام بطرد المستر وود من ريق سنة ١٧٥٦ كما هو مذكور في الفصل الخاص عن التاريخ العام للخليج ، والذي تركزت الضرورة للاشارة اليه في الاقسام المبكرة

من الفصل الحالي ايضاً . ففي فترة ما بين سنة ١٧٥٦ وسنة ١٧٦٤ كان مير مهنـــا قد سجن سنة ١٧٥٦ أو سنة ١٧٥٥ لوقت قصير في شـــيراز . ثم وقع مرة أخرى في يد كريم خان ، ولكن نظراً لشفاعة حاكم طنجستان الذي كان متزوجاً من إحدى أخواته ، فقد كان سجنه الثاني لفترة قصيره أيضاً . وقد استمر مير مهنا على أية حال في معاكسة كريم خان ، وارتكب عدة غارات عرضت القوافل المارة بين بوشهر وشيراز لاخطار جسيمة . وقد دافع في إحدى المرات بنجاح عن مدينة ريق عندما هاجمها الوكيل بقوات كبيرة من ناحية البر . وكانت علاقاته مع مجاوريه ، وهم شيخ كعب من جانب ، وشيخ بوشهر من الجانب الآخر على العموم غير ودية . وفي سنة ١٧٦٤ طلب كريم خان منه الجزية بشكل رسمي ، فرفض مير مهنا دفعها باستخفاف ، وامر بحلق لحية الرسول الذي ارسل اليه ، ولذا اعلن الوكيل الحرب ضده . وارسل قوة الى الساحل لتتولى العمليات البرية ضد ريق بقيادة الامير كهنة خان . وبقيت هذه القوات مرابطة في خرموج من فبراير الى مايو سنة ١٧٦٥ . وقد سعى الوكيل لدى شيوخ البحر المحليين للحصول على مساعدة بحرية منهم كان يرى أنها لازمة لنجاح الحملة ولكنه لم يستطع تأمين أي منها ، عدا اسطول شيخ بوشهر الذي كانت علاقاته مع مير مهنا علاقات عدائية ، والذي كانت رفاهية مدينته تعتمد على اتصالها مع شيراز وان كانت قوته البحرية لم تكن وحدها كافية لمواجهة قوى مير مهنا . كذلك فان أهل كنجون لم يثقوا على الاخص بنوايا الوكيل لأنهم مثل مير مهنا لم يدفعوا جزية للوكيل . وقد قيل عنهم في هذا الوقت إنهم كانوا ينامون في كل ليلة على ظهور مراكبهم . وفي النهاية زحف كهنة خان على ريق ، عندما أعطى في مايو سنة ١٧٦٥ وعداً بتقديم مساعدة من الاسطول البريطاني . الا أن مير مهنا كان قد أخلاها في الحال ، وانسحب الى خارجو حيث لاحقته الحملة الانجلو- ايرانية العقيمة لتحطيمه ، كما شرح في الفقرات السابقة . وعندما انفضت الحملة المشتركة في يوليو سنة ١٧٦٥ ، بقيت القوات الايرانية لبعض الوقت وهي تحتل ريق . وفي شهر اغسطس التالي أمر مير مهنا بالقاء أختيه في البحر ، ومن الواضح أن كراهيته لشيخ

كعب كانت السبب في ذلك ، اذ أن الشيخ كان سلب منه احداهما ليزوجها من ابنه ، فرأى ان اغراقهما انسب وسيلة لتجنب الطلب . كذلك فإن مير مهنا الذي كان عندئذ دون الثلاثين من عمره ، قد قضى على طفله البكر بالقائه تحت اشعة الشمس على شاطىء البحر ، وكانت علته الوحيدة في ذلك ان الطفل كان بنتاً وليس ولداً .

المقر الهولندي في خارّج برئاسة ماينهير بكمان ١٧٦٣—١٧٦٥

طالب الوكيل كريم خان منذ أيام حكمه الاولى عدة مرات الهولنديين بدفع الجزية عن خارّج ، ولكن لما كان رد هؤلاء على طلبه غير مجد باستمرار ، فانه انقطع عن الاشارة للموضوع منذ سنة ١٧٦٥ . وقد التزم مانهاير بكمان بالحياد التام أثناء الهجوم الطويل الذي قامت به المراكب البريطانية ومراكب بوشهر ضد مير مهنا في خارّج في وقت مبكر من صيف سنة ١٧٦٥ ، واحتفظ بميناء خارّج مفتوحاً لكلا الجانبين . وقد احتفل في هذه الفترة ذاتها بالزيارة التي قام بها نيبور لخارّج حيث بقي هناك كضيف على الهولنديين من ٣١ مايو الى ٣١ يوليه سنة ١٧٦٥ . وقد دون هذا في كتاباته قدراً ممتعاً عن المكان بالحالة التي كان فيها آنذاك مع قلعته وحديقته ودكاكينه وخاناته وسوقه وعن المدينة ، ببيوتها المبنية من الحجارة وأكواخ الحصير ، كما كتب أيضاً عن سكانها من هولنديين وارمن وهنود وايرانيين وعرب وطرق معيشتهم . وكانت مساكن الهولنديين مزودة بسراديب او أقبية باردة ، لاستعمالها في الصيف ، وكان بعضها مجهزاً بكوى خاصة للتهوية ، الا أنه لم يكن يوجد فيها كنيسة مناسبة سواء للبروتستانت او الكاثوليك . وكان القسيس الوحيد الذي زار خارّج قسيساً كرملياً من بوشهر ، وكان يوجد للارمن في خارّج كنيسة صغيرة ظريفة مع جرسية ، وكان هذا منظراً نادر الوجود في تلك البلاد .

احتجاج حاكم خارَج الهولندي ضد الاجراءات البريطانية في بندر عباس ١٧٦٤

قدم حاكم خارَج الهولندي احتجاجاً في وقت متأخر من اغسطس سنة ١٧٦٤ ، ضد بعض إجراءات البريطانيين ، عندما انسحبوا من بندر عباس في السنة السابقة . وكان هذا الاحتجاج موجهاً الى المعتمدية البريطانية في البصرة وقد جاء بالعبارات التالية .

سيدي :

ارجو الا يكدر عليكم الآن تقديمي لكم تفصيلا عن السلوك غير القانوني ، والقسوة التي ارتكبت من قبل سيد انكليزي ضد وكالتنا في بندر عباس ، بحجة طرد الايرانيين الذين التجأوا الى هناك . انكم يا سيدي لا تجهلون بالتأكيد ان قواته لم تتورع عن فتح الابواب والشبابيك بالبلطات ، كما أنها أحرقت المصاطب التي كان لنا عليها في السابق مدافع ، وباختصار فانها ارتكبت جميع أشكال الاعمال العدوانية في الوكالة ، حتى إنها لم تتورع عن إيذاء مفتش الاعمال الإدارية المستر ج. جاكوب كرستانوس وحرمانه بأعمال الانجليز من جميع ما تملك ، وقد أصبحت الوكالة دون حماية ، الامر الذي يفضح شركتنا ، لذا جئت يا سيدي في هذه المناسبة لاحتج لديكم يا رئيس الشركة الانجليزية في الخليج ، بصفتي ممثل الشركة الهولندية ضد جميع تلك الاعمال ، وضد محاولة العنف التي ارتكبت من قبل أمتكم ضد بضائع وشرف شركتنا ، وأطلب تعويضاً كاملا عن جميع الاضرار والخسائر التي أصابت شركتنا ، وعما أصاب مفتش الوكالة في هذا الحادث .

كراك	الموقع دون التحيات
٢٩ أغسطس ١٧٦٤	و. بكمان

وقد أجاب المعتمد البريطاني على هذه الرسالة ، بأنه ليس لديه معرفة شخصية بالوقائع ، واعاد الوثيقة واشار على الحاكم الهولندي بأنه يجب تقديمها الى حكومة بومباي . ومن الواضح أنه لم يسمع أي شيء أكثر عن

الموضوع الذي كان قد اثير بسبب شكوى قدمها المفتش كرستانوس الوارد اسمه في الاحتجاج . وقد كان المينهير بكمان حريصاً على ا ن يبين في الكتاب المرفق تلك الشكوى بأنه يعمل فقط بموجب تعليمات من القنصل السامي في باتافيا .

المقر الهولندي في خارّج تحت امرة المنهير فان هوتنج

حل محل ماينهير بكمان ، الذي طلب في نهاية يوليه سنة ١٧٦٥ إجازة عادية بسبب صحته ، ماينهير فان هوتنج وهو سيد محترم ذو مقدرة وابن عائلة هولندية ، ولكنه كان يجهل اللغات والسياسات السائدة في الخليج .

وكان ماينهير بكمان قد اوصى بأن ينوب عنه شخص الماني يدعى تام أو تيم كان جاء الى خارّج كجندي بسيط ، ولكنه ترقى عن جدارة الى وظيفة كاتب ، واخيراً رقي الى ثاني منصب في الوكالة الهولندية ، وذلك أأثناء غياب ماينهير . الا أن القنصل في باتافيا رغم استعداده لمنح تام هذا بعض الفوائد المادية الملموسة لم يكن يرغب في إسناد منصب الرئاسة اليه . وعندما وصل خبر ذلك الى تام دون ان يعرف الترتيبات الاخرى الخاصة به ، والتي كانت في صالحه ، استسلم لليأس وانتحر قبل وصول ماينهير فان هوتنج .

الهزيمة النكراء التي اوقعها المير مهنا بالهولنديين في خارّج في اكتوبر ١٧٦٥

وفي شهر سبتمبر سنة ١٧٦٥ أحرز مير مهنا ، الذي كان ما يزال يحتل خارجو ولم يعد الا القليل من شعبه الى ريق ، انتصاراً على عدوه الشيخ ناصر وتقدم الى بوشهر لمحاصرتها . وقد أصر على الهولنديين بوجوب إيقاف تجارتهم مع ذلك الميناء . وفي ٩ أكتوبر ارسل ماينهير فان هوتنج الذي لم يرغب في الاذعان لاملاء اوامر عليه من شخص همجي ، سفينتين تجاريتين كبيرتين تعملان في التجارة الهندية تسمى الواحدة منهما إنديامان وثلاث جلواطات ضد خارجو ، فأسرع شيخ بوشهر ، وقد سره تطور الامور على ذلك الشكل ، باسطوله وبقوات برية لا بأس بها ،

للاشتراك مع الهولنديين الذين استطاعوا إحراق جلواطة تابعة للمير مهنا ، وحطموا اثنتين أخريين ولكنهم لم يستطيعوا بعد ذلك أن يسببوا له أي ضرر في البحر حيث كان قد تحصن في مواقعه بعناية . وكما يحكى أنه كان غالباً ما يدفن نفسه في الارض . وبعد مدة طويلة قرر الحلفاء أن ينزلوا الى البر ، وحيث ان نزولهم لم يقاوم، فانهم سرعان ما وصلوا بيوت السكان تاركين لانفسهم بما فيهم الجنود الاوروبيون حرية نهب المساكن. وعندما رأى المير مهنا أن الغزاة تعثروا بدون انتظام ، هاجمهم فجأة بفصيلة من الفرسان ما كانوا يتصورون وجودها ، وقد طردهم الى البحر مكبداً اياهم خسائر جسيمة . وكان بين القتلى الاوروبيين سبعون هولندياً في حين هرب الباقي الى السفن وجرح مايقرب من ١٢ منهم أثناء السباحة. وقيل ان شيخ بوشهر فقد ٢٠٠ رجل . وقد أضعفت هذه الكارثة الهولنديين حتى إنهم وجدوا أنفسهم مضطرين للرجوع الى خارَج ليستعدوا للدفاع عن هذا المكان بتوزيع بطاريات جديدة عليه .

استيلاء المير مهنا على المقر الهولندي في خارَج في الاول من يناير ١٧٦٦

لم يتباطأ مير مهنا في متابعة نجاحه ، وغزو جزيرة خارَج . وكانت عملية نقل جنوده من خارجو عبر المضيق الفاصل على درجة من الترتيب، بحيث إن المراكب الهولندية الكبرى لم يكن بالمستطاع استعمالها لمنع العملية. وفي النهاية وجد الهولنديون مع قوتهم المحاربة التي تبلغ حوالي ٢٠٠ شخص تشمل نسبة لا بأس بها من الاوروبيين أنفسهم محاصرين في مدينة خارَج من قبل ٥٠٠ رجل بقيادة مير مهنا . وحوالي منتصف ليلة ٣١ ديسمبر سنة ١٧٦٥ وبعد حصار دام ١٣ يوماً ، استطاع العرب تسلق اسوار المدينة والاستيلاء على أحد الابراج . وفي الصباح التالي ومع أنه كان يوجد على القلعة ٦٠ أو ٧٠ من الاوروبيين لكنهم استسلموا شريطة أن ينسحبوا منها بسلام ، إلى أي مكان يختارونه ولم يقتل أو يجرح منهم أكثر من ٨ أو ٩ أشخاص » . ويبدو أن أسباب هذا الاستسلام النهائي الغامض كان بسبب غدر مير مهنا الذي حجز مانهير فان هوتنج وبطانته

أثناء المقابلة التي عقدت في القلعة لبحث شروط التسليم بناء على مشورة الوكيل الايراني السري للحاكم . ولا شك ان الظروف التي مكنت المير مهنا من سجن القائد العسكري ، وهو ضابط عديم الخبرة على الاطلاق من باتافيا ، تجعل التفسير المشار اليه كافياً بحد ذاته لتفسير الامور . وقد قامت سفينتا الشركة الهولندية اللتان كانتا واقفتين على الفرضة أثناء هذه الحوادث بالاقلاع ، عندما رفرف علم الهدنة على القلعة نحو الخليج مباشرة . الا أن الحاكم ارسل قارباً خلفهما مع اوامر لواحدة منهما بالرجوع لنقله هو ومواطنيه الى بندر عباس او كوشين. ثم غادر الهولنديون الميناء تاركين جميع بضائعهم خلفهم . وفي ٤ يناير سنة ١٧٦٦ وصل مانهير فان هوتنج وجماعته وفيها حوالي ٥٠ جندياً الى بوشهر حيث زودهم المستر جيرفس بالنقود والحاجيات الاخرى مقابل سندات . ومن بين الاموال التي وقعت في يد مير مهنا عندما استولى على خارج سفينة حربية تعود لامام مسقط وكانت أفرغت هناك شحنتها من البن قبل فترة بسيطة من هذه الحوادث .

وهكذا انتهت التجربة المكلفة وغير المربحة لانشاء مستعمرة هولندية محصنة في خارج ، ولم تجر أية محاولة لتجديدها . وبالاضافة الى التكاليف الاولية للاعمال الدفاعية ، وكلفة القوارب المسلحة ، كانت الفقرة الرئيسية من النفقات هي رواتب حوالي ٩٠ جندياً و ٥٠ بحاراً جميعهم من الاوروبيين الذين كانت تتشكل منهم الحامية في الاحوال العادية . وكانت هذه النفقات المتكررة تزداد بسبب كثرة وفيات الرجال من جراء الطريق التي يعيشون بها أكثر مما هي بسبب المناخ . وكان من المحتمل ان يخلي الهولنديون مستوطنة خارج في الوقت الذي أصبح فيه مانهير بوكمان حاكماً عليها لولا ان تزايد أحوال الطمأنينة في ايران أعطاهم أملا في متأخرات افضل في المستقبل ، ولولا ان بكمان استطاع التغلب على المصاعب المحلية بالصلح الذي عقده مع المير مهنا .

حكومة مير مهنا في خارج ١٧٦٦–١٧٦٩

كان من المنتظر ان يرسل مير مهنا في وقت قريب حملة من معقله الجديد في خارج ، إما الى بوشهر او الى البحرين ، الا أن المستر جيرفس

المقيم البريطاني في بوشهر اعترف بوجود تقرير يفيد أن مير مهنا كان ينوي احترام الاموال البريطانية ، ومع ذلك فانه كان يميل الى التوصية بهجوم على خارج ، وكانت على حسب تأكيده ممكنة السقوط بارسال مركبين من المراكب القاذفة للقنابل . وعلى أية حال فان حكومة الهند امرته بأن يمتنع عن التدخل بين الهولنديين والايرانيين ومير مهنا ، وألا يستخدم أي جزء من الحملة التي ارسلت الى الخليج لمعاقبة كعب في إخضاع خارج . وفي بداية أبريل ، وربما بسبب الحياد البريطاني الحكيم ، أو ربما في أعقاب وعد كريم خان بارسال قوة كبيرة لمساعدة شيخ بوشهر ، وهو ارتباط كان من المعتقد بأن الوكيل لن يجد الوفاء به سهلا في ذلك الفصل من السنة ، فان الوضع بقي هادئاً تماماً .

وفي مايو سنة ١٧٧٦ جاء في تقرير للمعتمد والقنصل في البصرة أن مير مهنا قد أبدى « أعظم الادلة على احترامه واعتباره للانجليز ، عندما تصرف باسلوب ودي للغاية مع اشخاص محترمين من « السفينتين « بركشاير » و « الاصدقاء الأربعة » اللتين وصلتا الى كراك لتتزودا بمرشدين لائقين ليقودوا السفينتين في نهر البصرة » . وقد صرح مستر رنش ومساعدوه برفضهم جميعاً تلبية طلب لشيخ بوشهر لمساعدته بقوة من اسطول الشركة في الخليج ضد مير مهنا ، واضافوا « عدا عن ذلك وطبقاً لرأي السادة المذكورين أعلاه ، فان مير مهنا قد قام باضافات لتحصيناته في كراك واستعدادات لدفاعه عنها بما يزيد على ٣,٠٠٠ رجل حسبما أعلنوه عما رأوه عندما استعرض قواته بحضورهم . وكان الكثير من هذه القوات من الخيالة المهرة الجيدي التدريب ، ويلبسون غلالات من الزرد . وعندها أدركنا أنه من الصعب لقواتنا بوجود هؤلاء أن تكون كافية لطرده من ذلك المكان ، حتى لو كانت لدينا اوامر بالعمل ضده ».

وفي سنة ١٧٦٧ قام مير مهنا بسلب أسطول مسقط للبن ، فاستولى على ٣٨٠ بالة قهوة من مجموع ٥٨٠ بالة . وقد أدى ذلك الى شل هذه التجارة حتى الخريف على الاقل ، عندما اتخذت على ما يظهر الترتيبات لنقل المخزون المتبقي منها في مسقط على ظهر سفينة بريطانية كانت في طريقها الى أعلى الخليج .

وكان المسئولون في شركة الهند الشرقية في البصرة بقيادة السيد مور ، يميلون بعد ذلك ، وكما ذكر في الفصل السابق الخاص بالعلاقات البريطانية ، الى التحالف مع مير مهنا ضد الوكيل ، الا أن حكومة بومباي لم توافق على سياستهم . وفي سنة ١٧٦٧ ارسل المستر سكيب في بعثته الثانية الى شيراز والتي أسفرت ، كما شرح من قبل ، عن التوفيق بين البريطانيين وكريم خان للعمل ضد مير مهنا . كذلك كان من نتائج البعثة المذكورة ذلك الهجوم البريطاني الفاشل على خارج في مايو سنة ١٧٦٨ ، والذي رد عليه مير مهنا في أغسطس سنة ١٧٦٨ باحتجاز السفينة البريطانية سبيدويل .

طرد مير مهنا من خارج في ٢٦ يناير ١٦٦٩ وموته بعد ذلك (١)

وقد انتهت حياه مير مهنا الحافلة بسفك الدماء بعد آلام طويلة ، عندما تمرد عليه رعاياه الذين أصبحوا لا يحتملون طغيانه ، فقد أمر بسجن درباس وهو زعيم كان يعمل في خدمته ، وعامله بقسوة شديدة بسبب بعض الاساءات التافهة ، ولذا قام رؤساء شيوخ العرب بالتآمر ضده . وفي ليلة السادس والعشرين من يناير سنة ١٧٦٩ وبعد ان استولوا على جزء من قلعته ، فشلوا في محاولة القاء القبض عليه ، مما دفعه هو وأتباعه المقربين الى اللجوء الى برح من أبراج القلعة الرئيسية . وكان رأيه في البداية ان يعتصم في ذلك البرج ، الا أنه عدل عن ذلك ، عندما وجد أنه يبق له مؤيدون في الجزيرة ، فدبر أمر هربه من خارج في قارب صغير صحبه فيه حوالي ٢٠ رجلا ممن بقوا موالين له .

ويظهر أنه ذهب الى البصرة عن طريق الكويت حيث أعدم هناك شنقاً في منتصف ليلة ٢١ مارس سنة ١٧٦٩ بأمر من المتسلم التركي ، وقيل عندئذ إن هدف الاتراك من ذلك التصرف مع الزعيم الهارب كان

---

(١) تختلف الرواية الواردة في هذا المرجع عن موته بعض الشيء عن تلك التى رواها بارسون (راجع رحلاته ص ١٩٥ ــ ١٩٨) الا أنها أكثر صدقا منها لانها أخذت عن مصدر بريطانى مسئول وليست مأخوذة عن مصدر ايرانى غير مسئول .

قطع الطرق على طلب يُقدّم لتسليمه ويستوي فيه عار تلبيته ، وخطورة رفض تسليمه لكريم خان . وكان من المعتقد بأن راسه سيرسل الى الوكيل في إيران بعد ان يراه الباشا في بغداد ،

خارَج وريق تحت حكم حسين خان ١٧٦٩ وبعده

تحولت الادارة في خارَج وريق بطريقة ما بعد هرب مير مهنا من خارَج ، الى شخص يدعى حسين خان . وكان هذا طبقاً للمعلومات التي وصلت معتمدية البصرة في بادىء الامر « يتأرجح بين خوفه من الخان ورغبته في المحافظة على وضع اليد على جاراك وثروتها ، وتقول بعض التقارير إن شعبه كان ساخطاً على حكومته وإنهم يتركون الجزيرة يومياً لاعتزامهم تسليم الاموال الى الخان ، في حين كان يجب أن تقسم بالتساوي بين الأمير والخان ، والجيش الايراني . وشيء آخر وهو أن حسين خان كان شديد الرغبة في أن نقيم على الجزيرة حيث يحتمل أن يعطينا وكالة هناك ، ولكن ليس في القلعة كما اقترح في البداية . وتقول تقارير أخرى إن المير قد كتب الى إمام مسقط يناشده الصداقة ، ويعده بتسليم جميع الممتلكات والجلواطات في الجزيرة اذا منحه الحماية ، وسمح لرعاياه بالعيش في مسقط دون ازعاج » . وعلى أي حال فانه سيتضح ان الزعيم الجديد قد سمح لشخصين يمثلان زكي خان أخا كريم خان بزيارة خارَج وعمل جرد للممتلكات هناك .

أما عن سلوك المعتمد والمجلس في البصرة في موضوع فتح باب المفاوضات مع حسين خان ومحاولة فرض حصار على الجزيرة ، وعلى تخلي المقيم في بوشهر عن مركزه فان جميع هذه الامور مع جميع وجهات النظر ، والاوامر الصادرة بصددها عن حكومة بومباي ومجلس المديرين ، جميعها يرد في الفصل الخاص بالعلاقات البريطانية مع الحكومة الايرانية . ويكفي ان نلاحظ هنا ان شركة الهند الشرقية لم تحصل في النهاية من ثورة خارَج على أية فائدة ، سوى اختفاء مير مهنا عن المسرح شخصياً . وفي سنة ١٧٧٠ دعا حسين خان مستخدمي الشركة الى انشاء وكالة في ريق لتكون حتماً بديلا عن المقيمية التي كانت قد سحبت من بوشهر ، الا أن

المقيم في البصره لم يسعه غير رفض العرض لاسباب اهمها بالطبع علاقات شركة الهند الشرقية في ذلك الوقت مع الحكومة الايرانية ، وكان رفضه العرض بطريقة لطيفة . وقد ارتكبت قوارب من خارج في يونيه سنة ١٧٧١ حادث قرصنة خطير ضد « بريتانيا » وضد مركب آخر يحمل العلم البريطاني ، مما حمل ممثلي الشركة على الاتصال بحسين خان ، ولكن مثلما كان في السابق فانه لم يصرح للمعتمدية بالقيام بأي عمل حاسم ضده ، كما انهم لم يحصلوا على أية تسوية للخسارة الجسيمة التي نجمت عن الحادث .

★ ★ ★

أحداث بوشهر وما جاورها ١٧٦٣ - ١٧٧٩(★)

لقد نالت شئون بوشهر قسطاً وافراً من هذا التاريخ لسبب رئيسي هو ان بوشهر كانت ميناء شيراز ، والاخيرة هي طريق المراسلة بين البريطانيين وكريم خان . ولسنا نقترح هنا ان نعود لسرد الحوادث التي شرحت آنفاً مثل انشاء المقيمية البريطانية في بوشهر في سنة ١٧٦٣ ، وإعادة تأسيسها سنة ١٧٧٥ وكذلك علاقات شيخ بوشهر مع البريطانيين ومع امير ريق والعلاقات مع الوكيل نفسه ، فقد نالت جميع هذه الامور اهتماماً كافياً منا ، اما الدور الذي لعبه هو بنفسه في شئون عمان والبحرين والعراق التركي فسرد شرحه في الابواب الخاصة بتاريخ تلك البلدان .

علاقات شيخ بوشهر مع الحكومة الايرانية المركزية ١٧٦٣—١٧٦٩

كان موقف الشيخ ناصر شيخ بوشهر تجاه كريم خان موقفاً مألوفاً في الطاعة ، او حتى التبعية المخلصة كما ظهر من الدور الذي قام به ضد مير مهنا سنة ١٧٦٥ ، وضد البصرة في ١٧٧٥—١٧٧٦ . ولم يمنع ذلك قيام خلافات من حين لآخر بينه وبين مولاه ، فقد قام خلاف بينهما في سنة

(★) أشير ثانية الى أن نصر لا ناصر هو الاسم العربى لشيخ بوشهر .

١٧٦٧ بسبب الجزية التي كان يدفعها الشيخ عن البحرين ، وكان هذا الخلاف قد أدى الى سجنه في شيراز سنة ١٧٥٥ وطالبه الوكيل بدفع ٤,٠٠٠ تومان سنوياً عن بوشهر والبحرين معاً ، وعندما تردد في الرد ، ارسل كريم خان قوة بقيادة زكي خان عبر بها داشيستان ، واقفلت الممرات المؤدية بين بوشهر وشيراز وحرض زعيم داشيستن على حمل السلاح ضد الشيخ ناصر ، وفي بداية سنة ١٧٦٨ عاد سعدون أخو الشيخ ناصر الذي ارسل الى شيراز للتفاوض برد مرض ، وتوقف الاحتكاك بينهما حتى حوالي سنة ١٧٧٣ ، حيث تجدد مرة أخرى ، ولكن أمكن الحصول في وقت مبكر من سنة ١٧٧٤ على مصالحة جديدة عندما قام الشيخ ناصر بنفسه بزيارة طوعية الى شيراز ، مما سر الوكيل جداً وعين الشيخ في الحال مبعوثاً مفوضاً لتنظيم تسوية مع امام عمان .

قوة اسطول شيخ بوشهر ١٧٦٥ — ١٧٧٥

استطاع الشيخ ناصر شيخ بوشهر وبتأييد من كريم خان الذي امتد نفوذه في الامور البحرية الى أعالي الخليج ان يوسع أسطوله باستمرار خلال هذه الفترة ، وكان هذا الاسطول يتألف في سنة ١٧٦٥ وقت الهجوم على خارج من سفينة واحدة ومن ٣ جلواطات وباتيلين . أما في سنة ١٧٦٩ بعد موت مير مهنا بقليل فكان يتألف من سفينة و ٤ جلواطات و ٣٠ قارباً مسلحاً . وفي سنة ١٧٧١ أصبح مشتملا على سفينتين و ٧ أو ٨ جلواطات ، عدا القوارب . وفي سنة ١٧٧٥ أثناء حصار البصرة كان يتكون من ٢٠ جلواطة مسلحة تحمل كل منها من ٨ الى ١٠ مدافع ، وعدد من المراكب التجارية حمولتها من ٤٠—٨٠ طناً وباستطاعتها كما حدث أن تستعمل في أغراض الاسطول . وفي سنة ١٧٧٥ كان ملقى في حفرة عميقة أمام ميناء بوشهر سفينة لها ٤٠ مدفعاً لم يكن بالمستطاع تحريكها ، وقيل إنه تم الاستيلاء عليها من إمام مسقط ، ولكنها ربما كانت مجرد مركب عماني وقعت ، كما يرى ، صدفة في قبضة مير مهنا في خارج سنة ١٧٦٦ .

شئون داشتي وطنجستان حوالي ١٧٦٥

اعتاد مير مهنا ان يحتفظ بمعظم الزعماء التقليديين في الاقاليم للازمة بلاطه في شيراز او الجيش بحجة حاجته لمشورتهم ، أو لخدماتهم العسكرية ولكن في الحقيقة لمنع هؤلاء من القيام بثورات ضد سلطته في المقاطعات ، وكان من بين هؤلاء الذين تعامل معهم كريم خان بهذا الشكل خان داشتي الذي كانت خرموج عاصمة له . وقد عين أحد أعمامه ليحكم المقاطعة أثناء غيابه ، الا أن هذا البديل ما لبث أن اصيب بالعمي وحل محله جعفر أخو الخان ، فأوفد كريم خان الامير كهنة خان مع قوة الى الساحل في نهاية سنة ١٧٦٤ او بداية سنة ١٧٦٥ لملاقاة مير مهنا ، وليخلع حلة شرف على جعفر خان حين مروره به على الطريق . ولكن مغتصب السلطة هذا قد أدرك دون شك نوايا الوكيل الحقيقية . وحاول دون نجاح أن يدمر قوة كهنة خان عند شعب ضيق لابد لها من ان تمر فيه ، وبعد هذا الفشل لجأ جعفر خان الى الجبال ولكنه أسر في غضون أيام قليلة ، وارسل الى شيراز حيث حكم عليه بعقوبة هي نقل رابية ترابية من داخل المدينة الى مكان خارج ابوابها . وعلى الرغم من ان ريق كانت الهدف النهائي للامير كهنة خان ورغم خضوع داشتي لسلطة الوكيل تماماً بعد أسر جعفر في شهر فبراير سنة ١٧٦٥ أو قبله ، فقد أصر على تدمير جميع مدينة خرموج عدا المسجد ومشهد الامام . وكان يقيم طوال فترة نزوله هناك في معسكر محصن وكأنه في بلاد معادية ، واخيراً قام بترك كتيبة خلفه زاحفاً في شهر مارس على ريق ، لجمع عائدات قرية أهرام الواقعة في طنجستان وما جاورها من القرى . وكان هناك في هذا الوقت عدد من القرى المحصنة في قصبة طنجستان الواقعة في الاقليم المسمى بهذا الاسم ، وكانت هذه القرى تتألف من أكواخ من الحصير محاطة بأسوار من الطين والخنادق ، وكان زعيمها معتاداً قبل ان تصل الجيوش الايرانية الى جيرته على حمل المسافرين الذين يمرون من هناك على دفع الاموال لحراس الطريق.

حوادث ساحل شيبكوه والمنطقة التى تقع أسفل منه ١٧٦٣ ـ ١٧٧٩

كان اكثر الحوادث اهمية من وجهة النظر البريطانية مما وقع في ساحل شيبكوه ، والمنطقة التي تقع اسفل منه ، خلال هذه الفترة هي حجز القراصنة للسفينة « إسلام أباد » أمام موغوه في سنة ١٧٦٥ ، والقاء شيخ جاراك القبض على قارب مسلح من قوارب شركة الهند الشرقية سنة ١٧٦٧ ، وانفجار السفينة الحربية «ديفيانس» بالقرب من لافت سنة ١٧٦٧ لما لها من علاقة بهذه القضايا ونظراً لارتباط هذه الامور مع بعضها فاننا قد تناولنا ها بالشرح في الفصل الخاص بالعلاقات البريطانية .

زكي خان يدمر كنجون ١٧٦٧

يظهر ان ميناء كنجون قد شق عصا الطاعة في سنة ١٧٦٥ على سلطة كريم خان . فقد حدث في بداية تلك السنة لدى و صول قائد الوكيل الامير كهنة خان الى خرموج ، ان السكان لم يرفضوا فقط مساعدته في البحر ضد مير مهنا صاحب ريق ، بل استعدوا للقتال ، واتخذوا الاحتياط من مباغتتهم ، بالنوم ليلا في مراكبهم ، بدل النوم على البر ، وربما كان ما يخشاه هؤلاء أن يجبروا على دفع الجرية . وكان هناك في هذا الوقت من سنة ١٧٦٧ خلاف بين الوكيل وشيخ بوشهر . وقام زكي خان أخو كريم خان الذي كان قد ارسل الى دشتيستان مع قوة مكونة من ٦,٠٠٠ رجل بغارة مفاجئة على كنجون فدمرها عن آخرها .

★ ★ ★

حوادث المنطقة المجاورة لبندر عباس وهرمز
١٧٦٣ ـ ١٧٧٩

لم يعد لبندر عباس منذ انسحاب المعتمدية البريطانية منها سنة ١٧٦٣ نفس الاهمية التي كانت لها في السابق عند ممثلي شركة الهند الشرقية ، واضحت اخبارها نادرة الورود في سجلات الشركة الرسمية . وقد ارسل المستر برايس ، عندما انشئت المقيمية البريطانية في بوشهر سنة ١٧٦٣ اوامر الى المختص في كرمان ــ وكانت معتمدية بندر عباس تعتمد عليه في السابق ــ بأن يرسل ما تجمع لديه من الصوف الى بوشهر وأن لا يتكلف أية مصاريف أكثر على حساب الشركة في كرمان وقد شرحت في المكان المناسب علاقة خان لار وشيخ هرمز غير المباشرة بقضية السفينة « اسلام أباد » .

استيلاء قوات كريم خان على لار وسقوط بندر عباس
١٧٦٦ ــ ١٧٧٣

فشل ناصر خان صاحب لار في دفع الضريبة المتفق عليها بينه وبين كريم خان بانتظام في سنة ١٧٦١ ولذا ارسل الوكيل في وقت مبكر من سنة ١٧٦٥ قوة كبيرة ضده بقيادة صادق خان. ويبدو أن لار قد خضعت له نتيجة للعمليات العسكرية واستولى الجيش الايراني على اموال الخان ولم يسمع فيما بعد أي شيء أكثر عن مركز خان لار الوراثي .

وفي سنة ١٧٧٣ عندما كان معتمد البصرة وطاقمه في طريق عودتهم من بومباي عرجوا على بندر عباس فوجدوها خراباً بلقعاً اذ حدث في غياب حاكمها الشيخ محمود الذي ذهب الى شيراز تاركاً ابنه لادارة الميناء ان سرت اشاعة بأن زكي خان ومعه قوات كبيرة من الجيش الايراني على مقربة منها مما أدى الى اخلائها موقتاً من معظم من تبقى من سكانها .

أعمال شيخ هرمز وعلاقاته مع حكومة ايران المركزية .. الخ
١٧٧٣ ــ ١٧٧٨

كان الشيخ عبدالله صاحب هرمز بعد اذعان لار وبندر عباس لسلطة الوكيل ، قد نال اعتراف كريم خان به بشكل صريح كصاحب قوة

بحرية في القسم الادنى من الخليج مثلما كان يعترف تماماً بالشيخ ناصر صاحب بوشهر في الجزء الاعلى منه . وبفضل هذا التشجيع استمرت دعائم قوته البحرية ، المماثلة لقوة شيخ بوشهر ، في الازدياد . وفي سبتمبر سنة ١٧٦٦ جاء في تقرير للقبطان جستيس قائد « بيركشير » الذي أمضى ثلاثة أو أربعة أيام في هرمز لدراسة شئون السفينة «إسلام أباد » قوله في وصف وسائل دفاع الشيخ « ان قلعته بمجموعها ممزقة الاوصال ولا يوجد عربة مدفع من مدافعه الا وهي غير قابلة للاستعمال وان حالة سفنه سيئة جداً بحيث إنه باستطاعة سفننا الوصول الى القلعة بسلام ، واذا ما ذهبت السفن فان القلعة لا تستطيع الصمود أكثر من ساعتين » . وفي سنة ١٧٧١ كان اسطول هرمز يتألف من حوالي اثنتي عشرة سفينة ومن الواضح انها كانت ذات فعالية كاملة . وفي نوفمبر سنة ١٧٧٣ جاء في تقرير أن سفن هرمز قد خرجت منها وكانت تقبض على كل قارب تقابله في الخليج .

ومن الواضح انه لم يكن هناك حسن تفاهم دائم بين الشيخ عبدالله وسيده اذ ان الاول قام في سنة ١٧٧٣ بالاشتراك مع والي مسقط وشيخ رأس الخيمة بارتكاب غارات سلب على الساحل الايراني في بندر عباس ولنجة . وفي سنة ١٧٧٤ ورد فعلا في تقرير لا نستطيع التثبت من مدى صحته أن زكي خان قد خدع بانتقاله من بندر عباس الى هرمز للزواج من ابنة الوكيل ، وهناك احتجزه الوكيل مع اربعين آخرين كضمان لتخليص ابنه الذي كان كريم خان طبقاً لتجربته المعتادة قد احتجزه في شيراز كرهينة لقاء والده . وعلى أية حال فان موقف الشيخ في سنة ١٧٧٨ قد تبدل اذ اننا نجده في هذه السنة ، ولاول مرة ، يقدم على مقاومة إمام مسقط ، ثم اختطفه عملاء هذا الحاكم كما هو مبين في مكان آخر ، وقد شب في نفس الوقت عداء مستحكم بين رعايا الشيخ واهالي بوشهر واسر الهرمزيون اثنين او ثلاثة مراكب لبوشهر ، واسر أهل بوشهر مركباً واحداً لاهل هرمز . وقد قيل إنه بحلول سنة ١٧٦٥ استطاع الشيخ عبدالله ان يطرد القواسم من ذلك الجزء من الساحل الايراني

الخاضع له ، والذي عمل القواسم على توطيد أنفسهم فيه أثناء الاضطرابات التي حدثت في السنوات التالية . كما ظل بقية حياته قادراً على ابعاد ظلهم عنه .

★ ★ ★

تجارة شركة الهند الشرقية في ايران
١٧٦٣ ـ ١٧٧٩

لقد وصف نيبور تجارة الواردات الايرانية المحمولة على السفن البريطانية في سنة ١٧٦٥ بأنها كانت تتألف في غالبيتها من المنسوجات ومن بضائع سورات والبنغال الهندية

الاصواف

وكما حدث في الفترة التي سبقت سنة ١٧٦٣ استمر استيراد السلعة الاساسية وهي الاقمشة الصوفية من مختلف الانواع الى ايران بواسطة شركة الهند الشرقية .

١٧٦٣

وفي سنة ١٧٦٣ عند تأسيس الوكالة البريطانية في بوشهر مهد مستر برايس السبيل لانزال كمية مقدارها ٣٨٤ باله من الجوخ و ١٨٤ بالة من قماش الشيت واربعة صناديق من الدوبيت والساتان لان هذه كانت الأنواع المناسبة للسوق الايرانية . وكان المقيم البريطاني المعين حديثاً مُنح سلطة التصرف في الاقمشة المذكورة عند اول فرصة بأسعار تنخفض عما هو معتاد في بندر عباس لكي يجذب نظر التجار الريفيين ، ويثبط عزيمة الهولنديين في خارج عن المنافسة التجارية . وكان على المستر جيرفس أن يعد قوائم بجميع أنواع الاصواف المناسبة للبيع في مختلف نواحي ايران ، وتقديرات لما هو محتمل ان يطلب سنوياً من كل نوع . وبعد ذلك اعطيت اوامر مشددة للمقيم البريطاني في بوشهر الا يبيع البربت الا اذا باع معه القماش لان المكسب في القماش كان يفوق المكسب في البربت بدرجة كبيرة . ومن حين لآخر كانت تقوم صعوبات في البيع » .

١٧٦٤

وفي مارس من سنة ١٧٦٤ كتب المستر جيرفس تقريراً أثبت فيه عدم تسلمه الشيت القرمزي أو الاصفر الزاهي من السفينة « دريك » ، وان القماش الخشن الذي استلمه من السفينة « نانسي » سبب ضرراً كبيراً لمبيعاته بسبب كونه كله من لون واحد . وفي شهر يناير امتنع المشترون عن شراء القماش الخشن والشيت بكميات تعادل النقود التي أحضروها معهم ، وذلك لنقص الانواع الاخرى . وقد اضطر لتخفيض روبيتين في كل قطعة من الشيت الازرق والاخضر التي اخذها الخراسانيون الامر الذي جعل من الضروري جداً أن تكون هناك نسبة ٢٠ او ٢٥ بالمائة من الشيت القرمزي والاصفر الزاهي الى مائة باله من الالوان الاخرى التي بدونها لا يتم البيع الا لاصحاب الاناقة ، لانه لون يكرهه الايرانيون عادة . واضطر بعد ذلك في نفس السنة ان يرفض عرضاً للتجار الخراسانيين الذين كانوا في زيارة بوشهر ، وهو ان يأخذوا كل الشيت الاخضر والازرق بسعر القطعة ٢٠ روبية على شريطة ان يبيعه لهم على حدة . وعندما علم التجار أنه لا يوجد في الكمية شيت قرمزي أعلنوا عزمهم على الانتظار حتى يأتي بعضها . وفي نفس الوقت على أية حال كانت المبيعات في الوكالة تافهة . وفي الخامس من أبريل سنة ١٧٦٦ كان رصيد الصندوق في بوشهر ٣٨٠٢١ روبية من المبيعات الحديثة لعدم توفر الانواع الاخرى المناسبة من الشيت والقماش الخشن لأنها كانت قليلة ولكن في نفس الوقت في بداية مارس صُدِّرت إرسالية مستعجلة في المركب « ارتار » من بومباي بها ١٥٠ بالة من القماش و ٢٠٠ بالة من اقمشة أخرى للسوق الايرانية . وفي فبراير سنة ١٧٧٥ وبالرغم من الاخطار التي كانت تحدق بالبصرة من جانب ايران وامتناع المعتمد البريطاني والمجلس عن حماية السفينتين ايجل « النسر » وسكسس « النجاح » استطاعت حكومة بومباي أن ترسل ٣٠٠ بالة من الاصواف الى ذلك المكان بواسطة السفينة دريك وارسلت ٢٣٠ بالة منها ٣٠ بالة في سفينة أهلية خاصة مستأجرة .

١٧٧٦

وفي أوائل صيف سنة ١٧٧٦ بعد ان وصلت كمية جديدة من الاصواف الى بوشهر بذل مجهود بأوامر من الوكالة البريطانية لرفع أسعار البيع ، ولكن الوقت لم يكن مناسباً لهذه المحاولة لانه في الفترة ما بين شهر يونيه وشهر أغسطس اعتاد كثير من التجار أن يغادروا بوشهر الى شيراز هرباً من حرارة الساحل . ولم يكن هناك بيع بالتجزئة الا في سبتمبر . وقد قام تضامن بين التجار لمقاومة رفع الاسعار ، وكان يؤيد هذا التضامن شيخ بوشهر الذي كان هو المشتري الاساسي للاقمشة التي تستوردها الشركة . وفي النهاية قرر المعتمد البريطاني تصفية جميع البضائع قبل نهاية الموسم التالي .

١٧٧٨

وفي سنة ١٧٧٨ اشتد الطلب في بوشهر على قماش الشيت والمدولس والقماش الخشن .

الصفيـــح

ويبدو ان تجارة الصفيح لقيت راوجاً كبيراً في بوشهر والبصرة والي عام ١٧٦٤ ، ففي اواخر ذلك العام اقتسمت ارسالية من بومباي بالتساوي بين البلدين . وفي وقت مبكر من العام أخذ المعتمد البريطاني في بوشهر ١٤١٠٧ علبة من الصفيح من السفينة « دريك » التي كانت مارة وباعها للتجار المحليين بسعر ٣ روبيات للوزنة التبريزية ، وقدر الكمية السنوية المطلوبة بعشرة آلاف من التبريزي بحوالي هذا الثمن . ومن المحتمل ان تكون الوكالة البريطانية ارسلت بموجب نصيحة منه كمية أكبر ، لكنه لقي اللوم لانه باع علبة الصفيح على حدة ولم يبع معها الالواح التي لم تكن تطلب كثيراً .

السكر

وكان السكر ايضاً في ذلك الوقت سلعة للتجارة مع ايران . ونجد أن تاجراً كبيراً في بوشهر في سنة ١٧٧٣ اشترى ١٢٤ صندوقاً من

السكر بسعر المنّ التبريزي ٨ روبيات من القبطان « نسبت » قائد السفينة « رفنج » .

الصادرات

وكانت صادرات ايران من بوشهر كما أحصاها نيبور الذي زار المكان سنة ١٧٦٥ هي نسيج الحرير في يازد وكاشان وحرير أحمر جيلاني وسجاجيد « كان أعظمها قيمة من أصفهان » والصوف الناعم أو شعر الماعز من كيرمان والخيل والبغال والراوند وعقاقير أخرى والقطن والفواكه وماء الورد وكمية كبيرة من النبيد الشيرازي . ولم تتعامل شركة الهند الشرقية على أية حال في كل هذه السلع بل تركت التجارة في بعضها الى المعتمد البريطاني في بوشهر على أحسن ما يستطيع كتاجر مستقل

الصوف الخام

وما زال صوف كرمان ، بالرغم من بعد مواطن الانتاج من بوشهر يدخل في تجارة التصدير في إيران ، ويؤيد ذلك الملاحظات الآتية التي أبدتها حكومة بومباي في سبتمبر سنة ١٧٦٧ بالاشارة الى خطاب من أتباع الشركة في بوشهر : « أخطرونا أنهم ارسلوا لنا ٦٦ بالة من صوف كرمينيا في السفينة « سكسس » على حساب ومسئولية محمود حسن ، وكانت من النوع الفاخر الا أنها تأثرت بالحشرات . وكان ذلك السبب الذي من أجله لم يحددوا سعراً لها ، وقد رغب موظفكم المترجم ان يحال الموضوع لنا لنقدر للبضاعة السعر الذي نراه مناسباً . وارسلوا لنا أيضاً بالتين من الصوف الجديد على مسئولية الشركة ، وقد تعاقدوا أيضاً على ٣,٠٠٠ بالة بسعر ٦ روبيات لكل موند(١) شاملة جميع المصاريف . ولكنهم كانوا يخشون من ان القيود التي وضعت على تجارتهم ستثبط عزيمة المتعاقدين ، وتسبب فشلا لهذه السلعة التي وإن كنا نحن المشترين الوحيدين لها في ايران فانهم لم يتنبهوا الى هذا عند تحديد السعر المذكور ، وذلك لان معظم الاغنام نفقت بسبب الاضطرابات التي وقعت في كارمينيا » .

---

(١) الموند = ١٠٠ رطل هندى .

وبعد ذلك بقليل ، ولدى إعطاء الاوامر لبعثة مستر سكيب الثانية إلى شيراز ، طلبت الوكالة البريطانية وجوب تحديد ثمن صوف كرمان في المعاهدات التي كانت ستعقد مع كريم خان .

الحرير الخام « الطبيعي »

واعطى امر مشابه فيما يتعلق بالحرير الخام : وبصفة خاصة ، حرير جيلان الاصلي حيث كان من الواضح ان هيئة المديرين في لندن اعتبرت التجارة فيه هامة مع العلم ان بواعث المجازفة وصعوبة الحصول عليه جعلتهم في بعض الاحيان يعدلون أو يلغون الطلبات التي سبق أن أمروا بها . وفي مارس سنة ١٧٦٨ طرحوا جانباً أي تفكير في الموضوع في ذلك الوقت ، ولكن بعد عام واحد اهتموا مرة أخرى بوجوب الحصول عليه . وكان من المتوقع ان تجمع كمية كبيرة من البصرة في بداية عام ١٧٧١ ولكن مرة أخرى في نهاية نفس العام ارسلت الاوامر من لندن بالكف عن شراء الحرير الخام .

النحاس الاحمر :

وتتوفر ايضاً دلائل على ان النحاس الاحمر كان ما يزال يصدر من ايران بواسطة شركة الهند الشرقية .

النقود والمقايضة :

ويبدو أن وسيلة التبادل (العملة) في تلك الفترة أثارت مشكلات عويصة . ومن الواضح أنه كان لكريم خان آراؤه الخاصة في هذا الموضوع ، واخيراً شجعته هذه الآراء على ان يمنع إخراج العملة قطعياً من ايران والا سيحكم على المذنب لا بمصادرة الأموال التي كان يحاول تهريبها فحسب بل مصادرة جميع املاكه . وفي سنة ١٧٧٠ كانت قافلة متوجهة من شيراز الى بوشهر تحمل ٥٠٠ تومان من النقد فأمر بوقف القافلة واستولى على المال ووضع صاحبه في السجن . وفي ذلك الوقت كانت ايران والعراق التركي تعانيان نقصاً كبيراً في العملة ولكن يبدو أن الاجراءات السريعة التي اتخذها كريم خان كان لها بعض الاثر في تعديل

الميزان التجاري في ايران . ومن حين لآخر كانت الشركة تميل الى السماح بالبيع عن طريق المقايضة عندما كانت تريد ان تتخلص من الكميات الكبيرة لديها مما لم يكن تم بيعه . انظر الى التعليمات الآتية من هيئة المديرين التي صدرت للمعتمد وللمجلس في البصرة في سنة ١٧٧١ :
« بعد أن نظرنا بعين الاعتبار الى ما كتبته لنا في موضوع حرير جيلان الخام وكميات الاصواف الكبيرة التي بقيت لديكم في المخازن وفي بومباي فاننا نرغب ، وتبعاً لذلك نخولك السلطة ، ان تتخلص من هذه الاصواف عن طريق المقايضة بالحرير دون ان تدفع نقداً من أجل ذلك ، الا اذا وجدت أنه من المستحيل تماماً أن تحصل على الحرير بهذه الشروط. وفي هذه الحالة فاننا نأمل أنك ستستطيع الحصول عليه بالسماح للتجار بقبض ربع الثمن نقداً عن مثل ذلك الحرير الطبيعي » .

وفي الواقع فانهم اعتبروا القيود التي فرضت على تعاملهم في العملة ظلماً، وكانوا ساخطين جداً على الطريقة التي كان يجري بموجبها تنفيذ تلك القيود في بوشهر ، وعلى الضرر الذي حاق بهم من التجارة الخارجية . وفي سنة ١٧٧٦ قدم تجار بوشهر عرضاً لم يحظ بالقبول وهو ان يشتروا جميع الشيت الموجود بالوكالة نقداً وأن يقايضوا بالحرير على جميع ما يتبقى من الاقمشة . ولكن في سنة ١٧٧٨ وصلت ٤٢ لفة من حرير جيلان الطبيعي من شيراز ، واودعها خوجا عازار بالوكالة، وكانت النتيجة أنه تسلم ما تبقى لدينا من الاصواف ومبلغ ٩-١-٩,٦٦٦ روبية مطلوب دفعها على هذه الوديعة .

المن التبريزي

من المهم ان نلاحظ أنه قامت شكوك في سنة ١٧٦٤ بالنسبة للمن التبريزي وما يعادله من الوزن الانجليزي، فأصدر المستر جيرفس المعتمد البريطاني في بوشهر بياناً بأن المن التبريزي بعد الفحص يساوي ٧,٣٨ رطلا للوزن التجاري ، ولكن حكومة بومباي تمسكت برأيها بأنه في الواقع لا

يزيد عن ٦ أرطال(١) وكان من نتيجة ذلك أن أمرته إما أن يتعامل بالوزن الانجليزي او يعتبر المن التبريزي لا يقل كثيراً عن ٧ أرطال .

التجارة بصفة عامة

ازدهرت التجارة اثناء حكم كريم خان ، وقد ذكر أن ايرادات الجمارك بلغت في ذلك الوقت في شيراز على أساس ٢ في المائة من الثمن الاصلي « ٦٠٠٠ » تومان شهرياً .

الجمارك والقنصلية

عند انشاء المعتمدية في بوشهر سنة ١٧٦٣ اتفق على ما يبدو دون علم السلطات الايرانية على وجوب فرض المعتمد البريطاني ضريبة مقدارها ٣٪ لصالح الشركة على جميع البضائع المصدرة والمستوردة بواسطة المنتفعين بالمتاجرة تحت حماية الشركة وضريبة مقدارها ١٪ بالاضافة الى ذلك للقنصلية على جميع التجارة البريطانية على أن تجمع وتقتسم بالتساوي بين المقيم البريطاني في بوشهر والمعتمد في البصرة . وفي الثالث من ابريل قرر المجلس في بومباي أن ١٪ يجب ان تحصل مستقبلا لصالح الرئيس . ويبدو أن هذا كان علاوة على الـ ١٪ السابقة . وقد اتخذ المجلس هذا القرار لكي يجعل الجمارك والضريبة القنصلية في بوشهر مساوية للضريبة الرئاسية .

---

(١) المن التبريزى في الوقت الحاضر يساوى ٦٫٥٤٧ رطلا انجليزيا وربما يعتقد أن التجار المحليين ضللوا المستر جيرفس بأن أظهروا له أن المن في بوشهر هو الآن ٧¾ رطلا انجليزيا .

مؤسسات شركة الهند الشرقية في ايران
١٧٦٣ ـ ١٧٧٩

كانت مؤسسات شركة الهند الشرقية المعترف بها في ايران مقصورة في تلك الفترة على المعتمدية في بوشهر .

نفوذ وواجبات المعتمد البريطاني في بوشهر

كان المعتمد البريطاني في بوشهر في أول الامر خاضعاً لاوامر الوكيل والمجلس في البصرة ولو أنه يبدو من جميع المراسلات في كل الشئون بينه وبين بومباي أنها كانت تمر بطريقة عادية، وان كانت له السلطة بل ولديه الاوامر بأن يغتنم الفرص السانحة عند مرور السفن المتجهة رأساً الى بومباي ويتصل اتصالاً سريعاً بالرئاسة . وقد سمح له في حالات عدم وجود سفن ناقلة للشركة أن يرسل بضائع لا تزيد قيمتها عن خمسين الف روبية في أية سفينة أهلية متجهة الى صورات او بومباي . وفي سنة ١٧٦٤ عندما عين المستر رنش في وكالة البصرة أبلغ المعتمد في بوشهر بأن يمده بالمعلومات الضرورية في سائر الشئون التي تحت ادارته وأن يطيعه كوكيل مستقبلا بما يتفق مع القواعد المرعية في الخدمة .

وقد استقبل المستر جيرفس المعتمد البريطاني الاول في بوشهر سنة ١٧٧٥ الرحالة المعروف نيبور ، وقدمه عندما سافر الى برسوبوليس الى تاجر انجليزي شاب كان يستخدمه في شيراز . ويقدم لنا نيبور لمحات طريفة عن حياته مضيفيه كليهما في بوشهر وشيراز .

المستر جيرفس

كان المستر جيرفس الذي نال حظاً وافراً من التعليم في شبابه ما زال يكرس نفسه للدراسة طول الوقت الذي يفرغ فيه من العمل، فهو يتكلم ويقرأ ويكتب الايرانية، وبدأ في تكوين مجموعة من المخطوطات الايرانية التي كان بينها واحد عن حياة محمد مهدي خان نادر شاه ، وقد ترجمت بعد ذلك بواسطة السير و. جونز من نسخة أخرى مختلفة .

وكان المساعد الرسمي الوحيد للمستر جيرفس في بوشهر هو مستر ناتر ، وهو ابن نقاش حجر ذي سمعة في اوروبا كان في وظيفة كاتب في خدمة الشركة . ولم يكن هناك اوروبيون في بوشهر باستثناء راهبين أحدهما يسمى نفسه أسقف أصفهان .

مستر هرقل

وكان المستر هيركوليس ممثل المستر جيرفس في شيراز ينتمي الى عائلة انجليزية كبيرة ولكن لم تكن له مكانة رسمية بسبب كونه مجرد وكيل للمستر جيرفس في تجارته الخاصة . وكانت حياة هذا السيد في العاصمة الايرانية مملة الى اقصى حد ، لا بهجة فيها لأنه كان الاوروبي الوحيد المقيم هناك. وكان الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يتحادث معه(١) بحرية هو ضابط امريكي في مدفعية كريم خان ، واعتباراً لمركزه في نظر النبلاء وكبار التجار لم يكن يظهر في الشوارع الا وهو ممتطياً حصاناً مصحوباً بحاشية من الخدم .

القيود المفروضة بواسطة المديرين على المعتمد في بوشهر ١٧٦٦

ويبدو محتملا ان وضع هيركوليس الشاذ في شيراز حيث استغله المستر جيرفس بلا شك في أعماله الخاصة والعامة ، وصل في النهاية الى مسامع مجلس المديرين في لندن ، فأظهروا استنكارهم في كتابهم الرسمي المذكور سابقاً في مايو سنة ١٧٦٦ ، وفرضوا قيوداً على النشاط السياسي للمعتمد ومنعوه من ان يعين له وكيلا في شيراز . ولا بد انهم كانوا يشيرون الى مسألة هيركوليس حين قالوا : « فاذا كان هذا الوكيل تابعاً للشركة فهذا يكبدها مصروفات لا داعي لها ، وأسوأ من هذا لو كان

(١) من الاقتباس التالى من خطاب كتبه الوكيل والمجلس في البصرة الى الرئاسة في بومباى سنة ١٧٧٠ يبدو أن معرفة اللغة لم تكن عامة بين أتباع الشركة الموظفين في الخليج · « ونحن نقدم أيضا لسيادتكم ·· موافقتنا على ارسال المستر داو لكى يرافق المستر مورلى كما أنه يمكن الحصول منه على معلومات مفيدة في لغة الخليج ويمكن أن توضع فيه ثقة كبيرة في ترجمته أكثر من أى شخص من أهل البلد » ·

أرمنياً أو من أهل البلاد ممن يعملون لمصلحتهم الخاصة أكثر مما يعملون لصالح الشركة . فالموظفون في الوكالة من غير أصحاب الولاء الصحيح لها ولا يفهمون اللغة الانجليزية ، ان وجد منهم أحد فلا مجال للسماح له بالاطلاع على حسابات الشركة او أية خطابات أو صفقات تجارية مما لا ينبغي أن يطلع عليه الا من كان أصلا عندنا . فاذا لم يكن هناك العدد الكافي فان الرئاسة بناء على طلبكم ستزيد العدد » . ويلاحظ أنه في نفس هذا الخطاب الرسمي وضعت قواعد مشددة فيما يختص بمراسلات المعتمد في بوشهر ، ففرض عليه مستقبلا ان يكتب للوكالة نسخاً من مكاتباته مع بومباي معنونة الى الوكيل والمجلس في البصرة لترسل بأية وسيلة من وسائل النقل يمكن أن تتاح له .

مساعد للمعتمد وضباط أطباء الخ

يبدو أنه لم يكن للمعتمد في بوشهر موظف متعاقد يساعده فيما عدا مستر ناتر(١) ، وذلك حتى بعد إعادة تأسيس الوكالة سنة ١٧٧٥ . ولكن في سنة ١٨٧٨ أصبح المستر جرين يعمل هناك تحت امرة بومنت زميله في سجن شيراز . وكان هناك صراف يعمل في مؤسسة بوشهر في البداية . وقد عين أصلا بأمر من المستر برايس وصدر الامر هكذا : « بما ان النقود الخاصة بمبيعاتكم ستدفع بعملات مختلفة من ذهب او فضة فان وجود الصراف سيكون ضرورياً لمنع كل تلاعب . ولذلك عهد اليك بتعيين واحد . ولكي تشجعه على السير باخلاص في واجبه فيمكن أن تسمح له بمقدار ½ ٪ » وفي سنة ١٧٧٨ كتب المستر بومونت وجرجن ما يأتي : « لا يوجد لدينا طبيب جراح في بوشهر ونشعر بحاجة شديدة الى نجارين . نحن نطلب معروفاً من سيادتكم لتمدونا بطبيب جراح

(١) لقد وصف المستر ناتر بأنه كاتب قبل ذلك ولكنه لم يكن من الواضح أنه موظف متعاقد .

لخدمة الوكالة ونأمل أن يشفع لنا بذلك قسوة الفصول الحارة والتغير المفاجيء للهواء هنا مما يعرضنا للمرض . ونحن نرجو أيضاً إحضار اثنين من النجارين لاننا نحتاج لهما في مناسبات كثيرة ولا يمكننا الحصول على واحد في هذا المكان » .

حرس حربي وسفينة لبوشهر

وعندما افتتحت المعتمدية البريطانية سنة ١٧٦٣ في بوشهر حضرت اليها هيئة حرس بسيطة تتكون من ١٢ رجلا تحت إمرة ضابط اوربي لتعطي للوكالة شيئاً من الاهمية . ولا شك أنها ظلت هناك مع العلم أن الضابط (الملازم توماس برنفورد) انسحب بعد ذلك بعام . وقد أنهى مستر برايس تقريره عن فتح معتمدية بوشهر معلقاً بالآتي : « إنني أضيف فقط الى هذا ان الامطار في هذا الجزء من العالم ليست موسمية ولا يمكن تدبير سفن لنقل البضائع الا المراكب الصغيرة التي ليست مكشوفة فحسب بل وايضاً سيئة لدرجة يرثى لها في أي جو عاصف . ويبدو لي أنه من الضروري وجود سفينة حمولتها ١٠٠ طن لها سطح وشراع من البيكة (قماش قطن) تشبه قوارب النقل الهولندية صورات . ويمكن ان نجعلها تصلح للدفاع بتركيب ٨ أو ١٠ مدافع فوقها. وستكون ذات قيمة كبيرة في نواح مختلفة وبصفة خاصة لنقل فائض العملة من بوشهر الى البصرة كلما تطلب الامر ذلك » . وعلى أية حال ، فانه لم يحصل قبل سنة ١٧٦٦ ، أي بعد ثلاث سنوات من ذلك أن وافق المجلس والوكيل في البصرة لمعتمد بوشهر على شراءمركب لحمل الطرود الى البصرة، ومن آن لآخر الى مسقط. وهم حتى بذلك المركب كانوا يأملون ان توفر الشركة مبلغاً كبيراً في الشحن .

معاملة الشركة لموظفيها

كانت الشركة غالباً ما تظهر في معاملتها للموظفين وخصوصاً في الحالات الشاذة كرماً زائداً . وعلى سبيل المثال فان ستيفن هرمت اللغوي في مركز بندر عباس ثم في بوشهر بعد ذلك والذي رافق الملازم دارنفورد الى شيراز سنة ١٧٦٣ وفقد حياته في انفجار السفينة «ديفيانس» سنة ١٧٦٧ أعطيت ارملته واطفاله منحة(١) سنة ١٧٦٩ تكفي لمعيشتهم عيشة مناسبة . وعند استقالة كل من المستر بومنت وجرين سنة ١٧٧٥ بعد ان خدما سنتين في إيران فقط كوفئا بمنحة قدرها ٤٠٠٠ أربعة آلاف روبية من الشركة لكل منهما تقديراً لجهودهما .

★ ★ ★

حكام عائلة الزند بعد كريم خان ١٧٧٩ ـ ١٧٩٥

ان الفترة التي أعقبت موت كريم خان كانت فترة فوضى وقلق ازدادت في أثنائها قوة الكاجار المازندرانيين بصفة ثابتة على حساب الزند في شيراز . وفي عام ١٧٩٥ انتقلت السلطة تماماً في ايران من القبيلة الجنوبية الى الشمالية . ويمكن أن نعالج الحوادث في ذلك الوقت من ناحيتين . اولاً : في علاقة هذه الاحداث بتاريخ إيران على وجه الاجمال . وثانياً : في تأثيرها على مناطق الساحل الفارسي الذي نهتم به الآن اهتماماً أكبر من ذي قبل .

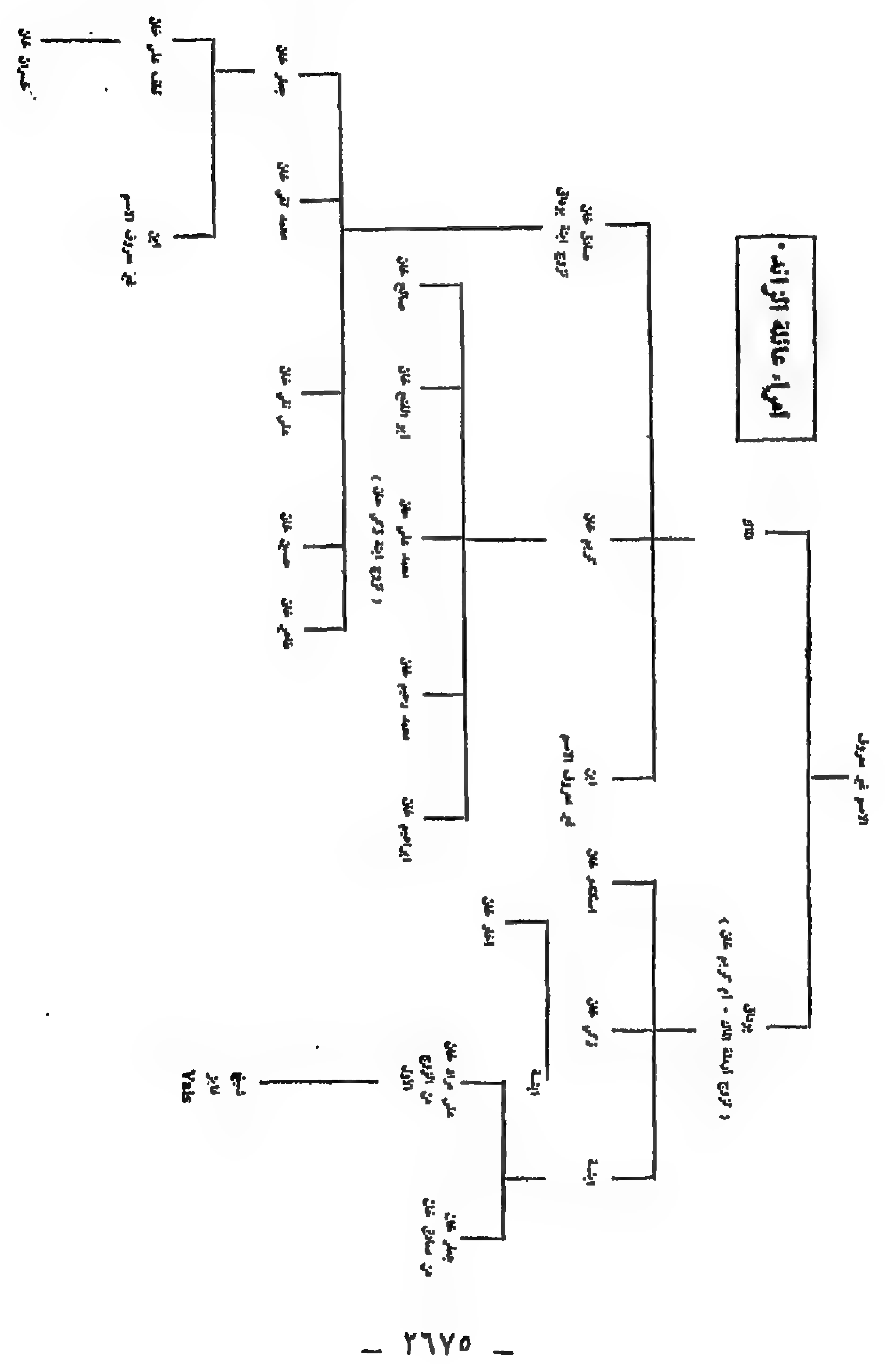
ولكي نبين حالة الشقاق التي كانت سائدة بين امراء الزند والتي

---

(١) هذه المنحة كانت لا تزال تدفع في سنة ١٧٨٨ على أساس ٣٠ روبية في الشهر .

يعزى اليها وحدها تفوق الكاجار عليهم نرفق فيما يلي جدولا يتضمن رسماً تخطيطياً يبين انسابهم :

وسنرى ان احدهم وهو جعفر خان يظهر في مكانين من الجدول .



التاريخ العام لايران ١٧٧٩ ـ ١٧٩٥
تاريخ أقاليم الساحل الايراني

حكم زكي خان ٢ مارس الى ١٤ يونيه ١٧٧٩

بعد وفاة كريم خان اغتصب السلطة العليا زكي خان وهو أخوه (غير الشقيق) وكان قائداً حربياً معروفاً بشراسة خلقه وبنشاطه . وكانت خطوة الحاكم الاولى هي القضاء على عدد من الزند ذوي النفوذ وآخرين ممن تجرأوا على المطالبة بأبي الفتح خان ابن كريم خان . وقد تظاهر اولا بأنه يحكم نيابة عن ابي الفتح خان واخ له يدعى محمد علي خان (وهو زوج ابنة زكي خان) وقد ايده في تلك الخدعة السياسية (الانقلاب) ابن اخته علي مراد خان وهو رجل قدير طموح سنعرف الكثير عنه فيما بعد ، لكن عدداً من أفراد الاسرة كانوا مناوئين له ، وبصفة خاصة صادق خان الذي ادعى لنفسه الحق في ان يخلفه .

وعند موت الوكيل صادق خان كان حاكماً على مدينة البصرة فيما هي محتلة من القوات الايرانية ، وفور سماعه النبأ الخطير أخلى المدينة وتقدم الى شيراز آخذاً معه جميع قواته . وعندما علم وهو في طريقه عند مدينة دورق أن زكي خان قد استولى على السلطة فعلا ارسل ابنه جعفر خان للمفاوضات نيابة عنه للاشتراك في الإدارة، ولكن شيئاً ما لم يتم حتماً بسبب عدم الثقة به . وكان صادق خان سيهاجم شيراز ولكنه امتنع بسبب إجراء اتخذه زكي خان بالقبض على ثلاثة من أبنائه تصادف وجودهم في المدينة وسجن أبي الفتح خان الذي كان يشك في تأييده له ، والتهديد باساءة معاملة أقارب بعض قادة جيش خصمه . لتلك الاساليب كلها انسحب صادق خان مع قليل من أتباعه الى مقاطعة كرمان البعيدة فاصبحوا مطاردين بدل ان يكونوا مهاجمين .

ولم تكن منافسة أقارب زكي خان هي المشكلة الوحيدة التي كان عليه أن يواجهها ، فان مدينة أصفهان أثناء الفوضى التي أعقبت موت كريم خان خضعت لاثنين من زعماء الافشار وهما شقيقان استعانا

بقبيلتهما وبالبختياريين واللور ، ولكن لم يمض الا وقت قليل حتى استرد المدينة بسطام خان بفضل دبلوماسيته الخادعة الماكرة ، وقد عينه زكي خان حاكماً فيما بعد .

ولا ريب كان ازدياد شعور العداء لدى قبيلة الكامار أخطر ما في الامر . وكان هؤلاء بجوار بحرقزوين ، حيث تولى امرهم قائد قدير من الطراز الاول وهو أغا محمد خان الذي هرب من شيراز عند موت الوكيل وكان أغا محمد خان خصياً احتجزه كريم خان كرهينة لسنوات طويله وكان في قوة احتماله وقدرته وقوة شخصيته على الاقل نداً لاي عضو من عائلة الزند باق على قيد الحياة . وقد جاهر بعد استرداده حريته بمنتهى الجرأة بمطالبته بعرش ايران واتخاذ الشعارات الملكية .

وعندما اخمدت الثورة في أصفهان أرسل زكي خان علي مراد خان بزهرة الجيش ليحارب ضد أغا محمد خان ، لكن قريب زكي خان ومعينه القديم الذي تراسل في نفس الوقت مع صادق خان انتهز فرصة وجوده على رأس القوات ، وحنث في وفائه باحتلال أصفهان وأعلن ولاءه لابي الفتح خان ابن كريم خان المخلوع . وكان زكي خان دائماً سريعاً في تصرفاته ، وقد دفعه غيظه الشديد الى ان يضع ابنه « أكبر » ليحكم شيراز ، وتقدم هو الى أصفهان على رأس جميع قواته . ولكن بعض أتباعه اغتالوه عند يازدیخاست في الطريق الى اصفهان . ويبدو أن تاريخ هذه الاحداث كان ١٤ يونية سنة ١٧٧٩ . ولا شك أن شخصية زكي خان العنيفة افقدته الشعبية عند الكثيرين . ولكن السبب المفاجيء لموته كان سلسلة من الفظائع ارتكبها في يازدیخاست فيما كان يحاول استرداد مبلغ من المال كان السكان مسئولين عنه .

حكم ابي الفتح خان وصادق خان المشترك من يوليه الى سبتمبر ١٧٧٩

أعقب اغتيال زكي خان إطلاق سراح ابن اخته ووصول أبي الفتح خان الى العرس ، وكان شاباً ضعيفاً ضائع الشخصية ولكنه مشهور بالعدل واللطف وقلة الطموح . وأول عمل قام به الحاكم الجديد هو سجن

أكبر خان ابن زكي خان، واخيه محمد علي خان الذي تزوج ابنة زكي خان . وفي اوائل يوليه سنة ١٧٧٩ ظهر صادق خان في شيراز ونجح في الحصول على نصيبه في الادارة، وكان رجلاوسيم الشكل يشغل في وقت ما منصب بيلاربيك او نائب الوكيل ، رقد عينه كريم خان وهو على فراش الموت وصياً على أبنائه من بعده . ولكن نظام الحكومة المزدوج الذي نشأ اعتباطاً من ابي الفتح خان وصادق خان لم يكن مرضياً واستمر شهرين فقط . وقيل أن أبا الفتح خان كان يرفض باستمرار نصيحة صادق خان واخيراً قام خلاف خطير بينهما في موضوع أكبر خان الذي رغب ابو الفتح في سمل عينيه . واخيراً وفي بداية سبتمبر سنة ١٧٧٩ فقد صادق خان صبره، فخلع أبا الفتح خان واعتقله لتدخله فيما لم يوافق عليه المسؤولون ، ثم لمعارضته نصيحة وزيره ميرزا محمد حسين ، وأمر بحرمانه من نعمة النظر فسمل عينيه .

حكم صادق خان ١٧٧٩ — ١٧٨١

وهكذا بعد ان تخلص صادق خان من شريكه تمتع بحكم مستقل ولكنه فشل عند ممارسته للحكم في المحافظة على مستوى كفايته العسكرية وحسن ادراكه اللذين اكتسبهما أثناء حكمه للبصرة . وسرعان ما وجد نفسه امام منافس جبار وهو علي مراد خان . ويقال إن ذلك الامير قد خاب امله في الزواج من ابنة الوكيل المتوفى لان صادق خان منح هذه الفتاة لاحد ابنائه . وبعد أن علم « علي مراد » بمصير فتح خان أعلن استقلاله عن المغتصب، وتقدم بنفسه ليكون منافساً على العرش .

وحوالي يناير سنة ١٧٨٠ استولى علي مراد خان على اصفهان التي كان جلا عنها جعفر خان بن صادق خان بمجرد وصوله . ولكن عائلة « علي مراد » وثروته في شيراز وقعت في أيدي صادق خان . وحينئذ ظل كلا الطرفين مشلولي النشاط لشهور عدة قام بعدها علي تقي خان ابن صادق خان بغزوة هزم فيها علي مراد خان هزيمة تامة، وأجبره على الانسحاب الى همدان . لكن ذلك المنتصر لم يغتنم الفرصة كما كان واجباً ان يفعل ، مما مكن علي مراد خان ألا يسترد اصفهان فحسب بل

أن يحصر صادق خان ومؤيديه في مدينة شيراز التي لم يتوان عن محاصرتها. وفي فبراير سنة ١٧٨١ استسلمت المدينة بعد عدة عمليات امتدت أكثر من ثمانية أشهر استطاع أكبر خان في أثنائها أن يهرب من السجن ويلتحق بمعسكر المحاصرين بينما استسلم جعفر خان ، وهو ابن صادق خان ، وأخ غير شقيق لعلي مراد خان وكان حاكماً على بهبهان وششتار . وبعد سقوط المدينة بثلاثة ايام فتحت القلعة أيضاً أبوابها، وكان فيها صادق خان وابناؤه الذين اسروا معه على يد أكبر خان الذي توسل للسماح له بتعذيبهم . ثم أصدر المنتصرون اوامر صارمة عند احتلالهم شيراز بالمحافظة على الامن ، كما سمحوا للتجار بأن يفتدوا بضائعهم من النهب والسلب بدفع ضريبة معتدلة .

حكم علي مراد خان ١٧٨١ – ١٧٨٥

وبالرغم من ان أكبر خان كان موالياً قديماً للحكم الجديد من قبل إلا أنه لم يعش طويلا بعد حكم علي مراد خان . فبعد ان ثبت أنه اشترك في مؤامرة أو ربما لدوافع تحفظية ناشئة عن مجرد كونه شخصية بارزة ذات كفاية وطموح ، قرر علي مراد خان التخلص منه . وقام جعفر خان (الذي كان عليه أن يثأر لابيه) بهذا العمل الدموي .

وبعد ان استتب الامر لعلي مراد خان، ونظمت الاعمال في شيراز نقل عاصمته الى اصفهان حيث استقر هناك . وعهد بشيراز منذ ذلك الوقت الى ابن اخته سيد مراد خان . وفوض ابنه الاكبر الشيخ فايز بقيادة العمليات الحربية التي اعتقد أنه من الضروري اتخاذها ضد الكاجار. ولقد أمكن غزو اقليم الكاجار بنجاح ولكن انتصارات الشيخ فايز الاولى أعقبتها نكسة قاسية انسحب سريعاً بعدها الى طهران . وهناك وصل الى مراد خان لنجدته وفرض عقوبة سريعة على بعض قواد القبائل الذين عزى هزيمة ابنه الى ارتدادهم عنه في اللحظة الحرجة .

وبالرغم من ضعف صحة هذا الحاكم الزندي فقد جمع قوة جديدة، وكان على وشك نزول الميدان شخصياً ضد الكاجار عندما وصلت

اليه الانباء بأن جعفر خان الذي ظل يثق به والذي ولاه الحكومة ثار ضده وتقدم الى اصفهان . وكان ذلك في منتصف فصل الشتاء . وقد حاول كل من مستشاره الطبي والسياسي ان يثنياه عن عزمه تعريض نفسه لمصاعب الزحف في الجليد ، ولكن الخان أصر على أن يصل أصفهان قبل وصول الثائر اليها غير أنه مات في الطريق ضحية عناده على بعد حوالي ثلاثين ميلا من أصفهان . وبفطنة وزرائه كتم خبر موته الذي وقع في ١١ فبراير سنة ١٧٥٨ عن الجيش الى ان وصل الكنز الملكي إلى أصفهان واودع هناك في أمان .

وكان علي مراد خان شخصية حازمة، وكان آخر زندي أثبت قدرته على كبح الكاجار داخل حدود أسلافهم

حكم جعفر خان ١٧٨٠ – ١٧٨٩

وبعد مرض علي مراد خان بأيام قليلة وصل جعفر خان اصفهان . وعند وصوله هرب باقر خان حاكم المدينة الذي كان انتحل بغباء الصفة الملكية أثناء فترة خلو الملك ولكنه طرده واسر وسجن . ولم يعدم جعفر خان الوسيلة التي اوقع بها الشيخ فايز ابن علي مراد خان في الشرك ، حيث سمل عينيه وخلص من شره . وقد دبت فوضى عظيمة في الداخل فاصبحت الطرق غير آمنة يصعب طروقها ، وكان المستر ماتشام الموظف في شركة الهند الشرقية قد شرع في السفر من الهند عن طريق أصفهان ليتحرى عن اسباب تدهور التجارة الايرانية ، وعند وصوله الى بوشهر في مارس سنة ١٧٨٥ اضطر ان يوجل ان لم يلغ رحلته المزمعة .

وقد اختلف حكم جعفر خان عن حكم أسلافه في أمر جوهري هو أن الكاجار أصبحوا معتدين ، واضطر الحاكم الزندي الى موقف الدفاع ، ووجد صعوبة في بعض الاحيان حتى في الاحتفاظ بسلطته في الجنوب . وبعد اعتلاء جعفر خان العرش مباشرة تقدم أغا محمد خان لغزو أصفهان ، ولكن الحاكم الجديد هرب من المدينة بغير نظام حتى ان أمتعته نهبتها الجماهير . ووجد مكاناً آمناً على أي حال في شيراز تحت

نفوذ الحاج ابراهيم، وهو رجل بارز عينه جعفر خان فيما بعد قلنطاراً على فارس . وبقي سيد مراد خان مخلصاً لاهدافه . وبعد ذلك بقليل وقع أغا محمد خان في صدام مع قبيلة البختيارية، وبعد ان قهروه في معركة خاضها معهم انسحب الى بلده ومن ثم استرد جعفر خان اصفهان بصفة مؤقتة بقوة كانت تحت قيادة سيد مراد خان .

وقبل نهاية عام ١٧٨٥ حدث خلاف بين جعفر خان واحد مؤيديه المدعو حاج علي قولي خان من كازاران وكان لذلك الخلاف تأثير مشئوم في النهاية على المصير الملكي . وقد نشأ عن رفض جعفر اقرار الشروط التي كان منحها علي قولي لعدد من الجنود الخراسانيين الذين استسلموا له عندما كانوا يحاربون ضد سيده ، وأدى الخلاف الى هجوم القوات الملكية على الزعيم الكازاراني فهرب بعد هذا الهجوم ثم أظهر خضوعه مختاراً ثم سجن بخديعة في شيراز ولكن رضا قولي خان وأخاه علي قولي هربا الى بوشهر ومن ثم الى البصرة فعين جعفر خان أحد أقربائه ليرعى الحـــكومة في كازاران .

١٧٨٦

وزادت متاعب جعفر خان في ذلك الوقت بالثورة التي قام بها اسماعيل خان ، وهو ابن عم كان قد عهد اليه تنظيم احدى المقاطعات . وفي مارس سنة ١٧٨٦ هزمه اسماعيل في صدام خطير . وفي الخريف التالي ظن جعفر خان أنه من الضروري أن يتقدم الى بوشهر التي كان الحاكم الوراثي لها هو الشيخ ناصر وعمره أكثر من ثمانين عاماً . وكان ذنب الشيخ هو إيواءه اللاجىء رضا قولي خان ، فضلاً عن تأخره في دفع الجزية المستحقة عليه للحكومة المركزية . ولكن عند تقدم الخان إلى كازاران التي وصلها في ٢٢ سبتمبر أعلن الشيخ خضوعه واشترى السلام بالمال ، وقيل إنه دفع مبلغاً كبيراً . وفي نفس الزيارة جمعت متأخرات الدخل أيضاً من الحكام الآخرين المجاورين للساحل. ويبدو أن جعفر خان لم يترك كازاران حتى ١٧ ديسمبر سنة ١٧٨٦ ولم يعد الى شيراز حتى بداية مارس سنة ١٧٨٧ .

١٧٨٧

وفي العام التالي بلغت الريبة في اخلاص سيد مراد خان غايتها . وكانت بدأت منذ تولي جعفر خان الحكم . وفي أبريل سنة ١٧٨٧ قبض على هذا النبيل التعس مع عائلته وضرب وجرّد من ممتلكاته وأرسل ليشارك علي قولي خان ويلات السجن .

١٧٨٨

وفي سنة ١٧٨٨ استطاع لطف علي خان (الابن الاكبر لجعفر خان) وكان شاباً عمره ١٨،٠ عاماً عين أخيراً في منصب بيلار بيك (نائب الملك في اقليم فارس) أن يصلح الى حد ما هيبة حكومة والده . لكن الحكم عاد فتزعزع باشتباك مشئوم بين جعفر خان وبعض الرعايا الثوار المجاورين ليزد بسبب اذلال أهل لار واخذ عاصمتهم سريعاً . وارسل زعيم القضاء بعد ذلك الى السجن في شيراز . وقد حقق الخان نفسه نجاحاً على الكاجار في معركة وقعت بالقرب من قميشة وكان من نتيجة ذلك وقوع أصفهان التي سبق أن فقدها مرة أخرى في حوزته . ولكن عندما تقدم أغا خان ضده جلا عن المدينة بحجة أن بعض القلاقل في الاقليم المجاور للخليج تطلبت وجوده في الحال .

١٧٨٩

وكان لطف علي خان فعلا في طريقه من شيراز الى مسرح هذه القلاقل عندما انتهت حياة وحكم جعفر خان فجأة بالعنف في يناير سنة ١٧٨٩ . وكان المغتالون الاساسيون هم المسجونين السياسيين علي قولي خان وسيد مراد خان اللذين قدما اليه السم بواسطة أحد المتواطئين من أهل المنزل . ثم وجدا وسيلة للاقتراب منه وأجهزا عليه بسيوفهم وفصلت رأسه عن جسده والقى لفترة ما في قطعة ارض مكشوفة أمام القلعة معرضة لاهانات الشعب .

وكان جعفر خان سنة ١٧٨٧ في متوسط عمره بديناً . وكان شخصاً لا يوثق به مخادعاً غداراً ولكنه لم يكن قاسياً ولا فظاً ، ولم يكن محبوباً بين

رعاياه الذين يعرفونه جيداً . وكان مستشاره الاساسي وزيره الكفء ميرزا محمد حسين الذي عمل بنفس المقدرة التي عمل بها مع والده صادق خان والذي يمكن تصويره بعد ذلك بأنه من أعظم الموالين بعد موت جعفر علي خان . ويمكن تلخيص الوضع العام في ايران بعد موت جعفر خان بقولنا إن مقاطعات شيراز وبهبهان وششتار كانت ما تزال خاضعة لسلطة الزند الشرعية بينما يزد وكامان وبوشهر ولار استمرت في دفع الجزية ولكن الاقاليم الشمالية والشمالية الغربية وأصفهان أيضاً وقعت تحت نفوذ الكاجار .

حكم سيد مراد خان ١٧٨٩

وضعت الثورة في شيراز سيد مراد خان علي رأس الامور جميعها . وعندما علم لطف علي خان بهذه العمليات في العاصمة ذهب الى معسكره وكان جميع أتباعه قد تركوه ما عدا خمسة ، لكنه بفضل حنكته العسكرية وخبراته الطويلة وبفضل موازرة شيخ بوشهر الطاعن في السن له استطاع في خلال ثلاثة أشهر أن يجمع قوة جديدة .

وفي الثاني والعشرين من أبريل سنة ١٧٨٩ تقدم من بوشهر بصحبة الابن الاكبر للشيخ ناصر شيخ بوشهر الذي تولى المشيخة بعد أيام قليلة بعد وفاة والده . وكانت القوة التي ارسلت من شيراز لتعوق تقدمه قد تمردت في دالاكي ، وسلمت قائدها وهو اخ السيد مراد خان الى لطف علي خان الذي حكم عليه بالاعدام فوراً . وتقدم علي الى شيراز تقدم المنتصر. وكان حسن الحظ حتى إنه استحوذ على الاشخاص الذين هم من أعظم اعدائه خطورة وبالذات التابعين لسيد مراد خان الذي أمر باعدامه . وقابل الآخرين من معارضيه برحمة لم تكن متوقعة . ومن بين هؤلاء شخص خامل الذكر يسمى مهدي علي الذي اتهم بأنه قطع اذني جعفر خان من رأسه وهو ميت. وبعد ذلك بفترة اقتنع لطف على خان أن يعيد النظر في محاكمة هذا الشخص وحكم عليه بالاعدام حرقاً . وقد أثار هذا العمل الحاج ابراهيم وكان داهية وذا نفوذ وكان أحد الشفعاء لصالح مهدي علي فساهم في سقوط أسرة الزند كما سنرى .

ان الحوادث التي تضمنتها الفقرة السابقة وقعت على أغلب الظن أثناء عام ١٧٨٩ .

حكم لطف علي خان ١٧٨٩ – ١٨٩٥

وكان لطف علي خان هو آخر شخص في الاسرة يستولي على العرش ولكنه كان في قوته العسكرية أعظمهم أهمية ، وفي شخصيته ربما كان اعظم حكام الزند جاذبية ، وقد اكسبته الكوارث التي حلت به عطف كل مؤرخ في تلك الفترة .

وما كاد لطف علي خان يستولي على الحكومة حتى ظهر في المقاطعات المجاورة لشيراز أغا محمد خان منافسه من الكاجار . وفي الحال تم هجوم جرىء على الفاتح (الغازي) ولكنه لم يكن ناجحاً . ثم تبع ذلك حصار على شيراز ضربه الكاجار . وقد فشل أيضاً بالرغم من أنه دام ثلاثة أشهر .

١٧٩٠

وفي العام التالي سنة ١٧٩٠ ، وبعد ان عين لطف علي خان أخاه الاصغر ليكون ممثلا اسمياً في شيراز ، وعهد بالحكومة المدنية الى الحاج ابراهيم تاركاً قيادة القلعة في العاصمة الى بارخودار خان تقدم بنفسه بجيش جمعه ليعمل ضد الكاجار ، وليجبر حاكم كرمان على الخضوع لسلطته . ونظراً لعدم كفاية قواته للاستيلاء على المدينة ، ونظراً لان الشتاء كان قاسياً على غير العادة فلم يتحمله جنوده وحيواناته ، فقد باءت جهوده بالفشل ، وعاد الى بلده خائباً تصحبه فلول جيشه .

١٧٩١

وفي العام التالي حدثت ازمة في شيراز أصبح لطف علي خان بعدها ملكاً بالاسم أكثر منه بالفعل ، وقد تجلى فيها جلده وثباته وصفاته الرجولية الاخرى أكثر مما كانت تبدو فيما مضى . ففي أثناء غيابه في كرمان حدث احتكاك بين حاج ابراهيم من جانب وأخ لطف علي خان وبور خدار خان من جانب آخر ، وكانوا جميعاً يمثلونه في وظائفه المختلفة . ولكن الامير

أهمل نصيحة وزيره ، ميرزا محمد حسين الذي كان لا يثق بالحاج ابراهيم ، وجدد تعيينه في صيف سنة ١٧٩١ عندما نزل الى الميدان ضد قائد الكاجار بابا خان الذي أصبح فيما بعد فتح علي شاه . وكانت النتيجة أنه بعد رحيل لطف علي خان بأيام قلائل متعقباً مؤامرة اشترك فيها رضا قولي خان من كازران والشيخ ناصر شيخ بوشهر وآخرون قيل إنهم اشتركوا مع بعضهم بغرض إقامة اتحاد ذي امارات مستقلة . وحاول الحاج ابراهيم أن يسجن بازخودار خان ويؤسس حكومة خاصة به في المدينة ، ولكن أخاه عبدالرحمن خان فشل في المهمة التي كلفه بها وهي سجن لطف علي خان في معسكره . وعلى أية حال فان نفس هذه المحاولة سببت تشتيت جيش لطف علي خان فأسرع راجعاً الى شيراز التي توقع أن يجدها في أيد أمينة . وبدلا من ذلك أوصدت الابواب في وجهه ولكن لما اتصل به بعض مواليه المخلصين تقدم دون ان تثبط عزيمته لمحاصرة عاصمته . وكانت عائلات ضباطه تحت رحمة حاج ابراهيم لانهم كانوا داخل أسوار المدينة . وقد هدد الحاج ابراهيم بأن يتخذ إجراءات صارمة ضدهم فاستطاع مرة أخرى أن يفض معسكر لطف علي خان ، واتجه الامير يصحبه حوالي ١٢ سايساً وبعض الخدم الى بوشهر حيث كان يأمل أن يحقق أملا من الشيخ ناصر . ولكن في سهل كازاران كان رضا قولي خان عدوه اللدود ينتظره وقد قفل عليه الطريق . وفر لطف علي خان من السهل بصعوبة الى التلال الجنوبية الشرقية تاركاً عدداً من أجود خيله ولكنه أنقذ حصانه المحبوب «قارون» واتخذ طريقاً ملتوياً غير عادي الى داشستان ، وهناك جاءته الاغاثة فوراً من زال خان صاحب خشت وهو موال مخلص كان قد طرده من أمام أسوار شيراز ، ومن تابع مخلص أيضاً هو مير مهر علي(١) زعيم ريق والذي لم ينثن عن تحذير لطف علي خان من وجود مؤامرة ضده فانضم اليه سريعاً ، بينما الشيخ

---

(١) في المراسلات يسمى مير على ويسميه السير بريدجز « مهر على » ومن المحتمل أن يكون له كل من اللقب مير والاسم مهر .

ناصر « البقرة العجوز »(١) الذي أصبح ينتمي كما رأينا الى الجانب الآخر والذي زار شيراز أخيراً والذي خرج من بوشهر ليتمكن من سجنه ، كان متلهفاً على ان يقضي على هذا التقهقر السريع خشية ان يؤخذ أسيراً هو نفسه . وفي الثاني من نوفمبر هزم لطف علي خان ومؤيدوه قوة معادية في داشستان كانت تجمعت لتهاجمهم ، وقام زعيم ريق بالذات بالمعجزات لمهارته وشجاعته في طعن هؤلاء ، الاشخاص الخنازير بحربته ، ولكن في نفس ذلك اليوم تم الانسحاب الى خشت وعملت الاستعدادات لبدء محاولة لغزو شيراز . وفي نفس الوقت قام رضا قولي خان بعمل الاستعدادات واحتلال تانجي تركان وهو الطريق الذي كان من المحتمل ان يشقه الملكيون في عودتهم الى الشمال .

وفي مساء اليوم الرابع من نوفمبر كان المستر هارفورد جون (٢) من وكالة البصرة ، وكانت له علاقات تجارية مع لطف علي خان ،

---

(١) « البقرة العجوز » كانت الكنية التي أطلقها لطف على خان نفسه على الشيخ ناصر واقتبس أيضا قولا آخر أنه لا يرتجى الكثير من الشيخ ناصر لكونه « أحد هذه الحيوانات التي زودها الله العظيم بآذان طويلة وعقل صغير » .

(٢) حوادث هذه السنة في ايران وصفها وصفا كاملا مستر هارفورد جون ، وكذلك السير هـ.ج بريدجس الذى كان شاهد عيان لهذه الحوادث في العاصمة وفي مقدمته ل « أسرة الكاجار » قال ووصل المستر جون الى شيراز حيث نزل ضيفا على ميرزا محمد حسين رئيس وزراء لطف على خان سنة ١٧٩١ وكان الغرض من الرحلة هو العمل على شراء ماستين قيمتين هما اللتان كان يعتقد أن لطف على خان يرغب في بيعهما . ومع العلم أن المفاوضات استمرت في الصيف الا أن الصفقة لم تنفذ . وكانت قيمة هاتين الجوهرتين الثمينتين الى « درايانور » و « تاجى ماه » كما قدرها المستر جون حوالى ٣٠٠٠٠٠ جك ، ١٥٥٥٥٥ جك على التوالى و ١٢ ماسة أخرى وضعت معهما يبدو أن قيمتها تبلغ حوالى ٥٠٠٠٠٠ جك اجماليا : وبعد قيام الثورة وجد المستر جون صعوبة في الحصول على تصريح يترك به شيراز لان حاج ابراهيم كان يخشى مساعدتـه للطف على خان الذى ما زال عظيما في الحصول على اعتماد مالى للاستمرار في محاولته لبيع الجواهر . وعند رحيله شرع المستر =

موجوداً في شيراز ، وعند عودته الى البصرة تمت مقابلة بينه وبين الامير في خيمته البسيطة في خشت ، وتلقى من شفتيه تحليلا مفصلا عن مخاطراته الاخيرة . واستجابة لرأيه اقترح المستر جون أنه يجب على لطف علي خان أن يحتل بوشهر ويقيم فيها وان يقوم باتصالات مع حكومة الهند . ووعده مستر جون شخصياً ان يصاحب ويعاون أي مندوب يفوضه الامير للهند ليحصل على المال من بيع الجواهر ، وبالمتحصل من الثمن يحصل على الذخائر والعتاد الحربي . وفي نفس الليلة سافر مستر جون الى ريق ومع أنه استمر في مراسلة لطف علي خان لبضعة أشهر بعد ذلك الا أنه لم يره أبداً مرة أخرى.

وبعد هذه المقابلة بأيام قليلة سار لطف علي خان من شيراز لانه كان يحب العمل السريع ، ويبدو أنه رفض المشروع الذي اقترحه المستر جون لأنه ينطوي على تأخير كبير . وسار من شيراز بقوة صغيرة من مؤيديه المحليين ، واستطاع أن يزيد القوة في أيام قليلة . وفي طريقه استطاع أن يضرب ضربة إن لم يكن ضربتين ساحقتين ، هزم فيهما رضا قولي خان صاحب كازاران الذي أسره وحرمه من نعمة البصر . واسترد في نفس الوقت الخيول التي كان قد فقدها أثناء هربه . وفي نفس الوقت عندما شعر حاج ابراهيم بعدم الطمأنينة على موقفه في شيراز اتصل علناً باغا محمد خان زعيم الكاجار الذي عينه في الحال حاكماً نيابة عنه على فارس واقليم كوجالو ولاريستان وساحل الخليج . وأمر مصطفى خان أحد قواد الكاجار ان يستجيب لكل طلباته . وعندما اقترب لطف علي خان من شيراز صد هجوماً ليلياً على معسكره كبد فيه العدو خسارة كبيرة، وبعد أنّ استولى على شحنة كبيرة من الحبوب كان يراد ارسالها للمدينة ، خاب

= جون في نقل مكتبة قيمة تخص مضيفه ميرزا محمد حسين ليبيعها في الهند ولكن صاحبها لحسن الحظ غير رأيه واستطاع بعد ذلك أن ينقذ حياته وبصره بعدم التفريط في هذه الكتب عندما طلبها أغا محمد خان منه . وأخيرا سافر مستر جون من شيراز الى ريق في أول نوفمبر سنة ١٧٩١ . وفي طريقه الى الساحل انتظر لطف على خان في خشت وكان يكن له الاحترام وتربطه به صداقة شخصية وهذه كانت مناسبة المقابلة المذكورة في النص » .

الجهد الكبير الذي بذله مصطفى خان ليسترد الشحنة . ثم استقر في حصار المدينة وبدأ اتصالات سرية مع الاصدقاء ، او المعتقد أنهم أصدقاء ، داخل أسوار المدينة . ولكن الحصار لم يكن من الإحكام بما يضمن فعاليته وفشلت الاتصالات في تحقيق الغرض بسبب التجسس عليها ومعرفتها (وقراءتها) .

ومن الواضح ان موقف حاج ابراهيم على أية حال كان حرجاً وخاصة بعد هزيمة منيت بها قواته في هجوم اشتركت فيه وحدة كاجارية على لطف علي خان ، واستطاع أخيراً ان يستميل أغا محمد خان والذي كان مكتفياً بالامدادات فقط حتى ذلك الوقت ليتحرك شخصياً لنجدته . فتقدم لطف علي خان في الحال الى ما وراء برسوبوليس ليقابل الكاجار القادمين ، هكذا رتب الامور لينقض ليلاً على الحرس المتقدم ويرده الى قلب الجيش . وفي الظلام انقض على معسكر الجيش الكاجاري الضخم بقوة صغيرة وبطريقة غير معقولة ، ولكن لسوء الحظ أقنعه أحد الموالين له وربما كانت له دوافع غادرة بألا يفعل شيئاً حتى الصباح . وبعد ان انبثق الفجر اتضح ان أغا محمد خان بتفكيره السديد امتنع حتى عن مغادرة خيمته . وبين قوات غير متكافئة حدث تشابك على نفس الارض وعلى الفريقين قواد قادرون . وعندما طلع النهار لم يكن هناك شك في نتيجة القتال واضطر لطف علي خان أن يبحث عن سلامته بالفرار .

وبعد هذا العمل الحاسم الذي أعطى اسماء مختلفة استمدت من اسمي قريتين متتاخمتين باسم معركة ماين أو جبراج والتي تبدو أنها حدثت سنة ١٧٩٢ في وقت ما قبل نهاية مايو ، بعد ذلك تقدم الفاتح الى شيراز حيث احتفل بنجاحه بعدد من الاجراءات الصارمة من بينها تنجيس قبر كريم خان ونفي الافراد الباقين من قبيلة الزند الى مازنداران ، وحلت المصائب أيضاً كما سنرى فيما بعد بمؤيدي الزند في مقاطعات الساخل .

١٧٩٢ — ١٧٩٤

وأصبح لطف علي خان من ذلك الوقت فصاعداً جوالاً مشرداً لا

مأوى له ولكنه بطبيعته كان لا يقبل اليأس . وفي السنتين التاليتين ظل يتابع معارضته الواهية لزعيم الكاجار بمساعدة عمه عبدالله خان .

وفي أول الامر وجد مأوى في تاباز وهناك نظم غزوة لاقليم فارس ولكنه هزم أمام أعداد تفوقه عند رونيز واضطر لان ينسحب مرة أخرى الى الشرق ، ولما لم يجد ترحيباً به في تابار انسحب من ذلك المكان الى موقع يدعى بام .

ومن بام وبعد اتصاله ببعض الافغانيين وبعض الموالين الآخرين ، تقدم الى مدينة كرمان واحتلها احتلالا خاطفاً بعد مقاومة عنيفة وادعى مرة أخرى لنفسه حقوق الحاكم المستقل . وكان هذا آخر أمل له في النجاح .

ففي سنة ١٧٩٤ ظهر أغا محمد خان بنفسه أمام كرمان . وبعد حصار امتد عدة شهور دخلت قواته بين خطوط المدافعين بفضل خيانة بعض أفراد الحامية . وفي إحدى مداخل المدينة وقف لطف علي خان يناضل لفترة ما استطاع بعدها أن يشق طريقه بين صفوف الأعداء المتراصة باذلا مجهوداً كبيراً حتى وصل آمناً إلى بام بعد أن دافع عن نفسه دفاع المستميت خالي الوفاض مثخناً بالجراح لانه كان أمام جيش كامل من الاعداء . وبعد وصوله بأيام قليلة على أية حال وضع لطف علي خان في السجن بأمر من نائب الحاكم في بام وكان مقصده من سجنه أن يضحي به لينقذ حياة أخيه الذي أسره أغا محمد خان عند سقوط كرمان . وبعد قليل سلم الى الكاجار الذين سملوا عينيه وعرضوه لاهانات لا حصر لها واخيراً تم إعدامه . وهكذا انتهى في سنة ١٧٩٥ حكم الزند في إيران . أما ابن لطف علي خان الطفل وهو خسرو خان فقد خصي بأمر من أغا محمد خان وكان هو نفسه خصياً . وقد ذكرت معاملة هذا الفاتح لمواطني كرمان بتصرفات نادر شاه السيئة .

ويعتبر لطف علي خان واحداً من ابرز الشخصيات في تاريخ ايران أما كفاءته الحربية وشجاعته النادرة اللتان ناضل بهما أمام مصره فانهما تدعوان الى الاعجاب . وليس من اليسير أن نؤمن أن صفاته هذه كانت

ستبرز ذلك البروز لو أنه انتصر بمثل ما برزت فعلا في الكوارث . لأنه ليس في حياته الشيء الكثير مما يدل على بعد النظر او حسن التقدير أو الحنكة السياسية . ولا يفوتنا ان نذكر أنه مات وهو لما يتعد الخامسة والعشرين من عمره القصير .

★ ★ ★

تاريخ أقاليم الساحل الايراني
١٧٧٩ ـ ١٧٩٥

احتلال باقر خان زعيم تانجستان لبوشهر ٣٠ يونيه الى ١١ يوليو ١٧٧٩

كان اغتيال زكي خان في منتصف شهر يونيه سنة ١٧٧٩ سبباً غير مباشر لسلسلة من الحوادث الهامة في بوشهر وما يجاورها . وفي أثناء الفوضى التي أعقبت موته أفلت باقر خان من قبضة الحكام الجدد، وكان هذا هو أداة زكي خان في تعذيب نساء « سعدو خان ». وقد مارس سلطته بمنتهى القسوة . وقد كان هو نفسه زعيم تانجستان . وفي ٢٨ يونيه أصبح من المعروف في بوشهر أنه وصل الى ميناء ريق ، حيث كان الشيخ ناصر الحاكم الوراثي لبوشهر في ذلك الوقت غائباً في رحلة طويلة ولكن عودته كانت متوقعة في خلال أيام قليلة بحراً عن طريق مسقط ، وأعدت سفينتان فعلا لتقابلا سفينة وترافقاها عبر مياه الخليج .

٢٩ يونيه

وفي ليلة التاسع والعشرين من يونيه قام القائد الاعمى لقوات باقر خان في تانجستان على رأس ٢٠٠ او ثلاثمائة رجل متجهاً الى ريق ولكن وجهته الحقيقية طبقاً لاوامر سيده كانت بوشهر .

٢٩ ـ ٣٠ يونيه

وفي نفس تلك الليلة أو ميكراً جداً في الصباح التالي دخل بوشهر فوجد الحوائط عبر البرزخ متروكة باهمال غير عادي وبلا رقابة أو

حراسة . واشعل حريق في الحال قبل ان يطلع النهار كان من نتيجته أن تحول الف كوخ الى رماد . وبسبب الفوضى والانزعاج اللذين سببهما الحريق من جهة وتراخي العائلة الحاكمة من جهة أخرى استطاع التانجستان الاستيلاء على بوشهر تماماً . وكانت الخسائر لا تزيد على ١٥ رجلا قتلوا من كل من الجانبين ، وانشغل الشيخ علي ومعظم أقارب الشيخ ناصر في انقاذ عائلاتهم وثروتهم التي شحنوها في السفن في الميناء آخذين معهم حوالي ثلاثمائة رجل كان يمكن أن يستخدموا في الدفاع عن المدينة . وأما الشيخ سعدون شقيق الشيخ ناصر فقد لازم منزله لا يجرؤ على التحرك مع العلم أنه كان معه ٢٠٠ رجل تقريباً مسلحين بالبنادق بينما كان يستطيع خمسون رجلا شجاعاً بقيادة رجل شجاع ان يستردوا المكان ، ولم يكتشف ضعف العدو الا بعد فوات الاوان . وكان من المستحيل أن نصف دهشة الناس عندما عرفوا حقيقة عدد الغزاة .

وعلى عكس ما كان متوقعاً لم تعتد قوة التانجستان على الارواح او الاملاك . وفي ظهيرة يوم ٣٠ يونيه ترك الشيخ سعدون منزله في فزع ووضع نفسه تحت نفوذ حمود الذي اتفق معه على أن تعقد هدنة بين الجانبين حتى يأتي باقر خان . ولم تكد تعقد هذه المعاهدة المشينة ليحمي الشيخ سعدون نفسه حتى وصلت جماعة من العرب لنجدة بوشهر وقتلوا ٤ أو ٥ تانكسير (١) كانوا قد قابلوهم عند مسقى ماء يوردون فيه الخيل ، وعندما علموا أن المدينة قد سقطت نهائياً رحلوا بعد أن أظهروا الاهانة للشيخ سعدون بسبب جبنه .

أول يوليه

وفي اليوم الاول من يوليه جاء باقر خان من ريق وظهر على المسرح ومعه مدد مكون من حوالي ٢٠٠ من الرجال وادعى لنفسه حق الحكم في بوشهر بطريقة كان فيها الكثير من التبرير . وشرح للناس أن ضرورة تحصين نفسه في مكان يأمن فيه من عداوة صادق خان أملت عليه ما فعل .

(١) معناها تانجستانيون .

ووعد بأنه سيحكم بحكمة وعدل بالغبن ، وكانت سياسته الاخيرة أيضاً مزيجاً من اللين والشدة . فمن ناحية أقنع الجاليات التجارية من المسلمين والأرمنيين والهندوكيين كلا على حده بأن يلتمسوا من ابي الفتح خان الحاكم الاعتباري لأيران الاعتراف به ، أي بباقر خان . وفي الوقت نفسه أخذ يحسن وسائل الدفاع عن المدينة ضد الهجوم الخارجي ، ويضمن عدم التمرد من الداخل بمصادرة اسلحة الاهالي . ويمكن أن يلاحظ أن الطريقة التي استولى بها باقر خان على بوشهر كانت طريقة خسيسة ؛ لانه كان هو الشخص المعهود اليه قبل موت كريم خان مهمة تأمين سلامة ذلك البلد خلال غياب الشيخ ناصر .

٢ يوليه

وفي الثاني من يوليه رحلت السفينتان اللتان تم اعدادهما الى الجنوب بحثاً عن الشيخ ناصر . وفي اليوم التالي طرد عدد من العائلات الفقيرة من المدينة ليفسحوا مكاناً لعدد من التانجستان المهاجرين الذين كان بعض وجهائهم مسلمين .

وفي الخامس من ذلك الشهر جاء ضابط من طرف مير ريق ليطلب تسليم عائلة شخص متوفى من أقارب شيخ بوشهر الى سيده، وسافر الى ريق بعد أن نجحت مهمته في تحرير العائلة المذكورة ولكنه زار المستر بومنت المعتمد البريطاني قبل الرحيل وأكد له أن المير بعيد كل البعد عن تحريض باقر خان ضيفه السابق على الاستيلاء على بوشهر بل لا يوافق أبداً على هذا الاغتصاب ، ومن المحتمل ان يحضر قبل وقت طويل بنفسه ومعه رجاله ورجال من جنافة ليعمل على وضع حد لهذا وبواسطة ذلك الضابط ارسل مستر بومنت خطاباً الى الوكالة البريطانية في البصرة أحاطها فيه علماً بالازمة في بوشهر ، وبالموقف الحرج الذي أصبح فيه هو نفسه وفي خلال الثلاثة الأيام التالية لم يحدث شيء هام .

مصاعب باقر خان وجلاؤه عن بوشهر من ٩–١١ يوليه ١٧٧٩

وفي التاسع من يوليه تلقى باقر خان من ابي الفتح خان رداً سيئاً على العروض التي سبقت الاشارة إليها مطالبا اياه بواسطة الرسول أن يرد لسكان

بوشهر كل شيء أخذه منهم ، وان يسلم المدينة للشيخ سعدون، وان يعود شخصياً في الحال الى شيراز ليجيب عن تصرفاته الاخيرة . وبالنظر لاستعدادات كان يقوم بها الزعماء المجاورون ليهاجموه براً وبحراً، وبالنظر لماكان ظاهراً من تأييد حكومة شيراز لتلك الاستعدادات، وبما أنه كان من المحتمل ان يهجره اتباعه الذين قاست عائلاتهم في تانجستان من هجمات العرب الذين يعطفون على شيخ بوشهر ، قرر باقر خان ان يقنع من فتوحاته بما حصل له. وتمهيداً لذلك استولى على بعض المراكب وارسل فيها ما نهب من مشايخ بوشهر الى مكان ما على ساحل بلده . وكانت قيمته تقدر بثلاثة أو أربعة لكوك من الروبيات. ويقال إنه لم يأخذ شيئاً من المقيمين الاصليين . واخيراً عند شروق شمس ١١ يوليه رحل في هدوء الى تانجستان مع كل رجاله بين فرحة السكان التي لا يمكن التعبير عنها .

وكان الضرر الذي تسبب عن هذا الغزو أقل مما كان مفروضاً . فقد جمعت متخلفات الجمارك وقدرها ٣٠٠,٠٠٠ او ٤٠٠,٠٠٠ روبيه من تجار المدينة الذين وجدوا أنه من الاوفق ان يسترضوا باقر خان ببعض الهبات وبهدايا قيمتها ٣٧٨٩ روبية كان من المتوقع أن تقدم له ولرجاله الرئيسيين بواسطة المعتمدية البريطانية . ولم تكن هناك خسائر أخرى عدا أسلاب المشايخ وبعض الاعراب الآخرين ومن عدد من الاكواخ المحترقة عند بداية الاحتلال ، ومما نهب من بعض الدكاكين القليلة في يوم الانسحاب ..

هجوم مضاد على تانجستان من تحالف جديد يوليه–اغسطس ١٧٧٩

لم يضع جلاء التانجستانيين عن بوشهر حداً للاضطرابات ، لأن أهل المقاطعات المتاخمة وخصوصاً من كان منهم من جنس عربي ، والزعماء الذين كان وضعهم يتشابه مع وضع شيخ بوشهر عقدوا العزم على عقاب باقر خان وأتباعه لجرأتهم في العدوان على الأعراف والاوضاع السائدة . وحتى قبل ان يترك باقر خان بوشهر هاجم جماعات من العرب بلدة تانجستان حيث سلبوا وخربوا القرى وارتكبوا كل أنواع الآثام في رعاياه فلم ينج منهم كبير او صغير . وفي الثاني عشر من يوليه وصل الى

بوشهر مركبان من ريق . وفي الخامس عشر وصلت واحدة من جنافه ليشتركوا في العمليات المرتقبة ضد باقر خان ، ولما لم يرجع الشيخ ناصر في التاريخ الاخير اقتنع أخوه الشيخ سعدون بأن يضع نفسه على رأس الحملة الثأرية . وعسكرت هذه الهيئة التي كانت تتألف من محاربي داشستان والتي كانت تشمل أيضاً فرقاً عسكرية من جنافة وريق بالقرب من قرى تانجستان في المقاطعة المعروفة بنفس الاسم . وفي منتصف يوليه وصلت القوة الى حوالي (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف رجل . وفي ٣١ يوليه وصل الشيخ ناصر الى بوشهر ومعه المركبان اللذان كانا أبحرا في ٢ يوليه ليقابلاه ، ومركبان من ريق وواحد من جنافة كان قد تبعهم في ٢٦ يوليه لنفس الغرض. وكان مع الشيخ ايضاً الحرمي شيخ عسالو ومعه مركبان ، والشيخ ناصر شيخ البحرين ومعه مركب واحد ، فبلغ مجموع المراكب تسعه الى جانب ٥ أو ٦ سفن أخرى . وكانت سفينتان تحملان ثروة بوشهر قد انفصلتا بغير انتباه عن بقية الاسطول بالقرب من بندر عباس لتتزودا بالماء لكنهما وقعتا عند جزيرة قشم في أسر الشيخ عبدالله شيخ هرمز الذي كان في حرب مع شيخ بوشهر . وكانت هناك سفينة تابعة لامام مسقط ، الذي كان الشيخ عبدالله على علاقات سيئة معه في المدة الاخيرة ، قد صاحبت الشيخ ناصر . وعند وصولها لبوشهر دعت خان باردستان للانضمام الى التحالف ضد باقر خان . وقبلت الدعوة في اوائل اغسطس . وفي السابع من ذلك الشهر تقدم مشايخ بوشهر وعسالو والبحرين شخصياً في المقدمة وقاموا بحصار شديد لباقر خان في حصنه الرئيسي بقوة وصلت الى اربعة آلاف رجل ومعهم خمسة او ستة مدافع ثقيلة .

ولم يكن باقر خان من جانبه بلا حلفاء . ففي ١٢ اغسطس أنزلت ٧ مراكب من طاهري مدداً عدده ٢٠٠ رجل في مكان ملائم على الساحل غير أن ثلاثة مراكب ارسلت من بوشهر في الحال لتمنع نزول اية امدادات مشابهة أكثر من هذا ، ولتستولي على مراكب طاهري قبل

عودتها ان امكن ذلك . وكان شيخ كعب ميالا لمساعدة باقر خان حيث كان طلب نجدة منه عندما استولى على بوشهر ، ولكن مشاكله مع جيرانه حصرت مساعدته لصديقه في ارسال ترانكي (مركب) واحد به ٥٠ رجلا . وبمجرد وصول هذه السفينة الى ديلام في نهاية يوليه عادت مباشرة الى دورق نتيجة لانباء جلاء باقر خان عن بوشهر .

المفاوضات ـ مقتل باقر خان ونهاية الحرب ٢٤ـ٢٩ اغسطس ١٧٧٩

وبعد ان خرج باقر خان من حصنه في ٢٤ أغسطس وتشاور مع مير ريق وخان جنافه ووسطاء آخرين زار الشيخ ناصر تحت رايه السلام ، ووعد بأن يستسلم في اليوم التالي ويسلم قلاعه وثروته . ولكن في ٢٥ أغسطس لم يظهر أبداً . وقد لوحظ أنه استغل الهدنة كما فعل في مناسبة سابقة. ليحصن قلعته وفي ٢٦ أغسطس جاء مرة أخرى الى « مير مهر علي» صاحب ريق في نفس الوقت مقدماً للشيخ ناصر تفصيلا خاطئاً عن الاشياء التي أخذت من بوشهر . وبينما كان جالساً فعلا مع مهر علي انقض عليه عدد من رجال جنافة كان بينهم وبينه صراع دموي وقتلوه مع خمسة عشر من اتباعه ، وذلك بعد ان استأذنوا من الشيخ ناصر. وسجن بهذه المناسبة خمسة وعشرون آخرون كانوا يرافقونه وهم من أهم رجاله ولكنهم انقذوا من الموت بتدخل من شيخ بوشهر . وفي السابع والعشرين حدث استسلام جزئي من أتباع الخان المتوفى . وفي التاسع والعشرين منه انتهت جميع الاجراءات بخضوع الملازم حمد الذي سلم القلعة الرئيسية في تانجستان الى الشيخ ناصر . وانصرفت القوات المتحالفة تاركة تانجستان(١) في ذلك الوقت في حوزة شيخ بوشهر . ويعزى أكبر الفضل في قلب

(١) يبدو أن الشيخ ناصر بنى قلعة عند شاخاداك في تانجستان واحتفظ بها حتى سنة ١٧٩١ عندما حطمت بايدى التانجستانيين أثناء هزيمة الداشستانيين على يد لطف علي خان .

باقر خان الى العرب الذين أدى غزوهم السريع لتنجستان الى احباط خطط ذلك الرجل .

موقف حكومة شيراز وتصرف الوكالة البريطانية في البصرة

لاقى سلوك باقر خان كما رأينا من قبل استنكاراً شديداً من حكومة ايران فارسلت رسلا في الحال الى كل اقليم بين كانجون وبندر عباس ليحصل على مساعدة للحلفاء . وكانت قوات من شيراز معدة للارسال الى المكان لولا أن قواد حملة تانجستان اعتذروا عن قبول الامدادات لما كانوا يعرفونه سلفاً من كيفية تصرفهم مع خصمهم .

الاضطرابات الساحلية والبحرية

وفي أثناء الازمة عملت الوكالة البريطانية في البصرة كل ما في وسعها لتساعد المستر بومنت المعتمد البريطاني في بوشهر فكتبت الوكالة خطابات لصالحه الى امير ريق ولخان جنافه ولباقر خان نفسه وارسلت تاجراً أمريكياً الى خارج وتابعاً من موظفيها الى بوشهر للقيام بكل ما يمكن عمله من الخدمات .

وفي أثناء صيف سنة ١٧٨٠ كانت سيادة صادق خان على ايران موضوع نزاع مع علي مراد خان ، وافلتت الاقاليم على الساحل الفارسي من كل رقابة فسادت فيها الفوضى العامة . ففي يوليه كان الشيخ عبدالله شيخ هرمز في حرب مع رجال جارك ، والشيخ صقر شيخ عسالو حرق أخيراً مكاناً ربما كان هو « طاهري » المؤيدة لأعدائه . ويبدو ان قاسم شيخ رأس الخيمة الذي كان بينه وبين امام عمان عداوات سائدة قام بغارة على اسطول بوشهر ايضاً . وتوجد اشارة في السجلات في ذلك الوقت عن سفينة تسمى « الحملة » او « التجريدة » وكان هناك ميل لردها للشيخ . وفي أثناء هذا الموسم دمرت النار مدينة ريق مصادفة .

موت الشيخ ناصر الاول شيخ بوشهر واستخلاف الشيخ ناصر الثاني سنة ١٧٨٩

ان زيارة لطف علي خان امير الزند الى بوشهر في ربيع سنة ١٧٨٩ واستقباله والمعونة التي حصل عليها هناك قد اشير اليها في الفصل السابق من تاريخ ايران العام . ومن الحوادث المحلية ذات الاهمية موت الشيخ ناصر الاول في نهاية ابريل سنة ١٧٨٩ . وهو الذي كان حاكماً للامارة في مدى اربعين عاماً وعُمّر الى الثمانين وخلفه ولده ناصر الثاني .

الامور في الساحل ١٧٩١ – ١٧٩٢

في شتاء ١٧٩١–١٧٩٢ كما رأينا من قبل ظل الاقليم المجاور لكزاران وخشت وبوشهر ، لفترة قصيرة بعد سقوط شيراز مسرحاً لنشاط لطف علي خان . وليس من الضروري أن نعود هنا الى الحوادث التي حلت في البلاد المجاورة . وفي بداية يونيه سنة ١٧٩٢ كانت هزيمة لطف علي خان من أغا محمد خان في ما بين او جبراج تغييراً للاوضاع في الساحل بطريقة لا ترضي مؤيدي قضية الزند . ولكنها كانت في صالح شيخ بوشهر الذي انضم الى جانب الثائر حاج ابراهيم . ولما كان مير علي خان امير ريق غير قادر على ان يدخل الميدان نتيجة جرح كبير أصابه في معركة أعداء لطف علي خان فانه خضع لطلب الشيخ ناصر الثاني بأن ينسحب الى جنافه ويسلم ريق الى حاكم سابق خلعه علي خان وبعد قليل سعى شيخ بوشهر للاستيلاء على جزيرة خارج التي كانت تتبع مير علي خان بقوة تبلغ حوالي ٣٠٠ شخص تعززهم بضعة مراكب حربية .

لكن القلعة الهولندية التي كانت تدافع عن خارج كانت ما تزال قوية . وكان قائد الحامية شجاعاً كما كان يتلقى امدادات من فايز علي خان مما أفشل الهجوم على الجزيرة . وفي نفس الوقت قاد الشيخ نصر هجوماً على خشت مقر زال خان . وكان هذا من الأتباع الاشداء للطفي علي خان حيث كان الدفاع ايضاً هناك يتم من قلعة محصنة صغيرة .

تأجير بندر عباس وملحقاته الى سلطان عمان ١٧٩٤

هذه كانت الاحوال السائدة في اواخر مايو سنة ١٨٩٢ ، حيث يبدو ان ناصر خان بقي في خشت حتى نهاية حزيران ثم عاد من الحملة خائباً ، لكن خارّج مع ذلك دخلت ضمن املاكه بسبب وفاة مير علي خان بعد شهر من فشل الحملة العسكرية . وقد تلقى الشيخ نصر دعوات كثيرة لزيارة بلاط محمد علي خان في شيراز ، لكنه لم يكن متحمساً لتوثيق علاقته بالكاجاريين . وقد تمكن الى حين على الاقل من المراوغة في الانصياع لهم . وفي هذا الوقت وطد سعيد سلطان حاكم عمان أقدامه في الساحل الايراني وذلك بمقتضى استئجار لبندر عباس وميناب والجزر المتاخمة . وربما كان ذلك لان أياً من الاغا محمد خان او لطفي علي خان لم يكن يجرؤ على رفض تلك الاجارة .

★ ★ ★

العلاقات البريطانية مع امارات ايران الجنوبية ١٧٧٩ ـ ١٧٩٥

كانت شركة الهند الشرقية حتى الآن هي الوحيدة التي ترعى المصالح البريطانية في الخليج ، وقد احتفظت بوكالة لها في بوشهر طوال فترة هذا النزاع ، ولكن معاملاتها السياسية مع حكومة ايران كانت قليلة ولا أهمية لها ربما بسبب عدم استقرار حكام الزند من بعد كريم خان .

ومن الزند المتأخرين كان جعفر خان على الاقل مخلصاً للبريطانيين . وفي سنة ١٧٨٦ قدم المستر جالي المعتمد البريطاني في بوشهر الى الوزير ميرزا محمد حسين الذي كان معروفاً لدى ممثلي الشركة كمستشار لصادق خان إبان الاحتلال الايراني ، تلسكوباً فاخراً وترمومتراً فهرنهايتي وهما شيئان كانا يتمناهما الايرانيون وكان ذلك حافزاً لاستمرار صداقته للأمة البريطانية .

١٧٨٧

وفي سنة ١٧٨٧ قام مستر هـ. جون بوكالة البصرة ثم سير هـ. ج. بريدجز ، وأنساين فرانكلين الذي كان في خدمة شركة الهند الشرقية بقضاء صيف جميل في شيراز تحت رعاية جعفر خان وتمكنوا من القيام برحلة الى أطلال برسيبوليس

١٧٨٨

وفي ١٨ يناير سنة ١٧٨٨ أصدر جعفر خان فرماناً يفيض بالعواطف موجهاً الى المعتمد البريطاني في بوشهر واعداً بحماية كاملة وحرية مطلقة لتجارة الرعايا البريطانيين في أيران وبالعمل على القضاء على إتاوة « مكوس » الطرق ومضايقات الضرائب الاخرى التي كان يبدو أنهم يتعرضون لها . وفي سبتمبر من نفس العام ارسل اليه وثيقة أخرى بنفس المغزى مصحوبة بخلعه .

١٧٩٠ — ١٧٩١

وفي يونيه حث لطف علي خان البريطانيين على توريد بضائعهم لشيراز مشيراً الى استعداد المرحوم والده في هذا الموضوع وواعداً بأن يمنحهم كل التسهيلات التي كانوا يتمتعون بها في العراق التركي ، على أن علاقات المستر هارفارد جون مع لطف علي خان خلال سنة ١٧٩١ لم تكن ذات صبغة رسمية .

شركة الهند الشرقية والضريبة القنصلية والتجارة عامة

كان اضطراب ايران طبعاً في غير صالح النشاط التجاري او السياسي ، ففي فبراير سنة ١٧٨٠ كانت النفقات الرسمية للمعتمد في بوشهر تزيد بكثير على المتحصلات من تجارة الشركة . واضطر المستر بومونت ان يسحب كمبيالة بمبلغ ١٠,٠٠٠ روبية على حكومة بومباي تسدد بعد ٣٠ يوماً ، وبهذه الوسيلة استطاع ان يتجنب فائدة قدرها ١٨٪ في الشهر على ما يقترض محلياً وخسارة ٥٪ نتيجة تبديل عملة البصرة . وبالرغم من أن التجار المحليين في بوشهر كانوا متخوفين من المزيد من الحروب الاهلية

الا أنهم استعدوا في ذلك الوقت لاخذ كمية من الاصواف. وسمح لكل موجودات الوكالة بأن تنفذ ربما من باب الحذر من الاخطار المتخوف منها .

وأظهر الحساب السنوي للوكالة في نهاية ٣٠ ابريل سنة ١٧٨١ خسارة للشركة في العام السابق قدرها ٩١٢٤ روبية أثناء وجود المقيمية في بوشهر . وكانت المصروفات الكلية ١٤,٥٨٥ روبية والدخل الكلي أقل من ٥,٥٠٠ روبية بالرغم من أنه دفع مبلغ ٣٧٨٩ روبية إكرامية (رشوة) لباقر خان ، وانفق الفا روبية على اصلاحات في الوكالة احتسبت في حساب (منه) فقد كان العجز خلاف هذه الاشياء كثيراً وايرادات جمارك الشركة كانت ٤٣٨٥ روبية ، وحصل على ٧٠٠ روبية من شحن اللآلىء والاشياء الثمينة المرسلة الى الهند . والسبب في هذا كله هو أن سفينة واحدة فقط أبحرت من بوشهر الى الرئاسة (بومباي) أثناء الاثني عشر شهراً .

١٧٨٤

وفي سنة ١٧٨٤ كانت الـ ٢٪ الضريبة القنصلية قبلئذ تقسم بالتساوي بين المعتمد المحلي وحاكم بومباي، فصدر الامر بتعديل ذلك بأن تضاف نصف هذه الضريبة الى الحساب الخاص بشركة الهند الشرقية .

١٧٨٥

ولما كانت التجارة الايرانية ما زالت في انخفاض كبير فقد تلقى المستر ج. مارشام وهو موظف في الشركة، وكان عائداً الى اوربا، رسالة من سفينة صاحب الجلالة « آ كتف » كما جاءه تكليف أيضاً بنفس المعنى من حكومة بومباي بجعل عودته لانجلترا عن طريق أصفهان ليتحرى هناك أسباب ذلك التدهور . لكن وصوله لبوشهر في مارس سنة ١٧٨٥ صادف اضطرابات في داخل ايران ارغمته على ان يقلع في تلك الفترة على الاقل عن أي تفكير في تنفيذ التعليمات، واستمر في رحلته عن طريق البصرة .

١٧٨٨

وفي عهد جعفر خان بدأت الثقة التجارية تنتعش في ايران لان كلا من الامير وعدوّه أغا محمد خان اتخذاها قاعدة في صمت ألا يهاجما القوافل أو يسببا مضايقات للتجارة . وفي سنة ١٧٨٨ كانت الواردات الى ايران أكبر من أية سنة أخرى منذ موت كريم خان .

١٧٩٠

وفي سنة ١٧٩٠ أعد تقرير عن التجارة في ايران بأوامر من الحكومة الى المستر مانستي ومستر جون معتمد وكالة البصرة عالجا فيه بطريقة كاملة حالة التجارة في ايران في ذلك الوقت الذي ما زالت فيه اقل ازدهاراً مما كانت عليه في حكم كريم خان .

بوشهر

وكان الميناء الرئيسي هو بوشهر ، حيث كانت رسوم الجمارك بسيطة وان كانت متنوعة . وكانت الادارة من النوع العربي المتساهل وبذلك كانت المدينة صالحة للتجارة . ومنذ سقوط البحرين في سنة ١٧٨٣ كان هناك اتصال بسيط بين بوشهر وساحل الخليج المواجه لها ، ولكن التجارة مع مسقط كانت مزدهرة وتم بواسطة المراكب الاهلية . وكانت السلع الأساسية المستوردة مباشرة من الهند الى بوشهر هي الشيت الملون من ساحل كورماندل . وكانت هناك أيضاً بضائع أقمشة من البنغال ولكنها لم تكن تتناسب مع السوق الايرانية وكانت تجلب الى بوشهر بقصد تهريبها فقط الى العراق التركي . وارسل التجار البنغاليون أيضاً سكر النبات والحديد ، والالواح الخشبية ، وكانت النيلة ترسل من موصولي باتام والصين ، اما الاواني الزجاجية فكانت تأتي من بومباي على سفن شركة الهند الشرقية . أما الواردات التي كانت تأتي في المراكب الاهلية من مسقط فهي السكر والسكر النبات والتوابل والمعادن وتشكيلة من الادوات البسيطة . ومن هذه الاشياء كان يأتي الى مسقط السكر والسكر النبات والتوابل والمعادن من فرنسا على سفن هولندية . وكانت العقبة

الاساسية في وقت ما في طريق التجارة المربحة في بوشهر هي اساءة استعمال الشيخ سلطته ، فقد كان هو نفسه تاجراً ويراقب السوق المحلية بنفس الوقت. وكانت حالة التجارة في بوشهر تعتمد دائماً على الوضع العام والوضع السياسي في شيراز . وفي الاحوال العادية لم يكن يمضي اسبوع دون ان تمر فيه قوافل تجارية بين البلدين . وعندما سادت الاضطرابات في الطريق المباشر كانت البضائع ترسل الى اصفهان بواسطة ششترويزد بدلا من شيراز . وكانت تكاليف النقل من بوشهر الى شيراز في ذلك الوقت من ٢٢¼ الى ٢٢½ من روبيات بوشهر « لحمل البغل » ومن ٢٥¼ الى ٢٦,٥ من روبيات بوشهر لحمل الجمل . وأحسن أفيون ايران في ذلك الوقت كان ينتج في الاقليم المجاور لكزاران . وكانت شيراز تمد الخليج كله بالزجاج وأسلحة السيوف ورؤوس الحراب ومواسير البنادق .

بندر عباس

لم تعد بندر عباس ميناء ذا اهمية ، ذلك بأن الطريق الموصل بينها وبين أصفهان أصبح لا يستعمل كلية ، وكانت هناك على أية حال بعض الصادرات من الكبريت والملح الصخري من هرمز . والصوف الكرماني كان ما يزال سلعة قيمة ذات قيمة كبيرة ولكن حوالى سنة ١٧٨٨ نتيجة لحظر جعفر خان على الصادرات لم يصدّر الاحوالي ٣٠٠٠ منّ تبريزي فقط سنوياً .

ايران الغربية

كانت تجارة ايران الغربية الخارجية اذا استثنينا التجارة من البصرة وششتر كلية مع بغداد . وقد لوحظ ان أجزاء الدولة التي كانت تتعامل مع بغداد أخذت جزءً كبيراً من البضائع الاوروبية والقليل من الهندية اذا ما قورنت بالاجزاء الأخرى . وكان طريق القوافل من ايران الى بغداد المار بكرمان شاه غير آمن على وجه العموم . وكان الشيت الملون وقماش القطن الخشن المصنوع في ششتار من بين صادرات ايران الى العراق التركي وكانت الرسوم في ششتار معتدلة جداً .

ايران الشرقية

لم يكن لأقاليم مكران وسجستان حتى الآن اهمية تجارية ولكن خراسان الجنوبية وبعض الاحيان خراسان الشمالية وايضاً قاندهار وكابل كانت تمون بالبضائع الاجنبية من مسقط عن طريق السند والملتان. أما التجارة بين مسقط وافغانستان وخراسان عبر الطريق الهندوكي فقد بدأت في ذلك الوقت تجذب الانتباه ، ولكنها كانت تبشر بالخير . وكان اول مُفتتحيها تجار بوشهر ، أما البضائع المرسلة للبيع في أفغانستان فكانت الاصواف ومقاطع قماش بنغالية وشيت ماسوليبا تام وأسلحة نارية اوروبية في مقابل القليل من الشيلان والجواهر والعقاقير .

وسارت الامور على ما يبدو من سيء الى اسوأ ، وفي بداية يونيه سنة ١٧٩٢ نتيجة لسقوط لطف علي خان وصلت الامور حداً جعل المستر واتكنز المعتمد في بوشهر يكتب التقرير الآتي

« منذ ان قامت الثورة توقف كل اتصال تجاري بين شيراز وبوشهر. ومن السهل ان نلحظ الضرر الكبير الذي عانت منه التجارة نتيجة ذلك . ومع العلم بأنه قد قامت ثورات كثيرة في الدولة في السنين الاخيرة الا أن أكبر النتائج المؤذية لازمت هذه الثورة الجامحة . ونظراً لكساد التجارة أصبح المـــــال قليلا للغاية ، ونضيف الى قائمة هذه الشرور أن كل انواع الحبوب والتموين أصبحت نادرة وغالية غلاء لم يسبق له مثيل »

مؤسسات شركة الهند الشرقية على الساحل الإيراني

وكانت المعتمدية البريطانية في بوشهر هي المؤسسة الوحيدة في ذلك الوقت التي احتفظت بها شركة الهند الشرقية في إيران ، ولم تعد تابعة لوكالة البصرة او حتى لها اتصال بها ، وفي سنة ١٧٧٨ هبطت من منزلة وكالة لها سلطات الرقابة على المعتمديات الى معتمدية .

وأصلحت مباني المعتمدية في بوشهر في سنة ١٧٧٩ وسنة ١٧٨٠ بتكاليف قدرها ٢٠٠٠ روبية . ولكن الامطار الشديدة غير العادية التي هطلت قبل العمل هدمت جزءً كبيراً من مبنى الوكالة البالي ، وقد

كتب المستر بومنت الذي طلب عندئذ نقله الى الهند بسبب ضعف صحته وإقامته ١٢ سنة في الخليج ، كتب تقريراً مبيناً أن بقية مباني الوكالة كانت معرضة لخطر السقوط من أي رذاذ من المطر . هذه هي الحقائق التافهة ولكنها تلقى ضوءاً على احوال الحياة في بوشهر في الايام الاولى من وجود المعتمدية البريطانية هناك .

★ ★ ★

أغا محمد خان ١٧٩٥ ـ ١٧٩٧

استمر حكم أغا محمد خان مؤسس أسرة الكاجار في ايران سنتين فقط من ١٧٩٥ الى ١٧٩٧، ولكنها فترة وإن كانت قصيرة الا أنها تميزت بايجاد اول اتصال بين سياسة اوربا وسياسة الشرق الاوسط . وعلى أية حال ففي الاعتبار الأول نحن لا نهتم بالمسائل التي يبعد الوصول اليها . ولكي نعرف تفصيلا عن تطورات السياسة الروسية والفرنسية والانجليزية وعلاقتها بإيران في ذلك الوقت يمكن للقارىء الرجوع الى الفصل الخاص بتاريخ الخليج العام .

★ ★ ★

تاريخ ايران العام ١٧٩٥ ـ ١٧٩٧

كان أغا محمد خان قد خصي وهو ما يزال طفلا بأمر من عادل شاه ابن أخت نادر شاه وخليفته الذي مني أغا محمد بالوقوع في قبضته حوالي عام ١٧٣٨ . وربما كان من نتيجة ذلك الحادث تكريس الاغا حياته منذ بدأ يترعرع الى المطامع السياسية وتتبّعه لها بصرامة امتازت بفظائع متلاحقة من نوع لا يمكن ان يصدر الا عن نفس آلت على الثأر من الجنس البشري عموماً لما لحقها في الصغر من ظلم .

وقد هزم ابوه محمد حسن خان وقتل في سنة ١٧٥٨ على يد زعماء آخرين من قبيلة الكاجار الذين انضموا الى كريم خان الزندي حاكم

شيراز ليسقطوه . ومن تلك السنة حتى عام ۱۷۷۹ ظل أغا محمد خان سجيناً سياسياً في العاصمة الجنوبية .

وقد هرب من شيراز عند موت الوكيل ومعه ۱۷ فقط من أتباعه ووصل الى ايران الشمالية في سلام، وذلك بعد ان مضت عدة سنوات في نزاع مع افراد أسرته قبل ان ينال سيادة لا منازع له فيها على سائر الكاجار . وقد مات أخوه الشقيق حسين قولي خان بعد ان ذبحه التركمان ولكنه ترك ابنين صغيرين هما فتح علي شاه وحسين قولي خان. وكان عدد اخوته غير الاشقاء خمسة استطاع ان يطرد ثلاثة منهم من الدولة ، ويعمي الرابع ، ويتخلص من الاخير باغتياله بخيانة غريبة . وفي سنة ۱۷۸٦ عندما كان أغا محمد خان يتنافس مع الزند على سيادة ايران جعل طهران عاصمته بدلا من أصفهان التي كان احتلها في العام السابق ولكنه لم يستطع الاحتفاظ بها .

وفي سنة ۱۷۹۱ ساعدته ثورة في الداخل على الاستيلاء على شيراز مقر سلطة الزند . وفي سنة ۱۷۹٥ كانت ايران كلها في حوزته . وبقسوة لا تعرف الرحمة بدأ يلقي الرعب في قلوب زعماء القبائل الذين قد يحاولون التطلع الى التاج او الى أي غرض آخر يعكرون به صفو السلام في الدولة جاعلين من نادر شاه او كريم خان امثولة لهم . وقد بذل ما في وسعه ليمحو تقاليد الماضي التي بدت وكأنها تنقص من عظمته بارتكاب أعمال يقصد بها تحقير وإهانة ذكريات نادر شاه وكريم اللذين أمر بنبش جثتيهما من القبور ، ثم امر باعادة دفنهما على عتبة قصره . وبعد ان امتدت سطوته الى ايران الجنوبية عين خاج ابراهيم (الذي أعطاه شيراز لتخليه عن الزند) مستشاره الاول، وعين فتح علي خان ابن اخته والذي اختاره ليخلفه بعد موته حاكماً على مقاطعة فارس جميعها .

وكانت أعمال أغا محمد خان الحربية بعد ان اكتسب السيادة المطلقة على ايران مقصورة على الشمال . وفي سنة ۱۷۹٥ اجتاح جورجيا وهي مقاطعة كان هرقل حاكمها قد وضع نفسه سنة ۱۷۸۳ تحت حماية

كاترين الثانية امبراطورة روسيا. ولم تكن النجدة الروسية متيسرة في الحال فقاست تفليس العاصمة من النهب والفظائع الاخرى على يد الايرانيين . وظل الحاكم الايراني محتلا جورجيا في شتاء ١٧٩٥–١٧٩٦ . واخيراً وافق مبدئياً على ان يتوج ولكنه رفض تاج نادر شاه ذا الاربع ريشات بحجة أن حدود الارض الخاضعة لحكمه عندئذ لا تجيز له اتخاذ ذلك الشعار لملكه .

ومن جورجيا تقدم أغا محمد خان إلى خراسان وفي طريقه عاقب بعض القبائل التركمانية. وفي مشهد استخرج الكنوز وبصفة خاصة الجواهر الباقية في حوزة اسرة الشيخ رخ الحفيد الاعمى لنادر شاه ، وذلك بطريقة التعذيب القاسي الذي كان يفضي الى الموت . ثم بعد ذلك هدد إمارة بخارى بالغزو الا اذا أطلقوا سراح جميع الايرانيين الذين اختطفهم واستبعدهم الازبك . وكان سيتبع هذا بأعمال عدائية ضد بيجي خان حاكم البلد الفعلي الذي كان يضارعه في شخصيته الفذة لولا أن استرعت انتباهه أحداث أخرى في مكان غير ذلك .

أما بصدد بعثة م. م. بروجيز واوليفر اللذين اوفدتهما حكومة فرنسا الى البلاط الايراني سنة ١٧٩٦ فيمكن ان نعرفها تماماً في الفصل الخاص بـ « تاريخ الخليج العام » .

وبدأ الروس الآن في التقدم في قوة هائلة الى الحدود الشمالية من إيران . وفي ٢٠ سبتمبر سنة ١٧٩٦ وصل أغا محمد خان من مشهد الى طهران ليقوم بالاستعدادات لمقابلة هذا الهجوم التهديدي ، ولكن خطر الغزو تلاشى على أية حال بموت كاترين امبراطورة روسيا في التاسع من نوفمبر سنة ١٧٩٦ . وقد شجع انسحاب الروس أغا محمد خان في ربيع سنة ١٧٩٧ على الشروع في هجوم ثان على جورجيا ولكن عقله بدأ يختل او أصبح في حالة جنون ، وفي أثناء سير الحملة قتله اثنان من خدم منزله كان قد حكم عليهما بالاعدام لذنب بسيط ثم عفا عنهما بينما كانا ينتظران مصيرهما .

تاريخ الساحل الايراني ١٧٩٥ ـ ١٧٩٧

أثناء حكم أغا محمد خان على ايران لم تكن مناطق الساحل الايراني مسرحاً لاي حادث جدير بالملاحظة فيما يختص بالسياسة الخارجية أو بالشئون الداخلية .

★ ★ ★

فتح علي شاه
١٧٩٧ ـ ١٨٣٤(١)

دخلت ايران تحت حكم فتح علي شاه خليفة أغا محمد خان في دائرة سياسية اوسع من تلك التي اعتادت ان تسير فيها واصبحت سياستها الخارجية أكثر تعقيداً عما كانت عليه . وبما أنه من المستحيل ان نفصل تاريخ ايران في الخليج عن تاريخها العام فاننا نستعرض هنا أهم الملامح العامة للتاريخ الايراني .

(١) ان المصادر الرئيسية لتاريخ ايران العام تحت حكم فتح علي شاه هى : « تاريخ ايران » للسير ج· مالكلولم سنة ١٨١٥ ، « أسرة الكاجار » هـ·ج· بردجس سنة ١٨٢٣ ، وتاريخ ايران لمستر ر· ج· واتسون سنة ١٨٦٦ ، « تاريخ ايران العام » للمستر ر· س· ماركهام سنة ١٨٧٤ ، « ايران » للورد كيرزون سنة ١٨٩٢ · والكتب التالية مفيدة بصفة خاصة للرجوع الى العلاقات السياسية بين بريطانيا وايران لانها تتضمن الى حد ما علاقات الاخيرة مع روسيا وافغانستان وهى « رحلة في ايران » ، « رحلة ثانية في ايران » سنة ١٨١٢ وسنة ١٨١٨ للسير موريير ، « بعثة الى بلاط ايران » للسير هـ· ج· بردجس سنة ١٨٣٤ ، « تاريخ الحرب في افغانستان» « حياة ومراسلات القائد سير جون مالكولم » سنة ١٨٥١ وسنة ١٨٥٦ للمستر ج· و· كى ، كتاب المستر ج· تالبويز ويلر « مفكرات في الشئون الايرانية » سنة ١٨٧١ ، ملحق رقم ٢ يحتوى على نص معاهدتين فرنسيتين مع ايران ، « معاهدات » للمستر أتشيسون (المجلد ١٢ الطبعة الرابعة) يحتوى على الارتباطات الانجليزية الايرانية في تلك الفترة · والمصادر الاصلية للمعلومات الخاصة بالشئون المحلية للساحل الايراني هى « مختارات لاوراق =

تاريخ ايران الداخلى ١٧٩٧ ــ ١٨٣٤

ينقسم التاريخ الداخلي لايران تحت حكم فتح علي شاه تقريباً الى فترات تفصلها الحروب الايرانية مع روسيا . وسنلاحظ هنا فيما بعد ان أهمها حربان ختمتا على التوالي بمعاهدة جاليستان في سنة ١٨١٣ ومعاهدة تركمانيهاي في سنة ١٨٢٨ .

الفترة الاولى ١٧٩٧ — ١٨١٣

بالرغم من الاحتياطات المختلفة التي اتخذها أغا محمد خان ليؤمن خلافة ابن اخته ووريثه فتح علي شاه فانه كان مشغولا لفترة ما بعد أن اعتلى العرش في النزاع مع المطالبين بالتاج وثائرين آخرين ضد السلطة . وفي أثناء حياة أغا محمد خان كان فتح ينادي باسم بابا خان او بابا علي خان ولكن بعد تتويجه في ٢١ مارس سنة ١٧٩٨ زالت التسمية الاولى واصبحت فتح علي شاه وهو الاسم المعروف به في التاريخ .

١٧٩٧ — ١٧٩٨

وكان اول عمل قام به الحاكم الجديد تقريباً هو سمل عيني عمه علي قولي خان وهو أخ لاغا محمد خان لم يذكر قبلا بالاسم ، وكان هذا تأخر بلا مبرر في إظهار احترامه بزيارته . وبعد ذلك مباشرة سار شخصياً ضد صادق خان وهو قائد حربي كان له ضلع في مقتل أغا محمد خان وكان يتطلع بشكل واضح لأن يحظى لنفسه بالسلطة العليا . وكان صادق خان قد هزم بجوار بحر قزوين ولكنه اصطلح مع الشاه بتسليمه جواهر تاج(١) ايران التي كان يمتلكها عند موت الحاكم المتوفى .

= بومباى الرسمية » فيما يتعلق بملاقات شركة الهند الشرقية مع الخليج ومعه ملخص الاحداث . للمستر ج. أ. سالدانها سنة ١٦٠٠ الى سنة ١٨٠٠ طبع في سنة ١٩٠٥ وكتابة « مختصر المراسلات » فيما يتعلق بشئون الخليج سنة ١٨٠١ وسنة ١٨٥٣ . طبع سنة ١٩٠٦ وتوجد حقائق اضافية في « رحلة الى شيراز » للمستر أ. س. وارنج سنة ١٨٠٧ ، « مختارات بومباى رقم ٢٤ » سنة ١٨٥٦ ، « تاريخ البحرية الهندية » للمستر س. ر. لو سنة ١٨٧٧ .

(١) من بين هذه الجواهر كانت سرايا النور وتاجى ماه التى سبق أن رأيناها في حوزة لطف على خان .

وحينئذ تم العفو عنه وولاه الحكومة . وفي نفس الوقت قبض على قتلة أغا محمد خان الاصليين واحداً إثر الآخر وأعدامهم، وأرسلت جثة ذلك الامير الى النجف للاحتفال بمراسم دفنها . وقام أحد افراد عائلة الزند واسمه محمد خان ، وكان وصف بأنه ابن زكي خان ولكن يبدو أنه لم يذكر في أي تاريخ قبل هذا ، باحتلال اصفهان ولكنه طرد في الحال بقوة من الكاجار ولجأ الى جبال بختياري . وقام بعد ذلك صادق خان بمساعدة زعماء آخرين عديدين بحرب على الشاه . ولكن بعد ان هزمه الجنرال الكاجاري سليمان خان أصدر العفو عنه مرة ثانية لكن واحداً على الاقل من شركائه الاساسيين كان اقل حظاً ودفع حياته ثمناً لتلك الثورة . وفي غضون ذلك نجح محمد خان الامير الزندي في تكوين جماعة (حزب) له من الاكراد لكن محمد والي خـــان ؛ وهو قائد ارسله ضده فتح علي شاه ، وأسره وهو يحاول الهرب الى البصرة . وقد سملت عيناه كي لا يرتكب شروراً في المستقبل . وكانت الثورة التالية ضد الشاه برياسة أخيه الشقيق حسين قولي خان الذي كان قد عينه أصلا على مقاطعة فارس ، وربما كانت في ذلك الوقت أهم مقاطعة في إيران . ولقد رأى أخوه على ما يبدو الآن ان ينقله من منصبه لاسباب تعود الى عدم كفايته أكثر منها لقلة اخلاصه وقد ترك محمد والي خان القائد الذي هزم محمد خان الزندي سيده وانضم الى حسين قولي خان كما فعل ذلك ايضاً سليمان خان الذي استخدمه فتح علي شاه ضد صادق خان. وقد امكن تفادي الكفاح المسلح بين الاخوين الملكيين بصعوبة بتوسلات والدتهما . ولتسوية هذه القضية اظهر فتح علي شاه شهامة عظيمة لانه عين أخاه على حكومة كاشان ليعزيه عن فقد شيراز ، وأبقى على حياة محمد والي خان وسليمان خان بل وارجع التالي الى حظوته . وقد حاول اسحق ميرزا . وهو من سلالة الملوك الصفويين القدماء ، ان يدعي حقه في العرش ولكنه فشل . وانتهز الشاه هذه المناسبة ليعطي براهين جديدة على حلمه ورحمته . وكان المظهر الآخر من المتاعب في خراسان حيث دخل نادر ميرزا ، ابن الشاه رخ وحفيد نادر شاه الاكبر ، مرة أخرى من أفغانستان بعد موت أغا محمد خان، وكون لنفسه أتباعاً مسلحين. وعندما

كان الشاه في طريقه الى مشهد أخضع مدينتي تربه ونيسابور اللتين كانتا ثائرتين ضده . وعند وصوله الى المكان المقصود أعلن ميرزا المغتصب خضوعه في الحال وسمح له بأن يحتفظ بالحكومة . وكانت عودة فتح علي شاه من هذه الحملة الى طهران فيما يبدو بعد منتصف سنة ١٧٩٨ ، وفي هذه الحالة لا بد وان السنة الاولى من حكمه كانت شاقة .

١٧٩٩ — ١٨٠٠

ومن المحتمل بعد ذلك بفترة في صيف سنة ١٧٩٩ أن يكون فتح علي شاه قد جمع جيشاً بقصد اعلان الحرب على زمان شاه حاكم كابول الذي طلب التخلي عن خراسان . ولكن في النهاية ، بعد ان سحب زمان شاه مطلبه استخدمت القوة لعقاب حكام سايزاور ونيسابور الذين أظهروا دلائل التمرد . وكان القضاء على ذلك الثائر صادق خان نتيجة غير مباشرة للدعوة الى السلاح لانه عند إهماله إطاعة الدعوة للانضمام الى الجيش اتهم بالخيانة ، وقبض عليه وسجن في حجرة في طهران ، حيث هلك من الجوع .

وفي أوائل سنة ١٨٠٠ زار الشاه خراسان مرة أخرى ولكنه عاد الى عاصمته قبل نهاية السنة .

١٨٠١ — ١٨٠٢

ويحتمل ان أخ الشاه حسين قولي خان عاود الثورة مرة أخرى واستولى على أصفهان بصفة موقتة وذلك بأن زور أمراً بتعيينه حاكماً . وعلى أية حال فقد هرب بمجرد وصول قوة ملكية . ولما وجد نفسه معزولا عن الحدود التركية التي نوى الانسحاب اليها القى بنفسه تحت رحمة الشاه في قم . وعفا عنه مرة أخرى ثم مات بعد ذلك موتاً طبيعياً في مكان قريب من طهران . وما كادت تخمد ثورة أخ فتح علي شاه حتى اضطر أن يتقدم الى خراسان حيث كثرت الشكاوي من إدارة نادر ميرزا ولكن قبل ان تستتب الامور تماماً هناك عاد الى طهران ، وكان يبدو ان هذه الرحلة كانت في سنة ١٨٠٢ . ومن ثم سلح الشاه بعض القوات العسكرية

أمام اسوار مشهد ليصدوا هجوم نادر ميرزا الذي كان قد ضمن سلامة السيد مهدي كبير مجتهدي المدينة . ونتيجة لتمادي نادر ميرزا في ظلمه ، كنهب ضريح الامام رضا ، وإعدام السيد مهدي فلم تمض وقت طويل حتى سمح المواطنون بدخول الملكيين داخل الاسوار . وحاول ميرزا الهرب ولكنه طورد واسر وأخذ الى طهران حيث حكم عليه بقطع لسانه ويديه وفقأ عينيه بأمر من الشاه ، وبالرضا التام من جميع الاهلين .

ولقد ورث الشاه رئيس وزرائه الاول، حاج ابراهيم ، من عمه ، ذلك الانسان الجبار الذي كان وضع شيراز في حوزة حاج ابراهيم . وعلى أية حال كان يبدو أن فتح علي شاه يخشى أن يتحول الحاكم الذي كان يدين بالولاء للزند الى خائن للكاجار . وفي اول الامر وضع زميلين مع حاج ابراهيم ليراقبا تصرفاته . وفي سنة ١٨٠١(١) أو سنة ١٨٠٢ نتيجة لاذاعة تقارير مشئومة تتعلق بمقاصد الوزير أمر باعدامه . وقتل معه عدد من أقاربه في آن واحد وقد كانوا يحكمون جزءً كبيراً من إيران .

١٨٠٤ — ١٨١٣

وتواصلت من سنة ١٨٠٤ الى سنة ١٨١٣ خلال هذه المدة الباقية من الفترة الاولى حرب متقطعة بين روسيا وإيران حجبت الاحداث الاهلية في المملكة الاخيرة (إيران) . ويمكن ان نذكر على أي حال أنه في سنة ١٨١٢ الى سنة ١٨١٣ بعد ان هزم الروس الجيش الايراني هزيمة قاسية ثار زعماء خراسان ضد محمد والي ميرزا ابن الشاه الذي كان يحكم المقاطعة . فارسل حكام بخارى النجدة للمتمردين، ولكن هذه الحركة من جانبهم كانت سابقة لاوانها لان زعيم عائلة روحانية (دينية) من مشهد كان يعمل لمصلحة الشاه ، استطاع بصفة موقتة ان يشتت تحالف الثائرين الاهليين . وحينئذ بينما كانت قوات آسيا الوسطى تنسحب في خزي وعار فرض الجيش الملكي عقوبة على الخراسانيين ، كما انتقم

---

(١) يبدو أن ذلك الوقت لا بد أن يكون بعد رحيل القائد مالكلولم من ايران في مارس سنة ١٨٠١ وقبل وصول المستر وارنج لايران في مايو سنة ١٨٠٢ .

أيضاً من بعض التركمان الذين ثاروا تحت قيادة شخص كاجاري بأمر من الشاه .

وكان لفتح علي شاه عائلة كبيرة(١) ولكن اربعة فقط من أبنائه اشتركوا في الشئون العامة . وهم محمد علي ميرزا الأكبر ، وكان متوحشاً وصارماً تولى حكم كرمان شاه، واشرف على شئون كردستان الايرانية ولكن ربما من البداية لانه كان من نسل عبد جورجياني (من جورجيا) اعتبر غير شرعي للخلافة . والثاني هو عباس ميرزا وهو نشيط ولكنه متقلب عرف بأنه الوريث الظاهر . وقد حكم اذربيجان واشترك في الحرب ضد الروس(٢) وحسن (او حسين) على ميرزا الذي تقلد حكومة شيراز بعد إبعاد حسين قولي خان من هناك . وكان مستشار الشاه في شئون الخليج ومحمد والي ميرزا الذي كان في وقت ما ، كما رأينا ، مسئولا عن خراسان .

الفترة الوسطى ١٨١٣ ــ ١٨٢٨

ولم يمض وقت طويل بعد نهاية الحرب الروسية الاولى حتى استدعي بتعليمات من الشاه محمد والي ميرزا الذي قتل غدراً اسحق خان في تربة وكان القتيل زعيماً ذا نفوذ في خراسان . وكان استدعاوه من مشهد حيث احتل مكانة موقتاً أخوه حسن علي ميرزا حاكم شيراز الرسمي .

١٨١٧

وفي سنة ١٨١٧ قتل رئيس الطائفة الاسماعيلية، الجد الاكبر لاغا خان الحالي في بومباي، وكان يقيم في يزد ، في غضون شجار بين باعة المدينة وخدمه الخصوصيين . وكان فتح علي شاه في خشيته من انتقام الطائفة الاسماعيلية حريصاً على ان يصلحهم بالانتقام من واحد من المسيئين الاصليين وبتبني ابن المتوفي الراحل الذى أغدق عليه ثروة كبيرة

(١) طبقا لرأى للمستر والشون (تاريخ ايران صفحة ٢٦٩) كان عدد أبنائه وبناته ١٥٩ وبتقديرات أخرى انظر لورد كرزون (ايران ــ المجلد الاول ــ صفحات ٤١٠ ، ٤١١) .

(٢) في سجلات الخليج اسمه عادة حسين وليس حسن .

بالاضافة الى ما ورثه . ولم يفلت قتلة الزعيم المقدس الفعليين من الجزاء على ايدي الاسماعيلية .

١٨٢١ — ١٨٢٢

واجتاحت ايران ١٨٢١—١٨٢٢ موجة شديدة من الكوليرا قضت على ابن الشاه الأكبر محمد علي ميرزا الذي كان مشغولا في حرب مع الاتراك . وقضى الوبأ بالموت في شيراز على المستر ريتش المعتمد السياسي البريطاني في بغداد وعلى المستر جيوك وهو المفوض الخاص من حكومة الهند في ايران . وضحية أخرى هو ميرزا بوزرج وكان رجلاً عظيماً وأحد موظفي الشاه الرئيسين حيث مات في ١٤ أغسطس سنة ١٨٢٢ وكان ميرزا بوزرج ابن اخت ميرزا محمد حسين خان وزير صادق خان وجعفر خان ولطف علي خان . وعلى ذلك فهو ينتمي الى عائلة فقدت مكانتها في البلاط بسقوط عائلة الزند وبعداوة حاج ابراهيم . وبعد فترة أصبح مستشاراً لعباس ميرزا الوريث المتوقع ونال لقب قائمقام واخيراً وصل الى مقام كبير لأنه حوالي سنة ١٨١١ عند موت ابنه الاكبر في خدمة التاج أنعم عليه بابنة الشاه لتتزوج من ابنه الاصغر على سبيل المواساة .

الفترة الاخيرة ١٨٢٨ — ١٨٣٤

وعمت الفوضى ايران أثناء الحرب الروسية من سنة ١٨٢٦—١٨٢٨ وقد طرد سكان يزد محمد والي ميرزا ابن الشـــــاه الذي ارسل لحكمهم . ومنع شعب أصفهان الدخل الحكومي المطلوب منهم واندلعت الثورة في منطقة كرمان . وكانت خاتمة الصلح مع الروس ان حسن علي ميرزا حاكم خراسان حديثاً واقليم فارس سابقاً ارسل بقوات لاعادة النظام في الجنوب ، ولكنه فشل في ذلك على الاقل في يزد . وفي نفس الوقت عهد بمقاطعات كرمان شاه وهمدان الى عباس ميرزا بالاضافة الى

---

(١) في رواية أخرى على أى حال أن محمد على ميرزا مات قبل بداية الوباء وأن المرض الذى مات به كان أقل انتشـــارا من مرض الكوليرا .

أذربيجان التي كانت له من قبل ، وفي نفس الوقت ثار زعماء خراسان وفي أغسطس سنة ١٨٢٨ وقعت مشهد في يد قائد ذي نفوذ محلي ولم يمكن استردادها في الحال .

١٨٢٣ — ١٨٣٠

وفي سنة ١٨٣٠ قام الشاه بزيارة شخصية لاصفهان ، واضيفت خراسان الى مسئولية ولي العهد الكبيرة ، ولكنه أمر بتسوية الامور في الجنوب قبل ان يدخل هذه المقاطعات الشمالية الشرقية . وقد نجح عباس ميرزا لا في اخضاع يزد فحسب بل قبض على زعيم المتمردين هناك وأعدمه محمد والي ميرزا بعد ذلك في طهران . واستقبل أهل كرمان عباس ميرزا بالاحضان عندما ارسل هذا الى حضرة الشاه تحت الحراسة . وعند الوصول الى خراسان التي ارشده أبوه أن حدودها تمتد الى نهر جيحون ، الحدود الحقيقية لايران والموضوعة في عهد نادر شاه ، اتخذ اجراءات ضد القبائل الرحل في الاجزاء المجاورة ، واستولى على المدينة التركمانية سرخس بمذبحة كبرى. وكانت هذه المدينة تعتمد الى حد كبير على تجارة العبيد الايرانيين . واستعد بعد ذلك لمهاجمة هرات ومقاطعاتها على الحدود الشرقية ، لكنه عند هذا الموقف استدعاه أبوه الى طهران وأخذ مكانه على الحدود الشمالية الشرقية ابنه محمد ميرزا . وابتدأت صحة ولي العهد تتدهور ، فسافر سريعاً الى مشهد حيث مات سنة ١٨٣٣ في السادسة والاربعين من عمره ، فاستدعي محمد ميرزا الى طهران وعين وريثاً للعرش ثم عين حاكماً على أذربيجان .

١٨٣٤

وفي نفس الوقت اخذ علي ميرزا الذي عيّن مرة أخرى حاكماً على فارس بلقب « فارمان فارما » يمنع دخل مقاطعته . وفي خريف سنة ١٨٣٤ كان الشاه يعاني من الضيق المالي لان بعض اللصوص البختياريين سطوا على كنز ملكي بين اصفهان وطهران فرحل الى الجنوب ليتحرى عن سبب منع الدخول بنفسه ، ووصل أصفهان بسلام حيث ظهر علي ميرزا وقد أحضر ١٣,٠٠٠ تومان والمطلوب ٦٠٠,٠٠٠ كان مسئولا

عنها . فأوقفه ابوه تبعاً لذلك وارسل وزيراً معززاً بقوة عسكرية ليسترجع باقي الحساب المطلوب من المقاطعة ، وبعد ذلك بأيام قليلة مرض الشاه بالحمى وفي الثالث والعشرين من اكتوبر سنة ١٨٣٤ بعد مرض قصير جداً مات في أصفهان وهو يبلغ من العمر ٦٨ عاماً .

شخصية فتح علي شاه

كانت شخصية فتح علي شاه هامة في متناقضاتها وكان في شخصه موقراً واحتفظ بهيبة ملكية . ومع ذلك ففي شئون المال كان يظهر بخلا شديداً لا يتفق مع مرتبته ، كما كان ضاراً بشئونه السياسية . وكان موقفه من الشئون الخارجية يتميز بكبرياء شخصي وغرور بوطنيته. وأما شجاعته فهي مسألة تحتمل المناقشة . وكان على الاقل دبلوماسياً أكثر منه حربياً . وكان بصفة عامة رحيماً على خصومه ويشعر بعاطفة قوية نحو أسرته . وبالرغم من كل ذلك كان قديراً في ظروف معينة تتطلب التصرف بقسوة شديدة بل بوحشية وكان إدراكه العام ممتازاً ولكنه كان عرضة للتضليل دائماً بسبب الطمع ، ومن وقت لآخر بسبب الغرور أيضاً .

★ ★ ★

علاقات ايران مع أفغانستان(١)
١٧٩٧ ـ ١٨٣٤

لا يمكننا أن نتغاضى كلية عن العلاقات بين ايران وأفغانستان أثناء حكم فتح علي شاه لان خططه على حدود جارته الشرقية ، ولو لم تبد واضحة وضوحاً تاماً ، الا أنها كانت تشكل جانباً هاماً من سياسة الشاه الخارجية .

(١) المعلومات الموجودة في هذا الجزء مأخوذ معظمهـــا من تاريخ ايران لواتسون الذى يعتمد في مسألة أفغانستان على مصادر الاهـــالى الايرانيين ومن المحتمل أنهم كانوا يمجدون الانتصارات الايرانية ويقللون من شأن فشلها .

حكم زمان شاه ١٧٩٧ – ١٨٠١ :

منذ الوقت الذي اعتلى فيه فتح علي شاه العرش راح يؤازر محمود وفيروزالدين ، وهما اخوان ثائران ضد زمان شاه حاكم افغانستان. وكان غرضه بلا شك هو إضعاف البيت المالك في أفغانستان عن طريق الشقاق الداخلي وان يضم اليه واحداً او اثنين من أعضاء الاسرة لمصالحه . وقد شجعه على خطته هذه مبعوث من الحكومة البريطانية في الهند احباطاً لما كانت تخشاه بريطانيا من توجه زمان شاه ضد مستعمراتها . وقد قامت حملة ايرانية فعلا الى افغانستان قبل نهاية عام سنة ١٧٩٨ ولكنها فشلت .

وفي صيف سنة ١٧٩٩ حدثت ازمة خطيرة بسبب طلب زمان شاه تسليم خراسان اليه . وقد رد زمان شاه الاهانة بأن طالب بأن تكون أفغانستان كلها من توابع ايران ، وعلى ذلك ، ولكي يثبت جدية مقاصده ، جمع قوة كبيرة وتقدم هو بنفسه من طهران الى مشهد .

وعلى أية حال فقد انزعج زمان شاه من هذه الاستعدادات وارسل سفيراً يحمل الهدايا الى فتح شاه الذي أُغري بهذه الطريقة بالعودة الى طهران . أما الثائران الافغانيان محمود وفيروز الدين ، اللذين أشرنا آنفاً لهما فكانا مقيمين في ايران او زاراها أخيراً ليلحا في طلب النجدة من الشاه الذي اشترط عند انسحابه من الحدود الافغانية على زمان شاه أن يستقبلهما ويعاملهما في المستقبل بطريقة تتناسب مع مركزهما كأميرين . وكانت منطقة غوريان الواقعة غرب هرات قد بقيت في أيدي الايرانيين الذين احتلوها . ولم يمض وقت طويل حتى اتصل محمود وفيروز الدين بفاتح خان ، واستوليا على هرات . ومن ذلك المكان كقاعدة لهما تقدم محمود الى قندهار واحتلها وبقي فيروز الدين للمحافظة على هرات .

الحكم الاول لمحمود ١٨٠١ – ١٨٠٣

وفي سنة ١٨٠١ سملت عينا زمان شاه وخلع . وحل محله محمود الذي حكم افغانستان كلها حتى سنة ١٨٠٣ عندما طرد من الجزء الأكبر من البلد بواسطة شاه شجاع ، ومن المحتمل ان يكون قد عاد إلى هرات .

حكم شاه شوجا ١٨٠٣ – ١٨٠٩

بعد اعتلاء شاه شجاع العرش قام قامران ابن محمود بمساعدة فاتح خان براكساي بغزو قندهار . لكن حركة من الفرس ضد هرات اضطرته لان يعود ادراجه . أما فيروز الدين فبعد ان افسد ولاء الموظف الايراني المسئول عن غوريان ارسل قوة للمقاطعة ليحاول ضمها الى حكومته ولكن الافغان هزموا في محاولتهم بمذبحة كبرى . وعلى ذلك فقد أصبح حاكم خراسان الايراني الآن على ابواب هرات . وانتهت العمليات طبقاً للروايات الايرانية بالاذلال التام لفيروز الدين الذي اضطر ان يعد بدفع جزية الى ايران في المستقبل ، ويدفع قسطين سنويين في الحال باسم متأخرات ، وان يسلم ابنه كرهينة ، وان يسلم الموظف الايراني الذي تآمر معه في موضوع غوريان ، وحصلت هذه الاحداث جميعها في سنة١٨٠٥

الحكم الثاني لمحمود ١٨١٠ – ١٨١٧

في سنة ١٨٠٩ او ١٨١٠ جاء محمود مرة أخرى لتولي شئون افغانستان بتأييد فاتح خان براكزي وطرد شاه شجاع من البلد . وفي سنة ١٨١٦ أو سنة ١٨١٧ تقدم حسن علي ميرزا الذي كان عينه والد الشاه لحكم خراسان زاحفاً الى هرات ، مستولياً في طريقه على حصن هزاره التابع لمحمود اباد ، وكان سبب ذلك الهجوم هو ادعاء الافغان مرة أخرى بامتلاك اقليم غوريان المختلف عليه وفزع فيروز الدين من الرعب من العبرة التي حلت بمحمود أباد حيث تصرف الايرانيون بمنتهى القسوة . واسرع ليتنحى عن انتصاره ، لكن علي ميرزا على أي حال لم يكن ليهدأ فتقدم ليحاصر هرات بشكل منظم . فرأى فيروز الدين أنه من الحكمة أن يخضع خضوعاً تاماً ويدفع غرامة قدرها خمسون ألف تومان كما تعهد بالدعاء للشاه في صلوات الجماعة في هرات وسك العملة باسمه . وقام الايرانيون بعد ذلك بحملة في منطقة جبلية ضد قبيلة فيروز كوه التي كانت توؤي الحاكم السابق لغوريا لكن الحملة انتهت بكارثة فادحة في انسحاب القوات الى مشهد . وفي نفس الوقت توسل فيروز الدين الى أخيه محمود في كابل لنجدته ضد المعتدين . وكانت النتيجة هي ارسال

قوة أفغانية تجاه الغرب تحت قيادة فاتح خان الذي أصبح رئيساً لوزراء محمود والذي كان يستعد سراً من قبل مع بقية عائلة براكزي لينازع الحكم في افغانستان مع السادوزيات الحاكمين. ودعا فاتح خان، خان خيوه ليتعاون معه ضد الايرانيين ولم يخيب أمله. وعندما تقدم هذا الحليف حتى شراكس هوجم حشد الافغانيين الكبير غير المتحد وتشتت في غوريا على يد قوة ايرانية قوية تحت قيادة علي ميرزا. وأثناء هذه العمليات نهب قصر فيروز الدين في هرات وأهين المقيمون فيه من السادوزيات بواسطة دوست محمد الذي أصبح بعد ذلك حاكماً على أفغانستان وهو الاخ الاصغر لفاتح خان. وعند عودة الوزير البراكزي من حملته الفاشلة ضد الايرانيين قلعت عيناه اولا بأيدي جماعة كامرام ثم قطعوه إرباً بأوامر من الدوكامرام محمود وربما كان ذلك بسبب غضب أقاربه او ربما لتهدئة شاه ايران.

الفوضى ١٨١٨ — ١٨٢٦

أعقبت ذلك فترة من الفوضى دامت عدة سنوات نصّب في أثنائها السردارات البراكزيون، واهمهم دوست محمد، أنفسهم أسياداً على جزء كبير من افغانستان، غير أن هرات ظلت في حوزة محمود وكامران زعيمي أسرة السادوزيين كما أصبحت محل اقامتهم. وفي هذا الوقت العصيب طلب قمران (كامران) النجدة غير مرة واحدة من شاه ايران لاسترداد كابل.

حكم دوست محمد بعد ١٨٢٦

وفي مطلع عام ١٨٢٦ أصبحت سلطة دوست محمد وطيدة في معظم اجزاء أفغانستان ما عدا مقاطعتي هرات وكاجدهار. ولما كانت الاخيرة غير متمتعة بحمايته فقد كانت معرضة للاعتداء عليها من الايرانيين. وفي سنة ١٨٣٣ عزم عباس ميرزا ولي العهد الذي عين أخيراً ممثلا لوالده في خراسان على القيام بمجهود لضم هرات(١) لايران وطلب من الشاه

(١) دبرت حملة على هرات بواسطة الايرانيين في سنة ١٨٣٢ أو ربما قبل ذلك. وقد شجعت روسيا الفكرة كما شجعتها بريطانيا في عهد زمان شاه. ولكن المستر ماكنيل الممثل البريطاني في طهران حال مؤقتا دون تنفيذها.

قوات اضافية ارسلت اليه في الحال . وكان فتح علي شاه متشوقاً في ذلك الوقت لرؤية ابنه المحبوب مرة أخرى فدعاه الى طهران . وآلت قيادة القوات والعمليات العسكرية في غيابه بالاضافة الى حكم خراسان الى ابن ولي العهد محمد ميرزا . وتقدم الامير الصغير الى غوريان التي أصبحت مرة أخرى في حوزة الافغان . ولكنه فشل في الاستيلاء عليها ، وواصل تقدمه الى هرات فحاصرها متبعاً في ذلك مشورة ضابط بولندي اسمه م . باروفسكي . ولكن كامران دافع عن هرات بقوة كما شنت قواته هجوماً ناجحاً على الايرانيين . وفي خريف سنة ١٨٣٣ وبسبب موت ولي العهد الذي كان قد عاد الى مشهد توقفت العمليات الحربية قبل الوصول الى نتيجة حاسمة . وبعد تلقي وعد صريح من حاكم هرات بأن الجزية ستدفع مستقبلا من هرات للشاه وأعطي تعهد بذلك أمام محمد ميرزا فانسحب بقواته عائداً الى إيران .

★ ★ ★

علاقات ايران بتركيا(١)
١٧٩٧ ـ ١٨٣٤

تخلل حكم فتح علي شاه نزاعات تحولت الى حرب علنية بين ايران وتركيا .

سخط ايران من نهب الوهابيين كربلاء ١٨٠١

عندما انقض الوهابيون من نجد في سنة ١٨٠١ دون سابق انذار على كربلاء المدينة المقدسة ونهبوها وذبحوا الاهالي الذين كان كثير منهم من

(١) يحتمل أن تكون السلطات الايرانية بسبب انسياقها مع واتسون قد أظهرت تحيزا لبلدها في وصف العلاقات مع تركيا وبصفة خاصة أثناء الحروب .

الايرانيين وأهانوا قبر الحسين(١) المقدس ، شعرت إيران كلها باحساس عميق مؤلم . فعاد الشاه الى عاصمته من حملة في بعض المناطق واقترح أول الامر ان يعتبر سليمان باشا في بغداد مسئولا عن هذه الكارثة ولكن بعد مراجعة فكره ، وبعد أن قدمت له الرشوة من الحاكم التركي ، سمح لنفسه بأن يهدىء خاطره بتأكيد من الاتراك بأنهم سيعاقبون الوهابيين .

المتاعب بين ايران وتركيا على حدود كردستان ١٨٠٦

وحوالي سنة ١٨٠٦ نشبت الحرب بين ايران وتركيا على حدودهما المشتركة شمال كرمانشاه . ويبدو أن موضوع النزاع كان في منطقة شهر زور الكردية المتاخمة للسليمانية ، والتي كان يحكمها عندئذ عبد الرحمن باشا الاقطاعي التركي . وكان هذا بسبب من مشكلة له مع علي باشا والي بغداد قد انسحب الى ايران ، وأيد قضيته محمد علي ميرزا ابن فتح علي شاه الاكبر الذي عين أخيراً حاكماً على كرمانشاه . وتبع ذلك نضال مسلح بين الامير الايراني وسليمان باشا زوج ابنة علي باشا . وكانت نتيجة النزاع طبقاً لما رواه المؤرخون الايرانيون هي هزيمة الاتراك ومطاردتهم حتى جيرة بغداد ، وأخذ قائدهم اسيراً الى طهران ولكن أطلق سراحه بعد ذلك ، ورجع عبدالرحمن الى مركزه السابق في مناطقه ، ووعد بأن يجعلها تابعة لايران مستقبلا ، ووضع ابنه رهينة في أيدي الحكومة الايرانية كضمان لحسن نواياه .

اعادة الاتصال بين ايران وتركيا ١٨١٠ — ١٨١١

وفي ربيع سنة ١٨١٠ جرت محاولة برعاية بريطانيا لايجاد التفاهم الصحيح بين ايران وتركيا . واقتنع الباب العالي بحجج السفير الانجليزي في القسطنطينية فأرسل ممثلا له في البلاط الايراني . وفي الخريف التالي

---

(١) ربما كان تعبير « المدينة المقدسة » و « القبر المقدس » مستعملا عند الشيعة أما أهل السنة فلا يقدسون أى قبر حتى ولا قبر النبى صلى الله عليه وسلم . ولا يرون أرضا مقدسة الا ما قدسها الله تعالى بمثل قوله « يا قوم ادخلوا الارض المقدسة » أو التى حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وصل السفير التركي الى ايران في حينه، وبعد ان أتم عمله هناك عاد إلى القسطنطينية في وقت ما سنة ١٨١١ .

تجدد المتاعب بين ايران وتركيا على الحدود الكردستانية ١٨١١

وفي سنة ١٨١١ حدث نزاع بين حاكم كرمانشاه الامير والزعيم الكردي عبدالرحمن باشا الذي كان اخيراً وسيلة في تنصيب نفسه باشا جديداً في بغداد . ويبدو أنه بات راغباً في إنكار ولائه لايران . وكانت النتيجة أن قام محمد علي ميرزا بحركة استولى بها على السليمانية بصفة موقتة وأعلن عبدالرحمن باشا خضوعه . لكن هذه التطورات لم تأت في وقت مناسب يمكنّه من انقاذ ابنه الذي كان اعطاه رهينة للايرانيين . وبعد ذلك بقليل تحرك عبدالله وهو الباشا الجديد لبغداد ضد عبدالرحمن وأخذ السليمانية ، ولكن الحكومة الايرانية قبلت نصيحة السفير الانجليزي في طهران فوقفت على الحياد إزاء المسألة . وفي النهاية اقتنع باشا بغداد بأن يدفع للشاه مبلغاً من المال بصفة تعويض عن المصاريف التي انفقتها ايران بسبب التدخل أو الاستعداد للتدخل في كردستان وانسحبت الجيوش التركية من البلد على ما يبدو .

الحرب الايرانية التركية ١٨٢١ — ١٨٢٣

وقد قامت متاعب جديدة بسبب حماية السلطات التركية لقبيلتين في ارضروم كان عباس ميرزا حاكم أذربيجان عندئذ وولي عهد ايران يعتبرهما تابعتين لسلطته الشرعية . وانتهى النزاع بغزوة ناجحة على الحدود التركية قامت بها القوات الايرانية مخترقة الحدود حتى بيتس ، ومحتلة أماكن مختلفة في المناطق التي داهمتها . وحاول الاتراك القيام بهجوم مضاد في طريق الحدود عند شهريزور ولكنهم هزموا أمام محمد علي ميرزا الذي انتهز فرصة تفوقه عليهم وهدد مدينة بغداد . وفي يوليه أو أغسطس ظهرت قوة تركية في مندالي تحت قيادة الكخيا لحماية العاصمة التي بقي فيها الباشا . وفي هذا الوقت الدقيق مرض الامير الايراني مرضاً خطيراً وانسحب بقواته الى التلال الايرانية حيث توفي في كيريند ، واستمرت الحرب في الشمال من الجانب الايراني تحت رعاية

عباس ميرزا الذي حقق نصراً آخر على الاتراك عندما تحرك لنجدة أحد الحصون التي أسسها الايرانيون على الارض التركية . وقد انسحب حينئذ بعد ان اظهر العدو رغبته في قبول شروط الجانب الايراني على الحدود . وفي نفس الوقت تجددت الاشتباكات من جانب شهريزور فوصل الشاه نفسه بقوة كبيرة الى همذان قاصداً السيطرة على طريق الزيارة الشيعية لكربلاء والنجف ، وتحقق انتصار جديد على الاتراك على يد نجل محمد علي ميرزا . وعندما وصلت الامور الى ذلك الحد اندلع وباء الكوليرا في موقع العمليات الحربية فأوقفها . وقبل ان يتم السلام فعلا حدث شقاق جديد مع باشا بغداد ولكنه اضطر ان يدفع تعويضاً وأن يوافق مستقبلا على مرور الحجاج الايرانيين في أرضه في طريقهم الى المدن الشيعية المقدسة دون ان يدفعوا مكوساً . وعادت العلاقات الودية رسمياً لدى عقد معاهدة أرضروم الاولى سنة ١٨٢٣ تالياً لتوقف المعارك الفعلية بوقت بسيط . وأعاد هذا الاتفاق تثبيت الحدود الى ما كانت عليه قبل الحرب . ومن هذه الحقيقة البسيطة ربما صح الاستنتاج بأن سير القتال لم يكن كلية في صالح الاتراك .

★ ★ ★

علاقات ايران بالولايات الاخرى على الخليج وبصفة خاصة « عمان » ١٧٩٧ ــ ١٨٣٤

كانت عمان ثاني دولة في الخليج بعد الامبراطورية التركية من حيث أهمية علاقتها بايران خلال الفترة التي نستعرضها .. وكانت المعاملات بين الحكومتين مرتبطة جداً بشئون البحرين . أما إلى أي حد وصلت هذه المعاملات فمشروح في الفصل الخاص بتاريخ هذه الامارة . كما ترد أشياء أخرى ضمن تاريخ «سلطنة عمان » ، وفي الجزء الاخير من هذا الفصل . ويكفي هنا مجرد السرد على أساس تسلسل الحوادث التاريخية للمعالم البارزة من تاريخ الاحتكاك بين الدولتين .

١٧٩٩ — ١٨٠٠

في سنة ١٧٩٩ أعلن سلطان عمان الحرب على العتوب في البحرين وقد شجعه على ذلك حاكم فارس الايراني . وكانت ايران هي الوحيدة التي أفادت من هذا النجاح البحري حيث وضع العتوب أنفسهم في الحال تحت حماية ايران بل ودفعوا لها الجزية السنوية . وقد تضايق السلطان من نفاق شيخ بوشهر الذي سببه تطورات الامور تطوراً غير منتظر ، فاستولى على جزيرة خارج ولكنه لم يستطع أن يحتفظ بها طويلاً .

١٨٠٢

وفي سنة ١٨٠٢ قدم الايرانيون فعلا لسلطان عمان بعض المساعدات العسكرية ليغزو البحرين في تلك السنة ، ولكن نجاح الحلفاء لم تكن له نتائج دائمة وذلك بسبب تعاظم خطر الوهابيين على حدود الوطن العثماني .

١٨٠٥

وفي سنة ١٨٠٥ استرد السيد بندر ، حاكم عمان المغتصب بعون من بريطانيا ، كما سنبين تالياً إقطاعية بندر عباس وتوابعها من أيدي الرعايا الايرانيين بعد احتلالهم لها .

وارسل السلطان التالي السيد سعيد سفارة الى شيراز في سنة ١٨١١ ليلح في النجدة لمواجهة غزو الوهابيين لممتلكاته . وفي العام التالي ارسلت فرقة جنود ايرانية للنجدة ولكنها ابتليت بكارثة في ارض عمان المرتفعة وفي نفس الوقت زار سفير وهابي ، هو ابراهيم بن عبد الكريم حاكم فارس الايراني في شيراز ليثنيه عن العمل العدائي ضد القوة الوهابية وقد استقبل بشيء من الود .

١٨١٦

ولما هاجم سلطان عمان جزر البحرين في صيف سنة ١٨١٦ دعمته ، بأوامر من حكومة ايران ، سفن من بوشهر وفصيلة من المقاتلين من كانجون وعسالو ، لكنه فشل فشلا ذريعاً عند نزوله في

المحرق . ولما لجأ الى كانجون ليأخذ إمدادات كان وعده بها حاكم فارس وجد أن الايرانيين كانوا يدبرون مؤامرة للقبض عليه فتخلى عن مشروع الغزو كله بسبب ذلك .

ثم صار الامر الى عقد ميثاق عادي بين الحليفين اوضحت فيه الشروط المالية المقابلة للعون الايراني وهي تجعل من سلطان عمان دافع جزية لايران في البحرين لو نجح بحملته في احتلالها بدعم ايران .

١٨٢٠

وفي سنة ١٨٢٠ برزت غيرة شديدة ومنافسة سرية بين ايران وعمان بشأن امتلاك البحرين . وقد لاحظ هذا قائد الحملة البريطانية ضد رأس الخيمة في تلك السنة ، ولكن لم تتخذ خطوات علنية بين الحكومتين .. وسنعالج هذا الموضوع تالياً .

١٨٢٣ — ١٨٢٦

وقام الايرانيون بمحاولة لطرد سلطان عمان من إقطاعه في بندر عباس سنة ١٨٢٣ ، وسنرى في جزء لاحق من هذا الفصل قصة المشاحنة بين السيد سعيد من عمان وعبد الرسول شيخ بوشهر ١٨٢٦—١٨٢٧ .

١٨٢٨ — ١٨٢٩

ولم تشترك ايران في محاولة السيد سعيد الاخيرة الفاشلة سنة ١٨٢٨ لضم البحرين الى املاكه ، وتمت تسوية في العام التالي بينه وبين العتوب وكانت من عمل محمد بن نصر من عائلة شيوخ بوشهر .

١٨٢٩ — ١٨٣١

وفي سنة ١٨٢٩ ومرة أخرى في سنة ١٨٣٠—١٨٣١ كما سنوضح فيما بعد تورط السيد سعيد في اضطراب حدث في بوشهر . وكان سبب هذا الاهتمام هو زواجه الذي تم سنة ١٨٢٧ من ابنة الامير الحاكم في شيراز .

العلاقات بين القوى الوطنية في الهند وحكومة ايران ١٧٩٧ ـ ١٨٣٤

شهدت بداية هذه الفترة استمرار النزاع السياسي بين حكومة طيبو سلطان في الهند وحكومة فتح علي شاه . وكان آخر سفير ارسله حاكم ميسور قد وصل الى الخليج في صيف ١٧٩٩ على احدى السفن الخاصة لسلطان عمان التي اقلته من مسقط الى بوشهر . ومن المحتمل أن يكون قد نزل في إيران في نهاية اغسطس ، وكان مع هذه البعثة ثلاثة أفيال وهدايا أخرى للشاه جعلها بغير جدوى سقوط وموت مرسلها .

ومرة أخرى في سنة ١٨٠٥ استقبل الشاه سفراء من امراء السند الذين افزعهم تقدم القوة البريطانية في الهند .

★ ★ ★

العلاقات بين روسيا وايران ١٧٩٧ ـ ١٨٣٤

دخلت ايران في نزاع خطير مع روسيا إبان حكم فتح علي شاه . وفي أثناء النضال فقدت في حملتين بعض المناطق فيما وراء القوقاز كانت بيد إيران حتى ذلك الوقت . ولما توطد السلام اخيراً أصبح موقف ايران من روسيا يتسم ببعض الخضوع مغايراً تماماً لما كان من قبل .

الحرب الايرانية الروسية ١٨٠٤ ـ ١٨١٣

لقد رأينا أن أغا محمد خان غزا في سنة ١٧٩٥–١٧٩٦ جورجيا واحتلها بطريقة بارعة قد يعتبر نجاحه فيها همجياً . ومن المحتمل أنه حتى حوالي سنة ١٨٠٠ كانت هيبة ايران في منطقة القوقاز ، كما كانت في روسيا كبيرة . وسريعاً بعد اعتلاء فتح علي شاه العرش أعلن جوجن خان ولاءه لايران، وهو ابن الرجل الذي خلف هرقل . ولكن في الثامن والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٠٠ تنازل عن عرشه بنفس البساطة للقيصر الروسي . وتقدم الروس حينئذ ليستولوا على المنطقة فقهروا فرقة وطنية يرئسها اسكندر أخو جورجن خان الاصغر واستولوا على جانجة وهي

اليزابتبول الحديثة . ولكن لم تكد تبدأ الحرب مع ايران حتّى يتقدموا لحصار إريفان .

١٨٠٤

وفي ربيع سنة ١٨٠٤ عبر عباس ميرزا ولي عهد ايران نهر اراس ليواجه الروس . وفي يوليه هزمه زيزيانوف وهو قائد روسي من أصل جورجياني في معركتين كانت الاولى بالقرب من إكميازن والثانية بالقرب من إرفان . وكانت النية التي أعلنها الروس الآن هي الاستيلاء على المنطقة كلها حتى خط نهر اراس . وبعد أن كسب الايرانيون خبرة في هذه الحروب رجعوا الى الغارات بالخيالة على خطوط مواصلات الروس . وفي النهاية اضطر محاصرو اريفان للانسحاب الى تفليس . وعلى أية حال فان زعيم إريفان المدافع عن المكان كان فاتراً في السماح للقوات الايرانية بدخول قلعته بعد رحيل القوات الروسية .

١٨٠٥

وفي العام التالي سنة ١٨٠٥ كان مسرح العمليات الرئيسي هو منطقة قره باغ الأبعد شرقاً من إريفان . ومنها يبدو أن الايرانيين نجحوا في طرد الروس لوقت ما . ونزلت قوة سريعة في إينزيلي ولكنها فشلت في الاستيلاء على راشت بسبب عقبات مختلفة وكانت راشت هدفها الاول ، إلا أن الحملة رجعت من نفس الميناء . واستولى ولي العهد الايراني على شيشه وهي المكان الرئيسي في منطقة قره باغ وكانت شيشه أقرب الى الايرانيين من كانجة . وانتهت هذه الصفحة من الحرب باغتيال زيزيانوف بخيانة في باكو التي كان يحاصرها الروس في ذلك الوقت بمعونة زعيم أهلي في ذلك المكان .

وبعد هذا الحادث استرد الروس كانجاه وبالتدريج اشتدت قبضتهم على الجزء الاكبر من المنطقة المتنازع عليها . ويبدو أنهم في إحدى المراحل
طق في شمال آراس ما عدا
، مهيئاً لقبول خسارة أيةمنطقة

ايرانية رفض ذلك الاقتراح . وفي سنة ١٨٠٨-١٨٠٩ حاصر الروس مرة أخرى إريفان تحت قيادة جودفتش واضطروا مرة أخرى الى التخلي عن الحصار ، وفي هذه المرة انقضوا على كانجه . وفي صيف سنة ١٨٠٩ بقي الشاه معسكراً في موقع مشمان اوجان وهو يبعد ٣٠ ميلا جنوب شرقي تبريز ، ويعتبر موقعاً خطيراً من حيث كونه لا يتيح للايرانيين سهولة متابعة تحركات الروس . وبعد ذلك أشعلوا الحرب بنشاط لوقت ما فدمر ابن الشاه الاكبر محمد علي ميرزا الاقليم من إريفان الى بحيرة كوكهة بينما نجح أخوه عباس ميرزا ولي العهد في الاستيلاء على كانجه بمساعدة بعض السكان الارمن . وكان جيش الامير الاول منظماً مدرباً ومجهزاً بعتاد ايراني . أما جيش ولي العهد فكان معتمداً على الاسس الاوروبية . وفي ربيع سنة ١٨١٠ قام البارون ريد بزيارة ولي عهد ايران في تبريز ليتناقش معه في شروط السلام من جانب الجنرال تورمازوف حاكم جورجيا وقتذاك لكن لم يتم شيء . . وفي بداية ١٨١٢ قامت قوة ايرانية بقيادة الوكيل دارسي وهو ضابط انجليزي في خدمة ايران فهزمت قوة روسية بالقرب من شيشة ، وخسر الروس ٣٠٠ قتيل ومدفعين وأسر منهم ٥٠٠ آخرون . وفي خريف نفس السنة حدثت كارثة رهيبة لجيش ولي العهد . وبعد مفاوضات عقيمة مع الروس اشترك فيها السفير البريطاني في إيران كوسيط ، عسكر الايرانيون في مكان يبدو آمناً في موقع اسلاندوز على شاطىء نهر أراسي الايراني . وفي ٣١ أكتوبر فوجىء الايرانيون بموقف عصيب . وفي اول نوفمبر وبالرغم من المجهودات الجبارة من الرئيس كريستي والضابط لندز وهم ضابطان بريطانيان في الجيش الايراني فقد انكسرت قوة عباس ميرزا وتشتت . فاسرع الامير في طريقه الى تبريز بعد ان أنقذ مدفعين من ١٣ مدفعاً . تاركاً الرئيس كريستي جريحاً في الميدان فأعدم بأوامر من القائد الروسي الذي وصلته معلومات خاطئة بعدم وجود ضباط بريطانيين مشتركين في الحرب مع الايرانيين . وربما رفض كريستي التسليم ، ومن الممكن أن يكون هناك بعض التبرير البسيط .. وظل كل من الجانبين مسلحاً لمدة عام بعد معركة اسلاندوز وكان الروس قد أخذوا لانكوران في بداية

سنة ١٨١٣ ولكنهم لم يحرزوا تقدماً عند نهر الاراس . ويجب الا يفوتنا أن روسيا خلال وقت من هذه الحملات كانت مثقلة بمشكلات خطيرة في اوربا وعلى الاخص بسبب غزو نابليون سنة ١٨١٢–١٨١٣ ولذلك يعتبر التقدم الروسي عبر القوقاز ، بلا شك ، سريعاً وحاسماً .

معاهدة جولستان اكتوبر ١٨١٣

واخيراً في الرابع والعشرين ، أو الثاني عشر من اكتوبر بالحساب الرومي الشرقي من سنة ١٨١٣ حلّ السلام بين روسيا وايران في جولستان وهو مكان في قره باغ . ورغبت روسيا في الموافقة على ظهور السفير البريطاني في طهران كوسيط بين الطرفين وكانت خدماته مقبولة وذات نفع . ووضعت معاهدة جولستان حدوداً يمكن وصفها بأنها تجميد للحالة الراهنة وتثبيت لاستيلاء روسيا موقتاً على جورجيا كلها بما فيها قره باغ ما عدا إريفان ونخشيوان ، وترك الوضع النهائي للحدود لتقرره لجنة مشتركة يكون لها حق تعيين التقسيم المقترح للمنطقة في حالة ما اذا وجد منافياً لواقع الملكية السابقة ، ولم تجر أية محاولة لتحديد طريق الحدود الجديدة في منطقة تاليس المجاورة لبحر قزوين ، وتركت المشكلة كلية للمفاوضات في المستقبل . ومنحت روسيا حقاً استثنائياً للاحتفاظ بسفنها في بحر قزوين ، وفي مقابل هذا الحق تعهدت روسيا من جانبها بتأييد الامير الذي يعينه الشاه كوريث لعرش ايران . وكانت هناك نية لتبادل السفراء وتعيين القناصل او الوكلاء التجاريين على ان يكون لكل منهم نفس السلطة التي تمنح لنظائرهم في البلد الآخر . وحددت الضرائب المفروضة على الواردات والصادرات للبضائع الروسية بخمسة في المائة تدفع مرة واحدة فقط .

الحرب الايرانية الروسية ١٨٢٦ – ١٨٢٨

ويبدو ان أياً من الجانبين لم يعتبر معاهدة جولستان بمثابة تسوية نهائية بين الطرفين ، فقد ارسل الشاه بعد فترة رسولا الى سانت بطرسبرج ليطالب روسيا بالتخلي عن الاراضي التي حصلت عليها بمقتضى المعاهدة .

ورداً على ذلك زار الجنرال يارمولوف حاكم جورجيا العام والسفير لدى ايران مدينة طهران . وعلاوةً على صلاحية أعطيت له للادلاء بالتصريحات كانت معه أيضاً تعليمات للضغط على البلاط الايراني لطلبات جديدة متنوعة تدعو الى القلق . وعلى ذلك لم تكن هناك نتيجة بتبادل البعثات . وعندما تقابل المفاوضون أخيراً لتخطيط الحدود كانت النتيجة هي تجدد النزاع على الحدود وهو ما كان مقدراً لتلك المعاهدة المؤقته وغير المحددة . وطالب كل من الجانبين بثلاث او أربع مناطق كان اهمها منطقة كوكهة وتقع بين البحيرة التي تحمل هذا الاسم وبين إريفان . وبذل مجهود في صيف سنة ١٨٢٥ للاتفاق على تسوية مشكلة كوكهة ، وعندما فشل الاتفاق برهن الروس عن صدق الشك في حسن نواياهم باحتلال قواتهم للمنطقة . ونتيجة لهذا التصرف وللمعاملة السيئة التي عومل بها المسلمون في مناطق القوقاز التي استولى عليها الروس في الحرب الماضية ، ساد حنق شديد على الامة الايرانية فجأة تحت زعامة روحية اتخذت مظهراً دينياً . فوجد الشاه نفسه مضطراً للاصرار على جلاء الروس من كوكهة تلبية لرغبة شعبه الاجماعية وان كان مخالفاً لرأية . وفي هذا الموقف مات القيصر اسكندر وخلفه أخوه نيقولا الذي ارسل الامير منسهيكوف . ليناقش الوضع في طهران ولكن لم يرضخ أي من الجانبين للآخر في مسألة كوكهة . وما كاد المبعوث الروسي يرحل حتى بدأت المنازعات .

وسادت ايران كلها حماسة شديدة للحرب ضد الكفار سنة ١٨٢٦ وتدفق المتطوعون من جميع انحاء البلاد بالآلاف الى معسكر عباس ميرزا ولي عهد ايران المعين ليقود الحملة . ويبدو ان الروس كانوا غير مستعدين لهذه العاصفة التي هبت عليهم فجأة . وفي حوالي ثلاثة أسابيع طردهم الايرانيون من تاليش واستردوا كوكهة ومناطق أخرى كان عليها نزاع . وفي كل مكان في الدولة ثار السكان المسلمون ضد الروس وعلاوة على المذبحة التي حلت بالحامية الروسية في كانجه فقد انتقموا من المواطنين الارمن . ودخلت كتيبة مغيرة الى تفليس . وفي نهاية هذه المرحلة

الاولى من الحرب كانت شيشه هي الموقع الوحيد الذي تقدم فيه الروس فلم يجلوا عنه ولم يقهروا فيه .

وسرعان ما استأنف الروس الهجوم وهزموا محمد ميرزا ، ابن عباس ميرزا الذي أصبح شاه ايران بعد ذلك ، بالقرب من جانجه لكنه استطاع الافلات من الاسر بصعوبة . واسترد الروس جانجه . وفي سبتمبر سنة ١٨٢٦ حلت نكبة شديدة بجيش ولي العهد بالقرب من جانجه فأرسل الشاه مندوباً حينئذ الى تفليس ليقترح تسوية سلمية . ولكن الروس لم يرغبوا في السلام وبدأوا الآن يطالبون بالتنازل عن اريفان ونحشوان التي كانت معروفة من قبل بأنها إيرانية .

وفي ربيع سنة ١٨٢٧ تجددت العمليات الحربية التي كانت متوقعة لوقت ما ، ولكن الجهود الايرانية منذ ذلك الحين بدأت تفسد بسبب بخل فتح علي شاه الشاذ الدال على قصر نظره . ونزل الميدان القائد باسكفتش الذي حل محل يرمولوف . وفي ابريل استولت قواته على إكميازين ، وأحدق الروس بأريفان من الثامن من مايو حتى اول يوليه ولكنهم فشلوا . وفي ٣١ يوليه سقطت قلعة محمود أباد الايرانية الهامة على نهر أراس بالخديعة ، ولكن جزءً من الحامية وكانوا بختياريين هربوا من المكان دون ان يستسلموا . وفي ٢٩ اغسطس تكبد الروس هزيمة بالقرب من أكميازين ولكن بعد ان استردوا شجاعتهم سريعاً تقدموا مرة أخرى وطردوا الايرانيين عبر نهر الاراس . وفي نهاية سبتمبر تخلى الايرانيون عن موقع سردار أباد وبقيت إريفان معزولة بسبب التخلي عن هذا الموقع وعن عباس أباد وحاصرها الروس مرة أخرى .

وتخلى الشاه عندئذ تماماً عن امداد ولي العهد بالمعونة المالية كما حلت بايران كارثتان عظيمتان كانتا سبباً في إنهاء الحرب .

وحاصر الروس إريفان في ١٣ أكتوبر سنة ١٨٢٧ واحتلوا في نفس الوقت تقريباً عاصمة أذربيجان ، وتقع على مسافة قريبة من الحدود الايرانية وأصبح لا محالة من استسلام الفرس ، ولكن طال أمد مفازضات السلام من نوفمبر سنة ١٨٢٧ الى فبراير سنة ١٨٢٨ بسبب عناد الشاه في إصراره على عدم دفع التعويضات المالية للمنتصرين .

معاهدة تركمان شاهي ٢١ فبراير ١٨٢٨

وأخيراً في ٢١ فبراير سنة ١٨٢٨ تم السلام في قرية تركمان شاهي بين الجنرال باسكفتش وعباس ميرزا اللذين كان لديهما تفويض مطلق من حكومتيهما . وبموجب المعاهدة التي عقداها أصبح كل الاقليم شمالي نهر أراس وقلعة عباس أباد أيضاً ومناطق تاليش وموغان ارضاً روسية . وبذلك حرمت ايران نهائياً من اريفان ونخشيوان ، وحددت تعويضات الحرب التي تدفعها ايران لروسيا بخمسة ملايين او ٣٠(١) مليون روبل من الفضة . وثبت الشرط الخاص بالحق الاستثنائي لروسيا في أن تحتفظ بسفن حربية في بحر قزوين ، كما جاء في معاهدة جولستان . وتعهدت روسيا بأن تعترف سواء في الحال او مستقبلا بحق عباس ميرزا في أن يخلف فتح علي شاه .

وتضمن أحد بنود المعاهدة الحث على تبادل السفراء الدائمين بين عاصمتي البلدين . وأدخل شرط مثله مقابل القناصل . وألحق بالمعاهدة السياسية معاهدة تجارية حددت فيها الضرائب على التجارة الروسية كما كانت من قبل بـ ٥٪ والى جانب ذلك فانها منحت الرعايا الروس حق امتلاك البيوت التجارية والمالية في ايران مع امتيازات الحصانة . ونظمت عملية دفع أقساط تعويضات الحرب ، وتقرر في بروتوكول منفصل ملحق بالمعاهدة الاصلية مراسيم استقبال السفراء الروس والموظفين الدبلوماسيين في إيران .

العلاقات الايرانية الروسية ١٨٢٨ — ١٨٣٤

لم تحل معاهدة تركمان شاهي جميع المشاكل بين ايران وروسيا في الحال . ففي اغسطس سنة ١٨٢٨ ونتيجة لوجود شرط في المعاهدة ينص على أنه اذا ظل قسط من تعويضات الحرب غير مدفوع بعد تاريخ معين

(١) طبقا لما جاء في كتاب واتسون (تاريخ ، ص ٢٤٠) أن ما يعادلها بالعملة الروسية هو ٢٠ مليون روبل . وفي ذلك الوقت تقريبا كانت ٥ مليون تومان تعادل ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه انجليزي .

تفصل اذربيجان من ايران أو تسلم الى روسيا او تكون «خانية» منفصلة . وقد فقدت ايران هذه المقاطعة العظيمة بسبب قصر نظر الشاه ووزرائه . وفي فبراير سنة ١٨٢٩ قامت ازمة خطيرة بسبب مقتل م. جريبايودوف الوزير الروسي في طهران هو وخدمه ، على ايدي جمهور ساخط بسبب مطالب اوجدها في المعاهدة أثارت الناس . ولكن خسرو ميرزا ابن ولي العهد الذي ارسل الى سانت بطرسبرج ممثلا للشاه استطاع أن يوجد ترضية لهذه الاهانة بشروط معقولة ، وتمكن من أخذ تنازل روسي عن عُشْر تعويضات الحرب . وبعد هذا الحادث ظل نفوذ روسيا في البلاط الايراني لفترة ما قوياً ، وبدأت سياسة ايران الخارجية خاصة على الحدود الشمالية الشرقية تتأثر بخطط ومصالح روسيا .

★ ★ ★

علاقات فرنسا بايران ١٧٩٧ ـ ١٨٣٤

الاتصالات الاولى لنابليون مع ايران ١٨٠١ ـ ١٨٠٤

كان لفرنسا فضل يفوق فضل روسيا في إظهار إيران على مسرح السياسة الاوربية الدولية . ويجب الآن ان نوجه أنظارنا الى دبلوماسية تلك الدول التي كان يديرها نابليون . لقد بدأت العلاقات الفرنسية الايرانية ببعثة بروجور ـ اوليفيه التي اوفدتها حكومة المديرين أثناء الثورة الفرنسية، والتي زارت طهران سنة ١٧٩٦ حين بدأ الاهتمام الفرنسي بشئون ايران ، ولكنها كانت عديمة الفائدة شأنها شأن عروض نابليون الاولى على ايران . إن توقيت وسائل وطبيعة تلك العروض الاولى كانت جميعاً تثير الشك بسبب التناقض في التفاصيل المعطاة من سلطات(١)

(١) المؤلف المخطوط الذى ترجم منه بريدجس كتابه « أسرة الكاجار » يقول (صفحات ٢٧٤ ـ ٥) ان خطابا فرنسيا لم يستطع الايرانيون فهمه يبدو أنه سلم الى مبعوث ايرانى في بغداد سنة ١٨٠١ بواسطة شخص قدم نفسه على أنه سفير من الحكومة الفرنسية ولكن الحكومة الايرانية قررت أن تعتبره محتالا .
وطبقا لما جاء في كتاب واتسون (تاريخ ايران ص ١٥٢) فان =

مختلفة . ويبدو مؤكداً على الاقل أنها قدمت عن طريق وسيط آسيوي لاقى صعوبة ، ان لم يكن فشل في تثبيت شخصيته كمبعوث فرنسي .. كما فشل في اقناع الحكومة الايرانية . كذلك جرت اتصالات أكثر بالبلاط الايراني عن طريق الوكلاء السياسيين في سوريا والعراق التركي. وفي خريف سنة ١٨٠٤ ارسل لايران اقتراح رسمي مصدق عليه من حكومة فرنسا للعمل المشترك ضد روسيا . وقد تجاهله الشاه فعلا لانه كان يتوقع معونة هامة من بريطانيا ضد روسيا كما أن كلا من فرنسا وروسيا كانتا في سلام في ذلك الوقت . كل هذا أثار الشكوك في حسن نية العرض الفرنسي .

وكانت الخطوة التالية التي اتخذها نابليون بعد ان بدأت الحرب بين فرنسا وروسيا تمتاز بتصميم أكبر ، فقد اوفد الرائد روميو في طهران مزوداً بأوراق اعتماد ، وعلى رأس بعثة كبيرة لفتت الانظار الى اهميتها . وكانت العمليات التي لديه هي أن يقترح على ايران أن تتنحى عن محالفتها لبريطانيا وتستبدل بها فرنسا التي سترسل بدورها وزيراً الى طهران، وتمنح ايران إعانة مالية لعملياتها الحربية ضد روسيا ، وترسل قوات لمعاونة الجيش الايراني في جورجيا . وقوبل الرائد روميو الى العاصمة الايرانية في صيف سنة ١٨٠٥ مقابلة جافة نوعاً ما ، ثم مات أخيراً في العاصمة الايرانية . ويبدو أن مقابلته الوحيدة مع الشاه

= المبعوث الفرنسى الاول كان تاجرا أرمنيا جاء من بغداد الى طهران في سنة ١٨٠١ وفشل في أن ينال ثقة البلاط الايرانى بسبب غموض أوراق اعتماده ومظهره الخاص .

ويذكر رولنسن في كتابه (انجلترا وروسيا في الشرق ص ١٥ حاشية) أن الذى حمل الخطابات الاولى « شخص يدعى شاهروخ خان » سافر الى باريس لشئون خاصة به وقـابلته السلطـات الفرنسية باهتمام كبير . ويعطينا تاريخ هذا سنة ١٨٠٢ ويبدو أنه يوضح كما فعل كيى في كتابه (تاريخ الحرب في أفغانستان المجلد الاول ص ٤٥) أن العروض التى كان وسيطا في تقديمها اعتبرت حقيقية ولكنها رفضت . ويضيف رولنسن أن السبب عرف بعـد ذلك للشك في أن هذه الخطابات للحكومة الايرانية جاءت من دساسين فرنسيين غير مسئولين في سوريا .. الخ .

كان لها بعض التأثير على تفكير الشاه اذا أثارت شكوكه في امكانية وصول المساعدات البريطانية ضد روسيا .

بعثة م. جوبير الى ايران ١٨٠٦

واصل م. جوبير المفاوضات التي كان بدأها الرائد روميو . وقد وصل طهران في مايو سنة ١٨٠٦ وقبض عليه في الطريق بايعاز من باشا بيازيد الذي كانت حكومته العثمانية عندئذ في حلف مع روسيا ضد فرنسا .. ووجد المبعوث الفرنسي الجديد أن فتح علي شاه الذي كان فقد كل أمل في الحصول على مساعدة عاجلة من بريطانيا أصبح يميل تماماً الى قبول مقترحاته . وكان العاهل الايراني قد امر فعلا بعد وفاة روميو بتقديم طلب للمساعدات الفرنسية بواسطة سفير فرنسا في القسطنطينية ، بل انه بعث برسالة الى نابليون مع رجل فرنسي يدعى م. اوتري . وقد أسفرت بعثة م. جوبير القصيرة الامد الى ايران عن ارسال بعثة مقابلة من ايران الى فرنسا .

بعثة ميرزا محمد رضا لاوربا ١٨٠٦ – ١٨٠٧

وكان الشخص الذي اختير لمصاحبة م. جوبير الى اوربا هو ميرزا محمد رضا ، المستشار الرئيسي لابن الشاه الاكبر محمد علي ميرزا . ولأن انتقالاته كانت أسرع من م. اوتري الذي سبقه فانه لحق به في القسطنطينية . ومن التعليمات التي اعطيت له كان يستطيع عقد تحالف بشروط متساوية بين ايران وفرنسا موجه ضد روسيا . كذلك خول صلاحية الوعد بانضمام الشاه الى نابليون في العمليات الحربية من ناحية افغانستان ، وبتقديم مركز لفرنسا في اقليم فارس للتأثير منه على البريطانيين في الهند وكانت النتيجة هي توقيع معاهدة(١) تحالف بطريقة يرغبها الايرانيون وقد صدق عليها نابليون في فنكنستين في العاشر من مايو سنة ١٨٠٧

(١) الاسم هو نفس الاسم الخاص بطبيب فرنسي وتاجر في بغداد وهما اللذان تعاونا مع بعثة بروجيير أوليفر هناك في سنة ١٧٩٦ – ١٧٩٧ .

وارسل م. جوبير في الحال الى ايران ليعلن شروط تلك المعاهدة(١) .

بعثة القائد جاردان الى ايران ١٨٠٧ – ١٨٠٩

ما كادت هذه الترتيبات تتم حتى وجد نابليون نفسه مضطراً لأن يعيد النظر فيها ثانية ويراجعها . لانه باقامة اتحاد تام بينه وبين القيصر اسكندر في تيلست في يوليه سنة ١٨٠٧ أصبح من غير الممكن ان تعمل فرنسا ضد روسيا لصالح ايران . ولكن الامبراطور من أجل خططه التي يهتم بها في الشرق (والمشاركة التي اعترف بها الآن لقيصر) كان تواقاً أن يحتفظ بتفاهم تام مع ايران . وعلى ذلك ارسل القائد جاردان الى الشاه ليسعى لاصلاح الامور على أساس وساطة فرنسا في المشكلة الجورجيانية بدلا من التدخل المسلح . وعاد الى ايران مع جاردان ميرزا محمد رضا ومعه المعاهدة التي توصل لها بعد أن أصبح حكمها حكم الملغاة . وكانت حاشية المبعوث الفرنسي تتكون من ٢٤ شخصاً . وقد استقبله الشاه باهتمام كبير وانعم عليه بوسام ايراني جديد ومنحه لقب « خان » فخري وسرعان ما رحل بعد ذلك ممثل ايراني لاوربا يدعى اسكر خان أو أفشار يحمل الخطابات والهدايا لنابليون . ولا يمكن التأكد بالضبط من الوقت الذي وصلت فيه بعثة جاردان الى ايران ولا نحن نعرف طبيعة العمل(٢)

---

(١) نص هذه المعاهدة يوجد في « مفكرة في الشئون الايرانية » للمستر ج. تالبويز هويلر وقد ضمن فيها نابليون المحافظة على ايران . واعترف بسيادة ايران على جورجيا التى كانت في حوزة روسيا حينئذ . وتعهد بأن يعين وزيرا مفوضا في طهران وتعهد بأن يمد الشاه بالاسلحة (بالثمن) وبالمرشدين الحربيين . وتعهد الشاه بدوره أن ينسلخ عن بريطانيا وأن يطرد البريطانيين من ايران وأن يغري الافغانيين بالانضمام اليه في هجوم على الهند البريطانية وأن يساعد الحملة الفرنسية ضد البريطانيين في الهند اذا تم ذلك . ولكن يبدو أن هذه المعاهدة لم يصدق عليها الشاه أبدا .

(٢) يبدو أن رولنسن في كتابه (انجلترا وروسيا في الشرق صفحة ١٧) قدم دراسة دقيقة للمشكلة معتمدا رواية واتسون في كتاب تاريخ ايران ص ١٥٨ – ١٥٩ ، ومن الممكن أنه قد تتبع المؤلفين الايرانيين (انظر مثلا « أسرة الكاجار » لبريدجس ص ٣٣٢ – ٣٧٩) . ويبدو أن القائد جاردان وصل الى ايران قبل صلح تيلسيت ولم يعلن عن أى رغبة من جانب نابليون أن يتزحزح عن شروط فنكنساتين .

الذي قامت به اولا . ولكن طبقاً لمرجع واحد عقدت معاهدة ايرانية فرنسية من بين بنودها تسليم جزيرة خارج(١) لفرنسا . وهناك سبب يجعلنا نعتقد أنه بذلت مجهودات لاقناع الشاه بأن يستعد للانضمام الى فرنسا في عملية عسكرية ضد الهند في العام التالي . ولكن الحرب بين ايران وروسيا أبرزت مشكلة جورجيا، وفي هذه المناسبة لم يستطع المبعوث الفرنسي ان يرضى الشاه ترضية حقيقية . وفي سنة ١٨٠٨ عندما تقدم القائد جودوفتش ليحاصر اريفان اعطى القائد جاردان ضماناً للشاه بأن الروس لن يبدأوا العدوان الا اذا استفزوا . وتقدم هو نفسه الى مركز إدارة ولي العهد في خوى وارسل مساعدة م. لاجار ليحتج على القائد الروسي. لكن هذه الاجراءات لم تحول الروس عن تهديدهم بالهجوم، وبدأت مكانة الفرنسين في طهران تتدهور بعد ذلك تدهوراً ملحوظاً .

ولما جاءت البعثة البريطانية برئاسة سر هارفورد جونز الى اصفهان في فبراير ١٨٠٩ وواجبها صد او وقف أعمال جاردان قدم المبعوث

---

(١) في (تاريخ الحرب في أفغانستان المجلد الاول ص ٥٠) لمؤلفه كيي الذى يحدد الهيئة الاوربية المرافقة للقائد جارديان بحوالى ٧٠ رجلا ، يذكر أن بعضهم زار بوشهر وبندر عباس وأمكنة أخرى في الخليج وعملوا تخطيطا مساحيا للموانى ، ولكن الكاتب الحالى لم يجد أى شيء في سجلات الخليج يؤيد هذا الزعم . ومرجع مورير (رحلة ٠٠ ص ٣٠) يبدو أنه يعارض هذا كما يوضح لنا أن الشاه منع الفرنسيين من زيارة بوشهر أو حتى تبريز .

(١) ويذكر نفس المؤلف مورير في « رحلته ص ٣٩٤ » الملاحظة التالية مشيرا الى فترة سابقة لم تتأيد وقد أدرك المؤلف هذا من معلومات من مصدر آخر « بموجب معاهدة وقعت في باريس وكان المفاوض م بايرو في البصرة قد تعهد لكريم خان نائب الملك في ايران بأن يترك خارج ولكن الغاء شركة الهند الشرقية الفرنسية كان له دخل في هذا وأهمل الموضوع » وذكر في معاهدة فنكنستين أن معاهدة تجارية تم التفاوض عليها في طهران ونص هذه المعاهدة أفاد عنه مستر ج. تالبوير هويلر في « مفكرة في الشئون الايرانية » سنة ١٨٧١ ملحق ، ووقعها القائد جاردان ووزيران ايرانيان . وفيها قيل ان خاراج اعطيت للفرنسيين على أن تأخذ ايران جورجيا ومقاطعات أخرى من روسيا . وهذه الحقيقة تفسر لنا القلق الشديد الذى أظهره القائد مالكولم والحكومة الهندية على خارج سنة ١٨٠٨ .

الفرنسي احتجاجاً بسبب استقبال البعثة فيما كانت في طريقها الى العاصمة ، ولكن تأثير النفوذ الفرنسي في ايران أصبح ضعيفاً ولم يُكترَثْ بالاحتجاج الفرنسي . وبعد منتصف مارس انسحب القائد جاردان من ايران عن طريق تبريز . وتباطأ مساعده م. لاجار لوقت ما في تفليس، كما تباطأ و م. جوانين سكرتير البعثة في إصرار بطهران حتى تمكن السير هـ. جونز من الحصول على امر بطرده الى أذربيجان . ولما رأى أنه لا فائدة من بقائه بطهران ذهب الى القسطنطينية .

ويرجع فشل القائد جاردان الى حد ما الى « تهوره وبخله وغطرسته» التي اتهمه بها معارضوه الانجليز. ولكن السبب الاساسي بلا شك هو تعذر العمل بالسياسة الفرنسية في ايران التي هددت بايجاد الشقاق بين الشاه وحكومة الهند ،دون ان تقدم له حماية حقيقية ضد اعتداء روسيا .. على أن كل تلك المجهودات لم تنقذ جاردان من سخط نابليون عند ظهور جاردان فجأة في اوروبا ، على حد قول إحدى الروايات الفرنسية

أما أصغر خان المبعوث الايراني الى باريس ، الذي لم تتلق حكومته منه أي أخبار أثناء رحلته في العاصمة الفرنسية ، فانه عاد الى ايران او بالاحرى استُدعي . ولم يجلب معه شيئاً أكثر من تأكيدات غامضة عن الصداقة والرضا من جانب الامبراطور . وكان هذا هو تاريخ انتهاء النفوذ الفرنسي في ايران وان بقيت له آثار بسيطة تتمثل في بعض الاصلاحات الحربية(١) التي قام بها أعضاء من بعثة جاردان في تقوية جبهة عباس أباد الامامية وربما في وجود بعض الضباط الفرنسيين لوقت ما في الجيش الايراني .

---

(١) م. فرسييه هو واحد من أركان حرب القائد جاردان كرس نفسه بنجاح كبير في تدريب جزء من الجيش الايراني على الاسس الاوربية. وفي سنة ١٨٢١ ظل محمد على ميرزا يحتفظ ببعض الضباط الفرنسيين وان كان لا يعجب بالطرق الاوربية مثل أخيه عباس . وعند موته حول معظمهم الى رانجيت سانغ في البنجاب .

علاقات بريطانيا السياسية العامة مع ايران
١٧٧٩ ـ ١٨٣٤

نحن الآن في وضع يمكننا ان نتعقب بشيء من التقدير سياسة بريطانيا العامة في إيران أثناء حكم فتح علي شاه . لقد كان الدافع الموجه لهذه السياسة هو اولا الخوف من غزو الافغانيين للهند العليا تحت قيادة زمان شاه الذي كان يظن أنه ستنضم اليه بعض الولايات الاسلامية في الهند عند تقدمه . وسرعان ما افسح هذا الادراك المجال للخوف من خطط نابليون في الشرق وبهذا قامت الدبلوماسية البريطانية ببذل بعض المجهودات العظيمة في ايران . وبعد ذلك عندما زال خطر الخوف من فرنسا أصبح العمل الاساسي للممثل البريطاني في طهران هو ان يصد ، بقدر ما يستطيع ، نشاط روسيا ونفوذها المتزايد .

وكانت المشكلات البريطانية الايرانية الناتجة عن أحداث الخليج على أية حال من الاهمية بما جعلها تتصدر غيرها. وسنعالجها على حدة في جزء لاحق من هذا الفصل .

بعثة مهدي علي خان الى ايران وتعيينه مقيماً بريطانياً بو شهر في ١٧٩٨

في بداية سبتمبر سنة ١٧٩٨ غادر بومباي اول مبعوث بريطاني الى بلاط فتح علي شاه . وكان هذا المبعوث هو مهدي(١) علي خان سيد وهو ايراني من أصل خراساني ولكنه جعل اقامته في الهند . وقد اختاره مستر جوناثان دونكان حاكم بومباي لهذا العمل . وقد وصفت تلك البعثة فيما بعد بأنها وفد موقت للبلاط الايراني بتعليمات من الحاكم العام . ولكن عند رحيل المبعوث من الهند عين مقيماً بريطانياً في بوشهر . وكانت الاغراض السياسية الاساسية من رحلة مهدي علي خان هي اولا أن يقنع الشاه باستمرار مشاغلة زمان شاه وعلى حدود افغانستان الغربية ،

(١) كان مهدى على خان يتمتع بثقة دانكان التامة ، وقد أظهر اقتدارا في خدمته في غازى بور · لكن في قصص دنكان الفاضحة صورا تغاير ذلك · انظر « حياة السير ج· مالكولم » بقلم كى المجلد الاول ص ١١٤ حاشية/ ٥ ·

وبهذه الوسيلة يمنع من النزول الى سهول الهند وثانياً ان يقوم بترتيبات لاقصاء النفوذ الفرنسي من ايران . وفيما يختص بالغرض الاول يبدو أن حكومة الهند وضعت تحت تصرف مهدي اثنين او ثلاثة لكات من الروبيات كنفقات سنوية . وأما عن قدرته كمقيم بريطاني في بوشهر فكان من المتوقع ان يزيد المبعوث من مبيعات شركة الهند الشرقية من البضائع الاوربية في إيران ، ويحصل على أسعار أفضل لمستورداتهم من الاسعار السائدة حينذاك .

مقترحات مهدي علي خان فيما يختص ببندر عباس وخارج

وبدأ مهدي علي خان عمله في مسقط حيث حصل ، كما اوردنا بمكان آخر ، من سلطان عمان على ترخيص باقامة وكالة بريطانية في بندر عباس. لكن حكومة بومباي لم تنصح حكومة الهند باستغلال تلك المنحة الا اذا كان القصد هو سبق الفرنسيين الذين كان يظن أنهم راغبون في إقامة مستعمرة انجليزية في خارج ولكن لم يوص بالمشروع بسبب مشاحنات شيخ بوشهر المستمرة مع المطالبين الآخرين بالموقع .

ورطة في بوشهر اكتوبر – نوفمبر ١٧٨٩

في ٣ أكتوبر سنة ١٧٩٨ تسلم مهدي علي خان معتمدية بوشهر من المستر هانكي سميث الذي كان قائماً بها عند وصوله ، ولكن هذا السيد امتنع مطلقاً عن تسليم العلم البريطاني لأي شخص مسلم الا بموجب امر تأكيدي من حكومة بومباي ، وقدم لرفضه عدداً من الاسباب كان بعضها وجيهاً . ووضعت حكومة بومباي صورة قاسية عن المستر سميث والقت بعض الشكوك على سلامة عقله وأمرته ان يقدم العلم في الحال الى مهدي علي خان الذي كان عليه أن يرفعه في احتفال بسيط بحضور أكبر عدد يمكن جمعه من الضباط البريطانيين من غير ضباط هانكي سميث .

تصرفات مهدي علي خان في ايران فيما يختص بالافغان والفرنسيين ١٧٩٨ – ١٧٩٩

وبعد ذلك بدأ مهدي علي خان اتصاله بوزراء الشاه ولكنه اعتقد أنه من الافضل ان يخفي اغراض بعثته الاساسية . وعلى ذلك تقدم بخطاب كتبه بدلا من خطاب حاكم بومباي الذي احضره معه مدعياً أنه انما أوفد لمجرد تقديم تعازي البريطانيين لفتح علي شاه في وفاة عمه ، وللتهنئة بمناسبة ارتقائه العرش . وكان الشاه قد أصر من قبل على القيام بأعمال عدائية ضد جاره حاكم افغانستان . وتظاهر الممثل البريطاني بأنه ، وإن كان هو شخصياً يستحسن خطوة الشاه بمشاعره كشيعي متدين ، بل ويرى بأن مطالبَ محمود في هرات تهييء سبباً كافياً لمقاومته ، الا أنه تجنَّبَ أي ذكرٍ لرغبة الجهة التي يمثلها في القيام بأي عمل ضد زمان شاه ، وهي رغبة لو عرفت لورطتهم بكل تأكيد في النفقات . وفي يوليه سنة ١٧٩٩ كان فتح علي شاه في «مشهد» يهدد الحدود الافغانية. ووصل مهدي علي شاه الى شيراز واستقبل استقبالا مشرفاً وكان على اتصال دائم بصاحب الجلالة شاه ايران . وفي ٤ ديسمبر سنة ١٧٩٩ وصل مهدي علي شاه الى طهران حيث عاد الشاه في نفس الوقت من خراسان . وأصبح مهدي ضيفاً على الحاج ابراهيم الذي كان ما يزال في ذلك الوقت رئيساً للوزراء . وفي ثلاثة اجتماعات مع الشاه تمت في غضون بضعة أسابيع من وصوله ، نجح الخان في انجاز المهمة السياسية لبعثته تماماً كما يريد . وبالذات ضَمِن وجوب صدور اوامر الى « جميع موانى ايران لليقظة والقبض على اي شخص من الفرنسيين السفلة اذا ظهروا براً أو بحراً أو كانوا متخفين « متنكرين » بحيث لا ينجو منهم أحد حياً » . وقدرت تكاليف اعمال المبعوث في طهران باثنين ونصف لاك روبية . ويبدو أن حكومة الهند ساورها شك متعب في بند بمبلغ ١٧,٠٠٠ روبية لتجهيز المطالبين بعرش الافغان محمود وفيروز الدين ولكنها لم تكشف عن ظنونها الا بعد عدة سنوات من ذلك .

احتلال الرئيس مالكولم محل مهدي علي خان كمبعوث في بوشهر ١٧٩٩

في حوالي ذلك الوقت لا بد ان مهدي علي خان قد أصبح مدركاً بقرب احلال جون مالكولم محله كسفير بريطاني لدى البلاط الايراني . وستلفت بعثته نظرنا قريباً حيث كان مهدي قد أُحيط علماً بنيات حكومة الهند في خطابات أرسلت من بومباي في سبتمبر ، وهي تطلب اليه ان يضع نفسه كمعتمد بريطاني تحت تصرف الشخص الذي سيخلفه كلية . وشرحت له الخدمات المختلفة التي يستطيع أن يقدمها للرئيس مالكولم . ولو قد أحجم مهدي علي خان عن البوح بشكواه الى رؤسائه من قسوة إحلال غيره مكانه ، وهو في قمة نجاحه ، لما كان انساناً ، ومع ذلك فقد انحنى بصبر لقرارهم . ويبدو أنه انسحب الى الخليج عن طريق بغداد والبصرة وكانت مقابلته الاولى لمالكـــــــولم في بوشهر في الثالث من مايو سنة ١٨٠٨ .

استمرار مهدي علي خان كمعتمد بريطاني في بوشهر ١٧٩٩ ـ ١٨٠٣

وكان آخر عمل سياسي هام لمهدي علي خان وهو في وظيفته مشروع اقترحه بنفسه في بداية أغسطس سنة ١٨٠٠ لاستيلاء البريطانيين على مسقط تحت ستار عقد إيجار يعطيه لهم شاه أيران . كما كتب في تقريره أنه يستطيع في أي وقت تنفيذ هذا الاقتراح الذي كان موجهاً علناً ضد الفرنسيين ، ولم تأخذه السلطات البريطانية بعين الاعتبار . واستمر مهدي علي خان محتفظاً بوكالة بوشهر حتى استقال من خدمة شركة الهند الشرقية في أبريل سنة ١٨٠٣ .

بعثة الرئيس مالكولم الاولى في ايران ١٧٩٩ــ١٨٠١

يبدو أن بعثة الرئس مالكولم مساعد المعتمد البريطاني في حيدر أباد في الدكن الى ايران تمت بقرار من اللورد مونينجتن الحاكم العام للهند حوالي بداية اغسطس سنة ١٧٩٩ . وكان الغرض منها كما فهمه الرئيس مالكولم نفسه هو اراحة الهند من تهديد زمان شاه المستمر بالغزو مما كان يتسبب دائماً للشركة في نفقات باهظة في تخصيص جزء كبير

من المال في مقاومة نشاطه في الاقاليم التي يحكمها بايران، وفي معاكسة نشاط للفرنسيين الأوغاد من الديموقراطيين ، ولاستعادة التجارة الناجحة السابقة التي باتت تتعرض لخسارة كبيرة . وعلى ذلك لم يكن هناك فارق جوهري بين اغراض هذه البعثة وبين الاغراض التي من اجل تحقيقها أرسل مهدي علي خان في العام السابق ولكن البعثة تمتعت بهيبة كبيرة لار سالهامن الحاكم العام للهند بدلا من حكومة بومباي ، وكانت فعلا مزودة بصلاحيات عظيمة . وكانت الهيئة التي تصحب مالـــــكولم تشمل ستة ضباط اوروبيين(١) منهم ثلاثة معاونين سياسيين. واما الحرس الحربي فكان يتكون من مائة من القوات الهندية المحلية تقريباً ، جزء منهم خيالة والجزء الآخر من المشاة . وبالاضافة الى ذلك كانت البعثة تضم عدداً كبيراً من الخدم الهنود والاتباع . وعندما وصلت الى ايران انضم الى قوتها عدد كبير من المرافقين فوصل العدد في النهاية الى ما لا يقل عن ٥٠٠ شخص .

تحركات بعثة مالكولم في الخليج وفي ايران ١٧٩٩-١٨٠١

ترك الرئيس مالكولم وجماعته الهند على ظهر «البومباي » و«هارنجتون» في ٢٩ من ديسمبر سنة ١٧٩٩ . وفي أول فبراير سنة ١٨٠٠ وصل الى بوشهر حيث ارسل خطابات في الحال الى البلاط الايراني . وقد أخرت الحفلات والمصاعب الاخرى تقدمه الى العاصمة فلم يصل الى شيراز حتى منتصف يونيه وإلى أصفهان حتى وقت متأخر من اكتوبر . وقد عقد مالكولم اجتماعه الاول مع الشاه في ١٦ نوفمبر سنة ١٨٠٠ في طهران . ومن ذلك التاريخ حتى وقت رحيله في نهاية يناير سنة ١٨٠٠ ظلت المفاوضات تحرز تقدماً كبيراً . وقد ترك الرئيس مالكولم إيران عن طريق همذان وعبر الارض التركية في ١٥ مارس سنة ١٨٠١ وتوقف مرة أخرى في بوشهر وهو في طريقه الى الهند من ٢٢ الى ٢٤ أبريل

---

(١) هم الرئيس و. كامبل المعاون الاول ، والملازم س. باسلي ومستر ر. ستارشي معاونان ج. كوليبوك قائد الحرس ، مستر ج. برجز جراح ، والمستر و. هولنجبرى كاتب .

وأخيراً وصل بومباي في ١٣ مايو بعد أن واجه عاصفة خطيرة إثر مغادرته مسقط .

مفاوضات مالكولم في طهران نوفمبر ١٨٠٠ الى يناير ١٨٠١

وفي الوقت الذي دخل فيه مالكولم طهران انتهت قدرة زمانشاه على ايذاء الهند لاسباب متنوعة .

وحيث لم يكن هناك دليل ظاهر على أي نشاط فرنسي فان المبعوث البريطاني كرّس اولا ، أو تظاهر بأنه كرّس معظم انتباهه ، الى عقد معاهدة تجارية . وترك للايرانيين ان يلحوا ، فلم يتوانوا عن ذلك ، وعن طلب ارتباطات سياسية . وفي المعاهدة التجارية أدخل مالكولم عبارة «تمنح بها بريطانيا امتلاك جزر قشم «وهانجام وخارَج مع حق احتلالها وتقويتها»ولكن الشاه ووزراءه اعترضوا بحماسه وذلك لاعتقادهم أن قوة بريطانيا في الهند كانت نتيجة امتيازات من ذلك القبيل ، وهكذا استبعد الموضوع من المناقشات .

المعاهدة السياسية الانجلو ايرانية ٢٨ يناير ١٨٠١

وتضمنت المعاهدة السياسية التي وقعت أخيراً في ٢٨ يناير سنة ١٨٠١ بقاء الاتحاد بين بريطانيا وايران . فاذا أظهر الحاكم الافغاني أية نية لغزو الهند فعلى الشاه أنْ يغزو ويخرب ممتلكاته وأنه في أية معاهدة للصلح يمكن أن يعقدها معه الشاه فانه يجب أن يوضع شرط يتخلى به الافغان عن جميع خططهم ضد الاراضي البريطانية ، وفي حالة ما اذا أعلن الافغان أو الفرنسيون الحرب على إيران فيجب على البريطانيين ان يمدوا الايرانيين بالمدافع والعتاد الحربي ، وأنه اذا حاولت قوة فرنسية إقامة قاعدة على الساحل الايراني او أية جزيرة هناك فانه يجب أن تنظم حملة انجليزية ايرانية مشتركة لطردها ، واذا طلب الفرنسيون اذناً باقامة أية قاعدة في مثل ذلك المكان فيجب على ايران ان ترفض مثل ذلك الطلب .

المعاهدة التجارية الانجلو ايرانية ٢٨ يناير ١٨٠١

وكانت شروط المعاهدة التجارية التي وقعت في نفس اليوم هي أن

يتمتع التجار في كل من الدولتين المتعاقدتين بضمان الحماية الرسمية في ارض كل منهما . وان التجار البريطانيين والهنود الذين في خدمة الحكومة الانجليزية (او من المحتمل في خدمة شركة الهند الشرقية) يجب ان تكون لهم حرية الاقامة في أي مكان في ايران . ولا تفرض ضرائب على البضائع الشخصية الخاصة باحدى الحكومتين ويمكن أن تؤخذ هذه الضرائب اذا ما بيعت مثل هذه البضائع الى المشترين . وأنه في كل من الدولتين يخول للتجار في حالات معينة حق المساعدة الحكومية في الحصول على مدفوعات الديون والتعويضات عن الاضرار . وان الممثل البريطاني في ايران يجب ان تكون له الحرية في استخدام الرعايا الايرانيين بالعدد الذي تتطلبه أعمالهم ، وان يعاقبهم في حالة سوء الاخلاق على ألا تصل العقوبة حد الوفاة او بتر الاطراف ، وأن تكون للبريطانيين حرية بناء المساكن لانفسهم في جميع مواني ومدن ايران، وان يبيعوها اويؤجروها كما يروق لهم ، وان المساعدة يجب أن تقدم في ارض أي من الدولتين للسفن التي تحمل علم الدولة الاخرى وتدخل المواني في حالة عطب . وفي حالة غرق السفينة يجب ان تعاد البضائع المستنقذة من الغرق الى اصحابها شريطة أن يدفعوا أجور إنقاذها ، وأنه اذا رغب البريطانيون او الهنود الموظفون في الحكومة البريطانية في مغادرة ايران فيجب ان يسمح لهم بذلك متى شاءوا وأن ينقلوا ما يملكونه معهم ، وان الضريبة التي تحصلها الحكومة الايرانية من الذين يشترون الحديد والصلب والرصاص والجوخ والاقمشة من شركة الهند الشرقية يجب ألا تزيد عن واحد في المائة من أصل ثمن الشراء، بينما يجب أن تبقى التعريفة الجمركية في كل من الدولتين بلا تغيير ، واما المشكلات الاخرى المتعلقة بالتجارة فتسوى في فرصة أخرى .

نتائج بعثة الرئيس مالكولم الاولى في ايران

كانت هذه النتائج الظاهرة لاستخدام سبعة ضباط اوربيين لفترة تقرب من عام ونصف ، بكل ما سببته من نفقات باهظة لا سيما فيما انشأته من ظاهرة الهدايا للوزراء والرجال البارزين في إيران كانت تشكل

سابقة في منتهى السوء . أما شروط المعاهدة المتعلقة بأفغانستان فانها كانت غير ضروريةمن أول الامر . وأما المتعلقة منها بفرنسا فانها لم تستطع ان تمنع دسائس الفرنسيين في ايران ، فيما كانت الشروط المتعلقة بالتجارة عادية وطبيعية. ولقد كانت نتيجة المعاهدة هزيلة ولكنها نشرت في طول ايران وعرضها شعوراً عظيماً عن ثراء بريطانيا وقوتها وذكاء وشخصية الضباط الانجليز كما اوحت بذلك تصرفات البعثة .

بعثة خليل الى الهند ١٨٠١ — ١٨٠٢

وقد وقع المعاهدتين الرئيس مالكولم وحاج ابراهيم ورئيس وزراء ايران ، ووقع الشاه كرمز لموافقته . كما أصدر فرماناً طلب فيه من الموظفين ان يلتزموا بشروطهما. وبقي عمل الترتيبات للتصديق عليهما من الحاكم العام للهند . ومن أجل هذا الغرض ، ومن أجل تسوية النقاط الخاصة بالتجار التي لم تُسوَّ قرر فتح علي شاه أن يرسل بعثة الى الهند . ووقع اختياره على خليل(١) من التجار المهمين في بوشهر ليمثله. وكان هذا يطمح بمنصب السفير وقد اشترك في مفاوضات طهران ولم يستطع مالكولم أن يبدي أي اعتراض على ترشيحه. وكانت شروط خليل لتفويضه الى الهند بسيطة ولا تكلف الشاه نفقات أكثر من إعطائه حلة ملكية وبعض أدوات الخيل، ولقب خان، وان يضع في قبعته نوعاً خاصاً من الحلي . وقد خصصت حكومة بومباي بارجة حربية لتحمل السفير الايراني من بوشهر الى الهند. ولكن قبل وصول البارجة استأجر هو على حسابه بمبلغ ٣٣٠٠ روبية سفينة أهلية كان مهدي علي خان المعتمد البريطاني شريكاً في ملكيتها . وقد احتفظ الحاج خليل بهذه السفينة لمدة سبعة أشهر دون ان يدفع أية غرامة لاصحابها الذين كانوا يعتقدون انه سيستغني عنها بعد ٤٤ يوماً . وقد حجز سفينة شركة الهند الشرقية في بوشهر بلا ضرورة لمدة تقرب من اربعة أشهر. وفي النهاية قام برحلته في السفينة التي استأجرها تحرسه بارجة الشركة ،. وبقي السفير الايراني في مسقط من ٣ مايو الى ٧ مايو سنة١٨٠٢

(١) خليل هذا كان شريكا في مشروع كبير للسفن مع المستر س. مانستي، هـ. جون من البصرة وتاجر برتغالي من كلكتا .

حيث استقبله الرئيس سيتون . وفي الواحد والعشرين من ذلك الشهر وصل الى بومباي حيث كان المستر دانكان الحكام غائباً في ذلك الوقت في الداخل . واستقبل الحاج خليل في غيابه المستر كارنك وهو الشخص الذي ينوب عن المستر دانكان في الحكومة . ويبدو أن المهمندار «التشريفاتي» الذي عين من قبل الحاكم كان المستر هانكي سميث معتمد بو شهر السابق .

مقتل الحاج خليل مصادفة في ٢٠ يوليه ١٨٠٢

وبينما كانت الترتيبات تجري لرحلة السفير الايراني الى كلكتا انتظر وقتاً في بومباي . وفي العشرين من يوليه بعد موت المستر كارنك بأيام قليلة ، وقبل عودة المستر دانكان، قامت مشاجرة مشئومة بين بعض الايرانيين من خدم السفير وبين حرس الشرف المؤلف من جنود هنود عينوا بمعرفة حكومة بومباي . وتبودلت الطلقات وعند خروج الحاج خليل من منزله ليضع حداً للمشاجرة أصابته رصاصة طائشة في رقبته فمات في الحال، كما جرح من طلقات البنادق ثلاثة او اربعة رجال آخرين . .

وقع الحادث في الهند وفي ايران

وقد سبب هذا الحادث المشئوم شعوراً غير عادي في الهند سواء أكان في مكان الحادث ام في كلكتا . وأرسل الرئيس مالكولم ، الذي أصبح الآن سكرتيراً خاصاً للحاكم العام، على عجل الى بومباي ليتخذ الإجراءات المناسبة . وحسماً لهذا الموضوع يبدو أنه كتب خطابات تعليل واعتذار للشاه ووزرائه ، وأنه قام بجرد الاشياء التي تخص السفير الراحل الخاصة والعامة، وأوصى حكومة الهند بدفع منحة ومكافأة عاجلة تبلغ قيمتها لك من الروبيات ، وأوصى بمنح معاش لعائلته يبلغ اربعة وستين الفاً من الروبيات سنوياً ، وارسلت جثة الحاج الى النجف للاحتفال بدفنها يصحبها حتى بغداد المستر دي الموظف المدني في بومباي. ويبدو أنه

اعتبر ان مصاحبة شخص مسيحي للجثة الى مثواها الاخير إهانة أكثر منها شرف (١) .

وعندما وصلت انباء المأساة اول الامر الى بوشهر ابتكر مهدي علي خان المعتمد البريطاني صورة تناسبه من اخبارها بحيث اوقع فيها كل اللوم على التاعس الحظ الحاج خليل نفسه . ووصلت هذه الاخبار المبتكرة الى البلاط الايراني ، ويبدو أن نتيجتها كانت إحالة مبتكرها على المعاش بتوصية من الرئيس مالكولم ، وقد سبب هذا الحادث غير العادي لمقتل السفير دهشة في طهران ، وقدمت للشاه نصيحة في غاية الاهمية من أحد شباب العائلة ولكن في النهاية تركت الحكومة الايرانية الموضوع بمنتهى اللامبالاة .

البعثة التي انتحلها المستر مانستي لنفسه في ايران ١٨٠٤

مرض المستر لوفيت الذي خلف مهدي علي خان في معتمدية بوشهر بعد وصوله ايران بقليل . وفي فبراير سنة ١٨٠٤ ، ودون الحصول على اذن من رئاسة الشركة أحل المستر مانستي المعتمد البريطاني في البصرة في مكانه . اما مانستي فكانت له اسبابه الخاصة للدخول في الامر فسافر في الحال الى طهران ممثلا نفسه كسفير لدى الشاه من الحاكم العام للهند . وعند وصوله الى البلاط الايراني استقبل استقبالا ودياً واستطاع ان يحصل على فرمان بتسوية حالتي نهب لسفينتين غارقتين في الخليج . ولكن لدى اندلاع الحرب الايرانية الروسية أو حين كانت على وشك النشوب وجد مانستي نفسه يُواجَه بأسئلة ومطالب من الايرانيين ، وهو في وضع لا يمكنه من الاجابة على أي سؤال . وفي نفس الوقت عرف الحاكم العام

---

(١) انظر الى فكرة مسلية في كتاب « بعثة » لبرديج (رقم ٧ ، ص ٩ ـ ١٠) فيما يختص برأى سليمان باشا ، باشا بغداد الذى اقتبسنا منه ما يأتى : ـ

« عاش الحاج خليل كافرا ومع الكفار وعلى ذلك كان مصيره الجحيم وعلى أى حال فانه قتل بواسطة الكفار وهكذا أصبح شهيدا وهذا أعطاه فرصة للجنة » ولكن أصدقاءه السابقين سلبوا منه هذه الفرصة بارسالهم كافرا ليرافق جثته الى المقبرة .

بتصرفات المستر مانستي فامره جازماً بأن يعود الى البصرة ، وهكذا أنهى مجازفته غير المشروعة . ولأول وهلة أمر الحاكم العام برفض دفع كشوف الحساب التي تجرأ المستر مانستي على سحبها من حكومة الهند بوصفه سفيراً ، لكنه عاد فعدل عن ذلك الاجراء حفظاً للإعتبار الشخصي لمانستي وصيانةً لثقة الجمهور في الشركة ، وبدلا من ذلك اتفق على ان يكون المستر مانستي مسئولا شخصياً عن المصاريف التي تسبّب عنها بطريقة خاطئة .

بعثة محمد نبي خان الى الهند ١٨٠٥ – ١٨٠٧

لم تستأنف المفاوضات التي توقفت بموت الحاج خليل خان المفاجيء في سنة ١٨٠٢ حتى سنة ١٨٠٥ عندما(١) عين الشاه أغا محمد نبي خليفة له ، وكان تاجراً ثرياً محترماً له صلة وثيقة بالسفير الراحل في امور مختلفة . وكان الدافع الرئيسي للحاكم الايراني في اتخاذ تلك الخطوة هو الحصول على حماية ضد الروس لانه كان يخشى انتقامهم نتيجة لمقتل القائد زيزيانوف غدراً على يد حكمدار باكو . ويمكن ان يكون قد تأثر بالاغراءات والرشاوى التي قدمها أغا نفسه لانه كان متلهفاً لاسباب شخصية لنيل ذلك التعيين . وبما أنه كان ثرياً فقد رغب في التعيين بنفس الشروط البسيطة السهلة على الحكومة الايرانية التي سبق ان قبلها الحاج خليل ، ويبدو أن محمد نبي كان يأمل أن يغطي نفقات بعثته وان يحصل

---

(١) كان محمد نابى خان ابنا لاغا كوشك التاجر البصرى المعروف ، من سيدة فارسية مجوسية الأصل كانت زوجة للمستر دوجلاس المقيم البريطانى في بندر عباس سابقا . وكانت ابنة المستر دوجلاس من نفس السيدة قد تعلمت في انجلترا وتزوجت زواجا ناجحا وبعد أن استولت على ثروة والدها ساعدت لوقت ما أرملة وعائلة اغا كوشك الذين تركهم في حالة فقر عند موته ، وتزوجت أخت محمد نابى خان الحاج خليل السفير الايرانى الاول في الهند . وبعد موت الحاج خليل خان تزوج أغا محمد نابي من أرملته التركية في البصرة . وقد بدأ أغا محمد نابي خان حياته في سنة ١٧٨٧ عندما أصبح مدربا للمستر هـ. جون في البصرة بمرتب =

على ريق أيضاً بفضل سخاء(١) الحكومة البريطانية (وكانت هذه الفكرة المتطرفة ثبتت في أذهان الايرانين بسبب إفـــراط مالكولم في الانفاق) وعن طريق امتيازه في حرية استيراد وتصدير البضائع مما كان يتمتع به كسفير طبقاً للسوابق في الهند . ويبدو أنه كان ينوي أن يلح في طلب دية المرحوم الحاج خليل خان بمبلغ عشرين لكاً من الروبيات .

تحركات محمد نبي خان ١٨٠٥ — ١٨٠٧

عين الدكتور جيوكس وهو استاذ ايراني عظيم لمرافقة محمد نبي خان في بعثته الى الهند . وكانت النية متجهة الى سفر السفير بحراً رأساً الى كلكتا ولكن الطقس الرديء اضطر السفينة الى البحث عن مأوى في بومباي. ونزل السفير هناك في ١٨ أكتوبر سنة ١٨٠٥ . وقد استقبلته حكومة بومباي باحتفال ومودة وبقي ضيفاً عليها لمدة جاوزت الشهر ثم تقدم بعد ذلك براً إلى كلكتا .

فشل بعثة محمد نبي خان

وكانت حكومة الهند التي يرئسها السر جورج بارلو في ذلك الوقت مشغولة بالشئون الداخلية وبتخفيض النفقات. وكانوا طبقاً لذلك مرتاحين بارجاع مشاكل السياسة البريطانية في ايران الى حكومة صاحب الجلالة في انجلترا . ولم تستطع حكومة صاحب الجلالة ان تصل الى قرار في موضوع ايران وروسيا، وكانت النتيجة انه في يناير سنة ١٨٠٧ عاد محمد

= ٣٠ روبية في الشهر وكان هذا بتدبير الحاج خليل الذى عينه في نفس الوقت وكيله التجارى هناك . وفي سنة ١٧٩٥ أصبح أغا محمد نبي أحد التجار المهمين في المكان . وفي سنة ١٧٩٩ الحق (ربما بسبب مصالح له بالوكالة البريطانية في البصرة لمساعدة المستر مانستي في ارجاع بعثة كان طيبو سلطان ميسور قد أرسلها الى الباب العالى .

(١) اقترح مرة أن خيله في بومباى يجب أن تركب لها حدوات (حدوة الحصان) من الفضة والذهب على حســاب الحـكومة بحيث لا تكون ملتصقة بطريقة ثابتة حتى لا تسقط ويتزاحم عليهـــا الناس . « البعثة » لبريدج .

نبي خان الى ايران دون ان يحقق نتيجة سياسية واحدة ، وحتى المعاهدات التي أشرف عليها الرئيس مالكولم في ايران بقيت دون تصديق عليها من حكومة الهند . ومن المحتمل أن السفير حقق بعض مطامحه الخاصة ، أما بالنسبة لمطالبه المالية من الحكومة الهندية فقد ازدرتها السلطات البريطانية التي سوت حسابه فخرج مديناً بأكثر من لك من الروبيات .

وقد انعكست سريعاً نتيجة مفاوضات محمد نبي خان غير المرضية في الهند على موقف الشاه الذي حاول ان يقدم عروضاً الى نابليون عن طريق م. أوترى في الوقت الذي بدأ يدرك فيه عدم نجاح ممثله في كلكتا ، وفي نفس الوقت الذي بعث فيه فتح علي شاه سفيره محمد نبي خان الى الهند راح يتصل بوزراء صاحب الجلالة في لندن ولكنه فشل في أن يحصل على إجابة مرضية او على الأصح لم يحصل على إجابة مطلقاً .

بعثة سير هـ. جونز الى ايران ١٨٠٧

وفي بداية سنة ١٨٠٧ كانت المودة بين ايران وفرنسا تتمثل في بعثات الرائد روميو وميرزا محمد رضا و م. جوبير . وأصبحت هذه المودة متينة مما جعل الحكومة البريطانية في انجلترا تشعر أنه من المحتم عليها ان تتخذ إجراءات مضادة . والطريقة التي قرروا اتخاذها هي ارسال بعثة من الحاكم البريطاني للشاه في ايران على ان تتحمل نفقاتها شركة الهند الشرقية بشرط أن يشرف على البعثة أشخاص يختارون من درجة سفير فوق العادة ، ووزير مفوض . واختير المستر هارفورد جونز، وهو موظف مدني في الشركة كان ملتحقاً بوكالة البصرة من سنة ١٧٨٤ الى سنة ١٨٩٥ ، وزار شيراز بصفة خاصة سنة ١٧٨٧ وسنة ١٨٩١ وتولى ، وظيفة معتمد بريطاني في بغداد من سنة ١٧٩٨ الى سنة ١٨٠٦ . وفي طريقه الى اوربا

---

(١) (انظر « الرحلة » لموريير المجلد الاول ص ٢٣ حـاشية) حيث يقول : « بعد أن أغنى نفسه (أوترى) غني فاحشا من بعثته ومع ذلك لم يفشل في أن يشكو أمام الملك من الحظ السيء الذى جعله يقبل مثل هذا المركز الذى أوصله الى الشحاذه » . وطبقا لبريدج (البعثة ص ٤٨) عمل السفير من رحـلته سبعة لكوك مـن الروبيات .

سنة ١٨٠٦ وضع خدماته تحت تصرف السفير البريطاني في القسطنطينية فيما يختص بمرور سفير ايراني من العاصمة التركية الى فرنسا . وكان المعتقد ان السفير هو ميرزا محمد رضا .

وكانت النية في اول الامر هي ان يصل المستر جونز الى ايران عن طريق سانت بطرسبرج حيث يسعى هناك للحصول على موافقة لتوسط بريطانيا مع روسيا في معضلات الحدود مع ايران. ولكن توافق روسيا وفرنسا بموجب صلح تيلسيت خيب ذلك المسعى . وفي أغسطس سنة ١٨٠٧ أنعم على السفير بقلب بارون(١) . وفي السابع والعشرين من اكتوبر سافر من بورتسموث الى بومباي على سفينة صاحب الجلالة سابفاير ، وكان كبار موظفين هم العقيد لويس سميث السكرتير العام ومستر جيمس موريير سكرتيره الخاص . وكانت رحلة السير هارفورد جونز حول رأس الرجاء الصالح رحلة طويلة ولم يصل إلى بومباي حتى ٢٦ ابريل سنة ١٨٠٨ .

بعثة القائد مالكولم الثانية الى ايران من ابريل الى اغسطس ١٨٠٨

ولم تكن حكومة الهند أقل من حكومة صاحب الجلالة اقتناعاً بضرورة تدعيم النفوذ البريطاني في ايران ليقاوم النفوذ الفرنسي. ولم يكن اللورد مينتو الذي كان يعرف نية ارسال السير هارفورد جونز الى ايران يعلم متى وعن اي طريق سيصل هذا السيد ، فرأى أنه من الاصوب أن يرسل مالكولم مرة أخرى الى الخليج بعد أن أصبح برتبة لواء ليكتب تقريراً عن الحالة في ايران ولكي يدبر الاجراءات لطرد الفرنسيين من ذلك القطر ، ويستطلع عن ارسال حملة في حدود ضيقة تمكنها أن تمنع الفرنسيين من تثبيت اقدامهم على الساحل الايراني . وقد زود السفير(١)

---

(١) طبقا لما قاله السير هارفورد جونز نفسه أن هذا اللقب كان مكافأة له على خدماته السابقة . وطبقا لما يذكره كى المؤرخ فانه منح له ليزيد من كرامته كسفير بريطانى .
وكان النص الكامل على ما يبدو وزير مفوض ووكيل سياسي في الخليج لصالح صاحب الشرف الحاكم العام للهند وسفيرا فوق العادة من عظمته الى ملك ايران وباشا بغداد .

بسلطات عامة ليشرف بها على المصالح البريطانية والمصالح في ايران وشبه جزيرة العرب التركية ، ووضع موظفو الشركة المحليون تحت اوامره ، وزود بصلاحيات التمثيل لدى شاه ايران وباشا بغداد اذا ما تطلب الامر ذلك . وقد اعلم بصفة خاصة أن يدحض اذا واتته الفرصة عفواً ، الحملة الدعائية لحكومة ايران القائلة بأن معاهدة سنة ١٨٠١ الانجلو ايرانية كانت تنص على تحالف هجومي دفاعي ضد جميع القوى ، وان هذه المعاهدة أصبحت في حكم الملغية بمجرد تقصير بريطانيا في تقديم المساعدة لايران ضد روسيا . وإضيفت الى ذلك ارشادات محبوكة للطريقة التي يجب أن يتبعها القائد مالكولم تجاه السير هارفورد جونز اذا تصادف ان قابل أحدهما الآخر في الميدان الايراني . وخلاصة هذه الارشادات هي ان ممثل الحاكم العام لدى البلاط الايراني يجب ان يفسح مكانه لممثل الملك ولكنه يستطيع بكفايته العامة كوكيل لحكومة الهند ان يشترك في مجريات الامور وبصفة خاصة في تقديم المشورة .

وابحر القائد مالكولم من بومباي على السفينة «سايك» وهي من غنائم الحرب من فرنسا في ١٧ إبريل سنة ١٨٠٨ قبل وصول السير هـ. جونز بأيام قلائل . وكانت السفن الاخرى التي استخدمتها للبعثة هي السفينة «دوريس» ، وبارجة حربية وسفينة شركة الهند الشرقية « أكسفورد » وكانت النية ان يتبع ذلك عدد من البوارج الحربية في فترة مداها شهر . وكان المساعد الرئيسي للسفير هو الرئيس ك. باسلي وهو أحد اقربائه وقد صحبه في البعثة الاولى وقضى عندئذ حوالي اربعة سنوات في إيران ، أما الحرس فكان يتكون من مئة من الهنود الخيالة وخمسين من الجنود الهنود ومن ٣٠٠ من رجال الفرقة ٨٤ لصاحب الجلالة نزلوا كبحارة . كما ارسل عدد من رجال المدفعية الاوربيين ومعهم مدفعان خفيفان مع سفن البحرية الملكية . ووصل مالكولم الى بوشهر في العاشر من مايو ، ونزل في الثاني عشر ، وقابله الشيخ عند الشاطىء وقاده الى منزله حيث رحب به . وكان السفير مصحوباً بمناسبة هذا الاحتفال بحرس مكون من ٥٠ رجلا من رجال الفرقة ٨٤ وكانت هذه اول قوات

اوربية تنزل في بوشهر . وبعد ذلك بأيام قليلة سافر الرئيس باسلي الى طهران ومعه خطاب يحتوي على ما يبدو على احتجاجات شديدة في موضوع علاقات البلاط الايراني بفرنسا . ولكن الخطاب منع فلم يتعد شيراز وأعلم القائد مالكولم رسمياً أنه لا يحب ان يجري أمراً مع الامير حاكم فارس ، فاندهش السفير البريطاني وسخط على مثل تلك المعاملة وركب السفينة بكبرياء في ١٢ يونيه ، ورفض ان ينزل منها مرة أخرى حتى يسحب الامر المذكور. ولكن الامر لم يسحب فأبحر السفير في ١٢ يوليه الى كلكتا . وقبل رحيله مباشرة زار جزيرة خارج وقام بتقدير مواردها وأهميتها . وتخلف الرئيس باسلي في بوشهر كسفير بالنيابة مع الملازم و. بروس كمساعد له . ولكن في منتصف اغسطس يبدو أنه خشي من محاولة الايرانيين أسره هو وموظفيه فانسحب الى البصرة تاركاً المستر بروس بدله في بوشهر كمعتمد بالنيابة .

ولم يكن تعليل الخيبة التي عانى منها مالكولم في بعثته الثانية لايران يحتاج الى بحث لان القائد كاندان كان في ذلك الوقت مع الشاه وقد اقنعه فوراً ان سلامته الوحيدة من روسيا لا تتأتى الا بالاتحاد الوثيق مع فرنسا . ويرجع الفشل ايضاً من ناحية أخرى الى عدم صبر وفظاظة السفير البريطاني عندما واجهته المصاعب .

رحلة السير هـ. جونز الى ايران وتصرفاته الاولى هناك سبتمبر ١٨٠٨ الى يناير ١٨٠٩

عندما وصلت الاخبار عن نية الجنرال مالكولم في العودة الى الهند خول الحاكم العام(١) السلطة للسير هارفورد جونز او طلب منه أن يتقدم ببعثته الى ايران. وكان ينتظر وصوله عندئذ في بومباي . وفي ١٢ سبتمبر

---

(١) وافق السير هارفورد جونز مختارا على الانتظار في الهند نتيجة لبعثة القائد مالكولم . وسواء كان معرضا لسلطة الحاكم العام أم لا فذلك غير ثابت . ولننظر الى عبارته التى ذكرت في « البعثة » لبريدج صفحات ١١٣ ، ٢٠١ ، والى ملاحظة أخرى في كتاب رولنسن « انجلترا وروسيا في الشرق » .

أبحر سفير الملك في بارجة صاحب الجلالة « نبريد» ذات الستة وثلاثين مدفعاً تصحبها سفينة صاحب الجلالة «سايفاير» وسفينة شركة الهند الشرقية «سيلف». ذات القلعين وحمولتها ٧٨ طناً . ووصلت «نبريد» بوشهر في ١٤ اكتوبر. وجاء في اليوم التالي عبد الرسوم الشيخ المحلي ليقدم احتراماته ونزل السير هـ. جونز ومعه هيئة موظفيه . وكانت السفينة «سيلف» قد انفصلت عن «نبريد» في بداية الرحلة. وعند وصول طراد الشركة «نوتيلوس» الى بوشهر في ٢٩ اكتوبر، وكان قد هوجم وهو في طريقه الى الخليج من قراصنة القواسم. بدأت المخاوف الشديدة على سلامة السفينة «سيلف» كما ذكر في مكان آخر . أو في الواقع كان القواسم فعلا أسروها لكنها استردت في الحال وقطرت الى مسقط بواسطة السفينة « نبريد » التي ظهرت في المكان في الوقت المناسب في طريق عودتها الى الهند . وكان السكرتير الايراني الشخص الوحيد من موظفي البعثة على ظهر « سيلف » الذي نجا بعمره، وانضم الى السفير ثانية في بوشهر في ٢٦ أكتوبر. وقد اعيد تشكيل هيئة موظفي البعثة بعد النزول الى بوشهر ، فأصبحت تتكون من مستر مورير الذي ارتبط بتعيين السكرتيرين العامين والخاصين وذلك بعد ان ترك القائد سميث في الهند ، والمستر ت. هـ. شريدان من مؤسسة بومباي المدنية ، والملازم بروس الذي بقي في بوشهر بعد رحيل الرئيس باسلي . وبما أنه كان قائماً بعمل المعتمد فقد استقبل السير هـ. جونز عند وصوله وكذلك الرئيس سزرلاند من مؤسسة بومباي الحربية وأصبح مخططاً للبعثة وكورنت هـ. ويلوك من الخيالة في مدراس وأصبح قائداً للحرس(١) الذي تكون من الهنود من الفصائل التي كانت مخصصة للقائد مالكولم والدكتور جيوكس الجراح .

وكانت الظروف في الوقت الذي نزل فيه السير هـ. جونز في ايران سيئة بعض الشيء . فمن ناحية بدأ البلاط الايراني لا يثق في الفرنسيين ، فهو في اتصاله بهم لم يحصل على أية فائدة في شكل تسوية مع روسيا

---

(١) ملازم يدعى بلاكر من فرقة الخيالة بمدراس كان مع البعثة بعد ذلك في طهران .

وبدأت آماله تنتعش بتحقيق نتائج أحسن من صداقته لبريطانيا . ومن الناحية الاخرى كان البلاط مدركاً لأعمال حكومة الهند العدائية بعد ان ترك سفيرها ايران وهو ساخط .

وكان موقف الموظفين المحليين الواضح تجاه السير ه. جونز غير مرضٍ ولكن السفير كانّ له أصدقاء شخصيون لهم نفوذ في الدولة . ومع مرور الوقت تحسنت الفكرة بالتدريج . وفي السابع عشر من ديسمبر بدأ السير هارفورد جونز رحلته من بوشهر الى الداخل، وفي ٣٠ منه دخل شيراز. وفي الطريق تصادف ان قابل محمد نبي خان ، السفير الايراني سابقاً في الهند وكان من معارفه القدامى . ولكن هذا الشخص بدلا من ان يساعده حاول ان يتجسس على طبيعة التعليمات التي لديه وحثه على صفقة رشوة بتخصيص هدايا اضافية ليوزعها في طهران .

وفي اول يناير سنة ١٨٠٩ استقبل السير ه. جونز استقبالا حسناً من حسن علي ميرزا الامير الحاكم لفارس. ومع العلم أنه سعى جاهداً لاستمالته ليفتتح المفاوضات في شيراز ، وفقاً لما كان طلبُ من القائد مالكولم ولكن بغير إلحاح .

وفي الخامس من يناير ،والسفير ما يزال في شيراز ، وجد نفسه فجأة في موقف حرج بسبب رسالة من اللورد مينتو يخبره فيها أنه تقرر احتلال جزيرة خارَج الايرانية بقوة من الهند وذلك كاجراء احتياطي وأن عليه أن ينسحب من ايران .

مشروع حكومة الهند لاحتلال خارَج اغسطس ١٨٠٨ الى فبراير ١٨٠٩

ويمكن تفسير هذه الاوامر في كلمات قليلة . وصل القائد مالكولم الى كلكتا حوالي ٢٠ أغسطس سنة ١٨٠٨ ، وكانت نتيجة مقابلته مع اللورد مينتو هي ان الاخير كتب الى السير ه. جونز في بومباي أن يرجىء رحيله الى ايران . وفي خلال الاسبوع الذي اعقب ذلك عرض مشروع لاحتلال جزيرة خارَج في الخليج بواسطة السفير العائد مالكولم . وفي ٢٥ اكتوبر

استصوب الحاكم العام المشروع في المجلس ، وقرر أنه يجب ارسال القائد مالكولم في الحال لينفذه . وفي نفس الوقت كان السير هارفورد جونز باقياً لمدة أطول في بومباي . وكان الغرض من الاحتلال المقترح هو الحصول على قاعدة مناسبة ومؤمنة للأغراض الحربية والسياسية والتجارية وامتلاكها بما يضمن تفوق النفوذ البريطاني على الدول الاوربية في الشرق الاوسط ، علماً بأن التهديد الدائم لحكومات ايران والعراق التركي سيمنع الشاه وباشا بغداد من الاتحاد مع اعداء بريطانيا من الاوروبيين .

وفي ٣٠ سبتمبر أصبح معروفاً في مقر حكومة الهند ن السير هارفورد جونز قد غادر بومباي قبل وصول خطاب اللورد منيتو المؤرخ في ٢٢ اغسطس بيوم وحد ، واستدعي القائد مالكولم الذي ركب السفينة الى بومباي موقتاً الى كلكتا . ثم قامت المداولات التي انتهت بقرار الحاكم العام في المجلس لتنفيذ مشروع خارج ، وأن يخطر السير ه. جونز بوجوب الانسحاب من ايران وألا ترفض حكومة الهند نتائج جميع جهود بعثته . وكانت النتيجة ان فتح السير هارفورد جونز الرسالة في شيراز. وكانت الرسالة قد وصلت بوشهر بعد رحيله من ذلك المكان بيومين فقط ، ووصل مالـــــكولم الذي كانت في يديه الرقابة السياسية والقيادة الحربية لحملة خارج الى بومباي في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٠٨ . وفي ٣ يناير سنة ١٨٠٩ كان مستعداً للرحيل الى خارج في فترة عشرة أيام بقوة صغيرة تثير الدهشة وهي حوالي ٢٠٠٠ رجل .. يمكن إتباعها ، اذا لزم الآمر بثلاثة او اربعة آلاف .

وفي نفس الوقت وصلت انباء من اوروبا عن المصاعب التي يلاقيها نابليون في اسبانيا . وهذا جعل اللورد مينتو يعتقد أن خطر الفرنسين في إيران قد تراجع . ونتيجة لذلك فان ضرورة احتلال خارج أصبحت أقل إلزاماً عما كان يعتقد هو ومستشاروه قبلئذ . وهكذا وفي نهاية يناير أو بداية فبراير سنة ١٨٠٩ أخبر مالكولم ان فكرة الحملة العسكرية لخارج استبعدت لاسباب منها النفقات وأنه اذا اتخذت أية خطوات

بعد ذلك للاستيلاء على الجزيرة فانها يجب أن تكون من النوع السلمي السياسي .

أعمال أكثر للسير هـ. جونز في ايران من يناير الى مارس ١٨٠٩

عندما اصبح السير هارفورد جونز مدركاً نوايا حكومة الهند للاستيلاء على خارَج جعل هدفه إقناع الايرانيين ، الذين تلقوا نبأ المشروع من مكان او آخر ، ألا يقابلوا الحملة البريطانية بالقوة ، متعهدا لهم بالمسئولية الشخصية الكاملة(١) عن أي اعتداء غير استفزازي يقوم به القائد مالكولم تحدياً لمن يعترضه . واقنع الامير حاكم شيراز بأن يعد بحسن استقبال ذلك الضابط وقواته عند وصولهم ايران على أن تُسوّى المشكلات الناشئة عن مجيئهم بالطرق الدبلوماسية .

وفي ١٢ يناير رفض السفير شراء بضائع هندية قيمتها ١٤,٠٠٠ جنيه كاد السفير الايراني السابق محمد نبي خان القليل المروءة أن يجبره عليها عن طريق وكيل ليقدمها كهدايا للبلاط الايراني . وفي اليوم التالي سافر الى اصفهان . وأخذ الدكتور و. كامبل مكان الدكتور جيوكز كجراح للبعثة. ويبدو أن الامير ارسل من شيراز. وتدل القرائن أن هذا والسير بروس أيضاً، وان كان الاخير قد صحب البعثة في النهاية الى طهران ، كانوا من المتعاطفين مع مالكولم ولم يعملا باخلاص مع السير هارفورد جونز .

ودخلت البعثة أصفهان في اول فبراير . وفي السادس منه وصلهم هناك خطاب من القائد مالكولم مؤرخ في ٢٩ ديسمبر يعلن فيه عن عزمه الإبحار الى خارَج في مدى عشرين يوماً . ورد على هذا الخطاب السير هـ. جونز فأفاده بأن اعماله ناجحة،وطلب اليه أن يمتنع عن المشاحنات مع ايران ويوقف الدسائس مع زعماء داشستان فقد كان الشاه شديد الحساسية تجاهها بالذات . كما واعلمه أنه لن يلقى استقبالا ودياً في خارَج . وحوالي ذلك الوقت بلغت مسامع السفير ان عائلات كثيرة من

(١) وصل الى حد أنه وقع وثيقة بموجبها أصبح مسئولا عن حياة الناس وثرواتهم .

قبيلة لاك التي كانت مرتبطة مع الزند قد طردوا من شيراز لا لسبب الا لما شاع من ان القائد مالكولم سيحضر معه زندي من بومباي مطالباً بتاج ايران وربما كان المقصود ابن جعفر خان. وبمساعدة السلطات الايرانية التي اصبحت بمخاوفها من العمليات الحربية في الخليج أكثر رقة ، أسرع السير هارفورد جونز في رحلته الى طهران بأقصى جهد . فوصل في ١٤ فبراير بعد مغادرته أصفهان بأسبوع ، وبعد رحيل القائد جاردان بيومين . وفي ١٧ فبراير عقد اجتماعاً مع الشاه، وفي ١٢ مارس وقعت معاهدة تمهيدية بين بريطانيا وايران . وكان الممثل الاساسي للشاه في المفاوضات رئيس وزرائه ميرزا محمد شافعي .

المعاهدة الانجلو ايرانية التمهيدية ١٢ مارس ١٨٠٩

ويمكن وصف المعاهدة الجديدة بأنها تمهيدية التزم الطرفان المتعاقدان في مادتيها الاولى والثانية باستبدالها في وقت واحد بمعاهدة محددة بنفس المبادىء لتنظيم الامور بالتفصيل . وتشير الشروط الاساسية في هذه المعاهدة التمهيدية الى العلاقات الاوربية . وبموجبها أعلن الشاه من جانبه عدم صلاحية جميع المعاهدات التي كان عقدها حتى الآن مع الدول الاوربية ، وتعهد بألا يسمح بمرور أية قوة اوربية تتجه الى الهند عبر أملاكه . ومن جانب صاحب الجلالة البريطانية تعهد بأنه في حالة غزو ايران بأية قوة اوربية فان بريطانيا تساعد حكومة الشاه بالقوات او بدلا من ذلك تقدم عوناً مالياً وأعتدة وضباطاً حسب الكميات والاعداد التي سينص عليها في المعاهدة النهائية . واذا كانت بريطانيا في سلام مع الدولة المهاجمة فانها ستعمل على تسوية الامور بين هذه الدولة وبين ايران . ولكن اذا فشلت في ذلك كان التزامها بالمساعدة العاجلة لايران واجب التنفيذ . ان هذه البنود الاوربية وان جاء التعبير عنها بهيئة التعميم الا أنها كانت موجهة ضد تدخل فرنسا في ايران . وبقبول الغرض الاساسي لبعثة السير هـ. جونز فانه بلا جدل قد حقق النجاح .

وتشير المعاهدة أيضاً الى الشئون الافغانية . وفيما يختص بهذا فقد تم

الاتفاق على أنه ليس لبريطانيا أن تتدخل في حرب بين ايران وافغانستان الا بطريق الوساطة بناء على طلب الطرفين، ولكن اذا هاجمت افغانستان الممتلكات البريطانية في الهند فيجب على الشاه أن يتخذ عملا حربياً ضدها بطريقة تحدد في المعاهدة الثانية .

وبالاشارة الى مشروع خارَج فقد اتفق على أنه اذا نزلت قوات بريطانية في أي ميناء ايراني فا نوجود هذه القوات هناك يجب ان يعتبر احتياطياً يخضع الى رغبة الشاه لاللحصول على حقوق او ممتلكات، وأنه اذا وافقت الحكومة الايرانية على بقائهم فجب أن يعاملوا بطريقة ودية وأن يمكّنهم الموظفون الايرانيون المحليون من الحصول على التموين . وختاماً فانه قد حدد بصراحة ان اهداف المعاهدة التمهيدية هي دفاعية وأنه في فترة استمرارها لا يجب ان يتقيد الشاه بأية ارتباطات تتعارض مع الحكومة البريطانية او الحكومة البريطانية في الهند .

ولم يضع السير هـ. جونز وقتاً في إخبار الحكومة في الهند بنجاحه الذي تجلت براهينه برحيل م. جوانيان ونرسيات من ايران وهما آخر وكلاء لفرنسا هناك، وكان هذا حوالي آخر ابريل سنة١٨٠٩ . ويرجع نجاح جونز في تنفيذ معظم اغراضه الى حاجة ايران الشديدة للمساعدة ضد روسيا والى ثبوت عدم اهمية التحالف الفرنسي . والى تحمس ومثابرة السفير نفسه . ويمكن ، الى حدّ ما ، أن يعزى بعض الفضل للخوف (١) من الاحتلال البريطاني لخارَج .

---

(١) يبدو للمؤلف أنـه من المحتمل ، وان كان هـذا لم يذكر في أى مرجع ، أن حكومة الهند بطريقة لا شعورية شدت أزر السـير هـ. جونز باستعداداتها الحربية في بومباى وقـد أدرك هـذا الايرانيون بطريقة ما .. وفيما يختص بالتعهد الذى نفذه السير هـ. جونز بكبح جماح مالكولم فانه من الطبيعى أن الايرانيين يعتقدون ان الاثنين وان كانا متنافسين كما هو واضح الا انهما غير متواطئين .

.وقد سببت حكومة الهند ارتباكاً مالياً للسير هـ. جونز(١) . فقد رفضت كشوف حساب على البغال بلغت قيمتها ٦٥,٠٠٠ جنيه. ولم يعلم بهذا التصرف الا في ٢٣ ابريل ، لكنه بفضل ثقة الماليين الايرانيين تمكن من ان يتغلب على تلك الصعوبة التي قامت أمامه . ولو كانت حدثت في المرحلة الاولى من أعماله لقضت على نجاحه بكل تأكيد . وفي ٧ مايو سنة ١٨٠٩ ارسلت المعاهدة التمهيدية الى لندن للتصديق عليها تحت رعاية المستر موريير سكرتير البعثة. وقد رافقه في رحلته الى البلاط الانجليزي ميرزا ابو الحسن وهو سفير ايراني ، وكان من واجبه ان يتأكد من كيفية ضمان دفع المنحة لايران في ظروف معينة . وكان السفير الايراني ابن اخت المرحوم الحاج ابراهيم رئيس الوزراء وزوج ابنته، وقد حكم ششتار عندما كانت السلطة في يد قريبه وزار مكة ، ومكث في الهند أكثر من سنتين في كلكتا وأمكنة أخرى .

بعثة مالكولم الثالثة الى ايران ١٨١٠

عندما ادركت حكومة الهند الحقائق واضحة قررت إن المعاهدة التي فاوض فيها السير هـ. جونز في طهران يجب ان تقبل وتنفذ بقدر ما يخصهم بغض النظر عن الوسيلة التي تم بها الحصول على المعاهدة اذ لم يكن ذلك مهماً في رأيهم . وكان من الاعتبارات ذات الاهمية الخاصة لدى اللورد مينتو طرد الممثل الفرنسي وحاشيته من ايران، واستدعاء السفير الايراني أصغر خان من باريس، وظروف أخرى كقطع العلاقات بين فرنسا وايران وهو مخاطرة عرض الشاه لها نفسه لولا اعتماده

(١) ان اهمال السير هـ. جونز للسلطة التى طالبت الحكومة بفرضها عليه كانت بلا شك السبب في تصرفها الاخير معه . وكان السفير أيضا في نظرهم رجلا لا كرامة له ولا مبادىء وربما كان هذا بايعاز من الدكتور جيوك والملازم بروس ان لم يكن من القائد مالكولم نفسه . وكانت بعض تصرفات السير هارفورد شاذة ولكن يبدو انها كانت تتناسب والظروف . ومن امثال هذه انه امر بحمل خطاب الملك الى الشاه في محفه بعظمة .

على المساعدات البريطانية . وكان من رأي الحاكم العام أنه يجب وضع ممثل بريطاني مستقبلا للبلاط الايراني ليقوم بدفع المنحة الموعودة اذا أصبحت ضرورية، وليراقب القيام بالتعهدات المفروضة على ايران بمقتضى المعاهدة التمهيدية . ومن مراسلاته مع السلطات في انجلترا أوصى بوجوب جعل الممثل ضابطاً تعينه حكومة الهند وذلك لغرض مزدوج وهو اظهار قبوله للمعاهدة، ثم رد اعتبار حكومة الهند في ايران اذ كان يتصور أن هيبة الهند انخفضت بسبب سلوك السير ه. جونز . وحيث كان المجال مفتوحاً لوضع ترتيبات دائمة للمستقبل فقد ارسل اللورد مينتو القائد مالكولم في بعثة ثالثة الى ايران .

وكان الغرض المكمل للبعثة هو عمل طبوغرافيا وجمع معلومات أخرى عن ايران بالذات والبلاد المتاخمة لها . وهذا أمراً قد أهمل سابقاً كما اشار الرئيس سوذرلاند الذي كان في بعثة السير ه. جونز مع أنه يسهل أعمال البحث والاستكشاف تسهيلا كبيراً .

والتحق ببعثة مالكولم الثالثة عدد من الضباط الشباب النشطين منهم الرئيس كزيستي وبوتنجر . وقد بدءآ رحلتهما قبل بقية البعثة مسافرين براً من الهند عبر الاقاليم المتداخلة ولم يتصلا بالبعثة في ايران الا في الليلة التي عادت فيها البعثة . وكان باقي أعضاء الهيئة(١) هم الرئس باسلي السكرتير الذي صحب القائد مالكولم في مناسبتين سابقتين والملازم ستيوارت المساعد الاول ، ومستر ه. اليس المساعد الثاني ، ودكتور أ. جيوكس المساعد الثالث ، والملازم بريجز ، و ج. ماكدونالد من مشاة مدراس ، وعدد قليل من المساعدين لم تكن لهم حاجة ومن

---

(١) كريستى كما رأينا في مكان آخر قتل مع الجيش الايراني الذى كان يحارب ضد الروس بينما فقد جرانت وفوذرنجهام حياتهما أثناء البعثة كما سيبين بعد • ومن الباقين بوتنجر (١٧٨٩ ــ ١٨٥٦) واليس (١٧٧٧ ــ ١٨٥٥) بقيا في سعادة في أراض بعيدة • أما ماكدونالد ولندسى فقد بقيا في ايران في رقى ورفعة بينما كثير من الآخرين رقوا الى مراكز ذات أهمية في الهند •

الجراحين كلهون وكورميك والرئيس العسكري ن. ب. جرانت رئيس الحرس ، والملازم فردريك ومارتن و هـ. لندسي من مدفعية مدراس وانضم اليهم جونسون ، وفوذرنجهام ، وانساين ومونتيت من مهندسي مدراس . وتألف الحرس العسكري هذه المرة من ضابطين محليين و ٢٤ صف ضابط ورجال من خيالة مدراس من ثلاثة ضباط صف ودقاق طبل وعشرة جنود من فرقة صاحب الجلالة ١٦ الدراغون الخفيفة واثنان من صف الضباط وموسيقيين ، و ٤٠ جندياً من هنود موسسة بومباي .

وفي نهاية شتاء سنة ١٨٠٩–١٨١٠ تلقى السير هـ. جونز رسالة من حكومة الهند تطلب منه فيها ان يتنحى عن العمل للدكتور جيوكز الذي وضع موقتاً لرعاية المصالح البريطانية في طهران الى حين وصول القائد مالكولم . ولكن السير هارفورد لم يعتقد انه من الضروري ان يمتثل لرغبة الحاكم العام خاصة وأنه قدم استقالته من قبل لوزراء صاحب الجلالة عن طريق المستر موريير ، وكان في انتظار اوامرهم .

غادر مالكولم بومباي في ١٠ يناير سنة ١٨١٠ على السفينة « سيش » التي رافقتها السفن « جيمس سيبالد » وغيرها . ونزل بوشهر في ١٤ فبراير . وهنا بقي حتى يصل اليه خطاب من الشاه ليوكد له القيام باستقبال حافل في طهران . ولم يقبل السفر الى داخل البلاد حتى يتحقق ذلك الشرط . ثم غادر بوشهر في ١٥ أبريل فوصل الى شيراز في ٢٧ منه حيث انتظر الى ١٦ مايو . وأثناء هذا الانتظار تلقى أنباء مقتل الرئس كرانت والملازم فورذرنجهام على حدود العراق التركي ، وكان ارسلهما عن طريق بغداد . أما الملازم ماكدونالد وإنساين مونتيت اللذان أمرهما ان يسافرا له من البصرة فقد انضما اليه بسلام في شيراز .

ووصل القائد مالكولم الى معسكر الشاه الصيفي في السلطانية على بعد ٥٠ ميلا غربي قزوين في ٢١ يونيه . وبعد ذلك بيومين جرت اول مقابلة مع الشاه . ونظراً لان السير هارفورد جونز ومالكولم لم يتفقا على

الطريقة(١) التي يجب ان يظهرا بها مع بعضهما في وجود الشاه فان سفير الملك تعمد الغياب في هذه المناسبة مع العلم أنهما تبادلا الزيارات وعاملا بعضهما بمنتهى المجاملة .

وكان يبدو ان واجب القائد مالكولم في البلاط الايراني هو تقديم الهدايا وتبادل عبارات التحية . وقد عامله فتح علي شاه بمنتهى الود . ومن بين الهدايا(٢) التي يبدو أنها قدمت بما ينسجم مع روح المعاهدة التمهيدية التي لم تصدق عليها بريطانيا بعد بطاريتان من المدافع ذات الخيول بمعدات كاملة و ٣٥,٠٠٠ قطعة من الاسلحة الصغيرة . ولكن في اوائل يوليه ، أثناء نقل معسكر الشاه من السلطانية الى وادي يوجان بالقرب من تبريز ، استطاع السير هارفورد جونز ان يحيط القائد مالكولم علماً بقرار حكومة صاحب الجلالة في ان يكون تعيين الممثل البريطاني في طهران من صلاحيتهم ، وان اختيارهم وقع على سير جون اوزلي ليخلف السير هارفورد الذي قبلت استقالته .

وصل هذا القرار بعد تفكير تام في آراء اللورد مينتو ، وكان ضربة قاضية لآمال القائد مالكولم في وظيفة دائمة بايران . وفي الحال قام بالاستعدادات للعودة الى الهند، وتلقى من الشاه قبل رحيله لقب خان وصبحدار وأنعم عليه بوسام « الاسد والشمس » تكريماً له . وبناء على طلب السير هـ. جونز فان بعض زملائه الاكثر ولاء له في ايران قد استبقوا للعمل في الخدمة العامة بايران ومنهم الرئيس العسكري كريشي والملازم كندسي ، وآنساين مونتيت والمستر سرجن كورميك . وفي ١٥

---

(١) الدليل على طبيعة عدم الاتفاق هو التعارض . واحد الظروف المحرجة هي أن السير هـ. جونز تعود على الوقوف في حضرة الشاه بينما القائد مالكولم في زيارته السابقة للبلاط الايراني جلس على مقعد . والتناقض في الرسميات بين السفيرين البريطانيين كان بكل تأكيد لا يفيد السير هـ. جونز الذى سن تقليد تقديم الهدايا نقدا (مال صامت) وهى طريقة لها تأثيرها تماما ولكنها ــ نوعا ما ــ لا تليق .

(٢) انظر « البعثة » لبريدج ص ٣٦٤ ومذكرات لنفس المؤلف ص ٢٨ وانظر على أى حال كتاب رولنسن « انجلترا وروسيا في الشرق » ص ٢٦ ــ يتحدث عن « كمية محدودة من العتاد الحربى » .

يوليه تمت المقابلة الاخيرة للقائد مالكولم مع الشاه ، وبعدها اتخذ طريقه الى بغداد عن طريق تبريز فوصل هناك في ٢٠ سبتمبر . وفي نهاية اكتوبر ترك البصرة الى الهند .

كانت تكاليف بعثة القائد مالكولم الثالثة والاخيرة الى ايران باهظة ولم تكن نتائجها السياسية تتناسب مع المصروفات ولا تستحق الاهتمام . وربما قلل من قيمتها الكيفية التي انتهت بها ، وفي الواقع ان كتاب « تاريخ ايران » للقائد مالكولم الذي كتبه في بومباي خلال سنة ١٨١١ يبقى أهم أعماله الاخيرة في المحيط الايراني. وترجع اهميته لما احتوى من المعلومات المفصلة عن أجزاء الهند ، وافغانستان ، وبلوخستان..الخ وقد اكتسبت هذه المعلومات عن طريق أعمال موظفيه الرسميين الذين رافقوه .

نهاية بعثة السير ه. جونز الى ايران ١٨١٠ — ١٨١١

لقد اضطررنا بسبب الاهتمام الخاص بالهند وعلاقاتها بهذه الشئون أن نعطي تفصيلا كاملا نوعاً ما لها . وفيما عدا معاهدة واحدة أخرى، فلا داعي للتحدث طويلا عن اعمال الممثلين البريطانيين لدى البلاط الايراني أثناء حكم فتح علي شاه . وبعد توقيع المعاهدة التمهيدية كان الشاه سأل السير ه. جونز سراً عن امور السياسة الخارجية المختلفة وخصوصاً فيما يختص بروسيا كما بذلت الحكومة الايرانية مجهوداً قوياً ، ولكنه كان فاشلا ، للحصول عن طريقه على خدمات الجنرال مالكولم الشخصية في الحرب ضد روسيا . واخيراً ترك السير ه. جونز أمر البعثة للمستر شريدان وعاد الى اوربا عن طريق القسطنطينية ، وكان يرافقه حتى الوصول الى تلك المدينة سفير تركي كانت زيارته لايران وسيلة لتمهيد السبيل . وقد تحطمت سفينة صاحب الجلالة «بومون » التي كان يركبها السير ه. جونز على الساحل الانجليزي في ١١ أكتوبر سنة ١٨١١ ومع انه بقي حياً حتى سنة ١٨٤٦ فان هذا الحادث المتكرر يعتبر نهاية لحياته الحافلة بالمتاعب والجهود .

بعثة السير جور اوسلي ١٨١٠ — ١٨١٢ لايران :

وصل السير جور اوسلي ، السفير فوق العادة والذي عهد اليه باتمام العمل الذي بدأه السير هارفورد جونز ، الى تبريز في (١) ٩ اكتوبر سنة ١٨١١ . وقد عاد معه من انجلترا المستر موريير سكرتير بعثة السير هـ. جونز ، وميرزا ابو الحسن السفير الايراني لدى لندن . وصحبه ايضاً العقيدان دارسي وستون من المدفعية الملكية ، وقد قدر لهما ان يخدما في الجيش الايراني . وكان حرس السفير يتكون من ٣٠ من خيالة الهنود تحت قيادة الملازم ديلوك الذي ركب السفينة من بومباي . وفي ذلك الميناء ركب معه أيضاً عدد من ضباط الصف بإحدى فرق صاحب الجلالة اختير منهم ٤٧ ليكونوا مدربين للمشاة الايرانيين . وفي وقت رحلة البعثة في الخليج كانت قبيلة القواسم ما تزال تتعاطى القرصنة . وقد طوردت سفينة كان من الواضح انها للقراصنة وأطلقت عليها النار سفينة صاحب الجلالة « ليون » ذات الـ ٦٤ مدفعاً بالقرب من جزيرة الشيخ شعيب وكان السفير في هذه السفينة بالذات .

وقد وقعت المعاهدة النهائية التي ارسل السفير ليعقدها في ١٤ مارس سنة ١٨١٢ ، ولكن بما أنه لم يصدق عليها ابداً من الحاكم البريطاني وحلت محلها معاهدة أخرى ، فانه ليس من الضروري ان نقتبس شروطها .

وفي صيف سنة ١٨١٢ جرت مراسلات بين القائد دي رتشيف الحاكم العام الروسي لجورجيا وبين السفير البريطاني الذي طلب منه حاكم جورجيا زيارة معسكر ولي العهد الايراني ، ومع العلم أنه حدث

---

(١) كانت لبعثة السير ج· أوسلي مظاهر غريبة فقد صحب السفير معه زوجته وكان أخوه السير و· أوسلي هو سكرتيره الخاص · والرحلة من سبيتهد الى بومباى منها اسبوعان في ريودى جانيرو استغرقت من ١٨ يولية سنة ١٨٠١ الى ١٢ يناير سنة ١٨١١ · وبعد أن نزل في ايران تعطل ثلاثة أشهر في شيراز من ٧ أبريل الى ١٠ يولية سنة ١٨١١ لاسباب عائلية بحته · وفي ذلك الوقت يجب أن تتذكر أن الروس كانوا يضغطون على ايران بشدة · وكان الشاه ينتظر بقلق ليعرف ما اذا كان يمكنه أن يتوقع مساعدة عاجلة من البريطانيين ·

اجتماع بين سفراء الروس والايرانيين في اسلاندوز ، على نهر آراس فانه لم يمكن الوصول الى أي اساس للتسوية . وفي نهاية أكتوبر سنة ١٨١٢ كما رأينا من قبل، هزم الروس الجيش الايراني هزيمة ساحقة واضطر السير ج. اوسلي بسبب العلاقات الودية بين روسيا وبريطانيا في اوربا ان يسحب الضباط البريطانيين(١) من الجيش الايراني، واستأنف وساطته بطريقة غير رسمية . وكانت النتيجة النهائية لذلك هي معاهدة جولستان التي عقدت سنة ١٨١٣ بين القائد دى ريتسنشيف وميرزا ابو الحسن . واما موضوع المعاهدة الانجلو ايرانية المقترحة ، فقد طال امدها حتى ان ايران لم تستفد منها شيئاً في حربها الكبرى الاولى مع روسيا . وفي صيف سنة ١٨١٤ عاد السير ج. اوسلي الى انجلترا عن طريق روسيا تاركاً المستر موريير ليقوم بواجبات السفير البريطاني في ايران .

المعاهدة الانجلو ايرانية الاخيرة في ٢٥ نوفمبر ١٨١٤

وفي نفس الوقت كانت المعاهدة التي أشرف عليها السير ج. اوسلي تحت البحث في لندن . وبما انها كانت غير مرضية في بعض النواحي فقد ارسل من انجلتره المستر هـ. أليس الذي رافق الجنرال مالكولم في بعثته الثالثة لايران كوزير مفوض مزوداً بتعليمات جديدة .

ووصل المستر أليس بالقرب من اريفان في اغسطس سنة ١٨١٤ وتقدم مع المستر موريير الوزير المفوض في ذلك الوقت الى طهران حيث عدلت المعاهدة النهائية مع ايران على نمط معاهدة طهران بمجهودهما المشترك في ٢٥ نوفمبر .

ولقد ظلت هذه المعاهدة الهامة مع تعديلاتها تنظم العلاقات السياسية الأنجلو إيرانية لمدة تزيد على اربعين عاماً بعد ذلك . وكانت تتكون من ١١ مادة . وفي المادة الاولى أعلنت الحكومة الايرانية ان محالفاتها المعقودة مع دول اوربية في حالة عداء مع بريطانيا تعتبر لاغية، وارتبطت بعدم السماح

---

(١) ما عدا الرئيس كريستى والملازم لندسى اللذين لم يحضرا معه الى ايران . ولقد صرح لهما في الحقيقة مع ١٣ من المدربين البريطانيين أن يفعلوا ما يروق لهم .

لاي حيش اوربي بالدخول الى الاراضي الايرانية ، او ان يتقدم برًا او بحرًا تجاه الهند . وتعهدت بأن لا تسمح لافراد ينتمون الى دول اوربية بالتردد على ايران اذا كانت لهم خطط ضد الهند او عداء مع بريطانيا . وفي نفس المادة تعهد شاه ايران أن يستعمل جميع الوسائل التي تكون تحت تصرفه ليقنع دول آسيا الوسطى بمنع اي غزو اوروبي للهند عن طريق اراضيها .

وكانت المادة الثانية تنص على قيام صداقة دائمة بين بريطانيا وايران، وتلزم بريطانيا بأن تمتنع عن التدخل في الصراع الداخلي في ايران ، وان تنشد سلامة اراضي المملكة الايرانية . وحددت المادة الثالثة طبيعة المعاهدة بأنها دفاعية تماماً، وقررت ان الحدود بين ايران وروسيا يجب ان تقبلها الدولتان وان تقبلها(١) بريطانيا . أما المادة الرابعة فهي تشير الى الالتزامات التي فرضتها المعاهدة التمهيدية سنة ١٨٠٩ على بريطانيا في حالة غزو ايران بقوة اوربية، وحددت قيمة المنحة التي تدفعها بريطانيا لايران اذا كانت المساعدة تقدم على شكل منحة بمبلغ ٢٠٠,٠٠٠ تومان سنوياً . واضيف الى ذلك ان المنحة لا تدفع اذا وقعت حرب تؤدي الى غزو ايران بسبب استفزاز او اعتداء من جانب ايران . ويجب أن يقدم برهان ايضاً على ان المنحة ستنفق فقط على الاغراض الحربية التي دفعت من أجلها . والمادة الخامسة سمحت للحكومة الايرانية بتوظيف ضباط اوروبيين لتدريب قواتها بشرط ان لاينتمي امثال هؤلاء الى دول تكون في حرب او عداء مع بريطانيا . وفي حالة وجود دولة اوروبية في سلام مع بريطانيا واعلنت الحرب على ايران فعلى الحكومة البريطانية ان تتوسط ، فاذا فشلت الوساطة فان الشرط الذي يقيد بريطانيا بمساعدة ايران إما بقوة عسكرية او بمنحة يجب ان يبقى سارياً . وفي المادة السابعة نص على أنه في حالة دفع المنحة يجب أن تدفع على شكل أقساط عاجلة بقدر الامكان .

وتنص المادتان الثامنة والتاسعة على أنه اذا قامت حرب بين بريطانيا

---

(١) معاهدة جولستان سنة ١٨١٣ بين ايران وروسيا تركت تسوية الحدود مستقبلا للجان الفنية .

وافغانستان، فعلى الشاه ان يقوم بعمل ضد الافغانيين، ويتلقى من الحكومة البريطانية منحة لتغطية نفقاته. وفي حالة قيام حرب بين ايران وافغانستان فعلى بريطانيا ان لا تتدخل إلا أن تعمل كوسيط بطلب من الطرفين .

ونصت المادة العاشرة على طرد وابعاد المجرمين السياسيين . وأخيراً بموجب المادة الحادية عشرة فان الحكومة البريطانية تعهدت ان تساعد الشاه في الخليج « اذا كان ملائماً وممكناً » بالسفن الحربية والقوات . والنفقات في هذه الحالة تدفعها الحكومة الايرانية . وقد أضيف أن سفنهم يجب رسوها في الموانى التي تعينها السلطات الايرانية ولا ترسو في موانى أخرى الا اذا ادعت الضرورة القصوى لذلك . وقد خلت من الوضوح هذه المادة الحادية عشرة التي طلبها الايرانيون بلاشك، وربما كان الدافع لها استمرار القرصنة وظهور خطر الوهابيين على خطط ايران في البحرين ، او ربما بعض المشاكل التي تحدث من حين لآخر بين حكومة شيراز وزعماء المشيخات المستقلين على الساحل الايراني .

ويشبه نص المعاهدة النهائية على العموم نص المعاهدة التمهيدية ولكنه نتيجة لتغيير الموقف السياسي فان المعاهدة الجديدة كانت موجهة ضد روسيا ، كما كانت القديمة موجهة ضد فرنسا . وقد أحضر المعاهدة من أوربا المستر هـ. ويلوك للتصديق عليها من الامير الحاكم فوصل الى ايران في سبتمبر سنة ١٨١٥، ورحل المستر موريير أخيراً من ايران في الشهر التالي.

العلاقات البريطانية بايران ١٨١٥ — ١٨٢٨

ظلت مصالح البريطانيين لدى البلاط الايراني تُراقَب باستمرار بعد وصول السير هارفورد جونز لايران سنة ١٨٠٨ . وكانت هذه المراقبة تتم بواسطة ممثلين خصوصيين من رتب مختلفة كانوا يعينون بواسطة حكومة صاحب الجلالة لا حكومة الهند . ومنذ سنة ١٨١٥ حتى سنة ١٨٢٦ الغى المستر هـ. ويلوك والعقيد ج. ويلوك على التعاقب هذه الوظيفة . وقد حضر الاخير الى ايران في رئاسة حرس السير م. جونز

والسير ج. اوسلي على التوالي تحت لقب « المسئول عن الشئون ». وفي سنة ١٨٢٦ عين الرائد ماكدونالد السير ج. م. كينر الذي كان ضمن بعثة القائد مالكولم الثالثة ، سفيراً فوق العادة عن طريق حكومة الهند التي عادت اليها مسؤولية رقابة المصالح البريطانية في ايران سنة ١٨٢٣ .

وفي أثناء الفترة ما بين سنة ١٨١٥ الى سنة ١٨٢٦ وجه الممثلون الديبلوماسيون البريطانيون عناية كبيرة لتحسين الجيش النظامي الايراني ، واعير للشاه عدد كبير من الضباط البريطانيين لهذا الغرض . ولكن مساعيهم بسبب عدم الملاءمة لم تنجح في إيجاد قوات مقاتلة ذات كفاية .

التعديل النهائي للمعاهدة الانجلو ايرانية الاخيرة ١٨٢٨

لقد أدت ظروف حرب ايران الفاشلة مع روسيا سنة ١٨٢٦ وسنة ١٨٢٨ الى تعديل هام في المعاهدة الانجلو ايرانية النهائية في سنة ١٨١٤ . فعندما بدأت العمليات العدائية طالب الايرانيون بموجب المعاهدة المساعدة البريطانية ، ولكنها منعت على اساس ان الحرب التي بدأت لم يبدأها الروس باحتلال منطقة كوكهة المتنازع عليها ، ولكنها بدأت بهجوم قام به الايرانيون على الروس . وقد لوحظ الآن ان المعاهدة بذلك الوضع سببت تعقيدات خطيرة لبريطانيا. فبعد صلح تركمان شاه مباشرة انتهزت بريطانيا فرصة الصعوبة التي وجدتها ايران في جمع تعويضات الحرب التي تدفعها لروسيا لترضيتها في مقابل دفع مبلغ واحد قدره ٢٠٠,٠٠٠ تومان لتلغي المادتين الثالثة والرابعة اللتين كانتا تجبران بريطانيا على ان تنظر في دعوى الحدود بين ايران وروسيا ولتساعد ايران بالمال والرجال في حالة وقوع حرب ضدها بسبب اعتداء دولة اوربية . وقد تم رسمياً فسخ تينك المادتين البغيضتين في ٢٤ اغسطس سنة ١٨٢٨ .

الضباط البريطانيون في الجيش الايراني
١٨٢٨ ـ ١٨٣٤

في سنة ١٨٢٨ كان العقيد ليندسي وبعد ذلك سر هـ. ل. بيثون والعقيد هارت ، الذي قاد جيش المشاة الايراني ، ووضع فيه الشاه ثقة غير محدودة يخدمان في الجيش الايراني . وفي سنتي ١٨٣٢و١٨٣٣ أمدت حكومة الهند الشاه بكمية كبيرة من الاسلحة والعتاد بلا مقابل وعلى سبيل المجاملة . وفي سنة ١٨٣٤ ارسلت هيئة كاملة من الضباط البريطانين وصف الضباط الى ايران لاصلاح الجيش الايراني من جميع النواحي . وكان من ضمنهم الرائد باسمور ، والرائد شيل الذي أصبح السير ج. شيل ، والرائد رولنسن الذي أصبح السير هـ. رولنسن ، وكل من هولاء مثل بريطانيا لدى البلاط الايراني ، والرائد ف. فارانت الذي ارسل في بعثة خاصة الى كربلاء سنة ١٨٤٣ ، وأصبح بعد ذلك المسئول البريطاني عن الشئون في طهران ، والرائد ستودارت الذي قتل في بخارى سنة ١٨٤٢ والرائد دارسي تود الذي تولى المدفعية الايرانية .

★ ★ ★

شئون الساحل الايرانى والجزر
١٧٩٧ ـ ١٨٣٤

ان سردنا للحوادث اثناء حكم فتح علي شاه لم يتضمن سوى اشارة صغيرة للشئون المحلية في الساحل الايراني ، ولكن انفصال حوادث الساحل الايراني عن تاريخ ايران بوجه عام قد يكون غامضاً وربما يضللنا . إن النظرة العامة التي نظرنا بها مكنتنا من ان نعالج الاحداث على الساحل الايراني بتقدير صحيح لمدى اهميتها .

الثورة في بوشهر ١٧٩٨

حدثت ثورتان غامضتان في بوشهر خلال عام ١٧٩٨ . ففي ابريل تقدمت قوة الى المدينة يقودها حسين قولي خان حاكم فارس الذي قام

بثورة ضد أخيه الشاه . وبعد اتخاذ بعض التدابير الضعيفة للمقاومة هرب الشيخ ناصر ، وحل محله في الزعامة ابن اخيه الشيخ غانم الذي كان موالياً لحسين قولي خان .

وحوالي منتصف سبتمبر ظهر الشيخ نصر فجأة في بوشهر ومعه اسطول للعتوب ، ربما كان من البحرين ، وحاصر الميناء . وفي طريقه الى هنالك بمساعدة العتوب أعاد توطيد سلطته في جزيرة خارّج . وقد سبقته قوة برية الى بوشهر ارسلت لتتعاون معه بقيادة ضابط ايراني واخيه محمد . وبعد محاصرة بوشهر خمسة ايام احتاج السكان الى الماء « قليل من الماء افضل من البحر » . وفي مساء ٢٠ سبتمبر حاول الشيخ غانم الهجوم على المحاصرين ولكنه فشل بعد ان اظهر روحاً عالية في الدفاع عن المكان . وطوردت الفرقة التي قامت بهذا الهجوم حتى بوابات المدينة على يد العدو الذي دخل معهم المدينة ، فاستولى الرعب على الحملة ، وولى الشيخ غانم هارباً بعد مجهود يائس في تجميع قوى رجاله . واستمرت الفرقة المنتصرة في نهب المدينة حتى طلوع النهار . وكان يقود قوة الشيخ ناصر البحرية في هذه العملية شيخ يسمى سالم . وليس من الواضح اذا كان هذا الشيخ ينتمي الى عائلة بوشهر ام كان احد زعماء البحرين . ويعزى نجاح الشيخ نصر الى نفوذه الوراثي .

سلطان عمان يحتل خارّج ١٧٩٧—١٨٠٠

في سنة ١٧٩٩ كما شرح في تاريخ البحرين جرت استعدادات لاخضاع هذه الجزر من شيراز بالاشتراك مع سلطان عمان . وانتهز شيخ بوشهر فرصة ذعر أهالي البحرين لينتزع منهم اعترافاً بتبعيتهم لايران ولدفع قسط من الجزية من حساب سنة ١٧٩٨ . وكانت هناك قوة حربية ايرانية تحت قيادة أخي حاكم إقليم فارس معسكرة في ذلك الوقت خارج اسوار بوشهر وعلى استعداد للتقدم للبحرين . أما سلطان عمان الذي اعتبر نفسه مخدوعاً من الايرانيين فقد زار خارّج واشاع ان الشيخ غانم قد حل محل الشيخ نصر في الحكومة ، وأغرى الاهالي بتسليم القلعة اليه .

وهكذا بعد ان أقام قاعدة له ، اوضح للحاكم الايراني أنه وجد خارّج مهملة فاحتلها ليمنع وقوعها في أيدي العتوب. وعرض أن يدفع دخل خمس سنوات مقدماً عن الجزيرة اذا اعطيت له . ولم يذكر كيف سويت الامور مع حاكم الاقليم ولكن السلطان عاد سريعاً الى مسقط وبعد عام من ذلك بالضبط في يوليه سنة ١٧٩٩ عبر الشيخ نصر من بوشهر بأوامر من حكومة شيراز ومعه عشر سفن والف وخمسمائة رجل واسترد جزيرة خارّج .

موقف شيخ بوشهر ١٨٠٢

في سنة ١٨٠٢ كانت خارّج ما تزال خاضعة لشيخ بوشهر لكن دليكي التي جعلها مزرعة له في وقت ما انتقلت الى ادارة سلطة أخرى . وكان الدخل العائد للاقليم بواسطة الشيخ يبلغ ٤٠٠٠ أربعة آلاف تومان في السنة (أو اكثر من نفس العدد بالجنيهات الاسترلينية) ولكن الشيخ كان مضطراً لان يدفع بالاضافة الى ذلك مبلغاً اكبر باسم هدايا للامير الحاكم .

اجراءات سلطان عمان في بندر عباس ١٨٠٥

العمليات التي مكنت سيد بدر من استرداد بندر عباس سنة ١٨٠٥ بمساعدة المعتمد البريطاني في مسقط مشروحة في فصل لاحق خاص بالعلاقات البريطانية .

تولية عبد الرسول مشيخة بوشهر ١٨٠٧

في الثاني من يناير سنة ١٨٠٧ ترك الشيخ نصر الثاني بوشهر للحج إلى مكة التي يبدو انه لم يرجع منها أبداً . وعند رحيله عهد بالادارة الى ابنه الشيخ عبد الرسول الذي كتب عنه في العام التالي « ان وجهه لا حياة فيه وجسمه مقوس وهو مفرط في الفجور » .

ولكن ضعف جسم الشيخ الجديد لم يمنعه من ان يلعب دوراً هاماً في السياسة خلال الخمسة والعشرين عاماً التالية .

حكومة بوشهر ومحمد نبي خان ١٨٠٨–١٨١١

في نفس الوقت كان محمد نبي خان الذي أرسل مبعوثاً (سفيراً) للشاه في الهند من سنة ١٨٠٥–سنة ١٨٠٧ يدبر المكائد ليحصل على حكومة بوشهر لنفسه. واخيراً منحت له على أن يدفع اربعين الف تومان، وكانت حجة إبعاد عبد الرسول هي عجزه عن تسديد دين بلغ مع فوائده ٢٨ الف تومان كان قد تورط فيه لمواجهة طلب سابق للامير حاكم فارس من دائن كان موعزاً اليه من الامير بادانة عبد الرسول. وفي ٢٦ اكتوبر سنة ١٨٠٨ قبض على الشيخ بطريق الخيانة او بالاحرى اختطف بواسطة محمد نبي خان، وهو الرسول الذي ارسل من شيراز. وكان الاثنان في طريقهما لزيارة السير هارفورد جونز السفير البريطاني أثناء اقامته في بوشهر. وقد غطيت هذه الاجراءات بفرمان من امير فارس الحاكم شدد فيه على عبد الرسول بأن يحول دون تضايق البريطانيين في بوشهر من أي من الاهالي في المدينة. ووجه فرمان مطمئن للسير جونز شخصياً، وامر محمد خان ان يقرأه بصوت عال في حضوره.

وفي الحقيقة ذهب الايرانيون الى الاعتقاد بأن المتاعب التي اوجد فيها الشيخ عبد الرسول نفسه هي عمل غير لائق اقترفه مع بعثة حكومة الهند الحالية التي يرئسها الجنرال مالكولم. وساد المدينة والاقاليم المجاورة ذعر كبير وفوضى، والتجأت جماهير من الناس والقرويين إلى المعتمدية البريطانية. والى ان وصل محمد نبي خان، كان يحكم المدينة اولا محمد خان المبعوث الشيرازي، ثم حكمها محمد جعفر وهو أخ لمحمد نبي خان. ولكن سلطات شيراز بلغت من القسوة ما جعلها تمثل بمبعوثها وحتى محمد جعفر نفسه ألقى به في السجن لعدة ايام لا لسبب الا أنه فشل في أن يحول دون هرب وزير الشيخ الراحل بطريق البحر.

وقد انزعج محمد نبي خان لنفور السكان المحليين من التغيير الجديد الذي نظر اليه على انه نهاية حكم العرب، وبداية الحكم الايراني، حتى إنه كان راغباً في التخلي عن حكومة بوشهر. وقيل إنه عرض ٢٠٠٠ تومان من اجل ان يصرح له بذلك، ولكن دون جدوى. وقد كان دخوله بوشهر

في ١٩ ديسمبر سنة ١٨٠٨ . ويبدو انه احتفل بحكمه رسمياً دون معارضة بل كان فيه الكثير من التملق من جانب رعاياه الجدد . ويجب ان يذكر هنا انه استطاع بفضل شفاعته الشخصية أن ينقذ حياة وبصر سلفه الشيخ عبد الرسول .

وفي سنة ١٨٠٩ بعد منتصف نوفمبر استُدعي محمد نبي خان فجأة الى شيراز، واصبح كبير المستشارين للامير الحاكم بدلا من نصر الله خان الذي اتهم بالاختلاس، وربما لم يكن هو الاوسيلة لذلك . وبعد ذلك يبدو ان اغا محمد جعفر عمل كنائب دائم للحاكم في بوشهر .

وأثناء حكم الاخوين الايرانيين ابيدت تقريباً قبيلة ذو مخ العربية التي كانت تؤيد عائلة الشيخ نصر تأييداً كاملا، واستسلم العرب المجاورون لبوشهر لليأس من الطغيان الايراني .

وأخيراً يبدو أنه في سنة ١٨١١ دعي محمد نبي خان الى طهران حيث عين ابنه محمد رحيم خان في منصب في البلاط . وعند وصوله اخبر أن متأخرات إقليم فارس بلغت ٧٠,٠٠٠ ، تومان وكان نصيبه الجلد بقسوة مع موظف آخر اعتبر شريكاً له في جريمة الامتناع عن الدفع . وهرب من المأزق بأن أُلقي به من نافذة عالية بناء على اوامر شخصية من الشاه على أن نهايته غير مؤكدة(١) ولكن لا يبدو انه استرد حظوته لدى البلاط . ومن سوء حظه أنه كان عدواً للقائمقام ميرزا بوزرج الذي كان يعطف على العرب .

علاقة عائلة شيخ بوشهر بجزيرة خارَج ١٩١٥

لقد علمنا انه في سنة ١٨١٢ عندما أصدر الشاه فرمان العفو عاد الشيخ محمد أخ الشيخ نصر الثاني الى بوشهر من خارَج حيث كان عوائله

---

(١) بعد جلده أنعم عليه بخلعة (انظر الى « الرحلة الثانية » لموريير ص ٩٥) ولكن طبقا لما ذكره بريدجسى (انظر « البعثة » ص ٤٦) فانه أخيرا تعذب لضياع ثروته كلها ثم فقد حياته بطريقة قاسية مخيفة .

يعيشون في نفي اختياري. ولم تبين السجلات سبب هجرة الشيخ محمد من بوشهر عندما حدثت ولا كيف نظر اليها الشيخ عبدالرسول .

الكوليرا في الساحل الايراني ١٨٢١

في صيف وخريف سنة ١٨٢١ اجتاح بوشهر وامكنة أخرى وباء خطير هو الكوليرا وكان الطريق بين بوشهر وبوزجان مليئاً بالجثث وفقدت البارجة الحربية البريطانية «ليفربول» ضابطين في فترة ١٥ ساعة بالاضافة الى جراح وعدد كبير من البحارة . وفي شيراز قضى الوباء على المستر ريتش والدكتور جيوكز كما ذكر في مكان آخر .

محاولة لطرد سلطان مسقط من بندر عباس ١٨٢٢

وفي اوائل سنة ١٨٢٣ وصل زكي خان من شيراز الى بندر عباس ومعه تعليمات بخصو ص إيجار ذلك الميناء وتوابعه، وكان في يد سلطان مسقط. وقد انتشرت فكرة مفادها أنه ارسل ليجد الوسيلة لانهاء امتياز الميناء . وعندما تلقى السيد سعيد أنباء وجود موظف في بندرعباس تقدم بسفينتين ليقابله هناك . وكانت نتيجة مناقشاتهما هي ان يدفع السلطان الف تومان زيادة سنوياً للعامين القادمين. وقدم لزكي خان هدية شخصية ٥٠٠ تومان. وقبل ان يبحر السيد سعيد الى مسقط في رحلة العودة زاره على ظهر السفينة ميرزا باقر الذي أحضر معه حسين علي خان حاكم بندر عباس وعلي خان حاكم ميناب . وقد جهر كل منهما برأيه في تفضيل الحكم الايراني ، وكان الغرض من الزيارة هو الصلح معه . وفي هذا الحادث اختفى هذان الشخصان مع دليل لهما لفترة على الاقل بطريقة غامضة . وقد ذكر ان القارب الذي كان يحملهم قد غرق في العودة الى الشاطىء، ولكن في ذلك الوقت كان يعتقد عموماً ان الرجلين حملا وارسلا ليموتا صبراً في سجون مسقط المظلمة .

الاعمال العدائية بين سلطان عمان والشيخ عبد الرسول شيخ بوشهر ١٨٢٦ — ١٨٢٧

بدأ شعور سيء يتزايد الى وقت ما بين سلطان عمان والشيخ عبد

الرسول الذي يبدو أنه استأنف وضعه كحاكم وراثي لبوشهر بعد سقوط محمد نبي خان . وفي سنة ١٨٢٦ عند رحيل الشيخ الى الحج في مكة بدأ السلطان بأعمال عدائية ضده . وكان سبب النزاع ضرر ألحقه الشيخ عبد الرسول بالسيد سعيد في شيراز. وكانت الشكوك تحوم حول قيامه بمجهودات ليحل محل السلطان في زواج مقترح بإبنة الامير الحاكم لشيراز . وكان من المعتقد ان العرب في الساحل الايراني من قشم الى كانجون يقفون الى جانب السلطان بينما كانت صداقة القواسم لشيخ بوشهر عميقة في قلوبهم منذ سنين عديدة . وعلى ذلك فقد كان خطر اندلاع الحرب في الخليج كله بالصدام بين القوتين حقيقة ماثلة. وكانت اول شرارة في الحرب هي استيلاء العمانيين على سفينة الشيخ «نصرت شاه» أثناء عودتها من البنغال، حيث حملت الى مسقط وانزل منها كل الادوات التي تخص الشيخ شخصياً، واعيد تجهيزها لتكون سفينة حربية. وفي ٢٧ يوليه سنة ١٨٢٦ تقدمت سفينتان وواحدة شراعية في صحبة «نصرت شاه» من مسقط الى مرفأ بوشهر، واخبر قائد الاسطول محمد بن سلطان المعتمد البريطاني أن لديه اوامر لتسليمه جمارك على بضائع بوشهر الموجودة على ظهر السفينة نصرت شاه والمرسلة الى التجار، وأنه سيستولي على جميع السفن الخاصة بالشيخ عبد الرسول . وفيما عدا ذلك فانه لن يهدد المدينة او يضر بتجارتها . وبناء على طلب المعتمد البريطاني فإنه تنحى عن طلبه للجمارك وإلا لاضطر التجار لدفع الجمارك مرتين . وفي النهاية رحل الاسطول بهدوء الى البصرة حيث كان لسيده طلبات أخرى تنتظر التنفيذ .

وكانت السلطات البريطانية تتوقع عودة الشيخ عبدالرسول عن طريق وسط شبه الجزيرة العربية، ولكن السيد سعيد كانت لديه معلومات افضل. ففي سبتمبر سنة ١٨٢٦، بعد عملية قصيرة، أسر الشيخ ومعه سفينتان في البحر في جزء مجاور لقشم . وعندما تلقت حكومة بوشهر نبأ هذا الحادث تولى الحكومة الشيخ أحمد، وهو عم الشيخ عبدالرسول الذي ايده الامير الحاكم لفارس في اغتصاب السلطة ، ولم يطلق سراح الشيخ الاسر حتى مايو سنة ١٨٢٧ عندما نفذت وثيقة بمبلغ ٨٠,٠٠٠ كراون الماني لصالح الذين اسروه .

ثورة بوشهر واهانة المعتمدية البريطانية ١٨٢٧

وفي أثناء اعتقال الشيخ عبدالرسول في مسقط حدثت قلاقل خطيرة في بوشهر وكان سبب ذلك منافسات بين اعضاء اسرته . وعندما استولى أحمد عم الشيخ على ادارة الميناء لنفسه كما ذكر من قبل، لجأ حسين أخ الشيخ وابنه ناصر الى المعتمدية البريطانية . ومن ذلك المكان بدآ يحوكان الدسائس سراً لقلب الشيخ احمد ، غير مراعيين الشروط المفروضة عليهما لوضعهما الممتاز كلاجئين .

وفي آخر يناير سنة ١٨٢٧ اقترب الفارمان فارما او الامير الحاكم لفارس من بوشهر. ولكي يقوي الشيخ احمد من وضعه قبل وصول الزائر الملكي طلب رهائن من كل قبيلة تحت ادارته ، واقترح ان ترسل الرهائن للجزيرة من خارج . وقد هيأ هذا الطلب الشاذ الفرصة التي كان منافسوه في حاجة لاستغلالها .

وفي ليلة اول فبراير استولى الشيخ حسين وناصر فجأة على برجين من القلعة كانا في حوزة أعظم اتباع الشيخ احمد الذين يعتمد عليهم. وفي اليوم التالي حاصروه في منزله واجبروه على الاستسلام . وكان ذلك بمساعدة أهالي بوشهر عامة ، وبمساعدة فرقة من قبيلة بني فلاج من القرية المجاورة . وعقد اتفاق بين الطرفين بوساطة الرائد ستانوس المعتمد البريطاني تنازل فيه الشيخ أحمد عن الحكم، وتعهد ان يبقى في المعتمدية البريطانية حتى تأتي أنباء استسلام خارج للطرف الآخر. وبعد ذلك يمكن أن يزود بالوسيلة التي يغادر بها بوشهر بحراً .

وفي الثالث من فبراير ، بعد ان اتخذ الشيخ احمد إقامته في المعتمدية دارت مباحثات بين الزعماء في منزل الشيخ محمد وهو عم آخر لعبد الرسول، وحضر الرائد ستانوس هذه المباحثات. وقد صدر منه تعليق أغضب الشيخ حسين الذي اندفع من المنزل واخذ يثير اتباعه قولا وعملا ليعسكروا وينفذوا أي عمل بالقوة . ويبدو أن ستانوس عاد الى المعتمدية فوجد امامها مظاهرة جبارة قامت بها شرذمة من الرعاع المسلحين في

المدينة . واحيط المكان بجموع من الرجال أخفوا أنفسهم خلف الاكواخ في الحي المجاور وشوهدت جماعات تزحف على اسطح المنازل لتحتل أمكنة استراتيجية . وأحضر مدفع كبير ووضع على مسافة مائة ياردة من الباب . ووقف في الشوارع الموصلة للمعتمدية حراس لمنع أي موٌن قد تجيء اليها من المدينة . وبواسطة هؤلاء الحراس افرغت اواني المياه، وفتحت اللفائف، وفتش الارمن وغيرهم ممن كانوا يقتربون من المكان، واوقف خادم المعتمدية وهو خارج منها، وسلبت كل الاشياء التي كان يحملها .

وكتب الرائد ستانوس مرتين للشيخ ناصر. وأخيراً تمكن من وقف هذه التهديدات والمضايقات. وفي الصباح التالي بدأ الشيخ ناصر وحسين اللذين تيسر لهما الوقت الكافي للتفكير في النتائج الممكنة لتصرفهما هذا ، فأنكر انهما فكرا في اللجوء الى العنف زاعمين ان غرضهما الوحيد كان منع الشيخ احمد من الهرب . ولجآ الى التأكيدات الفياضة باحترام البريطانيين ، والشكر للمعاملة الطيبة التي لقياها من قبل على يد المعتمد البريطاني .

وسرعان ما وصل بعد ذلك الفرمان فارما شخصياً الى بوشهر . ولكن وجوده لم يعمل على تحسين الامور لانه علّق بلغة مهينة على التصوير الذي قدمه الرائد ستانوس للاحداث الاخيرة، وأراد ان يلقي باللوم كله فيما حدث على المعتمد . واخيراً وبعد انّ منع خدام المعتمدية من حمل الماء وخلافه وإلا أهينوا في الطرق العامة، انسحب المعتمد من بوشهر الى قرية مجاورة .

وعند هذا الحد حل الرئيس ويلسون محل الرائد ستانوس، وكتب الامير الحاكم للمعتمد الجديد يعده بالترضية عما لحق أخيراً بالبريطانيين من اهانات، وبابعاد الشيخ حسين من الادارة ، ويبدو انه أعيد تكوين المعتمدية في المدينة ، أما الشيخ أحمد فقد سلمه المعتمد بناء على طلبه الى الفرمان فارما .

استحسنت حكومة بومباي القرار ، كما اثنت على حسن التصرف والحزم اللذين أظهرهما الرائد ستانوس أثناء الازمة، وكذلك الحكم الذي

أصدره الرئيس ويلسون باعادة المعتمدية الى بوشهر وبتجاهل اللغة السيئة التي استعملها الامير الحاكم . ولم تر الحكومة في بومباي أنه من الضروري الاصرار على ابعاد الشيخ حسين عن الحكومة ما دام أحد أفراد العائلة القادرين على الاستمرار في الادارة في غياب الشيخ عبدالرسول شريطة الا تكون هناك مخاطرة عند عودته الى الحكم من الاعتداء على المعتمدية بعد إعادتها لبوشهر . وسوف يفسر لنا انشغال الحكومة الايرانية السابق في الحرب مع روسيا في الشمال اسرار عدم مبالاتها بسلوك سلطان عمان وحالة الفوضى في بوشهر في سنة ١٨٢٦–١٨٢٧ .

العلاقات المتوترة بين تيمور ميرزا والشيخ عبد الرسول ١٨٢٨ – ١٨٣١

عند اطلاق سراح الشيخ عبدالرسول سنة ١٨٢٧ عاد ال الحكم في بوشهر ولكن حوالي نهاية العام التالي عزل تيمور ميرزا ابن الامير الحاكم لشيراز . وطلب تيمور ميرزا في الحال من السيد سعيد سلطان عمان ، الذي تزوج اخته في العام السابق مساعدته بسفينة او ثنتين واقترح عليه ان يبذل مجهوداً سريعاً ليستولي على «حارث» وهي سفينة تخص الشيخ . فالتقت البارجة «المظفر» التي ارسلها السيد سعيد استجابة لهذه الطلبات بـ «حارث» بعيداً عن كانجون ، وبدلا من مهاجمتها صحبتها بسلام الى ميناء بوشهر ، وكان هذا بداية يناير سنة ١٧٢٩ . وعند رسو قائد السفينة المسقطية في بوشهر وجد الفارمان فارما هناك ، وكان الشيخ عبدالرسول كما يبدو في انسجام كبير معه . وبقي قائد السفينة أياماً قليلة كضيف على وزير الامير الحاكم ثم أبحر عائداً الى وطنه دون ان يرتكب أي عمل عدائي . وفي مايو سنة ١٨٣٠ وبعد ان اعادت الحكومة الشيرازية تثبيت مركز شيخ بوشهر وخصصت له كزاران وجميع المناطق التي تقع بينها وبين البحر تجدد التوتر ، وطلب تيمور ميرزا مساعدة سلطان عمان البحرية مرة أخرى ضد عبدالرسول ولكن المعتمد البريطاني نجح في إقناع سيد سعيد بأن يمتنع عن التدخل .

وفي العام التالي كان السلطان يتراسل مع امير شيراز الحاكم فيما

يختص بابعاد شيخ بوشهر بقوة بحرية ترسل من مسقط ولكن وجهت اليه احتجاجات شديدة من المعتمد البريطاني في الخليج ومن حاكم بومباي القائد مالكولم الذي كان قد تعرف به شخصياً . وقد سويت أخيراً بعض مطالب السيد سعيد من شيخ بوشهر بدفع ٢٠,٠٠٠ غران ولو كان هاجمه عندما قصد هذا لما استطاع ان يجد أي تبرير أدبي .

طرد الشيخ ناصر الثالث من بوشهر على يد الحكومة الايرانية وتدخل الشيخ سلطان بن صقر القاسمي ١٨٣٢

عند نهاية عام ١٨٣٢ طردت حكومة ايران الشيخ نصر الثالث(١) بعد فترة وجيزة من حلوله مكان ابيه الشيخ عبد الرسول في بوشهر . وقد صودرت سفينته التي كان بدأ بها حصار المدينة جاعلاً خارج قاعدة لعملياته . وفي نوفمبر فقط بعد ان كف عن حصاره بأيام قليلة وهرب من خارج الى الكويت ، وصل الشيخ سلطان بن صقر زعيم القواسم وقد جاء لنجدته تنفيذاً لاتفاق سابق ومعه اسطول يحمل من ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ رجل من قبيلة القواسم القراصنة . وكان من الواضح أنه لم يعد هناك أي أمل لاستعادة حكومته الوراثية . لذلك رأى الشيخ سلطان ان يشن هجوماً انتقامياً على المدينة وينهب سكانها التجار . وفي هذه الظروف رأى المستر بلين ان يبرر لنفسه حق التدخل وإجبار القواسم بتهديدهم بالقوة للرحيل عن الميناء .

ثورة بوشهر وطرد رضا قولي ميرزا ١٨٣٣

بعد الضجة التي وصفناها في الفصل السابق والتي نتج عنها طرد الشيخ الوراثي عن الفارمان فارما فارس ابنه رضا قولي ميرزا أخ تيمور ميرزا لحكم بوشهر .

---

(١) قتل الشيخ عبد الرسول في براز جان على أيدي أهالي ذلك المكان بينما كان في رحلة عودته من شيراز الى بوشهر فبعد أن تخلى عنه أتباعه باع حياته بعزة ـ أنظر جريدة بننج المجلد الاول صفحات ١٦٢ ـ ١٦٣ .

ولكن الاهالي استاءوا من تصرفات الكاجاريين لتوطيد حكمهم الجديد في المدينة كما ساءهم سلوك والدة الحاكم الجديد التي زارت بوشهر شخصياً . واتخذت اجراءات لزيادة دخل الحكومة ومنها القبض على زعيم بوزجان . وقد أدى ذلك كله اخيراً الى الثورة العلنية . وفي ليلة ١٤ ابريل تعرض منزل رضـا قولي خان لمحاصرته بقوة مسلحة تحت قيادة شخص يسمى جمال خان بوشهر الذي شد من ازره زعماء تانجستان وداشتي . ووجد صاحب السعادة الملكية نفسه مضطراً لان يطلق سراح زعيم بوزجان ووافق على رحيله من بوشهر مبكراً في الصباح التالي وبما يتفق مع وعده سافر مصحوباً بقليل من الخدم فقط أما حرمه وأهل منزله فقد لحقن به بمجرد الحصول على البغال التي تحمل عفشهن وامتعتهن .

وفي مايو سنة ١٨٣٣انهى امير شيراز الحاكم الى مستر بلين المعتمد البريطاني في بوشهر أنه بناء على طلب الثائرين الاخرين الذين عبروا عن أسفهم العميق لخطئهم فقد عين ابنه تيمور ميرزا ليكون مسئولا عن بوشهر بدلا من رضا قولي ميرزا ، وطلب من المعتمد ان يقابل رغبات الحاكم الجديد بكل احترام . وقد رد الضابط على هذا الطلب بحرص ومجاملة وكان ممثلو الاهالي قد طلبوا الا يقيم تيمور طويلا في بوشهر وان لا يحضر مرافقين كثيرين معه . وفي ٢٩ يونيه رحل بعد اقامة قصيرة ومعه شخصان من ذوي الرتب ليعملا كنائبين في أثناء غيابه ولكن هذا كان ترتيباً اعتبارياً بحتاً ، أما الرقابة الفعلية فقد ظل يمارسها جمال خان ومؤيدوه .

وفي اول اغسطس على أي حال انفرط عقد الاتحاد المحلي المكون لمقاومة اعتداء حكومة شيراز لان زعيم تانجستان قتل في مكان للاجتماعات العامة على يد زعيم داشتي الذي كان يغار من سطوته . وقتل كذلك حسين قولي خان من أنجالي وهو أحد الموالين لزعيم تانجستان القتيل ، وأصيب أحد مؤيديه الكبار بجروح بالغة واتخذ أتباعه ملجأ في المعتمدية البريطانية ، وبموافقة الطرف المعارض ارسلوا بواسطة المعتمد بحراً وبراً الى مواطبهم . ثم راح ميرزا علي خان ايضاً يبحث عن الحماية البريطانية له . وكان هذا احد

الممثلين الرسميين لتيمور ميرزا ، وقد هرب الى المعتمدية في ١٩ اغسطس من منزل القاضي حيث لم يحس هناك أنه آمن، فوضع بسلام على ظهر سفينة حربية صغيرة لشركة الهند الشرقية تدعى «ترانتا» وقد نقل قبل ان يثار اي اعتراض على ايوائه . وفي صباح ٢٠ أغسطس ظهر رضا قولي وتيمور ميرزا ونصر الله ميرزا امام المدينة بقوة كبيرة . واستعدت الفرقة الموجودة بداخل المدينة بعد أن رفضت التسوية التي عرضها مندوبوهم للرحيل بحراً ، ولم يتشبث بالمقاومة منهم الا قليل حتى ساعة حلول الليل . وعندما دخلت القوات الملكية المدينه بعد الغسق ، واندفعوا الى الشاطىء ليعزلوا الفارين وجدوا ان قواربهم الاخيرة كانت بعيدة عن متناول ايديهم . وبظهور الامراء الملكيين نجت المدينة من النهب والسلب عدا المنازل التي كان يحتلها قادة الثوار . وكانت حادثة القتل الوحيدة التي حدثت بين فرقة تانجستانية كانت مشغولة بالبحث عن مكان إقامة جمال خان وألقى أحدهم سهواً بشعلة في وسط اوعية البارود فسبب انفجاراً قتل فيه ثمانية أشخاص . ويبدو أن جمال خان قد هرب الى «فيض الربانه» وهي سفينة من مسقط كان انزل على ظهرها عائلته وثروته من قبل . وقد نجا من الاسر بأعجوبة بمساعدة شريكه زعيم داشتي الذي قرر أن يسلمه الى المنتصرين طعماً ينال به رضاهم ولجأ قليل من رجال الداشتي الى المعتمدية البريطانية وآخرون كان يظن انهم مختفون في المدينة ولكن التانجستانيين لم يجدوا منهم احداً وكانوا يبحثون عنهم ليقتلوهم إرضاءً للثأر الذي قتل فيه زعيم تانجستان . أما جمال خان فيبدو أنه اتخذ إقامته في اراضي سلطان عمان ليعود للظهور ثانية بعد ست سنوات كمنافس للحكم في بوشهر وذلك تحت رعاية من يحميه .

العلاقات البريطانية مع الساحل الايراني والجزر
١٧٩٧ ـ ١٨٣٤

متاعب المعتمدية البريطانية في بوشهر ١٧٩٨

كانت ثورة حسين قولي خان سبباً في متاعب كبيرة للوكالة البريطانية في بوشهر وذلك بسبب المشاحنات المحلية التي حدثت . وقد شرحت هذه الظروف من قبل .

كان المستر هانكي سميث المعتمد البريطاني قد شحن ثروته الخاصة وثروة شركة الهند ، قبل يوم من اسطول وصول العتوب في سفينة محلية كبيرة استأجرها لذلك الغرض ، قاصداً نقلها الى جزيرة خارج على أمل أن ينقذها من الاغتصاب الذي كانت معرضة له في بوشهر لو تم الاستيلاء على المكان . وعندما دخلت سفينة العتوب الامامية الى الميناء اتجهت رأساً لسفينة المعتمد المستأجرة ، وانزل العلم البريطاني الذي كان يرفرف فوقها ونهبت منها أشياء كثيرة . وعندما عرض الامر على الشيخ سليم الاميرال العربي امر في الحال بارجاع المنهوبات . لكن الاشياء التي بقيت ولم ترد كانت حقيبتين من الصفيح لشركة الهند واربعة او خمسة أكياس من الارز للمستر سميث كانت قد سقطت مصادفة في البحر . وعلى أية حال فان الشيخ نصر الثاني الذي دفعته غيرته في جبن وتعصب لان يعارض الخطة كان ميالا لانتقال المعتمد البريطاني الى خارج . واضطر المستر سميث ان يعيد كل شيء الى بوشهر عدا الصفيحة والارز التي أرسلها الى البصرة . وعندما سقطت المدينة القديمة لم يكد ينجو منزل واحد من السلب . وبصعوبة هائلة وبمعونة الحرس الهندي وبتهديدات متوالية مني استطعت دفع المهاجمين عن المبنى القديم للمقيميه الذي كان يغرى المهاجمين من كل جهة » هكذا وصف سميث تلك

(١) انه من غير المؤكد معرفة موقع المعتمدية البريطانية في ذلك الوقت وكانت في الاصل خارج بوشهر كلية ولكنها نقلت بعد ذلك الى وسط المدينة حيث بقيت لوقت قصير فقط . أما نقلها لموقعها =

المشاهد ، وقد جرد خدم الوكالة حتى من القمصان التي على ظهورهم ووجد المعتمد أنه من الضروري امدادهم بالملابس والمؤن . كما فقد إلى جانب ذلك "دين" بقيمة ثلاثمئة قرش بذمة الشيخ غانم الذي كان طرد من المدينة ، وقال المستر سميث إن على الحكومة ان تعوض تلك الخسائر في مثل هذه الظروف وانتهز الفرصة ليكرر الطلب الذي كان قدمه من قبل لتعزيز قوة جنود الحرس .

علاقات مهدي علي خان مع الشيخ ناصر ١٨٠١

كانت علاقات مهدي علي خان المعتمد البريطاني بالشيخ نصر الثاني شيخ بو شهر علاقات ودية بل كانت قوية لدرجة ان الشيخ نصر الذي كان في الهند عندئذ كتب خطاباً الى مهدي علي خان يرجوه فيه ان يشرف على الحكومة وأن يعتبر محمداً أخاً نصر كابنه وابن نصر الحاج سليمان كخادمه .

وقد نشأت حالتان من المتاعب بسبب غرق سفن بريطانية في صيف سنة ١٨٠٣ على ساحل ايران .

مصاب السفينتين « هكتور » و « ألرت » في نخيلوه ١٨٠٣-١٨٠٧

حدثت النكبة الاولى للسفينة «هكتور» التي كانت في طريقها من بومباي الى بوشهر والبصرة حاملة ٨٥٠ بالة من بضائع شركة الهند الشرقية وارتطمت عند ميناء نخيلو في شهر مايو . وبعد ان أطلق القبطان إشارات النجدة بالمدافع جاء الشيخ رحمن زعيم نخيلو ومعه عدد كبير من المراكب، وطرد الضباط والبحارة واستولى هو نفسه على السفينة بكل محتوياتها . وفيما بعد وصل الضباط والبحارة الى مسقط في سلام ثم عادوا الى الهند .

= الحالى فيبدو أنه حدث مبكرا في القرن التاسع عشر اذا لم يكن قبل ذلك - وكان الايجار مائة روبية تدفع كل شهر للارض التى كانت تشغلها في أول الامر لشيخ بوشهر وبعد انتهائه كانت تدفع للملاك الخصوصيين .

وفي اغسطس من نفس السنة جنحت سفينة البريد «ألرت» التابعة لشركة الهند الشرقية في جو عاصف عند جزيرة الشيخ شعيب بالقرب من نخيلوه فنزل حوالي خمسمائة من سكان الجزر الى الشاطىء واحتملوا جميع ما عليها من بضاعة كانت تحملها من البصرة وبوشهر الى بومباي . ولم يلتفت الى الاحتجاجات التي قدمها القبطان مشيراً الى الصداقة القائمة بين حكومتي بريطانيا وايران . وفي اليوم الثالث زار الشيخ رحمن نفسه السفينة المحطمة وأخذ ما وجده من بقايا ذات قيمة على ظهرها ولم يترك الا كيسين من الارز فقط ليكونا تموينا لثلاثين او اربعين رجلا . وقد أخذت ايضاً من السفينة بعض رسائل أعيدت منها رسالة اوربية بعد ذلك مفتوحة .

ولم تذكر قيمة الخسائر الكلية في الحالتين ولم يعرف مصير السفينتين بشكل واضح . لكن يبدو أنه من المحتمل ان تكون الاخيرة قد تحطمت في البحر . ووضع الشيخ رحمن يده على الاخرى . ووزعت البضائع المنهوبة سريعاً في نواح مختلفة . وسرعان ما زار الشيخ رحمن مسقط بعد ذلك متظاهراً أنه موفد الى السلطان من قبل « عتوب البحرين » . وانتهز هذه الفرصة ليتصرف في جزء من الغنيمة في ميناء مسقط مع رجل عماني ارسلت بواسطته البضاعة الى جده للبيع . واشترى شخص يدعى ميرزا باقر من بندرعباس من البضائع المسروقة ما قيمته ٨٠٠ تومان وأخذ بدين طويل الاجل كمية من البضاعة قيمتها ٥٢٠٠ تومان ولكنه رد الكمية الاخيرة بعد ذلك الى الشيخ . وقد عمل التجار الايرانيون من يَزْد والخواجات من السند على اراحة الشيخ رحمن من جزء من بضائعه . وبعد ذلك ظهرت أسباب قوية تدعو الى الشك في ان الشيخين سيف وحرمي من عسالو والشيخ عبدالرحمن شيخ ناباند حصلوا على ربح مشترك يبلغ ٣٣,٧٥٠ روبية من البضائع التي اخذت من «هكتور» . وبقي جزء كبير من البضائع في حوزة الشيخ رحمن وقد قام بتصريفها في جزيرتي هرمز وقشم .

وقدمت اعتراضات لحكومة إيران من قبل المستر لوفيت المعتمد البريطاني في الخليج . أما الشيخ نصر الثاني شيخ بوشهر الذي تعرض لسخط الامير الحاكم وكان مسجوناً في شيراز في ذلك الوقت فقد أطلق سراحه لكي يقود حملة ضد نخيلوه . ولكن الشيخ بعد ان اطلق سراحه لم يتخذ أية خطوات لتنفيذ التعليمات التي لديه . وفي نهاية العام ظلت الاعتداءات والاضطرابات على حالها في البلد .

١٨٠٤

وارسل بعد ذلك سمسار الوكالة البريطانية في بوشهر الى شيخ « نخيلوه » ومعه خطاب من المعتمد البريطاني يطلب التعويضات ، وعاد السمسار في ١٢ يونيه سنة ١٨٠٤ باجابة من الشيخ تدل على المراوغة اذ عرض أن يرد نصف البضائع المفقودة ولكن الاقتراح رفض من المعتمد لانه اعتبر هذا غير كاف ، علاوة على أنه شك في ان الشيخ عرض هذا الاقتراح دون ان تكون لديه نية الوفاء .

وفي اليوم التالي في ١٣ يونيه وصل الى بوشهر شخص يدعى أغا رضا عينته حكومة شيراز ليتحرى عن هذين الموضوعين وليطلب التعويضات من الشيخ رحمن بمساعدة الشيخ نصر شيخ بوشهر وزعماء آخرين من الساحل . وقد استقبل هذا المندوب بترحيب من المعتمد البريطاني الذي انفق ٥٠٠٠ روبية في تقديم هدايا له ، وحاول أن يملأ عقله بالمبادىء الاخلاقية ضد محاولات الشيخ رحمن الفاسدة لان هذا الزعيم الوغد كما هو معروف جيداً كان يضمن استمتاعه بمنهوباته معتمداً على تقديم الرشـــــوة لمن يوفد من قبل الحكومة ليرغمه على رد المسروقات او التعويض عنها . وكان المستر لوفيت يقصد ان يوفي ثمن هدايا أغا رضا بخصم ١٠ أو ١٥٪ من قيمة البضائع التي تسترد . واقترح أن تكون بمثابة ضريبة إنقاذ للسفن . ولما دُعي الشيخ رحمن للحساب بواسطة حكومة شيراز ادعى ان لكل دولة الحق في الثروة التي تأتي اليها

من غرق السفن على سواحلها . ولسوء الحظ كان يبدو أن أغا رضا يميل الى رأيه ولكنه اقترح أن تكون هناك حالات شاذة في هذه المناسبة بسبب التحالف السياسي بين بريطانيا وايران .

وفي يوليه سنة ١٨٠٤ استطاع المستر مانستي الذي أصبح مسئولا عن بوشهر بعد رحيل المستر لوفيت كما رأينا من قبل وكان تقدم الى طهران في بعثة مزعومة من حكومة الهند ، ان يحصل من الشاه على فرمان للامير حاكم شيراز يأمره فيه بتسوية سريعة لمشكلات نخيلوه ، وسرعان بعد ذلك ما قرر ان شخصاً يدعى زكي خان أمر بأن يقوم بعمل ما ضد الشيخ رحمن بمساعدة قبيلة من العرب كانت في عداء مع أهالي نخيلوه . وربما كان ترك الشيخ رحمن لنخيلوه حوالي منتصف سنة ١٨٠٤ وانسحابه الى جزيرة الشيخ شعيب كلية بعائلته وسبعمائة من أتباعه نتيجة لذلك التقرير . وقد عزم على ان يتخذ من شعيب اقامة دائمة فبنى برجين للدفاع ووطد علاقات ودية قوية مع الوهابيين وكان يبدو أن موقفه قوي جداً لانه كان يستطيع أن يسوق الف فارس للعمليات الحربية . وكان على صلة بمشايخ جاراك وعسالو وكانجون على الجانب الايراني من الخليج ، وبزعماء رأس الخيمة والزبارة من ناحية شبه الجزيرة العربية . وقدم الرئيس سيتون المعتمد البريطاني في مسقط اقتراحاً بهجوم بريطاني عليه بسفينتين بالاشتراك مع سلطان عمان ولكن حكومة بومباي رفضت ذلك الاقتراح اذ كانت لا ترغب في ان تعلن حرباً من جانبها على شيخ من رعايا شاه ايران .

١٨٠٥

واخيراً وضعت نداءات الملازم بروس الذي كان يقوم بأعمال المعتمد البريطاني في بوشهر موضع التنفيذ، فأبحر الشيخ نصر باسطول الى جزيرة الشيخ شعيب . وقدم الرئيس سيتون المعتمد البريطاني في مسقط الطراد البريطاني « مورننجتون » للشيخ كمساعدة له ولكنه رفض . وكان سيتون مشغولا في ذلك الوقت مع السيد بدر في عمان في حملة الى بندر

عباس وقشم . وكانت اعمال الشيخ نصر في الفترة من يونيه الى أغسطس سنة ١٨٠٥ لا تدعو الى الثقة في نفوس الذين ارسلوه لورود تقارير عنه بأنه كان يطلق بضعة مدافع قليلة كل يوم كموضوع شكلي، ويذهب الى الشاطىء في المساء ليتناول العشاء مع الشيخ رحمن . ولكنه نجح على أية حال في الحصول على تسليم منه برد جزء مما نهب. لكن استمرار المستر بروس في الالحاح عليه بوجوب تقديم ترضية كملة ، وكذلك القبض على ابن الشيخ رحمن بخدعة وحمله كرهينة الى مسقط أديا في النهاية الى الحصول على تعويض مادي عن السفينة «هكتور» . وقد استرد سيد بدر في هرمز كمية قليلة من أسلاب الشيخ وسلمها الى الرئيس سيتون أثناء الحملة المشتركة التي ذكرناها من قبل .

١٨٠٦

وفي سنة ١٨٠٦ ونتيجة للمعلومات التي وردت عن اشتراك الشيخ سيف والشيخ عبدالرحمن كما اشرنا من قبل حجزت حكومة بومباي بعض سفن تابعة لمواني الشيخين تصادف انها كانت تزور الهند . وقبل اطلاق سراح هذه السفن قدمت ضمانات صالحة لمدة تسعة أشهر على قبول الشيخين للتحقيق . فقدم الامير الحاكم لشيراز بعد ذلك احتجاجاً ضد حكومة بومباي لمصادرتها السفن وذكر أن الشيخ سيف هو من الزعماء المحترمين ، وقد استخدمته الحكومة الايرانية في إعادة الشيخ رحمن للطاعة ، وطلبت من حكومة بومباي ألا يتخذ ضده أي إجراء . وقد أوضح المستر بروس أيضاً أن الأدلة الخاصة باعتداءات الشيخين غير كافية وبذلك اوقف أخيراً الادعاء ضدهما .

مسألة السفينة « فلاى » ١٨٠٣ — ١٨٥٠

قامت حالة شادة ذات طبيعة مختلفة وهي حالة السفينة «فلاي» ذات الـ ١٤ مدفعاً التابعة لشركة الهند الشرقية . وقد تم الاستيلاء عليها بالقرب من جزيرة قيس سنة ١٨٠٣ من قبل السفينة الفرنسية «لافورشن» ذات الـ ٣٨ مدفعاً بقيادة القبطان سير كوف . وقبل الاستيلاء على «فلاي»

رطمها قائدها بالارض واغرق الصناديق والرسائل التي كان مسئولا عنها على عمق قامتين ونصف (١٥ قدماً) في الماء واتخذ علامات يستطيع بها ان يستردها مستقبلا . وقد حمل الفرنسيون الضباط والبحارة والركاب الذين كانوا في السفينة « فلاي » الى بوشهر حيث جمعت غنائم كثيرة أخذها الفرنسيون . وقد أخلى سبيلهم ما عدا ثلاثة ضباط ارسلوا الى مدغشقر لكي يتم التبادل عليهم هناك .

واشترى الجماعة الذين اطلق سراحهم في بوشهر فيما بينهم سفينة أهلية ركبوها الى بومباي وعرجوا في طريقهم على جزيرة قيس واستردوا الودائع الحكومية ، ولكن في سنة ١٨٠٤ وهم في طريق رحلتهم اسرهم القراصنة القاسميون بين طنب وموسندم بالقرب من مدخل الخليج وحملوهم الى رأس الخيمة كما ذكر في فصل آخر من هذا الكتاب . وحينما تعهدوا لآسريهم أن يدلوهم على موقع كنز السفينة «فلاي» ، حصلوا أخيراً على وعد بحريتهم بشروط وارجعوا الى جزيرة قيس. وهناك بواسطة غواصي اللؤلؤ استطاعوا أن يتأكدوا من حقيقة العرض الذي قدمه الانجليز . وبعد الوفاء بجزء مما اتفقوا عليه انزلهم العرب الى الجزيرة حيث اختبأوا وعاشوا بصعوبة أثناء المذبحة التي قام بها القواسم ضد الاهالي

وبعد ان رحل القراصنة أخيراً أعد المختبئون قارباً وعوامة من الخشب ورحلوا يبحثون عن البر المقابل ، لكن القارب بجميع من عليه فقد في الرحلة ووصلت العوامة الى الشاطىء الايراني . ومضى الناجون منهم بعد ذلك متخذين طريقهم على الساحل حتى وصلوا الى جزيرة الشيخ شعيب وهم يقاسون من الفاقة والإهمال ، وماتوا واحداً إثر الآخر وهم يتقدمون حتى لم يبق أحد من الجنود الهنود والخدم والبحارة ولم يصل ناجياً الا القليل من الاوربيين . وقد استقبلهم زعيم جزيرة الشيخ شعيب بغير ترحاب ولكنه اقتنع أخيراً تحت طائلة التهديد بأن يرسلهم في قارب الى بوشهر .

ومات منهم واحد عندما كان يحمل على ظهر القارب وآخرون ماتوا في أثناء الرحلة. وعند الوصول الى بوشهر مات شخص آخر منهم.

ومن ذلك العدد الهائل لم يعش الا المستر جاول وهو ضابط بحري وبحار آخر يدعى بنال . ووصل الاثنان أخيراً الى بومباي مع ودائع «السفينة فلاي» التي احتفظا بها بحرص وعناية .

في سنة ١٨٠٥ أمر الرئيس سيتون المعتمد في مسقط(١) ان يبذل مجهوداً ليتعقب أثر بعض الركاب الاهالي الذين كانوا ضمن جماعة «فلاى» وتركوا عند جزيرة الشيخ شعيب على ظهر مركب أهلي متجه نحو مسقط . ولم يعرف ما اذا كان نجح في بحثه ام لا .

حملة سلطان عمان والمعتمد البريطاني في مسقط الى بندر عباس١٨٠٥ :

وفي سنة ١٨٠٥ كما ذكر في مكان آخر صحب الرئيس سيتون المعتمد البريطاني في مسقط ، سيد بدر حاكم عمان في حملة الى الخليج وكان غرض المعتمد البريطاني كما أمر من حكومته هو إخضاع القراصنة القاسميين في رأس الخيمة بعد ازدياد غاراتهم وذلك بمساعدة سيد عمان بينما كان غرض الاخير هو استرداد ارض بندر عباس المستأجرة وتوابعها من بني معين ، وهي قبيلة محلية اغتصبت الارض بعد موت سلفه وكان سبب استجابة الرئيس سيتون لمطلب سيد بدر مصاحبته في البارجة « مورننتجون » الى بندر عباس هو الخوف من ترك السلطان وحيداً خشية أن يستميله القواسم والعتوب تحت تأثير نفوذ الوهابيين ، وينقض معهم لتحطيم اسطول الشيخ نصر في بوشهر فيما كان مشغولاً في جزيرة الشيخ شعيب لاخضاع شيخ نخيلو . واعتبر سيتون ان مصاحبته للسيد بدر ستحول دون قيام الاخير بأي عمل عدائي ضد حكومة ايران أو تركيا . وكانت هذه هي رغبة السلطات البريطانية في الهند لصالح الحملات المشتركة ضد القراصنة . ويبدو ان الرئيس سيتون كان يأمل أيضاً أنه بملاطفة حليفه السيد بدر يستطيع أن يحصل منه على منحة في بندر عباس حيث

(١) ان تراخي معتمدية بوشهر في هذه الحالة يبدو غريبا لكن عام ١٨٠٤ كان هو العام الذى مرض فيه المستر لوفيت فجأة وحل محله المستر مانستي بطريقة غير صحيحة وذهب متنكرا كسفير الى شيراز وهو العام الذى عين فيه الملازم بروس قائما بأعمال المعتمد وقد أساءت حماقته لسمعته .

جعله جهله أو تجاهله لماضيها يرى فيها موقعاً ملائماً لتجارة رابحة .

وعندما وصل السيد بدر الى المكان قبل الرئيس سيتون وجد ان حصار ملا حسين المعيني لميناب قد رفع ، وكان ذلك من جملة أغراض حملته . وبدأ مفاوضاته حينئذ عن طريق العتوب الذين صحبوه لاحتلال بندر عباس التي كانت ما تزال في حوزة بني معن . ولكن العتوب الذين كانوا لا يرغبون في توطيد السلام لم يبذلوا أي جهد حقيقي لتسوية الامور بين الطرفين ، وعادوا اليه برسالة مهينة من بني معين واعتذروا عن البقاء معه أكثر من ذلك بحجة أن سفنهم كانت محملة فوق طاقتها . وهكذا ابحروا لوطنهم تاركين حليفهم في ذلك الموقف الحرج . وكانت قوة فرقة العتوب حوالي ١٥٠٠ رجل وبذلك نقصت قوة السيد بدر برحيل العتوب الى أقل من الف عماني وهم رعاياه الذين أحضرهم معه .

وانضم اليه الرئيس سيتون بعيداً عن مدينة قشم في الخامس من يونية سنة ١٨٠٥ . وفي نفس الليلة وقف السيد بدر عند بندر عباس وانزل قواته وأحرق المدينة . ويجب ان نلاحظ ان المعتمد البريطاني كان مقتنعاً بفكرة مفادها انه اذا استرد السيد بدر بندر عباس وميناب اللتين كانت تتزود منهما قبائل القراصنة بالمؤن الضرورية فان ذلك سيكون خطوة نحو منع القرصنة . ومن الواضح انه كان يميل الى ان يتجاهل التأثير المحتمل لاستعمال القوة في هذا الجزء على مشاعر الحكومة الايرانية . وفي صباح ٦ يونيه وبعد ان طرد رجال السيد بدر ،الاعداء الى داخل بندر عباس واستولوا على منزل قريب من الاسوار ، وكانوا على وشك إقامة طابية حربية تمت مقابلة بين السيد بدر والمعتمد البريطاني . وعهد بادارة العمليات الحربية من البحر — وكانت تدار بارتباك ومن امكنة غير مريحة — الى الرئيس سيتون والملازم ن. جليموز قائد البارجة «مورننجتون» اللذين عمدا الى ظهر سفينة السلطان « جنافه » مع ضابط بحري و ٢٤ اوربياً وأربعة مدافع ، وفي صباح ٧ يونيه أطلقت النيران على قلعة بندر عباس من السفينة جنافه وسفينة عمانية أخرى راسية بالقرب من الشاطىء

فعرضت الحامية التسليم اذا لم تصلها نجدة في خلال يومين . ولكن هذا الاقتراح رفض ، وفي مساء ٨ يونيه ثبت الملازم جليمور السفينة «جنافه» والسفينة العمانية في مركزين يعملان في زوايتين متضادتين ليحصل على إطلاق النار مزدوجاً فأدرك المدافعون أنه لا أمل في موقفهم واستسلموا بلا قيد ولا شرط . وبذلك استرد سيد عمان ممتلكات عائلته المستأجرة من ايران . وفي الحال كما ذكرنا من قبل في مكان آخر انصرف الى عمليات مشتركة مع الرئيس سيتون ضد اسطول القواسم عند مدينة قشم .

على ان اجراءات الرئيس سيتون في بندر عباس لم يقابلها الامير الحاكم لشيراز بأي قدر من التغاضي عندما علم بها .

وقد استشار الرئيس بروس ، القائم بأعمال المعتمد البريطاني في بوشهر والذي أشار اليه الرئيس سيتون مقدماً ، محمد نبي خان المبعوث الايراني الى الهند في شرعية تلك العمليات. وقد أحيط علماً في الرد بأن ولاء بني معين ومشايخ لنجة وشناص للحكومة الايرانية كان مزعزعاً ، وأنه من المحتمل الا يثور اعتراض على معاقبة البريطانيين لهم اذا كانوا يستحقون ذلك . ولكن هذه الاجابة أعطيت بفرض ان تلك الاجراءات كانت ضد القراصنة ولم تكن تدخلا في الشئون الاخرى . ولم يذكر المستر بروس هذا الموضوع لحكومة شيراز لانه كان هاماً وقد كان يعرف ان الاشارة اليه ستؤدي الى رفع الموضوع الى طهران وبذلك يتأخر ثلاثة او اربعة أشهر . وكان رأي المستر بروس بعد الحادث هو ان البريطانيين لا يجب ان يشتركوا في أية أعمال عدائية في أي مكان على الساحل الايراني الا اذا كان ذلك في نخيلو وجزيرة الشيخ شعيب ، وذلك فيما يختص بحادثتي السفينتين «هكتور» و «ألرت» وبناء على طلب الشيخ نصر فقط ، ومن أجل ألا تمنع. بعثة محمد نبي خان الى الهند . ولكن الرئيس سيتون بالرغم من طلبه رأي بروس إلا أنه لم ينتظر ذلك الرأي . وكان تبرير الرئيس سيتون لاعماله هذه هو أن ملا حسن الذي ساعده على الخروج من بندر عباس كان حمى السلطان بن صقر وابن عمه وهو زعيم لقبيلة القاسميين القراصنة على الساحل العربي المواجه لهم ، وسفنه كانت مرتبطة في أعمال القرصنة بسفن القواسم .

وكانت النتيجة أن تلقىّ الى المستر بروس من حكومة بومباي طلباً بالتأكيد لحكومة شيراز أن الرئيس سيتون أمر بشكل واضح أن يتجنب أي عمل تشكو منه ايران ، وأنه اذا كان قد ساعد السيد بدر في استرداد بندر عباس فلا بد ان يكون ذلك يوحي من ان عمله هذا سيرضي الشاه ، ولم يظهر ما يوضح كيف استقبلت السلطات الايرانية هذا التعليل الفرضي ولكنهم لم يفعلوا أكثر من ان عبروا للمستر بروس عن دهشتهم من تصرف معتمد مسقط . وفي الوقت المحدد تقدم محمد نبي خان ببعثته للهند . ويمكن رد الجمود الذي بدا من حكومة الشاه الى مشكلات ايران مع روسيا

العلاقات المالية بين حكومة بومباي ومشايخ بوشهر ١٨٠٧–١٨١٥

كانت حكومة بومباي على ما يبدو تعامل مشايخ بوشهر بسخاء كبير في الشئون المالية . وفي سنة ١٨٠٧ أعطيت منحة مقدارها ٣٠٠٠ روبية للشيخ نصر كمكافأة له لمساعدة قدمهافي عملية قرصنة على مركب بريطاني وتعويض لفقدانه احدى مراكبه في هجوم قام به الملازم كوكس . وعند رحيل الشيخ الى مكة في سنة ١٨٠٧ ارسلت سفينة تسمى « سليمان شاهي » من قبل ابنه عبد الرسول الذي كان ينوب عنه مع طلب تقدم به لحكومة بومباي لاصلاح السفينة جيداً في أحواض سفن الحكومة على ان تعود الى بوشهر بأسرع ما يمكن . ولم يوص الحاكم بتنفيذ الطلب وحسب بل أعطى السفينة الاولوية على جميع السفن في الحوض ما عدا سفن البحرية الملكية . وقد شجع هذا السخاء الشيخ عبد الرسول فطلب ان يتم هذا العمل على نفقة حكومة بومباي فوافقت الحكومة اخيراً ان تقوم بدفع ربع التكاليف. ولما اختطف الشيخ عبد الرسول بأوامر من حكومة شيراز سنة ١٨٠٨ سُوّي حساب بريطانيا عنده فوجد أنه يبلغ ٢٥٧٨٧ روبية منها ١٧٩٤٠ روبية بسبب إصلاح سفينته وتغطيتها بالنحاس الاحمر ، و ٢٩٥٤ روبية كانت ديوناً خاصة بضمان بريطانيا . وأحييت مسألة استرداد هذه الديون عندما عاد الشيخ عبد الرسول الى السلطة سنة ١٨١١ . وفي سنة ١٨١٥ يبدو أن ديونه كانت ما تزال قيد المناقشة .

تأكيدات للمعتمد البريطاني في بوشهر حول وجود الفرنسيين في ايران ١٨٠٧ – ١٨٠٨

وفي سنة ١٨٠٧ عندما كان الملازم بروس على وشك ترك معتمدية الخليج للمستر هانكي سميث ارسل له امير فارس الحاكم فرماناً وخِلعَ شرف الى بوشهر . فاصطحب المستر بروس حرسه مع أعيان بوشهر وقابل حاملها تورال بيك جورجي وهو تابع للامير الحاكم في الطريق على مسافة من الاسوار . وأنعم عليه بالخلعة في خيمة أمر باقامتها على جانب الطريق . وفي نفس الوقت تلا الفرمان علناً بصوت عال شخص يدعى ميرزا ، ثم عاد الى المدينة في أبهة وجلال . وقد رافق تورال بيك في رحلته محمد حسين خان حاكم خشت الذي كان يحمل رسائل خاصة للمستر بروس موضح فيها ان هذا الاهداء قد تم بأمر من الشاه نفسه وكان الغرض منه هو تأكيد العلاقات الطيبة بين بريطانيا وايران التي بات يرجى الا تسمح زيارة الوكلاء الفرنسيين الاخيرة لايران بتعكيرها .

وقد عبر المستر هانكي سميث الذي خلف المستر بروس عن بعض القلق بشأن وصول الجنرال جاردان الى ايران . وقد اتخذ نصر الله خان الوزير الاول للامير الحاكم لفارس الخطوات ليطمئن هانكي أيضاً ، وكان الوكلاء الذين استخدموا لهذا الغرض هم عبد الرسول شيخ بوشهر الذي كتبت له رسالة خاصة ومحمدحسين خان حاكم خشت الذي ارسل مرة أخرى برسالة شفوية لبوشهر ، وقد حدث هذا الحادث الاخير سنة ١٨٠٨ .

علاقات القائد مالكولم في بعثته الثانية مع شيخ كانجون ١٨٠٨

وقد ابدى القائد مالكولم أثناء بعثته الثانية الى ايران رضاءه بمناسبات عديدة عن سلوك الشيخ جبارة شيخ كانجون وقد امر المستر بروس أخيراً ان تقدم له هدية .

وقد قامت ثورة بعد ذلك في كانجون كانت نتيجتها تنحية الشيخ جباره من قبل والده الشيخ محمد ، وتوقف ارسال الهدية ولكن في فبراير

سنة ١٨٠٩ بعد ان هرب الشيخ جباره من السجن ووصل الى بوشهر عن طريق البحرين قدم له المعتمد البريطاني ٤٠٠ قرش(١) نقداً وبعض أمور اخرى تبلغ قيمتها ١٠٠ قرش . وقد جاءته في الوقت المناسب لتخفف من بلواه وقد كتب محمد نبي خان حاكم بو شهر في تقرير بعث به في فبراير سنة ١٨٠٩ أنه لو عاد القائد مالكولم من بومباي كعدو لايران لانضمت اليه جميع القبائل العربية على الساحل حتى جنوب كانجون على أمل ان يتخلصوا من نير الايرانيين .

علاقة ايران بالحملة البريطانية الثانية ضد القواسم ١٨٠٩–١٨١٠

اتفقت موانى عديدة على الساحل الايراني مع وجهة نظر الحملة التي ارسلتها حكومة الهند سنة ١٨٠٩ للقضاء على القرصنة في الخليج لان القواسم الذين كانوا مصدر الاساءات، والذين كانوا يقيمون في رأس الخيمة من الجانب العربي كان لهم من يشاركونهم ويتعاطفون معهم من الجانب الايراني . وقبل وصول القوة البريطانية طلب أن يكون هناك اتفاق في الرأي بل وتعاون من جانب الحكومة الايرانية مع هذه القبائل . وخشية الا يصل الرد في الوقت المناسب صدرت التعليمات الآتية للبحرية البريطانية والقواد الحربيين :

« على أية حال لا داعي للتردد في التقدم للقضاء على قوة القراصنة البحرية في ذلك الجانب من الخليج حيثما تتأكدون من وجودهم آخذين في اعتباركم ان تتصرفوا في جميع الاحوال بكل احترام ويجب ان تشرحوا للجميع كلما دعت الظروف ان الحكومة البريطانية ليس لها اي غرض آخر سوى تخليص التجارة من العوائق والخسائر التي حلت بها في الوقت الحاضر والتي بقيت معرضة لهجمات القواسم البربرية والقراصنة الآخرين . وليس لنا أية نية لاحتلال أي جزء من الاراضي او الاساءة لاي أحد من رعايا ايران المخلصين حفظاً

---

(١) كان القرش التركي عادة في ذلك الوقت منتشرا في ايران حيث كان يساوى ١/١٠ تومان وبذلك يتفق مع القرش المستعمل حاليا ولكن التومان حينئذ كان يساوى على أقل تقدير جنيها استرلينيا .

للصداقة الوطيدة بين الدولتين . ان رغبة الدولة البريطانية هي أن تعتز بهذه الصداقة وتحافظ عليها الى أبعد الحدود » .

ولقد تلقى الايرانيون هذا الاعلان ويبدو أنه كان كافياً . وفي سبتمبر سنة ١٨٠٩ بلغ المستر بروس المعتمد البريطاني في بوشهر رسمياً أن الامير حاكم شيراز ينوي بمجرد اعتدال الجو ان يرسل قوات تحت قيادة وزيره نصر الله خان ضد القواسم لتقضي على مواطن القرصنة على الساحل الايراني . وفي ظروف معينة ربما تعبر الىرأس الخيمة ، ولكن لم تلاحظ أية دلائل تشير الى تنفيذ ذلك الغرض الحميد . حقيقة إنه في وقت مبكر من العام زارت قوة ايرانية من لار لنجة وجاراك وساقوا بعض القواسم الذين وجدوهم هناك الى باسيدو على جزيرة قشم .

ويذكر في تاريخ عمان بالتفصيل ان القوة البريطانية حطمت ميناء لنجة وبعض السفن الموجودة هناك وقاموا باعدام الكثيرين في لافت التي دافع عنها دفاعاً مجيداً ملا حسين الذي طرده الرئيس سيتون من بندر عباس سنة ١٨٠٥ . وفي لافت تصرفت القوة البريطانية بموجب سلطة منحت لها من سلطان عمـــــان حيث فهمت حكومة بومباي أن جزيرة قشم كلها تخص السلطان أكثر مما تخص الشاه .

وقد زارت سفن الاسطول البريطاني الموانى الايرانية كانجون ونخيلوه وجاراك وموغوه وكنج وحميران وباند معلم وفتشتها بالذات في نوفمبر سنة ١٨٠٩ وينابر سنة ١٨١٠ ، ولكن لم تعثر على سفن القراصنة في أي مكان من هذه الامكنة الا في موغو حيث حطمت اربع سفن تخص الشارقة . وكانت موغوه وجاراك وقرية شناص الساحلية الصغيرة كما ذكر قد وضعت نفسها تحت حماية القواسم ، اما حالة نخيلوه فهي شاذة ، فعند موت الشيخ رحمن الذي كان حاكماً في ذلك الوقت عندما وقعت حادثتا « هكتور » و « البرت » سنة ١٨٠٣ وسنة ١٨٠٥ أصبح الاهالي مستقلين عن الشيخ عبد الرحمن حاكم باتند ، وكانت ملجأ للقراصنة . وكان الشيخ نفسه قرصاناً ولكنه مات أيضاً قبل مجيء الحملة البريطانية . وارتبط ابن الشيخ رحمان الراحل الذي آلت اليه نخيلوه بأخ للشيخ

عبد الرحمن لم تكن له صلة بالقواسم وارتبط به الشيخ جباره شيخ كانجون الذي كان على علاقة طيبة بسلطان عمان . ولكن مما يدعو الى الدهشة انه عند مجيء الحملة البريطانية قيل ان الشيخ جبارة وضع في السجن بمعرفة شيخ نخيلوه، وبذلت في الحال مجهودات من قبل سلطان عمان لاطلاق سراحه .

اهانة المستر ج. ويليامز في شيراز ١٨١٦

في سنة ١٨١٦ حدث حادث خطير ولكنه شاذ لحسن الحظ في شيراز ، حيث تعرض المستر ج. ويليامز وهو موظف مدني في حكومة بومباي لاهانات كبيرة . وكان المستر ويليامز معتل الصحة فذهب الى شيراز في مايو سنة ١٨١٦ تغييراً للجو واخذ خطاب توصية من المستر بروس المعتمد البريطاني في بوشهر، وأعطي مسكناً في شيراز في إحدى حدائق الفرمان فارما . وفي ٣٠ اغسطس هجم ثلاثة من خدم البلاط الشيرازي على غرفته وتصرفوا تصرفات وحشية حتى ان المستر ويليامز اضطر للهروب من النافذة بواسطة حبل معرضاً حياته للخطر . وعند شكواه للامير من هؤلاء الثلاثة الذين أساءوا اليه تظاهر الامير بأنه عاقب اثنين منهم فاقتنع المستر ويليامز بأن هذا ترضية له ولكن المستر بروس لم يتوقف عند هذا الحد واخيراً جلد الأشخاص الثلاثة بقسوة في حضور المستر «شارب» مساعد الجراح في معتمدية بوشهر الذي ارسل الى شيراز ليشاهد العقوبة .

الاعتداءات التي ارتكبت في السفينة البريطانية « احمد شاه » قبل شيخ جاراك ١٨١٤

في سنة ١٨١٤ ارتكب عبد الله بن احمد شيخ جاراك اكبر عمل مهين فبدلا من ان يساعد السفينة البريطانية « أحمد شاه » التي جنحت عند الجزيرة(١) بالقرب من الميناء، وكان يمكن رفعها بسهولة ، استولى

(١) جاراك مذكوره في السجلات على أنها جزيرة ومن المحتمل أن الموضوع كله يشير الى جزيرة خاراج خاصة وأنه في سنة ١٨١٩ كانت هناك شكاوى من تصرفات شيخ خاراج وكان هناك تفكير في اشتراك ايران والحملة البريطانية سويا في ابعاده . وان لم تكن خاراج هي الجزيرة فلا بد وان تكون جزيرة « قيس » .

عليها ونهبها ثم أحرقها . وقد أرسل احد السادة الى المكان من بوشهر ونجح في استرداد خزانة وثروة تجار بوشهر وقليل من الخيول كانت لحساب حكومة الهند . وكان هذا هو كل ما استطاع ان يحصل عليه من ترضية . فكتب المستر موريير القائم بأعمال الوزير البريطاني في طهران الى الشاه يطلب منه فرماناً لتسوية هذه المسألة ولو كان هذا الفرمان قد صدر لظل حبراً على ورق . وأحرقت الحملة البريطانية في سنة ١٨١٩–١٨٢٠ بعض القوارب في جاراك كما سنرى فيما بعد . وفي سنة ١٨٢٠ تم الحصول على وعد من السلطات الايرانية بابعاد الشيخ عن حكومته.

علاقة ايران بالحملة البريطانية الثالثة ضد القواسم ١٨١٩–١٨٢٠

ارسلت حملة بحرية حربية أخرى في سنة ١٨١٩ من حكومة الهند ضد القواسم القراصنة في الخليج فيما الحكومة الايرانية في ذلك الوقت تتمتع بشيء من الراحة من متاعب روسيا ، فاظهرت اهتماماً أكبر من المرة السابقة فيما يجري من أمور . وكانت السلطات البريطانية من جانبها راغبة في تجنب أي سبب يسيء الى ايران ولكنها كانت مصممة بعناد للقضاء على القرصنة . ولما كانت الموانى الايرانية لنجة وموغوه وجاراك وشيروه تعتبر موانى للقراصنة فانه كان من المرغوب فيه ان تتخذ إجراءات في الساحل الايراني . وعلى ذلك فقد أوفد الدكتور جيوكز قبل الحملة ومعه خطابات من حكومة بومباي الى حاكم فارس وحاكم بوشهر طالباً تعاون سلطاتهما براً ومؤكداً لهما أنه ليس في نية البريطانيين ما يتناقض مع الصداقة بين بريطانيا وايران . وعند وصول الحملة الى الخليج أصبح الدكتور جيوكز مرءوساً للقائد السير و. ج. كير الذي كانت التعليمات التي لديه فيما يختص بالعمليات على الساحل الايراني هي نفس التعليمات السابقة بالنص الصادر سنة ١٨٠٩ والتي ذكرت من قبل . وبالاختصار بينما احترمت مشـــــاعر الحكومة الايرانية فانه لم يكن في النية اهمال او تأخير الاجراءات الخاصة بالقرصنة على الساحل الايراني وفق الموقف الذي يمكن التظاهر به . ولكن اضيف الى ذلك انه اذا أخذ او اخضع أي مكان على الساحل الايراني فعلى الحملة

البريطانية تسليمه الى شيخ بوشهر بصفته الممثل المحلي للشاه في تلك الجهات ، هذا اذا كانت الامكنة تابعة لايران قبل انتشار النفوذ الوهابي في الخليج . وارسلت حكومة بومباي أيضاً الى المستر هـ. ويلوك القائم بالأعمال البريطاني في طهران ترجوه ان يبرر وجود الحملة البريطانية للحكومة الايرانية بالتركيز على الشرور الفظيعة التي نتجت عن إفلات القراصنة من العقاب، وعدم مقدرة ايران على القبائل البحرية، وأن للبريطانيين الحق في اتخاذ الاجراءات لحماية تجارتهم وان الحملة البريطانية السابقة سنة ١٨٠٩—١٨١٠ أثبتت ان الحكومة البريطانية مهتمة فقط بالقضاء على القرصنة وليست لها أية خطط من وراء ذلك .

وفي ٩ يناير سنة ١٨٢٠ وصل خطاب من امير شيراز الحاكم الى السير و. ج. كير الذي كان في ذلك الوقت قد أتم الجزء الأكبر من عمله على الجانب العربي من الخليج . وقد تجاهل الخطاب مسألة العمليات البريطانية المرتقبة على الساحل الايراني، ولكن حامل الرسالة ميرزا محمد باقر قام بتحريات كثيرة عن الاجراءات المتوقع اتخاذها هناك . وأخيراً حطمت بعض المراكب في الموانى الايرانية لنجه وجارك وعسالو وكانجون وذلك دون مساعدة من السلطات الايرانية او إعلامها عن سير الامور . وقد وضحت احدى السلطات بأن طلباً للتعويضات بسبب هذه الاجراءات قدمته الحكومة الايرانية ووافقت عليه حكومة بومباي ولكن تنقصنا المعلومات(١) الدقيقة عن هذا الموضوع . وفي سنة ١٨٢٠ شرع الشاه الذي كان يعارض في مسألة التفتيش الدوري للموانى الايرانية من قبل سفن الانجليز لوقف تجهيز سفن القراصنة — شرع في تعيين ضابط ايراني ليقوم بهذا العمل وبتنظيمات على الساحل الايراني مشابهة للتنظيمات التي فرضها السير د. ج. كير على القبائل العربية في عمان . وكان الضابط الايراني ينصح الرعايا الايرانيين ان يستعملوا علماً مميزاً في البحر

(١) دفعت تعويضات في سنة ١٨٢٢ ــ ١٨٢٣ لبعض مراكب لنجة وجارك التى كان تحطيمها موضع شكوى ضد المستر بروس (أنظر العبارة التى قبل الاخيرة من النص) ولكن هذا شمل حالتين خاصتين فقط .

ولكن لا داعي للقول بأن هذه التنظيمات لم تتم . ولم يحجم وزراء الشاه عن التظاهر بالمسئولية التامة عن تصرفات رعاياهم في البحر ولكنهم كتبوا مذكرة بتاريخ ٩ ديسمبر للقائم بالأعمال البريطاني يقولون « إذا كانت هناك خطوات أخرى ضرورية لوقف القرصنة في الخليج فيمكن تنفيذ هذه الخطوات بواسطة امير فارس ولا يتطلب الامر مساعدة أجنبية»

وساطة بريطانيا المقترحة بين الحكومة الايرانية وشيخ البحرين ١٨١٩ – ١٨٢٠

لقد نوقشت مسألة معاملة البحرين في الهند وعلاقتها بحملة سنة ١٨١٩–١٨٢٠ ، لان خطط ايران وعمان ، ومحاولتهما المستمرة في هذه الجزر كانت تعكر بلا شك صفو السلام في الخليج . ومنذ ان وقعت البحرين في يد العتوب سنة ١٧٨٣ فان الحكومة الايرانية لم تكف عن تدبير المكائد لاستردادها . وفي سنة ١٨٠٢ وسنة ١٨١٦ أبدت مجهودات سلطان عمان الفاشلة ليستولي عليها ولكن علاقة الايرانيين به يمكن ان توصف بعدم الثقة المتبادلة . وكانت حكومة شيراز مخطئة في سوء القصد في وعدها له بمساعدة حربية في سنة ١٨١٧ وسنة ١٨١٨ ولم تحاول ان تفي بوعدها .

في سنة ١٨١٩ وقبل وصول الحملة البريطانية الى الخليج بدأ الامير حكم فارس المفاوضات مع السيد سعيد بخصوص البحرين . وبوصول قوة السير و. ج. كير البريطانية تحرجت الامور . وقد أدى الخوف من احتمال تملك القوة البريطانية تلك الجزر المملوكه للسلطان بأمير شيراز الحاكم ان يحضر بجيش في فزع الى الساحل ويطلب بلا مبالاة او فائدة من القائد البريطاني ومن سلطان عمان مساعدتهما البحرية في نقل قواته الى البحرين . ولما كان السيد سعيد يميل لان يقوم بمحاولة غزو البحرين بمفرده ليجني ثمرة النجاح الممكنه فإنه لم يوافق في الحال على عروض الفارمان فارما . ولكنه عندما شك أخيراً في كفاية قواته ، وعندما فشل في الحصول على مساعدة السير و. ج. كير الذي رفض مساعدة أحد الطرفين المتنافسين جمع السلطان اسطوله في قشم ليقوم بحملة على البحرين

مشتركاً مع الايرانيين، ولكن الامير الحاكم عند ذلك غير رأيه ويبدو أنه في مارس سنة ١٨١٠ غادر الساحل وعاد الى شيراز . وكانت استعدادات حكومة فارس ضد البحرين هي آفة الساحل الايراني كله حيث كانت هذه الاستعدادات تعمل سنوياً كذريعة للسيادة على الزعماء المحليين ووجد فيها الامير الحاكم لشيراز عذراً مناسباً لتأجيل زيارته الى طهران التي كان يدعي اليها أحياناً بغرض تسوية حساباته العديدة للخزانة الملكية .

وفي اوائل ديسمبر سنة ١٨١٩ اقترحت حكومة بوومباي الوساطة البريطانية بين حكومة ايران وشيخ البحرين بعمل اتفاق يدفع بموجبه شيخ البحرين الجزية لايران وان يتعهد الشاه بألا يتدخل في شئون البحرين لكن البريطانيين رغبوا ان يكون مفهوماً بشكل واضح انهم لا يتحملون أية مسئولية في التسوية التي يمكن ان تتم . وارسلت اقتراحاتهم للحكومة الايرانية عن طريق السير و . ويلوك القائم بالاعمال في طهران ولكن الرد الايراني الذي سلم في ٢٠ مايو سنة ١٨٢٠ كان مضمونه ان الشاه لا بد أن يتشاور مع امير شيراز الحاكم الذي كان مسئولا عن شئون ايران في الخليج قبل ان يبعث بالرد النهائي .

وفي اكتوبر سنة ١٨٢٠ وجدت حكومة بومباي أنه من الانسب أن تسحب العرض الذي كانت تقدمت به ، ويبدو أن تردد الشاه قد نتج عن الشك الذي لا اساس له من ان البريطانيين ربما يطلبون اخلاء جزيرة في الخليج لمصالحهم لقاء خدماتهم الكبيرة .

معاملة شيخ خارّج الطيبة للذين نجوا من السفينة «ابريال» ١٨٢٠

في الصباح المبكر من ١٨ مارس سنة ١٨٢٠ غرقت الباخرة الحربية « ايريال » التابعة لشركة الهند الشرقية وكانت اشتركت في عمليات رأس الخيمة . وتم ذلك فجأة في عاصفة على بعد ١٣ ميلا جنوب شرق جزيرة خارّج . ومن بين ٨٣ شخصاً كانوا على ظهرها وقت وقوع الكارثة لم ينج منهم الا خمسة او ستة في الوصول الى خارّج في قارب كان يحتفظ به الطبيب الجراح . واستقبل شيخ خارّج القلائل

الذين نجوا بعطف كبير وأكرمهم وارسلهم الى بوشهر وتلقى بعد ذلك مكافأة قدرها ٥٠٠ روبية من المعتمد البريطاني تقديراً لسلوكه الكريم .

شكوى السلطات البريطانية من المستر بروس المعتمد البريطاني في بوشهر ١٨٢٠ — ١٨٢١ .

بعد انتهاء حملة سنة ١٨١٩—١٨٢٠ البريطانية قدمت حكومة فارس والحكومة الايرانية شكاوى متكررة لحكومة بومباي وللقائم بالاعمال البريطاني ضد المستر بروس معتمد بوشهر وألحوا بشدة في عزله . وكان الاتهام الرئيسي له هو تدخله في البحرين ليعقد صلحاً بين الشيخ وسلطان عمان وبذلك افسد سياسة امير فارس الحاكم في نفس اللحظة التي كان فيها سلطان عمان على وشك ان يقوم بدوره في غزو مشترك معه للبحرين . وقد اضيف في أحد نصوص الاتهامات الشاذة ان المستر بروس أيضاً « قد اشترط نقل قاعدة على تلك الجزيرة » وذلك ليتسنى له رفع العلم البريطاني هناك . وقد استطاع المستر بروس ان يرد على هذه الاتهامات بأن سلطان عمان قد وصل فعلا الى تسوية مع شيخ البحرين قبل رحيل الحملة البريطانية من الخليج ، وأنه هو شخصياً ليست له علاقة مطلقاً بذلك الموضوع اذ كان مشغولا بزيارته الوحيدة للبحرين أثناء وجود الحملة البريطانية لاخضاع بعض سفن القراصنة ، وان العلم البريطاني كما هو معروف لم يرفع ابداً هناك . واتهم كذلك بتحطيم ١٤ مركباً من مراكب لنجة على يد الرئيس لوك قائد سفينة صاحب الجلالة «عدن » للشك بأنها من سفن القراصنة وذلك قبيل وصول الحملة بوقت قصير . واتهام ثالث هو ان البريطانيين حطموا بعض السفن الاهلية في جاراك مما كانت له علاقة محتملة بموضوع السفينة « احمد شاه » . وفي كل من الحادثتين كان من المقتنع به ان الاجراءات كانت خاطئة وان الذي اوعز بها هو المستر بروس مع العلم أنه هو نفسه لم يكن حاضراً في أي من المناسبتين . ومن الواضح أن جوهر الشكوى على أي حال بقي في المسألة الخاصة بالبحرين .

وكان رأي حكومة الهند في هذا الموضوع عندما عرض أخيراً عليها هو ان تصرف المستر بروس كان سليماً تماماً ، وان نقله من بوشهر بناء على شكوى حكومة ايران يمكن ان يفسر على أنه رضوخ لا مبرر له لطلب غير معقول . ولكنهم علقوا بأنه اذا كان من المرغوب فيه نقل المستر بروس لمكان آخر لأسباب أخرى كأن يكون النقل مناسباً للمستر بروس نفسه فانه لا يجب ان لا تكون الشكوى اساساً له . وفي سنة ١٨٢٢ أمرت حكومة بومباي بدفع تعويض الى اصحاب سفن لنجة وجاراك الذين ذكروا في هذا الفصل .

شروع حكومة بومباي في اقامة محطة بريطانية في وضع متوسط في الخليج ١٨١٩ — ١٨٢٠

قبل أن تبحر حملة سنة ١٨١٩ من الهند كان من رأي حكومة بومباي بعد العمليات الحربية في رأس الخيمة إقامة قاعدة بريطانية حربية بحرية في الخليج في موضع أكثر توسطاً واكثر تحكماً في كل من بوشهر والبصرة . وقد أمر السير و. ج. كير ان يُوصي بمكان ملائم بعد التفكير في التسهيلات التي تقدمها قشم وهانجام ، وان يُكتب تقريرعما اذا كانت المعتمدية البريطانية السياسية في الخليج قد تنقل من بوشهر الى المكان الذي يتم اختياره .

لقد عززت الخبرة التي اكتسبت أثناء الحملة فكرة كانت تساور حكومة بومباي عن مزايا وجود جزيرة كقاعدة بجوار موانئ القرصنة . ويبدو ان هذا كان رأياً متفقاً عليه بالاجماع عند جميع السياسيين والضباط البحريين والحربيين الذين عملوا في الخليج ، وأنه بدون مثل تلك القاعدة فانه من المستحيل القضاء على القرصنة قضاء تاماً. وعلى رغم استحسان السير و. ج. كير المشروع بصفة عامة الا أنه لم يحبذ انتقال المعتمدية البريطانية بسرعة من بوشهر الى المكان المقترح ، ولكنها ينبغي أن تبقى حيث توجد حتى تجد التجارة مسالك أخرى نتيجة لتغيير الاقامة الجديدة .

وبناء على طلب حكومة بومباي، أخبر السير هـ. ويلوك القائم بالأعمال البريطاني في طهران الشاه بمشروع القاعدة البحرية الحربية البريطانية، ولكن كان من الواضح ان ذلك لم يكن مستساغاً لدى صاحب الجلالة الشاه الذي رفض مقابلة شخصية في هذا الموضوع ، وأمرَ أن يصل الرد الى الممثل البريطاني عن طريق وزرائه . وكانت إجابته في الواقع ان طلب البريطانيين لجزيرة لم يكن شيئاً جديداً وأنه قد رفض منذ عدة سنوات من قبل ، وأنه كان موضوعاً خطيراً جداً حتى إ نه يجب الا يسوّى عن طريق القائم بالاعمال، وكان ينبغي ان يثار عن طريق صاحب الجلالة البريطانية وبواسطة شركة الهند الشرقية او عن طريق صاحب السعادة حاكم الهند العام بطريقة أخرى. وكان يحسن أن توجل المناقشة في هذا الموضوع حتى يصل السفير البريطاني الذي كان على وشك ان يفوض الى ايران من قبل الامير نائب الملك حسبما ورد في تقرير من الوزير الايراني في لندن .

المفاوضات مع ايران وعمان وتحديد مكان الحامية البريطانية في جزيرة قشم ١٨٢٠

ومنذ البداية أخذت حكومة بومباي على عاتقها المطالبة بشدة بتبعية قشم لسلطنة عمان ، وقد خصصت هذه الجزيرة لاستقبال الحملة ضد رأس الخيمة سنة ١٨١٩ لكنه سبق لحكومة ايران المطالبة بالسيادة عليها وانها على اية حال ستعارض في إقامة حامية بريطانية دائمة في الجزيرة اذا اختيرت كموقع للقاعدة المقترحة . وقد استشير السير هـ. ويلوك تبعاً لذلك عن موقف حكومة ايران والى أي حد يمكن أن تذعن لرغبات بريطانيا في موضوع قشم ، وكانت النتيجة تقديم طلب انتهى كما هو معروف من قبل برفض الشاه مناقشة مسألة احتلال القوات البريطانية لجزيرة ايرانية حتى يصل السفير المتوقع من انجلترا . ويجب ان نضيف ان الشـــاه طالب بتبعيته قشم لايران وعبر عن دهشته البالغة للعروض التي قدمها سلطان عمان . وقد احيط القائم بالأعمال البريطاني علماً بالرد على طلبه عن طريق الوزراء الايرانيين في ٥ مايو سنة ١٨٢٠ .

وفي نفس الوقت تقرر ان مدينة رأس الخيمة التي استولى عليها البريطانيون لم تكن ملائمة بسبب المصاعب الخاصة بمياه الشرب لتصبح مركزاً دائماً لحامية مكونة من كتيبة او اكثر كان تقرر الاحتفاظ بها في الخليج للتحكم في القرصنة . وبعد عودة قوات الحملة الى الهند اوصى السير و. ج. كير بنقل حامية رأس الخيمة سريعاً الى قشم. وبناء على ذلك امرت حكومة بومباي الرئيس تومسون الضابط الحربي السياسي المسئول عن الحامية الدائمة ان ينتقل الى قشم بعد إنهاء الترتيبات المطلوبة مع سلطان عمان الذي تقرر ان يعاملوه على أنه المالك بعد تأكيدات صريحة صدر عنها . وفي ٢٩ مايو سنة ١٨٢٠ أي بعد أيام قليلة من رفض الشاه في طهران وصلت السفينة « ميركوري » الى رأس الخيمة وقد جاءت من مسقط حاملة تصريحاً مكتوباً من السيد سعيد لتحديد مكان القوات البريطانية في قشم وخطاباً مفتوحاً منه للشيخ حاكم الجزيرة يأمر فيه السلطة هناك بمساعدة البريطانيين بقوارب النقل والمؤن . وفي خطاب موجه الى حاكم بومباي قال السيد سعيد : « بالاشارة الى الملاحظات التي ذكرتموها والخاصة بنقل القوات من رأس الخيمة الى قشم فيعلم الله ان الجزيرة المعنية وجميع الاراضي التي تخصني وخاضعة تحت سلطتي تخص ايضاً الشركة الموقرة وأني لا أظن ان هذه الاملاك تخصني بقدر ما تخص الشركة الموقرة » .

وقد انزلت الوحدة البريطانية كما اطلق عليها بعد ذلك (بالرغم من كثرة عددها) الى مدينة قشم في ٢٠ يوليه سنة ١٨٢٠ .

نقل الوحدة البريطانية من مدينة قشم الى دارستان ١٨٢٠

بعد أيام قليلة من النزول في قشم أوصى الرئيس تومسون بنقل الوحدة الى دارستان على الساحل الجنوبي من الجزيرة المواجهة لهانجام وهو مكان وصفه بأنه أحسن من الناحية الصحية من مدينة قشم وموقعه أكثر ملاءمة لمراقبة قراصنة الساحل من الجانب الآخر من الخليج ، واتخذت الخطوات في الحال لنقل ما كان متوقعاً الموافقة عليه من مستشفى ووسائل راحة اخرى .

وقبلت حكومة بومباي توصياته بلا تردد ونفذت في الحال في اكتوبر سنة ١٨٢٠ . وكانت الاستعدادات على قدم وساق لتعزيز الكتيبة الهندية في قشم بثمانمائة جندي من الاقوياء من بومباي. وكانت الوقائع تشير الى انتشار مرض بين القوات في الحامية .

الصعوبات التي واجهت حكومة ايران نتيجة احتلال البريطانيين لقشم ١٨٢٠ — ١٨٢١

بعد ان تم فعلا تنفيذ نقل حامية رأس الخيمة الى قشم بشهرين او ثلاثة كتب حاكم بومباي الى السير هـ. ويلوك في طهران مقترحاً ألا يجدد مناقشاته مع الايرانيين فيما يختص بحالة قشم . واذا كان الايرانيون من جانبهم يتقدمون بأدلة الملكية فيجب ان يحاول كسب الوقت برفع هذه الحجج الى بومباي. وقد أعتقد ان فترة قصيرة من الوقت ستكفي لاقناع الشاه بالنتائج الطيبة لاحتلال البريطانيين وستؤدي به الى الموافقة على استمراره حتى في حالة إثبات سيادته عليها بطريقة مرضية . وفي ديسمبر سنة ١٨٢٠ وصل بعض الضباط الكبار من فارس الى طهران وقد ارسلهم الفارمان فارما بقصد إعطاء تقرير عن الاحتلال البريطاني لقشم ولتقديمه بصورة خطية . وكانت دسائس الامير الحاكم ناجحة بما أقنع الشاه بالتجاوز عن جزء كبير من دخل داشستان العادي لاسترضاء السكان القريبين من ساحل الخليج او بمعنى أصح اقتنع ان ينقص مطالبه المالية من الحكومة التي كان يشرف عليها الامير . ومنع السير هـ. ويلوك بشيء من الصعوبة الحكومة الايرانية من ارسال(١) وكيل من قبلها الى قشم ليأمر الوحدة البريطانية بالرحيل ومن ارسال آخر الى بومباي ليحتج للحاكم ضد الاحتلال الحربي وبدلا من ذلك قدمت له اعتراضات الحكومة الايرانية على تصرف السلطات البريطانية في مذكرة رسمية

---

(١) ارسل أمير فارس الحاكم على أية حال ممثلا الى كل من قشم وبومباى (انظر العبارتين التاليتين من النص) ولكن التعليمات التى كانت لديهم كانت أكثر اعتدالا عما ينبغى لها لو لم يتدخل السير هـ. ويلوك .

بتاريخ ٩ ديسمبر سنة ١٨٢٠ . وكانت الحجج الرئيسية التي احتوتها المذكرة هي ان سلطان عمان بصفته تابعاً لايران ليست له سلطة السماح لقوات أجنبية بالنزول في مسقط وايضاً ليست له أدنى سلطة في قشم . ثم ان وجود حامية في قشم لا داعي له ، وان الموظفين الايرانيين يستطيعون وسيفعلون كل شيء يطلب منهم لمنع القرصنة . وتناولت المذكرة ايضاً المادة الحادية عشرة من المعاهدة الانجلو ايرانية سنة ١٨١٤ التي تنص على منع دخول السفن الحربية البريطانية الى الموانى الايرانية دون اذن خاص بذلك .

ويبدو ان حكومة بومباي رداً على هذه المذكرة طلبت فقط من السير هـ. ويلوك ان ينهتز جميع الفرص لاقناع البلاط الايراني في طهران بضرورة وجود قاعدة مثل قشم لوقف القرصنة وأنه لا ضرر من ذلك على سيادة ايران .

زيارة وكيل الأمير حاكم شيراز لقشم

بعد ذلك ظهر وكيل من قبل الامير حاكم اقليم فارس على الجزيرة في قشم ، وأخبر الرئيس ديشام الضابط القائد هناك أنه قد ارسل لمنع البريطانيين من بناء الحصون التي ورد في تقرير من شيراز انهم قائمون على بنائها . وقد استطاع الرئيس ان يجد ما يقنعه بأن التقرير المذكور عن عملية انشاء الحصون كان خاطئاً ، ووعد الوكيل بأنه سيؤكد لسيده ان الوحدة البريطانية ليس لها أي عمل سوى وقف القرصنة . وقد وضح أيضاً أنه ارسل الى المكان بسبب التلميحات التي صدر عنها شيخ الشارقة والتي وصلت الى شيراز موهماً ان البريطانيين يهدفون الى إخضاع جميع الزعماء الصغار في الخليج لسلطتهم وبذلك سيضعف نفوذ الحكومة الايرانية .

وانتشرت اشاعة في ذلك الوقت ان الفارمان فارما امر بجمع قوات يبلغ عددها ستة عشر الفاً من اماكن مختلفة على الساحل ربما لشن هجوم على البريطانيين في قشم ، لكن السلطات البريطانية لم تعلق أهمية كبيرة على ذلك .

بعثة الدكتور جيوكز الى ايران بشأن الاحتلال البريطاني لقشم وتقريره عن احقية سلطان عمان لامتلاك تلك الجزيرة ١٨٢١

من اجل تهدئة الضجة التي استمر يثيرها وجود الوحدة البريطانية في قشم ارسلت حكومة بومباي في مايو سنة ١٨٢١ الدكتور أ. جيوكز صاحب الخبرة الكبيرة السابقة في شئون ايران السياسية ، الى قشم ، وخول سلطة زيارة شيراز وحتى مد رحلته الى طهران اذا وافق السير ه. ويلوك على ذلك . وكان الغرض الاساسي لبعثة الدكتور جيوكز هو أن يطمئن امير شيراز الحاكم بشأن نوايا البريطانيين في قشم ولكنه خول السلطة أيضاً سراً في حالة ما اذا وجد ان الحاكم لا يستطيع ان يتحول عن النوايا التي عزتها الاشاعات للهجوم على قشم ، بأن يسحب الوحدة الى مسقط ، أو أي مكان آخر من اراضي سلطان عمان ، يمكن ان يوافق عليه سيادة الحاكم . وقد امر ايضاً ان يرد على الشكاوى الايرانية ضد المستر بروس .

وتقدم المستر جيوكز عن طريق مسقط الى قشم حيث علم هناك أن بعثة ارسلت من شيراز الى بومباي بخصوص نفس الموضوع مضادة لبعثته . وكان ميرزا محمد باقر هو المبعوث الايراني الذي سافر الى الهند . وخلال الفترة القصيرة التي مكثها في قشم حيث تفشى هناك وباء الكوليرا بشدة في الجزيرة وفي أجزاء أخرى من ايران وشبه جزيرة العرب ، وقام الدكتور جيوكز بتحريات دقيقة عن تاريخ تلك الجزيرة وصلاحية ملكية سلطان عمان التي يزعمها للجزيرة ثم سافر بعد ذلك الى شيراز .

وبما ان تحرياته كانت تتم اصلا تحت اشراف موظفين عمانيين ، وكان من الطبيعي ان يميل الى الاخذ بآرائهم ، فان تقريره في ١٤ اغسطس سنة ١٨٢١ لا يمكن ان ينظر اليه أكثر من أنه وثيقة من جانب واحد ولكنه كان ذا أهمية .

وقد ذكر(١) ان جزيرة قشم أغتصبت من حوالي ٧٠ أو ٨٠ سنة

(١) انظر على آية حال الفصل الاول صفحات ١٠٠ ، ١١٠ ومنها لا يبدو أن الشيخ عبدالله (لا شك أن هذا الاسم يتشابه مع عبدالشيخ) =

سابقة من ملا علي شاه ممثل شاه ايران . وقد اغتصبها الشيخ عبدالله شيخ بني معين وهي قبيلة استقرت فيما مضى في كنج بالقرب من لنجة ، وان الشيخ عبدالله استأجر بندر عباس وتوابعها من الشاه واستمر هذا الامتياز من حكام ايران الخلفاء الشيخ عبدالله .

وحوالي سنة ١٧٩٤ او سنة ١٧٩٥ لم يقبل أهالي قشم حكومة الطغيان برئاسة ملاحسين زعيم بني معين، ودعوا السيد سلطان ليضم جزيرتهم مع الجزر الاخرى القريبة منها الى املاكه ، ومن أجل ذلك جاء ذلك الحاكم بقوة حربية واستولى على قشم وهرمز وبندر عباس وظل يمارس هو وخلفاوه من بعده السلطة كاملة في الجزيرة الاولى . ومع ان سلطان عمان أخذ بندر عباس بقوة السلاح الا أنه وافق ان يستأجرها هي وتوابعها من الحكومة الايرانية كما فعل بنو معين من قبله ، ولكنه لم يدفع لايران شيئاً أبداً عن قشم وهرمز ولارك لانه ادعى بأن الجزر كلها من املاكه الخاصة . وقد قيل ان الفرمانات الايرانية المتعلقة بايجار بندر عباس وتوابعها لسلطان عمان موجودة ولكن الدكتور جيوكز لم يستطع ان يراها . وفي الوقت الذي كتبت فيه ، كان الايجار السنوي الذي يدفعه السلطان لاقطاعية بندر عباس هو ٤٠٠٠ تومان في السنة . وكان هذا الايجار يشمل شامل وميناب وخمير . وكان سيف بن نبهان وهو عربي حاكماً لبندر عباس من قبل السيد سعيد وكان أخو سيف الاصغر مسئولا عن هرمز . وكان حاكم قشم من قبل السلطان هو الشيخ عبدالرحمن المعيني وكان مرتبطاً مع السيد سعيد بالمصاهرة . وعلى وجه الاجمال يبدو أن الدكتور جيوكز اعتبر أن سلطان عمان له الحق الكامل المبني على أساس الغزو في السيادة على قشم ، ولكنه في نفس الوقت لم يكن مستعداً أن ينكر أنها هي والجزر الاخرى ربما كانت توابع لبندر عباس . أما

= أو شيوخ بنى معين الذين جاءوا بعده أخذوا بندر عباس بالايجار . وقد مات الشيخ عبد الله سنة ١٧٥٥ وضاعت قشم من بنى معين حتى سنة ١٧٦٣ عندما استردوا لافت . ولا يمكن أن نكون على يقين مما حدث لقشم بعد انسحاب الوكالة البريطانية من بندر عباس سنة ١٧٦٣ .

ادعاء ايران بالسيادة المطلقة على عمان فقد ازدراهما كشيء يثير السخرية مقترحاً ان الشاه في ادعائه بالسيادة على مسقط هو كمن يدعي السيادة على دلهي .

وعند وصول السيد جيوكز الى شيراز قام بمقابلات كثيرة مع الامير الحاكم وكتب في خطاب مؤرخ في ٢٥ أكتوبر أن صاحب السيادة الملكية يدعي بأن قشم من ممتلكات فارس وان سلطان عمان تابع للشاه . وقد اضاف الامير أن وجود الوحدة البريطانية في قشم ، كما أوضح الدكتور جيوكز ، يبدو لصالح السلام والهدوء في الخليج . ولما كان هذا هو غرضها الوحيد فانه شخصياً ليس لديه أقل اعتراض على بقائها هناك وانه سوف يخبر الشاه ووزرائه بآرائه في هذا الموضوع .

وفي ١٠ نوفمبر سنة ١٨٢١ مات الدكتور جيوكز بالكوليرا في شيراز . ورأت حكومة بومباي انه ليس من الضروري تعيين خليفة له وطلبت من السير هـ. ويلوك ان يقوم بما تبقى ولم يتم تنفيذه من التعليمات ، وان يلتمس الأذن من الحكومة الايرانية بنقل الوحدة البريطانية الى جزيرة قيس بسبب انتشار الكوليرا . ولم نذكر الخطوات(١) التي اتخذها القائم بالأعمال البريطاني في الموضوع .

نقل الوحدة البريطانية من ديرستان الى مدينة قشم ثم إلى باسيدو ١٨٢١ — ١٨٢٢

لقد تكلف نقل الوحدة البريطانية الى ديرستان ٣٥,٠٠٠ روبية فقط للنقل البحري ولكن عمم وجود الماء الذي كان يعتمد على الآبار في المعسكر الجديد أدى الى ضرورة العودة الى مدينة قشم سريعاً لكن تاريخ نقل هذه القوات للمرة الثانية غير معروف بالضبط .

(١) ولكننا نعلم أنه في أكتوبر سنة ١٨٢٢ أن الملازم ج٠هـ٠ جراب من الشركة البحرية والرئيس ريمون من مهندسى بومباى كتبا تقريرا عن ملاءمة جزيرة قيس لوجود القاعدة البريطانية (انظر مختارات بومباى ــ الجزء الرابع والعشرين صفحـات ٤٦ ــ ٤٨) ٠ (ومجلد ايران الثانى ص ٤٠٦ للورد كيرزون) يذكر أنه كانت هناك اقامة حربية بريطانية في جزيرة قيس ٠

وفي نهاية سنة ١٨٢١ نظراً لعودة القوات الى قشم في صورة بائسة من المرض (٢) وعدم الكفاية قام الرئيس كينيت ضابط القيادة بمسعى جديد ليجد مكاناً صحياً . وفي بداية يناير سنة ١٨٢٢ صاحبه رئيس الممرضين ومساعد الجراح الذي كان مكلفاً بكتابة تقرير عن النواحي البحرية والصحية لكل موقع يفحصه ، فقام بجولة حول الجزيرة وزار كل مكان قيل إن به ماء وكان معسكر ديرستان السابق وقرية سلاغ على بعد ١٥ ميلاً من الغرب وباسيدو في أقصى الطرف الغربي من الجزيرة هي الامكنة التي تم التفكير فيها بصفة أساسية . ولكن الرئيس كينيت أيضاً قام برحلة الى جزيرة طنب التي وجدها غير لائقة للبقاء فيها بسبب نقص المياه ورداءتها، وأخيراً اختار سلاغ وان كان موقعها غير جيد من وجهة النظر الحربية . وفي فبراير سنة ١٨٢٢ نفذ عملية انتقال الوحدة على مسئوليته الخاصة بواسطة مركبين استأجرهما بسعر معقول . وكانت حكومة بومباي تفكر في خطوة لنقل القوات . وقد وافقت فعلا على تصرف الرئيس كينيت حتى ادوات المعسكر والمستشفى نقلت مع القوات من قشم الى القاعدة الجديدة . وكانت موافقة سلطان عمان ضرورية لهذا الانتقال .

لقد أظهرت تجربة أيام قليلة في سلاغ أن رسو السفن هناك عرضة للخطر فاستمر انتقال القوات الى باسيدو التي اصبحت وما تزال قاعدة بريطانية . وقام الرئيس ت. ريمون في أكتوبر سنة ١٨٢٢ وهو من مهندسي بومباي بعمل تقرير عن باسيدو . ويبدو ان ذلك كان بأوامر من الحكومة .

المباحثات مع ايران وانسحاب الوحدة البريطانية من باسيدو ١٨٢٢ — ١٨٢٣

لسوء الحظ ان الشاه قد برهن على أنه أقل مجاملة في مسألة احتلال

(٢) لقد علق الدكتور جيوكز على هذا الموضوع من قبل في أغسطس سنة ١٨٢١ وعبر عن شكوكه الكبيرة في ملاءمة قشم لوجود حامية بها ، فحرارة الصيف كانت لا تحتمل ، وفي خلال أربعة أشهر من السنة كان الرجال يستلقون على الارض فلا يصلحون لتأدية أى عمل .

القوات البريطانية لجزيرة قشم مما اظهره امير شيراز الحاكم في محادثاته مع الدكتور جيوكز . وقد أصر الشاه بشدة على انسحاب الوحدة ، وأقصى ما قبله هو موافقته على انتظار نتيجة البعثة التي اقترح ارسالها الى البلاط البريطاني . وفي هذه الظروف ناقشت حكومة بومباي بدقة ملاءمة قشم لبقاء الحامية البريطانية واوصوا اخيراً بالانسحاب وان كانوا يخشون ان انسحابها سيزيد من القرصنة في الخليج . وكان سبب التوصية هو ان العلاقات الطيبة التي تربط بين الحكومتين الايرانية والبريطانية كانت معرضة للخطر من جراء المشاعر التي اظهرها الشاه فيما يختص بوجود البريطانيين في قشم . وكانت هذه العلاقات الطيبة اهم بكثير من مسألة توفير الهدوء للخليج . وقد نصحوا بوجوب اتخاذ الحرص في أثناء نقل القوات على ألا يقال أي شيء يتأثر به ادعاء سلطان عمان بأحقيته للجزيرة ، واوصوا بأن تنسحب الحامية من الخليج كله لدى مغادرتها قشم إذ ان استمرارها في أي مكان على أي ساحل منها عاجلا او آجلا سيورط الحكومة البريطانية في سياسات الدول المتاخمة .

ووافقت حكومة الهند على هذه الآراء ، وعندما كانت على وشك ان تضع الامر موضع التنفيذ جاءت معلومات فجأة عن طريق بوشهر عن وجود شقاق خطير بين الشاه والقائم بالأعمال البريطاني كان من نتيجته ان استقر رأي الأخير على مغادرة البلاط الايراني . وكانت أسباب هذه الجفوة تتمثل في عدم تشجيع اللورد لوندندري لبعثة الشاه المقترحة للملك والتي بموجبها وافق الشاه على أن يؤجل أمره بالجلاء عن قشم، وكذلك الموقف المتعجرف الذي وقفته ايران تجاه الباب العالي . ولكن من المحتمل أيضاً(١) أن تكون هناك أسباب شخصية للخلاف .

---

(١) يبدو أن العبارة الآتية في كتاب « انجلترا وروسيا في الشرق » لمؤلفه رولنسن (ص ٣٨ حاشية) تشير الى هذا الحادث :—

« اننا لم ننس أن سوء تفاهم شخصي بين السير هـ· ويلوك والشاه أدى الى انسحاب بعثتنا المؤقت من البلاط · ولكن مناسبة قطع العلاقات كانت بمجرد الصدفة تماما وكان أثرها شيئا عابرا حتى انها لا تعتبر ذات أثر أثناء الفترة التي حدثت =

وقد اشيع في نفس الوقت ان الشاه أمر بايجار سنوي قدره ١٢ الف تومان من سلطان عمان عن بندر عباس وتوابعها (ومعها قشم) بدلا من أربعة آلاف كانت تدفع قبل ذلك ، وان القوات الايرانية كانت تتجمع في بندر عباس ، وان سلطان عمان كان يترقب يومياً في قشم. وكانت الازمة كلها الى حد ما مفاجئة للسير هـ. ويلوك الذي كان لا يتوقع اية مشكلة خطيرة حتى ٢١ مارس، وقد طلب جوازات السفر يوم ٢٩ منه ، واتخذ الموقف صورة خطيرة في الهند حتى إن حكومة بومباي التي فكرت في أنه لا يجب ان يتم الرحيل من قشم عندئذ امرت باتخاذ عدد من الاحتياطات الحربية والبحرية ، تضمنت ارسال اربعمائة اوربي وضابط من المهندسين. وكان الغرض هو جعل موقف الرائد كينيت أكثر امناً .

وعلى أية حال ففي يونيه قبل صدور الامر بتنفيذ تلك التدابير فعلا وصلت الى بومباي أخبار التسوية الودية للخلافات بين الشاه والممثل البريطاني. وبناء عليه الغيت الاوامر الخاصة بتحصين باسيدو واستؤنفت الاستعدادات للجلاء ، وكان الوقت قد فات لاسترجاع الرسائل الخاصة باعلام القائم بالأعمال البريطاني في ايران بالتعزيز المرتقب لحامية باسيدو وبالاجراءات الاخرى ، ولكن الوزراء الايرانيين قبلوا التعليل الصادق للظروف التي عللها العقيد ويلوك سكرتير البعثة المسئول في طهران ، وقد قبل التعليل بالروح التي صور بها . ولم تتخذ خطوات فعلية في باسيدو ولم تعد هناك ضرورة للرجوع الى الموضوع .

ولا يعرف التاريخ الدقيق للجلاء نهائياً عن باسيدو، ولكن المراجع في المراسلات الرسمية تبين أنه لا بد وان الجلاء قد تم بين ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٢٢ و ١٢ يناير سنة ١٨٢٣ . ويبدو ان الذي قام بالتنفيذ هو الرائد

= فيها هذه المشكلة . وفي الواقع عندما قدم وزيرنا الخامل نفسه لوزارة الخارجية يقال ان كاننج قال ـ هنرى ويلوك ؟ اننى أعرف رجلا بهذا الاسم في طهران ولكن ليس في لندن بكل تأكيد. وتعليقة هذا عبر به عن رأيه في المشاجرة تعبيراً كافيا واظهر لومه للاهمية التى أعيرت للموضوع دون مبرر » .

كينيث الذي كان قائداً هناك لفترة ما بمعاونة الملازم ماكليود الذي عين في ظروف سنشرحها سريعاً ليخلف الملازم بروس المعتمد في بوشهر .

وقد قيل ان رحمة بن جابر قرصان قطر المشهور عبر عن الشعور بالفرح عندما سمع برحيل الوحدة البريطانية . ولكن المعتمد الجديد كان يأمل ان يثبت أسطول الطرادات الذي نظمته حكومة بومباي كبديل عن موقع قشم الحربي بأنه كاف للاحتفاظ بالهدوء في الخليج . وقد تم الانسحاب من قشم بالاتصال مع سلطان عمان الذي احتلت الجزيرة بموجب سلطته ، والذي كان يرغب ان لا يترك البريطانيون الجزيرة .

ويمكننا ان نستنتج ان الحامية كان لا لزوم لها ، والحقيقة انه لم يكن ثمة داع لخدماتها ضد القراصنة أثناء وجودها في قشم اذ أنه لم يحدث نشاط للقرصنة بعد رحيل الحامية .

اتفاق بغير تفويض عقده الملازم بروس معتمد بوشهر مع امير شيراز الحاكم في ٣٠ أغسطس ١٨٢٢

ويجب ان نشير الآن الى شيء اسطوري لا يقبله العقل ولا يمكن تصديقه ارتكبه المعتمد البريطاني في بوشهر . وعلى ضوء هذا العمل تتبين لنا شخصية الملازم بروس مما يجعلنا نندهش من الطريقة التي كان يسير بها العمل في المعتمدية بواسطة ذلك السيد أثناء ادارته لها من سنة ١٨١١ — ١٨٢٢ .

يظهر ان امير شيراز الحاكم ارسل في سنة ١٨٢٢ سفيراً يدعى ميرزا بانجار(١) أو بوغير الى حاكم بومباي بقصد ازالة كل سوء تفاهم حدث بين الحكومتين الهندية والايرانية . وقد استقبل السفير في بومباي بكل علامات التقدير والاحترام . وكان المستر بروس في بومباي

---

(١) الا اذا كان هذا السفير — ويبدو أن ذلك غير محتمل — هو ميرزا محمد باقر الذى لم يلحق بالدكتور جيوكز في قشم سنة ١٨٢١ . وربما تكون بنغير تحريفا لكلمة بوغير التى كانت تشويها لكلمة باقر في ايران .

حينئذ بعد استدعائه الى مقر الرئاسة بخصوص الاتهامات الموجهة اليه من الايرانيين . وقد نوقشت هذه الاتهامات في وجوده وفي وجود السفير الايراني. وقد فندت وشرحت بما يرضي الطرفين .

وعاد المستر بروس بعد ذلك الى بوشهر كمعتمد . وحينئذ سافر الى شيراز بناء على طلب حسن علي ميرزا الامير الحاكم لفارس . وعندما تنبهت حكومة بومباي للدعوة التي تلقاها المستر بروس وقبوله لها عبرت عن استنكارها لذلك ، لكن الخطابات التي ارسلتها إليه لتمنع الضرر الذي قد ينشأ عن ذلك وصلت متأخرة .

وعند وصول المستر بروس الى شيراز حمل على مناقشة اتفاق طالما تطلعت ايران لعقده مع بريطانيا مع زكي خان رئيس وزراء الفارمان فارما. وفي ٨ اغسطس سنة ١٨٢٢ كان بروس من الضعف بحيث قبل الشروط تحت ضغط من زكي خان وآخرين . وفي الثلاثين من اغسطس ذهب الى حد تنفيذ هذه الوثيقة الرسمية نيابة عن حكومة بومباي مع العلم أنه لم تكن لديه السلطة(١) لذلك. وقد تعرضت هذه الوثيقة الرسمية لامور هامة حساسة . وقد أعلن المستر بروس حينئذ عن نيته في مغادرة شيراز مع الملازم هارت حوالي ١٥ سبتمبر متوجهاً في طريق مباشر الى الساحل عن طريق باسيدو .

وكان للاتفاق علاقة أساسية بالبحرين واثره فيما يختص بهذه الامارة موجود في تاريخ البحرين . وهنا سنتناول طبيعة هذا الاتفاق والشروط التي كان لها علاقة بشئون الساحل الايراني . وحتى مقدمة هذه الوثيقة كانت غير مقبولة ، ومن الصعب ان نفهم كيف يستطيع أي ممثل بريطاني أن يوافق على شروطها لانها وجهت اللوم عن المتاعب التي حدثت الى السلطات البريطانية وذلك بالكلمات الآتية :

---

(١) وربما كانت حكومة بومباى نفسها تستحق اللوم عن خطأ المستر بروس هذا . ويجب أن يكون في ذهن القارىء أن المستر بروس عقد اتفاقا بغير تفويض مع شيخ البحرين في سنة ١٨١٦ لم يلم عليه ويبدو أنه اتخذه نموذجا في سنة ١٨١٩ .

« في السنتين السابقتين لهذا أصبح من الضروري وقف أعمال القرصنة التي يرتكبها القواسم ، وهو السبب الذي من اجله وصلت قوات من الهند الى الخليج وقامت بأعمال قليلة خاطئة لم تتفق مع حسن التفاهم المتوفر لدى هذه الحكومة ، وكان من نتيجتها ان اعتبر صاحب الجلالة حسين علي ميرزا أن من الافضل توضيح سوء التفاهم مع الحكومة التي تعتبر أقرب حكومة لحكومته لكي تدرك ما حدث وتقدم بعض الايضاحات لصاحب الجلالة .

ومواد الاتفاق التي نهتم بها الآن هي المادة الثالثة والرابعة والخامسة . فقد نصت المادة الثالثة على أن الخسارة التي قاسى منها أهالي لنجة وجارك بسبب تحطيم سفنهم عن طريق الخطأ بواسطة السلطات البريطانية يجب أن تعوض . واشارت المادة الرابعة الى شكاوى الايرانيين ضد المستر بروس دون أي ضابط آخر . والمادة الخامسة وهي أعظم المواد اهمية بعد مواد البحرين وكانت كالآتي :

المادة الخامسة : « القوات البريطانية التي اتخذت وضعاً لها في جزيرة على الساحل الايراني والتي طلب منها ان تنسحب » .

بما ان حاكم بومباي المبجل قد عبر عن رغبته في ان يسمح لها بالبقاء لوقت ما من أجل المظاهر والفائدة التي تتم . لهذا السبب ، ونتيجة لذلك رأى صاحب الجلالة أنه من المناسب من اجل السلام والهدوء في الخليج ان يذعن لشرط الخمس سنوات لكي يحافظ على العلاقات سليمة لا يشوبها شيء وحتى تجمع بالتدريج قوة بحرية كافية لهذا الغرض على أساس الشروط الآتية :

انه ، اذا استطاع صاحب الجلالة ان يجمع قبل مضي خمس سنوات قوة بحرية كافية لضمان الهدوء في الخليج فانه سيتعهد بالقيام بهذا العمل وعلى القوات البريطانية ان تنسحب عند تأكيد هذا التعهد .

وأنه ، اذا كانت القوات البريطانية تعتبر كبيرة من الوجهة الاقتصادية فيجب ان ينقص عددها ويأمر صاحب الجلالة باحلال قوة

معادلة لها محلها تحت إمرة ضابط تعسكر في الجزيرة وتقوم بطلباتها ورغباتها .

تتخذ القوات الايرانية والبريطانية امكنتها على أية جزيرة على الساحل الايراني يكون مناخها أحسن ويحددها صاحب الجلالة ويراها مناسبة .

واذا اراد صاحب الجلالة أثناء الفترة التي توجد فيها القوات في الخليج طراداً او اثنين من القاعدة ليذهب به الى أية جزيرة من جزر ايران او أي ميناء آخر ، فيجب ان تعد الطرادات المطلوبة وبصفة خاصة في المناسبة الحالية حيث توجد فكرة لارسال حملة ضد البحرين لاخضاعها للطاعة . ووعد صاحب الجلالة بأن يسرح السفن بعد انتهاء العملية بكل تقدير واحترام . واذا كانت هناك حاجة للسفن لفترة أطول من اربعين يوماً فعلى صاحب الجلالة ان يقدم المؤن والاشياء الضرورية واذا لم يتم ذلك فمن حق السفن ان تعود .

ومثل هذه السفن والمعدات التي يطلبها صاحب الجلالة يكون له حرية شرائها من أي ميناء من موانى الهند دون مضايقة من الحكومة .

لا داعي لتحليل هذا المواد التي رفضتها حكومة بومباي في الحال مع بقية المعاهدة . ويكفي أن نقتبس اشدها وطأة ، ولكن سكرتير حكومة بومباي وجه انتقادات لسلوك المستر بروس في خطاب ارسله اليه بتاريخ اول نوفمبر سنة ١٨٢٢ :

لقد امرني الحاكم ان اعبر لك عن دهشته لدخولك في مفاوضات مع امير شيراز ، لم تفكر فيها الحكومة ولم تزودك بتعليمات او تخولك السلطة بها . ويلاحظ الحاكم ان المعاهدة التي جاءت نتجة لهذه المفاوضات لم تكن فقط غير قانونية بل كانت تتناقض مع اراء الحكومة ، فهي تركز على اخطاء الحكومة البريطانية التي لم تعترف بها أبداً والتي ما يزال الحاكم غير مدرك لها .

وتعترف المعاهدة بمطالبة ملك ايران لقشم ، وذلك مخالف للتاريخ ولاحتجاجات صاحب السعادة إمام مسقط ، ولتصريحات حكومتنا

المتكررة . ولهذا السبب فان المعاهدة تعترف بأن احتلال تلك الجزيرة دون موافقة ملك ايران يعتبر اعتداء صارخاً ، وتعترف بوجود قوة ايرانية في قشم وبذلك تسلم الجزيرة التي تسلمناها من الإمام الى الايرانيين ، كما انها تجعل ما قررنا دفعه اختيارياً لاهالي لنجة كأنه اذعان ورضوخ لايران ، وتجعل أيضاً تعيين المعتمد في بوشهر موضع مفاوضات مع أمير شيراز .

ان تأثير المعاهدة سيحط من كرامة الحكومة البريطانية ويقلب راساً على عقب كل السياسة التي اتخذت فيما يختص بالقوى في الخليج .

وختاماً احيط المستر بروس علماً بأن الحاكم وجد نفسه مضطراً أن يستنكر المعاهدة بكل معاني الكلمة . ولكي يظهر سخطه على هذه الاعمال نقل الرئيس بروس من وظيفته كمعتمد في بوشهر واستدعاه الى بومباي وامره بأن يسلم الوكالة في بوشهر الى جراح المعتمدية ، وكل التعليمات الخاصة بالسياسة العامة في الخليج الى الرائد كينيت الذي كان قائداً للوحدة في باسيدو .

وكتب حاكم بومباي الى امير شيراز الحاكم معبراً عن أسفه لخطأ المستر بروس ولكنه في نفس الوقت اوضح عدم صلاحية الاتفاق بالكلمات الآتية :

« من اللائق ان اشرح لجلالتكم بوضوح أن الرئيس بروس أمر ان يعود الى عمله في بوشهر ولم تكن له أية سلطة في التوجه الى شيراز وليست لديه السلطة ولا الصلاحيات لأن يدخل في مفاوضات اياً كانت مع جلالتكم . وعلى ذلك فان المعاهدة التي عقدها هي من تصرفاته الخاصة وليست من تصرفات هذه الحكومة . تبعاً لذلك فانني استنكرها وأود أن تعتبروها كأن لم تكتب » .

تعيين الملازم ماكيلود في معتمدية بوشهر ١٨٢٢

جاء بعد المستر بروس في معتمدية بوشهر الملازم جون ماكليود من مهندسي بومباي وهو ضابط مجد عمل في الخليج في وظائف متنوعة أثناء العمليات البريطانية هناك . وكانت التعليمات الاولى التي وصلت المعتمد

الجديد في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٢٢ هي أنه أمر أن يفعل ما في وسعه ليمحو من عقل سلطان عمان وشيخ البحرين الآثار السيئة التي أحدثتها اتفاقية الرئيس بروس ، وان يخفف من الاستياء الذي كان من المتوقع ان يشعر به امير شيراز الحاكم نتيجة لرفض الاتفاقية . لكن واجبه الاساسي هو أن يبدأ نظاماً للاحتياطات البحرية ضد القرصنة . وكانت مهام معتمد بوشهر الدائمة المحلية محدودة بنوع خاص على الاعمال التجارية وتشمل حماية التجارة البريطانية والسفن وحماية الرعايا البريطانيين الذين يعملون في كل منهما .

ترتيبات على الساحل الايراني لكبح جماح القرصنة واقامة قاعدة بحرية موقته في موغو واعادة احتلال باسيدو ١٨٢٢ – ١٨٢٣

في حالة ارتكاب قرصنة من الرعايا الايرانيين الذين يقطنون الساحل الايراني امر المعتمد مستقبلا ، نتيجة للمسئولية التي تحملتها حكومة الشاه أخيراً ، أن يعرض الامر في الحال على فارمان فارما فارس واذا فشلت الاجراءات فانه يرجع الى القائم بالاعمال البريطاني في طهران. ولكن حكومة بومباي وافقت على الاقتراح المقدم من الرئيس فيثفل رئيس الضباط البحريين في الخليج وهو ان تكون موغو مكاناً لتجمع السفن المرسلة من الهند ، وملتقى للطرادات التي تستخدم في الخليج لمراقبة وحفظ السلام البحري ، وأن يقيم هناك وكيل من الاهالي من قبل المعتمد السياسي في بوشهر . وقد وضع هذا الترتيب موضع التنفيذ وتم الحصول على منزل في موغو كمحطة للمخازن . ولكن السير هـ. ويلوك القائم بالأعمال البريطاني في طهران أشار الى أنه من المحتمل أن تثير حكومة الشاه اعتراضات سريعة على أساس تفسير المادة الحاية عشرة من المعاهدة الانجلو ايرانية سنة ١٨١٤ . وتبعاً لذلك انتقلت المحطات البحرية البريطانية في خريف سنة ١٨٢٣ من موغو الى باسيدو بأمر من حكومة بومباي. وليس واضحاً لماذا اعتبر المكان الثاني أقل إثارة لمعارضة الحكومة الايرانية من الاول على ضوء احتجاجات ايران ضد الاحتلال العسكري البريطاني لجزيرة قشم .

معارضة الحملة الايرانية المعدة ضد البحرين ١٨٢٣.

وفي ربيع سنة ١٨٢٣ أعدت حملة مشتركة ضد البحرين من حكومة شيراز وسلطان عمان وشيخ القواسم ، فطلبت حكومة بومباي من العقيد ويلوك ان يستعمل نفوذه مع الشاه اذا وجد الفرصة مواتية لمنع تلك الحملة . واقترح كاساس للمناقشات أنه لو أدى تعكير السلام في الخليج الى انتعاش القرصنة فقد تضطر الحكومة البريطانية الى اقامة قاعدة عسكرية في تلك المنطقة .

بعثة علي مراد خان لبوشهر بخصوص الاهانات الموجهة للوكالة البريطانية ١٨٢٧

لاحظنا من قبل اندلاع الثورات المحلية في بوشهر سنة ١٨٢٦–١٨٢٧ عندما أسر سلطان عمان الحاكم الوراثي الشيخ عبدالرسول ، وقد وردت أيضاً المضايقات التي تعرضت لها الوكالة البريطانية نتيجة لذلك . وقد حث الشاه في المرحلة الاولى لتلك الاعمال السفير البريطاني في بلاطه على التوسط في النزاع بين حكومات فارس وعمان، ولكن الرائد ماكدونالد شعر بأنه لا يستطيع أن يفعل أكثر من ان يبلغ حكومة الهند رجاء صاحب الجلالة في ان الحاكم العام يسره أن تتشفع لدى السيد سعيد في إطلاق سراح الشيخ المسجون . ولا يبدو ان هذه الرسالة كان لها أثر ملموس. وبالرغم من ذلك فانه يبدوان التحسن المفاجيء في موقف حكومة شيراز تجاه المعتمدية البريطانية في بوشهر في فترة رحيل الرائد ستانوس ومجيء الرئيس ديلوس يرجع الى الاوامر المشددة التي وجهها الشاه الى ابنه الفارمان فارما . وقد ذكر ان زكي خان كبير مستشاري الامير الحاكم قد دفع غرامة قدرها اربعون الف تومان لانه أظهر احتقاره للمعتمد ، وقد وعد وزراء الشاه بجميع انواع الترضيات الممكنة للاهانات التي اشتكى منها البريطانيون . وفيما يتعلق بالعرض الاخير الذي ذكر ، فقد اوفد موظف من عائلة الشاه خصيصاً لبوشهر حيث قابل المعتمد في اول اغسطس سنة ١٨٢٧ . وذكر أنه قد اتى مزوداً بالسلطة الكاملة ليقوم بتنفيذ جميع رغبات المعتمد ، ولكن الرئيس

ويلسون اقتصر بفطنة على ان يعلم شيخ بوشهر برغبة الشاه في أن يعامل البريطانيين بالاحـــــترام . ويجب ان تصدر الاوامر بمنع مضايقة واعتقال الموظفين والرسل البريطانيين والتحرش بالبريد البريطاني الذي أصبح منتشراً في أجزاء مختلفة من فارس .

الاجراءات الخاصة بحالة سفينة يوحنا التي تحطمت على ساحل داشتي ١٨٢٧

ونوقش موضوع آخر مع علي مراد خان أثناء زيارته لبوشهر هو سوء تصرف جمال خان زعيم داشتي مع السفينة «البغلة» التابعة ليوحنا إحدى جزائر القمر التي تحطمت على شاطىء بلده ، ونهب رعاياه حمولتها واحتجزوا اثنين من الملاحين كعبيد . وارسل امير فارس الحاكم ضابطاً الى داشتي ولكنه عاد دون ان يعمل شيئاً ، وكان معه سعيد حمزه صاحب البغله وخادم من المعتمدية البريطانية وكلاهما افلتا من الموت بالسم بأعجوبة . وعندما علم علي مراد خان ان السفينة كانت تحمل بعض البضائع المملوكة لبريطانيا وأن أصحابها كانوا أصدقاء للبريطانيين وأنه لم تجر العادة بنهب السفن في الممتلكات البريطانية ، ذكر أنه أرسل فعلاً في طلب جمال خان ووعد أن يبذل جهده ليحصل على تسوية مرضية .

مشكلة حقوق البريطانيين التجارية في ايران ١٨٢٧

قبيل وصول علي مراد خان الى بوشهر ثارت بعض المشكلات الخاصة بالتجارة البريطانية أدت الى قيام السلطات البريطانية بمناقشة الحقوق الخاصة بالتجار البريطانيين في ايران بموجب المعاهدة . وذكر السفير البريطاني في إيران أنه في اتصالاته مع الحكومة الايرانية طالب باعتبار المعاهدة التجارية التي عقدها السير جون مالكولم سارية المفعول لكنه كان مدركاً أن وجهة نظر الحكومة الايرانية لم تكن كذلك ، وانها مقتنعة بأن المعاهدة قد فسخت بموجب معاهدة موريير—أليس لسنة ١٨١٤ التي لم تكن تحوي أية بنود تجارية ، الامر الذي يستوجب التفكير في معاهدة تجارية جديدة . ويبدو ان النقط التي قامت بسببها المصاعب هي

أولا جباية ضريبة الطرق من حين لآخر على البضائع البريطانية بالاضافة الى ضريبة الاستيراد عند دخول الميناء وثانياً التصرف غير الاصولي لشيخ بوشهر في منعه تجار الاهالي من شحن بضائعهم في السفن البريطانية ، فقد كان يجبرهم على الشحن في سفنه الخاصة . وبخصوص هذه المواضيع تعهد السفير الايراني دون الاشارة الى اية معاهدة بأن يحصل على تعهدات مكتوبة من رؤساء جباية الضرائب ومن شيخ بوشهر بازالة المضايقات مصدر الشكوى .

مشكلة تقديم المأوى للاجئين الايرانيين في المباني البريطانية الرسمية في ايران ١٨٢٧

وقامت مشكلة أخرى لم تكن نوقشت من قبل لسوء الحظ مع الحكومة الايرانية وهي نتيجة لاحداث بوشهر سنة ١٨٢٦-١٨٢٧ ، وتتعلق بحق التجاء الفارين الايرانيين الى المباني البريطانية الرسمية في ايران. والنتائج الوحيدة التي امكن الوصول اليها على ما يبدو هي ان مثل هذه الحماية لايمكن رفضها كلية طبقاً للتقاليد الوطنية ، لكنه كان من المناسب لسمعة الحكومة البريطانية ان تمارس هذا الحق بمنتهى الاعتدال وأن تتجنب المشكلات السياسية . وفي حالات الشيخين حسين ونصر من بوشهر اللذين اتخذا المعتمدية البريطانية ملجأ في نهاية سنة ١٨٢٦ فقد أمرت حكومة بومباي باستمرار الحماية لهما على شريطة امتناعهما عن الدسائس وعن محاولات قلب الحكومة القائمة في بوشهر ، وهو شرط قد نقض كما رأينا .

مشروع اقامة وكالة بريطانية يمكن الدفاع عنها خارج المدينة ١٨٢٧ :

وقد اقترح في وقت ما بمناسبة الحوادث التي حدثت أخيراً أن معتمدية بوشهر البريطانية يجب ان تقع خارج اسوار المدينة بحيث يمكن الدفاع عنها . ولكن السفير البريطاني في بلاط الشاه ذكر ان الحكومة الايرانية لاترحب بمثل هذا الاقتراح ، واشار الى الاسباب التي أدت الى تحطيم المبنى الذي أقامه الرئيس بروس حتى سويت حوائطه بالارض ، وعلى ذلك لم تتخذ أية خطوات في هذا الموضوع .

حالة شخص هارب من الطراد «امهرست» في بوشهر ١٨٢٧

وفي ٢٨ أغسطس اثناء غياب المعتمد البريطاني عن بوشهر تطور حادث في الميناء بعنف وسرعة أديا الى نتائج يؤسف لها ، فبعد أن علم القبطان بتهام قائد الطراد «امهرست» التابع لشركة الهند الشرقية أن هارباً من سفينته كان مختبأ في «بغلة» (سفينة) في الميناء أرسل ضابط صف بحري في قارب ليرجع الهارب ، ولكن بحارة «البغلة» طردوه بالقوة . فذهب الكابتن بتهام بنفسه في قارب الى السفينة «البغلة» وأخذ رجلا من على ظهرها ليستعين به كشاهد ، وارسل مترجمه الخاص محمد علي الى الشيخ نصر يحمل له التحيات ويطلب منه تسليم الهارب . وبدلا من استجابة الطلب أمر الشيخ نصر بتعذيبه بقسوة واحتجزه هو وبعض البحارة الهنود التابعين للسفن البريطانية . وعلى ذلك ارسل القبطان بتهام الرجل الذي أخذه كشاهد الى السفينة «كلايف» وهي سفينة أخرى للشركة مع نوتيلوس ، وكانت موجودة بالميناء ، واخبر الشيخ أنه سيحتفظ بالرجل كرهينه مقابل الشخص الهارب . وقصد الى الشاطىء ببعض القوارب المسلحة وامر بأن يخبر الشيخ نصر أنه اذا لم يطلق سراح محمد علي ويقوم بالترضية عن السلوك المهين في خلال ساعتين فستتخذ الاجراءات لتحطيم السفينة الايرانية «رحماني» مع جميع سفن الشيخ نفسه . وبعد بعض التلكؤ ارسل الشيخ نصر محمد علي وبعض السجناء الآخرين الى الشاطىء ، ولكن محمد علي الذي كان في خدمة البريطانيين لمدة عشرين عاماً وُجِد مصاباً باصابة خطيرة في عينيه الاثنتين وهي اصابة وعد الشاه بتعويضه عنها

ووصل الموضوع الى سمع المعتمد الذي تلقى شكوى من الشيخ نصر ضد سلوك بتهام ولكن لم يعرف كيف انتهى الموضوع .

مشروع نقل المعتمدية البريطانية الى خارج ١٨٢٧–١٨٢٨

وفي ديسمبر ١٨٢٧ أمر العقيد ويلسون معتمد بوشهر أن يزور قواعد عديدة في الخليج بقصد تأكيد أي منها تكون أكثر صلاحية لاقامة المعتمدية في حالة نقلها من بوشهر . فأوصى العقيد ويلسون بجزيرة خارج . وفي سنة ١٨٢٨ أيد السير جون مالكولم حاكم بومباي مشروع النقل

هذا رغم أن آراءه السابقة فيما يختص بخارَج معروفة . وكتب العقيد ويلسون تقريراً جاء فيه أن موقع باسيدو التي كانت منذ سنة ١٨٢٣ القاعدة الاساسية للطرادات البريطانية في الخليج لا يصلح ليكون ميناء تجارياً كما لا يصلح أن يكون مقراً لمعتمدية الخليج .

وفي ذلك الوقت كانت الفائدة الاساسية المنتظره من الانتقال إلى خارَج هي الراحة من الاحتكاك بالسلطات الايرانية بسبب إثارة أمور محلية تافهة . ولكن مسألة الانتقال المقترح اندمجت مع مشكلات أخرى لها علاقة بتخفيض المصروفات في الخليج وادماج معتمديتي البصرة وبوشهر في معتمدية واحدة . وفي هذا الشكل المعقد تعثر المشروع حتى سنة ١٨٣٤ عندما انتهى أخيراً الى لا شيء . ويجب ان نلاحظ ان مسألة الانتقال الى خارَج لم يثرها السير ج. مالكولم كما كان يعتقد ، بل فعل ذلك سلفه ، ومن المحتمل أنها نشأت عن المتاعب التي تعرضت لها المعتمدية سنة ١٨٢٧ .

طلب(١) الشيخ عبد الرسول في بوشهر الحماية البريطانية ١٨٢٨

في بداية يناير سنة ١٨٢٨ بدأت تمهيدات غير مباشرة مع الحكومة البريطانية قام بها الشيخ عبدالرسول في بوشهر مع الرئيس ويلسون المعتمد البريطاني. وكان واسطة الاتصال الذي اختاره الشيخ هوميرزا من المعتمدية البريطانية ، وكان موضوع رسالة الشيخ الى المعتمد هو تشوقه لان يكون على اتصال دقيق خاص بالحكومة البريطانية . وفي الواقع إنه كان يرغب في أن يعتبر تابعاً لهم ، وان يدخل في أية ارتباطات يعتبرها المعتمد مناسبة . وان يكتب خطاباً الى حاكم بومباي ، السير ج. مالكولم في ذلك الوقت ، يذكر فيه ان كل ما يكتبه المعتمد من تقارير يجب ان يؤخذ على أنه صادر منه (الشيخ عبد الرسول) ، وأنه سيكون سعيداً في ان يتلقى إجابة الحاكم شفهياً من المعتمد . وكان من الواضح ان الغرض من هذه

---

(١)توجد مشابهة تامة بين سلوك شيخ بوشهر في ذلك الوقت وبين سلوك شيخ « المحمرة » في الايام الحديثة أنظر الفصل العاشر .

الاحتياطات الاخيرة .هو ان يحول دون ضرورة إظهار ميوله وعواطفه في الكتابة . ولم يكن لدى الرئيس ويلسون شك في أن تصرف الشيخ كان راجعاً الى تقدم النفوذ الروسي في ايران ، وكان جلياً ان الشيخ كان يتوقع ازدياده ، ومن المحتمل انه كان يعتبر معرفة الآخرين بعلاقاته الودية مع بريطانيا سياسة مطمئنة . وكان الكثيرون يتطلعون الى مثل تلك الصلة في ذلك الجزء من ايران ، متصورين انها – اي بريطانيا – مهتمة بالحرب التي قامت بها روسيا ، وأنها من غير المحتمل ان تشترك اشتراكاً فعلياً في النزاع . ولكن في نفس الوقت اعتقد المعتمد ان الشيخ لا يعتبر نفسه مرتبطاً بأي شيء يقوله ، وأنه بعد ذلك يستطيع ان ينكر ما قاله اذا كان هذا يناسبه . وتبعاً لذلك حاول المعتمد أن يثني الشيخ عن عزمه بالتأكيد له ان مشاعره الودية تجاه الحكومة البريطانية معروفة جيداً بالتحالف السياسي بين بريطانيا وايران . واعترف الشيخ في رده بالاخلاص الكامل للشاه ، ومع ذلك استمر يلح في الموضوع ، واشار الى ذلك في محادثته الشخصية مع المعتمد . وفي النهاية اقتنع الرئيس ويلسون وارسل خطاباً مغلقاً من الشيخ الى الحاكم دون ان يعرف محتوياته .

وفي اول فبراير سنة ١٨٢٨ أعاد الحاكم خطاب الشيخ المغلق الى بوشهر مرفقاً به إخطار بأن السير ج. مالكولم على معرفة بعائلة الشيخ منذ زمن طويل، وأنه يسره دائماً أن يتلقى ملاحظات علنية عن صداقته للحكومة البريطانية ، ولكن لا تقبل منه مراسلات في ظروف توضح أنها مخالفة لولائه للحاكم الشرعي حليف بريطانيا . ووصل تأكيد آخر للشيخ بأن رفض الترحيب بمقترحاته لا يدل على عدم الرضا عنه . واضيفت ملاحظة أيضاً تبين خطورة المراسلة التي اراد ان يبدأها ، فلو قد اكتشفتها الحكومة الايرانية سيكون من نتائجها ان حاكم بومباي لا يستطيع ان يحميه دون اثارة الشكوك في أنه يؤيد تصرفاته .

انتقال المعتمدية البريطانية الموقت من بوشهر الى خارج ١٨٣٢ :

وفي ربيع سنة ١٨٣٢ انتشر الطاعون في بوشهر ، وانتقل المعتمد البريطاني لكي يتجنب العدوى فسكن جزيرة خارج حيث بقي من ١٢

مارس إلى ٢٩ يونيه . وفي أثناء غياب المعتمد اُقتحيم مبنى الوكالة في بوشهر وسلبت الاشياء القليلة ذات الاهمية التي كانت به . وفي سنة ١٨٣٣ بعد عودته الى بوشهر ارتكب القواسم جريمة سرقة المنزل الحجري المحاط بقماش الخيام الذي بناه المعتمد في جزيرة خارّج بموافقة الحكومة أثناء إقامته في الجزيرة ، وقد وردت قصة هذه التصرفات الاخيرة في تاريخ عمان .

مطالبة حكومة شيراز للبريطانيين حمايتها من الاعتداء البحري

لقد رأينا في الفصل السابق المتعلق بأحداث الساحل الايراني أن شيخ القواسم ظهر في نوفمبر سنة ١٨٣٢ عند بوشهر بطريقة عدائية ومعه قوة بحرية ، لكنه اقتنع ان يرحل دون الهجوم على المدينة بسبب الموقف الحاسم الذي وقفه المعتمد البريطاني . وفي الشهر التالي لا شك أن الامير الحاكم لفارس كان يخشى الغارات والتهديداتالبحرية فكتب الى المستر بلين المعتمد البريطاني في بوشهر يصر على أنه من واجب بريطانيا بموجب معاهداتها مع ايران أن تمنع الاعتداءات البحرية على الساحل الايراني ، ويبدو أيضاً أنه لامه على السماح للمظاهرة التي قام بها اسطول الشيخ سلطان بن صقر ضد بوشهر . وعلى هذه الرسالة أجاب المستر بلين بحكمة أنه لا يستطيع ان يتصرف في الشئون الخارجية الا باوامر من حكومة بومباي ، وان السفير البريطاني في طهران هو السلطة الوحيدة في البلد الذي له الحق في الدخول في مباحثات مع المسئولين الايرانيين في موضوع المعاهدات .

★ ★ ★

التجارة البريطانية مع ايران في الخليج
١٧٩٧ ـ ١٨٣٤

لقد تدهورت تجارة ايران الخارجية خلال فترة حكام الزند الذين جاءوا بعد كريم خان الى مستوى منخفض كما رأينا . ولكن في أثناء حكم فتح علي شاه الكاجاري حدث انتعاش عظيم وسريع نتيجة لتوطيد سلطته هو وسلفه من جهة وربما بسبب العناية التي وجهتها حكومة الهند الى المصالح التجارية البريطانية في ايران من الجهة الاخرى . وفي سنة ١٨١٣ وبمناسبة تجديد ميثاق التجارة حرمت شركة الهند الشرقية من احتكار التجارة في جزء كبير من الشرق . ولا توجد بعد ذلك سوى إشارات قليلة لعقد صفقات تجارية لصالحها في الخليج . وفي سنة ١٨٢٢ منع موظفوها السياسيون في ايران نهائياً من التدخل في التجارة .

الناحية التجارية لبعثة مهدي علي خان في ايران ١٦٩٨–١٧٩٩

كان لبعثة مهدي علي خان الى ايران ، وتعيينه كمعتمد بريطاني في بوشهر ، مما ذُكر سابقاً ضمن العلاقات السياسية ناحية تجارية اعتبرت في ذلك الوقت هامة ، وفي الحقيقة فقد ذكر بصراحة في تعليمات مهدي علي خان ان الغرض الاكبر من تعيينه هو توسيع واردات الشركة الاوروبية في ايران ، وتحسين اسعار البيع الى اقصى درجة ممكنة . ولانقاذ الشركة من الخسائر يبدو أنه كان من الضروري تصريف مثل هذه البضائع بزيادة ٢٠ أو ٢٥٪ على أثمان الفاتورة ، بينما في السنين الاخيرة كانت تباع في بعض الاحيان بأقل من هذه الاثمان. وكان في ذلك ضرر كبير لمصالح الشركة المالية . ويبدو أنه سمح لمهدي علي خان بسمسرة قدرها ١٠٪ على الارباح الاضافية التي يجنيها أصحاب العمل من مجهوداته . وقد امر بالحاح أن يشتري الصوف الكرماني بسعر ٦ روبيات للبالة ، التي تزن ٢٠ من تبريزي . ولما كان يخشى الا يستطع الحصول على مثل هذه الكمية الصغيرة ٥٠ بالة (وهي الكمية المطلوبة) بذلك السعر فقد خول السلطة في السنة الاولى ان يرسل مئة بالة. وكان على

علي مهدي خان أيضاً إعداد قوائم تبين التفاصيل الكاملة للكميات والاثمان للبضاعة الاوربية التي يمكن بيعها في ايران لكي تصبح تلك القوائم كمرشد للشركة في صفقاتها . وكان عليه أن يكتب تقريراً بتفاصيل التجارة التي يقوم بها الروس من القزوين لتخفيض أسعار بضائع الشركة في السوق الايرانية ان امكن .

وقد أحرز مهدي علي خان نجاحاً كبيراً أثناء الفترة القصيرة التي جاءت بين وصوله وبين وصول الرئيس مالكولم في ايران ، فهو نجح في تصريف بضائع الشركة وبصفة خاصة الاصواف . وفي نهاية سنة ١٧٩٩ كتبت حكومة بومباي تقريراً يشهد باستطاعته التخلص من جميع أصواف الشركة عادة بسعر أعلى من سعر الفاتورة . ومن المحتمل أن هذه النتيجة السعيدة كانت راجعة من ناحية الى تحسين الاحوال الاقتصادية في ايران ومن ناحية أخرى الى نفوذ المعتمد .

المظهر التجاري لبعثة الرئيس مالكولم الاولى في ايران ١٧٩٩–١٨٠١

ولقد كان لبعثة الرئيس مالكولم الاولى لايران علاقة كبيرة بالتجارة. وقد زودته حكومة بومباي عند رحيله بقدر كبير من المعلومات المفيدة في الموضوع ، كما أعطي بعض الاقتراحات عن الاغراض الخاصة بعقد معاهدة تجارية . ومن بين الوثائق التي سلمت اليه تقرير تاريخي احصائي للمستر مايشير مدير الجمرك ، والمستر فوست المحاسب العام ، بتاريخ ١٧ ديسمبر سنة ١٧٩٩ . ولاحظت حكومة بومباي أنه ليس من الضروري العمل لتحقيق شيء أكثر من الحصـــــــول لصالح الشركة على تأكيد للامتيازات العديدة التي يمكن تجديدها – كما حدد في التقرير المذكور لصالح التجار الخصوصيين – بتثبيت معدلات الضرائب التي يدفعونها في الموانيء البحرية المختلفة ، وان تحدد بوضوح وتأكيد بقدر الامكان الطريقة التي يتم بها التقاضي في المعاملات التجارية في حالة الخلاف ، وبصفة خاصة طريقة استرداد الديون . وقد اضيف

أيضاً ان التجارة الايرانية يجب ان تفتح بقدر الامكان امام التجار البريطانيين والهنود المعتمدين على الشركة ليتاجروا في سلع معينة كالاصواف والمعادن التي كانت تحتكرها الشركة من المنافسات ، ولكنهم ظنوا ان هذا الهدف الاخير يمكن ان يُحقق في الهند بأساليب مختلفة . وعلى ذلك فلا داعي لادراجه في المعاهدة البريطانية مع ايران . اما التقرير التجاري الذي كتبه الرئيس مالكولم بعد وصوله الى ايران والمؤرخ في ٢٦ فبراير سنة ١٨٠٠ فقد شرح في مكان آخر ، كما أن المدى الذي نجح فيه في تحقيق المطالب التي لفتت نظره اليها حكومة بومباي فظاهر في شروط المعاهدة التجارية التي حللناها من قبل .

التجارة الايرانية ١٨٠٢

نفهم من ملاحظات المستر وورنج الذي زار ايران في سنة ١٨٠٢(١) ان واردات الدولة بصفة أساسية في ذلك الوقت كانت الملبس والكماليات والصادرات الأساسية كانت الصمغ والعقاقير واللؤلؤ وماء الورد والخيول وكمية قليلة من النبيذ أما الجوخ في الأسواق الايرانية فكان من المصنوعات الفرنسية ويستورد عن طريق روسيا . وقد قام كثير من التجار الايرانيين أصحاب المشروعات بزيارة الهند حيث احتفظ بعضهم بوكلاء دائمين وقاموا برحلات الى كشمير ليشتروا الشيلان ولكن رقم مبيعاتهم السنوية كان صغيراً بسبب بطء عملياتهم . وقد استغل عدد منهم رؤوس أموالهم في شحن السفن وليس في التجارة .

العمله الايرانية ١٨٠٢ — ١٨١١

لقد درست(٢) مشكلة العملة الايرانية من قبل المستر وورنج سنة ١٨٠٢ ، والسير هـ. جونز طيلة عدد من السنوات قبل سنة ١٨١١ . ويبدو من ملاحظات الاول ان وسيلة التعامل كانت مختلطة الى اقصى حد ومكونة

(١) انظر رحلته الى شيراز صفحات ٢ ، ٧٦ ـ ٧٧ .
(٢) انظر « رحلة الى شيراز » لورنج ص ١٢٨ ـ ١٢٩ وبعثة برديجز ص ٤٣٢ ـ ٤٣٤ .

الى حد كبير من العملة الاجنبية . وكانت العملة الوحيدة تقريباً التي لم تتغير قيمتها هي القرش او القرش التركي والتومان الايراني الذهب . وكان معظم العملة المتداولة هي القرش والدوكات الهولندي ، وكان هناك تدفق كبير للمسكوكات من تركيا وروسيا ولكن كان هناك أيضاً توازن كبير كما كان في عهد الزند بتصريف مستمر للعملة من ايران الى الهند . وظلت العملة الذهبية والفضية والمسكوكة في ايران حتى سنة ١٨١١ على الاقل في مستوى عالٍ لان سياسة حكومة الشاه في ذلك المجال كانت أفضل من سياسة الباب العالي .

ازدياد تجارة إيران الخارجية

لقد لاحظ السير ه. جونز ان التجارة الخارجية لايران ، وكان خبيراً بها منذ سنة ١٧٨٤ ، قد ازدادت بسرعة غير عادية اثناء الفترة الاولى من حكم فتح علي شاه ، وقد تتبع سلعة واحدة للاستيراد في بوشهر على سبيل المثال فوجد ان الطلب السنوي هناك للشيت الهندي الملون ، الذي كان عبارة عن ٦٠ أو ٧٠ بالة في السنة عند بداية معرفته للمكان ، ارتفع في سنة ١٨١١ عندما غادر البلاد نهائياً الى خمسمائة أو ستمائة بالة سنوياً .

تجارة شركة الهند الشرقية في بوشهر ١٨١٩

وعلى الرغم من ان تجارة الاحتكار لشركة الهند الشرقية قد منعت في سنة ١٨١٩ الا انهم ما زالوا يرسلون البضائع الى بوشهر لتصريفها على حسابهم الخاص . ولكن هذه المتاجرة أصبحت دورية وهو تغيير كانت له نتائج باهرة . وصرف النظر عن ضرورة استمرار وكالة تجارية في بوشهر ، ولم تعد هناك أية صعوبة في نقل المعتمدية الى مكان آخر ، اذا وجد الدافع السياسي . ويبدو ان هذا كان أحد المظاهر الاخيرة لتطور حركة التجارة التي قامت بها شركة الهند الشرقية في ايران .

الموقف بشأن معاهدة التجارة البريطانية ١٨٩٧ — ١٨٣٤

لقد رأينا ان معاهدة تجارية نظمت بين بريطانيا وايران على يد الرئيس مالكولم سنة ١٨٠١ ، ولكنها لم يعاود تأكيدها ثانية في أي تاريخ لاحق . وبعد انتهاء المعاهدة السياسية سنة ١٨١٤ التي ذكرت في افتتاحيتها ان معاهدة تجارية منفصلة سوف تعقد لاحقاً فسرت الحكومة الايرانية ذلك بأنه يعني ان المعاهدة التجارية الاولى باتت ملغية .

وفي سنة ١٨٢٣ صدر فرمان من الشاه له علاقة بضريبة جديدة على تصدير الخيول من موانيء الخليج ، وأنه لا يجب فرض ضرائب في المستقبل على الخيول او الممتلكات الاخرى او البضائع الخاصة بالرعايا البريطانيين ، ولكن هذا لم يكن بديلا كافياً للمعاهدة التجارية .

وفي سنة ١٨٢٧ قامت القلاقل في بوشهر نتيجة لذلك ، وامكن التخلص من هذه القلاقل التي سبق ذكرها باجراءات موقتة فقط .

وعند نهاية حكم فتح علي شاه نشأت رغبة في إقامة طريق للتجارة البريطانية مع ايران عبر تركيا ، وكان من الضروري تعيين قناصل بريطانيين في أمكنة معينة في ايران ولكن الشاه عارض هذا المشروع بحزم وأثبتت اعتراضاته أنها وقفت سداً منيعاً في وجه عقد معاهدة تجارية

★ ★ ★

مؤسسات شركة الهند الشرقية في ايران
١٧٩٧ ـ ١٨٣٤

تشكّل تنظيمات شركة الهند الشرقية الرسمية في ايران اثناء حكم فتح علي شاه ، او بمعنى آخر إنشاء معتمدية بوشهر ووضعها ضمن النظام السياسي للخليج من سنة ١٧٩٧ الى سنة ١٨٣٤ ، تشكل هذه جميعاً تفاريع من قضية كبرى بحيث لا يمكن مناقشتها على حدة . ان الوقائع الخاصة بمؤسسات الشركة في الخليج بوجه عام توجد في الفصل الخاص بتاريخ الخليج العام . أما بعثات مهدي خان علي والقائد مالكولم في ايران واهمية

مسقط المتغيرة والحملات البريطانية ضد القواسم والاجراءات التي اتخذت بعد الحملة القاسمية الثالثة لمنع انتعاش القرصنة . كل هذه كان لها تأثير على معتمدية بوشهر وجعل موقفها حتى سنة ١٨٣٣ ، الى حد ما ، متزعزعاً غير ثابت .

★ ★ ★

محمد شاه ١٨٣٤ ـ ١٨٤٨(١)

خلف فتح علي شاه في الحكم محمد ميرزا بن عباس ميرزا تحت تحت اسم محمد شاه .

وكانت السنون الاولى من حكم هذا الحاكم الجديد غير مستقرة بسبب الصراع بين السياسة البريطانية والروسية بشأن افغانستان . وقد أدى هذا في وقت ما الى تصادم خفي بين نفوذ البلدين في ايران كما أدى إلى حملة ايرانية فاشلة على هرات سنة ١٨٣٧-١٨٣٨ وقيام ازمة في

(١) المراجع الآتية هي المراجع الاساسية للتاريخ الايراني العام في تلك الفترة : « لمحات عن الحياة والعادات في ايران » سنة ١٨٥٦ لليدى شيل « تاريخ ايران » سنة ١٨٦٦ للمستر ر. ج. واتسون « مذكرة في الشئون الايرانية » سنة ١٨٧١ للمستر ج. تالبويز هويلر ، « انجلترا وايران في الشرق » الطبعة الثانية سنة ١٨٧٥ للسير هـ. س. رولنسن ، « تاريخ الحرب في افغانستان » الطبعة الرابعة سنة ١٨٧٨ ، « السير برا من انجلترا الى سيلان » سنة ١٨٨٤ للمستر ا. ل. ميتفورد ، « المخاطرات الاولى في ايران الخ » سنة ١٨٨٧ للسير أ. هـ. ليارد ، « ايران والمشكلة الايرانية » سنة ١٨٩٢ للورد كورزون ، « تاريخ البحرية الهندية » سنة ١٨٧٧ للملازم س. ر. لو ويحتوى على تفاصيل جميع الامور التى كان فيها في الخدمة وهو مؤرخها ، « معاهدات وارتباطات وسندات » المجلد الثاني عشر الطبعة الرابعة لاتشيسون ويتضمن معظم الاتفاقات الايرانية مع الدول الخارجية في تلك الفترة .

وأهم مصادر المعلومات عن منطقة الخليج هي « سجلات حكومة بومباى » مختارات رقم ٢٤ سنة ١٨٥٦ ، « مختصر المراسلات الخاصة بشئون الخليج » سنة ١٨٠١ ـ ١٨٥٣ للمستر ج. سالدنها وقد طبع سنة ١٩٠٦ .

العلاقات البريطانية الايرانية خلال ذلك الصراع الذى جاءت في أعقابه فترة ركود عام في الشئون الايرانية .

ومنذ حكم محمد شاه حتى الوقت الذي فشلت فيه المحاولةالايرانية في هرات تشابكت بشدة العلاقات البريطانية والروسية والافغانية مع إيران ، حتى ليستحيل فصلها . وعلى ذلك فنحن مضطرون ان نترك تقسيمنا العادي للموضوع بصفة موقتة ، وان نعالج الشئون الداخلية والخارجية على وجه الاجمال تحت باب «تاريخ ايران العام » .

★ ★ ★

تاريخ ايران العام منذ اعتلاء محمد شاه الى الحملة الايرانية على هرات ١٨٣٤ ـ ١٨٣٧

هزيمة المنافسين وتوطيد مركز محمد شاه على العرش ١٨٣٤—١٨٣٦

لقد اتفقت بريطانيا وروسيا على تأييد مطالب محمد ميرزا الذي عينه جده على العرش والذي‌صادف وجوده في تبريز ساعة خلو العرش . وكان هناك تفاهم بين الدولتين الغرض منه الاحتفاظ بسلامة واستقلال ايران . وقد ظهر هذا التفاهم سنة ١٨٣٤ وتجدد سنة ١٨٣٨ ولكنه لم يتخذ أي طابع رسمى لا في ذلك الوقت ولا بعده .

كان السير ج. كامب الوزير البريطاني في طهران يمده بالاموال التي يحتاجها للاطاحة بمنافسيه الاثنين ، أي عمه علي ميرزا المعروف باسم « ظل السلطان » وعمه الآخر حسن علي ميرزا حاكم فارس العام المعروف باسم الفارمان فارما ، وكان السفير يعاجله بالمال قبل حصوله على موافقة من حكومته ، وكان نجاح القوات الملكية الايرانية السريع يُعزى جوهرياً الى قيادة الضباط البريطانيين الذين كانوا في خدمة الجيش

الايراني ، وكان الرائد ليندزي بيتون(١) قائد قوات محمد ميرزا (محمد شاه) في العمليات اللاحقة قد غادر تبريز الى طهران في العاشر من نوفمبر سنة ١٨٣٤ ، وعند بحر قزوين انضم مانوشهر(٢) خان اليه بقوات من القبائل . وكان هو من جورجيا ، او أرمنيا أسلم ، وقد ساءت سمعته لاحقاً حين أصبح حاكماً ايرانياً على عربستان ، واستسلم جميع من تبقى من جيش ظل السلطان . وفي الثاني من يناير سنة ١٨٣٥ دخل محمد شاه العاصمة الايرانية في أبهة كبيرة . وفي فبراير سنة ١٨٣٥ تحرك ليندزي بيثون ضد حاكم فارس وأطاح به تماماً في الميدان ، بين أصفهان وشيراز ، مشتتاً جيشه الكبير الذي كان يقوده أخوه شجاع السلطنة . ومع ان القوات الملكية كانت صغيرة الا أنها كانت متفوقة في المدفعية . وقد اسر ظل السلطان الفارمان فارما ، وشجاع السلطنة وارسلا اسيرين الى اردبيل حيث فقئت عينا شجاع السلطنة ومات الفارمان فارما في الطريق . أما ابناء الفارمان فارما ، رضا قولي ميرزا خان ، ونجف قولي ميرزا وتيمور ميرزا وقد ورد اسم اثنين منهما من قبل في أحداث بوشهر ، فقد اتجهوا الى انجلترا حيث قضوا الصيف في المجتمع البريطاني تحت رعاية المستر بيلي فرايزر الرحالة . وقد استقبلهم صاحب الجلالة الملك ويليام ولم تؤيد الحكومة البريطانية على ما يبدو مطالبهم في حكم فارس ولكنها منحتهم معاشات . وبعد ذلك بعدة شهور ذهبوا الى القسطنطينية ولم يستقبلوا استقبالا حسناً ، لكنه بفضل وساطة السفير البريطاني وافق الباب العالي على اقامتهم في بغداد التي مروا بها قاصدين اوربا حيث كان هناك أفراد آخرون من الاسرة الايرانية

---

(١) كان هذا هو الملازم ليندسى الذي أحضره مالكولم معه الى ايران سنة ١٨١٠ ، وعاد الى انجلترا سنة ١٨٧١ ولكنه عاد الى ايران سنة ١٨٣٤ ، ومات هناك سنة ١٨٥١ في الرابعة والستين من عمره . وقد حصل على لقب بارون نظير خدماته في ايران .

(٢) يمكن أن يكون مانوشهر خان المعروف بعد ذلك باسم معتمد الدولة هو بعينه مانتوشهر الذى قابله ريتش في شيراز سنة ١٨٢١ ؟ « قصة اقامة في كوردستان المجلد الثانى ص ٢١٢ .

الملكية مقيمين من قبل كنفيين(١) . وسرعان بعد ذلك ما قضى كهرمان ميرزا ، أخ الشاه على التذمر في خراسان ، كما اخمدت القلاقل في الجنوب ، وبمساعدة الرائد رولنسن ، الذي تقدمت فرقة جوران تحت قيادته من زهان عن طريق لورستان الى ديزفول ، نجح بهرام ميرزا حاكم كرمان شاه في تهدئة الجنوب الغربي . وهكذا جلس محمد شاه بثبات على عرش ايران دون احتياج للمساعدة التي عرضت عليه من روسيا .

حاج ميرزا اغاسي رئيس الوزراء

كان من ابرز مؤيدي محمد شاه الرئيسين خاله يارخان المسمى بسيف الدولة وهو رأس الفرع الاصلي لعائلة الكاجار الملكية . وكان يتوقع لهذا النبيل أن يصبح رئيساً للوزراء ولكن الشاه فضل الحاج ميرزا أغاسي من أهالي اريفان وكان معلماً لابناء عباس ميرزا . وكان الحاج شخصية شاذة وقد وصفه البعض بأنه مجنون ولكنه بسرعة استطاع ان يكون له نفوذاً على سيده .

الوضع الخاص لكل من بريطانيا وروسيا في ايران

لقد تدهور نفوذ بريطانيا في ايران وظل كذلك لبضع سنوات بالرغم من الدور الحاسم الذي لعبه الممثل البريطاني وضباط المدفعية البريطانيين في اعتلاء محمد شاه للعرش . ومن المعروف ان تحويل تبعية المفوضية البريطانية في طهران من حكومة صاحب الجلالة الى حكومة الهند كان ازعج واساء الى فتح علي شاه ، الذي نظر الى الحكومة الهندية بغير ثقة واعتبر التغير إهانة لكرامته ، كذلك فان تعديل معاهدة سنة ١٨١٤ الانجلو ايرانية في سنة ١٨٢٨ قضى على اعتماد البلاط الايراني على مساعدة بريطانيا الحربية في حالة الضرورة . وكانت السيطرة الحقيقية على الجيش الايراني النظامي في ايدي البريطانيين . لكن الجيش كان قليل الجدوى

(٢) انظر « قصة اقامة الامراء الايرانيين في لندن » سنة ١٨٣٨ للمستر ج. ب. فريسر .

كسلاح في حالة الهجوم او الدفاع لقلة دربته في الشئون الحربية الا فيما يختص بمطاردة الثوار الايرانيين . وجاء في كلمات السير هـ. رولنسون الذي كان له دور غير صغير في تنظيم الجيش « ان القوات النظامية في ايران كانت في وقت انشائها الاول لا تستحق الذكر » .

لهذه الاسباب وغيرها فان سياسة بريطانيا في ايران لم توفق عملياً في ما استهدفته من توفير حكومة صالحة في ايران . أما وضع روسيا في ايران فكان متفوقاً على وضع بريطانيا ، فقد كانت روسيا مجاورة لايران ولها قوة حربية هامة سحقت ايران اخيراً في نزاع مسلح وأملت عليها شروط الصلح . وبالرغم من ذلك فان ايران لم تكن على استعداد للاستجابة لكل مطالب روسيا . وقد قاومت بنجاح لوقت ما تعيين القناصل الروسيين بموجب معاهدة تركمان شاى . ولم تكف روسيا عن التصريح باحترامها للمصالح الايرانية ، ولكن سياستها بعد تعيين الكونت سيمونيش ممثلا لهـــا في طهران سنة ١٨٣٣ كانت تتجه لتقويض القوة الصغيرة التي بقيت لايران . وقد اعتقد الكتاب البريطانيون ، ربما بغير حق ، بأن لرئيس الوزراء الايراني الحاج ميرزا أغاسي ميولا روسية . وهناك سبب أيضاً يدعو الى الاعتقاد بأن منوشهر خان الذي عين حاكماً على عربستان سنة ١٨٣٩ بفضل النفوذ الروسي كان ينحاز الى المصالح الروسية. وقد زاره في اقليم بختياري سنة ١٨٤١ البارون دي بور السكرتير الاول للسفارة الروسية .

خطط ايران بالنسبة لهرات ١٨٣٦

لقد ورد سابقاً ان محمد شاه قبل اعتلائه العرش ، وهو يعرف آنذاك بمحمد ميرزا ، قام بعمليات ضد هرات سنة ١٨٣٣. وقد حصل من كامران الحاكم الافغاني لتلك المقاطعة على وعد بالجزية ، ولكن الجزية لم تدفع اطلاقاً . وخلاف الادعاء السخيف الذي ادعاه الشاه بالتقدم لامتلاك افغانستان كلها والاتجاه شرقاً حتى غزنه ، كانت هناك أسباب أخرى متنوعة تجعله على خلاف مع حكومة هرات التي ظهر منها تدخل

في النزاع على حدود إقليم سجستان. وعلى أي حال فان نوايا محمد شاه فيما يختص بأفغانستان كانت تدل على الطمع أكثر مما تدل على الاعتدال وتشير الى الاعتداء أكثر مما تنطوي على العدل .

واخيراً في صيف سنة ١٨٣٦ ارسل الشاه جيشه تجاه الشرق . وقد أصابه الفشل في بعض العمليات الحربية الاولى ضد تركيمان أستر أباد وقد أدى هذا الى تأجيل حملته ضد هرات للعام التالي .

★ ★ ★

الحملة الايرانية ضد هرات
١٨٣٧ — ١٨٣٨

خطة العمليات الحربية الايرانية ضد هرات ١٨٣٧—١٨٣٨

لقد أضاف غزو كامران حاكم هرات لسجستان صيف سنة ١٨٣٧ الوقود الى النار المشتعلة ، فنزل محمد شاه بنفسه في خريف ذلك العام الى الميدان بجيش مكون من ١٥٠٠ من الخيالة و ٨٠٠٠ من المشاة . وكان يحرس كتائب المشاة ٣٠ مدفعاً تتقدم الجيش ، فاستولى على غوريان في الطريق. وفي ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٣٧ بدأ حصار الايرانيين لهرات . وليس من الضروري أن نطيل في سرد هذه الاحداث . فالحصار نفسه قليل الاهمية وان دام أكثر من تسعة شهور : ونكتفي بالقول بأنه فشل نتيجة لنشاط وعزم الرائد(١) إي. بوتنجر من مدفعية بومباي الذي كان موجوداً بالصدفة في المدينة ، والذي لم يتردد في اقحام نفسه في الدفاع . واضطر

(١) لم تكن للملازم الدرد بوتنجر أية مهمة رسمية في هرات وقد شجعة عمه الرائد (السير هـ. بعد ذلك) بوتنجر المعتمد البريطاني في السند على القيام برحلة خاصة للاستكشاف في أفغانستان. ولكنه كان ينوي أن يضع المعلومات التي يحصل عليها تحت تصرف الحكومة (ويمكننا أن نتذكر بأن الرائد بوتنجر كان هو نفسه أحد ضباط مالكولم الشبان كما أنه هو والكابتن كريستي سافرا من الهند الى ايران متنكرين بطريق البر سنة ١٨٠٩ — ١٨١٠) وقد مات الرائد بوتنجر سنة ١٨٤٣ في رحلة الى هونج كنج .

محمد شاه ان ينهي الحملة دون ان يحقق أي شيء من اغراضه الهامة كغزو هرات أو ارغام حكومتها على دفع الجزية التي اراد أن يحققها .

اهتمام بريطانيا وروسيا بحملة هرات ١٨٣٧–١٨٣٨

من المؤكد ان الوزير الروسي في طهران منذ البداية الى النهاية كان يشجع الشاه باهتمام على مواصلة خططه في هرات . لكن الحكومة الروسية انكرت ان تكون التعليمات التي لديه تخوله الحق في ان يفعل ذلك ، وقد استدعته لاحقاً . غير أن الحقيقة الثابتة هي ان الحملة الايرانية على هرات كانت تخدم المصالح الروسية خدمة أكيده ، ولو نجحت ايران هناك لكان لروسيا الحق بموجب معاهدة تركمان شاي ان تعين قنصلا في هرات او بمعنى آخر وكيلا سياسياً ، وبهذه الوسيلة كانت ستسهل عملية اتمام تخطيط حدود الاراضي الهندية . أما اذا فشلت الحملة فان ايران ستكون منهكة وذلك يجعلها اكثر خضوعاً للنفوذ الروسي ، واذا عطلت الحملة أو منعت عن طريق التدخل البريطاني فسينشأ العداء بين ايران وبريطانيا وبذلك تجني روسيا الثمرة . ويبدو أكثر من ذلك ان الكونت سيمونش قدم (٥٠,٠٠٠) خمسين الف تومان ، أي حوالي ٢٥,٠٠٠ الف جنيه انجليزي الى الشاه لمصاريف الحملة ، كما وعد ، في حالة الاستيلاء على هرات ، أن تتجاوز روسيا عن باقي حساب تعويضات الحرب المطلوبة لها من ايران ، وأن تتغاضى عن فرقة من الفارين الروسين تحت قيادة الرائد سمسون في خدمة الجيش الايراني ليستفيد منها الايرانيون في الحملة ضد هرات .

أما مصالح البريطانيين فقد كانت على العكس . وبالتأكيد فقد تأثرت تأثراً عكسياً بالهجوم الايراني على هرات . وكانت كل مزية تجنيها روسيا من مثل تلك الحملة مهما كانت النتيجة ، تقابلها خسارة لبريطانيا في المزايا الاستراتيجية او النفوذ السياسي . وكانت هناك أيضاً مضاعفات مباشرة من نوع خطير في وضع حكومة افغانستان حيث كان اعضاء متنافسون من عائلة براكزي يحتلون كابول وقندهار بينما عائلة السادوزين الذين طردهم الباركزيون وحلوا محلهم في المقاطعات

الاخرى ، ما زالوا يعيشون في هرات وممثلهم الاساسي يعيش في الهند كلاجىء سياسي . وقادت الظروف الطبيعية دوست محمد خان حاكم كابول وقنديل خان حاكم قاندهار الى المفاوضات مع شاه ايران من أجل حملة مشتركة على هرات . وانتهت هذه المفاوضات فعلا باتفاق عقد تحت رعاية روسيا . وما كان لبريطانيا ان يُغفل حكامها في الهند إمكانية التحالف الدائم او المؤقت بين أمراء افغانستان والبلاط الايراني حيث يسيطر النفوذ الروسي في ذلك الوقت .

تدخل الوزير البريطاني في ايران قبل حملة هرات سنة ١٨٣٨

وفي السادس من ابريل سنة ١٨٣٨ وصل دكتور مكنيل(١) الوزير البريطاني في طهران الى المعسكر الايراني وبعد احتجاج على الشاه على هذه الحملة ، عرض خدماته كوسيط . وقد قبل العرض اول الامر من الجانبين وسويت المشكلات بين طهران وهرات بطريقة عادلة عن طريق هذه الوساطة البريطانية المنصوص عليها في معاهدة سنة ١٨١٤ الانجلو ايرانية . وعند هذا الموقف الحرج وصل الكونت سيمونيش الوزير الروسي الى معسكر الشاه وأقنعه ان يرفض مساعدة الدكتور مكنيل بعد ان زار الاخير فعلا كامران في داخل اسوار هرات بصفته وسيطاً .

المشكلات القائمة بين بريطانيا وايران قبل حملة هرات ١٨٣٨

كانت هناك من قبل قضية خطيرة معلقة بين السفارة البريطانية والحكومة الايرانية ، وقد نشأت بسبب المعاملة غير الودية التي عاملت بها السلطات الايرانية رسولا من السفارة البريطانية في أكتوبر سنة

---

(١) ولد الدكتور مكنيل (بعد ذلك السير جون مكنيل ج. س. ب) في سنة ١٧٩٥ ومات في سنة ١٨٨٣ . وكان الاخ الاصغر للمحامى الاسكتلندى والقاضى مكنيل اللذين أصبحا لورد كولونسى وأورنسى . وكان طبيب أدنبره من سنة ١٨١٦ حتى سنة ١٨٣٦ وجراحا في مؤسسة بومباى لشركة الهند الشرقية أولا في معتمدية بوشهر حيث يبدو أنه اشتغل كمعتمد في سنة ١٨٣١ وبعد ذلك في السفارة في طهران .

١٨٣٧ ، اذ قبض عليه ومنع من أخذ الرسائل الآتية من هرات معنونة باسم الوزير البريطاني . ولم تتم أية ترضية لهذه الاهانة ولا مجرد اعتذار ، وكان يعتقد ان ذلك عمل من أجل تحقير الممثل البريطاني في نظر العامة وبذلك يمكن اضعاف تأثير معارضته لحملة هرات . ولقد كان رفض الشاه الدائم عقد معاهدة تجارية مع بريطانيا دليلا واضحاً على ان هذه الافكار كان موعزاً بها اليه حتى وإن كانت على حق . وقد أثار الدكتور مكنيل النقاط المذكورة ونقاطاً أخرى في خطاب رسمي وجهه للشاه الذي أخذ يتظاهر بأن كل ما يطلبه الآن هو إيجاد ذريعة كافية لرفع الحصار عن هرات . ولكن الرد الايراني كان رداً غير مرض ، وان كان يتضمن بعض الاذعان الظاهري . ورفض الرد الايراني اشعار الدكتور مكنيل بعدم موافقة الحكومة البريطانية على حملة هرات واعتبر ذلك اعتداء على استقلال ايران .

انذار الوزير البريطاني النهائي باحتلال جزيرة خارَج بقوة بريطانية وتنحي الايرانيين عن حصار هرات

وفي ٧ يونيه سنة ١٨٣٨ ترك الوزير البريطاني المعسكر الايراني ، وبعد ان تسلم تعليمات خاصة من لندن في اوائل اغسطس ، بعث الرائد ستودات الذي كان يعمل في خدمة ايران الى الشاه برسالة شفوية مفادها ان وزراء الملكة ينظرون الى المشروع الذي قام به صاحب الجلالة بأنه اتجاه مُعاد للهند البريطانية ، وانه مناقض لمبدأ التحالف بين بريطانيا العظمى وايران ، وان حكومة الملكة تنظر الى احتلال ايران لهرات او أي جزء من افغانستان على أنه دليل عدائي واضح ضد انجلترا . واحتلت حملة بريطانية حربية من الهند جزيرة خارَج الايرانية في الخليج كما سنوضح ذلك بالتفصيل في مكان آخر . وفي نفس الوقت تقريباً حدث هجوم شديد على هرات نصح به ونظمه الكونت سيمونيش وكانت نتيجته الفشل . وابتدأت حينئذ الاشاعات عن التقدم البريطاني في أفغانستان لصالح السادوزيين ، مما أخذ يشل حركة الموالين للشاه بينما ألهب السادوزيين المدافعين عن هرات بالشجاعة ، ووجد محمد شاه أنه

من الانسب له أن يذعن للعروض التي عرضها الرائد ستودارت كوسيط . وبدأ الجيش الايراني في ٩ سبتمبر سنة ١٨٣٨ بالانسحاب من هرات ولكن غوريان ظلت في حوزة الايرانيين .

استمرار المظالم البريطانية من ايران

بقي عدد من المشكلات الخطيرة بين بريطانيا وايران معلقاً ومن بينها مشكلتان في الخليج ، ظلتا بلا تسوية . وتاريخ تسويتهما متعلق بتاريخ ايران العام ، وسترد في فصل عن العلاقات البريطانية . ويكفي هنا أن نقول إن العلاقات الدبلوماسية بين بريطانيا وايران ظلت معلقة في الواقع لوقت ما ، ولم يمكن الوصول الى تفاهم تام حتى سنة ١٨٤١ . وبعد التسوية الانجلو ايرانية تصرفت انجلترا وروسيا لوقت ما في الشئون الايرانية بوئام وبصفة خاصة في المشكلة الهامة لتخطيط الحدود الايرانية التركية التي سيشار اليها فيما بعد .

★ ★ ★

تاريخ ايران الداخلى ١٨٣٨ - ١٨٤٨

ثورة أغا خان ١٨٣٨ - ١٨٣٩

لقد رأينا ان بعض المتاعب قامت في سنة ١٨١٧ في يازد بسبب موت رئيس الطائفة الاسماعيلية ظلماً . وقد اتخذ الشاه في ذلك الوقت خطوات لتهدئة غضب أتباعه . وفي سنة ١٨٣٨ في الوقت الذي انسحب فيه محمد شاه من عملياته الحربية الفاشلة في هرات ثار أغا خان على الحكومة الايرانية . وكان الأغا قد نجح في الحصول على رئاسة الاسماعيليين ، وقد ارسل عائلته لتعيش في أمان في كربلاء . ويبدو أنه طالب لنفسه بالسلطة العليا على ايران . وبعد فحص النجاح والفشل في أقاليم كرمان ولار ، هرب براً إلى بلوخستان وظهر في كراتشي سنة ١٨٤٣ . واخيراً اتخذ الهند الغربية موطناً دائماً له .. وفي سنة ١٨٤٤ غزا أخوه سردار خان ايران من بلوخستان واستولى على بامبور لفترة ما ، ولكنه في النهاية

استسلم للسلطات الايرانية وأخذ أسيراً . وقام صراع دموي في بامبور بين القوات الايرانية والسكان البلوش نتيجة لهذه الثورة . وقد اعتقدت الحكومة الروسية ان بومباي قد أمدت الثوار الاسماعيليين بالاسلحة والذخيرة والمال والمدفعية .

ظهور البابية ١٨٤٤

وظهرت في السنوات الاخيرة من حكم محمد شاه هرطقة دينية كان مقدراً لها ان تحدث نتائج سياسية خطيرة في ايران . وقد تمثلت تلك في مذهب البابية للبابيين التابعين لمذهب الباب . ومؤسس هذا المذهب هو سيد علي محمد ابن بقال من شيراز ، وقد ارسل وهو شاب ليمثل والده في بوشهر وسرعان ما ترك هذا المكان للحج الى مكة ، وبعد ذلك جلس كتلميذ عند اقدام الحاج سيد كاظم وهو مجتهد كبير في ذلك الوقت في كربلاء . وعند موت استاذه عاد الى بوشهر حيث اعلن نفسه نبياً ، ويعتبر يوم ٢٣ مايو سنة ١٨٤٤ هو تاريخ ظهوره في تلك الشخصية حين اتخذ لنفسه لقب الباب او البوابة . وعن طريقه فقط يمكن الدخول الى علوم الامام المهدي الثاني عشر . وقد أصبحت إدعاءاته بلا ريب تسرف في المبالغة كلما تقدم الزمن . وعلى التوالي أعلن نفسه كالمهدي وأن النبي تجسد فيه وأنه وحى الله والله تجسد فيه . والمذهب البابي قد حرم بصفة دينيه في جميع أنحاء ايران ، وبدأت مذابح معتنقيه ليقابل ذلك اغتيال زعماء آخرين كما حدث في ذلك الوقت .

سوء حكم الحاج ميرزا اغاسي

كانت الادارات الداخلية للحاج ميرزا أغاسي ، وزير محمد شاه القوي ممقوتة طوال مده حكمه . وكان « مكتفياً بنفسه الى حد الحمق ، جاهلا كلية بأساليب الحكم ، وبالشئون المالية والعلوم الحربية ، ومع ذلك فكان من الغرور المفرط بحيث لا يقبل التوجيهات ، ومن الغيرة بحيث لا يقبل بمعاون ، وهو وحشي في ألفاظه ، وقح في سلوكه كسول

(٭) الاقتباس من رولنسون « انجلترا وروسيا في الشرق » ص ٧٢ ٠

في عاداته، اوصل بيت المال الى حافة الافلاس والبلاد الى احضان الثورة وفي بداية عهده حول نصف ايرادات الدولة تماماً الى منح فخمة لرجال البلاط، ولاتباعه الشخصيين ولمحدثي النعمة والدجالين . وانفق الباقي على أهواء الشاه الحربية . فمن أجل ارضائه أعد منتزهاً به الف قطعة من المدفعية، وأوصى على ما يزيد على نصف مليون بندقية بريطانية قديمة . وفي بداية سنة ١٨٤٨ كانت جريدة الحكومة تبين حسومات بنسبة ٩٠٪ في الميزانية . ويجب ان نتذكر أن نظام المالية في ايران كان نظام التحويل، وكانت مرتبات الجيش عادة مؤجلة لمدة تتراوح بين ثلاث سنوات الى خمس . وتلاشت تقريباً طبقة فرسان القبائل، وبلغ العداء المستحكم ذروته بين الايرانيين والاتراك وجمد حركة حكام الأقاليم وكان يهدد باحداث فوضى تامة . وباستثناء اذربيجان التي كادت ثروة البلاد مركزة فيها بفضل عودة السكان اليها بصفة مستمرة محملين بغنائم المقاطعات، فان مظهر ايران كان يوحي بأنها دولة يحتلها عدو أجنبي بالقوة .

وأحسن ما يمكن ان يذكر عن الحاج ميرزا أغاسي أنه أظهر الاهتمام بدودة الحرير وبعض الأعمال العامة .

شئون خراسان

كان يحكم مقاطعة خراسان الهامة لسنوات عديدة خال الشاه يار خان أسف الدولة، الذي كان منذ البداية مرشحاً لرئاسة الوزراء والذي ازدادت العلاقات سوءً بينه وبين منافسه الحاج ميرزا اغاسي . ولاسباب سياسية كان حكم خراسان والوصاية على كعبة الامام رضا في مشهد منفصلين أحدهما عن الآخر تماماً، لتكون سلطة الرئيس الديني الاعلى كابحة للسلطة الاخرى . ولكن أسف الدولة، بتحويله السلطة الاولى الى الثانية بينما في الوقت نفسه ضمن تعيين أبنه السالار كخليفة له في الحكم نجح في الاستيلاء على المركزين لافراد عائلته . ومع ذلك لم يستفد كثيرا من هذا الانتصار لانه سرعان ما خلع من تولي امر كعبة الامام واستدعى الى طهران، وحكم عليه ان يقضي بقيه عمره في المنفى بمكة وكربلاء .

وثار السالار في الحال ضد الحكومة الايرانية ولكن حمزه ميرزا أخ الشاه بعد حملة مليئة بالتقلبات طرده عبر الحدود الايرانية الى اقليم التركمان حيث إقامته هناك .

موت محمد شاه ١٨٤٨ وشخصيته

وقد توفي محمد شاه هذا الذي كان شهيد اللذات ، والذي تعزى بعض أخطائه السياسية الى الألم الجسماني ، في ٤ سبتمبر سنة ١٨٤٨ ، وهو في التاسعة والثلاثين من عمره . وفي الايام الاولى من حكمه كانت تتملكه شهوة المجد الحربي وقد اظهر في ذلك نشاطاً كبيراً وقد اصبب قبل موته بالبدانة والضعف العقـــلي فأصبحت تسليته الهامة صيد العصافير بالمسدس .

★ ★ ★

العلاقات بين ايران وتركيا ١٨٣٨ ــ ١٨٤٨

كان التوتر الذي هدد بالتحول الى حرب غير مرة واحدة ، الصفة المميزة للعلاقات الايرانية التركية أثناء حكم محمد شاه . وكان احتلال الاتراك الموقت لمدينة الرحمانية ونهبها سنة ١٨٣٧ من بين أسباب التوتر الهامة . وعندما بدأت أنظار الشاه تتجه نحو مشروع هرات بدأ التنافس بين كل من ايران وتركيا بالمطالبة بالسليمانية . كما نشأت مشاحنات أخرى على الحدود من عدم الاستقرار ، وعدم تخطيط الحدود المشتركة . وقد حدثت مذبحة في كربلاء سنة ١٨٤٣ قتلت فيها القوات التركية كثيراً من رعايا الايرانيين مما كاد يؤدي الى انفجار في وقت كانت قضية الحدود فيه قد سويت مبدئياً بالطرق السلمية . ان هذه الحوادث كلها ومعاهدة ارضروم (١٨٤٢–١٨٤٧) التي نجحت بواسطتها بريطانيا وروسيا في منع الحرب بين الشاه وبين السلطان موضحة توضيحاً كاملا في فصل خاص بالعراق التركي ونكتفي هنا بمجرد ذكرها .

علاقات ايران بالدول الاخرى في الخليج
١٨٣٨ ـ ١٨٤٨

أثناء حكم محمد شاه تجددت المشكلات غير مرة بين حاكم عمان وممثلي الشاه في الخليج ، ودخلت المصالح الايرانية ، او اعتقدت الحكومة الايرانية أنها دخلت ، في المنازعات القائمة على السيادة على البحرين . ولم يكن من بين الامور التي حدثت شيء ذو أهمية لايران ، وعلى أية حال سيكفي ان نشير في هذا الموضع الى التفاصيل الخاصة بها في تاريخ سلطنة عمان والبحرين .

★ ★ ★

علاقات روسيا وايران ١٨٣٨ ـ ١٨٤٨

لم يكن لعلاقات روسيا بايران بقية حكم محمد شاه أي مظهر هام اذا استثنينا الاجراءات التي اتخذتها روسيا بالاشتراك مع بريطانيا كما ذكر من قبل في تسوية المشكلات الخطيرة المعلقة بين الحكومة الايرانية والباب العالي .

وحوالي سنة ١٨٤٠ استولت روسيا على الجزيرة الايرانية أشواده في بحر قزوين حيث أسست بعد ذلك قاعدة بحرية صغيرة بحجة كبح جماح المغيرين التركمان للسواحل المجاورة . وكان هذا العمل نتيجة طبيعية لنص في معاهدة تركمان شاي يمنع السفن الحربية الايرانية من مياه بحرقزوين . ومع العلم بأن ايران لجأت الى وساطة بريطانيا الا أن هذه لم تنجح في الغاء النص . وفي سنة ١٨٤٤ تمكنت روسيا من تعديل معاهدة تركمان شاي فجعلت من المحتم على الرعايا الايرانيين والروس أن يحصلوا على جوازات سفر وتصاريح من حكوماتهم قبل عبور الحدود المشتركة .

علاقات فرنسا وايرن ١٨٣٨ ـ ١٨٤٨

بعثة الكونت دي سرسي

في سنة ١٨٤٠ او قبل ذلك بقليل ارسل الملك الفرنسي لويس فيليب بعثة دبلوماسية الى بلاط الشاه وكان يرئسها الكونت دي سرسي حيث حملت البعثة تهاني الملك الفرنسي الى الشاه . وكانت مهمتها هي عقد معاهدة تجارية بين فرنسا وايران . وكان حسين خان السفير الذي ارسله الشاه الى اوربا سنة ١٨٣٩ في مهمة سياسية ـ ستعرف فيما بعد ـ قد ارتبط بتعيين بعض الضباط الفرنسيين ليعملوا في الجيش الايراني في محل المدربين الحربيين البريطانيين الذين انسحبوا أخيراً . وكان يصحب البعثة الفرنسية مسيو فلاديم الرسام والمسيو كوست المهندس الذي قام برحلة في سنة ١٨٤٠ للبحث عن الآثار في مناطق كرمان شاه ، وبوروجيرد . وفي نفس الوقت انهمك المسيو بور وهو علماني ولكنه فرنسي كاثوليكي متحمس ، في محاولة نشر المسيحية اللاتينية بين الارمن في ايران ، كذلك المسيو نيكولاس وهو رجل فرنسي آخر ولد في ايران كان يعمل فعلا كسكرتير في وزارة الخارجية الايرانية .

وهكذا كان هناك مظهر كبير للنشاط الفرنسي في ايران لوقت ما ، ولكن لم تعقد معاهدة تجارية بين ايران وفرنسا . ووجد الضباط الفرنسيون العسكريون صعوبات في الحصول على مرتباتهم وعلاواتهم التي وعدوا بها . وقبل نهاية سنة ١٨٤٠ كان من الواضح ان البعثة الفرنسية فشلت أمام النفوذ البريطاني وهي حالة(١) اوجدت بعض التوتر بين الافراد الفرنسيين والانجليز في ايران .

بعثة كونت دي سارتيج

واخيراً في سنة ١٨٤٥ كانت التجارة الفرنسية تعامل نفس المعاملة التي تعامل بها تجارة الدول ذات الحظوة ، كما أن الكونت دي

(١) راجع « المخاطرات الاولى » المجلد الاول ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ للمؤلف لي يارد .

سارتيج الذي كان يمثل فرنسا في طهران سنة ١٨٤٧ عقد معاهدة تجارية بنجاح غير أن ايران امتنعت عن التصديق عليها في النهاية . ولم تكن لفرنسا مصلحة مادية في ايران . وهذه الحقيقة لم تؤد الى توطيد نفوذ سياسي ، بينما أكسبت السفارة الفرنسية لوقت ما شهرة وقبولا أكثر مما تتمتع به بريطانيا وروسيا . وكان نشاط السفارة عملياً ينحصر في حماية الكاثوليك اللاتينيين في ايران ، ولكن هذه الحظوة انتهت نهائياً بسبب تغير شكل الحكومة في فرنسا سنة ١٨٤٨ .

★ ★ ★

علاقات بريطانيا السياسية العامة مع ايران
١٨٣٨ ــ ١٨٤٨

أدى انسحاب محمد شاه من هرات الى جعله بعيداً عن الاستجابة التامة لمطالب الحكومة البريطانية ، وكان موقفه فيما يختص بالنقاط المعلقة بين البلدين غير عملي بحيث كان من نتيجته اضطرار الوزير البريطاني الى الانسحاب مع هيئة موظفيه الى ارضروم في الاراضي التركية ، كما أمر الضباط الحربيين الانجليز الذين يخدمون في الحكومة الايرانية بالعودة الى الهند عن طريق بغداد .

بعثة حسين خان الى اوربا ومطالب البريطانيين من الحكومة الايرانية ١٨٣٩

من المحتمل ان يكون السبب الرئيسي لعناد الشاه هو الامل الذي كان يرجوه من نتائج لبعثته في اوربا التي عهد بها الى شخص يدعى حسين شاه وكان ينتظر نتيجة تلك البعثة . وقد امر المبعوث الايراني بأن يطلب سحب مكنيل ، وزود بتقرير مكتوب بشكاوى الشاه من الوزير البريطاني والحكومة البريطانية . وقدمت صور من هذه المذكرة إلى القسطنطينية وسانت بطرسبرج وباريس . وزعمت المذكرة أن غرض الشاه الاساسي من الهجوم على هرات هو انقاذ الرعايا الايرانيين من العبودية ، وان

الاثارة التي واجهته بررت له اتخاذ اجراءات عسكرية ضد كامران وانه لم يتصرف بروح عدائية نحو بريطانيا كما لم يكن في نيته مطلقاً ان يسهل للخطط الروسية تجاه كابول . وقد اتهم الدكتور ماكنيل بأنه حرض أهالي هرات بالتشبث في دفاعهم عن المدينة ، وبأنه أمد حكومة هرات بمبلغ ٨٠٠٠ ثمانية آلاف تومان او اربعة آلاف جنيه انجليزي ، وأنه دعا حكاماً مختلفين ورؤساء قبائل للهجوم على معسكر الشاه ، وانه اتخذ الاجراءات ليحدث فزعاً في هذا المعسكر واغرى القوافل التي كانت في طريقها اليه بالعودة الى مشهد .

واختتمت الوثيقة (المذكرة) بتهديد غامض « بأنه اذا انكرت بريطانيا تحقيق العدالة للشاه فانه سيبحث عن ملجأ في ظلال جبل كبير » وقد أصبح معنى هذا التهديد واضحاً فيما بعد عندما وجه الشاه نداء لروسيا للحماية او للمساعدة مشيراً في نفس الوقت الى هرات كمقاطعة متمردة من ممتلكاته الخاصة . ولم يقابل حسين شاه بالتشجيع في القسطنطينية . أما العروض التي قدمتها روسيا لصالح الشاه فقد رفضتها الحكومة البريطانية . وأخيراً وصل حسين شاه لندن ولكن النتيجة الوحيدة للمقابلة التي سمح له بها اللورد بالمرستون سكرتير الحكومة للشئون الخارجية هو بيان كامل صريح في ١١ يوليه سنة ١٨٣٩ بالمطالب البريطانية في ايران وكانت كما يلي :

١ ـ تقدم حكومة الشاه اعتذاراً كتابياً عن الاهانة التي لحقت بساعي السفير البريطاني .

٢ ـ إصدار فرمان في ايران يضمن حماية جميع الاشخاص الذين تستخدمهم البعثة البريطانية .

٣ ـ يجب ان يتم الجلاء عن غوريان والاماكن الاخرى في افغانستان التي ما زالت تحتلها قوات الشاه .

٤ ـ اعتذار كتابي يجب ان يقدم بسبب الاستيلاء على منزل أحد الضباط البريطانيين في طهران .

٥ — يجب ان يعاقب جميع الاشخاص الذين لهم علاقة باهانة صراف المعتمدية البريطانية في بوشهر (هذا المطلب والمطلب الذي يليه مما نشأ من أحداث الخليج سيكتب عنهما فيما بعد) .

٦ — عزل حاكم بوشهر الذي أهان الامبرال سير ف. متيلاند من وظيفته وان تعلن الحكومة الايرانية السبب في عزله علناً .

٧ — يجب تصفية قضايا الرعايا البريطانيين بسبب بعض مصانع الحديد في قره داغ .

٨ — يجب دفع المبالغ المستحقة للضباط البريطانيين الذين كانوا يعملون أخيراً في خدمة الحكومة البريطانية .

٩ — يجب توقيع معاهدة تجارية بين بريطانيا العظمى وايران لتصحب استئناف العلاقات السياسية بين الدولتين .

وبهذه المطالب عاد حسين خان الى ايران. ويبدو ان روسيا وفرنسا رفضتا تأييد احتجاج الحاكم الايراني على تصرف بريطانيا . ولم يمض وقت طويل بعد عودته حتى جلد بقسوة وعطل بصفة موقته بسبب اتهامه بخيانة لها علاقة بتوظيف المدربين العسكريين الفرنسيين. ولكن بعد فترة غير طويلة شغل منصباً عالياً هو منصب حاكم فارس العام .

استجابة ايران للمطالب البريطانية ١٨٣٩ — ١٨٤١

وجاءت استجابة الحكومة الايرانية لشروط بريطانيا التي اصرت عليها تدريجياً . وكان كل بند في المطالب موضع نزاع بعناد كبير . وصدرت الفرمانات في سبتمبر سنة ١٨٣٩ وابريل سنة ١٨٤٠ لتضمن مستقبلا معاملة حسنة لخدم واتباع البعثة البريطانية في ايران ، حتى ولو كانوا رعايا ايرانيين ، ولتصون لهم حصانتهم من العقوبات على أيدي السلطات الايرانية دون علم الوزير البريطاني. وكانت المباحثات على النقاط الاخرى طويلة الامد ولم يكن حتى ٣١ مارس سنة ١٨٤١ أن تمت التسوية

فعلا بتسليم غوريان الى حكومة هرات، وكان هذا هو أصعب الشروط .
وقد تم في حضور الدكتور رياش طبيب الوفد البريطاني في ايران .

عودة الممثل البريطاني الى طهران والجلاء عن خارَج ١٨٤١—١٨٤٧

وغاد حينئذ السير ج. ماكنيل الى ايران واعيد تأسيس المفوضية البريطانية في طهران في ١١ اكتوبر سنة ١٨٤١ فجرى استقبال حار مفعم بالرياء . وبعد ذلك بأيام قليلة عقدت المعاهدة التجارية بالجلاء عن خارَج حيث تم ذلك في بداية سنة ١٨٤٢ . ومن المحتمل انه كان من حسن الحظ ان تم تنظيم كل شيء في ايران قبل حدوث كارثة كابول العظمى ، التي قدر لها ان تجعل لشهري نوفمبر وديسمبر سنة ١٨٤١ ذكرى الى الابد في التاريخ العسكري للهند البريطانية .

معاهدة التجارة الانجلو ايرانية في ٢٨ اكتوبر ١٨٤١

لقد وضح ان فتح علي شاه حتى موته كان يعارض بإصرار الدخول في أية معاهدة تجارية تعطي الحق للحكومة البريطانية في تعيين قناصل في ايران ، زاعماً أن السبب هو تحاشي اثارة غضب روسيا علماً بأنه منح هذا الحق لروسيا نفسها من قبل في معاهدة تركمان شاي . وفي نفس الموضوع كان محمد شاه في اول الامر عنيداً ، وحتى وقت الحملة الايرانية على هرات كان كل ما أمكن الحصول عليه منه ، فرماناً صدر في سنة ١٨٣٦ ضمن الحماية والمعاملة الحسنة للتجار البريطانيين في إيران ، وقرر مساواة الضرائب التي يدفعونها بما يدفعه التجار الروس .

ولم يكن الا بفصل التسوية العامة التي اعقبت الازمة الانجلو ايرانية سنة ١٨٣٨—١٨٤١ أن وجدت بريطانيا لنفسها مرة أخرى بعد مرور ٢٧ عاماً معاهدة تجارية مع ايران لا نزاع على صلاحيتها . وقد أبرم المعاهدة الجديدة السير ج. ماكنيل في ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٤١ بعد عودته الى طهران ، وقد وُصفت بأنها متممة لمعاهدة سنة ١٨١٤ الانجلو ايرانية السياسية . واشترطت المعاهدة ان يكون لتجار بريطانيا وايران حرية التجارة في الممتلكات الايرانية أو البريطانية على السواء ، وان

يخضعوا لدفع ضريبة الجمارك التي تفرض في كل من البلدين على تجارة الدول الاوربية الصديقة ، وان التجار او الاشخاص الذين لهم علاقة بالطرفين المتعاقدين ا و يعتمدون عليهما يجب ان يتلقوا نفس المساعدة والمعونة والاحترام كما يتلقاها رعايا معظم الدول الصديقة . وفضلا عن ذلك فقد خولت بريطانيا الحق في تعيين قنصل في طهران وقنصل عام في تبريز ، واعترفت ايران في نفس الوقت بالمعتمدية البريطانية في بوشهر ، وفي مقابل ذلك اصبح لها الحق في تعيين موظفين قناصل في لندن وفي بومباي .

فرمان خاص بالتفليسات ١٨٤٤

وقد صدر الفرمان المعروف الخاص بالتفليسات من الشاه سنة ١٨٤٤ لحماية التجار البريطانيين في ايران ، وكان مجاله اوسع بكثير من العنوان الذي يدل عليه . فالى جانب أنه حكم باجراءات مناسبة في التفليسه ، وعقوبة الافلاسات المفتعلة ، فانه اشترط تسجيل عقود الشراء والبيع وجميع الوثائق الاخرى ، واشترط تعيين رئيس لجماعة التجار الايرانيين في كل مجلس تجاري كبير . والغى مع بعض الاستثناءات الخاصة أماكن حجز المدينين ، واعترف بحق تدخل الموظفين البريطانيين السياسيين والقناصل في الحالات الخاصة بالرعايا البريطانيين .

فرمان منع تجارة العبيد ١٨٤٨

وفي ١٢ يونيه ١٨٤٨ ، كما هو مبين في تذييل الفرمان ، دون الشاه بخط يده مذكرة موجهة الى رئيس وزرائه يمنع فيها على مضض استيراد العبيد الزنوج الى ايران عن طريق البحر . وقد صدر هذا الامر بصعوبة كبيرة وبعد تردد كبير ، لان محتوياته تتنافى مع المبادىء الاسلامية فقد استنكرته الطبقات الدينية في ايران(١) .

---

(١) هذا خطأ من المؤلف : فالاسلام يدعو الى تحرير الرقيق الاصليين الذين كانوا يحاربون الاسلام • فضلا عن هؤلاء الزنوج المساكين المخطوفين من أهليهم وأوطانهم ظلما •

(المترجم)

شئون بريطانيا الرسمية العامة في ايران
١٨٣٤ ــ ١٨٤٨

عند اعتلاء محمد شاه سنة ١٨٣٤ كان السير جون كيمبول هو الممثل البريطاني وهو ضابط تحت إمرة حكومة الهند خلف السير ماكدونالد كينيث سنة ١٨٣٠ ، وحصل على لقبه سنة ١٨٣٢ . وقد لعب السير ج. كيمبول دوراً هاماً كما اوضحنا في تأمين عرش محمد شاه . ولكن عندما وجد ان نفوذه لا يكفي لعقد معاهدة تجارية ، فقد نصح بارسال بعثة خاصة من انجلترا من قبل التاج .

السير ه. اليس ١٨٣٥ ــ ١٨٣٦

وتبعاً لذلك ارسلت بعثة تحت رئاسة السير هنري أليس(١) الذي اشترك في المفاوضات الخاصة بالمعاهدات الانجلو ايرانية سنة ١٨١٤ ، وفي فترة مبكرة من حياته عمل في خدمة شركة الهند الشرقية الموقرة وعمل تحت رئاسة السير ج. مالكولم في ايران . وقد ارسلت البعثة لتهنىء الحاكم الجديد بمناسبة توليته ولتعقد معاهدة تجارية لكن ما أصابه هذا السفير الخاص الذي وصل الى طهران من نجاح في نوفمبر سنة ١٨٣٥ لم يكن بأحسن من حظ زميله السفير السابق ، حيث كان الفشل نتيجة مسعاهما .

سير ج. مكنيل ١٨٣٦ ــ ١٨٤٢

وفي اغسطس سنة ١٨٣٦ كان تحويل سفارة طهران من حكومة الهند الى الحكومة البريطانية ما يزال ساري المفعول ، وقد جاء بعد السير ه. اليس الدكتور (بعد ذلك السير جون) مكنيل وهو ضابط في الخدمة الطبية الهندية بدأ عمله في ايران قبل ذلك بعشرين عاماً كجراح بمعتمدية بوشهر ، وظل لفترة ما طبيباً للمفوضية البريطانية في طهران .

---

(١) انتهت وظيفة السير ه . اليس الدبلوماسية ببعثة خاصة للبرازيل سنة ١٨٤٨ . وقد ولد فى سنة ١٧٧٧ ومات فى سنة ١٨٥٥ .

الرائد سير ج. شيل ١٨٤٢ – ١٨٤٧

خلف الرائد جاستين شيل (بعد ذلك السير جاستين) السير ج. ماكنيل كوزير بريطاني في طهران في اغسطس سنة ١٧٤٢ ، بعد تسوية كل المشكلات القائمة بين بريطانيا وايران ولكنه ترك ايران في اجازة في اكتوبر سنة ١٨٤٧ .

الرائد ف. فارانت ١٨٤٧ – ١٨٤٨

وعند موت محمد شاه تولى المفوضية البريطانية الرائد ف. فارانت . وكل من هذين الضابطين جاء الى ايران اصلا بوظيفة مدرب عسكري ، والرائد فارانت كما هو مذكور في مكان آخر عين كمندوب خاص يمثل الحكومتين البريطانية والروسية في كربلاء سنة ١٨٤٣ .

اقتراح الغاء مكتب المساعد للمعتمد البريطاني في بوشهر ١٨٣٥ – ١٨٤٢

في سنة ١٨٣٥ عندما تقرر إعادة تحويل مفوضية طهران من حكومة الهند الى حكومة صاحب الجلالة عزمت حكومة الهند على الغاء مكتب المساعد لمعتمد بوشهر ، بعد استقالة اورحيل الملازم هنيل المتصرف الفعلي مع انتقال مسئولية المعتمدية بعد ذلك في حالة الضرورة المفاجئة الى جراح المعتمدية .

في سنة ١٨٣٨ بعد ان قامت مشكلة ترقية او استقالة الملازم هنيل عارضت حكومة بومباي بشدة هذا الالغاء المقترح على اساس ان المراسلات باللغة الوطنية مع عدد من زعماء القبائل العربية مما يدخل في عمل المعتمدية كان عملا ضخماً يصعب على المعتمد القيام به بمفرده ، وان الاشراف على السلم البحري غالباً ما يتطلب وجود مساعد له مؤهلات خاصة في أماكن بعيدة عن الرئاسة في بوشهر . وركزت حكومة بومباي كثيراً على أهمية وجود موظف ثان في بوشهر ، وبصفة خاصة في وقت الأزمات يكون له المام بالسياسة المحلية ولغات تلك الجهات ولم تكن هذه المؤهلات توجد لدى جراح المعتمدية الذي لا يعرف أكثر من واجباته الطبية

ورضخت حكومة الهند لهذا الجدل ووافقت بصفة موقتة بغير رغبة ، وتم تعيين الملازم(١) ادموندز وهو ضابط في جيش بومباي ممتاز في لغات الشرق في منصب مساعد المعتمد .

وفي سنة ١٨٤١ اختارت حكومة بومباي الملازم بعد ذلك السير ارنولد كيمبول ليخلف الملازم ادموندز ، وبهذا عاودت حكومة الهند اقتراحها الاصلي للتخفيض مقترحة بأن غياب المعتمد عن بوشهر أصبح شيئاً عرضياً ، وأنه في الحالات التي تتطلب ضرورة فان جراح المعتمدية يستطيع ان يقوم بالواجبات العادية ، وان الاتصال برئيس البحرية في الخليج يمكن ان يتم عن طريق قائد الاسطول البريطاني . ورداً على هذه المقترحات اشار الرئيس هنيل المعتمد في بوشهر عن طريق حكومة بومباي إلى أن مراسلات المعتمدية السياسية قد تضاعفت في السنين الاخيرة ، وان اعمال ترجمة ونسخ الخطابات السرية مع الاشراف على حسابات المعتمدية يمكن ان يشغل تماماً وقت موظف اوربي ، وأنه في بعض الاحيان كان يعين معتمدون لا علم لهم بالمرة بلغات الخليج ، وانه كان من الضروري لضمان استمرار السياسة في حالة موت المعتمد اورحيله المفاجيء من ان تستمر رحلات المعتمد على الساحل العربي ، لان توقفها ستكون له نتائج سياسية وخيمة ، وان القائد البحري لا يصلح ان يكون واسطة اتصال مع شيوخ العرب في الحالات التي تتضمن مصالح سياسية او تتطلب تحريات دقيقة . سادت هذه المناقشات علماً بأن الرئيس هينيل قد صرح بأنه هو نفسه يستطيع بمجهوده الشخصي الكبير ان يقوم باعباء وظيفته دون مساعد . وقد تأيد تعيين الملازم كمبول .

---

(١) ترك الملازم أدموندز بوشهر أثناء الوقت الذى قامت فيه المشكلات بين بريطانيا وايران • وفي سنة ١٨٤٠ كان في بغداد كزائر • وبعد ذلك بقليل اشترك فى العمليات البريطانية ضد المصريين على الساحل السورى - وعند عودته الى الهند عين مساعدا أول للوكيل السياسى البريطانى فى السند ولكنه مات فى بونا دون أن يلتحق بالوظيفة •

اعادة تعيين الشيخ نصر الثالث لحكم بوشهر في نوفمبر ١٨٣٧

وفي سبتمبر سنة ١٨٣٧ تقدم الشيخ نصر الثالث شيخ بوشهر — الذي ذكرت قصة هروبه الى خارّج ثم الى الكويت سنة ١٨٣٢ — الى شيراز بغرض الحصول ، اذا امكن ، على تخفيض الجزية التي كانت بوشهر تدفعها لحكومة فارس وعلى تأجيل دفع متأخرات معينة كانت مستحقة من قبل . من هذا الظرف ومن حقيقة ان الشيخ عبدالله عمه كان مسئولا عن بوشهر في فترة غيابه يكون الشيخ نصر قد استرد حكومة أجداده في وقت ما بفضل الثورة التي وقعت في بوشهر سنة ١٨٣٣ .

ويبدو ان رحلة الشيخ نصر لشيراز في اول الامر احدثت نتائج سيئة غير متوقعة . لانه في اول نوفمبر سنة ١٨٣٧ وصل الى بوشهر شخص يدعى محمد ميرزا رضا كانت نيته بوضوح هي الاستيلاء على حكومة المدينة لنفسه ، وقد اعلن أنه يحمل خلعة شرف للشيخ عبدالله الحاكم بالوكالة ، واكن عند وصوله أشاع أنه هو نفسه قد عين حاكماً ومعه تعليمات للتحقيق في شئون الشيخ نصر ومعاملته من هم تحت سلطته ، وأنه مزود بصلاحية استنفار القبائل المجاورة في حالة ما اذا وجد أية مقاومة .

واستعد الشيخ عبدالله واخوه الشيخ حسين في الحال لملاقاة المتطفل باستدعاء بني هاجر وأهالي مقاطعة روضة الخيل لمساعدتهم . ولكن بعد أن تبين لهم أن الدموخ وأهالي تانجستان سيساعدون ميرزا ارسلوا مهماتهم الى خارّج وركبوا بأنفسهم في اول نوفمبر السفينتين « بغلة » و «بقرة » ومعهم بحارة يبلغون الخمسين فقط وذلك في مرسى بوشهر . وعلى ما يبدو فقد فكروا في إطلاق سراح ابن أخيهم الشيخ نصر حيث اعتقدوا أنه كان سجيناً في شيراز ، وتظاهروا لعدة أيام قلائل بأنهم ينوون فرض ضرائب على سائر السفن التي تدخل الميناء حتى الاجنبية منها ولكن عملهم هذا لم يصادف ارتياحاً من المعتمد البريطاني ، كما أن موجوداتهم من الماء على ظهر سفنهم كانت قليلة ثم أقلعوا بالسفن وعمدوا الى خارّج .

وفي السابع من نوفمبر على أي حال جاءت أنباء أدهشت جميع الاطراف المعنية عن اعادة تعيين الشيخ نصر لحكومة بوشهر . وفي الثامن من الشهر غادر الدموخ وزعماء التانجستان بوشهر لاوطانهم ودعي الشيخ عبدالله للعودة من خارج ، وظل تغيير موقف حكومة شيراز دون ايضاح كاف . وقد شاعت تخمينات متنوعة عن ان اسطول بوشهر كان مطلوباً في حملة ضد البحرين ، وانه كان مطلوباً لاسترداد المحمرة التي اخذها الاتراك فجأة ، وانه كان مطلوباً للدفاع عن بوشهر نفسها ضد هجوم مشترك من أبناء حاكم فارس العام الراحل ، الذي كان ينتمي الى العائلة الملكية الايرانية ولكنهم كانوا يقيمون في بغداد تحت الحماية التركية ، أو أنه كان يراد الاستفادة من هذا الاسطول كنواة لتكوين بحرية ايرانية في الخليج .

هروب الشيخ نصر الثالث الى خارج في مايو ويونيه ١٨٣٨ وحكم ميرزا عباس وميرزا اسد الله في بوشهر ١٨٣٨ — ١٨٣٩

ولم يبق الشيخ نصر طويلا مستولياً على بوشهر . ففي ٣٠ مايو سنة ١٨٣٨ هرب مرة أخرى الى خارج مختفياً عن الحكومة الايرانية . وقد علق المعتمد البريطاني في بوشهر على ذلك بقوله : « سواء كانت ستقع محاولة لاغتصاب جزيرة كراك من الشيخ نصر أم لا فانني أميل الى الاعتقاد بأن سلطات فارس الحالية لا تملك الوسيلة ولا القوة المطلوبة للنجاح في مجهودات من هذا النوع » .

وحل محل الشيخ في بوشهر ميرزا عباس الذي يبدو أنه رشح من السلطات الايرانية من غير أسرة الشيخ . وسرعان ما جاء لنجدة ميرزا عباس موظف ايراني آخر يدعى ميرزا أسد الله كان يتميز بصفة خاصة بميوله ضد البريطانيين .

وعاش الشيخ نصر بهدوء في خارج حتى اوائل سنة ١٨٣٩ عندما طرده ضابط يقود الحامية البريطانية التي استقرت هناك في أعقاب مشاكل مع ايران وذلك بعد ايام قليلة من وصول القائد الى الجزيرة .

ميرزا احمد حسين يوقف ميرزا اسد الله واغتصاب الشيخ حسين لبوشهر ١٨٣٩

تلقى ميرزا اسد الله ، الذي أصبح في نفس الوقت منهمكاً في مشاكل مع بريطانيا ، انذاراً في ٨ يونيه سنة ١٨٣٩ بوقفه . وقد وجه الانذار اليه ميرزا محمد حسين ابن أخ وزير الحاكم العام لفارس . ولم يكن مرّ سوى ثلاثة أيام فقط على تلقي هذا الرجل خلعة شرف من الشاه شأنه شأن آخرين خلع عليهما الشاه أيضاً هما القائد العسكري لبوشهر وزعيم تانجستان . وانسحب ميرزا أسد الله الى مكان في البقاع المجاورة منتظراً نتيجة تقرير رسمي نظمه لصالحه الملا الاكبر وتجار بوشهر . بينما قام باقر خان بصفة موقتة بادارة المدينة .

وصل ميرزا محمد خان واستولى على الحكومة، ولكن الشيخ حسين عم الشيخ نصر طرده سريعاً في اغسطس سنة ١٨٣٩ بمساعدة من باقر خان نصر. ويبدو أن الشيخ حسين كان يهدف الى الاستيلاء على بوشهر لنفسه معارضاً للشيخ نصر. وكان غرض حليفه (باقر خان) ان يبقي الامور في بوشهر بارتباك حتى تضطر حكومة ايران في النهاية ان تسلمه الحكم بما أنه الزعيم المحلي الوحيد الذي له السلطة الكافية لحفظ النظام.

مؤامرات وطرد الشيخ حسين ١٨٣٩ — ١٨٤٠

ولابد ان الشيخ حسين بدوره لفظ من الحكومة سريعاً لانه في نهاية سنة ١٨٤٠ كان في بهبهان طلباً لمعونة ميرزا كوما حاكم ذلك المكان ضد هجوم وقع على بوشهر . وسمحت القوات البريطانية في خارج لوكيل ارسله ميرزا كوما لينقل من الجزيرة بعض المدافع التي اعتلاها الصدأ والتي قيل إنها ملك خاص للشيخ . ولكن الشعور العام في بوشهر لم يكن في صالح الشيخ حسين . وعندئذ تخلى ميرزا كوما بحكمه عن المشروع الذي ارتبط به للاستيلاء على بوشهر لنفسه .

مقتل جمال خان ديسمبر ١٨٣٩

في ديسمبر سنة ١٨٣٩ قتل «أغا جمال» ومن الواضح انه هو جمال

خان الذي كان لعب دوراً في ثورة بوشهر سنة ۱۸۳۳ وعاد الى مسقط بعد ذلك. وقد قتل بتحريض من باقر خان التانجستاني . ويبدو أن الذنب الذي اقترفه جمال خان هو تطلعه الى حكم بوشهر وشروعه في رحلة الى شيراز على أمل ان يمنح الحكم وذلك بضمان عرضه عليه سلطان عمان. وقد استنكر اغتياله حليفه العماني الذي حصل على وعد من الشاه بايقاع العقاب بالقاتل .

حركات الشيخ نصر الثالث ۱۸۳۹-۱۸٤٠

وفي نفس الوقت دافع مانوشهر خان « معتمد الدولة » عن قضية الشيخ نصر ، وكان مانوشهر عين اخيراً حاكماً على اصفهان ولورستان وعربستان وقد لجأ اليه الشيخ. ومن الواضح ان معتمد الدولة قد ظن ان الشيخ ربما يفيد في مساعدته لتحقيق أطماعه في حكم فارس . وقد ذكر في وقت من الاوقات ان الشاه أصدر فرماناً بناء على طلب معتمد الدولة بتعيين نصر حاكماً على بوشهر وأميراً أعظم للجو في الخليج. وعلى أية حال لا يبدو ان الشيخ نصر قد نجح سريعاً في استرداد مركزه المفقود .

الاحداث في جزيرة خارّج ١٨٤٢ - ١٨٤٣

استمر الاحتلال العسكري لجزيرة خارج كما ذكرنا سابقاً من يوليه سنة ١٨٣٨ حتى فبراير سنة ١٨٤٢ . وعندما انتهى الاحتلال تركت الجزيرة في رعاية حامية ايرانية من «لار» يقودها شخص يدعى لطف علي خان اضطر بسبب تمرد رجاله ان ينسحب الى بوشهر ، حيث استطاع ان ينال عطف كل من حاكم المدينة والمجتهد الكبير بها . وارسل كل من الرجلين مندوباً الى خارّج ليتحرى الحقائق ويحتج على الحامية ولكن استقبال المبعوثين كان غير مرض لانهما ضربا . وطلب اليهما اعلام سيديهما بأن «خارج» تحت حكم حاكم لار ، وأنه اذا ارسلت اية قوة من بوشهر ضد خارّج فانه سيطلق عليها النار . وكتب

حينئذ لطف علي خان وزميله مجتهد بوشهر الى زعيم لار ، يشكو أحدهما من عصيان الحامية اللارية والآخر يقترح ان ينظم حملة صغيرة بغرض معاقبة الجنود وسكان الجزر . وكان هؤلاء سنيين وهو اعتبار له وزنه عند المجتهد الشيعي . وكان من الواضح ان لطف علي خان لم ينتظر الرد بل أخذ مجموعة من حوالي ثلاثين من الشيعة الكسالى الذين جندهم في بوشهر ووصل الى الكراك في زي شبه حربي ، وسرعان ما ارهبت الحامية فهربوا على ظهر المركب الذي جاء بهم تاركين خلفهم قائدهم لطف علي خان . لكنه لم يحدث له ما يزعجه . وراح يحاول السماح له بالعودة الى مركزه القديم في قلعة الكراك وان يقود رجاله . ولما رفض طلبه أقام بالقرب من الأسوار اسبوعين ثم دخل يوماً للقلعة فيما كانت البوابة مفتوحة ؛ وبعد ان أعلن أنه سيمزق اي شخص يرفض إطاعة اوامره صوب زند الكبريت (نوع من البنادق يطلق باشعال الكبريت) الى صدره فاضطر للانسحاب . واتخذ إقامته في منزل ريفي وراء الخطوط . ولما كان عنده خادم واحد فقد اوقفه في طريق قريب من مسكنه بغرض قطع الطريق على سكان الجزر غير المسلحين أثناء ذهابهم او عودتهم من حقولهم واحضارهم اليه . وأخذ بعض أهالي خارَج أسرى ، واخيراً استطاع واحد منهم وكان مسلحاً ان يقاوم فجرح خادم لطف علي خان في رأسه .

وفي نفس الوقت جاءت رسائل من زعيم لار بعدم موافقته على أعمال لطف علي خان وغضبه الشديد من تدخل مجتهد بوشهر ، كما يخبر ميرزا عبدالله القائد الفعلي لحامية خارَج بأن الوحدة يجب ان تسرح وأن أحد أقرباء الزعيم سيرسل ليتولى شئون الجزيرة مع توصيات دقيقة لحمايته. وتلقى أهالي خارَج هذا النبأ الاخير بالابتهاج ، ولكن في سنة ١٨٤٣ لما كانت الحامية لم تسرح ، ولما لم تعد تصلها امدادات التموين من بوشهر ، فانها تركت خارَج وعادت الى لار وتركت خلفها لطف علي خان بمفرده ، وظل يحتل القلعة وسرعان ما انزعج الخراجيون بعد ان جاءت أخبار بأن الحكومة الايرانية قد قررت ان تضع قوات نظامية في

الجزيرة . وفي السابع عشر من سبتمبر سنة ١٨٤٣ نزلت قوة فعلا تتألف من ٢٠٠ سارباز . وكانت النتيجة ان السكان القليلين هاجروا بالجملة في اليوم التالي . وبالاشارة الى هذه الحركات كتب الملازم كمبول مساعد المعتمد البريطاني في بوشهر التقرير الآتي :

« ان هذا هو نفس عيب الجندية الايرانية فهي عندما تتكون كجماعة تصبح مجرد لصوص وقطاع طرق يسعون للحصول على ضرورات الحياة ، وعلى ذلك فلقد خاف منهم وكرههم السكان الآمنون في كل مدينة يحلون بها . كما ان افتقارهم الشديد الى النظام يجعلهم كأفراد ظالمين متهورين » .

« ان ايران الآن في سلام مع العالم كله فماذا يكون الغرض حينئذ من ارسال عدد كبير يبلغ ٢٠٠ سارباز لحماية جزيرة صغيرة يعيش فيها ثلاثمائة من السكان كلهم من البحارة والصيادين مع عائلاتهم ؟ ونحن نستطيع فقط ان نعتقد ان السكان جعلوا انفسهم مكروهين من الحكومة الايرانية بسبب المساعدة التي قدموها في استيراد المؤن وفي تأسيس سوق لفائدة القوات البريطانية وان جريمتهم الوحيدة هي تحسين أحوالهم تحت حكم عادل معتدل وفي جمعهم مبالغ بسيطة تؤخذ منهم كرهاً » .

وأخشى ان تكون هجرتهم في مثل هذه الظروف قد سببت اساءة بالغة الى سمعة الحكومة البريطانية في تلك الجهات ، ولكني آمل أن لا تكون قد سببت تعباً لهم لان عدداً منهم استقر في بليلش(١) وهي جزيرة لا تبعد كثيراً عن طريق السفن القادمة الى الفرات . ومن السهل الحصول على البحارة وقوارب لنقل الفحم من الشاطىء الى البواخر ويمكن ان تجر من الميناء وتعود بنفس الطريقة .

اعادة تعين الشيخ نصر الثالث لحكومة بوشهر ١٨٤٥

في سبتمبر سنة ١٨٤٥ اعيد الشيخ نصر الثالث الى حكومة بوشهر وكانت تحركاته من سنة ١٨٤٠ حتى ذلك الوقت غامضة .

---

(١) اعنى ان اقول فيلكه .

العلاقات البريطانية مع الساحل الايرانى والجزر
١٨٣٤ ـ ١٨٤٨

قضية طاوونه جاراك ١٨٣٧ :

لقد أدى تأسيس بريطانيا خطاً تنحصر به حروب القبائل البحرية على الجانب العربي من الخليج ضمن مياههم الاقليمية اعتباراً من سنة ١٨٣٦ الى القاء مسئولية خاصة على كاهل معتمد بوشهر في حماية العدل والامن على الساحل الايراني . وقد تجلى هذا على سبيل المثال في بداية سنة ١٨٣٧ عندما انتزع أهالي جاراك في هذا الساحل من جيرانهم أهالي طاوّنة قلعة نخلي مير في وادي جولستان في الداخل، فاستغاث الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة الذي كانت له علاقة وراثية بطاوونه بالمعتمد البريطاني لصالح أهل طاوُنه . وكان مطلب الشيخ إما السماح له بمساعدة أهالي طاوُنه ضد أهالي جاراك او ان يطلب المعتمد من الجاراكين اعادة القلعة . ورداً على الكتاب الذي وصل من الشيخ اشار المعتمد بأن الامر يعتبر تدخلا على اساس ان الطرفين المتنازعين هما من توابع ايران ، الى جانب ان شيخ ام القوين سبق قبل ذلك أن مَنَعَ ارسال مساعدة حربية عبر الخليج لاهالي جاراك . وفي الواقع سُوّي نزاع « نخلي مير » بواسطة زعيم بستك . وقد حذر الشيخ سلطان بن صقر بأنه سيعرض نفسه لسخط الحكومة البريطانية اذا ما ارسل حملة الى جاراك ، وكان هذا التهديد كافياً لمنع الشيخ من اتخاذ أي اجراء .

الرائد ني وول ومشكلات « نصرت شاه ١٣٨٧

وحوالي نهاية نفس العام ، وحين اقترح الشيخ عبدالله والشيخ حسين شيخا بوشهر الانتقام من حكومة شيراز بمضاعفة الضريبة على السفن الداخلة الى الميناء ، اضطر المعتمد البريطاني ، بسبب احتمال اخضاع « الرائد ني وول » السفينة الرافعة اعلاماً بريطانية لمثل تلك المعاملة ، ان يقدم احتجاجاً وان يطلب من القائد بيير كبير ضباط الاسطول البحري الهندي بأن يضع أسطول بوشهر تحت المراقبة . وعلى ذلك أخبر الشيخ

عبد الله المعتمد البريطاني بأنه لم يكن يقصد ابداً التدخل في أمر « الرائد ني وول » بالمرة ، وتراجع الشيوخ عن هذا المشروع الممقوت .

وبعد ذلك بأيام قلائل جاء دور الشيوخ ليطلبوا حماية المعتمد من أجل « نصرت شاه » وهي سفينة يملكها الشيخ نصر ابن اخيهم ، وكان متوقعاً مجيئها من بومباي بحمولة يملك معظمها رعايا بريطانيون ، وكان من المحتمل ان تحاول السلطات الايرانية بسبب الخلافات بينها وبين عائلة الشيخ الاستيلاء عليها . وقد أجاب المعتمد أنه من حق الشيوخ ان يتخذوا الاجراءات الضرورية للدفاع عن السفينة . ولكن لحسن الحظ قد سويت الامور بين الحكومة الايرانية والشيوخ قبل وصول « نصرت شاه » الى بوشهر .

قضية كانجون وعسالوه ١٨٣٨

في سنة ١٨٣٨ رأى الرئيس هنيل ، معتمد بوشهر بالوكالة ، عند عودته من زيارة للهند ، أنه من الضروري ان يخاطب صاحب الجلالة حاكم فارس العام في موضوع غارة قام بها الشيخ خلفان ضابط عسالو على مراكب تابعة لكانجون كان الشيخ جبره ضابطاً لها . وربما كان هذا الشيخ « جبره » حاكم كانجون هو نفس الشخص الذي نال عطف القائد مالكولم سنة ١٨٠٨ . وكان لخصمه الشيخ خلفان صلات وثيقة مع قبيلة بني ياس على الساحل العربي ممن كانوا مسئولين عن اشاعة الفوضى المسلحة على امتداد واسع في مياه الخليج . وكان يبدو ان الزعيمين المتخاصمين دعيا الى شيراز لكي يتم التحقيق في تلك الاعتداءات المتبادلة . وقد لبى شيخ كانجون الدعوة ولكن شيخ عسالو لم يظهر الطاعة . وتبعاً لذلك حرض المعتمد البريطاني في بوشهر حاكم فارس العام على الاصرار على احضار الاخير وعقابه لسوء أعماله . ولكن يبدو أنه حتى هذه الدرجة من التدخل قد نبذها الامير ، الذي أجاب بأدب لا يخلو من شيء من الخشونة «سينال المعتدي العقوبة دون حاجة الى مساعدة أجنبية» .

قضية الرائد في وول ١٨٣٨

وفي سنة ١٨٣٨ أثارت السفينة البريطانية « الرائد في وول » المذكورة آنفاً مشكلة أخـرى في بوشهر . وكان المالك الظاهري لهذه السفينة هو الحاج ميرزا شافي وهو تاجر يقيم في بومباي . وكان للسفينة جواز واعلام بريطانية ولكن قبطانها ملا محمد والبحارة كانوا من أهالي بوشهر . وفي الفترة ما بين إعادة تعيين الشيخ نصر في حكومة بوشهر في نوفمبر سنة ١٨٣٧ وهربه في مايو سنة ١٨٣٨ أثناء زيارة « الرائد في وول» للميناء دخل الشيخ نصر في مفاوضات مع القائد لشراء نصف السفينة ووثق به ودفع له ١٥,٠٠٠ غران بسبيل تلك الصفقة . ولكن ليس ثابتاً ما اذا كانت الصفقة تمت او ما اذا كان صاحب نصف السفينة التي كان الشيخ نصر راغباً في شراء نصفها هو الحج ميرزا شافي او ملا محمد القائد ، الذي كان هو الآخر جزء من السفينة. وعند غودة السفينة المذكورة الى الخليج بعد ذلك بعدة أشهر طالب ميرزا عباس على حاكم بوشهر ملا محمد بتعليمات من شيراز إما بنصف السفينة او بمبلغ ١٥,٠٠٠ غران دفعها الشيخ نصر ثمناً لذلك النصف على أساس ان الشيخ نصر قد غادر بوشهر وهو مثقل بالديون للحكومة الايرانية عن ضرائب المدينة وجوارها .

وكان لدى المعتمد شك في مدى الحماية التي تعطى لملا محمد بعد ان ثبت انه مذنب في عمل غير قانوني ، او على الاقل عمل غير عادي في تسلمه مبلغاً من المال من اجنبي ثمناً لصفقة سرية لنصيب في سفينة تابعة لميناء بريطاني وتحمل أعلاماً بريطانية . وقد طلب من الهند تعليمات حول النقاط التالية :

« اولا : هل كان ملا محمد يستحق نفس الحماية كأحد الرعايا البريطانيين وكقبطان لسفينة بريطانية . ثانياً : وهل كان يصح قانونياً ان تطالبه السلطا تالمحلية بمبلغ من المال تسلمه من الشيخ نصر أثناء أن كان حاكماً لبوشهر لمجرد زعم الحكومة الايرانية بأنه هرب بجزء من عائداتها الى الخارج . وثالثاً : في حالة ما اذا تقررت حمايته من المطالبة فهل

تشمل الحماية عائلته واقاربه الذين حسب الاعراف الهمجية في بلاده يمكن القبض عليهم ومعاقبتهم ومصادرة سائر اموالهم نيابة عن قريبهم المسيء الغائب . وفي نفس الوقت كانت السفينة « الرائد ني وول» قد وصلت الى البصرة ، وعليه فقد ابلغت الحكومة المعتمد بأن أحسن طريقة هي أن ينصح قائد السفينة بالعدول عن المخاطرة التي سيتعرض لها بالقبض عليه بصفته مواطناً ايرانياً ، لو نزل في بوشهر ، وذلك بالبعد عن بوشهر طالما ظلت القضية ضده قائمة .

ولم يعرف ما اذا ظلت السلطات الايرانية متمسكة بالمطالبة او كيف سويت القضية نهائياً .

قضية فتح الرحمن ١٨٣٨ — ١٨٤١

وفي مايو سنة ١٨٣٨ جنحت سفينة من نوع البغلة تسمى « فتح الرحمن» وترفرف عليها أعلام عربية وتحمل شحنة قيمة من بومباي معظمها مؤمن عليه من رعايا بريطانيين بالقرب من جزيرة هانجام على بعد ١٠٠ ياردة من الشاطىء . ونجح قائدها في إنزال جميع الشحنة كاملة ما عدا بعض السكر ، ولم يضيع وقتاً في ارسال رسول الى سلطان عمان حاكم بندر عباس ليطلب النجدة والحماية . ووقع هذا الرسول في أيدي عبدالرحمن شيخ قشم فاحتجزه . وكسر الشيخ صناديق الشحنة وخلط محتوياتها مع بعضها ليمنع تمييزها واخيراً أجبر القائد تحت طائلة التهديدات بأن يوقع ورقة يعد فيها بنصف الشحنة كثمن لانقاذ السفينة من الغرق .

وصل جزء من البضائع المنهوبة الى بوشهر في ١٥ أغسطس سنة ١٨٣٨ في السفينة «ممباسا» التي يملكها شيخ قشم ومعها طلب باعادة البضاعة المحمولة عليها الى اصحابها ، ولكن الرئيس هينل المعتمد البريطاني لاحظ ان البضائع المردودة لم تبلغ سدس الشحنة الاصلية ، ونتيجة لذلك نصح سلطان عمان بأنه يجب ان يجبر شيخ قشم الخاضع له بأن يرد الحمولة المؤمن عليها ، حيث هي بحكم التأمين عائدة للبريطانيين ، او ان يدفع قيمتها . وفي حالة ما اذا اعتذرت سلطات مسقط بعدم قدرتها على تنفيذ الطلب ، فان المعتمد سيتخذ عملا بحرياً مباشراً بواسطة الاسطول

البريطاني في الخليج ضد شيخ قشم . وكانت القيمة المطالب بها بعد اسقاط كمية من الشيلان مشكوك فيها تبلغ ٢١,٥٠٠ روبية . ووافقت الحكومة على اقتراحات الرئيس هنيل . وصدرت مراسلات مع حاكم بندر عباس العماني ثم بعد ذلك مع سلطان عمان نفسه . وفي ابريل سنة ١٨٣٩ نجح الملازم ادموندز مساعد المعتمد في استرداد ثمانية صناديق واربع لفات خاصة بالجزء المؤمن من الشحنة وذلك عند زيارته لقشم .

ولما كان سلطان عمان غير راغب في ان يضغط على شيخ قشم فقد تقرر في ابريل سنة ١٨٤٠ نتيجة لذلك مصادرة سفن قشم الموجودة في الموانى الهندية . وبناء على هذا الامر استولى على السفينة « عقاب » في بومباي وفي نهاية اغسطس سنة ١٨٤٠ نقصت المطالبة من الشيخ بسبب استرداد بضائع وازدادت بسبب حوادث انتهاكات عرضية أخرى فأصبحت ١٤,٣٧٧ روبية . وفي مايو سنة ١٨٤١ عندما هدد شيخ قشم بالاستيلاء على بغلتين من سفن قشم كانتا مسافرتين الى بومباي محملتين بالخيول ، فانه وقع سنداً بالرصيد الذي كان باقياً وقدره ٧,٨٦٧ روبية وانتهت القضية على ذلك فيما يبدو .

تنظيم حملة عسكرية بريطانية للخليج مايو ١٨٣٨

بعد وصول أخبار عن تأزم في العلاقات الانجلو ايرانية بسبب الحملة الايرانية ضد هرات ، اصدرت حكومة الهند الاوامر في اول مايو سنة ١٨٣٨ بارسال قوة حربية بحرية صغيرة للخليج لاستخدامها هناك « بموجب توجيهات الممثل البريطاني لدى بلاط الشاه » وعلى ضوء الابقاء على مصالحنا في ايران .

وتركت تفاصيل التنفيذ لحكومة بومباي التي قررت في الحال ارسال الباخرة المسلحة الجديدة « سمير اميس »(١) والسفينة الحربية الصغيرة « كوت » والسفينة « دجلة » وسفينة نقل الى بوشهر وبها ٥٠٠ من المشاه

(١) كانت سميراميس باخرة حربية جميلة حمولتها ١٠٤٠ طن وتحمل مدفعين زنة ٦٨ رطلا وعلى سطحها ٦ مدافع ثقيلة .

الوطنيين ومدفعان زنة ٦ أرطال مجهزان تماماً للخدمة. وقد تقرر ان تتكون فرقة مشاة الاهالي من وحدات من الفرق الـ ١٥ ، ٢٣ ، ٢٤ والفرقة البحرية من ضمن حامية بومباي البحرية على اساس ان جنودها هم خير من يحتملون العمل في مناخ البحار الحارة .

ويبدو ان سفينة النقل المطلوبة لم يمكن الحصول عليها لنقل قوات الحملة التي كان من ضمنها ٣٨٧ من الجنود الهنود ، واستطاعت سمير اميس ان تحمل منهم ٣٠٠ . وقد سبقت دجلة السفن الاخرى وبها رسائل للسفير البريطاني في إيران والمعتمد البريطاني في بوشهر وبها اوامر أيضاً لتركيز اسطول الخليج البريطاني في بوشهر او خارج . وعهد بقيادة الحملة الى الرائد شريف خاضعاً في الرقابة السياسية للرئيس هنيل في بوشهر الذي كان يمارس سلطاته كموظف سياسي بتعليمات من السفير البريطاني في ايران .

وصدرت الاوامر لهنيل بالقيام بأحسن الترتيبات المستطاعة لانزال القوة ، ونصح بأن يختار جزيرة خارج لذلك الغرض ، وكان عليه ان يبين للسلطات الايرانية في بوشهر ان القوات قد ارسلت لمهمة خاصة في الخليج ، وان الحكومة البريطانية تأمل ألايكون هناك اعتراض على نزولها في خارج . ولكن ترك لحسن تقديره ان ينزل القوات في تلك الجزيرة حتى ولو كان ذلك ضد رغبات السلطات الايرانية اذا ما رأى ذلك ضرورة ملزمة وان يكون التنفيذ ممكناً دون تعريض سلامة القوات للخطر .

بدء الاحتلال البريطاني لخارج في التاسع عشر والعشرين من يونيه ١٨٣٨

تركت سمير اميس بقيادة الرئيس بركس بومباي في الرابع من يونيه ووصلت الى خارج في ١٩ منه حيث انزلت القوات في نفس اليوم أو اليوم التالي . وجاءت بعد ذلك الباخرة « هيوليندسي » بالامدادات والذخائر ومخازن اضافية . وشعر الرئيس هينل بالتأكيد أنه اذا استشار السلطات الايرانية في بوشهر فان ذلك سيسبب تأخيراً إن لم يكن دعوة

للرفض ، ولذلك فانه قام بانزال الجنود دون استشارة تلك السلطات . ثم قدم لاحقاً لميرزا عباس علي ، الحاكم الايراني في بوشهر تفسيراً واضحاً بأن الاجراء كان لخدمة خاصة ، واضاف بأن خارّج قد اختيرت لافضليتها على باسيدو والامكنة الاخرى بسبب اعتدال مناخها . ورد الحاكم بعبارات ودية ان خطاباً وصله في ذلك الوقت من الحاكم العام لشيراز يطلب تفسيراً للاجراءات البريطانية في خارّج . وفي اول الامر لم يكن هناك اعتراض من السلطات الايرانية على ارسال التموين من بوشهر الى القوات البريطانية في خارّج . ويبدو ان احتلال الجزيرة قد لاقى ترحيباً من الشيخ نصر الحاكم السابق لبوشهر الذي كان في ذلك الوقت مقيماً في الجزيرة كلاجىء مطارد من الحكومة الايرانية .

واقيمت منازل صغيرة ارضية لضباط حامية خارّج واما القوات الاهلية هناك فأُسكِنت أكواخاً مريحة .

الاعتداء على صراف المعتمدية البريطانية في بوشهر في ١٧ نوفمبر ١٨٣٨

واتخذت علاقات ايران مع بريطانيا في ذلك الوقت طابعاً عدائياً كما سبب احتلال خارّج ، وان كان تأثيره كان هادئاً على الشاه والحكومة المركزية ، احتكاكات محلية واهانات استفزازية .

ومن بين البارزين في عدائهم للحكومة البريطانية في بوشهر كان الشيخ حسين وقاضي المدينة اللذين كان بينهما وبين الحاكم الايراني ميرزا عباس علي نزاع خاص على ضرائب معينة ، اذ قرر القاضي ان الاهالي قد دفعوها للشيخ نصر الحاكم السابق قبل هربه بينما رفض ميرزا قبول هذه الحجة .

وفي ١٧ نوفمبر سنة ١٨٣٨ بعد ان أغلقت الاسواق احتجاجاً على مطالب الحاكم أرسل ميرزا عباس علي الفراشين لاجبار التجار على فتح حوانيتهم ، ولكن الشيخ حسن أغراهم بالمقاومة ودعا المدينة لحمل السلاح . وادعى القاضي بأن أحد فرآشي الحكومة كان ثملا ، وبالتالي فقد حرض

على القيام بغارة على محلات اليهود الذين عرفوا بمتاجرتهم بالمسكرات . وقامت شرذمة يرئسها عبيد القاضي ، وتقدمت دون تعثر الى الحي اليهودي حيث اقتحموا عدداً من المنازل بالقوة كان بينهما منزل صراف النقود بالمعتمدية البريطانية وفيه حطموا نبيذاً ومشروبات روحية كانت معبأة ومعدة للتصدير وتبلغ قيمتها من ٤٠ الى ٥٠ تومان وقد ضربوا أو ربما اساءوا معاملة صاحب المنزل حتى الجأوه للهرب الى المعتمدية خوفاً على حياته . وعندما أحال المعتمد القضية الى الحاكم الايراني أجاب الاخير بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً بما ان القاضي والتجار قد ثاروا ضده وكانوا يسعون الى طرده من بوشهر . وقد رجا المعتمد ان يخبر حاكم فارس العام بحقيقة الاوضاع في المدينة .

وكان الرئيس هينل غير ميال لاتخاذ اجراءات حاسمة في بوشهر في ذلك الوقت ، مع العلم بأن وجود القوات البريطانية في خارج كان جديراً بأن يمكنه من ذلك ، فهو كان يخشى ان يضر تصرف من ذلك القبيل بالمجهودات التي كانت تبذل لتسوية الامور بين بريطانيا وايران تسوية ودية . وبدلا من ذلك فقد كتب في الموضوع لحاكم فارس العام ، مع ضآلة الامل في اجابة مرضية وقد اقترح على الوزير البريطاني في البلاط الايراني بأن مسألة ابعاد الشيخ حسين وغيره من بوشهر ، وعقوبة من كان لهم دور بارز في إهانة الصراف يجب أن تنظرهما ايران .

وقد ارفق بالتقرير الخاص بالحادث كشف بالمطالب المراد الترضية عنها ، وقدم للحكومة الايرانية سنة ١٨٣٩ . وقد سويت جميعها خلال العامين التاليين .

المضايقات الايرانية لتموين القوات البريطانية في خارج ١٨٣٨

وقبل مضي وقت طويل بدأت السلطات الايرانية تضع العقبات في طريق ارسال المؤن من بوشهر الى خارج . وفي اول الامر حظر ميرزا عباس تصدير القمح والدقيق الى الجزيرة وبعد ذلك رفض خليفته ميرزا أسد الله أن يسمح لاي ايراني بأن يؤدي اي نوع من الخدمات لحامية خارج ، وحظر تصدير حتى الأشياء الصغيرة المطلوبة لمطعم الضباط .

ونتيجة لذلك فقد اقترح المعتمد في نهاية سنة ١٨٣٨ امكان اتخاذ اجراء انتقامي بوقف تجارة بوشهر ، ولكن اللورد بالمرستون سكرتير الحكومة للشئون الخارجية حينئذ رأى أن الاجراء المقترح غير مناسب لانه يضر بمصالح التجار الهنود المتعاملين مع بوشهر كما يضر بالتجار الايرانيين الميالين للتعامل مع البريطانيين كما أنه يعطي الشاه سلاحاً لوقف استيراد البضائع الانجليزية في ايران الشمالية ، ومن المحتمل أيضاً الا يكون الاجراء فعالا . ونصح بدلا من ذلك بتحذير الحكومة الايرانية بأنه اذا توقف التموين فان الحكومة البريطانية ربما تضطر الى الحصول على التموينات اللازمة بطرقها الخاصة اذا ما اهمل التحذير . وقد عملت الترتيبات الملائمة على أية حال للحصول على التموين المطلوب لخارج من البصرة وانتهى الموضوع على هذا .

إهانة بالغة لنائب قائد الاسطول السير ف. ميتلاند في بوشهر ٢٥ مارس ١٨٣٩

ثم جاء ما هو أسوأ . فان العلاقات غير المحددة بين بريطانيا وايران بالرغم من انها كانت على حافة اعلان العداء كانت عسيرة الفهم على حاكم اقليمي ايراني(١) وكان الاحتلال البريطاني لخارج يبدو في نظر موظفي بوشهر المحليين وكأنما هو تهديد يتطلب رداً مفعماً بالتحدي .

وفي ٢٣ مارس سنة ١٨٣٩ قام نائب الامبرال ميتلاند القائد البحري في الهند أثناء زيارته للخليج برد زيارة رسمية لميرزا اسد الله الحاكم

---

(١) كان وضع الرعايا البريطانيين في ايران غير مرض في ذلك الوقت ، ففي كل مكان كان ينظر اليهم بعدم الثقة وبالكراهية . انظر مثلا المخاطرات الاولى مجلد ١ ص ٢٢٩ لمؤلفه ليارد « وزادت بعد ذلك الشكوك الايرانية في بريطانيا باحتلال قوات من الهند لكابول وأصبح يخشى من غزو بريطاني لايران عن طريق أفغانستان » (المخاطرات الاولى المجلد الاول ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ للمؤلف ليارد) ويبدو أن الايرانيين أيضا كانوا يخشون من الاستفادة من الامراء الايرانيين الذين كانوا يقيمون في بغداد ويتلقون معاشا من بريطانيا وتركيا (الزحف البرى) المجلد الاول ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ للمؤلف ميرفورد .

الايراني لبوشهر . وكان يصحب الاميرال الرئيس هنيل المعتمد البريطاني والقائد بر وكس وقبطان سفينة صاحب الجلالة «وليزلى» ومن سفن البحرية الهندية « كلايف » و « الفنستون » و « أميلي » .

ومضت المقابلة على أحسن وجه بالرغم من المشاحنة السابقة في المعتمدية ، الى ان ذكر الاميرال ان التموين من الشاطىء له ولسفينته قد توقف في ذلك اليوم . واوضح ان مثل ذلك الاجراء ، ما لم يكن راجعاً الى اهمال عرضي من جانبه لاطاعة لوائح الميناء ، يعد منافياً لعادات الدول المتمدنة عندما تكون في حالة سلام . فتظاهر الحاكم في رده بأن هناك عادة تقديم قائمة بالتموين ترسل من على ظهر السفن ولكن هذه العادة لا تطبق في الوقت الحالي . وبادر الرئيس هنيل الى رفض العذر المطروح مبيناً انه خلال خبرته الطويلة في بوشهر لم يجر العرف مطلقاً على قائمة بالاشياء التي تنزل من، اوتطلع الى السفن الحربية البريطانية سواء الملكية او البحرية الهندية وان اول محاولة لايجاد تلك العادة نفذت بالنسبة لحقائبه منذ اسبوعين ولكنها عورضت معارضة تامة . فتقدم الحاكم قائلا ان الاتصال المباشر بين السفن والمعتمدية البريطانية غير مرغوب فيه . واستنجد الاميرال بالمعتمد الذي استطاع ان يدحض تلك العبارة ايضاً لكونها خاطئة تماماً ، فالعادة منذ القدم في بوشهر هي ان لقوارب السفن مطلق الحرية للوصول الى مرسى المعتمدية ، وان حقائب الزوار في المعتمدية كانت ترسل الى السفن مباشرة . وهذه هي الطريقة الملائمة . وتبعاً لذلك فقد أعلن السير ف. متيلاند عن عزمه على الذهاب على ظهر سفينته مباشرة من المعتمدية، وسأل الحاكم اذا كان سيحاول منعه من ذلك . وعلى هذا السؤال الذي تكرر غير مرة واحدة لم يرغب الموظف الايراني في الاجابة . وعلى ذلك نهض الاميرال لينصرف ولكنه رفض ان يصافح الميرزا ، وحينئذ أمسك ميرزا اسد الله بالسير ف. متيلاند واستماله للجلوس مرة أخرى ولكن الاميرال وجماعته انسحبوا من الغرفة ساخطين على عدم الاجابة عن سؤالهم المذكور آنفاً .

وفي الحال بعد عودته من المعتمدية سارت وحدة من القوات الايرانية الى برج بحري بالقرب من المعتمدية واحتلته، ووضع حارس ايراني في

المرسى البحري للمعتمدية. وقد كان من المؤكد أنه كان لديهم اوامر لمنع القوارب من الاتصال بالمعتمدية . وفي صباح يوم ٢٥ مارس وصلت قوارب سفينة صاحبة الجلالة « ولسلي » واقترب الاسطول البحري الهندي من الشاطىء ليحمي صعود السير ف. ميتلاند الى السفينة . وسارع زورقان الى التقدم للشاطىء قبل القوارب الاخرى ، ولم تظهر في أي منهما أسلحة وان كانت موجودة . وكان الاميرال والمعتمد وضباط عديدون من البحرية الملكية والهندية وجميعهم غير مسلحين واقفين على صخرة فوق المرسى . وتجمع حشد من الاهالي حولهم . وعندما وصل احد الزوارق الى الشاطىء صوب احد الضباط الايرانيين بندقيته وامر الزورق بالابتعاد مرة أخرى . ولما لم يهتموا بما قاله فانه أعد بندقيته وكان سيطلق النار على الرئيس ميتلاند (أصبح بعد ذلك الاميرال لورد لودرديل) ولكن الاميرال المحنك خبط البندقية في الوقت المناسب وألقى المعتمد والضباط الآخرون بأنفسهم على الرجل ونزعوا منه السلاح ، وان كان قد قاوم ذلك . وحينئذ هجم حشد من الاهالي على البريطانيين بالعصي والحجارة ، وقد اصيب الرئيس ميتلاند والضباط الآخرون ما عدا الاميرال . وعندما اظهر بحارة الزورق أسلحتهم وقفزوا الى الشاطىء أطلقت عليهم النار فجأة من المتاريس التي اقيمت في الليل ، فردت القوارب بالطلقات الجماعية مرتين فقتلوا ايرانياً واحداً وجرحوا اثنين . لكن إطلاق النار اوقف في الحال بأمر من الاميرال . وارسل رسول للحاكم الايراني يخبره أنه سيكون مسئولا عن النتائج اذا لم يكف رجاله عن اطلاق النار . وبعد ذلك بقليل توقف اطلاق النار من المتاريس وتم صعود الاميرال الى السفينة دون حدوث أي حادث بعد ذلك . ولم يكن هناك شك في أن محاولة الجندي إطلاق النار على الرئيس ميتلاند ، وإقامة التحصينات والاهانات الاخرى كانت متعمدة . وقد تم أخيراً الحصول على التعويض مع الترضية باجابة المطالب البريطانية الاخرى التي قدم بها كشف الى الحكومة الايرانية بعد ذلك الوقت بزمن قليل .

انتقال المعتمدية البريطانية من بوشهر الى خارج ٢٩–٣٠ مارس ١٨٣٩

ومع ان مبنى المعتمدية قد وضع في حالة دفاع الا أنه بدا للرئيس هينل أنه من غير المستحسن البقاء في بوشهر بعد حدوث الحادث المذكور ، وتبعاً لذلك فقد قرر نقل المعتمدية الى خارج .

وفي ٢٧ مارس أعطت السفينة « كلايف » إشارة بأن وحدة مدفعية مزودة بمدفعين تحت إمرة الرئيس لسلي وصلت من خارج وان وحدة من مئة اوربي بقيادة الرئيس سترنج تركت خارج الى بوشهر في اليوم السابق . ولما لم تصل القوارب التي كانت تحمل الاوروبيين وكان يعتقد بأنها جنحت فقد تطوع الرئيس هينل بالذهاب الى حليله في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة بوشهر في بارجة صاحبة الجلالة « الجرين » محاولا العثور عليهم ، ومقدراً بسبب جهله حقيقة ما حدث لهم بالضبط ان ينزلوا ويتقدموا الى مدينة بوشهر . وقد اتخذت كل الاحتياطات بنجاح ، وفي يوم ٢٨ عادت «الجرين» الى بوشهر .

ولم تمر مسألة صعود المعتمد لحليله مع هيئة موظفيه في التاسع والعشرين من مارس بلا خطر ، فان باقر خان الزعيم التانجستاني قد احتل الصخور المرتفعة عند مرسى المعتمدية بحوالي أربعمائة رجل. وكان من المعتقد انه ربما حاول ان يمنع تلك العملية ولكن منظر قوارب المدافع من الولسلي و « كلايف » و « الفنستون » وكانت تتحكم في الشاطىء ، كان كافياً لصده عن التدخل وان لم يمنعه من الوقاحة . وفي الساعة الثانية بعد الظهر أقلعت السفن الثلاث الى خارج وبقيت « كلايف » في بوشهر لحماية المصالح والسفن البريطانية .

وقد وافقت حكومة الهند بصفة عامة على انتقال المعتمدية الى خارج ولكنها اقترحت أنه كان ممكناً تجنب ذلك بتقديم تفسيرات سلمية للامر معتقدة على أية حال بأنه كان يمكن أن يتم الانتقال بشيء أقل من التورط والتهور . وقد صرحت حكومة الهند في نفس الوقت بأن إقامة مبان محصنة وهي بعض الاستعدادات التي قام بها الايرانيون بين المعتمدية

والشاطىء كانت تهدد بالشر استمرار وجود ممثلهم في بوشهر سواء من ناحية سلامته او حفظ هيبته .

وقد كان الموقف يتيح للرئيس هنيل اتخاذ اجراء أقوى من مجرد الانسحاب من بوشهر لانه سبق أن تلقى تعليمات من الوزير البريطاني بشأن استخدام قوة خارَج الى حد أنه « اذا ما قامت مظاهرات عدائية من حكومة شيراز ، خاصة اذا اتخذ تدبير لتحصين وتقوية بوشهر ، واذا امكن وضع حامية هناك ، واذا ارتأى المعتمد أن القوة التي يقودها الرائد شريف مع القوة البحرية التي تحت تصرفه تكفي لاحتلال بوشهر والدفاع عنها ، فان عليه ان يبلغ حاكم شيراز رسمياً أنه اذا اتخذ أي موقف عدائي فان المعتمد سيضطر في الحال الى احتلال بوشهر ويدافع عنها اذا دعا الامر ، ولكن اذا لم تكن هناك مظاهر عدائية فيجب ان تبقى قواته في خارَج حتى تتلقى تعليمات أخرى » .

وعندما جرت الامور هكذا أعلن الايرانيون انتصارهم وادعوا أنهم طردوا البريطانيين من بوشهر ، وهذا الامر وان كان تافهاً الا أن تأثيره كان سيئاً على هيبة بريطانيا في منطقة الخليج بأجمعها .

ولم تحدث أية أضرار لمبنى المعتمدية بعد رحيل المعتمد ووردت أخبار بأن الشعور السائد في المدينة كان في صالح البريطانيين. ويبدو أن الاتصال بين خارَج وبوشهر ظل مفتوحاً .

وارسل حاكم فارس العام نبيلا ايرانياً هو حسين خان الى المعتمد البريطاني ليتداول معه في موضوع انسحاب المعتمدية من بوشهر ، وناقش الرئيس هنيل معه المشكلة كلها على أساس ان تبقى حكومة الهند حكيمة . وفي نفس الوقت بين أن عودة المعتمدية مرهونة بقرار من السفير البريطاني لايران في ارضروم ، وان على المعتمد ألا يرحب بعروض اسخى من ذلك تقدم اليه من الايرانيين دون الرجوع الى الحكومة .

النزاع بين السلطات البريطانية السياسية والحربية على خارَج نتيجة لطرد الاخيرة للشيخ نصر ١٨٣٩

كان لنقل المعتمد الى خارَج نتيجة غير مقدرة في اثارة النزاع على

السلطة بين الرئيس هنيل المعتمد السياسي والرائد شريف القائد الحربي . فقد كان هناك خلاف مزدوج في الرأي فيما يختص : اولا : بالسماح ببقاء الشيخ نصر في جزيرة خارّج . وثانياً : في ضرورة عمل استعدادات لاتخاذ اجراء عدائي ضد ايران .

ومنذ البداية كان وجود الشيخ نصر في خارّج مصدر ارتباك فقد كان الرجل في الواقع متمرداً ضد الحكومة الايرانية ، وكان في اول الامر متحمساً لأن يقوم بعمليات ضدهم من خارّج .

وقد نجح المعتمد على اية حال في إقناعه بطرح فكرته جانباً لانه من الطبيعي ان تفسر الحكومة الايرانية تصرفه على انه بتحريض من السلطات البريطانية ، علماً بأن بريطانيا وايران كانتا في حالة سلام . ومرة أخرى رغب الشيخ نصر ان يعتبر البريطانيون أنفسهم مسئولين عن الدفاع عن قرية خارّج كما يدافعون عن معسكرهم ضد الايرانيين ، واعترض المعتمد على ذلك الاقتراح ايضاً بشدة .

وكانت هناك صعوبة أيضاً في ايجاد مكان للفحم والمخزونات الاخرى التابعة للحملة البريطانية . وقد رغب المعتمد في أن يستأجر لها القلعة الهولندية القديمة لكن الشيخ لم يكن راغباً في ترك القلعة التي كانت تأوي فيها زوجته وزوجات أقاربه وعائلاتهم . وعرض عليهم بدلا من ذلك الجزء الجنوبي من حائط القرية الذي كان يشرف على أحسن مكان لرسو السفن عندما تنتشر الرياح .

وعلى أي حال فان الرائد شريف القائد الحربي هو الذي قرر في النهاية ان على الشيخ نصر أن يغادر خارّج على عكس رأي المعتمد. وكان الباعث الاساسي لتصرف الرائد شريف هو أنه بسبب مجاهرة الشيخ بالعداء لايران ، فان وجوده في الجزيرة قد يسيء فهمه من الحكومة الايرانية . ويبدو ان طرد الشيخ قد تم بطريقة عنيفة وحاول الرئيس هينل ان يبذل ما في طاقته ليخففها . ويمكن ان يُلاحظ أن الشيخ نصر كان يطالب بالسيادة على خارّج لنفسه ولكن الحقيقة كما تبدو هي أنه أخذ الجزيرة من ايران كالتزام بنفس طريقة بوشهر .

اما بالنسبة للنقطة الثانية فان الرائد شريف اعتبر معنى تصرفات حاكم بوشهر الايراني الاخيرة اعلان حرب من حكومة ايران على بريطانيا العظمى . وطبقاً لذلك فانه اراد ان يقوم باجراءات ما بينما كان من رأي الرئيس هينل أن اعمال ميرزا اسد الله لم تكن بتفويض من اية سلطة عليا .

وعندما عرض الخلاف بين الضابطين على حكومة الهند ألحت باللوم كله على الرائد شريف . ولم تر فقط ان تصرفه في تجاوز صلاحيات الضابط السياسي في مسائل سياسية بحته كان خطأ بل اعلنت ان تقديره للموقف كان غير صحيح وان تصرفه في طرد الشيخ نصر ليس له مبرر . وقد استحسنت حكومة الهند تصرفات وآراء الرئيس هينل، ولكن لوحظ أنه كان يجب ان يكون على وفاق مع السلطات العسكرية في المواضيع السياسية، وانه كان يجب ان يعتبر نفسه مسئولا أمام الحكومة وحدها عن صحة آرائه وتصرفاته .

وقد تقرر ان تصبح ادارة الجزيرة والقرية عسكرية بمعرفة الضابط قائد القوات ، وان تسحب سلطات المعتمد من اخصتاصاته وكانت هذه هي اقتراحات الرئيس هينل . وقد امر بعض البلوش الذين تركهم الشيخ نصر في خارج أن يعملوا في خدمة الحكومة البريطانية وان تعمل ترتيبات لامن وراحة الشيخ نصر نفسه الذي سمح له ببعض التعويض عن خسارته ونفقاته مع ترك تقديرها للمعتمد نفسه .

اقتراح شراء بريطانيا لخارج من ايران ١٨٤١

وفي سنة ١٨٤١ كان احتلال القوات العسكرية البريطانية لخارج ما يزال قائماً ، ويبدو أن المعتمد في الخليج اقترح شراء الجزيرة من الحكومة الايرانية نظراً لوجود المعتمدية هناك بدلا من بوشهر ولكي تصبح مستودعاً دائماً للفحم . وقد احيل الاقتراح الى انجلترا حيث بحثه بعناية مكتب الهند ومكتب الشئون الخارجية . وفي النهاية تقرر ان الحصول على خارج بواسطة الشراء سيعطي لروسيا الفرصة للحصول على تنازل عن «جيلان» كلها او جزء منها في الشمال في مقابل تخفيض من مبالغ

تعويضات الحرب المستحقة لروسيا من ايران ، وهذه نتيجة غير مرغوب فيها ومن الافضل الا يتم شيء يمكن ان يعرض سلامة ايران للخطر . وقد امر الوزير البريطاني في طهران ان يوضح للحكومة الايرانية عندما حان وقت الجلاء عن خارج بعد تحقيق المطالب البريطانية ، ان المعتمد البريطاني سيبقى في الجزيرة لحماية المصالح التجارية البريطانية وانه يتطلب وجود محطة للفحم هناك لاستعمال السفينتين البخاريتين البريطانيتين «دجلة» و«الفرات» ، وطلب منه أيضاً ان يطلب من الحكومة الايرانية الايعاز للسلطات المحلية بأن تقدم التسهيلات الضرورية .

وقد اثبتت خارج على ما يبدو أنها مكان لا بأس به ، فعند نهاية سنة ١٨٤٠ كان يوجد بها سوق مزود بكل شيء . وقد سهل الدفع بالنقد الحصول على المؤن الوفيرة ولكن الحمى والامراض الاخرى استمرت سائدة في فصل الصيف بين قوات الحامية .

انهاء الاحتلال البريطاني لخارج ١٨٤١–١٨٧٤٢

لما كانت قد وضعت ترتيبات لانهاء الاحتلال البريطاني لخارج بمجرد عقد معاهدة أنجلو–ايرانية تجارية فقد بات لازماً انهاء ذلك الاحتلال بسبب عقد المعاهدة . وكتب السير ج. مكنيل في ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٤١ الى القائد العسكري المسيطر على خارج لينظم جلاء سريعاً عن الجزيرة لتسليمها بالاتفاق مع المعتمد الى الضابط الذي ربما تعينه الحكومة الايرانية ليتسلمها . وطلب منه ان يبلغ الممثل الايراني ان ضابطاً بريطانياً سيستمر في الاقامة هناك وان محطة الفحم البريطانية يجب ان يحتفظ بها في الجزيرة .

وقد حدث بعض التأخير في الجلاء، ومن المحتمل ان سبب ذلك كان الحاجة لتوفير تسهيلات لحمل القوات ولكنه في خلال يناير وفبراير سنة ١٨٤٢ انسحبت القوة . وتم نقل المخازن البحرية التي بقيت هناك في اكتوبر ونوفمبر .

عودة المعتمدية البريطانية من خارَج الى بوشهر في مايو ١٨٤٢ عقب سكنى غير رسمية في خارَج وشكاوى الحكومة الايرانية

وفي ينـاير سنة ١٨٤٢ طوى المعتمد بالوكالة الرائد هـ. د. روبرتسون العلم في خارَج ونقل المعتمدية الى بوشهر ، لكنه هو نفسه عاد سريعاً الى خارَج حيث اقام طوال الصيف . ويبدو أن مبنى معتمدية بوشهر أصبح مهجوراً وان المعتمد بالوكالة قد اقترح أنه لا يجب ترميمه بل يجب بناء معتمدية جديدة في أقليم على بعد بضعة أميال من المدينة وكان ينتظر الاوامر لذلك . وقد اشتكت الحكومة الايرانية للوزير البريطاني في طهران من استمرار بقائه في خارَج . ويبدو ان المشروع الاول في الاحتفاظ بالمعتمدية هناك لم يبلغ لهم او يكون قد سحب مراعاة لاعتراضهم . واضافوا على شكواهم اتهاماً لا أساس له وهو ان المعتمد قد عين رئيساً على أهل الجزيرة .

وكانت عودة المعتمد المؤقتة الى خارَج في الواقع غير رسمية فهو لم يرفع علمه ، وكان مصحوباً فقط بنصف حرسه المكون من ٣٦ رجلا . وكان جميع الموجودين معه من المكتب هما كاتب واحد وشخص يدعى ميرزا وقد سمح لمساعده ولجراح المعتمدية ان يختارا محل إقامة للصيف ولكن كليهما اختارا خارَج . وهو نفسه مع مساعده كانا يزوران بوشهر كلما دعت الضرورة ويبقيان هناك من اسبوع الى ثلاثة اسابيع في كل مرة

وثيقة احتلال الشيخ نصر لجزيرة خارَج ١٨٤٢ — ١٨٤٣

ويبدو ان المفوضية البريطانية في طهران قد تدخلت سنة ١٨٤٢ في المشكلة القائمة بين الشيخ نصر والحكومة الايرانية ، كما يبدو ان الشيخ نصر قد حرمته الحكومة الايرانية من جزيرة خارَج ، ولا يبدو واضحاً ما اذا كان للمسألة علاقة بالاحتلال البريطاني العسكري المستجد . وفيما يختص بهذه الحالة فقد طلب الوزير البريطاني من المعتمد في الخليج ان يكتب تقريراً عن ملكية الشيخ نصر السابقة للجزيرة . أعني : ما اذا

كانت ملكيته لها بالوراثة أم أنه يحتفظ بدخلها عل أنها إقطاعية وايضاً ما هو مبلغ دخل الشيخ الذي اعتادّ أن يأخذه من الجزيرة او من السكان؟ وعما اذا كان قد تلقى أي تعويض عن حرمانه منه . وقد اعترف الرائد روبرتس في رده فعلا بعدم مقدرته على القاء أي ضوء على طبيعة ملكية الشيخ نصر بجزيرة خارَج وانه لا يجد اي اساس يعتمد عليه ليكون رأياً في ذلك .

العلاقات بين الشيخ نصر والمعتمدية البريطانية ١٨٤٥

لقد نظر الى اعادة تعيين الشيخ نصر مرة اخرى سنة ١٨٤٥ الى حكم بوشهر بعين الرضا من الرئيس هينل المعتمد . وقد كتب تقريراً عن هذا بأنه يوجد أمل في الاحتفاظ بالعلاقات الودية مستقبلا بين المعتمدية البريطانية والسلطات الايرانية في بوشهر.

★ ★ ★

ناصر الدين شاه ١٨٤٨ ـ ١٨٩٦

قبل موت محمد شاه اعترفت الحكومتان البريطانية والروسيه منفصلتين ومجتمعتين بابنه الاكبر ناصر الدين ميرزا كوريث لعرش ايران. ونتيجة لذلك فانه بعد وفاة الشاه عمل القائم بالاعمال البريطاني

---

(١) المصادر الرئيسية لتاريخ ايران العام في تلك الفترة على حسب الترتيب التاريخي : « لمحة عن الحياة والاخلاق فى ايران » سنة ١٨٥٦ لليدى شيل « اقامة ثلاث سنوات لدبلوماسى في ايران » سنة ١٨٦٤ للمستر س٠ب٠ ايستويك ٠
« تاريخ ايران » سنة ١٨٦٦ للمستر ر٠ج٠ واتسون « مذكرة فى الشئون الايرانية » سنة ١٨٧١ للمستر ج٠ تالبوين هويلر « تاريخ ايران » سنة ١٨٧٤ للسير ك٠ر٠ مارخام ٠
« انجلترا وروسيا فى الشرق » سنة ١٨٧٥ ٠ للسير هـ٠ك٠ رولنسن « ايران والمسألة الايرانية » سنة ١٨٩٢ للورد كيرزون معاهدات ذلك الوقت توجد فى « معاهدات » ايتشسون ارتباطات وسندات المجلد ١٢ سنة ١٩٠٩ ٠ ومصادر المعلومات الرئيسية فيما يختص بالحرب الانجلو ايرانية هى : =

والامير دوبلجوروكي الوزير الرسمي في طهران سوياً ليضمنا سلامة خلافة ذلك الشاب الامين . وقد ارسلت اليه أخبار عن طريق حاكم اذربيجان في تبريز حيث اتخذ إقامته ، وذلك عندما كان والده في النزع الاخير . وكان لا مناص بالرغم من كل احتياط من ان يلازم تغيير الحكم شيء من الاضطراب. وكانت الفترة الهامة التي حدثت بين موت محمد شاه ووصول ناصر الدين ميرزا الى العاصمة مليئة بالقلق . وقد تكونت حكومة اقليمية في طهران رئستها « مهد اولياء » او الأم الملكة . ولكن الاعضاء الذين كانوا ينتمون الى اقسام سياسية مختلفة ممن كانت مصالحهم الفردية متنوعة لم يتحدوا في شيء الا بالمطالبة باستقالة رئيس الوزراء القدير حاج ميرزا أغاسي الذي كان عُيّن من وقت قريب. وكان شخصاً عجيباً وداهية كون لنفسه ثروة كبيرة بممارسة السلطة العليا وكان في حيرة كيف يتصرف ، فمرة يعد الممثلين البريطانيين والروس بأن يبتعد عن الشاطيء السياسي أثناء الازمة ، ومرة أخرى يعتصم بقلعة طهران ومعة ١٢٠٠ من اتباعه كأنما يستعد لتنصيب نفسه بالقوة وأخيراً اتخذ لنفسه ملجأ في حرم الشاه عبد العظيم بالقرب من العاصمة .

= « حملة اوترام وهافيلوك الايرانية » سنة ١٨٥٨ للرئيس هـ٠ج٠ هنت ويحتوى على توضيحات ومعلومات عن أسباب الحرب « الحملة الايرانية فى سنة ١٨٥٧ » للسير ج٠ أوترام طبعت للتداول الخاص سنة ١٨٦٠ وبه خرائط ٠

« تفاصيل الحروب البريطانية مع ايران »سنة ١٨٨٩ للعقيد م٠س٠ بل « تاريخ البحرية الهندية » سنة ١٨٧٧ للملازم س٠ر٠ لو وله علاقة بالعمليات البحرية فى الحرب ٠

وتاريخ الساحل الايرانى المحلى والجزر يمكن أن يحصل عليه أصلا من التقارير الادارية السنوية للمعتمدية البريطانية فى الخليج وهى حلقة تبدأ من سنة ١٨٧١ ــ ١٨٧٢ ، ومن السجلات العامة لحكومة الهند التى لخصها المستر ج٠ أ٠ سالدانها فى كتابه « اختصار المراسلات الخاصة بشئون الخليج (١٨٠١ ــ ١٨٥٣) ، » « ملخص لشئون الساحل الايرانى وجزره » (١٨٥٤ ــ ١٩٠٩) وكلاهما طبع فى سنة ١٩٠٦ ٠ وبعض الوقائع وردت أيضا فى « جريدة رحلة سنتين فى ايران الخ » سنة ١٨٧٥ للمستر ر٠ب٠م٠ بننج ، « ستة شهور فى ايران » سنة ١٨٨٢ أ٠ ستاك ٠

اعتلاء ناصر الدين شاه ٢٠ أكتوبر ١٨٤٨

دخل ناصر الدين ميرزا طهران في(١) العشرين من اكتوبر سنة ١٨٤٨ وأعطى مراسيم الملك في منتصف الليل التالي وعمره(٢) عندئذ ١٧ سنة فأقط .

وقد وقع اختيار الشاه الصغير من قبل على كبير مستشاريه وهو ميرزا تقي خان الذي سنتحدث عنه كثيراً بعد ذلك ، وقد اختار اللقب الحربي « امير نظام » مفضلا اياه على لقب الصدر الاعظم او رئيس الوزراء بعد ان أصبح اللقب الاخير في رأيه منحوساً بسوابق مشئومة معينة . وكانت احدى نتائج اختيار ميرزا تقي خان هي هروب الحاج ميرزا اغاسي الى كربلاء حيث مات بعد ذلك بوقت قصير (١) .

وبدت الامور في اول الامر تسير من سيء الى اسوأ ، وكان هناك تنبوء عادي بسقوط عائلة الكاجار وانقسام ايران . وكانت الخزنة خاوية وزادت المشاغبات في يزد واصفهان وشيراز وكرمان . فأصبحت الطرق غير مأمونة حتى سبب ذلك يأساً بين التجار . وبالقرب من يزد وحدها قتل او احتجز ما لا يقل عن ١٥٠٠ حيوان باحمالها .

---

(١) هكذا قال واتسون فى (تاريخ ايران ص ٣٦٤) ولكن رولنسن جعل التاريخ فى الواحد والعشرين فى (انجلترا وروسيا فى الشرق ص ٧٤) ويوجد نفس التناقص في يوم واحد بين التواريخ التى ذكرها الكتاب فى موت محمد شاه .

(٢) لورد كيرزون يذكر بالتحديد أن ناصر الدين شاه ولد فى ١٧ يوليه سنة ١٨٣١ (ايران المجلد الاول ـ ص ٣٩٣) والعبارة بلا شك تستند الى دليل قاطع . وذكر لوفتس فى (تاريخ ايران ص ٣٦٤) أن الشاه كان عمره ١٦ عاما عند توليته . بينما الليدى شيل من الناحية الاخرى تذكر أن عمره كان ٢١ سنة فى توفمبر سنة ١٨٥١ ، وبتنج يجعله يتم الاحدى وعشرين سنة قمرية في ١١ ديسمبر سنة ١٨٥٠ فى (جريدة سفر عامين) .

(١) لوفتس فى كتابه (رحلات وابحاث ص ٥٦) يذكر ان قبره كان موجودا فى كربلاء سنة ١٨٤٩ ويحكى عن قصة مميزة لها علاقة بموت الحاج .

وعلى أي حال فبالتدريج هدأت هذه المشكلات او أخمدت ، وكانت طهران نفسها مهددة في وقت ما من سيف الملوك ميرزا ابن ظل السلطان الذي كان يتنازع مع والد ناصر الدين شاه على العرش ، ولكن القوة التي حاول هذا المدعي جمعها تشتت سريعاً وهو نفسه أخذ سجيناً الى طهران .

ثورة السلار في مشهد ١٨٤٨ — ١٨٥٠

وكان اعظم خطر تعرضت له الحكومة الجديدة بسبب الحالة في خراسان حيث ظهر «السلار» مرة أخرى على المسرح . وكان ابوه أسف الدولة ما يزال في المنفى . وقبل مضي وقت طويل استطاع السلار الذي تمتع بتأييد معظم زعماء خراسان ، وكان محبوباً جداً من الناس ، أن يجبر حمزة ميرزا عم الشاه وممثله في مشهد ، بالرغم من مساعدة يار محمد خان حاكم هرات ، على الجلاء عن المدينة والانسحاب الى حدود الافغان . ورفض أمير نظام جميع عروض الوساطة البريطانية والروسية لمعارضته بشدة كل تدخل أجنبي في شئون ايران الداخلية . وارسل بدلا من ذلك الامدادات بقيادة مراد ميرزا ، وهو عم آخر للشاه ، للجيش الايراني المحدق بمشهد . وفي نفس الوقت فان لصوص تركمان من وراء الحدود غمروا خراسان من جميع الجهات وبينما تظاهر يار محمد خان بمساعدة قوات الشاه فقد كان ينتظر نتيجة النضال معلقاً آماله على الافادة منه . وبالقرب من نهاية سنة ١٨٤٩ ارسلت من طهران قوة أخرى الى مشهد ، ولكنها قاست من كارثة خطيرة عند اول وصولها . واخيراً وبعد حصار دام سنة ونصف رأى أهل المدينة ان الاستحكامات الهامة سقطت ، وأن هجوماً عاماً وشيك الوقوع ، ففتحوا بوابات مشهد للقوات الملكية بقيادة سلطان مراد ميرزا ، وأخذ السلار بالقوة من ضريح الامام رضا الذي اتخذ منه ملجأ ونفذ فيه حكم الاعدام بواسطة وتر القوس . ومع أن موته كان موضع أسف الكثيرين بسبب إقدامه ومروءته فانه أدى الى تضامن العهد الجديد وخاصة ان أهالي مشهد العادين عوملوا باللين وإن وقعت عليهم غرامة عقوبة لهم لمشاركتهم في الثورة .

ولا يبدو ان السلار نفسه كان ينشد عرش ايران ولكن من المحتمل أنه كان يهدف الى اعادة عائلته الى الوضع السابق حكاماً عاميين مستقلين في خراسان .

ميرزا تقي خان – ادارته وسقوطه وموته ١٨٤٨–١٨٥٢

وربما كان ميرزا تقي خان أمير نظام ، الذي بأمره عادت الطمأنينة تدريجياً أقوى وأعظم شخصية هامة في تاريخ ايران الحديث . وكان هو شخصياً عظيماً مهاباً حسن المنظر ، وتدل تقاطيع وجهه على الذكاء وهو مدين بنجاحه في حياته كلية الى صفاته الشخصي . وهو من أصل متواضع وعندما كان يرافق بعثة خسرو ميرزا الى سانت بطرسبرج حوالي سنة ١٨٣٠ كان في وظيفة متواضعة هي وظيفة خادم . وعن طريق عمله ككاتب وسكرتير ارتقى الى وظيفة ممثل ايراني في لجنة الحدود الايرانية التركية في ارضروم (١٨٤٣–١٨٤٧) وقد اعطي هذه الوظيفة بناء على نصيحة الانجليز وأثبت بما لا يدعو الى المقارنة(١) أنه من أهم الشخصيات في اللجنة فقد تمسك بالقضية الايرانية بمقدرة وثبات وكرهه الاتراك كراهية غير عادية لهيئته ووقاره وأخلاقه العظيمة .

وقد الحق ميرزا تقي خان بعد ذلك في هيئة موظفي ناصر الدين ميرزا عندما عين ذلك الامير والده كحاكم عام لاذربيجان . وكان من الطبيعي أن يحتفظ ناصر الدين عند اعتلائه العرش بخدمات مستشاره الخاص . ولكن الشاه تصرف بغير حكمة عندما زوجه من أخته الشقيقة ، وهو تصرف لم يستحسنه كثير من اعضاء الاسرة الحاكمة فعرض صديقه لعداوة شديدة من الملكة الأم .

وكانت أخطر المشاكل التي واجهت ميرزا تقي خان المالية أولاً ثم الحربية . وفي أثناء الأشهر القلائل الاولى من الحكم الجديد لم يصل أي دخل الى الخزانة العامة بينما لم تكن للحاكم أية اعتمادات مالية .

---

(١) هذه الكلمات كانت لاحد زملائه الانجليز – أنظر ارمينيا ص ٥٥ .

وكان الموقف في خراسان حرجاً ويتطلب مجهوداً حربياً . وبجرأة تستحق الإعجاب تقدم الوزير لهذا العمل المزدوج ، وهو إصلاح المالية وتكوين جيش قادر . وقد بنى إقتصاده أساساً على الغاء او انقاص المعاشات التي لا لزوم لها والتي منحها(١) من سبقوه بسخاء الى الامراء ورجال الدين . ولقد أفقده هذا الاجراء شعبيته في اوساط اصحاب النفوذ لكن ذكاءه الناضج تخطى ذلك ومكّنه أن يحّد من الاختلاس الذي انتشر في الحياتين المدنية والحربية ولا سيما الأخيرة على وجه الخصوص . وكانت اولى العلامات الخطيرة لمعارضة اصلاحات أمير نظام هي تمرد حامية طهران في مارس سنة ١٨٤٩ بتحريض من اعدائه وكان التمرد ضده شخصياً . وقد قابل هذه الحركة بانسحابه بهدوء من الوظيفة حتى هدأت الحركة وبعدها استأنف وظيفته وتقدم بإصلاحاته . وكان المبدأ الرئيسي في سياسته هو كبح جماح النفوذ الذي طغى على امتيازات الحكومة المدنية ولم يكن قليلا في ايران في ذلك الوقت . ولتحقيق هذا المبدأ فانه أمر بالقبض على شيخ الاسلام في تبريز وحرّم «الإمام جمعه» في طهران من حقه المشروع في توفير أمنه وحمايته ، واراد عن طريق السلطات الروحية أن يحرم إظهار تعصب الشيعة الذي كان يتجلى في شهر محرم في ايران . وفي مسألة العلاقات الخارجية كان أيضاً لا يلين اذ كان يطمح في إنقاذ ايران من موقف التبعية المذل لمصالح روسيا وبريطانيا وتركيا .. وقد رفض كما رأينا من قبل عروض التدخل الاجنبي بين الشاه وثوار مشهد . وأدار أيضاً أذناً صماء للاقتراحات البريطانية بأن عائلة أسف الدولة يجب ان تسترد نفوذها في خراسان ، كذلك كان شأنه مع المطالب الروحية أيضاً في أن بهمان ميرزا عم الشاه الذي هرب من مركزه واتخذ ملجأ على الحدود الروسية يجب ان يعود حاكماً عاماً لاذربيجان . وكانت مراعاته الدقيقة لتعهداته تدعو للاعجاب

(١) طبقا لما قاله بننج « جريدة رحلة سنتين المجلد الثاني ص ٢٣٧ » أن أمير نظام أظهر كراهية قوية غير معقولة ضد الاجانب ، وأقنع الشاه بطرد الاوربيين من خدمته واقترح استبعاد المصنوعات الاجنبية من البلاد عن طريق تشجيع الصناعات الاهلية .

كما كان غير راغب في الدخول في أية ارتباطات كما ان بساطته وعدم إمكان الوصول اليه عن طريق التملق كانت تدعو لاعجاب أكثر . وقد نجح امير نظام بأمانته واجتهاده ونشاطه وشجاعته في الوصول الى المصادر الماليـــة للدولة وللتجارة الخاصة الى درجة معينة من الكفاية لكنه ما كادت الامور تتجه نحو الاصلاح حتى فقد ثقة الشاه فجأة .

وكانت لامير نظام عيوبه ، فقد كان متكبراً معتداً بنفسه ، وذلك لم يرض سيده الملك . وقد دار الهمس بأنه كان يتكلم باستخفاف عن الشاه فيقول « هذا الشاب الصغير » . وربما أبلغ ناصر الدين شاه خطأ أن وزيره يقوم بخطط للاستيلاء على العرش نفسه . واذا كان الامر هكذا فان الاخلاص والولاء اللذين اظهرهما الجيش له يرجح احتمال هذا الاتهام . وفي ليلة الثالث عشر من نوفمبر سنة ١٨٥١ ارسل الشاه بعد أن اتخذ احتياطاً غير عادي من يخبر أمير نظام أنه أعفي من كل شيء ما عدا مهامه الحربية ، واطاع الوزير ذلك الامر بكل احترام .

وبذلت السفارة البريطانية مجهودات لصالح ميرزا تقي خان كان من نتيجتها ان عرضت عليه حكومة كاشان ولكنه تردد في قبول أية حكومة اقليمية معتقداً أن حياته تكون في خطر مفاجيء بعد عزله عن الاتصال المباشر بالشاه . وتدخل الوزير الروسي حينئذ لصالحه ولكن تدخله كان بغير لباقة فأصبح في النهاية سبباً في القضاء عليه . وقام الامير دولجوروكي بمحاولة علنية تحت الحماية الروسية في طهران وبعد ان أثار بذلك غضب الشـــــاه ومستشاريه الجدد أرسل امـير نظـــــام الى كاشان كمعتقل سياسي ، وبقي هناك في خطر ولكن لم يمسه ضرر حتى أدى الحاح الوزير الروسي لسوء الحظ إلى خوف الشاه من التدخل الاجنبي وهكذا اختتم مصير أمير نظام . وفي التاسع من يناير سنة ١٨٥٢ قبض على ميرزا تقي خان وتم اعدامه بقسوة في قصر فرح بالقرب من كاشان وذلك على يد مبعوثين من طهران . وزادت ظروف هذا الجحود الشاذ والخداع القاسي من تعظيم شأن هذه المأساة . وكان المظهر الواضح الذي تجلى فيه الوفاء هو مسلك زوجة الرجل الضحية وحدها .

ولم يمض وقت طويل حتى أدرك الشاه ان الجريمة التي غررته فيها أفاعيل الوشاية والنميمة كانت خطأ سياسياً عظيم الجسامة ، وأظهر ولو وقتياً علامات الاخلاص والندم . وقد أثارت جريمة قتل امير نظام الخوف حتى في اوربا البعيدة وذكرت فترة ادارته القصيرة في ايران لعدة سنوات على الاقل بأنها كانت فترة من العصر الذهبي .

زيارة الشاه لاصفهان ١٨٥١

برهن الشاه ناصر الدين خلال فترات متكررة من حكمه على نشاطه الشخصي ورغبته في التعرف على جميع الامور ، وذلك بالقيام برحلات الى أجزاء مختلفة من ايران بل وفي دول اجنبية .

وقد قام بالرحلة الاولى الهامة في مملكته سنة ١٨٥١ بينما كانت السلطة ما تزال في يد أمير نظام وكان هدف الرحلة أصفهان ، وصحب الشاه فيها عدد كبير من بلاطه وجزء من جيشه . وقررت البعثات الأجنبية في طهران بتوجيه الروس ان تشترك في الرحلة كرمز للاهمية . وغادر الشاه العاصمة حوالي نهاية ابريل ووصل أصفهان عن طريق دائري في ١٥ يوليه حيث سبقه الى هناك الرائد شيل الوزير البريطاني ، والممثلون الروس والاتراك أيضاً . وكان وجود الحشد غير المنظم الذي أحضره الشاه معه قد شوش الحياة في ذلك المكان ، الى ان عاد الشاه الى طهران في ٢٨ اغسطس .

متاعب البابيين ، ومحاولة القضاء على حياة الشاه ١٨٤٩-١٨٥٢

كانت البدعة البابية او الديانة الجديدة التي نشأت كما أوضحنا من قبل في أثناء الحكم السابق سبباً في مشكلات سياسية خطيرة في السنوات الاولى لحكم ناصر الدين . ويبدو ان الاضطهاد وحده قد اعطى قوة وحيوية للحركة البابية . وقد قبض على الباب نفسه في شيراز سنة ١٨٤٥ ، فقضى الشطر الاكبر من حياته في السجن حتى اعدم في تبريز في يوليه سنة ١٨٠٥ . وقامت في يزد ثورة بابية ولكنها اخمدت بمساعدة الشعب . وفي طهران اكتشفت مؤامرة بابية على حياة أمير نظام ونفذ حكم

الاعدام في سبعة من البابيين علناً . وقد ُخنق سراً أعضاء محكمة الاعدام الاولى التي اقيمت في ايران والتي أدانت المجرمين في ثورة الشاه . وفي مايو سنة ١٨٥٠ في نفس الوقت تقريباً مع ثورة يزد نشبت ثورة بابية أكثر خطورة في زنجان حيث استمرت مجموعة من ٣٠٠٠ بابي ثائر تقاوم قوات الملك حتى نهاية السنة بالرغم من تنفيذ حكم الاعدام في الباب نفسه وكان دفاعهم يائساً وطرقهم وحشية وعقوبتهم هي الابادة .

وبلغت مجهودات البابيين الذروة ، بعد فترة خمود أعقبت إخضاع زنجان ، في محاولة على حياة الشاه نفسه تمت في ١٥ اغسطس سنة ١٨٥٢ واتضح منها بوضوح أن مبادىء بعض أصحاب الطائفة البابية أصبحت فوضوية بشكل نشيط . وقد نجا الشاه من هذه المحاولة بجرح بسيط في فخذه من رصاصة مسدس ، وقتل واحد في الحال من الاربعة البابيين المهاجمين وقبض على اثنين ، واعدم حوالي ثلاثين شخصاً لاعتبارهم مشتركين في الجريمة ، وبعضهم عذب عذاباً شديداً مما أثار بعض العطف على الطائفتين بسبب سرعة وقسوة الاجراءات الحكومية .

وقد اجبر عدد من كبار موظفي الحكومة الايرانية أن يأخذ كل منهم نصيباً شخصياً في تنفيذ الحكم على البابيين المدافعين وذلك بفكرة توزيع المسئولية عن هذا العمل ، وكذلك توزيع انتقام الاخوان البابيين المرتقب على أكبر عدد ممكن من الاشخاص البارزين .

رئاسة الوزارة لميرزا أغا خان ١٨٥١–١٨٥٨

كان بجيء بعد أمير نظام في أعلى وظائف الدولة «معتمد الدولة» وهو معروف أكثر باسم « ميرزا أغا خان » وهو رجل من طابع مختلف ، ولم يتردد في قبول لقب الصدر الاعظم او رئيس الوزراء . وكانت سياسته في اول الامر سياسة حكيمة بتحفظ ولكن طرقه الملتوية في آرائه ضد الاجانب اوقعت ايران بالتدريج في اشكالات كانت نتيجتها النهائية كما سيتضح في مكان آخر الحرب الانجلو–ايرانية سنة ١٨٥٦–١٨٥٧ .

وفي سنة ١٨٥٨ طرد الشاه ميرزا أغا خان ، وتولى هو ادارة الامور

بنفسه . ولم يتخل عن منصبه هذا أبداً لشخص آخر مع العلم أنه عين فيما بعد غير صدر أعظم واحد .

المجاعات المتكررة في ايران ١٨٦١–١٨٧٢

تميزت فترة أكثر من عشر سنوات من حكم ناصر الدين شاه برداءة المحاصيل ، وكان ممكناً تلافي التذمر الذي دب في أجزاء مختلفة من الدولة لو كانت هناك طرق مواصلات جيدة . وفي ٢٨ فبراير واول مارس سنة ١٨٦١ وقعت معارك خطيرة على الخبز في طهران أعدم عمدة المدينة في أثنائها . وفي صيف سنة ١٨٦٥ حدث بسبب المجاعة معركة في شيراز فقدت فيها بعض الارواح . وفي ربيع العام الذي تلاه أثناء رحلة الشاه الى حدود القزوين قامت مشاغبات في العاصمة تطلبت عودة الشاه في الحال ، وفتح مخازن الغلال الملكية للشعب . وسنشير الى المجاعة الخطيرة التي حدثت في الجنوب في سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٧٢ في تاريخ الساحل الايراني والجزر .

زيارة الشاه لمشهد ١٨٦٧

وفي سنة ١٨٦٧ زار الشاه مشهد حيث وصل في ١٧ يونيه أداء لواجب ديني من ناحية ولشئون الدولة من ناحية أخرى . وصحبته الملكة الام وجميع سيدات القصر ولم يعد الى طهران حتى ٢٣ سبتمبر . وزاره أثناء توقفه في عاصمة خراسان محمد يعقوب خان ابن امير افغانستان وحاكم هرات باسم والده شير علي خان .

رحلة الشاه الى العراق التركي ١٨٧٠–١٨٧١

وأما الرحلة التي قام بها ناصر الدين شاه في شتاء سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٧١ الى العراق التركي كزائر لأضرحة الشيعة هناك وربما أيضاً ليلاحظ احوال رعيته في الامبراطورية العثمانية فقد وصفنا ما يختص بمراحلها وراء الحدود الايرانية في فصل من تاريخ ذلك الاقليم . وقد غادر الشاه طهران في ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٧٠ مع الملكة الام وسيدات

من القصر الملكي فوصل الى كرمان شاه في ٢٧ أكتوبر بعد ان تعرضت الرحلة لمصاعب كثيرة ، وزاد من خطورتها انتشار الكوليرا . وعندما اقترب من همذان الى كرمان شاه ازعجته شكاوى صاخبة ضد الامير الحاكم للاقليم من سوء ادارة الحكم . وقد وعد أن يحقق فيها شخصياً عند وصوله. وبذلك بقي في كرمان شاه حتى ٥ نوفمبر . ودخل الشاه ثانية الاراضي الايرانية من خانقين في ٩ يناير سنة ١٨٧١ وبلغ كرمان شاه في ٢٤ من الشهر نفسه .

رئاسة وزارة ميرزا حسين خان ١٨٧١–١٨٧٣

وفي سنة ١٨٧١ شعر الشاه بالحاجة الى شخص ما يشاركه أعباء الحكومة فأعاد وظيفة الصدر الاعظم او رئيس الوزراء وعين فيها ميرزا حسين خان ، وهو موظف مستنير ذو خبرة . وقد قام بتمثيل ايران في تفليس وفي بومباي ، وظل مدة اثني عشر عاماً سفيراً لايران في القسطنطينية . وكان رئيس الوزراء الجديد هو سبب اعطاء امتياز رويتر الذي سنعرفه بعد ذلك في مكانه الصحيح . وقد شجع الشاه على زيارة العواصم الاوربية الهامة وقد سبب هذان الاجراءان اخيراً سقوط رئيس الوزراء .

رحلة الشاه الاولى الى اوروبا ١٨٧٣

في رحلة الشاه الاولى الى اوربا أخذ معه امراء عديدين من اقربائه الذين رأى أنه من غير المناسب أن يتركهم وراءه في ايران . وحتى مع هذا فان حقيقة كونه قادراً على مغادرة ايران كانت ارضاء لشعوره بأن مركزه وطيد على العرش . وكانت القسطنطينية وفينا وسانت بطرسبرج وبرلين وباريس وبروكسل ولندن من بين العواصم التي زارها . وفي القسطنطينية تمت مقابلة شخصية وحيدة بينه وبين سلطان تركيا وهما الحاكمان المسلمان المهمان في العالم .

ويمكن ملاحظة بعض النتائج السياسية لرحلة الشاه في مكان آخر ومن المناسب هنا فقط ان نذكر الظروف التي صاحبت نهايتها . ولقد

حملته اشاعات السخط التي انتشرت في الوطن على اختصار الرحلة في مراحلها الاخيرة . وعندما عاد الى ايران وجد ان امتياز رويتر سبب هياجاً كبيراً في الدولة وان ابعاد رئيس الوزراء مطلوب بناء على رغبة عدد كبير من الساخطين.. ممن كان بعضهم يهيج الجمهور ، ولكن عدداً كبيراً منهم كان ساخطاً لاعتبارات خاصة . وكان متوقعاً ان يجد الشاه نفسه مضطراً لان يضحي بميرزا حسين خان ، كما ضحى بميرزا تقي خان في سنة ١٨٥٢ لتهدئة السخط العام ، لكن طرد الرجل من رئاسة الوزراء حماه من أي ضرر وأبقى عليه لفترة ما ليكون فيما بعد « سيباه سالار » أو القائد العام . وفي النهاية وقعت العقوبات المناسبة على جميع الشخصيات الهامة ، ممن اظهروا امارات من عدم الاخلاص .

رحلة الشاه الاوروبية الثانية ١٨٧٨

وعندما تشجع الشاه بنجاح الرحلة الاولى الى اوربا شرع في رحلة ثانية سنة ١٨٧٨ . وفي هذه المناسبة زار روسيا والمانيا وفرنسا والنمسا ولكنه لم يزر انجلترا . وكانت النتيجة الظاهرة الرئيسية لرحلته هي استقدام مدربين نمساويين للجيش الايراني على مدى واسع . ومنذ اختفاء معظم الضباط الفرنسيين حوالي سنة ١٨٥٠ ممن استخدمهم محمد شاه والفرنسيين على التوالي . ولم يبق أي منهم طويلا في البلاد . وكان هناك تذمر في ايران من الافراط في مصروفات الشاه على رحلته الاوربية الثانية .

رحلة الشاه الاوروبية الثالثة ١٨٨٩ :

وفي سنة ١٨٨٩ رحل الشاه الى اوربا للمرة الثالثة وزار انجلترا في هذه المرة ايضاً .

حكومة ناصر الدين شاه ١٨٨٩

وربما بلغت حكومة ناصر الدين شاه اوج قوتها سنة ١٨٨٩ حين نالت اكبر درجات الثبات ، وقد أجريت تجارب كثيرة وكانت

حرة في تقبل نتائج التحديث او رفضها ، وقد أصابت تقدماً في الطرق الادارية والسياسية العامة بحكم الظروف . وكان الوزير الرئيسي في الدولة في ذلك الوقت وإن كان لم ينل شرف لقب الصدر الاعظم هو ميرزا علي عسكر خان المعروف « بأمين الدولة » ، وكان من اصل ايراني وصغيراً في السن ولكنه كان يتمتع بمقدرة طبيعية وبقوة الشخصية . وكان يقر للزوار الانجليز بعواطفه الانجليزية الصادقة . وكان هو العضو الرئيسي في حاشية الشاه في رحلته الملكية الثالثة الى اوربا ، ولكن كما سيتضح لنا من اعماله في الخليج ومما سنشرحه تالياً هنا فان سياسته كانت تدل على غلو في الوطنية . وكان تصريف الاعمال العادية يتم الى حد ما على يد مجلس الحكومة الذي تكون بعد رحلة الشاه الاولى الى اوربا في سنة ١٨٨٩ . وكان مؤلفاً من حوالي ثلاثين عضواً من بينهم رؤساء المصالح . وكان هناك أيضاً مجلس داخلي أنشأه الشاه سنة ١٨٨٨ من خمسة أشخاص ليتقدم بالنصح للشاه في الامور الهامة .

اغتيال ناصر الدين شاه في اول مايو ١٨٩٦

يستحق حكم ناصر الدين شاه أعظم التقدير في تاريخ ايران منذ أيام كريم خان الزندي . وقد انتهى هذا الحكم باغتياله في اول مايو سنة ١٨٩٦ عندما كانت الاستعدادات على قدم وساق للاحتفال باتمام السنة الخمسين من حكمه . وكان مسرح الحادث هو ضريح الشاه عبد العظيم بالقرب من طهران حيث ذهب الشاه الى هناك ليقدم الولاء للاسرة ، ورفض صاحب الجلالة ان يخلي المسجد من الجمهور من أجله . وبينما كان ماراً في حشد من الناس رفع رجل مسدسه وأطلقه على قلب الشاه . وكان القاتل ميرزا رضا تاجر بسيط من طهران وقد شنق في الثاني عشر من أغسطس . ولم يكن من البابيين بل كان من أتباع (مريدي) جمال الدين الافغاني أحد رعايا الشاه الذي كان مقيماً في القسطنطينية والذي استمد منه ميرزا رضا الافكار الثورية المتطرفة . وطالبت الحكومة الايرانية بتسليم جمال الدين الافغاني الذي أقر القاتل بصراحة باتهامه ولكن بينما كانت المفاوضات مستمرة توفي جمال الدين .

شخصية ناصر الدين شاه والاعمال الهامة التي تمت في حكمه

ويمكن الحكم على ناصر الدين حسب تصرفاته (وان كان لم يتخل عن ممارسة القسوة الشديدة التي كان يعتبرها ضرورية) بأنه كان حاكماً انسانياً تقدمياً . وفي السنين الاخيرة من حكمه قلت العقوبات الرسمية في ايران ، واصبحت اقل قسوة . فقد كان مستبداً ولكنه كان نشيطاً وعادلا نوعاً ما وكان يعتبر باجماع الآراء أعظم رجل قدير في الدولة واحسن حاكم عرفته الدولة . وفي أيامه توقفت اللصوصية والفوضى توقفاً يثير الاعجاب . ونجح الى حد ما في السياسة التي اوجدها امير نظام في وقف النفوذ الروحاني والمساوىء المرتبطة به واستطاع أن يفرض رقابة مدنية على ادارة الممتلكات الدينية والصدقات .

وقد اسس اتصالا تلغرافياً في ايران ، وبين ايران والعالم الخارجي وان كانت الوكالة التي تولت عمل هذا في ذلك الحين بريطانية كما اوجد أيضاً مكتب بريد ايراني عن طريق الاجانب وكان ذلك تقدماً عظيماً في الرقي وكل ذلك يعود الى نفوذه الشخصي .

وقد قام ناصر الدين شاه باصلاحات داخلية عديدة تتراوح اهميتها ونجاحها تراوحاً واضحاً . وقد بذل مجهودات لتأسيس محاكم للعدالة . ولكنها بقيت دون نتيجة . كما كانت محاولته ايضاً في إصدار قانون مدني عقيمة . وقام بعمل نظام المجالس للإدارة المحلية الذي أعلن في سنة ١٨٧٥ عن اقامته لمراجعة حكام الاقاليم والنفوذ الديني ولكن هذا لم يدخل فعلا الى حيز التنفيذ . وكان نقص قيمة العملة الذي أصبح شديداً يشغل بال الشاه منذ سنة ١٨٦٥ . وفي سنة ١٨٧٧ أنشأ داراً للسك في طهران لعمل العملة النقدية على اسس اوربية . وفي ٢٦ مايو سنة ١٨٨٨ صدر اعلان ملكي أمر الشاه بنشره ، ونفذ كميثاق لحريات وحقوق الرعايا الايرانيين وقد احتوى على الجمل الآتية .

وعلى ذلك من اجل إعلام الناس وطمأنة جميع السكان ورعايا « هذه المملكة بصفة عامة ، نعلن أن كل رعايانا أحرار مستقلون من

حيث اموالهم او ممتلكاتهم الشخصية . إنها ارادتنا ورغبتنا في ان يستخدم الناس بلا خوف او شك رؤوس أموالهم بأية طريقة ترضيهم ، ويرتبطون بأية مشاريع يرونها كضم الارصدة او تكوين الجمعيات او إنشاء المصانع والطرق او اية اجراءات من أجل تقدم المدينة والامن ، وكل هذا نأخذه تحت رعايتنا وليس لاحد الحق او السلطة في ان يتدخل او يضع يده على أملاك الرعايا الايرانيين ولا ان يعاقب الرعايا الا عند مخالفة القانون المدني او الديني » .

وكان لهذا الاعلان أثر قليل في الاقاليم ولكن الشاه نفسه كان يراعيه باحترام . وأدى تبليغه رسمياً للبعثات الأجنبية في طهران إلى تزويدها بأساس يمكن ان تضع عليه احتجاجاتها في حالة وقوع اضطهاد كبير ملحوظ .

وهناك إجراء آخر ، ذو فائدة عامة موضح في مكان آخر في موضعه المناسب ألا وهو فتح نهر قارون أسفل الاهواز للملاحة الدولية وقد تم هذا بموجب فرمان ملكي تاريخه ٣٠ أكتوبر سنة ١٨٨٨ .

★ ★ ★

علاقات ايران بافغانستان والتركستان ١٨٤٨ ــ ١٨٩٦

كانت مشكلة هرات أثناء الفترة الاولى من حكم ناصر الدين شاه تتحكم في العلاقات الخارجية لايران . وكانت سببت مشكلات كثيرة في عهد والده ، وأصبحت الآن السبب الرئيسي للخلاف بين بريطانيا وإيران . واستمر رجال الحكم البريطانيون ينظرون الى هرات على أنها حجر الزاوية في الدفاع عن الهند ومقاومة(١) ضمها الى ايران وكانت المادة الرئيسية في السياسة البريطانية .

(١) خطأ ــ طبقا للسير هـ. رولنسن ، انظر كتابه « انجلترا وروسيا فى الشرق » ص ٨٥ ــ ٨٦ .

الاحداث التي أدت الى اتفاق انجلو ايراني بشأن هرات ١٨٥١ – ١٨٥٣

لقد خلع كامران الامير السادوزي الذي كان يحكم هرات في وقت الحملة الايرانية عليها سنة ١٨٣٧–١٨٣٨ في سنة ١٨٤٢ على يد وزيره الوغد القوي يار محمد خان وهو الذي حكم هرات حتى موته في سنة ١٨٥١ . وقد خلف يار محمد خان ابنه سعيد محمد خان وكان معتوهاً سكيراً منغمساً في اللذات . وهوالذي لم يثق برعاياه، ولما خشي ان يهاجمه سردار قاندهار البراكازي القى بنفسه في حماية ايران . ومن منتصف سنة ١٨٥١ فصاعداً كانت هناك اشاعات عديدة عن ارسال قوة ايرانية وشيكة الى هرات . وقامت مفاوضات بلا شك بين سعيد محمد خان والحكومة الايرانية ولكن استفسارات الرائد شيل الوزير البريطاني في طهران إما أنه أمكن المراوغة فيها واما قوبلت بتأكيدات بأن ايران لن تتخذ اي اجراء الا في الاضطرار لكي تنقذ هرات من الوقوع تحت سيادة حاكم كابل . وعلى أي حال ففي اوائل سنة ١٨٥٢ لوحظ أن حركة ما قامت من جانب سردار قندهار فتقدمت قوة ايرانية فعلا الى هرات واحتلت المدينة وقبض على زعماء افغانيين مختلفين هناك وارسلوا الى ايران . وفي هذه المرحلة لم يعد يدير سياسة الحكومة الايرانية أمير نظام واصبحت سياسة البلد مغلوطة ومتناقضة . وفي النهاية أبلغ الممثل الايراني في لندن أنه لم يعد مطلوباً ليعمل كواسطة اتصال بين الحكومتين . وفي نفس الوقت في اكتوبر سنة ١٨٥٢ أصدر الشاه فرماناً بالحاق هرات بايران ،وعين السيد محمد خان حاكماً هناك . وأصبح الموقف متوتراً نتيجة لانه في اوائل سنة ١٨٥٣ اقترح الرائد شيل انسحاب البعثة البريطانية من طهران او إعادة احتلال جزيرة خارج في الخليج . ولكن في نفس اللحظة تقريباً اذعنت الحكومة الايرانية ودخلت في ترتيبات مع البريطانيين بشأن هرات .

الاتفاق الانجلو ايراني بشأن هرات ٢٥ يناير ١٨٥٣

وادمجت هذه الترتيبات في اتفاق وقعه الصدر الاعظم في ٢٥ يناير

سنة ١٨٥٣ كانت أهم شروطه : ان الحكومة الايرانية لا يجب في المستقبل ان ترسل قوات الى هرات الا اذا كان ذلك لصد هجوم أجنبي ، وحتى في مثل هذه الحالة فان القوات الايرانية لا يجب ان تدخل مدينة هرات ، بل تعود الى ايران بمجرد زوال الخطر ، وان علاقات ايران مع هرات يجب ان تكون على اساس المساواة التي كانت موجودة في عهد يار محمد خان او بمعنى آخر ، ان الحكومة الايرانية لا يجب ان تحاول أن تقيم حكماً مباشراً في هرات او تتدخل في شئونها الداخلية، ولا يجب ان يوجد اي أثر للتبعية لايران هناك مثل سك العملة(١) ،أو أن يطلب حاكم هرات القاء الخطبة باسم الشاه ، وانه لا يجب أن يوجد أي ممثل ايراني دائم في هرات او أي ممثل من هرات دائم في طهران ، وفعلاً استدعى الوكيل الايراني المدعو عباس قولي خان الذي كان ذهب الى هرات من قبل ، بعد اتمام رحلة اربعة أشهر هناك ، ويمكن أن يتطوع حاكم هرات بمساعدة الشاه من حين لآخر بغرض إخضاع التركمانيين او إخماد الاضطرابات او الثورات في ايران نفسها . واخيراً لا يجب الاحتفاظ بالزعماء الهراتيين في ايران بغير ارادتهم كسجناء سياسيين او مشتبه في امرهم ، او أن يقدم لهم ملجأ في ايران . وكان الاتفاق نفسه يوضح هذه الاشتراطات المذكورة على ضوء الاستسلام الذي أظهرته ايران بالرغم من حقوقها الواضحة في هرات ، وذلك اكتساباً لمودة انجلتره . وقد أضيف أنه اذا تدخلت بريطانيا في شئون هرات الداخلية فان الاتفاق كله يصبح لاغياً . وكان المتوقع ان الحكومة البريطانية ، في حالة تهديد هرات المستقلة من افغانستان او دولة أجنبية أخرى وطلب ايران للمساعدة ، ان تستعمل بريطانيا نفوذها لتمنع المعتدي من تنفيذ خططه . وبما ان الاتفاق لم يكن يحتوي على مادة تشير الى القوات الايرانية الموجودة فعلا في هرات ، فانه يستدل من هذا على أن الحامية الايرانية المقيمة في هرات سنة ١٨٥٢ كانت قد سحبت فعلاً

---

(١) هذا الشرط لم يكن ليمنع الشاه من تقديم النقود التى تضرب باسمه الى حاكم هرات ــ اختيارا .

من قبل ، وبلغ الاتفاق الى سعيد محمد خان حاكم هرات بواسطة الرائد شيل ، بفرمان من الشاه ، وخطاب من الصدر الأعظم بعنوان الخان تضمن اعتراف ايران باستقلال هرات اعترافاً كان أكثر وضوحاً وتأكيداً عما كان في الاتفاق نفسه .

الأحداث التي انتهت باحتلال الايرانيين لهرات ١٨٥٥ — ١٨٥٦

لقد فرضت اتفاقية سنة ١٨٥٣ على الحكومة الايرانية التي نفذتها على كره منها الدخول في فترة من المتاعب المستمرة المتزايدة بين ايران وبريطانيا ويعود ذلك من جهة الى القضايا الاخرى ومن جهة أخرى الى عدم تفهم الحكومة الايرانية لموقف بريطانيا وتأثره بحرب القرم (١٨٥٤—١٨٥٦) .

وفكرت ايران في اول الامر ان تعقد معاهدة رباعية بينها وبين هرات وكابول وقندهار وكان ذلك سيعطيها نفوذاً قوياً في سياسة أفغانستان ، لكن معارضة الدوست محمد خان حاكم كابل الذي كان يميل الى محالفة بريطانيا أفشلت الخطة الايرانية. فحاولت بعد ذلك ان توجد الشقاق بين حكومة هرات وقاندهار ، وهكذا تجد حجة للتدخل بنفسها بموجب اتفاقية سنة ١٨٥٣ . ولما انزعج دوست محمد خان من موقف ايران التهديدي تجاه افغانستان عموماً عقد معاهدة سلام وصداقة مع شركة الهند الشرقية الموقرة وقعت في ٣٠ مارس سنة ١٨٥٥ . وفي نفس الوقت نجح تقريباً محمد يوسف — وهو أمير سادوزي ذو شخصية قوية وابن أخ المرحوم كامران وقد عاش فترة ما تحت الحماية الايرانية في مشهد — نجح في الاستيلاء على هرات برغبة سكانها. وبعد ان وقع سعيد محمد خان في يديه اعدمه انتقاماً لمقتل كامران على يد يار محمد خان .

وفي ربيع سنة ١٨٥٦ انتهزت الحكومة الايرانية فرصة ارتباك بريطانيا التي انسحب ممثلها أخيراً من طهران ، نتيجة لمنازعات أخرى او ربما رغبة منه في الحصول على امتيازات في هرات بعد التنازل عن بعض المطالب البريطانية ، انتهزت ايران الفرصة وارسلت قواتها الى

هرات ، ودخلت هذه القوات المدينة بمساعدة محمد يوسف ، وقد دام هذا الاحتلال الايراني اسابيع قليلة فقط ، وحدثت ثورة نتج عنها طرد الايرانيين من المدينة فرفع محمد يوسف حينئذ العلم البريطاني وطلب من دوست محمد خان المساعدة ضد الايرانيين . وحدثت تقريباً في الحال ثورة داخلية في هرات ، وخلع محمد يوسف وتم تسليمه الى الايرانيين اسيراً وتسلم زمام هرات الضابط عيسى خان الذي كان عازماً ، كما اثبتت الحوادث ، على ان يحتفظ باستقلال هرات . وصمد عيسى خان بشجاعة لوقت ما ، ولكن أخيراً في ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٥٦ ، وبعد ان انتقل زمام العمليات ضد المدينة من السلطان مراد ميرزا الى م. بهلر وهو ضابط فرنسي للمهندسين في خدمة المشاة ، اضطر عيسى خان ان يقبل التسليم بشروط . ودخل الايرانيون هرات مرة أخرى واعدم عيسى خان غدراً ، بالرغم من التأكيدات السابقة بالعفو عنه . وتولى بعد ذلك السلطان مراد ميرزا حكومة هرات .

جلاء الايرانيين عن هرات وتولية السلطان احمد خان ١٨٥٧

وفي ذلك الموقف الحرج ، اعلنت بريطانيا الحرب على ايران بدعوى احتلال ايران لهرات . وبموجب معاهدة السلام التي انهت الحرب تعهدت الحكومة الايرانية بالجلاء عن هرات والاعتراف باستقلالها وبافغانستان كلها .

ونجحت الحكومة الايرانية على اية حال بمناورات بارعة في الاحتفاظ لوقت ما بنفوذ كبير في هرات . وقد تمكن أبناء سعيد محمد خان في طهران من اغتيال محمد يوسف قاتل والدهم الذي ربما سلك مسلك الولاء للحكومة البريطانية التي كان مديناً لها بالفضل لو أعيد الى السلطة في هرات . وفي ٢٧ يوليه سنة ١٨٥٧ عندما اعيدت هرات رسمياً الى الادارة الافغانية بقي الحاكم فيها السلطان أحمد خان وهو براكزاي ابن أخ الدوست محمد خان وزوج ابنته ، ولكنه كان يخدم المصالح الايرانية التي وجد عندها ملجأ من عمه . وقد تعهد سراً بسك العملة والقاء الخطبة

باسم الشاه . وعلى ذلك سفه الاجراء البريطاني تماماً واصبحت الاحتجاجات البريطانية عديمة القيمة .

حكم هرات من قبل السلطان احمد خان ١٨٥٧–١٨٦٣

ومع ان السلطان محمد خان ، الذي راقب ان لم يكن قد اشترك في اغتيال السفير البريطاني في كابول سنة ١٨٤١ ، شخصية مرغوباً فيها من البريطانيين الا أنه من نواح أخرى كان يصلح تماماً لحكم هرات . ولكي تؤكد بريطانيا استقلاله التام ارسلت بعثة من طهران برئاسة الرائد تايلور لتهنئته على توليته الحكم ولتعده بالتأييد المعنوي . واستمر السلطان أحمد خان بالرغم من هذا يتصرف في كل ناحية كتابع لايران . واستقبل في سنة ١٨٥٨ بعثة روسية برئاسة م. خانيكوف في هرات ولكنه لم يظهر لها اي تشجيع .

ولقد قاست ولاية خراسان الايرانية كثيراً في ذلك الوقت من الغارات التركمانية ، وكان هذا الظرف عاملا هاماً في علاقات ايران بهرات . وطبقاً للتقرير الرسمي كان الغرض الرئيسي من الرغبة في الاستيلاء على هرات هو مجرد ضمان قاعدة صالحة للعمليات ضد «مرو» وفي اوائل سنة ١٨٥٤ غزا السلطان مراد ميرزا حاكم خراسان العام حينئذ ، التركستان واحتل « مرو » بصفة مؤقتة ، ولكن سرعان ما حولت شئون هرات اهتمام الحكومة الايرانية الى ناحية أخرى . ففي سنة ١٨٥٨ بعد تسوية مشكلة هرات حاصر جيش ايراني « مرو » مرة أخرى ولكن التركمان شتتوه . وعلى أي حال فقد نجحت قوة هراتية سريعاً بعد ذلك في زيارة التركمان ومعاقبتهم عقاباً رادعاً . وبعد ذلك استبدلت الحكومة الايرانية صاحب العظمة السلطان مراد ميرزا بحمزة ميرزا في حكم خراسان العام . وأعقب هذا التغيير تقدم ايراني ضد مرو في يونيه سنة ١٨٦٠ بقوة كبيرة ولكن هذه العمليات انتهت بتدمير الجيش الايراني تدميراً تاماً . وفي سبتمبر سنة ١٨٦١ في نفس الوقت بعد استدعاء حمزة ميرزا بذلت الحكومة الايرانية مجهوداً لتعويض هذه الكارثة ولكن القوة التي ارسلت مزقت ارباً قبل ان تصل الى ساراخ .

النزاع بين حكام كابول وهرات وضم هرات الى كابول ١٨٦٢ – ١٨٦٣

كان الدوست محمد خان امير كابول لعدة سنوات ينشر نفوذه تدريجياً في افغانستان ، وفي سنة ١٨٥٥ عند موت قنديل خان سردار قندهار ضم الولاية الى ممتلكاته ، وفي سنة ١٨٥٦ فيما هرات تحت نفوذ الايرانيين فانه استولى على فرح وهي بلا شك من توابع هرات . وفي سنة ١٨٦٢ اغتنم السلطان احمد خان فرصة المتاعب المحلية ليطرد حامية كابول من فرح ، ورد الدوست محمد خان في الحال على عمله بالهجوم على هرات. وفي يونيه كان الامير في قندهار ، وفي اكتوبر احاط بمدينة هرات تماماً . واستمر الحصار حتى شهر مايو سنة ١٨٦٣ عندما سقطت هرات وضمت مع ولاية افغان التابعة لكابول فأصبحت تسمى الآن افغانستان . ومات السلطان أحمد خان بالسكتة القلبية قبل الاستيلاء على المكان بوقت قليل أما الدوست محمد خان نفسه فتوفي في شهر يونيه التالي.

اثارت أعمال الدوست محمد خان الهواجس لدى الحكومة الايرانية التي كانت تنظر الى توحيد افغانستان بفزع ، وخشيت ان تكون الخطوة التالية لامير الافغان اذا نجح في هرات هي غزو خراسان بمساعدة التركمان

وعسكر السلطان مراد ميرزا المعروف بحسام السلطنة في قلندر اباد بين مشهد وحدود هرات ومعه قوة من ١٤,٠٠٠ أربعة عشر الف رجل تتضمن ٦٠٠٠ من المشاة المنتظمين متظاهرين بأنهم يريدون وقف التركمان. واوفد الى المعسكر الايراني المستر ايست من المفوضية البريطانية في طهران وهو الذي كان يعمل تحت رئاسة السير ج. اوترام في السند وكان مسئولا عن شيكاربور أثناء الحرب الافغانية ومع ذلك فان الغرض من ارساله لم يكن واضحاً . وكان السير ايست وبلك يتراسل مع الدوست محمد خان مراسلات عادية . وكان قد اقترح زيارته ولكنه لم يزره ، وقد سبب عدم تدخله لمنع سقوط هرات خيبة أمل كبيرة للايرانيين الذين كانو يعتمدون على تدخله . وكانت حجة الايرانيين قوية اذ ان الحالة بموجب اتفاقية سنة ١٨٥٣ كانت توجب على الحكومة البريطانية تقديم المساعدات،

ولكن كانت هناك حجة ضد التدخل هي ان ايران بعد ان اوعزت للسلطان احمد خان بأن يسك العملة ، ويعلن قراءة الخطبة باسم الشاه فقدت حقها من مزايا التدخل البريطاني .

حكومة هرات باسم محمد يعقوب خان ١٨٦٣

عند موت الدوست محمد خان أسرع شير علي خان الذي أعلن أنه خليفته الى كابول تاركاً هرات في رعاية شخص يدعى محمد يعقوب خان . ونجح الخان الصغير في الاحتفاظ لنفسه بالحكم اثناء المتاعب التي سادت افغانستان واظهر موقفاً صحيحاً ولكنه مستقل تماماً تجاه الحكومة الايرانية ، وبقيت هرات بعد ذلك ولاية تابعة لافغانستان ، ولم تهتم للخلافات بين بريطانيا وايران .

النزاع الايراني الافغاني بشأن حدود سجستان ١٨٦٣–١٨٧٢

قام نزاع في سنة ١٨٦٣ بين الحكومة الايرانية ، والافغانيين فيما يختص بحدود ولاية سجستان وطلبت ايران المساعدات من الحكومة البريطانية ولكنها امتنعت لان افغانستان في ذلك الوقت كانت في حالة ارتباك . واستفادت ايران من رفض بريطانيا التدخل باحتلال جزء من سجستان فيما بين سنة ١٨٦٤ وسنة ١٨٦٦ . وفي سنة ١٨٦٧ قوت قبضتها على الارض التي ضمتها اليها . وفي سنة ١٨٧٠ بدأ شير علي خان ، الذي أخذت قوته تتدعم حينئذ في افغانستان ، يلعب دوره في المشكلة . ولما لم يكن هناك احتمال في قيام نزاع مسلح بين افغانستان وايران فان الحكومة البريطانية وافقت أخيراً على التوسط . وكانت النتيجة ان صدر حكم في سنة ١٨٧٢ بواسطة الرائد جولد سميث المندوب البريطاني الذي اختير لذلك . وقد قبل الطرفان الحكم على علاّته .

ايوب خان في ايران ١٨٨١ – ١٨٨٧

وفي اكتوبر سنة ١٨٨١ بعد نجاح موقت في قندهار اتخذ أيوب خان ابن شير علي خان ، وهو مطالب بعرش أفغان ، أتخذ له ملجأ في ايران . وبموجب ترتيب بين الحكومتين الايرانية والبريطانية في سنة ١٨٨٤ فانه

اعتقل في طهران ومنح معاشـــــاً قدره ٨٠٠٠ جنيه استرليني في العام ولكنه هرب في ١٤ أغسطس سنة ١٨٨٧ وقام بمحاولة أخرى لتثبيت نفسه في أفغانستان . ولما فشل في هذا سلم نفسه للقنصل العام البريطاني في مشهد في نوفمبر من نفس السنة ، وارسل تحت الحراسة الى الحدود التركية ، ثم انتقل الى الهند عن طريق بغداد حيث أقام هناك تحت المراقبة . اما وزير الخارجية الايراني مشير الدولة الذي اتهم بأنه تستر على هربه من طهران فقد طرد من وظيفته .

* * *

علاقة بريطانيا بايران ١٨٤٨ ـ ١٨٩٦

كانت علاقات بريطانيا بايران أثناء حكم ناصر الدين شاه الطويل ممتازة على العموم الا في أثناء فترة واحدة من التوتر بدأت سنة ١٨٥٤ . وانتهت الحرب الانجلو ـ ايرانية سنة ١٨٥٦ـ١٨٥٧ عقب مشاحنة دبلوماسية عادت بعدها الامور الى مجراها الطبيعي . وكانت حرب القرم مسئولة لدرجة كبيرة عن تعكير صفو الصداقة الانجلو ـ ايرانية ، ويمكن أن نتذكر ان العداء بين تركيا وروسيا بدأ في أكتوبر سنة ١٨٥٣ ودعا هذا الى دخول بريطانيا وفرنسا في النضال في مارس سنة ١٨٥٤ ولم يتم السلام حتى مارس سنة ١٨٥٦ .

الاتفاقية الانجلو ايرانية بشأن تجارة الرقيق ١٨٥١

وكان دليل المودة الآخر من جانب الحكومة الايرانية في بداية تللك الفترة هو قبولها في سنة ١٨٦١ اتفاقية وقف تجارة الرقيق التي من أجل عقدها تعب الممثل البريطاني في طهران بلا جدوى لوقت ما . وكان ذلك كبداية لاذعان الحكومة الايرانية لمطلب روسي ذي طبيعة مشكوك فيها ستذكر فيما بعد . كما كان آخر الاعمال الهامة لامير نظام . ويرد أثر هذه الاتفاقية الخاصة باسترداد الرقيق الى ايران بحراً مشروحاً في ملحق تجارة العبيد .

الاحتكاك بين بريطانيا وايران وقضية هاشم خان ١٨٥٤ — ١٨٥٥ : وانسحاب البعثة البريطانية من طهران في ديسمبر ١٨٥٥

كانت ايران ما تزال متأثرة من فشل سياستها في هرات حسب اتفاقية سنة ١٨٥٣ عندما قامت في سنة ١٨٥٤ مشكلة تافهة تتعلق بتعيين شخص ايراني في السفارة البريطانية في طهران ، وكان يدعى هاشم خان . ففي يونية سنة ١٨٥٤ عين المستر و. ت. تومسون الوزير البريطاني في طهران ذلك الشخص في سكرتارية المفوضية البريطانية ، ولكن تعيينه في تلك الوظيفة عورض بشدة من الصدر الاعظم الذي كان يكرهه شخصياً . وفي يونيه سنة ١٨٥٥ اقترح المستر تومسون ان يرسل هاشم خان الى شيراز كوكيل سياسي بريطاني في ذلك المكان بدلا من شخص كا نالصدر الاعظم نفسه قد اقترحه . ولكن عندما اتخذت الخطوات لتنفيذ ذلك الاجراء بواسطة «المحترم» س. أ. موري الذي حل محل المستر تومسون فان الحكومة الايرانية رفضت التصديق وابلغت رسمياً بأن هاشم خان لن يسمح له بأن يقبل أية وظيفة في الحكومة البريطانية . والسبب الذي علل لذلك هو ان هاشم لم يفصل رسمياً من خدمة الشاه التي كان ينتمي اليها ، ولكن هذه كانت مجرد خدعة لان التقليد لم يجر باعطاء خطابات فصل رسمية في ذلك الوقت لمن يفصل . واضافت الحكومة الايرانية أنه اذا حاول هاشم خان أن يذهب الى شيراز فانه سيقبض عليه . وعند احتجاج المستر موري على موضوع هذا التهديد امروا بالقبض على زوجة هاشم خان التي كانت اخت احدى زوجات الشاه أما هاشم خان نفسه فانه استمر على ما يبدو في الاقامة بأمان في داخل نطاق المفوضية البريطانية وطلب المستر موري إطلاق سراح السيدة بصفتها زوجة موظف بريطاني ، وأخبر الحكومة الايرانية أنه اذا منح هاشم خان حصانة من العقوبة واذا ضمنت له وظيفة بشروط معقولة في خدمة الحكومة الايرانية فانه سوف يفصله من خدمة الحكومة البريطانية . وبذلت مجهودات لتسوية ذلك الموضوع على هذا الاساس من كل من الممثل التركي والفرنسي في طهران اللذين كانا يتحسبان من نتائج قطع العلاقات بين بريطانيا

وايران فيما تنهمك تركيا وفرنسا وبريطانيا في حرب مع روسيا ، ولكن المجهودات كانت دون جدوى . وقدم الصدر الاعظم اتهامات ضد المستر تومسون والمستر موري بأنهما حجزا هاشم خان بمفرده بسبب زوجته التي زعم انه كان على علاقات سيئة معها . وربما تجرأ رئيس الوزراء الايراني على استعمال النغمة العدائية بسبب عدم نجاح الجيوش المتحالفة ضد روسيا في الميدان الآسيوي للعمليات المجاورة لايران . ومن المحتمل ايضاً أنه اعتقد بأن غياب البعثة البريطانية من طهران سوف يسهل تنفيذ خطط الحكومة بالنسبة لهرات . وفي ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٥٥ رفع المستر موري العلم . وفي ٥ ديسمبر بعد فشل محاولة جديدة بذلت من أجل السلام بواسطة م. بوري(١) الوزير الفرنسي غادر المستر موري طهران الى بغداد ومعه باقي أعضاء المفوضية .

وبعد رحيل الوزير البريطاني بوقت قصير تصالح هاشم خان مع الحكومة الايرانية . وعند تنصله من الخدمة والحماية البريطانيتين أنعم عليه بالرضا الملكي وبمرتب مجز وسحب الصدر الاعظم الاتهام الموجه ضد زوجته واعتبره مجرد وشايات تخدم مغرضاً خاصاً ، ودخلت الاستعدادات الايرانية ضد هرات مرحلة حاسمة ، وقبل نهاية ديسمبر سنة ١٨٥٥ ترك السلطان مراد ميرزا ليعود الى القوات في الميدان .

مفاوضات انجلو ايرانية غير ناجحة في القسطنطينية يناير-ديسمبر ١٨٥٦

فتحت مسألة التسوية اولا في القسطنطينية في الثاني من يناير سنة ١٨٥٦ بمبادأة القائم بالاعمال الايراني الذي قدم للسفير البريطاني مذكرة تتضمن رأي ايران في القضية كلها . ويبدو ان تقريراً منفصلا عن الموضوع اعدته الحكومة الايرانية قد ابلغ الى دول اوروبية أخرى . وكان الانطباع العام الذي خلفته الوثيقتان هو نسبة الخلاف الى السلوك

(١) أصبح بعد ذلك السير تشارلس موري وقد ولد في سنة ١٨٠٦ وهو ابن اللورد دانمور • كان قنصلا بريطانيا عاما فى مصر وكانت له مواهب لغوية وأدبية •

اللاأخلاقي من جانب المستر تومسون والمستر موري . أما التشهير بالوزراء البريطانيين السابقين ، السير ج. مكنيل والسير ج. شيل والرائد فارانت فقد اضيف كملء خانة . وبدأ أكثر من ذلك ان الشاه نفسه كتب في ديسمبر سنة ١٨٥٥ خطاباً متطرفاً للصدر الاعظم يعلن فيه معلوماته عن البعثات الاجنبية وانه لن يستقبل مرة أخرى ممثلا بريطانيا في طهران ، حتى تعتذر ملكة انجلترا نفسها له عن سوء سلوك المستر موري ، وقبل ذلك ، قبل هو شخصياً ، الى حد ما ، الاتهامات المشينة ضد الممثلين البريطانيين .

وبعد ان استمرت مناقشات القسطنطينية وقتاً ما ، قدم انذار نهائي بريطاني للقائم بالأعمال الايراني طلب فيه سحب الاتهامات ضد المستر موري ، وأنه يجب ان يدعى ثانية الى طهران وان يستقبل في البلاط الايراني باحتفالات خاصة وان تطلق ٢١ طلقة تحيه عند رفع العلم البريطاني . وبعد ذلك ان توافق الحكومة على الاصرار على الجلاء عن هرات بينما تمتنع الحكومة البريطانية عن الاصرار على استخدام استخدام هاشم خان في شيراز على شريطة أن تعود اليه زوجته وان تعمل الترتيبات لتعويضه عن فقدانه الوظيفة البريطانية .

ولم تقبل شروط هذا الانذار وزاد الموقف تعقيداً في نفس الوقت بسلسلة من الاهانات وجهت ضد الموظفين البريطانيين والمستخدمين الباقين في ايران .

وفي ١٧ اكتوبر سنق ١٨٥٦ وصل فروخ السفير الايراني الى القسطنطينية مزوداً بالسلطة الكاملة لتسوية جميع امور النزاع بين بريطانيا وايران ، وبدأت مناقشات جديدة . وفي ٢٢ نوفمبر سلم إنذار معدل الى فروخ خان بواسطة اللورد ستراتفورد دي ردكليف . وفي هذه الوثيقة المنقحة احتلت المركز الاول مشكلة هرات التي أصبحت حرجة . وقد ذكر ان الجيش الايراني يجب ان ينسحب من هرات وان يدفع تعويضاً عن التلف الذي حدث ، وان ايران بموجب معاهداتها مع الافغان يجب أن تتنصل من كل تدخل مستقبلا سواء أكان خارجياً أم داخلياً في شئون

هرات وولايات افغانستان الاخرى . ويجب ان توافق على الرجوع الى الوساطة البريطانية في الخلافات مع حكامها ، وان معاهدة تجارية جديدة بين بريطانيا وايران يجب ان تعقد على أن تعطى بريطانيا الحق في تعيين القناصل في أي جزء من ايران ، وان جميع الديون المستحقة للرعايا البريطانيين يجب ان تصفى والمطالب المتنازع عليها يجب أن تناقش وتسوى ، وأنه يجب ان يعمل ترتيب لاستئجار بندر عباس على ان يكون ملائماً لسلطان عمان . وانه يجب عزل الصدر الاعظم بسبب الدور الذي لعبه في الخلافات التي قامت . واحتفظ بالشروط الخاصة بعودة البعثة البريطانية الى طهران واستقبالها هناك عدا الاحتفالات المطلوبة لاستقبال البعثة اذ أنها تتأثر بطرد الصدر الاعظم . وقد عبر المفوض الايراني عن تردده فيما يختص بقبول بعض الشروط ، خاصة تلك التي تطلب طرد رئيس الوزراء . ولم يؤد وصول معلومات رسمية عن سقوط هرات الى تشجيعه على التنازل في أية نقطة .

وفي نفس الوقت في اول نوفمبر سنة ١٨٥٦ ونتيجة للمعلومات السابقة التي ارسلت من اوربا أعلنت حكومة الهند الحرب على ايران ، وعند تلقي أنباء هذا الامر بالقرب من نهاية ديسمبر قطع فروخ خان المفاوضات واعلن ان جميع الارتباطات باطلة ولاغية وترك القسطنطينية .

الحرب بين بريطانيا وايران ١٨٥٦ ـ ١٨٥٧

نقدم الآن موضوع الحرب الانجلو ايرانية وأوجهها العامة محتفظين لمكان آخر ببحث العمليات البحرية والحربية التي حدثت في الاماكن المجاورة لبوشهر وفي المحمرة ونهر قارون . ولم تكن الحرب الايرانية مقبولة في بريطانيا العظمى ، حيث لم يكن سببها معروفاً كما ان الاوراق الخاصة بالنزاع الذي نشأت عنه لم تنشر الا بعد عقد السلام . وقد قامت حكومة ذلك الوقت بالحرب على مسئوليتها وقد ذمها البرلمان وذمتها الصحافة .

الاستعدادات البريطانية سبتمبر ـ اكتوبر ١٨٥٦

في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٥٦ صدرت التعليمات للمستر ستيفن قنصل

بريطانيا في طهران أن يسحب المفوضية كلها من ايران الى بغداد وقد امر بأن ينقل السجلات العامة معه وأن يقوم بأحسن الترتيبات التي يستطيعها لوقاية املاك البعثة التي تترك في أثناء غيابه ، وان يرفض أية دعوة للبقاء اذا عرضتها عليه الحكومة الايرانية على أساس موقفها من هرات ، وان يخبر الرعايا البريطانيين في إيران بقرب رحيله وان يسمح لهم بناء على رغبتهم إما بمصاحبته أو بالتخلف تحت الحماية التي يطلبها لهم من المفوضية الفرنسية . وقد أبلغ رسمياً ان البحرية البريطانية والحملة الحربية ستصلان قريباً الى الخليج . ولكنه حذر من ان يشير الى نوايا الحكومة البريطانية في هذا الموضوع . وقد امر أيضاً قنصل صاحب الجلالة البريطانية في تبريز بمغادرة ايران .

وبدأت المفاوضات مع دوست محمد خان الامير الافغاني لكابول وقندهار . وكان من نتيجتها ان عقد في ٢٦ يناير سنة ١٨٥٧ اتفاق موجه ضد ايران . وارسلت بعثة الى قندهار برئاسة العقيد لامزدن لتشرف على تنفيذ شروط الاتفاقية التي نص أحد بنودها على أن يتلقى الامير ابتداء من اول يناير سنة ١٨٥٧ معونة قدرها مائة الف روبية شهرياً من شركة الهند الشرقية الموقرة ، على شريطة الاحتفاظ بقوته الموجودة من المدفعية والخيالة وما لا يقل عن ثمانية عشر الفاً من المشاة ، لا يقل النظاميون فيهم عن ١٣,٠٠٠ الفاً وان يبلغ الحكومة البريطانية عن أية طلبات يمكن ان يتلقاها من ايران او من حلفاء ايران أثناء الحرب . وأنه يجب على الحكومة البريطانية ان تصفح عن الاساءات السابقة من قبائل أفغان على الحدود البريطانية ، وأنه يجب ان يقدم للامير ٤٠٠٠ بندقية بالاضافة الى الاربعة آلاف التي قدمت اليه من قبل وأن تتوقف المعونة عند نهاية الحرب أو قبلها بناء على حسن تقدير الحكومة البريطانية .

وكان من الواضح ان الممثلين السياسيين البريطانيين في الخليج قدموا منحاً لزعماء أقاليم الساحل الايراني مقابل مساعدتهم للبريطانيين أثناء الحرب . ومن بين الزعماء اولئك الذين استميلوا باقر خان زعيم تانجستان وشيخ شاه كوته ، وخانات بلوزارجان وتل سياب ، وجنافة

وريق وذيلام ويبدو ان هذه الاجراءات الّتي صاحبها أخذ موافقات خطية من الزعماء في المشكلة قد رفضتها الحكومة الهندية بناء على رأى قائد الحملة البريطانية الذي اوصى « بأن الصفقة كلها يجب ان تلغى وان تعدم الوثائق المرفوضة وان يزال أثر المراسلات من سجلاتنا » .

ومما يذكر ان السفينة الحربية الفرنسية الصغيرة « سيبيل » وهي سفينة مثقلة بالتسليح بالنسبة لحجمها ، قد ارسلت الى الخليج مقدماً قبل القوات البريطانية لكي تحمي المصالح الفرنسية ولتظهر للايرانيين ان التفاهم الودي بين فرنسا وبريطانيا ما زال تاماً . وظلت في المياه الايرانية تقريباً حتى نهاية الحملة .

وبمجرد ان عرف احتمال وقوع الحرب سريعاً عملت الحكومة الايرانية ترتيباتها لتقوية موقفها في الاقاليم الّتي كانت أكثر تعرضاً للهجوم . وارسلت قوات حربية كبيرة من الشمال الى فارس وعربستان حيث نظم في كل منها جيش للدفاع . ووضعت القوات في عربستان تحت قيادة صاحب السمو الملكي خانلار ميرزا الامير الحاكم وعم الشاه . الذي كان يعتبر من أحسن الضباط في ايران . وأما قوات فارس فكان يقودها اثناء العمليات النشيطة شجاع الملك ابن أخ الصدر الاعظم ، واما الساركشكشي بسلي او قائد حرس الشـاه وهو الأمير الكاجاري ذو المنزلة الكبيرة فقد ارسله الصدر الاعظم بمجرد ان ادرك احتمال وقوع كارثة للجيش الايراني لمعاونة قريبه الذي كان يقود القوات في فارس . ولكن البديل لم يصل الى المكان حتى انتهت الحرب عملياً في ذلك الجانب.

وقد بذلت محاولة بايعاز رسمي في ايران كلها لاعلان الجهاد او الحرب المقدسة ضد البريطانيين ولكن ذلك لم يقابل بالاستجابة . ووصفها القواد الحربيون الايرانيون بأنها محتقرة ، وقد أدانها عدد من كبار الموظفين الايرانيين بعبارات شديدة ، ولم يقرها كبار التجار الايرانيين أما بالنسبة للشعب الايراني فقد كانت هذه الدعوة من تلك الحكومة لا تروقه حتى كانت هناك دلائل في شيراز(١) تشير الى حركة شعبية في صالح البريطانيين .

(١) كما نقل عن تاريخ ايران لواتسون ص ٤٣٤ حاشية .

تنظيم قوة الحملة البريطانية

لقد تقرر من اول الامر ان يعهد بقيادة الحملة الحربية البريطانية ولرقابة السياسة البريطانية المحلية أيضاً الى القائد السير جيمس اوترام وهو ضابط حربي كان في خدمة شركة الهند الشرقية ، ولكنه كان موظفاً في الادارة السياسية . وكان للسير ج. اوترام خبرة بأجزاء أخرى كثيرة من الهند . ولكن عندما تقرر اعلان الحرب على ايران كان هو في انجلترا وطنه . وكان تعيين ضابط له مثل خبرته وسوابقه في وظيفة قائد عام يعتبر بدعة ، ولكن النتيجة بررت اختياره تبريراً ظاهراً .

ووصل السير ج. اوترام(١) الى بومباي في ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٥٦ ، أي وقت بدء العمليات في الخليج . وأبحر مرة أخرى في ١٥ يناير سنة ١٨٥٧ الى ايران فوصل بوشهر في ٢٧ يناير فوجدها قد احتلت قبل وصوله .

وكانت الحملة المخصصة أصلا لايران ، وهي المسماة لاحقاً الفرقة الاولى لقوة الميدان الفارسي في الهند منذ ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٥٦ . وابحرت في تواريخ مختلفة من الشهر التالي ووصلت الى مكان اللقاء في

---

(١) سير ج. اوترام ١٨٠٣ ـ ١٨٦٣ تلقى تعليمه فى ابردين وحصل على شهادة الحربية الهندية سنة ١٩١٩ وقد كون فصيلة بهيل وفي سنة ١٨٣٥ أصبح وكيلا سياسيا لحكومة الهند . وفى سنة ١٨٣٨ كان ياورا للسير ج. كين وفى سنة ١٨٣٩ عين وكيلا سياسيا فى السند السفلى والعليا بعد ذلك . ولم يوافق على ضم هذه المقاطعة ولكنه دافع عن معتمدية السند بشجاعة عندما هوجمت . وعين فى سنة ١٨٤٣ فى وظيفة حربية فى اقليم ماراتا . وفى سنة ١٨٤٧ نقل من ساتارا إلى باوردا . وأصبح معتمدا في أوض في سنة ١٨٥٤ ونفذ عملية ضم أوض سنة ١٨٥٦ وأصبح أول مندوب سامى بريطانى هناك. وكانت قيادة الحرب الايرانية هيأول عمل له ولكنه أيضا اشتهر فى عمليات التمرد فى الهند التى أعقبت ذلك . وفى سنة ١٨٥٦ أصبح قومندور وسام الحمام لقب فارس ، ووسام صليب الحمام الثانى فى سنة ١٨٥٧ وبعد الحرب الايرانية تلقى لقب البارونية سنة ١٨٥٨ وقد وصفه السير س . نابير بايارد الهند وقيل عنه أن الثعلب الى جانب السير ج. أوترام يصبح غبيا والاسد جبانا .

الخليج في ٢٤ نوفمبر . وكانت تتكون على ما يبدو من فصيلتين من الفرقة الثالثة الاهلية والخيالة الخفيفة وفرقتين من خيالة يونا الهنود من الفرقة الثالثة لخيل المدفعية وبطاريات الميدان الاوربية الخفيفة الثالثة والخامسة ، ومعها احتياطي ولواءان من المشاة ، يتكون الاول من فرقة صاحب الجلالة الرابعة والستين والفرقة العشرين من مشاة بومباي الاهليين والاخرى مكونة من فرقة المشاة الخفيفة الاوربية . وفرقة بومباي الاهلية المشاة الرابعة (بنادق) والكتيبة البلوشي الثانية مع فرقتين من واضعي الالغام ، وتتكون القوة جميعها من ٥٦٧٠ من المقاتلين ، منهم ٢٢٧٠ اوربيين و ٣٧٥٠ من الاتباع و ١١٥٠ حصاناً و ٤٣٠ من الثيران . وقد حملت هذه القوة الى ايران في ٣٧ ناقلة (سبع بواخر وثلاثين سفينة شراعية) تحرسها ثماني بواخر حربية من البحرية الهندية التي تكون جزءاً هاماً لا يمكن الاستغناء عنه في تسليح الحملة .

وقد تكون القسم الثاني بمجرد ان عُرِف ان قوات أكبر كانت مطلوبة في ايران ، وقد نظمت في العاشر من يناير سنة ١٨٥٧ من الوحدات التالية : فرقة فرسان الملك الخفيفة الرابعة عشرة ، وفرقة السند الاولى للخيالة ، وفرقة مدفعية الخيالة ، وواحدة أو أكثر من بطاريات الميدان الخفيفة ، والفرقة الاسكتلندية الثامنة والسبعين والفرقة الثالثة والعشرين والسادسة والعشرين من مشاة بومباي الاهليين ، وكتيبة المشاة الخفيفة المشتركة وتتكون من جماعة معها ثلاثة ضباط اوربيين من كل من الفرق الاهلية لجيش بومباي ، ووصل القسم الثاني الى مسرح العمليات في بداية فبراير سنة ١٨٥٧ ولكن وصول جزء منها معظمهم من الخيالة قد تأخر لسوء الحظ الى وقت متأخر .

وقد تولى القيادة العامة في ايران حتى وصول السير ج. اوترام الميجر ف. ستوكر الذي قاد بعد ذلك القسم الاول حتى توفي في مارس

سنة ١٨٥٧ وأعطي القسم الثاني للقائد هافلوك(١) وكان خليفة القائد ستوكر في قيادة القسم الاول هو القائد جون جاكوب(٢) . وكان جاكوب مثل السير ج. اوترام الذي كان يقر له بالكفاية العالمية ضابطاً حربياًوسياسياً وقد عين لعدة سنوات في ادارة السند .

مشروع العمليات البريطانية

بدأت خطط السير ج. اوترام للحملة التي كان سيقودها في انجلترا معتمداً على المعلومات التي استطاع ان يحصل عليها ، وعند رحيله رسم مشروعاً تخطيطياً للعمليات قدمه من عدن الى السلطات الحربية في الهند . ولسوء الحظ فإن المعلومات التي زود بها كانت مضللة كما بينت التجربة بعد ذلك ، فقد كان هناك خطأ في فهم عدد القوا ت التي كانت للحكومة الايرانية ان تضعها في الميدان بين شيراز والساحل ، وفي المبالغة عن الصعاب التي سيلاقيها الايرانيون في إنزال مدافعهم من هضبة ايران العالية الى ساحل البحر . وهذه الاخطاء نتج عنها ضرورة بعض التعديل في خطط السير ج. اوترام بعد وصوله الى الجبهة .

وهناك خيبة أمل اخرى كان على قائد الحملة ان يواجهها بسبب عدم وجود قبائل مستقلة من الايرانيين او العرب يمكن تجنيدهم في

---

(١) السير هـ· هافلوك ١٧٩٥ ــ ١٨٥٧ خدم كرئيس في الفرقة ١٣ المشاه الخفيفة واصبح معتمدا · وكان ياورا للسير و· كوتون فى غزنة فى الحرب الافغانية الاولى وخدم بعد ذلك فى حملتى مارثا والسيخ · وفى سنة ١٨٥٤ كان مساعد القائد العام فى الهند ومات بالدوسنطاريا في لكنهو في نوفمبر سنة ١٨٩٧ واسمه الآن من أحسن ما عرف فيما يتصل بالعمليات أثناء التمرد هناك · ونال ابنه الاكبر لقب البارون الذى كان مخصصا له ومنحت ارملته معاشا·

(٢) القائد ج· بجاكوب ١٨١٢ ــ ١٨٥٨ كان ينتمى الى مدفعية بومباى وخدم تحت رئاسة السير ج· كين فى الحرب الافغانية الاولى وقد أعطاه تنظيمه وادارته لمقاطعة السند الجديدة سمعة طيبة ولكن موته المبكر من اجهاد العمل والحمى المخيه حرمه الحصول على شهرة أوسع كان يتفاءل بها من يعرفون أهمية وقوة شخصيته ·

الحملة ، خلافاً لما كان قيل للقائد الانجليزي من قبل ، فقد كانت جميع القبائل المحلية الموجودة اما رعايا للشاه او لسلطان تركيا .

وكانت تعليمات السير ج. اوترام بشأن معاملاته مع الايرانيين صريحة . فلم يكن يسمح بأية محاولة لقلب نظام حكم الشاه او عائلته ، كما لم يسمح بتحريض الناس على الثورة ضد حكومته ، او للرعايا الايرانيين بالعمل في خدمة القوات البريطانية . وكانت خطة السير ج. اوترام الاصلية تعتمد الى حد كبير على تجنيد الخيالة المحليين على طريقة خيالة السند وهو عمل كان ينوي أن يعهد به الى القائد جاكوب . وقد جادل بشدة في اول الامر من أجل تعديل التعليمات المعطاة له والتي لا تسمح بأخذ أهالي الاراضي التي احتلها فعلا في خدمة الجيش البريطاني . لانه اعتبر ان الفارق بسيط أصلا بين تشجيع سكان المناطق المحتلة على تقديم الامدادات للجيش البريطاني وبين استمالتهم للخدمة في الجندية . وكان يخشى من ان القبائل لا تستطيع ان تبقى حيادية ، ويعتقد ان الامان مستقبلاً لامثال من يجندون في الجيش البريطاني من الايرانيين يمكن أن يضمّن بعبارة معينة تدخل في معاهدة السلام النهائية. حيث لم تكن فكرة تشجيع رجال القبائل على الاستقلال الدائم عن ايران واردة . وكان الحاكم العام للهند على أية حال ولاسباب مختلفة يعارض بشدة ذلك التجنيد المحلي كما أن اوترام نفسه في النهاية اقتنع بعدم الموافقة حتى انه كتب للورد كانتج بعد ان عقد السلام « لحسن الحظ لم تكن لدى الفرصة لألجأ إلى إجراء التجنيد من بين القبائل المهزومة ، لانني مقتنع الآن برأي سيادتكم الذي لا شك فيه بأنني لو فعلت هذا لارتكبت غلطة كبيرة » ومن ناحية أخرى فانه بعد ان توقفت الحرب جاء الامر بتجنيد الأهالي من حكومة صاحبة الجلالة التي اقتنعت بسلامة اجراء السير ج. اوترام طبقاً لحجته الاصلية . وكان لعدم وجود الاتصال التلغرافي تأثير كبير على سير الحرب الانجلو ايرانية من البداية للنهاية .

أطالت خطط السير ج. اوترام العمليات والتقدم النهائي في قلب ايران او حتى الى العاصمة نفسها . وكانت الاهداف المطلوبة من عمليات

السنة الاولى هي شيراز وششتار ، ومن كليهما كان يمكن تهديد أصفهان ولكن القوات التي كانت تحت تصرف القائد لم تكن كافية في اول الامر للعمل في ناحيتين في وقت واحد . وقد منع تأخر الإجراءات الخاصة بالتجنيد من تحقق تقدير السير ج. اوترام في الوصول الى ششتار . وكان قد قدر قبل ان يغادر انجلترا ضرورة تجنيد فرقة ثانية للميدان ومع انه جرى تنظيم مثل تلك الفرقة الا انها احتملت وقتاً طويلا قبل وصول سائر افرادها الى موقع القتال .

ولما وجد في فبراير سنة ١٨٥٧ ان العدو كان يجمع قوته بين بوشهر وسط التلال، انتهز السير ج. اوترام فرصة وصول القوات الامامية من الفرقة الثانية لتقوم بغارة على يورازجان فيكسب نصراً على خوشاب . وفي مارس ودون انتظار الفرقة الثانية ولانه كان تقريباً كان ما يزال بلا خيالة ، فانه وجه انتباهه الى المحمرة التي استولى عليها وطورد العدو هناك من قارون الى الاهواز بواسطة كتيبة صغيرة . وكان القائد مستعداً للعودة من المحمرة الى بوشهر لكي يهاجم قوة ايرانية تمركزت في مانيزاك على مسافة ما في الداخل ، عندما أتت انباء عقد السلام بين بريطانيا وايران وانتهت بذلك العمليات .

وكانت نية السير ج. اوترام لو استمرت الحرب ان يضع القسم الاول في برازجان خلال صيف سنة ١٨٥٧ . وان يمركز القسم الاوربي من القوة على المنحدرات العالية لجبل جياسكان المجاور ، وأن يضع القسم الثاني في عربستان مع مركز قيادة الجيش في الاهواز وششتار وكان يتطلع الى ان يشق طريقه الى شيراز في خريف ذلك العام . ومن أجل هذا قدر النجدة التي طلبها به ٧٥٠٠ رجل . وقد اعتقد انه اذا ظلت ايران على عنادها فانه سيبدأ التقدم الى طهران في ربيع سنة ١٨٥٨ .

ويمكن ان نذكر ان السير ج. اوترام كان ميالا في وقت ما لو وافقت الحكومة على السماح للاتراك باحتلال المحمرة . وهو إجراء كما وضحه كان سيجعلهم متحالفين مع البريطانيين في الحرب ضد ايران بدلا من حيادهم . الامر الذي يتيح تجنيد العرب من الاراضي التركية ،

وبجعل من بغداد قاعدة صالحة للعمليات البريطانية ضد ايران . ولكنه عندما أصبح على صلة وثيقة بالاحوال المحلية وعندما عرف شخصية الاتراك وإداراتهم معرفة وثيقة سحب سريعاً بعض المقترحات التي كان قدمها عن ذلك الموضوع .

سير الحرب ١٨٥٦ – ١٨٥٧

كان اهم الحوادث الرئيسية في هذه الحرب التي اوقفت قبل الاوان هي الاستيلاء على ريشهر في التاسع من ديسمبر ، وبوشهر في ١٠ ديسمبر سنة ١٨٥٦ ، وهزيمة شجاع الملك في خوشاب في ٨ فبراير مارس . ١٨٥٧ . وضرب المحمرة بالقنابل واحتلالها بعملية بحرية في ٢٦ مارس . وتفاصيل هذه العمليات موجودة في مكان آخر في الفصول الخاصة بالعلاقات البريطانية مع الساحل الايراني وجزره ومع عربستان .

المواصلات البرية في الحرب

كانت احدى الصعاب الرئيسية في الحرب هي الحاجة الى المواصلات البرية التي كان من الضروري الحصول عليها محلياً . وخلال انشاء الفرقة الثانية من الجيش اتخذت بعض الاجراءات الضرورية في منطقة الخليج. ولو قد استمرت العمليات الحربية مدة أطول من ذلك ، لكان من الضروري الحصول على اعداد وفيرة من الجمال والبغال . وقد ارسل الملازم بنجالي ، الذي كانت له خبرة في المواصلات البرية ، مع الفرقة التركية في حرب القرم الى العراق التركي ، حيث تكونت سريعاً وكالات للشراء وقد امتدت أخيراً في الشمال حتى الموصل . وفي وقت الاستيلاء على المحمرة في مارس سنة ١٨٥٧ كانت قوات الميدان البريطانية تقريباً ما تزال دون مواصلات . ولكن بعد ذلك بعشرة أيام أمكن الحصول على حوالي ٥٠٠٠ جمل ، و ٦٠٠ بغل من العراق التركي . وبعد اسبوعين بدأ شحنهما في نجيل بالقرب من البصرة . وعندما وصلت أنباء عقد السلام أصبح موضوع التصرف في تلك الحيوانات يسبب مشكلة مالية خطيرة ، خاصة أن اربعة آلاف من الجمال أحضرت من الكويت ومن سوق

الشويخ فنفق منها الف لسوء الرعاية . وكان يوجد في ذلك الوقت ١٥٠٠ بغل جاهز وقد تقرر أنه اذا كان نقل هذه الحيوانات مطلوباً للعمليات في بوشهر فانها يمكن ان تسير براً من شط العرب تحت حراسة حربية وذلك يتطلب فترة شهرين . وقد شحنت بعض البغال الى بوشهر لتكون في خدمة القوة الباقية هناك بعد عقد السلام . ويبدو ان الجمال الزائده عن الحاجة قد بيعت في النهاية على الفور بالثمن الذي يمكن ان تباع به . أما مسألة البغال فبعد أن جمعت في بغداد للبيع فقد سارت في يوليه سنة ١٨٥٧ الى ماجيل وهناك شحنت الى كراتشي ربما لاستعمالها في القضاء على التمرد في الهند .

ادارة التعيينات لتنظيمات الحرب

يبدو أن تنظيم ادارة التعيينات الحربية كان ممتازاً وقد اعلن ذلك السير ج. اوترام بعد ان توقفت العمليات النشيطة بالثناء التالي عليها :

« لا أستطيع ان انهي الحديث دون التعبير لسيادتكم(١) عن شعوري العميق بالامتنان لحكومة بومباي . ففي أثناء الحملة كلها كانت جهودهم المبذولة لا تتوقف ولا يشوبها الملل . وفي كل لحظة كانت مطالبي من أجل هذه القوات تجاب بحذر وفي مناسبات كثيرة تقدم سلفاً . وبموجب الخطابات الاخيرة من اللورد الفينستون أخطرت بأن كمية من الفحم(٢) لا تقل عن ٨٥٠٠ طن قد ارسلت منذ يناير الماضي . وأمكن الحصول على الجزء الاكبر منها(٣) هناك وفي أجزاء مختلفة كان الباقي في الطريق . وأكثر من ذلك فقد وصلنا فعلا او كان المنتظر ان يصل ما يزيد على ٧٠,٠٠٠ بالة من التبن المضغوط لا يقل وزنها عن ١٤,٠٠٠,٠٠٠ رطل . وكان هذا بالاضافة الى المؤن من شط العرب كافياً لو استمرت الحرب

(١) اللورد كاننج حاكم الهند العام .
(٢) قلة الفحم كانت فى وقت ما مشكلة خطيرة ويبدو أنه حدث نقص فيه حتى فى بومباى . وقبل الهجوم على المحمرة بأسبوعين كان لدى سفن الاسطول فحم يكفى لابحار سبعة أيام فقط .
(٣) بوشهر .

لتموين جميع الخيول وسائر الدواب التي كان ينتظر توريدها في الشهور التالية . ويستحق هذا العمل النادر النشيط الذي بذل في جمع وارسال تلك المؤن ، والمؤن الاخرى لتلبية طلبات الجيش السريعة أكبر تقدير من جانبي . وانني أشعر بالاقتناع أن الشعور السائد في هذا الجيش ، عند تلبية طلباته بعناية ، هو الشعور بالامتنان القلبي لحكومة مدبرة واعية .

الحالة الصحية للقوات

ولقد كان في الاحوال الصحية الطبية للجنود ما يعزز وجاهة رأي ذلك القائد بشأن الامدادت. صحيح ان بعض الامراض وقعت في اول الامر في الفرقة الاوربية الثانية ، وبعد ذلك بين الرابعة بنادق . ولكن بعد غارة اليورازجان التي كان لها تأثير قوي على القوة نقص عدد المرضى في المستشفى الى أقل من ٨٪ .

وفي شهر مايو استطاع السر ج. اوترام ان يكتب تقريراً يذكر فيه أن الوحدات الاوربية تعود الى الهند في حالة صحية أحسن من الحالة التي غادرتها فيها . وقد نظمت المستشفيات الاساسية في جزيرة خارج ، وعملت الترتيبات لعمل سفينة مستشفى في المحمرة لاستقبال حالات من القسم الثاني على ظهرها . أما الحالات التي كانت أكثر خطورة فترسل لخارج

ولما كان من المتوقع ان يؤثر الفصل الحار تأثيراً ضاراً في صحة الجنود ، فقد بذلت عناية كبيرة للتفكير في الاقامة الصيفية للقوات ، خاصة الاوربيين منهم ، وبما يوجب بقاءهم في ايران كما كان متوقعاً .

انتحار القائد ستوكر والقائد اراهرسي

ويجب ان نذكر انه في صباح ١٤ مارس سنة ١٨٥٧ انتحر القائد ستوكر قائد الفرقة الاولى بأن أطلق الرصاص على رأسه بمسدس . وانه في ١٦ منه قتل القائد البحري ارهرسي الضابط الاول في البحرية الهندية في الخليج نفسه بذات الاسلوب ولم تعز المأساة الى عدم وفاق مع السلطة العليا. فبالنسبة للجنرال ستوكر يبدو ان الاسباب كانت زيادة القلق بسبب سوء إقامة قواته الاوربية وبسبب تلقيه أنباء سيئة لاشارة خاصة من الهند عن

كراهية ونقد غارمحيورازجان . أما القائد البحري ارهرسي الذي طلب أن يعتزل الخدمة منذ عامين سابقين بسبب سوء صحته فيبدو انه استسلم للخوف من ان يفشل في الهجوم الذي كان وشيكاً على المحمرة ولكنه أيضاً تأثر بكل الاحتمالات بمثل تأثر القائد ستوكر المحزن .

ان سياسة الحملة العليا وادارتها الحربية قلدت كما ذكر آنفاً للسر ج. اوترام الذي لم يقصر بحكمته في الافادة من خبرة ومعلومات سائر الضباط السياسيين الذين كان في استطاعته الوصول اليهم سواء أكانوا تحت سلطته ام لا .

التمثيل السياسي البريطاني في الحرب

وقام س. أ. موري الوزير البريطاني الذي غادر طهران ليقيم اقامة موقتة في بغداد بزيارة بوشهر في بداية الحرب بصحبة الدكتور ديكسون طبيب السفارة البريطانية في إيران . وقد جاء عن طريق البصرة نازلا الى شط العرب في السفينة «لندسي» ومر على المحمرة والعلم مرفوع على الصاري الرئيسي ، ومع ذلك لم تطلق النار من البطاريات الايرانية وهذه حالة عبر عنها المؤلف(١) الذي ذكرها بأنها تحية من جانب الايرانين لوزير بريطاني . وعندما وصل السر ج. اوترام الى بوشهر وجد المستر موري هناك . وتمت مقابلة حارة بينهما ولم يسافر موري مرة اخرى الى بغداد حتى ٢٣ فبراير . وكان على ما يبدو يؤيد الاجراءات العنيفة ضد ايران وهو موقف كان طبيعياً بالنسبة له على ضوء ما بدر منه سابقاً وانسحابه من ايران .

وكانت الاوامر قد صدرت في بداية الحرب الى القائد فيلكس جونز المعتمد في الخليج بأن لا يمارس وظيفته بمجرد وصول قوات الحملة

---

(١) واتسون في كتابه تاريخ ايران ص ٤٤٧ حاشية ولكن ربما يشك اذا ما كان ضباط المدفعية الايرانية استطاعوا أن يميزوا علماً بريطانيا من غيره • ولا يبدو أن اية سفينة بريطانية في النهر أطلق لها الايرانيون المدافع قبل الكومت التى مرت في ٣ مارس في رحلتها السابقة دون مضايقة •

وان يعمل كوكيل سياسي مع المستشارين في هيئة القائد العام للحملة . وبعد احتلال بوشهر استخدم القائد جـــونز مع الضابط المساعد ديسبراو في بث الطمأنينة لاهالي المدينة، موءمنين لهم المحلات ومخازن الغلال والمخازن العامة الاخرى ومحاولين إعادة فتح الاسواق واتخاذ الاجراءات الأمنية تيسيراً منكم في الحصول على المؤن . وبعد ذلك يبدو ان المعتمد بناء على توصيات السير ج اوترام حددت صلاحياته كمعتمد في الاماكن البعيدة عن منطقة العمليات . وفي نهاية يناير سنة١٨٥٧ ارسل القومندان جونز مع القس ب. بادجر الذي صاحب القوات في وظيفة مترجم عربي للسير ج. اوترام، وكقسيس ينصح أعراب المحمرة أن يبقوا على الحياد في النضال القريب في ذلك المكان ، فعاد في مدى اسبوعين بخريطة للنهر عند المحمرة ، ورسم تخطيطي لاعمال العدو كان قد أعدها . ولم يكن القومندان جونز موجوداً وقت العمليات التي حدثت في خاشاب اوالمحمرة لكن اسمه هو والملازم ديسبروا ذكرا في المكاتبات المتعلقة بالمعونات التي قدمت تطوعاً للسلطات الحربية ، علماً بأن ارتباطاتهما بشيوخ القبائل الخاضعة للحكومة الايرانية أثارت ملاحظات انتقادية ضدهما ، وفي نهاية ابريل نصح السير ج. اوترام القومندان جونز بألا يوءخر رحلته التي اقترح القيام بها بصفته معتمداً الى الموانى المختلفة الداخلة في دائرته . أما المساعد السياسي الذي علق السير ج. اوترام على خدماته أهمية كبيرة ، فهو الرئيس أ. ب. كمبول(١) وهو وكيل سياسي بريطاني في العراق التركي كان وصل من بغداد الى بوشهر في نهاية فبراير سنة

(١) الرئيس بعد ذلك السير ارنولد باروز كمبول التحق بمدفعية بومباى سنة ١٨٣٧ . وقد خدم فى أفغانستان فى غزنه سنة ١٨٣٩ وفى سنة ١٨٤١ أصبح مساعدا للمعتمد فى الخليج . وفى سنة ١٨٥٥ رقى للوكالة السياسية فى العراق التركية التى خدم فيها من قبل . وسترد تفاصيل عن خدماته في بغداد في الفصـــل الخاص بتاريخ ذلك الاقليم . فى سنة ١٨٧٣ رافق شاه ايران فى رحلته الاولى الى انجلترا . فى سنة ١٨٧٥ ـ ١٨٧٦. كما ذكر فى مكان آخر عين فى لجنة الحدود التركية الايرانية فى القسطنطينية . وفى سنة ١٨٧٦ صاحب الجيش التركى فى الصرب بيوغوسلافيا كمفوض بريطانى .

١٨٥٧ ، ويبدو انه وضع نفسه تحت تصرف القائد . وفي اوائل مارس ارسله السير ج. اوترام مع القس مستر بادجر الى البصرة ليتغلبا على الاعتراضات التي اثارها الاتراك ضد العمليات البريطانية المزمعة في المحمرة . وان يذهبا للمحمرة أيضاً او ما جاورها ليحصلا على معلومات عن قوة العدو واستعداداته . وهذان عملان يبدو ان الرئيس كمبول وزميله قد نجحا فيهما تماماً . ويبدو ان المستر بادجر قد زار الكويت بعد ذلك بقليل واحضر معه بعض المعلومات السياسية المفيدة . وقد صحب الرئيس كمبول الفرقة المتحركة التي طاردت القوة الايرانية المتقهقره من المحمرة الى الاهواز ، وبعد ذلك بأيام قليلة طلب المستر ج. اوترام من السلطات الهندية ان تدبر وجود كمبول في هيئة موظفيه بتعيين بديل له في بغداد . وقد اثنى السير ج. اوترام لاحقاً في السر والعلن على خدمات كمبول وخدمات القس مستر بادجر .

وقد زار بغداد قادماً من المحمرة في ابريل/مايو سنة ١٨٥٧ رجل يدعى بللي لا شك أنه هو نفس الشخص الذي اشتهر كمقيم في الخليج بعد ذلك بسنوات قليلة ، واصبح معروفاً باسم السير لويس بللي ، لكن لا يبدو أنه كان موظفاً في ذلك الوقت .

موقف الحكومة التركية

كان موقف الحكومة التركية أثناء الحرب الانجلو ايرانية كما عكسه سلوك الموظفين المحليين الاتراك في البصرة وبغداد ، في صالح البريطانيين . صحيح ان رشيد باشا حاكم البصرة احتج خطياً في فبراير سنة ١٨٥٧ الى الرئيس كمبول ضد الهجوم البريطاني المتعمد على المحمرة . مدعياً أن المكان مما تطالب به تركيا ، ولكن كمبول نيابة عن السير ج. اوترام نجح في استمالته، لا ليسحب اعتراضاته فقط ، بل ليبعد السفينة الحربية التركية التي تمركزت عند مصب نهر قارون .

وكانت الحجة التي تذرع بها الرئيس كمبول ، على ما يبدو ، هي أن حقوق الاتراك في المحمرة مهما كانت لا يمكن ان تتأثر بسبب طرد الانجليز للإيرانيين الذين كانوا في تلك اللحظة يسودونها بقوة السلاح .

ويبدو ان اطلاق الايرانيين النار في ٣ مارس على الباخرة البريطانية «كومت» لدى مرورها على المحمرة شجع الباشا على انتهاز الفرصة لاثارة موضوع حياد نهر قارون كما كان منتظراً. وبعد استيلاء القوات البريطانية على المحمرة مباشرة ، عمد رشيد باشا والي بغداد لاثارة فكرة تحويل المكان الى تركيا . واقترح القائم بالأعمال نقل الحراسة التركية الى مصب نهر قارون ولكنه عدل عن طلبه . كما ان مناورات الباشا في بغداد انتهت الى الفشل . ولم يكن لاي من تينك الحركتين من تركيا أية علاقة بفكرة السير ج. اوترام العابرة التي ذكرت من قبل ، وهي وضع المحمرة في كنف الاتراك . ومن الممكن ان تكون ضخامة الاستعدادات التي قام بها الايرانيون للدفاع عن المحمرة راجعة الى حد ما الى الخوف من ان البريطانيين ربما يسلمون المحمرة الى الاتراك اذا أخذوها .

لم تضع السلطات التركية العراقيل في طريق شراء دواب النقل لقوات الميدان البريطانية في العراق التركي ، ولكنها حرمت على رعايا ها الاشتراك في الحرب ، حتى إنهم طلبوا ضماناً من هؤلاء الذين كانوا مكلفين بسوق الحيوانات التي تشتريها الحكومة البريطانية ألا يعبروا الحدود في ايران في طريقهم الى البصرة .

وعلى أية حال فان الاحتياط الاخير هذا كما أوضح رشيد باشا نفسه لم يكن الامجرد شكل للحيلولة دون دخول الرعايا العثمانيين على شكل جماعات داخل حدود ايران وتقدم عدد كبير من المدنيين بشهادات خدمة تثبت اشتراكهم في أعمال حرب القرم للعمل مع الجيش البريطاني في ايران ولكنهم كانوا يردون بالخيبة .

حل قوة الميدان في مايو ١٨٥٧

شرع اوترام في حل قوة الميدان البريطانية في ايران دون مراعاة لاندلاع ثورة المتمردين في الهند حيث إن اخبارها لم تصله الا في السابع من يونيه أي بعد شهر من وجوده في بغداد . ومن المحتمل أنه كان يدرك ، الى حد ما ، تحرج الامور في الهند لانه اشار في ٢٧ ابريل

الى « روح تمردية ظهرت بوضوح في جيش البنغال » وعلق قائلاً « كما هو معتقد في الوقت الحالي فان الجيش البنغالي لا يمكن أن يعتمد عليه » . ولكن يبدو انه في اول الامر كان تحت تأثير فكرة مؤداها ان القوة التي كان يجب ان يعيدها الى الهند لم تكن مطلوبة للخدمة هناك بل للخدمة في الصين فضلا عن ان التعليمات التي كانت لديه من انجلترا لم تخول له حق انقاص القوة في ايران حتى تعقد معاهدة السلام التي صدق عليها الشاه ، ومع ذلك قرر ان يرسل جزءً من هذه القوة دون انتظار معلومات رسمية .

وذكر امر يومي لقوة الميدان في ٩ مايو سنة ١٨٤٧ بالمحمرة أن القوات الآتية يجب ان تكون على اهبة الاستعداد للرحيل الى الهند(١) فرقة صاحب الجلالة الفرسان الرابعة عشرة ، فرقة القوات الثالثة من خيالة المدفعية وبطارية الميدان الخفيفة الثانية وقوات المدفعية الاحتياطية ، وفرقة صاحب الجلالة الرابعة مشاه ، وفرقة صاحب الجلالة الاسكتلندية الثامنة والسبعين ، وفرقة المشاة الخفيفة الثانية الاوربية .واورطة الخفيفة وجنود مدراس واضعو الالغام . وفي ١٧ مايو تم جلاء الفرقة الثانية عن المحمرة ، وبقيت البارجة الحربية «كلايف» لتمنع اعادة احتلال الايرانيين للمكان . وأبحر القائد هافلوك وهيئته الى الهند حيث كتب أحد ضباط الفرقة وهو على ظهر السفينة : « فتح ميدان جديد للمخاطرات للفرق المرافقة في إيران » ، وفرقة المشاة الاهلية الخفيفة وفرقة المشاة الاهلية السادسة والعشرون وقد ضُمتا للفرقة الاولى التي تركت تحت قيادة القائد جاكوب لاحتلال بوشهر وخارج وقد تكونت من الوحدات التالية :

فرقة الفرسان الثالثة الخفيفة ، وفرقة السند للخيالة ، وقوات عدن(٢) المكونة من لواء للفرسان تحت قيادة الزعيم سيوارت ، والفرقة

---

(١) في الواقع قد أبحرت هذه الفرقة من قبل الثالث من مايو . راجع ج.هـ. هانت « حملة وترام وهافلوك الايرانية ص ٣٥٢ » .

(٢) عندما وصلت قوات عدن الى الخليج أو عندما رحلت فان موعد وصولها أو رحيلها لم يكن واضحا .

الرابعة من خيالة المدفعية ، والفرق الثالثة والخامسة والثامنة من بطاريات الميدان(١) الخفيفة والجماعة الثالثة للفرقة الثانية والرابعة من كتيبة المدفعة الرابعة ، وأصبحت كلـــــواء مدفعية يقوده االقائد تريفيــــــليان ومعه فرقتان من واضعي الالغام . والفرقة العشرين والسادسة والعشرين من المشاة الاهلية مكونة من لواء مشاة تحت قيادة الرائد ماكان . وكونت الفرقة الرابعة الاهلية مشاة والثالثة والعشرون الاهلية الخفيفة للمشاة لواء آخر تحت قيادة الرائد هرنر . وفي ٢٧ مايو كانت القوات في بوشهر تبلغ تقريباً ٧٠٠٠ رجل من جميع الاسلحة بعد ان رحلت القوات الاوربية حينئذ (ما عدا بعض المدفعية) الى الهند . وارسلت قوة المدفعية الخيالة وبطاريتان بعد ذلك ، ولا بد أنه حدث نقص آخر لانه في ١٧ يونيه يوم رحيل السير ج. اوترام الى كراتشي تكونت قوات بوشهر باستثناء الضباط وبما فيها حامية خارج من ١٢٠٠ من الفرسان ، و ٢٧٨ مدفعية و ٣٧٣٩ مشاه ، ٢١٤ جنود واضعي الالغام . والجميع ٥٤٣١ رجلا مقاتلا ، منهم ٢٠٢ فقط مدفعية من الاوربيين . وكان عدد المرضى في المستشفى ٥٣٤ أي ١٠٪ من القوة كلها ولكن مرضهم كان تافهاً . وعند رحيل السير ج. اوترام آلت المسئولية الحربية والسياسية الى القائد يعقوب .

تأثير الحرب على ايران

كانت نتائج العمليات الحربية بالرغم من قصر مدتها حاسمة تماماً . ولم تصمد القوات الايرانية في أي مكان ، ولم تظهر أية مقدرة أمام الهجوم البريطاني ، بالرغم من ان القتال كان دائماً على ارض يختارونها بأنفسهم ولهم مواقع أفضل في جانبهم . والى جانب ذلك فانه من المحتمل أنه بعد الاستيلاء والقضاء على كتائب البنادق الايرانية في بوشهر وشاه كوتاه وبورازجان والمحمرة ، بقيت بعض المواد الحربية القليلة في الاقليم . لان الجيوش الايرانية لفارس وعربستان قد خفضت بسبب

---

(١) لقد وصلت حينئذ بطارية الميدان الثامنة الخفيفة من الهند في سفن شراعية .

نقص الذخيرة والمؤن التي ظلت متوفرة معهم في الميدان . ولقد كان للسلوك الممتاز للقوات البريطانية سواء في المعسكر او في الميدان أثر في تصميم القيم السياسية لانتصاراتهم . وقد علق السير ج. اوترام في امره لقوة الميدان قائلا انه « ولا في مرة واحدة لاحظ وقوع سوء تصرف من جانب أي فرد في أثناء الحملة كلها » وكانت حكومة الهند على حق في قولها في الاعلان الذي نشر في ٦ نوفمبر سنة ١٨٥٧ « لقد خلفت القوات البريطانية في ايران وراءها سمعة لا في الشجاعة فقط بل في الطاعة والاعتدال والعدل » وقد كتب السير ج. اوترام قبل رحيله من ايران بقليل وهو يخاطب سكرتير الحكومة للشئون الخارجية فيما يختص بمعاملاته مع القبائل العربية :

« إنه لمما يرضي سيادتكم ويرضي نفسي أيضاً ان تعرف أنه بينما استمرت علاقاتنا مع القبائل العربية في روح ودية عظيمة ، لم يحدث في مناسبة واحدة ان فسد اخلاصهم المفروض للشاه ، ولا قيدنا أنفسنا بشيء يعد ارتباطاً بهم .

وكان اسفهم الوحيد كما كان يبدو ، هو أننا لا نريد الاستمرار في الاستيلاء الدائم على بلدهم . وعندما نتذكر ان مثل هذه العواطف قد صدرت بعد شهرين من احتلال قواتنا المنتصرة أرضهم ، فان هذه الحقيقة تعكس سمعة ونظام واخلاق جيشنا الانجليزي الهندي » .

ولكن الدليل المقنع لاثر الحرب المعنوي على اهالي ايران كما ظهر من الحكومة الايرانية قد ذكره الرائد تايلور مأمور هرات الذي كتب تقريره كما يأتي بعد مرور أكثر من عام على التصديق على معاهدة السلام .

« .... لقد لاحظت اثناء مروري في ايران في مناسبات كثيرة ، الآثار الطيبة لاحتلال القوات البريطانية الاخيرة . فان جميع أهالي فارس (ايران الجنوبية) يجاهرون بمديحهم للعدالة والانسانية اللتين ظهرتا في كل مناسبة من الضباط الذين اتصلوا بهم . وكانوا يقارنون علاج الجنود

الجرحى وتقديم مكافأة لهم عند شفائهم بسلوك أهل بلادهم الذين كانوا ينهبون ملابسهم ونقودهم التي أخذوها من اعدائهم . وكان الدفع القوري والثمن المجزي من الانجليز لكل سلعة ضرورية يعززان الانطباع السائد في جنوب ايران بأنه لا نهاية لموارد الحكومة البريطانية وثراء رعاياها .

وكانت العروض تقدم لي في مختلف انحاء ايران ومن جميع الطبقات ولكنها لم تكن غير مرغوب فيها منا فقط بل كانت لا تشجع . وكان جنود شيراز يتحدثون بحرارة ضد شجاع الملك (بطل كوشاب) وضد ضباطهم الآخرين . وقد علق الخانجي وهو أعظم رجل له نفوذ في فارس كلها (اننا استطعنا ان نستولي على الاقليم الاسفل بسهولة ولكننا نجد صعوبة في التحكم في الممرات) . واضاف بطريقة ذات مغزى « التي في يدي » واستمر قائلا « ان حكومتكم ترتكب خطأ في عدم اعطائها الشيوخ القاباً من رتب عالية ، وعندما تضمون أقليم فارس فامنحوا رتبة رائد ... الخ . ولا تكتفوا برتبة الملازم اول ، وقد قال الابن الاكبر لزعيم تانجستان الذي كانت له الرقابة الوحيدة على كل شيء قال بحماسة كبيرة « انه عندما تجيء القوات البريطانية مرة أخرى لايران فانه سينضم إلى أي رجل كفء منهم دون انتظار اي ضمان للمستقبل » .

ولقد كنت ارد على تلك العروض بتأكيدات بأن الحكومة البريطانية لا تهدف الى اضعاف ايران بل بالعكس تريدها قوية . كما وضح من شكل القصاص البسيط الذي ارادته بريطانيا في الحرب الاخيرة . ولكنني أضفت ان تقديرهم لعدالة وانسانية وحرية الضباط الانجليز ستعمل على جعل الحاكم العام راضياً مغتبطاً .

وعند نهاية العمليات كانت العلاقات بين الرؤساء العسكريين الانجليز والايرانيين ودية وإن لم تكن متينة . ولم تظهر الحكومة الايرانية أية مرارة بصدد الحرب الا من العقوبات التي حلت ببعض ضباطهم وجنودهم الذين تعرضوا للخزي بسبب جبنهم .

رضا نواب اقبال الدولة

لقد ارضت نتيجة الحملة رضاء تاماً نواب اقبال الدولة وهو سياسي بريطاني محال الى المعاش كما يفهم من السطور الآتية التي كتبها السير ج. اوترام الى القائد جاكوب في بوشهر في ١٣ مايو سنة ١٨٥٧ :

« ارسل لكم نص خطاب رسمي وارد من احد اعضاء العائلة المالكة لسعادة المقيم في بغداد . مع ترجمته . لقد كان البعض يعتبرون هذا الرجل الوارث الحقيقي لذلك العرش عندما تولاه الملك السابق ، انني لم أقبل بالطبع هديته التي عرضها على القوات ، والتي اشار اليها في خطابه . لكنك ربما تعتقد أنه من الصواب ان انقل للجنود التهاني الحارة من مواطن لهم وهي تحيات يؤكد لي كمبول انها في منتهى الاخلاص لان «نواب» كان يقف دائماً برجولة منافحاً عن الجنود الهنود . وقت كان يتهكم عليهم فيما مضى البغداديون والايرانيون بصفة خاصة انتهى بالحرف الواحد .

ولم تقبل الهدية التي قدمت ولكن خطاب «نواب» بلغ للقوات الاهلية أعلمهم به الجنرال يعقوب في عبارات حارة مميزة .

معاهدة السلام الانجلو ايرانية التي عقدت في مارس وصدق عليها في ١٣ ابريل ١٨٥٧

ووقعت في باريس معاهدة السلام التي انهت الحرب في ٤ مارس سنة ١٨٥٧ . ولما كان السفير المفوض الايراني هو فاروخ خان الكاشاني نفسه الذي قام بالمفاوضات العقيمة في القسطنطينية في سنة ١٨٥٦ نيابة عن حكومته فان الشاه كافأه بحزام من المجوهرات تبلغ قيمته عشرة آلاف جنيه استرليني . ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى ارتقى الى وزارة الداخلية بلقب « امين الدولة » . ومن الجدير بالذكر ان بطء المواصلات في ذلك الوقت أضر بكل من طرفي معاهدة السلام لان نبأ انتصار البريطانيين في خوشاب لم يصل الى باريس في الوقت المناسب للتأثير في مناقشات الشروط . بينما من الناحية الاخرى وصل نبأ عقد السلام

الى الخليج متأخراً جداً بحيث لم ينقذ الايرانيين من الاذلال الذي تجرعوه في المحمرة . ولم تكن معاهدة السلام الا نتيجة احتلاله ريشهر وبوشهر فقط .

وكانت شروطها الاساسية هي : إقامة سلام دائم وصداقة بين بريطانيا وايران بدءاً من تاريخ تبادل تصديق المعاهدة في غضون ثلاثة أشهر ، واطلاق سراح أسرى الحرب من كل من الجانبين ، والعفو التام عن جميع الرعايا الايرانيين الذين ارتبطوا بعلاقات مع القوات البريطانية أثناء الحرب ، وان تنسحب خلال ثلاثة أشهر من التصديق على المعاهدة القوات الايرانية والموظفون الايرانيون من هرات ومن كل جزء من أفغانستان ، وان تتخلى ايران عن كل حق بالسيادة على هرات او طلب الولاء من اهلها ، وان تعترف ايران باستقلال هرات وافغانستان كلها مع الامتناع التام من جانبها مستقبلا عن التدخل في شئون افغانستان الداخلية . والخضوع في خلافاتها مع هرات وافغانستان بعد ذلك للوساطة البريطانية ، على ان تتدخل بريطانيا عندما تطلب منها الحكومة الايرانية لتسوية الخلافات . وأن تنحصر العمليات الايرانية الحربية في افغانستان في حالة فشل الوساطة البريطانية في اجراءات موقتة بحته واطلاق سراح المسجونين السياسيين الافغان المحجوزين دون فدية على شريطة أن يقابل ذلك اطلاق سراح السلطات الأفغانية للايرانيين المحتجرين لديها ويمكن ان تنفذ العملية (في حالة الضرورة) بواسطة لجنة من الممثلين البريطانيين والايرانيين ، وتعيين موظفين قنصليين من جميع الرتب بواسطة كل دولة في أملاك الدولة الاخرى على قدم المساواة مع الدول المفضلة والاعتراف بهم على ذلك الاساس . والمعاملة المتبادلة على اسس مماثلة للرعايا والتجارة وعودة البعثة البريطانية الى طهران ، واستقبالها هناك باعتذارات واحتفالات معينة ، وتعيين مندوب ايراني في خلال ثلاثة أشهر من عودة البعثة ليحقق مع الاتصال بالمندوب البريطاني في حقوق الرعايا البريطانيين المالية ضد الحكومة الايرانية ، وتصفية امثال هذه الحقوق في خلال عام . وايضاً تسوية الحقوق المشابهة للايرانيين والرعايا الآخرين الذين كانوا

تحت الحماية البريطانية حتى رحيل البعثة البريطانية ولم يتخلوا عنها حتى ذلك الوقت . وان تتخلى الحكومة البريطانية ، في المستقبل ، عن حماية الرعايا الايرانيين الذين لا يكونون فعلا في خدمة المفوضية البريطانية او مع موظفي القنصليات البريطانية على شريطة الا يمنح هذا الحق او تمارسه سلطة أجنبية في ايران . وان يكون للخدم والرعايا الذين توظفهم الحكومة البريطانية نفس المزايا والحصانات التي يتمتع بها خدم ورعايا السلطات الاجنبية الصديقة(١) . واخيراً تجديد اتفاقية اغسطس سنة ١٨٥١ الخاصة بتجارة الرقيق . وقد بقيت المادة قبل الاخيرة من المعاهدة كالآتي :

بعد تبادل التصديق على هذه المعاهدة مباشرة . ستوقف القوات البريطانية جميع الاعمال العدائية ضد ايران ، وتتعهد الحكومة البريطانية أنه بمجرد تنفيذ الارتباط الخاص بجلاء القوات الايرانية من هرات والارتباط الخاص باستقبال البعثة البريطانية في طهران ، فان القوات البريطانية يجب ان تسحب دون تأخير من جميع الاجزاء والامكنة والجزر التابعة لايران . ولكن الحكومة البريطانية تتعهد بأنه في أثناء تلك الفترة سوف لا يتخذ اي عمل متعمد من قبل قائد القوات البريطانية من شأنه اضعاف ولاء الرعايا الايرانيين للشاه ، بل على العكس إثبات رغبة بريطانيا الشديدة في دعم ذلك الولاء.

ولقد وضع تذييل مفصل للمعاهدة خاص بالترضية التي تقدم للمستر موري عند وصوله الى طهران .

وهكذا احيت معاهدة السلام معاهدة الاتفاق السابقة بين بريطانيا وإيران ، ما عدا تلك التي عقدت في اغسطس سنة ١٨٥١ كما ذكر من قبل .

وقد أثار اعتدال الشروط المدرجة بعض الدهشة ، وبصفة خاصة

---

(١) من الحالات الخاصة بهذه الفئة حالة مير على تقى خان التى ظلت حتى سنة ١٨٦٣ عندما نجح المستر ايستويك فى تسـويتها شخصيا مع صاحب الجلالة الشاه ورفض المندوب الايرانى باصرار مناقشـتها بينما اعتبرت الحكومة البريطانية أن تسويتها موضع شرف وقد أدت الى مكاتبات كثيرة ٠

في ايران نفسها ، حيث ان الصدر الاعظم الذي كانت سياسته في المضايقة والتحدي قد حرضت على الحرب تنفس الصعداء قائلا ، وقد علم ان طرده لم يكن مطلوباً ، « الحمد لله » . ولكن نفس هذا الاعتدال قد منع يقيناً حدوث ردّ فعل ايراني ضد التسوية عندما برزت مشكلات بريطانيا بعد ذلك في مسألة التمرد في الهند . ومن الحق ان يقال ان الجنرال جاكوب « يعقوب » كان يصر على ضم عربستان وبوشهر وخارَج بصفة دائمة الى الاملاك البريطانية . وكان يؤيده السير ج. اوترام نفسه لا سيما بالنسبة لخارَج كما سيرد ذلك تالياً . ولكن عقد معاهدة السلام دون الاشارة اليه حرمته من فرصة تقديم التوصيات في ذلك الموضوع .

وقد صادق الشاه على المعاهدة في ١٣ ابريل سنة ١٨٥٧ وتبودلت المصادقات في بغداد حيث كان المستر موري حينئذ هناك في ٢ مايو .

بعثة الرائد تايلور في هرات ١٨٤٧–١٨٥٨

عند الجلاء عن المحمرة في ١٧ مايو توجه السير ج. اوترام الى بغداد يصحبه الرئيس كمبول الوكيل السياسي في العراق التركي ليتبادل الآراء مع المستر «موری» في موضوع البعثة السياسية المقترحة لهرات من ناحية ، ومن ناحية اخرى ليرتب بمساعدة كمبول عملية التخلص من وسائل المواصلات البرية التي بقيت بعد الحملة . وكان وصولهما الى بغداد حوالي ٢٣ مايو ، ويبدو أنهما غادراها مرة أخرى في ٨ يونيه . وقد اعتقد المستر موری أنه وجد مستنداً في المعاهدة في المادة المتعلقة في إطلاق السراح المشترك للمسجونين والمحجوزين السياسيين الافغان والايرانيين تبرر ارسال بعثة الى هرات لكن السير ج. اوترام لم ير ذلك الرأي وارداً ، لكنه كان تواقاً للبحث الدقيق عن عملاء سريين ايرانيين في هرات ، واتفق على ان البعثة ممكنه اذا كان غرضها الوحيد هو التأكد من ان الايرانيين انسحبوا حقيقة من افغانستان . واقترح اسم الرئيس برفت القائد لاحقاً و. ل. تايلور ، قائد الفرقة الثامنة عشرة المشاة الاهلية كمبعوث ملائم .

وهكذا امر الرائد تايلور بالذهاب الى هرات حيث وصلها في ديسمبر سنة ١٨٦٧ واستقبله السلطان احمد خان الحاكم الجديد استقبالا حسناً ؛ وبقي هناك حتى شهر مارس التالي عندما عاد الى بوشهر وهو في طريقه الى الهند في بداية يونيه سنة ١٨٥٨ .

عودة المفوضية البريطانية الى طهران في ١٨ يوليه ١٨٥٧

وفي نفس الوقت عاد المستر موري الى طهران في ١٨ يوليه سنة ١٨٥٧ حيث نفذت جميع مطالب المعاهدة الخاصة باستقباله باحترام وتمت الاستعدادات لجلاء القوات البريطانية عن بوشهر وخارج .

الجلاء عن بوشهر وخارج (اكتوبر ١٨٥٧ فبراير ١٨٥٨)

وفي الثاني من اكتوبر سنة ١٨٥٧ جلت القوات البريطانية عن بوشهر واستأنف القائد فيلكس جونز أعماله كمعتمد هناك ، ولكن تركت حامية تتضمن الفرقة الثالثة والعشرين المشاة الخفيفة الاهلية بصفة موقتة تحت قيادة الزعيم هونز في جزيرة خارج . وفي نفس الوقت استمر الايرانيون يحتلون لاش—جون في سجستان . وأخيراً في اوائل ديسمبر سنة ١٨٥٧ انسحبت الحامية البريطانية من خارج وتمت العملية نهائياً في ١٤ فبراير سنة ١٨٥٨ .

الضباط الحربيون البريطانيون لا يعارون للجيش الايراني ١٨٦٠ — ١٨٧٠

استعادت علاقات بريطانيا بايران بعد الحرب مظاهرها الودية لعدد من السنوات ، وباستثناء العمليات التلغرافية التي ستذكر حالياً ، ظل الجمود هو الظاهرة الاساسية للسياسة البريطانية في الشئون الايرانية بعد النكسة الحربية الخطيرة التي قاستها ايران في التركستان سنة ١٨٦٠ . وطلبت الحكومة الايرانية مرة أخرى إحضار ضباط انجليز للجيش الايراني ولكن اقتراحاتها قوبلت ببرود من الحكومة البريطانية، وفشلت

المفاوضات اخيراً(١) عندما طلبت المناصفة في تكاليف تلك الترتيبات بين ايران والهند .

وتجدد الطلب الايراني للضباط العسكريين البريطانيين في سنة ١٨٧٠ لكنه تجوهل مرة أخرى . ومنذ ذلك الحين انتقلت قيادة الشئون الحربية في ايران الى ايدي الاجانب من دول أخرى .

التلغراف الأنجلو ايراني ١٨٦١ — ١٨٧٠

كان انشاء خطوط التلغراف في ايران بين سنة ١٨٦١ وسنة ١٨٧٠ بناء على نصيحة بريطانيا وبواسطة وكالة بريطانية، عملا له أهمية كبيرة. وكان من نتيجته أنه عاد على الدولة بمزايا كبيرة ، كما جعل بريطانيا تحتفظ بهيبتها في ايران وأبقى على هيئة من الضباط البريطانيين ممن لهم خبرة في الشئون الايرانية . وهاتان نتيجتان كان لا يمكن الوصول اليهما في جو عدم المبالاة السائد بالنسبة لايران في الدوائر البريطانية الرسمية . وسيرد تفصيل كامل لعمليات التلغراف في ملحق خاص بالتلغراف في الخليج .

لجنة حدود مكران الأنجلو ايرانية ١٨٦٩—١٨٧١

بعد ان قامت صعوبات خاصة بالحدود بين ايران «وقالات» بخصوص مد خط تلغرافي في مكران ، اقترح تكوين لجنة اتصال أنجلو ايرانية للحدود في سنة ١٨٦٩ وقد تكونت سنة ١٨٧٠ . وكان من نتيجتها في سبتمبر سنة ١٨٧١ قبول الشاه للحدود التي اقترحها الرائد جولد سميد المندوب البريطاني . والتفاصيل الخاصة بهذه اللجنة وعملها موجودة في الفصل الخاص بتاريخ مكران الايرانية .

---

(١) لقد تأثر كبار مؤرخي السياسة البريطانية فى ايران لضياع هذه الفرصة ـ أنظر كتاب انجلترا وروسيا فى الشرق لكاتبه رولنسن ص ١٠١ وانظر أيضا الى كتاب ايران للورد كيرزون صفحات ٥٨٦ ـ ٧ ومن الممكن أنه لو كان قد تم هذا لكان الموقف فى ايران في ذلك الوقت أكثر ملاءمة له من أى وقت آخر .

امتياز رويتر ١٨٧٢

لفت انشاء التلغراف نظر محافل اوربا التجارية ، وتبع ذلك ، كأمر منتظر ، مشروعات استغلال المصادر الطبيعية والصناعية في الدولة . وقد أظهر ميرزا حسين خان رئيس الوزراء المستنير الذي دعاه الشاه للعمل سنة ١٨٧١ من اول الامر ميلا قوياً لحسن التفاهم بطريقة عملية مع بريطانيا . وقد بذل كل ما في وسعه ليزيل التأثير السيء الذي حدث في ايران نتيجة لايجاد علاقات ودية بين حكومة الهند وأمير افغانستان سنة ١٨٦٩ . وقد عارض الفكرة التي شاعت في ايران والقائلة بأن بريطانيا تميل في قضايا الحدود بين ايران وتركيا وباصرار لمصلحة الاتراك . وقد سهل بقدر ما استطاع التوفيق في الخلافات التي قامت بين بريطانيا وايران بصدد حدود مكران وسجستان وشئون البحرين ، ولكن أعظم مجهود لسياسته « التي كانت تهدف الى بعث ايران عن طريق اندغام مصالحها بمصالح بريطانيا » هو امتياز رويتر الذي منح في ٢٥ يوليه سنة ١٨٧٢ قبل رحلة الشاه الاولى الى اوربا بوقت ليس طويل . وكان صاحب الامتياز هو البارون يوليوس دي رويتر الذي منح الجنسية البريطانية . اما مجال الامتياز نفسه فهو يظهر من الوصف التالي الذي يقدمه لنا السير هـ. رولنسن

كان الاحتكار الضخم الذي وقفت اوربا مشدوهة منه يتضمن الفقرات التالية . إنشاء سكة حديد من القزوين الى الخليج مع الموافقة على تلقي كل انواع الاعانات المالية ، إنشاء الترام ، تشغيل جميع المناجم الايرانية بصفة مطلقة باستثناء مناجم الذهب والفضة ، توسيع أعمال الري بأن مقياس يرى مناسباً ، اقامة بنك وطني ، اصدار دين مقداره ٦ مليون جنيه استرليني بضمانة ايران لربح قدره ٥٪ مع ٢٪ استهلاك دين . الحق في إنشاء أعمال عامة مجزية مثل الاضاءة والغاز وطلاء وتزيين العاصمة ، مد الطرق والقناطر والجسور ، مد خطوط البريد والتلغراف ، المعامل والمصانع والورش ... الخ . الالتزام بايراد الجمارك كلها للامبراطورية لفترة ٢٥ سنة .

وكان كبير الوزراء مع مستشاره الخاص ميرزا ملكولم خان (وهو وزير الآن في انجلترا) هو المسئول عن هذا التفويض فوق العادة للصلاحيات الامبراطورية لايدي شركة خاصة . وكان يرى أنه صان صيانة كافية مصالح التاج الايراني باشتراطه أن يكون ٢٠٪ من صافي ارباح السكة الحديد و ١٥٪ من صافي الارباح الاخرى من نصيب الحكومة الايرانية . أما بخصوص الجمارك فقد اشترط زيادة العائدات الاجمالية في ذلك الوقت لمدة خمس سنوات بمبلغ سنوي قدره ٢٠,٠٠٠ الف جنيه استرليني . وفي خلال المدة الباقية من الفترة يحول الى الشاه ٦٠٪ من الفرق بين الالتزام الحالي (الايجار الحالي) والايرادات الفعلية .

وقد سبب هذا الامتياز عاصفة من الغضب في روسيا ، واخيراً في ايران نفسها ، حيث بدأ يتشكل حزب وطني ثائر ضد انتقال الرقابة المطلقة(١) على جميع الموارد الصناعية في الدولة لفترة سبعين سنة الى الاجانب . وعند عودة الشاه في خريف سنة ١٨٧٣ من رحلته في اوربا ، وجد انه من الضروري نظراً الى الوضع المضطرب للرأي العام أن يلغى الامتياز كلية ، كما أعلن عن مصادرة أموال الكفالة البالغة اربعين ألف جنيه استرليني لصالح الحكومة الايرانية بسبب فشل أصحاب الامتياز في تنفيذ ما عهد اليهم به في خلال الفترة المحددة للامتياز . ومع ان تلك المصادرة لم تكن تستند الى العدالة فانالمبلغ ظل ست عشرة سنة دون تسديد

زيارة الشاه الاولى لانجلترا ١٨٧٣

مر بنا سابقاً ان ناصر الدين شاه أثناء رحلته الى اوربا قام بزيارة انجلترا في سنة ١٨٧٣ . وقد صحبه أثناء إقامته هناك السير أ. ب. كمبول مساعد المعتمد في بوشهر سابقاً ، والوكيل السياسي في العراق التركي . ولا شك ان الشاه بذل مجهوداً في انجلترا مع رئيس وزرائه ميرزا حسين خان الذي كان يصحبه للحصول على اعتراف من وزارة الخارجية البريطانية بأهمية ايران كعامل للدفاع عن الهند وبالتالي على وعد بالمعونة .

(١) انجلترا وروسيا فى الشرق ص ١٢٥ ·

لكن السياسيين الانجليز الذين اراد الشاه ورئيس وزراء تكليفهم الاتصال بروسيا من أجل المساعدات ايضاً ، لم يجدوا من المناسب ، وروسيا على ما هي عليه من الغيظ والاستياء بسبب امتياز رويتر الذي لم يكن الغي عندئذ ، للافصاح عن تجديد لتأكيداتها المشتركة مع بريطانيا بمساعدة محمد شاه غداة تتويجه . وانتهت المحادثات فقط باتفاق على مرغوبية الاحتفاظ بعلاقات طيبة ودية بين بريطانيا وايران . وقد فهم أن الشاه أيضاً قد عبر عن سخطه بشأن حكم المندوب البريطاني في مسألة حدود سجستان ولكن لم ينتج عن ذلك السخط أي تعديل للحكم المذكور .

ميثاق تجارة الرقيق ١٨٨٢

وفي ١٤ يونيه سنة ١٨٨٢ استبدلت المعاهدة الموقعة بين بريطانيا وايران بشأن تجارة الرقيق لسنة ١٨٥١ بميثاق دائم ، وكانت المعاهدة القديمة التي عدلت سنة ١٨٥٧ ما تزال سارية المفعول حتى ذلك الوقت . وقد اشرنا الى الميثاق الدائم في الملحق الخاص بتجارة الرقيق في منطقة الخليج .

تأسيس بنك ايران الامبراطوري ١٨٨٩

ولقد تميزت السنوات من ١٨٨٨ الى ١٨٩٢ بنشاط عظيم مالي وتجاري لبريطانيا العظمى في ايران ، فقد شهدت منح امتيازات متنوعة للرعايا البريطانيين واقامة عدد من المشروعات البريطانية كان بعضها قد ظل قيد الأخذ والرد لسنوات عديدة .

ولقد يعتبر فتح نهر قارون الادنى للملاحة الدولية انجازاً بريطانيا بقدر ما كان يحققه بمجهود الدبلوماسية البريطانية . وسيعالج بصفة كاملة في مكان آخر في الفصل الخاص بتاريخ عربستان . وقد بدئت عمليات البنوك في ايران سنة ١٨٨٨ على يد شركة البنك الشرقي التي فتحت وكالات في مدن ايرانية مختلفة . ولكن هذه الشركة انسحبت من ايران بعد ذلك بسنتين لصالح بنك ايران الامبراطوري ، الذي منح الشاه امتياز إقامته لنفس البارون دى رويتر سنة ١٨٨٩ . وهو الذي كان منح سابقاً

امتياز سنة ١٨٧٢ المشهور . وكانت مدة امتياز البنك ستين عاماً كان له أثناءها ان يتمتع باحتكار إصدار اوراق النقد ، وممارسة الحق المطلق في تشغيل المناجم (مع استثناءات خاصة) في جميع انحاء ايران . ولم تكن آراء مؤسسيه محددة بالعمليات ذات الطبيعة المالية البحته ، وقد أدى اغلاق البنك الامبراطوري العثماني في ايران في سنة ١٨٩٣ وفي نفس الوقت الذي انسحب فيه بنك ايران الامبراطوري من بغداد ، الى جعل هذا الاخير هو المتحكم الوحيد في الميدان الايراني . وهو الآن في يومنا هذا اعظم المؤسسات البارزة ، وهو يتمتع تقريباً بصفة رسمية . وكان أباً لمشروعات بريطانيه مماثلة .

زيارة الشاه الثانية لانجلترا ١٨٨٩

ويبدو ان زيارة الشاه الثانية الى انجلترا ، وهي التي قام بها في سنة ١٨٨٩ ضمن رحلته الاوربية الثانية لم ترتبط بها أية مصالح سياسية . وقد مكث الشاه في انجلترا شهراً تقريباً يصحبه السير ه. د. ولف الذي كان يشغل منصب الوزير البريطاني في طهران .

حقوق بريطانيا المميزة الخاصة بانشاء السكة الحديد في ايران الجنوبية ١٨٨٩ — ١٨٩٠

وفي مارس سنة ١٨٨٩ حصل السير ه. دروموند وولف الوزير البريطاني في طهران من الشاه على ارتباط هام يمنح بريطانيا حقوقاً مفضلة في انشاء السكة الحديد في ايران الجنوبية . وقد جاء ذلك على شكل خطاب من الشاه بخطه الاصلي الى وزيره للشئون الخارجيه . وكان مؤرخاً بتاريخ سابق هو ١٦ سبتمبر سنة ١٨٨٨ وكان الجزء الهام من الخطاب كالآتي :

« أحمل هذه الاوامر الى صاحب السعادة الوزير البريطاني المفوض ، بل أعطه نفس هذه الرسالة الخطية لكي يحتفظ بها ويكون مطمئناً الى أن وعدنا السابق بشأن أولوية الحكومة البريطانية وشركة تلك الحكومة على سائر الشركات الاخرى في إنشاء السكة الحديدية الجنوبية الى طهران

ما يزال مستمراً وقائماً ، كذلك فانه حالما تعطى امتيازات لانشاء سكك حديدية في الشمال الى الشركات فسوف يمنح فوراً امتياز السكة الحديدية من طهران الى ششتار للحكومة البريطانية ، وطبعاً ستبحث البنود والشروط عندئذ بما يحقق لنا مصالحنا واستفادتنا ، وما ينفع تجارة البلدين كليهما . وبكل تأكيد لن يعطى حق اقامة سكة حديد في الجنوب الى أية شركة أجنبية دون التشاور مع الحكومة البريطانية .

ومن الواضح انه سوف لا يمنح أحد في ايران تصريحاً بانشاء سكة حديد الا اذا كانت تجارية فقط ، ونقول هذا الآن لكي يكون ذلك معروفاً » .

وارسلت نسخة من هذا الخطاب الى الوزير الروسي في طهران في أكتوبر سنة ١٨٩٠ ، وكرر الشاه التأكيد الذي تضمنه الخطاب المذكور بالكتابة مجدداً في نوفمبر سنة ١٨٩٠ .

مشروعات بريطانية متنوعة ١٨٩٠

في سنة ١٨٩٠ حصل بنك ايران الامبراطوري على امتياز مدته ستون سنة أخذه من صاحب الامتياز الاصلي وهو ايراني ، بانشاء واستغلال طريق يربط طهران بششتار او الاهواز عن طريق « قم » وسلطان اباد وبوروجيرد وخرم أباد . وبدىء العمل فيه . ولكن حتى ذلك الوقت لم تبحث وسائل امكان تمرير الطريق في المناطق المضطربة من اقليم لوريستان ما بين خرم أباد وعربستان . وفي نفس السنة تكونت شركة لحقوق التعدين لتستفيد من حقوق التعدين المعطاة للبنك الامبراطورى ولكن اعمال هذه الهيئة وصلت الى نهاية فاشلة سنة ١٨٩٤ ، وذلك نتيجة لفشل أعمال الحفر عن البترول في داليكي وفي جزيرة قشم بمنطقة الخليج وفي سنة ١٨٩٠ أيضاً منح الشاه برأيه منفرداً حق احتكار اليانصيب « اللوتاريه » وحق التجارة في التبغ أثناء غيبة موقتة لرئيس وزرائه وفي غياب ممثل بريطانيا الدائم في طهران أيضاً ، وقد حصل على الامتياز الاول أحد الرعايا الايرانيين الذي أعاد بيعه الى اتحاد أصحاب رؤوس الاموال البريطانية نظير مبلغ اربعين الف جنيه استرليني والثاني حصلت

عليه مجموعة من الرأسماليين البريطانيين . والغي امتياز اليانصيب بعد ذلك دون تعويض كما فقد المضاربون البريطانيون اموالهم . ولم تشجع هذه الحالة سوق لندن على الرغبة في الاستثمارات الايرانية . كذلك فان امتياز التبغ الذي استلمته شركة التبغ الامبراطورية سنة ١٨٩١ وانتهت احواله الى الاضطراب ، وأدت مشاغبات وقعت بسببه في طهران سنة ١٨٩٢ الى الغائه مقابل غرامة للمستثمرين بلغت (٥٠٠) الف جنيه استرليني .

الحقوق البريطانية المميزة لانشاء الترام في ايران الجنوبية ١٨٩٠

وفي نهاية سنة ١٨٩٠ ، ومن جراء سخط الحكومة البريطانية على الاتفاق الروسي الايراني لحظر انشاء سكة حديدية في ايران اثناء العشر السنوات التالية ، فان صاحب الجلالة الشاه ، لكي يبرهن على صداقته الحميمة لانجلترا ارتبط كتابة بألا يعطي أي امتياز لانشاء خطوط ترام جنوب طهران دون اعلام حكومة صاحبة الجلالة اولا لاولويتها في في حقوق انشاء الترام في جنوب ايران .

★ ★ ★

شئون بريطانيا الرسمية مع عموم ايران

مركز المفوضية البريطانية في ايران

وكان من المشكلات التي شغلت الحكومة البريطانية أثناء حكم ناصر الدين شاه ، والتي لا يبدو انه أمكن الوصول الى حل نهائي لها ، الوضع الصحيح لمفوضية طهران في النظام السياسي الدبلوماسي البريطاني . وكانت نشوء المشكلة بسبب مركز ايران المبهم في احتكاكها بالمسائل الهندية بما ان تلك الدولة كانت ويجب ان تظل على صلة بافغانستان وبلوشستان والخليج ولكنها ايضاً تدخل في مجال الدبلوماسية الاوربية بعلاقاتها مع روسيا وتركيا .

١٨٥٥ — ١٨٥٩

والى حين تعيين س. أ. موري وزيراً في طهران في سنة ١٨٥٥ كانت وظيفة الممثل البريطاني في ايران ، باستثناء واحد، في أيدي ضباط من خبراء الشئون الهندية ، ولكن التعليمات التي كانوا يطبقونها كانت تصاغ كلية في لندن ، الا في العهود القديمة من بداية اتصال بريطانيا بالشرق .

١٨٥٩ — ١٨٦٠

وفي سنة ١٨٥٩ ، عند تحويل حكومة الهند من شركة الهند الشرقية الموقرة ، الى التاج ، بذلت محاولة للتوفيق بين المطالب المتناقضة للموقف بوضع(١) « مفوضية طهران مباشرة تحت وزير الهند بدلا من وزير الخارجية اعترافاً بحقيقة كون المصالح الايرانية متعلقة بالدبيلوماسية الهندية أكثر منها بالاوربية ، بينما بقي الممثل البريطاني في طهران بنفس الوقت تحت الرقابة المباشرة للتاج . وكاجراء مساعد عُين ضباط هنود في وظيفة وزير وسكرتير مفوضية واعطيت المفوضية بصفة عامة صبغة هندية » وكان الوزير المعين بموجب هذه التنظيمات هو السير هـ. رولنسن الوكيل السياسي في بغداد سابقاً . وفي العام التالي على أية حال أعيد النظر في القرار . وأعيد وضع مفوضية طهران تحت ادارة وزارة الخارجية . واستقال السير هـ. رولنسون اشعاراً باحتجاجه على الوضع المتبدل .

وكان موضوع مفوضية طهران بين الموضوعات التي قدمت الى لجنة من مجلس العموم شكلت في سنة ١٨٧٠ لتضع تقريراً عن الخدمات القنصلية والدبلوماسية البريطانية . وقد صاغت اللجنة النتائج التي توصلت اليها بتاريخ ١٨ مايو سنة ١٨٧١ على الشكل التالي :

ان اللجنة بعد سماعها أدلة متناقضه من اعلى السلطات تعزيزاً للرأيين المتضاربين في هذا الموضوع تميل عموماً الى الرأي

(١) السير هـ. رولنسن في كتابه انجلترا وروسيا في الشرق ص ٩٧ .

القائل بوجوب وضع البعثة الايرانية تحت سلطة وزارة الدولة لشئون الهند ، ولكن إذا قرر مستشارو التاج المسئولون ان مثل هذا التغيير ليس من الصالح العام فان لجنتكم توصي بوجوب اختيار اعضاء البعثة الايرانية عموماً بواسطة وزارة الخارجية ممن هم في خدمة صاحبة الجلالة في الهند ، كما يجب تخصيص مبلغ الـ ١٢ الف جنيه استرليني المخصص لنفقات البعثة من الايرادات الهندية لكي يؤخذ الجزء الاكبر من المصاريف من الايرادات الامبراطورية » .

ولم يتخذ أي إجراء على ضوء هذه التوصيات الا ما امكن تتبعه من التعيينات فيما بعد لضباط من الجيش الهندي في وظيفة ملحق عسكري في طهران او في اختيار السر مور تيمور ديوراند من سلك الخدمة المدنية الهندية ليكون وزيراً بريطانياً في ايران .

★ ★ ★

علاقات روسيا بايران ١٨٤٨ ـ ١٨٩٦

ليس في علاقات روسيا مع ايران أثناء حكم ناصر الدين شاه أية معالم بارزة جداً ، ولكن الجزء الأخير من فترة حكمه تميز بتزايد النفوذ الروسي والضغط على ايران الشمالية . وهي ضغوط تمشت مع روح التغير في تلك الازمنة فأصبحت ضغوطاً تجارية أكثر منها ضريبية . وظلت المنافسة السياسية الروسية لبريطانيا في الميدان الايراني سائدة ، بل أصبحت قوية . ولكن الوجه الذي اتخذته كان اقتصادياً في الظاهر كما ظل التفاهم الانجلو روسي لسنة ١٨٣٤ للاحتفاظ باستقلال وسلامة ايران باقياً بل اعيد تأكيده في سنة ١٨٨٨ .

غارة التركمان على اشورادا ١٨٥١

في ليلة عيد الفصح سنة ١٨٥١ قام التركمان المستقلون بغارة جريئة على المحطة البحرية الروسية لاشورادا في ناحية بحر قزوين . وبالرغم من وجود سفينة حربية واحدة على الاقل فقد اكتسحت المحطة ، وقتل

بعض الروسيين وجرح البعض وحمل الآخرون اسرى . واصر الروس على الانحاء باللائمة بسبب الحادث على حاكم مازاندران الايراني الذي كان أخاً للشاه . وفي النهاية اضطرت الحكومة الايرانية ان تستجيب الى المطلب الروسي بابعاده . وكان اذعان ايران لروسيا هو الاساس الذي بموجبه حصل الوزير الانجليزي على اتفاقية تجارة الرقيق الانجلو ايرانية التي اشير اليها من قبل في نفس السنة .

موقف ايران من حرب القرم ١٨٥٣ – ١٨٥٦

وعندما نشبت الحرب بين تركيا وروسيا سنة ١٨٥٣ استمال سفير روسيا في طهران الامير دولجروكي الشاه للالقاء بنفسه الى جانب روسيا بغزو مقاطعة ارضروم والعراق العثمانيتين. ومن الاغراءات التي زينت له ذلك فكرة امتلاكه بغداد والمدن المقدسة مثل كربلاء والنجف وغيرها من الاراضي . ويبدو أنه وعد بأن روسيا ستساعده بشيئين إما بابقاء الاقاليم التي يفتحها له ، او أن يطلب ثمناً باهظاً من المال نظير اعادتها لتركيا . وكان الاغراء الاكبر هو تنازل روسيا ، في حالة عدم اشتراك ايران في الحرب اشتراكاً فعلياً ، عن تعويضات حرب سنة ١٨٢٨ التي ما زالت مطلوبة لروسيا من ايران . او اذا لم تمض الامور شوطاً بعيداً ، فان ميزان التعويضات ينقص بمقدار يساوي ما انفقته ايران في الاستعدادات الحربية . وقد قبل الشاه الشاب هذه الاقتراحات دون الاشارة حتى الى ميرزا اغا خان « صدره الاعظم» او رئيس الوزراء الذي لم يعلمه عن ذلك النشاط الا بسبب السفير التركي في ايران الذي لاحظ ما كان يجري فهدد بمغادرة طهران ما لم تقدم له تأكيدات وافية في الحال . وفي نفس الوقت يبدو ان الشاه بعث بأوامر سرية لجمع أكثر من ٥٠,٠٠٠ من القوات في مركزين بالقرب من الحدود لتهديد ارضروم وبغداد . وكما وصف في الفصل الخاص بتاريخ العراق التركي فان العلاقات الايرانية التركية على الحدود بين المحمرة والبصرة أصبحت متوترة توتراً شديداً .

لقد كان الصدر الاعظم يتمتع بشهرة أيام قوته الاولى تسمه بأنه

ميال للانجليز ولذلك ساعدت روسيا منافسه أمير نظام لنفس السبب .
وتبدو حقيقة الرجل وكأنما كان قلبياً ضد الروس أكثر مما هو ضد
الانجليز . لذلك كرس نفسه عندما أصبح مدركاً لما يدبر بأن يتولى واجب
اقناع الشاه بالعدول عن أي ارتباط رسمي مع روسيا ، بل اقترح بأن من
الاكثر فائدة لايران ان تتحالف مع الاتحاد الذي تشكل حينئذ لمناواة
روسيا ، وهي سياسة يمكن بواسطتها الوصول الى استرداد اقليم القوقاز
الذي اغتصبته روسيا من ايران . ورفض الشاه متأثراً بهذه النصائح في
النهاية أن يستمر في المفاوضات مع روسيا . أما الامير دوبلجروكي الذي
نصح حكومته من قبل باستعداد الشاه التام للدخول في صفهم فقد وجد
نفسه في وضع حرج ومربك للغاية . وقد حاول مراراً وبعنف في
الموضوع مع الصدر الاعظم الذي كان له سوء الحظ ان ضربة بعصاه
عفواً في احدى مقابلاته فاستدعي السفير من طهران في الحال على اثر ذلك.

ولما اضطرب الشاه بعد ذلك من انباء الاستعدادات الحربية في
أوربا ادار مرة أخرى اذناً صاغية لمفاتحات روسيا له الدخول في تحالف
عدائي ضد انجلترا لكن الصدر الاعظم نجح مرة أخرى في التدخل
واستمالته لرفض أي ارتباطات تكون قد تمت .

ويبدو ان الحكومة الايرانية وجدت انه من المستحيل تقريباً الامتناع
عن الدخول الى جانب او آخر ، في صراع عظيم مثير كحرب القرم
فتقدمت ايران تعرض مساعدتها بالتالي على الحلفاء . لكنهم كانوا
راغبين عن ذلك . ونصحوا ايران بشدة ان تبقى على الحياد وهذا هو
الذي قررت في النهاية ان تفعله . ولكن هذا لم يتم الا بالحصول على نجدة
من حكومة الهند للقيام بمظاهرة بحرية في الخليج وفي شط العرب كما
وصف في الفصل الخاص بتاريخ العراق التركي .

علاقات ايران بروسيا بعد ذلك :

بعد حرب القرم اتخذت روسيا سياسة جريئة في آسيا . ويبدو أن
تقدمها المؤقت تجاه الشرق وتجاه الجنوب قد نظر اليه في ايران نظرة

مهذبة . وعلى أية حال فان اعمال ايران حوالي سنة ١٨٨٩ على السواحل الشرقية لبحر قزوين اثارت مسألة الحدود الروسية الايرانية في تلك المنطقة ، ومنذ ذلك الحين اخذت ايران مرة أخرى جانب الحذر في معاملاتها مع جارتها الشمالية .

الحظر الذي فرضته روسيا على انشاء السكك الحديدية في ايران ١٨٨٩ - ١٨٩٠

وما دمنا بصدد توضيح موقف روسيا في المسائل التجارية أثناء الفترة الاخيرة من حكم ناصر الدين شاه ، فانه يمكن التعرض لبعض الاعمال التي اتخذتها فيما يتعلق بانشاء السكك الحديدية في ايران . ففي ١٨ سبتمبر ١٨٨٧ حمل الوزير الروسي في طهران الشاه على توقيع اتفاق يقيد فيه نفسه بألا يعطي حق انشاء أية سكة حديدية او أي طريق مائي في ايران الى شركة أجنبية دون استشارة مسبقة لامبراطورية روسيا . وقد تم اغتصاب هذا الارتباط بالتهديد بأنه في حالة فتح امتياز دون استشارة روسيا فان القيصر ربما ينسحب من موقفه كضامن لسلامة ايران . ومن الواضح ان هذا الاتفاق كان موجهاً ضد المشروع البريطاني للسكة الحديدية من الاهواز الى طهران ، وكقصاص لفتح نهر قارون الاسفل للملاحة في اكتوبر سنة ١٨٨٨ ، وهو ما اعتبر نجاحاً لبريطانيا ، ولذلك فان الوزير الروسي في طهران في مارس سنة ١٨٨٩ حصل من الشاه على موافقة خطية بأن يعطي لشركة روسية غير معينة الحق في العطاء لاي مشروع سكة حديد في ايران يمكن ان يتقرر في خلال خمس السنوات التالية . وفي أثناء هذه الفترة لا تمنح شركة أجنبية تصريحاً بانشاء سكك حديدية . وحوالي نفس الوقت كما ذكر من قبل فان بريطانيا حصلت على الأولوية في إنشاء السكك الحديدية في جنوب ايران . وفي نوفمبر سنة ١٨٩٠ استبدل الاتفاق باتفاق آخر يمنع انشاء كل السكك الحديدية في ايران مع استثناء تافه طيلة عشر السنوات التالية . وفي هذا الاتفاق عولجت المسألة على انها مسألة خاصة بين روسيا وايران .

وباستثناء خط بلجيكي طوله ستة أميال افتتح في يوليه سنة ١٨٨٨

يربط طهران مع الشاه عبد العظيم ، لم تنشأ سكة حديد في ايران حتى ذلك الوقت . ولا يمكن تقدير أهمية تلك المناورات التي قامت بها روسيا والاجراءات المضادة التي اتخذتها انجلترا بطريقة صحيحة ، ولكن الحقائق توضح ان روسيا قد تعاظمتها الاساليب التجارية التي ادخلت في الصراع على النفوذ كما حدث بامتياز رويتر سنة ١٨٧٢ ، كما أنها أحست بأن العرقلة هي أعظم سياسة تؤدي الى الاحتفاظ بهيبتها .

★ ★ ★

علاقة فرنسا والدول الاوربية الاخرى بايران ١٨٤٨ ــ ١٨٩٦

فــرنســا

لقد غادر معظم ضباط محمد شاه الفرنسيين ايران حوالي سنة ١٨٥٠ كما ذكر من قبل ، وظهرت هيئة بعد ذلك من المدربين الحربيين الفرنسيين في ايران سنة ١٨٥٩ وبقيت حتى سنة ١٨٦١ فقط . وفي سنة ١٨٥٥ عقدت معاهدة صداقة وتجارة دائمة بين ايران وفرنسا ، وكان ما حصل أنه باستثناء مشروعات هندسية وتجارية تافهة معينة في عربستان لم تتوفر الا دلائل بسيطة على نشاط فرنسا واهتمامها بايران حتى سنة ١٨٩٥ وهي السنة التي حصلت فيها الحكومة الفرنسية على حق دائم مطلق للبحث عن اشياء أثرية هامة في جميع أنحاء ايران .

دول اوروبية أخرى

وقد عقدت معاهدات تجارة وصداقة وملاحة في تواريخ مختلفة في الفترة ما بين سنة ١٨٥٦ وسنة ١٨٧٣ بين ايران والولايات المتحدة الامريكية والنمسا وهنغاريا وهولندا وبلجيكا والسويد والنرويج والدانيمارك وايطاليا واسبانيا(١) والمانيا وسويسرا . ولم تكن واحدة من

(١) كانت توجد معاهدة قديمة للتجارة ١٨٤٢ بين ايران واسبانيا .

هذه ذات مغزى سياسي او تدل على وجود مصالح هامة في ايران من جانب هذه الدول التي ذكرت .

★ ★ ★

علاقات ايران وتركيا ١٨٤٨ ـ ١٨٩٦

مسألة الحدود الايرانية التركية ١٨٤٨ – ١٨٥٢

لم تتوقف العلاقات السياسية بين ايران وتركيا أثناء حكم ناصر الدين شاه لاهميتها لكل من الدولتين . وكانت كالعادة علاقات جارتين قريبتين وغير ودية على وجه العموم .

أما مسألة حدودهما المشتركة ، وان كانت قد سويت أصلا بمقتضى معاهدة ارضروم الثانية سنة ١٨٤٧ ، لكن النزاع استمر بسببها ساخناً حادّاً لعدة سنوات ولم يمكن التوصل فيه الى تسوية نهائية . ومن الاعمال التي لها علاقة هنا والتي ذكرت أخيراً في الفصل الخاص بتاريخ العراق التركي كانت أعمال لجنة تافهة لتخطيط الحدود تشمل ممثلين بريطانيين وروس وهي التي ظلت تتعثر في البقاء من سنة ١٨٤٨ حتى سنة ١٨٥٢ تلك الفترة التي في أثنائها تملك الاتراك دون مبرر «قطور» بوضع اليد .

وضع الرعايا الايرانيين والقنصل في تركيا ١٨٤٨ – ١٨٥٢

لم تصلح معاهدة ارضروم من شأن مجموعة الرعايا الايرانيين في تركيا ممن اسيئت معاملتهم ، وبلغت هذه ةالاساءة ذروتها حوالي سنة ١٨٤٨ . وفي سنة ١٨٤٩ بدا أن الحكومة التركية لم تلتفت الى مطالبة ايران بحقوق القنصل لزيادة دائرة اختصاصاته الاقليمية .

السفارة التركية في طهران ١٨٥١ – ١٨٥٣

في وقت متأخر من سنة ١٨٥١ كانت تركيا هي الدولة الوحيدة الى جانب بريطانيا وروسيا التي تحتفظ بممثل لها في طهران . وفي سنة ١٨٥٢ عند وصول احمد وفيق افندي انشغل في نزاع مع السلطات الايرانية

بشأن رفع العلم العثماني على محل اقامته أسوة بما يفعله زملاؤه البريطانيون والروس .

زيارة الشاه للعراق التركي ١٨٧٠ – ١٨٧١ ومسألة الحدود ومشاكلها ١٨٦٩ – ١٨٧٦

ولقد ساهمت الاعتداءات الرسمية على الحدود ، والاساءات التي قامت بها القبائل هناك في تعكير صفو العلاقات المشتركة ، ووقعت اتفاقية ايرانية في سنة ١٨٦٩ للمحافظة على الحالة الراهنة ولكنها اثبتت عدم جدواها . وقد خففت زيارة الشاه للعراق التركي تخفيفاً وقتياً حدة الاحتكاك (١٨٧٠–١٨٧١) بين الدولتين ولكنه تجدد في الحال عند رحيله برفض الحكومة الايرانية تسليم عصابة من الخارجين على القانون الهاناواند الذين جعلوا من ايران قاعدة للاغارة على الاراضي التركية . وقامت المتاعب بسبب الارض المتزرعة على الحدود عند الأجزاء المتاخمة لبوشي كوه (جبل بوشتي) . واجتمعت لجان مشتركة لتخطيط الحدود في القسطنطينية سنة ١٨٧٤–٧٥ ، وسنة ١٨٧٥–٧٦ ، وفي الاجتماع الثاني منها مثلت بريطانيا وروسيا ، ولكن النتائج التي تم الوصول اليها كانت قليلة قلة ملحوظة .

تسوية وضع القناصل والرعايا الايرانيين في تركيا ١٨٧٥

وفي نفس الوقت امكن التخلص من المشكلات الصعبة الخاصة بسلطات الموظفين القناصل وحصانة الرعايا الايرانيين في تركيا بمعاهدة بين ايران وتركيا تاريخها ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٧٥ . وحدث شعور قوى بسبب هذه النقاط هدد بمنع مقابلة شخصية بين الشاه وسلطان القسطنطينية سنة ١٨٧٣ ، ولكن تمت تسوية في الوقت المناسب بتضافر جهود السفيرين البريطاني والروسي في تركيا .

العداوات التهديدية بين ايران وتركيا ١٨٧٧

في سنة ١٨٧٧ كما ذكر في الفصل الخاص بتاريخ العراق التركي وعندما كان النزاع قائماً بين ايران وتركيا بخصوص جزيرة شلاح في

شط العرب علاوة على الخلافات الاخرى ، وعندما كانت الحرب تزداد استعاراً بين تركيا وروسيا ، أظهرت ايران استعداداً لمساعدة روسيا ضد تركيا . وجمعت قوة ايرانية من حوالي الف رجل مع مائتي حصان في المحمرة ولكن حكومة الشاه قررت في النهاية ان تبقى على الحياد .

تنظيمات خاصة بنقل جثث الايرانيين الى العراق التركي ١٨٧٠–١٨٧٨

وفي سنة ١٨٧٨ أمكن الوصول الى اتفاق بين الحكومتين الايرانية والتركية حول شروط نقل الجثث من ايران الى العراق التركي لدفنها في المدن المقدسة . وقد اكملت او حلت محل اتفاقية قديمة للموضوع كانت وقعت في بغداد سنة ١٨٧٠ . ومن الواضح أن ذلك كان بمناسبة زيارة مدحت باشا والي بغداد للشاه وميرزا حسين خان السفير الايراني في تركيا .

مشكلات الحدود ١٨٨٠ – ١٨٨٩

في سنة ١٨٨٠ أغار الشيخ عبيد هو الله وهو زعيم كردي من رعايا الاتراك على أقضية في ايران على رأس قوة كبيرة . وكان يعتقد أن هذا لم يتم دون تشجيع من الرسميين الاتراك . وعم ذعر في طهران . وعلى أية حال فقد فشل الهجوم نفسه . وفي سنة ١٨٨١ نفي القائد من موطنه الى القسطنطينية بناء على احتجاجات حكومات اوربية مختلفة . وفي سنة ١٨٨٩ حدثت متاعب على الحدود الايرانية التركية بالقرب من خانقين .

★ ★ ★

علاقات ايران مع الدول الاخرى في الخليج
١٨٤٨ – ١٨٩٦

اتصال حكام عمان مع بندر عباس وقشم الخ ١٨٤٨ – ١٨٦٨

في جزء سابق من هذا الفصل تبين لنا كيف ثار خلاف في سنة ١٨٢٠ ما بين آراء شاه ايران وبين السيد حاكم عمان حول الاستيلاء على بندر عباس وتوابعها بما فيها قشم . وسنجد في الفصل الخاص بتاريخ سلطنة

عمان رواية من وجهة النظر العمانية عن صفقات بين الدولتين بشأن تلك الاقاليم . وهنا يكفي ان نذكر أجزاء القضية التي لها اتصال وثيق بحكومة ايران .

١٨٥٦

لقد قوت المعاهدة الايرانية العمانية في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٥٦ حجة ايران في بندر عباس لانها قوضت أسس المطالبة بسيادة للسيد حاكم عمان عليها . ولم تحدد المعاهدة بصفة واضحة توابع بندر عباس ولكنها عينت اقليم شميل وميناب وجزيرتي قشم وهرمز بأنها مرتبطة معها .. وسلمت بأن جميع هذه الأقاليم تكون جزءاً متمماً لاقليم فارس الايراني .. وأضيفت شروط عديدة بشأن العائدات وغيرها مما تحدد مركزاً لحاكم عمان في بندر عباس من ذلك الحين فصاعداً لا تختلف عن مركز أي صاحب التزام تحت التاج الايراني . وكانت تلك الشروط تعرض حاكم بندر عباس المعين من حاكم عمان للإبعاد لمجرد شكوى من الحاكم العام لفارس ، ناهيك عما نصت عليه الشروط الاخرى كعدم اقامة تحصينات جديدة في مدينة بندر عباس ، واظهار اعظم التشريفات في حالة زيارة حاكم فارس العام لبندر عباس ، ورفع العلم الايراني في جميع المناسبات وتقديم المساعدات الضرورية للحملات الايرانية الحربية ، وتسليم الفارين من العائلة من ايران الى السلطات الايرانية .

ومما هو جدير بالذكر أن احد الانذارات النهائية المقدمة من بريطانيا لايران سنة ١٨٥٦ قبل الحرب الانجلو-ايرانية تضمن منح حق إيجار بندر عباس للسيد حاكم عمان . وكان هذا ضمن المطالب البريطانية ولكن الموضوع لم يجد له مجالا في معاهدة السلام لسنة ١٨٥٧ ، حين سوت ايران وعمان امورهما في مفاوضات مباشرة سنة ١٨٦٨ . لقد كان شروط اتفاق سنة ١٨٦٨ الذي منحت ايران بناء على نصيحة بريطانيا بموجبه عمان ايجاراً جديداً لبندر عباس وتوابعها أكثر عنفاً من شروط معاهدة سنة ١٨٥٦ في تأكيد السيادة الايرانية على تلك الاقاليم والجزر .. وكانت المواقع التي شملها عقد الاجارة الجديدة هي بالنص : بندر

عباس أي المدينة المسماة بهذا الاسم ، ومقاطعة شميل التي ورد فيها اسما نازيان وعيسين منفصلين وهما الآن داخلان في الاتفاق ، وأقاليم ميناب وبيابان وجزر قشم وهرمز ، وجزء من خمير وهو الآن اقليم بستك . وكان المطلوب من حاكم بندر عباس المعين من قبل السلطان أن يبعث باشعار خطي بخضوعه للحكومة الايرانية . واشترط ابقاء الخندق المحيط بحصن بندر عباس ممتلئاً بالماء دائماً ، وكذلك رفع العلم الايراني في بندر عباس وحراسته بأشخاص عديدين . كما نص على السماح لكاتب جوازات سفر ايراني بالتواجد هناك واطلاق المدافع تحية في عيد ميلاد الشاه ، ووجوب معاملة الافراد الذين في خدمة الشاه في بندر عباس معاملة حسنة بدلاً من الاساءة اليهم . وكان على الحاكم المعين من السلطان الا يتدخل في الامكنة التي لم تذكر في الايجار حتى ولو كانت تحت حكم مسقط سابقاً ، وعليه ان يستقبل حاكم فارس العام وحاكم لورستان بكل دلائل الشرف والاحترام عند زيارتهما بندر عباس للتسلية او الرياضة ، وعليه ان يزود بالمرشدين والمؤن القوات التي يمكن ان يرسلها حاكم فارس العام وكرمان تجاه مكران وبلوخستان ، وكان لا بد من تغيير في الحال اذا لم يقترن عمل من أعماله بموافقة حاكم فارس العام وكان عليه اعادة أي لاجيء من لار او فارس الى الحكومة الايرانية ويجب استثناء ضباط(١) الدول الاجنبية من احكام الاقاليم المستأجرة . وكان على سلطان عمان ان ينظم عملية الدفاع عن الموانئ وان يمنع « أي تطفل على او تدخل في شئون الغرباء سواء بحجة ودية او خلاف ذلك » . والا يسمح لسفينة اجنبية بالاستفادة من المراسي . ويجب على السلطان الا يؤجر من الباطن أي جزء لاية حكومة أخرى ، ويجب فرض الرسوم على البضائع في بندر عباس طبقاً للمعيار السابق لا بمعدلات مسقط.

وفي أقل من شهرين بعد تنفيذ الميثاق انهى العمل به وبإجارة بندر عباس بسبب تغيير السلاطين في مسقط ولم يمنح ايجار آخر بعد ذلك . وكانت تلك نهاية ذلك الارتباط القديم العهد بين مسقط وبندر عباس .

---

(١) رأت حكومة الهند الا تحتج على أى جزء من هذه المادة ، حيث ان حقوقها بموجب المعاهدة مع ايران تحول دون أى ضرر منها على الحكومة البريطانية أو الرعايا البريطانيين .

الاجراءات الايرانية فيما يختص بالبحرين ١٨٤٨–١٨٨٨

وكانت الاجراءات التي تتخذها الحكومة الايرانية من حين لآخر تشير الى انها تضمر المطالبة بجزر البحرين ، وهي مفصلة بالكامل في الفصل الخاص بتاريخ البحرين .

١٨٥٩

ففي سنة ١٨٥٩ عندما تعرضت البحرين لتهديد الوهابيين ، تجاهل شيخ البحرين علاقاته الوثيقة بالحكومة البريطانية ، ولجأ الى شاه ايران وسلطان تركيا للحماية . وكانت النتيجة الوحيدة لرجائه هي وصول وكيل ايراني الى البحرين ، وهو الذي رفع العلم الايراني وأعلن السيادة الايرانية ، ولكن هذا النجاح كان قصير الاجل .

١٨٦٩

وفي سنة ١٨٦٩ قدمت ايران احتجاجاً ضد الاجراء العنيف الذي اتخذته الحكومة البريطانية في البحرين ، لا سيما وانه لم يوجه اشعار سابق لايران بصدد ذلك . ورداً على هذا تطوعت حكومة بريطانيا بتلميح تجاهل الاعتراف بادعاءات ايران في السيادة وتعهدت بريطانيا بموجبه ان تخطر الحكومة الايرانية تماماً بأية اجراءات تأديبية قد تجد ضرورة لاتخاذها مجدداً في البحرين . وفعلا قد أكرهت الاضطرابات المتجددة السلطات البريطانية مرة أخرى على التدخل بالقوة في البحرين قبل نهاية العام ، واحيطت حكومة الشاه علماً فلم تعترض على الاجراءات ، ولكنها احتجت ضد التدخل مع المبعوث الايراني في خلال فترة تنفيذ الاجراءات المذكورة .

١٨٨٦

وفي سنة ١٨٨٦ وضمن محادثة للشاه مع الوزير البريطاني في طهران طالب الشاه بالسيادة على البحرين ، واستشهد بالتأكيد الذي أعطته الحكومة البريطانية سنة ١٨٦٩ كاعتراف بتلك السيادة ولكنه لم يلح في الامر ولم يصدر بيان من حكومة صاحبة الجلالة ضد تلك المطالبة .

ووقع دليل بعد ذلك في يد السلطات البريطانية ، على موافقة رئيس الوزارة الايرانية سنة ١٨٨٧ على مشروع لاستيلاء شيخ قطر على البحرين وهو استيلاء كان سيتم لصالح الايرانيين ، ولكن الامر عند ذلك لم يصل الى درجة التنفيذ الفعلي .

الدسائس الايرانية في عمان المتصالحة ١٨٧٧ — ١٨٨٨

وفي سنة ١٨٨٧—١٨٨٨ ومن اجل ايجاد سيادة ايرانية على عمان المتصالحة ، قدم المعتمد الايراني(١) الحاج أحمد خان عروضاً لشيوخ ابو ظبي ودبي وام القوين كانت كلها على ما يبدو خاصة بخطة البحرين لسنة ١٨٨٧ لكنها لم تفض لاية نتيجة . وانكرت الحكومة الايرانية تصرفات مبعوثها التي سنجد تفصيلا لها في الفصل الخاص بتاريخ عمان المتصالح .

اعتداءات على الساحل الايراني على مركب من الجانب العربي والاخذ بالثأر ١٨٩٢ — ١٨٩٣

لا يمكن بعد سنة ١٨٨٨ ان نتعقب علاقات سياسية او اتصالات بين الحكومة الايرانية وامارات الخليج العربية المستقلة ، ولكن يبدو في ١٨٩٢—١٨٩٣ أن حرباً صغيرة وقعت بين السكان في قرى الساحل الايراني وموانى الساحل العربي المواجهة . ففي يونيه سنة ١٨٩٢ نهب اشخاص مسلحون من تنين قارباً ايرانياً في شيبكوه ، وقيل إنه نهب نقد وبضائع قيمتها ٨٨٠ روبية . وفي اغسطس التالي تم هجوم متعمد على قرية كاشكونار في وادي جاناندى من قبل أهالي آل بو فخرو وهم الهوله الذين هاجروا سابقاً الى قطر وقتل سبعة من الكشكناريين ونهبت ثروة تقدر بسبعة آلاف كران . ومما يذكر ان كاشكونار مرتبطة ارتباطاً

(١) هذا الرجل كان مخاطرا فقيرا وكان له أمل فى أن يستفيد من دفع المشروع المقترح لرجال الحكم الايرانى فى الخليج وتصرفه فى لنجة سنلاحظه بعد ذلك فى هذا الفصل •

وثيقاً بتبن كما ترتبط قطر بالبجرين . وقد ثأر شعب كاشكونار بعد ذلك بالاستيلاء على ثلاثة مراكب قطرية ، وبناء على ذلك اشتكى شيخ قطر للمعتمد البريطاني في الخليج ، ولكنه أخطر بأنه اذا لم يمنع رعاياه من ارتكاب المخالفات فيجب ان يتوقع انهم سيقاسون من الثأر . وعلى أية حال ففي سنة ۱۸۹۲ ، هوجم مركب من جازه على الساحل الايراني بالقرب من الوكرة في قطر ، وقتل كثيرون من البحارة ، ونهبت مرة أخرى مراكب تابعة للبحرين او أسرت على يد سكان البساتين في أبريل سنة ۱۸۹۳ . وكرر شعب بستانو مثل ذلك الحادث في سبتمبر التالي ، وهم ينتمون الى قرى في وادي جاباندي . ولا يبدو ان الحكومة الايرانية قدمت تعويضاً في أية حالة من الحالات المذكورة التي كانت تتغاضى بسرور عنها .

لقد سرت روح للتمرد على القانون على الساحل الايراني في ذلك الوقت ، لانه في نهاية عام ۱۸۹۲ او بداية سنة ۱۸۹۳ هوجم مركب من رأس الخيمة عند جزيرة خارج وأخذ اللصوص عبداً منه ، بينما عوملت سفينة أخرى من رأس الخيمة على يد نائب حاكم بندر عباس بطريقة تصل حد الجريمة .

* * *

التاريخ العام والاداري والداخلي للساحل الايراني وجزره ۱۸٤۸ ـ ۱۸۷۲ وتاريخها العام ۱۸۷۲ ـ ۱۸۹٦

مشكلات الشيخ نصر الثالث كحاكم لبوشهر ۱۸٤۹

لقد رأينا ان الشيخ نصر الثالث رأس العائلة الحاكمة القديمة لبوشهر قد اعيد تعيينه لحكومة تلك المدينة وتوابعها سنة ۱۸٤٥ بعد سلسلة من حظوظه المتقلبة . اذ انه بعد مشكلاته السابقة مع باقر خان انقض عليه زعيم تانجستان بشدة وعنف . فقد هاجم التانجستانيون البر الرئيسي واحتلوا

تل الصياح واغاروا على اقليم روض الحلة فنهبوا دواب وثروات الاهالي واعدموا غدراً شيخ الاحمدي الذي دمروا قريته فيما بعد ثم قاسوا عندها هزيمة شديدة افقدتهم خمسين من احسن رجالهم . ان هذه الاحوال المريرة التي عطلت تجارة بوشهر ، واعجزت الشيخ عن تحصيل دخل المناطق البعيدة المنعزلة ، قد سببت له ارتباكاً مالياً خاصة وانه كان مضطراً للاحتفاظ بحامية كبيرة للدفاع عن المدينة ولأنه كان يوجد في شيراز المجاورة لصاحب السعادة الملكية باجرام ميرزا حاكم فارس العام ، اناس كانوا مستعدين لانتهاز فرصة مشاكل الشيخ ، ان لم يكونوا هم خلقوا المشاكل باغراء من باقر خان للهجوم على الشيخ . وكان العدو الرئيسي للشيخ ناصر في شيراز هو محمد علي خان المعروف بنظام الملك الذي كان لاسباب مختلفة يظن بأن الشيخ على اتصال وثيق بالحاج قوام قلنطار شيراز واقوى شخص متنفذ عندئذ في جنوبي ايران . ويلاحظ أن «قوام» هو ابن الحاج ابراهيم ، الوزير الذي بانسحابه من قضية الزند سهل كثيراً تأسيس عائلة الكاجار في إيران .

محاولة اسقاط الشيخ ناصر من حكومة بوشهر اكتوبر ١٨٤٩

لكل تلك الظروف لم يكن عجباً وصول مبعوث من حكومة فارس في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٤٩ الى بوشهر مكلف بابعاد الشيخ ناصر . وكان ذلك المبعوث هو محمد هاشم خان ابن اخت الحاج قوام ، وكانت خطوته الاولى هي عقد اجتماع في المعتمدية البريطانية مع العقيد هينل المعتمد البريطاني حيث ابلغه بأنه عهد اليه بدعوة الشيخ نصر للذهاب الى شيراز لتسوية حساباته المتأخرة كثيراً ، وان يمهد الطريق لميرزا مهدي خان الذي بعد ان حصل أخوه «نظام الملك» على منحة بوشهر والاقاليم المجاورة لها عينه ليمثله محلياً . وسلم محمد هاشم خان خطاباً للمعتمد من الحاكم العام لنفس الغرض ، ويبدو أنه كان يأمل من المعتمد ان يتطوع بالحيلولة دون هرب الشيخ نصر بحراً ، ولكن لا داعي للقول بأن المعتمد خيب أمله . وزار المبعوث الايراني حينئذ الشيخ نصر ليقدم اوراق اعتماده . وقام الشيخ في نفس اليوم بزيارة العقيد هينل بصحبه فقط الشيخ محمد شيخ دوماخ غرب

شاه كوتاه ليطلب النصيحة . وقد نُصِح شيخ الدوماخ الذي سمع بأن باقر خان في التنجستان سيتحد عند بوشهر مع ميرزا مهدي خان كمستشار له ، نُصِح بالمقاومة ثم الالتجاء الى الهرب كحل أخير ، بينما قال الشيخ نصر انه في اول الامر سيناشد الحاكم العام أن يحكم بالعدل ، فاذا لم ينجح فانه سيقاوم او يهرب على حسب ما تمليه الظروف .. ونصح العقيد هينل الشيخ نصر بأن يتجنب الاجراءات المتطرفة وان يستجيب لامر الاستدعاء الى شيراز ، وهي نصيحة يبدو ان الشيخ مانع في قبولها خوفاً من قوة منافسة نظام الملك في الرئاسة ، وهي النصيحة التي وصفتها حكومة بومباي بعد ذلك بأنها كانت غير حكيمة الى حد ما بالنسبة للنتائج التي كان يمكن ان تحدث في حالة قبولها .

وفي النهاية حل الشيخ نصر المشكلة بوضع محمد هاشم ومرافقيه في قارب مساء ١٤ اكتوبر وارسالهم الى شيف . حيث انزلوا الى البر المواجه ليفعلوا ما يستطيعون بالمشي حتى شيراز .

ابعاد الشيخ نصر عن حكومة بوشهر وثورة الشيخ حسين ١٨٥٠

لكن هذه الوسيلة كانت عديمة النفع على أية حال .. الا باعتبارها وسيلة لكسب الوقت . وفي النهاية اقتنع الشيخ نصر بزيارة شيراز حيث ارسل اسيراً الى طهران ، وعندئذ عين صاحب السعادة الملكية فيروز ميرزا حاكم فارس(١) العام ، ابن الحاج «قوام» من شيراز لحكومة بوشهر ، ولكن في اكتوبر سنة ١٨٥٠ قام الشيخ حسين عم الشيخ نصر الذي اغتصب امتلاك بوشهر من قبل سنة ١٨٣٩ ، قام واخذ على عاتقه ادارة المكان وتد استطاع لفترة قصيرة ان يحتفظ بها ، وقد وصف رحالة بريطاني الشيخ حسين بأنه لم يكف عن الاعتراف باخلاصه لطهران وإن تحدى اوامر شيراز الشرعية متفاهماً في ذات الوقت تفاهماً حسناً

---

(١) الامير فيروز ميرزا هو الذى خلف الامير بهرام ميرزا فى شيراز حوالى بداية سنة ١٨٥٠ ، وكان عم الشاه ، وكان عمره فى ذلك الوقت حوالى ٣٠ سنة • وكان حاكما قويا نشيطا ، وبخاصة فى علاجه للجريمة • وكان عادة محترما بالرغم من بخله وحبه الشديد للمال•

مع المعتمد البريطاني . وكان الرحالة البريطاني رآه عندئذ فوصفه بأنه رجل متوسط العمر حسن معتدل ، مهذب في مظهره لطيف النكتة في حديثه ، ولكنه شجاع ونشيط في تصرفه ومشهور بأنه خائن قاس خيانة يندر وجودها حتى في ايران .. وكان اتباعه الشخصيون الذي استطاع الاعتماد عليهم وحدهم في الازمات يتكونون من حوالي ٣٠٠ رجل من الرعاع مسلحين تسليحاً كاملا ، لكن قلة عددهم كانت بحيث لا يستطيعون مقاومة اية قوة ايرانية من شيراز مثل تلك التي تقرر ارسالها ضدهم حين كانت المدينة في حالة رعب . فقد هرب حوالي ⁴⁄₅ السكان الى الارض الايرانية نفسها والى جزيرة خارج والبصرة وامكنة اخرى . واما الذين بقوا من السكان فكانوا يتصنعون الفقر من جهة ، ليتهربوا من ابتزاز الشيخ حسين للمال بلا رحمة ، ومن جهة اخرى فانهم كانوا يتطلعون الى امكان وصول حاكم ايراني .

وكان السبب الذي بينته السلطات الايرانية علناً لتنحية الشيخ نصر هو عجزه الكبير عن دفع الضرائب للخزانة في أثناء العامين السابقين . وهذه الحقيقة لا يمكن انكارها ، وان كان ذلك راجعاً معظمه الى ظروف خارجة عن ارادة الشيخ . وطبقاً لرأي الممثل البريطاني في بوشهر فان إبعاد الشيخ نصر لم يكن معزواً الى مودته وصلته بالمعتمدية البريطانية ، ولكن العقيد هينل اعتقد ان امير نظام رئيس الوزراء حينئذ استنتج انه من الافضل لايران وضع حكومة بوشهر في أيدي موظفين ليست لهم صداقة تقليدية مع البريطانيين ، فانهم يظلون أكثر خضوعاً لنفوذ الحكومة الايرانية من شيوخ بوشهر الذين كان لا يحتمل أن يصبحوا كذلك .

وقبل مضي وقت طويل ، نجحت سلطات شيراز في تنصيب الشخص الذي عينوه في بوشهر ، وهو ابن الحاج قوام تحت لقب « داريا بيجي » او « الاميرال الأعلى » ، وهو لقب غير مناسب لموظف لا علاقة له بالقوة البحرية . ومنذ ذلك الحين أسبغ هذا اللقب غير مرة واحدة على ممثل حكومة الشاه في بوشهر .

وفيما قبل ، اثناء ادارة « صاحب السعادة الملكية بهرام ميرزا » في شيراز عين شخص يدعى عيسى خان لبوشهر بدرجة « داريا بيجي » وربما كان هذا هو الحاكم الفعلي الذي اقيم في ذلك الوقت ، وهو رجل صغير السن شاحب ، مريض لا تدل ملامحه على أي مظهر من مظاهر الذكاء او المواهب .

وعند مجيء « الداريا بيجي » انسحب الشيخ حسين الى جزيرة خارج حيث قام هو وأتباعه بالطغيان الشديد على الأهالي ، وارسل الداريا بيجي من جانبه الى خارج رسلاً ، وبعد ان اقسموا على القرآن باخلاصهم للشيخ حسين دخلوا في خدمته ، ثم حاولوا حينئذ القبض عليه . ولكن الشيخ هرب الى شط العرب تاركاً وراءه مدفعه ومخازنه الحربية التي وقعت في ايدي الايرانيين . وفي يناير سنة ١٨٥٢ تلقى الداريا بيجي خلعة شرف كمكافأة له على نجاحه في خارج واطلقت المدافع تحيه له ، وامر سكان بوشهر ان يزينوا منازلهم تكريماً لهذه المناسبة السعيدة .

وكانت النتيجة المباشرة لاقامة ادارة منتظمة في بوشهر شيئاً رائعاً حيث كف التانجستانيون عن اثارة المشكلات وعاد أهالي بوشهر الى منازلهم ، وبدأت التجارة تنتعش ولم يستعد شيوخ بوشهر مكانتهم أبداً كحكام ، ولم يرو لنا التاريخ ما حل بالشيخين نصر وحسين .

الكوليرا في بوشهر اغسطس — اكتوبر ١٨٥١

وفي خريف سنة ١٨٥١ ظهر في بوشهر وباء الكوليرا الذي كان يهددها بقسوة اول الامر . وعندما ظهر الوباء في اغسطس كان عدد الموتى يومياً حوالي ثلاثين شخصاً ، ولكنه اختفى في اكتوبر بعد ان تسبب في إهلاك حوالي خمسمائة فقط .

المجاعة في ايران الجنوبية ١٨٧٠ — ١٨٧٢

وانتشرت في ايران مجاعة من منتصف سنة ١٨٧٠ الى منتصف سنة ١٨٧٢ ، وهي التي سببت ألماً شديداً ووفيات جمة لا سيما في الاقاليم الجنوبية . وانتشر أهالي فارس في جميع الانحاء وتدفق عدد ضخم الى

بوشهر صفر الوجوه متورمي الأقدام ناحلين وقد سقط بعضهم موتى عند وصولهم للمدينة بينما سقط آخرون في الطريق وهم قادمون من شيراز .
وظهرت الكوليرا في بوشهر في فبراير سنة ١٨٧١ ، فزادت الحالة سوءً وقد أثرت الاجراءات التي اتخذت عن طريق السلطات البريطانية في بوشهر لمنع خروج الغلال من الاقليم وتنظيم مكافحه المجاعة في العلاقات مع إيران كما سيرد تفصيل ذلك .

الاهتمام الذي أظهره الشاه وحكومة ايران المركزية بالساحل الايراني وجزره ١٨٤٧ – ١٨٩١

وقبل الانتقال الى التاريخ الداخلي والاداري لمناطق الساحل الايراني وجزره بعد سنة ١٨٧٢ ، نلاحظ ظهور اشارات على اهتمام الشاه والحكومة المركزية بذلك الجزء من املاكهم .

ففي سنة ١٨٧٤ بموجب اوامر من طهران ، انشيء « صندوق العدالة» في بوشهر وسمح للناس من جميع الطبقات ممن لهم مظالم ان يضعوا فيه عرائض لنقلها مباشرة الى الشاه. وبسببه الغيت الاتاوة الملكية المفروضة على الفواكه والخضروات حتى ذلك الوقت .

ونظم بريد اسبوعي بين بوشهر وطهران في سنة ١٨٧٧ ، كما سيذكر في الملحق الخاص بالمواصلات البريدية . وفي سنة ١٨٧٨ أوقف نظام عربة المراسلات العامة على ذلك الخط حسب ترتيبات السلطات البريطانية . وفي سنة ١٨٧٩ ذكر ان هذه الخدمة المحلية كانت موضع اعجاب . وفي السنة الاخيرة امر بعمل إحصاء للسكان في اقليم فارس متضمناً معظم الإقاليم التي على الساحل الايراني ، واصبح معروفاً حينئذ الى أي حد نجحت تلك العملية .

وفي سنة ١٨٨٥ عملت الترتيبات لقيام الشاه بزيارة فارس ، ولكن نقص الطعام نتيجة للمشكلة الخاصة بتموين المخيم الملكي سببت الغاء المشروع في ذلك الوقت .

ثم وزع منشور صاحب الجلالة لسنة ١٨٨٨ عن حقوق وحريات الرعايا الايرانيين في مناطق الخليج ، كما نشر في أجزاء أخرى من الامبراطورية . وقد اعلن المعتمد البريطاني في بوشهر في تعليقه عليه « إن تأثيرات هذا الاجراء لم تصبح محسوسة بعد . ولكن بسبب التشابك المتزايد مع الاوربيين وتبادل الآراء معهم ، فان أفهام الناس نسبياً تقدمت وما هذا الاعلان الملكي الاعلامة على ما طرأ من تحسن وتقدم قد يؤتيان ثمارهما فيما بعد .

وفي نهاية سنة ١٨٩١ فكر الشاه مرة أخرى في رحلة الى فارس ، وكان هذا الاجراء يتفق كلية مع مشاعر صاحب الجلالة الانسانية من أجل مصلحة رعاياه ومع ولعه بالاسفار . ولكن مرة أخرى كانت قلة المحاصيل سبباً في التأجيل . ولم تتم الرحلة ابداً .

سياسة ناصر الدين شاه البحرية في الخليج ١٨٨٥ — ١٨٨٨

وهناك امر يستحق الملاحظة على حدة ، وهو بروز فكرة ناصر الدين شاه بين حين وآخر في طموحه لامتلاك قوة بحرية في الخليج . وحوالي عام ١٨٦٥ اقترح الشاه الحصول على ثلاث او اربع سفن مسلحة يقودها ضباط بحريون بريطانيون مزودون بأفراد من العرب او الهنود ، ليقوموا بواجبات الشرطة البحرية في المياه الايرانية على الاقل . ولكن هذا المشروع الذي كان يهدف الى تحقيق مطامع فارس في البحرين لقي مقاومة من الحكومة البريطانية فانتهى الى لا شيء .

ويبدو انه اقترح على الشاه بعد ذلك بخمسة عشر عاماً بأنه لو تمت مراقبة الساحل الايراني ووضعت سائر الموانىء تحت اشراف فعال فان النتيجة ستكون عظيمة من ناحية زيادة رسوم الجمارك . وبهذه الفكرة تقرر في سنة ١٨٨٣ وجوب حصول الحكومة الايرانية على السفن بمعدل سفينة واحدة سنوياً . وهكذا بالتدريج يمكن بناء اسطول صغير به سفن رادعة يمكن الاستفادة منها في اغراض أخرى أيضاً . وقدمت مناقصات في بريطانيا والمانيا . وفي النهاية تم التعاقد مع شركة المانية في برمن هافت لبناء سفينتين كبراهما تسمى برسيبوليس . وقد انتهى صنعها في يناير

سنة ١٨٨٥ ، ووصلت الى بوشهر في مايو تحت رعاية ضباط ألمان وبحارة المانيين ، وسميت الصغرى سوسا ارسلت في نفس الوقت تقريباً وتم تركيبها في المحمرة . وربما كانت لرغبة الشاه في زيارة اقليم فارس سنة ١٨٨٥ صلة بانشاء البحرية . وكان كل من السفينتين باخرة بدواليب ، ولكن بينما كانت برسوبليس تسير في البحر بحمولة حوالي ٦٠٠ طن وقوة ٤٥٠ حصاناً وتحمل اربعة مدافع ومصممة للخدمة العامة في الخليج ، كانت «سوسا» مركباً نهرياً فقط ، وان كانت تحمل مدافع حمولتها ٣٦ طناً وقوتها ٣٠ حصاناً وتشبه لانش الميناء . وكانت تكاليف السفينتين ٣٢,٠٠٠ جنيه انجليزي ، ولكن ايّا منهما لم تقدم نتائج مرضية . وربما كان ذلك بسبب الظروف التي كانتا تعملان فيها . وكان معظم من يعملون فيهما من الاهالي كما كانتا خاليتين من التسهيلات المفيدة للرسو . ولم يكن فلاحو الخليج يشاطرون الحكومة الايرانية ايمانها بقدرة السفينة برسيبوليس كوسيلة لجمع رسوم الجمارك ، لانهم اعترضوا على دفع تكاليف صيانتها وكانت كبيرة . وفي عربستان اعترض شيخ المحمرة أولا على استخدام «سوسا» في نهر قارون . ونتيجة لذلك فانه لوقت ما ظلت البرسيبوليس عاطلة في بوشهر والسوسا في فيلكا . ولما استخدمت البرسيبوليس اخيراً لاغراض سياسية في الخليج ووضعت « سوسا » في نهر قارون قرب الاهواز كقارب للمراسلة تحت امرة حاكم عربستان تبخرت الاحلام في نشوء قوة بحرية ايرانية ونبذت الفكرة .

ادارة فارس ١٨٧٢ — ١٨٩٦

وسنثبت هنا بعض التفصيل عن الادارة العامة في فارس أثناء تلك الفترة ضمن تحقيقنا عن التاريخ المحلي ، حيث إن تلك المقاطعة كانت تضم تقريباً جميع أقاليم الساحل الايراني .

لقد كان عدد الاقاليم الساحلية والقرى الخاضعة للحاكم العام لفارس أكبر في بداية الفترة مما هو عليه في الوقت الحاضر ، بينما كانت توجد ادارة مستقلة لموانى الخليج والرئاسة الخاصة بها في بوشهر . ولم تكن

ديلام في الحقيقة تابعة لفارس بل لبهبهان كما تزال تتبعها منطقة ليراوى ولكن بوشهر نفسها والمناطق المتصلة بها مثل « حياة داود » ، « وروض الحلة» و « أنجالي » و « دشتي » و تانجستان » و « داشتيستان » ، كانت حينئذ تتبع حكومة فارس . وجميع الباقي من الساحل الايراني حتى بيابان شاملة المناطق كلها مثل شيبكوه ، ولنجه ، وبستك ، وبندر عباس وشاميل ، وميناب ، وبيابان ، وجاشك ، كانت تشكل جزءاً من اقليم فارس . وانتقلت داشتي وتانجستان بعد ذلك من تبعيتهما لبوشهر الى تبعية مباشرة لشيراز . وانقسمت داشيستان بين بوشهر وشيراز ، ولكن مكاسب بوشهر على حساب فارس منذ انفصالها عنها في سنة ١٨٨٧ كانت تضم عسالو ونابند في شيبكوه مع توابعها وجميع مناطق لنجة وبندر عباس وشامل ، وميناب ، وبابيان ، وجاشك وجزرها .

وبعد سقوط الحق الممنوح لسلطان عمان في ايجار بندر عباس سنة ١٨٥٨ لم يبق على ساحل ايران ما يشبه ان يكون ولاية عربية مستقلة . ولكن بقيت لنجة لفترة ما في ايدي شيخ عربي التزم بدفع العوائد للحكومة الايرانية دون الاعتراف للايرانيين بالتدخل في شئونه المحلية . وفي أمكنة أخرى أيضاً كان هناك شيوخ أقل اهمية يتمتعون بنوع من الحكم الذاتي .

حكومة حسام السلطنة ١٨٧٣ — ١٨٧٥

وفي سنة ١٨٧٣ منح حاكم فارس العام لحسام السلطنة ، وهو عم الشاه الذي لعب دوراً مشهوراً في شئون خراسان وهرات . واحتفظ بالحكم سنة ١٨٧٥ . وفي تلك السنة قام بترحيب كبير وكرم ضيافة في شيراز للمعتمد البريطاني للخليج مع ضباط هيئته .

حكومة معتمد الملك ١٨٧٥ — ١٨٧٦

وخلف حسام السلطنة يحيى خان المعروف حينئذ باسم « معتمد الملك» وبعد ذلك باسم « مشير الدولة» وقد تزوج من اخت الشاه ، وهي ارملة أمير نظام الذي رقي بعد ذلك الى درجة وزير خارجية — وهي وظيفة فقدها عند هرب عيون خان من طهران .

حكومة معتمد الدولة ١٨٧٦ — ١٨٨١

وفي اغسطس سنة ١٨٧٦ حل محل معتمد الملك صاحب السعادة الملكية فرهد ميرزا(١) المعروف باسم معتمد الدولة ، وهو عم الشاه الذي كان اول عمل له هو الاطاحة بنفوذ «مشير الدولة» الوزير الدائم في الاقليم الذي كانت له سيطرة قوية حينئذ . وقد ساعد الأمير الذي كان مسناً ابنه « احتشام الدولة» فاستطاع ان يقيم امناً وحسن نظام لا مثيل لهما في جميع أنحاء ايران الجنوبية . ولكن وسائله التي كانت تتضمن صلب المجرمين (سواء أكانوا مجرمين فعلاام مجرد متهمين) ودفنهم في حفر طينية يمكن ان توصف بأنها وسائل قاسية اما في النواحي المالية فان ادارته كانت ظالمة بصفة عامة . وقد لخصها بعضهم في عبارة فارسية ترجمتها عبارة « هلكت فارس تماماً » وقد احتفظ بعلاقات ودية كبيرة مع الممثلين البريطانيين في إقليمه . وفي ابريل سنة ١٨٨٠ قام معتمد بوشهر مع هيئة موظفيه بزيارة لشيراز .

حكومة ظل السلطان ١٨٧١ — ١٨٨٧

في ربيع ١٨٨١ أبعد معتمد الدولة عن شيراز ليفسح الطريق للسلطان مسعود ميرزا ظل السلطان ابن الشاه الذي كان يبلغ من العمر حينئذ حوالي ٣٢ عاماً ، والذي كان من قبل مسئولا عن أقاليم أصفهان بختياري ويزد وبوروجيرد ، ولورستان وعربستان . والى ان يصل لشيراز في شهر يونيه «جلال الدولة» الابن الا صغر الذي أنابه ظل الدولة ليمثله في فارس بينما كان هو نفسه باقياً في أصفهان، كان يقوم بالادارة موقتاً «قوام الملك» أعظم اصحاب النفوذ من نبلاء شيراز . وكان يصحب جلال الدولة في وظيفته الجديدة صاحب الديوان ، وهو أخ لقوام الملك في وظيفة مشير وفيما يختص بأمور الدخل فان حكومة ظل السلطان كانت أكثر حكمة من معتمد الدولة على الاقل في البداية ، ولكنه لم يحجم عن أعمال القسوة الشديدة . ولفترة ما أمكن الاحتفاظ بالهدوء في الاقليم بنجاح كبير .

---

(١) يدعوه ستاك في كتابه جريدة رحلة سنتين المجلد الاول ص ١٥٣ — ١٥٤ . فيروز ميرزا ولكن يبدو أن هذا خطأ .

وكان ظل السلطان يتظاهر بالثقافة الاوربية ، ووجه بعض الانتباه للتدريب العسكري على الطرق النمساوية للقوات التي تحت إمرته ، ولكن إخلاصه للميول البريطانية (التي غالباً ما كان يعبر عنه) كان موضع شك .

وفي سنة ١٨٨٢ بدأ شيئاً فشيئاً ابعاد مواني واقاليم الخليج من دائرة اختصاص حاكم فارس العام . وانتقلت اولا لنجة وبندر عباس الى ادارة امين السلطان وهو ضابط مقرب للشاه ، اصبح لاحقاً رئيساً للوزارة الايرانية ، بعد ان أصبح قبيل ذلك الوقت بقليل المدير الوحيد او بالاحرى ملتزم الجمارك في كل ايران ، واصبح جمرك بوشهر تحت إمرته أيضاً، وان لم توضع في يديه بعد ادارة المدينة . وفي نهاية عام ١٨٨٣ توفي مشير الملك وزير فارس السابق الذي قضى على قوته معتمد الدولة . وكان رجلا ذا أثر عظيم ، ابتدع اعمالا عامة كثيرة نافعة . وفي خلال أيام قليلة بعد موته خلفه «قوام الملك» وهو منافسه وعدوه اللدود ، الذي استمر لقبه لابنه محمد رضا خان . وفي سنة ١٨٨٤ حصل شقاق بين صاحب الديوان الحاكم الفعلي لفارس وابن أخيه قوام الملك الجديد ، وبدأت ادارة الاقليم تتدهور وتثير مقارنات غير محببة مع ما كانت عليه أيام معتمد الدولة . وفي سنة ١٨٨٦ بلغ جلال الدولة سن الرشد ولكنه بقي لا شيء «صفراً» في الحكومة . واستمر صاحب الديوان وحده هو صاحب السلطة الفعلية وقد تمكن من إبعاد قوام الملك كسجين في اصفهان

فصل موانى الخليج عن فارس وحكومة احتشام الدولة
١٨٨٧ — ١٨٩٢

في فبراير سنة ١٨٨٧ أخذت فارس من ظل السلطان ومنحت لامين السلطان . وكانت النتيجة هي التحسن العام في الاحوال السياسية . وفي نفس الوقت أعفي من دفع ستين الف تومان . وتحولت المدن الساحلية بما فيها بوشهر ولنجة وبندر عباس والاقاليم التابعة لها وجزر الساحل الايراني الى مواني مستقلة عن فارس . ووضع صاحب العظمة احتشام الدولة ابن معتمد الدولة على رأس الاقاليم التي بقيت خاضعة لشيراز .

حكومة ركن الدولة ونظام السلطنة ١٨٩٢ — ١٨٩٦

وقد اعفى احتشام الدولة الذي حصل في سنة ١٨٨٨ على لقب والده معتمد الدولة ، من منصبه في فبراير سنة ١٨٩٢ على يد صاحب العظمة محمد تقي ميرزا ركن الدولة أخ الشاه . وقد اسس هذا الامير ادارة ثانية . ثم وقع في صدام مع قوام الملك الذي انسحب من المسرح بصفة موقتة ، ولكن قبل مضي عدة شهور كان على ركن الدولة أن يترك مكانه لنظام السلطنة وهو موظف أصله غير معروف ، ولكنه كان حاكماً ناجحاً لعربستان وقد حكمها أكثر من عام . وفي سنة ١٨٩٤ أعيد تعيين ركن الدولة على فارس حيث بقي صاحب السلطة حتى بعد اغتيال ناصر الدين شاه .

★ ★ ★

التاريخ الاداري والداخلي للساحل الايراني وجزره ١٨٧٢ ـ ١٨٩٦

تاريخ بوشهر

ان أعظم المناطق اهمية في الساحل الايراني هي منطقة بوشهر التي نستطيع ان نفهم تاريخها بوضوح الآن على ضوء سرد حوادث فارس السابقة وشئونها .

حكومة نايب التيالة ١٨٧٣ — ١٨٧٥

لفترة قصيرة في سنة ١٨٧٣ انفصلت مدينة بوشهر والمنطقة التابعة لها عن فارس تحت قيادة « صاحب العظمة اسد الله ميرزا نايب التيالة » ولكنها عادت لوضعها السابق عند وصول حسام السلطنة الى شيراز ، واستمر الامير أسد الله يحكمها حتى إبعاد ذلك الحاكم العام عندما استقال في سنة ١٨٧٥ .

لقد كانت علاقات الامير الحاكم لبوشهر مع المعتمدية البريطانية علاقات مجاملة وصداقة بصفة منتظمة . ولكن حالة الاقضية والطرق التي كانت تغير عليها عصابات من اللصوص كانت في حاجة الى الكثير مما يجب عمله . وفي سنة ١٨٧٣—١٨٧٤ أجـرت جمارك بوشهر لشخص أصفهاني نظير مبلغ ٣٢,٠٠٠ تومان أي حوالي ١٢٨,٠٠٠ ريال ، وكان تقدير الضرائب على المناطق التابعة لبوشهر هو مبلغ ١,٥٠,٠٠٠ ريال تقريباً . وفي صيف سنة ١٨٧٤ ذهب التيالة الى شيراز تاركاً ابنه يحكم بوشهر . وفي سنة ١٨٧٥ قام برحلة في المناطق التابعة له ليجمع الدخل المستحق للحكومة .

حكام مختلفون

وعند استقالة الامير عهد ببوشهر الى السارتيب عبد الحسين خان .

ولكن ادارته لم تكن ناجحة وكانت لفترة قصيرة . ثم حل محل سارتيب شخص يدعى « حسين قولي خان» ، وتقدم في الحال ليجمع العوائد المتأخرة بمساعدة قوة من المشاة والمدفعية ، ولكن في صيف سنة ١٨٧٦ حين سافر الى شيراز انتقلت الحكومة الى اشخاص غير أكفياء ضعاف . وفي أثناء شهري يونيو ويوليه تفشت الجرائم في المدينة وما حولها من الاماكن بالقرب من بوشهر ، وهي حالة من الامور ترجع بدرجة كبيرة الى وجود عدد كبير من القوات الايرانية التي تأخرت مرتباتها ، ولجأ بعض الجنود الايرانيين نظراً للاجراءات التي تتخذ ضدهم الى القنصلية التركية ليحتموا بها .

حكومة احتشام الدولة ١٨٧٦ — ١٨٨١

وعندما حل معتمد الدولة محل معتمد الملك عين « صاحب العظمة عويس ميرزا احتشام الدولة » حاكماً لبوشهر من قبيل والده .

وكان الامير مشغولا بشئون اماكن أخرى منها بهبهان التي كان مسئولا عنها . وقد منعه هذا من تخصيص عناية شخصية لبوشهر ، ولكن

خبرته اثناء ادارة والده وادارته هو شخصياً الفعالة لفارس ، هي التي جعلته يقوم برحلة سنوية تفتيشية في المناطق الجنوبية للاقليم . وفي بداية سنة ١٨٧٧ قضى حوالي شهرين في بوشهر مصحوباً بقوة جبارة من قوات غير محلية . وقد زارها مرة أخرى في فبراير سنة ١٨٧٨ . وفي بداية الامر احتفظ بنائب حاكم للمدينة وهو الحاج اسماعيل خان . وبعد ذلك آغا محمد باقر خان الذي أخلى وظيفته هو ونصيره عند تعيين ظل السلطان على فارس سنة ١٨٨١ .

وفي سنة ١٨٧٧ مات في بوشهر آغا محمد علي ملك التجار ، او كما يعرف رسمياً برئيس التجار في ذلك المكان . وكان مشهوراً بأنه أغنى فرد في ايران ، وبما انه لم يخلف اولاداً آلت ثروته الى اخيه الاكبر الحاج بابا وكان متجنساً بجنسية الهند البريطانية ومقيماً في بوشهر .

وبدأ تغيير حين أُجرت جمارك بوشهر الى حاكم بوشهر . وفي سنة ١٨٧٨—١٨٧٩ منحت لناصر الملك من شيراز . وهو اخ لقوام الملك وصاحب الديوان بالرغم من ان « امير ملكي » كان حاكماً على المدينة وتوابعها .

حكام مختلفون ١٨٨١ — ١٨٨٦

ويبدو ان الامور في بوشهر في الفترة (١٨٨١—١٨٨٢) أثناء ان كان ظل السلطان يوطد ادارته في شيراز كانت غير واضحة . وقد جاء بعد محمد باقر خان احتشام الدولة نائب الحاكم شخص يلقب بـ «كارجوزار» أي ممثل وزارة الخارجية الايرانية في بوشهر ، وجاء من بعده شخص يدعى معتمد السلطان .

وفي سنة ١٨٨٢ مُنِحت حكومة بوشهر لناصر الملك الذي استأجر جمارك الميناء قبل ذلك بثلاث سنوات ، ولكنه عاد الى منزله في شيراز في فبراير سنة ١٨٨٣ بعد ان تقاضى اجراً أكبر من الكارجوزار المحلي . وبعد ذلك بفترة وجيزة كما ذكر من قبل ، حصل امين السلطان على جمارك بوشهر والامكنة الاخرى في الخليج .

وفي مايو سنة ١٨٨٣ مات الحاج بابا وارث آغا محمد علي ملك التجار وورث ثروته حفيده الحاج محمد مهدي الذي عين ملكاً للتجار .

وفي يونيه سنة ١٨٨٣ وصل الى بوشهر ميرزا محمد حسين ابن صاحب الديوان بعد ان عين ليخلف ناصر الملك ، ولكنه بقي فقط حتى يناير سنة ١٨٨٤ عندما استدعي الى شيراز فعين زوج ابنته الحاج فضل علي خان كنائب موقت له .

واحتفظ محمد حسين خان بحكومة بوشهر في ١٨٨٤–١٨٨٥ وانعم عليه الشاه بلقب مؤتمن الدولة . وقد عينه أمين السلطان ذو النفوذ وكيله في جمع جمارك بوشهر ، كما كان ايضاً حاكماً على لنجة وبندر عباس . واستقال مؤتمن الدولة منحكومة بوشهر في يونيه سنة ١٨٨٥ وحل محله شاهزاده موزار ميرزا حفيد حسن علي خان فارمان فارما فارس . وهو حفيد عظيم لفتح علي شاه ، ولكن سرعان ما حل محل شاهزاده شخص يدعى صفر علي خان .

في بداية سنة ١٨٨٦ حكم بوشهر الحاج محمد مهدي ملك التجار . ولكنه في مايو افسح الطريق للحاج فتح علي خان ، وبعد ذلك لناصر الملك مرة أخرى الذي بدأ يسيطر على بوشهر وتوابعها .

حكومة سعد الملك ١٨٨٧ – ١٨٩١

في سنة ١٨٨٧ عند سقوط ظل السلطان الذي حرم في ذلك الوقت من جميع حكوماته ما عدا اصفهان ، سلمت الامور كلها لامين السلطان فجزأها لنواب مختلفين عنه . وقد تسلم احتشام السلطان كما ذكر من قبل شيراز والاقاليم الوسطى . أما بوشهر والمدن الساحلية الاخرى والجزر فمنحت كحكومة منفصلة لموانئ الخليج لمحمد حسن خان أحد اخوة نظام السلطنة الملقب سعد الملك . وآلت بعض الاقاليم البعيدة مثل داشستان وتانجستان وداشتي الى صاحب العظمة تزار ميرزا .

وفي بداية العام أصبح نظام الملك مسئولا عن بوشهر . لكنه في الفترة من ابريل الى يوليه كان غائباً في شيراز ، وناب عنه في تلك الفترة حيدر

قولي خان . وبعد ذلك السارتيب حاج احمد خان . وعند عودته وان كان قد أحضر معه ٢٠٠ من المشاة و ٤٠٠ من الخيالة ، الا أنه وجد انه مضطر للاستقالة نتيجة لدسائس أخيه صاحب الديوان ضده في شيراز . وقد جاء بعده شاهزاده نزار ميرزا . وبواسطة ذلك الامير سلمت بوشهر لممثل امين السلطان وهو سعد الملك .

حكومة نظام السلطنة سعد الملك ١٨٩٢ — ١٨٩٤

في سنة ١٨٩١ او سنة ١٨٩٢ ، حل محل سعد الملك أخوه نظام السلطنة . ولكن في اواخر سنة ١٨٩٢ دعي نظام السلطنة لحكم فارس ، فارسل لبوشهر ابن اخته رضا قولي خان . وبعد فترة قصيرة استأنف سعد الملك حكم بوشهر ولكنه ظل يقيم معظم الوقت في شيراز .

حكومة قوام الملك ١٨٩٤ — ١٨٩٦

في مارس سنة ١٨٩٤ وهو بداية السنة الايرانية الرسمية ، آلت حكومة موانى الخليج الى قوام الملك من شيراز ، ولكنه لم يصل الى بوشهر مقر ادارته حتى شهر يوليه . وقد أعيد تعيينه في سنة ١٨٩٥ ولكن المؤامرات التي نظمت ضده من حزب التجار أدت الى استقالته في مارس سنة ١٨٩٦ قبل ان يتم سنته الثانية في الحكم .

ولما كان قد اقترح عليه من طهران ، أنه يمكن إبعاد ملك التجار بصفة موقتة من بوشهر ، فانه حاول بتسرع أن يبعد تلك الشخصية بطريقة غاشمة وبالقوة . وكانت النتيجة ان ملك التجار اعتصم في «إمام زاده» بالقرب من «سابزاباد» فقامت مظاهرات صاخبة من أجله في المدينة ، واغلقت الحوانيت ، وتوقف العمل تماماً ، وحاصرت الحشود الثائرة من المعترضين مكتب التلغراف . ولم يفشل خصوم قوام الملك في حسن الافادة من هذه الظروف .

تعيين حسام السلطنة ١٨٩٦

وعند استقالة قوام الملك ، عين حسام السلطنة حاكماً على موانى الخليج ، ولكنه لم يصل الى بوشهر حتى يونيه سنة ١٨٩٦ بعد موت الشاه .

تاريخ ديلام ١٨٧٢ — ١٨٩٦

كانت ديلام كما رأينا ضمن إقليم بهبهان في بداية الفترة التي تهمنا الآن ، ولكن الوقت الذي ضمت فيه الحكومة فارس او من المحتمل لبوشهر ، كميناء في الخليج ، لا يمكن تحديده بالضبط .

وفي سنة ١٨٧٣ عندما كانت ديلام ما تزال خاضعة لبهبهان ارتكب الحاكم السابق للمدينة أعمال القرصنة ضد المراكب الايرانية . وقتل أحد اصحابها . وعرضت على السلطات الايرانية خدمات السفن البريطانية ولكنها لم تقبل . ويبدو أن القرصان قد افلت من العقوبة على جرائمه . وفي سنة ١٨٧٩—١٨٨٠ كانت هناك اضطزابات في ديلام بسبب عزل خان على الضباط او الحاكم القبلي المعترف به من الحكومة الايرانية لصالح عبدالله خان المعين الجديد . وفي ديسمبر ١٨٩٢ أعلنت السلطات الايرانية ان جعفر خان ضابط ديلام كان يراوغ في دفع العوائد ، فارسلت حملة مكونة من ٣٠ جندياً للقبض عليه ، ولكن الاهالي ثاروا بالسلاح دفاعاً عن رئيسهم وهزمت الحملة . وعلى أية حال فقد ابعد بعد ذلك جعفر خان وحل محله ضابط ريشهري .

تاريخ حياة داود وروض الحلة ١٨٧٢ — ١٨٩٦ :

وشهدت سنة ١٨٧٨—١٨٧٩ متاعب في ريق بسبب إحلال ضابط محل آخر . وفي سنة ١٨٩٢—١٨٩٣ قامت المشاحنات بين خان علي خان حاكم ريق ومحمد خان حاكم أنجالي ، الذي كان ملتزماً بروض الحلة ولم يكن اي من الجانبين راضياً عن الحكومة الايرانية التي كانت تحرض كل منهما ضد الآخر ، ولكن موت رئيس انجالي الذي قتل في نزاع دموي قد سبب فترة من الهدوء . وعلى أية حال فانه بعد ان تصالح علي خان مع الحكومة الايرانية سنة ١٨٩٣ ، أخذ قرى انجالي بطريق الايجار ، ولكن مقاومة الاهالي لهذا الحاكم اعجزت الحكومة المحلية الى أن ارسلت السلطات الايرانية في بوشهر كتيبة مدفعية لمساعدته .

تاريخ داشستان ١٨٧٢ ــ ١٨٩٦

لم تكن داشتستان تتميز بهدوء أكثر من الاقاليم الاخرى المجاورة لبوشهر ، ففي سنة ١٨٧٨ كان محمد حسن خان من برازجان سجيناً في شيراز حيث أعدم أحد ابنائه . وفي ابريل سنة ١٨٨٦ وقعت في برازجان اضطرابات خطيرة ، ففي سنة ١٨٨٩ عندما اعتزل الامير توزار ميرزا حكومة داشتستان التي عين فيها سنة ١٨٨٧ خلفه سارتيب محمد حسن خان ، وطغت على الاقليم في ذلك الوقت المنازعات بين الزعماء المحليين ، باستثناء مدينة برازجان وتوابعها ، وقامت السلطات الايرانية في سنة ١٨٩٥ بمحاولة لتهدئة الاقليم بوضع زعيم معين ليشرف عليها . ولكن هذا التغيير قاومه منافسه أحمد خان الذي أطلق على غريمه الرصاص وارداه قتيلا . وبناء على اوامر من طهران ارسلت حينئذ قوة تأديبية مع مدفع بحري صغير ضد احمد خان ، ولكن الثائر انضمت اليه قوات من الاقاليم المجاورة شعبانكره وتانجستان ، وكان لا بد من ارسال الامدادات من بوشهر لمعاونة القوة الايرانية . وكانت النتيجة النهائية هي الاعتراف بأحمد خان نفسه كزعيم وحيد لداشستان بعد ان اظهر خضوعه في بوشهر .

تاريخ تانجستان ١٨٧٢ ــ ١٨٩٦

وقعت تانجستان في سنة ١٨٧٩ تحت حكم سلطة واحدة ، وهي سلطة حيدر خان عند طرد ابن عمه علي خان الذي كان ينازعه في الاستيلاء على الحكم . ويبدو انه حدثت ثورة ضد حيدر خان في سنة ١٨٩٣ . ونجح الثوار الذين كانوا مسلحين بالبنادق المارتيني في صد هجوم قام به الخان بالاشتراك مع القوات الايرانية ومدفع من بوشهر .

تاريخ داشتي ١٨٧٢ ــ ١٨٩٦

بمناسبة زيارة احتشام الدولة الاولى لبوشهر سنة ١٨٧٧ ، وجد حيدر خان زعيم داشتي ، الذي لم يكن قدم فروض الولاء للسلطات الايرانية لعدة سنوات ، أنه من الافضل ان يقوم على خدمة الامير هناك . وعندما سافر الاخير الى بوشهر قام برحلة الى داشتي ، وظل في هذا الاقليم

فترة ما . وفي العام التالي فضل حيدر خان ان يقوم برحلة الى شيراز عندما تلقى تأكيدات بالعفو عن أخطائه السابقة ، او بالاحرى ليوطد سلطته عند الامير الحاكم لبوشهر ، ولكنه مات في شيراز ووصف الحادث بطريقة عادية ، بأنه أخذ شربة الكاجار او شراب الكاجار . أو بمعنى آخر مات مسموماً . وعين أخوه محمد خان الذي كان زار احتشام الدولة في مكانه . ومرة أخرى عاد الامير الحاكم الى شيراز عن طريق داشتي وفي سنة ١٨٧٩ وقعت في داشتي اضطرابات محلية بسبب جمع العوائد . وفي يونيه سنة ١٨٨١ مات محمد خان في بوشهر حيث كان قد سجن بسبب متأخرات العوائد المستحقة عليه للحكومة ، وقد جاء بعد ابن أخيه جمال خان ، وهو ابن حيدر خان . وفي يوليو سنة ١٨٨٤ حدثت مشاجرة في بوشهر بين الجنود الايرانيين وبعض الداشتيين الذين حضروا الى المدينة ومعهم ارملة المرحوم محمد خان الزعيم الراحل ، وقد فقد الكثير من الارواح . وظهر جمال خان سنة ١٨٨٧ في بوشهر في حاشية ناصر الملك عند استعادة الاخير حكومته . وكانت داشتي احدى الاقاليم التي انتقل حكمها عند رحيل الامير نوازار ميرزا سنة ١٨٨٩ الى سارتيب محمد حسن خان ، وكانت في ذلك الوقت تضج بمنازعات كثيرة شأنها في ذلك شأن داشتستان .

تاريخ شيبكوه ١٨٧٢ – ١٨٩٦

لقد تركز الاهتمام في شيبكوه في تلك الفترة بصفة خاصة على النهاية الاليمة للشيخ مذكور شيخ كانجو ، وكان قد قبض على هذا الزعيم حوالي سنة ١٨٧٧ وارسل الى شيراز ، ولكن خليفته محمد حسن خان بعد ان فشل في ان ينال الحظوة أعيد الى مركزه عند ما دفع ، او لعله تعهد بدفع مبلغ ١٠٠,٠٠٠ قران . وبعد عودته الى موطنه في مايو سنة ١٨٧٨ بمساعدة حمد بن اسماعيل شيخ شيرو العبيدي ، وبمساعدة محمد بن حسن شيخ جاراك ، قام بحملة ضد عبدالله بن محمد شيخ كالار الحمدي الذي نجح الحلفاء في نهب قريته مرباخ ، علاوة على قتل ١٧ رجلا من الحمديين . وارسل قوام الملك حاكم لار حينئذ في يوليه

٢٠٠ ساربار ، و ٧٠٠ من الجنود الغير النظاميين مع مدفع واحد ضد الشيخ مذكور ليعاقبه على تمرده ، ولكن القوة عندما فوجئت بالشيخ وأتباعه هزمت تماماً . وفي فبراير سنة ١٨٧٩ وصل قوام الملك شخصياً الى شيبكوه ومعه قواته ، ولكن يبدو أنها لم تفعل شيئاً . واخيراً في مايو سنة ١٨٨٠، وبعد حرب طويلة غير عنيفة ، وقع الشيخ مذكور في ايدي الايرانيين بعد ان حبس نفسه في حصن يسمى سرخ. وباغراء الخيانة ارغم وان كان مثخناً بالجراح ، على ان يحمل الى فارس مقيداً بالأغلال حيث اتخذت اجراءات مشئومة لاعدامه بقسوة فور وصوله . ويبدو أن وجود بعض الاوربيين بين الحشد خفف من شكل العقوبة فتم خنق الشيخ ببساطة عند أسفل المشنقة ، وعلقت جثته على الخشبة التي سجلت عليها اسطورة تهكمية . وفي نفس الوقت اعدم قليل من أتباعه ، ولكن أحد أبنائه ويدعى حسن هرب الى البحرين مع بعض افراد العائلة الآخرين . وقد أثار مصير الشيخ مذكور الشفقة ، لانه كان يعتقد بصفة عامة أن تلك العقوبة القاسية كانت راجعة لا الى الغارة على الحميديين ، بل الى فشله في أن يفي بتعهدات له بزيادة العوائد التي يدفعها للسلطات الايرانية .

وقد وضع في مكانه شخص يدعى محمد ابراهيم بك . وظلت شيبكوه دون اضطرابات لفترة ما بعد موته . وفي ابريل سنة ١٨٨٣ قامت اضطرابات شديدة حينما عاد من البحرين حسن بن الشيخ مذكور ، وقد نزل في طاهري ، ولكنه اختفى عندما ارسلت قوات ضده .

ويمكن ان يلاحظ انه في سنة ١٨٧٨-١٨٧٩ أبعد الشيخ محمد ابن حسن حليف الشيخ مذكور من حكومة جاراك من أجل شخص يدعى عبدالله بن مصباح كان هرب الى جزيرة قيس .

في سنة ١٨٩٥ حدثت اضطرابات في طاهري حيث ان الشيخ ابراهيم الضابط او الحاكم القبلي المعترف به رسمياً قد قاوم السلطات الايرانية عند تنحيته من اجل إفساح الطريق لمرشح جديد . وكان لا بدّ من ارسال قوة كبيرة الى المكان لتتولى طرده منه .

تاريخ لنجة ١٨٧٢ — ١٨٩٦

في اكتوبر سنة ١٨٧٤ حدثت شكوى من حكومة لنجة التي كانت في ذلك الوقت ما زالت تدار بطريقة قبلية كامارة عربية ، وكان ذلك نتيجة لموت الشيخ خليفة بن سعد .

حكومة الشيخ علي ١٨٧٤ — ١٨٧٨

وخلف الشيخ خليفه ابنه «علي» الذي كان صغيراً بحيث كان لا يستطيع ان يقوم بالعمل بنفسه ، فكان اول الامر في يد الآخرين بمعنى الكلمة ، واستفادت السلطات الايرانية من صغر شأنه في التدخل في شئون لنجة أكثر مما تعودت ، وذلك لزيادة مطالبها المالية . والتزم مستشار الشيخ الخاص محمد حسن خان بدفع عوائد اكثر من السابق ، ولكن لما وجد ان الاهالي مستعدون لمغادرة لنجة ، وكان هذا أفضل لهم من الخضوع لدفع الضرائب المتزايدة ، تظاهر بأنه يعيد تلزيم العوائد بخسارة الى سيده الشاب ، وحتى المبلغ المخفض ثبت أنه لا يمكن جمعه ، ونفي الوزير بعد ان جعل كبش الفداء وصودرت كل ثروته .

حكومة الشيخ يوسف ١٨٧٨ — ١٨٨٥

وفي نوفمبر سنة ١٨٧٨ انتهت فترة ادارة الشيخ علي القصيرة المتعبة باغتياله في قرية ميراكون على يد اتباع شخص يدعى الشيخ يوسف ، وهو الوصي الذي عينه له ابوه ، وكان قد طرده من خدمته . ولم تظهر السلطات الايرانية أي امتعاض من هذا العمل ، بل اعترفت بيوسف كنائب للحاكم على لنجة لصالحهم ، ولكن في سنة ١٨٧٨—١٨٧٩ ، ربما منذ موت الشيخ علي، أصبح ناصر الملك في شيراز هو الحاكم الاسمي على لنجة .

وفي سنة ١٨٨١ على اثر اعتداء الشيخ يوسف على التجار الهنود البريطانيين عين حاكم فارس العام ضابط جوازات ليقيم في لنجة ، ويتصرف في الامور الخاصة بالاجانب .

وفي ربيع سنة ١٨٨٢ تقرر فصل لنجة عن فارس ، وسلمت الى

أمين السلطان الذي كان مفضلا في البلاط الايراني . ولكن القرار لقي اعتراضاً عليه من السلطات الايرانية العليا ، وان كانت قد اعترفت بأن الجمارك قد أُجرت لامين السلطان . وعلى أية حال فقد ثبت أن فصل لنجة عن فارس أصبح حقيقة واقعة . وسرعان ما بدأ محمد حسين خان وكيل أمين السلطان في الخليج في ممارسة السلطة العامة هناك عن طريق وال محلي لم يكن غير الشيخ يوسف نفسه .

وقام ممثل امين السلطان بمحاولة في مايو سنة ١٨٨٢ باستحداث بدع مختلفة في لنجة ، كان من بينها تكوين لجنة دائمة من التجار لتفصل في الامور التجارية . ولكن هذا المشروع الاخير عارضته السلطات البريطانية وترك جانباً . وظل الشيخ يوسف يتمتع بقوة قبلية كبيرة . وفي مارس سنة ١٨٨٥ أمكن بصعوبة تفادي نزاع مسلح بينه وبين شيخ جاراك عن طريق الوساطة .

حكومة الشيخ « قضيب » ١٨٨٥ — ١٨٨٧

في ١٩ ابريل سنة ١٨٨٥ قتل الشيخ يوسف على يد احد اقاربه المدعو الشيخ قضيب . وهربت زوجته وأولاده الى المقر البريطاني في باسيدو . ولكن في يونيه ، بناء على نصيحة امين السلطان ، انتقلوا حينئذ الى مدينة قشم ، واستمرت لنجة لفترة ما في حالة اضطراب شديد . وطلب الشيخ قضيب في سبتمبر سنة ١٨٨٥ من القواسم في عمان المتصالح نجدة مسلحة ضد أعدائه ، ولكن تحذيراً ارسل اليه عن طريق الوكيل الاهلي للحكومة البريطانية في الشارقة ليمنع شيوخ الشارقة ورأس الخيمة من الاستجابة لطلبه . وبعد ذلك بقليل وصل الى المكان «شاهزاده محمد حسين ميرزا » الذي عين حاكماً على لنجة وبندر عباس . وايد الشيخ قضيب في وكالة الحكم في المدينة وما يتبعها . وقد حدد العائد السنوي لها بمبلغ ١٩٠,٠٠٠ كران .

انشاء ادارة محلية ايرانية مباشرة ١٨٨٧

وكان السكان العرب في لنجة مخلصين للشيخ ، مفضلين الحاكم

العربي على أي حاكم ايراني . ولكن الايرانيين قرروا القضاء على نظام نواب الحكام المحليين ، وعلى إذلال الاسر العربية الحاكمة . وفي ١١ سبتمبر سنة ١٨٨٧ أسر الشيخ قضيب فجأة في لنجة على يد سارتيب(١) حاج احمد خان مفوضاً من بوشهر لهذا الغرض . وبعد مقاومة فُقِد فيها بعض الارواح نقل الشيخ الى بوشهر ، ثم أخذ حينئذ في الأغلال الى طهران ، وبعد ان صودرت ثروة عائلته وضع في مكانه موظف ايراني باسم ميرزا هدايت خان ، وهو رجل ذو ادراك واعتدال كان يستند الى حامية مكونة من ٢٠٠ من القوات الايرانية المنظمة حلت في لنجة حيث بنيت لهم ثكنات . ولم يستسغ أهالي لنجة هذه التغييرات ، وهاجر بعضهم فعلا الى امكنة أخرى ، بينما كان عدد كبير على أهبة الاستعداد للمهاجرة ، ثم فصلت لنجة عن فارس ، وأصبحت الآن ضمن ادارة موانئ الخليج الجديدة .

نواب حكام ايرانيين مختلفين ١٨٨٨ – ١٨٩٦

وفي سنة ١٨٨٨ سُحبت معظم القوات من لنجة ، وعين نائب حاكم ميرزا محمد علي كارجوزار بندر عباس سابقاً . وفي سنة ١٨٨٩ كانت توجد فصيلة مكونة من ٥٠ جندياً ايرانياً . وجاء بعد ميرزا محمد علي في وكالة الحكم شخص يدعى ميرزا اسماعيل . وفي ابريل سنة ١٨٩٢ اتحدت لنجة وبندر عباس في حكم واحد ليحكم المكانين معاً محمد خان، الذي عين نائباً للحاكم . وفي سنة ١٨٩٥ حصل انزعاج كان سببه شخص يدعى سيد يوسف قتل رجلا ولم يفلت من القبض عليه فحسب ، بل أحضر جماعة ليهاجم الحصن . وفشل الجهد الكبير الذي قام به قوام الملك للقبض عليه ، وبعد ذلك وجد انه من المستحيل مطاردته ليكف عن خروجه على القانون ويعود الى لنجة .

(١) هو نفس الشخص الذى عين بطريق الدسائس الايرانية على ساحل عمان المتصالح فى سنة ١٨٨٧ .

شئون جزيرة صري ١٨٨٧ — ١٨٨٨

تستدعي شئون جزيرة صري العناية بالنظر لعلاقتهـا بتاريخ لنجة ، فقد كانت هناك صلة وثيقة بين المكانين منذ ان استقر العرب القاسميون لاول مرة على الساحل الايراني . وفي سبتمبر سنة ١٨٨٧ عندما احتل الايرانيون لنجة ، ارسل قائد الحملة الايراني سارتيب حاج احمد خان فرقة مكونة من ثلاثين جندياً ، ومدفعين ، بقيادة الشيخ حسن ، شيخ قشم ليقيم سارية للعلم الايراني ، ويرفعه على جزيرة صري . وبعد أن تم هذا ، وصل تقرير من سفينة صاحبة الجلالة رينجر بشأن الموضوع واحتجاج آخر من شيخ الشارقة القاسمي الذي أدعى بأن صري ليست تابعة لايران ، بل تابعة للقواسم ، وهي القبيلة التي استقرت أصلا في عمان المتصالح . وكان هذا رأي السلطات البريطانية التي فهمت دائماً ان الاشراف على جزيرة صري الذي يمارسه شيخ لنجة ، نتج عن وضعه كشيخ للقواسم ، وليس عن طريق الالتزام بالميناء الايراني او اقليم لنجة . وتبع ذلك مباحثات دبلوماسية للمسألة بين الوفد البريطاني في طهران والحكومة الايرانية ، ولكنها توقفت على يد الوزير البريطاني في اغسطس سنة ١٨٨٨ دون الوصول الى نتيجة ، وذلك لتسهيل تسوية امور أخرى بريطانية كانت معلقة مع ايران . وفي خلال المباحثات ، أدعى أمين السلطان الوزير الايراني أن صري كانت تدفع العوائد لاحكومة الايرانية منذ سنة ١٨٧٨ ، أو بمعنى آخر ، منذ أن اغتصب الشيخ يوسف لنجة . ولكن التأكيد الذي صدر عنه بأن الوثائق التي تثبت حق ايران في صري موجودة في بوشهر : وجد غير صحيح استناداً لاحسن مصدر للمعلومات هناك . ولم يضع الايرانيون بعد ضم صري سنة ١٨٨٧ موظفاً دائماً هناك ، ولكن منذ ذلك العام بدأت تجمع الضرائب سنوياً من الجزيرة من قبل مبعوثي نائب حاكم لنجة الايراني .

تاريخ بندر عباس ١٨٧٢ — ١٨٩٦

في سنة ١٨٧٣ لم تكن الطرق المجاورة لبندر عباس آمنة . وفي فبراير سنة ١٨٧٤ اقترب البحارلو ، وهم قبيلة عربية رحالة من الداخل

اقتراباً خطراً لمسافة ١٥ ميلا من المدينة ، مما أرغم السكان على تسليح أنفسهم . وكان « آغا أحمد شاه » هو حاكم المكان من قبل حاكم فارس العام في ميناب . ورفض ان يتخذ الخطوات للدفاع عن بندر عباس ولكن لحسن الحظ انسحب رجال القبائل دون القيام بالهجوم المتوقع .

١٨٧٦ — ١٨٨١

وفي يوليه سنة ١٨٧٦ مات أحمد شاه ، وبعد ذلك مباشرة تنحى معتمد الدولة عن الحكومة لناصر الملك من شيراز ، وهو الذي عين ابن أخته ليمثله في بندر عباس . ومن ثم زار المكان تبعاً لذلك بنفسه . وفي سنة ١٨٧٧–١٨٧٨ كانت بندر عباس ما تزال في يد ناصر الملك ، ويبدو أن أقاليم الساحل حتى كشك مع جزر قشم وهانجام ولاراك وهرمز كانت ضمن منطقة ولايته . وفي سنة ١٨٧٨ اعتزل حيدر قولي خان ، نائب ناصر الملك في بندر عباس وظيفته لاسباب صحية ، وعاد الى شيراز .

١٨٨٢

وفي سنة ١٨٨١ وصلت تقارير بأن التنظيمات الادارية في بندر عباس كانت غير مرضية ، ولكن يبدو في سنة ١٨٨٢ أن بندر عباس فصلت كما فصلت لنجة عن فارس ، وأصبحت تحت سلطة امين السلطان .

١٨٨٣ — ١٨٩٦

وفي سنة ١٨٨٣ قام بادارة بندر عباس محمد حسن بن ناصر ممثلا محمد حسين خان وكيل أمين السلطان في الخليج ، ولكن في العام التالي كان محمد حسين خان بصفة عامة مسئولا عن المكان شخصياً ، ووجد أن حكومته تتفوق على حكومة مرؤوسيه الذين كانوا يمثلونه في غيابه . وعلى أية حال فقد اعتزل وظيفته في مارس سنة ١٨٨٥ ، وخلفه شاهزاده محمد حسين ميرزا ، الذي وصل الى بوشهر في ابريل سنة ١٨٨٥ ، ولكن يبدو أنه لم يزر بندر عباس ولنجة حتى الخريف التالي . وفي سنة ١٨٨٦ اديرت بندر عباس في شيء من عدم الاكتراث على

أيدي أشخاص خاملين ليس لهم نفوذ ، كان يختارهم شهبندر التجار في بوشهر ، بأوامر من امين السلطان .

١٨٨٧

وفي سنة ١٨٨٧ وهي السنة التي تم فيها تكوين ادارة موانئ الخليج وعزل الايرانيين لشيخ لنجة العربي كانت تحمي بندر عباس قوات إيرانية ، ولكن معظمها انسحب في العام التالي . وفي سنة ١٨٨٩ بقي فيها عشرون جندياً فقط .

١٨٨٧ — ١٨٩٦

وكان نائب الحاكم في الفترة من سنة ١٨٨٧—١٨٨٩ شخص يدعى محمد حسن بك . وفي الفترة من سنة ١٨٨٩—١٨٩٠ كان شخص يدعى ميرزا هادي . وفي سنة ١٨٩٢—١٨٩٣ كانت بندر عباس في خطر مرة أخرى من ناحية البحارلو ، الذين ثاروا في اكتوبر سنة ١٨٩٢ ضد الساطات الايرانية المجاورة لمقرهم . ولما ارسلت ضدهم قوات من شيراز ، انسحبوا مع عائلاتهم تجاه الساحل ، ناهبين القوافل ، ومرتكبين كل انواع القسوة . وأغلقت طرق التجارة نتيجة لذلك ، ولم تتمكن الحكومة من جمع العوائد . وقد ارسلت القوات الايرانية من بوشهر ومن أمكنة أخرى للدفاع عن بندر عباس . وتقدمت من بومباي الى هناك سفينة صاحبة الجلالة كوساك في يناير سنة ١٨٩٣ لحماية الرعايا البريطانيين ، وبقيت حوالي اسبوعين حتى زال الخوف من الهجوم . وأخيراً هــدأ البحار لو بمنحهم امتيازات تضمنت على ما يبدو اذناً لنصيرهم قوام الملك بالعودة الى شيراز ، حيث ان الامير الحاكم كان قد ابعده . وفي مايو سنة ١٨٩٣ اعيد فتح التجارة فعاودت الامور مألوف احوالها .

تاريخ جزيرة قشم ١٨٧٢ — ١٨٩٦

ان شئون جزيرة قشم التي وإن كانت متصلة ببندر عباس ، إلا أن لها اهميتها الخاصة تقتضي تقريراً قصيراً منفصلا .

في سنة ١٨٧٧–١٨٧٨ كان حاكم قشم المحلي هو الشيخ صقر الذي سبب المتاعب في الماضي للسلطات البريطانية ، خاصة في صدد الامدادات للقاعدة البريطانية في باسيدو ، ولكنه كف عن عمله هذا . وبأوامر من حاكم فارس العام حقق في شكاوى الاهالي المألوفة ضده لاضطهادهم لكنها رفضت ، ولكن كان على الشيخ أن يدفع الكثير من اجل إعتاقه . وفي هذا الوقت كان يعاني من السل في مرحلته المتقدمة ، وزار مسقط للعلاج ، ولكنه لم يمت حتى سنة ١٨٨١ عندما خلفه ابن اخيه حسن بن محمد . وفي سنة ١٨٨٦ كان يحكم قشم الشيخ ابراهيم ، وهو ابن عم الشيخ حسن ، ولكن شهبندر تجار بوشهر عزله وارسل بعد ذلك في الاغلال الى طهران ، فعاد الشيخ حسن الى نفوذه . وكان الاتهام الموجه ضد الشيخ ابراهيم هو أنه سمح للسنيين بمهاجمة الشيعة في قشم أثناء احتفالات المحرم . مع أنه في الحقيقة بذل جهده ليمنع الاضطراب . الا أنه اضطر أن يدفع غرامة قدرها ٢٠٠٠ كران . وفي سنة ١٨٨٨ أطلق سراح الشيخ ابراهيم من طهران ، وسمح له بالعودة الى قشم .

★ ★ ★

العلاقات السياسية البريطانية مع الساحل الايراني وجزره بعد الحرب الانجلو ايرانية ١٨٥٧ – ١٨٩٦

تدخل مساعد المعتمد لصالح الحاج عبد الحميد ملك التجار ١٨٤٩

في سنة ١٨٤٩ أثناء غياب الشيخ نصر الثالث من بوشهر في زيارة لشيراز متصلة بالمشكلات القائمة بينه وبين حكومة فارس ، وجد الحاج عبد الحميد ملك التجار – او المعترف به رسمياً كرئيس المجتمع التجاري الايراني – نفسه فجأة في خطر عظيم من ناحية الشيخ حسين عم الشيخ نصر . وفي العاشر من مايو جاء الى المعتمدية البريطانية ليطلب حماية كمبول الملازم مساعد المعتمد ، الذي كان يبدو أنه كان يقوم بالخدمة بالوكالة ، وربما

كان السبب المباشر للنزاع بين ملك التجار والشيخ حسين ، أمر تلقاه الاول من حكومة شيراز ، يحتمل انه أهمل الاستجابة اليه ، وهو أن يأمر تجار المدينة ان يؤجلوا دفع رسوم الجمارك ، ولكن أقارب الشيخ كانوا يشكون في أنه يعمل على إبعاد الشيخ عن الحكومة ، بالاضافة الى العداء القوي بين طرفي النزاع لعدة سنوات . وعندما لجأ ملك التجار الى مساعد المعتمد البريطاني جمع هذا سائر تجار بوشهر المهمين في منزله حيث ظلوا هناك ليلا ونهاراً ليكون في تواجدهم على تلك الطريقة ضماناً لسلامته .

وشعر الملازم كمبول أن إظهار عدم الاهتمام من جانبه ، ولو بقدر ضئيل قد يقرر المصير المحتوم لذلك الرجل السيء الحظ . وبناء على ذلك فقد استقبل في خلال اليومين التاليين في المعتمدية الرجال الاساسيين في النزاع ، حيث ناقش معهم الامور . وكانت وساطته ناجحة نجاحاً كبيراً ، حتى إن ملك التجار اعتقد في ١٤ مايو أنه من الاسلم أن يصرف التجار الآخرين من منزله ، وهدأ الاضطراب الذي ساد المدينة .

ولكن سرعان ما جدد الشيخ حسين تهديداته لملك التجار ، واتخذ الاجراءات لمنع هربه من المدينة براً أو بحراً . وفي ٢٢ مايو زار ملك التجار مرة أخرى مساعد المعتمد وكان في حالة ذعر شديد . ويبدو أنه طلب منه أن يغادر المدينة في الحال . وهو إجراء اعتقد أنه لا يستطيع أن نخاطر به بأمان . واقترح ملك التجار ان يقبل العرض الذي قدم له من أحمد خان بن باقر خان زعيم التانجستان ، الذي كان غائباً في شيراز ، باحضار فرقة مسلحة الى بوشهر تحمله الى مكان أمين . ولكن الملازم كمبول الذي كان يخشى أن ينتج عن ذلك صدام خطير بين التانجستانيين ورجال الشيخ حسين رفض الفكرة . وأخيراً في ٢٥ مايو قام الشيخ حسين بالاستعدادات للهجوم على الحاج عبد الحميد . وبعد ان أحبط ذلك مساعد المعتمد ، الذي أقنع الشيخ القائم بالعمل في بوشهر بحراسته عند ابواب المدينة ، كما ارسل ممثلين من المعتمدية البريطانية للاحتياط ضد الخيانة ، سهل لملك التجار ان يخرج من المدينة .

وعلى بعد خمسة أو ستة أميال في الخارج ، قابله حرس مكون من ٥٠ من التانجستانيين .

وقد وافق الرائد فارانت القائم بالاعمال البريطانيي في طهران ، على تدخل الملازم كمبول و ووصف عمله بالحكمة .

★ ★ ★

الاجراءات على الساحل الايرانى وجزره أثناء الحرب الانجلو ايرانية ١٨٥٦ ـ ١٨٥٧

قد اوضحنا من قبل تفاصيل عامة عن الحملة البريطانية في ايران الجنوبية في سنة ١٨٥٦–١٨٥٧ ، ولكن بقي ان نلاحظ بعض التفاصيل الهامة للعمليات المحلية .

الالتقاء خارج بندر عباس ٢٤ نوفمبر ١٨٥٦

في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٥٦ تم عند بندر عباس جمع مواصلات قوات الحملة الاصلية في الخليج ، مع سفن البحرية الهندية التي جرى الانتقال بواسطتها . وقد اختارت حكومة بومباي هذا المكان للالتقاء . وعندما علمت حكومة الهند بالامر ، اقترحت أنه من الافضل استبدالها بباسيدو ، تجنباً لترضية سيد عمان أو تلافياً لاعتراضاته حيث كان هو الملتزم لبندر عباس من قبل الحكومة الايرانية . ورداً على ذلك أشارت حكومة بومباي الى أن باسيدو الواقعة على جزيرة قشم هي الاخرى من ضمن مقاطعات السيد ، ومعرضة لنفس الاعتراضات مثل بندر عباس . لكنه لم يكن من المحتمل ان يحتج السيد ضدهم ، او يعتبر مسئولا عن استعمال القوات البريطانية لبندر عباس ، ما دام لم يمنحها هذا الحق ، كما أنه لم يكن في وضع يستطيع فيه منعهم . وفي نفس الوقت كان عدد من السفن التي تعمل من الهند الى بندر عباس قد غادرت الهند دون تعليمات بشأن تغيير مكان الوصول ، لذلك تقرر وقف المباحثات في الموضوع

اعلان الحرب واحتلال جزيرة خارَج في ٣ و ٤ ديسمبر

في ٢٩ نوفمبر ظهرت سفن قيادة الحملة الحربية أمام بوشهر فكتب ميرزا حسن علي خان حاكم المدينة الايراني رسمياً الى القائد فيلكس جونز المعتمد البريطاني مستفسراً عن سبب قدوم السفن . وفي ٣ ديسمبر أجاب الرائد جونز الذي كان عندئذ على ظهر السفينة «أساي» سفينة العلم في الاسطول بأن مهامه كمعتمد قد توقفت ، وارفق مع إجابته نسخة من إعلان الحرب صدرت في الهند في اول نوفمبر ، كان قد بعث بها القائد ستوكر قائد القوات البريطانية .

وفي الرابع من ديسمبر رفع العلم البريطاني على جزيرة خارَج ، حيث انشئت قاعدة حربية هناك .

النزول في حليلة من ٧ – ٩ ديسمبر

وفي السادس من ديسمبر ، بعد أن وصلت معظم السفن اخيراً من بندر عباس ، تجمعت عند بندر حليلة ، جنوب شبه جزيرة بوشهر التي اختبرت كمكان ملائم لانزال القوة كلها . واطلقت الطلقات الاولى في الحرب من البارجة التجارية « أجداها » الملحق بها ثمانية زوارق مدفعية لتغطية نزول القوات . وكان حوالي ثلاثمائة من الاعداء الذين احتلوا حدائق النخيل الملاصقة للشاطىء قد انسحبوا الى مسافة ما . وكانت عملية النزول رغم الاحوال المناخية المواتية خطيرة الى أقصى حد . وأمكن الحصول على قوارب قليلة ، ما عدا قوارب الاسطول ، ولكن النزول تم في فترة قصيرة هي ثلاثة أيام وليلتان .

الاستيلاء على حصن ريشهر ٩ ديسمبر

وفي صباح ٩ ديسمبر بدأ التقدم الى بوشهر . وكانت سفن الاسطول الاول المسلحة آنذاك بقيادة نائب أمير البحر السير هنري ليك بالبحرية الملكية ، وهو القائد العام للبحرية الهندية . وكان التقدم في طريق مواز للساحل .

لقد كان حصن ريشهر ، وهو سد ترابي فسيح ، عالياً جداً ومحاطاً بخندق واسع عميق ، انشيء ليحتله ٤٠٠ او ٥٠٠ من التانجستانيين

بقيادة باقر خان زعيم التانجستانين ، الذين تقدم بعضهم للهجوم ليناوئوا تقدم الحرس البريطاني . بينما فتحت نيران البنادق من الحصن ، وبعد أن أطلقت عليه القنابل من عيار ٨ بوصة من السفينة «أساي» من مسافة ١٧٠٠ ياردة أغارت بالسلاح الأبيض فرقة صاحبة الجلالة السادسة ، التي تسلقت الواجهة الشماليةمن الحصن، بينما دخلت فرقة المشاة الاهلية العشرون من الجهة الشمالية الشرقية، ودخلت الفرقة الاوربية الثانية، والبلوشي الثانيةمن الزاويةالجنوبية الشرقية، وكان الرجل الاول فوق السور هو الرئيس «وود» قائد جماعة الحرس من الفرقة العشرين المشاة التي قادت الهجوم ، وقد اصيب وود في الحال بسبع رصاصات بنادق ، ولكنه هاجم بسيفه قائد الاعداء . وقد شفي أخيراً من جراحه وكان هرب المدافعين عن الحصن من الجانب المواجه للبحر ، وقد طاردتهم الفرقة الثالثة الخيالة الخفيفة ناحية الجنوب على طول الشاطىء أسفل الصخور . وكانت الخسائر في الجانب البريطاني ٨ قتلى و ٣٧ جريحاً . ويبدو أن خسارة العدو كانت ما بين ٢٠٠ ، ٣٠٠ قتيل ، من بينهم ابن وابن أخت باقر خان كما كان من بين القتلى البريطانيين الزعيم ستوبفورد الذي سقط وهو يقود فرقة صاحبة الجلالة ٦٤ ، بالقرب من قمة انحدار شديد ، والقـــــائد ماليت قائد الفرقة الثالثة الخيالة الخفيفة ، الذي غدر به رجل كان قد منحه مسكناً . وكان بين الجرحى البريطانيين الى جانب الرئيس وود الملازم أترسن و وارن قائد الفرقة العشرين المشاة الاهلية ، وقد مات كلاهما من الجروح . وقد تم احتلال الحصن بمجرد ان أخذته الفرقة الثانية من البلوشيين ، وارسل الجرحى على ظهر السفينة ، في نفس المساء .

محاولة يقوم بها المعتمد لزيارة بوشهر في ٩ ديسمبر

عندما تشتت رجال القبائل الذين يحتلون شبه الجزيرة بتلك الطريقة قام القائد ف. جونز المعتمد ، بمحاولة للوصول الى مدينة بوشهر في سفينة تجارية صغيرة ، عليها علم الهدنة . وكان غرضه هو تجنب اراقة الدماء ان امكن ، وليقدم ملجأ على ظهر الاسطول للتجار في المدينة

وللسكان الآخرين ، بناء على رغبتهم . وعلى أية حال عندما وصلت السفينة آشور إلى مسافة ٥٠٠ ياردة من الشاطىء أطلقت عليها عدة طلقات من البطاريات الايرانية ، واضطر القائد جونز ان يعود ببعثته دون اتمام أي شيء . وارسل في الحال اعتذار كتابي من الحاكم الايراني الذي عزا الحادث الى جهل رجال المدفعية الايرانيين . ولكن لم تجدد محاولة الاتصال بالمدينة مرة أخرى .

الاستيلاء على بوشهر ١٠ ديسمبر

وحوالي الساعة الثامنة صباحاً في اليوم التالي(١) فتحت النيران من البارجة البخارية «أجداها» والسفن الصغيرة « برنيس » و « فكتوريا » والسفينة « فوكلاند » على الاستحكام والخنادق القائمة على مسافة ميل ونصف الميل جنوبي المدينة ، حيث كان الايرانيون يستعدون لصد التقدم البريطاني براً . وبعد ساعة من القصف بالقنابل البحرية ، لم تحدث تلف كبير بسبب طول المدى . وعندما رأى العدو قوة المدفعية البريطانية تقترب ، تركوا المكان وانسحبوا الى المدينة ومعهم مدفعيتهم ، وعندما وصل الجنرال ستوكر المكان بقواته ، مر به دون ان يجد أية مقاومة . وبعد ان ترك الاستحكام والخنادق ، ارسلت راية الهدنة من المدينة للسير هـ. ليك مع طلب هدنة حربية لمدة ٢٤ ساعة لتقديم الشروط المقترحة ، ولكن هذا الطلب رفض على أساس إطلاق النار على السفينة آشور في اليوم السابق .

ثم شرع في قصف تحصينات المدينة من البحر من السفينتين « سمر اميس » و « فيروز » ، حيث قامتا بهذا العمل الذي احتملته مدفعية الجانب الايراني أول الامر . وفي خلال ثلاث ساعات تم اسكات

---

(١) يبدو أن عمل الاسطول كان سابقا لاوانه اذا لم يكن مناقضا للتنظيمات في رأى الحربيين الذين اسفوا أيضا على فشل السلطات البحرية في عمل الترتيبات لمنع هرب الحامية الايرانية من الشرخ الموجود خلف المدينة الى الارض الرئيسية ولكن مبررات الاسلوب الذى اتبعه نائب القائد غير مدونة .

بطاريتين خارج المدينة ، وبطارية مستترة أسفل صاري علم المعتمدية خارج الحوائط ، وبرج في الزاوية الشمالية الغربية من الحصن ، وتم ذلك بقليل من الاصابات ، وبدأ الهرب من فتحة في حائط المدينة في الركن الجنوبي الغربي .

وبعد الظهر مباشرة عند وصول القوات البرية البريطانية قريباً من الحوائط انزل صاري العلم الايراني في المدينة كرمز للاستسلام . وبعد قليل من التردد جاء الحاكم الايراني مع القائد الحربي الايراني سارهانف مهتار خان وسلما سيفيهما ، كما استسلم حوالي ١٥٠٠ او ٢٠٠٠ من الرجال الباقين من الحامية الايرانية التي هرب منها الكثير من الفتحة الموجودة في الحائط فيما غرق آخرون أثناء محاولتهم الهرب . وألقى البعض أسلحتهم أمام البريطانيين ، وتم احتلال المدينة ورفعت الاعلام البريطانية على صاري المعتمدية في الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر . ولم تكن هناك خسائر بريطانية عند الاستيلاء على بوشهر ، ولكن بعض السفن المشتركة من البحرية الهندية حدثت بها اصابات في الهيكل والصواري والحبال . وبعد الاحتلال تم الحصول على العلم الايراني كتذكار للانتصار . وتم الاستيلاء على ٦٥ مدفعاً كانت موجودة بالمكان، الى جانب كميات كبيرة من الذخائر ، ومخازن حربية أخرى . وارسل كل من الحاكم الايراني والقائد مع ميرزا محمد رضا الكارجوزار، اي وكيل الشئون الخارجية ، على ظهر السفينة لابعادهم الى الهند ، أما الاسرى الايرانيون العاديون فقد أطلق سراحهم في الصباح التالي ، بعد أن حجزوا ليلة واحدة .

التنظيمات البريطانية بعد احتلال بوشهر :

انشيء المعسكر البريطاني على مسافة ميل جنوب المدينة بالقرب من الاستحكامات الايرانية ، ووضعت السفينة البخارية الصغيرة كلايف ذات الـ ١٤ مدفعاً ، وبعض السفن الحربية مع مدافع الحصار من عيار ٢٤ رطلا عند الفتحة خلف المدينة تغطية لجناح الجيش ، بينما كان يحمي الجناح الآخر من البحر السفينتان فكتوريا وفيروز . وكان المعسكر محاطاً

بتحصينات مكونة من خندق بسيط عمقه ثلاثة أقدام ، مع سور مصنوع من الطين ، وفي ظل ركن كانت توجد بطاريات وبعض مراكز بارزة وكان المكان الامامي الوحيد هو حرس من الخيالة على مسافة ميلين تجاه الجنوب .

تشتت القوة الايرانية بالقرب من لنجة ١٩ ديسمبر

ترك السير هـ. ليك بوشهر الى بومباي في السفينة أساي في ١٦ ديسمبر ولكن عند مروره في الخليج ، تلقى معلومات من لنجة تفيد بأن قوة ايرانية في الجيرة مؤلفة من ٣٠٠٠ رجل بقيادة مصطفى قولي خان اميري بانج تتجه لبوشهر ، ومن الممكن ان تكون للهجوم على باسيدو .

وفي ١٩ ديسمبر وجدها معسكرة على الساحل على مسافة ٢٠٠ ياردة من الشاطىء ، فأطلق عليها النيران من مدى ١٢٠٠ ياردة . فرد الايرانيون اول الامر بمدفعيتهم ، ولكنهم انسحبوا بعد ٣٥ دقيقة في فوضى كبيرة تاركين مدافعهم وخيامهم وجرحاهم خلفهم ، فطاردتهم « أساي » بقنابلها الى الداخل .

الحملة على برزاجان من ٣ — ٥ فبراير ١٨٥٧

بعد أيام قليلة من توطيد قوة الميدان البريطانية ، عزم السير ج. اوترام على ارسال حملة من بوشهر لتقضي على تجمع ضخم للعدو بقيادة شجاع الملك في بورازجان . واحيط القائد الايراني علماً بأن تحت تصرفه حوالي ٨٥٠٠ من الخيالة والمشاة و ١٧ مدفعاً ومدفع هاون ، بينما كان يعتقد ان ١٢ فرقة من المشاة و ٣٥ مدفعاً ستجيء من طهران لتنضم اليه . وكان من المفهوم أنه يمكن جمع ٤٠٠٠ رجل من جنود القبائل بعد فترة ٢٤ ساعة .

وقد مكّن وصول اللواء الاول من القسم الثاني من الهند من العمل ، فتقدمت مساء ٢٣ فبراير قوة من جميع الاسلحة ، وسارت من بوشهر تحت قيادة السير ج. اوترام شخصياً . وكانت تتكون من فرقة الخيالة الثالثة الخفيفة ، ومن الفرقتين الثالثة والخامسة من قوة بطارية الميدان الخفيفة

كل منهما بستة مدافع . ومن الفرقة الرابعة والستين المشاة وال ٧٨ الاسكتلنديين ، والفرقة الثانية من الاوروبيين وبها ٢٢١٢ من جنود الاشغال العسكرية ؛ ومن الفرقة ٢٠ و ٢٦ من المشاة الاهلية والرابعة بنادق ، والفرقة الثانية من البلوش وعددهم ٢٠٢٢ من جنود الهنود الانجليز ، ويبلغ عدد الجميع ٤٦٣٥ رجلا ، باستثناء المدفعية . وكانت الحامية التي تركت في بوشهر لحماية المعسكر تضم ٣٧٨ من المشاة الاوروبيين ، وفرقة واحدة من جنود المدفعية الاوروبيين ، معها ١٤ مدفعاً الى جانب فصيل بحري .

سارت الكتائب طوال الليل ، وفي الصباح الرابع وصلت شاه كوتاه على مسافة ٢٦ ميلا ، حيث تمكنت قوة الخيالة من بوشهر من نسف ٣٠,٠٠٠ رطل من البارود من ذخائر الايرانيين في اول يناير ١٨٥٧ . وتقدمت في المساء ١٤ ميلا أخرى ، ثم استراحت في العراء أثناء الليل في جو راعد وبرد ومطر ورياح قارصة حيث لم تتمكن القوات من إيجاد ملجأ يحميها . واستؤنف السير في الصباح التالي لليوم الخامس ، وفجأة بعد الظهر امكن احتلال بورازجان دون معارضة ، بعد ان انسحب الجيش الايراني الى داليكي . وتم الاستيلاء على معسكر العدو المحصن بالخنادق الذي أخلي في منتهى السرعة ، ومر اليومان السادس والسابع في جمع كميات كبيرة من المخازن التي تركها الايرانيون وراءهم وكانت الكميات تشمل آلاف الارطال من ذخيرة المدافع ، ومئات الالوف من خراطيش البنادق ، و ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف رطل من البارود ، الى جانب لوازم حربية أخرى ، وبعض الاطنان من الحبوب . وقدّرت المتفجرات التي نسفت بواسطة الالغام قبل تركها بأربعين الف رطل . وكانت توجد خيام ومعدات للمعسكرات ، ولكن القرويين نهبوا معظمها .

وقد تقرر بعد عملية استطلاعية التوقف عن مطاردة العدو الذي انسحب بمدافعه الى اماكن محصنة في التلال .

السير من برازجان الى خوشاب في السابع والثامن من فبراير

بُدِىء بمسيرة العودة الى بوشهر في مساء مساء ٧ فبراير . وحوالي منتصف الليل هوجمت مؤخرة الجيش ، وسرعان ما هوجمت القوات بعد ذلك من جميع الجهات ، بواسطة الخيالة الايرانية وجنود المشاغلة ، وتوقفت القوات الانجليزية في الليل في تشكيل دفاعي مواجهة الناحية الامامية من كل جانب ، ووضعت الامتعة وملحقات المعسكر في الوسط وما كادت هذه التنظيمات تتم ، حتى فتح العدو نيرانه بأربعة او خمسة مدافع ثقيلة ، وردت عليها المدفعية البريطانية واستمر قصف المدفعية بطريقة متقطعة ، دون اي تأثير حتى الفجر .

معركة خوشاب في الثامن من فبراير

وعندما بزغت شمس ٨ فبراير ، اكتشف موقع الايرانيين في موضع في الشمال الشرقي على شمال مؤخرة القوة البريطانية ، وهي متركزة في قرية خوشاب التي مرت عليها القوة البريطانية قبل التوقف . وكان يبدو ان قوة العدو حوالي ٦٠٠٠ أو ٧٠٠٠ رجل ، بينهم اعداد كبيرة من خيالة القبائل اتخذت مكانها في الجناحين . وقد استكشف موضع الايرانيين الرئيس جريفز قائد الفرقة الخيالة الثالثة الخفيفة ، الذي هاجم مقدمة العدو من مسافة ٢٠٠ ياردة تحت نيران مستمرة . وحوالي ذلك الوقت تعطل السير ج اوترام مؤقتاً بسبب خيالته الذين تقهقروا ، وأدار العمليات التي تبعت ذلك ستوكر والرائد لوجارد كبير الضباط . وتقدم البريطانيون في صف لمهاجمة الموقع الايراني ، ولكن الايرانيين بعد ان شلتهم نيران المدفعية وضعضعتهم هجمات الخيالة لم ينتظروا لملاقاة هجوم المشاة ، فتشتتوا وهربوا . وكان اعظم الاعمال في ذلك اليوم ما قامت به فصيلة من ١٢٠ رجلا من الفرقة الثالثة الخيالة الخفيفة كان يقودها الرئيس فوربس ، وقد اقتحمت الفصيلة ساحة بها فرقة مكونة من ٨٠٠ من الايرانيين الشماليين الاقوياء ، فشتتهم وانقضت على المدفعية الايرانية في المؤخرة . وفي هذا الهجوم جرح الرئيس فوربس جرحاً بليغاً ، كما جرح ثلاثة من ضباطه على الاقل وهم

الرؤساء كورنت وكومب وورن مورو » وجرحت خيولهم في ثلاثة أماكن وحصان لضابط آخر هو الملازم مور سقط ميتاً تحت راكبه بعد أن قفز الى الساحة . وظل ٧٠٠ على الاقل من الاعداء موتى في الميدان . وقد تم الاستيلاء على مدفعين نحاسيين « ٩ ارطال » مع ذخيرة وقليل من الخيل والبغال والتقط الف او أكثر من قواعد الاسلحة من على الارض . وانتهت هذه العملية في الساعة العاشرة صباحاً .

وقد كتب بعد ذلك السير ج. اوترام الذي شفي من الحادث قرب نهاية العملية يصف هزيمة العدو : « ان فرقتنا الصغيرة من الخيالة شتتت العدو كالقش ، وبمعنى الكلمة مزقتهم كالقمح تحت المنجل . وكان معظم رجالهم من الاقوياء كما برهنت جثثهم الضخمة على ذلك ، ولم اشاهد أبداً مثل هذه المذبحة التي لم تكلفنا كثيراً . ووضح حقيقة ان رجالهم يواجهون الموت بلا مقاومة كأنهم يفعلون ذلك نكاية في ضباطهم الجبناء الذين تركوهم بطريقة مخجلة ، أما سلوك فرسان العدو من البداية للنهاية فكان في منتهى النذالة » .

لم تتوقف القوات الايرانية المهزومة حتى وصلت شيراز . وكانت الخسائر البريطانية مقتل ٣ اوروبيين ، و ٧ من الهنود ، وجرح ٣١ من الاوربيين و ٣١ من الهنود مات منهم بعد ذلك ٣ اوروبيين ، و ٣ من الهنود .

وقد نشرت الحكومة الايرانية بعد ذلك تقريراً مسلياً عن المعركة في جريدة طهران ، تظاهرت فيه بأن مخازن الذخيرة التي نسفت في برازجان كانت للبريطانيين ، وان الايرانيين طاردوا الغزاة الى بوشهر .

السير من خوشاب الى بوشهر من ٨ ــ ١٠ فبراير

سارت القوة البريطانية مرة أخرى في نفس المساء في مطر غزير ، ورياح قارصة في محيط من الوحل ، وبعد ان ضلت الطريق بسبب خطأ مرشد من الاهالي لم تصل الا ضحى اليوم التالي ، ووصل جزء من القوة الى بوشهر في تلك الليلة ٩ فبراير ، ووصل الباقي في الصباح التالي .

ولم يتركوا خلفهم مقاتلا واحداً حياً او ميتاً ليقع في ايدي الاعداء ، وسارت القوات من بوشهر الى برازجان (٤٦ ميلا) في ٤١ ساعة ، وعادت من طريق آخر (٤٤) ميلا في ٥٠ ساعة ، وكانت هذه المدة تشمل الوقت الذي تمت فيه عملية خوشاب . وكانت الوقاية الوحيدة للقوات ضد الجو العاصف ، هي المعاطف الكبيرة والبطاطين ، يحملها الرجال أنفسهم لعدم وجود دواب للنقل فإن الارض التي عبروها كانت تتطلب امراً بصرف أحذية جديدة لجميع القوات عند عودتها لبوشهر .

المعسكر البريطاني في بوشهر فبراير ١٨٥٧

عند العودة لبوشهر . وجه السير ج. اوترام عنايته الى تقوية المعسكر البريطاني المحصن ، وكان ينوي ارسال معظم قوات الميدان فيه للقيام بعمليات في المحمرة . وشيدت اربعة استحكامات امام المعسكر في مواجهة الجبهة الجنوبية ، وطابية ساحل في استحكام آخر في المؤخرة .

الاستعدادات البريطانية في باسيدو أثناء الحرب

ويبدو أنة قد اهمل منذ بداية الحرب حماية قاعدة باسيدو التي كان يخزن فيها الفحم ، في مبان ذات قيمة . وبعد ان قصف السير ه. ليك قائد البحرية معسكراً ايرانياً في لنجة في ١٩ ديسمبر سنة ١٨٥٦ ، اتخذ الخطوات ليعالج الاهمال بوضع مدفعين ٦٨ رطلا ، و ٨٠ من رجال البحرية تحت قيادة هافلدر الى جانب السفينة البنجاب لحراسة القاعدة ، والسفينة كونستانس لحراسة المجرى بين جزيرة قشم والارض الرئيسية .

وقد راجع السير ج. اوترام الاستعدادات التي قام بها ضابط البحرية الهندية المسئول كما قام اوترام بزيارة باسيدو في ٢٥ يناير سنة ١٨٥٧ وهو في طريقه الى الجبهة ، وامر بنقل المدافع التي وجدها موضوعة لحماية المباني على مسافة ميل منها الى مكان قريب ، وأوصى بوضع قوة مكملة من الضباط وصف الضباط لضمهم لرجال البحرية ، وكان من رأيه ان السفينة كونستانس تكفي للدفاع البحري عن المكان .

جزيرة خارَج أثناء العملية

شُغلت جزيرة خارَج أثناء العمليات كمستشفى ومستودع للفحم . ويبدو انّه اعتبر ان فصيلة من فرقة المشاة الاهلية التي زودت بعد ذلك في مارس سنة ١٨٥٧ بالرابعة بنادق ، بمثابة حامية كافية . وفي ٣٠ أيلول قام السير ج. اوترام بفحص جزيرة خارَج لمعرفة صلاحيتها كمصحة للقوات التي كان من الضروري الاحتفاظ بها في بوشهر أثناء الصيف .

ويبدو ان السير ج. اوترام شأنه شأن سير ج. مالكولم سنة ١٨٠٨— ١٨٠٩ ، والضباط المهتمين باحتلال الجزيرة من سنة ١٨٣٨ الى ١٨٤٢ ، قد تأثر كثيراً بمزايا جزيرة خارَج مؤيداً مثلهم ضمها للممتلكات البريطانية كما تم التفكير في وقت ما ، لذلك كتب في مايو سنة ١٨٥٧ لرئيس هيئة الرقابة بشركة الهند الشرقية .

« انك ترى انني اوافق على الاقتراح الوارد في مشروع المعاهدة التي يجري اعدادها في الوطن للاحتفاظ بخارَج ، وانني اعترف بأنني أشعر ببعض الاسف لأن هذا الامر لم يتحقق . وفي أي حرب مستقبلا مع ايران فان حامية صغيرة هناك مع بعض السفن الحربية القليلة ستكفي لما هو مطلوب في ذلك الجزء ، وهكذا فلنترك الجيش حراً يقوم بعمليات اكثر تعرضاً(١) للهجوم . ولا ريب كان احتلالها سيمكننا علاوة على ذلك من التحكم في الخليج ، ويجعل من العبث منافسة أية قوة تريد توطيدنفوذها هنا » .

وعلق بعد ذلك بشهر على انسحاب الجزء الاكبر من قوة الميدان الى الهند بما يأتي :

« ان خارَج ، في رأيي ، مكان أفضل من بوشهر ، سواء من حيث الاعتبارات السياسية، او الحربية للتحكم في هذا الميناء(١) ومصبات الفرات

---

(١) من المحتمل ان يكون المعنى اكثر تعرضا للهجوم من بوشهر التى تقع خلف امتداد الساحل .

(١) يقصد « بوشهر » .

ويمكن الاحتفاظ بها حتى في حالتها الراهنة ضد قوات ايران . وبمجرد حامية صغيرة يمكن ان نجعلها مأوى حصيناً لقوات بحرية كبيرة .

ويبدو لي أن خارَج ستكون ايضاً مكاناً أفضل للمعتمد في الخليج بوضع ذلك الموظف بعيداً عن ممارسة التدخل الذي يثير غيظاً لا يمكن تجنبه مع الرعايا الايرانيين ، طالما هو موجود في هذه المدينة .

ولا يشمل احتلال الجزيرة بالضرورة استيلاءنا عليها كأرض بريطانية اذا وفى الشاه بشروط المعاهدة . وهي الآن أعظم مغنم قيم نستطيع ان نحتفظ به اذا لم يف الشاه بشروط المعاهدة » .

★ ★ ★

علاقات بريطانيا السياسية مع ساحل ايران وجزره بعد الحرب الانجلو ـ ايرانية ١٨٥٧ ـ ١٨٩٦

المتاعب التي حدثت من نظام الكارجوزار ١٨٦٠ ـ ١٨٨٧

بعد الحرب الانجلو ايرانية نشأت صعوبات من التوسع الذي قامت به الحكومة الايرانية في نظام الكارجوزار وهم طبقة من الوكلاء السياسيين يوضعون في مراكز هامة حيث يوجد أجانب يعملون بأوامر تصدر من وزارة الخارجية الايرانية مباشرة ، مستقلين عن السلطات الايرانية المحلية .

ويمكن اثبات أن النظام لم يكن جديداً تماماً من كون الكارجوزار المحلي كان من أبرز السجناء الذين أخذهم البريطانيون عند الاستيلاء على بوشهر كما ذكر من قبل . وكان واجب الكارجوزار ان يرعى مصالح الحكومة الايرانية في جميع الانشطة التي كان للممثلين والرعايا الاجانب علاقة بها . وفي سنة ١٨٦٠ أصدر الوزير البريطاني في طهران أمراً للمعتمد البريطاني في بوشهر بأن يجعل اتصاله بالكاجوزار في جميع الشئون التي اعتاد التعامل فيها مع الحاكم المحلي .

وفي سنة ١٨٦٧—١٨٦٨ عندما كثر النزاع في بوشهر بشأن العديد من مسائل المعاهدة المتعلقة بحقوق البريطانيين نتجت متاعب كثيرة وتأخير بسبب القيود التي وضعت على المعاملات المباشرة بين المعتمد البريطاني والموظفين الايرانيين العاديين . ولمدة اربع او خمس سنوات لم يكن يوجد كارجوزار في بوشهر ، وفي سنة ١٨٦٨ قدمت عرائض كثيرة عن هذا الموضوع للحكومة الايرانية أدت الى تعيين كارجوزار هناك وهو ميرزا محمد خان الذي وعد بأن يكون موقفه موقف التوفيق . ولا يبدو ان القيود على المعاملات بين المعتمد البريطاني والحاكم الايراني قد انتهت رسمياً ، علماً بأن انتهاءها كانت تحث عليه كل من وزارة خارجية صاحبة الجلالة وحكومة الهند ، ولكن يبدو واضحاً من تاريخ العلاقات المحلية بعد ذلك أن اعتبار هذه الامور مطلقة الاهمية لا بد قد توقف .

وفي سنة ١٨٧٣ استطاع المعتمد البريطاني الرائد اي. س. روس أن يذكر في تقرير له ان علاقاته مع الكارجوزار والامير الحاكم في بوشهر أيضاً كانت ممتازة ، ولكنه في سنة ١٨٧٧ اضطر ان يشتكي من سوء سلوك ذلك الموظف ، وكانت النتيجة ان أبعد الاخير من بوشهر ، واستبدل بأخر اسمه ميرزا عبد الكريم ، كاجزاء موقت ، مع بقاء ميرزا محمد خان .

وفي سنة ١٨٨١ عين كارجوزار بوشهر ميرزا علي أكبر خان كحاكم على المدينة ، بعد ان اعفي من وظيفته كوكيل للشئون الخارجية وحل محله الحاج ميرزا عبدالله خان زميله في بندر عباس ، حيث أدخل نظام الكارجوزار أيضاً ، ولم يبق ميرزا اكبر خان طويلا في الحكم بعد أن أصبح مذنباً لسوء سياسته كحاكم ، وقدم الوزير البريطاني في طهران شكوى ضده .

وفي نوفمبر سنة ١٨٨٧ عين كارجوزار بوشهر ميرزا محمد خان ، معتمد الوزارة ، ولا نعرف ما اذا كان هو نفس الشخص الذي كان صاحب السلطة من قبل . وقد وقع في أجبولة في حسابات الجمارك ،

وسجن في منزله وحرم من الطعام لمدة يومين . وُعمِل على تهريبه الى المعتمدية البريطانية ، حيث بقي في أمان ، حتى تمت الترتيبات لمحاكمته بعد التحقيق في سلوكه . وفي النهاية طرد وشغل مكانه نجف قولي خان ، وهو شخص ذو خبرة قليلة ، وأقل منزلة .

رفض الحكومة الايرانية لعرض مساعدة البحرية البريطانية للقضاء على الفوضى في الساحل ١٨٥٩ – ١٨٦٠

في نهاية سنة ١٨٥٩ او بداية سنة ١٨٦٠ عرض القائد فيلكس جونز المعتمد البريطاني في بوشهر على صاحب السمو الملكي حسام الدولة حاكم فارس العام مساعدة البحرية البريطانية في قمع القلاقل الخطيرة التي قامت في الساحل الايراني ، وهددت بالانتشار الى الداخل محدثة آثاراً خطيرة على التجارة ، وسلام الدولة ، ولكن دون جدوى . ولم تظهر الحكومة الايرانية التي ربما قد تجدد العرض عليها عن طريق الوزير البريطاني في طهران أي دلالة على قبوله ، واعتقدالسير هـ. رولينسون ان اعمال الروس في أشورادا في القزوين جعلتهم يرتابون في نوايا المساعدات البحرية الاجنبية ، فلم يكن مناسباً الإلحاح على الاقتراح فتقرر ان يترك ليوصي به حسام الدولة نفسه ، عندما تقنعه الخبرة بفائدته ..وقد وافقت حكومة بومباي على ذلك الرأي .

الصعوبات المرتبطة بالمقبرة البريطانية في بوشهر ١٨٦٢

وفي سنة ١٨٦٢ قامت مشكلة بسبب تصرفات متعمدة لانتهاك حرمة المدافن البريطانية في بوشهر ، ارتكبها الايرانيون الذين قاموا بزراعة جزء منها كما حدث بعض التلف ايضاً للسور الذي يحيط بها . وبعد ان اشير الى هذا الموضوع في طهران ، فرضت غرامة على احد المعتدين ، وتوقفت الشكوى بعد تعيين حارس بالأجر ، ولا يُعرف ان كان اتخذ أي إجراء بصدد توصية الرائد بللي المعتمد بالحصول على منحة بالارض الخاصة بالمقبرة من الحكومة الايرانية . مع دفع تعويض لأصحاب الارض .

الاجراءات البريطانية للاغاثة في المجاعة في بوشهر ١٨٧٠–١٨٧٢

وفي سنة ١٨٧٠ حدثت مجاعة ، وكانت بوشهر في ذلك الوقت دون حاكم ، وقامت مظاهرات شعبية هناك بسبب تصدير الرعايا البريطانيين للغلال ، وطلبت الحكومة الايرانية أيضاً من الوزير البريطاني في طهران ان يستعمل نفوذه ليوقف الشركات البريطانية من إرسال القمح خارج الدولة . وكان الرائد بللي مستطيعاً ان يأمر بوجوب تسليم الغلال الموجودة بمخازن التجار البريطانيين حينئذ ، ومعظمها من القمح الى السلطات الايرانية المحلية ، ولكن لم يكن هناك في اول الامر موظف ايراني يستطيع احتمال مثل تلك المسئولية . ولمدة شهر بيعت الغلال للناس بثمن منخفض عن طريق التجار البريطانيين أنفسهم . وعند وصول الحاكم نقلت اليه الغلال التي كانت موجودة في المخازن .

وقد اعتبر البيع الاجباري لتلك الكميات ظلماً للشركتين البريطانيتين اللتين تأثرتا كثيراً وهما شركتا السادة مالكولم وشركاه ، والحاج موسى ميماني اللتان اشترتا القمح في ابريل سنة ١٨٧٠ او قبل ان تعلن الحكومة الايرانية عن نيتها في وقف التصدير ، وعرضها دفع الثمن بسعر ١٢ قراناً للمن . واخيراً عقد اتفاق على أساس مرض قليلا للتجار ، ومع أن الاخيرين كانا غير راضيين بهذه التسوية النهائية أيضاً ، فان حكومة الهند قررت ألا تؤيدهما في أعتراضاتهما أكثر من ذلك .

وظلت المجاعة مستمرة ، ونظمت لجان للاغاثة في سنة ١٨٧٠–١٨٧١ في لندن وكلكتا وبومباي . وفي سنة ١٨٧٢ كون صاحب الجلالة الشاه لجنة إغاثة ايرانية . ويبدو ان منظمي حركة الاغاثة في الهند كانوا : خوجه عبدالغني ميان حامل وسام نجمة الهند ، وابنه اسدالله من الدكا وتبرع السادة الهنود ايضاً للارصدة البحرية ، وتكونت لجنة محلية في بوشهر لادارة التبرعات البريطانية والهندية ، وكانت تتكون من بعض السادة الاوروبيين هناك ، يشرف عليهم المعتمد . ووضع المال تحت تصرفها فيما بين يوليه سنة ١٨٧١ ويناير سنة ١٨٧٢ . وقد بلغت قيمة المال ١٤٨,٥٠٧ قراناً . ووزعت هذه اللجنة اول الامر طعاماً مطهياً ، ووزعت بعد ذلك عملة نحاسية .

وفشلت في كل من هاتين الوسيلتين بسبب كثرة الحشود ، مما سبب الفوضى وفتح الباب لاساءة التصرف . وفي النهاية وجد أنه من الافضل في بوشهر استخدام أشخاص أقوياء لكنس المدينة ، ورصف الطرق في الريف ، بينما تأسست ملاجيء وغيرها للعجائز والضعفاء وللنساء والاطفال واعطي الخبز للفقراء يومياً في سابزاباد ، وتجمعت معظم القرى وقدمت معونة نقدية للاشخاص الذين اوصلتهم المجاعة الى الفقر . وقامت لجنة بوشهر ايضاً بتقديم منح للمساهمة في نفقات المجاعة في كازاران وشيراز واصفهان . وفي أغسطس سنة ١٨٧٢ بعد ان جمع محصول جيد ، توقفت تقريباً عمليات الاغاثة ، وكان ما زال باقياً في الميزانية ٩٧١٣ قراناً في أيدي لجنة بوشهر ، باستثناء رصيد احتياطي لليتامى قدره ٧٢٦٠ قراناً او ٣٠٠٠ روبية . وفي سنة ١٨٧٣ أقفلت أعمال وحسابات لجنة بوشهر بناء على اقتراح مركز لجنة الاغاثة في لندن .

قضايا بريطانية متنوعة ١٨٧٢ — ١٨٧٤

في سنة ١٨٧٣—١٨٧٤ كانت تقع أحداث متنوعة على الساحل الايراني أثرت في الرعايا البريطانيين ، واستدعت احتجاجات رسمية ، ومطالب لتصحيح الامور . ففي يناير سنة ١٨٧٣ تسبب الحجاج في إيجاد فوضى في بندر عباس ، مما أجبر وكيل البريد البريطاني ان يهرب طلباً للأمان . وارسلت روز ، وهي سفينة حربية الى المكان ، وكان لذلك نتائج طيبة . واصدرت اوامر من الحكومة الايرانية لحماية الرعايا البريطانيين بعناية بواسطة الموظفين الايرانيين المحليين ، وحدث شغب لذلك نوعاً ما في لنجة ، ولكن شيخ لنجة حمى وكيل البريد ، وكبح جماح الحجاج . وبالقرب من بوشهر جرح ضابط بحري بريطاني وسلب ما معه بأيدي عصابة من قطاع الطرق . ولكن الحكومة الايرانية بالرغم من الجهود العديدة الجبارة ، لم تتمكن من تقديم المعتدين للعدالة وفي مارس سنة ١٨٧٤ جاء مركب شراعي الى الشاطيء عند جزيرة الشيخ شعيب وتحطم ، وقد حال وجود موظف من المعتمدية البريطانية في المكان دون نهب المركب . ووصل مندوب الحكومة البريطانية

الاهلي في لنجة سريعاً ، لمساعدة القبطان ، وليرتب مع شيخ كنجون شروط الانقاذ .

قضية مارواريد الهندي ١٨٧٣ — ١٨٧٧

وقضية أخرى كان شأنها التجاري والقانوني أهم من ناحيتها السياسية وهي قضية مارواريد التاجر الهندي في كرمان الذي كان مرتبطاً بالعمل مع مول غاندي وهو الآخر تاجر هندي في بندر عباس . وفي بداية سنة ١٨٧٣ وبعد أن غش شريكه ، وشخصاً آخر من رعايا الهند البريطانيين ، أسلم واتخذ لنفسه اسم ميرزا علي أكبر ، وكانت فكرته هي كسب المعونة الايرانية ، وهكذا أفلت من العدالة البريطانية .

وبناء على طلب الوفد البريطاني ارسلت حكومة الشاه تعليمات في هذه القضية الى حاكم كرمان ، ولكن نتيجتها كانت تصرفات لا تبشر بأي أمل للترضية الحقيقية . واخيراً في سنة ١٨٧٥ ونتيجة لعرائض قدمها بعض الشاكين الهنود ، خاطب الوزير البريطاني الحكومة الايرانية مرة أخرى ، وحصل منها على امر موجه الى حاكم كرمان لاحضار مارواريد الى بندر عباس ، لكي تفحص حساباته هناك في اجتماع يضم الهنود وآخرين بمعرفة الكارجوزار الايراني ، لوضع تسوية ترسل نتيجتها الى الحكومة الايرانية ، وعلى أية حال فان المستر تومسون أحس بصعوبتين خطيرتين : ففي الاعتبار الاول ، ان القضية ، بما أنها بين رعايا بريطانيين كلية ، لم يكن للسلطات الايرانية الحق للتدخل فيها طبقاً للمعاهدة ، وثانياً فانه يفهم أنه لا هو نفسه كوزير ، ولا المعتمد في الخليج بملكان سلطات يستطيعون بها التصرف في القضية بصفة قانونية لو أحضر مارواريد امامهم .

وفي النهاية قررت حكومة صاحبة الجلالة ان يطلب وجود مارواريد للتقاضي عند معتمد بوشهر ، طبقاً للعرف . وفي نهاية يوليه سنة ١٨٧٦ ارسل غلام (رسول) من المفوضية البريطانية من طهران الى كرمان ، ومعه امر للسلطة المحلية لارسال مارواريد مع كتبه ومستنداته الى بندر عباس . وفي سبتمبر وصل المستر ادوارد المساعد الثاني للمعتمد الى بندر

عباس ، بعد ان فوضه الرائد بريدو المعتمد بالوكالة ليحقق في القضية ، ولكن مارواريد لم يكن هناك . وعلم المستر ادوارد عندما تقدم الى ميناب ان الرجل ما زال موجوداً في كرمان . وكان يبدو ان ما راوريد قد آوى الى منزل المجتهد المدعو الحاج أغا أخمد مما أجبر الحاكم أن يقبض عليه بمناورة حربية . وعند ذلك هاجم جمهور غاضب من المسلمين المقر الهندي ، وقبضوا على أحد النزلاء فعاملوه بشدة وحجزوه ، حتى استعاد مارواريد حماية المجتهد ، وضم الحاكم الذي ارتاب فيه الهندوس على أنه ارتشى ، صوته الى صوت المجتهد في التأكيد على حظر أية محاولة لارسال مارواريد الى بندر عباس في هذه الحالة المضطربة من عشائر المسلمين المحليين ، وان يوصى على الفور بتسوية مالية ، بدلا من ذلك . ولكن رفض غلام أن ينصت الى هذه المقترحات ، بما أنها لا تتفق مع الاوامر التي يحملها .

وقدم المستر تومسون في طهران احتجاجات شديدة كان من نتيجتها ان ارسل ما رواريد أخيراً الى بندر عباس في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٧٦ . وقد اشيع ان تسويف الحكومة الايرانية في الموضوع لم يكن ميلا لانكار حق الطلب البريطاني الذي كتب عنه وزير الخارجية الايراني نفسه قائلا : « ان للمفوضية البريطانية الحق الواضح في ان تحقق العدالة لرعاياها » . غير أن الشاه رغب بأن تختص مارواريد بالرعاية بقدر المستطاع ، لانه اعتنق الاسلام حديثاً ، ولايجاد فرصة من أجل تسوية كرمان ، حيث بدأ المجتهد في جمع تبرعات لصالح الرجل ».

وفي بداية يناير سنة ١٨٧٧ ، وصل الى بوشهر مارواريد مع بعض شهود من الهنود الذين شهدوا ضده . وقد أدت البينات المقدمة الى وجوب محاكمة الرجل باتهام إجرامي . وقام المعتمد الرائد بريدو بموجب اوامر من حكومة الهند ، با لمحاكمة في بوشهر . وفي ٢٥ يونيو حكم على السجين الذي ثبت ذنبه بسجن صارم لمدة ستة أشهر ، يستثنى منها المدة التي قضاها أثناء المحاكمة .

وقد امرت حكومة الهند من قبل ذلك بأن أيّ حكم يصدر ،

يجب ان ينفذ في بوشهر بموجب ترتيبات يقوم بها المعتمد ، ربما بسبب الشك بأن امر القبض الموقـــــع من المعتمد لم تكن سلطات السجن في الهند تعتبره قانونياً .

قضية بغلة « سفينة » بريطانية في هانجام ١٨٧٦

في مارس سنة ١٨٧٦ ، جنحت بغلة كبيرة عليها الاعلام البريطانية عند هانجام ، وبي الحال عند تلقي النبأ ارسلت سفينة صاحبة الجلالة «العرب» الى المكان ، وقد انقذ وجودها البغلة من النهب . واقتصر شيخ قشم ، الذي ارسل عدداً من القوارب الى مسرح الحادث ، على طلب جر السفينة الى مينائه ، على أمل الاستفادة منها آخر الامر. وقد ارسل بعد ذلك وفداً الى بوشهر ، ليوضح ان مقصدهالوحيد كان انقاذ البغلة وحمولتها . ودخل في اتفاق يرد بموجبه لاصحاب البغلة كل ما اخذ منهم . وقد نفذ الاتفاق كما يجب .

مطالبة السلطاتالايرانية بقوائم الموظفين البريطانيين ومن تحت حمايتهم ١٨٨٣

في يونية سنة ١٨٧٧ ، طلب معتمد الدولة حاكم فارس العام حينئذ ، من المعتمد البريطاني بالوكالة في بوشهر ، ان يزود السلطات الايرانية هناك بقائمة بأسماء الموظفين والاتباع في المعتمدية لارسالها لوزير الخارجية في طهران ، ولكن الرائد بريدو أبى أن يستجيب لذلك ، على أساس ان هذا العمل «سيكون معناه الاعتراف بمطالب السلطات الايرانية للتدخل في حق استخدام مثل هؤلاء الموظفين في المعتمدية » .

وتكرر الطلب في العام التالي بطريقة أشد على ما يبدو ، ورفضه أيضاً مرة أخرى الرائد روس المعتمد ، ولكي يبرر الأخير موقفه ، اشتكى من أن إعداد قائمة ، ولو للوقت الحاضر ، أمر مستحيل ، بسبب كثرة وتنوع الاتباع البريطانيين ، الذين كانوا يتنقلون باستمرار في موانىء الساحل الايراني بينما الأشخاص الذين تستخدمهم الحكومة البريطانية ، او الرعايا البريطانيين ، كان بعضهم يفصل كل يوم ، ويحل محلهم

آخرون ، وان أية محاولة لاعلام السلطات االايرانية بصفة مستمرة في هذا الموضوع ، لن تكون فقط عديمة الجدوى ، بل ربما تسبب أيضاً مناقشات تكثر بعد ان كانت نادرة قبلئذ . وتستطيع السلطات الايرانية ان تتأكد باستمرار وبلا صعوبة عن طريق الاتصال بالمعتمدية عن حالة أي فرد معين . وستقدم كل مساعدة من اي نوع ممكن للحكومة الايرانية فيما يختص بالرعايا الايرانيين الذين يعملون مع البريطانيين ، ويتهمون بسوء سلوك ، أو بخرق قانون ، وان هؤلاء الاشخاص عندما يتهمون بجريمة لن يستخدموا مرة أخرى . واخيراً فان عادة المعتمدية البريطانية في بوشهر هي الا تزيد من القيود المفروضة بواسطة المعاهدات ، وان تفيد من النتيجة السارة ، في أن المنازعات أصبحت نادرة . هكذا ردّ الرائد روس على الحاكم الايراني . وقد وافقت عليه حكومة صاحبة الجلالة التي اعتبرت أن التدخل الايراني الرسمي في شئون معتمدية بوشهر الصغيرة ، لا يمكن ان يسمح به ، وان اعتراف السلطات الايرانية للأفراد في بوشهر بأنهم رعايا بريطانيون ، أو تحت الحماية البريطانية ، لا يمكن ان يكون مشروطاً بموافقة الحكومة في طهران ،ولكنها اعتقدت انه يمكن تقديم كشف بالاشخاص المعنيين ، اذا طلب ذلك مرة أخرى على سبيل المجاملة .

وفي مايو سنة ١٨٨٣ ، اشتكى صاحب الديوان في شيراز ، الى صاحب العظمة الملكية ظل السلطان حاكم فارس العام من ان المعتمد البريطاني في بوشهر ، انتقل الى منزله الريفي في سابزاباد دون مرافقة حرس ، كما لم تعلم السلطات الايرانية عدد أتباعه ومرافقيه . وقد اعتبر الجزء الاول من الشكوى غير صحيح ، لانه يوجد دائماً حرس من المشاة الاهالي والخيالة مقيمين في سابزاباد عندما يكون المعتمد هناك . واما بالنسبة للجزء الثاني من الشكوى ، فان المستر تومسون الممثل البريطاني في طهران ، أخبر ظل السلطان أنه اذا كان المقصود هو الرعايا البريطانيين أو الاتباع البريطانيين ، فانه لم يسبق تقديم قائمة باسماء هؤلاء الاشخاص من قبل السلطات البريطانية قبلئذ ، وانه من غير الملائم تقديم كشف مثل هذا .

شكاوى ملفقة من السلطات الايرانيةبشأن الرعايا البريطانيين في جزيرة قيس ١٨٧٩ – ١٨٨٠

وفي الوقت الذي قتل فيه الشيخ غلي ، شيخ لنجة ، على يد الشيخ يوسف سنة ١٨٧٨ ، وهو حادث القى بمناطق الساحل المجاورة في الفوضى كانت جزيرة قيس تعد خاضعة لمحمد بن حسن آل على شيخ جارك ، الذي كانت قبيلته ترتبط بآل علي شيخ ام القوين على الجانب الغربي من الخليج . وقد تحسنت احوال الجزيرة المادية بعدما وصلت اليها عائلة تاجر محترم ترك منزله في البحرين سنة ١٨٤٩ فراراً من سوء سلوك حاكمها الشيخ محمد بن خليفه ، وقد اقام اول الامر في لنجة ، وكان رئيس هؤلاء البحرينيين المهاجرين سنة ١٨٨٩ شخص يدعى مشعري ابن عبد اللطيف .

وفي ابريل سنة ١٨٧٩ ، بعد ان اخذت السلطات الايرانية بفكرة التدخل في شئون الجزيرة ، وزيادة العائدات المفروضة عليها ، قدمت الحكومة الايرانية شكوى الى المفوضية البريطانية في طهران ، بأن الرعايا البريطانيين المقيمين في قيس يؤوون اللاجئين الايرانيين هناك . وبما أن الرعايا البريطانيين في الجزيرة كانوا فقط اربعة من الخاجاه وهنود بانيان(١) وخدمهم بمن بكل تأكيد لم يُؤوا لاجئين ايرانيين ، وقد حذروا بصفة خاصة الا يتدخلوا في السياسة ، فانه يبدو أنه من المحتمل ان تكون الشكوى الايرانية في الحقيقة موجهة ضد رئيس المقيمين البحرينيين ، الذين كانوا يقصدون التحامل عليهم . واخيراً بلغت الحكومة الايرانية عن عزمها في عقاب بعض السكان العرب في قيس ، ممن كانوا متهمين بسوء السلوك ، وطلبوا ان يُرسَل الرعايا البريطانيون في الجزيرة الى مكان آخر لايام قليلة . ولكن لم يسجل أنه اتخذت إجراءات عملية لهذا الطلب.

وفي يناير سنة ١٨٨٠ ، اقترح شيخ ام القوين ، التدخل في قيس ليعضد اقربائه آل علي في جارك ضد الايرانيين ، ولكن المعتمد

(١) البانيان : هم مشركو الهند .

البريطاني أبلغه ان قيس جزء من املاك الشاه لذلك لا يمكن ان يُسمَح بتدخله .

وبعد ذلك ببضع سنوات ، أصبح من المعروف ان عائلة قوام الملك في شيراز ، طالبت بقيس بموجب منحة ادعوا أن الشاه شخصياً قدمها لهم في سنة ١٨٧٨ .

سوء معاملة الرعايا الهنود البريطانيين في لنجة ١٨٨٠

وفي سنة ١٨٨٠ سجن الشيخ يوسف الذي كان اغتصب سلطة شيخ لنجة العربي سجناً اعتسافياً تاجراً هندياً بريطانياً ، واجبر آخرين على اغلاق حوانيتهم . فارسلت سفينة صاحب الجلالة «فلتشر» في الحال في بوشهر ، وهي تحمل موظفاً ايرانياً فوض اليه امر التحقيق في الموضوع ، وامر بتعويض مناسب واعتذار مسهب .

قضية موتى رام الهندي ١٨٨٥

في فبراير سنة ١٨٨٥ ، اختفى فقير هندي يدعى موتى رام من الحي الهندي في بندر عباس . وفي نفس الوقت فقدت نقود واشياء أخرى قيمة من معبد جماعة الهنود . واشتكي الى الكارجوزار الايراني الذي أحال الموضوع الى ميرزا نصرالله خان ، القائم بعمل ممثل نائب الحاكم الايراني ، ولكن كان هناك تأخير كبير في تقديم المتهم . وعندما ظهر ، وجد انه اجريت له عملية الختان ، وادعى الاسلام ، وتبع ذلك اضطراب كبير بين الهنود الذين اغلقوا حوانيتهم ، ليعبروا عن سخطهم ، واتهموا ميرزا نصرالله خان ، بأنه متواطئ ، وله ضلع في السرقة . وبلا شك فان المعتمد تشبيهاً بما حدث في قضية مارواريد ، أمر باحضار موتى رام الى بوشهر لمحاكمته كرعية بريطاني ، ولكن وان كانت هناك شكوك قوية على جرمه ، الا أنه كان ينقصها برهان قانوني . وفيما يختص بتغيير الرجل لديانته ، فقد اعتبر المعتمد ان السلطات المحلية قد تصرفت ازاء الحادث بتسرع ، وفي سرية يوسف لها . ولكن الرجل نفسه صرح بأن تغييره دينه يرجع فقط الى دوافع دينية ، ووعد نائب الحاكم بابعاد

القائم بتمثيله ، ووضع بدله ممثلا رسمياً آخر ، واتفق مع المعتمد على عدم الرغبة في السماح للهندي السابق بالعودة الى بندر عباس .

اجراءات ضد البريطانيين من ممثلي أمين السلطان في الخليج ١٨٨٧ — ١٨٨٨

تميزت السنتان ١٨٨٧ و ١٨٨٨ ، كما رأينا من قبل بمحاولة عصبية من جانب الحكومة الايرانية ، لتدعم نفسها في سياسة الخليج . ويبدو ان المحرك الاول في هذا الاتجاه هو حبيب الشاه امين السلطان ، الذي عهد اليه بحكومة موانى الخليج . وقد اعلن عن مظاهر طموحه في إضعاف النفوذ الاجنبي في المناطق الايرانية التي تحت ولايته ، وايضاً في العلاقات الخارجية.

وفي يوليه سنة ١٨٨٧ ، قدم يعقوب بن بشر المفتش الايراني او المخبر الذي عين في لنجة ، اتهامات مزورة ، ذات طبيعة خطيرة ، ضد عميل للحكومة البريطانية من الاهالي هناك . وقد حرّف تصرف المعتمد حيال مطالب معينة ضد غواصي اللؤلؤ في جزيرة صري . وبعد ان استصوبت الحكومة الايرانية بيانات المفتش ، واشتكت الى الوزير البريطاني في طهران ، ثبت بالبرهان تزييف هذه الاتهامات تماماً ضد العميل ، وبذلك اسقط الموضوع .

وفي سنة ١٨٨٨ ، حاول سعد الملك ، اول حاكم لامير السلطان في بوشهر ، ان يميز نفسه بالاعتداء على المصالح البريطانية دون حق . وكان ذلك في اغسطس في قضية ارسالية بضائع من السادة س. ساسون من مانشستر فقد رفض رئيس جمرك بوشهر ، يؤيده الحاكم ، ان يعترف بالشهادة المعتادة التي تمنحها المعتمدية البريطانية للتخليص عليها بالاسعار الاجنبية . ووصل الامر بالحاكم الى الحد الذي أعلن فيه للمعتمد عن نيته في فتح حقائب(١) مفوضية صاحبة الجلالة البريطانية في الجمرك ، وفحص محتوياتها ، وهذا اجراء يناقض العرف السائد والمجاملة العادية

(١) بموجب معاهدتى تركمان والسلام في سنة ١٨٥٧ فانه كان للبعثة البريطانية الحق بأن تستورد الادوات الضرورية لاستهلاكها الخاص دون أية ضرائب جمركية . ولا شك أن فحص محتويات تلك الطرود المرسلة الى المفوضية ينطوى على اهانة بالغة .

وبعد ان كتب الوزير البريطاني السير هـ. دروموند وولف تقريراً مفاده أن هدف امين السلطان الحقيقي كان التحيف من امتياز البريطانيين ، فان حكومة صاحبة الجلالة خولته ان يحيط الحكومة الايرانية علماً أنها تعتبر مسئولة بدقّة عن اية أعمال شاذه حيال المعتمد البريطاني في بوشهر ، وايضاً أي ضرر يمكن ان يحدث للرعايا البريطانيين بسبب سلوك الموظفين الايرانيين التعسفي . وقدم الاحتجاج بطريقة جعلت أمين السلطان يصدر اوامر صريحة لحاكم بوشهر ، وليس ذلك فقط ، بل ارسل يأمره بالاعتذار للمعتمد ، وطرد رئيس الجمارك . وعلى اية حال فانه لم يُعتَبر ضرورياً قبول تلك الترضيات التي جاءت عفواً .

جنوح السفينة ترانزشن عند جزيرة قيس ١٨٨٩

وفي مارس سنة ١٨٨٩ ، جنحت السفينة البخارية التجارية البريطانية ترانزشن على شاطىء جزيرة قيس ، ومرت بمتاعب كثيرة سببها جشع شيخ جاراك ، وقدمت سفينة صاحبة الجلالة «كنج فشر» المساعدة في الحال ، واعادت تعويم السفينة دون ان يلحقها ضرر .

شغب بعض العرب على السفينة كيلوه ١٨٩١

وفي ديسمبر سنة ١٨٩١ ، حدث شغب على ظهر السفينة البريطانية الهندية «كيلوه» بين بوشهر ولنجة ، فهاجم بعض العرب المسئولين عن الخيل ضباط السفينة . ولحسن الحظ لحقت «كيلوه» بسفينة صاحبة الجلالة «ردبرست» الذي ارسل قائدها فرقة مسلحة الى السفينة ، ونقلوا زعماء المجموعة التي قامت بالشغب حيث حوكموا في بومباي ، وتم عقابهم .

سرقة هندي بريطاني في نابند ١٨٩٢

وفي اكتوبر ١٨٩٢ ، قدم أحد الرعايا الهنود البريطانيين ، وكان يدعى «موغوه» ويقيم في البحرين شكوى مفادها أن إيرانيين سرقوه ،

وكان بين المسروقات لآلىء تبلغ قيمتها ٢٦,٠٠٠ قران ، وقد امكن الحصول على اوامر من طهران بتقديم التعويض ، ولكن نتيجة لتلكؤ السلطات المحلية ، يبدو ان الاجراءات انتهت باسترداد ما قيمته ٣٣٨٨ قران من اللآلىء فقط ، وهذه نتيجة أسف لها المعتمد الرائد ويلسون ، الذي اعتبر القضية احدى المشاكل الصعبة .

★ ★ ★

المصالح البريطانية والتجارية على الساحل الايرانى وجزره ١٨٤٨ ـ ١٨٩٦

استرداد دين مطلوب من شيخ لنجة لدائن هندي بريطاني ١٨٥٦ — ١٨٥٨

في سنة ١٨٥٦ حدثت قضية أدت الى مناقشة وضع المعتمد البريطاني في الخليج ، فيما يختص باسترداد مبالغ اقرضها الرعايا الهنود البريطانيون الى الشيوخ العرب ، وإلى آخرين بمنطقة الخليج ، وبخاصة على الجانب الايراني . وكان الشخص الذي أقرض النقود في هذة القضية هو شابهاي تجس ، وهو تاجر من بومباي . وكان المقترض شيخ لنجة ، والمبلغ المطلوب استرداده هو ١٥٠٠ قرن .

وقد اعتبر الرئيس فيلكس جونز المعتمد ، أن ظروف القضية شاذة وتدخل في باب التدليس الفعلي ، ويبدو ان الوكيل الاهلي للحكومة البريطانية في لنجة كان طرفاً في هذا الغش . وطبقاً لذلك ارسل جونز مساعده كلايف الى لنجة ، ومعه اوامر بأن يلح على الشيخ بالسداد بطريقة لا تعرف اللين او التسامح ولكن بدون الزام السلطات الرسمية البريطانية بأي نهج محدد تنهجه في الموضوع ربما لا يحبذه سفير بريطانيا في طهران .

ولا شك ان الظروف المرتبطة بالحرب الانجلو ايرانية قد أملت

على المعتمد اختيار هذا التصرف غير العادي ، وعلى أية حال ، فان البعثة نجحت ، وتم استرداد النقود .

وأخيراً بعد ان لام مجلس مديري شركة الهند الشرقية المعتمد على سلوكه في التدخل بين مقرض نقود ، وبين شيخ عربي ، كتب الرئس جونز يقول :

« ان استرداد مبالغ يقرضها رعايانا لزعماء العرب لا يكون في الحقيقة جزءً من واجبات الممثل البريطاني في هذه الجهات ، وان كان يسعى دائماً باحتجاجات ودية في تدخله بين زعماء العرب وبين الناس ليقدم مطالبهم مع التوصية لدى الزعماء المذكورين ، لكي ينالوا شيئاً من الاهتمام في أقاليم إذا لم تؤازرهم فيها حماية السلطة ، فان صفقاتهم التجارية وتجارة الهند البريطانية على العموم ، ستكون غير ثابتة ، ان لم تكن كاسدة تماماً . وفي نفس الوقت انني مقتنع تماماً بأن تسوية المعاملات العادية بين التجار الاهالي البريطانيين ، وزعماء العرب ، وبين أهالي هذه الجهات ، لا يجب ان تتم عن طريق المعتمد البريطاني ، حيث إن مثل هذه الصفقات تتم بالربا وأساليب معقدة وغريبة بالنسبة لفقراء محتاجين من جهة ، وطبقة مختصة بالمضاربات التجارية مثل التجار الهندوسيين من جهة أخرى . وفي الحقيقة ، اذا سار هذا التدخل على أنه مبدأ عام ، وليس استثناء ، فان ذلك يتطلب محاكم استئناف ، وسلطات قنصلية بريطانية في كل مكان في الخليج . زد على ذلك ، فانه نظراً لعدم الضمان الذي يصاحب التجارة في جميع الانحاء العربية ، فانني أذعت غير مرة على هؤلاء المتصلين بالتجارة ، أحذرهم أنهم يقومون بذلك على مسئوليتهم الخاصة . ولكن الارباح التي يجنونها من هذه الصفقات على أية حال كبيرة بحيث نجدهم يغضون النظر عن الخسارة المؤقتة ، ويستمرون في رفع الدعاوي راضين بتأكيدات حمايتنا العامة لهم من الاهانة او الاضطهاد .

وقد قررت حكومة بومباي أنه يجب على المعتمد كقاعدة عامة أن يمتنع عن اي تدخل في مطالب التجار من الزعماء العرب وغيرهم

على شواطىء الخليج ، وقد علق سكرتير عام الهند فيما يختص بهذه التعليمات « بأن حكومة صاحبة الجلالة ترغب بشدة في تجنب هذا التدخل العقيم في الصفقات المالية والتجارية الخاصة بزعماء العرب والقبائل ، وتوافق بحرارة على الامور التي صدرت منكم في هذا الشأن » . وبالرغم من المعنى الكبير الذي كانت تعنيه هذه الاوامر ، فانه من المفروض انه لا يمكن ان يكون المقصود منها أنها تطبق على جميع المعاملات التجارية للرعايا الهنود البريطانيين في الخليج .

حق الرعايا البريطانيين في بناء المنازل او الحصول عليها .... الخ في ايران ١٨٦٦ – ١٨٨٥

في سنة ١٨٦٦ ثارت مشاكل في بندر عباس نتيجة رفض الموظفين المحليين السماح للتجار البريطانيين شراء منازل من الاهالي ، وكان يحكم هذه المسألة المادة الخامسة من الاتفاق الملحق بمعاهدة تركمان شاي بين ايران وروسيا سنة ١٨٢٨ ، التي كانت معـــاهدة السلام بين ايران وبريطانيا سنة ١٨٥٧ تنص مثلها على حق الرعايا البريطانيين بالتمتع بهذه الميزة . ونصت المعاهدة المشار اليها على أنه بالنظر لصعوبة استثمار الاجانب مساكن ومخازن واماكن لحفظ بضائعهم ، فان الرعايا الروسيين ، وايضاً الرعايا البريطانيين ، يجب ان تكون لهم الحرية في الحصول على عقارات ثابتة يمتلكونها ملكية كاملة .

وفي نوفمبر سنة ١٨٦٦ ، أخبر وزير الخارجية الايراني الوزير البريطاني في ايران ، وهو السير س. اليسون بصدد منازعات بوشهر ، أن الرعايا البريطانيين يمكنهم الحصول على عقارات ثابتة في ايران عند استحالة وجود مساكن فقط . وحتى في مثل هذه الحالات ، فان العقار لا يجب ان يزيد عن حاجيات المستغل ، إما للمعيشة ، او لخزن البضائع . وقدمت هذه الاجابة الى المعتمد في بوشهر مع تعليق خلاصته : أنه بينما نرى الاوروبيين بلا شك ، اشتروا اراضي في ايران ، وبنوا فوقها ، فان بناء الاجانب المنازل بنوع خاص ، ليس منصوصاً عليه في المعاهدة واعتقد السير س. اليسون أنه من الافضل في هذه الظروف ان يجادل

الاوروبيون في الاعتبار الاول استئجار المساكن التي يحتاجونها ، وفي حالة الفشل في الايجار ، فيجب ان يقوموا بشراء مساكن بدلا من بنائها . ولكن القيود التي لجأت الوزراة الايرانية الى فرضها على تملك الاجانب للعقار الثابت ، اعتبرتها حكومة صاحبة الجلالة غير لائقة .وامر الممثل البريطاني في طهران ، ان يتصرف بما يتفق مع وجهة النظر هذه .

وبالرغم من هذا ، ففي يوليو سنة ١٨٦٧ ، اعطى وزير الخارجية الايراني تعليمات بأنه لا يجب ان تنقل ملكية الاراضي الى رعايا بريطانيين ، او رعايا اي دول أخرى ، وهذا هو الامر الذي اذاعه كارجوزار بوشهر ، وهو يعني أنه لا منازل او مساكن او اراضي يمكن ان تباع لرعايا بريطانيين او اتباعهم ، او لرعايا ايرانيين في خدمة البريطانيين . وفي يناير سنة ١٨٦٨ ارسل الكارجوزار كشفاً للمعتمد بالرعايا البريطانيين واتباعهم ممن لا يمكن ان تسجل لهم ملكية في المدينة او في الريف ، وذلك بموجب اوامر من طهران . وكانت القائمة التي كان المغزى من اصدارها من مكتب الحاكم واضحة وشاملة ، وتتضمن جميع الذين كانوا متصلين ، او لهم علاقة بالمعتمدية بأية طريقة حتى نفس الايرانيين الذين كانوا يعملون كخدم بالمعتمدية . وفي سنة ١٨٦٨ حصل وزير صاحبة الجلالة البريطانية في طهران على تصريح لاثنين من الرعايا البريطانيين بشراء منازل . وقد منح هذا التصريح من الحكومة الايرانية كامتياز واعتقدت حكومة صاحبة الجلالة انه في المناسبة (التالية) التي تأتي فان حقوق البريطانيين العامة في هذا الشأن يجب الاصرار عليها .

وبعد هذا يبدو ان المسألة ظلت راكدة حتى نهاية سنة ١٨٧٤ ، عندما اشترت شركة السادة جراي وبول بعض الاراضي في بوشهر ، قاصدين بناء مخازن للسلع عليها ، ولكن الكارجوزار رفض ان يعترف بصلاحية تسجيل الحجة الخاصة بالبيع ما لم يكن ذلك بموجب اوامر من وزارة الخارجية الايرانية . وفي مايو سنة ١٨٧٥ أمكن الحصول على

الاوامر الضرورية بتدخل من المفوضية البريطانية ، ولكن أبعاد الارض التي حصلت عليها الشركة البريطانية حددت بدقة . واعطيت الاوامر للسلطات الايرانية المحلية بهدم كل ما يقيمه المشترون خارج هذه الحدود واعتقد المستر تومسون الوزير البريطاني في طهران أنه من الضروري تحدي التعبير الذي استعملته الحكومة الايرانية في حق البيع لشركة الساده جراي وبول ، « وكان يوحي بأن ذلك التخويل منحه الوزراء الايرانيون من باب الاحترام للمفوضية البريطانية ، ومن باب التعاون الودي الذي يعتبرونه ضرورياً بقدر الامكان » .

وطالب المستر تومسون بأكثر من ذلك لصالح الرعايا البريطانيين بصفة عامة ، بالحق في تملك ارض لبناء مخازن للسلع عندما تدعو الحاجة . وقد تردد وزير الخارجية الايراني في الرد على هذه الآراء . ومع ان المستر تومسون ذكر حالات عديدة تم فيها امتلاك ارض بواسطة الرعايا الاجانب ، واقيمت عليها مبان الا ان المراسلة حفظت دون ان يبث فيها .

وفي سنة ١٨٧٦ وبعد ان رفضت السلطات الايرانية في بوشهر ، بالنظر لعدم وجود اوامر من الرئاسة بالسماح للسادة جراي وبول شركة مساهمة ، ببناء مسكن لاعضاء الشركة على قطعة الارض التي اشتريت خصيصاً لهذا الغرض في خارج المدينة ، بعد هذا ، طلب الرائد روس المعتمد مساعدة الوزير البريطاني في طهران . فاعطى التصريح بعد فترة تأخير .

وأخيراً نشير الى ان انتقال مكتب التلغراف البريطاني من بوشهر الى ريشهر الذي نفذ في نوفمبر سنة ١٨٧٧ بعد اربع سنوات من المكاتبات أثار مناقشات جديدة بخصوص امتلاك الاجانب للعقار والاملاك غير المنقولة في ايران . وفي موافقة الحكومة الايرانية في سنة ١٨٧٦ على انتقال المكتب ، اشترطت ان يقام البناء الذي سيستغل في ريشهر على ايدي الرعايا الايرانيين ، ويؤجر فقط للحكومة البريطانية . ولكن المستر تومسون كان حريصاً ان يذكر الحكومة الايرانية أن قبول هذا الشرط

لا يعني ان يُفهَم على انه انتقاص بأية حال من امتيازات وحقوق البريطانيين في شأن امتلاك العقارات المستند الى المعاهدات المبرمة .

وقد تم عمداً تجنب الجدل في هذا الموضوع ، ليس فقط بسبب الشك فيما اذا كان للرعايا البريطانيين الحق في بناء منازل في ايران بموجب المعاهدة ، بل أيضاً اذا كانت الحكومة البريطانية تستطيع في مثل هذه الحالات ان تطالب بحقوق مماثلة لرعاياها الخصوصيين .

وفي يناير سنة ١٨٨٢ أعيد فتح باب هذه المشكلة بنشرة دورية وجهها وزير الخارجية الايراني للسفراء الاجانب في طهران . وفي هذه الوثيقة ادعى ان المادة الخامسة من الاتفاق المنفصل فسرّت في كثير من الاحيان بصيغة تخدم الرعايا الاجانب خدمة كبيرة . مما انطوى على انتهاك لحقوق سيادة الدولة ، وقواعد التنظيم الداخلي . وعلى متسلمي هذه النشرة أن يحذروا رعاياهم من تخطي النصوص الدقيقة للمادة الخامسة . ولم ترد المفوضية الروسية على هذا ، وهي التي اقترحت ان تعالج هذه الحالات كلما ظهرت ، ولكن غموض عباراتها ، لم تمنع المستر تومسون الممثل البريطاني من ان يرسل رداً اشار فيه الى ان الاجانب قد سمح لهم منذ عدة سنوات عديدة ان يملكوا اراضي في ايران ، وبصفة خاصة في أذربيجان ، وان الرعايا البريطانيين ، لا يمكن ان ينالوا معاملة أقل تساهلاً من الرعايا الآخرين الاجانب . ومن فحوى المراسلات ، يبدو ان النقطة التي كانت تحت البحث بصفة اساسية هي : هل يكون للاجانب الحق بموجب المعاهدة ، في أن يحصلوا على عقارات في المواقع البعيدة والقرى في ايران ، ام مقصورين بموجب شروط معاهدة تركمان شاي على منازل او مخازن للسلع ، أو امكنة لوضع بضائعهم . وللبرهان على وجود حقوق اكثر من التي يطالب بها الآن ، فان الوزير البريطاني اعتمد بصفة أساسية ، على أن فرمان سنة ١٨٤٤ أجاز بوضوح ملكية قرى بأجمعها ، حتى من قبَل الرعايا الاجانب ، وعلق الوزير البريطاني على أنه لم يجر اعتراض قبل الآن على امتلاك الدساكر والقرى من قبل رعايا جورجيا الروسين في أذربيجان وفي المقاطعات الايرانية الاخرى من قبل الرعايا الهنود البريطانيين .

ويبدو انه لم تحدث مناقشات أكثر من ذلك في الموضوع . ولكن في سنة ١٨٨٥ أخبر الكارجوزار الايراني في شيراز الوكيل الايراني الاهلي للحكومة البريطانية هناك، أنه طبقاً للمعاهدة (المقدسة) فان رعايا وأتباع الدول الصديقة لا يجب ان يكونوا ملاكاً للارض في الاقاليم الا بموجب تصريح وموافقة وزير الخارجية الايرانية .

التدخل في التجارة البريطانية وعلى الأخص حظر تصدير الحبوب ١٨٦٣ — ١٨٩٦

ان التدخل الاداري في التجارة البريطانية الذي أملته بعض الاحيان اعتبارات سياسية ، او اعتبارات أخرى لم يكن نادراً على الساحل الايراني أثناء حكم ناصر الدين شاه .

وفي سنة ١٨٦٧ ، اشتكى وكلاء شركة الهند البحرية البريطانية في بوشهر للمعتمد أنهم وجدوا من المستحيل عليهم ان يستمروا في العمل مع ايران بسبب العقبات والمضايقة التي تضعها السلطات في طريقهم ، وبصفة خاصة ، من حظر التصدير المفاجيء على سلع معينة للتصدير وغير ذلك من احوال المعاملة التي كانوا يقاسون منها مما كان يتناقض تماماً مع حرية التجارة البريطانية مع ايران ، المنصوص عنها في المعاهدات . واقترحت الشركة ان تترك لنجة كميناء تستخدمه سفنها بسبب حظر ايران على انزال شحنات هناك .

وأصبح الحظر على تصدير الحبوب شائعاً دون تقديم تفسير او تبرير له الا ما ندر . وقد لوحظ أنه كان ينفذ بقسوة شديدة ضد التجار الاجانب ، حتى وصلت الامور حداً أصبح الحظر فيه يشكل ظلماً صارخاً خطيراً للتجار البريطانيين .

وفي سنوات ١٨٦٣ و١٨٦٦ و١٨٦٨ قدمت احتجاجات من التجار البريطانيين على هذه الاسس ضد حظر تصدير الحبوب ، ولكن في أثناء المجاعة سنة ١٨٧٠—١٨٧٢ ، كما رأينا من قبل ، قبلت السلطات البريطانية في ايران ، وتعاونت على تسيير تجارة الحبوب مؤقتاً تحت رقابة رسمية .

وفي سنة ١٨٧٣ ظهرت شكاوىٰ من فرض راهداري او المكوس الشاذة على البضائع البريطانية في أثناء العبور بين بوشهر وشيراز . وكان هذا عائقاً خطيراً كثير الحدوث للتجارة في الطرق الجبلية الموصلة من الساحل الى ايران الوسطى .

في نهاية سنة ١٨٧٤ كانت المجاعة متوقعة في بوشهر . وفي الثالث والعشرين من ديسمبر زار شخص يدعى سيد يعمل نائباً عن احد المجتهدين بعض العملاء البريطانيين الذين يعملون في تجارة الحبوب ، وهددهم بالتشاجر معهم اذا استمروا في تصدير الغلال التي كانوا حضروها من وقت ما ، من قبل ، والتي من أجلها استأجروا فعلاسفناً لحمولتها . وبعد ذلك بالرغم من احتجاجات الوزير البريطاني في طهرن ، وطلبه الخاص بوجوب اعطاء شهر إنذار قبل الحظر ، منعت الحكومة الايرانية فجأة تصدير الحبوب من بوشهر بعد انذار خمسةعشر يوماً . ولكن كان هناك أمل في التسامح بالنسبة لشركة السادة مالكولم التي كان لديها كمية كبيرة من الغلال تحت تصرفها قبل ان يقترح الحظر . وفي النهاية ازيلت كل العقبات بسقوط الامطار في الوقت المناسب .

وفي سنة ١٨٧٧ ، ارتفعت أثمان الغلال في ايران . ويعزى ذلك الى الحرب الروسية–التركية . وبدأ المجتهدون ، وهم الاوصياء على المصلحة العامة في هذه الامور ، ينادون بفرض حظر على التصدير . وفي اوائل السنة ، أصدرت حكومة فارس فعلا تحريماً بذلك . ولكنه سرعان ما الغي ، ولم يكن ذلك بغير نتيجة سيئة ، اذ أثار الشغب . في بوشهر وقد تأثر في هذا الشغب أخوان «للسيد» ، أحدهما يدعى أغا سيد سليمان . والذي قاسى فعلا هو الحاج محمد جعفر . ويبدو أنه كان من الرعايا الهنود البريطانيين . وقد أتلف الجمهور أو نهب القمح الذي يملكه وقيمته ١٨٠٠ قران بعد ان حمله على مركب . وبادر المعتمد بالوكالة فاتخذ خطوة عاجلة حكيمة مع السلطات الايرانية ، وقبض على قادة العصابة ، فاعتقلوا وأرغموا على دفع قيمة القمح المفقود . وفي مارس ، نظراً لوجود تحريم في ذلك الوقت على تصدير الغلال ارغم حاكم بندر

عباس الايراني أحد الرعايا البريطانيين هناك بتهديده بدفع غرامة كبيرة اذا امتنع ان يعيد الى البر الغلال التي كان قد شحنها في السفينة . وطالب الوزير البريطاني في طهران بتعويض لصالح الشخص المتضرر بسبب ذلك العمل غير القانوني . فاعلنت الحكومة حينئذ قراراً جديداً للحظر ، يسري مفعوله من ١٢ يونيو . ولكن المفوضية البريطانية استطاعت ان تؤجل الموضوع حتى ١٥ اغسطس لصالح المصدرين البريطانيين .

وفي يونيه ١٨٧٨ وبناء على طلب بعض التجار البريطانيين ، حث المعتمد البريطاني في بوشهر على انهاء الحظر المفروض في السنة الماضية ، موضحاً ان تصدير الغلال لم يتوقف في الحقيقة . وكان الاثر الوحيد للحظر هو تمكين الموظفين الايرانيين المحليين من ابتزاز الاموال من المصدرين المزعومين . ونجح القائم بالاعمال البريطاني في طهران في اقناع الحكومة البريطانية بسحب الحظر على أساس التفاهم على وجوب ابلاغ الحكومة الايرانية عن كميات الغلال المرغوب في تصديرها وتسجيلها . وعلى حظر التصدير في بوشهر وبندر عباس وريق فقط . وان يسبق الحظر الجديد انذار الاربعين يوماً . وبالاضافة الى هذه الشروط ، زاد حاكم بوشهر شرطاً من عنده هو وجوب جعل الحد الاعلى للكميات المصدرة ثمانية آلاف كيس شهرياً . وفي نفس الوقت اقترحت شركة الملاحة الهندية البريطانية ان تكون ريق ضمن الموانى التي تزورها بواخرهم ولكن السلطات الايرانية عارضت المشروع بعناد ، بعد ان لاحظت بعدم الرضا ازدياد التجارة في الموانى شمال بوشهر ، حيث لا تمكنهم الاوضاع هناك من فرض ضريبة جمارك : وحتى حكومة بوشهر ذهبت الى حد الاستيلاء على الكثير من ماكينات تنظيف القمح التي وضعها السادة جراي وبول وشركاهم في السفن لشحنها لريق ، وقد كسرت احدى الماكينات .. وقد أثارت هذه الإجراءات والتحديدات غير المفوض بها على كميات القمح الممكن تصديرها من بوشهر احتجاجات جديدة في طهران شملت ايضاً مشكلة قفل ميناء ريق الفعلي في وجه التجارة البريطانية ، وبعد فترة اعيدت الماكينات لاصحابها مع التعويض ،

والغيت القيود على كميات الغلال التي تصدر من بوشهر ، وسمح للتجار البريطانيين ان يشتروا الغلال من ريق ، على شرط تصديره من بوشهر ، وهو موضوع آخر له مشكلة . واخيراً على أية حال أبلغ حاكم بوشهر المعتمد البريطاني متجاهلاً اوامر الحكومة المركزية ، أنه بسبب الحاجة في بوشهر ، فان كمية الغلال التي يصدرها التجار البريطانيون لايجب أن تزيد على ٤٠٠٠ منّ في الموسم . وكان من الواضح ان تشجيع الاجراءات والقيود المحلية ينطوي على امتياز اعظم فائدة من ان يُتخلى عنه بسهولة .

وفي ٢٢ ابريل سنة ١٨٨٩ ، أبرق الوزير البريطاني في طهران الى معتمد بوشهر ، أنه بسبب الفاقه ، فقد منع تصدير الغلال من جنوب إيران . فاحتج التجار البريطانيون في بوشهر ضد فرض هذا الحظر دون انذار ، وزعموا ان الحبوب كثيرة ، ذاكرين أنهم هم أنفسهم لديهم كميات كبيرة . وعندما قدمت احتجاجات ، أعطت الحكومة الايرانية اوامر بعدم التدخل في تصدير الغلال التي اشتريت قبل اصدار الحظر .

ومرة أخرى في يونيو سنة ١٨٩١ وبالرغم من المحصول الممتاز في الدولة ، فان تصدير الغلال قد حرم مرة أخرى . ولكن سمح بتنفيذ العقود التي ابزمت قبل اصدار امر الحظر .

وصدر تشريع بحظر تصدير القمح في مايو سنة ١٨٩٣ ، وظل ينفذ حتى يناير سنة ١٨٩٤ ، مما استرعى انتباه المعتمد البريطاني في بوشهر بالتعليقات الآتية :

« ان الاجراءات التي تحدث على فترات ، وان كانت تضر وتؤثر في العمليات المنتظمة للتجار المهمين الاوروبيين ، إلا ان الملحوظ عنها انها عملياً عديمة التأثير ، وأي تقييد حقيقي للتصدير من الجهات الساحلية الغنية بانتاج القمح من بوشهر تجاه مصب الفرات سوف يكون من الصعب جداً ، وحتى اذا قصد بشيء من الجدية او تمت محاولة بذلك ، فانها لن تكون عملية(١) بسبب انعدام اية وسيلة أخرى غير وسيلة البحر

(١) يبدو أن المقصود هو وان كان التصدير بحرا يمكن أن يمنع فان جهات أخرى فى ايران لن تستفيد بسبب رداءة المواصلات الداخلية وعلى ذلك فان هذا الاجراء لا يمكن أن يكون ناجحا .

للتصرف في الانتاج . ويمكننا ان نفهم ان عمليات تصدير خفيفة مستترة شبيهة بالتصدير غير المشروع كانت تتم في بوشهر نفسها أثناء هذا المنع.

وفيما يختص بالسنة التالية ؛ كتب المعتمد من ابريل سنة ١٨٩٤ إلى مارس سنة ١٨٩٥ ما يأتي :

« لقد شهدت بداية السنة انتعاشاً في الحظر على تصدير القمح ، ذلك الحظر السخيف العديم الفائدة . وكان الاجراء الذي اتخذ مفاجئاً ، وغير متوقع أيضاً ، اذ ان الحظر الذي كان سارياً من قبل لم يلغ الا قبل ثلاثة اشهر فقط . وفي الحقيقة إن كل شيء تعلق بهذا الاجراء السخيف كان شاذاً متقلباً غير مؤكد ، فقد نشأت عنه فوراً مصاعب بشأن الكميات المعدة للتصدير ، والتي اشتريت من قبل ، او تم التعاقد عليها ولم يتم تنظيمها بجهد شديد . وقد احتج التجار البريطانيون ، وبحث الحاكم الذي تم تعيينه حديثاً فور وصوله أمر مساعدتنا بالاحتجاج في طهران ضد اجراء الحظر على أساس عدم جدواه في خدمة الهدف الشكلي له ، وهو إغاثة شيراز التي تحول دونها حالة الطرق السيئة ، وتكاليف النقل ، فضلاً عن ان الحظر ضار للمنتجين نظراً لوفرة المحصول في الجهات الساحلية . وسرعان ما وجد علاج للوضع على غرار الأساليب الايرانية في تجاوز ذلك التشريع تماماً ، وتم شحن الكثير بسرية واضحة حتى لقد زاد التصدير على ٢١,٠٠٠ جنيه استرليني خلال العام ، وكان أكثر من ثلاثة ارباعه منصوصاً عليه في الحظر . ولقد كان محصول القمح هذا العام جديراً بأن يمكننا من تصدير المزيد منه لو كانت الاحوال عادية لكن المطالب السخيفة والتنغيصات التي تتعرض لها التجارة لا يمكن الا ان تؤدي الى تقييد التجارة تقييداً محسوساً .

وفي سنة ١٨٩٥-١٨٩٦ ، تعرضت الغلال مرة أخرى الى حظر اعتباري خلال السنة ، ولكن تم تجنب التحريم خلال الجزء الاكبر من الفترة . وما زالت إحدى التوصيات الهامة لهذا الاجراء واضحة في نظر الموظفين المحليين على انها وسيلة لابتزاز المال من التجار على شكل

بقشيش ، للتغاضي عن التملص من الحظر دون اغتصاب صريح لحقوق الاجانب في المعاهدة .

التجارة البريطانية والجمارك الايرانية ١٨٥٦ – ١٨٩٢

لقد أثارت اعمال الجمارك الايرانية واثرها في التجارة البريطانية سخطاً شديداً في كثير من الاوقات .

ففي سنة ١٨٥٦ ، بعد ان رفعت السلطات الايرانية العائدات التي يدفعها الشيخ العربي الذي كان يحكم لنجة ، بحث الشيخ بدوره ، وكما يبدو بناء على اقتراحات السلطات الايرانية ، في رفع أسعار الجمارك التي تؤخذ من التجار . وفي الحال احتج التجار الهنود البريطانيون في لنجة ، تؤيدهم السلطات البريطانية في رفضهم دفع الجمارك بأسعار مرتفعة أكثر من الـ ٥ بالمائة بالنسبة الى السعر المصدق عليه في معاهدة التجارة الانجلو ايرانية سنة ١٨٤١ والتي كانت ما تزال نافذة المفعول حينئذ .

وظهرت مشكلة ذات طبيعة مختلفة في سنة ١٨٧٤ ، بخصوص معاملة الجمارك المطبقة على الرعايا البريطانيين الذين تستخدمهم الشركات البريطانية التجارية كوكلاء لها . ويبدو ان هذه المسألة قد اثارها الساده «جراي وبول وشركاهم» الذين لفتوا نظر المعتمد الى الزيادة الكبيرة في البضاعة المستوردة بواسطة الرعايا الايرانيين الذين نجحوا في تمرير مستورداتهم بموجب شروط المعاهدة الاجنبية ، بحجة ان البضاعة المذكورة تخص بطريقة صورية الرعايا الهنود في بومباي . وهكذا تحاشوا الضرائب العالية على ادوات خاصة مطلوبة منهم كرعايا للشاه . وقد طلب التجار الانجليز المذكورون أعلاه بأنه يجب الا يسمح الا للرعايا البريطانيين القاطنين في ايران بالافادة من شروط المعاهدة بشأن الجمارك .

وقد أشار المعتمد الرائد روس الى هذه النقطة في مراسلاته لحكومة الهند التي أجابت بأنه يشترط أن تكون البضائع بنيه سليمة ملكاً للرعايا

البريطانيين ، حتى يسمح لها بالاستفادة من التخفيض الجمركي الذي يحصل عليه التجار البريطانيون بموجب المعاهدة ، بغض النظر عما اذا كان أصحاب البضاعة يقيمون في إيران ام لا ، وكذلك بغض النظر عما اذا كان وكلاؤهم المحليون رعايا بريطانيين او ايرانيين . ولم تفكر حكومة الهند في ان التجار البريطانيين الذين يتعاملون مع ايران سيعرقلون اختيار الوكلاء المحليين . وفي نفس الوقت فان الحكومة الايرانية – في تركيزها على اعتبارات التلاعب التي تؤدي الى خسارة في عائدات الجمارك ، وهذا دافع يختلف عن دافع السادة « جراى وبول وشركاهم » المتحمسين – قد فكرت في الموضوع . وفي الحال أخبرت الممثل البريطاني في طهران ان الاوامر قد صدرت بالتحريم على الرعايا الايرانيين ان يكونوا وكلاء لتجار أجانب في الموانئ الايرانية ، او يعملوا بأنفسهم في شئون بضائع الاجانب ، او في دفع رسوم الجمارك عنها . وقد احتج المستر تومسون ضد التدخل المفروض في اختيار الوكلاء المحليين من قبل الشركات البريطانية ، ملاحظة بأن حالات الغش المعنية يمكن اثباتها ، والبت فيها بطريقة عادلة عن طريق السلطات البريطانية المحلية ، ويمكن ان يلاحظ أن حكومة الهند قد أخبرت المعتمد من قبل أنها لم تر أن من اختصاصها تدبير إجراءات لحماية الجمارك الايرانية ضد الغش الذي يمارسه رعايا الشاه . واصرت الحكومة الايرانية لفترة ما على معارضتها لاستئجار وكالات اجنبية تجارية رعايا ايرانيين . وفي بداية سنة ١٨٧٦ ، بموجب تعليمات من طهران أخذت حكومة بوشهر فعلا تعهدات من رعايا ايرانيين كثيرين الا يعملوا مستقبلا وكلاء لشركات أجنبية . وأخيراً وبعد الحاح في الموضوع من طهران ، اعيدت التعهدات ، ولم تؤخذ تعهدات بعد ذلك .

وحين استأجر امين السلطان جمارك ايران كلها حوالي سنة ١٨٨٢ ، نتجت عن ذلك مشكلات في أمكنة مختلفة ، وبخاصة في الموانئ الايرانية الصغيرة ، التي كان يجمع رسومها من قبل الرؤساء المحليون لحسابهم الخاص ، فأصبح يطالب بها الملتزم العام للجمارك كحق له . وفي مايو

سنة ١٨٨٢ نجد ان البضائع التي دفع عليها التجار البريطانيون من قبل ضريبة التصدير في ريق ومعشور في عربستان دفعت عليها ضريبة مرة أخرى في بوشهر . وكانت المدفوعات السابقة لضباط الاماكن القبلية فلم يعترث بها ، وبذلك دفعت الضريبة مرة أخرى . وفي نفس الشهر فان ضابط «ديلام» الذي أخذ ضرائب بنفس القيمة التي اخذت في مينائه ، رفض اعطاء شهادات جمركية ، وكانت النتيجة ان دفعت الضريبة على صادرات ديلام بسعر مضاعف ، لانه فرضت عليها ضريبة تصدير على الشحن من بوشهر . وفي ابريل سنة ١٨٨٤ ، تجمع عدد كبير من الشكاوى الجديدة ، لان ضباط الموانئ الصغيرة بدأوا بايعاز من طهران يعوضون أنفسهم عن ضرائب التصدير التي لم يعد يسمح لهم بجمعها بفرض رسم على تحميل البضائع من موانيهم لبوشهر . وقد وقعت هذه الرسوم في النهاية حتماً على كاهل المصدرين الحقيقيين في بوشهر وقد رفضت ايصالات الجمارك التي دفعها السادة موير وشركاهم تجار الحبوب البريطانيين في «ريق وديلام» عند تقديمها لجمرك بوشهر ، ووجد الشركاء انفسهم مضطرين لدفع مبلغ حوالي ٧٠ ج. ك. مرة ثانية ، وفرضت ضرائب اخرى ايضاً على البضائع عند مداخل مدينة بوشهر من الداخل ، ولم تمنح ايصالات على هذه الضرائب . وعلى اية حال فقد نجح المستر تومسون الممثل البريطاني في طهران بعد بعض التأخير في الحصول على نشرة من الاوامر تحظر ان يفرض على البضائع التي يصدرها التجار البريطانيون أكثر من ٥ بالمائة من مجموع الثمن الاساسي . وقد وصلت هذه الاوامر على ما يبدو بوشهر في يوليه سنة ١٨٨٤ . وتبع ذلك رد ما يزيد على ١٢٠ ج. ك. عن طريق السلطات البريطانية المحلية ، مما كان دفع ابتزازاً مرة أخرى من التجار البريطانيين .

وقد استمر استرداد ضريبة الجمارك المزدوجة الى حد ما حتى سنة ١٨٨٦ أو ١٨٨٧ ، عندما جادل امين السلطان في ان التجار البريطانيين ليس لهم الحق في الاستفادة من اي موانئ عدا بوشهر وبندر عباس اللتين كان من الجائز لهما ان تفرضا مكوساً داخلية على مرور البضائع من ميناء

ايراني إلى آخر وقال إن الموظفين في المحمرة من اقليم عربستان وديلام وريق ، ومن المحتمل انه يقصد زعماء هذه الاماكن القبلية ، ليست لديهم نماذج جمركية مطبوعة ، وان الشهادات التي يعطونها مكتوبة بخط أيديهم لا يمكن قبولها في الجمارك الايرانية الاخرى . وفي ابريل سنة ١٨٨٧ فشلت المحاولة التي كانت تبذل لجعل الموانى شمال بوشهر تحت ادارة امين السلطان لكون الوزير نفسه أخبر المستر نيكولسن الممثل البريطاني في طهران ، أنه نتيجة لذلك لن تفرض جمارك في هذه الموانى ، الأمر الذي يبدو أنه ازال كل العقبات .

وكانت العادة دائماً في بوشهر أن يدفع عن البضائع الاجنبية المستوردة ٥ بالمائة ضريبة استيراد عند انزالها ، وتمنح بعد ذلك جوازاً يعطي لها الحق في ان تنقل الى أماكن أخرى في الداخل دون دفع أي شيء آخر في الجمارك الداخلية ومحطات المكوس ... الخ . وهي في طريقها . وقبل عام ١٨٨٩ كان يطبق في بندر عباس نظام مختلف تماماً فكان يجمع هناك ٨ ٪ فقط على الاستيراد ، ولكن دون اصدار تصاريح . وكان الاشخاص الذين يحملون البضائع المستوردة الى داخل البلاد مسئولين كذلك ، فقد يصل مدفوعهم في بعض الحالات الى أكثر من ١ ٪ . ومن الطبيعي ان تجار لنجة البريطانيين فضلوا النظام الموجود الذي بموجبه كانوا يدفعون ٣٪ كلية . ولكن يبدو أن تجار مشهد الذين لم يجدوا أية ميزة في ذلك كانوا يشتكون . وكان بقاء النظام المزدوج في بندر عباس لفائدة طبقتين من التجار البريطانيين ، فلم يمكن الالحاح فيه على الحكومة الايرانية . وأخيراً في سنة ١٨٩٢ وبعد مناقشات في طهران ، جعل النظام في بندر عباس مشابهاً لما كان في بوشهر .

مركز السادة مالكولم وشركاه البريطانيين في بوشهر والشركة س. ف. وشركاهم في ايران وبومباي

وفي سنة ١٨٧١ ، أصبح مركز الساده مالكولم وشركاه البريطانيين وهي شركة أعمال مركزها الرئيسي في بوشهر ، موضعاً للتحقيق لدى السلطات الايرانية . وكان التحري دقيقاً عن تاريخ العائلة التي تمتلك

الشركة ، وقد اظهر أنهم وان كانوا رعايا ايرانيين فقد دخلوا في الحماية البريطانية منذ سنة ١٨٢٠ وظل مركزهم هذا دون مساس فلم تؤثر فيه معاهدة السلام لسنة ١٨٥٧ . والى ما بعد الحرب الانجلو ايرانية ، كما كانوا قبل الحرب يدفعون رسوم الجمارك على قدم المساواة مع الرعايا الاجانب وان السلطات الايرانية كانت تعاملهم على انهم تحت الحماية البريطانية . وكان حقهم في أن يعتبروا اشخاصاً تحت الحماية البريطانية طبقاً لاوامر من الحكومة البريطانية لصاحبه الجلالة ، تمسك بها الوزير البريطاني في ايران . لكن حكومة الهند برغم ذلك رأت في سنة ١٨٧٧ أنه ليس لهم الحق بموجب قانون السفن التجارية عام ١٨٤٥ ان يمتلكوا سفناً بريطانية ، أو ان يرفعوا العلم البريطاني .

وفي سنة ١٨٨٠ اثيرت قضية شركة بومباي— ايران التجارية وكانت هذه شركة سفن بخارية تتكون من حملة الاسهم الايرانيين والهنود البريطانيين. وكان كثير من الايرانيين بينهم من المقيمين في بوشهر وطهران ويزد وبومباي ، وبعضهم تجنس كرعية بريطانية . وكانت الشركة مسجلة في بومباي ، وسفنها مسجلة سفناً بريطانية تحمل الأعلام البريطانية ولكن وكلاءها المحليين في الخليج كانوا رعايا ايرانيين . وعلى اساس ان الشركة هي مالكة السفن وليس المساهمون كأفراد ، فقد قررت حكومة الهند ان تعاملها كشركة بريطانية ، وامرت المعتمد في الخليج أن يمنح الشركة المعاونة المطلوبة ، على اساس ان وكلاءها في بوشهر والمواني الايرانية الاخرى رعايا ايرانيين ليسوا مؤهلين بسبب ذلك للتمتع بالحماية البريطانية او العون البريطاني في الامور غير ذات الصلة بسفن الشركة وتجارتها .

الشئون البريطانية الرسمية على الساحل الايرانى وجزره ١٨٤٨ - ١٨٩٦

انتقال المعتمدية في الخليج من حكومة بومباي الى حكومة الهند ١٨٧٣

كان اعظم تغيير هام خلال هذه الفترة في الترتيبات البريطانية الرسمية المتصلة بالساحل الايراني وجزره ، هو فك ارتباط معتمدية الخليج وملحقاتها في يناير سنة ١٨٧٣ من حكومة بومباي وإلحاقها بحكومة الهند . وهذا التغيير الجوهري يمكن ملاحظته بطريقة كاملة في الفصل المتعلق بالتاريخ العام للخليج .

كبار الموظفين بمعتمدية الخليج بما فيهم المعتمد وما كان يدفع لهم ١٨٤٨ - ١٨٩٦

وبالرجوع الى الشئون المحلية ، نجد أن هيئة كبار الموظفين في معتمدية بوشهر لم تختلف الا قليلا في الفترة التي نبحثها الآن ، فيما عدا حالة مساعدي المعتمد ، وهي مسألة سنعالجها بعد ذلك بطريقة كاملة .

في سنة ١٨٦٠ كما كان في ١٨٣٤ ، بلغ موظفو المعتمدية ثلاثة : المعتمد الذي كان مرتبه ما يزال ٢٤٠٠ روبية في الشهر . ومساعد المعتمد الذي ارتفع اجره الثابت من ٥٠٠ روبية الى ٧٠٠ ، والجراح الذي رُفع راتبه الكلي من ٦٥٠ الى ١٥١٥ . وفي سنة ١٨٦٢ عندما حدث تعديل عام في المرتبات في بوشهر ومسقط وعدن وزنجبار فقد نقص مرتب المعتمد البريطاني في الخليج الى ٢٠٠٠ روبية في الشهر . ولكن في عام ١٨٦٦ بناء على عرض الرائد بيلي فقد ارتفع مرة أخرى الى المستوى الاصلي السابق . وفي عام ١٨٧٠ اقترحت حكومة الهند زيادة مرتب الرائد بيلي الى ٣٠٠٠ روبية في الشهر ، على ان يغطى فرق الزيادة بالاقتصاد من الجهة الاخرى في نفقات الوكالة السياسية في بغداد . ولكن حكومة بومباي كانت ترفض أي نقص في مرتب الوكيل السياسي في بغداد . وكانت تعتقد

ان مرتب معتمد بوشهر ، لا يجب ان يزيد كثيراً بما يضاهي مرتب الوزير البريطاني في طهران (٥,٠٠٠ جنيه استرليني في السنة) ، الذي سيكون تابعاً له تماماً في حالة ما اذا وضعت السفارة ، كما كان مقترحاً تحت رعاية الحكومة الهندية . وفي النهاية حدثت تسوية وتقرر رفع مرتب الرائد بيلي الى ٢٦٠٠ روبية في الشهر. وال ٢٠٠ روبية الزيادة في الشهر ، نتجت بفضل الغاء منحة مركز هجانة بغداد — سورية .

مساعدو المعتمد ١٨٤٨ — ١٨٩٦

وقد اعيد البحث في امكانية الغاء مساعد المعتمد في بوشهر التي كانت موضع نظر سنة ١٨٣٥ و ١٨٣٨ و ١٨٤١ وذلك في عام ١٨٥٢ و ١٨٦٢ . ففي عام ١٨٥٢ عند رحيل الرائد هينل المعتمد من الخليج ، وتعيين مساعد المعتمد الملازم كمبول في مكانه ، رجعت حكومة بومباي في هذه النقطة الى حكومة الهند تطلب الاوامر بعد ان اوصت بشدة أن وظيفة مساعد المعتمد يجب ان تبقى ، مع مراعاة أن : «وظائف الوكيل السياسي في الجزيرة العربية التركية ، والمعتمد في الخليج ، كما اوضح من قبل بمناسبة غياب القائد رولنسن في اوروبا ، تكون متوقفة على تعيين مساعد للمعتمد ، لان الموظف المؤهل يقوم بعمل الآخر في حالة الضرورة» ، وان حكومة الهند وافقت على هذه الآراء .

وفي سنة ١٨٦٠ طلبت حكومة الهند من المعتمد في الخليج ان يفكر فيما اذا كان يستطيع ان يستغني عن مساعد . ولكن عندما قرر انه لا يستطيع استمر التعيين بصفة موقتة . وفي عام ١٨٦٢ بعد ان زادت أهمية زنجبار ونقص العمل في الخليج بانسحاب البحرية الهندية من مياهه ، فانه يبدو ان معتمد بوشهر ، بعد ان أنقص مرتبه ، كما ذكر من قبل ، حُرِم من المساعدة ولمدة اربع سنوات ويبدو انه قام بأعباء وظيفته وحيداً . وفي سنة ١٨٦٤ تغير مركز رئيس الكتاب والمحاسب بمكتب المعتمد ، الى مساعد ثابت مسئول عن خزينة المعتمدية ، بعد ان زاد مرتبه الى ٢٥٠ روبية في الشهر . ولكن التغيير لم يكن جديراً ان يريح المعتمد في واجباته ذات الاهمية الكبيرة ..

في سنة ١٨٦٥–١٨٦٦ وبمناسبة الاعمال العدائية البريطانية ضد الوهابيين ، ظهرت مسألة كيف يمكن إيجاد مستشارين ماهرين في السياسات المحلية واللغات لقادة سفن البحرية الملكية الذين يعملون في الخليج . وهذا دور قام به ضباط البحرية الهندية بغير كفاية ، حتى تم الغاء هذه الخدمة . وقد كان النجاح المشكوك فيه للعمليات البحرية ضد القطيف والدمام في ١٨٦٦ هو الذي جعل الرائد بيلي يستطيع ان ينتدب وكيلا أهلياً . وقد أكد هذا ضرورة وجود تنظيم مضبوط . واخيراً تقرر ان يعين مساعدان للمعتمد في بوشهر ، المساعد الأول ومرتبه ١٠٠٠ روبية ، والمساعد الثاني مرتبة ٧٠٠ روبية في الشهر . وكان المساعد الاول (الارقى) في الاثنين يدعى الرئيس أ. س. وي .

وفي سنة ١٨٧٩ وبناء على توصية اللجنة المالية في الهند الغيت وظيفة المساعد الثاني ، وكان السبب الاساسي في ذلك هو نقص العمل نتيجة لانتقال باخرة المعتمدية ، وقد انقص مرتب المساعد الذي بقي الى ٨٠٠ روبية في الشهر . وربما كان هذا هو أكبر نقص حدث لهيئة الموظفين ، لانه في عام ١٨٨٢ كان تعيين مساعد من الاهالي للمعتمد بمرتب ثابت قدره ٣٥٠ روبية في الشهر قد اعتبر امراً معقولا . وقد اوضحت اعتبارات شخصية الى حد ما سبب انشاء هذه الوظيفة الجديدة التي استندت لمساعد الجراح « عبدالرحمن» وهو طبيب كان يتمتع بمؤهلات عامة ومساعدة كونه مسلماً في مخالطته أهالي المنطقة . وقد أمر وزير الهند بأن لا تعتبر هذه الوظيفة الجديدة دائمة في ملاك المعتمدية .

وفي سنة ١٨٨٩ عند نقل مساعد الجراح عبد الرحمن ليكون ملحقاً بوزارة الخارجية بالهند ، أعيد استفسار في مسألة المساعدة المطلوبة ، واستطاع الرائد روس ان يقنع الحكومة انه نظراً الى العمل المتزايد ، فان الحاجة تدعو الى وجود مساعد اضافي بصفة دائمة في بوشهر ، بالاضافة الى المساعد الاول والثاني . وكان المستر س. لوكاس هو المساعد الاول المتصرف بالنسبة للمساعدين الاضافيين الذين عينوا .

وكالة اهلية في لنجة ١٨٤٨ — ١٨٩٦

ومنذ عام ١٨٥٦ ، وربما قبل ذلك ، كان للحكومة البريطانية وكيل أهلي في لنجة يتبع المعتمد في بوشهر . وقد تحول هذا الوكيل الاهلي للاشراف المباشر على المصالح البريطانية في الجزء الاكبر من الساحل الايراني أسفل بوشهر .

وكالة اهلية في شيراز ١٨٤٨ — ١٨٩٦

وكانت توجد ايضاً وكالة اهلية في شيراز قائمة من عهد بعيد .

وفي سنة ١٨٥٠ شغرت الوظيفة التي كان لها مرتب ٤٠٠ تومان في السنة فضلا عما لصاحبها من هيبة ونفوذ محلي كبير ، وكان شغورها بفصل المسئول لسوء سلوكه . وكان يعين في وكالة شيراز وزير صاحب الجلالة ، في طهران . وسوف نتذكر ان معارضة الحكومة الايرانية للتعيين في هذه الوظيفة سنة ١٨٥٥ كانت من بين الاسباب التي ادت الى وقوع الحرب الانجلو ايرانية .

وفي سنة ١٨٧٣ اعتبرت وكالة شيراز جزءاً تابعاً لحكومة الهند ، وكان الوكيل يتلقى من آن لآخر تعليمات من معتمد بوشهر . وكان الوكيل في سنة ١٨٧٥ هو ميرزا حسن علي خان الذي كتب عنه الرائد روس معتمد بوشهر تقريراً يفيد بأنه انتفع من مساعداته ونشاطه الجم . وظل ذلك الشخص في وظيفته حتى سنة ١٨٧٨ عندما خلفه أخوه نواب حيدر علي خان بصفة مؤقتة . وفي سنة ١٨٨١ ظل حيدر علي خان يعمل كوكيل أهلي في شيراز .

الصلاحيات القضائية والقنصلية للسلطات السياسية البريطانية في مجال التشريعات فوق الاقليمية ١٨٤٦ — ١٨٩٦

ان موضوع الصلاحيات القضائية والقنصلية التي كانت تمارسها السلطات السياسية البريطانية في الساحل الايراني وجزره فيما يختص بالقضاء فوق الاقليمي للرعايا البريطانيين في ايران ، والتي خولتها اياها

المعاهدة هو موضوع فني للغاية ، ولا يمكن بحث تفاصيله في مجال هذا العرض السياسي الحالي ، ولكن وقائع معينة ستذكر بعد قليل عن اصل منح هذا النفوذ . كان الموظفون البريطانيون المحليون من اول الامر يشعرون بالحاجة الى سلطة قانونية للتصرف في قضايا المجرمين والمدنيين من الرعايا البريطانيين . وقد طالب بهذا الامر من آن لآخر معتمد بوشهر وبصفة خاصة ، بعد ان زاد النشاط كثيراً في الخليج بسبب مواصلات البواخر المنتظمة والتلغراف والبريد . وبسبب الارتباك الشديد في الاعتبارات السياسية والقانونية ، فانه مر وقت طويل قبل تدبير التنظيمات التي تتفق مع مطالب الموقف .

وكان قد اقترح منح النفوذ القنصلي للمعتمد العقيد هينل سنة ١٨٤٤ واقترحه ايضاً الرئيس ف جونز سنة ١٨٥٥ ، ولكن ممارسة ذلك لم تتم فعلا(١) ، نظراً لشروط المعاهدة الانجلو ايرانية للتجارة عام ١٨٤١ . ولقد فتحت معاهدة السلام في سنة ١٨٥٧ الطريق لاعطاء الحق في تعيينات قنصلية في أمكنة أخرى غير طهران وتبريز . وفي سنة ١٨٧٨ عين الرائد أى. س. روس معتمد بوشهر قنصلا عاماً لصاحبة الجلالة في مقاطعة فارس وساحل وجزر الخليج في الممتلكات الايرانية . وقبل ذلك وفي عامي ١٨٧٣ و ١٨٧٧ عينت حكومة الهند المعتمد ومساعد المعتمد ليكونا قاضيي صلح للجزء الاكبر من نفس الامكنة ولاراض أخرى ، وزودتهما بنفوذ قضائي محدود التطبيق . ولم تتم زيادة القضاء الاقليمي للمعتمد كقنصل عام على الرعايا البريطانيين في ايران او تحديد واضح حتى برز موضوع تنظيم العمل الايراني والجزر في المجلس بلندن عام ١٨٨٩ . وعونيت صعوبة كبيرة في صياغة مسودته ثم وجد من الضروري تعديل ذلك النظام بسبب المعارضات الايرانية عام ١٨٩٥ . وقد وضع هذا النظام بتشريعات القنصل العام على أسس قانونية ، واعطاه الحق للاشراف على المجرمين والشئون المدنية للمحكمة العليا في بومباي .

---

(١) لم يعرف السبب فى عدم منح النفوذ القنصلى حق القضاء للرعايا البريطانيين ، بغض النظر عن الاعتراف أو عدم الاعتراف به من السلطات الايرانية .

بناء معتمدية بوشهر

لقد وُصف مبنى المعتمدية في مدينة بوشهر الذي استمر في الجانب الذي كان يشغلَه منذ الجزء الاول من حكم فتح علي شاه ، في عام ١٨٥٠ كما يلي :

تقع المعتمدية في بقعة مكشوفة في الجهة الجنوبية . وتتكون من فناء محاط بالمباني ، ومن ضمنها مسكن المعتمد ومساكن أخرى مختلفة ، وخارجها منازل واصطبلات ، ويوجد ساري العلم في الجانب المواجه للبحر . وعلاوة على مسكن المعتمد البريطاني وعائلته والضابط الطبي ، تتصل بالمركز شقق أخرى هنا وهناك ، وهي مساكن للغرباء » .

وقد تمت اضافات لمبنى المعتمدية قبل فترة الحرب الانجلو ايرانية ، ومن المحتمل بعدها .

وفي ابريل سنة ١٨٦٩ اشتكى الرائد بيلي من سوء حالة مدينة بوشهر الصحية ، وطلب مساعدة الوزير البريطاني في طهران للحصول على موقع لمبنى معتمدية جديدة في إقليم مكشوف ، ولكن الشاه عارض الفكرة في نقل المعتمدية وطرح المشروع جانباً .

المنازل الريفية المتصلة بالمعتمدية

وفي سنة ١٨٥٠ كان للمعتمد منزل ريفي في شاد جاده حيث كان يوجد أيضاً منزلان آخران لموظفي المعتمدية وقد بنيت هذه المنازل بموافقة الحكومة الايرانية لكنها هدمت في حرب ١٨٥٦—١٨٥٧ . ولم تُبنَ مرة أخرى .

وقد حصل الرئيس ف. جونز من السلطات الايرانية سنة ١٨٥٨ على موقع في سابزاباد في شبه جزيرة بوشهر ، وهناك بنى المنزل الريفي الحالي للمعتمد . ولكن بينما كان في فترة البناء ، تحول الموضوع الى صورة مشوهة في طهران ، وكان لا بد من تقديم رسم للبناء الى الحكومة الايرانية المركزية قبل منح سلطة اتمام المنزل . وفي سنة ١٨٦٠ بدئ في بناء منزل ارضي صغير في نفس المكان لجراح المعتمدية ، ولم يثر في اول

الامر أي اعتراض من الايرانيين ولكن بعد ذلك ببضعة أشهر رداً على المعارضة البريطانية لاعمال الايرانيين في البحرين ، هدم المنزل في احدى الليالي ، ودك دكاً على أيدي السلطات الايرانية ، بحجة أنه اضافة غير مسموح بها للرسم المصدق عليه من الحكومة الايرانية . وعند رحيل الرئيس جونز النهائي من بوشهر عام ١٨٦٢ ، اشتُري المنزل المقام في سابزاباد ليكون مصلحة للتلغراف . ولكن قبل مرور وقت طويل ، نقل المنزل للمعتمد ليكون سكناً له .

حرس المعتمدية البريطانية والمعتمد من الخيالة

كان الحرس الحربي الهندي للمعتمدية البريطانية في بوشهر سنة ١٨٥٠ يتكون من ٣٦ من الجنود الهنود . وفي سنة ١٨٥٦ كانت نفس القوة ما تزال موجودة يقودها سبادار . وفي هذه السنة الاخيرة اقترح الرئيس جونز المعتمد ان ينقصها الى صَفّيْ ضابط ، و ١٢ رجلا ، ويستبدل الباقي بحرس خيالة يجندون محلياً ، ويكون ذلك أكثر فائدة لاغراض مختلفة ، لا سيما حمل المراسلات . وقد وافقت حكومة بومباي على هذا المشروع ، ولكنه لم ينفذ بسبب الحرب الانجلو ايرانية .

وفي سنة ١٨٦٣ أحيا الرائد بيلي اقتراحات الرئيس جونز مع تعديلين هما : استبدال فرقة المشاة بالحرس الخيالة المنظم على طريقة السلحدار على أن يجند أفراده من الهند ، وقد عاد حرس المشاة الاخير الى الهند في سبتمبر سنة ١٨٦٤ بعد ان اخذ مكانه حرس الخيالة ، الذي يبدو ان قوته المسموح بها كانت مكونة من ثلاثة صف ضباط و١٨ من السواري .

وفي سنة ١٨٧٨ كان هناك مرة أخرى علاوة على الحرس الخيالة حظيرة من ١٦ رجلا من فرقة بومباي البحرية في بوشهر . ويبدو أنه قامت صعوبة في الاحتفاظ بالحرس الخيالة لصعوبة الحصول من الهند على متطوعين من طبقة خاصة ، وبسبب نفقات الاحتفاظ بالخيل والمعدات ، طبقاً لنظام السلحدار الذي كان يعتبره الخيالة مجحفاً بهم . وقد انقص الحرس بالتدريج الى اثنين من صف الضباط و ١٢ من الخيالة واربعة

من الانفار سنة ١٨٩١ ، والى صف ضابط واحد و ٨ من الخيالة واربعة أنفار في سنة ١٨٩٢ ، على ان يرتفع في نفس الوقت أجر الفرد الواحد . وأخيراً تولت حكومة الهند شراء الطعام للخيول والسروج ، على ان يساهم الرجال بمبالغ بسيطة لاغراض أخرى ، وثبتت قوة الحرس أخيراً الى صف ضابط واحد وثمانية من الخيالة . وبذلك أصبحت فرقة المشاة الهندية مرة أخرى هي الحماية الرئيسية للمعتمدية .

باخرة المعتمدية

وفي الوقت الذي استمر فيه وجود البحرية الهندية حتى سنة ١٨٦٣ كانت هناك دائماً سفينة معدة لتحمل المعتمد في زياراته المتكررة ورحلاته الضرورية الى انحاء مختلفة من الخليج . ولكن عندما انتقلت واجبات البحرية الهندية الى البحرية الملكية ، وانسحبت السفن الاولى ، أصبح من المحتم وجود سفينة خاصة لاستعمال المعتمد ، ولواجبات سياسية أخرى .

ويبدو انه أعدت لذلك السفينة بربنيس التي كانت تابعة للبحرية الهندية من قبل ، بعد ان انتزعت منها المدافع اولا . وفي فترة متأخرة ، في الوقت من سنة ١٨٧٦ الى ١٨٨٦ لم تكن هناك سفينة للمعتمدية في بوشهر ، ولكن في السنة الاخيرة اعطيت لها سفينة دائمة وهي — اللورانس(١) التي كانت تابعة للبحرية الملكية الهندية .

شئون المحطة البريطانية في باسيدو

لقد اوضحنا ان باسيدو وقعت أخيراً تحت الاحتلال البريطاني سنة ١٨٢٣ . ومن الواضح ان ذلك كان بغير موافقة الحكومة الايرانية التي طالبت بالسيادة الكاملة على جزيرة قشم كلها . وهي التي احتجت من قبل على وجود قوة بريطانية هناك .

---

(١) كانت اللورانس باخرة من الصلب تبلغ حمولتها ٩٠٢ طن وقوتها ١٢٧٧ حصانا وسرعتها ١٢ عقدة ويتكون بحارتها من أربعة ضباط واثنين من المهندسين وثلاثة صولات مساعد ضابط و ٨ من ضباط الصف والرجال البحريين ويتكون سلاحها من ٤ مدافع اربعة بوصة وستة مدافع نوردنفلت واربعة نوردنفلت ٥ر٤ بوصة .

وكانت محطة باسيدو في اول الامر مستودعاً للبحرية الهندية ، وحتى سنة ١٨٣٣ كانت المخازن في رعاية أمين حسابات سفينة رئيس البحرية في الخليج . وكان يعطى في سبيل ذلك منحة شهرية قدرها ٢٠٠ روبية. وفي سنة ١٨٣٣ سحبت المنحة ، واصبح رئيس البحرية مسئولا عن المخازن .

وقد وضعت الترتيبات للدفاع عن باسيدو أثناء حرب سنة ١٨٥٦- ١٨٥٧ . وتم وصفها في فقرة قبل ذلك .

وفي سنة ١٨٥٨ كتب رئيس البحرية جنكيز تقريراً تخلى فيه عن رعاية مخازن باسيدو ، وعين امين حسابات السفينة ليكون اميناً للمخازن ومشرفاً على العبيد المحررين . ومن ذلك يتضح ان باسيدو في ذلك الوقت كانت مكاناً ذا اهمية فيما يختص بالاجراءات البريطانية للقضاء على تجارة الرقيق . وهذا الترتيب لم يرق للقائد العام للبحرية الهندية . وفي سنة ١٨٦٠ بناء على توصياته وتوصيات المعتمد السياسي في الخليج ، عين في باسيدو وكيل وامين للمخزن من الاهالي ، بدلا من شخص اوربي .

وفي سنة ١٨٦٣ كان البحث يدور حول ما اذا كانت محطة باسيدو لا ينبغي أن تترك قطعياً ، أم ان المخازن هناك فقط وبصفة اساسية مخازن الفحم ، لا تترك دون حماية حربية ، ذلك لان فرقة المشاة الاهلية التي ظلت هناك للحراسة قد سحبت . وقد اشار المعتمد الرائد بيلي على أية حال الى أنه لا يعتقد ان باسيدو محطة نموذجية ، الا أن لها مزايا معينة ، وانه كان من اللازم ايجاد مكان ما في الخليج ليكون مستودعاً للفحم ، وان باسيدو كانت افضل من بوشهر لاسباب طبيعية وسياسية وحربية . وكانت بوشهر هي المكان الآخر الوحيد الممكن استبداله بها . ولكن العودة الى امتلاك المباني سيكون صعباً بعد تركها بسبب معارضة الحكومة الايرانية ، وقد اعتقد الرائد بيلي أنه اذا احتفظ بالمستودع ، فانه لا تمكن ان يترك بلا حماية . وعلى هذه الاسس فقد تقرر عدم سحب الحرس مرة واحدة ، وكانت قوة هذا الحرس العادية على ما يبدو صف ضابط واحد فقط ،وستة من الجنود الهنود من فرقة بحرية بومباي .

وفي مناسبات مختلفة من عام ١٨٦٣ حتى عام ١٨٦٨، طلبت السلطات الايرانية تسليم العبيد الفارين الذين اتخذوا المحطة البريطانية في باسيدو ملجأ لهم، ولكي يسبغوا على طلباتهم اهمية خاصة كانوا يركزون على اهتمامهم بالمخالفات المرتكبة والاجراءات التي تتخذ فيها. وكان المعتمد مراراً ما يثير الموضوع في بومباي ولكن هذه الحكومة لاعتبارها باسيدو ارضاً بريطانية فعلا، ولعدم وجود اتفاقية لتبادل المجرمين بين بريطانيا والحكومة الايرانية، لم تكن تتجاوب مع رغبات السلطات الايرانية.

وفي سنة ١٨٦٨ حين لم يكن المعتمد البريطاني قد منح نفوذاً للقضاء الاقليمي، ثارت مشكلة مختلفة بسبب ارتكاب شخص يدعى سعيد سيدى جريمة قتل اعترف بارتكابه اياها في باسيدو. وعرضت القضية في النهاية أمام حكومة الهند. وحيث لم يكن ثمة أمل في تجريمه امام أية محكمة هندية لاسباب فنية، وبما انه لم تكن هناك حاجة لابعاد السجين الى البر الايراني ليطلق سراحه كما كان مقترحاً، فقد اقترحت حكومة الهند وجوب عمل الترتيبات لمحاكمة سعيد سيدي. والبت في القضايا الاخرى المماثلة لقضيته بمعرفة المعتمد في الخليج أو أحد اتباعه الاقليميين بموجب سلطة تفوض له من الحاكم الاهلي للمقاطعة التي حدثت فيها القضية جرياً على ما كان مطبقاً من السلطات البريطانية في الولايات الاهلية من الهند. وليس معروفاً ما اذا كانت هذه المشكلة حلت فعلا. ومن المناقشات الخاصة بنفوذ المعتمد التي استمرت دون نتيجة حتى عدة سنوات بعد ذلك، يتبين ان مشكلات خطيرة كانت تفترض تنفيذ مثل ذلك الاجراء.

وكانت قضية سعيد سيدي سياسية أكثر منها قضائية، ويتضح ذلك في هذا القول الواضح الوارد من حكومة الهند بمناسبة موضوع باسيدو.

وربما يكون هناك بعض الالتباس حول الوضع الحقيقي لمدينة باسيدو، او ربما يظن البعض ان حقوقنا في المدينة كانت نتيجة استمرار الامر الواقع مما يجعلها مجرد حقوق مكتسبة، ولكن اذا انعمنا النظر في المشكلة

بدقة ، فانه يصبح من الواضح ان حقوقنا تابعة لحقوق مسقط التي هي أيضاً معترف بتبعيتها كلية الى حقوق ايران ، وقد عوملت دائماً كذلك حتى ذلك الوقت » .

وقد تقرر في سنة ١٨٧٢ تحويل مستودع فحم باسيدو الى جزيرة هانجام ، حيث تأسست محطة تلغراف بريطانية ، ولكن الفكرة طرحت جانباً بسبب الصعوبات التي لوحظت بعد ذلك حول موضوع ملكية هانجام .

وفي سنة ١٨٧٣ كان الحرس الحربي في باسيدو ما يزال مكوناً من فرقة بومباي البحرية (فرقة المشاة ال ٢١) الاهلية ، وكانت المحطة تحت الاشراف العام لمساعد الجراح عبد الرحيم ، طبيب البعثة الطبية الهندية التي أقامت هناك . ومن المتاعب المحلية الوحيدة التي نشأت عن عقبات اوجدها شيخ قشم طريقة الحصول على التموين بسبب تخريب الميناء الصغير . وكان مخزن الفحم ما يزال قائماً في مكانه حيث كانت ترتاده سفن الحكومة بين وقت وآخر لتتزود بالفحم .

في سنة ١٨٧٤ طُرد من الاربعة الاهالي المعينين في باسيدو الكاتب والوكيل وكاتب الرسائل ، ولم يبق الا وكيل للفحم .

وفي سنة ١٨٧٥ ظهر شعور معاد بين أهالي باسيدو ، وبعض الاهالي من القرى المجاورة . وقد اتضح ان شيخ قشم يشجع القيام ببعض المضايقات البسيطة في المحطة ، ولكن كل هذه الامور سويت بعد ان قام الرائد روس المعتمد بتحريات كاملة في زيارة خاصة لقشم انهى بها جميع المتاعب . وقد اصلح الميناء الصغير واصبحت المباني في حالة جيدة . . وكانت صحة الناس هناك مرضية وقد اثنى المعتمد على عمل عبد الرحيم حكيم مساعد الجراح الذي استمر في إشرافه على باسيدو .

وفي سنة ١٨٧٧ طرد الحاج عباس وكيل الفحم في باسيدو بأمر من المعتمد بسبب اقتنائه أحد العبيد متحدياً النشرات البريطانية التي كانت تصدر سنوياً بحظر مثل ذلك .

واستجابة لاوامر من حكومة الهند ، كتب الرائد روس حوالي بداية عام ١٨٧٨ تقريراً عن الاسباب التي من اجلها تعتبر باسيدو في الخليج ممتلكة بريطانية . فقال ان الامر يستند الى الدلائل الواضحة والممارسة الصريحة للسيادة البريطانية التي لم تقدم ضدها الحكومة الايرانية ابداً اي احتجاج . وكانت هناك مبانٍ من الحجر الجيد للميناء الصغير ، ومستودع للفحم وخزانات للمياه ، واحتفظ بحرس حربي ، وان لم يعد يطلب الا نادراً للحماية . وكانت راية الاتحاد ترفرف باستمرار ، لا لتدل على وجود ممثل سياسي ، لانه لم يكن هناك أحد ، ولكن كرمز للاحتلال بصورة جلية . وكان العرب والايرانيون في الاقليم المجاور لا يقلون عن الموظفين السياسيين البريطانيين في اعتبارهم باسيدو ارضاً بريطانية . وقد اعتبر الرائد روس ان المحطة عندئذ كانت قليلة الفائدة بالفعل ، ولكنه كان يعتقد ان الاحتفاظ بها مطلوب لسبب بسيط . وهو ان المكان كان تحت العلم البريطاني وان من الواجب الاحتفاظ به الى أن يوجد مكانه بديل يرفرف عليه العلم نفسه .

وفي عام ١٨٧٨ نظراً للاحتياج المتكرر للحرس الحربي الهندي في بغداد وبوشهر ، الخ .. يبدو ان مجموعة كاملة من الفرقة ال ٢١ المشاة الاهلية قد تمركزت في باسيدو . ولكن في سنة ١٨٧٩ تأثرت صحة هذه الفرقة وقاست كثيراً من المناخ ، وانقصت الحامية الى حرس حولدار ونقل الباقي ، وبالذات الضباط الاهليون وسبعة من صف الضباط و ٦٢ من الجنود الهنود الى جاشك .

وفي سنة ١٨٨٠ برز من جديد مشروع التنقل من باسيدو الى هانجام ، ولكن الفكرة تركت مرة أخرى ، نتيجة للتخلي عن هانجام لتكون محطة بريطانية للتلغراف .

وفي سنة ١٨٨٣ حين اجتاح وباء حمى الملاريا باسيدو رحل عنها الحرس العسكري كلية ، ونقل مساعد الجراح عبد الرحيم خان بهادور الذي ظل مسئولا عن المركز الصحي لمدة ١٤ سنة ، الى مكان آخر مع ترقيته . وظل فيها وكيل مستودع الفحم وحيداً .

الترتيبات لاحتلال هانجام لمحطة التلغراف ١٨٦٦ ــ ١٨٦٨ وبقاؤها كذلك حتى ١٨٨٠

ولاسباب ذكرت في ملحق عن التلغرافات في الخليج ، اتجه التفكير في سنة ١٨٦٥ الى انشاء محطة تلغراف بريطانية في جزيرة هانجام . وفي سنة ١٨٦٦ كان هذا الموضوع محل الدراسة من وجهة النظر السياسية .. وكن مما زاد في تعقيد الوضع ، تغيير الحاكم في مسقط في تلك السنة وانتهاء مدة ايجار بندر عباس وملحقاتها من ايران الى سلطان عمان ، مع احتمال عدم تجديد مدة الايجار ، ولان السلطات البريطانية العليا كانت تزعم في بادىء الامر ان جزيرة هانجام هي اجدى ملحقات بندر عباس .

وكان الاقتراح الاول هو الحصول على جزيرة هانجام في مقابل باسيدو وبنفس الشروط ، وبذلك يتم تركيز المنشآت البريطانية في جنوب الخليج في مكان واحد تحت الراية البريطانية .

وقد كان في امكان السير اليسن ممثل بريطانيا في طهران اجراء ذلك مباشرة مع سلطان عمان دون الرجوع الى الحكومة الايرانية .

وبانتهاء مدة ايجار بندر عباس الى سلطان عمان ، زعمت حكومة الهند ان هانجام كانت داخلة ضمن الايجار ، وبذلك ارتأت عدم جواز المفاوضات بشأن هذه الجزيرة مع الحاكم . وكان من الواضح استحالة عمل ترتيب دائم مع المستأجر الفعلي لبندر عباس الذي لم يكن الا شيخاً يزرع المنطقة لمدة سنة بايجار من حكومة ايران .

وفي تلك الظروف لم يكن هناك حل آخر غير بحث الموضوع مع وزراء الشاه . وعلى ذلك قدم في طهران دون الاشارة الى موضوع ملكية الجزيرة طلب للاذن بانشاء محطة تلغراف بريطانية عليها ، وقد حاز الطلب الموافقة . وفي ٢٩ مارس سنة ١٨٦٨ صدر الاذن كتابة من الوزير الايراني للشئون الخارجية بناء على تصريح الشاه مع اشتراط بعض الشروط فيما يتعلق بحجم وطبيعة المباني التي تقام ، وبالموظفين الذين يستخدمون في هذا العمل .

وفي يوليو سنة ١٨٦٨ بعد انتهاء هذه الاجراءات وثبوت ملكية هانجام لايران .. كان الرائد بيلي وهو المقيم في الخليج ، والذي لم يُخطَر من قبل بهذه الاجراءات ، يجري مفاوضات في شيراز لتجديد ايجار بندر عباس ، وكان مهتماً بتحويله الى الحكومة البريطانية محتفظاً لنفسه فقط بحق رسو السفن مجاناً . وفي ذلك الوقت ذكر الرائد بيلي ان جزيرتي هانجام ولاراك لم تكوناً موضحتين على خريطة منطقة بندر عباس المؤجرة الى سلطان عمان في سنة ١٨٣٦ ، وهي الخريطة التي قدمها الايرانيون انفسهم في مناسبة قريبة ، وان الجزيرتين يسكنهما قوم من العرب يدينون بالولاء لمسقط في الوقت الذي لم يكن فيه لإيران واحد يسكن جزيرة هانجام ، وانه كان مؤكداً ان أياً من الجزيرتين لم يرد ذكرهما خلافاً لقشم وهرمز في موضوع التأجير الجديد الذي كان موضوع مفاوضات الرائد بيلي .

لقد جاءت هذه المعلومات من الرائد بيلي متأخرة في الواقع بحيث لم يمكن الاستفادة منها . على أن هذا التأخير لم يكن نتيجة خطأ من الرائد بيلي ومع ذلك فقد كانت هناك فكرة غير مركزة لدى حاكم عام الهند للتوسط بين ايران وعمان في المشاكل الاقليمية . ولا يبدو ان حكومة الهند كانت مقتنعة بمناقشات المقيم البريطاني في ان لسلطان عمان حقاً ثابتاً في ملكية أي من جزيرتي هانجام او لاراك .

واستمرت محطة التلغراف البريطانية على جزيرة هانجام حتى سنة ١٨٨٠ حيث توقفت لعدم الحاجة اليها بعد ذلك .

مظفر الدين شاه من سنة ١٨٩٦ (١)

قبل البدء في دراسة أحداث ومشاكل تتعلق بالذات بساحه ايران والجزر ، يجدر بنا ان نلقي نظرة سريعة على التاريخ الداخلي والخارجي لايران في حكم مظفر الدين شاه بن ناصرالدين شاه وورثته .

★ ★ ★

الاحوال الداخلية فى ايران ١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

أخلاق مظفر الدين شاه

ولي مظفر الدين عرش ايران وهو في الثالثة والاربعين من عمره .. وكان يتمتع بمزايا شخصية حسنة .. فكان مزاجه لطيفاً ودوداً ورحيماً ، ولكنه كان ضعيفاً وهياباً متغاضياً عن حقوق نفسه وغيره .

حكومة امين السلطان ١٨٩٦

كان على رأس الحكومة الاولى للشاه الجديد ، أمين السلطان ، وكان وزيراً ذا كفاءة ممتازة ، ولكن في ذات الوقت كان سيء الخلق . وقد كان وزيراً في أيام والده ، وكان نفوذه قوياً في جنوب ايران وفي الخليج في اواخر ايام حكم ناصر الدين شاه .

(١) ص ٤ المراجع الخاصة بهذه الفترة كلها تقريبا مراجع رسمية ٠وفيما يتعلق بالشئون الايرانية بصفة عامة فالمراجع هى :

١ ـ ايران والخليج وهو عبارة عن الجزء الثانى من الملخص الرسمى للاحداث الرئيسية تأليف لوريمير ورسل ٠

٢ ـ ايران وهو من عمل وزراء بريطانيين مسئولين ٠
نائب الملك وحاكم عام الهند فى مصلحة الشئون الخارجية ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥ ٠

٣ ـ س٠ن فرايزر الضمانات والتاكيدات المقدمة من حكومة ايران لبريطانيا العظمى ١٩٠٤ ٠

٤ ـ جى٠اى٠ سالدانها طبع ١٩٠٦ التقارير السنوية الادارية لمقيمية الخليج ٠

٥ ـ سالدانها أيضا مختصر شئون الخليج والجزر ١٨٥٤ ـ ١٩٠٥ ٠

٦ ـ ف٠ شيرول مسألة الشرق الاوسط ٠

وعندما تولى الشاه الجديد ظهرت عصابة ، او لعل لها كياناً سابقاً فتكون نشطت ضد الوزير أمين السلطان منذ فترة سابقة . .

وفي نوفمبر سنة ١٨٩٦ اضطر الوزير للاقامة في قم حيث رافقه طبيب البعثة البريطانية لحمايته من مثل العدوان الذي كان حدث للامير نظام فأودى بحياته سنة ١٨٥٢ .

ولقد كان للوزير خصوم عديدون من ذوي النفوذ ، وربما كان من ابرزهم الفارمان وهو احد أحفاد فتح علي شاه وفي الوقت ذاته صهر وزوج بنت الملك الحاكم .

حكومة امين الدولة ١٨٩٧ — ١٨٩٨

ولي الامر في مكان امين السلطان ومعاونيه وزارة موقتة استمرت في الحكم بمشقة حتى فبراير سنة ١٨٩٧ حين استدعى امير الدولة من تبريز (لدراسة الاوضاع) . وعندئذ عهد اليه بمركز « الصدر الاعظم » وعهد معه الى ناصر الملك بأن يكون وزيراً للمالية .

وكانت المهمة الرئيسية للحكومة في ذلك الوقت .. كما سيتضح من مجريات الامور ، هي تدبير المال اللازم للمصروفات العامة ، والاحتياجات الخاصة للشاه الذي أشار عليه أطباؤه بالقيام برحلة الى اوربا .

وفي يونيو ١٨٩٨ اضطر امين الدولة الى الاستقالة ، وأقام في أملاكه الخاصة قرب راشت عندما اخفقت كل الجهود التي بذلها لإقامة مالية على أساس سليم ، او في الحصول على قروض .

لقد كان البرنامج الاداري الذي وضعه معقولا وعملياً ، اذ كان مبنياً على نظرية فصل أجهزة صرف ايرادات الحكومة عن اجهزة تحصيل ايراداتها . وفرض ضريبة على الارض الزراعية ، وتخفيض الجيش النظامي ، وتكوين شرطة نظامية .

ولكن فيما عدا تحسين العملة الصغيرة بادخال عملة النيكل ، والسير خطوات قليلة في تطوير مصلحة الجمارك بأن استخدم فيها خبراء من بلجيكا فان برنامجه وأفكاره لم تدخل في طور التنفيذ .

حكومة مشير الدولة ١٨٩٨

بعد أمين الدولة ولي الادارة مشير الدولة وزيراً للخارجية ورئيساً لمجلس الوزراء، ولكن ثبت عجزه عن مجاراة الموقف السياسي كما عجز عن تلبية طلبات الشاه المالية فما لبث في الحكم الا قليلا .

حكومة امين السلطان ١٨٩٨ ـ ١٩٠٣

وفي اغسطس ١٨٩٨ عاد امين السلطان الى الحكم بسلطاته السابقة رئيساً للوزراء ، وأبعد خصومه .. فارمان فارما وقوام الدولة ، وناصر الملك ، وعلاء الملك ، وحاكم الملك ، الى مناصب انقصت كثيراً من نفوذهم السياسي .

وفي ربيع سنة ١٩٠٠ عقب الحصول على قرض روسي ، بدأ مظفر الدين رحلته التي ترقبها طويلا الى اوربا ، وناب عنه في حكم ايران مدة غيابه مجلس الوزراء برئاسة ابنه الثاني صاحب السمو الملكي ملك منصور ميرزا الملقب شعاع السلطنة .

وقد زار العاهل الايراني مناطق متعددة من أوربا في فرنسا وبلجيكا وروسيا. ولم يتم رحلته الى بريطانيا والمانيا او ايطاليا في هذا البرنامج نظراً لحادث وفاة أحد افراد الاسرة المالكة .

وفي سنة ١٩٠٢ قام الشاه برحلة ثانية الى اوربا زار خلالها بريطانيا .

وفي سنة ١٩٠٣ اندلعت مشاكل من أنواع متعددة في أماكن كثيرة في ايران كذلك أيضاً حدثت اضطرابات ضد حكومة الشاه . ويبدو أن الذين اثاروا تلك الفتنة هم مزاحمو أمين السلطان ، او عطا بك الاعظم كما كان يسمى حينئذ . وساعدت السلطات الدينية في شدة توتر الفتنة لاسباب وطنية ، وكان من مراكز الفتنة في هذه الحركة بلدتا كربلاء والنجف في العراق التركي . وفي الفصل الخاص بتاريخ هذا الاقليم بيان عن اعمال (المجتهدين الايرانيين) في هاتين المدينتين المقدستين .

وكانت الجماهير الايرانية قد قاست الامرين ، قبل نظام العملة

الذي أدخله امين الدولة ، من نقص قيمة النقد والفوضى والمضاربات المالية في عملة النقد النحاسي ، لا سيما بين سكان المدن الذين نقصت لديهم المواد الغذائية ، ولم يسعفوا برفع الضرائب عنهم مما جعل الفقراء في أضيق حال من العيش ، وكان هؤلاء جميعاً في حالة غليان من الغضب . وازداد غضبهم ازاء اضاعة كثير من المصروفات للشاه وبلاطه وخصوصاً فيما يتعلق برحلاته الى اوربا ، بتمهيد كثير من الموظفين البلجيكيين في مصلحة الجمارك الايرانية ، وبأموال من قروض خارجية منها ما كان مقترحاً وما تم فعلا . ثم نمو حركة البابيين . وفي مثل هذه الظروف المضطربة لم يكن عسيراً على الذين يصيدون في الماء العكر ان يثيروا حركة عارمة .. فكانت هناك اضطرابات وشغب في اوائل سنة ١٩٠٣ ومظاهرات ضد الاجانب ومذابح في البابيين في غير واحد من المراكز الهامة .

كما كان لخبر موت حاكم الملك مفاجأة في ظروف تحيط بها الشبهات ولمساعي أحد الخصوم العتاة لرئيس الوزراء عطابك الاعظم أثر كبير في حالة الاضطرابات الخطيرة في البـــــلاد ممّا أوقع هزة عنيفة في كرسي الحكم فسقط رئيس الوزراء عطابك ونفي خارج ايران . ويبدو ان فشله في تنفيذ جميع طلبات الدبلوماسية الروسية كان من عوامل إقصائه عن الحكم .

حكومة صاحب السمو الملكي امين الدولة في اواخر ١٩٠٣

تلت تلك الفترة ، فترة هادئة نسبياً تولى ادارة شئون الدولة فيها سمو الامير امين الدولة حفيد فتح علي شاه وصهر الملك الحاكم .

وفي سنة ١٩٠٥ تمكن الشاه من القيام برحلة ثالثة الى اوربا زار فيها فينا وسانت بطرسبرج ، وكان غضب الشعب لم يسكن بعد ، وبدأت تعلو الاصوات مطالبة بحكومة تمثل الشعب .

وكان استخدام طائفة كبيرة من الموظفين البلجيكيين في الجمارك

ذا أثر طيب في زيادة العائدات رغم ان وجودهم أثار حفيظة الشعور القومي الذي بدأت تبدو آثاره .

وفي الملحق الخاص بالجمارك الامبراطورية الايرانية يرى القارىء تفاصيل عن الامور المتعلقة بتعديل نظم الجمارك طبقاً للنظم الأوروبية ونقل ادارات أخرى من اعمال الدولة الى اختصاص المستشارين البلجيكيين الجمركيين .

★ ★ ★

معارضة مشتركة بريطانية روسـية للامور العامة في ايران ١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

كان الاتفاق البريطاني الروسي لسنة ١٨٣٤ الذي أكد صيانة استقلال ايران وسلامتها ، والذي تجدد بعد ذلك مرات كان آخرها في سنة ١٨٨٨ ما يزال قائماً ، الا أن سير الاحداث في الفترة التي نتكلم عنها الآن كانت تجعل الاتفاق المذكور مثاراً للخلاف بين بريطانيا وروسيا في معظم المسائل الهامة ، سواء في الامور المحلية أم العامة .

وبسبب ظاهرات معينة لذلك التنافر الدولي بين المصالح المختلفة نرى أنه من الضروري البدء بدراسة الشئون العامة لايران جميعها .

الحالة المالية لايران والقروض البريطانية لها ١٨٩٨ .

في سنة ١٨٩١ كان المعروف ان الدخل العام لايران يزيد عن المصروفات العامة بمقدار ١٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني سنوياً ولم تكن على على الدولة ديون .

وكان الوضع الاقتصادي في زمن ناصر الدين شاه الذي جمع في يده الادارة المالية وادارة جميع المصالح الحكومية يشير الى ان المبالغ المدخرة كانت تبلغ ٤ ملايين جنيه . ولكن قبل انتهاء حكمه كان هذا

الرصيد قد استهلك أكثره . وعند وفاته كان مقداره ما لا يزيد على ٣٠ مليون فرنك . وفي نفس الوقت بدأت تتراكم الارتباطات والديون .

وفي سنة ١٨٩٢ تم عقد دين ايراني في لندن بواسطة البنك (البريطاني) الامبراطوري الايراني ، وذلك لدفع مبلغ نصف مليون جنيه استرليني مستحقة لشركة الطباق (الدخان) الامبراطورية (البريطانية) مقابل الغاء امتيازها .

وفي خلال السنوات القليلة التالية استدانت حكومة ايران مبلغ ٢٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني من نفس البنك . وفي عام ١٨٩٨ كان مجموع الدين العام على ايران مبلغ مليون جنيه بما في ذلك ما لم يدفع من باقي قرض سنة ١٨٩٢ ، وفي نفس الوقت كانت رواتب الجيش والموظفين المدنيين لم تدفع .

وفي اوائل عام ١٨٩٨ كان في عزم الممولين البريطانيين منح قرض لايران مقداره ١,٢٥٠,٠٠٠ جنيه بفائدة ٥٪ بضمانة جمارك فارس والخليج مع اشتراط وضع مندوبيهم في مراكز المسئولين في دوائر الجمارك المخصصة لهم .

وقد قبل امين الدولة رئيس الوزراء الايراني في ذلك الوقت هذه المقترحات من حيث المبدأ ، وتم دفع مبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه في مارس ١٨٩٨ وسلمت ادارة جمارك بوشهر وكرمان شاه الى البنك الامبراطوري (البريطاني) في ايران .

على ان نقل ادارة الجمارك أثار معارضة انتهت الى العدول عن ذلك. وعند احلال امين الدولة محل مشير الدولة وجد ان الاحتياجات المالية اللازمة لحكومة ايران كانت تبلغ ضعف المبلغ المقترح ، وبذلك توقفت المفاوضات مع الممولين البريطانيين .

القرض الروسي لايران ١٩٠٠

وعندئذ اقترحت حكومة بريطانيا على حكومة روسيا منح ايران قرضاً مشتركاً . ويبدو ان هذا الاقتراح صادف قبولا ، غير أنه في يناير

سنة ١٩٠٠ أعلن فجأة ان حكومة ايران قد قبلت قرضاً روسياً بحتاً بواسطة بنك دي جروت دي بيرس وهو فرع لبنك الدولة الروسي .

وكانت القيمة الاسمية للقرض مبلغ ٢,٤٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني من الحكومة الروسية بضمانة عائدات جمارك ايران ما عدا جمارك فارس وموانئ الخليج ، على ان لا ينفذ هذا الشرط الا في حالة العجز عن سداد الدين فقط .

ومن هذا القرض الروسي دفعت ايران بواقي قرض سنة ١٨٩٢ والقروض الاخرى البريطانية . واشترطت روسيا ضمن الشروط أن لا تحصل ايران على أية مبالغ من جهات أجنبية قبل سنة ١٩١٠ . وبذلك اتضح الاشراف الكامل لروسيا على شئون ايران المالية .

رفض ايران لقرض بريطاني ١٩٠١

وفي السنة التالية عند عودة الشاه من رحلته الاولى الى اوربا وكانت خزانة الدولة خاوية ، تقدم رئيس وزراء ايران الى الحكومة البريطانية طالباً قرضاً .

وكانت حكومة الهند راغبة في تقديم مبلغ ٥٠٠,٠٠٠ جنيه بشروط معينة ، وقدمت عرضاً بذلك الى الحكومة الايرانية ولكن هذه رفضته آخر الامر . وربما كان السبب الرئيسي للرفض هو خوفها من أن تعتبر روسيا ذلك خرقاً لشروط قرض سنة ١٩٠٠ حتى ولو كان استلام القرض الهندي بواسطة البنك الامبراطوري الايراني .

مزيد من القروض الروسية لايران ١٩٠٢ – ١٩٠٣

في سنة ١٩٠٢ عندما قرر الشاه القيام برحلة ثانية الى اوروبا ونظراً لازدياد حدة الضائقة المالية في ايران قدم البنك الروسي في يناير ومارس دفعات مجموعها ٣٠٠,٠٠٠ جنيهه استرليني . وفي ابريل قبلت حكومة ايران قرضاً من البنك المذكور تبلغ قيمته ١,٠٠٠,٠٠٠ تقريباً . وقد كلفت هذه القروض الاضافية حكومة ايران ثمناً غالياً . وكانت الشروط التي منحت بموجبها القروض ذات أثر سيء على مصالح بريطانيا .

وكان من بين المزايا التي حققتها روسيا تجديد الاتفاقية الروسية الايرانية الخاصة بمنع انشاء خطوط حديدية في ايران لمدة عشر سنوات ، وكذلك تمديد مدة رقابة روسيا على المالية الايرانية لمدة سنتين من ١٩١٠ الى ١٩١٢ . كما قدمت ايران لروسيا تعهداً بتعديل التعرفة الجمركية ، ثم إعادة النظر فيها على ان يتم ذلك بين ايران وروسيا منفردتين .

وكان ضمان القرض الجديد لا يشمل فقط جمارك ايران عموماً (باستثناء فارس وموانى الخليج) وانما شمل أيضاً عوائد أية مراكز جمركية قد تنشأ فيما بعد .

وكان من الواضح ان المراكز المقصودة هي تلك التي كان مزمعاً إنشاؤها على حدود بلوشستان .

وبلغ مجموع ديون ايران لروسيا حتى سنة ١٩٠٣ اربعة ملايين جنيه استرليني تقريباً ابتلع البلاط الشاهاني أكثر من نصفها .

قرض بريطاني لايران ١٩٠٣ — ١٩٠٤

ونظراً لاستمرار الضائقة المالية أمام الحكومة الايرانية فقد بدأت باتصالات مع البعثة البريطانية في طهران . وكانت حكومة الهند على استعداد لتقديم قرض لا يزيد على مليون جنيه استرليني بشروط مناسبة . وكان مقترحاً ان يكون هذا القرض على هيئة شراء حق احتكار طرق برية وحديدية ، وإنشاء مشروعات أخرى تجارية في سجستان وفي جنوب شرق ، وجنوب ، وجنوب غرب ايران . ولكن اتضح استحالة الحصول على مثل تلك الشروط .

وأخيراً منحت دفعة مقدارها ٢٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني لايران في الرابع من شهر ابريل سنة ١٩٠٣ ، ثم ١٠٠,٠٠٠ أخرى في اول سبتمبر سنة ١٩٠٤ بواسطة البنك الامبراطوري الايراني (بريطاني) . وتقرر ان تعتبر هاتان الدفعتان قرضاً واحداً بربح ٥٪ يرد على عشرين قسطاً سنوياً بضمانة عائدات مصايد الاسماك في بحر قزوين ودخل البريد والبرق الايراني وجمارك فارس وموانى الخليج .

وقد تلقت حكومة الهند من حكومة صاحب الجلالة ضماناً بقيمة نصف مبلغ القرض .

اقتراح دين بريطاني لايران ١٩٠٥

وفي سنة ١٩٠٥ كانت حكومة صاحب الجلالة راغبة في منح دفعة قدرها ١٥٠,٠٠٠ جنيه استرليني بواسطة البنك الامبراطوري الايراني الى حكومة ايران . وفي اكتوبر من نفس السنة أبدى رئيس الوزراء الايراني الرغبة في إبرام الاتفاق على ان تزاد الدفعة الى ٣٠٠,٠٠٠ جنيه .

شئون الجمارك الايرانية ١٨٩٢ — ١٩٠٤

كانت الجمارك الايرانية تشكل المصدر الوحيد الذي يمكن اعتماده ضماناً لرد الديون لامور تتعلق بالتجارة والاعتبازات الدولية . لذلك كان طبيعياً ان تكون مجالا للخلافات بين بريطانيا وروسيا .

وكانت الحكومة البريطانية ترى أن من اهم الامور بالنسبة لها ان لا تتسلط روسيا على جمارك جنوب ايران ، وأنه اذا كان لا بد لهذه الجمارك ان تقع تحت اشراف أجنبي ، فان ذلك يجب ان يكون لبريطانيا .. وان روسيا يجب ان لا يكون لها السيطرة على سياسة ايران التجارية سيطرة تجعلها تتحكم في التعرفة الجمركية بحيث تسخرها لصالح تجارتها مع إلحاق الضرر بالمصالح البريطانية .

وقد اشير تفصيلا للإجراءات التي اتخذتها بريطانيا لبلوغ ذلك المأرب في الملحق الخاص بالجمارك الامبراطورية الايرانية . ومن ابرز تلك الاجراءات الحصول على تأكيد بذلك من حكومة ايران سنة ١٨٩٧ . كما وضعت جمارك بوشهر في سنة ١٨٩٨ تحت الادارة المؤقتة للبنك الامبراطوري الايراني . ثم اعتُمد منهاج يهدف لاقصاء روسيا تدريجياً ما بين سنتي ١٨٩٢ و ١٩٠٤ عن كل علاقة بالجمارك في جنوب ايران ، او على الاقل في فارس وموانئ الخليج . وشمل هذا الاجراء الاخير جمارك المحمرة وجاشك وشهبار وجواتار ، وكذلك عمل على احباط محاولة روسية لاقصاء بريطانيا عن إسماع صوتها في تعديل فئات رسوم جمارك حكومة ايران .

امور انشاء الخطوط الحديدية في ايران ١٨٩٩ – ١٩٠٤

ومما لا شك فيه ان التنافس بين روسيا وبريطانيا حول انشاء الخطوط الحديدية الذي بدأ في سنة ١٨٨٩ ، استمر بشكل هادىء في الفترة التي نحن بصددها .

وفي ديسمبر سنة ١٨٩٩ جددت الاتفاقية الروسية الايرانية التي تحظر انشاء خطوط حديدية في ايران لمدة عشر سنوات أخرى . ورغم ذلك فقد قامت هيئة فنية روسية في سنة ١٩٠٠ بدراسة شاملة لايران ، وعملت ابحاثاً اولية عن انشاء خط حديدي يتجه من طهران او أصفهان جنوباً الى المحمرة وبوشهر وبندر عباس حتى شاهبار .

وفي سنة ١٨٩٩ امتدت خطوط السكة الحديد في الامبراطورية الروسية الى فارس . وفي سنة ١٩٠٤ امتد خط روسي الى حلفا على الحدود الروسية الايرانية .

وفي سنة ١٩٠٠ اعتمد الشاه منح بريطانيا حق الاولوية المقرر سنة ١٨٩٩ في إنشاء الخطوط الحديدية في جنوب ايران كما أقر جلالته بأن الامتياز المذكور ما يزال قائماً .

وفي سنة ١٩٠٥ انشيء امتداد صغير لشبكة الخطوط الحديدية الهندية في قتا باتجاه ايران .

وفي سنة ١٨٩٩ كان قد انشيء طريق بري من اشكاباد من الخط الحديدي عبر قزوين الى مشهد ، وكان طريق آخر من ميناء إنزلي على بحر قزوين ماراً بقزوين الى طهران على وشك الاتمام .

وفي سنة ١٩٠٢ منحت روسيا امتيازاً لعمل طريق من جلفاه الى قزوين في حدود المسافة من قزوين الى همدان ، وذلك باعتباره جزءً من الامتياز الممنوح لروسيا بمناسبة القرض الروسي لايران الذي عقد في تلك السنة .

وفي سنة ١٩٠٥ كانت جميع الطرق المشار اليها مفتوحة للحركة وسيرت على بعضها خطوط سيارات منتظمة . وبذلك أصبح الوصول

الى قزوين وطهران ، ولا (حاجة الى ذكر همدان) ممكناً بسهولة من الخط الحديدي الرئيسي الروسي في جلفاه ومن أنزلي حيث شرع الروس في تحسين الميناء .

وفي الجانب البريطاني كان تنفيذ امتيازات البنك الامبراطوري الايراني يسير بطيئاً . ولكن في سنة ١٨٩٩ كان الطريق المنشأ بموجب هذا الامتياز قد وصل الى قم . ورغم أنه لم يكن قد تم رصفه ال قم ، فان البنك سير عليه خط مركبات .

وفي سنة ١٩٠٣ كان هذا الطريق مفتوحاً الى سلطان أباد .

وفي الوقت ذاته كان هناك طريق آخر بين الاهواز الى أصفهان قد تم إنشاؤه بمعرفة موسسة لينش البريطانية التي كانت وكيلة عن زعماء بختياري . وقد ذكر عنهم في الفصل الخاص بتاريخ عربستان أنهم كانوا قد حصلوا على حق الامتياز وبدأ استغلال هذا الحق في سنة ١٩٠٠ .

وفي سنة ١٩٠٤ انشئت شركة بريطانية باسم شركة النقل الايرانية لتتولى أعمال الطرق التي منح البنك الامبراطوري الايراني امتيازها واستغلال الملاحة في نهر قارون وطريق بختياري بين الاهواز واصفهان وكان ذلك من حق شركة لينش .

وفرض لهذه الشركة الجديدة مبلغ ٢,٠٠٠ جنيه استرليني سنوياً لمدة عشر سنوات تدفع نصفها حكومة صاحبة الجلالة والنصف الآخر حكومة الهند .

ثم شرع في تمديد طريق طهران ــ سلطان أباد في اتجاه الجنوب ماراً بلورستان الى الاهواز . ولكن كما جاء في الفصل الخاص بشئون عربستان قامت عقبات سياسية من شخصية محلية وتوقف العمل في ذلك الحين .

وفي سنة ١٩٠٥ نوقشت ظروف امكانية الحصول على امتيار انشاء طريق تقوم بعمله الوكالة البريطانية من بندر عباس الى بام مع وصلتين الى اصفهان وسجستان .

انشاء خطوط البرق

وكانت هناك منافسة أيضاً بين بريطانيا وروسيا في ايران بشأن إنشاء وتشغيل خطوط برقية بالنيابة عن حكومة ايران .

وكانت بريطانيا هي البادئة في تحريك هذا النزاع . وسنجد في الملحق الخاص بالبرق في الخليج تفصيلا عن اتفاق تم توقيعه سنة ١٩٠١ قامت بموجبه دائرة البرق الهندية الاوربية بانشاء خط برقي ارضي رئيسي ايراني من كاشان ماراً بيزد وكرمان الى نقطة على الحدود مع بلوشستان حيث يتصل بشبكة خطوط الهند البريطانية .

وكان هذا الخط الجديد ملكاً للحكومة الايرانية . ولكن عمل ترتيب تأجيره الى دائرة البرق الهندية الاوربية حتى سنة ١٩٢٥ ، او إلى أي زمن قبل ذلك بناء على رغبة الحكومة البريطانية .

وكانت حكومة روسيا بموجب القرض الروسي سنة ١٩٠٠ قد حصلت على وعد بمنحها الاذن بعمل خط برقي من مشهد الى سجستان . ولم يشرع في تنفيذه قبل سنة ١٩٠٣ ، ولكن سرعان ما تم تنفيذه بمجرد الشروع فيه . ثم انتشر زعم بأنه عمل ايراني بحت الا أن هذا الزعم لم يجد تأييداً .

وفي إبريل سنة ١٩٠٣ عقد اتفاق بين روسيا وايران ، اعطى روسيا حق تشغيل اثنين من المهندسين وثلاثة عمال برق على خط مشهد — سجستان وحق ربط خطوط برق ايران مع خطوط برق عبر قزوين .

وبحلول عام ١٩٠٥ بلغ عدد عمال البرق العاملين على خط مشهد— سجستان ثلاثة عشر عاملا . وبموافقة الشاه وضع الخط تحت رقابة الفنيين الروس .

وقد احتجت بريطانيا على هذا الاجراء الذي جعل هذا الخط روسياً ونجحت في وضع بعض عمال البرق البريطانيين للعمل فيه في بيرجاند وتربة الحيدري وفي اماكن أخرى .

تعارض المصالح الروسية البريطانية في الامور المحلية فى ايران ١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

نتتقل الآن الى عرض الخلاف الانجليزي الروسي في ايران ونتائجه التي كانت محلية في طبيعتها أكثر من الاحداث السابقة .

نشاط روسي وفرنسي في الخليج واجراءات مضادة بريطانية ١٨٩٥ ـ ١٩٠٥

كان الخليج ميداناً لتحركات روسية محمومة ولظهور تدخل فرنسي موقت .

ونجد وصفاً تفصيلياً لما قامت به كل من روسيا وفرنسا في تلك المنطقة طوال الفترة المنتهية بعام ١٩٠٥ ، وما قامت به بريطانيا من أعمال مضادة ، في الفصل المتعلق بالتاريخ العام للخليج مما يمكن الرجوع اليه بشكل اوضح .

ويمكن ان يضاف هنا ان تدابير خارج منطقة الخليج اتخذت لتقوية مركز بريطانيا السياسي في الخليج ، وذلك بانشاء قنصلية بريطانية دائمة في كرمان في يناير ١٩٠ على رأسها ضابط من الدائرة السياسية الهندية وتقسم نفقاتها بين الحكومة البريطانية وحكومة الهند بدل الترتيبات الموقتة التي كانت متبعة منذ سنة ١٨٩٣ . كما انشئت قنصلية بريطانية في شيراز في نوفمبر ١٩٠٣ على رأسها رجل من السلك القنصلي في الشرق الاوسط بدلا من الوكالة الوطنية التي كانت قائمة وقتذاك . ثم عين وكيل أهلي لحكومة بريطانيا في بامبور سنة ١٩٠١ . وهذا الموظف الآخير نقل الى كرمان بعد فترة قصيرة استجابة لاعتراض حكومة ايران وبقي هناك حتى سنة ١٩٠٤ عندما نقل الى بام .

نشاط روسي في شرق ايران ١٨٨٩ ـ ١٩٠٥

وفي سنة ١٨٩٩ عينت روسيا قنصلا عاماً لها في مشهد . كما عينت بريطانيا عقب ذلك مباشرة قنصلا عاماً ايضاً . وبعد فترة الحق معه ضمن موظفيه ملحق عسكري لحفظ التوازن .

ولم تلبث روسيا أن حصلت على مركز ممتاز من الناحيتين التجارية والسياسة في خراسان حيث ساعدها على ذلك مجاورتها للخط الحديدي عبر قزوين والاسراف في الانفاق في سبيل تحقيق مطامعها .

ولم يكن من نهجها ان تتراخى في إجراءاتها ، فسرعان ما انتشر رجال سلكها القنصلي ووكلاء الانباء ورجال المساحة والتخطيط والمبعوثون من جميع الاختصاصات ، سرعان ما انتشروا في مناطق شرق وجنوب ايران متغلغلين كما سنرى فيما بعد حتى سجستان .

وفي سنة ١٨٩٧ انتشر الطاعون الدملي في الهند فاستغلت السلطات السياسية الروسية تلك المناسبة لفرض سيطرتها على خراسان . فأنشأوا محجراً صحياً (كارانتينا) على أرض ايرانية مجاورة لبلدة مشهد شرقي افغانستان وجنوب سجستان .

ولم تقع إصابات بهذا الطاعون في افغانستان ولا في بلوشستان ، وانما من الواضح ان انشاء هذا المحجر الصحي كان لاهداف سياسية أكثر منه لاهداف وقائية ، ولا سيما وأنه بقي قائماً حتى بعد توقيع اتفاقية البندقية الصحية سنة ١٨٩٧ التي قضت على مبدأ الحجر الصحي على البر .

وكان من أهم نتائج هذا المحجر تحويل التجارة الافغانية من الارض الايرانية الى الارض الروسية والحد من نمو التبادل التجاري ما بين قتا ومشهد بطريق سجستان .

وكان المحجر تحت اشراف أطباء روسيين يدعم سلطانهم قوة تزيد عن ١٠٠ من القوزاق الروس ، ومع ان هؤلاء استبدلوا فيما بعدبقوازاق ايرانيين فقد بقي ضباطهم الروس ، وظلوا يتلقون تعليماتهم من القنصل العام الروسي في مشهد .

وقد حاول الروس التوسع في منطقة المحجر الصحي الى الجنوب ولكن حال دون ذلك ارسال طبيب بريطاني من الهند الى سجستان ، وسنشير لهذا الموضوع في فقرة تالية من هذا الفصل .

وفي سنة ١٩٠٣ بذلت حكومة جلالة الملك جهوداً مع وزراء الشاه أولا ثم بعد ذلك باتصال مباشر مع الحكومة الروسية لالغاء المحجر

الصحي المذكور ، ولكن دون جدوى . وعلى ذلك ارسلت بريطانيا قنصلا بريطانياً ومعه طبيب بريطاني وحرس من الفرسان الهنود الى تربة الحيدري ، وكانت تقع في منتصف خط الكارنتينا الروسي ، وبذلك تمت حماية الرعايا البريطانيين والمصالح البريطانية من أي تدخل غير سليم .

وفي سنة ١٩٠٥ عندما اكتشفت حالة إصابة بالكوليرا في بيرجاند حاول القنصل الروسي في نصرت أباد في سجستان إقامة حجر صحي بين موضعين ، ولكن ممثلي بريطانيا في طهران أحبطوا تلك المحاولة .

وفي سنة ١٩٠٣ حرضت روسيا الحكومة الايرانية التي كانت هي نفسها تعزف نفس النغم للاحتجاج على ما وصف بأنه تعد أفغاني على ارض ايرانية في منطقة هاشتادان . ولكن في سنة ١٩٠٤ عندما اتخذت خطوات نحو الاتفاق مع امير أفغانستان لوضع الخلاف أمام مكتب التوفيق التابع للحكومة البريطانية لتخطيط الحدود ، وكان بدىء به في حالة مماثلة سنة ١٨٩١ ، توقفت ايران عن شكواها وبقي الوضع على ما هو عليه دون تغيير ، وذلك بسبب انشغال روسيا في حرب قامت بينها وبين اليابان في الشرق الاوسط .

التنافس البريطاني الروسي على النفوذ السياسي في سجستان ١٨٩٤ — ١٨٩٥

لقد أصبحت منطقة سجستان مسرحاً هاماً لمنافسة حامية بين بريطانيا وروسيا منذ عزلت تلك المنطقة واستبعدت من التسوية التي تمت للنزاع الايراني—الافغاني على يد الوسيط البريطاني الرائد ف. ج. جولد سميد عام ١٨٧٢ . وقد اتخذت المنافسة على هذا الاقليم شكلا حاداً منذ سنة ١٨٩٤ . وكان وضع سجستان هاماً جداً بالنسبة للاستراتيجية الهندية وعلى ذلك فقد كان من الضروري منع توسع النفوذ الروسي ، المنطلق من قاعدته في مشهد الى قسم كبير من إقليم خراسان سنة ١٨٩٤ ، ولا سيما عندما وفد الى سجستان وكيل وطني روسي وتسلم عمله هناك ، بينما لم يكن بعد لبريطانيا في هذه المنطقة أي تمثيل .

وفي سنة ١٨٩٥–١٨٩٦ قامت بعثات من الهند بتخطيط الحدود بين بلوشستان وافغانستان وبين باشستان وايران ، وكانت نتائج أعمالهم ذات أهمية خاصة لدى السلطات البريطانية التي رأت أهمية سجستان والميل الى امتداد النفوذ البريطاني اليها عبر بلوشستان حتى نهاية حدودها . وفي سنة ١٨٩٦ تم تعيين ضابط سياسي بريطاني في شاجاي في منتصف المسافة بين قتا والحدود الايرانية . وقد زار الرئيس واب وير اول من شغل المنصب سجستان في اوائل عام ١٨٩٧ ، وفي نفس السنة شرع في عمل طريق تجاري من قتا ماراً ببلدة روباط الى نصرت أباد ، وهي من اهم مراكز سجستان . وطول الطريق ٤٦٣ ميلا يشق بلاداً وعرة غير آمنة على حدود بلوشستان .

وفي ذات الوقت كانت التقارير تصل عن عزم الروس على اتخاذ تدابير وقائية ضد تسرب مرض الطاعون الدملي من الهند .. واحتياطاً لتوقع اي توسع روسي في سجستان ، ارسل العقيد برازير كريج ، وهو ضابط طبيب من الهند ، الى هذه المنطقة ولكن اتضح بعد ذلك أنه لا ضرورة لاستمرار بقائه هناك .

وفي سنة ١٨٩٨ وصلت انباء الى الممثل البريطاني في مشهد مفادها أن الروس يفكرون في تعيين شخص يسمى زيد لار كنائب للقنصل الروسي في سجستان ، ولمواجهة هذه الحالة الطارئة صدر تكليف الى العقيد سايكس الذي كان يعمل في كرمان بالتوجه الى سجستان في اوائل عام ١٨٩٩ ، وقد اعترف به كأول ممثل قنصلي . وبعد ان قضى فصل الصيف في برجاند عاد في الخريف الى سجستان لمدة قصيرة ثم عاد الى عمله في كرمان . وما كاد يبارح المنطقة حتى أعلن في هذه المرة بصفة جدية عن قيام ضابط روسي اليها اسمه مستر ملر لانشاء وكالة قنصلية في سجستان وقد وصل الى نصرت أباد في فبراير سنة ١٩٠٠ ، وتأكد وجوده هناك بعد اسابيع قليلة من وصول العقيد تشنفكس ترنش الذي اختارته حكومة الملك قنصلا عاماً لها في مشهد .

وفي اوائل عام ١٩٠١ حل الرئيس بن في محل العقيد ترنش ، وأصبح

هو قنصل بريطانيا وروسيا في الشئون المحلية بعد تمثيل كل منهما بمندوب مفوض في هذه المنطقة ، فاتجه نظر حكومة ايران اليها بحكم الظروف ، وظهر على مسرح الحوادث في سنة ١٩٠١ بعض موظفي الجمارك البلجيكيين وتبعهم انشاء مكتب ايراني للشئون الخارجية .

وكان الحاكم المحلي « حشمت الملك قد تخلى عن اثنتين من وظائفه الرئيسية ، فتعقدت الامور عندئذ وبدأت بعض المشكلات في الظهور . وفي سنة ١٩٠١ احتدم النزاع بين الايرانيين والافغانيين على حدود سجستان ، وقيل ان لنائب القنصل الروسي يداً في اثارة تلك الفتن ، كما قيل إنه في نفس الوقت طالبت روسيا أن تتولى بنفسها بطريقة ما ، الاشراف على ايرادات سجستان . ويحتمل ان يكون ذلك عندما اشترى بعض سماسرة الاراضي الروسين بعض الاراضي التابعة للتاج الايراني ، وقيل ان ما اشتروه هو القسم الاكبر من اراضي المنطقة او حاصلاتها .

وقد اثارت الإشاعة اهتمام الممثلين البريطانيين في طهران . وفي نهاية ذلك العام حصلوا على تأكيد خطي من حكومة ايران بأن دخل سجستان لن يوضع تحت اشراف دولة أجنبية ، او رعايا أجانب .

وفي سنة ١٩٠٣ و ١٩٠٥ تجددت الاشاعات بتحويل املاك التاج الايراني او حاصلات بلاده لأيد أجنبية . ولكن الممثلين الدبلوماسيين في طهران أحبطوا المساعي التي حركت هذا الموضوع .

وفي سنة ١٩٠٢ رفع مركز مستر ملر المندوب الروسي في سجستان من نائب قنصل الى قنصل ، واجرت بريطانيا نفس التعديل في مركز الممثل البريطاني عقب ذلك .

ومع ازدياد النفوذ الروسي في طهران أبدى الموظفون البلجيكيون مشايعتهم لروسيا ، بقدر ما ابدوا عداواتهم لبريطانيا في كل المناسبات . وازدادت مضايقاتهم لحركة التجارة الواردة حديثاً بطريق القوافل البريطاني الجديد من قتا .

وفي سنة ١٩٠٢ عندما انتقلت الى ايديهم ادارة البريد الايرانية ،

استبدلوا احدى الخدمات البريدية التي نظمها القنصل البريطاني في العام السابق ما بين رباط ونصرت أباد وبرجاند حيث تتصل بشبكة البريد الهندي عند رباط ــ بخدمة بريدية أخرى نظمها القنصل الروسي . ولما قدم احتجاج على ذلك في طهران اعيد ثانياً طريق هذه الخدمة بين رباط ونصرت أباد الى ما كان عليه في أيدي الموظفين البريطانيين .

وكانت أكبر المشكلات في سجستان عندئذ هي مشكلة الحدود الايرانية الافغانية وحدود الري من مياه هالماند بالنسبة للرعايا الايرانيين والافغانيين على التوالي . وكان الرائد جولد سميد قد انهى تسوية هذه المشكلات سنة ١٨٧٢ ، ولكن تغييرات جوهرية أدت الى اثارة الخلاف من جديد .

وفي يوليو سنة ١٩٠٢ وطبقاً لمعاهدة السلام البريطانية الايرانية لسنة ١٨٥٧ طلبت حكومة ايران وساطة الحكومة البريطانية لتسوية الخلافات الجديدة ووضع الطلب فوراً موضع النظر .

ومما لا شك فيه ان هدف المندوب الروسي من إثارة مشكلات الحدود كان إيجاد مبرر لامكان تدخل روسيا للمحافظة على نفوذها في سجستان . وبذلت روسيا فعلا كل جهودها فيما بين يوليو سنة ١٩٠٢ ومارس ١٩٠٣ لتقحم نفسها في مجريات الامور مدعية ان سلامة ايران التي كانت موضع تفاهم بين الحكومتين الروسية والبريطانية أصبحت في خطر ، وبذلك يكون لروسيا صالح مشترك في معالجة تلك الاحداث .

وأجابت بريطانيا بهذه المناسبة أن روسيا نفسها ــ رغم المصالح المشتركة للدولتين في سلامة ايران ــ رفضت سنة ١٨٨٨ مشاركة بريطانيا في دراسة موضوع الحدود ما بين وراء قزوين وخراسان . وتكررت اقتراحات روسيا ليشارك عضو تحكيم روسي مع المندوب البريطاني وإلحاق مستشار روسي مع المندوب الايراني . الا أنه تمت مقاومة كل هذه الاقتراحات بنجاح .

وفي مارس سنة ١٩٠٣ وصلت الى سجستان لجنة بريطانية رئسها أخيراً سير أ. ه. ماكماهون ، وبقيت هناك حتى مارس سنة ١٩٠٥ .

وقد لجأ القنصل العام الروسي الى عديد من الوسائل لاثارة المتاعب أمام اللجنة البريطانية والحيلولة دون نجاح أعمالها ، ولكن كل محاولاته فشلت كما فشلت محاولات حكومته في إدخال أنفها في هذه الامور .

وفي نوفمبر سنة ١٩٠٣ أعلن الرائد ماكماهون قراره بشأن الحدود الايرانية الافغانية التي قدمها الى الشاه ، فوافق عليها . وفي مارس سنة ١٩٠٤ قبل امير أفغانستان هذه العروض . وما انتهى عام ١٩٠٤ حتى كان قد تم تخطيط تلك الحدود على الموقع .

وفي ابريل سنة ١٩٠٥ أعلنت مقررات المندوب البريطاني فيما يتعلق بحقوق الري . وفي نهاية تلك السنة كانت المقررات المذكورة ما تزال قيد دراسة كل من حكومتي ايران وافغانستان .

وكان قد ارسل ضابط جوازات ايراني الى سجستان في اغسطس سنة ١٩٠٣ . وبناء على تحريض روسي بذل كل طاقاته لخلق المتاعب أمام الرعايا البريطانيين والافغانيين الى أبعد مدى .

وفي صيف سنة ١٩٠٣ اذاع مستر ميلر معلومات كاذبة ، ونجح بذلك في اثارة اضطرابات ضد بريطانيا في نصرت أباد ، مما اضطر التجار الهنود البريطانيين للإلتجاء الى القنصلية البريطانية وقد تخطى بتصرفه هذا حدود الحكمة . واستطاع مستر دوبز ان يحمل السلطات الايرانية المحلية على إنزال العقوبات على المشاغبين . وفي ذلك الوقت نقل مستر ميلر موقتاً الى مجال آخر . وقام شقيقه الدكتور ميلر بعمله بعد رحيله لمدة شهور ، ثم سحب من المنطقة بعد ذلك . وكان هذا قد نصب نفسه سابقاً مستشاراً غير رسمي « ليمين النظام » المندوب الايراني في منطقة الحدود .

ثم اتخذت حكومة بريطانيا خطوات لتأمين مركز « حشمت الملك» حاكم سجستان بجعله وراثياً ، باعتراف الحكومة الايرانية التي كانت في مسلكها بصفة عامة لا تقف ضد المصالح البريطانية . وقد وصفه مستر ميلر بأنه خائن لايران .

ورغم ان حشمت الملك استدعي الى طهران في سنة ١٩٠٤ واضطر الى اجابة الاستدعاء الا أنه في سنة ١٩٠٥ كان هناك أمل في عودته الى وظيفته حاكماً لسجستان .

وفي سنة ١٩٠٣ كان قد افتتح في نصرت أباد فرع للبنك الامبراطوري الايراني . وفي سنة ١٩٠٥ امتدت الخطوط الحديدية الهندية البريطانية الى نشكي على بعد ٩٥ ميلا في الطريق من قتا الى سجستان ، وكانت قد استوجرت من خان كالات سنة ١٨٩٩ .

وفي نهاية الفترة كانت هناك مفاوضات لوصل التلغراف (البرق) الهندي ، وكان قد امتد الى محطة رباط على الحدود سنة ١٩٠٤ ، بمحطة نصرت أباد الايرانية بواسطة مد خط طوله ١٠٠ ميل تقوم بانشائه المعتمدية البريطانية .

توسط روسيا في موضوع حدود ايران وبلوشستان ١٩٠١ــ١٩٠٥

يجدر بنا ان نضيف ان إنشاء مركز بريطاني على الحدود في ميرجاوا عام ١٩٠١ أثار احتجاجاً من الجانب الايراني مبنياً على أساس تخطيط الحدود بين ايران وبلوشستان سنة ١٨٩٦ ، وايدت الحكومة الروسية ذلك الاحتجاج . وكان من المزمع وضع موضوع ميرجاوا أمام الرائد ماكماهون بمعاونة مندوب ايراني بنهاية بعثة ماكماهون لسجستان . ولكن نقل هذا المركز البريطاني الى مكان آخر الغى الحاجة للسير في اجراءات الشكوى . وتعهدت حكومة ايران بترك المؤونة لتصل الى المركز الجديد من بعض القرى الايرانية .

نشاط الروس والبريطانين في وسط وغرب ايران ١٨٩٧ــ١٩٠٥

وفي سنة ١٨٩٩ وصلت التجارة الروسية الى لفجان ، حيث أنشأ الروس قنصلية عامة سنة ١٨٩٧ . وأصبح التفوق البريطاني التجاري بذلك مهدداً في وسط ايران . وفي عام ١٩٠٤ انشأت بريطانيا وكالة قنصلية في كرمان شاه على رأسها ضابط من الدائرة الهندية السياسية ، وبعد فترة وجيزة رفعت الى درجة قنصلية ، واجري نفس التعديل في

درجة المندوب الروسي في نفس المنطقة . وفي صيف سنة ١٩٠٤ حين انتشر وباء الكوليرا في غرب ايران عن طريق بعض القادمين من العراق التركي ، اقترحت السلطات الروسية وضع الكارانتينا في كرمان شاه في أيدي أطباء روسيين ، ولكن المبادرة بارسال طبيب بريطاني جراح الى كرمان شاه ساعدت ضابط الجمارك على اتخاذ الاجراءات الصحية الضرورية وبذلك انتهى امر الاقتراح الروسي .

★ ★ ★

سياسة روسيا وبريطانيا في ايران
١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

هكذا كانت تسير الامور من جانب روسيا في ايران ، وهكذا كانت بعض المواقف التي اتخذتها بريطانيا لحماية مصالحها في هذا الاقليم .

وربما كانت اهم الاحداث خطورة هي تلك التي وقعت في سنة ١٩٠٠ . حيث كان واضحاً ان روسيا قد خططت لنفسها هدفين لتحقيقهما ان عاجلا او آجلا .

وكان الهدف الاول منهما هو إنشاء قاعدة بحرية لها في الخليج او خليج عمان ، يتصل بخط حديدي مع مركز قواتها العسكرية . اما الهدف الثاني فكان التهام اقليم سجستان وادماجه سياسياً في روسيا .

وأيًا ما كان الهدف فانه كان ضاراً بمصالح الامبراطورية في الهند ، فقد كان على السياسة البريطانية ان تحول دون تحقيق روسيا لاي منهما .

وقد اقترحت السلطات البريطانية المختلفة حملة اتجاهات عملية ، وكان موضوع ايران برمته محل دراسة دقيقة رسمية في لندن مرتين ، الاولى في مؤتمر من مندوبين عن القيادة البحرية والشئون الخارجية وعن الهند وعن المكاتب الحربية ، وكان ذلك في نوفمبر سنة ١٩٠٢ . والمرة الثانية في لجنة الدفاع الامبراطوري وذلك في مارس سنة ١٩٠٥ .

وليس من الضروري هنا بيان المشاريع التي درست او نتائج هذه الدراسات ، ولكن وجهة نظر حكومة بريطانيا في شأن التخطيط الروسي لموانى الخليج قد ابلغت بوضوح الى الحكومة الايرانية في مارس سنة ١٩٠٠ . وهي : « ان وضع هذه الموانى تحت اشراف أجنبي قد يؤدي الى التزام بريطانيا بمقاومته حفاظاً على صالح الامبراطورية الهندية »

وكذلك فيما يتعلق بسجستان فقد ارسل تبليغ الى رئيس وزراء ايران في يوليو او اغسطس سنة ١٩٠١ مضمونه : « ان حكومة جلالة الملك ترى أنه من الاهمية القصوى وجوب بقاء سجستان كما كانت سابقاً تحت الاشراف الايراني البحت ، وان بريطانيا لا تستطيع ان تقبل أو تتسامح في أي مشروع قد يؤدي الى إخضاع العوائد فيها الى أية سلطة أخرى أو اعتداء أية سلطة خارجية عليها » .

وفي اوائل عام ١٩٠٢ تكرر تحذير بريطانيا لايران بصورة اكثر حدة ، فقد تلقى الوزير البريطاني في طهران تعليمات من اللورد لانزدون وزير الشئون الخارجية ليوضح أنه ليس من المعقول ان ينتظر من بريطانيا العظمى ان تتخلى عن مركزها الذي حصلت عليه بعد سنين طويلة من الجهود المضنية ، او ان تقبل تملك روسيا أية مواقع عسكرية او بحرية في الخليج .. وانه اذا أعطت حكومة ايران لروسيا أي حق من هذه الامتيازات ، فانه من الضروري ان تتخذ الحكومة البريطانية ما تراه لازماً في الخليج لحفظ مصالحها . هذا وان حكومة جلالة الملك لن تقبل منح روسيا أية أفضلية في الحقوق السياسية او أية مزايا او احتكار تجاري أو أية مميزات خاصة ، في المناطق الجنوبية ، او الجنوبية الشرقية في ايران بما في ذلك سجستان . واخيراً فانه في حالة مخالفة هذا التحذير بقيام حكومة ايران بتشجيع زحف النفوذ الروسي والتغلغل في تلك المناطق ، فان حكومة جلالة الملك ستعدل من سياستها وتجد لنفسها المبرر في اتخاذ أية اجراءات تراها كفيلة بحفظ مصالحها ، حتى ولو أدى الامر الى سلوك السبل التي تجعل كفالة استقلال ايران ووحدته الاقليمية اول أهداف سياستها كما هو الحال الآن .

وكان من نتيجة هذا الاحتجاج ان ارسل الشاه كتاباً بخط يده الى رئيس وزرائه في فبراير سنة ١٩٠٢ أبلغ الى البعثة البريطانية وجاء فيه النص الآتي : « ان حكومة ايران لم تفكر مطلقاً في الماضي ولا تفكر في المستقبل في الاتفاق مع اية دولة ضد حكومة بريطانيا . ولم ترغب مطلقاً في الماضي او الحاضر في التنازل عن شبر واحد من اراضيها الى أية جهة لاقامة استحكامات عليها ضد مصالح الحكومة البريطانية التي يجدر بها أن لا تلقي بالا إلى الانباء الخاطئة التي تثير الشبهات ضدنا، وان تشعر بالثقة الكاملة في مودتنا ، وتتأكد من أننا نعمل كل جهودنا لتشجيع التجارة البريطانية ، وسنظل دائماً كذلك الى المدى الذي لا يؤثر على استقلال ايران وهو ما لا يحق لاية دولة أجنبية ان تتوقعه منا » .

وفي الصيف من نفس السنة ، عندما زار الشاه بريطانيا انتهز اللورد لانزدن هذه المناسبة للضغط على جلالته في لقاء شخصي موضحاً له النقاط الرئيسية في سياسة بريطانيا ، وهي التمسك باستقلال ايران كما تكرر اعلان ذلك . ولكن في نفس الوقت فهي تولي المناطق الجنوبية والخليج اهتماماً خاصاً ، وأنها مصممة ، اذا دعت الضرورة ، على استعمال كامل قوتها لمنع اعتداء أية دولة أجنبية على تلك المناطق .

ومنذ بداية سنة ١٩٠٢ وما بعدها وفي كل مناسبة ممكنة كانت بريطانيا تحرص على إبلاغ روسيا والعالم أجمع بصفة عامة خلال أحاديث الوزراء في البرلمان البريطاني عن السياسة الثابتة التي تتبعها حكومة جلالة الملك تجاه ايران وبصفة خاصة الخليج . وفي ٢٢ يناير سنة ١٩٠٢ أعلن اللورد جرانبورن وكيل وزارة الخارجية البريطانية في مجلس العموم ما يأتي :

« اننا نهتم بسلامة ايران ولكن اهتمامنا بالتوازن الدولي اشد من ذلك ، انه من المستحيل علينا مهما كانت الاسباب ان نتخلى عما نرى انه مركزنا الشرعي في ايران ، وخاصة فيما يتصل بالخليج ، وقد كان لي الشرف في اعلان ذلك في المجلس منذ أيام قلائل . والحق ان اهتمامنا لا يتركز في الخليج فحسب وإنما يشمل أيضاً المناطق الجنوبية من ايران

والمناطق التي لها حدود مع امبراطوريتنا الهندية ، وحقوقنا ونفوذنا في تلك المناطق لا يمكن التخلي عنها . ان نفوذنا وسلطاننا في الخليج ، كما ذكرت في مناسبة سابقة ، ليس امراً نظرياً وإنما هو حقيقة واقعة » .

وفي الخامس من مايو سنة ١٩٠٣ أعلن اللورد لانزدون بياناً خطير الشأن في صدد السياسة البريطانية في الخليج جاء نصه الحرفي في الفصل الخاص بالتاريخ العام لهذا الاقليم .

وعقب هذا البيان الرسمي تم الاتصال بالحكومة الروسية للنظر في إمكان الوصول الى تسوية تحدد مصالح كل من بريطانيا وروسيا في ايران . وعرض للبحث اقتراح لتحديد مناطق النفوذ ، ولكن وزارة القيصر لم تكن في ذلك الوقت على استعداد للدخول في مفاوضات عن هذا الموضوع .

وفي فبراير سنة ١٩٠٣ منح مظفر الدين شاه وسام ربطة الساق (البريطاني) قلده اياه اللورد لنزداون الذي انتدب على رأس بعثة شرف بريطانية للتهنئة بتلك المناسبة .

وفي ديسمبر سنة ١٩٠٤ وصلت بعثة ايرانية خاصة على رأسها ميرزا رضا خان الى سانت بطرسبرج حيث استقبلها جلالة القيصر .

★ ★ ★

الشئون الرسمية البريطانية العامة حيال ايران ١٨٩٦ ــ ١٩٠٥

اقتسام المصروفات في ايران بين حكومة جلالة الملك وحكومة الهند

ازدادت نفقات بريطانيا بازدياد نشاطها في ايران ، مما جعل بحث هذه النفقات موضع الدراسة بين الحكومة الامبراطورية البريطانية وحكومة الهند .

وفي سنة ١٨٩٩ كان نصيب حكومة بريطانيا من نفقات المنشآت مبلغ ١٥,٦٤٠ جنيهاً استرلينياً ، بينما تحملت حكومة الهند مبلغ ٦١,٠٥٢

جنيهاً استرلينياً ، فطلبت حكومة الهند اعادة النظر في هذه النفقات واقترحت ان تجمع نفقات كلتا الحكومتين في ايران ثم تقسم بينهما بنسبة ثابتة ، او ان تتحمل كل حكومة النفقات في منطقة اقليمية محددة .

وفي سنة ١٨٩٧ شكلت لجنة ملكية لبحث موضوع مصروفات حكومة الهند ، فحسمت هذا الموضوع في تقرير تضمن توصياتها التي صدرت في ابريل ونفذت في سبتمبر سنة ١٩٠٠ ، وهي تقضي بتخفيض ما كانت تتحمله الهند من دخلها في نفقات البعثة البريطانية في ايران والتي حددت عام ١٩٠١ بمبلغ ٧٠٠٠ جنيه استرليني الى مبلغ ٢٠٠٠ جنيه استرليني ، واما العجز الناشيء عن زيادة نفقات البعثات والقنصليات في ايران فتتقاسمه الحكومتان بالتساوي . وقد وافقت كل من الحكومتين على عدم إنشاء مؤسسات جديدة او زيادة أية من المؤسسات الحالية الا بموافقة الطرفين .

موظفو البعثة البريطانية الملكية في طهران ١٨٩٩–١٩٠١

وفي سنة ١٨٩٩ عين ضابط من الجيش الهندي ملحقاً عسكرياً في البعثة البريطانية الملكية في طهران ليتصل في حفلاته بالسكرتيرين الشرقيين . ولكن في سنة ١٩٠١ توقف هذا الترتيب وشغل ضابط هندي هذا المركز ، ولكن لم يكن يكلف بأية أعمال سياسية .

زيادة الحرس القنصلي في ايران ١٩٠٤

أثناء هذه الفترة التي نتكلم عنها ، ازداد رجال الحرس القنصلي البريطاني عدداً ورتباً زيادة كبيرة ، وكانت كل هذه الزيادة من الهنود الفرسان ، وكان ذلك لمواجهة استقدام الروس لعدد من رجال القوزاق حرساً لقنصلياتهم في ايران .

وكان عدد الحرس القنصلي البريطاني في البلاد ٥٦ من الشاه الهنود و ٩ من الحرس الراكب في بوشهر ، و ٥ من الفرسان في مشهد . وبذلك كان المجموع الكلي ٧٠ رجلا . وفي عام ١٩٠٤ زيد الى الحرس ١٢٧ من الخيالة الهنود تم توزيعهم على اثنتي عشرة قنصلية بريطانية في ايران ،

بينما ظل حرس المشاة والخيالة في بوشهر والمشاة الهنود في جاشك — وعددهم ١٠٠ في الاولى و ٥٠ في الثانية لحراسة محطات البرق في تلك الاماكن — على حاله .

وقد توجست الحكومة الايرانية خيفة من هذه الزيادة في عدد الحراس الخيالة .

★ ★ ★

الشئون الادارية والداخلية للساحل الايرانى والجزر ١٨٩٦ ــ ١٩٠٥

أما وقد استعرضنا الاحوال السياسية عموماً في ايران في الفترة التي نحن بصددها ، فاننا نعود الآن الى تاريخ ساحل ايران والجزر .

الادارة في فارس ١٨٩٦ — ١٩٠٥ :

كان اقليم فارس في سنة ١٩٠٥ يشمل مراكز لبرافي وشابانكاره ومزارعي ودشتستان وتانجستان ودشتي وشيبكوه وبستك وهي تقع على ساحل الخليج او مجاورة له . والادارة في هذا الاقليم جديرة بالدراسة .

في ربيع ١٨٩٦ ثبت صاحب السمو الملكي « ركن الدولة » في مركزه حاكماً لفارس . وكان يشغل هذا المركز منذ سنة ١٨٩٤ . وبعد مقتل ناصر الدين شاه في يوليو تخلى عن عمله بناء على اوامر نظام الدولة . على ان الحاكم الذي حل محله لم يتسلم عمله حتى شهر اكتوبر .

١٨٩٧ — ١٨٩٩ :

ثم خلف الفارمان فارما في سنة ١٨٩٧ نظام الدولة ، وهو صهر الشاه ، فتولى الاشراف على موانى الخليج التي كانت قد فصلت عن فارس قبل عشر سنوات . ولكنها بقيت تحت اشرافه لمدة سنة واحدة ، وما لبثت ان سحبت منه بعدها .

كان الفارمان فارما رجلا ذكياً ومتعلماً واستطاع ان يستمر في

الحكم بنجاح مدة من الزمن بمساعدة قوام الملك في شيراز . وكان ذا نفوذ على قبائل البدو في الاقليم . ولكن مع مضى الزمن بدأت تثور مشكلات بينه وبين الحكومة المركزية فترك مركزه موقتاً واقام في كربلاء .

١٨٩٩ — ١٩٠١

وبعد الفارمان فارما تولى نظام الملك الذي بقي لمدة سنة واحدة . وفي سنة ١٩٠٠ خلفه موئيد الدولة .

١٩٠١ — ١٩٠٢

وفي ربيع سنة ١٩٠١ عين « شعاع السلطنة » حاكماً عاماً في فارس ، وهو الابن الثاني للشاه والاكثر حظوة عنده ، فوصل في ايران الى شيراز وكان حاكماً قوياً ، ولكن لسوء حظه اختلف مع « قوام الملك » في شيراز فنقل هذا الاخير الى طهران يصحبه ولده بيلار بيك بناء على توصية الحاكم .

وفي يناير سنة ١٩٠٢ عاد « قوام الملك » من العاصمة على اثر مكيدة انتهت الى استدعاء الامير وخصمه الى العاصمة ، واسند مركز الحاكم العام الى « اسعاف الدولة » .

١٩٠٢ — ١٩٠٣

كان اسعاف الدولة محبوباً لكنه كان ضعيفاً ، فثار رجال القبائل وهم شديدو المراس ، واصبحت الطرق غير آمنة . وفي نفس الوقت كان قد سمح لقوام الملك بالعودة الى شيراز ، ولكنه بعد شهرين من وصوله صدر اليه الامر ليذهب للحج الى كربلاء وبعد ذلك صدر عنه عفو في أواخر العام وعاد الى شيراز .

١٩٠٣ — ١٩٠٤

وفي ربيع سنة ١٩٠٣ ولي الحكم « علاء الدولة» . وفي ابريل عندما وصل الى شيراز وجد ان قوام الملك كان من بطانته . ولكن الحاكم العام الجديد أثبت استقلالاً في شخصيته وقوة في تصرفاته .

وفي نهاية العام توجه الى بوشهر حيث كان من المقرر ان يستقبل لورد كرزون نائب الملك وحاكم عام الهند ، ثم يقوم برحلة في الخليج . ولكن الظروف حالت دون بلوغه هذا الشرف الذي كان يرنو اليه . وقد اشير الى ذلك في مكان آخر .

١٩٠٤ — ١٩٠٦

وفي سنة ١٩٠٤ استدعي علاء الدولة للذهاب الى طهران . فبقيت فارس بغير حاكم عام حتى شهر يونيو . وعاد الامير شعاع السلطنة الى مركزه حاكماً عاماً وكان من قبل قد حكم في سنتي ١٩٠١ ، ١٩٠٢ بحالة تدعو الى الثناء عليه ، ولكن بعد عودته الاخيرة كان حكمه بغيضاً من كل الوجوه ، ففي سنة ١٩٠٥ بدأت الاضطرابات في شيراز عندما وقع اضطهاد وسلب على الجالية اليهودية ، وعمت الاضطرابات ، وبدا وكأنها ثورة عامة من كل اهالي فارس تتأجج ضد حكومته التي كانت على « أسوأ حال من الفساد والاستهتار » مما أدى الى ضرورة نتيجته عن مركزه .

ادارة موانى الخليج ١٨٩٦ — ١٩٠٥

والآن وقد وصلنا الى موضوع الخليج ، يجدر بنا اولا ان نلقي نظرة على حالة الادارة في موانى الخليج ، في القسم الذي يضم أهم موانى الساحل الايراني ، وكذلك على كل الجزر فيما له علاقة بهذه الفترة .

١٨٩٦

في مستهل هذا العام كانت ادارة موانى الخليج في يد حسام السلطنة الذي تميز « بالاهمال الشنيع في كل اعماله والتزاماته في عمله » .

وكانت المسئوليات والسلطات المالية للحاكم قد نقلت قبل وصوله الى ايدي جماعة التجار التي ازاحت سلطة قوام الملك من بوشهر . وبذلك لم يجد حسام السلطنة وسيلة يستطيع بها ان يتحمل أعباء مسئولياته العامة ، فأتاح لغيره سراً فرصة استغلال سلطاته فكانت تصرفاتهم سيئة .

وكان حسام السلطنة ، دائم الخلاف مع الحكومة المركزية . وفي شهر ديسمبر سنة ١٨٩٦ أخبر المعتمد البريطاني في بوشهر أنه تنحى عن وظيفته.

١٨٩٦ — ١٨٩٨

بعد ذلك تعاقب على الحكم ما لا يقل عن تسعة حكام الواحد بعد الآخر في مدة لا تزيد عن خمسة عشر شهراً . وهؤلاء هم : « اقتدار السلطنة » الذي عين في مارس سنة ١٨٩٧ واقيل في سبتمبر من نفس السنة . و«امين الفانج » وكان هذا اسمه لرتبته العسكرية . وقد توفي في مكران الايرانية . و « مجير السلطنة » الذي الغي تعيينه بمجرد اعلانه ، وكان من اقرباء نظام السلطنة ، و « اعتماد السلطان » أو بيلار بيك ، نائباً عن والده قوام الملك . وكان قد وصل الى بوشهر في شهر نوفمبر سنة ١٨٩٧ واستقال في فبراير سنة ١٨٩٨ ، و « ملك تجار بوشهر » بصفة موقته ، و « اعتماد النظام » وهو من أتباع الفارمان فارما وهو الذي عينه ، وقد تسلم مركزه في مارس ١٨٩٨ ، ثم أخيراً « سعد السلطنة » (في مايو ١٨٩٨) ، و « مظفر النظام » و « معز الممالك » . وهؤلاء الثلاثة خلف احدهم الآخر في زمن وجيز . وقد عينهم الفارمان فارما وكانوا من اعوانه وتعاونوا معه ضد مجير السلطنة الذي اشير اليه سابقاً .

١٨٩٨ — ١٩٠١

وفي سبتمبر سنة ١٨٩٨ عين (ميرزا احمد خان) المشهور برسم (داريا بايجي) بعد ان المحت الحكومة البريطانية الى عدم ارتياحها الى تعيين مجير السلطنة باعتباره ابن أخ نظام السلطنة . وكان ميرزا احمد خان وقتذاك قائداً للسفينة الحربية الايرانية « برسيبوليس » في بوشهر . وقد اختلف مع (معين التجار) الذي يمده بالاموال ، اذ عرضت امامه قضايا باتهام معين التجار بالاختلاس ولم يستطع ان يدحضها .

وبعد انشاء الجمارك الايرانية الامبراطورية لم تعد هناك قيمة لتقلده وظيفته ، فاستقال في ابريل سنة ١٩٠١ ، وسافر الى طهران بعد ان اهدت

اليه الحكومة البريطانية سيفاً تقديراً للخدمات المفيدة التي قام بها في مكران كما تسلم نيشاناً من القنصل العام الروسي .

١٩٠١ — ١٩٠٣

ثم تولى ادارة موانى الخليج « سالار المعظم » وهو ابن أخ نظام السلطنة ، وكان تعيينه في اغسطس سنة ١٩٠١ ، ولكنه لم يصل الى بوشهر الا في ديسمبر وناب عنه « معز الممالك » في الفترة من سبتمبر الى ديسمبر .

وبوصوله الى مركزه استقر النظام في بوشهر وما يجاورها . وكان قد اختل عقب رحيل داريا بايجي . ولكنه في مستهل عام ١٩٠٣ استدعي الى طهران .

١٩٠٣ — ١٩٠٥

ونظراً لعودة داريا بايجي من طهران وكان هذا قد استغل موضوع خلافاته مع « معين التجار » ، واستطاع بذلك شراء اعادة تعيينه في بوشهر ، في هذه الفترة التي سبقت عودته ، قام بالعمل بنجاح كارجوزار ميرزا علي محمد خان « وموقر الدولة » .

وفي سنة ١٩٠٥ كان داريا بايجي ما يزال حاكماً لموانى الخليج . ولكن لوحظ انه كان العوبة في يد « معين التجار » . ورغم علاقاته الطيبة مع المعتمدية البريطانية الا أنه كان ضعيفاً . وقلما استطاع الوفاء بوعوده التي كان مسرفاً فيها .

ادارة الجمارك ١٩٠٠ — ١٩٠٥

وتجدر الاشارة هنا الى انه في سنة ١٩٠٣ وصلت الى بوشهر اربعة مدافع ثابتة وضابط مدفعية ايراني من طهران ، ولكن لم تتخذ أية خطوات لعمل القواعد التي كان يراد تركيبها عليها .

وكان هناك نائب لحاكم مواني الخليج بصفة دائمة في لنجة وبندر عباس ، بالاضافة الى مأمورين محليين او من رجال القبائل في قشم وهرمز وميناب وفي شامل وبناباں .

ومنذ عام ١٩٠٥ أصبحت ادارة الجمارك ذات أهمية بالنسبة للساحل الايراني والجزر ، لان المشرفين عليها ، كما هي الحال في الجهات الاخرى من ايران ، كانوا تحت اشراف موظفين بلجيكيين وعلى نسق النظام الاوروبي . وستجد بياناً شاملا عنها في الملحق الخاص بالجمارك الامبراطورية الايرانية .

ولكن تجدر الاشارة هنا الى حادثة لها علاقة بالجمارك وقعت مدة ادارة سالار المعظم . ذلك انه في اوائل شهر مايو سنة ١٩٠٢ كانت مدينة بوشهر تعج بالجنود من تانجستان وداشتي الذين بلغ عددهم نحو الالف . وقد جندتهم سلطات الجمارك على مسئوليتها الخاصة . وفي منتصف الشهر وصل شيف خان إقليم أنجالي مع كتيبة مسلحة ليشترك في هذه الخدمات وكان الهدف من هذه الترتيبات غير واضح تماماً . ولكن ظلاً من الظن كان يتجه الى ممانعة خان ريق الذي كان يرفض إنشاء مركز الجمارك في مينائه . ثم انتهى الامر الى انصراف هذه الحشود الصاخبة في هدوء ولم تجند قوات جديدة . اذ أصدرت الحكومة المركزية أمرها بعدم اتخاذ أي اجراء . وكان سالار المعظم قد رفع اليها الامر .

وفيما يلي تاريخ بعض المواقع والمراكز :

تاريخ بوشهر ١٨٩٦ – ١٩٠٥

كان شتاء عام ١٨٩٦–١٨٩٧ قليل المطر ، وبذلك وقع قحط في محصول الغلال في عام ١٨٩٧ في بوشهر وما جاورها ، مما أدى الى استيراد كميات كبيرة من المواد الغذائية من الخارج ، خصوصاً الارز من بورما . ولم يبلغ الامر حد المجاعة كما اشار المقيم البريطاني الى ذلك في معرض استدلاله على ازدياد انتعاش الشعب منذ مجاعة ١٨٧٠–١٨٧٢ على ان المقيم كان لديه تفويض من الحكومة باستغلال ما بقي في حوزته من اعتمادات مقاومة مجاعة ١٨٧٢ .

وفي الفترة التي نقصت فيها المحاصيل ، اضطرب الامن اضطراباً ملحوظاً في بوشهر وما حولها ، وحدث أن لجأ جنود الحامية الايرانية

سنة ١٨٩٧ الى سارية العلم في المقيمية البريطانية شاكين من إهمال شئونهم ومن ارتفاع اسعار الحاجيات ، وطالبوا بصرف مرتباتهم التي توقف صرفها منذ خمسة أشهر . ولكن انتهى الامر الى وضع يرضيهم فعادوا الى اعمالهم .

وفي مارس سنة ١٨٩٨ هطلت امطار بعد شتاء شحيحح المطر ، فخفف من الهلع الذي عم البلاد .

وفي سنة ١٩٠٥ اختل الامن على طريق بوشهر — شيراز بسبب تذمر شعب فارس من تصرفات حكومة شعاع السلطنة من ناحية وللاضطراب والشعور بفقدان العدالة من الناحية الاخرى .

تاريخ تانجستان ١٨٩٦ — ١٩٠٥

استمر النزاع الذي قام في تانجستان بين الزعيمين حيدر خان وعلي خان في سنة ١٨٧٩ او قبلها ، وتواصل مدة حكم مظفر الدين شاه .

وفي خريف سنة ١٨٩٦ ثارت مشكلة عندما تقرر إخراج بعض القرى على الساحل من دائرة نفوذ علي خان ، فارسلت قوات من السفينة الحربية « برسيبوليس » لمساعدة حيدر خان في تنفيذ ذلك الامر وتحصيل العوائد .

إلا أنه بعد اصطدام قوات الجانبين انتهى الامر الى حل استفادت منه السلطات الايرانية الى حد ما . وبعد شهر طولب حيدر خان بتسليم مبالغ العائدات التي اعانته القوات على تحصيلها ، فما كان رده الا أنه هدد باطلاق الرصاص في رأس مندوب حاكم مواني الخليج ، فرجع الاخير بقواته وبنادقه الى بوشهر .

وفي نهاية سنة ١٨٩٧ طلب الى حيدر خان معاقبة علي خان الذي قصر في أداء التزاماته المالية للحكومة الايرانية ، فلما لم يأنس علي خان في نفسه القدرة على المقاومة ، التجأ الى مزار إمام زاده في وسط شبه جزيرة بوشهر ومعه عدد كبير من أتباعه .

وفي اوائل سنة ١٨٩٨ وقعت حوادث كثيرة بينها جرائم قتل في

القرى المجاورة . وقد اتجهت اصابع الاتهام الى اتباع الزعيم اللاجىء « علي خان » .

ونظراً لارسال ١٥٠ من جنود حامية بوشهر الى مكران الايرانية أصبحت تلك الحامية في حالة عجز عن صيانة الامن وساد الفزع في المنطقة .

وبعد فترة أصدرت الحكومة الايرانية اوامرها بارسال بعض القوات إلى شيراز ، فهرب علي خان من إمام زاده وعاد الى تانجستان . ولكن هذه القوات بقيادة الضابط سعد السلطنة ، وهو من رجال الفارمان فارما الذي كان في ذلك الوقت حاكماً عاماً لشيراز ، قامت بغزو تانجستان بدعوى معاقبة التانجستانيين على الاعتداء الذي قاموا به قرب بوشهر ، وكان معهم مدفع ميدان فدمروا المنطقة وقتل بعض الرجال ، على أن الجريمة لم تكن ثابتة على اولئك الضحايا . وقد قيل ان المجرمين الحقيقيين فروا آمنين .

ومن الجانب الآخر كان المعتقد ان تسفر تلك الحملة عن فائدة مالية لصالح السلطات الايرانية ، لان قادة الحملة جمعوا بعض العائدات واغتصبوا الفدية من بعض الموسرين الذين وقعوا في أيدي الجنود .

وبانتهاء هذه الاحداث عين سعد السلطنة حاكماً عاماً لموانئ الخليج ، وأقر بالزعامة في تانجستان لحيدر خان ، وهرب علي خان الى ميناء في أعالي الخليج على أمل ان يتوجه بعد ذلك الى البصرة . الا أنه لما مضى بعض الوقت دون ان يشعر بمحاولة اعتقاله ، عاد ثانياً الى وطنه تانجستان .

وفي سنة ١٩٠٠ حدثت جرائم في شبه جزيرة بوشهر ، ونسبتها الحكومة الايرانية الى تانجستان ، فجهزت حملة ثانية في نهاية سبتمبر ، قادها داريا بابجي حاكم موانئ الخليج ومعه مئات عديدة من قوات المشاة النظامية الايرانية ومعه ثلاثة او اربعة مدافع وقوة كبيرة من العسكر ، فقتلوا عدداً قليلا من السكان ، وخربوا بعض تحصينات القبائل وممتلكاتهم . ولكن ظل علي خان طليقاً ، ونجح حيدر خان في الافلات من القوة الايرانية واللجوء الى « إمام زاده » في بوشهر . ثم تجددت

المشكلات عام ١٩٠٣ بين « زاير خضر » و « وزاير غلام علي » وهما من زعماء تانجستان . ولم تعرف الصلة بينهما وبين حيدر خان وعلي خان .

وفي شهر مايو تمت مصالحة بينهما ، ولكن بعدها بقليل قتل زاير غلام بيد أحد رجال خصمه ، ثم استدرج زاير خضر الى بوشهر حيث قبض عليه حاكم موانى الخليج ، فثارت معركة قتل فيها ثلاثة من رجال الحاكم واثنان من تانجستان

وفي أكتوبر تحرك داريا بايجي بناء على اوامر الحكومة المركزية ومعه مائة من رجال تافانجي الى تانجستان لمعاونة ضابط داشتي ولاذ زاير بالفرار . ثم عاد داريا بايجي أدراجه الى بوشهر بعد ان أخذ الغنائم من قرية أحمدي في داشتستان وأحرقها .

تاريخ شيبكوه ١٨٩٦ – ١٩٠٥

وفي سنة ١٨٩٦ هاجم الشيخ ابراهيم الزبير ميناء طاهري في شيبكوه وكان قد طرد منها منذ سنة ، الا أن هذا الهجوم فشل ورد على أعقابه .

تاريخ لنجة ١٨٩٦ – ١٩٠٥

لعلنا نذكر ان لنجة كانت تحت حكم الضابط العربي الشيخ قضيب القاسمي . ثم آلت الى الادارة الايرانية المباشرة سنة ١٨٨٧ حين نفي الشيخ قضيب الى طهران .

١٨٩٨

واستمرت لنجة تحت الحكم الايراني حتى سنة ١٨٩٨ عندما ظهر على مسرح الاحداث يوم ٤ يوليو محمد بن خليفه من أبناء الاسرة الحاكمة السابقة وفرض نفسه حاكماً لها بالقوة .

١٨٩٩

وفي اوائل سنة ١٨٩٩ عزمت السلطات الايرانية على إعادة لنجة الى حوزتها ، فسار داريا بايجي على ظهر السفينة الحربية الايرانية «برسيبوليس» من بوشهر متجهاً الى الجنوب . فصدرت الاوامر الى السفينة الحربية

البريطانية «بيجون» لمتابعتها ومراقبة تحركاتها ، فلما أكد داريا بايجي للسفينة «بيجون» انه لن يهاجم لنجة الا بعد إخطار السلطات البريطانية توقفت «بيجون» عن مرافقة «برسيبوليس» أما الشيخ فانه تظاهر بالمسالمة بعد ان حصل على المبالغ التي كانت مستحقة له ومتأخرة على تلك المنطقة.

وفي الصباح الباكر ليوم مارس ٢ ، كان الشيخ قد سرح القسم الاكبر من قواته التي كان قد حشدها للدفاع فتقدم داريا بايجي على رأس ٧٠٠ جندي ايراني ودخل المدينة من الطرف الغربي . وما ان ظهر ضوء النهار حتى كان قد سيطر على جميع الاحياء التي تقع بينه وبين قلعة الشيخ .

وكانت السفينة الحربية البريطانية «سفنكس» راسية وقتذاك في باسيدو . فما ان سمعت صوت إطلاق النيران حتى اسرعت الى لنجة ووجدت السفينة الايرانية «برسيبوليس» تقذف بقنابلها قلعة الشيخ الذي ظل يقاوم طول النهار والليل . وفي صباح يوم ٣ مارس توقف الشيخ عن المقاومة وهرب من الموقع الى الخلاء . فاستولى الايرانيون على قلعته ، ورفعوا فوقها الراية الايرانية ، وتعهد داريا بايجي باستقرار النظام داخل المدينة .

وفي خلال هذه العمليات لم يقع أي عدوان متعمد على الرعايا البريطانيين من أي من الفريقين المتنازعين أثناء معركة . ولكن مع احتدامها حدث أن نهبت بعض الحوانيت في القسم الشرقي من المدينة . وبلغت قيمة التعويضات التي طالب بها الرعايا البريطانيون مبلغ ٦٣٥٠٠ روبية .

وفي الجانب الايراني كان القتلى ١٥ رجلا وجرح ٢٠ رجلا . وكذلك كانت الخسائر طفيفة في الجانب العربي . وكان المبنى الوحيد الذي أصيب بالاضرار هو قلعة الشيخ التي قذفتها «برسيبوليس» بالقنابل .

واستمر الشيخ السابق مدة اربعة أشهر في داخلية البلاد مترقباً .. وحدث ان شكا سكان المناطق المجاورة لقرية مبراكون من اعتداء أتباعه على القوافل واحياناً على بعض فصائل من قواتهم العسكرية ، ولكن لم

تخل شكاواهم من المبالغات ، ثم ما لبث الشيخ ان غادر الساحل الايراني .
من ميناء « بندر مهتبي الصغير » عائداً الى الساحل العربي من الخليج .

١٩٠٠

وفي يناير سنة ١٩٠٠ كان الشيخ السابق يقيم في ضيافة شيخ رأس الخيمة إحدى إمارات عمان المتصالحة ، فأوجس الايرانيون خيفة من هجوم عربي كبير يجري الإعداد له في مواني ساحل عمان . واقتنعت الحكومة البريطانية بهواجس الحكومة الايرانية . وتم الاتفاق سراً مع شيخ ابو ظبي على دخول داريا بايجي تحت مسئوليته الشخصية لاحباط الخطر الذي كان متوقعاً . وبيان ذلك مذكور في الفصل الخاص بتاريخ عمان المتصالح .

١٩٠٢

وفي اغسطس سنة ١٩٠٢ نزل السيد يوسف الى البر — وقد كان الساعدالايمن للشيخ السابق في حكومة لنجة — واستطاع تدمير ارسالية كبيرة من التمر للحكومة الايرانية كانت في طريقها من لنجة الى داخل البلاد ، ولكنه لم يستطع الثبات على الساحل الايراني ، فأبحر إلى قطر ، وكان الشيخ السابق وقتئذ في رأس الخيمة . وكل ما حدث نتيجة لغارته تلك .. أن حاكم مواني الخليج زار لنجة بعد شهرين على ظهر السفينة « برسيبوليس » ثم فرض سالار المعظم غرامة مقدارها ٦٠٠٠ روبية على الشيخ يوسف بن احمد وأخيه ، وهما زعماء منطقة آل بوسميط العربية في لنجة بتهمة مشاركتهما في أحداث السيد يوسف . وحصل منهما على سند كتابي أعلنا فيه أنهما من رعايا الحكومة الايرانية .

١٩٠٣

في اواخر يوليو سنة ١٩٠٣ نزل الشيخ السابق الى الارض الايرانية ومعه اثنا عشر رجلا من أتباعه ، وأقام في تلال خلف لنجة بشكل يدل على الخضوع . وكتب الى حاكم مواني الخليج ملتمساً الاذن له بالاقامة في لنجة ليستأنف حياة هادئة . كما توسل في طلب المساعي الحميدة

للحكومة البريطانية بواسطة المعتمد البريطاني في لنجة ومنح الاذن بالدخول آمناً الى بوشهر ، ولكنه لم يذهب .

وعقب ذلك ارسلت قوات ، من باب الحيطة ، الى لنجة على رأسها «مجير السلطنه» شقيق « سالار المعظم » الذي أصبح فيما بعد حاكماً لموانئ الخليج .

١٩٠٤ — ١٩٠٥

وفي نهاية نوفمبر سنة ١٩٠٣ عاد محمد بن خليفة الى الساحل العربي .

وبوصوله الى هناك كانت اقامته مترددة ما بين رأس الخيمة والشارقة ودبي وقطر . وكان عمره ٣٥ عاماً هادئاً وقوراً . وكان من اكبر أعوانه (السيد يوسف) الذي كانت تربطه المصاهرة بالقواسم والذي أقام في دبي واشتغل في تجارة الارز واللؤلؤ .

تاريخ بندر عباس ١٨٩٦ — ١٩٠٥

واجتاحت بندر عباس يوم ٩ يونيه سنة ١٩٠٢ والايام التالية هزات زلزالية عنيفة واختل الامن في الطرق بالمناطق المجاورة في تلك السنة والسنة التالية لها ووقعت حوادث سطو قام بها البحارلو والباشكاريون واستمر هذا القلق والاضطراب عامي ١٩٠٣،١٩٠٤ ، فتوقفت حركة القوافل عدة اسابيع ، وسيطر الخوف على المدينة نفسها من ان يُعتدى عليها .

وكان الباعث الوحيد لهذه الحالة من الفوضى هو الاشاعات التي انتشرت بشأن صحة الشاه .

تاريخ قشم ١٨٩٦ — ١٩٠٥

وفي ١١ يناير سنة ١٨٩٧ اجتاحت الزلازل العنيفة مدينة قشم فدمرت أغلب مساكن المدينة وسببت خسارة في الارواح . كما تأثرت المدينة أيضاً بموجات الزلازل المتواليه التي أصابت بندر عباس سنة ١٩٠٢ ولكن آثارها كانت أهون من حالة سنة ١٨٩٧ .

وفي سنة ١٩٠٣ استبدل ضابط قشم وحل الشيخ عبدالله محل الشيخ حسن .

تاريخ شامل وميناب وبيابان ١٨٩٦ – ١٩٠٥

وفي مايو ويونيو سنة ١٩٠٢ أغار الباش كارديون على ميناب فأثاروا القلق . كما حدثت اضطرابات في سنة ١٩٠٥ في شامل وكان مثيرها هو سراج ، الكلانتر المطرود من الاقليم . وفي نفس السنة حدث نزاع على وظيفة نائب الحاكم في بيابان بين مير حاجي بن حسين ، ومير بركات بن عبدون ، وكان اولهما يشغل هذا المركز . وفي أكتوبر سنة ١٩٠٥ قام مير بركات بزيارة حاكم موانئ الخليج في بوشهر وحصل منه على قرار بعزل مير حاجي . الا أن هذا ما لبث ان تظلم الى نائب حاكم بندر عباس ، وهو شقيق داريا بايجي ، فحصل له على العفو . واستمر الرجلان يتنازعان المنصب فيما بينهما .

وكان مقر مير حاجي عندما كان في منصبه في سيريك بينما كان مقر مير بركات في نامورد ، وكانا ينتميان إلى أسرة واحدة تولت الحكم في المقاطعة المجاورة (جاشك) في مكران الايرانية .

★ ★ ★

علاقة ايران بالدول الاخرى المحلية
١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

في هذه الفترة التي نتحدث عنها وقعت أحداث تهم عرب عمان المتصالح مباشرة ، وتهم بريطانيا بصفة غير مباشرة وذلك في ساحل ايران والجزائر المتاخمة .

ادعاء مدني لرعايا الشارقة في لنجة ١٨٩٩ – ١٩٠٥

تمت قسمة الممتلكات المنقولة بين ورثة مريم بنت محمد غيث القاسمي وكانت زوجة عبدالقادر الذي كان يقيم في لنجة ، ولكن بعض مزارع

النخيل التي خلفتها كانت ملكاً مشاعاً بين زوجها وبين سالم وأحمد وناصر أبناء السلطان وكانوا أيضاً ضمن ورثتها ومن رعايا شيخ الشارقة.

وظلت مزارع النخيل هذه في حوزة عبدالقادر ، الى ان استعادت ايران سلطانها على لنجة سنة ١٨٩٩ ، فحكم عليه داريابايجي بالإعدام بتهمة موالاته للشيخ محمد بن خليفة وصودرت مزارع النخيل على أنها ملك خاص له وبيعت الى معين التجار من بوشهر وكان هذا صاحب النفوذ الاعلى في جنوب ايران .

وتقدم الورثة في الشارقة بطلب الحصول على نصيبهم من ميراث النخيل ، وأيدتهم السلطات السياسية البريطانية بصفتها ممثلة لشيخ الشارقة في الشئون الخارجية . ولكن حتى نهاية سنة ١٩٠٥ لم يكن قد استجيب الى طلب الورثة .

قتل اهالي طاوونه بعض رعايا ابو ظبي ١٩٠٢

وحدث في صيف سنة ١٩٠٢ أن كان اربعة من أصحاب السفن من رعايا ابو ظبي يعملون في مصايد اللؤلؤ في الجانب العربي من الخليج ، فقتلهم ثلاثة رجال من قرية طاوونه الواقعة على الساحل الايراني في مقاطعة شيبكوه ، وكان القتلة يعملون بحارة في السفينة التي سلبوها بما فيها من محصول اللؤلؤ الذي صادوه . فطالب شيخ ابو ظبي بالنيابة عن الورثة بمبلغ ٦٠٠٠ روبية دية للقتلى وبتعويض كامل كما طالب بعقوبة المجرمين وقبضت الحكومة الايرانية على أربعة رجال هرب أحدهم . ثم طالت الاجراءات وظلت القضية دون تسوية حتى سنة ١٩٠٥ رغم جهود المعتمد السياسي البريطاني ورغم ثورة الشعور في ابو ظبي .

مشكلة الوضع الدولي لجزيرتي طنب وابوموسى ١٩٠٤

ورد في الفصل الخاص بتاريخ عمان المتصالح ان دائرة الجمارك التابعة للحكومة الايرانية احتلت جزيرتي طنب وبو موسى سنة ١٩٠٤ سراً ودون حق شرعي ، وهما تابعتان لامارة الشارقة . ولكن انتهى هذا الاحتلال بعد ثلاثة أشهر نتيجة لتدخل الممثلين السياسيين البريطانيين في طهران .

وهناك من الاسباب ما يحمل على الظن ان هذا الاحتلال كان بايعاز من البعثة الدبلوماسية الروسيّة في طهران للحكومة الايرانية . وكان الروس على علم برحلة يقوم بها اللورد كرزون نائب الملك وحاكم عام الهند في الخليج سنة ١٩٠٣ . وكانوا يتحسّبون من قيام الحكومة البريطانية بعمل يدعم مركزها في تلك المنطقة . ويتصورون ان ذلك سيكون باحتلال مواقع معينة .

وعندما قبلت الحكومة الايرانية اخلاء جزيرتي طنب وبو موسى ، أخذت وعداً ببحث وضع هاتين الجزيرتين مع الحكومة البريطانية . ولكن حكومة ايران لم تتخذ أي موقف جدي لاثبات ملكيتها لهما . وبذلك لم يتم بحث الموضوع .

مشكلة الوضع الدولي في جزيرة صرى ١٩٠٤

وعندما قام حكم في لنجة تابع رأساً للحكومة الايرانية ، استولت السلطات الايرانية على جزيرة صري . واستمر احتلالها رغم احتجاج الوزير البريطاني في طهران نيابة عن شيخ الشارقة .

وفي سنة ١٩٠٤ عندما قام النزاع على جزيرتي طنب وبو موسى ، كانت حكومة ايران قد بعثت بموظفي جمارك الى جزيرة صري ، ورفعت عليها العلم الايراني ، ويشابه تاريخ هذه الجزيرة قبل سنة ١٨٨٧ تماماً تاريخ الجزيرتين الاخريين .

وللافادة من هذا الوضع ، وللحيلولة دون تجدد مطالبة ايران بجزيرتي طنب وبوموسى ، أوعز اليها أنها في حالة المطالبة بهما ، فان مطالبة شيخ الشارقة بجزيرة صري ستلقى تأييداً من الحكومة البريطانية .

وقد وافق الوزير البلجيكي لشئون جمارك ايران مسيو ناوس على شطب صري من قائمةمراكز الجمارك الايرانية التي كان يجري اعدادها في ذلك الوقت . وقد تمت هذه الموافقة بعد ان شرح له السير أ. هاردنج الوضع في الجزيرة ، لكن الوزير البلجيكي طلب الموافقة على بقاء بعض قوات حرس الجمارك في الجزيرة لمنع التهريب الى البلاد . ولم تقم الحكومة البريطانية حتى ذلك الوقت باثارة موضوع الجزيرة .

علاقات بريطانيا السياسية بالساحل الايرانى والجزر ١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

وقعت بعض الاحداث السياسية ذات العلاقة ببعض الممتلكات البريطانية على الساحل الايراني والجزر مدة حكم مظفر الدين شاه وفيما يلي بيانها :

ثورة شعبية واعتداء على محطة تلغراف بوشهر ١٨٩٧

في يناير سنة ١٨٩٧ أتلف بضع مئات من الرجال يحمل نفر منهم اسلحة نارية ويتجهون من بوشهر الى محطة التلغراف البريطانية على بعد خمسة كيلو مترات، بعض علامات المساحة التي كانت مثبتة قريباً من مبنى المحطة بمناسبة بعض الابحاث عن خط الطول . كما أتلفوا مقياساً بحرياً للمد قريباً منها . وقد كانوا أثناء عدوانهم يهددون بالموت كل من يجرؤ على التدخل في سبيلهم . ولم يبد موظفو التلغراف أية مقاومة . وقد كان هذا الشغب بتحريض من بعض السادة الاشراف في بوشهر بناء على عقيدة خرافية ، بأن تلك العلامات الغريبة وذلك المقياس هي التي سببت نقص الامطار في البلاد .

وقد كانت سبقت بعض النذر بوقوع تلك الاحداث ، ولكن الحاكم وقتئذ لم يلق اليها بالا ، كما أن الموظفين الرسميين لم يبدوا حزماً بعد وقوع الاضطرابات المذكورة .

وقد قبض على بعض القرويين الجهلة ، ولم يتخذ أي إجراء مع السادة المحرضين .. ولم يمكن تغيير الاجهزة العلمية التي أتلفت الا بعد رحيل حشمت السلطنة من بوشهر .

العدوان على مستخدم تابع لبريطانيا في ريشهر ١٨٩٨

وفي مارس سنة ١٨٩٨ عندما لجأ الزعيم علي خان مع عدد من أتباعه الى امارة زاده في شبه جزيرة بوشهر ، وقع عدوان على منزل رجل يدعى محمود ، ايراني الجنسية ، كان يعمل بوظيفة جامادار في دائرة

البرق الاوروبية الهندية ، ونهب ما في المنزل ، كما قتل ثلاثة من أقارب محمود هذا .

وكان لعلي خان ارض زراعية في هذه المنطقة ، وقد وقع خلاف على قناة مياه للري بينه وبن أسرة هذا الجامادار (محمود) ، ويبدو أن الخلاف هو الذي أدى الى ذلك الاعتداء .

وبمناسبة هذه الحادثة . ونظراً للفوضى الناجمة عن الحشود من تانجستان ، ساد الشعور بتوقع حدوث غارة على محطة تلغراف ريشهر او على الاوروبيين بصفة عامة . وعلى ذلك أنزلت الى البر فرقة من الجنود البحارة البريطانيين من على ظهر سفينة حربية بريطانية ليكونوا حرساً حتى تصل نجدة من بومباي مكونة من ٢٥ من حاملي البنادق كان من المقرر اضافتهم الى حرس المعتمدية .

وعقب انتهاء الحملة العسكرية الايرانية داخل تانجستان ، كما ذكرنا من قبل ، والتي كانت نتيجة لخروج اتباع (علي خان) على النظام ، وبعد أن عاد علي خان الى موطنه ، بدأ يكتب الى محمود والى المعتمد البريطاني مؤكداً براءته وملتمساً عدم اعتباره مسئولا عن حادثة منزل جامادار (محمود) ، وقال إنه اذا استمرت الاجراءات ضده فانه في هذه الحالة سيلجأ الى المشتكي محمود ، ويقضي العرف الايراني بأنه اذا فعل ذلك يكونه من المستحيل أن يتخذ أي إجراء ضده مهما طال بقاؤه كذلك

وأخيراً عرض علي خان ان يستسلم للمعتمد البريطاني ، على أن يحاكم محاكمة عادلة ، وان لا يسلم بأية حال الى السلطات الايرانية ، فقبل الرائد فريدو مساعد المعتمد عرضه ، في غياب المعتمد الرائد ميد الذي كان في شيراز .

وثبت من التحقيق الذي أجري بعد ذلك ان علي خان لم يكن بريئاً تماماً من تلك الاحداث ، وطلب منه ان يدفع مبلغ ٤٠٠٠ تومان تعويضاً للذين وقع عليهم عدوانه ، وقد أبدى استعداده للتنفيذ على شرط أن لا تؤاخذه الحكومة الايرانية بعد ذلك . ولكن لم يكن في استطاعة المعتمدية الحصول على مثل ذلك التأكيد من الحكومة الايرانية . وعلى

ذلك فقد سمح له بمغادرة المعتمدية التي أقام فيها آمناً مدة ستة أشهر ، وأحيل موضوع الشكوى ضده الى الحكومة الايرانية ، ولكن ليس في السجلات ما يشير الى النتيجة التي انتهى اليها الموضوع .

اطلاق النار على المنزل الريفي للمعتمد البريطاني في سابزاباد ١٩٠٠

في يونيه سنة ١٩٠٠ قتل أحد أقارب موظف ايراني في مكتب التلغراف البريطاني في ريشهر ، وفي ليلة ٣٠ أغسطس أطلقت عدة طلقات نارية من مكان قريب على ارض المنزل الريفي للمعتمد البريطاني في سابزاباد ، فاصابت بعض الطلقات مباني المنزل ، وقتل حصان لاحد حراس المعتمد ، ولا تمكن نسبة هذا العمل الى الاستياء من تصرفات المعتمدية البريطانية ، ولكن كان من المظنون ان الذي دبر الحادث هو نظيم التجار الذي شب نزاع بينه وبين عمه معين التجار ، وهو من أقوى الشخصيات ، وبين داريا بايجي الذي كان حاكماً لموانى الخليج . ولكن الذي حدث هو ان السلطات الايرانية المحلية قد نسبت هذه الواقعة الى التانجستانيين فأرسلت حملة عسكرية تأديبية الى تانجستان ، وبناء على أمر داريا بايجي ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك . وفي نفس الوقت طلب من نظيم التجار مغادرة بوشهر لمدة موسم كامل بناء على رغبة الحكومة البريطانية .

وفد من كلية عليكره الى ايران ١٩٠٣

وقد وصل الى ايران سنة ١٩٠٣ وفد من كلية عليكرة الاسلامية في الهند ليشرح مزايا الدراسة في هذا المعهد الذي يمثلونه .

وبقي الوفد في شيراز شهري سبتمبر واكتوبر ، ثم عاد الى الهند ومعه بعض الافراد للانضمام الى الكلية .

زيارة نائب الملك والوزير البريطاني في طهران للخليج ١٩٣٠

وقد قام الدكتور كرزون نائب الملك وحاكم عام الهند برحلة بحرية الى الخليج سنة ١٩٠٣ ، زار خلالها أماكن كثيرة من الساحل الايراني ، وقد قابله في بوشهر السير أ. هاردنج الوزير البريطاني بطهران .

قتل أحد الرعايا البريطانيين في البحر ١٩٠٥

وفي يناير سنة ١٩٠٥ اغتصب رجلان من سكان جزيرة صري مركباً في قشم ، وكانا قد صعدا عليه من الشارقة كراكبين عاديين ، ثم قتلا كل من كان في المركب ما عدا صبياً واحداً ربما استطاع الهرب . ولم يكن الدافع لجريمتهم هذه سوى السلب . وكان من بين ركاب المركب أحد الرعايا البريطانيين وهو « خوجا » .

ولما قبض نائب الحاكم الايراني في لنجة على المجرمين طلب المعتمد البريطاني في بوشهر ، بناء على تعليمات الوزير البريطاني في طهران ، من حاكم موانى الخليج محاكمة المجرمين وإنزال العقوبة الرادعة بهما ، على اعتبار ان جزيرة صري وإن كانت موضع خلاف في تبعيتها ، الا أن المجرمين كانا فعلا على أرض ايرانية وفي حراسة ايرانية .

ازعاج الوكالة البريطانية في لنجة ١٩٠٥

ووقع في لنجة سنة ١٩٠٥ حادث خطير ، اذ تجمع حوالي مائة لاري وجراشي حول منزل الوكيل الوطني لحكومة بريطانيا في حالة تهديد . واتضح فيما بعد رغم استمرار احاطتهم بالمنزل ، أن سلوكهم كان هادئاً وقالوا إنهم إنما أتوا للشكوى من تصرف ذلك الوكيل في قضية إفلاس لرجل هندوسي . وإنهم وفدوا لاجئين في ظل العلم البريطاني الذي كان يرفرف عند منزله . ثم اتضح ان الذي دبر العمل رجل خبيث ماكر اسمه حاجي علي لاري . وقد استطاع بالتملق او بالارهاب ان يقنع نائب الحاكم الايراني بالوقوف في صف المشاغبين .

ثم تكررت بعد ذلك زيارة القنصل البريطاني في بندر عباس الى لنجة. وأخيراً بعد تفرق المتجمعين بحوالي سبعة عشر يوماً أقيل نائب الحاكم من عمله وطرد هو وحاجي علي خارج لنجة .

وقد كان لهذا التصرف ، وبالطريقة التي اتبعت في تنفيذه ، أثر كبير في تثبيت الهيبة البريطانية على طول الساحل من مقام الى ميناب ، بعد أن كانت قد تزعزعت نوعاً ما بسبب الحادث المذكور .

طلبات تعويض بريطانية ١٩٠٠ – ١٩٠٥

ومنذ سنة ١٨٩٢ وطلبات التعويض تقدم لصالح رعايا بريطانيين أو أفراد تحت الحماية البريطانية في ايران ، ولكن دون ان يفصل فيها . ونظراً لانه لم يسبق لهذه القضايا بحث مشترك بين البريطانيين والايرانيين ، فقد رفضت حيث لم يمكن اثبات موضوعاتها لعدم اهتمام الحكومة الايرانية بها

ولكن كثيراً من هذه القضايا كان مؤيداً بالأدلة القاطعة المثبتة ، كما أن عدداً آخر كان ناشئاً عن خسائر ناتجة عن فشل الحكومة الايرانية ذاتها في حفظ الامن والنظام .

وباحصاء القضايا المعلقة الخاصة بالبريطانيين وشبه البريطانيين في أوائل سنة ١٩٠٠ متعلقاً بساحل ايران والجزر وعربستان ومكران الايرانية ، تبين ان عدد تلك القضايا لا يقل عن ١٠٥ تنتظر البحث المشترك والبت فيها ، وكان بعضها يرجع تاريخه الى ما قبل ثماني سنوات ، وكان مجموع التعويض المطالب به في هذه القضايا مبلغ ٢٧,٥٩٧ جنيهاً استرلينياً ، وكان ثلثا المبلغ يتعلقان بساحل ايران والجزر . وقسم كبير من ذلك مقابل خسائر في لنجة نتيجة العمليات الايرانية سنة ١٨٩٩ .

ولم تفصل الحكومة الايرانية الا في قضيتين لشركتين اوربيتين ، فدفعت مبلغ ١١٥٢ جنيهاً لشركة ساسون ، ومبلغ ١١٤ جنيهاً لشركة لينش ولكنها أهملت القضايا الأخرى .

وفي ابريل سنة ١٩٠١ وصل مندوب مفوض ايراني هو «حسام الوزارة» من طهران الى بوشهر ليبحث موضوع التعويضات مع المقيم البريطاني ، ولكنه لم يكن مزوداً بسلطة تعلو على سلطتي حاكم مواني الخليج والكارجوزار المحلي ، فلم يستطع الوصول حتى ولو الى حل جزئي ، رغم أنه لبث مدة سنة في بوشهر .

وفي مطلع عام ١٩٠٣ عين كارجوزار جديد في بوشهر هو «محتشم الوزارة» للتصرف في هذه القضايا بالتشاور مع المقيم البريطاني ؛ ورغم ذلك لم يتقدم الموضوع خطوات .

وفي نهاية سنة ١٩٠٥ كان موضوع هذه القضايا برمته محل بحث لجنة مكونة من المقيم البريطاني وحاكم مواني الخليج وكارجوزار .

مصالح بريطانيا التجارية والعامة في ساحل ايران والجزر ١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

من بين الامور التي كان لها تأثير على مصالح بريطانيا التجارية والعامة في هذه الفترة ما هو جدير بالاشارة اليه تفصيلاً .

هرمز واكسيد الحديد ١٨٩٧ ـ ١٩٠٥

في وقت ما ، كان معين التجار يتولى تصدير اكسيد الحديد الاحمر من جزيرة هرمز . وكان نفوذه يشمل جميع مناطق الساحل الايراني كما تغلغل في عربستان ونهر قارون ، الا أنه في سنة ١٨٩٧ كان من الواضح انه توقف عن العمل في منطقة الجزيرة . وفي نفس السنة حصل السادة اوت. ج. ملكولم على امتياز باستخراج الاكسيد في هرمز.. مؤلفاً شركة وطنية في بوشهر تحت الحماية البريطانية . وصدر قرار (فرمان) بهذا الصدد بالطرق العادية . وما كاد السادة ملكولم يباشرون حقهم في العمل حتى احتج معين التجار على ذلك ، وتقدم بقرار أصدره قبل ذلك الشاه السابق . فقامت الحكومة الايرانية بناء على ذلك بالاستيلاء على مواقع العمل في الجزيرة وسلمتها اليه .

بعد ذلك رفع السادة ملكولم الامر الى البعثة البريطانية في طهران وعن طريقها اتفق على ان يحسم هذا النزاع على يد الصدر الاعظم «أمين الدولة » وانه إلى أن يصدر قراره يعاد تسليم مواقع العمل في جزيرة هرمز الى السادة ملكولم . وتم تنفيذ هذا الشرط الاخير . ثم أصدر أمين الدولة قراره في شهر يناير سنة ١٨٩٨ وكان في صالح معين التجار ، ولكنه في الوقت ذاته قرر أن يرد الى شركة ملكولم كل ما تكبدته من نفقات في سبيل الحصول على الامتياز او على الأعمال التي قامت بها في الجزيرة .

وسرعان ما اعيد العمل الى « معين التجار » فأصبح الامر متعلقاً بمبلغ ١٩٦٠ جنيه استرليني انفقتها شركة ملكولم في طهران ، وكان لديها الشيكات التي تؤيد أحقيتها في المبلغ . ولكن الحكومة الايرانية أصمت

آذانها عن الاستماع الى مطالبة الشركة بحق التعويض الذي قرره لها الصدر الاعظم .

وفي سنة ١٩٠٥ أثناء زيارة معين التجار لانجلترا أبرم عقداً مع شركة ستريك وشركاه ليصدر اليهم ٨٠٠٠ طن من اكسيد الحديد الاحمر من هرمز .

توقف تصدير الانتاج ١٨٩٦ – ١٩٠٥

وكان نظام منع التصدير الذي سبب كثيراً من المتاعب للتجار الاجانب ما يزال سارياً في هذه الفترة منذ سنة ١٨٦٣ . وكان فيما سبق مقصوراً على الحبوب ، ولكنه امتد سنة ١٩٠٣ ليشمل الغنم والماعز وأخيراً شمل أشياء أخرى مثل الجلود . وفي نهاية سنة ١٩٠٥ اقترح الوزير البريطاني في طهران على الحكومة الايرانية ألا يُسَن أي حظر على التصدير مستقبلاً الا بموافقة وزير الجمارك على ضرورة مثل ذلك الاجراء . وكان الهدف من ذلك هو منع السلطات المحلية (في بوشهر) من سوء استغلال قرار الحظر .

الغاء عوائد الطرق وبعض الرسوم الاخرى ١٩٠٥

واستمرت العوائد على الطرق وكانت تسمى (راهداري) والدلالة السمسرة (دلالي) والوزن (قابنداري) وعوائد أخرى شاذة استمرت مفروضة حتى وقت الاتفاق على البيان التجاري البريطاني – الايراني سنة ١٩٠٣ وصدور اللائحة الجمركية سنة ١٩٠٤ . وقد جاء ذكرهما في الملحق الخاص بالجمارك الامبراطورية الايرانية .

وكانت داليكي وهي تقع على طريق بوشهر – شيراز أهم المواقع التي تجبى فيها العوائد التي كان يحرص على فرضها «شعاع السلطنة» حاكم عام فارس .

وقد توصلت الدبلوماسية البريطانية والروسية معاً الى اصدار قرار بالغاء عوائد الطرق (راهداري) اعتباراً من اليوم الخامس من اكتوبر سنة ١٩٠٥ .

الشئون الرسمية البريطانية في ساحل ايران
١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

بقي الآن ان ندرس الامور المتعلقة بالمنشآت البريطانية على الساحل الايراني والجزر ، وقد ازداد التوسع فيها أثناء هذه الفترة ، كما سبقت الاشارة الى ذلك في مواضع أخرى .

الوضع القنصلي لبعض أعضاء المقيمية البريطانية في بوشهر ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥

في سنة ١٩٠٤ عرض اقتراح بمنح بعض الموظفين الممتازين في المقيمية البريطانية في بوشهر درجات قنصلية . وقد وافق السير أ. هاردنج الوزير البريطاني في طهران على ذلك على أساس ان المراكز الدبلوماسية تضفي على موظفي المقيمية لوناً من المهابة وترفع من قدرهم بالمقارنة بزملائهم من الموظفين الاجانب .

على ان وزير الخارجية البريطانية لم ير في ذلك مبرراً لمنحهم درجات دبلوماسية. ولكنه قبل اقتراحاً بمنحهم درجات قنصلية. وطلبت حكومة الهند منح المساعد الاول للمقيم البريطاني في بوشهر درجة قنصل ، والطبيب الجراح بالمقيمية درجة نائب قنصل .

وفي نهاية ١٩٠٤ ألحق بالمقيمية في بوشهر نائب قنصل ، وكان يعمل بالسلك القنصلي في الشرق الاوسط وشغل وظيفة مساعد المقيم للشئون التجارية .

وفي سنة ١٩٠٥ ارسل اليها مساعد ثان . وكان موضوع انشاء هذه الوظيفة محل دراسة ، اما الضابط الذي التحق بالعمل مع العقيد كوكس وقتئذ فهو الملازم سي. ن. جبرييل الذي خلفه بعد ذلك الملازم ر. ل. ميرودد ، نظراً لتعيين كوكس في وظيفة ديبلومامسية (تحت الاختبار) في القسم السياسي بحكومة الهند . .

الحرس الراكب لمقيمية بوشهر ١٩٠٤

وفي سنة ١٩٠٤ كان من المقرر عند انتهاء عقود خدمة أفراد الحرس الراكب المخصص للمقيم البريطاني ، والذي انشيء سنة ١٨٦٣ ان يحل مكانهم فرسان من الوحدات الهندية . كما حصل فعلا في القنصليات البريطانية في إيران بصفة عامة في تلك السنة .

بعض الامور الاخرى المتعلقة بمقيمية بوشهر ١٩٠٥

وفي سنة ١٩٠٣ الغي مكتب خزينة حكومة الهند في بوشهر ابتداء من اول ابريل ، وذلك بناء على اقتراح مدير البنك الامبراطوري الايراني . وبذلك انتقلت الامور المالية الخاصة بالمقيمية الى فرع البنك المذكور في بوشهر .

وكان الهدف من هذا الاجراء هو زيادة رصيد البنك الامبراطوري الايراني وتركيز سمعته وهو مؤسسة بريطانية ، مع اشتراط أن لا يتقاضى البنك اجراً إلا ما يصرف فعلا في أعمال التأمين وحزم وارسال النقود .

وفي سنة ١٩٠٥ انشيء خط تليفوني بين مبنى المقيمية البريطانية في بوشهر والمنزل الريفي للمقيم في سابزاباد ، ويبعد عنها ستة أميال .

وكانت حكومة ايران قد قبلت عام ١٨٩١ إنشاء خط تلغراف فيما بين هذين الموضعين . وقد وجد أنه ليس من الضروري استشارتها في استبدال خط التليفون الذي لم يكن قد انشيء بعد .

التمثيل البريطاني في شيراز ١٩٠٣

عندما تقرر استبدال الوكالة البريطانية المحلية في شيراز ، بقنصلية بريطانية ، تم اختيار مستر ج. جراهام ، وهو من موظفي السلك القنصلي في الشرق الاوسط ليشغل ذلك المركز في شهر يوليو سنة ١٩٠٣ . وتسلم عمله فعلا في شهر نوفمبر من نفس السنة .. وكانت هذه القنصلية تابعة مباشرة للبعثة البريطانية في طهران . الا ان ذلك لم

يبدل شيئاً من العـــرف المتبع منذ سنوات وهو ان يتخذ المقيم البريطاني في بوشهر مركزه الصيفي في شيراز وفعلا تم اعداد منزل له لهذا الغرض .

ثم أثار الرائد روس المقيم البريطاني في الخليج موضوع تعيين ضابط سياسي بريطاني في بندر عباس . وكان ذلك في سنة ١٨٧٩ ، ثم أعيد بحث هذا الموضوع في سنوات ١٨٨٢ و ١٨٨٤ و ١٨٨٥ و ١٨٨٨ و ١٨٩٢ . وفي كل مرة كان دعم الاقتراح يجيء على شكل طلبات تقدم بها خوجا ورعايا هندوسيون بريطانيون يعملون بالتجارة في الميناء . وفي سنة ١٨٩٣ وافقت حكومة الهند على تعيين تاجر بريطاني يقيم في بندر عباس في مركز نائب قنصل . ثم أقرت الحكومة البريطانية هذا ا لاجراء ولكن لم يتم تنفيذه . وفي سنة ١٨٩٦ أعيد بحث الامر من جديد ولكنه تأجل اتخاذ قرار نهائي فيه .

وأخيراً في سنة ١٩٠٠ حين نشطت التجارة غير المشروعة في الاسلحة بين مسقط وبندر عباس ، انتدب الملازم ف. دي. ف. هنت من الادارة السياسية الهندية بصفة مؤقتة الى بندر عباس في وظيفة مساعد المقيم البريطاني في الخليج . واعترفت به الحكومة الايرانية نائباً للقنصل في بندر عباس ويزد ، على ان يكون مقره الصيفي في يزد ، ثم ألحق معه مساعد مستشفى هندي . وبدأ التفكير في إنشاء عيادة خيرية تحت إشرافه .

وفي سنة ١٩٠٤ رفعت درجة الضابط البريطاني في بندر عباس الى درجة قنصل ، وامتدت دائرة اختصاصه فشملت بالاضافة الى مدينة بندر عباس مراكز شيبكوه ولنجة وشامل وميناب وبيابان ومكران الايرانية والجزر الايرانية في القسم الشرقي من الخليج . كما أنه بصفته مساعداً للمقيم كان مسئولا عن اقليم رؤوس الجبال والمناطق الشمالية من شبه جزيرة عمان وجزر طنب وبير موسى وعن المحطة البريطانية في باسيدو على جزيرة قشم . وصدر الامر لاحدى السفن المسلحة في الخليج لتكون تحت تصرفه في منطقته .. وكان اول من شغل هذا المنصب بعد رفعه هو الملازم و. ه. أ. شيكسبير .

وتطبيقاً لنظام تعميم الحرس العسكري للقنصليات البريطانية في ايران ، وضع لحراسة قنصلية بندر عباس ثلاثة من الجنود الخيالة الهنود تحت اشراف صف ضابط .

وكان الممثل البريطاني في اول الامر يسكن منزلا مستأجراً في نابند على بعد ثلاثة أميال شرق بندر عباس .

وفي سنة ١٩٠٥ تقرر أن تبنى له مساكن حكومية في موقع أقرب الى المدينة .

امور تتعلق بالمحطة البريطانية في باسيدو ١٨٩٦-١٩٠٣

وقد وقعت في المحطة البريطانية في باسيدو على جزيرة قشم بعض المشكلات من جراء الهجرة التي كانت منتظرة بين حين وحين ، بل وقعت فعلا في المناطق الايرانية المجاورة التي قاسى سكانها كثيراً من الاستبداد السياسي الحكومي .

ففي سنة ١٨٩٧ كان بعض أفراد قبيلة آل بوسميط ، وهي أصلا من البحرين ، قد أقاموا في لنجة والتجأوا وقتاً ما الى باسيدو . وفي سنة ١٩٠١ كتب شيخ البحرين الى المقيم البريطاني طالباً الحماية لمستعمرة آل بوسميط في لنجة ، وكانوا يزمعون الانتقال جماعياً الى باسيدو على اثر رفع الضرائب التي فرضتها ايران على مراكبهم التي كانت تعمل في صيد اللؤلؤ ، على ان انتقالهم لم يحدث فعلا .

وفي نوفمبر سنة ١٩٠١ طلب بعض رجال العبادلة ، من جزيرة الشيخ شعيب الايرانية ، الهجرة الى باسيدو تحت الحماية البريطانية ، ولكنهم لم يجدوا تشجيعاً على ذلك فلم يهاجروا .

وفي سنة ١٩٠٢ كان الممثل الوطني للساحل ومندوب مقيمية بوشهر في باسيدو قد تلقى تعليمات بالا يمنع الرعايا البريطانيين من الاقامة في منطقة المحطة البريطانية وداخل حدودها ، على أن لا يأذن باقامة مباني ثابتة قبل الرجوع الى المقيمية . وكان المقصود من هذه التعليمات هو منع

إشغال الاراضي التي قد تلزم يوماً ما للاغراض العامة . كما كان ايضاً منع هجرة أي أفراد غير مرغوب فيهم .

وحدث ان بعض الايرانيين الفقراء أقاموا لهم قرية موقتة في سنجاو داخل الحدود البريطانية وظلوا فيها فترة من الزمن ، ليكونوا في مأمن من مضايقات موظفي الجمارك الايرانيين .

وفي إبريل سنة ١٩٠٥ طلب معين التجار من بوشهر الاذن لتخزين الاوكسيد الاحمر في باسيدو للتصدير ، وكان من الواضح أنه كان يقصد الهروب من مصاريف شحن الاوكسيد من هرمز التي يستخرج منها حيث كان بها مكتب للجمارك . وقد رفض طلبه على أساس أنه ربما يثير بعض المصاعب .

وفي وقت ما حاول رجال الجمارك الايرانية في قشم ان يضايقوا سكان باسيدو البريطانية ، وذلك بأن يرغموا مراكب جلب المؤن على تفريغ حمولاتها في باسيدو القديمة حيث يتعرضون لدفع الرسوم ، كما كان مدير الجمارك كثيراً ما يتجسس داخل الحدود البريطانية ولكنه توقف عن ذلك على اثر تهديده من بعض العبيد الذين تحرروا .

وحدث في سنة ١٩٠٥ ان ارسل المقيم البريطاني في بوشهر طرداً من المطبوعات مرسلا منه الى وكيل الفحم البريطاني واعتبرته الجمارك «صادراً» أي أنهم اعتبروا باسيدو ارضاً غير ايرانية .

العودة الى انشاء محطة تلغراف بريطانية في هنجام ١٩٠٤–١٩٠٥

ونظراً لاعتبارات ورد ذكرها في موضع آخر ، أعيد احتلال جزيرة هنجام التي كان قد توقف استخدامها بصفة محطة تلغراف بريطانية سنة ١٨٨٠ ، وتم تمديد خط برق اليها دون اخطار سابق للحكومة الايرانية .

وفي ١٩ ابريل كان قد تم إعادة الاتصال التلغرافي مع بوشهر وجاشك . ونشأ عن ذلك ان تنبهت حكومة ايران الى جزيرة هنجام والى المحافظة على سيطرتها عليها .

وفي نوفمبر او ديسمبر سنة ١٩٠٤ زار الجزيرة المدير الاوروبي للجمارك الايرانية في بندر عباس ، ورفع عليها العلم وأنشأ فيها محطة جمركية بها مدير واثنان معه ، في موقع قريب من موقع محطة التلغراف .

وكانت هناك سارية للعلم الايراني أنشأها ملك التجار سنة ١٨٨٩ على إحدى مباني محطة التلغراف السابقة التي كان قد أخلاها البريطانيون. وظلت هذه السارية في موقعها حتى سنة ١٩٠٥ . وبناء على طلب السلطات البريطانية نقلت السارية الى موضع آخر ولكنها ظلت في موقعها القريب من المنشأة البريطانية مصدراً لبعض المتاعب .

ثم إن هذا الاجراء الذي اتخذته حكومة ايران للاشراف على هنجام بل السيطرة عليها ، قد ازعج السكان العرب من بني ياس ، اذ كانوا ينعمون بالحرية والاستقلال فطلب شيخ الجزيرة أحمد بن عبيد ، وهو زوج بنت شيخ دبي ، معونة السلطات البريطانية لمقاومة ذلك العدوان . وفي فبراير سنة ١٩٠٥ طلب أيضاً من الملازم شكسبير قنصل بريطانيا في بندر عباس الذي كان حينئذ يزور هنجام، حماية بريطانية له مؤكداً أن وضع جزيرة هنجام يماثل تماماً وضع جزيرة طنب التي لم يسبق للايرانيين ان مارسوا عليها أدنى سلطان وأنه سيقاوم بالقوة أية محاولة لتغيير الوضع في الجزيرة .. ولكن كان طبيعياً ان لا يلقى عرضه أي تأييد .

وكان سلوك العرب تجاه رجال محطة الجمارك الجديدة عنيفاً ، فلم يكن في استطاعة الموظفين الايرانيين الاستمرار في الجزيرة بغير مساعدة رجال محطة التلغراف البريطانية الذين قدموا لهم الحماية ومياه الشرب .

وفي شهر مايو كان من الضروري لتهدئة غضب العرب أن لا يعطى الماء لموظفي الجمارك الايرانيين من خزانات المياه التي في المحطة البريطانية فاستاء المدير الايراني لذلك ، وحاول بدوره منع وصول المياه التي ترد من جزيرة قشم الى موظفي التلغراف ، ولكنه عاد فكف عن ذلك بعد الشكوى الى ادارة الجمارك .

ثم زار الملازم شكسبير الجزيرة ثانية في شهر اكتوبر سنة ١٩٠٥ فوجد مشاعر العرب ضد الايرانيين في ثورة شديدة .. ولكنه لم يبد أي أمل في تدخل البريطانيين ، كما حصل في زيارته السابقة .

وفي ٣٠ نوفمبر عندما كان سلطان عمان عائداً الى مسقط من زيارة لابوظبي ، زار جزيرة هنجام وكان قد تسلم قبل ذلك بشهور طلبات كتابية من شيخ الجزيرة تلتمس المساعدة . وبعد ايام قليلة كتب الى المقيم محتجاً على أية محاولة لاخضاع بني ياس في الجزيرة بأي شكل للنفوذ الايراني ، ومبدياً اهتمامه بأمرهم ومؤكداً أن سلطان عمان السابق هو الذي يسر لهم الاقامة في هذه الجزيرة .

وحوالي شهر اغسطس سنة ١٩٠٥ افتتحت وكالة موظفي التلغراف في هنجام محطة لويدز لاستقبال السفن .

وفي النصف الاخير من تلك السنة دارت مفاوضات في طهران لتعديل وضع المباني الايرانية وساريات الاعلام بما يتفق ورغبة المستعمرة البريطانية ويضمن نقاء المياه الواصلة اليها .

★ ★ ★

تاريخ مكران الايرانية (١)
مكران تحت حكم الموالك فى اوائل القرن السابع عشر

ظلت اسرة مالك تحكم مكران لعدة أجيال ، وتولى آخرهم الحكم في سنة ١٦١٣ . ومن المحتمل أن لا يكون سلطان هذه الاسرة قد وصل في امتداده غرباً الى مقاطعة جاشك ، ولكن جوادر التي تدخل الآن في

(١) أهم المراجع عن تاريخ مكران الايرانية من سنة ١٦٠٠ الى سنة ١٨٠٠ هى « مفكرة بملاحظات عن مكران سنة ١٨٦٥ » للملازم آ٠س٠ روس مجموعة البيانات الامبراطورية الهندية القسم الخاص ببلوشستان ومكران ـ الاخوة الثلاثة سنة ١٨٢٥ ـ مؤلفات ديلا فال وتافيرنيير وآ٠ هاملتون ٠

سلطنة عمان كانت عند بدء دراسة شئون الخليج ، تابعة ولو اسمياً للامبراطورية الايرانية . وبذلك يتصل تاريخها بتاريخ مكران الايرانية .

مداهمة سير روبرت ستانلي في جوادر ١٦١٣

كان سير روبرت ستانلي موفداً الى اوربا ممثلا للشاه عباس الى جهات مختلفة ، وعند عودته من رحلته في سنة ١٦١٣ — كما أشرنا الى ذلك في الفصل الخاص بالتاريخ العام للخليج — ارسى مركبه في جوادر « ثم اراد دوق خان »(١) الثائر ان يهاجم السفير بقواته مفاجأة ليسلب السفينة وكل ما عليها من تجار وبضاعة ، وغير ذلك . ولكن حكمة الله شاءت ان يكتشف ناسك ايراني هذه الجريمة المبيتة ، فنجا الانجليز بمعجزة من الخطر المؤكد .

وبتأثير الحنق على تصرف هذا النبيل الايراني الغادر ، كتب سير روبرت ستانلي من جوادر في يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٦١٣ الى مجلس ادارة شركة الهند الشرقية في لندن مناشداً إنشاء وكالة هناك « ولو أنها ليست ضمن ايران الا أنها تحت حكومة تابعة لها » وقال عنها : (ربما عن جهل او عن زيادة في المبالغة) « انه ينتظر لها ان تكون أغنى منطقة تجارية في العالم وأنها لا تخضع لسلطان البرتغال » .

مكران في ١٦٢٤

يستفاد من معلومات حصل عليها الرحالة الايطالي بترو ديلا فال أن جوادر كانت تحت سيطرة زعيم محلي كان يحكم كلا من قايش ومكران وكان على علاقات طيبة مع الحكومة الايرانية .

---

(١) في الكتب والتقارير الإنجليزية القديمة كان لقب « خان » يترجم عادة الى « دوق » ولكن بازدياد المعرفة عن « خان » الايرانية بطل استعمال كلمة « دوق » .

مكران تحت حكم البليديين من أوائل القرن السابع عشر حتى سنة ١٧٤٠

اعتداء الحاكم الايراني في هرمز على زعيم جاشك بين ١٦٤١ و ١٦٥٢

ذكرنا من قبل أنه حوالي سنة ١٦١٣ تولى حكم مكران آخر حاكم من اسرة «مالك» واسمه ميرزا وقد قتله البليديون أخيراً . وقد توسعت هذه القبيلة المنتصرة حتى امتد نفوذها الى شرق مقاطعة جاشك .

وقد وصف تافرنيير ، وهو رحالة زار الخليج سنة ١٦٥٢ سلسلة الهجمات التي قام بها الايرانيون على زعيم جاشك بعد تولي الشاه عباس الثاني العرش ، وكان ذلك قبل حصول تافرنيير على معلوماته بمدة لا تزيد على احد عشر عاماً (١) .

وطبقاً لبيانات تافرنيير فان دولة مكران من جاشك الى جوادر كانت في زمانه مقسمة الى ثلاث ولايات من بينها جاشك في أقصى الغرب يحكمها حاكم مسلم بينما يحكم الولايتين الأخريين حكام وثنيون (٢) .

وفي زمن حكم الشاه عباس كان الزعيم المسلم في جاشك تابعاً لايران ولكن بعد انتهاء حكم شاه عباس نقض ولاءه للشاه ، ولم يتخذ بشأنه أي اجراء الى ان تولى الشاه عباس الثاني ، الذي عهد الى خان هرمز بمعاقبته .. وفي أثناء زحفه الى جاشك أشبع هوايته في القنص « فكان من سوء حظه ان سقط في هوة ، فمات ومعه بين ٢٠ و ٣٠ راكباً » .

فلما عين الشاه شقيقه محله حاكماً لهرمز غزا هذا جاشك ، ولكنه هزم وعاد ادراجه بعد خسارة أفراد كثيرين من رجاله غير أنه بعد

---

(١) أنظر كتاب « رحلات الى ايران » بقلم تافرنيير الكتاب الخامس الفصل السابع .

(٢) الولايتان الآخريان وهما جيه وقصر قند شرقي جاشك بعد سنة ١٦١٣ لسنوات قليلة . وما بعد ذلك كان يحكمهما حكام من البليدى وكانوا زقريين وهم طائفة من المسلمين غير سليمي العقيدة (انظر الملحق الخاص بالديانات) .

ذلك نجح في أن يأسر زعيم جاشك في البحر ، وكان في طريقه الى مكران وأتى به أسيراً الى بندر عباس .

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، فعندما كان الخان يقضي الصيف على الجبال الداخلية في مقاطعة شامل ، هاجمت زوجة الزعيم معسكره في إحدى الليالي ومعها عدد من الخيالة فاستطاعت إنقاذ زوجها وقتلت الخان وعدداً من رجاله .

عندئذ تولى الشقيق الثالث حكم هرمز وحاول الانتقام لسلفه . فجمع لذلك قوات عديدة من لار وكرمان وشيراز ، ولكن الزعيم نجح بمساعدة الزعيمين الوثنيين المجاورين له من الشرق في هزيمة الايرانيين في معركة حامية . وقيل ان نائب القائد في قوات جاشك كان هندياً . وربما من بلوشستان .. وقد اسره الخان وأحضره الى بندر عباس وعذبه عذاباً مخزياً أليماً « مما دعا رئيس الشركة الهولندية وبعض التجار الاجانب الذين أثارتهم قسوة التعذيب ان يلتمسوا من الخان وقف التعذيب فاستجاب لهم » .

هجوم بلوشي من مكران الايرانية في كرمان وغيرها ١٦٩٤—١٧٢٢

ويقول الرئيس هاملتون ، وهو كاتب معاصر لحكم شاه حسين من ١٦٩٤ الى ١٧٢٢ ، في وصف سلوك سكان مكران ما نصه : « كان حكم الصوفي او الملك الاخير سيئاً وملتوياً الى حد أن البلوش والمكرانيين الذين يقيمون على ساحل البحر من رأس جاشك الى الاندوس كانوا يشعرون بضعف الحكومة .. فخرجوا عن طاعتها اولا ثم هاجموا جيرانهم في كارمانيا ، وكانوا أحسن تدبيراً وأكثر مالا ، فنهبوا من مواطنيهم ما كان لديهم وما ادخروه من أعمالهم المجهدة ، وكثرت الاحتجاجات والشكاوى أمام المحكمة لوقف تلك الجرائم ولكن دون جدوى » .

ويبدو أن غزو الافغان لايران ، كما جاء في التاريخ العام للخليج ، قد شجع البلوش المكرانيين للاعتداء على لار سنة ١٧٢١ ، ووصل الامر الى الاعتداء على الوكالات البريطانية والهولندية في بندر عباس .

الحملة الايرانية على مكران ١٧٣٩

وعندما قام نادر شاه بغزو الهند في سنة ١٧٣٨ او ١٧٣٩ ارسل اوامره الى محمد تقي خان حاكم شيراز ليقود حملة من القوات التي كان قد تم اعدادها في عمان ، ويتقدم بها براً الى السند ، وان يرسل المدفعية بطريق البحر .

وفي سنة ١٧٣٩ كتب محمد تقي خان الى السند أنه تأخر في مكران ، ومع ذلك فقد استولى على قلعة كايش وأخضع الزعيم الجشكي (مالك دينار) في طاعته ، فجاءه الرد بأنه تم الاستيلاء على السند وان عليه أن يسرح قواته ويلحق بنادر شاه فوراً .

ويبدو محتملا ان يكون محمد تقي خان قد احتل جوادر ، وجعلها ميناء له عند غزوه لمكران . كما يبدو أن الهدف المباشر للعمليات الايرانية في مكران كان مساعدة الشيخ قاسم ، وهو زعيم بلوشي أصبح مسلماً مؤمناً ، ضد مالك دينار (الذي كان زقرياً) الا أن اثرهم في ذلك كان مؤقتاً .

وعلى اثر مغادرة تقي خان وقعت جوادر في يد مالك دينار وكانت آخر معقل قوي للبلوش وبذلك انتهى الحكم البلوشي في مكران .

★ ★ ★

مكران تحت حكم خانات قالات ١٧٤٠ ـ ١٧٩٧

يمكننا ان نعتبر الفترة الواقعة بين سقوط حكم البليديين في مكران وتولي فتح علي شاه عرش ايران امتداداً للفترة السابقة .

كانت اسرة أحمد زاي (براهوى) وهي الاسرة الحاكمة في قالات هي صاحبة السلطان على مكران في معظم هذه الفترة ، وكانوا بعد سقوط الامبراطورية المغولية في دهلي يدينون بالولاء لاسرة دوراني الحاكمة في أفغانستان .

اخضاع « خانات » قالات للجشكيين حول ١٧٧٨

وكانت قبيلة جشكي ، وهي زقرية في العقيدة كمعظم البليديين ، تابعة فيما سبق للمناطق التي كان يسيطر عليها الأخرون . ولكن « خانات » قالات ، وهم مسلحون ، بدأوا يغيرون على اراضيهم ويهددون استقلالهم . حتى إن مير ناصر خان الاول الذي حكم قالات من سنة ١٧٥٠ الى سنة ١٧٩٣ ارسل اليهم ما لا يقل عن تسع حملات عسكرية . وانتهى هذا النزاع الى الاتفاق على توزيع غلات البلاد مناصفة بين قبيلة جشكي وبين الخان ، على ان الادارة المباشرة للبلاد ظلت في أيدي جشكي .

وكانت الحكومة الجشكية ثنائية . وذلك ان فرعاً من الاسرة كان يحكم بانجور وفرعاً آخر كان يحكم قايش وجوادر .

انتقال جوادر الى سلطنة عمان ١٧٨٤–١٨٩٣

ولقد كان من أهم النتائج التي ترتبت على تدخل «خانات» قالات في شئون مكران أن انتقلت جوادر ايام مير ناصر الاول الى سعيد سلطان وكان وقتئذ لاجئاً من مسقط حوالي سنة ١٧٨٤ ، ثم بقيت المدينة والمقاطعة الملحقة بها تابعة لسلطنة عمان عقب تولي سعيد زمام الحكم وظل أمرهما كذلك رغم الاعتراض الذي أثير ضد شرعية وأثر تلك المنحة (راجع تاريخ جوادر وشاهبار) .

★ ★ ★

فتح علي شاه ۱۷۹۷ ـ ۱۸۲٤

انتهاء سيطرة قالات بعد ۱۸۹٤

يمكن اعتبار مكران ضمن اراضي الدولة الايرانية اعتباراً من بداية فتح علي شاه سنة ۱۷۹۷ ، رغم أن الحكومة الايرانية لم تكن بعد قد ركزت سلطانها عليها .

فما ان توفي مير ناصر الاول حاكم قالات سنة ۱۷۹۳ او ۱۷۹٤ حتى زال كل نفوذ براهوي عن مكران . وتقاسم البلاد عدد من الزعماء الذين ينتمون الى قبائل مختلفة واستقل كل منهم بمنطقته .

رحلة الرئيس جرانت الى مكران من يناير الى ابريل ۱۸۰۹(۱)

وكان الرئيس ن. ب. جرانت اول ضابط اوروبي ارتاد مكران الايرانية ، وهو ضابط من رجال القائد مالكولم ، وقد اوفده في اوائل سنة ۱۸۰۹ ليجوب الاقليم عندما حاولت حكومة الهند الاستيلاء على جزيرة خارج .

وقد كان الهدف الحقيقي من هذه الرحلة هو دراسة الوضع للتأكد مما اذا كان في استطاعة جيش اوروبي غزو الهند من جهة الساحل الايراني الجنوبي ، ولكنه تظاهر بأن المقصود من رحلته هو شراء الخيول .

أبحر جرانت من ميناء بومباي على الطرادة « ترنيت » التابعة لشركة الهند الشرقية يوم ۱۸ يناير سنة ۱۸۰۹ فوصل جوادر يوم ۲۹ يناير لكن الرئيس سيتون المقيم البريطاني في مسقط نصحه بالنزول في «جوابات» لأنه رأى أن تلك البلاد تسودها الاضطرابات ولا ضمان للامن فيها .. وجوادر هذه كانت تابعة لمير سيحان وهو زعيم جاجالي

---

(۱) راجع « مذكرات عن (رحلة) في المنطقة الغربية من مكران » للرئيس جرانت ، ضمن مذكرات الجمعية الآسيوية الملكية لسنة ۱۸۳۹ .

على اقليمي داشتياري وباهو وكانت قبيلته صاحبة السيطرة العظمى على مكران في ذلك الوقت .

سار الرئيس جرانت براً الى شهبار حيث وصلها يوم ٩ فبراير ثم بارحها يوم ١١ فبراير الى نيجور حيث قابل « مير سيحان» الذي رحب به . ثم وصل يوم ٢٨ فبراير الى قصر كاند فوجد بها الزعيم « شيخ سمندر » مستقلا عن أي نفوذ آخر . وبقي حتى ١٧ مارس في انتظار محمد خان زعيم جايه اذ بغير حمايته ما كان له ان يستطيع التوغل في داخلية البلاد .

وكانت جايه هذه هي المركز الثاني في مكران في الاهمية بعد كايش.

ثم سار جرانت من جايه الى بامبور ، ولكنه رأى من سوء خلق زعيمها ما منعه من متابعة السير الى بندر عباس التي كانت آخر نقطة في رحلته ، فعاد من نفس طريقه السابقة الى قصر كاند ثم جايه . وتوقف عن السير من ٥ ــ ٧ ابريل ، ثم سار الى شهبار حيث وصلها في اليوم العاشر منه .

ثم عاد بعد ذلك الى جايه ، ثم تابع سيره منها يوم ١٣ ابريل ماراً بطريق بالاك وكروان (١٦ ابريل) ثم كاشي (١٧ ابريل) ثم صدايش (١٨ ابريل) حيث دخل الى اقليم جاشك فوصل الى جاجين (١٩ ابريل) ومنها الى جاشك القديمة فوصلها يوم (٢٤) ابريل .

وكان زعيم جاشك قد انتقل الى سريك في اقليم بيابان ، فتبعه جرانت فسار الى بجمدي قبل مغادرته حدود جاشك . أما ما يتعلق ببقية رحلته الى بندر عباس فهو لا يدخل في نطاق مكران .

ويذكر الرئيس جرانت ان اشارته الى الرئيس سيتون المقيم البريطاني في مسقط كانت من أهم الامور التي سهلت له رحلته لما كان سيتون يتمتع به من تقدير واحترام في مختلف أنحاء مكران ، وقد زوده بخطابات توصية الى «مير سيحان» زعيم داشتياري وباهو . وقام هذا بدوزه بخطابات تزكية سهلت لجرانت زيارة قصر كاند وما بعدها .

وكان جرانت قد أخذ معه خطابات اعتماد من مسقط التي تربطها بشهبار روابط تجارية قوية . ولكن كانت قيمة أكبر فاتورة حصل عليها في القرى الداخلية لا تزيد عن ٢٠٠ روبية .

وكان يرتدي ثيابه الاوروبية أثناء رحلته ، ولم ينكر جنسيته . « ووجد ان الاهالي كانوا أكثر مدنية وكرماً مما تصوره سابقاً » .

ونظراً للشعور بالحسد والكراهية الذي تملك حكومة الهند وجميع الموظفين الرسميين البريطانيين الهنود في ذلك الوقت ، فانه لا يدهشنا أن نجد جرانت في نهاية رحلته يقرر أن جيشاً اوروبياً « يمكنه بكل تأكيد » غزو الهند عن طريق مكران ، وأن الفكرة القائلة بأن ندرة وجود الماء تشكل عقبة في سبيل ذلك فكرة خاطئة ، وان هذه النظرية لم تكن وليدة دراسة طبوغرافية للمنطقة كالدراسة التي يسرتها رحلة جرانت .

وضع مكران السياسي ١٨١١

وفي سنة ١٨١١ عندما قام السير غور أوسلي برحلته الى ايران ، لم يكن النفوذ الايراني في مكران أكثر مما كان عليه إبان رحلة الرئيس جرانت الذي لم يشر أية إشارة الى وجود مثل ذلك النفوذ ، ولا ما كان عليه في سنة ١٨١٠ عندما وجد الملازم بوتنجر ان زعيم رامبور كان يسخر من السلطان الايراني . ورغم ذلك ، فانه في نظر الايرانيين على الاقل كانت مكران معتبرة ضمن نفوذ الشاه .

وقد رأينا فيما مضى ان مطالبة ايران بها سنة ١٦٦٣ كانت ما تزال قائمة ، رغم انه في خلال القرنين التاليين لم يقم أي نفوذ فعلي لها ، اذا استثنينا ما قام به نادر شاه سنة ١٧٣٩ ، ومع ذلك فان هذا الادعاء لم يجد حججاً كافية لدحضه .

محمد شاه ١٨٣٤ ـ ١٨٤٨ وناصر الدين شاه (١) ١٨٤٨ ـ ١٨٩٦

تعتبر فترة حكم محمد شاه وناصر الدين شاه من الاهمية بمكان في تاريخ مكران . اذ كانت الاحداث الاخيرة في ثورة آغا خان التي استمرت من سنة ١٨٣٨ الى سنة ١٨٤٤ ذات أهمية واضحة في تاريخ ساحل ايران والجزر المتاخمة له . وكان هذا مما لفت نظر حكومة ايران المركزية الى بامبور . وبعد ذلك مباشرة بدأت مطالبة ايران ببعض أقاليم مكران الايرانية بطريقة غير مباشرة .

* * *

ازدياد النفوذ الايراني في مكران

غزو مكران الايرانية بأسم آغا خان واحتلال حكومة ايران لبامبور ١٨٤٤.

كان آغا خان رئيساً للطائفة الاسماعيلية سنة ١٨٤٣ ، ولكنه اضطر الى مغادرة ايران بعد فشل الثورة التي قام بها ضد الشاه . ولجأ الى كراتشي التي كانت خضعت للتاج البريطاني قبل فترة قصيرة .

وفي نهاية ذلك العام غادر كراتشي سردار خان ، وهو شقيق آغا خان ، ورفيقه في المنفى ، يصحبه ٢٠٠ من الخيالة كان قد جمعهم وسار بهم براً نحو جوادر ومنها الى شاهبار التي كانت مركزاً لجماعة صغيرة من الخوجا من أنصار آغا خان فاتخذها قاعدة لعملياته التالية ..

(١) المراجع الرئيسية لتاريخ مكران الايرانية في هـــذه الفترة هي « تقارير الادارة » في المقيمية البريطانية في الخليج من سنة ١٨٧٢ ـ « ايران الشرقية » للقائد سير ف.ج. جولدميد سنة ١٨٧٦ . ويحتوي في معظمه على ما كتبه العقيد سانت جون والعقيد لوفت والعقيد أيان سميث ـ « التاريخ الرسمي لخط تلغراف مكران » ١٨٩٥ ـ « خلاصة شئون مكران » ١٩٠٥ لمستر ج.آ. سالدانها .

ومنها بدأ يكتب الى سكان بامبور ، وكانت تحت حكم زعيم بلوشي مستقل ، والى سكان البلاد المحيطة به . ولم يمض زمن قصير حتى كان قد استولى على هذه البقعة ونجح في ضمّ الفين من الرجال الى جانبه .

وكان الحاكم العام الايراني في كرمان قد أحظر طهران بما يجري فتلقى منها تعليمات بالاستيلاء على بامبور ، فنفذ الامر وأسر سردار خان وارسله الى طهران وبقيت بامبور في يد الايرانيين .

امتداد النفوذ الايراني الى مقاطعات اخرى في مكران شرقي جاشك ١٨٤٤ – ١٨٤٩

وامتد النفوذ الايراني من بامبور جنوباً الى المنطقتين البلوشيتين سيح وقصر كاند ، وكانت سيح تحت حكم زعيم جشكي يدعى مير عبدالله بن مراد محمد . ويبدو ان الايرانيين أخذوه الى كرمان حيث حجز لمدة سنة ، حتى جمع زعيم باهو واسمه «دين محمد» مبلغاً يزيد على ٥٠٠ جنيه دفعها للخزينة الايرانية فعينته الحكومة الايرانية نائباً للحاكم في بعض المناطق القبلية التابعة لبامبور ، وبحكم منصبه هذا فرض ضريبة سنوية مقدارها ١٠٠ جمل على صديقه السابق زعيم جايه ، علاوة على مبالغ يدفعها في فترات مختلفة .

الوضع في مقاطعة جاشك ١٨٦١

لكن دراسة الوضع السياسي في جاشك سنة ١٨٦١ تظهر صورة مختلفة عن المقاطعات الشرقية التي سبق ذكرها . فقد كانت جاشك قسماً من بيابان ، حسب مدلول كلمة « بيابان» في ذلك الوقت . وبذلك كانت داخلة ضمن نطاق بندر عباس وملحقاتها التي كان يسيطر عليها سلطان عمان .

وكان حق ملكية السلطان لها سارياً منذ زمن طويل . الا أنه تم تعديله باتفاقية جديدة عقدت سنة ١٨٥٦ بينه وبين الشاه .. وبموجبها وضع تحديد دقيق لمنطقة الملكية .

وكان مير حسين حاكماً على جاشك سنة ١٨٦١ من جانب مسقط ، وكانت آخر حدودها من الشرق عند نهر سادايش .

الحالة في المقاطعات شرقي جاشك ١٨٦١ ما عدا شهبار

ولما حل عام ١٨٦١ كان مير عبدالله حاكم جايه قد استعاد مركزه باعتباره الزعيم الرئيسي لمقاطعات مكران شرقي جاشك ويشمل نفوذه منطقة الساحل من سادايش ويمتد شرقاً الى بيز ، وكان « دين محمد »زعيم باهو يتمتع بنفوذ في منطقة الساحل عند جوادر فقط .

أما في المناطق الداخلية في شمال المناطق الساحلية ، فقد كان الايرانيون يبذلون طاقتهم لبسط نفوذهم في اتجاه الشرق وقيل إنهم احتلوا كيزاك وسارباز وإنهم كانوا يفكرون في الاعتداء على كيج وهي أهم موضع في حدود مكران بالنسبة لخان قالات .

وكانت مدينة شهبار تمثل نتوءاً داخلا في حدود المقاطعات الساحلية شرقي جاشك . وكانت تابعة في سنة ١٨٦١ لسلطان عمان الذي حكمت اسرته شهبار بحق الفتح منذ سنة ١٧٩٢ ولم تكن لها أية علاقة مع ايران .

★ ★ ★

الامور السياسية في مكران في صدد التلغراف الهندى الاوروبى ١٨٦١ ـ ١٨٦٢

لقد اقتضى الحال عند الشروع في مد خط تلغرافي بين الهند واوروبا بطريق الخليج ، وله ملحق خاص بهذا الكتاب ، إجراء دراسة سياسية عاجلة ودقيقة للوضع في مكران سنة ١٨٦١ فيما كان الوضع في المقاطعات الاخرى المحتلة كما اوضحنا من قبل .

تقرير القسيس مستر بادجر في شهر يونيو ١٨٦١

وفي شهر يونيه سنة ١٨٦١ تلقت حكومة بومباي تقريراً من القسيس ج. ب. بادجر وكان واعظاً ومترجماً للغة العربية مع القوات البريطانية العاملة في ايران ١٨٥٦—١٨٥٧ . وقد شمل هذا التقرير الاوضاع السياسية بالنسبة لخط تلغراف ارضي عبر مكران .

وقد شغل القس بادجر فيما بعد منصب سكرتير اللجنة البريطانية لشئون عمان وزنزبار سنة ١٨٦٠ . ووصفته الدوائر ذات النفوذ ومصادر الاستخبارات في مسقط بصفة خاصة بأنه حل مشكلات معقدة بين السلطات الشرعية المختلفة في مكران ، وارتباط مقاطعاتها بالحكومة الايرانية المركزية .

وقد كشف تقرير القسيس بادجر بوضوح عن عقبة اعترضت سبيل العمل السياسي في مكران الغربية ، ذلك بأن تجاهل الحكومة الايرانية ، والاتصال المباشر مع سلطان عمان ومع الزعماء البلوش المعينين كان امراً غير مقبول . هذا من جانب ، وفي الجانب الآخر كان التفاوض مع الحكومة الايرانية من وراء هؤلاء الزعماء الذين كانوا يرفضون اخضاعهم لايران كان امراً خاطئاً وموقتاً . ولقدادت هذه الازدواجية لكراهية من الجهات التي كان يتوقف عليها في الواقع سلامة خط التلغراف

دراسة الخطة الواجبة الاتباع من يوليو الى اكتوبر ١٨٦١

وبعد دراسة تقرير القسيس بادجر رأت حكومة بومباي ان المبادىء التي يجب ان يلتزمها العمل السياسي يجب ان تكون : (أ) الاعتراف بالوضع الراهن الذي حققته ايران في مكران . (ب) قيام صلات مباشرة باذن منها مع الزعماء المحليين .

كما ان حكومة الهند رأت ايضاً على اية حال أنه من الضروري ان يسبق المفاوضات مع ايران تحديد مدى النفوذ الذي تدعيه ، ومدى ونوع هيمنتها على الزعماء المحليين بشيء من الدقة والتفصيل .. والا فان

ترك الامر بيد الحكومة الايرانية ربما ينشأ عنه ما قد يضايق السلطات البريطانية وما يجحف بوضع الزعماء المحليين الذين كان مدى إخلاصهم وولائهم موضع الدراسة ، ثم كتبت حكومة بومباي بذلك الى الوزير البريطاني في طهران .

مطالبة ايران بمكران جميعها ١٨٦١ – ١٨٦٢

ولقد تحققت نبوءة حكومة الهند في ان حكومة ايران ستستغل موضوع انشاء خط التلغراف الذي أعلنت عن استعدادها الكامل لحمايته ، لتطالب بمكران جميعها من بندر عباس الى حدود مقاطعة السند البريطانية بل هي ذهبت الى حد اقتراح اتفاقية « تسجل فيها حقوق السيادة والادارة والامتلاك » في المناطق التي يشملها مشروع التلغراف « حسب الوضع الراهن » وان تتعهد الحكومة البريطانية الا تعارض « علانية او سراً » أي اجراء تتخذه الحكومة الايرانية لتزيد من نفوذها في تلك الجهات .

وقد استنكر مستر اليسون الوزير البريطاني في ايران تلك النصوص كما رفضتها حكومة الهند . وبذلك توقف مشروع خط التلغراف بصفة مؤقتة .

بعثة الرائد جولد سميد الاولى الى مكران وتكملة خط التلغراف الى جوادر ١٨٦٢ – ١٨٦٣

وفي نفس الوقت تقرر السير بالموضوع الى المدى الممكن دون الاحتكاك بمعارضة الحكومة الايرانية . وبناء على هذا القرار اوفد الرائد جولد سميد ليدرس الموضوع على ساحل مكران ويقدم تقريراً بذلك . وأثناء قيامه بهذه الابحاث تقدمت اليه وإلى بعض السلطات البريطانية الاخرى التماسات من الزعماء المحليين بطلب الحماية من استبداد « القاجاريين » في تحصيل الايرادات ، ولكنهم لم يلاقوا أي تشجيع .

وكانت حصيلة بعثة الرائد جولد سميد هي الاتفاقات مع خان قالات وحاكم لاس بيلا وحكام باسني وكيج ، على تمديد خط التلغراف . وتم وصل الخط مع كراتشي الى جوادر في شهر ابريل سنة ١٨٦٣ .

مطالبة ايران بجوادر وشهبار سنة ١٨٦٣

معارضة الحاكم الايراني في بامبور لخط التلغراف ١٨٦٣ .

عندما وصل خط التلغراف من الهند الى جوادر بدأ ابراهيم خان بامي الحاكم الايراني في بامبور في تنظيم معارضة ضد السير بالعمل فكتب الى سلطان عمان والى الوالي العماني في جوادر والى خان قالات .

وقد اقترح على السلطان بأن من واجبه بصفته مسيطراً على شاهبار تحت الحكم الايراني أن يمنع البريطانيين من تمديد الخط التلغرافي قبل الرجوع الى الحكومة الايرانية . وقال له انه اذا لم يكن السلطان كفوءاً لمواجهة ذلك الموقف فانه هو شخصياً سيتوجه الى موقع العمل ومعه ٣٠٠ من الخيالة و ٦ مدافع و ٣ فرق من المشاة والجنود المحليين ، وأنه كان من الواجب اتخاذ هذه الخطوة قبل ذلك لولا أن مير عبدالله زعيم جايه صرفه عنها آنذاك .

وفي نفس الوقت كانت الاخبار تتوارد عن قوات كبيرة من قبائل الرند بقيادة قواد ايرانيين في طريقها الى الموقع ، وان المواصلات بين المدينة وداخل البلاد قد انقطعت .

وفي ١٢ مارس وصلت القوات تحت إمرة شاه دوست نائباً عن ابراهيم خان ، الى بعد اربعة اميال من جوادر ونهبت عدداً كبيراً من الابل والماشية وقتلت ١٢ شخصاً ووصل الى المدينة عدد كبير من الجرحى من سكانها . الا ان العمل في خط التلغراف لم يتوقف رغم الانزعاج الذي ساد الموقف .

مطالبة ايران بجوادر وشهبار ١٨٦٣

وعند اتمام توصيل الخط الى جوادر ، كتب ابراهيم خان الى الوالي المحلي والى مستر والتون مراقب خط التلغراف في الموقع . وعند «الكلام عن مكران وبلوشستان بشكل غير محدد » بدا « أنه يحصر تهديده في امر تمديد خط التلغراف بعد جوادر » .

وعند عرض تصرفات ابراهيم خان على الحكومة الايرانية استنكرت عمله وتعهدت بارسال اوامرها اليه بألا يتعرض لعملية إنشاء الخط الا بتعليمات منها ، ولكنها ادعت ملكيتها لجوادر وشهبار وطالبت ان لا يكون لمد الخط في أي منهما أي اجحاف بحقوقها .

ويبدو ان الرد على ذلك كان يوضح ان ايران منذ أجيال لم تمارس أي حق شرقي جوادر ، وقد اتجهت النية بعد ذلك الى تمديد الخط بعد تلك النقطة بواسطة كابل تحت البحر وليس بطريق البر .

وفي اكتوبر سنة ١٨٦٣ استفسرت الوزارة الايرانية عن بيان قيل إنه أذيع بأن سلطان عمان على وشك تأجير جوادر وشهبار للحكومة البريطانية ، واحتجت مقدماً ضد أي إجراء من ذلك القبيل ، وأدعت دون اي اثبات ان الموقعين كليهما يدخلان ضمن المنطقة التي أجرتها حكومة ايران الى السلطان .

★ ★ ★

اجراءات تمديد التلغراف فى مكران ١٨٦٣ ـ ١٨٦٤

تقرير الرائد جولد سميد عن الحقوق السياسية في مكران ـ ديسمبر ١٨٦٣

في نهاية سنة ١٨٦٣ طلبت حكومة بومباي من الرائد جولد سميد أن يعد « بياناً مفصلا ليرسل الى الوزير البريطاني في طهران بواسطة وزير الدولة لشئون الهند يوضح ، طبقاً لافضل المعلومات المتجمعة ، مدى أحقية أي من ايران و قالات و مسقط او اية حكومة أجنبية في أية سيادة على مكران ، وهل ذلك مبني على أساس معاهدة او ملكية أو اعتراف من الحكام المحليين » .

وبناء على ذلك قدم الرائد جولد سميد تقريراً ذكر فيه بالنسبة لايران « اما عن أي حق لها فاني لا أعلم شيئاً عن ذلك . ولكنني أعلم انه حكم القوي على الضغيف ، وتسلط دولة كبيرة على امارة صغيرة مغمورة لكنه في الوقت ذاته قال « ان ادعاءها ملكيتها يعادل تماماً ادعاء أية حكومة أخرى أقوى من هؤلاء الزعماء الضعفاء أنفسهم الذين قهرتهم واستعبدتهم » .

كما اتضح له أنه كان لسلطان عمان حق مكتسب لا يقبل النزاع في السيادة على جوادر وشهبار . كما قال إنه لم يصل الى علمه وجود أية معاهدات ، واوصى بوقف أي امتداد لايران ضمن الحد الذي وصلت اليه مصالح الهند البريطانية .

واقترح أنه بناء على(١) طلب ايران إيجاد تسوية ودية لحدودها الشرقية الذي سبق ان رفضته الحكومة البريطانية ، وعلى الوضع السياسي في قالات الذي اعتمدته الجهات البريطانية المسئولة معها باعتبارها حكومة مستقلة ، وعلى اتفاقية خاصة بالتلغراف . فان الوقت ربما كان مناسباً لتخطيط الحدود بين ايران وبين قالات في مكران ، واقترح ان انسب خط للتحديد هو الخط من خليج جوادر الى حدود سجستان .

بعثة الرائد جولد سميد الثانية الى مكران وتقارير جديدة ورحلة الرائد بيلي ١٨٦٤

بعد ان قدم الرائد جولد سميد تقريره السابق ، اوفد مرة أخرى إلى مكران لاتمام « جمع الادلة الشفوية بالوسائل التي يراها عملية ومأمونة عن الممارسة الفعلية لحقوق السيادة على ساحل مكران ، حسب ما يمكن الحصول عليه من ذاكرة الاحياء » .

---

(١) طلب ايران المساعدة في تحديد الحدود بين ايران وافغانستان سبق ان رفضته الحكومة البريطانية في نوفمبر ١٨٦٣ بعد عامين من المباحثات .

وكانت حصيلة هذه البعثة عبارة عن ثلاثة تقارير عززت بياناته الواردة في تقريره السابق . وكان قد أكد أن تحصيل العوائد لحساب الحكومة الايرانية في داشتياري وباهو كان بدعة جديدة أحدث تاريخاً من نظيرتها في «جايه» واشار الى اغارة ايرانية على ارض تابعة «لقالات» سنة ١٨٦٢ ، حيث قتل اكثر من رجل من أسرة جنوري مدللا بذلك على أن الحالة على الحدود تحتاج الى تفهم ودراسة .

ثم قام الرائد بيلي المقيم السياسي في الخليج في اواخر عام ١٨٦٤ برحلة من بندر عباس الى جاشك براً بمناسبة موضوع التلغراف .

★ ★ ★

الحالة العامة في مكران سنة ١٨٦٤

توقع اعتداء ايراني ١٨٦٤

في سنة ١٨٦٤ رغم توقف نشاط ابراهيم خان حاكم بامبور باتجاه جوادر وشهبار ، فان سلوك الموظفين الايرانيين المحليين كان ما يزال عدوانياً . وقد كان من المتوقع ان مير عبدالله زعيم «جين» سيقوم بالاغارة على «كيج» في قالات ، وكان من المعتقد أنه كان يلقى تشجيعاً ان لم يكن وعداً بالمساعدة من حاكم عام كرمان ، وابراهيم خان في بامبور لما كان له من مطامع في تلك المنطقة .

جاشك وبيابان ١٨٦٤

وكان «مير عابدون نبي» زعيماً على جاشك وبيابان في ذلك الوقت . وكان قد استولى عليهما وعلى قلعة جاشك القديمة عند وفاة مير حسين الزعيم السابق .

وكان هذا الرجل نشيطاً وذا شخصية قوية وبذلك ثبته سلطان عمان في مركزه الذي كان قد اختله بنفسه .

جايه وداشتياري وباهو ١٨٦٤ .

وكان لزعماء جايه وداشتياري وباهو أهمية واضحة ضمن زعماء المنطقة ، ما بين جوادر وجاشك .. وكان الاخيران يكونان وحدة واحدة رغم استقلال كل منهما بحكم منطقته .

وكان مير عبدالله ما يزال زعيماً في جايه ، وكان يتقاضى ٢٠٠ روبية سنوياً من سلطان عمان لحماية شهبار

كما كان « مير دين محمد» حاكماً في داشتياري ، ومير محمد علي حاكماً في باهو وكلاهما من جادجال ، وكان اولهما يتقاضى من سلطان عمان مبلغ ٩٠٠ روبية سنوياً من يرادات شهبار ، وكان الثاني مسئولا مباشرة عن جوادر . وكانت تربطهما اواصر القرابة .

وكان «دين » متزوجاً في ذلك الوقت او ربما بعده بقليل من شقيقة مير عبدالله زعيم جايه الذي كان مسئولا امام الحكومة الايرانية عن تحصيل الايرادات في المناطق الثلاث .

أما في جوادر فقد كان دفع الايرادات الى ايران مرفوضاً نظرياً لا واقعياً ، اذ كانت الضرائب تجبي مرتين احداهما باسم حكومة ايران والثانية لحساب الزعيم المحلي

جوادر وشهبار ١٨٦٤

وفي ذلك الوقت كانت الادارة والضرائب في جوادر وشهبار تحت مباشرة مندوبين عن سلطان عمان وباسمه ولا دخل لاي موظف ايراني فيهما .

اجراءات جديدة بشأن التلغراف في مكران وموضوع الحدود بين ايران وقالات ١٨٦٥ ـ ١٨٦٨

توصيات الرائد جولد سميد ١٨٦٥

في هذه الفترة نجد ان الرائد جولد سميد قد أصبح المدير العام للتلغراف الهندي الاوروبي ، وبات يعاون الوزير البريطاني في طهران في إبرام اتفاقية بشأن التلغراف مع ايران .

وفي سنة ١٨٦٥ استشارته حكومة بومباي عن اقصى مدى يمكن الوصول اليه في توصيل خط بري غربي جوادر دون اثارة التصدي ، أو نشوء اعتراضات معقولة من جانب ايران .

وبعد توضيح الفرق الدقيق بين «التصدي» و «الأعتراضات المعقولة» قال الرائد جولد سميد إن رأيه هو أن ايران لا تجد مبرراً معقولا لمعارضة تمديد خط التلغراف براً من جوادر الى نهاية الحدود الشرقية لمقاطعة جاشك التي كان يستأجرها سلطان عمان من إيران ، ولكنه ذكر ايضاً أن مطالب إيران تشمل كل ما يقع غربي جوادر .

وقال إنه من الخير فيما يتعلق بموضوع التلغراف ، ونظراً للعلاقات الطيبة بين قالات وبريطانيا ، اجراء دراسة لتحديد الحدود بين ايران وبين قالات .

وكانت اشد العقبات في سبيل ذلك هي ما قد ينتج عن الاجراء المقترح من استياء بعض الزعماء البلوش المغمورين حيث سيجدون أنفسهم تحت النفوذ الايراني اذا تمت التسوية .

لذلك كان جولد سميد يميل الى اتخاذ إجراء تقبل ايران بمقتضاه قيام صلة مباشرة ما بين بريطانيا وبين هؤلاء الزعماء فيما يتعلق بخط التلغراف على ان يترك موضوع السيادة المطلقة دون تحديد .

رحلة الرائد جولد سميد والعقيد سميث في بلوشستان الايرانية ونتائجها ١٨٦٦

وعندما ابرمت اتفاقية التلغراف سنة ١٨٦٥ ، أصبح من حق الرائد جولد سميد أن يعود الى الهند من أي طريق يشاء مع الاخذ بعين الاعتبار ، اذا امكن ذلك ، تمديد خط التلغراف في مكران بواسطة فرع يسير في داخلية إيران .

وعلى ذلك سافر ومعه معاونه العقيد سميث من طهران الى أصفهان ثم يزد وكرمان الى نقطة تبعد عن كرمان ١٠٠ ميل من جهة الشرق ، حيث افترقا فاتخذ جولد سميد طريقه بعدئذ الى بامبور وهناك اخترق التلال إلى شهبار على الساحل ، بينما سار العقيد سميث رأساً الى بندر عباس ، ثم أبحر منها لى جاشك حيث بدأ رحلة قصيرة برية على الساحل في اتجاه الشرق .

وبوصول جولد سميد الى بامبور لقي من حفاوة ابراهيم خان وكرمه ما دل على تبديل سلوكه المعتاد نحو البريطانيين في مكران .

وكان من نتيجة هذه الرحلة الاستكشافية وضع برنامج لازدواج قسم من شبكة التلغراف الهندي الاوروبي بواسطة خط بري يصل جوادر بأصفهان عن طريق بندر عباس وكرمان ويزد ، ووضعت مسودة اتفاقية بالتشاور ما بين حكومة الهند والحكومة البريطانية استبعدت فيها الاشارة الى منطقة الحدود المتنازع عليها بين ايران وقالات ، على ان يسوى موضوعها في مفاوضات مستقلة .

مركز ايران في مكران ١٨٦٦ — ١٨٦٧

ولقد تأكدت طبيعة ومدى النفوذ الايراني في مكران أثناء رحلة الرائد جولد سميد سنة ١٨٦٦ . اذ كان « ميرزا سعيد خان » الوزير الايراني للشئون الخارجية في طهران قد أخبره فيما سبق أنه تبين للمسئولين مدى سلطة ايران الشرعية وامتدادها في مكران ، وخضوع حاكم مكران العام للدولة الايرانية .

على ان هذا الاخير وكان يلقب باسم « سردار بلوشستان» أخبر الرائد جولد سميد بصراحة ان ايران لا علاقة لها بجوادر ، وأن سلطانها على الساحل في اتجاه الغرب من ذلك الموضع كان من الضآلة بحيث لا يمكنها من اعطاء تراخيص للاجانب للنزول الى البر فيه .

ووجد الرائد جولد سميد ان منطقة الساحل « منفصلة نسبياً عن المناطق الداخلية العليا بواسطة سلسلة تلال يسكنها قبائل من البلوش وتقع شمالها مقاطعة بامبور ، ووضعها يكافىء وضع مدينة كرمان من حيث علاقتها بايران » ، بينما الوضع في المقاطعات الواقعة الى جنوبها يختلف اختلافاً كلياً ، اذ كانت بامبور تحت حكم موظفين ايرانيين ، وتعسكر فيها كتائب ايرانية نظامية وغير نظامية ، وبعض الجنود البلوش . أما في المقاطعات التي في جنوبها فقد استمر الحكم البلوشي بيد الزعماء الوراثيين الذين قبلوا السيادة الايرانية التي فرضتها حكومة طهران ، ولكن لم تصل الى بلادهم أية قوات ايرانية .

وقد ذكر ابراهيم خان حاكم بامبور للرائد جولد سميد أنه لا يستطيع أن يتعهد بحماية عمليات خط التلغراف غربي جوادر . وقد بيّن جولد سميد التفاوت في طبيعة النفوذ الايراني من مكان الى مكان كما وجده بخبراته الشخصية ..

وفي تلك الفترة كان الشيخ عبدالله زعيم قصر كاند وسارباز قد قتل ، وعند اعتراف الايرانيين بولده حاكماً على قصر كاند أعطوا سارباز الى زعيم من اسرة أخرى كانت تابعة للنفوذ الايراني ، فنشأ عن ذلك ان الطريق المباشر من بامبور الى شهبار ماراً بقصر كاند أصبح غير مأمون للمسافرين الخاضعين للحماية الايرانية ، مما اضطر الرائد جولد سميد الى السفر عن طريق فانوك . وبذلك قطع اكثر من ٢٠٠ ميل في أمن تام ولم يكن في حراسته غير موظف ايراني صغير غير مسلح ، كما كانت الحال مع مرافقيه من البلوش .

ومن مصدر آخر نجد أن مير عبدالله من «جايه» قد مارس في سنة ١٨٦٧ سلطاناً مباشراً على مقاطعات الساحل فيما بين شهبار وجاشك ،

وسلطاناً غير مباشر على المناطق الواقعة بين شهبار وحدود قالات ، وكان مكروهاً لما عرف عنه من القهر والاغتصاب .

وكذلك كان « يار محمد» وهو زعيم من هوت في باهو قالات في مقاطعة باهو قد رفض دفع الجزية لايران .

وفي نفس الوقت تقريباً كان مير عبدون نبي زعيم جاشك وبيابان قد قتل بعض أفراد من قبيلة طاهرزاي ، فسجنه نائب الحاكم الايراني في بندر عباس ، وتولى الحكم في هذه المقاطعات مير علي وهو شقيق للزعيم السابق ميز حسن وكان مير علي رجلا شيخاً ضعيفاً فلم يشعر أحد بنفوذه .

ويرى الرائد جولد سميد من المعلومات التي جمعها في رحلته سنة ١٨٦٦ أن ديزاك بما فيها جالك وسارباز وبيشين او بيشنج يجب ان تتبع ايران . وان طنب وجنوري تتبع قالات وان الحد الفاصل على الساحل يوضع عند مدخل خوزدشت في خليج جوادر .

وفي سنة ١٨٦٧ كتب الرئيس روس مساعد المعتمد السياسي في جوادر يقترح خط التحديد ماراً قرب الساحل على بعد اميال قليلة من تل درابول عند خليج جوادر ، ويبدو أن اقتراحه قد قبل

المفاوضات بشأن التلغراف في طهران ١٨٦٦ — ١٨٦٨

وفي سنة ١٨٦٦ بدأ مستر اليسون الوزير البريطاني في طهران المفاوضات بشأن امتداد خط التلغراف براً غرب جوادر وكان يساعده الرائد جولد سميد الذي كان قد عاد الى طهران

ولكن المقترحات البريطانية لم تكن بادىء الامر مقبولة لدى الشاه . ثم توقفت المحادثات عندما قام جلالته برحلة الى خراسان سنة ١٨٦٧ .

وعند عودته من مشهد استؤنفت الاجراءات في ظروف أكثر توفيقاً انتهت الى اتمام الاتفاق سنة ١٨٦٨ بعد رفض مشروع ايراني كان يتضمن الاعتراف بامتداد سلطان ايران الشرعي الى جوادر شرقاً ،

وأن تقوم ايران بانشاء الخط التلغرافي على نفقتها وبمجرد مساعدة من الضباط البريطانيين .

وفي الواقع كانت الحكومة الايرانية عازفة عن الدخول في أية ارتباطات فيها أي تشكيك في أحقيتها في مطالبها الاقليمية .. ولكن هذه العقبة أمكن أخيراً التغلب عليها بمراعاة الحكمة في نص الاتفاقية . اذ لم ترد اشارة الى خان قالات ، او سلطان عمان ، او الزعماء البلوش ، مع بساطة النص على قيام الحكومة البريطانية بانشاء وتشغيل خط تلغراف من جوادر الى نقطة بين جاشك وبندر عباس ، على أن تساعد ايران بنفوذها وخدماتها في عملية الانشاء وصيانة وحماية الخط وذلك مقابل ٣٠٠٠ تومان تدفعها الحكومة البريطانية سنوياً مقابل الترخيص الذي منحته ايران لانشاء الخط في أماكن تحت سيادتها .

وكان من الاهداف الرئيسية لايران في المفاوضات ان تتحفظ من إيجاد أية حالة قد تغري الزعماء المحليين برفض أي نفوذ لها لم تستطع فرضه عليهم ، وان يسيروا في الشئون السياسية وفق مشورة ورغبات السلطات البريطانية .

وقد تأخر ابرام الاتفاقية حتى تمكن الحصول على موافقة الشاه — ولم يكن ذلك امراً سهلا — على انشاء محطة تلغراف بريطانية على جزيرة هانجام . ولكن تمت تسوية هذا الموضوع منفصلا عن موضوع الاتفاقية وبذلك تم توقيع اتفاقية التلغراف البريطانية الايرانية سنة ١٨٦٨ في شكلها المقبول دون اي ذكر لمواضع محددة .

واستمرت الادارة الايرانية في مكران على النحو الذي كانت عليه في السنين القريبة السابقة ، ولكنها أصبحت أكثر تحديداً وتنسيقاً . فكانت جايه وقصر كاند وباهو كلها تابعة لمير عبدالله حاكم جايه الذي تولى منصب نائب حاكم بامبور الذي كان بدوره تحت إمرة وكيل الملك حاكم عام كرمان او القائم بعمله .

وكانت الجزية المفروضة بالاشتراك على داشتياري وباهو مبلغ

٥٠٠٠ روبية سنوياً ، وفي حالة عدم تسديد الاهالي للدخل المطلوب منهم وهو عادة عشر الغلة الزراعية ، كانت ترسل القوات العسكرية لنهب المقاطعات التي تفعل ذلك .. على أنه لم يسبق للسلطات الايرانية ان ادعت لنفسها حق التدخل في الشئون الادارية الداخلية .

وفي القسم الذي كان مستقلا عن قالات من اقليم مكران كانت السلطة الرئيسية في يد «فقير محمد» الذي تولى مركز نائب الحاكم في حكومة قالات . وكان مقره في كيج . اما المنطقة الساحلية ما بين شهبار وآخر الحدود الشرقية في مقاطعة جاشك فكانت معروفة في جوادر باسم قبلة .

توقع عدوان ايراني على قالات ١٨٦٨ — ١٨٦٩

وفي خريف سنة ١٨٦٨ وردت انباء من مصادر مختلفة عن حملة ايرانية بحرية تدبّر ضد كيج في اراضي قالات . ومما لا شك فيه ان ابراهيم خان حاكم بامبور كتب بذلك الى مير عبدالله زعيم جاية في هذا الصدد .

وكان الرأي السائد وقتئذ ان هناك علاقة بين هذا العمل من جانب إيران ، وبين وجود محمود خان في جايه ، وهو جشكي من كيج كان قد هرب من مكران الايرانية عندما طرد نائب خان قالات في كيج عمه الشيخ عمر من قلعة تربة .

١٨٦٨

على أنه في الواقع لم تكن هناك استعدادات عسكرية في بامبور او أي مكان آخر في مكران الايرانية ، بل ولم يكن من المحتمل تنفيذ مثل تلك الحملة ، ولكن كان من المعقول ، بمناسبة حدوث زحف ايراني على سجستان الاحتياط والاستفهام من حكومة الشاه . ولكن الوزير للشئون الخارجية أنكر في شهر نوفمبر سنة ١٨٦٨ علمه بأية نية من جانب السلطات الايرانية المحلية لغزو قالات ، ووعد ببحث الموضوع .

وحدث في ذلك الوقت ان توفي مير عبدالله زعيم جايه ، وبذلك فقد الايرانيون أعظم سند لهم في مكران .

وفي يناير سنة ١٨٦٩ أكدت الحكومة الايرانية أنه لم يحدث أي تفكير في غزو قالات « بيد أن حاكم عام كرمان سبق تخويله ، كما كان في سنوات سابقة ، ارسال قوة صغيرة ، او أن يتوجه بنفسه في اتجاه اراضي شهبار وجوادر ، وكانتا معتبرتين من ممتلكات ايران كما سبق بيان ذلك أثناء المفاوضات في الربيع الماضي بشأن خط تلغراف ساحل مكران » .

كان هذا الاسلوب على لسان وزير ايراني ، مضافاً اليه سلوك ابراهيم خان حاكم بامبور تجاه كيج في العام الماضي وما سبق ان أبداه من رغبته في زيارة خاران ، كان كل ذلك حافزاً للسير و. ميرويذار حاكم السند لان يبلغ حكومة بومباي في سنة ١٨٦٩ ضرورة تسوية موضوع الحدود الايرانية .. وفي ذات الوقت قام بالنصح لخان قالات لاتخاذ التدابير الكفيلة بتقوية حدوده الغربية .

اجراءات التلغراف البريطاني في مكران الايرانية ، البعثة الثالثة للرائد جولد سميد وتصرف حاكم بامبور الايراني ١٨٦٨ : ١٨٦٩

وبينما كانت الامور تسير على هذا النحو كانت السلطات البريطانية تتخذ خطوات لتمديد خط تلغراف مكران البري بعد جوادر وذلك بمنح هبات مالية لا تتنافى مع اتفاقية سنة ١٨٦٨ .

وفي نهاية السنة كان الرائد جولد سميد قد عاد تواً من انجلترا الى بومباي فتوجه لزيارة جوادر وأماكن أخرى على ساحل مكران ليمهد الطريق للتفاهم مع الزعماء المحليين ، ولكن نظراً لوفاة مير عبدالله حاكم جايه في الفترة القريبة السابقة ، وكان أهم شخصية من بين اولئك الزعماء ، ونظراً لتلكؤ حكومة ايران في تعيين خلف له ، فقد كان من المستحيل الدخول في مفاوضات جدية .

وفي ذات الوقت كان قد تم انشاء محطة تلغراف بريطانية في جاشك

سنة ١٨٦٨ للعمل تحت البحر فقط . وقد جاء ذكر ذلك في الملحق الخاص بالتلغراف في الخليج .

وفي فبراير سنة ١٨٦٩ عاد الرائد جولد سميد الى مكران مزوّداً بتعليمات من حكومة بومباي « بأن يتعامل مع الزعماء المحليين غرب اراضي قالات بالطريقة التي يراها الافضل عند وصوله الى المنطقة » .

وبمقتضى السلطة التي خولت له كان في استطاعته الوصول الى حل نهائي وموفق في الموضوع برمته . ثم سار وبرفقته الرئيس روس مساعد المعتمد السياسي البريطاني في جوادر ومنها الى شهبار. وفي الطريق التقى بزعماء داشتياري وباهو ، ثم توجه من شهبار بحراً الى جاشك حيث ترك الرئيس روس ليبدأ مفاوضات محلية ، وذهب هو الى جزيرة هانجام لزيارة محطة التلغراف الجديدة . وفي عودته من جاشك الى جوادر قابل في شهبار زعيم جايه الجديد او مندوبه واتفق معه على الاجراءات المطلوبة دون مشقة .

وبذلك انتهى العمل السياسي للرائد جولد سميد في مكران في شهر مارس وتم تمديد خط التلغراف في أغسطس سنة ١٨٦٩ بعد دفع هبات مالية تتصل بأمر الخط .

وكانت مقاطعة جاشك في ذلك الوقت مقسمة بين مير علي ومير عبد النبي الذي كانت السلطات الايرانية قد أطلقت سراحه ، لكنه في ذلك الوقت تولى حكم القسم الشرقي فقط من المقاطعة من جاجين الى ساديش .

اما بيابان فقد كان من الواضح أنها في حوزة مير علي .

وفي يناير سنة ١٨٦٩ وقبل زيارة الرائد جولد سميد بفترة قصيرة تسلم مساعد المعتمد السياسي في جوادر كتاباً من ابراهيم خان حاكم بامبور ذكر فيه أنه لم يتلق من حكومته إذناً بتمديد خط التلغراف الى ما بعد جوادر . وقد ازعج كتابه هذا زعيمي دشتياري وباهو فقد كانا يرفضان الدخول في مفاوضات بشأن الهبة المالية البريطانية . ولكن بعد

فترة وجيزة كتب ابراهيم خان الى الرئيس روس كتاباً رقيقاً بأنه تلقى من حكومته صورة من اتفاقية سنة ١٨٦٨ وأن العمل في خط التلغراف يمكن ان يستمر .

ولكن كلا من كتابيه الاول والثاني أثار شيئاً من الحيرة لانه «تسلم من حكومته اوامر بمساعدتنا ، وأنه يجب أن يتوجه الى منطقة الساحل وان يتأكد بنفسه أننا لدينا كل ما يلزمنا وأن زيارته « يجب ان تكون في حشد كبير من الرجال المسلحين » .

واقترح الخان اولا ان يتم لقاء بينه وبين الرائد جولد سميد في باهو .

على ان المظهر الذي صاحب وصوله ازعج الناس في المقاطعة حتى إن الرائد جولد سميد كتب اليه مرتين بأن لا ضرورة تدعو الى حضوره.. ولم يحضر فعلا الى باهو .

وقد وجد جولد سميدفي شهبار مندوباً ايرانياً يحمل اليه رغبة سيده في زيارته ، وكان وقتئذ في سارباز ، ولكن رد جولد سميد كان ينطوي على أنه لا داعي لان يتحمل سيده الخان مشقة السفر الى الساحل ولم يحضر ايضاً هذه المرة ..

وكان لعدم جضور الخان الفضل في تيسير مهمة جولد سميد في إبرام الاتفاقيات مع الزعماء المحليين ، دون الرجوع الى ابراهيم خان او الى ممثلي الحكومة الايرانية .

استمرار العدوان الايراني على قالات ١٨٦٩

وفي أثناء رحلة جولد سميد الى ساحل مكران كان ابراهيم خان يتجول في داخلية البلاد الى الشمال مبتدئاً بسرباز واخيراً في بيشين حيث كان يهدد بالاغارة على كثير من الجهات . وفي الوقت الذي انتهى فيه جولد سميد من مهمته كان من المعلوم أن الخان طلب الجزية من مير مراد زعيم طنب في قالات مدعياً أن هناك تفاهماً على ذلك بين الحكومتين الايرانية والبريطانية .

وتقع طنب قريباً من كيج ، وهي مقر ادارة قالات في مكران ويحتمل ان يكون نائب الحاكم الايراني قد طلب منها نفس المطلب .

وقد قاوم فقير محمد نائب الحاكم في كيج هذا المطلب ، واعانه على ذلك محمد خان اللاجىء الذي كان اذ ذاك في معسكره وفي نفس الوقت اتخذ نائب حاكم كيج خطوات ايجابية لمساعدة زعيم طنب .

فغادر ابراهيم خان عندئذ مكانه على حدود قالات وتوجه لزيارة شهبار على الساحل في اوائل ابريل ، وعند دخوله الى هذه المنطقة التي يملكها سلطان عمان كان يصحبه بين ١٠٠ و ٢٠٠ من الخياله . وظل في شهبار حتى نهاية الشهر ثم غادرها الى قصر كاند ومعه كل رجاله .

★ ★ ★

تسوية الحدود بين ايران وقالات ١٨٦٩ ــ ١٨٧١

تطور الموقف تطوراً جعل من المحتم تحديد الحدود بين ايران وقالات بأية طريقة ، دون الاشارة الى موضوع التلغراف الذي كانت تسويته قد تمت .

موقف الممثلين السياسيين البريطانيين من عدوان ايران على قالات ١٨٦٩ ــ ١٨٧٠

وفي المدة ما بين ديسمبر ١٨٦٩ وفبراير ١٨٧٠، ولدى وصول معلومات من الهند عن الحالة على تلك الحدود ، قام الوزير البريطاني في طهران بالضغط على الحكومة الايرانية لمنع ضباطها المحليين من الاعتداء ، وتلقى منها تأكيدات لم تكن في الواقع مرضية فعاد واوضح لها ان الحكومة الايرانية تضمر أعمالا تراها السلطات البريطانية عدواناً على الاراضي التابعة لقالات .

وبناء على تعليمات من لندن أعدتها وزارة الخارجية وأقرها مكتب الهند اتخذ مستر طومسون في شهر فبراير سنة ١٨٧٠ سبيلا أكثر شدة ، وطالب بمناسبة الاضطرابات والثورة القائمة في المقاطعات المتاخمة لحدود الهند البريطانية ، بأن توقف نهائياً عمليات الاعتداء او التهديد مما تقوم به السلطات الايرانية المحلية على حدود قالات ، .

وقد استفهم ميرزا سعيد خان وزير الخارجية الايراني عما اذا كان ذلك الطلب يحمل طابع الاقتراح الودي او أنه طلب رسمي ، وعما اذا كان هناك اتفاق في هذا الصدد يمكن الرجوع اليه ، فأجاب مستر طومسون بأن الحكومة البريطانية لا يمكنها ان تنظر الى الوضع في قالات بنظرات مختلفة ، إذ تربطها مع قالات بعض الاتفاقات ، وبأن تقدير بريطانيا للموقف يبرره قيام بعض الموظفين الايرانيين بالاعمال التي راقت لهم رغم إنكار الحكومة الايرانية ، وتنصلها من هذه الاعمال ، وأنه في هذه الظروف كان من الضروري إصدار الاوامر التي تمنع مثل تلك الاعمال التي يقوم بها المسئولون الايرانيون في المنطقة المعنية .

تكوين لجنة حدود مشتركة ١٨٧٠

وفي ابريل سنة ١٨٧٠ وفي أعقاب هذه الاعتراضات يبدو أن الشاه نفسه اقترح الاتفاق على الحدود بين ايران وقالات بمعرفة لجنة تشكل لهذا الغرض تمثل فيها كل من ايران وبريطانيا وقالات بمندوبين عن كل منها فاغتبطت الحكومة البريطانية بالاقتراح .

وفي تلك الاثناء كان الرائد جولد سميد قد عين حكماً بين ايران وافغانستان في قضية نزاع على الحدود في سجستان فتقرر تعيينه كذلك مندوباً في لجنة فصل الحدود بين ايران وقالات .

وفي شهر يوليو ظهرت بوادر تشير الى رغبة الحكومة الايرانية في الاعتراض على التنظيم الاصلي بدعوى أنه « كان على المندوبين البريطاني والايراني التوجه لرسم خريطة تبين ممتلكات ايران وممتلكات خان قالات في بوشستان بحدودهما ، ثم إحضار تلك الخريطة الى طهران » .

وأجاب المستر اليسون الوزير البريطاني على هذا رأساً بأن ذلك سينقل الموضوع من حل نهائي الى مجرد تحضيرات ابتدائية ، ولكن الحكومة الايرانية أصرت على « ان ما يقصده الشاه فيما يتعلق بتخطيط الحدود » كان يعني ان « على المندوبين الايراني والبريطاني تحضير خريطة من الموقع للتسوية المتوقعة لخط الحدود » .

وفي نفس الوقت الحت الحكومة الايرانية على ضرورة الانتهاء اولا من موضوع تخطيط حدود سجستان زعماً منها ان هذا الاجراء أكثر نفعاً من موضوع تخطيط الحدود بين ايران وقالات .

الا أن الاضطرابات الداخلية التي حدثت في ايران لم تجعل من الميسور تحقيق ذلك الامر .

تحركات القائد جولد سميد واوامره من اغسطس ١٨٧٠ الى يناير ١٨٧١

وأخيراً وبعد لاي ، تم الاتفاق على عدم تأجيل أعمال لجنة حدود ايران ــ قالات ، نظراً لتأجيل قضية سجستان . وكان القائد جولد سميد قد غادر بريطانيا في اغسطس سنة ١٨٧٠ ووصل الى طهران بعد ان غادرها الشاه للحج في كربلاء والنجف . وناب عنه في شئون الدولة « مستوفي الملك » .

بقي جولد سميد فترة في طهران واصفهان وكرمان للاشتراك في محادثات بين البعثة البريطانية ونائب الملك ، ثم وصل الى بامبور في ٢٨ يناير سنة ١٨٧١ . وكان القائد سميد قد تلقى تعليمات مفصلة من الحكومة البريطانية بشأن النزاع في سجستان ولكن في موضوع حدود قالات ــ ايران كانت حكومة الهند هي المفوضة في توجيه تصرفاته .

وكانت تعليمات حكومة الهند له في يناير سنة ١٨٧١ تقضي بأن يكون هدفه ان يضمن لقالات جميع الاماكن التابعة لحكومتها والتساهل في طلبات ايران لبسط نفوذها جهة الغرب ، وان تنضم كوهاك وبنج جور وطنب وكيج وناصر أباد وماند الى قالات ــ كما سبق ان أبدى وجهة نظره في ذلك ، بينما تضم جالك وديزاك وسارباز وبيشين لايران .

كما طلبت من جولد سميد أن يكون حريصاً جداً عند اقتراح أي خط في شمال جالك اوأن يوجل ذلك اذا استطاع ، على اساس أن أي قرار مسبق في ذلك قد يكون ضاراً بالنسبة لحدود سجستان التي سينظر فيها فيما بعد ، وان من الضروري الربط بين الموضوعين .

وأوضحت حكومة الهند كذلك ان مهمة الرئيس هاريسون المعتمد البريطاني في قالات ، والعقيد روس مساعد المعتمد في جوادر الملحقين في بعثة جولد سميد تنحصر فقط في إمداده بالبيانات التي يطلبها منهما أو تنفيذ ما يطلب عمله . وليست لهما أية صفة ذات مسئولية تعادل مسئولية جولد سميد .

وأضافت حكومة الهند انه « عند اتفاق المندوبين الثلاثة» أي جولد سميد ومندوب ايران ومندوب قالات « تحدد الحدود وفقاً لرأيهم ، فاذا اختلفوا فانها تحدد طبقاً لرأي الاغلبية » .

ولم تستطع حكومة الهند ان تقرر ما اذا كان قرار هذه اللجنة سيكون نهائياً نظراً لمحاولة حكومة ايران تعديل الاتفاق الرئيسي . وقد أحيل هذا الموضوع الاخير الى وزير الدولة لشئون الهند ، فاجاب بأن على القائد سميد أن يبلغ القرار الذي يتوصل اليه كتابة الى مندوبي ايران وقالات مع بيان الوقائع والمناقشات التي ادت الى القرار وان عليه ان ينتظر في مكان العمل نتائج اتصالهما بحكومتيهما ، كما ان عليه ان يذلل كل الاعتراضات التي قد تنشأ. فاذا لم يستطع ذلك فانه في هذه الحالة يخطر زميليه « المبعوثين الايراني والقالاتي » أن مهمته قد انتهت عند هذا الحد ويبلغ ذلك الى حكومته .

وعندما ابلغت حكومة الهند هذه التعليمات الى القائد جولد سميد رأى انه لا ضرورة للتقيد بنص الابلاغ الكتابي الى زميليه ، وانه يمكنه أن يتصرف بما يرى في ذلك الموضوع ، وأنه بعد انتهاء العمل عليه أن يتوجه الى طهران ومعه كل ما جمعه من معلومات ويتعاون مع مستر اليسون والحكومة البريطانية وحكومة الهند في وضع التسوية النهائية .

اجراءات لجنة حدود مكران ١٨٧١

في آخر يناير سنة ١٨٧١ كان القائد جولد سميد ومعه المندوب

الايراني مير معصوم خان(١) ، الذي لحق به قرب طهران في ٢٥ أكتوبر سنة ١٨٧٠ كما ذكرنا من قبل ، قد وصلا الى بامبور. وفي الوقت

(١) يجدر بنا بيان تقرير العقيد ايفان سميث رغم طوله لانه يلقى ضوء على المشاكل التى واجهت المبعوث البريطانى (ايران الشرقية ص ١٤٧ و ١٤٨ لجولد سميد) .

« ميرزا معصوم خان مواطن من أذربيجان أسمر داكن يتكلم الفرنسية بطلاقة رغم أن مراسلاته مع موظفيه كانت عادة باللغة التركية . ولم يكن ينتمي الى عائلة عريقة ولا ذا مركز رفيع وانما شغل وظيفته هذه لانه ابن أخ أو ابن عم ميرزا سعيد خان وزير خارجية ايران وكان في ذلك الوقت ذا حظوة عند الشاه . ولم تكن قدرة ميرزا معصوم خان السياسية قد وضحت حتى ذلك الحين اذ لم يكن من قبل قد شغل غير الوظائف الصغيرة . وكان قد التحق بسفارة ايران في سانت بطرسبرج في درجة من درجات صغار الملحقين ، حين تعلم اللغة الفرنسية الدارجة . كان ذكيا وعلى جانب كبير من ظرف المعاشرة مما يجعله رفيقا مسليا في السفر ما لم تكن هناك أمور يجرى بحثها ، ومع هذا فربما كان من العسير وجود رجل أقل منه صلاحية لانجاز الاعمال . كان فقيرا وكان يرى فوق كل اعتبار في مركزه هذا الذى شغله وسيلة للثراء بالرشوة والسلب ، وتحكمت هذه الرغبة في سلوكه عموما . ونظراً لضعف مركزه الاجتماعى لم يكن يشعر بالحرية أو الاستقلال في العمل هروبا من المسئولية . وكان مؤهله الوحيد للعمل السياسى هو قرابته لوزير خارجية ايران . وكانت كتاباته مجموعة من الكلمات المنمقة التى تشوه الحقائق ولا تؤدى الى فهم أى شيء مقصود . وقد اشتهر بذلك وباستعماله كلمات تحمل أكثر من مدلولين أو ثلاثة تختلف تماما عن المعنى الذى يفهم منها لاول وهلة .. وكان جاهلا تماما بطبيعة الاعمال التى توكل اليه الى حد الجهل بموقع سجستان الجغرافى . ومن العدل أن نذكر أنه في هذا الموضوع لم تكن له حتى المعرفة السطحية . ونظرا لانانيته وعجرفته كان دائما يسعى للحصول على ما ليس له بحق ، على أن الاحداث الكثيرة التى تعرض لها نتيجة لهذا الخلق ـ على قسوتها ـ لم تكن لتؤثر في شيء من طبيعته المرحة . وقد ساعده ذلك على مواجهة مواقف كثيرة ، كما جعل أمر مرافقته قبولا حتى مع العلم باحتمال تدبيره المغالطات والخداع (المقالب) . كما أن خلقه هذا أنقذ كثيرا من المواقف الحرجة ، اذا لم يكن هناك داع لاظهار الغضب على رجل لم يكن ليصدق أو يؤمن بأنك غاضب منه .

وبالاختصار فان ميرزا معصوم خان كان صديقا مخادعا ، وموظفا كثير الاحتيال ، وغير جدير بالثقة ، ومع ذلك فقد كان دائما مرحا وزميلا مسليا في السفر » .

ذاته علم ان فقير محمد عضو اللجنة عن قالات ونائب كيج ، وبصحبته الرئيس هاريسون والعقيد روس ، قد وصلوا الى قصر كاند . وقد أثار الاهتمام كثرة عدد فريق قالات وكان معسكرهم يضم حوالي ٣٠٠ رجلا الا أنه من حسن الحظ لم تكن معهم حراسة كما كان مقترحاً في وقت ما بفصيلة من خيالة السند . وقد وافق المندوب الايراني ، رغم انزعاجه، بسبب دخولهم الى بامبور. وقد كان القائد جولد سميد قد اقترح تجنب دخولهم اليها والذهاب الى مقابلتهم . ولكن وصولهم لم يكن مقبولا لدى السلطات الايرانية والقبائل المحلية ثم رحلوا ثانية بعد اقامتهم مدة ستة أيام . وكان وصولهم يشير الى ان ايران تنوي إثارة موضوع ملكيتها لبامبور .

وقد وضح منذ زمن أنه لا يتنظر ان يعاون المندوب الايراني في إيجاد حل معقول في موضوع الحدود . ويبدو ان ذلك كان بتأثير من ابراهيم خان حاكم بامبور الذي كان يخشى ان يفقد مساحات ضمها اليه في السنوات القليلة الماضية .

وادعى ميرزا معصوم خان بتدبير من طهران ان إجراءات لجنة الحدود مقصورة على بحث الحالة في كيج فقط وقد كانت في حوزة قالات ، ولكن ايران كانت تطالب بها .

وقد امتنع عن البدء بالعمل في الشمال ، فلما اقترح القائد جولد سميد ، من باب الموافقة ، البدء بالعمل في المقاطعات المجاورة للبحر فرفض معصوم خان ذلك ايضاً ، بل رفض حتى مناقشة موضوع الحدود فيما يجاور كيج ذاتها على اساس اقتراح جولد سميد . وذلك أنه بعد عرض المطالب الايرانية ، فانه من الواجب قبول النظر في أبي مطلب مقابل تتقدم به قالات .

وأخيراً أمكن اقناعه بالبدء في العمل في منطقة بيشين .. فلما اعترض المندوب البريطاني على ذهابه الى الحدود برفقة قوة ايرانية مسلحة عاد فسحب موافقته مدعياً ان حدود ايران كانت أبعد من بيشين .

وذات مرة رأى جولد سميد أن يتوجه الى جوادر حين وجد نفسه في دوامة المناقشات الفارغة ، وكان لم يتلق بعد التعليمات التي ارسلت اليه من حكومة الهند فرأى أنه يمكنه من هناك الاتصال برقياً مع طهران والهند . وطلب من الوزير البريطاني في ايران ان يعمل على ارسال الاوامر الى المندوب الايراني للحاق به هناك .

وفي الوقت نفسه ارسل الرئيس ب. لوفيت وهو أحد الرحالة ليسير أسفل خط الحدود التقريبي من الشمال الى الجنوب وان يجمع كل ما يمكن من البيانات الطبوغرافية وما الى ذلك بالنسبة للمقاطعات المتاخمة .

كان مير معصوم خان قد وعد جولد سميد قبل رحيل الأخير من بامبور يوم ١٦ فبراير أنه سيذهب الى جوادر اذا صدرت اليه تعليمات بذلك ، ولكنه في يوم ١٨ مارس بدأ يضع العقبات في طريق زيارة جوادر واقترح ان يكون اللقاء التالي في كيج .

وصل جولد سميد الى جوادر يوم ٦ مارس ، كما وصل العقيد لوفيت يوم ٢١ مارس .

ثم وصل المندوب الايراني ، عقب تسلمه الاوامر بذلك ، الى جوادر يوم ١١ ابريل ، ولكنه امتنع عن مقابلة مندوب قالات ورفض أن يستمع الى الادلة التي قدمتها سلطات قالات إثباتاً لمطالبهم . وفوق ذلك أعطى مفاهيم للتعليمات التي تلقاها تختلف عن تلك التي أخطرت بها الحكومة الايرانية مستر اليسون . فالفقرة التي تقضي باستعداده « لزيارة الاماكن اللازمة » لعمل خريطة والتعاون مع القائد جولد سميد قد فسرها عند لقائه مع العقيد ايوان سميث المساعد الشخصي للقائد جولد سميد في شهبار ، والذي كان قد سافر بحراً على المركب الحربي البريطاني «هيوروز» الى جوادر ، فسرها بأنها تعني زيارة أماكن محددة وفي الواقع رفض الذهاب الى أي مكان آخر غير كيج « وحتى كيج نفسها رفض ان يذهب اليها الا بعد اخلائها تماماً من جنود قالات قبل زيارته لها وبشرط أن يصحبه ابراهيم خان الذي كان عدوانه الدائم سبباً في مشكلة الحدود » .

وفي يوم ٢٤ ابريل ورغم التعليمات التي تلقاها من حكومته ليبقى في جوادر ، أصر على ان يتوجه الى شهبار حيث أتى سابقاً وبذلك لم يمكن اتخاذ الاجراءات المشتركة .

وتقدم مير معصوم باتهامات على غير اساس ضد جولد سميد وارسلت الوزارة الايرانية هذه الاتهامات الى البعثة البريطانية في طهران . ولكن عندما ابدت الحكومة البريطانية استياءها من ذلك الاجراء غير اللائق سحبت الحكومة الايرانية مذكرتها مع الاعتذار ، ومع ابداء تقديرها العالي للقائد جولد سميد .

وكانت التهمة الموجهة الى المندوب البريطاني هي عدم استقامته في تنفيذ مهمته وأن لسلوكه طريقة تثير الفوضى في مقاطعات الحدود الايرانية ، وبأنه أعلن عن بلاد يفترض بأنها ايرانية على أنها غير ايرانية ، وبأنه يثير القلق في نفوس الناس بالتحري عن حقوق ايران في اماكن لا نزاع على كونها ايرانية .

وربما كان هدف الحكومة الايرانية من اثارة تلك الاتهامات هو التمهيد لتأجيل اتخاذ الاجراءات في مكران الى ان يبدأ العمل اولا في موضوع سجستان .

وفي شهر مايو سنة ١٨٧١ كان القائد جولد سميد قد انتهى من جمع البيانات والمعلومات عن الحالة الفعلية في المقاطعات بين ايران وقالات ، فكلفته حكومة الهند بالتوجه الى مكران ومعه خريطة كان قد أعدها الرئيس لوفت بتعليمات منه . وبعد ان زار جولد سميد كراتشي للحصول على المزيد من الادلة التي تثبت أحقية قالات في بعض المناطق ، توجه الى العاصمة الايرانية فوصل اليها قبل وصول زميله العضو الايراني في اللجنة .

قبول حكومة ايران الحدود التي اعدها جولد سميد مع الاحتفاظ بكوهاك في سبتمبر ١٨٧١

دارت عقب ذلك مناقشات حادة طوال شهر اغسطس في طهران . ففي ذلك الشهر استقبل الشاه القائد جولد سميد مرتين في السادس ثم في العشرين منه .

ثم تحسن الوضع نوعاً ما اذ أعلن الشاه تنازله عن مطالبة ايران بكيج وجوادر يوم ١٣ اغسطس . ولكنه ابدى اهتمامه قبل الارتباط بقبول اقتراحات جولد سميد بشأن الحدود برغبته في بعض التعديلات الطفيفة والتأكيد من جانب الحكومة البريطانية بصفة عامة بأن قالات دولة مستقلة ، وان الاجراءات التي سيتم تنفيذها تتناول فقط الخان وسلالته أو بتعبير آخر ان بريطانيا ليس لها دخل مباشر في مثل تلك التسوية .

لقد كان الشك ظاهرة واضحة تسود تصرف الحكومة الايرانية في موضوع حدود قالات ، وربما لم يكن من الواضح لهم أن هدف السلطات في الهند البريطانية ليس هو المباعدة بين النفوذ الايراني وحدود الهند وانما إبعاد النفوذ الروسي الذي قد يتصل بموكب النفوذ الايراني .

وقد اشير الى ان قالات مع كونها مستقلة فهي مرتبطة بمعاهدة منذ سنة ١٨٥٤ للتعاون مع الحكومة البريطانية وبأنه لا يتفاوض مع اية دولة أجنبية الا بموافقة بريطانيا ، ويبدو ان هذا الموضوع قد حسم الامر .

وفي السادس من سبتمبر سنة ١٨٧١ ارسل وزير الخارجية الايرانية كتاباً الى مستر اليسون يقبل فيه الحدود طبقاً لمشروع القائد جولد سميد .. وفيما يلي مقتطف من نص الكتاب :

« تنفيذاً لاوامر جلالة الشاه يشرفني ان اخطركم ان الحكومة الايرانية ، رغم حقوقها التي تعتبرها ثابتة في بلوشستان ، فانها لمجرد ارضاء رغبات حكومة صاحبة الجلالة البريطانية في الوصول بهذا الموضوع الى الحل المرضي بتحديد خط للحدود ، فانها قد قبلت كتابكم والخريطة .

والحكومة الايرانية تنظر بعين الامل الى النتائج المرجوة والمصلحة الهامة التي تتوقعها من الحكومة البريطانية ازاء هذه القرار العظيم من الاستجابة والتعاون من جانب ايران . كما أنها ترقب ان ترى ما يترتب على قبولكم الحسن من خدماتكم الطيبة الودية بما لديكم من خبرة ورغبة طيبة وعلم دقيق بمزايا هذا الموضوع » .

جاء هذا في خطاب الرد على الكتاب الذي كان وجهه الوزير البريطاني والذي أوضح فيه خط الحدود المقترحة كما يلي للموافقة عليها :

« ابتداء من اقصى نقطة في الشمال او بعدها عن البحر تحد مقاطعة خيلات من الغرب مقاطعة ديزوك الايرانية الكبيرة التي تتكون من جملة مقاطعات صغيرة . ويقع في تخومها جالك وكالجان ويقع اسفلهما مقاطعة كوهاك الصغيرة وهذه مع بنج جور بما فيها باروم وتوابع أخرى تقع داخل قالات على الحدود بينما تقع بامبوشت في الجانب الايراني .

وفي أسفل بنج جور يقع داخل حدود قالات في اتجاه البحر بوليدا بما فيها زامبران وملحقات أخرى وماند ودشت . وفي داخل الحدود الايرانية تقع القرى والمناطق التابعة لسرباز وباهو دشتياري ، وحدود دشت مبينة بخط طويل يمر محترفاً تلال درابول الواقعة بين نهري باهو ودشت ويستمر الى البحر في خليج جواتور .

والخلاصة فان بنج جور وباروم وملحقات أخرى مع كوهوك وبوليدا بما فيها زامبران وملحقات أخرى وماند وطومب ونصير أباد وكنيج وجميع المقاطعات الصغيرة وملحقاتها في اتجاه الشرق ، ودشت وملحقاتها حتى البحر ، هذه الاسماء تحدد خط ممتلكات خيلات ، أي أنها جميع الاصقاع الواقعة في الشرق من حدود الممتلكات الفعلية لايران التي تشمل ديزاك وبامبوست وسيرباز وباشين وباهو ودشتياري .

وكان قبول الشاه لخط التحديد الذي اقترحه القائد جولد سميد مقيداً بشروط تتعلق بكوهاك التي كان الشاه حريصاً جداً على ضمها لايران .

ويبدو ان جولد سميد لم يجد أثراً لسيادة أي من ايران او قالات على كوهاك . ولو ان الامر كان متروكاً له لاعتبرها منطقة محايده ومستقلة ، لكنه كان مقيداً بالتعليمات الصريحة من حكومة الهند التي تقضي أنه « في حالة عدم استطاعة الحكومة الايرانية المطالبة بامتداد حدودها الى الشرق من كوهاك فان خط التحديد يجب ان يمر في غربها » .

وبذلك فقد إلقى المندوب البريطاني على ايران مسئوليةالاثبات . ونظراً لانها لم تتمكن من اثبات ذلك قرر ضم كوهاك الى قالات .

وقد رأت حكومة ايران ان لندن هي أفضل مكان لمحادثات جديدة بشأن موضوع كوهاك بزعم ان حكومة بريطانيا كانت أكثر ليناً في صالح ايران من حكومة الهند ، فتقدم وزير ايران في بريطانيا بمذكرة في هذا الصدد .

« واسمحوا لي يا صاحب السعادة بأن لا أخفي عليكم بأنه في غير حالة واحدة ، رأت حكومة صاحب الجلالة الامبراطورية ، بالنسبة لمواضيع معينة بأن حكومة الهند تصر من جهتها بما يشبه املاء ارادتها على حكومة صديقة ، وان هذا لا يشجع العلاقات التي لا يتوقف تتبعها بكل قوة بغية تقوية الروابط الطيبة لتوطيد صداقة بلدينا كل يوم أكثر فأكثر »

وقد احيل هذا الموضوع في انجلترا على السير هـ. رولنسون الذي كان وزيراً لبريطانيا في ايران . فاعتبر موضوع كوهاك في حد ذاته غير ذي أهمية ورأى « انه من صالحنا ، حيث لم يكن هناك تعارض مع العدالة ، أو الحاق ضرر مادي بخان قالات تطويق جيد شاه ايران بجميل في تعديل حدود مكران لصالحه » .

وأخيراً عدل خط الحد الغربي لقالات استجابة لرغبة جلالة الشاه ليمر شرق كوهاك . ولكن لم يذكر شيء « عن الوضع في الحدود الايرانية » فلم يحدد وضع كوهاك هل هي مستقلة أو من ممتلكات ايران ، فاحتلتها القوات الايرانية سنة ١٨٧٤ .

لجنة فرعية او لجنة تحديد ١٨٧٢

وكتب الوزير البريطاني في ايران خطاباً يطلب به موافقة الشاه على خط التحديد الذي أشار به القائد جولد سميد ، واقترح تعيين لجنة فرعية لتخطيط الحدود الفعلية على الطبيعة .

وفيما يلي نص الاقتراح :

ان كاتب هذه الرسالة يقترح ، مع موافقة الحكومة الايرانية وبقصد ايجاد مرجع في المستقبل لاثبات معالم الحدود ، ان يستعين بخدمات ضابط مهندس انجليزي من ذوي الخبرة مع ضابط من قبل الحكومة الايرانية وضابط من حكومة قالات لوضع ادق علامات التحديد والمعالم لخط الحدود الفعلية وفقاً للوصف الموضح آنفاً ولعمل بيانات دقيقة عنه لتسجيلها .

وعلى هذه اللجنة ان تجتمع في أقرب وقت ممكن في خليج جواتور . ثم تتجه الى أعلى من آخر نقطة في الحدود بين نهري باهو ودشت الى جالك او ما يجاورها ، ثم تقدم خلاصة عملها على هيئة خريطة الى ممثل الحكومة البريطانية والى الحكومة الايرانية في طهران » .

وبعد موافقة الحكومة الايرانية على هذا الاقتراح انتدب الرئيس . سانت جون القائم بعمل مدير التلغراف الانجليزي الايراني ليقوم بتحديد الحدود من قبل الحكومة البريطانية . وكان قبل ذلك مرشحاً في سنة ١٨٧٠ للقيام بعمل المساعد الفني للقائد جولد سميد لولا أن ظروف العمل لم تسمح بذلك .

أما العضو الايراني فقد كان شاباً يدعى ميرزا . أشرف على « سرهنج » وكانت له دراية بالخرائط والرسم ولكنه كان قنوعاً بعمل نسخة من نتائج أعمال الرئيس سانت جون المساحية واتباعها .

أما مندوب قالات فلم يظهر على مسرح العمل .

بدأ سانت جون من خليج جوادر يوم ٢٢ يناير ووصل جالك يوم ١٣ مارس سنة ١٨٧٢ . وأعماله ليست من الموضوعات التي يتناولها هذا الكتاب . ولكن يجدر بنا أن نذكر ما كتبه في وصف ابراهيم خان حاكم بامبور الذي حاز الآن على لقب « سارتيب » .

« ان الحاكم الجبار الذي يحكم بام ونارماشير وبلوشستان ، رجل قصير وغليظ لا يستطاع تحديد عمره الا أنه بين الخامسة والاربعين وبين الستين ، له عينان صغيرتان حادتان وذقن كبيرة مصبوغة . وهو

يتكلم الايرانية في لكنة اهل الجنوب ويستعمل اصطلاحات ريفية لا يدركها الذين لم يتعودوا الا محادثة المثقفين .

وقد ساعدتني خبرتي خلال زيارة مناطق متطرفة في فارس على أن أسايره في الحديث الذي كان لا يدور الا في الامور العامة وفي الاسلحة النارية ، وكان يتحدث عن بنادقنا التي تعبأ من اسفلها معترضاً على صعوبة الحصول على ذخيرتها .

ولم يكن في ملامحه ولا في حديثه ما يدل على الشخصية الممتازة التي يجب ان تكون من صفاته ، ليس فقط لانه وصل الى مركزه الحالي بمحض جدارته دون ان يسعفه مال او دخل ، بل لانه أخضع بلداً من أشد بلاد آسيا شغباً حتى سادها النظام والهدوء لا قياساً على بلاده فقط ولكن قياساً ايضاً على بلاد أخرى في الشرق الاقصى . وما أسعد حظ شعبه وشعبنا في حدود السند لو أن عظمة خودداد قالات كان له مثل رأس ابراهيم خان على كتفيه (١) » .

---

(١) من كتاب جولد سميد « ايران الشرقية » ص ٧٧ و ٧٨ · وفي نفس الكتاب في صحائف ٢٠٠ ـ ٢٠٧ ، نجد في تقرير الرئيس ايوان سميث عن ابراهيم خان « هذا الزعيم الشهير ـ مع ظلمه الغاشم واستبداده في هذه المناطق ـ كان رجلا قصيرا يجلس القرفصاء بدينا مستديرا ذا عينين نفاذتين وذقن طويلة حريرية · ربما كان في سن الخمسين ، ولكنه كان يبدو أنضر شبابا نظرا للصبغة السوداء التى صبغت شعره · ورغم حيويته وخفة روحه فقليلا ماكان يبدأ الحديث · كان من العسير أن نفهم لغته الفارسية اذ كان بها خليط من لغة البلوش · وكان يتحدث بسرعة وفي نفس الوقت لا ينطق كلماته كاملة » ·

انضمام شهبار الى ايران سنة ١٨٧٢

ليس هذا مجال تفصيل الظروف التي استولى فيها سارتيب ابراهيم خان حاكم بامبور في فبراير سنة ١٨٧٢ على شهبار وبذلك أصبحت جزءً ثابتاً من الممتلكات الايرانية ، فان ذلك سيفصل في ملحق للفصل الخاص بتاريخ سلطنة عمان حيث وضعها الصحيح ، اذ أن شهبار كانت وقت احتلالها تابعة لمسقط ، وكان فقدها يرجع الى حد كبير للنزاع القائم وقتئذ بين افراد الاسرة الحاكمة في عمان .

وفي الفترة التالية لضم شهبار الى ايران قليلا ما كانت الانظار الخارجية تتجه الى الاحوال في مكران الايرانية والى انتهاء حكم ناصر الدين شاه ، فقد كانت ذات طابع محلي كما تشير الى ذلك التقارير الواردة من هذه المنطقة .

★ ★ ★

الادارة الايرانية العامة ١٨٧٢ ـ ١٨٩٦

حكم كرمان ١٨٨٠ ــ ١٨٩١

في الفترة ما بين ١٨٨٠ و ١٨٩١ وربما بعد ذلك ، كان الامير ناصر الدولة حاكماً عاماً على كرمان التي كانت تضم بامبور ومعها مكران الايرانية . وقد قام الامير الحاكم الذي كان يلقب في السنوات الاخيرة بلقب فارمان فارما برحلة الى شهبار سنة ١٨٨٣ . ويبدو أن حكمه كان قوياً رغم خروج بعض الزعماء المحليين أحياناً عن الولاء . ومن الاحداث الهامة له ما حدث في سنة ١٨٩١ حين قبض غيلة على بعض القادة من رجال القبائل المختلفة . فقد أمر الامير بقتلهم بوسائل مختلفة منها اطلاق بعضهم من فوهة المدافع

الحكم في بامبور ١٨٨٢ ــ ١٨٩٦

أقصي سارتيب ابراهيم خان عن حكم بامبور في مايو سنة ١٨٨٢ أو

حول ذلك التاريخ وكان قد شغل هذا المنصب بجدارة وامتياز مدة قد تزيد على العشرين عاماً . وقد كان لاقصائه علاقة بما اشارت به البعثة البريطانية في طهران ، وقد خلفه والي خان . وفي ربيع سنة ١٨٨٢ تولى الحكم سارتيب سليمان خان وهو ايراني .

وفي عام ١٨٨٣ وربما ١٨٨٤ أعيد ابراهيم خان ثانية الى الحكم وعقب ذلك مباشرة وردت التقارير من كل المقاطعات التابعة له عن الظلم وعن الهجرة الجماعية بدرجة كبيرة الى مسقط والهند وغيرهما ..

وتوفي ابراهيم خان في شهر مايو سنة ١٨٨٤ وبذلك عاد كثير من المهاجرين ، الى ديارهم .

١٨٨٧ — ١٨٨٩

تولى حكم بامبور «عبدالفتاح خان» سنة ١٨٨٧ وتميز حكمه بفظائع لا نظير لها ومعظمها على يد أخيه محسن خان . وحدث في سنة ١٨٨٩ ، وكان الشاه في اوروبا ، ان اشتد جداً غضب قبائل البلوش من سلوكه حتى ثار عليه معظم الزعماء وحاصروه في قلعة قرب بامبور ، فلما وقع في أيدي الثوار خلعه نائب الشاه أمين الملك بناء على معلومات تلقاها من البعثة البريطانية ، ووضع في السجن بصفة موقتة في كرمان .

وظل الزعماء المتمردون على ولائهم لبامبور بناء على المشورة الودية التي أبدتها لهم السلطات البريطانية المحلية .

١٨٩٠ — ١٨٩٧

وخلف الحاكم المعزول في حكم بامبور زين العابدين خان الذي يبدو أنه أسهم في إسقاط «عبد الفتح خان» واستمر في الحكم حتى سنة ١٨٩٧ .

أحوال مقاطعتي جاشك وبيابان ١٨٧٢ ـ ١٨٩٦

الادارة الايرانية في جاشك وبيابان ١٨٨٤ ـ ١٨٩٠

عند انشاء منصب المسئول الاداري عن مواني الخليج حوالي سنة ١٨٨٧ انتقلت جاشك وجميع توابعها من سلطة حاكم عام كرمان الى سلطة حاكم مواني الخليج ، ولكن لا يمكن تحديد تاريخ ذلك الاجراء .

وقبل ذلك يبدو ان بيابان كانت قد فصلت سنة ١٨٨٤ عن جاشك مؤقتاً ، ويبدو انها كانت في العادة من توابعها واعطيت للمدعو السيد نسيم .

١٨٨٦ ـ ١٨٨٧

وفي سنة ١٨٨٦ عين نصر الله خان وهو نائب حاكم ايراني ، حاكماً على جاشك . وتتميز هذه الفترة القصيرة بابتداء السلطات الايرانية في الخليج في إثبات سلطانها .

وفي صيف سنة ١٨٨٧ وصلت الى جاشك من رودبار قوة مكونة من مئة جندي ايراني بقيادة محمد كاظم . وكان من المزمع بقاء نصف هذه القوة بصفة حامية دائمة ولكن عقبات شديدة خاصة بتموينها حالت دون تنفيذ ذلك فأعيدت ثانية وحل محلها حراس محليون .

وفي أكتوبر سنة ١٨٨٧ وقعت أضرار متعمدة للتلغراف البريطاني في منطقة مجاورة لجاشك ، ولكن يظهر أن المانع لذلك كان عداء الاهالي المحليين للسلطات الايرانية الجديدة ليس إلا .

وفي نفس هذه السنة أسرت السلطات الايرانية مير عبد النبي ومير علي وكانا قد تقاسما جاشك فيما بينهما وارسلتهما الى طهران . ويبدو أن صداقتهما غير المعلنة للسلطات البريطانية كانت السبب في هذه المعاملة القاسية ، ثم أطلق سراح مير علي في يناير سنة ١٨٨٨ واستمر مير عبدالنبي في السجن في بوشهر وبندر عباس مدة عامين بعد ذلك .

١٨٨٨

وكان ملك التجار قد امتد نفوذه في ظل حكومة امين السلطان من عربستان الى مكران . وفي فبراير سنة ١٨٨٨ زار جاشك مع قوات ايرانية ورفعوا العلم الايراني وأدوا له التحية . وقد كان هذا الحفل بمثابة إتمام مراسيم انضمام جاشك الى مواني الخليج .

١٨٨٩ — ١٨٩٠

وفي فبراير سنة ١٨٨٩ ، وكان من المؤكد ضم جاشك الى منطقة نفوذ بوشهر ، زار سعد الملك حاكم مواني الخليج جاشك على ظهر السفينة الحربية « برسيبوليس » وكان برفقته مير عبد النبي ، ولكن لم يسمح له بالنزول الى البر . وفي نفس الوقت وضعت فصيلة من عشرين جندياً ايرانياً في جاشك .

وقد قيل آنذاك إنه قد طلب من مير عبد النبي ان يدفع مبلغ ٤٠٠٠ قران وان يتعهد بحسن السلوك في المستقبل ، ثم أطلق سراحه في سنة ١٨٩٠ بعد أداء المطلوب منه .

١٨٩٣ — ١٨٩٤

وفي سنة ١٨٩٣ او ١٨٩٤ حدث عراك بين بعض الصيادين في جاشك يؤيدهم جمهور الاهالي وبين القوات الايرانية ، فحاصر الاهالي تلك القوات في القلعة . وعندما وعد مساعد مشرف التلغراف البريطاني بابلاغ الامر الى السلطات العليا انصرف الصيادون ومؤيدوهم . ونتج عن تقرير الموظف البريطاني عزل نائب المدير الايراني غلام رضا بيج وحل محله ضابط عسكري ايراني .

التاريخ المحلي لجاشك وبيابان ١٨٩١ — ١٨٩٦

في يوليو سنة ١٨٩١ بدأ مير عبد النبي أحد زعماء جاشك وبيابان في فرض ضرائب غير عادية على الحبوب والتمور بدعوى أن محصل العوائد في المقاطعة لم تدفع له مستحقاته ، فارسل حاكم مواني الخليج نائبي شامل وميناب الى جاشك مع قوة قيل إنها بلغت ٢٠٠٠ جندي مسلح

لاسره ولاسترداده العوائد الا أن هذه الحملة لم توفق . وبعد مغادرة مير عبد النبي لجاشك وضعت هذه تحت إمرة نائب الحاكم الايراني لبندر عباس . وفي يناير سنة ١٨٩٢ ظهر مير عبد النبي ثانية في المقاطعة وعزل وكلاء نائب حاكم بندر عباس بعد معارك متفرقة وعاد الى جمع الضرائب رغم أنف الجمهور خصوصاً في مقاطعة بيابان التي اسندتها السلطات الايرانية الى مير حاجي ابن ألد خصوم مير يوسف عبد النبي في تلك المنطقة .

وفي أغسطس سنة ١٨٩٣ هاجم مير عبد النبي بالتعاون مع الشيخ حسن نائب ضابط ميناب قبيلة طاهرزاي الصغيرة في خوتاك بقوات كبيرة من سوراج . وكانت الخسائر طفيفة في الجانبين ودفعت القبيلة ٤٠٠ تومان لقاء العفو عنها والاذن لها بالاقامة في خوتاك واخيراً نزحت الى باشاكارد .

وفي سنة ١٨٩٤ حدثت اضطرابات شديدة في المناطق المجاورة لجاشك عقب موت مير علي حاكم جاشك وبيابان ، اذ قتله رمياً بالرصاص بعض أتباع مير عبدالنبي في معركة نشبت بشأن الجمال . ثم التجأ كل من الفريقين الى سلطات التلغراف البريطاني في جاشك فطلب فريق مير علي الحصول على أسلحة .

وأمرت السلطات الايرانية بالقبض على مير عبدالنبي ، لكن ذلك لم يكن ممكناً ثم استدعي الزعماء المتنازعون الى بندر عباس . وفي الطريق اليها حدث اعتداء على مير عبد النبي وقتل عدد كبير من الرجال في القتال ، فرفض مير عبد النبي الاستمرار في طريقه .

عند ذلك أعلن الرسميون الايرانيون عزله عن الحكم في جاشك وتدعيم مركز مير حاجي الذي كان قد انتزع الحكم في بيابان ، ولكن يبدو أن هذا الاجراء كان اسمياً او في أحسن الاوضاع جزئياً .

وفي ابريل سنة ١٨٩٥ التقى كثير من القواد البلوش في جاشك مع أعداد كبيرة من أتباعهم ، وطالبوا بتعيين زعيم مسئول على مقاطعة

جاشك بأكملها . وفي باديء الامر حدثت بعض الاضطرابات ولكنها هدأت بعد التأكيد لهم بأنه مهما حدث من أمر فان رغبتهم ستكون موضع عناية الحاكم في جاشك .

ولم ترد انباء بعد ذلك عن مير عبدالنبي الى ان توفي في ديسمبر سنة ١٨٩٥ ثم خلفه ولده « مير مصطفى » .

★ ★ ★

المصالح البريطانية في جاشك ١٨٧٢ ـ ١٨٩٦

منذ انشاء محطة التلغراف البريطانية في جاشك بعد سنة ١٨٦٨ ونظراً لوجود قوات هندية لحراستها منذ سنة ١٨٧٨ الى ١٨٨٧ وقعت أحداث بين الفينة والفينة تتعلق بالمصالح البريطانية .

قضية السباهي

ففي شهر مايو سنة ١٨٨٤ أطلق رجلان من الاهالي النار على خمسة جنود من الحرس العسكري «السباهي» عند سيرهم في الخارج وسلبوهم بعض نقودهم .

وقد استطاع مستر سيلي مساعد المراقب المسئول عن جاشك ، الحصول على قسم من تلك النقود بمساعدة أحد كتاب المير عبد النبي الذي كان غائباً في ذلك الوقت . وعند عودته دفع باقي المبلغ .

الاتفاقية البريطانية الايرانية الخاصة بحدود وسلطة محطة التلغراف البريطانية في جاشك ٢٥ فبراير ١٨٨٧

في سنة ١٨٨٦ نشأت بعض المتاعب من جراء كيفية ممارسة بعض الموظفين الايرانيين لسلطتهم في محطة التلغراف البريطانية في جاشك . وبدراسة الاحداث السابقة ، وبعد افتتاح المحطة بفترة صغيرة وعقب حصول بعض مضايقات من رجال قبائل البلوش وزعمائهم ، تم الاتفاق بين الدوائر السياسية البريطانية وحاجي أحمد خان ، وكان عندئذ نائب

الحاكم في بندر عباس ، بعد ان قامت لجنة من الضباط الايرانيين بدراسة المكان ، تم الاتفاق على تحديد خط يبدأ من الخليج على الجانب الغربي من شبه الجزيرة الى البحر في الشرق لتحديد موقع المحطة وتقرر أن لا يتدخل الزعماء في منطقتها ولا تفرض جمارك مستقبلا .

الا أن هذا الاتفاق المحلي انتهك في سنة ١٨٨٦ بوصول نصر الله خان نائب الحاكم الجديد الذي اتخذ مكاناً له داخل المحطة وبدأ تحصيل جمارك على مواد التموين التي كان يوردها موظفو التلغراف لاستهلاكهم الشخصي ولاتباعهم ، والا عاملهم بالغلظة .

كما بدأ الاهالي ايضاً في زراعة النخيل حول المحطة ، وكان الماء اللازم لها قليلا جداً ، ولكن معظم هذه الاشجار ازيل بناء على طلب المقيم السياسي .

وفي هذه الفترة أجرت البعثة البريطانية في طهران اتصالات للحصول على ترخيص خاص بالسكة الحديد . ولكن الشاه امتنع عن منح مثل ذلك الترخيص نظراً لورود تقارير مثيرة من تاجر فرنسي دساس عن الفصيلة العسكرية الهندية في جاشك وعن الوضع البريطاني فيها بصفة عامة . ثم تقرر تنفيذ بعض الاجراءات النظامية بشأن محطة التلغراف . وانتهى الامر الى ان تسحب السلطات البريطانية الحرس العسكري الهندي وان تبعد الحكومة الايرانية نصر الله خان ، وان تبرم اتفاقية خاصة بحدود المحطة وما لها من حصانة .

وفي ٢٥ فبراير سنة ١٨٨٧ أبرمت الاتفاقية ، وكان أهم شروطها أن لا يمارس الموظفون الايرانيون أي سلطان داخل حدود المحطة . وقد بينت الاتفاقية هذه الحدود بقولها إنه يلزم حماية البئر والطريق ومجرى الماء الواصل الى المحطة من اي تدخل ، وشروط أخرى منها أن مبنى الجمرك والمباني الاخرى ستقوم الحكومة الايرانية بانشائها خارج المحطة في موقع يحدد محلياً ، وان يعفى موظفو المحطة وأتباعهم كالخدم من الرسوم الجمركية على أن لا يشمل هذا الامتياز أصحاب المحلات التجارية داخل المحطة وأن لا تفرض أية رسوم على الامدادات الواصلة

للمحطة من داخلية البلاد اذا كانت لاستهلاك موظفي التلغراف . وأخيراً ان حق الالتجاء والحماية من السلطات الايرانية المحلية لا يستطيع موظفو التلغراف منحه للرعايا الايرانيين المحليين فيما عدا الاشخاص العاملين فعلا في خدمتهم .

وفي ابريل سنة ١٨٨٧ أبعد نصر الله خان من جاشك بناء على التفاهم الذي سبق الاتفاقية وخلفه هدايت خان نائباً للحاكم ، وهو شخصية بارزة مسالمة . الا أنه ما لبث بعد قليل ان دخل محله ميرزا علي خان وهو موظف له نفس الصفات .

وقد سحبت الفصيلة الهندية ، وكان من المقترح اولا استبدالها بعشرين رجلا من الشرطة الهندية ، ولكن أخيراً تم استخدام حراس محليين .

ويجدر بالملاحظة ان حدود المحطة كما نفذت فيما بعد لم تكن مطابقة(١) تماماً من كل الوجوه لما هو وارد في الاتفاقية ، ولكن هذه الفروق كانت بطبيعة الحال بموافقة السلطات الايرانية المحلية ولم ينشأ عنها أي نزاع لا في ذلك الوقت ولا فيما بعده .

السلطة في المحطة بحكم الاتفاقية ١٨٨٩

في سنة ١٨٨٩ بعد مبارحة سعد الملك حاكم موانى الخليج لجاشك ، حدث ان اعتدي على زوجة أحد البحارة العاملين في محطة التلغراف واخذت الى منزل نائب الحاكم حيث عوملت ، كما قيل ، معاملة سيئة . وكان الدافع لذلك خصومة قامت بينها وبين زوجة كاتب نائب الحاكم وكان هو الآخر يقيم داخل المحطة فدرات بشأن هذه القضية مراسلات بين المقيم السياسي في بوشهر والوزير البريطاني في طهران . ولكن المقيم

(١) أنظر كتاب « المعاهدات » بقلم اتشسن الطبعة الرابعة جزء ١٢ الصفحتين ٩٦ ، ٩٧ . والجزء الثانى من هذا الكتاب (الدليل) بعنوان « جاشك الجديدة » . ويتضح من هذا الاخير أن الاتجاهات الواردة بالاتفاقية عن الحدود لم يمكن ــ في جزء منها على الاقل ــ أن تتفق مع المسافات الفعلية في الموقع .

الرائد روس أشار الى ان الموظفين البريطانيين لا يمكنهم المطالبة بالسلطة الشرعية على الرعايا الايرانيين طبقاً لاتفاقية سنة ١٨٨٧ . وبذلك تمت الموافقة على اسقاط القضية حتى لا يثير أمر سوء معاملة المرأة مناقشات غير مستحبة :

★ ★ ★

أحوال المقاطعات شرقي جاشك
١٨٧٢ ـ ١٨٩٦

لا توجد سوى معلومات متناثرة فيما يتعلق بالاحداث في المقاطعات الواقعة شرقي جاشك في المدة التي تلت وضع يد ايران على شهبار ، وهذه الاحداث ذاتها مضطربة وليس لها أهمية خاصة .

١٨٨١

أول شيء نجده جديراً بالذكر في سنة ١٨٨١ عن جايه بما فيها المنطقة الساحلية المعروفة باسم قبله ، هو انها كانت في قبضة زعيم يدعى مير هوتي. وقصر كاند ، وكانت سرباز ملحقة بها ، ويحكمها مير مولاداد . وداشتياري ،وتشمل الآن شهبار ، ويحكمها مير دين محمد. وبابو ويحكمها مير محمد علي .

وكان الامر الظاهر في الوضع السياسي هو العداء المستحكم بين مير دين محمد داشتياري والسردار حسين خان ، وهو رجل ذو نفوذ في جايه ويؤيده سارتيب ابراهيم خان حاكم بامبور اذ كان ضابطاً معه عند احتلال شهبار .

كان للسردار حسين خان شقيق يدعى شاكار خان ، وهو رجل ذو شأن يقيم في فانوك . وكان مير مولاداد في قصر كاند قد تزوج كريمة مير دين محمد وبذلك أصبح من زمرته . وعلى ذلك فقد كان هناك عداء بين حسين خان ومولاداد ايضاً .

١٨٨١ – ١٨٨٢

كان سارتيب ابراهيم خان يضمر الحقد على مير دين محمد اذ فشل مرة في أسره واغتصاب امواله ، وكثيراً ما كان يعمل ذلك مع الزعماء المحليين . ونتيجة لهذا الحقد حرص السردار حسين خان على غزو داشتياري فقام بذلك دون تأخير ، فلم يجد مير دين محمد بدأ من الهرب للنجاة .

وكان عبدالله خان نجل دين مير محمد على خلاف مع والده ولم يكن يجد ما يعيش عليه ، ولذلك فقد ساعد السردار حسين خان في المعركة ضد أبيه كما أنه أشار اليه عن القوم الذين يستطيع ان يعتصر أموالهم .

وعند عودة حسين خان عين عبد الله خان ليكون نائب الحاكم في شهبار . ولكنه عجز عن حفظ الامن في المدينة وضواحيها ، فظلم وتعسف وفرض اتاوات غير معقولة خصوصاً على التجار الهنود البريطانيين .

وعندما غادر السردار حسين خان هذه المنطقة عاد مير دين محمد الى داشتياري وتولى مركزه زعيماً غير منازع . وفي الوقت ذاته اختفى عبدالله خان من شهبار .

ولما كان بعض الرعايا البريطانيين الهنود ضمن الضحايا الذين سلبهم حسين خان فقد نتج عن الاغارة على داشتياري تدخل من جانب الوزير البريطاني في طهران مما أدى الى إبعاد سارتيب ابراهيم خان بصفة موقتة سنة ١٨٨٢ عن حكم بامبور ، ونقل الى وظيفة حاكم رودبار وباشاكارد وقيل ان السردار حسين اودع السجن مع تكليفه باصلاح ما أفسده .

أما سبب الغزو فقد كان بدعوى ، وربما بحق ، علم دفع مير دين محمد الدخل المفروض عليه للحكومة الايرانية .

١٨٨٢

حدث في سنة ١٨٨٢ ان عجز مير محمد علي حاكم باهو عن سداد

الـ ٥٠٠٠ روبية المطلوبة منه سنوياً ، ولم يستطع ان يجمع سوى ٤٠٠٠ روبية . وحاول ان يحصل على موافقة على خفض المبلغ فلم يوفق رغم زيارته الشخصية لبامبور ، وعلى ذلك استقال وذهب للاقامة في جواتر . فحضر مير مولاداد من قصر كاند الى باهو ، وبمساعدة أعظم خان ، شقيق محمد علي ، جمع مبلغاً كبيراً من الاهالي وعاد الى قصر كاند وبرفقته أعظم خان .

وكان قد وعد اعظم خان بتوليته حكم باهو ، لكنه عجز عن تنفيذ وعده ، اذ أغار تشين خان ، وهو خال أعظم خان ، على مقاطعته وأسره وسلب منه الأموال التي جاء بها من باهو .

وبعد ان دفع مير مولاداد غرامة كبيرة أطلق سراحه ، وقد ساهم صهره مير دين محمد فيها بمبلغ ١٠٠٠ روبية .

١٨٨٣

وفي سنة ١٨٨٣ كان حسين خان ما يزال حاكماً على قصر كاند التي اغتصبها من مولاداد . وقد وُقِّعت غرامة ٦٠٠٠ تومان بأمر من الامير حاكم كرمان على مير دين محمد عقوبةً له لانه سمح للرعايا الهنود البريطانيين في داشتياري وشهبار بالشكوى من ابتزاز حسين خان وعبد الله خان لهم في سنة ١٨٨١ .

وبناء على طلب الزعيم رفع المقيم في الخليج الامر الى البعثة البريطانية في طهران ، ولكن قبل أعفائه (مير دين محمد) أجبر على تسليم اثنين من اولاده كرهينتين ، وان يقدم ضماناً لدفع الغرامة من سردار حسين خان حاكم قصر كاند ومير هوتي حاكم جايه . ولكي يتمكن من جمع الغرامة المفروضة عليه اضطر الى القيام برحلة استجداء الى مسقط والى السند .

كانت باهو في تلك الآونة مهجورة من السكان تقريباً نظراً لاغتصاب الاموال وندرة المطر وانهيار جسر كان يعول عليه في ري المقاطعة . وكان الامير ناصر الدولة قد وعد أثناء زيارته لشهبار بإنقاص المبلغ المقرر عليها .

كذلك كان يقوم عداء بين مير محمد علي حاكم باهو ومير دين محمد حاكم داشتياري حيث كان الاخير ينازع الاول على جواتر . وقد اقنع مير محمد علي العقيد موكلر بالذهاب معه الى الامير الحاكم ليوضح له ان جواتر تتبع باهو منذ عشر سنوات على الاقل .

ولكن الامير لم يلق بالا الى وساطة العقيد موكلر . وعلى الفور عين عبدي خان ، وهو نجل مير دين محمد مسئولا عن جواتر .

وكانت الضريبة المفروضة على داشتياري وباهو بالاشتراك معاً ، مبلغ ٥٠٠٠ روبية في السنة ولكنها رفعت الى ١٥,٠٠٠ روبية على اعتبار ان ضريبة داشتياري ١٠,٠٠٠ روبية ، وضريبة باهو ٥٠٠٠ روبية ويجب ان لا يغيب عن البال ان الجمارك قد امتصت دخل زعيم داشتياري.

١٨٧٦

كانت الحالة في باهو سنة ١٨٨٦ تدعو الى الاسى اذ فرض مير محمد على الناس ضرائب باهظة بضغط من السلطات الايرانية ، فنزح معظم سكان جواتر الى منطقة قالات .

١٨٨٧

وكان مير دين محمد ما زال يحكم داشتياري في السنة التالية ، وكان مير مولاداد قد استعاد قصر كاند من السردار حسين خان . وفي جايه تولى سيد محمد الحكم في يوليو سنة ١٨٨٧ بعد وفاة والده مير هوتي وكان سكان جواتر قد عادوا اليها وبدا على المنطقة انها استعادت انتعاشها .

١٨٨٨

عزل السردار حسين خان عن زعامته على «جايه» سنة ١٨٨٨ بأمر من حاكم بامبور ، وكان السردار قد اغتصبها او عين فيها خلفاً للسيد محمد ، وكان السبب الظاهري لعزله هو عجزه عن حماية خط التلغراف البريطاني ، واعيد تنصيب السيد محمد .

١٨٩٠ — ١٨٩٧

انتزعت شهبار من قبضة مير دين محمد حاكم داشتياري وسلمت الى سردار حسين خان سنة ١٨٩٠ ، إلا أن هذا الرجل كان ضمن زعماء البلوش الذين قبض عليهم في السنة التالية بأمر من الامير حاكم كرمان بتهمة التمرد ، فاودع السجن ، واطلق ثلاثة من رجاله من فوهة المدافع بتعليمات من الامير .

١٨٩٤ — ١٨٩٦

توفي مير دين محمد حاكم داشتياري سنة ١٨٩٤ وخلفه ولده عبدي خان فنازعه في الحكم أخوه محمود خان ونشب بينهما قتال .

وفي يناير سنة ١٨٩٦ وردت أنباء بأن ٢٠٠٠ من السكان هاجروا من المقاطعة واشتكى الهنود البريطانيون من بوار تجارتهم .

★ ★ ★

المصالح البريطانية في المقاطعات شرقي جاشك ١٨٧٢ ـ ١٨٩٦

جرح بريطاني وتعويضه الرعايا الهنود في شهبار ١٨٧٢

ترد مطالبات الرعايا الهنود البريطانيين الناشئة عن الاحداث التي صاحبت احتلال الايرانيين لشهبار سنة ١٨٧٢ والتسوية الخاصة بها ، ضمن ملحق للفصل الخاص بتاريخ سلطنة عمان .

مطالبات الرعايا الهنود البريطانيين في شهبار وداشتياري ١٨٨١ — ١٨٨٣

كان كثير من الرعايا الهنود البريطانيين ضحايا للغزو الذي قام به سردار حسين خان على داشتياري ، وما تلا ذلك من سوء حكم عبدالله خان في شهبار سنة ١٨٨١ . وبناء على توسط البعثة البريطانية في طهران

انتدب موظف ايراني يدعى زين العابدين للذهاب الى مكران خصيصاً لبحث المطالبات للتعويض .

غادر هذا المندوب شهبار في اليوم الثاني والعشرين من يونيو سنة ١٨٨٢ . وقد قطع وعداً بدفع تعويضات تبلغ ٣٣٩٦ روبية في خلال ثلاثين يوماً ولكنه لم يفعل . فأصبح من اللازم تذكير الحكومة الايرانية .

وفي فبراير سنة ١٨٨٣ زار حاكم عام كرمان منطقة شهبار حيث قابل العقيد موكلر مساعد المعتمد السياسي في جوادر وعرض عليه أن تسوى القضية نظير دفع ٢٠٠٠ روبية ، فقبل العقيد موكلر هذا الحل بالنيابة عن المشتكين . الا أن الامير سحب عرضه وبارح شهبار دون تنفيذ اية تسوية . وكان مبلغ التعويض المطلوب ٣٨٤١ روبية كما جاء في تقرير العقيد موكلر . وبناء على عودة الوزير البريطاني في طهران الى مطالبة الحكومة الايرانية فقد أصدرت اوامرها الى السلطات المحلية لدفع ذلك المبلغ فاتخذت الاجراءات لتلبية تلك المطالبات ، الا أن السجلات لا تورد تحديداً لوقت وظروف تلك التسوية .

ويبدو أنه بسبب هذه القضية تعرض مير دين محمد حاكم داشتياري لغضب صاحب السمو الملكي الامير ناصر الدولة وعوقب بغرامة ٦٠٠٠ تومان كما سبق ان قدمنا .

قضية تاجر هندي بريطاني في باهو ١٨٨٣ — ١٨٨٥

وفي سبتمبر سنة ١٨٨٣ توفي تاجر هندي بريطاني يدعى خوجا علي بخش فجأة في منطقة باهو في ظروف تدعو الى الاشتباه واستولى مير عبد النبي على ممتلكاته في ذلك الوقت ، وكان من الرجال الظاهرين في المنطقة . وكان مير محمد علي الحاكم بالوراثة غائباً اذ توجه الى كرمان للاحتجاج على غزو باهو الذي قام به أخيراً مير مولاداد حاكم قصر كاند .

ورفعت المسألة الى الحكومة الايرانية في طهران وانتهت في شهر أغسطس بدفع مير عبدالنبي مبلغ ٤٠٨ روبيات لشقيق المتوفى خوجا علي بخش .

قضية هندي بريطاني في جايه حوالي ١٨٨٤

حوالي سنة ١٨٨٤ سلبت اموال رجل هندي من رعايا بريطانيا في جايه ، وكان فيما سبق هندوسياً ثم اعتنق الاسلام ليتزوج من امرأة مسلمة ، وفوق سلب أمواله فقد اسيئت معاملته ، وقد قامت السلطات المحلية بحسم الشكوى .

قضية دوشامبي ١٨٨٥

هرب عبد يدعى دوشامبي من بارج في جايه الى كراتشي في سنة ١٨٨٤ والتحق بالعمل في مركب وطني يرفع العلم البريطاني في سنة ١٨٨٥ متوجهاً من كراتشي الى بو شهر . وفي شهبار قبض عليه سيده السابق رئيس بارج وهو في قارب صغير تابع للمركب . فارسلت طلبات لاطلاق سراحه الى زعيم جايه والى حكومة ايران المركزية . واخيراً قام مير هوتي الزعيم المحلي تحت ضغط اوامر مشددة تلقاها بواسطة حاكم عام كرمان ، بارسال ولده الى شهبار لاطلاق سراح الرجل .

قضية ضارمو ١٨٨٨

وفي يناير سنة ١٨٨٨ اعتدى نائب الحاكم الايراني على ضارمو بن مول شاند ، وهو تاجر هندوسي بريطاني « وبيع وعذب وتعرض لمعاملة سيئة » ويبدو ان ذلك كان في بامبو . وتفصيل الحادث ان السلطات الايرانية كانت قد سجنت زعيم ديزاك لعدم دفع الضريبة المقررة وكان هذا الزعيم قد أقنع الهندوسي ليضمنه في الدفع بعد ان قدم اليه وثائق تمليك مزارع وطاحونة حبوب الى أجل محدد ، ثم عاد فأنكر كل شيء .

وقد حاول الموظفون الايرانيون المحليون تبرير عملهم في هذه القضية . ولكن برفع الامر الى الحكومة المركزية في طهران انتهى الموضوع سنة ١٨٨٨ بدفع مبلغ ٨٠٠٠ روبية الى ضارمو .

أوضاع بريطانيا الرسمية في مكران الايرانية
١٨٧٢ ـ ١٨٩٦

اشراف بريطاني السياسي على شئون مكران الايرانية ١٨٦٣—١٨٩٦

كان لبريطانيا اشراف سياسي على شئون مكران الايرانية من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٨٧٩ عن طريق مساعد المعتمد السياسي في جوادر، وبعد سنة ١٨٧٩ بواسطة وكيل محلي كان عادة يتلقى اوامره من مدير تلغراف الخليج في كراتشي .

ترد الامور المتعلقة بمعتمدية جوادر، نظراً لوقوعها خارج منطقة مكران الايرانية تتصل بتاريخ سلطنة عمان ضمن ملحق للفصل الخاص بهما .

فصيلة حربية بريطانية في جاشك ١٨٧٨ — ١٨٨٧

في سنة ١٨٧٧ تقرر وضع فصيلة من الحرس الحربي الهندي في جاشك لحماية محطة التلغراف ، وكانت القوة محددة باثني عشر رجلا ، ولكن كانت هناك صعوبة تتعلق بالاسكان في جاشك لم يمكن التغلب عليها الا في نهاية عام ١٨٧٨ عندما أقيمت أكواخ موقتة لهذا الغرض .

وفي سنة ١٨٧٩ عقب نقل الفرقة ٢١ من المشاة الوطنيين من باسيدو لاسباب صحية ظهرت بعد إرسالها هناك في السنة السابقة ، كما جاء في تاريخ الساحل الايراني والجزر ، زيد عدد الحرس في جاشك زيادة كبيرة عما كان مقرراً اول الامر . ثم أجريت عدة تخفيضات متوالية في قوة الحرس الخاص بالمعتمدية البريطانية في جوادر سنة ١٨٨٠ . وكانت تنقل فيها القوات الزائدة الى جاشك مما رفع الحرس الى ٩٠ رجلا من حاملي البنادق . وظلت حتى تم ترحيلها سنة ١٨٨٧ مراعاة لرغبة الشاه كما ذكرنا سابقاً .

وفي سنة ١٨٩١ تولت الاشغال العامة أمر المساكن الدائمة التي يشغلها الحرس .

اعانات التلغراف وأمور اخرى متعلقة به ١٨٦٨-١٨٩٤

رأينا من قبل ان الرائد جولد سميد كان قد انتهى من ترتيب الاتفاق مع كبار الزعماء المحليين في مكران الايرانية ، وأنهم أكدوا حمايتهم لخط التلغراف ومساعدة موظفيه وأداء بعض الخدمات اللازمة لهم .

وكانت الاعانة المخصصة لزعيم جايه(١) ثلاثة آلاف روبية في السنة ، وكانت المنطقة الواقعة في مسئوليته تمتد من شهبار الى سادايش .

وكان الاتفاق مع زعيمي داشتياري وباهو مسجلا في وثيقة واحدة وكان كل منهما يتقاضى مبلغ ١٠٠٠ روبية سنوياً ، وكانا مسئولين عن المنطقة من شهبار الى حدود قالات .

وكانت هذه الاعانات تدفع ابتداء من اول يناير سنة ١٨٦٩ على دفعات نصف سنوية . كما اتخذت إجراءات مماثلة مع زعماء جاشك . إلا أن الجعل الذي كان يدفع لهم كان أقل (٢) .

١٨٧٣

وفي سنة ١٨٧٣ قبض على ابن أخ مير عبد النبي زعيم جاشك لانه « تسلق عمود تلغراف » الا أن جماعة من البلوش حضروا واطلقوا سراحه بالقوة . فارسل مساعد المعتمد السياسي في جوادر في طلب مير عبد النبي ، ولكن لامتناعه عن التلبية اوقفت الاعانة المخصصة له موقتاً .

ولا بد أن هذا الامر كانت له أهمية لانه أدى لاستصدار اوامر من الحكومة الايرانية المركزية الى نائب الحاكم في بندر عباس لتحذير مير عبد النبي ورجاله من إلحاق أية أضرار بممتلكات التلغراف . والمحتمل أن يكون الزعيم قد حاول التملص من هذه الانذارات .

---

(١) كانت هذه الاعانة ، تدفع أولا الى أرملة المرحوم مير عبد الله .

(٢) نجد نص الاتفاقية مع داشتيارى وباهو في كتاب « المعاهدات » تأليف اتشيسون ، الطبعة الرابعة مجلد ١١ (بلوشستان) الصفحتان ٢٣٥ ، ٢٣٦ . أما اتفاقية جاشك فترد في كتاب « التاريخ الرسمى لخط تلغراف مكران ص ٩٧ » .

١٨٨١ – ١٨٨٢

كانت الانتفاضات التي تحدث في داخلية البلاد ، وأحياناً يمتد أثرها الى ساحل مكران الايرانية تثير الشكوك من وقت لآخر في هؤلاء الذين تصل اليهم اعانات التلغراف .

ففي سنة ١٨٨١ عندما أخرج مير دين محمد من داشتياري وفي السنة التالية عندما استقال مير محمد على رغم ارادته من زعامة باهو ، تقدم الذين اغتصبوا منصبيهما بطلب صرف الاعانات اليهم وهي التي كانت تصرف للزعيمين الشرعيين . ويبدو ان هذه الطلبات لم تقابل بترحاب وان هذه الاعانات لم تصرف الا الى الزعيمين المذكورين اللذين استعادا مركزيهما الوراثي بعد قليل .

١٨٨٣

وبياناً لكيفية تطبيق نظام هذه الاعانات يجدر الاشارة الى ان الاعانة الخاصة بمير هوتي زعيم جاية للنصف الاول من سنة ١٨٨٣ حجزت كوديعة ولم تصرف اليه لانه لم يتخذ خطوات لمعاقبة موسى أحد حراس التلغراف وهو من رعاياه ، وكان قد هرب ومعه مبلغ ٦٣٦ روبية من أموال حكومة الهند لم يدفع منها الا القليل ، ولانه لم يدفع مبلغ ١٤٤ روبية مستحقة من حساب خاص بالإبل سرقت من حراس خط التلغراف في منطقته .

وقد طلب من الزعيم في بادىء الامر معاقبة موسى وان يدفع باقي الاموال المفقودة قبل ان تصرف اليه الاعانة التي في الوديعة . وبعد ذلك حين ذكر ان السلطات الايرانية تضغط عليه لدفع النقود وافق المقيم على أن يدفع له مبلغ الف روبية من الدفعة المستحقة له وان تحجز الخمسمائة روبية الباقية الى أن يدبر موقفه او ان ينفذ ما طلب اليه .

١٨٨٨

وقد حاول الحاكم الايراني في بامبور في سنة ١٨٨٨ الاستيلاء لنفسه على إحدى اعانات التلغراف . ذلك أنه بعد عزل السردار حسين خان من

زعامة جايه أخطر السلطات البريطانية بذلك في شهر مايو ، وبأنه تم تعيين سيد محمد خلفاً له في جايه ومير موداد زعيم قصر كاند ، وبأنهما مكلفان بتحصيل العوائد المقررة . كما طلب أيضاً أن يرسل اليه باقي الاعانة الخاصة بزعيم جايه بيد سيد محمد . وكان هذا من أعجب الطلبات التي تلقتها الحكومة الايرانية فيما يتعلق باتفاقية سنة ١٨٨٨ التي تقضي بدفع مبلغ ثلاثة آلاف تومان سنوياً بشأن التلغراف في مكران . وقد أصر الرائد روس المقيم في الخليج على ضرورة دفع الاعانة الى زعيم المقاطعة المحلي وان لا تصرف الى الحاكم الايراني . وكان الامر العويص هو تحديد الشخص الذي يعتبر الزعيم المحلي . وبعد ان أكدت السلطات الايرانية أن سيد محمد هو الذي تعترف به زعيماً في جايه قرر المقيم البريطاني صرف الاعانة اليه .

١٨٩٤

كذلك كان الحال سنة ١٨٩٤ عندما ذكر ان مير هوتي قد عين زعيماً على جاشك بدلا من مير عبد النبي فان الاعانة التي كانت تصرف للاول تقرر صرفها لخلفه .

★ ★ ★

مظفر الدين شاه من سنة ١٨٩٦(١)
الادارة الايرانية عموما في مكران الايرانية
١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

وظيفة الحاكم العام في كرمان ١٨٩٦–١٩٠٥

استقال فارمان فارما من وظيفته (كحاكم عام لكرمان) وكانت مكران الايرانية داخلة في منطقته بعد وفاة ناصر الدين شاه مباشرة . ويبدو أن الذي خلفه هو آصف الدولة .

---

(١) يكاد يكون المرجع الوحيد لاحداث مكران الايرانية في هذه الفترة هو كتاب مستر ج٠أ٠ سالدانا (ملخص شئون مكران) سنة ١٩٠٥ و (التقارير الادارية) في المقيمية البريطانية في الخليج .

وشغل حشمت الملك هذا المركز في فترة تالية ، وفي ربيع سنة ١٩٠٢ حل مكانه علاء الملك .

الحكم في بامبور ١٨٩٦ – ١٩٠٥

كان الحكم الايراني في بامبور في يد زين العابدين الذي عين في سنة ١٨٩٠ واستمر حتى سنة ١٨٩٧ عندما عزل وحل مكانه بصفة موقتة سليمان خان . وقد كان سوء حكم زين العابدين وقسوة الضرائب الزائدة التي فرضها من الاسباب التي أدت الى تمرد عام سيأتي ذكره فيما بعد . وتعرض الرعايا البريطانيون والتلغراف البريطاني للاخطار مما اضطر المستر س. هاردنج المندوب البريطاني في طهران الى التدخل وانتهى الامر بالنسبة له باستدعائه .

وكان هاشم خان حاكماً في بامبور من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٠٢، وكان حكمه فاسداً حيث فشل في حفظ الامن والاستقرار، فخلفه مصطفى قولي خان سنتي ١٩٠٢ ، ١٩٠٣ ثم والى خان سنة ١٩٠٤ ، ثم زهاء السلطنة سنة ١٩٠٥ .

جمارك الامبراطورية الايرانية ١٩٠١ – ١٩٠٢

حاولت الجمارك الامبراطورية الايرانية إنشاء مركز لها في تانك سنة ١٩٠١ على ساحل مقاطعة جايه لكن الاهالي قاوموا ذلك وحالوا دون تنفيذه . وافتتح مركز للجمارك في جاشك الشمالية سنة ١٩٠٢ . وفي نفس السنة استلمت الحكومة الايرانية جمارك شهبار وجواثر ، وكانت فيما قبل معطاة بالتزام شبه إيجار لمتعهدين هنود .

ادارة مقاطعات مكران الايرانية وتاريخها المحلي
١٨٩٦ ــ ١٩٠٥

مقاطعة جاشك ١٨٩٦ ــ ١٩٠٥

في سنة ١٨٩٩ كان يحكم المنطقة الغربية من جاشك مير علي ، والمنطقة شرقي جاجين ، مير مصطفى بن مير عبد النبي . وفي اول مايو سنة ١٩٠٠ توفي مير علي وخلفه ولده مير هوتي الذي كان له صلة قرابة بأخوال مير مصطفى .

وفي سنة ١٩٠٤ كان مير مصطفى يستعين بشقيقه الاصغر مير بركات في الادارة الفعلية . وفي سنة ١٩٠٥ قام مير بركات برعاية مصالح عائلته في بيابان . وقد جاء ذكر الاحداث في هذه المنطقة أثناء هذه الفترة في الفصل الخاص بتاريخ ساحل ايران والجزر .

في تلك الاثناء كان قد توقف دفع جزية الاثني عشر جملا سنوياً التي كان يقدمها زعماء جاشك فيما مضى الى حاكم موانى الخليج . وواضح ان هذا التوقف حصل عقب بناء قلعة ايرانية في جاشك الجديدة وقع عبء العناية بها وصيانتها على عاتق زعمائها . كما اعفيت جاشك أيضاً من كل التزام سابق بدفع أية عوائد او ضريبة للحكومة الايرانية .

مقاطعة جايه ١٨٩٦ ــ ١٩٠٥

ويبدو ان السردار حسين خان كان زعيماً على جايه في اوائل هذه الفترة ، ولكن في سنة ١٨٩٨ نظراً لظروف سيأتي ذكر بيانها فيما بعد ، خلفه ولده سعيد خان ومير موداد حاكم قصر كاند اللذان عينتهما السلطات الايرانية بالاشتراك معاً . ولكن هذا الترتيب لم يكن في الواقع عملياً ، وبذلك أصبح سعيد خان وحده هو حاكم المقاطعة .

وفي سنة ١٨٠٢ عزل سعيد خان وتولى مكانه «مهم خان» نجل مير هوتي الذي كان فيما مضى زعيماً للمقاطعة ، غير أنه يبدو أنه بعد زيارة كرمان وقضاء عدة شهور فيها سمح له سنة ١٩٠٣ بالعودة الى زعامة

جاية مع السلطة المطلقة ، فكان اول ما قام به هو نهب وتخريب ممتلكات بطانة مهم خان وانصاره .. ونظراً لان الضرائب التي التزم بها لم يكن من اليسر تحصيلها بالطرق العادية فقد لجأ الى عادته السابقة في المرور في أنحاء البلاد ومعه قوات كبيرة مسلحة لابتزاز الاموال . وعاث اعوانه في البلاد فساداً وبلغ الظلم درجة أصبح السكان فيها يباعون كالعبيد بأمر الزعيم . وبهذه الوسائل أصبح سعيد خان أقوى زعماء مكران الايرانية وأكثرهم رهبة . الا أنه كان من العسر تدبير مركزه المالي . وفي سنة ١٩٠٥ لم يذهب بنفسه الى المنطقة الجنوبية لتحصيل الاموال وارسل نيابة عنه اسلام خان وهو ابن شقيقه .

مقاطعة قصر كاند ١٨٩٦ – ١٩٠٥

وعند منتصف ليلة ٢٢ يونيو سنة ١٨٩٩ قتل مولاداد خان زعيم قصر كاند وهو نائم أمام منزل الحاكم الايراني . وقد قبض على القاتل وأعدم . إلا أن الشبهات حامت حول وجود تحريض من جانب حسين خان حاكم جايه . وتولي جان محمد مكان ابيه مولاداد بادىء الامر ، ولكن بعد سنة أُقصي عن الحكم . وتولاه سعيد خان زعيم جايه وظلت قصر كاند في قبضته بعد ذلك .

مقاطعة داشتياري ١٨٩٦ – ١٩٠٥

وفي سنة ١٨٩٨ اودع مير عبدي خان زعيم داشتياري السجن بأمر من السلطات الايرانية في كرمان وتولى حكمها مير مولاداد حاكم قصر كاند . وبعد ان قضى عبدي خان ما يقارب السنة في السجن عاد ثانية الى داشتياري في شهر مايو سنة ١٨٩٩ .

وطالب محمود خان ، شقيق عبدي خان ، بقسم من المقاطعة وكان أحسن خلقاً وسريع البت في الامور مما يدعو الى احترامه ومهابته ، وكان يؤيده سعيد خان حاكم جايه وهو ابن عمه .

وقد تكررت اغارة كل من الاخوين على الآخر وبذلك ظلت داشتياري في اضطراب دائم وتأثرت بذلك مصالح الرعايا البريطانيين .

وفي سنة ١٩٠٢ ، أصدر حاكم بامبور الايراني أمراً بتعيين سعيد خان حاكماً على داشتياري ومحمود خان نائباً له ، الا أن محمود خان لم يرض عن السلطة المخولة له ، فخرب ممتلكات أخيه عبدي خان الذي اضطر الى الالتجاء الى شهبار . كما ارتكب محمود خان كثيراً من جرائم القتل لتثبيت سلطانه وسلك سبيلا أجبر كثيراً من سكان داشتياري على الهجرة منها .

وفي سنة ١٩٠٤ تم صلح بين الاخوين باشتراكهما اشتراكاً فعلياً في الحكم وبذلك تحسنت الاوضاع كثيراً في المقاطعة .

وقد جاء في تقارير سنة ١٩٠٥ ان الضريبة المفروضة على داشتياري كانت تبلغ عشرة آلاف روبية وكانت تدفع الى السلطات الايرانية بطريق زعيم جايه ، وان علاقة الشقيقين مير عبدي ومير محمود مع رعاياهما كانت أفضل بكثير من علاقة زعماء المقاطعات المجاورة مع رعاياهما وان مير عبدي ذهب الى الحج في تلك السنة .

مقاطعة باهو ١٨٩٦ — ١٩٠٥

كانت باهو في سنة ١٨٩٩ تحت حكم مير أشرف خان وهو ابن زعيمها السابق مير محمد علي الذي توفي قبل ذلك . وفي سنة ١٩٠٢ اضيف حكم باهو الى زعيم جايه الذي حكم داشتياري أيضاً . ونظراً لان مير أشرف كان حاكماً ضعيفاً فقد اختار زعيم جايه مير أحمد خان نائباً له في المنطقة ، وهو ابن عم مير أشرف خان .

وقد كان من المتفق عليه عند تعيين مير أحمد خان ان يدفع الى مير سعيد خان ، مبلغ ثلاثة آلاف روبية عن المتأخرات وان يزاد المبلغ الذي تدفعه المقاطعة سنوياً الى ١٥٠٠ روبية . ورغم أنه استعمل منتهى القسوة في معاملة الاهالي ، فقد عجز عن الوفاء بعهده . وبعد ذلك أصبحت باهو تحت حكم مشترك بين مير أشرف ومير أحمد وساءت أحوالها لسوء الحكم واشتدت بها الفاقه ، فأصبحت بلاداً تكاد تخلو تماماً من السكان بعد ان كانت غنية مزدهرة . فقد هجرها كثير من سكانها

الى الهند ، وأقام أكثرهم في كراتشي ، وفي سنة ١٩٠٣ طرد من باهو جماعتان لهما شأنهما الاقتصادي ، واحدة من «المعيد» على الساحل والثانية من اللط وكانوا من أهم الدعامات المالية .

كان جماعة المعيد من الصيادين في جواتر ، فلما نهبت أموالهم رحلوا الى جيونري ، إلا أن مير أحمد خان ، الذي كان ذا حظوة عند ناظم مكران كان يغض الطرف عنه ، تابعَهُم أيضاً بابتزاز اموالهم فاضطروا الى الالتجاء الى جواتر .

أما اللط ، وكانوا من المزارعين واصحاب الماشية ، فقد اضطروا للهجرة الى بالايري في مقاطعة جوادر حيث استقر بعضهم .

وفي سنة ١٩٠٥ بلغت الضريبة المفروضة على باهو ستة آلاف روبية الا أنه لم يكن قد دفع منها أي شيء في السنوات السابقة . وفي سبتمبر سنة ١٩٠٥ استدعي الزعماء الى بامبور . ثم سمحت السلطات الايرانية لمير أحمد خان بالعودة لتحصيل المبالغ المتأخرة واحتفظت لديها بمير أشرف خان رهينة الى ان تدفع تلك المبالغ .

★ ★ ★

التاريخ العام لمكران الايرانية
١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

الفوضى في مكران الايرانية ١٨٩٦ ــ ١٨٩٧

في سنة ١٨٩٦–١٨٩٧ شملت حالة الفوضى مكران الايرانية بصفة عامة . وترجع أسباب ذلك الى امور منها وفاة ناصر الدين شاه الذي ذاع أنه قد يكون آخر حكام أسرته ، ومنها سفر فارمان فارما الذي حكم اقليم كرمان عدة سنوات ، ومنها حالة الجزع من الفقر الشديد وقسوة الضرائب ، والى بعض أسباب أخرى .

وقد خيل لبعض الجهات ان ثورة القبائل على الحدود الشمالية الغربية

للهند سنة ١٨٩٧ ، وانتصارات الاتراك على اليونانيين في نفس السنة قد اثارت مشاعر المسلمين حتى في مكران الايرانية . ولكن لم يحدث ما يؤيد صحة هذه الفكرة واتخذ الوضع أخيراً شكل الثورة ضد الحكومة المركزية الايرانية التي كان يرئسها السردار حسين خان حاكم جايه .

وكان هذا الزعيم قد طلب غير مرة واحدة تأييد السلطات البريطانية له الا أنه لم يجد استجابة لذلك . ومن المؤكد أنه كان يطمع في إقامة إمارة مستقلة بلوشية في مكران الايرانية مثل قالات .

وكان من نتائج هذه الفوضى العامة ان حدث تنافس في كثير من الاماكن على السلطة التنفيذية . وكان كل من المتنازعين يطالب بأن يدفع اليه الاعانة التي تدفعها الحكومة البريطانية لقاء حماية خط التلغراف . وقد لجأ بعضهم الى وسائل شاذة للوصول الى هذا الهدف فكان بعضهم يهدد الرعايا الهنود البريطانيين او يعتدي على ممتلكاتهم .

وفي سنة ١٨٩٦ دفع النصف الاول من الاعانة الى احد الزعماء في داشتياري ، ودفع النصف الثاني الى زعيم آخر ، وأصبح مركز مراقب التلغراف في شهبار دقيقاً وحرجاً .

وذات مرة ارسلت السفينة الحربية البريطانية «سفنكس» الى شهبار لتأمين سلامة الرعايا البريطانيين ، كما ارسلت احتجاجات الى الحكومة الايرانية ولكن دون أية نتيجة الا وضوح العجز المطلق لنفوذ حكومة طهران في مكران .

وفي يناير سنة ١٨٩٧ زار شهبار المقيم البريطاني في الخليج على ظهر السفينة الحربية البريطانية «لورانس» بناء على رغبة الوزير البريطاني في إيران ليستعمل نفوذه لدى الزعماء المحليين الذين عجزت حكومة الشاه عن السيطرة عليهم . ولكنه لم يستطع مقابلة أحد منهم .

وفي ابريل سنة ١٨٩٧ أغارت عصابة من البلوش على جاشك القديمة وسلبت من اموال التجار الهنود البريطانيين ماقيمته خمسة آلاف روبية ، وابلغ ذلك دبلوماسياً الى الحكومة الايرانية ، فأرسلت السفينة الحربية

الايرانية «برسيبوليس» الى جاشك لاعادة النظام ، ووضعت حامية ايرانية من مائة جندي من المشاة المسلحين بالبنادق في جاشك الجديدة .

قتل مستر جريفز وعمليات حربية ايرانية في مكران تحت الاشراف البريطاني ١٨٩٧ – ١٨٩٨

على ان هذه الاجراءات الجزئية لم تكن ذات أثر فعال . وفي اواخر سنة ١٨٩٧ بلغ الهياج ذروته قرب الساحل فتعقدت الامور ، فقد كان مستر جريفز القائم بعمل مراقب دائرة التلغراف الهندي الاوروبي ، وهو رجل كبير السن وله خبرة طويلة في ايران ، كان يقوم برحلة تفتيشية سنوية على خط التلغراف فنصب خيامه على مسافة نصف ميل شرقي نهر ريش عند نقطة عبور خط التلغراف بين جاشك وجوادر . وفي ليل يوم ٢ ديسمبر سنة ١٨٩٧ هاجمت المعسكر عصابة من نحو عشرين رجلا من بلوش كاروراي فقتلوا مستر جريفز بالسيوف وكانت الضربة القاتلة بسيف مالك محمد ابن شاه بيج وهو من زعماء قبيلة شاهوازي

وكان الدافع الوحيد لهذه الجريمة هو السلب . وبعد ان أتلف اللصوص معسكر مستر جريفز حملوا معهم كل ما وجدوه فيه ، وكان من بين المسروقات مبلغ كبير من المال عبارة عن أجور عمال كان المقرر توزيعها عليهم .

وكان مستر جريفز قد أعد خطاً هاتفياً بين معسكره وبين جاشك ، وعلى ذلك فقد أبلغ الحادث في اليوم التالي الى الرائد ميد المقيم السياسي في بوشهر . وعندما علم به الوزير البريطاني في طهران ضغط على الحكومة الايرانية لاتخاذ اجراءات فورية . وفي نفس الوقت أعطى تعليمات للمقيم بأن يذهب شخصياً الى موقع الجريمة ويقوم بالتحري محلياً ويراقب التطورات ، واشترط عليه ان يترك أمر القبض على الجناة ومعاقبتهم للسلطان الايرانية .

وعلى غير العادة كانت إجراءات الحكومة الايرانية فورية وفعالة . ففي اليوم السادس من ديسمبر أقلعت السفينة الحربية الايرانية

«برسيبوليس» من بوشهر وعليها داريا بايجي او قائد عام البحرية مع ثمانين جندياً ايرانياً . وتبعتها السفينة الحربية البريطانية «بيجون» وعليها الرئيس سايكس القنصل البريطاني في كرمان وبلوشستان الايرانية ومستر ر. كامبل خليفة المستر جريفز .

وفي يوم ١٢ ديسمبر وصلت «برسيبوليس» الى جالاج وهي مكان النزول الى البر في منطقة نهر ريش، فنزل الجنود الايرانيون وساروا الى مكان الاضطراب. ولحق بهم يوم ٦ ديسمبر الرئيس سايكس ومستر كامبل وفرقة مكونة من ٣٠ من جنود البحرية البريطانيين بقيادة موبراى قائد السفينة «ببجون» . اما الرائد ميد المقيم والعقيد فاجان القنصل البريطاني في مسقط ، فقد وصلا على السفينة «لورانس» يوم ١٨ وكانا في معسكر ريش في اليوم التالي .

وعلى الفور تقدم سايكس برفقة القوات الايرانية والملازم موبراى مع فصيلته البحرية الى القسم الواقع في مقاطعة الكاروان غربي نهر ريش وحدثت مناوشات بسيطة مع رجال القبيلة في ذلك المكان .

وقام الرائد ميد باستجواب رجال القرية المسئولين ، وبعد تسجيل شهاداتهم وما وجده من الاثباتات توجه في حرس من ثلاثين من رجال البحرية بقيادة الملازم كار قائد السفينة «لابونج» ليدرك الحملة الايرانية .. وفي يوم ٢٠ ديسمبر بلغوا جاو وهي قرية في مداخل التلال . وهناك وجدوا حقيبة سفر القتيل المستر جريفز . وأحرقت قريتان صغيرتان وقام رجال قبيلة الكاروان بهجوم ليلي ضئيل رُدّوا فيه على أعقابهم دون وقوع خسائر للحملة .

وفي اليوم التالي بدأ الايرانيون في تدمير زراعات النخيل في جاو إلا أن رسالة وصلت من سعيد خان بن السردار حسين خان حاكم جاية بأنه سيسلم المجرمين الحقيقيين في خلال شهر ، فقرر الداريا بايجي بمشورة الرائد ميد إيقاف عمليات التدمير ، على ان سعيد خان لم ينجز وعده .

وقد غادر الرائد ميد ومعه العقيد فاجان جالاج يوم ٣١ ديسمبر الى

مسقط حيث نشأت اعمال سريعة هامة استدعت حضورهما وبقي في المعسكر (على نهر ربش) مستر كامبل مع بعض جنود البحرية وبعض أفراد فرقة بومباي البحرية لحمايته .

وعند ابتداء عمليات التخريب غادر سكان المنطقة اماكنهم واقاموا في مرتفعات التلال التي لا ماء فيها وهي تقع الى الشمال ، ولكن القوات الايرانية ظلت تلاحقهم .

وفي يناير ١٨٩٨ حدثت مناوشة جرح خلالها الداريا بايجي جرحاً فقد فيه طرفي اصبعين . وفي الوقت ذاته حدثت اضطرابات قرب شهبار .. وفي التاسع من يناير ١٨٩٨ وصلت من الهند سرية من فرقة بومباي البحرية مكونة من ١٥٠ رجلا من حملة البنادق ، فوضع اربعون رجلا في شهبار واربعون في جاشك تحت امرة ضباط هنود وارسل الباقون بقيادة الرئيس كريج والملازم وولر لتدعيم قوة مستر كامب بل في معسكر نهر ربش .

وفي الثالث عشر من شهر فبراير كانت السفن الحربية البريطانية «بيجون» و «قوساك» و «سفنكس» متجمعة في جالاج فنزل القائد بيكر ومعه ١٠٣ من جنود البحرية البريطانية وبحارة السفن وسار الى معسكر ربش .

وفي الوقت ذاته كانت قد وصلت امدادات مكونة من ٣٠٠ رجل فأصبحت القوة مكونة من ٥٠٠ رجل مع مدفعين لمزاولة العمليات اذا سمح للبريطانيين بمعاونة الايرانيين .

وفي ١٢ فبراير تلقى الداريا بايجي اوامر بالتزام وضع الدفاع وان ينتظر وصول قوات أخرى قادمة اليه من الشمال .

كما ان حكومة الهند التي رأت ان ايران هي وحدها المسئولة عن الموضوع برمته ، أمرت أن لا تتدخل القوات الهندية الا بالقدر اللازم لحماية مستر كامب بل .

ولم تكن السلطات البريطانية قد وافقت على اشتراك القائد بيكر ورجاله في العمليات فعادوا ثانية الى السفن . أما من جانب الداريا بابجي فان القوات الايرانية لم تقم بأية عمليات حربية منذ صدور الاوامر السابقة .

وقد كان لطول مدة بقاء هذه القوات المشتركة في المقاطعة أحسن الاثر في الكاروان وما بعدها . هذا ولولا وجود مستر كامبل والحرس الذي معه لما طال بقاء القوات الايرانية .

وفي العاشر من شهر مارس استبدلت القوة البحرية التي مع مستر كامبل بخمسين من العسكر الهنود من الفرقة البحرية .

وأخيراً أبحر الداريا بابجي ، الى بوشهر يوم ٢٩ مايو ، وبعد ذلك لم تبق في الكاروان أية قوات هندية او ايرانية . وتجدر الاشارة الى موقف القوات الايرانية الشمالية التي كان لها أثرها الفعلي في إنهاء هذا الموضوع . ففي اواخر سنة ١٨٩٧ وقعت اضطرابات خطيرة في منطقة بامبور وكان زعيم جايه ثائراً على الحكومة الايرانية . ثم صدرت الاوامر الى آصف الدولة ، حاكم عام كرمان ، ليتوجه الى داخل مكران ويقمع الثورة بالتعاون مع الداريا بابجي ، فوصل الى بامبور دون ان يلقى أدنى مقاومة . وحيث كانت تحركات قواته في غاية البطء فانه لم يتقدم عن تلك النقطة .

وفي شهر فبراير قام الرئيس سايكس بطريق بندر عباس ليتعجل عمليات الحاكم العام ، ولكن لسوء الحظ أصابه المرض قبل وصوله فعاد براً الى شهبار في اوائل شهر ابريل . على ان رحلته وان لم تكن تمت الا أنه من الواضح انها حركت آصف الدولة ليتابع عملياته ، فقامت قوات من بامبور في اتجاه الجنوب بقيادة لطف الله بك وهو ضابط عسكري فقام بعزل السردار حسين خان زعيم جايه الثائر وعين محله مولاداد خان حاكم قصر كاند ثم استمر في طريقه الى الكاروانيين . وفي شهر ابريل سنة ١٨٩٨ قتل مالك غند المسئول الاول عن الاعتداء على مستر جريفز ، وذلك عند مقاومته للقبض عليه وقبض على رجل آخر من العصابة واعدم في جاشك . وقبض على رجل ثالث استسلم معلناً

براءته وارسل مكبلا في الحديد الى بوشهر ، وبقي اثنان فقط من زعماء العصابة . واخيراً زار لطف الله بك الداريا بايجي قرب الساحل قبل سفر الاخير . وتقديراً لخدمات هذه الحملة قدمت حكومة الهند سيفاً تذكارياً الى الداريا بايجي وبندقية الى لطف الله بك .

وفي أوائل سنة ١٨٩٨ قدمت البعثة البريطانية في طهران مطالبة بمنح ارملة مستر جريفز مبلغ ٥٠٠٠ روبية تعويضاً ، لكن الحكومة الايرانية اعترضت على هذه المطالبة .

وقد بنت الحكومة البريطانية طلبها على اساس مسئولية حكومة الشاه ، طبقاً للاتفاقية ، عن سلامة موظفي التلغراف في ايران ، ولأن واقعة قتل مستر جريفز حدثت نتيجة فتنة تأخرت الحكومة الايرانية في إخمادها ، رغم الاعتراضات المتكررة ، عدة شهور .

وكان رفض الحكومة الايرانية مبنياً على اساس أن مستر جريفز لم يكن موظفاً ايرانياً ، وانما كان موظفاً بريطانياً وبذلك لا يوجد حق في المطالبة بتعويضه ، وان المبلغ المطلوب مبالغ فيه . وظل موضوع هذا التعويض يتكرر طلبه على فترات حتى سنة ١٩٠٣ ولكن مع عدم التشدد . واخيراً انتهى الامر بعدم الاستجابة . وقد كان لموقف الحكومة الايرانية فيما اوقعت من عقوبات بالجناة حافزاً للحكومة البريطانية على تقدير موقفها .

الاحوال العامة قرب شهبار ١٩٠١ — ١٩٠٣

وكانت المناطق المجاورة لشهبار في سنتي ١٩٠١ و ١٩٠٢ مجالا لاضطرابات شديدة ، سبقت الاشارة اليها وقام بها مير محمود عندما كان يطالب باشتراكه في حكم داشتياري مع مير عبدي وقبل ان يتم له ذلك . وقد سبق ان رفض مير محمود قبول قسم من إعانة التلغراف المخصصة لداشتياري .. وقد ازعجه ان يجد نفسه محروماً منها بتاتاً فحنق بذلك على الحكومة البريطانية . وزاد حنقه عندما استولت الاخيرة على ٦ بنادق للفرسان (مارتيني هنري) في شهبار بينما كان مير محمود يحاول استردادها

في اغسطس سنة ١٩٠٠ . واخيراً أعلن بصراحة عن عزمه على تهديد المصالح البريطانية ما استطاع الى ذلك سبيلا . وفي سبتمبر سنة ١٩٠١ استطاع ان ينفذ تهديده رغم ان الحكومة الايرانية طلبت الى ممثلها في بامبور ان يمنعه من ذلك بمختلف الوسائل ، فاستطاع ان ينهب قرى كثيرة قرب شهبار وان يسلب التجار الهنود البريطانيين مواشيهم من جمال وحمير وبعض مواشي موظفي التلغراف .

ونظراً لاستمرار حدوث هذه المتاعب قرب شهبار فقد احتج الوزير البريطاني في طهران لدى الحكومة الايرانية في مايو سنة ١٩٠٢ على الحالة المزعجة في مكران . واقترح القبض على كل من مير محمود خان ومير سعيد خان حاكم جايه الذي كان يعضده في أعماله وإنزال العقوبة بهما ، والاستعانة في ذلك ، اذا دعت الضرورة ، بارسال حملة عسكرية ، إلا أن شيئاً من ذلك لم يتم .

ثم قام مصطفى قولي حاكم بامبور باعتقال سعد خان لفترة من الزمن على ان يدفع مبلغاً كبيراً نظير إطلاق سراحه ، ولكنه لم يلزمه بالتوقف عن اعمال الشغب التي يقوم بها في شهبار .

وفي سنة ١٩٠٢-١٩٠٣ حدث اضطراب سياسي نتيجة للجدب الذي عم جميع مقاطعات الساحل من بجاشك الى جوادر .

تجارة الأسلحة وتجارة الرقيق ١٨٩٨ - ١٩٠٥

وكان من ضمن التطورات السيئة التي ظهرت في مكران الايرانية في تلك الفترة انتشار تجارة البنادق الحديثة والذخيرة مع مسقط بعد سنة ١٨٩٨ مباشرة وانتشار تجارة الرقيق من سنة ١٩٠٣ . وقد جاء ذكر ذلك في الملاحق الخاصة .

الحالة في مكران الايرانية ١٩٠٥

وفي سنة ١٩٠٥ كانت الحالة في مكران الايرانية ما تزال مضطربة وغير مزدهرة ، وقد ذكر عنها العقيد كوكس المقيم السياسي في الخليج ما يلي :

« هذه المنطقة هي آخر حدود اراضي الشاه يسكنها عنصر أجنبي له قوة فطرة البدو ، ويشعر بالكراهية العميقة للحكام الايرانيين . والاشراف الاداري الذي تتولاه الحكومة المركزية طفيف هزيل ، نتج عنه انتشار الفقر والبؤس والمجاعة تلو المجاعة فأصبحت المنطقة شبه منعزلة تسودها المعارك القبلية والسلب والنهب الناشئة عن تنافس كل زعيم (مير) ممن يقاتلون لفرض سيادتهم على الآخرين » .

★ ★ ★

علاقات بريطانيا مع مكران الايرانية
١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

اشرنا عرضاً في ما سبق الى المصالح البريطانية وبقي ان نبين أثر الفوضى التي عمت البلاد على هذه المصالح .

المطالبات البريطانية وقضاياها ١٨٩٦ ـ ١٩٠٥

سبقت الاشارة الى طلب التعويض عن مقتل مستر جزيفز ، ولكنه لم يكن الوحيد من نوعه . فقد نتج عن اضطرابات ١٨٩٦ـ١٨٩٧ وما أصاب الرعايا البريطانيين فيها من الخسائر أن قدمت مطالبات كثيرة بالتعويضات .

١٨٩٩

بدأ العمل في تسوية هذه المطالبات في شهبار سنة ١٨٩٩ بين مستر سيلي مدير تلغراف الخليج ومأمور ايراني انتدب للعمل معه ، الا أن هذا الموظف لم يقم بأي تعاون وتعثر السير لعقبات كثيرة منها سفر سعيد خان زعيم جايه عمداً من شهبار بناء على إشارة المأمور ، ومنها تغيب مير عبدي زعيم داشتياري وكان اذ ذاك سجيناً في بامبور في قبضة السلطات الايرانية ورفض أخوه مير محمود أن يمد يد المساعدة .

أما مولاداد زعيم قصر كاند الذي عينه الايرانيون زعيماً على جايه

أيضاً بالاشتراك مع سعيد خان فقد اشترك في العمل فعلا وبذل ما في وسعه للوصول الى تسوية . وبجهوده شخصياً تمت تصفية بعض المطالبات الخاصة بمقاطعة داشتياري في شهر مايو سنة ١٨٩٩ ، وبلغت قيمتها حوالي سبعة آلاف روبية .

١٩٠٠

وفي مارس سنة ١٩٠٠ اجتمع مستر ويتبي مدير تلغراف الخليج مع هاشم خان حاكم بامبور وسعيد خان حاكم جايه ومير عبدي حاكم داشتياري ، في شهبار ، وبحث معهم عدداً من مواضيع التعويضات التي لم يبت فيها الا أنه بقي مبلغ ٢٢٨٨١ روبية لم تسدد . ورغم ان حكومة ايران وعدت بارسال مأمور الى شهبار في نهاية ذلك العام لاتمام الاجراءات الا أنها لم تف بالوعد .

١٩٠١

وفي ابريل سنة ١٩٠١ كان مبلغ التعويضات للبريطانيين في مكران الايرانية قد ارتفع الى ٣٦٨٢٣ روبية بما في ذلك مبلغ ٣٠٠٠ روبية كانت مطلوبة في حادث مقتل الهندوسي الذي كان وكيلا في جواتر لشركة كراتشي .

وقد تمت تسوية بعض مسائل التعويضات محلياً ، ولكن الحكومة الايرانية لم تتخذ خطوات لتسوية عامة ، وظلت مبالغ التعويضات المطلوبة تزيد بازدياد عدد الحوادث .

١٩٠٢

ظل الحال كما كان دون اية تسوية مع زيادة مستمرة في قضايا جديدة

١٩٠٣

وبلغت قيمة التعويضات المطالب بها للبريطانيين في ابريل سنة ١٩٠٣ مبلغ ٤٣,٢٢١ روبية بينما لم تتخذ الحكومة الايرانية أي تدابير لتسوية هذه القضايا .

١٩٠٤

واخيراً في ابريل سنة ١٩٠٤ عقد اجتماع في شهبار بين والي خان حاكم بامبور ومأمور ايراني اسمه علي خان وأكرم السلطنة من جانب وبين مستر ر. كامبل عن دائرة التلغراف الهندي الاوروبي من الجانب الآخر حيث درست قضايا تعويضات قيمتها ٨١٧٨٣ روبية .

وقد اسقطت بعض القضايا وتأجل بعضها ، الا أنه اتخذت مقررات في قضايا قيمتها ٢٤٦٦٠ روبية وصدرت سندات الصرف الخاصة بها ، ثم تم البت ايضاً في قضايا قيمتها ٣٠٠٢ روبية في خلال هذه السنة . ورفضت القضية الخاصة بحادث القتل في جواتر ويظهر أنها كانت قديمة يعود تاريخها الى سنة ١٨٩٨ .

١٩٠٥

وفي ابريل سنة ١٩٠٥ عقد مؤتمر آخر في شهبار حيث اجتمع ناظم (حاكم) مكران قالات ، مع ظهير السلطان حاكم بامبور واضطلاع الدولة وكاجوزار المحمرة ومأمور ايراني . وكانت القائمة التي تقدم بها ناظم في ذلك الوقت تبلغ قيمتها ٥٢٥٥٧ روبية . وفي نهاية الاجتماعات بلغت قيمة التعويضات التي لم يفصل فيها ٣٧٢٦٢ روبية ، على أنه تم فيما بعد تسوية قضايا أخرى بمبلغ ٣٥١٣ روبية .

★ ★ ★

الشئون الرسمية البريطانية في مكران الايرانية
١٨٩٦ ــ ١٩٠٥

اعانات التلغراف ١٨٩٨ ــ ١٩٠٥

في أواخر سنة ١٨٩٨ تقرر تعديل نظام دفع الاعانة التي تقدمها السلطات البريطانية للزعماء المحليين في مكران الايرانية على أساس حمايتهم لخط التلغراف ، والخدمات التي يؤدونها لموظفي دائرة التلغراف الهندي الاوروبي .

وقد تكورت حالات حدوث بعض التلف لخط التلغراف وسرقات بعض ممتلكات الموظفين في جايه وفي داشتياري، وعلاوة على ذلك قتل مستر جريفز بطريقة شنيعة ، وهو من كبار موظفي التلغراف في جايه . وتوقف صرف اعانة التلغراف الى زعيم جايه ، واستولت الحكومة الايرانية عليها اذ اعتبرتها ضمن المبالغ المفروضة على المقاطعة . وفي هذا ما يفسر لنا سبب استخفاف الزعيم بشئون التلغراف .

١٨٩٩

وكان الهدف من هذا التعديل الذي بدأ في سنة ١٨٩٩ باعتماد الحكومة البريطانية وموافقة حكومة الهند هو التأكد من وصول الاعانات الى الرجال ذوي النفوذ المحلي الذين يعتمد عليهم فعلا في حماية خط التلغراف . ويبدو انه لم يحدث تغيير في جاشك وباهو . أما إعانة زعيم جايه فقد نقصت من ٣٠٠٠ الى ١٠٠٠ روبية سنوياً . ووزع القسم الاكبر من الفرق وقدره ٢٠٠٠ روبية بين تسع من صغار الزعماء كان لهم نفوذهم على الساحل، كما نقصت اعانة داشتياري اذ وزع نصفها تقريباً بين بعض صغار الزعماء . ووقعت اتفاقية جديدة مع المستحقين الجدد في جايه وادشتياري . كما يبدو أنه وقعها أيضاً كل المستحقين السابقين ما عدا زعيم جايه وقبلوا بموجبها النظام الجديد وتعهدوا بالقيام بالحماية الضرورية وبمساعدة دائرة التلغراف الهندي الاوروبي وذلك مقابل دفعات نصف سنوية على صورة «هدايا» بدلا من اعانات تدفع في ابريل ونوفمبر من كل سنة، على ان يحجبها منهم مدير تلغراف الخليج حسب رأيه في حالة عدم أداء واجباتهم تماماً .

وقد دفعت الاعانة الرئيسية في جايه وقدرها الف روبية الى سعيد خان باعتباره زعيماً على جايه من اول سنة ١٨٩٩ الى آخر سنة ١٩٠١ . وكان مقدار النصف الاول لسنة ١٩٠٢ قد صودر وأعطي تعويضاً لعمال التلغراف عن جمالهم التي سرقت منهم .

ثم صرفت من يوليو ١٩٠٢ حتى يونيو ١٩٠٣ مساعدة لمهم خان الذي

كان زعيماً لمدة اثني عشر شهراً على جايه مده اعتقال سعيد خان في بامبور . ثم صرفت بعد ذلك من يوليو ١٩٠٣ الى سعيد خان الذي كان قد استعاد مركزه .

كما صودرت الاعانة الخاصة بمير عبدي حاكم داشتياري وقيمتها ٦٠٠ روبية سنوياً ، عن الشهور الستة المنتهية في ديسمبر سنة ١٩٠٣ وكذلك عن المدة من يوليو ١٩٠٤ حتى اكتوبر ١٩٠٥ وسلمت الى موظفي التلغراف تعويضاً عن خسائر لحقت بهم .

أما الاعانة الخاصة بمقاطعة باهو فقد قسمت بين الزعيمين الشريكين في الحكم ، فكان مير اشرف وهو الزعيم الاصيل يتقاضى ٤٠٠ روبية ويحصل شريكه في الحكم مير احمد على ٦٠٠ روبية . ثم توقفت حصة مير احمد من شهر يوليو سنة ١٩٠٥ نظراً لسرقة جمال عائدة لعمال التلغراف .

المؤسسات البريطانية في مكران الايرانية ١٨٩٦ — ١٩٠٥

في خلال هذه الفترة كما كان الحال في أواخر الفترة السابقة ، كانت رعاية المصالح البريطانية السياسية معهوداً بها في مكران الايرانية الى مدير تلغراف الخليج وكان مركزه الرئيسي في كراتشي ، وكان تابعاً في الامور السياسية للمقيم في الخليج . ونظراً لقيامة بالأعمال السياسية فقد كان يمنح مبلغ ١٥٠ روبية شهرياً وكان الموظفون الاوروبيون في محطتي جاشك وشهبار يمثلونه .

وكان من عمله السياسي ان يقوم على حماية حقوق سلطان عمان في جوادر على حدود مكران الايرانية ، وان يفصل في القضايا الخاصة بالرعايا البريطانيين مع الايرانيين او الكالاتيين ورعايا عمان ، وان يبحث الامور العامة التي تهم بريطانيا مثل تجارة الاسلحة وتجارة العبيد ، وان يدفع الاعانات الى زعماء مكران الايرانية مقابل حماية خط التلغراف .

نائب قنصل في بام ١٩٠٥

ذكرنا في الفصل الخاص بتاريخ الساحل الايراني والجزر ان الحكومة البريطانية فكرت سنة ١٩٠١ في إنشاء وكالة قنصلية في بامبور لحماية الرعايا البريطانيين في مكران الايرانية ، ولكنها عدلت عن ذلك نظراً لمعارضة الحكومة الايرانية ، وأنشأت بدلها وكالة قنصلية في بام على أمل أن تقوم بنفس الهدف ولو بطريق غير مباشر . وكان اول مرشح لهذا العمل في بام رجل هندي مسلم اسمه خان باهادور أصغر علي ، وكان يعمل سابقاً في مصلحة المساحة وباشر عمله سنة ١٩٠٥ ولسوء الحظ توفي في بام في أكتوبر من نفس العام مصاباً بالتهاب رئوي .

حرس عسكري بريطاني في جاشك وشهبار ١٨٩٨ — ١٩٠٥

لعلنا لم ننس ان حرساً عسكرياً بريطانياً من قوات البياده الهندية كان مقيماً في جاشك لحراسة محطة التلغراف ما بين سنتي ١٨٧٨ و ١٨٨٧ ولكن استغني عنه تمشياً مع رغبات الشاه .

وفي شهر يناير سنة ١٨٩٨ عقب مقتل المستر جريفز ونظراً لحالة عدم الاستقرار التي شملت البلاد . فقد ارسلت من الهند قوة من حملة البنادق من فرقة بومباي البحرية ، قوامها ١٥٠ رجلا بقيادة ضابطين بريطانيين وضع ١٠٠ منهم في شهبار و ٥٠ في جاشك . ولم تعترض الحكومة الايرانية على ذلك .

وفي شهر ابريل خفضت قوة شهبار الى ٥٠ رجلا بقيادة ضابط وطني ، وخفضت قوة جاشك بنفس النسبة ، ونظراً لحالة الاطمئنان التي نشأت عن وجود هذه القوات فانها لم تسحب بعد زوال الاضطرابات التي كانت هي المسبب الوحيد لوجودها ، وانشئت ثكنات دائمة في شهبار وجاشك .

العلاقات الاجنبية (غير البريطانية)
مع مكران الايرانية : ١٨٨٦ ـ ١٩٠٥

ذكرنا في غير هذا المكان ان الدولة الاوروبية الوحيدة التي ابدت اهتماماً بشئون مكران الايرانية خلال هذه الفترة . هي روسيا التي لم تكن لها فيها مصالح سابقة .

وكان اهم ما لفت النظر الى اهتمامها بهذه المنطقة وصول(١) بعثة روسية لدراسة السكك الحديدية الى شهبار في شهر يونيو سنة ١٩٠٠ ، وزيارة مستر م. زارودني وهو وكيل سياسي روسي .

فهرس دليل الخليج

الجزء الخامس

الموضوع	رقم الصفحة
تاريخ عربستان الداخلي ١٧٩٧ — ١٨٣٤	٢٤٢٧
علاقات عربستان مع تركيا ١٧٩٧ — ١٨٣٤	٢٤٢٩
العلاقات البريطانية مع عربستان ١٧٩٧ — ١٨٣٤	٢٤٣٠
محمد شاه ١٨٣٤ لى ١٨٤٨	٢٤٣١
علاقات بريطانيا مع عربستان ١٨١٣ — ١٨٣٤	٢٤٥٥
العلاقاث بين عربستان والدول الاجنبية الاخرى ١٨٢٤ — ١٨٤٣	٢٤٦٢
ناصر الدين شاه ١٨٤٨ — ١٨٩٦	٢٤٦٣
الادارة الايرانية لعربستان ١٨٤٨ — ١٨٩٦	٢٤٦٤
الامور الداخلية لشمال عربستان عدا راموز ١٨٤٨ — ١٨٩٦	٢٤٦٩
أمور مقاطعة راموز ١٨٤٨ — ١٨٩٦	٢٤٧٢
أمور الحويزة ١٨٤٨ — ١٨٩٦	٢٤٧٢
أمور مشيخة المحمرة ١٨٤٨ — ١٨٩٦	٢٤٧٤
أمور أقضية كعب ١٨٤٨ — ١٨٩٦	٢٤٧٩
علاقات عربستان مع تركيا ١٨٤٨ — ١٨٩٦	٢٤٨٢
العلاقات البريطانية مع عربستان قبل الحرب الانجلو — ايرانية	٢٤٨٤
سير الحرب الانجلو — ايرانية في عربستان ١٨٥٦ — ١٨٥٧	٢٤٨٦
العلاقات البريطانية مع عربستان بعد الحرب الانجلو—ايرانية ١٨٥٧—١٨٩٦ ...	٢٥٠٠
الشئون الرسمية البريطانية في عربستان ١٨٤٨ — ١٨٩٦	٢٥٠٨
خطط ومشروعات ملاحية في عربستان ١٨٧١ — ١٨٩٦	٢٥١٢
لوائح نهر قارون	٢٥٢٠
مشروعات طرق عربستان بين ١٨٧٣ — ١٨٩٦	٢٥٣٦
مشروعات السكة الحديد لعربستان ١٨٧١ — ١٨٩٦	٢٥٣٨
مشروعات الري في عربستان	٢٥٤١ —
البحث الاثري في عربستان ١٨٥٠ — ١٨٩٦	٢٥٤٣
النشاط الفرنسي في عربستان ١٨٧٥	٢٥٤٥

الموضوع	رقم الصفحة
التاريخ العام لايران ١٧٧٩ — ١٧٩٥	٢٦٧٦
تاريخ أقاليم الساحل الايراني ١٧٧٩ — ١٧٩٥	٢٦٩٠
العلاقات البريطانية مع امارات ايران الجنوبية ١٧٧٩ — ١٧٩٥	٢٦٩٨
آغا محمد خان ١٧٩٥ — ١٧٩٧	٢٧٠٤
تاريخ ايران العام ١٧٩٥ — ١٧٩٧	٢٧٠٤
تاريخ الساحل الايراني ١٧٩٥ — ١٧٩٧	٢٧٠٧
فتح علي شاه ١٧٩٧ — ١٨٣٤	٢٧٠٧
تاريخ ايران الداخلي ١٧٩٧ — ١٨٣٤	٢٧٠٨
علاقات ايران مع افغانستان ١٧٩٧ — ١٨٣٤	٢٧١٥
علاقات ايران بتركيا ١٧٩٧ — ١٨٣٤	٢٧١٩
علاقات ايران بالولايات الاخرى على الخليج وخصوصاً عمان ١٧٩٧ — ١٨٣٤	٢٧٢٢
العلاقات بين القوى الوطنية في الهند وحكومة ايران ١٧٩٧ — ١٨٣٤	٢٧٢٥
العلاقات بين روسيا وايران ١٧٩٧ — ١٨٣٤	٢٧٢٥
علاقات فرنسا بايران ١٧٩٧ — ١٨٣٤	٢٧٣٢
علاقات بريطانيا السياسية العامة مع ايران ١٧٧٩ — ١٨٣٤	٢٧٣٨
الضباط البريطانيون في الجيش الايراني ١٨٢٨ — ١٨٣٤	٢٧٧٠
شئون الساحل الايراني والجزر ١٧٩٧ — ١٨٣٤	٢٧٧٠
العلاقات البريطانية مع الساحل الايراني والجزر ١٧٩٧ — ١٨٣٤	٢٧٨٣
التجارة البريطانية مع ايران في الخليج ١٧٩٧ — ١٨٣٤	٢٨٢٧
مؤسسات شركة الهند الشرقية في ايران ١٧٩٧ — ١٨٣٤	٢٨٣١
محمد شاه ١٨٣٤ — ١٨٤٨	٢٨٣٣
تاريخ ايران العام منذ اعتلاء محمد شاه الى الحملة الايرانية على هرات ١٨٣٤ — ١٨٣٧	٢٨٣٣
الحملة الايرانية ضد هرات ١٨٣٧ — ١٨٣٨	٢٨٣٧
تاريخ ايران الداخلي ١٨٣٨ — ١٨٤٨	٢٨٤١

الموضوع	رقم الصفحة
الشئون الرسمية البريطانية على الساحل الايراني وجزره ١٨٤٨ — ١٨٩٦ ...	٣٠١٦
مظفر الدين شاه من سنة ١٨٩٦	٣٠٣٠
الاحوال الداخلية في ايران ١٨٩٦ — ١٩٠٥	٣٠٣٠
معارضة مشتركة بريطانية — روسية للأمور العامة في ايران ١٨٩٦ — ١٩٠٥ ...	٣٠٣٤
تعارض المصالح الروسية—البريطانية في الامور المحلية في ايران ١٨٩٦—١٩٠٥	٣٠٤٢
سياسة بريطانيا وروسيا في ايران ١٨٩٦ — ١٩٠٥	٣٠٥٠
الشئون الرسمية البريطانية العامة حيال ايران ١٨٩٦ — ١٩٠٥	٣٠٥٣
الشئون الادارية والداخلية للساحل الايراني والجزر ١٨٩٦ — ١٩٠٥	٣٠٥٥
علاقة ايران بالدول الاخرى المحلية ١٨٩٦ — ١٩٠٥	٣٠٦٧
علاقات بريطانيا السياسية بالساحل الايراني ١٨٩٦ — ١٩٠٥	٣٠٧٠
مصالح بريطانيا التجارية والعامة في ساحل ايران والجزر ١٨٩٦ — ١٩٠٥ ...	٣٠٧٥
الشئون الرسمية البريطانية في ساحل ايران ١٨٩٦ — ١٩٠٥	٣٠٧٧
تاريخ مكران الايرانية—مكران تحت حكم الموالك في اوائل القرن التاسع عشر	٣٠٨٣
مكران تحت حكم البليديين من اوائل القرن التاسع عشر حتى سنة ١٧٤٠ ...	٣٠٨٥
مكران تحت حكم خانات قالات ١٧٤٠ — ١٧٩٧	٣٠٨٧
فتح علي شاه من ١٧٩٧ — ١٨٢٤	٣٠٨٩
محمد شاه ١٨٣٤ — ١٨٤٨ وناصر الدين شاه ١٨٤٨ — ١٨٩٦	٣٠٩٢
ازدياد النفوذ الايراني في مكران	٣٠٩٢
الامور السياسية في مكران في صدد التلغراف الهندي—الاوروبي ١٨٦١—١٨٦٢	٣٠٩٤
مطالبة ايران بجوادر وشهبار سنة ١٨٦٣	٣٠٩٧
اجراءات تمديد التلغراف في مكران ١٨٦٣ — ١٨٦٤	٣٠٩٨
الحالة العامة في مكران ١٨٦٤	٣١٠٠
اجراءات جديدة بشأن التلغراف في مكران وموضوع الحدود بين ايران وقالات ١٨٦٥ — ١٨٦٨	٣١٠٢
تسوية الحدود بين ايران وقالات ١٨٦٩ — ١٨٧١	٣١١١

تم بحمد الله وتوفيقه
طبع الجزء الخامس
من هذا الكتاب
بمطابع علي بن علي بالدوحة

دليل الخليج

القسم التاريخي

الجزء السادس

تأليف ج. ج. لوريمر

طبعة جديدة معدلة ومنقحة
أعدها قسم الترجمة
بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر

Bibliotheca Alexandrina
0119217

طبع على نفقة
الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر

دليل الخليج

القسم التاريخي

الجزء السادس

تأليف : ج . ج لوريمر

طبعة جديدة معدلة ومنقحة
أعدها قسم الترجمة
بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر

طبع على نفقة
الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر

مقدمة

لقد أولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ، عناية عظيمة لرعاية التراث الثقافي والمحافظة عليه والمساعدة على نشره ، ودأب على تشجيع العلوم والفنون والآداب والبحوث العلمية مؤكداً في توجيهاته السامية على الموضوعية والدقة والأمانة العلمية ، ومن هنا كانت تعليماته باعادة ترجمة «دليل الخليج» الذي يعتبر من أضخم المؤلفات وأهمها عن تاريخ المنطقة وجغرافيتها .

ويسر الذين اضطلعوا باعادة الترجمة ان يغتنموا هذه المناسبة للاعراب عن عظيم عرفانهم وعميق تقديرهم للرعاية الكريمة التي شمل بها حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى هذا المشروع العلمي ، سائلين الله سبحانه ان يمد في عمر سموه وأن يسدد خطاه لما فيه خير البلاد والعباد .

مكتب حضرة صاحب السمو
أمير دولة قطر

« ملاحظـــة »

لقد وضع هذا الكتاب حوالى نهاية القرن المــاضى وتضــمن ملاحظات وآراء وتعابير تحمل راى المؤلف وحده ، وهى بذلــك لا تقيد حكومة قطر بحال من الاحوال ، ولا تعبر عن وجهــات نظرها .

ملحق ١
الارصاد الجوية والصحة في منطقة الخليج(١)

بما ان الاحوال المناخية في منطقة الخليج تتباين ضمن حدود ملحوظة وبما ان موضوع الارصاد الجوية قد عولج معالجة وافية في عدد من المراجع المنشورة لا يبدو ضرورياً في هذا الملحق أكثر من تقديم مجرد خطوط عريضة للحقائق الرئيسية .

---

(١) المراجع الرئيسية للمعلومات هي التالية : (رائد الخليج) ١٨٩٨ خصوصا فصل (الرياح) ص ٥ ـ ١٢ ، (الطقس والمناخ) ص ١٢ ـ ١٩ ـ (الصحة) ص ٢٤ ـ البيانات السنوية لدائرة الارصاد الجوية بحكومة الهند وبها موجز للبيانات التى سجلتها محطاتهم في مسقط والمنامة والكويت والبصرة وبغداد والمحمرة وبو شهر وجاشك ، مجموعة تقارير عن الطقس والمناخ من زاوية العمليات العسكرية وهي مرفقات كتاب رقم ٧٩٨ مؤرخ ٢١ ابريل سنة ١٩٠٧ من المقيم في الخليج الى سكرتير حكومة الهند بوزارة الخارجية وهي تعالج مسقط والبحرين والكويت وشمال وجنوب عربستان وبوشهر وبندر عباس ـ مقالة (الاحوال الجوية لجنوب وغرب آسية) بقلم مستر و· ل· دالاس من دائرة الارصاد الجوية في حكومة الهند وتظهر ضمن محاضر مؤتمر شيكاجو الذى عقد في أغسطس سنة ١٨٩٣ في الجزء الخاص بالاحوال الجوية ص ٦٧٢ ـ ٦٨٦ ـ محاضرة عن (الطقس والحرب) ألقاها دالاس باشراف المعهد الهندي للخدمات الموحدة ونشرت في مجلة المعهد الصادرة في شهر أكتوبر سنة ١٩٠٤ ص‌ص ٣٣٤ ـ ٣٤٧ ـ ملاحظات عن المناخ في بوشهر في تقرير عن ادارة الخليج للعام ١٨٧٨/١٨٧٧ وملاحظات بعنوان : (مرصد) في تقرير الادارة نفسها عن سنة ١٨٨٠ /١٨٨١ وكلاهما للرائد روس المقيم في الخليج ـ مقالة الطبوغرافية الصحية في مسقط للطبيب الجراح ا· س· ج· جاياكار في تقرير الادارة ٧٧/١٨٧٦ ـ أما البيانات المتعلقة بالمناخ · في أى منطقة أو موضع مع اشارة في بعض الاحيان للصحة فتوجد في المجلد الجغرافي من مجلة « سلطنة عمان »، ص ١٣٨٨ ـ « مقاطعة ظفار » ص ٤٤٣ ـ « عمان المتصالحة » ص ١٤٣١ ـ « امارة البحرين » ص‌ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ « خليج =

دراسة المناخ بصفة عامة

يقع الخليج تقريباً خارج منطقة الرياح الموسمية الجنوبية الغربية وبذلك لا يتأثر بهذه الظاهرة الا بشكل غير مباشر .

عدم وجود الرياح الموسمية الجنوبية الغربية

وعلى الساحل العربي عند رأس الحد لا أثر اطلاقاً للرياح الموسمية بينما في الساحل المقابل لها أي في ساحل مكران تسقط الامطار الموسمية ولكنها لا تمتد غرباً بعد اورمارة . ورغم أن الرياح الموسمية تهب غرب جوادر فانها تصل الى جاشك على هيئة نسيم جنوبي شرقي خفيف. أما السواحل الجنوبية الشرقية من عمان الواقعة خارج الخليج فانها معرضة تماماً للرياح الموسمية التي تعتبر الظاهرة الجوية الرئيسية خصوصاً في ظفار .

التيارات الهوائية الظاهرة

ان الاتجاه العام للرياح في معظم فصول السنة في المنطقة التي هي مدار بحثنا بشكل رئيسي هو الى اسفل الخليج من الشمال الغربي الى

ومدينة الكويت » ص ١٠٥ ـ العراق التركي ص ٧٦٦ ـ مدينة بغداد ص ١٩٨ ـ مدينة البصرة ص ٢٧١ فاو ص‌ص ٥٤١ ـ ٤٢ ـ عربستان ص ١٥٢ ـ جنوب عربستان ص ١٥٩ ـ شبه جزيرة بوشهر ص ٣١٣ ـ مدينة بوشهر ص ٣٤٣ ـ بندر عباس ص٩ ـ جاشك (١) ص ٩١٥ ـ مدينة شاهبار ص ٣٥٣ ـ مقاطعة جوادار ص ٥٨٦ ـ ٨٧ ـ مدينة جوادار ص ٥٨٩ ـ وتوجد بعض المعلومات عن المناخ في المقالات التالية في القسم الجغرافي : قطر ص ١٥٠٦ ـ ٧ ـ واحة الاحساء ص ٦٤٤ ـ واحة القطيف ص ١٥٣٦ ـ جنوب نجد ص ١٣٥٤ ـ قصيم ص ١٤٨٧ ـ جبل شمر ص ١٧٣٦ ـ لبراقي ص ١١٠١ ـ مقاطعة روضله ص ١٥٩٥ ـ أنجالي ص ٧٩ ـ شباناكاره ص ١٦٨٦ ـ مقاطعة مزارعي ص ١٢٠٢ ـ زيرا ص ١٩١٣ ـ داشتستان ص ٣٨٠ ـ داشتي ص ٣٦٨ ـ مقاطعة لجنة ص ١٠٨٨ ـ ومقاطعة شامل ص ١٧٠١ .

(.ومعلوم أن الصفحات التى يشير اليها هنا هى صفحات الاصل الانجليزى) .

٥ – الميوسيني الاول الضحوي (العصر الحديث اللاحق) والفجري (العصر الحديث السابق)

بعض طبقات جبال بختياري .

الصخور الكلسية البيضية في ايران ، وسلسلة جبال مسقط وسلسلة جبال البحرين .

٦ – الطباشيري الاخير (العصر الثالث والاخير من الدهر الوسيط) او الفجري الاول

سلسلة جبال هرمز ، الحمم والاحجار المسامية المتداخلة بالصلصال والاحجار الرملية .

٧ – الطباشيري الاخير

الصخور الكلسية « الهيبيوريتية » في ايران وعمان .

٨ – الجوراسي (العصر الجيري) او الطباشيري الاول

الصخور النارية والخضراء في عمان .

٩ – الترياسي (أقدم عصور الدهر الوسيط)

سلسلة جبال عمان ، الصخور الكلسية والاردوازية الممزوجة بالصوان.

١٠– الدهر العتيق

طبقات حتات ، الشست والكوارتز .

سلسلة حتات

ليس هناك شك ان هذه الصخور أقدم من أي صخور عضوية متحجرة أخرى ، ونظراً للحالة الشديدة التي تطور اليها ولأنها تشبه صخور العصر الآركي في المناطق الاخرى فقد احتسبت على أنها من صخور ذلك العهد وهي تتكون من صخور الشست التالية : الميكارشيست والشست الملتوي ، وشست الطلق ، وشست الكوارتز ، والشست

الجيري ، ثم صخور الكوارتز . ولقد نفذت طبقات من الكوارتز خلال هذه الطبقات الصخرية جميعاً قبل الضغوط الساحقة التي غيرت تركيب عروق الكوارتز المتحول ورسوباته كما فرّدتها وحولتها .

وهي تشمل سهولا مختلفة أكبرها سيح حتات وتحيط بها مرتفعات جبلية من السلسلة التالية وتوجد أيضاً على حافة وادىسمايل الكبير وقريباً من ساحل عمان جنوب شرقي مسقط .

سلسلة عمان :

العنصر الغالب في تركيب هذه السلسلة هو الحجر الجيري وقد أصبح الكثير منها مشققاً ومحطماً وبعضها كتل متماسكة وتختلف الوانها من الاحمر الباهت الى الاسود وتتخللها طبقات طفلية رخوة وأخرى اردوازية وثالثة من الصوان الاخضر كما تشاهد أيضاً آثار أحافير مطموسة ، ولكننا نجد في مكان ما بعض أحافير عضديات الارجل وغيرها ، مما يشير الى العصر الفحمي في ما يتعلق بهذا الجزء ، على حين أن أنواعاً من (المايافوريا) تشير الى أن جزءاً آخر يرقى الى العصر الترياسي او الثلاثي . وعلى هذا يجب اعتبارها جميعاً سلسلة واحدة ممتدة من جبل جعلان قرب رأس الحد مخترقة عمان جميعها الى نهاية شبه جزيرة رؤوس الجبال حيث تقوم سلسلة جبال عمان الكثيرة وأشهرها الجبل الاخضر . ثم تبرز صخور هذه السلسلة في الساحل الايراني من الخليج شرقي وغربي لنجة وعلى جزيرة دبينه الصغيرة عند ساحل عمان المتصالح .

الصخور البركانية في عمان

وتشاهد طبقات سميكة من المواد البركانية منبثة في سلسلة جبال عمان أو فاضت فوق سفحها العاري . وهذه تشمل صخوراً من الديابييز والديوريت والجابرو والدولريت وقد تحولت هذه الصخور بدرجة كبيرة الى صخور إيباديوريت وسربانتين (حجر الحية) . أما الصخور الخضراء

درجات الحرارة

الاختلافات بالنسبة للمواقع

تختلف درجات الحرارة كثيراً في الطرف الشمالي للخليج عنها في الطرف الجنوبي . ففي الجنوب لا تصل إلى درجة التجمد ولا ينزل الثلج الا على الجبال البعيدة ، أما العراق التركي فيلاحظ فيه وجود الصقيع كما أن الثلج عادة ما يتساقط في بوشهر .

الحرارة

من المحتمل ان تكون أعلى درجات مطلقة للحرارة في العراق حيث تصل الى ١٢٣° فهرنهايت في بغداد و ١١٣° في البصرة و ١١٦° في الفاو . ولكن الشعور بالحرارة يكون اكثر في الجزء الاسفل من الخليج نظراً للرطوبة التي يتشبع بها الجو ، وربما كان الجو في بندر عباس أشد منه في أية جهة أخرى .

ففي اواسط الصيف يهاجر معظم سكان هذه المدينة كما هو الحال بالنسبة لسكان ساحل رؤوس الجبال في الجانب العربي الى مناطق أخرى بحثاً عن جو أكثر احتمالا .

وقد حدث مرة في شهر اغسطس سنة ١٩٠٥ أن سجل ميزان الحرارة درجة ١٠٥ ف في مرتفع علوه ٢٧٠٠ قدم عن سطح البحر خلف بندر عباس وحتى اكثر من ذلك بين الساعة التاسعة صباحاً والسادسة مساء . على أن أعلى درجة حرارة سجلت في بندر عباس سنة ١٩٠٦ــ ١٩٠٧ كانت ١٠٨° ف في شهر مايو .

ويقال ان أعلى درجة حرارة بحرية في العالم سجلت قرب لنجة عند الساحل الايراني حيث تستمر الحرارة في يوليو اغسطس على درجة ٩٤° ف .

البـرودة

وكما ان العراق هو أشد المناطق حرارة في الصيف فهو كذلك أشدها برودة في الشتاء وقد سجلت درجة حرارة في بغداد أقل من ١٩°ف .

★ ★ ★

هطول الامطار والرطوبة

توزيع المطر

ان هطول المطر في منطقة الخليج ضئيل جداً ويبيّن الجدول التالي المعدل الظاهري بالبوصات في الاماكن التي أخذت فيها المقاسات .

الساحل العربي	أعلى الخليج	الساحل الايراني
البحرين ٣ وربع	بغداد ٩	بوشهر ١٢
مسقط ٣–٦	البصرة ٦	جاشك ٤ ونصف
	فاو ٢–٤	شاهبار ٥–٦

موسم المطر

يكاد ينحصر سقوط الامطار في شهور الشتاء وقليلا ما يسقط قبل منتصف شهر اكتوبر او بعد منتصف شهر مايو ويسقط أغلبه في شهور ديسمبر ويناير وفبراير .

الرطوبـة

ان رطوبة الجو التي تنشأ في معظم الأماكن عن تبخر مياه البحر وليس عن مياه الامطار عالية جداً .. ففي بغداد التي تبعد كثيراً عن الخليج يبلغ المعدل السنوي للرطوبة ٥٦ بالمئة من التشبع أما في البحرين ، التي هي جزيرة فالمعدل يزيد عن ٧٩ بالمئة .

الصحـة

اعتدال الملاءمة الصحية في الخليج ما عدا بندر عباس وما جاورها

ان المناخ في الخليج ، ولو أنه في معظم شهور السنة غير ملائم جداً للاوروبيين الا أنه لا يمكن اعتباره غير صحي أكثر من المعتاد .. ولكن يجب استثناء بندر عباس وما يجاورها حيث لوحظ ارتفاع نسبة الوفيات في الجالية الاوروبية الصغيرة التي أقامت هناك خلال القرون الثلاثة الاخيرة.

الفصول غير الملائمة للصحة ـ والامراض

يبدو ان الجو البارد ، رغم أنه أكثر الفصول قبولا هو أقل ملاءمة للصحة من الجو الحار ولكن في بعض الاماكن مثل بندر عباس تنتشر الامراض كثيراً في فصل الانتقال أي الربيع والصيف .

وحمى الملاريا هي العدو الرئيسي للوطنيين والاوروبيين . ومما يزيد متاعب الاوروبيين في الصيف ظهور التهابات الجلد (حمو النيل والبثور).

والبحارة الذين يعملون في السفن في مكان حار باستمرار في الخليج أثناء الصيف معرضون في أكثر الاحيان للعجز عن العمل لانهاكهم صحياً.

★ ★ ★

تاريخ الرصد الجوي

تعطينا الوقائع التالية ، على تفرقها من حيث المشاهدات العلمية ، صورة عن بعض نواحي الطقس والمناخ في الخليج . وخاصة الابتعاد عن المجرى الطبيعي للأمور . وموضوع مناخ الخليج له أهميته من الناحية التجارية لأن التجارة فيه ، فيما خلا مصايد اللؤلؤ تعتمد بشكل رئيسي على الزراعة التي تكاد تعتمد اعتماداً كلياً على الارصاد الجوية خصوصاً هطول الامطار .

١٨٧٣–٧٤(١) كانت هذه السنة كثيرة العواصف وبذلك لم تكن مناسبة لصيد اللؤلؤ . ولكن المطر كان غزيراً في جنوب ايران .

١٨٧٤–٧٥ كانت هادئة – أما في عمان فقط هطلت أمطار غزيرة في غير موسمها وأضرّت كثيراً بمحصول التمر .

١٨٧٥–٧٦ كان المطر عموماً فوق المعدل بكثير وأدى الى نتائج طيبة .

١٨٧٧–٧٨ كان المطر في عمان غزيراً غرازة غير عادية وحدثت فيضانات ولكن النتائج كانت حسنة .

١٨٧٨–٧٩ كانت امطار الشتاء قليلة في جنوب ايران وشحيحة جداً في عمان .

١٨٧٩–٨٠ المطر قليل جداً في جنوب ايران ويكاد يكون منعدماً في عمان.

١٨٨٠–٨١ كان المطر في جنوب ايران مدة الخريف والشتاء جيداً جودة غير عادية وانزاح شبح المجاعة التي كانت تظهر مقدماتها . وفي عمان سقطت كميات هائلة من المطر وزال أثر الجدب الذي خلفته السنتان السابقتان . إلا أنه حدثت بعض الاضرار نتيجة سقوط البرد .

١٨٨٣–٨٤ حدثت عواصف شديدة في ربيع ١٨٨٤ مما سبب غرق كثير من السفن . وفي عمان سقطت أمطار غزيرة في فبراير ١٨٨٤ وحصلت سيول .

١٨٨٤–٨٥ المطر في جنوب ايران غزير لم يسبق له مثيل . وفي عمان هب اعصار شديد على ساحل الباطنة بين سيب والمسنعة وتعمق في الداخل الى ان وصل الى رستاق في الداخل وسبب خسائر في الارواح . ودمر آلافاً من أشجار النخيل ،

---

(١) السنون المشار اليها في هذه الفقرة تبدأ من أول أبريل من السنة الافرنجية الى آخر مارس من السنة التالية .

وفي نفس الوقت سقطت أمطار غزيرة شملت كل عمان اكتسحت الزراعات والاشجار والمساكن وسببت خسائر فادحة .

١٨٨٥–٨٦ في إبريل ١٨٨٦ هب إعصار شديد على بندر عباس فغُمِرَت المدينة بمياه البحر وتلفت ممتلكات كثيرة وفي السنة نفسها غَمَرَت المياه مدينتي المنامة والمحرق في البحرين ودمرت مساكن عديدة .

١٨٨٦–٨٧ سقطت أمطار جيدة في مكران الايرانية .

١٨٨٧–٨٨ كان المطر في العراق التركي قليلا الا أن فيضانات الأنهار سببت بعض الخسائر .

١٨٨٨–٩٠ كانت حرارة الصيف في بوشهر شديدة مرهقة سنة ١٨٨٨ وكان الشتاء التالي هادئاً خالياً من الزوابع وحدثت الظروف نفسها في ١٨٨٩الى٩٠ ، أما في العراق التركي فكان المطر غزيراً سنة ١٨٨٩ الا أنه جاء متأخراً جداً .

١٨٩٠–٩١ كان المطر في جنوب ايران حسناً جداً وفي يونيو ١٨٩٠ هب إعصار عنيف مصحوباً بموجة مد مرتفع سبب أضراراً بليغة في بلدة مسقط وأتلف كثيراً من محصول التمر في المناطق المجاورة . وهبت عاصفة شديدة سنة ١٨٩١ على ساحل عمان المتصالح ازالت أسقف المنازل واقتلعت اشجار التمر وأغرقت السفن في البحر ودمرت المراكب في المراسي .

١٨٩١–٩٢ كان المطر على ساحل عمان المتصالح قليلا جداً .

١٨٩٢–٩٣ كان صيف سنة ١٨٩٢ على ساحل إيران طويلا وشديد الحرارة وفي الشتاء التالي هبت زوابع عنيفة كان اشدها يوم ١٧ نوفمبر اذ صحبها سقوط البرد وسببت أضراراً فادحة . أما في جنوب ايران فقد كان المطر قليلا .

١٨٩٣—٩٤ هبت على عربستان عاصفة في ديسمبر سنة ١٨٩٣ مصحوبة بأمطار غزيرة وارتفع نهر قارون ٢٠ قدماً في الاهواز واستمر الفيضان حتى اوائل شهر يناير وغطت المياه مناطق كثيرة . وفي مارس سنة ١٨٩٤ نزل المطر غزيراً في البحرين حيث تهدم الكثير من المساكن . وفي فارس سببت الامطار والسيول خسائر كبيرة .

١٨٩٥—٩٦ في اوائل سنة ١٨٩٥ سقطت أمطار جيدة في العراق التركي وفي سنة ١٨٩٦ حصلت فيضانات غير عادية في الدجلة والفرات غمرت كثيراً من الاراضي وأتلفت كثيراً من المحاصيل . وفي جنوب ايران كان المطر قليلا قلة واضحة خصوصاً حوالي لنجة وبندر عباس . الا أن المطر سقط في شهر مارس سنة ١٨٩٦ في منطقة لنجة مما سبب تحسين الاحوال .

١٨٩٦—٩٧ شمل الجدب جنوب إيران .

١٨٩٨—٩٩ في اليوم الثالث من يونيو سنة ١٨٩٨ هب إعصار مروع على مسقط والمناطق المجاورة لها في عمان ودمّر كثيراً من السفن الصغيرة على طول الساحل واقتلع آلافاً من الأشجار والنخيل .

١٩٠٠—١٩٠٢ المطر قليل في العراق التركي . وفي بندر عباس عندما جاء يوم ١٢ مارس سنة ١٩٠٢ كان المطر لم يسقط لمدة سنة كاملة .

١٩٠٢—١٩٠٤ الامطار الشتوية في جنوب إيران جيدة .

١٩٠٤—١٩٠٥ الشتاء قارس البرد فوق المعتاد . وفي صباح ٢٩ يناير سنة ١٩٠٥ ظهر الجليد في بندر عباس .

١٩٠٥–١٩٠٦ حدثت فيضانات في العراق التركي . وكان الصيف في عربستان الشمالية معتدلا نسبياً سنة ١٩٠٥ . وفي أواخر ديسمبر عمّت موجة برد شديدة الى درجة الجليد . سقط مطر غزير في أماكن من مكران الايرانية حيث غمرت حوالي ٥٠٠ ميل مربع من الاراضي قريباً من جواتر ، الامر الذي لم يسبق مثله في السنوات العديدة السابقة : وكان سقوط المطر بصفة عامة فيما بين جاشك وجوادر ...

١٩٠٦–١٩٠٧ كانت هذه السنة عادية فيما يبدو في معظم الاماكن ومن مختلف الوجوه .

★ ★ ★

محطات الارصاد الجوية التابعة لحكومة الهند

فيما يلي محطات الارصاد التي انشأتها وتولتها حكومة الهند في منطقة الخليج وتواريخ انشائها .

مسقط	اول فبراير	١٨٩٣
المنامة	اول أكتوبر	١٩٠١
الكويت	. . . . .	١٩٠٨
بغداد	أول اكتوبر	١٨٨٧
البصرة	أول يناير	١٩٠٠
المحمّرة	أول مايو	١٩٠٨
بوشهر	أول ابريل	١٨٧٦
جاشك	أول ديسمبر	١٨٩٢

وفي الوقت الحاضر يقوم موظفو مصلحة التلغراف الهندي الاوروبي برصد الظواهر الجوية في فاو وشاهبار ويرصدها القنصل البريطاني في بندر عباس ونائب القنصل في ناصري (الاهواز) .

ملحق ب

الوضع الجيولوجي لمنطقة الخليج

كتبه ج. أ. بلجرام نائب مدير المساحة الجيولوجية في الهند

ليس من الممكن إعطاء بيان واف عن جيولوجيا الخليج اذ أن مساحات كبيرة – حتى في المناطق الساحلية – لم يسبق دراستها جيولوجياً. على ان الحقائق المعروفة تكفي لاعطاء فكرة واضحة عن التاريخ الجيولوجي لهذه الاقاليم .

★ ★ ★

التكوينات

التكوينات الجيولوجية الموجودة هي كما يلي ، مرتبة ترتيباً تنازلياً :

١ – الحديث او شبه الحديث

كتل صدفية وصخور المرجان الميت على الساحل ، كثبان الرمل الحمراء على ساحل عمان المتصالح ، طمي العراق التركي ، مترسبات الانهار والبحيرات في عمان واواسط ايران .

٢ – البلستوسيني (العصر الحديث الاقرب)

الصخور الكلسية المنخربة او « الميليولايت » .

٣ – البليوسيني (العصر الحديث القريب)

سلسلة جبال بختياري ، كتل وصخور رملية .

٤ – الميوسيني (العصر الثلثي الاوسط) .

سلسلة جبال فارس ، المرل ، والصلصال والحجار الرملية الكلسية والصخور الجصية .

الجنوب الشرقي ويرجع سبب ذلك في الشتاء الى اندفاع الرياح من منطقة الضغط العالي في اوروبا ، وفي الصيف الى وجود منطقة ضغط منخفض على الخليج نفسه في بلوشستان ووادي الاندوس .

ومن الجدير بالملاحظة أنه بعد ان يبدأ هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في بحر العرب عبر مدخل خليج عمان فان مجرى من الرياح القوية المستمرة إلى أسفل الخليج مما يكون ملحوظاً خلال الشهرين السابقين يتوقف في الحال تقريباً .

★ ★ ★

الفصـــول

الفصول الرئيسية

الفصول في الخليج هي الفصول المعروفة عموماً في المنطقة المعتدلة أي صيف لطيف وشتاء رطب ، ويمكن اعتبار الفصل الحار ممتداً من اول شهر مايو الى آخر شهر اكتوبر. أما الفصل البارد فمن منتصف نوفمبر الى منتصف مارس وأما الفترات المتبقية فتعتبر انتقالية .

الأجزاء الفرعية للفصول

تكون الحرارة شديدة في منتصف مايو الى منتصف يوليو ولكن يلطفها في أعلى الخليج هبوب ريح الشمال أي الرياح الشمالية الغربية ، ومن منتصف يوليو الى منتصف أغسطس تكون الحرارة قاسية جداً نظراً لركود الجو وللرطوبة العالية . وعادة ما يبدأ الجو الرديء بعد منتصف شهر ديسمبر .. أما يناير وفبراير فهما يتميزان بالبرد والعواصف .

الريـــاح

الشمال والبارح

لاشك ان الرياح السائدة التي تهب على الخليج هي الشمال أي الشمالية الغربية ، وهي كما ذكرنا تلطف الجو في فترة من الموسم الحار ، وفي شهور مايو ويونيو ويوليو عندما تهب الشمال بانتظام تعرف باسم «البارح» ويقسم البعض فترة البارح الى قسمين ، الاولى وتستمر عشرين يوماً تسمى «بارح الورد» في حين تستمر الثانية اربعين يوماً وتعرف باسم «بارح المشمش» ويعتقد الاهالي ان عدم هبوب البارح يتبعه حتماً ندرة المطر في فصل الشتاء التالي ويوجد فعلا من البيانات المدونة ما يؤيد هذه النظرية .

رياح أخرى

وربما تكون اكثر الرياح اهمية وتمييزاً بعد ريح الشمال رياح « القوس » والجنوبية الشرقية التي تقابل الشمال في الشتاء .

وهناك رياح اخرى هي نعشي او الشمالية الشرقية وتهب بشدة في خليج عمان لا سيما في الشتاء وفي أثنائها يكون ساحل الباطنة واقعاً تحت خطر العواصف .

وريح السهيلي او الجنوبية الغربية التي يخشاها البحارة المحليون اذ تضرب معظم أماكن رسو السفن على الساحل الايراني .

ثم ريح الياهي التي تهب من الشمال وشمال شرق ، والبحري من الشرق فقط .

الداكنة في مسقط فهي تتكون من سربانتين وقد امتلات الفجوات التي بينها بالمغناسيت (كربونات المغنيسيوم) وهو ناتج ابيض منحل .

ونجد هذه السلسلة البركانية في جميع منعرجات سلسلة جبال عمان والصخور البركانية والحجر الجيري على السواء تنحدر على زوايا لا تكاد تقل ابداً عن ٤٥° .

وهي مكسوة بغير انتظام بصخور كلسية طباشيرية .. ومن هنا نستطيع ان نستنتج ان هذا الدفق من المادة البركانية إنما حدث في نهاية العصر الجوارسي او في مستهل العصر الطباشيري ، في أغلب الظن .

الحجارة الكلسية الهيبيوريتيكية

تنتشر الحجارة الكلسية المشتملة على اعضاء من أسرة الرخويات (الهيبيوريتيكية) وبعضها يتخلله طبقات من الطين الصفحي) انتشاراً واسعاً في ايران ، وهناك مكتنفة(١) صغيرة في خمير تحيط بها صخور أحدث عهداً ، وهي متطورة تطوراً ذا شأن على الشاطىء العربي جنوب شرقي مسقط حيث الصخور ذات الاحافير المشيرة الى عصر طباشيري أعلى تكسو الصخور القديمة .

سلسلة هرمز

في معظم المناطق الشرقية من ساحل الخليج نجد سلسلة من الحمم البركانية والتوف(٢) تتخللها طبقات من الحجر الجيري والطفل ، كما نجد معها أيضاً طبقات فسيحة من الملح الصخري والجبس يتخللها اللون الاحمر لوجود اوكسيد الحديد الاحمر و (المغرة الحمراء) الناشيء عن تحلل «حجر الدم» أو خام الحديد الاملس الذي يوجد بكثرة(٣) .

---

(١) طبقة صخرية يكتنف الجزء البارز منها على سطح الارض صخورا أحدث عهدا .

(٢) جمع توف وهو حجر مسامي يتشكل من رماد البراكين .

(٣) رجعنا عند ترجمة هذه الصفحات العلمية الجيولوجية والصفحات التالية الى قاموس « المورد » تاليف منير البعلبكي .

وتوجد المغرة الحمراء في هرمز وبوموسى ومناطق اخرى بكميات هائلة وقد تم استغلالها كما يوجد أيضاً كبريتور الحديد والكبريت والدولومت والآنهيدريت الى حد ما في هذه المناطق .

وقد ساعد ذوبان الملح تحت سطح الارض وما يتبعه من هبوط في سطحها على تشقق فريد من نوعه في سلسلة هرمز كما يزيد خلوها من مظاهر الحياة في شذوذ مظهرها فقد تكسرت طبقاتها ونجدها غالباً تميل في انحدار شديد .

وفي خمير فان اتصالها بالحجر الجيري الهتيبيوريتيكي يثبت بوضوح أن تاريخها ليس أقدم من العصر الطباشيري الاعلى . وبما أن الصخور الفجرية (الايوسينية) التي تعلوها لا يحتمل ان تكون أقدم عهداً من العصر الفجري الاوسط فانه يمكن اسناد تاريخها الى زمن متوسط بين الاثنين . ومن المحتمل انها تكونت في مياه ضحلة في مساحات هبطت تدريجياً ببطء .

العصر الفجري والضحوي

يمكن توزيع صخور ذلك العصر على مناطق ثلاث في الخليج :

١ — إيران . يمتد حجر الجيري النيمولتيكي فوق مساحات شاسعة في داخل ايران وبلوخستان فوق الصخور الطباشيرية في غير انتظام . والحجر الرملي تتخلله طبقات من الحجر الجيري يشكل سلسلة الجبال خلف بندر عباس التي تمتد حتى البحر عند خمير .

أما جنوب ايران فانه ربما يخلو من صخور تمثل الحجر الجيري الادنى الموجود في بلوخستان والسند ولكن طبقات شبه متواصلة تبدو وكأنها استمرت الى العصر الضحوي بل الى العصر الميوسيني الادنى . واحدى ما وجد من الطبقات هي الحجر الجيري الذي يحتوي على الكلبيستر(١) في سلسلة بختياري .

(١) نوع من الطحالب البحرية .

٢ — عمان ان هناك حجراً جيرياً رملياً ذا قاعدة مختلطة يرقى الى العصر الفجري الاعلى يعلو جميع الطبقات الاعرق في القدم .

٣ — البحرين . كانت تفصلها عن المنطقتين السابقتين حواجز برية تتكون من صخور عمان القديمة ومن الارض التي كونتها سلسلة هرمز ولم يبق من آثارها سوى جزر الخليج وبعض مواضع قليلة على اليابسة .

والصخور من الحجر الجيري وأغلبها صلصال وتتميز باحتوائها على مقدار كبير من الجبس ومواد صوانية متناثرة فيها ، بعضها صوان غير نقي وبعضها صوان نقي او جيّودات (حجارة ذات تجويف مبطن ببلورات) كوارتزية .

وقنافذ البحر وامثالها كثيرة في بعض الطبقات .

ويكاد يكون من المؤكد ان سلسلة البحرين تشمل مساحة كبيرة أيضاً داخل ارض الجزيرة العربية وربما تماثل البوسين المصري .

سلسلة فارس

هذه السلاسل الكثيرة من الطمي والطين المعرق بالجبس والذي تتخلله طبقات من الحجر الجيري والحجر الرملي قد يصل سمكها الى ما لا يقل عن ١٧,٠٠٠ قدم ، وتتكون منها سلسلة جبال جيساكان خلف بوشهر ونجدها بالاخص على طول الساحل . وفي داخل البلاد تصل الى ارتفاع ٧٠٠٠ قدم فوق سطح البحر . وهي تنهض بغير انتظام فوق سلسلة هرمز وجميع الحجارة الجيرية النيموملينية الربقية الى العصر الضحوي . والطبقات السفلى تحتوي على صخور جبس يصل سمكها الى ما لا يقل عن ٣٠٠ قدم . وفي هذه المنطقة بالذات يتكون القسم الاكبر من بترول ايران والخليج .

ويبدو ان هذه الطبقات السفلى لا تمتد الى شرق بندر عباس وربما يرجع ذلك الى تداخل طبقات أحدث عهداً منها .

وتدل الحفريات التي وجدت في قشم وهانجام وبعض الجزر الاخرى على ان هذا القسم من السلسة حدث عهداً من الكتلة الطينية التي في داخلية إيران .

سلسلة بختياري

الطبقات في هذه السلسلة غير متوافقة مع طبقات سلسلة فارس ، ولكن في الوقت نفسه لم تحدث تحركات ارضية عنيفة قبل تكونها . وهي لا تتقارب في مسافة حوالي ٥٠ ميلا بعيداً عن الخليج ولكنها توغل الى داخل البلاد ممتدة من الموصل الى شيراز وتظهر في تلال الاهواز وبهبهان وفي وسط جبال بختياري . وأكثر الصخور انتشاراً هي الصخور الرملية الحمراء والحصى والصخور المتجمعة التي تحتوي على حصوات صوانية غير نقية حمراء وخضراء وهذه كثيرة الانتشار في هذه السلسلة .

وتنتشر هذه الصخور بشكل غير توافقي فوق طبقات يوسينية وطباشيرية وهذه ربما كانت رواسب في دلتا كبيرة الانهار أو أخوار ثم تحولت الى اراض جافة وهي خالية من الآثار العضوية المتحجرة ما عدا أثر قدم لحيوان مفترس عثر عليه مستر لوفتس .

العصر الحديث الاقرب (البليستوسين)

نظراً للحركات الارضية الكبيرة التي رفعت ولفت (الثلاثيات) يبدو أنه تكون حجر جيري محبب على معظم جزر الخليج وهو مكون من بقايا المثقوبات الصغيرة مع بعض الرمل ترسب حولها الجير في طبقات ويحتمل أنها كانت بعض رواسب الرياح ، وهي تماثل ما وجد عند ساحل كاثياوا والمعروفة باسم « ميليولايت » .

الحديث وما دون الحديث

في تاريخ متأخر عن « الميليولايت » حدثت التكتلات المحارية التي توجد على جميع سواحل الخليج وقد وجدت على ارتفاع ٤٥٠ قدماً

عن سطح البحر والقواقع (المحار) الموجودة في هذه الاحجار تشبه تلك التي تعيش الآن في الخليج ، ومعظم هذه الرواسب التي ذكرناها يمكن اعتبارها بليستوسين الا أنه ليس لدينا ما يمكننا من تحديد عصرها بدقة .

وتوجد تلال الرمل الاحمر على ساحل عمان المتصالح بعيداً عن ساحل الخليج بمسافة ثمانية أميال او أكثر ، ولونها هذا ناشيء عن وجود حصوات دقيقة مستديرة من الصوان غير النقي . وقد وجدت كميات كبيرة من الرمل سفتها الرياح الى جزيرة قشم .

أما السهول الصحراوية الشاسعة في داخلية ايران فكانت في زمان ما مواقع لبحيرات تخلفت عنها مسطحات من الرمل والطين .

والتراب الرملي في العراق التركي أصله من رواسب الدلتا ، وهو يتكون من الرمل والطفل الرملي المحتوي على قواقع بحرية كثيرة ، ويمتد هذا التكوين بسرعة ميل واحد كل ٣٠ سنة .

أما الطين والرمل من رواسب أنهار العراق التركي وعربستان والرمل النهري في المرتفعات الايرانية وفي عمان فلا تستحق أكثر من مجرد الذكر .

★ ★ ★

التاريخ الجيولوجي للخليج

المعلومات المتوافرة لدينا عن هذه المنطقة لا تسمح لنا أبداً بتتبع سير الاحداث قبل الضغوط الشديدة التي أدت الى الانفصالات بين الصخور البركانية الرئيسية في مسقط وعمان بين الطبقات الكاربوترياسية . ويحتمل أن تكون هذه الانفصالات قد حصلت في اوائل العصر الطباشيري ، وعلى ذلك يمكننا اعتبار هذه الفترة هي ابتداء ارتفاع جبال عمان . وفي الطبقة الاوقيانوسية التي حدد تخمها الجنوبي بهذه الصخور الاعرق قدماً

استقرت طبقات العصر الطباشيري الاعلى من الحجارة الجيريــة الهيبيوريتيكية التي تغطي مناطق واسعة من فارس .

وبعد ذلك بزمن غير طويل ربما يمتد الى العصر اليوسيني حدثت في هرمز سلسلة من السيول البركانية صحبها تكون طبقات سميكة من الملح والجبس . وليس من المستبعد ان حالات المياه الضحلة التي انتشرت هنا حدثت في فترة من هذه الحقبة التاريخية ، وربما كان بعض السوائل البركانية في سلسلة هرمز قد تكون تحت سطح الماء .

وبعد فترة الثوران البركاني حدثت انخفاضات شديدة في مظعم مناطق ايران الجنوبية . وفي هذه المنخفضات ترسبت الصخور اليوسينية وصاحب ذلك تحول في المنطقة البركانية في هرمز الى ارض يابسة شكلت مانعاً يمتد تقريباً في اتجاه شمالي–غربي وجنوبي –شرقي بشكل يفصل البحر اليوسيني الايراني عن نظيره في البحرين . وليس مستبعداً ان تكون هذه المرتفعات استمرت خلال العصر الفجري والضحوي الاعلى والعصر الثلثي الأوسط . ويحتمل ان هذه المدة كانت فترة هادئة وان توزيع مواضع الارض اليابسة والبحر ظلت كما هي على حالتها دون تغيير الا ما اقتضته بعض تغييرات طفيفة قبل ظهور سلسلة فارس ورمال بختياري .

وفي اوائل العصر البليوسيني حدثت في سطح الكرة الارضية جملة تحركات نتج عنها بين امور أخرى تكوين سلاسل جبال إيران .

ويبدو ان منطقة الخليج لم تتأثر بهذه الاحداث كما تأثرت هضبة إيران ، ويؤيد ذلك وجود الطبقات شبه الأفقية في سلسلة فارس وهانجام والصخور البوخينية قليلة الميل في عمان والبحرين .

ويظهر ان هذه المنطقة قد خضعت بصفة عامة لعوامل التعرية الجوية ونشأ عنها حدوث المعالم الطوبوغرافية في قاع الخليج الفارسي وخليج عمان وانتهت الى وضعها الحالي في خلال العصر البليوسيني .

ومما لا شك فيه أن الارض حددتها الصخور البحرية الممتدة على

ساحل مكران عابرةً الخليج الى عمان ثم محاذية للساحل العربي . وربما حدثت هذه الظاهرة نتيجة صدع في طبقات الارض ولكن كاتب هذا البحث يميل الى الاخذ بفكرة حدوثها نتيجة عوامل التعرية بالارتفاع التدريجي خلال العصر البليوسيني وربما خلال العصر البليستوسيني ثم غاصت مساحات واسعة حيث دفنت منخفضات وديان الجبال ومجاري الانهار التي كانت قد تكونت في عصور سابقة . وإننا نعزو الى ظهور شيء من هذا القبيل وجود مداخل مسندوم العميقة والجزر المنتشرة في الخليج وما هي الا قمم معزولة لسلسلة هرمز البركانية التي تبرز بالكاد فوق سطح الماء . وآخر الظواهر التي تعرض لها الخليج او يتعرض لها الآن هي ظاهرة ارتفاع تدريجي نرى آثارها في الصخور الساحلية ، وهي الآن على ارتفاع ٤٥٠ قدماً من سطح البحر الحالي وفي الهضبة المستوية التي تحيط بميناء مسقط .

وفي القسم العلوي من الخليج نجد ان رواسب دلتا نهري الدجلة والفرات قد ساهمت أيضاً في ردم مساحات بطريقة تختلف عن ذلك تماماً ، فمنذ العصور التاريخية كانت مصبات هذه الانهار قد غمرها الطمي مما غير الخط الساحلي للخليج في تلك المنطقة ومن المتوقع في المستقبل أن يتصل ما بين الاحساء وفارس كما أن الطمي في العصور السابقة أنتج سهول العراق الخصبة .

★ ★ ★

المعـــادن

البترول

تدل بوادر عديدة على وجود البترول بطول حزام عريض من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي داخل العراق التركي الى أسفل الخليج . واغزر ما يكون البترول أسفل سلسلة التلال حيث منابع النفط في داليكي

وبهبهان وراموز وشوستار وقصرالشيرين . وقد امكن الحصول على كميات قليلة من الزيت من بئر شوشتار لعدة سنوات . ورغم أنه تم حفر آبار عميقة بقصد الحصول على كميات وافرة الا أنه لم يحالفها التوفيق

الاسفلت

وجد منجم لنوع جيد في البحرين ولكن كمياته قليلة .

الفحم

على بعد ثلاثين ميلا من صور في عمان وجدت بعض عروق الفحم في طبقات ثلاثية حديثة ونظراً لقلة حجمها وصعوبة الحصول عليها فانه من غير الملائم استغلالها .

الكبريت

بدأ استغلال مناجم الكبريت في الماضي عند خامير وبستانة قرب لنجة ، ولكنها في الوقت الحاضر لا تعتبر مجزية بما يكفى .

النحاس

يوجد على هيئة ملكيت وفيلز نحاسي ذي بريق في داخل عمان .

تراب الحديد الاحمر

توجد مناجم في جزر كثيرة في الخليج ويجري استغلالها بنجاح .

الملـــح

يوجد بكميات لا حصر لها في سلسلة جبال هرمز وجزيرة قشم وتصدر منه كميات هائلة .

الجبس

منتشر في كل منطقة الخليج وهو من النوع الجيد وسهل الاستخراج ويستعمل في كل مكان كالاسمنت في البناء .

الحديـــد

يوجد على هيئة جحر الدم (هيماتايت) وكبريتور الحديد (بايرايت) في مواضع كثيرة من سلسلة هرمز .

وقد لوحظ وجود الماجنيزايت والشبه .

أحجار المباني

يكثر استعمال الصخور المحارية الساحلية وبعض الأحجار الرملية في بختياري على نهر الكارون وهي لا بأس بها ، وكثير من صخور البحرين يصلح جيداً للمباني . وفي عمان يوجد الحجر الرملي اليوميوليتي وهو من أجود انواع أحجار المباني .

خامات اصلاح الطرق

توجد في مسقط احجار ملتوية (حجر الحية) تصلح لهذا الغرض .

★ ★ ★

مذكرة ملحقة رقم ١
الزلازل في الخليج

الزلازل كثيرة واحياناً تكون شديدة في الخليج ذاته خصوصاً في قسمه الاسفل تجاه الساحل الايراني .

ففي سنة ١٨٦٥ حدث زلزال دمر قرى درافه عسوه قرب منغام وسوى مبانيها بالارض وقد شاهده الدكتور كولفيل وهو من رجال مقيمية بوشهر . وقيل إنه في اغسطس سنة ١٨٨٠ حدث زلزال دمر بعض المساكن وقتل حوالي ١٢٠ نفساً في بستك .

وفي ١٦ أكتوبر سنة ١٨٨٣ حدثت هزة عنيفة في كانجون وعسّالو

وظاهري والمناطق المجاورة وسببت خسائر فادحة ، واستمرت الهزات حتى يوم ٢٤ وقد شعرت بوشهر بهذه الهزة .

وفي سنة ١٨٨٤ حدث زلزال كانت اعنف هزاته في جزيرة قشم واستمر عدة أيام كان اشدها يوم ٢٠ مايو وأصيبت بعض القرى بهدم بعض مبانيها وتسبب في قتل ١٣٢ نفساً قيل إنها دفنت تحت الأنقاض . وقد هجر الجزيرة كثير من سكانها وعم الضيق واعفيت الجزيرة من الضريبة السنوية وتبرع الشاه بمبلغ ١٤٠٠ تومان إعانة للمعوزين ولاصلاح المساجد . كما وصلت هذه الهزات الى لنجة ولكنها لم تحدث أضراراً . وفي شهر يونيو حصل زلزال في رأس الخيمة على الجانب العربي من الخليج .

وفي الرابع عشر والرابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٨٧ حدث زلزال شديد في بوشهر .

وكان اشد ما وقع من الزلازل في العصر الحديث في منطقة الخليج هو ما حدث ليلة ١١ يناير سنة ١٨٩٧ فأحال قشم الى خرائب ولم يبق فيها قائماً سوى مسجدين اثنين وثلاثة أو أربعة مبان أخرى وقيل ان أكثر من ١٦٠٠ جثة استخرجت من تحت الانقاض كما حدثت خسائر في الارواح في جزيرة لارك نتيجة الزلزال نفسه وامتدت الهزات الى غربي لنجة .

وفي شهر يونيو سنة ١٩٠٢ أصابت الزلازل قشم وبندر عباس فبدأت في التاسع من شهر يونيو واستمرت أياماً عديدة وكانت الخسائر في قشم كالمعتاد أكثر من سواها .

كما حصلت هزات سنة ١٩٠٥ في جزيرة هانجام في الخامس والعشرين من شهر إبريل وفي جريرة قشم في السابع والعشرين من أبريل ، وفي ذات الوقت حدثت تحركات ارضية في جوار بندر عباس نشأ عنها تصدع في الارض وانهيار المنازل في جبال جيناو وقرية عِسِنْ .

مذكرة ملحقة رقم ٢
موارد المياه والجيولوجيا

مسقط

مناخ مسقط عديم المطر ، وهي لهذا السبب ، ولوجود التلال الشديدة الانحدار ذات الصخور اللولبية بلاد جدبة ولكن هناك ما يدعو للظن أن آباراً عميقة في حوض المدينة يمكن ان تكون مصدراً لمياه غزيرة وهناك بئران تعطى إحداهما ماء عذباً وتعطي الثانية ماء قليل الملوحة .

الباطنة

في مقاطعة الباطنة الساحلية من مسقط غرباً الى مرتفعات روس الجبال يمكن الحصول على ماء صالح بطريق حفر الآبار خصوصاً في الاماكن المجاورة لتلال الحجر الجيري في سلسلة عمان .

روس الجبال

يعتبر مرتفع روس الجبال الصخري والذي يفصل خليج عمان عن الخليج الرئيسي عديم الماء وتكاد الامطار لا تسقط فيه ابداً وليس من المحتمل العثور على آبار ارتوازية فيه .

عمان المتصالحة

في الجانب الغربي من مرتفع روس الجبال وعلى امتداد ساحل عمان المتصالح توجد آبار ذات مياه جيدة ومن المحتمل إمكان الحصول على الماء الجيد في كثير من الاماكن على عمق ١٠٠ قدم او اقل .

البحرين والقطيف

لا شك ان عيون الماء الغزيرة في البحرين والقطيف تستمد من مرتفعات الجزيرة العربية الوسطى وفي جزر البحرين يلاحظ عدم انتظام

نوعية المياه ، وتجد في بئرين على عمق ياردات قليلة أن إحداهما تعطى الماء الملح والاخرى تعطى الماء العذب .

العراق التركي وعربستان الايرانية

موارد الماء في منطقة الدلتا في شط العرب وقارون عذبة ومتوفرة .

الساحل الايراني - القطاع الشمالي الغربي

على طول الساحل الايراني الى الجنوب الشرقي حيث تبدأ مرتفعات هرمز الملحية أي عند بوشهر وجميع الاماكن غرب خط طول ٥٢ درجة و ٤٠ دقيقة تحفر الآبار وتغطي مياه وافرة بشكل عام .

والماء في هذه المناطق محفوظ في الصخور المحارية الافقية المسامية الساحلية او النهرية الاصل التي تغطي السهل فيما بين التلال والبحر . ويعتقد ان الماء يدخر في الطبقات الطينية الطفيلية من العصر الميوسيني والبليوسيني وهو وارد من مياه الامطار على التلال البليوسينية الشاهقة بعيداً عن الساحل الى الداخل . وماء بوشهر يشربه الاهالي اما الاوروبيون فانه يسبب لهم اضطرابات في المعدة . وربما يعود السبب إلي وجود هذه الشوائب المضرة بوجود بعض العناصر من طبقات الجبص في السلسلة الميوسينية التي مرت بها المياه وهذا هو السبب الممكن المعقول لوجود هذه الشوائب .

الساحل الايراني - القطاع الجنوبي الشرقي

الساحل الايراني والجزر شرق خط الطول ٥٢ درجة و ٤٠ دقيقة عموماً محرومة من الماء الصالح للشرب لوجود الملح في سلسلة هرمز . وهو اذا لم يكن ظاهراً على سطح الارض فهو على عمق قليل ، ولذلك فمياه الآبار مالحة وغير صالحة للشرب . وهذا ينطبق على الساحل ما بين بندر عباس ولنجة ولمسافات على كلا الجانبين . ويعتمد سكان هذه المناطق على مياه المطر السطحية التي تتجمع في برك او خزانات . ونظراً لقلة الامطار فهذا المورد للماء غير ثابت او مأمون كما ان نوع الماء غالباً ما يكون غير مقبول .

ملحق ت

مصايد اللؤلؤ واصداف اللؤلؤ في الخليج(١)

صيد اللؤلؤ هو الصناعة الاولى في الخليج ، وهو الى جانب كونه من الحرف الغريبة الخاصة بمنطقة الخليج ، مصدر الربح الرئيسي او الوحيد لسكان الساحل العربي .

ولو لم تكن موارد اللؤلؤ لانهارت تجـــــارة الكويت كثيراً ولنقصت تجارة البحرين الى خمس حجمها الحالي ولما قامت موانىء عمان المتصالح ، اذ أن اللؤلؤ هو عماد حياتها الوحيد ومصدر قوتها الشرائية . والمذكرة رقم ٣ من هذا الملحق تبين ان السفن المشتغلة في هذه الصناعة حوالي ٣٥٠٠ سفينة ، وأن المشتغلين فيها شخصياً يزيدون عن ٧٤٠٠٠ نفس ، ولتقدير أهمية هذه المصايد يجب الا يغيب عن البال

---

(١) اقدم المراجع مقال كتبه الرائد د. ولسون في المجلد الثالث ـ مقال الرائد ل. بيلي في الجزء ٢٨ ـ مقال رئيس ا. ل. دوراند في تقرير ادارة الخليج ١٨٧٧ ـ ٧٨ ـ مقال الرئيس ا. موكلر نفس التقرير سنة ١٨٨٥ ـ ٨٦ ـ رائد الخليج سنة ١٨٩٨ . كان الرئيس موكلر أول من درس النواحي الفنية في تجارة اللؤلؤ ـ ونجد الاحصاءات في التقارير السنوية الادارية والتجارية في مكتب المقيم في الخليج وهذه المقالة مستقاة من المراجع المشار اليهـا والتقارير التى كتبت سنة ١٩٠٥ و ١٩٠٦ و ١٩٠٧ بقلم رائد ف.ب. بريدو ، المعتمد السياسي في البحرين ومساعده مستر انعام الحق الذى أدى خدمات عظيمة وبقلم الرائد س.ج. نوكس المعتمد السياسي في الكويت . والمستر ج.س. جاسكين المساعد السياسي والمعتمدون الوطنيون في الشارقة ولنجا . ويذكر كاتب هذا المقال بالفضل الدكتور ن. أنانديل من المتحف الهندي في كلكتا كما أن بعض البيانات المفيدة في نواحي صيد اللؤلؤ في الخـليج يعـود الفضـل فيهـا الى العلامـة و. آ. هيردمـان عن مصايد محارات اللؤلؤ في خليج مانار ١٩٠٣ ـ ١٩٠٦ .

أفراد عائلات المشتغلين بها ورجال المال بين كبير وصغير ومن يعولونهم ممن يستغلون اموالهم في هذه التجارة .

والمذكرتان الملحقتان رقم ١ ، ٢ توضحان بجلاء مدى استغلال هذه التجارة فقد قدرت قيمة اللؤلؤ المصدر من الخليج سنة ١٨٣٣ بمبلغ ٣٠٠,٠٠٠ جنيه وسنة ١٨٦٦ بمبلغ ٤٠٠,٠٠٠ جنيه ، وسنة ١٩٠٥ — ١٩٠٦ بمبلغ ١,٤٣٤,٣٩٩ جنيهاً على أقل تقدير ، ويجب ان يضاف إلى هذه المبالغ قيمة أصداف اللؤلؤ المصدرة التي لم تكن ذات قيمة في الماضي ولكنها في سنة ١٩٠٣–١٩٠٤ بلغت ٣٠,٣٤٩ جنيهاً .

ولمصايد اللؤلؤ وضعها السياسي كما أن لها وضعها التجاري . وسنعود الى ذلك بعد بحث موضوع هذه الصناعة بصفة عامة .

★ ★ ★

شواطىء (مغاصات) اللؤلؤ

مداها ومواقعها

يبدو ان التكوين الجيولوجي لقاع الخليج وحرارته وضحالة مائه مواتية بدرجة عالية لتربية أصداف اللؤلؤ .

والمغاصات المعروفة فعلا والمستغلة في الوقت الحاضر تمثل نسبة كبيرة جداً من منطقة الخليج وأهمها عند الساحل العربي(١) .

ويبدأ الخط الذي تقع بينه وبين الساحل العربي هذه المصايد، أي الذي يحدد مواقعها من الخارج . من جهة البحر ، قرب ساحل عمان المتصالح

(١) نجد قائمة بمغاصات اللؤلؤ الرئيسية في المذكرة رقم ٤ من هذا الملحق وهى من عمل الملازم هوز من رجال السفينة الحربيـة البريطانية « ردبرست » ، وعلاوة على الموضح بالقائمة فان هناك كثيرا غيرها وهى ولو أن لها أسماءها الخاصة بها الا أنها في الواقع أجزاء من الشواطىء التى في القائمة .

على بعد أميال قليلة غربي بلدة دبي ويسير في اتجاه الشمال من صير بو نعير ثم ينحني على بعد ٢٠ أو ٣٠ ميلا من أقرب موقع على الارض حول رأس قطر أو ارخبيل البحرين .

وشمال جزر البحرين ينقص عرض الحزام ويمكن اعتباره منتهياً عند جزيرة أبو علي مع وجود بعض المغاصات الأقل أهمية شمال هذا الموقع .

ويتراوح عمق الماء في الخليج الكبير بين عمان المتصالح وقطر من ١٠ الى ١٥ قامة (القامة ستة أقدام) على أنه توجد بعض الاماكن حيث عمق الماء فيها يصل ٢٠ و٢٣ قامة كما توجد بعض الراوبي المرتفعة تحت الماء على عمق يتراوح بين ثلاث وتسع قامات . وهذه هي المناطق التي يتوالد فيها صدف اللؤلؤ في هذا القسم من الخليج .

أما المغاصات في الساحل الايراني فان اهمها يقع ما بين لنجة وطاهري ثم فيما جاور جزيرة خارج .

وأكبر المغاصات وأكثرها انتاجاً هي الواقعة على الساحل العربي من الخليج ، ويجري الصيد منها سنوياً ، واغناها يقع في شمال وشرق البحرين ، بينما المغاصات التي عند الساحل الايراني صغيرة المساحة وقليلة في الانتاج ويمكن صيدها مرة واحدة كل ثلاث او أربع سنوات .

وتوجد مغاصات على أبعاد مختلفة من الساحل تصل الى سبعين ميلا وعلى أعماق مختلفة تتراوح ما بين مسافة قليلة تحت سطح الماء و ١٨ قامة ويمكن وجودها أيضاً في أماكن أكثر عمقاً وأبعد من الارض أي داخل الخليج حيث لا يستطيع الغواصون الأهليون الوصول اليها . ويعتقد العرب بوجود اللؤلؤ قرب روس الجبال حيث يتراوح عمق الماء ما بين ٢١ و ٢٥ قامة .

أنواع اللؤلؤ وجوهره

الاصطلاح الذي يطلق على مغاصات اللؤلؤ من العمق العادي هو

«هير» والجمع «هيرات» بينما تلك التي تقع على مرتفعات تحت سطح الماء وتحيط بها المياه العميقة «جزيرة تحت سطح الماء» فتسمى «نجوات» والواحدة « نجوة » .

ومن الجدير بالملاحظة ان الهيرات كانت معظمها معروفة من ازمان طويلة اما النجوات فهي غالباً حديثة الاكتشاف وتحمل أسم مكتشفها .

وأحسن المغاصات هي ما كان القاع فيها مستوياً وتقع في مياه صافية وتتكون من رمل مائل الى البياض فوق شعب المرجان .

ومن المعتقد ان وجود خليط من المواد الطينية او الترابية مع الرمال يتلف اللؤلؤ وأن المناطق التي فيها هذا العيب في سبيلها الى النفاذ .

ولا تكون الاصداف ملتصقة التصاقاً شديداً مع القاع الذي تنمو عليه فهي إما أن تكون ملقاة على الرمال كاملة الانفصال عنها وإما أن تلتصق التصاقاً خفيفاً مع قطع من المرجان او الأعشاب البحرية . وفي بعض الأحيان يتعلق بعضها مع البعض في كتلة واحدة تسمى «تَبْرَى» والجمع «تباري» . ويقال إن مثل هذه الكتل المتحجرة تحمل اللؤلؤ وأن تبرى واحدة بها اللؤلؤ قد تعوض المركب عن جهد موسم كامل(١) .

---

(١) في سيلان توجد الاصداف عادة في القاع الصلب ويسمى « بار » وتوجد أيضا على رمال بالقرب من هذه البارات وعادة تلتصق الواحدة بالاخرى أو بأجسام صلبة مثل بقايا المرجان الميت . وقد تحتوى مجموعة الاصداف في مياه سيلان على عدد يتراوح بين ٣ و ١٦ قطعة من اعمار مختلفة (تقرير هيردمان) .

قواقع اللؤلؤ (المحار)(١)

أنواعها

القواقع التي تنتج اللؤلؤ في الخليج على ثلاثة أنواع يعطي كل منها الأصداف واللؤلؤ على السواء .

النوع الأول او محار اللؤلؤ واسمه المحار والواحدة محارة . وهو اكبر المصادر إنتاجاً للؤلؤ وهو يوجد في جميع أنحاء الخليج على أعماق مختلفة تتراوح ما بين مسافة قليلة تحت الماء الى عمق ١٨ قامة على الاقل .

والنوع الثاني هو الزنّية «والجمع زنّى» وهو يوجد غالباً في المياه الساحلية بين رأس الخيمة وغبة الجزيرة حيث توجد أكبر الأنواع ولكن أجود الانواع توجد على السواحل المحيطة بجزر الشيخ شعيب وهندارابي وقيس . وتوجد هذه القواقع أيضاً بجوار جزر ارزنة ودييّنة . والزنّية والمحارة توجدان على عمق متعادل تقريباً وغالباً ما تكون على قاع عميق صلب او محاري ولكن انتاجها من اللؤلؤ قليل ومن نوع غير جيد.

---

(١) في هذا المقال تستعمل كلمة « قواقع » للدلالة على الحيوان الرخو المحاري الذى ينتج اللؤلؤ رغم أن هذا الاصطلاح ليس صحيحا من الناحية العلمية . فالمحارة تنتسب الى فصيلة « أفيكيولايديا » وهى أقرب انتسابا الى المحار الاوروبى « ماتيايلس » منها الى القواقع الاوروبية « أوستريا » .

و « قوقعة » اللؤلؤ والمحار الاوروبى كلاهما ينتج خيوطا تساعدها على الالتصاق بالصخور بينما القواقع الصالحة للاكل لا تنتج مثل هذه الخيوط ، وحسب أحد التقسيمات يمكن اعتبار المحارة مليلاجرينا فالجارس أو مارجاريتيفيرا فالجارس وأن الزنية هى ميلياجرينا مارجاريتيفيرا فار . برسيكا وأن الصديفية هى أفيكيولا ماكرويتيرا .

وحسب تقسيم آخر يمكن اعتبار المحارة هى ميلياجرينا (مارجاريتافيرا) والزنية هى أفتكيولا ماكروبترا وأن الصديفية هى ميلياجرينا (مارجاريتيفيرا) مارجاريتيفيرا ــ راجع المقالة عن هــذا في محاضرة الجمعية الملكية للعلوم الطبيعية في ادنبرة المجلد ١١ سنة ١٨٩٠ ــ ١٨٩٢ . وهناك اختلاف كبير في تسمية هذه الكائنات البحرية الرخوة .

والنوع الثالث وهو الصديفية والجمع صديفي ، وغالباً ما يوجد حول جزر الشيخ شعيب وهندارابي وقيس عند شيرو في جزر داس وزركوه وعند سواحل روس الجبال وغبة الجزيرة . والزنية والصديفية يتشابهان في الموطن أي على القاع الطيني الصلب والمحارى وعلى العمق نفسه . والصديفية غالباً لا تنتج اللؤلؤ ولكنها اذا انتجت فمن الحجم الكبير العادي ومن نوع جيد .

نموها واختلاف عددها

لم يمكن للآن التحقق من الظروف التي تتحكم(١) في نمو قواقع اللؤلؤ ومدى اتساع مناطق وجوده في الخليج ، ولم يتم بحث العوامل

---

(١) البيانات التالية عن قواقع اللؤلؤ في سيلان مأخوذة كلها تقريبا من « تقرير عن مصايد قواقع اللؤلؤ في خليج منعار ١٩٠٣/١٩٠٦ للعلامة و. أ. هيردمان . ولها فائدتهـا للقـارىء العادي ولا يمكن التحقق من انطباقها على قواقع اللؤلؤ في الخليج .

ليست قوقعة اللؤلؤ من الصنف الخنثوي والجنس في احداها سواء الذكر أم الانثى يظل دائما كما هو . وعدد الذكور يساوى عدد الاناث تقريبا وان كانت هناك زيادة طفيفة في عدد الذكور .

وهذه القواقع تعيش في تجمعات بغض النظر عن الجنس وتتم عملية التلقيح بانتشار الافرازات الجنسية المنتجة لكل من الذكر والانثى في الماء المحيط بها الذى تتجمع فيه . وأواسط فصل الصيف والشتاء هى مواسم الانتاج الرئيسية .

ويحدث التطور اليرقي على سطح الماء وتتكون القوقعة الصغيرة أولا في حالة تسبح فيها مستقلة ثم تتوقف بعد حوالى خمسة أيام من تلقيح البيضة وربما طالت المدة عن ذلك . وفي هذه الفترة تتم عملية الاخصاب .

والمرحلة الثانية هى أن تلتصق البيضة دائما اما بطحلب سابح أو ثابت أو الحيوانات النباتية (كالمرجان والاسفنج) . وهى رغم قدرتها على الالتصاق الا انها دائبة الحركة تستطيع الزحف بسرعة بوصة في الدقيقة ، ويكون تحركها غالبا الى أعلى وربما كان ذلك غريزيا لتفادي الرمال على عكس القوقعة التامة النمو التي يوقفها الضوء عن الحركة . وفي فترة التطور اليرقي يكون قطر القوقعة من ٠ر٤ مليمتر الى ٥ر١ مليمتر وقد يزيد على ذلك . =

المؤثرة في محصول الموسم واختلافه من موسم لآخر كما بحثت هذه العوامل بالنسبة لمنطقة سيلان .

ومن المعتقد ان نمو المحارة يزداد بازدياد قطرها الى نهاية السنة الثانية من عمرها حيث يكون قطرها حوالي بوصتين ثم تتناقص نسبة النمو . فاذا صحت هذه القاعدة فان معظم هذه المحارات التي يصيدها الغواصون من الخليج تزيد عن السنتين في العمر وقد يبلغ بعضها ثلاث سنوات .

= ومعدل نمو الحيوان في السنة الاولى والثانية من عمره يكون سريعا ثم يبطىء في السنة الثالثة كثيرا ويزداد البطء في السنة الرابعة ولكن يزداد سمك ووزن القوقعة كثيرا حتى بعد توقف ازدياد حجمها . ويمكن اعتبارها (بالغة) في السنة الرابعة عندما يكون قطرها ٣ بوصات ونصف (بأخذ القياس عموديا عـلى المفصل) وتكون في أتم نمو في السنة الخامسة ويظهر أنها قلما تعيش الى السنة السادسة .

ويتكون غذاء القوقعة من مواد عضوية دقيقة لا ترى بالعين المجردة (ميكروسكوبية) سواء نباتية أو حيوانيـة . وهى لا تتغذى على الطمى (الطين) اذا تجمع على شكل كرات صغيرة ولكنها أحيانا تبتلع بعض حبيبات الرمل أو ذرات مواد أخرى غير غذائية .

والوضع الطبيعي للقوقعة هو أن يكون الشق الايمن أو الاقل انحناء الى أسفل وأن ترتفع حافتها الخلفية بزاوية ٢٠ درجـة تقريبا . وعندما تكون آمنة تفتح القوقعة قليلا مع انفراج الشفتين بمقدار ثلث بوصة . وعندما يكون جنبها الاسفل في أعلى درجـة ارتفاعه تدور على نفسها بدفعة قوية من احدى أنابيب المص أو « القدم » التى تستطيع اخراجها من القوقعة لمسافة بوصتين ونصف تقريبا (وهى قابلة للتقلص والانفراد) . وتستطيع القوقعـة أيضا التنقل بواسطة هذه « القدم » ببطء من مكان الى آخر ، فبينما تكون « القدم » متقدمة الى الامام تفتح القوقعة جانبيهـا فتحة واسعة وعندما تنكمش « القدم » يقفل الجانبان مع حركة اندفاع تساعدها في التقدم للامام . وقـد لوحظ أنهـا تستطيع التحرك مسافة ٢٧ بوصة بهذه الحالة في ظرف ١٢ ساعة .

وأول ما يهم القوقعة بعد الوصول الى المكان المناسب هو أن تلتصق بجسم مريح لها بواسطة خيوط تفرزها غدة خاصة وتستعمل =

ولا يمكن التحقق من تحركات القوقعة بدقة الا من باب الحدس كما حدث في موسم سنة ١٨٧٦ إذ حصلت جميع قوارب صيد اللؤلؤ التي كانت تعمل في مغاصة عند «شاه علوم» على مقدار كبير من الصيد في منطقة محدودة جداً ، بينما في العام التالي وفي الموقع نفسه خابت آمال الغواصين اذ كانت المنطقة تكاد تكون خالية تماماً . ومن المعلوم ان

= القدم في وضع هذا الافراز في الموضع الذى تختاره للالتصاق ثم يتجمد الافراز بعد تعرضه لماء البحر ويتغير لونه في ظرف ٤٨ ساعة من الاصفر الشاحب الشفاف الى البرنزى المائل الى الخضرة وغير الشفاف . ويستطيع الحيوان أن يفصل هذه الخيوط من طرفها الداخلي وهو يفعل ذلك اذا لم يجد المكان الذى يناسبه . وقد لوحظ على نوع منها كان تحت المراقبة أنه غير مكانه سبع مرات وكرر تكوين افراز الخيوط ثماني مرات على الاقل خلال أسبوعين . وكان الخيط من تسعة فروع . والقوقعة البالغة شديدة الاحساس بالضوء والظل ومقفلة تماما وهى على عمق ٩ قامات اذا تحرك أى ظل على سطح الماء . وتحركاتها ترجع الى خوفها من الحيوانات المفترسة وتقوم بها في ساعات الظلام وتتوقف اذا ظهر ضوء صناعى ، ويستطيع الحيوان أن يخلص نفسه من كومة من الرمال لا يزيد ارتفاعها على ١/٢ بوصة ، ولكن اذا حدث ان دفن على عمق ٣ بوصات فانه لا محالة سيموت وبلا شك فان تحركات الرمال بسبب الرياح الموسمية أو تيارات العواصف هي السبب في الويلات بالنسبة لتجمعات القواقع ، وربما كانت هى العامل الرئيسى وراء اختفاء عدة مئات من المليارات من المحارات الصغيرة اختفاء تاما من (بريابار) في سيلان بين مارس ونوفمبر ١٩٠٢ . وألد أعداء القواقع هو السمك الجشع وأهمه نوع اللما أو الشفتين البحرى الذى يستطيع تهشيم محارة القوقعة البالغة بأسنانه والجاستروبود (حيوان صدفي ذو أرجل) والاسفنج الذى ينخر في محارة القوقعة ويجعلها فريسة سهلة للسمك والديدان الحارمة وسمك النجمة والحيوانات المتجمعة كالمرجان التى تسحق الحيوان والاسفنج والحيوانات البحرية الرخوة اللافقرية المكونة من طبقات .

وهناك حالات أخرى تسبب موت القوقعة وهى الازدحام الشديد الذى يعوق التغذية والنمو وكذلك الصيد الذى لا يترك الا القليل الذى يصلح للتوالد والازدياد . وهناك أيضا حالات الامراض التى تصيبها من الطفيليات ويحيلها ازدحام التجمع الى وباء مما يسبب موت الكثير منها .

القواقع تعرض لكثير من الاحوال المضطربة تحت سطح الخليج مع انطلاق بعض الغازات والمنتجات البتيومينية . وقد لوحظت هذه الحالة سنة ۱۹۰۰ بوضوح عندما بدا سطح البحر عكراً ومائلا الى الحمرة عند السواحل العربية . ووجدت القواقع في هذه المنطقة إما ميتة او مصابة بالأمراض او لاتحمل اللؤلؤ .

أما الظن بأن العرب يقومون بتغذية المغاصات في بعض الفصول فانه خاطيء ، كما أن القواقع نفسها لا يأكلها الناس الا أهالي ساحل عمان

★ ★ ★

لآلىء الخليج

الكلمة العلمية الدالة باللغة العربية على مدلول Pearl بالانجليزية هي لؤلؤ والجمع لآلىء ، وباللغة الايرانية «مارواريد» أما اللفظ المستعمل في جميع مناطق الخليج فهو «قماشة» والجمع «قماش» (۱) .

أسباب تكوينها

المعروف عن قواقع خيلان ان السبب في تكوين اللؤلؤ فيها هو إفراز مادة لؤلؤية في حويصلة «كيس» تحيط بجسم علقة دودية ، وربما كان الامر هو نفسه بالنسبة لقوقعة الخليج أو شيء مشابه لذلك(۲) .

---

(۱) هذه التسمية مأخوذة على سبيل التشبيه من بياض القماش وهو النسيج الابيض الخالص .

(۲) البيانات التالية مقتطفة من « تقرير عن مصايد قواقع اللؤلؤ في خليج منعار ۱۹۰۳ ـ ۱۹۰٦ الذى كتبه العلامة و. أ. هيردمان ويحتمل مع ذلك أن لا تكون الظروف هى نفسها تماما التى تحدث في الخليج كما هى في مياه سيلان .

ان تكوين اللؤلؤ في القوقعة ليس أمرا عاديا أو دليلا على صحتها بل على العكس هو حادث غير عادى وحالة مرضية . وسبب تكوينها ثابت لا يختلف وعادة هو تسرب حشرة طفيلية صغيرة جدا هى يرقة بيضاء كروية غير شفافة لدودة شرطية . وهذه الدودة =

و ما يزال سكان الخليج يعتقدون في الخرافة القديمة بأن اللؤلؤ نقطة من الندى او ماء المطر تلتقطها القوقعة عند ارتفاعها الى سطح البحر في الليل او وقت المطر .

= من فصيلة التترارهنكس • وطولها عندما تسكن جسم القوقعة يتراوح ما بين ٠٫٠٧ الى ٠٫٥٣ من المليمتر • ولم يمكن للآن التحقق من تاريخ حياة هذا الطفيلي • ولكن هناك ما يحمل على الظن أنه ينشأ أولا على هيئة يرقة مستقلة سابحة في البحر ثم تدخل الى القوقعة ، وأنها تبعا لذلك تدخل في أجسام الحيوانات البحرية التى تسمى « فايل فش » التى تفترس القواقع ثم تبلغ حالة النمو الكامل (البلـــوغ) عنـــد كلب البحر (الراي) التى تلتهم هذا « الفايل فش » •

عندما تدخل الدودة جسم القوقعة يحيط بها كيس يكون أحيانا مكونا من انسجة متلاحمة وفي أحوال أخرى من غلاف مخاطى ، وفي بعض المناطق قلما تخلو قوقعة من هذه الاكياس أو الحويصلات وقد وجد أن احداها تحتوى على خمسة وأربعين حويصلة • ويتكون اللؤلؤ عادة في احدى هذه الحويصلات من المادة اللؤلؤية التى تفرزها الجدران الداخلية للحويصلات وتترسب حول اليرقـــة الطفيلية في مركز الحويصلة •

وفي كل مائة حويصلة تنتج لؤلؤة واحدة فقط هى دائمـــا من النوع المخاطى ، وقد أمكن التحقق من أن التركيب الكيمائي للؤلؤ يشبه الخطوط الصدفية في المحارة وهى أيضا ناتجة عـــن مواد مخاطية •

ووجود الخلايا المخاطية في جسم القوقعة (ولا بد أنها ناشئة عن البشرة الخارجية) لم يمكن الوصول الى سببه الحقيقى ومن المحتمل أن تكون الخلايا الاولى من هذا النوع قد دخلت تلقائيا بدخول الحيوان الطفيلى واختفائه داخل القوقعة •

ولم يمكن للآن معرفة ما اذا كان تكون اللؤلؤ يبدأ قبل موت الحيوان الطفيلى أو بعده • وهذه الحويصلات سواء الحامل منها للؤلؤ وغير الحامل يتكون في مواضع كثيرة من أحشاء القوقعـــة وسطحها •

وأول من نال شرف اكتشاف الربط بين تكوين اللؤلؤ وبين الطفيليات الدودية هو الدكتور ا•ف• كيلارت من سيلان الذى توفي سنة ١٨٥٩ •

ويجب أن يكون معلوما أن كل اللآلىء ليست « لآلىء حويصلات » وان بعضها ناشىء عن أسباب أخرى غير الاصابة بالطفيليات • هناك =

الأنواع الرئيسية

ستتكلم فيما بعد عن تصنيف اللؤلؤ في الخليج تصنيفاً فنياً ، أما الآن فسوف نتكلم عن العلاقات المميزة الطبيعية وهي اللون والشكل والوزن النوعي .

فبالنسبة الى اللون فان اللؤلؤ الأسود (ويسميه العرب اللؤلؤ الميت) القيم نادر الوجود والذي يصل إلى الأيدي غالباً معتم ولونه غير صاف وغالباً ما يتشقق بعد سنة أو أكثر ، واللؤلؤ الملون ينتشر كثيراً وأكثره أسود أو يميل الى الرمادي مع عروق بيضاء او زرقاوية . ويوجد كذلك بالإضافة الى اللؤلؤ الكروي او الذي في شكل الكمثرى المنتظم التشابه ربما لنشأته في وسط لين واللآلىء غير المنتظمة الشكل في صور متعددة تنمو في الخليج كما تنمو في الاماكن الاخرى ، وأكثر هذه الاشكال نصف كروى «اللؤلؤ شبيه الازرار» وهو مسطح من جانب ربما للامسة المحارة . كما تجد «لؤلؤ الزوائد» أو الفقاعات وهو غير منتظم

= أيضا « اللؤلؤ العضلى » وهى توجد عادة في الانسجة العضليـة للقوقعة قرب العضلة الرافعة ، وتتخذ نواتهـا من كرة صغيرة جيرية ، وفي هذه الحالة عندما يتكون اللؤلؤ يكون كثير العدد وقد وجدت في عضلة رافعة واحدة ١٩٣ لؤلؤة منها ٢٣ قطعة يمكن رؤيتها بالعين المجردة ٠

وهناك أيضا نوع آخر يسمى « الزجاجى » ويتكون بين المحارة وبين الغشاء أو في جيب خارجى (الزجاجة) خارج الشاء ٠ وهذا النوع الاخير تكون النواة فيه احدى حبيبات الرمل أو أية مادة أخرى غير عضوية ولكن هذا يحصل في حالات نادرة ، ومن كل مائة لؤلؤة من كل الانواع التى اختيرت في سيلان كان ثلاث منها فقط لها نواة من هذا النوع ٠

والزوائد الصدفية أو التى تسمى « الزوائد اللؤلؤية » الملتصقة بالجدار الداخلى للمحارة هى نتيجة احتقان نشأ عن تأثير احـد الحيوانات الخارمة التى تنخر جدار القوقعة من الخارج أو نتيجة دخول بعض أجسام غريبة بين القوقعة ومحارتها ولكن لا يمكن اعتبار هذه الزوائد من اللؤلؤ ٠

وفي بعض اللآلىء لا تجد أثرا أبدا لاية نواة ٠

التجويف وهو الذي تكونه القوقعة كدفاع داخلي اذا تمكن أحد الطفيليات من خرم محارتها والدخول داخلها . والقواقع الصغيرة عادة سواء الكروى منها او غير المنتظم تسمى «حبوب اللؤلؤ» وهو اصطلاح انجليزي وليس له نظير باللغة العربية كما سنرى في المقالة الملحقة رقم ٥ .

ومن النادر الحصول على لآلىء يزيد وزنها على ٣٠ حبة من منطقة الخليج .. والأحجام الاصغر كثيرة مع تفاوت في الصغر .

ومن أحسن أنواع اللؤلؤ التي استخرجت من الخليج قطعة عثر عليها سنة ١٨٦٧ على عمق ١٦ قامة عند جزيرة الشيخ شعيب ، وقد اشتراها أحد التجار بمبلغ ١٥٠٠٠ قران ، وبيعت في باريس بمبلغ ٨٠٠٠ جنيه ، وأخيراً اشتراها أحد البانيان الهنود وأحضرها الى الهند ليجعلها عيناً لاحد الأصنام . وهناك لؤلؤة أخرى جيدة اشير اليها في الفقرة الخاصة بالتاريخ السياسي لمصايد اللؤلؤ في الساحل العربي .

آراء الأهالي

يقول الخبراء في الخليج ان أكبر وأبيض وأثقل وأكمل اللؤلؤ هو ما يصاد من الماء العميق بينما الانواع الضحلة ، وإن كانت أكثر إخصاباً وإنتاجاً ، الا ان اللؤلؤ المستخرج منها أخف وزناً وتشوبه ظلال من ألوان أخرى . وهم ينسبون هذا التغير في اللون الى أثر ضوء الشمس ويقولون إن اللآلىء التي تنمو بين الجزر والارض اليابسة الرئيسية عرضة للتشويه وأن المياه العميقة أنسب لكمال الاستدارة ولجمال الرونق وللصفات الاخرى التي تجعل اللآلىء ذات قيمة عالية .

والعاملون في صيد اللؤلؤ في منطقة الخليج يعتقدون أن أجود الأنواع هي ما تنتجه بحارهم ، ويقدرون جودة اللآلىء ، في زعمهم ، بعدد الطبقات(١) ، فيقولون إن لآلىء كراتشي ذات طبقة واحدة ولآلىء

(١) يتكون اللؤلؤ من طبقات دائرية متوالية ويقولون انه من الممكن تحسين نوع اللؤلؤ المعتم بازالة طبقة أو اثنتين من سطحهـا =

سيلان من ثلاث طبقات ولآلىء البحر الأحمر من خمس طبقات وكذلك الحال في سقطرى ، أما لآلىء الخليج فهي من سبع طبقات على الاقل للأنواع العادية وثمانية للأنواع الممتازة كما هي الحال في بعض اللآلىء المستخرجة عند جزيرة خارج .

★ ★ ★

أصداف لؤلؤ الخليج

كما ذكرنا سابقاً يمكن الحصول على أصداف اللؤلؤ من الاصناف الثلاثة من القواقع الموجودة في الخليج ، ولكن أهمها انتاجاً لهذه المادة وفي جودة اللؤلؤ نفسه هي فصيلة المحاوة ويتراوح وزن الواحدة منها بين رطلين ونصف و ٧ ارطال ونصف لكل مائة محارة ، وأصداف الزنيّة من ٥ الى ٢٠ رطلا لكل مائة ، والصديفي تزن الواحدة من اوقيات قليلة الى سبعة ارطال .

وغالباً ما يكون لون لآلىء الحويصلات في الخليج قاتماً يشبه «اللؤلؤ المدخّن» من أطرافه ، ويقال انه يمكن التمييز بسهولة بينها وبين لآلىء الهند ذات الحافة الفضية .

= الخارجى · ولكن في نظر العرب ليست هناك علاقة بين هذه الطبقات وبين الطبقة التى يعنونها ويسمونها (ثوب) والجمع أثياب · وكلما زاد عدد الاثواب ازدادت قوة مقاومة اللؤلؤة للعوامل الجوية ·

تنظيم واستغلال مصايد اللؤلؤ
في الجانب العربي

بعد ان ذكرنا المعلومات الطبيعية عن اللؤلؤ ننتقل الآن الى بيان تنظيم صيده وتجارته .

ويمكن تقسيم العاملين في هذا الحقل الى قسمين هما الممولون والعاملون .

الممولون

المال اللازم لاعداد السفن والرجال المشتغلين في هذا الحقل والقيام بنفقاتهم ، يدفع قسماً منه الرجال المشتغلون فعلا في هذه الصناعة ، والقسم الآخر يؤخذ قرضاً من طائفة من الناس يسمون المسقمين (والمفرد مسقم) وهم عادة من الموسرين ، ولكن بعضهم ممن لا يملكون المال الكافي يقترضون الاموال اللازمة من كبار العرب او التجار الهنود بفائدة من ١٠ الى ٢٥ في المائة عن الموسم الواحد . وسنتكلم فيما بعد عن طريقة تسوية السلفيات للممولين ولأصحاب رؤوس الاموال العاملة ، ولكن نظام العقود التي تنظم العمل بينهم كثيرة ومختلفة ومعقدة وليس من اليسير ذكر تفاصيلها .

وفي الازمان الماضية كانت قبضة المسقمين قوية جداً على هذه الصناعة ، وكانوا يعاونون في تجهيز مراكب كثيرة للصيد ولكن مركزهم السابق بدأ يضعف وبدأ عددهم يتناقص ، ويقال إن في البحرين ثلاثة مسقمين اثنين بحارنة وواحد سني عربي ولا يتعاملون مع اكثر من ١٠ بالمائة من مراكب الصيد في البحرين ، وبعض التجار الهنود اشتغلوا أيضاً بوصفهم مستقمين .

درجات العاملين

التعبير عن صيد اللؤلؤ يكون عادة بلفظ «الغوص» وجميع العاملين فعلا على اختلاف عملهم يطلق عليهم كلمة الغواصين والواحد غواص .

تتألف وحدة صيد اللؤلؤ من بحارة السفينة والمسؤول عنهم هو النوخذا (والجمع نواخذة) او الكابتن (الريس) وهو المسؤول الاول عن جميع الأعمال . وفي سبع او ثمان من كل عشر سفن يكون النوخذا هو مالك السفينة التي يقودها وفي بعض الاحيان يكون هو المستأجر للسفينة وأحياناً أخرى يكون موظفاً في عمله عند مالك السفينة .

ويأتي بعد النوخذا في درجة الاهمية ، الغاصة (والمفرد غيص أي الغواص) ويليهم السيوب (والمفرد سيب) ثم واحد أو أكثر رضفة (والمفرد رضيف) أو عمال زائدون لمساعدة السيوب وأحياناً يكون معهم اولاد (تحت التمرن) وعملهم صيد السمك وطبخ الطعام وبعض الاعمال الصغيرة الأخرى .

والغاصة ، وينحصر عملهم في الغوص ، يكونون في الغالب من فقراء العرب او العبيد الأحرار او العبيد الزنوج .. كما يوجد بينهم أيضاً بعض الايرانيين والبلوش . وفي السنوات الأخيرة نظراً لما حققه الغاصة من أرباح وافرة بدأ كثير من العرب ذوى المكانة في العمل في هذه المهنة. وتعتمد قدرة الغواص على درجة مهارته وجرأته أكثر من اعتمادها على قوة بنيته .. وهذه الأخيرة كان كثير ممن كتبوا عن صيد اللؤلؤ يعطونها أهمية مبالغاً فيها . والعبد الجريء الذي لا يبالي بالنزول الى المياه العميقة أو الطينية التي فيها أعشاب تصل قيمته غالباً الى ما فوق الف روبية . والسيوب وعملهم محصور في ملاحظة المركب وإنزال ورفع الغاصة هم عادة من رجال البر او الغاصة السابقين الذين بحكم كبر سنهم أو لظروف أخرى لا يستطيعون الغوص .

ويختلف عدد بحارة مركب صيد اللؤلؤ من عشرة الى أربعين والمعدل في كل مناطق الخليج هو ١٦ بحاراً . وعدد الغاصة غالباً أقل من عدد السيوب الدائمين في المركب نفسه بنسبة ١٠ الى ١١ أو ١٢ أو أكثر والسبب في ذلك هو أنه لو أن غواصاً واحداً تعطل عن العمل لعدم

وجود سيب فان الخسارة تكون أكبر كثيراً من نفقات حمل عدد زائد من السيوب الذين يجب أن لا يتساووا مع الرضفَة ويقال لهم جلاليس (جالسون) ، (والمفرد جلّاس) .

المراكب

تستعمل كل أنواع السفن الآن في صيد اللؤلؤ حتى فلوكة السفينة تجهز في هذه الايام لهذا الغرض ولكن أغلبها من نوع السنبوك ويليه بتّيل وبقرة وشُعَيْس .

وثمن السفينة الكبيرة التي تحمل ٤٠ رجلا يبلغ ثلاثين الف روبية لبنائها وتجهيزها .

مواسم الصيد

لصيد اللؤلؤ في الماضي كما في الوقت الحاضر موسمان ولكن في الآونة الاخيرة طرأ عليهما بعض التغيير .

فمنذ ثلاثين عاماً كان الموسم المبكر هو غوص البرد وكان يبدأ من منتصف إبريل ويستمر اربعين يوماً ، وكان العمل فيه قاصراً على المغاصات الضحلة ، وكانت برودة الماء تضطر الغواصين الى المناوبة كل نصف ساعة .

والموسم الثاني وهو الرئيسي يسمى الغوص الكبير ، وكان فيما مضى يبدأ في شهر يونيو بعد انتهاء ريح الشمال ويستمر حتى نهاية شهر سبتمبر أما الآن فهو يبدأ في منتصف شهر مايو ويستمر ١٣٠ يوماً أي لغاية منتصف شهر سبتمبر تقريباً . وأول هذا الموسم يعرف باسم «الركبْة» ونهايته تعرف باسم «القُفّال» وأوقات ابتداء وانتهاء موسم الغوص الكبير ليست محددة تماماً ولكنها عرضة للتعديل بمناسبة شهر رمضان عندما يكون في الفصل الحار اذ أن الغوص ممنوع مدة الصوم(١) .

(١) حاشية مقترحة . ليس الغوص في ذاته مبطلا للصوم ولكن ربما لانه مجهد للجسم والاسلام يأمر بحفظ الجسم من كل ما يؤذيه .

وفي سنة ١٩٠٦ امتد موسم الغوص الكبير في البحرين من ١٦ مايو الى ١٨ سبتمبر مع توقف مدة خمسة أيام بدأت من يوم ٢٢ أغسطس .

والموسم الثاني في الوقت الحاضر هو «الرّدة» ويبدأ بعد أيام قليلة من انتهاء موسم الغوص الكبير ويستمر حوالي ثلاثة أسابيع . وفي سنة ١٩٠٦ بدأ اسطول البحرين في موسم الردة يوم ٢٠ سبتمبر وانتهى يوم ١٤ اكتوبر وفي تلك السنة انتهى اسطول الكويت والبحرين من الموسم تقريباً في وقت واحد بعد اسطول قطر ولكن قبل أسطول عمان المتصالح الذي كان قد تأخر في أول الموسم .

وإلى جانب موسم صيد اللؤلؤ في البحر هناك ايضاً موسم الشتاء لعمليات الشاطىء ويعرف باسم المجنّة حيث يكون العمل غالباً بالغوص في المغاصات الساحلية الضحلة في وقت الجزْر . والرجال الذين يقومون بهذا العمل يعودون ليلا الى منازلهم ، واللآلىء التي تصاد في المجنه عادة صغيرة وغير ملونة ، على أن القطعة الفاخرة التي أثارت نزاعاً كما هو موضح في فصل التاريخ السياسي لمصايد اللؤلؤ كان قد عثر عليها أحد الغواصين في كزار .

وجدير بنا ان نشير إلى أن عدداً من صيادي اللؤلؤ من الكويت والبحرين وعمان المتصالح يقصدون مصايد سيلان في الشتاء بدلا من الصيد في المياه العميقة في بلادهم كما كان شأنهم في الماضي . والسجلات الحكومية لا تذكر أن مثل ذلك حدث قبل سنة ١٨٨٩ .

وترسل السفن الكبيرة في الخليج التي يملكها رجال الاعمال أحياناً إلى مصايد سقطرى والبحر الاحمر وتظل هناك ربما مدة موسمين متتابعين وتعود بأصداف الزنّي والصديفي واللآلىء ، ويظهر ان هذه العادة قديمة . وقد كان موسم سنة ١٨٨٥ ناجحاً موفقاً في البحر الأحمر ، ولكن منذ بدأت الحكومة الايطالية تفرض الضرائب على سفن اللؤلؤ في مياه اريتريا في البحر الاحمر لم تعد للبحر الاحمر مكانته السابقة .

طريقة العمل

لقد ظل صيادو اللؤلؤ الى وقت قريب لا يملكون الخرائط ولا البوصلة ، ولكنهم الآن بدأوا يستعملون البوصلة ولهم خبرة عظيمة في الاتجاه الى أي ساحل يريدون الوصول اليه .ولهم القدرة على التوجه اليه رأساً . وهم يستدلون بالشمس والنجوم وعلامات من الساحل اذا كان البر على مرمى البصر ، وفوق ذلك يميزون الطريق بلون البحر وعمقه وبطبيعة قاعه . وبعض النواخذه يختارون الشواطىء التي غالباً ما يحصلون منها على محصول جيد ، ويظلون فيها طول الموسم . والبعض الآخر من ذوي المزاج الحاد والطموحين يستمرون في تحركاتهم وينتقلون من موقع الى موقع خلال أيام قليلة . والنوخذا مقيد في اختيار الموقع بقدرة الغواصين الذين معه . فمثلا عمق ٨ قامات يعتبر عادياً ، و ١٢ قامة يعتبر أكبر عمق يمكن وصوله دون مشقة . والمراكب التي فيها غواصون مهرة تستطيع العمل في الشواطىء التي عمقها ١٣ قامة . وهناك من الغواصين من يستطيع العمل على عمق ١٦ قامة ، غير ان العمل في هذه الحالة مجهد جداً حتى إنه لا يمكن أن يستمر فترة طويلة . وتحدث أحياناً حوادث يموت فيها العاملون على هذا العمق(١) .

ويجري الغوص يومياً في الجو المعتدل بعد الشروق بساعة ويتوقف قبل الغروب بساعة . والفترة ما بين صلاة الفجر وابتداء الغوص يقضيها البحارة في فتح القواقع التي صيدت في اليوم السابق بواسطة سكاكين معوجة اسمها مغاليق (والواحدة مغلقة) تحت اشراف النوخذا شخصياً فهو المسؤول عن حفظ اللآلىء عند استخراجها ، ويدون اوزانها وأوصافها في

(١) في مياه سيلان يعتبر عمق ٩ قامات هو الحد العادى للغواص المحلى ، وهناك بعض الافراد يستطيعون العمل على عمق يتراوح بين ١١ و ١٥ قامة ولكنهم يعودون بما يصل الى أيديهم قرب موقعهم . واذا كان العمق ١٥ قامة فانهم يخرجون من الماء في حالة اعياء (راجع تقرير العلامة هيردمان) .

الوقت الذي يراه ضرورياً . ويحتفظ بأجود أنواع المحار (الاصداف) وهي غالباً بنسبة ٣ أو ٤ في المائة ويلقي الباقي في البحر مع القواقع الصغيرة غير كاملة النمو دون فتحها ولكن المعتقد انه يمكنها ان تعيش خارج جوها الطبيعي مدة ١٦ ساعة .

وعملية فتح القواقع غير مريحة نظراً لرائحتها وللحشرات التي تجتذبها في بعض الأحيان .

وقبل الغوص يتناول الغواصون طعاماً خفيفاً من نحو نصف رطل من التمر وقليل من فناجين القهوة . واذا نزلوا الى الماء فان العمل يظل مستمراً حتى الظهر (وهو في موسم الصيد بين الساعة الواحدة والنصف والثانية) ثم يتوقف العمل للصلاة ولتناول بعض فناجين القهوة والاستراحة لمدة ساعة .. وعند استئناف العمل عصراً لا يتوقف الا قرب المساء ، وبعد صلاة المغرب يتناول الغواصون وجبة كبيرة من السمك والارز والتمر . وبعد القهوة والتدخين يأوون الى النوم فترة الليل .

وقبل نزول الغيص الى الماء يخلع ملابسه جميعاً ويسد أنفه بقطعتين من القرون ويحشو أذنيه بقطع من الصوف المندوف أو شمع العسل ويلبس في يديه أغطية للاصابع من الجلد تسمى خَبَط (والمفرد خبطة) لحفظ أصابعه من الالتهاب ، ويعلق في عنقه أو يشد في وسطه ديّين (كيس صغير من الحبل المجدول والجمع ديايين) . ويستعين على النزول إلى القاع بحجر او رصاص وزنه من ١٠ الى ١٤ رطلا يثبت في حبل يسمى زَيْبَل (والجمع زيابل) فيه عروة فوق الثقل يضع الغواص قدمه فيها وبذلك ينزل الى قاع البحر . وحبل آخر اسمه إيدا (والجمع ايادى) يشده الى وسطه ويستعمل لاخراجه الى سطح الماء . وعند وصول الغيص الى القاع ينزع قدمه من عروة الزيبل فيرفعه السيب التابع له ثم يبدأ يتلمس طريقه على القاع بيد واحدة وقدم واحدة مستعملا قدمه الاخرى للاندفاع الى الامام ويده الخالية في جمع القواقع التي في متناوله ويضعها في الديّن .

ويقال ان القواقع توجد غالباً فاتحة فمها ولكنها تغلقه عندما يُقتَرَبُ منها . وعندما يضيق نَفَس الغواص يرسل اشارة الى السيب بهز الإيدا المعلق به فيقوم بشده فوراً الى سطح الماء . وتؤخذ منه القواقع التي صادها ويبلغ عدد القواقع التي يصيدها الغيص في المرة الواحدة (تبّة) واحدة (والجمع تَبّات) من ثلاثة الى عشرين .. وقد يعود خالي الوفاض تماماً . وفترة الغوص تتراوح عادة بين ٤٠ و ٧٥ ثانية الا أن قليلا من الغواصين يستطيع البقاء تحت الماء أكثر من دقيقة(١) ، وفي الفترات بين الغوص يظل الغيص في البحر مستعيناً بأحد المجاذيف او بحبل معلق في جانب المركب ما لم يكن البحر هائجاً . والغواص الواحد يقوم بحوالي خمسين تبة (غوصة) في اليوم الواحد اذا كان الجو مناسباً ، اما اذا كان الماء بارداً فيتراوح عدد التبات من ١٠ الى ٢٠ .

وفي أحوال نادرة يهاجم القرش (الجرجور) أو كلب البحر أحد الغواصين . وفي سنة ١٩٠٠ ظهر عدد كبير من القرش عند الساحل وهاجم ٣٠ غواصاً مات اثنان منهم تحت الماء وأنقذ بعضهم في حالة خطيرة . وفي بعض الأحيان يصاب الغيص بلدغة من الهامّة (سمك الشيطان) . وفي حالة وجود سمك كثير من هذا النوع يُرتَدَى قميص طويل أبيض للحمايه .

ويزداد الجهد كثيراً في الغوص عند وجود تيار بحري . وفي حالة حدوثه كثيراً ما يجرف الغيص بعيداً عن مركبه ويخرج من الماء في حالة اعياء شديد . وفي هذه الحالات يدلى حبل طويل من المركب يستعين به في السباحة ثم يشده السيب الى المركب .

وتجدر الاشارة هنا الى ان المشتغلين بالغوص لا يعتبرونه عملا ضاراً بصحتهم مع ما فيه من العمل العنيف والمجهد معاً . حتى ان الرجال

(١) في سيلان ثبت أن قليلا من الغواصين ظلوا تحت الماء أكثر من دقيقة ونصف ولم يصل أحد الى دقيقتين ، وكان مقدار ما يصاد عادة حوالى ١٥ قوقعة .

المسنين يزاولونه . وعلى النقيض من ذلك فانه في بعض الاحوال يؤدى لبعض أمراض الجهاز التنفسي وللصمم . وأمراض الجلد ظاهرة عامة بين الغواصين ، وللوقاية منها فان بعض الذين يتعرضون لهذا المرض يعمدون الى ذلك أجسادهم قبل النوم بدواء يسمى (جَفْت) وهو عبارة عن ما يشبه التمر يستخرج من البلوط ويغلي في الماء (١) .

وتحمل مراكب الصيد معها اوراق السنامكي وبعض العقاقير الاخرى، وفي حالة المرض الشديد فان العلاج المتبع مهما كانت الاعراض هو الكي بالحديد المحمى .

★ ★ ★

الحياة الاجتماعية ـ العادات والنظم في مصايد اللؤلؤ العربية

الحياة الاجتماعية في المصايد هي عبارة عن ساعات الليل عندما يزور النوخذا وبحارتهم أصدقاءهم في المراكب الاخرى للاستمتاع بشرب القهوة والتدخين وتناول بعض الكعك وللتحدث عن أعمالهم .. وفي أثناء الموسم تقام سوق صغيرة على جزيرة دلما لبيع اللوازم كما يحضر اليها الطواش (صغار التجار) والمسقمون لشراء اللآلىء واسترداد ديونهم .

---

(١) كتب الدكتور س.ج. تومس بالمستشفى الامريكاني في البحرين يقول : « من الملاحظ أن غواصي اللؤلؤ عرضة للاصابة بأمراض الجهاز التنفسي التى قد تنشأ عن زيادة انتفاخ الرئة والضغط مثل النزيف الدموي وغير ذلك كما أنهم عرضة للصمم من ثقب طبلة الاذن وأنواع كثيرة من افرازات الاذن ، ولكن بسبب طريقة حياتهم ليسوا عرضة للاصابة بالشلل (الفالج) أو تشنج العضلات. وفي طول مدة ست سنوات لم أجد حالة واحدة للفالج نتيجة الغوص. وهناك نوع من مرض الجلد منتشر بين الذين يقضون معظم حياتهم في البحر أمثال الصيادين والبحارة فان بشرتهم تعلوها طبقة شبه زجاجية ينشأ عنها بثور تزول في أسابيع قليلة اذا لم ينزلوا في الماء المالح ، ولم أجد علاجا لهذا المرض ذا أثر محسوس . واعتقد أن الغواصين يستعملون نوعا من الدواء المغلى اسمه (جفت) وهو في الواقع لا يمكن الحكم على مدى قدرته العلاجية ولكن يبدو انه اذا كان له أثر فهو أثر قليل .

وعندما يكتشف أحد الغواصين هيرة جديدة فانه يتسلم من النوخذا ثوباً جديداً كما يتسلم باقي البحارة أيضاً بعض الهدايا . وكذلك اذا عثر رجل أثناء فتح القواقع على لؤلؤة جيدة فانه يأخذ جائزة خاصة . وحوادث النزاع في المصايد قليلة الحصول حتى إن مراكب القبائل المعادية قد تكون مرابطة على مقربة في أمان رغم أن البعد قد لا يزيد على مسافة قليلة جداً .

والمراكب من كل مقاطعة تكون معاً اسطولا واحداً . وقبل إبحارهم يعين الشيخ أحد النواخذة اميرالا للقافلة . ومن أهم اختصاصاته تحديد تاريخ وقف العمل والعودة الى الميناء . ولا تجد غواصاً راغباً في التخلف عن أقرانه ، كما ان عودة مركب واحد مبكراً مهما كان نصيبه في الصيد قد يؤدي إلى إضراب الاسطول في محله ، ولذلك لا يسمح الاميرالاي لاي مركب بالعودة قبل ان يعلن إشارة العودة . كما ان المراكب التي تسبق الاميرالاي في عودتها الى الوطن يؤاخذها الشيخ بشدة ما لم يكن لديها عذر قوي مقبول .

وقد حدث ان عاد مركب مبكراً الى الكويت في سبتمبر سنة ١٩٠٥ فأعيد فوراً الى المغاصة . على أن معظم البحارة يعودون مرة او مرتين أثناء الموسم لزيارة عائلاتهم ولإحضار مواد الطعام ولنظافة وصيانة المركب . وفي البحرين يعود الاسطول كله مرة واحدة لفترة تسمى الصيفية .

★ ★ ★

توزيع ارباح صيد اللؤلؤ في الجانب العربي(١)

عند العودة من المغاصة يلتزم النوخذا بتسليم جميع محصول اللؤلؤ الى دائنه ، اذا كان مموله مسقماً مع جميع الاصداف التي احضرها معه بأسعار متفق عليها من قبل تقل عن اسعار السوق بنسبة تتفاوت بين ١٥ و ٢٠ في المائة ، وهذا الخصم هو ربح المسقم والثمن وهو من ٨٠ إلى ٨٥ في المائة من المبلغ الذي دفعه المسقم يقسم بين صاحب المركب والنوخذا وبحارة المركب . على أنه ليس هناك ما يمنع النوخذا من بيع اللآلىء الى فريق ثالث اذا كان سعر البيع يمكنه من الوفاء بالتزاماته للمسقم . وكان هذا غير راغب في دفع نفس الثمن المعروض . وجرت العادة أن النوخذا لا يزيد الثمن عن التاجر لانه دائماً يبيع له .

أما المبالغ المتبقية بعد استيفاء حق المسقم فيأخذ منها صاحب المركب الخُمس ثم يُستقطع ثمن الاطعمة والمواد التي استهلكها البحارة مدة الموسم لتسدد الى الشخص الذي قدمها سلفاً والباقي بعد ذلك يقسم بين الرجال العاملين : فيأخذ كل من النوخذا والغواصين ثلاثة أسهم وكل سيب سهمين وكل عامل احتياطي او يد عاملة زائد سهماً واحداً . ولا يستحق (الوليد) او العامل تحت التمرين أي سهم . والنوخذا الى جانب قيادته للمركب قد يكون مالكها ، وقد يقوم أيضاً بالغوص ، وفي هذه الحالة يأخذ نصيبه المقرر لكل منها .

النظم المالية في مصايد اللؤلؤ في السواحل العربية

بما ان عمليات صيد اللؤلؤ تمول منذ الماضي بأموال مقترضة وما يزال الحال كذلك الى حد كبير فليس من العجيب ان تخضع لعرف دقيق له قوة القانون وتنفذه المحاكم المحلية فيما يتعلق بالدين .

(١) القواعد الموضحة هنا خاصة بالمراكب العادية (خلو) ، وهناك مراكب لها نظام خاص (عميل) وتختلف فيها نسبة توزيع الارباح ـ راجع المقالة الملحقة رقم ٦ تحت عنوان دبي .

انتشار عادة الدين

لايضاح الموقف يجب ان يكون مفهوماً ان النواخذة خصوصاً من لا يملكون السفن مدينون بأكثر مما يستطيعون دفعه الى المسقمين ، نظراً لمصاريف التجهيز وإعداد مواد الطعام واللوازم واعطاء دفعات نقدية مقدماً للغواصين الاكفياء للاحتفاظ بهم . وحتى النواخذة الذين ليست عليهم ديون يكونون غالباً في مركز غير ثابت ، نظراً لمسؤوليتهم عن ديون الغواصين للنواخذة الآخرين الذين سبق اشتغال الغواصين معهم . والحال كذلك مع الغواصين الذي غالباً ما يكونون مدينين للنواخذة نظير سلفيات ، ونظراً لانهم طبقة مسرفة فتكون ديونهم عادة كبيرة . وقد يصل دين الواحد منهم الى ٣٠٠٠ روبية على أنه أمام ضغط التنافس ، لا يرفض النواخذ تقديم السلفيات للغواصين العاملين معه حتى في مواسم وقف العمل التي يُسمح فيها لهم بالعمل في أي مكان آخر .

ونظراً لمسؤولية النواخذة المالية ولاحتمال ضياع دين أحد الغواصين في حالة وفاته فانهم دائماً حذرون عند اختيار الغاصة . ومن الواضح أن ضمان الديون في مثل هذا المجتمع ومثل هذه النظم المالية لا بد ان يستند الى عرف بالغ الشدة والتأثير .

المسقمون والنواخذه

ذكرنا فيما قبل ان النوخذا في بعض الاحيان يكون ملتزماً بتقديم كل حصيلة الموسم الى المسقم بسعر يوازي أربعة أخماس سعر السوق ، فاذا لم تنفذ هذه الالتزامات وباعها الى شخص آخر فهذا المشتري يصبح مسؤولا أمام المسقم عن قيمة ديون النوخذا حتى ولو كانت أكثر من قيمة اللآلىء التي اشتراها . والمسقم من جهة أخرى له حق وقف تعامله مع النوخذا في أي وقت اذا وجد ذلك في صالحه . وفي هذه الحالة لو عجز النوخذا عن الوفاء بديونه قد يصر المسقم على بيع مركب النوخذا اذا كان مالكاً له . وبعدها يعمل الغواصون الذين كانوا عليه في أي

مركب آخر بعد أن يدفع صاحبه الديون المستحقة للنوخذا السابق على الغواصين حسب المسجل في دفاتره . أما منزل وممتلكات النوخذا العاجز عن السداد فلا تصادر الا اذا كان هناك نص على ذلك في الاتفاق المبرم بينه وبين المسقم لضمان الديون .

على أن هناك طريقة أخرى بدل هذا الإجراء العنيف ما لم يكن النوخذا متعمداً الاخلال بالشروط ، وهو ما تفضله دائماً محاكم «سالفة الغوص» ، وهي تقضي بتقسيط الدين على أقساط سنوية تحددها . وعند الوفاء بالدّين تعطي المحكمة «سالفة الغوص» قراراً بذلك ويأخذ النوخذا مستنداً من الدائن بوفاء دينه يذكر فيه مقدار الدين وعدد الاقساط السنوية وقيمتها . وبعد ذلك يكون النوخذا حراً في إنشاء علاقات جديدة مع مسقم آخر . وفي حالة اتفاق النوخذا مع عميل جديد فان هذا المسقم الجديد يكون مسؤولا أمام المسقم السابق عن الاقساط السنوية ويظل كذلك ما دام النوخذا مرتبطاً معه ، وعليه أن لا يطالب بأي حق قد يستجد له قبل سداد جميع ديون المسقم السابق . على أن المسقم الثاني له حق الاولوية على كل من يليه كما كان للمسقم الاول حتى يستوفي دينه .

النواخذة والغواصون

والتزامات الغواصين للنواخذة لها حكم مماثل أي أنه لا يحق لغواص ترك العمل مع ناخوذة طالما كان مديناً له . واذا حدث وأخل غواص بذلك فان النوخذا الجديد الذي قبل اشتغاله معه يكون مسؤولا أمام النوخذا السابق عن كامل ديون الغواص له .

الممولون والمسقمون

من المعلوم ان المسقم ليس ملتزماً ببيع لآلئه الى التاجر الذي اقترض منه رأس المال اللازم لعمليات الصيد .

المحاكم

القواعد التي ذكرناها يجري تنفيذها في كل إمارة عربية بواسطة

محكمة تسمى «سالفة الغوص» وهي ليست دائمة . ولكن عند الحاجة اليها يشكلها شيخ الامارة الذي يعين رجلا أو أكثر ، عادة من النواخذة ذوي السمعة الطيبة والخبرة في عرف المغاصات لتكوين المحكمة بوصفهم قضاة ، ويقف كل من المسقم والنواخذة والغطاس أمام هذه المحكمة على قدم المساواة ويلتزمون بقراراتها . والمحكمة لا تستدعي أحداً للقسم ، فاذا كانت هناك حاجة الى القسم فيرسل المتقاضون أمام القاضي(١) لاداء القسم .

★ ★ ★

المعاملات المالية الخاصة بمصايد السواحل الايرانية

تكلمنا فيما سبق بالتفصيل عن تمويل وتشغيل مصايد اللؤلؤ في السواحل العربية . الا أنه مع وجود مراكب ايرانية كثيرة تمارس العمل هناك وتشابه طرق العمل على ساحلي الخليج فانه من الافضل قبل الكلام عن تجارة اللؤلؤ ، كموضوع مستقل عن وسائل الحصول عليه ، ان نوضح بعض الفوارق التي تسود الساحل الايراني من الخليج .

في هذا الجانب من الخليج لا يرتفع مستوى تنظيم المصايد الى نفس المستوى في الجانب العربي . ولا شك ان السبب في ذلك يعود الى قلة عدد المغاصات وقلة محصولها وتباعدها بعضها عن البعض . الا أن نظام التمويل ودرجات العاملين والمواسم وطرق الصيد والعرف في هذه الصناعة وطريقة تنفيذها كل هذه تشابه نظائرها في الجانب العربي .

والمراكب المستعملة أصغر حجماً وأحياناً لا تحمل سوى النوخذا ومعه أربعة رجال . وهناك فروق في تقسيم الارباح ، اذ القاعدة ان يتساوى

---

(١) حاشية مقترحة • القاضي في هذه الامارات العربية هو القاضي الشرعي الذى يطبق أحكام الشريعة الاسلامية على قدر اجتهاده •

نصيب الغواص والسيب في الجانب الايراني . كما ان البحارة والأيدي العاملة الزائدة إما أن تدفع لها مرتبات شهرية او يأخذون مكافآتهم طبقاً لتنظيمات خاصة . وفي ايران يجوز لصاحب القروض التي يحصل عليها النوخذا ، وهو ما يقابل المسقم في الجانب العربي ، يجوز له فقط أن يأخذ حصيلة الصيد بسعر السوق كاملا . ويقوم مثمنون بتقدير السعر . فاذا حدث ذلك ، وكان النوخذا ما يزال في حاجة الى المال رغم ان قيمة المحصول لا تزيد عن قيمة الديون ، فانه يحصل أيضاً على سلفة من صاحب القرض . على أنه في هذه الحالة يكون ملتزماً بالاستمرار في العمل معه .

واذا حدث اي تنازل من الدائن عن شراء اللآلىء فان على النوخذا ان يبيعها ، فاذا فشل في ذلك وكان عاجزاً عن الوفاء بديونه فان الدائن يقاضيه هو شخصياً فقط ، وليس له حق على المركب أو في منع الغواصين من العمل في أي مكان آخر .

وفي جزيرة خارَج تجري عمليات صيد اللؤلؤ بحالة مختلفة تماماً . فهي تجري تحت إشراف (الضابط) المحلي في قوارب صغيرة يحمل كل منها النوخذا ، وهو غالباً مالك القارب ، واثنين من الغواصين واثنين من السيوب. وفي ابتداء الموسم يأخذ البحارة من النوخذا سلفاً مالية وهو غير مسؤول عن امدادهم بالطعام لأنهم يعيشون على البر ويذهبون الى الصيد في الساعة الثامنة صباحاً ويعودون الى مساكنهم ليلا . وحصيلة صيد اليوم تسلم يومياً للضابط الذي يختمها ويسلمها للنوخذا لحفظها أمانة ، وفي نهاية الموسم تقسم بين خان حياة داود والعاملين في الصيد بنسبة الربع للأول وثلاثة أرباع للآخرين . او اذا أراد النوخذا فله أن يحتفظ باللآلىء جميعها على أن يدفع للخان قيمة ربع اللآلىء زائداً خمسة عشر في المائة من نفس القيمة ويدفع للغواصين والسيب أنصبتهم المقررة (١) .

---

(١) راجع البيان الوارد في ص (٢٢٨٩) من نسخة الاصل وهو عن مرجع آخر .

أما عن نصيب العاملين فيختص النواخذا بالربع نظير ملكيته للقارب والباقي يوزع بين الغواصين والسيب كما هي الحال في الجانب العربي أي يوزع الباقي بنسبة ثلاثة أسهم لكل غواص وسهمين لكل سيب . وفي الساحل الايراني اذا اشترك النوخذا في أعمال الصيد فانه يأخذ نصيب سيب لا نصيب غيص .

★ ★ ★

تجارة اللؤلؤ

بعد كل ما تقدم أصبحنا في وضع نتمكن فيه من بحث الطريقة التي يتم بها التصرف بانتاج المصائد .

الاسواق

كانت المنامة ولنجة حتى سنة ١٩٠٢ هما أهم المراكز التجارية للؤلؤ في منطقة الخليج ، وكانت المنامة مركزاً للمنطقة الوسطى من الخليج بينما كانت لنجة مركزاً للقسم الاسفل منه .

وفي الآونة الاخيرة بعد تشديد الجمارك الايرانية في لنجة ، ووصول المواصلات البحرية بالبواخر الى ميناء دبي الحرة انتقلت التجارة من لنجة الى دبي انتقالا واضحاً ويبدو أنها ستنتقل بكاملها وبحالة دائمة الى هناك .

ثم ان جميع لآلىء البحرين ولنجة ودبي ترسل الى بومباي حيث تفرز على فئات ودرجات مختلفة لتصديرها الى الاسواق الاوروبية وجهات أخرى وبعضها يرسل الى بغداد . وتفضل سوق بغداد اللآلىء البيضاء وتشتري مقداراً كبيراً من الحبوب اللؤلؤية الصغيرة . واللآلىء الصفراء لها سوق طيبة في الهند وفي تركيا . أما اللآلىء الرديئة وغير المنتظمة فتباع في إيران وتستعمل في تجميل أزياء الرجال والنساء .

العملاء

والذين يتعاملون في تجارة اللؤلؤ إما التجار وإما الطواويش ، أما التجار فهم الذين يتعاملون بالجملة وتصل اللآلىء إلى بيوتهم ، ويشترونها نقداً ثم يرسلونها الى بومباي ، اما الطواويس (والواحد طواش) فهم طائفة صغار التجار وعليهم ان يبحثوا عنها ويشترونها إما بالنقد على البر او في البحر على سبيل مبادلة اللؤلؤ بمواد التموين وهم غالباً يبيعون ما يشترونه الى التجار في الخليج .

والتاجر يتصل بالطواش وفي بعض الحالات مع المسقم بواسطة دلال يأخذ عمولته من الطرفين وهو في أغلب الاحوال يميل الى خدمة التاجر أكثر من الطواش .

وهناك عدد كبير من الهنود بين التجار والطواويش . وقد ازداد عدد التجار الهنود في الفترة الاخيرة ، بينما عدد الطواويش منهم لم ينقص . وقد دخل العرب في كلتا الطائفتين وتضاعف عددهم في فترة وجيزة ، ويمكن اعتبار ثلاثة ارباع تجارة اللؤلؤ الآن في أيد عربية .

فرز وتقييم اللآلىء

اللآلىء ذات الحجم الكبير غير العادي التي يزيد وزنها عن ٣٠ حبة فما فوق تباع وتشترى بالواحدة وليست هناك طريقة متعارف عليها لتقدير قيمتها . أما ذاوت الحجم المتوسط والصغير وهي المحصول الرئيسي لتجارة اللؤلؤ فيختلف تقديرها بالنسبة لاعتبارات الحجم والوزن واللون والشكل،وهذه امور تحتاج الى بعض الخبرة الفنية(١) .

الحجم

يتم فرز اللآلىء المتوسطة بالنسبة لحجمها بواسطة تمريرها في أوان مخرمة القاع تسمى طوس (الواحدة طاسة) وهي مصنوعة من النحاس

---

(١) مع دراسة الملاحظات الواردة هنا يمكن مقارنتها مع القسم الخاص بفرز الوطنيين للآلىء في سيلان ضمن تقرير العلامة هيردمان .

الاصفر او الاحمر ومركبة احداها داخل الاخرى . وبعض العملاء يستعمل حوالي ٤٥ طاسة مختلفة الخروم بتدريج دقيق ، لكن الطقم المعتاد استعماله في عمليات الفرز يكون كالآتي :

اسم الطاسه	قطر الخروم بالكسر العشري للبوصة
رأس	٠,١٨
بطن	٠,١٥
رأس الذيل	٠,١٣
حدرية الذيل ، وتسمى رابعة	٠,١١

وأكبر اللآلىء التي تمر من خروم الكرات الاربع تسمى «خامسة» يصعب تحديد أقل قطر لها . وأصغر اللآلىء التي تبقى في كرة (الراس) تزن حوالي ٦,٤٠ قمحة في المعدل لكل واحدة ، وأجمل اللآلىء في الراس تسمى «لقوة» وهو اسم للنوع وليس للحجم .

وعند شراء الطواويش وغيرهم بالجملة من النواخذة يراعى حجم اللآلىء . وفي هذه الحالة يعزل النوخذا أحسن اللآلىء التي يرغب في بيعها (بالتشاو) كما سيأتي بعد ، والباقي يتم فرزه إلى رأس وبطن وذيل ويبيعها بسعر سبق الاتفاق عليه بقدر معين من التومانات لكل مثقال مشهدي . والتومان وحدة مالية يقسم إلى ١٠٠ محمدي . وتتغير قيمته بالنسبة للعملة تبعاً لاختلاف أسعار سوق اللؤلؤ . ولعل من العجيب أن سعر اللآلىء البطن والذيل يكون دائماً نصف وثُمن على التوالي من وزن ما يقابلها من لآلىء الراس . والمثقال المشهدي المستعمل في تجارة اللؤلؤ يعادل مثقال البحرين العادي (انظر حاشية الهامش التالية) وهو يزن حوالي ٤٤٤ قمحة وهو يقسم الى ٢٠ دانق او إلى ٦٦ حبة .

وبعد شراء اللآلىء العادية بالنسبة لاحجامها ، من عامل الغوص تتداولها أيدي العملاء واحداً بعد الآخر بشكل أكثر دقة وتحديداً للوزن .

التشاو

التشاو (أو الجو) هو الوحدة المستعملة في تداول بيع اللؤلؤ بين العملاء (والجمع أشواه او أجواه)، ويجب أن نعلم أنه، وإن كان ينسب الى الوزن، إلا أنه في الواقع ليس وزناً. والتشاو اربعة أنواع مماثلة لأنواع المثقال الأربعة كما سيأتي:

مثقال البحرين(١)	يساوي	١٥٠	قمحة	(تروى)
مثقال قطر(١)	«	١٦٠	«	«
مثقال بومباي	«	٧٤	«	«
مثقال يونا	«	٦٨	«	«

وفي كل حالة يكون عدد التشاو في اللؤلؤ يساوي تربيع الوزن بالمثقال مضروباً في ٣٣٠. فاذا فرضنا أن ش» هو عدد التشاو وأن «م» هي عدد المثاقيل فتكون النتيجة هي:

ش = م ٢ × ٣٣٠

والناتج هو مقدار التشاو البحريني والقطري او بومباي او يونا تبعاً لوزن اللؤلؤة ان كان بمثقال البحرين او قطر او بومباي او يونا.

ويلاحظ ان تشاو واحد بحريني يعادل ٤ من تشاو بومباي. فاذا فرضنا ان «م» هي وزن اللؤلؤة بمثقال البحرين فيكون وزنها بمثقال بومباي = $\frac{١٥٠}{٧٤}$ م وينتج عن ذلك ان عدد التشاو البحريني في اللؤلؤ نفسها بالنسبة لعدد تشاو بومباي هو نفس نسبة ٣٣٠ م٢ الى ٣٣٠ × $\frac{١٥٠}{٧٤}$ م ٢ أي بنسبة ١ الى ٤ $\frac{١}{١٠}$.

(١) هذان الوزنان غير عاديين ويسميان سوراتي. أما المثقالان القطري والبحريني العاديان (والثاني يسمى أيضا مثقال مشهد) فهما أثقل بكثير فالبحريني يعادل ٦ مثاقيل بومباي والثاني يعادل ٧، ولكنهما لا يؤخذان أساسا في حساب التشاو.

وبنفس الطريقة يمكن اعتبار أن ١ تشاو قطري يعادل تقريباً كمية اللؤلؤ التي في ٣/٤ ٤ تشاو بومباي .

وللعملاء العرب والهنود طريقة حساب تقريبي لتيسير حساب التشاو من الوزن . وهم يستعينون في ذلك بجداول حسابية باللغة العربية والجوكارتيه يمكن الحصول عليها من بومباي .

والطريقة العربية المبسطة هي : بيان وزن اللؤلؤ بالحبة (ومثقال البحرين وقطر يساوي ٦٦ حبة) ثم اضربه في نفسه ثم اجمع عليه ١ بالمائة واقسم الناتج على ١٠٠ .

والطريقة الهندية المبسّطة هي : بيان وزن اللؤلؤ بالراتي(١) (ومثقال بومباي وبونا يساوي ٢٤ راتي) ثم اضرب عدد الراتي في نفسه ثم اضرب في ٥٥ ثم اقسم على ٩٦ .

والتحليل الجبري يرينا ان هاتين الطريقتين هما بالفعل المعادلة س = م٢ × ٣٣٠ بطرق مختلفة .

والتشاو من اي من الانواع يتقسم الى ١٠٠ دوكرة (والجمع دواكر) وفي التشاو العربي تنقسم الدوكرة أيضاً الى ١٠٠ مازور ، وفي حساب التشاو الهندي فان الدوكرة تنقسم الى ١٦ بادام والبادام ينقسم الى ١٦ وسواسي .

الأسعار

بعد ايجاد مقدار التشاو للؤلؤة فلا يبقى لتحديد قيمتها سوى معرفة سعر السوق للتشاو الذي تحسب به .

وسنجد في المذكرة الملحقة رقم ٥ من هذا الملحق جدولا يوضح الانواع الرئيسية التي يرجع الاختلاف فيها غالباً الى اللون والشكل مع أسعار كل منها كما كانت عليه في البحرين سنة ١٩٠٦ .

---

(١) والراتي يتكون من ٤ دان والدان من ٤ آنة والآنة من ٦٤ دوكرا .

ويجب ان يلاحظ ان هذه الاسعار كانت تعطي العميل فكرة تقريبية لانها توضح الحدين الاعلى والأدنى. أما تحديد السعر الفعلي لاي لؤلؤة فانه يراعى فيه لون الجلد أي درجة النقاء ودرجة الصقل واللمعان التي لا يمكن اخضاعها لقواعد ثابتة . ثم ان هذه الاسعار قابلة للتغيير . ومما لا شك فيه أنه خلال نصف القرن المنصرم قد ارتفعت الاسعار ارتفاعاً كبيراً . فقد تضاعفت في الفترة ما بين سنة ١٨٥٢–١٨٥٣ وسنة ١٨٧٧–١٨٧٨ ، ثم ارتفع السعر ثانياً الى اكثر من الضعف(١) بعد سنة ١٨٧٧ – ١٨٧٨ .

فن تجارة اللؤلؤ

هناك بعض الطواويش الذين يترددون كثيراً على البحر ممن لهم الخبرة التي تمكنهم من التقدير التقريبي لاعماق البحر وعن الاماكن التي صيدت منها لآلىء معينة عرضت عليهم وعلى ذلك يقولون ان اللآلىء المستخرجة من مصايد البحرين تمتاز عن غيرها بالصقل واللمعان . وأن تلك المستخرجة من المصايد الواقعة في شمالها تمتاز بأنها أكثر صلابة من سواها ، وعلى أي حال فان التجار يستطيعون بنظرة واحدة إلى اللآلىء ان ينسبوها الى الاقسام المستخرجة منها وبذلك يتوقف نجاح أي فرد منهم على مدى خبرته في تقدير درجة نقاء اللآلىء التي من درجة واحدة وهذه كما ذكرنا سابقاً ليس لها قواعد محددة .

---

(١) اذا لم يكن هناك خطأ في تقرير رائد دوراند في احتساب تشاو البحرين بدلا من تشاو بمباي فان ارتفاع الاسعار يكون غير عادي • ولنفرض أولا أنه ليس هناك خطأ في التقرير فاننا نجد أن سعر نوع ياكابيضا سنة ١٨٧٧ كان ٤٦ روبية للتشاو البحريني أو ١١ ونصف لتشاو بمباي وبينما في سنة ١٩٠٦ كان ٣٢٥ روبية لتشاو بمباي •

وهذا يبدو مستحيلا ولكن على افتراض حدوث خطأ في حساب التشاو فيكون المعدل قد ارتفع من ٤٦ الى ٣٢٥ روبية وهذه الزيادة جديرة جدا بأن تلفت الانظار • وعند التحري عن ذلك في البحرين فانهم يرجحون أن التشاو في تقرير رائد دوراند هو تشاو بمباي سنة ١٩٠٨ •

والتاجر الأمي ماهر في عمليات الحساب العقلية ويستفيد من تقلبات أسعار السوق وفرق الموازين المستعملة في الخليج . وفي المذكرة الملحقة رقم ٥ ذكرنا أسعار السوق بالنسبة لتشاو بومباي فقط ولكن هناك اسعاراً لتشاو البحرين وقطر وبونا . وبما ان النسبة بين هذه التشاوات ليست محددة بدقة فمن الممكن في بعض الاحيان الشراء بثمن رخيص والبيع بثمن مرتفع بشراء اللآلىء بحساب أحد التشاوات وبيعها بحساب تشاو آخر. وعلى ذلك فالتاجر الذي يتعامل بالوحدات المختلفة ويملك وسائل التصريف بها يستفيد أكثر من الرجل الذي يتعامل بموجب وحدة واحدة من الاربع وحدات ولا يعرف التعامل بسواها .

وفرق الموازين في الخليج يمكن اعتباره مصدراً لربح بعض التجار المشتغلين في اللؤلؤ الذين لا يجيدون دقة الحساب ولكن يهتمون بهذه الفوارق(١) . على أن العميل الذي يستعمل موازين مزورة يفقد ثقة الجمهور. وفرص الغش قليلة لان البائع عادة لا يذهب باللآلىء إلاّ بعد وزنها وتثمينها بواسطة أفراد مختلفين. ومنذ عشرين سنة لاسيما عندما بدأت ترتفع اسعار اللؤلؤ منذ أكثر من خمس عشرة سنة كان العملاء يتكتلون محاولين استغلال العاملين في صيد اللؤلؤ باستعمال موازين أكثر وزناً من حقيقتها مع الاحتفاظ بوزنها الاسمي فوصل الامر الى درجة رفض فيها الصيادون بيع لآلئهم فكان ان عُدلت الموازين الى حقيقتها الاولى .

وأكبر اللآلىء ترسل الى الهند لتباع بالقطعة الواحدة بحساب التشاو ثم يعبأ الباقي في حزمات كل واحدة تضم لآلىء من نفس النوع. وليس من

---

(١) الاوزان الصغيرة وهى أجزاء المثقال غالبا ما تكون أكثر وزنا من اللازم ووزن الراتي المقابل لها هو ١/١٦ بدلا من ١/٣٢ من مثقال بمباي . ووزن الحبة في البحرين وقطر وهو يساوى ١/١٦ و ١/١٨ من مثقال البحرين وقطر على التوالى بدلا من ١/٦٦ . والموازين مصنوعة من العقيق أو النحاس ، والاول أضبط لانه غير قابل للتأثر بعملية الاكسدة .

الضروري أن تكون من نفس الحجم وهنا مجال اوسع لمهارة العميل لان كل حزمة يمكن ان تباع بثمن أكبر مما لو بيعت اللآلىء بالتجزئة . وبذلك فانهم لا يقبلون فض الحزمة الا اذا دفع ثمن كبير لمن يرغب شراء لؤلؤة واحدة بعينها يختارها من الحزمة التي يترك باقيها (١) .

★ ★ ★

تجارة قواقع اللؤلؤ

أهم المراكز التجارية لقواقع اللؤلؤ في الخليج هي لنجة والبحرين وبوشهر ومنها تشحن المحارات بالسفن رأساً الى اوروبا حيث تشتهر باسم (قواقع لنجة) ، ولم تكن الحكمة تسيطر على عملياتها التجارية فصادفت عدة أزمات .

وحتى سنة ١٨٩٧–١٨٩٨ كان كثير من الشركات الاوروبية والوطنية المحترمة تعزف عن تداولها اذ كثيراً ما دخل فيها الغش ولكن بعد ذلك التاريخ تحسنت اوضاعها وبدأت إحدى الشركات الالمانية في المساهمة بنصيب كبير في هذه التجارة في البحرين .

والسعر المحلي للمحار هو من روبية الى ثلاث روبيات لكل ١٤٠ رطلا ومن الزنى من ٤ إلى ٨ لكل ٦٠ رطلا ، ومن الصديفي من ربع روبية الى نصف روبية لكل رطل . والكميات المصدرة منذ سنة ١٨٧٣ موضحة بالمذكرة الملحقة رقم ٢ من هذا الملحق .

---

(١) تفسير الفرق بين سعر بيع الحزمة كاملة وبيعها بالتجزئة غير واضح • ونظن أن اللآلىء التى توزن منفردة يقدر سعرها مساويا للوزن الاقل وليس للوزن الاكبر من الوزنتين الصغيرتين التى يتصادف أن تكون في منتصف الوزن وبذلك اذا بيعت جملة الآلىء دفعة واحدة يمكن أن يقل الوزن الذى يمكن التجاوز عنه وبذلك يكون عدد الحبات أكبر في حساب البيع •

السيادة والرسوم
المتعلقة بمصايد الاسماك

ساحل الجزيرة العربية

جميع المصايد الواقعة عند الجانب العربي قريباً او بعيداً من الساحل العربي مباحة لجميع صيادي اللؤلؤ دون تمييز بين جنس أو جنسية ، وقد تتردد بعض المراكب من موانيء معينة على مناطق معينة أكثر من غيرها . وهي تقوم بذلك باختيارها وليس بطريق الالزام .

ويتقاضى شيوخ المناطق الساحلية العربية دخلا من مصايد اللؤلؤ وذلك بفرض الضرائب فقط على رعاياهم او المقيمين في دائرة سلطانهم . وفي المذكرة الملحقة رقم ٦ من هذا الملحق نجد قائمة بهذه الضرائب .

ويقال ان شيوخ عمان المتصالح علاوة على الضريبة الواردة في المذكرة الملحقة رقم ٦ يتقاضون نصيباً من ثمن بيع كل لؤلؤة تبلغ قيمتها ٢٠٠ دولار أو أكثر مما يحصل عليه أحد رعاياهم ولكن النصيب غير محدد . ويبدو أن هذا الامر ليس عاماً في جميع المناطق أو عرفاً مقرراً بل على العكس من ذلك نجد ان القرار الموضح بعد والصادر لامر سلطان عمان يدعو الى إدراك أن هذا الحق مسموح به في بعض الظروف .

والمعلوم ان اول شيخ فرض هذه الضرائب هو شيخ البحرين الذي فرض ضريبة «النوب» وكانت مخصصة ، ولو اسمياً فقط ، لتشغيل اربع مراكب مسلحة لحماية الاسطول البحريني لصيد اللؤلؤ . وبعد استقرار الامن تحت السيطرة البريطانية على الخليج لم يعد هناك مجال لهذه السفن هذا اذا كانت موجودة بالفعل ، إلا أن نظام الضريبة ظل مستمراً ينفذه شيخ البحرين وشيوخ العرب الآخرين .

وكان مقدار ضريبة النوب بمعدل نصيب غواص واحد عن كل سفينة ، أما خليط البحارة على السفن فكانت الضريبة في الزمان السالف ٣ دولارات ثم أصبحت أخيراً ٤ دولارات عن كل عامل .

ومنذ سنوات عديدة فرضت ضريبة أخرى باسم طراز . وكانت سابقاً بنسبة نصيب غواص واحد عن كل مركب وكان المقصود منها هو تعيين حراس في المدن والقرى بالأجر في فترة غياب الرجال القادرين على العمل مدة الصيف. وما زال جزء من هذه الضريبة يصرف في الوقت الحاضر على هذا الغرض على حراس يسمون المتراضية .

ايـــران

يظهر ان النوب هي ضريبة على السفن وأن طراز هي ضريبة الرأس على عمال الصيد ، وان النوب كانت تحصل في الخريف فقط وان الطراز تحصل في الربيع. على ان الظروف في كل منهما ليست مفهومة الآن بوضوح عند أهالي الخليج أنفسهم ، وقد حدثت اضطرابات كثيرة لعدم انتظام تحصيلها ويحاول الشعب دائماً دفع أقل ما يمكن في الوقت الذي يحاول فيه الشيوخ أخذ كل ما يمكن أخذه مقدماً .

وتخضع المغاصات في الساحل الايراني كلها للسيادة الاقليمية باستثناء مغاصات لنجة فهي عامة . والسبب في ذلك يعود جزئياً إلى قربها من الساحل بصفة عامة ما عدا القليل منها الذي يبعد بمسافة ثلاثة أميال عن الشاطيء .

ويزاول رعايا الشيخ الذي تقع المغاصة في أملاكه عملهم فيها بغير إذن خاص ، وكذلك رعايا أي شيخ مجاور يكون على علاقة طيبة مع شيخ المنطقة . أما الاجانب جميعاً ، أي كل مَن سوى هؤلاء بمن فيهم صيادو اللؤلؤ العرب من الجانب العربي المقابل ، فيجب أن يحصلوا على اتفاق خاص من السلطة المحلية قبل الاذن لهم بالغوص في أي مغاصة

إيرانية . والضرائب المقررة على رعايا الشيوخ المحليين او رعايا أصدقائهم على الساحل نفسه مبينة بالمذكرة الملحقة رقم ٦ من هذا الملحق . وجدير بالذكر ان الضرائب التي تفرض على الاجانب الذين يرغبون في الصيد من مغاصاتهم تختلف من ٢٠ الى ٤٠ دولار عن المركب الواحد طول الموسم وان الاذن يعطى كتابة .

والمفروض في من يعثر على لؤلؤة قيمة ان يسلمها سراً الى الشيخ ، فاذا فعل ذلك فهو عادة ملزم بأن يدفع له جزءاً من ثمنها ، واما اذا لم يقدمها للشيخ فان حياته وممتلكاته مهددة بالخطر .

ولم يدرج دخل مصايد اللؤلؤ للآن ضمن (التومار) أو قوائم الدخل المفروض على كل مقاطعة ، ويخفي الشيوخ المحليون دخلهم من هذا المصدر ما استطاعوا الى ذلك سبيلا عن الحكومة الايرانية . وعندما كان «نظام السلطنة» حاكماً لموانى الخليج كان يطمع في فرض ضريبة (ماليات) مقدارها ٤٠٠٠ تومان على مغاصات اللؤلؤ في مقاطعتي شيبكوه ولنجة ولكن الشيخين رفضا الدفع ولم يستطع تنفيذ هدفه . وفي مدة حكم «سعد الملك» وباغضاء من تجار اللؤلؤ في لنجة فرضت ضريبة (ماليات) قدرها ٨٠٠ روبية سنوياً على ٣٠ من مراكب صيد اللؤلؤ لقبيلة آل بوسميط في مدينة لنجة ، واستمرت تحصل سنوياً . وكان هذا هو الدخل الوحيد الذي أخذته الحكومة الايرانية من مغاصات اللؤلؤ . والمفهوم أن حصيلة هذا الدخل كانت تقسم بين حاكم موانى الخليج ونائب الحاكم في لنجة .

* * *

الاوضاع السياسية لمصايد اللؤلؤ

رأينا أن مغاصات اللؤلؤ في الجانب العربي من الخليج هي المصدر الرئيسي لحياة الشعب، وأنه يشترك فيها رعايا عدد من الامارات والمشيخات المختلفة ، ويقوم في الوقت الحاضر بالعمل فيها سكان الخليج فقط . وتتضح من هذه الحقائق اعتبارات سياسية في غاية الاهمية وسنعرض لشرحها في عرض تاريخي موجز مبتدئين بالشؤون المحلية البحته ثم لوضعها العالمي .

★ ★ ★

المسائل السياسة المحلية

صيانة السلم

منذ عام ١٨٥٣ عندما وقّع الشيوخ المتصالحون اتفاقاً متبادلا ودائماً لحفظ السلام في البحر بينما تعهدت بريطانيا بتنفيذ بنود هذه الاتفاقية ، أصبح المقيم السياسي البريطاني في الخليج هو الحكم الاخير في كل الخلافات بما فيها منازعات مصايد اللؤلؤ بين مشيخات عمان المتصالح، وأصبح الامن البحري مكفولا تماماً الامر الذي فيه فوائد جمة للمغاصات بعد ان كانت في السابق تتعرض لمنازعات عديدة في أوقات وامكن مختلفة . وكانت الاساطيل الضعيفة التي لا يستطيع أصحابها الوصول الى اتفاق مع خصومهم تحرم مدة موسم او أكثر من موسم من عمليات صيد اللؤلؤ ، والا فان الموانى تتضرر او تتعرض للخسارة المالية .

أما الآن مع الحماية البريطانية فالحقوق تمارس في أمان تام وكل إخلال بالامن في البحر سواء في المغاصات او غيرها يوقف فوراً ويعاقب المسؤول . وكان آخر ما حدث من ذلك ، ما كان في عام ١٩٠٠ عندما وقعت غرامة قدرها ١٥٠٠ روبية على أسطول آل بو علي لاعتدائهم

على سفن للعمامرة كانت تعمل في الصيد عندما كان الفريقان يزاولان عملهما عند سواحل قطر .

اتفاقية ١٨٩٧ لتسليم المدينين

في سنة ١٨٩٧ أبرمت اتفاقية ، لها اهمية خاصة في تجارة اللؤلؤ ، بين جميع شيوخ عمان المتصالح بناء على طلب السلطات البريطانية وهي تكفل تسليم المدينين الهاربين من إمارة إلى أخرى ، خاصة البحارة والغواصين . وأصبح بموجبها كل شيخ مسؤولا عن ديون كل هارب لا يقوم بتسليمه الى حاكمه الشرعي علاوة على غرامة ٥٠ دولار عن كل هارب لاجيء . واذا سمح له بالعمل في صيد اللؤلؤ فانه يكون عرضة لغرامة ١٠٠ دولار . فاذا كانت الوقائع موضع خلاف عرضت القضية على مجلس وتكون قراراته نهائية بعد اعتمادها من المقيم السياسي البريطاني. وقد ثبتت فائدة هذه الاتفاقية فعلا . ومن البديهي ان النظام المالي العجيب السائد في أعمال الصيد يستلزم فعلا وجود مثل هذا الاتفاق لضمان استمرار هذه الصناعة على الاسس ذاتها التي تقوم عليها وهي الى حد كبير ائتمانية .

قضية قمزار ١٨٩٩–١٩٠١

في سنة ١٨٩٩ حدثت قضية هامة بالنسبة للحكام العرب اذ ان أحد أهالي قمزار وهو من رعايا سلطان عمان وجد لؤلؤة نادرة ذات قيمة عالية جداً قدرت بحوالي ٣٥٠٠ تشاو بومباي ، وكان موضوع القضية هو نصيب السلطان من ثمن بيع اللؤلؤ باعتباره صاحب السيادة على الرجل الذي وجدها . وقد باعها الذين صادوها بمبلغ ٢٠٠٠ دولار لرعايا شيخ الشارقة . وبعد ان أصبحت في حوزتهم ارسلت الى بومباي حيث قدرت قيمتها بمبلغ ٤٠٠,٠٠٠ روبية ، ثم ارسلت الى لندن ، فطالب الذين صادوها بالغاء وفسخ البيع بمقتضى القانون الشرعي ولكن يظهر أنهم أخيراً أجبروا على قبول مبلغ ٨٠٠٠ شلن بعد حسم القومسيون .

وفي الوقت نفسه حين سمع سلطان عمان بهذه القضية طالب أيضاً بالغاء البيع لمساعدة الذين وجدوها من جهة باعتبارهم من رعاياه ، ومن جهة أخرى ليطالب بنصيبه من ثمنها . واخيراً تمت تسوية هذه القضية في مجلس عقد في عمان المتصالح ، وصدرت قراراته كتابة واعتمدها شيخ الشارقة ومنحت السلطان صافي الثمن الذي قد يحصل عليه أصحابها . وبعد ان بقيت اللؤلؤة فترة بدون بيع في لندن أعيدت ثانياً الى بومباي حيث بيعت بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ روبية . ويعتقد ان نصيب السلطان بلغ ٣٠,٠٠٠ روبية ، ولكن نتيجة للرهن وما الى ذلك اضطر الى ان يقنع بمبلغ ١٢,٠٠٠ دولار . وبما ان هذه القضية قد سويت بالترضية فانها لم تصلح لان تشكل سابقة للمستقبل .

★ ★ ★

المسائل السياسية الدولية في الجانب العربي
١٨٥٧ ـ ١٩٠٧

لا يمكن اعتبار الخلافات والمنازعات التي قد تنشب بين السلطات المحلية ذات أهمية اذا قورنت بالمشاكل التي قد تنشأ عن قيام منافسة بين الغواصين المحليين وبين غوصين اوروبيين يستعملون الاجهزة العلمية ، وبالأخص ، كما تعتقد بعض الجهات المسؤولة ، ما يحدثه تطهير قاع البحر لتنميته من إتلاف للمناطق التي تنشأ فيها القواقع في المياه الضحلة التي يستفيد منها الغواصون الأهليون .

ولم يكن لدى ممثلي الحكومة البريطانية الذين بحثوا هذه المسألة في أوقات مختلفة أدنى شك في أنه سواء حصل ضرر فعلي في المغاصات الوطنية او لم يحصل فان وجود المنافس الاوروبي يثير العداء من جانب العرب الذين يعتبرون هذه المغاصات حقاً مشاعاً موروثاً . وعلى أساس هذه الحقيقة ، مضافاً اليها احتمال تدمير صناعة يعيش عليها آلاف

البشر ، فان الحكومة البريطانية لم تتخل عن مقاومة تدخل الاجانب ، بمن فيهم الرعايا الاوروبيون البريطانيون ، بالوسائل المتوافرة لديها في اعمال صيد اللؤلؤ .

مشروع واطسون سنة ١٨٥٧

يظهر ان موضوع اشتراك الاوروبيين كان قد أثير لاول مرة في سنة ١٨٥٧ عندما أبدى السادة ج. و. و. واطسون من بومباي رغبتهم في القيام بأعمال صيد اللؤلؤ ، وعند أخذ رأي الرئيس فيلكس جونز المقيم البريطاني قال إنه اذا لم تحصل مجازر دموية فلا أقل من حدوث قلاقل وعدوان اذا نفذ ذلك الامر . وكانت النتيجة ان حكومة صاحبة الجلالة رفضت مزاولة الشركة لهذه الاعمال .

نقابة بومباي سنة ١٨٦٢

في موسم سنة ١٨٦٢ أبحرت الباخرة «جونستون كاسل» المؤجرة الى نقابة من بومباي دون اذن رسمي ، الى مغاصات البحرين وانزلت ثلاثة من الأوروبيين وبعض الموظفين الوطنيين مع آلات غوص لتزاول العمل في (بَغْلة) ، ثم سارت الباخرة الى بوشهر . وعند وصولها هناك في اوائل شهر يوليو أجرى مستر بلنكيت احد مستأجري السفينة اتصالات مع الرئيس دزبراو القائم بأعمال المقيم السياسي . وقد اعتبر القائم بالأعمال ان الامر جد خطير فأرسل سفينة حكومية الى المغاصات مزودة بتعليمات مشددة لاحضار البغلة الى بوشهر .

وبوصول المركب الى بوشهر يوم ١٠ يوليو اتضح أنه تركي الجنسية وكان من المحتمل ان يؤدي ذلك الى مشاكل لكن لم يحصل من ذلك شيء

وكان السبب في التكتم الشديد الذي أحاط هذا العمل من جهة القائمين به هو حرصهم على إخفاء عملهم عن شركة أخرى منافسة لهم : واتضح أنهم قاموا بهذا العمل بحسن نية بناء على بيان نشر في صحيفة

رسمية بأن المغاصات «مفتوحة للجميع» ، وكان محصول صيدهم في الايام القليلة التي اشتغلوها ٢٣ قطعة من حبوب اللآلىء الصغيرة .

مناقشات حول السياسة البريطانية ١٨٦٢-١٨٦٣

وقد أثار هذا العمل مخاوف غواصي اللؤلؤ في البحرين وأدى الى مناقشة كاملة للامور السياسية بين حكومة بومباي والمقيمين البريطانيين في بوشهر وبغداد . وقد ذكر الرائد كمبول المقيم في بغداد ان تلك المسألة كانت بسيطة وكان من المحتمل ان تكون أكثر تعقيداً لو كان المضاربون اوروبيين اجانب ويحملون اذناً من أحد الشيوخ العرب بالصيد . وكانت توصيته أن تعتبر حكومة الهند الخليج منطقة مقفلة لصيد اللؤلؤ بالنسبة لاي أفراد قادمين من خارج حدوده ، وان تنشر الحكومة إعلانا برفضها حماية أي أفراد يخالفون ذلك مهما كانت جنسياتهم ، ومثل هذا الاجراء كفيل بمنع الاوروبيين على الاقل من التدخل في هذه المغاصات .

وقد أقرت حكومة بومباي إجراء الرئيس دزبراو وآراء الرائد كمبول . إلا أن المقيم في الخليج كان ميالا الى الحرص على وضع الامور ذات الصلة بحقوق الاجانب والعرب على حد سواء ، وطلب اليه أن يرفع تقريراً عن مصايد اللؤلؤ والقوانين والعادات التي تحدد حدودها والحقوق التي عليها ، وعن وسيلة تسوية أي نزاع يقوم مستقبلا وأحسن الوسائل لصيانة السلام دون تدخل الحكومة البريطانية في مسؤوليات للحماية قد تجر الى مشاكل .

وقد رأى الرائد بيلي المقيم في بوشهر أنه في الواقع ليست هناك فائدة أو ربح من وراء تدخل الاجانب في الوقت الذي يثير فيه شكوك العرب وربما أثار شكاوى من إيران وتركيا والحاكم الوهابي ، ولذلك فقد أبى البحث في أية محاولة لتنظيم الحقوق والعادات المرعية في المغاصات ، ورأى ان إعلان الخليج منطقة مقفلة قد يعرض بريطانيا

الى منازعات مع الدول الاوروبية والامريكية ، وان اتخاذ سياسة التحفظ في الأمور هو الافضل . وأخيراً لم يصدر إعلان ، وسحبت حكومة بومباي طلبها الخاص بالمعلومات التفصيلية عن مغاصات اللؤلؤ .

مشروع مدحت باشا سنة ١٨٧٢

ولم يجذب الوضع الدولي في مصايد اللؤلؤ مزيداً من الانتباه حتى سنة ١٨٧٢ عندما علم ان مدحت باشا ، الوالي التركي في بغداد ، يفكر في استغلال بعض مغاصات اللؤلؤ في الخليج بواسطة غواص انجليزي وصل الى بغداد في شهر مايو سنة ١٨٧٢ ، ولكنه تلقى تحذيراً شخصياً بأنه لن يلقى الحماية البريطانية أثناء مزاولته العمل ، فكان ذلك كافياً للوصول الى الهدف المطلوب واخيراً لم يدخل المشروع التركي في حيز التنفيذ .

مشروع سميث وشركاه سنة ١٨٧٣

وفي سنة ١٨٧٣ حاولت شركة سميث وشركاه من لندن الحصول على اذن للعمل في صيد اللؤلؤ في الخليج . وفي شهر اكتوبر من السنة نفسها ، وكان طلبهم ما زال قيد البحث في وزارة الخارجية ، حضر مندوبهم مستر و. جرانت ، وكان ضابطاً في البحرية الهندية ، الى بوشهر حيث قابل الرائد روس المقيم السياسي فرفض مساعدته دون تعليمات خاصة من حكومته . وفي الوقت ذاته أخطر الرائد روس الحكومة ان من رأيه أنه لا يوجد بين الشيوخ من له رغبة أو حق أو سلطة لمنح امتياز لصيد اللؤلؤ .

فسافر مستر جرانت من بوشهر الى البحرين ، ولكن الشيخ رفض الاتفاق معه ، وبناء على تحذير له من الخطر الذي يتهدده في زيارته لباقي إمارات الساحل العربي يبدو أنه عاد أدراجه إلى اوروبا خالي الوفاض ، ولم يُسمَع شيء بعد ذلك عن مشروع سميث وشركاه .

طلب مستر ستريتر سنة ١٨٨٩

بعد ذلك تقدم مستر أ. و. ستريتر من لندن في أواخر سنة ١٨٨٩ بطلب الى وزارة الخارجية للاذن له بصيد اللؤلؤ بعد استئذان الشيوخ العرب على عمق لا يصل اليه الغواصون الوطنيون وقدّم مع طلبه مذكرة عن مصايد الخليج جمع بياناتها بنفسه من مختلف المصادر الاعلامية ، وصَفَ فيها الطريقة الجارية بأنها «سلسلة من القيود المزعجة لا تقل ظلماً وحرماناً من الكرامة عن الرق نفسه» .

وبأخذ رأي الرائد روس المقيم في الخليج تبيّن أن العرب في رأيه لا يمكن ان يوافقوا برغبة او حرية على الاذن لمستر ستريتر بمزاولة العمل ، وأنهم اذا وافقوا على ذلك فان تأييد الحكومة البريطانية لمشروع مستر ستريتر سيتمخض عن مسؤوليات لا يمكن التكهن بمداها وطبيعتها ، وبناء على ذلك أشارت حكومة الهند على وزارة الخارجية أنه من غير المرغوب فيه تشجيع مستر ستريتر ، وأن العرب منذ التاريخ القديم يعتبرون مغاصات اللؤلؤ ملكاً خاصاً لهم ويقاومون كل تدخل أجنبي ، وأن الصيد في المناطق العميقة ربما يؤثر على خصوبة قواقع مناطق المياه الضحلة وأن الموضوع قد يحيي مطالب ومشاكل من قِبَل الحكومات الايرانية والتركية . وعلى ذلك رفضت حكومة صاحبة الجلالة طلب مستر ستريتر لانه « ربما يثير مشاكل عنيفة » . ولكن يظهر أن مستر ستريتر لم يقتنع بالعدول عن طلبه ، اذ أن مسيو ستينبرجر من باريس زار الرائد تالبوت المقيم في الخليج في مدينة بوشهر وأجرى معه مباحثات بالنيابة عن مستر ستريتر وآخرين بشأن إمكان مزاولة الاوروبيين للصيد من الماء العميق في الجانب العربي للخليج . ولكنه لم يلق تشجيعاً وكتب الى موكليه بما ينفي إمكان العمل .

محاولة الحصول على اذن الباب العالي ١٨٩٩–١٩٠٠

علم في أوائل عام ١٨٩٩ أنه تجري محاولات للحصول على امتياز من الحكومة التركية لصيد اللؤلؤ في الخليج ، ولكن الاستفسارات التي

دارت في القسطنطينية دلّت على أنه اذا كانت هناك مقترحات في هذا الشأن فانها لم تصادف قبولا بعد . على أنه بعد عام كان معلوماً ان الباب العالي كان مهتماً بايجاد جماعة من الممولين الذين يرغبون في الحصول على امتياز صيد اللؤلؤ وأنه جرت مباحثات بين مسيو رتشنترر والسكرتير الثاني للسلطان . وبناء على ذلك تقرر تحذير الحكومة التركية بأن المغاصات في السواحل العربية ملك للمناطق الساحلية العربية وان شيوخ هذه المناطق قد دخلوا في ارتباط مع حكومة الهند .

وقد كان هذا التصرف ضرورياً بحكم التزام الحكومة البريطانية بحماية حقوق شيوخ عمان المتصالح والبحرين في البحار التابعة لهم .

وقد وعد الوزير التركي الذي وُجّه اليه هذا التحذير بمراعاة هذا الاعتبار . وفي الوقت نفسه أنكر وجود أي طلبات امتياز حديثة مقدمة الى الباب العالي ، ولكن رغم هذا الانكار فقد تأكد ان رجلا اسمه منطران افندي راشد كان قد عرض مبلغ مائة الف ليرة تركية بالنيابة عن شركة بريطانية–سورية او بريطانية–مصرية للترخيص لصيد اللؤلؤ في البحر الاحمر وعلى السواحل العربية الشرقية من الكويت الى الخليج علاوة على رسم امتياز بمقدار أربعين الف ليرة تركية سنوياً ، وأن المفوض المالي التركي قرر أن مصايد اللؤلؤ داخلة في اختصاص (إدارة الديون العامة) ، وان موضوع منح هذا التصريح المطلوب اعتبر مستحيلا نظراً لمعارضة شيوخ العرب ونظراً للاضطرابات التي حدثت في الاحساء ولعقبات سياسية أخرى مختلفة . وفي الوقت ذاته ضغطت الحكومة التركية على والي البصرة لتحصيل الضرائب المستحقة من البحرين وقطر من عمليات صيد اللؤلؤ بكاملها . ولكن الوالي اوضح ان موقف الشيوخ يجعل ذلك صعب التنفيذ وأنه يلزمه مركبان لتحصيل تلك الضرائب ، وليس لديه أي منهما .

تحذير شيوخ عمان المتصالح من منح أي ترخيص سنة ١٩٠٠

في شهر يوليو سنة ١٩٠٠ ارسل راتانسي بارشوتام ، وهو تاجر هندي بريطاني الجنسية ومقيم في مسقط ، اثنين من الغواصين الهنود ومعهما أجهزة الغوص الى مغاصات اللؤلؤ ، وكان قد حصل على إذن من شيخ ابو ظبي واتفق مع قبيلة بني ياس ، ولكن هذه المغامرة فشلت لعدم خبرة الغواصين في عمليات صيد اللؤلؤ ، ويقال ان المرشدين العرب قادوا السفينة الى موضع غير مناسب .

وقد رأت حكومة الهند ان ترك الامر بغير اجراء قد يكون سابقة ذات آثار مزعجة ، وأعلن الرائد كمبول المقيم السياسي في بوشهر بناء على ذلك ان الترخيص بمثل هذه الامور في المستقبل يجب ان لا يتم بواسطة الشيوخ المتصالحين ، وأن الرعايا البريطانيين الذين يطلبون مثل هذا الاذن يجب ان يتقدموا الى المقيم البريطاني . وقد دلت تحريات الرائد كمبول من شيوخ عمان والبحرين المتصالحين والبحرين أنهم يعتبرون المغاصات ملكاً مشاعاً للساحل العربي وأنه لا يحق لاي شيخ ان يمنح إذناً للاجانب بالغوص ، وأن مجرد ظهور غواصين مزودين بلباس الغوص الاوروبي ربما لا يقابل بالهدوء والصبر من جانب رجال الغوص المحليين . وعلى هذا الاساس عندما تقدم تلك شاند دواركا ، وهو رجل هندي من رعايا بريطانيا ويقيم في البحرين بطلبه في سنة ١٩٠٢ الى مساعد المعتمد السياسي في البحرين للاستفهام عما اذا كانت حمايته مكفولة ضد أي عدوان عليه ، وكان قد حصل على إذن بالعمل من شيخ أبو ظبي ، أجابه مساعد المعتمد انه ليس من سلطة شيخ ابو ظبي الشرعية إعطاء مثل هذا الإذن .

مغامرة بلجيكية سنة ١٩٠١

ومن مظاهر الاهتمام الاجنبي بأمر مصايد اللؤلؤ ما حدث في ربيع سنة ١٩٠١ من زيارة اليخت البخاري «سليكا» البلجيكي للخليج . وبعد

زيارته لمسقط اختفى عن الانظار حتى يوم ١١ إبريل ، أي بعد حوالي شهر ، ثم ظهر في البحرين . وقد ذكر الذين يستعملون هذا اليخت أنهم قضوا معظم ذلك الوقت في منطقة مغاصات اللؤلؤ ، ثم تأكد بعد ذلك عند عودتهم الى اوروبا أنهم باعوا كمية من اللآلىء الصغيرة .

اتصال بريطانيا بالباب العالي سنة ١٩٠١

ومن الجدير بالذكر أنه ظهر في جريدة «الديلي اكسبريس» في عدد يوم ٩ مايو سنة ١٩٠١ خبر مؤداه أن بعض أصحاب رؤوس الاموال الالمان اتصلوا بالباب العالي للتفاوض في احتكار مغاصات اللؤلؤ عند السواحل العثمانية في البحر الاحمر وفي الخليج مع استعمال الوسائل العلمية . وفي الوقت نفسه نشرت جريدة «مونيتير اوريتتال» خبراً مماثلا لذلك ، فقام السفير البريطاني في القسطنطينية بلفت نظر الباب العالي إلى أن الامور التي اشير اليها ويجري دراستها من شأنها أن تثير حقد الأهالي ، وأشار السفير الى التزام بريطانيا الحازم بالمحافظة على حقوق شيوخ عمان المتصالح في هذا الصدد . وقد نفى الوزير التركي معرفته بمثل هذه المفاوضات ، ووعد بمراعاة ما أشار اليه السفير . ثم لم يظهر بعد ذلك أي إشارة عن الممولين الألمان او عن مشروعاتهم .

محاولات مسيو دوماس وكاستيلين سنة ١٩٠٣

ثم تكرر اهتمام العالم بشؤون مصايد اللؤلؤ في سنة ١٩٠٣ عندما رغب اثنان من الرعايا الفرنسيين في الاقامة في البحرين ليشتركا في هذا العمل ، وهما مسيو دوماس ومسيو كاستيلين. والأول شريك في مؤسسة دوماس وجين في مارسيليا . وقد وصلا الى البحرين في شهر فبراير سنة ١٩٠٣ ويحمل مسيو دوماس خطابات توصية من وزارتي التجارة والخارجية

وفي يوم ٢٥ مارس زار مسيو دوماس المقيم السياسي البريطاني في بوشهر ، لجس النبض في إمكان العمل بصيد اللؤلؤ ، فأخبره الرائد كمبول أن عمله هذا تحيط به الاخطار وأنه سيجد مقاومة فعلية . فعاد

دوماس الى البحرين ، وفي شهر ابريل حاول الاتصال بالشيخ بواسطة تيلك تشاند . ولكن البوادر دلت على رفض الشيخ الذي أصر على استحالة منح مثل هذا التصريح . واخيراً وبعد ان تأكد دوماس من فشله وبسبب ظهور مرض الطاعون أيضاً عاد ادراجه في مايو سنة ١٩٠٣ ولم يظهر على المسرح مرة أخرى . على ان محاولاته التي قام بها أثارت اهتمام حكومة الهند التي اتخذت بعض الخطوات لتسويتها بسبب احتمال حدوث تدخل بالقوة في هذه المغاصات من جانب الاجانب الاوروبيين ، وان شيوخ عمان قد يطلبون في تلك الحالة من الحكومة البريطانية حماية حقوقهم ، فكان من الضروري التخطيط المسبق للسياسة البريطانية في هذه المسألة .

رأي قانوني في السياسة البريطانية ١٩٠٥

وقد رفعت حكومة الهند هذا الموضوع الى حكومة صاحب الجلالة في مذكرة مؤرخة في ٨ مارس سنة ١٩٠٤ ، فأحيل للرأي الى مستشارى التاج القانونيين الذين صدر قرارهم في ١١ فبراير سنة ١٩٠٥ بشأن مسألة حقوق القبائل العربية من ناحية والخطوات الفعالة لحمايتهم من ناحية أخرى .

وقد رأى المستشارون أن للعرب المقيمين على الساحل الحق لا يشاركهم فيه أحد لاستغلال المغاصات في حدود ثلاثة أميال بعيداً عن الارض او في أي مياهاً أخرى يمكن اعتبارها مياهاً اقليمية بحق .

أما المصايد الواقعة خارج هذه المياه الاقليمية فقد اعتبرت طبقاً للقانون الدولي ملكاً للقبائل استثناء من دول العالم ، وقد استشهد رجال القانون لتأييد وجهة النظر هذه بمسألة حقوق اللؤلؤ في سيلان ونظريات كثير من الثقاة(١) .

وقد نوقش موضوع ثبوت هذه الحقوق فعلا في مغاصات الخليج .

---

(١) من ضمن هذه المراجع كتاب القانوني السويسري فيتل .

وقيل ان ذلك يعتمد على ثبوت أدلة مزاولة القبائل دون سواهم لاستغلالها كما قيل ان هناك أدلة تثبت حق القبائل غير المنازع في استغلالها وأن مزاولتهم لهذا الحق بصفة عامة ليس عقبة من أجل ملكيتها ، وأنه بالنسبة لعلاقة حكومة صاحب الجلالة مع القبائل على الساحل الغربي للخليج فإن صيانة حق ملكيتهم تقوم به حكومة صاحب الجلالة نيابة عنهم .

أما عن الصيد في المياه العميقة فانه يبدو للمستشارين أنه ليس للقبائل حق المطالبة بمنع الاجانب من العمل فيها .

وكانت توصيات المستشارين فيما يتعلق بالحماية تشير إلى أن صيد اللؤلؤ يحرم على الاجانب داخل المياه الاقليمية مع اتخاذ إجراءات عدم تشجيعهم على الصيد خارج المياه الاقليمية او المياه العميقة على أنه اذا لم تكن هناك طريقة أخرى فانه يمكن استعمال القوة في إبعاد مراكب الصيد مع الحذر في تنفيذ ذلك ، وبعد الحصول على موافقة واعتماد الشيوخ المحليين . وأشار المستشارون بأن الامر برمته يمكن اثارته ، اذا اعتبر سياسياً وبشكل مناسب أمام محكمة لاهاي للفصل فيه ، ولكنهم قالوا بما أنه ليس هناك تأكيد بشأن نتيجة الحكم ربما كان من الافضل تجنب إثارة الموضوع دولياً .

★ ★ ★

المسائل السياسية الدولية في الجانب الايراني ١٨٨٣ ـ ١٩٠٧

تقع جميع المغاصات في هذا الجانب داخل المياه الاقليمية الايرانية ، وبذلك يكون وضعها الدولي واضحاً ومحدداً ، وعلاوة على ذلك فهي تخضع للشيوخ او الرؤساء الذين تقـــع ضمن ممتلكاتهم فليس فيها مسألة حقوق مشاعة . وجميع المشاكل التي قد تقع في هذا الجانب من الخليج هي في غالب الاحوال من اختصاص الحكومة

الايرانية وهي تنبع في أساسها مما قد يكون من خـــلاف بين الحكومة المركزية والزعماء المحليين الذين استطاعوا حتى الآن ، كما رأينا ، استبعاد الحكومة عن أي نصيب من ارباح هذه المغاصات . ومع ذلك فان موضوع عمليات صيد اللؤلؤ تحت اشراف الاوروبيين او الاجانب الآخرين موضوع ذو اهمية حتى على الساحل الايراني .

امتياز مخبر الدولة سنة ١٨٨٢

في سنة ١٨٨٢ حصل مخبر الدولة وزير البرق الايراني والذي كان مرشحاً في الوقت نفسه للحصول على امتياز الملاحة في نهر قارون ، وامتياز التنقيب عن البترول في بعض الجهات على امتياز لصيد اللؤلؤ في المغاصات الأيرانية ، وكان في جميع هذه المشاريع مشتركاً بشكل علني او سري مع مؤسسة جراي وبول وشركاهم البريطانية في بوشهر .

وكان مشروع صيد اللؤلؤ هو الوحيد الذي دخل في حيز التنفيذ . وكان قاصراً على المياه الاقليمية الايرانية وقد أحضروا غواصاً اوروبياً محترفاً وقام بالتجربة في المغاصات القريبة من لنجة وخارج ، ولكن النتائج كانت سيئة ، وانتهت العمليات بالخسارة .

مشروع صيد لمواطن هندي بريطاني ١٨٨٣

وفي شهر مايو سنة ١٨٨٣ وصل الى لنجة المدعو «خوجا» وهو هندي من رعوية بريطانية ومعه اثنان من الغواصين الهنود ولباس الغوص ، وعزم على اجراء بعض التجارب على الساحل الايراني اولا ، ثم على ساحل عمان ثانياً ، غير آبه لتحذير قائد السفينة الحربية البريطانية «فيلوميل» للانتظار حتى تبلغ الجهات المسؤولة عن هذا الموضوع والحصول على تعليمات منها ، فبدأ العمل على الساحل الايراني الا ان النتيجة كانت سيئة ، واخيراً عاد الى بومباي ، ويظهر أنه لم يذهب إلى الجانب العربي .

محاولات متكررة من شركة مالكولم وغيرهم للحصول على امتياز ١٨٩٠ – ١٨٩٤

وحوالي سنة ١٨٩٠ بذل كثير من اصحاب رؤوس الاموال الاجانب جهوداً متوالية وملحّة للحصول على امتياز من الحكومة الايرانية ، ولكن التفاصيل غير معروفة بدقة .

وربما كانت الشركة الارمنية ت. وج. مالكولم وشركاهم ، وهي تعمل في التجارة تحت الحماية البريطانية في بوشهر ، اول من حاول ذلك بالاشتراك في هذا الطلب مع شركة النقل البحري البريطانية ستيرك وشركاه من لندن فلم يتحرك الموضوع .

وهناك آخرون حاولوا الحصول على الامتياز من بينهم المستر ستريتر الذي ظهر في الميدان بعد ذلك بقليل ، كذلك البنك الايراني للتعدين الذي تقدم بطلب لاستغلال مصايد اللؤلؤ بدعوى أنه يقع في حدود امتيازهم الا أن الحكومة الايرانية رفضت طلبه .

وأخيراً حصلت شركة مالكولم على وعد بامتياز لصيد اللؤلؤ لم يتم بناء على تدخل البعثة البريطانية في طهران ، ولم تتأكد حكومة الهند من أسباب قرار البعثة .

وفي سنة ١٨٩٣ بدأ مستر «ستريتر» اتصالاته بالرائد «تالبوت» الذي أصبح فيما بعد المقيم في الخليج للتحري عما اذا كانت شركة مالكولم يمكن الاطمئنان الى الاشتراك معها .

وفي يوم ٦ يناير سنة ١٨٩٤ أتصل مستر ت. ج. مالكولم بوزارة الخارجية في لندن طالباً الغاء رفض الطلب الذي تقدم به للحصول على الامتياز ، فأحيل طلبه الى حكومة الهند التي رفضت طلبه مجدداً بناء على المشاكل السياسية التي قد تترتب على قبوله لمعارضة الشيوخ المحليين وعلى استحالة التأكد من حصر عمليات الصيد في الساحل الايراني داخل المياه

الاقليمية الايرانية ، وبناء على احتمال أن يكون في ذلك التصريح تشجيع للاوروبيين المهتمين بصيد اللؤلؤ في الخليج بصفة عامة .

وأخيراً رفض طلب مالكولم على أساس أن التصريح به قد يؤدي الى نتائج خطيرة ، وفي تلك الحالة لا تكون حكومة صاحبة الجلالة قادرة على معاونتهم فيها .

امتياز سانييه وهاجنز ١٨٩٨ – ١٩٠٧

وأخيراً منحت الحكومة الإيرانية في مارس امتيازسنة ١٨٩٨ احتكاراً لكل من مسيو سانييه وهو اسباني ومسيو هاجنز وهو بلجيكي وكلاهما مغامر سيء السمعة والخلق وذلك لمدة ثلاثين سنة تبدأ من ٢١ مارس سنة ١٨٩٨ . وينحصر الامتياز في المياه العميقة التي لا يصلها الغواصون الوطنيون ، ولكنهما توسعا في منطقة العمل بحيث شملت «السواحل الايرانية جميعها» اعتماداً على هذه المادة وعلى نص خاص بعدم التدخل في حقوق الغواصين المحليين واساليب عملهم . وفي مقابل هذا الامتيار يدفعون مبلغ ٢٥٠,٠٠٠ فرنك الى الحكومة الايرانية .

وفي أوائل سنة ١٨٩٩ دعا مراسل فرنسي في باريس تاجراً بريطانياً من لندن لتكوين شركة مالية تتولى الامتياز المذكور ، ولكن قبل ان تثمر المفاوضات أخبره مسيو سانييه ان الامتياز انتقل الى أيدي رأسماليين روس . وذكر سانييه ان الامتياز الذي انقضى دون دفع القسط الاول من حصة الحكومة تجدد باسمه شخصياً بفضل تدخل النفوذ الروسي . ويبدو ان القسط الاول لم يكن قد دفع حتى شهر يونيو سنة ١٩٠٠ . وبذلت محاولات كثيرة لنقل الامتياز الى اوديسا ، ولكن نظراً للسرية التامة التي أحاط بها المختصون هذا الامر فان المعلومات عنه قليلة .

وهناك من الاسباب ما يدعو للاعتقاد ان زيارة «سيليكا» للخليج في سنة ١٩٠١ كما سبقت الاشارة، لها علاقة بهذا الموضوع. ولكن عمليات الصيد لم تكن قد بدأت بعد (سنة ١٩٠٧) ويحتمل ان يكون الامتياز قد انتهي وبطل مفعوله .

اتصالات بين الحكومتين البريطانية والايرانية ١٨٩٩-١٩٠٠

وفي سنتي ١٨٩٩ و ١٩٠٠ جرى بحث هذا الامتياز بين الحكومة البريطانية والحكومة الايرانية . وعندما سألت الاخيرة عن مناسبة هذا البحث أجابت الحكومة البريطانية بأن الحقوق المتعلقة بصيد اللؤلؤ في الخليج من الامور التي تهم بريطانيا خصوصاً اذا كان منح الامتياز للاجانب .

وكان الغموض في موضوع الامتياز هذا هو ما يتعلق بحدود المنطقة التي يشملها مما دعا الى تحذير الحكومة الايرانية من أن حكومة صاحبة الجلالة سوف لن تعترف بأي عقد فيه مساس بحقوق الشيوخ الذين تشملهم الحماية البريطانية ، فاجاب مشير الدولة ببعض التحفظ أن من حق الحكومة الايرانية منح أي امتياز في الحدود التي تسيطر عليها ، ولن يكون هناك تفكير بالمساس بالحكومة البريطانية .

وبالرجوع الى خرائط الخليج وجد أن المياه العميقة داخل المياه الاقليمية الايرانية التي يمكن أن يشملها الامتياز كانت ضيقة الحدود لا تتجاوز ٨٢٠ ميلا مربعاً .

طلبات جديدة لأجانب اوروبيين

وكانت آخر مغامرة تهدد بتدخل الاوروبيين بمصايد اللؤلؤ الإيراني هو ما قامت به شركة استخراج الاسفنج المحدوده ، ورأسمالها الاسمي ١٠٠٠ جنيه انجليزي ومسجلة في لندن ويديرها أجانب من جنسيات مختلفة . ففي سنة ١٩٠٥ قامت الشركة بعدة اتصالات مع وزارة الخارجية في لندن لبذل مساعيها الحميدة في الحصول على امتياز ، وزعموا في بادىء الامر ان عملهم هو البحث عن (الاسفنج واللؤلؤ والمزجان) ، واخيراً أعلنوا أنهم سيعملون في الخليج بحثاً عن الاسفنج فقط ، ولكنهم لم يجدوا أية مساعدة . وفي أثناء زيارة الشاه الاخيرة لاوروبا في فيشي نجحوا في الحصول على امتياز لمدة خمسين سنة لاحتكار

استخراج الاسفنج من الخليج في المياه الايرانية . وكان ذلك في ٢٩ اغسطس سنة ١٩٠٥ .

وبمقتضى هذا الترخيص قام بعض الموظفين اليونانيين بأعمال الغوص في سنتي ١٩٠٥ و ١٩٠٦ ولكن لم يتحقق ما كان يدور بخلد الشركة للقيام بصيد اللآلىء خلسة تحت ستار عملهم الرسمي في صيد الاسفنج .

ثم وصلت الى البحرين مدام ناتان ، وهي تاجرة جواهر ايرانية في موسم صيد اللؤلؤ سنة ١٩٠٥ ، وبقيت هناك من اوائل اغسطس الى نهاية اكتوبر ، ووجدت بعض الصعوبات في التعامل مع التجار المحليين ، وأخيراً وفقت الى شراء لآلىء بمبلغ ٤٠,٠٠٠ روبية .

★ ★ ★

مذكرة ملحقة رقم ١

احصائيات عن قيمة اللآلىء المصدرة سنوياً من المراكز الرئيسية في الخليج بين ١٨٧٣ و ١٩٠٦ (١)

السنة	عمان المتصالح	البحرين	لنجه	مسقط	بوشهر	بندرعباس	مجموع القيمة سنوياً
	روبية	روبية	روبية	ريال	روبية	روبية	جنيه استرليني
٧٤–١٨٧٣	١١,٨٠,٠٠٠	٢١,٠٠,٠٠٠	٤٥,٥٠,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	٤٦,٥٠٠	—	٦٢٥,٩٣٣
٧٥–١٨٧٤	١٢,٠٠,٠٠٠	٢١,٠٠,٠٠٠	٥٧,٠٠,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	—	—	٧٢٣,٧٧٥
٧٦–١٨٧٥	١٤,٩٠,٠٠٠	٢٨,٠٠,٠٠٠	٣٢,٠٠,٠٠٠	٥٠,٠٠٠	—	—	٥٤٩,٠٠٠
٧٧–١٨٧٦	١٠,٠٠,٠٠٠	٢١,٧٥,٠٠٠	٢٣,٧٢,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	—	—	٣٩١,٨٠٦
٧٨–١٨٧٧	٢١,٢٤,٢٠٠	١٨,٥٠,٠٠٠	٢٣,٩٥,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	—	—	٣٧١,٣٠٦
٧٩–١٨٧٨	١٢,١٦,٥٠٠	١٥,٢٠,٠٠٠	٢٠,٩٥,٠٠٠	٣,٠٠٠	—	—	٣٧١,٠٩٨
٨٠–١٨٧٩	١٤,٠٠,٠٠٠	١٨,١١,٠٠٠	٢٢,٤٠,٠٠٠	٥٠,٠٠٠	—	—	٣٤٤,١٨٧
٨١–١٨٨٠	٣٠,٥٠,٠٠٠	٢٠,٢٣,٠٠٠	٢٢,٧٦,٠٠٠	٦٠,٠٠٠	—	—	٣٦٦,٤٠٨
٨٢–١٨٨١	٢٦,٦٥,٠٠٠	١٥,٨٦,٠٠٠	٢٨,٤٧,٠٠٠	٨٠,٠٠٠	—	—	٣٧٨,٩٢٢
٨٣–١٨٨٢	٢٢,٨٧,٠٠٠	١٦,٥٩,٠٠٠	٢٣,٩٨,٠٠٠	٦٠,٠٠٠	—	—	٣٣٩,٣٨١
٨٤–١٨٨٣	٢٨,٢٢,٠٠٠	١٩,٧٧,٥٠٠	٢٦,٨٠,١٠٠	٤٥,٠٠٠	—	—	٣٨٥,٧٤٢
٨٥–١٨٨٤	٣٩,٧٨,٠٠٠	٢٣,١٢,٠٠٠	٢٦,٨٢,٩٠٠	٤٠,٠٠٠	٢,٠٠٠	—	٤٠٨,٢٦٧

(١) الأرقام المدونة في العمود الأخير من هذا الجدول (مجموعة القيمة سنوياً) قد روعي فيها حذف صادرات عمان المتصالح لغاية سنة ١٩٠١ – ١٩٠٢ إذ كانت صادراتها حتى ذلك التاريخ تتم بطريق لنجه وبذلك تكون قيمتها قد دخلت في صادراتها . وفي سنة ١٩٠٢–١٩٠٣ صدر نصف انتاج عمان عن طريق لنجه كما صدر خمس انتاجها كذلك عن سنة ١٩٠٣ – ١٩٠٤ بطريقها ، وباقي الانتاج في هاتين السنتين وجميع انتاج سنة ١٩٠٤ – ١٩٠٥ صدر رأساً من عمان . هذا وقد أهمل ما يكون قد حدث من تبادل اللؤلؤ بين هذه الأسواق الرئيسية (ما عدا سنة ١٩٠٥ – ١٩٠٦) إذ لم يمكن معرفة شيء عن ذلك ، وإلى جانب ذلك فيحتمل أن تكون هناك كميات لم تسجل تعادل الكميات المنقولة . وقد احتسبت قيمة الريال في مسقط من سنة ١٨٧٣ – ١٨٧٤ إلى ١٨٩٦ – ١٨٩٧ على اعتبار ان الريال الواحد = ٢ روبية ومن سنة ١٨٩٧– ٩٨ إلى ١٩٠٤ – ١٩٠٦ على أساس أن كل =

تابع مذكرة ملحقة رقم ١

السنة	عمان المتصالح روبية	البحرين روبية	لنجه روبية	مسقط ريال	بوشهر روبية	بندر عباس روبية	مجموع القيمة سنوياً جنيه استرليني
١٨٨٥—٨٦	٢٦٬٠٠٬٠٠٠	١٧٬٤٤٬٠٠٠	٣١٬٢٠٬٠٠٠	٤١٬٠٠٠	—	—	٣٧٥٬٠٧١
١٨٨٦—٨٧	١٨٬٠٠٬٠٠٠	١٨٬٢١٬٠٠٠	٢٥٬٦١٬٠٠٠	٦٥٬٠٠٠	١١٬٧٠٠	—	٣٢٧٬٩٦٨
١٨٨٧—٨٨	٢٦٬٠٠٬٠٠٠	٢٤٬٩٣٬٥٠٠	٣١٬٨٠٬٠٠٠	٧٠٬٠٠٠	٢٧٬٥٠٠	—	٤٠٨٬٨٧٠
١٨٨٨—٨٩	٥٠٬٠٠٬٠٠٠	٣٢٬٠٧٬٠٠٠	٤٣٬٣٤٬٠٠٠	٧٥٬٠٠٠	١٩٬٠٠٠	—	٥٢٨٬٦٣٧
١٨٨٩—٩٠	٤٠٬٠٠٬٠٠٠	٣٣٬٣١٬٠٠٠	٤٤٬٨٥٬٠٠٠	٨٠٬٠٠٠	١٣٬٠٠٠	—	٥٤٩٬٢٤٣
١٨٩٠—٩١	٢٧٬٠٠٬٠٠٠	٣٨٬٧٦٬٠٠٠	٣٢٬٠٥٬٥٠٠	٦٠٬٠٠٠	٢١٬٢٠٠	—	٥٤١٬٧٠٢
١٨٩١—٩٢	٣٥٬٠٠٬٠٠٠	٤٢٬٣١٬٠٠٠	٤٠٬٩٥٬٠٠٠	٥٠٬٠٠٠	٣٤٬٥٠٠	—	٥٨٨٬٧٠٩
١٨٩٢—٩٣	٥٢٬٥٠٬٠٠٠	٤٩٬٢٥٬٠٠٠	٤٨٬٥٠٬٠٠٠	٥٥٬٠٠٠	٥٬٠٠٠	—	٦١٤٬٠٠٤
١٨٩٣—٩٤	٥٠٬٠٠٬٠٠٠	٣٦٬٩٣٬٧٥٠	٤٢٬٠٥٬٠٠٠	٥٠٬٠٠٠	٨٬٤٤٠	—	٤٨٣٬٧٦٧
١٨٩٤—٩٥	٦٠٬٠٠٬٠٠٠	٤٨٬٥٨٬٦٢٠	٣٩٬٠٣٬٠٠٠	٤٠٬٠٠٠	٣٢٬٢٠٠	—	٤٧٣٬٤٤٦
١٨٩٥—٩٦	٨٠٬٠٠٬٠٠٠	٣٨٬٥٥٬٠٠٠	٤١٬٠٢٬٠٠٠	٣٠٬٠٠٠	—	٧١٬٠٠٠	٤٥٨٬٣٢٠
١٨٩٦—٩٧	١٬٠٠٬٠٠٬٠٠٠	٥١٬٦٧٬٠٠٠	٣٨٬٦٥٬٠٠٠	٣٠٬٠٠٠	—	—	٥٤٥٬٥٢٠
١٨٩٧—٩٨	٧٥٬٠٠٬٠٠٠	٣٩٬١١٬٠٠٠	٣٥٬٧٢٬٠٠٠	٣٥٬٠٠٠	—	١٥٬٦٠٠	٤٨١٬٠١٠
١٨٩٨—٩٩	٥٥٬٠٠٬٠٠٠	٤٧٬٩٣٬٠٠٠	٣٨٬٥١٬٠٠٠	٤٠٬٠٠٠	—	٢٠٬٠٠٠	٥٧٧٬٥٢٣
١٨٩٩—١٩٠٠	٧٧٬٤٩٬٩٩٠	٦٨٬٢٤٬٤٣٠	٣٣٬٩٩٬٩٠٠	٥٠٬٠٠٠	٥٢٬٠٠٥	—	٦٨٩٬٥٣٣
١٩٠٠—١٩٠١	٤٢٬٠٠٬٠٠٠	٣٩٬٦١٬٧٠٠	٢٧٬٥٠٬٠٠٠	٥٥٬٠٠٠	—	—	٤٤٩٬٥٠٨
١٩٠١—١٩٠٢	٥٠٬٠٠٬٠٠٠	٧١٬٣٠٬١٠٠	٤٠٬١٣٬٥٠٠	٢٥٬٠٠٠	—	١٥٬٠٠٠	٧٤١٬٤٦٥
١٩٠٢—١٩٠٣	٨٠٬٠٠٬٠٠٠	٨٤٬٩٥٬٦١٠	٧٠٬٤١٬٦٤٨	٥٢٬٠٠٠	٢٬٠٢٥	—	١٬٣٠٧٬٢٤١
١٩٠٣—١٩٠٤	٩٠٬٠٠٬٠٠٠	١٬١٢٬٧٥٬٣٠٠	٤٩٬٠٥٬٠٠٠	٢٢٬٠٠٠	—	—	١٬٤٩٣٬٩٧٥
١٩٠٤—١٩٠٥	٥٠٬٠٠٬٠٠٠	١٬٠٤٬٨٨٬٠٠٠	٦٬٢٣٬٨٠٠	٣٠٬٠٠٠	١٬٨٠٠	١٬٠٠٠	١٬٠٧٦٬٩٧٣
المجموع	١٣٬٢٨٬١٢٬٧٥٠	١٢٬٢٧٬٩٥٬٥١٠	١١٬٢٣٬٩٨٬٣٤٨	١٤٬٤٣٬٠٠٠	٢٬٧٦٬٨٧٠	١٬٢٢٬٦٠٠	١٧٬٩٦٣٬٣١٠
المتوسطات	٤١٬٥٠٬٣٩٨	٣٨٬٣٧٬٣٥٩	٣٥٬١٢٬٤٤٨	٤٥٬٠٩٣	٨٬٦٥٢	٣٬٨٣١	٥٦١٬٣٥٣

— ٣ ريال = ٤ وذلك حسب متوسط سعر الاسترليني في في تلك السنين .

وقد حسبت إحصاءات الجانب العربي على أساس العمليات التجارية التي تمت بواسطة تجار معروفين شخصياً ، أما إحصاءات الجانب الايراني فقد حسبت على أساس قوائم الجمارك ، وفي كلتا الحالتين يحتمل أن تكون المقادير أقل من الواقع نظراً لتعمد إسقاط بعض الكميات .

وفيما يلي إحصائيات السنة ١٩٠٥–١٩٠٦ التي تظهر فيها الكويت لاول مرة :

	روبيات
البحرين	١,٢٦,٠٣,٠٠٠
عمان المتصالح	٨٠,٠٤,٠٠٠
لنجة	٦,٩٥,٨٦١
الكويت	١,٣٤,٧٠٠
مسقط	٢٢,٥٠٠
بندر عباس	لا شيء

ومجموع هذه القيمة بسعر تبادل العملة المعمول به هو مبلغ : ١,٤٣٤,٣٩٩ جنيهاً استرلينياً .

ويجدر بنا هنا اثبات بعض الملاحظات عن اختلاف قيمة محصول اللؤلؤ من سنة إلى أخرى .

فالعوامل الرئيسية هي عدد ونوع اللآلىء المستخرجة وهي تختلف بين سنة وأخرى ، وكذلك الأسعار السائدة في السوق .

ويبدو أن العامل الثاني هو الاهم ، وبمقارنة السنوات الاخيرة في الجدول بالسنوات الاولى (السابقة لها تاريخاً) يجب ان نذكر أن معدل الأسعار قد ارتفع الى أكثر من الضعف منذ سنة ١٨٧٧ .

ويتوقف عدد اللآلىء المستخرجة على درجة خصوبة وانتاج القواقع من جهة ، ومن جهة أخرى على ظروف الاحوال الجوية والامراض والاوبئة .. الخ مما له تأثير على عمليات الغوص .

وفي سنة ١٨٧٧ كان المحصول جيداً الا أن الأحوال الجوية لم تكن مواتية لنجاح عمليات الغوص . وفي سنة ١٨٨٣ اكتشف حقل جديد على عمق ثلاث قامات جنوب جزيرة حلول وكان موسم ١٨٨٥ غير

ناجح وحدثت عدة وفيات نتيجة الغوص في المياه العميقة . وفي سنة ١٨٩٣ انتشرت الكوليرا في البحرين . وفي سنة ١٨٩٤ انتشرت الحمى في عمان المتصالح مما أدى إلى سوء الانتاج في هذين الموسمين عما كان مقدراً . وفي سنتي ١٨٩٦ و ١٨٩٧ غرقت سفن كثيرة وغرق معها كثير من الناس نتيجة للزوابع . وفي سنة ١٨٩٩ حدثت مضاربات كثيرة بمناسبة ازماع اقامة معرض باريس سنة ١٩٠٠ . ولكن خابت آمال المضاربين ولم ترتفع الاسعار الى ما كان متوقعاً لها . وأفلس كثير من العاملين في هذا المضمار . وكان محصول سنة ١٩٠١ حسناً بالنسبة للكمية والنوع وارتفعت الاسعار المحلية بمناسبة قرب موعد تتويج الملك ادوارد السابع .

وكان موسم سنة ١٩٠٢ حسناً بالنسبة للغواصين ولكن كان غير مناسب للتجار . اذ استمرت الاسعار المحلية في الارتفاع . وفي سنة ١٩٠٣ لم يكن المحصول وفيراً جداً ولكنه كان جيداً وقد ظلت الاسعار المحلية في ارتفاع نظراً لتوقع ارتفاعها في سوق بومباي .

وفي سنة ١٩٠٤ حدثت هزات في السوق اذ كانت هناك بواقي لآلىء من المواسم السابقة راكدة لم يتم بيعها وكان المحصول كذلك قليلا نظراً للزوابع .

★ ★ ★

مذكرة ملحقة رقم ٢

احصاءات قيمة قواقع اللؤلؤ المصدرة سنوياً من المراكز الرئيسية في الخليج بين ١٨٧٣ و ١٩٠٦ (١)

السنة	عمان المتصالح روبية	البحرين روبية	لنجه روبية	مسقط ريال	بوشهر روبية	مجموع القيمة سنوياً جنيه استرليني
١٨٧٣–٧٤	٤,٩٠٠	١٥,٠٠٠	—	٢٠,٠٠٠	—	٤,٠٦٥
١٨٧٤–٧٥	٥,٠٠٠	٢,٥٠٠	٢٠,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	—	٧,٤٢٤
١٨٧٥–٧٦	١,٣٠٠	٣,٢٠٠	٣٨,٠٠٠	٥٠,٠٠٠	—	١٢,٤٩٢
١٨٧٦–٧٧	١,٥٠٠	٤٠٠	٣٢,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	—	١٦,١٥٨
١٨٧٧–٧٨	٢,٥٠٠	٣٥٠	٥٥,٠٠٠	٦٠,٠٠٠	—	١٥,١٠١
١٨٧٨–٧٩	٥,٠٠٠	٤,٥٠٠	٢,٠٤,٠٠٠	١٨,٠٠٠	—	١٩,٧٩٢
١٨٧٩–٨٠	١٠,٦٠٠	١,٣٠٠	٧٤,٩٠٠	٣٥,٠٠٠	١٤,٠٠٠	١٣,٢٠٢
١٨٨٠–٨١	٢٧,٠٠٠	٢,٠٠٠	١,٥٢,٣٠٠	١٢,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	١٧,١٤٧
١٨٨١–٨٢	٨٨,٠٠٠	٢,٢٥٠	١,٧٣,٥٠٠	١٦,٠٠٠	٥,٠٠٠	١٧,٤٠٨
١٨٨٢–٨٣	٤٥,٠٠٠	٢,٤٠٠	١,٤٠,٥٠٠	٢٣,٠٠٠	—	١٥,٢٠١
١٨٨٣–٨٤	٦,٥٠٠	٢,٥٥٠	١,٦٥,٠٠٠	٩,٥٤٥	١,٥٠٠	١٥,١٣٠٠
١٨٨٤–٨٥	٧٣,٠٠٠	٢,٧٠٠	١,٤٢,٢٠٠	١٢,٠٠٠	٢,٠٠٠	١٣,٥٨٠
١٨٨٥–٨٦	٧٩,٠٠٠	٢,٨٥٠	١,٢٧,٤٠٠	١٥,٠٠٠	٩,٧٠٠	١٢,٧٢٥
١٨٨٦ ٨٧	٥٠,٠٠٠	—	٧٠,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	—	٧,٩٧٥
١٨٨٧–٨٨	١٥,٠٠٠	—	٩٦,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	—	٩,٥٢٠
١٨٨٨–٨٩	٢٥,٠٠٠	—	٩٥,٠٠٠	١٦,٠٠٠	—	٨,٦٢٥

---

(١) الأرقام التي في العمود الأخير من هذا الجدول محسوبة على أساس حذف صادرات عمان المتصالح إذ أن إنتاجه كان يصدر عن طريق لنجه ويدخل في قوائمها حتى سنة ١٩٠٢ — ١٩٠٣ ؛ كما حذف أيضاً ٣/٤ انتاج البحرين لنفس السبب وفي نفس المدة . وصادرات المراكز الأخرى لم تتداخل إحداها في الأخرى . وحسبت قيمة ريال مسقط والروبية بنفس الطريقة التي حسبت عليها في المذكرة الملحقة رقم ١ .

تابع مذكرة ملحقة رقم ٢

السنة	عمان المتصالح روبية	البحرين روبية	لنجه روبية	مسقط ريال	بوشهر روبية	مجموع القيمة سنوياً جنيه استرليني
١٨٨٩—٩٠	٥٥,٠٠٠	—	١,٦٥,٠٠٠	١٣,٠٠٠	—	١٣,١٣١
١٨٩٠—٩١	٦٠,٠٠٠	—	١,٤٩,٠٠٠	١٤,٠٠٠	—	١٣,٢٧٥
١٨٩١—٩٢	٨٠,٠٠٠	٢٢,١٠٠	٩٩,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	—	١٠,٠٥٦
١٨٩٢—٩٣	٧٨,٠٠٠	٥٩,٤٠٠	١,٤٧,٢٠٠	٢٥,٠٠٠	٣,٠٤,٨٥٠	٣٢,٠٩١
١٨٩٣—٩٤	٦٠,٠٠٠	٧٩,١٠٠	١,١٢,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	٤,٢٥,٠٦٠	٣٧,٢٦٧
١٨٩٤—٩٥	٧٠,٠٠٠	٧٤,٣٥٠	٤٨,٢٠٠	٢٧,٠٠٠	٧٦,٣٦٠	١٠,٧٥٩
١٨٩٥—٩٦	٦٥,٠٠٠	٧٥,١٠٠	٥٠,٨٠٠	٢٠,٠٠٠	١,٨٧,٦٥٠	١٦,٨٤٢
١٨٩٦—٩٧	٥٠,٠٠٠	٧٩,٥٠٠	٣٠,٢٠٠	٢٠,٠٠٠	٢,٢٣,٠٤٠	١٨,٧٨٦
١٨٩٧—٩٨	٥٠,٠٠٠	٩١,١٢٠	٣٦,٩٠٠	٢٥,٠٠٠	٣,٣٧,٤٤٢	٢٧,٤٤١
١٨٩٨—٩٩	٥٠,٠٠٠	١,١١,٣٢٠	٤٨,٦٠٠	٣٠,٠٠٠	٧,٩٥,٢٠٠	٦٠,٣٩٥
١٨٩٩—١٩٠٠	٦٩,٩٩٠	٦٧,٩٠٥	٧٩,٧٢٥	٣٥,٠٠٠	٣,٣٤,٧١٠	٣١,٨٧١
١٩٠٠—١٩٠١	٣١,٠٠٠	١,١٢,٧٣٠	٥١,٠٠٠	١,١٧,١٨٠	١,٨٦,٠٩٦	٢٧,٩٢٥
١٩٠١—١٩٠٢	٣٥,٠٠٠	١,٦١,٥١٥	٩٢,٠٠٠	٢٢,٥٨٨	١,٠٧,٦٠٦	١٧,٨٩٤
١٩٠٢—١٩٠٣	٣٥,٠٠٠	١,٠٤,٧١٥	٨٨,٥٠٠	٧٠,٥٠٠	٢٤,١٩٧	١٥,٥٢٥
١٩٠٣—١٩٠٤	٤٠,٠٠٠	٢,٣٦,١٩٠	٦٨,٥٠٠	٦٢,٥٠٠	٢٧,١٦٥	٣٠,٤٣٩
١٩٠٤—١٩٠٥	٢٥,٠٠٠	٢,٠٥,٤٢٠	٥٢,٤٠٥	٦٠,٠٠٠	٣٢,٤٥٧	٢٦,٢٠٠
المجموع	١٢,٩٣,٢٩٠	١٥,٢٢,٣٦٥	٢٩,٠٤,٨٣٠	٩,٦٨,٣١٣	٣١,٢٤,٠٣٣	٥,٨٥,٥٠٢
المتوسط	٤٠,٤١٥	٤٧,٥٧٣	٩٠,٧٧٥	٣٠,٢٥٩	٩٧,٦٢٦	١٨,٢٩٧

وكانت احصائيات سنة ١٩٤٥ ـ ١٩٠٦ كالآتي :

	روبية
البحرين	٨٦,٥٠٠
مسقط	٧٥,٠٠٠
لنجة	١٢,١١٩

ومجموع القيمة بسعر النقد السائد هو ١١,٥٧٢ جنيهاً استرلينياً

ويرجع التفاوت في تجارة قواقع اللؤلؤ (الصدف) غالباً الى عدم انتظام الطلب لان التوريد ممكن في أي وقت ما دام السعر مناسباً . وفي ديسمبر سنة ١٨٩١ منح شيخ البحرين شركةبريطانية في بوشهر امتياز احتكار تصدير المحار في دائرة إمارته ولكنه عاد الى فسخ هذا الامتياز أمام احتجاج تجار البحرين ، ولكن بدلا من ذلك ، فرض رسوماً عالية مما كان يخشى معه توقف هذه التجارة .

وفي سنة ١٨٩٢ ــ ١٨٩٣ صدرت كمية كبيرة من المحار رديء النوع من السواحل الايرانية ، فكانت النتيجة عدم الطلب على هذه الاصداف في السنة التالية الامر الذي أدى الى انخفاض شديد في أسعارها . وفي سنة ١٨٩٤ــ١٨٩٥ بارت سلعة المحار وتوقف بيعها تقريباً ، ولكن السوق بدأ ينشط في العام التالي .

وفي سنة ١٨٩٨ــ١٨٩٩ اشتد الطلب في اوروبا على هذه الاصداف مما أدى الى مضاربات تجارية والى تصدير الانواع الرديئة وتبعها في سنة ١٨٩٩ــ١٩٠٠ موسم خاسر لتجار الخليج العاملين في هذه التجارة .

وفي سنة ١٩٠٠ــ١٩٠١ كانت الاسعار ضئيلة ، وفي سنة ١٩٠١ــ ١٩٠٢ كانت السوق الاوروبية ما تزال مشبعة ، وفي سنة ١٩٠٣ــ١٩٠٤ حدث تطور مفاجيء في هذه التجارة في البحرين نتيجة لما قام به التاجر الالماني السيد ونخاوس .

مذكرة ملحقة رقم ٣

جدول عن السفن والرجال العاملين في مغاصات اللؤلؤ في الخليج سنة ١٩٠٧ (١)

الساحل العربي

الإقليم	المنطقة	الميناء	عدد السفن التابعة للميناء	عددالرجال العاملين على السفن التابعة للميناء(٢)	الدولة صاحبة الحماية (الفعلية) التي تتبعها السفن
عمان المتصالح	رأس الخيمة	الرمس	٣	٤٥	بريطانيا
«	«	بلدة رأس الخيمة	٣٣	٧٠٧	«
«	«	جزيرة الحمراء	٢٥	٦٠٨	«
«	أم القيوين	بلدة أم القيوين	٧٠	١٧٥٩	«
«	الشارقة	الحمرية	١٧	٢٥٩	«
«	عجمان	عجمان البلد	٤٠	٧٨١	«
«	الشارقة	الحيرة	٢٥	٤٠٥	«
«	«	الشارقة البلد	١٨٣	٣٦٨٠	«
«	«	الخان	٧٤	١٢٩٥	«
«	دبي	دبي البلد	٣٣٥	٦٩٣٦	«
«	أبوظبي	أبوظبي البلد وموانى أخرى صغيرة	٤١٠	٥٥٧٠	«

ومجموع السفن العاملة ١٢١٥ ومجموع عدد الرجال ٢٢٠٤٥ ، وبذلك يكون متوسط عمال السفينة الواحدة ١٨ رجلاً .

---

(١) الأرقام الواردة في هذا الجدول لا تطابق دائماً الأرقام الواردة في القسم الجغرافي من هذا الدليل فعدد السفن يختلف من سنة إلى أخرى في أي ميناء تبعاً لتصرفات أصحابها أو تصرفات الشيخ أو أي جهة أخرى .

(٢) في بعض الحالات لا يكون عدد الرجال من نفس الميناء وربما يكون من جهة أخرى ، وهكذا الحال في باقي الجداول .

الإقليم	المنطقة	الميناء	عدد السفن التابعة للميناء	عدد الرجال العاملين على السفن التابعة للميناء	الدولة صاحبة الحماية (الفعلية) التي تتبعها السفن
قطر	—	الوكرة	١٥٠	٢٥٥٠	—
»	—	الدوحة	٣٥٠	٦٣٠٠	—
»	—	الوسيل	٩	٩٠	—
»	—	الظعاين	٧٠	٨٤٠	—
»	—	خور شقيق	٨٠	١٢٠٠	—
»	—	الذخيرة	١٥	١٨٠	—
»	—	الفويرط	٣٥	٤٢٠	—
»	—	الرويس	١٨[1]	٢٧٠	—
»	—	أبو ظلوف	٢٠	٢٠٠	—
»	—	خور حسن	٢٠	٢٤٠	—
»	—	سميسمة	٥٠	٦٠٠	—

وعدد السفن في قطر ٨١٧ وعدد الرجال ١٢٨٩٠ ومتوسط الرجال لكل سفينة ١٦ رجلاً .

(١) عدد السفن غير وارد في الأصل بالنسبة للرويس ولكن أمكن تحديده حسابياً .

الإقليم	المنطقة	الميناء	عدد السفن التابعة للميناء	عدد الرجال العاملين على السفن التابعة للميناء	الدولة صاحبة الحماية (الفعلية) التي تتبعها السفن
البحرين	جزيرة البحرين	حالة بن أنس	٩	١٣٥	بريطانيا
«	«	عقور	٦	٧٨	«
«	«	عسكر	١٦	٣٨٠	«
«	«	بربر – دراز – بني جمرة	١٧	٢٣٨	«
«	«	البديعة	٥٧	١٤٨٢	«
«	«	حالة بن اسوار	١٦	٣٨٤	«
«	«	جسيرة	١١	١٥٤	«
«	«	جاون	٢٣	٤٧٤	«
«	«	جُبْتيْلات	٢٣	٣٦٨	«
«	«	الجفير	١٥	٢٥٥	«
«	«	أم عامر	١٧	٢٨٢	«

الإقليم	المنطقة	الميناء	عددالسفن التابعة للميناء	عددالرجال العاملين على السفن التابعةللميناء	الدولة صاحبة الحماية (الفعلية) التي تتبعهاالسفن
البحرين	جزيرة البحرين	راس الرمان	١٩	٣٤٧	بريطانيا
«	«	سنابس	٣٠	٤٣٤	«
«	«	شريبة	١٣	١٩٥	«
«	«	الزلاّق	١٦	٢٢٤	«
«	جزيرة المحرق	بُسيتّن	٣٢	٦٢٩	«
«	«	الدير	٢١	٣٧٨	«
«	«	الحد	١٦٧	٣١٤٦	«
«	«	بلدة المحرق	٢٨٢	٥٥٨٢	«
«	«	حالة النعيم وحالة السلطة	٥١	١١٧٢	«
«	«	قلالي	٢١	٤٤١	«
«	«	سماهيج	١١	١٨٦	«
«	«	أم الشجر	١٢	٢٣١	«
«	جزيرة النبي صالح	—	١٠	١٣٠	«
«	جزيرة ستره	—	٢٢	٣٠٨	«

ومجموع السفن في البحرين ٩١٧ والرجال ١٧٦٣٣ ومتوسط الرجال على السفينة ١٩ .

الإقليم	المنطقة	الميناء	عدد السفن التابعة للميناء	عدد الرجال العاملين على السفن التابعة للميناء	الدولة صاحبة الحماية (الفعلية) التي تتبعها السفن
سنجق الاحساء	جزرجنة والمسلمية	—	١٢	١٧٥	تركيا
»	واحة القطيف	عوامية	٥	٩٠	»
»	»	بحاري	٧	١١٢	»
»	»	دبيبية	٤	٨٤	»
»	»	كواكب	٥	١١٤	»
»	»	القطيف (فريق المقبرة)	٤	٨٠	»
»	»	قُديه	١٠	١٨٥	»
»	»	سيحات	٣٠	٥٦٠	»
»	جزيرة طاروط	دارين	١٥	٣٥٧	»
»	»	فانية	٧	١٢٢	»
»	»	سنابس	٦٨	١٥٦٥	»

ومجموع السفن في الحسا ١٦٧ سفينة والرجال ٣٤٤٤ رجلا ومتوسط الرجال ٢١ رجلا على السفينة الواحدة .

الإقليم	المنطقة	الميناء	عددالسفن التابعة للميناء	عددالرجال العاملين على السفن التابعة للميناء	الدولة صاحبة الحماية (الفعلية) التي تتبعها السفن
الكويت	—	مدينة الكويت	٤٦١	٩٢٠٠	بريطانيا

ومتوسط الرجال على السفينة الواحدة في الكويت هو ٢١ رجلا .

الإقليم	المنطقة	الميناء	عددالسفن التابعة للميناء	عددالرجال العاملين على السفن التابعة للميناء	الدولة صاحبة الحماية (الفعلية) التي تتبعها السفن
العراق التركي	—	—	—	—	تركيا

وبذلك يكون مجموع عدد السفن المملوكة والمستأجرة التي تعمل في مصايد اللؤلؤ في الجانب العربي في الوقت الحاضر حوالى ٣٥٧٧ سفينة .

ويبلغ عدد سكان المناطق التي تستغل المصايد في هذا الجانب العربي حوالي ٦٥٢١٢ نسمة .

الجانب الايراني

المنطقة	الميناء	عددالسفن التابعة للميناء	عددالرجال على السفن التابعة للميناء	الدولة صاحبة الحماية (الفعلية) التي تتبعها السفن
عربستان الجنوبية	—	—	—	إيران
ليرافي	—	—	—	»
حيات داود	جزيرة خرج	٤٠	٢٥٠	»
شنبكره	—	—	—	»
روض الحلة	—	—	—	»
انجالي	—	—	—	»
داشتستان	—	—	—	»
شبه جزيرة بو شهر	—	—	—	»
تانجستان	—	—	—	»
داشتي	—	—	—	»
شيبكوه	عستالوه	٢٥	١٣٧	»
»	نخل تقي	١٤	٧٠	»
شيبكوه	حالة نابند	٢٥	٢٥٧	»
»	نابند	٤٧	١٥٥	»
»	باركو	١٦	١٦	»
»	راس غراب	٢٠	٢٠	»
»	غاف	١٢	١٢	»
»	خوواداان	١٣	٢٩	»
»	تبن	١١	٢٣	»
»	عمارية	٨	٢٠	»
»	دستور	٨	٢٤	»
»	بستانو	٩	١٢٥	»
»	براغلة	٦	٣٠	»

المنطقة	الميناء	عدد السفن التابعة للميناء	عدد الرجال العاملين على السفن التابعة للميناء	الدولة صاحبة (الحماية الفعلية) التي تتبعها السفن
«	زيارة	٤	٢٠	ايران
«	كالاتو	٦	٦	«
«	شيوره	٣٣	٣٣٣	«
«	سيف الشيخ	٥	٢٥	«
«	مقام	٤٢	٥٣٨	«
«	نخيلة	١٢	١٣٤	«
«	جازه	١٢	٩٢	«
«	جزيرة الشيخ شعيب	٧٦	٩٣٢	«
«	مكابل	٧	٧١	«
«	جزيرة هندرابي	٢٠	١٣٦	«
«	شرو	١٧	٢٣٨	«
«	قالات	٢٩	٢٤١	«
«	جرزة	٢٣	٦٩	«
«	جزيرة قيس	٩٠	١٤٦٤	«
«	طاوونه	٢٥	١١٣	«
«	جارك	٢٥	٤٠٠	«
«	حسينة	١٥	٧٥	«
«	موغوه	٢٦	٣٣٨	«
«	جزيرة فرور	٢	٦	«
لنجه	جزيرة صرى	٣٥	٤٩٥	غير محقق
«	دوقان	٣٥	٤٠٧	إيران
«	بستانه	٥١	١٦٩	«
«	ميلوه	٥	٥	«
«	شناص	٣	٣	«
«	بلدة لنجه	٧٢	١٣٠٦	«

ومن هذا الجدول نجد أن مراكب صيد اللؤلؤ العاملة في الساحل الايراني من الخليج مجموعها ٩٢٤(١) وأن عدد الرجال العاملين فيها ٨٨٨٤ رجلا أي أن معدل الرجال لكل مركب يقل عن عشرة رجال .

ويبلغ عدد سفن الصيد في الخليج جميعاً حوالي ٤٥٠٠ سفينة بينما عدد الرجال المشتغلين في عمليات صيد اللؤلؤ يربو على ٧٤٠٠٠ .

ويختلف معدل حجم سفينة صيد اللؤلؤ من مكان إلى آخر . ولكن يلاحظ عادة أن متوسط عدد الرجال العاملين في السفن التي تتوغل في البحر هو ٤٢ رجلا بينما يتراوح عدد الرجال العاملين على المراكب التي تشتغل عادة عند السواحل بين ٤ و ٦ رجال . ونجد في بعض المناطق لا سيما في الساحل الايراني أن الرجال يعملون منفردين على قوارب صغيرة أو « فارجي » .

كما يلاحظ أيضاً في بعض الأماكن أن الأيدي العاملة في السفن تزيد عن العدد الذي يمكن ان يكون في الميناء الذي تتبعه هذه السفن ، وفي هذه الحالة فان الأيدي الزائدة تجلب من الخارج . فنجد العمال الزائدين في عمان من بدو ضفرة والبريمي والظاهرة .

ويقع أكثر من نصف عمليات صيد اللؤلؤ في الخليج تحت الحماية أو الحماية الفعلية البريطانية وبيانها كالآتي :

الدولة صاحبة الحماية	عدد السفن تحت الحماية	عدد الرجال العاملين على السفن تحت الحماية
بريطانيا	٢,٥٩٣	٤٨,٨٧٨
لا أحد	٨١٧	١٢,٨٩٤
إيران	٨٨٩(٢)	٨,٣٨٩
تركيا	١٦٧	٣,٤٤٤
غير محققة	٣٥	٤٩٥
المجموع	٤,٥٠١	٧٤,٠٩٦

(١) يضاف الى هذا الرقم ٣٦ سفينة تابعة لقرية هانجام على جزيرة هانجام .

(٢) لم يدخل فيها ٣٦ سفينة تابعة لقرية هانجام على جزيرة هانجام .

مذكرة ملحقة رقم ٤

جدول مغاصات اللؤلؤ في الخليج

يمكن تقسيم مغاصات اللؤلؤ في الخليج إلى ثلاثة أقسام كالآتي :

(١) القسم الواقع في الجانب العربي ما بين رأس تنورة وبلدة دبي .

(٢) القسم الواقع في الجانب العربي ما بين مدينة الكويت ورأس تنورة .

(٣) القسم الواقع في الجانب الإيراني .

وفيما يلي جدول لكل قسم منها :

(١) مغاصات اللؤلؤ في الجانب العربي من رأس تنورة إلى بلدة دبي (١)

الرقم	الاسم	خط العرض شمالاً	خط الطول شرقاً	ملاحظات
١	خورة	٢٦,٣٧ ١/٢	٥٠,١٨٠	
٢	العميرة	٢٦,٣٥٠	٥٠,١٨٠	
٣	الصبيرا	٢٦,٣٠ ١/٢	٥٠,٢٠ ١/٢	
٤	الوشير	٢٦,٤٤ ١/٢	٥٠,٢٢ ١/٢	
٥	خور بو حاقول	٢٦,٤٦٠	٥٠,٢٦٠	
٦	شقتة	٢٦,٤٠٠	٥٠,٢٩٠	
٧	بو دقل	٢٦,٤٧ ١/٢	٥٠,٢٩٠	
٨	توبلي	٢٦,٣٦ ١/٢	٥٠,٣٠ ١/٢	
٩	الميّانة	٢٦,٤٠٠	٥٠,٣٧٠	
١٠	الخور	٢٦,٣٢٠	٥٠,٤٠٠	
١١	خور بن نصار	٢٦,٣٥ ١/٢	٥٠,٤٠٠	

(١) حددت مواقع هذه المغاصات التي في هذا القطاع بمعرفة النقيب البحري و. هور وهي موضحة على خريطة قدمتها السلطات البحرية إلى إدارة الشؤون الخارجية بحكومة الهند سنة ١٩٠٦ .
والأرقام الموضحة قرين الأسماء هي الأرقام الموضحة على الخريطة .

(تابع) جدول مغاصات اللؤلؤ في الجانب العربي من رأس تنورة إلى دبي

الرقم	الاسم	خط العرض شمالاً	خط الطول شرقاً	ملاحظات
١٢	بو بعيرة	٢٦,٢٠٠	٥٠,٤٢٠	على بعد ٤–٥ أميال شمال شرق جزيرة المحرق
١٣	الرّجلة	٢٦,٣٩٠	٥٠,٤٢½	
١٤	بو عمامة	٢٦,٤٨½	٥٠,٤٣٠	
١٥	شتيّة – وهي مجموعة تشمل الآتي : —			
	فساقة	٢٦,٣٣٠	٥٠,٤٤½	تقع هذه المجموعة على مسافة ٢٠ – ٢٥ ميلاً شمال شمال شرق جزيرة المحرق
	ظهر	٢٦,٣٥½	٥٠,٤٥½	
	أبيام	٢٦,٣٤٠	٥٠,٤٧½	
	جراول	٢٦,٣٤½	٥٠,٤٩½	
	زَريّة	٢٦,٣٦٠	٥٠,٥١٠	
	مدوّرة	٢٦,٣٤½	٥٠,٥٢٠	
١٦	طباب القبلي	٢٦,١٩٠	٥٠,٤٨½	
١٧	مَشْبَاك	٢٦,٥٠٠	٥٠,٤٩٠	
١٨	هيْمان	٢٦,٣٢٠	٥٠,٤٩٥	
١٩	خور الغزرة	٢٦,٢٥٠	٥٠,٥٠½	
٢٠	أبو الجعل	٢٦,٣٧٠	٥٠,٥٥½	
٢١	الخرّقانة	٢٦,٣١½	٥٠,٥٦½	
٢٢	بولثامة	٢٦,٥٤٠	٥٠,٥٨½	
٢٣	طباب المشْت	٢٦,٢٣٠	٥٠,٥٩٠	
٢٤	أبو الخرَب	٢٦,٤٨٠	٥١,٠٢٠	
٢٥	بو صُوَر	٢٦,٤٣٠	٥١,٠٥½	
٢٦	الديبل – مجموعة تشمل الآتي : —			
	بن زيّان	٢٦,٢٤٠	٥١,٠٧٠	تقع هذه المجموعة على

(تابع) جدول مغاصات اللؤلؤ في الجانب العربي من رأس تنورة إلى دبي

الرقم	الاسم	خط العرض شمالاً	خط الطول شرقاً	ملاحظات
	الجراول	٢٦,٢٦١/٢	٥١,٠٨٠	مسافة ١٠ ــ ١٥ ميلاً
	الحُفرة	٢٦,٢٣٠	٥١,٠٩٠	شمال شرقي فَشْت
	الثّنية	٢٦,٢٥٠	٥١,١٢٠	الديبل
٢٧	سَوُدّات	٢٦,١٥٠	٥١,١٠٠	
٢٨	حرف بن صقر	٢٦,٢٧١/٢	٥١,١١١/٢	
٢٩	نجوة الرميحي	٢٦,٤٦٠	٥١,١٩١/٢	
٣٠	حَفَنّة	٢٦,١٨٠	٥١,٢٠٠	
٣١	نجوة أم العَرشان	٢٦,٢١١/٢	٥١,٢٠٠	
٣٢	نجوة العَمّاري	٢٦,٤١١/٢	٥٠,٢٠١/٢	وتسمى نجوة عبدالله بن سيف
٣٣	خَرّيس الطير	٢٦.١٨٠	٥١,٢٢٠	
٣٤	حرف القريمة	٢٦,١٤١/٢	٥١,٢٣١/٢	المغاصات من رقم ٣٤ إلى
٣٥	سواحب القريمة	٢٦,١٢٠	٥١,٢٤٠	رقم ٥٩ تقع عند الساحل
٣٦	سواحب أم الحسا	٢٦,٠٨٠	٥١,٢٥١/٢	الشمالي الشرقي في قطر بين
٣٧	سواحب مُهَنْسَكِيّة	٢٦,٠٧١/٢	٥١,٢٧٠	جزيرة راس ركان وراس
٣٨	حرف أم الحسا	٢٦,٠٩١/٢	٥١,٢٧٠	المطبخ
٣٩	بو ملّة	٢٦,٠٢٠	٥١,٢٧١/٢	
٤٠	حرف المهملية	٢٦,٠٧١/٢	٥١,٢٩٠	
٤١	بو كلب	٢٦,٠٢١/٢	٥١,٢٩٠	
٤٢	وادي الدواسر	٢٦,٠٥٠	٥١,٢٩١/٢	
٤٣	الحُفرُة	٢٦,٠١٠	٥١,٣٠٠	
٤٤	أبو القماقم	٢٦,٠٢٠	٥١,٣٠١/٢	
٤٥	حواد بن رمل	٢٦,١٢٠	٥١,٣٠١/٢	
٤٦	القَلَيل	٢٥.٥٨٠	٥١,٥٢٠	

(تابع) جدول مغاصات اللؤلؤ في الجانب العربي من رأس تنورة إلى دبي

الرقم	الاسم	خط العرض شمالاً	خط الطول شرقاً	ملاحظات
٤٧	حرف مسحة	٢٥,٥٤١/٢	٥١,٥٢١/٢	
٤٨	حواد جبيلات	٢٦,١٠٠	٥١,٣٦٠	
٤٩	أم القرم	٢٦,١٩٠	٥١,٤٠٠	
٥٠	أم الشيف لقان	٢٦,١١٠	٥١,٤٤٠	
٥١	ضايع	٢٦,٠٤٠	٥١,٤٦٠	
٥٢	بقشة	٢٦,٠٧٠	٥١,٤٩١/٢	
٥٣	المتبارجة	٢٥,٥٩٠	٥١,٣٤٠	
٥٤	أم الزيغة الخور	٢٥,٥٨٠	٥١,٣٤٥	
٥٥	ابجراول	٢٥,٥٨٠	٥١,٣٥١/٢	
٥٦	أم القش	٢٥,٥٧٠	٥١,٣٧٠	
٥٧	صوفان	٢٥,٥١١/٢	٥١,٣٧١/٢	
٥٨	ريعة أم القش	٢٥,٥٦٠	٥١,٣٨١/٢	
٥٩	ريعة بن حسان	٢٥,٥٠٠	٥١,٤١٠	
٦٠	سطوح الوكرة	٢٥,١١٠	٥١,٤١٠	مجموعة
٦١	حواد أم العوارض	٢٥,٠٨١/٢	٥١,٤١١/٢	المغاصات من رقم ٦٠ إلى
٦٢	أم العوارض	٢٥,٠٧٠	٥١,٤١١/٢	رقم ٨٩ تقع عند الشاطئ
٦٣	القراديد	٢٥,٠٢١/٢	٥١,٤٢٠	الشرقي في قطر بين راس
٦٤	أزياج النوف	٢٥,٣٥١/٢	٥١,٤٢١/٢	المطبخ وخور العديد (هذا
٦٥	مرخان	٢٥,١٩٠	٥١,٤٧٠	باستثناء رقم ٧٠ و ٧٣ اللذين
٦٦	أزياج الحالقـ أم الحيفان	٢٥,٠٨١/٢	٥١,٤٧٠	يقعان الى الشمال ورقم ٧٨
٦٧	طباب الحالقـ أم الحيفان	٢٢.١٣٠	٥١,٤٧١/٢	إلى الجنوب) .
٦٨	أبو الصلابيخ	٢٥,٢٢١/٢	٥١,٤٨١/٢	
٦٩	الرقة	٢٥,١٥١/٢	٥١,٥١٠	

(تابع) جدول مغاصات اللؤلؤ في الجانب العربي من رأس تنورة إلى دبي

الرقم	الاسم	خط العرض شمالاً	خط الطول شرقاً	ملاحظات
٧٠	أبو الهمبار	٢٦,٠١٠	٥١,٣٣ ١/٢	
٧١	الجرولة	٢٥,١٨٠	٥١,٥٢٠	
٧٢	ابو العروق	٢٥,١٩ ١/٢	٥١,٥٢ ١/٢	
٧٣	نجوة لسحدان	٢٦,٠٠٠	٥١,٣٤٠	
٧٤	أم العظام	٢٥,٢٢٠	٥١,٥٣٠	
٧٥	العدّ القبلي	٢٥,٢٧٠	٥١,٥٧٠	
٧٦	الختريس	٢٥,١٣ ١/٢	٥١,٥٨٠	
٧٧	حربات العدّ	٢٥,٣٠ ١/٢	٥١,٥٩٠	
٧٨	هير الغاغه	٢٤,٢٥٠	٥١,٣٠٠	
٧٩	أبو الحلوف	٢٤,٤٣ ١/٢	٥١,٣٣ ١/٢	
٨٠	الأصحات	٢٤,٤٥٠	٥١,٣٧٠	مجموعة
٨١	بطن البُشَيْرية	٢٤,٥٥٠	٥١,٣٧ ١/٢	
٨٢	بطن الأصحات	٢٤,٤١ ١/٢	٥١,٣٧ ١/٢	
٨٣	ظهر القفّاي	٢٤,٣٤٠	٥١,٤١٠	
٨٤	الحريف	٢٤,٥٩٠	٥١,٤٣٠	
٨٥	الروضة	٢٤,٥٥١	٥١,٤٤٠	
٨٦	الحَرْبة	٢٤,٥٢ ١/٢	٥١,٤٥٠	
٨٧	هيرات بطن مُكاسب	٢٤,٣٦ ١/٢	٥١,٤٩٠	
٨٨	رِقّة بن عباس	٢٤,٥١ ١/٢	٥١,٥٤٠	
٨٩	بو خُوَيصة	٢٤,٥٦ ١/٢	٥١,٥٤٠	
٩٠	فويليد	٢٤,٤١٠	٥١,٥٥ ١/٢	
٩١	حالة دلّما	٢٤,٤٦٠	٥١,٥٦ ١/٢	حوالى ٢٧ ميلاً شمال غربي جزيرة دلّما

(تابع) جدول مغاصات اللؤلؤ في الجانب العربي من رأس تنورة إلى دبي

الرقم	الاسم	خط العرض شمالاً	خط الطول شرقاً	ملاحظات
٩٢	مشعاب	٢٤,٥١٠	٥١,٥٩½	
٩٣	الزهرة	٢٥,٣٢٠	٥٢,٠٢٠	
٩٤	بو قريعة	٢٥,٣٢٠	٥٢,٠٤½	
٩٥	بو قرعة	٢٥,٣٢½	٥٢,٠٥½	
٩٦	أبو المسان	٢٥,٣٥½	٥٢,٠٩½	
٩٧	أبو سلّة	٢٥,١٤٠	٥٢,١٠٠	
٩٨	قرن العَشَيْرق	٢٥,٠٦½	٥٢,١١٠	٦ أميال شمال غربي جزيرة
٩٩	أم الخُرْط	٢٥,١٨٠	٥٢,١١½	شُراعوة
١٠٠	نجوة بن طريف	٢٥,٥٩½	٥٢,١١½	
١٠١	طبابات شراعوة	٢٥,٠٦½	٥٢,١٤٠	٥ أميال شمال جزيرة شراعوة
١٠٢	أم الكتَيب	٢٥,١٨٠	٢٥,١٥½	
١٠٣	العدّ الشرقي	٢٥,٢٤٠	٥٢,١٦٠	
١٠٤	طبابات دَيّينة	٢٥,٠٧٠	٥٢,٢٣½	١١ ميلاً شمالي جزيرة ديينة
١٠٥	حالول	٢٥,٤٠٠	٥٢,٢٤½	مجموعة تحيط بجزيرة حالول
١٠٦	ظهر ديينة	٢٥,٠٠٠	٥٢,٢٥٠	٣ أميال شمال شرقي جزيرة ديينة
١٠٧	نجوة بن هلال أو رقة حالول	٢٥,٥٢٠	٥٢,٢٦½	١٦ ميلاً شمال شرق جزيرة حالول
١٠٨	حواد بن منصور	٢٥,٠٤٠	٥٢,٣٠٠	١٠ أميال شمال شرقي جزيرة ديينة
١٠٩	معترِض القَطَر	٢٥,١٩½	٥٢,٣٠½	تتميز عن ١٨٢ بكلمة قطر
١١٠	أم الحشاش	٢٥,٢٢٠	٥٢,٣٣٠	
١١١	خريس أم الحشاش	٢٥,١٨٠	٥٢,٣٨½	
١١٢	مَحزَم	٢٥,٤٠٠	٥٢,٤٧٠	
١١٣	أبو القماقيم	٢٥,١٣٠	٥٢,٤٧٠	٧ أميال شمال غربي جزيرة داس
١١٤	خرَيّس	٢٥,١٢٠	٥٢,٤٨٠	٥ أميال شمال غربي جزيرة داس

(تابع) جدول مغاصات اللؤلؤ في الجانب العربي من رأس تنورة إلى دبي.

الرقم	الاسم	خط العرض شمالاً	خط الطول شرقاً	ملاحظات
١١٥	أم البندق	٢٥,٠٦½	٥٢,٤٨٠	٦أميال جنوب غربي جزيرة داس
١١٦	القدير	٢٥,٠٠٠	٥٢,٥١٠	٤أميال شمال جزيرة القرنين
١١٧	أبو الحنينون	٢٥,١٠٠	٥٢,٥١½	على مرمى البصر قرب الجانب الشمالي الغربي لجزيرة داس
١١٨	رقة داس	٢٥,٠٨½	٥٢,٥٤٠	ميلان شمال شرقي جزيرة داس
١١٩	رقة منيع	٢٥,٠٥½	٥٢,٥٥½	٥أميال جنوب شرقي جزيرة داس
١٢٠	ظهر الياس	٢٤,١٩½	٥٢,٠١٠	٣٣ ميلاً غرب جزيرة الياس
١٢١	أم الغنزوز	٢٤,٣٩½	٥٢,٠٩٠	وقرب جزيرة دلما
١٢٢	رقة هرهور	٢٤,٣٦٠	٥٢,٠٩½	
١٢٣	أم الشواهين	٢٤,٤٤½	٥٢,١٣٠	
١٢٤	أبو دستور	٢٤,٢٦½	٥٢,١٣½	٤أميال جنوب غربي جزيرة دلما
١٢٥	أبو عروق	٢٤,٤٠½	٥٢,١٨½	
١٢٦	أم الصلنصل	٢٤,٣٨٠	٥٢,١٨½	٨أميال شمال جزيرة دلما
١٢٧	منيوخ	٢٤,٣٦½	٥٢,١٨½	٥أميال شمال جزيرة دلما
١٢٨	حواد الرداد	٢٤,٥٥٠	٥٢,١٩½	٤أميال جنوب غربي جزيرة دبينة
١٢٩	بطن دبينة	٢٤,٥٦٠	٥٢,٢٤½	ميلان جنوب شرقي جزيرة دبينة
١٣٠	حواد بن مستميخ	٢٤,٢٤½	٥٢,٢٦٠	٩أميال جنوب شرقي جزيرة دلما
١٣١	بويبردة	٢٤,١٤٠	٥٢,٣١٠	٥أميال جنوب غربي جزيرة ياس
١٣٢	ميانة	٢٤,٤٣٠	٥٢,٣٤½	٤أميال جنوب جزيرة أرزانة
١٣٣	غشة	٢٤,٢٤½	٥٢,٣٥٠	٣أميال شمال الزاوية الشمالية الغربية لجزيرة ياس
١٣٤	أم الكركم	٢٤,٢٤½	٥٢,٣٨٠	٣أميال شمال الزاوية الشمالية الشرقية لجزيرة ياس

(تابع) جدول مغاصات اللؤلؤ في الجانب العربي من رأس تنورة إلى دبي

الرقم	الاسم	خط العرض شمالاً	خط الطول شرقاً	ملاحظات
١٣٥	بَطين أرزنة	٢٤,٤٣½	٥٢,٤٩٠	١٦ ميلاً جنوب شرقي جزيرة أرزنة
١٣٦	سطوح أرزنة	٢٤,٥٠٠	٥٢,٥٣٠	مجموعة كبيرة بين جزر أرزنة والقرنين وزركوه
١٣٧	الجرْول	٢٤,٣٥٠	٥٢,٥٦٠	
١٣٨	سطح بن لوتاه	٢٥,٠٢٠	٥٣,٠٢٠	
١٣٩	بو حصير	٢٥,٠١½	٥٣,٠٦٠	
١٤٠	أبو الخلاخيل	٢٥,٠٧٠	٥٣,٠٧٠	
١٤١	أبو الغبار	٢٥,١٣٠	٥٣,٠٧½	
١٤٢	جاسر	٢٥,١٨٠	٥٣,٠٨٠	
١٤٣	القليل	٢٥,٠٦٠	٥٣,١٠٠	
١٤٤	بو مرطبان	٢٥,٠٥٠	٥٣,١١٠	
١٤٥	أم الشيف زركوه	٢٥,١٥٠	٥٣,١٤٠	٢٧ ميلاً شرق شمال شرقي جزيرة زركوه
١٤٦	أبو الطبول	٢٥,١٧٠	٥٣,١٥٠	
١٤٧	أبو البَخوش	٢٥,١٩٠	٥٣,١٦٠	
١٤٨	بو شَعرية	٢٥,٠٢٠	٥٣,٢١½	
١٤٩	نجوة جُبران	٢٥,٠٦٠	٥٣,٥٥٠	
١٥٠	أم الدفاف	٢٥,٠٦½	٥٣,٥٩½	
١٥١	سطوح الهوله	٢٤,٤٧٠	٥٣,٠١٠	مجموعة تبعد ٧-٨ أميال جنوب جنوب غربي جزيرة زركوه
١٥٢	غَزْرة زركوه	٢٤,٥٥٠	٥٣,٠٣½	شمال غربي جزيرة زركوه
١٥٣	قَصْمول	٢٤,٤٩٠	٥٣,٠٤½	٤ جنوب جزيرة زركوه

الرقم	الاسم	خط العرض شمالاً	خط الطول شرقاً	ملاحظات
١٥٤	سطوح أم الشيط	٢٤,٤٦٠	٥٣,٠٤١/٢	٨ أميال جنوب جزيرة زركوه
١٥٥	أبو الزريع	٢٤,٤٤١/٢	٥٣,١٣٠	
١٥٦	أم العنبر	٢٤,٤٧١/٢	٥٣,١٣٠	
١٥٧	أبو الحصا	٢٤,٤٠١/٢	٥٣,١٣٠	
١٥٨	خور زركوه	٢٤,٥٧١/٢	٥٣,١٤١/٢	١٢ ميلاً شمال شرقي جزيرة زركوه
١٥٩	أبو سكين	٢٤,٣١١/٢	٥٣,١٤١/٢	
١٦٠	سطح رازبوت	٢٤,٥٢١/٢	٥٣,١٧٠	
١٦١	أم صلنصل	٢٤,٥٢٠	٥٣,٢٠١/٢	
١٦٢	أبو الأردوم	٢٤,٤٨١/٢	٥٣,٢٠١/٢	
١٦٣	القاف	٢٤,٤٥٠	٥٣,٢٠١/٢	
١٦٤	أبو البزم	٢٤,٥١١/٢	٥٣,٢٢١/٢	
١٦٥	المدورة	٢٤,٥١٠	٥٣,٢٥١/٢	
١٦٦	المصدق	٢٤,٤٨٠	٥٣,٢٧١/٢	
١٦٧	أبو الضلوع	٢٤,٤٧٠	٥٣,٢٨٠	
١٦٨	أبو الأقرب	٢٤,٤٤١/٢	٥٣,٢٩١/٢	
١٦٩	الزهرة	٢٤,٥٧٠	٥٣,٣٦٠	
١٧٠	الزخم	٢٤,٤٢١/٢	٥٣,٣٩٠	
١٧١	عميرة العودة	٢٤,٥٨٠	٥٣,٤٥١/٢	
١٧٢	عميرة الصغيرة	٢٤,٥٨٠	٥٣,٥٤٠	
١٧٣	بو صور	٢٥,٠٢٠	٥٤,٠٠٠	
١٧٤	العوارض	٢٥,١٤٠	٥٤,٠٠٠	
١٧٥	نجوة كارون	٢٥,٠٧٠	٥٤,٠٢٠	

١٧٦	الرجلة	٢٥,٠٧٠	٥٤,٠٤ ١/٢	٨ أميال جنوب غربي جزيرة صير بو نعير
١٧٧	اللّسِجة	٢٥,١٨ ١/٢	٥٤,٠٧ ١/٢	٦ أميال شمال غربي جزيرة صير بو نعير
١٧٨	هير بن عَذْبي	٢٥,١٩ ١/٢	٥٤,١٢٠	٦ أميال شمالي جزيرة صير بو نعير
١٧٩	الخَبَك	٢٥,١٤٠	٥٤,٢٥٠	
١٨٠	أبو الحوص	٢٥,١١ ١/٢	٥٤,٤٢٠	
١٨١	العليوي	٢٥,١١٠	٥٤,٥٨٠	أقصاها شرقاً على بعد ٢٠ ميلاً غرب جنوب غربي بلدة دبي
١٨٢	المعترض	٢٤,٥٥٠	٥٤,١٥٠	
١٨٣	الحد	٢٤,٤١٠	٥٤,١٩ ١/٢	١٥ ميلاً شمالي بلدة بو ظبي
١٨٤	بو ظَلَيخة	٢٤,٥ ١/٢	٥٤,٢٢٠	

ويلاحظ أن المغاصات التي تحمل أسماء الجزر وخلافها ليست دائماً الأقرب إلى المكان الذي تتسمى به .

والمغاصات التالية يقال إنها تقع عند سواحل قطر ولكن مواضعها غير معروفة بالتحديد وهي :

الرجيب — أبو ثَلُوث — ظلام — تُبُرَة نقيم — تبرة المدفع — نجوة مقبل — الميراث — أبو الملح — الطفيلي — حد أبو الباح — الحَريق — أم الطَّيِّن — خور خب — أم شقَاح — أم ثيلث .

كما أن المغاصات التالية يقال إنها قريبة من اتجاه عمان المتصالح :

الرّجيلة — عِد الثّاني — التيبج — سطح البطين — التحايف — الصفيح — نجوة حَدّ الضّا — بو خيس — الغَرَابي — القرن ..

٢ ـ جدول مغاصات اللؤلؤ في الجانب العربي من بلدة الكويت إلى رأس تنورة

الرقم	الاسم	الموقع	ملاحظات
١	غَميضة	على الساحل ٦ أميال جنوب قرية شعيب في إمارة الكويت	في دائرة شيخ الكويت
٢	القليعة	على الساحل عند رأس القليعة	»
٣	دوحة الزّرق	على الساحل في منتصف المسافة بين رأس القليعة ورأس الزور	»
٤	رأس الزور	على الساحل عند رأس الزور	»
٥	الخيران	على الساحل عند مدخل خور العمى ٦ أميال جنوب رأس الزور	»
٦	حد الحمارة	على الساحل ٩ أميال جنوب خيران	»
٧	التّويصيب	على الساحل بين حد الحمارة ورأس بَرْد حَلْق	»
٨	برد حلق	على الساحل عند رأس برد حلق	»
٩	الخفجي	على الساحل عند رأس الخفجي	»
١٠	قمرة العالية	في البحر ١٥ ميلاً شرق رأس الخفجي	»
١١	العُسيلي	على الساحل ٤ اميال جنوب رأس الخفجي	»

(تابع) جدول مغاصات اللؤلؤ في الجانب العربي من بلدة الكويت إلى رأس تنورة

الرقم	الاسم	الموقع	ملاحظات
١٢	أم السحال	في البحر ٥ أميال شمال شرقي حد المشعاب.	هذه المغاصات وما يليها الى رقم ٢٤ يقال إنها سلسلة غير منتظمة تصل من حد المشعات إلى نقطة في البحر تبعد ٦٠ ميلا شرق تلك الرأس (١) . والمغاصات رقم ١٢ — ٢٤ موضحة بالتقريب في ترتيبها من الغرب الى الشرق .
١٣	عارض يوسف	انظر رقم ١٢	
١٤	الناسعة	»	
١٥	خلااو	»	
١٦	أبو عصاية	»	
١٧	صوفان	»	
١٨	رقة بن قامس	»	
١٩	عفيسان	»	
٢٠	أبو ضلام	»	
٢١	أم ويجلة	»	

(١) هذه الاتجاهات تشمل المغاصات في المياه العميقة ويحتمل أن تكون السلسلة أكثر موازاة للساحل .

(تابع) جدول مغاصات اللؤلؤ في الجانب العربي من بلدة الكويت إلى رأس تنورة

الرقم	الاسم	الموقع	ملاحظات
٢٢	أم التفجان	»	
٢٣	أبو حِد	»	
٢٤	العجاج	»	
٢٥	مكتّف	على الساحل عند أو قرب دوحة البلبول	يمكن اعتبارها في دائرة شيخ الكويت في سنجق الأحساء في الحدود التركية
٢٦	رأس الغار	على الساحل عند رأس الغار	
٢٧	المسْلِحَة	في البحر ١٠ اميال شمال شرقي رأس الغار	
٢٨	العويرض	على بعد أميال قليلة من الساحل عند نقطة تبعد أميالاً كثيرة شمال خليج المسلمية	
٢٩	الكاش	على بعد أميال قليلة من العويرض شرقاً	تنطق (جاش)
٣٠	وجه الجزيرة	ملتصقة بجزيرة جنة من الجانب الشمالي الشرقي	تنطق (ويه الجزيرة) وتقع في سنجق الأحساء في الحدود التركية
٣١	ظهر البيضة	ملتصقة بجزيرة أبو علي من الجانب الشمالي في ثلث المسافة من الطرف الغربي إلى الشرقي	»
٣٢	ظهر أبو علي	على بعد مسافة قصيرة من الساحل الشمالي لجزيرة أبو علي في نقطة أقرب إلى الطرف الشرقي منها إلى الطرف الغربي	»

٣٣	رأس أبو علي	ملاصقة للطرف الشرقي لجزيرة أبو علي	«
٣٤	برابَخ	في الجزء الضيق من البوغاز بين جزيرة أبو علي وساحل الأرض الرئيسية	ملاصقة لساحل منطقة البياض وتقع في سنجق الاحساء في الحدود التركية
٣٥	البطين	بين مغاصي رأس أبو علي وبرابخ	«
٣٦	الطويفح	على الساحل على بعد أميال قليلة جنوب البوغاز بين جزيرة أبو علي والأرض	«
٣٧	البياضات	على الساحل على بعد أميال قليلة جنوب شرقي الطويفح	«
٣٨	أبو الأناجر	«	تنطق (أبو الأناير)
٣٩	قشيتات	في البحر على بعد أميال قليلة شرق ٣٨	
٤٠	دوحة المساوي	على الساحل على بعد أميال قليلة جنوب شرقي مغاصة أبو الأناجر	تتصل بساحل منطقة البياض في سنجق الاحساء في الحدود التركية
٤١	نجوة الدماغ	في البحر على بعد بضعة أميال شرقي ٤٠	
٤٢	دوحة الجعيلية	على الساحل عند رأس الجعيابة	تتصل بساحل منطقة البياض في سنجق الاحساء في الحدود التركية
٤٣	الجعيمة	على الساحل قرب الجعيمة	
٤٤	أبو العروق	على الساحل جنوب شرقي ٤٣ مباشرة	«

٤٥	ابو عظم	»
٤٦	الدّوَيْتِسين	»
٤٧	أم رَحِيم	» تحيط بطرف رأس تنورة
٤٨	أبو بهيسم	في البحر على بعد أميال قايلة شمال شرقي مغاصة الجعيمة
٤٩	العظَمة	في البحر جنوب ٤٨ مباشرة
٥٠	الواسعة	في البحر إلى الجنوب قليلاً من ٤٨ ، ٤٩
٥١	الخُبابان	في البحر على بعد أميال شرقي ٥٠
٥٢	أبو إسعافة	في البحر مقابل بني شول على الجانب الغربي لرقم ٥٢ .
٥٣	خَشينه	في البحر على مسافة بعيدة نوعاً ما شرقي رأس تنورة
٥٤	الرّقَيقة	»
٥٥	الرّكْسة	»

٣ — جدول المغاصات في الجانب الإيراني

الرقم	الاسم	الموقع والامتداد	ملاحظات
١	جَبْ	عند ساحل مقاطعة لبراوي ٤ اميال شمال أو غرب جبل بانج	عمق المياه من ٣ — ٧ قامات وفي الوقت الحالي يجتاحها سمك القرش ، واضطر أهالي جزيرة خارّج الذين يستغلونها إلى التوقف عن أعمالهم . وهي مقابل مقاطعة لبراوي وتدخل تحت سلطان خان لبراوي
٢	خارك (خرج)	بين جزيرتي وخرّجو وكذلك على الجانب الغربي بجزيرة خارّج على بعد مسافة غير قليلة	عمق المياه من ٥ — ١٦ قامة وهي تقع في نفوذ خان حياة داود
٣	خور التّصبير	على الساحل على بعد بضعة أميال شمال مصب نهر روض الحلة	عمق المياه من ٣ — ٧ قامات وهي قليلة القواقع وفي نفوذ خان حياة داود
٤	راس أسْوَد	على مسافة قليلة شرقي عيانات على بعد ١/٣ ميل ، ويقال إن طولها ميل وعرضها نصف ميل	عمق المياه من ١ — ٩ قامات وفي نفوذ خان داشتي
٥	رأس الباغ	على بعد ٢ — ٣ اميال غربي طاهري تبعد ميلاً عن الساحل	عميق المياه من ٢ — ٥ قامات وتتبع خان داشتي ، ولكنه تنازل عنها لخان جام الذي يقيم في داخلية البلاد

(تابع) جدول المغاصات في الجانب الإيراني

رقم	الاسم	الموقع والامتداد	ملاحظات
٦	رأس مجنون	قرب طاهري على مسافة ½ ميل من الساحل وطولها حوالى ٣ اميال .	»
٧	رأس الشجر	قرب الساحل عند رأس الشجر	»
٨	هاونة	في خور يبعد ½ ميل شرقي رأس الشجر وطولها ½ ميل وعرضها ¼ ميل	
٩	نابَنْد	على طول الساحل من قرية نابَنْد وتمتد جنوباً إلى مغاصة باركو (١٠)	عمق المياه من ½ ٢ إلى ١٠ قامات وكانت تابعة لشيخ عسّالو (الحرمي) والآن تابعة للشيخ التميمي
١٠	بارْكو	امتداد لرقم (٩) بجوار قرية بارْكو	مثل (٩) غير أن عمق المياه من ٢ — ٤ قامة
١١	رأس غراب	عند الساحل من الطرف الشرقي لمغاصة بارْكو إلى رأس غراب .	عمق المياه من ٢ — ٦ قامة وتتبع الشيخ التميمي
١٢	غاف	عند الساحل بين رأس غراب وقرية غاف وتنتهي على بعد ميل من قرية غاف	»
١٣	خُوّادان	عند الساحل من غاف إلى قرية خوادان	العمق ٢ — ٤ قامة تتبع الشيخ التميمي
١٤	تبنْ	من ١/٢ ميل غربي قريـة تبنْ في اتجـاه الغربي الى خوادان على بعد [illegible]	»

(تابع) جدول المغاصات في الجانب الإيراني

رقم	الاسم	الموقع والامتداد	ملاحظات
١٥	الشيخ شعيب	تحيط بجزيرة الشيخ شعيب ما عدا عندلاز وكُرّات	العمق ٢ ــ ١٠ قامات وتتبع الحمادي شيخ مجام .
١٦	شَطْوار	في الطرف الجنوبي الشرقي لجزيرة شَطْوار	العمق ٥ ــ ١٠ قامات
١٧	مكاحيل	على بعد ¼ ميل من الساحل تبدأ على بعد ميل وربع غربي مكاحيل وتمتد ميلاً إلى الغرب بعرض ¼ ميل	تسمى أيضاً رأس بزالي ، العمق ٢ ــ ٤ قامات تتبع الجمادي في شيخ مجام
١٨	رأس منصوري	قرب الساحل تبدأ من نقطة على بعد ٣ اميال غربي شيرو وتمتد غرباً ¼ ١ ميلاً بعرض ¼ ميل	العمق من ٤ قامات وتتبع العبيدلي شيخ شيرو
١٩	هندرابي	تحيط بجزيرة هندرابي في حزام عرضه من ¼ إلى ½ ميل ما عدا في موقع واحد من الشرق	العمق من ١ ــ ١٠ قامات تتبع العبيدلي شيخ شيرو
٢٠	سَمْيَرُون	٧ اميال في جنوب هندرابي وتميل شرقاً قليلاً	العمق من ١٠ قامات فأقل
٢١	شيرو	تبعد نصف ميل عن قرية شيرو إلى الشرق وعرضها ٥٠ ياردة فقط	العمق من٤ ــ ٦ قامات تتبع العبيدلي شيخ شيرو

(تابع) جدول المغاصات في الجانب الإيراني

رقم	الاسم	الموقع والامتداد	ملاحظات
٢٢	عـكـتر	تبعد ميلاً عن الساحل وتبدأ من بعد ١ ½ ميل جنوب غرب كالات في اتجاه جورزه لمسافة ١ ½ ميل بعرض من ¼ إلى ½ ميل	العمق من ٣ ــ ٥ قامات وتتبع الحميدي شيخ مجام
٢٣	كالان	تبدأ عند شمال غربي جورزة وتسير في اتجاه كالات على بعد ½ ميل من الساحل	«
٢٤	قيس	تحيط بجزيرة قيس ما عدا المسافة بين حلاة وماشه وتبعد عن الساحل في بعض الأماكن ١ ½ ميلاً	عمق المياه من ٢ ــ ١١ قامةوتتبع آل علي شيخ جاراك .
٢٥	مُوّه	تتصل بالساحل وتمتد من جوار جورزة في اتجاه قرية تافونه	العمق من ½ ــ ٦ قامات وقسم منها يتبع الحمادي شيخ مجام والقسم الآخر يتبع شيخ تافونه
٢٦	تاونة	امتداد لرقم ٢٥ إلى نقطة تبعد ¼ ميل جنوب غرب تافونه	العمق من ½ ــ ٥ قامات تتبع البُشري (آل علي) شيخ تافونه
٢٧	فَيلـح	بعيدة عن الساحل ½ ميل عند نهاية رأس يارد بين حَسينة وموغوه	العمق من ٢ ــ ٤ قامات وتتبع المرزوقي شيخ موغوه

رقم	الاسم	الموقع والامتداد	ملاحظات
٢٨	نجوى(١) جزيرة فرور	بين جزيرة فرور وقرية بستانة على الأرض الرئيسية – حول « فرورشول »	العمق من ٢ – ١١ قامة وتتبع المرزوقي شيخ موغوه
٢٩	دُوّان	جنوب غربي قرية دُوّان على بعد ربع ميل من الساحل	العمق من ١ – ٥ قامات وهي مثل قرية دوان قسم منها تابع لآل علي شيخ جارك وقسم يتبع نائب حاكم لنجه .
٣٠	بستانة	قرب الشاطئ وتمتد من قرية بستانة إلى قرب دُوّان	مثل السابقة لكن عمق الماء من ١/٢ – ٥ قامات
٣١	ميلُو	عند ساحل ميلُو وتمتد من مغاصة بستانة إلى نقطة تبعد ١/٢ نصف ميل غرب شناص وتبعد نصف ميل عن الساحل	العمق من ٢ – ١/٢ ٤ قامة تتبع نائب حاكم لنجه
٣٢	لنجه (لنكه)	جنوب غربي بلدة لنجه(١) – ٢٥٠ ياردة شمال غربي المرساة وتبعد عن الساحل ٢٠٠ ياردة طولها ١٠٠ ياردة وعرضها من ١٠ – ٢٥ ياردة	العمق من ١٢ – ٢٠ قدماً وتتبع نائب حاكم لنجه

والمغاصات الموضحة بهذا الجدول السابق هي المغاصات الرئيسية في الخليج . وتوجد بعض مغاصات أخرى أقل أهمية على طول ساحل رؤوس الجبال وعند جزر دمانيات وفي جوار بندر خايران وجميعها تتبع سلطان عمان .

(١) هذا هو النطق الإيراني للكلمة العربية نجوة .

مذكرة ملحقة رقم ٥

جدول أنواع اللآلئ وسعر السوق عن تشاوبومباي في البحرين سنة ١٩٠٦

اللون	الاسم عند التجار العرب	الوصف	سعر تشاو بومباي سنة ١٩٠٦ روبية	ملاحظات
أبيض	يكة بيضاء	مستديرة ناصعة البياض	١٥٠ ـ ٥٠٠	اسمها بالإيرانية سُفيد الشيرين
»	يكة نباتي	مستديرة تميل للصفرة	٥٠ ـ ٢٠٠	
»	يكة بَطّن	مثل الزرار نصف كروية	٤٠ ـ ١٥٠	الاسم مأخوذ من الترجمة الانجليزية للزرار
»	نيمْ شيرين	ليست تامة الاستدارة	٢٥ ـ ٥٠	
»	بَدْلة بيضاء	من النوع الأول وغير منتظمة الشكل	١٥ ـ ٣٠	
»	سجْني	قاتمة قليلاً مع شامات زرقاوية مستديرة أو بيضاوية ولها نقطة بارزة قد تكون حادة	١٠ ـ ٣.	(هكذا في الأصل والأغلب ١٠ ـ ٣٠)
»	قامشاهي	من النوع الثاني وغير منتظمة	٨ ـ ١٥	
»	مَغْز أبيض	من النوع الثالث وغير منتظمة	٥ ـ ١٠	

اللون	الاسم عند	الوصف	سعر تشاو بومباي سنة ١٩٠٦ روبية	ملاحظات
ابيض	كَمْيَائتي	من النوع الرابع وغير منتظمة	٢ — ١٠	
«	كَلَكي	مستطيلة ومشوّهة	٥ فأكثر	
«	بُوكَه	صغيرة جداً وأحياناً يكفي حجمها لعمل ثقب للخيط فيها		سعر السوق سنة ١٩٠٦ ( ) روبية لمثقال البحرين ويوازي ٦٠٠ — ١٨٠٠ لؤلؤة
«	خاكة	« تراب » اللؤلؤ أصغر من بوكة ولا يمكن ثقبها لصغر حجمها		كان سعر السوق في ١٩٠٦ — ٥ — ٦ روبيات لمثقال بومباي ويوازى ٢٠٠٠ لؤلؤة فاكثر . وهذا الصنف والسابق له يسحق ويستعمل الأهالي المسحوق كدواء
أزرق	سنجباسي	كروي منقط . اللون من أزرق إلى رصاصي — لامع	٨٠ — ١٥٠	
«	مغز أزرق	غير منتظمة الشكل	٣٠ — ٦٠	أحياناً يضاف إليه وصف نساوي
«	آسماني	غير لامع . يميل إلى الزرقة	٢٠ — ٤٠	
«	ميان	أزرق باهت	٣ — ٦	
أحمر	يكه حم	مستديرة	٢٠ — ٥٠	يسميه التجار الإيرانيون سورخ شيرين
«	صُفْري	نحاسي بأشكال مختلفة	١٥ — ٤٠	
«	بَطن	مثل الزرار	٥ — ٣٠	يسميه الإيرانيون سورخ نيم شيرين

مذكرة ملفة رقم ٦

جدول الضرائب التي تفرضها السلطات المحلية سنويا على مصايد اللؤلؤ في الخليج – الجانب العربي

الإمارة – الإقليم المنطقة	الميناء	ضريبة النوب – مواعيد تحصيلها – ضرائب مختلفة	ضرائب طراز ومواعيد تحصيلها	مجموع حصيلة الميناء بالروبيات	الاعفاءات من الضرائب (١) (عدد السفن والرجال بين قوسين)	صافي حصيلة الميناء بالروبيات	تكاليف حرس البلد بالروبية (عدد الحراس بين قوسين)	توزيع الباقي بعد دفع أجور حرس البلد – وملاحظــات
إمارة الشارقة	الرمس	٢ كيس أرز عن السفينة في الربيع علاوة على شوفة كل ثاني أو ثالث سنة .	٦ من كل عامل – في الربيع	١٥٤	١٢٠ (٢٠ رجلا)	٢,٠٣٤	٥٠ (٣)	يأخذ الشيخ ١٩٨٤ روبية الباقية يدفع منها ٥٥٠ روبية لنائب الحاكم في رأس الخيمة ويحتفظ لنفسه بمبلغ ١٤٣٤ روبية .
«	رأس الخيمة	٤ كيس أرز عن السفينة الكبيرة ٤ و ٣ عن المتوسطة و ٢ عن الصغيرة – في الربيع – شوفة حوالى ١٠٠٠ روبية كل ثاني أو ثالث سنة .	١٠ دولارات عن القلطة (٥) – في الربيع	٠٣٤	٢٨٠ (٤٠ رجلا)	٥,٧٥٤	لا شيء – تدفع أجور الحراس من موارد أخرى	يأخذ نائب الحاكم في رأس الخيمة جميع المبلغ .
«	جزيرة الحمراء	٣ كيس أرز على السفينة الكبيرة و ٢ على المتوسطة و ١ على الصغيرة – في الربيع – وكذلك ٢٠٠ ريالا في أول الموسم للدفاع عن البلد .	٢ دولار عن كل عامل على سفينة تابعة لميناء آخر	٧٧٨	١٠٤ (٥ سفن و ١٣٢ رجلا)	١,٦٢٤	١٤٠ (٨)	يأخذ الشيخ المبلغ الباقي وهو ١٤٨٤ روبية ولا يدفع شيئاً في الوقت الحاضر لشيخ الشارقة وكان سلفه يدفع ٥٠٠ روبية سنوياً لشيخ رأس الخيمة .
إمارة أم القيوين	بلدة أم القيوين	٢٫٥ روبية و ٢ كيس أرز عن السفينة الكبيرة و ١ كيس و ١٠ روبيات عن المركب الصغير – في الربيع + نصيب سيب (٦) عن كل سفينة في الخريف .	٦ ريالات عن الغواص و ٤ عن السيب في الربيع	٦٩٥	٣٨١٤ (١٤ سفينة و ٣٧٣ رجلا)	٢٠,٨٨١	١٦١٢ (٦٠)	المبلغ الباقي وقدره ١٩٢٦٩ روبية يأخذه الشيخ حاكم أم القيوين الذي يربح أيضاً من التموين الذي يلزم السفن بأخذها منه . والمعتقد أنه في سنة واحدة ربح ٨٠,٠٠٠ روبية من صيادي اللؤلؤ والتجارة .
إمارة الشارقة	الحمرية	نصيب سيب عن كل مركب – في الخريف .	لا شيء	٫١٩٠	لا شيء	١,١٩٠	٥١٥ (٣٠)	الباقي ٦٧٥ روبية يأخذه الشيخ المحلي .
إمارة عجمان	بلدة عجمان	ريال واحد عن كل غواص « نوب النصارى »(٧) في الربيع + شوفه حوالى ٢٠٠٠ روبية كل ثاني وثالث سنة .	٦ روبيات من كل قلطة – في الربيع	٫٤٨٢	٢٨٠ (٢ سفينة و ٥٢ رجلا)	٥,٢٠٢	٥٨٠ (٢٠ رجلا)	الباقي ٤٦٢٢ روبية يأخذها الشيخ حاكم عجمان
إمارة الشارقة	الحيرة	٥٠ روبية وكيس أرز عن كل سفينة – في الربيع .	لا شيء	٫٦٠٠	لا شيء	١,٦٠٠	لا شيء	الشيخ المحلي يأخذ المبلغ بأكمله ويدفع منه ٨٣٢ روبية عن سفن معينة لشيخ الشارقة .
«	بلدة الشارقة	كيس أرز عن السفينة في الربيع ونصيب سيب عن المركب ومباعية (٨) في الخريف علاوة على الشوفة ٨٠٠٠ روبية كل عامين أو ثلاثة ورضف(٩) في بعض الظروف .	٤ روبيات عن الغواص و ٣ عن السيب في الربيع	٫٦٩٨	١٠٢٢٢ (٧١ سفينة و ١٣١٧ رجلا)	٢٠,٤٧٦	٣٧٨ (٣٠)	الباقي وهو ٢٠٠٩٨ روبية يأخذه الشيخ حاكم الشارقة .
«	الخان	١٠ روبيات وكيس أرز عن السفينة – في الربيع .	٣ دولارات من الغواص عن السيب – في الربيع	٫٢٥٢	١٢٨٦ (١٥ سفينة و ٢٦٨ رجلا)	٤,٩٦٦	لا شيء	يأخذ الشيخ المحلي الجميع ويدفع نصفه ٢٤٨٣ روبية لشيخ الشارقة .
إمارة دبي	بلدة دبي	كيس أرز و ٤ ريالات خنشية (١٠) دولارات (ريال سور) (١١) عن المركب العميل (١٢) وريال سور عن المركب المتوسط العادي (خلوي) في الربيع + نصيب سيب في الخريف عن السفينة . وقد حصلت ضريبة الشوفة مرتين في ١٣ سنة الماضية وبلغت ٤٠٠٠ روبية في المرة الأخيرة .	١٠ ريال عن المركب الخلوي في الربيع + ١٫٥ روبية عن القلطة على سفن العميل فقط في الربيع ونصيب سيب عن السفينة في الخريف	٫٣٨٨	٢٠٥٢٨ (٢١٠ سفن و ٣٨١٣ رجلا)	٢٠,٨٦٠	لا شيء . ١٠٠ بدوي الحراسة تدفع معاشهم السفن المعفاة	يأخذ الشيخ حاكم دبي الباقي كله .
إمارة أبو ظبي	بلدة أبو ظبي	نصيب سيب عن المركب الكبيرة والمتوسطة ونصيب غواص عن الصغيرة في الخريف + ١٠٠ دولار عن كل لؤلؤة قيمتها ١٠٠٠ روبية فأكثر + قوميسون على المبيع على جزيرة دالما	٢٫٥ دولار عن القلطة في الربيع .	٫٩٦٤	٢٠٠٤ (٢١ سفينة و ٣١٥ رجلا)	٤١,٩٦٠	١٤٥٠	الصافي جميعه يأخذه حاكم أبو ظبي علاوة على دخل إضافي يفرضه على اللؤلؤ والمغاصات والبحارة .

(١) الإعفاء غالباً يشمل أقارب وأصدقاء وموظفي وخدم الشيخ . (٢) كيس الأرز يعادل ١٤ روبية . (٣) شوفة عبارة عن تبرعات طارئة تجمع عند الحاجة . (٤) السفينة الكبيرة تحمل ١٢ غواصاً فأكثر والمتوسطة من ٨–١١ غواصاً والصغيرة تحمل ٧ غواصين فأقل (المقصود غواصين بخلاف العمال الآخرين) . (٥) قلطة يعني طقم مكون من غواص وسيب . (٦) بالحساب والتحري وجد أن نصيب السيب يحصل معدله ٢٠٠ ريال سنوياً وهو ما يكفي في المتوسط على الأقل لنفقات الرجل وعائلته . (٧) منذ حوالى ٢٠ سنة نهب صيادو اللؤلؤ من عجمان سفينة (صمبوك) تابعة لعدن في البحر الأحمر ولما قرر المقيم السياسي البريطاني دفع التعويض فرض شيخ عجمان غرامة على الجماعة العاملة في الصيد ثم استمر في تحصيلها منذ ذلك الحين لحسابه باسم « نوب النصارى » . (٨) المباعية ضريبة على اللآلئ التي يبيعها الناخوذا . (٩) رضف ضريبة طارئة في حالة توقع الحرب . (١٠) خنشية كانت سابقاً ضريبة مساكن . (١١) ريال سور أي سور المدينة كان يجري تحصيله لتغطية نفقات ترميم سائر القلاع والتحصين . (١٢) مركب العميل هي التي يملكها ويجهزها رأسمالي يأخذ نصف نتاجها في نهاية الموسم والنصف الثاني يوزع بين العمال . والمركب الحلوى هو المجهز بالطرق المعتادة .

أحمر	بدلة حمرا	من النوع الأول وغير منتظمة	١٠ — ٢٠
«	مغز أحمر	من النوع الثاني وغير منتظمة	٦ — ١٥
أصفر	نور	أسطوانية مدببه	٨ — ١٥
مُلوّن	نيمرو	فقاعية بداخلها جسم غريب	٢ — ٣٠
«	توْليف	غير لامعه وملساء — ألوان وأشكال مختلفة	٢ — ٣
«	تالبوكه	مثل السابقة وأقل جودة	سعر مثقال بومباي سنة ١٩٠٦ كان ٢—٥ روبيات
«	ُخشْرة	نوع رديء كالشظايا وليس ضرورياً أن يكون أبيض	١ — ٣

المصطلحات التي استعملت في هذا الجدول هي الدارجة بين المشتغلين باللؤلؤ في البحرين . ومجموعة الأصناف التي يتألف منها اللون الواحد ذكرت بالترتيب حسب قيمتها سنة ١٩٠٦ ، وهذا الترتيب قابل للتعديل ما عدا النوع الأول من كل مجموعة فهو لا يمكن تعديل وضعه من باقي الأنواع . وكما يتضح من مجموع الأسعار فإن كل نوع واحد يكون عادة من عدة درجات مختلفة تتراوح قيمتها في الحدود المذكورة لكل نوع .

جدول الضرائب التي تفرضها السلطات المحلية على مصايد اللؤلؤ في الخليج

تابع الجانب العربي

الإمارة-الإقليم-المقاطعة	الميناء	تفاصيل الضرائب	مجموع الضرائب سنوياً وتوزيعها
قطر	الوكرة	٤ دولارات عن كل ناخوذا أو غواص أو سيب سنوياً ودولاران عن كل رديف	يعفى بعض الجماعات القبلية من الضرائب إلى جانب ذلك توجد بعض السفن لشيوخ آل ثاني ولا تدفع شيئاً . والمعتقد أن مجموع ما يحصّل هو حوالى ٣٤٠٠ دولار يأخذها شيخ الوكرة . مصاريف الدفاع الصيفي أقل منها في عمان المتصالح
»	الدوحة	»	تعفى بعض المجتمعات القبلية لا سيما السودان في حي البدع وكثير من السفن هي لشيوخ آل ثاني ولا تدفع شيئاً . ويقدّر المبلغ الذي يحصّل بنحو ٨٤٠٠ دولار سنوياً ويأخذه شيخ الدوحة ، ونفقات أعمال الدفاع أقل منها في عمان
»	موانئ أخرى	ليست هناك مبالغ محددة ولكن عند عودة صيادي اللؤلؤ يعطون منحاً للبدو	تجمع المبالغ وتوزع بمعرفة الشيوخ المحليين

الإمارة–الإقليم–المقاطعة	الميناء	تفاصيل الضرائب	مجموع الضرائب سنوياً وتوزيعها
		الذين قاموا بحراسة القرية مدة غيابهم ، فإذا كان المبلغ المجموع لا يفي بالغرض طلبوا من السفن التي صادفها الحظ زيادة تبرعاتها	
البحرين	كل الموانئ	تدفع كل سفينة من ١٠ — ٨٠ روبية سنوياً بالنسبة لحجمها ولعدد البحارة ولظروف الناخودا ، ولكن الأمر في الواقع يرجع إلى رأي شيخ البحرين والضريبة من نوع الطراز	تعفى سفن كثيرة من القبائل وعديد من الأفراد من الضرائب ، ويبلغ ما يجمع نحو ١٢٠٠٠ روبية سنوياً يأخذها شيخ البحرين
الأحساء	جميع الموانئ	نصف ليرة تركية عن كل سفينة بصرف النظر عن حجمها — في أول الموسم	تبلغ الحصيلة ٧٥ جنيهاً استرلينياً تأخذها الحكومة التركية
الكويت	بلدة الكويت	تدفع كل سفينة قيمة نصيب غواص في نهاية الموسم	تتراوح الحصيلة من موسم إلى آخر بين ٢٠,٠٠٠ دولار و ٦٠,٠٠٠ دولار سنوياً ويأخذها شيخ الكويت

جدول الضرائب التي تفرضها السلطات المحلية على مصايد اللؤلؤ في الخليج

الجانب الإيراني

المقاطعة	الميناء أو الموانئ	ضريبة نوب ومواعدها	ضريبة طراز ومواعدها	المبلغ بالروبية	ملاحظات
حياة داود	جزيرة خرّج	—	—	غير محقق	يأخذ ضابط الجزيرة ربع ثمن كل لؤلؤة وقت البيع ويأخذ من المشتري ١٥ بالمئة من ثمنها[1] ويأخذ جميع الأصداف من الصيادين بدون قيمة . وجميع التحصيلات يأخذها خان حياة داود
شيبكوه	نخل تقي	—	٥ ريالات عن الغواص و ٤ عن السيب من العمال المحليين في السفن الكبيرة والمتوسطة وريالين عن كل رأس في السفن الصغيرة — في الربيع	١٩٦	يأخذها الحرمي شيخ عسّالو
«	عسلوه	—	«	٧٥٧	«

(١) يراجع بيان آخر من مصدر آخر ص (٢٢٣٥) .

جدول الضرائب التي تفرضها السلطات المحلية على مصايد اللؤلؤ في الخليج
(تابع) الجانب الإيراني

المقاطعة	الميناء أو الموانئ	ضريبة نوب وموعدها	ضريبة طراز وموعدها	المبلغ بالروبية	ملاحظات
شيبكوه	حالة نابند	—	»	٩٦٥	»
»	نابند	—	»	٥٦٠	»
»	باركو	—	»	٤٥	»
»	رأس غراب	—	»	٢٨	يأخذها الناصوري شيخ جابندي
»	غاف	—	»	٣٤	»
»	خواداان	—	»	٨١	»
»	تيين	—	»	٦٤	يأخذها الحومي شيخ عسّالو
»	العمارية	—	»	٢٨	»
»	دستور		»	٦٧	يأخذها الناصري شيخ جابندي
»	بستانو	٦٠ دولاراً عن المركب الكبير ٤٠ دولاراً عن المتوسط ٣٠ دولاراً عن الصغير في الربيع مع إعفاء القارجي	٦ دولارات عن الغوّاص ٤ دولارات عن السيب من العمال المحليين في السفن الكبيرة والمتوسطة ودولارين عن كل رأس في السفن الصغيرة — في الربيع	١٣١٠	»

جدول الضرائب التي تفرضها السلطات المحلية على مصايد اللؤلؤ في الخليج

(تابع) الجانب الإيراني

المقاطعة	الميناء أو الموانئ	ضريبة نوب وموعدها	ضريبة طراز وموعدها	المبلغ بالروبية	ملاحظات
شيبكوه	بوراغلة	—	مثل عسّالو	٤٢	يأخذها الناصوري شيخ جابندي
»	زيارة	—	»	٢٨	»
»	كالاتو	مثل بستانو	مثل بستانو	١٧	»
»	شيوه	»	»	٣٥٠٣	»
»	سيف الشيخ	»	»	٢٨٠	»
»	مُقام	مثل بستانو	٨ دولار عن الغوّاص ، ٦ دولارات عن السيب من العمال المحليين في السفن الكبيرة والمتوسطة و٨ دولارات عن الرأس في السفن الصغيرة — في الربيع وأيضاً ٥ دولارات عن الرأس من العمال المحليين في السفن الكبيرة والمتوسطة في الخريف	٨٧٦٠	يأخذها الحمادي شيخ مُقام

جدول الضرائب التي تفرضها السلطات المحلية على مصايد اللؤلؤ في الخليج

(تابع) الجانب الإيراني

المقاطعة	الميناء أو الموانئ	ضريبة نوب وموعدها	ضريبة طراز وموعدها	المبلغ بالروبية	ملاحظات
شيكوه	نخيلوه	مثل بستانو	»	٢٤٤٠	»
»	الشيخ شعيب	»	»	١٦١٥٣	»
»	جازه	»	»	١٨٥١	»
»	المكاحل	»	»	١٦٩٤	»
»	جزيرة هندرابي	—	مثل مُقام غير أن الرسوم على العاملين في السفن الكبيرة والمتوسطة تفرض أيضاً على العاملين المحليين المشتغلين في سفن تابعة لموانئ أخرى	٤٥٣٥	يأخذها العبيدلي شيخ شيرو
»	شيرو	—	»	٤٣٠٢	»
»	كالات	مثل مُقام	مثل مُقام	٤٦٣٩	يأخذها الحمادي شيخ مُقام
»	جُرْزه	»	»	٣٢٨٣	»
»	جزيرة قيس	مختلفة وغير واضحة	مختلفة وغير واضحة	١٢٠٦٩	يأخذها العلي شيخ جارك

المقاطعة	الميناء أو الموانئ	ضريبة نوب وموعدها	ضريبة طراز وموعدها	المبلغ بالروبية	ملاحظات
شيبكوه	طاوونة	مثل مُقام	٣دولارات عن الغواص ودولاران عن السيب في السفن الكبيرة والمتوسطة ودولاران عن الرأس في السفن الصغيرة	١٢٤٠	«
«	جاراك	«	٦ روبيات عن الغوّاص و ٤ عن السيب في المراكب الكبيرة والمتوسطة وعلى الذين يستعملون سفناً تابعة لموانئ أخرى — في الربيع	٣٣٣٦	«
«	حسينة	٥٠ دولاراً عن السفينة الكبيرة و ٣٠ دولاراً عن الصغيرة — في الخريف	٦دولارات عن الغواص و ٤ دولارات عن السيب من العاملين في السفن الكبيرة و ٣ دولارات عن الرأس من العاملين في السفن الصغيرة — في الربيع	٩٤٥	يأخذها المرزوقي شيخ موغوه

شيبكوه	موغو	مثل حسينة	مثل حسينة	٤٢٣٨	يأخذها المرزوقي شيخ موغوه
»	جزيرة فَرّور	»	»	١٠٩	»
—	جزيرة سِرّي	—	—	—	—
لنجه	دوفان	يدفع السكان من آل علي مثل جاراك والقواسم لايدفعون شيئاً	يدفع السكان من آل علي مثل جاراك والقواسم لايدفعون شيئاً	٢٩٦٤	يأخذها العلي شيخ جاراك
»	بستانة	يدفع السكان من المرازيق مثل موغوه والقواسم لايدفعون شيئاً	يدفع السكان من المرازيق مثل موغوه والقواسم لايدفعون شيئاً	١٤٤٥	يأخذها المرزوقي شيخ موغوه
»	ميلو	—	—	—	—
»	شنّاص	—	—	—	—
»	بلدة لنجه	—	—	—	—

ملحق د

انتاج التمور وتجارتها في اقليم الخليج

سبق الكلام في مكان آخر عن زراعة التمور وتجارتها في الخليج(١) وليس من الضروري هنا ان نتكلم تفصيلا عن كلا الموضوعين وإنما نتكلم بايجاز عنهما وعن أقسامهما الإقليمية ثم نختم بالإشارة إلى تجارة الهند في تمور الخليج .

---

(١) فيما يلي أهم المراجع عن تمور الخليج العربي : تقرير ١٨٧٦ ـ ١٨٧٧ للرئيس س٠ب٠ مايلز في ادارة الخليج السياسية ص ٧٩ ـ ٨٠ عن تمور سلطنة عمان ـ مذكرة عن زراعة النخيل في منطقة بوشهر مع بعض البيانات عن نموها وانتاجها وأثمانها للمستر ج٠س٠ ادواردز المساعد الثاني للمقيم في تقرير الادارة ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ ص ٤٣ ـ ٤٦ ـ مذكرات عن زراعة النخيل والفاكهة والعناية بها للمستر ا٠ ر٠ حكيم مساعد المقيم السياسي في تقرير الادارة ١٨٨٣ ـ ١٨٨٤ ص ٣٩/٤٣ ـ موجز لما تم في الخليج فيما يتعلق بادخال زراعة النخيل لعربي الى الهند للمستر ا٠ر٠ حكيم في تقرير الادارة ١٨٨٥ ـ ١٨٨٦ ص ١٦/٢٠ ـ زراعة النخيل في بلاد العرب الايرانية للمستر ماك دووال نائب القنصل في المحمرة في تقرير الادارة ١٨٩٤ ـ ١٨٩٥ ص ٦٢ ـ كتاب كينيت (تركيا الآسيوية) الجزء الثالث ص ٢٠/٢١ و ٢٣١/٢٣٨ ٠

ويمكن الرجوع الى المقالات الآتية في القسم الجغرافي من هذا الدليل : ـ سلطنة عمان ص ١٣٨٨ و ١٤١٣ والمقالات الفرعية عن « اباضية » ص ١٩٥/١٩٦ و « باطنة » ص ٢٨٤ و « تيري » ص ٧٥٧ و « وادي سمايل » ص ١٦٧١/٧٢ ـ « عمان المتصالح » ص ١٤٣٩ و ١٤٤٠ مع العنوان الفرعي « واحة البريمي » ص ٢٦٣ ـ و « قطر » ص ١٥٠٦ و ١٥٣٢ ـ و « امارة البحرين » ص ٢٤١ و ٢٤٥/٢٤٦ ـ و « سنجق الحسا » ص ٦٦٦/٦٧ مع فقرات « واحة الحسا » ص ٢٦٣ ـ و « واحة القطيف » ص ١٥٤٣/٤٤ ـ و « امارة الكويت » ص ١٠٦٦ مع فقرات « الجهرة » ص ٨٩٨ ـ و « جنوب نجد » ص ١٣٥٤ ـ و « قاسم » ص ١٤٨٨ ـ و « جبل شمر » ص ١٧٣٦ مع فقرات « عقده » ص ٨٩ ـ ٩٠ و « جوف الامير » ص ٩٣٦ و « قحافة » ص ٦٩٦ و « تيمة » ص ١٨٥٥ والفقرات « أجا » و « سالمة » ـ و « العراق التركي » =

سلطنة عمان

إنتاج التمور في سلطنة عمان

ينتشر شجر النخيل في جميع نواحي سلطنة عمان ما عدا ظفار . وهو ينمو ويثمر حتى على ارتفاع أكثر من ٢٠٠٠ قدم . وهو أكثر ما يكون في الباطنة ووادي سمايل والشرقية . ففي الباطنة يشمل حزاماً على الساحل يصل عمقه الى سبعة أميال في بعض الاحيان ، ويقدر عدد النخيل في وادي سمايل بنحو ٦٠٠,٠٠٠ ، وفي قسم البادية من الشرقية يبلغ حوالي ١٥٨,٠٠٠ كما توجد احراج منه في الظاهرة لا سيما في عبري حيث يصل عدد الاشجار الى ٥٠,٠٠٠ . وأجود أنواع تمور سلطنة عمان هو المِبْسَلي والفرد والخلاص . والفَرْد تمر صغير داكن اللون وأكثر زراعته في وادي سمايل ، أما نخيل البادية فهو في الغالب مِبَسلي وكذلك في الشرقية .

تجارة التمور في سلطنة عمان

التمر المفضل عند أهالي البلاد هو المِبْسَلي ، وهو كذلك مرغوب فيه في الهند ، ويصدر بكميات وافرة من صور إلى بومباي . أما الفَرْد فهو مرغوب جداً في أمريكا حيث العرض لا يكاد يفي بالطلب ، وقد

= ص ٧٩٥ و ٨٠٣ مع فقرات « شط العرب » ص ٩٧ — و « عربستان » ص ١٢٨ و ١٣٠ و ٣٣/١٣١ مع فقرات « مقاطعة فلاحية » ص ٥٣١ — وقد بذلت الجهود في جميع المواد الطوبوغرافية في القسم الجغرافي لبيان عدد النخيل كلما أمكن ذلك . والبيانات الخاصة بأنواع التمور والتى لم يتيسر ادخالها في هذا الملحق يمكن الرجوع اليها في مكتبة قسم الشؤون الخارجية في سملا في « تقارير خاصة عن زراعة النخيل وتجارة التمور في الخليج العربى » منوعات رقم ق.ن/١٤٠ — تقرير هـ.و. ماكلينز « عن أحوال ومستقبل التجارة البريطانية في ايران » سنة ١٩٠٣ — تقرير ا.هـ. جليدو نيوكومين « البعثة التجارية الى جنوب شرقى ايران ١٩٠٥/١٩٠٤ » المطبوع سنة ١٩٠٦ .

بذلت جهود لأقلمة هذا النوع وزراعته في اريزونا ولكن لم تصل إلى درجة النجاح .

تاريخ تجارة التمور في سلطنة عمان ١٨٧٨–٧٩

يتوقف تصدير التمور من سلطنة عمان الى حد كبير على ظروف الموسم . فقد حدث في سنة ١٨٧٨ أن هطلت أمطار غزيرة في غير موعدها اذ سقطت عندما بدأ المحصول طور النضج فأتلفته . أما في سنة ١٨٧٩ حيث لم تسقط أمطار فقد كان المحصول ممتازاً وتضاعف الصادر منه بالنسبة للسنة السابقة .

١٨٨٠

ازداد صادر التمور من سلطنة عمان إلى الهند واليمن وزنجبار وإلى امريكا من صور وقُرْيات وساحل الباطنة ومسقط ، والمعتقد أن نصف الصادرات لم يُسجّل .

١٨٨١ – ١٩٠٤

نظراً لسوء حالة المحصول سنة ١٨٨١ كان الصادر منه قليلا من مسقط ، ولكن في السنة التالية كان المحصول جيداً جودةً غير عادية فصدرت منه كميات كبيرة هائلة .

وفي سنة ١٨٨٣ ارتفعت الصادرات إلى امريكا ، ولشدة ضغط الطلب الأمريكي زرعت كميات كبيرة من تمر الفَرْد ، وفي سنة ١٨٨٤ كان سوق نيويورك متخماً بالفَرْد . ولكن صدرت منه كميات كبيرة إلى أمريكا والجنوب العربي وشرق إفريقيا . أما في سنة ١٨٩٢ فإنه نظراً للقلاقل التي حدثت في وادي سمايل وانقطعت بسببها المواصلات بين مقاطعة الشرقية وميناء مسقط فقد هبط صادر التمر هبوطاً واضحاً .

وفي سنة ١٨٩٨ ساءت حالة المحصول وقيل إن ذلك بسبب عدم هبوب الريح الحار الجاف الذي يقولون عنه إنه العامل الأكبر في

إنضاج التمور ، وبذلك نقص الصادر إلى الهند وأمريكا وتركيا . أما سنة ١٩٠١ فقد كان الموسم موفقاً من حيث المحصول والطلب عليه . وفي سنة ١٩٠٤ كان المحصول قليلا جداً نظراً لندرة سقوط الأمطار عامين متواليين ندرةً لم يسبق لها مثيل في الخمسة عشر عاماً السابقة ، وهبط الصادر تبعاً لذلك .

وفي المواسم السبعة بين سنة ١٨٩٩–١٩٠٠ وسنة ١٩٠٥–١٩٠٦ كان معدل التمور المصدرة من مسقط سنوياً حوالي ٨١,٠٠٠ جنيه استرليني ، والقسم الأكبر منها للهند ، والتفصيل لصادرات هذه السنوات وارد في المذكرة الخاصة والمرفقة في هذا الملحق .

★ ★ ★

عمان المتصالح

انتاج التمور في عمان المتصالح

إذا استثنينا رأس الخيمة وواحة البريمي التي لا تكاد تعتبر من هذا الجزء فان انتاج التمور قليل ، كما أنه لا يتم نضج التمر على طول الساحل لعدم وفرة الماء فيؤكل كما هو . أما في رأس الخيمة فيوجد ٤٢ نوعاً من التمر وفي الخط وهي في نفس المنطقة وفي أم القيوين ٢٢ نوعاً وكذلك في دبي .

من أجود تمور هذه المنطقة ، النوع المعروف باسم اللؤلؤ والخنيزي والقَش رُبَيع بينما أكثرها وفرة هو بو العَدُوج وقَش حَبَش وقش عَفَر . هذا ويوجد في واحة البريمي حوالي ٦٠,٠٠٠ نخلة من المِسْبَلي والفَرْد والخلاص ولكنها ليست في مستوى مثيلها في الشرقية ووادي سمايل في سلطنة عمان .

تجارة التمور في عمان المتصالح

انتاج التمور في عمان المتصالح قليل ولا يمكن ان يفي بحاجات السكان الذين يعملون في صيد اللؤلؤ ، وفي خلال السنوات الست ما بين سنة ١٨٩٩–١٩٠٠ وسنة ١٩٠٤–١٩٠٥ كانت التمور وعصيرها تستورد بمبلغ معدله السنوي يزيد عن ٢٠,٠٠٠ جنيه استرليني معظمها من الموانيء الايرانية ومن العراق التركي .

★ ★ ★

قطر

انتاج التمور وتجارتها في قطر

لا تكاد أحراج النخيل توجد في قطر ، وقد توجد بعض مجموعات من النخيل شبه البري في أماكن قليلة من شبه الجزيرة . وفي قطر تستورد التمور كما هي الحال في عمان لاستهلاك السكان المشتغلين في صيد اللؤلؤ . وأغلب الوارد من الاحساء .

★ ★ ★

البحرين

انتاج التمور في البحرين

يوجد في البحرين حوالي ستين نوعاً من التمور أكثرها المُرْزبان والخنيزي ، ويقدر جملة المحصول السنوي بحوالي ٥,٢٠٠ طن قيمتها حوالي ٣٣,٢٥٥ جنيهاً استرلينياً . أما التمر فهو في جملته من أنواع غير ممتازة .

تجارة التمر في البحرين

أغلب التمور المستوردة في البحرين من الاحساء وهو هناك أكثر مما يصدر منه للهند وكراتشي وكاتياوار ، أي أن انتاجها لا يفي

بحاجات سكانها . وحدث في سنتي ١٩٠٤ و ١٩٠٥ أن المحصول كان أقل من العادي . وفي خلال السنوات السبع من سنة ١٨٨٩–١٩٠٠ إلى سنة ١٩٠٥–١٩٠٦ بلغ معدل قيمة الوارد السنوي من التمور وعصيرها ٣٥,١٨٥ جنيهاً استرلينياً ومعدل الصادر ١٩,٠٠٠ جنيه . والقسم الاكبر من صادراتها هو من التمور المستوردة من الاحساء .

وفي ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٤ كان في البحرين ١٠,٠٠٠ قنطار انجليزي من التمور في انتظار الشحن الى موانئ البحر الاحمر ومصر .

ومن انواع التمور المزروعة في البحرين ما لا يزيد ثمن القلة منه (٣٧ رطلا ونصف) عن روبية ونصف. وأغلبه يباع على شكل تمر مجفف بينما يباع معظم التمر الجيد وهو رطب (طازج) أمَّا الخنيزي فانه يباع على هيئة تمر او رطب وكذلك يُغْلى للتصدير ، والتمر المغلي يطلق عليه غالباً اسم سلوق .

★ ★ ★

سنجق الاحساء

انتاج التمور وتجارتها في الاحساء

يمثل التمر القسم الاكبر من الزراعة والتجارة في سنجق الاحساء فانتاجه السنوي لا يقل معدله عن ٧٥,٠٠٠ طن موزعة كالآتي : ٥١,٠٠٠ طن في واحة الاحساء و ٢٤,٠٠٠ في واحة القطيف . ويعتبر العرب في الخليج تمر واحة الاحساء أجود أنواع تمور العالم ، ويفوق تمور عمان والعراق التركي . وثلثها من نوع الخلاص وهو المفضل ، ونصفها من نوع يسمى الرزيزي . وتمور واحة الاحساء لا تُغلى للتصدير ، ومعظم صادراتها الى البحرين أو بطريق البحرين إلى البحر الاحمر وإلى قطر . أما تمور واحة القطيف فأغلبها يصدر إلى عمان وإيران والأقلية تصدر إلى البحرين أو بطريق البحرين الى الهند ، والكميات المصدرة إلى الهند تُغْلى . وفيسنة ١٩٠٤ كان انتاج الأحساء والقطيف فاخراً وفي سنة ١٩٠٥ كان ممتازاً جداً .

الكويت

انتاج التمور وتجارتها في الكويت

النخيل في الكويت قليل جداً ولا يوجد إلا في القرى المستقرة . ويوجد في الجهرة حوالي ٢٠٠٠ نخلة ، وجميعه يؤكل طازجاً وتستورد الكويت التمور من شط العرب في العراق .

★ ★ ★

نجد

انتاج التمور وتجارتها في نجد

يزدهر النخيل في نجد أو أواسط شبه الجزيرة العربية إزدهاراً كبيراً ولا سيما في نجد الجنوبية حيث الاحراج في وادي حنيفة تشتهر بأحجامها وجودة ثمارها . ونخيل الحوطة دقيق غزير الثمر ، وقد قيل إن نخلة واحدة قد يصل انتاجها في موسم واحد إلى حوالي ١٤,٠٠٠ رطل . وفي الافلاج مزارع مترامية ولكنها ليست عريضة .

وفي القصيم يكثر انتاج التمر ، وفي عنيزة وهي السوق الرئيسية قد يباع ٣٠ رطلا بدولار واحد ، وهناك يصدر المحصول غالباً الى جبل شمر ، وفي السنين التي يرتفع فيها المحصول استثنائياً يصدر الى المدينة .

ويبدو في جبل شمر حيث يكثر النخيل في بعض الاماكن أن المحصول لايكاد يعادل الاستهلاك . وفي وديان جبل أجا وجبل سلامة توجد مزارع نخيل كثيرة يملك البدو معظمها . وفي مرتفع عقدة يوجد حوالي ٧٥,٠٠٠ نخلة ، وفي تيمة يصل ارتفاع النخيل الى ٩٠ قدماً ، ويقال ان عمر بعضها ٢٠٠ سنة ، والانتاج هناك جيد بصفة عامة . وفي

جوف الامير يزرعون حوالي ١٥ صنفاً من بينها (الحلوة) وهو كثير العصير شديد الحلاوة ويوجد أيضاً في تيمة . وفي قَحافة على حدود قصيم نوع أصفر وكبير الحجم يسمى فَنَنْخة وهو أجود الانواع هناك .

* * *

العراق التركي

انتاج التمور في العراق التركي

التمر من أهم حاصلات العراق وهو يزرع غالباً على ضفاف شط العرب ، أعلى وأسفل البصرة ، وفي منطقة تمتد من الفرات إلى أسفل بلدة الحلّة بمسافة ٣٠ ميلا ، وفي جوار كربلاء والنجف وحول بغداد . وأحزمة النخيل على ضفتي شط العرب ذات عمق من نصف ميل الى ميلين ويقدر عدد نخيلها بنحو ١,٩٠٠,٠٠٠ على كلا الضفتين وبالجزر الواقعة بين البصرة والمحمرة ٢٥٠,٠٠٠ شجرة على الضفة اليمنى أسفل المحمرة . وفي قضاء الحِلّة حوالي ٣٣٠,٠٠٠ نخلة . وفي قضاء كربلاء حوالي ٧٥٠,٤٠٠ منها حوالي ٥٠,٠٠٠ في واحة شفادة . وفي لواء النجف حوالي ٢٥٠,٠٠٠ منها حوالي ١٧٠,٠٠٠ في الكوفة فضلاً عن ضفاف شط المندية .

ومعظم صادرات التمر العراقي من منطقة البصرة ، وأجودها المعروف باسم حلاوى ، وخضراوي ، وباقي الأصناف المختلفة الأخرى ويبلغ عددها حوالي أربعين تدخل تحت اسم سائر . والتمور التي تصدر من منطقة بغداد أغلبها من نوعي زَهْدِي وكُرْسي .

تجارة التمور في العراق التركي

التمور هي أهم صادرات العراق التركي وتشحن جميعها من ميناء البصرة وأغلبها من منطقة البصرة . وهي تصدر داخل صناديق إلى انجلترا وأمريكا وبعضها من نوعي الزهدي والكرسي المزروعة في منطقة

بغداد وهي تعبأ في جلود وترسل حالياً الى مصر والشرق الادنى وموانئ البحر الأسود .

تاريخ تجارة التمور في العراق التركي من ١٨٨٧ — ١٩٠٦

كان محصول تمور البصرة سنة ١٨٨٧ يقدر بحوالي ٦٠,٠٠٠ طن صُدر منها حوالي ٤٤,٠٠٠ طن منها ٢٠,٠٠٠ بالبواخر إلى لندن لانجلترا وامريكا و ٢٤,٠٠٠ طن بالسفن المحلية الى الجزيرة العربية وايران والهند . وكانت التمور من نوع حلاوى هي المفضلة في اوروبه وامبركا في هذا الوقت وكان الزهدي يلقى رواجاً في الهند .

ثم فرض حظر على تصدير تمور بغداد استمر عدة سنوات ثم رفع في سنة ١٨٨٨ حيث صدر منها ٣٠,٠٠٠ جلد الى لندن بواسطة ثلاثة او أربعة تجار كانوا يسيطرون على التجارة . وفي ١٨٨٩ كانت كمية التمور المصدرة من البصرة أكبر من أية سنة سابقة وكانت اسعارها مرتفعة مما حدا بعض التجار المحليين الى المضاربة عن طريق تعبئة تمور غير ناضجة فأصابها التلف . وبذلك بدأت التجارة تنتقل الى أيدي الاوروبيين أكثر من ذي قبل . ونظراً لزيادة الطلب بدأ الناس في زراعة أحراج جديدة لمواجهة الزيادة .

وفي سنة ١٨٩١ كان محصول التمور في العراق ممتازاً ، وفي سنة ١٨٩٢ قيل إن محصول التمر في منطقة البصرة ازداد خمسة أضعاف خلال الاثني عشرة سنة الاخيرة ، وفي حين ان الصادر قبل ١٢ سنة كان يوضع في سلال ليرسل الى انجلترا فانه في الوقت الحاضر يعبأ في صناديق لإرساله الى اوروبا وأمريكا والباقي في جلود (قِرَب) . وقد أخذ مكان الصدارة في الهند وافريقيا والبحر الاحمر إلا أن الطلب عليه في اوروبا كان قليلا .

وفي اوائل موسم سنة ١٨٩٣ ساد الشك فيما اذا كانت الحكومة الامريكية تسمح باستيراد تمور من الخليج نظراً لوباء الكوليرا . وكان

الموسم السابق في البصرة ناجحاً ، وأعد المصدرون مقادير كبيرة داخل صناديق مما شجع المزارعين على طلب أسعار عالية ، ولكن بعد تعبئة الصناديق وجدت كميات كثيرة باقية عند المنتجين فاضطروا الى تخفيض أسعارهم ، وتم تصدير كميات هائلة معبأة في سلال . ولم يكن محصول التمر خلال هذه السنة كبيراً في منطقة بغداد ولكنه كان جيداً جودةً لم تعرف في السابق . وقد تمت إجراءات تصدير أول المحصول بيسر وسهولة.

وفي سنة ١٨٩٤ كان محصول البصرة وما جاورها غزيراً ، واستفاد كثير من الذين أحسنوا استغلال الموقف ، أما الذين تأخروا في البيع الى آخر الموسم فقد خسروا اذ هبطت الأسعار بمعدل ٢٥ بالمئة في الاسواق الاوروبية . وقد نشأ هذا الهبوط عن فرض الحكومة الفرنسية ضرائب جديدة على أصناف التمور التي كانت تورد في ذلك الحين الى مرسيليا والهافر للتقطير ، وكان هناك عامل آخر لهبوط السعر وهو زيادة ضريبة الاستيراد على التمور الطازجة في امريكا . ولكن مع انخفاض الاسعار في لندن نشط الطلب عليها في ميدلاند ولانكاشير ، رغم أن الشحنات كانت في بعض الحالات تحول وتباع بأسعار لا تكاد تغطي تكاليف الشحن والرسوم .

وكان المحصول سنة ١٨٩٤ في بغداد وافراً كما هو في البصرة . وفي شهري سبتمبر واكتوبر صدرت كميات هائلة أغلبها الى سوريا وكانت الأسعار أقل ٢٠ بالمئة عن العام السابق . وفي نوفمبر سقطت الأمطار الشتوية في بغداد مبكراً على غير العادة فأضرت بالمحصول ضرراً شديداً فاسودت الثمار وصارت غير صالحة للبيع .

أما في سنة ١٨٩٥ فقد كان محصول التمور أقل من المعدل العادي إلا أن الطلب كان عالياً في اوروبه ، ولكن مصدري البصرة اتفقوا على التقليل من الكميات المعبئة مما جعلهم يحصلون على ارباح افضل مما حصل

عليه المزارعون الذين طلبوا اسعاراً عالية في بداية الامر . وقد بدأت سوق التمر في هذا الموسم في لندن قليلة النشاط ، إلا أنها نشطت تدريجياً وحقق مصدرو البصرة ارباحاً حسنة . أما في بغداد فقد كان المحصول في سنة ١٨٩٥ يعادل ثلث المعدل اذ ازدهر النخيل مبكراً عن موعده وكان السعر المحلي ٩ جنيهات استرلينية لكل طغار (٤١٢٥ رطلا) مقابل ٧ جنيهات في السنة السابقة .

وفي سنة ١٨٩٦ أصيب محصول منطقة البصرة باضرار بالغة نتيجة فيضانات متواصلة من شط العرب مضافاً اليها موجة حر شديدة وهبوب ريح جنوبية شرقية استمرت من منتصف أغسطس الى منتصف سبتمبر مما أدى الى ذبول كميات هائلة من الثمار غير الناضجة وسقوطها وكانت النتيجة ان تضاءل المحصول تضاؤلاً كبيراً كما تأثرت نوعيته كثيراً ، ونتيجة لاستيراد كميات كبيرة من الصناديق في وقت سابق تدافع التجار للشراء ، فارتفعت الاسعار بسرعة في البصرة ، الا أنه نظراً لتضامن وكلاء البيع في أسواق لندن وامريكا فقد تجمدت الاسعار ، وبعد جهود مضنية استطاع المصدرون في البصرة الحصول على اسعار مجزية . أما محصول بغداد سنة ١٨٩٦ فقد كان متوسطاً وصدرت كميات الى يافا وبيروت وأزمير والقسطنطينية بأسعار جيدة ، أما الصادرات الى انجلترا فقد نشأت عنها خسارة .

وبلغ مجموع صادرات البصرة في تلك السنة ٦٠٠,٠٠٠ صندوق منها ٤٩٠,٠٠٠ شحنت الى لندن و ٥٣,٠٠٠ رأساً إلى نيويورك و ٥٧,٤٠٠ الى بومباي وموانىء البحر الابيض المتوسط .

وفي سنة ١٨٩٧ ازداد تصدير التمور من البصرة عن المعتاد سنوياً وكان ذلك لزيادة عدد المصدرين المحليين الذين منحتهم بعض المؤسسات البريطانية التمويل وبعض التسهيلات وكان المعتقد أن هذا الإجراء غير حكيم ، وازدحمت سوق لندن بكميات كبيرة وارتفعت الاسعار التي يشتري بها المصدرون من الزراع .

أما في بغداد فقد كان المحصول من التمور سنة ١٨٩٧ أكبر من المعتاد سنوياً بينما كانت الحبوب قليلة قلة منعت تصدير التمر بناء على تعليمات السلطات التركية .

وفي سنة ١٨٩٨ كان محصول البصرة قليلا وطلب الزارعون أسعاراً مرتفعة باتفاق فيما بينهم ، واذا قام نزاع بين طائفتي الزراع والتجار فان التجار هم الخاسرون دائماً ، وذلك لأنهم عادة يدفعون مبالغ طائلة في استيراد الصناديق ويرتبطون مقدماً بمسائل الشحن ، وعليهم إما أن ينفذوا الاتفاق بتنفيذ الشحن أو دفع نفقات الوزن المتفق عليه . وفي نهاية الموسم نظراً لقلة التين في أزمير زاد الطلب على التمور فلم يكن هناك مجال أمام المصدرين للربح . وكان سعر تمر الحلاوي في لندن ١٤ شلناً و ٦ بنسات فيما كان سعر البيع ١٥ شلناً .

وكان محصول منطقة بغداد متوسطاً في سنة ١٨٩٨ ومع ذلك فقد استمر حظر التصدير الذي فرضته السلطات التركية في العام السابق نظراً لاستمرار النقص في الحبوب .

وفي هذه السنة صدر من البصرة ٥٠٠,٠٠٠ صندوق من ذات وزن النصف قنطار انجليزي منها ٦٥,٠٠٤ صدرت رأساً الى نيويورك و ٧٠,٠٠٠ الى بور سعيد لارسالها الى موانىء البحر الابيض المتوسط .

لقد ذكرنا قبلا ان فيضانات سنة ١٨٩٦ سببت خسائر جسيمة لمحصول التمور في العراق الأسفل وأن محصول سنتي ١٨٩٧ و ١٨٩٨ كان قليلا نسبياً ، أما في سنة ١٨٩٩ فقد عاد المحصول الى مقداره الطبيعي المعتاد ، وتم التعاقد على بيع مقادير كبيرة في لندن قبل نضج المحصول بأسعار مجزية استفاد منها المصدرون اذ كان مشتراهم من الزارعين بأسعار منخفضة ، واستمر تصدير تمور موسم سنة ١٨٩٩ حتى شهري يناير وفبراير سنة ١٩٠٠ مما زاد في عائدات تلك السنة . هذا وقد كان الأقبال في الهند على التمور شديداً نظراً للمجاعة مما يسر للزارعين تصدير المقادير

الفائضة داخل سلال . وفي هذا الموسم كان محصول بغداد حسناً فأمكن تصدير بعض كمياته ضمن صادرات البصرة .

وفي سنة ١٩٠٠ اتفق المصدرون نتيجة للنتائج المشجعة في السنة السابقة على كميات كبيرة الا أن نوع المحصول كان رديئاً نظراً لرياح باردة جافة هبّت في الصيف مما جفّف الثمار على النخيل . واتفق الزارعون فيما بينهم على رفع الاسعار . وكانت السوق الاوروبية في في هبوط ، فخسر المصدرون كثيراً مع ان الصادر ازداد عن المعدل بحوالي ٦,٠٠٠ طن ، ورسبت في سوق المملكة المتحدة كميات كثيرة غير صالحة للبيع .

وفي منطقة البصرة يلاحظ دائماً أن المحصول في أول الموسم يبشر بالخير والوفرة الا أنه في كثير من الاحوال تخيب فيه الآمال مع أنه لا يعتمد على سقوط الامطار . وقد كانت سنة ١٩٠١ نموذجاً من هذه الاحوال فقد تلف المحصول الوفير بسبب رياح حارة جافة هبت وقت نضج الثمار لذلك لم يكن المحصول على المستوى العادي كمية ونوعاً ولأول مرة يعتبر التمر الحلوي على درجتين. ومع ذلك ، فقد كان هذا الموسم اوفر ربحاً للتجار من موسم سنة ١٩٠٠ إذ رغم أنهم لم يحققوا ارباحاً طائلة الا أنه لم تحدث لهم خسائر ، بل حصل الذين احتفظوا بمحصولهم زمناً ما على أسعار حسنة . وقد أبحرت باخرتان بالتمور الى امريكا بدلا من واحدة كالمعتاد ونقلت باخرة روسية المحصول الى مواني الشرق الانى بعد ان كان المعتاد شحنه الى بور سعيد . وقد شمل الصادر قسماً من محصول سنة ١٩٠٠ في سلال .

وكان المحصول في منطقة بغداد جيداً ووافراً ورغم الاحتفاظ بكميات كبيرة للطبقات الفقيرة التي تقتات بالتمر بدل الحبوب فقد صدرت كميات هائلة الى مصر وسوريا وكان معدل الاسعار بين ٨ و ٩ جنيهات استرلينية للطغار .

وكان محصول التمر في البصرة سنة ١٩٠٢ متوسطاً ولكن الموسم كان غير موفق بالنسبة للمصدرين . وقد كان هناك ارتباط مقدماً لبيع كميات هائلة في لندن من الحلاوي والخضراوي . ورغم كثرة أنواع الساير فقد كان هناك عجز في الصنفين المذكورين واتفق الزارعون على رفع الاسعار فخسر كثير من المصدرين بخسائر فادحة .

وفي السنة نفسها كان محصول منطقة بغداد أقل من المتوسط بقليل ، ونظراً لحظر التصدير فقد توقف الى حد كبير ارسال الكميات المعتادة الى مصر وسوريا ، وتم تهريب كمية الى الخارج من الحيلة بطريق نهر الفرات .

وفي سنة ١٩٠٣ كان محصول منطقة البصرة جيداً من حيث الكمية وجودة الصنف في كل من الحلاوي والساير ، أما الخضراوي فكان قليلا ورديئاً . ونظراً لاتفاق الزراع فقد كانت الاسعار المحلية مرتفعة بالنسبة للاسعار المخفضة للمبيعات التي تمت عن طريق المضاربة في لندن . وقد خسر التجار الذين عقدوا صفقات بيع مقدماً . وكان سوق لندن مستمراً في الهبوط وأخيراً أصبحت التمور سلعة بائرة في انجلترا .

وكان محصول منطقة بغداد متوسطاً في الكمية ورديئاً في النوع واشتد الطلب في مصر وسوريا على الكرسي وكذلك في القسطنطينية ، وصدرت كميات كبيرة كان سعر شرائها يتراوح بين ٧ ½ - ٩ ½ جنيها استرلينياً للطغار .

وفي سنة ١٩٠٤ نقص محصول منطقة البصرة كثيراً عن محصول سنة ١٩٠٣ نظراً لرياح شديدة شمالية غربية هبت طوال الصيف فسببت جفاف البلح ونقص وزنه . وانسحب كثير من التجار من التعامل في التمور نظراً لسوء الحظ الذي صادفهم في السنة السابقة . وتكرر الوضع في سنة ١٩٠٤ اذ لم يستطع الا القليل من المصدرين تحقيق أي ربح في سوق لندن في الوقت الذي خسر عدد منهم كثيراً لانخفاض السعر في

أمريكا بالنسبة لاسعار الشراء المرتفعة في البصرة . وتقدر الكميات الصادرة الى امريكا بحوالي ٦٠٠٠ طن أي مثل العام السابق ، وارسل التجار المحليون ١٠٠٠ طن إلى روسيا للتجربة فكانت تجربة ناجحة .

وفي منطقة بغداد كان انتاج الزهدي والكرسي متوسطاً في الكمية وغير جيد النوع . ونظراً لمنع الاستيراد في موانئ الشرق الادنى بمناسبة انتشار الكوليرا في الخليج فقد تأثرت التجارة كثيراً .

وفي اوائل سنة ١٩٠٥ كانت الاحوال الجوية وحالة النهر ومظهر الاشجار تنبئ بمحصول وافر غير عادي في منطقة البصرة الا أن هذه النبوءة لم تصدق إلا في أنواع الساثر ، أما الحلاوي والخضراوي فقد كان محصولهما جيد النوع وقليل الكمية . وعقدت صفقات بيع مقدماً بين التجار الوطنيين وأسواق لندن وأوروبا بأثمان منخفضة ، الا أن ارسال كميات كثيرة الى امريكا ، لم تكن في الحسبان من قبل ، ساعد على رفع الثمن محلياً . وقد حافظ الثمن على ارتفاعه نتيجة للنقص في المحصول ، وكانت النتيجة أن أصبحت تجارة التمور غير مربحة وخسر المصدرون خسائر جسيمة . وكان من الظواهر الجديدة في تلك السنة تصدير كميات كبيرة من الحلاوي والخضراوي الى مصر وتونس ووهران حيث بدأت أسواق جديدة تفتح ابوابها لهذا النوع . أما معظم الصادرات الى الهند فكانت كالمعتاد من نوع الساير. وقد ارسلت أكبر الشحنات الى بومباي في شهري أكتوبر ونوفمبر فغمرت السوق وزادت عن حد الطلب وبدأت التجارة تميل الى الهبوط . وقد احتفظت السوق المحلية بكميات كبيرة من التمر المكبوس في السلال انتظاراً للتصدير بأسعار مناسبة .

وفي ذلك الموسم بدأت سوق البصرة بالأسعار الآتية :

الحلاوي : ٢٦٠ شامي (٢–١٣–١٦ ج. ك)
لكل ٤٠ مناً (المن ١٤٣ رطلا)
أي بسعر الطن ٧ ج. ك

الخضراوي : ٢٣٠ شامي لكل ٤٠ مناً
الساير   : ١٦٠ شامي لكل ٤٠ مناً
وارتفعت أسعار الساير في نهاية شهر اكتوبر الى ١٧٥ شامي .

أما محصول منطقة بغداد فقد كان وافراً جداً في تلك السنة وبيع التمر الزهدي ـ/٨٪ شلنات لكل ٢٢٠ رطلا ، وبيع الكرسي بسعر ٦ـ١١ـ٧ ج. ك الى ٤ـ٨ـ٨ للطغار .

وتجد إحصائيات صادرات البصرة في الفترة الواقعة بين سنتي ١٨٩٩ـ١٩٠٠ و ١٩٠٥ـ١٩٠٦ في مذكرة ضمن هذا الملحق

ومن المعتاد ان يعقد اجتماع يضم الزارعين والمصدرين في اوائل سبتمبر من كل سنة لتحديد أسعار التمور في الموسم ، وكان يعقد أحياناً في أبو الخصيب وهي مركز عظيم النشاط مدة الموسم .

⋆ ⋆ ⋆

عربستان

زراعة التمور وتجارتها في عربستان

أكثر ما تزرع التمور للتصدير في مقاطعة عربستان ، في منطقة المحمّرة وبدرجة أقل في منطقة الفلاحية . أما في المناطق الاخرى من عربستان فإن الكميات المعدة للتصدير تكاد لا تذكر .

وكان الانتاج في منطقة المحمرة جميعها بما في ذلك شواطئ بَهْمانْشير قليلا اذ بلغ حوالي ٥٣١٠ أطنان .

وأجود أنواع التمور في عربستان هو المعروف باسم قَنْطار وهو غني بالعصير ولكنه لا يصدر ، والخضراوي في هذه المنطقة هو أحسن الانواع المصدرة إلى اوروبا ، ولا يعتبر الاهالي الملاوي كثيراً ولكنه يلي الخضراوي في التصدير ، ثم سَعْمَران وهو يرسل لاوروبا ، ثم

الساير (مختلف الأنواع) ويرسل إلى الهند وإلى بلاد أخرى في الخارج ثم الديْري وهو قليل العصير ويجف كثيراً ، ثم البريم وهو يُغْلى ويجفّف ثم الزهدي وهو محصول النخيل المتزرع (بالبذرة) وهو أردأ الأنواع إلا أنه مطلوب لصناعة الكحول والخل .

تاريخ تجارة تمور عربستان ١٨٩٢ ـ ١٩٠٥

نعرض الآن بايجاز تجارة التمور في المحمرة منذ سنة ١٨٩٢ :

كان محصول سنة ١٨٩٣ أحسن منه في سنة ١٨٩٢ وفي أوائل الموسم كان السعر ـــ,٥ شلنات لكل ١٦٠ رطلا ، ونظراً لتشبّع سوق بومباي فقد هبط السعر الى ـــ,٣ شلنات و ٦ بنسات .

وفي سنة ١٨٩٤ كان المحصول في مستوى سنة ١٨٩٣ كمية ونوعاً وكان الطلب في سوق بومباي قليلا فهبط السعر الى شلنين لكل ١٦٠ رطلا .

أما في سنة ١٨٩٥ فقد كان الانتاج أقل من المعدل وكان السعر ٣ شلنات و ٩ بنسات لكل ١٦٠ رطلا . ثم تضاءل المحصول سنة ١٨٩٦ نتيجة لفيضانات حصلت في الربيع وارتفعت الأسعار الى ٥ شلنات و ١٠ بنسات وحتى الى ٧ شلنات و ١٠ بنسات لكل ١٦٠ رطلا . وفي سنة ١٨٩٧ كان المحصول قليلا أيضاً ووقفت الأسعار عند ٣ـ٤ روبية للقنطار الانجليزي .

وفي سنة ١٨٩٨ كان الربيع بارداً فاتلف أغلب المحصول وازداد الطلب ابتداء من شهر ابريل وارتفع السعر اول الامر إلى ٧ روبيات ونصف و ٩ روبيات ونصف للقنطار الانجليزي تبعاً لجودة الصنف . وبعد تعبئة التمور لارسالها للاسواق الاوروبية هبط السعر إلى ـــ,٥ روبيات و ٩ـ٦ روبيات للقنطار . وفي سنة ١٨٩٩ زاد المحصول زيادة غير عادية وانخفضت الأسعار تبعاً لذلك متراوحة بين ٧ / ١٢ قران لكل ١٤٥ رطلا . وفي تلك السنة بالاضافة الى الصادرات التي

قدرت قيمتها بمبلغ ٤٣٣٨ ج. ك حسب البيانات الموضحة في المذكرة رقم ١ ، فقد صدر حوالي ٦٠٠٠ طن من التمور من المحمرة على سفن غير هندية ولكن معظمها الى الهند .

ثم نقص المحصول سنة ١٩٠٠ عما كان عليه سنة ١٨٩٩ ولكنه ظل فوق المعدل . وكان الصيف جافاً والثمار قليلة العصير . أما السعر فكان حوالي ٥ شلنات و ٨ بنسات لكل قنطار ونصف القنطار . وفي هذه السنة شحنت كميات أكثر من كل عام على سفن شراعية عربية إلى موانئ البحر الاحمر .

وفي سنة ١٩٠١ كانت بشائر المحصول في المحمرة جيدة إلا أن قسماً منه تلف نتيجة رياح حارة محملة بالغبار ، وكان السعر السائد إلى أن تمت تعبئة الصناديق المرسلة إلى السوق الاوروبية هو ٣ شلنات و ١٠ بنسات لكل قنطار ونصف انجليزي ، ولكنه ارتفع أخيراً إلى ٦ شلنات و ٣ بنسات بعد وصول عدة مراكب ساحلية بأعداد وفيرة لشراء المحصول . وفي سنة ١٩٠٢ كانت الحال مثل السنة السابقة ، وتلف أيضاً قسم من المحصول للسبب نفسه ، وتراوح السعر بين ٤ شلنات و ٦ شلنات و ٤ بنسات لكل قنطار ونصف . أما محصول سنة ١٩٠٣ فكان في مجموعه جيداً إلا أنه تأثر نوعاً ما لازدياد الرطوبة في شهر يوليو .

وكان محصول سنة ١٩٠٤ أقل من المعتاد نتيجة الزوابع الترابية . وكان معدل السعر ـــ٤ شلنات لكل قنطار ونصف ، وكان إقبال الاسواق الاوروبية والامريكية قليلا بالنسبة لهذا السعر ، أما سوق الهند فقد ظلت مفتوحة أمام المحصول .

وفي سنة ١٩٠٥ كان المحصول كبيراً ولكن النوع كان رديئاً جداً وكانت الأسعار مثل أسعار سنة ١٩٠٤ .

وفي مذكرة ملحقة بهذا اللحق تجد قيمة صادرات تمور المحمرة ما بين سنتي ١٨٩٩ ـــ ١٩٠٠ و ١٩٠٥ ـــ ١٩٠٦ .

الساحل الايراني

زراعة التمور وتجارتها في محافظات الساحل الايراني

في المحافظات المجاورة لمدينة بوشهر وبالأخص في شبه جزيرة بوشهر وفي داشتستان وداشتي نجد أن التمور بصفة عامة لا تنضج نضجاً جيداً . ويوجد منها حوالي ٥٠ نوعاً . ويعتبر الحلاوي والخضراوي أحسن هذه الانواع كما هي الحال في البصرة . والنوع الوحيد الذي يصدر هو المعروف باسم قَسْب زاهدي ويعبأ في سلال ويصدر إلى الهند بمعدل ١٠,٠٠٠ أو ١٥,٠٠٠ سلة سنوياً .

ونظراً لاستبداد حكام هذه المحافظات (الخانات) فقد هاجر كثير من زارعي التمور في منطقة بوشهر الى فاو وقَصْبة في جزيرة عبدان والبحرين ومناطق أخرى .

وفي محافظتي شيبكوه ولنجه يوجد حوالي ٤٠ نوعاً من التمر أجودها القَنْطاري والبَرْحي والخلاص والخضراوي والشاهوني والخنيزي والخصاب والمُرْداسَنْك والحلاو . ويبلغ عدد أشجار النخيل بكافة أنواعه في مقاطعة لنجة ١٨٠,٠٠٠ نخلة . وفيما عدا الأصناف المذكورة آنفاً وصنفين آخرين هما مَسْلي وزامَرْدي فإن باقي أنواع التمور تنتج بكميات قليلة وتؤكل طازجة ، أما المَسْلي والزامَرْدي فلهما محصول وافر جداً يجري تصديره . ولون المَسْلي داكن وهو أصغر حجماً من الزامردي ومع ذلك فهو أغلى في الثمن . أما الزامردي فلونه أصفر ولا يدوم طويلا بحالة جيدة ، والثمن المحلي العادي لسلة المَسلي ذات ٨ منّات لنجاويّه أي حوالي ٧٢ رطلا هو روبيتان ونظيرها من الزامردي بين ‎-/١/٨‎ روبية الى ‎-/١/١٠‎ روبية وقد تزيد او تنقص . وفي ميناء لنجة يتراوح الموجود سنوياً من الصنفين بين ٥٠٠٠ و ٦٠٠٠ سلة تبعاً لحالة المطر . ويقال ان التمور المزروعة في داخلية البلاد تفوق في أنواعها تلك المزروعة عند الساحل .

أما في بندر عباس ومحافظتي شامل وميناب فان أجود الانواع هي الحليلي والمُرْداسَنْج وهما أيضاً أوفر الأنواع محصولا . أما الزرجْ وهو متوسط الجودة فهو منتشر في هذه المقاطعات الثلاث . والسّهْرِدَنْج أيضاً متوسط الجودة ويلي الصنفين الاولين (الحليلي والمرداسنج) .

ويوجد أيضاً في بندر عباس وميناب نوع الخنيزي (من البحرين) والزهري وهما من الاصناف الجيدة . ويبلغ عدد الأصناف الموجودة في بندر عباس ١٦ ، وفي شامل ١٨ ، وفي ميناب ١٦ ، يدخل فيها الأصناف التي ذكرناها من قبل . وبعض هذه الأصناف مجلوب من الخارج —لا سيما في ميناب— من عمان والبحرين والبصرة .

★ ★ ★

التجارة مع الهند في تمور الخليج

استيراد التمور في الهند

بلغ ما نقلته السكة الحديدية الشمالية الغربية من كراتشي الى لاهور وأمْرِستار وأمْبالا وبيشاور في سنة ١٩٠٢ من التمور اللينة ١٠٣٥ كيساً ، و ٨٠٢ كيساً في سنة ١٩٠٣ ، ويحتمل أن تكون الكميات جميعها من الخليج . وكانت النقليات بالسكة الحديدية تتم في شهور نوفمبر وديسمبر ويناير . وكان كل من المصدرين والمرسل اليهم تقريباً من الهندوس .

★ ★ ★

مذكرة ملحقة

احصاءات صادرات التمور من موانىء الخليج

يبيّن الجدول التالي بالجنيه الاسترليني قيمة التمور التي أمكن التأكد من تصديرها من موانئ الخليج إلى الخارج في السنوات الأخيرة . أما الصادرات التي أرسلت للبلاد الأجنبية من جهات أخرى في الخليج غير الواردة بهذا الجدول فيعتقد أنها ليست ذات قيمة :

السنوات	١٨٩٩–١٩٠٠	١٩٠٠–١٩٠١	١٩٠١–١٩٠٢	١٩٠٢–١٩٠٣	١٩٠٣–١٩٠٤	١٩٠٤–١٩٠٥	١٩٠٥–١٩٠٦	المعدل في هذه السنوات
	ج. ك	ج. ك	ج. ك	ج. ك	ج. ك	ج. ك	ج. ك	ج. ك
مسقط	٥٢,٥١٧	٦٧,٣٥٠	٧٨,٩٠٩	١٠٣,٢٠٧	٩٨,٩١٣	٧٣,٥١٧	٩٢,٥٠٠	٨٠,٩٨٨
البحرين[1]	١٠,٥٥٣	١٥,٥٨٣	١٣,٧١٦	١٩,٩٩١	٢٣,٢٧٤	٢٣,٧٠١	٢٥,٨٥٣	١٨,٩٥٣
البصرة	٢٩٥,٢٣٣	٣٨٠,٩٧٣	٣٢٧,٤٥١	٢٨٩,٢١٥	٣٥٩,٢٢٨	٣١٢,٧٦٧	٣٤٥,١٨٤	٣٣٠,٠٠٧
المحمرة[2]	٤,٣٣٨	١٣,١٥٧	١٨,١٧٩	١٦,٤٤١	١٤,٠٠٠	١٦,٠٠٠	١٧,٠٠٠	١٤,١٥٩
بوشهر	٥,١٧٢	٣,١٥١	—	٦٤٦	٤٧٦	١,٥١٤	٣٤٠	١,٨٨٣
لنجه	٦,٦٦٥	٨,٠٠٠	٣,٢٦٧	٥,٢٥٠	١,٨٦٧	٦٥٢	٨٣٢	٣,٧٩٠
بندرعباس	٢١,٩٠٠	٢,٠٠٥	٦٧٢	٤١٢	١,٠٠٩	٢,٨٤٩	٣,٩٥٥	٢,١٨٧
المجموع	٣٩٦,٣٧٨	٤٩٠,٢١٩	٤٤٢,١٩٤	٤٣٥,١٦٢	٤٩٨,٧٦٧	٤٣١,٠٠٠	٤٨٥,٦٦٤	

(١) قيمة صادرات البحرين تشمل التمور وشراب (عصير) التمر .

(٢) إحصاءات المحمرة لغاية سنة ١٩٠١ – ١٩٠٢ تشمل فقط الصادرات بالسفن البخارية والسفن الشراعية الهندية – أما من سنة ١٩٠٢ – ١٩٠٣ وما بعدها فهي تشمل أيضاً مشحونات السفن العربية للهند وليس إلى البلاد الأخرى . وفي سنة ١٩٠٢ – ١٩٠٣ بلغ المنقول على السفن العمانية إلى بلاد على الساحل العربي ٩٠٠ طن . والأرقام الموضحة لا يمكن الاعتماد عليها نهائياً ولكنها تشمل ما أمكن الحصول عليه من التقديرات .

ملحق هـ

مصايد الاسماك في الخليج

لقد قام الملازم ماك ايفور بدراسة هذا الموضوع تفصيلياً في مذكرة ضمن تقريره لسنة ١٨٨٠–١٨٨١ لادارة المقيم السياسي في الخليج ، ولا يلزم إلا اضافة بيانات قليلة اليها بهذه المناسبة . وبعض المراجع الخاصة بالمعلومات موضحة في الحاشية رقم (١) الخاصة بعنوان هذا الملحق .

وفيما يلي بعض المعلومات الاضافية عن السمك البحري في خليج عُمان .

---

(١) أهم مرجع عن مصايد أسماك الخليج هو المذكرة التى كتبها الملازم أول ماك ايفور مساعد المقيم السياسي ، بعنوان « مذكرات عن صيد السمك البحري في الخليج » وهى ضمن تقرير ادارة المقيم السياسى في الخليج عن سنة ١٨٨٠/٨١ من ص ٤٤ الى ص ٦٧ وهى تشمل جميع خلجان ايران وعمان وبها تفصيلات وافية عن شؤون الصيد ومواسمه وأنواع السفن التى يستعملها الصيادون ووسائل وأدوات الصيد وأنواع السمك وعدد السفن والرجال المشتغلين في الصيد وبيان تقديرى عن السمك المستخرج سنويا ـ كما توجد بعض تفصيلات عن مصايد عمان في مذكرة الرئيس س٠ب٠ مايلز ضمن تقرير ادارة الخليج عن سنة ١٨٧٦/٧٧ ص ٨١ ـ وهناك معلومات جديدة عن المصايد البحرية وتجارة السمك وغير ذلك في المذكرات الآتية في القسم الجغرافى من هذا الدليل : « خليج ومدينة الكويت » ص ١٠٥٢/٥٣ ، « هانجام » ص ٦٣١ و « ساحل مكران الايرانية » ص ١٣٨ ٠

أما المصايد النهرية فتجدها في « العراق التركي » ص ٧٦٥ و « عربستان » ص ١٢٧ ـ كما تجد بيانات عن أسماك الماء الحلو في العراق في كتاب كوينت « تركيا الآسيوية » سنة ١٨٩٤ الجزء الثالث ص ٨٥ ـ ٥٩ ٠

الاسماك والكائنات البحرية عند الساحل العربي في خليج عمان

الاسماك العادية

أشهر أنواع الأسماك في خليج عمان حسب تسمية العرب هي :

رقم	الاسم	اللون	الطول العادي بالبوصة	ملاحظات
١	عيفة	أخضر	٤٤	صالح للأكل
٢	عَنْدَق	مائل للحمرة	١٥	»
٣	عَقام	أبيض	٢٧	»
٤	با عيل	أخضر داكن	٤٢	»
٥	بياح	أبيض	١٤	»
٦	بلاليط	أخضر داكن	٥	لا يؤكل
٧	بقر البحر	أصفر	٩	يؤكل
٨	بَقْسَمْ أبوسيلاً		٩	»
٩	بَرْعَجَم	أبيض أو أصفر	١٢	»
١٠	باريش	أحمر أو أصفر	٦	»
١١	بَرِيَه	رمادي	٢	سمك صغير أبيض يجفف لإطعام الحيوانات ويعرف في جهات أخرى باسم مَتُوت
١٢	تَشِنْشُولا	أحمر	١٠	يؤكل
١٣	دَكَسْ	أصفر	٢٧	»
١٤	دَرِبجة	أخضر داكن	١٢	»
١٥	ضَلْعَة	أبيض	٩	»

رقم	الاسم	اللون	الطول العادي بالبوصة	ملاحظات
١٦	ضوّا	أسود	١٠	»
١٧	ديك البحر	أحمر	٩	»
١٨	فراو قِشْران	أخضر داكن		»
١٩	غالية	أصفر	١٠	»
٢٠	غُرابيّة	رمادي	١٢	يؤكل
٢١	غَسيِشْة	رمادي	٤	»
٢٢	غَزْوان	أحمر	٦	»
٢٣	غزال	أسود	٢٧	»
٢٤	حادي	رمادي	٥	»
٢٥	حلاوة البحر	»	٩	»
٢٦	حَلْوايرة	أصفر	٧	»
٢٧	حمام	أ	٣٦	»
٢٨	حَمْرية		٢٧	»
٢٩	هامور	أخضر داكن	٤٧	يؤكل وهو قريب من السبيتي رقم ٨٧ وله جلد شائك
٣٠	حفيبه	أبيض	٢٧	يؤكل
٣١	حَرُوش	أبيض	٨	»
٣٢	حطام	أبيض	١٥	يؤكل
٣٣	حَبْسة	أصفر	٢٧	»
٣٤	جَدَلْ	أصفر	٨	»
٣٥	جَدَر	أخضر داكن	٨٠	»

رقم	الاسم	اللون	الطول العادي بالبوصة	ملاحظات
٣٦	جَبَنْدَر	أبيض	٦٤	يملح للاستهلاك المحلي في مسقط ويفضله العمانيون حتى على الكنعد(٤٤) الذي يصدرونه
٣٧	جَلُو	أبيض	٢٧	لا يؤكل
٣٨	جَنَم	أسود أو أبيض	١٠	يؤكل
٣٩	جَرْجُومة	أسود	٥	لا يؤكل
٤٠	جراد البحر	أخضر	٩	سمك يطير — يؤكل
٤١	جُولان	أصفر	٣٦	يؤكل
٤٢	كَعْت	أصفر	١٠	»
٤٣	كَفْتار	أصفر	٢٤	»
٤٤	كَنْعَد	أسود أو أبيض	٦٠	ويسمى السلمون الهندي ومتوفر جداً في خلجان عمان وإيران ويملح ويصدّر إلى موريشيوس وبوربون والهند .
٤٥	كَرْ	أبيض	٢٠	يؤكل
٤٦	كار كبير	أسود	٦	»
٤٧	كَرْدُوس	أسود	٨	»
٤٨	كَاسْتَرْمِلاَ	يميل للحمرة	٨	»
٤٩	خيّاط	أبيض	٢٠	»
٥٠	خالقة	أسود	١١	»

رقم	الاسم	اللون	الطول العادي بالبوصة	ملاحظات
٥١	خرخور			سمك طويل
٥٢	خرخور أبولوت	أخضر	٣٧	كثعبان البحر
٥٣	خرخور أبوعلق			صالح للأكل
٥٤	خطام	أبيض	١٠	يؤكل
٥٥	خشام	ضارب إلى الحمرة	١٦	»
٥٦	خودير	أصفر	١٣	»
٥٧	بن عم كيسو	أحمر	٨	»
٥٨	كوفز	ضارب إلى الحمرة	—	»
٥٩	كوسيه	—	٢٧	»
٦٠	له	أخضر	٧	»
٦١	لازم	أبيض	٨	»
٦٢	أبو مبار	أخضر	٧	»
٦٣	ماخريوه	»	٦	»
٦٤	مران	»	١١	يمكن أكل الاناث منه
٦٥	مسن	»	٧٢	يؤكل
٦٦	مشط	»		»
٦٧	مسيفة	أبيض	٢٠	لا يؤكل
٦٨	مشكوت	أصفر	٩	يؤكل
٦٩	أبو مزيمي	أبيض	٨	يؤكل
٧٠	مسكينة	أخضر غامق	١٨	»
٧١	موران	أصفر	٩	فصائل الاناث يمكن أكلها

٣١٧٩

رقم	الاسم	اللون	الطول العادي بالبوصة	ملاحظات
٧٢	مزف أبو كولري	أصفر	٦٠	لا يؤكل
٧٣	مزيف صغار	أسود	٦٠	»
٧٤	عومة	رمادي		يؤكل
٧٥	عومة زناب	أخضر		»
٧٦	قَدّ	أسود وأصفر	٢٧—٣٦	أبو منقار — يؤكل
٧٧	قيض	أبيض	١٠	يؤكل
٧٨	قائض أبو رحي	أبيض	٧	»
٧٩	قيسان	أصفر	١٦	»
٨٠	قنلواح	أسود	٣٧	»
٨١	قرنشوع	رمادي	٥	»
٨٢	قروب	أخضر	٦	لا يؤكل
٨٣	قشران	رمادي	٢٧	يؤكل
٨٤	قسمة	رمادي	٨	»
٨٥	قوران عشاق	أصفر	٧	»
٨٦	أبو رمان	أبيض	١٣	»
٨٧	سبيّي	أسود	٣٦	يؤكل ، وله زعانف
٨٨	سدس	أخضر غامق	٦	» »
٨٩	صافي	أسود	٨	» »
٩٠	صفصوف	أبيض	٥	يؤكل
٩١	سهف	أسود وأبيض	٢٧—٤٧	»
٩٢	سيد	أحمر	٢٧	»

رقم	الاسم	اللون	الطول العادي بالبوصة	ملاحظات
٩٣	صال أبو ضلع	زيتي	١٣	»
٩٤	صال مداري	أصفر	٨	»
٩٥	سالخ بالخ	أخضر	٨	يؤكل
٩٦	سليس	رمادي	٣	»
٩٧	سهان	أصفر	٤٠	»
٩٨	سمّرة	أصفر	١٩	»
٩٩	سموكة	أخضر	٣	يستعمل كغذاء للحيوانات ولا يأكله الانسان
١٠٠	صندوق البحر	أسود	٥	لا يؤكل
١٠١	صنيفي	أصفر	٩	يؤكل
١٠٢	سنسول	أسود	٧٢	»
١٠٣	سوام	أبيض	٤	يؤكل
١٠٤	شعم	زيتي	٨	»
١٠٥	شعبان	رمادي	٣	يصلح غذاء للحيوان ، ولا يأكله الانسان
١٠٦	شكل	زيتي	٢٧	يؤكل
١٠٧	أبو شلم	زيتي	١٤	لا يؤكل
١٠٨	شماهي	أبيض	٣٥	يصدر بعضه إلى أوروبا ، والبعض الآخر إلى الصين
١٠٩	شوقية	بني	٥	يؤكل

رقم	الاسم	اللون	الطول العادي بالبوصة	ملاحظات
١١٠	سيهوك	أصفر	٤	لا يؤكل
١١١	صيم بمبو	أخضر	٢٧	»
١١٢	صيمة	بني	٧	نوع من السردين ، يؤكل
١١٣	سينة	أبيض	٩	يؤكل
١١٤	طليبح	أصفر	٣٠	»
١١٥	تنكة	بني	١١	»
١١٦	تنكة أبو مداد	زيتي	١٢	يحبه العرب لطعمه اللذيذ
١١٧	تر	أخضر	٥٠	يؤكل
١١٨	تربيسخ	بني	٢٧	»
١١٩	والبكة	أصفر	٧	»

تعرف الأصناف الآتية بالحيتان :

الحيتان

الحوته : لونها ضارب الى البياض ، وهي صالحة للأكل .

الجرام : لونها أسود وطولها حوالي ثمانية أقدام وغير صالحة للأكل ، ولا يمكن صيدها بكثرة .

تعرف الأصناف الآتية بسمك يونس أو خنزير البحر . :

سمك يونس

دغس : لونها أسود وطولها ٣ أقدام ونصف وغير صالحة للأكل وإنما تصطاد لاستخراج زيتها .

فجمة : لونها أسود وحجمها صغير وتعتبر صالحة للأكل .

سمان جمجم : لونها ضارب إلى الحمرة وحجمها صغير وهي صالحة للأكل .

سمان جني : لونها ضارب الى الحمرة وحجمها صغير وهي غير صالحة للأكل .

سمان مرضي : لونها أسود وصغيرة الحجم وغير صالحة للأكل .

سمان سبيتي : لونها أسود ، ويبلغ طولها حوالي اربعة أقدام وهي صالحة للأكل .

تعرف الأصناف الآتية بالقرش او سياف البحر وكلاهما يطلق العرب عليه اسم جراجير ومفردها جرجور .

دعليس : لونها أبيض وصغيرة الحجم وصالحة للأكل .

ذيبة : لونها أسود صغيرة الحجم وصالحة للأكل وتعتبر خطيرة في الصيد .

فنطوا : لونها أصفر ، وصالحة للأكل .

أبو فراخة : زيتية اللون ، وطولها حوالي خمسة أقدام .

غيضي : زيتية اللون ، وطولها حوالي أربعة أقدام ونصف وصالحة للأكل ، وخطيرة في الصيد .

جباية : سوداء اللون وصالحة للأكل ، وخطيرة في الصيد .

جهرة : لونها ضارب الى الصفرة وصغيرة الحجم ، ولكنها مع هذا تعتبر خطيرة في الصيد .

جرجور : هو سمك القرش ، ويصطاده العرب بكميات كبيرة بالشباك والصنابير في كل فصول السنة . ويأكله المسلمون السنّة على اعتبار أنه يقوي الرغبة الجنسية ، أما الشيعة فلا يأكلونه ، كما يستعمل كسماد ، والأنواع الطويلة المجففة منه ترسل الى الهند لتصديرها إلى الصين . أما الزيت المستخرج منها فيستعمل لطلاء المراكب .

خلاسي : صغيرة الحجم وصفراء اللون وصالحة للأكل .

لجي : بيضاء اللون ، وطولها حوالي ستة أقدام وصالحة للأكل .

معاقيب : سوداء اللون وصغيرة الحجم وصالحة للأكل .

مكشيت : بيضاء اللون ، وصغيرة الحجم .

ميخ : هو نوع من سياف البحر وطوله حوالي اثني عشر قدماً ويقال إنه يصطاد بالقوارب .

قرازي : سوداء اللون وصغيرة الحجم ، وتعتبر خطيرة في الصيد وصالحة للأكل .

قطعة قرازي : سوداء اللون ، وصغيرة الحجم وصالحة للأكل .

أبو قرون مربوع : بيضاء اللون وصغيرة الحجم وصالحة للأكل .

أبو قرون مثلوث : مثلثة الرأس وزيتية اللون وصغيرة الحجم ، وصالحة للأكل .

نمراني : لونها مبقع بالسواد وصغيرة الحجم ، وخطيرة في الصيد.

أبو سيف : نوع من سياف البحر ، أسود ، يبلغ طوله حوالي أربعة أقدام ونصف خطيرة .

أبو سيف مشاري : نوع من سياف البحر صفراء وطولها حوالي أربعة أقدام ونصف .

سميكه : سوداء اللون وصغيرة الحجم ، وصالحة للأكل .

سنور : سوداء اللون او زيتية اللون وطولها حوالي ثلاثة أقدام وخطيرة في الصيد .

شطاني : لونها ضارب الى الزرقة ، ويبلغ طولها حوالي أربعة أقدام وخطيرة في الصيد .

أبو سلا : زيتية اللون وصغيرة الحجم وصالحة للأكل .

زماري : زيتية اللون ، وصغيرة الحجم .

تعرف الانواع الآتية بشبيه الجرجور . :

بام : زيتية اللون وطولها حوالي ثمانية أقدام وصالحة للأكل .

هام : لونها ضارب إلى الصفرة ، وطولها حوالي عشرة أقدام ، وصالحة للأكل .

جسري : لونها ضارب إلى الخضرة وصغيرة الحجم وصالحة للأكل .

منسف : لونها ضارب إلى الخضرة وطولها حوالي اربعة أقدام ونصف وصالحة للأكل .

شبيه الجرجور : زيتية اللون وطولها حوالي ستة أقدام وصالحة للأكل .

تعرف الأنواع الآتية بطباق :

عليمو : سوداء اللون وطولها حوالي خمس وعشرين بوصة وصالحة للأكل .

أبو عنان : صفراء اللون وطولها سبع وعشرون بوصة وبها زعانف وصالحة للأكل .

بربر : حمراء اللون ، وطولها حوالي ست عشرة بوصة وصالحة للأكل .

هويرم : سوداء اللون وطولها اربعة أقدام وصالحة للأكل .

كدوا : صفراء اللون وطولها ثلاثة أقدام وصالحة للأكل .

قفشان : سوداء اللون وطولها قدمان ونصف وصالحة للأكل .

رابض : صفراء اللون ، أو سوداء او بيضاء ، وطولها حوالي قدمين او قدمين ونصف ، وصالحة للاكل ، والابيض منها له زعانف .

أبو ريشة : زيتية اللون وطولها قدم ، صالحة للأكل .

الترخة او سلحفاة البحر

وتسمى أحمسه وغليم وتوجد في أحجام مختلفة ، وتصدر قشورها ، أما لحمها فيأكله المسلمون السنّة . كما يمكن إضافة نوع آخر يسمى المحارة إلى هذه الفصيلة وكذلك الربيان ذات الشكل الاحمر أو الابيض ويبلغ طوله خمس بوصات ، ونوع أخير يسمى شنجوب .

★ ★ ★

الاسماك عند الساحل الايراني لخليج عمان

يوجد السمك عند ساحل مكران الايراني على عدة أنواع يمكن تقسيمها الى فئتين : تلك التي يتم اصطيادها للاستهلاك المحلي والاخرى لاغراض التصدير . ومن الفئة الاولى هنالك نوع نمبو وجنجو ،من السمك الصخري الذي يتميز بطعمه غير اللذيذ ، والمربه والكهندرو وتارلي (السردين) ودوتر وكدر وكجن ومنك وموسي وروسي وسورو وجميعها لا مرادفات لاسمائها بالانجليزية ، ومتوافرة على مدار السنة.

وبالنسبة للفئة الثانية التي يتم تصدير تسعة أعشار الكمية التي تصطاد منها ، فانها من فصيلة الغولو التي يستخرج منها الصمغ . والكبر الذي يتواجد خلال الموسم الممتد من ابريل حتى يونيو ويستخرج منه الصمغ أيضاً ، والمتوتا وهو ابيض ويتواجد في الموسم من أكتوبر حتى فبراير ويستخدمه العرب كسماد لشجر النخيل ، والمشكو من السمك الصخري ، والعور والباكس أو القرش الذي يصطاد على مدار السنة و «البوهزت» الذي يندر وجوده في هذه المناطق ولكن يمكن اصطياده في بعض المواسم خلال السنة ، والسارام والسرمتي في الموسم من نوفمبر حتى مارس .

ومعظم هذه الاسماك وارد في الجدول السابق عن عمان ربما بأسماء مختلفة .

* * *

ملحق و
المراكب الشراعية في الخليج

هناك أربعة عشر نوعاً من المراكب الشراعية الخاصة بالخليج بالذات ، وهذه الانواع تختلف اختلافاً جذرياً فيما يختص بالحجم ومقدمة المركب وشكل موءخزة السفينة ، وطول القاعدة بالنسبة للشكل والطول العام . وهناك فروق بسيطة فيما يختص بتكوين عمود الوسط وعمود المؤخرة ، كما تختلف أحياناً عن بعضها في الزخرفة وفي الحفر الذي يزين المظهر العام والجوانب .

وفي بعض الاحيان قد لا يظهر أي فرق للمشاهد العادي . وتبدو جميع المراكب كما لو كانت متشابهة لاول وهلة ، ولو أن قاعدة التأسيس واحدة فيها جميعاً على وجه التقريب .

وكل هذه المراكب تمتاز بوجه عام بجمال خاص وهذا يبدو واضحاً في خطوط تأسيسها التي لا تختلف عن أجمل اليخوت الحديثة رشاقة وَسَمْتاً ، ولو ان هناك بعض الاختلاف في الاعمال التشطيبية او النهائية .

وتسير هذه المراكب سيراً جميلا في البحر كما تقاوم تقلبات الطقس. وفيما يلي وصف عام لتكوين إحدى هذه المراكب ، من النوع الكبير الذي يجوب البحار ، وهذا الوصف يعتبر مثلا للجميع :

هيكل السفينة او القصعة : يتكون من الواح خشبية حروفها مشطوفة تقريباً ومن نوع خشب الغابات المسمى بشجر الساج او خشب التّلك الذي يستعمل خصيصاً لصنع السفن . وهذه الالواح تسمر او تثبت بمسامير في الاضلاع الجانبية بطريقة بدائية لا توحي بأي أمان ، ورغماً عن ذلك فان هذه المراكب تعمر وتستمر في العمل مدة أكثر مما يتوقع أي انسان .

وتزدان المراكب بمداخل الى العنابر ، ولها موخرة عالية ولها في الداخل وسائل للدفاع . ويحمل مركب الشاطىء العربي مدفعاً او مدفعين يستعملان في هذه الايام للتحية،أما سفن الحروب فغير موجودة حالياً في الخليج .

ولبعض هذه المراكب غلاف أو (كسوة) من خشب سميك سمك نصف مورينه أو كسمك بوصتين مع لوح بالقاعدة سمك بوصة واحدة وبينها خلطة مكونة من زبدة الكاكاو والصمغ العربي ، وهذه الخلطة تجعل المركب قوي التماسك وعظيم الاحتمال وتمنع وصول دودة التيريدو إلى القاع .

وفي الخارج يغطى الغلاف الخشبي (الكسوة الخشبية الخارجية) بمخلوط من الشحم والطلاء الابيض ، وهذان يمزجان جيداً بالغليان لمنع الرائحة الكريهة . ومثل هذا الطلاء يجدد مرتين كل عام .

أما أعلى الجوانب فيطلى من الخارج بطلاء من زيت سمك القرش مرتين كل عام ، وفي الداخل يستعمل الطلاء نفسه مرة واحدة في السنة . ومثل هذه العملية تمنع تشقق الألواح الخشبية والتوائها . والقاعدة العامة أن هذه المراكب لها عرض كبير بالنسبة لطولها وكذلك لها مقدمة كبيرة ذات ارضية ترتفع ارتفاعاً حاداً لاعلى . وكثير من هذه المراكب له شارات في موخرة السفينة الذي يكون مربّع الشكل او مدبباً ، والمسافات بين الألواح الخشبية تغطى بقطن خام .

ولكل سفينة صاري مائل للامام على الجانبين بزاوية قدرها (١٥) درجة عن العمودي وذلك لحفظ ركيزة الوزن الثقيل للقلع في الارتفاع والانخفاض كلما اشتغلت الرياح .

وقد لوحظ ان بعض هذه الصواري كثيراً ما يكون عمودياً تقريباً وكل صاري عبارة عن ساق شجرة مهذب تهذيباً بدائياً ويحصل عليه من شاطىء ملبار ، وهذه الاشجار لها ساق مستقيم بطبيعته ويستعمل لهذا

الغرض ، وفي نهايتها العليا يوجد ثقب بكرة مثلثة في أعلى العمود ليعلق فيه عمود الشراع .

أما شراع المركب الذي يثبّت في الصاري الامامي فإن طوله تقريباً ما يساوي طول المركب ومعروف أنه يزيد عن المائة قدم طولا . ومكوّن من عدد من العقل المثبتة معاً . وطرفه يضيق تدريجياً نحو الجزء الامامي أو السفلي ، ولكنه عريض عند القمة او الجزء العلوي ، وهو معلق من خلال ثلث طوله ومثبت بحبال من الياف جوز الهند في منطقة التصاقه بالصاري . والحال كذلك ينطبق على الشراع الثانوي ولكنه أصغر حجماً ، وفي الغالب ما يكون مكوناً من عقلة واحدة .

وشراع المركب مثلث الشكل وله قمة عالية ، وفي أغلب الاحيان ما تكون مقصوصة قصاً جميلا ، وتبعاً لذلك تثبّت وهي أفقية عند مؤخرة السفينة .

ويقوم الاهالي بعمل اشرعتهم بالطريقة الآتية :

تختار مساحة منتظمة مناسبة من الارض وتثبت اربعة أوتاد في الأرض في نقط معلومة تمثل الشكل العام للقلع المراد عمله ويمد حبل ويثبت حول الاوتاد ، ثم يقص قماش الشراع قصاً مناسباً للشكل العام ، وتخاط مع بعضها ومع الحبل الدائري المكون من الياف جوز الهند .

ويُظهر الاهالي عناية فائقة في قص أشرعتهم ، وهم لا يستخدمون الفكرة الممتازة التي يتبعها المواطنون الهنود وهي وضع الياف جوز الهند المنسوجة من خلال الغرز التي تثبت كلية بحيث تكون مشدودة إلى رأس وقاعدة الحبل .

ويصنع قماش الشراع من القطن السميك ونسيجه يتناسب مع أحجام المراكب المختلفة . ويقوم الاهالي بنسج قماش الشراع بأيديهم وهو بطول ١٨ بوصة عرضاً ويباع بالوزن وليس بالمتر الطولي .

ويصنع قماش الشراع في بلاد لنجة ، وخمير والقشم ودشكون وكنج وحليلة والبحرين وأحياناً في الكويت أو أي مكان آخر .

ويسحب حبل الشراع المثلث الامامي الى رأس الساق بواسطة كتلة مثلثة أحياناً ، وتقود مؤخرة السفينة بالطريقة العادية ، وعود الشراع بالوسط يقود منتصف السفينة قرب الجزء الامامي من مقدمة السفينة وهي تتكون من بندول ، أوجسم معلق كالبندول ، عبارة عن كتلة مثلثة من الخشب تتخذ مكاناً خلفياً عندماترفع القلاع ويشرع المركب في المسير.

ويربط الحبل حول القلاع والسارى ويرفع بشدة كلما كان القلع لأعلى . والقلوع مكونة بوجه عام من طقمين او ثلاثة من الاشرعة (الاردية) وهذا يكون نظام أشرعة السفينة ، وهي مصنوعة كلياً من حبال من نسيج جوز الهند ، وبسيطة للغاية ، والشراع الخلفي مثلث بنفس الصورة ، ولكنه مثبت ولا يستعمل الا لسرعة خاصة او للتحكم في سرعة مخصوصة ، وفي حالة رداءة الطقس يطوى الشراع الخلفي ..

والساري الامامي مثبت من ثلاثة أشرعة : كبير أو متوسط وصغير وهذه بدورها تستعمل كلما تشتد الرياح ، حيث تحفظ القلوع وتطوى الأشرعة ، وعندما تستلزم رداءة الطقس لإظهار قليل من الاشرعة يرفع شراع صغيرمن نوع خاص بمفرده ، وكلما كانت هذه المراكب تعمل مع الريح فإنها تجري في مجراها الطبيعي وتتثاقل في سيرها ، غير أنه من المفضل استعمال التثاقل كلما كانت الرياح هادئة .

وتقام السفن على ألواح خشبية توضع بالقرب من شاطىء البحر على مقربة من مياه عميقة ، وتدفع السفينة إلى البحر بوضع قاعها على الواح خشبية تنزلق عليها على شرط أن تكون مشحمة لتسهيل عملية الانزلاق ثم تدفع الى الامام من كلا الاتجاهين نحو مياه البحر بواسطة حبال مثبتة في المراسي وموضوعة في البحر .

ولقد توقف الأهالي بضع سنوات عن بناء السفن الكبيرة وهي التي كانت تستعمل في شحن البضائع وكانت تشاهد سابقاً في الخليج ، ومرجع ذلك إلى سرعة الشحن والأمان المتوفرين في البواخر الحديثة الكبيرة .

ومن النادر الآن ان تبحر مراكب الخليج الى زنجبار أو البحر الاحمر ورحلاتها محصورة الى كراتشي ، وفي بعض الاحيان إلى بومباي وجدة .

ويبدو أن الكويت هي المكان الرئيسي الذي تبنى فيه مراكب الاهالي ، وصنف المراكب المسمى (بالبومة) هو الصنف الذي يبنى باستمرار ، غير أنه قد تبنى أغلب الانواع الاخرى من المراكب .

وفي (بوشهر) يبنى صنف المراكب المسمى (بالجاليبوت) حيث يكثر استعمال هذا الصنف ، والمركب الواحد منه يستطيع حمل من عشرة الى خمسين طناً ، وفي البحرين يبنى صنف المراكب المسمى بالشوعي . أما في شط العرب فتبنى المراكب المسماة (بالبقرة) والشوعي والشاشة في حين أنه في بلدة لنجة تبنى مراكب من صنف البغلة والجالبوت .

والمركب المسمى بالترنكي صنف من الأصناف التي كانت تبنى وتستعمل في الخليج سابقاً ، وتدفع هذه بواسطة المجاديف والاشرعة ولكنها لا تشاهد حالياً .

والمركب العربي المسمى (بالدّو) قد اختفى كلياً من المنطقة وهو مشابه في مظهره للمركب من صنف (للبغلة) ولكنه يتميز عنها بوجود ممر او دهليز بارز من جهة موخرة السفينة وهذه هي الميزة الغريبة والمميزة لها . وكان لها أحياناً صاريان عندما كانت تستعملها عشائر القواسم وقبائل القراصنة .

وكثيراً ما كانت تستعمل سابقاً السفن الخشبية والمراكب الشراعية ذات الصارين التي يمتلكها الاهالي في الخليج ، في مسقط ولنجة ، والتي

ما زال بعضها يستخدم للآن ، وكانت تشترى أصلا من شركات سفن اوروبية بعد أن تقرر عدم صلاحيتها والاستغناء عنها ، فكان العرب يقومون بقيادتها وتجهيزها بالبحارة . وكانت أكبر السفن الوطنية تحمل من الضباط الوطنيين المبينة اوصافهم فيما يلي في الوقت الذي تحمل فيه السفينة الصغيرة العدد المناسب لحجمها وطاقتها :

١ ــ القبطان ــ ناخوذا .

٢ ــ المعلم ــ الضابط الاول .

٣ ــ الكراني ــ الكاتب .

٤ ــ سرهانج ــ رئيس نوتية الموسيقى .

٥ ــ السكاني ــ المصلح الموظف مدير الدفة .

٦ ــ طباخ او اثنين ــ الطباخ .

٧ ــ الباتيلي ــ الذي يحافظ على السفينة .

ويسمى رجال البحر بالبحرية في الشاطىء العربي والجاشو في الساحل الايراني ، والملاّحين في شط العرب (بالعراق) .

★ ★ ★

الملحق ز

حيوانات النقل والماشية في منطقة الخليج

تشتمل حيوانات النقل في الاقطار المحيطة بالخليج بصفة رئيسية : الابل والخيول والبغال والحمير ، أما المواشي فتتألف من الابقار والجواميس والاغنام والماعز . والابقار وحدها من بين هذه المواشي تستخدم في أغراض النقل ، وسنخصص فصلا مستقلا لكل حيوان من الحيوانات الآنفة الذكر على حدة :

★ ★ ★

١ - الابل

تكثر الجمال في سائر الاقطار الواقعة على الجانب العربي من الخليج حيث تمتلك قبائل البدو الرحل أعداداً وفيرة منها وتعتبرها من أثمن الممتلكات القيمة ، وفي الجانب الايراني من ساحل الخليج وخاصة حيث ان البلاد مفتوحة يتواجد الكثير من الابل التي تستخدم لاغراض النقل الى درجة محدودة .

توزيع الابل وصفاتها في الجزيرة العربية

وفي سلطنة عمان تعتبر المناطق الرئيسية لاقتناء الابل هي الشرقية والباطنة ، والدلول هو اسم الجمل الذي يستخدم للركوب في سلطنة عمان ويعتبر من أحسن الابل في الجزيرة العربية . أما في امارات عمان المتصالح فتمتلك قبائل البدو الرحل الكثير من الابل . وفي قطر يربي الابل السكان المستقرون والرحل على حد سواء ، أما في جزر البحرين فاستخدام الابل قليل جداً ، أما في سنجق الاحساء فالابل كثيرة . والدلول بالذات في هذه المنطقة لا يبزه الا الدلول في عمان فقط .

أما في إمارة الكويت فهناك من الابل أعداد كثيرة وفي المناطق الثلاث الخاصة بشبه الجزيرة العربية نجد ان للابل أهمية بالغة فهي لا تستخدم للنقل فقط بل تستخدم بمعرفة السكان المقيمين لرفع المياه من الآبار كما أن حليب هذه الابل في كل منطقة من مناطق الجزيرة العربية يستعمل كمشروب للبدو . والابل في المنطقة الجنوبية من نجد أصغر حجماً وأغمق لوناً من الابل في جبال شمر في الشمال ، ولذلك فهي تعتبر أحسن منها صنفاً ، ولكنها على أية حال سيئة الطباع وصعبة المراس .

توزيع الابل وصفاتها في العراق التركي

توجد الابل بأعداد وفيرة في العراق كله وبعضها فاتح اللون ، أما الابل التي تخص قبيلة بني لام فتتميز بسمعة طيبة .

توزيع الابل وصفاتها في ايران ومكران

وفي المناطق الاكثر جفافاً من عربستان لا يمكن القول بأن الابل نادرة وهي تستخدم في النقل ولكنها لا تستخدم في الركوب . والابل متوفرة نسبياً على طول الساحل الايراني ، وأعدادها التي أمكن الحصول عليها في بعض المناطق هي كما يلي :

الليرافي	١٠٠	لنجة	٥٠٠
حياة داود	٢٥٠	شميل	٥٠٠
تانجستان	٨٥٠	البياباان	٣٠٠
داشتي	١٢٥٠	جوادر	٢٠٠

وليست هناك إحصائيات دقيقة يمكن الحصول عليها في أغلب المناطق

والابل في منطقة مكران الايرانية صغيرة الحجم وتستطيع حمل ٤٠٠ رطل من الاثقال وتمشي بسرعة ميلين ونصف في الساعة ، والإناث من هذه الإبل لا تستخدم في النقل إلا اذا كانت غير حوامل .

الأثمان

وتختلف الأثمان كثيراً من منطقة إلى أخرى وتبعاً لجودة الحيوان ، ففي منطقة الاحساء تقدر قيمة جمل الركوب بحوالي ١٨ ج. ك أما في المطير فيبلغ ثمن الجمل الدلول من ٦ ج.ك للناقة الى ١٠ ج. ك للجمل ، في الوقت الذي يمكن فيه الحصول على أفضل بعير أو جمل بسعر ستة جنيهات ، وأحسن ناقة مقابل خمسة جنيهات ، هذا ويمكن شراء الابل في منطقة مكران الايرانية بحوالي ثلاثة جنيهات ونصف الى سبعة جنيهات اخترلينية .

تصدير الابل

ولا يبدو ان الابل تصدر الى خارج منطقة الخليج الا عن طريق البر من الكويت والعراق وربما من نجد الى سوريا . وفي بعض الاحيان تساق القطعان التي يتراوح عددها من ٣٠٠ـ٥٤٠ جملا الى سوريا من الكويت غير أنه توجد طريقة أخرى أكثر انتظاماً في الاتجاه نفسه ، وذلك بتجميع الابل في مناطق السماوة والديوانية والنجف ، وأغلب الظن أن الجهات المستوردة للابل هي مصر عن طريق الموصل وحلب . وتوجد قلة من جمال الركوب ترسل كهدية من سلطان عمان الى شريف مكة المكرمة ، ولا تعتبر منطقة الخليج مركزاً هاماً لتصدير الابل في العمليات الحربية الهندية .

★ ★ ★

٢ ـ الخيول

الخيول نادرة في سلطنة عمان ، أما في الامارات المتصالحة فيربى قليل منها بصعوبة ، وذلك لعدم وجود الطعام الكافي الذي يناسبها ، أما في قطر فإن لقليل من السكان المستقرين والبدو خيولاً يربونها ، وفي البحرين يوجد القليل من الخيول التي لا تزيد عن الخمسين ، تملكها الاسرة الحاكمة وقد احضرتها من نجد غير ان مناخ البحرين أثر في حالتها الصحية .

وفي سنجق الاحساء يوجد عدد قليل من الخيول التي يمتلكها السكان المقيمون ولذلك فلا يوجد بها أكثر من ١٠٠ فرس في واحة الاحساء وخمسين في القطيف ، وأما البدو المقيمون في الصحاري فإن لهم خيولا جيدة تتراوح أثمانها ما بين ١٨ ح. ك الى ٣٦ ح. ك .

وفي إمارة الكويت كما هو الحال في اماكن أخرى يقتني البدو بصفة رئيسية الخيول ، وتعتبر نجد أو وسط الجزيرة المكان الرئيسي لتربية الخيول ، والمكان الوحيد في العالم باستثناء بادية الشام المجاورة التي تربى فيها الخيول العربية الاصيلة على نطاق واسع . وتكثر الخيول ايضاً في شمال الجزيرة ووسطها وفي جبل شمر ، وكل من يسكن هذه الاماكن تقريباً من الاشخاص ذوي الشأن لا بد ان يقتني أعداداً كبيرة أو صغيرة من الخيول ، ولكن التصدير من الخيول يعتمد بصفة رئيسية على منطقة القصيم الوسطى ، حيث توجد أسواق العنيزة وبريدة الشهيرة . والمعروف أن عنيزه التي تردها الخيول من قحطان تشتهر بخيول من فصيلة أرقي . أما بريدة التي تردها الخيول من المطير ، فيوجد بها عدد اكبر من الخيول .

الخيول في العراق التركي

والخيول في العراق التركي ذات سمعة طيبة وأعدادها لا بأس بها غير أنها لا تفوق خيول نجد في جودتها ، ولكن تجري تربيةبعض الخيول

الجيدة في المنطقة المجاورة لمدينتي الحلة والديوانية بالعراق . وكذلك فان الخيول التي تملكها قبيلة بني لام القاطنة في المنطقة الواقعة الى الشرق من نهر دجلة طيبة جداً ، هذا وتوجد بعض خيول الركوب بمدينة بغداد .

الخيول في ايران

توجد خيول أصيلة بوفرة في منطقة عربستان وجميعها من الاناث تقريباً لان ذكورها يجري إعدامها عمداً . وفي مناطق ساحل ايران توجد بعض الخيول ولكنها ليست بأجود من خيول الجزيرة العربية ولا أكثر منها عدداً .

وهذه الاحصائيات لم يمكن الحصول عليها الا من المدن والمناطق التالية :

لبرافي	٢٠٠	زيرا	٩٠
حياة داوود	٣٥٠	داشستان	٢٠٠
روض الحلة	٢٥٠	تنجستان	١٥٠
أنجالي	١٠٠	داشتي	٢٥٠
شبنكره	٥٠	بندر عباس	١٠

وفي كل من منطقتي عربستان وساحل ايران تستعمل الخيول ضمن أمور أخرى في حرث الارض . أما في مكران الايرانية فالخيول قليلة العدد وصغيرة الحجم .

تصدير الخيول ، صادرات الخيول من الجزيرة العربية

تعتبر بومباي في الهند هي السوق الذي تصدر اليه خيول الخليج .

وفي وقتنا الحاضر لا يوجد تصدير مباشر للخيول من شرق الجزيرة غير أن القليل منها يغادر المنطقة عن طريق البحرين والكويت وينقل اكثر الخيول العربية التي يتم بيعها عن طريق البحر من مرفأ البصرة ولكن نظراً لوجود الظروف (وخاصة التي سنتطرق اليها في البحث في مكان

آخر) ، تنقل الخيول الى المحمرة حيث يتم الاتجار بها هناك ، وفي سالف الزمان يبعث أعداد لا بأس بها من الخيول في الكويت . وقد قدرت في عام ١٨٦٣ بحوالي ٦٠٠ رأس في السنة ، وقد وصل سعر الرأس في ذلك الوقت الى ٣٠٠ روبية .

وفيما يلي يجد القارئ الارقام التي تم تصديرها، او بالاحرى التي أعيد تصديرها ، من البحرين للخيول التي جلبت من شرق الجزيرة العربية أو وسطها :

السنة	عدد الخيول	السعر التقريبي في البحرين بالجنيه الاسترليني
١٨٩٦	١٣	٣٧٩
١٨٩٧	٢١	٧٤٣
١٨٩٨	٢٨	٧٩٢
١٨٩٩	٥٩	١٣٤٣
١٩٠٠	٧٠	١٦٣١
١٩٠١	٧٢	١٧٢٥
١٩٠٢	٢٣	٦١٦
١٩٠٣	٥٤	١٠٨٣
١٩٠٤	٤٧	١١١٥
١٩٠٥	٢٣	٥٩٢
١٩٠٦	١٩	٦١٨

تصدير الخيول من العراق

وتعتبر البصرة المكان الطبيعي لشحن الخيول التي تربى في العراق أو في ولاية بغداد بصفة رئيسية وكذلك لتصدير معظم الخيول نجـــــد ومناطق الخليج بجوار كرمان شاه . ان تجارة الخيول كما سيظهر فيما بعد تتأثر بالتنظيمات التركية في العراق وقد تساق بعض الخيول إلى المحمرة في ايران والى الكويت في الجزيرة العربية :

١٨٨٧

منع تصدير الخيول في عام ١٨٨٧ من قبل الحكومة التركية وسرى ذلك المنع لسنوات عديدة ، وقد أدى هذا العمل إلى تنشيط أعمال التهريب فقد جرى تهريب الحيوانات ثم بيعها في أسواق بلاد فارس حيث كانت تسوّق في المحمرة بدلا من البصرة . ويقدر عدد الخيول التي هر بت إلى الخارج في تلك السنة بحوالي ٢٥٠٠ رأس مقابل معدل متوسطه ٢٠٠٠ في العام الواحد من السنوات السابقة .

١٨٨٨

وفي عام ١٨٨٨ رفع قانون حظر تصدير الخيول من قبل الحكومة العثمانية ، ولكن منع تصدير الإناث منعاً باتاً .

١٨٨٩

وفي عام ١٨٨٩ وردت انباء من بغداد تقول بأن روح المضاربة التجارية التي تولدت هناك دعت المئات من عرب الموصل وبغداد والمناطق المجاورة لها بتبني مهنة الجمباز او تجارة الخيول ، وأصبحت الأرباح قليلة نتيجة لهذا . وفي ذلك الوقت تقاسمت البصرة والمحمرة والكويت شحن الخيول إلى الخارج .

١٨٨٩ – ١٨٩٠

وفي عام ١٨٨٩–١٨٩٠ ذكر بأن التصدير من البصرة ، اختلف قليلا في القيمة من سنة إلى أخرى ، ولكن جودة الحيوانات التي يتم تصديرها أصبحت تسوء شيئاً فشيئاً ، الامر الذي أدى إلى جفاف مناطق التوريد كنتيجة للتصريف المستمر من مناطق الامداد .

١٨٩١ – ١٨٩٢

وقد امتلأت سوق بومباي في ١٨٩١ بالخيول العربية ، ولكن في السنة التالية نقص العدد المصدر في الوقت الذي استمر فيه الطلب ثابتاً ولذلك تم الحصول على أسعار جديدة وكان موسماً مربحاً .

١٨٩٣ - ١٨٩٤

في عام ١٨٩٣ ازدادت أعداد الخيول التي صدرت إلى الهند عن عن مثيلتها في العام السابق أي عام ١٨٩٢ ، وظلت الأسعار لا بأس بها . وفي عام ١٨٩٤ ، وبالرغم من تناقص الاعداد التي صدرت نتيجة للنقص في الموارد وليس نتيجة لقلة الطلب في السوق ، استمرت الاسعار كما كانت عليه وبقي لدى التجار سبب يجعلهم يقنعون بنتائج العمليات التي كانوا يقومون بها .

١٨٩٥

وفي عام ١٨٩٥ كان من المنتظر أن يزداد الطلب في الهند زيادة ملحوظة ، وقد حدث ذلك فارتفع حجم التصدير من العراق ارتفاعاً لم يسبق له نظير ومن أجل ذلك تمت عمليات الشحن قبل ابتداء الموسم المعتاد .

١٨٩٦

وفي عام ١٨٩٦ كانت الخيول التي صُدّرت إلى بومباي أقل من المعدل وكان ذلك بسبب غلاء العلف في الهند وانتشار وباء الطاعون الدملي في بومباي وقد أدت هذه الاحوال إلى تأخير موسم الشحن .

١٨٩٧

وفي عام ١٨٩٧ تناقصت تجارة الخيول أكثر فأكثر نظراً لاستمرار الطاعون وغلاء العلف لقيام الحكومة التركية بشراء الخيول لاغراض حربية .

وكان من المتوقع ان يكون موسم عام ١٨٩٩ مربحاً فوق العادة في بلاد الهند ولكن رسم التصدير – البالغ خمس ليرات أي أربعة جنيهات استرلينية وعشرة شلنات عن كل رأس – الذي فرضته الحكومة التركية على كل رأس من الخيل حدّ من عمليات البيع ، ورغم ذلك فقد جرى

تهريب أعداد كبيرة من العراق إلى إيران حيث كانت تشحن من المحمرة إلى بلاد الهند . وقد كان الشيخ المسؤول في المحمرة يستوفي رسوماً قدرها ٥ بالمئة عن القيمة التي تباع بها الخيول وكان راضياً بهذه النسبة .

١٩٠٠

توقفت التجارة المباشرة بين العراق والخارج نتيجة لرسوم التصدير المرتفعة ، غير أن الخيول استمرت في الخروج كالمعتاد وكانت تشحن كما كانت الحال في السنة السابقة من المحمرة بدلا من البصرة .

١٩٠٣

وبعد أن رفعت رسوم التصدير (البالغة خمس ليرات عن كل رأس من الخيل بدأت التجارة تعود الى حالتها الطبيعية وقد تم شحن ٩٤٥ رأساً من الخيول ، بمعدل ستة جنيهات للرأس الواحدة ، من البصرة وكان ذلك في عام ١٩٠٢ .

١٩٠٣

كان للأسعار التي يحصل عليها تجـــار بومباي في الهند الاثر البالغ على التجارة فقد شجعت على التصدير ، وعليه فقد صدر الى بومباي عام ١٩٠٣ (٣٨٤٥ رأساً) من ميناء البصرة ، ولكن السوق لم تكن هذه المرة في صالح التجار فقد تكبدوا خسائر فادحة لم يشهدوا لها مثيلا ، فأغلب الحيوانات التي شحنت في ذلك الوقت كانت من نوع رديء ولذلك فقد بقيت في بومباي دون ان تباع الى أن جاء موعد الموسم التالي .

١٩٠٤

كانت الحيوانات التي ارسلت من العراق الى بومباي أجود نوعاً من الحيوانات التي ارسلت في العام السابق ، ولكن السوق في الهند أصبحت مزدحمة بالحيوانات ولم يستطع بعض صغار التجار (كما قيل) من بيع خيولهم أو إعادتها من حيث أتت الى بلادها الاصلية .

هذا وقد انتشر وباء الجلاندرز (وباء الحمى الفحمية) في بومباي مما أدى الى موت أعداد كبيرة هناك .

١٩٠٥

وفي عام ١٩٠٥ ونتيجة لسوء الحظ الذي أصاب التجار في السنة السابقة لم تكن شحنات الخيول كبيرة ، غير ان الخيول التي ارسلت وجدت لها سوقاً رائجة في بومباي ، ويقال ان سبب ذلك يعود الى الزيارة التي قام بها صاحب السمو الملكي ولي عهد المملكة البريطانية (امير ويلز) .

١٩٠٦

وفي عام ١٩٠٦ نقص تصدير الخيول نقصاً ملحوظاً للمرة الثانية وقد نسب هذا النقص الى منافسة الخيول الاسترالية لاسواق الهند .

وفي الجدول التالي احصائيات عن تصدير الخيول من البصرة فيما بين ١٨٨٧ — ١٩٠٦ مما صدر من العراق خلال عشرين عاماً أي ما بين ١٨٨٧ — ١٩٠٦ :

السنة	عدد الخيول	الأسعار التقديرية في البصرة بالجنيهات الاسترلينية	السنة	عدد الخيول	الأسعار التقديرية في البصرة بالجنيهات الاسترلينية
١٨٨٧	٢٥٠٠	٦٢,٥٠٠	١٨٩٧	١٣١١	١٩,٦٦٥
٨٨	٢٢٠٦	٥١,١٥٠	٩٨	١٩٣٦	٢٩,٠٠٤
٨٩	٢٨١٥	٦١,٩٣٠	٩٩	١٥٢٨	٢٧,٥٠٤
٩٠	٣١٩٣	٦٣,٨٦٠	١٩٠٠	٢٢٧٩	٤٥,٥٨٠
٩١	٣١٤٩	٧٣,٢٣٠	٩٠١	٢٤٥٥	٤٩,١٠٠
٩٢	٢٢٦٨	٣٧,٥٠٤	٩٠٢	٩٤٥	٥٦, ٧٠
٩٣	٣٤٣٢	٥٠,٤٨٠	٩٠٣	٣٨٤٥	٤٦,١٤٠
٩٤	٣٢١٨	٤٨,٢٧٠	٩٠٤	٢٦٨٢	٥٣,٦٤٠
٩٥	٤٥٨١	٦٨,٧١٥	٩٠٥	٢٢٦٢	٤٩,٧٦٤
٩٦	١٧٠٤	٢٥,٥٦٠	٩٠٦	١٧٤١	٤٣,٥٢٢

أما تصدير الخيول من ايران فيتم بصفة رئيسية عن طريق بوشهر والمحمرّة . غير أن الخيول التي تصدر من الميناء الاول في بوشهر فجميعها تقريباً يأتي من المناطق الداخلية في ايران . أما الخيول التي تصدر من المحمرة ، فهي من أصل عراقي محض، إن كانت أعدادها ضخمة. فاذا أمكننا التكلم بوجه عام نقول بأن الخيول الإيرانية التي يتم جمعها بواسطة التجار في شيراز وأصفهان وطهران تغادر البلاد عن طريق بوشهر ، بينما الخيول التي تشحن من المحمرة تصل الى هناك من المناطق المجاورة ، كعربستان مثلاً أو همدان ، وكرمان شاه البعيدتين .

١٨٢٩ — ١٨٣٤

كان عدد الخيول التي صدرت من بوشهر في ١٨٢٩—١٨٣٠ (٩١) رأساً ، وبلغت أثمانها تقديرياً حوالي (٢٩,٠٢٥) روبية ، وفي عام ١٨٣٢—١٨٣٣ ازداد العدد إلى ٢٧٢ رأساً بلغت قيمتها حوالي (٨١,٦٠٠) روبية وفي عام ١٨٣٣—١٨٣٤ كان العدد ٢٦٦ .

١٨٦٢ — ١٨٦٤

لم تصدر أية خيول من بوشهر في ١٨٦٢—١٨٦٣ ، أما في العام ١٨٦٣—١٨٦٤ فقد غادر المرفأ حوالي ٣٥٠ رأساً من الحيوانات ، قُدّرت قيمتها بحوالي ٨٧,٥٠٠ روبية ولكن نفق منها مائة رأس على ظهر المركب ، بسبب رداءة الطقس ، ولذلك كانت ارباح التجار قليلة وخسائرهم فادحة .

١٨٩٢

كانت الخيول التي تم تصديرها من المحمرة في ١٨٩٢ من نوع أجود مما كان عليه الحال سابقاً .

١٨٩٤

نقصت أعداد الخيول المصدرة من المحمرة إلى الهند في ١٨٩٤

بالمقارنة مع السنوات السابقة . وقد كانت الاسعار التي بيعت بها هناك منخفضة ، كما كان الموسم غير مربح .

١٨٩٥

في ١٨٩٥ ازداد عدد الخيول المصدرة من البصرة ، مما جعل طلب السوق في الهند على الخيول الايرانية يقل ، وبسبب ذلك نقص التصدير في المحمرة مرة أخرى .

١٨٩٦

سادت الهند ظروف قاسية في ١٨٩٦ ، وبسبب ذلك استمر نقص الخيول المصدرة من المحمرة .

١٨٩٧

وبسبب الطاعون الذي انتشر في بومباي في ١٨٩٧ ، كانت السوق ضعيفة للغاية ، وغادرت ميناء المحمرة أعداد قليلة جداً من الخيول .

١٨٩٨

وفي ١٨٩٨ استمر أثر الطاعون والجوع ، وانعكس على السوق في بومباي ، واستمر شحن الخيول من المحمرة في هبوط متواصل .

١٨٩٩ — ١٩٠١

ازداد تصدير الخيول من المحمرة بشكل ملحوظ ، وكان ذلك بسبب رسم التصدير الذي فرض على الخيول في العراق ، كما ذكرنا سابقاً ، الأمر الذي دعا الى تهريب بعض الخيول العرقية إلى بلاد إيران للشحن من هناك .

١٩٠٢ — ١٩٠٣

وفي عامي ١٩٠٠ و ١٩٠١ انتقلت تجارة الخيول كلية من البصرة للمحمرة . وفي عام ١٩٠٢ هبط التصدير في المحمرة مرة أخرى بسبب

رفع القيود على تصدير الخيول في العراق ، وبعد ذالك استمر التصدير من المحمرة على نطاق محلي ، والارقام الصحيحة على كل حال غير متوافرة .

هذا ويبين الجدول الآتي أعداد الخيول التي صدرت من بوشهر وأسعارها ، وذلك فقط في السنوات التي كانت متوافرة أي من عام ١٨٨٥ الى عام ١٩٠٦ وهي كما يلي :

السنة	عدد الخيول	الاسعار بالجنيهات الاسترلينية	السنة	عدد الخيول	الاسعار بالجنيهات الاسترلينية
١٨٨٥	٦٠٢	٧٣٣٢	١٨٩٦	—	—
١٨٨٦	٣٩٣	٤٤٤٧	١٨٩٧	١١	١٢٢
١٨٨٧	٣٦٦	٣٨٦٦	١٨٩٨	٧٨	٧٧٩
١٨٨٨	٤٠٢	٤١١٥	١٨٩٩	١٤٤	١٤٤٦
١٨٨٩	١٧٧	١٨٣٣	١٩٠٠	١٣٢	١٦٦٩
١٨٩٠	—	—	١٩٠١	٢٣١	٣٠٧٨
١٨٩١	—	—	١٩٠٢	٣١٤	٤١٨٧
١٨٩٢	٤٨٧	٤٥٦١	١٩٠٣	٤٦٨	٦٢٥٩
١٨٩٣	٤٨٠	٤٣٦٤	١٩٠٤	٤٩٩	٦٦٧٢
١٨٩٤	٤٧٢	٣٨٤٨	١٩٠٥	١٢٢	٢٦٤١
١٨٩٥	٤٠٢	٣٤٢٧	١٩٠٦	٣٦٢	٤١٤٣

إحصائيات أعداد الخيول التي صدرت من المحمرة وقيمتها في كل سنة غير متوفرة ، باستثناء السنوات الواقعة بين عامي ١٨٩١و١٩٠١ هي كما يلي :

السنة	عدد الخيول	الاسعار بالجنيهات الاسترلينية	السنة	عدد الخيول	الاسعار بالجنيهات الاسترلينية
١٨٩١	٢٠٠	١٦٠٠	١٨٩٧	٦٢	١٢٤٠
١٨٩٢	٢١٠	٣٨٨٠	١٨٩٨	٥٠	١٠٠٠
١٨٩٣	١٦٠	٢٥٠٠	(١)١٨٩٩	١٣١٥	١٦,٣٠٠
١٨٩٤	١٤٢	٢٢٨٨	(١)١٩٠٠	٢٢٧٩	٤٥,٥٨٠
١٨٩٥	١١٨	٣٣٠٠	(١)١٩٠١	٢٤٥٥	٤٩,١٠٠
١٨٩٦	٧٣	١٣٠٠			

شراء الخيول من ايران عن طريق الجيش الهندي

وفي مناسبة واحدة تم شراء خيول للجيش الهندي من ايران ، وقد قام بعملية الشراء هذه الرائد (بي وليمز) ، مدير عمليات امداد الجيش بالخيول في الهند ، الذي قام بزيارة البلاد في عام ١٨٨٦ برفقة الجرّاح البيطري ريمنت .. وخلال إجراء هذه العمليات التي شملت الفترة من شهر يونيه لغاية شهر نوفمبر لم يتم الحصول على أكثر من ٢٤٠ رأساً صالحاً فقط ، وقد تم شراء أغلب هذه الخيول من شيراز ، وأصفهان ، وطهران ، وهمدان ، وكرمان شاه .

★ ★ ★

٣ ــ البغال

لا يوجد في الجانب العربي من الخليج أي بغال ، ولكنها توجد في العراق التركي وتعتبر نسبة كبيرة منها من أفخر الأنواع ، وفي جنوب إيران ، توجد البغال بكثرة ، والمستخدمة منها يمكن شراؤها بأعداد لا بأس بها في مراكز مناسبة تقع على الطرق التجارية الرئيسية ، مثل شيراز وأصفهان وششتار .

أما في عربستان فتنحصر البغال في الأجزاء الأكثر جفافاً ، ولكن لا توجد منها أعداد كبيرة في المناطق الايرانية الساحلية . وفيما يلي الاعداد التقديرية للبغال في المناطق الساحلية :

حياة داوود	١٥٠	داشتستان	٣٥٠
روض الحلة	٢٠٠	شبان كاره	١٠٠
تانجستان	٦٠	زيره	٣٠
داشتي	٢٥٠		

تصدير البغال من ايران

التقارير المذكورة في حاشية عنوان هذا الملحق تجعل من الملاحظات الاضافية بالنسبة للخيول الفارسية أمراً ثانوياً في هذا المجال .

لا تصدر البغال عادة من إيران ، كما يبدو بطريق البحر ، ولكن عدداً منها ، كما سنرى في الفقرة التالية ، أمكن للضباط البريطانيين أن يحصلوا عليها من هذه البلاد ، لاستعمال الجيش الهندي ، فالتقارير الادارية السنوية التي ترد من المقيم الدائم في الخليج تبين أن ٢٢ بغلا قد صدّرت من بوشهر في عام ١٨٩٧ وبلغت أثمانها ٢١١ جنيهاً استرلينياً . وصدر بغلان كذلك في عام ١٨٩٩ قيمتهما عشرون جنيهاً و ١٦١ بغلا بمبلغ ١٣٩٦ جنيهاً صدرت في عام ١٩٠١ .

وفي المحمرة شحن بطريق البحر ٢٣٥ بغلا بمبلغ ١٨٢٧ جنيهاً في عام ١٩٠٠ ، و ١٤٤ بغلا بمبلغ ١٠٨٠ جنيهاً في عام ١٩٠١ .

مشترى البغال من ايران والعراق بواسطة دائرة الخيول في الجيش الهندي

في شهر اكتوبر عام ١٨٧٩ وصل الرائد بروبين الى الخليج قادماً من الهند ، ليقوم بشراء بغال للجيش الهندي في افغانستان ، وبقي في الخليج لغاية شهر مايو عام ١٨٨٠ . وقد قام بزيارة شيراز وبغداد وششتار ونجح في مهمته بمعاونة السيد بريس في شيراز ، والدكتور بريرتون في بغداد ، واشترى ١٧١٥ بغلا ، استعمل قسم منها في المدفعية الثابتة

للجيش الهندي . وبين شهري سبتمبر ونوفمبر عام ١٨٨٠ وبناء على أوامر صادرة عن حكومة الهند تم شراء ١٧٤ بغلا من البغال المستعملة في مدفعية الجيش بواسطة المقيم السياسي الدائم في الخليج عن طريق السيد بريس . وفي شهر ديسمبر تم شراء ٥٧ بغلا آخر عن طريق أحد عملاء البنوك الايرانية . ويبدو أن هذه البغال كانت قد جمعت في شيراز ، وخلال الرحلة التي قام بها الرائد وليامز والسيد ريمنت في ايران سنة ١٨٨٦ ، وكما ذكرنا في الجزء الذي خصصناه للخيول أعلاه ، تم شراء ٢١٢ بغلا . وبين شهر يناير وشهر يونيه عام ١٨٨٩ استطاع النقيب هـ. ر. تيت الذي رسا في مرفأ بوشهر وقام بزيارة شيراز وأصفهان كضابط مشتريات من شراء ٣١٨ بغلا . وفي عام ١٨٩٠ اشترى الملازم و. ج. ر. وكهام ، وهو أحد الضباط الذين ارسلوا لغرض مماثل ، ٢٦٧ بغلا للتنقل و ٢٩ بغلا آخر لنقل المدفعية من عربستان . وقد تم ذلك ما بين شهري يناير ويونيو من ذلك العام . أما الرائد «إي. بروس» الذي أوفد الى ايران لشراء بعض البغال في عام ١٨٩٠ ، فقد أمضى شهر نوفمبر من ذلك العام في عربستان .

ومن ثم ذهب الى أصفهان حيث مكث فيها لغاية سبتمبر عام ١٨٩١. وقد قام هذا الضابط بمعاينة حوالي ١٠٩٥٣ بغلا ، اشترى منها ٦٤ بغلا فقط لسلاح المدفعية و ١٧٢٧ بغلا لأعمال النقل . ومن هذا العدد الضخم الذي قام بمعاينته ، اشترى ٤٦ بغلا فقط من عربستان . أما الضابطان الآخران اللذان أوفدا من الهند الى إيران لشراء بعض البغال فهما الرائد ج. هـ. اربوثنوت والملازم « في بي ب. وليمز» ، وقد جعل الضابط الاول من مدينة أصفهان مركزه الرئيسي. وبين شهري أبريل واكتوبر عام ١٩٠٤ جمع حوالي ٩٥٣ بغلا . والضابط الآخر الذي كرس جهوده بصفة رئيسية على المقاطعات المجاورة لمدينتي كرمانشاه وشيكوه استطاع شراء ٨٥ بغلا للمدفعية و ١٥٦ بغلا لأعمال النقل ، وقد تم ذلك ما بين شهري يونيه واكتوبر عام ١٩٠٧(١) .

ان تصدير هذه الحيوانات التي اشتراها ممثلو دائرة الخيول في الجيش في الاحصائيات السنوية لمرفأي بوشهر والمحمرة . ولربما حذفت عن قصد باعتبارها صفقات او معاملات رسمية . أما نتيجة إيفاد المبعوثين لشراء البغال ، فتبين أنه يوجد هنالك صعوبات في طريقة وضع قاعدة عامة لتجارة البغال من إيران للهند . فالطلب على البغال في بومباي وكراتشي هو امر عسكري بصفة رئيسية وأنه من أجل الحصول على بغال بإيران ، فقد يستمر ارسال الضباط من الهند بالضرورة .

★ ★ ★

٤ ـ الحمير

توجد الحمير بأعداد متوسطة في جميع أنحاء الخليج . وفي الجانب العربي منه تستخدم لأغراض النقل ، وفي المناطق الايرانية تستخدم الحمير في حرث الأرض ، ونادراً ما تستعمل الحمير في الارض الرملية في الجزيرة العربية ، لان السير صعب بالنسبة لها ، خصوصاً وان حوافرها صغيرة ودقيقة . وفي مثل هذه الاماكن تستعمل الجمال فقط .

الحمير في شرق الجزيرة العربية ووسطها

باستثناء بعض المناطق في سنجق الاحساء وإلى حد ما في البحرين فان أحجام الحمير وانواعها اعتيادية في منطقة الخليج . وفي سنجق الاحساء توجد أنواع ممتازة من الحمير البيضاء ، وهذا النوع يوجد في البحرين الآن وربما بشكل أجود . وفي هاتين المنطقتين يزيد عدد الحمير العادي على الحمير ذات المنشأ الخاص . ففي سنجق الاحساء يقدر عدد الحمير البيضاء الجميلة بحوالي ٣٢٠٠ حمار ، في واحتي الاحساء والقطيف وفي البحرين ٢٠٠ ، مقابل ١٠٦٥٠ و ٢٠٠٠ حمار من النوع العادي في كل من هاتين المقاطعتين بالتتالي ويتراوح ارتفاع الحمير البيضاء في البحرين

بين (١٢ و ١٣) شبراً بخلاف النوع العادي من الحمير الذي يتراوح علو كل منها بين (١٠ و ١٢) شبراً . أما الحمير «الصّلوبة» في اواسط الجزيرة وفي الكويت فهي من نوع ممتاز جداً فبواسطتها يستطيع أصحابها القيام برحلات هامة في الصحراء . وفي سلطنة عمان توجد الحمير بكثرة في المناطق المرتفعة خصوصاً في مناطق حجر الغربية والشرقية ، وفي الظاهرة . ويوجد لدى البدو في إمارات عمان المتصالحة أعداد من الحمير. وتكثر الحمير في اواسط الجزيرة . وفي جبل شمر وهو الجزء الشمالي من ذلك القسم تكون غالباً بيضاء وتستعمل للرحلات القصيرة .

الحمير في العراق التركي وايران

توجد الحمير المتوسطة الجودة في العراق بأعداد معتدلة وكذلك الحال في عربستان ، أما في مكران الايرانية فالحمير صغيرة الحجم كباقي الحيوانات الاخرى في البلاد . وفيما يلي التقديرات التي تبين أعداد الحمير على الساحل الايراني .

لبرافي	٢٠٠٠	ديره	٩٠٠
حياة داوود	٢٠٠٠	داشستان	٢٥٠٠
روض الحلة	١٣٠٠	تانجستان	٢٥٠٠
أنجالي	٥٠٠	داشتي	٣٥٠
شبان كاره	٣٠٠٠	لنجة	٤٠٠
مزارعي	٧٠٠	شميل	١٠٠٠
بندر عباس	٣٥٠	بيابان	٥٠٠

٥ ــ الابقار والمواشي

توجد الابقار ذات القرون في جميع أجزاء منطقة الخليج تقريباً غير أنه في أغلب الأماكن لا يوجد شيء يستحق الذكر بالنسبة لنوعيتها . أما أحجامها فهي صغيرة بصفة عامة . وفي الجزيرة تربّى المواشي بشكل رئيسي من أجل لبنها ولحمها ولكنها تستخدم في ايران لاغراض النقل خاصة التي من فصيلة سجواند لورو الصغيرة الحجم ، ولحرث الارض ، وفي بعض الأماكن لرفع المياه لاغراض الري . والأبقار في سلطنة عمان ذات سنام في الغالب ، وتتغذى الابقار الموجودة على الساحل بالاسماك بعد خلطها مع بعض التمر ، والابقار التي عند القرويين في قطر قليلة ولكن للبدو عدداً كبيراً منها ، أما في البحرين فتوجد سلالة محلية من الابقار تبلغ حوالي (٨٥٠) وهي صغيرة الحجم ، غزيرة في إدرار الحليب ، والعلف هو طعامها الرئيسي . وفي البحرين يقوم الجزارون بجلب الأبقار من إيران من أجل لحومها . أما في واحة الاحساء فيوجد في كل بيت بقرة بشكل عام . أما في جنوب نجد فتكثر الأبقار ذات الارجل القصيرة والسنام خاصة في منطقة الخرج ، أما في شمال نجد وجبل شمر فالابقار قليلة وضعيفة . وفي العراق التركي توجد الابقار بكثرة وأجودها يكثر في المناطق المجاورة لبلدة العمارة الواقعة على نهر دجلة وهي المركز العادي لتجميع الأبقار من أجل التصدير .

وتساق بعض القطعان من هذه المنطقة الى الموصل على محاذاة نهر دجلة ثم إلى سوريا وأخيراً تصدر نسبة منها إلى مصر ، أما الابقار في مكران الايرانية فهي صغيرة كباقي الحيوانات .

٦ ـ الجاموس

لا يوجد الجاموس في منطقة الخليج الا نادراً وباستثناء المستنقعات الواقعة في العراق وعربستان كما يوجد القليل منها في مكران الايرانية ولكنها صغيرة الحجم : والجاموس ممتاز في العراق التركي خصوصاً ما عند قبيلة أبو محمد الذين يسوقونها على محاذاة نهر دجلة حتى الموصل لسوريا ابيعها ، وفي عربستان تنحصر الجواميس كما ذكر سابقاً في المناطق الرطبة وأغلبها يوجد في مناطق الفلاحية والحويزة وفي بعض مناطق دزفول والهندية ، وتستعمل الجواميس في هذه المنطقة في حراثة الارض وفي أغراض أخرى .

★ ★ ★

٧ ـ الاغنام والماعز

الاغنام والماعز في شرق الجزيرة

يوجد الضأن والماعز بأعداد هائلة في سائر المناطق المجاورة للخليج كما تتواجد الضأن في عمان لاسيما لدى البدو وسكان الجبال أما الماعز فتتواجد في كل مكان . وفي قطر يقوم البدو برعاية الاغنام التي يملكها السكان المستقرون ممن يقومون بتصدير بعضها الى البحرين . أما في البحرين فيقدر عدد الضأن بحوالي (٥٠٠) والماعز بحوالي (٧٠٠) فقط. وبسبب قلة الأغنام هناك فان الجزارين يستوردون الكثير منها من إيران والأحساء ، والقليل منها من قطر والكويت. ويبلغ عدد الاغنام والماعز المستوردة من ايران حوالي ١٤٠٠٠ رأس ومن الأحساء ٢٠٠٠ رأس في العام الواحد .

الاغنام والماعز في وسط الجزيرة

وفي الجانب العربي من الخليج توجد الأغنام بكثرة وبأنواع جيدة في بلاد نجد وهي تتبع سلالة خاصة تنتج نوعاً جيداً من الصوف ويمكن

تمييزها عن غيرها فيقال : أغنام نجدية . وأغنام قبيلة حرب بالذات ، لونها اسود ويتراوح سعر الضأن والماعز عند قبيلة مطير بين اربعة دولارات وستة دولارات للرأس الواحد ، وتفوق أسعار الاناث أسعار الذكور .

الاغنام في العراق التركي

وتتميز الاغنام في العراق التركي بأليتها السمينة وهي من أجود الانواع فالضأن فيها يوازي الضأن فياوروبا . وتتمتع أغنام قبيلة بني لام بسمعة طيبة ، وتصدر بعض الاغنام من العراق لسوريا عن طريق خط دجلة والموصل . وبعد تجميع الحيوانات في المناطق التابعة للعمارة . وتتميز الاغنام العربية في السهول العراقية بصوفها ولكن صوف النوع الذي ينشأ من تزاوجها مع أغنام كردستان الجبلية هو أخشن وأقل تجعيداً .

★ ★ ★

مذكرة ملحقة

الضأن والماعز الايراني

٨ ـ الضان الايراني

الاغنام والماعز في ايران

يقل عدد الماعز في عربستان عن عدد الاغنام ولا يوجد في بعض الأجزاء سوى القليل من الماعز . وبما ان التفاصيل المتعلقة بالاغنام والماعز في ايران موجودة في المذكرة الملحقة التالية فليس هناك ضرورة لإبداء المزيد من الملاحظة في هذا القسم .

أنواع الضان الايراني

يوجد بصفة عامة سلالتان متميزتان من الضأن فقط في جنوب ايران والجزيرة العربية ، وهما الضأن العربي والضأن التركي او اللوري ،

ولكن توجد في بعض الاماكن سلالة ثالثة وهي السلالة المختلطة بين هذين النوعين .

الصفات العامة

يمتاز الضأن الايراني بأنه صغير وقوى البنية ويعيش تقريباً من العدم وعلى رغم هزال هذا النوع من الضأن فهو يحتمل قساوة الطقس خصوصاً حرارة الصيف ورياحه اللافحة التي تسود الاراضي المنخفضة في جنوب ايران والجزيرة العربية . والضأن العربي أخف وزناً من الضأن الايراني كما أن اليته أخف ، وله قدرة أكبر من الايراني على التلاؤم مع المناخ القاسي ، كما يمكن القول بأن صوفه أنعم وأحسن ، وعلى ذلك فقيمته أعلى ، أما الضأن التركي فهو أضخم حجماً وأنسب لحياة التلال ولطبائع أصحابه في الحل والترحال وصوفه أكثر خشونة واليته أكثر استدارة من مثيله كما أنه أجمل في هيئته .

أما الاغنام والماعز في مكران الايرانية فصغيرة كغيرها من الحيوانات الداجنة في تلك المنطقة .

التربية

تبذل عناية تامة بسلالة الضان عن طريق منع اختلاط السلالات المختلفة ، وفي المناطق المشهورة بالجلود يعنى عناية تامة بمنع اختلاط الضأن بحيوانات أخرى مماثلة للحفاظ على جلده الاسود .

ومما لا شك فيه أنه بسبب هذه العناية نرى أن الاسود هو اللون السائد مع انه عندما يكون الصوف هو المطلب الرئيسي يكون الاهتمام منصباً على الضأ ن الابيض والرمادي .

تتهيج الاكباش مرتين في العام ، ولكن كقاعدة أساسية يسمح لها بالاختلاط بالنعاج مرة واحدة في السنة ، وذلك في فصل الخريف . ويعتبر جلد الحمل الذي يولد في فصل الخريف من قبل بعض المربين أجود من جلد الحمل الذي يولد في فصل الربيع . غير أنه كقاعدة عامة يسمح للنعاج بالحمل في فصل الربيع حيث تتوافر الاغذية والاعشاب .

الرعي

وتوجد في فصل الربيع كميات كبيرة من الاعشاب الخضراء ويوجد كذلك بعض الاغذية الاخرى . أما في فصل الصيف عندما تجف البلاد فتعيش الاغنام على العشب البري وبقايا القمح والشعير وأوراق الأشجار المتساقطة وغيرها . أما في فصل الربيع حيث تكثر الاعشاب ذات المذاق الحلو ، تؤخذ أغنام الضأن للرعي في المستنقعات أو الاراضي التي يوجد فيها أعشاب تتميز بالملوحة وذلك مرتين في الاسبوع للاحتفاظ بها في أحسن صحة ، وذلك لوفرة الاعشاب . ويجري ذلك أيضاً إلى حد ما في فصل الصيف ، حيث تساق الأغنام الى الارض المالحة ، وتساق قطعان الاغنام مرتين في اليوم لاقرب غدير مياه أو بركة وذلك في فصل الربيع ، وفي الشهور الممطرة . أما في فصل الصيف عندما يجف الغدير والبرك من المياه فينبغي للأغنام أن تكتفي بشرب مياه الآبار غير العذبة ، حيث وجدت ويتم ذلك ، كقاعدة عامة ، مرتين في الاسبوع .

عمل الراعي

في الوقت الحالي لا يمكن اعتبار رعاية الاغنام ومراقبتها أمراً عسيراً . ففي غابر الأزمان وفي الاوقات التي كانت تكثر فيها الحيوانات المفترسة والذئاب ، لم تكن مهمة الرعاة هينة في أي حال من الاحوال بل كانت صعبة للغاية ، ولكن بعد أن استحدثت بنادق المرتين والبنادق الاخرى في هذه البلاد اختفت الذئاب والحيوانات المفترسة بدون رجعة . ويستطيع الراعي أن يترك القطعان تجول حيثما تريد بينما يقضي هو أغلب وقته في النوم بجوار صخرة لثقته بأن كلبه الذي يرافقه سيوقظه اذا كان لذلك ضرورة ، ولثقته أيضاً بأن الماعز ستقوم بقيادة الضأن للرعي في المناطق القريبة .

الامراض

وأغنام الضأن الايرانية محصنة ضد الامراض ما عدا مرض الكر الذي يسود مناطق الرعي في السنوات التي تندر فيها الاعشاب كثيراً ،

ويتم علاج هذا المرض في المناطق الساحلية باستعمال زيت السمك أو زيت القرش . أما في المناطق الداخلية فيستعمل زيت بذر الكتان وزيوت أخرى .

ويوجد كذلك مرض آخر مخيف إلى حد ما ويعرف عند السكان باسم مرض أبو طير ، أو أبو الفاس الذي لا يمكن شفاؤه ، لان اعتقاد السكان السائد يتلخص في أن هذا الامر هو مس من الشيطان . ويظهر هذا المرض عندما تكون الاعشاب وفيرة . فقد تكون الاغنام في صحة جيدة جداً وفجأة تبدأ في السعال وتتلوى بعصبية . وفي أغلب الحالات تسقط ميتة في غضون دقائق وتنتشر الامراض انتشاراً أقل بين الاغنام التي تغسل بمياه البحر من تلك التي لا يتم غسلها .

الصوف

ينتج رأس الضأن الواحد صوفاً يتراوح وزنه بين رطل ونصف وثلاثة ارطال في المعدل . ويوجد هنالك فرق واضح بين صوف الغنم العربي وصوف الغنم التركي أو اللوري . فالصوف العربي ارفع وأنعم وأطول تيلة ومرن جداً كالحرير ، وله سوق كبيرة في انجلترا وبلدان اوروبا بصفة عامة . فهو يدخل ضمن صناعة البضائع الصوفية الخشنة .

أما الصوف التركي او اللوري فخشن جداً ، وتيلته مستقيمة وأقصر من تيلة الصوف العربي ، كما أنه مرن قليلا او حتى غير مرن اذ انه يشبه الشعر . وهذا النوع من الصوف لا يجد له أسواقاً اوروبية بسهولة . لأنه لا يستعمل في صناعة البضائع الصوفية ، ولا يستعمل حتى في صناعة السجاجيد . أما السوق المفتوحة له ففي بومباي ، حيث يقال بأنه يخلط مع أصواف أخرى . والجزء الاكبر من الاصواف التي يتم انتاجها في مقاطعات قارون فهي من الاصواف التركية أو اللورية . والفرق في نوع الاصواف مرجعه الى المراعي المختلفة وكيفية المعيشة لكلا النوعين من

الاغنام ، أي للاغنام العربية والاغنام التركية . ان الضأن العربي التي تعيش في السهول تحصل على غذاء أفضل ، ولا يجري تحركها من مكان إلى مكان باستمرار . أما الاغنام التركية فتسير باستمرار مع أصحابها الرحل ، وتلتقط من الاغذية ما تجده في أثناء سيرها ، ويتكون غذاؤها من اوراق البلوط ونبات الشيبه الذي يكثر على جوانب الجبال .

أما فيما يتعلق بصوف أغنام الضأن المختلطة وسلالتها ، فيمكن القول بأن أصوافها أقل جودة من أصواف الأغنام العربية ، وأجود من الاصواف التركية . وتستعمل هذه الاصواف في صناعة السجاجيد ، وتصدر بكثرة الى امريكا ، حيث تدخل إلى هناك برسوم قليلة ، في الوقت الذي تدفع فيه رسوم مرتفعة على الاصواف العربية التي تدخل إلى هناك . ولقد كثر الطلب على مثل هذه الأصواف ، الأمر الذي يدعو إلى تربية الأغنام المختلطة السلالة بدون شك .

يبدأ جز الصوف في شهر مارس ، ويستمر حتى شهر مايو . والحصول على الاصواف البيضاء والرمادية صعب جداً ، أما الاصواف السوداء والغامقة فهي وفيرة ، والحصول عليها سهل .

جلود الحملان

وتشتهر ايران بتجارة الحمل الذي يجد له منفذاً إلى روسية ، ويمكن الحصول على هذه الجلود من أغنام الحمل التي تعيش في المرتفعات ، ولما كانت الصفة المميزة لصوف الحمل هي نعومة خصل الصوف وتلاحمه فإنه يجري ذبح الحملان دون تمييز منذ ولادتها إلى أن يصل عمرها إلى أربعة عشر يوماً . وفي بعض الاماكن ما تزال الطرق البربرية موجودة ، وذلك بقتل النعاج قبل الوضع بيوم واحد(١) من أجل الحصول على جلد الحمل لتجنب إصابته بأية أضرار من أثر الولادة ، وفي مثل هذه الحالات يتضاعف سعر الجلد الواحد عن المعدل .

(١) معلوم أن مثل هذا العمل لا يقره الدين الاسلامى .

ولقد كان إهلاك الحملان في إيران لفترة قصيرة مضت منتشراً جداً حتى إن أعداد الضأن تناقصت نقصاً كبيراً شعر به الكثيرون في طول البلاد وعرضها ، الامر الذي أضر كثيراً بصناعة السجاد . ولذلك قامت الحكومة بسن القوانين اللازمة لمنع الذبح الجماعي أو الحد منه ولكن هناك شك في أن هذا التشريع أدى النتائج المرجوة .

جلد الغنم

تصدر الجلود الى الهند قبل دبغها ، وهناك تستعمل بطريقة ما بحيث تصبح من الجلود الرخيصة في البلاد . ويصدر عدد معين منها الى القارة الاوروبية ، أما الجلود المدبوغة فتجد طريقها الى الشمال ، وتعتبر من قبل البعض من النوع الممتاز ، وهي تستعمل الى حد كبير في البلاد نفسها ، ويصدر البعض منها الى روسية .

الحليب

تنتج النعجة الواحدة مقداراً من الحليب يتراوح بين رطل ورطل ونصف في اليوم . ويستعمل هذا الحليب في انتاج الجبن او المست وهو أحد منتوجات الحليب التي يتناولها المواطنون بكثرة كغذاء ويستسيغها كذلك الاوروبيون . والمست شراب منعش بعد الرحلات الحارة كثيرة الغبار .

السباخ

ويعتبر الزراعيون أرواث الاغنام من أجود الاسمدة في إيران بعد روث الحمام ، فهم يستعملونه في الاراضي التي تزرع بالبطيخ والخضار والفواكه الاخرى .

اللحوم

وفيما يتعلق بأي نوع من أغنام الضأن هو الأجود للأكل فتلك مسألة رأي . فالضأن العربي يزن من ٢٠ الى ٥٠ رطلا وقت الذبح أما التركي فيتراوح وزنه من ٣٠ الى ٧٠ رطلا .

الاحشاء

يصدر كثير من الاحشاء الى القارة الاوروبية ، والى همبورج بنوع خاص حيث تجد لها أسواقاً جاهزة .

العظام

تصدر العظام كذلك الى القارة الاوروبية بكميات قليلة .

الأثمان

وتعتبر تربية أغنام الضأن بشكل عام عملا مربحاً ، فمعدل سعر النعجة يتراوح بين ٢٥ و ٣٠ غران .

ويدر صوف النعاج ومنتجات الحليب ما بين ١٠ و ١٥ غران في العام ، ويدر الحمل ربحاً يوازي ٨ إلى ١٠ غران في العام ، مقابل مصاريف التربية التي لا تذكر .

التصدير

دعا تصدير الأغنام على نطاق واسع الحكومة الايرانية إلى فرض حظر عليه ، والاجراءات التي اتخذت لمنع إهلاك الحمل ورد ذكرها في مكان سابق . والموانئ الفارسية التي تشحن منها الاغنام هي بندر عباس ولنجة وبوشهر والمحمرة . ويتراوح سعر النعجة من ٢٥ غران الى ٣٠ ، أما الكبش فيتراوح سعره بين ٢٥ غران و ٤٠ . وتقدر رسوم الجمارك التي تفرض على كل رأس من هذه الأغنام عند التصدير غران واحد فقط . هذا وقد ارسلت من إيران بعض أغنام الضأن الى جنوب إفريقيا عام ١٩٠٥ .

٩ ـ الماعز الايراني

بعد الحديث عن أغنام الضأن ، يجدر بي أن أتحدث قليلا عن الماعز وفلسفته وصداقته للضأن الذي هو له بمثابة قائد ومرشد

انواع الماعز

يوجد نوع واحد من الماعز في ايران ، وهو ذلك النوع الذي له قرون ، واسود اللون بصفة عامة والمعروف أن المعزاة تحمل مرة واحدة في السنة ، وذلك خلال شهري سبتمبر واكتوبر ، غير أنها تحمل مرتين في العام أحياناً .

فوائد الماعز

ان تواجد بعض الأعداد من الماعز في قطيع الضأن قاعدة أساسية ،وهي تدرب لتقود الضأن وترشدها في السير ، وذلك بالطريقة نفسها التي تدرب بها خيول بيشاهانج لقيادة قوافل البغال .

وللماعز غريزة حب المنزل أكثر من الضأن ، فهي لا تقود هذه الأغنام للرعي في بعض المناطق المليئة بالأعشاب فقط ، بل لقلة خوفها مما يحدث حولها فهي تمنع القطيع من الحجل والإجفال .

الانتـاج

والماعز تقوم مقام المرشد الامين في المناطق الجبلية . وتصنع الحبال والابسطة وحقائب السرج من شعر الماعز الذي تنتجه بمعدل رطل او رطل ونصف للرأس الواحد .

ويعامل حليب الماعز بالطريقة نفسها التي يعامل بها حليب الضأن . أو بمعنى آخر يستعمل الحليب في انتاج الجبن وشراب الماست ، وفي

القرى المحاذية للأنهار ، حيث لا توجد قوارب تنفخ جلود الماعز ، وتستعمل من قبل السكان المقيمين كقوارب بربط اثنين او أكثر معاً .

وبهذه الطريقة ينقل الركاب والبضائع من إحدى ضفتي النهر الى الضفة الأخرى له ، في الاماكن الخالية من الجسور أو التي لا تصلح القوارب فيها للقيام بهذه العملية ، وتستعمل الجلود بكثرة في صنع الحقائب والقرب التي تملأ بالمياه وتنقل من مكان إلى آخر .

* * *

ملحق ح

الديانات والطوائف في منطقة الخليج

من رأينا أن نتناول في هذا الملحق فقط موضوع الديانات المحلية في الخليج ، على أن نناقش موضوع التبشير والمسيحية الغربية في موضوع آخر

★ ★ ★

الديانات وتوزيعها

ينتشر الدين الاسلامي بمذهب أو آخر من مذاهبه ، في كل أقطار الخليج حتى تندر الديانات الاخرى ، بل ان اليهودية هي الديانة الوحيدة الاخرى التي يتبعها أناس كثيرون ، وتنتشر في العراق التركي ، ولكن أتباعها يقلّون الى بضع مئات خارج حدود هذا الاقليم . ويأتي المسيحيون الشرقيون بعد اليهود في الاهمية العددية ، وينتمي هؤلاء الى كنائس متفرقة عديدة وربما يبلغ عددهم بضعة ألوف في العراق التركي ، بينما يندر وجودهم في أي جزء آخر من الخليج . وكذلك فإن عدد الصابئة ــ الذين يتبعون ديانة خاصة بهم ــ قليل ، وينحصرون في العراق التركي وعربستان . أما جنس أو قبيلة سالوبا ــ والذين يظهر أن هنالك علاقة بين عقائدهم وعقيدة الصابئة ــ فينتشرون في نطاق واسع نوعاً ما في الجزيرة العربية ، كما إن عدد الهندوس ليس بالكبير ويندر أن نجدهم الا على سواحل خليج عمان والمنطقة السفلى من الخليج .

مسائل متعلقة بالمذاهب الاسلامية على وجه عام

الطوائف الإسلامية في الخليج

ينتمي أتباع الديانة الاسلامية في منطقة الخليج الى الطوائف الآتية : السنة ، الشيعة ، الاباضية ، الوهابية ، الخوجيه والزكرية ، وعلى وجه الدقة ربما يجب اعتبار الوهابية فرعاً من السنّة والخوجية فرعاً من الشيعة . وسنخصص لكل طائفة من هذه الطوائف فصلا نتحدث فيه عن مكانة الطائفة وخصائصها ، ولكن من الافضل أن نتحدث قبل ذلك عن المسائل المشتركة بين هذه الطوائف .

حجم الطوائف وقوتها النسبية العددية

تسود الشيعة في إقليمي العراق التركي (سكانه ١,٥٠٠,٠٠٠) وعربستان (سكانه ٣٤٩,٠٠٠) اللذين يمتدان مع السهول الطامية على رأس الخليج . ويوجد بالعراق ، أو بالأحرى بالجزء من العراق الذي نهتم به أساساً ، حوالي ٥٤٦,٠٠٠ شيعي ، مقابل حوالي ١٧٥,٠٠٠ سني ، الا أن للاتجاه السني تأثيراً سياسياً يفوق نسبة قوته العددية ، وينبع ذلك أساساً من ارتباط الاتجاه السني بالحكومة . أما سكان عربستان فتقريباً ينتمون كلياً للشيعة .

وفي الشاطىء الشرقي من الخليج والذي يقطنه ٢٨٤,٠٠٠ نسمة ، يسود ، بشكل ملحوظ ، الاتجاه الشيعي ما عدا المناطق الآتية : روض الحله ، شيبكوه ، لنجه ، بستك ، بيبان وجاشك . وفي مدينة بندر عباس وعلى جزر قشم وهنجام ولارك ، يغلب في هذه الاماكن الاتجاه السني ،

ويقدر أتباعه في هذا الجانب من الخليج بحوالي ١٠٠,٠٠٠ نسمه . أما في الشاطىء الغربي للخليج (سكانه ٣٠٧,٠٠٠) فيغلب الاتجاه السني ، متضمناً الوهابيين بالاسم ، في كل قسم من الاقليم . وفي الاحساء والبحرين توجد أقليات شيعية قوية تقدر بـ ٥٦,٠٠٠ و ٤٠,٠٠٠ نسمه على التوالي . ويمكن ان يعتبر أتباع الشيعة على الجانب العربي مساوياً لعدد أتباع المذهب السني على الجانب الايراني .

وعدد الشيعة قليل في خليج عمان . أما مكران الايرانية ، (سكانها ما عدا منطقة جاشك ٩٢,٠٠٠) على الشواطىء الشمالية لذلك البحر ، فتابعة كلياً للمذهب السني ، بينما يتبع امتداد الجوادر (سكانه ٥,٠٠٠) للاتجاهات السنية ، والزكرية والخوجية والاباضية ، أما سلطنة عمان على الجانب العربي (سكانها — بما فيها ظفار والشاطىء الجنوبي الشرقي للجزيرة العربية ٥٠٠,٠٠٠) فتتبع أساساً الاباضية والسنية ، ويبدو على الاغلب أنها أباضية مع وجود نسبة ضئيلة من أتباع الوهابية .

يمكن القول اجمالا بأن غالب السكان المنحدرين من اصل ايراني ينتمون كلياً للشيعة ، بينما ينتمي الذين ينحدرون من أصل عربي الى الاتجاه السني ، مع ملاحظة ان العرب في العراق التركي وعربستان ، كما أسلفنا ، يشكلون شذوذاً واضحاً عن هذه القاعدة العامة ، كذلك يغلب الاتجاه الشيعي في الخليج أساساً بسبب الاقطار الواقعة في أعلاه ، بينما ينتشر المذهب السني والاباضي في كل خليج عمان تقريباً .

الحج الى مكة والمدينة

الامر الوحيد تقريباً الذي يهم كل المسلمين في الخليج على السواء هو الحج السنوي الى المدينتين المقدستين مكة والمدينة . هنالك طرق رئيسية ثلاث — عبر الجزيرة العربية — يسلكها الحجاج من الخليج للوصول الى الحجاز . الطريق الأول ينطلق من الهفوف في الأحساء وينساب عبر الرياض في جنوب نجد ، والثاني يبدأ من الكويت عبر بريده في القصيم ،

والثالث ينطلق من النجف في العراق التركي عبر حايل في جبل شمر . إن الطريق الاخير وهو الذي يسلكه عادة الحجاج من ايران هو المهم ، وهو الذي يستعمل بانتظام ، بينما يعتمد مدى استعمال الطريقين الآخرين على استتباب الامن او عدمه في المناطق التي يخترقها الطريقان في الداخل . وفي عام ١٨٩٧ كانت القوافل السنوية تبارح السماوى التي يتكون سكانها من العرب ، والزبير على حدود العراق ، والتي يتكون سكانها من العرب وبعض الايرانيين . وكانت هذه القوافل عادة تمشي عبر حايل . ويقال ان قافلة النجف ، عندما تصل مكة ، تضم بين ٨,٠٠٠ الى ١٠,٠٠٠ حاج أو أكثر ، وربما كان ١,٥٠٠ أو ٢,٠٠٠ بينهم ايرانيون .

ان مرور قوافل الحجاج عبر المناطق المختلفة ذو اهمية خاصة لحكام هذه المناطق في أواسط الجزيرة العربية أساساً لما تدره عليهم من اموال يدفعها الحجاج مقابل الحماية من البدو ، وتوجد إشارات مختلفة لمسألة قافلة الحجاج في تاريخ نجد : ويروي تاريخ العراق التركي قصة المحاولة التي قام بها في عام ١٩٠٣ بعض رجال الدين من الايرانيين لمنع سلوك طريق النجف-حايل أثناء استمرار الحرب في اواسط الجزيرة العربية ، ويروي كذلك كيف اعتبر الباب العالي هذه المحاولة كعمل مدبّر لمنفعة حاكم الكويت على حساب عاملهم ، أمير جبل شمر .

★ ★ ★

وقائع تاريخية تفسر نشوء الطوائف الاسلامية

ربما يكون من المناسب ان نعطي القارىء في هذا المجال نبذة قصيرة عن الحوادث التي يعزى اليها سبب نشوء الطوائف الاسلامية الرئيسية . وبما ان معظم هذه الحوادث وقع في أقطار الخليج ، وبما ان معرفتها تقرب فهم موضوع اماكن الشيعة المقدسة عندهم والذي سنطرقه فيما بعد ، فانه يبدو من المثمر طرْقُ هذا الموضوع .

خلافة ابو بكر وعمر وعثمان ٦٣٢ — ٦٥٦ م

تولى الخلافة بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في سنة ٦٣٢م ، ابو بكر والد عائشة زوجة النبي عليه السلام . وقد حكم ابو بكر حتى موته في سنة ٦٣٤ م.

وقد خلف ابا بكر عمر ، وهو صهر آخر للرسول ، وتم على يديه فتح العراق كلياً في الفترة بين عام ٦٣٥ إلى ٦٤٢م بعد هزيمة الساسانيين الفرس أمام الجيوش الاسلامية العربية . وقد انشئت في هذه المقاطعة الجديدة المدينتان الاسلاميتان المهمتان (البصرة) و (الكوفه) حوالي عام ٦٣٨ . وفي عام ٦٤٤ اغتيل الخليفة عمر .

وقد عين عمر قبل موته مجلساً من ستة أشخاص ليختاروا الخليفة من بينهم ، وهؤلاء الستة هم : علي بن ابي طالب ابن عم محمد وزوج ابنته فاطمة ، طلحة بن عبيدالله من اوائل المسلمين البارزين ، الزبير بن العوام من ابناء عم محمد وكلاهما من المسلمين البارزين ، عثمان بن عفان من عائلة الامويين وزوج ابنتي الرسول : رقيه وام كلثوم ، واثنان آخران . وقد وقع اختيار المجلس على عثمان بن عفان ليتولى الخلافة ، ولكن هذا القرار لم ينل رضا الكثيرين خاصة علي وطلحة والزبير وقد وقعت فتنة انتهت بقتل عثمان في عام ٦٥٦ بعد حكم دام اثنتي عشرة سنة .

خلافة علي ٦٥٦ — ٦٦١م

ومن ثم أتى علي خلفاً لعثمان ، ولكن طلحة والزبير — اللذين وقفا مع علي في معارضته عثمان — سرعان ما تمردا عليه وقد انضمت اليهما عائشة — ارملة النبي — . وقد هزم الاثنان وقُتِلا في معركة الجمل

بالبصرة القديمة حيث يوجد قبراهما حتى الآن ، ووقعت عائشة ــام المؤمنين أسيرة علي . بعد ذلك أعلن معاوية الحرب على الخليفة علي . وقد كان معاوية حاكماً لدمشق ، وهو أموى ومن أبناء عم الخليفة المقتول عثمان . وعلى اثر المعركة التي وقعت في صفين ، قريباً من الرقة على نهر الفرات ، وبناء على رغبة اغلبية أتباع علي ، فقد أوقف القتال وعرضت ادعاءات القائدين للتحكيم . ولكن لم تكن اجراءات التحكيم جازمة وفاصلة ، لان علياً بقي مسيطراً ، على الاقل ، على العراق ، بينما فاز معاوية بالخلافة الاسمية .

ظهور الخوارج

ظهرت في هذه الاثناء في العراق طائفة عرفت بالخوارج ، تدعو الى دولة ثيوقراطية (دينية) تكون فيها كل الاعمال والمسائل خاضعة للدين ، وقد ناصر الخوارج الخليفة علياً في بادىء الامر ضد معاوية ، الذي كانت سياسته الدنيوية منفرة لهم . الا أنهم تمردوا على علي بعد مشاورات تلت صفين حيث بدا لهم أن سياسة علي لا تقل ايغالا في الدنيوية عن سياسة خصمه . وقد انتهت قوة الخوارج السياسية عام ٦٥٨م بعد أن هزمهم علي في منطقة قناة النهروان قرب بغداد الحديثة .

اغتيال الخليفة علي بأيدي الخوارج ٦٦١ م

بعد هذا تآمر ثلاثة من الخوارج لاغتيال كل من : علي في الكوفه ؛ ومعاوية في دمشق وعمرو بن العاص في القاهرة ، وذلك في يوم واحد في شهر يناير عام ٦٦١ ، وزعموا أنهم بهذه الطريقة سيتخلصون من أشخاص ثلاثة يعكرون صفو السلام في الاسلام . وقد نجا عمرو من هذه المؤامرة سالماً ، وجُرح معاوية جرحاً شفي منه ، ولكن الخطة نجحت بالنسبة لعلي حيث جرحه عبد الرحمن بن ملحم بسيف في المسجد الكبير بالكوفه . ومع أن جرح علي لم يكن بالغاً الا أن السيف كان مسموماً ،

ولذلك قضي على نحبه خلال يوم او يومين ، وكان في الثالثة والستين من عمره .

خلافة حسن وتنازله ٦٦١ م

ترك علي ثلاثة أبناء : الحسن والحسين ومحمد . وقد انتخب أتباع علي ابنه الحسن ليكون حاكماً ، ولكنه أحجم عن ذلك بسبب النزاع مع قوات معاوية المتفوقة والتي لم تنقطع عن الاغارة على العراق . وقد عقد الحسن معاهدة مع الامويين نال بفضلها الامان لجميع أقاربه ومعاشاً حسناً لنفسه مقابل تنازله عن المطالبة بالخلافة . وعلى هذا الاساس خضعت الكوفة لمعاوية في صيف عام ٦٦١م . واستقر الحسن بالمدينة حيث مات بعد ثماني او تسع سنوات . ويقال إن زوجته سممته بايعاز من بني أمية .

غزو الحسين للعراق ٦٨٠ م

استمر معاوية محتفظاً بالخلافة الاسمية بلا منازع حتى موته عام ٦٨٠ ، ولكن ابنه وخليفته يزيد واجه حركة كان يقودها الحسين ، الابن الثاني لعلي ، بتشجيع من رجل طموح هو عبدالله ابن الزبير الذي لم يكن مخلصاً للقضية التي يدافع عنها . وفي شيء من التردد قبل الحسين دعوة من سكان العراق ليكون حاكماً عليهم ، ولذلك ارسل ابن عمه مُسْلِم بن عقيل ليمهد له الطريق . ولكي يقابل يزيد الخطر الجديد نقل ابن عمه عبيدالله بن زياد من حكومة البصرة الى الكوفة ، وتبع ذلك القبض على مسلم وقتله . وفي هذه الاثناء تقدم الحسين من مكة الى حدود العراق حيث قوبل في اول محرم بفرقة خيالة تحت امرة شخص يدعى الحر ليقوده إلى الكوفة ولكنه لم يفعل . وفي الثالث من محرم ارسل عبيدالله من الكوفة ٤,٠٠٠ من الجند وضعوا أنفسهم بين الفرات ومعسكر الحسين بكربلاء وبذلك قطعوه عن النهر . وتلا ذلك مفاوضات استمرت حتى التاسع من الشهر لان عبيدالله أصر على استسلام الحسين من غير

قيد أو شرط . وفي صبيحة يوم السبت ١٠ محرم ٦١هـ. الموافق لليوم العاشر من اكتوبر عام ٦٨٠ انضم (الحُرّ) الى صف الحسين بعد ان كان قد ارسل للقتال ضده . وعندها بدأ القتال في شكل نزال فردي أمام معسكر الحسين الذي احيط بخندق حفر ليلا . وكانت قيادة القوة المهاجمة بيد شمر . استمرت المعركة الى بعد الظهر ، وفي النهاية اصطدمت الجموع وذبح الحسين وجنده بعد موت أكثر من سبعين رجلا في المبارزات الفردية . ومن بين المذبوحين ، أخ الحسين لامه عباس وأحد ابناء الحسين ، وقد ارسل رأس الحسين الى الكوفة ومنها الى دمشق ، وبقي جسده من غير دفن حتى اليوم التالي .

أسباب انشقاق الشيعة

أدت الحوادث المذكورة آنفاً الى الانشقاق الرئيسي الذي قسم الاسلام . كان اعتقاد ابناء علي واتباعه ، الذين عرفوا فيما بعد بالشيعة، بأن لعلي ونسله حقاً في الخلافة ، لذلك يعتبر الشيعة كل الذين حكموا في الاسلام ، ما عدا علي والحسين ، كمغتصبين للحكم . وللشيعة قائمة بأسماء الخلفاء الحقيقيين ، أو الأئمة كما يسمونهم ، تضم : (١) علي «صهر» النبي محمد (٢) الحسن (ابن علي الاكبر من فاطمة ابنة محمد) (٣) الحسين (الابن الثاني لعلي من فاطمة ابنة محمد) (٤) علي (الملقب بزين العابدين،ابن الحسين) (٥) محمد الباقر (ابن زين العابدين) (٦) جعفر الصادق (ابن محمد الباقر) (٧) موسي الكاظم ،(ابن جعفر) (٨) علي بن موسى (المعروف بالرضا — ابن موسى الكاظم) (٩) محمد التقي (أو محمد الجواد ، ابن الرضا) (١٠) علي التقي ابن محمد التقي (١١) حسن العسكري ابن محمد التقي (١٢) محمد المهدي (ابن حسن العسكري) وباسم محمد المهدي تنتهي قائمة الأئمة الاثني عشر . ويعتقد الشيعة ان محمداً المهدي يعيش مستخفياً وهم ينتظرون ظهوره . ونسبة لعدد الأئمة الاثني عشر يدعى الشيعة بطريقة عمومية ، بالاثني عشرية

أو أتباع الاثنى عشر وذلك تمييزاً لهم عن الشيعة الذين ينتمون لمذاهب صغيرة مختلفة .

منشأ الطائفة الاباضية

يقال ان الاباضية في الاسلام وردت الى عمان بواسطة اثنين من الخوارج ، هربا من عاقبة هزيمة الخوارج في نهروان .

المصطلحات « سيد » « طباطبائي » و « شريف »

يعرف الاشخاص المنحدرون من علي وفاطمة أبنـــاء الذكور بالسادة او السادات او السياد ، وفي بعض الاماكن في منطقة الخليج ، كما في أماكن كثيرة أخرى في العالم الاسلامي ، تعيش مجموعات بأكملها من هؤلاء السياد ، منهم السادة السنية بالبحرين ، والسياد الشيعة بقارون في منطقة حياة داوود في الساحل الايراني . ان السياد ، أو العائلة المالكة في عمان ، ليسوا سادة بمعنى الانحدار من علي ، ولكنهم سادة بالمعنى العائلي كأمراء ، ويدعى الاشخاص الذين ينحدرون من اسماعيل ابن ابراهيم (الملقب بطباطبا نسبة لنطقه القاف كالطاء) هو حفيد حفيد علي «بالطباطبائية» . والاشراف او الشرفاء هم ، على ما يبدو ، نسل محمد او ابنته فاطمة عدا عن طريق خط متصل من الذكور(١) . ومثال ذلك : الاشراف بنجد ، وربما الشرفاء الشيعيون وشريفات عربستان .

---

(١) ان نظرية الاسلام في الحكم لا ترتكز مطلقا على موضوع القرابة ولا المصاهرة ، بل تعتمد الاتقى والاصلح ولو كان عبدا حبشيا ٠

طوائف الشيعة في منطقة الخليج

الاصوليون والاخباريون والشيخيون

تدور المعلومات الآتية حول طوائف الشيعة في بوشهر وموانيء الخليج في المقام الاول ، وليس هناك دليل على مدى صحتها(١) . والطوائف الثلاثة الرئيسية للشيعة في الخليج هم الاصوليون والاخباريون والشيخيون . ويقال ان الطائفة الاولى تتمتع في الوقت الحاضر باغلبية كبيرة في كل أنحاء ايران والعراق التركي ، وتعتبر الثانية أقدمها والثالثة أحدثها وأقلها عدداً . ويتضح الفـــرق الرئيسي بين الاصوليين والاخباريين في أن الطائفة الاولى تعترف أكثر من الثانية بالجديد من الحديث وتوافق على صحة القرارات التي يتم التوصل اليها بالاجماع حتى في وقتنا الحاضر . ويقيم الاخباريون صلاة خاصة يوم الجمعة مثلهم في ذلك مثل السنة ، ويرفض بعض الملا منهم الاختلاط أو الاكل والشرب مع اليهود والمسيحيين . ويبدو ان الخلافات بين الاخباريين والاصوليين قد اشتدت للمرة الاولى تحت حكم عائلة «صفوي» التي سبقت عائلة قاجار ، وقد استفحلت هذه الخلافات حتى ان كل طائفة منهما امتنعت عن تأدية الصلاة في مساجد الطائفة الاخرى .

تاريخ الاخباريين

يقال ان الاخباريين يرجعون في تاريخهم الى الايام الاولى للاسلام . بينما يرجع الاصوليون الى العام ٣٥٠ هجرية . ويبدو أن معظم شيعة الخليج كانوا من الاخباريين حتى وقت قريب . وفي القرن الثامن عشر كان الشيخ يوسف العصفوري كبير المجتهدين بين الاخباريين ، وقد

(١) ينبغى أن نضيف هنا أن التقارير التى كتبت هذه الفقرة بناء عليها ليست واضحة رغم أنها مأخوذة من كلام المجتهدين في بوشهر ، وعلى هذا ينبغى تقبل هذه المعلومات مع التحفظ ، فالموضوع لا يمكن أن يتناوله أحد بصدق سوى فقيه في الدين والتاريخ الاسلامى .

توفي عام ١٧٧٠ ميلادية وخلفه الشيخ حسين بن محمد الذي كان كاتباً مقتدراً . وقد استقر به المقام في بوشهر تقريباً في الوقت الذي غزا فيه العتوب البحرين عام ١٧٨٣م . وبعد وفاة الشيخ حسين حوالي عام ١٨٤٥م خلفه ابنه الشيخ حسن الذي أتى بعده الشيخ خلف كرئيس للاخباريين . وقد توفي الشيخ خلف سنة ١٧٥٧ في ساكوفردان في داشستان ليخلفه ابنه الشيخ عبد العلي . وبعد وفاة عبد العلي حوالي عام ١٨٨٦ خلفه الامام جمعة إمام بوشهر الحالي الذي يقال ان له في هذه المدينة الفين من الاتباع الى جانب عدد آخر في البحرين .

ويبدو ان جميع كبار المجتهدين من طائفة الاخباريين الموجودين في الخليج ينتمون الى عائلة عصفوري التي ينتمي اليها الشيخ يوسف الشهير ، وقد خف نفوذهم بين الاجيال الاخيرة .

تاريخ الشيخيين

يشتق الشيخيون اسمهم من الشيخ أحمد بن زيد الدين الذي لمع اسمه في الاحساء ما بين عامي ١٧٨٥ و ١٨٢٥ . وفي عام ١٨٤٣ توفي خليفته الشيخ كاظم في كربلاء . وبعد وفاة الشيخ كاظم خلفه الشيخ محمد كريم خان الذي ولد عام ١٨١٠ وتوفي عام ١٨٧١ . وقد كان حاجي محمد خان من بين كبار الشيخيين . ويقال ان ابنه المسمى أيضاً حاجي محمد خان يعتبر من كبار مفسري الشريعة في الوقت الحاضر في كرمان وينتمي الى عائلة قاجار الملكية .

وهناك خلافات قوية بين الاصوليين والشيخيين ، ولكن لا يوجد تفسير لطبيعة هذه الخلافات . ويوجد على الساحل الايراني للخليج حوالي خمسين من الشيخيين في بوشهر وعدد قليل في بندر عباس ولنجة ، ولكنهم يوجدون بكثرة في أجزاء أخرى في ايران .

أضرحة الشيعة في العراق

تنقسم أضرحة الشيعة في العراق الى ثلاث مجموعات ، تتعلق المجموعة الاولى منها بوفاة علي ، والثانية بموقعة كربلاء ، أما المجموعة الثالثة فتتعلق بالأئمة الذين خلّفوا الحسين .

الاماكن المقدسة التي لها علاقة بوفاة علي

يوجد في مسجد الكوفة الكبير المكان الذي جُرح فيه علي جرحاً أودى بحياته ، ويعتبر ضريحه في النجف من أهم معالم المدينة التي نشأت واتسعت حول هذا الضريح وسط صحراء موحشة . ويوجد وصف لهذه الأماكن المقدسة في المقالات التي كُتِبَت عن الكوفة والنجف في الجزء الجغرافي من هذا الدليل .

الاماكن المقدسة التي لها علاقة بموقعة كربلاء

توجد اضرحة الحسين وجماعته في كربلاء ، وليس هناك جدال على صحة هذه الاماكن . ومن أهم المباني هناك والتي وصفت وصفاً جغرافياً كاملا في مذكرة عن هذه المدينة ، مبنى «برجه حضرة حسين» فهو يحوي ضريح الحسين ، كما أنه هو المكان الذي دفن فيه معظم رفاقه . وتوجد مقبرة خاصة للعباس . أما مقبرة «الحر» فتقع على بعد سبعة أميال شمال شرقي كربلاء ، كما تقع مقبرة «عون» على بعد ثلاثة أميال ونصف في الشمال الغربي منها .

ونذكر هنا أيضاً مقبرتي «مُسلم بن عقيل» رسول الحسين الى الكوفة ، «وحسن ابن عَمْوَة» الذي آواه رغم أن هاتين المقبرتين الموجودتين في الكوفة لا ترتبطان بموقعة كربلاء . ومن المحتمل ان يكون محمد بن عقيل واولاد مسلم الذين دفنوا في شرق الحلة من عائلة مسلم .

الاماكن المقدسة التي لها علاقة بالأئمة الذين خلفوا الحسين

في الكاظمية التي لها وصف في المقالة الجغرافية يوجد المكان الذي دُفن فيه موسى بن جعفر ومحمد بن علي الإمامين السابع والتاسع . وقد أطلق عليهما لقب كاظم رغم ان هذا اللقب يخص الأول منهما وحده . وفي سمراء يمكن مشاهدة ضريحي الإمامين العاشر والحادي عشر ، وهما علي بن محمد وحسن بن علي ، كما يوجد أيضاً بئر في حجرة تحت الارض يحيط به شبكة من الفضة ، ومن المعتقد ان محمد بن حسن المهدي الإمام الثاني عشر قد اختفى في هذا المكان . ويقال إن المهدي كان يظهر في بعض الأحيان في مسجد السهله ، وهو مسجد قريب من النجف .

ومن الأضرحة الأخرى الاقل أهمية والتي ترتبط بأعضاء عائلة الإمام ، ضريح ابو القاسم وهو من أبناء الإمام حسن ، وضريح سيد ابراهيم ابن الإمام موسى ، وكلاهما بالقرب من مسيّب . وفي شرق الحلة يوجد ضريحا حمزة وجاسم ، وكان حمزة ابناً للامام وجاسم حفيداً له . وتقع أضرحة ابن الحسن وبنات الحسن وابن حمزة في الاماكن المجاورة لطويرج .

ادارة الاضرحة وتأسيسها وعائداتها

عهد لمصلحة الاوقاف التركية بادارة الاضرحة ، وكان يتم عن طريقها دفع رواتب الحراس والخدم وتعيينهم . وفي كل ضريح من الأضرحة الرئيسية مثل ضريح علي في النجف ، والحسين وعباس في كربلاء ، وضريح الكاظمين وأضرحةسا مراء ، كان يوجد حارس يسمى كلدار أو حامل المفاتيح ، ورئيس للخدم يدعى سرخدمه وعدد آخر من الخدم . ويقال ان الحراس والخدم في سامراء كانوا من السنة . وكان راتب الحارس خمسمائة قرش من الذهب في الشهر (أي حوالي أربعة جنيهات ونصف انجليزية) وراتب رئيس الخدم ٨٤ قرشاً من الذهب (أي ١٤ شلن و٥ بنسات) وراتب الخادم (لو دفع) خمسة

وعشرين قرشاً ذهبياً (حوالي أربعة شلنات وستة بنسات انجليزية) . ويعتبر كلدّار النجف من أغنى رجال العراق . ويبلغ عدد الخدم الذين يدفع لهم رواتب في كل ضريح من أضرحة كربلاء والكاظمية والنجف خمسة عشر ، كما يوجد أيضاً ٩٥٠ خادماً في كربلاء و ٢٥٠ في النجف و ٣٠ في سامراء ، ورغم أنه لا يدفع لهم رواتب إلاّ أن وجودهم معترف به رسمياً.

وتعتبر الاوقاف مسؤولة عن مالية الاضرحة التي يأتي جزء منها عن طريق الهبات الكبيرة على شكل اراضٍ ومنازل وحوانيت وجزء منها عن طريق التبرعات الخاصة . وتتكون مالية الاضرحة أيضاً من الكنوز الموجودة بها والتي يتكون الجزء الاعظم منها من الجواهر والاشياء المصنوعة من المعادن النفيسة . وتوجد هذه الكنوز في عهدة موظفين من الدائرة يقومون بمراجعتها وفحصها على فترات ، ولا يعرف الغرباء عددها أو قيمتها التقريبية . ويحتفظ الحراس بسجلات للهبات تشرف عليها الاوقاف . ويقال إنه من الممكن الاخذ من هذه الكنوز لشن حرب ضد الكفار وذلك بعد موافقة المجتهدين أو بأمر من سلطان تركيا . وتعطي الحكومة الايرانية منحة قدرها ثلاثة آلاف تومان لكلدّارات (حراس) كربلاء لانارة الاضرحة ، ومنحة أخرى قدرها الفا تومان لحارس النجف وذلك لصيانة ضريح علي ، ومنحة ثالثة قدرها ١٢٥٠ توماناً لكلدّار الكاظمية .

★ ★ ★

أضرحة الشيعة في الخليج خارج العراق

تستحوذ الاضرحة التي ذكرناها في العراق على اهتمام الشيعة في منطقة الخليج العربي . ويوجد أيضاً عدد صغير من الاضرحة الهامة نذكر منها ضريح شاه عبد الشاه في إقليم هنديان على الساحل الايراني والذي بني تخليداً لذكرى الشيخ عبدالله أحد إخوان الرضا الإمام الثامن . وتكثر الاضرحة الصغيرة وهي إما أمام زاده او قدم جاه ، الاولى مقابر حقيقية أما الثانية فهي تُنصَب لتخليد ذكرى أعضاء عائلة الإمام .

★ ★ ★

زيارة الشيعة للعراق

شروط القيام بالزيارة

يعتبر الشيعة أضرحة العـــــراق ذات ميزة عظيمة خاصة وأنها اختيارية بدلا من الحج الاجباري الذي يقوم به المسلمون الى مكة والمدينة . ويلزم الزائر الشيعي قبل مغادرته وطنه بكتابة وصيته ودفع ديونه وتعيين أوصياء يتعهدون بثروته وإجراء الطقوس اللازمة في حال وفاته أثناء الزيارة. وينبغي أن تكون النقود التي حصل عليها الزائر للانفاق على زيارته قد جاءته من طريق حلال وإذا كان هناك شك في ذلك او تكون قد دنست بوصولها اليه عن طريق دائرة حكومية ، فإنه ينبغي تطهيرها بعملية تسمى رد المظالم ، وتتضمن هذه العملية التصدق بثمن المبلغ الى الفقراء ، او بأن يعهد بالمبلغ كله الى مجتهد يردها اليه بعد أن يحسم منها قدراً ضئيلا من المال .

خط سير الزوار وتحركاتهم

يعبُر الزوار القادمون من شمال غرب ايران الحدود عند خانقين ، أما أولئك القادمون من جنوب ايران والساحل الايراني للخليج العربي والهند فانهم يصلون العراق بطريق البحر عند البصرة . وليس هناك وقت محدد من السنة للزيارة ، ولكن الشيعة يختارون الطقس البارد للقيام بها وذلك لتخفيف أعباء الرحلة . ويركب الزوار الاغنياء المسافرون عن طريق البر الخيول او يُحملون على هوادج ، بينما يحمل النساء والاطفال فيما يشبه السلال على ظهور الخيول . ويقوم بارشاد كل جماعة من الزوار شاويش أو مرشد يحمل علماً أحمر أو أخضر مكتوبة عليه آية قرآنية أو أسماء الأئمة ، ويسبقه حصان تتدلى منه أجراس ذات أنغام وأحجام مختلفة . ويقوم الزوار القادمون عن طريق البر من الحدود الايرانية بزيارة الكاظمية اولا ثم يستأنفون رحلتهم بالعربات التي تجرها الخيول الى كربلاء والنجف ، ويسلك هذا الطريق أيضاً معظم الزوار القادمين من الخليج فيأخذون سفينة من البصرة إلى بغداد ، ويسافر قليل من الزوار القادمين عن طريق البحر من البصرة الى أعالي الفرات فيصلون الكوفة ويزورون النجف قبل دخولهم كربلاء . ويزور جميع الزوار او معظمهم كربلاء والنجف والكاظمية ، ويذهب حوالي ربعهم الى سامراء ، وهم اولئك الذين يبدأون رحلتهم بالعربات من الكاظمية ثم يسلكون طريقاً يسير غرب دجلة يوصلهم مباشرة الى مكان مقابل لسامراء . ومن أضرحة الشيعة الصغيرة التي يزورونها قادمين من الخارج ضريحا حمزة وجاسم بالقرب من الحلّة .

ويبلغ متوسط المدة التي يقضيها الزائر بالعراق حوالي شهرين ويُقدر ما ينفقه أفقر هؤلاء في هذه الفترة ما بين ستين ومائة روبية ، بينما ينفق الاغنياء في بعض الاحيان مبالغ كبيرة وذلك للعناية بأنفسهم وحيواناتهم او لشراء سلع عادية وأشياء مقدسة أو لاعطاء هبات للاضرحة أو هدايا للموظفين والأدلاء .

العدد السنوي للزوار

يُنشّط تدفق الزوار في فصل الشتاء حركة التجارة الداخلية والخارجية ويجلب الى البلاد مبالغ طائلة من المال على الرغم من أنه قد ينشر الأمراض . وفي عام ١٨٨٩ بلغ عدد الزوار الشيعة الذين دخلوا العراق من جميع الجهات ٢٣٩٩٠ زائر ، وذلك حسب الاحصائيات الرسمية التركية . وفي عام ١٨٩٠ بلغ العدد ٥٧٥٦٧ . ويبدو من هذا أن عدد الزوار غير ثابت فهـــو يتزايد او يتناقص من عام لآخر . وفي العامين المذكورين وصل ثلاثة أرباع الزوار عن طريق خانقين ووصل معظم الربع الباقي عن طريق البصرة . وفي الطقس البارد الذي ساد نهاية عام ١٩٠٤ وأوائل عام ١٩٠٥ كان الزوار القادمون من الخارج عن طريق البصرة كالتالي :

اكتوبر	١٩٠٤	٥٧٩
نوفمبر	١٩٠٤	٣٥٢
ديسمبر	١٩٠٤	١١٣٩
يناير	١٩٠٥	١٧٠٩
فبراير	١٩٠٥	١٢٠٤
مارس	١٩٠٥	١٥٢٦
	المجموع	٦٥٠٩

ويصل قليل جداً من الزوار البصرة من الخـــارج أثناء الشهور الاخرى من السنة . وفي عام ١٨٧٧ — ١٨٧٨ بلغ عدد الزوار الذين أبحروا من بوشهر إلى العراق حـــوالي ٢٥٠٠ . ومن بين الذين يأتون سنوياً الى البصرة يوجد عدد كبير من الهنود تنتمي نسبة كبيرة منهم الى البهرة .

الاحتفالات التي يقيمها الزوار

عندما يزور زائر أحد أضرحة الشيعة الكبار في العراق فانه يطهر نفسه أولا بوضوء معين ثم يدخل صحن الضريح ويكون هذا عادة بارشاد احد الخدم . وعند عتبه الضريح تماماً يطلب من صاحب المقام السماح له بالدخول . وعندما يدخل يردّد بعض الصلوات ، ثم يلف حول القبر ثلاث مرات مقبّلا السور الذي حوله ، وفي النهاية يركع أمامه مرتين . أما الزوار الاغنياء الراغبون في الحصول على مزيد من الميزات فيكلفون جماعة الملا بقراءة القرآن وسرد قصة استشهاد الحسين وكذلك يوزعون الصدقات على الفقراء ويقدمون العطايا من النقود والجواهر الى الضريح . تلك على الاقل هي الطريقة المتبعة في ضريح الحسين في كربلاء . وتشمل الصلوات التي تقام في المكان المحيط بالضريح أدعية أو صلوات على روح علي أو الحسين وكذلك النماز او الصلوات اليومية العادية . وتسمى عملية الذهاب الى الاضرحة بالزيارة . ويتزود الزوار خاصة في كربلاء بالمسابح وبأقراص من «التربة» أو التراب المقدس يضعونها تحت رؤوسهم عند الركوع في الصلاة وكذلك بأكفنة مطبوع عليها آيات قرآنية لاستخدامهم او استخدام أصدقائهم . وبعد زيارة الى الأماكن المقدسة يحق للزائر استخدام لقب «كربلائي» .

الايام المفضلة لزيارة النجف وكربلاء

على الرغم من أنه لا يوجد وقت اوموسم محدد للزيارة عند الشيعة إلا أنهم يفضلون اياماً معينة من السنة الهجرية عن غيرها . والايام المفضلة لزيارة ضريح علي هي كما يلي :

٧ صفر ، ويوافق الذكرى السنوية لوفاة الحسن الابن الاكبر للامام علي .

٢٧ صفر ، ويوافق الذكرى السنوية لوفاة علي الرضا الإمام الثامن الذي يعتقد الشيعة أنه مات مسموماً .

٢٨ صفر باعتباره الذكرى السنوية الشهيرة لوفاة النبي محمد(ص) .

٩ ربيع الاول ، وهو اليوم الذي اغتيل فيه عمر بن الخطاب خليفة رسول الله .

١٧ ربيع الاول في ذكري مولد الرسول عليه السلام .

١٣ رجب ، وهو اليوم الذي ولد فيه علي .

٢٧ رجب ، وهو اليوم الذي نزلت فيه الرسالة على النبي .

٢١ رمضان ، ويوافق الذكرى السنوية لوفاة علي .

٢٧ رمضان ، ويوافق اليوم الذي شنق فيه عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي .

١٨ ذو الحجة ، ويعرف باسم «عبد العزيز» وهو اليوم الذي يعتقد الشيعة أن النبي محمد سمي فيه علياً لخلافته .

٢٨ ذو الحجة ، ويعرف باسم مباه الله ، وهو اليوم الذي أعطى فيه علي خاتماً ثميناً من الزمرد لملاك متخف في زي شحاد .

٢١ مارس ، أو عيد النيروز ، وهو أول يوم في السنة الايرانية .

أما الايام المفضلة لزيارة أضرحة كربلاء فهي كالتالي :

۸،۹،۱۰ محرم ، وتعرف هذه الايام بالتروية وتشمل اليوم الذي اغتيل فيه الحسين ورفاقه واليومين اللذين قبله . ويعتقد ان الملاك جبريل قد بين للشهداء في اليوم الثامن أماكنهم في الجنة .

۲۰ صفر ، ويعرف بيوم الاربعين أو مرد الرأس وهو اليوم الذي أعيد فيه رأس الحسين من دمشق الى كربلاء .

الاول من رجب ، وهو اليوم الذي قام فيه الرضا الامام الثامن بالحج الى كربلاء .

١٥ رجب ، وهو اليوم الذي حدده جعفر الصادق الامام السادس للزيارة .

الاول والثاني والثالث من شعبان ، ويوافق أحد هذه الايام يوم ميلاد الحسين ، ويقوم عامة الجمهور بالزيارة أول رجب . أما المجتهدون فيعتبرون اليوم الثالث هو الاصح .

١٥ شعبان ، وتسمى ليلة هذا اليوم بليلة البرات ، وفيها يقرر الله وقائع العام التالي ، كما أن الخامس عشر من رجب هو أيضاً يوم ميلاد المهدي الامام الثاني عشر .

٢٣ رمضان ، وتُعرف هذه الليلة بليلة القدر التي أنزل فيها القرآن وليس هذا بتاريخ أكيد حيث يذكرون أيضاً اليوم الاول والتاسع عشر والحادي العشرين والسابع والعشرين .

الاول من شوال ، وهو اليوم الاول بعد انتهاء صوم رمضان .

٩ ذو الحجة وهو اليوم الذي يزور فيه الحجاج جبل عرفات في مكة .

١٠ ذو الحجة ويُعرف بعيد الاضحى ، وهو الذكرى السنوية لمحاولة ابراهيم التضحية بابنه اسماعيل .

مقابر الشيعة المقدسة ودفنهم في العراق

يرغب كل شيعي في أن يُدْفَن بعد وفاته في ارض مقدسة بأحد الاماكن المقدسة في العراق وذلك لانه يعتقد أنه سوف يحظى يوم الحساب بحماية الإمام الذي يجاوره في قبره . والمقابر الرئيسية في العراق الخارجة عن أروقة الاضرحة والتي يتم فيها الدفن أيضاً هي كالتالي من حيث الاهمية : وادى السلام في النجف ، وادي الإيمان في كربلاء ، ومقابر القريش في الكاظمية ، وترمة في سامراء ، والاخيرة قليلا ما تستخدم . وتوضع أجساد الموتى الشيعة في ايران داخل غرفة أو قبة من الطوب إلى أن تتحلل ثم ترسل الى العراق عن طريق القوافل داخل توابيت خشبية مغطاة بطبقة سميكة من الصوف لدفنها في الأماكن التي ذكرناها . وعند وصول الجثث إلى الأماكن المقصودة تغسل قبل دفنها . وتعتبر عملية الغسيل هذه بالغة الخطورة على الصحة العامة ويعزى اليها كثرة انتشار الأوبئة في العراق وخاصة في النجف . ومن الاشياء الشائعة التي يشاهدها المسافر الى كربلاء أثناء الطقس البارد هو الحيوان الذي يحمل تابوتين على جانبيه ، ويحالفه الحظ اذا لم يضطر الى التوقف مع رفات الموتى في أحد الفنادق التي تحط عندها القوافل .

وتتراوح نفقات نقل جثة الشيعي من كرمان شاه الى كربلاء ما بين ٣٥ و ٧٠ تومان بما في ذلك مبلغ يدفع الى الحكومة التركية . وتبلغ هذه النفقات في الوقت الحاضر ما بين ستة واثني عشر جنيهاً انجليزياً . ويقال إن سائقي البغال كانوا يلقون بالجثث التي عهد اليهم بدفنها في نهر ديالة ويختلسون نفقات الدفن ، كما كان حراس الأماكن المقدسة والموظفون الآخرون يبتزون اموال الدفن بالقوة . ووصل الى العراق عدد صغير من جثث الشيعة في الهند عن طريق البحر وذلك لدفنها هناك . وقدر عدد جثث الشيعة التي دفنت في الأماكن المقدسة عامي ١٨٨٩ و ١٨٩٠ رسمياً كالتالي :

السنة	جثث الرعايا الايرانيين	جثث الرعايا العثمانيين	المجموع
١٨٨٩	٥٦٢٠	٤٠٠٠	٩٦٢٠
١٨٩٠	٩٧٥٤	٤٦٠٠	١٤٣٥٤

★ ★ ★

الترتيبات المالية وغير المالية للحكومتين الايرانية والتركية فيما يتعلق بزيارات الشيعة ودفنهم

رسوم دخول الجثث الى العراق

كانت الحكومة الايرانية تطلب من الحجاج الايرانيين المسافرين على ظهور الحيوانات عن طريق البر الى الاماكن المقدسة الحصول على جوازات سفر ايرانية مقابل اربعين قران اي ما يساوي ستة شلنات ونصف انجليزية . وكانت القنصلية التركية في كرمان شاه تمنحهم سمات دخول بعد دفع عشرين قرشاً من الذهب أي ما يساوي ثلاثة شلنات وسبع بنسات. أما المترجلون والنساء والاطفال فكانوا يعفون من نظام جوازات السفر هذا ، وكان موظفو دائرة الصحة العامة التركية يحصلون رسماً قدره عشرة قروش ذهبية أي ما يساوي شلن وعشرة بنسات من الحجاج الذين يعبرون الحدود وبصفة اساسية عند خانقين . وكانت القنصلية التركية في كرمان شاه تصدر أذون مرور لجثث الايرانيين المطلوب دفنها في العراق وذلك بعد دفع نصف ليرة او تسع شلنات على كل جثة ، كما كان موظفو الحراسة الاتراك يجمعون مبلغاً اضافياً قدره نصف ليرة عند خانقين ونقط الحدود الاخرى ، وكذلك كانت تحصل رسوم مشابهة ولكن أقل على نقل جثث الشيعة العثمانيين وقد هرّب كثير من الجثث الى العراق بطرق غير مشروعة وذلك لتجنب دفع الرسوم الى السلطات التركية التي كانت تفتح التوابيت أحياناً للتأكد من عدم وضع جثتين في تابوت واحد . وكان الباب العالي بين حين وآخر يمنع دخول الجثث القادمة من بلاد تنتشر فيها الأوبئة . وبعد عام ١٨٩٧ منع دخول الجثث القادمة من الهند وذلك لانتشار وباء الطاعون هناك .

رسوم دفن الجثث

وبالاضافة الى الرسوم التي كانت تفرض على دخول الجثث الى العراق كانت الحكومة التركية تتقاضى رسوماً خاصة بدفن الجثث داخل افنية الاضرحة وفي المقابر المقدسة . ويبين الجدول التالي الرسوم التي كانت تحصل :

المكان المقدس	المكان الخاص بالدفن	مقدار الرسوم بالقروش الاجنبية التركية	مقدار الرسوم بالعملة الانجليزية
النجف	رواق	٥٠٠٠٠	٤٠ جنيه
«	ايوان ذهب	٢٥٠٠	٢٠ جنيه
«	حجرة الصحن	٢٥٠	٢ جنيه
«	ارض الصحن	٢٠٠	جنيه و ١٦ شلناً
«	وادي السلام	٥٠	٩ شلنات
كربلاء	رواق	٥٠٠	٤ جنيه
«	ايوان ذهب	١٥٠	جنيه وسبع شلنات
«	حجرة الصحن	١٠٠	١٨ شلن
«	وادي الايمان	٣٠	٦ شلنات
الكاظمية	رواق(١)	٢٠٠	جنيه و ١٦ شلناً
الكاظمية	ايوان ذهب	١٠٠	١٨ شلن
«	حجرة الصحن	٢١	٣ شلنات و٩بنسات
«	ارض الصحن	٢١	« «

(١) يقصد بالرواق هنا سقف بين عمودين ، أما ايوان الذهب فهو دهليز أو ممر ذهبي ، ويقصد بحجرة الصحن غرفة في الفناء . وتوجد هذه الاماكن جميعا داخل أفنية الاضرحة . وقد ذكرنا من قبل وادى السلام ووادى الايمان وطارمه .

المكان المقدس	المكان الخاص بالدفن	مقدار الرسوم بالقروش الذهبية التركية	مقدار الرسوم بالعملة الانجليزية
سامراء	رواق	٧٠	١٢ شلن و٧ بنسات
«	حجرة الصحن	٤٠	٧ شلنات وبنسا .
«	ارض الصحن	٤٠	« «
«	ترمه	٤٠	« «

دخل الحكومة التركية من زيارات الشيعة ودفنهم

قدر دخل الحكومة التركية رسمياً في العراق عام ١٨٨٩ بمبلغ ٦٠٠٩ ليرة ، أي ما يساوي ٤٨٠٧ من الجنيهات الانجليزية ، وذلك من كل المصادر التي وصفناها . ويلغ هذا الدخل ١١٥٥٤ ليرة ، أي ما يساوي ٩٢٣٤ جنيه عام ١٨٩٠ ، وهو على هذا ليس بالدخل الكبير . وعلى كل ، لا تشمل هذه الارقام المبالغ التي كانت تجمعها القنصلية التركية في كرمان شاه .

★ ★ ★

المجتهدون الشيعة في منطقة الخليج

المجتهدون والشيعة منهم بشكل عام

أطلقت كلمة مجتهد في الاصل على رجل دين مسلم استطاع الوصول الى اعلى مراتب العلم والفضل. ويعتبر موسسو مدارس السنة الاربعة الرئيسية من المجتهدين، ولكن لقب مجتهد في الوقت الحاضر يستخدم فقط بين الشيعة حيث ما يزال يطلق على زعماء الدين منهم . ويجمع الشيعي المجتهد بين عدة وظائف ، فهو محاضر في «اللاهوت» والشريعة الاسلامية ، وقاض شرعي يفصل تقريباً في كل القضايا المدنية ، ويسجل الوصايا وغيرها من

الوثائق . إن علو مرتبة المجتهدين على كل طبقات اهل ايران(١) أمر جدير بالملاحظة فكلمتهم بين الشيعة قانون ، كما يتلقون مبالغ كبيرة من المال من اخوانهم في الدين ويدفعونها كصدقة او للاغراض الدينية . وللمجتهدين نفوذ سياسي قوي في ايران وحتى في العراق التركي ، ويتعارض هذا النفوذ احياناً مع حكومات هذه البلاد . ولا يوجد هناك مبادئ ثابتة تنظم الاعتراف بالفرد المجتهد ، فرأي الجمهور هو العامل الرئيسي في هذا الشأن . وكان المجتهدون المعترف بهم يمنحون شهادات في الاجتهاد تعرف بالاجازات (جمع اجازة) لمن يتطلعون للحصول عليها ، ولم يكن مجرد حيازة هذه الوثيقة كافياً لجعل حاملها من المجتهدين المعترف بهم .

المجتهدون في النجف وكربلاء

يعتبر المجتهدون في النجف وكربلاء من ابرز الفئات هناك ويسيطرون بنفوذهم الواسع على ايران والعالم الشيعي بأكمله وعلى المجتهدين الآخرين ، وفي بعض الاحيان يطلق عليهم جميعاً لقب العتبة رغم ان هذه الكلمة تشير في الاصل الى الاضرحة التي يسكنون عندها . ويوجد في الفصل الخاص بتاريخ العراق التركي أمثلة توضح نفوذهم السياسي كما حدث في ١٩١٣ ١٩٠٤ وتفسر السبب الذي من أجله كان الاتراك يكرهون مجتهدي النجف وكربلاء ولا يثقون فيهم . ولحكومة الهند علاقة ببعض المجتهدين تكونت عن طريق المعتمد السياسي في بغداد وتتعلق بصندوق معونة يعرف باسم «وقف الكبير »
تحدثنا عنه في الفصل الخاص بتاريخ العراق التركي . وفي عام ١٩٠٢— ١٩٠٣ قام الميجور «نيو مارش» المعتمد السياسي في بغداد بدراسة دقيقة لاحوال المجتهدين وذلك لاعادة تنظيم « الوقف الكبير » وبعد ثلاث عشرة سنة من البحث والاستقصاء استنتج العقيد نيو مارش أن عدد المجتهدين في النجف وكربلاء لم يزد في الحقيقة عن ٤١ موزعين كالتالي

---

(١) قلت أهمية المجتهدين كثيرا في نظر الرأى العام منذ كتابة هذه الكلمات ، ويبدو هذا نتيجة لتطبيق الدستور في ايران سنة ١٩١٢ .

المكان	المجتهدون من المرتبة الاولى	المجتهدون من المرتبة الثانية	المجتهدون من المرتبة الثالثة	المجموع
النجف	١٢	٢	٦	٢٠
كربلاء	١	٨	١٢	٢١

و قد لاحظ العقيد نيو مارش ان القائمة التي كتبها بنفسه والتي أخذت منها هذه الارقام كانت تشتمل على الكثير من المجتهدين بينما لم يكن في الحقيقة منهم من يتمتع بسلطة واسعة سوى من ذُكروا تحت المرتبة الاولى . وقد ذكر بعض الملتمسين عند كتابتهم الى حكومة الهند ان النجف تضم الفي شخص يحملون اجازات اجتهاد ، وتضم كربلاء مائتين منهم . ومهما كانت هذه الارقام مبالغاً فيها الا أنها بالاضافة الى أبحاث المقيم السياسي تبين ان عدد الافراد الحاصلين على اجازات الاجتهاد يزيد بكثير عن الرقم المعترف به . وفيما يلي اسماء المجتهدين في النجف وكربلاء اللذين تلقوا اموالا من « الوقف الكبير » في شهر ابريل من عام ١٩٠٦ :

النجف

حاجي شيخ عبدالله مازندراني	(١)
سيد محمد حسن صاحب جواهري	(٣)
محمد كاظم خراساني	(١)
سيد محمد بحر العلوم	(٢)
شيخ عبد الحسن	(٣)
شيخ عبد المحسن	(٣)
شيخ فتح الله شريعة أصفهاني	(١)
سيد عبد القاسم اشكواري	(١)
أخند ملا علي خنصاري	
سيد ابو تراب خنصاري	
أغا شيخ مهدي	

كربلاء

سيد محمد هاشم قزويني (٢)
شيخ علي يازدي (٢)
مرتضى حسين هندي
سيد محمد كاشاني (٢)
سيد علي تنجابوني (٣)
سيد محمد باقر طباطباي
سيد محمد باقر بهبهاني
كلبي باقر هندي (٣)
سيد حسين قومي .

وتوضح الارقام ٣،٢،١ المدونة أمام بعض الاسماء أن أصحابها ينتمون الى رتب المجتهدين التي صنفها العقيد نيو مارش ، وظهور أسماء أخرى على القائمة يرجع إلى أن كثيراً من الاشخاص الذين اعتبرهم العقيد نيو مارش من المجتهدين الحقيقيين رفضوا تلقي رواتب من الوقف بعضهم بسبب وازع ديني والبعض الآخر بسبب المضايقات التي قد يتعرضون لها من الشحاذين أو لان لديهم ما يكفي من المال ، وقد يكون الامر راجعاً الى ظهور مجتهدين جدد ما بين عامي ١٩٠٢و١٩٠٦ . وكان محمد الجراوي الشربياني من النجف من ابرز المجتهدين قبل وفاته عام ١٩٠٤ . وقد رفض بطريقة مهذبة تلقي أموالا من الوقف لانه لم يكن في حاجة لها .

مجتهدو شوشتر

تقع مدينة شوشتر في شمال عربستان وهي مركز لعائلتين من عائلات المجتهدين الذين لهم مكانة محلية مرموقة . وكان حاجي سيد عبد الصمد كبير المجتهدين في شوشتر عام ١٩٠٥ ومن كبار الملاك الذين كان موقفهم ودياً من الحكومة البريطانية . وكان له ولدان حاجي

آغا محمد جعفر وحاجي أحمد ، وكان الاول منهما متوسط العمر ويقوم بدور كبير في إدارة شؤون أبيه . ورغم أنه لم يسع لاقامة علاقات مع الاوروبيين الا أنه كان ودياً مع من يقابله منهم . أما عائلة المجتهدين الثانية فقد كانت عائلة الشيخ محمد علي الذي توفي عام ١٩٠٤ تاركاً ثلاثة أبناء هم : محمد جواد ومحمد كريم ومرتضى وابن أخت يدعى سيد عبدالله وكانوا جميعاً يتمتعون بلقب آغا شيخ . وكان محمد جواد أكثرهم نفوذاً بينما كان مرتضى الاخ الاصغر الذي بلغ من العمر ٢١ سنة في عام ١٩٠٥ متفتح العقل مهتماً بالاجانب ملماً بقدر قليل من الانجليزية ، زار بومباي ومولمين حيث كان لعائلته ممتلكات فيهما كما كانت العائلة تتمتع بشعبية هناك. وقبل وصول حاكم ايراني قوي عام ١٩٠٥ في شخص سرداري مكرم كان المجتهدون يديرون جميع شؤون شوشتر الداخلية . وبين عامي ١٩٠٥ ، و ١٩٠٧ قضى التحالف القائم بين سرداري مكرم وعائلة سيد عبد الصمد على نفوذ عائلة شيخ محمد علي ، ولكن من المتوقع ان يتزايد هذا النفوذ مع مرور الزمن .

مجتهدو دزفول

يقيم بعض المجتهدين في دزفول كبرى مدن شمال عربستان ولكن نفوذهم أقل من نفوذ المجتهدين في شوشتر . وفي عام ١٩٠٥ كان حجة الاسلام وكبير المجتهدين أغا شيخ محمد حسن البالغ السبعين من عمره على رأس عائلة المجتهدين الرئيسية هناك ، وكان له ولد أسمه شيخ محمد باقر يبلغ من العمر ٤٥ سنة وحفيد يدعى صدر الدين في السابعة عشرة من عمره . وتلي هذه العائلة من حيث الاهمية عائلة شيخ محمد حسن الذي يبلغ السبعين من عمره ويتميز بلقب انصار . وكان لشيخ محمد نجل في السادسة والاربعين من عمره يدعى أغا شيخ محمد . وكانت هناك عائلة ثالثة من عائلات المجتهدين هي عائلة أغا شيخ محمد رضا ابن أخ كبير المجتهدين وكان له ابن في الثامنة عشرة من عمره يدعى شيخ محمد . أما شيخ محمد حسن كبير المجتهدين فقد كان محبوباً ومحترماً ولطيفاً ومهذباً

في معاملاته مع نائب القنصل البريطاني في عربستان . وفي عام ١٩٠٥ بدأ نفوذ عائلة انصار في الاضمحلال . وكانت العائلة الثالثة هي الوحيدة التي لها ممتلكات خاصة ، أما العائلتان الاخريتان فقد كانتا تعيشان على عطايا المتدينين من الناس . ويقوم المجتهدون في دزفول بتوزيع الصدقات ، ومن أجل هذا الغرض يجمعون الزكاة التي نص عليها القرآن ويوزعونها على المساكين والمعوزين وذلك لان ممتلكات المجتهدين الخاصة كانت محدودة . وكان المجتهدون يديرون مدارس عديدة في منازلهم . وفي عام ١٩٠٥ بلغ عدد الطلبة المترددين على مدرسة كبير المجتهدين ما بين ١٥٠ و ٢٠٠ طالب .

وقبل قدوم سرداري مكرم الى عربستان عام ١٩٠٥ كان للمجتهدين في دزفول أهمية سياسية كبيرة وكانت السلطات الايرانية لا تطاع الا اذا اشترت او ضمنت رضى وموافقة المجتهدين . وكان زعماء العرب في الاماكن المجاورة للدزفول يشكون في نوايا الحاكم الايراني ولا يستجيبون الى نداءاته الا اذا صاحبها توجيه وارشاد من كبير المجتهدين .

قادة دينيون آخرون للشعية

يوجد مجتهدون ايضاً في بوشهر كما يوجد كثير من العلماء في أماكن متعددة مثل المحمرة ، وتكثر جماعة الملا في كل مكان .

* * *

علاقات الشيعة في الخليج بالهند

زيارات الشيعة المتدينين للهند

بالرغم من زيارة زوار الشيعة الهنود الى النجف وكربلاء ووجود جالية هندية مسالمة في العراق التركي ، الا أن العلاقة بين الاقليمين كانت أقل مما يجب أن تكون عليه ، فلم تكن هناك على ما يبدو أهمية سياسية لهذه العلاقة .

وزوار الهند من شيعة الخليج ، الى جانب التجار ، هم عادة من الشحاذين المتدينين الذين أحياناً ما تجتذب تصرفاتهم انتباه الشرطة الهندية وهم متعودون الى جانب طلب الصدقة على السكنى في منازل الشيعة الذين كثيراً ما يجدون صعوبة في التخلص منهم .

الشيخ رضا ١٨٩٦ — ١٨٩٧

في أواخر عام ١٨٩٦ وصل الشيخ رضا خادم ضريح الكاظمية الى الهند لجمع التبرعات . وخلال التسعة أشهر التي تلت زار الشيخ رضا عدداً من الاماكن في الهند شملت لكنو ، وحيدر أباد «الدخان» ، وبومباي ، وكراتشي ، وخير بور . وفي كراتشي شجعه القنصل التركي وحاول ان يحصل له على مقابلة مع امير خير بور . وكان جثمان أمير خيربور الراحل قد مر بضريح الكاظمية في طريقه الى كربلاء ، وأكد الشيخ رضا بأن مرافقي الجثمان وعدوا باستقبال طيب في خيربور لاي زائر من الكاظميين ، ولكن الامير أصر على رفض هذه المقابلة التي كان يتوق اليها الشيخ رضا حين عاد في شهر سبتمبر الى بومباي .

سيد صالح ١٨٦٧ – ١٨٩٩

كان سيد صالح شيخاً آخر من زوار الهند المشهورين ، وكثيراً ما ترددت زياراته للهند بغرض جمع التبرعات لضريح الامام الحسين ، وكان معروفاً لدى المقيم البريطاني في بغداد ، وحاول غير مرة واحدة الوشاية بينه وبين السلطات التركية . ومن بين رحلات سيد صالح للهند ، تلك الرحلة التي قام بها عام ١٨٩٧ والتي زار فيها المنطقة الشمالية في شهر سبتمبر ثم ارتحل الى مراد أباد ومنها الى بومباي ثم عاد أخيراً الى وطنه بحراً عن طريق كراتشي والمحمرة . وفي عام ١٨٩٩ عاد الشيخ صالح الى الهند ، ونزل في كراتشي في شهر ابريل وزار مدن ملتان ، وارمور ولكنو ، وسملا ، وفي شهر يونيو عاد مرة أخرى الى لكنو ، ثم انتقل منها الى مرشد أباد ، وفي أغسطس وصل الى ميناء بومباي .

★ ★ ★

مذاهب السنة في منطقة الخليج

مذاهب السنة الاربعة هي : المذهب الحنفي ، والحنبلي ، والمالكي ، والشافعي ، وكلها موجودة في منطقة الخليج العربي ، أما فيما يتعلق بتوزيعها وخلافه ، فان التعميم يبدو ممكناً ، والمذاهب التي تنتمي اليها قبائل معينة مذكورة بالتحديد في الجزء الجغرافي من هذا الكتاب .

★ ★ ★

أضرحة السنة في منطقة الخليج

ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد

يعتبر ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد أهم ضريح للسنة في كل منطقة الخليج . ولد الشيخ عبد القادر في لواء جيلان بالقرب من بحر قزوين حوالي عام ١٠٧٧ ميلادية وتوفي في بغداد عام ١١٦٥ . وكان خطيباً صوفياً ذائع الصيت في زمانه ، ومن المعتقد أنه كانت لديه قوى خارقة ، وكثيراً ما نسبت اليه قصص مغايرة لذلك .

يعتبر جامع الشيخ عبد القادر وضريحه الذي وصف على سبيل التكريم بأنه «جناب غوث الاعظم والمستجير»(١) ليس فقط من معالم بغداد الرئيسية ، بل هو أيضاً مركز ديني هام يزوره المسلمون السنة من كل أنحاء العالم ، خاصة الافغان والهنود ، والفقراء من الحجاج والنزلاء الذين لا يستطيعون تكاليف الاقامة ، ويعتمدون في معيشتهم على البقاء بالقرب من الضريح . ويقال إن حوالي أربعة آلاف رغيف كانت توزع يومياً من مطبخ «بيره المستجير» . ومر على الضريح زمن كان فيه مركزاً للتآمر السياسي وملجأ للفارين من طائلة القانون ، ولكن السلطات التركية وضعته الآن تحت الرقابة ، ويقال إن دخل الضريح من الهبات والاوقاف الدينية بلغ ما يقرب من ١٢٠٠٠ ليرة تركية في العام .

أضرحة السنة الاخرى

وهناك أضرحة أخرى في العراق وأجزاء أخرى من الخليج العربي ، ولكن لا يوجد من بينها ما يضاهي ضريح الشيخ عبد القادر من حيث الاهمية . ومن بين أضرحة السنة الاقل أهمية مقام يونس في الكوفة ومقبرة حزقيل في كفل ، أما فيما يتعلق بهذه الاضرحة فيمكن الرجوع

---

(١) هذا الوصف لا ينبغي الا لله سبحانه – ولكن غلاة الصوفية لهم مثل هذه المبالغات .

في ذلك الى المقالات الجغرافية التي كتبت عن المدينتين . ولكن اليهود يقدسون ضريح حزقيل أكثر مما يقدسه المسلمون .

★ ★ ★

نقيب السنة في بغداد

نقيب بغداد

يعتبر نقيب بغداد أكثر رجال السنة نفوذاً في البلدان المجاورة لمنطقة الخليج العربي والرئيس الرسمي للعرب هناك . وكان تعيين النقباء يتم عن طريق سلطان تركيا بتوصية من السلطات المحلية ، ولكن مع الممارسة صارت الخلافة ارثاً ، وقد كانت النقابة مرتبة رفيعة في أماكن أخرى من الامبراطورية العثمانية .

نستنتج من اشتقاق كلمة نقيب ، التي توحي بأن صاحب هذا المنصب كان في الاصل رئيساً منتخباً ، ان النقيبية أقدم من الحكم التركي نفسه . ومهما كان الحال في هذا الصدد فمن المؤكد أن أهمية النقيب في الوقت الحاضر لا تعتمد على اعتراف السلطان التركي ولكن على نسب النقيب وقدسية ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني(١) الذي هو راع له . وللنقيب في الواقع نفوذ ديني واسع ومكانة اجتماعية مرموقة الى جانب علاقاته مع الحكومة التركية . ويحاول الموظفون العثمانيون ان يكونوا دائماً على علاقة ودية معه لشعورهم بأنه في إمكانه احباط ، أو على الاقل عرقلة أي إجراء يتخذونه ولا يوافق هو عليه . وحتى عهد قريب كان النقيب بحكم منصبه عضواً في المجلس الاداري لوالي بغداد .

عائلة القادرية في بغداد

تتمتع الاسرة التي يترأسها نقيب بغداد بسمعة طيبة في الورع والتقوى

(١) لا يقدس المسلمون الصالحون الا ما قدسه الله . وليست القبور مقدسة .

لانتسابها الى الشيخ عبد القادر الجيلاني ولكونها راعية لضريحه ، ولكن ادعاءها بالسيادة ، أي بلقب سيد ، معتمدة في ذلك على الافتراض القائل بأن الشيخ عبدالقادر من سلالة الحسن بن علي بن ابي طالب ، أمر يثير الجدل .

وكان للشيخ عبد القادر الجيلاني فيما يقال ثلاثة أبناء ، أحدهم عبد العزيز مؤسس العائلة القادرية في بغداد وعبد الوهاب الذي هاجر الى سوريا وعبد الرازق الذي هاجر الى الهند حيث أسسا هناك عائلات القادرية التي ما زالت موجودة في تلك البلاد .. وتُعنى عائلة القادرية في بغداد عناية بالغة بتعليم أفرادها وابنائها الذين يقدرون أهمية الدراسة الاسلامية وخاصة لاشخاص يشغلون مناصب مثل مناصبهم وقد كانوا أحياناً يتابعون الدراسة عن رغبة في مرحلة متأخرة من العمر .

ويعتبر السيد عبدالرحمن أفندي النقيب الحالي من أكبر علماء المسلمين في عصره ، ولكنه يوصف بأنه متعال متكبر ، وهذه صفات يروجها عنه المخالفون له من أهل السنة ، وهو في الواقع رجل خجول متواضع . ويمتلك النقيب وأقرباؤه اقطاعيات واسعة خاصة متميزة عن الاراضي الملحقة بضريح الشيخ عبد القادر .

علاقات عائلة النقيب بالهند والافغانستان

ويكنّ مسلمو الهند وافغانستان ، الفقير منهم والغني ، الكبير منهم والوضيع ، احتراماً بالغاً للنقيب وعائلته . ويقدس الافغان البتان على الحدود الهندية الافغانية قبر «معين الدين ششتي» الموجود في أجمير بالهند لاعتقادهم بأن الشخص المدفون هناك هو ابن أخ الشيخ عبد القادر الجيلاني . ويعتبر حاكم حيدر أباد في الدكن من بين تابعي نقيب بغداد ، ومن عادته أن يرسل سنوياً هدية من المال وبعض الشيلان الموشاة بالذهب. وفي مايو عام ١٩٠٥ ارسل حاكم حيدر أباد مبلغ خمسة آلاف روبية وصندوقاً من الملابس النفيسة الى بغداد في حراسة ضابط من الفرق غير

النظامية التابعة لسموه ، ويقال إن إحدى سيدات (بيجوم) الحاكم رافقت الهدايا مصطحبة معها عدداً من الحاشية .

ويقال ان السردار ايوب خان اللاجىء الافغاني في الهند يرسل هو وتابعوه مبلغاً يصل الى الفي روبية الى نقيب بغداد . وقد أهدى السردار وجماعته الى سيد سليمان افندي ، النقيب في ذلك الوقت ، هدايا بلغت قيمتها ثلاثة آلاف روبية وذلك أثناء مروره ببغداد في طريقه إلى بلاد فارس والهند عام ١٨٨٨ ، وتلقى مقابلها حصاناً جميلا تبلغ قيمته ١٢٠٠ روبية اسمياً من السيد مصطفى أفندي أخ النقيب . وقد تجنب النقيب شخصياً اظهار الود له حتى لا يغضب الامير عبد الرحمن خان حاكم أفغانستان . وبعد فترة من الزمن خطبت الابنة الكبرى للسردار محمد هاشم خان ، أحد أقارب السردار أيوب خان ، الى أحد أبناء سيد سليمان ولكنها توفيت حوالي عام ١٩٠٤ قبل اتمام الزواج . وقد سمي السردار أحد أبنائه وهو «عبد الرحمن خان» باسم نقيب بغداد الحالي . وقد كتب أحد اخوة السردار محمد هاشم خان رسالة الى محمود الابن الاكبر للنقيب الحالي تتضمن تعبيرات غريبة وتعبر عن التواضع الجم ، كتب أخ السردار يقول : لو تواضعتم وقبلتموني ككلب من أحقر كلاب عتبة داركم ، فتأكدوا أنكم بذلك سترفعون رأسي شامخة في السماء شرفاً وفخاراً .

نشاط أعضاء عائلة النقيب في الهند ١٨٩٥ — ١٩٠٥

نسرد هنا باختصار رحلات عائلة النقيب في الهند في الآونة الاخيرة لنوضح درجة نفوذهم ومداه في هذا البلد .

رحلات سيد حسن ١٨٩٥ — ١٩٠٠

بعد وصول السردار ايوب خان الى الهند ، زاره في «روالبندي» السيد حسن وهو أخ أصغر للنقيب الحالي ، وبقي معه عدة شهور ، ثم

عاد الى بغداد عام ١٨٩٥ . وبعد عام أو عامين ارسل سيد حسن خادماً الى الهند ومعه حصان لايوب خان تبلغ قيمته سبعماية روبية ، وقد صرف السردار الخادم بمنحه قدرها مئتا روبية وهدايا بلغت قيمتها خمسماية روبية لضريح الشيخ عبد القادر . وفي عام ١٨٩٧ قيل ان السيد حسن قدم الى روالبندي ، ولكن هذا الامر مشكوك في صحته . وفي شهر يونيو من عام ١٨٩٩ تقابل السيد حسن بالسردار أيوب خان في روالبندي وقيل ان سيد حسن قدم الى هناك لاجراء عملية جراحية في عينه ، وفي نهاية شهر اغسطس زار بشاور حيث تقابل هناك مع «أفريدي مالكس كواس خان»(١) ، ووالي محمد خان ، وفي شهر فبراير سنة ١٩٠٠ عاد الى روالبندي ، وفي ابريل مر بمدينة لاهور في طريقه الى حيدر أباد في الدكهان حيث بقي هناك بعض الوقت ، ويبدو أنه اشتكى من سلوك الافاقين الذين كانوا يتظاهرون بالانتساب الى عائلته.

زيارات سيد محمد وسيد عبدالسلام الى الهند ١٨٩٦–١٩٠٠

وفي ديسمبر من عام ١٨٩٥ غادر سيد محمد ، ابن أخ النقيب والابن الوحيد للسيد زين العابدين بغداد متوجهاً الى الهند ، ولكن يبدو أنه لم يصل الى بومباي الا اوائل شهر مايو عام ١٨٩٦ ثم تبعه عمه سيد عبد السلام الاخ الاصغر للنقيب الذي ترك بغداد في يوليو عام ١٨٩٦ . وكان المعتقد في بادئ الامر ان السيد محمد يحمل رسالة من سلطان تركيا الى أمراء أفغانستان تتعلق بموقف الدول الاوروبية بالنسبة للمجازر في ارمينيا ، ولكن الحوادث التي تبعت ذلك كذبت هذه النظرية . وقيل أيضاً أن سيد محمد تشاجر مع عمه النقيب الذي حرمه من ثروته ، ووجد أنه من الاحسن له أن يغادر بغداد ، ولكن هذا لم يثبت أيضاً . وقررت الحكومة

---

(١) كان هؤلاء الموالك ، على قدر ما يتذكر المؤلف الذى كان موظفا سياسيا في خيبر عام ١٨٩٩ ، على غير وفاق مع الحكومة البريطانية، وكانوا يسكنون خارج الحدود البريطانية وذلك نتيجة لحملة التيرة عام ١٨٩٧ – ١٨٩٨ .

الهندية بعد تمحيص عدم وضع أية عراقيل في وجه أي من السيدين اذا ما أراد أحدهما أن ينتقل من الهند الى أفغانستان . وبعد أن جمع سيد محمد مبلغاً من المال من جماعة الميمون في بومباي وصل الى مدينة حسن عبدالعال التي تقع بين روالبندي وبشاور وذلك في شهر اغسطس عام ١٨٩٦ بعد زيارة لاحمد أباد ، وجيبور وأجمير وأماكن أخرى . وفي غضون ذلك وصل السيد عبدالسلام الى كراتشي ، وفي شهر يوليو قام برحلة قصيرة داخلية حيث استقبله هناك اميرها الذي يطلق عليه اسم « اجام » بحرارة وأهداه ثلاثة جمال وحصانين ومبلغ اربعمائة روبية وزوده بمرافق حتى عودته الى كراتشي . وفي كراتشي رفض ان يقوم بزيارة للسردارات الافغان اللاجئين هناك ربما لانه كا نيتوقع استدعاءه الى كابول ، ولكن عدداً من سكان بشاور وكراتشي وجماعة الميمون قابلوه .

وفي شهر أغسطس قام سيدي عبد السلام بزيارة الى كويته وفي سبتمبر ذهب الى بهاوالبور ولكن أميرها الذي يطلق عليه اسم نواب رفض مقابلته ، ومن بهاولبور عاد الى روالبندي عن طريق لاهور . وفي بداية شهر اكتوبر وصل الى روالبندي ومن هناك قام بجولة خاطفة في مدينة مري حيث قابل هناك السردار أيوب خان واستطاع أن يحصل منه على مبلغ ٣٠٠ روبية ، وبعد هذا مباشرة لحق بابن أخيه سيدي محمد في مدينة حسن عبدالعال ، حيث كان يحاول سيدي محمد بمساعدة السردار اللاجىء محمد ابراهيم خان الابن الاكبر لامير الافغان الراحل ، شير علي خان ، أن يحصل على اذن من الامير عبدالرحمن لزيارة كابول ، ولكن رد الامير الذي وصل في الخامس والعشرين من سبتمبر لم يكن مرضياً . ولكن عُرف فيما بعد أن الامير كان يشك في علاقة سيدي محمد بعمه النقيب ، ووجد في هذا على الاقل عذراً يتذرع به لرفض استقباله ، ولكنه ارسل اليه هدية . وفي الثامن من شهر اكتوبر وصل سيدي عبد السلام وسيدي محمد الى مدينة بشاور معاً حيث استقبلهما المسلمون هناك باحترام بالغ وأقام سيدي محمد مع المفتي محمد ابراهيم ، وأقام

سيدي عبد السلام مع غلام صمداني وهو مقاول . وفي مدينة بشاور قام سيدي محمد بمقابلة مع خواس خان ، زخاخل مالك خيربور ، وقيل ان سيدي محمد قد طلب منه مبلغ الفي روبية ، ولكن إفريدي الحصيف لم يدفع له سوى عشر روبيات وعرض عليه أن يزوجه ابنته ، ولكن سيدي محمد تجنب هذا العرض بحجة أن له زوجتين . أما سيدي عبد السلام فبقي في بشاور زهاء اسبوعين ، عاد منها الى روالبندي حيث أمضي اسبوعين مع السردار ايوب خان ، وقرب نهاية شهر نوفمبر قام بزيارة لاسماعيل خان في طريق عودته الى كراتشي حيث خرجت جماهير غفيرة من الافغان لاستقباله وأهدوه مبلغ ستمائة روبية ، ولكن صحة سيدي عبد السلام كانت معتلة في ذلك الوقت ، فاعتكف داخل الدار أثناء إقامته ، حيث وجد أن تجمهر المعجبين المتخمسين امراً غير مستحب . وبعد مزيد من المحاولات الفاشلة للحصول على مقابلة مع أمير «باهاولبور» ترك كراتشي في النهاية وعاد الى بغداد في شهر ديسمبر عام ١٨٩٦ . وذلك الوقت كان سيدي محمد ما زال يسعى في اقناع أمير الافغان بأن يسمح له بزيارة كابول ، ولكن لم تلن قناة الامير ، وترك سيدي محمد بشاور الى روالبندي في اوائل شهر ديسمبر حيث استمتع هناك بضيافة السردار أيوب خان التي استمرت أكثر من شهر ، وعند رحيله قبل منه هدية بلغت الفي روبية . وفي شهر يناير من عام ١٨٩٧ قام سيدي محمد بزيارة الى لاهور حيث أقام هناك مدة ثلاثة أسابيع مع الامير فتح علي خان ، وانشغل بكتابة عدة رسائل الى ولاية بهاوالبور . ولكن دون نتيجة . وقد حصل على مبلغ مائتي روبية من محمد علي خان ابن المرحوم الامير ناصر علي خان الى جانب عدة مبالغ من المعتقد أنها أتت من جماعة «نواب لاهور» . وقبل منتصف شهر فبراير عام ١٨٩٧ وصل سيدي محمد الى حيدر اباد في اقليم الدكن ، وفي الثامن عشر من سبتمبر تمت مقابلة بينه وبين سمو امير حيدر أباد في المساء واستمرت حتى الثانية صباحاً . وعلى الرغم من ان كبار الدولة احتفوا به ، الا أن

أمر حصوله على معونة مالية كبيرة أمر مشكوك فيه . وبقي سيدي محمد في حيدر أباد خلال عامي ١٨٩٧-١٨٩٨ . وفي شهري ديسمبر ويناير من عام ١٨٩٨ قام سيدي عبد السلام بكتابة عدة رسائل الى مواطن من قالات ومقيم في قويتا ، وكانت رسائل عادية ، الا أنها دلت على وجود مراسلة بين سيدي عبد السلام والسردار السير نورور خان نوشرواني .

بعد الاسفار التي وصفناها آنفاً يبدو أن سيدي حسن استقر في قويتا ، كما استقر سيدي عبد السلام في مدينة حيدر أباد في الدكن . وقد نجح سيدي حسن عام ١٩٠٤ في الحصول على إذن من الامير حبيب الله خان بزيارة كابول ، وغادر الهند الى العاصمة الافغانية في السادس من شهر ديسمبر من ذلك العام ومن المعتقد انه ظل هناك حتى عام ١٩٠٨ . وفي عام ١٩٠٧ ذهب سيدي محمد ابن سيدي أحمد وابن أخ النقيب إلى جلال أباد في أفغانستان ثم عاد منها الى بغداد وفي نيته إحضار والدة سيدي حسن وشقيقته الى افغانستان .

أما عن سيدي عبد السلام فقد أقام علاقات مع امير «دير» التي تقع على الحدود الشمالية الغربية للهند ، وكان الامير يرسل له هدايا نقدية بين الفينة والاخرى من المعتقد أنها بلغت عشرة آلاف روبية ، وكان يرسل الهدايا الى الضريح في بغداد عن طريق القنصل العام التركي في بومباي . وتلا ذلك عرض من الامير بأن يزوج احدى بناته الى سيدي عبد السلام ، وكان هناك ترتيب بأن يقوم الامير أولا بزيارة النقيب في بغداد حيث كان هناك اقتراح بأن يبني لنفسه منزلا وان يمنح ارضاً ليدفن فيها من يموت من جماعة الباتان في بغداد . وفي شهر ديسمبر عام ١٩٠٤ وصل سيدي عبد السلام الى بشاور بغرض اصطحاب الامير الى بغداد ، ولكن وفاة الامير الفجائية وضعت نهاية لمشروعات سيدي عبد السلام ، ولم يسمع أحد منذ ذلك الحين عن التحالف المقترح عن طريق الزواج . أما الامير الحالي فيبدو أنه لا يكن الاحترام نفسه الذي كان يكنه والده

لافراد عائلة النقيب . وفي عام ١٩٠٨ ذكرت التقارير أن سيدي عبد السلام موجود في قويتا .

ومن الواضح ان رحلات هؤلاء الافراد في الهند كانت من أجل الشحاذة ، ومن المعتقد أيضاً أنها كانت تمهيداً للتآمر السياسي حيث وجدت غير مرة أسباب تؤدي الى الشك في أن السلطان عبد الحميد سلطان تركيا كان يستخدم نقيب بغداد كهمزة وصل بينه وبين أمير أفغانستان .

★ ★ ★

نقيب البصرة

مركز نقيب البصرة وممتلكاته

ويوجد بالبصرة كذلك نقيب سني ، ولكن نفوذه الديني محدود إذا قورن بنقيب بغداد ، وتعتمد أهميته بصفة أساسية على ثروته وعلى الدور الذي يسنده اليه الاتراك هو وعائلته في الامور السياسية . والمقر المعتاد لنقيب البصرة هو في السبيلات على شط العرب كما يوجد له مقر كبير في مدينة البصرة ومنزل ريفي في الرافدية بالقرب من الزبير . والى جانب ذلك يمتلك نقيب البصرة اقطاعيات زراعية في نهر عمرو ، وجزيرة العين ، ومهيجران ويوسفان وحمدان وكوت الشيخ ونهر خوس وأبو إيجابي وأماكن أخرى على شط العرب ، وله ممتلكات في باب رياح ومعظم جزيرة الزيدية في النهر نفسه . وفي عام ١٩٠٤ كان النقيب يمتلك ما يقرب من مائتي قارب في البصرة والأماكن المجاورة لها .

عائلة نقيب البصرة

كان نقيب البصرة قبل عام ١٨٧٤ مباشرة هو عبد الرحمن الذي توفي في ذلك العام وخلفه أخوه سيدي محمد سعيد عام ١٨٩٦ ، ثم

انتقلت النقابة من بعده الى ابنه سيدي حب النقيب الحالي الذي كان يقوم بواجبات النقابة في همة ونشاط خلال الست أعوام الاخيرة من حياة والده . وكان أخوه سيدي أحمد وابنه سيدي طالب من أبرز عائلة سيدي راجح حتى عهد قريب(١) . وقد توفي سيدي أحمد عام ١٩٠٦ .

الوظيفة السياسية التي اسندها الاتراك لعائلة نقيب البصرة

وقد تلقى سيدي محمد سعيد وسام تقدير من سلطان تركيا لمساعدته للسلطان ، من المحتمل عام ١٨٧١ قبل توليه النقيبية في إقناع آل ثاني شيخ قطر أن يعلن نفسه تابعاً للباب العالي . وفي عام ١٩٠٠ وكما هو مذكور في تاريخ الكويت قام المرحوم سيدي أحمد والمرحوم سيدي طالب بالوساطة في الموقف المتأزم على حدود العراق التركي بين أمير جبل شمر وشيخ الكويت . وقرب نهاية عام ١٩٠١ ارسلت السلطات التركية النقيب نفسه الى الكويت ليذكر شيخها بواجبه نحو السلطان التركي . وفي يونية عام ١٩٠٢ عين سيدي طالب متصرفاً للاحساء ، وفي عام ١٩٠٣ اوقف عن عمله بسبب حادثة ادارية موصوفة في تاريخ الاحساء ، ولكن يبدو أنه احتفظ بوظيفته إسمياً على الاقل حتى عام ١٩٠٥ ، وكان في وقت من الاوقات مرشحاً لولاية البصرة . ويبدو أن سيدي طالب كان في هذه الفترة من حياته متحمساً للوحدة الاسلامية(١)

---

(١) لسيدي راجح ولدان هما سيدي طالب وسيدي يوسف ، ولسيدي أحمد ولد واحد هو سيدي هاشم . وكان والد سيدي عبد الرحمن وسيدي محمد سعيد يدعى سيدي أحمد .

(٢) يحوي سجل نشاط حكومة الهند في شهر فبراير سنة ١٩٠٥ على مذكرة عجيبة تتعلق بسياسة تركيا في شبه الجزيرة العربية كتبها سيدي طالب الى رئيس وزراء تركيا في الثالث من شهر أغسطس سنة ١٩٠٤ ، وقد حصلت عليها السفارة البريطانية في القسطنطينية . وتفشي المذكرة عن عدم الثقة المتناهي في بريطانيا العظمى والكراهية لبلاد الفرس . وربما ساهمت الاقتراحات التى حوتها المذكرة في كارثة الغزو التركي لاقليم نجد ما بين عامي ١٩٠٤ و ١٩٠٦ . وسيدي أبو طالب الآن (ونحن في عام ١٩١٣) هو زعيم الحركة الوطنية المعادية للاتراك في العراق .

المذهب الاباضي في منطقة الخليج

أصل الاباضيين

رأينا من قبل في سلطنة عمان التي يبلغ تعدادها نصف مليون نسمه وجود مذهب اسلامي يعرف بالمذهب الاباضي او «البياضي» يتمتع بنفوذ واسع ، أو على الاقل له من النفوذ مثل ما لغيره . ويقال ان مبادئ الاباضية أدخلها الى عمان أحد الخوارج الذين نجوا من الهلاك الذي حل بجماعتهم كحزب سياسي على يد علي بن ابي طالب في موقعة النهروان ، وهذا يؤكد أن مذهب الاباضية يرجع في أصله الى الخوارج . وقد تأسست المدرسة الاباضية التي لم يكن لها أهمية خارج عمان ، ما بين عامي ٦٨٥ و ٧٥٠ ميلادية على يد عبدالله بن إباض التميمي والتي اشتقق منها اسمه (١) .

وسرعان ما تبنى أهل عمان مبادئ المذهب الاباضي ، ويقال انه بمطلع القرن الثالث عشر الميلادي لم تصبح هده المبادئ مسيطرة فقط ، ولكنها أصبحت لها صفة عامة تقريباً .

مبادىء الاباضية

لا شأن لنا هنا بالعقائد الدينية للاباضية(٢) ، ولكن ينبغي أن نعرض لآرائهم فيما يتعلق بموضوع الحكومة الدينية الامر الذي يبدو أنهم قد اهتموا به اهتماماً بالغاً في بادئ الامر . ويختلف الاباضيون الاول عن كل من السنّة والشيعة في رفضهم الرأي القائل بأن الاسلام في حاجة إلى

---

(١) هناك اقتراح بأن كلمة اباضي ترجع في الاصل الى كلمة (أبيض) . ويعارض هذا الرأي القس بادجر الذي يعتبر حجـــة في مذهب الاباضية . ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام أن جماعة المطاوعة وهم من الاباضيين المتطرفين يستخدمون علما أبيض فيالحرب .

(٢) لعل الاوفق أن يقال : ان الاباضية فرقة من الفرق الاسلامية ويكرهون تسميتهم بالخوارج ، وان كانوا قد تشعبوا عنهم قديما .

رئيس ظاهر دائم ، وفي حين سمحوا بتعيين إمام أو زعيم روحي تعييناً قانونياً اذا ما اقتضت الظروف ، أصَروا بشكل خاص على أن يكون منتخباً في كل حالة ، والا تكون الخلافة او الإمامة وراثية . وقد وافقوا السنة في اعتبار أبي بكر وعمر من الخلفاء المنتخبين وبالتالي فهما جديران بالاحترام ، ولكنهم اختلفوا مع السنّة والشيعة في رفضهم لباقي الخلفاء واعتبارهم مغتصبين . هذه هي الآراء الاصلية للأباضيين والتي بقيت دون تغيير حتى وقتنا هذا .

والاباضية مذهب قائم بذاته ولا يجب الخلط بينه وبين المذاهب الاسلامية أو شبه الاسلامية الاخرى امثال المذهب الاسماعيلي والمرجئة والمعتزلة والقرامطة والصفتية وغير ذلك من المذاهب . ومجرد عدم انتسابهم الى السنّة او الشيعة قد يكون السبب الاساسي للآراء الخاطئة حول هذا الموضوع والتي كانت متداولة في بعض الأحيان بين المسلمين في الخليج العربي .

تاريخ الامامة الاباضية

بذل خلفاء السنّة المسلمون خلال ثلاثة قرون جهوداً متوالية في اخضاع الاباضيين العمانيين تحت سيطرتهم . وخلال هذا الصراع قام الاباضيون في ٧٥١م ، بانتخاب إمام يوجّه شؤونهم الدينية والحربية والسياسية وكان هذا الانتخاب وفقاً لمعتقداتهم الخاصة . وقد استطاعوا في النهاية إحباط خطط الخلفاء ، واستمرت الامامة بالانتخاب في عمان على الرغم من أن مبدأ الوراثة كان دائماً يهددها بالانقراض حتى عام ١٧٨٣ عندما انتخب إمام عمان للمرة الاخيرة . ومنذ عام ١٧٨٤ كان يقوم أفراد من العائلة التي ينحدر منها الأئمة بالوظائف الادارية العادية في الوقت الذي توقفت فيه الإمامة ، ولكن لم يكن لهؤلاء الحكام الذين حكموا في الفترة الاخيرة أية صفة دينية ، وكانوا يحكمون تحت اسماء دنيوية كالسيد أو السلطان .

المطاوعة او جماعة المطوعين الاباضيين

نشأت بين الاباضية في الازمنة الحديثة جماعة تسمى «بالمطوعين» (مفردها مطوع) ، وقد لعبت هذه الجماعة دوراً هاماً في سياسة عمان الداخلية . وكلمة مطوع التي تستخدم فيما يبدو بمعنى الالتزام بالطاعة استعيرت من الوهابيين الذين أطلقوا هذه الكلمة على الداعين لمذهبهم . ورغم ان المطوعين يشبهون الوهابيين في تحريم الدخان ووجوب عقاب المدخنين إلا أنهم في واقع الامر أباضيون متعصبون (١) .

ويعتقد المطوعون ان الخليفة علياً لم يكن مسلماً على الاطلاق بل كان كافراً ، ويعتقدون أن اعادة الإمامة في عمان على أساس الانتخاب أمر ضروري خاصة لتقويم الاخلاق العامة . ويؤكد المطوعون نقطتين أخلاقيتين هامتين ، تقضي الاولى بعدم عقد الزواج دون حفل نكاح ، والأخرى بمراعاة الشدة بالنسبة لارتداء النساء الحجاب .

حركة المطوعين في عمان ١٨٤١ – ١٩٠٧

لفت المطوعون الانظار اليهم حوالي عام ١٨٤١ عندما عيّن السيد حمود حاكم صحار بعض قادتهم ليتولوا أمر الحصون الهامة والدفاع عنها ضد الوهابيين . ولفتوا الانظار مرة أخرى في عام ١٨٤٥ عندما أسهم بعض المطاوعة في معارضة نشاط أحد العملاء الوهابيين في البريمي ، كما وترجع ثورة ١٨٦٨ التي وضعت السلطة في يد عزان بن قيس في مسقط الى مطوعين في أساسها وشخصيتها ، ويتضح تعصب هذه الجماعة في تاريخ سلطنة عمان فيما بين عامي ١٨٦٨ و ١٨٧١ .

---

(١) الصواب أن « المطوع » هو الذى يدعو الناس لطاعة الله أما « المتطوع » فهو الذى يتقدم للعمل تطوعاً منه .

وقد تميزت فترة حكم عبد العزيز القصيرة بمحاولة جماعة المطوعين اصلاح المثل الاخلاقية في مسقط ، والهجوم التمردي على مسقط عام ١٨٧٧ هو أساساً من مخططات المطوعين .

وقد حدثت حركة من المطوعين ضد نفوذ سلطان مسقط في سنة ١٨٨٣ ، وكان أحد أهدافها المفهومة هو ان يتولى إمام مكان السلطان الحاكم .

وفي عام ١٨٩٥ احتلت مدينة مسقط ووضع المطوعون واتباعهم أيديهم عليها فترة من الزمن ، وكان غرضهم في هذه المرة هو الاطاحة برئيس الدولة العلماني . وفي عام ١٩٠٣ قامت جماعة « المطوعين » بمحاولة فعلية لاقامة إمامة في وادي الرستاق لمنافسة السلطان الحاكم ، ولكن الحركة فشلت لحاجتها الى المساندة . ولم تكن الدوافع الدينية الحقيقية هي السبب الوحيد في اثارة القلاقل ، بل ان الطموح السياسي للافراد ، والرغبة في التغيير والامل في السلب والنهب ربما كان لها الاثر نفسه .

قادة المطوعين ١٨٤١ — ١٩٠٧

إن جماعة المطوعين الذين لا يحصى عددهم ، هم أكبر ما يكونون في اقليم الشرقية المضطرب حيث نشأت أغلب الحركات الآنفة الذكر . وقد كان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي رئيسهم الديني حتى وفاته عام ١٨٧١ ، وقد اشتهر الشيخ سعيد في حكومة المطوعين في مشيخة صحار ، وأصبح فيما بعد كبير مستشاري عزان بن قيس . وكان صالح بن علي رئيس قبيلة حرث أكثر القادة القبليين نفوذاً من بين جماعة المطوعين ، وقد قام بدور بارز في حركات المطوعين بين عامي ١٨٦٨ و ١٨٩٦ ، ويحتمل عام ١٨٩٦ . ومن بين علماء المطوعين البارزين في عام ١٩٠٥ نذكر عبدالله بن حمد السالمي ومحمد بن شيخان السالمي وكلاهما من الشرقية ، وقد شغل عيسى مكان ابيه صالح بن علي .

المذهب الوهابي في منطقة الخليج

في الفصل التاريخي عن نجد شرحت بما فيه الكفاية أصل الوهابيين ومميزات مذهبهم(١) وتاريخهم السياسي ، ويمكن للقارئ أن يرجع اليه . وعلى ذلك فليس من الضروري ان نركز على مبادئهم ومركزهم .

الخلط في الوقت الحاضر بين الوهابيين والسنة الحنابلة

من الصعب جداً في الوقت الحاضر ان نميز في الاماكن المتجاورة في الخليج العربي بين الوهابيين المتأصلين وبعض أتباع المذهب السني الذين تتقارب آراؤهم كثيراً من الوهابيين . وتبدو قبائل بني بوعلي وبني راسب في سلطنة عمان أنها لا تزال وهابية بمعنى الكلمة ، ولكن قبائل الغافري في ساحل عمان المتصالح والتي كانت وهابية دون شك في يوم من الايام ، تدعي الآن بأنها من السنّة الحنابلة ، وانحرفت فعلا عن السلوك الوهابي المتشدد . كذلك فان موقف القبائل البدوية في شرق الجزيرة العربية مثل عجمان وبني هاجر والمُرّة التي تسمي نفسها حنابلة مشكوك فيه . وقد أقام فريق من آل المعضادي القطريين الذين أصبحوا في الفترة الاخيرة حنابلة سنيين متطرفين نوعاً ما ، علاقات مع الامير الوهابي وربما نعدهم من الوهابيين .

انعدام العلاقة بين الوهابيين في شبه الجزيرة العربية والهند

ونشير هنا الى الحركة الوهابية التي قامت بين المسلمين في الهند اثناء القرن التاسع عشر . ويظن البعض أنها قامت بايعاز من شبه الجزيرة

---

(١) الوهابية حركة لتجديد الفكرالدينى على مذهب الامام احمد وليست مذهبا منفصلا مستجدا .

العربية ، ولكن كثيراً من الشواهد الملحوظة لا تؤيد هذا الافتراض(١) وقد قام بالحركة سيد أحمد شاه من اقليم راي باريلي الذي زار مكة في عام ١٨٢٢ وتشبع بمبادئ المذهب الوهابي ، دون أن يكوّن ، على قدر ما هو معروف ، أية علاقة دائمة مع وهابيي شبه الجزيرة العربية . وكان تيتو ميان شخصية بارزة أخرى من بين الوهابيين الهنود . وقد قام تيتو بزيارة لمكة عام ١٨٢٢ وعاد الى الهند عام ١٩٢٧ ، ولكن يبدو أنه لم لم يقم أية علاقة مع نجد . وقد أعلن «سيد أحمد شاه» الجهاد ضد جماعة السيخ في عام ١٨٢٦ وواصله وأحرز بعض النجاح الى ان قتل على ايدي السيخ عام ١٨٣١ ، ومنذ ذلك الحين أثار الوهابيون المتاعب من وقت لآخر للحكومة البريطانية في الهند وخاصة بين عامي ١٨٦٠ و ١٨٧٠ على الحدود الشمالية الغربية وفي الولايات السفلى . ولا يبدو ان وهابيي الهند قد تراسلوا مع وهابيي وسط شبه الجزيرة العربية وذلك لأنهم لم يزوروا نجد كما لم يرسل الى الهند أي داعية وهابي عربي .

وقد كانت الحركة الوهابية في الهند منذ نشأتها حركة محلية بحتة وقد ظهرت صبغتها غير الوهابية عندما أعلن سيدي أحمد شاه أنه هو المهدي ، وبذلت الجهود لاقناع الشيعة للالتحاق بالحركة دون تغيير في معتقداتهم ومعاملاتهم الدينية . وفي عام ١٨٦٥ على الاكثر انتكست الحركة وتحولت الى مجرد تمرد سياسي على الحكومة القائمة .

---

(١) ولهذا السبب يجب اعتبار قصيدة السير « الفريـــد ليال » المثيرة والمسماة « موعظة في البنغال السفلى » والتى كتبت في عام ١٨٦٤ خالية من أي أساس تاريخي . كما تبدو مقدمة الواعظ المسماة « رجال المدن الهندية الذين يستنجدون بالرسول » أمرا لا يليق أن يتلفظ به الوهابيون العرب أيضا الذين يرفضون وساطـــة الانبياء والاولياء .

جماعة الخوجه في منطقة الخليج .

ثم نأتي بعد ذلك الى الخوجه ، وهم جماعة من المسلمين يوجد مركزهم الديني حالياً في الهند ، ولكن يقطن عدد منهم في منطقة الخليج ويعرف الخوجة الحقيقيون على أنهم جماعة من الناس أجدادهم أصلا من الهندوس ثم اعتنقوا المذهب الشيعي الاسماعيلي وأخلصوا له .

خوجة الخليج

ينتمي معظم الاشخاص المدعوين بالخوجة في الخليج الى أصل أو سلاله هندية ، ويبلغ عددهم حوالي الفين ، وهم موزعون كالتالي :

التقسيم الجغرافي	الميناء	العدد
سلطنة عمان	قرياط	٥
» »	مطرح	١٠٥٠
» »	بركه	قليل
» »	مسناح	قليل
» »	سويق	٣٠
» »	خابورة	١٢٥
» »	صحار	١٥
عمان المتصالحة	رأس الخيمة	٣٣
» »	الشارقة	١٥٨
» »	دبي	٢٣
الساحل الايراني	لنجة	٥٦
» »	بندر عباس	٦٧
» »	ميناب	١٧
مكران الايرانية	شهبار	١٤٠
سلطنة عمان	جوادر	٢٥٠
	المجموع يزيد عن	١٩٦٩

ويوجد تقرير عن خوجة الخليج في مقالة تحت هذا الاسم في الجزء الجغرافي من هذا الدليل . وكان الخوجة يصحبون زوجاتهم واولادهم حيثما حلّوا .

التاريخ الحديث لجماعة الخوجة في الخليج

تكرر الانقسام والتصدع اللذان وقعا فيما بين خوجة بومباي وبين خوجة الخليج ، ويقال ان ما يزيد عن نصفهم في الوقت الحاضر من الامامية ويعترفون بسلطة الاغا خان . وفي عام ١٨٨٥ رفضت حكومة الهند التدخل الى جانب الخوجة الاماميين في مطرح الذين حرموا من ملكية مكانهم الاصلي المقدس « جماعات خدمة » ، وكانت ملكية هذا المكان قد آلت اليهم بقرار محكمة بومباي العليا الصادر في عام ١٨٦٦ ، ولم يكن عددهم يزيد عن عشرين عائلة ، ولم يحرموا من التعبد في المبنى القديم ، وامتلكوا مبنى جديداً خاصاً بهم ، وتأخروا كثيراً في المطالبة بحقهم .

وفي عام ١٨٨٦ تلقت حكومة بومباي شكوى تفيد بأن بعض نساء الخوجة في مطرح يلقين معاملة سيئة من ازواجهن بغرض إشراكهن في مقاطعة الاغا خان ، وان سلطان عمان كان يساند هذه الاجراءات . وقد بين البحث ان الشكوى كانت تشير إلى حالة امرأة واحدة من رعايا السلطان ، ثم أهمل الامر . ويقال إن جماعة الخوجة في جوادر ما يزال معظمهم او جميعهم من أتباع الاغا خان او بعبارة أخرى إمامية ، ولكن يقال ان معظم الخوجة في مطرح ، وهي مقرهم الرئيسي ، قد انشقوا وأصبحوا من الشيعة الاثني عشرية وليسوا من السنّة كما هو الحال في بومباي .

وقد احتفظ المنشقون في مطرح ببعض العادات الاجتماعية وغيرها ، وما زال لقب الخوجة يطلق عليهم هناك وفي أماكن أخرى نسبة الى أسلافهم . وفي عمان بصفة عامة نجد أن ٩٠ بالمئة من الخوجة في الوقت

الحاضر اثنا عشرية . ويحافظ الاغا خان على الاتصال المنتظم بينه وبين الخوجة المخلصين له وذلك عن طريق ممثلين له في الخليج . وفي فترة من الفترات كان يزورهم كل عامين حتى تتاح لهم فرصة إظهار احترامهم وولائهم له .

الاسماعيلية في الخليج

وينبغي أن نضيف هنا ان للاغا خان مئات الآلاف من الاتباع من غير الخوجة في شرق وجنوب شرق ايران ممن يقرون علانية بأنهم شيعة مخلصون ، ولكنهم يكنون الحب والولاء سراً للعقيدة الاسماعيلية ويتفق سلوكهم مع مبدأ التقية الاسماعيلي الذي يسمح لهم في ظله باخفاء دينهم بغية الهروب من الاضطهاد . ويقطن بعض هؤلاء الاسماعيليين من غير الخوجه في المناطق الساحلية للخليج ، ولكن لا يمكننا ان نذكر شيئاً عن اماكنهم او عددهم . ويمتلك سمو الاغا خان قرية باغو بالقرب من بندر عباس .

★ ★ ★

طوائف اسلامية أو شبه اسلامية أخرى في منطقة الخليج

الذكريون

يوجد عدد قليل من طائفة تسمى الذكري في المنطقة المجاورة لمدينة جوادر ، وهم من بلوش نجوار ولا يزيد عددهم على ٥٠٠ الى ٦٠٠ نسمة . ويقال إن طائفة الذكري هذه نشأت في الهند منذ مائة سنة . ويذكر أن أهل هذه الطائفة يعتقدون أن رسالة الاسلام قد انتهت بعد مرور ألف عام من الهجرة ثم خلفتها رسالة المهدي الذي ظهر في أتوك على نهر الاندوس ، ثم اختفى فيما بعد في مكان ما في مكران . ويتكون الذكر (الذي اشتقت منه الطائفة الذكرية اسمها) من التلفظ بصيغة معينة ست

مرات في اليوم يعتقدون انها من وصف المهدي . وذلك بدلا من الصلوات الاسلامية المعتادة . وهم يتلون القرآن ويسمون أنفسهم مسلمين ، ولكنهم يرفضون صوم رمضان ، ويعتقدون ان «العُشر» يجب ان يدفع بمعدل جزء من عشرة بدلا من الزكاة التي هي جزء من أربعين ، وتوجد طائفة الذكري بكثرة في الاجزاء الشرقية من مكران ، ولهم مكان للزيارة في كيج ويسمونه كرهي مراد .

الصوفية واتباع نعمت علي

يقال انه لا يوجد صوفيون في مناطق الخليج ، ولكن يوجد عدد قليل من طائفة نعمت علي في بوشهر .

البكتاشيون

طبقاً للمعلومات التي اوردها سمو الاغا خان عام ١٩٠١ ، قام بعض الوعاظ المتجولين الذين ينتمون الى طائفة إسلامية تعرف باسم البكتاشيين والذين يكثر عددهم في تركيا الاوروبية والآسيوية ، بزيارة للجزء الشمالي الاوسط من شبه الجزيرة العربية ولكنهم لم يلاقوا نجاحاً كبيراً بين الناس ، وثارت حولهم الشكوك على أنهم في حقيقة الامر عملاء سياسيون للباب العالي ،

★ ★ ★

اليهود في منطقة الخليج

العراق التركي

هناك وصف لخصائص يهود العراق في المقالة التي كتبت عن هذا الاقليم في المجلد الجغرافي من هذا الكتاب . ويتميز يهود العراق بالتعصب الديني ، ولعل هذا شيء طبيعي . ويبين الجدول التالي توزيعهم التقريبي مع مراعاة ان عدداً قليلا منهم يوجد خارج المدن .

الولاية	القضاء	عدد الانفس
بغداد	العزيزية	قليل
«	بغداد	٥٥٠٠٠
«	الحلة	٥٠٠
«	هندية	٥٠٠
«	جزيرة	قليل
«	كربلاء	٣٠٠
«	كوت العمارة	١٠٠
«	السماوة	٢٠٠
البصرة	العمارة	١٠٠٠
«	البصرة	٢٠٠٠
«	الحي	٥٠٠
«	الناصرية	١٥٠
«	شطرة العمارة	٥٠
«	شطرة المنتفك	قليل
«	سوق الشيوخ	٣٠٠
	المجموع حوالي	٦١٠٠٠

وعلى الساحل العربي من الخليج يوجد ما بين مائة ومائتي يهودي في الكويت ، وحوالي خمسين في البحرين وعديد منهم في مسقط . ويقل عدد اليهود على الساحل الايراني للخليج ، فتوجد زمرة منهم في المحمرة ، وحوالي ٦٠٠ في بوشهر وعدد ضئيل في وادي «كابندي» ، وهكذا فان عددهم في منطقة الخليج لا يزيد عن ٦٢٠٠٠ شخص . وقد لقي اليهود معاملة سيئة في ايران في الفترة الاخيرة وهاجر عدد منهم الى بلدان اخرى ويوجد ثلاث أضرحة يهودية هامة في الاقطار المجاورة للخليج وهي مقبرة «حزفيل» و «عزره» في العراق ، الاولى في كفل والثانية في عزير ، ويقدس اليهود الضريح الاول ويتم هناك دفن الكثير من موتاهم . أما الضريح الثالث فهو ضريح دانيال بالقرب من شوش في عربستان .

المسيحيون الشرقيون في منطقة الخليج

يقل عدد المسيحين الشرقين في منطقة الخليج عن احد عشر الفاً ويكاد لا يوجد أحد منهم خارج العراق التركي فهناك حوالي اربعين في البحرين واثني عشر في بوشهر ، وعدد ضئيل في المحمرة . وفي العراق يندر وجودهم خارج المدن وهم موزعون كالتالي :

قضاء بغداد	٨٠٠٠
قضاء البصرة	٢٥٠٠
قضاء الناصرية	قليل

وهناك وصف للمسيحين في العراق وتقسيمهم وتنظيمهم الديني في المقالة المكتوبة عن مدينة بغداد في الجزء الجغرافي من هذا الدليل .

★ ★ ★

الصابئة في منطقة الخليج

يحتوي الجزء الجغرافي من هذا المجلد على مقالة عامة عن الصابئة في العراق وعربستان(١) . ولا يوجد أحد من جماعة الصابئة الا في هذين الاقليمين من الخليج العربي . وهناك سرد مختصر عن ديانتهم وخصائصهم المميزة وتوزيعهم في هذه المقالة . ويوجد في العراق ما يزيد عن الفي شخص من هذه الجماعة ، وحوالي اربعمائة في عربستان ، وعلى هذا يبلغ مجموعهم حوالي ٢٥٠٠ نسمة . ولكن يبدو أن عددهم آخذ في التناقص . و «الصلوبة» وهي قبيلة من القبائل الرحل التي توجد في اواسط المملكة العربية السعودية وعلى حدود الكويت وفي العراق التركي والتي لا يحصر عددها ، تدين بديانة يعتقد أنها تتشابه مع ديانة الصابئة .

(١) ويمكن الرجوع الى المراجع التالية : خطاب بيترو ديلا فال من البصرة رقم ١٠ الفقرة التاسعة ، وأسفار ترافرنير في فارس ، الجزء الثاني ، وأسفار البارون دي بود .

الهندوس في منطقة الخليج

ينحصر الهندوس في المنطقة السفلى من الخليج وعلى شواطئ خليج عمان وجميعهم تقريباً مهاجرون من السند والجوجارات وموطنهم الاصلي في كثير من الحالات ما زال هو الهند ، وتوزيعهم في الوقت الحاضر كالتالي

التقسيم الجغرافي	الميناء	العدد(١)	ملاحظات
سلطنة عمان	البصرة	١١	
» »	مسناح	١٠	
» »	مسقط	٢٥٣	حوالي خُمس هؤلاء من النساء والاطفال
» »	مطرح	٣٧	ويشمل ذلك عدداً قليلا من النساء وا لاطفال .
» »	قرياط	٩	
» »	سهام	١٠	
» »	شناص	٩	
» »	صحار	٨	
» »	صور	٢٨	
» »	سويق	٧	
عمان المتصالحة	أبوظبي	٦٥	ويشمل هذا العدد بعض النساء والاطفال .
» »	دبي	٦٧	ويستثنى منهم حوالي ٢٠ زائراً يفدون في موسم صيد اللؤلؤ.
» »	امالقيوين	١١	بما في ذلك الاطفال والنساء .
» »	الشارقة	٥١	ويشمل ذلك بعض النساء والاطفال

(١) وهذه الارقام تشمل الحرس العسكرى للموظفين السياسيين البريطانيين الذى يتكون معظمه أو جزء منه من الهندوس في بعض الاحيان .

التقسيم الجغرافي	الميناء	العدد	ملاحظات
البحرين	المنامه	٦٩	يتزايد هذا العدد الى ١٧٥ وذلك في موسم صيد اللؤلؤ .
العراق التركي	البصرة	٦	
ساحل فارس وموانى الخليج	بوشهر	قليل	
« «	جزيرة قيس	١٢	ولا يشمل ذلك عدداً من الزوار في موسم صيد اللؤلؤ ، ولا يوجد نساء او وأطفال .
« «	لنجة	١٦	ولا يشمل ذلك أطفالا او نساء .
« «	قشم	١٠	ويشمل ذلك النساء والاطفال .
« «	بندرعباس	٦٦	ولا يشمل ذلك النساء والاطفال .
« «	ميناب	١٤	ولا يشمل ذلك النساء والاطفال .
مكران الفارسية	شهبار	٦٠	ويشمل ذلك بعض النساء والاطفال
سلطنة عمان	جوادر	٢٠٠	بما في ذلك النساء والأطفال .
المجموع يزيد عن		١٠٢٩	

المسائل السياسية

لم تكن المسائل السياسية الناشئة عن الديانة الهندوسية بالأمر الشائع . ففي عام ١٨٨٥ حدث أن ركب أحد أبناء البراهمة سفينة سلطان زنجبار المسماة «افوكا» في مسقط بنية إشهار اسلامه وزيارة مكة . وقد أثار هذا غضب المجتمع الهندوسي في مسقط ، ورفض الحجاج الآخرون ، ومعظمهم من الافغان والفرس المسلحين تسليم الولد الذي طلب تغيير دينه ، واعترضت السفينة البريطانية (رينجر) التابعة للبحرية البريطانية ، طريق السفينة (أفوكا) حتى تم يسليم الطفل عندما استنكر فكرة إشهار إسلامه . وفي ذلك العام أشهر فقير هندوسي إسلامه في بندر عباس ،

وانّهم بسرقة أشياء ثمينة من معبد هندوسي في ذلك المكان ، وقد كان تصرف السلطات الايرانية في هذه الحالة غير مرض ، ولكنهم في النهاية أبعدوا الفقير عن بندر عباس . وفي عام ١٩٠٤ جمع بعض المال من الهندوس في أبو ظبي كثمن للتصريح لهم بالتخلص من جثة أحد الهندوس الذي كان قد توفي هناك وذلك بطريقة الحرق المعروفة ، ولكن أعيد المبلغ بناء على طلب من المقيم البريطاني .

★ ★ ★

البابيون في منطقة الخليج

يرجع الدين البابي الجديد في فارس الى عام ١٨٤٤ وهو العام الذي أعلن فيه ميرزا علي محمد المعروف عامة باسم الباب رسالته الجديدة . ولا يبدو ان هذا الدين قد كسب أعواناً كثيرين في منطقة الخليج ، ولكن على الرغم من ذلك قام الباب بزيارة لبوشهر في رحلة مبكرة من حياته العامة . ويذكر أنه في عام ١٩٠٥ لم يكن هناك في بوشهر الا حوالي ٥٠ من البابيين يعملون في مصلحة الجمارك بصفة رئيسية او في المدفعية ، وكان يوجد عدد ضئيل منهم في مينائي بندر عباس ولنجة ، وفي شهري فيران في اقليم ليراقي . ويبدو أنه لم يكن في بغداد أي فرد من البابيين رغم انها كانت المقر الرئيسي للدين البابي من عام ١٨٣٣ الى ١٨٦٤ . ومن المحتمل وجودهم في أماكن لم يؤكد بعد فيها وجودهم . ولا يتسع المقام للاسترسال في سرد مبادئ البابية ، اذ أن ذلك الدين ليست له أهمية سياسية في الوقت الحاضر ، ولكن هناك حقيقة يجب ذكرها كشيء ذي أهمية عامة وهو أنه في الخامس عشر من شهر أغسطس عام ١٨٥٢ حدثت محاولة فاشلة لاغتيال ناصر الدين شاه(١) قام بها البابيون المتعصبون

(١) المصادر الرئيسية للمعلومات التى تتعلق بالبابيين هى كتابات العلامة ف· ج· برون الاستاذ في جامعة كيمبردج وما اقتبسه هذا الاستاذ من المؤلفين ·

ويبدو ان الاغتيال الفعلي لذلك الملك في الاول من مايو عام ١٨٩٦ لم يكن من فعل البابيين أنفسهم على عكس ما قد قيل عنهم .

★ ★ ★

الحركات الدينية الخارجية التي أثرت على الخليج

المهدي في السودان المصري ١٨٨٣ — ١٨٨٥

في عام ١٨٨٣—١٨٨٤ وصل عدد من المنشورات التي صدرت تحت اسم محمد حمد المهدي من السودان المصري الى الخليج عبر شبه الجزيرة العربية ، واجتذبت الكثير من الانتباه هناك ، ولكن بدا أن العطف الذي أظهره الناس على قضيته كان سياسياً وليس دينياً . وفي عام ١٨٨٤—١٨٨٥ رحل بعض رجال دبي الى البحر الاحمر وذكروا أنهم سوف يلتحقون بالمهدي اذا «ظهر أنه نبي» ، وبدأ ملا الشارقة باظهار اهتمام بدعوة المهدي ، مما حدا بالسلطات البريطانية ان توجه تحذيراً الى شيخ الشارقة . ويبدو ان هذه الحركة هي الوحيدة التي اثارت القلاقل في الخليج في الآونة الاخيرة .

حركة الوحدة الاسلامية

لم يكن للحركة الاسلامية وافكارها سوى تأثير قليل جداً في بلاد الخليج فقد كان للجرائد المصرية العربية وهي الوسائل الرئيسية للدعاية الاسلامية عدد ضئيل من القراء في الكويت ومسقط .. الخ ولم يكن هناك دعاية اسلامية محلية . وفي إيران ، وحيثما وجد الشيعة ، كان هناك رفض واستهزاء بادعاءات السلطان التركي بقيادة العالم الاسلامي ، ويوجد الآن في سلطنة عمان عقبة مشابهة حيث ينتمي معظم السكان الى المذهب الاباضي . ويعتبر الجهل وعدم الاكتراث في الخليج من العوامل الرئيسية أيضاً في منع انتشار الحركة الاسلامية .

ملحق رقم ط

المسيحية الغربية والارساليات التبشيرية في منطقة الخليج (١)

تناولنا موضوع المسيحية الغربية في الملحق رقم ح ، وسنتناول هنا فقط المسيحية الغربية وارسالياتها التبشيرية في منطقة الخليج . وتنتمي هذه الارساليات في الوقت الحاضر الى نوعين فقط : الأول إرساليات الروم الكاثوليك ، وهدفها الآن رعوي بصفة أساسية . ثانياً الارساليات البروتستانتية وهدفها الوحيد هو التبشير بالمسيحية . وسوف نتناول اولا ارساليات الروم الكاثوليك وذلك لقدمها .

★ ★ ★

تاريخ ارساليات الروم الكاثوليكة في منطقة الخليج

يمكن ان نتناول تاريخ إرساليات الروم الكاثوليك في البلاد المتاخمة للخليج وذلك حسب تسلسل الحوادث .

(١) المراجع الرئيسية التى استقينا منها معلومات هذا البحث هى : كتاب « شبه الجزيرة العربية مهد الاسلام » لمؤلفه (س. زويمر)، وتقارير قام بكتابتها عديد من المبشرين من ارسالية الكراملة في بغداد ، والسيد ج. ا. موردیك من الارسالية العربية في البحرين، وكذلك سجلات وزارة الخارجية في حكومة الهند ، والمعلومات التى أوردها العقيد كوكس المقيم البريطانى في الخليج العربى . ومقالة كتبها ا. د. ديكسي في جريدة (بنجاب ميشن نيوز) في عددها الصادر في أغسطس عام ١٨٠٧ .

١٦٠٤

غادر روما ثلاثة من الآباء الكراملة وهم الاب سيمون والأب جان تاديبه والاب فانسان إلى ايران على شكل مبشرين وسفراء من البابا كلمنت الثامن الى الشاه عباس الكبير .

١٦٠٨

انشيء دير في مدينة أصفهان تحت رعاية الشاه عباس الكبير الذي أمدهم بمكان لبنائه .

١٦١٢

أسس دير للكراملة في جزيرة هرمز التي كانت في ذلك الحين من ضمن الممتلكات البرتغالية ، وقد انشأ الدير الأب فنسنت من الكراملة الاسبان . وقد عمل بعض آباء القديس اوجستين بنجاح على نشر الدعوة في الجانب الآخر من الجزيرة العربية ، وذلك إبان الاحتلال البرتغالي لجزيرة هرمز . وقد سار على نهجهم هذا ولي عهد جزيرة هرمز الذي أصبح اسمه جيروم جابيت ، وقد إعتنق المسيحية كل من الفونسو نور الدين وفلبّا مراده ، وكانت فلبّا امرأة تنتمي الى العائلة نفسها التي ينتمي اليها نائب الحاكم .

١٦٢٣

بعد أن فقد البرتغاليون جزيرة هرمز ، أنشأ الكراملة ديراً لهم بالبصرة . وقد أشرف على انشائه الأب باسيلي دي سانت فرانسوا ، من الكراملة البرتغاليين ، وذلك بناء على اوامر أسقف «جوا» لمحاولة تنصير صابئة البصرة . وقد فشل من قبله في هذه المهمة الاب ماثيو وهو انجليزي ، وكذلك الاب نيكولاس دي لافيجا الذي أقام مسكناً وكنيسة في البصرة بموافقة من الباشا .

١٦٢٤

في ذلك العام انشئت مؤسسة للكراملة في شيراز تحت رعاية الاب جين ثاديز والأب بطرس من اتباع القديس توماس . وفي العام نفسه أعدمت «جاتيفاندا» ، واللدة أحد الامراء ، بعد سجن دام أحد عشر عاماً عوملت خلالها بقسوة في شيراز وذلك لرفضها اعتناق المسيحية .

١٦٢٥

وكان لكل من كراملة الارسالية الايرانية واتباع القديس اوغسطين في جوا مؤسسات في البصرة ، وكانوا يتلقون المعونات المالية من الباشا التركي . وكان هناك بعض الاحتكاك بينهما . وفي الثالث عشر من شهر ابريل اتم الكراملة تشييد كنيسة ، واقيم احتفال كبير عند افتتاحها ، وارسل الباشا حرس شرف من خمسماية رجل ، وبعد ذلك قام الباشا بنفسه بزيارة للمبنى وتبرع بمبلغ من المال .

١٦٣٢

تلقى اول اسقف في أصفهان التفويض الديني وذلك في شخص المونسنيور جين تادي وهو أحد الكراملة الاسبان .

١٦٣٨

عين أول اسقف لبابل (بغداد) وهو المونسنيور برنارد دي فال ، وهو من الكراملة الفرنسيين .

١٦٣٩

وصل الى البصرة أحد المسافرين ويدعى تافرنييه يحمل أخبار مولد لويس الرابع عشر . وقد احتفل الآباء الكراملة بهذه المناسبة السعيدة احتفالا دينياً .

١٦٥٢

طبع في روما كتاب شهير لاحد المبشرين الكراملة في البصرة يدعى الاب العيسوي ، تحت اسم :

« الرواية عن اصول المسيحيين : عاداتهم واخطاؤهم للقديس يوحنا»

١٦٦٦

اشتهر الأب انجي دي سانت جوزيف ، وهو احد الكراملة الفرنسيين من تولوز واحد المبشرين في شيراز والبصرة ، بمهارته في الطب وخاصة بعلاجه الناجح لجروح بالغة أصيب بها القائد علي الايراني في دفاعه عن البصرة ضد الاتراك . واعترافاً بخدماته سمح الحاكم الايراني للبصرة ، للكراملة بالرحيل الى ريق في الخليج قبل حرق بقية المدينة لمنع سقوطها في ايدي الاتراك ، كما سمح لهم بأخذ مكاتبهم وأدوات العيادة معهم . وتبع ذلك ان نشر الأب انجي كتابه «تركيب الادوية الفارسية » كما يفهم من الاصطلاح الفارسي المترجم الى اللاتينية .

وقد امتدح هذا الكتاب عديد من اساتذة كلية الطب في باريس .

١٦٦٩

زارت ثلاث سفن تابعة لشركة «نوبل كومباني فرنسيز» ميناء البصرة ، وتوفي على ظهر السفينة «لافورس» مترجم ارمني ، وتلقى الغفران الديني قبل وفاته .

١٦٧٠

افتتحت مؤسسة في كنج بالقرب من لنجة واخرى في بندر عباس اقامهما الأب ماثيو دي سانت جوزيف الذي كان طبيباً ماهراً . وقد أشاد به الأب انجي الذي ورد اسمه أعلاه .

١٦٧٤

في شهر يوليو من ذلك العام استضاف الكراملة في البصرة المونسنيور

بابيت دي لاكراو وهو ابن مترجم الملك وصديق الكراملة الفرنسيين في ايران . ولقد كتب هذا السيد بعد فترة قصيرة يقول : « شهدت أثناء اقامتي في أصفهان لمدة عامين الاب انجي دي سانت جوزيف ، وقد اعتنق الكثيرون المسيحية على يديه ، ولم يكن الدواء الذي يتصدق به بالشيء القليل » .

١٦٧٥

عين فرانسوا باكيه القنصل السابق في حلب لفرنسا أسقفاً لبابل ، وذلك بعد التحاقه بالكنيسة ، كما عين قنصلا فرنسياً في ايران واقام في همدان عام ١٧٦٨ .

١٦٧٨

سافر الأب انجي دي سانت جوزيف الى القسطنطينية حيث قدم ثلاث مخطوطات عن الصابئة الى المركيز «نوانتل» السفير الفرنسي لدى الباب العالي ، وارسلت هذه المخطوطات الثلاث الى مكتبة دي كولبرت وهي محفوظة الآن في المكتبة الوطنية .

١٦٧٩

أصدر لويس الرابع عشر قراراً بتعيين كبير كراملة البصرة قنصلا فرنسياً في مدينة البصرة وذلك لمكانته مهما كانت الجنسية التي ينتمي اليها . وبناء على هذا القرار قام احد عشر أباً بواجبات القنصل في البصرة ما بين عامي ١٦٧٩ و ١٧٣٩ .

١٦٨٠

في هذا العام كان الاب «فرسانوس العيسوي » والفرير «سيرسل» يعملان في بندر عباس .

١٦٨٢

في هذا العام كان الاب «جين فرانسوا» موجوداً في لنجة او في كنج.

١٦٨٤

في هذا العام كان الاب لودفيك دي سانت تريز موجوداً في شيراز كما توفي في البصرة بطريرك ارمني سابق من القسطنطينية ، وكان قد اعتنق مذهب الروم الكاثوليك على يد الآباء الكراملة في البصرة ، ودُفن في مقبرة الروم الكاثوليك هناك .

١٦٨٦

توفي في الثالث من شهر يونيو من ذلك العام الاب اجاثانجي أحد كراملة الأكتين في بندر عباس ، وكان مبشراً متحمساً توفي اثر ضربة شمس .

١٦٩١

توفي الاب شارل في البصرة بمرض الطاعون .

١٦٩٤

عين الاب « ايلي دي سانت البرت » أحد الكراملة البلجيك في انتويرب أسقفاً لاصفهان ، وقد عيّنه البابا «كلمنت العاشر» .

١٦٩٨

عين الاب «بيير بول» أحد الكراملة بيرفوت قسيساً بابوياً في الهند وخفيراً من قبل البابا وامبراطور الرومان وجمهورية البندقية لدى شاه ايران .

١٦٩٩

ارسل الشاه حسين اسقف أصفهان ، الذي عين في عام ١٦٩٤ كما ذكر آنفاً كسفير لدى البابا والامبراطور .

١٧٠٠

في هذا العام أصبح الاب «باسيلي دي سانت شارل» مطراناً (كبير القساوسة) لدير أصفهان .

١٧٠٣

طرد الحاكم التركي المتعصب الكراملة من البصرة ، ولكنهم عادوا لها ثانية بعد عام ونصف . وقد كان هذا مبعث سرور وبهجة لاتباعهم .

١٧٠٨

مر بالبصرة المونسنيور «موريس دي سانت تريز» أحد كراملة بيرفوت والمبعوث البابوي في بلاد المغول الكبرى ، وهو في طريقه الى الهند وأسس ارسالية للكراملة في بومباي وهي التي حلت محلها ارسالية لليسوعيين منذ ذلك الحين .

١٧١٢

توفي المنسنيو ر «جاتيان دي جاليزان» في مدينة أصفهان ، وقد كان مساعداً لخوري بابل .

١٧٢١

أسس الاب «جوزيف ماري العيسوي» البورغندي ارسالية الكراملة الحالية في بغداد . وكان هذا الأب يحمل رتبة نائب المبعوث البابوي ، وكثيراً ما تعرضت حياته للخطر إبان إقامته في بغداد على يد المسلمين والارمن (١) . وفي عام ١٧٢١ انشئت كنيسة برتغالية في كنج حيث أقام هناك قسيس او اثنان . وكان مصدر عيشهم الصدقات والهبات

---

(١) كانت ارسالية البصرة في ذلك الوقت (وفقا لما ذكره هاملتون) في أيد شريرة • ويتحدث هاملتون عن ثلاثة من الكراملة فيقول : « كان هؤلاء الاوغاد المنتمون الى الكنيسة وصمة عار في جبين المسيحية وذلك بتحويل الكنيسة الى حانة ، وبحصولهم على امتيازات من الحكومة أكثر من المسلمين فيما يتعلق بالامور الاخلاقية ، والتى استخدموها أسوأ استخدام وذلك ببيعهم العرق المقطر من التمر وحيازتهم لعصافير الجنة واعطائها لعملائهم • ثم يصف احـدى الغارات التى قام بها الباشا على أحد مصانع الخمور للكراملـة في البصرة » •

١٧٢٨

قام الأب «اربان دي سانت اليزيه» ، الاسقف البابوي لكل من ايران وشبه جزيرة العرب بزيارة الاديرة في هذه البلاد .

١٧٣٣

توفي الأب «جين جوزيف دي سانت انطوان» من افينون في بندر عباس .

١٧٣٥

توفي الأب انطوان أحد المبشرين الكراملة في بندر عباس .

١٧٣٧

توفي في البصرة المنسنيور « ماتيو دي فالنيف» على ظهر السفينة «سانت فرانسوا» في السادس عشر من شهر يونيو ، دون اجراء الطقوس الدينية . وفي التاسع والعشرين من شهر يوليو ، ارسل ملك فرنسا المنسنيور كلود جرينجر من اقليم «برجندي» وذلك للبحث عن الآثار والنباتات المجهولة ، وقد توفي إثر ضربة شمس بعد مسيرة يومين من البصرة ، ويبدو أنه لم تجر له الطقوس الكنسيّة . وفي الثلاثين من شهر يوليو توفي أب يدعى «اوغسطين» وهو عائد الى اوروبا في في مسقط بسبب الحرارة الشديدة . وفي الثالث والعشرين من شهر اكتوبر توفي في البصرة المونسنيور «دي كرجين» ابن أخ «د ويليكس» ودفن في الكنيسة الكاثوليكية .

١٧٣٨

توفي على السفينة الفرنسية «لانتربرنـّان» الراسية في نهر البصرة المونسنيور «لودفيك دي لاتوش» من اقليم « بوندي شري » . وبعد بضعة ايام تزوج المسيو جوزيف جنيوا ، أحد الرعايا الفرنسيين بالآنسة «مرجريت بنيزيه» من حلب .

١٧٤٠

توفي في ذلك العام المسيو «الوي بلجارد» والمسيو «بويموند» ، وقد كان الاخير مديراً للمصنع الفرنسي في بندر عباس ، وأجرى لهم آباء الكنيسة الطقوس الدينية .

١٧٤١

توفي المسيو «بيير مورتانفيل» من اقليم اورليتز ، وقد كان اول قنصل فرنسي في البصرة .

١٧٤٢

عين الاب «عمانويل بيليه» أحد كراملة بيرفوت كأول قنصل فرنسي في بغداد ، ثم عين بعد ذلك أسقفاً لبابل . وقد قدم هذا الاب بخطاب من الحاكم الفرنسي لاقليم «بوندي شري» ، واستقبله أحمد باشا الحاكم التركي استقبالا طيباً ، كما تلقى العون والمساعدة من المعتمد الانجليزي المستر «فينش» ومن الواضح انه كان يقصد به المستر «مارتن فرنش» المقيم البريطاني في البصرة والذي توفي عام ١٧٣٧ . وقد حصل الاب عمانويل على تصريح ببناء منزل وكنسية ، وتكوين ارسالية تبشيرية ، كما انشأ كنيسة القديس توماس التي اقيم فيها قداس للمرة الأولى في الرابع عشر من شهر يوليو عام ١٧٣٤ ، وبنى مدرسة للكراملة في بغداد . وتبع ذلك ان سجنه الاتراك لاعتناق بعض الارمن المذهب الكاثوليكي على يديه ، وارغموه على دفع مبلغ باهظ من المال لاطلاق سراحه ، ثم رحل الى فرنسا حيث حظي هناك بلقب قنصل فرنسا في بغداد ، وكان هذا اللقب بمثابة حماية له ضد سوء المعاملة في المستقبل . وفي عام ١٧٤٢ عينه البابا اسقفاً لبابل .

١٧٤٩

توفي في هذا العام في أصفهان المونسنيور فيليب ماري أحد كراملة بيرفوت .

١٧٥٠

يظهر من سجل القداس في البصرة أن الصلوات كانت تقام أيضاً في بوشهر التي كانت الميناء الذي يمر به المبشرون من فارس الى العراق أو أماكن أخرى من الخليج وبالعكس .

١٧٥٢

رقي المونسنيور «سباستيان دي سانت مرجريت» أسقفاً لاصفهان عن طريق الاسقف بابيه في بغداد ، وانتقل الى مقر منصبه الجديد ودخله باحتفال رسمي .

١٧٥٤

بدأ آباء البصرة القيام بزيارات منتظمة لجزيرة خارَج ليشرفوا هناك على مركز للخدمات الاجتماعية أنشأه البارون «فون نيبهاوزن » الذي كان كاثوليكياً .

١٧٥٥

توفي في خارَج في شهر مايو الاب «إربان دي سانت اليزيه» كبير القساوسة سابقاً في بندر عباس . وفي الثاني والعشرين من شهر يونيو من نفس ذلك العام توفي المونسنيور «سباستيان دي سانت مرجريت» أحد كراملة بيرفوت اسقف أصفهان ودفن في كنيسة البصرة .

١٧٥٨

يقول الدكتور «آيفز» ورفاقه ما يلي : «أتيحت لنا فرصة التخاطب مع كثير من المبشرين المقيمين في دير البصرة بقصد نشر الديانة المسيحية . وقد كان هذا تفكير عجيب من جانبهم اذ أنهم لا يجرؤون على تنصير مسلم واحد . وقد قام هؤلاء الرجال الطيبون بعدة زيارات لنا فيما بعد وأسبغوا علينا البركات واعطونا خطاب توصية الى اسقف بابل» . ويصف الدكتور «آيفز» شخصية «بيليه» الذي كان ما يزال أسقفاً في ذلك الوقت .

١٧٦٥

عندما زار الرحالة «نيبور» بوشهر في شهر فبراير من ذلك العام وجد هناك راهبين لقب أحدهما نفسه باسقف أصفهان وكان هذا هو كورني دي سان جوزيف أحد كراملة بيرفوت الايطاليين . وفي البصرة وجد «نيبور» القساوسة يعيدون بناء كنيستهم . وقد لاحظ أثناء وجوده في بغداد عام ١٧٦٦ اثنين من الرهبان الكراملة ، كان احدهما اسقفاً لبابل ، ولاحظ ايضاً ان عملهما الرئيسي لم يكن تنصير المسلمين ، ولكنهما كانا يحاولان اغراء الارمن بالاعتراف بالبابا حيث انهم نجحوا في ادخال معظم المسيحيين الشرقيين في حوزة الكنيسة الكاثوليكية . واضطر النسطوريون الى تسليم كنيستهم للروم الكاثوليك .

١٧٧٣

أودى وباء الطاعون الذي انتشر في كل ارجاء العراق التركي في ذلك العام بحياة ثمانية من المبشرين الكاثوليك ، اثنين منهم في البصرة وأربعة في بغداد (بما في ذلك المونسنيور بيليه) وواحد في ماردين وواحد في ديار بكر .

١٧٧٤

قام المونسنيور «شارل دي سانت كونراد» من كراملة بيرفوت والذي كان يعمل قسيساً في بلاد المغول الكبرى بزيارة دينية رسمية للارساليات الرومانية الكاثوليكية في العراق التركي .

١٧٨٠

في ذلك العام أصبح الاب «ألوي ماري» من كراملة بيرفوت اسقفاً عاماً في ايران .

١٧٨٢

عيّن المونسنيور «ميردوت» الفرنسي اسقفاً في بغداد ، وبدلا من أن

يذهب هو بنفسه ، ارسل ابن أخيه الاب «دي بوشامب» ليعمل كمساعد اسقف . وقد كان هذا الاب من علماء الفلك ، ويقال إنه تلميذ على يد « لالاند » .

١٧٨٧

اختير المونسنيور «أنجلينس دي سانت جوزيف» ليكون مندوباً بابوياً في بلاد المغول الكبرى ، وفي أثناء ذلك الوقت كان للكراملة مراكز عدة في الجزء الشمالي من غرب الهند ، وكانت هذه المراكز تشكل ارسالية عرفت باسم ارسالية المغول الكبرى وكان مقرها الرئيسي في صورات .

١٧٩٤

غادر الاب «دي بوشامب» بغداد واصبح الاب «فولجانس » اسقفاً بابوياً في بغداد ، وقد كان الاب من العلماء الذين اصطحبهم بونابرت فيما بعد الى مصر .

ويصف مدون تلك الحوادث التي ذكرناها آنفاً تاريخ ارساليات الروم الكاثوليك في ايران والعراق بهذه الكلمات الحقيقية الواقعية ، فيقول : اذا بعدنا عن ذلك العصر ، نجد ان مراكزنا في العراق لم تعد أكثر من مراكز تاريخية ، فقد تُركت دون تعقل . وقد انصبت الثورة الفرنسية معين الوظائف الكنسية ، فاحتل الكراملة مراكزنا في العراق بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، وكان ذلك يتم أحياناً بمساعدة الكهنة الشرقيين . ونحاول الآن بعون الله ، وبعد شهرين من الرحيل ، استعادة ارسالية ايران القديمة على شواطئ الخليج ، وقد زرنا بوشهر عام ١٨٩٩ .

الوضع الحالي لارساليات الروم الكاثوليك في الخليج

يوجد للكنيسة الكاثوليكية في الوقت الحاضر ثلاثة مراكز رئيسية في البلدان التي تهمنا ، مركز في بغداد ، وآخر في العمارة ، والثالث في البصرة . وهناك ترتيبات للقيام بالخدمات الكنسية بين حين وآخر في بوشهر . ويتركز عمل الارساليات بصفة خاصة في بغداد .

يوجد في بغداد حوالي ١٢٠٠ روم كاثوليك و ١٤٠٠ من السريان الكاثوليك ، و ١٠٠٠ من الارمن الكاثوليك و ٢٠٠٠ من الكلدان الكاثوليك . وتخضع الجماعات الثلاث الاولى لاسقف بابل ، وهي بالتالي تشكل وحدة دينية ، ولكن لكل منها كنيسة منفصلة . ويشكل الكلدان الكاثوليك طائفة مستقلة . ونصف فيما يلي المؤسسات الكاثوليكية الرومانية وصفاً مفصلا ، ففي عام ١٨٦٨ أعيد بناء الكنيسة والمدرسة الرئيسية وذلك تحت رعاية الأب « ماري جوزيف اليسوعي » .

يوجد في البصرة كنيسة ومدرسة تحت اشراف الآباء الكراملة . ويصل عدد المسيحيين في البصرة الى حوالي ٢٥٠٠ ، ولكن نسبة المنتسبين منهم الى الكنيسة الكاثوليكية غير مؤكد بعد .

★ ★ ★

المؤسسات التعليمية والخيرية للروم الكاثوليك في بغداد

فيما يلي وصف لمؤسسات الروم الكاثوليك في بغداد التي أقامها أساساً آباء ارسالية الكراملة حوالي عام ١٩٠٥ . وقد أخذ هذا الوصف من معلومات كتبها أحد هؤلاء الآباء .

المدرسة الثانوية للبنين .

كان للكراملة في بغداد مدرسة ثانوية تشتمل على قسم داخلي وقسم خارجي ، وكانت هيئة التدريس تتكون من خمسة آباء من الكراملة ، ثلاثة منهم فرنسيون وواحد ايرلندي وواحد من بغداد ، كما كانت تشمل اثنين من الاخوة الموارنة الفرنسيين وسبعة من المدرسين العاديين من بغداد . وفي عام ١٩٠٥ كانت سجلات المدرسة تشمل ١١٩ طالباً من الكلدانيين و ٣٣ من السوريين و ٢٣ من الأرمن وثلاثة من اليونان ، وجميعهم من الرعايا الاتراك ، كما كانت تشمل سبعة من الفرنسيين واربعة من النمسا واثنين من ايطاليا ، وانجليزي واحد ، ويهودي واحد وثلاثة من اولاد الاتراك . وكان جميع هؤلاء من الروم الكاثوليك وبلغ عدد الطلبة جميعاً ١٩٦ طالباً . وفي عام ١٩٠٤ كان هناك ثلاثة طلبة مسلمين ، ولكن المفتش على المؤسسات العامة اعترض على دخول الطلبة المسلمين مدرسة مسيحية ، واضطر آباؤهم على سحبهم . وكان منهاج المدرسة يطابق مناهج مدارس الليسيه الفرنسية مع بعض التعديلات التي تناسب الشرق . وكانت اللغتان ، الفرنسية والعربية ، اجباريتين وكان التعليم يتم كلية بواسطة هاتين اللغتين ، وكانت الانجليزية والتركية تدرس للطلبة في السنوات الثلاث النهائية . كان مبنى القسم الداخلي تحت إشراف الآباء الكراملة وملحقاً بدار الارسالية وخصص للطلبة الذين لا يعيش آباؤهم في بغداد . وفي عام ١٩٠٥ وصل عدد طلاب القسم الداخلي الى ستة ، وكانت مصاريف الاقامة جنيهين تركيين في الشهر . وكانت المدرسة تتلقى عوناً مالياً سنوياً من الحكومة الفرنسية ، أما باقي الدخل فكان يأتي من الطلاب على هيئة مصاريف وهبات من الافراد ، ولم يكن يدفع المصاريف كاملة سوى ربع الطلبة ، وربع آخر بالمجان ، أما باقي الطلبة فقد كانوا يدفعون نصف المصروفات . وفي عام ١٩٠٤ بلغ مجموع دخل المدرسة ٤٢٥ جنيهاً ، وبلغ ما انفق ٤٤٩ جنيهاً ، ولم يكن للآباء المدرسين رواتب . وكان أغلب الطلبة عند تخرجهم من المدرسة

يعملون كتبة في المحال التجارية . واستطاع كثير منهم بعد بضع سنين أن يقيم أعمالا تجارية خاصة بهم ، والتحق بعضهم بدوائر الحكم التركي مثل مصلحة الدين العام والجمارك وغيرهما . والتحق البعض الآخر بالبنك العثماني ، وسافر بعضهم الى بيروت او اوروبا لدراسة الطب ، والتحق بعضهم بالكنيسة ، وتعلم البعض الآخر الحرف اليدوية ، وكان الآباء الكراملة يعقدون فصولاً مسائية للطلاب الراغبين في مواصلة دراساتهم في التاريخ والادب الفرنسي واللغة الانجليزية والفيزياء والرياضيات . وكان عدد الطلاب المستفيدين من هذه الدراسات يصل الى عشرين في بعض الاحيان .

مدرسة البنات

أسست مدرسة كاثوليكية للبنات في عام ١٨٧٧ في بغداد تحت رعاية كبير أساقفة بابل للروم الكاثوليك نيافة الاب المحترم «جون درور» ، وكانت تديرها راهبات القديس «دومينيك» . وكانت هيئة التدريس عام ١٩٠٥ تتكون من ست راهبات فرنسيات وخمس مدرسات . وكان يتردد على المدرسة حوالي ٣٤٠ بنت جميعهن من كاثوليك بغداد فيما عدا فتاة ارمنية وأخرى مسلمة ، وكانت تدرس لهن اللغة العربية قراءة وكتابة وكذلك مبادئ الحساب وقواعد اللغة والجغرافيا في الفترة الصباحية ، أما اشغال الابرة والحياكة وخلاف ذلك فكانت تدرس في الفترة المسائية ، وكانت اللغة الفرنسية والموسيقى من المواد الاضافية . وكانت اربعون فتاة يدرسن اللغة الفرنسية وثلاثون يدرسن الموسيقى ، وكان هؤلاء فقط يدفعن مصروفات مدرسية ، وكانت المدرسة تتلقى منحة مالية سنوية من الحكومة الفرنسية ، وكان كبير الاساقفة يدفع النفقات التي لا تغطيها هذه المنحة . أما عمل الراهبات فكان دون اجر واشتمل على فصول نهارية لطالبات سابقات بلغ عددهن حوالي ثمانين ، وكان يدرس لهن اشغال الابرة والتطريز وغير ذلك .

مدرسة الاطفال

كانت توجد مدرسة كبيرة للاطفال بالقرب من كنيسة الكراملة لاستقبال الاطفال من الجنسين حتى سن السابعة أو الثامنة ، وكان التدريس فيها بالمجان وتشرف عليه راهبتان ومدرستان ، وبلغ عدد الاطفال حوالي ٢٥٠ طفلا .

مدرسة الاطفال الفقراء

أنشأ الروم الكاثوليك مدرسة للاطفال الفقراء ، وكانت تحت رعاية أب من الكراملة يساعده ثلاثة من المدرسين من بغداد ، وكان متوسط عدد الطلبة حوالي مائة ، جميعهم من الرعايا الاتراك ، وكانت تدرس لهم اللغة العربية قراءة وكتابة ، ومبادئ الحساب والجغرافيا . ولم يكن التعليم بالمجان فحسب ، بل كانت تصرف كسوة في كل حالة ، وفي كثير من الحالات كان يصرف طعام للاطفال . وبلغ ما انفق عام ١٩٠٤ ستين جنيهاً أتت جميعها من المنح والصدقات الى جانب كمية من الطعام والملابس . وعند التخرج كان معظم التلاميذ يلتحقون بوظائف الخدم ، وكان بعضهم يتعلم حرفاً يدوية ، والقليل منهم كان يجد وظيفة في المحال التجارية .

دار الايتام

وكان يوجد أيضاً ملجأ كاثوليكي يقبل فيه الاطفال اليتامى حتى سن الثامنة ، وكان الملجأ يوفر لهم المأكل والملبس ، ويشرف على تعليمهم حتى يصبحوا قادرين على اعالة انفسهم . وفي عام ١٩٠٥ كان هناك ستة عشر نزيلا بالملجأ كلهم فقدوا آباءهم وكانوا في عوز شديد ، وكانت صدقات وتبرعات المحسنين تدعم الملجأ بالاضافة الى ما كان يجمع من اليانصيب والدراهم من العائلات وخلافه . وكان الاطفال اليتامى يتعلمون القراءة والكتابة ومبادئ الحساب ، فاذا ما اشتد ساعدهم يبدؤون

في تعلم حرفة ، فيحترف بعضهم التجارة والبعض الآخر صناعة الحلي من الفضة او تجليد الكتب الخ .

دار المكفوفين والعجزة

ألحقت دار للمكفوفين والعجزة بارسالية الكراملة، وكان يقبل فيها الضعاف من الفقراء المسنين ويعتنى بهم حتى الوفاة . وكانت الدار تقبل المكفوفين وتعلمهم القراءة والكتابة وصناعة الحصر والسلال . وفي سنة ١٩٠٥ بلغ عدد نزلاء الدار خمسة عشر ، ولم تكن النقود المتوفرة لدى الارسالية تسمح بقبول عدد كبير ، وكانت هذه الدار تعتمد أساساً على التبرعات .

الصيدلية

أقام الآباء الكراملة صيدلية في منزل تركه أحد الكاثوليك في بغداد لهذا الغرض وذلك ليستفيد منها الفقراء من المرضى ، وكان يشرف عليها طبيب لمدة ثلاث ساعات يومياً ، وكان الدواء والاستشارات الطبية تعطي بالمجان . وبلغ عدد المترددين على الصيدلية حوالي ١٠٠٠ مريض شهرياً ، وكان راتب الطبيب وثمن الدواء حصيلة التبرعات والهبات .

★ ★ ★

التاريخ العام للارساليات البروتستانتية
في منطقة الخليج من ١٨١١ الى ١٨٩١

رحلة مارتن البحرية في الخليج عام ١٨١١

يبدأ تاريخ الارساليات البروتستانتية في الخليج برحلة بحرية قام بها «هنري مارتن» أحد المبشرين الهنود ، على ظهر سفينة تابعة لشركة بومباي البحرية القديمة ، وفي عام ١٨٦١ ظهرت ترجمة عربية للانجيل قام بها مارتن بمساعدة صوبات .

ارسالية جريفز في بغداد عام ١٨٢٩

وفي عام ١٨٢٩ باع طبيب اسنان انجليزي من مدينة أكستر كل ممتلكاته وحاول شخصياً أن يؤسس ارسالية في بغداد ولكنه مني بالفشل ، وتحوي يومياته في بغداد وصفاً تصويرياً لخبراته المحزنة أثناء انتشار مرض الطاعون هناك .

تحركات الدكتور جون ولسون حوالي عام ١٨٦٠

وبعد هذا ارسل الدكتور «جون ولسون» الذي كان يعمل مبشراً للكنيسة الاسكتلندية في بومباي عدداً من المبشرين الى منطقة الخليج غير مرة واحدة . ورسمت خطة للتبشير تضمنت بعثة الى يهود البصرة ، ولكن تصدع الكنيسة الاسكتلندية في ١٨٤٧ حال دون تنفيذ هذه الخطة .

تأسيس ارسالية جمعية الكنيسة التبشيرية في بغداد عام ١٨٨٠

وفي عام ١٨٧٨ ارست جمعية الكتاب المقدس البريطانية «انطون جبرائيل» من بومباي الى بغداد في رحلة تبشيرية ، وفي الوقت نفسه زار المستر «وات» كلاً من ايران وبغداد ، ولفت انظار لجنة الكتاب المقدس الى الاوضاع الموجودة في هذه البلاد ، وقد دعم القس « بروس » الذي كان يعمل مبشراً لجمعية الكنيسة التبشيرية في الهند في ديسمبر عام ١٨٨٠ ،

توصيات «وات» . وبعد تبادل الآراء بين الجمعيتين افتتح مركز للكتاب المقدس تحت رعاية المستر «بروس» في بغداد التي أصبحت بعد ذلك بعامين مركزاً لارسالية ايران التابعة لجمعية الكنيسة التبشيرية .

رحلة القائد هيج عام ١٨٨٦

وفي عام ١٨٨٦ ، وبناء على طلب من لجنة جمعية الكنيسة التبشيرية التي كانت ترغب في الحصول على معلومات تتعلق بأعمال التبشير في شبه جزيرة العرب . قام القائد هيج برحلة استطلاعية طويلة ، وبعد أن ركز اهتمامه بالاجزاء المتاخمة للبحر الاحمر بصفة رئيسية ، عاد الى انجلترا عن طريق الخليج العربي والبصرة وبغداد وسوريا ، وكتب تقريراً عن الموقف كله . وعلى الرغم من ان عمليات التبشير على الجانب الغربي من شبه الجزيرة العربية قد تبعت ذلك ، الا أننا لا نجد أية نتائج مباشرة لرحلة «هيج» في الخليج العربي .

ارسالية الاسقف فرنش في مسقط عام ١٨٩١

وفي عام ١٨٨٨ أصدر «اسكندر ماكي» أحد المبشرين في اوغنده نداء لتأسيس ارسالية في مسقط التي كان يعتبرها مفتاحاً لافريقيا الوسطى . وفي عام ١٨٩١ حاول الاسقف «فرنش» دون أية مساعدة تأسيس ارسالية في مسقط متأثراً بالنداء الذي أصدره «ماكي» ، وقد كان «فرنش» اسقفاً انجليزياً في لاهور .

انشاء ارسالية عربية في الخليج عام ١٨٩١

وفي الاول من اغسطس عام ١٨٨٩ انشأ الطالبان «جيمس كانتين» و «صمويل زويمر» ارسالية عربية بالاشتراك مع الدكتور «لانسنج» استاذ اللغتين العربية والعبرية في كلية اللاهوت التابعة للكنيسة الهولندية في «نيو برنزوك» ونيو جرسي . وقد كانت هذه الكنيسة إحدى الكنائس «البرسبتارية» المشيخية في امريكا ، وفي عام ١٨٩١ وصل اول ممثل لهذه البعثة للخليج . وتتطلب أعمال المبشرين الامريكان والانجليز منذ وصولهم الى منطقة الخليج ملحوظات قصيرة منفصلة .

الارسالية الاميركية العربية

تاريخ الارسالية العربية في الخليج

كانت الارسالية العربية التي وصفناها والتي انشئت عام ١٨٨٩ تدار بواسطة مؤسسيها في بادئ الامر وبمساعدة لجنة التوجيه المنتخبة من بين الاعضاء المشتركين ، واستمر هذا التنظيم معمولا به حتى عام ١٨٩٤ عندما نقلت الارسالية تحت رعاية وادارة مجلس الارساليات الاجنبية والكنيسة الهولندية ولكنها احتفظت بكيانها المميز كمؤسسة . وكان الاب «كانتين» والاب «زويمر» اول مبعوثين للارسالية يصلان الخليج ، وكان هذان الابوان من المؤسسين الاوائل للارسالية ، وقاما بفحص للاماكن المختلفة في المناطق الغربية والجنوبية لشبه الجزيرة العربية لمعرفة مدى تقبلها للعمل التبشيري ، وذلك قبل ان يذهبا اليها . وفي نهاية مايو عام ١٨٩١ أبحر المستر «كانتين» من عدن الى مسقط ، وبعد ان أمضى فيها أسبوعين وزار البحرين وأماكن أخرى في الخليج ، قام برحلة الى البصرة وبغداد ، ولحقه بعد ذلك بفترة قصيرة المستر «زويمر» ، واختيرت البصرة كمركز رئيسي محلي للبعثة . وكان على الارسالية ان تواجه العداوة من جانب السلطات التركية المحلية ، ولم يحالفها الحظ في بادئ الأمر .

١٨٩٢

وفي الرابع والعشرين من شهر يوليو سنة ١٨٩٢ توفي سوري مسيحي يدعى كامل عبد المسيح في ظروف تدعو الى الشك ، فقد كان هذا السوري تابعاً للارسالية وظن أنه توفي مسموماً ، وقبض على اعضاء الارسالية ، وقفل محل بيع الكتاب المقدس كما صودرت كتب عديدة . ووضع حارس على باب الدار الذي كان يسكنه المبشرون ، وارسل التماس الى الباب العالي يطالب بطردهم من البلاد . وفي أثناء ذلك العام تمت بنجاح بعض الترتيبات لاستمرار عمل جمعية الكتاب المقدس

البريطانية في المنطقة التي كانت تقيم فيها الارسالية . وفي ديسمبر سنة ١٨٩٢ دعم الارسالية وصول الاب «بيتر زويمر» من امريكا ، وكان «بيتر» هذا أخاً لزويمر الموجود في الارسالية من قبل .

١٨٩٣

وفي عام ١٨٩٣ انشيء مركز ثان في البحرين تحت رعاية المستر «ب. زويمر» . وبعد التغلب على الصعوبات الاولى بدا الموقف في هذه الجزر مشجعاً ، وقبل نهاية العام بيع أكثر من مائة جزء من الانجيل ، وقام اول مبشر مسيحي بزيارة للاحساء . وفي البصرة كان هناك تقدم في الناحية التبشيرية وزيادة في تداول الانجيل ، ولكن لم تكن هناك رعاية طبية حيث لم يتوفر طبيب .

١٨٩٤

وفي عام ١٨٩٤ انضم الدكتور «جيمس وايكوف» الى هيئة التبشير في البصرة ، وكان طبيباً ومبشراً في الوقت نفسه وبعد فترة وجيزة مرض الدكتور «وايكوف» مرضاً خطيراً أثناء زيارته للبحرين ، وا ضطر الى العودة لامريكا تاركاً الارسالية وراءه دون طبيب . وفي أثناء ذلك الحين قام الأب «زويمر» بعدة رحلات استطلاعية في سلطنة عمان وتقرر بناء على المعلومات الواردة أن تصبح مسقط مركزاً ثالثاً للارسالية يشغله « زويمر » .

١٨٩٥

وفي عام ١٨٩٥ قام «كانتين» باجازة قصيرة الى امريكا ، وشغل مكانه موقتاً المستر «س. زويمر» الذي كان يشرف في ذلك الوقت على مركز البحرين . وقد دعم الهيئة التبشيرية وصول مبشر طبيب الى البصرة. هو الدكتور «لانكفورد وورول» . وفي نهاية ذلك العام افتتح مركز خارجي في مدينة العمارة على نهر الدجلة .

١٨٩٦

وبدأت السيدة «زويمر» العمل بين النساء المسلمات في البصرة ، واستمرت في كل من البحرين والقطيف . وقام المستر «ب. زويمر» ورفاقه برحلات طويلة امتدت الى وادي سمايل ورستاق والجبل الأخضر في عمان ، وقد باع «زويمر» أكثر من مائة جزء من الانجيل في ساحل عمان

١٨٩٧

وفي شهر فبراير من عام ١٨٩٧ ، وبعد عودة المستر «كانتين» من امريكا مباشرة غادر المستر «زويمر» وزوجته باجازة . وبذلك توقف العمل في البحرين ، ولكن حدث تقدم في مسقط في ذلك العام عندما قام المستر «زويمر» برعاية ثمانية عشر من الصبية العبيد الافريقيين وافتتح مدرسة وبدأ في طبع كتيبات دينية . وقد اجتذبت الدعاية الطبية في البصرة الكثيرين ، وأسس الدكتور «وورول» مركزاً خارجاً في الناصرية على نهر الفرات . وفي نهاية العام انضم القس «بارني» الى هيئة المبشرين .

١٨٩٨

في عام ١٨٩٨ ازداد عدد المبشرين زيادة كبيرة بوصول القس «إستون» والآنسة «رايس» بعد منتصف العام ، وكذلك بوصول الدكتور «س. ج. تومز» والدكتور «ماريون تومز» في ديسمبر ، وفي أثناء ذلك الوقت توفي المستر «زويمر» في امريكا حيث كانت صحته قد تأثرت بعمله وخبراته في عمان .

١٨٩٩

وفي ١٨٩٩ توفي المستر «إستون» نتيجة لشدة الحرارة وكان قد وصل الى البلاد في العام السابق .

١٩٠٥ — ١٩٠٦

استمرت حالات الوفاة بين أعضاء الارسالية ، وكان هذا أمراً يرثى

له ، فقد توفيت السيدة «توماس» في البحرين في ابريل عام ١٩٠٥ ، كما توفيت السيدة «بنيت» في يناير عام ١٩٠٦ .

مراكز الارسالية العربية واعضاؤها ١٩٠٦

في عام ١٩٠٦ كانت المراكز الرئيسية للارسالية العربية ما زالت في البحرين والبصرة ومسقط ، وكانت المراكز الخارجية ما تزال موجودة في العمارة والناصرية ، ووصل عدد اعضاء الارسالية في شهر يناير من ذلك العام الى اربع وثلاثين ، خمسة منهم قساوسة وثلاثة أطباء، وثلاث سيدات عاملات وخمس سيدات متزوجات وثماني عشرة من أهالي تلك البلاد .

المؤسسات وعملها في البحرين

كانت مدينة المنامة هي مركز الارسالية في البحرين وكانت تتكون من اثنين من المبشرين واربع سيدات مبشرات وسبعة من المساعدين الناطقين باللغة العربية ، كما كان يوجد عدد قليل من المبشرين الجدد بصفة دائمة يقومون بدراسة اللغة العربية . وكان العمل التبشيري في جزر البحرين وسواحل الاحساء وعمان المتصالحة يدار من مركز المنامة ، وكان مستشفى «مايسون» التذكاري أحد المعالم الرئيسية للارسالية في البحرين ، واشتمل هذا المستشفى على واحد وعشرين سريراً وكان يتكون من عنبر رئيسي وعنبرين خاصين ، وعنبر رابع للسيدات وحجرة عمليات معدة اعداداً جيداً . أما الهيئة الطبية العليا للمستشفى فكانت تضم طبيباً امريكياً وطبيبة امريكية وممرضة امريكية مدربة ، وثلاثة من المساعدين ، وكان المبنى ملكاً للارسالية . وفي عام ١٩٠٥ وصل عدد المرضى داخل المستشفى الى ١٢٦ مريضاً وعدد المرضى المترددين على العيادة الخارجية ١٤٠١٣ ، كما اجريت ٨٧ عملية جراحية ، وكانت الاستشارة الطبية والدواء تعطيان فقط للذين يحضرون صلاة الصباح التي كان يبدأ بها عمل اليوم ، ولم يشترط عليهم تأديتها ، وافتتحت مدرسة

خارجية للبنين وأخرى للبنات .. وكان يقوم بالتدريس فيها عدد من المبشرين الى جانب مدرسين من البحرين ، ووصل عدد الطلاب الى ٨٥ طالباً عام ١٩٠٥ . وكان هناك مركز لبيع الانجيل والمؤلفات المسيحية المطبوعة بلغات الخليج . وفي عام ١٩٠٦ كان يجري إنشاء مبنى الارسالية الذي هو في الاساس ملك لها .

المؤسسات وعملها في البصرة

كان مبنى الارسالية يقع في البصرة في الجهة الجنوبية لخليج عشّار فوق مُقام . وكان للارسالية مستشفى صغير وصيدلية يصرف منها الدواء بالمجان ، وكلاهما في منزل موُجّر بالقرب من النادي الانجليزي . وكانت هناك ايضاً مدرسة ، ولكن السلطات التركية لم تعترف بوجودها وحاولت غلقها بالقوة .

عمل الارسالية في مسقط

لم يكن للارسالية في مسقط مستشفى او أية مؤسسة عامة ، وكانت ادارة الارسالية هناك تتكون من مبشر واحد يقيم في حي الدلالين وقد عمل على توطيد اواصر الصداقة بينه وبين ذوي النفوذ من العرب المقيمين والزوار واستطاع بمساعدتهم أن يسافر داخل البلاد من حين لآخر ، وأثناء وجود هذا المبشر في مسقط قام أحد الدعاة المسيحيين بتوزيع كتيبات في إحدى مناطق سلطنة عمان ، وكانت هذه المنطقة تتميز بالاستقرار .

أعمال الارسالية العامة والنتائج التي حصلت عليها حتى عام ١٩٠٥

كان عمل الارسالية العربية هو التبشير في المقام الاول ، ولكن المبشرين اعطوا أهمية كبيرة للنواحي الطبيـــة ، ففي البحرين ، والبصرة ، قام أطباء الارسالية بعدة جولات ، وكانوا يعالجون سنوياً ما يزيد على ٣٠ الف مريض . وبمساعدة كل من جمعية الكتاب المقدس البريطانية والامريكية أمكن الاستمرار في توزيع الكتاب المقدس على

نطاق واسع. وازداد بيع المطبوعات المسيحية من ٦٢٠ عام ١٨٩٢ الى أكثر من ٤٠٠٠ نشرة في عام ١٩٠٥ . وكانت الرحلات التي يقوم بها المبشرون للاماكن الداخلية في نطاق مراكزهم الرئيسية من الخصائص المميزة للارسالية العربية . وهناك اعتراف بأن تعميد المواطنين الذين اعتنقوا المسيحية كان قليلا ، ولكن اعترف عدد من الاشخاص ، وكانوا على صلة بالمبشرين ، بالديانة المسيحية ، وقيل إنهم كانوا يمارسون تعاليم المسيحية في حياتهم الخاصة ، وهكذا مُهِّد طريق التبشير أمام الاجيال القادمة .

الوضع السياسي للارسالية العربية

كانت المشاكل السياسية الناتجة عن عمل الارسالية العربية قليلة ، وكان هذا راجعاً أساساً الى حسن تصرف المبشرين أنفسهم ، ولم تحدث هناك اية مشكلة أخرى ، الا أنه في عام ١٨٩٩ حدثت بعض المتاعب البسيطة في البحرين وأمكن التغلب عليها بسهولة ، ولم تتكرر فيما بعد . وقد كانت العلاقات بين المبشرين والسلطات السياسية البريطانية علاقات ود وصداقة حيث ابدت هذه السلطات الاستعداد للمساعدة في كل وقت . أما عداوة موظفي الحكومة التركية فكانت مصدراً للمتاعب ، ولم تكن هناك معارضة شخصية للارسالية سوى المصاعب العادية ، وكان الرأي العام للمبشرين أنفسهم ، بعد خبرة سنين عديدة ، أن شبه الجزيرة العربية كبلد إسلامي يخلو من التعصب الديني .

★ ★ ★

ارساليات الكنيسة الانجليزية ومبشروها

ارسالية جمعية الكتيسة التبشيرية في بغداد

أسست في بغداد عام ١٨٨٠ ارسالية تابعة لجمعية الكنيسة التبشرية ، كما ذكرنا آنفاً ، وما تزال هذه الكنيسة مرجودة حتى الآن ، ويبلغ عدد البروتستانت في بغداد الفين ، ولا يوجد لهم سوى هذه الكنيسة التابعة للارسالية . وفي بغداد قام مستشفى الارسالية بمجهودات طيبة عام ١٩٠٤ ، واشتمل المستشفى على سبعة عشر سريراً واثني عشر مريضاً في المتوسط وسبعين مريضاً متردداً على العيادة الخارجية ، هذا الى جانب ١٠٧٦ شخصاً كانوا يحظون برعاية المستشفى في منازلهم ، وكان العلاج بالمجان لغير القادرين من المرضى . وقد كانت هيئة المستشفى تتكون من طبيب تابع للجمعية وصيدلي وممرضين وخادمين وسيدة مدربة على أعمال التمريض تقدم خدماتها للمستشفى دون مقابل ، وكان الطبيب يتقاضى راتباً ضئيلا من الجمعية ويحوّل كل ما يحصل عليه من نقود الى المستشفى وعلى هذا لم يكن المستشفى يكلف الجمعية شيئاً رغم نفقاته التي وصلت الى ثلاثمائة جنيه سنوياً ، وهكذا استمر العمل بالمستشفى في نطاق ميزانية محدودة .

ارسالية فرنش في مسقط

بعد اربعين عاماً من التبشير والعمل الديني في الهند استقال الاب «توماس فالبي فرنش» من منصبه كأسقف للاهور ، ليتجول بين شعوب البلاد الناطقة بالعربية بغرض نشر المسيحية بينهم ، وقد ركز انتباههعلى مسقط نتيجة للنداء الذي أصدره مستر «ماكي» في اوغنده ، والذي أشرنا إليه من قبل . وفي سنة ١٨٩١ رحل الى مسقط وقابل المستر «س. زويمر» من الارسالية العربية ، ولم يكن «زويمر» قد حدد بعد مكان ذهابه . وكان في نية الاسقف « فرنش » أن ينشيء ارسالية

في مسقط على نفقته الخاصة على أمل ان تحتضنها فيما بعد جمعية الكنيسة التبشيرية ، فوصل مسقط في فبراير عام ١٨٩١ وبدأ عمله بالمدينة وقام بترتيبات لرحلة بالداخل ، ولكنه توفي أثناء سفره بالقارب من مسقط الى مطرح إثر ضربة شمس في الرابع عشر من مايو عام ١٨٩١ وهو في السادسة والستين من عمره ودفن في المقبرة الاوروبية في «الشيخ جابر» وهي قرية صغيرة تتاخم مدينة مسقط من الشرق وتفصلها عنها تلال صخرية مما يجعل الوصول اليها لا يتم الا عن طريق البحر . وفي عام ١٩٠٠ زار القس «ليفروي» أسقف لاهور قبر «فرنش» حيث تليت التراتيل الدينية في مقبرة «الشيخ جابر» ، وكذلك في مقبرة بالقرب من دار الارسالية الامريكية تبرع بها سلطان مسقط أخيراً لدفن المواطنين المسيحيين ولم يخلف هذا الرائد الانجليزي «فرنش» في مسقط أحد حتى الآن .

ارسالية انجليزية اخرى

وجد اعضاء الارسالية العربية عند وصولهم الى البصرة عام ١٨٩١ الدكتور «يوستاس» يمارس مهنة الصيدلة بين الفقراء ويتعاون معهم في ود وصداقة الى ان نقل الى مستشفى جمعية الكنيسة التبشيرية في «كويتا» وعند تحديد مناطق التبشير بين الهيئات المسيحية ، نجد ان مكران وسواحل ايران كانت من نصيب جمعية الكنيسة التبشيرية ، ولكن الكنيسة لم تجد حتى الآن الوسائل المجدية التي تستطيع بها شغل هذه المناطق .

★ ★ ★

ملحــق ي

البرق في الخليج وعلاقته بانظمة البرق في كل من ايران وتركيا (★)

نشأة البرق في الخليج

اهتمام بريطانيا وتركيا بمد خطوط البرق في الشرق الاوسط

ان الاعتبارات العريضة للمصالح القومية هي التي تطلبت انشاء البرق في الخليج وليس المصالح المحلية ، وكان هذا حلقة من الحلقات الاولى في خط عابر للقارات . فعن طريق حرب القرم ، التي نشبت بين عام ١٨٥٣–١٨٥٦ ، أدرك الباب العالي بطء المواصلات بين القسطنطينية والاقاليم النائية التابعة للامبراطورية التركية ، كما أن بريطانيا تعلمت

(★) فيما يلي المصادر الرئيسية التى تتناول موضوع البرق في الخليج بصفة خاصة كتاب البرق والاسفار للسير ف· ج· غولد سميث سنة ١٨٩٤ ، والتاريخ الرسمي لخطـوط البرق في الخـليج سنة ١٨٨٩ لبوسمان ، وتقرير هـ· ا· مالوك عن دائرة البرق الهندية الاوروبية سنة ١٨٩٠ ، والتاريخ الرسمي لخط برق مكران سنة ١٨٨٥ ، وملخص المستر ج· ا· سالدانها عن التجارة والمواصلات في الخليج سنة ١٨٠٦ ، وأخيرا التقارير السنوية لاعمال دائرة البرق الهندية الاوروبية ، كما تحوي السجلات السياسية والتقارير الادارية لمعتمدية الخليج الكثير من المعلومات · ومن هذه ، ومن المصادر التي ذكرناها ، أمكننا كتابة هذا الملحق · ويوجه المؤلف الشكر الى البعثة البريطانية في فارس ولمدير عام دائرة البرق الهندية الاوروبية (هـ· ا· اكسنك) والى مدير عام دائرة البرق الهندية (سير س· هتشنسن) ، ومدير قسم الخليج (هـ· ويتبي سميث) لتزويده بالمزيد من المعلومات ومراجعة هذا الملحق ·

درساً مماثلا نتيجة للثورة التي قامت في الهند عام ١٨٥٧ ، وهكذا اهتمت الحكومتان المعنيتان بالمشاريع التي من شأنها زيادة سرعة المواصلات بين الشرق والغرب .

مشروع الدكتور و. أ. شونسي

كان اول مشروع لانشاء خطوط برقية بين اوروبا وآسيا هو مشروع الدكتور «او. شونسي» (الذي أعطي لقب «سير» فيما بعد) وكان يشرف على مصلحة البرق في الهند فاقترح مد خط من كراتشي الى مسقط ومنها الى باسيدو ثم ينتهي في «القرنة» حيث يلتقي نهرا دجلة والفرات ، ثم يستمر الخط بعد ذلك الى بغداد عن طريق مده في قاع نهر دجلة . أما المسافة الباقية من بغداد الى «اسكوتاري» فيمكن مد خط ارضي عادي فيها . واقترح الدكتور «او. شونسي» مد خط فرعي لمسافة في قاع نهر الفرات ليمتد عبر الارض في الصحراء الى السويده على الساحل السوري .

مشروع شركة المواصلات الهندية عام ١٨٥٦

وفي أغسطس من عام ١٥٨٦ تقدمت شركة البرق الهندية الاوروبية بطلب الى مجلس ادارة شركة الهند الشرقية للحصول على الضمان المالي لانشاء خط برق عادي بين السويده وقرنة يتكلف حوالي ٢٠٠,٠٠٠ جنيه وتبع ذلك بعض المفاوضات مع الحكومة التركية ، ولكن الباب العالي رفض اعطاء امتياز لشركة تجارية ، وبدلا من ذلك اعطى وعوداً لم يكن في وسعه ولا في نيته ان يوفي بها ، وكانت هذه الوعود تتضمن إنشاء خط كالذي ذكر على نفقة الحكومة التركية نفسها .

افتتاح اول سلك للبرق في البحر الاحمر وفشله ١٨٥٩-١٨٦٠

وفي أثناء ذلك الحين كان العمل مستمراً في طريق منافس يصل اوروبا بالهند . وفي عام ١٨٥٩ تم مد خط الى الهند عن طريق البحر

الاحمر يبدأ من السويس ، وكانت مصر في ذلك الحين على اتصال برقي باوروبا عن طريق طرابلس ومالطة وايطاليا . وكان الخط الى الهند يمر بسواكن وعدن والحلانية (احدى جزر كوريا موريا) ومسقط وأخيراً يصل الهند عند رأس مونز بالقرب من كراتشي . وقد قامت شركة الهند والبحر الاحمر للبرق بالمشروع بضمان قدره ٤ ونصف بالمئة من الحكومة البريطانية ، وافتتح الخط في الاول من نوفمبر عام ١٨٥٩، ولكن الجزء بين سواكن وعدن توقف عن العمل في شهر مايو عام ١٨٦٠،وبعد هذا ترك مشروع بأكمله . ويعزى فشل هذا الكابل الى عدم كفاية المسح البحري الذي تقرر على أساسه مد الخطوط والى جانب أخطاء فنية في التركيب ، وعلاوة على ذلك لم تكن هناك دراية كافية بصنع ومد أسلاك البرق البحرية . ونتيجة لهذا الفشل ثبطت همة المستثمرين عن تمويل مشاريع لمد كابلات بحرية طويلة . كما ترتب على هذا الفشل أيضاً تركيز الانتباه لفترة من الوقت على انشاء كابلات برية تسير باتجاه الخليج قد تساهم في إقامة مواصلات ثابتة مع الهند ، وتبع ذلك عمليات مسح واستفسارات واسعة بغرض انشاء خط للبرق في الخليج .

★ ★ ★

انشاء مواصلات برقية بين أوروبا وبغداد
١٨٥٧ ـ ١٨٦١

الاتفاق الانجليزي التركي ١٨٥٧

في العام ١٨٥٧ وبينما كانت الحكومة التركية تعارض في انشاء خطوط برقية في شبه الجزيرة العربية «التركية» ، وافقت على ان يقوم بالعمل موظفون من قبل الحكومة البريطانية نيابة عن الباب العالي وعلى نفقته ، وتفاهم الجانبان على ان يكون خط البرق داخل تركيا تحت ادارة مصلحة البرق العثمانية بعد اتمامه . وطبقاً لهذا الاتفاق أعير الرائد

«بيدويف» من سلاح المدفعية الملكية ، للعمل في الحكومة التركية ، وفي شهر اغسطس من عام ١٨٥٨ بدأ العمل في مد الخط البرقي بين بغداد واسكوتاري تحت اشرافه ، وفي اكتوبر عام ١٨٥٩ تم مد ٣٢٥ ميل من الخط . وفي هذا الوقت تقريباً ، استقال الرائد «بيدويف» لتدهور صحته وللعراقيل التي وضعتها الحكومة التركية في وجهه ، ولكن العمل في الخط استمر تحت اشراف الموظفين الباقين الذين كانوا ضباطاً متقاعدين من سلاح المدفعية البريطاني .

مسودة الاتفاقية الانجليزية التركية عام ١٨٦٠

وفي أثناء ذلك الحين استمرت المفاوضات في القسطنطينية ، وكانت الحكومة البريطانية تهدف من ورائها تامين الصلاحية التامة للخط كوسيلة اتصال بين انجلترا والهند . وفي سبتمبر عام ١٨٦٠ أعدت مسودة لاتفاقية تشمل نتائج المباحثات التي تمت بين تركيا وبريطانيا ولكنها لم توقع من الجانبين ، وظل الحال دون اتفاق رسمي حتى العام ١٨٦٤ . وقد نصت مسودة الاتفاقية على اعطاء بريطانيا الحق في إنشاء خط لاسلكي للمواصلات الهندية على طول الخط التركي يبدأ من نقطة على الحدود النمساوية الى نقطة أخرى على الخليج العربي او بالقرب منه ، وحددت الاتفاقية بمدة مداها خمسون عاماً ، وكان السبب الرئيسي في عدم تنفيذ هذه الاتفاقية هو اختلاف الرأي بين السلطات المتعاقدة على مد الخط تحت سطح النهر للمحافظة عليه مما قد يحدث له من تخريب على أيدي القبائل العربية ، بينما كانت الحكومة البريطانية تفضل مد الخط فوق الارض لرخص تكاليفه وسهولة صيانته .

اتمام الخط بين القسطنطينية وبغداد عام ١٨٦١

وفي غضون ذلك استمر مد الجزء الشمالي للخط بين بغداد والقسطنطينية ، وفي عام ١٨٦١ افتتح الخط البرقي بين المدينتين ، وفي ربيع عام ١٨٦١ قام الرائد « كيمبول » بتفقد الخط بأكمله من بغداد الى القسطنطينية ، وكانت نتيجة تقريره تبنّي الحكومة البريطانية انشاء خطوط هوائية للبرق في المنطقة .

مد خط بغداد ـ الفاو وبغداد ـ خانقين
١٨٦١ ـ ١٨٦٥

اختيار طريق بين بغداد والخليج ١٨٦١ـ١٨٦٣

كانت الخطوة التالية هي اقامة اتصال مباشر بين اووروبا والهند وذلك بربط بغداد بالخليج . وقد تأخر العمل في هذا الخط حيث لم يستقر الرأي على اختيار أنسب طريق جنوب بغداد لانشاء خط برقي لو مد للقارات فيما بعد . وكان من المعتقد في ذلك الحين ان مد خط في اقاليم تركيا من بغداد الى الخليج سوف يتعرض للتلف المستمر من جانب العرب الذين كان يمر الخط من بلادهم . وكانت السلطات تفضل مد خط يعبر الخليج عن طريق ايران في حالة ما اذا تقرر الاعتماد على خط واحد . وقد اعتبر الرائد «باتريك ستيوارد» ، الذي سوف نشرح فيما بعد آراءه الخاصة بالمشروع . مد خط مباشر بين بغداد ورأس الخليج جزءاً رئيسياً من الخطة العامة ، وأوصى أن يقوم الموظفون البريطانيون بعقد اتفاقات سياسية مع القبائل في العراق التركي . واخيراً تقرر انشاء خط يصل بغداد برأس الخليج عن طريق البر ، وعملت الترتيبات على وصل هذا الخط الارضي بخط آخر من الهند تقرر مده في الخليج . وفي ربيع عام ١٨٦٣ قام الرائد «كيمبول» بالاتفاق مع نامق باشا ، الوالي التركي ، بعملية مسح للمنطقة الواقعة بين بغداد والبصرة ، قرر بناء عليها مد خط برقي من بغداد الى الحلة يسير على الضفة اليسرى لنهر الفرات من الحلة الى القرنة ، وهناك يعبر النهر الى الضفة اليمنى لشط العرب . وكانت هناك طريقة أسهل لمد هذا الخط بعبور نهر الفرات عدة مرات في نقاط متعددة بين الحلة والقرنة ، ولكن السلطات التركية كانت حريصة على إبعاد الخط عن ايدي القبائل العربية على الضفة اليمنى للفرات بقدر الامكان ، وكان الطريق الذي سلكه الخط البرقي بين بغداد والبصرة نتيجة لمخاوف هذه السلطات ، وبلغ طوله ٣١٣ ميلا .

الاتفاق الانجليزي التركي لمد خطوط البرق المبرم في ٢٠ اكتوبر ١٨٦٣

لم يرض الباب العالي ان تقوم شركة بريطانية بمد خط بغداد البصرة، وأعرب عن استعداده بمد الخط بنفسه ، ولكن المباحثات التي جرت فيما بعد نتج عنها عقد اتفاقية بين بريطانيا العظمى وتركيا في ٢٠ اكتوبر عام ١٨٦٣ تعهدت الحكومة العثمانية بناء عليها على القيام بمد خطين للبرق فوق الارض على نفقتها الخاصة : واحد من بغداد الى البصرة ، وآخر بين بغداد وخانقين بالقرب من الحدود الايرانية ، بينما عملت حكومة الهند على القيام بمد خط تحت سطح البحر الى البصرة يصل الى نقطة قريبة من مصب شط العرب لملاقاة خط بغداد البصرة الارضي . واتفق كذلك على ان تقوم حكومة الهند بمد المواد الضرورية والمَهَرة من الموظفين والعمال لمد الخط ، وتقوم الحكومة العثمانية بدفع أثمان هذه المواد من حصيلة دخلها من البرقيات المتبادلة عن طريق هذين الخطين ، كما اتفق على ان لا يبدأ العمل في مد خط خانقين الا بعد أن يتم تشغيل خط البصرة ، وان تتبع مبادئ معينة في توزيع الاتصال الطويل بين الخطين ، ونص بندان من الاتفاقية على الاسراع في اتمام خط بغداد البصرة والخط البحري .

تقدم العمل واتمامه

وهكذا بعد وضع أساس لمد الخطين ، بدأ العمل في الطرف الجنوبي للخط عند بغداد في شهر نوفمبر عام ١٨٦٣ . وفي نفس الشهر ، وبعد وصول الملازم «مردوك سميث» وعدد معين من ضباط سلاح المهندسين البريطاني الى البصرة بالاضافة الى المعدات اللازمة ، بدأ العمل أيضاً في الطرف الجنوبي للخط . وكانت الصعوبات التي واجهتهم صعوبات مادية أكثر منها سياسية على عكس ما كانوا يتوقعون . وفي نهاية مارس عام ١٨٦٤ وصل الكابل من الفاو الى القرنة ، وكانت فاو هي النقطة التي وقع عليها الاختيار في النهاية لكي يصل عندها الكابل

وكان من نتيجة المشاغبات التي قامت بين الاتراك والقبائل العربية المختلفة، وبصفة رئيسية قبيلة المنتفك ان ظلت مسافة ١٧٠ ميل دون ان يمد فيها أسلاك ، وأمكن التغلب على هذه العقبة بنجاح في يناير عام ١٨٦٥ ، وهكذا تم ربط فاو بالقسطنطينية . وفي ١٣ اكتوبر عام ١٨٦٤ ، او ربما قبل هذا التاريخ ، بدأ العمل فعلا في مد خط بغداد—خانقين على الرغم مما نص عليه في الاتفاقية الانجليزية عام ١٨٦٣ لتأجيل مد هذا الخط.

★ ★ ★

المعاهدة الانجليزية التركية لمد الخط باكمله
٣ سبتمبر ١٨٦٤

وفيما يتعلق بمد الخطوط التركية ، يبقى امامنا أن نلخص اتفاقية البرق المبرمة بين الحكومتين البريطانية والتركية في الثالث من سبتمبر عام ١٨٦٤ نتيجة للمجهودات التي قام بها الرائد « ب. ستيوارت » في القسطنطينية .

ملتقى الخطوط البرقية في الفاو

نصت هذه الوثيقه والتي حلت مكان اتفاقية ١٨٦٣ على ان تقوم الحكومتان الهندية والعثمانية ببناء وصيانة ما يلي على نفقة كل منهما :

(١) كابل تحت مياه البحر من الهند البريطانية الى الفاو ماراً ببوشهر.

(٢) خطوط برق فوق الارض من بغداد تتصل بالكابل البحري عند فاو ، وكذلك بجهاز البرق الايراني عند خانقين . وكان من المقرر انشاء مكتب انجليزي تركي مشترك عند الفاو تحت اشراف الادارة التركية مع استثناء القسم البريطاني من المكتب من التدخل التركي في شؤونه الداخلية . وكان الموظفون البريطانيون الذين لم يزد عددهم عن خمسين يسكنون المبنى نفسه الذي يسكنه الاتراك ، ولكن الجهاز والمكان

المخصصين لكل من الطرفين كانا يتميزان عن بعضهما ، كما كان تبادل البرقيات المرسلة يتم عن طريق نافذة ، أما النفقات العامة فكانت تقسم مناصفة بين الحكومتين . على ان تدفع الحكومة البريطانية رواتب الموظفين البريطانيين .

شروط ضمان حسن سير العمل

لضمان المحافظة على الانضباط في العمل أقرت الحكومة التركية الخدمة البرقية الدائمة أي ليلا ونهاراً في بغداد والفاو وفي معظم محطات الخط بين القسطنطينية والفاو وعينت فيها موظفين ملمين باللغة الانجليزية ، كما تقرر انشاء مكتب في القسطنطينية خاص بارسال البرقيات الهندية فقط ، يديره موظفون يتقنون اللغة الانجليزية وخصص خط بين القسطنطينية والفاو للبرقيات الهندية ، وفي حالة انقطاعه يستخدم خط آخر بصفة مؤقتة ، على ان يكون ذلك خاضعاً لشروط معينة ، وترسل البرقيات الى الهند إما عن طريق الفاو او خانقين .

الحسابات والتمثيل

حددت المعاهدة تعرفة ارسال البرقيات وطريقة حسابها ؛ كما خولت للحكومة الهندية تعيين مبعوث يقيم في القسطنطينية ، وللحكومة التركية تعيين ممثل لها في مكاتب البرق الرئيسية في الهند . وبناء على هذا النص تحتفظ دائرة البرق الهندية الاوروبية بممثل لها في القسطنطينية ، ولكن الباب العالي لم يكن يستفيد منه .

(★) كان ممثل البرق البريطاني بين عامي ١٨٨٥ و ١٨٨٩ برتبة مندوب سامي عندما كانت الحسابات البرقية مع الحكومة التركية تتم تسويتها في القسطنطينية ، ولكن عندما نقلت تسوية الحسابات الى لندن عام ١٨٧٠ حل ممثل عادي مكان المندوب السامي .

انشاء خط أرضي بديل في ايران
١٨٦٢ ـ ١٨٦٤

المفاوضات مع الحكومة الايرانية ١٨٦١ ـ ١٨٦٢

من الضروري ان نعود الآن الى فترة تسبق مد الخط التركي من بغداد الى الخليج بقليل . فقد كانت الرغبة في انشاء خط مزدوج بين بغداد والخليج قائمة . وفي عام ١٨٦١ بدأت المفاوضات لانشاء خط ثان عبر ايران ، ولكنها لم تنجح في بادىء الامر ، وفي مايو عام ١٨٦٢ وصل الرائد ب. ستيوارت الذي ذكرناه آنفاً الى طهران للمساعدة في المفاوضات ، وكانت الحكومة البريطانية قد عهدت اليه بتنفيذ المشروع الهندي الاوروبي . ورغم انه لم يصل الى نتيجة أثناء زيارته لطهران التي استمرت شهراً ، الا أن التقرير الذي كتبه أعطى قوة ووضوحاً لمشروع انشاء الخط المزدوج . وكان موقف الحكومة الايرانية هو العقبة الرئيسية ففي بعض الاحيان أظهرت ميلا للمشروع ولكنها بدأت في اوائل ١٨٦٢ تتردد ، واظهرت ميلا ربما يكون راجعاً الى تأثير النفوذ الروسي لانشاء خط من طهران الى راشت يتصل بعد ذلك بجهاز البرق في روسية الاوروبية ، ولكن البعثة البريطانية في طهران استمرت في بذل جهودها ، وفي ديسمبر عام ١٨٦٢ حصل المستر «ايستويك» على مسودة معاهدة تنص على انشاء خط من بوشهر الى خانقين عن طريق طهران على الحدود التركية .

الاتفاق الانجليزي الايراني للانشاء والادارة ٦ فبراير ١٨٦٣

وهكذا صيغ هذا الاتفاق الذي أمكن الحصول عليه في شكل اتفاقية رسمية وافقت عليها الحكومة البريطانية في ٦ فبراير عام ١٨٦٣ ، وقد نصت الشروط الرئيسية لهذه الوثيقة على ان يقوم البريطانيون بانشاء الخط دون تأخير وذلك نيابة عن الحكومة الايرانية ، كما نصت على منح

الحكومة البريطانية حق استخدام الخط عن طريق موظفي البرق الايراني وذلك بعد دفع الاجور العادية ، كما نصت على ان تقوم الحكومة البريطانية بتزويد الحكومة الايرانية بالمواد المطلوب استيرادها بأسعار مناسبة ، وان يكون الخط الجديد تحت اشراف مهندس بريطاني تدفع راتبه الحكومة البريطانية بشرط ان تساعد السلطات الايرانية في انشاء الخط وامداد المواد المتوافرة محلياً ، كما حوت الاتفاقية أيضاً على نص يهدف الى اعطاء الحكومة الايرانية رأياً في الأمور المتعلقة بالنفقات والحسابات ، على أن تقوم الحكومة الايرانية بدفع أثمان المواد المشتراة من انجلترا بالتقسيط في مدة خمس سنوات اعتباراً من تاريخ وصولها الى الحدود الايرانية .

العمل في الميدان ١٨٦٣ — ١٨٦٤

وفي الحال اجريت الاستعدادات لارسال المواد المطلوبة من انجلترا وجمع المواد التي يمكن الحصول عليها مجاناً في ايران وخاصة الخشب ، وقدرت المسافة بين خانقين وبوشهر ، عن طريق طهران ، بـ ١١٠٢ ميل ، كما امكن توفير المواد لانشاء خط واحد يبلغ طوله ١٠٠ ١ ميل ، وعهد بالعمل الى الملازم «شامبين» من سلاح المهندسين الملكي بمساعدة هيئة من الخبراء المدنيين والعسكريين وضباط الصف ورجال من سلاح المهندسين الملكي البريطاني . وقد حصل الملازم «شامبين» على رتبة رائد وكان مكتبه الرئيسي في طهران حيث وصل هناك في العشرين من شهر اكتوبر ، وفي ١٧ نوفمبر من العام نفسه وصل الى بوشهر لمقابلة بعثة العمل البريطانية ، وبعد ذلك بفترة قصيرة بدأ العمل في خمسة أقسام ، اثنين منها بين طهران وخانقين ، والثلاثة الاخرى بين طهران وبوشهر ، وقد لاقت الهيئة المشرفة على العمل صعوبات غير عادية في الحصول على العمال والمواد المحلية ، وكان هذا راجعاً الى تبلد السلطات الايرانية ومعارضتها في بعض الاحيان مما اضطر العقيد «شامبين» الى اتخاذ اجراء متطرف وذلك بحمل من معه علي دفع أجور العمال من نقودهم

الخاصة التي فشل في دفعها المسؤولون الايرانيون . ولكن استطاع البريطانيون المسؤولون عن بناء خط ان يتغلبوا بحماستهم على كل العقبات . وفي السادس والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٨٦٤ أمكن اتمام مد الخط بين بوشهر وخانقين ، ولكنه لم يفتتح الا في شهر ابريل عام ١٨٦٥ ، ولكن الصعوبات التي كان على الخط البرقي الجديد ان يواجهها لم تكن قد انتهت بعد .

الصعوبات الناجمة عن الغيرة بين الاتراك والايرانيين ١٨٦٤—١٨٦٥

كان التقاء الخطوط الايرانية مع الخطوط التركية بالقرب من خانقين يثير القلق والاضطراب . ولاول وهلة لم تظهر الحكومة العثمانية وداً نحو اشتراك ايران في مشروع البرق الهندي الاوروبي ، ولكن أمكن التغلب على المعارضة التركية ظاهرياً عندما ابرمت الاتفاقية الانجليزية التركية ، في اكتوبر عام ١٨٦٣ ، والتي نصت على انشاء خط بغداد — خانقين ، وتوزيع الاتصال البرقي بينها وبين خط بغداد—البصرة . وكما رأينا كانت ايران تميل الى انشاء مشروع مواصلات يصل بينها وبين اوروبا عن طريق روسيا ، ولكن بإبرامها معاهدة فبراير عام ١٨٦٣ مع بريطانيا ، تخلت ظاهرياً عن معارضتها للمشروع المنافس . وقد اتفق الطرفان على تنفيذ مشروع خانقين كما هو بناء على معاهدة تركية— ايرانية ابرمت في ٢٨ نوفمبر عام ١٨٦٣ كما اتفقا بشكل ودي على بعض التفصيلات المتعلقة به . وعندما أصبح اتصال الخطين في خانقين حقيقة واقعة ، ابدت الحكومة الايرانية ميلاً الى الانسحاب من الاتفاقية وازدادت الصعوبات بسبب النزاع الذي نشأ حول ملكية الخط البرقي بين خانقين في العراق التركي وبين «كالحي سابز» في ايران وبالتالي حول الاشراف عليه . وقد تمت تسوية موقتة للمشكلة نتيجة للمباحثات التي تمت بين مرزا حسين خان المبعوث الايراني فوق العادة لدى الباب العالي مع نامق باشا والي بغداد . وتم توصيل الخطين في اكتوبر عام ١٨٦٤ عند نقطة اتفقت عليها السلطتان المعنيتان . وبعد هذا بفترة وجيزة قام حاكم

كرمان شاه ، بأوامر من طهران ، بقطع الخط للمرة الثانية عند نقطة الاتصال بالخط الآخر . واخيراً اقترح الرائد « كيمبول » المقيم البريطاني في بغداد حلا مرضياً لمشكلة الحدود ، وكان اقتراحه يتضمن استخدام أعمدة خشبية حديدية في المنطقة المتنازع عليها بشرط أن يكون نصف هذه الاعمدة مماثلا للاعمدة المستخدمة في العراق التركي والنصف الآخر مماثلا للاعمدة المستخدمة في ايران . وفي نهاية شهر فبراير عام ١٨٦٥ تم الاتصال المباشر بين طهران وبغداد ، ولكن عمال البرق الاتراك رفضوا في بادئ الامر تلقي البرقيات من الجانب الايراني .

المناوشات مع الحكومة الايرانية

عرقل الموظفون الايرانيون عمل الخط في منطقة طهران–بوشهر عدة شهور واوقفوه في بعض الاحيان . وفي طهران تسبب وزير الاشغال في ايقاف آلة في شيراز كان يديرها عمال البرق البريطانيون وذلك ليمنعهم من الاتصال ببوشهر ، وعندما احتج العقيد «شامبين» ، المدير البريطاني ، على اصدار هذه الاوامر دون الرجوع اليه ، أمر الوزير فعلا بقطع الخط بين شيراز وبوشهر ، وحاولت السلطات الايرانية في أصفهان الاستيلاء عنوة على الآلات الموجودة في أيدي الموظفين البريطانيين هناك . وعلى هذا اصدر المدير اوامره بنقل الآلات من شيراز واصفهان ، واوقفت الآلات الموجودة في طهران واحيل النزاع كله للتسوية الدبلوماسية ، وكانت النتيجة مرضية ، فاعتذرت الحكومة الايرانية عما فعله الموظفون في أصفهان ووافقت على اعتبار وزير الاشغال رئيساً للبرق في ايران ، ولكن ليس من سلطته اصدار أي تعليمات تمس خط طهران بوشهر وخط طهران خانقين دون معرفة المدير البريطاني وموافقته . واتفق على ان تكون ادارة مكاتب البرق وتشغيل الخطوط في أيدي الموظفين البريطانيين لمدة خمس اشهر تبدأ من تاريخ اعادة الاتصال البرقي مع الهند . وعند انتهاء الاشهر الخمسة تنقل

هذه الادارة الى الايرانيين على ان يكون هناك مهندس بريطاني واثنان من المساعدين البريطانيين في طهران لمدة عشرة أشهر للاستشارة .

الاعمال التخريبية التي قام بها البدو الرحل

وهكذا أمكن في النهاية القضاء على الصعوبات السياسية ، ولكن وجدت أضرار بالغة في الخط بين شيراز وبوشهر عند توقف الاتصال بينهما أحدثها القرويون والمسافرون وقبائل «اليات» الرحّل الايرانية في أثناء هجرتها من مكانها الصيفي في التلال الى مسكنها الشتوي بالقرب من الساحل . وقد تم تخريب الخط تماماً لمسافة تبلغ ٢٠ ميلا بين شيراز وقوت الدختر ، وأزيل كثير من الاعمدة لاستخدامها كوقود ، كما قطعت الأسلاك الى قطع صغيرة أو القي بها على الارض ، ولم يبق من القطع العازلة البالغ عددها ستماية سوى عشرين قطعة فقط . وقد عزي جزء من الاعمال التخريبية لسوء سلوك زعيم الكاشكاي المدعو علي خان بيج الذي كسر بنفسه عازلا بطلقة من بندقيته . وقد أمرت الحكومة الايرانية بعقاب صارم للمخربين ، وذلك بعد ان تمت تسوية الخلافات بينها وبين موظفي البرق البريطانيين ، وكانت نتيجة الاجراءات التي اتخذت ان تم القبض على علي خان بيج وظل في السجن شهرين ولم يطلق سراحه الا بعد ان دفع غرامة قدرها الف تومان ، و١٥٠٠ تومان أخرى كرشوة للقائمين على تعذيبه . وقبل ان يقع هذا الحادث ، كان التخريب في الخط قد تضاعف ، فقد خرب شيخ شاه كوتاه او أمر بتخريب خمسة عشر ميلا من الخط ، وامتد التخريب في هذه المرة الى نقطة تبعد خمسة أميال فقط من مدينة بوشهر ، وكان اصلاح الخط التالف يتطلب مجهوداً شاقاً ، فالبلاد جدباء ، والمسافة بين بعض الاعمدة طويلة ، ولكن أمكن اعادة الاتصال بين شيراز وبوشهر في منتصف مارس عام ١٨٦٥ بعد التعطيل الذي استمر خمسة شهور والذي كان يرجع لتدخل الحكومة الايرانية اولا . والى الضرر الذي احدثته القبائل ثانياً . واهتم الشاه اهتماماً بالغاً بنجاح خطوط البرق ، ففي ٢١ يناير عام ١٨٦٦ زار شخصياً

مكتب البرق في طهران حيث أمضى هناك ساعتين يتحدث خلال الاسلاك مع حكام شيراز واصفهان وكرمان شاه وكاشان وحمدان وقم وعبّر عن اغتباطه بالترتيبات التي انجزت ، وعن شغفه بالاتصال بكل من اوروبا والهند ، وما زال خط طهران بوشهر يعاني بدرجة غير عادية من التخريب المقصود ، ففي عام ١٩٠٤–١٩٠٥ ، بلغت حالات التخريب ٥١٦ حالة .

★ ★ ★

وصل الخطوط التركية الايرانية بخطوط البرق الهندية عن طريق الخليج

ما يزال تاريخ الجزء الرئيسي الهام من خط البرق الهندي الاوروبي في حاجة الى استقصاء ، فبدونه كانت ستظل خطوط البرق التركية والايرانية مجرد خطوط اقليمية دون فائدة ، وكان انشاؤه جزءاً ضرورياً من برنامج البرق الهندي الاوروبي ولكن تأجل البدء في مده حتى امكن إحراز تقدم فعلي في خطوط البرق الارضية في تركيا وايران ، وازيلت العقبات السياسية الى حد يجعل النجاح الحقيقي يبدو أمراً واقعياً ، وكان مد الخط البحري في الخليج من الاعمال الضخمة ، فقد كانت هناك صعوبات مادية وفنية وآلية تتطلب التغلب عليها .

مشروع الاب بادجر ١٨٦٠ – ١٨٦١

في عام ١٨٦١ كان البحث قد بدأ بالفعل حول طريقة وصل الخط التركي الى اوروبا بعد إتمامه بخطوط البرق الهندية . وبناء على تعليمات من الحكومة اقترح الاديب الموهوب الاب «ج. ب. بادجر» عام ١٨٦٠ مشروع خط هوائي من كراتشي الى البصرة . وعندما أحيل هذا المشروع الى المندوب السامي في السند والى الممثلين السياسيين البريطانيين

في كل من كالات ومسقط وبوشهر لابداء الرأي ، صوّت ثلاثة منهم في جانبه . وفي عام ١٨٦١ انتدب المستر «بادجر» للقيام باستقصاء عن الوضع السياسي لمكران ووجد في النهاية ان مشروعه سوف يثير صعوبات سياسية كبيرة ، وعلى هذا صرف النظر عن المشروع .

مشروع الرائد ستيوارت عام ١٨٦٣

في عام ١٨٦٢ عهد الى الرائد « باتريك ستيوارت » بادارة عمليات البرق الهندية الاوروبية وبذلك اصبح اول مدير مسؤول عن دائرة البرق الهندية . الاوروبية . وكان ستيوارت في هذا الوقت في الثلاثين من العمر ويعمل في سلاح المهندسين في البنغال . وفي الحال سلّط «ستيوارت» الاضواء على المشروعات البديلة التي كانت موضع البحث ، وكان هناك مشروع يلقى الموافقة في لجنة عينت لدراسته وذلك لانشاء خط مواصلات برقية مع الخليج بواسطة سلسلة من أسلاك البرق القصيرة الممتدة تحت سطح البحر من جزيرة الى جزيرة ، ولكن هذا المشروع لم يرق لستيوارت ، وكان من السهل عليه ان يقرر انشاء خط ارضي من كراتشي الى نقطة ما في مكران ، ولكن الاختيار بين خط ارضي وخط بحري يجري في القسم الواقع بين مكران ورأس الخليج كان يشكل صعوبة كبيرة ، وكان هذا يرجع بدرجة كبيرة الى المخاطر التي كانت تحيط بمد الاسلاك في البحر . وقد أعرب الرائد « ستيوارت » منذ البداية عن رغبته في ازدواج الخط البرقي الهندي—الاوروبي ، كلّه ، كاحتياط لما قد يحدث من تعطيله ، وكانت توصياته التي قدمها الى وزير الدولة الهندي تتضمن انشاء خط ارضي من كراتشي الى جوادر او نقطة أبعد غرب مكران ، ومدّ خط الى الفاو التي اختارها وفضّلها على الكويت لكي تكون المكان الذي تصل عنده خطوط البرق . وأضاف الرائد «ستيوارت» توصية أخرى هي ازدواج الخط بين كراتشي وجوادر منذ البداية بواسطة كابل بحري .

مد خط كراتشي جوادر الارضي ١٨٦٢ – ١٨٦٣

وبعد الموافقة على اقتراحات الرائد « ستيوارت » بدأ العمل في انشاء خط كراتشي–جوادر الارضي بعد اتفاق سياسي تم مع خان كالات وجام لاس بيليه ورؤساء قبائل باستي وكيج أبرمه العقيد «غولد سمد» مساعد المندوب في السند ، وقد أيدت حكومة الهند هذا الاتفاق . وعلى الرغم من الصعوبات الطبيعية والمناخية في هذا القسم فان العمل فيه بدأ قرب نهاية عام ١٨٦٢ وتم في يناير عام ١٨٦٣ تحت اشراف المستر «وولنتون» في شكل خط سلكي واحد . وبلغ عدد المشرفين على انشائه حوالي ٢٥ اوروبي وستماية من الاهالي ، ولم تكن المياه متوفرة للآدميين أو الحيوانات حتى لقد منع الاستحمام أحياناً وعين حراس على برك المياه القذرة .

مد كابلات الخليج ١٨٦٣ – ١٨٦٤

وفي العام ١٨٦٣ تمت الاستعدادات لمد الكابل من جوادر الى الفاو . وبناء على اوامر من حكومة الهند قام الملازم «ستيف» بعملية مسح شاملة للطريق البحري بين جوادر وجاشك ، وقام في بداية عام ١٨٦٣ بعملية مسح اخرى للمسافة بين جاشك والفاو بواسطة الباخرة «جونسون كاسل» لمعرفة ملاءمتها لاستقبال الكابل . وفي العام ١٨٦٣ ارسلت كابلات الخط البالغ طولها ١٢٥٠ عقدة من انجلترا بواسطة السفن «ماريان مور» و «كيركهام» و «تويد» و «آساي» و «كوسياترك» ، بينما حملت السفينة الصغيرة «امبروتش» خمسة وثلاثين ميلا من الاسلاك من النوع الذي يمد عندما يقترب الخط من شاطيء البحر . وكانت هذه الاسلاك أثقل من الاسلاك الاخرى التي تمد في أعماق البحر . وكانت السفينة «امبروتش» تعمل باستمرار في الخليج للخدمات البرقية وفي ٢٧ يناير غادر كراتشي الرائد « ستيوارت » يصحبه السير « ابرايت » مهندس الكهرباء الشهير والعقيد « جولدسمد » والدكتور «اسلباخ» كبير

مهندسي الكهرباء على ظهر الباخرة «كوروماندل» التابعة لشركة ملاحة بومباي والتي وضعت تحت تصرف «ستيوارت» .

مد الكابل من جوادر الى مقلب ، فبراير ١٨٦٤

وفي الرابع من فبراير عام ١٨٦٤ مُدت الاسلاك الى جوادر ، ثم بدأت تنشط العمليات ، فكانت السفينة «كبر كهام» تقوم بمد الاسلاك بمعدل خمسة أميال في الساعة ، وكانت السفينة «زنوبيا» تقوم بسحبها ، بينما كانت السفينة «كوروماندل» تقوم بالارشاد . وفي رأس ميداني كانت السفينة «كبر كهام» قد أفرغت حمولتها من الاسلاك وحلت محلها السفينة «ماريان مور» ، وفي الثامن من فبراير وصل الكابل الى جاشك ، ثم عبرت السفينة بعد ذلك خليج عمان ودخلت خور جزيرة جوبات حيث وصل الكابل الى الشاطئ عند خور مقلب في التاسع من شهر فبراير وتم الاتصال بجاشك . وكانت النية تتجه في الاصل الى إقامة محطة بين جوادر وبوشهر على جريزة «لارك» ولكن الرائد «ستيوات» فضّل موقعاً آخر بجوار مقلب ، ربما لانه كان يختصر الطريق ويجعل الخط مباشراً ، وهكذا اكتمل الجزء الاول من العمّل دون أي خللّ .

تأخير العمل في مقلب من فبراير الى مارس ١٨٦٤

وعند هذه المرحلة حدث تأخير في العمل نتيجة لاختلافات سياسية مع الظاهريين الذين كانوا يسكنون القرى المجاورة لمقلب . وفي عام ١٨٦٤ قام الرائد «دزبراو» المقيم البريطاني في مسقط بزيارة الى خليج مالكولم و «الفنيستون» وأمضى هناك اسبوعين للتعرف على طبيعة البلاد ، ولإقامة علاقات مع رجال القبائل . وعند وصول القائمين بمد أسلاك البرق هناك وجدوا أن العرب المحليين لا يقومون بعملهم بأمانة رغم دفع اجور مجزية ، فقد كان نهمهم لا يحتمل ، وحدثت منازعات بين سكان القرى المتنافسة على العمل وخاصة مُقاقة وفلم . وفي الخامس من شهر فبراير لحق الرائد «دزبراو» الرائد «ستيوارت» في

مقلب حيث امضيا هناك بضعة أيام في مفاوضات مع الظاهريين ، ثم رحلا الى مسقط ليطلبا من سلطان عمان مساعيه الحميدة . وكان هناك شك فيما يتعلق بموقع وحدود المنطقة التي يسكنها الظاهريون حيث كان بعض المواطنين يرفضون سلطة سلطان مسقط ويعلنون انهم من رعايا شيخ الشارقة بينما ادعى الآخرون الاستقلال التام . وبعد غياب اسبوعين ، عاد الرائد « ستيوارت » والرائد « دزبراو » الى مسقط على ظهر الباخرة «كروماندل » ، وأكد السلطان ادعاءه بملكية مقلب وما يجاورها ، وأمد القائمين على مد أسلاك البرق بالسلطة للقيام بعملهم ليتعاملوا مع رجال القبائل باسمه ، ولكنه لم يزودهم بالاحتياجات الملموسة ، وكان على الموظفين البريطانيين أن يعتمدوا بصفة رئيسية على مكانتهم ولباقتهم لعقد اتفاقية للعمل . وفي غضون ذلك ، كان الظاهريون قد اعتادوا على وجود القائمين بمد اسلاك البرق ، مما جعل الصعوبات التي ظهرت في البداية تحل نفسها بشكل تدريجي . وهكذا تم انشاء خط برق أرضي عبر مضيق مقلب يفصل بين خور مالكولم وخور الشام او «الفنستون» الذي كان يمكن اقامة محطة للبرق عنده في حالة موافقة قبائل الظاهريين ، وأمكن الاستمرار في مد الخط البرقي بمد سلك بين الشاطىء الغربي للمضيق الى جزيرة صغيرة غير مسماة في خور «الفنستون» واختيرت لامنها وعرفت منذ ذلك الحين بجزيرة البرق .

معاهدات البرق مع مسقط وموافقة شيوخ عمان المتصالحة ، ١٨٦٤ — ١٨٦٥

منح سلطان عمان الحكومة البريطانية الحق في مد أسلاك البرق بموجب معاهدتين ، الاولى بتاريخ ١٧ نوفمبر عام ١٨٦٤ والثانية بتاريخ ١٩ يناير عام ١٨٦٥ ، ولم تكن تلكما المعاهدتان تتعلقان بممتلكات السلطان في شبه الجزيرة العربية ومكران ولكنهما شملتا الاراضي التي كانت تحت سلطته والتي استأجرها من الحكومة الايرانية . وفي

المعاهدة الاولى احتفظ سلطان مسقط بحقوق السيادة على الاراضي التي كانت تعبرها خطوط البرق ، ولما كان حق مسقط في خور مقلب وما يجاوره غير متنازع عليه ، حصلت الحكومة البريطانية أيضاً من شيوخ عمان المتصالحة على اتفاقية لحماية خطوط البرق داخل أراضيهم أو بالقرب منها .

استمرار العمل في مد كابل الخليج ١٨٦٤

وفي الثاني عشر من شهر مارس وصلت الباخرة «تويد» تسحبها الباخرة «زنوبيا» ، وكانت الاولى تحمل شحنة من الاسلاك في خليج «الفنستون» . وفي الثامن عشر من الشهر نفسه وبعد ان تم وصل اسلاك الباخرة «تويد» بالآلات الموجودة في جزيرة البرق بدأ العمل في مد خط الى بوشهر ، وساعدت الباخرة « كوروماندل» في العمل .

مد الخط من خور الشام الى بوشهر مارس ١٨٦٤

وفي صباح التاسع عشر من شهر مارس كانت السفن قريبة من جنوب جزيرة طمب التي كانت على بعد اربعة أميال الى الجنوب ، وعند هذه النقطة انفصلت الباخرة «كوروماندل» لتسحب الباخرة «آساي» التي كانت راسية حينذاك في لنجة حيث كان الامر يتطلب جزءاً من أسلاكها لاكمال المسافة الى بوشهر ، وارسل رسول اليها في قارب محلي لدعوة القاطرة «سمير امس» من باسيدو حيث كانت تتزود بالوقود وقبل ظهر ٢٠ مارس كانت السفن قد عبرت عن جزيرة شاتفار وفي مساء يوم ٢١ وصلت الى نقطة تبعد ٣٥ ميلا الى الجنوب من بوشهر. وفي اليوم التالي نقلت الاجهزة والعمال الى الباخرة «تويد» التي انتهت اسلاكها إلى الباخرة «آساي» واستؤنف العمل في صبيحة الثالث والعشرين ، وتم ترتيب الرحيل بحيث يمكن الوصول الى بوشهر عند مطلع النهار . وفي التاسعة صباحاً من اليوم الثالث والعشرين رست السفن على بعد ثلاثة أميال من « ريشهر » وهناك قام الرائد « بللي » ، المقيم البريطاني في

الخليج ، باتمام الاجراءات السياسية اللازمة في الوقت الذي انزلت فيه الأعلام . وقامت الباخرة «امبروتش» بتوصيل الاسلاك من المكان الذي رست فيه الباخرة «آساي» الى مكان يبعد ربع ميل من الشاطئ . وفي مساء ٢٤ مارس فتح الاتصال البرقي بين ريشهر والهند .

مد الخط من بوشهر الى الفاو مارس ابريل ١٨٦٤

ولما كان الطقس معتدلا وفترته غير مؤكدة بوشر بمد الخط الى فاو حال الوصول الى بوشهر وفي الخامس والعشرين من شهر مارس ١٨٦٤ تم انزال أحد أطراف الكابل المتبقي على ظهر السفينة «آساي» في بوشهر بمساعدة السفينة «امبروتش» بينما واصلت السفينة «فيكتوريا» المسير إلى المنطقة المجاورة لفاو تحمل الملازم «ستيف» الذي قام بعملية مسح خاصة لمياه البحر حول الفاو كما ذكرنا سابقاً . وكان من السهل حمل الكابل عبر مصب شط العرب ، ثم يسير أعلى النهر الى الفاو ، ولكن المياه الضحلة في المصب كانت سوف تعرضه لخطر السفن المارة ، وعلى هذا تقرر أن ينحرف الكابل مسافة قصيرة الى خور عبدالله ثم يحمل فوق الارض المبتلة الى الفاو .

واتضح ان هذه أصعب عملية في مد الكابل كله . وصلت الباخرة «آساي» التي تركت بوشهر مساء ٢٦ مارس الى مدخل خور عبدالله بعد الفجر بقليل ، وقطرت داخل هذا الخور وهي تلقي بأسلاكها في الماء على عمق أكبر من العمق الذي كان يمكن الوصول اليه لو سارت في شط العرب . وفي مساء ٢٧ مارس رست السفن في مياه عمقها ٥ قامات في مكان في خور عبدالله جنوب الفاو تماماً . وعند الفجر ظهرت اليابسة على مسافة عشرة أميال شمالا كما شوهد حزام يبلغ طوله ثلاثة أو أربعة أميال يتكون من الطمى اللزج يضاف اليه ميل ونصف في حافة الجزر بينما كانت المياه بالقرب من الشاطئ الأمامي ضحلة لدرجة لا تسمح للقوارب الصغيرة الاقتراب من الشاطئ حتى في حالة المد . وعند وصول

السفن كان الطقس حسناً ، ولكن قبل اتمام العمليات هبّت ريح جنوبية شرقية قذفت بماء البحر الى الخارج لمسافة بعيدة فوق سطح الارض المسطحة مما جعل انزال الاسلاك أمراً صعباً . وفي الثامن والعشرين من مارس ترك الرائد « ستيوارت » وسر برايت و الرائد « جولدسمد » خور عبدالله على ظهر الباخرة «فيكتوريا» ، وعبرا مصب شط العرب وانحرفا في النهر الى فاو حيث وجدا السفينة «كوميت» راسية وعلى ظهرها المستر «كونسول جونستون» ، وبعد فحص الارض بين الفاو وخور عبدالله تقرر حفر خندق يبلغ عمقه قدمين ونصف القدم من الفاو الى مسافة ثلاثة أميال ونصف الميل حتى يصل الى مكان رسو الاسلاك في خور عبدالله ، ثم تمر فيها الاسلاك . ولتحقيق ذلك قطع الكابل الى أطوال مناسبة ونقل الى الشاطئ من كوميت الى مكان يقع على شط العرب على بعد ميل من جنوب الفاو حيث جذب بعد بذل بمجهودات شاقة الى الخندق المعد لذلك . وكان العمال من العرب المقيمين على ضفاف شط العرب يتميزون بالخشونة وعدم المرونة في العمل ، ولكن أمكن اتمام هذا الجزء من العمل تحت اشراف الرائد « جولدسمد » في عشرة أيام من ٣٠ مارس الى ٨ ابريل ، وتزايد عدد العمال من ٢٠٠ عند بدء العمل الى ٣٥٠ عند انتهائه . وفي الخامس من شهر ابريل تم انزال كابل الى الشاطئ من السفينة «امبروتش» الراسية قريباً جداً من الشاطئ في خور عبدالله ، ثم حمل بعد ذلك الى أقرب مسافة ممكنة من الشاطئ بواسطة قوارب صغيرة ، ثم تم مده بالعمال بعد ذلك عبر المسافة المتبقية . ثم أبحرت السفينة (امبروتش» بعد ذلك وهي تقوم بمد ما تبقى من الكابل الى ان وصل الى النقطة التي انتهت عندها الاسلاك الممتدة من بوشهر والتي اوصلتها السفينة «آساي» ثم وصل الخطان بعضهما ببعض . وفي ٢٩ مارس حدث عطل في الخط في المسافة بين خور عبدالله وبوشهر ، وحدد مكانه في ابريل ، وتم اصلاحه في الثاني من ابريل ، وهكذا افتتح الاتصال البرقي بين الفاو والهند في الثامن من ابريل عام ١٨٦٤ . وكانت الفجوات الموجودة في الخطوط التركية الايرانية في الاماكن المجاورة للقرنة وخانقين لا تزال تمنع الاتصال المباشر بين الهند واوروبا .

خط البرق المساعد من جوادر الى كراتشي
ابريل ومايو ١٨٦٤

مد خط برق مساعد من جوادر الى كرتشي ابريل–مايو ١٨٦٤

أمكن مد كابل اضافي للخط الممتد بين جوادر وكراتشي بنجاح فيما بين ٢٨ ابريل و ١٥ مايو تحت اشراف المستر « ويب» وكان الخط الاضافي يمتد من جوادر الى رأس مونز (رأس منازي) حيث مد خط ارضي الى كراتشي يبلغ طوله اربعة وعشرين ميلا . واستخدمت في هذه المهمة السفينتان « آساي» و « كوسباترك» بمساعدة السفن «زنوبيا» و «امبروتش» و « سند » ويمكننا أن نضيف هنا أنه بعد ان حشر الكابل في ارض صخرية مقابل رأس مونز الغي الخط الارضي وحمل الكابل رأساً الى مانورة حيث طول بواسطة خط ارضي قصير الى مكتب كراتشي وفي يونيه عام ١٨٦٦ استبدل هذا الخط القصير بكابل ميناء .

جودة كابل ١٨٦٤

ربما كان كابل الخليج الذي مد في ١٨٦٤ من أجود ما صنع حتى ذلك التاريخ فقد وجد ان المادة الزئبقية في حالة ممتازة بعد ٢٠ سنة من غمره بالماء . وكان تعطله يرجع في معظم الاحيان الى الاحتكاك بأرض رديئة والى تلف صيانته الحديدية والى وجود « دودة السفن» وطعنات سمك القرش أو عضات الاسماك الاخرى ، وقد تعطل مدة عندما حاول حوت ان يفك نفسه من الكابل الذي التف حوله بين جوادر وكراتشي وحدث ان غرق الحوت . وكانت التكاليف الكلية لهذا الكابل ٤١١٧٥١ جنيه استرليني او حوالي ٣٥٨ جنيه استرليني للميل البحري الواحد .

تكملة شبكة التلغراف الهندو ـ أوروبية ١٨٦٤ ـ ٦٥

موت الرائد ستيوارت في القسطنطينية ١٦ يناير ١٨٦٥

بعد أن أنهى الرائد « ستيوارت » عمله في الخليج زار بغداد على أمل الاسراع بتكملة الخط البري بين البصرة وبغداد الذي ، كما ذكرنا من قبل ، قد تعطل بسبب تعقيدات سياسية ، ولكن لم تكن للزيارة نتيجة سريعة . وعاد الرائد « ستيوارت » الى الهند من بغداد في ابريل عام ١٨٦٤ وسرعان بعد ذلك ما ترك بومباي الى القسطنطينية حيث وصلها في يوليه . وانضم اليه هناك ، في أغسطس ، الرائد « ف. جولدسمد» الذي ، ذكر من قبل، والذي جاء من الخليج عن طريق العراق التركي وآسيا الصغرى ، لفحص الخط البحري التركي في الطريق . وبقي الرائد ستيوارت في القسطنطينية مشغولا في تنمية مصالح التلغرافات الهندو اوروبية حتى نهاية السنة حيث مرض مرضاً خطيراً او مات في ١٦ يناير عام ١٨٦٥ في عمر مبكر.(٣٢ عاماً) بعد أن تعب من الاجهاد العقلي والجسماني للسنتين السابقتين وبتأثير الحوادث والامراض العديدة . وكان الرائد ستيوارت ضابطاً كسب ثقة رؤسائه وعاطفة وتقدير مرؤوسيه واخلاصهم بمعنى الكلمة .

افتتاح الخط ٢٧ يناير ١٨٦٥

في ٢٧ يناير عام ١٨٦٥ ، أو أقل من اسبوعين بعد وفاة الرائد ستيوارت ، اكتمل الخط الهندو—اوروبي ، وارسلت بنجاح رسالة من نقطة الاتصال النهائية بالقرب من القرنة الى انجلترا من جهة ، والى الهند من الجهة الأخرى . وفي خلال الشهر التالي ارسلت تلغرافات قليلة من الهند الى انجلترا كان احداها مرسلا من الدوق «برابانت» أثناء سفره الى الشرق حينئذ ، ولكن العمل بالخط واجه صعوبة بسبب عدم كفاية الموظفين في الاقسام التركية والايرانية ، والحالة السيئة للاتصال التلغرافي

بين القسطنطينية وباقي اوروبا التي كانت عقبة اضافية أمام العمل الناجح . وفي ذلك الوقت كانت البرقية العادية تستغرق ما لا يقل عن خمسة أيام لتصل الى لندن من كلكتا ، وعندما لاحق المرض الرائد « ستيوارت » كان منهمكاً في اقناع الحكومة العثمانية بضرورة وجود سلك مزدوج للشركة الهندو—اوروبية عبر الممتلكات التركية ولتحسين هيئة الموظفين الذين يعملون على الخط في الاقسام التركية .

الرائد جولد سميد يخلف الرائد ستيوارت ١٨٦٥

وبعد وفاة الرائد « ستيوارت » خلفه بشكل موقت العقيد «شامبين» مدير التلغرافات البريطاني في ايران لرئاسة التلغرافات الهندو—اوروبية وعيّن الرئيس مود دوك سميث محل شامبين في طهران . وسافر الأخير الى اوروبا عن طريق بغداد والقسطنطينية ، ووصل لندن في ٢٠ ابريل . وبعد ذلك بشهر استدعى الى انجلترا من القسطنطينية حيث كان يعمل في التلغراف لفترة كبيرة قبل وفاة الرائد « ستيوارت » وعيّن بصفة دائمة مديراً مسؤولا لتلغرافات الحكومة الهندو اوروبية » خلفاً للرائد المتوفى وذلك عندما كان العقيد « شامبين » يشغل منصب مساعد المدير المسؤول ويقوم بمهام المدير اثناء تغيب الرائد جولد سميد المتكرر في لندن .

★ ★ ★

اتفاقية التلغراف الانجلو ايراني سنة ١٨٦٥
وازدواج سلك بوشهر ـ طهران ـ خانقين

الحاجة الى اتفاقية دائمة

ان اول عمل للرائد « جولد سميد » كمدير مسؤول كان زيارته لإيران ليساعد في التفاوض من أجل التوصل لاتفاقية تلغراف دائمة فمن ناحية كانت الاتفاقات التي تنظم الوضع في ايران ذات طبيعة مؤقتة وكانت الحكومة الايرانية تظهر نوعاً من السرعة للتخلص من وكالة البريطانيين واشرافهم لتتولى جميع الترتيبات . ومن الناحية الاخرى ، نظراً لان عمل التلغرافات التركية كان غير مرض كانت هناك امكانية في تحويل جزء على الاقل من الحركة المباشرة الى الشبكة الايرانية ـ الروسية التي كانت الآن متصلة عند جولته . ولهذين السببين كان من الواجب وضع حقوق بريطانيا التلغرافية في ايران على أسس دائمة وأكثر وضوحاً .

عقد اتفاقية ٢٣ نوفمبر ١٨٦٥ وشروطها

وصل الرائد « جولد سميد » طهران في أول غسطس عام ١٨٦٥ وفي أثناء اقامته التي دامت ٤ أشهر هناك عقدت اتفاقية مرضية ، وقعت في ٢٣ نوفمبر عام ١٨٦٥ .

ونصت الاتفاقية على اضافة سلك ثان على الخط الذي يربط بوشهر وخانقين عن طريق طهران بشروط تشبه تلك المتضمنة في اتفاق عام ١٨٦٣ وذلك فيما يختص بتزويد المعدات المستوردة والمساعدات الفنية . وقد خصص السلك الجديد للرسائل الدولية التي ترسل باللغات الاوروبية واذا ازدادت كمية الحركة المباشرة في أي وقت عن طاقته في الارسال يتحول العمل الى السلك القديم ـ الذي كان يستعمل دائماً للخدمة الداخلية في ايران .

وقد ووفق على توظيف مسؤول تلغراف بريطاني مع هيئة موظفين لا تزيد عن ٥٠ عضواً عدا عائلاتهم بغرض فتح الاتصال بالسلك الجديد وتعليم وارشاد موظفي الاشارات الايرانيين في التلغراف ، واتفق ايضاً على أن يعين موظف ايراني كرئيس اسمي للخطين الجديد والقديم ، مع المحافظة على المسؤولين التنفيذيين البريطانيين في جميع الدقائق الهامة .

وقد قسم الخط لأغراض الحماية الى ستة أقسام وأوكلت مسؤولية كل منها الى «يافار» مع مجموعة من الفرسان تحت اوامره . وكان على «اليافار» أن يستجيب لتعليمات موظف التلغراف البريطاني بمقدار ما هي عملية(*)

ووضعت قواعد لحفظ الحسابات وتدقيقها ، وثبتت أسعار التعرفة ، عن مبلغ ٣٠,٠٠٠ تومان يسلم الفائض الى الحكومة البريطانية كمساهمة في تحديد تكاليف التأسيس التي دفعتها . كما أُخضع عمل الخطط لاتفاقية التلغراف التي وقعت في باريس عام ١٨٦٥ الا اذا تعارضت مع اللوائح المرعية في إيران او مع شروط الاتفاقية نفسها .

واخيراً كان على الاتفاقية أن تبقى موضع التنفيذ لخمس سنوات فقط من التاريخ الذي ارسلت فيه اول برقية على الخط الجديد، وربما تنتهي قبل ذلك اذا ما اتفق رئيس التلغراف الايراني ورئيس التلغراف البريطاني بأنه أصبح للموظفين الايرانيين دراية تامة في أعمالهم . وعند انتهاء الاتفاقية فان الخط الجديد يسلم كلّه الى الحكومة الايرانية .

وعلى ذلك فقد خابت آمال الحكومة البريطانية التي كانت تهدف الى الحصول على الاقسام الايرانية للخط الهندو اوروبي عن طريق الشراء، ولكن بالنسبة للاهداف الآتية والاعمال فانها قد حققت بعض المكاسب .

(★) هذا النظام ربما قد جرب بموجب الاتفاقية ولكن لم يعد له وجود . والاسلاك الآن (١٩٠٥) يعتنى بها بواسطة غلمان راكبين أو مشاة وقد تدربوا بصفة خاصة على أعمال التلغراف وكلهم جميعـــا يخضعون لاوامر هيئة الموظفين البريطانيين .

ازدواج السلك ١٨٦٦ — ١٨٦٧

في ٢ سبتمبر عام ١٨٦٦ وصلت السفينة «هاستنجز» الى بوشهر وهي تحمل المواد لانشاء السلك الثاني . وبدأت العمليات في الحال ، ولكن نتيجة للعقبات الطبيعية والاكثر منها العقبات الادارية لم ينته العمل حتى صيف عام ١٨٦٧ . ثم أعربت الحكومة الايرانية بشكل أوضح عن رغبتها الصريحة في أن يكون الخط بكامله تحت سيطرتها ، وحدث ذلك عندما اتفق في النهاية على اعتبار جميع النفقات التي دفعتها حكومة صاحبة الجلالة ديناً ستردده الحكومة الايرانية على أقساط او من متحصلات الحركة الدولية .

★ ★ ★

ازدواج الخط الهندو اوروبي بين جوادر وبوشهر بواسطة خط بري وبحري ١٨٦٥ ـ ١٨٦٩

أسباب الازدواج

لقد أعقبت عملية ازدواج وسيلة الاتصال بين جوادر وبوشهر ، وهي ذلك الجزء من الخط الواقع تحت الادارة البريطانية الذي يفي منفرداً حتى هذا الوقت ، بصعوبات سياسية صحبتها سلسلة غير عادية من النكبات الطبيعية . وقد جذب العطل الموقت الذي حصل في كابل الخليج في العام ١٨٦٥ الانتباه الى عدم الاعتماد على خط مفرد ، كما شعر الجميع بضرورة وجود كابل آخر ليتمشى مع الحركة المتزايدة للبرقيات وأكثر من ذلك كان لا يمكن الاستغناء عن الاستعداد لمواجهة الضغط المتزايد الذي سيقع على خطوط كابل الخليج عند تكملة خط شركة التلغراف الهندو ـ اوروبية التي سنشير اليها سريعاً .

البحث في مشروعات بديلة

لقد ثارت مسألة الازدواج اولا في طهران أثناء سير المفاوضات التي نتج عنها اتفاقية عام ١٨٦٥ . وقد رأى الرائد « جولد سميد » عند مغادرته العاصمة الايرانية الى بومباي في نهاية السنة ان يسافر براً حتى جوادر وأن يقوم باستطلاع تلغرافي في المنطقة وهو في طريقه الى هناك . وصحبه في هذه الرحلة العقيد «مردوك سميث» الذي خلف بصفة دائمة العقيد «شامبين» كمدير لشركة البرق الهندو—اوروبية في ايران . وسافر الضابطان الاثنان معاً حتى كرمان حيث انفصلا ليتقابلا ثانية في شاهبار واتخذ الرائد «جولد سميد» طريق «بامبور» واتخذ العقيد «مردوك» طريق بندر عباس . ولم تظهر عقبات منيعة لاقامة خط تلغرافي بين جوادر وأصفهان في أي من هذين الطريقين ولكن ارتوُي ان طريق بندر عباس وشيراز ربما تكون افضل من كلا هذين الطريقين ، ومع ذلك لم يؤد تنفيذ أي من هذين البديلين الى تحقيق الغرض في النهاية بطريقة أخرى ، فقد اوفد الرائد جولد سميد من جديد الى طهران ووصلها في فبراير ١٨٦٧ للمساعدة في عقد اتفاقية جديدة لانشاء تلغراف بين جوادر ونقطة ما على خط بوشهر — طهران ، وقد حدث ذلك بعد ان كان جولد سميد قد عاد الى انجلتره عن طريق الهند . ولم يصل الى اتفاق مع الحكومة الايرانية أثناء إقامته في طهران ولكن المفاوضات استمرت بعد رحيله الى الهند ومن ثم الى انجلترا ، وأخيراً تم التوقيع في ٢ ابريل ١٨٦٨ بالنيابة عن الحكومتين البريطانية والايرانية على اتفاقية ربطت الطرفين لمدة عشرين سنة . وقد نصت على قيام الحكومة البريطانية بانشاء خط من جوادر الى نقطة بين جوادر وبندر عباس وتشغيله بشكل فعال ، وعلى استخدام الحكومة الايرانية لمساعيها الحميدة وسلطتها في تأييد المشروع وايضاً على دفع الحكومة البريطانية لمبلغ (٣٠٠٠) تومان سنداً الى الحكومة الايرانية مقابل

التسهيلات التي منحتها الاخيرة لها داخل الاراضي الايرانية . وهكذا تقرر الاستفادة من الامتياز الذي حصلت عليه بريطانيا لانشاء خط بري من جوادر الى جاشك بحيث يوصل بكابل جديد من جاشك لبوشهر .

مد كابل ثانٍ من جاشك لبوشهر ١٨٦٩

وطلب الكابل المنشود من انجلترا ، ولكن حصل تأخير في صناعته وإرساله ، كما ان السفينتين «كلكتا» و «تويد» اللتين كان سيشحن عليهما لم تكونا مستعدتين للابحار حتى يناير عام ١٨٦٩ . وفي ٨ فبراير عام ١٨٦٩ اصطدمت الباخرة «كلكتا» بالمركب الشراعي الروسي عند ليزارد ، وقد أصابه تلف كبير حتى ان البحارة تركوه ، فأعيدت الى بليموث في حالةغرق . وقد تأخرت السفينة «تويد» عندما كانت «كلكتا» في عملية الاصلاح ، ولم تصل السفينتان الى بومباي حتى ٢١ سبتمبر عام ١٨٦٩ . وفي غضون ذلك تحطمت الباخرة «كارناتك» التابعة لشركة «بانسولار اند اورينتال» التي كانت تحمل هيئة موظفي تركيب الكابل تحطيماً كبيراً في البحر الاحمر وإن كانت الجماعة قد نجت الا أن واحداً منهم وهو المستر «لاتيمر كلارك» أصيب اصابة بالغة، وفقدت جميع آلاتهم واوراقهم . واخيراً استؤنف العمل مجدداً من بومباي في ١٩ اكتوبر عام ١٨٦٩ فجرّت السفينة «تويد» بواسطة باخرة شركة الهند البريطانية «داكا» ، وجرّت «كلكتا» باخرة بحرية بومباي «إيرل كاننج» . وكان يرئس البعثة العقيد «شامبين» مساعد كبير المديرين وقد صحبه الملازم «ستيف» والمستر «لاتيمر كلارك» . وفي ٢٧ اكتوبر وصل طرف الكابل الموجود بالسفينة «تويد» الى المكتب الذي افتتح لاحقاً في جاشك عام ١٨٦٨ . وفي الليلة التاسعة والعشرين غمر الكابل الموجود على ظهر الـ «تويد» وأكمل الخـــط الى نقطة مواجهة لجزيرة قيس تقريباً . وأحضرت الـ «كلكتا» من لنجة ؛ واستؤنف العمليات في ظروف مؤاتية في اليوم الواحد والثلاثين . ولكن النحس الذي لازم الكابل البحري الثاني للخليج لم يكن قد انتهى بعد . ففي اول

نوفمبر اصطدمت السفن « داكار » و « كلكتا » و «آمبروتش» بعاصفة مفاجئة ووقعت في صعوبات لفترة ما . وفقد سمبوك «مركب» بخاري وانقذ البحارة على أي حال ، كما أن الصندل البخاري الذي رافق السفن كان نصيبه تقريباً كالسمبوك .

وفي ٢ نوفمبر جاءت عاصفة شديدة أخرى وصدمت الـ«كلكتا» بصاعقة ولكن لم يصبها تلف . وقبل غروب الثالث من نوفمبر تم الوصول الى بوشهر ، وفي السادس منه تم الاتصال بين ذلك المكان وجاشك.

نوعية الكابل بمشروع ١٨٦٩

كان كابل عام ١٨٦٩ من المطاط وتكلف ٢٢٣١٩٤ جنيه استرليني أو حولي ٤٢٩ جنيه استرليني للميل البحري ولم يتحمل مع ذلك التلف مثل كابل ١٨٦٤ المغطى بالصمغ الهندي . ولكن هذا كان يرجع من ناحية الى حادث «الكلكتا» الذي القيت فيه ٧٠ عقدة من الكابل من على ظهر الباخرة فتلفت والى كونه وضع مشدوداً جداً . وفي الامكنة التي امتد فيها عبر تجويفات بحرية بدلا من ان يسمح له بالوصول الى القاع أصبح مغلّفاً بأجسام بحرية صغيرة بسمك جسم الانسان واخيراً تمزق من زيادة وزنه .

انشاء خط بري من جوادر الى جاشك ١٨٦٩

وبقي أن نصف الخط البري بين جوادر وجاشك الذي كان تكمله ضرورية للخط البحري الجديد . وقد فحص الاقليم الذي سيعبره الخط في شـــتاء عام ١٨٦٨ — ١٨٦٩ الرائد جولد سميد الذي حضر من اوروبا لهذا الغرض ، وعقد مع الزعماء المحليين اتفاقات سياسية لحماية الخط ودفع المعونات. وقد وافقت عليها حكومة بومباي في ٨ يونيه عام ١٨٦٩. وبوشر بالعمل الفعلي للانشاء في صيف عام ١٨٦٩ بهيئة من ٤٠٠ موظف أهلي يوجههم المستر «ووكر» المشرف على مصلحة التلغراف الهندو اوروبية وتم في ١٥ أغسطس . وكان الماء نادراً والحرارة مخيفة وسبب أهالي المنطقة بعض المتاعب ولكن المسافة كلها وهي حوالي ٣٣٠ ميلا قد تمت في ٦٩ يوم عمل .

تحويل كابل جوادر ــ بوشهر من جزيرة التلغراف
الى جاشك وهانجام في سنة ١٨٦٨

أغراض النقل

من الضروري الآن ان نرجع الى التغيير الهام في طريق كابل الخليج الاول الذي نفّذ بينما كانت تجري الترتيبات لتركيب الكابل الثاني . وقد أصبح واضحاً من البداية ان جزيرة التلغراف في خور الشام كانت موقعاً غير ملائم لتكون محطة، من ناحية بسبب الحرارة القصوى التي لم يتحملها اثنان من هيئة الموظفين الصغيرة في خلال سنتين ، ومن جهة أخرى بسبب الموقف العدائي لرجال القبائل المجاورين مما تطلب باستمرار وجود طراد حربي من بحرية بومباي . وجزيرة التلغراف كانت في وقت الغائها محطة ترديد هامة بينما كانت جوادر ، نتيجة لجوها المؤذي الذي جعل وجود عدد كبير من الموظفين من غير المنصوح به ، تستعمل كمحطـــــة ملاحظة فقط(*) وفي التخلص من محطة جزيرة التلغراف وجد انه من الضروري استبدالها بمكتبين جديدين في جاشك وهانجام في الجبهة المواجهة للخليج على ان يأخذ مكتب هانجام مكان جزيرة التلغراف كمحطة ترديد . وكانت هذه مطلوبة لان الآلات في

(★) محطة الترديد أو الترجمة هي المكتب الذى فيه تؤخذ الرسائل بواسطة الكتاب ليعيدوا ارسالهـــا ، أو الذى فيه تعمـــل تيارات الكهرباء الاصلية على آلة تسمي « مردد » أو « محول » ويجعلها تنقل الى الامام آليا تيارات مشابهة في الاتجاه ومساوية لها في المدة ولكن بقوة أكبر من التيارات التى وصلتها • ومحطات الترديد المتوسطة مطلوبة عندما ــ بسبب بعد المسافة أو الاحوال الجوية ــ يكون فقدان القـــوة في التيـــارات الاصـــلية كبيرا بمـــا يجعـــل العمل المباشر بين النهايتين مستحيلا • .
ومحطة الملاحظة أو محطة المراقبة ، هي المكتب الذى يكون دائما غير متصل بالاسلاك المباشرة ولكنه يتصل في أوقـــات معينة يوميا لملاحظة حالة الاتصال • ومثل هذه المكاتب على أية حال وأيضـــا مكاتب الترديد تقبل الحركة المحلية التى يمكن أن تطلب •

ذلك الوقت لم تكن حساسة بما يكفي لتعمل مباشرة بين جاشك وبوشهر وهي مسافة تزيد على ٥٠٠ عقدة .

تنفيذ العمل

لقد قام السيد والتون ، مدير قسم الخليج بمساعدة الرئيس «ستيف» الذي كان اخيراً مهندساً في البحرية الهندية بتنفيذ المهمة الصعبة لاستبدال الخط الجديد بالقديم دون تعطل كبير للحركة وذلك بسرعة فائقة . وبين اوائل اكتوبر ونهاية نوفمبر عام ١٨٦٨ تم مد الكابل كما جددت النقاط التي كان سيقطع عندها السلك القديم بواسطة عوامات . واجرى تحويل بسيط للسلك القديم الى مكتب موقت في جاشك يمر على مسافة ميلين فقط نحو البحر في الثالث من ديسمبر ، مع توقف الحركة لمدة ١٢ ساعة فقط . ثم رفع الكابل القديم حينئذ الى السطح بحو الشرق من جزيرة الطمب حيث قطع في التاسع من ديسمبر. ووصل الجزء الذي يمتد نحو بوشهر بوصلة جديدة . واسرعت «الامبرويتش» بعد ذلك الى نقطة عند كوهي مبارك حيث ركبت الوصلة الاخرى بطريقة مشابهة . وقد حدث أن تعطلت الحركة بهذه المناسبة ٥٤ ساعة ونصف فقط منها ٢١ ساعة استغرقتها السفينة «امبرويتش» في الاقلاع من أحد طرفي القسم الجديد الى الطرف الآخر . وفي غضون ذلك نقلت الادوات كما نقل الموظفون في جزيرة التلغراف بدقة الى جاشك . وعند ظهر ١١ ديسمبر من عام ١٨٦٨ كانت جاشك في اتصال تام مع بوشهر عن طريق الكابل الجديد وايضاً مع الهند عن طريق الكابل القديم .

الترخيص الايراني لمحطة هانجام ٢٩ مارس ١٨٦٨

لم تكن هناك محطة في هانجام في بادئ الامر لذلك تم وصل طرفي الكابل هناك مباشرة وذلك كاجراء موقت . ولكن أسست بعد ذلك محطة عند الطرف الشمالي من الجزيرة ، واعيدت اقامة المنزل المصنوع من خشب التك هناك لايواء الموظفين . وكان سلطان عمان يطالب بجزيرة

هانجام ، ولكن السلطات البريطانية في ذلك الوقت اعتبرتها تابعة الى ايران . وفي ٢٩ مارس عام ١٨٦٨ قبل ترخيص من الحكومة الايرانية بانشاء محطة تلغراف في هانجام .

الاتفاق الانجلو ايراني الخاص بمحطة جاشك ٢٥ فبراير ١٨٨٧

لقد حددت اتفاقية ٢٥ فبراير ١٨٨٧ بين حدود محطة التلغراف في جاشك ووضعها ، ويبدو ان المعاهدة عدلت من ناحية الحدود بترتيب اتفق عليه محلياً في العام الثاني . واعفي موظفو التلغراف وخدمهم الامناء من دفع رسوم الجمارك سواء على البضائع من الخارج او على المؤن من الداخل ومنعوا من تقديم ملجأ للرعايا الايرانيين الذين لا يرتبطون بهم .

★ ★ ★

عمل خط هندو ـ أوروبي في ايران بدلا من الخط الموجود في تركيا ١٨٦٥ ـ ١٨٧٠

رداءة الخط التركي

أصبح من الواضح بعد انشاء اتصال بين الهند واوروبا عن طريق بغداد أن لا امل في حسن سير العمل في الاقسام التركية ، اعني الخطوط من الفاو الى بغداد ومن خانقين الى بغداد ومن بغداد عن طريق القسطنطينية الى الحدود النمساوية ، وكان من المحتمل ان تبقى هكذا . وفي عام ١٨٦٦ لم تكن الرسائل الموجهة الى الهند تصل في بعض الاحيان الى القسطنطينية الا بعد عشرة ايام من ارسالها من لندن . كما انه لم تسفر زيارة الشهرين ـ التي قام بها الرائد « جولد سميد » الى العاصمة التركية عام ١٨٦٦ عندما كان في طريقه الى طهران للمرة الثانية ـ عن نتائج مثمرة . وفي الواقع لم يكن عمل الخطوط التركية في نهاية عام

١٨٦٦ وبداية عام ١٨٦٧ مرضياً بحال من الأحوال وكان عدم انتظام الخط أشدّ ضرراً للشؤون التجارية من بطئه . وكانت البرقيات تتأخر لفترات غير محددة بسبب الحركة المحلية البحتة ، وغالباً ما كانت الرسائل تصل في شكل مشوه بعد استلامها واعادة ارسالها ١٢ او ١٤ مرة من قبل موظفي الاشارات الذين ينتمون لجنسيات مختلفة . وحملت هذه الاعتبارات العقيد شامبين -الذي كما ذكرنا من قبل ظل المسؤول الحقيقي عن شركة التلغراف الهندو-اوروبية أثناء غيـــاب الرائد «جولد سميد» من مقر الرئاسة- على التوصية عام ١٨٦٥ بتأسيس طريق رئيسي بديل يمر في ايران وروسيا ، وان يلح في العام ١٨٦٧ من أجل خطوط مباشرة في الاراضي التركية لتسهيل الحركة الهندو اوروبية .

امتيازات سيمنز ١٨٦٨

ايدت شركة سيمنز واخوانه البريطانية في لندن مصلحة البرق الهندو - اوروبية في مشروع الخط الروسي-الايراني بين اوروبه والهند وكانت على استعداد للمشاركة الفعالة فيه ، وكذلك شجعت الحكومتان الايرانية والروسية هذا المشروع . ويجب ان نلاحظ ان الشبكة الروسية كانت مرتبطة مع الشبكة الهندو اوروبية بواسطة خط بين «جولفه» وطهران انشأته ايران في نهاية العام ١٨٦٤ ، وادخلت عليه بعض التحسينات بمساعدة الحكومة الروسية في العام ١٨٦٦ . ثم طرح اقتراح في ١٨٦٥ لتطوير الخط الايراني الذي كان حينئذ في حالة سيئة جداً وأقل شأناً في العمل حتى من الخط التركي وذلك لكي يحقق متطلبات الحركة الدولية وفي العام ١٨٦٧ بدأ يتخذ شكله العملي ، ولكن الامركان من الاشياء التي تتطلب الكياسة وكانت الحكومة البريطانية راغبة في الا تسبب استياء لتركيا التي عقدت معها من مدة قريبة فقط اتفاقية تلغرافيه .

وفي ابريل عام ١٨٦٧ خوّل العقيد «شامبين» أن يناقش الامور في سانت بطرسبرج مع المديرين العامين لشركتي التلغرافات الروسية

والايرانية ومع ممثلي الشركة الالمانية «سيمنز اند هالسك» في برلين وسانت بطرسبرج ، ومع ممثلي شركة التلغراف الدولية الكهربائية ، وقد فعل هذا واستطاع في أول مايو أي بعد اربعة أيام فقط من اجتماع المؤتمر ان يبرق للرائد « جولد سميد » في طهران ما يلي : « سويت شؤون سيمنز » ، والاتفاق الذي تم الوصول اليه كان شاملا جداً وقد تضمن امتيازاً من الحكومة الروسية ، تاريخه ٢٦ اغسطس عام ١٨٨٧ ، بإنشاء وتشغيل خطوط تلغرافية من لندن الى ساحل المانيا الشمالى ومن هناك الى الحدود الروسية ، وامتيازاً من الحكومة الروسية تاريخه اول سبتمبر عام ١٨٦٧ للقسم الروسي من العمل ، وامتيازاً من الحكومة الايرانية تاريخه ١١ يناير عام ١٨٦٨ لاقامة وتشغيل خط تلغرافي بين جولفه على الحدود الروسية وطهران . وكان اصحاب الامتياز هم السادة «سيمنز اخوان» ، والسادة «سيمنز وهالسك» . وكانت الطريق تمر من لندن عن طريق «لويستوف» —إمدن—برلين—وارسو — اودسا — كيرتش — تفليس — تبريز الى طهران . وكانت مدة كل من هذه الامتيازات ٢٥ سنة . وفي حالة المنحة الايرانية تحتسب المدة من التاريخ الذي افتتح فيه الخط للحركة وليس من الضروري ان نهتم بالشروط بشكل مفصل حتى بالنسبة للامتياز الايراني لان تأثيرها المباشر كان قليلا على شبكة تلغراف الخليج ويكفي ان نقول انه في حالة اتفاقية التلغراف الانجلو—ايراني في ٢٣ نوفمبر عام ١٨٦٥ التي تجددت عند انتهائها كان يجب تحويل خط طهران— بوشهر الى أصحاب الامتياز. وفي صيف عام ١٨٦٦ انتقل طرف طهران من الخط الايراني الروسي من الروس الى موظفين بريطانيين .

الامتياز الايراني لشركة التلغراف الهندو اوروبية ١٨٦٩

في ٢٤ مايو عام ١٨٦٩ عقد اتفاق جديد بين الحكومة الايرانية وشركة التلغراف الهندو اوروبية(*) التي تشكلت في ١٨ ابريل عام

(★) يمكن أن نلاحظ هنا أن شركة التلغراف الهندو أوروبية هي عمليا شركة روسية وامتيازاتها الاصلية قد تم الحصول عليها عن طريق الوزير الروسي وكذلك كل تجديدات وتوسيعات هذه الامتيازات .

١٨٦٨ وحلت محل شركات سينمز وفقاً للمادة في الامتياز الاصلي . وقد غيّر هذا الاتفاق الثاني– الذي كان يرجع الى قرارات تبناها مؤتمر فيينا التلغرافي عام ١٨٦٨ لصالح تعرفة مخفضة– الترتيبات المالية بين الشركة والحكومة الايرانية . ومنحت المتعهدين أيضاً احتكار انشاء خط للحركة الدولية بين شيراز وبندر عباس وهو امتياز لم تتم الاستفادة منه ثم الغي في اتفاق لاحق بتاريخ ١٢ اغسطس عام ١٨٨٢ .

افتتاح الخط الايراني كله لاوروبا في ٣١ يناير ١٨٧٠

افتتح الاتصال المباشر بين لندن وطهران بواسطة خط شركة التلغراف الهندو اوروبية في ٣١ يناير عام ١٨٧٠ .

* * *

الخدمة التلغرافية الدولية في الممتلكات التركية ١٨٦٧ – ١٨٦٨

محاولات لتحسين العمل في الخط التركي ١٨٦٧

في العام ١٨٦٧ بذل الممثلون البريطانيون في القسطنطينية مجهودات متواصلة لادخال بعض التحسينات في تشغيل الاقسام التركية من الخط الهندو ايراني وبصفة خاصة في القسم الواقع بين القسطنطينية واوروبا ، وطُلِب استعمال مطلق لاحد الاسلاك بين القسطنطينية وفيينا ولكن الطلب رُفِض ، وانتهت المفاوضات بوعد من الحكومة العثمانية باستخدام سلكين بصفة خاصة للخدمة الدولية بين القسطنطينية وفيينا ، واحد عن طريق «البوسنه» والآخر عن طريق «الصرب» ، وان تعطى الاولوية التامة للرسائل الهندو اوروبية على أي الخطين يكون أحسن في ذلك الوقت .

ترك خط طهران بغداد ١٨٦٨

وفي مارس ١٨٦٨ وبعد ان اثبت الخط الممتد من فاو الى بغداد انه يفي باحتياجات الحركة الدولية بمقدار ما يمر على الاقسام الاخرى المارة في الاراضي التركية ، تم التخلي لاغراض دولية عن الخط البديل الذي يمتد بين طهران وبغداد عبر خانقين . وفي عام ١٨٦٩ وجد ان الجزء الذي يقع في ايران مخرب الى درجة كبيرة ، ومرّت فترة من الوقت قبل استخدامه كخط محلي بواسطة الحكومة الايرانية .

★ ★ ★

مؤتمر فيننا التلغرافي سنة ١٨٦٨ ونتائجه

حضر الرائد جولدسميد ممثلا لادارة التلغراف الهندية –الاوروبية والرائد جلوفر ممثلا لادارة التلغراف الهندية ، المؤتمر التلغرافي الذي عقد في فيينا في الفترة ما بين ١٢ يونيو و ٢٢ يوليو ١٨٦٨ . وبالنسبة لادارة التلغراف الهندية–الاوروبية للشركة الهندية الاوروبية اسفر المؤتمر عن تخفيض ملحوظ في التعرفة الهندية الاوروبية وتطبيق تلك التعرفة على ثمانية خطوط معروفة ، خمسة منها هندية–عثمانية تمر عن طريق الفاو وثلاثة روسية ايرانية تمر عن طريق بوشهر . واوصى المؤتمر بأحد الطرق من المجموعة الاولى لنشاط تركيا التجاري الهندي الاوروبي ، وهو الذي يعبر تركيا ، والصرب ، والنمسا ، وسويسره وفرنسا ، وتبعاً لذلك دخلت الدول المعنية في اتفاقية فيما بينها للاستفادة الخاصة منه . وفي الوقت الذي كانت ما تزال فيه حالة الاتصال بعيدة عن المستوى المطلوب من الكمال ، قام المدير المسؤول لشركة التلغراف الهندية – الاوروبية في العام ١٨٦٩ بتكليف مدير البرق في « برن » بالقيام بجولة في الدول الموقعة على اتفاقية فيينا وكان هذا قد رشح مدير مكتب برق ليكون سكرتيراً وحكماً في الامور المشتركة المتعلقة بالبرق . وقد جاءت

ردود مرضية من غالبية الحكومات التي تم الاتصال بها ، ولكن تركيا المقصّرة الحقيقية استمرت في سد طريق الاصلاح في الوقت الذي كانت تلقي فيه تبعة التقصير على غيرها من الحكومات .

وابتداء من اول يناير عام ١٨٦٩ خفضت التعرفة التي كانت في عام ١٨٦٨ خمسة جنيهات استرلينية لكل عشرين كلمة عبر الخط التركي و ٤ جنيهات وشلنين و ٦ بنسات عبر الخط الايراني الى جنيهين و ١٧ شلناً لكل عشرين كلمة عبر الخط التركي وجنيه وعشر شلنات لكل ١٠ كلمات عبر الخط الايراني .

★ ★ ★

التاريخ العام والسياسي لشركة ومصلحة التلغراف الهندو أوروبية ١٨٦٨ ـ ١٩٠٤

ادارة المصلحة تنتقل الى حكومة الهند ١٨٧١

كانت حكومة بومباي في العام ١٧٦٣ تتولى المسؤولية الكاملة لعمليات التلغراف في العراق التركي والخليج ، واستمر هذا الوضع حتى ١٨٧١ عندما انتقلت ادارة مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية من حكومة بومباي الى حكومة الهند بقرار من وزير الخارجية .

التخلي فعلياً عن الخط التركي ١٨٧١

لم تكن اتفاقية ١٨٦٤ مع تركيا لاجل محدود فهي لذلك ما تزال سارية المفعول حتى الآن كما ان الخط التركي ظل يعمل بشكل غير مرض حتى بعد العام ١٨٦٨ . ومنذ العام ١٨٧١ تم التخلي عملياً عن هذا الخط في مجال الخدمة الدولية ، ووزع العمل بعد ذلك بين شبكة البحر الاحمر والشبكة الروسية ــ الايرانية المتنافستين . وبين العام ١٨٦٥ والعام ١٨٧٣ كان متوسط الوقت الذي تستغرقه الرسائل بين لندن وكراتشي قد نقص

على الخط الروسي — الايراني من ١٧ يوماً وخمس ساعات وخمس دقائق الى ثلاث ساعات وتسع دقائق ، بينما على الخط التركي كان التحسن من ستة أيام و ٨ ساعات و ٤٤ دقيقة الى ١٩ ساعة و ١٢ دقيقة فقط . وهكذا وفي العام ١٩٠٤–١٩٠٥ بلغ التعطيل على الخط التركي بين الفاو والقسطنطينية في مدى السنة أكثر من ٦٥ يوماً مقابل يوم واحد وخمس ساعات و ٥٠ دقيقة على خطوط المصلحة الهندية الاوروبية بين كراتشي وطهران .

اتفاقية التلغراف الانجلو–ايرانية ٢ ديسمبر ١٨٧٢

لقد تم تمديد الاتفاقية الانجلو–ايرانية للعام ١٨٦٥ والتي انتهت في ١٢ أغسطس ١٨٧٢ لفترة ثلاثة أشهر وذلك بموجب اتفاق نفذ في ١٩ يونيه عام ١٨٧٢ . وعند انتهاء فترة التمديد حلت محلها اتفاقية جديدة تاريخها ٢ ديسمبر ١٨٧٢ . وقد ساعد العقيد «شامبين» الذي هو الآن المدير المسؤول في المفاوضات في طهران في إبرام الإتفاقية .

ومن بين امور أخرى نصت الاتفاقية الجديدة على ان تقوم الحكومة البريطانية بانشـــــاء سلك ثالث بين طهران وبوشهر ، وقد عمل ترتيب على أنه بعد إتمام هذا السلك ، فان السلك الاول الذي اقيم في العام ١٨٦٤ يجب أن يبقى للاستعمال المحلي ويعمل به موظفون من الحكومة الايرانية يشغلون غرفاً تقدمها لهم الحكومة الايرانية وتكون منفصلة عن الغرف التي يشغلها موظفو المصلحة البريطانية . ووفقاً لتوصيات العقيد «شامبين» الذي زار ايران شخصياً عام ١٨٧٠–١٨٧١ ليقنع نفسه بضرورة التغيير تم وضع اعمدة حديدية(١) بدلا من الاعمدة الخشبية بين طهران وبوشهر .

---

(١) تعهدت الحكومة الايرانية بدفع ١٠٫٠٠٠ تومـان في عشرة أقساط سنوية للاعمدة الحديدية الجديدة ، وهذا المبلغ ضمن المبلغ النهائى الذى تدفعه شركة التلغراف الهندوأوربية .

وبالنسبة لايرادات المصلحة الهندية الاوروبية من حركة البرق فقد اتفق على ان تتسلم الحكومة الايرانية إما إعانة ثابتة قدرها ١٢,٠٠٠ تومان في السنة أو عوائد قدرها فرنكان لكل ٢٠ كلمة وعلى ان يقسم باقي الارباح بين مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية والشركة التي تحمل الاسم نفسه وذلك بالطريقة التي تتفقان عليها أما فيما يختص بتحصلات الرسائل التي تبدأ او تنتهي في ايران فقد تضمنت طريقة مختلفة للتوزيع .

وبالنسبة لصيانة الخط التي تشمل التصليحات وتعيين الحراس والاشراف عليهم ودفع مرتباتهم فقد اتفق ان تبقى بيد المدير البريطاني ولكن كان على الحكومة الايرانية أن تدفع عشرة آلاف تومان في السنة كمساهمة تحت هذا الباب ، وفي حالة التلف المتعمد كان على الحكومة الايرانية أن تدفع تكاليف الاصلاح . أما بالنسبة لدين الحكومة الايرانية للحكومة البريطانية بسبب انشاء التلغراف وخدماته ، والذي بلغ الآن ٤٧,٢١٧ جنيهاً استرلينياً فكان على شركة التلغراف الهندية-الايرانية أن تتحمله وتسدده على ٢٤ قسطاً متساوياً .

وكان يجب ان تطبق الاتفاقية بشكل رئيسي على الامور المتعلقة بخط طهران - بوشهر. ولكن في حالة ما اذا رغب المدير البريطاني ، في أي وقت استئناف المسؤولية على خط طهران-خانقين فيجب ان تعنى الاتفاقية بهذا الخط أيضاً وتبقى مسألة التعرفة وطريقة الحساب على هذا القسم وفق ترتيبها الخاص .

أما الاتفاقية نفسها فكان يجب أن تظل سارية المفعول حتى اول يناير عام ١٨٩٥ عندما تتوقف ، وتسلّم جميع الاسلاك حينئذ الى الحكومة الايرانية .

تمديد الاتفاقية حتى ١٩٠٢ ثم الى ١٨٢٥

بموجب اتفاق تم التوصل اليه في ٣ يونيو ١٨٨٧ تم تجديد مفعول اتفاقية ١٨٧٢ الى ٣١ يناير عام ١٩٠٥ ، وفي ٧ يناير ١٩٠٢ حصل تحديد اضافي حتى ٣١ يناير ١٩٢٥ باتفاق أيضاً .

وبهذه المناسبة تم تجديد اتفاقية عام ١٨٦٨ الخاصة بخط جوادر ـ بندر عباس البري الى التاريخ نفسه .

تجديد امتيازات شركة التلغراف الهندية الايرانية سنة ١٨٨٢ـ١٩٠٦

وتمت بين الحكومة الايرانية وشركة التلغراف الهندية الاوروبية اتفاقيتان جديدتان في ١٢ أغسطس ١٨٨٢ و ١٠ يناير عام ١٨٩١ ، وبموجب الاتفاق الاخير مُدّد الامتياز الممنوح للشركة حتى ٣١ يناير عام ١٩٢٥ ، وفي ذلك الوقت عقد أيضاً اتفاق آخر في ١٤ يونيه عام ١٩٠٦ ، مددت بموجبه فترة اتفاق عام ١٨٩١ لمدة ٢٠ سنة أي الى العام ١٨٤٥ .

خط طهران ـ مشهد

ومنذ ١٤ ديسمبر عام ١٨٨٥ كانت مصلحة التلغراف الهندية ـ الاوروبية تتولى مسؤولية صيانة خط انشأه الايرانيون في فترة قبل ذلك بين طهران ومشهد . ولا يعتمد هذا الترتيب على اتفاق رسمي بل ينتهي بناء على رغبة أحد الطرفين ، الحكومة الهندية او الايرانية ، اللتين تدفع كل منهما اشتراكاً سنوياً لتغطية المصاريف الصيانة .

مراعاة اتفاقية ١٨٧٢ والاتفاقات التالية

لقد تمت مراعاة اتفاقية ١٨٧٢ الى النهاية بشكلها الأصلي رغم وجود تعديلات طفيفة ادخلت نتيجة للتمديد او باتفاق الاطراف المعنية . وقد دفع في البداية مبلغ سنوي قدره ١٢٠٠٠ تومان كنصيب للحكومة الايرانية من عمليات حركة التلغراف . ولكن اتفق فيما بعد على تحديد المبلغ بما يعادل ١٢٠,٠٠٠ فرنك كان يزاد بمبلغ ١٠,٠٠٠ فرنك في كل مرة يجدد فيها امتياز شركة البرق الهندية الاوروبية . وقد حدث ذلك في ١٨٨٢ و ١٨٩١ فقسمت جميع المتحصلات من الحركة كلها بعد حسم مبلغ سنوي مقداره ١٢٠,٠٠٠ فرنك مستحق للحكومة الايرانية بين مصلحة التلغـــراف الهندية الاوروبية وشركة التلغراف الايرانية

وأصبحت الشركة مسؤولة عن دفع الزيادتين السنويتين اللتين فرضتا في العامين ١٨٨٢ ، و ١٨٩١ الى ايران من نصيبها الخاص بواقع ١٠,٠٠٠ فرنك لكل زيادة . وقد اجر نصيب ايران في الدخل من الرسائل الدولية التي تبدأ او تنتهي في ايران الى بريطانيا العظمى بسعر محدد قدره ٢٠٠٠ تومان في السنة ولمدة ثلاث سنوات من عقد الاتفاقية ولكن دفع لايران بعد ذلك ، وبموجب الاتفاقية ثلثا الدخل الفعلي من هذا المصدر ، كما تم تأجيل دفعها مبلغ ١٠٠٠ تومان في السنة كاجور لحراس الخط وذلك لاسباب خاصة .

أما الدين الذي تحملته شركة البرق الهندية الاوروبية فقد سدد اخيراً في فبراير ١٨٨٤ .

ادارة المصلحة تنتقل الى وزير الدولة سنة ١٨٩٣

وابتداء من اول ابريل ١٨٩٩ تولى وزير الدولة لشؤون الهند الادارة المباشرة لمصلحة التلغراف الهندية الاوروبية بدلا من حكومة الهند التي كانت تقوم بالادارة منذ ١٨٧١ . واثناء الفترة من ١٦ فبراير ١٨٨٨ الى ٣١ مارس ١٨٩٣ كان يقوم بالادارة مدير عام التلغرافات في الهند ، وفي كل الاوقات الاخرى كانت تخضع للادارة المباشرة لمدرائها المسؤولين .

وسنعالج فيما بعد إمتداد شبكة برق الخليج لتشمل بندر عباس في ١٩٠٤—١٩٠٥ وكذلك انشاء خط ايراني متوسط من كاشان لكراتشي ما بين ١٩٠٢—١٩٠٤ .

التاريخ المالي والاداري
لمصلحة التلغراف الهندية الاوروبية
١٨٦٨ ـ ١٩٠٧

تخفيض المصروفات سنة ١٨٦٩

كانت الاهداف الرئيسية لمصلحة التلغراف الهندية ـ الاوروبية خلال عام في ١٨١١ هي التوفير وتخفيض النفقات ولتحقيق ذلك استقال الرائد جولد سميد لصالح العقيد شامبين ، وبعد ان أدرك ان رئيس المصلحة لم يعد بحاجة الى مساعد حيث انه تم التغلب على جميع الصعوبات الاولى ، الامر الذي جعل شامبين يدير شؤون المصلحة بمفرده دون مساعد .

نتائج اتمام كابل البحر الاحمر وكابل البحر الابيض المتوسط ١٨٧٠

في ٢٦ مارس عام ١٨٧٠ اكتمل كابل شركة البرق البحرية الهندية البريطانية الذي يربط بومباي وفتح في الحال للاتصال بانجلتره عن طريق مالطة ـ مارسيليه ـ باريس . وفي ١٤ يونيه عام ١٨٧٠ وبعد أن أنهت شركة تلغراف بلايموث وجبل طارق ومالطة أعمالها أصبح الاتصال البرقي بين الهند وانجلترا عن طريق البحر الاحمر متصلا سوى من جزء قصير في مصر حيث كان يوجد خط بري من السويس الى الاسكندرية . وهكذا وزعت حركة الخط الهندي الاوروبي بين ثلاث طرق رئيسية بدلا من طريقين ، وطلب اعادة النظر في التعرفه التي حددتها اتفاقية فيينا عام ١٨٦٨ على أساس ان انخفاضها يمكن ان يرغم الشركات التجارية التي تهتم بخط البحر الاحمر الروسي الايراني ان تنسحب من الميدان تاركة الخط الحكومي الذي يعبر الاراضي التركية يتحمل الحركة كلها رغم عدم فعاليته . وفي غضون ذلك رفعت الشركات أسعارها الى ٤ جنيهات و ١٠ شلنات لكل ٢٠ كلمة ، ولكن الخط التركي ظل

يحصل على ١٨ بالمئة من الحركة بسبب رخصه الكبير ، واستمرت خطوط الشركات تعمل بخسارة .

تعديلات التعرفة

لقد أوصى مؤتمر البرق المصغر الذي عقد في « برن » بحضور العقيد شامبين الرائد روبنسن المدير العـــام لادارة البرق الهندية برفع السعر على الخط التركي الى ١١٢,٥ فرنك أي ٤ جنيهات و ١٠ شلنات وهذه زيادة اغرت الادارة العثمانية على الموافقة . و قد حضر مؤتمر التلغراف الذي عقد في روما بين ديسمبر ١٨٧٠ ويناير ١٨٧١ المندوبون البريطانيون انفسهم ، وفي هذه المناسبة مثل «شامبين» ايران أيضاً وبناء على توصية هذا المؤتمر خفّض سعر البرقية المكوّنة من ٢٠ كلمة من ١١٢,٥٠ فرنك الى ١٠٠ فرنك ، أو ٤ جنيهات استرلينية . وبعد مؤتمر غير رسمي عقد في فيينا عام ١٨٧٣ التقى فيه المدير المسؤول لمصلحة التلغراف الهندية الاوروبية بكل من المدير العام للخط الروسي والمدير العام للخط البروسي ، تغير السعر مرة أخرى ابتداء من ١٥ نوفمبر عام ١٨٧٣ الى ٥٠ فرنك لكل ١٠ كلمات ، وسعر خاص لكل كلمة تزيد عن العشرة . وبعد مؤتمر في بطرسبرج في ١٨٧٥ أصبح ٥,٥٠ فرنكات عن طريق تركيا . وابتداء من اول يناير ١٨٧٦ ، ومن اول ابريل ١٨٨٠ رفع الى ٥,٦٠ فرنكاً للكلمة على الخطوط غير التركية ومن اول يوليه عام ١٨٨٦ بعد مؤتمر في برلين عام ١٨٨٦ ، انقص السعر الى ٥ و ٤,٥٠ فرنكات للكلمة. ومن اول مارس عام ١٩٠٢ خفض أكثر من ذلك الى شلنين و ٦ بنسات للكلمة . وفي أول أغسطس عام ١٩٠٥ حدث التخفيض الاخير الى شلنين عن طريق السويس أو طهران ، وشلن و ١٠ بنسات عن الطريق التركي . وحصل التخفيضان الاخيران على أساس ان تتحمل حكومة الهند قسطاً في أية خسارة قد تحصل في الدخل خلال عشر سنوات .

نشوء شبكات منافسة وتوزيع الحركة

بعد تكملة ما يسمى بالكابل الاول المتصل بين الهند واوروبا عام ١٨٧٠ تم مد كابل ثان وثالث بين السويس وبومباي جزءاً جزءاً الى أن اكتملت الشبكة المثلثة أخيراً في ١٩١٢ .

ويوضح الجدول التالي الحركة الهندية على هذه الخطوط بنسبة مئوية أخذت على ثلاث فترات مختلفة :

الطريق	١٨٧١—٧٢	١٨٨٧—٨٨	١٩٠٥—٦
البحر الاحمر	٥٢,٨١	٦٤,٠١	٥٠,٨٨
الايراني	٢٢٩,١١	٣٤,٥٠	٤٧,٩٩
التركي	١٨,٠٨	١,٤٩	١,١٣

ومن الحركة عبر الهندفإن ٩٧,٥٣ في المائة الآن تحمل بخط السويس، و ٢,٠٨ في المائة بخط طهران ، وفقط ٠,٣٩ في المئة بخط بغداد .

افتتاح خط برق ايراني من بوراز جان الى عربستان ١٨٩١

وتجدر الملاحظة في هذا المجال الى انه تم في اوغسطس ١٨٩١ مد شبكة من خطوط البرق التي تصل الاهواز في عربستان بديزفول وششتار والمحمرة في المنطقة نفسها ووصلت في اوائل ١٨٩٢ ببراز جان على خط بوشهر—شيراز التابع لادارة البرق الهندية الاوروبية وذلك بواسطة سلك يمتد من الاهواز ويمر عبر راموز وبهبهان وديلام وريق ، وقد حدث ذلك رغم ان المشروع ايراني بحت ولا علاقة له بأعمال ادارة البرق الهندية الاوروبية . وكانت الحكومة الايرانية قد قامت بمحاولة من قبل في العام ١٨٧٨ لتربط ششتار بطهران تلغرافياً عن طريق دزفول . وفي مايو عام ١٨٩٢ هدم المد مكتب التلغراف الايراني في المحمرة ، ولكن جهاز التلغراف الايراني في عربستان ما يزال باقياً حتى الوقت الحاضر ، مع أن العمل ليس مرضياً وغالباً ما تحدث انقطاعات طويلة في الاتصال .

تعديلات في شبكة التلغراف في الخليج
١٨٦٩ ـ ١٩٠٧

الانتقال من بوشهر الى ريشهر ١٨٧٧

لم تكن التغيرات والتوسعات في شبكة تلغراف الخليج منذ اتمامها في ١٨٦٩ كثيرة ولكن بعضها كان هاماً .

كان مكتب التلغراف في بوشهر في اول الامر متصلا بمكان المرفأ في ريشهر بواسطة خط هوائي طوله سبعة أميال . وفي فبراير عام ١٨٦٥ استبدل بآخر مزدوج ينتهي عند الشاطئ بين بوشهر وريشهر ولكن العزل الكهربائي كان غير كاف فاستبدل في نوفمبر عام ١٨٦٥ بخط مفرد ينتهي عند شاطئ بوشهر . واخيراً تم في نوفمبر ١٨٧٧ وضع السلك مرة أخرى عند ريشهر ونقل مكتب التلغراف الى ذلك المكان من بوشهر .

ترك هنجام سنة ١٨٨٠

وفي يناير عام ١٨٧٧ نقل مركز الكابلات في هنجام من موقعه الاصلي من مسافة ما في الداخل الى الغرب من طرف الماء ، وفي ١١ ديسمبر ١٨٨٠ أغلقت محطة هانجام بعد ان اصبح لا لزوم لها لأسباب فنية بعد تركيب آلات اكثر حساسية . وفي اوائل عام ١٨٨١ اعيد وضع الكابل في عرض الخليج الى الجنوب من الجزيرة وذلك بعد ان كان طرفاه قبل ذلك موصولين بمركز الكابلات.

استبدال كابل ١٨٦٤ بين جاشك وبوشهر سنة ١٨٨٥

بعد أن أصبح اول كابل في الخليج غير صالح للاستعمال بين جاشك وبوشهر في ١٨٨٤ ، وبعد ان أظهر كابل ١٨٦٩ دلالات على أنه يتلف ، تقرر استبدال الاول بكابل جديد . وقد وصلت المواد الى جاشك في ١٣ و ١٤ نوفمبر ١٨٨٥ على ظهر الباخرتين داسيا و « الانترناشونال»

التابعتين للشركة التي قامت بصناعة الكابل . وبدأت عملية المد من «الانترناشونال» في ١٥ نوفمبر عام ١٨٨٥ تحت اشراف السير «جون بيتمان شامبين» كبير المديرين ، وفي باكورة يوم ١٧ منه تم غمر الكابل كله الذي كانت تحمله «الانترناشونال» . واستأنفت «داسيا» العمليات بعد ظهر اليوم نفسه ، وتم الاتصال النهائي عند ريشهر في مساء ٢٠ نوفمبر . وقد قامت سفينة مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية «باتريك ستيوارت» بارشاد الباخرتين اللتين مدتا الكابلات ، ولكن بسبب غلطة في الخرائط ، وضعت الباخرة «داسيا» عدة عقد من الكابل في ١٨ نوفمبر ، في بقعة عمقها ١٧ قامة ، وقد نقلت منها بعد ذلك الى ماء أعمق في ٢٩ مارس عام ١٨٨٧ .

وكان الكابل الجديد بين جاشك وبوشهر من الصنع الهندي ، وكلّف ٧٦,٧٠٢ جنيه استرليني أي حوالي ١٤٥ جنيه استرليني للعقدة .

التخلي عن جوادر كمحطة كابلات سنة ١٨٩٣

وفي سبتمبر عام ١٨٩٣ الغيت جوادر كمحطة تلغراف وتم وصل الكابل في البحر بين كراتشي وجاشك . وفي اكتوبر عام ١٨٩٤ أعيد تأسيس محطة جوادر ولكن كمكتب فقط على الخط البري . وفي غضون ذلك ظل الاتصال التليفوني موقتاً للمعتمد البريطاني في جوادر مع أورمانه وشهبار ، ولكن الخدمة البديلة أثبتت أنها غير مرضية ، وكان هذا هو السبب الاساسي لاعادة فتح مكتب التلغراف .

مد كابل جاشك ـ مسقط ١٨٩٩ ـ ١٩٠١

كان عدم كفاية الاتصال بين مسقط والعالم الخارجي غير مرة واحدة موضوع مناقشات رسمية في الهند ولكن خوّل لورد كيرزون بوصفه نائباً للملك باتخاذ الخطوات العملية الاولى لعلاج الموقف .

وفي العام ١٨٧٩ أعرب سيد تركي ، سلطان مسقط ، عن الرغبة في انشاء اتصال برقي بين عاصمته والهند . وقد بحثت حكومة الهند في

الامر ، ولكن قرارها كان سلبياً نظراً للتكاليف الباهظة للمشروع ولضآلة المكاسب العسكرية والبحرية التي يمكن جنيها منه .

وفي العام ١٨٩٨ عندما كان اتصال البواخر بالهند يتم كل اسبوعين فقط ، التمس ١٢٩ من التجار الهنود البريطانيين في مسقط من الحكومة أن تصبح الخدمة اسبوعية وإن امكن انشاء اتصال تلغرافي بين مسقط والهند . وتمت الترتيبات لتحقيق الرغبة الاساسية الاولى للملتمسين ، ولكن رفض المطلب التالي .

وفي عام ١٨٩٩ قدمت المجموعة نفسها مذكرة اخرى تطلب فيها توقف باخرة البريد الاسبوعية في الذهاب والإياب عند جاشك بغرض ارسال او استقبال برقيات مسقط . وعلى ذلك اشارت حكومة الهند بوجوب النظر في مسألة كابل مسقط من الناحيتين السياسية والتجارية . وقد تم التوصل الى عدد من الوقائع جعل الحاجة الى الكابل مسألة واضحة جداً ، فأقرب محطة تلغراف الى مسقط هي جاشك ، وكثيراً ما كانت السفن البحرية الملكية تنحرف عن اتجاهها الاصلي وتستخدم كسفن لحمل الرسائل الرسمية بين مسقط وجاشك ، وبالرغم من هذا لا يتم الاتصال بين المقيم السياسي في بوشهر والمعتمد السياسي في مسقط وحكومة الهند بالسرعة التي أظهرت أزمة فبراير عام ١٨٩٩ في مسقط أهميتها في الحالات الطارئة . كما ان سير التجارة في مسقط قد تعرقل بسبب الحاجة الى التسهيلات التلغرافية بدرجة لا تقل عن العرقلة التي اصابت تسيير الاعمال العامة ، لانه كان من المستحيل على التجار أن يضعوا طلباتهم في الاسواق الهندية في اللحظة التي يجدون فيها فرصة مواتية . وقد اوضح الرئيس ، «كوكس» المعتمد في مسقط ، اضافة الى ذلك ان الاتصال التلغرافي في مسقط يمكن ان يكون سلاحاً نافعاً ضد تجارة تهريب الاسلحة لايران — التي كانت منتشرة حينئذ — خاصة اذا تم اتصال ميناء بندر عباس ايضاً بالشبكة التلغرافية . وقد بلغت المتحصلات في مكتب البريد البريطاني في مسقط في العام ١٨٩٩ بسبب البرقيات المرسلة

الى جوادر وجاشك وبوشهر ٤٣٢٩ روبية ، وقُدّر أن دخل مكتب التلغراف ، اذا انشيء ، ربما يصل الى ١٠,٠٠٠ روبية في السنة ، وسيكون هناك وفر قدره ١٣,٥٠٠ روبية في السنة للبحرية الملكية .

وفي العام ١٩٠٠ أحيل المشروع الى حكومة صاحبة الجلالة وتمت الموافقة عليه من حيث المبدأ ، ولكن الخزانة البريطانية رفضت المساهمة في تكاليف التنفيذ ، وكان ذلك الوقت أيضاً غير مناسب من الناحية المالية اذ ان العمل كان يجري لتوسيع الاتصالات البرقية في الشرق الاقصى كما كان هنالك طلب شديد على الكابلات البحرية . واخيراً تعهدت حكومة الهند بتحمل جميع تكاليف المشروع بعد اقتناعها بأهميته ، وقد بوشر بالعمل فور مصادقة وزير الخارجية عليه في مايو ١٩٠١ بتكاليف قدرت بمبلغ ٤٩,٠٠٠ جنيه استرليني .

وقد كان في النية أصلا إما تحويل كابل كراتشي—جاشك القائم حالياً حتى يصل الى مسقط او مد كابل إضافي بين هذين المكانين عبر مسقط ، ولكن ولاسباب فنية تم في النهاية انشاء الاتصال بين جاشك ومسقط بواسطة كابل جديد ومباشر أبعد قليلا نحو الغرب من الخط المستقيم لتجنب الاماكن العميقة جداً . ولكن نظراً لتأمين حقوق مسقط من قبل بموجب معاهدة التلغراف عام ١٨٦٥ فلم تكن هناك ضرورة لعمل ترتيبات خاصة مع السلطان ، ولكن تعاونه كان مطلوباً وحصل ذلك بالفعل . وقد تم العمل وبدأ الاتصال في ٢٦ نوفمبر عام ١٩٠١ . ومند البداية ازداد مجموع دخل مكتب مسقط عن التقدير السابق ، وفي الاشهر الاربعة الاولى بعد افتتاح الخط بلغ الدخل ٦٠٠٠ روبية بينما يبلغ الآن حوالي ١٤,٦٠٠ روبية في السنة . أما تكاليف المشروع الفعلية فقد بلغت ٦٢١,٤٥٣ روبية .

التحول الى هانجام والاتصال ببندر عباس ١٩٠٤ — ١٩٠٥

وفي الوقت الذي أوصت فيه حكومة الهند بمد كابل الى مسقط اقترحت وفقاً لتوصية كوكس توسيع شبكة برق الخليج الى بندر عباس

عن طريق عقدة او وصلة لاحد الكابلات بين جاشك وريشهر الى خليج بندر عباس . وكما كانت الحال في مسألة كابل مسقط فان حكومة صاحبة الجلالة وافقت على المشروع ولكنها لم تستطع تقديم أية معونة مالية ، لذلك طرحت حكومة الهند المشروع جانباً بصفة موقتة على أمل تعديل هذا القرار غير الملائم من جهة ، ومن جهة أخرى بسبب الشكوك الفنية حول افضل السبل لتنفيذ مشروع الاتصال ببندر عباس . ويمكن أن يلاحظ ان الحكومة الايرانية نفسها كانت متطلعة الى ربط بندر عباس بالشبكة البرقية واجرت مسحاً لخط ارضي من جاشك ، ولكن المسألة تركت بسبب عائق في باشكارد .

وفي اوائل عام ١٩٠٢ اقترح قائد البحرية لمحطة الهند الشرقية فتح محطة تلغرافية في باسيدو ، وفي عام ١٩٠٣ قابحت حكومةالهند وزير الخارجية في اقتراحات جديدة خاصة بالتوسع الى بندر عباس . وقد اوصوا الآن بوجوب اعادة الاتصال التلغرافي اولا الى محطة هنجام القديمة لكي تضمن نقطة اتصال تقع في عرض الخليج على مسافة غير بعيدة من فوهته ، ويمكن لسفن البحرية الملكية الوصول اليها بسهولة . وفي الوقت نفسه اقترحوا طرقاً مختلفة لربط هانجام ببندر عباس مفضلين طريقة تشمل خطاً ارضياً عبر جزيرة قشم ، على اعتبار أن وجود هذا الخط سيزيد من نفوذ الحكومة البريطانية في الجزيرة حيث كانت محطة باسيدو في حوزة بريطانيا ، وقد قدرت كلفة الاتصال البرقي كله بـ ١٨,٥٣٩ ج. ك. بينما الكابل الذي يضم جزءاً ارضيا في قشم سيكلف مبلغ ١١,٨٣٥ ج. ك. وحدث بعض التأخير بسبب تفضيل القيادة البحرية لباسيدو كموقع للمحطة الجديدة على هنجام ، ولم يبت في المسألة نهائياً الا بعد زيارة اللورد « كيرزون» الى الخليج في نهاية عام ١٩٠٣ التي قام في أثنائها نائب الملك شخصياً بالتحقق على الطبيعة من المزايا النسبية للمكانين . وعند ماكان سعادته في بندر عباس تلقى طلباً من مجموعة التجار الهنود لمد التلغراف الى ذلك المكان ، وكان هذا الاقتراح يحظى

بتأييد خاص من الحاكم الايراني لموانيء الخليج السالار المعظم . وعند عودة اللورد « كيرزون» الى الهند أيد فكرة امتياز هنجام لاغراض عامة على باسيدو وقد حصل هذا الرأي في النهاية على موافقة اجماعية

وبقي التفكير بالوسيلة التي من شأنها أن تساعد في التغلب على المعارضة المتوقعة للمشروع من جانب ايران . وبعد بعض المناقشات تقرر اعادة فتح محطة هنجام دون استشارة الحكومة الايرانية اعتماداً على السلطة الممنوحة في العام ١٨٦٨ التي لم تلغ فيما بعد ومن ثم التفاوض بشأن التوسع الى بندر عباس . وتبعاً لذلك ارسلت سفينة الكابلات «باتريك ستيوارت» من كراتشي في ٩ ابريل عام ١٩٠٤ ، واعيد الاتصال التلغرافي مع هانجام في التاسع عشر من الشهر نفسه بعد انقطاع دام ١٣ سنة وذلك بتكلفة ٣٦,٥٠٠ روبية فقط . ولما كان السير « ا. هاردنج» ، الوزير البريطاني في طهران على علم بالامر فقد قام في ١٠ ابريل بابلاغ وزير الخارجية الايرانية عن نية حكومة الهند في اعادة فتح محطة هنجام كما انهى الى مسامعه انه سيفاتح الحكومة الايرانية قريباً في طلب انشاء خدمة بريدية ايرانية موقتة بين هنجام وبندر عباس وباقتراحات لمد خط التلغرافي الى بندر عباس . ويبدو ان مذكرة الوزير حرفت او قرئت بغير عناية من قبل الموظف الذي أرسلت له . ولم يحدث إلا في وقت ما في مايو ان أدركت الحكومة الايرانية — من تقرير كتبه حاكم موانيء الخليج — ما حدث في هنجام ، وقد كانت دهشتهم بشيء من النفور . ولكن عندما واجهتهم الحقيقة الواقعة وافقوا على تنظيم خدمة بريدية موقتة . وفي الوقت نفسه انشأ موظفو التلغراف البريطانيون خدمة اسبوعية أخرى وسريعة لتوزيع تلغرافات هانجام في بندر عباس . وحدث بعض الاحتكاك — في اغسطس عام ١٩٠٤ عندما أنشأ مدير الجمارك البلجيكي في بندر عباس بريداً ايرانياً منافساً بين هانجام وانحاء البلاد وأصر على ان يستعمل بصفة مطلقة وأن الحقائب التي ترسل عن طريقه يجب ألا تختم بالشمع .

وفي بادئ الامر قاوم شاه ايران العروض الاخرى لمد شبكة التلغراف من هنجام الى بندر عباس ، فقد كان في ذلك الوقت في حالة

تشدد غريب في موضوع امتيازات الاجانب ، ويبدو أنه كان يسعى بما في طاقته من قوة ليخنق التوسع في المشروعات الاوروبية في الدولة . ولوقت ما توقف تمثيل المفوضية البريطانية بحجة ان الامتداد لبندر عباس ستنشئه الحكومة الايرانية نفسها ، ولكن الوزير البريطاني استمر يلح في هذه النقطة ، وعاد الى الجدل بأنه بموجب المادة رقم ٢ من اتفاقية التلغراف الايرانية عام ١٨٦٨ كان للحكومة البريطانية الحق في إنشاء خط بري من جاشك الى اماكن مجاورة لبندرعباس ، وأن بإمكانها الإفادة من هذا الامتياز القديم اذا رُفِض التصريح بربط هنجام ببندر عباس . واخيراً صدقت الحكومة الايرانية على الامتداد المطلوب ولكن بشروط غير مرضية نوعاً ما للحكومة البريطانية التي كانت تأمل في الحصول على تصريح لعمل وإنشاء فرع جديد كجزء مكمل لشبكة مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية . وبموجب اتفاق نفذ في ١٣ مايو عام ١٩٠٥ بواسطة السير «ا. هاردنج» ومشير الدولة وزير الخارجية الايراني ، تقرر وجوب انشاء خط عبر قشم يربط هنجام ببندر عباس لصالح الحكومة الايرانية بواسطة إثنين من المهندسين من مصلحة التلغراف الهندو الاوربية يوضعان تحت تصرفهم بصفة موقتة كما تقرر أن يسلم الخط الى وزارة البرق الإيرانية ليديره موظفون ايرانيون وذلك بعد ان تكون الحكومة الايرانية قد سددت تكاليف انشائه التي تبلغ في حدها الاقصى ٧٥,٠٠٠ روبية . وثبت انه من الصعب التغلب على اعتراضات الشاه بأن يدير الخط الجديد في هنجام موظفو التلغراف البريطانيون وارتؤي أنه من الضروري أن يتضمن الاتفاق نصاً يتكون بموجبه مكتب ايراني منفصل في هنجام وأن تحول البرقيات في هنجام بين المكتبين ، وعلى أي حال فقد تقرر أنه اذا رغبت الحكومة البريطانية فسوف يسمح لموظف اشارات بريطاني في بندر عباس بتولى مسؤولية رسائل الحكومة البريطانية التي تَرِدُ او تُرْسَلُ من ذلك المكان . وباستثناء موظف الاشارات هذا وموظفي مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية الذين يمكن أن يصبح من الضروري

استخدامهم للعمل على صيانة الخط وإصلاحه فان الحكومة الايرانية لم تلزم نفسها بتعيين أحد إلا من الرعايا الايرانيين في هيئة الموظفين .

ونفذ الامتداد فوراً بما يتفق وشروط هذا الاتفاق وانشيء الاتصال بين هانجام والشاطئ في بندر عباس في ٣١ ديسمبر عام ١٩٠٥ ، ولكن نتيجة لصعوبات أثارتها الحكومة الايرانية كمكان مركز الشبكة والمكتب بايعاز من سيد ستاس مدير الجمارك البلجيكي في بندر عباس لم يفتتح الخط حتى ابريل عام ١٩٠٧ للاعمال العامة . وفي غضون ذلك بقي طرف الشاطئ تحت ادارة مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية .

★ ★ ★

الخط الارضي الايراني المركزى ١٨٩٨ ـ ١٩٠٧

في يونيه من العام ١٨٩٨ اقترح المستر «ب. ت. فنش» المدير المسؤول عن مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية مشروعاً تبنته حكومة صاحبة الجلالة من حيث المبدأ وهو يحدث في وقت قريب تغييراً كاملا في شبكة التلغرافات الهندية الايرانية القائمة ويجعل الانجازات التي تمت في الماضي قديمة وخاصة في الخليج .

أثر المشروع ومداه

وفي العام ١٨٨٣ عندما بدأ السلك الاول الموضوع بين جاشك وبوشهر يهترىء اقترح استبداله بخط ارضي بين جاشك وشيراز وتبعاً لذلك قام المستر «ج. ر. بريس» الموظف في مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية ، باستطلاع في يناير–مارس ١٨٨٤ للخط كله بين المكان الثاني والاول . واخيراً تقرر رفض المشروع واستبدل السلك القديم كما رأينا بسلك جديد في العام ١٨٨٥ .

وفي العام ١٨٩٨ عندما اقترب كل من الكابلين الموجودين في الخليج من المدة التي يمكن ان يتوقع بعدها عدم صلاحيتهما ، برزت المشكلة نفسها مرة أخرى في شكل جديد وعلى نطاق أكثر أهمية . وقد أثبتت التجربة أن الكابل في الخليج لا يدوم أكثر من ١٥ سنة . وكانت صيانة الخط الارضي بين كراتشي وجاشك صعبة ، كثيرة التكاليف ، بسبب قربها من البحر وارتفاع نسبة الرطوبة في الجو بسبب ذلك . أما الخط الممتد في اوروبا عن طريق العراق التركي وهو الذي قصد أصلا أن يخدمه الكابل الاول في الخليج فقد كان ما يزال يعمل بغير كفاية في الممتلكات التركية حتى إنه أصبح عديم الفائدة . ومن الناحية الاخرى فقد تقدمت كثيراً بلوجستان البريطانية خلال العشرين سنة الاخيرة وانشيء مؤخراً طريق مباشر للتجارة بين قويتا وسجستان . واذا أخذت هذه الظروف مجتمعة توضحت لنا الرغبة بنقل الاعمال التلغرافية من خط الخليج البحري ، وهو دائري بالنسبة لايران وان كان غير ذلك للعراق التركي ، الى خط ارضي مباشر يتجه كثيراً نحو الشمال بين الهند وايران

وفي الواقع كان اقتراح المستر «فنش» يقضي بالغاء الخط البري من كراتشي لجاشك وكذلك أحد الكابلات من جاشك لبوشهر ، ويجب ان يحدث ذلك عندما يتم الاتصال بين اوروبا والهند عن طريق وسط ايران وباستعمال مواد الكابل الملغي في اصلاح الكابل المتبقي والممتد من كراتشي الى الفاو عن طريق جاشك وبوشهر ، وبالتخلص كلية من الاتصال البرقي في الخليج وبالاحتفاظ بالخط الممتد بين بوشهر وأصفهان ليصبح بعد ذلك كفرع من الخط الايراني الاوسط . وقد قُدر ان طول الخط من كاشان الى كراتشي سيكون حوالي ١٤٠٠ ميل والخط الممتد من كاشان الى قويتا حوالي ١٣٠٠ ميل .

الاتفاقية الانجلو ايرانية للانشاء والعمل ١٦ اغسطس ١٩٠١

وبدأت المفاوضات مع الحكومة الايرانية لتنفيذ مشروع المستر «فنش» عن طريق الوزير البريطاني في طهران الذي لم يتمكن خلال

١٨٩٩ - ١٩٠١ من التغلب على اعتراضات الشاه ووزرائه ، فركز الاول على أن الاقليم البلوشي ذو طبيعة بدائية مما يجعل من المتوقع أن تحدث(١) حوادث مشابهة لحادث مقتل المستر «جراف» الذي ارتكب موخراً بينما يقترح الآخرون ان امتياز التلغراف للبريطانيين في الجنوب ربما يشجع الروس على طلب امتياز مماثل في الشمال وهو طلب سيكون من المستحيل رفضه . وفي الحقيقة يبدو أن الايرانيين ارتابوا أول الامر من ان يكون مشروع التلغراف الجديد يخفي تدبيراً سياسياً من جانب بريطانيا ، وحتى في أنه كان يقصد الاستفادة من المشاكل التي ربما تحدث باتخاذها حجة في إحضار قوات هندية الى البلاد .

وأخيراً وبعد أن ازيلت هذه المخاوف بصعوبة ، وقعت اتفاقية باسم الحكومتين االبريطانية والايرانية لانشاء اتصال تلغرافي بين اوروبا والهند عن طريق ايران في ١٦ اغسطس ١٩٤١ وذلك في تاج ريش بالقرب من طهران . ثم أبرمت الاتفاقية في يناير عام ١٩٠٢ . وتقرر بموجب هذه الاتفاقية الجديدة أنه بالاضافة الى الخط الحالي للتلغراف من طهران لبوشهر والخط البحري الى الهند سوف تمد الحكومة الايرانية خطاً ذا ثلاثة أسلاك وذلك من كاشان عن طريق يازد وكرمان الى حدود بلوخستان . وكان المفروض أن يتم الانشاء تحت اشراف وادارة مصلحة التلغراف الهندية الأوروبية في ايران على ان تدفع أجور العمال مقدماً ، وان تقوم الحكومة البريطانية بتزويد المواد المطلوبة كقرض يسدد دون فوائد . أما الخط الذي عند تكملته يجب ان يصبح ملكاً للحكومة الايرانية فكان يجب أن يؤجر الى مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية بايجار سنوي يعادل ٥ ١/٢ من تكاليف الانشاء الكلية . ولكن يجب ان تُستبقى ثلاثة ارباع هذا المبلغ سنوياً لدى الحكومة البريطانية حتى يتم تماماً تسديد المبلغ الذي دفع مقدماً . وعلى أي حال

(١) انظر تاريخ مكران الايرانية صفحة ٢١٩٥ . قتل المستر جريفز على نهر رابيه في مكران في ٢ ديسمبر سنة ١٨٩٧ .

كان هذا الشرط ، خاضعاً لمادة في الاتفاقية تقضي بأن لا يقل نصيب الأيجار الفعلي الناتج للحكومة الايرانية في أي سنة عن ٢٥,٠٠٠ فرنك . ويجب ان يكون دفع الايجار نصف شهري . أما صيانة الخط (بما في ذلك الاصلاحات) فيجب ان تكون بأيدي موظفي التلغراف البريطانيين وأن تسدد التكاليف بواسطة الحكومة البريطانية كما ان سلطات البرق البريطانية هي التي تعين حراس الخط الذين يجب أن يكونوا من الرعايا الايرانيين ، وهي التي تشرف عليهم وتدفع لهم اجورهم . وقد تحملت الحكومة الايرانية المسؤولية كاملة عن حماية الموظفين البريطانيين . والخط نفسه ايضاً . ولكن المهمة كانت تبسط بوضع الموظفين في مراكز مزدحمة بالسكان وبالزامهم طلب حراس قبل ذهابهم الى مناطق محددة تعتبر خطيرة ويجب ان يكون أحد الاسلاك الثلاثة المكونة للخط تحت تصرف ادارة التلغراف الايرانية للعمل المحلي بينما يحتفظ بالسلكين الآخرين للحركة الدولية .

وقد اضيف شرط اضافي في الاتفاقية لتحديد الدخل من الرسائل الواردة والرسائل الداخلية والعابرة . وأعلن أن مواد معينة من اتفاقية عام ١٨٧٢ صالحة لان تطبق على الخط الايراني المركزي . وكانت مدة الاتفاقية حتى اول يناير عام ١٩٢٥ أو لمدة أطول إن كان ذلك ضرورياً لتسديد الدين المستحق للحكومة البريطانية من الايرانيين لقاء عملية الانشاء . وقد احتفظ للحكومة البريطانية بالحق في ترك الخط في أي وقت بعد اعطاء إنذار مدته ستة شهور على شريطة إسقاط أي رصيد من الدين غير المسدد الذي يمكن أن يكون مستحقاً من ايران .

واشترطت المادة العاشرة وضع سلك اضافي على الخط الموجود بين طهران وكاشان ، ولكن وجد من الضروري تعديل هذه المادة عملياً كما سيتضح فيما بعد .

وقد بوشر بانشاء الخط الجديد الذي كان يتكون من ثلاثة أسلاك حديدية على أعمدة حديدية في كاشان في ٢ ديسمبر عام ١٩٠٢ ، وفي

٢١ يناير عام ١٩٠٤ تم مد الخط الى نقطة تبعد ٢٥ ميلا الى الشرق من «بام» . وكان يقصد أصلا أن يمتد الخط ميلا الى شرق بلوخستان البريطانية عن طريق بازمان ولكن اقترح الآن طريق بديل . وبعد فترة من البحث استؤنف العمل في ٢٤ فبراير ليس في اتجاه بازمان ، ولكن عبر الصحراء الى «كوهي ملك سيه» وهي ملتقى تقابل الاراضي البريطانية والافغانية والايرانية . وتم هذا التمديد ووصل بالشبكة البريطانية الهندية للتلغراف بالقرب من كوهي مالك سيه في ٩ مايو عام ١٩٠٤ . وعلى ذلك فقد تم الاتصال البري المباشر لاول مرة بين الهند وطهران . وكان التوسع عبر الصحراء في أول الامر بخط من سلك واحد منفرد موقت ، ولكن يفهم الآن أنه سيكون بصفة دائمة ويجوز في النهاية أن يصبح جزءاً من الخط الرئيسي بين الهند وايران .

وقد انتهزت فرصة انشاء الخط الايراني المركزي الجديد لتحسين وضع الخط الموجود جنوب كاشان وقد تم هذا بالغاء الخط المباشر بين كاشان واصفهان الذي عبر ممراً ارتفاعه ٨٧٦٠ قدماً وربط أصفهان مع اردستان وهي محطة على الخط الايراني المركزي بين كاشان ويازد . وبهذه الوسيلة تم الحصول على طريق مستواه أكثر انخفاضاً وحصل توفير دائم في بعض الحالات .

فرع كراتشي ١٩٠٥ – ١٩٠٦

وفي نهاية عام ١٩٠٤ اوصى المستر «ه. أ. كيرك» الذي خلف المستر «فنش» في أول ابريل ككبير مديري مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية بوجوب انشاء خط تلغراف جديد بين كراتشي عن طريق «لاس بيله» الى «بانجيكور» وان يوصل في النهاية بالخط الايراني المركزي . ولما كان هذا الاقتراح يخص الاراضي البريطانية فقط ، فقد صدق عليه في الحال . وبدئ العمل في ١٤ سبتمبر عام ١٩٠٥ ، وفي ٢٥ يونيه عام ١٩٠٦ أصبح الخط كاملا الى نانجيكور . وفي ٣ اغسطس التالي غادرت بانجيكور

فرقة استطلاع لفحص الطرق المختلفة التي يمكن بها(١) انشاء اتصال بين بانجيكور ومحطة على الخط الايراني المركزي .

ازدواج قسم طهران ـ كاشان ١٩٠٥–١٩٠٧

يوجد نص في المادة العاشرة من اتفاقية عام ١٩٠١ بوجوب إضافة سلك إضافي للخط الموجود بين طهران وكاشان ليتحمل الحركة الزائدة التي تلقى عليه من الخط الايراني المركزي الجديد . وقد اظهر فحص الخط القديم على أي حال ، من جهة بسبب قِدَم المواد ومن جهة أخرى بسبب أخطاء التخطيط لا سيما طول المقاييس غير المنتظم ، أن تركيب سلك اضافي لمجموعة الأعمدة نفسها يكون خطراً وأنه مطلوب خط جديد من الاعمدة . وبموافقة الحكومة الايرانية تقرر أن يقام خط جديد من الاعمدة ليحمل في أول الامر سلكين فقط ، واحد للخدمة المحلية لادارة التلغراف الايراني ، والثاني للاغراض الدولية . وكان من المتوقع ان يتم العمل في نهاية يونيه عام ١٩٠٧ .

(١) كان الطريق الذى أختير أخيرا يمتد من باجنكور الى فوك كوندي ، وهى نقطة على خط مصلحة التلغراف الهندي بين موشكي وربات . وأنشىء خط الى فوك كوندي وعملت وصلة في ربات مع الخط الايراني الاوسط بواسطة سلك أضيف الى الخط الهندي من فوك كوندي الى ربات . وأكمل الخط من بانجكور الى فوك كوندي في ٤ نوفمبر سنة ١٩٠٧ . وعن طريق العمل التلغرافي بين طهران وكراتشي تم في ٥ نوفمبر سنة ١٩٠٧ .

بيان ملحق رقم ١ ـ بيان عام عن فرع مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية سنة ١٩٠٦ بالخليج

الاسلاك والخطوط الارضية

فيما يلي قائمة بالاسلاك والخطوط الارضية التي تشرف عليها في الوقت الحاضر وتديرها مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية في الخليج وجواره :

١ ــ كابل من كراتشي لجاشك ، افتتح عام ١٨٦٨ . طوله ٥٢٨ عقدة ، وله محطتان في كراتشي وجاشك .

٢ ــ خط ارضي ذو سلكين من كراتشي لجاشك ، افتتح من كراتشي لجوادر عام ١٨٦٤ ، ومن جوادر لجاشك عام ١٨٧٩ ، طوله ٦٩٩,٨٥٠ ميلا ، له محطات في كراتشي ، اورماره ، باسني ، جوادر ، شاهبار وجاشك . وكانت هناك محطة من قبل في «سونمياني» ، بين كراتشي واورماره ، ولكنها أغلقت في عام١٨٧١

٣ ــ كابل من جاشك الى مسقط ، افتتح عام ١٩٠١ ، طوله ٢١٩ عقده ، له محطتان في جاشك ومسقط .

٤ ــ كابل من جاشك لهانجام ، افتتح عام ١٩٠٤ ، طوله ١٣٦ عقده ، ومحطتاه في جاشك وهانجام . ووضع هذا الكابل أصلا عام ١٨٦٩ كجزء من الكابل المباشر بين جاشك وبوشهر .

٥ ــ كابل وخط ارضي من هانجام لبندر عباس يعبر جزيرة قشم . تم عام ١٩٠٥ ، وطول الكابلات الاجمالي ١٧,٤٩١ عقدة ، وطول الخط الارضي ٣٠,٧٥ ميلا . محطتاه في هانجام وبندر عباس . وادارة هذا الخط الذي انشيء لصالح الحكومة الايرانية هي في الوقت الحالي في أيدي مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية بشكل موقت نظراً لأن التكاليف لم تسدد حتى الآن .

٦ ـ خط من هانجام الى ريشهر ، افتتح عام ١٩٠٤ ، طوله ٣٧٨,٥ عقده ، محطتاه في هانجام وريشهر . وكان هذا الكابل في الاصل جزءً من الكابل المباشر بين جاشك وبوشهر الذي رُكّب في العام ١٨٦٩ . ومن مكتب ريشهر تمتد خطوط ارضية محلية قصيرة إلى دار الاقامة البريطانية ومكتب التلغراف الايراني في مدينة بوشهر ولمنزل المقيم البريطاني الريفي في سايزاباد ، وتصل ريشهر بطهران عن طريق شيراز وأصفهان بخط ذي ثلاثة أسلاك واحد منهـــا في حوزة ادارة التلغراف الايرانية . وهذا هو في الوقت الحاضر الخط الرئيسي للادارة بين الهند واوروبا . وترسل الاشارات مباشرة بين كراتشي وطهران نظراً لتقوية التيار الكهربائي بطريقة آلية في محطتّي جاشك وريشهر المتوسطتين .

٧ ـ كابل من جاشك لريشهر ، افتتح عام ١٨٨٥ ، طوله ٥٢١,٦ عقدة محطتاه في جاشك وريشهر .

٨ ـ كابل من ريشهر الى الفاو ، أفتتح عام ١٨٦٤ ، وطوله ١٥٢ عقده ومحطتاه ريشهر والفاو .

والجدول الآتي يبين موظفي ومهام كل محطة على الخطوط المذكورة أعلاه والخطوط الارضية التي تخضع لادارة مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية بشكل دائم :

المحطة	عدد الموظفين	المهنة
كراتشي	١٩	مكتب تحويل (١)(*)
جاشك	١٠	محطة ترجمة (٢)
اورماره	٣	محطة مراقبة (٢)

(★) « مكتب تحويل » هو مكتب تحول فيه الحركة من ادارة الى أخرى ، وعلى ذلك تنقل الحركة في كراتشي وتتلقى من شبكـــة تلغراف الحكومة الهندية ، وفي فاو يتم التحويل والتسليم من محطة ادارة التلغراف التركية . ومثل هذه المكاتب ليست لها معاملات مـع الجمهور ونتيجة لذلك لا توجد معاملات نقدية .

باسني	١	«
جوادر	١	«
شهبار	٣	«
مسقط		مكتب ورود نهائي
هنجام	٣	محطة مراقبة حتى يفتتح الخط الى بندر عباس ، عندما تصبح محطة تحويل
ريشهر	١٤	محطة ترجمة
الفاو	٤	مكتب تحويل

ويرفع على جميع هذه المحطات العلم البريطاني .

سفينة الكابلات والمصنع

في يوليه ١٨٧٩ استبدلت سفينة الكابلات الاصلية «امبرويتش» بالسفينة « باتريك ستيوارت» وهي سفينة سرعتها أكبر — ٧ عقد — وسعتها أكبر . وفي سبتمبر عام ١٨٨١ أقيم في كراتشي مصنع كامل لصنع الكابلات وقد جعل المصلحة لا تعتمد على اوروبا فيما يختص بتزويدها بكابلات جديدة . ويمكن ان تصنع في كراتشي عقدة واحدة في اليوم .

المؤسسة

وتتكون هيئة الموظفين بفرع مصلحة التلغرافات الهندية الاوروبية في الخليج بما فيهم الموظفون الاصليون والإضافيون ممن ذكروا من قبل في المحطات أعلاه على الشكل التالي :

	عدد
الموظفون الرسميون	١٣
المؤسسة الطبية (*)	٤
كتاب الخدمة العامة (بما فيهم موظفو بواخر الكابلات)	٥٤
موظفو الاشارات في الخدمة المحلية	٢١
كتاب في المكاتب	٥
دائرة المكتب	٢٣
موظفو المشاغل الآلية	٤
دائرة الخط الارضي	١١٠
موظفو مصنع الكابلات	٣٧
طقم مصنع الكابل	٦٤
خدام في المكاتب	٨٦
المجموع	٤٢١

التمويل

يتنقل الموظفون الرسميون من وقت لآخر من مصلحة التلغراف الهندية الى الهندية الاوروبية . وكتاب الاشارة غالباً ما ينقلون ، ومن حين لآخر يحولون الى الاتجاه المضاد . ولكن لا يوجد ارتباط بين المصلحتين . ويتم توظيف غالبية موظفي مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية بشكل مستقل .

وبلغ مجموع مصاريف فرع مصلحة التلغرافات الهندية الاوروبية بالخليج ٦٧٨,٦٥١ روبية في ١٩٠٤–١٩٠٥ وبلغت حصة الخليج النسبية من المتحصلات المصلحية للسنة نفسها ١,٤٧٥,٩٥٧ روبية . وبلغت المصروفات الرأسمالية للمصلحة كلها في عام ١٩٠٤–١٩٠٥ مقدار

(*) يوجد مساعد جراح في كل من المحطات : جاشك ، بوشهر ، والفاو .

٢٧١,٧٨٣ روبية مما زاد المصاريف على حساب رأس المال الى ١٣,٩٧١,٥٧٨ وعلى هذا المبلغ تم الحصول على ربح صاف قدره ٦١٥,٩٢٤ روبية في السنة أي بنسبة قدرها ٤,٤ في المائة من المصروفات المالية .

★ ★ ★

بيان ملحق رقم ٢ ـ المعونات التى تدفع في مكران الايرانية لحماية الخط الارضي لمصلحة التلغراف الهندية ـ الاوروبية

تبين التقارير أدناه مبلغ المعونات السياسية البريطانية وتوزيعها باستثناء ما يدفع للحكومة الايرانية وهو ما يُنفق سنوياً على خط التلغراف الارضي في مكران الايرانية .

منطقة جاشك

تبلغ المعونة في منطقة جاشك ٨٤٠ روبية في السنة وتدفع لمشايخ جاشك مشتركين

تخصيص المعونات في منطقة «جيه» هو كما يأتي :

	روبية
زعيم جيه	١٠٠٠
مير دوست من قارون	٢٠٠
مير غلاي من قاروان	٢٠٠
مير شاه سوار من قاروان	١٠٠
مير عيسى شاعر خان من قاروان	١٠٠
مير جول محمد	١٠٠
مير سيد الله من بئر	٢٠٠

	روبية
مير باهي خان من كير	١٥٠
مير شاعر محمد من سيرجان	٢٠٠
حوت فقير محمد من باراج	١٥٠
مير عبده بن حيدر من بلالاك	١٠٠
مير شيه محمد بن ميرو من بنداني	١٠٠
غير منفقة	٤٠٠

ومنحت معونتا بالاك وباندانى اولا ابتداء من اول يناير عام ١٩٠٤ اما المعونات الاخرى فهي أقدم .

منطقة داشتياري

في منطقة داشتياري قسمت المعونة كلها وقدرها ١٠٠٠ روبية في السنة منذ اول يناير عام ١٩٠٤ بالتساوي بين مير عبدي خان ومير محمود خان ، وهما الزعيمان المشتركان ، وتوقفت المدفوعات التي كانت تدفع من قبل للروساء الاقل درجة .

منطقة باهو

حتى نهاية عام ١٩٠١ كانت المعونة في منطقة باهو تدفع كلها لرئيسها ، ومنذ اول يناير عام ١٩٠٢ بدأ تقسيمها بين الرئيس (٦٠٠) روبية ومير أحمد خان من باهو (٤٠٠ روبية) .

المجموع

سيرى ان مجموع مبلغ الاعانات الكلي في ايران هو ٥٨٤٠ روبية في السنة خصص منه أكثر من النصف لمنطقة (جيه) ، وتدفع معونات خلاف هذه الى بلوخستان البريطانية .

بيان ملحق رقم ٣ ـ بيان زمني باسماء كبار المديرين التابعين لمصلحة التلغراف الهندية الاوروبية

الاسم	المدة
الرائد باتريك ستيوارت (من المهندسين الملكيين)	من مارس عام ١٨٦٢ الى ١٦ يناير عام ١٨٦٥
العقيد ج. يو. شامبين حمل فيما بعد لقب الرائد سير ج. يو. بيتمان شامبين	١٧ يناير عام ١٨٦٥ الى ٣١ مارس عام١٨٦٥ بصفة موقتة
الرائد ف. ج. جولد سميد أصبح بعد ذلك القائد السير ف. ج. جولد سميد	اول يونيه عام ١٨٦٥ الى سبتمبر عام ١٨٧٠
الرائد سير ج. ي. بيتمان شامبين (انظر رقم (٢)	سبتمبر عام ١٨٧٠ الى اول فبراير عام ١٨٨٧
الرائد ر. موردك سميث أصبح بعد ذلك القائد السير ر. موردك سمنيث	من ٢ فبراير عام ١٨٨٧ الى ١٥ فبراير عام ١٨٨٨

(في الفترة من ١٦ فبراير عام ١٨٨٨ الى ٣١ مارس عام ١٨٩٣ كانت المصلحة تحت ادارة المدير العام للتلغراف في الهند)

الاسم	المدة
ب. ت. فنش المحترم	من اول ابريل عام ١٨٩٣ الى ٣١ مارس ١٩٠٢
هـ. ا. كيرك المحترم	منذ اول ابريل عام ١٩٠٢

بيان ملحق رقم ٤ ـ جدول زمني لمديري فرع مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية بالخليج

الاسم	المدة
هـ. اي. والتون المحترم (بلقب مدير ساحل مكران والتلغراف البحري)	أول اغسطس عام ١٨٦٤ الى ٧ ابريل عام ١٨٧٥ (عين المستر والتون عند بدء أعمال الانشاء في سبتمبر عام ١٨٦١)
ب. ت. فنش المحترم (بلقب نائب المدير حتى عام ١٨٨٣ ثم بعد ذلك بلقب مدير)	٨ ابريل عام ١٨٧٥ الى ٣١ مارس عام ١٨٩٣
ج. بوسمان المحترم	أول ابريل عام ١٨٩٣ الى ١٨ فبراير عام ١٨٩٧
ج. و. سيلي المحترم	١٩ فبراير عام ١٨٩٧ الى ٣١ يوليه عام ١٨٩٨
الرائد هـ. ل. ولز (من المهندسين الملكيين)	٣١ أغسطس عام ١٨٩٨ عندما مات
ج. و. سيلي المحترم	أول سبتمبر عام ١٨٩٨ الى ١٤ يناير عام ١٩٠٠
هـ. وتبي سميث المحترم	منذ ١٥ يناير عام ١٩٠٠

ملحـق ك

المواصلات البريدية ومكتب البريد الهندي في الخليج (★)

خط الخليج كطريق بري بين الهند وأوروبا

تفوق طريق الخليج في نهاية القرن الثامن عشر

كانت المصانع التجارية البحتة لشركة الهند الشرقية البريطانية في الخليج تعتمد في مواصلاتها مع العالم الخارجي على زيارات سفن الشركة من الهند. وقد ورثت هذا الوضع دور الاقامة والوكالات السياسية التي خلفتها. وعلى أية حال تمتعت البصرة منذ اوائل القرن الثامن عشر بميزة غير عادية من حيث الاتصال المباشر وان كان غير منتظم باوروبا عن

(★) المرجع الكامل الوحيد في هذا الموضوع هو مذكرة من مكتب البريد الهندي البريطاني في الخليج والعرب التركية سنة ١٨٨٨ للمستر ف. ب. أوشيا (نسخة مراجعة من المستر ف. هويمبر سنة ١٩٠٥)، ومن هذا العمل ومن السجلات السياسية لحكومة الهند عادة كتب هذا الملحق الحالي، وتاريخ البريد البري الهندي البريطاني الذى كتبه. لويبر مدير البريد في ميركورى ظهر في جريدة البريد الدولية « الاونيون بوستال في سنة ١٨٨٣ ، وتوجد منه ترجمة في مكتبة قسم الخارجية في سملا ، وتحتوى ملاحظات كابر سنة ١٨٧٥ بعض المعلومات الهامة فيما يختص بطريق البريد في أيامه بين أوروبا والبصرة. والمؤلف مدين للمفوضية البريطانية لصاحب الجلالة بالكثير من التصحيحات والاسهاب في مسودته وللعقيد ج. رامسي المقيم السياسي في بغداد ، والعقيد ب. كوكس المقيم السياسي في بوشهر ، وللمستر ف. ا. كرو قنصل صاحب الجلالة في البصرة. ومعلومات فيما يختص بوقائع معينة قد تفضل بايضاحها س. هـ. هاريزون نائب المدير العام لمصلحة البريد في الهند عن طريق صاحب السعادة السير م. فانشاو - المدير العام أيضا المستر و. ماكسول المدير العام القائم بالخدمة.

طريق حلب ، وفي نهاية القرن ، عندما انشيء اتصال كل اسبوعين بين بومباي والبصرة بواسطة سفن الشركة تم تنظيم خط من بريد الجمال بين البصرة وحلب تحت اشراف ممثل الشركة في البصرة واضيف اليه خط من بريد الخيل الى القسطنطينية . وكان طريق الخليج في ذلك الوقت هو اسرع طريق بين اوروبا والهند ، وكانت الحكومة البريطانية تستعمله بحرية أثناء الحروب النابليونية . ومع الاخبار الاخرى المثيرة في تلك الفترة كانت السلطات البريطانية في الهند تتلقى أخبار معركة النيل عن طريق البصرة . وفي العام ١٨٩١ تلقى المستر صمويل مانستي المقيم في البصرة شكر الحاكم العام في الهند «لمجهوداته في تسهيل الاتصال بين هذه الحكومة والجيش البريطاني الذي يعمل في مصر » .

الغاء طريق الخليج ليحل محله طريق البحر الاحمر البري سنة ١٨٣٣

أثناء الربع الاول من القرن التاسع عشر ظل البريد الرسمي لشركة الهند الشرقية أو بالاحرى ذلك الجزء منه الذي لم يكن يتنقل عن طريق البحر حول طريق رأس الرجاء الصالح ، ينقل عن طريق خط الخليج ، ولكن ترك ذلك الخط قبل مضي وقت غير طويل ، وحل محله طريق البحر الاحمر البري الذي افتتحت به خدمة طرادات الشركة التي تسير بين بومباي والميناء المصري القصير . والغي «بريد الصحراء» من البصرة الى حلب عام ١٨٣٣ ، ولكن حل محله عام ١٨٣٧ بريد الجمل بين بيروت والمحمرة عن طريق دمشق وهيت التي كان الجزء الغربي منها (هيت) تحت ادارة القنصل العام البريطاني في سوريا والباقي منها تحت إدارة المعتمد البريطاني السياسي في العراق التركي . وكانت نتيجة مداولات اللجان البرلمانية التي انعقدت في العامين ١٨٣٤ ، و ١٨٣٧ ، التبني بشكل نهائي لطريق البحر الاحمر . وعندما حاول الرائد « تشيزني » بعد استطلاعه لنهري دجلة والفرات ان يقنع الحكومة في الهند بأن تنشيء خطاً نهرياً كل اسبوعين بين بومباي والبصرة وان تعيد فتح طريق

الصحراء لم يلق أي قبول لآرائه . وفي أغسطس عام ١٨٣٧ ، غادر اول بريد شهري انجلترا الى بومباي عن طريق السويس . وفي الواقع اقترحت حكومة بومباي استخدام طريقي البحر الاحمر والخليج للمراسلات الرسمية شهرياً بالتبادل . ولكن مجلس مديري شركة الهند الشرقية أمر بوجوب استخدام خط الخليج في حمل نُسَخ الرسائل ، واستغلاله كاملا لهذا الغرض ، وكان لطريق البحر الاحمر ميزة كبيرة على طريق البصرة من حيث ملاءمتها تماماً للمسافرين وحركة البريد على حد سواء .

★ ★ ★

المواصلات بين الخليج والهند
١٨٣٣ ـ ١٨٦٢

توقف المواصلات لبضع سنوات سابقاً للسنة ١٨٦٢

في العام ١٨٣٩ تجدد الاهتمام نوعاً ما بطريق الخليج ، وقد ارسل مجلس مديري شركة الهند الشرقية الى البصرة ثلاث سفن أنشئت خصيصاً للأنهر لاستعمالها في نهر دجلة ، وبواسطتها انشئت محطة للبريد بين البصرة وبغداد . وفي العام ١٨٤٣ او ١٨٤٤ اعيد انشاء بريد الجمل بين العراق وسوريا ولكن في ظروف مختلفة فنقطة الانطلاق كانت الآن بغداد والنهاية بيروت والمحطة المتوسطة هي دمشق . وإذا كان الخط بعد فتحه خدم مصالح العراق التركي الا أنه يعد يضمن نصيباً من حركة المصلحة «الهندية الاوروبية» ويبين ذلك الحالة المحزنة التي وصل اليها الآن الاتصال المباشر بين الهند والخليج . ومن هذا الوقت فصاعداً وحتى العام ١٨٨٢ كانت المراسلات الموجهة الى الهند من بغداد والبصرة وحتى من بوشهر تتخذ طريقاً دائرياً عن طريق دمشق ، مصر ، والبحر الاحمر والاكثر غرابة هو ان المراسلات المرسلة من بوشهر كانت ترسل الى بغداد براً عن طريق طهران . ومن وقت لآخر كانت عودة احدى

سفن الاسطول الهندي من الخليج الى بومباي فرصة لاتصال أكثر مباشرة وفي هذا الوقت كان من النادر مشاهدة السفن التجارية البريطانية في الخليج .

استئناف الاتصال المباشر المنظم سنة ١٨٦٢

وضع العام ١٨٦٢ حداً للحالة الشاذة التي وصل اليها الخليج في صعوبة الاتصال ودخل في عصر سياسي وتجاري جديد(*) . إنه في الواقع حدد البداية الحقيقية للعصر الحديث في منطقة الخليج ، وإن كانت بداية متواضعة . لقد صدق وزير الدولة لشؤون الهند على إنشاء خط بواخر «للاغراض البريدية » لتسير بين بومباي والخليج ولتقف عند كراتشي في الطريق ولكن عدد الرحلات السنوية كان اول الامر محدداً بثماني ، وكانت البواخر تابعة لشركة الملاحة للبواخر الهندية البريطانية . وفي السنة نفسها قبل وزير الدولة لشؤون الهند عرضاً من شركة ملاحة بواخر الفرات ودجلة لتسيير باخرة شهرياً اوكل ستة أسابيع بين البصرة وبغداد ، وتتصل في البصرة بخط المحيط من بومباي وذلك على أساس معونة قدرها ٢٤٠٠ ج. ك في السنة .

(*) كان المشروع التلغرافي بلا شك مسؤولا لدرجة كبيرة عن احياء الاهتمام بالخليج . انظر ملحق التلغرافات .

خدمة بواخر البريد في الخليج
١٨٦٣ ـ ١٩٠٧

التقدم المطرد ١٨٧٨

لقد تحسنت باستمرار خدمة البريد في الخليج منذ انشائها في العام ١٨٦٢ ، وفي العام ١٨٦٨ أصبحت كل اسبوعين . وأخيراً في عام ١٨٧٤ نشأ(*) اتصال اسبوعي .

أحدث عقد بريدي

لقد تم أحدث تحسين في المواصلات بالبواخر والترتيبات البريدية في الخليج بموجب عقد في ١٠ نوفمبر عام ١٩٠٣ بين شركة الملاحة للبواخر الهندية البريطانية ووزير الدولة ، وكان العقد يقضي بتأسيس خدمة بريدية مزدوجة تحت اسم «خط رقم ١١» و «خط رقم ١٢» . وكان الخط رقم ١١ للمواصلات الاسبوعية بين كراتشي والبصرة عن طريق موانئ الخليج والعودة من الطريق نفسه ، بسرعة معدلها ٨ عقد في الساعة و «الخط رقم ١٢» للمواصلات الاسبوعية بين كراتشي والبصرة عن طريق موانئ الخليج الرئيسية والعودة من الطريق نفسها بسرعة معدلها ١٣ عقدة في الساعة . واحتُفِظ للشركة بحق جعل المواصلات بالخط رقم ١١ كل اسبوعين في الاوقات التي لا يحتاجون هم أنفسهم لشحنة اسبوعية بالاضافة الى الخدمة البريدية الاسبوعية السريعة «خط رقم ١٢» ولكن اتُّفِقَ في الوقت نفسه ، أنه في الاسابيع التي تلغى فيها مواصلات الخط رقم ١١ ، فان الموانئ التي كان يُنتظر أن تصل لها بواخر ذلك الخط يجب ان تذهب اليها بواخر (الخط رقم ١٢) فيما عدا الاوقات التي يمكن خدمتها عن طريق بواخر الخط رقم ١١ كل اسبوعين ،

(*) جدول العقود السابقة لعقد عام ١٩٠٤ الموضح في الفقرة التالية سيوجد في ملحق رقم ١ في هذا الملحق .

والمقصود هو عدم نقص عدد الزيارات المطلوبة . وقد سمح للشركة بعدم تسيير بواخر الخط رقم ١١ الى ما بعد بوشهر ، شرط عدم تأخير بواخر الخط رقم ١٢ لاغراض الشحن .

موانئ الوقوف بموجب العقد

ان موانئ الوقوف المحددة لخط الشحن البطيء رقم (١١) هي : كراتشي — باسني — جوادر — مسقط — جاشك — بندر عباس — لنجة البحرين — بوشهر — الكويت — الفاو — محمرة والبصرة ، ومن هذه كانت باسني وجوادر وجاشك موانئ للتوقف في كل رحلة بديلة ذهاباً واياباً ، على ان تمر السفن بلنجة والبحرين في كل رحلة للخارج ورحلة بديلة للداخل . وكل باخرة داخلية بديلة كان عليها المرور على الكويت(*) ، أما الباقي فيزار بانتظام في كل رحلة داخلية او خارجية . وبما ان الخدمة عن طريق هذا الخط البطىء تتم كل اسبوعين ، كان يجب ان تعامل البحرين كميناء وقوف في كل من الاتجاهين . وكان الحد الادنى لتوقف سفن الخط البطيء في كل ميناء ثلاث ساعات خلال النهار ، والموانيء التي حددت لخط البريد السريع (رقم ١٢) هي : كراتشي — مسقط — بوشهر — الفاو — المحمرة والبصرة . وكل منها تزار في كلتا الرحلتين (فيما عدا البصرة — نقطة العودة) .

سلطات الحكومة بموجب العقد

يعمل بالخط رقم ١١ للاتصال البطيء ، والخط رقم ١٢ يعمل به للاتصال السريع بين بومباي وكراتشي ، ولا يمكن أن يتم تغيير في هذه الناحية دون موافقة الحكومة . ويمكن للحكومة عن طريق ممثليها السياسيين الرئيسيين في أي اقليم تقع فيه هذه الموانئ المعنية أن تأمر بواخر الشركة بالتوقف في أي ميناء او موانئ في الخليج بالاضافة الى الموانئ

(*) للتغيرات التى تبعت ذلك في خدمة الكويت . أنظر الصفحة التالية .

التي ذكرت . ولكن بالنسبة للخط البطيء فان مدة الرحلة كلها يجب حينئذ ان تحدد نسبياً ، وفي حالة الخط السريع فان ممارسة هذه السلطة يتوقف على شرط عدم الزيادة في النفقات المقررة على الشركة . وهذا الشرط الاخير لا ينطبق على الزيارات الاضافية المترتبة على الانقطاع في السير الاسبوعي للخط رقم ١١ . وللحكومة السلطة ، عن طريق الموظفين أنفسهم في حجز اوتغيير موانيء المرور للسفن ، ولكن هذا لا يضمن سلطة جعل اي سفينة تعود او تنحرف عن رحلتها المنتظمة .

مدة العقد والاعانة المتوجبة بمقتضاه

بدأ العمل بالاتفاقية الجديدة في أول مايو من العام ١٩٠٤ ، على ان تستمر حتى تاريخ انتهاء عقد البريد الشرقي التالي شرط ان لا تقل المدة عن ٧ سنوات وان لا تتعدى فترة ١٠ سنوات وتسعة شهور من تاريخ بدايتها(*) . والاعانة السنوية كلها بموجب هذا العقد التي تدفع بواسطة الحكومة الى شركة ملاحة البواخر الهندية البريطانية نظير خدماتها في الخليج هي ٤٢٦,١٢٤ روبية ومن هذا مبلغ ٣٠٠,٠٠٠ روبية لحساب الخدمة البريدية السريعة . وللشركة الحق في انهاء الاتفاقية بالنسبة لخط الخليج السريع وذلك بعد انتهاء السنوات الثلاث الاولى من المدة المحددة للاتفاقية شريطة توجيه انذار كتابي بهذه الرغبة عند نهاية السنة الثانية من المدة . وفي حالة ممارسة هذا الحق فان لحكومة الهند الخيار في استمرار باقي العقد باعانة كلية للشركة قدرها ٧٠٠,٠٠٠ روبية في مقابل المعونة الكلية الحالية وقدرها ١,٠٠٠,٠٠٠ أو انهاء العقد كلية .

(★) عقد البريد الشرقي لسنة ١٨٩٧ الذى كان ينتظر انتهاؤه في ٣١ يناير عام ١٩٠٥ امتد لثلاث سنوات ، أي الى ٣١ يناير عام ١٩٠٨ . وفي أغسطس عام ١٩٠٧ عقد عقد جديد مع شركة ملاحة البواخر الشرقية وشبه الجزيرة الذى نفذ في أول فبراير سنة ١٩٠٨ وسينتهي في ٣١ يناير عام ١٩١٥ . والغرض من هذه المدة الطويلة الشاذة التى اتفق عليها مع شركة ملاحة البواخر الهندية البريطانية كانت لضمان الدخول في وقت واحد في عقود مع كل من الشركتين .

تحسين الخدمة في موانيء معينة منذ ١٨٩٨

بموجب شروط السرعة الواردة في الاتفاقية ، تستغرق الرحلة الدائرية من كراتشي والعودة اليها حوالي ١٢ يوماً بالنسبة للبواخر السريعة ، وحوالي ثلاثة أسابيع للبواخر البطيئة . واصبح لمسقط التي لم يكن يزورها حتى عام ١٨٩٨ سوى باخرة واحدة كل اسبوعين في أي اتجاه ــ باخرة أسبوعية سريعة وواحدة أسبوعية بطيئة في كلا الطريقين . وبدأ التحسين عندما تقرر في ١٨٩٨ أن تقوم الباخرة البطيئة الاسبوعية العائدة الى الهند بزيارة للمنطقة ، وكان ذلك بناء على طلب من الجالية التجارية الهندية . وفي بداية العام ١٨٩٩ أصبح التوقف بها اسبوعياً أيضاً خلال الرحلة الخارجية . وتمت الترتيبات تبعاً لذلك لتنفيذ آخر عقد دون تعديل ، لتشمل الكويت ابتداء من اول ديسمبر ١٩٠٤ في الخدمة السريعة الاسبوعية ، ولكن في يوليه عام ١٩٠٥ ، وبناء على رغبة الشركة ، انقضت خدمة الكويت الى بريد بطيء كل اسبوعين ، ومرة أخرى في اكتوبر من السنة نفسها أصبحت الخدمة اسبوعية بالبواخر البطيئة والسريعة بالتبادل وذلك بناء على طلب حكومة الهند . وكانت دبي ميناء توقف كل أسبوعين للبواخر البطيئة في الرحلة الخارجية منذ ١٠ يونيه عام ١٩٠٤ ، وتزار أيضاً في رحلة العودة عندما تدعو الحاجة وتعززت الخدمة السريعة في الخليج بعدة شهور في شتاء ١٩٠٤ــ١٩٠٥ ببواخر طوربينية تستطيع السير ١٨ عقدة في الساعة ، ولكنها سحبت بعد ذلك لأنها كانت لا تستطيع أن تشق طريقها في الطين في بر شط العرب لان لوالبها الصغيرة السريعة الدوران كانت تسد بسرعة .

خدمة بواخر البريد في دجله
١٨٦٣ ـ ١٩٠٧

١٨٦٣ ـ ١٨٦٦

كانت هذه الخدمة في العام ١٨٦٣ تتم وفقاً لاتفاق بين شركة ملاحة بواخر الفرات ودجلة ووزير الخارجية لشؤون الهند ، وبموجب العقد(*) الاول كانت الاعانة ٢٤٠٠ جنيه استرليني في السنة ، وكانت الخدمة كل ستة أسابيع مرتبطة بالزيارات التي تقوم بها كل سنة أسابيع بواخر شركة الملاحة للبواخر الهندية البريطانية في البصرة والتي نظمت عام ١٨٦٢ ، وكانت حكومة الهند هي التي تدفع المعونة كلها منذ البداية . ولسنوات عديدة تمتعت شركة ملاحة بواخر الفرات ودجلة بالاحتكار الفعلي لحركة النهر ، وكان المنافس الوحيد لها القوارب الاهلية التي كانت تقوم بالرحلة من البصرة الى بغداد في ٣٠ أو ٤٠ يوماً في حين كانت البواخر تستغرق ٤ أو ٥ أيام في مثل هذه الحالة . وفي العام ١٨٦٦ رفعت إعانة دجلة الى ٤٨٠٠ جنيه استرليني في السنة على اعتبار أن الخدمة كل اسبوعين . وبدأت الشركة من تلقاء نفسها في تسيير ثلاث بواخر في الشهر تتوقف عند عمارة ـ كوت العمارة وأمكنة أخرى متوسطة بين البصرة وبغداد وذلك لكي تنتهز فرصة الشحن المتزايدة وحركة المسافرين .

١٨٦٧ ـ ١٨٧٠

وفي العام ١٨٦٧ أنشئت مصلحة رسمية تركية معروفة بخط عمان العثماني ، كخدمة منافسة في الدجلة بغرض صريح هو التخلص من السفن البريطانية في النهر ولكنها أديرت ادارة سيئة وأشرفت أثناء الجزء الاكبر

(*) يرد جدول بجميع العقود لهذه الخدمة حتى هذا التاريخ في الملحق رقم ٢ لهذا الملحق .

من وجودها على شفا الموت ، وفي العام ١٨٦٩–١٨٧٠ تقدمت الشركة رغم فشلها الذريع باقتراح رسمي للحصول على العقد الذي كان مع الشركة البريطانية منذ اول يوليه عام ١٨٦٣ لنقل البريد البريطاني ، ولكن الاقتراح رفض لاعتبارات عملية ، ولاسباب سياسية أيضاً .

١٨٧٥ – ١٨٨٣

وفي عام ١٨٧٦ انقصت اعانة شركة ملاحة بواخر الفرات ودجلة الى ٣٦٠٠ جنيه استرليني في السنة وقيدت الشركة نفسها بالرغم من ذلك بالاحتفاظ بخدمة ثلاث بواخر في الشهر . وكانت الشركة في هذا الوقت راغبة رغبة أكيدة في الحصول على امتياز لاضافة باخرة ثالثة على اللتين في حوزتها من قبل في الدجلة . وفي عقد عام ١٨٧٦ تعهدت بتقديم خدمة اسبوعية بمعونة إضافية مخفضة قدرها ٢٤٠٠ جنيه استرليني في حالة ما اذا نجحت الحكومة البريطانية في اقناع الباب العالي بمنح الترخيص اللازم وفي العام ١٨٧٨ قامت الشركة، دون أي تغيير في العقد او اضافة باخرة ثالثة لاسطولها الصغير ، بانشاء خدمة اسبوعية في كلا الاتجاهين بين بغداد والبصرة ، استمرت بلا انقطاع حتى اليوم . وفي ١٨٨٣ ارسلت الشركة باخرة ثالثة الى البصرة . ولكن الحكومة التركية لم تسمح باستعمالها قبل العام ١٩٠٥ الا في بعض الاحيان كبديل موقت لواحدة من الباخرتين الأخريين ، وحتى ذلك الوقت استخدمت بصفة اساسية في خط نهر قارون التابع للشركة .

١٨٨٤ – ١٨٩٨

في العام ١٨٨٤منح عقد جديد لشركة الفرات ودجلة لحمل البريد ، وبموجب هذا الاتفاق الجديد تخلصت الشركة صراحة من تبعة حمل المسكوكات والاشياء القيمة الاخرى التي ترسل بالبريد مجاناً . وكان في هذا التغيير فائدة كبيرة للشركة ، خاصة وان الاعانة بقيت محدودة بمبلغ ٣٦,٠٠٠ روبية في السنة . وجدد العقد مرة أخرى في العام ١٨٩٤ ،

ولكن الاعانة السنوية انقصت الى ٢٤,٠٠٠ روبية وهو مبلغ اتضح أنه يكفي فيما يختص بالخدمات التي تقوم بها وللحالة المزدهرة لاعمال الشركة .

آخر تعاقد وشروطه ١٩٠٤

وفي العام ١٩٠٥ تجدد عقد البريد بين وزير الدولة لشؤون الهند وشركة الفرات والدجلة لمدة عشر سنوات ابتداء من اول مايو عام ١٩٠٤ واستمرت الاعانة بمعدل ٢٤,٠٠٠ روبية في السنة . وكانت الشروط الرئيسية هي أن الشركة يجب ان تسير باخرة أسبوعية في كلا الاتجاهين بين البصرة وبغداد ، وان بريـــد صاحب الجلالة ومسكوكات الحكومة يجب ان تحمل مجاناً بناء على المعونة او ان بواخر الخط يجب أن توضع تحت تصرف الحكومة ، بسعر محدد في العقد ، اذا طلبت في أي وقت لنقل القوات او المخازن ولجر المراكب او لاي غرض آخر . ويتضمن العقد أيضاً بنداً لتنظيم مواعيد الوصول والرحيل وأماكن وقوف البواخر ، ويمكن التجاوز عن اسباب الفشل في القيام بواجبات التعاقد اذا نشأت عن حادث او قلة الماء في أيام الجزر أو ظروف أخرى خارجة عن ارادة الشركة او عندما تكون التزامات العقد الدقيقة لا تتفق مع المطالب المعقولة لتجارة الشركة العادية . ولكن الشركة تتعرض في حالة التأخير دون مبرر موجب لعقوبة قدرها ١٥ روبية تدفع عن كل ساعة تأخير .

★ ★ ★

انشاء مكاتب البريد الهندية في الخليج
١٨٦٤ ـ ١٨٩٢

لقد اثارت اعادة فتح الاتصال المباشر في عام ١٨٦٢ بين الهند والخليج المطالبة بوجود مكاتب بريد منظمة تنظيماً صحيحاً . ولفترة ما كانت الخطابات تأتي في لفائف من بومباي وكراتشي الى البصرة وموانئ أخرى في الخليج وتوزع بواسطة وكلاء شركة الهند البريطانية الذين كانوا ايضاً يجمعون المراسلات الصادرة ، ولكن طرق التوزيع والبريد كانت بدائية وغير مرضية ، وكان يدفع أجر بعض الخطابات مقدماً بطوابع البريد الهندية ، ولكن معظمها كان إما لا يدفع له وإما ان يكون الاجر ناقصاً ، ولم تبذل أية محاولة لتحقيق مستحقات البريد على حقيقتها .

وبعد ان أصبحت الحاجة واضحة لايجاد نظام بريدي افضل ، قررت حكومة الهند ، بناء على توصيات الموظفين السياسيين المحليين ، إيجاد مثل هذا النظام . ففتحت مكاتب بريد في مسقط وبوشهر في اول مايو عام ١٨٦٤ ، وفي لنجة وبندر عباس في اول ابريل عام ١٨٦٧ ، وفي البصرة وبغداد في اول يناير عام ١٨٦٨ ، وفي جوادر في ١٢ ابريل عام ١٨٦٨ ، واضيفت مكاتب بريد أخرى لتكلمة النظام ، وكان ذلك في جاشك في اول سبتمبر عام ١٨٨٠ ، وفي البحرين في اول أغسطس عام ١٨٨٤ ، وفي المحمرة في ١٩ يوليه عام ١٨٩٢ .

★ ★ ★

النظام والرقابة والتفتيش على مكاتب بريد الخليج
١٨٦٤ ـ ١٩٠٧

النظام

لقد كان هنالك تفاهم ضمني منذ البداية بأن يخضع موظفو البريد المسؤولون عن مكاتب الخليج في غير الشؤون الداخلية للدوائر لسلطة الموظفين السياسيين الذين تقع هذه المكاتب في دائرة اختصاصاتهم . وفي بعض الحالات يدير المكاتب اولا اعضاء من الدوائر التابعة للموظفين السياسيين ، ولكن دون تحديد قواعد صريحة . مما خلق احتكاكاً مؤسفاً خاصة في مسقط والبصرة حيث نجح نظّار مكاتب البريد لفترة ما في التخلص من قيود نظام الدوائر ومن السيطرة السياسية أيضاً . ومنذ عام ١٨٧٩ كان ناظر بريد بومباي العام يعامل بصفة ثابتة مكاتب الخليج على أنها تابعة للمنظمات السياسية والقنصلية المتصلة بها ، ولكن ذلك لم يمنع حدوث المتاعب في البصرة عام ١٨٨٢–١٨٨٣ ، وفي عام ١٨٨٤ ، على أي حال ، أعطت حكومة الهند حكماً واضحاً بالنسبة لوضع نظّار البريد في البصرة وبغداد ، ومنذ هذه السنة لم تعد هناك تبعية .

الاشراف

كانت مكاتب البريد في الخليج اول الامر منضمة الى دائرة البريد في بومباي ، ولكن في عام ١٨٦٩ انتقلت الى دائرة السند ووضعت تحت رقابة كبير مفتشي مكاتب البريد في السند وفي عام ١٨٧٩ أعيدت مرة أخرى لبريد بومباي ، وأصبحت مرة أخرى تحت سلطة ناظر البريد العام في بومباي . وفي عام ١٨٩٢ كونت مكاتب بريد الخليج ، بما فيها مكاتب العراق التركي ، جزءاً منفصلا كأقسام ، ونظراً لطبيعة الواجبات الخاصة بالتعين اصدر امر بأن يشغلها الاوروبيون ، وكان أول مشرف على قسم الخليج المستر «اوشيا» الذي عيّن في سبتمبر عام ١٨٨٣ ، وقد

قام بزيارات عديدة الى جميع المكاتب التي تحت إشرافه ، كما انشيء تحت رعايته مكتب بريد البحرين ، وخدمة بريدية لمدينة قشم . وفي عام ١٨٧٩ نقل مقر اشرافه الذي كان حتى ذلك الوقت في بومباي الى بوشهر خلال الجزء الاكبر من السنة ، وكان خلال شهور يونيه ويوليه واغسطس مضطراً لأن يكون في بومباي . وفي عام ١٨٩٢ تغيرت التنظيمات مرة أخرى وأصبح مكان المشرف في بومباي على ان يقضي اربعة شهور من السنة في رحلة تفتيشية على المكاتب التابعة له . ومن عام ١٨٩٣ الى عام ١٨٩٩ زيدت عليه ، الى جانب الخليج ، مسؤولية المكاتب الفرعية في مدينة بومباي ، ولكنه أعفي من هذا الواجب في السنة التالية وفي عام ١٩٠٠ زوّد بسكرتير شخصي له .

وقام بأول تفتيش على التنظيمات البريدية في الخليج المستر «فيارس» ، وهو موظف في دائرة بومباي وكان ذلك في العام ١٨٦٧ عندما لم يكن هناك مكاتب بريد منظمة موجودة حتى ذلك الوقت الا في مسقط وبوشهر ، ولكن الخطابات كانت توزع بطريقة غير رسمية وتجمع للارسال في أمكنة مختلفة بواسطة الموظفين السياسيين او بواسطة وكلاء شركة الهند البريطانية . وقد القت رحلة المستر «فيرس» الضوء على عدد من الاخطاء والفوضى خاصة في المكاتب التي ليست لها لوائح . واتخذت الخطوات لازالتها ، وكان من بين نتائجها الهامة تأسيس مكاتب بريد منظمة ببندر عباس ولنجة والبصرة وبغداد ، وكانت اول الامر على أساس أنها تجربة ، وقد نفذ التفتيش التالي بواسطة كبير مفتشي مكاتب البريد في السند والخليج عام ١٨٦٩ ، ولم يكن هناك تفتيش للمكاتب أكثر من ذلك حتى عام ١٨٧٩ عندما مات المستر «كارتر» الموظف لهذا الغرض في أثناء رحلته ودفن في جاشك . وقد تقرر في عام ١٨٨٠ وجوب تفتيش مكاتب بريد الخليج في المستقبل مرة في السنة بواسطة مشرف بريدي مؤهل او موظف آخر ، ولكن الاشراف على الدوائر لم يبدأ حتى عام عام ١٨٨٣ وأصبح منذ تلك السنة دقيقاً ومستمراً .

الاعمال العامة في مكاتب بريد الخليج
١٨٦٤ ـ ١٩٠٧

كانت مكاتب بريد الخليج منذ تاريخ انشائها حتى عام ١٩٠٣ تعامل على أنها تابعة في كل شيء للنظام الداخلي الهندي . أما التغييرات التي تمت عام ١٩٠٣ والتي ستوضح هنا بعد ذلك فكانت جزئية فقط لا تؤثر في الاجراءات الداخلية ولا تزال المكاتب يتعامل كل منها مع الآخر ومع المكاتب في الهند على المستوى نفسه وكأنها تقع في الهند .

وسنتحدث الآن فقط عن أمور العمل التي هي نوعاً ما عامة في القسم كله ، وأما المسائل التي تخص المكاتب المنفردة او المكاتب التي تكون في منطقة سياسية فسنعالجها على حدة بعد ذلك .

فقدان مراسلات وزارة الخارجية من الخليج ومن بغداد ١٨٧٧ـ١٨٧٩

في العام ١٨٧٧ـ١٨٧٩ لم يصل عدد من الخطابات الرسمية الموجهة لموظفين في إدارة الخارجية بحكومة الهند من المقيمين في بوشهر وبغداد الى المعنونة لهم بالضبط ، بينما تأخرت خطابات أخرى كثيراً في الارسال ، واحد منها من بوشهر سلم في ٦١ يوماً بدلا من ٢٠ يوماً ، وواحد من بغداد سلم في ٤٩ يوماً بدلا من ٢٨ يوماً من ارساله . وفي غير مناسبة اختفت ايضاً صـــــور أرسلت بصفة خاصة الى ادارة الخارجية بدلا من الاصول المفقودة ، وكل ما فقد كان ٤٧ خطاباً في الخليج و ٥ من خطابات بغداد في عامي ١٨٧٧ ، ١٨٧٨ وفي عام ١٨٧٩ كانت هناك حالتان جديدتان من عدم تسليم الرسائل . وكانت بعض الوثائق المفقودة هامة وبعضها غير هام . وعلى أي حال فان مراسلات المقيم في الخليج مع حكومة بومباي استمرت تصل بانتظام تام . وفي مناسبة واحدة عرف أن خطاباً مسجلا مفقوداً ثبت عن طريق الايصال أنه وصل ادارة الخارجية ، ومن هذه الظروف كان هناك شك في أن

المسألة لم تكن في الواقع ضياعاً أو تأخيراً من مكتب البريد ، ولكنه ضياع بعد الاستلام .

حقائب البريد الشخصية ١٨٨٢ – ١٩٠٧

وكان أحد المظاهر الخاصة بقسم بريد الخليج هو نظام حقائب الخطابات الشخصية الذي وضعته السلطات البريدية لراحة القناصل العامين البريطانيين في بوشهر وبغداد ، وللقناصل في مسقط والبصرة . وقد بدأ هذا النظام بناء على طلب قدمه في عام ١٨٨٢ الرائد « روس » المقيم السياسي والقنصل العام في الخليج يطلب فيه نقل حقيبة خاصة من السفينة في الميناء مع سرعة التسليم على ان تعامل هذه الحقيبة بالطريقة نفسها التي تعامل بها حقائب سفن صاحبة الجلالة في الخليج . وتمت الموافقة على طلب الرائد « روس » ووضعت الحقيبة أول الامر للمقيم في الخليج في بومباي . وفي العام ١٨٨٤ قام مكتب البريد من تلقاء نفسه بعمل حقائب مشابهة للموظفين الآخرين الذين يتمتعون في الوقت الحاضر بالامتيازات نفسها . ويجري العمل بهذا البريد الخاص في كل من مكتب بريد بومباي كراتشي البحري وفي مكتب البريد في كراتشي .

التأمين البريدي ١٨٧٨ – ١٩٠٧

أدخل التأمين البريدي في الهند من اول يناير عام ١٨٧٨ وشمل في الوقت نفسه مكاتب البريد في الخليج ، ولكن الحالات الشاذة التي كانت تتم بها التجارة في الخليج أدت في الواقع الى سوء استعمال نظام التأمين ، الامر الذي أدى في النهاية الى وقف العمل بهذا النظام .

لقد أفادت التسهيلات التي قدمت لارسال النقود المؤمن عليها بالبريد التجار اليهود والامريكيين في بغداد ، والى حد بسيط تجار البصرة لارسال النقود الى بومباي ، خاصة للشركات اليهودية ، لدفع قيمة الحوالات المالية التي بواسطتها كانت تسدد ديون المرسلين الى الدائنين

الاجانب . وارتفعت القيمة الكلية للتأمينات البريدية في بغداد من ٢٧,٠٠٠ روبية عام ١٨٧٨–١٨٧٩ إلى ما يزيد على ٢٤ لاك من الروبيات في عام ١٨٨٢ – ١٨٨٣ ، وفي ١٨٨٤ احتجت شركتا الملاحة التجارية ودجلة والفرات ضد هذا التحول في العمليات البريدية على أساس أنها لم تسلب منهما فقط جزء كبير من الدخل من حمل المسكوكات «النقدية» بل حملتهما التزامات أكثر ثقلا عما كان يعتقد في العقد الذي عقدتاه لحمل البريد البريطاني . وفي العام ١٨٨٤ اثير التساؤل نفسه في البحرين ، ولكن بشكل يختلف اختلافاً بسيطاً حيث استفاد تجار اللؤلؤ عند إنشاء مكتب بريد هناك من نظام التأمين لارسال كميات كبيرة من اللآلىء الثمينة الى الخارج . وبهذا العمل كانت شركة ملاحة البواخر الهندية–البريطانية هي الخاسرة الأساسية واحتجت ايضاً ضد منافسة مكتب البريد في حمل تجارتهم المشروعة . واتضح لحكومة الهند أن وجهة نظر الشركتين معقولة ، وبما أنه كانت هناك مخاطرة في ضياع المسكوكات (النقود) ، وبصفة خاصة في النقل من باخرة الى اخرى في البصرة ، او عندما كانت تودع هناك في مكتب بريد بلا حراسة ، فقد الغي نظام التأمين ابتداء من اول يوليه عام ١٨٨٥ فيما يختص بالمواد المرسلة الى او بين مكاتب بريد قسم الخليج . وشجع الغاء التأمين على طلب الحوالات المالية ، ولكن كانت هناك خسارة في دخل مكتب البريد الذي كان يقدر في السنوات التي أعقبت التغيير مباشرة بما يزيد على ١٨,٠٠٠ روبية في السنة ، وساد اول الامر ما يشبه الشك بين تجار بغداد المحليين اذ تأثرت طريقتهم المرعية في انجاز الاعمال بشكل كلي .

مطالب الجمارك الهندية ١٨٩٤ – ١٩٠٧

في العام ١٨٩٤ ونتيجة لاصدار قانون التعريفة الهندية امر بلزوم إرفاق شهادات جمركية بجميع الطرود المرسلة من مكاتب بريد قسم الخليج .

التاريخ المختصر لمكاتب البريد الهندية
والمحطات البريدية في الخليج
١٨٦٤ ـ ١٩٠٧

قبل ان ننتقل الى مناقشة المشاكل السياسية التي قامت فيما يختص بمكاتب البريد الهندية البريطانية والعراق التركي ، فمن الانسب ان نلخص تاريخ كل من مكاتب الخليج(*) على حدة .

مسقط ١٨٦٤ ـ ١٩٠٧

افتتح مكتب البريد في مسقط في اول مايو عام ١٨٦٤ ، وكان يقوم بمهمة ناظر البريد اول الامر موظف من دائرة الخدمات الطبية الهندية مسئولاً عن الرعاية الطبية لدار الاعتماد البريطانية وكان ذلك باشراف المعتمد السياسي ، وجرى العمل البريدي في مبنى استأجر لذلك في المدينة . وفي العام ١٨٦٦ ، أثناء القلاقل التي صاحبت اعتلاء سالم سلطنة عُمان ، لم تتوقف البواخر في مسقط بين مارس ويونيه ، وأغلق مكتب البريد بصفة موقتة .

وفي العام ١٨٦٩ وجد انه من الضروري نتيجة لزيادة الاعمال البريدية أن يعين ناظر بريد بشكل دائم من الهند ، ولكن هذا التغيير أثار المتاعب التي استمرت حتى العام ١٨٧٢ . وبموجب النظام الجديد كان ناظر مكتب البريد يتمتع بسلطات مستقلة عن المعتمد السياسي . وفي العام ١٨٧٢ قبلت الوكالة المحلية شركة خط عمان العثماني للبواخر وهي شركة تركية بتحيز منه وهذا أدى الى إبعاده عن مركز مسقط وطرده من مصلحة البريد . والذي جاء بعده كان فاسداً وغير جدير بالاحترام لذلك نقل الى وظيفة أخرى . وفي العام ١٨٧١ أثناء النزاع بين تركي وعزان بالقرب

(★) جدول بمكاتب البريد الموجودة في الخليج وتفاصيل عن الموظفين .. الخ .. تكون الملحق رقم ٣ لهذا الملحق .

من مسقط. وضع مكتب البريد في الميناء لايام قليلة على السفينة « بيل آيلر » من «ساندرلاند» .

وفي العام ١٨٧٣ ، ولتجنب المشاكل الادارية التي قامت ، وجد مكان لمكتب البريد في الدور الارضي للوكالة البريطانية واندمج موظفو البريد مع مكتب المعتمد السياسي .

وفي العام ١٨٨٠ ونتيجة لزيادة عمل الوكالة وايضاً الاعمال البريدية التي ازدادت نتيجة لنظام الحوالات المالية ، أعطي لمكتب البريد في مسقط كيان رسمي منفصل مرة أخرى ، ولكن استمر مكانه في الوكالة وبقي ناظر البريد خاضعاً لسلطة المعتمد السياسي الا في الشؤون الداخلية ، وهو نظام ما زال قائماً . وفي العام ١٨٨٦ نزعت عن مكتب مسقط صفة المكتب الرئيسي وهو الوضع الذي كان يتمتع به حتى ذلك الوقت ، وأصبح مكتباً فرعياً .

ولمنع التهريب في مسقط كانت الطرود التي تصل بالبريد تسلم في أول الامر الى العناوين الخاصة بها في أوقات محددة بحضور عضو من مصلحة جمارك السلطان ، وكانت الصحف التي تعتبر موضع اعتراض من سلطان مسقط تجمد منذ مارس عام ١٩٠٢ في مكتب البريد ثم ترسل الى مكتب الرسائل الميتة في بومباي .

البحرين ١٨٨٤ — ١٩٠٧

افتتح مكتب بريد في البحرين في اول اغسطس عام ١٨٨٤ تحت اشراف المستر «أوشيا» ، اول مشرف على قسم الخليج ، وكان المكتب يقع حتى تعيين موظف سياسي اوروبي في البحرين في منزل وكيل دار الاقامة في المنامة وهي العاصمة التجارية للجزر ، وقبل هذا من العام ١٨٧٥—١٨٨٤ كان الوكيل المحلي لشركة ملاحة البواخر الهندية البريطانية في البحرين يتلقى منحة صغيرة من مصلحة البريد لقاء قيامه ببعض المهام في مكتب البريد ولكن واجباته وان كانت بسيطة لم تكن تؤدي بصفة

مرضية ، وقد تحدثنا من قبل عن الغاء التأمين البريدي في البحرين والزيادة الناتجة في أعمال الحوالات المالية كذلك ارتفعت العمولة على الحوالات المالية في البحرين الى ٢٪ حوالي العام ١٨٩٠ بناء على شكوى من شركة الملاحة البخارية الهندية البريطانية في أن مبالغ كبيرة من النقود كانت تحمل في حقائب البريد بين البحرين وبوشهر مسببة خسارة لها في الشحن وزيادة كبيرة في مسؤولياتها .

الكويت ١٩٠٤ — ١٩٠٧

طلب شيخ الكويت عام ١٩٠١ فتح مكتب بريد هندي في مينائه . وعندما تم تعيين وكيل سياسي بريطاني للكويت كان يصاحبه مساعد جراح كان عليه ان يتولى ، ضمن أشياء أخرى ، مسؤولية الاعمال البريدية ، ولم يفتتح حتى الآن مكتب بريد منتظم بسبب المشكلات السياسية ولكن الخطابات الرسمية والخاصة كانت ترسل وتسلم للتوزيع ، وفي عام ١٩٠٤ تم التوصل الى اتفاق (يوجد نصه في المذكرة الملحقة رقم ٤ من هذا الملحق) مع شيخ الكويت بأنه لن يسمح لاية سلطة أجنبية الا للبريطانيين باقامة مكتب بريد في الكويت .

الفاو ١٨٦٧ — ١٩٠٧

لا يوجد ، ولم يوجد مطلقاً ، مكتب بريد هندي في الفاو ، ولكن الحقائب التي كانت تأتي من مكتب بومباي—كراتشي البحري ومن مكاتب كراتشي وبوشهر والبصرة الى موظفي محطة التلغراف البريطاني في الفاو كانت تسلم بانتظام بواسطة بواخر البريد أثناء مرورها . وانشئت حقائب مكتب بومباي—كراتشي البحري ومكتب كراتشي عام ١٩٠٤ لتمنع التأخير في بوشهر . وكانت توضع فيها فقط الرسائل غير المسجلة التي يدفع عنها أجر ، أما الاشياء الاخرى فكانت توضع في حقائب في بوشهر . بدأت الخدمة البريدية في الفاو عام ١٨٦٧ وهي السنة التي أصبح فيها الميناء مكاناً لرسو سفن البريد . وحتى عام

١٨٨٦ كانت الخطابات ، التي يدفع عنها او التي لا يدفع ، للموظفين الاتراك في الفاو ، وخطابات عرضية للمقيمين في القرى العربية على شاطئ شط العرب المواجه ، توضع في حقيبة مرسلة من البصرة الى الفاو ولكن لما لم تكن لدى موظفي التلغراف وسيلة للتوزيع ولصعوبة استرداد أجر البريد عن الخطابات التي لم يدفع عنها توقف العمل الا في حالة الخطابات والطرود المرسلة للموظفين الاتراك وللمصالح التي لها الحق في البريد مجاناً بموجب الاتفاق .

البصرة ١٨٦٨ — ١٩٠٧

لقد كان انشاء المكتب الذي افتتح في البصرة في اول يناير ١٨٦٨ من بين نتائج رحلة المستر «فير» في العام السابق . ولم تصبح له على أية حال صفة دائمة الا في يوليه عام ١٨٦٩ . وقد تولى ادارة مكتب البصرة في البداية نائب القنصل بمساعدة كاتب من الاهالي ، ولكن تم في نهاية عام ١٨٧٠ كسب ثقة الاهالي وازداد العمل ازدياداً دعا الى تعيين ناظر بريد دائم وعدد كاف من الموظفين من الهند .

وفي عام ١٨٧٢ نقل مقر نائب القنصل الذي كان حتى ذلك الوقت يتبع في كوت الفرنجة الى موقعه الحالي أسفل شط العرب ونقل معه مكتب البريد ، ولكن المكتب الفرعي الذي فتحه مدير البريد دون تفويض في منزله الخاص في الحي الاهلي واصل عمله لخدمة مدينة البصرة . وعندما كان البريد يصل كانت الخطابات الموجهة الى الاوروبيين القاطنين جوار مقر القنصلية توزع اولا والباقي يحمله مدير البريد الى مكتبه الفرعي في المدينة لتوزيعه . وكان البريد الخارج يعامل أيضاً بالطريقة نفسها . ولم تكتشف دائرة البريد في المدينة الا عام ١٨٨٢ ، وهي السنة التي امر فيها موظف للتفتيش من بومباي على غير علم بأن لمكتب البريد صفة قنصلية باقامة عمود لصندوق بريد في «سوق كاظم أغا» ، مما زاد في تعقيد الوضع . وكانت الحكومة التركية في ذلك الوقت تحاول تعطيل

مكاتب البريد البريطانية في تركيا وطلبت بصفة خاصة الغاء مكتب مدينة البصرة ، وبما أن المكتب قد بقي لمدة ١٥ سنة دون اعتراض فقد روئي أنه من غير المناسب أن يغلق لمجرد طلب الحكومة التركية ، ولكن صندوق البريد المثبت على عمود ازيل في العام ١٨٨٣ بناء على تعليمات نائب القنصل .

وفي العام ١٨٨٢—١٨٨٣ بعد أن تخلص القنصل الى حد ما من شؤون مكتب البريد اتخذ مدير البريد لنفسه مظهر الاستقلال فأصبح يراسل الموظفين الاتراك مباشرة ، ولفترة ما حمل البيرق الاحمر على مؤخرة القارب الذي كان يستخدمه ، وقد أدت هذه الاعمال الى نقله سريعاً وإلى إصدار اوامر حكومة الهند عام ١٨٨٤ التي سبق ان وضحناها في مكان آخر .

وفي العام ١٨٨٧ وجد مدير البريد مكاناً مناسباً بجوار القنصلية وأغلق مكتب المدينة دون الاشارة الى المطالب التركية ، ولكن التغيير وان كان مرضياً بالنسبة للسلطات البريطانية السياسية والسلطات البريدية الا ان التجار الاهالي في البصرة لم يرحبوا به وقدموا التماساً لاعادته .

وفي البصرة أصبح الحجر الصحي ضد الهند أمراً مزمناً وباستثناء حالات نادرة كان البريد القادم من الهند يؤخذ الى مكتب الصحة لكي يبخر (يطهر) قبل ان يرسل الى مكتب البريد الذي كان يبعد ربع ميل عن مقر نائب القنصلية البريطانية .

بغداد ١٨٦٨ — ١٩٠٧

ويدين مكتب بريد بغداد أيضاً بالفضل في نشأته للمستر «فير» وقد افتتح كتجربة في اليوم نفسه الذي افتتح فيه مكتب البصرة وكان ذلك في اول يناير ١٨٦٨ ، وأصبح مكتباً دائماً في يونيه ١٨٦٩ . وقد وضع في اول الامر تحت رعاية رئيس كتبة دار المقيمية ، واختمر هذا النظام حتى العام ١٨٧٩ عندما وجد أنه من الضروري تعيين ناظر بريد متمرن من

الهند نتيجة لكثرة العمل الناتج عن التأمين البريدي الذي انشيء حديثاً وبسبب نظام الحوالات المالية الذي بدأ تنفيذه من اول يناير ١٨٨٠ . ولكن حتى العام ١٨٨٤ استمر أحد كتاب دار المقيمية بأخذ علاوة نظير مساعدته في الأعمال البريدية .

وبالنسبة لانشاء التأمين البريدي في بغداد في العام ١٨٧٧ والغائه في العام ١٨٨٥ فذلك وارد في الفقرة الخاصة بالأعمال العامة لمكاتب البريد في قسم الخليج .

وابتداء من اول يوليه ١٩٠٤ تحول مكتب بغداد من مكتب فرعي الى مكتب رئيسي . ومنذ ذلك التاريخ ايضاً بدأت حسابات المكتب تقيد بالعملة التركية بدلا من العملة الهندية(*) لان المقيم السياسي البريطاني كان يغير سعر التبادل بين الليرة والروبية من حين لآخر كلما اقتضت الضرورة ذلك وكان من اغراض هذا التنظيم إحباط مناورات المضاربين في بغداد الذين اعتادوا الحصول على ربح من مكتب البريد بارسال حوالات مالية من اتجاه الى آخر تبعاً لسعر تبادل العملة ، وسبب آخر هو حظر الحكومة التركية استيراد العملة الفضية الاجنبية (**) .

المحمرة ١٨٩٢ — ١٩٠٥

ظلت المحمرة لفترة طويلة محرومة من البريد البحري ومن الترتيبات البريدية الصحيحة .

(*) ان منطق الحوادث يغاير هذه التى أعطيت ، فقد عمل مكتب بغداد مكتبا رئيسيا لان حساباته أصبحت الآن بعملة مختلفة فلم يعد من الممكن أن تكون ضمن عملات مكتب بوشهر الرئيسي .

(**) في عام ١٩٠١ عندما إستورد العقيد ملفيل المقيم البريطـــانى في بغداد ٦٥٠٠٠ روبية مسكوكات من خزانة دار المقيمية في بوشهر اعترض الاتراك وكان لا بد من اعادة النقود الى بوشهر .

وفي عام ١٨٨٩ اقترح نائب القنصل البريطاني في البصرة افتتاح مكتب بريد بريطاني في المحمرة ، وفي سنة ١٨٩٠ أصبحت المحمرة ميناء تتوقف فيه بواخر شركة الهند البريطانية في رحلة العودة الى الهند ، وفي اكتوبر من السنة نفسها أصبحت السفن تتوقف أيضاً في الرحلة الخارجية وذلك لان السلطات التركية لم تكن تفرض في ذلك الوقت قيوداً خاصة على زيارة المحمرة . وبعد ان افتتحت شركة ملاحة البواخر للفرات ودجلة الاتصال بالبواخر في نهر قارون بين المحمرة والاهواز بدأت الرسائل الموجهة الى المحمرة توضع في بريد البصرة ، وقد عمل نائب القنصل البريطاني في البصرة أول الامر على توزيعها في المحمرة عن طريق وكلاء شركة البواخر ، ولكن سرعان ما أصبحت الحاجة الى مكتب بريد منظم واضحة وانشيء مكتب في ١٩ يوليه ١٨٩٢ . وكان قد افتتح مكتب بريد ايراني هناك في فبراير ١٨٩٢ ، وفي عام ١٨٩٢—١٨٩٣ انشئت هناك خدمة بريدية في المحمرة وشوشتر ودزفول ، وانهارت هذه الخدمة في نوفمبر عام ١٨٩٤ بسبب الحاجة الى الاموال ، ولكن أعيد انشاؤها بعد ذلك .

وكان مكتب البريد الهندي في المحمرة من أول الامر تحت الادارة المصلحية البحتة ، ولكنه كان يقع في مبنى القنصلية البريطانية حيث يمارس القنصل الرقابة العامة ويبت في الامور التي تحال له .

الناصري ١٩٠٤ — ١٩٠٧

لا يوجد مكتب بريد بريطاني منتظم في الناصري ، ولكن منذ افتتاح مقر لنائب القنصل هناك في سنة ١٩٠٥ أصبح بريد نائب القنصل يحمل براً من المحمرة الى الناصري والعكس بالعكس بواسطة السعاة التابعين لدائرته .

بوشهر ١٨٦٤ — ١٩٠٥

يشترك مكتب بريد بوشهر مع مكتب مسقط في شرف الاسبقية في

الخليج . فقد افتتح في التاريخ نفسه أي أول مايو ١٨٦٤ . وكان لا يوجد حينئذ مكتب بريد الموانى وكان توزيع الخطابات يتعهد به مكتب البريد الهندي ليس فقط في بوشهر بل أيضاً في بعض القرى المجاورة في شبه الجزيرة ، وفي العام ١٨٦٩ أضيف للموظفين ساعي بريد خاص للقيام بالغمل على أفضل وجه ، وقد انشيء مكتب بريد بوشهر في دائرة اختصاصات المقيمية البريطانية حيث بقيت كذلك وكانت خاضعة لرقابة المقيم السياسي .

ووقعت في بوشهر احدى الحوادث المشينة النادرة في تاريخ مكتب البريد الهندي في الخليج . ففي العام ١٨٨٦ تولى ادارة البريد شخص آسيوي خدم الحكومة البريطانية لمدة تزيد على عشرين سنة اول الامر كمترجم في مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية ، وبعد ذلك ١٥ سنة في الخدمة البريدية . وقد لوحظ تراكم خطير في حسابات لم تتم تسويتها ، وأمر بنقل مدير البريد كما أمر بتحقيق في الدائرة وإن لم تثر ريبة حينذاك في الاختلاس . وقد أظهر التحقيق على أي حال أن مدير البريد كان مذنباً خلال عدد من الشهور في عام ١٨٦٦ بسوء استعمال مال الحكومة ، وأنه قام باختلاس ما يزيد على ٥٠٠٠ روبية ، وقد حوكم بناء على ذلك في محكمة بومباي وحكم عليه بست سنوات سجن مع الاعمال الشاقة .

لنجة ١٨٦٧ — ١٩٠٥

تأسس مكتب لنجة في اول ابريل ١٨٦٧ بناء على توصيات المستر «فيرز» ، وكان موقعه اولا في مواجهة البحر ثم بعد ذلك خلف المدينة ، وأخيراً في ١٨٧١ في منزل يشغله وكيل المقيمية على شاطيء البحر على بعد حوالي ١٠٠ ياردة من دار الجمارك ، وطوال احتلال البريطانيين لباسيدو كان يرسل قارب من تلك المحطة ليقابل كل باخرة بريد تمر وان كان لا يوجد مكتب بريد في باسيدو الا ان تبادل البريد

قد استمر . وقد توقفت هذه الترتيبات بترك محطة باسيدو في مايو عام ١٨٨٣ .

والحادث الهام في تاريخ مكتب بريد لنجة هو السرقة التي حدثت في ليلة ٢١ ابريل ١٨٩٨ ، فقد كسرت خزانة مكتب البريد وسرق مبلغ نقدي يبلغ أكثر من ٣٠٠٠ روبية . ونتيجة لهذه السرقة التي رفضت الحكومة الايرانية أن تعترف بأية مسؤولية عنها رفع سعر العمولة على الحوالات المالية في لنجة الى ٢٪ لكي يوقف تراكم النقود كما تم تعيين حرس دائم من ثلاثة جنود ايرانيين يتلقون مرتبات دائمة .

وكان مكتب لنجة الفرعي التابع لبوشهر يخضع لاشراف المقيم السياسي في بوشهر عن طريق وكيل دار الاقامة في لنجة .

بندر عباس ١٨٦٧ — ١٩٠٥

لقد افتتح مكتب البريد في بندر عباس في الوقت نفسه الذي افتتح فيه مكتب لنجة في أول ابريل ١٨٦٧ ، وقدطالب بإنشائه ليس التجار فقط بل حاكم بندر عباس الايراني أيضاً ، وقد كان من اول الامر ناجحاً في كل ناحية وكان الدخل يفوق المصروفات كثيراً . وقد جرى العمل على ارسال قارب الى بندر عباس ليقابل باخرة البريد من عام ١٨٦٤ الى عام ١٨٦٨ من محطة مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية الموجودة في جزيرة خور الشام . ولم يكن هناك مكتب بريد في «جزيرة التلغراف» ولكن مدير بريد بندر عباس كان يتلقى البريد المرسل من محطة التلغراف لارساله ويرسل في مقابله الاشياء التي ترد الى مكتبه موجهة الى جزيرة «التلغراف» .

وفي العام ١٨٨٢ تأسس مكتب بريد ايراني في بندر عباس واتفق على نظام للتعاون الانجلو–ايراني فيما يختص بالبريد في الدخل الذي سيوضح بعد ذلك في فقرة عن المسائل السياسية .

وفي العام ١٨٨٤ وضع صندوق بريد في مدينة قشم بالقرب من منزل الشيخ ويتردد عليه ساعي بريد من بندر عباس ثلاث مرات في الاسبوع وكان ذلك لتجنب تراكم عدد كبير من الرسائل الموجهة الى قشم عن طريق بندر عباس الى مكتب الرسائل المبينة ، وكان هذا الاجراء ناجحاً من الناحية المالية ونعمة كبيرة لتجار قشم الذين لهم صلات ببومباي وكراتشي . وتوقفت خدمة قشم في العام ١٩٠٢ نتيجة لتقييد مكاتب البريد الهندية في توزيع الخطابات للمناطق التابعة لمكاتب البريد .

جاشك ١٨٨٠ — ١٩٠٧

كانت توجد ترتيبات بريدية غير رسمية في جاشك منذ تأسيس محطة التلغراف في ذلك المكان في العام ١٨٦٨ حتى اول سبتمبر عام ١٨٨٠ عندما تأسس مكتب بريد منتظم . وفيما سبق العام ١٨٨٠ كان مساعد المشرف المسؤول عن محطة التلغراف يتولى مهام مدير البريد . ومنذ العام ١٨٨٠يقوم بالعمل أحد كتاب التلغراف نظير علاوة تقدمها مصلحة البريد . وكان عمل مكتب جاشك قليلا فيما عدا ما اعتمد على وجود موظفي التلغراف وعلى الوحدة العسكرية الهندية . ومن أجل تبسيط العمل عومل لا على أنه مكتب تابع بل كمكتب فرعي . وعلى أي حال قد أعطي سلطة التعامل بالحوالات البريدية البريطانية والحوالات المالية الهندية عن طريق المكتب الرئيسي في كراتشي .

جوادر ١٦٨٨ — ١٩٠٧

تأسس مكتب البريد في جوادر في ١٢ ابريل ١٨٦٨ وقد عانى كثيراً من تقلبات الادارة الكثيرة . وقبل تأسيسه كان يقوم بأعمال البريد بطريقة غير رسمية مساعد الوكيل السياسي المعين في جوادر عام ١٨٦٣ وهو الذي كان يتلقى البريد المرسل من مكاتب كراتشي ومسقط ، وفي مقابل ذلك يرسل البريد الى هذه المكاتب .

وكان يشرف على مكتب جوادر اول الامر وكالة تابعة للادارة كما كان يشغل مكاناً منفصلا ، ولكن في العام ١٨٧٣–١٨٧٤ سلمت الادارة لمصلحة التلغراف الهندية الاوروبية وكان يقوم بمهام مدير البريد بعد ذلك أحد كتّاب التلغراف ، ونُقِل المكتب نفسه الى غرفة في مباني التلغراف . واستمر هذا التنظيم لمدة سنة فقط ، اذ أن سوء الحالة الصحية في جوادر تطلبت تنقلات مستمرة لكتّاب التلغراف ، وقاسى العمل البريدي كثيراً من هذه التغييرات المتكررة للموظفين .

ولكن الاشراف على المكتب اعيد في العام ١٨٨٤ الى مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية وظل الوضع كذلك حتّى الغي المكتب الفرعي لمحطة التلغراف في العام ١٨٩٣ بسبب سوء الحالة الصحية وتولى المسؤولية وكيل ناظر بريد من الهند .

وفي ٥ ابريل عام ١٨٩٥ أعيد انشاء المواصلات التلغرافية البرية في جوادر واصبح المكتب الفرعي المشترك للبريد والتلغراف الذي كان موجوداً على أساس تجربة منذ أكتوبر ١٨٩٤ مكتباً دائماً ، وما زال هذا المكتب باقياً حتّى الآن .

ونظراً لسوء حال المحطة الصحية والامراض المستمرة وغياب الشخص المسؤول ، وجد أنه من الضروري في العام ١٨٩٩ مراجعة شروط التعيين بطريقة تحسّن دفع التعويضات المجزية .

ولم تفرض رسوم في جوادر على الطرود المرسلة الى موظفي الحكومة البريطانية ولكنها كانت تحصل على جميع الطرود الاخرى بواسطة موظفي جمارك سلطان عمان .

المسائل السياسية وشبه السياسية المرتبطة بالمكاتب الهندية في ايران ١٨٦٤ ـ ١٩٠٧

بقي داخل ايران حتّى سنة ١٨٧٧ حين أنشأت ايران النظام البريدي الخاص بها بغير مكاتب بريد مطلقاً أو أيّ مكاتب على الساحل الايراني فيما عدا المكاتب الهندية. وكانت المفوضية البريطانية في طهران والوكالات البريطانية في أصفهان وشيراز تقوم على أي حال ببعض مهام مكاتب البريد بجمع الخطابات لارسالها الى بوشهر والهند وبتوزيع الخطابات المسلمة من او عن طريق مكتب بوشهر لصالح الموظفين والرعايا البريطانيين وأشخاص آخرين قليلين تعرفهم وتفضلهم السلطات البريطانية ومن ضمنهم الموظفون الايرانيون.

الخدمات الداخلية من بوشهر قبل ١٨٧٧

في تلك الفترة كان لدى السلطات البريطانية خطان للخدمة بين بوشهر والداخل يبدو أنهما بدءا في العام ١٨٦٤، الاول كان اسبوعياً أو كل اسبوعين بين بوشهر وشيراز ويمر بمحطات مصلحة التلغراف الهندية الاوروبية والثاني يعرف عادةً بمفوضية شابار كان يتحرك كل اربعة أسابيع بين بوشهر وطهران ويمتد عن طريق شيراز وأصفهان، ومن بوشهر لشيراز (١٨٠) ميلا كانت حقائب البريد، من جهة بسبب وعورة الطريق، ومن جهة أخرى لاجل الاقتصاد، تحمل بواسطة قاصدين أو عائدين عن طريق المقيمية في بوشهر. ولكن من شيراز الى اصفهان (٣٠٠ ميل) ومن أصفهان لطهران (٢٨٠ميل) كانت تحمل بواسطة غلمان من مفوضية طهران وكانوا يركبون خيولا مستأجرة من خط شابار الايراني، ولم تتقاض مفوضية شابار أجراً عن حمل الخطابات، حتى الخطابات التي لا يدفع عنها أجر كلية، ولكن بعد العام ١٨٧٠

ونتيجة لاتفاق بين السلطات المعنية كان يطلب الدفع مقدماً بالاسعار الداخلية الهندية بطوابع هندية في حالة الخطابات المرسلة من الهند الى أماكن في ايران او من ايران الى اماكن في الهند . وفي الوقت نفسه كانت الخطابات التي يدفع عنها أجر والتي تصل الى الهند من بوشهر او في مكتب بريد بوشهر من الهند تخضع للقواعد العادية لمكتب البريد الهندي . وقد احتفظ باجرة التوزيع البسيطة التي كانت تحصل في الامكنة الداخلية التي تتم خدمتها عن طريق بوشهر وذلك لتغطية نفقات النقل في الهند وبين الهند وبوشهر ولكن الخطابات المرسلة لمحطات التلغراف كانت توزع دون مقابل ، وكان الموظفون الايرانيون الذين سمح لهم باستعمال الخط يتمتعون بامتياز اعفاء مراسلاتهم من أجر البريد . ولم يكن غلمان المفوضية يمنعون من حمل الخطابات في غير حقيبة المفوضية للموظفين الآخرين ، وكان الغلمان يكسبون في بعض الاحيان بين طهران وشيراز مبلغ ١٠٠ روبية بهذه الوسيلة في الرحلة الواحدة . ويجب ان نذكر هنا ان بريد شابار كان جنباً الى جنب مع بريد المفوضية على الجيل يعمل بغير انتظام بواسطة الحكومة الايرانية بين شيراز وطهران ، وكان علة وجود هذا الخط هو حمل رسائل الحكومة الايرانية ولكن النقود والطرود والخطابات كانت تقبل أيضاً من الافراد لارسالها . وكانت تحصل نظير ذلك أجرة خاصة على هذا الخط الايراني للاشياء القيمة ، ولكن أسعار الخطابات حددت وتراوحت بين ١-٢ قران .

انشاء مصلحة بريد ايرانية ١٨٧٥ — ١٨٧٧

أعلن في العام ١٨٧٥ أن الحكومة الايرانية تنوي تأسيس ادارة بريدية خاصة بها وأنها صممت على الفور طابع بريد واستخدمت موظف بريد نمساوي ، في يوليه ١٨٧٦ عين هذا الموظف الذي نجح في غضون ذلك في انشاء خط بريدي بين طهران واوروبا عن طريق تبريز للادارة العامة للبريد الايراني ، وفي أغسطس عام ١٨٧٧ وبعد أن استشيرت حكومة الهند من قبل مدير المكتب الدولي في بيرن ووفق بشروط معينة

على السماح لايران بالانضمام الى عضوية اتحاد البريد الدولي اعتباراً من اول سبتمبر عام ١٨٧٧ . وفي فبراير عام ١٨٧٨ عقد اتفاق لتبادل البريد المغلق بين ايران وحكومة الهند وكانت شروطه الرئيسية كما يلي :

١ ــ أنه على الجانب الهندي يكون مكتب بريد بومباي ومكتب البريد الهندي في بوشهر مكتبين للتبادل .

٢ ــ أنه يجب على مكتب البريد الايراني وضع جميع المراسلات للهند وللاقليم التي تخدم عن طريق الهند في بريد مغلق لبومباي .

٣ ــ أنه يجب ارسال جميع المراسلات الموجهة الى الخليج والبصرة وبغداد في العراق التركي في بريد مغلق الى مكتب البريد الهندي في بوشهر لفرزها وارسالها الى مكاتب البريد الهندية في تلك الامكنة

٤ ــ وأنه يجب ان تخضع المراسلات بين الهند وايران لاسعار معينة خاصة موحدة للبريد .

وقد أوجد اول مدير عام للبريد الايراني نظاماً ممتازاً كان العمل به يتم على أحسن وجه ، ولكنه كان غير راض عن وظيفته واستقال في نهاية العقد الذي كانت مدته ٣ سنوات وخلفه شخص روسي كان مساعداً له وحافظ على فعالية النظام البريدي .

ولكنه طرد ظلماً(*) بتهمة اختلاس لم يكن لها أصل ، وفي عام ١٨٨٠ وقعت الادارة في أيدي أشخاص غير مؤهلين ، فرنسيين وارمن وايرانيين وآخرين . وكانت النتيجة المباشرة هي عدم النظام الذي هدد في وقت ما بالانهيار التام ، ولكن أخيراً في عام ١٨٩٢ تم الحصول على خدمات مسيو «ارنولد» كمفتش عام ، وهو محاسب الماني ، وبذلك اعيد النظام بشكل نسبي الى الخدمة البريدية .

(★) قامت الحكومة الايرانية في النهاية بتعويضه بدفع مبلغ مرتبه في الفترة التى لم تنته من العقد .

الغاء الخط الهندي بين بوشهر والداخل ١٨٧٧

كانت النتيجة الاولى لتأسيس مكتب البريد الايراني هي الغاء خدمة ما يشبه البريد العام التي كانت تحتفظ بها حكومات بريطانيا والهند بين بوشهر والداخل .

وفي سنة ١٨٧٦ وبعد تعيين اول مدير عام للبريد الايراني قدم اقتراح يبدو أنه كان بناء على طلبه وهو أن على مدير البريد الهندي البريطاني في بوشهر ان يكون مسؤولا ايضاً عن مكتب البريد الايراني في المكان نفسه وأنه يجب الاستفادة من الترتيبات البريطانية لحمل البريد بين بوشهر وطهران في تكملة التنظيمات الاخرى التي كانت مصلحة البريد الايرانية على وشك ان تضعها . وقد رفضت السلطات البريطانية الطلبين بأدب . وفي العام ١٨٧٧ قبل دخول ايران في اتحاد البريد الدولي أخطرت الحكومة الايرانية المفوضية البريطانية في طهران بأنها أنشأت بريداً اسبوعياً بين بوشهر وطهران وطلبت في الوقت نفسه وجوب تبادل البريد الايراني والبريطاني في بوشهر وارسال جميع الاشياء البريدية المرسلة من او الى الداخل مستقبلا بواسطة البريد الايراني . وقد قبلت هذه الاقتراحات فيما يختص بتبادل البريد في بوشهر وذلك موضح في اتفاق فبراير عام ١٨٧٨ الذي ذكر أعلاه من قبل ، ومع ان البريد البريطاني الرسمي استمر ، الا ان المراسلات الخاصة لم يعد يسمح بارسالها عن هذا الطريق ، وتوقفت خدمة البريد شبه العام ا للحكومتين البريطانية والهندية في ايران .

انشاء خط خدمة ايرانية بين بندر عباس والداخل ١٨٨٢

وفي العام ١٨٨٢ افتتح مكتب بريد ايراني في بندر عباس وافتتح اتصال بريدي مباشر بواسطة الحكومة الايرانية بين ذلك المكان ويازد وطهران ومشهد ومدن أخرى من ايران . وتم الاتفاق بعد هذا مباشرة على تبادل النظم نفسها كما هو الحال في بوشهر بين مكتب البريد الهندي

والايراني في بنـــــدر عباس حيث كانت العناوين التي لا تكتب بالايرانية يترجمها المكتب الهندي قبل ان يسلم البريد الى مدير البريد الايراني .

تقييد امتيازات مكاتب البريد الهندية في ١٩٠١ ـ ١٩٠٧

بالرغم من تنظيم مصلحة البريد الايرانية فقد استمر وجود مكاتب البريد الهندية البريطانية على ساحل الخليج ، ولم يحدث أي تغيير في عملها بعد ذلك بعدة سنوات الا ما نتج بشكل طبيعي في بوشهر من الغاء ما يشبه الخدمة العامة الى شيراز وما بعدها . وفي كل مكتب كان البريد ما يزال يجمع لارساله للمكاتب الاخرى من قسم الخليج والى الهند ، كما كان البريد يوزع محلياً بعد أن تتسلمه الجهات نفسها . وفي جميع الحالات كان اجر البريد يُحصّل بالاسعار الهندية الداخلية ويدفع بواسطة الطوابع الهندية . وهكذا كان هنالك شذوذ في الاجراءات لم يكن من المحتمل أن يتحمله طويلا مكتب البريد الايراني تحت الادارة الاوروبية دون احتجاج ولكن لم يبد انه سلمت شكاوى حتى العام ١٩٠١ ، وهي السنة التي فيها اوحى التقدم الناجح للجمارك الامبراطورية الايرانية تحت الادارة البلجيكية لوزراء الشاه بفوائد تقييد الامتيازات الاجنبية بقدر ما يمكن وهي التي كانت تحد من تدخل او سلطة الادارات الايرانية .

توقف الخدمات الهندية في أماكن من ايران ١٩٠١ ـ ١٩٠٢

في ١٩٠١ أثار مسيو «ارنولد» المدير العام للبريد الايراني منطقيّة كون الخدمة البريدية العامة داخل ايران بادارة مكتب البريد الهنـــــدي وكان يشير في شكواه الى تبادل البريد الهندي بين موانئ الخليج التي كانت فيها مكاتب هندية . وكان يتم تبادل البريد الايراني في الامكنه نفسها ولكن المكاتب الايرانية كانت تتلقى اهتماماً أقل حتى من جمهور الايرانيين لان أسعارها كانت أعلى ، وكانت المكاتب الايرانية في الخليج في ذلك الوقت تعمل بخسارة . وبعد أن

اعترفت حكومة الهند بعدالة اعتراضات مسيو «ارنولد» اتفق على أن لا تقبل مكاتب البريد الهندية بي المحمرة وبوشهر وبندر عباس ولنجة في المستقبل أشياء بريدية يقصد توزيعها في أي مكان في ايران ، وان الاشياء البريدية التي توضع في مكتب البريد الهندي مخالفة للاوامر الجديدة يجب أن تعامل على أنها اشياء غير موضوع عنها أجر وترسل الى المكاتب المحلية الايرانية للتصرف فيها . وفي بداية العام ١٩٠٢ وعند تلقي اخبار افتتاح مكاتب بريد ايرانية في جاشك وشهبار طبقت اللوائح نفسها على مكتب البريد الهندي في جاشك . والاشياء التي كان يضعها الموظفون القنصليون والسياسيون البريطانيون كانت معفاة على أية حال من تنفيذ هذه الاوامر وبقيت خاضعة للنظام القديم .

الغاء توزيع البريد الهندي في ايران خارج نطاق مكاتب البريد الهندية ١٩٠٢

وبجعل طريقة العمل في ايران مشابهة لتلك المطبقة في العراق التركي ، صدرت الاوامر في العام ١٩٠٢ لجميع مكاتب البريد الهندية في الاراضي الايرانية لتتوقف عن ارسال خطابات للتوزيع خارج مكاتب البريد الا بالنسبة للخطابات الموجهة الى كبار الموظفين البريطانيين والايرانيين أو الموظفين القنصليين الاجانب فأصبح الغاء التوزيع في قشم ومدينة بوشهر وضواحيها ضرورياً بسبب هذا المنع . ومنذ العام ١٩٠٢ كان يتم التوزيع كله داخل نطاق المكاتب البريطانية الا في حالة الخطابات غير المحلية التي تسلم الى مكتب البريد الايراني للتصرف أما الخطابات المحلية التي لا تطلب في مدى ثلاثة اسابيع فتعاد الى مكتب بريد «الرسائل الميته» .

استخدام الاسعار الاجنبية بدلا من الاسعار الداخلية في مكاتب البريد الهندية في ايران ١٩٠٣ .

لقد كان حمل المراسلات من الهند واليها وبين مكاتب قسم الخليج بأسعار هندية داخلية هو اول مسألة في طريقة عمل مكتب البريد الهندي

في ايران تصدى لها مكتب البريد الايراني الحديث التكوين والذي انتقلت ادارته في العام ١٩٠٢ الى ادارة الجمارك الامبراطورية الايرانية. وقد أثار هذه النقطة «مسيو نوس» ، المدير العام البلجيكي للبريد والجمارك الذي أوضح أنه نتيجة لانخفاض الاسعار الهندية الداخلية عن اسعار اتحاد البريد العالمي التي يسير عليها ايران فان مكاتب البريد الايراني كانت في وضع تنافسي غير عادل ، ولتحقيق رغبات المدير العام الايراني لوضع حد للشذوذ القائم في وضع مكاتب البريد الهندية في ايران قُبِل الطلب . ومن اول يونيه عام ١٩٠٣ خضعت المراسلات المشار اليها للأسعار الاجنبية ولوائح مكتب البريد الهندي ، وما زال يسمح للطرود والظروف الرسمية البريطانية حتى عام ١٩٠٧ بأن تمر بالاسعار القديمة ولكن لم يمنح امتياز دائم في هذه الناحية .

الجدال حول استعمال الطوابع الهندية في ايران ١٩٠٤ ــ ١٩٠٥

لقد كانت عادة استعمال الطوابع الهندية في الأراضي الايرانية أمراً دقيقاً لم يشق طريقه في هذه الظروف دون جدل . ففي اوائل العام ١٨٩٠ قام مكتب البريد الايراني باعتراضات حول استخدام الطوابع الهندية في بندر عباس للمراسلات الموجهة الى امكنة في الاراضي الايرانية في الخليج ، وقد أصبح استعمال الطوابع الهندية لهذا الغرض ممنوعاً الآن .

وفي العام ١٩٠٤ قدّم مسيو دامبرين المدير العام لمكاتب البريد والجمارك على الساحل الايراني لمدير البريد الهندي البريطاني غلاف خطاب رسمي ارسل اليه من القنصل البريطاني في بندر عباس عن طريق مكتب البريد الهندي وطالب بدفع أجر البريد على أساس أن الخطاب دفع أجره بطوابع البريد الهندية بدلا من الايرانية واحيل الموضوع الى المفوضية البريطانية في طهران ، ولكن حتى العام ١٩٠٧ لم يكن قد اتخذ قرار حول هذه النقطة .

في العام ١٩٠٥ أثيرت فجأة في المحمرة مشكلة الطوابع التي توضع

على الخطابات المرسلة الى الخارج . وقبلئذ كانت الخطابات التي توضع في البريد في أمكنة أخرى في ايران ويوضع عليها طوابع بريد ايرانية تقبلها مكاتب البريد الهندية البريطانية لارسالها للخارج ، ولكن كان هنالك اصرار على استعمال الطوابع الهندية على الخطابات الاجنبية التي توضع في أمكنه يوجد فيها مكتب بريد هندي . وبالتفاهم الضمني بدأت مكاتب البريد الايرانية في مثل هذه الامكنة ترفض قبول تسلم أي خطابات للخارج .

وكان هذا هو النظام الذي يسعى مكتب البريد الايراني الآن لتغييره ولكن ذلك جوبه بموافقة السلطات البريطانية الدبلوماسية والقنصلية في إيران ، وفي عام ١٩٠٧ لم تكن المسألة قد سويت بعد .

النزاع فيما يختص بمعاملة الطرود الهندية في ايران ١٩٠٤–١٩٠٥

ان مسألة بريد الطرود التي لم يحدث ان أشرنا اليها للآن قد خلقت منذ نقل نظام البريد الايراني الى ادارة مصلحة الجمارك خلافات أكثر حدة من الخلافات التي نشأت عن بريد الخطابات .

كان اول ترتيب لتبادل الطرود بين الهند وايران قد بدأ في أول يوليه ١٨٩٣ . وكانت مكاتب البريد الهندية البريطانية والمكاتب الايرانية في بوشهر بمثابة مكاتب تبادل تتلقى الاولى روبية واحدة عن كل طرد مرسل من ايران والثانية ٢,٨ روبية لكل طرد مرسل إلى ايران . ومن أول نوفمبر ١٨٩٣ بدأ مكتب البريد الالماني في تبادل حقائب الطرود المغلقة مع مكتب البريد الايراني عن طريق مكتب البريد الهندي الذي كان يتلقى اجرة بمعدل فرنكين للطرد الواحد نظير خدماته . وكان تبادل كل من الطرود والخطابات قد تعطل مرة فقط في بوشهر في ربيع عام ١٨٩٧ عند ما رفض مكتب البريد الايراني لفترة بسيطة قبول أي بريد من المكتب الهندي وذلك خوفاً من الطاعون . ولكن التأكيدات بأن البريد مطهّر كانت كافية لازالة الشكوك .

وعندما انضمت ايران الى اتحاد بريد الطرود في ١٩٠٣ انتهت التنظيمات السابقة ، ومن اول أكتوبر في تلك السنة بدأت خدمة نقل الطرود بالطرق الدولية العادية . وقد انحصرت العمليات في الجزء الايراني الذي يعنينا في المحمرة وبوشهر ولنجة وبندر عباس وجاشك وشهبار ، ولكن مكاتب البريد الايرانية في تلك الاماكن تعهدت بحمل الطرود الى داخل ايران وان تتقاضى أجر الحمل الى الداخل من المرسل اليهم . وكانت مكاتب البريد الهندية في المحمرة ولنجة وبندر عباس وجاشك بمثابة مكاتب تبادل للطرود التي تتسلم من مكتب البريد الايراني وبعد ذلك للطرود المتبادلة في كلا الجهتين . فالطرود من الهند المزمع توزيعها في الامكنة التي ورد اسمها أعلاه يمكن أن يدفع عنها الاجر الآن اما بالاسعار الهندية الداخلية او بالاسعار الموحدة تبعاً لاختيار المرسل . وهذه التي يدفع عنها باسعار الاتحاد كانت تنقل عند وصولها الى مكتب البريد الهندي للتصرف .

وقد حصلت بعض المتاعب بالنسبة لمسألة بريد الطرود في بوشهر في العام ١٩٠٤ وكان ذلك يرجع الى هجوم الجمارك الامبراطورية الايرانية المتطرف على إجراء متبع كان ينقل بموجبه بريد الطرود الهندية في ذلك المكان من السفينة الى مكتب البريد الهندي مباشرة . ولم يقتصر النزاع على بريد الطرود بل امتد أيضاً الى بريد الخطابات الذي طالبت الجمارك الايرانية وموظفو البريد الايراني بوجوب تسليمه عند نزوله الى مكتب البريد الإيراني . وكانت المطالبة على أساس عبارات معينة في الاتفاق الجمركي للعام ١٩٠٤ ، ولكن السلطات البريطانية رفضت أن تعترف بها وجادلت بأن الامتيازات الثابتة القديمة لمكتب البريد الهندي لها أصل سياسي وتاريخي وعلى ذلك لا يمكن ان تلغى لمجرد تنظيمات تجارية كهذه .

والتسوية النهائية لهذا الاحتجاج في بوشهر والاحتجاج المشابه الأقل أهمية في المحمرة مذكورة في ملحق عن الجمارك الامبراطورية

الايرانية ولا داعي لتوضيحها مرة أخرى في هذا المكان . واتفق في النهاية على انه يجب أن تحمل الطرود الهندية مباشرة كما كان سابقاً بين بواخر البريد ومكتب البريد الهندي ، ولكن قدمت تسهيلات متزايدة للسلطات الايرانية لارضائهم بأن الاشياء التي تستحق رسوماً لن تهرب الى ايران عن طريق البريد الهندي .

النزاع حول عينات البريد الهندي في ايران ١٩٠٥

وما كاد هذا الامر يسوى حتى اثارت الجمارك الايرانية مشكلة جديدة وهي المطالبه بوجوب اعتبار العينات التي ترد بالبريد على أنها طرود وكذلك وجوب فحصها . وكان الطلب من ناحية يتفق مع مادة في النظام الجمركي للعام ١٩٠٤ ، ومن الناحية الاخرى بما ان الرسائل البريدية لم تكن عرضة للتفتيش بواسطة الجمارك فالقبول يعني فصل العينات عن بريد الرسائل وهو اجراء لا تقره لوائح اتحاد البريد العالمي . واحتج مسيو نوس ، وزير الجمارك والبريد ، بأن هناك خطراً كبيراً من اساءة استعمال عينات البريد للتجارة ، وأصر بشدة على مراجعة تصنيف البريد في هذه الناحية ، ولكنه لم يستطع أن يستمر في موقفه بسبب المعارضة البريطانية التي جوبه بها .

اتفاقية البريد المقترحة بين الهند وايران سنة ١٩٠٤

يبدو ان فشل وزارة الجمارك والبريد الايرانية في التغلب على مكتب البريد الهندي في المنازعات الثلاث التي اوضحناها أقنعتهم بضرورة وجود سياسة تصالحية جديدة . وفي العام ١٩٠٥ اعرب مسيو نوس عن رغبته القوية في أن يعقد مع حكومة الهند اتفاقية بريدية تسوى بموجبها جميع النقاط المتنازع عليها وتزيل جميع أسباب الاحتكاك . واقترح ايفاد ممثل عن مكتب البريد الهندي الى طهران من أجل هذا الغرض . ورحب السير «ا. هاردنج» الوزير البريطاني في طهران بالفكرة ، وفي يوليه ١٩٠٥ خولته حكومة صاحب الجلالة أن يعقد بالتشاور مع حكومة الهند اتفاق

بريد مع ايران على الخطوط نفسها التي يتبعها مكتب البريد البريطاني في القسطنطينية ، وعندما استشيرت حكومة الهند أعلنت رفضها الدخول في مفاوضات ربما ينتج عنها الغاء أو وقف الامتيازات التي يتمتع بها مكتب البريد الهندي في ايران . واقترحوا تأجيل المناقشات وحثوا على أن يكون مجالها مقصوراً على مسألة بريد الطرود وهكذا ما يزال الموضوع معلقاً

الاشياء المحظورة في ايران

كانت الصحف التي تحظر دخولها الحكومة الايرانية عرضة منذ العام ١٨٩٩ لتسلمها من قبل مكتب البريد الهندية حيث ترسل الى مكتب الرسائل الميتة ، ولكن ليست هناك أية صحف محظورة في الوقت الحاضر .

المسائل السياسية وشبه السياسية الخاصة بمكتب البريد الهندي في العراق التركي ١٨٦٨ ــ ١٩٠٧

بعد ان انتهينا من سرد تاريخ مكتب البريد الهندي في ايران نعود الى الفترة التي في أثنائها تشكلت تنظيماته في العراق التركي . في العام ١٨٦٧ في وقت رحلة المستر فيرس كانت توجد خدمة بريد بدائية غير مرضية تحت ادارة الموظفين البريطانيين السياسيين في البصرة وفي بغداد . وقد أعدت حقيبة بريد تحتوي على خطابات للبصرة وبغداد في بومباي ، وارسلت الى البصرة . وهذه الحقيبة مع الخطابات الموضوعة في صندوق بريد السفينة في الموانئ المتوسطة في الخليج سلمت ببساطة الى نائب القنصل في البصرة للتصرف . والترتيبات في الجهة المضادة كانت ذات طبيعة عشوائية مشابهة وكانت كل الخطابات التي حملت تقريباً غير مختومة باستثناء التي وضعت في الهند نفسها .

قبول الحكومة التركية ترتيبات سنة ١٨٦٨

لقد حظي مشروع تأسيس مكاتب بريد هندية بريطانية منتظمة في البصرة وبغداد في العام ١٨٦٨ بتأييد حار من السير «أ. كيمبول» المقيم

السياسي في العراق التركي . وقد سهل تنفيذ هذا المشروع عدم وجود خدمة بريد تركية وعدم ظهور معارضة سياسية من جانب الاتراك ، وقد انزلت صناديق البريد وأكياسه دون معارضة او تدخل من جانب موظفي الجمارك الاتراك عند نائب القنصل في البصرة وفي المقيمية في بغداد . وفي الخامس والعشرين من يناير ١٨٦٨ أخبر السيد «أ. كيمبول» والي بغداد بالتنظيمات الجديدة ووعد بأن المراسلات العامة لبعض دوائر الحكومة التركية وموظفيها سوف تحمل مجاناً بواسطة البريد البريطاني بين بغداد والبصرة وحتى بومباي بشرط ان يختم الغلاف الرسمي بختم الدائرة المرسلة وألا يحتوي على خطابات خاصة . وقد قبلت هذه الشروط من كل من الوالي ومكتب البريد الهندي ولا يزال التفاهم قائماً ، لكن الدوائر التركية لا تمارس الآن الامتياز الممنوح لها .

ولفترة ما بعد العام ١٨٦٨ كانت طوابع البريد الهندية تباع على ظهر سفن شركة الفرات ودجلة وتوزع الخطابات بواسطة السفن في القرنة ، والعمارة وكذلك في كوت العمـــــارة ، وأيضاً في أمكنة أخرى كانت تمر عليها . وكانت الخطابات المختومة تعطى أيضاً على ظهر البواخر لتوزيعها او ترحيلها عن طريق بغداد والبصرة .

الخدمة البريدية في بغداد ، وبين بغداد وامكنة أخرى في العراق التركي ١٨٦٦ – ١٨٩٨

لقد انشئت عدة وكالات وخطوط بريدية تتعلق بمكتبي البريد الهندي البريطاني في العراق التركي . وقد شرع في توزيع منتظم للخطابات في مدينة بغداد ، واما خطابات الكاظمية فكان يحتفظ بها كوديعة حتى يأخذها أصحابها .

وكانت الخطابات المرسلة من الهند الى كربلاء حيث يقيم عدد من المسلمين الهنود ترسل اول الامر شهرياً من بغداد في رعاية الوكيل السياسي الاهلي المحترم في كربلاء وهو الذي كان ينظم توزيعها .

وبموجب هذا التنظيم الذي يبدو أنه بدأ حوالي العام ١٨٦٦ كان يحمل البريد ساعيان يدفع أجرهما من صندوق الاوقاف الكبير بغرض الاحتفاظ بمواصلات رسمية . وفي العام ١٨٧٨ أصبح بريد كربلاء اسبوعياً ، ولكن بعد ذلك أصبحت الخدمة غير منتظمة وبدأ ارسال الخطابات الى الخارج عندما تسنح الفرصة لذلك ، وفي العام ١٨٨٧ وبناء على طلب السلطات التركية توقفت المقيمية عن ارسال الخطابات الخاصة الى كربلاء .

وفيما نعالج موضوع كربلاء لا بد أن نذكر أنه بعد مايو ١٨٩٤ كانت المراسلات التي تأتي من الخارج لكربلاء والنجف والموصل وأمكنة أخرى في العراق التركي لفترة ما تحول لمكتب البريد التركي لتوزيعها ، والمراسلات من هذه الجهات للخار كانت منذ ذلك الحين تسلم من مكتب البريد التركي لارسالها بموجب انظمة اتحاد البريد الدولي ، ولكن نتيجة للعبث في مكتب البريد التركي بخطابات مسجلة عديدة الى كربلاء في العام ١٨٩٨ عملت ترتيبات لاستبقاء الخطابات المسجلة الى كربلاء والنجف في مكتب البريد الهندي في بغداد حتى يستطيع المرسلة اليهم هذه الخطابات ان يعينوا وكلاء عنهم لاستلامها في بغداد . وفي الوقت الحاضر ترسل كشوف بالخطابات المسجلة المسلمة في بغداد بطريقة غير رسمية الى نائب القنصل البريطاني في كربلاء لكي يحيط المرسل اليهم علماً بورود خطاباتهم ، ولا تعتبر الخطابات بدون مطالب الا بعد انقضاء مدة شهر حيث تعاد الى الهند .

الخدمة البريدية بين بغداد وطهران ١٨٦٤ – ١٩٠٧

منذ ١٨٦٤ او قبل ذلك وحتى ١٨٨٠ كان يوجد بين بغداد وطهران خط بريدي مشابه تماماً للخط القائم بين بوشهر وطهران ، وكان يمر في كرمان شاه وهمدان ، وكانت المحطة الرئيسية كرمان شاه التي يشابه وضعها وضع شيراز على خط بوشهر – طهران . وبين بغداد وكرمان

شاه (٢١٠ أميال) كان البريد ينقل بواسطة المشاة ، وبين كرمان شاه وطهران (٢٩٠ ميل) كان يحمله سعاة راكبون تابعون لمؤسسة المفوضية البريطانية في ايران . في بداية العام ١٨٧٠ فرضت اجرة بريد بأسعار الهند بين بغداد وطهران أسوة بما هو الحال عليه في خط بوشهر—طهران ولكن الخطابات المرسلة بواسطة المفوضية البريطانية في طهران والخطابات المتبادلة بين الامراء الايرانيين والوجهاء المقيمين في طهران وبغداد فكانت ترسل مجاناً . وبعد حوالي ٢٥ سنة الغي خط بغداد—طهران البريطاني ، ومنذ ذلك الحين كانت المراسلات تنقل على هذا الخط ضمن الحدود التركية بواسطة مكتب البريد التركي . وفي العام ١٩٠٤ أشار القنصل البريطاني في كرمان شاه الى ان المراسلات مع الهند كانت أسرع عن طريق بغداد عما هي عليه عن طريق طهران ، ثم أمر بوجوب ارسال البريد الموجه الى كرمان شاه عن طريق بغداد الا اذا كتب على الغلاف ما معناه ان الكتاب مرسل عن طريق طهران .

ولم يتم دمج بريد «الصحراء» أو «الهجين» من بغداد الى دمشق وبيروت والذي كان موجوداً قبل تأسيس أي مكتب بريد منتظم في بغداد مطلقاً مع نظام البريد الهندي ، ولكنه بقي بعد تطور تنظيمات البريد الحديثة لفترة ما وتاريخه بعد ذلك يدعو الى الملاحظة . في العام ١٨٤٨ سمح للمقيم السياسي في بغداد الذي كان يشرف على الخط أن يفرض رسماً بريدياً بأسعار محددة على الاشياء المرسلة بواسطته . واعتمدت حكومة الهند منحة ٢٠٠ روبية في الشهر لتكملة ايرادات هذا المورد ، ولكي تمكن الخط من أن يعمل بطريقة فعالة . وفي العام ١٨٦٨ كان بريد الصحراء يحمل على الابل لمسافة تزيد على ٥٤٠ ميلاً بين بغداد ودمشق بواسطة راكبي الخيل لمسافة تزيد على ١٠٠ ميل بين دمشق وبيروت . وكانوا يصلون سوريا في تسعة أيام في المتوسط ، ومصر في ١٣ أو ١٤ يوماً ، واوروبا ، عن طريق مصر وأزمير ، في ٢٤—٢٧ يوماً وكانت تكاليف الخدمة الشهرية ٤٨٩ روبية . في عام ١٨٦٩ طلبت

السلطات العثمانية أن يحمل بريد بغداد بين دمشق وبيروت على خط انشيء حديثاً حينئذ بواسطة مركبة سفر فرنسية تعطى إعانة . ولكن القنصلية البريطانية في دمشق ، نظراً لعدم الثقة في البريد التركي الجديد ، كانت تفضل التنظيمات القديمة وقد تمسكت بها لبعض الوقت . وفي العام ١٨٨١ أثناء الحملة التي شنتها الحكومة العثمانية حينئذ ضد البريد البريطاني في تركيا قامت بانشاء بريد بالابل خاص بها بين بغداد ودمشق ، وكان الخط يسير جنباً الى جنب مع البريد القنصلي البريطاني وينقل الخطابات بخسارة بالنسبة لاسعار اتحاد البريد العالمي . ومن قبل ذلك في العام ١٨٧١ سحبت حكومة الهند إعانتها لاسباب مالية بحته ، ولهذا السبب من جهة ، وبسبب منافسة بريد الجمل التركي ، من جهة أخرى ، وقع خط بغداد—بيروت في صعوبات ، وهبط تمويله في العام ١٨٨٥ الى أدنى مستوى . وفي يوليه ١٨٨٦ الغي خط الصحراء البريطاني نهائياً .

وفي مارس ١٨٨٧ أغلقت الحكومة التركية خطها ربما بعد أن حققت الغرض الاصلي من ايجاده في ذلك الوقت . وعلى أية حال ، أعاد الاتراك فتح الخط البريدي بين دمشق وبيروت في العام ١٨٨٩ — اذ أصبح البريد ينقل من بغداد بواسطة الهجن كل يوم خميس . وفي مايو عام ١٩٠٦ أصبحت حلب المحطة الاساسية في سوريا بدلا من دمشق ، وكان السعاة على ذلك الخط يتعرضون من حين لآخر للسرقة او للموت من شدة الحر او البرد . ولكن البريد في مثل هذه الحالات كان عادة يسترد بعد فترة ما وهذا البريد يستعمل الآن بطريقة مألوفة بواسطة الهيئات التجارية في بغداد . ويغادر بريد «التتار» بغداد كل يوم اثنين عن طريق الموصل .

محاولة الحكومة التركية الغاء مكاتب البريد الهندية في العراق تقليص امتيازاتها ١٨٧٨ — ١٩٠٧

تأتي الآن سلسلة من المحاولات المتواصلة قام بها الباب العالي بين العام ١٨٧٨ والعام ١٨٨٧ ليبعد مكاتب البريد الهندية من العراق التركي .

وقد بدأت هذه المحاولات في مؤتمر البريد الدولي الذي عقد في بارس في العام ١٨٧٨ حيث حث المندوبون العثمانيون على الغاء جميع مكاتب البريد الاجنبية في الممتلكات التركية . وكان هذا الاقتراح يؤثر على بريطانيا العظمى وفرنسا وألمانيا والنمسا وإيطاليا ، وقد رفض المؤتمر قبول الاقتراح على أنه ينطوي على اعتبارا ت دبلوماسية مما يجعله خارج نطاق المؤتمر . وبالتمسك بمعاهدة باريس للبريد عام ١٨٧٨ نجحت تركيا في الحصول على منزلة بريدية أكثر احتراماً ، ولكنها لا تستحق المنزلة الدولية .

١٨٨١ — ١٨٨٢

وفي العام ١٨٨١ ترجم النفور المستتر للاتراك ضد مكتب البريد الهندي الى عمل على شكل منافسة رسمية مع خدمة بريد بغداد—دمشق البريطانية التي سبق الاشارة اليها وفي شأن صغير متصل بتوزيع الطرود في بغداد . وفي تلك السنة طلب الباب العالي الغاء بريد الصحراء البريطاني وكان ذلك في بغداد وعن طريق السفير البريطاني في القسطنطينية ، ولكن الطلب جوبه بنجاح . وفي العام ١٨٨٢ عاد وزير الخارجية العثماني الى الموضوع والح ليس في الغاء البريد الصحراوي فحسب ولكن مكاتب البريد الهندية في بغداد والبصرة أيضاً . وعلى أية حال سحب الطلب وأعطي وعد بعدم اثارته من جديد .

١٨٨٣

وفي العام ١٨٨٣ حاول وزير الخارجية التركي تجديد مناقشة الموضوع الخاص ببريد الصحراء البريطاني ، ولكن السفارة البريطانية اتخذت موقفها بالنسبة للوعد المعطى في العام السابق ، وبذلك أسقط الموضوع . ولجأ الاتراك الى العراقيل المحلية وقاموا بمحاولة غير ناجحة لحجز الباخرة «خليفه» التابعة لشركة الفرات ودجلة في القرنة وهي تحمل البريد من البصرة الى بغداد وتبعت ذلك ازمة ومفاوضات بقيت في أثنائها السفينة الملكية

وودلارك في البصرة استعداداً للطوارىء . وفي العشرين من اغسطس عام ١٨٨٣ وبينما كانت تلك المفاوضات ما تزال غير منتهية طلب والي بغداد الغاءمكتب بريد المدينة وصندوق الخطابات الخاصين بمكتب البريد الهندي في البصرة الذي ذكر من قبل في تاريخ مكتب بريد البصرة وأمر بتوزيع اعلان يحظر استعمال أية خدمة بريدية اللهم الا مكتب البريد التركي ، وأمر باستعمال طوابع البريد التركية بصفة مطلقة والايتعرض المخالفون للعقوبة وهي عبارة عن غرامة من ١ لى ٥ ليرات . وقد نفذت العقوبة فعلا في حالة او اثنتين ، وقد سب ذلك بعض الشلل بين التجار والموظفين الاتراك الذين اعتادوا الاستفادة من مكتب البريد الهندي لارسال الاشياء القيمة والخطابات ذات الاهمية . وفي التاسع والعشرين من أغسطس عام ١٨٨٣ اشتكى والي بغداد من رفض مكتب البريد الهندي في البصرة قبول الخطابات من مكتب البريد التركي المرسلة الى الهند أو الى دول خارجية الا اذا كانت عليها طوابع بريد هندية . وفي ١١ سبتمبر ١٨٨٣ تجدد النزاع في القسطنطينية بطلب عقيم لوقف الخدمة بالنسبة لنقل الخطابات والمراسلات بين البصرة وبغداد بواسطة شركة لينش وشركاه للبواخر وقد تم الرضوخ لحد ما للاعتراضات التركية بوقف توزيع الخطابات من منزل الى منزل بواسطة مكاتب البريد الهندية في بغداد والبصرة واستبدال ذلك بالتوزيع عن طريق النوافذ . ولكن نقل خطابات الرعايا الاتراك من بغداد والبصرة الى امكنة مختلفة على شاطىء نهر دجلة استمر حتى فبراير عام ١٨٨٦ حيث توقف بعدها ، وكانت مثل هذه الخطابات عندما كان يتسلمها البريد البريطاني تحول الى مكتب البريد التركي .

١٨٨٤

وفي عام ١٨٨٤ جدد الباب العالي الطلب بمذكرة كتبها المدير العام للبريد والتلغراف . وقد ركز المنشور على مساواة الوضع البريدي في تركيا مع وضع الدول الاخرى التي انضمت الى اتحاد البريد العالمي ،

معلناً مقدرة مكتب البريـــــد التركي على تحمل المسؤولية الكاملة للترتيبات البريدية في العراق التركي ، وطلب وقف بريد الصحراء البريطاني ، وأكد مسؤولية شركة بواخر الفرات ودجلة عن نقل البريد التركي مجاناً بين بغداد والبصرة . وكانت النقطة الاخيرة قائمة على أساس ضعيف رغم اقتباس فقرة من معـــــاهدة باريس لتأييدها ، وقد رفضت المطالب العثمانية في مجموعها على اساس أنها تتسبب في فقدان التسهيلات الضرورية للاتصال البريدي بين الهند والعراق التركي . وفي العام ١٨٨٤ ادخل ايضاً نظام تفتيش المسافرين الذين ينزلون من البواخر البريطانية في دجلة بحثاً عن خطابات لا تحمل الطوابع التركية ، ولكن ذلك توقف نتيجة عمل ديبلوماسي في القسطنطينية .

١٨٨٥ — ١٨٨٧

وفي عام ١٨٨٥ و١٨٨٧ قامت الحكومة التركية بمحاولات جديدة لالغاء مكتب البريد الهندي في بغداد والبصرة ، ولكنها اجهضت كسابقاتها.

١٨٩٣ — ١٩٠١

من العام ١٨٩٣ وصاعداً أصبحت خطابات البريد في بغداد المرسلة الى البصرة والعكس بالعكس تحول الى مكتب البريد التركي للتصرف . وسابقاً كانت كمية من المراسلات بين هاتين المدينتين والامكنة المتوسطة بينهما تحمل مجاناً بطريقة غير منتظمة بواسطة بواخر شركة الملاحة البخارية للفرات ودجلة ، وفي العام ١٨٩٤ قدم مكتب البريد التركي مشروعاً إجرائياً كان سيؤدي الى الاغلاق الفعلي للمكتب البريطاني في البصرة ولكنه احبط بنجاح وظلت اوراق السفن ، أي الخطابات المحتوية على بوالص شحن ... الخ ، او لها علاقة بالشحنة على ظهر السفينة تحمل دون طوابع بواسطة سفن الشركة حتى العام ١٩٠١ عندما وضع مكتب البريد العثماني على السفن صناديق بريدية صغيرة لاستلام مثل هذه المغلفات ، ولما لم تستخدم هذه الصناديق تم سحبها بعد عدة

أشهر . وفي العام ١٩٠١ ونتيجة لمشكلة سببها مكتب البريد التركي في جدة بخصوص تسليم خطاب مسجل وضع في مكتب البريد الهندي في البصرة صدرت تعليمات الى مدير مكتب البريد الهندي في البصرة ونظيره في بغداد ألا يقبلا في المستقبل تسجيل خطابات معنونة لامكنة في الاراضي التركية اذا كان توزيعها عن طريق مكتب البريد التركي .

في العام ١٩٠٣ ، عندما أصبح البريد الهندي من ايران واليها خاضعاً للوائح أسعار المراسلات الاجنبية ، وضعت مكاتب البريد الهندية في العراق التركي تحت النظام نفسه،ولكن استمر الدفع عن المراسلات الرسمية البريطانية والطرود بالاسعار الهندية في الداخل .

شئون بريد الطرود الهندي في العراق التركي

ان ما سبق كان يتصل بصفة أساسية ببريد الخطابات . ويمكننا الآن أن نعالج على حدة التاريخ السياسي لبريد الطرود الهندي .

١٨٦٨ — ١٩٠٠

بعد تأسيس مكتب البريد الهندي في بغداد في العام ١٨٦٨ سرعان ما اكتشف ان التجار المحليين يستغلون مكتب الطرود البريطاني ليتحاشوا دفع رسوم الجمارك . وعلى ذلك توقفت خدمة طرود البريد موقتاً ، وعند استئنافها وضعت قاعدتان جديدتان :

١ — لا يجوز ان تسلم تلك الطرود لارسالها الا اذا كانت مصحوبة بترخيص من مكتب الجمارك التركية .

٢ — وان الطرود التي تصل من امكنة أخرى يجب ان تسلم فقط للمرسله اليهم في حضور قواص المقيمية البريطانية الذي يتولى إحضار المرسل اليهم في الحال الى مكتب الجمارك .

١٨٨١

وفي العام ١٨٨١ وبناء على طلب السلطات التركية ادخل تغيير طفيف في الاجراء أصبح بموجبه التسليم للمرسل اليهم يتم بحضور رسول من مكتب الجمارك التركي .

١٨٨٢

وفي العام ١٨٨٢ أدى تغير في إدارة جمارك بغداد الى شكاوي من الموظفين الاتراك ضد الاستفادة من بريد الطرود ، وقد تعدل بناء على ذلك . وما تزال حقائب الطرود مع حقائب الخطابات تنزل في مكتب البريد الهندي ، ولكن من ذلك المكان كان يحملها رئيس مكتب البريد الهندي الى الجمارك وتسلم الى سلطات الجمارك ويؤخذ كشف موقع عليه من موظف الجمارك للعلم . وكان التوزيع يتم بواسطة دار الجمارك عندما يقدم المرسل اليهم شهادات موقع عليها من رئيس مكتب البريد الهندي . ولم تكن الطريقة المتبعة في البصرة قبل العام ١٨٩٢ مؤكدة ولكن ربما كانت كتلك المتبعة في بغداد .

١٨٩٢

وفي العام ١٨٩٢ ادخلت تغييرات على تلك الطريقة لم تحدث بعدها أية تغييرات منذ ذلك الحين . وحالياً تعد مكاتب التبادل في بومباي وكراتشي وبوشهر فواتير طرود مفصلة وترسل نسخة منها في ظروف مغلقة الى رئيس دار الجمارك التركية في البصرة او بغداد حسب ما تتطلب الحال ، ونسخة أخرى الى رئيس مكتب البريد الهندي . وتفتح أكياس الطرود في مكتب البريد الهندي بحضور ضابط الجمارك التركي الذي يتولى رعايتها ويحملها الى دار الجمارك ويوقع على نسخة الفاتورة الخاصة بمدير البريد كايصال . وبعد ذلك تسلم الطرود الى اصحابها بواسطة الجمارك التركية عند تقديم أمر تسليم من ناظر البريد الهندي . وفي بغداد منذ الغاء التأمين تتكرر المحاولات لتهريب الاحجار الثمينة والمجوهرات

الى داخل الدولة عن طريق الخطابات المسجلة ، ولكي يمنع هذا تفتح الآن الخطابات المشكوك فيها في مكتب البريد بحضور المرسل اليهم واذا وجد أنها تحتوي على أشياء تستحق رسوماً جمركية فاما أن تسلم للجمارك التركية أو ترد ثانية الى مرسليها ، وقد تمت المحافظة على الامتياز المعروف بانزال البريد البريطاني في مكاتب البريد البريطانية في بغداد والبصرة ، ولكن السلطات التركية لا ترغب في ذلك .

وتتمسك تركيا بالمواثيق البريدية العالمية في فيينا (عام ١٨٩١) وواشنطون (عام ١٨٩٧) مع انها ليست طرفاً في أي مؤتمر أو اتفاق له صلة بخدمة بريد الطرود . وتقبل الطرود المؤجلة الى تركيا في الهند منذ الاول من يناير ١٨٩٦ .

مشكلات الحوالات المالية في العراق التركي ١٨٨٣–١٨٨٩

موضوع الحوالات المالية في بغداد موضوع شائك نوعاً ما خاصة بسبب بعد المكان وبسبب الحظر الذي فرضته الحكومة التركية في العام ١٨٨٣ ضد استيراد الفضة الأجنبية الى داخل الدولة ، وللحصول على ارصدة لدفع الحوالات المالية المسحوبة على مكتب بريد بغداد فان المقيم البريطاني الذي كانت تقع عليه مسؤولية الترتيبات اضطر من حين لآخر أن يصدر سندات تقبل في بعض الاحيان نظير خصم وفي أحيان أخرى نظير رسم محدود ، وقد وجد انه من الضروري عمل لوائح خاصة لمواجهة كلتا الحالتين .

١٨٨٦

وفي العام ١٨٨٦ عندما انتشر الخصم تقرر فرض عمولة بمعدل واحد في المائة زيادة على سعر الخصم لكي يظل سعر العمولة واحداً في المائة وعندما يفوت الخصم ٢ في المائة يتوقف اصدار الحوالات المالية .

١٨٨٩

وفي العام ١٨٨٩ عندما كانت سندات المقيم قابلة للبيع برسم معين وتراكمت النقود سريعاً جداً في خزانة المقيمية . اعطي المقيم الحق في أن يرفع العمولة على الحوالات المالية في كل من بغداد والبصره إلى اثنين في المائة عندما كانت تباع السندات على الهند بقسط واحد في المائة ، وان أوقفت الحوالات المالية في كل من المكانين عندما يزيد القسط على ١ في المائة .

في العام ١٨٩٤ تأكد حظر استيراد الاشياء الآتية في العراق التركي : الاسلحة والذخائر ، العقاقير السامة ، الملابس القديمة ، الادوات التي يحتمل أن تحمل اوبئة ، والصور (خلاف الصور البسيطة) الخاصة بالشخصيات الملكية والوجهاء الآخرين . وقد اضيف الآن الى هذه عدد من الاشياء الاخرى التي يمكن أن تحمل الطاعون وظل تصدير الاثار غير قانوني ، ولكنه استمر الى حد ما عن طريق مكاتب البريد الهندية حتى العام ١٨٩٥ عندما اكتشفت هذه العملية فأوقفت بتشديدات على قبول الطرود ومنها الكتب المستوردة ما عدا هذه التي يحصل عليها الموظفون القنصليون الاجانب لاستعمالهم الشخصي أو لدوائرهم فتخضع للفحص بواسطة مدير الارشاد العام التركي بوصفه رقيباً ، وفي العام ١٨٩٦ كانت جميع طرود الكتب التي ترد بخطابات بريدية ترسل له بانتظام ليطلع عليها . ولكن في وقت ما بعد ذلك قبل العام ١٩٠٣ عندما اكتشفت السلطات البريدية الهندية أن المطبوعات المعترض عليها كانت تدخل بغداد بواسطة بريد الكتاب الهندي ، تولى المقيم السياسي البريطاني عن طريق فحص البريد رد الكتب غير الموافق عليها الى مرسلها عن طريق مكتب الرسائل الميتة . وترسل الجرائد والمطبوعات الاخرى المحظورة بواسطة الحكومة التركية بانتظام الى مكتب الرسائل الميتة . وقد ادرج على القائمة السوداء لهذه المطبوعات حوالي ٢٠٠ اسم بين السنوات ١٨٩٩ و ١٩٠٣ فقط .

ملحق ١ ـ جدول باتفاقات البريد   قسم الخليج (عدا خط البصرة ـ بغداد)

تاريخ بدء الاتفاقية	الفترة الممنوحة للاتفاقية	المتعهدون الذين منحت لهم	مبلغ الاعانة السنوية	عدد مرات الخدمة	معدل متوسط السرعة للاتفاقية	موانئ المرور
أول اكتوبر ١٨٦٢ (موافقة فقط لها قوة الاتفاقية)	لمدة سنة واحدة	شركة الملاحة البخارية الهندية البريطانية (ثم شركة بورما)	٨٠,٠٠٠ روبية	٨ رحلات في السنة	...	جوادر — مسقط — بندر عباس — بوشهر — البصرة
١٨٦٦ (عدلت في ١٨٦٧)	لمدة ٥ سنوات	شركة الملاحة البخارية الهندية البريطانية	١٦٠,٠٠٠ روبية (ويبدو أنها ازدادت في سنة ١٨٦٨)	مرتين في الشهر (ازدادت مرة كل أسبوعين في سنة ١٨٦٨)	...	مسقط — بندر عباس موسندم — بوشهر والبصرة.
أول يوليو ١٨٧٠	إلى نهاية ١٨٧٢ (أو أطول من ذلك إذا لم يعط أحد الطرفين إنذاراً	〃	٧,٦٦٦ $\frac{2}{3}$ روبية لكل رحلة كاملة	كل اسبوعين	رحلة كاملة تتم فيما لا يزيد عن ٣٨ يوماً وما لا يقل عن ٣٣ يوماً	كراتشي — جوادر مسقط — بندر عباس لنجه — بوشهر — الفاو — البصرة، والعودة من الطريق نفسها مع

تاريخ بدء الاتفاق	الفترة الممنوحة للاتفاقية	المتعهدون الذين منحت لهم	مبلغ الاعانة السنوية	عدد مرات الخدمة	معدل متوسط السرعة للاتفاق	موانئ المرور
					من بومباي إلى البصرة والعكس	توقف اختياري في هنجام أو البحرين
أول مايو ١٨٧٤	إلى ٣٠ ابريل ١٨٨٤	١	اعانة كاملة للشركة ٧٢٥,٠٠٠ روبية ولكن بعضها الناتج عن الخدمة في الخليج غير مؤكد.	اسبوعياً	٧ ١/٢ عقدة	كراتشي (اختيارية) جوادر (كل اسبوعين) مسقط (كل اسبوعين) أو أسبوعياً إذا (أمرت بهذا الحكومة) ، بندر عباس ولنجه (لا أكثر من مرة كل اسبوعين إذا توقفت الباخرة في البحرين ، القطيف أو الكويت بدلاً من ذلك) البحرين (اختيارية) القطيف (اختيارية)

تاريخ بدء الاتفاق	الفترة الممنوحة للاتفاقية	المتعهدون الذين منحت لهم	مبلغ الاعانة السنوية	عدد مرات الخدمة	معدل متوسط السرعة للاتفاق	موانئ المرور
						بوشهر (اسبوعية) الكويت (اختيارية) الفاو (اسبوعية) المحمرة (اختيارية) البصرة (اسبوعياً) والعودة من الطريق نفسها وخدمة كل أربعة أسابيع من عدن إلى البصرة والعودة ، وقد نظم التوقف في الموانئ المتوسطة .
أول مايو ١٨٨٤	إلى ٣٠ ابريل ١٨٩٤	١	إعانة كاملة للشركة للخدمة في ٧ خطوط متضمنة الخليج	١	٨ عقد ومتوسط مدة الرحلة بما فيها التوقف في	جوادر (كل اسبوعين) مسقط (كل اسبوعين) بندرعباس — لنجه — بوشهر — الفاو — البصرة

تاريخ بدء الاتفاق	الفترة الممنوحة للاتفاقية	المتعهدون الذين منحت لهم	مبلغ الاعانة السنوية	عدد مرات الخدمة	معدل متوسط السرعة للاتفاق	موانئ المرور
			٤٣٩,٠٠٠ روبية ولكن بعضها بسبب الخدمة في الخليج غير مؤكد وقد منحت بعض الاعانات الاضافية		المواني لاتتعدى ٨ أيام في الذهاب و٩ أيام في رحلة الإياب	والعودة من الطريق نفسها وللحكومة أن تأمر البواخر بالتوقف في أي ميناء أو موانئ بالاضافة إلى ما ذكر . والتوقف في مثل هذا الميناء يكون ثلاث ساعات في النهار والوقت المسموح به للرحلة يمكن أن يزداد بما يتناسب
أول مايو ١٨٩٤	إلى ٣٠ ابريل ١٩٠٤	"	الإعانة الكلية للشركة للخدمة في ١٢ خط بما فيها الخليج هي	"	"	"

تاريخ بدء الاتفاق	الفترة الممنوحة للاتفاقية	المتعهدون الذين منحت لهم	مبلغ الاعانة السنوية	عدد مرات الخدمة	معدل متوسط السرعة للاتفاق	موانئ المرور
			٥٠٥,٥٠٠ روبية ولكن جزءاً منها متعلقاً بالخدمة في الخليج غير مؤكد			
أول مايو ١٩٠٤	لإنهاء اتفاق البريد الشرقي المعمول به فإنه خاضع لحد أدنى ٧ سنوات وحد أقصى ١٠ $\frac{3}{4}$ سنة	«	٤٢٦,١٢٤ روبية بسبب خدمات الخليج التي منها ٣٠٠,٠٠٠ كانت بسبب خط جديد سريع	خدمة منفصلة سريعة وبطيئة وكل منها اسبوعياً	١٣ عقدة للسريعة و ٨ عقد للبطيئة	

ملحق ٢ ـ جدول اتفاقات البريد خط البصرة ـ بغداد

تاريخ بدء الاتفاقية	المدة الممنوحة فيه	المتعهدون الذين منحت لهم	مبلغ الاعانة السنوية	عدد مرات الخدمة
أول مايو ١٨٦٣	لمدة خمس سنوات	شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية	٢٤٠٠ جنيه أسترليني	كل ستة أسابيع في كل من الاتجاهين أو ثماني مرات في السنة
١٨٦٦	حتى نهاية الاتفاق الحالي السائد لبريد الخليج	»	٤٨٠٠ جنيه استرليني	كل أسبوعين في كل من الاتجاهين . ولكن في الواقع كانت ثلاث بواخر تسير في كل طريق في الشهر
أول يناير ١٨٧٦	حتى ٣٠ ابريل ١٨٨٤	»	٣,٦٠٠ جنيه انجليزي	ثلاث مرات في الشهر في كل من الاتجاهين ، ولكن البواخر كانت تسير اسبوعياً بعد سنة ١٨٧٨
أول مايو ١٨٨٤	حتى ٣٠ ابريل ١٨٩٤	»	٣٦,٠٠٠ روبية	اسبوعياً في كل من الاتجاهين
أول مايو ١٨٩٤	حتى ٣٠ ابريل ١٩٠٤	»	٢٤,٠٠٠ روبية	»
أول مايو ١٩٠٤	لمدة عشر سنوات	»	٢٤,٠٠٠ روبية	»

ملحق٣ـجدول مكاتب البريد الهندية البريطانية لقسم الخليج (دائرة بومباي)

اسم مكتب البريد	تاريخ التأسيس	الدرجة	الموظفون	مهام خاصة *	مواصلات البواخر	المتحصلات السنوية بالروبية	المصروفات السنوية بالروبية
مسقط	أول مايو ١٨٦٤	مكتب فرعي	وكيل ناظر بريد وكاتب وساعيان للبريد	حوالات مالية وتوفير صفقات أعمال البنوك	بريد سريع وبطيء أسبوعياً في كل من الاتجاهين	٣٦٩٠	١٥٦٠
البحرين	أول أغسطس ١٨٨٤	«	وكيل ناظر بريد وساعي بريد واحد	«	بريد بطيء كل أسبوعين إلى الهند وبريد بطيء أسبوعياً في الاتجاه المضاد	٢١٠٦	٩٢٤
البصرة	أول يناير ١٨٦٨وأصبحت دائمة في يوليه ١٨٦٩	«	وكيل ناظر بريد كاتب واحد وساعي بريد واحد	«	بريد سريع وبطيء أسبوعياً في كل من الاتجاهين	١٧٥٢	١٧٧٦

(*) لم يشرع أي من المكاتب في عمل تأمين بريدي .

اسم مكتب البريد	تاريخ التأسيس	الدرجة	الموظفون	مهام خاصة	مواصلات البواخر	المتحصلات السنوية بالروبية	المصروفات السنوية بالروبية
بغداد.	أول يناير ١٨٦٨ دائمة وأصبحت في يونيه ١٨٦٩	مكتب رئيسي	ناظر مكتب بريد كاتب واحد ساعي بريد واحد	ـ	بريد أسبوعي في كل من الاتجاهين بواسطة النهر	١٦٤٥	٢١٩٦
محمرة	١٩ يوليه ١٨٩٢	مكتب فرعي	وكيل ناظر بريد وساعي بريد واحد	ـ	بريد بطيء وسريع أسبوعياً في كل من الاتجاهين	١٣٥٧	١١٤٠
بوشهر	أول مايو ١٨٦٤	مكتب رئيسي	ناظر بريد ١ كاتب ٢ كتاب تحت الاختبار * ١ كاتب ٢ سعاة	ـ	ـ	٣٩٣٠	٤٥٦٠

(*) منذ ابريل عام ١٩٠٢ وهذان الكاتبان تحت الاختبار " في بوشهر لملء الوظائف الخالية العرضية في مكاتب بريد قسم الخليج .

اسم مكتب البريد	تاريخ التأسيس	الدرجة	الموظفون	مهام خاصة	مواصلات البواخر	المتحصلات السنوية بالروبية	المصروفات السنوية بالروبية
لنجه	أول ابريل ١٨٦٧ (أصبحت دائمة في ١٨٦٨)	مكتب فرعي	وكيل ناظر بريد وساعي بريد ٣ حراس إيرانيين	«	بريد بطيء كل أسبوعين إلى الهند وبريد بطيء اسبوعياً في الاتجاه المضاد	٤٥٠	١٣٠٨
بندرعباس	«	«	وكيل ناظر بريد وساعي بريد واحد	«	بريد بطيء أسبوعياً في كل من الاتجاهين	١٧٥٠	١١٨٨
جاشك	أول سبتمبر ١٨٨٠	مكتب فرع	كاتب تلغراف مسؤول وساعي بريد واحد	«	بريد بطيء كل اسبوعين في كل من الاتجاهين	٢٥٥	٥١٦
جوادر	١٢ ابريل ١٨٦٨ وأصبحت دائمة من أول يناير ١٨٦٩	مكتب فرعي مشترك	وكيل ناظر بريد وساعي بريد واحد	حوالات مالية وصفقات أعمال	بريد بطيء كل اسبوعين في كل من الاتجاهين	٧٨١	٧٥٦
						١٧٧١٩	١٥٩٢٤

ملحق ٤ ـ ضمان معطى من شيخ الكوكت بالا يسمح بانشاء مكتب بريد اجنبي غير بريطاني في الكويت
٢٨ فبراير ١٩٠٤

بما أن الحكومة البريطانية قد وافقت ، بما يتفق مع رغبتي ولمصلحة التجار أن تنشيء مكتب بريد في الكويت ، فاني من جانبي اوافق على ألا أسمح لأية حكومة أخرى بانشاء مكتب بريد هنا . وطبقاً لهذا فاني أكتب هذا التعهد بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن خلفائي .

ختم ــ الشيخ مبارك الصباح
الكويت
في ١١، ذي الحجة ١٣٢١
٢٨ فبراير ١٩٠٤

★ ★ ★

ملحق ل

تجارة الرقيق في منطقة الخليج (★)
تطور سياسة بريطانيا ضد الرقيق
١٧٧٢ ـ ١٨٣٨

لدى معالجة موضوع تجارة الرقيق في الخليج(*) أو في أي جزء آخر من العالم لا بد أن نتذكر ان موقف الحكومة البريطانية من هذا الموضوع كان متخلفاً في السابق عما أصبح عليه في القرن الماضي حيث لعبت بريطانيا أثناء ذلك دوراً رئيسياً في قمع هذه التجارة ، ولم يكن ذلك في أي مكان أكثر مما كان عليه في ساحل افريقية الشرقية وجنوب غرب آسيه وعلى ظهر الاسطول الذي حمل في العام ١٦٢٦ السير «دو مور كوتون» وهو سفير بريطاني مع موظفيه من صور الى بندر عباس كان هناك أكثر من ٣٠٠ من الرقيق اشتراهم الايرانيون في الهند والتعليق الوحيد الذي أوحت به المناسبة للسير «ت. هربرت» مؤرخ السفارة هو « ان السفن الى جانب نقل الثروات والتحف من مكان لآخر فانها تربط أبعد أقاليم الارض بمقاسمة السلع والميزات الاخرى كلاً مع الآخر » . وفي العام ١٧٧٢ قررت المحاكم الانجليزية ان العبد بمجرد أن

(★) التاليـة هي المراجـع الرئيسية عن تجـارة الرقيـق الى وفي الخليج : مختارات بومباي ، الجزء ٢٤ ، ١٨٥٦ ـ مختصر المراسلات الخاصة بشؤون زنجبار من عـام ١٨٥٦ الى ١٨٧٢ للملازم ب. د. هندرسون ـ مختصر شؤون زنجبار ١٨٧٢ الى ١٨٧٨ الرائد هـ. ل. رامسي ـ تقـارير الادارة للخليج لدار المقيمية السياسية من عام ١٨٧١ الى ١٩٠٧ ـ مختصر تجارة الرقيق في خليج عمان والخليج ١٨٧٣ ـ ١٩٠٥ للمستر ج. أ. سالدنها ـ معاهدات اتشنسن وزنجبار في الاوقات المعاصرة للمستر ر. ن. لن عام ١٩٠٥ .

تطأ قدمه ارض الجزر البريطانية يصبح حراً ، ولكن تجارة الرقيق واقتناءهم استمرا في الخارج تحت العلم البريطاني حتّى تاريخ متأخر ، وقد عرف في العام ١٧٩٠ أن من أصل حوالي ٧٤,٠٠٠ من الرقيق الذين صدروا من افريقيا كان هنالك حوالي ٣٨,٠٠٠ تابعين لتجار بريطانيين . واخيراً صدر في العام ١٨٠٧ قانون أصبح بموجبه لا يسمح لاية سفينة بأن تشحن عبيداً من ميناء في الممتلكات البريطانية بعد اول مايو ١٨٠٧ او تنزل عبيداً في مستعمرة بريطانية بعد اول مارس ١٨٠٨ . وكانت عقوبات مخالفة هذا القانون اول الامر مالية ، ولكن في العام ١٨١١ أعلن أن تجارة الرقيق كانت جناية كبرى وجعلت عقوبتها الاعدام . وحتّى هذا الوقت كان السعي قاصرا على حظر المعاملات التجارية في الرقيق بواسطة الرعايا البريطانيين ، ولكن الحركة ضد الرقيق كمؤسسة استمرت الى ان تم في العام ١٨٣٣ الغاء حق ملكية العبيد في جميع الممتلكات البريطانية ، وتم تحرير جميع العبيد نهائياً في أغسطس عام ١٧٣٨ بعد فترة انتقال في معظم الامكنة اتفق علي تحديدها .

★ ★ ★

قمع تجارة الرقيق في الخليج

تقسيم الموضوع

ان موقف الحكومة البريطانية العـــــام بشأن الرقيق هو كما أوضحناه ، وبقي أن نتساءل بأية وسيلة والى أي حد نفذت سياستها في الاوقات الاخيرة في الخليج . إن تلك السياسة معادية بلا هوادة لتجارة الرقيق وهي ضد الرقيق كنظام . وفي هذا سندخل في حسابنا اولا : الاتفاقيات البريطانية مع الدول الاجنبية والتشريعات الداخلية البريطانية التي قررت خطة العمل بصفة أساسية في الخليج . وثانياً : أسئلة معينة لها علاقة بمعنى تطبيق الإتفاقات والتشريعات التي تعرضت للمناقشة من

وقت لآخر . وثالثاً : الامور الثانوية للاجراءات البريطانية ضد الرقيق في الخليج . ورابعاً تاريخ تجارة الرقيق الخارجية في الخليج والعمليات الوقائية البريطانية . وخامساً : تاريخ تجارة الرقيق الداخلية في الخليج . وسادساً : الرقيق المحلي في الخليج واخيراً النتائج العامة للسياسة البريطانية ضد الرق في الخليج .

في معالجتنا للمبادئ القانونية للموقف فانه من الضروري أن نبدأ بالسلطات القضائية . والفكرة العامة عن الوضع القانوني في الخليج تكون ممكنة فقط بعد تحليل الاتفاقات المنفصلة والتشريعات بالتفصيل .

★ ★ ★

الاتفاقيات مع اسياد وسلاطين عمان ١٨٢٢ ـ ١٩٠٧

معاهدة سبتمبر ١٨٢٢

عقدت اول معاهدة لالغاء الرقيق بين حاكم مسقط في الرابع من سبتمبر ١٨٢٢ بين الرئيس « مورسي » قبطان السفينة الملكية « ميناي » وذلك بموجب تعليمات من السير «فاركهر» حاكم موريشيوس وقد وقعها السيد سعيد . وقد حظرت الاتفاقية قيام رعايا السيد ببيع الرقيق للدول المسيحية ، وفرضت عقوبة لمن يقتني الرقيق منهم لغرض بيعهم للمسيحيين ، واعطى الاتفاق الحق للحكومة البريطانية في تعيين وكيل لها في ممتلكات السيد في شرق افريقيا لمراقبة التجارة والاستيلاء بعد انتهاء فترة اربعة أشهر على أية سفينة عمانية تضبط حاملة رقيقاً للدول المسيحية. ووقعت مادة اضافية في التاسع من سبتمبر تخول الحكومة البريطانية السلطة في الاستيلاء على السفن المخالفة التي توجد فيما وراء (أعني الى

(★) الاتفاقات .. الخمس المذكورة في هذه الفقرة ستوجد في معاهدات اتشسن .

الشرق او الجنوب من) خط مرسوم من رأس دجادو في افريقيا من نقطة ٦٠ ميلا من سوقطرة الى ديو في الهند الا اذا زج بها الى ذلك الخط في ظروف لا تمكن التحكم بها وقد أكدت شروط هذه المعاهدة في معاهدة تجارية لاحقة عقدت في ٣١ مايو ١٨٨٩ .

قرار بعدم الضغط على الالغاء الكلي للتجارة سنة ١٨٣٨

بموجب المعاهدة التي ذكرت الآن وجدت الوسائل الكفيلة بالقضاء على تجارة الرقيق بين افريقيا والهند ، ولكن ترك عمداً حزام واسع بينهما استمرت فيه التجارة قانونية وهو يربط الساحل الشرقي لافريقيا بعمان . وفي العام ١٨٣٧–١٨٣٨ نوقشت امكانية العمل لاقناع السيد سعيد وشيوخ عمان المتصالح لمنع جميع تجارة الرقيق في اراضيهم ، ولكن وجد ان مثل هذا التحريم يستلزم دفع تعويضات كبيرة للموقعين الذين من بينهم من فقد من قبل ١٠٠,٠٠٠ دولار في العام نتيجة لمعاهدة عام ١٨٢٢ ، وذلك كما ذكر السيد . ولا داعي لذكر النفقات الباهظة جداً على الاجراءات الوقائية . وللأمر تأثيره على المسلمين نظراً لان الرق مشروع(١) في ديانتهم ، ولانهم اعتادوا على وجود اعداد من الرقيق

---

(١) جاء الاسلام وقد كان الرق موجودا ، فواجه بذلك أوضاعا عالمية قائمة ، وتقاليد في الحرب عامة ، ولم يكن للاسلام أن يطلق الاسرى من الاعداء أحرارا على حين أن هؤلاء الاعداء يأسرون المسلمين ويسترقونهم ، فكان عليه أن يقابل المعاملة بالمثل ، فيسترق هؤلاء الاسرى من الاعداء كما كانوا يفعلون بأسرى المسلمين .

وقد سار الاسلام على قاعدته الايجابية ، وهى التى تشير اليها الآية الكريمة : « فاما منا بعد واما فداء » . واستجابة لهذه القاعدة فان الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الحالات ، أطلق بعض الاسارى ، وفادى ببعضهم أسرى المسلمين ، وفادى بعضهم بالمال . وفي حالات أخرى وقع الاسترقاق لمواجهة حالات قائمة لا تعالج بغير هذا الاجراء .. فاذا حدث أن اتفقت المعسكرات كلها على عدم استرقاق الاسرى ، فان الاسلام يرجع حينئذ الى قاعدته ، وهى : « فاما منا بعد واما فداء » لانقضاء الاوضاع التى كانت تقضى بالاسترقاق ، ومن هذا نرى أن =

في حوزتهم ، مما سيثيرهم نتيجة لهذا التغيير الجذري ، واخيراً لعدم توقع وجود نتيجة ذات فائدة اذ أن هذه التجارة ستتحول الى الاراضي التركية والايرانية وولايات الحكام المستقلين مثل شيخ القطيف الذي لم تعقد معه اتفاقات لوقف تلك التجارة .

= الاسترقاق ليس حتميا ، وليس قاعدة من قواعد معاملة الاسرى في الاسلام ·

ولما كان وجود الرقيق في الجماعة من شأنه أن يساعد على هبوط المستوى الخلقي ، وان يعين على الترخص والاباحية بحكم ضعف حساسية الرقيق بالكرامة الانسانية ، وكان وجود الرقيق ضرورة اذ ذاك لمقابلة أعداء الاسلام بمثل ما يعاملون به أسرى المسلمين ، لما كان الامر كذلك ، عمل الاسلام على التخلص من الارقاء كلما واتت الفرصة حتى تتهيأ الاحوال العالمية لالغاء نظام الرق كله كما أن في تحريرهم اكراما لانسانيتهم ، فنراه يسعى لتحرير الرقاب في صور متعددة :

١ ــ جعل الجزاء موفورا لمن يسعى في عتق هؤلاء الرقيق ، ومدح القرآن أبا بكر حين اشترى بلالا وأعتقه ·

٢ ــ جعل من مصارف الزكاة نصيبا يدفع لهؤلاء مساعدة على تحرير رقابهم ·

٣ ــ أوجب اجابة الرقيق الى طلب المكاتبة على حريته ، وذلك في مقابل مبلغ من المال يؤديه فينال حريته : « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » · وانظر كيف عالج الاسلام المشكلة ، بحيث يستأصل جذورها ، ويخمد خطرها ·· فهو حين يقول : « ان علمتم فيهم خيرا » يجعل ذلك شرطا · فالخير هو الاسلام أولا ، ثم هو القدرة على الكسب فلا يتركه كلا على الناس بعد تحريره ، فقد يلجأ الى أحط الوسائل ليعيش ، ويكسب ما يقيم أوده ، والاسلام نظام تكافل ، وهو كذلك نظام واقعي ، فليس المهم أن يقال : ان الرقيق قد تحرر ، وليست الشعارات الفارغة همه ، انما تهمه الحقيقة الواقعة ، ولن يتحرر الرقيق حقا ، الا اذا قدر على الكسب بعد عتقه ·

٤ ــ جعل تحرير الرقاب كفارات من آثام وذنوب يجترحها المسلم كالحنث في اليمين ، والفطر المتعمد في الصوم ، والظهار ··· الخ ·

هذا وقد انتهى نظام الرق كله بمجرد وجود معاهدات عالمية تحرم استرقاق الحرب ، فنظام الرق كان مؤقتا في الاسلام مقيدا بمبدأ المعاملة بالمثل ··

توسيع معاهدة سنة ١٨٢٢ في ١٧ ديسمبر ١٨٣٩

يبدو أنه فيما يختص بالترتيبات الجديدة التي كانت تعد حينئذ مع شيوخ عمان المتصالح في ١٨٣٩ وافق سيد مسقط على توسيع معاهدة عام ١٨٢٢ ، واعطت المواد الرئيسية الجديدة الحق لبحارة الحكومة البريطانية في احتجاز وتفتيش السفن العمانية التي توجد بعد الخط المحدد اذا ما اشتبه بأنها تتعاطى بتجارة الرقيق ، وايضاً احتجاز هذه السفن اذا اتضح أنها تحمل رقيقاً بقصد البيع بعد الخط المحدد شريطة ألا يكون وجود السفن المخالفة بعد الخط اضطرارياً . وفي الوقت نفسه أعلن ان بيع الصوماليين مستقبلا كرقيق يعاقب عليه كالقرصنة على أساس أن الصوماليين كانوا بحكم الطبيعة أحراراً ، أعني أنهم ينتمون الى جنس يعتبر غير مستعبد في نظر الفقهاء المسلمين ، وقد عدل الخط الحصاري بأن أصبح مروره من «رأس دجادو» درجتين نحو البحر من جزيرة سوقطرة ثم الى بوزيم على ساحل مكران الايرانية وبهذا التغيير سيلاحظ أن موانئ السيد في جوادر وشهبار على ساحل مكران اغلقت بوجه تجارة الرقيق .

مشروع السيد سعيد ١٨ أغسطس ١٨٤٥

وفي ١٨ اغسطس عام ١٨٤٥ وافق السيد سعيد بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن ورثته وعن حكامه على المساعدة في القبض على الرعايا البريطانيين الذين يعملون بتجارة الرقيق . ويبدو ان هذا كان شرطاً أغفل بغير قصد في صياغة معاهدة ١٨٢٢ .

الاتفاق الاضافي ٢ أكتوبر ١٨٤٥

وقبل نهاية هذه السنة نفسها اتخذت خطوة أكبر في عقد اتفاق اضافي تاريخه ٢ اكتوبر ١٨٤٥ ، وهو الذي تعهد السيد بموجبه ، تحت أقسى العقوبات ان يحرّم تصدير الرقيق من ممتلكاته الافريقية ، وان يحرّم أيضاً

تحت أقسى العقوبات استيراد الرقيق من أي جزء من افريقيا الى ممتلكاته في آسيا ، وأن يستعمل أقصى نفوذه مع جميع زعماء شبه الجزيرة العربية والبحر الاحمر والخليج ليمنعوا بطريقة تشبه هذه استقدام الرقيق من افريقيا الى بلاد كل منهم ، وفي هذا الاتفاق نفسه الذي كان سيوضع موضع التنفيذ ابتداء من اول يناير ١٨٤٧ خوّل السيد سعيد السلطة لسفن البحرية الملكية وشركة الهند الشرقية في حجز ومصادرة السفن العُمانية التي تعمل بتجارة الرقيق الا إذا وجدت حاملة رقيقاً بين موانئ محّددة على الساحل الشرقي لا فريقيا .

لائحة ١٥ سبتمبر ١٨٤٨

وقد أوضحت شروط التنفيذ بالمادتين ١١ و ١٢ من المعاهدة المؤرخة في ١٥ سبتمبر ١٨٤٨ وهي التي خولت الضباط البريطانيين سلطة التصرف بما يتفق مع نصوصها ، وهي التي نظمت في الوقت نفسه المكافآت التي يتسلمها الذين يأسرون سفن الرقيق .

قرار لمجلس الشركة بشأن مسقط ٤ نوفمبر ١٨٦٧

خول قرار لمجلس الشركة بشأن مسقط في ٤ نوفمبر ١٨٦٧ السلطة للقنصل البريطاني نفسه في مسقط أن يحاكم بمساعدة معاونيه أي شخص من الرعايا البريطانيين يتهم بالعمل او المشاركة في شراء أو بيع العبيد او يكون في حوزته رقيق بصفة غير شرعية وان يرسل القنصل مثل هؤلاء الرعايا البريطانيين الى الهند لمحاكمتهم بواسطة المحكمة العليا في بومباي .

ميثاق صحار ٢٢ مايو ١٨٤٩

وفي ٢٢ مايو عام ١٨٣٩ تم التوصل في صحار – التي كانت مع المنطقة التي حولها تشكلان إمارة مستقلة عن مسقط – لميثاق مع سيد سيف بن حمود زعيم صحار ، تعهد بموجبه ان يمنع اعتباراً من ٢١ يونيه عام ١٨٤٩ تصدير العبيد من ساحل افريقيا والأماكن الأخرى في سفن تابعة له او لرعاياه ووافق على حجز مثل هذه السفن والبحث عنها

بواسطة الطرادات البريطانية عندما يشتبه بأنها تشترك في تجارة العبيد وفي مصادرتها في حالة التأكد من ذلك .

لائحة ٩ مايو ١٨٥٣

كذلك على غرار اتفاق ١٨٤٥ مع سيد عمان اتخذ اجراء قانوني في بريطانيا العظمى لتنفيذ ميثاق زعيم صحار باصدار لائحة (١٦، ١٧) بتاريخ ٩ مايو ١٨٥٣ كانت شروطها تشابه شروط لائحة ١٥ سبتمبر ١٨٤٨ .

معاهدة ١٤ ابريل ١٨٧٣

كان سيد سعيد ، الذي عقدت أثناء حكمه جميع الاتفاقات المذكورة يتولى السلطة على كل من زنجبار وعمان ، ولكن بعد موته في العام ١٨٥٦ أصبح كل من هذين الجزءين سلطنة منفصلة . أما سلطان زنجبار فليس لنا معه شأن الا ملاحظة أن أحد شروط اتفاق عام ١٨٤٠ الذي سمح بشحن الرقيق بين الموانئ في شرق افريقيا أسيء استعماله بطريقة أدت الى استمرار تجارة الرقيق بين شرق افريقيا والخليج . واخيراً فان هذا الظرف تطلب ضرورة مراجعة اتفاق عام ١٨٤٥ . وذكر الرائد «رجبي» ، المعتمد السياسي في زنجبار ، في عام ١٨٦١ أن الاتفاق كان خطاباً ميتاً منذ تنفيذه ، فقد صدّر عام ١٨٦٠—٦١ لا أقل من ١٠,٠٠٠ عبد باتجاه الشمال من شرق افريقيا . وكان لا بد في الواقع من تغيير في الاتفاقات المعقودة مع سلطان زنجبار فقط ، ولكن انتهز فرصة وجود سير بارتل فرير في زنجبار في ١٨٧٣ للتوصل الى معاهدة تكون أكثر مواتاة من اتفاق عام ١٨٤٥ بالنسبة للظروف المتغيرة لهذا الحاكم .

ففي ١٢ ابريل ١٨٧٣ وصل السير «ب. فرير» وهيئة موظفيه الى مسقط حيث كانت عقبات التفاهم أقل كثيراً عنها في زنجبار ، وتحققت الامور سريعاً بمساعدة الرائد « بيلي » المقيم السياسي ، وفي ١٤ ابريل

وقّعت معاهدة جديدة ، وبهذه الوثيقة حرم تماماً استيراد الرقيق من الخارج الى اراضي السلطنة . وأعلن ان السفن التي تحمل الرقيق عرضة للمصادرة من قبَل الضباط البريطانيين والمحاكم البريطانية ووعد السلطان بإغلاق جميع أسواق الرقيق العامة في اراضيه . وتعهد السلطان بحماية جميع العبيد المحررين بما له من قوة ، ووعدت صاحبة الجلالة البريطانية بمنع آهالي الولايات الهندية التي تحت الحماية البريطانية من الحصول على رقيق جديد . وبعد تاريخ محدد منعهم من امتلاك أي عبد على الاطلاق ولكن الشرط الجدير بالملاحظة في المعاهدة هو أن جميع الاشخاص الذين يدخلون ممتلكات السلطنة وتوابعها بعد ذلك يجب ان يكونوا أحراراً ورضخ ايضاً سلطان زنجبار ولكن بعد سفر سير فرير من زنجبار وقعت معاهدة التحريم التام لتجارة الرقيق في ٥ يونيه عام ١٨٧٣ .

★ ★ ★

الاتفاقيات مع شيوخ عمان المتصالح ١٨٢٠ ـ ١٩٠٧(★)

الاتفاقية العامة ١٨٢٠

ان اول اتفاقية في جميع الاتفاقيات الخاصة بقمع تجارة الرقيق في الخليج كانت داخلة ضمن المعاهدة العامة للعام ١٨٢٠ التي أعقبت العمليات البريطانية ضد القواسم في ١٨١٩—١٨٢٠ . وقد تقرر بموجب المادة التاسعة من تلك المعـــــاهدة اعتبار حمل العبيد من سواحل افريقيا او امكنة أخرى ونقلهم في السفن نهباً وقرصنة وان على رعايا الحكام الموقعين على المعاهدة عدم التعاطي بأي عمل من هذا القبيل ، ويبدو أن هذه المادة قد أدخلت في المعاهدة بناء على طلب الرئيس « ج.

(★) الاتفاقيات .. الخمس المذكورة في هذه الفقرة موجودة في معاهدات اتشيسن .

ب. تومبسون» من فرقة الفرسان الملكية الخفيفة السابعة عشرة وهو الذي كان مترجماً للسير « جرانت كير » القائد العام للبعثة والذي اشتهر بعد ذلك بأنه « نصير مذهب الغاء الرقيق » ، وقد ذكر بصفة خاصة في ذلك الوقت أنه لم تكن هناك ضرورة للاقناع بقبول هذا النص .

قرار بعدم الضغط على الالغاء الكلي للتجارة سنة ١٨٣٩

في العام ١٨٣٧ – ٣٨ تقرر كما لوحظ من قبل في موضوع اتفاقيات سلطنة عمان عدم الضغط على الشيوخ المتصالحين أو على سيد مسقط لالغاء تجارة الرقيق في ممتلكاتهم بصفة كلية ، واسباب هذا القرار كانت مالية من ناحية وسياسية من ناحية أخرى .

اتفاقية سنة ١٨٣٨

وكانت هناك شكاوى في العام ١٨٣٧ من غارات للحصول على الرقيق يقوم القواسم بها على ساحل افريقيا الشرقية والصومال . وقد أنكر أحد القواسم الذي تصادف وجوده في بوشهر في ذلك الوقت الاتهامات الخطيرة للمخبر الرئيسي ، الا أن شخصاً يدعى عبدالله بن عواز اعترف بأن القواسم قد اشتروا عبيداً بقدر عدد الاسرى الذين أخذتهما قبيلتان متعاديتان كل من الاخرى في الارض الصومالية . وفي ١٧ ابريل عام ١٨٣٨ ، ونتيجة لهذه الاقوال ، تم التوصل الى اتفاقية مع شيخ الشارقة القاسمي يبيح اعتقال وتفتيش السفن الخاصة برعاياه عندما يشتبه بأنها تحمل رقيقاً ، ومصادرة مثل تلك السفن عندما يشتبه بالبرهان انها حملت أو أنزلت عبيداً . ووقعت اتفاقيات مشابهة أيضاً مع شيوخ عجمان ودبي وأبو ظبي ولكن ليس على ما يبدو مع شيخ ام القوين .

اتفاقية سنة ١٨٣٩

وفي العام التالي اعيدت صياغة هذه الاتفاقية بحيث تبيح اعتقال وتفتيش السفن المشتبه بها ومصادرة السفن المدانة وحمولتها من قبل الطرادات البريطانية اذا وجدت فقط خارج خط محدد يمتد من رأس

دجادو الى نقطة من ناحية البحر على بعد درجتين من سوقطرة الى رأس جوادر ، على ألا تنفذ المصادرة اذا عُبِرَ الخط تحت قسوة الجو او كان العبور قد تم قهراً . وقد اضيف ، نتيجة للتحريات التي سببتها التقارير الخاصة باسترقاق الصوماليين ، ان الصوماليين أحرار وان التجارة في الرقيق الصومالي يجب ان يعاقب عليها كالقرصنة بعد انتهاء مدة أربعة أشهر . وقد نفذ شيخ أبوظبي اتفاقية ١٨٣٩ في أول يوليه ١٨٣٩ ، وشيخ دبي وأم القوين في ٢ يوليه ، وشيخ الشارقة في ٣ يوليه . ويبدو أنه لم يمكن الحصول على اتفاق بهذه المناسبة من شيخ عجمان . وقد مدح حاكم عام الهند وهيئة وزرائه بحرارة الرئيس «هنل» المقيم في الخليج لنجاحه في الحصول على هذه الاتفاقيات التي على ما يعتقد كانت ستجعل في الامكان القضاء على تجارة الرقيق الافريقية على سواحل الهند .

اتفاق سنة ١٨٤٧

في ١٨٤٧ أمكن الحصول على اتفاقية اضافية أكثر صرامة مع الشيوخ المتصالحين الخمسة وبواسطتها عملوا على تحريم تصدير الرقيق من أي مكان مهما كان على ظهر سفن خاصة بهم أو برعاياهم ، ووافقوا على احتجاز وتفتيش هذه السفن ومصادرتها في حالة الادانة من قِبَل الطرادات البريطانية . ووقع الشيوخ الاتفاق الجديد في تواريخ مختلفة من شهر مايو ١٨٤٧ ونفذ في ١٠ ديسمبر من السنة نفسها .

لائحة اول اغسطس ١٨٤٩

ولتمكين الضباط البريطانيين والسفن للعمل باتفاق عام ١٨٤٧ صدرت لائحة جديدة وقعت بتاريخ أول اغسطس عام ١٨٤٠ وكانت شروطها تشبه شروط لائحتي ١٨٤٨ و ١٨٥٣ الخاصتين بمسقط وصحار .

تعهد سنة ١٨٥٦

وللتأكيد على أغراض اتفاقية ١٨٤٧ تم الحصول على تعهد جديد عام ١٨٥٦ من كل من الشيوخ المتصالحين ، تعهد فيها الموقعون بأن يقبضوا

على ، ويسلموا إلى السلطات البريطانية العبيد الذين يتضح أنهم أحضروا الى اراضيهم او الى أماكن خاضعة لسلطتهم ، وأن يفرضوا أيضاً الحظر على أي قارب يرتكب مخالفة رقيق ويحجزوه تحت تصرف المقيم السياسي البريطاني .

تأكيدات سنة ١٨٧٣

وفي العام ١٨٧٣ أعطى شيخا الشارقة وأبو ظبي تأكيدات للتمسك بالاتفاقيات القائمة فيما يختص بتجارة الرقيق .

★ ★ ★

الاتفاقيات مع شيخ البحرين ١٨٢٠ ـ ١٩٠٧

معاهدة ١٨٢٠ ، تعهدا ١٨٤٧ و ١٨٥٦ وميثاق ١٨٦١

وقع شيخ البحرين على ثلاث اتفاقيات قبلها شيوخ عمان المتصالح ، أي اتفاقيات عام ١٨٢٠ ، ١٨٤٧ ، ١٨٥٦ . وفي ٣١ مايو عام ١٨٦١ وافق شيخ البحرين في مقابل الحماية التي تقدمها له الحكومة البريطانية أن يمتنع عن الرقيق وعن الاعمال غير القانونية الاخرى في البحر .

★ ★ ★

الاتفاقيات مع شيوخ قطر والاحساء والكويت

لم يتم التوصل الى اتفاقيات في موضوع تجارة الرقيق مع شيوخ قطر والكويت او مع شيوخ الاحساء . وحتى العام ١٨٧١ كانت الاحساء تابعة لامارة الوهابيين في نجد الا في فترتين قصيرتين كانت خلالها تحت سيطرة المصريين .

الاتفاقيات مع الحكومة التركية(١) ١٨١٢ ـ ١٩٠٧

أمر باشا بغداد ١٨١٢

وباستثناء الامر الذي أصدره باشا بغداد في ١٨١٢ بوجوب تسليم الهنود الذين يخطفون ويحضرون الى البصرة للبيع كرقيق الى المعتمد البريطاني في البصرة لم تعقد اتفاقيات مع الباب العالي لوقف تجارة الرقيق حتى العام ١٨٤٧ .

المرسوم الامبراطوري ١٨٤٧

وفي نهاية يناير من تلك السنة وبناء على طلب الحكومة البريطانية أصدر سلطان تركيا مرسوماً منعت بموجبه السفن التجارية التي ترفع العلم التركي من العمل في تجارة الرقيق وإلا تصبح عرضة للمصادرة في حالة العصيان كما يتعرض أصحابها للعقوبة ، وقد اتفق على ان السفن المخالفة يمكن ان يأسرها البريطانيون والعسكريون الاتراك ، وفي الحالة الاولى تسلم السفن التي تؤسر إلى السلطات التركية في الخليج . وأمر والي بغداد في الوقت نفسه ان تنشر اوامر جديدة تقرر تنفيذها بعد اربعة أشهر من ٢٧ يناير عام ١٨٤٧ قاضية بأن يعاد العبيد المصادرون من قبل تركيا لأوطانهم . وقد حذّر والي بغداد في أن يقتصر صدّ البواخر عن الموانئ التركية في حالة ما اذا كانت البواخر التي تحمل رقيقاً تخص زعماء عرباً مستقلين . وفي النهاية أمر بأن الرقيق المعتوقين ، طبقاً لما يختارون هم انفسهم ، إما ان يسلموا للسلطات البريطانية لتعيدهم الى بلادهم او يسمح لهم بالبقاء في الممتلكات العثمانية على ان تكون لهم الحماية الكافية ضد إعادة استرقاقهم .

---

(١) الاتفاقات المذكورة في هذه الفقرة موجودة في معاهدات أتشيسن . والمعلومات الكاملة الخاصة بقوانين الرقيق التركية ستوجد في المجلد الثاني ، صفحات ١٦٦ ـ ٢٠٦ .

وقد تم تنظيم هذه الترتيبات وإنفاذ مفعولها بمعاهدة عقدت في القسطنطينية في ٢٥ يناير عام ١٨٨٠ بين الحكومة البريطانية والباب العالي، وبهذا الاتفاق تعهدت الحكومة التركية بمنع استيراد العبيد الافريقيين إلى أي جزء من الممتلكات العثمانية وألا تسمح بتصدير أي منهم الا كخدم منازل يلازمون أسيادهم او سيداتهم ، وفي هذه الحالة يجب أن تقدم لهم شهادات . وقد عملت ترتيبات لمحاكمة الاشخاص من غير الرعايا العثمانيين الذين يرتكبون مخالفات الرقيق في الارض التركية . وتقرر اطلاق سراح جميع العبيد الذين يوجدون في حوزة التجار ، وبعد ان يتخذ الباب العالي الاجراءات الكافية ليضمن بقاءهم أحراراً مع العناية بهم . وأُعطي للطرادات حق زيارة وتفتيش ، واذا كان من الضروري ، حجز السفن التجارية التي يثبت أو يشك في أنها تعمل في تجارة الرقيق الافريقي . وهذه الحقوق تمارس فقط في البحر الاحمر وخليج عمان ، وعلى الساحل العربي وفي الخليج وعلى ساحل افريقيا الشرقي وفي المياه البحرية العثمانية التي لا توجد فيها سلطات نظامية . وكان يجب تسليم السفن المحجوزة الى أقرب سلطات عثمانية بغرض ضمان تحريرهم ، وبناء على طلب أي ضابط بحري او موظف قنصلي بريطاني يجب ان تجبر السلطات في أي ميناء عثماني على التفتيش ، وتتصرف طبقاً لنتائج التفتيش ، بأية سفينة يعلن الضابط البريطاني أنها تعمل في تجارة الرقيق الافريقي كذلك فالسفن التي ترفع العلم البريطاني معرضة في الظروف المشابهة وفي الاماكن نفسها للتفتيش والحجز بواسطة السلطات او الطرادات التركية ، ولكن السفن التي تضبط ، يجب ان تحول بشحنتها وبحارتها لاقرب سلطة بريطانية للتصرف ، بينما يبقى العبيد الاسرى تحت تصرف السلطات التركية . وفي حالات الاستيلاء ظلماً يجب ان تدفع إحدى الحكومتين تعويضاً مناسباً إلى الاخرى ، ولمنع التدخل الذي لا داعي له بواسطة الطرادات البريطانية في السفن التركية التي يديرها العبيد يجب تزويد مثل هذه السفن بأوراق تبيّن عدد الرقيق

المحمولين . واذا وجد ان عدد الرقيق أكبر مما هو في الشهادة في أية سفينة تصبح السفينة عرضة للحجز .

قرار مجلس الشركة ، ٢٦ اغسطس ١٨٨١

وقد دخلت هذه المعاهدة في نطاق قانون تجارة الرقيق عام ١٨٧٣ بقرار للمجلس تاريخه ٢٦ أغسطس عام ١٨٨١ .

★ ★ ★

الاتفاقيات مع الحكومة الايرانية(١)
١٨٤٨ - ١٩٠٧

رسالة الشاه ١٢ يونيه ١٨٤٨

بناء على الاحتجاجات الهامة للرائد « فارانت » القائم بالأعمال البريطاني في طهران وبعد مناقشات طويلة وافق شاه ايران في مذكرة بخطه الاصلي بتاريخ ١٢ يونيه عام ١٨٤٨ على ان يمنع استيراد العبيد الى ايران عن طريق البحر وصدرت تعليمات الحكومة الايرانية في الحال بهذا المعنى الى حاكم فارس وعربستان ، ومنع تصدير واستيراد العبيد بحراً بموجب الاوامر المعطاة ، ولكن كلاً من الحاكمين قد أخطر أنه لم يكن يقصد التدخل في التجارة براً .

اتفاقية اغسطس ١٨٥١

وبجعل هذه الاوامر عملية ، عقدت اتفاقية في أغسطس عام ١٨٥١ بين الحكومتين البريطانية والايرانية عن طريق الرائد شيل الوزير البريطاني في طهران على ان تنفذ ابتداء من أول يناير عام ١٨٥٢ لمدة ١١ سنة فقط من تاريخ الاتفاقية ، واشترطت حرية السفن الحربية التابعة للبحرية الملكية والهندية في تفتيش السفن التجـــارية الايرانية بحثاً عن الرقيق الافريقي وان تتعهد الحكومة الايرانية في الوقت

(١) الاتفاقيات المذكورة في هذه الفقرة واردة في كتاب أتشيسن .

نفسه ان لا تستورد رقيقاً في سفن الحكومة الايرانية ، ولكن لا يجب أن يتم تفتيش دون وجود الموظفين الايرانيين الذين يجب ان يكونوا على ظهر السفن البحرية البريطانية ، واذا وجد رقيق فيجب ان تنقلهم السلطات البريطانية للتصرف فيهم ، ولكن السفن المدانة يجب ان تسلم الى السلطات الايرانية، والرقيق في ايران ، عندما يسافرون بحراً يجب ان يزودوا بجوازات خاصة من قبل السلطات الايرانية في بوشهر ولا يجب أن يتدخل أحد في شأنهم اذا تم هذا .

معاهدة السلام ٤ مارس ١٨٥٧

حددت اتفاقية ١٨٥١ بالمادة ١٣ من معاهدة السلام بين بريطانيا وايران الموقعة في باريس في ٤ مارس ١٨٥٧ واتفق على تمديد فترة سريانها ١٠ سنوات أخرى ، أي من اغسطس ١٨٦٢ ، الى اغسطس ١٨٧٢ على ان تستمر حتى انتهاء سنة من الاعلان الرسمي بالفسخ من أحد الطرفين .

اتفاقية ٢ مارس ١٨٨٢

وبقيت اتفاقية عام ١٨٥١ المعدّلة بمعاهدة عام ١٨٥٧ سارية المفعول حتى اول مايو ١٨٨٢ عندما أعقبتها اتفاقية عقدت في طهران في ٢ مارس عام ١٨٨٢ اعطت الحق للطـــــرادات البريطانية في زيارة وحجز السفن التجارية الايرانية التي تعمل أو يشتبه بأنها كانت تعمل في حمل الرقيق كما يبدو بدون تعاون الموظفين الايرانيين. واذا وجد رقيق على ظهر السفينة فانها ومن فيها يجب ان يؤخذوا الى أقرب سلطة ايرانية للمحاكمة ، وفي الحال كان يجب وجود موظف بريطاني ذي سلطة ليحضر المحاكمة واذا أدينت السفينة فان ما يتحصل من بيعهايذهب للحكومة الايرانية ، وأي رقيق يؤخذون يسلمون الى السلطات البريطانية ، وتعهد صاحب الجلالة الشاه أن يعاقب بشدة أي شخص من رعاياه أو أي اشخاص خاضعين لدائرة نفوذه ممن يعملون في

تجارة الرقيق بحراً وان يعتق العبيد المستوردين بحراً خلافاً للاتفاقية . ويضمن أمنهم وحسن معاملتهم ، وعلى الاشخاص الذاهبين الى الحج ومعهم عبيد لهم ان يزودوا بجوازات ايرانية خاصة مصدق عليها من المقيم او القنصل البريطاني واذا وجد عند عودتهم أنهم لا يصحبون عدداً من العبيد أكثر مما قد ذكر في الجواز فانهم لا يكونون عرضة للتدخل .

قرار للمجلس في ١٨ اغسطس ١٨٨٢

دخلت الاتفاقية الايرانية عام ١٨٨٢ في حيز التنفيذ ضمن قانون تجارة الرقيق عام ١٨٨٣ بقرار اجماعي صدر في أغسطس عام ١٨٧٢ .

★ ★ ★

الوضع العام والتشريعات ١٨١٢ ـ ١٩٠٧

القيود الاولى ١٨١٢ ـ ١٨٤٤

وقبل ان نذهب بعيداً يحسن ان نستعرض باختصار المراحل التي مر بها الوضع القانوني الحاضر بشـأن الرقيق في الخليج . في العام ١٨٨٠ لم تكن هناك عقبة قانونية في وجه تجارة الرقيق في أي جزء من الخليج على أنه منذ العام ١٨١٢ كانت السلطات التركية في العراق تعتبر استرقاق الهنود غير شرعي . وفي عام ١٨٢٠ كان حمل الرقيق ونقلهم يوصم بالعار ويعاقب عليه كالنهب والقرصنة من شيوخ عمان المتصالح والبحرين . ولكن كما سنرى فيما بعد ان الاصطلاحات المستعملة قد فسرت عملياً بمعنى أضيق مما كانت تدل عليه . وفي ١٨٢٢ تعهد سيد مسقط بمنع رعاياه من تزويد الدول المسيحية بالرقيق ووافق على الاستيلاء على سفن الرقيق خارج خط معين . وفي العام ١٨٣٩ عدل خط الحصار في مسقط ووافق الشيوخ المتصالحون على الاستيلاء على السفن التي تحمل

الرقيق خارج خط مشابه تقريباً . وأعقب هذا الاتفاق الاخير اتفاق عام دخل فيه الشيوخ عام ١٨٣٨ ووفق ما ذكر أعلاه فان اجراءات القمع الوحيدة التي نفذت كانت عام ١٨٤٤ . وسنلاحظ أنها كانت ذات طبيعة غير متكاملة فيما يتعلق بالخليج لانه بينما جعلت من الممكن القضاء على تجارة الرقيق بين افريقيا والهند فانها تركت التجارة من افريقيا الى ايران وتركيا والكويت والاحساء وقطر غير متأثرة كلية وسمحت باستمرار التجارة بشراء الرقيق من افريقيا الى عمان ، وعمان المتصالح والبحرين شريطة ان لا يعبر تجار الرقيق خطاً وهمياً من الجانب الهندي .

القيود التالية بعد ذلك ١٨٤٥ — ١٨٨٢

وكانت القيود المتزايدة التي فرضت بعد العام ١٨٤٤ تهدف الى قمع التجارة من افريقيا للخليج نفسه . ففي العام ١٨٤٥ منع سيد مسقط وزنجبار استيراد الرقيق في ارضه الآسيوية وجعل حمل رعاياه للرقيق بحراً غير مشروع الا في مياه افريقية معينة . وفي العام ١٨٤٧ حرّم الشيوخ المتصالحون حمل العبيد بحراً في سفن تابعة لرعاياهم ، وفي السنة نفسها أصبحت التجارة غير مشروعة بالنسبة للسفن التي ترفع العلم التركي . وفي العام ١٨٤٨ منع استيراد الرقيق الافريقي بحراً الى ايران . وتبع ذلك اجراءات تفصيلية على فترات حتى العام ١٨٨٢ . ولكن بنهاية ١٨٤٨ تم الوصول الى حقيقة الوضع القانوني الحالي ، أي أن حمل الرقيق من افريقيا الى سواحل الخليج في سفن تابعة لرعايا الحكام أصبح مخالفاً لقوانين هؤلاء الحكام (ما عدا حكام قطر والاحساء والكويت) في البلاد المحيطة بالخليج ، وقدمت وسائل مختلفة لتنفيذ هذه القوانين خاصة بمعاونة البحرية البريطانية .

القانون العام لمؤتمر بروكسل ١٨٩٠

من المستحيل ان نعالج هنا موضوع تشريعات الدول الاوروبية في حملتها على تجارة الرقيق في الخليج ، ولكن لا بد من الاشارة الى

القانون العام لمؤتمر بروكسل عام ١٨٩٠ الذي كان يهدف الى قمع تجارة الرقيق الافريقية وهنالك شرطان هامان من القانون تضمنتهما المادتان ٢٧ ، ٢٨ ، فبموجب الاولى أصبح العبد الذي يلجأ الى ظهر سفينة حربية تابعة لاحدى البلاد الموقعة واجب التحرير في الحال ، وبموجب الثانية فان العبد المحجوز رغم ارادته على ظهر سفينة أهليه يمكن تحريره من قبل ممثل لاحد البلدان المعنية تكون لدية السلطة الكاملة ، وبموجب المادة ٢٤ من القانون فان السفن الحربية للبلاد الموقّعة كانت لديها السلطة لتوقف ، وإذا دعت الضرورة تستولي في أعالي البحار على السفن التي تقل حمولتها عن ٥٠٠ طن ويشك في أنها تعمل في تجارة الرقيق ، وقد صدقت على القانون بريطانيا العظمى وفرنسا وتركيا ، وهي الثلاث المعنية بمياه الخليج ، وكان التصديق في ٢ يناير ١٨٩٢ ، ودخل الى حيز التنفيذ فعلا في ٢ ابريل ١٨٩٢ ،بينما تقدمت فرنسا بتحفظات هامة معينة فيما يختص بحجز السفن التي ترفع العلم الفرنسي من قبل السفن الحربية الاجنبية.

★ ★ ★

المشكلات الخاصة بتفسير وتطبيق الاتفاقات والتشريعات

بعد ان انهينا هذه العجالة البسيطة عن قوانين ولايات الخليج بالاشارة الى تجارة الرقيق ، وبعد ان أصبحت كل التشريعات البريطانية مسلماً بها ، نشير الى المشاكل القانونية العديدة التي قامت من الناحية العملية . وقد كثرت الشكوك القانونية التي نجمت أصلا عن تعقيد الموضوع وعدم كفاية اللوائح المبتكرة التي تتفق مع كل حالة ومن فوضى القانون او القضاء . ولذلك فان الشعور السائد بين الضباط البريطانيين هوأن الرق من كل نوع خطأ أخلاقي بغض النظر عن المكافآت النقدية التي يأمر بها القانون البريطاني لقاء تحرير العبيد .

تفسير المادة التاسعة من معاهدة ١٨٢٠

كان من أولى النقاط التي خضعت للمناقشة تفسير المادة التاسعة من معاهدة عام ١٨٢٠ مع الشيوخ المتصالحين وشيخ البحرين التي بها أعلن ان حمل الرقيق ونقلهم في سفن يعتبر نهباً وقرصنة يجب منعها ، ويمكن فهم قصد مَنْ صاغوا المعاهدة من تعليق القائد « سير و. جرانت كير » في ذلك الوقت بأن هذه المادة «تحرّم تجارة الرقيق على الدول الموقعة ويجب أن تظهر بوضوح مدى الكراهية التي تتملك الحكومة البريطانية » ، والنقطة الخاصة بما اذا كانت هذه المادة تحرم نقل العبيد الذين يشترون في سفن او الذين يغار عليهم أثارها اولا الملازم « ماكلود » المقيم السياسي في الخليج بعد زيارة للساحل المتصالح والبحرين سنة ١٨٢٣ . فقد اعتقد «ماكلود» أنه ليس مما يُنْصَح به بل من الخطر محاولة تنفيذ المادة بمعناها الواسع وهو معنى يبدو أن العرب لم يفهموه تماماً ، وأوضح أكثر من ذلك عدم الفائدة العملية للعمل الصارم على امتداد الساحل طالما ظل باقي الخليج مفتوحاً لتجارة الرقيق . وللاجابة على هذه الاشارة قررت حكومة بومباي ان المادة اشارت الى حمل الرقيق الذين يغار عليهم فقط بحراً نظراً الى أن مجرد نقل العبيد الذين يُشترون من مكان لآخر لا يمكن أن يوصف «كنهب وقرصنة» الا بتحريف اللغة ، وعلى ذلك فقد روعي هذا المبدأ بكل دقة ، ولم يتخذ أبداً أي اجراء ضد تجار الرقيق كما يعتقد ، ولكن ظلت مناقشة التفسير حتى العام ١٧٤١ عندما قررت حكومة الهند أنه بعد بقاء المادة مهملة لمدة عشرين سنة فانه ليس من العدل أو الحكمة تنفيذها فجأة ومن غير تحذير بالمعنى الواسع . على أنه بعد ارتباطات عام ١٨٤٧ الخاصة بعمان المتصالح والبحرين فقدت المسألة اهميتها العملية .

تلقي الرقيق الهاربين على ظهر السفن البريطانية العامة١٨٥٦—١٨٨٤

كانت مسألة استقبال العبيد الهاربين على ظهر السفن البريطانية خصوصاً في المياه الاقليمية وتحريرهم بعد ذلك مسألة دقيقة لم يتم فيها الوصول

الى حل سهل . ولم تعتمد تسويتها على الاتفاقات مع الدول المحلية التي لا علاقة لاحداها بالموضوع بل على اعتبارات القانون الدولي والعرف .

١٨٥٦

ففي العام ١٨٥٦ وجد عبد لم يكن قد جُلب حديثاً ملجأ على ظهر سفينة صاحب الجلالة «كليف» عندما كانت راسية في البحرين ، وقد رد بناء على طلب صاحبه بمعرفة الملازم« ديسبراو » مساعد المقيم السياسي الذي تصادف وجوده على السفينة ، وقد اعتبرت السلطات العليا عمل مساعد المقيم صحيحاً .

١٨٧١ — ١٨٧٣

وفي العام ١٨٧٢ لجأ عبدان الى ظهر سفينة صاحب الجلالة «ماجبي» عندما كانت راسية في ميناء بوشهر ، وطولب الرائد « سلي » بتسليمهما من قبَل مأمور الرقيق الايراني الذى طالب بمناسبة أخرى برد عبد لجأ من المياه الساحلية الايرانية لإحدى السفن فردّه الرائد « سلي » للمأمور ثم تبين أن العبد لم يكن من الرعايا الايرانيين فأعيد تحريره . وفي أغسطس ١٨٧٢ حدثت حادثة مشابهة نوعاً ما على ظهر السفينة «هيو روز» أيضاً في المياه الساحلية الايرانية ولكن في هذه الحالة رفض الرائد «بلي» أن يسلم العبد . وفي ليلة ٣١ أغسطس ١٨٧٣ حدث حادث أكثر أهمية من الحادثين السابقين اذ هرب عبد الى السفبنة « ماي فرير » بالقرب من جزيرة زيركو المهجورة ، وقد هرب من أسطول مكون من ٣٧ قارب لؤلؤ كان يرسو في مكان مجاور . وتلقى العبد الحماية التي طلبها وكانت النتيجة ان كل قوارب الصيد أقلعت واستعدت للرحيل خشية أن يهرب العبيد الباقون ويعتقوا .

أدت تلك الأحوال الى الرجوع الى حكومة صاحبة الجلالة ، وتبع ذلك مناقشة كان من نتيجتها صدور تعليمات محددة من البحرية (الاميرالية) وان لم يكن ذلك حتى عام ١٨٧٦ وجاءت هذه التعليمات خاصة باستقبال العبيد الفارّين على ظهر السفن الحربية البريطانية ، وخلاصة الاوامر هي :

١ ـ أنه اذا جاء عبد هارب مرة على ظهر باخرة للبحرية البريطانية وأخذ تحت حماية العلم البريطاني سواء كان في المياه الساحلية أم بعدها فلا تجوز الموافقة على تسليمه وهو عبد .

٢ ـ وفي حالة مجيء عبد هارب على ظهر سفينة حربية بريطانية فيجب ان يسترشد القائد باعتبارات انسانية فيمنح العبد الوافد الحماية سواء كانت السفينة في أعالي البحار أم حتى في المياه الاقليمية لدولة فيها الرق معترف به ، ولكن في الحالة الاخيرة يجب تجنب التصرف الذي يبدو أنه مناف للمجاملات الدولية .

٣ ـ واذا طالب شخص في المياه الاقليمية بالحماية على أساس أنه بقي في الرق بشكل يخالف المعاهدات مع بريطانيا العظمى ، فيجب ان يقبل على ظهر السفينة حتى يُتَحرّى عن صدق كلامه ويجب عمل هذا التحري ان أمكن بعد الاتصال بأقرب سلطة قنصلية بريطانية ويجب أن يسترشد القائد في أجراءاته التالية بالنتيجة التي يسفر عنها التحري .

وكانت نتيجة هذه التعليمات على ما يبدو أنها زودت القواد بحرية تصرف كبيرة فيما يختص باستقبال او عدم استقبال الطالبين على ظهر سفنهم ، ولكن يجب عدم اعادة تسليم أي شخص وهو عبد الا في الحالات التي يستقبل بها بشكل موقت للتأكد من أي أنتهاك للاتفاقيات .

١٨٨٤

وأصدرت حكومة الهند تعليمات مشابهة في العام ١٨٨٤ لارشاد ضباط البحرية الهندية . وفي هذه التعليمات ذكر أنه لا يجب نقل العبيد من الشاطيء ، ثم معاملتهم كهاربين ، وأنه في حالة الظروف الشاذة فان نقلهم يجب ان يكون بسبب اعتبارات إنسانية ، فاذ حدث هذا فان على القائد ان يكون مستعداً لتعويض مالك العبد . وقد اضيف أيضاً أن استقبال العبد كهارب في المياه الاقليمية على أساس سوء معاملة سيده له يجب أن يكون موقتاً ومشروطاً بالتحقيق في حالته (*)

١٨٩٩

وفي ٢٥ نوفمبر ١٨٩٩ ، واثناء زيارة الرائد « ميد » المقيم في الخليج الى الوكرة في قطر ، حدث أن عبداً خاصاً بأحد أقرباء شيوخ آل ثاني هرب في الظلام الى زورق المعتمدية ونجح في الوصول الى السفينة «لورانس» . وقد اعتق بعد ذلك وخول المقيم سلطة تقديم هدية الى الشيخ ذات قيمة مناسبة ، ولكن ليس كتعويض صريح .

١٩٠٢

في ٢٩ ابريل ١٩٠٢ حدثت مشكلة صعبة في ابو ظبي بسبب هرب عبد تابع لقريب الشيخ الى سفينة صاحبة الجلالة « ردبرست » ، التي أحضرت الرئيس «كوكس» الوكيل السياسي في مسقط الى ابو ظبي بغرض القيام برحلة شاقة وخطرة نوعاً ما براً من ذلك المكان الى مسقط . ولم يكن من المتوقع ان تتأثر رحلة الرئيس « كوكس » بتصرف يخالف عن معاملته الحسنة من جميـــع النواحي ، وبعد ذلك أنزل

(*) الشروط الخاصة بالاستقبـال المؤقت في التعليمات البحريـة للامبرالية عام ١٨٧٦ وما زالت أكثر في التعليمات الهنديـة لعام ١٨٨٤ يبدو أنها تفسد لدرجة كبيرة النظام الرئيسي الخاص بعد تسليم الرقيق اللاجئين بعد أن يتسلموا على ظهر السفينة .

العبد ، وعمل الكابتن «كوكس» على شرائه بقصد تحريره ، ولكن الرجل قرر في النهاية وبشكل مفاجئ أن يبقى في أبو ظبي .

تفسير المادة ١ من معاهدة مسقط للعام ١٨٧٣

في العام ١٨٩٢ ثار الموضوع الخاص بالنتائج الدقيقة للتعليمات الواردة في المادة الاولى من معاهدة مسقط ١٨٧٣ ، وهي : « ان الاشخاص الذين يدخلون فيما بعد اراضي السلطان وتوابعه يكونون أحراراً » . وكانت المناسبة هي موضوع حماية القنصلية البريطانية في مسقط عبداً وُلِدَ في اربق بالقرب من مسقط وكان والداه عبدين احضرا بطريقة شرعية في اراضي السلطان قبل معاهدة عام ١٨٧٣ ، وكان الشك في هذه الحالة يرجع الى حقيقة أن العبد ووالداه قد زاروا كلكتا غير مرة في السنين الاخيرة ويمكن أن يقال إنهما دخلا اراضي السلطان بعد العام ١٨٧٣ . وكان الحكم الذي أصدرته حكومة الهند يقضي بأن يصبح العبد الذي تعنيه المشكلة محرراً بمجرد دخوله الاراضي البريطانية ، وأنه لو كان ارجع بالقوة الى مسقط يمكن اعتباره أنه جُلِب الى عمان بعد العام ١٨٧٣ ، وعلى ذلك فله حق الحرية ، ولكنهم اعتبروا أنه بدخوله الى مسقط طواعية يكون قد فقد المزايا المكتسبة بزيارة الاراضي البريطانية وعاد الى حالته الاصليةفي كونه عبداً مملوكاً قانوناً . واضافت حكومة الهند ان المبدأ يطبق في حالة جميع الرقيق الذين جلبوا بصفة شرعية الى ممتلكات السلطان قبل العام ١٨٧٣ ، وايضاً على حالات الاطفال الذين يولدون هكذا في أراضي السلطان ولكن الحكومة اوضحت ان جميع الرقيق الذين يجلبون الى مسقط لاول مرة بطريقة غير اختيارية بعد تاريخ المعاهدة يجب ان يكون لهم حق الحرية .

قضية السفينة ركبي ١٨٧٧

في العام ١٨٧٧ حدثت حالة في بوشهر أثارت نقاطاً عديدة صعبة لم تكن قد سويت حتى العام ١٨٨١ . فقد أبلغ عن وجود رقيق على

ظهر الباخرة البريطانية « ركبي » ففتشت السفينة بترتيبات قام بها الرئيس «كلايتون» ، قائد سفينة صاحبة الجلالة «رايفل مان» ، واكتشف وجود سبعة عبيد مستوردين ، فقبض عليهم ، وانزلوا وسلموا للرئيس «بريدو» القائم باعمال المقيم السياسي ، وتم تسليم عبد ثامن انزل من «ركبي» بواسطة شخص ايراني الى الرئيس بريدو من قبل كارجوزار ايراني في بوشهر ، وقد نظرت اجراءات القضية أمام الرائد « مايلز » قنصل مسقط الذي كان مسؤولا عن «محكمة شرق افريقيا القنصلية» أقرب محكمة لبوشهر . ونتج عن ذلك مصادرة العبيد الثمانية الذين كانوا في بوشهر في ذلك الوقت باسم صاحبه الجلالة الملكة . وقامت الشكوك حول صلاحية الاجراءات ، فأحيلت القضية الى الحكومة البريطانية . فحكم رجال القضاء الملكيون بأن الاستيلاء على الرقيق على ظهر سفينة بريطانية خاصة راسية في ميناء أجنبي لم يكن له مبرر دون تدخل من سلطات الدولة التي يتبع هذا الميناء لها ، وان الفشل في احضار العبيد لمحاكمتهم في دائرة اختصاص محكمة قضائية كان غلطة خطيرة . واخيراً فان العبد لا يحصل على حريته تماماً بوجوده على ظهر سفينة بريطانية ، خاصة وانه اذا رجع مثل هذا العبد الى البلد التي فيها سيدة حيث يكون الرق معترفاً به فان الحكومة البريطانية لا تستطيع ان تصر تماماً على تحريره او ابقائه حراً ، ولم يتم الوصول الى قرار واضح فيما يختص بدائرة اختصاص محكمة مسقط في القضية . ولكن يبدو ان رجال القانون كانوا يميلون الى الرأي بأنه حسب قانون تجارة الرقيق لسنة ١٨٧٩ (محاكم افريقية الشرقية) ليست هنالك حاجة لاثارة مسألة صلاحيات محكمة مسقط .

قضية راس مدركة ١٨٨٧

وفي مايو ١٨٨٧ بعد ان انشيء معسكر بريطاني بحري مسلح بالقرب من رأس مدركة على الساحل الجنوبي الشرقي لعمان لمساندة أعمال محاربة الرق ، وصل الى هناك عبد هارب واستقبله قائد سفينة صاحبة الجلالة «اوسبري» ، وحمل الى مسقط ، واخيراً أعتق . وحكمت حكومة

الهند بالاشارة الى هذه القضية بأن اعطاء الحماية لعبد لاجئ الى مثل هذا المعسكر دون علم سلطان عمان او السلطات السياسية البريطانية كان أمراً غير قانوني .

قضية حادثة المعتمد السياسي في مسقط ١٨٩٦

وفي مايو١٨٩٦ ، تلقى الملازم « بيفيل » ، المعتمد السياسي في مسقط معلومات بأن سفينة من صور تحمل رقيقاً كانت بجوار مسقط ولم يكن في ذلك الوقت سفينة حربية بريطانية في المحطة ، فذهب الى البحر في قارب بنفسه واسرها مع ٢٨ عبداً كانوا على ظهرها ، وسلّم التجار والبحارة الى سلطان عمان وهو الذي قام بمعاقبتهم ، وتم التصرف في العبيد بطرق مختلفة . وكان رأي السلطات القانونية فيهذه القضية هو أن عملية القبض كانت غير قانونية وذلك لأنها لم تكن بواسطة قائد بحري بريطاني مخول بموجب المعاهدةأن يتخذ مثل هذا الاجراء ، ولا بواسطة ضابط لديه سلطة .

الأعراف الخاصة بتحرير العبيد من قِبَل السلطات البريطانية في الخليج ١٨٩٧ — ١٨٩٩

في العام ١٨٩٧ طرح سؤال في مجلس العموم حول المسألة الخاصة بتسليم العبيد لى أصحابهم من قِبَل الضباط البريطانيين في مسقط وفي أمكنة أخرى فبحثت التصرفات القائمة ا الخليج وفقاً لانظمة حكومة الهند واظهرت النتيجة أن العبيد المستوردين الى ساحل عمان المتصالح أو البحرين بعد العام ١٨٤٧(*) أو الى سلطنة عمان بعد العام ١٨٧٣ عوملوا على أن لهم الحق في الحرية ومُنِحوا شهادات تحرير من

(*) يبدو انه من المشكوك فيه على أي حال كما أشـــار أخيرا العقيد « كوكس » ، المقيم السياسي في الخليج ما اذا كان للمــوظفين البريطانيين الحق في الاصرار ، طبقا للمعاهدات ، على تحرير العبيد المستوردين في أى من هذه الاقاليم قبل ارتباط عام ١٨٥٦ . انظر نص الارتباط ونص اتفاق عام ١٨٤٧ .

السلطات البريطانية ، ولكن هؤلاء الذين جُلِبوا قبل هذا التاريخ أو وُلِدوا بعد ذلك أرقاء في الدول المذكورة يرجعون الى أصحابهم . وفي مسقط ، على أي حال ، كان الرقيق الذين جُلِبوا قبل عام ١٨٧٣ يحررون من وقت لآخر عندما يتضح أنهم يعاملون معاملة سيئة ، أو عندما لا يظهر لهم صاحب يُطالب بهم في خلال فترة معقولة من الوقت . وفي كل من البحرين ومسقط في حالة ارجاع عبدهارب الى صاحبه فقد كان يُطلب من الاخير أن يوقع على اتفاق يرتبط فيه بأن يعامل العبد بالرحمة .

وفي ايران لم يُحرر العبيد من قبل السلطات البريطانية خلافاً لما تنص عليه معاهدة عام ١٨٨٢ ، أو بمعنى آخر كان العبيد المستوردون بحراً بعد توقيع تلك المعاهدة يعتقون وكان يطلق سراح جميع الرقيق اللاجئين الى السفن الحربية البريطانية بموجب المادة ٢٨ من القانون العام لمؤتمر بروكسل عام ١٨٩٠ . ومن رسالة جاءت عام ١٨٩٩ من وزير الدولة لشؤون الهند يمكن ان يفهم أن الاجراء الذي كان متبعاً عام ١٨٩٧ كان يحظى بموافقة حكومة صاحبة الجلالة ، علماً بأن سلطان عمان الذي كان من العادة الحصول على موافقته ، لم يرفض بطريقة غير معقولة التحرير عندما يوصي بهذا الاجراء القنصل البريطاني في مسقط .

وفي العام ١٨٩٩ صرحت حكومة الهند للمقيم السياسي في الخليج أن يبلغ سائر الشيوخ بحكم مسؤوليته السياسية ، في أي وقت وبأية طريقة يراها مناسبة ، ان الحكومة البريطانية ترحب بتوسيع نظام مناسب لتحرير الرقيق .

★ ★ ★

الاعانة المالية لعمليات الخليج البريطانية لمكافحة تجارة الرقيق

كانت جميع الرسوم المتصلة بتحرير الرقيق في الخليج في البداية تصرف من الميزانية الهندية من قبل الموظفين المختصين. ولكن في العام ١٨٨٣ وبعد أن أدركت حكومة الهند حينئذ للمرة الاولى هذة الحقيقة ابلغت المقيم السياسي في الخليج أنه بما أن قمع تجارة الرقيق كان موضوعاً من الشؤون الامبريالية البحتة فانهم لن يستطيعوا في المستقبل أن يسمحوا بأية نفقات على اجراءات الرق من الايرادات الهندية . ويبدو بعد العام ١٨٨٣ ان المصاريف كانت تُقيّد على حساب حكومة صاحبة الجلالة ، ولكن لم يدفع شيء من كشوف الحساب التي قدمت . وفي العام ١٨٨٣ اعترضت خزانة صاحبة الجلالة رسمياً على الموافقة على الدين المطلوب على أساس أنه قد حدث تغيير في الاجراءات المتبعة خلال ١٤ عاماً وأن النفقات المتعلقة بهذه المسألة ليست لها صلة مباشرة بتجارة الرقيق ، فالعبيد الذين أنفقت من أجلهم هذه النفقات لم يكونوا «عبيداً أسرى» . وأوضحت حكومة الهند في ردها ان الرسوم (*) في مسقط ، وهي الميناء المعني الوحيد في ذلك الوقت ، كانت كلها نتيجة معاهدة ١٨٧٣ وأن مهام المعتمد السياسي فيما يختص بتحرير الرقيق كان يؤديها بصفته القنصلية تماماً وبموجب اذن حكومة لندن . وساد رأي حكومة الهند في النهاية وسددت حكومة صاحبة الجلالة في ١٨٩٠ جميع النفقات التي دفعت في مسقط حتى تاريخه . وفي العام ١٨٩٦ حدثت حالة غريبة تتعلق بمصير عبد آخر ، اذ أصبح من من الضروري افتداء عبد من صاحبه في داخل عمان ودفع المبلغ

(★) كانت النفقات أصلا على طعام الرقيق الذين يحجزون تحت حماية القنصلية حتى ارجاعهم لاوطانهم .. الخ بعد تحريرهم .

الضروري ١٥٠ دولاراً مقدماً من قِبَل حكومة الهند وقيد على حساب خزانة صاحبة الجلالة بموافقة الحكومة البريطانية .

التصرف في العبيد المحررين

ويبدو أنه حتى العام ١٨٨٩ جرت العادة على نقل الرقيق المحررين الى بومباي اذا كانوا غير راغبين في البقاء في الخليج . وفي أواخر السنة المذكورة بدأت حكومة بومباي تتذمر من تزايد عدد العبيد على اراضيها نتيجة لهذا الاجراء على اعتبار أنهم يشكلون عنصر اضطراب متزايد .

وتبعاً لذلك بذلت مجهودات لاكتشاف مخرج في اتجاه آخر ولكن حكومة سكان مضايق سرواك ، وفيجي ، كانت غير راغبة في استقبال افريقيين محررين ، ولم يكن رد حكومة بورنيو الشمالية البريطانية مرضياً تماماً . وبقيت الامور كما هي عليه حتى العام ١٨٩٧ عندما بدأت حكومة الهند نفسها تعترض على استيراد العبيد المحررين الى الهند واقترحت تنظيماً على حكومة صاحبة الجلالة وهو ارسال العبيد المحررين الى شرق افريقيا بدلا من ذلك . وبعد ان اظهرت سلطات زنجبار موافقتها على المشروع واقترحت استخدام العبيد المحررين في مزارع السلطان في زنجبار وبمبا ، تمت استشارة مقيمي بوشهر وبغداد ايضاً ، فأجاب الاول وهو الرائد «ميد» أنه لا اعتراض لهعلى الاقتراح الا اذا كان على اساس النفقات ، بينما الثاني وهو الرائد « لوش » فأجاب بأن العبيد المحررين في العراق التركي هم دائماً من طبقة خدم المنازل ممن كانوا غير راغبين في ترك الاقليم بعد تحريرهم وأنه من وجهة نظر بغداد لم تكن هناك ضرورة لهذه الترتيبات. وتبعاً لذلك صدّقت حكومة صاحبة الجلالة على المشروع في العام ١٨٨٩ ، وظل ساري المفعول منذ ذلك الوقت . ويرسل الرقيق المعتَقون الآن بصفة عادية في سفن شراعية محلية من مسقط الى زنجبار بتكاليف معدلها ١٥ روبية على الشخص الواحد . ولكن في بعض الحالات عندما لا توجد سفن موثوق من أصحابها يكون من الضروري

ارسالهم على بواخر بتكاليف معدلها ١٦٠ روبية للواحد . وبين فبراير ١٩٠٠ ومايو ١٩٠٢ ارسل ٣٥ من العبيد المحررين من مسقط الى زنجبار منهم سبعة فقط ارسلوا بالبواخر ، وقد نالت هذه الاجراءات موافقة حكومة صاحب الجلالة التي كانت تتحمل مصاريف النقل .

التصرف في الغرامات التي تحصل من مخالفات تجارة الرقيق في الخليج

حتى العام ١٩٠٠ كان هنالك اجراء لا يتغير وهو أن الغرامات التي تفرض على رعايا الشيوخ العرب في الخليج بسبب المخالفات المتعلقة بتجارة الرقيق كان يجب ان يدفعها الزعماء لحساب الحكومة البريطانية التي تسدد جميع النفقات المتعلقة بقمع تجارة الرقيق وتحرير الرقيق . وفي العام ١٩٠٠ على أية حال ، وبناء على توصيات المستر «جاسكين» مساعد المعتمد السياسي في البحرين والرائد « كمبول » المقيم السياسي ، سمح لشيخ البحرين أن يحتفظ بالغرامة شرط ألا يرد المال للشخص المغرّم ، ووافق كل من وزير الدولة لشؤون الهند واللوردات امناء الخزانة على اجراء مشابه يمكن أن يتبع في المستقبل في حالة شيخ البحرين والشيوخ المتصالحين ، اذ لم تعد هنالك حاجة لاضافة متحصلات الغرامات على الخزانة البريطانية. وتركت مسألة التصرف في النقود في كل حالة الى حسن تقدير المقيم السياسي في الخليج . وما زالت المبالغ المتحصلة تمنع من السلطات المحلية عندما يكون هناك سبب للاعتقاد بأن ارجاعها للشيخ يمكن بطريقة غير مباشرة ان يبطل مفعول العقوبة .

★ ★ ★

تاريخ تجارة الرقيق الخارجية في الخليج
والاعمال البريطانية الوقائية ١٨٥٢ ـ ١٨٧٣

بداية العمليات المنظمة ١٨٥٢

ننتقل الآن للتحدث عن الطريقة التي كانت تنفذ بها التشريعات التي استصدرتها الحكومة البريطانية للقضاء على تجارة الرقيق في الخليج ولكي نفعل هذا فلا داعي لان نرجع الى الوراء لاكثر من العام ١٨٥٢ وهي السنة التي كان فيها الوضع القانوني في الخليج بفضل الاتفاقات المعقودة حديثاً مع الحكومات التركية والايرانية يسمح بالتصرف العملي . ومع اول العمليات كلها التي لم تعمل أكثر من إظهار بشاعة هذا الشر ، يرتبط اسما الرئيس والرائد لاحقاً («أ. ب. كمبول» والرئيس «فيلكس جونز» من البحرية الهندية ، وهما مقيمان سياسيان متعاقبان في بوشهر ، برهنا على قدرة ممتازة .

العمليات اثناء عهد الرئيس كمبول ١٨٥٢ ـ ١٨٥٥

في صيف ١٨٥٢ وُضع الملازم «ترونسون» على السفينة البخارية «دجلة» التابعة للبحرية الهندية وأوكلت له مهمة محاربة الرق في الخليج مزوداً بأوامر ليراقب ساحل «الباطنة» وبعض الاماكن المشتبة فيها ، ولكن تجهيرات السفينة لم تكن مناسبة لتأدية مهامها ، وكانت نتائج رحلتها غير مرضية . وفي الحال ادرك « كمبول » المقيم السياسي أنه يجب عدم توقع أية مساعدة من أهالي الخليج . وحتى في تلك المرحلة المبكرة للعمليات اقترح المقيم أن الاجراءات الصارمة ربما تكون أكثر فاعلية اذا اتخذت على السواحل الإفريقية التي كانت يصدر منها الرقيق . وفي العام ١٨٥٣ وبعد ان اتضح ان تجارة الرقيق سائدة في الخليج على مدى واسع اوصى الرئيس كمبول برقابة بحرية على الباطنة

وسواحل شرق افريقيا ، ولكن كان هناك نقص خطير في السفن ، ويبدو أن سفينة الحكومة البخارية «كوين» التي أمكن الحصول عليها لفترة قصيرة لم يكن لها تأثير يذكر ، وقد أسر بعض الرقيق على أية حال من قِبَل السفينة «كونستانس» . وبعد ذلك بأشهر قليلة ، وفي اوائل العام ١٨٥٤ ، جدد « كمبول » اقتراحاته ونصح بوجوب ارسال سفينة مع مركب شراعي صغير لمساعدتها للطواف على الساحل العربي الجنوبي في خط عرض المكلا من ١٥ مارس الى اول يونيه ، ولكن كانت هناك صعوبة مرة أخرى في تقديم سفينة مناسبة . ولم يرسل شيء حتى العام ١٨٥٥ عندما بدأت «الكوين» في شهر يوليه الطواف على ساحل عمان بين رأس الحد ومسقط ثم حل محلها بعد ذلك السفينة الحربية فوكلاند . وكانت عمليات ١٨٥٥ بلا نتائج تماماً . ومن العام ١٨٥٢ الى ١٨٥٥ كان عدد الرقيق الذين حررتهم السلطات البريطانية في الخليج ٧٨ أنقذ منهم ١٥ فقط في البحر .

العمليات أثناء عهد الرئيس فيلكس جونز ١٨٥٥–١٨٦٢

وفي العام ١٨٥٥ حل الرئيس «فيلكس جونز» محل الرئيس « كمبول» ، وقد توصل فيلكس بشكل سريع الى استنتاج مفاده ضرورة انزال الرقيق الذين يجلبون للخليج في عمان الجنوبية ، وبذلك تتم الرقابة البحرية ضد تجار الرقيق خارج حدود الخليج اذ أن ذلك أفضل من داخله. واقترح انشاء اسطول للرقيق من سفن بخارية مجهزة تجهيزاً خاصاً لتراقب بصفة أساسية نواحي جزيرة مسيرة وزنجبار . وقد اوضح انه سيمكن تجنب مشاكل سياسية خطيرة في الخليج اذا تم العمل بعيداً ومنع المخالفون من الوصول الى الخليج . وقد وجد أن التشريع الحقيقي باتفاق ١٨٤٥ مع حاكم مسقط وزنجبار والخاص بتجارة الرقيق في جزء من ساحل شرق افريقيا يقدم تسهيلات عظيمة لتجارة الرقيق بين هذه الشواطىء والخليج . وفي صيف ١٨٥٦ قامت السفينة الحربية « فوكلاند » بمهمة ضد التجار في خارج الخليج بين جاشك وصحار لكنها لم تنجح

كثيراً.. واستمر وصول الرقيق الى ساحل الخليج الاعلى في أعداد كبيرة . وفي عمان المتصالح وبموجب ارتباط عام ١٨٥٦ الذي تعهد بواسطته الشيوخ بتسليم الرقيق المستوردين بعد نزولهم تحقق أخيراً شيء ما في تحرير عدد من الرقيق . وفي عام ١٨٥٩ استخدمت السفينة «دجلة» و « فوكلاند » لتقطعا الطريق إن أمكن على التجار العائدين من شرق إفريقيا الى عمان المتصالح ، ولكن لم تتم سوى حالة استيلاء واحدة فقط . وكان عدد الرقيق الاسرى في البحر عام ١٨٥٦ و١٨٥٧ خمسة عشر بينما كان العدد الكلي الذي حرره الضباط البريطانيون في الخليج خلال هاتين السنتين ٩٦ . ولم يتحرر عبيد مطلقاً في العام ١٨٥٥ أما الرقم عامي ١٨٥٨ الى ١٨٦٢ فغير محدود . وفي العام ١٨٦٠ تبنى القائد كوجلان مقترحات الرئيس جونز التي تقدم بها في ١٨٥٥ . وقد وردت في تقرير كتبه كوجلان عن تجارة الرقيق في شرق افريقيه .

الفترة ١٨٦٢ — ١٨٧٣

هناك نقص في المعلومات الخاصة بتجارة الرقيق في الخليج خلال الاعوام ١٨٦٢–١٨٧٣ ، ولكن يبدو أنه في البداية على الاقل كانت التجارة تقريباً نشطة كالمعتاد . في عام ١٨٣٤ قدر المستر «بلين» المقيم البريطاني في بوشهر أن عدد الرقيق المصدرين في الموسم السابق من ساحل شرق افريقيا الى الخليج بلغ ١٢,٠٠٠ . ولكن بما أن هذا العدد يعتمد على أقول الاهالي ، فيجب اعتباره تخميناً . وأظهرت العمليات الحسابية والملاحظات التي تمت بعد ذلك بحوالي ١٠ سنوات ان العدد المستورد بحراً الى الدول المحيطة بالخليج على ما يبدو باستثناء سلطنة عمان ومكران الايرانية وقطر والاحساء بلغ حوالي ٥٠٠ ٣ عبد سنوياً وفي العام ١٨٦٠ قدّر القائد « كوجلان » ان حوالي ٣,٠٠٠ من الرقيق كانوا يحملون كل سنة من افريقيا الى الجزيرة العربية والخليج ، ولكن في السنة الحالية كان « ريجبي » المعتمد السـياسي في زنجبار يقدر التصدير السنوي من شرق افريقيا الى الشمال برقم يرتفع كثيراً

الى ١٠,٠٠٠ . وفي هذه الظروف لا يمكن أن يشك ، خاصة ان الاجراءات الوقائية البريطانية لم تكن قيد التنفيذ بعد ، في أن السنين التالية مباشرة للعام ١٨٦٢ كانت مزدهرة بتجارة الرقيق الى الخليج بشكل ملحوظ . ولكن قبل نهاية الفترة التي نتحدث عنها بدأت سفن المراقبة التي تعمل ضد تجارة الرقيق المتجهة الى الخليج تأتي بنتائج أفضل . ففي يونيه ١٨٧١ أسرت السفينة الملكية «ماجبي» ثلاث سفن للرقيق عند رأس الحد وبذلك حصل ٦٢ عبداً على حريتهم . وفي سبتمبر عام ١٨٧٢ استولت السفينة الملكية «فلشر» على مركب كبير كان يوجد فيه ١٦٩ عبداً معظمهم نساء وأطفال . وفي هذه الحالة سجن سلطان عمان ربان السفينة وابنه وتم تدمير المركب . وفي العام ١٨٧٢ تم تذكير جميع الزعماء الذين تربطهم معاهدات مع بريطانيا تتعلق خاصة بتجارة الرقيق بواجباتهم نحو هذه المعاهدات ، واتخذت خطوات أخرى عديدة لمقاومة التجارة .

شروط التجارة بين شرق افريقيا والخليج

لقد ذكر أعلاه ان الاسترقاق المحلي في الخليج هو من نوع لطيف ولكن اللطف لم يكن السمة المميزة للظروف التي يتم بموجبها مد الخليج في تلك الفترة بالرقيق ، بل على العكس ، فيبدو أن طرق المصدرين من افريقيا قد تميزت بالوحشية التي لا يختلفون فيها عن زملائهم في أي جزء من أجزاء العالم . وقد تضمن عدد جريدة «التايمز» الهندية الصادر في اكتوبر ١٨٧٢ ، الوصف التالي لسفينة الرقيق التي استولت عليها سفينة صاحبة الجلالة «فلشر» .

« في ذلك الوقت كان من المستحيل تقدير عدد العبيد الذين كانوا مجمعين في السفينة وكأنهم عش من النمل وكانوا في منتهي البؤس . وكانت تنبعث رائحة داخل السفينة كريهة لا تطاق بسبب المياه القذرة والقمامة التي تغطيه . وفي أسفل السفينة كانت توجد أعداد من الاطفال والمخلوقات التعسة في أسوأ مراحل الجدري وداء الخنزير ، ولا يمكن

أن تقع عينا المرء على مشهد أكثر بشاعة وهدراً للانسانية من هذا ، ويكفي أن قذارة المركب بلغت الحد الذي لا يستطيع ان يتحمله البحارة . وعندما نقل الرقيق الى الـ«فلشر» كانوا في حالة ضعف مخيف وهزال حتى ان الكثير منهم نقلوا حملا اليها وكانوا يرفعون في كل لحظة ، وكان مصدر عجب المقيمين على الـ «فلشر» هو كيف عاش كثير من هؤلاء في مثل تلك المصاعب . وعندما فحصهم الجرّاح وجد ما لا يقل عن ٣٥ حالة جدري في مراحله المختلفة ، ومن الوقت الذي اخذوا فيه من المركب الى نزولهم في جزيرة بوشهر ثم بومباي ، مات ١٥ من العدد البالغ ١٦٩ ،· ومنذ ذلك الحين زادت نسبة الوفيات بينهم . وربما كان أشد قسوة من العرب ما سمع بعد ذلك من الرقيق أنفسهم ، أعني عندما اكتشف الجدري لاول مرة بينهم فأخذ العرب يلقون المصابين في الحال من على ظهر السفينة ، واستمر هذا يوماً بعد يوم حتى قالوا إن أربعين هلكوا بهذه الطريقة . وعندما وجدوا أنه لا يمكن ايقاف المرض تركوهم ببساطة لينالوا حظهم من الموت . وكان كثير من الاطفال صغاراً لا يتعدون الثلاث سنوات ومعظمهم يحملون آثار قسوة العرب من جروح لم تلتئم بعد وكدمات ناتجة من السوط والعصا » .

وكان معظم المصدرين للرقيق من افريقيا الى الخليج من العرب الذين اعتادوا ان يذهبوا لزنجبار بغرض التجارة المشروعة ، خلال الرياح الموسمية الشمالية الشرقية أي بين نوفمبر وفبراير ويعودون عادة ومعهم الرقيق إما قبيل أو بعد الرياح الجنوبية الغربية ، أي في شهور ابريل ومايو ويونيه ، او في شهري سبتمبر واكتوبر . والمسافة من زنجبار الى صور هي حولي ٢٥٠٠ ميل وكانت الرحلة تستغرق عادة من ١٦ لى ٢٥ يوماً .

تاريخ تجارة الرقيق الخارجية في الخليج والعمليات البريطانية الوقائية ١٨٧٣ ـ ١٩٠٧

لقد لفتت تجارة رقيق افريقيا الشرقية الآن نظر الجمهور في بريطانيا . وعينت سنة ١٨٧١ لجنة اختيرت من مجلس العموم للتحقيق في الموضوع ، وفي ١٨٧٣ ارسل «السير بارتل فرير» في بعثة الى زنجبار ومسقط وفي الاخيرة نجح في عقد معاهدة سبق وصفها من قبل مع السلطان . وفي العام ١٨٧٤ وصلت السفينة الملكية «لندن» إلى محطة زنجبار وكانت ارسلت لغرض واضح هو الحؤول دون تصدير الرقيق من ساحل شرق افريقيا وبقيت في زنجبار لمدة عشر سنوات تقريباً ، ونجحت بمساعدة زوارقها البخارية في انقاص التجارة الى نسب صغيرة لم يسبق لها مثيل .

القضاء التام تقريباً على تجارة الاستيراد من افريقيا ١٨٧٣–١٨٨٣

وأثناء العشر سنوات التي تلت بعثة السير «بارتل فرير» الى زنجبار ومسقط ظهر ان تجارة الرقيق من افريقيا الى الخليج قد توقفت عملياً . وفي العام ١٨٧٣ أصدرت السلطات البريطانية في الخليج نشرات محذرة الرعايا البريطانيين هناك من العقوبات التي يتعرضون لها اذا عملوا في هذه التجارة . وفي السنين التي تلت ذلك كانت هذه النشرات تصدر دورياً الى أن أصبح موقف الحكومة البريطانية معروفاً جيداً .

وفي العام ١٨٧٣–١٨٧٤ وصلت سفن رقيق قليلة جداً الى الخليج من الخارج ولم تحصل أية عمليات أسر . وفي ١٨٧٤–١٨٧٥ استمر الموقف مرضياً . وفي ١٨٧٥ استخدمت سفينة صاحبة الجلالة «دافن» وسفينة صاحبة الجلالة «رايفل مان» بقيادة الرئيس «فوت» بصفة خاصة في الحراسة ضد تجار الرقيق ، ولكنه لم يتم أسر احد . وفي سنة ١٨٧٦ ذكر ان التجار قد تخلوا عن استيراد الرقيق بالجملة وأن الرقيق الذين يصلون الآن كانوا يُجلبون بأعداد قليلة جداً . ولكن التجار بدأوا يخفون

عملياتهم باستعمال العلم الفرنسي مما يحول دون قيام السفن البريطانية بتفتيشهم ، وفي حالة واحدة أنزلت مجموعة من ١٥ عبداً في مطرح من سفينة ترفع الاعلام البريطانية عندما لم تكن هناك سفينة حربية بريطانية قريبة لسوء الحظ لتقوم بمطاردتها . ومن ١٨٧٦ الى ١٨٨٣ يبدو أن عمليات المستوردين كانت على نطاق ضيق جداً ، وبدأت الآمال تزدهر في أن التجارة ستموت موتاً طبيعياً قريباً وفي العام ١٨٨١ أسرت سفينة صاحبة الجلالة «درياد» ثلاث سفن أهلية عند الساحل الجنوبي للجزيرة العربية وأدينت واحدة منها بعد ذلك بأنها لتجارة الرقيق .

انتعاش التجارة ١٨٨٤

وفي ١٨٨٤ لوحظ زيادة مفاجئة خطيرة في استيراد الرقيق من افريقيا الى الخليج . ويعزو الموظفون البريطانيون في الخليج ذلك الى ابعاد السفينة «لندن» من زنجبار ، وقد حدث هذا في ١٨٨٣ ، وكانت وجهة نظرهم محققة جداً بأن الاشراف الدقيق على ٥٠٠ ميل من الساحل الافريقي سيكون أسهل وأكثر فعالية من مراقبة ٢٥٠٠ ميل على الساحل العربي من المكلا الى البصرة ، ولكن التقارير الواردة من شرق افريقيا أظهرت ان هناك أسباباً أخرى للزيادة . مجاعة قاسية على ارض افريقيا تسببت في تخفيض ثمن الرقيق هناك الى ٦ شلنات للواحد . ولكن ساد شعور أيضاً في زنجبار بأن الحكومة البريطانية نتيجة للكوارث في السودان قد سحبت معارضتها اخيراً بالنسبة لتجارة الرقيق . وبعد تفاقم حركة الإستيراد بدأت الطرادات البريطانية في العمل .

اسرى سفينة صاحبة الجلالة فيلومل ١٨٨٤

وفي اكتوبر ١٨٨٤ عندما كانت سفينة صاحبة الجلالة «فيلومل» بقيادة الرئيس «لانج» راسية في رأس الحد رأت سفينة أهلية قادمة من الجنوب الغربي ، وطاردتها «الفيلومل» وعندما أطلقت بندقية عبر مقدمة

السفينة لتقف اتجهت رأساً نحو الساحل ، ولكن «الفيلومل» اعترضتها ، ونجح ربانها مع خمسة من التجار في الهرب الى الشاطئ في قارب صغير ، وقبض على ثلاثة تجار بواسطة قوارب «الفيلومل» وثلاثة على ظهر السفينة ، ووجد أن السفينة تحتوي على ١٢٨ رقيقاً من الذكور ، و ٢٦ من الاناث من قبيلة «وازارامو» ، وكانوا جميعاً في حالة تعسة بعد ان ظلوا بلا ماء او طعام لمدة يومين ، واكتشفت على ظهر السفينة رسالة ألقت ضوءً كبيراً على تجارة الرقيق . وقد ادينت السفينة الاهلية التي كانت وجهتها الخضرة في الباطنة بحمولتها ، في محكمة الاميرالية في مسقط ، وسجن سلطان عمان تجار الرقيق الذين قبض عليهم في حصن «ميراني» .

وتلقى الرئيس «لانج » في مسقط برقية من الاميرال تأمره ان يتقدم في الحال الى عدن . وفي ١٨ اكتوبر ، وهو في طريقه الى هناك ، اشتبه بمركب على مسافة قليلة الى الشمال من جزيرة مسيرة . وعندما صعد على ظهر «السمبوك» وجد أنه يسمى «فتح الخير» من صور ووجهته ميناء في الباطنة ، وكان على ظهره ٣٠ رجلا و ٢١ امرأة من الرقيق ، والى جانب الربان الذي كان صاحب المركب وُجِد اربعة ركاب وثمانية من الملاحين وكان الركاب هم أصحاب الرقيق .

ونقل الرقيق الى «الفيلومل» ، وقُطِر السمبوك اول الامر ولما ثبت أنه لا يصلح للبحر نقل الملاحون والركاب مع أغراضهم الى «الفيلومل» في ٢٣ اكتوبر وأحرق السمبوك . وفي ٢٦ اكتوبر وصلت الفيلومل عدن حيث تم التصرف في الشحنة والرقيق طبقاً للقانون ، وأيدت محكمة الادميرالية تحطيم السفينة وارسل الربان وتجار الرقيق بعد ذلك الى مسقط فسجنهم سلطان عمان في حصن «جلالي» .

اسرى سفينتي صاحبة الجلالة اوسبري ورينجر ١٨٨٥

وفي الفترة الاولى من الموسم الذي تلا ذلك لم يمكن توفير سفن من البحرية الملكية لمراقبة تجار الرقيق . وبعد ذلك ارسلت ثلاث سفن

نجحت منها سفينة «اوسبري» في ١٩ سبتمبر ١٨٨٥ في أسر باخرة بها ٣٧ من الرقيق وبعد ذلك بعشرة أيام قبضت السفينة «رينجر» على قارب صيد عند صور كان فيه اثنان من الرقيق اجضرهم موخراً أحد تجار الرقيق ، وفي الحالة الاولى أدينت السفينة في محكمة الامبرالية في مسقط وعوقب التاجر بالسجن من قِبَل سلطان عمان .

صور قاعدة هامة لتجارة الرقيق الافريقية ١٨٨٥

لاحظ الرئيس «داود لانج» من البحرية الملكية ، وكان كبير الضباط البحريين في الخليج ، أن صور في هذه السنة كانت السوق الرئيسية للتجارة من افريقيا ، واقترح قيام الحكومة البريطانية باتخاذ خطوات لتقوية سلطة السلطان في صور . ولكن السلطات السياسية لم تؤيد هذا الاقتراح وبذلك لم يتخذ أي اجراء نحو ذلك على اعتبار أنه كان لدى هذه السلطات معلومات بأن صور لم تكن ميناء اجبارياً لتجار الرقيق وان سفينة الرقيق غالباً ما تذهب رأساً من مربط في ظفار الى الباطنة .

زيادة العمليات البريطانية ١٨٨٦

وفي العام ١٨٨٦ شرع في عمليات واسعة النطاق ضد تجار الرقيق الذين يدخلون الخليج ، واستخدمت في هذه المهمة سفن صاحبة الجلالة «ريندير» و «وودلارك» و «كنج فشر» ،و «سفنكس» من ٢٥ ابريل الى ١٨ يونيه ، و «الوودلارك» و «الكنج فشر» من يوليه الى ٢٨ اكتوبر وأوقف حوالي ٢٠٠ سفينة عربية وفتشت ، وقد أسرت واحدة منها فقط من قِبَل «وودلارك» في١٦ يونيه وكانت تحتوي على رقيق عددهم ٢١ . ووجد أن السفن التي فتشت كانت تحمل مواد ثقيلة ، وذكر أصحابها أنهم أنزلوا شحنات عادية على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية . وكان من المؤكد على أية حال ان كثيراً من الرقيق قد شحنوا الى الساحل الافريقي في هذه السنة وتلا ذلك بطريقة غير مؤكدة تماماً بدء وصول أعداد غفيرة من الرقيق الجدد الى الباطنة وأجزاء من عمان وقد استنتج من هذا انّ التجارة لم يقض عليها ولكن تحولت فقط الى مجرى آخر جديد.

واستمرت رقابة منتظمة ضد تجار الرقيق في الخليج والمياه المجاورة بعد ذلك من فصل الى آخر ، ولكن لفترة ما لم يكن هناك نجاح كبير . وعلى أية حال أخذت سفينة صاحبة الجلالة «كوساك» سفينة عربية في ١٨٩٠ بالقرب من رأس جميّلة وحطمهتا بعد أن كانت السفينة العربية قد أطلقت النار على القوارب . وكانت التجارة بطريقة ما لا يمكن تعليلها ما زالت مستمرة بنشاط ، بل حتّى ظهر أنها في زيادة لان سكّان الباطنة كما كانوا من قبل لهم ضلع كبير جداً في هذا . وفي العام ١٨٩٠ ذكّرت السلطات البريطانية شيوخ عمان المتصالح رسمياً بواجباتهم طبقاً للمعاهدة فيما يختص بالتجارة .

استعمال العلم الفرنسي ونمو سوق العبيد في صور ١٨٩١–١٨٩٦

وكما راينا بدأ تجار الرقيق في ١٨٧٥ استعمال العلم الفرنسي ليحموا سفنهم من الاستيلاء عليها بواسطة الطرادات البريطانية ، ومن حوالي عام ١٨٩١ أصبح ذلك شيئاً عادياً نوعاً ما بين رعايا سلطان عمان . وفي عام ١٨٩٢ اتضح ان العمل قد توسع بالنسبة لسفن عمان المتصالح ، وفي تلك السنة أيضاً بدأت شحنات الرقيق تصل الى البصرة تحت الاعلام الفرنسية . ويجب ان يذكر على أية حال تخفيفاً لمسؤولية الحكومة الفرنسية أن استعمال عَلَمَهم بواسطة تجار الرقيق كان بدون تصريح وكان خداعاً والموضوع كله الخاص بالعَلَم الفرنسي قد نوقش من الناحية السياسية في تاريخ سلطنة عمان وعمان المتصالح . ويكفي هنا ان نذكر أنه بناء على تعليمات حكومة الهند تم التأكيد لسلطان عمان من البداية انه لا يمكن التحلل من مسؤوليته تجاه رعاياه فقط لانهم يرفعون علماً أجنبياً ، ولكن ضعف وضع الحاكم في صور وخوفه من الحكومة الفرنسية ردعاه عن اتخاذ اجراء واستفحل الشر .

وأظهرت التحريات التي قام بها العقيد «هايس سادلر» المعتمد

السياسي في مسقط في العام ١٨٩٤ ان الرقيق الافريقيين كانوا يُجلبون الى صور في سفن تابعة للميناء معظمها يرفع العلم الفرنسي ، وان الرقيق كانوا يُنْزلون عادة في صور نفسها ، ولكن أصحاب السفن كان لهم من يعطفون عليهم في رأس الحد وفي أمكنة أخرى . وعندما كانت الطرادات البريطانية تطوف في المياه البريطانية اعتادت السفن على تلقي الانذارات في الوقت المناسب وعلى انزال شحناتها في الجميلة او لَشْخَرة على الساحل الجنوبي الشرقي بينما تساق مجموعات العبيد براً الى صور . وفي ذلك الوقت كانت شحنات الرقيق عادة تتكون كل منها من ٥ الى ١٠ فقط ويصلون من وقت لآخر الى خمسين ، وكان المجموع الكلي للرقيق المستوردين الى صور يقدر بـ ٣٠٠ في السنة ، ولم يكن الطلب كثيراً في الاجزاء الداخلية خلف صور لان نظام الري في مناطق جعلان والشرقية لم يتطلب أعمال الرقيق ، ونتيجة لذلك كان يُعاد تصدير معظم الرقيق في سفن صغيرة الى منطقة الباطنة في عمان حيث كان معظم الري من الآبار ، وإن وُجِد بعض الرقيق . وكان الرقيق يوزع من الباطنة الى عمان المتصالح براً والى سواحل الخليج بحراً . وأعانت قبيلة جنابة التي كانت منغمسة بشدة في هذه التجارة بصراحة ان غرضها من استعمال العلَم الفرنسي كان حماية عمليات الرقيق ، وأصبح من الواضح ان الطريق الوحيد لوضع حد لهذه التجارة هو القضاء على سوق صور ، وان العقبة الرئيسية لمثل هذه الخطوة هي موقف فرنسا فيما يختص بعلَمها وعدم اكتراث ممثليها المحليين بالعمليات التي كانت تتستر عليها . وقد ايدت الاحداث التالية بطريقة واضحة الرأي الذي كونه الرئيس «داودنج» في عام ١٨٨٥ ، ونالت صور سريعاً شهرة مشينة فيما يختص بتجارة الرقيق لا تختلف عن الشهرة التي بدأت تنالها مسقط حوالي ذلك الوقت كسوق رئيسية لتجارة الاسلحة .

في العام ١٨٩٦ كانت التجارة في حركة مزدهرة في صور. وكان الرقيق الذين كان يعاد تصديرهم من هناك يرسلون أساساً الى ميناء ودام

في الباطنة وميناء كلبا في الشميلية ، ومن الاخيرة كانوا يهربون على يد التجار البدو عبر الاقليم الى اراضي الشيوخ المتصالحين .

الاستيلاء بواسطة السفن الحربية البريطانية ... الخ ١٨٩٦

وقد استؤنفت عمليات الاستيلاء على السفن من قِبَل قادة السفن الحربية البريطانية وغيرهم في ١٨٩٦ . ففي مايو ، كما ذكر في فقرة سابقة ، أسر الملازم «بيفيل» ، المعتمد السياسي في مسقط ، بنفسه سفينة بها ٢٨ رقيقاً ، وبعد ذلك بأيام قليلة أخذت السفينة «لاب ونج» واحدة أخرى تحمل ١٤ من الرقيق ، وبناء على معلومات أبلغتها القنصلية البريطانية في مسقط أنقذ موظفو السلطان اثنين من الرقيق مستوردين حديثاً من قارب عند بندر جسّه ، وتبع ذلك ضبط حالتين بواسطة القائد «بيكر» بالسفينة «سفنكس» ، وهو ضابط نشيط جداً من البحرية الملكية ، وقد أدى هذا الى القاء ضوء جديد على وسائل تجار صور في العمل والمدى الذي وصل اليه سوء استعمال العَلَم الفرنسي في الحماية . وفي طواف السفينة «سفنكس» على الساحل الجنوبي الشرقي لعمان عثرت في ٢٣ سبتمبر عام ١٨٩٦ على سفينة سمبوك مريبة المظهر تسمى « سلامة » وكانت «سلامة» تحمل اوراقاً فرنسية ولكنها قديمة ، ورؤي على ظهرها حوالي ٣٠ من الرقيق ، وطبقاً لذلك سحب القائد «بيكر» السمبوك (سلامه) الى رأس الحد ، وارسلها من هناك في حراسة ضابط بريطاني الى القنصل البريطاني في مسقط حيث وصلت في ٢٨ سبتمبر . ومرة أخرى بينما كان القائد بيكر يتقدم على الساحل الجنوبي الشرقي اوقف سفينتين أهليتين أخريين عند رأس مدركة . وكان من الواضح ان احداهما مليئة بالرقيق تحت سطحها ، ولكن اوراقها التي كانت فرنسية كانت صحيحة وسمح لها بالمسير ، والأخرى وتسمى (السعد) كانت تحمل حوالي ١٤٠ من الرقيق ، وبعد ان عُرفت كشوف اوراقها التي كانت فرنسية أيضاً سحبتها «سفنكس» الى مسقط ، ووصلت هناك في ٢٩ سبتمبر .

وسلّمت كل من «سلامه» و «سعد» في مسقط الى نائب القنصل الفرنسي لمراجعة أوراقهما وأسرع هذا الموظف وهو المسيو « اوثافي » المعروف جيداً في إعلان ان كلا من السفينتين كان لها الحق في الحماية الفرنسية ، وأسرع أيضاً في الطعن في التصرف العنيف للقائد البريطاني ، ولكنه وجد نفسه أيضاً مضطراً بالرغم من هذا ان يسلّم بأن أكثر من ٨٠ على ظهرهما كانوا رقيقاً . ويبدو أن ربّانيّ السفينتين قد حكم عليهما بعد ذلك بالسجن من قِبَل محكمة فرنسية في بوربون ، ولكن نفّذ الحكم في مسقط ، وأخذا يقاسيان في سجون السلطان المظلمة حتّى يناير عام ١٨٨٩ . أما السفينتان اللتان ، وإن كانتا طبقاً لاوراقهما الفرنسية تنتميان إلى موانئ في مدغشقر وكمرو ، الا أن ملكيتهما حقيقة كانت في صور و بوعبالي في عمان . وقد بقيتا على شاطئ مسقط حتّى اطلق سراح أصحابهما على ما يبدو .

الاستيراد في صور ١٨٩٦ – ١٩٠٢

من المحتمل انه بسبب المصاعب السياسية التي نشأت من أعمال الاستيلاء التي قام بها القائد «بيكر» في العام ١٨٩٦ توقفت في الحقيقة الرقابة على الرقيق من قِبَل السفن الحربية البريطانية في مياه عمان بعد هذا لمدة ثلاث سنوات .

ولقيت مشكلة استيراد الرقيق الى الخليج عن طريق عمان القليل من العناية حتّى العام ١٩٠٠ عندما أثارهـا الرئيس « كوكس » المعتمد السياسي في مسقط فيما يختص بمشكلة العلَم الفرنسي في عمان . وفي يونيه عام ١٩٠٠ ، أثناء زيارة «كوكس» لصور ، تأكد له بالتحري بين الجاليات الهندية أنه تم استيراد ما يزيد على ١٠٠٠ من الرقيق الافريقي في صور في آخر الموسم الحالي . ومن هذا العدد وصل ٨٥٠ في ٥ سفن كبيرة ثلاث منها كانت تحمل العلم الفرنسي حيث دخلوا الى الميناء أثناء زيارة مسيو (اوثافي) ، نائب القنصل الفرنسي له .

ولوحظ ان المسيو «اوثافي» قد عهد بمهمة إيواء هؤلاء القادمين الى ترجمانه ووكيله عبد العزيز رواحي . وكان من المحتمل انيكون الرقيق المحمولين قد أنزلوا قبل وصولهم صور بفترة قصيرة ، ولكن الظروف جعلت من المستحيل الاعتقاد بأن المسيو «اوثافي» يمكن أن يكون جاهلا كلية بهذه الحقائق فان معظم الرقيق المستوردين في صور في العام ١٩٠٠ تبادلتهم الأيدي هناك ، ولكن جزءاً منهم وزعوا بالتدريج براً الى الشمال . وكان الاقبال عليهم كبيراً ، فبلغ ثمن الطفل ١٢٠ دولاراً ، والذكر البالغ ١٥٠ دولاراً ، والفتاة من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ دولار. وكانت هذه الاكتشافات هامة ولكنها لم تؤد الى نتيجة عملية لان مشكلة العلم الفرنسي كانت ما تزال دون حل ، كما ان خطر الاساءة الى المشاعر الفرنسية جعل الاجراءات المباشرة ضد تجار رقيق صور مستحيلة ، حتى الرجاء الودي لفرنسا اعتبر مستحيلا . وفي موسم ١٩٠١ أنزل حوالي ١٠٠٠ من الرقيق في صور وأحضرت ست سفن شحنات كبيرة ثلاثاً منها تحت العلم الفرنسي . وفي هذه السنة بلغ ثمن البيع للشاب القوي من ١٣٠ دولاراً إلى ١٧٥ دولاراً ، والفتاة من ١٥٠ الى ٢٠٠ دولار ، وفي عام ١٩٠٢ قيل ان الرقيق كانوا بوفرة كبيرة في كل من الداخل وعلى ساحل عمان ، وان التجارة كانت في حالة مزدهرة ، وعلى أي حال فان السلطان لم يكن راضياً عن ذلك وقدم كل مساعدة في طاقته معقولة لقمع هذه التجارة ، وبمعاونته تم اطلاق سراح عدد كبير من الرقيق في مسقط بين عامي ١٨٩٨ ، ١٩٠٢ .

القبض على تجار رقيق صور بأيدى البرتغاليين في شرق افريقيا١٩٠٢

في هذا الوقت الحرج لاحق العقاب المفاجئ تجار رقيق عمان في منطقة غير متوقعة على بعد ثلاثة آلاف ميل تقريباً من اوطانهم ، ففي منتصف فبراير عام ١٩٠٢ تقريباً وصلت الى حاكم موزمبيق البرتغالي أخبار عن طريق رحالة برتغالي ان اسطولا صغيراً من السفن العربية مريب المظهر قد رسا في مدخل خليج سلموكو على مسافة أقل من مائة

ميل الى الشمال من موزمبيق في وضع لا يسمح للسفن المارة في البحر من رؤيتها ، والحقيقة هي أن جماعة من العرب العمانيين انشأوا معسكراً كبيراً في هذا المكان وقاموا في الواقع باحتلال مسلح للمنطقة حيث عملوا بنشاط في شراء الرقيق بمساعدة «فامبويتا مونو» شيخ ساموكو . ونظمت في الحال حملة من موزمبيق ضد المعسكر العربي . وفي ٨ مارس تلاقت السفن الحربية البرتغالية «سان رافائيل» و «ليبرال» و «شيميت» بقيادة الرئيس «ليما» خارج خليج ساموكو ، وفي اليوم التالي انزلت من السفن فرقة من الجنود كونت نقطة اتصال بالقوة البرية من الاهالي المسلحين بقيادة « سنيور دالميدا» . وفوجئ العرب في معسكرهم ورفضوا شروط التسليم التي قدمت لهم ، فهوجم الموقع ، وتم احتلاله بخسائر قليلة أو بلا خسائر بين الجانبين ، وهرب العرب بأسلحتهم عند رؤية المدفعية التي صاحبت الطابور . وعلى أية حال فقد تمت مطاردتهم وأسر منهم ما يبلغ حوالي ١١٤ كان معظمهم يحمل بنادق تعمر من قاعدتها ووقعت كميات من الذخائر في أيدي البرتغاليين . وقد اخذت السفن الخاصة بالعمانيين أيضاً ويبلغ عددها اثنتي عشرة ، وعلى ظهرها اكتشفت كمية من المراسلات مكتوبة بالأحرف العربية واللغة السواحلية وهي التي قدمت الوثائق الخطية الكافية على صلات قديمة وثيقة في تجارة الرقيق بين معظم المسجونين وشيخ ساموكو . ووجد في المعسكر ٧٢٥ من الرقيق الذين جمعوا بواسطة «نامبويتا مونو» وهم من اماكن مختلفة من الداخل بيع معظمهم للعمانيين بمعـــــدل ٣ جنيهات استرلينية للواحد . وبسبب عدد المسجونين الكبير والشهود ضدهم ولعدم توفر الوقت لايجاد قاض قدير لفترة ما لم يتم التصرف في القضية حتى ٣ أكتوبر عام ١٩٠٣ حيث مات في ذلك الوقت ثلث المتهمين في السجون . ومن الباقين الاحياء حكم على ٤٥ بالنفي لمدة ٢٥ سنة الى اقليم انجولا البرتغالية على الساحل الغربي لافريقيا ، وقدم شيخ ساموكو أيضاً للمحاكمة .

في نهاية فبراير عام ١٩٠٢ وقبيل مسألة ساموكو بأيام قليلة قبض على

سفينة عمانية تسمى «فتح السلام» تابعة للعصابة نفسها وتم القبض على يد القومندان البرتغالي لمنطقة «موما» عندما ارتاب بأن فيها رقيقاً ووجد أنها تحتوي على أسلحة وذخيرة وليس بها عبيد ، واحضر البحارة للمحاكمة في ١٨ مايو عام ١٩٠٣ ، ونفي ١٣ من الأحياء الباقين منهم ١٧ سنة في انجولا وحطمت الثلاث عشرة سفينة جميعها وهي التي أخذت في الحالتين .

ومن المهم ان نلاحظ انه في قضية ساموكو اتضح ان اربعة من المسجونين كانوا من أهالي صور وجميع المغتصبين من رعايا سلطان عمان وان المسجونين في قضية «بوما» كانوا من قبيلة «جنابه» . وعلى ذلك فالمفروض أنهم ينتمون الى صور او ما جاورها . وفي الواقع كان التحقيق في مسقط يكاد يُظهر أنه باستثناء قليل من العوامر في منطقة الباطنة وخمسة او ستة آخرين ، فان جميع الاسرى من العرب من بني بو علي أو جنابه من صور . وقد وصلت أنباء الكارثة الى صور حوالي منتصف مايو عام ١٩٠٢ ، وقد حولت المدينة الى منظر محزن من النواح والعويل ، ولم يتأكد عدد الاسرى الذين لهم الحق بالحماية الفرنسية ، ولكن اعترف واحد منهم أمام السلطات البرتغالية أن اثنتين من السفن الأسيرة كانتا ترفعان العلم الفرنسي وكان هو يقود إحداهما .

الطريق التالي للتجارة ١٨٩٢ — ١٩٠٧

أدت هذه الكارثة التي حلت بتجار رقيق صور الى زيادة خطيرة في التجارة في الرقيق البلوشي التي استمرت لوقت ما ناشطة على فترات من ساحل مكران الايرانية الى ساحل عمان ، ولكن الحقائق ، وان كان لها بعض الاهمية العامة ، سيكون من الانسب اعتبارها محلية وحسب ، ويبدو أن عملية الاسر البرتغالية لسنة ١٩٠٢ كان لها أثر فعال جداً يؤمل ان يكون دائماً ، على تجارة الرقيق من شرق افريقيا الى الخليج ولكن يعتقد أنها نوعاً ما ماتزال مستمرة .

تاريخ تجارة الرقيق الداخلية في الخليج
١٨٧٣ ـ ١٩٠٧

بعد ان انتهينا من تجارة الرقيق في الخليج من عام ١٨٧٣–١٩٠٧ من نواحيها الخارجية نستطيع الآن ان ننظر اليها من الناحية الداخلية بالرجوع بصورة رئيسية الى توزيع الرقيق المستوردين من الخارج والتجارة المحلية وسيكون من الانسب تتبّع الموضوع على أساس التقسيمات الجغرافية .

★ ★ ★

التاريخ المحلي لتجارة الرقيق في سلطنة عمان
١٨٧٣ ـ ١٩٠٧

لقد وضح مجرى الاحداث الى حد ما في سلطنة عمان عند استعراض تاريخ الاستيراد من افريقيا ، وليس من الضروري ان نكرر في هذا المكان الوقائع التي ذكرت من قبل ، ونقتصر على المزيد من كما يلي :—

١٨٧٣ — ١٨٧٥

في ابريل عام ١٨٧٣ أصدر سلطان عمان بياناً يحرم فيه تجارة الرقيق في بلاده وذلك بعد اتمام الاتفاقية مع بريطانيا العظمى . وكان موقفه ، مرضياً جداً بخلاف موقف أخيه برغش سلطان زنجبار .ولفترة ما كادت تجارة الرقيق تتوقف في عمان ، ويرجع ذلك الى حد ما الى الخوف من بعثة سير «بارتل فرير» . وفي العام ١٨٧٥ استورد على أغلب الظن ٤٠ أو ٥٠ رقيقاً افريقياً أتوا جميعاً تحت العلم الفرنسي .

١٨٧٦ — ١٨٧٧

وفي العام ١٨٧٦ أو١٨٧٧ ضبط العديد من الرقيق في مسقط على ظهر السفينة البريطانية «كورستا» القادمة من جدة وكانوا في السفينة على هيئة

ركاب ، وقد حكم على المتهمين باعتبارهم مستجدين ، وارسلهم القنصل البريطاني الى كراتشي . وفي الوقت نفسه وصل تقرير عن ورود شحنة الى عمان من الرقيق الاحباش وعددهم ٧٠ ، ولكن الظروف في هذه الحالة كانت بشكل استحال معه على السلطان ان يتخذ أي إجراء .

تحرير الرقيق الهنود ١٨٧٨ — ١٨٧٩

وفي العام ١٨٧٨ أو ١٨٧٩ تم تحرير اثنين من الهنود في رستاق . وفي نهاية ١٨٧٩ انقذ ٣ أطفال هنود من عصابة من عرب حضرموت كانوا قد اشتروهم من حيدر اباد في الدكن وعرضوهم للبيع في «صور» . وفي هذه الحالة الاخيرة أعيد الاطفال الى الهند وترك للسلطان تولّى معاقبة الحضارمة كما يتراءى له .

١٨٨٤

وفيما يختص بانتعاش تجارة الاستيراد من افريقيا عام ١٨٨٤ أصدر السلطان بياناً جديداً لتحريم الرقيق في ممتلكاته . وفي اكتوبر من السنة نفسها لم يكتف فقط باعادة البيان بل ارسل أيضاً خطاباً الى شيوخ عمان المتصالح يطلب منهم الاستيلاء على الرقيق الذين قد يأتون الى موانئهم مع رعاياه ، واظهر سيد تركي الذي عقدت معه اتفاقية ١٨٧٣ بعد توليه الحكم مباشرة . والذي استمر يحكم حتى العام ١٨٨٨ ، في طوال فترة حكمه تأييداً مشكوراً لسياسة الحكومة البريطانية في محاربة تجارة الرقيق . وقد تلقى غير مرة شكراً رسمياً من حكومة الهند لمجهوداته في هذا المجال النبيل .

١٨٩٠ — ١٨٩٣

وفي العام ١٨٩٠ أو ١٨٩١ جرت محاولة لانزال ٢٥ من الرقيق الى مسقط عن طريق باخرة بريد فرنسية كانت في رحلة بين عدن وكراتشي وانتهى الامر بسجن ستة من العرب بأمر من السلطان . وحدث الشيء

نفسه بالنسبة للباخرة البريطانية الهندية «كيستنا» عند وصولها الى مسقط في سبتمبر ١٨٩١ حيث وجد ان بها ٢٥ رقيقاً افريقياً تحت اشراف العرب . وبعد أن تم تحرير العبيد بموافقة السلطان اعيدوا الى بومباي ، وقد أدى هذا الاجراء الى احتجاج شديد من صالح بن علي ، وهو زعيم سياسي ثائر من منطقة الشرقية في الداخل . وفي ١٨٩٢ كانت هناك زيادة ملحوظة في تجارة الرقيق في عمان وخاصة على ساحل الباطنة ، ولكن السيد فيصل السلطان الحاكم والذي كانت وجهة نظره بالنسبة لتجارة الرقيق كما هي أيضاً في الشؤون الاخرى اقل رضاء من وجهة نظر ابيه تركي ، استخف بالمسألة ، ولم يفعل شيئاً أكثر من اصدار بيان جديد على أساس اتفاقية ١٨٧٣ .

١٨٩٤

وفي فبراير عام ١٨٩٤ تم انزال افريقي حر كان قد استقل بغلة (مركب) في لنجة في طريقه من البصرة الى زنجبار بموافقة الربان على ساحل الباطنة ، وبيع هناك كرقيق . وما إن وصلت هذه المعلومات المغضبة الى مسقط حتى اتخذت الخطوات اللازمة التي كان من شأنها العثور على الزنجي ، ومصادرة المركب ، وسجن الربان بأمر من السلطان

١٨٩٦

وفي فبراير ١٨٩٦ خطفت جماعة مسلحة من «يال سعد» ١٧ رجلا من ساحل الجنوب العربي ، ونقلوهم بالمركب الى الباطنة وباعوهم عبيداً في الداخل ، ولم يظهر هذا الحادث الا بعد مضي وقت عندما أعلنه في مسقط أحد العبيد الذي استطاع الفرار . وبمقتضى ذلك تم سجن شيخ « يال سعد » المسؤول المباشر بأمر سلطان مسقط ، ومات في سجنه ، ولكن بقية الرجال الذين اختطفوا لم يعثر على أحد منهم سوى واحد استطاعت الحكومة البريطانية أن تأخذه من البدو الذين كان في حوزتهم بعد دفع فدية .

وفي نهاية عام ١٨٩٦ تم القبض على عصابة من تجار الرقيق في الباطنة كانوا يتاجرون لعدة سنوات في الرقيق البلوشي في مناعة من العقاب وكانوا يخطفونهم من ساحل مكران المواجه وينقلونهم لميناء له الصلة نفسها بتجارة الرقيق البلوشي ، كما كانت (صور) بالنسبة للافريقيين. وكان شيخ الوذام يقوم باعمال مشابهة. وقيل إن شيخ وذام مريض بحيث إنه لم يمكن احضاره لمسقط ، ولكن السلطان أصدر الامر بالقبض على ٦ أشخاص من العصابة وهم من البلوش أنفسهم. وتمت محاكمة المتهمين بواسطة محكمة مكونة من الملازم «بلي» ، قنصل بريطانيا في مسقط ، وممثل عن السلطان ، ووجهت الى المتهمين ما لا يقل عن ٣٤ تهمة متعلقة بالاتجار في الرقيق ، وكانت نتيجة المحاكمة ان حكم على خمسة من المتهمين بأمر من السلطان بدفع غرامات تتراوح بين ١٠٠ و ٥٠٠ دولار بالاضافة الى السجن.

١٩٠٠

وفي العام ١٩٠٠ ظهرت حالة كشفت عن استيراد متقطع ، للاطفال من المناطق التي أصابتها المجاعات في غرب الهند. وكانوا يُستوردون كعبيد الى الخليج. ففي أغسطس من العام نفسه تم العثور على عربي من حضرموت وصل الى مسقط على الباخرة البريطانية «سيملا» ومعه ٣ أطفال هنود من (بارودا) ، ودلت التحريات على أنه إما اشتراهم او حفظهم لعرضهم في سوق الرقيق. وقد اعيد الاطفال الى الهند ، وتم طرد العربي وترحيله الى ولاية بارودا حيث حكم عليه هناك بالسجن سنتين مع الاشغال الشاقة. وقد اتخذت شرطة «بارودا» الاحتياطات الكافية لمنع تكرار مثل هذه الحوادث مرة أخرى.

١٩٠٤

وفي العام ١٩٠٤ وجد ان عبدالله ، جمغدار السلطان أو القائد الحربي في صحار ، قد اشترى عبيداً مستوردين من مكران الى صحار بواسطة

الحاكم الايراني لباشاكرد ، وبالتالي حكم عليه ، بواسطة سيّده بناء على طلب المعتمد السياسي البريطاني بثلاثة أشهر سجن . وقد وجد أيضاً أن اثنين من العبيد الذين اشتراهم الجمعدار قدموا الى السلطان نفسه فقبلهم .

١٩٠٥

وفي عام ١٩٠٥ وبمقتضى حكم صادر عن محكمة لاهاي فيما يختص بالعَلَم الفرنسي في عمان ، بدأ الممثل المحلي الفرنسي يمارس رقابة أكثر دقة على اجراءات البواخر الاهلية التي لها الحق في استعمال العلم الفرنسي .

* * *

تاريخ تجارة الرقيق المحلية في ساحل عمان المتصالح ١٨٧٣ ـ ١٩٠٧

١٨٨٠ ـ ١٨٨١

وفي العام ١٨٨٠ أو ١٨٨١ اتهم أحد الرعايا الهنود البريطانيين المقيمين في عمان بالاتجار بالرقيق وعوقب بالغرامة والسجن .

١٨٨٤

وفي عام ١٨٨٤ أنزلت شحنة جديدة من ٥٤ رقيقاً افريقياً في دبي وتجاهل شيخ ذلك المكان الاحتجاج المقدم من المعتمد البريطاني في الشارقة وسمح ببيعهم ، وعلى ذلك أمر المعتمد ان يطلب تسليم جميع الرقيق الافريقيين المستوردين حديثاً في عمان المتصالح ، ووجه خطاب من المقيم البريطاني الى جميع الشيوخ المتصالحين يذكرهم بواجباتهم بموجب المعاهدة فيما يختص بتجارة الرقيق ، وفي أواخر تلك السنة زار المقيم البريطاني المساعد الساحل في السفينة الملكية «دراجون» ، ونجح في

استرداد ٢١ من الرقيق الذين انزلوا في دبي بينما قدم الشيخ اربعة آخرين واضطر ان يدفع عن كل عبد لم يسترد غرامة قدرها ٧٠ دولاراً ، واطلق سراح ولد واحد من الرقيق في الشارقة وآخر في ام القوين .

١٨٩٠ — ١٨٩١

وفي العام ١٨٩٠ او ١٨٩١ وجهت مذكرات جديدة الى شيوخ ساحل عمان المتصالح تذكرهم بالتزاماتهم ، ونتج عن هذا تحرير عدد من الرقيق .

١٨٩٢

وفي العام ١٨٩٢ أصبحت الشكاوى كثيرة من الاتجار بالرقيق في ساحل عمان المتصالح ، وفي نوفمبر من تلك السنة وجد الرائد «تالبوت» المقيم من الضروري ان يزور الساحل في السفينة الملكية لورانس مصحوبة بـ «سفنكس» و « كوساك» ، وفي إحدى الحالات اتضح ان ٣٣ من الرقيق أحضروا في إحدى سفن «صور» تحت العلم الفرنسي ، من زنجبار الى رأس الخيمة حيث حملوا الى خور فكان في المنطقة نفسها وتم التصرف فيهم هناك ، وفي هذه القضية سمح المقيم البريطاني بانقاص الغرامة المعتادة وهي سبعون دولاراً لكل عبد على أساس أن تاجر الرقيق والشيخ الذي يحكم (خور فكان) كانا مسؤولين بصفة اساسية ، ولكن الغرامة بالرغم من ذلك كانت غرامة كبيرة ، وبعد أن انزل مؤخراً خمسة من الرقيق في الحمرية اضطر شيخ الشارقة ان يدفع غرامة ٥٥٠ دولاراً عن أحد اتباعه بصدد الحادث ، وفي دبي حيث استورد اثنان من الرقيق بواسطة شخص من البحرين ورفض طلب وكيل المقيمية البريطانية تسليمهما ، تم الحصول على غرامة قدرها ٢٥٠ دولاراً .

١٨٩٤

وفي عام ١٨٩٤ غرم شيخ رأس الخيمة بمبلغ ١٩٥ دولاراً بسبب

بيع أحد الرقيق في ذلك المكان واحضار خمسة ارقاء هناك للبيع بواسطة أحد أهالي الحضرة في الباطنة ولكنهم لم يباعوا .

١٨٩٦.

وفي فبراير ١٨٩٦ زار المقيم السياسي الساحل المتصالح في السفينة الملكية «لورانس» مصحوبة بالسفينة «لابونج» للتحقيق في الاستيراد المزعوم لحوالي ٤٠ من الرقيق في ابو ظبي. ولم يستطع الشيخ انكار الحقائق ، وان كان قد حاول أن يخفف منها وان يلطف من سلوكه ، مدّعياً بانتشار التجارة بصفة عامة ، كما زعم بوجود تغاضٍ من جانب وكيل المقيمية البريطاني . وبعد ان قدم تسعة من الرقيق المعنيين أجبر على دفع غرامة قدرها ٢١٠٠ دولار عن الذين لم يسلموا ويُعتَقَد ان معظمهم قد شحنوا الى قطر وامكنة أخرى ، وقد ابلغ بعد ذلك ان شيخ أبو ظبي ، بسبب هذا الموضوع ، قد دبر خطة لقتل المعتمد في الشارقة ، وبما ان هذا الاعتقاد كان له ما يبرّره فقد ارسل تحذير للمعتمد . وكان هناك ما يدعو الى الاعتقاد ان ادعاءات شيخ ابو ظبي فيما يتعلق بانتشار التجارة في الساحل المتصالح كله كان لها اساس كبير وإن لم يمكن الحصول على البراهين الثابتة . وفي تلك السنة بيع في دبي جماعة الرقيق البلوشي المجلوبين من ودام ووقع اثنان كانا قد هربا من ذلك المكان في أيدي العرب في الخان ، وقد اتخذت إجراءات نجم عنها ادانة عدد من تجار الرقيق في الباطنة ، كما ذكرنا اعلاه من قبل .

١٨٩٩

وفي ديسمبر ١٨٩٩ زار الرائد « ميد » المقيم السياسي في الخليج موانئ الشيوخ المتصالحين وحثهم على اتخاذ الخطوات لقمع فعال لتجارة الرقيق ، وعلى أي حال فقد ادار الشيوخ أذناً صماء لنصائحه وانكروا جميعاً وجود استيراد للرقيق لاراضيهم من ناحية البحر . وذهب شيخ

الشارقة الى الحد الذي صرح فيه ان الرقيق كانوا يجلبون بواسطة البدو من عمان الى ساحل عمان المتصالح براً . وقد زُعم بصفة عامة في ساحل عمان المتصالح أن أعداداً كبيرة من الرقيق يستوردون الى قطر بطريق البحر ، ولكن لم توجد وسيلة تثبت او تؤيد ذلك مع أنه كان يعتبر كبير الاحتمال .

١٩٠١

وفي أغسطس ١٩٠١ تم استيراد فتاة من الرقيق بحراً من رأس الخيمة الى الشارقة ، وقد حُررت ، ودفعت غرامة قدرها ٧٠ دولاراً . وفي ١٩٠٤ ظهرت حالتا بيع في ام القوين لولدين ايرانيين اختطفهما البلوش من الساحل المواجه وفي كل حالة دفع الشاري غرامة قدرها ١٠٠ دولار وحكم عليه بالسجن . وفي سبتمبر ١٩٠١ حصل اثنان من الرقيق على حريتهما على ظهر السفينة الملكية «سفنكس» في جزيرة دلمه ، وقد قالا إنهما اختطفا من افريقيا من قبل ذلك بثلاث سنوات واحضرا الى (صور) حيث اعيد تصديرهما الى الشارقة بعد ذلك بسنتين . وقد اوضحت هذه القضية الاخيرة الحقيقة المعروفة بأن حالة الرقيق في الخليج لم تكن صعبة الا بقدر ما كانوا يستخدمون على يد اسيادهم للغوص وراء اللؤلؤ ، وان خوف العبيد على الساحل العربي من ارسالهم الى البحر هو الذي كان يدفعهم الى الهرب .

★ ★ ★

التاريخ المحلي للتجارة في البحرين
١٨٧٣ ـ ١٩٠٧

١٨٨٩

وفي اكتوبر عام ١٨٨٩ ذكر وكيل المقيم البريطاني في البحرين ان رقيقاً أكثر من المعتاد قد احضروا الى البحرين مع الحجاج العائدين من مكة . وقد اظهر الشيخ ، في هذه الحالة اخلاصه ووفاءه لارتباطاته . وبمعاونته أمكن تتبّع ١٥ من الرقيق الجدد ومنحوا حريتهم .

١٨٩٥

وفي خريف ١٨٩٥ أثناء زيارة السفن الحربية البريطانية للبحرين خلال ازمة الزيارة لجأ عدد من الرقيق الى الوكالة البريطانية في المنامة وطالبوا بحريتهم ، ووجد ان عدداً منهم لهم الحق في الحرية ، وفي مناسبة واحدة بلغ عدد الافراد الذين حرروا ٣١ وكان ثلاثة من الرقيق المعتقين ينتمون الى المستعمرة المتمردة للعرب الدواسر في البديع وزلاق الذين عبروا عن عدم رضاهم وهددوا بالهجرة من البحرين . واتبع مثل الدواسر بعض سادة الحد من قبيلة آل بوفلاسه . ويبدو أن حركة التحرير بين الرقيق في البحرين بلغت في ذلك الوقت نسبة كبيرة . ووجدت السلطات البريطانية أنه من الضروري اعطاء تأكيدات لزعماء البحرين أنه لم يتم التفكير في تحرير جميع العبيد ، وقد اضيف أن كل حالات الرقيق الهاربين سيحقق فيها ، كما سيحرر العبيد المستوردون حديثاً ممن يعاملون معاملة سيئة . وفي نوفمبر ١٨٩٥ علم من قائد السفينة الملكية «بيجون» ان اصحاب الرقيق العرب في البحرين قد تطوعوا باعطاء تعهد كتابي للشيخ بأنهم في المستقبل لن يشتروا أو يبيعوا او يتبرعوا بالرقيق ولكن يبدو أنه لم تكن هناك فائدة من هذا الغرض . وبعد أن تمت هذه الترتيبات هدأ العرب مرة أخرى . ورجع جماعة من آل بوفلاسه ممن تركوا الجزر الى موطنهم وكف العبيد لفترة ما عن المطالبة بتحريرهم .

١٩٠٠

وفي العام ١٩٠٠ أدين أحمد بن سعد ، من اهالي الكويت و المقيم في البحرين باعادة استرقاق ولد تسلم اوراق العتق من القنصل البريطاني في البصرة . وغرمه شيخ البحرين بمبلغ ١٠٠ دولار ، وهي عقوبة اعتبرتها حكومة الهند غير كافية .

١٩٠٥

واستمرت الامور على هذا المنوال منذ ١٨٩٥ حتى بعد ذلك بعشر سنوات عندما لفت الرئيس «بريدو» المعتمد السياسي في البحرين نظر حكومة الهند إلي ان استيراد الرقيق الافريقي مستمر في البحرين وأن المخالفين الاصليين هم سادة الحد ودواسر البديع وزلاق ، وقد قدّر ان عدد الرقيق الذين استوردوا في البحرين منذ ١٨٤٧ وهم في رأيه يستحقون التحرير بلغ الآلاف . وأوصى بريدو بوجوب اتخاذ خطوات لمعالجة هذا الشر بالقضاء التدريجي على موسسة الرق في البحرين على الاسس التي اتبعت في زنجبار في ١٨٩١ . ثم قدم بعض الاقتراحات البديلة ، ولكن حكومة الهند اعتبرت الاعتراضات على مقترحات المعتمد السياسي متعذرة ، وأمرت بدلا من ذلك ببذل المجهودات لمنع وقمع جلب الرقيق الجدد ، وتقديم كل تسهيل للحصول على اوراق عتق الرقيق المستوردين حديثاً ، أما الرقيق الذين طالت إقامتهم في الجزر فلا يجب تشجيع طلبات تحريرهم . وعند تقدمهم بطلبات للتحرير تبحث كل حالة على حدة على ضوء سلوك صاحب العبد ومعاملته له في الماضي والحاضر . وصرح للمعتمد السياسي في المستقبل كما هو الحال في مسقط ، ان يصدر شهادات عتق بنفسه دون الرجوع الى المقيم البريطاني في بوشهر ، وفي عمله هذا كان عليه ان يستشير شيخ البحرين دون أن يكون للشيخ المذكور أي اختيار في منع موافقته ،

وستكون لدينا الفرصة للرجوع الى هذه المراسلات بهذا الخصوص في مسألة الرق المحلي في الخليج .

١٩٠٦ – ١٩٠٧

وفي العام ١٩٠٦ أو ١٩٠٧ حصل شيخ البحرين ، بناء على طلب المعتمد السياسي على غرامة قدرها ٥٤٠ روبية من عربي ثبت انه يملك عبداً افريقياً مستورداً حديثاً وانه عامل عبدين آخرين يملكهما معاملة شديدة القسوة .

★ ★ ★

التاريخ المحلي لتجارة الرقيق في قطر والكويت ١٨٧٣ – ١٩٠٧

١٨٩٦ – ١٨٩٩

لاتحتوي تقارير الحكومة إلاعلى القليل من المراجع عن تجارة الرقيق في قطر والاحساء والكويت حيث انها بلا شك لم تكن أقل انتشاراً من أي مكان آخر في الخليج . في ١٨٩٦ كان هنالك ما يدعو الى الاعتقاد بأنه كان هناك بعض تصدير للرقيق من عمان المتصالح الى قطر ، وفي ١٨٩٩ ذكر في عمان المتصالح ان كثيراً من الرقيق كانوا يجلبون لقطر عن طريق البحر .

وفي ١٩٠٤ ترك أحد سكان قطر امرأة من الرقيق ليبيعها له أحد سكان البحرين فلجأت الى الوكالة البريطانية وحررت . وحصلت غرامة قدرها ١٠٠ دولار من البحريني . وكان في النية معاقبة القطري بالطريقة نفسها ، ولكن لم تكن هناك وسيلة لتنفيذ العقوبة .

التاريخ المحلي لتجارة الرقيق في العراق التركي
١٨٧٣ ــ ١٩٠٧

يبدو ان استيراد الرقيق للعراق التركي لم يحدث على نطاق واسع على الاقل في السنين الاخيرة . وحوالي العام ١٨٩٠ طلب الرائد « تويدي » المقيم البريطاني في بغداد ، الذي كان مقتنعاً بأن التجارة موجودة الى حد ما ، من القنصل في البصرة ان يواظب على حث والي البصرة لبذل ما في طاقته لقمعها . وجاءت التقارير من وقت لآخر عن مرور شحنات رقيق عند شط العرب ، ولكن لم يثبت أي دليل للبرهنة على وجودهم .

وفي العام ١٨٩١ او ١٨٩٢ صيغ اعلان يتفق مع شروط معاهدة ١٨٨٠ بين بريطانيا العظمى وتركيا ، وتلقاه الوكيل القنصلي التركي في لنجة من حكومته لابلاغه الى الرعايا الاتراك المقيمين في ذلك المكان . وفي عام ١٨٩٢ أبلغ مساعد الوكيل السياسي عن وجود تجارة صغيرة في الرقيق في البصرة وفي الجهات المجاورة لها وبأنها تتم بسرية وحرص كبيرين . وفي يومنا الحاضر وبقدر ما يمكن تأكيده فان استيراد الرقيق بحراً الى ولاية البصرة قد هبط بنسبة كبيرة .

★ ★ ★

التاريخ المحلي لتجارة الرقيق في عربستان
١٨٧٣ ــ ١٩٠٧

ان انتباه حكومة الهند على ما يبدو لم يوجه الى اي استيراد للرقيق الى عربستان .

التاريخ المحلي لتجارة الرقيق على ساحل فارس وموانىء الخليج ١٨٧٣ ـ ١٩٠٧

١٨٧٦ ـ ١٨٧٧

عُلِم سنة ١٨٧٦ او ١٨٧٧ ان الرقيق كانوا يستقدمون الى ايران عن طريق قشم وبندر عباس ، ولكن السلطات المحلية الايرانية رفضت مناقشة الموضوع . وقد تحدثنا سابقاً عن قضية «ركبي» في بوشهر عام ١٨٧٧ ، وهنا يمكن ان يضاف انه وان كان من الواضح ان عبيداً آخرين ، علاوة على الولد الذي استرد عن طريق الكارجوزار ، قد نزلوا من الباخرة ، الا ان السلطات الايرانية لم تتخذ أي اجراء حيال المعلومات الاكيدة التي ترد اليها من دار المقيمية البريطانية . وبعد ان ابلغ اهمال الموظفين الايرانيين في بندر عباس وبوشهر الى المفوضية البريطانية في طهران عينت الحكومة الايرانية مأموراً خاصاً ليحقق في تصرفاتهم ، ولكن يبدو أن شيئاً ما لم ينتج عن هذا الاجراء .

١٨٨١ ـ ١٨٨٢

وفي العام ١٨٨١ اكتشف ان بعض الصبية الهنود قد بيعوا كرقيق في شيراز من قبل تجار خيول ايرانيين . وقد اتخذ اجراء بواسطة المفوضية البريطانية في طهران استرد على اثره احد الرقيق وعوقب عدد من التجار . وفي العام التالي انقذ ولد هندي آخر من الرق في شيراز .

١٨٨٤

وفي العام ١٨٨٤ اختطف ثلاثة أفارقة مقيمين في المستوطنة البريطانية في باسيدو بالقرب من لنجة ،ولكن المعتمد في لنجة نجح في إطلاق سراحهم عن طريق شيخ موغوه .

١٨٨٨

وفي سبتمبر ١٨٨٨ وردت انباء بأن سبعة رقيق افريقيين جدد من صور قد استوردوا في لنجة ، وبذلت السلطات البريطانية مجهودات لتضمن اطلاق سراح الرقيق ومعاقبة من كانت لهم صلة باستيرادهم . ولكن تصرف الموظفين الايرانيين المحليين وموقفهم خيّبا المساعي البريطانية تماماً في كل اتجـــــاه . ومن الغريب ان الدلال الذي استورد الرقيق مات من لدغة دبور بعد ان بدئ التحقيق معه مباشرة ، وبعد ذلك أصدر حاكم موانئ الخليج تحذيراً بمعاقبة الاشخاص الذين يعملون بتجارة الرقيق ، وأمر ملتزم الجمارك أن تبلغ جميع حالات الاستيراد لعلم السلطات .

١٨٩٠ — ١٨٩١

وفي ١٨٩٠ سبح اثنان من الرقيق الى الباخرة البريطانية «كالدر» في لنجة وطالبا بالحماية كرعايا بريطانيين من عدن . وكانت تجارة الرقيق في جاراك وجزيرة قيس ترعرعت بسبب تساهل نائب الحاكم الايراني إلى أن أدى تدخل المقيم السياسي البريطاني لصدور أمر من حاكم موانئ الخليج الايراني بتحريم تلك التجارة .

في العام ١٨٩١ شاعت تقارير عن استيراد رقيق في قشم ، وأجرى حاكم موانئ الخليج تحريات أظهرت ان هذه التقارير ليس لها أساس من الصحة .

١٨٩٦

وفي العام ١٨٩٦ فشلت محاولة على الساحل الايراني لاعادة استعباد رجل حر وذلك بهروبه من لنجة حيث أخذ على ظهر السفينة الملكية «سفنكس» .

وفي هنجام ١٩٠٤ ، بعد فتح محطة التلغراف البريطاني في الجزيرة مباشرة ، هرب ولد بلوشي عبد من بغلة (مركب) عربية تابعة لقرية سوزه على جزيرة قشم ولجأ الى محطة التلغراف مشتكياً أنه تعرض لقسوة المعاملة ، وانه جرت محاولات لبيعه في لنجة وعلى ساحل عمان المتصالح . وقد حرر هذا العبد ، ولكن حالت مصاعب فنية دون اتخاذ اجراءات لمحاكمة السفينة التي هرب منها . ونتيجة للقضية وصلت تعليمات الى هنجام ، سنتحدث عنها فيما بعد ، من حكومة الهند في ١٨٨٥ تتعلق بمعاملة الرقيق الهاربين ممن ينشدون ملجأ في محطات التلغراف البريطانية في ايران . ولفت النظر ايضاً الى ان تسجيل وتسمية وترقيم السفن الاهلية لم يكن ينفذ في الموانئ الايرانية بما يتفق وشروط القانون العام لمؤتمر بروكسل ، وان كشوف الملاحين والمسافرين لم يكن ليحتفظ بهما في السفن الايرانية وفقاً للقانون . ولفتت المفوضية البريطانية نظر الحكومة الايرانية لاهمالها هذه الشروط الهامة . وصدرت التعليمات في طهران للموظفين الايرانيين المحليين في الخليج ، ولكن دون نتيجة ظاهرة . وعلاوة على ذلك اقترح السير « ا . هاردنج » ، الوزير البريطاني في طهران أنه يمكن اتخاذ الخطوات لانتقال المسؤولية في تنفيذ الشروط المعنية من الحكام المحليين الى الجمارك الايرانية الامبراطورية ، واوحى المسيو « م. نوس » للوزير الايراني للجمارك ، باستعداده بشكل شخصي للموافقة على مثل هذا الاجراء . ولكن حكومة الهند لم تهتم بالاقتراح على اساس أنه سيؤدي الى عدم التمييز في حجز وتفتيش جميع السفن الاهلية بواسطة الجمارك فلم يؤخذ بالاقتراح . ويجب ان نلاحظ ان الحاكم الايراني لموانئ الخليج في ذلك الوقت قد أثار جدلا بأن قانون بروكسل كان ينطبق فقط على الرقيق الافريقيين .

١٩٠٧

وفي ١٩٠٧ ابلغ المقيم البريطاني في بوشهر أنه كان يوجد بالتأكيد في شيراز ، ومن المحتمل في فارس كلها ، أعداد كبيرة من الرقيق الذين لا بد أنهم قد جلبوا الى ايران بحراً منذ عام ١٨٨٢ تحدياً للاتفاقية المعقودة في تلك السنة لقمع تجارة الرقيق . وقد قيل إنه منذ العام ١٩٠٣ اظهرت السلطات الايرانية في شيراز منتهى البراعة في تجنب شروط الاتفاقية ، وانه كان من الضروري ممارسة ضغط محلي قوي على الوزير البريطاني في طهران .

* * *

التاريخ المحلي لتجارة الرقيق في مكران الايرانية ١٨٧٣ ـ ١٩٠٧

١٨٨٤ ـ ١٨٨٥

وفي العام ١٨٨٤ أو ١٨٨٥ اختطف هندي خلاسي ، كان في وقت مضى رقيقاً ولكنه نجح في الهرب ، من شهبار الى كراتشي بواسطة سيده السابق وحُمِلَ على سفينة حربية . وفوتحت السلطات الايرانية في الموضوع ولكن لم يظهر لذلك نتيجة .

١٨٩٦

وفي عام ١٨٩٦ ، كما ذكر من قبل في فقرة عن تجارة الرقيق في سلطنة عمان ، قدمت للعدالة عصابة من البلوش على ساحل الباطنة كانوا يتاجرون بصفة أساسية في الرقيق الذين يشترون او يخطفون من مكران . وفي الوقت الذي تحطمت فيه العصابة كانت تقوم بعمليات دون عقاب لعدة سنوات خلت .

١٩٠٣

ولفتت التجارة في الرقيق من مكران الى الجزيرة العربية الانتباه من جديد في عام ١٩٠٣ عندما ابلغ أن رجالا من منطقة جاشك وبعض «الحادجال» من باهو دشتياري كانوا يشترون الرقيق من سكان باهو ومن الرعايا «الكالات» في داشتي ويبيعونهم لتجار من ساحل عمان كانوا يأتون للشراء . وكانت الامكنة الرئيسية للتصدير حينئذ هي تانك وانك في منطقة «ببر» ، ولكن الرقيق كانوا يشحنون أيضاً من «جلج» و «ساديش» وكان كثير من الرقيق المصدّرين افريقيين ، ولكن كان من بينهم الآن طبقة دنيا من البلوش الذين بيعوا من أشخاص عاديين . وقد لفت النظر اولا لهذه التجارة التدفق المفاجئ للرقيق الفارين الى الميناء الحرة في جوادر كما سنذكر فيما بعد .

وفي العام ١٩٠٤ نشطت التجارة كثيراً في شكلها الجديد باجراءات سعيد خان غير القانونية ، وهو زعيم «جيه» الذي اكتسح الاقليم ببطانته المسلحة مجبراً البلوش الفقراء على الرق ، وكان يستغل معظم ارباحه من هذه الاعمال السيئة في شراء الاسلحة والذخائر ، وحذا حذوه سريعاً المير بركات امير جاشك الذي كون عصابة لتجارة الرقيق ، ورفض ان يمتنع عن ذلك بالرغم من الاحتجاجات التي وجهت اليه بواسطة الملا وذوي النفوذ من بلوشي جاشك . ولم يكن ضحايا التجارة يسحبون فقط من المناطق التي ذكرت من قبل بل ايضاً من «جيه» و «بنت» وما جاورهما ، بل حتى من باشاكارد . ومع أن استرقاق أحرار المسلمين مخالف لشريعة الاسلام لكن سعيد خان والمـــير بركات جدا من يقلدهما ولو على نطاق اضيق . ومن هؤلاء وغد يسمى «شاي بن شعبان» اتخذ اقامته اولا في جاشك ، حيث قيل إنه من هذه الميناء وحدها صدر ٤٥٠ رقيقاً الى الجزيرة العربية خلال الثلاث سنوات التي تنتهي في العام ١٩٠٤ .

وفي العام ١٩٠٤ وقع شاي بن شعبان في نهاية عنيفة يستحقها عندما تشاجر مع مير بركات الذي ساءه أن ينقل « شاي » عملياته من جاشك الى ساديش ، وهي خطوة حرمت بركات من نصف نصيبه في المحصلات من اعمال شاي بن شعبان . وبعد ان خدع شاي بالذهاب الى جاشك بحجة المفاوضات هاجمه غدراً هناك في الليل رجال المير وقتل ١٢ من اتباعه وهرب هو الى « جاجين » لكن بركات طارده وذبحه مع ٢٥ من رجاله ووقع ٢٧ آخرون من العصابة مع الثروة كلها في أيدي المير بركات الذي لا يقل بشاعة عنهم . وقبل موت (شاي) بوقت قصير باع ٤٩ رقيقاً بمتوسط ١٥٠ دولاراً لكل منهم . وقيل إن ما نهبه بركات من معسكره كان يوازي ٤٠٠٠ دولار . وقد هرب من أتباع (شاي) ١١ فقط ولكنهم كانوا يائسين وكان من المتوقع أنهم سيسببون متاعب بعد ذلك في منطقة جاشك . وعلى أي حال فانه حتى الوقت الحالي ، وان كانت هناك مخاوف عديدة ، الا أنهم لم ينجحوا في احداث أي اضطراب .

وفي ١٩٠٤ نشطت ايضاً عصابة أخرى من تسعة تجار وكان مركزهم في جابريج كما عظم شرهم رغم قلة عددهم وحوالي ذلك الوقت قام علي رضا خان ، زعيم باشكارد ، مع ولديه محمد خان وألك بالاغارة على بلد جاجين وهي مكان على نهر جاجين على مسافة حوالي ٤٥ ميلا شمال او شمال شرق جاشك ، واسروا عدداً من النساء والاطفال الذين صدورهم كرقيق الى صحار في عمان . وكان شراء بعض هؤلاء بواسطة جمعدار صحار هو الذي اوقع ذلك الموظف في المتاعب كما ذكرنا من قبل . ومن الخمسة وتسعين عبداً الذين حرّروا في مسقط عام ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ كان ما لا يقل عن ستين ايرانيين او بلوش صدّروا من مكران الى ساحل الباطنة . وفي عام ١٩٠٥ توقفت مرة أخرى على ما يبدو تجارة التصدير من مكران .

التاريخ المحلي لتجارة الرقيق في جوادر
١٨٧٣ ـ ١٩٠٧

يستحق سير الحوادث في جوادر ، وهي من توابع سلطنة عمان من مكران ملاحظة قصيرة منفصلة .

١٨٧٥ — ١٨٩١

تعهد سلطان عمان بموجب مادة في معاهدة ١٨٧٣ بأن يعامل جميع الاشخاص الذين يدخلون اراضيه كأحرار بعد هذا التاريخ . واصر مساعد المعتمد السياسي البريطاني في جوادر كثيراً على تحرير الرقيق الذين تملكهم قبيلة زند المشاغبة في المنطقة المجاورة . وهم الرقيق الذين يهربون من اسيادهم ويلجأون الى الميناء وسبب هذا التحرير بالاضافة الى أمور أخرى بعد العام ١٨٧٥ بعض المتاعب مع الرند ورد ذكرها في تاريخ جوادر وهي المتاعب التي قاست منها من حين لآخر مؤسسة التلغراف البريطانية وايضاً حكومة السلطان .

١٨٩٢ — ١٨٩٤

ففى مايو عام ١٨٩٢ طلب الرند تسليم ٧٠ من الرقيق الذين هرّبتهم سلطات جوادر ، ولكن رفض الطلب . وفي خلال شتاء ١٨٩٢—١٨٩٣ استمر الهاربون في الوصول إلى جوادر حيث تجمعوا وبلغ مجموعهم في مايو عام ١٨٩٣ عدة مئات ، وعند هذا الحد أقنـع الهاربون بترك جوادر الى الهند البريطانية حتى يمكن تجنب متاعب خطيرة حتي ان السلطات البريطانية سهلت لبعضهم القيام بذلك . وظل الموقف على أي حال حرجاً حتى بداية عام ١٨٩٤ ، كما ذكر في تاريخ جوادر ، حيث تم التوصل الى اتفاق مع الرند تعهدوا فيه بعدم القيام بقلاقل في جوادر بسبب الرقيق الهاربين بينما تعهدت الحكومة البريطانية من جانبها بعدم السماح للرقيق المطلق سراحهم بالبقاء في جوادر أكثر من ١٥ يوماً بعد تحريرهم .

١٩٠٣

وفي العام ١٩٠٣ تدفق إلى جوادر عديد من العبيد الذين اعتقدوا ان اسيادهم ينوون بيعهم للرق في الخليج . وكان هذا التدفق سبب انتباه السلطات البريطانية لأول مره الى التجارة في الرقيق البلوشي التي انتقلت حينئذ حديثاً الى مكران .

★ ★ ★

رقيق المنازل في الخليج

سياسة الحكومة البريطانية فيما يتعلق برق المنازل

لقد تناولنا حتى الآن بصورة شبه مطلقة تجارة الرقيق من الخليج واليه عن طريق البحر ، وحيث قد توقف استيراد الرقيق عن طريق البر ، يبقى فقط ان نضيف بعض الملاحظات على موضوع الرق المنزلي وحركة تجارة رقيق المنازل . إن الرق في المنازل كما هو متبع في الخليج هو ذو طبيعة غير ضارة نسبياً ، هذا ويوجد بين حكام وسكان الاقاليم المحيطة بالخليج تحيّز قوي اجتماعي وديني من أجل استمراره . لهذه الاسباب ولصعوبة التدخل في الامور الداخلية للولايات المستقلة وشبه المستقلة فان الحكومة البريطانية وجدت عموماً انه من الضروري عدم التدخل في حركة رقيق المنازل في الخليج ، ولكن موظفي الحكومة البريطانية رغم ذلك، وكما سيتضح لاحقاً ، قاموا بجهد لابأس به لتطويق حركة الرقيق في جميع اشكالها ووسائلها .

تحرير رقيق المنازل في مسقط

وفي مسقط كما ذكر من قبل ، جرت العادة منذ عشر سنوات او أكثر على أن يحرّر من عبيد البيوت بموافقة السلطان من يثبت انهم

أسيئت معاملتهم أو لم يـكن لهم أصحاب ، هذا بالاضافة الى ضمان حسن المعاملة من كل سيد يعاد اليه عبد هارب .

قضية باسيدو ١٨٧٧

وفي عام ١٨٧٧ وجد ان الحاج عباس وكيل مستودع الفحم البريطاني في باسيدو يمتلك عدداً من الرقيق ، واعتبر المقيم السياسي ان تصرفه هذا لا يليق بمركزه في الحكومة البريطانية ولذا فقد طرده من التوكيل ، ولكن حكومة الهند نظراً لان هذا الشخص كان من رعايا ايران وان الرقيق معترف به في شرع وقانون ايران ، وان واجبه كموظف في الحكومة البريطانية هو تزويد الفحم وليس اصلاح المجتمع فانها طلبت اعادة النظر في شرعية واهلية طرده ، وفي العام ١٨٧٨ اعيد الحاج عباس الى وظيفته .

مسألة الرقيق الهاربين الى محطات التلغراف البريطانية في ايران١٨٨٤

وفي السنة ١٨٨٤ لجأ اربعة من الرقيق الهاربين في محطة التلغراف البريطاني في جاشك ، وعندما طلبت السلطات المحلية اعادتهم ، تم ذلك بواسطة المستر «باتن» نائب المراقب المسؤول الذي طلب ضماناً مكتوباً بعدم اساءة معاملتهم ، وعلى ذلك امر المقيم البريطاني في الخليج الرائد «روس» بألا يسمح مستقبلا باحتماء الرقيق الهاربين في مؤسسات الحكومة البريطانية في ايران حيث ستكون النتيجة تدفق كثير من العبيد وهذا يؤدي بدوره الى اشكالات سياسية في المحطات البريطانية ، وقد وافقت حكومة الهند على هذه التعليمات شرط أن تكون هناك بعض الحالات الاستثنائية حيث يكون العبيد في خطر أو ما شابه ذلك ، ففي هذه الحالة ، ولاعتبارات انسانية ، يُتخذ الطريق المضاد . وفي عام ١٩٠٤ نتيجة للحالة المشار اليها سابقاً فان قانون جاشك طبق في هنجام .

رفض اقتراح تقييد رقيق المنازل في سلطنة عمان ١٨٩١

وفي أول غسطس ١٨٩٠ صدر أمر من سلطان زنجبار يضع حداً لتجارة رقيق المنازل في ممتلكاته ، مع تحرير عدة مئات من رقيق المنازل فوراً ومنح التسهيلات لبقية الرقيق حتى ينالوا حريتهم . واقترح اتخاذ اجراء مماثل من قبل سلطان عمان ، ولكن الموظفين السياسيين المحليين الذين قدم لهم هذا الاقتراح انتقدوه بشده واشاروا الى انه بسبب الظروف الخاصة في عمان فان أية محاولة للحد من رقيق المنازل ستكون غير مجدية بسبب اتساع البلاد وعدم تطبيق القانون ، هذا بالاضافة الى انها قد تؤدي الى تمرد خطير على سلطة السلطان . ولهذا فقد صرف النظر عن المشروع حيث ان السلطان رفض اصدار هذا الامر المقترح ، ولم يكن من المستطاع إجباره على ذلك الا اذا كان هناك ضمان بتأييد بريطاني إذا ما ظهرت نتائج غير متوقعة .

فشل محاولة لتحرير رقيق المنازل في عمان المتصالح ١٨٩٩

وعندما زار المقيم البريطاني في نهاية عام ١٨٩٩ عمان المتصالح للبحث في مسائل تجارة الرقيق ، اقترح على غرار ما تم في مسقط ، تحرير العبيد في حالة ما اذا لجأوا الى الوكالة البريطانية ولكن حتى شيخ الشارقة الذي كان اقلهم تشدداً رفض هذا الاقتراح على اساس ان رعاياه سيطالبون بتعويض على كل عبد يحرر .

رفض اقتراح تقييد تجارة رقيق المنازل في البحرين ١٩٠٥

ولقد رأينا عند بحث مسألة تجارة الرقيق المحلية في البحرين ان الرئيس «بريدو» الوكيل السياسي هناك اقترح على المشيخة في العام ١٩٠٥ تطبيق السياسة التي أخذ بها في زنجبار عام ١٨٩١ ، ولكن حكومة الهند رغم أنها أعلنت ان هدفها هو عدم تشجيع تجارة الرقيق والعمل على الغاء هذا النظام كلية ، رأت بعد النظر في الامور انه لا يوجد تشابه حقيقي بين

الظروف الموجودة في زنجبار وتلك الموجودة في البحرين وأنه سيرتكب خطأ اذا اثيرت مشكلة الرقيق اعتباطاً في الخليج سواء كان التصرف بالحكمة او بالتهور ، وكما ذكر من قبل في فقرة سابقة ، فانهم سمحوا بتحرير الرقيق في المستقبل عن طريق الوكيل السياسي متصرفاً على مسؤوليته بموافقة شيخ الجزر التي يمكن ألا ترفض . وقد صيغت التعليمات بشكل يسمح بتحرير حتى رقيق المنازل في الحالات التي تساء فيها معاملتهم او في تلك التي لا يُعطى فيها الضمان الكافي لحسن معاملتهم . وقد تمت محاولة أيضاً ، بناء على اوامر الحكومة ، للحصول من رؤساء القبائل الرئيسية في البحرين على اتفاق مكتوب يتطوعون بتقديمه الى الشيخ عام ١٨٩٥ وهو الذي بموجبه لا يشترون او يبيعون او يهبون الرقيق ، ولكن الرؤساء لم يقتنعوا بذلك ، واهمل المشروع . وجدير بالملاحظة أن العادة جرت في البحرين منذ اكثر من عشر سنوات على الحصول على ضمان كتابي بحسن معاملة العبد من كل مالك يعاد اليه عبد هارب .

تقرير بندر عباس ١٩٠٥

وفي العام ١٩٠٥ ذكر القنصل في بندر عباس أنه في خلال العام السابق كثيراً ما ذهب الرقيق للاحتماء في القنصلية لان اسيادهم أرادوا بيعهم الى أجانب وهذه هي الشكوى الاساسية لرقيق المنازل في ايران وهي تتفق مع اعتراض اولئك العبيد على تهديد العرب بارسالهم الى البحر . وذكر ان الآباء والاقارب يبيعون الاولاد كرقيق بسبب القحط السائد عامة حينئذ ، وربما يشير التقرير بصفة اساسية الى الاقليم الموجود شرقي بندر عباس .

النتائج العامة لسياسة بريطانيا ضد الرقيق في الخليج

لا مجال للشك في ان نتائج السياسة التي اتبعتها بريطانيا في الخليج كانت نافعة للغاية ، فان استيراد الرقيق بحراً ، سواء من الجزر أم من بلدان الخليج ، قد تم تقييده للدرجة كبيرة ، وفي هذا المجال من التجارة يتم الآن تهريب العبيد بصعوبة وباعداد قليلة بدلا من نقلهم علانية في شحونات كبيرة كما كان يفعل في الماضي ، وخف رق المنازل كثيراً جداً في سلطنة عمان وفي البحرين بفضل اجراءات تحرير رقيق المنازل بواسطة المعتمد البريطاني وبموافقة السلطان في الامارة الاولى . وفي الثانية في الواقع دون موافقة الشيخ كما تم حماية رقيق المنازل في ظروف خاصة في محطات التلغراف البريطانية في ايران ، والعدد الفعلي للرقيق المحررين هو معيار غير دقيق لما أمكن الحصول عليه ولكن الارقام لها أهمية ، وهي موجودة ادناه بقدر ما أمكن تأكيده :

السنة	عدد الرقيق الذين اسروا في البحر وأطلق سراحهم	عدد الهاربين (*) المستوردين حديثاً او رقيق المنازل المحررين	المجموع
١٨٥٢	....	٣	٣
١٨٥٣	١٥	٤٨	٦٣
١٨٥٤	....	١٢	١٢
١٨٨٥	لا شيء	لا شيء	لا شيء

(★) الهارب هنا معناها الذى يلجأ الى ظهر سفينة بريطانية أو في باسيدو . هذا الرقم غير كامل بطريقة واضحة لانه بين أول مايو ــ ٣١ أكتوبر عــام ١٨٥٨ مر على الاقــل ٢٤ من الرقيق المحررين عن طريق باسيدو .

السنة	عدد الرقيق الذين اسروا في البحر وأطلق سراحهم	عدد الهاربين المستوردين حديثاً او رقيق المنازل المحررين	المجموع
١٨٥٦	١٥	٥٧	٧٢
١٨٥٧	....	٢٤	٢٤
١٨٥٨	....	٢	٢
١٨٥٩ــ١٨٧٠	الارقام غير مؤكدة		
١٨٧١ــ١٨٧٢	٦٢	...	٦٢
١٨٧٢ــ١٨٧٣	١٦٩	...	١٦٩
١٨٧٣ــ١٨٧٤	...	...	...
١٨٧٤ــ١٨٧٥	...	....	...
١٨٧٥ــ١٨٧٦	...	...	...
١٨٧٦ــ١٨٧٧	٧	عديدون	أكثر من ٧
١٨٧٧ــ١٨٧٨	...	٢	٢
١٨٧٨ــ١٨٧٩	...	٥	٥
١٨٧٩ــ٨٠	...	...	...
١٨٨٠ــ٨١	...	...	...
١٨٨١ــ٨٢	عدد	...	عدد
١٨٨٢ــ٨٣	...	١	١
١٨٨٣ــ٨٤	...	...	...
١٨٨٤ــ٨٥	٢٠٥	٣٩	٢٤٤
١٨٨٥ــ٨٦	٧٥	...	٨٥
١٨٨٦ــ٨٧	٢١	٥	٢٦

السنة	عدد الرقيق الذين أسروا في البحر وأطلق سراحهم	عدد الهاربين المستوردين حديثاً أو رقيق المنازل المحررين	المجموع
١٨٨٧—٨٨	...	٢٨	٢٨
١٨٨٨—٨٩	...	...	...
١٨٨٩—٩٠	...	٥٣	٥٣
١٨٩٠—٩١	...	٣٤	٣٤
١٨٩١—٩٢	...	٥٤	٥٤
١٨٩٢—٩٣	...	٥٣ (والكثير في جوادر)	أكثر من ٥٣
١٨٩٣—٩٤	...	أكثر من ٢٦	أكثر من ٢٦
١٨٩٤—٩٥	...	٤٦	٤٦
١٨٩٥—٩٦	اكثر من ١٢٤	حوالي ٦٨	اكثر من ١٩٢ *
١٨٩٦—٩٧	...	٧٧	٧٧
١٨٩٧—٩٨	...	٤٦	٤٦
١٨٩٨—٩٩	...	٩١	٩١
١٨٩٩—١٩٠٠	...	٥١	٥١
١٩٠٠—١٩٠١	...	٥٨	٥٨
١٩٠١—١٩٠٢	...	٦٦	٦٦
١٩٠٢—١٩٠٣	...	٦٤	٦٤
١٩٠٣—١٩٠٤	...	١٠٠	١٠٠
١٩٠٤—١٩٠٥	...	١٤١	١٥١
١٩٠٥—١٩٠٦	...	٢٤٠	٢٤٠
١٩٠٦—١٩٠٧	...	٢٠١	٢٠١

(★) تشمل ٩٣ من الرقيق المحررين بواسطة الموظفين الايرانيين بناء على أوامر السلطات البريطانية .

(★) تشمل ٧ عبيد محررين بواسطة الموظفين الايرانيين بناء على أوامر السلطات البريطانية .

من ١٩٠٠ الى ١٩٠٥ تحرر ١٥٨ من رقيق المنازل عن طريق القنصلية البريطانية في البصرة ومنهم جزء كبير اختاروا العودة الى أسيادهم كرجال أحرار .

من هذا الجدول يتضح أن أكثر من ٦٩٣ على أقل تقدير قد انقذوا في البحر ، وأكثر من ١٨٥٣ غيرهم قد أطلق سراحهم بمجهودات السلطات البريطانية منذ العام ١٨٥٢ ، ولا تشمل هذه الارقام المحررين في الفترة الممتدة من ١٨٥٩ الى ١٨٧٠ ، ولا الاعداد الكبيرة من رقيق المنازل الخاصين بالرند والذين كان يطلق سراحلهم من وقت لآخر في جوادر ، ويمكن بطمأنينة القول ان ما لا يقل عن ٣٠٠٠ من الرقيق قد نالوا حريتهم بالمعاونة البريطانية في الـ٥٥ سنة الاخيرة إما وهم في طريقهم الى الخليج أو اثناء وجودهم هناك . ويجب ان يضاف الى هؤلاء العدد الكبير غير المؤكد للذين منع تصديرهم من بلادهم كلية بواسطة البحرية البريطانية والاجراءات الاخرى .

واذا كان التمييز العام بين : (١) الرقيق المحررين بسبب التجائهم للسفن البريطانية العامة ، (٢) والعبيد المحررين بموجب المعاهدة على اعتبار أنهم استوردوا حديثاً بطريق البحر ، (٣) ورقيق المنازل المحررين بوسائل غير المعاهدة ، يجب ان يدرك بوضوح أكثر في المستقبل عما كان في بعض الاحيان في الماضي ، فان النتيجة ستكون بالتأكيد أكثر توافقاً وفاعلية في الاجراءات الوقائية .

★ ★ ★

ملحق م

الاوبئة والاجراءات الصحية في منطقة الخليج

لقد مضى الآن أكثر من خمسين سنة منذ ان بدأت مشكلة انتشار الاوبئة من آسية الى جهة الغرب تلفت انتباه الدول الاوروبية ، ولما كان الخليج يشكل طريقاً ممكناً لانتقال العدوى من شرق القارة الى غربها خلال تلك الفترة فقد أصبحت له أهمية كبرى في نظر الخبراء . ونظراً لتعدد السلطات الشرعية في الخليج والمنافسات السائدة بين تركية وايران وبين

---

(١) التاريخ العام للكلوليرا والطاعون المدون في دائرة المعارف البريطانية تحت مقالات خاصة ـ الطبعة التاسعة ـ والمجلدات الحديثة ·

التقارير الاولية عن وباء الطاعون من العراق التركي والتي وجدت في المراسلات بين شركة الهند الشرقية المنظمة مع البلاد التركية العربية عام ١٨٧٤ ، بينما نجد تقارير أحدث عن الاوبئة في ذلك القطر تحتوى عليها مراسلات الدكتور « و· هـ· جولفيل » الهندية وفي الاعمال السياسية لحكومة الهند في أغسطس عام ١٨٦٧ ـ تقرير عن الطاعون في العراق وما بين النهرين ـ أعمال سبتمبر عام ١٨٧٥ ـ تقرير عن الطاعون في بغداد ـ اعمال سبتمبر ١٨٧٦ ـ وصف الدكتور « جولفيل » لوباء الكوليرا في الخليج عام ١٨٦٥ في تقرير مقدم لحكومة الهند بواسطة المقيم في الخليج مع خطابه رقم ٤٦ في الرابع من شهر مايو عام ١٨٦٦ ، مقاله المشتمل على ملاحظاته عن الكوليرا في ايران للجراح « ماجورت فرنش ملين » في التقرير الادارى للخليج من عام ١٨٨٩ ـ ١٩٠٠ ، وفي مجال أوسع عن الاسم المقترح وهى تقدم تقريرا عاما عن انتشار الكوليرا ، وخاصة في غرب آسيا ابتداء من عام ١٨٢١ ·

وقد نوقشت مسألة انتشار الكوليرا في سلطنة عمان في عام ١٨٩٩ في التقرير المقدم من « ا· س· ج· جفاكار » عن وباء الكوليرا الحديث في مسقط ومطرح ، وفي التقرير الادارى لعام ١٨٩٩ ـ ١٩٠٠ السجلات السياسية لحكومة الهند ، وخاصة التقارير الادارية السنوية التى تحتوى عديدا من الملاحظات المختلفة عن الاوبئة ·

الدول الاوروبية المختلفة . أصبحت مسألة الاحتياطات الصحية الواجب اتخاذها ذات صبغة سياسية الى حد ما رغم أنها مسألة علمية وادارية بحتة . ولهذا فمن الضروري ان نستعرض تاريخها بشكل مطول في هذا الدليل .

ان الموضوع شائك الى حد ما على اعتبار أنه يتعلق بانتشار مرضين

= وتذكر سلطات عديدة بالنسبة لمراقبة المشروعات الصحية العالمية في الخليج ، وأهم مصادر المعلومات تقارير المفاوضات ونصوص المعاهدات لعام ١٨٩٤ ــ ١٨٩٧ وعام ١٩٠٣ .

يوجد أيضا تقرير عن جاشك مؤرخ في السابع عشر من يوليو عام ١٨٩٧ من اعداد الطبيبين « كامبوزاميرو » و « ايزليبس » .

آراء الدكتور « بوريل » ضابط الصحة السابق في بوشهر المبينة في تقريره عن الوقاية الصحية في الخليج وبين العرب والمؤرخ في ٤ يناير عام ١٩٠١ . نتائج رحلة الدكتور « ت. طومسون » الذى زار الخليج كخبير نيابة عن الحكومة البريطانية عام ١٩٠٦ ، وقد شرحت في تقرير مسهب عن الاحتياجات الصحية في أماكن معينة في أو قريبا من الخليج ، والمؤرخ في ١٢ يوليو عام ١٩٠٦ ، هؤلاء وتقرير آخر عن المجلس الصحى الايرانى الذى نقله الدكتور « شيدير » رئيس المفوضية البريطانية في طهران في يونيو عام ١٩٠٧ والذى أصبح بين السجلات السياسية لحكومة الهند .

وقد نوقشت الاحوال الجوية في مجلد مستقل دون ذكر الشواهد والمراجع ، ولكن بعض المراجع عن أمور الصحة العامة وجدت في مقالات في المجلد الجيولوجي ، وخاصة عن العراق التركي ، ص ٧٦٦ ، مدينة بغداد ، وصفحة ٢٠٣ مدينة بوشهر ، وصفحة ٣٤٣ ، وبندر عباس صفحة ٩ ــ وجاشك رقم ١ ، صفحة ٩١٥ ، ومقاطعة جوادر ومدينة جوادر صفحة ٥٨٦ ــ ٥٨٧ وصفحة ٥٨٩ .

وقد أرسلت أصول المجلد الرئيسى المطبوع في مايو عام ١٩٠٦ الى سلطات حكومية عديدة للاحتفاظ بها .

والكاتب مدين باضافات وتحسينات وتصحيحات عديدة للدكتور « ت. طومسون » المستشار الطبي لمجلس الحكومة المحلية بلندن ، والدكتور « ف. ج. كلمو » والمندوب البريطانى في اللجنة الصحية ، ولكونسنتانيوب » وللرائد « ب. ز. كوكس » ولدار الاعتماد البريطاني في الخليج ، وللامتاذ « ف. س. كرو » ، وللمجلس البريطاني في البصرة .

واضحين هما الكوليرا والطاعون في قارتين . وسنجتهد في التبسيط ما أمكن ببيان تاريخ الكوليرا حتى الوقت الحاضر والتدابير الوقائية ضد الكوليرا حتى العام ١٨٩٤ ، حينما أصبح خطر الطاعون على اوروبا فجأة أكبر بتقدير الرأي العام من خطر الكوليرا . ثم تاريخ الطاعون حتى العام ١٨٩٤ وتسلسل الحوادث العامة بعد ١٨٩٤ ، أي عندما أصبحت هنالك ضرورة واضحة لوضع خطة شاملة لحماية اوروبا من المرضين . وسيلي ذلك لمحة عن تاريخ الجدري في الخليج بمقدار ما هو معروف .

★ ★ ★

التاريخ المبكر للكوليرا

لقد وجدت الكوليرا في آسيا وفي الهند بالذات في القرن الثامن عشر أو قبل ذلك . وقد كان هناك اعتقاد عام بأن الوبائين المعديين اللذين انتشرا في ١٧٨٣ هما من فئة الكوليرا ، ولكن من المؤكد تماماً أن أول مرة يظهر فيها هذا المرض هي عندما بدأ في جاسور بالبنغال في العام ١٨١٧ حيث شمل القارة الهندية بأكملها خلال السنوات الثلاث التالية ، ومعها سيلان وبعض الجزر الواقعة حول الهند . وفي عام ١٨٢١ هاجم هذا المرض عمان والبحرين والساحل الايراني ، والعراق التركي بشكل وبيل ، وقد انتشر في عام ١٨٢٣ عبر ايران الى آسيا الصغرى وروسيا الآسيوية ، ومع أن استراخان اصيبت به أيضاً في سبتمبر ١٨٢٣ ، فمن الصعب القول ان الكوليرا دخلت اوروبا بالذات ولكن المرض زال تدريجياً باستثناء الهند حيث ظل ينتشر من حين لآخر .

ظهور وباء الكوليرا في أوروبا للمرة الاولى

وفي العام ١٨٣٠ عاد وباء الكوليرا فظهر من جديد في ايران وبحر قزوين حيث انتشر في روسيا في شمال اوروبا واوسطها باتجاه الغرب . وفي ١٨٣١ ابلغ لاول مرة عن وجوده بالحجاز بالجزيرة العربية . وفي السنة ذاتها انتقل من القارة الاوروبية الى الجزر البريطانية ، حيث تسبب في موت ما يزيد عن ٥٠.٠٠٠ شخص في انجلترا وويلز وحدهما ، وانتقل بعد ذلك الى فرنسا واسبانيا وايطاليا وامريكا الشمالية والوسطى .

وقد كان هذا اول وباء للكوليرا في اوروبا حيث ظل بشكل متقطع حتى ١٨٣٧ .

★ ★ ★

ظهور وباء الكوليرا للمرة الثانية في أوروبا ١٨٤٧ ـ ١٨٤٩

انتقل الوباء الى اوربة للمرة الثانية من الهند او الصين حيث بدأ في العام ١٨٤١ وسرعان ما وصل الى العراق التركي وقاست منه بغداد في ١٨٤٦ و ١٨٤٧ ، وايضاً الحجاز حيث ظل لبعض الوقت في هاتين المنطقتين ، ولكن وصوله الى اوروبا تأخر حتى العام ١٨٤٧ عندما اجتاح روسيا والمانيا والجزر البريطانية وفرنسا ، وشمل في فترة لاحقة امريكا وجزر الهند الغربية . وقد وصل المرض بوشهر في خريف ١٨٥١ . وكان الوباء هذه المرة أشد فتكاً في بريطانيا وفرنسا عن المرة السابقة ، ففي انجلترا وحدها سجل ما يزيد عن ٥٥,٠٠٠ حالة وفاة . وقد كانت الكوليرا والطاعون من بين الموضوعات التي ناقشها المؤتمر الصحي العالمي الذي عقد في باريس في العام ١٨٥١ .

ظهور وباء الكوليرا للمرة الثالثة في أوروبا
١٨٥٣ ـ ١٨٥٩

انتشر وباء الكوليرا للمرة الثالثة في عام ١٨٥٣ في بلاد الغرب ، ولم يأت اليها من الشرق ولكنه انتشر من تجمعات عديدة للجراثيم في أجزاء مختلفة من اوروبا ، حيث لم يتم تحقيق عملية الشفاء الكامل من المرض منذ عام ١٨٤٩ . وكان هذا الوباء أقل اهلاكاً لسكان الجزر البريطانية من سابقيه ولكن وقعه كان ثقيلا على الجيوش المنهمكة بحرب القرم .

★ ★ ★

ظهور مرض الكوليرا في أوروبا للمرة الرابعة
١٨٦٢ ـ ١٨٦٧

ظهر الوباء في اوروبا للمرة الرابعة ما بين ١٨٦٥–١٨٦٧ وكان سريع الانتشار بشكل ملحوظ ، ويظهر أنه انتقل من بومباي عن طريق اقليم الحجاز والسويس والاسكندرية ، ومع انه لم يكن شديد الوقع في المملكة المتحدة ، الا أن آثاره كانت خطيرة في اميركا الشمالية والجنوبية.

★ ★ ★

الكوليرا والحجر الصحي التركي
في الخليج ١٨٦٥

تقدم انتشار الوباء

أحدث هذا الوباء إفناءً عظيماً في مسقط بالخليج في صيف العام١٨٦٥ وإلى الجانب الايراني زحف المرض من الهند على طول ساحل مكران حتى وصل في مايو عام ١٨٦٥ وانتشر في بندر عباس ، ولكن قضي عليه تماماً داخل داراب وفاسا وجهرم ، وانتقلت الكوليرا على طول

الساحل الشمالي لجزيرة قشم ومنها الى لنجة في اغسطس ، وبعد ذلك امتدت على طول ساحل كندارن قرب ماجو وجارك وشيرو ونخيلوه وعسالوه ، وتوقف تقدمها في عسالوه . وفي الوقت نفسه انتشرت في الحجاز موجة مستقلة من العدوى عبرت الجزيرة العربية من الشمال الى الشرق مارة في عنيزة والدرعية الى ان وصلت الجهرة بالخليج قرب الكويت ، حيث تفشت في مخيمات المطير وقبائل بني خالد . وقد نجت الكويت من المرض ، ولكنه ظهر في ٢٥ و ٢٦ أغسطس في صقع الدواسر على شط العرب ، وفي ٨ سبتمبر في البصرة . وظهرت في خريف عام ١٨٦٦ آثار طفيفة لوباء الكوليرا في بغداد .

تنظيمات المحجر الصحي التركي

بدأت السلطات التركية في تطبيق الحجر الصحي ولو بشكل غير رسمي في البصرة في ٢٥ مايو ١٨٦٤ ، وقد أصبح ساري المفعول هناك بشكل رسمي ابتداء من اول يناير ١٨٦٥ ، ومن الجدير بالذكر ان نلاحظ ان الاتراك فكروا في عمل مركز للحجر الصحي في فاو ، ولكن يبدو ان ذلك لم ينفذ الا في وقت متأخر .

★ ★ ★

مؤتمر للكوليرا في القسطنطينية ١٨٦٦

وأصبح من المسلم به ضرورة اتخاذ الاجراءات الصحية للدفاع عن أوروبا ضد الكوليرا الآسيوية . ولبحث هذه المشكلة عقد مؤتمر دوري في القسطنطينية في فبراير ١٨٦٦ وكان ذلك بناء على اقتراح من الحكومة الفرنسية . وقد شارك في هذا المؤتمر ممثلون عن تركية وايران وبريطانيا ودول اوروبية أخرى .

اكتشافات فنية

ولاول مرة نوقشت مسألة تولد وانتشار الكوليرا بشكل علمي . وقد توصل المؤتمر الى استنتاجات اساسية هي : ان الهند المصابة دائماً بهذا المرض هي المصدر الرئيسي للكوليرا الآسيوية ، وان الاختلاط بين الشعوب ، خاصة الاختلاط البحري ، هو السبب الاساسي لانتشار المرض ، وان الصحارى الشاسعة تشكل سداً منيعاً في وجه تقدم المرض .

التوصيات العامة

وقد اوصى المؤتمر ببذل كل جهد للقضاء على المرض من أساسه في الهند ، كما يجب تنظيم الحجر الصحي بطريقة علمية في البر والبحر لمنع تقدم المرض نحو الغرب وخاصة في البلدان القريبة من الهند والمتصلة بها ، لانه كان من المعتقد ان تباعد السكان ، وقلة حدوث الاختلاط نسبياً ، ووجود الصحارى والموانع الطبيعية ستجعل الاحتياطات المتخذة ضد المرض في هذه المناطق ذات اثر فعال . وكان يجب اتخاذ اجراءات صحية مشددة على القادمين من المناطق المصابة بالمرض بحجزهم لمدة عشرة أيام داخل المحجر الصحي ، وفي حالة ما اذا نفذت السفن شروطاً معينة فان الحد الاقصى الذي تقضيه في الحجر الصحي هو تسعة ايام .

التوصيات الخاصة بالخليج

يبدو ان قضية الاتصال المباشر بين الهند والخليج لم تكن موضع بحث ، فقد اكتفى المؤتمر باعتباره الخليج مجرد طريق يمكن ان تنتقل بواسطته الكوليرا من ايران الى العراق التركي فأوصى بضرورة الاشراف الدقيق عند فاو والبصرة على القادمين الى العراق من الخليج في حين أوجب وضع القادمين المشتبه بحالاتهم في الحجر الصحي المناسب. وأوصى المؤتمر أيضاً بضرورة تزويد جميع السفن العابرة للخليج بأوراق صحية .

وبعد المؤتمر ، شرعت الدول المختلفة الموقعة على المعاهدة بتنسيق قوانينها بما يتفق وشروط المعاهدة ، ولا تزال اجراءات الحجر الصحي التركي للعام ١٨٦٧ هي الاساس لقانون الامبراطورية العثمانية في الشؤون الصحية حتى الوقت الحاضر .

★ ★ ★

ظهور وباء الكوليرا للمرة الخامسة في أوروبا ١٨٦٩ ــ ١٨٧٤

لم يمض وقت طويل بعد مؤتمر القسطنطينية الا وقد أصيبت اوروبا بموجة جديدة من الكوليرا ، وهي الخامسة من نوعها ، وقد دخل المرض اوروبا عن طريق ايران وروسيا . ولكن لا يمكن تحديد ما اذا كانت العدوى في ايران جاءت من الهند عن طريق افغانستان او العراق التركي حيث اجتاحت الكوليرا كلا منهما مؤخراً عن طريق البحر المتوسط والخليج ، وربما اذا كان هنالك تياران للعدوى التقيا في ايران . ولم يصل هذا الوباء الغرب ، ولكن حدثت موجات جديدة في اوروبا وخاصة في ميونيخ في عام ١٨٧٣ .

★ ★ ★

ظهور الكوليرا في الجزيرة العربية وايران ١٨٧١

وفي هذا الوقت تقريباً ثبت جزئياً عدم صحة استنتاجات مؤتمر ١٨٦٦ حول عدم امكانية انتقال الكوليرا عبر الصحارى الشاسعة ، وقد حدث ذلك عندما انتشر المرض في ١٨٧١ من النجف الى ساحل البحر الاحمر عبر الجزيرة العربية ، فقد وصل حائل في يونيو والمدينة في سبتمبر ومكة في اكتوبر من السنة نفسها .

ويبدو ان وباء الكوليرا في الجزيرة العربية قد بدأ من بوشهر في الخليج عندما ظهر فيها في فبراير ١٨٧١ ، وبجانب انتشاره في العراق التركي ، انتقل الى الكويت والبحرين والى قوارب صيد اللؤلؤ في البحر ، ويظهر ان الكويت هي المنطقة التي تسربت منها الكوليرا الى حائل .

★ ★ ★

مؤتمر الكوليرا في فيينا ١٨٧٤

وقد ساد الشعور بأن الوقت قد حان لاعادة النظر في شئون وباء الكوليرا . واضطلع بهذه المهمة المؤتمر الدولي الذي عقد في فيينا عام ١٨٧٤ .

نتائج فنية

وقد وضعت نتائج مؤتمر ١٨٦٦ كأساس للمناقشة وتم فعلاً اعادة تأكيد عدد منها ومن بينها الرأي الذي يقول بأن الهند هي المصدر الوحيد للكوليرا التي كثيراً ما ينتقل عن طريق الملابس ، وبدرجة اقل عن طريق الهواء ، كما يمكن ان تنتقل أيضاً عن طريق البضائع وجثث الحيوانات والبشر ، ولكن كان هنالك تأكيد خاص على أهمية الماء كواسطة لنقل العدوى .

التوصيات العملية

وفي الوقت نفسه انعطف المؤتمر انعطافاً هاماً وذلك عندما اوصى بالتخلي عن الحجر البري ليس فقط لكونه ضاراً بالمصالح التجارية بل لان العمل به غير ممكن ولا فائدة منه ، وقد أكد المؤتمر الرغبة التي أكدها المؤتمر السابق بخصوص وجود الحجر البحري خارج اوروبا ، على أن يحل محله نظام التفتيش الطبي في اوروبه .

ظهور وباء الكوليرا للمرة السادسة في أوروبا ١٨٨٤ ـ ١٨٨٧

بقيت اوروبا عشر سنوات بعد مؤتمر فيينا معافاة من مرض الكوليرا ولكنه غزاها في الجنوب للمرة السادسة في العام ١٨٨٤ ، قادماً من مصر حيث بدأ هناك في العام ١٨٨٣ دون أن تعرف الجهة التي وصل منها الى هناك . وقد سبب الوباء في ١٨٨٤ ثمانية آلاف حالة وفاة في نابولي وبنفس السنة بلغ عدد الوفيات في اسبانيه ١٢٠,٠٠٠ ، ثم انتقل الوباء بعد ذلك بشكل تدريجي حتى وصل امريكا الجنوبية ، ولم يتلاش تماماً حتى من منطقة البحر المتوسط الا في العام ١٨٨٧ . وقدّر مجموع حالات الوفاة التي أحدثها هذا الوبـــــاء بربع مليون حالة في اوروبا و ٥٠,٠٠٠ في امريكا .

★ ★ ★

مؤتمر الكوليرا في روما ١٨٨٥

عقد مؤتمر عالمي آخر للكوليرا في روما عام ١٨٨٥ أثناء ازدياد انتشار الوباء إنتشاراً رهيباً في اوروبا للمرة السادسة ، وكانت بريطانيا العظمى وتركيا دون ايران من بين الدول التي حضرت كما هو واضح من الأعمال .

استنتاجات عامة

ولقد كانت الاستنتاجات التي توصل اليها هذا المؤتمر متقدمة في كثير من النواحي على استنتاجات مؤتمر فيينا ، فقد أصبح من المعترف به اعترافاً تاماً ان تحسين الاحوال المحلية غير الملائمة للاحوال الصحية والعزل الكامل للمرضى هما الامان الرئيسي ضد الكوليرا ، كما تم التأكيد من جديد على عدم اعتبـــــار أية مواد لمجرد مجيئها من

بلاد مصابة بالكوليرا بأنها موبوءة ما لم يكن هنالك دليل على تعرضها للعدوى مما لا يجعل تطهيرها لازماً .

المعاملة المقررة للسفن

تقرر تخفيض مدة احتجاز الاشخاص القادمين من السفن المصابة الى ٥ أيام بدلا من ٧ أيام وهو الحد الانى المقرر من قبل ، وأوصى المؤتمر بأن تكون فترة الاحتجاز من ٣ الى ٦ أيام بالنسبة للقادمين على سفن «مشتبه» بها من موانئ البحر الابيض المتوسط ، أي السفن التي تكون خالية من اصابات الكوليرا على متنها ولكنها تكون قادمة من اماكن موبوءة او مشتبه بأنها كذلك . وقد اوصى المؤتمر بالنسبة للسفن المشتبه بها القادمة من موانئ عادية باجراء تفتيش طبي بقصد التأكد من سلامة المسافرين وبأنه قد اتخذت جميع إجراءات التطهير والتنظيف عند السفر وأثناء الرحلة وفقاً للقرارات الاخرى التي اتخذها المؤتمر..

فاذا كانت الرحلة قد استغرقت أقل من عشرة أيام تلي عملية التفتيش فمدة الاحتجــــاز ٢٤ ساعة يتم خلالها تطهير البياضات غير النظيفة وكل الاشياء الشخصية ، ولم يرد في قرارات المؤتمر أية اشارة بالنسبة للهند ولا للخليج ، فالاجراءات في تلكما المنطقتين ربما اتجهت النية الى تنظيمها بقوانين عادية .

★ ★ ★

الحجر الصحي التركي في الخليج ١٨٨١ ـ ١٨٨٨

وفي هذا الصدد يمكن ان نلاحظ ان السلطات الصحية التركية في البصرة قد تجاهلت منذ العام ١٨٨١ لوائح النظافة الخاصة بالصحة بالنسبة للسفن القادمة من بومباي ، واخضعت كل السفن القادمة من الهند للاحتجاز والمراقبة ٢٤ ساعة بصرف النظر عن طول الرحلة وذلك بحجة أن الهند بلد موبوء باستمرار. وفي وقت ما في ١٨٨١ زيدت فترة الاحتجاز هذه الى ثلاثة أيام .

وباء الكوليرا في الخليج ١٨٨٩

انتشار الوباء في العراق التركي

انتشر وباء الكوليرا في العراق التركي عام ١٨٨٩ لاول مرة منذ عام ١٨٧١ ، فقد ظهر في نهاية يوليو او اوائل اغسطس في اقليم المنتفك وفي الثاني من اغسطس كان في الناصرية ، وقد وصل البصرة في السادس من اغسطس ، ووصل بغداد في الثالث عشر ، وكربلاء في ٣١ اغسطس وأخيراً أكمل الدورة في الاقليم بالوصول الى النجف في السابع من شهر سبتمبر . وكانت نسبة الوفيات جسيمة وقدرت بما يزيد عن ١,٥٠٠ حالة في بغداد وبما يزيد عن ٤٠٠ حالة في كل من مدن الناصرية وكربلاء ، أما في البصرة التي بقي المرض فيها حتى اكتوبر ، وبلغت حالات الوفاة فيها وفي المناطق المجاورة ٣٠٠٠ حالة فقد كان من بين الضحايا المستر روبرتسن ، القنصل البريطاني وولداه في بغداد كما اصيبت الجالية الاوروبية بعدة وفيات .

الاجراءات الصحية التركية

لقد بذلت السلطات التركية كل جهودها قبل ظهور الوباء في البصرة لمنع تسربه الى بغداد وذلك بمنع المراكب النهرية في نهر دجلة من الرسو في الاماكن الواقعة بين المدينتين . وعندما انتشر الوباء في البصرة اصرت هذه السلطات على وجوب توقف القادمين الى بغداد عند كوت العمارة حيث تلتقي البواخر المصابة من اسفل النهر بالبواخر الخالية القادمة من أعلاه . وكما كان متوقعاً في بلد ليس فيه ما يمنع التنقل بالبر ، اثبتت هذه الاجراءات عدم فعاليتها .

وبهذه الاحتياطات والمراكز الوقائية في المسيب والمحاويل ، حاول الرسميون الاتراك انقاذ كربلاء والحلة والنجف وذلك بفرض عزل لمنع تسرب الوباء من تلك المناطق الى العاصمة ، ولكن النتيجة بررت مقررات

مؤتمر فيينا وروما فيما يختص بالحجر البري ، وظل المرض يشق طريقه نحو المدن الغربية كما كان يفعل بالنسبة للمدن الاخرى من الاقليم .

انتشار الوباء في ايران

وامتد الوباء في اغسطس ١٨٨١ من العراق التركي الى ايران وفي غضون الشهرين التاليين امتد الى عربستان خاصة المحمرة وششتار وبهبهان واماكن أخرى على ساحل فارس . وظهرت حالات أخرى في بوشهر قبل انشاء الحجر الصحي ولكن جراح المقيمية البريطانية اتخذ سائر الاجراءات المناسبة مما حال دون انتشار المرض هناك .

★ ★ ★

مؤتمر الكوليرا في البندقية ١٨٩٢

عقد في اوائل ١٨٩٢ مؤتمر صحي عالمي آخر في مدينة البندقية ، ولم تكن الدعوة لعقده تتعلق بانتشار الكوليرا في اوروبه في ذلك الوقت ولكن بناء على اقتراح تقدمت به النمسا في العام ١٨٩٠ . وقد تم تحقيق الاهداف الرئيسية للمؤتمر الى حد كبير وكان أهمها اعادة تشكيل المجلس الصحي والبحري والحجر الصحي في مصر للتخفيف من قيود الحجر على السفن القادمة الى البحر الابيض المتوسط من البحر الاحمر ، ولتأمين امتياز المرور في قناة السويس «في الحجر» للسفن الموبوءة او المشتبه بأنها كذلك . وقد صنف هذا المؤتمر السفن الى ثلاث فئات كما كان الامر كالسابق وهي : « الموبوءة» و «المشبوهة» و «السليمة» ، ولكن الفئة السابقة «الموبوءة» قسمت الى قسمين على اساس تاريخ وقوع الكوليرا على السفينة ، وهما : موبوءة ومشتبه بها ، في حين أصبحت فئة المشتبه بها تسمى سليمة ، وفضلا عن ذلك فقد رأى المؤتمر ان التقييد المفروض على السفن مستقبلا لا بد أن يكون بسبب مرض حقيقي على ظهر السفينة ، وليس بناء على التلوث المحتمل في ميناء المغادره .

التصديق على المعاهدة

ابرمت بريطانيا اتفاقية مؤتمر البندقية لعام ١٨٩٢ في الثاني من أغسطس ١٨٩٢، وتركيا في الثالث عشر من فبراير ١٨٩٣ وكان الابرام التركي خاضعاً لشرط هام هو ان لا تمس الاتفاقية التنظيمات الصحية العادية في الامبراطورية العثمانية ولا الاجراءات الاستثنائية التي يمكن ان تتخذها الحكومة التركية بناء على قرارات المجلس الصحي في حالات انتشار الوباء . ولم تشترك ايران في المؤتمر حتى ولم تتمسك بالمعاهدة المبرمة .

★ ★ ★

انتشار الكوليرا في أوروبا للمرة السابعة ١٨٩٢ ـ ١٨٩٥

انتشر وباء الكوليرا بصورة خطيرة في الهند في السنة نفسها التي عقد فيها مؤتمر البندقية ، وقد انتقل عن طريق البر بسرعة فائقة الى اوروبا وقد زادت سرعة تقدم الوباء بلا شك تلك الخطوط الحديدية التي تمت حديثاً عبر قزوين ، والمراحل التي مر بها الوباء ليست دون أهمية ، فقد بدأ من المعرض الذي اقيم في هاردوار بالهند في مارس عام ١٨٩٢ ووصل الى كابول في التاسع عشر من ابريل ، والى هرات في اول مايو والى مشهد في ٢٦ مايو والى باكو في ١٨ يونيو ، ووصل الى هامبورج في ١٦ اغسطس وانتقل الى جرانجيموت في اسكتلندا في ١٩ اغسطس ونيويورك في ٣١ اغسطس، وقد هلك خارج روسيا ١٥٠,٠٠٠ شخص، وسجلت احصائية الوفيات في المانيا ما يزيد عن ٨,٥٠٠ حالة في مدينة هامبورج ، ولم تكن نسبة خسائر المرض في اوروبا كبيرة ، كما لم تكن كذلك في امريكا

انتشار وباء الكوليرا في الخليج ١٨٩٣

العراق التركي

شهدت سنة ١٨٩٣ انتشار الكوليرا من جديد في الخليج والظاهر أنه بدأ في العراق التركي ولكنه لم يكن قاسياً كما حدث عام ١٨٨٩ ، وكان ظهور المرض في البصرة في مايو واستمر بها حتى أغسطس ، ومع ذاك قدر الرقم الكلي لحالات الوفاة بالبصرة بحوالي ٧٥٠ حالة فقط ، وفي نهاية اغسطس تقريباً وصلت الكوليرا بغداد ، فأحالت تجارة المدينة الى الركود بصفة موقتة ، وفي اكتوبر اختفت من المنطقة .

الساحل الايراني

ولكن العدوى انتقلت في غضون ذاك من البصرة جنوباً الى شاطئي الخليج ، وعلى الجانب الايراني اصيبت عربستان في شهر يونيه وحدثت بعض خسائر في الارواح في المحمرة والقارون الاعلى ، ولكن السلطات الايرانية فرضت حجراً صحياً على البصرة خلال يونيو ويوليو ، وظهرت الكوليرا أيضاً في فارس وخاصة على طريق بوشهر—شيراز ، وقد قاست قرية الاحمدي في الداشتستان من ضراوة الوباء ، أما في بوشهر فلم تحدث أية وفاة نتيجة الحجر الصحي في البحر في يونيو وفي البر في سبتمبر . وكذلك نتيجة لتأمين مياه الآبار .

الساحل العربي

أصيبت البحرين بالمرض في يوليو واغسطس ، واعلن عن حدوث ٧٠٠٠ حالة في الجزر ، ولكن من المعتقد ان هذا العدد مبالغ فيه ، وفي الوقت ذاته كان المرض منتشراً في القطيف أيضاً ، وفي نهاية الصيف ضرب الوباء ساحل عمان المتصالح بشكل شديد ، ثم انتهى في نوفمبر من تلقاء نفسه .

ومهما يكن الأمر فانه ليس واضحاً ما اذا كان وباء ١٨٩٣ له علاقة بالوباء الأوروبي او الهندي اللذين حدثا في السنة السابقة .

مؤتمر الكوليرا في درزدن ١٨٩٣

عقد في درزدن في العام ١٨٩٣ مؤتمر جديد عن موضوع الكوليرا ، وكالعادة فقد كانت بريطانيا العظمى وتركيا ممثلتين فيه ، ولكن ايران لم تشترك في أعمال المؤتمر . ويمكن اعتبار القرارات الختامية لمؤتمر درزدن التي تتعلق بالارجح بمراقبة الكوليرا في البر والبحر بعد نجاحها في دخول اوروبا ، مكملة لقرارات مؤتمر البندقية لعام ١٨٩٢ ، ولكن بعضها له فوائد عامة .

التوصيات

نقض مؤتمر درزدن الحجر الصحي البري واوصى باستمرار التقسيمات الثلاثية للسفن وهي المصابة ، والمشكوك فيها والسليمة ، وامر المؤتمر بوجوب عدم حجز المسافرين أكثر من خمسة أيام حتى ولو وصلوا على سفن موبوءة ، وقد تقرر أيضاً عدم حجز السلع التجارية وخاصة الشديدة القابلية لنقل عدوى الكوليرا . وانما تمنع من الدخول أو تطهر عند وصولها الى حدود البلاد . وكان اهم قرار جديد هو فرض التزام على الحكومات بأن تعلم كل منها الاخرى عن اماكن تجمع جرثومة الكوليرا في اراضي كل منها .

عدم انضمام حكومة الهند لمعاهدة درزدن

وبسبب الالتزام الاخير الوارد اعلاه امتنعت حكومة الهند عن الانضمام الى معاهدة درزدن ، ولكن المعاهدة ابرمت من قبل حكومة صاحبة الجلالة ، والدول الرئيسية الاخرى في اوروبا في أول فبراير عام ١٨٩٤ . ومما لا شك فيه ، أنه من الصعب تطبيق المادة المتعلقة بالتبليغ عن «تجمعات» جراثيم الكوليرا في الهند ، أو أنها تحت ظروف انتشار الكوليرا بصورة متكررة في الهند ، سوف تؤدي الى تضليل السلطات الصحية الاوروبية فتؤثر بطريقة مجحفة على التجارة في البلاد .

الحجر الصحي التركي والايراني في الخليج

تركيا ومركز فاو

أثناء انعقاد مؤتمر البندقية ودرزدن في اوروبا ، حاولت الحكومة التركية تحقيق كسب سياسي على ايران عن طريق ارغام السفن التي تعبر الى شط العرب على الاعتراف بالمركز الصحي الذي أقيم في فاو حوالي العام ١٨٧٢ ، وربما كان احد الاهداف الثانوية من ذلك هو ضمان رسوم الحجر الصحي التي فقدها الاتراك نتيجة لنزول المسافرين في المحمرة وذهابهم من هناك الى البصرة بطريق البر . واستعجلت الحكومة التركية في اوائل ١٨٩٢ بصراحة ضرورة انشاء مركز مثل مركز «فاو» لكي تمنع تجنيب المسافرين الى البصرة الذين ينزلون في المحمرة المراقبة الصحية ، ولكن هذا الاقتراح الذي كان يهدف الى الاعتراف الدولي بمركز فاو جوبه بمعارضة من ممثلي بريطانيا العظمى وروسيا لدى مجلس الصحة في القسطنطينية واسقط في الحال . وعلى أية حال ففي بداية ١٨٩٤ رضخ المجلس الصحي صراحة لاراء الاتراك واشار باقامة مركز الحجر الصحي في فاو لاستقبال المسافرين القادمين من الهند وكذلك مستشفى عائم للامراض الوبائية على شط العرب عند مدخل نهر القارون للمسافرين القادمين من المحمرة الى البصرة .

ايـــران

لقد سبق ذكر الاجراءات الصحية التي اتخذها الايرانيون لمواجهة الوباء الذي أصاب الخليج في العام ١٨٩٣ .

مؤتمر الكوليرا في باريس ١٨٩٤

عقد مؤتمر دولي للصحة في باريس في اوائل ١٨٩٤ بناء على دعوة من الحكومة الفرنسية ، وقد اشتركت فيه كل من ايران وتركيا وبريطانيا ، وكان هذا المؤتمر متمماً لكل من مؤتمري البندقية ودرزدن وقد اقتصرت مهمته على الاجراءات الوقائية ضد الكوليرا فيما يتعلق بالحجاج المسلمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وعلى ادخال نظام الرقابة الصحية في الخليج ، المنطقة التي لم تلق ظروفها أي اهتمام خاص في السابق .

المعاملة الموصى بها للسفن في الخليج

صنف المؤتمر سفن الخليج الى الانواع الثلاثة المعروفة وهي : السليمة والمشتبه بها والمصابة ، واعتبر ان الحد الاقصى لاحتجاز المسافرين في سفينة مصابة يجب ان يكون ٥ أيام من تاريخ الوصول ، بينما اوصى بوجوب خضوع المسافرين والبحارة على السفن المشكوك فيها – يعني التي عليها حالات إصابة بالكوليرا لم تقع خلال سبعة ايام المراقبة – لمدة خمسة أيام فقط تحسب من تاريخ الاقلاع من ميناء الرحيل ، واتخذت اجراءات وقائية معقولة اخرى بالنسبة للسفن المصابة والمشكوك فيها .

التنظيمات الصحية المقترحة للخليج

وقد تقرر ان تكون الادارة الصحية في الخليج كله في مركز الحجر الصحي قرب فاو وان تكون مؤسسة على الارض اليابسة وان تجهز تجهيزاً كاملا من جميع النواحي . وقد ارتؤي الابقاء على المركز الصحي في البصرة .

ولكن يجب ان يلحق به مستشفى صغير للامراض الوبائية في جزيرة قرب البصرة للاشراف على المسافرين الذين يهربون من الفحص في فاو ،

كما تقرر ايجاد مراكز صحية جديدة في المحمرة وبوشهر وبندر عباس وجوادر على الجانب الايراني ، وفي الكويت والبحرين ومسقط على الجانب العربي .

معارضة بريطانيا للمقترحات الاخيرة

وقد عارض الوفد البريطاني المشروع على أساس انه ليس هناك حاجة له ، وان المراكز العديدة ستخضع على الاقل لاربع حكومات مختلفة وان كلا من حكومة تركيا وايران ستكونان غير قادرتين على الاشراف الفعال على مراكزهما وذلك بحكم بعدهما عن بعضهما بعضاً ، وان النفقات ستكون مسؤولية باهظة وستتحملها السفن البريطانية واخيراً ستقع المتاعب والتأخير والنفقات على عاتق السفن البريطانية ، ولكن الحكومة البريطانية استثنت السفن التي تحتجز عند فاو او المحمرة ، على اعتبار أن أياً من المكانين غير مناسب لحمولات البصرة ، التي تشكل غالبية التجارة الخارجية او الداخلية ، والتي كانت تخضع حتى ذلك الوقت لاجراءات الحجر الصحي في البصرة ذاتها .

قبول بريطانيا وتركيا بالمعاهدة جزئياً

وبعد ان اخفقت اعتراضات الوفد البريطاني ، تبنى المؤتمر المعاهدة بالشكل المبين اعلاه ، ووقعها ممثل الحكومة البريطانية في ٣ ابريل ١٨٩٤ شرط عدم قبول بريطانيا للمواد المتعلقة بالخليج .

وفي الجلسة السادسة من انعقاد المؤتمر ، وبناء على تعليمات الباب العالي ، أعلن الوفد التركي فجأة ان على كل السفن القادمة من الهند أن تخضع للمراقبة الصحية لمدة خمسة أيام ابتداء من تاريخ وصولها الى اي ميناء تركي في الخليج وذلك رغم توصيات المؤتمر . وقد اقترن توقيع تركيا للمعاهدة باعلان ان الباب العالي لا يقبل من هذه الشروط الا ما يتفق منها مع التنظيمات الصحية للامبراطورية العثمانية .

السمات الخاصة للمؤتمر

من الصعب ان نفهم بدقة الطريقة التي قصد بواسطتها تنفيذ مشروع الخليج او من سيقوم بهذه المهمة ، ولكن يبدو ان انجاز المشروع قد ترك للحكومة التركية بالتشاور مع ايران ، ومن الملحق الرابع للمعاهدات يمكن ان نفهم ان المؤتمر كان يهدف الى وضع ادارة جميع المراكز الصحية في الخليج تحت اشراف لجنة من مجلس الصحة في القسطنطينية ، مع ان هذه النقطة ليست واضحة على الاطلاق .

ومن الجدير بالملاحظة انه في ضوء الاحداث التالية اقترح المندوبون النمساويون–الهنجاريون أثناء سير المناقشات تشكيل مجلس صحي دولي يكون مقره طهران ، بينما اقترح ممثلو امريكا انه ينبغي ايجاد مركز حجر دولي منذ مدخل الخليج قرب رأس مسندم ولكن المؤتمر لم يوافق على أي من الاقتراحين .

بريطانيا وايران تبرمان المعاهدة

أبرمت بريطانيا وايران الاتفاقية في ٢٠ يونيو عام ١٨٩٨ مع تحفظ بريطانيا بالنسبة للخليج كما ذكر سابقاً . وقد حددت مدة الاتفاقية بخمس سنوات في البداية ولكن يعتبر تجديدها ضمنياً عند انتهاء تلك الفترة وكذلك عند انتهاء كل فترة خمس سنوات تالية الا عندما تطلب احدى الدول الانسحاب قبل ستة اشهر من انتهاء الخمس سنوات .

اعتراضات الحكومة الهندية وعدم تصديق تركيا

يبدو انه ارتؤي بأن قبول حكومة الهند بشكل مستقل للمعاهدة لم يكن ضرورياً في هذا الوقت اذ انها جاءت بعد مؤتمر درزدن ١٨٩٨ ، ثم قدمت حكومة الهند احتجاجاً شديد اللهجة ضد تصرف حكومة صاحبة الجلالة التي ألزمت حكومة الهند باتفاقية دون استشارة مسبقة وعلماً بأنها لا توافق على بعض البنود ، واعتبرت الحكومة الهندية أنه من واجبها

ان تلفت نظر حكومة صاحبة الجلالة بأن أية سلطة صحية تمنح للاتراك في الخليج او شط العرب سوف يستفاد منها لاغراض سياسية ، وخاصة بالنسبة لاثارة ادعاءات لا مبرر لها من قبل تركيا لفرض سيادتها على البحرين والمحمرة ، وعلقوا أهمية على عدم الرغبة في السماح للاتراك بالتدخل في موضوع الامارات العربية التي تخضع للنفوذ البريطاني . أما تركيا نفسها فلم تبرم معاهدة ١٨٩٤ .

عدم تطبيق المعاهدة في الخليج

وكما كان متوقعاً نتيجة للتنافس بين الحكومتين التركية والايرانية ومن عدم موافقة بريطانيا على الشروط التي وردت بالمعاهدة والخاصة بالخليج ، ومن التحفظات الشاملة التي اعلنتها الحكومة التركية أثناء التصديق ، ظل مشروع المؤتمر الخاص بالخليج غير مطبق على الاطلاق ولم تتبن تركيا الاحتياطات المخففة التي اوصى بها المؤتمر .

وفي البصرة ، التي بقيت مركز الحجر للصحي الوحيد في الخليج ، فان الحجر الصحي ظل ينظم كالسابق على ضوء اعتبارات سياسية وليس على اسس علمية . ذلك بأن الحكومة التركية كانت تتمسك بإصرار بالمحافظة على قدرتها علي الوقوف في وجه مصالح الأجانب التي كان لا مفر مع ذلك من مراعاتها في نصوص المعاهدات .

★ ★ ★

ظهور الكوليرا في الخليج ١٨٩٤ ـ ١٩٠٧

وسنختم موضوع الكوليرا بلمحة قصيرة عن انتشار المرض في الخليج منذ العام ١٨٩٤ .

وباء ١٨٩٩ في سلطنة عمان والعراق التركي

تعرضت عمان في العام ١٨٩٩ لوباء الكوليرا القاسي ، وقد حمل اليها المرض من كراتشي عن طريق جوادر ، وقد وقعت أكثر من ٧٠٠

حالة وفاة من جراء الكوليرا في كل من مسقط ومطرح فقط ، أما احصائية الوفاة في داخل البلاد فمن المعتقد بالتأكيد أنها تجاوزت ١٢,٠٠٠ حالة ، وفي اكتوبر ظهر المرض نفسه على صورة وباء في العراق التركي وانتشر في الجهات الشمالية حتى وصل مدينة العمارة وكانت المخيمات القذرة لتعبئة البلح القريبة من البصرة تقع عادة فريسة سهلة لوباء الكوليرا ولوحظ ان المرض ينتشر في البصرة في موسم البلح أكثر من غيره حينما تكون هذه المخيمات موجودة .

وباء عام ١٩٠٢–١٩٠٣ في السواحل الايرانية

ظهرت الكوليرا مرة ثانية في جوادر في العام ١٩٠٢ حيث وقع أكثر من ٥٠٠ حالة وفاة من المرض بين اوائل شهر يوليو ونهاية شهر اكتوبر ، وفي ديسمبر حدث حوالي ٣٠ حالة وفاة في جاشك ، وفي غضون السنة نفسها وصل الوبأ ميناب حيث لم يخمد الا في يناير ١٩٠٣ ، وحيث انتشر فجأة لوقت ما في شهر سبتمبر .

الوباء العام سنة ١٩٠٤

ظهرت الكوليرا في البصرة في اوائل العام ١٩٠٤ ، ومن البصرة شقت طريقها الى بغداد ، وأخذت شكلا خطيراً مما تسبب في توقف التجارة لما يقرب من ثلاثة أشهر ، ويبدو ان المرض انتشر في العراق التركي الى ايران عن طريقين يلتقيان في أصفهان وكان الاول عن طريق كرمنشاه والثاني بواسطة البحر الى شيراز تنجستان ومن ثم الى طريق شيراز بوشهر . وفي شيراز قيل ان ما يزيد عن ٧٠٠٠ شخص قد ماتوا ولكن مدينة بوشهر لم تصب بسوء يذكر .

ومن المحتمل كذلك ان تكون العدوى قد وصلت ايضاً وسط ايران عن طريق عربستان وطريق بختياري لانه في المحمرة حيث وقع ما يزيد عن ٢٠٠ حالة وفاة كانت الكوليرا قد ظهرت من قبل في مايو ، وبين يوليو واكتوبر كانت الآثار التي أحدثتها في كل من الاهواز وشُشتر

ودزفول هائلة جداً ، وداهم المرض جزيرة البحرين في مايو ، وقيل ان اكثر من ١٢٠٠ حالة وقعت في البحرين الامر الذي نتج عنه هرب كثير من السكان الى اجزاء أخرى من الخليج ، وفي يوليو وصل الوباء الى ساحل عمان المتصالح ، حيث بلغ عدد ضحاياه ٨٠٠٠ حالة وفاة عند توقفه في سبتمبر ، وقد وصل الوباء ايضاً لى سلطنة عمان منتشراً على مساحات واسعة مما نتج عن ذلك اصابات كثيرة في المناطق الداخلية ، وكان احصاء حالات الوفيات حوالي ١٤,٠٠٠ حالة في كل من وادي سمايل ووادي فرع (او رستاق) وموانئ الباطنة ، ولكن في مسقط كانت حالات الوفاة بها ٤٣ حالة وفي مطرح كانت ١٢ حالة فقط ، ويمكن ان تعزى هذه النتائج الى الاجراءات الصحية التي اتخذت في هذه المدن بناء على توجيهات الجراح البريطاني المقيم .

★ ★ ★

التاريخ المبكر لمرض الطاعون

ونتنقل الآن الى موضوع الطاعون الدملي ، ومن ناحية الاهمية الدولية يمكن القول بأنه مرض أقدم من مرض الكوليرا وكذلك أحدث منه فلقد كان دخول الكوليرا اوروبا حديثاً وحتى الى آسيا أمراً لا يمكن تقصيه لحقبة معينة من الزمن أكثر بعداً من العقد الثاني من القرن التاسع عشر. لكن الطاعون من ناحية أخرى يعود الى عهد قديم جداً وكان منتشراً في العصور الوسطى في اوروبا حتى انه يمكن اعتبار القارة الغربية المركز الرئيسي له في ذلك الوقت .

ويبدو ان الطاعون وجد في ليبيا منذ القرن الثالث قبل الميلاد . وفي القرن السادس بعد الميلاد عانت اوروبا مما يمكن التأكد بأنه الطاعون الدملي . وفي القرن الرابع عشر بعد الميلاد دمر الطاعون تحت اسم الموت الاسود البلدان الاوروبية تدميراً لا نظير له في تاريخ الاوبئة . وفتك

حسب الاحصائيات بما لا يقل عن ربع السكان . وكان يعتقد ان الموت الاسود قد حمل الى اوروبا من الشرق عن طريق جنوا ، ولكن اذا كان الامر كذلك فقد أصبح المرض متأقلماً الى درجة كبيرة ، وبقي خلال القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر مصدراً شائعاً للموت في البلاد الغربية ، أما الطاعون العظيم في لندن عام ١٦٦٤—١٦٦٥ فكان أخطر مظهر من مظاهر ضراوة الوباء في البلاد الغربية المتحضرة ، وتَرَاجع الطاعون في القرن الثامن عشر الى شواطئ البحر المتوسط ، وفي بداية القرن التاسع عشر أصبح شمال—غرب اوروبا ووسطها خاليين تقريباً من فتك المرض .

★ ★ ★

الطاعون الدملي في الخليج ١٧٧٣ ـ ١٨٧٧

ولكن بينما خفت حدة الطاعون في اوروبا ظل يصيب الخليج او على الاقل العراق التركي بين الفينة والاخرى . ومن المحتمل ان يكون المرض هناك قديماً جداً ولكن فظائعه لم تسترع الانتباه الا بعد افوله في الغرب في اوائل ١٧٧٣ .

وباء سنة ١٧٧٣ في العراق التركي

ظهر المرض في البصرة في أوائل ١٧٧٣ . وطبقاً لما ورد من معلومات الى اعضاء المصنع البريطاني، بلغت إحصائية الوفيات من المرض ١٠٠٠ حالة في اليوم ..

وقد حبس بعض ممثلي شركة الهند الشرقية أنفسهم في المصنع الذي يقع في المدينة بينما حمل آخرون أنفسهم الى مكان على بعد اربعة أميال عسى ان تخمد حدة المرض بقرب الطقس الحار ، ولكن الذي حدث هو العكس ، فقد استمر المرض في الازدياد ، وفي ٢٢ ابريل قرر الوكيل السياسي في المجلس ان يتراجع موقتاً بهيئة الموظفين الى بومباي ، وقد

ترك الجماعة البصرة في اليوم التالي على سفينتي الشركة «دراك» و «التيجر» اللتين قيل في مكان ما ان الايرانيين القوا القبض عليهما بمسافريهما، ولكن «الدراك» وصلت بومباي بسلام في ١٤ مايو فارسليت للقيام باجراءات الحجر الصحي في جزيرة بوتشر حيث احتجز الرجال الاربعة الذين وصلوا عليها حتى ١٧ يونيو ، وفي ٢٨ اكتوبر عاد موظفو المصنع الى البصرة من بومباي ، واخيراً ، وبعد رحلة طويلة وصلوا في ٢٥ يناير ١٧٧٤ الى هدفهم وعلموا ان الطاعون قد انتهى بعدما سبب خسارة كبيرة في المدينة وفي جوارها في الانفس تقدر بحوالي ٢٤٠,٠٠٠(١) حالة ، وقد وجدوا بأنفسهم أن معظم السكان قد ماتوا ، والقلة الباقية في حالة كآبة .

وباء سنة ١٨٠٢ في العراق التركي

وانتشر وباء الطاعون من جديد في العراق في ابريل ١٨٠٢ انتشاراً مروعاً ، وقد هرب الباشا بمجرد ظهور المرض دون ان يتخذ اية اجراءات وقائية ضد انتشاره .

وباء ١٨٣١ — ١٨٣٤ في العراق التركي

ولما كان ظهور وباء الطاعون في بغداد في العام ١٨٣١ مروعاً ، رأى المقيم البريطاني «تايور» أنه من الاصوب ان يذهب هو وموظفوه الى البصرة . ولكن في يناير ١٨٣٢ هاجم المرض البصرة هجوماً جعل الرائد تايلور يفكر ان من الافضل العودة الى بغداد ، وفي هذا الوباء الذي لم يتوقف كلية حتى العام ١٨٣٤ ، قيل ان مدينة بغداد أصبحت خالية من السكان خلواً كبيراً ، وهذا ما يفسر ظاهرة تزايد سكانها خلال القرن الاخير .

---

(١) هذا التعداد والذى سبقه مقدرا الوفيات بألف يوميا مبالغ فيهما بدلالة منطق الكثافة السكانية في البصرة .

وباء ١٨٦٧ — ١٨٧٧

بعد الوباء الكبير الذي أصاب بغداد بأكثر من ثلاثين عاماً ، يظهر أن الأقاليم المحيطة بالخليج بقيت معافاة من الطاعون الدملي ، ولكن لوحظ ظهور المرض في ١٨٦٧ تحت اسم الوباء في بعض القرى المجاورة لشط الهندية في العراق التركي ، وكان ذلك بداية لوباء شديد ولكن ليس بشكل متواصل . وقد اثر على جزء كبير من العراق التركي وفي احدى الاوقات امتدت آثاره الى بلاد عربستان الايرانية ، وقد لوحظ تفشي المرض على الفور من قبل وكالة الصحة التركية التي يشرف عليها الدكتور «كولفيل» الطبيب البريطاني المقيم في بغداد ، وقد تبين ان الوباء هو الطاعون ، ولكن وقوعه في هذا الوقت كان بشكل متقطع ومتباعد فلم يتجاوز عدد الوفيات ٣٠٠ حالة . ولحماية بغداد فرض حجر صحي عند مفترق «الخار» وفي «قرارة» على نهر دجلة ، ولكن توقف المرض في هذا الوقت تقريباً .

في العراق التركي ١٨٧٤ — ١٨٧٦

في ربيع عام ١٨٧٤ ظهر المرض الذي كان ساكناً وبعيداً عن الملاحظة وأصاب دغارا وعفاج في الديوانية (حيث وقعت ٤٠٠ حالة وفاة) وفي الشغفية وفي ام نجريس . وخلال الصيف التالي ، همد ثانياً ، ولكنه عاد فظهر في ام نجريس ، وانتقل في ١٥ يناير ١٨٧٥ الى شط العراق ، وفي مارس ظهر في فوار ، وكان المرض لا يزال منحصراً في بقعة مثلثة من الارض غالبيتها من المستنقعات ، وكانت رؤوس زواياها عند كوت العمارة وسوق الشيوخ والشنافية وأما في الاحياء الريفية فكان محصوراً بالقرى المستقرة بالارض المشبعة بالماء ، وفي المنطقة المبينة أحدث المرض اصابات خطيرة وقيل ان ١٣ بالمئة من السكان ماتوا خلال عامين وان أعلى احصائية للوفاة كانت في سوق الشيوخ وقلعة سيكار ، ومدينة هاي حيث كانت نسبة الوفيات بالنسبة لكل منهما على التوالي ٢٠٠ ، ٤٥٠ ،

٥٠٠ حالة . وقد بدأ الوباء مرة أخرى في الظهور في نوفمبر عام ١٨٧٥ في المناطق المجاورة لمدينة الحلة ، وظهر أخيراً من منطقة المستنقعات ، ولم يهاجم فقط الحلة والنجف وكربلاء بل مدينة بغداد والكاظمية كذلك . وبلغت حالات الوفاة المعزوّة الى الطاعون ما لايقل عن ٢٨٠٠ حالة في بغداد وحدها .

في عربستان الايرانية ١٨٧٦

وانتقل المرض في مارس عام ١٨٧٦ مع الحجاج العائدين من كربلاء الى قرية جلاكان على نهر القارون حيث هلك أكثر من ربع السكان ، وانتشر بسرعة الى كل من ششتار وديزفول . ومن المعتقد ان مجموع حالات الوفاة التي حدثت في عربستان الايرانية بلغت ٢٥٠٠ حالة منها ١٨٠٠ تقريباً في ششتار .

في العراق التركي ١٨٧٧

وفي نهاية يوليو ١٨٧٦ همد الطاعون لمدة فصل واحد في كل من العراق التركي وعربستان الايرانية ، وفي ابريل ١٨٧٧ تعرض الاقليم السابق لموجة شديدة من الوباء اصابت سامراء وبغداد وغزيزة على نهر دجلة والحلة على نهر الفرات . وبناء على احصائيات دقيقة في بغداد تم الحصول عليها من كبير الحاخامين مات ١,١٣٠ يهودي من أصل ١٨,٠٠٠ وذلك بسبب الوباء . وكانت الاحصائية الكلية للمدينة تقدر بحوالي ٤,٥٠٠ حالة ، وبدخول فصل الصيف الحـــــار اختفى المرض كالعادة .

الاجراءات الصحية التركية ١٨٧٦ — ١٨٧٧

يبدو أن الاتراك لم يتخذوا اية اجراءات وقائية على نطاق واسع في منطقة ما بين النهرين حتى العام ١٨٧٦ حيث كانت المنازل التي تحدث فيها حالات من المرض تعزل وتطهر ، كما كان يمنع الاتصال بين

الاماكن المصابة وبقية البلاد ، ثم طبق نظام المراكز الصحية وازيلت الجسور إلى غير ذلك من الاحتياطات الوقائية المشابهة التي برهنت بأنها عديمة النفع وقاسية . فقد اسيء تطبيق الحجر المنزلي اذ كانت العائلات الفقيرة تحبس حتى يقضي عليها الوباء بينما نجد ان الاغنياء كانوا يدفعون الرشاوى لاخلاء السبيل وينقلون العدوى معهم في تحركاتهم ، وفي يوليو ١٨٧٦ وبعد انتشار الطاعون في منطقة عربستان الايرانية خفضت السلطات التركية مدة الحجر الصحي الداخلي الى خمسة أيام ، ولكنهم في الوقت نفسه فرضوا بشكل غير معقول حجراً برياً وبحرياً لمدة خمسة عشر يوماً على المملكة الايرانية كلها مع ان جزءاً صغيراً قد اصيب من ايران . وفي هذا الوقت لفت الانتباه الى المركز الصحي الصغير الذي انشأه الاتراك في فاو في ١٨٧٢ .

وفي العام ١٨٧٧ هجر سكان بغداد مدينتهم الى الخلاء . وفي نهاية ابريل كان ثلثا السكان مخيمين خارج الاسوار ، ورافق ذلك الانتقال نتائج سريعة مرضية ، وقد ازيل المركز الصحي الذي انشيء فوق نهر دياله ليمنع انتشار المرض في الجهات الجنوبية . وبصفة عامة فان الاجراءات الوقائية التي اتخذت في العراق التركي كانت قائمة على الغباء وعدم التبصر وكانت هناك شواهد بأن البعض كان يعتبرها مصدراً للدخل فقد بلغت رسوم الحجر الصحي التي دفعتها الباخرة «بلوش لنش» حوالي ٨٧١ روبية للرحلة فيما بين بغداد والبصرة . .

الاجراءات الصحية الايرانية ١٨٧٦ — ١٨٧٧

كانت وجهة نظر الحكومة الايرانية التي تجاهلت الوباء حتى ربيع ١٨٧٦ مختلفة ، ففي مارس أمر الحاكم العام لإقليم فارس بضرورة تفتيش السفن العراقية عند بوشهر وبوجوب التقيد بتوجيهات المقيم السياسي البريطاني بالنسبة للاحتياطات الضرورية ، وكانت هذه التعليمات طبقاً لعادة قديمة مرعية منذ العام ١٨٦٤ إن لم تكن في فترة

سابقة ، وهي وضع المراقبة الصحية لميناء بوشهر عملياً بيد المقيم السياسي البريطاني ، لذلك ، وفي ابريل أضافت الحكومة الايرانية التماساً للمساعدة من الوكلاء والمراكب البريطانية في الخليج بتطبيق الحجر الصحي في البحر . وفي مايو أقامت الحكومة الايرانية مركزاً للحجر الصحي في جزيرة عبدان في مقابل مدينة المحمرة ، وقررت ضرورة احتجاز كل السفن التي تترك شط العرب الى البصرة لمدة خمسة عشر يوماً ، ولكن يظهر ان هذه الترتيبات لم تنفذ بشكل دقيق .

وفي يونيه انشئت وكالة صحية ايرانية في طهران تسلمت مسؤوليتها فوراً وفرضت حجراً برياً وبحرياً على جميع القادمين من تركيا ، وارسلت حكومة الهند مركباً تجارياً ليساعد على فرض الحجر الصحي في بوشهر ، حيث كان الدكتور «وول» الجراح البريطاني المقيم يشرف على العمليات ، وعلى اثر همود المرض بصفة موقتة ازيلت كل القيود في خريف العام ١٨٧٦ ، ولكن اعيد فرضها من جديد في ١٨٧٧ عندما انشئت مراكز وقائية في قصر الشيرين والمحمرة ، وبين العمارة وششتار في ايران .

الاجراءات الصحية للحكومة الهندية ١٨٧٦

وقد اتخذت حكومة الهند بعض الاجراءات بالنسبة لوباء الطاعون ولكنها لم تكن سريعة ، ففي العام ١٨٧٦ فرضوا في كراتشي وبومباي وعدن حجراً صحياً شديداً لمدة خمسة عشر يوماً (تحسب من يوم مغادرة السفينة لآخر ميناء مصاب ، او من تاريخ آخر حالة اصابة على ظهر السفينة) على المسافرين القادمين من الخليج ، ويعفى من ذلك القوارب البخارية حاملة البريد مما لم يكن الطاعون قد حدث فعلا على ظهرها ، وقد كان هدف هذا الاجراء هو مجرد تجنب تطبيق حجر صحي لخمسة عشر يوماً على السفن الهندية في السويس الامر الذي كانت ستقوم به الحكومة المصرية ، وقد رفضت حكومة الهند اقتراح الدكتور

«جولفيل» جراح الوكالة البريطانية في بغداد بوجوب حجر السفن المتجهة الى الهند في الحجر الصحي عند مدخل الخليج . ولكن مجرد تقديم مثل هذا الاقتراح كان امراً هاماً في حد ذاته نظراً لمشروعات دولية قدمت مؤخراً في الاتجاه المعاكس .

★ ★ ★

مؤتمر الطاعون المقترح بفيينا ١٨٧٧

وفي العام ١٨٧٧ اقترحت النمسا تأليف لجنة استقصاء دولية على شكل لجنة طبية لدراسة الطاعون الدملي في العراق التركي ، وكان المفروض ان يعقد الاجتماع التحضيري للجنة في ٢٠ ابريل عام ١٨٧٧ ، كما كانت الحكومة الهندية على وشك ان تعين الدكتور «جولفيل» ممثلا لها ، ولكن اثيرت صعوبات تتعلق بأفراد اللجنة مما جعل الحكومة النمساوية الهنغارية تؤجل المؤتمر الى اجل غير مسمى .

★ ★ ★

وباء الطاعون في الخليج ١٨٧٧ ـ ١٨٩٤

الوباء في العراق التركي ١٨٨١

انتشر الطاعون مرة أخرى في العراق التركي عام ١٨٨١ ، وقد كان قاسياً جداً حتى قيل انه أهلك نصف سكان مدينة النجف . وظهر المرض للمرة الثانية في ١٨٩٢ في العراق التركي وبدأ في الناصرية على نهر الفرات وامتد بعد ذلك الى البصرة ومنها الى بغداد ، وقيل ان اربعمائة حالة من الطاعون قد حدثت في البصرة في أسوأ أيام هذا الوباء .

الانتشار الكبير لوباء الطاعون ١٨٩٤ ـ ١٩٠٧

يتميز العام ١٨٩٤ بأنه بداية لعصر جديد في التاريخ الصحي في آسيا، ففي مايو ١٨٩٤ ظهر الطاعون الدملي ظهوراً وبيلاً في هونج كونج ، قادماً على الارجح من «يونان» حيث أنه طبقاً لبعض التقارير مرض متوطن هناك ، وقد ظهر المرض في العام ١٨٩٦في بومباي ، واعلن عنه رسمياً لاول مرة في الثاني من اغسطس . وبعد ذلك بدأ ينتشر في أنحاء الهند انتشاراً مفجعاً وظل مستمراً بها طوال هذه الفترة . ومنذ عام ١٨٩٦ امتد هذا الوباء الى بلدان مختلفة ، وكذلك الى قارات أخرى بجوار آسـيا ولكنه لم يكن يثبت ولم يحدث آثاراً خطيرة سوى في الهند . واكتشفت الحالات الاولى منه في اوروبا في العام ١٨٩٩ في مدينة اوبورتو ، ولا يعرف احد الطريق التي وصل بها المرض الى ذلك المكان .

★ ★ ★

مؤتمر الطاعون في البندقية ١٨٩٧

كان اول حادث هام اعقب انتشار الطاعون في الهند هو اجتماع المؤتمر الصحي العالمي عام ١٨٩٧ في البندقية لمعالجة المشاكل التي اوجدها هذا المرض غير المألوف. ومع ان قرارات المؤتمر لم تلق سوى قبول جزئي وما تزال غير منفذة كلياً من قبل السلطات المختصة ، الا أنها هامة وتتطلب نوعاً من الدراسة . وذلك لأنها اختطت اساليب جديدة في الاجراءات الوقائية أضفت الصبغة العلمية على العمل الاداري في الخليج الامر الذي كان وما يزال مستحيلا من الناحية الديبلوماسية .

المجلس الصحي بالقسطنطينية

ولكن من الضروري ان نفهم اولا تركيب مجلس الصحة في القسطنطينية ومركزه . وقد ورد اسم هذه الهيئة سابقاً كما سيرد اكثر غير مرة واحدة فيما بعد كأداة للسياسة التركية في المجال الصحي وكممثل لوجهة النظر الاوروبية . وفي ١٨٤٠كان السلطانالعثماني آنذاك قد انشأ مجلس القسطنطينية الصحي أو ما يفضل تسميته المجلس الصحيالاعلى من أجل تسهيل اجراءات مقاومة الطاعون .

ففي السابق لم يكن يتحقق أي شيء في هذا المجال دون تقييد على الحياة الشخصية وفرض رسوم خاصة أو بدون اجماع زعماء الدول المسيحية التي يتمتع رعاياها بحقوق تربطهم بما هو خارج الاراضي التركية . فان القوانين المالية والتنفيذية للحكومة العثمانية كانت تتجه نحو إغفال لأجانب . ومن اجل اشراك الدول الاوروبية الرئيسية في المشروع وتأمين تأييدها له ، انشيء المجلس الصحي بارادة سامية ، مؤلفـــا من رئيس تركي هو وزير الخارجية وثمانية أعضاء من الاتراك وممثل عن الثلاث عشرة دولة التي لها معتمديات ديبلوماسية لدى الباب العالي . ويعالج المجلس كل الامور التي تتعلق بحماية الامبراطورية التركية من تسرب المرض من الاقطار الاخرى . وتعتمد قراراته على أغلبية أصوات الاعضاء ولا تنفذ الا بعد التصويت عليها من الحكومة التركية باستثناء الحالات الطارئة . أما الاموال التي هي في حوزة المجلس فتجمع من الرسوم المفروضة حسب الحمولة من السفن التي تدخل الموانئ التركية ومن الضرائب على الحجاج ، وعلى جثث الشيعة التي ترسل للدفن في العراق التركي ، وكذلك من الحجر الصحي ومن الرسوم الصحية . ولم يكن موقف المجلس من الحكومة التركية محدداً وكان دائماً مثاراً للجدل كما ان الخصومات بين المجلس ودائرة الصحة العامة التركية كانتكثيرة الحدوث . ومن المسلم به أن المجلس من ظروف تكوينه يعتبر مؤسسة عثمانية لكنه كهيئة استشارية له في الوقت نفسه سلطة شبه

دولية . وكانت الحكومة البريطانية تعارض دائماً توسيع صلاحيات المجلس التي لا موجب لها وذلك بسبب صفته اللامسؤولة ولان اكثريته من الدول غير البحرية ، كما كانت بريطانيا في بعض الاوقات تصر على تحمل الحكومة التركية مسؤوليتها عن السياسة الصحية في الامبراطورية العثمانية وتحتج على محاولات الباب العالي التستر بقرارات المجلس .

اللجنة المختلطة لاعادة النظر في التعريفة الصحية التركية

وكان هناك ايضاً هيئة عالمية أخرى في القسطنطينية تدعى اللجنة المختلطة لاعادة النظر في التعريفة الجمركية الصحية التركية التي لها علاقات وثيقة مع مجلس الصحة ، وتتكون بصفة مبدئية من الاعضاء انفسهم ، وتقوم بمراقبة عامة على الدخل وعلى تكاليف المجلس .

لقد كان المؤتمر الذي عقد في البندقية في العام ١٨٩٧ هو أول مؤتمر منذ مؤتمر ١٨٥١ يتصدى لموضوع الطاعون ، وكانت مهمته هي وضع التدابير الخاصة بمنع دخول المرض وانتشاره ، واعداد الاساليب الكفيلة بتحقيق هذا الغرض في البحر الاحمر والخليج ، وكانت بريطانيا وتركيا وايران من بين الدول الممثلة في المؤتمر ، واتخذ هذا المؤتمر نتائج المؤتمرات السابقة التي عقدت في ١٨٩٢ ، ١٨٩٣ ، ١٨٩٤ كأساس لمناقشاته ولكن لما كانت مدة تفشي الطاعون اطول من الكوليرا ونظراً للافكار العلمية التي استجدت ، كان لا بد لمقرارات مؤتمر ١٨٩٧ أن تختلف في بعض النواحي عن مقررات المؤتمرات السابقة .

المقررات العامة للمؤتمر

لقد وقعت المعاهدة التي وضعها المؤتمر في ١٩ مارس عام ١٨٩٧ ، ومن بين الشروط الرئيسية والمعاهدة شرط يلزم الدول الموقعة ابلاغ الدول الاخرى برقياً عن حدوث اصابات في الطاعون في اراضيها . ومن النتائج الاخرى الهامة هي منع الحجر البري كما كان الحال مع احتفاظ الدول الاوروبية باغلاق حدودها في وجه المسافرين والتجارة

اذا ما نشأت صعوبة في حماية هذه الحدود . وكانت القائمة بالأدوات التي تقرر أنها أقدر على نقل العدوى أشمل مما كان في حالة الكوليرا . ولتنظيم حركة مرور البواخر في الخليج فقد صنفت كالسابقة الى ثلاث فئات : مصابة ، ومشكوك فيها ، وسليمة ، فالسفينة المصابة قد حددت بوجود الطاعون على ظهرها ، او حدث على ظهرها في خلال ١٢ يوماً قبل الوصول ، والسفينة المشكوك فيها هي السفينة التي كان الطاعون موجوداً على ظهرها ولكن قبل ١٢ يوماً من وصولها والسفينة السليمة هي السفينة القادمة من ميناء مصاب بعدوى الطاعون ولكن العدوى غير واضحة فيها . وقد اوضحت الاتفاقية طبيعة الاحتياطات المتوجب اتخاذها بالنسبة للسفن المصابة او المشكوك فيها ، وارتؤي ان تعطى السفينة شهادة فك الحجر الصحي فور وصولها بصرف النظر عن الاوراق الصحية التي تحملها شرط ان تكون قد اكملت في كل الحالات مدة عشرة أيام كاملة بعد تاريخ الرحيل من آخر ميناء مصاب .

مشروع مؤتمر للخليج

كانت هذه في معظمها تغييرات في التفاصيل وليس في الاسس . ولكن اقتراح المؤتمر بالنسبة للجهاز التنفيذي المطلوب للخليج قد كان من نوع جديد وجذري ولم يشر اليه في مؤتمرات سابقة سوى باقتراح من الوفد الاميركي في باريس عام ١٨٩٤ . وكان يجب ان يقام مركز صحي عند مدخل الخليج ربما على جزيرة هرمز او قشم او في أي مكان آخر في تلك المنطقة . وان يزود بمستشفى صغير وادوات للتطهير وطبيبين على الاقل بالاضافة الى المفتشين الصحيين والحراس بينما يجب ان يقام في جوار البصرة مركز آخر مجهز بمستشفى للامراض المعدية وأدوات للتعقيم تحت اشراف هيئة طبية من عدة أطباء ، وكان على جميع البواخر التي تزور الخليج التوقف عند المركز الكائن عند الخليج وتعامل طبقاً للقوانين المرعية ، ولكن على شرط ان تأخذ على ظهرها أحد مفتشي الصحة واثنين من الحراس لتواصل الرحلة في الحجر الصحي حتى نهاية

الخليج لتعالج في البصرة . وكانت السفن التي تحمل بعض المسافرين والبضائع للموانئ الايرانية تنزلهم في بوشهر بعد اجراء بعض الترتيبات الصحية اللازمة في تلك المدينة ولكن في حالة عدم وجود هذه التر تيبات فليس لهذه السفن أي خيار ، ولا بد أن تنزل ما عليها إما في مركز هرمز او البصرة ، وكانت المراكز الصحية في كل من هرمز والبصرة تخضع لرقابة مجلس الصحة في القسطنطينية ، وكانت العلاقات السياسية لمركز هرمز تسوى بالاتفاق فيما بين الحكومتين التركية والايرانية . وفي غضون ذلك كان يجب على مجلس الصحة في القسطنطينية اقامة مركز صحي موقت على احدى الجزر في مدخل الخليج ، ويبدو ان هذه الاقتراحات الهامة كانت من الفرنسيين ، وقد عدل تأثيرها بالاعلان الذي قدمه الوفد البريطاني في المؤتمر وهو ان الاجراءات في الخليج ينبغي ان تكون قابلة للتطبيق فقط على المسافرين القادمين من الموانئ الهندية طالما ان هذه الموانئ مصابة بالطاعون .

ابرام بريطانيا وايران المعاهدة

ابرمت بريطانيا معاهدة ١٨٩٧ في ٣٠ ديسمبر عام ١٨٩٨ وايران في ٣١ اكتوبر ١٨٩٩ ، وكان التصديق البريطاني غير مشروط باستثناء الاعلان الذي صدر اثناء عقد المؤتمر ، وقد كان الايرانيون يريدون اقامة المراكز الصحية عند مدخل الخليج على البر الايراني . وبعد انتهاء المؤتمر حث المندوب الايراني في مجلس الصحة بالقسطنطينية على صلاحية جاشك ، التي وصفها بأنها جزيرة ، لهذا الغرض ، ولكن لم تتم متابعة هذه النقطة وقد كان التصديق الايراني مصحوباً باعلان بأنه «يظل مفهوماً» ان العلم الذي يرفع والحراس المسلحين في مركز هرمز يجب ان يكونوا ايرانيين .

عدم ابرام تركيا

وكانت وجهة نظر الحكومة التركية متميزة ، وقد اعربوا عن رغبتهم في ابرام المعاهدة ، ولكن شرط ان تكون الكويت بدلا من هرمز

في مشروع الخليج . وأن يُسلّم بخضوع النظام الصحي بالخليج كلية للمجلس الصحي بالقسطنطينية وزيادة فترة مراقبة الطاعون من ١٠ ايام الى ١٢ يوماً والاحتفاظ للحكومة العثمانية بسلطة الاشراف على الموانئ الواقعة في اراضيها .

ولم تقبل السلطات الاخرى هذه الشروط ، ولهذا ظلت تركيا دون أن تبرم المعاهدة ، وقبل الرفض النهائي للحكومة التركية التوقيع على المعاهدة يبدو ان الحكومة الايرانية خالجتها فكرة قطع الطريق على المجلس الصحي وذلك بانشاء مركز صحي ايراني على جزيرة هرمز ، بل إنهم ذهبوا لحد الاستعلام عن امكانية استعارة سفينة لحراسة المركز ترفع العلم الايراني من الحكومة الهندية ، ولما علمت الحكومة الايرانية بعدم انضمام تركيا للمعاهدة تنازلت عن هذا الاقتراح .

فشل مشروع الخليج

كان مشروع مؤتمر البندقية في العام ١٨٩٧ للخليج مطابقاً للنظريات المعروفة لبعض العلماء الفرنسيين الذين ارادوا ايجاد «شبكة» الطاعون والكوليرا التي تنقل عن طريق البحر من آسيا وا وروبا . وهي تشبه الخليج خطأ بالبحر الاحمر جاعلين هرمز بمثـــــابة قمران ثانية . لذلك كان لا بد من استبعاد الاستنتاج بأن لاقتراح المؤتمر اصولا سياسية مع أنه لغير صالح بريطانيا وايران سياسياً ولصالح تركيا . وعلى اية حال انتهز المجلس الصحي في القسطنطينية كما سنرى فيما بعد الفرصة ليمد محيط نشاطه الى الخليج . ولكنه لم يتمكن من تحقيق أي شيء نظراً لعدم اهتمام الدول المعنية باستثناء تركيا ، لذلك لم يعقد مؤتمر الخليج .

وباء الطاعون في الخليج ١٨٩٩ - ١٩٠٧

بعد مرور أكثر من عامين على ظهور الطاعون في الهند لم يترك أي أثر في الخليج ، ومع انه منذ العام ١٨٩٩ ظهر في فترات في موانئ مختلفة في الخليج ، الا ان حركته كانت متقطعة وغير نشطة مما جعل هنالك آمالا بأنه لم يتوطن في أي مكان .

مسقط وبو شهر ١٨٩٩

وقد لوحظ وجود حالتين من الطاعون في مسقط في ابريل ١٨٩٩ ولم تحدث بعدهما أية حالات أخرى ، وفي ابريل ١٨٩٩ وصلت الباخرة الهندية باتنا الى البصرة قادمة من بومباي وعليها حالة واحدة من الطاعون وفي الشهر التالي وصلت الباخرة الهندية حيدري وعليها حالة مشكوك فيها من الطاعون ، وما سوى ذلك لم تحدث أية نتائج غير مرغوبة على على الشاطئ . ولكن المرض اكتشف في بوشهر في شهر يونيو حيث ظل فيها ربما حتى شهو يوليو ، وفي آب أصبح منقرضاً ولم تحدث أية حالة وفاة . ومن الصعب تقدير عدد الاصابات في بوشهر اذ ان المرض قد اخفي إخفاءً دقيقاً ، ولكن المؤكد أن حالتي وفاة قد حدثتا هناك نتيجة للطاعون .

الطاعون في كل من مطرح ومسقط وقشم ١٩٠٠

ظهر الطاعون على نطاق ضيق في مطرح القريبة من مسقط وكان ذلك في يناير ١٩٠٠ ، ولكن انتشاره كان بطيئاً في بادئ الامر وبدأ في مارس يأخذ شكلا خطيراً ، وانتقل الى مدينة مسقط المجاورة وأخيراً اختفى في شهر مايو بعد ان وصل عدد الوفيات رسمياً الى ٤٣٤ نسمة .

الطاعون في العراق التركي ١٩٠١–١٩٠٢

في مايو ، الشهر الذي خمد فيه الطاعون في مسقط ، ظهر بأنه منتشر في جزيرة قشم ، ولكنه لم يكن قد وصل بعد الى العراق التركي ،

مع ان مركبة نهرية ثانية حدث على ظهرها الطاعون أثناء رحلتها من الهند الى البصرة في فبراير ، ووجدت حالة ثالثة في السفينة كنتج ارثر في مايو ١٩٠٠ .

وعلى أي حال ففي ابريل ومايو ١٩٠١ حدثت في البصرة عشر حالات وفاة من الطاعون ، وفي مايو ١٩٠١ ويناير ١٩٠٢ حدثت حالات قليلة في بغداد .

الطاعون في العراق التركي والاحساء والبحرين ١٩٠٣

وفي مارس ١٩٠٣ وصلت مركبتان الى البصرة ، وكان قد وقع عليهما حالات وفاة من جراء الطاعون ، ولكن الميناء لم يتأثر بذلك ، وعلى أي حال ، ففي ابريل ومايو انتشر الطاعون في مساعيده في قضاء الزبير بالقرب من العمارة على نهر دجلة الامر الذي نتج عنه وفاة نحو ٤٠ شخصاً .

وفي ابريل ١٩٠٣ قيل انه حدث وباء بسيط في السنجق التركي بالاحساء . وفي مايو ويونيو حدث انفجار شديد للمرض في جزيرة البحرين مقابل ساحل الاحساء ، وقد مات نحو ٣٠٠ شخص من اصل ضعفي هذا العدد ممن اصيبوا بالمرض .

الطاعون في لنجة ولار ١٩٠٤

وجاء الطاعون في مايو ويونيه ١٩٠٤ الى لنجة على الساحل الايراني وحدثت ١٤٦ حالة وانتقل من هناك الى «لار» ولكن احصائية الوفاة في ذلك المكان ليست معروفة وفجأة اختفى وباء الطاعون عند وصول وباء الكوليرا في المنطقة نفسها .

الطاعون في البحرين واساطيل اللؤلؤ ١٩٠٥

وكان الانفجار الاخير لمرض الطاعون في الخليج مما يستحق التسجيل هو ما حدث في البحرين من بداية شهر مايو حتى نهاية شهر يونيو ١٩٠٥ وكان محصوراً عملياً في مدينتي المنامة والمحرق وقد حدثت في كل منهما

حوالي ٤٠٠ حالة نصفها مميت ، ولكن كانت هنالك بضع حالات وفاة على الأساطيل التي تقوم بعمليات صيد اللؤلؤ على ضفاف الشاطئ العربي .

★ ★ ★

مؤتمر الطاعون والكوليرا في باريس ١٩٠٣

وفي غضون ذلك طرحت من جديد مسألة التصدي للأوبئة الآسيوية في اوروبا ، وكان نطاق مؤتمر باريس الذي عقد في العام ١٩٠٣ أكثر اتساعاً من المؤتمرات السابقة له ، ولم يكن عمله قاصراً على تنقيح واتمام المعاهدات السارية المفعول ولكن ايضاً على تحديد الاجراءات اللازمة تحت اتفاقية واحدة لحماية الصحة العامة ضد هجوم وتكاثر كل من وبائي الطاعون والكوليرا . وقد مثلت في هذا المؤتمر كل الدول الرئيسية في العالم المتحضر ومنها بريطانيا وتركيا ، وايران ولعبت مصر لاول مرة دوراً مستقلا في الاعمال ، وكانت النقاط التي ناقشها المؤتمر فنية من ناحية وادارية من ناحية أخرى ، والنقاط التي ليست لها علاقة بالخليج لن تكون موضع بحثنا هنا .

النتائج العامة والتوصيات

ومن الناحية الفنية فقد كان هنالك تساهل في تعريف السفن المصابة والمشكوك في اصابتها بمرض الطاعون ، اذ اصبحت السفن التي تكون خالية من المرض سبعة أيام قبل وصولها الميناء غير داخلة ضمن اي من هاتين الفئتين . ورغم الابقاء على الالتزام الذي يقضي بوجوب قيام الاطراف الموقعة بإبلاغ بعضها بعضاً لدى ظهور حالات من الطاعون على اراضيها على أن يشمل ذلك الكوليرا لكن وجود حالة من أي وباء ظل لا يعني ان البلد اصبح موبوءً .

وقرر المؤتمر انه لا يوجد نوع من البضاعة قادر على نقل الطاعون او الكوليرا بذاته ويمكن ان يصبح كذلك اذا ما ُلوِّث بمواد موبوءة بالطاعون او الكوليرا ، ونتيجة لذلك فقد كان هناك تخفيض ملحوظ في عدد السلع المعرضة للحجز او التطهير اثناء فترة الوباء ، وقرر المؤتمر ان الوباء يعتبر منتهياً بعد الخمسة أيام التي تلي عزل او شفاء أو وفاة آخر حالة وكانت هذه التغيرات تلطيفاً للقوانين الموجودة ، وبعد ان ادرك المؤتمرون ان الجرذان هي واسطة لنقل الطاعون ، قرروا أنه من الضروري التشدد على ابادة الجرذان الموجودة على السفن ، وكانت الاجراءات الخاصة بالفئران على اي حال أقل حدة من التي اتخذت من قبل في بعض البلدان ؛ كما ان جهاز الاشراف المسموح به في بلدان أخرى لم يكن قد امتد بعد الى الخليج حيث كان الاحتجاز من أجل المراقبة هو القاعدة المتبعة .

التوصيات الخاصة بالخليج

يشابه التنظيم الاداري الذي وضعه مؤتمر ١٩٠٣ للخليج التنظيمات الذي وضعها مؤتمر ١٨٩٧ ولكن ليس مشابهاً لها بالضبط ، فقد تقرر كالسابق انشاء مركز صحي قريباً من البصرة وآخر مماثل له عند مدخل الخليج ، ولكن هرمز اختيرت الآن على وجه التحديد لتكون مقراً للأخير ، على أن تزود بجهاز لقتل الجرذان ، وإلى حين انشاء المركز الدائم ينبغي فتح مركز صحي في هرمز ، وتمسك المؤتمرون بالمادة التي تقضي بوجوب استمرار الرحلات من هرمز الى اعالي الخليج في البصرة وهي في الحجر الصحي ، ولكن ووفق بلا قيد ولا شرط على نزول المسافرين والشحنات عند بوشهر وهم في طريقهم الى البصرة . ويجب ان تتسلم كل السفن السليمة اجازة براءة صحية عند موانئ الخليج بعد خمسة أيام من تركها آخر ميناء مصاب ولا يجوز تسليمها لها في مكان قبل هذا الموعد .

التوصيات المتعلقة بالمجلس الصحي في القسطنطينية

واتخذ المؤتمر توصيات هامة تمس تكوين المجلس الصحي بالقسطنطينية الذي أوكل له المؤتمر مهمة ادارة المركز الصحي في هرمز سواء كان هذا بصفة دائمة او بصفة موقته ، وكذلك المسئولية المالية للمركز نفسه ، وتقرر وجوب تخفيض عدد الممثلين الاتراك الى اربعة ، ويحق لكل بلد أجنبي مُمَثَّل أن يكون له مندوب واحد في المجلس الصحي ، أما الاحوال المطلوبة من المجلس لتغطية إقامة مركز هرمز فيجب ان تضعها اللجنة المختلطة المختصة بمراجعة التعريفة الصحية التركية وذلك من الاحتياطي الموجود لدى المجلس .

تحفظات بريطانيا وايران وامتناع تركيا والهند

لقد وقعت المعاهدة الشاملة لهذه القرارات وغيرها في باريس في ٣ ديسمبر ١٩٠٣ ، أما شروط التجديد فهي نفسها التي تضمنتها معاهدة البندقية عام ١٨٩٧ ، وقد وقع ممثل بريطانيا مع بعض التحفظات وكذلك المندوب التركي ولكن الممثلين الاتراك الذين رغبوا في التوقيع مع تحفظات تلغي كل المعاهدة تماماً لم يسمح لهم بالتوقيع ، وقد امتنع الممثل الهندي عن التوقيع بحجة أن الحكومة الهندية لم تقرر بعد رأياً في الانضمام الى المعاهدة . وقد كانت تحفظات بريطانيا كما يلي :

١ — أن يكون قبول حكومة صاحبة الجلالة اللجنة المشتركة المختصة بمراجعة التعريفة الصحيحة التركية التي سيكون أحد اهدافها منح المبالغ المطلوبة لمركز هرمز ، مشروطاً بقيام اللجنة بتخفيض الرسوم الصحية في الموانئ التركية .

٢ — أن يكون التصويت على مقررات اللجنة بشأن المبالغ المطلوبة للمركز بالإجماع .

٣ — أن لا تتخذ أية خطوة لاقامة مركز هرمز حتى يعاد تنظيم المجلس الصحي بالقسطنطينية من جديد طبقاً للطريقة التي وافق عليها

المؤتمر ، وقد اقر المؤتمر تسجيل التحفظات البريطانية نظراً الى ان التجربة اثبتت عدم ضرورة اقامة مركز في هرمز لوقاية الخليج صحياً ونظراً لفشل مركز عقير الذي اثبت ان الظروف المنافية لا تسمح باقامة مركز في هرمز .

عدم تصديق بريطانيا على المعاهدة

ولم تصدق بريطانيا بعد ١٩٠٦ على المعاهدة ، وذلك لاسباب ستتضح فيما بعد .

احباط اللجنة المشتركة لمشروع الخليج ١٩٠٥ — ١٩٠٦

اجتمعت اللجنة الصحية (التي سبقت الاشارة الى علاقتها مع المجلس الصحي بالقسطنطينية) عام ١٩٠٥ للمرة الخامسة في تاريخها وكانت اجتماعاتها مستمرة في العام ١٩٠٦ ، وكان من اغراضها الرئيسية النظر في أن تدفع الحكومة التركية الديون المستحقة للمجلس الصحي ولتنظيم دفع معاشات موظفي المجلس ولزيادة المبالغ لاصلاح مستشفيات الاوبئة التركية ، وللحصول كذلك على تخفيض اذا امكن على الرسوم الصحية التي تدفع في الموانئ التركية . واظهرت المناقشات أن المجلس الصحي جمع مبلغاً احتياطياً يزيد عن ٢٦٨,٠٠٠ ليرة تركية وكانت الحكومة التركية مدينة للمجلس بمقدار ١٥٠,٠٠٠ ليرة وهذا التزام نشأ عن تأديته صعوبات خطيرة . ونظراً للمبالغ الزائدة عن الحاجة فقد طالب الممثل البريطاني في اللجنة الدكتور «كليمو» بتخفيض الرسوم الصحية التركية بمقدار ٢٥ بالمئة . وبناء على اقتراحه تم اغلاق عدد من المراكز الصحية التي لا فائدة لها ، ولم يكن من هذه المراكز مركز في الخليج . وخصص مبلغ ٢٠,٠٠٠ ليرة للنهوض بالمركز الصحي الموجود في البصرة ، وهو اجراء لفت الانظار اليه المندوبون البريطانيون في مؤتمر باريس بأنه أعظم فائدة من انشاء مركز جديد عند مدخل الخليج . ولم تقدم أية منحة للمركز الصحي المقترح في هرمز ، كما ان اللجنة رفضت اقتراح الوفد الروسي بتخصيص بعض الاموال لاقامة مركز في الخليج .

عقبات في سبيل انجاز المشروع

وفي الحقيقة فقد كانت العقبات في طريق انجاز مشروع هرمز مما لا يمكن التغلب عليه ، وذلك لان الحكومة التركية رفضت الموافقة على إعادة تنظيم المجلس الصحي ، وكان ذلك أحد الشروط التي تمسكت بها بريطانيا للانضمام الى المعاهدة ، وكذلك حصلت ازمة نتيجة لمطالبة كل من تركيا وايران بأن ترفع أعلامها فوق المركز الصحي لهرمز وبذلك وصل الطرفان الى طريق مسدود .

★ ★ ★

بعثة المسيو فيفر ١٩٠٥

ولما كانت لدى الحكومة الفرنسية الرغبة الصادقة في أن تنفذ مقررات مؤتمر باريس عام ١٩٠٣ بجملتها ، فانها لم تيأس من الامر ، ففي اوروبا استمرت فرنسا في حث الدول التي تقدمت بتحفظات لسحبها وفي أثناء ذلك ، وفي بداية ١٩٠٥ ارسلت مسيو «فيفر» المفتش والملحق بالخدمات الصحية التابع لوزارة الداخلية الفرنسية ، الى الخليج لدراسة المشكلة الصحية على الطبيعة .

ومن المحتمل ان دوافع فرنسا لتأييد مشروع هرمز لم تكن سياسية بدلالة نظرية « الشبكة » الفرنسية للوقاية . وربما كان الغرض من بعثة مسبو «فيفر» هو محاولة اقناع الحكومة البريطانية بسحب اعتراضاتها ولكن مسيو «فيفر» اعتمد بصفة اساسية في معلوماته على القنصل العام الروسي وعلى الطبيب الفرنسي مسيو «بوسير» في بوشهر ، وفي النهاية أوصى بوجوب هذا المشروع بتوافق مع مستشاري مسيو فيفر اللذين كانا يأملان بأن يشكل المركز المقترح نقطة ارتكاز سياسية مقابل المركز البريطاني للتلغراف في هنجام .

وعلى أي حال فنظراً لان مثل هذه الاقتراحات الجديدة تشمل تعديلاً لنص معاهدة باريس ، فيبدو أنها زادت من الصعوبات التي رافقت تنفيذ توصيات مؤتمر ١٩٠٣ .

★ ★ ★

بعثة الدكتور ت. تومسون سنة ١٩٠٦

وبعد عام ١٩٠٥ وفي أعقاب رحلة مسيو فيفر قررت حكومة صاحب الجلالة ان ترسل خبيراً بريطانياً لمنطقة الخليج ليضع تقريراً عن احتياجاتها الصحية ، ليس فيما يتعلق بايران فقط ولكن بأوروبا ايضاً وعن ضرورة انشاء مركز صحي عند مدخل الخليج وما اذا كان ذلك مناسباً في هرمز وهنجام والمواقع الاخرى ، وكان الغرض الرئيسي من البعثة هو الحصول على معلومات مستقلة عن تلك المعلومات التي حصل عليها مسيو «فيفر» . وقد وصل الدكتور «تيودور تومسون» المستشار الطبي لمجلس الحكومة المحلية الذي وقع عليه الاختيار ليقوم بتنفيذ هذه البعثة الى الخليج في فبراير عام ١٩٠٦ وبقي هناك لمدة شهر متجولا وكانت السفينة الملكية «لورنس» قد وضعت تحت تصرفه من قبل المعتمد السياسي البريطاني .

وكانت النتائج التي توصل اليها الدكتور «تومسون» وتضمنها تقريره غير مقبولة بالنسبة لمشروع الخليج في مؤتمر باريس ، فقد اشار في تقريره بأن القوارب الشراعية الاهلية التي تستطيع الاقتراب من الساحل أكثر خطورة من حيث نقلها للعدوى ، من المراكب البخارية وتمكنها أن تتجنب المركز الصحي عند مدخل الخليج وبعد مرورها تكون في مأمن من الاحتجاز ، ولهذا ، ففي رأيه يجب رفض النظام المقترح لانه سيشجع أصحاب السفن الاهلية التي تحمل المرض والتي تتجنب المركز على اخفاء الحقائق عند وصولهم الى مينائهم المقصود . ولاحظ الدكتور «تومسون»

أنه في حالة الاصابة بالطاعون او بالكوليرا ، كما حدث غير مرة في الخليج ، يصبح من الضروري في ظل المشروع الطلب الى السفن القادمة من الموانئ المصابة التوقف عند مركز الحراسة قرب مدخل الخليج او في البصرة ، وان تطبيق ذلك سيكون مستحيلا تماماً من الناحية العملية . وقد لاحظ ان النظام المقترح سيكون أشد قسوة من النظام المعمول به في البحر الاحمر حيث لا توجد مراكز حراسة عند المدخل . ونتيجة لعملية احتجاز السفن او هروبها عن طريقها فالنظام يعتبر ضاراً بالتجارة وخاصة عند تطبيقه على السفن الشراعية .

وعلى اي حال ففي حالة وجود ضرورة ملحة لتأسيس مركز عند مدخل الخليج كان الدكتور «تومسون» يميل لان يوصي بأن يكون ذلك المركز في هنجام وذلك لان فيها مرسى كبيراً ، ولأن إنحراف المراكب (١٠ أميال) عن خط سيرها الطبيعي يكون هناك قليلاً .

وقد تركزت توصيات الدكتور «تومسون» في أن الاهتمام يجب أن ينصب بصفة أساسية على طريق الكويت ، البصرة ، المحمرة حول رأس الخليج ، وأصر على تجهيز مركز صحي كامل في كل مكان من الاماكن المذكورة ، وكذلك على معاملة بوشهر وبندر عباس ، الموجودتين على الساحل الايراني المعاملة نفسها ، وقد اعتبر من وجهة نظر وقاية اوروبا بأنه يجب اهمال البحرين والمناطق الاخرى التي على الساحل العربي والتي تقع جنوبي الكويت .

★ ★ ★

الاجراءات الوقائية ضد الطاعون والكوليرا
في الخليج ١٨٩٦ ـ ١٩٠٧

ويمكن الآن ان نلخص ما سبق ذكره من الاجراءات الوقائية المتعددة التي اتخذت منذ العام ١٨٩٦ في المناطق المحيطة بالخليج ، وسنجد أنها تقع ضمن فئتين : أي : الاجراءات التي وضعتها الحكومة البريطانية او كانت بناء على توجيهاتها ، وتلك التي كانت السلطات التركية مسؤولة عنها ، وقد نفذت الحكومة الهندية تنظيمات مؤتمر البندقية للعام ١٨٩٧ في موانيها حال صدور هذه التنظيمات . وفي العام ١٨٩٧ منح الحج الى مكة المكرمة كاجراء خاص ، كما أن الاجراءات المماثلة التي اتخذت في ايران وعمان والبحرين ، وكانت بناء على اقتراح من الحكومة البريطانية ، تحكمها على العموم روح معاهدة ١٨٩٧ ، ولكن السياسة الصحية للحكومة التركية التي سنتعرض لها اولا كانت سياسة متحفظة وخاصة .

★ ★ ★

القوانين الصحية وتنظيمات تركيا في الخليج
١٨٩٦ ـ ١٩٠٧

القوانين في البصرة من ١٨٩٦ حتى يناير ١٨٩٧

وفي اكتوبر ١٨٩٦ ، بعد ظهور الطاعون في الهند ، فرضت السلطات الصحية في القسطنطينية مباشرة مدة عشرة أيام من الحجر الصحي على سفن بومباي من تاريخ وصولها الى البصرة ، ويبدو ان السلطات المحلية أصرت في بادئ الامر على مدة مقدارها ٢١ يوماً ولكنها لم تستطع تنفيذها . وفي حوالي ١١ يناير ١٨٩٧ فرض حجر صحي ضد المحمرة اسوة ببومباي . وقد جرت محاولة لسحب امتياز انزال وتحميل السيارات

التي تكون في الحجر الصحي مما تسبب في توقف التجارة الخارجية في العراق التركي . وفي نهاية يناير اصبح الدخول الى اماكن حج الشيعة ممنوعاً وكذلك الحال بالنسبة لدفن الموتى الشيعة من الهند .

الاجراءات التي تتعلق بفاو يناير ١٨٩٧

وفي ١٢ يناير عام ١٨٩٧ قرر المجلس الصحي بالقسطنطينية أنه في غضون انشاء مركز في فاو لمكافحة الأوبئة(١) يجب ان ترد كل السفن القادمة الى البصرة ، ولكن هذا الاجراء الشديد الغي بعد ان صار نافذ المفعول ، وذلك فقط بالنسبة لمركب بخاري من شركة بومباي وايران للمراكب البخارية ، وقد اعلن بعد ذلك باسبوعين ان الباب العالي قد قرر انشاء مركز صحي دائم في فاو على اعتبار ان المركز القائم كان اسمياً .

وعينت لجنة لاختيار مكان المركز ، ولكن لم يجد في الامر جديد . وبقيت فاو كما هي منذ ١٨٧٢ وما تزال مجرد مكتب صحي بسيط . خال حتى من المحجر الصحي وكل الأجهزة الصحية .

وقد اوصى المجلس الصحي في القسطنطينية اضافة الى ذلك وجوب معاينة كل السفن القادمة من الهند عند مدخل الخليج ، ولكن لم ينتج عن هذا الاقتراح أي شيء وخاصة بعدما عارضته حكومة الهند . ويبدو ان بعض هذه التطورات كانت تتوقعها قرارات مؤتمر البندقية في ١٨٩٧ الذي لم ينته الا بعد شهرين .

ترتيبات بلا جدوى في قطر والبحرين

وفي فبراير ١٨٩٧ رجع المجلس الصحي في القسطنطينية الى اقتراحات ١٨٩٤ وقرر انشاء مراكز في الكويت والقطيف والبحرين

---

(١) ابتداء من عام ١٨٩١ كانت الحكومة التركية قلقة على نقل الحجر الصحي من البصرة الى مركز فوة ، لان مشروعهم القائم على الدوافع السياسية البحتة قد أصبح بلا جدوى عند معارضته من قبل ممثلي كل من بريطانيا وروسيا في المجلس الصحي بالقسطنطينية .

وقطر ، ولكن المندوب البريطاني قاوم بنجاح الجزء الاكبر من المشروع على اعتبار ان الكويت كانت مشيخة مستقلة ، والبحرين امارة مستقلة تحت الحماية البريطانية ، وبالنسبة لقطر لم تعترف حكومة صاحب الجلالة بأنها من الاملاك التركية .

الاجراءات في الكويت والقطيف

وقد نفذت اقتراحات المجلس الصحي فقط في الكويت والقطيف ووضع في كل منهما رئيس واثنان من الحرس ، وبقي مركز الكويت لمدة بسيطة من ابريل ١٨٩٧ حتى سبتمبر عام ١٩٠١ حينما سحب رئيسه ولم يوضع احد مكانه ، وحتى في أثناء وجوده اعترف بأن دوره كان شكلياً وأنه لم يعمل شيئاً .

الاجراءات في العقير

وقرر المجلس كذلك ان السفن التي تصل من الموانئ المصابة الى ساحل الاحســـــاء يجب ان ترد الى البصرة ، مما اربك السلطات التركية المحلية في الإحساء بل أخافهم من ان النتيجة في النهاية ستكون هي انتشار الفقر والتمرد . ونزولا على اعتراضات المسؤول التركي امر المجلس بتأسيس محجر صحي في العقير ، افتتح في مارس ١٨٩٧ ولكنه لم يصلح لاي غرض نافع ، وتلاشى في خلال ستة أشهر ، فقد مات اثنان من الموظفين في خلال هذه الفترة وهرب آخر وانسحب الطبيب والحارس الباقي على مسؤوليتهما الخاصة الى البصرة .

لجان المجلس الصحي ١٩٠٧

وفي هذا الوقت وضع المجلس الصحي ايضاً تنظيماً للرقابة الصحية في الخليج كله ، ويتكون التنظيم من لجنة في البصرة ومن لجنتين متجولتين على كل الشواطئ الشرقية والغربية للخليج ، وقد زارت اللجنتان المتجولتان معظم المواقع الهامة على كلا الساحلين وجمعت معلومات

مفيدة ، وقد رأس اللجنتان الدكتور «كومبسامبرو» وعز الدين اللذان ورد ذكر تقاريرهما في حواشي هذا الملحق .

تغيير القوانين في البصرة فبراير الى اغسطس ١٨٩٧

وفي ١٢ فبراير ١٨٩٧ زيدت فترة الحجر الصحي بالنسبة للمسافرين القادمين من الهند من عشرة ايام الى خمسة عشر يوماً ، ولكنها خفضت في منتصف شهر مارس الى ١٢ يوماً ، وفي بداية شهر يوليو حدث تغيير آخر ، فقد خفضت مدة الحجر الصحي في البصرة بالنسبة لموانئ الخليج الى خمسة أيام ، وفي نهاية هذا الشهر خفضت مده الحجر أكثر من ذلك وحتى ان الحجر الغي بصفة موقتة ، وسمح بدخول الحجاج وبعض الطوائف الاخرى من ايران بعد ان كان ذلك محظوراً ، وفي خمسة اغسطس خفضت مدة الحجر الصحي ضد الهند الى عشرة أيام وما زالت المدة تحسب كالمعتاد من وقت الوصول الى البصرة وليس من وقت الرحيل من الهند .

احياء بعض المشروعات في البحرين ١٨٩٩

يبدو بعد هذا ان الامور بقيت كما هي ولم تتغير حتى السنة ١٨٩٩ عندما اقترح الحاكم التركي للاحساء في ١١ نيسان ضمن تقرير رسمي احياء الاقتراح الخاص بانشاء مركز للحجر الصحي في البحرين وكان ذلك بالطبع على اعتبار ان البحرين كانت تعتبر من الاملاك التركية ، وهكذا فقد رفض الاقتراح الخاص باقامة حجر صحي في الاحساء مقابل البحرين لاسباب مقنعة كثيرة . وعلى اي حال ، فقد رفض المشروع بناء على طلب المندوب البريطاني في المجلس الصحي اذ كرر ما سبق ذكره من ان البحرين دولة مستقلة تحت الحماية البريطانية ، وقد رفض ايضا الاقتراح الخاص باعادة تأسيس المحجر الصحي في العقير . ولم تظهر السجلات ، على اي حال ، ما استقر عليه الامر في النهاية بالنسبة للاحساء .

تقرير الدكتور بوريل ١٩٠١

وفي العام ١٩٠٠ عين الدكتور «بوريل» الفرنسي لوظيفة الضابط الصحي في البصرة . وفي يناير ١٩٠١ كتب تقريراً للمجلس الصحي عن موضوع الوقاية الصحية بأكمله بالنسبة للخليج ، وقد عقب بقسوة على صرامة النظام المعمول به في البصرة اذ ما بين مارس ١٨٩٦ وسبتمبر ١٩٠٠ خضع لهذا النظام ما لا يقل عن ٤٠٩ سفن بخارية كما خضع للعزل والتطهير ٨٠٠٠ مسافر و ٢٠,٠٠٠ الف عضو من اعضاء أطقم السفن بلا فائدة سوى ذلك الربح الصافي الذي يقدر بحوالي ٤٠٠٠ جنيه استرليني عادت الى الدائرة الصحية من تلك العمليات . وبناء على توصية الدكتور «بوريل» يبدو ان مدة الحجر بالنسبة لموانئ الخليج غير المصابة بالطاعون والكوليرا قد خفضت الى ٤٨ ساعة من وقت وصولها فيما عدا السفن القادمة من الهند .

وفي ٢٦ مارس ١٩٠١ عدل المجلس الصحي عن الحظر المطلق بالنسبة لحضور الحجاج الشيعة بالسفن الهندية ، وسمح للسفن باحضار عدد من الحجاج في المستقبل على ان لا يزيد وزنهم عن ٥ بالمئة من الاطنان من الحمولة المسجلة .

التساهل في البصرة

وقرر المجلس الصحي في القسطنطينية في ٣ ديسمبر عام ١٩٠٣ حسب طلب ممثلي بريطانيا وايران آخذاً في الاعتبار بلا شك مقررات مؤتمر باريس للعام ١٩٠٣ ، وجوب استبدال الحجر الصحي الساري المفعول لمدة ٤٨ ساعة في البصرة ضد الموانئ الايرانية بزيارة صحية وعملية تطهير . وقرر المجلس ايضاً انه بالنسبة للسفن القادمة من الموانئ الهندية والتي امضت اكثر من ١٢ يوماً بعيداً عن الهند وحصلت على براءة فك الحجر الصحي من أحد موانئ الخليج يجب ان تحصل على براءة فك الحجر الصحي من البصرة وذلك بعد زيارة طبية واجراء عملية تطهير

فقط . وعلاوة على ذلك اذا تم تطهير السفن في بوشهر ولم تتوقف عند أي مكان بين بوشهر والبصرة فلا حاجة للتطهير في البصرة . وقد نفذ هذا القرار في الحال . وعلاوة على ذلك ، خفض الحجر الصحي من ١٠ الى ٥ أيام بالنسبة لسفن بومباي التي تحمل اوراقاً صحية نظيفة ولم تكمل مدة الاثني عشر يوماً المطلوبة ، على ان تحسب المدة منذ تاريخ الوصول الى البصره كالعادة . وفي حالة ما اذا كانت السفن تحمل حجاجاً من الشيعة تطبق قاعدة الثماني والاربعين ساعة فقط اذا كان الحجاج الذين على ظهر السفينة يعادلون واحداً بالمئة او اقل من حمولة السفينة المسجلة . وينزل الحجاج الهنود بصفة عامة في المحمرة ويسيرون فيما بعد الى البصرة عن طريق بلام ، وفي البلدة لا يسمح لهم بالدخول الا بعد تقديم اثبات بأنهم امضوا مدة الحجر المطلوبة في المحمرة .

خصائص النظام التركي

يبدو واضحاً من الحقائق المذكورة أن نظام الحجر الصحي التركي ظل حتى الوقت الحاضر نظراً الى التشديد الزائد والتغيير الدائم في القوانين عائقاً خطيراً في وجه التجارة والسياحة في العراق ، وفي الوقت نفسه يمكن القول بأن القيمة الوقائية لهذا النظام ضعيفة جداً ، كما أن كثيراً من المواطنين المسافرين يتفادون هذا النظام . وظلت معدات المركز الصحي في البصرة ناقصة جداً حتى وقت آخر . وفي ا لحقيقة لم تكن هناك مستشفيات ملائمة من اي نوع ، ولكن تمت مؤخراً الموافقة على تخصيص مبلغ معين لتحسينها . وبعد المناقشة تقرر الاحتفاظ بالمركز الصحي في البصرة في موقعه الحالي في جزيرة العجراوية حيث تحتاج الحكومة التركية الى ١٠ جريبات من الارض لذلك .

الانظمة الصحية والترتيبات الايرانية في الخليج
١٨٩٦ ـ ١٩٠٧

ونعود بعد ذلك للاحتياطات الصحية التي اتخذت في موانئ ايران منذ العام ١٨٩٦ .

نظام الحجر الصحي

في اكتوبر ١٨٩٦ اصبحت ضرورة قيام الحكومة الايرانية بعمل ما واضحة تماماً ، وبالفعل بذلت محاولات اوليةلتنفيذ الاجراءات المطلوبة عن طريق الايرانيين انفسهم . وبعد مناقشات مستفيضة بين الحكومة الايرانية والبعثة البريطانية بالتشاور مع المقيم في بوشهر تم التوصل الى تفاهم بشأن الحد الادنى للضرر الذي يصيب التجارة .

وبالنسبة للسفن السليمة القادمة من الهند فقد كان مقرراً لها ان تبقى في الحجر الصحي مدة خمسة ايام من وصولها الى ميناءي بوشهر والمحمرة وسبعة ايام في الموانى الايرانية التي تكون اقرب الى الهند من بوشهر ، وفي حالة السفن المصابة بالطاعون يحظر نزول المسافرين والشحن ، ولكن يمكن انزال البريد الى الشاطئ دون حجز للسفينة . ويبدو ان السلطات الايرانية كانت على علم بعدم مقدرتها على تنفيذ هذه الاجراءات بشكل مرض ، لذلك منذ البداية تقريباً كانت الادارة الفعلية موكولة الى دار الاعتماد البريطاني في بوشهر ، وعلى أي حال فمنذ البداية وضع الرسميون الايرانيون المحليون كثيراً من العقبات وذلك لانهم لم يقبلوا خسارة الصلاحيات الصحية التي كان يمكن بواسطتها ان يثروا بسرعة .

الترتيبات الموكولة الى السلطات البريطانية ١٨٩٧

وفي يناير عام ١٨٩٧ وبينما كانت الحكومة الروسية على وشك ارسال اطباء روس الى الخليج لدراسة مشكلة الوقاية من الطاعون ، وافقت الحكومة الايرانية على ان تنتدب من الهند على نفقتها اثنين من

الجراحين المساعدين الاوروبيين ليتوليا مسؤولية الاجراءات الصحية في بندر عباس ولنجة . وقد ترك هؤلاء الموظفون الهند في التاسع من شهر فبراير ١٨٩٧ ، وفي اليوم التالي ارسل مساعد جراح آخر من المؤسسة الهندية من بوشهر ليتولى المسؤولية الصحية في ميناء المحمرة ، وكذلك أعيد الطلب الى الجراحين المساعدين في بوشهر وجاشك لتقديم خدماتهما الصحية في المراكز الخاصة بهما . وفي مارس علم بأن الحكومة الايرانية ارسلت اوامر محددة الى بوشهر تؤكد فيها سلطة جراح دار الاعتماد البريطاني بالنسبة للمسائل الصحية وقد زال الاحتكاك مع السلطات الايرانية المحلية زوالاً ملموساً وقد تلقت السفينة الحربية الايرانية « برسيبوليس » في الوقت نفسه اوامر من الحكومة الايرانية بأن تطوف عند مدخل الخليج وان تمنع السفن الساحلية من الدخول ، ولكن بحارتها في ذلك الوقت كانوا في حالة تمرد ولا يبدو ان السفينةقامت بالمهمة المطلوبة .

وفي عام ١٨٩٨–١٨٩٩ كانت مدة الحجر الصحي في الموانئ الايرانية عشرة أيام بالنسبة للسفن السليمة القادمة من كراتشي تحسب من تاريخ الرحيل . اما في حالة السفن المصابة فتحسب العشرة ايام من تاريخ الوصول .

متاعب الطاعون في بوشهر ١٧٩٩

أدى الانتشار البسيط للطاعون الذي حدث في بوشهر في مايو عام الى انتداب الرئيس «رينر» من الهند وذلك بقصد وضع مشروع لمنع مرض الطاعون من الانتشار في بوشهر او منها الى الخارج ، وأدى نشاط موظفي الدائرة الطبية البريطانية في تقصي الوباء في بوشهر وتوقع اتخاذ اجراءات جذرية الى غليان الشعور العام الذي كاد ان يصبح خطيراً في أحد الاوقات . وقد اعطى منذ البداية الداريا بيجي ، رئيس موانئ الخليج حينئذ ، تأكيدات بأن كل الاجراءات الضرورية ستنفذ ، ولكنه عاد فلطف من اسلوبه وقال إنه نظراً لصغر الحامية التي تحت تصرفه

فانه لا يستطيع ان يفعل شيئاً لمواجهة المعارضة العامة . وفي ٣١ يونيو حدثت تظاهرة في بوشهر نجم عنها تحطيم شبابيك مكتب التلغراف الايراني ، والقاء الحجارة على دار الاعتماد البريطانية ، ولكن معظم المتظاهرين كانوا من الاحداث ، كما ان مجتهدي المدينة زوّدوها عن طيب خاطر بحراس لحماية الاوروبيين من المضايقة . وسرت شائعات بأن طلبات للمساعدة في مكافحة اجتياحات الطاعون قد ارسلت الى زعماء داشتشار وان الوزير البريطاني المقيم في طهران اصدر تعليماته الى المقيم البريطاني لاحضار سرايا من الجنود الهنود من جاشك وشهبار الى بوشهر اذا ما دعت الحاجة لذلك . وقد ازداد الشعور بازدياد الازمة ، وعقدت الاجتماعات في بعض المساجد ، ولكن في ٣ اغسطس هدأ الاضطراب بفضل تهديدات الداريا بيجي الذي حصل على بعض الرجال من «ربجالي» و «شبنكاره» و «داشستان» ، وفي ٤ اغسطس اعيد فتح السوق الذي كان مقفلا . وفي اكتوبر جلد بعض زعماء المتمردين بناء على اوامر الرائد « ميد » المقيم البريطاني ، كما نفي آخرون من المدينة . وعندما همد الطاعون في ذلك الوقت في بوشهر ولم يظهر ثانية توقف تنفيذ الاجراءات الوقائية ، وفي فبراير ١٩٠٠ عاد الرئيس «رينر» الى الهند .

الاستبدال الجزئي للاحتجاز بالاشراف ولكن دون الاستمرار به ١٨٩٩

وفي يوليو عام ١٨٩٩ اصدرت الحكومة الهندية تعليماتها الى الرائد «ميد» بأنه ينبغي استبدال الاشراف لفترة محدودة في بوشهر والموانئ الاخرى بعملية الاحتجاز تحت الملاحظة بالنسبة لجميع فئات الاشخاص الذين يجب التأكد من تفتيشهم اليومي ، وقد أدى ذلك الى اعفاء المسافرين من الدرجة الاولى والثانية وخدمهم من الاحتجاز ، وكان لهذا التباين في المعاملةاثره السيء بالنسبة للحكومة الايرانية ففيه تفضيل للاوروبيين ، وأصبح من الضروري العودة الى الاحتجاز بدون تمييز في الدرجة .

نتائج عامة حتى ١٩٠٣

لقد سارت التنظيمات في جميع الموانئ الايرانية بهدوء من ١٨٩٧–١٩٠٣ ، هذا اذا استثنينا المتاعب الطفيفة في بوشهر في العام ١٨٩٩ ، ولم تكن باهظة التكاليف وصانت البلاد من العدوى . وكانت نفقات الموظفين الخاصين ومصروفات الطوارئ بالنسبة للحكومة الايرانية في المحمرة ولنجة وبندر عباس تقل عن ١٠٠ جنيه شهرياً . أما نفقات هيئة الموظفين الخاصة ونفقات الطوارىء والتي بلغت عشرين جنيهاً شهرياً فكانت تتحملها حكومة الهند . وكانت الحكومة الايرانية ممثّلة في الخليج خلال فترة من هذا الوقت بواسطة طبيب من ايران يتولى مراقبة أعمال السلطات الصحية البريطانية في بوشهر وفي أي مكان آخر . وكان اول من عيّن في هذا المنصب شخص يدعى زين العابدين وقد عين سنة ١٨٩٩ ، ولكن حل محله طبيب ايراني آخر ، يعرف باسم صدر الاطباء الذي ظل يصطحب الجراح البريطاني المقيم على ظهر السفن وغير ذلك حتى مايو ١٩٠١ حين سحب .

محاولة لنقل الرقابة من السلطات البريطانية الى الامبراطورية الايرانية ١٩٠٣

وعلى أي حال فقد ثارت بعض الصعوبات في العام ١٩٠٣ نتيجة لنصيحة الوزير الروسي في طهران للحكومة الايرانية بنقل رئاسة العمليات الصحية على الساحل الجنوبي من الموظفين البريطانيين الى دائرة الجمارك الامبراطورية الايرانية التي لم يكن لها علاقة من قبل بالشؤون الصحية ما عدا مسؤوليتها عن جميع الرسوم الصحية وعن انفاق الاموال التي تدفعها الحكومة الايرانية للامور الصحية . وكان الروس منذ البداية قد ابدوا او تظاهروا بابداء اهتمام بالغ بانتشار الطاعون في ايران ، كما ان تعيين الموظفين البريطانيين لحراسة الموانئ الرئيسية قد أقلق مخاوفهم السياسية . وزار الخليج عديد من الاطباء الروس بما فيهم الدكتور

«مارك» من البعثة الروسية في طهران ، والدكتور «اوست» في ١٨٩٧ ، والاطباء «رود جفتز» و «كورنا جسكي» في ١٨٩٨ ، والدكتور «باتشوكوفسكي» الذي بقي بصفة رئيسية في بوشهر من ١٨٩٨ حتى ١٨٩٩ . وفي يوليو ١٩٠٣ حاول موظفو الجمارك في جاشك والمحمرة التدخل في الامور الصحية ، حتى انهم في المحمرة امروا الجراح المساعد ليفرض حجراً على المسافرين القادمين من البحرين بعدما أعلنت سلامة هذه الجزر رسمياً من الطاعون في ١٥ يوليو ، وأصبح معلوماً في أغسطس بأنه قد صدرت الى مسيو نوس وزير الجمارك البلجيكي تعليمات بشأن انتشار الطاعون في البحرين ، ليحقق في كيفية تنفيذ الترتيبات الصحية في الخليج . ويبدو ان مسيو نوس لم يتخذ أي عمل بمقتضى هذا الامر .

احتجاج بريطاني فاشل

وقد صدرت التعليمات للوزير البريطاني في طهران بصفة عاجلة من قبل حكومة صاحب الجلالة بأن يقدم احتجاجاً شديد اللهجة ضد أي تبديل للنظام الذي أدخل بناء على طلب الحكومة الايرانية في العام ١٨٩٧ وليبلغ الحكومة الايرانية بأنه قد تبين بأن موظفي الجمارك غير مناسبين للاشراف على الاعمال الصحية لانهم في حاجة للخبرة ، وان اي تغيير يؤثر تأثيراً ضاراً على التجارة البريطانية والملاحة في الخليج ، تعتبره حكومة صاحب الجلالة أمراً غير ودي ولا داعي له . وقد أجاب وزير الخارجية الايرانية على ذلك بأن ليس هناك نية لطرد موظفي الصحة البريطانية من مراكزهم التي يشغلونها ولكنهم لجأوا الى طريقة التفاصيل غير المقبولة في العلاج في بوشهر ، وأشهروا تراخياً في تحفظاتهم بالنسبة لورود الطاعون من البحرين .

محادثات مسيو بوسير وموظفي الجمارك ١٩٠٤

وفي غضون ذلك انضم الى هيئة موظفي القنصلية الفرنسية في بوشهر الطبيب الفرنسي مسيو بوسير ، وقد عُلم بأنه كان يتلقى علاوات من دائرة الجمارك ، وقد بدأ رحلة رسمية في فبراير ١٩٠٤ على ظهر السفينة

الحربية «برسبوليس» ، وزار المحمرة ولنجة وبندر عباس وميناب .
وفي الوقت ذاته أخذ مدير الجمارك في بندر عباس على عاتقه اصدار أمر اداري حازم للجراح المساعد بتولي المسؤلية عن الميناء ، وفي مايو عام ١٩٠٤ ظهر ثانياً «صدر الاطباء» بعد صمت ثلاث سنوات وبدأ يتدخل بغير اذن في التنظيمات الصحية في المحمرة ، وقابل الجراحون المساعدون بناء على تعليمات من البعثة البريطانية هذه المحاولات للتعدي على صلاحياتهم برفض مهذب للاعتراف بسلطة الجمارك . وفي ١٦ مايو جرت محاولة ذكية لتقويض سلطة الجراح البريطاني المقيم بتعيين مجلس صحي في بوشهر وتعيين مسيو بوسير سكرتيراً له ، وذلك بحجة توحيد إجراءاتهم ضد انتشـــار الكوليرا في البحرين والبصرة وانتشار الطاعون في لنجة ، وقد نجم عن تشكيل هذا المجلس تقسيم مدينة بوشهر الى ثلاثة أقسام ، اوكل احدها الى الجراح البريطاني المقيم والآخر للجراح المساعد والثالث الى مسيو بوسير . وكان واضحاً ان سياسة الطرف المعادي لبريطانيا كانت اثارة التساؤل حول حق الجراح المقيم في توجيه الاجراءات الصحية على السواحل ، وحصر سلطته اذا امكن على الاجراءات الخاصة بالموانئ والشحن فقط . وفي حوالي ٢٠ يونيو ١٩٠٤ نشأت حالة "تحد" حين ذهب بوســير ، دون استشارة الرئيس «كوندن» الجراح المقيم ، لزيارة بعض القرى المصابة بالكوليرا في الاماكن المجاورة لبوشهر والتي فرض عليها الحاكم الايراني في بوشهر الحجر الصحي بناء على طلب الجراح المقيم . وعند عودة مسيو بوسير من جولته في ٢٤ يونيو قابله الرئيس كوندن عند حدود المدينة ودخل بشكل لم يعجبه . وفي نهاية يوليو طلب المدير العام للجمارك ازالة حظائر الحجز التي كان الجراح المقيم قد اقامها في المدينة ، وحظر على القادمين من الريف الدخول مطلقاً بعد ذلك .

وفي اوائل اغسطس اقدم المدير العام حتى على الامر بحجر سفينة أهلية في الميناء مع انه يوجد لديها براءة صحية من موسسة المقيم البريطاني .

احتجاج بريطاني ناجح ١٩٠٤

وبناء على احتجاج الرائد « كوكس » المقيم البريطاني اعيد بناء حظائر الحجز بعد ايام قلائل ، ولكن اجابة المدير العام في رده كانت قاسية للغاية ، وقد بني احتجاج عنيف على هذه الوقائع قدمه سير «ا. هاردنج » الوزير البريطاني في طهران في ٢٢ أغسطس . وكان موقف الحكومة الايرانية متعنتاً إذ تجاهلت النواحي العريضة للمسألة وقالت بأن الشاه يتمتع بحقوق السيادة في الامور الصحية بما يسمح له إصدار الاوامر الى الاطباء البريطانيين بأية وسيلة وحتى بواسطة ادارة الجمارك البلجيكية ، وهذا ما دفع الى التفكير في امكانية ارسال سفينة حربية بريطانية محروسة الى بوشهر تأييداً لاحتجاج الوزير البريطاني . وعلى أية حال فقد رضخت الحكومة الايرانية في اوائل سبتمبر ، واعطت التعليمات لسلطات الجمارك بأن تكف عن التدخل في الامور الصحية . والنص الدقيق لهذه التعليمات غير مؤكد ولكن ربما ادخلت عليها بعض التعديلات عندما القاها مدير عام الجمارك على مسامع مرؤوسيه ، ولكن النتيجة كانت وضع حد لتعديّات الجمارك على صلاحيات الهيئـــات الصحية التي كانت قد بدأت في العام ١٩٠٤ . وفي ١٩٠٥ ارتكب مسيو باسيك القنصل العام الروسي في بوشهر خرقاً فاضحاً للحجر الصحي ، ولكنه وضع هو وبيته تحت الحجر الصحي وطلب اليه حاكم بوشهر تقديم تفسير لتصرفه الى الحكومة الايرانية .

المجلس الصحي الايراني ١٩٠٤

تأسس في طهران في العام ١٨٩٩ ان لم يكن قبل ذلك مجلس اطلق عليه اسم المجلس الصحي ، ووضع تحت اشراف وزارة الارشاد العامة وكان بالاحرى عبارة عن جميعة لمناقشة الموضوعات الطبية اكثر منه فرعاً للادارة العامة ، وسرعان ما توقف عن عقد اجتماعات منتظمة . . واخيراً صدر في يوليو ١٩٠٤ مرسوم امبراطوري بانشاء مجلس دائم

للصحة في ايران على اسس شبه دولية تتاظر ما اقترحه مندوب النمسا — هنجاريا في مؤتمر باريس في العام ١٨٩٤ . وكان على المجلس ان يعقد جلسة كل شهر على الأقل وكانت مهمته مناقشة كل الامور الصحية التي تؤثر على البلاد وان يرتبط بوزارة الداخلية الايرانية . ويمكن اجراء اتصالات مباشرة مع هيئات مماثلة في بلدان أخرى خاصة المجلس الصحي في القسطنطينية والمكتب الصحي العالمي المركزي في باريس الذي اقترحه مؤتمر باريس عام ١٩٠٣ اذا ما وجد مثل هذا المكتب . ومنذ تشكيل المجلس الصحي الايراني كان يضم بالإضافة لممثلي الدوائر الحكومية الايرانية المختلفة ، الاطباء الأوروبيين في البلاط وأطباء البعثات الاجنبية وكان البريطانيون في المجلس اربعة مقابل اثنين من الفرنسيين واثنين من الروس وواحد الماني وواحد تركي . وقد وجه المجلس الجديد اهتمامه للصحة العملية وخاصة الى موضوع الاوبئة وتحسين بعض الامور الصحية العامة وتشكيل مركز للتطعيم وفتح مستشفيات جديدة في بعض المناطق ، ولكن ليست هنالك أية دلائل على نشاطه في الخليج . ويصدر المركز نشرة شهرية عن اعماله ويعتبر جميع الاطباء الاجانب في ايران مراسلين لهذه النشرة . ومنذ ربيع ١٩٠٥ دأب الجراح المقيم في بوشهر والجراحان المساعدان على تزويد المركز من باب اللياقة ، بمعلومات تتعلق بالصحة العامة في المناطق التي يعملون بها . ولكن عرف فيما بعد انه كان هنالك اتجاه يغذيه دكتور شنيدر الطبيب الفرنسي للشاه لتجاهل التقارير الرسمية للجراح البريطاني المقيم وللاهتمام بالمراسلات اللامسؤولة التي كان يبعث بها مسيو بوخير .

افتتاح حكومة الهند صيدلية في بندر عباس ١٩٠٦

افتتحت حكومة الهند في بندر عباس في مارس عام ١٩٠٦ صيدلية مجانية تحت ادارة الجراح المساعد المسؤول عن الحجر الصحي ، وكانت هذه سبيلا لتخفيف آلام الكثيرين من المحتاجين .

اجراءات وقائية في سلطنة عمان
١٨٩٦ ـ ١٩٠٧

لا مبالاة السلطان ١٨٩٧ ــ ١٨٩٨

يجدر بنا بعد ذلك بحث قضية عمان حيث لم يوافق السلطان هناك على اتخاذ أية اجراءات وقائية لمقاومة الطاعون في موانئ مسقط وجوادر الا بعد وقوع ضغط شديد عليه .

واخيراً بوشر ابتداء من ١٣ يناير عام ١٨٩٧ بتطبيق القواعد التي وضعتها لجنة تتكون من موظفي القنصلية الاجنبية في مسقط وممثل السلطان . وجرى ذلك بالنسبة للسفن التي تصل من بومباي وكراتشي الى مسقط وجوادر . وبموجب هذه القواعد كان يحرم نزول الاشخاص والادوات الاخرى غير البريد من السفن المصابة والمشتبه في اصابتها بالطاعون . وقد اشترط بالنسبة للمسافرين بالسفن السليمة ان يحجزوا تحت المراقبة في حرمول التي تبعد ميلا ونصف الميل عن مسقط ، لمدة تسعة أيام تحسب من الوقت الذي غادرت فيه السفينة آخر ميناء مصاب . وقد أصر السلطان على اضافة شرط مضايق وهو ان يتولى بحارة السفن أنفسهم أعمال الشحن وان لا يسمح لعمال الميناء بالصعود الى السفن القادمة من الهند . وقد رأت حكومة الهند ان فترة الملاحظة ينبغي ان تكون عشرة أيام ، ولا يبدو أن السلطان اخذ بهذا الرأي اذ خفضت المدة في اوائل مايو ١٨٩٧ في جوادر الى سبعة أيام تحسب من تاريخ الوصول ، وعندما ظهر الطاعون لاول مرة بوضوح في مسقط في ابريل ١٨٩٩ كانت مدة الحجز ٦ أيام فقط .

السلطان يقوم بعمل مستقل ١٨٩٩

أمر السلطان عند بدء ظهور المرض في عاصمته عام ١٨٩٩ بزيادة فترة الحجز الى عشرة أيام من يوم الوصول الى مسقط . وطلب في الوقت نفسه من الحكومة الهندية ان تتكفل بالرقابة الصحية على ذلك

الميناء نيابة عنه . وقد اقترح الجراح البريطاني المقيم عدد الموظفين اللازمين لهذا الغرض ، وبناء على ذلك استقدم اثنان من المساعدين في المستشفيات من الهند اشترط ان يكون السلطان مسؤولا عن دفع مرتباتهم ، ومع انهم بقوا في مسقط حتى شهر سبتمبر على نفقة الحكومة الهندية الا أنه نتيجة لمعارضة سموه لم تتم الاستفادة من خدماتهم ، ورفض السلطان كذلك ان يقبل رغبة الحكومة الهندية بتغيير فترة الايام العشرة للحجر في مسقط من يوم الوصول الى عشرة ايام من تاريخ الرحيل من الميناء المصاب . وفي ١٨ يوليو عام ١٨٩٩ وبناء على نصيحة القنصل الفرنسي في مسقط رفض السلطان قانوناً جديداً بالتنظيمات التي وضعها العميد «جياكار» جراح دار الاعتماد ، وحتى انه الغى القيود الصحية في مسقط كلها . وفي اغسطس انتشرت الكوليرا في جوادر ، وفي ٢٥ من الشهر نفسه أعيد فرض القيود الصحية في مسقط .

تسليم الترتيبات الى السلطات البريطانية ١٩٠٠

عندما همدت الكوليرا في عمان في العام ١٩٠٠ وتلاها الطاعون في مطرح ومسقط ، حصل السلطان ، بترتيب خاص ، على خدمات طبية من الهند ذات تجربة في مكافحة الطاعون ، ويبدو أنه كان ينوي في البداية مكافحة الطاعون دون الاعتماد على مساعدات أو استشارات خارجية . ولكن بينما كان المرض ما يزال منتشراً حولت حكومة الهند مساعد مستشفيات بشكل موقت الى مسقط ليشارك في مكافحة الطاعون علماً بأنه كان في الاساس موفداً الى مقر نائب القنصل البريطاني في بندر عباس . وقد نجحت حملة التطعيم بين الاهالي كما عالج العميد جياكار مايزيد عن مئتي شخص . وفي الحال عاد السلطان الى طلب الاستفادة من الخدمات الحميدة للوكالة البريطانية التي كان يتولى مسؤوليتها آنذاك الرئيس كوكس ، وبعد فترة طويلة قـــــام السلطان بنقل جميع الترتيبات الوقائية في مسقط الى جراح الوكالة البريطانية في اكتوبر ١٩٠٠ ، كما أنه وضع موظفيه الصحيين تحت

تصرف الجراح البريطاني . وما يزال هذا الاتفاق الودي ساري المفعول حتى الآن (١٩٠٧) ، ومنذ المباشرة بتنفيذه ، وجميع الاجراءات في موانئ سلطنة عمان تنفذ على أسس اتفاقية البندقية للعام ١٨٩٧ . وفي يوليو ١٩٠٣ صدر بيان بموجب مرسوم ١٨٦٧ يقضي بالزام جميع الرعايا البريطانيين المقيمين في عمان بالتقيد بالتنظيمات الصحية التي يصدرها السلطان .

★ ★ ★

اجراءات وقائية في البحرين
١٨٩٦ ـ ١٩٠٧

ان البحرين هي الامارة الوحيدة الرئيسية الباقية التي طبقت فيها اجراءات وقائية . ففي فبراير ١٨٩٧ كان الوضع في البحرين موضع بحث المقيم السياسي البريطاني في الخليج ، ونجم عن ذلك ارسال ممثل غير طبي الى بوشهر لمساعدة الشيخ في وضع نظام مبسط للوقاية الصحية ، وقد عين بعد ذلك ممثل محلي للمعتمد يتبع الجراح المقيم في بوشهر ، ليتأكد بأن الشيخ يقوم بتنفيذ كل الاجراءات التي وضعتها دار الاعتماد وعرضت حكومة الهند تقديم خدمات جراح مساعد لشيخ البحرين ولكن الاقتراح لم يكن مستساغاً كما ان حكومة الهند لم تلح عليه ، وكان اعتراض الشيخ على تقبل المساعدة البريطانية مبنياً في الظاهر على اشمئزاز رعاياه من الاجراءات الوقائية العلمية لمواجهة الطاعون .

وتعضيداً لقوله قدم الشيخ عريضة تحتوي على عدد من التوقيعات ولكن يبدو ان السبب الحقيقي لرفضه يرجع في الغالب الى انه يكره

التدخل البريطاني في الشؤون الداخلية لحكومته كما هو الحال بالنسبة لسلطان عمان . وأنه يرغب في أن يحتفظ بسيطرته على نظام الحجر الصحي المربح الذى سيكون من السهل عليه القاء تبعة فشله على السلطات البريطانية وعلى أية حال فقد كان نظامه عديم القيمة من الوجهة الصحية ، اذ لم يكن في الواقع أكثر من وسيلة للابتزاز ، واخيراً في يونيو عام ١٩٠٠ ، اضطرت حكومة الهند لأن تتدخل لالغائه .

الاجراءات في ١٩٠٣

وعندما انتشر الطاعون في البحرين اول مرة في ١٩٠٣ منعت السفن الاهلية من مغادرة الجزيرة ، ولكن هذا الامر لم يدم طويلا لان البحرين تعتمد كثيراً على ايران من ناحية تزويدها بالمواد الغذائية . ولم يسمح الشيخ بأي عمل صحي منتظم او باتخاذ أية اجراءات على الشاطئ أو في الميناء .

الاستعدادات في ١٩٠٥

وفي أثناء وباء الطاعون الاخير في البحرين في يونيو ١٩٠٥ ارسل مساعد مستشفى ليقوم بالعمل في مستشفى فكتوريا التذكاري في المنامة ، ولو لم يهدأ الوباء قبل وصوله لكان بالامكان الاستفادة من خدماته بالنسبة للاجراءات التي كانت ترغب حكومة الهند في تنفيذها .

★ ★ ★

الشؤون الصحية في الكويت ١٨٩٦ ـ ١٩٠٧

الحكومة الهندية تفتتح صيدلية مجانية في الكويت ١٩٠٥

وفي الكويت حيث لا توجد أية مناسبة للتدخل الصحي من قبل حكومة الهند تم ايجاد صيدلية مجانية في ١٩٠٤ مرتبطة بدار الاعتماد البريطاني السياسي ، وقد أدت لسكان المدينة خدمات طبية لو لاها لظلوا محرومين من كل التسهيلات الطبية .

★ ★ ★

التنظيمات الصحية الحالية في الخليج ١٩٠٧

يمكن تلخيص الوضع الصحي الحقيقي في الخليج كما يلي :

لم يتم تطبيق المشروع الاداري الذي تبناه مؤتمر باريس في ١٩٠٣ للدفاع الصحي عن اوروبا في الخليج ، والعقبات التي تقف في سبيل تنفيذه هي من النوع الذي لا يرتجي انتهاؤه في الوقت الحاضر .

وبالنظر لعدم وجود تنظيم عام فإن النظم المحلية ما تزال بإشراف تركيا وبريطانيا . وفي الموانئ التركية تطبق القوانين الصادرة عن المجلس الصحي في القسطنطينية ، وهي صارمة بشكل لا يتفق ومعاهدة ١٩٠٣ ولا حتى معاهدة ١٨٩٧ ، وبسبب هذه الشدة فانها تفشل نفسها بنفسها .

أما في خارج المناطق التركية فان التنظيمات الصحية ، حيث وجدت تخضع للممثلين السياسيين للحكومة البريطانية ، ويجري تنفيذها بتوافق تام مع مقررات مؤتمري ١٨٩٧ و ١٩٠٣ ، ما عدا في ايران فان الاجراءات الخاصة بالطاعون تنفذ وفقاً لمعاهدة ١٨٩٧ ، ولكن

الاجراءات الخاصة بالتطهير وابادة الجرذان ليست مطبقة كلية في جميع المناطق .

ومنذ يناير ١٩٠٥ ، وبناء على تعليمات حكومة صاحب الجلالة كانت السفارة البريطانية في القسطنطينية على علم مستمر برقياً عن الاوضاع الصحية في موانئ الخليج كما كانت تزود بتقارير مفصلة عن الاوبئة المحلية عن طريق الموظفين السياسيين وموظفي السلك القنصلي في الخليج.

★ ★ ★

الجدري في الخليج

وفي ختام ملاحظاتنا عن الامور الصحية في الخليج ، يمكن ان نلفت النظر الى تردد وقوع الجدري في المنطقة ، بشكل يتخذ في بعض الاحيان حالة الوباء .

١٨٠٢ — ١٨٩١

وفي ابريل ١٨٠٢ أدخل التطعيم الى بغداد بنجاح بواسطة الجراح الوطني للمقيمية البريطانية وكانت مادة التطعيم تصل من فيينا ، وقد امتدت العمليات في الشهر التالي الى البصرة . وفي منتصف القرن التاسع عشر كان مرض الجدري منتشراً بصفة عامة وأثار الرعب الشديد بين سكان الخليج ، وكان المواطنون أحياناً يتقدمون بطلبات الى جراحي السفن البريطانية للحصول على مصل الدم .

١٨٩١ — ١٨٩٣

انتشر الجدري في ١٨٩١ وحصلت معه في الوقت نفسه موجة خطيرة من الانفلونزا تسببت في موت الكثيرين في البحرين والقطيف وجزيرة قشم . وكان المرض حاداً في جوادر حتى ان الخوجات والهندوس رفضوا الموافقة على عزل مرضاهم اوارسالهم الى المستشفى ، وكان ذلك من مارس

الى مايو ١٨٩٢ ، ومن يونيو الى اكتوبر ١٨٩٣ حين انتشر مرض الجدري مع الكوليرا والحمّى المتردده في اعالي القارون .

١٨٩٧ – ١٩٠٣

وفي عام ١٨٩٧ حدث الجدري بكثرة في عمان المتصالح ، وقد سبق وباء الكوليرا الذي جاء في عام ١٨٩٩ الى سلطنة عمان انتشار عنيف للجدري أسفر عن هلاك حوالي ٦٠٠٠ شخص . وفي ابريل ١٩٠٠ عاد المرض الى ساحل عمان المتصالح كله وسبّب طبقاً لما ورد في احد التقارير حوالي ٥٠٠ حالة وفاة في مدينة الشارقة وحدها . وفي ١٩٠١ كان المرض منتشراً في البصرة والمحمرة ، وتسبب في وفاة نسبة عالية من الاهالي بجوار المدينة الاخيرة ، وقد انتشر في بوشهر في شتاء ١٩٠٢–١٩٠٣ . وفي معظم الحالات لم تعرف مصادر نشوء هذه الاوبئة من الجدري أو علاقتها ببعضها البعض .

* * *

ملحـــق س

تجارة الاسلحة والذخائر في الخليج وخليج عمان(★)

تجارة الاسلحة في الخليج أثناء وبعد الحرب الافغانية مباشرة ١٨٧٩ ـ ١٨٨١

خلال الحرب الافغانية الثالثة ، لفتت تجارة الاسلحة والذخائر الحديثة في الخليج الحكومتين البريطانية والهندية للمرة الاولى .

اجراءات وقائية في الهند ١٨٨٠

ففي عام ١٨٨٠ تأكد بما لا يدعو للشك أن كميات كبيرة من قبعات الاصطدام المصدرة من الهند الى ايران قد وصلت للسرايا الافغانية في هرات وأماكن أخرى ، وادراكاً من الحكومة الهندية للأهمية السياسية والحربية للموضوع ، أعطت تعليماتها الى حكومة بومباي بالامتناع عن اعطاء تراخيص لتصدير الشحنات الثقيلة من الاسلحة والذخائر لموانئ الخليج ، وان تراقب بدقة استيراد مثل هذه البضائع الى كراتشي والساحل العربي . وفي الاول من اكتوبر من السنة نفسها اذاعت الحكومة الهندية بياناً جعلت بموجبه حجز شحنات الاسلحة والذخائر الحربية المرسلة الى الخليج ودول اخرى في الموانئ الهندية عملا مشروعاً .

---

(١) جميع هذا الملحق من سجلات الادارة السياسية التابعة للحكومة الهندية ، وقد تمت النسخة الاصلية في مايو عام ١٩٠٦ ، وراجعها حينئذ الرائد « ب. كوكس » المقيم السياسي في الخليج ، وكذلك « و. جراى » الوكيل السياسي في مسقط والعقيد « س. ج. كنكس » الوكيل السياسي في الكويت ، والمستر « ف.ي. كرو » القنصل في البصرة . وقد راجع المسوده في طهران وبيشاور مندوب بلاط صاحب الجلالة ومندوب حكومة شمال غرب المقاطعة المتاخمة للهند .

تحريم تجارة الاسلحة في ايران ١٨٨١

وفي غضون ذلك ، أُقنِعت الحكومة الايرانية بمنع تصدير قبعات الصدام من ايران ، وأُصدرت تعليمات في هذا الشأن للسلطات المحلية في بندر عباس وبامبور وكرمان ويزد ، وخراسان . ويبدو ان الحكومة البريطانية بعد هذا سرعان ما شعرت باهتمام الجانب الايراني ببحث الموضوع . ففي ١٨٨١ وبناء على تعليمات من الشاه اصبح استيراد الاسلحة والذخائر الى البلاد غير مشروع ، واصبح مرسوم الحظر ساري المفعول في بوشهر في حوالي اول يوليو ١٨٨١ . كما ان المقيم السياسي هناك لفت انتباه البيوت التجارية الرئيسية التي تقوم بهذه الاعمال تحت الحماية البريطانية بالتغييرات القانونية الجديدة .

★ ★ ★

التطور التدريجي لتجارة الاسلحة ١٨٨١ ـ ١٨٩١

البدء في المحمرة وبوشهر

لم توجد في الخليج في أي وقت تجارة أسلحة منظمة على نطاق واسع ، وخلال سنين عديدة لم تلاحظ أية دلائل هامة على توسع هذه التجارة . وفي عام ١٨٨١ استورد التجار الفرنسيون في المحمرة شحنة من الذخائر والبنادق التي تعمر من الخلف وقد استولت عليها السلطات المحلية اولا ولكنها اعيدت الى اصحابها فيما بعد وبيعت .

وكان من اول رواد الحركة التجارية في بوشهر شركة «ا. و. د . ج. مالكولم» ، وهي شركة ايرانية ارمنية تحت الحماية البريطانية . وبدأ السادة «مالكولم» في استيراد الاسحة عام ١٨٨٤ ، وتلاهم السادة «فرانسيس وشركاهم» وهم شركة انجليزية ايرانية تأسست اول وكالة لهم في بوشهر عام ١٨٨٧ .

معاهدة بركسل وتجارة الاسلحة الافريقية ١٨٩٠

كانت تجارة الاسلحة في الساحل الشرقي لافريقيا ملحقة بتجارة الرقيق ، وقد ضربت ضربة قاضية بالقرار العام لمؤتمر بروكسل ، في ٢ يوليو ١٨٩٠ الذي تبنّته بصفة رسمية الحكومة البريطانية في ٢ ابريل ١٨٩٢ . ونتيجة لانكماش السوق الافريقية اضطر المنتجون والمصدرون أن يبحثوا عن سوق لبضائعهم ولسوء الحظ كانت النتيجة ان تحولت تجارة الاسلحة الى الخليج الذي يقع كله فوق الخط عشرين الموازي لخط العرض الشمالي ، وهذا غير خاضع لشروط الاسلحة التي وردت في قرار معاهدة بروكسل ، وكان التحول قد بدأ قبل اغلاق السوق الافريقية اذ نجد ان السلطات الهندية في بومباي رفضت السماح بتصدير ١٤٧٧ بندقية و ٤٤ مسدساً ٣٢٠٥٠ طلقة نارية من زنجبار الى البحرين في عام ١٨٨٨ .

حظر التجارة في جوادر ١٨٩١

كان استيراد الاسلحة في مسقط كبيراً في هذا الوقت ، ثم طرحت مسألة ادخالها الى الولايات الغربية في الهند على بساط البحث ، ولكن التحقيق أظهر أنه لا يوجد خطر حقيقي ، واعتبر ان اشرافاً يمارسه الوكيل السياسي البريطاني في مسقط على هذه التجارة يكفي في الوقت نفسه كذلك لفت الانتبـــاه الى التسهيلات التي زعـم بوجودهـا لاستيراد الاسلحة والذخائر عن طريق جوادر وبندر عباس الى الافغانيين والاقاليم التي على حدود الهند ، وقد استقصى الامر السير «رمبر ساندمان» ممثل الحاكم العام في بلوخستان بناء على اوامر الحكومة الهندية .

وقد تبين ان عدداً من البنادق والمسدسات قد صدر من مسقط الى جوادر وشهبار ، وبصورة أقل الى اورماراه ، الا انها في الغالب كانت مواسير بنادق خفيفة الحمولة زهيدة القيمة ، وصلت مسقط من زنجبار ،

وقيل انها من انتاج امبركي ، وكان العدد الذي استوردته جوادر حوالي ٣٠٠ سنوياً . ولم يثبت وجود تجارة منتظمة مع افغانستان اذ كان التجار في هذا الوقت ينتقلون في جنوب بلوخستان ، ولكن تبين ان بعض الاسلحة أخذت طريقها الى داخل البلاد حتى خران . وقد كان هنالك ايضاً استيراد للرصاص من بومباي . ولمواجهة الصدام على ساحل مكران خاصة من بومباي . ولمواجهة الخطر الكامن في مكران منع سلطان عمان ، بناء على طلب الحكومة الهندية ، تصدير الاسلحة والذخائر واستيرادها في جوادر بإصدار اعلان بذلك في ٣٠ مارس ١٨٩١ .

تجديد الحظر في ايران ١٨٩١

وفي السنة نفسها اعيد في ايران تجديد المرسوم الذي أصدره الشاه بالحظر عام ١٨٨١ في لهجة شديدة وواضحة . ويبدو ان ذلك كان نتيجة للمخالفات القانونية التي وصلت الى علم السلطات عن تجارة الاسلحة التي يقوم بها التجار البريطانيون والايرانيون في طهران .

★ ★ ★

انتعاش تجارة الاسلحة ١٨٩١ ـ ١٨٩٧

الشحن المباشر من اوروبا وانتعاش سوق مسقط

استمر تدفق الاسلحة من زنجبار الى مسقط في تزايد ، وقدر عدد الاسلحة النارية التي أنزلت الى ميناء مسقط بين ابريل ١٨٩٠ ويونيو ١٨٩٢ بما لايقل عن ١١,٥٠٠ قطعة ، وظهر أن جزءاً كبيراً قد أحضرته السفن التجارية التابعة لسلطان زنجبار كما ان التجار الخوجا الثلاثة

الرئيسيين في مطرح كانوا متورطين في هذه التجارة ، وبدأ الشحن المباشر من أوروبا ايضاً .

وفي نهاية عام ١٨٩٠ ، استوقفت في كراتشي ارسالية من ٤٢٠ قطعة من الاسلحة النمساوية والمجرية كانت في طريقها الى تجار الخوجه في جوادر . وكان اكثر من نصف الاسلحة التي يصل في هذا الوقت يعاد تصديره من مسقط الى الكويت والبحرين وموانئ أخرى في الخليج . وهكذا تطورت مسقط في هذا الوقت المبكر لتصبح سوقاً رئيسية للاسلحة في الشرق الاوسط .

أول حظر على تصدير الاسلحة من عمان لافريقيا ١٨٩٢

وكانت بعض الاسلحة تنقل أيضاً من مسقط الى صور وأماكن أخرى على ساحل عمان ، وبدأت الشكاوى تصل عن طريق زنجبار بشأن عمليات التصدير من مسقط الى الصومال وبنادر بسواحل افريقيا . ورغم انه لم يكن ثمّة ما يثبت ذلك بوضوح الا ان السلطان اراد ان يبدد شكوك الحكومة البريطانية وذلك باصدار امر مؤرخ في ٣٠ ابريل عام ١٨٩٢ بمنع اعادة تصدير الاسلحة الواصلة الى مقاطعاته من ذلك الاقليم الى افريقيا . ولكن السلطان خشي بأن ذلك قد يؤدي برعاياه للبحث عن الحماية الفرنسية البحرية بشكل متزايد . لذلك لم يكن يوافق على قيام الجنود البريطانيين بتفتيش السفن العمانية ، وهكذا ظل الامر حبراً على ورق .

نمو التجارة في مسقط

واستمرت التجارة في مسقط في التوسع عاماً بعد عام ، حيث إنها كانت مباحة من كل جهة ، كما أنها كانت محل الاهتمام الزائد من السلطان الذي كان يحصل منها على ارباح طائلة نتيجة الرسوم المفروضة على الاسلحة . وفي حوالي العام ١٨٩٥ بدأت التجارة تأخذ شكلا هائلا فقد قدرت واردات ١٨٩٥–١٨٩٦ الى مسقط بحوالي ٤٣٥٠ بندقية ،

و ٦٠٤,٠٠٠ خرطوشة ، وفي عام ١٨٩٦–١٨٩٧ كانت الاحصائية تقدر بحوالي ٢٠,٠٠٠ بندقية ومعها عدد مناسب لها من الخرطوش .

نمو التجارة في ايران

ولم توجد أية دلائل على النقص في نمو التجارة في ايران ، مع انها كانت هناك محرمة قانونياً منذ عشر سنوات بصفة مطلقة . ففي العام ١٨٩٢ او ١٨٩٣ استورد التجار الوطنيون ، في بوشهر ، حوالي الف بندقية من نوع «مارتيني هنري» من الكويت . وفي ديسمبر عام ١٨٩٣ أرسلت شحنة من لندن الى مسقط وتتكون من ٢٢٠ من بنادق «سنايدر» و ٤٠ من بنادق «مارتيني هنري» و ٤ صناديق من الذخيرة ، وقد ضبطت في بوشهر بناء على أمر الحكومة الايرانية ، ومرة أخرى في العام ١٨٩٥ وصلت الى بوشهر شحنة ضخمة من الاسلحة بطريق البحر ، ووقعت في أيدي السلطات الايرانية وعلى أية حال كانت عمليات الضبط قليلة ، وبصفة عامة كانت الاسلحة والذخائر الممنوعة تشق طريقها بسهولة الى ايران عن طريق دفع رشاوى للموظفين الايرانيين ، واستمر عدد من البيوت التجارية بما فيها العديد من ذوي الجنسيات البريطانية في الاشتغال بهذه التجارة . ولم يؤثر تعيين ضابط ايراني في يناير ١٨٩٦ تحت اسم «امين الاسلحة» ، في الحركة التجارية ، وسرعان من تبين ان الغرض الحقيقي من وظيفته هو وقف تيار الرشاوى التي يدفعها تجار الاسلحة لكبار الموظفين الايرانيين او حتى للحكومة الايرانية ذاتها . وقد أحرزت بوشهر تقدماً عظيماً في ذلك الوقت بالنسبة لتجارة الاسلحة والذخائر في مينائها ، وقد قدر في العام ١٨٩٧ ان ما لا يقل عن ٢٠,٠٠٠ بندقية وصلت اليها ، وقد حصل الحاكم المحلي بفضل ذلك على رسوم بنسبة تتراوح من ٨ الى ١٠ بالمئة من قيمتها(١) . وأصبحت شيراز مركزاً

(١) أو حتى أكثر فقد كانت تكاليف البندقية الواحدة من ١٠ر٣ جـ٠ك الى ٤ جـ٠ك ، وكان قيمة ما يدفع للحكومة عن كل بندقية هو ٢ جـ٠ك، وكان سعر البيع يتراوح من ٨ الى ١٠ جـ٠ك ٠

هاماً للتوزيع يعتمد على بوشهر ، كما أصبحت قبيلتا «الكشكية » و « التنجستانية » مسلحتين تماماً . وتطورت البحرين لتصبح سوقاً تجارية ثانوية الاهمية للاسلحة والذخائر مع انها كبيرة .

المنتفعون بالتجارة

في هذا الوقت كانت الاسلحة والذخائر التي ترد الى مسقط بريطانية الصنع ، باستثناء عدد من البنادق البلجيكية المصنوعة في ليج وبعض الاسلحة الفرنسية وقد كانت التجارة بصفة رئيسية في أيدي شركة جويس و كينش . وكان حوالي ثلثي الشحنات يصل مباشرة من المملكة المتحدة والباقي يصل عن طريق بوشهر ، وعلم ان المانيا منعت رعاياها من التعامل في تجارة الاسلحة في مسقط على اساس أن قرب ذلك المكان من المنطقة المحظورة بموجب معاهدة بروكسل يهدد تنفيذ المعاهدة ، ولكن المعلومات الدقيقة حول هذه النقطة ليست متوافرة .

شكل الحركة التجارية في مسقط

وأصبحت كل الاسلحة التي في مسقط الآن من النوع الذي يعمر من قاعدته ، لان النوع الذي يعمر من فوهته لم يعد يباع في كل من الجزيرة العربية وايران . وكان بعضها يعطى الى رجال القبائل في داخل عمان ، والبعض الآخر للضيوف القادمين من أجزاء أخرى من الخليج ، والبعض الى ناخوذات سفن الشواطئ ، ولكن الكمية الكبيرة كانت تشحن من جديد الى عمان المتصالح والبحرين وقطر والكويت ، أو تهرب الى الاقاليم الايرانية والتركية في الخليج مخبأة في بالات البضائع وصناديق الحلوى او الليمون الجاف في حين كان بعضها يرسل الى الموانئ الصغيرة على البحر الاحمر حيث لا توجد دور للجمارك .

تجارة الخليج تثير اهتمام الحكومة الهندية
١٨٩٦ ـ ١٨٩٧

لقد وضحت اهمية تجارة الاسلحة في الخليج بالنسبة لحكومة الهند أثناء الحرب الافغانية ولكنها انخفضت لفترة ما ، على أية حال . ففي نهاية العام ١٨٩٦ أصبحت السلطات الحربية الهندية شغوفة بمعرفة الجهة التي تتدفق اليها الكميات الهائلة من المـــواد الحربية في الخليج وقد دلّت الاستقصاءات المحلية ان حوالي ٦٠ بالمئة من المواد المستوردة تجد طريقها الى الاراضي الايرانية ، وحوالي ٢٥ بالمئة تمتصها الاقاليم الخاضعة للحكومة التركية في الخليج ، والـ ١٥ بالمئة المتبقية بواسطة البلاد العربية غير الخاضعة لتركيا .

وفي عام ١٨٩٧ اقترح سلطان مسقط رفع الضريبة على الاسلحة والذخائر المستوردة الى مسقط بنسبة تزيد عن ٥ بالمئة من القيمة المتفق عليها في المعاهدات التجارية مع الدول الاوروبية وذلك بحجة أنه يرغب في الحد من تجارة الاسلحة التي تشكل خطراً على سلامة واستقرار حكومته التي هزتها ثورة سنة ١٨٩٥ هزة عنيفة ، ولكن في الواقع كان يهدف الى زيادة عائداته الجمركية من وراء ذلك . ونظراً الى الحد الذي يمكن ان تفرضه هذه الاجراءات على تجارة الاسلحة اقترحت الحكومة البريطانية على الحكومة الفرنسية تعديل الاتفاقيات بشكل واضح يسمح بزيادة الرسوم المفروضة على الاسلحة الى سبعة ونصف بالمئة ولكن الاقتراح لم يكن موضع قبول لدى فرنسا فطرح جانبا . غير أن السلطان سرعان ما اتخذ زمام المبادرة فرفع معدل الرسوم الى ٦ بالمئة واستمر في ذلك دون اي احتجـاج من جـانب التجـار او اية حكومة أجنبية . وبعد مضي أقل من ستة شهور على الاستقصاء الذي عمل بناء على طلب السلطات الهندية الحربية ، اثارت الاضطرابات القبلية في عام ١٨٩٧ على الحدود الهندية الافغانية فجأة مشكلة تجارة

الاسلحة في الخليج بشكل واضح جداً ، وعرض الرأي الذي يقول بأن جزءاً من الاسلحة القبلية أمكن الحصول عليه من الخليج . وعلى أية حال ودون انتظار لايجاد أدلة قاطعة بأن الحدود الهندية قد تأثرت تقرر اتخاذ اجراءات ضد تجارة الاسلحة غير العلنية بين انكلترا وايران ، وهو شر ليس قليل الاهمية في حد ذاته .

★ ★ ★

مهاجمة الحكومة البريطانية لتجارة الاسلحة ١٨٩٦ ـ ١٨٩٧

خطوات تمهيدية في إيران

وقد تحركت الحكومة الايرانية لهذا الغرض عن طريق السيد «س. هاردنج» القائم بالاعمال البريطاني في طهران آنذاك ، وذلك باتخاذ خطوات لتنفيذ القانون الصحيح ، ولمصادرة مخازن الاسحة المستوردة الى بوشهر بطريقة غير شرعية متراكمة فيها . وقد لقيت الاقتراحات البريطانية ترحيباً عظيماً لدى الحكومة الايرانية التي كانت متحفظة جداً حيال المستوى الذي وصلت اليه تجارة الاسلحة ولم تكن مخاوفهم دون مبرر ففي المناطق المجاورة ، وخاصة بوشهر ، لا تجد شخصاً على جانب من المكانة الاجتماعية او يريد الرواج دون بندقية .

وغالباً ما كانت قبائل التانجستان المسلحة تسليحاً ثقيلا تقفل طريق بوشهر ـ شيراز ، كما أنه كان بإمكان هذه القبائل اذا ما اتحدت فيما بينها أن تستولي على مدينة بوشهر نفسها . وقد علق أحد الايرانيين على ذلك بقوله : أصبحت «المرتينه خان» هي الشاه الذي يحكم ايران .

وفي ١١ ديسمبر أعلنت الحكومة الايرانية أنها أعطت اوامرها باجراء المصادرات ، وفي ١٥ ديسمبر ذهبت إلى حد الموافقة على وجوب

تفتيش جميع السفن التجارية التي ترفع العلم الأيراني من قبل الجنود البريطانيين بحثاً عن الاسلحة والذخائر ، على ان تسلم البضائع المهربة الى السلطات الايرانية . وقد انضمت الحكومة الايرانية الى الحكومة البريطانية في تقديم طلب لسلطان عمان بأن يحذر رعاياه من ان تصدير الاسلحة الى ايران عمل غير مشروع وان تخول السفن الحربية البريطانية سلطة تفتيش السفن البريطانية والايرانية والعمانية في مياه عمان الاقليمية ، وان تستولي على حمولات الاسلحة المملوكة للرعايا البريطانيين او الايرانيين أو العمانيين التي توجد على ظهر السفن اذا كانت مخصصة للاستيراد غير المشروع في ايران .

تنظيمات اولية في عمان

وبناء على التفاهم الانجلو ايراني تم الاتصال بسلطان عمان عن طريق الرائد «ميد» المقيم السياسي في الخليج وقتئذ ، الذي أفلح بمشقة في تأمين نظام حكومة مسقط في وجه تخوف السلطان من ان يؤدي التدخل في تجارة الاسلحة الى نقص في عائداته الجمركية ، وقد أذاع السلطان في ١٨٩٨ بياناً واعلاناً بالمعنى المطلوب تطبيقه على الرعايا والسفن البريطانية والايرانية والعمانية على حد سواء .

الحكومة الايرانية تضبط أسلحة في بوشهر

وعينت الحكومة الايرانية «ملك التجار» ، الحاكم السابق للميناء ضابطاً لمكافحة التهريب على أساس شرط عجيب وهو اعطاؤه ثلث ما يصادره من الاسلحة بوسيلته الخاصة مكافأة له على جهوده ، وقد بدأت العمليات في ٧ ديسمبر بالاستيلاء على ١٥٠ بندقية و ١٤٩,٠٠٠ خرطوشة خاصة بشركة السادة فراسيس وتايمز وشركاهم . وظل التفتيش مطبقاً بصورة متقطعة في بوشهر حتى مارس ١٨٩٨ عندما بلغ ما تم الاستيلاء عليه نحو ٥,٢٣٩ بندقية ، و ١,٢٤١,٢٥٣ طلقة نارية ، وقد اعيد جزء من المضبوطات بعد ذلك على اعتبار انها انزلت خطأ في بوشهر

او لأنها تخص رعايا غير بريطانيين او ايرانيين . وقد كانت ٤٠٠٠ بندقية و ٩٣٣,٢٩٤ طلقة نارية من الاسلحة المضبوطة التي تخص في الغالب شركة فراسيس تايمز وشركاهم هي ملك لشركات تجارية تحت الحماية البريطانية ، اما الباقي فكان في غالبيته يخص التجار الايرانيين .

وقد حدث بعض الهيجان في بوشهر أثناء عمليات المصادرة . ومع ان معظم الخسائر وقع على الرعايا الاجانب كان هنالك خطر من اضطرابات شعبية . وقد ارسلت الاسلحة المصادرة الى طهران فيقافلة في ابريل ويونيو ١٨٩٨ وقد كان هنالك تخوف في بادىء الامر من انه بعد ان اصبحت تجارة الاسلحة مستحيلة بالنسبة للشركات التي تقع تحت ألحماية البريطانية فقد يسمح بها للرعايا الايرانيين والاجانب من غير البريطانيين ولكن الشـــاه أصدر أمراً يفرض تطبيق القانون بشـــدة على جميع الجنسيات على حد سواء ويظهر ان الامر نفذ بكل دقة بشكل لم تعهده ايران من قبل .

السفينة الملكية «لابوينج» تستولي على السفينة «بلوخستان» في مياه عمان في يناير

وفي مسقط اتخذ اجراء كان بمثابة ضربة ناجحة في صدر السفينة «بلوخستان» ذات الحمولة الكبيرة التي تقدر بحوالي ٢,٤٠٩ أطنان والتي تملكهـــا شركة « ف. سي. سترك » وهي شركة أنجـــلو عربيـــة وايرانية في لندن . وكانت غادرت اوروبا في نهاية العام ١٨٩٧ ، وكان معروفاً أنها تحمل على ظهرها حمولة من الاسلحة والذخائر ، مرسل بعض منهـا الى الموانئ الايرانية ن وقـد وضعت ترتيبات لتفتيشها في المياه الاقليمية لعمان بناء على الاعلان الصادر عن السلطان في ١٣ يناير ١٨٩٨ . وفي صبيحة يوم ٢٤ يناير ١٨٩٨ اوقفت السفينة لابوينج بقيادة القائد البحري كار «بلوخستان» خارج ميناء مسقط وعلم أنه خلال الرحلة حدث تغيير في الجهة التي سترسل اليها الاسلحة من ايران الى مسقط ،

الا أن هذا لم يؤثر على عملية ضبط السفينة لذلك تم انزالها وكانت ٧,٨٥٦ بندقية و ٧٠٠,٠٠٠ طلقة نارية من الذخيرة ، وقد اودعت مخازن القنصلية البريطانية .

وقد حدثت متاعب غير متوقعة وذلك لان السلطان رفض اجراء محاكمة للذين قبض عليهم في السفينة مع ان الاستيلاء كان بناء على اوامره واراد على ما يبدو أن يلقي المسؤولية على الحكومة البريطانية . ولكن تم في النهاية تذليل هذه الصعوبة وتوصلت المحكمة التي عينها الى استنتاج مفاده ان الاسلحة المقبوض عليها كانت متجهة الى موانئ ايران ، وان التغيير في الجهة المعينة للرحلة لا يحول دون عملية الاستيلاء ، وان الاستيلاء كان بناء على اعلان السلطان في ١٣ يناير ١٨٩٨ ، ومن ثم فقد كان قانونياً من جميع الوجوه .

وقد بقيت الاسلحة والذخائر المصادرة مودعة في القنصلية البريطانية حتى ربيع ١٩٠٠ ، حين تمت تسوية جميع الجوانب الايرانية للقضية ، ثم قدمت هدية الى السلطان . وفي أثناء هذا الوقت عانت البنادق الكثير من الاهمال حتى إن قيمتها أصبحت لا تزيد عن ٢٥ روبية للقطعة الواحدة ولكن السلطان كان راضياً عن الاستجابة لمطالبه التي أكدها كثيراً رغم أن حكومة الهند كانت تشك في صحة هذه المطالب .

★ ★ ★

استيلاء شيخ البحرين على اسلحة بلجيكية لشركة فراسيس وتيمز وشركاهم ١٨٩٩

لقد سبق وتحدثنا عن نمو مستودع الاسلحة الثانوية في البحرين وبعد الاستيلاء على الاسلحة في بوشهر ومسقط حدثت عملية مصادرة بناء على اوامر الشيخ في ظروف لا بد من توضيحها .

تأسيس احتكار تجارة الاسلحة في البحرين ١٨٩٦

. في العام ١٨٩٥ عندما هدد العرب البحرين من البر لم يكن في الامارة الا مئة بندقية ، مما جعل الحاكم يشعر بضعف مركز بلاده . وفي ٢١ يناير ١٨٩٦ أصدر الشيخ اعلاناً مبهماً بمنع استيراد الاسلحة النارية إلى البحرين ، وأن المخالف سوف يتعرض الى عقوبة الغرامة التي تساوى ربع قيمة الاسلحة او رسم جمركي خاص الا أنه سرعان ما منح اعفاء خاصاً او احتكاراً لصالح وزيره عبدالرحمن بن عبدالوهاب وكان هذا الامتياز لمدى حياة المستفيد ولكن شرط أن لا تباع الاسلحة للمواطنين في البحرين وقطر والساحل العربي ما عدا ساحل عمان . أما الشرط الاساسي فكان القصد منه تأمين تزويد الشيخ بالأسلحة ، وذلك بأن يتعهد صاحب الامتياز بدفع ضريبة سنوية عبارة عن ٣٠ بندقية مارتيني و ٦٠٠٠ طلقة نارية بالاضافة الى ضريبة جمركية عينية بنسبة ثلاث بنادق عن كل مئة بندقية ، ومئتي طلقة نارية بالنسبة لكل بندقية .

فراسيس وتيمز وشركاهم يؤسسون اعمالا ضخمة

وقد نقل الوزير امتيازه بلا تأخير الى الآغا محمد رحيم ، التاجر العربي المحترم لدى الممثل السياسي لبريطانيا في الجزر ، والذي نقل بدوره الامتياز كلية على اساس شروط معينة لاقتسام الربح الى الشركة الايرانية فراسيس وتيمز وشركاهم ذات السمعة المشبوهة والتي قدرت ارباحها من تجارة الاسلحة في الخليج في منتصف ١٨٩٧ ، بمبلغ لا يقل عن ٤٠,٠٠٠ جنيه .

وكانت هذه الشركة المذكورة قد انشأت اول وكالة لها في الخليج في بوشهر في العام ١٨٨٧ ، واقام احد الشركاء هناك في العام ١٨٩١ وفي ١٨٩٥ افتتحت الشركة وكالة في البحرين تحت ادارة الآغا محمد رحيم .واخرى في العام ١٨٩٦ في مسقط تحت ادارة «دامودار دهارامسي» وفي يوليو ١٨٩٦ بعد تأسيس احتكار البحرين حاولت شركة

فرسيس وتيمز وشركاهم الحصول على رسالة توصية من المقيم البريطاني في بوشهر الى شيخ البحرين ، الا أنهم عندما رفضوا الامتناع عن الاتجار بالاسلحة رفضت المقيمية البريطانية استخدام مساعيها الحميدة .

وعلى اي حال لم يردع غياب الصفة الرسمية الشركة من تأسيس اعمالها ، وبموجب الامتياز الذي حصلت عليه ازدادت حركة تجارة الاسلحة في البحرين بسرعة عجيبة ، وقد ارتفعت قيمة الواردات من (١٤,٨٥٠) روبية في العام ١٨٩٤—١٨٩٥ و (٩٥,٤٠٠) روبية في العام ١٨٩٥—١٨٩٦ الى (١٤٢,٨٨٠) روبية في العام ١٨٩٦—١٨٩٧ و (٤٦٧,٧٩٠) روبية في العام ١٨٩٧—١٨٩٨ . وفي مناسبات عديدة كانت الشحنات تشق طريقها من البحرين الى بوشهر وحتى مسقط ، الا ان غالبية الاسلحة المتجهة الى البحرين كانت تباع للزائرين من بندر عباس ولنجة وطاهري وكانجون وبوشهر والمحمرة على الساحل الايراني للخليج ، وكذلك للمشترين من الكويت ونجد وعمان على الساحل العربي ، وحتى للمواطنين في قطر والبحرين متحدين بذلك شروط الامتياز .

الشيخ يصادر الاسلحة الموجودة في مخازن الشركة ١٨٩٨

وفي ابريل ١٨٩٧ أصبح الشيخ منزعجاً من ازدياد تجارة الاسلحة ، وقد ارسل الوزير بصفة ودية الى آغا محمد رحيم ليخبره بأن العمليات التجارية يجب ان تتوقف لمدة اربعة أشهر ، وبعد ذلك بقليل حدث شقاق فيما بين الاغا محمد رحيم وشركة فرسيس تيمز وشركاهم حول تقسيم الارباح . وفي يناير ١٨٩٨ حجز الشيخ على كل الاسلحة الموجودة في الشركة إما بسبب هذا النزاع واما لوجود مخالفات بيع الاسلحة في البحرين . وكانت الاسلحة المحتجزة تقدر بحوالي ٢٦٦٧ بندقية و (٦٣٧,٥٠٠) طلقة نارية . ولم يكن عمل الشيخ بتشجيع من السلطات البريطانية الا أن الآغا محمد رحيم ربما يكون هو الذي حرض السلطان على ذلك ، لما له من مطالب خاصة ضد شركة فرسيس وتيمز وشركاهم

ولعلمه ان الحكومة البريطانية التي يمثلها أصبحت تنظر الى تجارة الاسلحة بعدم الرضا .

وفي فبراير ١٨٩٨ وصل الرائد « ميد » المقيم السياسي في بوشهر إلى البحرين ، وقام بفحص الاسلحة المقبوض عليها فحصاً جزئياً الا أنه رفض التدخل في الامر إما بتولي مسؤولية الاسلحة كما اقترح الشيخ أو بالضغط للافراج عنها بناء على رغبة السيد فرسيس أحد الشركاء الذي كان موجوداً بالبحرين آنذاك . وفي سبتمبر عام ١٨٩٩ جرت محاولة وردت في تاريخ البحرين ، قام بها أحد المقربين من الشيخ وذلك بقصد التصرف بالاسلحة المصادرة ، مما ادى نتيجة للهجوم على الرعايا الانجليز الهندوكيين الذين شملتهم المحاولة ، الى نوع من العلاقة غير الطيبة بين الشيخ والانجليز الا أن هذه المحاولة لم تؤثر على الموضوع العام للتصرف بالاسلحة .

وأخيراً وفي أبريل ١٩٠٠ عندما كان الآغا محمد رحيم قد توفي أصبح الشيخ راغباً في إعادة الاسلحة الى فرسيس وتيمز وشركاهم . وفي ٢ تونيو ١٩٠٦ أعيدت الاسلحة الى أصحابها وذلك بعد تلف معظمها ، على أساس أن لا تباع في البحرين او قطر او على الساحل العربي

★ ★ ★

الذعر بين التجار والمحاكمات بعد عملية الاستيلاء على الاسلحة ١٨٩٧ ـ ١٨٩٨

أوجدت عملية الاستيلاء على الاسلحة في بوشهر ومسقط والبحرين إحساساً عميقاً وأثارت كثيراً من السخط والقلق بين التجار والشركات التجارية الانجليزية التي تأثرت مصالحها من جراء ذلك . وقد أغرقت وزارة الخارجية في لندن بسيل من الخطابات ، وحوصرت بممثلي المصانع

والمصدرين وأصحاب السفن ووكلاء شركات التأمين البحرية الذين تأثرت مصالحهم .

لقد صورت هذه التجارة السيئة في عبارات مثيرة للعواطف بأنها التجارة الشريفة التي استمرت ما يقرب من عشرين عاماً والتي أصبحت الآن مهددة بالانقراض من قبل الحكومة البريطانية .

وقد تلا هذا اجراءات قانونية ضد موظفي الحكومة . فقد أقامت شركة فراسيس وتيمز وشركاهم الدعوى ضد القومندان كار قبطان السفينة «لابونج» مطالبين بقيمة أسلحتهم التي ضبطت على السفينة في « بلوخستان » ، كما أقاموا دعوى أخرى ضد الرائد ميد بالنسبة للمصادرات التي تمت في بوشهر والبحرين ، فقد زعموا ان ميد وليس السلطات المحلية هو المسؤول عما حدث . وفي كلا الدعويين تكلفت الخزانة بالدفاع ، وكانت النتيجة النهائية مرضية بالنسبة للمدعي عليهم والحكومة . فبالنسبة للدعوى المقامة على القومندان «كار» فقد حكم فيها مجلس اللوردات نهائياً في ٨ يوليو ١٩٠١ بأن هيئة المحلفين البريطانية لا تستطيع ان تذهب ابعد من القرارات التي اتخذتها محكمة مسقط ، التي أقرت بأن الذخائر التي تم الاستيلاء عليها في طريقها الى ايران وان السفينة لم تفعل بذلك شيئاً يخالف قانون مسقط ، وبالتالي فان عملية الاستيلاء قانونية . وبالنسبة لقضية ميـــد أعطي الحكم للمدعى عليه يوم ٢٢ مايو ١٩٠٣ في محكمة السيد «قاضي بجهام» الذي اثنى على الرائد «ميد» لان ما قام به ليس فقط دليل مقدرة وحسن تصرف وانما أيضاً يطابق نصوص القانون .

ونتج عن هذه الاجراءات افلاس شركة فراسيس وتيمز وشركاهم . وقد تحملت شركات التأمين في لندن جزءاً من الخسارة على الاقل ، ولم تتوقف مطالبات شركات التأمين للحصول على تعويض حتى عام ١٩٠٦ عندما رفضتها حكومة الاحرار كما فعلت في السابق حكومة المحافظين .

تجارة الاسلحة تقمع جزئيا رغم المصاعب
١٨٩٥ ـ ١٩٠٥

نتقل الآن لوصف المجرى الذي اتخذته تجارة الاسلحة والذخائر في اعقاب عمليات الاستيلاء التي تمت في ١٨٩٧–١٨٩٨ في المناطق المختلفة في الخليج. وخلال الفترة من ١٨٩٨–١٩٠٥ كان الموقف البريطاني يتميز بالتنبه اليقظ دون اية سلطة للتدخل مباشرة وبفعالية .

منع الشحن في الموانئ الهندية الى الخليج ١٩٠٠

بناء على اشعار بمقتضى قانون الاسلحة المؤرخ في ١٣ ابريل ١٩٠٠ منعت الحكومة الهندية شحنات الاسلحة والذخائر من المرور عن طريق الموانئ الهندية الى الخليج وحالت دون تبادل السفن الذي أصبح غير قانوني في ١٨٨٠ ، ولكن تأثير المنع كان ضئيلا وذلك نظراً لان معظم التجارة كان ينقل بالسفن مباشرة بين اوروبا والخليج من قبل ، لذا لم يكن هنالك أي مانع لعدم نقلها بأجمعها .

قانون تصدير الاسلحة ١٩٠٠

اتخذت حكومة صاحبة الجلالة اجراءقمعياً جديداً في العام ١٩٠٠ بموجب لائحة تصدير الاسلحة التي أقرت في ذلك العام والتي خولت الملك فرض حظر عن طريق الاعلان على تصدير الاسلحة والذخائر من المملكة المتحدة الى البلاد او الاماكن التي قد تستخدمها ضد قوات المملكة المتحدة أو رعاياها . ومنذ أن أصدرت هذه اللائحة أكدت رئاسة البحرية البريطانية بأنه لم يعد للسفن الحربية البريطانية السلطة العامة لتفتيش حتى السفن البريطانية في أعالي البحار . وأنه يمكنها فقط إتخاذ أي عمل ضمن المياه الاقليمية البريطانية بموجب انظمة خاصة او في المياه الاقليمية لايران ، وعمان بمقتضى الاتفاقيات المبرمة مع هذين البلدين ١٨٩٧ ، ١٨٩٨ ، وهكذا أصبح دور الاسطول البريطاني الآن بالنسبة لحركة التجارة محدوداً بعض الشيء .

التجارة في مسقط ١٨٩٨ ـ ١٩٠٥

تجار فرنسيون وروس في مسقط

أما في مسقط فقد ظل استيراد الاسلحة والذخائر مشروعاً ، كما أن تجارة الاسلحة والذخائر في هذا الميناء سرعان ما استعادت قوتها بعد الركود الذي أصابها من جراء عمليات الاستيلاء التي حدثت في ١٨٩٧ــ ١٨٩٨ وذلك كما هو مبين في الملحق رقم(١) الموجود في آخر هذا الملحق . وفي مارس ١٨٩٩ أقام المسيو «جوجير» التاجر الفرنسي في مسقط مع مساعد أوروبي مركزاً يتعاطى فيه تجارة الاسلحة . وفي مقابلاته مع كبار التجار الهنود أوضح لهم أن عملياته التجارية ستكون في منأى عن التدخل البريطاني لانه سيعمد الى تصدير الاسلحة المشتراة منه في سفن اهلية ترفع العلم الفرنسي . وفي مايو عام ١٨٨٩ ذهب السيد جوجير الى البحرين التي رغم ان تجارة الاسلحة كانت محظورة فيها الا أنها كانت تشكل مجالا لتوسيع تجارته . وفي مايو ١٩٠١ بدأت تجارة مسيو جوجير في النمو بسرعة رغم أنها كانت ضعيفة بعض الشيء في البداية بسبب الحاجة الى رأس المال . وفي العام ١٩٠٣ انضمت مؤسسة اوديه التابعة لشركة كيفركوف وشركاه الى قائمة تجار الاسلحة في مسقط وكذلك نقلت مؤسسة جيبوتي التابعة لشركة بيجو وشركاه وكان ذلك في العام ١٩٠٥ .

وعندما بدأت التجارة في مسقط كانت الاسلحة والذخائر المستوردة بريطانية رغم أن جزءاً منها كان من انتاج بلجيكي ، الا أنه في العام ١٨٩٩ــ١٩٠٠ كان سبع الواردات من فرنسا ، وفي عام ١٩٠٥ ارتفعت الواردات من الاسلحة الفرنسية حتى بلغت (٠,٤) المجموع الكلي.

ازدياد التجارة

باع الرعايا الانجليز في مسقط وحدهم ما لا يقل عن ٣,٧٩٢ بندقية في غضون الخمسة أشهر المنتهية في ٣١ أكتوبر ١٨٩٩ ، وقد أجري

تحقيق في السنة ذاتها أظهر أن الاسلحة والذخائر التي وصلت الى مسقط ، بقي منها ٥٪ فقط في سلطنة عمان ، بينما وصل ٤٠٪ منها الى ساحل عمان المتصالح والكويت ، و ٥٥٪ الى موانئ ايران ، وخاصة معشر وهنديان ، ولنجة وبندر عباس ، بنسبة ٢٠ بالمئة لبندر عباس ، و ٣٥٪ للموانئ الاخرى المذكورة . وفي غضون الستة أشهر الاولى من العام ١٩٠٢ كان مجموع البنادق المحصل عليها رسوم استيراد في مسقط يبلغ ٨,٧٣٢ بندقية وبلغ مجموع الخرطوش ٧٢٦,١١٠ . وهناك ما يدعو الى الاعتقاد بأن عدد البنادق المستوردة في العام ١٩٠٤–١٩٠٥ لم يقل عن ٢٠,٠٠٠ بندقية .

خسارة في ذخائر الحكومة البريطانية

يمكن الاشارة بشكل عابر الى أنه تم في ١٨٩٨ تسرب من السفن الملكية البريطانية في مسقط ، حيث تم استعادة (٣,٨٠٠) طلقة نارية من نوع «مارتيني هنري» و (١٠٠) طلقة نارية من نوع «لي ميتفورد» من الاسواق المحلية ، وقد ألقيت التبعة على احد المترجمين المحليين الذي طرد من الخدمة على اثر ذلك .

استحالة العمل الدولي

في العام ١٩٠٢–١٩٠٣ تقدمت حكومة الهند باقتراح يقضي بالاتصال بفرنسا والولايات المتحدة وهولندا وذلك بقصد تعديل المعاهدات التجارية التي كان سلطان عمان يمتنع بموجبها من تحريم تجارة الاسلحة وان تتعهد هذه الدول بأن تعوض حاكم عمان بشكل معقول عن اية خسارة قد تحدث في عائداته الجمركية نتيجة لذلك . ولكن نظراً للعلاقات السيئة بين فرنسا وانجلترا فيما يتعلق بسلطنة عمان حيث إن

مسألة العلم الفرنسي كانت ما تزال سبباً للاحتكاك رأت حكومة صاحب الجلالة انه ليس بالامكان اتخاذ اي عمل من هذا القبيل . وبناء عليه اتخذت اجراءات في مسقط لوضع العراقيل بأية وسيلة ممكنة في وجه تصـــــدير الاسلحة الى البلدان التي تحظر ادخال الاسلحة اليها وقد كانت هذه الفئة من البلدان تشمل عند نهاية العام ١٩٠٢ ليس الهند وايران والمستعمرات التركية في الخليج فقط ولكن أيضاً امارات ساحل عمان المتصالح وامارتي البحرين والكويت والصومال الايطالي والبريطاني ، وبمعنى آخر اتخذ الصراع شكل حملة عنيفة ضد عمليات التهريب من مسقط الى كل الاقطار المجاورة .

تدابير مضادة في مسقط

لقد كان من المعتقد في بادئ الامر بأنه لو كانت هناك درجة ما من السيطرة على التجارة في مسقط ، فان ذلك سيكون له تأثيره على تأخر التجارة . ففي ٢٤ سبتمبر ١٧٩٨ أصدرت القنصلية البريطانية بلاغاً ، بناء على امر المجلس في مسقط ، يقضي بأن يقوم الرعايا البريطانيون باعطاء معلومات بخصوص الاسلحة والذخائر التي يحصلون عليها او يتصرفون بها .

وفي يناير ١٩٠٠ اقنع السلطان بتبني سياسة مشابهة مفادها تزويد القنصلية البريطانية ببيان اسبوعي عن المعاملات المالية لتجار الاسلحة المهمين في عمان . الا ان تجارة الاجانب بقيت بالضرورة دون تسجيل لكن عملية التسجيل بالنسبة للمعاملات المالية للتجار العرب والبريطانيين سرعان ما تبين انها لم تحقق الفائدة العملية بل عرقلت منافستهم مع الآخرين .

وقد كان التصدير يتم بشكل واسع بواسطة السفن المحلية . وقد ذكر في العام ١٨٩٩ انه نادراً ما كانت السفن تغادر دون ان تكون محملة بالاسلحة الى اماكن في الخارج . ولتتمكن سلطات مكافحة التهريب في

سلطنة عمان وغيرها من التمييز بين الشحنات المصدرة بشكل مشروع الى أماكن أخرى في عمان وبين الشحنات المهربة الى ايران أصرّ السلطان في هذا الوقت على وجوب حمل تصاريح للنقل من مسقط الى الموانئ الاخرى في عمان ، ولكن النتيجة لم تكن مرضية ، وكان ميناء مصنعة في الباطنة هو الميناء الحقيقي للاسلحة الذي تسير منه طريق القوافل الى رستاق ونزوة في الداخل ، ولكن تم الحصول على عدد من التصاريح الى صحار ولكنها كانت تستخدم فقط لمنع عمليات الاستيلاء حتى يتم ايصال الاسلحة الى اطراف سلطنة عمان ومن هناك الى ايران دون اي اعتراض . و عندما يكون ميناء مسقط دون حراسة انجليزية كانت اعداد كبيرة من السفن المحلية تغادر الميناء وهي محملة بالاسلحة غير المشروعة ، وقد حدثت بعض عمليات الاستيلاء على الاسلحة غير المرخص بها كان اهمها ما قامت به السفينة الملكية سفنكس التي استولت في الاول من سبتمبر ١٨٩٨ على مركب كويتي وجد انه يحمل ٥٦ بندقية من نوع «مارتيني هنري» و٥,٥٩٦ خرطوشة . وقد صادر السلطان هذه الشحنة الا أن الناخوذه هرب من العقوبة اذ انه أثبت بأنه تركي الجنسية ، وفي أغسطس ١٩٠٣ استطاعت السفينة الايرانية «المظفري» المسلحة الاستيلاء على بعض الغنائم من المهربين في المياه الايرانية الامر الذي جعل التجارة تعاني من ركود موقت ولكن ذلك كان لفترة قصيرة .

التصدير المفترض للاسلحة من مسقط الى الصومال

انتعشت مسألة تصدير الاسلحة من سلطنة عمان الى الساحل الشرقي من افريقيا بفضل الحكومة الايطالية عندما بدأت بادخال الاسلحة الى الصومال ، الا ان وجود تجارة منتظمة لم يكن مستقراً بوضوح كما كان في السابق ، والذي ظهر بوضوح ان الاسلحة التي كانت تصل الصومال كانت تأتي كلها تقريباً من «جيبوتي» . وعلى أية حال ، فقد أسرت سفينة مسقطية في المياه العدنية في العام ١٩٠٢ وهي تقوم بتسليم أسلحة وذخائر الى ملا صومالي .

حظر إعادة تصدير الاسلحة من عمان الى افريقيا ١٩٠٣

وتنفيذاً لرغبات الحكومتين البريطانية والايطالية أصدر سلطان مسقط أخيراً امراً في ١٧ اكتوبر ١٩٠٣ يقضي بتحريم تصدير الاسلحة والذخائر من اراضيه الى الساحل الافريقي والجزر (بما فيها سوقطرة) التي تحت الحماية البريطانية والتي تقع شمالي رأس جواردافوي ، وكذلك الى الممتلكات الايطالية على الساحل الشرقي لافريقيا . وبذلك خول السلطان السفن الحربية البريطانية والايطالية الحق في تفتيش السفن العمانية المشبوهة في أعالي البحار وفي المياه الاقليمية لعمان ، وبذلك ايضاً وضع حداً لانزال عقوبة المصادرة بحق المخالفين ، وبعد ذلك أصدرت القنصلية البريطانية في مسقط تحذيراً مشابهاً الى رعاياها في مسقط .

★ ★ ★

التجارة في ساحل عمان المتصالح ١٨٩٨ ــ ١٩٠٧

تقدم التجارة

كما هو موضح في الملحق رقم (١) في نهاية هذا الملحق يبدو ان نمو تجارة الاسلحة في ساحل عمان المتصالح حدث في اول الامر في الوقت الذي كانت فيه هذه التجارة تشهد نمواً مماثلا في مسقط وصل الى الحد الاقصى من النجاح في العام ١٨٩٦–١٨٩٨ ، الا أنه قد بدأت تلوح عليه عوامل التدهور بعد ذلك ربما بسبب اكتظاظ السوق المحلي وانعدام اتصاله بالاسواق الداخلية المربحة . وفي البداية كانت عجمان هي السوق الرئيسي لساحل عمان المتصالح ، الا ان التجارة أصبحت أخيراً عامة وانتقلت غالبيتها الى دبي . وفي سبتمبر ١٩٠٢ استوردت الشارقة ١٠٠ بندقية ماركة «مارتيني هنري» ، وكذلك استوردت دبي ١٢٠ بندقية ، وأبو ظبي ٨٠ بندقية ، وفي الشهر التالي انزلت ١٠٠ بندقية في رأس الخيمة و ٢٠٠ في دبي .

اتفاقية لاخماد التجارة ١٩٠٣

وفي العام ١٩٠٢ اخمدت الحركة التجارية للاسلحة بعد ان اصبح شيوخ الامارات المتصالحة متخوفين منها لاسباب شخصية ، فعقدت اتفاقية فيما بينهم وبين المقيم البريطاني الرائد كيمبول في ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ نوفمبر ١٩٠٢ ، ثم أصدروا اعلاناً في الوقت نفسه بحظر استيراد الاسلحة والذخائر الى امارة كل منهم وكذلك الشيء نفسه بالنسبة لتصديرها ، والمعروف ان شيخ دبي الذكي هو الذي كان البادئ بذلك (نصوص اتفاقية شيوخ الامارات المتصالحة وصيغ البلاغات في الفصل الثاني لهذا الملحق) .

★ ★ ★

التجارة في قطر والبحرين ١٨٩٨ ـ ١٩٠٥

موضوع قطر

كان الوضع السياسي الفريد لقطر التي تعتبر احد المداخل الرئيسية لوصول الاسلحة والذخائر الى جنوبي نجد ، عائقاً منيعاً يحول دون الاجراءات الوقائية في ذلك الرأس ، ولكن طبقت في البحرين المجاورة لها ترتيبات مقبولة بعد ان تم الاستيلاء على الاسلحة الخاصة بشركة فراسيس وتيمز وشركاهم .

الحظر في البحرين

استطاع الرائد ميد اثناء زيارته للبحرين في فبراير ١٨٩٨ ان يقنع الشيخ بضرورة القيام بعمل ما ، وفي ٣٠ ابريل التالي وقع الشيخ معاهدة مع بريطانيا واصدر إنذاراً صارماً جعل بمقتضاه تصدير واستيراد الاسلحة امراً غير مشروع في البحرين ويعاقب عليه بالمصادرة ، وخولت السفن الحربية البريطانية والايرانية السلطة لتفتيش السفن

البحرينية في المياه الاقليمية البريطانية والايرانية والبحرينية ، وبمصادرة الاسلحة والذخائر التي على ظهرها اذا كانت متجهة للهند او إيران او البحرين . (الملحق ٣ لهذه الفصول يحتوي على نصوص الاتفاقية والامر والانذار) .

وبعد ان اصبح هذا الحظر ساري المفعول ، قام موظف الشيخ من وقت لآخر بعدة عمليات استيلاء صغيرة على أسلحة مهربة .

★ ★ ★

التجارة في الكويت ١٨٩٨ ـ ١٩٠٥

بداية التجارة

لم تبدأ تجارة الاسلحة في الكويت الا بعد اعتلاء الشيخ مبارك كرسي الحكم هناك في العام ١٨٩٦ ، ويبدو ان اسلافه كانوا قد حظروا تجارة الأسلحة خوفاً من الاتراك ، وفي الكويت ربما كان تقدم التجارة أبطأ منه في أي مكان آخر ، وذلك لانها لم تسترع الانتباه الا في العام ١٨٩٩ عندما ذكر ان كميات كبيرة من الاسلحة مرت من مسقط الى الكويت ، وكان متعهد جمارك الكويت يحصل دولارين عن كل بندقية كرسم جمركي كما كان الشيخ نفسه يحصل على ضريبة مقدارها اربعة جنيهات استرلينية عن كل قطعة .

المنع الشكلي للتجارة ١٩٠٠

وبعد هذا بفترة وجيزة كانت هنالك بعض الدلائل باحتمال أن تخلف الكويت البحرين كسوق رئيسي في أعلى الخليج وذلك بالرغم من أن الاسلحة كانت ترد الى هناك بكميات صغيرة فقط وليس على نطاق واسع . وفي الحال اتخذت بعض الاجراءات للحؤول اذا امكن دون تحقيق تلك النتيجة . وفي ٢٤ مايو عام ١٩٠٠ استطاع الرائد

كيمبول المقيم السياسي البريطاني ، إقناع الشيخ بتنفيذ اتفاقية وليصدر أمراً وانذاراً تحظر بمقتضاها التجارة في امارة الكويت وتعطى بهما سلطة التفتيش والمصادرة للسفن الحربية البريطانية والايرانية وذلك اسوة بما ورد في الاتفاقية مع شيخ البحرين في العام ١٨٩٨ . وتوجد الوثائق المشار اليها في المذكرة الملحقة رقم ٤ للملحق الحالي . وقد انضم الشيخ مبارك الى هذه الاتفاقيات بسرعة غير متوقعة . ولكن كون القوارب الكويتية كانت ترفع العلم التركي آنذاك جعل من المتعذر على السفن الحربية البريطانية ممارسة حقها في التفتيش ، وامكن تجنب التدخل البريطاني في استيراد الاسلحة الى الكويت لاسباب اخرى وهي أن ابن سعود من جنوب نجد كان يعتمد على هذه المنطقة في تسليح قواته ، لذلك فان وقف هذا المورد كان لا بد وان يؤثر على مجرى الاحداث في اواسط الجزيرة العربية . ومن المحتمل أنه باستثناء ما كان يصل نجداً عن طريق قطر كانت كل الاسلحة والذخائر التي وصلتها خلال حرب ١٩٠٠ — ١٩٠٤ تأتي عن طريق الكويت أما ماكان يتبقى من واردات الكويت فكان يهرب بالتساوي تقريباً الى المناطق التركية والايرانية .

استمرار نمو التجارة

وفي فبراير ١٩٠٤ قام مسيو جوجير الكثير التجوال بزيارة الى الكويت حيث ظل لبعض الوقت كضيف على الشيخ . وتلا ذلك مباشرة أن أصبحت حركة الاستيراد سريعة جداً ، وكانت بضائع مسيو «جوجير» تدخل على اساس أنها ممتلكات خاصة بالشيخ . ففي الاسبوع الاول من اغسطس ١٩٠٤ انزل الى الكويت ١٢ صندوقاً من الاسلحة . وفي حوالي ١٨ من الشهر نفسه وصل ٢٩ صندوقاً وضعت في مخازن الشيخ ، وقد استوردت ٨٠٠ بندقية في نهاية اغسطس للبيع في ايران بصفة رئيسية وفي بداية ١٩٠٥ كانت الاحصائيات تدل على أن عملية الاستيراد تسير بمعدل ١٠٠٠ بندقية شهرياً تقريباً يتم استلام استلام $\frac{٥}{١٢}$ منها عن طريق السفن البخارية ، و $\frac{٧}{١٢}$ عن طريق السفن

الوطنية وان الشيخ كان يحصل على دخل مقداره ٥٠,٠٠٠ دولار سنوياً من التجارة التي أخذ على عاتقه منعها ، ورغم ذلك فقد كان ينكر وجود هذه التجارة علماً بأنه في العام ١٩٠٠ عندما وقعت الاتفاقية معه كان قد قلل من اهميتها بعبارات مشبوهة . ومن جهة أخرى كان مسيو جوجير يؤكد بأن في حوزته تفويضاً مكتوباً من الشيخ لتوريد الأسلحة إلى الكويت حيث يقوم جوجير بمعظم صفقاته . وباستثناء الاستيراد عن طريق السفن البريطانية لم يكن وضع الكويت في العام ١٩٠٥ أحسن بكثير من مسقط .

★ ★ ★

التجارة في المستعمرات التركية ١٨٩٨ ـ ١٩٠٧

لا نعرف الكثير عن تاريخ تجارة الاسلحة والذخائر في الاقاليم التركية بما في ذلك الاحساء ، الا أن الاستيراد محظور هناك ولو اسمياً على الأقل . ففي بداية العام ١٩٠١ ، أحضرت الى البصرة شحنة من الاسلحة قيل انها بريطانية الصنع وتتكون من ٢٥٠ بندقية و ١٢,٠٠٠ خرطوشة بعد ان استولى عليها القارب الحربي التركي زحاف من سفينة شراعية ايرانية قريباً من ساحل قطر ، وقد قيل ان هذه الاسلحة والذخائر كانت في طريقها للشيخ جاسم بن ثاني الذي احتج بشدة على عملية الاستيلاء التي وقعت على الاسلحة . وفي ١٩٠٤ و ١٩٠٥ كانت البنادق تصل الى العراق التركي عن طريق الكويت من الاراضي الايرانية ، وقد كانت تحدث احياناً عمليات استيلاء صغيرة في الحصول على البنادق ويبدو ان الاتراك لم يبذلوا أية جهود لتسهيل الحصول على البنادق والذخائر من الخليج بواسطة ابن رشيد في جبل شمر والذي كان ممثلهم الاسمي في وسط الجزيرة خلال الحرب في وسط الجزيرة العربية .

التجارة على الساحل الايراني ۱۸۹۸ ـ ۱۹۰٥

استمرار التجارة

يبدو ان عمليات استيراد الاسلحة والذخائر في ايران وفي مقاطعات عربستان وفارس وموانئ الخليج استمرت بنشاط وظلت مطلقة العنان حتى وضع نظام الجمارك الايرانية الامبراطورية في بوشهر في مارس ۱۹۰۰ ، وحتى بعد ذلك لم تفقد الشركات المشتركة الامل بسرعة في استمرار عملياتها بطرق غير مباشرة .

ففي العام ۱۹۰۰ ظل تاجر ارمني في بوشهر متعهداً بتصريف ٥۰۰۰ بندقية سنوياً لشركة بلجيكية في اوروبا ، شريطة ان تكون مناسبة للسوق الايرانية وأن تسلم في مسقط. وعلى أي حال سرعان ما خمدت التجارة في بوشهر وبعض الموانئ الرئيسية الاخرى بعد بدء العمل الرسمي للجمارك الامبراطورية ، فقد اصبح ضبطها في الاماكن التي يصعب الوصول اليها وعلى الخط الساحلي الذي كان دون مراقبة امراً محفوفاً بمخاطر لا يمكن التغلب عليها .

الساحل الايراني شمالي لنجة

وفي العام ۱۹۰۰ كانت حركة التجارة في الموانئ الشمالية في معشر وديلم وريق نشطة ، وحتى في بوشهر كانت تظهر من حين لآخر بعض الدلائل على استمرار التهريب . وفي نوفمبر ۱۹۰۰ وجد في حوزة شركة « ا. و. ت. ج. مالكولم » الانجليزية ۳۸۰ بندقية « مارتيني هنري » و ۱۸۳,۰۰۰ طلقة نارية من الذخائر صادرتها السلطات الايرانية . وفي اواخر يناير ۱۹۰٤ وبناء على معلومات من الرعاة بأنهم رأوا بعض الافغانيين وهم يحفرون في الارض ، تم اكتشاف ۸۰ بندقية ماركة «مارتيني هنري» مدفونة في الرمل قرب مركز الحجر الصحي في بوشهر ، وكذلك كانت عمليات الاستيلاء الصغيرة تتم باستمرار في الاماكن النائية ، الا ان

كميات كبيرة من الاسلحة كانت تستورد بنجاح . وهكذا علم أنه في منتصف مايو ١٩٠٣ انزلت شحنة تتكون من ٤٠٠ بندقية ماركة «مارتيني هنري» من مسقط الى الحسنة قرب لنجة وانتشرت ووزعت في شيبكوه ولار ، وحتى في اقليم شيراز ، وقد سبقت هذه الشحنة شحنات كثيرة ومماثلة وصلت الى «لار» عن طريق موانئ شيبكوه . واستمرت بعض تجارة الاسلحة في لنجة الا أنها كانت محصورة وذات طبيعة محدودة .

الساحل الايراني جنوبي لنجة

أما في بندر عباس فلم تؤثر عمليات الإستيلاء في ١٨٩٧–١٨٩٨ على تجارة الاسلحة هناك علماً بأنها كانت في الاوج في العام ١٨٩٧ . وابتداء من العام ١٨٩٨ فما بعد لم تعد الاسلحة والذخائر المهربة تنقل الى سوق بندر عباس بواسطة السفن الشراعية الا على شكل أمتعة للمسافرين لحد ما ، وحتى انه حظر دخولها الى بندر عباس .

وبعد العام ١٨٩٨ كانت الاسلحة المستوردة من مسقط الى هذه المنطقة تنزل غالباً في اماكن غير مأهولة على الساحل خاصة في خور ميناب ، والى ان اصبحت هذه المنطقة خاضعة بشكل فعال لنظام الامبراطورية كانت مدينة خمير وجزر قشم وهنجام ، ولارك وهرمز ، مستودعات دائمة للاسلحة . وفي يناير ١٩٠٤ تم اكتشاف مستودع ذخيرة سنايدر ويعادل حمولة ثلاثة جمال ويقع المستودع في تل رملي قرب مركز الحجر الصحي في بندر عباس ، وقد استولى عليه حرس الجمارك بعد تبادل اطلاق النار مع افراد عصابة من الافغانيين ، وكان من بين الدوافع لانشاء مكتب ونائب القنصل البريطاني في بندر عباس في فبراير عام ١٩٠٠ هو ضبط تجارة الاسلحة بين تلك المنطقة والبلاد الواقعة غربي الهند ، على ان يتم ذلك بالتعاون مع الحكومة الايرانية التي كان عليها أن تفي بالتزاماتها في هذا الشأن .

نشاط الجمارك الايرانية

أدت الجمارك الامبراطورية الايرانية بعض الخدمات في مكافحة استيراد الاسلحة والذخائر الى فارس وموانئ الخليج ، الا أنه في عام ١٩٠٤ سيطر اتجاه عجيب على موظفي هذه الدائرة دفع بنشاطهم في مجال قمع تجارة الاسلحة الى حدود غير صحيحة . ففي مايو ١٩٠٤ ادعى المدير العام للجمارك في بوشهر ان له الحق في مصادرة كل الاسلحة التي يجدها على ظهر السفن في المياه الاقليمية ، مهما كانت وجهتها ، وبالفعل جرت محاولة للاستيلاء على اسلحة خاصة بعرب مسافرين من مسقط الى الكويت على سفينة انجليزية الا أنها احبطت . وفي سبتمبر ١٩٠٤ ، كما هو مدون في تواريخ عربستان والكويت ، قامت سفينة الجمارك «المظفري» ببعض عمليات استيلاء على أسلحة في مدخل شط العرب ، مشتبه في مشروعيتها(١) . وقد أثار هذا العمل الاستياء الشديد في الكويت مما ادى الى احتجاج بريطاني . وفي نوفمبر ١٩٠٤ أجبرت سلطات الجمارك الايرانية في بندر عباس قائد السفينة البريطانية الذي كان عديم الخبرة بالعمل في الخليج ، على تسليم بعض الاسلحة التي أحضرها بعض المسافرين الى الكويت في امتعتهم الخاصة ، وقد جوزي على تواطؤه بفرض غرامة قدرها ٢٥,٠٠٤ قران على سفينته ، ولكنها لم تدفع ، وأخيراً في يناير ١٩٠٥ ارادت جمارك بوشهر ان تصادر من على ظهر سفينة بريطانية أسلحة حربية لجماعة تتكون من ثلاثة ضباط واثني عشر جندياً تركياً تابعين لحامية الاحساء وذلك اثناء عودتهم الى مقر القيادة في البصرة ، الا أن المقيم البريطاني استطاع ان ينقل الاتراك وأسلحتهم الى سفينة بريد بخارية الى البصرة تحت حماية حرس بريطانيين مسلحين . وقد كان الوزير البريطاني في طهران راغباً ان يعترف بشكل

---

(١) لم تكن احدى السفن المقبوض عليها ايرانية ، وكانت ثنتان منها لشيخ الكويت المستقل شخصيا ، وتمت عمليات القبض في أعالي البحار في حالة واحدة أو أكثر ، وقد توبعت السفن حتى المياه التركية الاقليمية .

خاص بأن الاسلحة المحمولة كانت عبارة عن شحنة ولكنها لم تدرج ضمن قائمة حمولة السفينة ، وان يعلن ان الاسلحة شخصية ، الا أنها كانت اكثر من المطلوب ويمكن الاستيلاء عليها في الموانئ الايرانية اذا حامت حولها الشكوك بأن وجهتها ايران ، الا أنه قاوم بحزم طلب الاستيلاء على الاسلحة المتجهة لموانئ غير ايرانية ، واعتبر حتى وضع هذه الاسلحة في صناديق مختومة عندما تكون السفينة في مياه ايرانية اجراء مزعجاً ولا ضرورة له .

★ ★ ★

التجارة في مكران ١٨٩٨ ـ ١٩٠٥

بدء التجارة ونموها

كانت تجارة الاسلحة والذخائر في ايران ومكران البريطانية بطيئة التقدم رغم قرب ساحل مكران من سوق مسقط . وقد اظهرت الحملة الايرانية عام ١٨٩٧–١٨٩٨ ، ضد «الكاراونيين» كما وصفت في تاريخ مكران الايرانية ، ان البنادق الحديثة كانت نادرة في تلك البلاد في ذلك الوقت ، ولكن بعد هذه العمليات او في غضونها ظهر بأن حركة التجارة قد نشطت الى حد ما .

ففي فبراير ١٨٩٨ وجد عشرون صندوقاً من الذخائر ماركة «مارتيني هنري» في منزل زعيم الباسني في مكران الايرانية ، وفي الشهر نفسه تم القبض في اورماره في الاقليم نفسه على ثلاثة من الباتان وفي حوزتهم بنادق من نوع «مارتيني هنري» ولكن المجرمين في الحالة الثانية اثبتوا أنهم من البوندا من سكان «درا» في اقليم اسماعيل خان في منطقة الحدود الشمالية الغربية للهند وذكروا انهم اشتروا بعد زيارتهم بغداد عشرين بندقية من مسقط محاولين حملها الى داخل البلاد ولكن اشخاصاً من آل نوشروان في قلوه استولوا على جميع البنادق ما عدا

واحدة . وفي نهاية ١٩٠١ ، لوحظ ازدياد عدد البنادق في مكران الايرانية إزدياداً مدهشاً ، وكان لدى بعض الزعماء بنادق من نوع «لي ميتفورد» . وحوالي هذا الوقت ارسلت شحنة من عشرين بندقية وعشرة صناديق من الذخيرة لزعماء جيه وقصر كاندي وشوهدت أثناء مرورها ما بين ميناء «تلك» والداخل ، وانزلت كل الاسلحة التي دخلت الى مكران في ميناء جوادر حيث لم يصادر أي سلاح بمقتضى مرسوم السلطان بالحظر في العام ١٨٩١ .

وكان بعض اللاجئين الافغان المقيمين في باهوكلات في مكران الايرانية يتعاملون في ذلك الوقت بشكل منتظم في تجارة الاسلحة ، كما أن تاجر اسلحة أفغاني آخر بدأ العمل في ديزاك بمكران الايرانية بالتعاون مع عدد آخر من الافغانيين . وتنبهت السلطات الايرانية في الداخل أخيراً الى الشعور بخطر حركة تجارة الاسلحة على اداراتهم . وفي ٨ مارس ١٩٠٢ عقد فرمان-فارما الحاكم العام لمدينة كرمان اتفاقية مع الرائد «هـ. ل. شورز» الوكيل السياسي البريطاني في كلات ، لمنع استيراد الاسلحة او حيازتها دون ترخيص ، ومع ذلك فقد استمر دخول الاسلحة بسرعة متزايدة من الموانئ الصغرى في مكران الايرانية ، وذلك لانها حتى ذلك الوقت لم تكن قد خضعت لرقابة الجمارك الامبراطورية الايرانية . ومن المعتقد انه في العام ١٩٠٤ انزل حوالي ١٥٠٠ بندقية ماركة «مارتيني هنري» من مسقط في جلج وحدها ، وفي ٣٠ يناير عام ١٩٠٥ انزل نحو ٨٠٠ بندقية وستة صناديق من الطلقات النارية ، وفي ١٠ فبراير انزل نحو ٧٠٠ بندقية وخمسة صناديق من الطلقات النارية في المكان نفسه .

تسرب الاسلحة والذخائر من الخليج الى افغانستان والحدود الشمالية ـ الغربية للهند ١٨٩٨ ـ ١٩٠٥

مع ان استيراد الاسلحة والذخائر كان امراً خطيراً بالنسبة لمنطقة الخليج حتى من الوجهة المحلية البحتة ، الا أن علاقة ذلك بأفغانستان ومشاكل الحدود ، هو الذي جعل التجارة موضع اهتمام الحكومة البريطانية والحكومة الهندية .

التكهنات المبكرة ١٨٩٧

يبدو ان السيد لي. ورنر من مكتب الهند في لندن هو الذي طرح الفكرة القائلة بأنه الخليج قد اصبح او سيصبح عما قريب مصدراً للامدادات العسكرية الى قبائل الحدود الهندية ، وقد بدأ الرائد ميد تحقيقاً في هذه النظرية في الخليج في اكتوبر ١٨٩٧ ، ولكنه توقف خشية ان ينبه ذلك أصحاب الشحنات الممنوعة التي كانت هنالك خطط للاستيلاء عليها ، ولكن ليس قبل ظهور الدليل بأن شحنات كبيرة من الاسلحة والذخائر قد ارسلت من مسقط عن طريق بندر عباس الى جهات غير معروفة في الداخل .

وفي نهاية اكتوبر ١٨٩٧ غادر انجلترا الرئيس «ب. م. سايكس» القنصل البريطاني في كرمان ، بتعليمات خاصة من المكتب الهندي ليتحقق ما اذا كانت التجارة المحظورة في الاسلحة موجودة فعلا فيما بين الخليج والحدود الشمالية للهند ، واذا كان الامر كذلك ، أي شكل تتخذه ؟ وقد ظهر من خلال استقصاءات سايكس احتمال وصول تجارة على نطاق واسع في الاسلحة فيما بين بندر عباس وافغانستان وربما الحدود الهندية ، إلا أنه لم يتوافر بعد الدليل القاطع حول وجود

هذه التجارة المشبوهة ، كما ان التحقيق الذي أجري في الهند بشأن الاسلحة التي استلمتها قبائل الحدود في ١٨٩٧–١٨٩٨ أسفر عن نتائج سلبية . وعلى أية حال فقد وجد أن قسماً من الخرطوش المصادر في اقليم افريدي من صنع شركة كاتيوش وشركة الخرطوش البلجيكية ، وربما كان مستورداً من الخليج .

أسلحة الخليج في كرّام ١٨٩٨

واخيراً ، وفي نهاية نوفمبر ١٨٩٨ ، اشترى الرئيس «ج. و. روش كيبل » الضابط السياسي في وادى كرام من تاجـر من غلزاي بندقية وحدة « مارتيني هنري» مكتوبة عليها علامة «شركة فراسس وتيمز وشركاهم» ٢٧ شارع لندن هول لندن ، وذكر كيبل ان الغلزائيين أحضروا في ذلك الموسم بنادق للبيع بكميات هائلة ، وان هنالك اعداداً من البنادق من هذا النوع وغيره في المناطق المجاورة . و قد اشترى الرئيس «روس كيبل» بعد ذلك اربع بنادق من نماذج مختلفة في كرّام الامر الذي يُظهر أنها لم تصل الحدود من الجانب الهندي .

أسلحة الخليج في جنوب وازرستان

وفي غضون حصار محسود في العام ١٩٠١ ، تلقت السلطات دليلا قاطعاً عن وصول أسلحة وذخائر بكميات كبيرة الى وازرستان من الخليج ، وفي صيف ١٩٠١ سقط صندوق خرطوش من احدى عصابات محسود الغازية يحمل الاحرف الاولى من اسم شركة فراسيس وتيمز وشركاهم(١) وكذلك النسر ذي الرأسين الذي هو شعار هذه الشركة ، وقد حدث ذلك بين جبرني وساورِيكاي . وبعد ذلك بفترة

---

(١) وبالصدفة العجيبة حصل على هذا الصندوق من الخراطيش وقدمه للحكومة المحرر الذى كان الضابط السياسي لجنوب وازرستان .

وجيزة تم العثور على كميات كبيرة من خرطوش مماثل في أحزمة درويش خل الوزير من «وانا» وذكر الضابط السياسي بجنوب وازرستان ان بامكانه ان يشتري خراطيش شركة فراسيس وتيمز وشركاهم محلياً بمعدل ٥٠٠٠ خرطوشة اسبوعياً ، وعند وفاة جان خان ابن مالك زعيم قبيلة محسود الذي قتل في عملية حوالي نهاية العام ١٩٠١ وجد مسدس على جثته مختوم عليه «مصنوع لشركة فراسيس وتيمز وشركاهم لندن» . وفي غضون شتاء ١٩٠١—١٩٠٢ اودع المهاجرون من قبائل البويندا الى الهند بطريق الجمل ٣١ بندقية يبدو أن مصدرها من الخليج وقد فعلوا ذلك في ترسانة تانك في منطقة دير اسماعيل خان ، وباختصار كان هناك اثبات واضح بأن الاسلحة والذخائر بدأت تصل من الخليج الى الحدود الهندية . واظهرت المراقبة في العام ١٩٠١ ان عمليات الاستيراد أصبحت على نطاق واسع . وكانت تجارة الحدود الافغانية قد قيدت بطلب شديد على البنادق وارتفاع الاثمان المطلوبة عليها من الاقاليم المجاورة للخليج ، ولكنه ما ان ملئت الاسواق الداخلية حتى بدأت سوق الحدود تؤمن واردات الخليج علماً بأن البنادق التي كانت تشترى في مسقط باربعين او خمسين روبية كانت تباع على الحدود بحوالي ٣٠٠ روبية للبندقية الواحدة . ويبدو ان هذا التغيير جاء تدريجياً ولا يمكن اعتباره حدث في سنة معينة .

عدم وجود موانى مجهزة لهذه الاسلحة قبل ١٨٩٨

ليس من المؤكد بأي الطرق شقت البنادق والخراطيش سبيلها من الخليج في بادىء الامر الى الحدود الشمالية والشرقية للهند . ويبدو جلياً ان التجارة لم تكن في الاصل مباشرة ، وان الاضطرابات التي انتشرت في مكران في العام ١٨٩٧والاعوام التالية لها سدت لفترة من الزمن الطريق الذي يعتبر مباشراً من مسقط تجاه الحدود الهندية ، ومن المحتمل

أن الكارثة التي حدثت في العام ١٨٩٨ لقافلة الباتان المسلحة المسافرة شمالا من اورماره والتي اشرنا اليها سابقاً كانت ذات تأثير كبير في ردع المغامرين عن القيام بتجارب في ذلك المكان . وقد ذكر زعماء قبائل الوزير في العام ١٨٩٨ ان معظم بنادق الخليج التي في حوزة قبائلهم والتي كان بعضها موجوداً حتى ذلك التاريخ –مع ان الضباط المحليين لم يكونوا قد تحققوا من ذلك– قد تناقلتها الايدي شمالا ووصلت الى وادي الهلماند في افغانستان ، ومن ثم فقد أحضرها تجار البوندا في افغانستان ، ومن هناك احضرها تجار البويندا الى وزرستان . واضاف هؤلاء الزعماء أن محاولات جرت لتهريب الاسلحة بالقوافل المباشرة ، ربما من ساحل مكران رأساً ، الا ان هذه المحاولات باءت بالفشل .

نمو وكالة استيراد الأسلحة في بندر عباس ١٨٩٨

يبدو ان تجار الاسلحة الافغانيين ظلوا يقصدون مسقط بحرية حتى العام ١٨٩٨ للحصول على مشترياتهم بصفة شخصية ، الا أنه في غضون السنين التالية كانوا يحصلون على معظم طلباتهم عن طريق الوكلاء في بندر عباس . وكان بعض هؤلاء الافغانيين يسافرون عادة الى بندر عباس بواسطة السفن البخارية من كراتشي في فصل هجرة البونداس في الربيع من الاراضي البريطانية الى الأراضي الافغانية ، بينما اعتاد آخرون ان يذهبوا الى ذلك المكان في شهور الخريف في قوافل ضخمة من الجمال من المناطق المجاورة لغزنه ، وهي عادة قديمة مترسخة تتوقف على اعتبارات تجارية عامة ، الا أنها في هذا الوقت ساعدت على تقدم حركة تجارة الاسلحة . وقد كان نور الدين خان لوهاني هو الروح الدافعة في بداية الامر للافغانيين الذين كانوا يذهبون الى بندر عباس بطريق البر حاملين معهم منقولاتهم ، ولكن احتل مكانه في العام ١٩٠٣ غلام خان ناصر . وقد دفع نجاح الافغان البلوش في خانو المجاورة في ردبار الى

المنافسة وتمكنوا في العام ۱۹۰۱ ان يؤمنوا حصة كبيرة من الاسلحة . وكانت الاسحة التي طلبها التجار الافغانيون والبلو ش هد هربت اليهم على الارجح ، في مراكب شراعية الى اماكن منعزلة على الساحل قريباً من بندر عباس وميناب حيث كان المشترون يتسلمونها ويضعونها أثناء التوجه الى الداخل ، في الهوادج وفي ثنايا اسرجة الجمال .

إتجـاه التجارة من بندر عباس

يبدو أن معظم تجارة الافغانيين في هذه الفترة كانت تمر عبر اقليم نارماشير إلى الشرق من ابام ، ويبدو أنهم حتى العام ۱۹۰۱ كانوا يفضلون الطريق الشمالية المؤدية الى افغانستان عن طريق سجستان ومشهد، وفي صيف ذلك العام ضبطت ٢٦ بندقية وكميات كبيرة من الذخيرة بفضل جهود الرائد « ج. ب. شنيفكس ترنش » القنصل البريطاني العام آنذاك في مشهد ، من قافلة افغانية . كما قبض على التاجر الافغاني غلام خان وحكم علية القنصل العام بالسجن بسبب هذه القضية . وقد أثار هذا الحادث الجالية الافغانية في مشهد ، وربما كان هذا من بين الاسباب التي جعلت التجارة تسلك الطريق الجنوبي فيما بعد .

قرب تحويل التجارة الى ساحل مكران

وكما بينا في فقرة سابقة ، كانت هنالك دلائل في نهاية ۱۹۰۱ على فتح طرق جديدة من خلال مكران . وفي حوالي هذا الوقت شوهد اثنان من سوات في سارباز في بلوخستان الايرانية أتيا بحثاً عن بنادق ، ولكن لم يبد أنه تم التخلي عن الطريق الغربي الذي يمر في نارماشير .

الطريق العام للتجارة في الخليج ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧

استمرت تجـارة الاسلحة والذخائر من عام ١٩٠٥–١٩٠٧ بل انها ازدادت ولكنها لم تتبع الخطوط نفسها كما كان الامر في البداية . وبالنسبة لتقدم التجارة في سلطنة عمان ومكران الايرانية ، وهما البلدان اللذان يشكلان موضوع بحثنا الآن فسوف نتعرض لهما لاحقاً . وسنقوم اولا بتسجيل الحقائق التي تتعلق بالتجارة بمنطقة الخليج بالذات .

عمان المتصالح

استمرت التجارة في عمان المتصالح في حالة ركود واضح ، على الرغم من زيارة مسيو جوجير تاجر الاسلحة الفرنسي في مسقط الى كل من دبي وام القوين في ديسمبر ١٩٠٥ ويناير ١٩٠٦ ، ويمكن ان يكون أحد اسباب هذه الحالة هو محافظة زعماء الساحل على ارتباطاتهم ، الا أن النقص في الطلب المحلي الاضافي وتسهيلات التصدير الى داخل البلاد كانا من العوامل الاكثر أهمية .

قطـــر

وفي قطر كانت تجارة الاسلحة مزدهرة في الدوحة عند نهاية العام ١٩٠٦ ، بحيث كانت تصل حوالي ٢٠٠٠ بندقية شهرياً من مسقط بواسطة مراكب شراعية وطنية . وقد كان عدد كبير من شيوخ آل ثاني أصحاب النفوذ مهتمين بالتجارة ، كما ان ستة من التجار العرب الاثرياء كانوا يتعاطون بها . وقد كان سعر البندقية في الدوحة يزيد بخمس عشرة روبية عن سعرها في مسقط ، وكان التجار يدفعون لشيخ الدوحة رسماً مقداره ٣,٨٠ روبية عن كل سلاح يستورد الى البلاد . وظلت معظم الاسلحة التي تباع في قطر تجد طريقها الى اواسط الجزيرة العربية ولكن

كان حوالي ربع مجموع الاسلحة يصدر في هذا الوقت الى البحرين ليباع للايرانيين .

البحريـــن

رفع حاكم البحرين مذكرة في اكتوبر عام ١٩٠٥ الى كل من الحكومتين الهندية والبريطانية ، شاكياً من اضطراره لحظر تجـــارة الاسلحة في بلاده رغم الخسارة التي سيتكبدها ، وفي الرد ذكّر بأنه هو نفسه قد ابدى بعض التخوف من نمو التجارة في ١٨٩٥—١٨٩٨ وان الحظر الذي فرض في ١٨٩٨ كان بمحض اختياره . وشاع في نوفمبر عام ١٩٠٦ بأن البحرين أصبحت تستعمل كمستودع لتصدير الاسلحة الى ايران وذلك بناء على المعلومات التي اعطاها مسيو هينسنس ، المدير العام للجمارك في بوشهر إلى الرائد كوكس المقيم السياسي البريطاني ، وان جزءً من الاسلحـــة كان يهرّب سراً من مسقط ، كما ان كميـــات كبيرة كانت تشحن من قطر في سفن شراعية وطنية . وبهذه الطريقة كان المشترون الايرانيون والبائعون القطريون يلتقون معاً لأنهم كانوا غير مستعدين لزيارة موانئ بعضهم بعضاً .

وقد اكتشفت جمعية سرية من بين أعضائها أشخاص من اصحاب النفوذ العاملين مع شيخ البحرين ، وكان هدفها استغلال هذه التجارة ، وقد تأكد بأن حمد ابن شيخ البحرين كان ضالعاً معهم ، وحتى الشيخ نفسه الذي ربمـــا كان مهتمـــاً بالامر كان يقف موقف المتفـــرج الذي لا يستطيع القيام بأي عمل . ونتيجة لقيـــام الوكيل السياسي البريطاني بتفتيش البواخر توقف الاستيراد المباشر من مسقط بشكل عملي ولكن لامبالاة الشيخ او معارضته غير المعلنة حالت دون تطبيق اي اجراء فعال ضد التجارة بين قطر والقرى الساحلية للبحرين . وفي ١٩٠٧ نقل وزير الدولة لشؤون الهند اتهاماً الى المكتب الرئيسي لشركة البواخر

الهنـــدية البريطـــانية بأن البواخـــر البريطانية يستخدمها اشخاص يتعاطون بالتجارة مع البحرين والكويت ، وفي الحال اجرت الشركة تحقيقاً في الامر .

الكويت

وخلال الفترة موضع البحث استمر ارسال الاسلحة والذخائر بشكل نشط من مسقط الى الكويت ، وكان جزء منها ينقل بالزوارق الاهلية والجزء الآخر بالبواخر ، وذلك رغم الاتفاقية التي وقعها الشيخ في العام ١٩٠٠ ، ففي ديسمبر ١٩٠٥ انزلت السفينة الروسية «تروفر» خمسة وعشرين صندوقاً من الاسلحة في الميناء ، وفي الشهر نفسه انزل مركبان قادمان من مسقط شحنة من الاسلحة قدرت بـ ٣٠٠٠ بندقية بذخيرتها في الميناء نفسه وفي فبراير ١٩٠٦ ذكر ان ٤٥٠٠ بندقية ، و ١٥٠٠ صندوق من الذخائر قد وصلت الى الكويت بطريق البحر . وفي هذه الظروف صرحت حكومة صاحب الجلالة بمعاقبة الشيخ في موضوع تجارة الاسلحة ، وذلك بعد استشارة السفير البريطاني في القسطنطينية الذي اعتبر حرية استيراد الاسلحـــة الى الكويت قابلـــة لسوء استغلال الاتراك لها ، وبناء عليه أثار الموضوع مع الشيخ ، الرئيس «س. ج. كوكس» الوكيل السياسي في ابريل عام ١٩٠٦ ، الا أن الشيخ قابل هذا الزجر بشعور سيء منكراً وجود أية تجارة لها اهميتها ، مظهراً علامات الاستياء وعدم الرضى ومحتجاً بأن الضغط عليه للمزيد من التقييد بمعاهدة الحظر لسنة ١٩٠٠ لا يتسق مع صداقة البلدين في المجال السياسي .

وكان هناك سكون نسبي في التجارة في الكويت خلال احتدام هذه الواقعة ، الا أنها استعادت نشاطها كلية في شهر سبتمبر ١٩٠٦ .

الساحل الايراني .

وبالنسبة للساحل الايراني من الخليج فقد اتخذت الجمارك الايرانية الامبراطورية بعض الخطوات لاخماد التجارة في الموانئ الرئيسية ، ولكن وفي معظم الحالات كان ذلك يعني تحولاً الى طرائق جديدة أكثر غموضاً ، ففي غير مناسبة كان ضباط الجمارك يحاولون اتخاذ اجراء ما ضد المهربين الذين قد يكونون على مقربة من مقر قيادتهم ، الا أن هذه المحاولات كانت تبوء بالفشل الذريع .

وفي اغسطس ١٩٠٥ ذكر ان تجارة الاسلحة قد اخمدت على الساحل الذي يربط بين ميناب ولنجة ، الا أن هذا التصريح كان سابقاً لاوانه ، وذلك لانه في مارس ١٩٠٧ انزلت في «كلارنس سترات» حمولة ضخمة من البضائع المحظورة تحملها سفينة شراعية من مسقط زاغت من مركب الجمارك الذي ذهب للقبض عليها ، وعلى الساحل كان المهربون مسلحين ومعهم ما يقرب من ثمانين جملا وقد استطاعوا أن يتعاملوا مع رجال الجمارك في «جاشين» بقسوة عندما حاول هؤلاء التعرض لهم ، ثم اختفوا بعد ذلك في اتجاه لار .

بل إن الاحوال في منطقة بوشهر نفسها لم تكن افضل بكثير . ففي اكتوبر ١٩٠٦ وصل الى ابو الخير قارب من مسقط مستأجر من قبل شيخ شاه كنه . وكان يحمل حوالي ١٢٠٠ بندقية ماركة «مارتيني هنري» و ١٠,٠٠٠ طلقة نارية ، وانزل القارب حمولته قرب ذلك المكان ، وذلك بالرغم من وجود سفينة الجمارك «المظفري» في الاماكن المجاورة . وايضاً وجود ثمانية من الحراس المسلحين مع مأمور الجمارك في ابوالخير نفسها . وفي سبتمبر ١٩٠٧ كانت التجارة نشطة بشكل خاص في بوشهر ، ويبدو ان المهرب الرئيسي كان قائد المدفعية الايراني .

وبينما كانت الرقابة على تجارة الاسلحة حينئذ غير دقيقة على طرفي

الساحل الايراني ، كانت الاسلحة تتدفق دون أية عراقيل او عقبات وذلك من خلال موانئ شيبكوه حيث لم يكن بها ممثلون للجمارك مطلقاً وان وجدوا فكانوا يعتمدون في سلامتهم على الشيوخ المحليين المعتمدين لديهم .

★ ★ ★

التجارة في خليج عمان والمساعي البريطانية لاخمادها ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦

لا يمكن بعد العام ١٩٠٥ فصل موضوع تجارة الاسلحة في خليج عمان (مميزاً عن الخليج العربي) عن تاريخ الاجراءات التي رأت الحكومة البريطانية اتخاذها لوقف هذه التجارة . وبناء عليه فاننا سنعالج الموضوعين معاً .

الاستيراد الى مكران الايرانية ١٩٠٥

وجد في اكتوبر ١٩٠٥ أن استيراد الاسلحة الى مكران يتم بصفة خاصة عن طريق القرى الساحلية تانك وجلج وغيرهما. ولوحظ ازدياد عدد الاسلحة داخل البلاد إزدياداً عظيماً خاصة قرب ديزاك ، وقد قيل ان السردار السير نوروز خان انوشرواني في خران كان مبتاعاً كبيراً للانواع الجديدة من البنادق ، ومن بينها النماذج الالمانية .

محاولات لمكافحة التجارة بالوسائل البحرية ١٩٠٥-١٩٠٦

وخلال شتاء ١٩٠٥-١٩٠٦ كانت مشكلة منع ارسال الاسلحة من مسقط الى الساحل الايراني أو قطع الطريق على الشحنات موضع بحث دقيق من قبل السلطات البحرية البريطانية في الخليج . وخلال شهر يناير ١٩٠٦ ظلت السفينة الملكية ردبرست بقيادة هـ. ب. ت. سومرفيل

بشكل دائم في مسقط وهو اجراء ساعد على وقف التجارة كلياً خلال تلك الفترة ولكن على حساب تعطيل السفينة عن القيام بأعمال أخرى .

وبمقتضى اوامر نائب الاميرال ي. س. بو رئيس اركان القوات البحرية ، تولت السفينة الملكية فوكس مراقبة ساحل مكران بدقة خلال الفترة الممتدة من نهاية فبراير الى اوائل مارس ١٩٠٦ ، وقد ظلت خلال ذلك على اتصال وثيق مع شهبار ولكن دون حدوث أية عمليات استيلاء على الاسلحة .

تقرير القائد البحري سومرفيل

ذكر القائد البحري سومر فيل أنه نتيجة لملاحظاته الشخصية التي كونها خلال فترة عمله في مسقط ومكران الايرانية يستطيع القول إن موسم نقل الاسلحة عبر الخليج يمتد من نوفمبر الى مارس وان المراكب المحلية تستطيع ان تتم عملية العبور بحوالي ٣٦ ساعة اثناء ريح الشمال المعتدلة . كما أن الوقت المفضل لمغادرة مسقط كان عقب صلاة الجمعة ، وانه نتيجة لقرب جلج من محافظة كروان فإنها كانت المدخل الرئيسي من جهة مكران ، وان تانك والى درجة أقل مصبي نهري رابش وسايديش والجانب الغربي لخليج شهبار كانت كلها اماكن يتردد عليها مهربو الاسلحة باستمرار وان العادة كانت تجميع الاسلحة في محافظة كروان حتى تصبح كافية لحمولة قافلة . وقد اقترح القائد «سومرفيل» ضرورة مرابطة سفينة في جاشك او بوجه أفضل في شهبار لتراقب الساحل ، ووجوب قيام موظفي دائرة التلغراف الهندية- الاوروبية بمراقبة تحركات الافغانيين التي تهدف الى نقل الاسلحة عن طريق الجمال الى الاماكن القريبة من الساحل .

تقرير بو نائب امير البحر

وبعد ذلك بقليل زار الخليج نائب أمير البحر بو بنفسه وقدم تقريراً عن موضوع حركة تجارة الاسلحة الى لجنة اللوردات الخاصة بالقيادة

البحرية . وقد ذكر بأن هناك املا ضعيفاً في اخماد التجارة بواسطة السفن الحربية البريطانية في المنطقة اذ ان السفن كانت كبيرة وتثير جلبة في الماء كما ان العرب يعرفون أماكنها ويراقبون تحركاتها بعناية . وعلى أي حال ، فقد توقع نتائج طيبة من حيازة مصلحة الجمارك الايرانية الامبراطورية لبعض القوارب البخارية التي صنعت خصيصاً لها في بومباي

انتداب الرئيس ف. ماك كونا جي لمكران الايرانية من ابريل الى يونيو ١٩٠٦

وقد كان الحادث الثاني الذي له أهمية بالنسبة للتجارة هو انتداب الرئيس «ن. ماك كوناجي» مساعد الوكيل السياسي في مكران البريطانية وقائد هيئة التجنيد لمكران للذهاب الى مكران الايرانية ، وذلك لتبادل الآراء فيما بين الموظفين المحليين والممثل الذي اقترحت الحكومة الأيرانية ارساله من طهران . وقد سار كوناجي على طول الساحل من باسني الى شهبار عن طريق جوادر ، حيث التقى بالميرزا محمود خان المدير المحلي للجمارك الذي حل محل مندوب طهران . وقد غادرت الجماعة شهبار في ١٨ ابريل ، وبعد زيارة باراح و كير وبير وبنداني وتانك وجلج على طريقهم ، وصلوا الى معسكر قريب من بلَكَك على نهر رابش . ولما لم يقبل حاكم بامبور ، سعد الدولة الذي كان حينئذ في جيه ، ان ينزل الى الساحل ، ذهب كل من ماك كوناجي وميرزا محمود خان في اول مايو الى جيه التي وصلاها عن طريق « بنت» في السابع من مايو ، وبعد عشرة أيام من الاقناع رضي الحاكم بالرجوع مع المندوبين الى منطقة الكروان على نهر «رايش» وهي المنطقة التي كانت المركز الرئيسي للتجارة . وهنا ، في ٢٧ مايو عقد سعد الدولة اجتماعاً عاماً أبلغ فيه حاكم جيه والوجهاء والزعماء الحاضرين بأن استيراد الاسلحة الى ايران بطريق البحر أصبح محظوراً تماماً فيما بين شهبار وسديش وانهم مسؤولون عن تنفيذ ذلك الحظر .

اتفاقية أسلحة كروان في ٢٦ مايو ١٩٠٦

وفي ٢٦ مايو ١٩٠٦ عقدت اتفاقية لتجسيد ذلك الالتزام بين ثلاثة عشر من زعماء المنطقة المتأثرة بالتجارة ، وقد صادق عليها سعيد خان حاكم جيه وشهد على ذلك سعد الدولة والرئيس ماك كوناجي والميرزا محمود خان . وبعد ذلك بقليل ووفق عليها بشكل رسمي في شهبار من قبـــل اركان الدولة وكارجوزار المحمرة الذي فوضته الحكومة الايرانية كممثل ثانٍ لها لمعالجة موضوع حركة تجارة الاسلحة في جنوب ايران . ونصوص هذه الاتفاقية موجودة في الملحق رقم خمسة لهذا الفصل

حقائق جديدة توصل اليها الرئيس ماك كوناجي في تحقيقاته

لقد القت تحقيقات الرئيس ماك كوناجي كثيراً من الضوء على الاحوال الجديدة لتجارة الاسلحة ، فقد وجد ان معظم سكان محافظة الكاروان مسلحين بمختلف انواع البنادق (التي تعمر من الاسفل) ، ولكن يبدو في أغالي الاقليم أن عدد الاسلحة على وجه الدقة لا يقل عن ٣٠,٠٠٠ حسب تقديرات الحاكم الايراني في بمبر ، وكانت أفضل الاسلحة هي بندقية «مارتيني هنري» أو بنادق الفرسان البريطانية الصنع ولكن بنادق الفرسان من طراز ٣٠٣ كانت مفضلة لدى الطبقات الميسورة ، أما الاسلحة التي كان يحملها الفقراء فكانت من البنادق الحربية القديمة من الطراز الروسي والفرنسي والالماني ويمكن الحصول عليها أحياناً بثمن زهيد يقدر بحوالي ١٢ روبية .

وبالنسبة لتاريخ وتطور التجارة في مكران الايرانية كان من المؤكد بأن الاستيراد عن طريق البحر قد بدأ قبل حوالي ثماني سنوات ، ولكنه سار في السنوات الاربع او الخمس الاولى على نطاق ضيق فقط يفي بحاجة الطلب المحلي ، وان الاشخاص المشتغلين بالتجـــارة كانوا وما يزالون من البلوش ومن مواطني مسقط وقشم وكان لديهم محلات

صغيرة في الموانئ على الساحل او في الاماكن الهامة داخل البلاد مثل جيه وقصر كند ، وحتى في ديزاك وبمبر . وقد لوحظ ان بدء اشتغال الافغانيين بالتجارة يعود الى العام ١٩٠٣–١٩٠٤ الا أنه في تلك السنة لم يزر الساحل سوى عدد قليل من الافغانيين ، وكانت القوافل صغيرة . وقد بدأت اعمال الافغانيين تنتظم كثيراً في ١٩٠٤ – ١٩٠٥ كما أن قافلتين ضخمتين من الاسلحة سارتا الى داخل البلاد وتركت احداهما جلج ، بينما سارت ثالثة منساديش ، وقد قدرت حمولة هذه القوافل المتجهة شمالا بثلاثين الف بندقية . وفي ١٩٠٥–١٩٠٦ بدأت العمليات في نوفمبر. وقد كان متوقعاً ان يكون الموسم نشطاً ، الا ان قدوم اللجنة الانجلو–ايرانية عوق الى حد ما من نجاح العمليات . ففي ديسمبر ١٩٠٥ أنزل في تانك ما يقرب من ٩٠٠ بندقية وحوالي ٤٠٠ في دورق ونقلت كلها الى كاركندار في محافظة الكارون ، وفي نهاية مارس او بداية ابريل وصل الى الشاطئ عند مدخل نهر رابس شحنتان منفصلتان من الاسلحة احداهما ٥٠٠ بندقية والثانية ٧٠٠ ، ووصل معهما كميات كبيرة من الذخائر بشكل غير عادي . وخلال هذا الشتاء تركت الكاروان الى الشمال قافلة واحدة فقط وكان من المفروض ان تكون حمولتها نحو ١٥٠٠ او ٢٠٠٠ بندقية كانت متراكمة في المحافظة وكذلك كمية مناسبة من الذخائر ، وقد ذكر ان هذه القافلة التي بدأت سيرها في اوائل ابريل كانت تتكون من مئة افغاني ومعهم مئة وخمسون جملا ساروا بها عن طريق ريجان .

اهتمامات السلطات الايرانية

وبالاشـــارة الى الاجراءات القمعية ذكر الرئيس كوناجي ان اتفاقية عام ١٩٠٢ المعقودة فيما بين الحاكم العام لكرمان والوكيل السياسي في كالات لم تكن موضع اهتمام السلطات الايرانية التي لم يكن لديها القوة الكافية لتنفيذها . وكانت سيطرتها على المنطقة مزعزعة ، ولم يكن في نيتها زيادتها سوءً .

وكان للزعماء المحليين ولا سيما سعيد خان حاكم جيه واسلام خان حاكم بنت مصلحة مالية في تجارة الاسلحة اذ كانوا يقبضون عن كل بندقية تمر من دولار الى ثلاثة دولارات . وقد كان هؤلاء الزعماء في بعض الاحيان في حالة تمرد ضد الحكومة الايرانية واحياناً يكونون على علاقات سيئة مع رعاياهم ونتيجة لذلك عمت الفوضى انحاء البلاد كافة .

وفي مثل هذه الظروف كان من الصعب دحض حجة الرؤساء المحليين بعجزهم عن منع التجارة ، أي عدم تلقيهم اوامر اما من الرسميين الايرانيين او من زعمائهم المحليين حول الموضوع ، ومن هنا كان احد اهداف اتفاقية كروان ازالة هذه الحجة في المستقبل . وكان وجود جالية صغيرة من الافغانيين في كاركندار في كروان وعلى رأسهم الملا خير محمد المعروف بـ «خليفة صاحب» ، امراً له اهميته في مساعدة الافغانيين على الاتجار في الاسلحة . وقد قدم الرئيس ماك كوناجي توصيات عملية مختلفة لتطبيق اتفاقية كروان على افضل وجه .

وصول اسلحة وذخائر من الخليج الى افغانستان سبتمبر–نوفمبر ١٩٠٦

ولم يمض وقت طويل على جولة ماك كوناجي في مكران الايرانية حتى بدأت التقارير ترد من افغانستان عن وصول شحنات من مرتينة مسقط الى تلك البلاد ، وفي سبتمبر واكتوبر وجدت كميات كبيرة من هذا النوع من الاسلحة في قندهار ، وقد وجد الدليل على تأييد حاكم تلك المحافظة لهذه التجارة . وفي نوفمبر وصل حوالي ٨٠٠ بندقية الى كابول وذكر ان ١٠٠٠ اخرى كان قد وزعها المستوردون من بني ناصر على الطريق في محافظتي قندهار وغزنه . وقدر عدد الخرطوش الذي وصل الى افغانستان خلال هذه الفترة بتسعين الف خرطوشة ، وذكر أن مجموعة أخرى من بني ناصر قد احضرت ١٥٠٠ مرتينة مسقطية و ٧٠,٠٠٠ خرطوشة الى محافظتي قندهار وغزنه وحدهما وقيل ان سمو

الامير كان قد اعفاها من الرسوم الجمركية . وفي هذه السنة ذكر ان كميات كبيرة من البنادق المصنوعة في اوروبا واحضرت الى مسقط قد ظهرت في محافظتي ننجراهار وبيرمال في افغانستان على الحدود مع الهند .

جولة الملازم وجيلفي من بام الى بامبور وماجاس وسرباز ، نوفمبر ١٩٠٦ الى يناير ١٩٠٧

لقد كان احد الاسباب وراء تعيين نائب قنصل بريطاني في بام في ربيع العام ١٩٠٦ هو التأكد من امكانية القيام بأي عمل من تلك الجهة بمساعدة السلطات الايرانية ، لوقف تدفق الاسلحة من ساحل مكران الايرانية الى افغانستان . وفي الشتاء التالي (نوفمبر ١٩٠٦—يناير ١٩٠٧) قام الملازم اوجيلفي ، اول نائب قنصل ، بجولة واسعة قطع خلالها ٦٤٤ ميلا في فترة ٥٢ يوماً اخذته الى بامبور ومنهراج الايرانية . بكل حفاوة وترحاب . وقد اظهرت هذه الرحلة ان الطريق الذي يسلكه المهربون يقع الى الشرق من بامبور ، وان طول المسافات والطبيعة غير المواتية للمنطقة يجعلان من المستحيل اتخاذ اي عمل موفق ضدهم . وهنالك سبب آخر يكفي في حد ذاته لعدم توقع اية نتيجة من وراء الجهود المبذولة في هذه المنطقة وهو ضعف الادارة المحلية . اذ لم يكن باستطاعة الرسميين الايرانيين الحصول على اية معلومات بشأن اقتراب القوافل ، ولوجود حوالي ٤٠٠ جندي غير أكفياء تحت تصرفهم فانه من الطبيعي ان يتجنبوا الدخول في أي اشتباك مع المهربين الذين كانوا يتنقلون على شكل عصابات كبيرة ومسلحة تسليحاً ثقيلا . كما ان الزعماء المحليين وعامة الناس كانوا متعاطفين مع المهربين علماً بأنهم مزودون ايضاً بأحدث الاسلحة على مختلف أنواعها ، ولم يكونوا على استعداد للقيام بما من شأنه تسهيل اعتقال المهربين . وفي رأي الملازم اوجيلفي فإنه لكي تكون عملية الردع ذات فعالية فلا بد ان تطبق على الساحل وليس في داخل البلاد .

الواردات الى مكران الايرانية في خريف ١٩٠٦

في خريف ١٩٠٦ ذكر ان الشحنات التالية وصلت مكران الايرانية :

تاريخ النزول للبر	مكان النزول للبر	عدد البنادق
١٨ اكتوبر	جرديم	٤٠٠
٢٦ اكتوبر	براج	١٠٠
١ نوفمبر	جلج	٥٠
٥ «	سايدش	٣٠٠
٥ «	كناراك	١٥٠
١٠ «	كينج	٢٥

وقد تم الاستيلاء على الشحنة الثانية من هذة الشحنات بضغط من خان جيه ، كما صادر مدير جمارك شهبار القارب الذي كان يحمل الشحنة الاخيرة .

زيادة جهود البحرية الملكية ذون فائدة لمنع التجارة ١٩٠٦–١٩٠٧

في غضون شتاء العام ١٩٠٦–١٩٠٧ وبناء على اوامر وكيل امير البحر السير «ي. س. بو» استؤنفت الجهود المبذولة في البحر لوقف استيراد الأسلحة والذخائر الى مكران الايرانية ، كما انها قد ضوعفت عن السابق . وعلى الاقل كان قارب حربي واحد يتولى باستمرار مسؤولية حراسة الساحل بين شهبار وجاشك خلال الاشهر الثلاثة او الاربعة التالية ، كما اتخذت وسائل بارعة للدفاع للتغلب على يقظة المهربين الذين كان لهم نظام للاشارة كما كانوا يستخدمون جهازاً تلغرافياً لاسلكياً للاتصال فيما بين السفن ، ولكن المهمة اثبتت انها مستحيلة وكانت النتيجة الوحيدة لكل ذلك هي زيادة استهلاك الفحم دون اي تعويض ، فقد كانت عمليات الهروب تحدث باستمرار ويبدو أن السفن التي كانت تحمل الاسلحة من مسقط قد بدأت تغير اتجاهها بعد

مغادرة مسقط ، وهو احتياط افشل كل المحاولات للحصول على معلومات مفيدة من المخبرين . وفي الخامس من يناير ١٩٠٧ غادرت سفينة مسقط الى ساحل مكران وهي تحمل ٣٠٠ بندقية ، وفي الثالث عشر لحقت بها اخرى تحمل ٤٠٠ بندقية . ولكن رغم ان اخبار المغاردة قد ابرق بها الى جاشك ، وان السفينتين لابونج و «ريد بريست» ظلتا تراقبان الساحل الايراني بكل عناية ، فقد وصلت كلتا الحمولتين بنجاح للجهة المقصودة . ومرة أخرى فيما بين الثالث والخامس من شهر مارس غادر الميناء ثلاثة قوارب تحمل اسلحة اشتراها الافغانيون من مسقط وحال استلام السفينة بروسرين هذا النبأ بحثت عنهم بحثاً دقيقاً على الساحل المقابل ، كما فتشت عدداً من السفن المبحرة ولكن دون الوصول الى نتيجة . وعرف فيما بعد ان حوالي ١٠٠٠ بندقية قد انزلت في السابع من الشهر ذاته الى جاجين في سفينة كبيرة تملكها دبي وكما تبين من تحقيق لاحق نقلت الاسلحة من السفن الثلاث الى هذه السفينة قرب مصنعة وفي هذا الوقت كان حوالي مئة افغاني يقيمون في مسقط يعيش نصفهم على حساب «م. جوجير» تاجر الاسلحة الفرنسي .

وفي ١٢ مارس غادرت مسقط سفينة أخرى ، وفي الثامن عشر منه تمكنت هذه السفينة من انزال حمولتها في جابرج في حين فتشت السفينة ريد بريست أربعة قوارب اهلية قبل ذلك بثمان واربعين ساعة فقط . وقد وصلت بروسبرين بعد ذلك بساعات قلائل لتجد ان السفينة فارغة ونيران المراقبة ما زالت مشتعلة . وفضلاً عن ذلك ففي صباح العشرين من مارس انزلت شحنة اخرى قرب لاش في محافظة جاشك ، وفي كل حالة من الحالتين المذكورتين لفت الانتباه تحرك عدد من الافغانيين تجاه نقطة معينة حيث كان من المتوقع وصول الاسلحة ولكن في كلتا الحالتين وصلت المعلومات الضرورية بعد فوات الاوان . وفي شهر مايو ذكر ان ناخوذا سفينة من المعتقد أنها كانت تحمل أسلحة القى بحمولتها في الماء وذلك امام نظر السفينة سفنكس قرب جاشك ،

وعلى أي حال بقيت صحة هذه الواقعة محل شك . وفي نهاية الموسم كان ضباط البحرية الملكية الذين ساهموا بنصيب وافر في العمليات ، ومن بينهم القائدان «هوس» و «جيمس» غير مقتنعين بصفة عملية بامكانية وقف تجارة الاسلحة بطريق البحر ، الا أنهم اقترحوا تقديم شـكر رسمي الى المستر نيـو مساعد مراقب دائرة البرق الهندية الاوروبية في جاشك ، على المتاعب الّتي تكبدها في سبيل تنظيم الاتصال الهاتفي على الساحل بواسطة التليفونات ورجال الحرس .

اجراءات رادعة في بلوخستان البريطانية ١٩٠٧

وفي غضون ذلك كان العقيد «ف. س. و ب. وير» الوكيل السياسي في شاجلي يعد لتوجيه ضربة اذا امكن لتجارة الاسلحة الافغانية . وفي أثناء تسلم أخبار عن نقل شحنة ضخمة من جاجين في ابريل ١٩٠٧ أمر بمراقبة الطرق المؤدية عبر المنطقة الشمالية الغربية لبلوخستان الايرانية الى الاراضي الافغانية مراقبة دقيقة .

نجاح جزئي في مهاجمة قافلة قرب كاشا ٢٧ــ٧ــ١٩٠٧

وفي ٢٧ ابريل وصلت من الجنوب عند كاشاثانا قافلة تتكون من مايتي جمل مصحوبة بثمانين افغانياً مسلحاً وعلى رأسهم محمد جان الخاروتي ، وقد توقفت في كاشا لمدة ساعات قليلة قاصدة التقدم عن طريق مضيق كاشا إلى جداري شاه على نهر شلاج وهكذا حتى باندي كمال خان على نهر الهليماند . وعندما ابلغ العقيد «وب ــ وير» عن الحادث تلغرافياً ، أصدر اوامره الى حشود قليلة في سنداك و وبات ليؤخروا مرور القافلة عند اجتيازها مضيق كاشا وذلك باطلاق النار على الجمال حتى تصلهم قوة أخرى لمساعدتهم . ووصلت حشود سنداك الى المضيق في حوالي العاشرة مساء من تلك الليلة ، وبعد ساعة ظهرت القافلة ، ولكن عدد المهربين الكبير مكنهم من اقتحام الممر ، ولكن ليس بدون خسائر تدل عليها بقع الدم والصندوق الذي خلفوه وراءهم وبه ٢,٩٠٠ طلقة

نارية من ذخائر كاينوش ، وفي غضون ذلك سارت من مركز روباط جماعة من العساكر المشاة الوطنيين تقدر بخمسين جندياً ، ومع أنهم ساروا ٦٢ ميلا في ٢٢ ساعة عندما كانت درجة الحرارة ٩٨ درجة فهرنهيتية في الظل الا انهم وصلوا بعد فوات الاوان . ولدى وصولهم الى الحدود الافغانية كانت القافلة قد عبرتها مما اضطرهم لان يعودوا ادراجهم ، وقد تأكد في وقت لاحق ان القافلة كانت تحمل حوالي ١٥٠٠ بندقية و ٢٠٠,٠٠٠ طلقة نارية ، وان أفرادها رفضوا عند دخولهم الى افغانستان ان يدفعوا رسوم الاستيراد مع أن الرسميين الافغانيين طلبوا اليهم ذلك ، وكانت وجهة الشحنة كلها غزنه . وقد شوهد مع القافلة اثنان من الهندوس يتكلملان لغة بنجابية ، ويظهر بوضوح انهما ليسوا من بنياس في افغانستان .

الاستيلاء على كميات كبيرة من الاسلحة قرب كاشا ٢ـ٥ـ١٩٠٧

وسرعان ما قام الوكيل السياسي في شاجاي باتخاذ الترتيبات اللازمة لاستقبال القافلة الثانية التي كانت تتبع القافلة الاولى . وبمعاونة جماعة من روباط مزودين بثلاثين بندقية وجنود من سانداك وروباط تم القضاء على القافلة في وادي كاشا في الثاني من شهر مايو بعد ان ساقهم الجنود أمامهم الى المكان الذي كان المشاة كامنين فيه عند مخرج الوادي . وقد كانت هذه القافلة تتكون من مئة جمل معها ما بين اربعين الى خمسين افغانياً مسلحاً انتشروا على التلال المحيطة واستمروا يقاتلون الى ما بعد الظهر ، وبلغ ما خلفه المهربون ٧٩٥ بندقية و ٧٦,٠٠٠ طلقة من الذخائر كما انهم فقدوا سبعين جملا بين الموت والاسر ، وقد قتل في الاشتباك الدليل البلوشي الذي كان يقود القافلة ويعتقد وقوع عدد آخر من القتلى . وقد قدرت الخسائر المالية للمهربين بما في ذلك حمولة حملين من الذخائر انفجرت على اثر اطلاق الرصاص عليها ، بما لا يقل عن ١٠٠,٠٠٠ روبية بالقيمة المحلية وفي سوق غزنه لها قيمة اكبر من ذلك بكثير . وقد أظهر فحص الاسلحة المستولى عليها ان معظمها من بنادق ماركة

سنايدر من انتاج خاص او من ماركة مارتيني التي كانت تقوم ببيعها علانية الحكومات الاسترالية المختلفة ، بينما المتبقي من الاسلحة كان معظمه بنادق ماركة مارتيني من انتاج خاص او ذات طابع اوروبي ، ومن المحتمل ان تكون الاخيرة أسلحة حربية غير صالحة للاستعمال وتثبت بعض الاوراق المضبوطة ان الحاكم الافغاني لهيرات كان على علم بتجارة الاسلحة وصديقاً للمشتغلين بها . وبعد اربعة اشهر كانت القضية موضوع مراسلات بين صاحب الجلالة امير أفغانستان ونائب الملك في الهند ، وقد اشتكى الاول من ان بعض رعاياه من اقليم فاندا ها ممن يتعاطون تجارة الاسلحة بشكل مشروع قد تعرضوا للسلب على يد جنود تابعين للحكومة البريطانية . وفي خطاب مؤرخ في ١١ سبتمبر ذكر الامير أن تاجرين قد قتلا ، وجرح ثلاثة آخرون ، بينما ظل اربعة في عداد المفقودين ، وقد اعطيت الاسماء الحقيقية لجميع هؤلاء .

طلب الحكومة الايرانية من الحكومة البريطانية مساعدتها عسكرياً في مايو ١٩٠٧

لقد حفز النجاح الذي أحرزته السلطات البريطانية الحكومة الايرانية لأن تطلب عن طريق الوزير البريطاني في طهران مساعدة الجنود البريطانيين لها اذا لزم الامر وذلك على الجانب الايراني من الحدود ومن اجل الاستيلاء على قافلة أسلحة افغانية ثالثة كان يعتقد انها تتحرك نحو الشمال بجوار الحدود ، وقد رفض الطلب بسبب الحالة السياسية العامة المضطربة والشعور العام بذلك في ايران . وفي الحقيقة سرعان ما همت الحكومة الايرانية سحبه بنفسها وخاصة لما يتعلق بالمساعدات البريطانية في الاراضي الايرانية وأثبتت التحقيقات التي اجريت فيما بعد انه ربما كانت القافلة مزعومة ولا وجود لها .

تحقيقات الرائد كينيون في سجستان في سبتمبر ١٩٠٧

وفي غضون ذلك ، قام الرائد « ل. كينون» القنصل البريطاني في سجستان وقاين بدراسة الطرق التي كان يسلكها مهربو الاسلحة

الافغانيون في ذلك الوقت في منطقة الحدود الايرانية–الافغانية . وقد ذكر الرائد كينون في سبتمبر ١٩٠٧ ان هنالك مجموعتين من الطرق في شمال بازمان تلك التي تؤدي الى هيرات وتلك التي تؤدي الى قندهار وان المسافرين الى هيرات يدخلون الى افغانستان قرب لاشجوان ، في حين يذهب الذين تكون وجهتهم قندهار الى باندي كمال خان على جسر نهر الملماند او الى اي مكان في تلك المنطقة . ويتضح من تقرير الرائد كينون ان قوافل الاسلحة التي كانت تدخل الى افغانستان من الجنوب لم تكن مضطرة بأي حال من الاحوال للدخول الى المنطقة البريطانية مطلقاً ، وانه لا يوجد في ايران اي أمل لاتخاذ السلطات اي اجراء ضد مهربي الاسلحة ، وطبقاً لمعلومات الرائد كينون كان من بين قوافل الاسلحة الخمسة المتجهة الى افغانستان في العام ١٩٠٧ من ساحل مكران اثنتان فقط عبرتا المنطقة البريطانية ، وهما اللتان هوجمتا عند كاشا . كما ان القافلة الاولى والقافلتين الاخيرتين من هذه المجموعة سارت عبر الاراضي الايرانية من البحر حتى الحدود الافغانية نظراً الى فشل الوسائل التي اتخذت لقمع التهريب ما عدا التي اتخذت في المنطقة البريطانية ، والتي لم ير المستوردون ضرورة للمرور خلالها ، يستطيع القارئ أن يعلم ان التجارة الافغانية استمرت حتى العام ١٩٠٧ في حالة ازدهار ، وقد وصلت الشحنات التالية من مسقط الى ساحل مكران الايرانية خلال الاشهر التي عقبت عملية الاستيلاء في كاشا . :

تاريخ النزول الى البر	مكان النزول الى البر	عددالبنادق
اول شهر مايو	قرب همدان	٧٦
الثاني من شهر مايو	رابية	١٠٠
الثاني عشر من شهر مايو	دورق	٣٠
الثالث والعشرون من شهر مايو	٢٠ ميلا غرب جلج	١٥٠
الخامس والعشرون من شهر مايو	كناراك	١٠٠
« « «	تانك	٢٠٠

السادس والعشرون من شهر مايو	دورق	١٠٠
التاسع والعشرون من شهر مايو	دورق	١٠٠
الثلاثون من شهر مايو	تانك	١٠
» » »	جلج	٢٠٠
الثالث والعشرون من يونيه	كناراك	٣٠
التاسع من شهر يوليو	ساديش	٥٠
الواحد والعشرون من شهر يوليو	جرديم	٥٠
الثامن والعشرون من شهر يوليو	كناراك	٥٠
الثامن عشر من شهر اغسطس	جرديم	١٠٠
الثاني والعشرون من شهر اغسطس	كناراك	١٠٠٠

وكان مستوردو هذه البنادق في أغلب الحالات من رعايا خان البلوش في مكران الايرانية ، وذكر في بعض الحالات بأن الخانات انفسهم هم المهربون . وذكر الوكيل السياسي في مسقط في اكتوبر ١٩٠٧ ان البلوش ينقلون البنادق الى ساحل مكران بمعدل ٢٠٠ بندقية اسبوعياً . وقد ايدت هذه التقارير المعلومات التي وصلت موظفي التلغراف على الجانب الايراني .

اتفاقية اسلحة خران ٨-٧-١٩٠٧

وفي غضون ذلك ، علم ان سيرنو روز خان انوشروان من خران في بلوخستان البريطانية اعتاد خلال منعه مرور قوافل الاسلحة من أراضيه أن يشتري عدداً من بنادق مسقط من جالك وديزاك وان يأخذ عدداً آخر على شكل غرامة من القوافل التي تعبر حدوده ، ولما كان هناك ما يدعو الى الخوف من انه قد يبدأ استيراد البنادق من مسقط لحسابه الخاص ، اقنع في ٨ يوليو ١٩٠٧ بإبرام اتفاقية بأنه لن يفعل ذلك دون الرجوع الى السلطات البريطانية في بلوخستان ، وعلى أية حال فقد كان ذلك اجراء داخلياً ولم يؤثر على التجارة عموماً .

سياسة الحكومة البريطانية في الوقت الحاضر ووضع تجارة الاسلحة ١٩٠٧

توصيات الحكومة الهندية واوامر حكومة صاحب الجلالة ١٩٠٧

في فبراير ١٩٠٧ وبعد ان رأت حكومة الهند عدم كفاية الاجراءات الوقائية والمهدئة بالنسبة لمنع تجارة الاسلحة محلياً ، ارسلت رسالة مطولة الى وزير الدولة مدعمة بالاثباتات الكاملة بشأن خطر نمو تجارة الاسلحة وعادت الى اقتراحات ١٩٠٢–١٩٠٣ واوصت من جديد باغلاق سوق مسقط عن طريق ابرام اتفاقية دولية وذلك كحل وحيد شامل ومرض لمسألة تجارة الاسلحة . وقد اقترحت طرق عديدة بالاتفاق مع تركيا لمنع تدفق الاسلحة والذخائر الى الكويت والممتلكات التركية في الخليج ، ولكن سرعان ما أعلن أنها مقترحات ذات أهمية ثانوية . وقد جاء رد حكومة صاحبة الجلالة في ابريل مبيناً أن الوقت ليس ملائماً للمفاوضات التي تقترحها حكومة الهند ، ولكن التعليمات اللازمة ستعطى للمفوضين البريطانيين في المؤتمر العالمي للاسلحة الذي سيعقد في بروكسل في بداية العام ١٩٠٨ .

تقرير عن الحالة في العام ١٩٠٧

وبناء على ذلك فالوضع القائم كما يلي :

منذ العام ١٩٠٢ منعت تجارة الاسلحة اسمياً في جميع موانئ الخليج العربي وخليج عمان ما عدا مسقط ، الا ان التهريب والتستر على خرق القانون كانا منتشرين بصفة عامة ، الامر الذي نتج عنه استمرار توزيع الاسلحة والذخائر على طول منطقة الخليج وعرضها ، كما ظهرت الى حيز الوجود حركة تجارية نشطة ومنتظمة في الاسلحة فيما بين مسقط وافغانستان . ومع ان الطلب المحلي القليل لسلطنة عمان قد اصبح مشبعاً منذ فترة طويلة فلا تزال عمليات الاستيراد في مسقط على الدرجة نفسها

التي كانت عليها قبل صدور الامر بالحظر العام بالنسبة للتجارة في العام ١٩٠٢ . ولكن الاستيراد الآن يشمل كل التجارة او معظمها بدلا من جزء منها . وقد ثبت على حساب الجهود الكبيرة التي بذلتها المؤسسات البريطانية المختلفة انه لا يمكن وقف انتشار الاسلحة غير المشروعة من ميناء مسقط الحر او حتى عرقلة ذلك بالوسائل البحرية ، وان الاجراءات التي اتخذت في بلوخستان البريطانية ، مهما تكن ذات فعالية ، لا تؤثر ولا يُقدّر لها ان تؤثر على مجرى حركة التجارة الافغانية ، وكذلك اتفق الضباط الذين قاموا بدراسة الموضوع على الطبيعة في ايران على ان حكومة تلك البـــلاد عاجزة عن قمع التجارة عبر ايران بين مسقط وافغانستان مهما كانت لديهم الرغبة في ذلك .

وفي الشرق الاوسط حيث أدت تجارة الاسلحة الى زيادة الفوضى وسفك الدماء في اواسط الجزيرة العربية وبعض الدول الصغرى ، واضعفت من سلطة الحكومتين الايرانية والتركية مما بات يهدد بخلق فوضى عامة لا يمكن ضبطها ، فانها تعتبر هناك على الاقل شراً عاماً لا يقل عن تجارة الرقيق . ولهذا السبب فانه مما يدعو الى الاسف العميق هو ذلك التأخير الذي حدث بالنسبة للاجراءات المشتركة التي اتخذتها الدول الاوروبية المتحضرة لقمع هذه التجارة فيما وراء حدود المنطقة المحظورة بموجب قانون بروكسل . وكذلك فانه من المرغوب فيه من اجل المصالح البريطانية في الهند وضع حد لامدادات الاسلحة والذخائر عبر الخليج الى قبائل الحدود الافغانية .

★ ★ ★

ملحق رقم ١ ـ احصائيات تجارة الاسلحة في في الخليج ١٨٨٣ ـ ١٩٠٦

يوجد فيما يلي بيان بقيمة الاسلحة والذخائر (بالروبية) المستوردة علانية الى منطقة الخليج خلال السنوات الاخيرة وتشمل ارقام السنوات الاولى في هذا الجدول نسبة الاسلحة غير البنادق . ويجب ملاحظة ان كميات من الاسلحة المستوردة الى مسقط تظهر مرة ثانية بين واردات الاماكن الاخرى في السنة نفسها او اللاحقة عليها . وقد حولت دولارات مسقط الى روبيات لتجانس التعداد . فكل ٣ دولارات تساوي ٤ روبيات هندية فيما عدا بعض الحالات المعروفة قيمتها بالروبية :

السنة	مسقط	عمان المتصالح	البحرين	بوشهر	لنجه	بندرعباس
	روبية	روبية	روبية	روبية	روبية	روبية
١٨٨٣ — ٨٤	غير معلوم	١٥,٢١٠	١٣,٣٠٠	٣٠,٧٠٠	لا شيء	لا شيء
١٨٨٤ — ٨٥	«	١٨,٢٢٠	١٣,٥٥٠	٥٥,٨٠٠	٤٠٠	«
١٨٨٥ — ٨٦	«	١١,٩٠٠	١٥,٣٨٠	٢١,٩٠٠	٢٦٠٠	«
١٨٨٦ — ٨٧	«	١١,٥٠٠	١٤,١٥٠	١٦٨,٢٦٠	لا شيء	«
١٨٨٧ — ٨٨	«	١٦,١٠٠	١٣,٥٠٠	٣٤,٩٤٠	«	«
١٨٨٨ — ٨٩	«	١٣,٩٠٠	٢٤,٩٢٠	٢٠,٠٥٠	١٦٧٥٠	«
١٨٨٩ — ٩٠	«	٤٣,١٥٠	٢٤,٨٠٠	٦٩,٤٧٠	٢٠٠٠٠	«
١٨٩٠ — ٩١	«	٥٦,٠٠٠	٢٦,٣٠٠	٤٣,٣٢٠	٢٥٠٠٠	«
١٨٩١ — ٩٢	«	١٥,٠٠٠	لا شيء	٣٩,٦٤٠	لا شيء	«
١٨٩٢ — ٩٣	«	١٠,٠٠٠	لا شيء	٣,١٢٠	لا شيء	لا شيء
١٨٩٣ — ٩٤	«	٣٥,٠٠٠	١٠,٢٧٠	١٤,٣٣٠	«	«
١٨٩٤ — ٩٥	«	٢٥,٠٠٠	١٤,٨٥٠	٦٧٨,٢٠٠	«	«
١٨٩٥ — ٩٦	٢١٣,٣٣٣	٥٠,٠٠٠	٩٥,٤٠٠	١٠١٣,٤٢٠	١٣,٧٠٠	٥٤,٢٢٠
١٨٩٦ — ٩٧	١,١٣٣,٣٣٣	١٢٠,٠٠٠	١٤٢,٨٨٠	١٩٩٠,٣٢٥	٢,٠٠٠	٥٤,٨١٠

السنة	مسقط	ساحل عمان	البحرين	بو شهر	لنجه	بندرعباس
١٨٩٧ — ٩٨	١,٣٣٣,٣٣٣	١١٩,٥٠٠	٤٦٧,٧٩٠	٢٠٥٦,٨٩٠	٧٢,٠٠٠	٧٢,٠٠٠
١٨٩٨ — ٩٩	٣٤٦,٦٦٦	٧,٠٠٠	لا شيء	لا شيء	٦,٠٠٠	لا شيء
١٨٩٩ — ١٩٠٠	٥٩٣,٥٣٣	٤,٦٩٢٠	»	»	لا شيء	»
١٩٠٠ — ١٩٠١	١٣٣,٣٠٦	٤٠,٠٠٠	»	»	٢,٥٢٠	»
١٩٠١ — ١٩٠٢	٨٠٥,٣٠٦	١٠,٠٠٠	»	»	لا شيء	»
١٩٠٢ — ١٩٠٣	٥٧٨,٦٥٣	لا شيء	»	»	»	٦ بنادق
١٩٠٣ — ١٩٠٤	١١٤٩,١٨٦	»	»	»	»	٣ بنادق و ١٥٠٠ خرطوشة
١٩٠٤ — ١٩٠٥	١٦١٤٤٦٥	»	»	١,٧٥٥	»	٣٨٣
١٩٠٥ — ١٩٠٦	١٠٧٤٣٨٠	»	»	١٤,٧٤٥	»	٧٥

ملحق رقم ٢ ـ اتفاقية الاسلحة مع شيوخ ساحل عمان المتصالح في نوفمبر ١٩٠٢

نحن الموقعين ادناه شيوخ الساحل المتصالح ، نوافق على حظر استيراد الاسلحة بصفة مطلقة للبيع في اراضي كل منا ، وعلى التصدير منها ، وتنفيذاً لما ذكر اصدرنا بياناً لكل من يهمه الامر .

مكتوم بن حشر	دبي
صقر بن خالد	الشارقة
راشد بن احمد	ام القوين
عبد العزيز بن حميد	عجمان
زايد بن خليفة	ابو ظبي .

قام بالتوقيع عليها شيوخ الساحل المتصالح المذكورون أعلاه وختمت بحضوري على ظهر السفينة الملكية «لورنس» في الرابع والعشرين والخامس والعشرين والسادس والعشرين من نوفمبر ١٩٠٢ .

العميد سي . ا. كيمبول

المقيم السياسي في الخليج

★ ★ ★

الاعلان الذى اصدره شيوخ ساحل عمان المتصالح

ليكن معلوماً للجميع ، حيث انه اصبح معلوماً لنا أن التجارة في الاسلحة حظرت في الهند البريطانية ، ولما كنا نرى هذا الرأي هو أنه اذا استمرت التجارة ستضر بمصالح بلادنا ، قررنا ، بناء على ذلك ، تجنيد كل امكاناتنا لايقاف هذه التجارة المحظورة ، ونعلن انه ابتداء من تاريخ هذا الاعلان يحظر بصفة مطلقة استيراد الاسلحة والذخائر وتصديرها من والى اراضي كل منّا ، ولهذا فستتم مصادرة كل الأسلحة والذخائر المستوردة او المصدرة على هذا الشكل في المستقبل .

ملحق رقم ٣ ـ اتفاقية الاسلحة مع شيخ البحرين في ٣٠ ابريل ١٨٩٨

أوافق على ان احظر حظراً مطلقاً استيراد الاسلحة والذخائر وتصديرها الى ومن أراضي البحرين وتنفيذاً لذلك أصدرت بياناً واعلاناً لكل من يهمه الامر .

* * *

الاعلان الذى أصدره شيخ البحرين

ليكن معلوماً لجميع من يطلعون على هذا الاعلان بأن لدى السفن الحربية البريطانية والايرانية تفويضاً بتفتيش السفن التي تحمل اعلامها او اعلامنا في مياه البحرين الاقليمية ، وكذلك مصادرة جميع الاسلحة والذخائر التي بها (من اسلحة الحرب) اذا كانت وجهة هذه الاسلحة والذخائر الموانئ الهندية او الايرانية او جزر البحرين ، وستكون سفن البحرين التي تجدها السفن الحربية البريطانية والايرانية في المياه الهندية والايرانية، وتشك في أنها تحمل اسلحة وذخائر الى الموانئ الهندية والايرانية وجزر البحرين ، معرضة للتفتيش من قبل السفن الحربية المذكورة وان تصادر كل ما بها من اسلحة وذخائر على ان تعتبر ملكاً للدولة .

* * *

بيان شيخ البحرين

ليكن معلوماً لجميع من يطلعون على هذا البيان ، أنه لما كنا قد حظرنا على رعايانا الاتجار في الاسلحة والذخائر في جزر البحرين ببياننا هذا ، المؤرخ في ١٣ صفر ١٣١٣ الموافق يناير عام ١٨٩٦ ولما كان هناك ما يدعو الى الاعتقاد انه بالرغم من هذا الحظر يتم استيراد العديد من الاسلحة والكثير من الذخائر الى البحرين بقصد تصديرها ثانية الى الموانئ الهندية البريطانية ، والموانئ الايرانية حيث إن مثل هذا الاستيراد محظور أيضاً وكما كنا قد قررنا تجنيد كل امكاناتنا لمساعدة الحكومتين البريطانية والايرانية لايقاف هذه التجارة غير المشروعة ، فاننا نعلن انه ابتداء من تاريخ هذا البيان يحظر استيراد الأسلحة والذخائر الى جزر البحرين او التصدير منها حظراً مطلقاً .

وسيتم وضع اليد على كل الذخائر التي تستورد في المستقبل الى جزر البحرين او تصدر منها وممن ثم تصادر وتعتبر ملكاً للدولة .

* * *

ملحق رقم ٤ ـ اتفاقية الاسلحة مع شيخ الكويت

اوافق على ان احظر حظراً مطلقاً استيراد الاسلحة الى الكويت او تصديرها منها ، لذلك اصدرت بياناً واعلاناً لكل من يهمه الامر .

تحريراً في : ٢٤ محرم ١٣١٨

الموافـق : ٢٤ مايو ١٩٠٠

ختم

مبارك بن الصباح

الاعلان الذى اصدره شيخ الكويت لدى توقيع اتفــاقية ١٩٠٠

ليكن معلوماً لجميع من يطلعون على هذا الاعلان بأن لدى السفن الحربية البريطانية والايرانية التفويض بتفتش السفن التي تحمل أعلامها واعلامنا في المياه الاقليمية للكويت وكذلك مصادرة جميع الاسلحة والذخائر التي بها ، اذا كانت وجهة هذه الاسلحة والذخائر الموانئ الايرانية او الهندية او الكويتية . وستكون سفن الكويت التي تجدها السفن الحربية البريطانية والايرانية في المياه الهندية او الايرانية وتشك في أنها تحمل اسلحة وذخائر الى الموانئ الهندية والايرانية والكويتية معرضة للتفتيش من قبل السفن الحربية المذكورة وان تصادر ما بها من اسلحة وذخائر .

تحريراً في : ٢٤ محرم ١٣١٨

المـوافق : ٢٤ مايو ١٩٠٠

ختم

مبارك بن الصباح

★ ★ ★

بيان شيخ الكويت

ليكن معلوماً لجميع من سيطلعون على هذا البيان انه لما كان من المعروف أن تجارة الاسلحة في الهند البريطانية وايران اصبحت محظورة فقد قررنا بناء على ذلك تجنيد كل امكاناتنا لمساعدة الحكومتين البريطانية والهندية لايقاف هذه التجارة غير المشروعة ، وفيما يلي نعلن أنه ابتداء من تاريخ هذا البيان يحظر حظراً مطلقاً استيراد الاسلحة والذخائر الى الكويت وإلى الاراضي التي تحت ادارتي وكذلك التصدير منها ، وسيتم

وضع اليد على كل الاسلحة والذخائر التي تستورد في المستقبل الى أي جزء من اراضي الكويت او تصدر منها ومن ثم تصادر .

تحريراً في : ٢٤ محرم ١٣١٨

المـوافق : ٢٤ مايو ١٩٠٠

ختم
مبارك بن الصباح

★ ★ ★

ملحق رقم ٥ ــ اتفاقية اسلحة الكاروان في ٢٦ مايو ١٩٠٦

أسماء الزعماء والاشخاص المتقدمين في العمر البارزين في الموانئ الجنوبية من شاربار الى ساديش والموانئ التابعة الى ساديش . الاتفاقية الخاصة بالموانئ من جوتير الى شاربار مستقلة .

زعماء كل من :

جلبج ــ بَلَك ــ رافش ــ دورق	مير عبده
	مير شاهسوار
	مير عيسى
	مير إيبان
الكاروان	مير دوست
	مير غول محمد
بير وتانك بندر	مير صاحب خان
	مير شيرو
سوراج وساديش بندر	مير اللوهي
	مير رحيم خان

سرناج ويراج	حوت شير محمد
	حوت لالاه
خير وجاردان بندر	حوت بيان

تحريراً في ٢ ربيع الثاني ١٣٢٤
الموافق ٢٦ مايو ١٩٠٦

نحن المدونة أسماؤنا أعلاه كنا موجودين في هذا اليوم في الكاروان أمام سعد الدولة حاكم بلوخستان الايرانية ، والرئيس ماك كوناجي مساعد الوكيل السياسي لمكران ، وميرزا محمود خان مدير جمارك شاربان ، وتلقينا اوامر وتعليمات مشددة بشأن استيراد الاسلحة على طول الساحل من ميناء شاربار حتى ميناء ساديش والموانئ التابعة لها . وبالنسبة للمستقبل ومنذ الآن اذا ما حاول احد رعايا ايران او الهند البريطانية أو أفغانستان او مسقط ، الخ . انزال بنادق او ذخائر او اسلحة نارية ، نعتبر انفسنا نحن الموقعين ادناه مسئولين عن وقف ذلك . واذا ما حدث اي تقصير من جانبنا فاننا نتحمل المسؤولية والعقوبات التي قد تفرضها الحكومة الايرانية وندفع كذلك غرامة قدرها مئة روبية عن كل خرطوشة تنزل في أراضي كل منا .

بصمة كل من :

مير دوست
مير غول محمد
مير عيسى
مير عبده
مير إبيان
مير اللوحي
مير رحيم خان
مير شاهسوار
مير صاحب خان

مير شيرو
حوت شير محمد
حوت لآلاه
حوت بيان

تصديق السردار سعيد خان

أقر انا السردار سعيد خان بأنني طالما أحكم منطقة مكران الايرانية من قبل حاكم بلوخستان ، فسوف لن اسمح بالتغاضي عن تنفيذ الاتفاقية المذكورة ، وفي حالة عدم تنفيذ هذه الاتفاقية ويثبت اهمالي ويتأكد ، اعتبر نفسي مسؤولا عن ذلك .

ختم
السردار سعيد خان

ابرمت هذه الاتفاقية بحضوري .

(ختم) سعد الدولة
توقيع الرئيس ف. ماك كوناجي
مساعد الوكيل السياسي في مكران

تحريراً في ربيع الثاني ١٣٢٤

كنت موجوداً في الكاروان أثناء ابرام هذه الاتفاقية .

(امضاء وختم) ميرزا محمود خان
مدير الجمارك في شاربار

ان هذه الاتفاقية ابرمت بحضور سعد الدولة حاكم بلوخستان والرئيس ماك كوناجي الممثل البريطاني وميرزا محمود خان مدير جمارك بلوخستان وبحضوري شخصياً .صحيحة ومقبولة وموقع عليها .

ختم أتيلا الدولة
ممثل دائرة الشئون الخارجية الايرانية لبلوخستان وسجستان

امضاء : الرئيس ف. ماك كوناجي
الوكيل السياسي المساعد لمكران

فهرس دليـــل الخليج

الجزء السادس التاريخي

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
سنجق الاحساء ــ انتاج التمور	٣٢٩٨
الكويت ــ انتاج التمور	٣٢٩٩
نجـــد ــ انتاج التمور	٣٢٩٩
العراق التركي ــ انتاج التمور	٣٣٠٠
عربستان ــ انتاج التمور	٣٣٠٨
الساحل الايراني ــ انتاج التمور	٣٣١١
مذكرة ملحقة ا ــ احصائيات صادرات تمور الخليج	٣٣١٣
ملحق هـ ــ مصايد الاسماك في الخليج	٣٣١٤
الاسماك والكائنات البحرية على الساحل العربي لخليج عمان	٣٣١٥
الاسماك عند الساحل الايراني لخليج عمان	٣٣٢٦
ملحق ــ و ــ المراكب الشراعية في الخليج	٣٣٢٧
ملحق ز ــ حيوانات النقل والماشية بمنطقة الخليج ــ الابل	٣٣٣٣
« « « « « « ــ الخيول	٣٣٣٦
« « « « « « ــ البغال	٣٣٤٦
« « « « « « ــ الحمير	٣٣٤٩
« « « « « « ــ الابقار والمواشي	٣٣٥١
« « « « « « ــ الجامـــوس	٣٣٥٢
« « « « « « ــ الأغنام والماعز	٣٣٥٢
« « « الضأن والماعز الايراني	٣٣٥٣
« « « الضأن والماعز الايراني	٣٣٦٠
ملحق ــ ح ــ الديانات والطوائف في منطقة الخليج	٣٣٦٢
مسائل متعلقة بالمذاهب الاسلامية على وجه عام	٣٣٦٣
وقائع تاريخية تفسر نشوء المذاهب الاسلامية	٣٣٦٥
طوائف الشيعة في منطقة الخليج	٣٣٧١
أضرحة الشيعة في العراق	٣٣٧٣

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
الارسالية الامريكية	٣٤٣٨
ارساليات الكنيسة الانجليزية ومبشروها	٣٤٤٤
ملحق ـ ي ـ البرق في الخليج وعلاقته بأنظمة البرق في ايران وتركيا	٣٤٤٦
انشاء مواصلات برقية بين اوروبا وبغداد	٣٤٤٨
مد خط بغداد ـ الفاو وبغداد ـ خانقين ١٨٦١ ـ ١٨٦٥	٣٤٥٠
المعاهدة الانجليزية لمد الخط بأكمله سنة ١٨٦٤	٣٤٥٢
انشاء خط ارضي بديل في ايران ١٨٦٢ ـ ١٨٦٤	٣٤٥٤
وصل الخطوط التركية بالخطوط الهندية بطريق الخليج	٣٤٥٩
خط البرق المساعد من جوادر الى كراتشي ١٨٦٤	٣٤٦٧
تكملة شبكة التلغراف الهندو ـ اوروبية ١٨٦٤	٣٤٦٨
اتفاقية التلغراف الانجلو ـ ايرانية سنة ١٨٦٥	٣٤٧٠
ازدواج الخط الهندو ـ اوروبي بين جوادر وبوشهر	٣٤٧٢
تحويل كابل جوادر ـ بوشهر الى جاشك وهنجام	٣٨٧٦
عمل خط هندو ـ اوروبي في ايران بدلا من الخط الموجود بتركيا ١٨٦٥ ـ ١٨٧٠	٣٤٧٨
الخدمة التلغرافية الدولية في الممتلكات التركية ١٨٦٧ ـ ١٨٦٨	٣٤٨١
التاريخ العام والسياسي لشركة ومصلحة التلغراف الهندو ـ اوروبية ١٨٦٨ ـ ١٩٠٤	٣٤٨٣
التاريخ المالي والاداري للمصلحة اياها	٣٤٨٨
تعديلات في شبكة التلغراف في الخليج ١٨٦٨ ـ ١٩٠٧	٣٤٩١
الخط الارضي الايراني المركزي ١٨٩٨ ـ ١٩٠٧	٣٤٩٨
بيان ملحق رقم ١ ـ فرع المصلحة الهندو ـ اوروبية بالخليج ١٩٠٦	٣٤٠٥
بيان ملحق رقم ٢ ـ المعونات المدفوعة في مكران لحماية الخط الارضي	٣٥٠٨
بيان ملحق رقم ٣ ـ كبار المديرين بمصلحة الهندية ـ الاوروبية	٣٥١٠
بيان ملحق رقم ٥ ـ مديرو الفرع للمصلحة اياها في الخليج	٣٥١١
ملحق ك ـ المواصلات البريدية في الخليج خط الخليج كطريق بري بين الهند واوروبا	٣٥١٢

الموضوع	رقم الصد
المواصلات بين الخليج والهند ١٨٣٣ ـ ١٨٦٢	٥١٤
خدمة بواخر البريد في الخليج ١٨٦٣ ـ ١٩٠٧	٥١٦
خدمة بواخر البريد في دجلة ١٨٦٣ ـ ١٩٠٧	٥٢٠
انشاء مكاتب البريد الهندية في الخليج ١٨٦٤ ـ ١٨٩٢	٥٢٣
النظام والرقابة والتفتيش على مكاتب بريد الخليج ١٨٦٤ ـ ١٩٠٧	٥٢٤
الأعمال العامة في المكاتب اياها	٥٢٦
التاريخ المختصر لمكاتب ومحطات البريد في الخليج ١٨٦٤ ـ ١٩٠٧	٥٢٩
المسائل السياسية وشبه السياسية المرتبطة بالمكاتب الهندية في ايران ١٨٦٤ـ١٩٠٧	٥٤٠د
ملحق ١ ـ جدول باتفاقات البريد قسم الخليج عدا البصرة	٥٦٢د
ملحق ٢ ـ جدول باتفاقات البريد خط البصرة ـ بغداد	٥٦٤د
ملحق ٣ ـ جدول المكاتب الهندية ـ البريطانية لقسم الخليج (دائرة بومباي) ...	٥٦٨د
ملحق ـ ل ـ تجارة الرقيق بمنطقة الخليج	٥٧٢د
تطور سياسة بريطانيا ضد تجارة الرقيق ١٧٧٢ـ١٧٣٨	٥٧٢د
قمع تجارة الرقيق في الخليج	٥٧٣د
الاتفاقيات مع الاشراف وسلاطين عمان ١٨٢٢ـ١٩٠٧	٥٧٤د
الاتفاقيات مع شيوخ عمان المتصالح ١٨٢٠ـ١٩٠٧	٥٨٠د
الاتفاقيات مع شيخ البحرين ١٨٢٠ ـ ١٩٠٧	٥٨٣د
الاتفاقيات مع شيوخ قطر والاحساء والكويت	٥٨٣د
الاتفاقيات مع الحكومة التركية ١٨١٢ ـ ١٩٠٧	٥٨٤د
الاتفاقيات مع الحكومة الايرانية ١٨٤٨ ـ ١٩٠٧	٥٨٦د
الوضع الغام والتشريعات ١٨١٢ ـ ١٩٠٧	٥٩٠د
المشكلات الخاصة بتفسير رتطبيق الاتفاقات	٥٩٠د
الاعانة المالية لعمليات الخليج البريطانية لمكافحة تجارة الرقيق	٥٩٩د
تاريخ تجارة الرقيق الخارجية في الخليج والأعمال البريطانية الوقائية ١٨٥٢ ـ ١٨٧٣	١٠٢
تاريخ تجارة الرقيق الخارجية بالخليج والأعمال الوقائية البريطانية ١٨٧٣ ـ ١٩٠٧	١٠٧

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

تم بحمد الله وتوفيقه
طبع الجزء السادس
من هذا الكتاب
بمطابع علي بن علي بالدوحة

دليل الخليج

القسم التاريخي

الجزء السابع

تأليف: ج. ج. لوريمر

طبعة جديدة معدلة ومنقحة
أعدها قسم الترجمة
بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر

طبع على نفقة
الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر

Bibliotheca Alexandrina
0119120

دليل الخليج

القسم التاريخي

الجزء السابع

تأليف : ج . ج لوريمر

طبعة جديدة مُعدّلة ومنقحة
أعدها قسم الترجمة
بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر

طبع على نفقة
الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر

ملحق و(١)

الجمارك الايرانية الامبراطورية

ادارة بنك ايران الامبراطورى لجمارك

بوشهر ١٨٩٨

يجب ألا ننسى اثناء مناقشة الاصلاح الحديث للجمارك الايرانية ، أن جمارك مدينة بوشهر كانت ذات يوم تحت الادارة البريطانية لفترة قصيرة . وقد برهن هذا الحادث على أنه كان خلال فترة وجيزة مقدمة لتجديد نظم الجمارك في جميع أرجاء ايران . وطبقاً لشروط القرض الذي قدمه بنك ايران الامبراطوري «البريطاني» للحكومة الايرانية ،

---

(١) لقد جمع هذا الملحق بصفة أساسية سجلات من الحكومة الهندية بالقسم السياسى ، ولكن المصادر التالية كانت كذلك ذات فائدة وهى : التقارير الادارية السنوية للمقيم السياسى في الخليج وملخص عن الاحداث في ايران في خلال ١٩٠٦ للسير « س. سبرنج ريس » وزير صاحب الجلالة في طهران وتقرير عن جمارك الخليج وفارس ومكران وجهه « م. نوس » الى مشير الدولة في ٣ فبراير عام ١٩٠٧ ، وتقرير عن جمارك ايران وجهه « م. نوس » للشاه في ٨ فبراير عام ١٩٠٨ . وقد راجع الملحق بعناية كاملة الرائد « ب. ز. كوكس » المقيم في الخليج ، والسيد « ج. ب. » السكرتير الشرقي للوفد البريطاني في طهران وكلاهما قاما بأهم التصحيحات والاضافات .

ان مواد التذييل رقم ــ ١ ــ قد قدمت بمجهود السادة « اوت. ج. مالكوم بوشهر » . أما التذييل الثانى فقد كان من كرم « م. م. هينيسنس » و « وجنر » المديرين العامين لجمارك جنوب عربستان. وقد شوهدت مراكز الجمارك من الديلم حتى جاشك على خريطة قديمة تبين هذه المواقع والمراكز .. وهكذا .. في مركز المدير العام الجنوبي عام ١٩٠٦ وجدت الخريطة رقم ١٣٩٤ في مكتبة دائرة الشؤون الخارجية في سيملا .

وقدره ٥٠,٠٠٠ جنيه استرليني أصبحت جمارك بوشهر تحت الادارة المباشرة للبنك في ابريل سنة ١٨٩٨ ، وقد حدث بعض الهياج المحلي وكان سببه ما ذاع من ان بضائع التجار الايرانيين التي كانت الضريبة عليها حتى ذلك الحين لا تزيد عن ٢٪ أو ٣٪ نظراً للضرائب الداخلية التي كان الايرانيون يدفعونها ، سوف تخضع لتعريفة موحدة قيمتها ٥٪ ، بل انه أمكن دفع بعض علماء المسلمين الى ان يدمغوا هذا التغيير في الادارة بأنه مناف للدين الاسلامي ، وفي بادئ الامر لم يمكن اخماد عملية شغب عنيفة الا بالاستعانة بالجنود البريطانيين الذين كانوا في زورق تجاري خارج مبنى الجمارك ، ولكن ادارة البنك الجديدة سرعان ما نالت استحسان الناس ، وكانت شعبيتها لا تزال في ازدياد عندما توقفت ادارة البنك فجأة في اغسطس سنة ١٨٩٨ وذلك بسداد القرض ، ويبدو ان الحكومة الايرانية كانت قد حصلت على الاموال التي سددت بها التزاماتها نحو البنك ، من مصدر روسي ، الا أنه من المؤكد ان الحكومة الروسية كانت تنظر الى ذلك الاتفاق بعين الغيرة والحسد .

★ ★ ★

اعادة تنظيم الجمارك الايرانية على هيئة الجمارك الامبراطورية الايرانية

النظام السابق

استمر تحقيق ايرادات الجمارك سائراً على نظم اسيوية قديمة حتى سنة ١٨٩٩ وبمعنى آخر يؤول هذا الريع الى الموظفين الرسميين والاعيان المحليين مقابل مبالغ يدفعونها للدولة ، ولم يكن هناك نظام موحد او تعريفة موحدة اللهم الا على التجار الاجانب ، وبينما كانت الحاصلات التي تصل الخزانة الايرانية ضئيلة بالنسبة للاموال الحقيقية المتحصلة من الناس نجد ان سلطات الجباة الجائرة كانت في غير صالح التجارة .

أسباب التغير

كانت ازمات ايران المالية التي بدأت حوالي عام ١٨٩٢ الوسيلة التي مهدت السبيل لاصلاح هذا النظام المتلف الضار ولم يكن الحصول على القروض الاوروبية ممكناً بدون ضمانات محسوسة . والضمان الوحيد الذي كان في وسع ايران ان توجده هو جمارك تجري ادارتها بكفاءة .

توظيف الخبراء البلجيك

حصل الشاه في اوائل عام ١٨٩٨ على خدمات مسيو «نوس» الخبير البلجيكي الذي كان برفقته اثنان من موظفي الجمارك البلجيكية الفنيين هما مسيو «بريم» و «تيبنس» ، وفي عيد «النوروز» في يوم ٢١ مارس عام ١٨٩٩ سلمت ادارة الجمارك الايرانية الى مسيو «نوس» ، وفي السنة الاولى التي خصصت اساساً للملاحظة اسندت جمارك اذربيجان وحدها الى مسيو بريم ووضعت تحت ادارته مباشرة وقد كانت نتيجة هذا الاجراء مرضية وتقدم الاصلاح بسرعة ، ولم يمض وقت طويل حتى عرف مسيو «نوس» بأنه وزير الجمارك في طهران . وفي غضون السنتين التاليتين أخرجت كل دائرة جمركية من نظام الالتزام ووضعت تحت الادارة المباشرة للجمارك الايرانية الامبراطورية الجديدة التي احتل البلجيكيون المراكز العليا بها .

الاسس الرئيسية للاصلاح

كانت أهداف مسيو «نوس» الرئيسية ، منذ البداية ، هي تأسيس نظام موحد وفعال لجمع الضرائب بواسطة موظفي الدولة ، وتعديل ضرائب الاستيراد وزيادتها بصورة عامة ، لانعاش الصادرات بتخفيض ضرائب التصدير والالغاء التام لرسوم الترانزيت ، وبصفة خاصة مكوس الرهداري في داخل البلاد ، ووضع حد لعمليات الحظر والقيود التعسفية التي كان الحكام المحليون يفرضونها على التجارة . وقد حالف

مسيو «نوس» التجاح في كل الاهداف السابقة فيما عدا الامر الاخير ، وقد زاد من قيمة المتحصلات حينما أصر على أن تدفع الضرائب الجمركية نقداً . فقد كان ثلثا الضرائب يُدفعان على هيئة كمبيالات للحكومة لم تكن تبـــاع في الســوق الا بخصم ٣٠ او ٤٠ بالمئة من قيمتها .

★ ★ ★

امتداد النظام الجديد الى الخليج (١٩٠٠ ـ ١٩٠٢)

تطبيق النظام الجديد في بوشهر ولنجة وبندر عباس ١٩٠٠

وفي ٢١ مارس ١٩٠٠ صارت جمارك بوشهر تحت الادارة الجديدة وكانت جمارك بوشهر تُدار من حاكم موانئ الخليج ادارة سيئة كمستأجر لها وذلك منذ سحب البنك الامبراطوري وكلاءه . وكذلك فعلت جمارك لنجة وبندر عباس ، وقد كان اول مدير عام لجمارك بوشهر هو «مسيو سيمس» الذي كان قبل ذلك ملحقاً تجارية في المفوضية البلجيكية في طهران .

المعارضة الوطنية للتغيير

قابل التجار الايرانيون التغيير في ادارة الموانئ الرئيسية وما صحبه من محاولة ادخال تعريفة موحدة تقدر بـ ٥ بالمئة لتطبيقها على التجار الوطنيين بمعارضة قوية ومنسقة وخاصة في بوشهر وشيراز حيث كانت البضائع المستوردة لا تخلص من الجمارك قبل شهر . وقد منح المشاغبون تخفيضاً في الرسوم الجمركية كامتياز موقت ، ولكنهم عارضوه أيضاً في بادىء الامر ، ولكن تم تنفيذه في أغسطس ، ولم يمض وقت طويل حتى طبقت نسبة الـ ٥ بالمئة في العمل على الجميع ، وقد الغيت المكوس والرهداري بمقتضى مرسوم امبراطوري كتعويض للتجار الايرانيين عن

رفع قيمة الرسوم الجمركية(١) ، وقد خسرت التجارة حوالي شهرين ضاعا في الصراع بين الحكومة الايرانية وجماعة التجار الايرانيين ، ورغم ان المفوضية البريطانية في طهران لم تكن معادية اطلاقاً لسياسة الموظفين البلجيكيين في الجمارك ، الا أنهم اضطروا الى الاصرار على أن تتحمل الحكومة الايرانية مسئولية ما قام به المحرضون من حجز بضائع التجار البريطانيين في شيراز وهي في طريقها من بوشهر الى داخل البلاد .

زيادة الدخل

وقد كانت النتائج التي حققتها الجمارك الامبراطورية خلال عامها الاول في الخليج ملحوظة جداً ، وقد استحق مسيو نوس بجدارة الشرف الذي ناله حين منح الوشاح الاكبر للاسد والشمس في عيد نوروز عام ١٩٠١ . وبالرغم من توقف التجارة في خلال شهرين في عام ١٩٠٠ ، الا أن صافي ايرادات الجمارك مقابل الخليج عام ١٩٠٠-١٩٠١ كان ٣١٩,٧٤٢ تومان ، مقابل ٢٥,٠٠٠ تومان كانت هي آخر التزام على «داريا باجي » حاكم موانئ الخليج ، ولكن لم يصل خزانة الحكومة الايرانية سوى جزء منها أما الجزء الاكبر فقد انفق كما زعم داريا باجي على مدفوعات مستحقة على الحكومة .

---

(١) كانت نسبة الـ ٥٪ رسوم الاستيراد ممكنة التطبيق أحيانا على الرعايا الاجانب بها على قسطين ، وذلك بمعنى أن تؤخذ نسبة ٥ر٣٪ عند الدخول و ٥ر١٪ عند ارسال البضاعة الى الجهة التي تقصدها • وعلى أى حال فقد تجمعت نسبة الـ ٥٪ من جمارك المزرعة على الساحل ثم تؤخذ نسبة أخرى من قبل السلطات الداخلية •

وفي عام ١٨٩١ ـ ١٨٩٢ اشتكى التجار الهنود البريطانيون من أن الرسوم الجمركية التى ابتزت منهم كانت في مجموعها تساوى من ٨٪ الى ٩٪ ، ولكنهم أحيانا كانوا يأخذون الضعف في الفرق مرة بواسطة شيخ المحمرة والاخرى بواسطة صاحب المزرعة في الحكومة الايرانية ، وقد حدث أيضا تداخل وازدواج في جميع الرسوم الجمركية بواسطة حاكم الديلم والرج من جهة وملتزم جمارك بوشهر من جهة أخرى ، وتوجد في التذييل رقم ـ ١ ـ لهذا الملحق اعتبارات غريبة بالنسبة للملتزمين السابقين لجمارك الخليج •

وقامت محاولات لمقاومة الادارة الجمركية الامبراطورية في اقليم عربستان وفي مقاطعة حيات داوود وكانت الادارة قد نجحت فيهما موقتاً غير أنه في المناطق الاخرى عدا الموانئ الكبرى فان جهود الدائرة الجديدة قد ذهب معظمها سدى بسب المعوّقات السلبية .

تأسيس مراكز جمركية أخرى ١٩٠١ – ١٩٠٢

وكانت سنة ١٩٠١ مليئة بالنشاط العظيم من جانب الجمارك الامبراطورية بالخليج ، وقبل نهاية العام نفسه كانت قد انشئت مراكز جمركية في كل من : الديلم ، وخور امام حسن ، وكونج وبندر معلم ، وبركة سفلة ، وخمير وميناب وكذلك فوق جزيرة قشم . وعندما سلم المركزان الجمركيان في كل من شهبار وجواتر في عام ١٩٠٢ كانا موجرين لمقاولين بريطانيين من الهند بموجب اتفاقية لم يتم انجازها الا في ابريل من العام السابق ، غير ان ادارة الجمارك فسخت الاتفاقية بحجة ان الجهة التي تعاقدت مع المقاولين لم تكن لديها الصلاحية بذلك ، وبناء على ذلك فقد نصحت السلطات السياسية البريطانية المقاولين بالتخلي عن الالتزام والتقدم بدعوى التعويض لدى الحكومة الايرانية . وفعلا تم ذلك وحصلوا على جزء من التعويض المطالب به . وظهرت في عام ١٩٠٢ مراكز جمركية الى حيز الوجود في كل من جاراك وموغوه ، وجاشك وشهبار وجزيرة قيس .

المقاومة المحلية للاصلاحات ١٩٠٢

وما تزال قصة الصراع الذي دار بين شيخ المحمرة والحكومة الايرانية بخصوص جمارك عربستان تروى في تاريخ ذلك الاقليم ، وقد تضمن هذا الصراع اموراً سياسية كثيرة وكان موضع مراقبة دقيقة من الحكومة البريطانية ، وجاءت نهاية الصراع في سبتمبر عام ١٩٠٢ لصالح الحكومة الايرانية فيما يتعلق بموضوع ادارة الجمارك(١) .

(١) مما تجدر الاشارة اليه آنه ما بين عام ١٨٨٣ ـ ١٨٨٤ وقبل ارتفاع

وقد كان واضحاً في تاريخ الساحل الايراني عُقم الترتيبات التي اتخذتها جمارك بوشهر عام ١٩٠٢ لإخضاع حيدرخان، حاكم مقاطعة حيات داوود الذي رفض الاعتراف بوجود مراكز جمركية في ريق ، وجنافه ، ولا يبقى الا أن نضيف هنا ان ادارة الجمارك حصلت على الاشراف على هذين الميناءين في عام ١٩٠٣ دون اللجوء الى القوة العسكرية .

★ ★ ★

تعديل التعريفة الجمركية الايرانية
١٩٠١ ـ ١٩٠٣

الوضع ازاء روسيا وبريطانيا

وهنا سوف ندخل في حقبة جديدة من تاريخ الخزانة الايرانية . كانت العلاقات التجارية بين روسيا وايران عام ١٩٠١ تحكمها معاهدة تركمانشاي المبرمة عام ١٨٢٨ وبمقتضاها تحددت الضرائب الجمركية على البضائع المارة عن حدود البلدين بحد اقصى قدره ٥ بالمئة من قيمة البضائع ، أما من جهة بريطانيا فقد حصلت بمقتضى معاهداتها التجارية عام ١٨٤١ ، ومعاهدة السلم عام ١٨٥٧ ، على حق المعاملة على أساس انها الدولة الاكثر رعاية وبالتالي فانها شاركت في مزايا معاهدة تركمانشاي .

الوضع ازاء تركيا ومصر

وكانت تركيا هي الدولة الوحيدة ،بالاضافة الى روسيا التي لها تعريفة جمركية مع ايران تختلف عن اتفاقية الدولة الأكثر رعاية .

= أى صوت بالتنظيم الجمركي فكرت الحكومة الايرانية في انشاء دائرة جمارك لها في المحمرة ، ولكن رفض الشيخ في ذلك الوقت فلم يكتب للمحاولة النجاح .

وكان يحكم الوضع بين تركيا وايران فيما يتعلق بالرسوم الجمركية معاهدتا ارضرورم ١٨٢٣ ، ١٨٤٥ . وبمقتضى تلكما المعاهدتين حددت نسبة ما يدفعه المستوردون بـ ٤ بالمئة من قيمة البضائع ، غير ان الحكومة الايرانية ادعت الحق في فرض ضريبة اضافية في حالة ما اذا بيعت البضائع بعد ذلك في ايران ، وفعلا حصلت ٦ بالمئة على البضائع المستوردة من تركيا و ١٢ بالمئة على البضائع المصدرة الى تركيا علماً بأن المعاهدات المبرمة بين الدولتين لم تكن تنص على رسوم التصدير ، مما اضطر الباب العالي ان يرد بالمثل ، وهكذا فان النظام التجاري في عام ١٩٠١ كان موجوداً منذ ست سنوات . وكان يحكم التعهدات المتبادلة فيما بين ايران ومصر معاهدات ارضروم نظراً لان مصر التي حصلت فيما بعد على استقلالها فيما يختص بالعلاقات التجـارية ، كانت في عـام ١٨٤٨ جزءاً من الامبراطورية العثمانية .

قواعد جديدة وتعديلات

وهكذا كان الوضع عندما بدأ «مسيونوس» ، وزير الجمارك يلح في تعديل التعريفة الجمركية الايرانية ، وكانت خطته للاصلاح طبقاً لافكاره العامة ، هي أن يُدخِل تعريفة نوعيه تدر ايرادات اكبر بدلا من رسوم الـ ٥ بالمئة الثابتة التي كانت موجودة وتطبق على بضائع معظم الاقطار الاجنبية ، وكذلك الغاء أغلب الرسوم المفروضة على التصدير ما عدا رسوم الافيون والقمح .

★ ★ ★

اعلان التجارة الروسية الايرانية ١٩٠١

إصدار اعلان التجارة الروسية الايرانية ٢٧ أكتوبر ١٩٠١

فتح باب المفاوضات للوهلة الاولى مع روسيا وحدها برغم علم حكومة صاحب الجلالة بسيرها من عام ١٩٠٠ ، ولم يوفق الوزير البريطاني في الحصول على موافقة بالدخول في المناقشة . وقد أعطت الحكومة الايرانية تأكيدات قاطعة بأنه لن يبت في أي أمر مع روسيا قبل الرجوع اولا لمشورة الحكومة البريطانية الا ان هذه التأكيدات خرقت . وقد تم التوقيع على الاعلان الذي يقضي بالتنظيم التجاري الجديد فيما بين ايران وروسيا في طهران في ٢٧ اكتوبر عام ١٩٠١ ، ولكن المفوضية البريطانية لم تتمكن من الحصول على أية نسخة من هذا الاعلان ، ولم يتمكن السير «ا. هاردنج» قبل فبراير عام ١٩٠٢ من الحصول على نسخة عن بيان الشروط الرئيسية في هذا الاتفاق من مصدر سري ، ولسنا في حاجة لذكر نصوص الاعلان الروسي اذ انها تكاد تكون هي نفسها نصوص الاتفاقية البريطانية التي سنتكلم عنها عندما تحين المناسبة بعد قليل .

فشل المحاولة الروسية في الحصول على الرقابة الدائمة على العلاقات التجارية الايرانية

وقد بذل المندوبون الروس برئاسة مسيو «جولوبوف» جهوداً مضنية في مفاوضات الاتفاقية أملا في الحصول على تعهد من ايران بأنها لن تعقد اتفاقيات تجارية جديدة مع أية سلطة أجنبية الا بعد الرجوع الى روسيا وعن طريقها ، الا أن حزم مسيو « نوس » أبطل خطة الروس فقد اشار على الحكومة الايرانية بأن هذا الشرط المقترح سيكون سبباً لكل المتاعب دون أن تعود على ايران أية حماية روسية بل ان هذا قد يحول بين ايران وبين الدخول في اتفاقيات مفيدة مع الدول الاجنبية .

اتفاقية التجارة التركية الايرانية ١٩٠٢

عقد الاتفاقية التركية الايرانية ٥ سبتمبر ١٩٠٢

لم تبق سوى وسيلة واحدة فقط لمقاومة تطبيق التعريفة الجمركية الجديدة على البضائع البريطانية ألا وهي المعاهدات التركية البريطانية التي كان يحق لبريطانيا كدولة أكثر رعاية ان تطالب بمزاياها ، لان صحة الحجة التي كانت مبنية على حقوق مصر بموجب معاهدات ارضروم كانت مثار مشاكل ، وقد تمكنت الحكومة الايرانية من ازالة هذه العائق الاخير أمام التطبيق العام للتعريفة الروسية الايرانية الجديدة ببراعة ، ففي ابريل عام ١٩٠٢ اقترح السفير الايراني في القسطنطينية أنه يجب أن تستبدل بالنظام التجاري التركي الايراني القائم معاملة الدولة الاكثر رعاية لكلا الجانبين ، وقد لقي المشروع ارتياحاً من قبل الباب العالي ، وذلك لان الضرائب التي تخضع لها الصادرات التركية ، وخاصة بالنسبة للمواد الخام ، ستكون بموجب هذا المشروع اقل مما كانت فعلا ، في حين ان الواردات الايرانية الى تركيا سيظل يُدفع عنها ضرائب بنسبة ٨ بالمئة من قيمة البضائع . وقد أكد الوزير الكبير في تركيا للسير «نيقولاس اوكونر» السفير البريطاني في القسطنطينية بأنه لن يكون هناك تعديل في مواد معاهدات ارضروم دون استشارة السفارة البريطانية ، الا أن هذا الاتفاق قد نقض ، وفي ٥ سبتمبر عام ١٩٠٢ في غضون زيارة « مسيو نوس » للقسطنطينية ، ابرمت اتفاقية الدولة الاكثر رعاية بين ايران وتركيا ، وذلك بتبادل الرسائل الدبلوماسية التي تضم الاتفاقية ، وكان يمكن انهاء هذه المعاهدة في أي وقت على أن يوجه أحد الطرفين إلى الآخر اشعاراً بذلك على الا تقل مدته عن سنة واحدة . وسنرى أن تركيا استغلت هذه المادة ، وكانت النتيجة ان عادت الدولتان الى العمل بمعاهدة ارضروم .

اعلان التجارة الانجلو ايرانية ١٩٠٣

المفاوضة واصدار الاعلان الانجلو ايراني في ٩-٢-١٩٠٣

وهكذا أصبحت الحكومة البريطانية وجهاً لوجه امام وضع خطير ، فقد كانت ما تزال تجهل تفاصيل التعريفة الجمركية الجديدة ، وقد رفض الطلب الذي تقدمت به للحصول على معلومات بهذا الخصوص في ديسمبر عام ١٩٠٢ ، ولم يكن خوف حكومة صاحبة الجلالة من زيادة قيمة الضرائب بموجب التعريفة الجمركية الجديدة بقدر ما كان من اجراء زيادات في المستقبل بدون الرجوع اليها ، وقد أعدّ السير «ا. هاردنج» الوزير البريطاني في طهران بذكائه خطة تدعو للاعجاب ، فقد استهل قضيته مبدياً رأيه بأن بريطانيا بمقتضى معاهدة ارضروم ، وحقوق الدولة الاكثر رعاية معاً ، في مركز يسمح لها ان تعارض التطبيق العام للتعريفة الجمركية الجديدة . وقد كانت هذه الحجة مفاجأة لرئيس الورزاء الايراني وكذلك ازعجته حتى إنه رجا الممثل البريطاني الا يعرض هذا رسمياً ، وانتقل السير «ا. هاردنج» الى اقتراح اتفاقية خاصة بمقتضاها تقبل بريطانيا التعريفة الجديدة وتتعهد ايران بدورها بعدم تغييرها دون موافقة حكومة صاحب الجلالة ، وقد كره «مسيو نوس» في بادئ الامر ان تخضع التعريفة الجمركية الايرانية للرقابة البريطانية كما كانت تخضع للرقابة الروسية فتقرر أخيراً بالرغم من معارضته ان تبرم معاهدة تجارية بين بريطانيا وايران شبيهة تماماً بالمعاهدة التي بين روسيا وايران ، وكان هناك شرط سري في الاعلان الروسي الايراني لم يدخل في الاعلان البريطاني والايراني يمنع ايران من منح أي دول أخرى تعريفة جمركية أفضل دون أخذ موافقة روسيا ، ولكنه في نفس الوقت يخولها حق رفع الرسوم المثبته بين التعريفة بالنسبة للاقطار التي ترفض أن تمنح معاملة الدولة الاكثر رعاية ، وكذلك كانت هناك اختلافات اخرى عديدة في التفصيلات بين الاعلانين البريطاني والروسي ، وقد وقع

الاعلان البريطاني الروسي الذي كتب باللغتين الفرنسية والفارسية بدلا من الانجليزية والفارسية ، تجنباً للتأخير ، في طهران في التاسع من شهر فبراير عام ١٩٠٣ ، وارسلته الى انجلترا بعثة اللورد داون التي غادرت العاصمة الايرانية في اليوم التالي .

المواد الاساسية في الاعلان

كان الاعلان بمثابة اتفاقية دائمة ، ولذلك فانه يعتبر غير قابل للتغيير أو التعديل في أي وقت في المستقبل دون موافقة حكومة صاحب الجلالة . وقد نص على أن تعريفات جمركية معينة ثابتة توجد تفصيلاتها في ملاحق خاصة يجب أن تطبق على جميع الواردات الى ايران ، وعلى ان البضائع المستوردة الى ايران يجب الا تدفع عنها أية ضرائب جمركية أخرى بجانب تلك التي تحصل عنها بموجب التعريفة عند دخول البلاد . وعلى أي حال فان هذا الشرط لم يكن يستبعد تحصيل الرسوم على الخدمات التي تقدمها الجمارك ، كما أنه نص على أنه ينبغي ان يتمتع التجار البريطانيون والبضائع البريطانية في ايران تحت كل الظروف بامتياز معاملة الدولة الاكثر رعاية ، وان الا تحصل اي ضرائب على البضائع المصدرة من ايران الا في حالة سلع قليلة مبينة في الملحق ، وهي على وجه التحديد ، المواد الغذائية والحيوانات الحية ، والطباق ، والافيون ، والحرير الخام والاحجار الثمينة ، وان يلغى نظام الرهداري والرسوم المفروضة على الطرق ما عدا طرق العربات التي انشئت بمقتضى امتيازات على ألا تزيد رسومها عن المعدل المحدد لها ، وكذلك نص الاعلان على ان يتوقف نظام الالتزام في كل ربوع ايران ، وان يحل بدلا منه على الحدود تنظيم دقيق خاضع للادارة المباشرة للحكومة المركزية ، وانشاء مستودعات يمكن تخزين البضائع المستوردة فيها لمدة اثني عشر شهراً بعد وصولها دون دفع الضرائب ، واخيراً نص على أنه يجب تأسيس لائحة عامة تحدد الاجراءات التنفيذية للجمارك الامبراطورية الايرانية بالاتفاق مع المفوضية البريطانية في طهران . وقد أعلن صراحة ان جميع

جمارك الحدود في ايران أصبحت ضمن دائرة الاعلان الذي حوى مادة تنص على تعديل نسبي في الضرائب الجمركية في حالة تذبذب قيمة القران الايراني. وقد تم الاتفاق في ملاحظات اضيفت الى اصل الاعلان على ان تدفع قيمة الضرائب الجمركية على هيئة اوراق مالية من بنك انجلترا طالما استمرت الحكومة البريطانية ، في ضمان تغطيتها بالذهب . وان المخالفات في هذه الحالات للقواعد الموضوعة يجب ان يكون الحكم فيها من اختصاص المدير المحلي للجمارك بعد استشارة القنصل البريطاني او نائبه . وان مراجعة قرارات المدير لابد ان تنظر فيها ادارة الجمارك المركزية في طهران باستشارة الوزير البريطاني او من يمثله .

اتفاق تكميلي في ١٢ – ٢ – ١٩٠٣

وقد فسرت نصوص الاعلان بتوسع في مذكرات متبادلة في الثاني عشر من شهر فبراير عام ١٩٠٣ بين كل من السير (ا. هاردنج) و «مسيو نوس» . وللوقاية ضدما قد يحدث من أخطاء عرضية أعلن صراحة بأن التعريفة التي يعتمدها الاعلان هي نفس التعريفة التي وضعت بموجب الاعلان الروسي الايراني عام ١٩٠١ ، وقد تقرر ان يكون ١٤ فبراير عام ١٩٠٣ هو تاريخ العمل بالتعريفة الجديدة ، وقد أعطى «مسيو نوس» تعهداً بأن أي تخفيض في التعريفة الجمركية قد يمنح روسيا سوقاً تمتد بالطبع الى بريطانيا .

موضوع التجارة الايرانية في الامبراطورية البريطانية

وقد كان الاعلان معنياً أساساً بالتجارة البريطانية في ايران الا أنه لم يغفل مصالح التجارة الايرانية في الممتلكات البريطانية . وكان النص الرئيسي بشأن هذا الموضوع هو ان التجار الايرانين والتجارة الايرانية يجب ان يعاملوا معاملة الدولة الأكثر رعاية في الامبراطورية البريطانية على ان يكون مفهوماً أن كل مستعمرة بريطانية ذات تعريفة جمركية خاصة تتوقف عن منح معاملة الدولة الاكثر رعاية للواردات الايرانية

ستخسر الحق في المطالبة بهذه المعاملة عند دخول بضاعتها الى ايران . وفي حالة ما اذا قامت المملكة المتحدة ، بدون اتفاق مسبق مع ايران ، بفرض ضرائب على البضائع التي تخضع للجمارك عند استيرادها من ايران الى روسيا ، واذا كانت هذه الضرائب أعلى من تلك التي نص عليها في الاعلان الروسي لسنة ١٩٠١ ، فان ايران سيكون لها الحق بدورها في فرض ضرائب مماثلة على السلع التي من نفس الدرجة التي تصل من المملكة المتحدة . وسوف تجرى مفاوضات لعقد اتفاقية خاصة لهذا الغرض ، وفي حالة الفشل في الوصول الى اتفاق يصبح اعلان ١٩٠٣ لاغياً ويعود كل من الطرفين الى الموضوع طبقاً لمعاهدة الصلح عام ١٨٥٧ ، وقد اوضحت الرسائل المتبادلة في ١٢-٢-١٩٠٣ ان الاتفاقية الخاصة المذكورة ستصبح ضرورية فقط في حالة الاعتراض على الزيادات المتبادلة في التعريفة .

موضوع المستعمرات البريطانية

لقد اثير موضوع ما اذا كانت التعريفة المفضلة للمستعمرة البريطانية لصالح المملكة المتحدة يمكن اعتبارها تجريداً للمستعمرة من حقها في معاملة الدولة الاكثر رعاية في ايران واستقر الرأي أخيراً على رفضه .

وقد كانت صياغة الاعلان بحيث لا ينطبق في جملته الا على ايران والمملكة المتحدة فقط ، أما المستعمرات فنظراً لان الظروف الخاصة بكل منها تحتاج لوقت طويل للنظر فيها فقد تركت بصفة موقتة خاضعة لنظام الدولة الاكثر رعاية ، وقد كان هذا الاجراء ممكناً بفضل مسيو «نوس» الذي بذل كل ما في وسعه لانجاز المفاوضات حتى لا يقف التدخل الروسي عائقاً في طريقها رغم أنه في بادئ الامر عارض فكرة الاعلان الانجليزي الايراني تماماً . وكان موقفه في المسألة كلها غير متحيز لاحد وعاملا على التوفيق ، وكان له اثر كبير في تبرئته من تهمة الميل الى روسيا في ادارته واثبت أنه لم يكن مدفوعاً الا بدافع واحد هو الاهتمام بمصالح ايران .

التصديق على الاعلان في ٢٧ ابريل ١٩٠٣

وفي ٢٧ ابريل عام ١٩٠٣ تم في طهران تبادل الطرفين التصديق على الاعلان ، وقد أعربت الحكومة الروسية عن عدم رضاها عن ايران لعقدها اتفاقاً في السر يعطي بريطانيا العظمى حق مراقبة تعديل التعريفة الجمركية في المستقبل ، وقد كان هذا الحق قبلئذ خاصاً بروسيا وحدها .

تنفيذ التعريفة الجديدة

وقد بدأ تنفيذ تعريفة ١٤ فبراير عام ١٩٠٣ فجأة ، ولكنه كان امراً متوقعاً في الدوائر التجارية ، وقد قامت البيوت التجارية البريطانية بتقديم عدة طلبات لرد الضرائب بحجة ان فترة المهلة لم تكن كافية الا أن المفوضية البريطانية في طهران لم تؤيدها ، وقد كانت التعريفة غير محبوبة بالنسبة للتجار البريطانيين حيث حدث بعض الهياج في كل من تبريز وبوشهر وشيراز ، الا أن الاضطرابات التي كانت متوقعة لم تحدث .

موضوع زيادة نسب الرسوم في حدود التعريفه

ليس هنا مكاناً لمناقشة الدلالات التجارية للتعريفة الجمركية ، الا أن أمراً على جانب من الاهمية كذلك يستحق ذكره في هذا المقام خاصة وانه كان موضوعاً لسوء فهم من الحكومة البريطانية ، فقد فرضت التعريفة الانجلو ايرانية على الشاي الابيض بنسبة ١٨ غراناً للباتمان ، و ١٢ غراناً للباتمان على الشاي الاسود(١) ، ولكن يجوز أن تخفضها الحكومة الايرانية الى ٦ غرانات . وقد استعيرت صيغة التعبير من اعلان عرضه مسيو «ارجيروبولو» الوزير الروسي عند توقيع الاعلان الروسي الايراني عام ١٩٠١ ، وفي الواقع كانت الرسوم التي تجمع عند بدء سريان عمل التعريفة الجمركية هي عشرة غرانات بالنسبة للشاي الابيض،

---

(١) أرسلت نسخة من التعريفة الانجلو ايرانية الى الحكومة الهندية مبينة ان الرسوم هى عشرة غرانات على الشاى الابيض، وستة غرانات على الشاى الاسود ولكن هذه كانت غلطة كتابية ٠

وستة غرانات بالنسبة للشاي الاسود ، وقد أضيفت فيما بعد نسبة سبعة غرانات بالنسبة للشاي المخلوط . وقد فهمت الحكومة البريطانية ان هذه النسب – التي بدأت– بموجب حق التخفيض الذي كانت تملكه الحكومة الايرانية ، لا يمكن رفعها فيما بعد الا بعد موافقة الحكومتين البريطانية والروسية ، ولكن هذا التفسير للاعلان والتعريفة الجمركية لم تسلم به الحكومة الايرانية التي اوضحت ان النسبة المخفضة قد اتخذت منذ اللحظة الاولى تقريباً لامكان تجنب أي متاعب بالنسبة لرعاياها والتي أكدت حقها في زيادة الضرائب في أي وقت بحيث تخضع الزيادة للحد الاقصى المبين بالتعريفة . وقد بلغ مقدار المستورد الى ايران من الشاي في هذا الوقت حوالي ستة ملايين ونصف مليون رطل سنوياً وهكذا فان الدخل الاضافي الذي ستحصل عليه من رفع أي نسبة ضئيلة من الرسوم سيكون كبيراً جداً مما جعل الحكومة الايرانية غير راضية عن التنازل عن الحق الذي تطالب به في رفع الرسوم .

وقد وافقت الحكومة البريطانية في النهاية على طلب الحكومة الايرانية.

★ ★ ★

لائحة الجمارك عام ١٩٠٤

لم يبق بعد ذلك الا أن يكتب ويعمل قانون لعمل الجمارك وقد ذكر هذا القانون في الاعلانات الصادرة عام ١٩٠١ و ١٩٠٣ تحت عنوان اللائحة العامة ، ولكنها عرفت مراراً وتكراراً في المفاوضات الاخيرة بأنها اللائحة الجمركية أو اللائحة القانونية .

صعوبة وضع الجزاءات على المخالفات

كانت المعاملة التي اقترحها مسيو «نوس» وزير الجمارك في الاصل للمخالفين لقواعد الجمارك قاسية للغاية ، فلقيت معارضة كل من الحكومة

مُقَـــدّمَة

لقد أولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ، عناية عظيمة لرعاية التراث الثقافي والمحافظة عليه والمساعدة على نشره ، ودأب على تشجيع العلوم والفنون والآداب والبحوث العلمية موكداً في توجيهاته السامية على الموضوعية والدقة والأمانة العلمية ، ومن هنا كانت تعليماته باعادة ترجمة «دليل الخليج » الذي يعتبر من أضخم المؤلفات وأهمها عن تاريخ المنطقة وجغرافيتها .

ويسر الذين اضطلعوا باعادة الترجمة ان يغتنموا هذه المناسبة للاعراب عن عظيم عرفانهم وعميق تقديرهم للرعاية الكريمة التي شمل بها حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى هذا المشروع العلمي ، سائلين الله سبحانه ان يمد في عمر سموه وأن يسدد خطاه لما فيه خير البلاد والعباد .

مكتب حضرة صاحب السمو
أمير دولة قطر

« ملاحظــة »

لقد وضع هذا الكتاب حوالى نهاية القرن المـاضى وتضـمن ملاحظات وآراء وتعابير تحمل راى المؤلف وحده ، وهى بذلـك لا تقيد حكومة قطر بحال من الاحوال ، ولا تعبر عن وجهـات نظرها ٠

الروسية وحكومة الهند ، وقدكانت رغبة مسيو «نوس» أن تكون عقوبة استيراد البضائع المحرمة ، والاستيراد عن طرق غير مصرح بها ، كما يحدث في اوروبا ، هي غرامة تساوي عشرة أضعاف قيمة البضاعة مع مصادرة البضاعة نفسها ووسيلة النقل وكذلك السجن في بعض الحالات وقد كانت معارضة الحكومة الروسية لهذه الجزاءات صلبة جداً وطويلة . وكان مسيو نوس يميل في وقت ما الى نصح الحكومة الايرانية باللجوء الى المحكمة الدولية في لاهاي بتقديم طلب تعويض عن الخسائر التي ستحدث في رسوم المخـــازن وغيرهـا من الرسوم التي ضاعت عليها نتيجة تأخير الدفع . واخيراً بناء على طلب الحكومة الروسية بصفة خاصة تم التنازل عن عقوبة الحبس ، وأصبحت مصادرة البضاعة ووسيلة النقل ، هما الحد الاقصى لعقوبة استيراد البضائع المحظورة او من الطرق غير المرخص بها طبقاً للائحة ، وكان مسيو «نوس» غير راغب في أن يتنازل عن عقوبة مصادرة وسائل النقل ، لانها في رأيه الرادع الوحيد الذي يمكن تنفيذه ضد الناقلين باعتبارهم مختلفين عن أصحاب البضائع ، وعلى أي حال فقد وافق «مسيو نوس» في النهاية مراعاة لرغبات الحكومة البريطانية ، فيما عدا حالة المخالفين المعتادين وبعض حالات أخرى معينة ، على ان يخير صاحب الامر عندما تتعرض وسيلة النقل للمصادرة بين مصادرة وسيلة النقل وبين ان يدفع غرامة لا تزيد عن ستين جنيهاً استرلينياً كما يخير صاحب البضائع عندما تتعرض البضائع نفسها للمصادرة بين مصادرة البضائع وبين غرامة لا تزيد قيمتها عن قيمة البضائع المطلوب مصادرتها .

بريطانيا تقبل اللائحة في ٢٩ اغسطس ١٩٠٤

وقع الوزير البريطاني في طهران اللائحة في ٢٩ أغسطس عام ١٩٠٤ بعد أيام قليلة من قبول الحكومة الروسية لها ، وبدأ العمل بها في اول سبتمبر اللاحق لذلك التاريخ ، وبدلا من ان يدخل الامتيازالذي يعطي بديلا عن مصادرة وسيلة النقل والبضائع ، والذي جاء نتيجة معارضة

بريطانيا ، في صلب اللائحة ، فانه جاء في اعلان خاص أعده مسيو نوس وقت التوقيع ، وقد قرن السير «ا. هاردنج» توقيعة باعلان هام سنعود اليه فيما بعد لأنه يتعلق بموضوع آخر .

مضمون اللائحة

كان مضمون اللائحة هو عبارة عن تفسير مفصل لاعلاني عامَيْ ١٩٠١ و ١٩٠٣ . ولهذا فانه ليس من الضروري ان نخوض في نصوصها ففيها تحديد لمدى خضوع البضائع لضرائب التصدير والاستيراد وتفصيل لكثير من الرسوم المختلفة التي تحصل في مقابل المساعدة الكتابية وللاختتام ، والمخازن ولمعدات مستودعات الجمارك ، ولاستعمال الروافع واليد العاملة والحراسة حينما تقوم ادارة الجمارك بتوفيرها ، وكان ادخال البضاعة الى ايران محظوراً فيما عدا الاماكن التي بها جمارك مستعدة لاستقبالها ، كما حظر استيراد الاسلحة النارية والذخائر والعملات الأخرى خلاف الذهب ، والفضة ، وأصباغ الانيلين والمطبوعات المثيرة للفتنة ، والزندقة والجنس ، وكذلك حظر تصدير السجاد المصبوغ بالانيلين ، واحتفظ بحق منع تصدير مواد اخرى وخاصة المواد الغذائية بناء على اسباب عامة . وقد فرضت عقوبة المصادرة بالنسبة لمن يحاول ان يصدر او يستورد احد هذه الاشياء الممنوعة ، وقد منح الممثلون الدبلوماسيون للدول الاجنبية التي تعطي ايران معاملة الدولة الاكثر رعاية في الامور التجارية اعفاء من دفع ضرائب الجمارك على الاشياء المستوردة لاستعمالهم الشخصي وكذلك لموظفيهم بما في ذلك القناصل وامناء السر ، والمترجمين والطلاب الذين يتعلمون الترجمة . والى جانب من ذكر فقد منح الامتياز نفسه لكل من القناصل المهنيين ونوابهم والمترجمين وأمناء السر من غير الايرانيين ، كما أعفيت المراسلات بما في ذلك الطرود الخاصة بالسفارات والمفوضيات والقنصليات الاجنبية من التفتيش ، وكذلك حقائب البريد العادية التي تحتوي على

خطابات فقط فانه يسمح لها بالمرور دون فحصها بشريطة ان تكون مقفولة ومختومة بخاتم مكتب بريد اجنبي على ان تسلم لوكلاء المكاتب البريدية الايرانية ، كما نص أيضاً على المخازن والمستودعات الجمركية وقد صيغت المواد التي لها صلة بالسفن والمخالفات القانونية في عبارات تم الاتفاق عليها بين كل من روسيا وايران وقد تمت الاشارة اليها بالفعل.

ملحق اداري للائحة

وأرفق باللائحة جدول يبين مكان ووظائف كل المراكز الجمركية الموجودة والمقترح انشاؤها في ايران بصفة عامة ، مع بيان مكان وعمل كل منها على حدة ، وقد انشيء في الخليج قسمان رئيسيان وكان اسم كل منهما على التوالي «عربستان» و «القسم الجنوبي» . وقد اعطى قسم عربستان مركزاً رئيسياً واحداً فقط هو المحمرة ، أما القسم الجنوبي فكان فيه ثلاثة مراكز رئيسية هي بوشهر ولنجة وبندر عباس ، على أن تنجز كل الاعمال الجمركية في المراكز الرئيسية ، أما المراكز الثانوية العديدة فقد خولت بالتعامل فقط مع السفن الساحلية التي تنتقل من ميناء ايراني الى ميناء ايراني آخر ومع السفن الشراعية التي تعمل في التجارة الخارجية .

★ ★ ★

تقدم نظام الجمارك الامبراطورية في الخليج ١٩٠٢ ــ ١٩٠٤

ان جداول المراكز الجمركية الموجودة في نهاية هذا الملحق لاكبر دليل على الجهد المستمر لادارة الجمارك في الخليج في غضون الفترة التي كان اعلانا عامي ١٩٠١ و ١٩٠٣ واللائحة موضع المناقشة سارية أثناءها ، وما بعد هذه الفترة .

انشاء قسم مستقل لجمارك عربستان ١٩٠٣

بعد ان سوي النزاع مع الشيخ كما ورد في تاريخ المقاطعة ، أصبحت جمارك عربستان خاضعة للادارة مباشرة ، ابتداء من سبتمبر عام ١٩٠٢ . وفي فبراير عام ١٩٠٣ ، بعد أن ظلت جمارك عربستان تحت ادارة المدير العام لجمارك بوشهر بضعة شهر أصبحت قسماً مستقلا تحت ادارة مسيو «وافاليرت» كأول مدير عام مستقل .

سفن لاعمال الوقاية ١٩٠٣ — ١٩٠٦

وقد اتخذت خطوات كذلك لتحسين الكفاءة العامة لاعمال الوقاية وفي بداية عام ١٩٠٣ تم شراء اليخت البخاري البلجيكي «سليكا» الذي كان قد نال سمعة سياسية سيئة معينة عام ١٩٠١ في الخليج من اوروبا واستعمل تحت اسم المظفر في مقاومة عمليات التهريب ، وكان يحمل مدفعين من ماركة «هوتشكس» ، وفي بداية الامر عين له اربعة ضباط اوروبيين ، اثنان منهم مهندسان ولكن فيما بعد حل محلهم ضباط وطنيون من بغداد . وفي خريف عام ١٩٠٣ رصد المال اللازم لشراء خمسة لنشات بخارية مسلحة سرعة كل منها عشرة عقد بقصد الخدمات الوقائية ، وفي العام التالي أعطت الحكومة الايرانية عقد بناء هذه اللنشات لترسانة البحرية الملكية الهندية في بومباي ، وفي يونيو عام ١٩٠٦ تمّ بناء اثنين منها وأصبحا جاهزين للتسليم بعد الرياح الموسمية.

وضع البريد والخزانات تحت يد الجمارك الامبراطورية الايرانية ١٩٠٢ — ١٩٠٤

وفي عام ١٩٠٢ تسلمت الجمارك الايرانية الامبراطورية مسئولية النظام البريدي في أنحاء البلاد . وفي مارس عام ١٩٠٤ اسندت اليها ادارة الخزانات ومرتبات الموظفين وهكذا على أن تخضع للتصديق الاداري الملائم . وفي ابريل عام ١٩٠٤ استقبل مسيو «دامبران» المدير العام لجمارك الجنوب ، في كل من لنجة وبندر عباس بتحية من سبع طلقات مدفعية كدليل لا يقبل جدالاً على ما لمنصبه من منزلة .

سلوك الجمارك الامبراطورية الايرانية العدائي

وفي عام ١٩٠٤ قامت الجمارك الامبراطورية الايرانية بأعمال فيها كثير من التدخل ، مما كاد يثير ازمة سياسية ، وكان ذلك يرجع من ناحية الى تحريض وزير الخارجية الايرانية الذي يعتقد أنه كان منفذاً لنصيحة الممثل الروسي في طهران ، ومن ناحية أخرى الى شعور الادارة بالغيرة المهنية .

تأكيد السلطة الشرعية على جزر بوموسى وطنب وصري

وفي ربيع ١٩٠٤ ، كما جاء في تاريخ عمان المتصالح ، أنشأوا مراكز على الجزر العربية «بوموسى» و «طنب» حيث انزلوا العَلَم العربي ، ولم ينته احتلالهم هذا الا بعد التهديدات البريطانية بالتدخل بالقوة كما ان محاولة بذلت في نفس هذا الوقت ، كما جاء في تاريخ الساحل الايراني ، للسيطرة الكاملة على جزيرة «صري» ، ولكن معارضة بريطانيا التي لم تعترف بحق ايران في الجزيرة حالت دون اقامة مركز جمركي نظامي هناك .

محاولة لاقصاء الرقابة الصحية البريطانية عن الساحل الايراني

وفي غضون صيف عام ١٩٠٤ قامت الادارة بجهد جبار للحصول على الاشراف على الادارة الصحية في الساحل الايراني وخاصة في بوشهر وذلك بتخطي سلطة الموظفين البريطانيين الذين يعملون في مركز الخدمة الصحية الايرانية تدريجياً ، الا ان هذه المحاولة قد احبطتها الدبلوماسية (كما جاء في ملحق آخر) .

التعرض لسفن أجنبية تحمل أسلحة

وفي سبتمبر عام ١٩٠٤ ، كما جاء في تواريخ عربستان والكويت ، كان مما اثار انزعاج شيخ محمرة الذي اعتبر ان سلطته التنفيذية قد اعتدي

عليها ، مضايقة أهل الكويت الذين كانوا يعتبرون الضحايا الرئيسين من تمركز النش المظفر عند مصب شط العرب ، وشرع في تفتيش السفن بحثاً عن البنادق والذخائر والاستيلاء على السفينة التي تحمل شيئاً منها ، حتى ولو كانت للدفاع الشخصي ضد القراصنة ، وكانت الأساليب التي استخدمت مزعجة جداً حتى اضطرت الحكومة الهندية للاحتجاج عليها .

انشاء مركز جمركي في هانجام

انشيء المركز الجمركي على جزيرة هانجام في نهاية عام ١٩٠٤ تقريباً ، ويبدو بوضوح انه كان بمثابة حركة مضادة لاعادة فتح المركز التلغرافي البريطاني هناك . وقد كان من حق الحكومة أن تتخذ هذه الخطوة ، الا أنها أثارت سخط المواطنين العرب بالجزيرة وظل الوضع المحلي عصبياً حتى عام ١٩٠٥ .

التعرض للبريد البريطاني في بوشهر

وقد بلغت السياسة الجديدة المعادية لبريطانيا في ادارة الجمارك درجتها القصوى في خريف عام ١٩٠٤ بالاعتداء على امتيازات مكتب البريد الانجلو هندي في بوشهر ، ويبدو ان الموضوع قد أثاره في طهران مسيو « لافير » السكرتير العام الذي كان ينتمي في الاصل لدائرة البريد وذلك أثناء غياب « موسى نوس » الاكثر لباقة ، وقد كان وقوع هذا الحادث نتيجة نصوص اللائحة الجمركية الجديدة ورغبة مصلحة الجمارك المشرفة على البريد الايراني ما يزيد على عامين في التخلص من نظام منافس .

ففي عام ١٩٠٠ بعد ادخال نظام الجمارك الامبراطوري في بوشهر بوقت قصير توصل كل من المقيم السياسي البريطاني والمدير العام للجمارك في بوشهر الى اتفاق بخصوص مكتب البريد البريطاني هناك ، وبمقتضى هذا التنظيم كان مدير البريد البريطاني يفحص حقائب البريد ، فاما

الطرود المعنونة الى أشخاص معفيين من دفع الرسوم الجمركية فكانت تسلم لاصحابها فوراً وبعد ذلك ترسل قائمة بالطرودالمرسلة لاشخاص غير معفيين من الرسوم الى المدير العام للجمارك فيحصل عليها من المقيمية البريطانية وتُرتب الامور لتسليمها عند دفع الرسوم الجمركية عليها وهكذا الغيت مسئولية منع مزاولة الغش بصفة خاصة على عاتق مدير البريد البريطاني .

وكان مدير عام الجمارك قد وافق في نفس السنة على اعتبار الاشخاص المعفيين ، ليس مجرد المقيم السياسي ومساعديه ، وجراح المقيمية ، وموظفي الاسطول الملكي والبحرية الهندية الملكية ، بل كذلك هيئة كتبة المقيمية من كبار الموظفين .

وقد بنى مسيو «لافبر» تحديده لهذه الامتيازات على اللائحة الجمركية ، وادعى انه بموجب المادة ٥١و ٢٧ اللتين وافقت عليهما بريطانيا العظمى كما وافقت على بقية اللائحة ، فان من حقه المطالبة بضرورة تسليم الحقائب البريدية التي تحتوي على رسائل بريدية فقط الى مكتب البريد الايراني . وأما الطرود البريدية فيجب ان تؤخذ من السفينة رأساً الى مكتب الجمارك ، وكذلك فانه ادعى بأنه في حين ان الحصانة السياسية والقنصلية يجب ان تحترم يجب ان لا يسمح بأية اعفاءات من نوع آخر ، مثل الاعفاء من الرسوم الجمركية لمساعدي المستشفيات المعنيين في المحجر الصحي ، ولقد اوضح القائم بالأعمال البريطاني في طهران ، السيد « جرانت دف » للجمارك ان الامتيازات القديمة لمكتب البريد البريطاني الهندي لا يمكن الغاؤها دون موافقة المفوضية البريطانية ، ودون صدور اوامر الحكومة الايرانية . وبعد الاجتماع الذي عقد في ٢٤ نوفمبر ، اعتقد القائم بالأعمال البريطاني أنه نجح في اقناع مسيو «لافبر» بالانتظار حتى يرد جواب مذكرة ارسلت الى الحكومة الهندية حول الموضوع .

غير ان الامور لم تكن كذلك ، اذ حدث في الاول من ديسمبر

عام ١٩٠٤ ان أرسلت المقيمية الحارس الهندي كالعادة لاحضار بريدها ولكنه احتجز في الجمارك ، فالحق به الرئيس «تريفور» مساعد المقيم السياسي بنفسه لذات المكان لنقل البريد الا ان مسيو «وافلرت» القائم بأعمال مدير عام الجمارك أمر باغلاق الابواب واستولى على عشرة صناديق وست حقائب تخص المقيمية . وفي الحال طلب السيد «جرانت» من الحكومة الايرانية الافراج عن البريد المحجوز كما أبلغ وزير خارجية ايران مشير الدولة انه قد أعطى التعليمات الى المقيم السياسي بضرورة مقاومة أي عبث جديد بالبريد البريطاني بالقوة . وفي الثامن من ديسمبر أعاد السيد «واجنر» مساعد مدير عام الجمارك بنفسه البريد المحجوز الى مكتب البريد البريطاني .

وفي النهاية اتفق في طهران على أنه يجب ان يحضر موظف من الجمارك الامبراطورية الايرانية فتح الحقائب البريدية في مكتب بريد المقيمية . وأما الطرود المرسلة لغير الاشخاص البريطانيين المعفيين ، فيجب ان ترسل الى دار الجمارك للتصريح بها او تفتيشها اذا لزم الامر ، وفي نفس الوقت الغي امتياز الاعفاء من الرسوم الجمركية لجراح المقيمية ومساعد المقيم الاضافي .

وفي المحمرة حيث حدثت متاعب كذلك ، تم اتفاق مماثل ، أما كيف تعاقبت الاحداث فيما بعد فهناك وصف لها في الملحق الخاص بموضوع المواصلات البريدية ومكتب البريد البريطاني الهندي في الخليج .

★ ★ ★

تقدم الجمارك الامبراطورية في الخليج(★)

انشاء والغاء المراكز

في نهاية عام ١٩٠٤ اقيم بنجاح مركز جمارك في جزيرة خارج التي كانت تقع في منطقة اختصاص خان حيات داوود رغم معارضته وكانت محاولة سابقة في اكتوبر قد احبطت اذ قام الخان بطرد موظفي الجمارك بمجرد اقلاع المركب الذي وصلوا عليه ، وكذلك افتتح عدد من المراكز الجديدة في عام ١٩٠٤ و ١٩٠٥ ، كما هو مبين في الجدول التي في نهاية هذا الملحق ، وفي أكتوبر عام ١٩٠٥ أقيمت دار للجمارك في «لاز» في جزيرة شيخ شعيب ، التي كان قد اقيم فيها مركز موقت منذ فبراير السابق .

واقيم ايضاً في أكتوبر عام ١٩٠٥ مراكز تفتيشية داخل البلاد في جوادر بلاتال ، ودواليكي على طريق الاهواز ـ اصفهان وطريق بوشهر أصفهان بالترتيب غير أنها ازيلت جميعاً فيما بعد ، وقيل في تعليل ذلك إنه لم تكن هناك حاجة اليها ، ولكن من المحتمل أن تكون الاسباب الحقيقية لالغائها شكاوى التجار والبقالين الذين لم يتورع الحراس عن ابتزاز الاموال منهم وكذلك احتجاجات المفوضية البريطانية في طهران .

الغاء ضريبة الرهداري وغيرها من الضرائب المزعجة

تم الغاء ضريبة الرهداري وغيرها من الضرائب المزعجة بموجب مرسوم حصل عليه مسيو «نوس» ، وعرف باسم قانون التاسع من ذي الحجة عام ١٣١٨هـ(١) ، وكذلك بموجب لائحة عام ١٩٠٤ أصبح الالغاء الآن سارياً جزئياً رغم المقاومة السرية من جانب الموظفين

(★) ستجد احصائية عن جمارك للخليج نظمت أخيرا في الملحق رقم ٢ من هذا الدليل .

(١) يوافق هذا التاريخ ٣٠ مارس عام ١٩٠١ .

الايرانيين . وعلى أي حال كانت ضريبة الرهداري في مايو عام ١٩٠٤ ما تزال تجبى بالقوة على الطريق من بندر عباس الى بام . كما استمر في السنة التالية حاكم عام ايران «شوق السلطنة» في الحصول على ارباح كبيرة من جمع الرسوم غير الشرعية على طريق بوشهر—شيراز . كما كانت تحصل بعد ضرائب أخرى متنوعة حظرت جبايتها بموجب اللائحة ومنها ضريبة تسمى «بار» تجبى عن بضائع بوشهر الّتي تنزل الى البر في «شيف» ، كما كانت تجبى أيضاً أجرة حماية القوافل بين شيف وشيراز بواسطة حرس الطوفنجشي . وفي بندر عباس كانت الدلالة أو السمسرة على نقل البضائع من قبل التجار العاملين في داخل البلاد الى التجار المصدرين في المدينة ، لا تزال تجبى بمعدل ٢,٥ بالمئة—١٠ بالمئة من قيمة البضائع . وفعلا لُزِّمَت هذه الضريبة من قبل الحكومة الايرانية بمبلغ ١,٢٠٠ تومان. وكانت تؤخذ الكبنداري أو أجرة الوزن بنفس المعدل وكانت الارضية او عوايد استعمال الرصيف تجمع بمعدل ٢,٥ بالمئة ، علماً بأنه لم يكن هناك رصيف يستحق التسمية . والميداني او ضرائب الخروج على الواردات الى الداخل وعهد بها الى مستأجرين من نفس النوع بمعدل ٢ وربع كراون على كل ربطة . وقد أدى التهديد بطلب التعويض عن ابتزازات شوق السلطنة الى وقف ضريبة الرهداري على طريق بوشهر—شيراز في اكتوبر ١٩٠٥ . ولكن السيئات الاخرى استمرت . وبقيت القوافل عرضة لاغتصاب الطوفنجشي او حراس الطريق الذين كان المسؤولون الايرانيون يؤجرون لهم امتياز حماية الطرق ، لقاء مبالغ كبيرة . ويقدر المبلغ الذي حصل بهذا الشكل عام ١٩٠٥ من قسم برازجان على طريق بوشهر—شيراز بخمسمائة تومان . وكان المسافرون ما يزالون يجبرون على شراء مؤنهم بأسعار باهظة ، من موظف العَلَف ، او عنبر العلف في كل محطة .

النتائج العامة لاعادة تنظيم الجمارك الايرانية

يرجع الى مسيو «نوش» ومساعديه البلجيكيين الفضل في النتائج العامة التي حصلت عليها ايران من اعادة تنظيم الخدمات الجمركية .

تضخم الدخل

كانت الاصلاحات من وجهة النظر المالية مرضية في مجموعها ، اذ أنها أدت الى زيادة كبيرة في ايرادات الدولة نشأت على الاخص من الزيادة المتوسطة في الضرائب ، ومن التحصيل الاكثر تنظيماً ، الا أنها كانت ترجع جزئياً الى اسباب اخرى كذلك ، فبموجب النظام القديم حيث كانت جمارك الاقاليم توجر من قبل المديريات الى ملتزمين كان يحدث أحياناً تخفيض للضريبة في الاقسام الجمركية المتجاورة بقصد المنافسة ، وطبقاً لذلك مثلا ، كانت الحكومة تقبل عرضاً أقل عندما يشتري المتعهدون الالتزام مرة أخرى لكل من بوشهر وكرمنشاه .

كذلك أصبح ايضاً دفع الرسوم الجمركية نقداً امراً اجبارياً ، بينما كان ملتزمو الجمارك في السابق ، يرغبون قدر امكانهم في تسديد ثلثي مطلوباتهم الى الحكومة ، بواسطة سندات الدولة التي لم تكن تساوي في السوق الحرة الا ٥٠ــ٧٠ بالمئة من قيمتها الاسمية .

ويوضح الجدول التالي نمو ايرادات الرسوم الجمركية تحت الادارة الجديدة .

صافي واردات الجمارك في الخليج مقدرة بالتومان	صافي واردات الجمارك في جميع إيران مقدرة بالتومان	ملاحظات
السنة قبل ١٨٩٩		
حوالي ٢٥٠,٠٠٠	أقل من ١,٠٠٠,٠٠٠	المبلغ المذكور عن جمارك الخليج قيمة وسطية ، ولا يشمل

صافي واردات الجمارك في الخليج مقدرة بالتومان	صافي واردات الجمارك في جميع إيران مقدرة بالتومان	ملاحظات
		الضرائب المختلفة في داخل البلاد والتي كانت ملزمة مع رسوم البحر . المبلغ المذكور عن جميع جمارك ايران يشمل ضريبة الاكتروي والراهدري التي ألغيت فيما بعد عام ١٩٠١ .
١٨٩٩ — ١٩٠٠		
٠٠٠٠	١,٤٠٦,٤٤٤	لُزّمت جمارك جميع إيران من قبل الدائرة الجديدة عدا جمارك اذربيجان التي أصبحت تحت ادارتها المباشرة .
١٩٠٠ — ١٩٠١		
٣١٩,٧٤٢	١,٧٠٠,٦٣٠	ألغيت بقانون ضريبة الاكتروي والراهدري في جميع أنحاء إيران .
١٩٠١ — ١٩٠٢		
٤٥٣,٨٢٣	٢,٠٠٨,٥٦٨	تم تقدم كبير في تنظيم الجمارك في الخليج .
	بالتومان	

للسنة ١٩٠٢ — ١٩٠٣		
٤٠٤,٨٥٩	٢,٠٧٩,٠٧٥	تأثرت حصيلة الخليج لتوقف الأعمال بسبب فرض التعرفة

صافي واردات الجمارك في الخليج مقدرة بالتومان	صافي واردات الجمارك في جميع إيران مقدرة بالتومان	ملاحظات
		الجمركية الجديدة في ١٤ فبراير عام ١٩٠٣ واستمرت حتى نهاية السنة المالية .
١٩٠٣ — ١٩٠٤		
١,٠٦٤,٦٥١	٣,٠٣٧,٨٩٤	جُنيت الاستفادة الكاملة في هذه السنة من التعرفة الجديدة .
١٩٠٤ — ١٩٠٥		
٨٢٠,١٦٠	٢,٦٠٧,٠٠٠	تقلصت الاعمال عموماً بسبب الكوليرا في إيران والحرب الروسية اليابانية وانخفضت حصيلة الخليج بسبب تحويل تصدير الشاي من الخليج الى طريق القوقاز نتيجة لعمليات الاسطول الروسي الجنوبي وشركة الشاي .
١٩٠٥ — ١٩٠٦		
٧٤٠,٥٢٦	٢,٥٥٠,٠٠٠	حدث عجز كبير في محصول الافيون في إيران أما في الخليج فقد ازداد تحول تجارة الشاي عنه . وهكذا كان انكماش الرسوم عاماً .

في عام ١٩٠٦–١٩٠٧ تأثرت سلطة الجمارك ونفوذها بسبب

الاضطرابات السياسية التي اجتاحت ايران ، ولذا كان دخل الجمارك من الستة أشهر الاولى من هذه السنة أقل بمقدار ٦٩,٠٠٠ تومان عن دخل نفس الفترة من السنة السابقة .

وعلى الرغم من الغاء ضريبة الاكتروي والرهداري ، والغاء معظم رسوم الصادرات ، ورغم سوء الاوضاع السياسية التي أعاقت تقدم الجمارك ، فان نسبة صافي دخل الجمارك الايرانية خلال السبع سنوات الاولى من الاصلاح الجزئي أو الكلي الى السبع سنوات التي سبقته مباشرة كانت نسبة ٤١ : ١٤ .

إصلاحات اقتصادية أخرى

ولقد أدى تغيير النظام الى الحصول على فوائد متنوعة أخرى ذات طابع غير مالي وان كانت لا تقل في حقيقتها عن النواحي المالية ، اذ أدى الغاء الجباية التعسفية لضريبة الاكتروي والرهداري وكذلك وضع التجار الايرانيين لاول مرة على قدم المساواة مع منافسيهم من التجار الاوروبيين ، الى اعطاء التجارة الايرانية دفعة قوية الى الامام ، كما ان الغاء ضريبة التصدير على انواع كثيرة من البضائع أدى الى ازدهار النشاط التجاري و في ١٩٠٧ قدرت زيادة التجارة الخارجية لشمال ايران بنسبة ٨٠ بالمئة في السنوات القليلة الاخيرة ، بينما قدرت الزيادة الفعلية في النشاط التجاري اذا قورنت بالزيادة الظاهرية في جنوبي إيران في الفترة الواقعة بين عام ١٩٠٣–١٩٠٤ الى عام ١٩٠٥–١٩٠٦ ، بنسبة لا تقل عن ٢٠ بالمئة . ويمكن على الاخص ملاحظة النمو الهائل للصادرات التي زادت بنسبة لا تقل عن ٩٩ بالمئة ، في حين ان الواردات ارتفعت بنسبة ٦٨ وثلاثة ارباع بالمئة ، وفي حين كانت نسبة الصادرات الى الواردات في عام ١٩٠٠ – ١٩٠١ تبلغ ٣٦ : ٦٤ فقط ، ارتفعت في عام ١٩٠٥–١٩٠٦ واصبحت تشكل نسبة ٤٤ : ٥٦ .

الصعوبات القاهرة التي واجهت دائرة الجمارك

كان التقدم الذي أحرزته دائرة الجمارك والذي وصفناه سابقاً قد تم رغم صعوبات قاهرة اعترضت سبيل هذه الدائرة وخاصة عجز الحكومة الايرانية في أجزاء مختلفة من البلاد ، ومساوئ نظامها الاداري واهتمام سلطاتها المحلية بعمليات التهريب ، والطبيعة الجغرافية التي تسهل التهريب تسهيلا كبيراً . وقد تركزت هذه الصعوبات بدرجة كبيرة في منطقة الخليج حيث لم يكن بالامكان اطلاقاً في كثير من المناطق اقامة دور الجمارك ، او حتى اذا اقيمت لم يكن باستطاعة هذه الدور أن تفي بالغرض المقصود منها ، كما كان من الامور المألوفة الاستخفاف بسلطة موظفي الجمارك ، ومقاومة اجراءاتهم بعنف . وكانت مقاطعات ساحل الخليج مقسمة ادارياً بين شيخ المحمرة ومحافظ موانئ الخليج ، ومحافظ عام كرمان وكرمنشاه كما كانت متداخلة في بعض المناطق مما ادى الى انعدام العمل المنظم الناجح انعداماً شبه كلي على طول ساحل الخليج من المحمرة حتى جواتر اذ ان كل حاكم لم يكن يبالي بما يحدث في المقاطعة المجاورة . وكان خانات روض الحلة ، وطنجستان وداشتي ، وجيه منغمسين انغماساً في تجارة البضائع المحظورة ، بل كانت لهم دور الجمارك الخاصة بهم وخاصة خان روض الحلة ، الذي قيل عنه انه كان يضمن سلامة البضائع التي تفرغ تحت رعايته من مصادرة الجمارك لها حتى تصل خوشاب . وعلى أي حال فان هذا الاحتيال ، كما كان يوصف رسمياً ، او هذا التحدي العلني لسلطة الجمارك كانت له غالباً نتائج ملموسة جداً ، فلو أخذنا مثلا حصيلة الجمارك السنوية في مقاطعة ريق ، نجد أنها لم تبلغ بأي حال الخمسة آلاف تومان التي تدفع سنوياً الى خانات المنطقة ، كتعويض لهم عن فقد حق جباية الرسوم الجمركية ، وكذلك في طنجستان كان التهريب متفشياً حتى إن الشاي

كان يباع فيها بسعر أقل ٤٠ بالمئة من السعر الذي يباع به في مدينة بوشهر المجاورة وفي ميناب حيث كان يدفع للحكام المحليين ٧,٠٠٠ تومان سنوياً ، كتعويض لهم ، كانت حصيلة الجمارك السنوية أقل كثيراً من هذا المبلغ . وكان خانات مكران يحصلون كذلك على دخل سنوي يقدر بعشرين الف تومان من التجارة غير الشرعية في البنادق وحدها ومن الكويت والبحرين ومسقط كانت شحنات البضائع ذات الرسوم الجمركية المرتفعة وخاصة السلاح والذخيرة والشاي والتوابل والنيله ، تنقل الى الجانب الايراني ، حيث تفرغ سراً في الموانئ التي توجد بها دور الجمارك ، أو علناً في أماكن أخرى لا يوجد فيها جمارك . وكانت الجمارك الامبراطورية الايرانية في الحقيقة تنظر الى البحرين والكويت على أنهما مجرد مستودع ضخم من البضائع المهربة كما كانت ترقب نمو التجارة في هذين البلدين بارتياب كبير .

وفضلا عن هذه الصعوبات التي لا يمكن إلقاء مسؤولية قيامها على منظمي الجمارك الامبراطورية ، كانت هناك مشاكل أخرى نشأت كنتيجة لبعض تصرفاتهم ، اذ ان معدلات الضرائب على بعض السلع ارتفعت بموجب التعرفة الجمركية لعام ١٩٠٣ ارتفاعاً جعل تهريبها مغرياً ، كما ان الاجراءات الجمركية التي أقرت بموجب لائحة ١٩٠٤ كانت كثيرة التعقيد وغير مرنة بالنسبة لدولة شرقية مثل ايران ، وفيما بعد كان بعض المسؤولين في الجمارك يميلون الى الاعتراف بأن رسماً بسيطاً موحداً بمقدار ٨ بالمئة على جميع البضائع المستوردة يمكن ان يزيد من دخل الجمارك ، فضلا عن انه سوف يجعل عملية تهريب البضائع غير مربحة ، كما أنه سيقضي على صعوبات أخرى متعددة . الا أنه كان لابد للقضاء على تجارة المهربين من ان تقوم المراكب السريعة التي بنيت أو طلبت من بومباي بالكثير في سبيل ذلك .

نتائج عرضية لاعادة تنظيم الجمارك الايرانية

تدهور مركز لنجة كميناء ترانزيت ١٩٠٢ ـ ١٩٠٧

وجه نظام الجمارك الامبراطورية ضربة قاسية لميناء لنجة الذي كان في وقت من الأوقات ميناء مزدهراً لتجارة الترانزيت اذ أن قواعد الادارة الجديدة لم تكن ملائمة تماماً لظروف مثل هذا النوع من الموانئ ففي سنتي ١٩٠٠ أو ١٩٠١ كانت تجارة لنجة تعامل بكثير من المراعاة ، الا أنه مع بداية عام ١٩٠٢ فرضت ضريبة ترانزيت بمقدار ثمن غران على كل طرد ينزل الى البر ، كما فرضت ضريبة خاصة أخرى بمقدار ربع غران ، على كل طرد يعاد تصديره خلال ٢٠ يوماً من وصوله . وفي حالة انقضاء هذه المدة دون تصدير ، يُحصَّل عن هذه البضائع ضريبة التصدير كاملة ، ومن الواضح ان المدة الممنوحة لاعادة التصدير كانت قصيرة جداً ، كما ان الضرائب التي أصبحت تخضع لها المواد الغذائية في حالة انقضاء المدة كانت باهظة . وهكذا ففي بداية عام ١٩٠٢ كان كل من الارز والسمن يخضع لضريبة تصدير بمقدار ١٠ بالمئة أما القمح والشعير فكانا يخضعان لضريبة مقدارها ١٥ بالمئة هذا رغم أن ضريبة استيراد بمقدار ٥ بالمئة قد دفعت سابقاً عن هذه السلع عندما استوردت من الهند . وحدث في مارس عام ١٩٠٢ أن ما لا يقل عن ١٥ الف كيس من الواردات الهندية التي كانت متجهة الى الموانئ العربية بقيت راقدة في جمارك لنجه بدون تخليص . وفي هذه الاثناء كانت بعض السفن قد قبلت أن تشحن البضائع من الهند الى دبي مباشرة ، كما ارسل تجار لنجة اوامر الى سفنهم في الهند بالتوجه الى الموانئ العربية مباشرة بدون المرور على لنجة ، وفي النهاية سمح بتصدير الخمسة عشر الف شوال بدون ضريبة ، الا ان ثقة التجار أصيبت بصدمة لم تفق بعد منها . وفي عام ١٩٠٧ كان ازدهار لنجة ورخاؤها ما يزالان في تدهور ، اذ تحولت تجارة الترانزيت عن لنجة الى دبي تحولاً ملحوظاً ، رغم رداءة

الطقس والمرسى هناك ، وكانت الدلائل كبيرة على ان هذا التحول سوف يستمر حتى انه يمكن القول إن دبي صارت ميناء الترانزيت للمهربين الى لنجة نفسها .

متاعب تموين سفن الحكومة البريطانية من ١٩٠٢ — ١٩٠٧

وقد أصبحت قواعد مرور المؤن وتصديرها مصدر بعض المتاعب لسفن الاسطول البريطاني والبحرية الملكية الهندية .

وقد فرضت الجمارك منذ يوليه عام ١٩٠٢ ضريبة بمقدار ١ بالمئة على الفحم الذي يقدم للسفن من المستودعات التي على الشاطىء . وحيث إنه لم تكن هناك ضريبة استيراد على الفحم فان هذه الضريبة كانت في نظر الجمارك الامبراطورية تعتبر ضريبة على الترانزيت لا على اعادة للتصدير .

علاقات بريطانيا بجمارك جنوبي ايران

وفي ديسمبر عام ١٩٠١ قامت جمارك بوشهر بما يتنافى مع ما كانت تتبعه من قديم اذ بدأت في تحصيل ضريبة قدرها ٥ بالمئة على جميع البضائع التي ترسل من الشاطىء الى السفن الحربية البريطانية الراسية في الميناء ، مع ان الكثير من هذه المؤن كان قد استورد من الهند ، ودفعت عنه ضريبة بمقدار ٥ بالمئة . وفي مارس ١٩٠٢ زيدت هذه الضريبة الى ١٠ بالمائة . وفي نوفمبر من نفس السنة تقررت ضريبة ٢٠ في المائة على الحيوانات التي تقدم للسفن ، وبقي رسم الـ ١٠ بالمئة سارياً على السلع الاخرى ، ثم تبين أخيراً ان هذه الرسوم لم تفرض على أساس أنها رسوم جمركية ، ولكن باعتبارها «رسم مخالفة» أي ثمن الاعفاء من الحظر على تصدير المواد الغذائية واللحوم من ايران . وكان الحظر في ذلك الوقت شبه دائم . وخلال عام ١٩٠٣ لم يؤد الاحتجاج

على هذه البدعة الى نتيجة ، بل أصبح «رسم المخالفة» هذا في عام ١٩٠٤ قانوناً لكن بمقدار ١٠ بالمئة على كل من المواشي والغلال ، غير ان الحكومة البريطانية لم تعترف للحكومة الايرانية بحق فرض هذه الضريبة وبقيت المراسلات مستمرة بين الحكومتين بهذا الخصوص حتى الآن (١٩٠٧) .

وفي يونيه عام ١٩٠٣ طالبت الجمارك ولأول مرة بضرائب جمركية على جراية الجنود المرسلة من الهند الى رجال الوحدة العسكرية البريطانية التي كانت تقيم في جاشك وشهبار ، وفعلا دفعت الضرائب المطلوبة عن هذه الجراية مع تقديم احتجاج على جبايتها ، وعلى أي حال فقد أعدت السلطات السياسية البريطانية طلباً باسترداد هذه الاموال غير ان المسألة لم تنته بعد حتى الآن (١٩٠٧) .

* * *

الحكومة البريطانية وجمارك جنوبي ايران

لقد كان أكبرهم يشغل الحكومة البريطانية من النجاح أو الفشل في اعادة تنظيم جمارك ايران ، هو ما اذا كانت جمارك الخليج يمكن ان ترهن لدولة أوروبية كبرى مقابل قرض يدفع لايران ، ولهذا الموضوع نتعرض الآن .

علاقة بريطانيا بجمارك جنوبي إيران

كانت بريطانيا دائماً تهتم اهتماماً خاصاً بجمارك جنوبي إيران . ففي عام ١٨٩٢ جمع في لندن قرض قيمته ٥٠٠,٠٠٠ جنيه للحكومة الايرانية حتى تتمكن من تسديد التعويض المستحق عليها لشركة التبغ الامبراطورية البريطانية ، عندما ألغي امتيازها ، ولذا وُضعت جمارك جنوبي ايران تأميناً لهذا القرض ، وقدر له فائدة مقبولة بسعر

قدره ٦ بالمئة ، وكنا قد رأينا ان بنكاً بريطانياً كان يدير جمارك بوشهر لعدة أشهر في عام ١٨٩٨ بناء على قرض آخر ، وعلاوة على ذلك ففيما يتعلق بقرض اقترحته روسيا في عام ١٨٩٢ حتى تتمكن الحكومة الايرانية من الوفاء بالتزاماتها الى شركة التبغ ، قام الوزير البريطاني في طهران بتوجيهات من حكومة صاحب الجلالة بابلاغ الحكومة الايرانية بأن أي عمل قد يسلم الشاه به سلطته في الاشراف على واردات الجمارك في الموانئ الجنوبية لايران الى دولة أجنبية يعتبر تخلياً عن سلطاته الملكية ، مما يبرر معارضة الحكومة البريطانية وان الحكومة البريطانية سوف تتقدم باحتجاج رسمي ضد أي اجراء من هذا النوع .

تأكيدات الحكومة الايرانية فيما يتعلق بجمارك جنوبي ايران في ٢٣ اكتوبر ١٨٩٧

وفي عام ١٨٩٧ أثناء المباحثات المتعلقة بقرض لإيران في اوروبا ، نجح «س. هاردينج» القائم بالأعمال البريطاني في طهران ، وبتعليمات من لورد «سالزبري» في الحصول على تأكيد(١) خطي من مشير الدولة وزير خارجية إيران ، تعهد فيه بأن لا توضع جمارك جنوب إيران (او ربما بالأحرى بعض منها فقط) تحت ادارة او اشراف أجنبي ، وأصبح هذا التعهد المؤرخ في ٢٣ اكتوبر عام ١٨٩٧ والذي أبلغه مستر هاردنج بالتالي الى القائم بالأعمال الهولندي في طهران أصبح الحصن الرئيسي للمصالح البريطانية في جنوب إيران ضد النوايا الروسية . وأثناء المفاوضات التي أدت الى إبرام إتفاقية القرض الروسي عام ١٩٠٠ ، قدم الوزير البريطاني في طهران اشارة مكررة الى هذا التأكيد ، كما ارسل منه نسخة الى الصدر الاعظم عام ١٨٩٩ بناء على طلبه ، وفي مارس عام ١٨٩٩ أعيد بحث المسألة مرة أخرى ، بين المفوضية البريطانية وحكومة الشاه على اساس ان يشمل التعهد كل جمارك جنوبي إيران ،

---

(١) ورد نص هذا التأكيد الخطي في الملحق رقم ٣ من هذا الدليل .

لا بعضها فقط ، وأخيراً وكيفما كان الامر انتقل البحث الى الجمارك في الموانئ في الخليج» وربما كان ذلك بسبب عدم الانتباه .

الشك حول عبارتي جمارك جنوبي ايران و «جمارك فارس والخليج»

لقد اتضح عند نشر اتفاقية القرض الروسي عام ١٩٠٠ ان الحكومة الايرانية وضعت جميع جمارك إيران ، عدا جمارك «فارس والخليج» كتأمين لاول قرض تأخذه من روسيا وانه في حالة تخلفها عن تسديد رأس مال القرض او فوائده في موعد الاستحقاق يصبح من حق «بنك دي اسكومبت» وكيل بنك الدولة الروسي أن يدير الجمارك المرهونة ، وفي الحال ظهر الشك حول ما اذا كانت جمارك «فارس والخليج » هي بالضرورة جمارك جنوبي إيران بالذات ، او أن الحكومة الإيرانية قد حرّفت تعهد عام ١٨٩٧ عندما وافقت على تسلط روسيا المحتمل على جمارك جزء من جنوبي إيران لم تشمله عبارة «فارس وجنوبي ايران » .

المعنى المختار يصون الحقوق البريطانية بمقتضى التعهد الايراني١٨٩٧

كان اول مكان اتجه الانتباه اليه بصفة خاصة ، هو محمرة التي اقترح في بداية عام ١٩٠٠ ان توضع جماركها تحت اشراف موظف بلجيكي ، ويمكن التأكد قدر المستطاع ان اسم المحمرة لم يرد ضمن أسماء الدور الجمركية التي رهنت لروسيا ، كما ان « مسيو نوس » وزير الجمارك الايراني يعتقد شخصياً أنها يجب ان تعتبر ميناء من موانئ الخليج ، الا أن الحكومة الإيرانية لم يمكن اقناعها بأن تحدد ما اذا كان التأمين المقدم للقرض الروسي يشمل جمارك محمرة او لا يشملها ، وقد كانت الحكومة الإيرانية تحاول في الحقيقة تجنب بحث الموضوع ومن الواضح انها كانت ترتاب في ان هدف الوزير البريطاني في طهران هو ان يحصل على اعتراف منها يعطي للحكومة البريطانية حق التدخل في المحمرة ، مما يجعل هذه المقاطعة دائرة نفوذ بريطانية معترفاً بها .

١٩٠٢

في عام ١٩٠٢ وعقب عقد القرض الروسي الثاني ، احيطت الحكومة الايرانية علماً بأن بريطانيا لا تستطيع ان تعترف بشمول التأمين أيّاً من جمارك جنوبي إيران ، الا أن الحكومة الإيرانية لم ترد على هذه الرسالة البريطانية .

١٩٠٣

في عام ١٩٠٣ عندما فصلت جمارك عربستان عن تلك التي تقع تحت ادارة المدير للعام في بوشهر ، حاول الوزير البريطاني مرة أخرى وبتعليمات من دائرة الخارجية ، الحصول على بيان من الحكومة الإيرانية يوضح فيما اذا كانت جمارك عربستان تدخل او لا تدخل ضمن جمارك فارس والخليج الا ان الرد كان مراوغاً .

١٩٠٤

وفي عام ١٩٠٤ اوضحت الحكومة الايرانية عدم قدرتها على تغيير او حتى ايضاح شروط عقدي القرضين الروسيين بدون موافقة روسيا ، غير انها اعترفت رسمياً انها لم تكن تنوي توقيع هذين الاتفاقين ، إخلالاً بالتعهد المعطى الى الحكومة البريطانية عام ١٨٩٧ فيما يتعلق بجمارك جنوبي ايران ، وعندما أخطرت وزارة الخارجية للبريطانية بهذا الاعتراف أبلغت الحكومة الايرانية ان ردها لم يكن كافياً من نواح أخرى ، وان حكومة صاحب الجلالة كانت تعتبر الحكومة الايرانية ملتزمة بتعهد عام ١٨٩٧ الذي سبق صدوره اتفاقيات القرض الروسي ، ولا تستطيع حكومة صاحب الجلالة أن تقبل باستثناء واحد من هذا التعهد ، كالمحمرة وتوابعها أو أي ميناء من موانئ عربستان ، وانها سوف تتخذ من جانبها الخطوات الضرورية لتأمين احترام حقوقها ، تجاه أية محاولة من جانب الحكومة الايرانية لتجاهل هذه الحقوق . وفي ٣١ اغسطس سنة ١٩٠٤ سلم سير ا. هاردنج الى مشير الدولة مذكرة

بهذا الأمر ، فقرأها مشير الدولة في حضوره ولم يعترض على فحواها ، والآن حيث ان الحكومة البريطانية لم تطلب رداً رسمياً فانها لم تلق رداً رسمياً .

وعندما وقعت اللائحة الجمركية في أغسطس عام ١٩٠٤ كان السير «ا. هاردنج» حريصاً على ان تتضمن اللائحة اقراراً حول موضوع الجمارك الجنوبية ، وفعلا كان هذا ما قام به «مسيو نوس» بصفته وزيراً للجمارك ، ويوضح هذا الاقرار بأن اللائحة قد وقعت لصالح بريطانيا مع التحفظ بأن قسم الجمارك الذي يشار إليه الآن باسم جمارك الجنوب يجب ان لا يعتبر القسم الوحيد المعنى بتعهد ٢٣ اكتوبر عام ١٨٩٧ ، كما ان التعهد المشار اليه يجب الا يعتبر بحال من الاحوال متأثراً أو مقيداً بأي تفريق اداري يرد في اللائحة بين جمارك الجنوب وجمارك عربستان .

مشكلة وضع المحمرة وجاشك وشهبار بالنسبة للخليج

يبدو انه لا نزاع في ان محمرة ميناء من موانئ الخليج وان جماركها لا يمكن بحال من الاحوال ان ترهن الى روسيا . فقد اوضح علماء الحركات المائية في رئاسة البحرية البريطانية أنه حيث ان محمرة تقع على نهر يتأثر بالمد والجزر ويمكن لسفن الخليج ان تصل اليها ، لذلك يجب اعتبارها ميناء من موانئ هذا البحر ، كما ان الحكومة الايرانية قد ذكرت مكتب بريد المحمرة في قائمة مكاتب بريد ايران المرسلة الى مكتب البريد الدولي في برن في اغسطس عام ١٩٠٣ تحت عنوان مكتب بريد الخليج . واخيراً ورد في اللائحة الجمركية التي صاغتها الحكومة الايرانية واقرتها الحكومة الروسية في ملاحظات مركز جمارك عن محمرة العبارة التالية : « التي تصل من مركز آخر في الخليج » كما ان جاشك وشهبار وجوادر كانت مشمولة بالمثل في نفس الصياغة في قائمة مكاتب البريد المذكورة سابقاً ، وفي اللائحة الجمركية أيضاً . أما مسألة اقصاء

السيطرة الروسية عن مراكز جمركية أخرى من جنوبي ايران ، حيث كان موقع هذه المراكز في حدود «إيران والخليج» مشكوكاً فيه ، فلا يزال يعتمد على تعهد عام ١٨٩٧ من الحكومة الايرانية وهو تعهد شامل وان كان غير محدد .

ومما يجب ذكره في النهاية ان البنك الامبراطوري لايران (بريطاني) قد قدم للحكومة الايرانية قرضاً بمبلغ ٢٠٠,٠٠٠ جنيه بتاريخ ٤ ابريل عام ١٩٠٣ ، وقرضاً اضافياً بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ جنيه ، في الاول من سبتمبر عام ١٩٠٤ ، واخذ ضماناً لهذين القرضين اولا دخل مصائد اسماك بحر قزوين ، وثانياً دخل البريد والتلغراف ، واخيراً جمارك فارس والخليج .

* * *

الوضع المهدد للجمارك الايرانية بعد اعادة تنظيمها ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧

العداء وعدم الاكتراث بعمل الجمارك

واجهت الادارة الجمركية الجديده منذ البداية تحاملا واصراراً على معارضتها ، وكان مجرد كون هذه الادارة أصبحت في أيد أوروبية قد وضع في أيدي خصومها سلاحاً فعالا ضدها ، وعلاوة على ذلك ، ورغم انه امر يصعب تصديقه ، فان الحكومة الايرانية ذاتها كانت تبدي عدم اهتمام بالنتائج الباهرة التي حصلت عليها هذه الدائرة ، ولقد تعرض مسيو «نوس» فعلا في سبتمبر عام ١٩٠٤ لخطر فقدان منصبه الذي كان نظام السلطنة قد منحه من أجله ٤٠,٠٠٠ جنيه وفي عام ١٩٠٥ أصبح وضعه في غاية الصعوبة بسبب الاستياء العام الذي جلبه على نفسه ، حتى إنه قدم استقالته ، الا أن الشاه لم يقبلها ، وفي عام ١٩٠٥ ، ونتيجة لصرامة مسيو «هينسينس» المدير العام الجديد الجمارك في بوشهر ، الذي

أصر في البداية على ان يحضر الاشخاص المصدر اليهم بأنفسهم ليقدموا بياناً ببضائعهم ، وفرض عقوبات لادنى اختلاف بين الفواتير والبضاعة ، كما حاول ان يحرم استعمال الموانئ الخصوصية ، قام هياج خطير اشترك فيه المشايخ والتجار من اهل البلاد على السواء ، وحتى المؤسسات التجارية الاوروبية شاركت في الاحتجاج عن طريق قنصلياتها ، الا أن موجة الاضطرابات سرعان ما انحسرت عند اعطاء الامتيازات الضرورية .

اجراءات مسيو نوس

في بداية عام ١٩٠٦ ومع تطور الحركة الوطنية والشعبية التي كانت تجتاح ايران ، بدأ مركز «مسيو نوس» يتعرض للتهديد واخذت المخاوف تظهر حتى على سلامته الشخصية ، وفي وقت مبكر من السنة انسحب بحكمة متوجهاً في بعثة الى القسطنطينية وبقي حتى خريف تلك السنة ، وفي أثناء غيابه قدمت طلبات بطرده الا أن هذا الامر لم يتابع بالحاح . وفي اغسطس عام ١٩٠٦ كانت تجري مفاوضات لعقد قرض لإيران كان «مسيو نوس» قد طرق السوق البلجيكية من أجله على أن يكون بضمان روسي الا أنه لم ينجح ، ولقد استطاع بمقدرته ونشاطه وطموحه ان يضع بالتالي كل النظام المالي في البلاد تحت سيطرته ، ولم يكن يخفي سيطرته هذه ، وكان من المتوقع ان يمثل إيران في سبتمبر عام ١٩٠٦ في المفاوضات التي ستعقد في «سانت بطرسبرج» وتتناول بعض الامور المالية مع روسيا ، ولكن عندما شعرت الحكومة الإيرانية بالريبة من لهفة روسيا على ارساله رفضت ان ترشحه لهذه المفاوضات .

الحملة ضد مسيو نوس ومساعديه من البلجيكيين في الجمعية الايرانية ١٩٠٦ — ١٩٠٧

بدأت الجمعية الإيرانية الجديدة عقد جلساتها في ٧ أكتوبر عام ١٩٠٦ في طهران وسرعان ما شرع فريق يتزعمه سعد الدولة في مهاجمة «مسيو نوس» ومساعديه ، وكانت التهم الرئيسية الموجهة إليه هي أنه ارتكب

جرائم الرشوة والفساد ، وانه جمع لنفسه ثروة طائلة بطرق غير مشروعة كما انه استحدث الكثير جداً من الوظائف بمرتبات مرتفعة واسندها الى بلجيكيين ، وكان يفضل الارمن على المسلمين عند اختيار الموظفين المحليين . أما فيما يتعلق باولى هذه التهم ، فقد اعلن مسئول ايراني كبير انه لا يوجد اساس للإعتقاد بأن «مسيو نوس» قد ارتكب جريمة الاختلاس ، الا أنه لم يقدم حسابات رسمية خلال ثلاث سنوات ، ومن الصعب تدقيق وترتيب الاوراق التي قدمها . وعلى الرغم من المعارضة التي قادها الجناح المعتدل في الجمعية ، والذي كان يقدر قيمة خدمات «مسيو نوس» الا أن الجمعية استجابت للسخط الشعبي وشنت حملة على دائرة الجمارك ، وطلبت التحقيق عن مدى مسؤولية «مسيو نوس» كوزير فقد كانت الجمارك ، والخزينة ودائرة البريد والمسكوكات تحت اشرافه ولكن عندما كانت الجمعية تطلب معلومات عن جميع هذه الفروع من الادارة كان مسيو « نوس » لا يظهر. وقد اعترف وزير المـالية أنه نفسه لم يكن الا مجـرد محـاسب وأن « مسيو نوس » لم يكن تحت اشرافه ، واخيراً أصرت الجمعية على وجوب تزويدها بقائمة تشمل الوزراء المسؤولين فاستجاب الصدر الاعظم ، وظهرت القائمة دون ان يظهر اسم «مسيو نوس» فيها .

طرد م. نوس ١٩٠٧

عندئذ وجدت الجمعية نفسها في وضع يمكنها من ان تطلب عدم اعتبار «مسيو نوس» وزيراً ، وعلى هذا يجب ان يحرم من لقبه ومن سلطاته ورضخ الشاه بعد تردد فنحى «مسيو نوس» من الوزارة ، كما نحى مسيو «بريم» أيضاً من الادارة العامة للجمارك يبدو ان هذا التغير قد جرى في في ٩ فبراير عام ١٩٠٧ أي بعد أقل من شهر من تثبيته في منصبه وتوسيع صلاحياته من قبل الشاه الجديد ، ولم تقم أي من المفوضيات الاجنبية في طهران بأي عمل حاسم ازاء ذلك ، ولا حتى المفوضية البلجيكية او الروسية ، وأصبح مستقبل الجمارك الامبراطورية الايرانية غامضاً .

ملحق فرعى رقم ١ ـ جدول ايجارات بعض الجمارك في جنوبى ايران قبل انشاء دائرة الجمارك

يضم الجدول التالي في ترتيب زمني مع التاريخ اذا عُلِم ، المبالغ التي اجرت بها بعض جمارك جنوبي إيران خلال عدة سنوات متتالية قبل عام ١٩٠٠ ، وفي الكثير من الحالات بقي الملتزمون ومبلغ الالتزام ثابتاً على ما هو ، لأكثر من سنة ، وبالاضافة الى هذا فان هناك معلومات تفصيلية أخرى تتعلق بجمارك نفس المقاطعات حسب النظام القديم ، وقد لا تتفق هذه في كل الحالات مع المعلومات الواردة في الجدول الحالي(١) ويمكن الحصول عليها من التقارير الادارية التالية للمقيم السياسي في الخليج

(١) ومهما كان فان معظم المعلومات لا تتعلق بالايجارات بل بالايجارات من الباطن وتستعمل مصطلح « الجمارك » لا مصطلحى « ضريبة الاستيراد وضريبة التصدير ».

١٨٧٣ — ١٨٧٤ صفحة ١٤ — ١٥		١٨٨٦ — ١٨٨٧ صفحة ٢٣	
١٨٨٧ — ١٨٨٨ « ٣٣		١٧٩٠ — ١٨٩١ « ٢٢	
١٨٩٣ — ١٨٩٤ « ٣٠		١٨٩٥ — ١٨٩٦ « ٢٨	
١٨٩٦ — ١٨٩٧ « ٢٣		١٨٩٨ — ١٨٩٩ « ٥٧	

اسم الملتزم (مع التاريخ إذا وجد)	مجموعة الجمارك الملزمة وغيرها	مبلغ الالتزام بالتومان
أحمد خان نوقاي ، ١٨٥٨	جمارك ومحافظة بوشهر	٣٠,٠٠٠ سنوية
عميد الملك	« « «	٤٠,٠٠٠ «
آغا محمد علي ملك التجار	جمارك بوشهر وشيراز	٧٠,٠٠٠ «
حاجي ابراهيم وكيل ناصر الملك	جمارك بوشهر	٤٨,٠٠٠ «
ناصر الملك	محافظة بوشهر وجمارك هذا المكان وشيراز	٩٠,٠٠٠ «
محمد حسين ميرزا	محافظة وجمارك بوشهر	
رحيم خان أصفهاني	جمارك أصفهان يزد وشيراز وبوشهر ولنجه وبندرعباس	١٤٠,٠٠٠ «
حاجي محمد وبكر خان (٢)	محافظة بوشهر وجماركها وجمارك اصفهان يزد ولنجة وشيراز وبندر عباس	١٧٠,٠٠٠ «
ميرزا حسين خان ، صاحب الديوان	كسابقتها	١٨٠,٠٠٠ «

(١) المحافظة عندما تذكر هنا كالجمارك فان ريع دخلها المؤجر من المحتمل أ[ن يكون] على رسوم التصدير والاستيراد .

(٢) الاتفاقية مع حاجي محمد بكر خان انتهت بعد سبع سنوات .

اسم الملتزم (مع التاريخ إذا وجد)	مجموعة الجمارك الملزمة وغيرها	مبلغ الالتزام بالتومان
مصطفى نظام	محافظة وجمارك بوشهر ولنجه وبندرعباس	١٩٠,٠٠٠ سنوياً
سعد الملك	جمارك أصفهان وشيراز وبوشهر ولنجه وبندرعباس	١٤٠,٠٠٠ »
سعد الملك الذي أجرها بدوره إلى ميرزا نظر الله خان	جمارك بوشهر	٧٠,٠٠٠ »
سعد الملك الذي أجرها بدوره إلى حاجي محمد مهدي ملك التجار	مثل سابقتها	٧٥,٠٠٠ »
حاجي وزير	محافظة بوشهر ولنجه وبندر عباس وجمارك هذه الأماكن بالاضافة إلى جمارك أصفهان وشيراز	١٩٠,٠٠٠ »
نزار ميرزا	محافظة وجمارك بوشهر ولنجه وبندر عباس	١٢٠,٠٠٠ لمدة ستة أشهر فقط
حاجي محمد مهدي ملك‌التجار ١٨٨٦ — ١٨٨٧	مثل سابقتها	٢١٣,٠٠٠ سنوياً
سعد الملك	محافظة بوشهر ولنجه وبندر عباس وجماركها بالاضافة إلى جمارك شيراز	١٨٠,٠٠٠ »

اسم الملتزم (مع التاريخ إذا وجد)	مجموعة الجمارك الملزمة وغيرها	مبلغ الالتزام بالتومان
نظام الملك	مثل سابقتها	١٩٠,٠٠٠ »
قوام الملك	» »	٢٤٠,٠٠٠ »
حسام السلطنة	» »	٢٨٠,٠٠٠ »
اقتدار السلطنة	محافظة وجمارك بوشهر ولنجة وبندرعباس	٩٠,٠٠٠ لمدة خمسة أشهر فقط
البنك الامبراطوري (البريطاني) لايران ١٨٩٨	جمارك بوشهر	٩٠,٠٠٠ لمدة ستة أشهر فقط
داريا بايجي ١٨٩٨ — ١٩٠٠	محافظة بوشهر ولنجة وبندرعباس وجماركها بالاضافة إلى جمارك شيراز	٢٠٠,٠٠٠ سنوياً

ملحق فرعي رقم ٢ ـ التنظيم الحالي للجمارك الامبراطورية الايرانية في الخليج

قسمت الجمارك في الخليج كما شرح في أصل الجزء الحالي من هذا الدليل إلى مجموعتين اقليميتين رئيسيتين وهما جمارك الجنوب وجمارك عربستان ، ويظهر من عامة الوجوه ان المجموعة الاولى هي التي تستحق الاهتمام الأكبر .

وفيما يلي جدول يبين تنظيم وتكوين وايرادات ونفقات جمارك الجنوب (١) .

---

(١) من الضروري أن نحذر القارىء أنه في حين أن المراكز قد وضعت على الحال التي كانت به عام ١٩٠٦ ، فان الاعمدة الاخرى من هـذه البيانات تشير الى فترات سابقة ، ولذا تبدو أجهزة بعض المناطق غير كافية وتفيض عن الحاجة في البعض الآخر كما كان هناك اعادة تنظيم هامة لهذه المراكز في عام ١٩٠٥ وعام ١٩٠٦ ، كما أدى الى أن الحقائق التي شرحت هنا قد لا تتفق مع البيانات التي ذكرت في الجزء الجغرافي لهذا الدليل ٠

المركز الرئيسي	تاريخ اقامته	تفاصيل عن الموظفين الأوروبيين فيه	تفاصيل عن الموظفين الإيرانيين فيه
ديلام (دار جمارك ومركز تابعة لبوشهر)	سبتمبر ١٩٠٠	—	١ مدير و٤ آخرون
ريق (دار جمارك ومركز تابعة لبوشهر)	ابريل ١٩٠٣	٣	١ مدير و٤ »
جزيرة خارج (مركز تابع لبوشهر)	ديسمبر ١٩٠٤	—	١ مدير
بوشهر (مركز رئيسي حسب ما ورد في اللائحة)	مارس ١٨٩٩	١ مدير ١ مفتش ١ فاحص حسابات	٣٠
دير (دار جمارك ومركز تابعة للنجة)	مارس ١٩٠٤	—	١ مدير ١ مفتش ٤ آخرون

المراقبون وخلافهم الذين في أو تحت ادارةالمركز الرئيسي	الحراس المسلحون الذين في أو تحت ادارةالمركز الرئيسي	تقدير اجمالي الدخل السنوي بالتومان	تقدير النفقات السنوية بالتومان	المراكز الفرعية التي تتبع المركز الرئيسي المذكور في العمود الاول		تاريخ اقامته
٥	—	٦,٠٠٠	٩٠٠	خور إمام حسن	(مركز مراقبة)	سبتمبر ١٩٠٠
٩	—	٤,٠٠٠	١,٤٠٠	جنافه	(مركز تحصيل)	ابريل ١٩٠٣
١	—	٢٣٠	٢١٠	—		—
٤	١٠	٥٠٠,٠٠٠	٤٢,٠٠٠	حليلة	(مركز مراقبة)	يناير ١٩٠٤
				لاقار	(مركز تحصيل)	١٩٠٤
				زيارات	(مركز مراقبة)	
				خان	(« «)	
٧	—	٦,٥٠٠	٤,٥٠٠	أم الكرم	(مركز مراقبة)	مارس
				بتونه	(مركز مراقبة)	١٩٠٤
				كنجان	(« تحصيل)	
				ميالو	(« مراقبة)	
				تمباك	(« مراقبة)	
				طاهري	(« تحصيل)	
				نخل تقي	(« مراقبة)	
				عسّالو	(« تحصيل)	
				بيدهة خان	(« مراقبة)	
				حالات نبند	(« مراقبة)	

المركز الرئيسي	تاريخ اقامته	تفاصيل عن الموظفين الاوروبيين فيه	تفاصيل عن الموظفين الإيرانيين فيه	المراقبون وخلافهم الذين في أو تحت ادارة المركز الرئيسي
لنجة (مركز رئيسي حسب ما ورد في اللائحة	مارس ١٨٩٩	١ مدير	١٨	١٢
بندر عباس (مركز رئيسي حسب ما ورد في اللائحة)	مارس ١٨٩٩	١ مدير	٢٠	١٧
جزيرة هنجام (دار جمارك ومركز تابعة إلى بندر عباس)	ديسمبر ١٩٠٤	—	١ مدير	٢

الحراس المسلحون الذين في أو تحت ادارة المركز الرئيسي	تقدير اجمالي الدخل السنوي بالتومان	النفقات السنوية بالتومان	المراكز الفرعية التي تتبع المركز الرئيسي المذكور في العمود الاول	تاريخ اقامته
			تبين (مركز مراقبة)	—
			بوستانو (» »)	—
			تشيرو (مركز تحصيل)	يناير ١٩٠٤
			موجام (» »)	» »
			نخيلو (» مراقبة)	» »
			جازه (» »)	» »
			ماكحيل (» »)	—
			كالات (» تحصيل)	—
١٥	٥٠,٠٠٠	١١,٠٠٠	جورزه (» مراقبة)	يناير ١٩٠٤
			جزيرةقيس (» تحصيل)	ابريل ١٩٠٢
			تاقونه (» مراقبة)	» »
			جارك (مركز تحصيل)	ابريل ١٩٠٢
			حسينيه (» مراقبة)	—
			موغوه (» »)	ابريل ١٩٠٢
			بستانة (» »)	يناير ١٩٠٤
			باند معلّم (» »)	مارس ١٩٠١
			باندمهتابي (» تحنصيل)	فبراير ١٩٠٥
١٥	٢٧٠,٠٠٠	١٥,٠٠٠	خمير (» »)	مايو ١٩٠١
			بوحال (» »)	ديسمبر ١٩٠٤
—	٥٠	٣٠٠	—	

المركز الرئيسي	تاريخ اقامته	تفاصيل عن الموظفين الاوروبيين فيه	تفاصيل عن الموظفين الإيرانيين فيه	المراقبون وخلافهم الذين في أو تحت ادارة المركز الرئيسي
مدينة كشم (دار جمارك ومركز تابعة لبندرعباس)	مارس ١٩٠٠	—	١ مدير و ٤ آخرون	٦
مدينة ميناب (دار جمارك ومركز تابعة لبندرعباس)	فبراير ١٩٠١	—	١ مدير و ٢ آخران	٦
جاشك (دار جمارك ومركز تابعة لبندرعباس)	يناير ١٩٠٢	—	١ مدير و ١ آخر	٥
تشهير (دار جمارك ومارکز تابعة لبندرعباس)	يناير ١٩٠٢	—	١ مدير و ٢ آخران	٩
المجموع		٥	٩٩	١٢٤

تقدير اجمالي الدخل السنوي بالتومان	تقدير النفقات السنوية بالتومان	المراكز الفرعية التي تتبع المركز الرئيسي المذكور في العمود الأول	تاريخ اقامته
٦,٦٠٠	١,٥٠٠	—	—
٤,٣٠٠	١,٤٠٠	—	—
١,٤٠٠	٥٠٠	—	—
٤,٠٠٠	١,٣٠٠	جوادر (مركز مراقبة)	يناير ١٩٠٤
٨٥٣,٠٨٠	٨٠,٠١٠		

ويتضح مما تقدم أن نفقات العمل تبلغ ١٠ بالمئة من اجمالي الدخل ، كما ان الوظائف الخمس الكبرى في الجنوب وهي منصب المدير للعام ، والمفتش وفاحص الحسابات في بوشهر ، والمدير في لنجه ، والمدير في بندر عباس يشغلها اعضاء من الخدمات الجمركية البلجيكية الذين تربوا ووضعوا تحت تصرف الحكومة الايرانية من قبل الحكومة البلجيكية ، وكانت مدة التعاقد الابتدائي معهم ومع الموظفين البلجيكيين الآخرين ، الذين يعملون في دائرة الجمارك ثلاث سنوات ، قابلة التجديد عند نهايتها العالية . اما جميع الوظائف العالية الاخرى في الجنوب. فكان يحتلها ايرانيون يحملون لقب «مدير» اما الرتب الثانوية الاخرى مثل فراس أو «الخدم المدنيون» والمستحفظ « او خفير » والكاشكيهي « اوالحارس الليلي» والنوفنجتشي «او الحارس المسلح» فكان يشغلها جميعاً أشخاص من الاهالي المحليين ، وكان عدد النوفنجتشي يختلف تبعاً لفصول السنة ، وبالتالي فان هؤلاء الاشخاص يتغيرون ، ويجندون غالباً في بوشهر ، او بلوخستان ، وكان جهاز كل مركز فرعي يتألف من مدير تحت رئاسته تابعان او اكثر ، أما أعمال الحراسة فكان يقوم بها خفراء او توفانجتشي ويتبعون أقرب « مدير » .

ولم يكن باستطاعة الجمارك في بعض الموانئ والمناطق الساحلية ، وخاصة في مقاطعات روض الحلة وطنجستان ومكران الفارسية من جاشك حتى شهبار ، ان تنفذ فيها بعض الاصلاحات بسبب معارضة الرؤساء المحليين لها ، ورفضهم التخلي عن التزام الجمارك ، ولا يمكن اخضاعهم حتى هذا الوقت ، وبقي تحصيل الجمارك في هذه المناطق حسب الوسائل القديمة ، ولذا فان الاسلحة والمواد الممنوعة ما زالت تجد طريقها الى داخل البلاد . وقد اسندت مهمة مراقبة الخط الساحلي بقدر الامكان الى السفينة «مظفر» التابعة للجمارك والى السفينة الحربية «برسيبوليس» ، تعززها القوارب التي صنعت في بومباي ، وفي عام ١٩٠٥ او عام ١٩٠٦ أجريت تجربة لمراقبة السواحل بين لنجة وبندر عباس بواسطة ورديات من الفرسان ، ولكن النية اتجهت الى اعادتها واستبدال الجمال بالخيل .

في الجدول الآتي تنظيم جمارك عربستان وتنطبق عليه نفس الملاحظات التي وردت في الجدول السابق (جمارك الجنوب) .

المراكز	تاريخ إقامتها	الموظفون الأوروبيون	الموظفون الإيرانيون	الحراس	التقدير الاجمالي للدخل بالتومان	تقدير النفقات
المحمرة (مركز رئيسي حسب ما ورد في اللائحة)	٢٠ سبتمبر ١٩٠٢	١ مدير عام	١ مدير و ١٥ آخرون	٦٥	٥٥,٠٠٠	١٦,٠٠٠
ناصري	٢٠ يناير ١٩٠٣	—	١ مدير و ٥ آخرون	١٢	٤٠,٠٠٠	٢,٨٠٠
ششتر	٢٠ فبراير ١٩٠٣	—	١ مدير و ٢ آخران	١٣	١٠,٠٠٠	١,٨٠٠
ديزفول	٢٠ يناير ١٩٠٣	—	١ مدير و ٢ آخران	١٣	١,٠٠٠	٥٠٠
هنديان	٢٠ ديسمبر ١٩٠٢	—	١ مدير و ١ آخر	٧	٩,٠٠٠	٩٠٠
معشور	٢٠ ابريل ١٩٠٣	—	١ مدير و ١ آخر	٥	١١,٠٠٠	٤٠٠
البوزيه	« « «	—	١ مدير و ١ آخر	٥	٦,٥٠٠	٥٠٠
المجموع		١	٣٤	١٢٠	١٣٢,٠٠٠	٢٢,٩٠٠

ملحق فرعى رقم ٣ ـ الرسالة الرسمية الموجهة من مشير الدولة وزير خارجية ايران الى صاحب السعادة س٠ هاردينج سي٠ بي٠ القائم بالاعمال البريطاني في طهران في ٢٣ اكتوبر ١٨٩٧

لقد كتبتم ما يفيد بأن هناك اشاعة تقول باحتمال وضع جمارك جنوبي إيران تحت اشراف وسيطرة أجنبية كتأمين لقرض . وانني بهذه المناسبة أطلع المفوضية على ان هذه الاشاعة لا تستند الى أساس وأنها سوف لا تكون ابداً تحت سيطرة أو اشراف أجنبي » .

« مشير الدولة »

(وتمضي الترجمة الحرفية كما يلي على أي حال في تأكيد ما سبق :

لقد أحطنا علماً بما كتبتموه عما اشيع بأن بعض (او بالتحديد) جمارك جنوبي إيران قد وضعت تحت سيطرة واشراف أجنبي مقابل قرض أجنبي ، وقد وجدنا من الضروري أن نلفت نظر المفوضية المحترمة إلى أن تلك الاشاعة لا أساس لها على الاطلاق ، وانها سوف لا توضع أبداً تحت سيطرة او اشراف أجنبي » .

★ ★ ★

جولة صاحب الفخامة اللورد كرزون نائب الملك وحاكم عام الهند في الخليج

لقد قام لورد كرزون بجولته المشهورة في الخليج في نهاية عام ١٩٠٣ لتفقد المؤسسات الهندية في هذه المنطقة ، ولزيارة المشايخ العرب الذين تربطهم معاهدات مع الحكومة البريطانية ، وليشاهد نفوذ بريطانيا السياسي والتجاري المتزايد في مياه الخليج . وقد بدأت الترتيبات الاولية لهذه الرحلة في بداية اغسطس عام ١٩٠٣ ، وبعد ذلك بقليل طلب من حكومة صاحب الجلالة الموافقة الرسمية وحصل عليها .

(★) المراجع الرئيسيا عن هذه الرحلة هى ما ورد في السجلات الرسمية في الحكومة الهندية في القسم السياسى والرسائل الصحفية للمراسلين التى ظهرت في اعداد صحيفة « التايمز » الانجليزية في ٢٨ و ٢٩ ديسمبر عام ١٩٠٣ ، وفي ٢ ، ٥ ، ١١ ، ١٢ ، ١٨ يناير عام ١٩٠٤ ، وفي أعداد الصحيفة الهندية « بيونير » في ٢٢ ، ٢٦ من نوفمبر ، و ٢ ، ٦ ، ٩ ديسمبر ، كما ان الكاتب دون ذكرياته الشخصية عن الرحلة ونقح المقال السير « ل. دان » الذى رافق الرحلة بصفته سكرتيرا في دائرة الخارجية .

مغادرة كراتشي والرحلة الى مسقط من
١٦ الى ١٨ نوفمبر ١٩٠٣

أقلعت السفينة « هاردينج» من سفن البحرية الملكية الهندية بنائب الملك من ميناء كراتشي قبل الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الاثنين الموافق ١٦ نوفمبر بقليل ، وعند مرورها بمانورة حيتها بطاريات السواحل باطلاق مدافعها ٣١ طلقة ، وكان يصحب لورد كرزون في رحلته هذه صاحبة الفخامة زوجته . واستعداداً لهذه الرحلة عزز اسطول الهند الشرقية الذي يقوده نائب أمير البحر «أتكنسون» بالسفينة «آرجونوف» من سفن الاسطول الملكي وهي سفينة من الدرجة الاولى حمولتها ١١ الف طن ، وكانت حينئذ في طريقها من مركزها بالصين الى انجلترا ، وقد وقفت عند مدخل الميناء في كراتشي مستعدة لمرافقة الرحلة ، وعندما وصلت السفينة هاردينج ، اصطفت السفن في خطوط مقسمة طولياً فكان الجانب الايمن يتكون من البارجة «هيسنت» ، وهي سفينة من الدرجة الثانية ، والسفينة «فوكس» وهي من الدرجة الثالثة ، وعلى موخرته عمودا لاسلكي ، وكان الجانب الأيسر يتكون من الطراد «آرجونوت» باتجاه البارجة يتبعه الطراد «بومون» وهو من الدرجة الثالثة . وعند وصول نائب الملك رفعت السفن أعلام صواريها واصطف الجنود ، واستعرض الحرس وعزفت الموسيقى النشيد الوطني ، وعندما تقدمت السفينة «هاردينج» أمام الصفوف حيتها كل قطعة باطلاق مدافعها ٣١ طلقة ، وبقيت في مقدمة الاسطول حتى حلول الليل ، وحينئذ غيرت وضعها واخذت موقعاً في موخرة الاسطول وبقيت هكذا حتى أصبح الاسطول على مقربة من مسقط . واثناء الرحلة كان البحر لطيفاً ، وكان وضع السفن المتجاور يثير الاعجاب وخاصة أضواء الاسطول خلال ساعات الليل ، حيث كانت ترى من ظهر السفينة «هاردينج» وكأنها أضواء مهرجان ثابت ، في حين كانت الاعلام فوق الصواري تبدو كزينة خلال ساعات النهار .

زيارة مسقط في ١٨ و ١٩ نوفمبر

الوصول الى مسقط

بعد شروق شمس اليوم الثامن عشر من نوفمبر بقليل ، أصبح ساحل عمان في متناول البصر ، « يبدو كخط غير متعرج من الصخور الشديدة الانحدار ترتفع متلألئة براقة امام مياه المحيط الهندي الباهتة الزرقة» . وكانت النية في الاصل تتجه الى الوصول اولا الى نقطة بالقرب من موقع رأس الحد ، ويُواصَل السير من هناك الى مسقط ، الا أن الوقت لم يسمح بذلك ، واتجه خط سير السفن الى مسقط مباشرة حيث كانت السفينة «لورانس» من البحرية الملكية الهندية وعليها العميد كيمبول المقيم السياسي في الخليج ، والقطعة « لابونج » قد رستا هناك من قبل . وعندما دخل الاسطول الى الميناء في الساعة العاشرة والنصف قبل الظهر ، أدت سفينة القائد التحية للميناء باحدى وعشرين طلقة ، وفي نفس الوقت كانت بطاريات السلطان ترد عليها طلقة بطلقة وحالما أخذت السفن مواقعها، أطلقت بطاريات السواحل ٣١ طلقة ترحيب بصاحب الفخامة نائب الملك ، وبدت المدينة البيضاء التي تكسوها حلل الزينة نقيضاً غريباً للصخور القاتمة ، وكان لهذا التباين نظير في الجانب الآخر ، حيث كان يبدو هيكل السفينة «هاردينج» و «لورانس» المتألقان وخلفهما خط قاتم من السفن الحربية الراسية عبر مدخل الميناء .

وفد السلطان

وبعد قليل وصل وفد السلطان الى ظهر السفينة «هاردينج» وكان على رأسه سيد محمد أكبر أخوة السلطان وسيد تيمور أكبر أبنائه ، والذي مثل دولة عمان في احتفالات التتويج في دلهي ، وقائد قوات عظمته البرية وحاكم مطرح . وألقى أحد رجال الوفد قصيدة بالعربية جاء في ترجمتها ما يلي :

جاءني على الرحب بشرى الطالع الحسن وسرني جداً وأسعدني تماماً مقدم صاحب المجد والشرف صاحب الفخامة اللورد «كرزون» ، وأشرقت بقدومه شموس الفرح والسرور وأطلت بضيائها أقمار السعادة والبهجة .

ولصاحب الشرف والمقام الذي قدم الى هذه الدولة العظيمة كل تكريم ، ولهذا فانني اوفدت أخي وابني لعلهما ينالان شرف مقابلة صاحب الفخامة نيابة عني ، وليقدما الاحترام لشخصه الرفيع وليحتفلا بقدومه السعيد دليلا على فرحتنا بهذه المناسبة ، وتعبيراً عن امتناننا العظيم بقدومه لنا .

راجياً له ان يعيش مبجلا عزيزاً رفيع القدر موفقاً على مر الايام والليالي .

ورجع الوفد بعد ان استفسر عن صحة صاحب الفخامة ، في حين أطلقت المدافع ١٣ طلقة تحية لهم ، وكان ذلك استجابة لطلب السلطان نظراً لمقامهم الرفيع .

زيارة السلطان لنائب الملك

وحال وصول الوفد الى الشاطئ توجه صاحب العظمة فيصل بن تركي بشخصه الى السفينة «هاردينج» لزيارة نائب الملك . كان في معيته حاشيته والرائد «كوكس» المعتمد السياسي البريطاني في مسقط ، وبعد جولة باللنش على كامل الاسطول وتلقيه الترحيب من بحارة سفن صاحب الجلالة ، استقبل على ظهر السفينة «هاردنج» ، ثم اوصل الى مكان صاحب الفخامة على سطح مؤخرة السفينة ، حيث توجد غرفة استقبال رسمية مناسبة مزخرفة بسجاد موشى بالذهب ومطرز بشكل أنيق . وبعد تبادل التحيات جرى حديث قصير ثم قدم أفراد الحاشية كلاً على حده الى نائب الملك ، وبعد لحظات قصيرة غادر السلطان المكان مودعاً بإحدى وعشرين طلقة من الطراد فوكس .

زيارة نائب القنصل الامير كي والفرنسي

حضر بين الظهيرة والساعة الواحدة السيد «لارونس» نائب القنصل الفرنسي ، والسيد «ماكردي» نائب القنصل الامير كي في مسقط الى ظهر السفينة «هاردينج» ليقدما احترامهما الى نائب الملك ولذا استقبل كل واحد على حدة وعند مغادرتهما تلقى كل منهما التحية المناسبة لرتبته .

زيارة اللورد كرزون للمعتمدية البريطانية

وحوالي الساعة ١,٣٠ من بعد الظهر غادر اللورد «كرزون» السفينة «هاردينج» يحييه سلام نائب الملك ، وكانت سفن الاسطول في نفس الوقت قد اصطفت بجنودها ، ثم نزل فخامته الى اليابسة ومعه نائب امير البحر «أتكنسون ويليز» واركان حربه من الرصيف الذي اقيم خصيصاً عند مرفأ الجمارك حيث كان في استقباله هناك العميد كيمبول والرائد «كوكس» ومن هذا المكان ترجل موكب نائب الملك – في شارع ضيق الا أنه فرش بالسجاد وزين زينة مبهجة– عبر الحي الهندي الى بناية المعتمدية للبريطانية حيث أقام لهم المعتمد السياسي حفلة غداء ، ومن هذا المكان كان يرى قصر السلطان وتحته البخاري نور البحر وقلعتا جلالي وميراني مزينة جميعاً بوافر الاعلام وقد وصلت بناء على رغبة السلطان سواري الاعلام في قصره والمعتمدية البريطانية بقوس رائع من الرايات على طول ٣٠٠ ياردة يرمز الى المصالح المشتركة والود المتبادل بين الحكومة البريطانية وحكومة عمان .

وبعد الغداء حضر وفد من مختلف فئات رعايا بريطانيا ومحمياتها ، الذين يقيمون في عمان ، شمل على وجه الخصوص المسلمين الهنود والهندوس والمجوس وأهالي جوا ، وانتظر الوفد نائب الملك في شرفة المعتمدية ، وقد حضروا معهم خطاباً قرأه بالانجليزية السيد «بارشوتام دهانجي» عضو شركة من التجار الهندوس في مسقط ، ووضع الخطاب في علبة من الفضة مصنوعة ومصممة محلياً ، رسم عليها عربي ونخلة وجمل ، وجاء في الخطاب :

لعله يسر فخامتكم منّا نحن كامل فئات رعايا بريطانيا من هندوس ومسلمين وبقية الاشخاص التابعين للحماية البريطانية المقيمين في مسقط ومطرح ان نقدم بالغ الاحترام نيابة عن أنفسنا وعن مواطنينا المقيمين في ممتلكات صاحب العظمة السلطان لفخامتكم ترحيبنا القلبي ، بمناسبة زيارتكم لمسقط . وتزيد على ذلك بتهنئة فخامتكم بكل احترام على أنكم أول نائب للملك وحاكم عام للهند منذ ان انتقلت أقدار القارة الهندية الى التاج البريطاني ، يزور هذه الشواطئ البعيدة مفتتحاً بذلك تحولا سياسياً جديداً وقوياً في دائرة تشمل مصالح هندية متعددة . ومما يزيد في سرورنا أن يكون اول عمل عظيم بعد قرار فخامتكم السعيد ، بقبولكم تمديد فترة حكمكم (ذلك القرار الذي استقبل من قبل سائر فئات رعايا جلالة الملك الامبراطور بارتياح كبير) هو قيامكم ياصاحب الفخامة بهذه الرحلة المحاطة بكل توفيق في خليج عمان والخليج .

وحيث ان الاجناس التي تسكن هذه الشواطئ قد اعتادت ان تكون انطباعاتها عن الأمور بمظاهرها الخارجية ، فنحن لا يسعنا الا أن نكون على ثقة من ان هذه الزيارة السعيدة سوف تثبت أنها حدث يصنع التاريخ في سبيل تقدم بريطانيا وزيادة هيبتها وتأثيرها . وسوف تثبت هذه الزيارة أيضاً لسكان هذه السواحل على أنها دليل ثابت لرجاحة نفوذ بريطانيا العظمى في هذه المياه ، وان قوتها ليست بالقوة الضحلة الضعيفة ، ولكنها حقيقة قوية مرهوبة ، وان نائب جلالة الملك الامبراطور والذي يملك نفوذاً كبيراً على ملايين القارة الهندية البريطانية المترامية الاطراف ، يرعى مصالح رعايا صاحب الجلالة المنتشرين في سائر أنحاء الخليج بحماسة غير متقطعة واهتمام بالغ .

اننا لم نجيء متطفلين على وقت فخامتكم الا لكي نقدم احترامنا لفخامتكم وترحيبنا القلبي والتعبير عن ولائنا واخلاصنا لحكومتنا العظمى

والتي نحن من رعاياها ، أما فيما يتعلق باوضاعنا المحلية وظروفنا واحتياجاتنا الخاصة ، فلدينا حكاية مشجعة نود ان نقصها عليكم .

نحن في مسقط نتمتع بحقوق وامتيازات الامة الاكثر رعاية ، وترعى مصالحنا سلطاتنا القنصلية باهتمام بالغ ، ونمارس معتقداتنا في تسامح تام ، والنزاع الذي لا ضرورة له مفقود بيننا نحن رعايا بريطانيا ، وبامكاننا الوصول للعدالة من محكمة المعتمدية بسرعة وحزم .

أما فيما يتعلق بتعاملنا مع السكان المحليين في عمان ، فمع اننا تعودنا سماع الكلام اللطيف من صاحب العظمة ، الا أننا نواجه صعوبات في الحصول على المساعدة ، ومما لا شك فيه ان ذلك يعود جزئياً الى الاوضاع الداخلية غير المستقرة ، واسمح لنا يا صاحب الفخامة ان نجروُ على شرح هذه المسألة الاخيرة فاننا اذا أخذنا بعين الاعتبار مقدار النفور بين البدو العرب فان وجود الصراع القبلي والنزاع بينهم ناشيء من طبيعة الاشياء وعندما ينحصر الصراع في داخل البلاد فانه لا يوُثر على مصالحنا بشكل مباشر ، وخاصة ان اعضاء الجالية هنا قوم مسالمون ، الا أن مشهد الصراع في بعض الحالات ينتقل الى موانئ الساحل او المناطق المجاورة لها مباشرة ، ورأساً تتأثر مصالحنا التجارية ، ونجد أنفسنا في قلق على سلامة حياتنا وممتلكاتنا ومواطننا . وكما يعلم فخامتكم تعيش جاليات صغيرة من رعايا بريطانيا الهنود في كثير من مدن ساحل عمان (وهي غالباً بعيدة عن العاصمة) وقد تركزت في أيديهم جميع التجارة المحلية ، الا أن قدراتهم ضعيفة ، وفي حين ان هوُلاء هم رواد التجارة الهندية البريطانية في هذه المياه والفضل في ذلك يعزى الى النشاط المتيقظ للمعتمدين السياسين المتعاقبين ورجال البحرية خلال فترات الاضطراب ، الامر الذي قلل جداً من الخطر على حياة وممتلكات هوُلاء الزملاء من مواطننا ، الا أن الخسارة كثيراً ما تحيق بعملياتهم التجارية وعملياتنا ، ونحن نأمل من حكومة فخامتكم ان تجد حلا لذلك اما بتقوية يد الحكم هنا ، او

زيادة نشاط تدخل حكومتكم في الساحل حيث تقضي الضرورة بذلك للمحافظة على المصالح البريطانية ، واتخاذ التدابير التي من شأنها ان تردع تمرد رجال القبائل في عمان ، الذين يضرون بفتنهم هذه تجارة البلاد .

أما فيما يتعلق بامور تجارتنا ، فاننا مانزال نواصل على العموم تقدمنا . وتشير الدلائل على عدم وجود منافسة خارجية خلال السنوات الاخيرة وتسيطر الآن المستوردات الهندية على السوق .

وعلى أية حال يبقى عامل واحد يضايق نمو التجارة الحالي الذي استطعنا الحصول عليه ، ونرجو ان يتسع له صدر فخامتكم الرحب ، وهو التقلب الموهن للعزيمة في سعر العملة الفضية ، فمنذ أن اغلقت دار صك العملة الهندية عام ١٨٩٣ ، ونتائج ذلك واضحة في سعر الفضة ، ولم ينقطع الدولار المحلي الفضي عن التعرض لتقلبات ملحوظة ، مما أدى الى الاضرار بالتجارة المحلية وتعويق الاستيراد كثيراً . وقد تمثل ذلك كله في ثبوت قيمة الروبية وتقلب الدولار المسقطي ، وبهذا فاننا نضع هذا الامر بكل تواضع لتقدير حكمة فخامتكم آملين بالتعاون مع الحكومة المحلية ، أن تدبر بعض الوسائل التي تضع الامور في نصابها .

وفي الختام نرجو ان نكرر ترحيبنا ونؤكد ان زيارة فخامتكم وقرينتكم الموهوبة ، سوف تكون علامة فارقة في تاريخ مسقط وستبقى حية في ذاكرتنا مع صلواتنا الحارة الى الكائن الاسمى الذي بيده مصائرنا جميعاً .

وقد رد صاحب الفخامة اللورد «كرزون» بالعبارات التالية :

حديث اللورد كرزون

أيها السادة : تلقيت بسرور بالغ خطابكم المخلص الشيق الذي قرئ قبل قليل . أما فيما يتعلق بعبور البحر من الهند الى شواطئ بلد آخر فيسرني أني وجدت جالية كبيرة ناجحة من رعايا جلالة الملك الامبراطور جاءوا الى هنا بتجارة في أحوال آمنة مرضية ، وقد قمت بمحاولة

التحقق من عدد رعايا الهند البريطانية المقيمين هنا في مسقط وموانئ عمان الاخرى ، فوجدت أنهم يبلغون على الاقل ١٣٠٠ شخص معظمهم جاء أصلا او مجدداً من شواطئ السند وكشيوار المقابلة . أما عن الحقيقة القائلة بأن الشاطئين يقابلان بعضهما بمسافة بسيطة ، وعن القدرة المعروفة وبشكل خاص للجاليات التي تمثلونها ، فان هذه الحقائق كافية لتوضيح الارتباطات التجارية المتينة التي نمت خلال القرن الماضي بين مسقط والهند ، وتترك الانسان دون دهشة أمام التفوق التجاري البريطاني في البضائع والشحن والخدمات الأخرى.

أيها السادة : ان الضمان السياسي للدولة في دولة أخرى يقاس أحياناً بمصالحها التجارية في تلك الدولة ، الا أن هذا المفهوم لا يمكن إلقاؤه جزافاً دون تمحيص عملي يعزز بالارقام . وسوف اتناول مثلا الفترة التي عملت فيها مع الحكومة الهندية ، وبالتحديد السنوات الخمس الاخيرة ، فعندما وجدت خلال هذه الفترة أن نسبة التجارة البريطانية مع مسقط قد بلغت ٨٤ بالمئة وان نسبة المراكب البريطانية الى المجموع النهائي للمراكب التي دخلت وأفرغت حمولتها في هذه الحاضرة في نفس الفترة بلغ ٩٧ بالمئة في كل سنة ، اقتنعت عندها بأن نفوذ بريطانيا في المصالح التجارية لهذا البلد بلغ مستوى عالياً لا يقبل الجدل ، وانني ادرك في مخاطبتي اياكم انني استقبل مجموعة من السادة يمثلون طليعة هامة لحركة التجارة في الشرق ، وان اعمالهم ساعدت ، وما زالت تساعد مساعدة لا يستهان بها في جوهر سعادة عمان .

ويسعدني أن اسمع منكم ان المعتمدين السياسيين المتعاقبين يحمون مصالحكم أثناء متابعتكم مهمتكم السلمية . وانني متأكد من انه ليس بينهم من هو أعلى همة من الرائد «كوكس» الذي ارسل الى هنا ليمثل الحكومة الهندية . كما يسرني ان اسمع منكم انكم تحترمون العدالة ، وانكم منصرفون عن الخصام ، ومتمتعون بحرية دينية تامة . ان هذه الاحوال جميعها مواتية لنجاح اعمالكم بحيث لم يبق لكم الا اسباب

بسيطة للشكوى . وتكلمتم في فقرة من خطابكم عن القلاقل التي قد تنشب في الداخل والتي تنتقل في بعض الاحيان الى موانئ الشاطئ وتوثر على سلامة الاماكن التي تقطنونها . ان الحكومة البريطانية لن تلقي بنفسها في هذا النزاع الداخلي ، الذي يظهر أنه تركة موروثة في عمان ، ولكن مما لاشك فيه انه لو وصل هذا الصراع الىنقطة تهدد المصالح ، او تعرض حياة وممتلكات رعايا بريطانيا والتجارة المشروعة في الساحل للخطر ، واذا ما استُنجِد بنا للتدخل لحمايتها ، فاني على يقين انه لن يكون هناك أحد أكثر اخلاصاً في الترحيب بمثل هذا التدخل ، وأكثر مساعدة ودية من صاحب العظمة .

لقد أشرتم في خطابكم الى نقص قيمة العملة المحلية وهو امر سيكون موضع اعتباري .

أيها السادة انني ممتن للكلمات الرقيقة التي عبرتم بها عن ترحيبكم بي في مسقط ، وانني أعلم أن من بين من يعبر خطابكم عنهم ممثلين لجاليات اخرى مثل برتغاليي «جوا» الذين يتمتعون بالحماية البريطانية في هذه الدولة . وانني ارجو لكم جميعاً دوام الاحوال التي تحفظ وتنعش تجارتكم ، واني مغتبط لمنحي الفرصة وانا على رأس حكومة الهند ، لاتفقد المصالح التي اشعر بها في هذا المكان النائي حيث توجد مستعمرة من النفوذ الهندي التجاري .

ويبقى علي أن اشكركم على تقديم خطابكم في نموذج من الفضة مصنوع صناعة برز فيها الذوق والعادات المحلية ، وسيبقى دائماً تذكاراً لي عن هذا الاجتماع الموفق بمناسبة زيارتي الحالية لمسقط .

زيارة اللورد كرزون للسلطان

كانت الفقرة التالية من برنامج الزيـــارة ان يزور نائب الملك السلطان رداً على زيارته له على السفينة «هاردينج» ، ولذا عاد اللورد كرزون من المعتمدية في قارب الى الرصيف ، حيث استقبله هناك السلطان

بذاته ، وكان في استقباله أيضاً ٣٠ من حرس الشرف من البحرية البريطانية ومعهم فرقة موسيقية ، وكان الطريق من الرصيف الداخل في البحر الى قصر السلطان يمر في شارع مفروش بالسجاد ومسقوف بمظلة وعلى جانبيه صفوف من العساكر حرس صاحب العظمة . وسار نائب الملك ومرافقوه على الاقدام طوال الطريق يتقدمهم السلطان بشخصه ومعه حاشيته حتى اوصلوهم الى «البرزة» او قاعة الاجتماعات في القصر ، وهي غرفة مستطيلة تشرف على البحر ، ويوجد في أحد أطرافها منصة مرتفعه ، واخذت الشخصيتان البارزتان مجلسيهما عليها ، وأخذ المرافقون والحاشية مجالسهم على جوانبها . وفي طرف القاعة البعيدة ووسطها جلس حوالي ٧٠ او ٨٠ من الشيوخ وممثلي الاجزاء الداخلية من البلاد الذين استدعوا الى مسقط لهذه المناسبة . وقد زينت جدران القاعة الملونة بكتابات انجليزية بخط كبير ، تعبّر عن الصداقة للتاج البريطاني . وبعد تبادل التحيات الرسمية ، تقدم الاعضاء المحليون في الاجتماع وقدمهم المعتمد السياسي الى نائب الملك . وبعد ذلك قرئ خطاب ترحيب بالعربية نيابة عن السلطان ورد عليه نائب الملك بحرارة ثم قدمت المرطبات . وكان سيد تيمور ولي العهد يقوم بنفسه على خدمة نائب الملك وقد قام سيد محمد الاخ غير الشقيق للسلطان بما أخل بالانسجام حين وقف وطلب مقابلة خاصة مع نائب الملك الغرض منها تقـــديم احتجاج إليه وقد فهم انه يرغب في أن يؤكد حقه في خلافة «سيد فيصل» اذا ما تنازل هذا عن الحكم ، بدلا من «سيد تيمور» الا أنه هدئ بسهولة . وفي الاجتماع الذي عقد في صباح اليوم التالي بينه وبين المقيم السياسي والمعتمد السياسي أكد «سيد محمد» حقه في الخلافة ، وعندما شرح له ضعف قضيته وافق على ترك الموضوع . ومما يجدر ملاحظته ان «سيد محمد» كان يقدم على سيد تيمور في جميع مناسبات الاحتفال أثناء زيارة نائب الملك بناء على رغبة السلطان ونظراً لتقدمه في السن . وفي نهاية الاحتفال وصل السلطان ولورد «كرزون» الى رصيف الميناء ، وعاد لورد «كرزون» الى ظهر السفينة «هاردينج» حوالي الساعة الخامسة بعد الظهر .

وخلال هذا اليوم ازدحمت الشوارع والارصفة بجماهير مسقط وعمان ، الذين جاءوا من داخل البلاد بألوانهم المختلفة يدفعهم حب الاستطلاع ورغبتهم في التعبير عن مشاعر الود .

وصول الوزير البريطاني الى ايران

وبعد ذلك وصلت السفينة «سفينكس» من سفن الاسطول الملكي قادمة من بوشهر ، وعليها السير «ا. هاردينج» وزير صاحب الجلالة البريطانية في طهران ، الذي قدم للتشاور مع نائب الملك قبل وصول الاخير الى الشاطئ الايراني ، وبهذه السفينة أصبح عدد قطع الاسطول الملكي التي ترسو في الميناء عدا السفينة «هاردينج» و «لورنس» ستاً . ويمكن القول الآن إنه على مر الزمن لم ينشر اسطول لدولة بمفردها أعلامه على مياه مسقط أقوى من هذا الاسطول .

العشاء وانوار الزينة

وفي المساء أقام نائب الملك وعقيلته على ظهر السفينة «هاردينج» حفلة عشاء كبرى ، دعي اليها السير «آرثر هاردينج» ونائب امير البحر «اتكنسون ويليز» ، وموظفو الاسطول من الدرجة الاولى ، وممثلو القنصلية الفرنسية والأمركية وبلغ مجموع المدعوين ٧٠ شخصاً ، وحضر أيضاً حفلة الاستقبال التي اقيمت بعد العشاء ٦٠ آخرون من الضيوف . وخلال العشاء وبعده كانت قلعتا جلالي وميراني والشواطئ المتاخمة للميناء تتلألأ بعشرات الألوف من المصابيح الصغيرة مبرزة خطوطها الهندسية المميزة لها ، ، وبدأ في الساعة التاسعة مساء عرض من الالعاب النارية من الشرفات العالية لهاتين القلعتين نظمته الجاليات البريطانية والهندية في مسقط ومطرح على شرف زيارة اللورد «كرزون» ، كما ان وجود العمارات البحرية ساهم في روعة هذا المنظر ، «فبينما كان على امتداد واجهة البحر حلة من الضوء الملونة وسيل من الاسهم النارية من فوق الطوابي ، تنعكس في خطوط متراقصة من الالوان على مياه

الخليج ؛ كانت تقف غير بعيد سفن الاسطول مضيئة تحت السماء الغامقة الزرقة بأضواء منبعثة من هياكلها وسواريها ومداخنها متلألئة بأضواء أضاءها الكهربائيون بعصاهم السحرية ، وقد أثار هذا المنظر الرائع في جماله وقوته احساس العرب الى درجة الروعة من الاعجاب رغم ما عرف عنهم من الجمود والسلبية » .

حفلة الاستقبال على السفينة ارجونوت

اقيم في اليوم التالي ، التاسع عشر من نوفمبر ، مهرجان كبير في الساعة الحادية عشرة والنصف قبل الظهر على ظهر السفينة «ارجونوت» حيث غطى سطح مؤخرتها الستائر النفيسة والسجاد الموشى بالذهب وزين بأعلام جميع الامم ، وتحول المكان الى سرادق فخم ، واقيم في مؤخرته منصة للشخصيات الرئيسية في الاحتفال . وفي الطرف المقابل ظهرت فوهتا المدفعين الثقيلين اللذين كانا ينظران مقطبين الى المكان الذي سيشغله بقية أعضاء الاحتفال . وكان تألق الشمس وهدوء البحر يلقيان روعة على هذا المشهد ، ولمدة ساعة قبل بدء برنامج الاحتفال توالى وصول قوارب من المهرجانات المحلية الى السفينة «ارجونوت» ، وعندما اقترب الوقت المحدد أعلن هدير المدافع عن وصول القائد العام للاسطول ، اولا ، ثم أعلن عن وصول السلطان ، واخيراً وعندما كان الجميع في أماكنهم ، أعلن عن وصول صاحب الفخامة نائب الملك ، فاستقبله حرس شرف مؤلف من ١٠٠ من رجال البحرية البريطانية وجوقة موسيقى ، وجلس سلطان عمان في المنصة على يمين نائب الملك ، وجلس على يساره قائد الاسطول العام والوزير البريطاني في إيران ، وجلس خلف نائب الملك السكرتيرون الخصوصيون والحربيون ومساعدو فخامته الشخصيون ، وجلس أمام فخامته على اليمين في مستوى منخفض المعتمد السياسي في مسقط ، وأخو السلطان سيد محمد وولي العهد سيد تيمور وبطانة السلطان والمتفرجون من أبناء البلد ، وكانوا جميعاً عدا

المعتمد السياسي يلبسون اللباس العربي . وجلس مقابل هؤلاء على الجانب الايسر ممثلو دائرة الخارجية في حكومة الهند وموظفو سفن صاحب الجلالة في زيهم الرسمي الكامل .

الكلمة نيابة عن السلطان

واعلن عن افتتاح الاحتفال وقدّم المعتمد السياسي وجهاء العرب الرئيسين الى نائب الملك ، وقرأ الشيخ راشد بن عزيز والي «سمايل» وأكثر موظفي السلطان تأدباً كلمة نيابة عن السلطان جاء فيها :

يا صاحب الفخامة – انني على ثقة من انني لن اخطئ اذا انتهزت هذه المناسبة الميمونة لانقل لفخامتكم بعض عبارات السررو والاعتزاز الرسمية والخاصة ، لارحب اولا بفخامتكم وفخامة امير البحر ، ومرافقيكم الاجلاء الافاضل ، في عاصمة عمان المتواضعة ، ولاعبّر في المقام الثاني عن سرورنا لاننا منحنا الفرصة للافصاح عن صادق مودتنا ومحبتنا لحكومة الهند العظيمة المتمتعة بتوجيه فخامتكم ، ولنعبر أيضاً عن شعورنا نحو جلالة الملك الامبراطور صاحب الشهرة الذائعة ، والذي ينوب عنه فخامتكم في هذه الاراضي النائية .

لقد مضى الآن أكثر من قرن من الزمان منذ ان دخل اجدادي لاول مرة في علاقات ومعاهدات مع حكومة بريطانيا التي أصبح لها مقيم انكليزي يمثلها في اقليمنا . وكانت مسقط قبل ذلك بمدة طويلة تتعامل مع التجارة الانجليزية عن طريق الانجار مع الموانئ الهندية ، وكان حكام عمان خلال هذه السنين على اوثق صداقة ومودة مع الدولة البريطانية ، وفي كثير من اوقات الحاجة الشديدة التي اعتاد أي بلد شرقي أن يفاجأ بها ، فاني وأسلافي من قبلي كنا اوفياء دوماً للعون المادي والأدبي الذي قدمته الحكومة البريطانية لنا ، عن طريق شخص نائب الملك في الهند الذي ما فتئ في كل المناسبات على اتم استعداد لمعاونتنا . وبسبب هذه الروابط فاني مدين بالفضل الكبير لنائب الملك في الهند ، لا أغاير في

ذاك بحال عن أسلافي الا في نقطة واحدة ، وهي أني الوحيد من بين سادات عمان الذي حظي بسرور بالغ بشرف الترحيب في مسقط بنائب الملك في الهند ، والوحيد الذي استطاع أن يعبر عن شعوره نحوه وجهاً لوجه بكل تقدير ، هذا مع العلم بأن أقاربي وشعبي الوفي يتفقون معي تماماً في كل ما ذكرت ، واني أعلن أيضاً ان مسقط لم تتلق في أي وقت من الاوقات من تاريخها ولا من أي من نواب الملك في الهند عطفاً وفضلا أكثر مما تلقيناه على يد هذا النائب العظيم لورد «كرزون» ، الذي أحظى بمخاطبته في هذا اليوم واعتبر نفسي محظوظاً اذ تمكنت من ان أفصح في بداية هذا الحفل المهيب عن تقديري له بكل امتنان واخلاص ، بل أكثر من ذلك فانني ارجو صاحب الفخامة أن يصدق عندما أعلن أني وأخي واولادي الذين سيخلفونني سوف لا ننقطع عن مراعاة حق تلك الصداقة القديمة القوية التي حفظت صلات الالفة في السابق بيننا وبين حكومة بريطانيا ،واننا سوف نبقى دائماً مخلصين لهذه الروابط .

ومع خشيتي ان ينظر الى مسقط على أنها بلد ليس فيه الا القليل مما يستهوي هواة الاسفار ، فان اقل ما يمكن عمله أن نضع بيوتنا وطرقنا قدر ما تسمح به الظروف تحت تصرفكم ، وان نعلن أيام اقامتكم هنا عيداً عاماً تكريماً لهذه المناسبة الجليلة راجياً ان أذكر فخامتكم بقول الشاعر

ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وعلى أية حال فانني آمل ان يحمل فخامتكم وعقيلتكم العزيزة اللطيفة صاحبة الفخامة السيدة «كرزون» أبهى الذكريات عن مسقط .

وبعد ان ترجم المعتمد السياسي هذا الخطاب وقف لورد «كرزون» ورد عليه بالانجليزية بالعبارات الآتية :

رد اللورد كرزون

صاحب العظمة أصحاب الفخامة ايها السادة ، لقد خاطبني عظمتكم بالامس بعبارات من الترحيب الحار لزيارتي دولته وعاصمته ، وفي هذا

اليوم جاء في خطابكم هذا بعفوية واضحة كثير كنت اود ان أقوله ، وقد تكلمتم فيه بالعاطفة المنبعثة من لغة التاريخ الذي يربط الحكومة البريطانية بدولة عمان .

يا صاحب العظمة انهم أجدادك العظماء الذين عقدوا اول اتفاقية مع شركة الهند الشرقية منذ ١٠٥ سنوات ، وقد ذكرني بذلك قول عظمتكم إنه قد مضى أكثر من قرن على اقامة ممثل بريطاني في مسقط ، وقد أثمرت الصداقة المشتركة بين الحكومتين سلسلة من المعاهدات والاتفاقيات ، عقدت خلال هذه السنوات ، واستطيع الآن ان أتابع ما لا يقل عن تسع منها أدت الى اوثق الصلات السياسية والتجارية ، مثل اتفاقيات الغاء الرقيق والقرصنة ، واتفاق توسيع شبكة التلغراف الكهربائي . ان هذه السلسلة من الاتفاقيات انما يعود الفضل فيها الى العلاقات التي نشأت بين الحكومتين وربطت امارة عمان بروابط فوق العادة مع الحكومة البريطانية ، وزاد في تقويتها كما ذكر عظمتكم المساعدات التي قدمتها الحكومة البريطانية لحكام عمان المتعاقبين في المناسبات الحرجة . وفوق ذلك فانها نمت وزادت بناء على روابط طبيعية تنبع من الحقيقة القائلة بأن مسقط تواجه الشواطئ الهندية ، وأن تجارتها ليست فقط مع معظم أجزاء الهند بل إنها تقع في أيدي الهنود الى حد كبير حيث يقيم هنا عدد كبير من رعايا بريطانيا الهنود . إن تقدم هذه الامارة يعتمد بشكل اساسي على استمرار هذه الاحوال ، ولذا فانه لا عجب اذا شعرت الحكومة الهندية ان من واجبها توجيه اهتمام خاص نحو هذا البلد ، أو شعر نائب الملك في الهند برغبة في زيارته ، والتعرف على حاكمه ، وان مما زاد من اغتباطه بهذه الزيارة سماعه من شفتي عظمتكم انكم وابناءكم سوف تبقون للابد تراعون الالتزامات القوية القديمة ، وسوف تبقون مخلصين لها . انني سوف اعتز بهذه الكلمات التي ستظل ماثلة في صداقتنا ليس لدي فقط ولكن لدى الحكومة التي أمثلها .

لقد مضى على حكم عظمتكم امارتكم خمس عشرة سنة ، وقد كان

سرني ان ازورها عقب توليكم مقاليدها منذ اربعة عشر عاماً ، واني أهنئكم على التقدم الذي احرزتموه منذ ذلك الوقت ، حيث ان حجم تجارتكم ينمو باضطراد بفضل اتخاذكم الخطوة الحكيمة التي حثت عظمتكم عليها بالحاح حكومة الهند ، قبل عشر سنوات الا وهي اضطلاع حكومتكم بمهام الجمارك بدلا من تلزيمها لآخرين ، مما أدى الى فوائد متزايدة .

وقد زاد في رضائي أيضاً قبول عظمتكم منذ سنتين مد خط تلغرافي من جاشك الى مسقط ، مما جعل عاصمتكم أكثر اتصالاً بالعالم الخارجي . وقد اخترت انا بنفسي الرائد « كوكس » الذي يتمتع بثقتي الكاملة كمواطن يمتاز بالمقدرة والحصافة ليمثل الحكومة الهندية في عاصمتكم ، وقد أكد لي عظمتكم أنكم وجدتم فيه مستشاراً فطناً وصديقاً .

وبالرغم من ان شخصكم لم يتمكن من تلبية الدعوة التي وجهتها اليكم بمناسبة الاحتفال العظيم الذي عقد في دلهي بمناسبة تتويج جلالة الملك الامبراطور ، فقد اتيح لي السرور بالترحيب بنجلكم تيمور والتباحث معه في احوال عمان وتقدمها .

وقد اشار عظمتكم الى الحقيقة الثابتة بأن الحكومة البريطانية وسعت في الماضي نطاق حمايتها لعمان وحكامها وانها تدخلت في غير مناسبة واحدة لانقاذها من الشقاق والنزاع ، ويستطيع عظمتكم ان يطمئن الى أنها لن تحيد عن هذا التدبير ما دام حكام عمان يواصلون التزامهم بتعهداتهم الواردة في الاتفاقيات مع حكومة الهند ، ويحكمون امارتهم بالعدل والتقدم ، وفي هذه الحالة سيبقى تلقيهم المعونة من الحكومة البريطانية التي تحفظ الامن في هذه البلاد وتؤمن التجارة فيها . كما أننا لا نستطيع ان نتطلع برضى الى محاولات بعض الفئات او الاشخاص من رعايا عظمتكم تعكير صفو الطمأنينة في امارتكم ، لأنهم بعملهم هذا لا ينازعون سلطتكم فقط ولكنهم يعرضون مصالح الرعايا البريطانيين للخسارة ايضاً ، في حين أننا ملزمون بحماية هذه المصالح محافظة على

مصلحتنا قدر ما هو محافظة على مصلحتكم، ونرجو لعظمتكم ان يواصل النجاح في التغلب على خصومه في المستقبل، مثلما تغلب عليهم في الماضي.

واني على ثقة من ان هذه المناسبة الهامة التي يقوم فيها حاكم عمان وممثل التاج السامي البريطاني في الهند، بتبادل التحيات ستبقى علامة بارزة في تاريخ العلاقات العريضة العميقة بين دولتينا، وان الصداقة الوطيدة بينهما ستظل في نمو. وارجو لعظمتكم أيضاً ان تنعموا بالصحة ومديد العمر حاكماً لشعب مخلص مطمئن.

وبقي علي أن أعلن امراً ساراً لم أتسلم موافقة صاحب الجلالة الملك الامبراطور السامية عليه سوى أمس، وهو الانعام على فخامتكم بالشرف الرفيع — وسام الصليب الاعظم للامبراطورية الهندية — راجياً أن يبقى هذا التكريم لعظمتكم دليلا على عواطف الصداقة المخلصة التي توليها الحكومة البريطانية لعظمتكم، كما انه اعتراف لكم بالوفاء الذي أظهره عظمتكم بعواطف حارة في غير مناسبة واحدة خلال هذا اليوم والامس، وبقي علي أن أقوم بملوئي السرور بتقليدكم الوسام حسب التقاليد المرعية بصفتي الرئيس الاعلى للوسام الاكبر.

وقرأ خان بابدور عبدالرحيم الذي يعمل ملحقاً محلياً في دائرة الخارجية ترجمة لهذه الكلمة، وكان الخطاب يتابع بأشد اهتمام من الحضور من أهل البلاد، وقوبلت الفقرات الاخيرة منه بفرح عظيم. ومما يجدر ذكره ان سيد فيصل كانت تراوده أخيراً فكرة التنازل عن الحكم الى ابنه تيمور، وقبل الاحتفال في الصباح من هذا لليوم التاسع عشر من نوفمبر، حضر العميد «كبول» والرائد «كوكس» لمقابلة السلطان، وفي هذا الاجتماع وافق على ان يضع نفسه في مسألة التنازل عن الحكم الذي ينوي القيام بها تحت تصرف الحكومة البريطانية. وتحت كل الظروف بموجب نصيحتهم وموافقتهم وبذا ازيلت آخر عقبة في سبيل تقليده الوسام.

اختتام الاحتفال

اختتم الاحتفال وانسحب نائب الملك الى غرفة الملابس ليستعد لحفلة التقليد ، وعاد بعد لحظات قصيرة مرتدياً حلة الرئيس الاعلى لوسام الصليب الاعظم للامبراطورية الهندية ، واحتل مقعده على العرش ، وحضر السلطان بمقتضى التقاليد أمام نائب الملك وهو متقلد الوشاح والشعار والنجمة وياقة الوسام ، وكان هذا خاتمة الاحتفال .

وقبل الموسم الاخير عاد الحضور من الاهالي الى الشاطئ في اسطول صغير من القوارب الشعبية التي كانت تصطف حول السفينة «ارجونوت» خلال فقرات الاحتفال ، ثم غادر السفينة نائب الملك والسلطان وقائد عام الاسطول بهذا الترتيب وتلقى كل منهم التحية المناسبة في أثناء ذلك . ثم لحق السلطان بنائب الملك على ظهر السفينة «هاردينج» ليقابله مقابلة خاصة وليودع ضيفة الكبير .

المقابلة الخاصة بين السلطان ونائب الملك

حضر هذه المقابلة التي جرت في الساعة الواحدة والربع بعد الظهر واستغرت نصف ساعة ، كل من «كيمبول» و «كوكس» والسيد «ل. دار» سكرتير دائرة الخارجية في الحكومة الهندية ، وكان للسلطان مطلبان : الاول ان يسمح لابن عمه علي بن سالم بالعودة الى مسقط من زنجبار التي كان قد نفي منها لاشتراكه في مؤامرة سياسية ، والثاني طلبه بعض الرأفة لتجار الرقيق العمانيين الذي اسرهم البرتغاليون في موزمبيق في عام ١٩٠٢ وحكم عليهم بالسجن ٢٥ سنة على ساحل افريقيا الغربي ، وقد وعد لورد كرزون بأن يرى ما يمكن عمله بشأن هذين المطلبين ، الا أنه عبر عن ضعف الامل في الوقت الحاضر في تحقيق رغبة السلطان الثانية ، وقد قام اللورد «كرزون» في هذه المقابلة باقناع سيد فيصل بأنه من المستحب تعين خبير مالي او هيئة ذات كفاءة لتدقيق حساباته ، وعدم السحب مقدماً من ايرادات الجمارك التي تكاد تكون

المصدر الوحيد لدخله ، وقد اعترف السلطان بأن نفقاته تفوق دخله ، ولكنه غير راغب في ادخال هذا التجديد المقترح ، الا أنه أصبح مفهوماً أنه سيقوم بأي عمل مستطاع لتحقيق رغبات صاحب الفخامة . وكانت المقابلة خالية من الرسميات ، وكان سلوك السير سيد فيصل يتميز بعزة النفس والبشاشة والمودة ، وأكد لنائب الملك أنه وابنه تيمور تحت اوامر فخامته كلية ، ولم يغادر المكان الا بعد ان كرر شكره لصاحب الفخامة على الشرف الذي أسبغه عليه بقدومه الى مسقط ، وتقليده وسام الصليب الاعظم لامبراطورية الهند ، وكان واضحاً أن حصوله على هذا الوسام كان مبعث سرور شديد له .

مغادرة مسقط

غادرت السفينة «هاردنج» مسقط بعد ظهر نفس اليوم ، تصحبها بقية سفن الاسطول ، وقد احتفل على الشاطئ بيومي زيارة نائب الملك كعيد عام ، وبلغت احتفالات المواطنين اوجها بعد ظهر اليوم الثاني من الزيارة عندما كانت السفن تستعد للاقلاع في شكل مجموعة من الرقصات الشعبية على الشاطئ أمام المعتمدية البريطانية ، بقيت مستمرة حتى حل الظلام ، وتتألف كل مجموعة من ٢٠ او ٣٠ من الراقصين في ملابس مضحكة وتنكر غريب .

تقرير اللورد كرزون عن رحلته الى مسقط

جاء من الجهة السياسية في التقرير الذي قدمه لورد كيرزون الى حكومة صاحب الجلالة عن رحلته الى مسقط ما يلي :

كان السلطان في جميع هذه المناسبات يتصرف ببساطة وعزة نفس ، وكان سلوكه يدل على التزامه الولاء للتاج البريطاني أكثر منه كسلوك ملك مستقل ، ومن الواضح أنه يعتمد بلا أدنى شك على القوة البريطانية للمساعدة والحماية ، ولم يحاول السعي الى ارتباطات جديدة ، وهو يرى وضعه وما يحيط به من ظروف كافياً لاستمرار اعتماده على

صداقتنا ، واحترامه لرغباتنا وهو الامر الذي لا يبشر بخير في المستقبل فحسب ، بل يعتبر كذلك نجاحاً كبيراً للرائد «كوكس» المعتمد السياسي الذي عينته عام ١٨٩٩ في مسقط ، والذي استطاع في أقل من اربع سنوات ان يحول شعور الحاكم من الشك بل ان لم يكن من العداء المباشر الى الثقة والاحترام ، ومن ناحية أخرى فان السلطان قد اوضح كما عبّر عن ذلك في حديثه انه يرغب في وضع يماثل وضع الامراء الهنود في علاقاتهم مع التاج البريطاني ، كما ان التناقض في وضعه الدولي أصبح أكثر جلاء ، وهذا التناقض من الحالة الواقعية حيث الحاكم والشعب والتجارة تعتمد اعتماداً كلياً علينا ، وبين الحالة النظرية التي تتمتع فيها فرنسا التي لا يمثلها سوى قنصل وليس لها رعايا ولا مصالح فعلية بمعاملة مساوية لبريطانيا العظمى ، بلغ درجة تؤكد أنه يستحسن ان توضع نهاية سريعة لهذا الوضع الغريب الشاذ .

★ ★ ★

تفقد ساحل روس الجبال في ٢٠ نوفمبر

أصبح الاسطول في صباح اليوم التالي مغادراً مسقط وعلى مقربة من مرتفعات روس الجبال ، وقضى نائب الملك وقائد عام الاسطول ذلك اليوم بكامله على ظهر السفينة «هاردنج» في تفقد الخلجان الصغيرة الأكثر اهمية ، وتوغلت السفينة نحو الجانب الشرقي من الرأس الجبلي الداخلي في البحر متجهة الى رأس جزيرة غوبات او خور من المضيق وقد استفادت السفينة في مرورها من خليج عمان الى الخليج من المضيق المشهور المسمى «فك الاسد» الواقع بين جزيرة مسندم واليابسة ، وكانت تسير ببطء أثناء اتجاهها الى الجانب الغربي من شبه الجزيرة عبر قناة خور قوى بمحاذاة جزيرة غنم ، وفي النهاية دخلت السفينة خور الشام في وقت مبكر من بعد الظهر مارة بجزيرة التلغراف الصغيرة التي ما زال يشاهد فيها

قاعدة عمود محطة التلغراف القديمة ، ورست مقابل جزيرة سبي على مقربة من رأس الخور ، ونزل لورد «كرزون» هناك ، وصعد مع بعض أعضاء حاشيته الى قمة برزخ مقلب عند النقطة التي كان يمر فيها خط التلغراف سابقاً ، واصبح بالامكان رؤية منظر خلاب لخور مالكولم والفنستون والجبال المحيطة بهما من هذا المكان، وفي المساء كانت السفينة قد تركت خور الشام ودخلت الى عرض البحر .

وبعد ذلك وضع اللورد «كرزون» حصيلة عمل ذلك اليوم بين يدي حكومة صاحب الجلالة لما لها من صلة بالقاعدة البحرية البريطانية في الخليج .

★ ★ ★

زيارة الشارقة في ٢١ نوفمبر

الوصول الى مشارف الشارقة

وفي وقت مبكر من اليوم التالي وصلت السفن الى مرسى على مشارف الشارقة ، الا أن ضحولة الماء منعت الاسطول من الوصول الى الشاطئ ، وكان كل ما يمكن مشاهدته من ظهر السفن هو ساحلاً واطئاً على حافته أشجار النخيل ، وخطاً من الابنية الصفراء . ولم يطلق الاسطول أي طلقات تحية عند وصوله ، نظراً لبعد المسافة بين سفن الاسطول والشاطئ ، اذ كانت حوالي خمسة أميال من ناحية ومن ناحية أخرى فانه لايوجد عند شيخ الشا رقة ما يرد به على أي تحية . وقد أدى تدحرج الموج المتلاطم الآتي من الشمال الغربي الى بعض التغيير في البرنامج المقرر.

وكان شيوخ عمان المتصالحة قد تجمعوا باشراف من السيد «جاسكين مساعد المعتمد السياسي في البحرين ، على ظهر مركب دائرة التلغراف الهندية الاوروبية « بتريك ستيوارت » ، وكان حاضراً أيضاً العميد كيمبول الذي توجه من مسقط رأساً الى هنا على ظهر الطراد «لورنس»

ولم يبق الا الانتظار ريثما يعتدل الطقس حتى تتخذ الترتيبات للاحتفال المزمع اقامته هناك . وأخيراً تم نقل شيوخ عمان المتصالح الى ظهر السفينة «ارجونوت» ، ورغم ان اجدادهم كانوا من القراصنة ولصوص البحر فانهم قاسوا بشدة من دوار البحر على ظهر المركب «باتريك ستيوارت» وفي « ارجونوت » أعد على السطح قاعة استقبال بنفس الطريقة التي كانت عليها في مسقط ، كما حضر اليها ايضاً عدد من الرؤساء الذين يقطنون في الشارقة على ظهر قارب بخاري ، أما مشاهدو الاحتفال من الانجليز فقد تم نقلهم من سفن الاسطول الاخرى الى السفينة «ارجونوت» بكثير من المضايقة نظراً لصعوبة البحر ، أما أمير البحر ونائب الملك فقد وصلا بسلام ، وقدمت لها التحية اللائقة في هذه المناسبة ، وفي الساعة الثالثة والنصف بدأ الاحتفال الذي كان مشابهاً الى حد كبير للاحتفال الذي أقيم في مسقط ، وكان جميع الضباط في زيهم الرسمي الكامل ، الا أن المكان الذي يقع على يمين نائب الملك في المنصة احتله المقيم السياسي والسير آرثر هاردينج الذي جاء من مسقط رأساً الى بندر عباس للاعداد لرحلة الاسطول الوشيكة . أما على اليسار فجعلس القائد العام وأركان حربه ، وحضر الاحتفال أيضاً حرس شرف وجوقة موسيقية من البحرية البريطانية .

أما الشيوخ الذين حضروا شخصياً فكانوا الشيخ زايد شيخ أبي ظبي ومعه ولداه ، والشيخ صقر شيخ الشارقة ، والشيخ مكتوم شيخ دبي ، ومع كل منهما أحد ابنائه ، والشيخ عبد العزيز شيخ عجمان بمفرده حيث كان ابنه مريضاً ، والشيخ أحمد شيخ ام القوين وهو شيخ كبير هرم توفي بعد عدة شهور ، وقد قدمه ابنه راشد الذي خلفه في المشيخة . ولم يدع الى هذا الاجتماع شيخ الحمرية الذي أدعى لبعض الوقت استقلاله عن الشارقة ولم تعترف له الحكومة البريطانية بذلك . وكان جميع الحضور من الشيوخ من المتقدمين في السن او متوسطيه ، وقد أثار طابعهم المتسم بالعزة والاباء ومظهر اتباعهم الرجولي ملاحظة الجميع ، وبعد أن

قدّموا الى نائب الملك رسمياً قام هذا والقى فيهم خطاباً باللغة الانجليزية كان في جوهره موجزاً لتاريخ بريطانيا في المياه العربية من الخليج خلال القرن الماضي وجاء فيه ما يلي :

روؤساء ساحل العرب الذين تربطهم علاقات معاهدات مع الحكومة البريطانية ، أنني أتيت الى هنا كممثل للسلطة البريطانية في امبراطورية الهند العظيمة التي عرفتموها انتم وآباؤكم وأجدادكم وتعاملتم معها منذ أكثر من مائة سنة ، وهدفي ان اعطيكم الدليل على ان الحكومة لم تنسكم مع أنكم تعيشون على بعد من الشواطئ الهندية ، بل انها تتمسك بسياسة الوصاية والحماية التي وفرت لكم بها الامن ، وضمنت لكم فيها حقوقكم ، خلال أفضل فترة من القرن المذكور ، ولاريكم ان اول نائب للهند يزور هذه المياه لم يتركها دون ان يبحث عن فرصة الاجتماع بكم شخصياً وتجديد التأكيدات والالتزامات التي تربطنا منذ مدة .

أيها الروؤساء : مما لا شك فيه أن آباءكم وأجدادكم قد أخبروكم عن التاريخ الماضي ، وتعلمون أنه منذ مائة سنة كان في الخليج حرب ونزاع ، وكان كل انسان على الاغلب إما قرصاناً او قاطع طريق ، ولم تكن هناك سفينة تدخل البحر الا وتخشى الهجوم عليها ، وكان موسم صيد اللوؤلوء مسرحاً سنوياً للصدام . ولم يكن للتجارة أمن أو اطمئنان ، وأن الحكومة البريطانية هي التي تدخلت ، وقررت بداع من مصلحة رعاياها ومصلحة تجارتهم وحقوقها الشرعية في مياه البحار التي تغسل الشواطئ الهندية ، ان لا تستمر هذه الأوضاع في هذه الامارات . وعندما ظهرت السفن الحربية البريطانية في هذه المياه واحتلت قواتها الموانئ التي ارادتها من هذا الساحل تخلل ذلك قتال مرير ، الا أننا لم نعد نكابد من هذه الاحوال طويلا .

وفي عام ١٨٢٠ وقعت اول معاهدة عامة بين الحكومة البريطانية والروؤساء العرب ، وابرم فيما بعد ما لا يقل عن ثمان مماثلات لتلك الاتفاقية في عام ١٨٣٩ ، وعقدت هدنة بحرية كانت تجدد من وقت

لآخر ، وفي عام ١٨٥٣ أحرز نجاح آخر بالتوصل الى معاهدة الصلح الدائم التي بقيت سارية من ذلك الوقت ، وبموجب هذه الاتفاقية تحقق الاستئصال التام للصراع في البحر بين رعايا الرؤساء الموقعين عليها ، وبذا تحقق الوصول الى هدنة دائمة بحرية — وباستعمال الكلمة المناسبة «والى الابد» — وجاء بمقتضاها أنه اذا حدث اعتداء على أحد في البحر ، فعلى الطرف المعتدى عليه أن لا يلجأ الى الثأر، بل يرفع الموضوع الى المقيم السياسي في الخليج ، وجاء فيها أيضاً ان على الحكومة البريطانية ان تراقب الامن في الخليج ، وعليها ان تؤكد في جميع الاوقات رعايتها لهذه الاتفاقية ، وطبعاً ، أيها الرؤساء ، لم تحل تلك الاتفاقية دون النزاع والقتال الذي قد ينشأ عرضاً ، وكانت احياناً ما تهمل او تخرق الا أنها في مجموعها جديرة باسمها ، اذ نشأ بموجبها وضع امن وسلام وفي الامكان ان يتذكر المسنّون منكم وحدهم حوادث قصص قائمة من الماضي ، اما حديثو السن منكم فانهم قطعاً لم يشاهدوا حوادث الحرب او سفك الدماء في البحر ، وقد مضت الآن إحدى عشرة سنة على آخر حادث لتعكير صفو السلام هنا .

أيها الرؤساء : وفضلا عن هذه العلاقات التي تنشأ كما ذكرت لكم ، والتي كانت برضاكم أنتم ، أقامت الحكومة البريطانية وصايتها على السلم بين القبائل ، فقد نمت روابط سياسية بين حكومة الهند وبينكم ، وأصبحت الحكومة البريطانية بمقتضاها سيدة عليكم وحامية لكم فما عاد لكم علاقة بأية دولة كبرى أخرى غيرها . وان كل واحدة من الامارات المتصالحة التي ترتبط بعضها مع بعض يعرف كما تعرفون انتم أنه لا يسمح بالدخول في أي اتفاق اواتصال بأية دولة أخرى ، ولا بوجود معتد لاية حكومة أخرى ، كما لايسمح بالتخلي عن أي قسم من مقاطعاتكم ، وان هذه الالتزامات ملقاة على عاتقكم جميعاً ، ويجب الوفاء لها بإخلاص كما ان هذه الالتزامات ذات تأثير متبادل بين الحكومة البريطانية والرؤساء

ما داموا يراعونها بكل أمانة . وفي هذه الحالة فهم جديرون بأن يطمئنوا الى أنه لن يتسنى لاحد العبث في حقوقهم او التعدي على حريتهم .

واني اذ أخشى ان يتعرض في بعض الاحيان سجل الماضي لخطر النسيان ، او ان يوجد أشخاص يتساءلون ، لماذا يجب على بريطانيا العظمى مواصلة ممارسة قوتها ؟ لذا اقول ان في تاريخ اماراتكم وعائلاتكم والاحوال الحاضرة في الخليج الجواب على ذلك . اننا هنا قبل أية دولة كبرى أخرى اظهرت وجهها في هذه المياه في الوقت الحاضر ، لقد جئنا الى هنا فوجدنا أمامنا الصراع فخلفنا بدلا منه النظام ، وان تجارتنا وأمنكم على حد سواء هما اللذان يحتاجان الى الحماية ، وما زال يوجد على امتداد هذه السواحل رعايا للملك انجلترا ولهم تجارتهم ، كما ان امبراطورية الهند للتي يقع علينا واجب حمايتها ليست منكم ببعيد . ونحن الذين حافظنا عليكم من انقضاض جيرانكم عليكم ، وفتحنا ابواب هذا البحر لسفن جميع الامم ومكنا أعلامها من ان ترفرف فوقه بأمن وسلام ، ولم نقم بالاعتداء او امتلاك مقاطعاتكم ، ولم نحطم استقلالكم بل حافظنا عليه ، ولا نريد ان نهمل قرناً كاملا من الجهد الغالي المنتصر ولا ان نزيل هذه الصفحة السمحة من التاريخ ، ولذا يجب ان يبقى السلام في هذه المياه وعندها سيبقى استقلالكم دون أن يمسه أحد . ويجب كذلك ان يبقى تفوق نفوذ الحكومة البريطانية على نفوذ غيرها .

وهناك امر واحد على الرؤساء تجنبه بأنفسهم مستقبلا ألا وهو انبعاث النزاع . وارجو ان اخبركم أنه ليس لدى الحكومة البريطانية رغبة للتدخل في اموركم الداخليه ، شأنها اليوم كشأنها في السابق ، مفترضة ان الرؤساء يحكمون مقاطعاتهم بالعدل ويحترمون حقوق الاجانب الذين يقيمون فيها . واذا حدثت أية منازعات داخلية ، فانكم ستجدون دوماً في المقيم السياسي صديقاً لكم ، وسوف يستخدم هذا نفوذه كما كان يعمل دائماً في السابق لمنع هذه الفتن من الوصول الى الرأس ، ولحفظ الحالة هادئة . ومن ناحية أخرى فاننا لا نستطيع أن نصادق على استقلال

أي من الروساء يقوم بمهاجمة ارض رئيس آخر ، وذلك لانه بكل بساطة غير مسموح له بذلك في البحر ، والا فانه يحاول ان يتملص من روح التزاماته للمعاهدة ، وسوف اذكر حالة مطابقة لما ذكرت . انكم جميعاً تخشون أن يقع الشريط الساحلي المعروف بساحل الباطنة ، المواجه لشبه جزيرة عمان تحت حكم «شيخ القواسم» ، بل أكثر من ذلك فان سلطته في بعض المناطق تجد من ينازعها ، ولذا فان من المرغوب فيه أن تتوقف هذه المنازعات وان يبقى السلام دون تهديد .

أيها الروساء : هذه هي الصلات التي دامت بين الحكومة البريطانية وبينكم ، وان ملك الامبراطورية الهندية يقيم بعيداً جداً منكم حتى إنه لن يقدر لأحد منكم رويته ، كما انكم سوف لا ترون وجهه ، الا ان اوامره تحملنا الى أية بقعة في ممتلكاته الواسعة عن طريق موظفي حكومته التي تمثله في الهند ، والمسوؤلة أمامه عن سعادتكم ، واني باسمها اليوم اتبادل التحية معكم هنا واجدد التأكيدات القديمة وارجو لكم النجاح في المستقبل .

وبعد ان قرأ السيد «جاسكين» الموظف السياسي المساعد في البحرين ترجمة عربية لهذا الخطاب ، وزعت عليهم هدايا حسنة اذ تسلم كل شيخ من الحضور سيفاً من يد نائب الملك بالاضافة الى ساعة ذهبية وسلسلة وبندقية صيد . واعطيت بندقية لكل من ابناء الشيوخ الحاضرين . ولما كان شهر رمضان قد بدأ فلم تقدم المرطبات ، ثم انتهى الاحتفال واتخذ نائب الملك وقائد الاسطول العام والشيوخ طريقهم بالتتالي مغادرين السفينة «آرجونوت» التي أطلقت التحية المدفعية لكل منهم حسب رتبته وهو يغادر السفينة .

وفي المساء غادر نائب الملك الشارقة متوجهاً الى بندر عباس .. ومعه الاسطول .

زيارة بندر عباس وهرمز وقشم في ٢٢ نوفمبر

الوصول الى بندر عباس

وصل الاسطول الى مرمى أمام بندر عباس في الساعة الثامنة صباح يوم ٢٢ نوفمبر ، وكان « السير آ. هاردينــج » قد سبق الاسطول ووصل على ظهر السفينة «سفينكس» في اليوم السابق ، وساعة وصول الاسطول كانت هذه والسفينة الحربية الايرانية «برسيبوليس» التي أحضرت القائد العام «سالار معظم محافظ موانئ الخليج نائباً عن صاحب الجلالة الشاه تقفان في مرسى خارج المدينة ، وأطلقت الاخيرة ٣١ مدفعاً تحية لنائب الملك عند وصوله ، ثم ارسل الحاكم وفداً ليقابل نائب الملك ويستفسر عن الوقت الذي يناسبه لبدء الزيارة ، ونتيجة لخطأ وقع الوفد فيــه ، فقد توجــه اولا الى السفينة « آرجونوت » بدل السفينة «هاردينج» ، وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً جاء المحافظ من الشاطئ واستقبله نائب الملك على الجزء الرئيسي من ظهر السفينة «هاردينج» ، وسلمت رسالة الشاه الرسمية الى نائب الملك ، وقام فخامته باستلامها ، وبعدها قام السير «آ. هاردينج» والسيد «دان» سكرتير دائرة الخارجية في حكومة الهند برد الزيارة للمحافظ على الشاطئ ، وقد استقبلهما سالار معظم – القائد العام في خيمة على رصيف الميناء الذي فرش بالسجاد ، واصطف حرس شرف بالانتظار واطلقت لهم بطاريات الساحل تحية الوزراء .

وفد رعايا الهند البريطانية وخطابهم

واستقبل نائب الملك في وقت متأخر من هذا اليوم وفداً يزيد عدد أفراده عن ثلاثين شخصاً من التجار والرعايا الهنود الذين يقيمون في بندر عباس ، على سطح سفينة السير « هاردينج » ، حيث قدمهم إليــه الرئيس «جراي» نائب القنصل في بندر عباس ، والذي رافق الرحلة فيما بعد من هذا المكان حتى بوشهر ، وألقوا خطاب ترحيب جاء فيه ما يلي :

لعله يسر فخامتكم ان تسمحوا لنا ، نحن رعايا وتجار الهند البريطانية في بندر عباس ، بتقديم ترحيبنا القلبي لفخامتكم بكل احترام . ونظراً لوقوع هذا الميناء في مدخل الخليج فانه ليسعد رعايا الامبراطورية الهندية المقيمين في بندر عباس أن يحظوا بالشرف المنقطع النظير لكونهم اول من يرحب بأول نائب للملك يزور شواطئ هذه البلاد .

نرحب بفخامتكم في بلاد إيران القديمة التي مرت عليها تغيرات أكثر من طاقتها وبقيت كما هي ، وستبقى الى الابد ولبقية العالم بالغة الاهمية ، ان لم يكن لشيء الا لأهمية للعلاقات التاريخية . ونحن فوق ذلك قد خصصنا فخامتكم بالترحيب ليس كشخص غريب ، ولكن كواحد يعرف ايران معرفة وثيقة ، لانه يقوم بأشد الادوار حيوية في شؤونها .

ورغم ما عرف عن ميناء بندر عباس من انه ميناء غير صحي ، واشتهاره بأنه من اشد الاماكن حرارة في العالم ، الا أنه ما زال هو وما يجاوره من جزر وبقايا قلاع قديمة -كانت في وقت من الاوقات في الماضي مسرحاً لمعارك بين الدول الاوروبية الكبرى القديمة- يتمتع بأهمية خاصة ، فهو غني بالخامات المعدنية التي سوف تشد اهتمام التجار لسنوات عديدة مقبلة . ويمكن اعتبار هذا الميناء بتجارة صادراته القيمة المركز التجاري الهام لاسواق وسط وجنوبي إيران مما يقع معظمه بأيدي رعايا بريطانيا ، ويعود الفضل في ذلك حقيقة الى حماية الحكومة لنا والتي تعتبر مصدر فخرنا واعتزازنا .

وحقيقة أخرى نرجو ان نسجلها في هذه المناسبة هي انشاء قنصلية هنا ، الامر الذي تم خلال فترة تولي فخامتكم منصب نائب الملك واننا نعتبر هذه الخطوة برهاناً واضحاً على اهتمام الحكومة الامبراطورية بدعم مصالحنا ، وننتهز هذه المناسبة لتقدم لكم جزيل الشكر . فمنذ أن انشيء هذا الفرع القنصلي هنا وسعت جاليتنا تجارتها الى أعلى مستوى ،

واندفع تجارنا الى المدن الداخلية في وسط إيران : رغم بقاء وجود بعض الظروف المعوقة وعلى الاخص انعدام المواصلات التلغرافية مع العالم الخارجي . ان ثقتنا التي لا حد لها في رأفة الحاكم البريطاني تقودنا الى الامل في تسهيلات أكثر في المستقبل حتى يؤمن اضطراد النجاح للرعايا البريطانيين وبالتالي ازدياد الهيبة البريطانية .

وفي الختام نرجو بكل تواضع أن نعبر عن أملنا في زيارة فخامتكم الحالية بتقوية صلاتكم السابقة مع هذا البلد التاريخي ، كما نرجو أن تكون رحلة فخامتكم في هذه المياه ليس فقط مصدر سرور رعايا بريطانيا الذين يستقبلونكم في بندر عباس بل وأن تبقى ذكرياتها قوية في أنفسهم .

كلمة اللورد كرزون

وقد رد اللورد كرزون على هذا الخطاب بالعبارات التالية :

أيها السادة : ارجو في مجال شكري لكم على خطابكم هذا ان اعبر عن سروري لوجود جالية من الهنود البريطانيين هنا من رعايا صاحب الجلالة الملك الامبراطور ، يتمتعون بصداقة وحسن وفادة بلد أجنبي ويشتغلون في التجارة التي تؤدي الى نفع لهم ولهذا البلد على حد سواء . لقد مهدوا لنا الطريق امام أية سفينة تجوب هذه المياه ، وكسبوا لنا صداقة وامتنان الحكومات الرأسمالية ، ومن أمثالها حكومة صاحب الجلالة الشاه التي أخذنا نتعامل معها .

ويمكن توضيح توسع التجارة الذي ذكرته بما يلي : « ان مجموع قيمة تجارة الخليج (ويدخل تحت هذا المضمون الموانئ الواقعة في بلاد العرب وتلك التي على الشاطئ الايراني وتشمل المحمرة أيضاً ، الا أن البصرة لا تدخل ضمنه) قد بلغ ٦,٥ مليون جنيه استرليني تقريباً ، كما دلت عليها قيود السنة الماضية ١٩٠١ ، منها ما يقرب من ٥ ملايين تجارة خارجية ، وبمعنى آخر ، كانت النسبة المئوية لبريطانيا من هذه التجارة

الخارجية ٧٧ بالمئة وكانت للنسبة المئوية المماثلة للبواخر البريطانية التي تدخل وتخرج من موانئ الخليج ٩٧ بالمئة . واذا دققنا الملاحظة ونظرنا الى الموانئ الايرانية وحدها فاننا نجد ان مجموع حجم التجارة في عام ١٩٠١ يقرب من ٤,٥ مليون جنيه استرليني منها ٤,٢٣٢,٠٠٠ جنيه تجارة خارجية ، النسبة البريطانية فيها ٦٦ بالمئة ، ونسبة السفن البريطانية الناقلة لها ٩٧ بالمئة ، وترينا هذه الارقام مع وجود منافسة حادة متزايدة وقتذاك (إلا أنها اختفت الآن) ، ان بريطانيا العظمى تتمتع وما تزال بتفوق تجاري في هذه البحار ، وان هذا التفوق ان لم يزد فانه سوف لا ينقص على الاقل . ومن ناحية أخرى فما زالت توجد ظروف تجارية تؤثر في وضع بندر عباس وتتطلب بالحاح جهوداً حاذقة لاعادة المزايا التي يتمتع بها هذا الميناء .

ولقد أشرتم الى مصالح هندية أخرى في بندر عباس طلبتم لفت النظر لها ، حيث يمثل حكوميّ هنا لاول مرة موظف عينته عندما جئت الى الهند ، ليحمي مصالح التجارة الهندية البريطانية . ويسرني أن أعلم منكم انكم بوصوله توسعتم في نواح متعددة من أعمالكم وانكم قد حصلتم على فوائد جمة من جهوده . ومما يجب ذكره أن بندر عباس رغم فقدانها الكثير من شهرتها القديمة ، فانها ما زالت منذ الازل نقطة البداية لمعظم طرق القوافل التي تخترق داخل البلاد ، وبناء على ذلك فان باستطاعتكم أن تحملوا لمعظم أجزاء البلاد البضائع البريطانية والهندية بما فيها المدن الكبيرة في وسط ايران اوشمالها اوغربها ، والى أسواق خراسان وأفغانستان واواسط آسيا في الشمال الشرقي والشرق . وان هذه نقطة هامة بالغة الاهمية للتجارة الهندية ، تلك التجارة التي تؤدي الى نفع متساو لهذا البلد ولكم . ويسرني ان تكون إيران قد ردت التحية بمثلها عندما ارسلت عدداً كبيراً من رعاياها الموهوبين الاذكياء ليتاجروا في موانئ الهند البريطانية . وستستمر هذه العلاقات بين إيران والهند في الوقت الحاضر كما كانت دائمة الاستمرار خلال قرون عديدة ، اذ أنها لا تعتمد

على مجرد التجاور الجغرافي بل تعتمد أيضاً على تشابه اصول الحضارة واللغة والعنصر ، وان بندر عباس تحت اسمها الحالي او اسمها القديم «جمبرون» ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ مشاريع التجارة البريطانية في إيران والخليج . وانني أعتقد أنه لا يوجد في العالم مكان شهد صراعاً أشد او ذاق ظروفاً سياسية افزع تقلبــاً في سبيل التفوق التجاري مما شهدته هذه المياه والجزر التي يمكن رؤيتها من هذه البقعة .

وقد يتساءل البعض لماذا يتوجب على نائب الملك في الهند وهو في غمرة مسؤوليات منصبه ان يزور هذه المياه . إن جواب ذلك يمكن التوصل إليه من الحقائق التي ذكرتها وبالتحديد من العلاقة التاريخية المتصلة التي نشأت بين هذه البلاد وبين الهند ، لعدة مئات من السنين ونتج عنها هذه المستعمرة المزدهرة بفضل تجار الهند البريطانية الذين يقيمون هنا ، بل وازيد اكثر في ايضاح الامر على كل من المستوى المحلي والعام . اننا هنا نقع على فم بحر يعتبر أكثر البحار أهمية ومنفعة للجهد البريطاني في قارة آسيا ، ومنذ القدم لم يفشل الخليج كطريق بحري هام في اجتذاب انظارالامم التي سيطرت او تطمح في السيطرة على الموانئ الهندية التي اصبحت في يد بريطانيا بعيدة جداً عن متناول المنافسين الآخرين . فمن الطبيعي اذن ان تواصل بريطانيا جهودها الموفقة في هذا الاتجاه ، وان تحصل بالتالي على اضطراد نفوذ مصالحها وتجارتها في الخليج اذ أن هذه الجهود لم تخفق ابداً حتى هذا اليوم ، وذاك لأنها غير أنانية وسمحة في أعمالها ، كما أنها حملت معها الثروة والامن للدول والسكان الذين يعيشون على هذه الشواطئ .

دعونا نتذكر مرة أخرى ان الهند ليس بلداً بعيداً منشغلاً عن قواعده هنا ، بل على العكس نحن اقرب جيران لإيران ، نتاخمها اولا على امتداد حدودها الشرقية في مقاطعات بلوخستان ونجاورها ثانياً بتلك المقاطعات التي تقع تحت حكم حاكم افغانستان الذي بأيدينا امور دولته الخارجية . ولذا فان البلدان والدول الكبرى التي ترتبط مع بعضها بهذا

الشكل لا يمكن ان تفشل في تطوير وتشجيع اوثق الروابط . وكلما زاد هؤلاء المسؤولون في تداولهم لامور مسؤولياتهم بتلك المقاطعات فانهم لن يفشلوا في تطوير وتشجيع اوثق الروابط بينهم فينشأ وضع افضل لهم جميعاً.

واعتقد الآن اني قلت ما فيه الكفاية ، واوضحت أنه لم يعد امراً غريباً ومسألة غير طبيعية ان يكون من واجب نائب الملك في الهند ان يأتي الى هنا وان يقوم بزيارتكم وان يتفقد المصالح الهندية وان يشاهد كيف يعيش الرعايا الهنود في بلد حليف متاخم .

هذا وربما لم يضعف بالتأكيد من جانبي (بحكم السنوات العديدة التي قضيتها هنا) الاهتمام البالغ بايران ، ولذا تحدوني الرغبة الملحة دائماً بوجوب دعم الصداقة القديمة بين الحكومة البريطانية وجلالة ملك هذه البلاد ، وتعميق تلك الصداقة على مر الزمن .

ايها السادة اني متفق معكم في الاعتقاد بأن اتصال هذا الجزء مع العالم الخارجي بخط تلغرافي سيكون ذا نفع عظيم لكم ، ومما يزيد في سعادتي ان اكون ممن ساهم بجهده مع الحكومة الايرانية لانجاز هذا الموضوع وفي الختام ارجو ان تسمحوا لي بتقديم أحسن امنياتي لكم بدوام النجاح ومزيده في المستقبل .

زيارة هرمز وقشم

نزل نائب الملك وجماعته بعد الظهر على جزيرة هرمز وقشم وزاروا القلعة البرتغالية في جزيرة هرمز ومدينة قشم ، وكان استقبال المواطنين في هذه المدينة لضيوفهم غير المرتقبين مميزاً بود ملحوظ . وارتجل احد الشعراء المحليين نشيداً ردده على شرف هذه المناسبة ، وقد زودت هذه الزيارات لهذه الجزر لورد كرزون والسير «آرثر هاردينج» ونائب امير البحر «اتكنسون ويليز» بمادة لمناقشات شئون الدفاع والاستراتيجية البحرية ، وفي المساء أضيئت مدينة بندر عباس ، ولكن عرض الالعاب النارية الذي كان مزمعاً اقامتــه هنا ألغي ، بسبب وفاة اميرة ايرانية هي احدى بنات صاحب الجلالة الشاه .

تفقد هنجام وساحل قشم الجنوبي وباسيدو
في ٢٣ و ٢٤ نوفمبر

أمضى الاسطول ليلته على مشارف قشم ، ووصل فجر صباح يوم ٢٣ نوفمبر الى هنجام ، حيث بدأت زيارة محطة التلغراف البريطانية القديمة ، وكانت نتيجة ملاحظاتهم هذه في الجزيرة وفي باسيدو أن اقتنع كل من نائب الملك وقائد عام الاسطول بأن هنجام أفضل من باسيدو لمد خط للتلغراف تحت سطح البحر ، يرتبط مع بندر عباس ، ولاقامة محطة اشارات على فم الخليج ، وبدأت السفينة لورنس تسير من المرسى في جزيرة هنجام وعليها نائب الملك ومعها السفينة «سفينكس» حاملة قائد عام الاسطول في وقت مبكر من صباح ٢٤ نوفمبر ، بمحاذاة الساحل على امتداد الشاطئ الجنوبي لجزيرة قشم ، وقد وجد لها فيما بعد موقعان للرسو على مقربة من كهوف نمكدان الملحية . ثم عادتا في المساء متتبعتين القناة الداخلية التي تتصل مع الجزء الجنوبي الغربي من جزيرة قشم . وفي باسيدو ذهبت جماعة نائب الملك الى الشاطئ في الساعة الخامسة مساء وتفقدوا موقع المحطة البريطانية هناك .

★ ★ ★

زيارة لنجه من ٢٤ الى ٢٥ نوفمبر

الوصول الى لنجة وتناول العشاء فيها

تم الوصول الى لنجة في مساء هذا اليوم الرابع والعشرين من نوفمبر وانضم عندها اسطول الهند الشرقية الى السفينة «لورانس» و «سفينكس» اللتين كان قد انفصل عنهما عند هنجام ، وفي المساء أضيئت المدينة والسفينة الحربية الايرانية «برسيبوليس» بأضواء باهرة ، واستضاف نائب الملك محافظ موانئ الخليج وأخاه مجبر السلطنة نائب المحافظ في لنجة على ظهر السفينة «هاردينج» حيث تناولا طعام العشاء .

وبعد العشاء اقترح لورد «كرزون» تناول نخب صحة الشاه وألقى الكلمة التالية :

كلمة لورد كرزون

اني أقترح أن نشرب نخب صحة صاحب الجلالة الامبراطورية شاه ايران . وفي اليومين الماضيين عندما حللنا على اول ميناء من ممتلكات جلالته ، كان لي الشرف عندما استقبلني فيها ضيفنا هذه الليلة سالار معظم — القائد العام ، محافظ موانئ الخليج ، والذي انتدب خصيصاً من سيده الملك ليستقبلني ، ولذا يسرني ان ارد له التحية في هذا المساء . وعندما وصلنا بوشهر منذ عدة أيام ، علمت أنه زيادة في الاحتفاء بي ، سيستقبلني أحد رجال الدولة الإيرانية البارزين علاء الدولة ، حاكم عام إيران ، كمبعوث خاص من الشاه لهذه المناسبة ، وانني اوجه شكري المخلص للمجالات التي فتحت أمامي ، والى الحكومة التي أمثلها ، نيابة عن صاحب الجلالة الامبراطورية ، ولا يوجد فرد منا لم يشعر بسرور عظيم عندما وطئ الارض الإيرانية ، ولقد ارتبط الشعبان البريطاني والايراني لعدة قرون خلت بأوثق روابط الصداقة والاحترام ، كما أنه يوجد بين الهند وإيران بشكل خاص صلات سياسية قوية ، وتجارة ومصالح متبادلة ، ونحن من جانبنا نأمل لهذه الصلات التي دامت طويلا النمو والاستمرار ، وألا يحدث ما يعكرها . كما تحدونا رغبة حارة بالتمني لممتلكات جلالته السعادة والسلام ، ولمقامه السامي الصحة والحكم المديد ، واني في هذا المساء ارحب بممثل جلالته ببالغ السرور ، وارجو الحضور ان يشربوا نخب الشاه صاحب الجلالة الامبراطورية .

ثم تناول الحضور النخب بترحيب حار ، وقام المحافظ واقترح نخب صحة ملك انجلترا ، وقال ان الشاه وكل ايراني يرحبون ترحيباً قلبياً بالشرف الكبير الذي نالته إيران بزيارة ابرز ممثل للامبراطورية البريطانية لهذا البلد ، وان زيارة نائب الملك لا بد ان تقوي الصداقة وتزيد العلاقات

التجارية الموجودة بين البلدين منذ قرون، وان الجميع يعتبرون هذه الزيارة دليلا على اهتمام بريطانيا العظمى المستمر بإيران ورفاهيتها .

تدابير أخرى في بندر عباس

وفي صباح اليوم التالي ، الخامس والعشرين من نوفمبر ، زار الوزير البريطاني السير «آ. هاردينج» نائب المحافظ في بيته زيارة خاصة . أما القسم الاكبر من رجال السفينة «هاردينج» وبقية سفن الاسطول فقد نزلوا الى الشاطئ ، وقد نجح الوزير البريطاني في تأمين معاقبة ضابط إيراني برتبة عقيد واثنين من الجنود ، كانوا قد أهانوا موظفاً هندياً مكلفاً باتخاذ اجراءات الحجر الصحي في لنجة ، وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر هذا اليوم غادر الاسطول لنجة متوجهاً الى البحرين .

★ ★ ★

زيارة البحرين من ٢٦ الى ٢٧ نوفمبر

الوصول الى البحرين

وصل الاسطول بعد رحلة هادئة باردة الى مشارف البحرين في الساعة الثامنة من صباح ٢٦ نوفمبر ، ولكن مضت ساعتان اخريان قبل ان تستطيع السفينة «هاردينج» ومعها السفن «بومون» و «سفينكس» و «لورنس» أن تشق طريقها الى المرسى الداخلي ، بينما كانت مدافع الشواطئ تحييها باحدى وثلاثين طلقة . وبعد أن ألقت السفينة هاردينج مراسيها صعد الى ظهرها الشيخ حمـــد ولي عهد المشيخة في البحرين ووزير شيخها ليستفسرا عن صحة نائب الملك وليسألاه عن الوقت الذي يناسبه استقبال الشيخ فيه .

زيارة الشيخ الرسمية لنائب الملك

ووصل الشيخ عيسى بنفسه الى ظهر السفينة «هاردينج» في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر ، بصحبة السيد «جاسكين» مساعد المعتمد

السياسي في البحرين . ومعه ثلاثة من ابنائه وأكبر أحفاده ووزيره ، واستعرض الحرس على ظهر القطعة البحرية «بومون» ، وقد استقبل نائب الملك الشيخ واقفاً وأشار له على مقعد على يمينه ، وجلس على يمين الشيخ المقيم السياسي ، ثم مساعد المعتمد السياسي في البحرين ، ثم مرافقو الشيخ . وجلس على يسار نائب الملك الوزير البريطاني في طهران، ثم وزير الخارجية ثم المرافقون ، ولم يلبس أي منهم لباساً رسمياً في هذه المناسبة ، وقد دار حديث قصير أشار الشيخ فيه الى الرفاهية التي تنعم بها امارته ، مرجعاً ذلك الى الحماية البريطانية ، وشكر نائب الملك على تحمله مشاق هذه الرحلة الطويلة ليبرز فيها اهتمامه بالبحرين ، كما شكره ايضاً على الاعتراف الرسمي بابنه حمد كخليفة له ، وعبر عن تقديره لشخصية السير «ل. بلي» الذي لعب دوراً مهماً في شؤون البحرين منذ اربعين سنة تقريباً . وبعد الحديث قدم ابناء الشيخ والرسميون الآخرون الى نائب الملك ، وتسلموا مع الشيخ جميعاً هدايا قيمة ، ثم انتهت المقابلة وغادر الشيخ عيسى السفينة «هاردينج» واطلقت خمس قذائف تحية له ، ومما لوحظ ان الشيخ أثناء المقابلة بقي ينتعل نعليه ومن الواضح أن اغفاله خلعهما كان يعود الى عصبيته .

زيارة نائب الملك الرسمية للمنامة

وقام نائب الملك ومرافقوه بعد الظهر بزيارة غير رسمية لمدينة المنامة ، وقد استقبله على الرصيف الشيخ الذي أوصله الى المعتمدية البريطانية ، وبعد غروب الشمس قدمت لهم القهوة في المعتمدية ، وكان الحضور طبقاً للعادات العربية ينثرون ماء الورد على أيدي ضيوفهم ، ويعطرون لهم لحاهم ووجوههم بدخان البخور المحترق ، ثم عاد ركب نائب الملك الى ظهر السفينة ، وكانت الترتيبات التي اتخذت لنزول نائب الملك من السفينة الى الارض مع مرافقيه ثم عودتهم الى ظهر السفينة غير كافية ، وكان المد منخفضاً ، فاستغرق النزول ساعة ونصف واستغرقت العودة الى السفينة ساعتين . وبعد ان رافق الشيخ اللورد «كرزون» حتى الميناء

الذي ركب منه عائداً الى سفينته ارتكب خطأ فيه كثير من عدم اللياقة ، اذ غادر الشيخ هذا المكان قبل ان يغادره جميع مرافقي نائب الملك بسلام ، وقد اعتذر بالتالي عن هذا التقصير عن طريق العميد «كيمبول» . ومما يجدر ذكره ان مغادرة المكان كان عند مغيب الشمس في يوم من ايام شهر رمضان حيث يكون العرب في شوق للافطار بعد صيام يوم طويل .

خطاب التجار الهندوس

وبعد ان ترك نائب الملك المنامة وتوجه الى السفينة «هاردينج» عرض عليه خطاب من التجار الهندوس المقيمين في المنامه ، ولم يكن متوقعاً تقديمه بهذه الطريقة ولهذا لم تتوفر الفرصة للرد عليه وجاء في الخطاب ما يلي :

نرجو ان يسرّ فخامتكم أنه يشرفنا نحن الموقعين أدناه التجار الهنود المقيمين في البحرين أن ننتهز مناسبة زيارة اللورد الى لؤلؤة جزر الخليج لنقدم إليكم باسم جاليتنا ، ترحيبنا القلبي ، راجين ان تكونوا قد قضيتم رحلة ممتعة في طريقكم الى الخليج ، وان تكون اقامتكم القصيرة هنا مرضية لفخامتكم ، ونتمنى أن تكون رحلة العودة مصحوبة بالسلامة والراحة . ونعتبر أنفسنا قد حظينا بشكل خاص والخليج بشكل عام بهذا الفخر ، اذ لم نتشرف من قبل بزيارة من نائب الملك في الهند ، ولما كنا نعلم ان لفخامتكم اهتماماً دقيقاً بالمسائل التي تؤثر على الخليج والشرق عموماً فاننا نرجو باخلاص ان تكون هذه الزيارة بشير سعادة وغبطة وسلام في الخليج . كما نرجو أيضاً ان نعبر عن اعترافنا بالجميل للبركات المتعددة التي حصلنا عليها من الحاكم البريطاني العادل والرحيم ، ونرجو ان يكون قد بلغ علم فخامتكم ايها اللورد اننا قد حللنا في الخليج منذ مئتي سنة مضت ، حيث لم يكن باستطاعة السفن البخارية ان تزور الخليج ، وكانت كل الاعمال تسير بالقوارب الشراعية في ظروف شاقة غير مجدية ، الا أن الوقت تغير

الآن اذ جلبت الحماية البريطانية بركاتها المعتادة –الامن والسلام والرفاهية– التي انعكست عليها الثقة العظيمة بالعمران والحضارة التي جلبتها بريطانيا الى الخليج .

اننا لا نرغب في الاعتداء بغير لياقة على وقت فخامتكم الثمين ، الا أننا نسمح لانفسنا ان تجسر بكل تواضع على طرح مسألة أو مسألتين لهما أهمية حيوية واعتبار هام لتجارة البحرين . ان هذا الميناء بموقعه الطبيعي يعتبر محطة عظيمة الاهمية للتجارة ، كما أنه المركز التجاري لاسواق الاحساء والوكير والقطيف وقطر وما يليها من بلاد ، ولزيادة سرعة النقل التجاري فان اقامة رصيف داخل البحر لهذا الميناء يعتبر أمراً في غاية الضرورة ، حتى تتمكن الصنادل البحرية من العمل في سائر الاوقات وفوق أي مد أو جزر مما ويزيد من سرعة تفريغ السفن التجارية ولذا نرجو بكل احترام ان ينال هذا الطلب لطف عنايتكم .

في عام ١٨٦٤ أقمنا علاقات تجارية مع القطيف وتوصلنا الى أشغال كبيرة هناك ، ونحن نتمتع في الخليج عموماً بالاحترام وبعض الهيبة ، ولكن نتيجة لسوء الحكم في القطيف فاننا لا نعاني فقط من سوء التقدير بل تعرضنا أيضاً للخسارة الفادحة ، والاهانة . وفي عام ١٨٩٥ هاجم القراصنة احدنا واعتدوا عليه وآذوا يده اليمنى وسلبوا منه لؤلؤاً بقيمة ٤٠ الف روبية . وقد ساقتنا اوضاعنا التي لا حامي لها هناك الى وضع غير مجد واضطررنا في النهاية الى الانسحاب منها . ومنذ ان تمتعت البحرين بطمأنينة فوق العادة وبمنافع تجارية عظيمة، جاء كل من التجار العرب والايرانيين وسكنوا هنا ولهذا نشأت منافسة حادة تحتم علينا الآن أن نبحث لنا عن مجالات أخرى . واننا متشوقون للمساهمة في تجارة قطر والقطيف الناميتين ، ونرجو من فخامتكم ان تعينوا موظفين في هذين المكانين حيث لا يوجد فيهما ممثلون لحكومتنا ، وفي حالة ما اذا كان هذا الاقتراح غير عملي ، نرجو توسيع سلطة المعتمدية السياسية في البحرين حتى تشملهما .

وفي الختام انما نصلي الى القدير ان يبارك ويمد في عمر صاحب الفخامة جلالة الملك الامبراطور ، الذي برأفته تمكنا من العيش هنا بسلام ورخاء ، ونرجو لفخامتكم بكل اخلاص أيها اللورد اقامة سعيدة وجهداً موفقاً وحياة مديدة .

الاجتماع الخاص بين الشيخ ونائب الملك

وفي الساعة الحادية عشرة من صباح السابع والعشرين من نوفمبر زار الشيخ عيسى نائب الملك زيارة خاصة على ظهر السفينة «هاردينج» ، وكان يصحبه في هذه الزيارة أكبر أبنائه وخليفته المعترف به ، والسيد «دان» وزير الخارجية والعقيد «كيمبول» المقيم السياسي ، وقام بدور المترجم السيد «جاسكين» مساعد المعتمد السياسي في البحرين ، وبعد ان أوضح الشيخ أنه لا مطالب لديه يود تقديمها ، أشار صاحب الفخامة الى حادث اغتيال سلمان بن دعيج قريب الشيخ في شبه جزيرة العرب ، ونصح الشيخ ان ينتظر نتيجة المفاوضات التي كانت معلقة مع الباب العالي خلال هذه الفترة . وأضاف قائلاً انه في حالة فشلها سوف ينظر في ما اذا كان من المناسب اتخاذ خطوات أخرى ، ثم استفسر من الشيخ عن شكل التعويض التي يمكن للشيخ قبوله بهذا الصدد ، ثم انتقل نائب الملك الى موضوع آخر وهو سوء ادارة الجمارك في البحرين ، وأكد على الشيخ بشدة ضرورة وفائدة اصلاحها ليس مراعاة لمصلحته فقط ولكن ايضاً رعاية لمصالح الحكومة البريطانية التي تقوم بحمايته ، وكذلك لمصلحة ابنه الذي اعترفت السلطات البريطانية بلقبه كخليفة له ، وقد أبدى الشيخ عناداً شديداً في هذا الموضوع ، وطلب أن يصرف النظر عن هذا الموضوع طوال مدة حياته الا أن ذلك لم يكن مقبولا . وعقب ذلك قال الشيخ إنه سيبحث الموضوع مع أبنائه وأخيه ، واعترف صاحب الفخامة بأن هذا الاسلوب مناسب تماماً ، الا أنه حذر الشيخ في نفس الوقت من أن الموضوع يجب ألا يهمل ويجب عليه أن يقدم في أقرب وقت اقتراحات

محددة للتغيير المرغوب فيه ، وانصرف الشيخ بعد ان استمرت المقابلة أكثر من نصف ساعة .

الزيارة المتوقعة من شيخ الدوحة

كانت الترتيبات قد اتخذت لتوفير فرصة للشيخ أحمد شيخ الدوحة في قطر لمقابلة نائب الملك أثناء زيارة الاخير للبحرين ليقدم له الشيخ تحياته وليوضح آراءه حول علاقاته مع الحكومة البريطانية . وكان الشيخ سيتلقى في حالة حضوره تأكيداً مصدقاً من حكومة جلالته ينص على ان صداقة الحكومة البريطانية له ستستمر ما دام عازفاً عن الدخول في أية ارتباطات مع أية دولة أخرى ولكن نظراً لان الدعوة التي وجهها العقيد « كيمبول » اليه لهذه المناسبة لم تصل الشيخ في الوقت المناسب ، فانه تغيب ، ولم يتلق هذا التأكيد .

★ ★ ★

زيارة الكويت من ٢٨ الى ٢٩ نوفمبر

الوصول وزيارة الشيخ غير الرسمية لنائب الملك

وصلت السفينة «هاردينج في الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٨ نوفمبر الى الكويت ، وكانت السفن الكبيرة من الاسطول قد سبقتها في الوصول الى هناك ، وقد رافقها الى المرسى الداخلي من الميناء السفينة «بومون» ، ثم أطلقت البطاريات القديمة المنصوبة أمام بيت الشيخ ٣١ طلقة تحية ، وما ان ألقت السفينة «هاردينج» مراسيها حتى صعد الى ظهرها الشيخ مبـــــارك بنفسه يرافقه كيمبول المقـيم السياسي ليستفسر عن صحة اللورد «كرزون» وليستعلم عن الوقت المحدد للزيارة الرسمية .

زيارة الشيخ الرسمية لنائب الملك

عاد الشيخ في الساعة المحددة ، وهي الثالثة بعد الظهر الى السفينة «هاردينج» بصحبة أكبر أبنائه الشيخ جابر ، واستقبل الشيخ في احتفال ومراسم مناظرة تماماً لما جرى في استقبال شيخ البحرين من قبل ، وكان من بين الهدايا التي تسلمها الشيخ سيف ، أبدى عند تسلمه من يد صاحب الفخامة أنه بحاجة الى حزام له كحزام «أحد الجنود» أو على حد قوله «واحد من العسكر» ، وربما كان يعني بها أحد الموظفين العسكريين في الامبراطورية البريطانية وعندما غادر للسفينة أطلق المدفع له ٥ طلقات تحية .

رحلة الاستكشاف في الخليج

وبعد انتهاء زيارة اللورد توجه اللورد «كرزون» في السفينة «سفينكس» ليتفحص رأس الخليج الكويتي على مقربة من (القضمة) ، واستغرقت منه تلك العملية بقية ساعات النهار وارتطمت السفينة «سفينكس» في أثنائها بالارض وتعطلت عطلا موقتاً .

زيارة نائب الملك مدينة الكويت

غادر نائب الملك السفينة «هاردينج» في الساعة العاشرة من صباح اليوم التاسع والعشرين من نوفمبر ، في حين أطلقت القطعة «بومون» من مدافعها ٣١ طلقة تحيه له ، ونزل على الارض في بندر الشويخ وهو مرسى القوات على بعد ثلاثة اميال من المدينة حيث كان في انتظاره الشيخ مبارك ومعه اولاده وكبار أتباعه على رأس جماعة من الفرسان العرب البواسل ، واستقل نائب الملك العربة الوحيدة التي تفخر الكويت بها وزود افراد حاشية صاحب الفخامة بخيل ليركبوها . وسار الموكب بغير نظام وسط اطلاق العيارات النارية ، وهتاف العرب المنبعث من الحناجر ، متجهاً الى المدينة ومخترقاً سهلا منبسطاً واسعاً ، ومحاطاً بكوكبه من الخيالة يركضون بعنف الى الامام ، مشرعين حرابهم او مطلقين

عيارات طبنجاتهم في الهواء وهم يقفزون مستديرين حول انفسهم ، وهكذا طوال الوقت مخلدين بمناوراتهم هذه ايام العرب . ولقد كان المنظر أخاذاً بجماله اذ كان الفرسان بالبستهم الفضفاصة البراقة الالوان ، من برتقالية وحمراء او ذهبية يلوحها الهواء من على ظهور خيولهم العربية الرشيقة ، كلما قاموا باستعراضاتهم هذه في حين كانت مجموعات راكبي الجمال يهرولون في سكون ووقار هنا وهناك وفيهم أبناء المدن المترفون بأحسن ملابسهم ، وفيهم بدو من الصحراء ضامرون جياع يرتدون عباءآتهم الممزقة ، ونساء محجبات يضعن عباءآتهن الزرقاء الداكنة ملقاة على رؤوسهن ويلبسن فساتين من القطن المزركش الالوان تتدلى الى الارض ، وأطفال ذوو عيون سوداء وبشرة بنية على درجات متفاوتة من العري وخلف هذا المشهد كله ووراء مضارب البدو الكبيرة بخيامها السوداء ، وجدران بيوت المدينة البيضاء التي ترفرف الرايات على اسطحتها المنبسطة ، وفي زرقة الخليج الباهتة المحاطة بالرمال الصفراء ، كان يقف الاسطول في مرساه داكناً قاتماً ، وفي وسطه السفينة «هاردينج» بيضاء بادية للعيان ، وقد اشترك في هذا الاستقبال ما يزيد على ٢٠٠ من الخيالة و٢٠ من الهجانة ، وما يقرب من ٤,٠٠٠ مارتيني من المشاه ، يحمل معظمهم مسدسات وبنادق من نوع مارتيني-هنري ، وكان العلم الذي يحملونه عبارة عن راية عربية حمراء عليها شعار «ثقتنا بالله» أو كما هي بالعربية «توكلنا على الله» . وتوجه نائب الملك في العربة عبر المدينة الى بيت الشيخ المواجه للبحر حيث أطلقت له المدافع ٣١ طلقة تحية عند وصوله ، وعقد عقب ذلك اجتماع في غرفة علوية من البيت كان الشيخ يستعملها كقاعة استقبال ، وزينت في هذه المناسبة بصور ملونة لملك وملكة انجلترا ، وصاحبة الجلالة الملكة السابقة فكتوريا . وبعد ان قدم الى نائب الملك أبناء الشيخ الصغار ، قدمت القهوة العربية ، ويبدو ان العلم التركي الذي كان يرفرف على بيت الشيخ في اليوم السابق لم يرفع في هذه السنة .

اجتماع الشيخ الخاص بنائب الملك

وفي الساعة الثانية بعد الظهر قام الشيخ مبارك بزيارة خاصة لنائب الملك على ظهر السفينة «هاردينج» ، وعندما دعي الشيخ للحديث قال انه تخلى عن علاقته مع الاتراك ، ودخل تحت الحماية البريطانية ، وانه أكثر من ذلك رفض العروض التي قدمتها فرنسا وروسيا له . ولهذا يرجو أن يحصل على لقب او نيشان ومكافأة ، واطال في الحديث عن الصعوبات المالية التي تلقاها في وضعه هذا . ثم رجا أن تحرر أراضيه في أم قصر ، وبوبيان من الأتراك الذين استولوا عليها بالسرقة. وقد رد لورد «كرزون» على ملاحظات الشيخ بأنه مسرور لتعرفه على ما يدور في خلد الشيخ ، وأن مطالبه هذه ستؤخذ بعين الاعتبار تماماً ، لكنه لا يستطيع أن يعد بتلبية أي منها ، ثم جرى الحديث عن قضية وكيل الشيخ في البصرة ، الذي سجنته الحكومة التركية بتهمة الخيانة ، وابلغ الشيخ ان السفير البريطاني يسعى لتخفيف الحكم الذي صدر عليه . واخيراً كرر صاحب الفخامة على الشيخ التحذير الذي سلم اليه عن طريق المقيم السياسي في الخليج ، والمتضمن ضرورة امتناعه عن التدخل في شؤون اواسط جزيرة العرب ، ووعد الشيخ ان يسترشد بهذه النصيحة أثناء زيارة له هناك ، ثم انسحب بعد ان كرر الشكر لنائب الملك لزيارته للكويت وللحماية التي قدمتها الحكومة البريطانية له ، وقد حضر هذه المقابلة كل من السيد «دان» وزير الخارجية ، والعميد المقيم السياسي في الخليج .

زيارة الشيخ لبارجة القيادة هياسنت

أخذ وزير الخارجية الشيخ مبارك من السفينة «هاردينج» الى ظهر السفينة الحربية «هياسنت» ، التي بها غرفة قيادة نائب أمير البحر «اتكنسون ويليز» . وكانت هذه اول مرة تطأ فيها قدم الشيخ ظهر بارجة حربية ، ولذا ابدى اهتماماً كبيراً بالسفينة ومدافعها ، وبعد ان

تناول القهوة في غرفة الاميرال غادرها واطلقت له مدافعها ٥ طلقات تحية .

رحيل نائب الملك

وفي الساعة العاشرة من مساء نفس اليوم ، غادر نائب الملك الكويت على ظهر السفينة «لورانس» تصحبها السفينة «سفينكس» في زيارة تفقدية لخور عبدالله وخور موسى ، وتأخرت بقية الاسطول في الكويت حتى صباح الاول من ديسمبر ، وقد خصص يوم الثلاثين من نوفمبر للذين تأخروا في الكويت ليتجولوا بالمدينة وما يحيط بها ، وقامت صاحبة الفخامة عقيلة اللورد كرزون بنزهة في الخليج في قارب بخاري .

تقرير اللورد كرزون عن زيارته الى الكويت

وجاء عقب ذلك في التقرير الذي قدمه اللورد الى وزارة الخارجية عن نتائج رحلته الى الكويت ما يلي :

لقد وجدت هنا كما في مسقط ان الرحلة في حد ذاتها ، بصرف النظر عن الوعود او الالتزامات الجديدة ، كانت في نظر الحاكم رباطاً نهائياً يربطه بنا ، واعترافاً رسمياً بحماية بريطانيا وسيادتها ، وفي الحقيقة ان الشيخ اعترف لي بصراحة في محادثته الخاصة معي أنه قطع كل ارتباط له مع الاتراك وأنه يرفض كل علاقة مع أية دولة أخرى غير بريطانيا ، وبعد ذلك طلب ان يحصل على لقب او نيشان ومكافأة . ومن الواضح أنه طلب هذه الاكراميات حتى تكون اقراراً بالعلاقة التي يعتبر الشيخ أنها قائمة بالفعل بيننا وبينه ، لا كخطوة اولية في نظام جديد أكثر تحديداً .

الاستطلاع في خور عبد الله وخور موسى
من ٣٠ نوفمبر حتى ١ ديسمبر

خور عبد الله

دخلت السفينتان «لورانس» و «سفينكس» خور عبدالله في الصباح الباكر من الثلاثين من نوفمبر وكانتا قد انزلتا أعلامهما في السادسة والنصف صباحاً ، لتتجنب ضرورة تبادل المجاملات مع المراكز التركية التي لا بد من المرور على مرأى منها بسبب عدم اعتراف الحكومة البريطانية بوجودها . وكان اول هذه المراكز هو مركز رأس القايد الواقع على جزيرة بوبيان حيث وجد العلم التركي مرفوعاً ، وفي الساعة ١١,٣٠ وصلت السفينتان «لورانس» و «سفينكس» الى مرسى عند ملتقى خور زبير وام قصر ، وارتطمت السفينة «لورانس» بلطف بلسان الارض عند طرف جزيرة «وربة» الشرقي ، وكانت قلعة أم قصر تُرى محتلة على بعد ميلين او ثلاثة أميال ، الا أنه لم يكن يرى أي علم على السارية أثناء فترة وقوف السفن هناك التي استمرت من الساعة ١١,٣٠ صباحاً الى الساعة ١٢,٣٠ بعد الظهر ، وعندما مرت السفينتان من أسفل خور عبد الله في المساء في طريق عودتهما الى عرض الخليج . كان العلم التركي ما يزال يرفرف على مركز رأس القيد ، ووصلت السفينتان الى مدخل خور موسى في الساعة ١١,٣٠ من مساء نفس اليوم . وفي الساعة ٦,٣٠ من صباح اليوم الاول من ديسمبر اختُبر عمق المرسى هناك ، وكان المد وقتها كاملا تقريباً ، وتابعت السفينتان «لورانس» و «سفينكس» الدخول الى خور موسى ، وحدث بعض التأخير نتيجة للبحث عن المجرى. وعند التغلب على هذه الصعوبة اندفعت السفينتان أعلى خور موسى بأقصى سرعتهما الى نقطة التقائه مع خور «جنافة» . وسارتا مسافة قصيرة أعلى فرع هذا الخور ، وفي المساء التقت السفينتان «لورانس» و «سفينكس» مع بقية الاسطول عند تقاطع خط عرض ٤٨َ ٢٩ْ شمالا وخط طول ٨َ ٤٩ْ شرقاً .

نتائج الاستطلاع

ونتيجة لرحلات الاستكشاف هذه تلقى الرائد «برتون» نائب القنصل في المحمرة أمراً بفحص الاراضي على مشارف بحور موسى ، ثم وجهت بالتالي حكومة الهند رسائل رسمية الى حكومة صاحب الجلالة ، شرحت فيها الأهمية البالغة لهذين الخورين . أما فيما يتعلق خور عبد الله فقد شددت الحكومة الهندية التأكيد على ضرورة اتخاذ الخطوات المطلوبة لتأمين انسحاب الاتراك من جزيرة بوبيان .

الاتصال بشيخ المحمرة

لم تتوفر مناسبة لعقد اجتماع بين نائب الملك وشيخ المحمرة في مقاطعات الاخير ، واعتبر اتخاذ الترتيبات للاجتماع في مكان آخر أمراً غير مجد ، وعلى أي حال فقد ارسل الشيخ خزعل رسالة مجاملة الى لورد «كرزون» عن طريق الرائد «برتون» نائب القنصل في المحمرة وقد رد نائب الملك عليها برسالة ذات لهجة مماثلة .

★ ★ ★

زيارة بوشهر في ٢ و ٣ ديسمبر

الوصول الى بوشهر

كانت بوشهر التي وصل اليها الاسطول في صباح اليوم الثاني من ديسمبر مسرحاً لحدث طارئ ، أدى الى تشويه استمرارية رحلة النائب بعض الشيء . وحتى نتفهم ذلك الظرف يصبح من الضروري شرح الترتيبات التي اتخذت مع الحكومة الايرانية لزيارة نائب الملك الى موانئ الساحل الايراني .

الترتيبات التمهيدية مع البلاط الايراني

افتتح الموضوع اولا في طهران بمذكرة وجهها السير «آ . هاردينج» الوزير البريطاني في ٢٦ سبتمبر عام ١٩٠٣ الى مشير الدولة وزير الخارجية

ايران . وشرح فيها هدف الرحلة التي ينوي اللورد «كرزون» القيام بها وطابعها ، وقد اقترح ان تقام استقبالات مناسبة لمقام نائب الملك من قبل الحكومة الايرانية في الاماكن التي تقع في أقاليمها ، والتي يحتمل ان يزورها . ورحبت الحكومة الايرانية بهذا الاقتراح ، وحوالي التاسع عشر من اكتوبر تم اختيار علاء الدولة حاكم عام فارس في ذلك الوقت ، ليرحب بنائب الملك في بندر عباس نيابة عن الشاه ، وفي اكتوبر اطلع السير «آ. هاردينج» نائب الملك على تفاصيل الترتيبات التي يود ان يقترحها على الحكومة الايرانية وفي ٢٥ اكتوبر عبّر لورد «كرزون» عن موافقته التامة على برنامج السير «آ. هاردينج» ، الذي قبلته السلطات الايرانية أيضاً بدون اعتراض .

وفي ضوء هذه الحقيقة وللصعوبات التي نشأت فيما بعد عند بندر عباس اول مكان سيزوره نائب الملك فقد يكون من اللائق ان نسجل الفقرات الهامة من البرنامج الرئيسي . كان من المفروض أن يأتي محافظ موانئ الخليج الايراني الى مركب نائب الملك ويرافقه الى الشاطئ ، ويستقبله في مكان نزوله على اليابسة حاكم عام فارس ، الذي سيرافقه الى القنصلية الفرعية البريطانية هناك ، ويقوم هذا بأول زيارة رسمية لنائب الملك ، وفيما بعد يرد نائب الملك الزيارة للحاكم العام في دار الحكومة الايرانية هناك ، ويتناول معه في المساء طعام العشاء . وكان من المفروض ألا تكون في لنجة احتفالات ذات اهمية ، وفي بوشهر يقوم محافظ موانئ الخليج بزيارة نائب الملك على ظهر السفينة التي يستقلها ، ومعه الكارجوزار وبقية الرسميين الايرانيين الآخرين . وفي المساء يتناول حاكم عام فارس طعام العشاء مع نائب الملك ، وفي اليوم التالي يدعو حاكم عام فارس نائب الملك الى الشاطئ للغداء او العشاء ، الا أنه لم يكن مقرراً تبادل زيارات رسمية منفصلة . وتم تنفيذ كل الفقرات المتعلقة ببندر عباس .

وفي ٢٥ اكتوبر مثل السير «آ. هاردينج» بين يدي الشاه لتوديعه ،

وقد كلفه صاحب الجلالة ان ينقل الى اللورد «كرزون» تأكيدات جلالته البالغ للسرور الذي يشعر به نحو اعادة اللورد «كرزون» الزيارة لايران . وفي ٢٧ أكتوبر بدأ السير «آ. هاردينج» رحلته من طهران الى الخليج ، ومعه الرائد «دوجلاس» الملحق العسكري في طهران ليلحق بنائب الملك ، تاركاً السيد «جرانت دف» القائم بالأعمال ليقوم مقامه موقتاً . ووصل الوزير البريطاني الى بوشهر في ١٥ نوفمبر وغادرها في نفس اليوم على ظهر السفينة «سفينكس» متوجهاً الى مسقط ، حيث قابل نائب الملك في ١٨ نوفمبر وتداول معه في موضوع الزيارة كما ذكر سابقاً .

التعديلات التي ادخلتها الحكومة الايرانية على البرنامج

وما إن ترك السير «آ. هاردينج» العاصمة الايرانية ، حتى بدأت الحكومة الايرانية في الخروج على البرنامج المتفق عليه ، وشرع علاء الدولة في وضع العراقيل ، ليتنجب استقبال اللورد كرزون في بندر عباس ، اذ قال إنه لا يستطيع الوصول اليها في الوقت المناسب ، وطلب من الحكومة الايرانية مبلغ ٥,٠٠٠ جنيه استرليني حتى يتمكن من أخذ قوة مسلحة كبيرة للحراسة ، الا ان السير آ. هاردينج أبلغ الحكومة الايرانية بأنه يستحب أن يتم اللقاء الاول في بندر عباس بدلا من بوشهر ، واشار الى انه قد نوه عن موضوع الحراسة في السابق ، وبين أنه حيث أنه يمكن أن يقف على جانبي الشوارع جنود من الحامية المحلية ، فلا ضرورة لحرس خاص ، وعلى أي حال ففي ٢٦ اكتوبر وجد السير «آ. هاردينج» نفسه مضطراً قبل ان يغادر طهران لارسال تلغراف الى نائب الملك ليستفسر منه عما اذا كان بامكانه ان يزور بوشهر قبل بندر عباس ، لان حاكم عام فارس سيسافر اليه مع حاشية كبيرة ويطلب مزيداً من الوقت لينجز استعداداته . وقد رد اللورد «كرزون» على هذه البرقية في ٢٨ اكتوبر يقول فيها انه من المستحيل ان يغير ترتيب الرحلة لما قام به فعلا من ارتباطات ، وفي ٢٩ اكتوبر أصبح موكداً أن حاكم

عام فارس سوف لا يقابل نائب الملك في بندر عباس ، وصار في حكم الضرورة الموافقة على استقبال محافظ موانئ الخليج لنائب الملك هناك ، وبناء على ذلك ابلغت الحكومة الايرانية السيد « جرانت دف» رسمياً في طهران في ١١ نوفمبر ان سالار المعظم محافظ موانئ الخليج سيستقبل نائب الملك في ٢٢ نوفمبر في بندر عباس ، وان علاء الدولة سوف يستقبله في ٢ ديسمبر في بوشهر . وقد رأينا أن سالار معظم قد قابل اللورد «كرزون» في بندر عباس فعلا طبقاً لهذه الترتيبات ولكن فخامته لم يتزل الى اليابسة كما كان سيفعل لو أن حاكم عام فارس كان موجوداً كما كان مقرراً أولا .

أما التعديل الثاني الذي رغبت الحكومة الايرانية في ادخاله على البرنامج ، فكان اكثر خطورة ، وقد أدت جهودها في الحصول على هذا التغيير الى ان وجد اللورد «كرزون» نفسه مضطراً الى ان يلغي نزوله الى البر في بوشهر ، وكانت الخطوة الاولى عرضاً قدمته الحكومة الايرانية في ٢٧ أكتوبر ، اليوم الذي غادر فيه الوزير البريطاني طهران ، بأن تقدم الحكومة الايرانية مكاناً يحل فيه نائب الملك في بندر عباس ، وآخر في بوشهر ، وتدل العمليات التي قدم فيها العرض على ان الحكومة الايرانية تتوقع ان يقيم نائب الملك على اليابسة أثناء مدة وجوده في كلا المدينتين ، بدلا من بقائه على ظهر سفينته ، وطلب «كرزون» بالتالي من السير « آ. هاردينج» ان يشرح للحكومة الايرانية الاسباب التي تجعل من الصعب عليه ان يتخذ له مسكناً ثابتاً على الشاطئ ، الا أن الحكومة الايرانية واصلت الحاحها على العرض الذي قدمته ، وطلبت في ٢٨ أكتوبر ان يقبل نائب الملك البيت الذي يودون تأمينه له وان يعتبره مقراً رسمياً له لاستقبال الزوار على اليابسة . وانتهت دعوتهم ، كما جاء في تقرير القائم بالاعمال البريطاني في طهران ، بعبارات ذات دلالة وهي : « وهذا سوف يمكن حاكم عام فارس من ان يؤدي لنائب الملك زيارته الاولى ، فاذا لم يكن لنائب الملك مقر رسمي تكون الحكومة الايرانية

قد زودته به فانها ترجو ان يغير في البرنامج ما يلي، يستقبل حاكم عام فارس نائب الملك في مكان نزوله ، يتوجه الاثنان معاً الى دار الحكومة الايرانية حيث يستقبل الاول نائب الملك » .

وكان هذا اول دليل على أن القضية في نظر الحكومة الايرانية لم تكن مجرد قضية مجاملة بل غير ذلك ، وعندما طلبوا رداً مباشراً على عرضهم المذكور ، أصبح من الواضح أنهم يعلقون بعض الاهمية على اقراره . وفي ٢٩ أكتوبر اوصى السير « آ. هاردينج» اثناء وجوده في كاشان على طريقة الى بوشهر توفيراً للمناقشة ان يقبل اللورد «كرزون» صورياً على الاقل منزلا حكومياً على الشاطئ في بوشهر ، يتقبل فيه زيارة الحاكم العام الرسمية له . وقرر نائب الملك في نفس اليوم العمل بهذه التوصية ووافق أيضاً على الاقتراح الذي قدمته الحكومة الايرانية في يوم ٢٨ بأن يرافق علاء الدولة الى دار الحكومة الايرانية هناك .

المباحثات

وفي ٣٠ أكتوبر القي ضوء أكثر على موقف الحكومة الايرانية من خلال الرسالة الشفوية التي بعث بها مشير الدولة الى السيد «جرانت دف» القائم بالأعمال في طهران ، بما معناه أن الحكومة الايرانية تتوقع من نائب الملك أن يقوم هو بالزيارة الاولى ما لم يكن له مقر رسمي قدمته له الحكومة الايرانية ، وقد أثار هذا الاقتراح احتجاج السير «آ. هاردينج» الذي وصل في طريق رحلته الى أصفهان ، وحاول مشير الدولة عند تسلمه رسالة الوزير التي بعث بها اليه من هذا المكان في ١٢ نوفمبر أن يتنصل من رسالته الى السيد « جرانت دف » وكانت ايضاحاته غير ممكنة التصديق لأن الرسالة نقلت الى القائم بالأعمال عن طريق نواب حسين كولي خان الموظف في وزارة الخارجية الايرانية ، وهو نفس الشخص الذي أشار على « جرانت دف » بكتابة برقيته ، وحمل منها نسخة ليسلمها لرئيسه .

وفي ٢ نوفمبر عرف ان حاكم عام فارس سوف ينزل أثناء اقامة لورد « كرزون » في بوشهر في بيت يبعد خمسة أميال عنها ، ويتصل مع المدينة بطريق ردئ جداً . وأنه يعتزم أيضاً ان تقام المأدبة التي سيقيمونها على شرف لورد «كرزون» في هذا المكان غير المريح اطلاقاً . وعندما علم نائب الملك (الذي كان الآن يعاني من وعكة ألمت به) بهذه الظروف أعلن انه ما لم تكن المأدبة في دار من الدور الرسمية في مدينة بوشهر فانه سيستغني عن هذه المجاملة تماماً .

وتبين فيما بعد ان الدار التي اختارتها الحكومة الإيرانية لاقامة نائب الملك على الشاطئ كانت تعرف بدار مدحت الدولة أو (الملك) في ريشهر(١) ويصعب الوصول اليها من بوشهر ، وفي ٢٢ نوفمبر استفسرت الحكومة الايرانية عما اذا كان نائب الملك يفضل هذه الدار او دار الحكومة الايرانية في بوشهر ، المعروفة عامة باسم (تشهاربورج) ، وأشار مشير الدولة بلا غموض في سياق هذا السؤال بأنه يأمل أن يقع الاختيار على دار مدحت الدولة . وفي ٢٥ نوفمبر أجاب السير «آ . هاردينج » نيابة عن لورد «كرزون» على استفسار الحكومة الإيرانية المقدم في٢٢ نوفمبر ، برد أوضح فيه ان دار مدحت الدولة غير مناسبه واقترح بأنه ما لم يؤمن البيت الذي سيحل فيه نائب الملك في مدينة بوشهر ذاتها ، فان على علاء الدولة ان يؤدي زيارته الرسمية للورد «كرزون» على ظهر السفينة ، او على الافضل في دار المعتمدية في بوشهر . وفي اليوم التالي السادس والعشرين صدرت اوامر الحكومة الايرانية بتجهيز تشهاربورج لاستقبال فخامته فيها ورغم ذلك ففي ٢٧ من نوفمبر نقل تلميح بشكل غير مباشر الى السير « آ . هاردينج» بأن الشاه قد يستاء اذا وقع الاختيار على تشهاربورج بدلا من دار مدحت الدولة ، وربما يعزى ذلك الى نصح الوزير ، ومما يجدر ملاحظته ان السير « آ . هاردينج»

---

(١) مدحت الدولة أو ملك التجار كان محافظا سابقا لموانيء الخليج .

لم يكن يتوقع أية متاعب حول الترتيبات في بوشهر لدي مقابلته لورد «كرزون» في مسقط ، وفي الحقيقة فان الازمة لم تأخذ شكلا خطيراً ، الا عند الوصول الى بوشهر .

وفي ٣٠ نوفمبر وصل العميد «كيمبول» الى بوشهر قادماً من الكويت ، واجتمع مع علاء الدولة ومساعده نواب حسين كولي خان مأمور مكتب علاء الدولة للشؤون الخارجية ، وقد ورد ذكره في السابق، وينتمي هذا الشخص الى عائلة ذات علاقات مع الهند ، وشغل منصب السكرتير الاول في المفوضية الايرانية في لندن لعدة سنوات وكان يتكلم الانجليزية والفرنسية ورافق الشاه في رحلته الى اوروبا عام ١٩٠٢ ، ثم الحق في الظرف الحالي بحاكم عام فارس كممثل لوزارة الخارجية الايرانية . وصرح علاء الدولة في اجتماعه هذا مع العميد «كيمبول» ، أن لديه اوامر واضحة من حكومته ومن الشاه ، تمنعه من زيارة نائب الملك في المعتمدية البريطانية ، بينما اوضح « كيمبول » من جانبه الى أنه ما دام علاء الدولة نفسه كان يشغل جهاربورج وقتئذ ، فلا يمكن ان يعتبر هذا المكان مقراً خاصاً لنائب الملك ، وان تبادل الزيارات بين الاثنين وهما يحتلان نفس البناء لن يزيد عن كونه مهزلة .

ثم تناول البحث ترتيبات اختيارية عديدة ، واخيراً اقترح أن يقع الاختيار على دار في بوشهر على واجهة قرب المعتمدية البريطانية ، كان يحتلها آخر كارجوزار ، ويمكن ان تعد لاستعمال نائب الملك وتسمى «الاميرية» ، وكان قد بناها داريا بابيجي محافظ موانئ الخليج السابق وسكنها ، وبناء على هذا الاقتراح ، وعد علاء الدولة باستشارة مشير الدولة في الحال برقياً لان الشاه الآن في «قُم» ، ولذا ليس بالمستطاع الحصول على اوامره الشخصية بعد الآن . ثم قام « كيمبول » في نفس الوقت بابلاغ نائب الملك بأن علاء الدولة يبذل جهوداً بالغة في تأمين وسائل الراحة المناسبة لمكان النزول على اليابسة ، وفي تجهيز الجهاربورج .

في اليوم الاول من ديسمبر قابل السيد «جرانت دف» في طهران مشير الدولة الذي أبلغه أن من المستحيل ان يزور حاكم عام فارس نائب الملك في المعتمدية البريطانية ، وانه ارسل الى علاء الدولة برقية يوجهه فيها بأن يعد لاقامة نائب الملك بيتاً آخر يؤدي له حاكم عام فارس الزيارة الاولى فيه او أن يصل نائب الملك عند وصوله الى جهاربورج ويتلقى هناك زيارة المسئول الايراني . واضاف مشير الدولة الى ذلك ان الشاه قد صدق على البرنامج ولا يمكن تعديله أكثر من ذلك ، ولا يمكن السماح بنزول الورد «كرزون» الا في بيت ايراني بصفته ضيفاً على الشاه . وعقد في نفس اليوم مقابلة أخرى في بوشهر بين العميد «كيمبول» وعلاء الدولة الذي أعلن أن «الاميرية» التي كانت تحتلها الجمارك الامبراطورية الإيرانية قد اختيرت كمقر رسمي لنائب الملك وان علاء الدولة سيرافق اللورد «كرزون» من جهاربورج اليها ويؤدي له الزيارة الاولى ، ولما ضاق سالار معظم بالطريقة التي تدور فيها الامور ادعى المرض وطلب مساعدة جراح المعتمدية البريطانية .

قرار نائب الملك بعدم النزول في بوشهر

هكذا كانت الاوضاع عندما وصل لورد «كرزون» الى مشارف بوشهر في ٢ ديسمبر وفي الحال اوضح السير « آ. هاردينج» الامور له ولم يكن بالامكان تجهيز الاميرية الآن ، ولم يكن هناك اي تفكير في أن يقيم لورد كيرزون مع علاء الدولة تحت سقف واحد حيث سيصبح المعتقد في ايران ان الممثل الايراني لم يقم بزيارة نائب الملك ، وبعد ان تشاور الجانب البريطاني قرر أنه ما دامت الحكومة الايرانية لم تقدم بيتاً مناسباً فقد صار من المحتم التقيد بروح البرنامج الاصلي الذي ارتبط به علاء الدولة بتأدية الزيارة لنائب الملك في بناء القنصلية البريطانية ، وتبعاً لذلك بعث السير « آ. هاردينج» برقية الى السيد «جرانت دف» يبلغه فيها أنه بناء على رغبة نائب الملك أبلغ علاء الدولة ، بأن اللورد «كرزون» سوف يجد لزاماً عليه بكل احترام ان يمتنع عن النزول الى اليابسة في

بوشهر ما لم يتلق تأكيداً بأنه سيستقبل بالتشريفات المطابقة للمراسم المعتادة التي يستقبل بها . وبناء على ذلك فقد أجل الاستقبال ، وطلب من السيد «جرانت دف» أن يقدم الاحتجاجات الدبلوماسية الضرورية في طهران ، فتوجه في الحال لزيارة مشير الدولة الذي تظاهر هو الآخر بالمرض ، ولم ينجح القائم بالاعمال البريطاني الا في رؤية ابنه الذي اعترف بأن عين الدولة تلقى اوامر الشاه الشخصية بأن يمنع علاء الدولة من مرافقة نائب الملك الى المعتمدية البريطانية ، او أن يؤدي له الزيارة هناك ، ثم ذهب في طلب عين الدولة ، الا أن هذا الموظف تملص من الزيارة رغم ان السيد « جرانت دف» بقي ملازماً بيته حتى العاشرة مساء . وفي نفس اليوم، بناء على اوامر برقية من السير آ. هاردينج كتب جرانت مذكرة الى مشير الدولة ، يبلغه فيها ان نائب الملك قد اوضح لحاكم عام فارس عن طريق المقيم السياسي البريطاني ان رفض الحكومة الايرانية القطعي السماح لزيارة المجاملة العادية الاولى في المعتمدية السياسية جعلت القضية قضية مبدأ يتضمن كرامة حكومة صاحب الجلالة ، ولا يستطيع صاحب الفخامة ان يتساهل فيها ، ومراعاة لذلك فان نائب الملك اضطر أن يتخلى عن فكرة النزول في بوشهر ، وانه سوف يبحر الى الهند في مساء اليوم التالي . وقد بقيت هذه المذكرة دون اجابة حتى ٥ ديسمبر مع العلم ان الاسطول غادر بوشهر في مساء ٣ ديسمبر .

أسباب القرار

ترجع اسباب عرض « الاميرية » الى أن التغيير سوف يؤدي قبوله الى تهديد كرامة نائب الملك في نظر الشعب الإيراني ، كما أنه كان مناورة لاغراء نائب الملك بأن يؤدي الى علاء الدولة زيارة اولى ظاهرياً في تشهاربورج ، وكان لزاماً لتوضيح هذه الكرامة ان يصر على أن تكون اول زيارة ايرانية رسمية في المعتمدية البريطانية ، وقد خفف من حدة الرفض عرض اللورد «كرزون» من جانبه بأنه سيستعمل أياً من الاميرية او تشهاربورج بعد تبادل الزيارات الرسمية .

الصعوبات الاخرى (١)

وقد دخل في المناقشة موضوعان آخران ساعدا على زيادة خطورة الخلاف يتعلق أولهما باجراءات التحية رغم أنه لم تنشأ أية صعوبات تتعلق بالتحية في بندر عباس ، فقد حيت بارجة أمير البحر البريطانية الميناء باطلاق ٢١ طلقة ردت عليها السفينة الحربية الإيرانية «برسيبوليس» بعدد مماثل كما حيا الايرانيون نائب الملك باطلاق ٣١ طلقة وعندما استقبل سالار معظم على ظهر السفينة «هاردينج» حيته المدافع مطلقة ١٧ طلقة ، وقد طلب البريطانيون اول الامر بالنيابة عن نائب الملك بأن يُحيّا باحدى وثلاثين طلقة في بوشهر ، اذ كان هذا هو العدد الذي يطلقه حكام الممتلكات الفرنسية والبرتغالية في الهند تحية له ، إلا أن الحكومة الايرانية اشترطت السماح باطلاق ٣١ طلقة تحية لنائب الملك عند وصوله وان يطلق تحية لحاكم عام ايران نفس العدد عندما يزور أياً من السفن البريطانية ، ولم يكن عند لورد «كرزون» اعتراض على هذا الشرط ، الا ان لوائح البحرية البريطانية لم تكن تسمح بأكثر من ١٩ مدفعاً ، تُطلق على شرف الحاكم العام الايراني ، وبذا تحتم رفض هذا الشرط ، وقبل لورد كرزون أن يُستَقبَل بواحد وعشرين طلقة وهو العدد الذي اقترحته الحكومة الايرانية أصلا . أما النقطة الثانية والتي أدت الى الصدام ، فكانت الاقتراح الذي قدمه البريطانيون لعلاء الدولة ، بأنه بدلاً من أن يؤدي زيارته الاولى لنائب الملك في المعتمدية يمكن تأديتها على ظهر السفينة «هاردينج» . ولم يشددوا على هذا الاقتراح ، الا أن علاء الدولة حرفه عندما نقله الى حكومته ، ووصفه بأنه طلب تعسفي أن يفرض عليه الصعود الى ظهر سفينة نائب الملك ، «مثل سلطان مسقط» ، وقال

---

(١) في عام ١٩٠٦ تأكد ان العادة كانت أن يقوم حاكم موانىء الخليج دائما بالزيارة الاولى الى أمير البحر البريطانى في المعتمدية البريطانية في بوشهر عندما يصل هذا اليها ، وفي ابريل عام ١٩٠٦ ذهب الحاكم الى أبعد من ذلك بتاديته الزيارة الاولى الى نائب أمير البحر السير « اي· يو » على ظهر السفينة البريطانية ·

في تحريفه أيضاً ان السلطات البريطانية قدمته على أنه شرط لا بد منه لنزول نائب الملك الى اليابسة ، هذا بالاضافة الى ان علاء الدولة فاته أن يرد الزيارة الرسمية التي قام قائد الاسطول البريطاني بها له .

المناقشات التي تلت ذلك

وفي الحال أصبح الموضوع رغم انتهائه مدار مساجلات دبلوماسية فورية استهلتها الحكومة الايرانية في ٩ ديسمبر عندما قام الوزير الايراني في لندن بابلاغ اللورد «لانزداون» بوجهة نظر حكومته بالحقائق كما نقلت إليه ، وطلب ان يلفت نظر فخامة اللورد الى التصرف الشديد الفظاظة من جانب نائب الملك ، والذي من شأنه أن يسيء اساءة بالغة للعلاقات بين الحكومتين » .

ولا ضرورة لتدوين التفاصيل الدقيقة للمجادلات التي تلت ذلك . وكان رأي حكومة صاحب الجلالة الذي وصل في ١٢ يناير عام ١٩٠٤ هو ان الامر لم يكن طلب الاعتذار الرسمي من الحكومة الايرانية . فأولا لم يكن ممكناً طبقاً للعرف الدولي ان يُطالب نائب الملك بضرورة استقباله كممثل للملك ، عندما يقوم بجولة له في ممتلكات ملك مستقل يوجد في بلاطه بالفعل ممثل معتمد لملك بريطانيا ، وكل ما يمكن طلبه أن يعامل بالتكريم والاحترام اللائقين بالوظيفة التي يشغلها والمعتبرة من أعلى الرتب . ومن ناحية أخرى فانه لا توجد سابقة للادعاء بأنه على الحاكم الايراني ان يتولى توصيل ممثل دولة أجنبية ، او موظف من أية رتبة الى قنصلية بلاده ، ويؤدي له هناك اول زيارة ، بل على العكس فان التشريفات التي أصر عليها الشاه تطابق تماماً ما جاء في نصوص بروتوكول تركمانشاي فيما يتعلق باستقبال السفراء الاجانب في ايران . وفضلا عن ذلك يصعب القول بوجود أي نقص في المجاملة والتكريم في برنامج اقترحه الشاه وقبله اللورد «كرزون» بمجموعة من قبل ، ولن يكون من غير الطبيعي ان يشعر الشاه ان قبول برنامج التشريفات الذي يرغب فيه

قد يجعله يبدو كأنه يعترف بما يطلبه نائب الملك من مكانة رفيعة في جزء من ايران . وفوق ذلك فان شكل التشريفات في بوشهر سيكون سابقة يجب تطبيقها عند استقبال الحاكم العام الروسي في شمال ايران .

وتبعاً لما ذكر ، سلمت حكومة صاحب الجلالة في ٢٥ يناير مذكرة الى الوزير الايراني في لندن ، جاء فيها أنها لا ترى جدوى في بحث تفاصيل الحادث ، وانها تقدر تماماً رغبة الشاه في ان يستقبل نائب الملك استقبالا لائقاً مشرفاً وأنها تأسف بشدة لان رغبة جلالته الامبراطورية لم تتحقق ، بسبب صعوبات واعتراضات محلية وهي تعتقد في نفس الوقت بأن الترتيبات التي اتخذت في بوشهر لا تتفق تماماً مع رغبات الشاه الودية . وتعتبر ان المسؤولية في سوء الحظ والفشل تعود الى السلطات الايرانية ، كما لفتت النظر الى اغفال علاء الدولة رد الزيارة لامير البحر البريطاني .

الا أن الحكومة الايرانية لم تقبل بوجهة النظر هذه وأعيد فتح باب النقاش فوراً عقب بيان لورد بيرسي في مجلس العموم البريطاني في ٣ فبراير عام ١٩٠٦ الذي جاء فيه « ان شكل التشريفات الذي رتب أصلا بين الحكومة الايرانية ووزير صاحب الجلالة في طهران قد عدلته الحكومة الايرانية من حيث تفاصيل معينة قبل وصول نائب الملك الى بوشهر » . وان « الرغبة والعزم اللذين عبر عنهما صاحب الجلالة الشاه لاظهار الود والتكريم لنائب الملك ، لم تتحقق للاسف نتيجة ترتيبات محلية » . وقد اشارت الحكومة الايرانية رسمياً في ٢٢ فبراير عن طريق الوزير الايراني في لندن الى اختلافها مع مذكرة لورد «لانزداون» في ٢٥ يناير ، وان وجهة نظرها تلقي مسؤولية حادث بوشهر على الرسميين البريطانيين .

رسالة الملك ادوارد الى الشاه

وعرض الامر عندئذ على صاحب الجلالة الملك ادوارد الذي تلطف بالموافقة على مذكرة لورد «لانزداون» بتاريخ ٢٥ يناير ، وأمر بنقل

رسالة خاصة منه الى الشاه ، وقد أكد في رسالته هذه على مشاعر الصداقة التي تربط الامتين ، واشاد بالاستقبال الودّي الذي جرى لنائب الملك في بندر عباس ، واشار تلميحاً أيضاً الى انه غير قادر ان يعتبر طلبات لورد «كرزون» والسير « آ. هاردينج» بخصوص التشريفات في بوشهر متجاوزة ما هو مناسب ، وان نائب الملك كان على العكس على حق عندما قرر بأن ما قدم له من اختيارات لم يكن مما يمكن قبوله . الا أنه أضاف أنه بالنظر للصداقة المتوفرة لحسن الحظ بين البلدين ، فانه من الخطأ ان يجعل من الحادثة موضوعاً للمناقشة المطلوبة . وحوالي ٢٣ مارس قابل علاء السلطنة الوزير الايراني في لندن جلالة الملك ، وأبلغ هذه الأفكار وارسلت الرسالة نفسها الى السير «آ. هاردينج» ليسلمها الى الشاه ، وعندما قدمها هذا الى مشير الدولة ، حيث روئي أنه ليس من الضروري اجراء مقابلة خاصة مع الشاه لتسليمها ، تبين فيما بعد ان الوزير الآيراني في لندن قد نقل الى حكومته فكرة خاطئة عن مغزاها ، لذا بذلت السلطات الايرانية جهودها للحصول على تعديل لعباراتها ، وطبعاً رفض هذا الطلب ، وواصل الوزير البريطاني في طهران تجنب استعمال أي تعبير من شأنه ان يؤول على أنه اعتذار . وهكذا انتهى الامر .

تحريفات الحكومة الايرانية

وبينما كانت هذه المباحثات دائرة ، لم يترك الرسميون الايرانيون وسيلة لترويج وجهة نظرهم الا واتخذوها ، اذ ظهر بعد مغادرة اللورد «كرزون» بقليل مقال في الجريدة الايرانية مظفري التي تصدر في بوشهر ، جاء فيه أنه كان على نائب الملك طبقاً للترتيبات المتفق عليها ان يزور علاء الدولة اولا في تشهاربورج وان يرد الاخير الزيارة في «الاميرية» ، وقدم كل الحادث كنموذج شديد الوضوح لسوء النوايا البريطانية ، وكان من المعتقد ان المقال قد نشر بايعاز من علاء الدولة ، الا أن سالار معظم لم يظهر اعتباراً كبيراً لرئيس التحرير ، فقد قبض

عليه وضربه (بالفلقه) في ١١ ديسمبر . وفي ٢٥ يناير عام ١٩٠٤ ارسل وزير الخارجية الايراني برقية «بالشفرة» الى يمين النظام في سجستان تروي رواية محرفة لترتيبات زيارة نائب الملك لبندر عباس وبوشهر بعد اخفاء عدد من التفاصيل المعينة ، وتعزو فشل الزيارة الى اصرار اللورد «كرزون» على ان ينزل في المعتمدية البريطانية بدل البيت الذي وفرته له الحكومة الايرانية وعلى ان يوصله علاء الدولة الى هناك . وفي بداية مارس عام ١٩٠٤ تسلم يمين النظام رسالة خطية أخرى جاء فيها بيانات كاذبة أخرى تقول بأن نائب الملك قد طلب ان يصعد علاء الدولة الى سفينته ويوصله منها الى الشاطئ مثل ما فعل إمام مسقط » ، وكانت هذه الرسالة على شكل نشرة وجهها وزير الخارجية الايراني الى جميع السفراء والوزراء الايرانيين المعتمدين في البلاطات الاجنبية ، ومؤرخة بتاريخ ١٤ يناير عام ١٩٠٤ . واخيراً في ١٢ يوليو عام ١٩٠٤ ابرق وزير الخارجية الى يمين النظام برقية يقول فيها « ان ملك انجلترا قد عبر شخصياً عن أسفه للوزير الايراني في لندن ويمكن اعتبار الحادثة منتهية» .

نوايا الحكومة الايرانية الحسنة

مما لا يتطرق اليه الشك ان الحكومة الايرانية كانت تنوي في الاصل ان تستقبل نائب الملك استقبالا مشرفاً جداً . ومن غير المشكوك فيه بأن الزيارة كانت قاب قوسين او أدنى من ان تحقق نجاحاً فريداً لم يسبق له مثيل ، ولقد ظهر مقال في ٣ نوفمبر في جريدة «ايران» التي تصدر في طهران اوضح حالة الشعور العام الودي في ايران في البداية ، وكان علاء الدولة الذي انتدب ليقابل نائب الملك كاجار العائلة الملكية الايرانية ، وقد أحضر معه زيادة في تكريم نائب الملك ٢٫٠٠٠ رجل من شيراز ، عدا عن العديد من رؤساء القبائل في جنوبي إيران ، كما انه أنفق ببذخ للزينات ، والاستعدادات الاخرى في بوشهر . وقد جاء في البيان الذي أعده مشير الدولة فيما بعد ، بان الترتيبات كانت قد اتخذت لكي يتلقى نائب الملك برقية شخصية من الشاه ينعم عليه فيها بوسام

«تمسال» ، المرصع بالجواهر ، والذي يمنح عادة للسفراء الخصوصيين ، أثناء المأدبة التي يقيمها علاء الدولة على شرفه .

وكان يبدو أنه من المتوقع بعد الحادثة ان يكون علاء الدولة كبش الفداء ، اذ أنه أبدى علامات انزعاج كبيرة ، واختفى من بوشهر فجأة في ٩ ديسمبر عام ١٩٠٣ ، وأشاع انه ذهب الى البصرة ولكن عاد بشكل مفاجئ في اليوم التالي . وفي فبراير عام ١٩٠٤ ، استدعى في عمل الى طهران ، وخلال هذه السنة فقد موقتاً وظيفته في الحكومة ولم يعرف سبب ذلك .

ومما يجدر ذكره ان الشاه قد تصرف مع السير «آ.هاردينج» بغاية اللطف أثناء المقابلة التي تمت في نهاية يناير عام ١٩٠٤ بعد رجوع الاخير الى طهران بقليل ، كما انه استفسر بود عن نائب الملك دون الاشارة على الاطلاق لما حدث في بوشهر .

تفسير ونتائج الحادثة

من الممكن ان يعزى جزئياً سوء الحظ في بوشهر الى الاعتراض الذي سبق الحادث بعدة ايام قلائل ، والذي قدمته السلطات البريطانية الى الحكومة الايرانية بخصوص سجستان ، والذي اقتضته الضرورة وقتذاك وجزئياً الى الخوف الذي تغلب على الشاه تدريجياً من ان استقبال لورد كرزون بالطريقة التي كان يرغب فيها نائب الملك قد يمكن تأويله فيما بعد بأنه اعتراف من السلطات الايرانية بتمتع اللورد «كرزون» نائب الملك في الهند بوضع استثنائي بالنسبة لساحل جنوبي ايران ، وجزئياً الى التحريف المقصود الذي قام به علاء الدولة الذي كان مأخوذاً بفكرته المتضخمة عن مدى اهميته . ومن الممكن أيضاً ان تكون زيارة نائب الملك الى هرمز وقشم وهنجام قد خلقت أثراً على الايرانيين لم يخطر على بال .

وعلى العموم فان الحكومة الايرانية التي كانت تمثل دور الطرف

الذي لحق به الضرر ، وان لم تستطع الحصول على ما كانت تسعى اليه من تعويض ، يجب اعتبارها الخاسرة في هذا النزال الدبلوماسي ، وربما ادى فشل زيارة بوشهر الى رضى بعض الجهات ، فقد تلقى علاء الدولة رسالة من القنصل الروسي العام ، لم يهتم باخفائها ، هنأه فيها على الصفعة القوية التي ضربها ، في سبيل تأكيد استقلال إيران . ولقد ورد ، في تقرير صاحب العظمة أغا خان بومباي ان الاوساط غير الرسمية في ايران قد استاءت جداً من فشل زيارة بوشهر وأنها عزّت عمل الحكومة الايرانية الى النفوذ الروسي(١) .

وعوداً على بدء ، بعد هذا الاستطراد الطويل ، استقبل نائب الملك على ظهر السفينة «هاردينج» بعد ظهر ٣ ديسمبر وقبل مغادرته بوشهر قابل وفداً كبيراً من رعايا بريطانيا المقيمين هناك وألقوا امامه خطاب ترحيب احتوى الفقرات التالية :

وفد الرعايا البريطانيين وخطاب لورد كيرزون

ترجوان يسر فخامتكم منا نحن البريطانيين ، والهنود البريطانيين من رعايا صاحب الجلالة الملك ادوارد السابع امبراطور الهند تقدمنا لكم في هذه المناسبة السعيدة المشهودة ، ترحيبنا اللائق بفخامتكم في برشهر ، وان نعبّر عن الامتنان الذي نكنّه لفخامتكم لتفضلكم بزيارة هذه الشواطئ .

ونحن كسكان في بوشهر –اشهر مركز تجاري في الخليج ، ومقر للتجارة البريطانية فيه (منذ عام ١٧٦٣)– نشعر عندما ندعي باننا نرحب بفخامتكم نيابة عن جميع رعايا الجالية البريطانية في منطقة جنرب ايران كله ، بأن هذا الادعاء لا يتعدى الواقع .

وانك يا فخامة اللورد ستلاحظ دون شك انه ليس لبوشهر الكثير

---

(١) بعد أربع سنوات أصبح التدخل الروسي حقيقة لا تحتاج الى برهان.

من يسر الطبيعة بما يؤهلها لان تصبح مرفأ أو ميناء تحط فيه سفننا البخارية ، مع انها في نفس الوقت نقطة البداية لطريق القوافل الرئيسية التي تمتد من هنا مخترقة داخل ايران ، وانها منذ أكثر من قرن مركز المقيم في الخليج (الموظف الذي يعمل تحت امرتكم) وهي كلها عوامل اكسبتها أهمية خاصة من الناحيتين التجارية والسياسية .

ولقد شعرنا في السنوات الاخيرة بحدة قسوة المنافسة الخارجية ، وأصبحنا في وقت من الاوقات نخشى الى حد ما نسيان مصالح للتجارة البريطانية هنا ، ولذا كان للعمل الاخير الذي قامت به حكومة صاحب الجلالة أحسن الوقع في نفوسنا ، وذلك عندما عقدت مع ايران الاتفاقية التجارية المنفردة ، والتي منع بموجبها تغيير التعرفة الجمركية دون موافقة حكومة صاحب الجلالة . ونحن اذ نرحب هنا بفخامتكم ، نعتبر هذه الزيارة دليلا على ان مصالحنا لم تهمل . مع أن هذا الدليل تأخر بعض الوقت . ويمكن ان نشير في هذه المناسبة الى البعثة التجارية الحالية في بوشهر ، والى الفوائد التي حصلنا عليها من خدمات البريد التي أصبحت أكثر سرعة ، وقد قدمنا لفخامتكم الشكر عليها فيما سبق ، ويعتبر ذلك في اعتقادنا أدلة أخرى على سرعة تأثر حكومة صاحب الجلالة بما يمس سعادتنا .

ونعتقد ان هناك العديد من النقاط التي تستحق الاعتبار ، وتتعلق بالمصلحة نود ذكرها لفخامتكم ، مثل حاجتنا الى تسهيلات في الميناء بالاضافة الى ما يزعجنا من الترتيبات غير الكافية عند تنزيل وتسليم الشحنات منه ، وكذلك الحاجة الماسة الى تحسين طرق القوافل الممتدة الى الداخل ، وحبذا لو ان الحكومة الايرانية تتبنى برنامجاً للاصلاح ، ولدينا ما يبرر اعتقادنا بأن مثل هذا البرنامج قد شغل بعض الوقت انتباه مستشاريها من الاوروبيين . وذلك حتى يؤمن لنا تسديد الديون التجارية بسرعة وفعالية أكثر ، نظراً لبطء الاجراءات المطبقة الآن ، وللتصادم الواضح بين السلطات ذات العلاقة المشتركة ، وبالتالي صعوبة الحصول

على تنفيذ الاحكام حتى بعد صدورها ، ونحن نثق ان برنامج الاصلاح الذي كانت لنا الجرأة على ذكره سوف يعمل بعض الشيء على معالجة هذه المساوئ .

وانه لمصدر سعادة خاصة لنا ان يكون فخامتكم هو اول نائب للملك في الهند يزور الخليج ، وخاصة لما نعرفه عن فخامتكم من اهتمام بالغ بشؤون ايران ، اذ انكم تعرفونه وسياسته حق المعرفة أكثر من غيركم ، وان الكتاب الذي ألفه فخامتكم عن ايران منذ ١٣ سنة ما يزال يحتفظ بمكانته كعمل نموذجي لا مثيل له في أية لغة ، ومن هنا فاننا نعتبر أن هذه الزيارة قد جاءت كبرهان ساطع يؤكد أن اهتمام فخامتكم بهذه البلاد بقي كما هو دون ان يعتريه فتور . واذ سمح لنا القول فاننا نضيف الى ذلك بأن اهتمامكم منحنا تشجيعاً خاصاً في مساعينا للاحتفاظ بتفوق التجارة البريطانية في الخليج وجنوبي ايران .

اننا ننتهز هذه المناسبة لنعبر عن تقديرنا البالغ للمساعدات القيمة التي نحصل عليها من مقيمنا السياسي المحترم الرائد كيمبول الذي يرعى المصالح البريطانية وشؤون تجارتها .

وفي الختام نكرر لفخامتكم أشد الترحيب وأكرمه ، واننا على ثقة من ان رحلة فخامتكم في هذه المياه تدعو السرور ، وان فخامة اللورد سوف يعود الى الهند بأطيب الذكريات عن هذه الزيارة .

ونرجو ان نقدم أنفسنا لكم نيابة عن الجالية البريطانية والجالية الهندية البريطانية في بوشهر . :

خدام فخامتكم المتواضعون :

اي جنتلمان		
جي. سي. جنينج		
جي. ا. لوس		أعضاء الوفد
و. فان ليبب		
ن. ج. مالكولم		
حاجي حبيب عبد الغني		

بوشهر في ٤ ديسمبر ١٩٠٣

وقد رد اللورد كرون على هذا الخطاب بما يأتي :

أيها السادة : يسرني جداً ان اراكم هنا وان استمع الى خطابكم الودي ، واني آسف لمنعي من استقبالكم على الشاطئ الامر الذي فوت علي فرصة التعرف على عدد أكبر من السكان والتجار البريطانيين المقيمين في هذا المكان الهام .

لقد جاء نائب الملك في الهند الى بوشهر في عام ١٩٠٣ ، وبهذا كان اول شاغل لهذا المنصب يزور هذه المياه خلال مدة وظيفته ، ولقد كانت الذاكرة تدعوني بالحاح الى تذكر من سبقوني من الطلائع قبل قرن من الزمان . ان نائب الملك في الهند يعتبر من الناحية المنطقية والتاريخية في الحقيقة وريث السير جون مالكولم الذي جاء الى هنا غير مرة واحدة منذ مائة سنة مضت بالضبط ، وكان الحلقة الاخيرة في سلسلة متصلة من الشخصيات السياسية التي انتدبت من الهند ، لتمثل المصالح السياسية البريطانية والهندية ولحماية ما يقابلها من مصالح تجارية في هذا البلد المجاور . ومنذ ان عين اول معتمد سياسي عام ١٨١٢ والتجارة البريطانية القائمة هنا تلقى الرعاية لأكثر من نصف قرن ، وحتى منذ عام ١٨٦٣ فان شركة الهند الشرقية قد فتحت مصنعاً في بوشهر . وفي ذلك الوقت كان مركب واحد في السنة كافياً لأن يزود هذا المكان بجميع البضائع البريطانية . وفي عام ١٩٠٢ دخل هذا الميناء ١٣٦ سفينة تجارية . منها ١٣٣ سفينة بريطانية . وفي السنوات العشرين الاخيرة زادت

المستوردات من ١٣٥ لاك ، منها ١١٧ ونصف لاك من بريطانيا والهنـــد الى ٢٠١ وثلاثة ارباع لاك في عام ١٩٠١، منها ١٥٢ ونصف لاك من بريطانيا والهند ، وارتفعت في نفس الفترة مستوردات الشاي من الهند مما قيمته ٦٥ الف روبية ، الى نحو ١٠ لاكات وتوضح هذه الارقام دون شك الاتجاه الذي أخذت تنحوه الحركة التجارية .

ولا يوجد في تاريخ المئة والاربعين سنة هذه ما يبلغ شأوها في تاريخ علاقات هذه السواحل مع أية أمة أجنبية أخرى . ولنا كل الحق في ان ننظر الى هذه الحقبة التاريخية بالفخر ، كما أنه ترتب علينا خلالها التزامات ليس بامكان حكومة بريطانيا او حكومة الهند على السواء ان تتغاضيا عنها او ان تجدا الرغبة لتجاهلها .

ولما كانت بوشهر مركز هذه الصلات القديمة لذا نجد ان المقيم السياسي في هذه المنطقة يبذل أقصى جهوده ليسيطر بهدوء على مياه الخليج ، وعلى القبائل التي تقيم على الشاطئ المقابل . وقد لمست نتائج هذه الجهود في كثير من الفرص خلال جولتي هذه وسررت منها . فمن هذا المكان يبدأ طريق القوافل الرئيسية مخترقة داخل إيران لتمر في مدنها الرئيسية المتتالية حتى تصل الى العاصمة . ومنه أيضاً تمتد أسلاك التلغراف الهندي البريطاني التي وصلت في اولى مراحلها ايران بأوروبا ، وعملت الكثير لتقوية سلطة الشاه على ممتلكاته ، كما حملت الاغلبية العظمى من الرسائل من الهند الى بريطانيا بأسلاك ملقاة تحت سطح البحر . وهنا مقر الموظف الايراني الذي اسندت اليه الحكومة الايرانية منصب محافظ موانئ الخليج ، والذي تربطنا به على الدوام علاقات ذات طبيعة ودية . ومن ناحية أخرى ، ونتيجة للرعاية المشتركة ، استطاعت بريطانيا أن تصل الى هذه الضخامة في التجارة ، وتمهد الطريق البحري في الخليج كما استطاع الايرانيون بالتالي دعم سلطتهم المزعزعة التي قويت الآن . ولقد تحول هذا المكان من قرية لصيد الاسماك الى

مدينة مزدهرة يسكنها ٢٠,٠٠٠ نسمة ، واصبحت مقراً للقنصليات والموظفين الاجانب . كما ان بها أيضاً مكاتب وممثلي الشركات التي تقود التجارة في جنوب ايران وتركيا . ويندر ان يمضي يوم دون ان ترسو عليها سفينة بخارية ، ولقد أحرزت بوشهر شهرة لا نعدو الحقيقة لو قلنا عنها إنها جعلتها معروفة في كل جزء من للعالم .

وكما أشرتم فان هذا التطور سيكون ملموساً أكثر في المستقبل لان كل واحد هنا يجد ويسعى في سبيل تسيير التجارة وسط ظروف ملائمة على الرغم من معاكسة الظروف الطبيعية الامر الذي سوف يجعل من هذا المكان مركزاً أساسياً للتجارة . ان من الصعب ان نصف بوشهر بأنها ميناء طبيعي اذ إن الوصول الى البر فيها صعب ، وغالباً ما يكون غير عملي ، كما ان الطريق التجاري الممتد منها داخل البلاد يعتبر من اصعب الطرق في آسيا . وانكم ايضاً لا تجدون في هذه البلاد شعباً يتمتع بالثروة او بمستوى مرتفع من الرخاء والمدنية ، بل تجدون بدلا من ذلك قبائل متنازعة تحيا حياة بدو رحل ، وحتى عندما تأتون الى الاجزاء المأهولة والمدن الكبيرة فان قوة الناس الشرائية تبدو غير كبيرة . وفي الحقيقة إن التجارة الواسعة المزدهرة التي نمت رغم هذه المعوقات تبرهن بشكل لا جدال فيه على أن إيران تعتمد على مساعدة خارجية في الكثير من ضروريات الحياة وفي معظم الكماليات . وعندما زرت بوشهر لاول مرة منذ اربع عشرة سنة كنت غارقاً في الامل بأن التقدم سيمتد مع الزمن الى جميع هذه الاتجاهات ، واني اتفق معكم في الاعتقاد بأنه في استطاعة الحكومة الايرانية الاعتماد على اصلاح الطرق البرية والبحرية التي تتصل بهذا المكان أكثر من اعتمادها على طريقة التوفير في النفقات . وقد قمت خلال المدة التي شغلت فيها منصبي هذا في الهند قدر امكاني بتسهيل التقدم التجاري وتأمين الحماية المطلوبة للمصالح البريطانية في الخليج والمقاطعات والاقاليم المجاورة له . كما ان حكومة صاحب الجلالة في الوطن مهتمة اهتماماً بالغاً في هذا الموضوع . وقد تم نتيجة هذه الجهود

تحسين طريق تشكي ــ سجستان التجارية تدريجياً ؛ حتى أصبحت الآن مركز تجارة شرق ايران . وقد عينا قنصلا في سجستان ونحن على وشك مد خط التلغراف اليها كما لنا موظفون هنود يعمل احدهم كقنصل في كرمان ، وآخر كنائب قنصل في بندر عباس حيث نحن على وشك ان نبني دار قنصلية . وقد وصلنا جاشك بخط تلغرافي مع مسقط ، ونأمل في توسيع التمديدات التلغرافية خدمة لمصلحة التجارة . كذلك اقمنا معتمداً سياسياً في البحرين ، ولنا قنصل في المحمرة ، ونائب قنصل في الاهواز . وأدت طريق قارون التجارية الى تقدم جوهري ، وقد كملها الطريق الذي فتح حديثاً بما عليه من جسور ، ونزل ممتداً عبر اقليم بختياري حتى أصفهان . كذلك عينا أيضاً قنصلا بريطانياً في شيراز ، وقمنا بتحسين وزيادة سرعة الخدمات البريـــدية بين جميع موانئ الخليـــج حيث تستطيع السفن البخارية ان تزور الكويت بسهولة ، وقد اعارت الحكومة البريطانية خلال نفس الفترة موظفين طبيين الى الحكومة الايرانية ليقوموا بمهام الحجر الصحي في الخليج . وقد وجدت المصالح البريطانية في نفس الوقت في شخص وزير صاحب الجلالة في طهران السير « آ. هاردينج» حامياً شديد اليقظة ، تلطف ورافقني في جولتي الحالية ، وقد تمتعت معه بالكثير من الفرص لبحث مصالح بريطانيا العامة ومصالح الحكومة الهندية في ايران ، وآمل ان تؤدي هذه الابحاث الى فوائد جمة للمصالح التي نمثلها سوية .

أيها السادة جميعاً ، اني اعتقد أنه يمكن القول بأنكم في بوشهر قد تلقيتم قدراً من الاهتمام كان أكبر مما يعار للاماكن الاخرى التي تبعد مثل بعدكم عن مركز الادارة . بينما تتمتعون أيضـــاً بوجود مقيم سياسي يعيش بينكم ، ويستطيع بشخصه ان يرعى شؤونكم ، وقد علمت من خطاباتكم ان الدور الذي يقوم به موضع رضاكم التام ، وانه ضمان أكبر لحماية مصالحكم .

إني آمل ان يدوم طويلا هذا الوضع الذي تتمتع به المصالح

البريطانية ، لانه وضع غير مصطنع فهو ليس حديث النمو لكنه ثمرة ما يقارب من قرن ونصف من الصبر والجهد المضني ، بذلته الحكومة البريطانية والقطاع الخاص ، وآمل ان تواصل بوشهر في المستقبل كما فعلت في الماضي في البقاء مركزاً يشع منه هذا التأثير الحميد السليم الى جنوبي ايران والخليج .

السفر من بوشهر

وما ان انتهى هذا الاحتفال حتى استأذن السير «هاردينج» من اللورد «كرزون» وعاد الى المعتمدية السياسية ، وتابع بعد عدة ايام سيره الى المحمرة وقارون ثم قفل راجعاً الى طهران عن طريق البصرة–بغداد–كرمنشاه . أما الاسطول فقد ترك القطعة «فوكس» وحدها تحت العمل مع نائب الملك ، وتقدم الى ميناء باسني في مكران البريطانية ، وقبل منتصف الليل بقليل أقلعت السفينة «هاردينج» من بوشهر وبدأت رحلة العودة الى الهند .

★ ★ ★

انتهاء الجولة من ٤ الى ٧ ديسمبر

الرحلة عبر الخليج

وفي اليوم الرابع من ديسمبر كانت سواحل الخليج ترى على مد البصر في الجهة الشمالية خلال الجزء الاكبر من خط الرحلة ، حيث تبدو للنظر الجبال الجرداء تشقها الوديان الخالية تماماً من الخضرة تمثل منتصبة عند حافة الماء مباشرة ، ممتدة عدة أميال داخل البلاد فيما يتناثر هنا وهناك على الشاطئ قرى صغيرة لصيد الاسماك تحيط بها بعض الاشجار ، ثم مرت السفينة في النهار على جزر صخرية صغيرة مثل هندرابي وقيس وفرور ، ثم استدارت حول رأس مسندم في الليل

فدخلت مرة أخرى خليج عمان ، ووصلت في صباح ٥ ديسمبر الى جاشك ، حيث الجبال الخلفية عارية مثل بقية اجزاء الساحل ، الا أنها تحت أشعة شمس الشرق تعكس ظلالا من كل لون ، من البنفسجي والاصفر الى الرمادي الفاتح » .

حفلة الاستقبال في بسني

وبعد ان توقفت السفينة «هاردينج» فترة قصيرة في جاشك لارسال واستلام البرقيات، تابعت سيرها الى بسني ، حيث وصلتها في ٦ ديسمبر واستقبلتها كل من القطعة «فوكس» و «باتريك ستيوارت» ، اللتين كانتا موجودتين في المرفأ بالتشريفات المعتادة . ثم نزل اللورد «كرزون» الى الارض ليتفقد الميناء وبعد الظهر أقيمت حفلة استقبال على ظهر السفينة «هاردينج» لرؤساء وسردارات غرب وجنوب بلوخستان ، الذين كان يصحبهم العميد « يـات » المعتمد لدى الحاكم العام في بلوخستان ، وكانت هذه الزيارة اول زيارة يقوم بها حاكم عام الهند لاي مكان في مكران ، وغادر العميد الحاكم العام السفينة « هاردينج » ساعة الغروب تماماً ، وحال انتهاء تحيته أعلن نفير الابواق الانسحاب ، وانزلت الاعلام عن ظهور السفن في نفس الوقت . وبهذا اختتمت هذه الرحلة بهذه الخاتمة المسرحية المناسبة . وبحلول الليل رفعت السفينة «هاردينج» مراسيها في طريقها الى الهند ، وقد دخلت كراتشي عند ظهر اليوم التالي السابع من ديسمبر ، وحيتها مدافع قلعة مانورة باحدى وثلاثين طلقة .

السرعة خلال رحلة العودة

سارت السفينة خلال المسافة من بوشهر الى جاشك والبالغة ٤٩٤ ميلا بسرعة ١٥ ونصف عقدة في الساعة ، اما من جاشك الى بسني فسارت بسرعة ١٧ عقدة في الساعة ، وبلغت المسافة الاخيرة هذه ٣٤٤ ميلا .

وكانت السرعة بين جاشك وبسني تزداد الى ان تصل الى ١٨ عقدة في الساعة . ومن المحتمل ان تكون هذه السرعة أكبر سرعة سار بها مركب في المياه الايرانية او الهندية حتى ذلك الوقت .

★ ★ ★

ملاحظات عامة

الطقس

نعمت الرحلة بطقس رائق جميل ، وكان للبحر أثناءها هادئاً ، عدا فترة زيارة الشارقة ، وقد كانت حرارة الشمس في مسقط شديدة ، على عكس ذلك الوقت في الكويت ، فبعد ان غادرها نائب الملك على ظهر السفينة «لورنس» تلبدت سماءوها بالغيوم ، وكان القمر خلال آخر ليلتين في الخليج بدراً يعكس ضياوه على البحر لينافس حقول الاضواء المتلألئة التي كانت الطابع المميز للرحلة في الليل منذ بدايتها .

النتائج السياسية

وقد جاءت الرحلة في اللحظة المناسبة كدليل على قوة بريطانيا ونفوذها بعد وقت قصير من التغلب على حدة المنافسة الاجنبية في الخليج بوسائل جوهرية أخرى . وقد كانت حدثاً لا سابق له في تاريخ الخليج ، وربما بقيت لمدة طويلة كحدث لا يوجد ما يوازيه في التاريخ المحلي ، ولعل أرسخ نتائجها كان تلك المشـــاهدات المشتركة التي قام بها نائب الملك ، وقائد عام الاسطول متعلقاً بقضايا الاستراتيجية البحرية كذلك فأن النتائج السياسية كانت كبيرة أيضاً وموفقة على العموم . أما بالنسبة لايران فانه لم يكن في الحسبان ان يكون للرحلة في النهاية رد فعل على

علاقاتها الدولية الطيبة . وقد ورد في التقارير التي جاءت فيما بعد عن نتائجها انها أطلقت الرعب في العراق التركي ، وايقظت مشاعر الكره ضد الانجليز في الاوساط الرسمية التركية . أما نتائجها بالنسبة للساحل العربي من الخليج فيمكن القول عنها انها موفقة على أي حال وناجحة تماماً بالنسبة لمسقط وعمان المتصالح والكويت حيث زادت في قوة الروابط السياسية لهذه الامارات ببريطانيا. أما بالنسبة للبحرين وحدها فإن الرحلة لم تؤد إلى شيء من شأنه التأثير الواضح على سلوك شيخها المتميز بالمشاكسة والعناد ، لكن بريطانيا لم تترك مجالاً للشك في عزمها علي إقصاء كل نفوذ غير نفوذها في تلك الجزر الاستراتيجية الهامة .

* * *

ملحق غ

التمثيل الدبلوماسي والسياسي والقنصلي البريطاني والأجنبي في البلاد المجاورة للخليج

الجداول الآتية تبين أسماء الممثلين البريطانيين والآخرين الأجانب ، الذين أمكن التثبت من وجودهم في العصر الحديث ، في الولايات والأمارات الملحقة بالخليج .

الممثلون البريطانيون الدبلوماسيون في البلاط الايراني ١٨٠٧ ـ ١٩٠٥

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السير هار فورد جونز الذي أصبح فيما بعد السير هارفور جونز بريدج	مبعوث فوق العادة	من ٥ يونيو ١٨٠٧ إلى نوفمبر ١٨١١
السير جور اوسلي بارت	سفير	من ٦ مارس ١٨١٠ إلى يونيو ١٨١٤
السيد جيمس موريز (الذي أصبح بعد ذلك السير هنري أليس)	وزير مفوض موقت	من ١٨ ابريل ١٨١٤ إلى اكتوبر ١٨١٥
	وزير مفوض في أثناء غياب السيد موريز	١٣ ابريل ١٨١٤

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد هـ. ولكوك	قائم بالأعمال	من أول نوفمبر ١٨١٥ إلى ابريل ١٨٢٢ اول نوفمبر ١٨٢٣ إلى سبتمبر ١٨٢٦
الميجور ج. ولكوك	قائم بالأعمال	من مـــايو ١٨٢٢ إلى ١٢ نوفمبر ١٨٢٣
الكولونيل الذي أصبح بعد ذلك السير جون ماكدونال	مبعوث فوق العادة من قبل الحكومة الهندية	٢٩ يوليو ١٨٢٦
السير جون كامبل	معين للتفاوض وللتمثيل في المعاهدة	
ريت اونرابل هنري اليس	سفير	من ٨ يوليو ١٨٣٥ إلى أغسطس ١٨٣٦
المستر الذي أصبح فيما بعد السير جون ماكنيل	وزير مفوض	٩ فبراير ١٨٣٦
المستر الذي أصبح فيما بعد السير جون ماكسل	مبعوث فوق العادة ووزير مفوض	من ٢٥ مايو ١٨٣٦ ٥ أغسطس ١٨٤٢
المقدم الذي أصبح فيما بعد السير جستن شيل	معين سكرتير المفوضية في طهران ١٦ فبراير ١٨٣٦ ، ويبدو أنه أدار شؤون البعثة خلال الفترات المبينة في العمود الثاني	من يناير ١٨٣٩ إلى اكتوبر ١٨٤١ من ١٢ مايو ١٨٤٢ إلى سبتمبر ١٨٤٤

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
المقدم الذي أصبح فيما بعد السير جستين شيل	مبعوث فوق العادة ووزير مفوض	من ١٧ سبتمبر ١٨٤٤ إلى ٣ سبتمبر ١٨٥٤ ترك طهران قبل مارس ١٨٥٣
المقدم فرانكيس فرنت	قائم بالأعمال	من ٢١ اكتوبر ١٨٤٧ إلى ٢٠ اكتوبر ١٨٤٩
السيد الذي أصبح فيما بعد السير وليم تايلور طومسون	قائم بالأعمال	من ٦ إلى ٢٩ نوفمبر ١٨٤٩
السيد الذي أصبح فيما بعد السير وليم تايلور طومسون	قائم بالأعمال (توقفت العلاقات الدبلوماسية ابتداء من ٤ إلى ٢٦ نوفمبر ١٨٥٣)	من ٧ مارس ١٨٥٣ إلى ١٧ ابريل ١٨٥٥
الشريف الذي أصبح فيما بعد السير الشريف شارلز موراي	مبعوث فوق العادة ووزير مفوض (توقفت العلاقات الدبلوماسية من ٥ ديسمبر ١٨٥٥ إلى ١٨٥٧)	من ٤ سبتمبر ١٨٥٤ إلى اكتوبر ١٨٥٨ انظر العمود الثاني والمدخل المتقدم
السيد وليم دورس	قائم بالأعمال	من ٦ اكتوبر ١٨٥٨ إلى ٧ ديسمبر ١٨٥٩
المقدم السير هنري رولينسن	مبعوث فوق العادة	من ١٦ ابريل ١٨٥٩ إلى ابريل ١٨٦٠
السيد الذي أصبح فيما بعد السير رونالد طومسون	قائم بالأعمال	من ٢١ نوفمبر إلى ٩ ديسمبر ١٨٥٩

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد شارلز ألسن	مبعوث فوق العادة ووزير مفوض	من ٧ ابريل ١٨٦٠ إلى ٢٩ ابريل ١٨٧٢
الكابتن الذي أصبح فيما بعد الكولونيل السير لويس بيلي	قائم بالأعمال	من مايو إلى يوليو ١٨٦٠
السيد الذي أصبح فيما بعد السير رونالد تمسون	قائم بالأعمال	من ٦ نوفمبر إلى ١٢ ديسمبر ١٨٦٢
السيد ادوارد ايستوك	قائم بالأعمال	من ٩ ديسمبر ١٨٦٢ إلى يناير ١٨٦٣
السيد الذي أصبح فيما بعد السير رونالد تمسون	قائم بالأعمال	من ٨ فبراير إلى ١٣ سبتمبر ١٨٦٣ . ومن ٨ مايو ١٨٦٩ إلى ٢٠ ابريل ١٨٧٠
السيد وليام دكسون	قائم بالأعمال	من ٣٠ ابريل إلى ٢٨ مايو ١٨٧٢
السيد الذي أصبح فيما بعد السير رونالد تمسون	قائم بالأعمال	من ٢٩ مايو ١٨٧٢ إلى ٣١ مارس ١٨٧٣
السيد الذي أصبح فيما بعد السير وليام تايلور تمسون	مبعوث فوق العادة ووزير مفوض	من ١٥ يوليو ١٨٧٢ إلى ٣١ مارس ١٨٧٩
السيد الذي أصبح فيما بعد السير رونالد تمسون	قائم بالأعمال	من ٥ ابريل ١٨٧٨ إلى ١٣ يونيو ١٨٧٩

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد الذي أصبح فيما بعد السير رونالد تمسون	قائم بالأعمال ووزير مفوض	من ١٤ يونيو ١٨٧٩ إلى ٣١ اكتوبر ١٨٨٧
السيد الذي أصبح فيما بعد السير ريت اونارابل هنري دورموند ولف	مبعوث فوق العادة ووزير مفوض	من ٣ ديسمبر ١٨٨٧ إلى ٢٣ يوليو ١٨٩١
السيد روبرت جون كنلدي	قائم بالأعمال	٢٨ ابريل إلى ١٦نوفمبر ١٨٩٠ — ١٣ نوفمبر ١٨٩٠ إلى ١٤ نوفمبر ١٨٩١
السيد الذي أصبح فيما بعد السير ريت اونارابل فرانك ليسيلز	مبعوث فوق العادة ووزير مفوض	من ٢٤ يوليو ١٨٩١ إلى ٩ مارس ١٨٩٤
السيد الذي أصبح فيما بعد السير ريت اونارابل مورتمير دوراند	مبعوث فوق العادة ووزير مفوض	من ١ مايو ١٨٩٤ إلى ٢٠ اكتوبر ١٩٠٠
اونارابل شارلز الذي أصبح فيما بعد اللورد هاردنج	قائم بالأعمال	من ١٥ فبراير ١٨٩٧ إلى ٣٠ مارس ١٨٩٨
السيد الذي أصبح فيما بعد السير سيسل سبرنج ريس	قائم بالأعمال	من ٨ مارس ١٩٠٠ إلى ٩ فبراير ١٩٠١
الشريف وليام ايرسكين	قائم بالأعمال	من ١٤ اكتوبر إلى ١١ نوفمبر ١٩٠٢
السير أرثر هنري هاردنج	مبعوث فوق العادة ووزير مفوض	من ٢١ اكتوبر ١٩٠٠ إلى ٢٦ يناير ١٩٠٦
السيد ايفلين جرانت دف		من ١٣ اكتوبر إلى ١٦ ديسمبر ١٩٠٤ وبعد ١٨ سبتمبر ١٩٠٥

الممثلون الدبلوماسيون في البلاط التركي

١٥٨٤ ـ ١٩٠٥

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد وليام هاربورن		عين في ١٥٨٤ ، وترك القسطنطينية في ٣ اغسطس ١٥٨٨
السيد الذي أصبح فيما بعد السير ادوارد بارتون		وكيل قائم بالأعمال من ٣ اغسطس ١٥٨٨ ، توفي قرب نهاية ١٥٩٧
السير هنري للو		مقيماً في فبراير ١٥٩٨ وظيفة سفير حوالى ١٦٠٣
السير تمسون جلوڤر		تكليف في ١٦ اغسطس ١٦٠٦ وتبعه السير ه.للو في ٨ فبراير ١٦٠٧ ،
السير ب بنلر		وتبعه السير ت. جلوڤر في ٨ فبراير ١٦١١
السير جون إير		تكليف في ١٤ ديسمبر ١٦١٩ وأعيد تكليفه في ٩ يوليو ١٦٢١ . أقيل وكلف شابمان في ١٢ ديسمبر ١٦٢١

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد جون شابمان الملقب بحامل رسالة السير جون إير		عين مقيماً في ٩ يوليو ١٦٢١
السير ب. رو		عين في ٩ يوليو ١٦٢١ نائب السير جون إير ، وصل في أول ابريل ١٦٢٢ ، طلب إعفاءه في ٢٩ يوليو ١٦٢٦ ــ وتبعه السير ب . وش في ٥ ابريل ١٦٢٨
السير ت. فيلبس		عين في ١٦ ابريل١٦٢٥ وتسلم أوراق اعتماده في ذلك التاريخ ولكنه لم يتوجه إلى القسطنطينية
السير ب. وش السفير الثامن		اوراق اعتماد السفير في ٢٠ ١٦٢٧ ، وصل في ٥ ابريل١٦٢٨
السير ساكفيل كرو		اوراق اعتماد السفير في ١٥ يونيو ١٦٣٨ ، التعليمات في ١٤ يوليو ١٦٣٨ ، وصل في اكتوبر ١٦٣٨ أثناء غياب حاكم البلاد ، وعهد اليه بأمور السفارة في ابريل ١٦٣٩

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السير تمسون بندياه		اوراق اعتماد السفير في ٢١ يناير ١٦٤٧واستدعي في ١٦ اغسطس ١٦٥٣
مستر ريتشارد لورنس		عين في اغسطس ١٦٥٣ نائب السير ت. بندياه، وصل في مارس ١٦٤٥
السير توماس بندياه		أعيد تعيينه في أو قبل ١٦٥٧ ، وخلفه إيرل وينشلسيا في مارس١٦٦١
إيرل وينشلسيا		وصل في أول مارس ١٦٦١ ، واستدعي في ١٦ ديسمبر ١٦٦٧
السير د. هارفي		صدور التعليمات اليه في اغسطس١٦٦٨وحل محله ايرل وينشيلسيا حتى ديسمبر ١٦٦٨ . مات على اثر اصابته بالحمى في ٢٦ اغسطس ١٦٧٢ وقام سكرتير السفارة باعباء السفارة من ١٦٧٢ إلى ١٦٧٤
السير جون فنش		اوراق اعتماد السفير في نوفمبر ١٦٦٢ . وصل في ١٦٧٤

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
لورد شاندوز		سافر عن طريق ايطاليا وخلف السير ج. فنس في ٢٢ يوليو ١٦٨١
السير و. تربل		خلف لورد شاندور في ١٧ أغسطس ١٦٨٧
السير و. حسي		خلف السير و. تربنل في يوليو ١٦٩١ . مات في ١٤ سبتمبر ١٦٩١
اللورد باجت		وصل في فبراير ١٦٩٣ فوض الأمر إلى السير ر. ستون كخليفة له في ٢٧ اغسطس ١٧٠٠
السير روبرت ستون		قدم أوراق اعتماده كسفير في ٣ مارس ١٧٠٢
السيد ادوارد ورتلي		قد أوراق اعتماده كسفير في ٣١ مارس ١٧١٧ .
السيد اهام ستانيان		عين في ٧ نوفمبر ١٧١٧ قدم أوراق اعتماده في ٢٨ ابريل ١٧١٨
إيرل كينول		قدم أوراق اعتماده في ١٢ مايو ١٧٣٠ واستدعي في ٢٢ سبتمبر ١٧٣٥

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السير ايفرارد فاوكنر		خلف ايرل كينول في في ١٩ ديسمبر ١٧٣٥ . أذن له بالعودة إلى انجلترا في ١٧ يوليو ١٧٤٢
السيد ستانهوب اسبنواه	قائم بالأعمال مقام السير . ي فاوكنر	٨ نوفمبر ١٧٤٢
السيد جيمس بورتر		أوراق الاعتماد في ٣٠ سبتمبر ١٧٤٦
السيد هنري جرنفيل		قدم أوراق اعتماده في ١٤ مارس ١٧٦٢
السيد وليام كنلوك	قائم بالأعمال	من ٢٢ نوفمبر ١٧٦٥ إلى ٦ يونيو ١٧٦٦
السيد جون موراي		أوراق الاعتماد مؤرخة في ٦ فبراير ١٧٦٦
السيد أنتوني هايز	قائم بالأعمال	من ١٥ مايو ١٧٧٥ الى اكتوبر ١٧٧٦
السير روبرت اينسلي		اوراق الاعتماد مؤرخة في ١٧ ابريل ١٧٧٦ . استقال في ١٧ فبراير ١٧٩٤

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد روبرت لستون		أوراق الاعتماد مؤرخة في ٢٢ سبتمبر ١٧٩٣ ، واستدعي في ١٧٩٦
السيد فرانكليس جيمس جاكسون		عين في المفاوضات في ٢٣ يوليو ١٧٦٩ والغي تعيينه في ١٧٩٨ . ويبدو أنه لم يذهب لتركيا .
السيد ج. سبنسر سميث	قائم بالأعمال	٤ نوفمبر ١٧٩٥سكرتير سفارة — ٤ ابريل١٧٨٩ وزير مفوض ، . ١٤ اكتوبر ١٧٩٨
السير سدني سميث		في بعثة خاصة مزوداً بصلاحيات كاملة للاجتماع بالمستر ج. سبنسر سمث من ٣٠ سبتمبر ١٧٩٨
البريجادير العام رهلر		أرسل في مهمةعسكرية من اكتوبر إلى ديسمبر ١٧٩٨
ايرل الجين	سفير فوق العادة لمهمة خاصة	اوراق الاعتماد مؤرخة في ٢٠ اغطسس ١٧٩٩ خلف السيد ج. سبنسر سميث في ديسمبر ١٧٩٩

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
		واستدعي في ٩ يناير ١٨٠٣ ، ولكنه غادر القسطنطينية في ١٦ يناير ١٨٠٣
السيد الكسندر ستراتون	قائم بالأعمال	من مارس إلى سبتمبر ١٨٠٢ ، ومن يناير إلى مايو ١٨٠٣ ، وأصبح وزيراً مفوضاً مؤخراً
السيد وليام دربند	سفير فوق العادة	أوراق الاعتماد مؤرخة في ٩ فبراير ١٨٠٣ ، وخلفه أربوثنوت في يونيو ١٨٠٤
الكسندر ستراتون	وزير مفوض أثناء غياب السيد و. درمند	٩ سبتمبر ١٨٠٣ إلى يوليو ١٨٠٤
السيد شارلز أربوثنوت	سفير فوق العادة[1]	وظيفة مفاوض مع شركة ليفانت ٦ يونيو ١٨٠٤. خلف السيد درمند في ٢٤ يونيو ١٨٠٤. ذهب على ظهر الاسطول البريطاني في ٢٩ يناير ١٨٠٧

(١) بنى القصر الجديد في « برا » في عهدية السفارة البريطانية وقد تكلف ٩,٥٩٥ جنيهاً استرلينياً .

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السير أرثر باجيت	سفير فوق العادة	أوراق الاعتماد مؤرخة في ١٥ مايو ١٨٠٧
السيد روبرت إديار		أوراق الاعتماد مؤرخة في ١٤ ابريل ١٨٠٩ ، وخلف السير ا. باجيت في ذلك الشهر تسلم مهمته في ١٢ يوليو ١٨١٠ ، واستدعي في ١٧ يوليو ١٨٠٩
السيد ستراتفورد كننج الذي دعي فيما بعد فيسكونت ستراتفورد دي ردكلف	وزير مفوض	أوراق الاعتماد مؤرخة في ١٧ يوليو ١٨٠٩ ، قام بعمل وزير من ١٢ يوليو ١٨١٠ إلى يوليو ١٨١٢
السيد الذي أصبح فيما بعد ذا ريت اونرابل السير روبرت لستون	سفير فوق العادة	٢ مارس ١٨١٢ إلى ٧ يوليو ١٨٢١ ، ولكنه ترك القسطنطينية في ٧ يوليو ١٨٢٠
السيد بارثولومو فرير	قائم بأعمال سفير	من ٢٣ اكتوبر ١٨١٥ إلى يوليو ١٨١٧.أوراق الاعتماد مؤرخة في ٦ مارس ١٨٢٠

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد بارثولومو فرير	وزير مفوض أثناء غياب السفير	قام بعمل وزير من ٧ يوليو ١٨٢٠ إلى ٢٥ يوليو ١٨٢٠ إلى ٢٥ فبراير ١٨٢١
بيرس كلنتون ، فيسكونت ستراجفورد	سفير	من ٧ اغسطس ١٨٢٠ إلى ٢٩ سبتمبر ١٨٢٥، ولكنه ترك القسطنطينية في ١١ اكتوبر ١٨٢٤
السيد وليام ترنر	وزير مفوض بصفة موقتة	قام بعمل وزير من ١٤ اكتوبر ١٨٢٤ إلىفبراير ١٨٢٦
ذاريت أونرابل ستراتفورد كاننج الذي دعي فيما بعد فيسكونت ستّراتفورد دي ردكليف	سفير	من ١٠ اكتوبر ١٨٢٥ إلى يناير ١٨٢٩ ، أعفي من منصبه في ١٠ ابريل ١٨٢٩
ذاريت اونرابل الذي دعي فيما بعد السير روبرت جوردن	سفير	من ٨ ابريل ١٨٢٩ إلى ٣٠ أغسطس ١٨٣١
ذاريت أونرابل السير ستراتفورد كاننج الذي دعي فيما بعد فيسكونت دي ريدكليف	سفير في مهمة خاصة	٣١ اكتوبر ١٨٣١
السيد جون ماندفيل	سفير مفوض بصفة موقتة	قام بعمل وزير من ٣١ اغسطس ١٨٣١ إلى ١٣

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
		مايو ١٨٨٣ ، ولكنه لم يعين حتى ١١ نوفمبر ١٨٣١
جون لورد (الذي دعي فيما بعد) فيسكونت بنسوبي	سفير	٢٧ نوفمبر ١٨٣٢ إلى ١٠ اكتوبر ١٨٤١
السير شارلز ريتشارد فاغان	سفير أثناء غياب اللورد بنسوبي	١ مارس ١٨٢٧
السيد شارلز بانخيد	وزير مفوض بصفة موقتة	من ٣١ اكتوبر ١٨٤١ إلى ٢٣ يناير ١٨٤٢
ذاريت أونرابل سير ستراتفورد كاننج الذي أصبح فيما بعد فيسكونت ستراتفورد دي رذكليف	سفير	١٦ اكتوبر ١٨٤١ ، بقي سفيراً في فترات إلى مايو ١٨٥٨ حيث بلغ سن التقاعد ، وقد كان مفوضاً أثناء فترة عمله لدى ولايات أخرى مختلفة
السيد شارلز أليسون	قائم بالأعمال	٢٢ مارس إلى ١٥ يونيو ١٨٤٨ ومن ١٢ ديسمبر إلى ٦ يوليو ١٨٥٨
السيد هنري ريتشارد شارلز ولسلي (وأصبح بعد ذلك اللورد كاولي)	وزير مفوض بصفة مؤقتة	عين في ١٤ مايو ١٨٤٥ وكان مشرفاً على السفارة ابتداء من ٢٧ يوليو ١٨٤٦ إلى ٢١ مارس ١٨٤٨

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
المقدم السير هيغ روز (وأصبح بعد ذلك) اللورد ستراثنارن	قائم بالأعمال	من ٢٣ يونية ١٨٥٢ إلى ٤ ابريل ١٨٥٣
ذاريت أونرابل السير هنري بولور ليتون (وبعد ذلك أصبح) اللورد دالنج	سفير	١٠ مايو ١٨٥٨ إلى ١٨ اكتوبر ١٨٦٥ وقد بقي السير هـ. بولور في مركزه إلى ما بعد تعيين خلفه اللورد ليونز في مركزه
فيسكونت ستراتفورد دي ردكليف (سابقاً السير ستراتفورد كاننج)	مأمورية خاصة لأخذ اذن السلطان	سبتمبر ١٨٥٨
ذا أونرابل إدوارد موريس ايرسكين	قائم بالأعمال	من ٢٠ سبتمبر ١٨٦٢ إلى ١٠ يناير ١٨٦٣ ، ومن ٢٣ اكتوبر ١٨٦٣ إلى ٧ مارس ١٨٦٤
اللورد ريتشارد بكرتون بميل	سفير	من ١٠ أغسطس ١٨٩٥ إلى ٥ يوليو ١٨٦٧
ذا أونرابل وليام تورت	قائم بالأعمال	من ٩ سبتمبر ١٨٦١ إلى ١٤ مايو ١٨٦٥
ذا ريت أونرابل هنري جورج (وأصبح فيما بعد) السير هنري إيلت	سفير	من ٦ يوليو ١٨٦٧ إلى ٢٠ ديسمبر ١٨٧٧

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد هنري بارون (وأصبح بعد ذلك) السير هنري بيبج ترنر	قائم بالأعمال	من ٢٦ يوليو إلى ١٩ اكتوبر ١٨٦٧ ، ومن ١١ نوفمبر ١٨٦٩ إلى ٧ مايو ١٨٧٠
السيد (الذي أصبح فيما بعد) ذا ريت أونرابل السير هوراس رمبولد	قائم بالأعمال	من ٩ يناير إلى ١٢ مايو ١٨٧٨
السيد سدني لوكوك	قائم بالأعمال	من ٧ يناير إلى ٢١ مايو ١٨٧٤
روبرت أرثر جاسكوجن سيسل أمير سالزبري	سفير خاص	٨ نوفمبر ١٨٧٦ ، عاد إلى انجلترا في ٦ فبراير ١٨٧٧
ذا ريت أونرابل أوستن هنري (وأصبح بعد ذلك) السير هنري ليارد	سفير خاص بصفة موقتة	٣١ مارس ١٨٧٧
ذا ريت أونرابل أستن هنري (أصبح بعد ذلك) هنري ليارد	سفير	من ٣١ اغسطس ١٨٧٧ إلى ٣١ ديسمبر ١٨٨٠
ذا أونرابل ناسون جوسلين	قائم بالأعمال	من ٢٦ يناير إلى ٢٠ ابريل ١٨٧٧
السيد (الذي أصبح فيما بعد) ذا ريت اونرابل السير بالدوين مالت	وزير مفوض بصفة موقتة	من ٢٢ فبراير إلى مايو ١٨٧٩

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
ذا ريت أونرابل جورج (وبعد ذلك) فيسكونت جوشين	سفير خاص	من ٦ مايو ١٨٨٠ إلى مايو ١٨٨١
السيد (الذي أصبح فيما بعد) السير فردريك ست جون	قائم بالأعمال	من ٩ ديسمبر ١٨٨٠ إلى ١١ فبراير ١٨٨١
ذا أونرابل (الذي أصبح فيما بعد) ذا ريت اونرابل السير فرانكيس ريتشارد بلنكت	قائم بالأعمال	٢٧ مايو إلى ١٤ مايو ١٨٨١
فردريك تمبل ، ايرل دوفرين (الذي أصبح فيما بعد) امير دوفرين وآفا	سفير	من ٢٦ مايو ١٨٨١ إلى ٢٠ اكتوبر ١٨٨٤
السيد (الذي أصبح فيما بعد) السير جورج هوج ويندهام	قائم بالأعمال	من ٤ إلى ١٥ مايو١٨٨٢ ومن ٣ نوفمبر ١٨٨٢ إلى ٨ مايو ١٨٨٣ ،ومن ١٦ مايو حتى ٢٩سبتمبر ١٨٨٣ ، ومن ١٧سبتمبر ١٨٨٤ إلى ٢٧ ابريـــل ١٨٨٥
ذا ريت اونرابل سير ادوارد ثورتن	سفير	من ١ ديسمبر ١٨٨٤ إلى ٣١ ديسمبر ١٨٨٦
السير (الذي أصبح فيما بعد) ذا ريت أونرابل وليام آرثر هويت	مبعوث فوق العادة ووزير مفوض بصفة مؤقتة	من ١٨ ابريل ١٨٨٥ إلى ٢٢ فبراير ١٨٨٦

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
ذا ريت أونرابل السير هنري درمند ولف	مبعوث فوق العادة ووزير مفوض في مأمورية خاصة تتعلق بمصر	٣٠ أغسطس ١٨٨٥
السيد (الذي أصبح فيما بعد) السير ادمند ف. د. فان	قائم بالأعمال	من ٥ إلى ١٨ سبتمبر ١٨٨٦ ، ومن ١٢ إلى ٢٦ اكتوبر ١٨٨٦
ذا ريت أونرابل السير أرثر هويت	سفير خاص	١١ اكتوبر ١٨٨٦
ذا ريت أونرابل السير أرثر هويت	سفير	من ١ يناير ١٨٨٧ إلى ٢٧ ديسمبر ١٨٩١
السيد فرانكيس وليام سترنج	قائم بالأعمال	من ٢٠ حتى ٢٤ يونيو ١٨٨٨
السيد (الذي أصبح فيما بعد) السير إدمند ف. د. فان	قائم بالأعمال	من ٢٥ يونيو إلى ١٢ يوليو ١٨٨٨ ، ومن ١٧ يونيو إلى ٢٦ يوليو ١٨٩٠ ، ومن ٢ يوليو إلى ٤ أغسطس ١٨٩١، ومن ٢٢ ديسمبر ١٨٩١ إلى ٢٠ ينــاير ١٨٩٢
ذا ريت أونرابل السير كلار فورد	سفير	من ١٢ يناير ١٨٩٢ إلى ٢٥ ديسمبر ١٨٩٣
السيد (الذي أصبح فيما بعد) السير إدمند ف. د. فان	وزير مفوض بصفة موقتة	من ٢١ يناير ١٨٩٢ إلى ٢٦ فبراير ١٨٩٣

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السير أرثر نكولسن (الذي أصبح فيما بعد) ذا ريت أونرابل السير أارثر نكولسن بارت	قائم بالأعمال	من ١٦ يونيو إلى ٧ اكتوبر ١٨٩٣ ، ومن ٩ ديسمبر ١٨٩٣ إلى ١٠ فبراير ١٨٩٤
ذا ريت أونرابل السير فيلييس ودهوس (وأصبح بعد ذلك) اللورد كوري	سفير	من ١ ينـاير ١٨٩٤ إلى ٣٠ يونيو ١٨٩٨
ذا أونرابل (الذي أصبح فيما بعد) ذا ريت أونرابل سير ميشيل هيربرت	قائم بالأعمال	من ٢٩ اكتوبر إلى ٢٣ نوفمبر ١٨٩٥ ، ومن ١٩ مايو إلى ٨ سبتمبر ١٨٩٦
السيد موريس و. ي. دي بوسن	قائم بالأعمال	من ٢٧ مايو إلى ٢١ سبتمبر ١٨٩٨
ذا ريت أونرابل سير نقولاس رودرك أوكونور	سفير	١ يوليو ١٨٩٨
السيد موريس و. ي. دي بونسن	قائم بالأعمال	من ١٣ سبتمبر ١٩٠٠ إلى ١٢ يناير ١٩٠١ ومن ١٣ نوفمبر إلى ٢٤ ديسمبر ١٩٠١،ومن ١٠ يونيو إلى ٢٩ أغسطس ١٩٠٢
السيد جيمس بيتهوم هويتهد	قائم بالأعمال	من ١٥ يناير إلى ٢١ فبراير ١٩٠٣
السيد ولتر بوبر تونلي	قائم بالأعمال	من ١١ اكتوبر ١٩٠٤ إلى ٢ مارس ١٩٠٥

التمثيل البريطاني في منطقة بو شهر الخليج
الممثلون البريطانيون في الخليج
بوشهر مركز الادارة ـ المقيمون

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد بنجامين جيرفيس		١٧٦٣
السيد وليام بوير (هلك أثناء دك مدينة دفيانس ١٧٦٧)		١٧٦٦
السيد جيمس مورلي		١٧٦٨

* * *

توقفت أعمال المقيمية من ١٧٦٩ حتى ١٧٧٥

* * *

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد جون باموت		١٧٧٥
السيد ادوارد جيلي		١٧٨٠
السيد شارلز واتكنز	حوالى	١٧٨٩
السيد نيقولاس هانكي‌سميث	حوالى	١٧٩٥
(بوشهر)		
مهدي علي خان		١٧٩٨ ـ ١٨٠٣
السيد ت. هـ. لوفيت		١٨٠٣ ـ ١٨٠٤
السيد صمويل مانستي		١٨٠٤
النقيب وليام بروس قائم مقام في البحرية في بمباي		١٨٠٤ ـ ١٨٠٧
السيد نيقولاس هانكي سميث		١٨٠٧ ـ ١٨٠٨
النقيب س. باستلي		١٨٠٨

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد نيقولاس هانكي سميث		١٨٠٩ — ١٨١١
الملازم أول وليام بروس (أبعد في ١٨٢٢)		١٨١١ — ١٨٢٢
النقيب جون ماكلود		١٨٢٢ — ١٨٢٣
مهندسين بمباي (مات في ١٨٢٣)		
العقيد ستانس		١٨٢٧
الكابتن ولسون		١٨٢٧
الدكتور (الذي دعي فيما بعد) السيد جون منيل		١٨٣١
السيد د. ا. بلان		١٨٣١
النقيب س. هينل (قائم مقام)		١٨٣٧
الميجور موريسون		١٨٣٧
الكابتن س. هينل		١٨٣٨
النقيب ماكنزي (قائم مقام)		١٨٤١
العقيد س. هينل		
الملازم أول ا. ب. (الذي دعي فيما بعد) السير ارنولد باروز كمبال		١٨٥٢ — ١٨٥٦
النقيب فيلكس جونز الأسطول الهندي		١٨٥٦ — ١٨٦٢
المقدم م. ج. ميد		١٨٩٧ — ١٩٠٠
المقدم س. ا. كمبال	من ابريل إلى ابريل	١٩٠٠ ١٩٠٤
الميجور ب. ز. (الذي دعي فيما بعد) المقدم السيد بيرس كوكس	ابريـــل ،	١٩٠٤

المثلون البريطانيون في مسقط ـ (المقيمون)

مسقط

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
مساعد الجراح ا. هـ. بوجل (مات في الوظيفة ١٨٠٠)	١٨٠٠
النقيب دافيد سيتن ، في جيش بمباي ، . (إجازة مرضية ١٨٠٢–١٨٠٣) ، ومات في الوظيفة في أغسطس ١٨٠٩	١٨٠١ – ١٨٠٩
الملازم أول واتس قائم مقام ، مات في الوظيفة ١٨٠٨	١٨٠٨
السيد بروس ، قائم مقام مات في الوظيفة في ديسمبر ١٨٠٩	

* * *

توقفت أعمال المقيمية في مسقط حتى ١٨٤٠ ، وكان يقوم بالأعمال البريطانية خلال هذه الفترة في عمان المعتمدين البحرينيين .

* * *

النقيب هامرتون	١٨٤٠
المقدم ل. (الذي أصبح فيما بعد) السير لويس بيلي	١٨٧٢ – ١٨٦٣
المقدم ي. س. (الذي أصبح فيما بعد) السير ادوارد روس	١٨٧٢ – ١٨٩١
المقدم و. ف. بريدوس قائم مقام لمدة ثمانية عشر شهر	١٨٧٦ – ١٨٧٧
المقدم س. ر. ميلز قائم مقام من ابريل إلى اكتوبر	١٨٨٦

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
المقدم ا. س. تالبوت	مارس ١٨٩١ إلى ١٨٩٣
النقيب جودفري ، في مهمة موقتة	
السيد ج. هيز سادلر ، قائم مقام من يونيو إلى يوليو ١٨٩٣	
السيد ج. ا. كروفورد ، قائم مقام من يوليو إلى ديسمبر ١٨٩٣	١٨٩٣ — ١٨٩٤
الميجور ج. هيز سادلر ، قائم مقام من ديسمبر ١٨٩٣ إلى يناير ١٨٩٤	
العقيد ف. ا. ولسون	١٨٩٤ — ١٨٩٧

* * *

وبالاختصار فقد نقلت المقيمية إلى زنجبار التي كانت تعتبر عندئذ الجزء الهام في ممتلكات سلطان عمان ، وظلت كذلك حتى بعد الفصل بين عمان وزنجبار. وكان المعتمد أو الوكيل البحري يمثل المصالح البريطانية في مسقط أثناء غياب المعتمد .

المعتمدون السياسيون

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
الملازم أول و . م. بنجلي ، البحرية الهندية	مايو ١٨٦١ إلى يناير ١٨٦٢
الميجور م. جرين	يناير ١٨٦٢ إلى اكتوبر ١٨٦٢
المقدم هربرت دسبرو	يناير ١٨٦٣ إلى فبراير ١٨٦٧
النقيب ج. ا. اتكنس	مارس ١٨٦٧ إلى فبراير ١٨٦٩

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
المقدم هربرت دسبرو	من ابريل ١٨٦٩ إلى يناير ١٨٧٠
الرائد ا. كوتن واي (مات في حادث في مسقط)	٨ يناير ١٨٧٠ إلى ١ مايو ١٨٧١
الرائد اي. س. (وبعد ذلك) الكولونيل سير ادوارد روس	٨ مايو ١٨٧١ إلى ديسمبر ١٨٧٢
النقيب إس. ب. ميلز	٣٠ ديسمبر ١٨٧٢ إلى ٦ يونيو ١٨٧٧

(مسقط)

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد ب. ج. س. رويرتسون	٧ يونيو ١٨٧٧ إلى ٣ يناير ١٨٧٨
المقدم اس. ب. ميلز	٧ يناير ١٨٧٨ إلى١٤يونيو١٨٧٩
الرائد س. ب. إيوان سميث	١٦ يوليو ١٨٧٩ إلى٢يناير ١٨٨٠
الرائد شارلز جرانت	٢٥ فبراير ١٨٨٠ إلى ٢٠اكتوبر ١٨٨٠
المقدم إس. ب. ميلز	٢٩ اكتوبر١٨٨٠ إلى ١٥اغسطس١٨٨١
الرائد شارلز جرانت	١٦ اغسطس ١٨٨١ إلى٢٢مارس ١٨٨٣
الرائد إي. موكلر	٢٠ ابريل ١٨٨٣ إلى ١٧ سبتمبر ١٨٨٣
المقدم إس. ب. ميلز	٢٠ سبتمبر ١٨٨٣ إلى ١ ابريل ١٨٨٦
المقدم اي. موكلر	٢ ابريل ١٨٨٦ إلى ٥ اكتوبر ١٨٨٦
المقدم إس. ب. ميلز	أول نوفمبر ١٨٨٦ إلى ١٥ ابريل ١٨٨٧
المقدم إي. موكلر [١]	١٦ ابريل ١٨٨٧

(١) قام الدكتور « ا. اس. حايكار » جراح الوكالة بعمل الوكيل السياسي في الفترات التالية لهذه الوظائف .

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
المقدم وسّتراتون	٣١ مارس ١٨٨٩ إلى ١٥ ديسمبر ١٨٨٩
الرائد س. اي. يات	١٦ ديسمبر ١٨٨٩ إلى ٢٨ مارس ١٨٩٠
المقدم اي. موكلر	١ ديسمبر ١٨٩٠ إلى ١٣ اكتوبر ١٨٩١
(مسقط)	
الرائد هيس سادلر	٢٧ نوفمبر ١٨٩٢ إلى ١٨ ابريل ١٨٩٥
النقيب ج. ف. هويت	٢٣ مايو ١٨٩٥ إلى ٢٣ نوفمبر ١٨٩٥
الرائد ج. هيس سادلر	٢٤ نوفمبر ١٨٩٥ إلى ١٦ ابريل ١٨٩٦
النقيب ف. ا. بيفيل	١٧ ابريل ١٨٩٦ إلى ١١ يونيو ١٨٩٧
الرائد س. ج. ف. فاجان	١٨ سبتمبر ١٨٩٧ إلى ٣٠ سبتمبر ١٨٩٩
الرائد ب. ز. (الذي أصبح فيا بعد) الكولونيل السير بيرس كوكس	أول اكتوبر ١٨٩٩ إلى ٢ يناير ١٩٠٤
الرائد و. ج. جراي	١١ يناير ١٩٠٤

المثلون البريطانيون في ساحل عمان المتصالح
وكان مركز الرئاسة في الشارقة
الوكلاء الوطنيون

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
ملا حسين	١٨٢٩ — ١٨٤٩
محمد بن ملاه	— ١٨٥٠ —

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
أحمد بن ملا حسين	حوالى ١٨٥٠
حاجي يعقوب (مات)	حوالى ١٨٥٠ إلى ١٨٦٦
حاجي محمد (نقل إلى لنجه)	١٨٦٦
حاجي عبد الرحمن	مايو ١٨٦٦ إلى ١٨٨٠
حاجي عبد الله قاسم (أحيل إلى المعاش)	يونيو ١٨٨٠ إلى أغسطس ١٨٩٠
عبد اللطيف	منذ ١٨٩٠

المثلون السياسيون البريطانيون في البحرين
الوكلاء الوطنيون

(البحرين)

آسو	١٨٢٩
بامان (نائب)	١٨٢٩
شاندو (نائب)	١٨٢٩ — ١٨٣٠
اسم غير معروف	١٨٣٣
ميرزا محمد علي (فصل)	١٨٣٤ — ١٨٤٠
حاجي جاسم	١٨٤١ — ١٨٥٢
ميرزا إبراهيم (مات قريباً)	
حاجي عبد النبي صفر (مات)	اكتوبر ١٨٧١ إلى يوليو ١٨٨٤
الحاج أحمد بن عبد الرسول (مات)	يوليو ١٨٨٤ إلى نوفمبر ١٨٩١

وقد انتدب منشيس من دار المقيمية في بوشهر لرعاية المصالح البريطانية في البحرين من نوفمبر ١٨٩١ إلى مارس ١٨٩٢ .

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
حاجي محمد أمين ، وطني ، وكيل في لنجه (نائب)	مارس ١٨٩٢ إلى نوفمبر ١٨٩٣
اغا محمد رحيم صفر (مات)	نوفمبر ١٨٩٣ إلى فبراير ١٩٠٠

مساعد المعتمد السياسي

السيد جون كالكوت جاسكين	فبراير ١٩٠٠ إلى اكتوبر ١٩٠٤

المعتمد السياسي

النقيب ف. ب. بريدكس	من اكتوبر ١٩٠٤

المثلون السياسيون البريطانيون في الكويت

المعتمدون الجدد

(الكويت)

حاجي علي بن ملا غلام رizا	اغسطس ١٨٩٩ إلى اغسطس ١٩٠٤

المعتمد السياسي

النقيب اس. ج. كنوكس	اغسطس ١٩٠٤ إلى مايو ١٩٠٥
دودار رحمان ، مساعد الجراح ، مشرف على الوكالة	مايو إلى اكتوبر ١٩٠٥
النقيب إس. ج. كنوكس	من اكتوبر ١٩٠٥

القناصل البريطانيون المثلون في عربستان
نواب القناصل لصاحب الجلالة البريطانية في المحمرة

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
(عربستان — المحمرة)	
السيد و. ميدوال ، سابقاً ، من مصلحة التلغراف الأوروبية الهندية	اكتوبر ١٨٩٠ إلى أول مايو ١٨٩٦
السيد صمويل بوتشر مصلحة التلغراف الأوروبية الهندية (نائب)	أول مايو ١٨٩٠ إلى ٢٣ مارس ١٨٩٧
السيد و. ميدوال	٢٣ مارس ١٨٩٧ إلى أول يوليو ١٩٠٣
الميجور اي. ب. برتون	أول يوليو ١٩٠٣ إلى ٢٦ فبراير ١٩٠٤

قناصل صاحب الجلالة البريطانية في المحمرة

السيد و. ميدوال	من ٢٦ فبراير ١٩٠٤

نواب قناصل صاحب الجلالة البريطانية
في الاهواز

الاهواز	
الملازم أول د. ل. ر. لوريمر	فبراير ١٩٠٤ إلى يونيو ١٩٠٥
الميجور و. ر. مورتن ، ر. اي(نائب)	يونيو ١٩٠٥ إلى يناير ١٩٠٦
النقيب د. ل. ر. لوريمر	من يناير ١٩٠٦

الوكلاء الوطنيون في لنجه

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
(لنجه)	
ملا صالح	١٨٣٠ — ١٨٣١
حاجي صالح	١٨٣٣ إلى يونيو ١٨٣٩
حاجي قاسم	يوليو ١٨٩٩
أحمد بن حسين	١٨٤٦ — ١٨٥٢
حاجي محمد بشير	١٨٧٠
عبد العزيز (عزل)	من يوليو ١٨٧٦ إلى فبراير ١٨٧٧
محمد بن أمين (مات)	١٨٧٧ إلى أغسطس ١٩٠٢
اغا بدر ابن الأخير	من ١٩٠٢

وابتداء من سنة ١٨٧٧ فصاعداً أجبرت الحالية الهندية البريطانية على أن يـ
وظيفة المعتمد هناك من الوطنيين ، وقد كان هذا الأمر محل عناية واهتمام الحكـ
الهندية سنة ١٨٩٣ ، إلا أن اتخاذ اجراء بصدده قد تأجل .

مساعدو المقيم ونواب قنصل صاحب الجلالة البريطانية في بندر عباس

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
(بندرعباس)	
الملازم أول ف. ف. هنت	من مارس ١٩٠٠ إلى مارس ١٩٠١
الميجور د. س. فيلوت (في نفس الوقت قنصلاً في كرمان)	يونيو ١٩٠١ إلى ديسمبر ١٩٠١
النقيب اي. هـ. اس. بوكس (مات في الوظيفة)	من يناير إلى ٤ يونيو ١٩٠٢
النقيب و. ج. جراي	أغسطس ١٩٠٢ إلى يناير ١٩٠٤
النقيب ا. ب. تريفور	من يناير إلى أغسطس ١٩٠٤

مساعد المقيم وقنصل صاحب الجلالة البريطانية في بندر عباس

النقيب و. هـ. آي. شكسبير	من نوفمبر ١٩٠٤

الممثلون البريطانيون في مركز باسيدو

وابتداء من سنة ١٨٧٠ إلى مايو ١٨٨٢ كان عبد الرحيم حكيم مساعد الجراح، على وجه العموم ، المشرف سياسياً على مركز باسيدو .

وفي سنة ١٨٦٦ كان بشير بن حاجي يعقوب وكيل الرقيق الذي عين في ذلك العام ، وقد استقال في ١٨٦٧ ، وقد تبعه ميرزا جواد الذي ثبت في سنة ١٨٦٩ .

وقد عين حاجي عباس وكيلاً للفحم في يونيو ١٨٧٢ وقد عزل لامتلاكه

عبد في مارس ١٨٧٧ . وقد كان خلفه محمد محمود . وقد أعيد حاجي عباس إلى مركزه ولكنه استقال ، وقد عين محمد محمود حينئذ في مكانه وظل متولياً لمركز وكيل الفحم في سنة ١٩٠٥ .

المثلون البريطانيون السياسيون في مكران الايرانية
مساعدو المعتمدين السياسيين في جوادر

(مكران الإيرانية)

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
النقيب اي. س. (المسمى فيما بعد) العقيد سير ادوارد روس	١٨٦٣ — ١٨٧١
النقيب اس. ب. ميلز	١٨٧٢
النقيب اي. موكلر	١٨٧٣

المديرون ووكلاؤهم في تلغراف الخليج

السيد ب . ت. فنش	من ٦ أغسطس ١٨٧٩ إلى ٧ ابريل ١٨٨١
السيد ل . جابلير	من ٨ ابريل ١٨٨١ إلى نوفمبر ١٨٨٢
السيد ب. ت. فنش	من ٣ نوفمبر ١٨٨٢ إلى أول مارس ١٨٨٤ من أول أغسطس ١٨٨٤ تولى مركز المعتمد السياسي في كلت .
السيد ب. ت. فنش	من ١ اغسطس ١٨٨٤ إلى ٨ابريل ١٨٩٠
السيد ج. ن. ف. و. بوسمان	من ٩ ابريل ١٨٩٠ إلى ٨ يوليو ١٨٩٠

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة :
السيد ب. ت. فنس	من ٩ يونيو ١٨٩٠ إلى ١٢ مايو ١٨٩١
السيد ج. ف. ف. و. بوسمان	من ٩ ابريل ١٨٩٠ إلى ٨ يوليو ١٨٩٠
السيد ب. ت. فنش	من يوليو ١٨٩٠ إلى ١٢ مايو ١٨٩١
السيد ج. ف. ف. و. بوسمان	من ١٣ مايو ١٨٩١ إلى ٢٨اكتوبر ١٨٩١
السيد ب. ت. فنش	من ٢٩ اكتوبر ١٨٩١ إلى٣١مارس١٨٩٣
السيد ج. ف. ف. و. بوسمان	من أول ابريل ١٨٩٣ إلى ٦ ابريل ١٨٩٦
السيد ج. و. سيلي	من ٧ ابريل ١٨٩٦ إلى ٣١ يوليو ١٨٩٨
المقدم هـ. ل. ويلز	من١ أغسطس١٨٦٨إلى٣١أغسطس١٨٩٨
السيد ج. و. سيلي	من ١ سبتمبر ١٨٩٨ إلى ١٤ يناير ١٩٠٠
السيد هـ. وتبي سميث	من ١٥ يناير ١٩٠٠ إلى ١٦ ابريل ١٩٠١
السيد ر. هـ. نيو	من ١٧ ابريل١٩٠١ إلى ٢٣ديسمبر ١٩٠١
السيد هـ. وتبي سميث	من ٢٤ ديسمبر ١٩٠٠ إلى١٧مارس١٩٠٥
السيد ر. س. كامبل	من١٨مارس١٩٠٥ إلى ٣٠ نوفمبر ١٩٠٥
السيد هـ. وتبي سميث	من أول ديسمبر ١٩٠٥

التمثيل البريطاني في العراق التركي
الممثلون السياسيون البريطانيون في بغداد

(بغداد)	المقيمون
السيد جيمس مورلي	مايو إلى نوفمبر ١٧٦٦

وقد توقفت المعتمدية عن العمل ابتداء من ١٧٦٦ حتى ١٧٩٨ ، ولكن ابتداء من ١٧٨١ كان هناك وكيل وطني في بغداد .

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد هـ. جونز (الذي أصبح فيما بعد السيد هارفورد جونز بريدج)	من أغسطس ١٧٩٨ إلى يناير ١٨٠٦
الدكتور جون هين ، جرّاح المقيمية، (وكيل)	١٨٠٦ — ١٨٠٨
السيد كلودس جامز رتشر	١٨٠٨ — ١٨١٢

وفي سنة ١٨١٠ أدمجت المقيمية مع مقيمية البصرة ، وفي سنة ١٨١٢ تحولت المقيميات المدمجة إلى وكالة سياسية في البلاد العربية التركية .

المعتمدون السياسيون

السيد كلودس جيمس رتشر (مات في الوظيفة)	١٨١٢ — ١٨٢١
النقيب ر. تايلور ، بحرية بمباي الثالثة فرقة المشاه (رقي إلى رتبة رائد في ١٨٢٧ وإلى رتبة مقدم في ١٨٣١)	١٨٢٢ — ١٨٤٣
الميجور (المسمى فيما بعد) السيد جنرال هنري س. رولنسون	٦ ديسمبر ١٨٤٣ إلى ١٤ اكتوبر ١٨٤٩
أرنولد ب. كمبال	١٤ ديسمبر ١٨٥١
الميجور (الذي أصبح فيما بعد) السيد جنرال هنري س. رولنسون	من ١٥ ديسمبر ١٨٥١ إلى٢٨فبراير ١٨٥٥
النقيب (الذي أصبح فيما بعد) السيد جنرال ا. ب. كمبال	من ١ مارس ١٨٥٥ إلى ٢٣ اكتوبر ١٨٥٩

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
الدكتور ج. م . هيسلوب، جرّاح المقيمية	من ٢٤ اكتوبر ١٨٥٩ إلى ٢٨ ابريل ١٨٦١
النقيب (الذي أصبح فيما بعد) السير ا. ب. كمبال	من ٢٩ ابريل ١٨٦١ إلى ١ أغسطس ١٨٦٨
العقيد س. هربرت	من ١ سبتمبر ١٨٦٨ إلى ٢٠ ديسمبر ١٨٧٤
العقيد ج. ب. نيكسون	من أول ديسمبر ١٨٧٤ إلى ٦ يوليو ١٨٧٩

المقيمون

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
العقيد اس. م. ميلز	من ٧ يوليو، ١٨٧٩ إلى ٢٨ سبتمبر ١٨٨٠
السيد ت. ج. س. (المسمى فيما بعد) السير تريفور بلودن ، (الخدمة الملكية الهندية) .	١٨٨٠ إلى ٢٠ يناير ١٨٨٢
العقيد (الذي أصبح فيما بعد) الجنرال و. تويدي	من ٢٠ مارس ١٨٨٢ إلى ١١ نوفمبر ١٨٨٢
السيد ت. ج. س. (الذي أصبح فيما بعد) السير تريفور بلودن ، الخدمة الملكية الهندية	من ١٢ نوفمبر ١٨٨٣ إلى ٣١ مايو ١٨٨٥
العقيد (الذي أصبح فيما بعد) الجنرال و. تويدي	من ٢٤ يوليو ١٨٨٥ إلى ٢٤ يونيو ١٨٨٨
الميجور ا. س. تالبوت	من ٢٥ يونيو ١٨٨٨ إلى ٢٣ مايو ١٨٨٩
العقيد (الذي أصبح فيما بعد) الجنرال و. تويدي	من ٤ مايو ١٨٨٩ إلى ٣١ اكتوبر ١٨٩١
العقيد ي. موكلر	من اول نوفمبر ١٨٩١ إلى ١١ابريل ١٨٩٧
المقدم و. لوك	١٢ ابريل ١٨٩٧ إلى ٩ يونيو ١٨٩٨
الميجور ب. ج. ميلفيل	١٥ اغسطس ١٨٦٨ إلى مارس ١٨٩٩

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
المقدم و. لوك	من ١ ابريل إلى ١٠ يونيو ١٨٩٩
الميجور ب. ج. ميلفيل	من ١١ يونيو ١٨٩٩ إلى ٢٠ مارس ١٩٠٢
المقدم ل. اس. نيومارش	من ٢١ مارس ١٩٠٢ إلى ٢٨ مارس ١٩٠٦
العقيد ج. رامساي	من ٢٩ مارس ١٩٠٦

الممثلون السياسيون البريطانيون والقناصل في البصرة

المقيمـون

السيد مارتن فرنش (مات في الوظيفة)	١٧٢٨ إلى نوفمبر ١٧٣٧
السيد ناثانيل وتول	١٧٣٧ — ١٧٣٨
السيد توماس داريل	١٧٣٩ — ١٧٤٥
السيد توماس جرندن (ترك الخدمة)	١٧٤٧ — ١٧٤٨
السيد ناثانيل بومبت (مشرف على المقيمية)	بعد سفر السيد جرندون
السيد برابازون إليس (ربما قائم بالأعمال فقط)	١٧٥١
السيد ويليام شاو	١٧٥٣ — ١٧٦١
السيد جيمس ستورت (مات في الوظيفة)	١٧٦١ إلى يوليو ١٧٦٢
السيد دي موك ليستر	١٧٦٢

وقد انشئت وكالة مجلس الشورى في البصرة في سنة ١٧٦٣ ، التي أصبحت لفترة من الزمن المركز الرئيسي لشركة الهند الشرقية المحترمة في الخليـج .

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة

وكلاء المجلس

السيد ويليام أندرو بريس (موقت)	١٧٦٣
السيد ديامول ليستر (قائم بالأعمال)	
السيد روبرت جاردن	١٧٦٤
السيد بيتر الوين رنيش	١٧٦٤ — ١٧٦٦
السيد هنري مور	١٧٧٥ — ١٧٧٦

كانت أعمال المقيمية متوقفة بسبب الطاعون من ابريل ١٧٧٣ إلى يناير ١٧٧٤ ومرة أخرى توقفت بسبب الاجراءات الإيرانية في البصرة من ابريل ١٧٧٥ إلى ١٧٧٦ .

السيد وليام دجيز لاتوش	١٧٧٦ — ١٧٧٨

وفي سنة ١٧٧٨ انتهت وكالة المجلس ، وحلت محلها المقيمية .

المقيمون

السيد وليام دجيز لاتوش	١٧٧٨ — ١٧٨٤
السيد صمويل مانستي	١٧٨٤ — ١٧٨٦
السيد جون جريفيث	من مارس إلى ديسمبر ١٧٨٦
السيد صمويل مانستي	١٧٨٦ — ١٧٩٥

كانت مقيمية البصرة موجودة في الكويت ابتداء من ابريل ١٧٩٣ إلى سبتمبر ١٧٩٥ ، وفي الواقع ، كانت كذلك متوقفة .

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد ن. كرو	من يناير إلى سبتمبر ١٧٩٦
السيد اس. مانستي	من سبتمبر ١٧٩٦ إلى ١٨٠٥
الملازم أول اي. بلاسيز (مهندسون بمباي) (مهمة موقتة)	إلى يوليو ١٨٠٥
السيد ج. لو (مات أثناء تأدية الخدمة)	من يوليو ١٨٠٥
الملازم أول إيتويل ، بحرية بمباي	من ١٨٠٥ إلى يونيو ١٨٠٦
السيد صمويل مانستي (أجبر على الاستقالة)	من يونيو ١٨٠٦ إلى يونيو ١٨١٠

وفي سنة ١٨١٠ خفض مركز البصرة إلى وكالة سياسية مساعدة تعتمد على الوكالة السياسية في البلاد العربية تحت النفوذ التركي [١] .

المعتمدون السياسيون المساعدون

الدكتور كلكاهون	١٨١٠ — ١٨١٨
النقيب ر. تايلور	١٨١٨ — ١٨٢٢

وفي سنة ١٨٢٢ خفض مركز البصرة تخفيضاً مرة أخرى إلى وكالة وطنية .

الوكلاء الوطنيون

خوجا بارسيغ جوهانز	١٨٢٢ — ١٨٥١

(١) ترجمة كلمة Turkish Arabia

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة

وفي سنة ١٨٥١ استبدلت الوكالة الوطنية بوكالة أهلية .

الوكلاء البريطانيون

السيد ج. تايلور (ابن العقيد ر. تايلور)	من ٨ أغسطس ١٨٥١ إلى ٣٠ سبتمبر ١٨٥٨
السيد ر. روجير (مات في الوظيفة) كان يعمل مترجماً في غضون هذه الفترة	أول اكتوبر ١٨٥٨ إلى ٤ أغسطس ١٨٦٢
السيد و. جونستون (تاجر)	من ٨ مايو ١٨٦٣ إلى ٢٠ ابريل ١٨٦٨
السيد باتريك ج. س. روبرتسون (تاجر)	من أول ابريل ١٨٦٨ إلى ١٨٧٣

وفي سنة ١٨٧٣ ارتفعت درجة الممثل البريطاني مرة أخرى إلى مساعد معتمد سياسي .

مساعدو المعتمد السياسي

السيد بي. ج. س . روبرتسون	من ١٨٧٣ إلى ٣٠ مايو ١٨٧٧
السيد ف. ف. كارتر (قائم بالأعمال) بصفة غير منتظمة بدون موافقة الحكومة الهندية	١٨٧٧
النقيب فرازر	من ٣ أغسطس ١٨٧٧ إلى ١٣ ديسمبر ١٨٧٧
السيد ن. ف. كارتر	من ١٤ فبراير ١٨٧٧ إلى ١٣ يناير ١٨٧٨

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد بي. ج. س. روبرتسون	من ١٤ يناير ١٨٧٨ إلى ١٩ يونيو ١٨٨١
النقيب جي. نويل	من ٢٠ يونيو ١٨٨١ إلى ٦ ديسمبر ١٨٨١
الميجور إي. موكلر	من ٧ ديسمبر ١٨٨١ إلى ١٣ فبراير ١٨٨٣
عبد الرحيم حكيم مساعد الجراح	من ١٤ فبراير ١٨٨٣ إلى ٣٠ مايو ١٨٨٣
الملازم أول هـ. رامساي	من ٣١ مايو ١٨٨٣ إلى ١٧ اكتوبر ١٨٨٣
الميجور إي. موكلر	من ١٨ اكتوبر ١٨٨٣ إلى ٦ يناير ١٨٨٤
السيد بي. جي. س. روبرتسون	من ٧ يناير ١٨٨٤ إلى ٩ ابريل ١٨٨٤
الميجور اي. موكلر	من١٠ ابريل ١٨٨٤ إلى ٣١أغسطس١٨٨٤
الميجور بي. جي. س. روبرتسون	من ١ سبتمبر ١٨٨٤ إلى ٣ اكتوبر ١٨٨٤
الميجور إي. موكلر	من ٤ اكتوبر ١٨٨٤ إلى ١٨ ابريل ١٨٨٦ ولكن في الفترة ما بين يونيو ١٨٨٥ إلى ابريل ١٨٨٦ كان السيد مارين قائماً بمهمة الوكيل البحري .
السيد بي. جي. س. روبرتسون	من ١٩ ابريل ١٨٨٦ إلى ١٥ يناير ١٨٨٧
المقدم إي. موكلر	من ١٦ يناير ١٨٨٧ إلى ١٨ أبريل ١٨٨٩
السيد بي. جي. س. روبرتسون (مات في الوظيفة)	من ١٩ ابريل ١٨٨٩ إلى ٢١أغسطس١٨٨٩
السيد ل. م. ديس (تاجر)	من٢٢ أغسطس١٨٨٩ إلى٦ ديسمبر ١٨٨٩
النقيب رافينشو	من ٧ ديسمبر إلى ٢ ابريل ١٨٩٠
الملازم أول و. ستراتون	من ٣ ابريل ١٨٩٠ إلى ٣٠ مارس ١٨٩١

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
النقيب ترنش	من ٣١ مارس ١٨٩١ إلى ٢٢ يوليو ١٨٩١
السيد ل. م. ديس (تاجر)	من ٢٣ يوليو ١٨٩١ إلى يناير ١٨٩٢
الميجور ر. هـ. جننجر	من ١ فبراير ١٩٨٢ إلى ٣ أغسطس ١٨٩٢
النقيب ف‌لاج. بيفيل	من٤ أغسطس١٨٩٢ إلى ٢٠ نوفمبر ١٨٩٤
الملازم اول إس. ج. كنوكس	من ٢١ نوفمبر ١٨٩٤ إلى٢٤ نوفمبر ١٨٩٥
النقيب ج. ف. ويت	من ٢٥ نوفمبر ١٨٩٥ إلى ٤ فبراير ١٨٩٧
الميجور س. جي. اف. فاجان	من ٥ فبراير ١٨٩٧ إلى ٣١أغسطس ١٨٩٧
النقيب ل. ا. فوربس	من أول سبتمبر ١٨٩٧ إلى ٢٥ يونيو١٨٩٨
السيد جاردن (تاجر)	من ٢٦ يونيو ١٨٩٨ إلى ١٢ سبتمبر ١٨٩٨
النقيب ج. رامساي	من ١٣ سبتمبر ١٨٩٨ إلى١١ديسمبر١٨٩٨

البصرة

وفي سنة ١٨٩٨ انتقلت البصرة من حكومة الهند إلى حكومة صاحب الجلالة، البريطانية ، وقد شغل المنصب حينذاك قنصل الشرق الأدنى .

القناصل هـ. ب. م

السيد ا. س. راتسلو	٢٢ سبتمبر ١٨٩٨ إلى أول أغسطس ١٩٠٣
السيد إي. ان. كرو	من ١ أغسطس ١٩٠٣ حتّى الوقت الحاضر

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد موناهان	قائم بالأعمال في ١٩٠٤ إلى ١٩٠٥ أثناء اجازة السيد كرو

المثلون البريطانيون والقناصل ونوابهم في الموصل

الموصل

كريستيان أنثوني راسام	٣١ ديسمبر ١٨٣٩ ، مات سنة ١٨٧٢
جون فريدرك رسل	من ٨ فبراير ١٨٧٧ إلى ١٦ مايو ١٨٨٣
ويليام شورتلاند ريتشاروز	١٦ مايو ١٨٨٣ إلى ١٦ نوفمبر ١٨٨٥
هاري هارلنج لامب	من ١٦ نوفمبر ١٨٨٥ إلى ٢٢ يوليو١٨٨٦
جون فريدرك رسل	من ٢٢ يوليو ١٨٨٦ إلى ٢١ مايو ١٨٨٧

(كان المركز متوقفاً في الفترة ما بين ١٨٨٧ و ١٨٩٣)

وكلاء القناصل

نيمرود راسام	من٢٤ أغسطس١٨٩٣ إلى ١٢مارس١٩٠٨

نواب القناصل

هوراس ادولرد ولكاي	من ١٢ مارس ١٩٠٨ إلى ٣٠ يناير ١٩١٠
تشارلز اليكسز جريج	من ٣٠ يناير ١٩١٠ إلى ٨ نوفمبر ١٩١١

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة

نائب القنصل

هنري تشارلز هوني	من ٨ نوفمبر ١٩١١

المثلون البريطانيون السياسيون والقناصل في كربــلاء

الوكلاء الوطنيون

(كربلاء)

مير قلشان علي	في ١٨٧٠
أحمد علي خان	
حيدر علي خان	١٨٧٧ — ١٨٨٤
محمد تقي خان	١٨٨٤ — ١٨٩٢
أغا إبراهيم	١٨٩٢ — ١٨٩٣

وكيل القنصل البريطاني (من ١٠ أغسطس ١٨٩٣)

اغا إبراهيم	١٨٩٣ — ١٩٠٣

نائب القنصل البريطاني

ميرزا محمد حسن مشين	من ١٩٠٣

التمثيل الاجنبي في منطقة الخليج

عربستان

افتتحت وكالة قنصلية روسية في الأهواز في ديسمبر ١٩٠٢ برئاسة السيد بي. تير مولن التاجر الهولندي .

القناصل الاجانب الممثلون في بوشهر

هولنـــدا

بوشهر

افتتحت قنصلية هولندية في بوشهر سنة ١٨٦٩ ، وعين السيد ريتشارد تشارلز كين الذي أصبح فيما بعد الشيفاليه كين دي هوجرووورد الذي ظل مستمراً في الاشراف على القنصلية فيما عدا فترة غيابه في اجازته ، وفي غضون ذلك عملت الترتيبات ، ففي سنة ١٨٧٨ عندما شرع في اجازته كان الحاكم الإيراني قائماً بالاشراف على المصالح الهولندية . وبعد عودته سنة ١٨٨٤ أو سنة ١٨٨٥ بقي في بوشهر بدرجة قنصل حتى سنة ١٨٨٩ عندما نقل إلى «بانكوك» ، وقد عهد بشؤون قنصلية بوشهر إلى الممثلين المحليين لشركة السادة هوتز .

كان القناصل بمقتضى هذا الترتيب كما يلي :

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد و. جرونونج	من ابريل ١٨٨٩ إلى مايو ١٨٩١
السيد فاندرزي	من مايو ١٨٩١ إلى مايو ١٨٩٢
السيد و. جرنونج	من مايو ١٨٩١ إلى ابريل ١٨٩٤
السيد فاندرزي	من ابريل ١٨٩٤ إلى يوليو ١٨٩٩
السيد موسمان *	من يوليو ١٨٩٩ إلى مايو ١٩٠٣

وقد عهد بالاشراف على القنصلية الهولندية حينئذ لنائب القنصل الفرنسي (السيد شالون) الذي ظل مشرفاً عليها حتى ذهب في اجازته في مايو ١٩٠٥ .

وابتداء من نوفمبر ١٩٠٥ تولى الاشراف على القنصلية الهولندية «الميرزا» نائب القنصليـــة الفرنسية ، إلا أن السيد باسيك القنصل الروسي العام ، عهد اليه بالاشراف على القنصلية الهولندية في نوفمبر ١٩٠٥ .

تركيا

افتتحت القنصلية التركية في بوشهر في نوفمبر ١٨٧١ .

وقد خفض مركز القنصلية إلى وكالة قنصلية ، وقد عين القنصل ميرزا ، كنائب للقنصلية في ديسمبر ١٨٨٥ .

فرنسا

افتتحت وكالة القنصلية في بوشهر في مارس ١٨٩٣ . بواسطة السيد بيات .

وقد خلف السيد هـ. جيز السيد بيات في ابرايل ١٨٩٣ وأصبح قائماً بالأعمال حتى ابريل ١٨٩٤ .

وقد عمل السيد حاجي ميرزا حسين ، الترجمان ، حينئذ نائباً للقنصل

وقد عين السيد سانت نائباً للقنصل من مارس ١٨٩٥ إلى ابريل ١٨٩٦ حينما ترك الترجمان الاشراف على القنصلية .

بوشهر

وقد قام السيد فراند بالاعمال ابتداء من ٧ يوليو حتى ٣٠ اكتوبر ١٨٩٧ بعد ما انتهت خدمة الترجمات مرة أخرى .

وقد قام السيد هنري برويس بالاعمال ابتداء من ٢٨ فبراير ١٨٩٨ إلى ٨ أغسطس ١٨٩٩ ، وترك الترجمان حينئذ الخدمة مرة أخرى .

وقد كان السيد ر. شالون نائباً للقنصل من ٦ اغسطس ١٩٠١ حتى ٢٥ يوليو ١٩٠٥ ، وبعد رحيله قام الترجمان بالاشراف على القنصلية الذي تولاه أكثر من مرة قبل ذلك .

المانيا

افتتح الدكتور روبرت هوك وكالة قنصلية المانية في بوشهر في نوفمبر ١٨٩٧ وتولى الاشراف عليها حتى ١٥ يونيو ١٨٩٩ ، وقد كان خلفاؤه :

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
الدكتور رينهاردت	من ١٥ يونيو ١٨٩٩ إلى ٣٠ ابريل ١٩٠٠
الدكتور رويدر	من ٣٠ ابريل ١٩٠٠ إلى ٥ مارس ١٩٠١
الدكتور رينهاردت	من ٥ مارس ١٩٠١ إلى ٢٦ مارس ١٩٠٣
الهر فون ماتيوس	من ٢٦ مارس ١٩٠٣ إلى مايو ١٩٠٥
الدكتور ليسمان	من مايو ١٩٠٥

روسيا

افتتح السيد ج. أفسينكو القنصلية الروسية العامة في بوشهر في ١٧ سبتمبر ١٩٠١ وقام بالخدمة فيها حتى ٢٢ يوليو ١٩٠٣ . وقد قام السيد باسيك بمهمة القنصل العام في ٢٧ ابريل ١٩٠٤ ، وظل مشرفاً على القنصلية حتى مايو ١٩٠٦ عندما ذهب في اجازته . وقد قام بالخدمة مكانه حينئذ السيد اندري .

التمثيل القنصلي الأجنبي في بندر عباس
روسيا

بندرعباس

وقد افتتح السديد السلطانه ، وكالة القنصلية الروسية في بندرعباس في يناير ١٩٠٥ ، ومن ثم فقد ارتفع التمثيل إلى قنصلية وعين بها السيد أوفسينكو الذي قام بالأعمال بها حتى يناير ١٩٠٦ .

التمثيل القنصلي الاجنبي في مسقط

لنجه

عين وكيل قنصلي تركي في لنجه في ١٨٩١ أو ١٨٩٢ إلا أنه لم يعترف به من قبل الحكومة الإيرانية إلا بعد سنة ١٩٠٥ .

في سنة ١٩٠٥ كان في لنجه وكيل قنصلي هو الحاج عبد الرحمن الذي كان يقوم كل من فرنسا وروسيا .

الولايات المتحدة الامريـكية

مسقط

عين السيد لويس ماجوير ، التاجر البريطاني ، قنصلاً امريكياً في مسقط سنة ١٨٨٠ أو ١٨٨١ . وقد تولى المركز بعض الوقت السيد مكردي تاجر بريطاني آخر ممثل شركة السادة م. تويل .

فرنســـا

افتتح السيد بي أوتاني الوكالة القنصلية في مسقط في ٨ نوفمبر ١٨٩٤ وتولى

المذكور القيام بالأعمال بها حتى يوم ٦ يوليو ١٩٠١ . وقد اعترف ماجوير القنصل الامريكي وكيلاً قنصلياً لفرنسا . وقد كان خلفاء السيد هم :

السيد لارونس ، من ٦ يوليو ١٩٠١ إلى ١٤ مارس ١٩٠٣ .

السيد درفيل ، قائم بالأعمال بالوكالة ، من ١٤ مارس ١٩٠٣ حتى ٣ ا ١٩٠٣ .

السيد لارونس ، من ٣ اكتوبر ١٩٠٣ ، إلى ١٢ يوليو ١٩٠٤ .

السيد بلكوك ، قائم بالأعمال بالوكالة ، من ١٢ يوليو ١٩٠٤ إلى ٢٣ اكتو ١٩٠٥ .

والسيد لارونس ، من ٢٣ اكتوبر ١٩٠٥ .

التمثيل الاجنبي في العراق التركي
التمثيل القنصلي الاجنبي في بغداد

بغداد

فرنسا

تعتبر فرنسا — باستثناء بريطانيا — الدولة الأوروبية التي استمر ممثلها ا أطول مدة في بغداد . والقائمة التالية تبين قناصلها في بغداد :

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة ا
مجر . بيلت	قنصل	١٧٤١ —
مجر[١] . ميرودوت دي بورج	قنصل	١٧٧٥ —

(١) وقد مثل « مجر دي بورج » — لبعض الوقت على الاقل — ابن أخيه « الآب دي بوشامب » .

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد جين بابتست روسو	قنصل	١٧٩٦ ــ ١٧٩٨
السيد دي كورانسىر	قنصل عام	١٨٠٩
جين رايموند	قنصل	١٨١٢
السيد فيجورس او (دي بيجورس)		١٨١٥ ــ ١٨١٩
السيد جورجز أوتري	نائب قنصل	١٨٢٠
مجر بير الكسندر دي كوبريس	قنصل	١٨٢٤
السيد بوشر		١٨٣١
السيد هونوري فيدال		١٨٣٢
السيد لو بارون دي لوف ويمر	قنصل عام	١٨٤١
السيد جوفروي	نائب قنصل	١٨٤٨
السيد أغسطين شانتيدك		١٨٤٩
السير فافيرنير		
السيد نيقولاس	قنصل	١٨٥٣
الميجور رولينسن (القنصل البريطاني العام)		١٨٥٤
النقيب كمبال (القنصل البريطاني العام)		١٨٥٥
السيد أوجين تاستو	قنصل عام	١٨٥٦
السيد جارينر بنوس		١٨٦٠
السيد بارتير	»	١٨٦١
السيد دلابورتس	قنصل	١٨٦٢

الاسم	الدرجة	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد بليسير دي ريجنالت	قنصل	١٨٦٤
السيد جيز	قنصل	١٨٦٩
السيد روجير		١٨٧٢
السيد ديستريس	تنصل	١٨٧٣
السيد بيرتراند		١٨٧٨
السيد بيرتاي	قنصل	١٨٧٩
السيد اي. دي سارزك	قنصل	١٨٨٣
السيد هـ. بيجنن	قنصل	١٨٨٧
السيد ف. ماشكو (القنصل الروسي)		١٨٩٦
السيد ج. رويت	نائب قنصل	١٨٩٧
السيد ج. رويت	قنصل	١٩٠٦

عهد إلى القنصلية الفرنسية ، بالاشراف على مصالح الرعايا الايطاليين حتى سنة ١٩٠٥ .

روسيا

تأسست القنصلية الروسية في بغداد سنة ١٨٨١ ، وقد تولى الاشراف عليها كل من :

السيد ل. إيبرهارد	من ٤ يناير ١٨٨١ إلى ٣١ ديسمبر ١٨٨٥ وبعد ذلك تولى القنصل الفرنسي الاشراف

التاريخ او مده الوظيفه	الاسم
على المصالح الروسية من أول يناير ١٨٨٦ إلى ١٩٨ مايو ١٨٨٩	
من ٢٠ مايو ١٨٨٩ إلى ١٧ سبتمبر ١٨٩٢	السيد بي. بونافيدين
قائم بالأعمال من ٢٠ سبتمبر ١٨٩٢ إلى ١٣ مارس ١٨٩٥	السيد ا. كروجلوف ، سكرتيراً
١٤ مارس ١٨٩٥ إلى ٢ مارس ١٨٩٨	السيد ف. ماشكو
من ٣ مارس ١٨٩٨ إلى ١١ مايو ١٩١٠	السيد ا. جروجلوف

رفع تمثيل القنصلية في سنة ١٩٠١ إلى قنصلية عامة وقام بالاشراف عليها كل من :

من ١١ مايو ١٩٠١ إلى ٣١ مارس ١٩٠٢	السيد لمركروجلوف
قائم بالأعمال من أول ابريل ١٩٠٢ إلى ٢٨ فبراير ١٩٠٣	السيد و. دي توفل
من أول مارس ١٩٠٣ إلى ١٧ مايو ١٩٠٤	السيد أدموف (قائم بالأعمال)
من ١٨ مايو ١٩٠٤	السيد ف. ماشكو

ظهرت إلى حيز الوجود وكالة القنصلية الروسية في بغداد سنة ١٨٩٩ وكان أول من أسند اليه أمرها هو السيد أدموف .

* * *

اليونان

وبناء على التعليمات التي صدرت في اغسطس ١٨٨٧ أصبحت الرعايا والمصالح اليونانية تحت الحماية البريطانية حتى ١٨٩٧ ، حيث عدلت ذلك التنظيمات إن لم تكن قد انتهت كنتيجة للحرب بين تركيا واليونان .

الولايات المتحدة الامريكية

تولت القنصلية البريطانية العامة الاشراف على مواطني الولايات المتحـــدة الامريكية ، فيما قبل ، بصفة غير رسمية ، وذلك بمقتضى الأمر الصادر في ٣٠ يناير ١٨٨٢ . وبعد سنة ١٨٨٩ تم تعيين القناصل ونواب القناصل الامريكيين .

القناصل الامريكيين

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد جي. هـ. هاينس	من ٢٢ مايو ١٨٨٩ إلى ١٢ مارس ١٨٩١
المقدم و. تويدي (القنصل البريطاني العام) قائم بالأعمال	من ١٣ مارس ١٨٩١ إلى ٣١ اكتوبر ١٨٩١
المقدم موكلر (القنصل البريطاني العام) قائم بالأعمال	من ١ نوفمبر ١٨٩١ إلى ٢١ مارس ١٨٩٣
الدكتور جي. ساندبيرج	من ١٣ مارس ١٨٩٣ إلى ٢٧ سبتمبر ١٨٩٤

نواب القناصل الامريكيين

السيد ر. هرمر	من ٢٨ سبتمبر ١٨٩٤

المانيا

كلف القنصل البريطاني العام في بغداد بالاشراف على مصالح الرعايا الألمانيين في بغداد في ٢٤ مارس ١٨٨٣

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
السيد س. ريشارز ، أول قنصل الماني معين في بغداد	في ٢٠ ديسمبر ١٨٩٤
عندما قام السيد ريتشارز باجازته في عام ١٨٩٨ تولى الدكتور ف. روزن من المفوضية الالمانية عمل القنصل بالنيابة .	من أول فبراير ١٨٩٨ إلى١٩نوفمبر ١٨٩٨
وعندما ذهب السيد ريتشارز في اجازته للمرة الثانية سنة ١٩٠٤ قام بعمله القنصل البلجيكي الهر بوتمان	من ١٣ ديسمبر ١٩٠٤ إلى ١٩ نوفمبر ١٩٠٥
استأنف السيد ريتشارز عمله	في ٢٠ نوفمبر ١٩٠٥

وقد كان السيد ريتشارز رجلاً خاصاً لمهام معينة ولا صلة له بالخدمات القنصلية الألمانية .

النمسا والمجر

كان القنصل الفرنسي في بغداد يقوم برعاية رعايا كل من النمسا والمجر فيما قبل سنة ١٩٠٠ .

الاسم	التاريخ أو مدة الوظيفة
كان السيد ا. رابابورت أول قنصل نمساوي مجري عين لرئاسة القنصلية	من ٦ مايو ١٩٠٠ إلى ٤ سبتمبر ٩٠٣
الميجور ل. إس. نيومايش (القنصل البريطاني العام الذي كان مشرفاً على المصالح النمساوية المجرية)	من ٥ سبتمبر ١٩٠٣ إلى ١١ نوفمبر ٩٠٤
كان القنصل النمساوي المجري التالي هو السيد جيبلتشك الذي بقي في بغداد	من ١٢ نوفمبر إلى ١٧ ديسمبر ١٩٠٤ فقط
السيد ج. رويت (القنصل الفرنسي) الذي وكلت اليه المصالح النمساوية المجرية	من ٨ ديسمبر ١٩٠٤

بلجيكا

أنشئت القنصلية البلجيكية في بغداد عام ١٩٠٤ . واليك أول الأشخاص الذين أسند اليهم الاشراف عليها :

السيد إي. باطمان ، وهو تاجر ألماني	من ٣ أغسطس ١٩٠٤ إلى ١٦مارس ١٩٠٦
السيد كارل بيرك ، تاجر الماني ، قائم بالأعمال	من ١٧ مارس ١٩٠٦
السيد ف. و. باري ، تاجر بريطاني ، كان قنصلاً لكل من السويد والنرويج في بغداد .	من ٢٧ سبتمبر ١٩٠٥

السويد

وقد كان السيد ف. و. باري قنصلاً للسويد فقط بعد ٥ يونيو ١٩٠٦

إيران

احتفظت إيران بممثلها القنصلي في بغداد لفترة طويلة ، وظل مركزه حتى السنين الحديثة بدرجة قنصل عام ، وكان السيد ميرزا محمد خان أول من ألقيت على عاتقه هذه المهمة سنة ١٨٩١ ، وقد كان هناك أيضاً ممثلين قنصليين في كل من كربلاء والنجف وسامراء وخانقين وبدره ومندالي وكوت العمارة والعمارة والحلة والناصرية وذلك طبقاً لما هو مذكور بعد في البصرة . ولكن درجة كل ممثل في البلاد المذكورة لم تكن معروفة على وجه الدقة ، وكذلك لم يكن معروفاً بالضبط مدى اعتراف السلطات العثمانية بهؤلاء الممثلين .

التمثيل القنصلي الاجنبي في البصرة

فرنسا

كانت فرنسا أول من وجد في الحقل القنصلي في البصرة كما حدث في بغداد ، فقد وجدت القنصلية الفرنسية في البصرة عام ١٦٧٩ ، وبدأت عملها قبل ذلك بواسطة أحد عشر قسيساً مختلفين . وكان السيد دي مارتاني معيناً حينئذ ، لكنه مات سنة ١٧٤١ بعد تعيينه بقليل .

وقد أنشئت المقيمية الفرنسية حينئذ بالبصرة ، وقفلت سنة ١٧٤٨ ، إلا أن السيد بردريا فتحها مرة ثانية سنة ١٧٥٥ .

وفي حوالى ١٧٨٠ كان بالبصرة مرة أخرى قنصل فرنسي نيابة عن السيد روسو .

ولم تسمع أنباء جديدة في البصرة عن الفرنسيين حتى إعادة تأسيس وكالة القنصلية بها حوالى سنة ١٨٧٠ ، وقد تولى الاشراف عليها في ذلك الوقت السيد إي. دي سارزك ، واشتهر بحفرياته في (طالو) . وفي سنة ١٨٨٤ انتحر نائب القنصل الفرنسي السيد بريجارد ، والغي المركز بعد ذلك . وبعد انشاء القنصلية الروسية في البصرة سنة ١٨٩٩ عهد اليها برعاية المصالح الفرنسية هناك .

روسيا

أنشئت القنصلية الروسية في البصرة سنة ١٨٩٩ تحت إشراف السيد أدموف الذي بقي بها حتى سنة ١٩٠٢ . وقام بالأعمال بعد ذلك السيد سافينو سكرتير القنصلية من ١٩٠٢ حتى ١٩٠٤ وعين السيد بوبوف سكرتيراً ابتداء منذ سنة ١٩٠٤ .

الولايات المتحدة الامريكية

وفي حوالى ١٩٠٠ عين السيد هاملتون ، التاجر البريطاني ، وكيلاً قنصلياً في البصرة ، وخلفه الدكتور س. تمس المختص بالمسائل التبشيرية الذي خلفه أيضاً هافمير ، الذي مات سنة ١٩٠٤ . وفي سنة ١٩٠٥ مثّل امريكا السيد تشوك التاجر البريطاني .

النمسا ، والمجر ، واليونان ، وايطاليا

وقام بالاشراف على مصالح هذه الدول سنة ١٩٠٥ القنصل البريطاني في البصرة .

إيران

كان يوجد بالبصرة — كما ذكر من قبل — قنصل عام لإيران .

مراجع الكتاب

Appendix R.

BOOKS OF REFERENCE.

ABBREVIATIONS.

J. A. S. B.	Bengal Asiatic Society's Journal.
Bull. S. G.	Bulletin de la Société de Géographie.
G. J.	Geographical Journal.
J. Bo. Br. R. A. S. . . .	Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic Society.
J. R. A. S.	Journal of the Royal Asiatic Society.
J. R. G. S.	Journal of the Royal Geographical Society.
Pr. R. G. S.	Proceedings of the Royal Geographical Society.
Tr. Bo. G. S. . . .	Transactions of the Bombay Geographical Society.

I.—PUBLISHED BOOKS AND ARTICLES.

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
1. Ainsworth (W. F.)	London, 1838 .	Researches in Assyria, Babylonia and Chaldea.	
2. Ditto .	London, 1844 .	Travels in the track of the Ten Thousand Greeks.	
3. Ditto .	London, 1844 .	Ditto ditto.	
4. Ditto .	......	A Personal Narrative of the Euphrates Expedition.	
5. Ditto .	London, 1890 .	The River Karun.	
6. Aitchison (Sir C. V.)	Calcutta, 1892 .	A Collection of Treaties, Engagements and Sanads relating to India and Neighbouring Countries (Volumes IX to XI, 3rd edition).	
7. Albuquerque (A) .	......	See Birch.	
8. Alexander (Lieutenant J. E.)	London, 1827 .	Travels from India to England.	
9. 'Ali Bey . .	London, 1816 .	Travels of 'Ali Bey (Volume II).	
10. Allemann (E.) .	Le Tour du Monde February 1901.	Mascate (2 parts).	
11. Amedroz (H. F.) .	J. R. A. S. 1901.	Three Years of Buwaihid Rule in Baghdad (2 parts).	
12. Ditto .	J. R. A. S., 1902	Three Arabic MSS. on the History of the City of Mayyafariqin.	
13. Andrew (W. P.) .	London . .	Memoir on the Euphrates Valley Route to India.	
14. Ditto Sir (W. P.)	London, 1882 .	The Euphrates Valley Route to India.	
15. Avril (A.d') .	Paris, 1868 .	L'Arabie contemporaine.	
16. Azuri (Najīb) .	.....	Le reveil de la nation arabe dans l'Asie turque.	
17. Badger (Rev. G. P.).	London, 1870 .	History of the Imâms and Seyyids of 'Omân (Hakluyt Society). (See also Miles and Palgrave.)	
18. Barré (P.) . .	Revue de Géographie, 1903.	L'Arabie (2 parts).	
19. Batuta (Ibn) .	1829 . .	(Travels of, translated by S. Lee.)	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
20. Beazly (C. R.) .	G. J. XII, October 1898.	Nordenskjöld's "Periplus." (See also Nordenskjöld.)	
21. Behr . . .	... ..	Behr's Diarium.	
22. Bell (Colonel M.)	Blackwood's Magazine, April 1889.	Visit to the Karun River and Kum.	
23. Benisch (Dr. A.) .	London, 1856 .	Travels of Rabbi Petachia.	
24. Benjamin (S. G. W.).	London, 1887 .	Persia and the Persians.	
25. Ditto .	London, 1888 .	Persia.	
26. Bent (J. T.) .	Pr. R. G. S. 1890	The Bahrein Islands in the Persian Gulf.	
27. Ditto . .	G. J. August, 1895.	Exploration of the Frankincense Country, Southern Arabia.	
28. Ditto . .	The Nineteenth Century, October 1895.	The Land of Frakincense and Myrrh.	
29. Ditto (Mrs. J. T.).	London, 1900 .	Southern Arabia	
30. Berard (A.) .	Bulletin de la Société Géographie de l'Ain, 1887 (?).	La Route de l'Inde par la vallée du Tigre et de l'Euphrate.	
31. Bewsher (Lieutenant J. B.).	Pr. R. G. S. XI, 1866-1867.	On part of Mesopotamia between Sheriatel-Beytha on the Tigris to Tel Ibrahim.	
32. Binder (H.) .	Paris, 1887 .	Au Kurdistan, en Mésopotamie et en Perse.	
33. Binning (R. B. M.)	1857 . .	Journal of two Years' Travel in Persia, etc. (2 volumes).	
34. Birch (W. de G.).	London, 1875—1884.	The Commentaries of the Great Afonso Dalboquerque (4 volumes). (Hakluyt Society.)	
35. Bird (J.) . .	Tr. Bo. G. S. I-II, November 1838.	Illustrations of the Arab and Persian Geographers, or the Geography of the Middle Ages.	
36. Birwood (Dr.) .	Tr. Bo. G. S. XV, January 1860.	Remarks in connection with the trade between Bombay, the Gulf, the Red Sea and African Coast.	
37. Birwood (Sir G.).	London, 1886 .	The Dawn of British Trade in the East Indies.	
38. Ditto (Assisted by W. Foster).	London, 1893 .	The Register of Letters, etc., of the Governor and Company of Merchants of London trading into the East Indies, 1600—1619.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
39. Bishop (Mrs.) .	1891 . .	Journeys in Persia and Kurdistan.	
40. Blunt (Lady Anne)	London, 1879 .	Bedouin Tribes of the Euphrates (2 volumes).	
41. Ditto .	London, 1881 .	A Pilgrimage to Nejd.	
42. Blunt (W. S.) .	Pr. R. G. S. II, 1880.	A visit to Jabal Shammar (Nejd).	
43. Bode (Baron C. A. de).	Pr. R. G. S. XIII, 1843.	Notes on a journey from Behbehan to Shushter.	
44. Ditto .	1845 .	Travels in Luristan and Arabistan.	
45. Boehm (Sir E.) .	1904 .	The Persian Gulf and South Sea Isles.	
46. Bosanquet (J. W.)	J. R. A. S. XVII, 1858-58.	Chronology of the Medes from the Reign of Deioces to the Reign of Darius, the son of Hystaspes, or Darius the Mede.	
47. Boscawen (W. S. C.).	1903 .	First of Empires.	
48. Bretschneider (E.)	London (Trübner). 1871.	On the knowledge possessed by the Ancient Chinese of the Arabs and Arabian colonies, ec.	
49. Brisse (A.) . .	Revue de Géographie, 1902.	Les intérêts de L' Allemagne dans L' Empire Ottoman (4 parts).	
50. Bruce (J.) . .	London, 1810 .	Annals of the Honorable East India Company.	
51. Brydges (Sir Harford Jones).	London, 1834 .	An account of the transactions of His Majesty's Mission to the Court of Persia in the years 1807—1811 (Volume I) and a Brief History of the Wahauby (Volume II)-	
52. Ditto . .	London, 1833 .	"The Dynasty of the Kajars."	
53. Buckingham (J. S.)	London, 1827 .	Travels in Mesopotamia.	
54. Ditto . .	London, 1829 .	Travels in Assyria, Media and Persia.	
55. Buist (Dr. G.) .	J. Bo. Br. R. A. S. I.	Note on a series of Persian Gulf specimens.	
56. Ditto . .	Pr. R. G. S. IV, 1859-60.	The Curia Muria Islands.	
57. Bunbury (?) .	?	Ancient Geography.	
58. Burchardt (H.) .		Zeitschrift der gesellschaft für Erdkunde zu Berlin, 1906, No. 5.	
59. Ditto .		Ost-Arabien von Basrabis Maskat auf Grund eigner Reisen.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
60. Burckhardt (J. L.)	London, 1829 .	Travels in Arabia (2 volumes).	
61. Ditto . .	London, 1831 .	Notes on the Bedowins and Wahaubys (2 volumes).	
62. Burnes (Captain Sir A.)	London, 1839 .	Travels into Bakhard (3 volumes).	
63. Burton (Sir R. F.)	London (reprint), 1898.	Personal Narrative of a pilgrimage to Al-Madinah and Meccah.	
64. Ditto . .	? .	Arabian Nights entertainments.	
65. Butler (A. J.) .	Oxford, 1902 .	The Arab Conquest of Egypt.	
66. Buxton (T. F.) .	London, 1839 .	The African Slave Trade.	
67. Cadoux (H. W.) .	G. J., Sept. 1906	Recent changes in the course of the Lower Euphrates.	
68. Cahun (L.) . .	Paris, 1896 .	Introduction a l'Histoire de l'Asie.	
69. Cameron (Commander V. L.).	London, 1880 .	Our Future Highway to India (2 volumes).	
70. Cantamir (Prince D.)	?	History of the Oosman Empire.	
71. Capper (James) .	London, 1785 .	Observations on the passage to India, etc., etc.	
72. Carmichael (?) .	London, 1772 .	Journey from Aleppo to Bussrah (in Grose's "Voyage to the East Indies").	
73. Carter (H. J.) .	Pr. Bo. G. S. VII, Feb.—Dec. 1846.	A descriptive account of the Ruins of El Balad.	
74. Ditto . .	J. Bo Br. R. A. S. II.	Notes on the Gharah Tribe.	
75. Ditto . .	Ditto .	Notes on the Mahrah Tribe ...... to which are appended additional observations on the Gara Tribe.	
76. Ditto . .	Ditto .	A description of the Frankincense Tree of Arabia.	
77. Ditto . .	Ditto .	Report accompanying Copper Ore from the Island of Maseera, etc.	
78. Ditto . .	J. Bo. Br. R. A S. III.	Geological Observations on the Igneous Rocks of Maskat and its Neighbourhood, etc.	
79. Ditto . .	Ditto .	A Geographical Description of certain parts of the South-East Coast of Arabia, etc.	
80. Ditto . .	J. Bo. Br. R. A. S. IV.	Memoir on the Geology of the South-East Coast of Arabia.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
81. Carter (H. J.) .	J. Bo. Br. R. A. S. IV.	Note on the Pliocene Deposits of the shores of the Arabian Sea.	
82. Ditto . .	Beng. A. S. J. Nos. 97 and 105, 1859.	Report on Geological Specimens from the Persian Gulf.	
83. Cassim Izzedine .	..		
84. Champain (Colonel J. V. Bateman).	Pr. R. G. S. V., 1883.	On the various Means of Communication between Central Persia and the Sea.	
85. Chardin (Sir J.) .	London, 1691 .	The Travels of Sir J. Chardin.	
86. Chéradame (A.) .	Paris, 1903 .	Le Chemin de Fer de Baghdad.	
87. Chesney (Colonel F. R.)	J R. G. S. VII, 1837.	A General Statement of the Labours and Proceedings of the Expedition to the Euphrates.	
88. Ditto . .	London, 1850 .	The Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris.	
89. Ditto (General F. R.)	London, 1868 .	Narrative of the Euphrates Expedition.	
90. Chinnock (E. J.).	London, 1893 .	Arrian's Anabasis of Alexander and Indica.	
91. Chirol (V.) . .	London, 1903 .	The Middle Eastern Question.	
92. Cholet (Le Comte de).	Paris, 1892 .	Arménie, Kurdistan et Mesopotamie.	
93. Clowes (Sir W. L.)	London, 1900 .	The Royal Navy (6 volumes).	
94. Cole (C. S. D.) .	Tr. Bo. G. S. VIII, Jan. 1847 —Apr. 1848.	An account of an Overland Journey from Leshkairee to Maskat and the "Green Mountains" of Oman.	
95. Colvill (W. H.) .	Pr. R. G. S. XI, 1866-67.	Land Journey along the shores of the Persian Gulf from Bushire to Lingah.	
96. Constable (Lieut. C. G.)	Tr. Bo. G. S. XII, December 1854—March 1856.	Memoir relative to the Hydrography of the Persian Gulf and the knowledge that we possess of that sea.	
97. Ditto.	Tr. Bo. G. S. XV, November 1858.	Letter on the Physical Geography of the Persian Gulf.	
98. Coote (Sir Eyre.)	J. R. G. S. XXX, 1860, page 199.	Diary of a Journey with Sir Eyre Coote from Bussorah to Aleppo in 1780. (?)	
99. Corancez (L. A.)	Paris, 1810	Histoire des Wahabis.	
Cordier (H.) .	......	See Polo (Marco).	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	Remarks.
100. Cowper (H. Swainson).	London, 1894 .	Through Turkish Arabia.	
101. Creasy (Professor E. S.).	London, 1854 .	History of the Ottoman Turks.	
102. Crichton (A.) .	Edinburgh, 1834.	History of Arabia, Ancient and Modern (2nd edition, 2 volumes).	
103. Cruttenden (C. J.)	Tr. Bo G S. I., 1836-1838.	Journal of an Excursion from Morebat to Dyreez, the principal town of Dofar.	
104. Cuinet (V.) .	Paris, 1890—95 .	La Turquie d'Asie (4 volumes).	
105.	G. J., March 1896. . .	Critique of the preceding.	
106. Curzon, (the Honourable G. N.).	Fortnightly Review, April and May 1890.	Leaves from a Diary on the Karun River.	
107. Ditto .	Pr. R. G. S., 1891.	The Karun River and the Commercial Geography of South-West Persia.	
108. Ditto .	......	Russia in Central Asia.	
109. Ditto .	London, 1892 .	Persia and the Persian question.	
110. Curzon (the Hon. R.)	London, 1854 .	Armenia.	
111. Danvers (F. C.) .	G. J. II, 1893 .	Portuguese East India Records.	
112. Ditto .	London 1894-1902 . .	The Portuguese in India (2 volumes).	
113.	G. J., December 1895.	Critique of the foregoing.	
114. Ditto .	London, 1896 .	Letters received by the East India Company, 1602-1617 (6 volumes).	
115. Dellon (C.) .	1685 .	Voyage aux Indes Orientales.	
116. Dieulafoy (Madame J.).	1887 .	La Perse.	
117. Ditto .	1888 .	A Suse.	
118. Dieulafoy (M.) .	1893 .	L'Acropole de Suse.	
119. Ditto .	...	L'Art antique de la Perse. (Parts 5).	
120. Dodd (G.) .	1859 .	History of the Indian Revolt and Expedition to Persia.	
121. Doughty (C. M.)	J. Bo. Br. R. A. S. XIV.	Notes of a visit to Inner, Arabia.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
122. Doughty (C. M.)	Pr. R. G. S. VI, 1884.	Travels in North Western Arabia and Nejd.	
123. Ditto .	Cambridge, 1888.	Travels in Arabia Deserta.	
124. Dozy (R. P. A.) .	Leiden, 1851 .	Catalogus Codicum Orientalium.	
125. Ditto .	Paris, 1879 .	Essai Sur l'Histoire de Islamisme.	
126. Dumont (A.) .	Bull, S. G., 1888.	Le chemin de fer de la vallée de Euphrate.	
127. Durand (Lady) .	London, 1902 .	An Autumn Tour in Western Persia.	
128. Durand (Captain)	J. R. A. S., 1880.	Extracts from a Report on the Islands and Antiquities of Bahrein.	
129. Eastwick (E. B.)	London, 1864 .	Journal of a Diplomat's three years' Residence in Persia (2 volumes).	
130. Edye (J.) . .	J. R. A. S. L., 1834.	Description of the various classes of vessels constructed and employed by the Natives, etc.	
131. Ellis (T. J.) .	London, 1881 .	On a Raft and through the Desert (2 volumes).	
132. Eloy (A.) .	Paris, 1843 .	Relation de Voyages en Orient.	
133. Euting (J.) .	Leiden, 1896 .	Tagbuch Einer Reise in Inner Arabien.	
134. Farley (J. L.) .	London, 1878 .	Egypt, Cyprus and Asiatic Turkey.	
Fitch (R.) .	......	See Ryley	
135. Flandin (E.) .	Paris, 1851 .	Voyage en Perse. (Volume II, 2 volumes).	
136. Fletcher (Rev. J. P.).	London, 1850 .	Notes from Nineveh and Travels in Mesopotamia.	
137. Floyer ( ) .	......	Unexplored Baluchistan.	
138. Flugel (G.) .	Vienna, 1865 .	Die Arabischen, Persischen, and Türkischen Handschriften der Kaiserlich- Königlichen Hofbibliothek zu Wien.	
139. Fogg (W. P.) .	London, 1875 .	Arabistan.	
140. Fontanier (V.) .	London, 1844 .	Narrative of a Mission to India.	
141. Forbes ( ) .	......	Empires and Cities of Asia.	
142. Fowler (Rev. A.)	G. J. XX, 1902 .	To the J of and Back.	
143. Ditto .	London, 1902 .	With the Arabs in Tent and Town.	
144. Forrest (G. W.) .	Bombay, 1887 .	Selections from the Letters, Despatches and other State Papers preserved in the Bombay Secretariat (Volume I, Home Series).	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
145 Forster (Rev. C.)	London, 1844 .	The Historical Geography of Arabia.	
146. Forster (G.) .	London, 1798 .	A Journey from Bengal to India.	
147. Fodster (W.) .	G. J., August 1894.	A View of Ormus in 1627.	
148. Ditto . .	London, 1899 .	The Embassy of Sir Thomas Roe, (Hakluyt Society) (2 volumes).	
149. Francklin (Ensign W.)	London 1790 .	Observations made on a tour from Bengal to Persia.	
150. Fraser ( ) .	London, 1825	Journey into Khorasan.	
151. Fraser (J. B.) .	Edinburgh, 1834	An Historical and Descriptive Account of Persia.	
152. Ditto . .	London, 1838 .	Narrative of the Residence of the Persian Princes in London in 1835 and 1836.	
153. Ditto . .	London, 1840 .	Travels in Koordistan, Mesopotamia, etc. (2 volumes).	
154. Ditto . .	Transactions of the Geological Society Sec. Ser., Volume I.	......	
155. Frédé ( ) .	Paris (1887 or), 1890.	La Pêche aux Perles en Perse et en Ceylan.	
156. Fryer (Dr. John)	1698 . .	A new Account of East India and Persia, 1672-1681.	
157. Geary (Grattan)	London, 1878 .	Through Asiatic Turkey.	
158. Genthe (S.) .	Marburg, 1896 .	Der Persische Meerbusen.	
159. Gibbon (Eduard)	......	The Decline and Fall of the Roman Empire.	
160. Glaser (Edward)	Berlin, 1899 .	Skizze der Geschichte and Geographie Arabiens.	
161. Gobineau (Le Comte A. de).	Paris, 1859 .	Trois Ans en Asie.	
162. Goeje (M. J. de) .	Leiden, 1865, 1866, 1873, 1883.	Catalogus Codicum Orientalium Bibliothecae Academiae Lugduno-Batavae.	
163. Ditto . .	......	Bibliotheca Geographorum Arabicorum (Volumes i, ii, iii, v, vii, and viii) (Istakhri, Ibn Haukal, etc).	
164. Ditto . .	Leiden, 1886 .	Memoires d'Histoire et de Geographie Orientales : No. 1 Sur les Carmathes du Bahrain et les Fatimides.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
165. Goeje (M. J. de) .	Leiden, 1903 .	Memoires d'Historie et de Géographie Orientales: No. 3 Sur les Migrations des Tsiganes à travers l'Asie.	
166. Goldsmid (Major F.)	Pr. R. G. S. VII, 1862-1863.	Exploration from Kurrachi to Gwadar along the Mekran Coast.	
167. Goldsmid (Colonel F. J.)	J. R. G. S. (?), 1867.	Notes on Eastern Persia and Western Baluchistan.	
168. Goldsmid (Sir F. J.)	London, 1874	Telegraph and Travel.	
169. Ditto . .	London, 1876 .	Eastern Persia.	
170. Ditto . .	G. J., May 1893	The Acropolis of Susa.	
171. Ditto . .	G. J., August 1895.	The Geography of Persia. (With reference to De Morgan's Mission.)	
172. Ditto . .	G. J. VIII, November 1896.	De Morgan's Mission Scientifique to Persia.	
173. Götz (Dr. W.) .	Stuttgart, 1898 .	Die Verkehrswege im Dienste des Welthandels.	
174. Grandpré (L. de)	Paris, 1803 .	Voyage dans l'Inde.	
175. Grant (Captain N. P.)	J. R. A. S. V, 1839.	Journal of a Route through the Western Parts of Makran.	
Grose ( ) .	......	See Carmichael.	
176. Haines (Captain J. B.)	J. R. G. S. XIV, 1844.	Account of an Excursion in Hadramaut by Adolphe Baron Wrede.	
177. Haines (Captain S. B.)	J. R. G. S. XV, 1845.	Memoir of the South East Coasts of Arabia. (Part 2.)	
178. Haines (Captain S. B.)	Tr. Bo. G. S. XI, July 1852-December 1853.	Part Second of Captain S. B. Haines' (of the I. N.) Memoir of the South and East Coasts of Arabia with his Remarks on Winds, Currents, etc.	
179. Hakluyt (R.) .	......	The Principal Navigations of the English Nation. (Hakluyt Society.)	
180. Hamdani . .	Leiden, 1884 .	Sifat Jazirat-al-'Arab. (Edited by D. H. Müller.)	
181. Hamilton (Captain Alexander).	London, 1739 .	A new Account of the East Indies (1688-1723) (2 volumes).	
Haukal (Ibn) .	... ...	See Goeje (de).	
182. Helfer (Madame)	London, 1878 .	Travels of Doctor and Madame Helfer. (Translated by Mrs. G. Sturge.) (2 volumes.)	
183. Herbert (Sir T.) .	London, 1677 .	Some Yeares' Travels, etc.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
184. Herdman (Professor W. A.).	Published by the Royal Society, London, 1903.	Report to the Government of Ceylon on the Pearl Oyster Fisheries of the Gulf of Manaar.	
185. Hilprecht (H V.).	1903 . .	Explorations in Bible Lands during the 19th Century.	
186. Hirsch (L.) .	Leiden, 1897 .	Reisen in Süd Arabien.	
187. Hogarth (D. G.)	London, 1904 .	The Penetration of Arabia.	
188.	G. J. XXIV, October 1904.	Review of the above.	
189. Holdich (Colonel T. H.).	G. J., April 1896	Notes on Ancient and Mediæval Makran.	
190. Hoogervoerd (K. de).	Annalen der Hydrographie, 1889.	Die Häfen und Han delsverhältnisse des pesischen Golfs and des Golfs von Oman.	
191. Howel (Dr. Thos.)	London, Bound with Francklin. No date.	A Journal of the passage from India, etc.	
192. Huber (C.) .	Bull, S. G., 1881	Letter from Huber.	
193. Ditto . .	Bull, S. G., 1884	Inscriptions recuillies dans l'Arabie centrale.	
194. Ditto . .	Ditto .	Voyage dans l'Arabie centrale (2 parts).	
195. Ditto . .	Bull, S. G., 1885	Ditto (1 part)	
196. Ditto . .	Paris, 1891 .	Journal d'un Voyage en Arabie.	
197. Hughes (A. W.).	London, 1877 .	The Country of Baluchistan.	
198. Hughes (The Revd. T. P.).	London, 1895 .	A Dictionary of Islam.	
199. Hulton (J. G.) .	Pr. Bo. G. S., III-V, December 1839—February 1840.	Notice on the Curia Muria Islands.	
200. Ditto . .	J. R. G. S. XI, 1841.	An Account of the Curia Muria Isles near the South-Eastern Coast of Arabia.	
201. Hunt (Captain G. H.).	1858 .	Outram and Havelock's Persian Campaign.	
202. Hunter, (Sir W. W.).	London, 1899 .	A History of British India.	
203. Hutchison (E.) .	London, 1874 .	The Slave Trade of East Africa.	
204. Idrisi . .	......	(Translated by Jaubert.)	
Istakhri . .	......	See Goeje (de).	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
205. Ives (Surgeon, Edward).	London, 1773	A voyage from England to India in the year 1754, also a journey from Persia to England.	
206. Jackson (J.)	London, 1799	Journey from India towards England in 1797.	
207. Jacob (General)	......	Views and opinions.	
208. Jayakar (Surgeon-Major A. S. G.).	J. B. A. S., 1889	The 'Omani Dialect of Arabic.	
209. Johnson (Lieutenant-Colonel J.).	London, 1818	A journey from India to England.	
Jomard (M.)	......	See Mengin.	
210. Jones (Commander F.).	Tr. Bo. G. S. IX, May 1849—Aug. 1850.	Preliminary remarks on the Nahrwan Canal, with a glance at the past history of its province.	
211. Ditto	Tr. Bo. G. S. X, September 1850—June 1852.	Researches in the Vicinity of the Median Wall of Xenophon and along the old course of the River Tigris.	
212. Ditto	Tr. Bo. G. S. XII, December 1854—March 1856.	Brief Observations forming an Appendix to the Map of Baghdad.	
213. Jones (William)	London, 1773	The History of the Life of Nadir Shah.	
214. Jonquière (le vicomte A. de la).	Paris, 1897	Histoire de l'Empire Ottoman.	
215. Justi	Grundriss der Iranischen Philologie, II.	Herrschaft der Sasaniden.	
216. Kaempfer	......	History of Japan.	
217. Kaye (J. W.)	London, 1856	The Life and Correspondence of Major-General Sir John Malcolm (2 volumes).	
218. Ditto	London, 1878	History of the War in Afghanistan (3 volumes).	
219. Kempthorne (Lieutenant G. B.).	J. R. G. S. V, 1835.	Notes made on survey along the Eastern shores of the Persian Gulf.	
220. Ditto (Captain G. B.).	Tr. Bo. G. S. XIII, March 1856-57.	A Narrative of visit to the Ruins of Tahrie, the supposed site of the ancient city of Siraff; also an Account of the Ancient Commerce of the Gulf of Persia, etc.	
221. Keppel (Captain the Hon'ble G.).	London, 1827	Personal Narrative of a journey from India to England (2nd edition) (2 volumes).	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
222. Kinneir (John Macdonald)	London, 1818 .	Journey through Asia Minor, Armenia and Koordistan.	
223. Ditto . .	London, 1813 .	A Geographical Memoir of the Persian Empire.	
224. Kotzebue (M von)	London, 1819 .	Narrative of a journey into Persia. (Translated from the German.)	
225. Kuhnenfeld (K. von)	London, 1873 .	The strategical importance of the Euphrates Valley Railway. (Translation.)	
226. Lacouperie (T. de)	J. R. A. S., 1888	The Origin of the Babylonian Character from the Persian Gulf.	
227. Lancaster (Sir J.)	London, 1877 .	The voyages of Sir James Lancaster, Kt., to the East Indias. (Hakluyt Society.)	
228. Latham (G.) .	Calcutta, 1870 .	India to England: Proposed New Overland Route *viâ* Turkish Arabia.	
229. Layard (A. H.) .	J. R. G. S. XII, 1842.	Ancient sites among the Bakhtiyari Mountains...............with remarks on the rivers of Susiana and the site of Susa by Prof. Long.	
230. Ditto .	J. R. G. S. XVI, 1846.	A description of the Province of Khuzistan.	
231 Ditto .	London, 1853 .	Discoveries in the Ruins of Nineveh and Babylon.	
232. Ditto (Sir A. H.)	London, 1887 .	Early Adventures in Persia, Susiana and Babylonia.	
Lee (S.) . .	......	See Batuta.	
233. Lerchenfeld (A. F. von S.).	Gotha . .	Technical expedition through the land of the Euphrates and Tigris (German).	
234. Loftus (W. K.)	J. R. G. S. XXVI, 1856, and Pr. R. G. S. I. 1855-1857.	Notes of a journey from Baghdad to Basrah with descriptions of several Chaldaean Remains.	
235. Ditto . .	J. R. G. S. XXVII, 1857, Pr. R. G. S. I, 1855-1857.	On the determination of the River Eulaeus of the Greek Historians.	
236. Ditto . .	London, 1857 .	Travels and Researches in Chaldaea and Susiana.	
237. Long (G.) .	J. R. G. S. III, 1833.	Reports on the Navigation of the Euphrates.	
(See also Layard.)			

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
238. Long . .	J. R. G. S. III, 1833.	On the site of Susa.	
239. Lovett (Major B.)	Pr. R. G. S. XVI, 1871-72.	Survey of the Perso-Kalat Frontier.	
240. Low (C. R.) (Lieut. I. N.)	London, 1877 .	History of the Indian Navy (2 volumes).	
241. Lumsden (Lieut. Thomas).	London, 1822 .	A journey from Merut in India to London.	
242. Lynch (Lieutenant H. B.)	J. R. G. S. IX, 1839.	Note accompanying a Survey of the Tigris between Ctesiphon and Mosul.	
243. Ditto . .	Ditto .	Note on a part of the River Tigris between Baghdad and Samarrah.	
244. Ditto (Commander H. B.)	Pr. Bo. G. S. VI, September 1841 --May 1844 (Reprint of 1865).	Memoir in three parts of the River Euphrates.	
245. Lynch (H. B.) .	Pr. R. G. S. XIII, 1891.	Notes on the present state of the Karun River between Shuster and the Shat-el-Arab.	
246. Lyne (R. N.) .	London, 1905 .	Zanzibar in Contemporary Times.	
247. Major (R. H.) .	London, 1858 .	India in the Fifteenth Century. Hakluyt Series.)	
248. Malcolm (Colonel Sir J.). (See also Kaye.)	London, 1815 .	The History of Persia (2 volumes).	
249. Ditto . .	... .	Sketches of Persia.	
250. Maltzan (H. F. von).	Brunswick, 1873	Reise nach Südarabien.	
251. Mandelslo (J.-A. de)	Amsterdam, 1727	Voyages célèbres et remarquables faits de Perse aux Indes Orientales (Translated by le Sr. A. de Wicquefort).	
252. Mansur (Shaikh)	London, 1819 .	History of Seyd Said. (By Vicenzo Mavrizi).	
253. Markham (C. R.)	London, 1874 .	A General Sketch of the History of Persia.	
254. Ditto . .	London, 1878 .	A Memoir on the Indian Surveys.	
255. Marsh (The Rev D. W.).	Philadelphia, 1869 (?).	The Tennessean in Persia and Koordistan.	
256. Masson (C.) .	J. R. A. S. XII, 1849 (Part I).	Illustrat on of the Route from Seleucia to Apobatana as given by Isidorus of Charax.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	Remarks.
257. Masūdi . .	1841 . .	Historical Encyclopædia entitled "Meadows of Gold and Mines of Gems". (Translated by A. Sprenger.)	
258. Ditto . .	......	Les Prairies d'Or.	
259. Maunsel (Captain F. R.)	G. J. IX, May 1897.	The Mesopotamian Petroleum Field.	
260. Ditto (Lieut.-Colonel F. R.)	London, 1904 .	Handbook of the Turkish Army.	
261. McCoan (J. C.) .	London, 1879 .	Our New Protectorate—Turkey in Asia.	
262. McCrindle (J. W.)	London, 1879 .	The Commerce and Navigation of the Erythraean Sea and Voyage of Nearkhos (together).	
263. McDermott ( ).	London, 1895 .	British East Africa.	
264. Mehdy Khan (Mirza).	J. R. A. S., October 1876.	(Translation of notes on Makran, etc., by A. H. Schindler.)	
265. Mengin (F.) .	Paris, 1839 .	Histoire Sommaire de l'Égypte. (Introduction and Appendix by M. Jomard.)	
266. Menzies (S.) .	London, 1880 .	Turkey Old and New (2 volumes).	
267. Meynard (C. B. de).	Paris, 1861 .	Dictionnaire Géographique, Historique et Litteraire de la Perse et des Contrées Adjacentes. (Largely from Yakut.)	
268. Mignan (Captain R.).	1829 . .	Travels in Chaldaea.	
269. Ditto . . .	London, 1839 .	A Winter Journey (2 volumes).	
270. Ditto . .	Transactions of the R. A. S. Volume 2 (1830).	Some account of the ruins of Ahwaz.	
271. Miles (Captain S. B.).	J. R. G. S., XLI, 1871.	Account of an excursion into the Interior of Southern Arabia.	
272.	Pr. R. G. S. XV, 1870-71.	Abstract of the same with observations by the Rev. G. P. Badger.	
273. Ditto . .	......	A Brief Account of Four Arabic Works on the History and Geography of Arabia.	
274. Miles (Lieutenant-Colonel S. B.)	Beng. A. S. J. XLVI, 1877.	Route between Sohar and el Bereymi in 'Oman.	
275. Miles (Major-General S. B.)	J. R. A. S., 1878	Note on Pliny's Geography of the East Coast of Arabia.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
276. Miles (Colonel) .	G. J. May, 1896	Journal of an Excursion in 'Oman in South-East Arabia.	
277. Ditto . .	G. J. XVIII, November 1901.	Across the Green Mountains of 'Oman.	
278. Millingen (Major F.).	London, 1870 .	Wild Life among the Koords.	
279. Minto (the Countess of).	London, 1880 .	Lord Minto in India.	
280. Mitford (E. L.) .	London, 1884 .	A Land March from England to Ceylon, 40 years ago.	
281. Mockler (Major E.).	J. R. A. S., October 1876.	Ruins in Makran	
282. Ditto . .	J. R. A. S. XI, 1879.	On the Identification of Places on the Makran Coast mentioned by Arrian, Ptolemy and Marcian.	
283. Modi (J. J.) .	J. Bo. Br. R. A. S., December 1894.	The Bas-relief of Beharam Gour at Naksh-i-Rustam and his marriage with an Indian Princess.	
284. Ditto . .	J. Bo. Br. R. A. S., January 1899.	The Cities of Iran as described in the old Palahavi treatise of Shatroiha-i-Iran.	
285. Ditto . .	J. Bo. Br. B. A., March 1899.	The Etymology of a few towns of Central and Western Asia as given by Eastern Writers.	
286. Monteith (Lieutenant-General).	J. R. G. S. XXVII, 1857.	Notes on the Routes from Bushire to Shiraz.	
287.	Pr. R. G. S. I., 1855-1877.	Discussion on the above.	
288. Morgan (J. de) .	Paris, 1895 .	Mission Scientifique en Perse (5 volumes). See also Goldsmid.	
289. Ditto . .	E. Leroux, Editeur, 28 Rue Bonaparte, Paris.	Mémoires de la Délégation en Perse (6 volumes).	
290. Morier (J.) .	London, 1812 .	A Journey through Persia.	
291. Ditto . .	London, 1818 .	A Second Journey through Persia.	
292. Ditto . .	J. R. G. S. VII, 1837.	Some Account of the Iliyats or Wandering Tribes of Persia.	
293. Müller (A.) .	London, 1898 .	Der Islam.	
294. Müller (Dr. A)	......	Der Islam im Morgen-und Abendland (2 Bde.).	
295. Müller (Charles)	Paris . .	Geographi Graeci Minores (2 volumes and volume of maps.)	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	Remarks.
296. Müller (Dr. D. H.)	Vienna and Leipzig, 1899.	Die Südarabische Expedition.	
297. Muir (Sir W.) .	London, 1883 .	Annals of the Early Caliphate.	
298. Ditto . .	London, 1891 .	The Caliphate, its Rise, Decline and Fall.	
299. Ditto . .	London, 1898	Ditto ditto	
300. Nasir Khosrar .	Paris, 1881 .	Safarnama (translated by C. Schefer).	
301. Newbold (Captain T. J.) . .	J. Bo. Br. R. A. S. III.	Descriptive list of Rock Specimens from Maskat in Arabia, Persia and Babylonia.	
302. Niebuhr (C.) .	Amsterdam, 1774	Description de l'Arabie (French version).	
303. Ditto .	Amsterdam, 1776	Voyage en Arabie (French version) (2 volumes).	
304. Nolde (Baron E.)	Brunswick, 1895	Reise nach Innerarabien, etc.	
305. Nordenskjöld (A. E.)	1897 .	Periplus; an essay on the Early History of Charts and Sailing Directions (translated from the Swedish by F. A. Bather). See also Beazley.	
306. Olivier (G. A.) .	Paris, 1801-1807	Voyage dans l'Empire Othoman, l'Egypte et la Perse (3 volumes).	
307. Osborn (Major R. D.)	London, 1878 .	Islam under the Khalifs of Baghdad.	
308. O'Shea (F. B.) .	1888 .	Memorandum on the British Indian Post Offices in the Persian Gulf and Turkish Arabia, 1888, revised by F. Whymper, 1905.	
309. Ouseley (Sir W.)	London, 1800 .	Travels in Persia and Arabia (3 volumes).	
310. Ditto .	Ditto .	The Oriental Geography of Ebn Haukal.	
311. Ditto .	London, 1819-1823	Travels in various countries of the East (3 volumes).	
312. Outram (Lieutenant-General Sir James).	London, 1860 .	Lieutenant-General Sir James Outram's Persian Campaign.	
313. Owen (Captain W. F. W.) (and see Wolf).	London, 1833 .	Narrative of Voyages (2 volumes).	
314. Palgrave (W. G.)	Pr. R. G. S. III, 1863-64.	Notes of a journey from Gaza through the interior of Arabia, etc. (With queries by the Rev. G. P. Badger and replies.)	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
315. Palgrave (W. G.)	J. R. G. S. XXXIV, 1864.	Observations made in Central, Eastern and Southern Arabia during a journey through that country in 1862-63.	
316. Ditto .	London and Cambridge, 1865.	Narrative of a year's journey through Central and Eastern Arabia (1862-63).	
317. Parker (E. H.) .	London, 1901 .	China : her history, diplomacy and commerce.	
318. Parsons (Abraham) Colonel and Factor-Marine at Scanderoon.)	London, 1808 .	Travels in Asia and Africa.	
319. Pedro (Fri. de la Madre de Dios.)	Madrid, 1904	Estudio sobre el Galfo Persico.	
320. Pelly (Lieutenant-Colonel L.)	London, 1858 .	Views and opinions of Brigadier-General John Jacob.	
321. Ditto . .	Tr. Bo. G. S. XVII (see also Pr. R. G. S. VIII, 1863-64, for remarks).	Remarks on the tribes, trade and resources around the shore line of the Persian Gulf.	
322. Ditto . .	Ditto . .	Recent tour round the Northern portion of the Persian Gulf.	
323. Ditto .	Ditto . .	Remarks on a recent journey from Bushire to Shirauz.	
324. Ditto .	Ditto . .	Remarks on the Port of Lingah, the Island of Kishm, and the Port of Bunder Abbass and its neighbourhood.	
325. Ditto .	J. R. G. S. XXXIV, 1864, and Pr. R. G. S. VIII, 1863-64.	Visit to Lingah, Kishm and Bunder Abbass.	
326. Ditto .	Tr. Bo. G. S. XVIII.	Remarks on the Pearl Oyster Beds in the Persian Gulf.	
327. Ditto .	J. R. G. S. XXXV, 1865, and Pr. R. G. S. IX, 1864-65.	A visit to the Wahabee Capital, Central Arabia. (See also entry under heading III "Official and confidential".)	
328. Pengelley (Lieutenant W. M.).	Tr. Bo. G. S. XVI.	Remarks on a portion of the Eastern Coast of Arabia between Muscat and Sohar.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
329. Perceval (C. de)	Paris, 1847-1848	Essai Sur Histoire des Arabes avant l'Islamisme, etc. (3 volumes.)	
330. Perrot (G.) and Chipiez (C.).	London, 1892 .	History of Art in Persia (English translation).	
331. Pinches (T. G.).	J. R. G. S., 1884	Observations upon the Languages of the Early Inhabitants of Mesopotamia.	
332. Ditto .	J. R. A. S., 1901	Note no H. Radau's Early Babylonian History down to the end of the Fourth Dynasty of Ur.	
333. Pinkerton (J.) .	...	A general collection of all the best and most interesting Voyages and Travels in all parts of the world (17 volumes, Volumes IX and X).	
334. Pliny . .	Leipzig, 1898	Naturalis Historiae Libri XXXVII (Volume VI).	
335. Do. . .	London, 1855	(English translation by J. Bostock and H. T. Riley, Bohn's Series, Volume II.)	
336. Plowden (T. C.)	Fortnightly Review, February 1884.	Turkish Arabia.	
337. Polak (Dr. J. E.)	Leipzig, 1865 .	Persien, Das Land und seine Bewohner.	
338. Polo (M.) .	London, 1903 .	The book of Ser Marco Polo. (Translated and edited by Sir H. Yule: H. Cordier's edition, 2 volumes.)	
339. Poole (S. Lane, assisted by E. J. W. Gibb and A. Gilman.)	London, 1900 .	Turkey. (Story of the Nations Series.)	
340. Porter (Sir R. K.)	London, 1821 .	Travels in Georgia, Persia, Armenia, Ancient Babylonia, etc. 1817—1820.	
341. Pottinger (Lieutenant H.).	London, 1816 .	Travels in Beloochistan and Sinde.	
342. Pressel (W. von)	Paris, 1902 .	Les Chemins de Fer en Turquie d'Asie.	
343. Priaulx (O. de B.).	J. R. A. S. XVII	The Indian Travels of Apollonius of Tyana.	
344. Ditto .	Ditto . .	On the Indian Embassy to Augustus.	
345. Ditto .	J. R. A. S. XVIII.	On the second Indian Embassy to Rome.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
346. Priaulx (O. de B.)	J. R. A. S. XIX.	On the Indian Embassies to Rome from the Reign of Claudius to the death of Justinian.	
347. Price(?).	London, 1777	Five letters from a free merchant in Bengal to Warren Hastings, Esq.	
348. Price (Major D.)	London, 1824	Essay towards the History of Arabia.	
349. Price (W.)	London, 1825	Journal of the British Embassy to Persia.	
350. Purchas (Samuel)	1626	Relations of Ormuz in "Purchas his Pilgrims", Volume X of edition, Glasgow, 1905 (20 volumes).	
351. Purgstall (von Hammer).	1841	Arabien.	
352. Ditto	T. R. G. S. XII, 1842.	Baron von Hammer Purgstall and the Ruins of Al Hadhr.	
353. Radan (H.)	See Pinches.		
354. Ragoz (Z. A.)	London, 1897	Media, Babylon and Persia. (Story of the Nations Series.)	
355. Ditto	London, 1898	Assyria. (Ditto)	
356. Ditto	London, 1900	Chaldea. (Ditto).	
357. Rawlinson (G.)	London, 1862—1867.	The Five Great Monarchies of the Ancient Eastern World (4 volumes).	
358. Ditto	London, 1873	The sixth great Oriental Monarchy.	
359. Ditto	London, 1876	The seventh great Oriental Monarchy.	
360. Ditto	London, 1894	Parthia. (Story of the Nations Series.)	
361. Rawlinson (Major)	J. R. G. S. IX, 1839.	Notes on a March from Zohab at the foot of Zagros along the mountains to Khuzistan (Susiana).	
362. Ditto	J. R. A. S. XII (Part 2).	On the Inscriptions of Assyria and Babylonia.	
363. Ditto (Colonel).	J. R. A. S. XV	Notes on the Early History of Babylonia.	
364. Ditto (Major-General Sir H).	London, 1875	England and Russia in the East.	
365. Rawlinson (Major)	J. R. G. S. IX, 1839.	On the Orthography of some of the later Royal Names of Assyrian and Babylonian History.	
366. Ditto Colonel Sir H. C.)	J. Bo. Br. R. A. S. V, July 1856.	Researches and Discoveries in Assyria and Babylonia.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
367. Rawlinson Colonel (Sir H. C.)	J. R. G. S. XXVII, 1857.	Notes on the Ancient Geography of Mohamrah and the Vicinity.	
368. Ditto .	Pr. R. G. S. I, 1855—1857.	Observations on the Geography of Southern Persia with reference to the pending Military Operations.	
369. Ditto .	Ditto .	Notes on Mohamrah and the Cha'ab Arabs, etc.	
370. Ditto .	J. R. A. S. XVIII	On the Birs Nimrud or the Great Temple of Borsippa.	
371. Raynal (Abbé) .	Edinburgh, 1782	Philosophical and Political History of the Settlements and Trades of the Europeans in the East and West Indies (6 volumes).	
372. Razzak (Abdur)	......	......	
373. Reclus (Elisée)	Paris, 1884 .	Nawelle Géographie Universelle (Volume 9) (Curzon, page 23).	
374. Redhouse (J. W.)	J. R. A. S. XVIII, 1886.	System of Arabic Transliteration.	
375. Rehatsek (E.) .	J. Bo. Br. R. A. S. XI, 1875.	The Subjugation of Persia by the Moslems and the Extinction of the Sasanian Dynasty.	
376. Ditto .	Ditto .	Some Beliefs and Usages among the Pre-Islamitic Arabs.	
377. Ditto .	Ditto	Contact of the Jews with the Assyrians, Babylonians and Persians, etc.	
378. Ditto .	J. Bo. Br. R. A. S. XIII, 1877.	Christianity in the Persian dominions from its beginning till the fall of the Sasanian dynasty.	
379. Ditto .	J. Bo. Br. R. A. S. XIV, 1878—1880.	Early Moslem accounts of the Hindu Religion.	
380. Ditto .	Ditto .	The History of the Wahabys in Arabia and in India.	
381. Reinaud ( ) .	Zach's Monatliche Correspondez, September 1805	Letters to Dr. U. J. Seetzen from Mr. Reinaud ("Englishman".)	
382. Reinaud (M) .	Paris, 1845 .	Relation des voyages fait par les Arabes et les Persans dans le IXe siècle de l'ère chrétienne (2 volumes).	
383. Renaudot (E.) .	London, 1733 .	Ancient accounts of India and China by two Mohammedan Travellers who went to those parts in the 9th Century.	
384. Rich (Claudius James).	J. R. G. S. VI, 1836.	Narrative of a Residence in Koordistan, etc.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
385. Rich (C. J.) .	London, 1836 .	Narrative of a Residence in Koordistan, etc. (2 volumes).	
386. Ditto .	1839 . .	Narrative of a Journey to the site of Babylon in 1811.	
387. Ritter . .	1846 . .	Erdkunde von Asien—Arabien (Volumes XII and XIII).	
388. Rivoyre (D. de) .	Bull, S. G., 1881	Obock et la vallée de l'Euphrate.	
389. Ditto . .	Paris, 1883	Obock, Mascate, Bouchire, Bassorah.	
390. Roberts (Edmund)	1883 . .	Embassy in "Peacock" to Muscat, etc.	
391. Robertson (Colonel H. D.).	J. Bo. Br. R. A. S. I.	Climate of Karrack.	
392. Roe (Sir T.) .	London .	Relation of Sir Thomas Roe's voyage into the East Indies. (See W. Foster).	
393. Roediger . .	Zeitschrift der Kunde des Morgenlandes, 1837.	......	
394. Rogers (E. T.) .	J. R. A. S. XI, 1879.	Dialects of Colloquial Arabic.	
395. Rohrbach (Dr. P.).	Berlin, 1902 .	Die Bagdadbahn.	
396. Ross (Lieutenant E. C.).	Tr. Bo. G. S. XVIII, January 1865—December 1867.	Memorandum of notes on Mekran.	
397. Ross (Major ?) .	Calcutta, 1874 .	Annals of 'Oman.	
398. Ross (Lieutenant-Colonel).	Pr. R. G. S. V, 1883.	Notes on the River Mand or Kara-Aghatch.	
399. Ross (Dr. J) .	J. R. G. S. IX, 1839.	Notes on two Journeys from Baghdad to the Ruins of Al Hadhr in Mesopotamia in 1836 and 1837.	
400. Ditto . .	J. R. G. S. XI, 1839	A Journey from Baghdad to the Ruins of Opis and the Median Wall in 1834.	
401. Ryley (J. H.) .	London, 1899 .	Ralph Fitch.	
402. Ditto . .	Leipzig, 1900 .	Am Euphrat und Tigris.	
403. Sadlier (Captain G. F.).	Bombay, 1866	Diary of a Journey across Arabia (1819).	
404. Sawyer (Lieutenant-Colonel H. A.).	G. J., December 1894.	The Bakhtiari Mountains and Upper Elam.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
Schefer (Charles)	Paris, 1881	Relation du Voyage de Nassiri Khosrau. (See Nasir Khosrao.)	
405. Schindler (A. H.) (and see Mehdy Khan).	J. R. A. S. XIII, 1881.	Notes on Marco Polo's Itinerary in Southern Persia.	
406. Ditto General (A. H.).	Pr. R. G. S. X, 1888.	On the length of the Persian Farsakh.	
407. Ditto	Zeitschrift der Gesellschaft für Erdkunde zu Berlin, 1879.	Travels in S. W. Persia in 1877-78.	
408. Ditto	J. R. A. S. XII, p. 312.	......	
409. Schweiger (Lerchenfeldt).	Simla, 1878	Phases of Civilisation in the littoral of the Persian Gulf.	
Seetzen	See Reinaud.		
410. Selby (Lieutenant W. B.)	J. R. G. S. XIV, 1844.	Account of the ascent of the Karun and Dizful Rivers and the Ab-i-Gargar Canal to Shushter.	
Serapion (Ibn)	See Strange (Le).		
411. Sheil (Lady)	London, 1856	Glimpses of Life and Manners in Persia.	
412. Smith (G.)	1875	History of Assyria.	
413. Ditto	1875	History of Babylonia, edited and brought up to date by the Rev. A. H. Sayce, 1895.	
414. Soubhy (Dr. S.)	Cairo, 1894	Pèlerinage à la Mecque et à la Médine.	
415. Sousa (M. de Fy.).	London, 1695	The Portugues Asia. (Translated by Captain J. Stevens, 3 volumes.)	
416. Southgate (The Rev. H.).	London, 1840	Narrative of a tour through Armenia, Kurdistan, Persia and Mesopotamia (2 volumes).	
417. Sprenger (A.).	Leipzig, 1864	Die Post und Reiserouten des Orients.	
418. Ditto	Bern, 1875	Die Alte Geographie Arabiens.	
419. Sprenger (A.)	J. R. A., 1872, Part 1.	The Ishmaelites and the Arabic Tribes who conquered their country.	
Sprenger ( )	......	See Masudi.	
420. Stack (E.)	London, 1882	Six Months in Persia (2 volumes).	
421. Stiffe (Lieutenant A. W.).	Tr. Bo. G. S. XV.	A visit to the Hot Springs of Bosher near Muscat.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
422. Ditto .	Tr. Bo. G. S. XVII.	Report on the Line of Telegraph from Ras Jashk to Basrah.	
423. Ditto .	Ditto	Extracts from a report by ——— on the Line of Telegraph from Ras Jashk to Basrah, with Meteorological Register.	
424. Ditto (Captain A. W.).	G. J., August 1895.	Ancient Trading Centres of the Persian Gulf I, Siraf.	
425. Ditto .	G. T., June 1896.	Ditto II, Kais	
426. Ditto .	G. J. IX, March 1897.	Ditto III, Pre-Mohammadan Settlements.	
427. Ditto .	G. J. IX, December 1897.	Ditto IV, Maskat.	
428. Ditto .	G. J. XII, August 1898.	Persian Gulf Notes; Kharag Island.	
429. Ditto .	G. J. XIII, March 1899.	Former Trading Centres of the Persian Gulf V, Kung.	
430. Ditto .	G. J. XVI, August 1900.	Ancient Trading Centres of the Persian Gulf VI, Bandar Abbas.	
431. Ditto .	G. J. XVIII, September 1901.	Ditto VII, Bahrein.	
432. Stocqueler (J. H.).	London, 1832 .	Fifteen months' Pilgrimage through untrodden tracts of Khuzistan and Persia (2 volumes).	
433. Stolze (F.) and Andreas (F. C.).	Petermann's Mitteilungen, 1885.	Die Handelsverhältnisse Persiens.	
434. Strange (G. Le).	J. R. A. S., 1895.	Description of Mesopotamia and Baghdad, written about the year 1900 A. D. by Ibn Serapion (2 parts).	
435. Ditto .	J. R. A. S., 1897.	A Greek Embassy to Baghdad in 917 A. D.	
436. Ditto .	J. R. A. S., 1900.	Story of the Death of the last Abbasid Caliph.	
437. Ditto .	Oxford, 1900 .	Baghdad during the Abbasid Caliphate. (For note on the same by E. G. B., see J. R. A. S., 1901.)	
438.			
439. Ditto .	J. R. A. S., 1901.	The Cities of Kirman in the time of Hamd-Allah Mustawfi and Marco Polo.	
440. Ditto .	Cambridge, 1905.	Description of Persia and Mesopotamia in the year 1340 A. D. etc. (4 parts).	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
441. Strange (G. Le). .	Cambridge 1905 .	The Lands of the Eastern Caliphate.	
442. Streck (Dr. M.) .	Leiden, 1900 .	Die alte Landschaft Babylonien nach den Arabischen Geographen. (Also note on the same by G. Le Strange in J. R. A. S. 1901, and 1902.)	
443. Strong (S. A.) .	J. R. A. S., 1895.	The History of Kilwa.	
444. Struys (J.) .	......	Voyages.	
445. Stuart (Lieutenant Colonel).	London, 1854 .	Journal of a Residence in Northern Persia.	
446. Sturge (Mrs.) .	......	See Helfer (Madame).	
447. Sturken (A.) .	Hamburg, 1907 .	Reisebriefeaus dem Persischen Gulf und Persien.	
448. Sykes (Miss E. C.)	London, 1901 .	Through Persia on a Side-Saddle.	
449. Sykes (Captain P. M.).	G. J. X. December 1897.	Recent Journeys in Persia.	
450. Do. (Major) .	G. J. XIX February 1902.	A Fourth Journey in Persia, 1897—1901.	
451. Ditto . .	London, 1902 .	Ten Thousand Miles in Persia.	
452. Talbot (H. F.) .	J. R. A. S. XVII	Translation of some Assyrian Incriptions (2 parts).	
453. Tavernier (J. B.)	London, 1889 .	Travels in India by Jean Baptiste Tavernier. (Translated by V. Ball, 2 volumes).	
454. Travernier (J. V.).	London, 1684 .	Collection of Travels through Turkey into Persia and the East Indies.	
455. Ditto .	London, 1889 .	"Travels in India by Jean Baptiste Tavernier." Dr. V. Ball (2 volumes).	
456. Taylor (Commander A. D.).	London, 1891 .	Sailing Directory (Part I).	
457. Do. (Bayard)	......	Travels in Arabia.	
458. Taylor (J. E.) .	J. R. A. S. XV .	Notes on the Ruins of Mugeyer.	
459. Ditto .	Ditto .	Notes on Abu Shahrein and Tel-el-Lahm.	
460. Teixeira (Pedro)	J. R. A. S., 1897	Notes on Teixeira by W. F. Sinclair and D. Ferguson.	
461. Ditto .	London, 1902 .	The Travels of Teixeira with his "Kings of Harmuz" and extracts from his "Kings of Persia". (Translated by W. F. Sinclair, introduction by D. Ferguson, Hakluyt Society.)	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	Remarks.
462. Thevenot .	......	Voyages (3 volumes).	
463. Thielmann	1875	Journey in the Caucasus, Persia and Turkey.	
464. Tomaschek (W.)	1890	Topogr. Erläuterung der Kustenfahrt Nearchs.	
465. Tour (J. I. de la)	Revue de Geographie, 1902.	Les rivalités internationales en Perse et dans le Golfe Persique.	
466. Tozer ( ) .	......	History of Ancient Geography.	
467. Tweedie (Colonel W.)	......	The Arabian Horse.	
468. Tyrwhitt (The Rev. R. E.).	J. R. A. S. XVIII.	Ptolemy's Chronology of Babylonian Reigns.	
469. Upton (Major R. D.).	London, 1881	Gleanings from the Desert of Arabia.	
470. Valle (Pietro della).	London, 1665	The Travels of Signor Pietro della valle in India (2 volumes, Hakluyt Society by E. Grey, 1892). For Persian Travels see Pinkerton's "Voyages and Travels," Volume IX, London, 1811.	
471. Varthema (Ludovico di).	London, 1863	The travels of Ludovico di Varthema, 1503—1508. (Translated by J. W. Jones and edited by the Rev. G. P. Badger, Hakluyt Series.)	
472. Ditto	Paris, 1888	Les voyages de Ludovico di Varthema, 1503—1508. (Translated by B. de Raconis and edited by C. Schefer.)	
473. Vaughan (Captain H. B.).	G. J., January and February 1896.	Journeys in Persia, 1890-91.	
Vicenzo .	See Mansur (Sheikh).		
474. Vincent (Dr. W.)	London, 1797	The Voyage of Nearchus.	
475. Ditto	1807	Commerce of the Ancients (and Periplus of the Erythrean Sea) (2 volumes).	
476. Wachs (Major O.)	Berlin, Mittler and Son, 1902.	Arabiens Gegenwart und Zukunft.	
477. Wallin (Dr. G. A.).	G. R. G. S. XX, 1851.	Notes taken during a journey through part of Northern Arabia in 1848.	
478. Ditto	G. R. G. S. XXIV, 1854.	Narrative of a journey from Cairo to Medina and Mecca, to.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
479. Walton ( ) .	Pr. R. G. S. VII, 1862-63.	Extract from a letter of ——, dated Gwadur, 5th April 1863.	
480. Walton (H. J.) .	Tr. Bo. G. S. XVII, October 1864.	Earthquake at Gwadur.	
481. Ward, Sylvester and James.	Tr. Bo. G. S. VIII, January 1847 to April 1845.	Account of a journey from Sur to Jahlan and thence to Ras Roves.	
482. Waring (E. S.) .	London, 1807 .	A tour to Sheeraz.	
483. Warner (H. W.)	Tr. Bo. G. S. XVII.	Report on the Bay and Fort of Shewoo on the shore of the Persian Gulf.	
484. Watson (R. G.) .	London, 1866 .	A History of Persia from the beginning of the Nineteenth Century to the year 1858.	
485. Weissbach (F. H.)	......	Die Sumarische Frage. (Note on the same in J. R. A. S., 1902)	
486. Wells (Captain H. L.).	Pr. R. G. S. V, 1883.	Surveying tours in Southern Persia.	
487. Wellsted (Lieutenant J. R.).	G. R G. S. VII, 1837.	Narrative of a journey into the interior of Oman in 1835 (also a notice on the same).	
488. Ditto .	London, 1838 .	Travels in Arabia (2 volumes).	
489. Ditto .	London, 1840 .	Travels to the City of the Caliphs (2 volumes).	
490. Westergaard (Prof.)	J. R. A. S. XIII, 1846.	Letter addressed to the Revd. Dr. Wilson in the year 1843 relative to the Gabrs in Persia.	
491. Wetzstein ( ) .	Berliner Zeitschrift für allgemeine Erdkunde, Vol. XVIII.	Nordarab'en and die syrische Wüste.	
492. Wheeler (The Rev. C. H.).	New York .	Ten years on the Euphrates.	
493. Wheeler (J. Talboys.)	Calcutta, 1868 .	Summary of Affairs of the Government of India in the Foreign Department from 1864 to 1869.	
494. Ditto .	Calcutta. 1871 .	Memorandum on Persian Affairs, 1722—1868.	
495. Whigham (H. J.)	London, 1903 .	The Persian Problem.	
496. Whinfield (E. H.)	J. R. A. S., 1894	The Sufi Creed.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
496(a). Whish (Lieutenant R. W.).	Tr. Bo. G. S. XV, March 1859.	Descriptive Sketch of the Island of Jibbleea, Kuria Muria Bay.	
497. Ditto .	Tr. Bo. G. S. XVI.	Memoir on Bahreyn.	
498. Whitelock (Lieutenant F.).	Tr. Bo. G. S. I., 1836—1838. and J. R. G. S. VIII, 1838.	Remarks on the Endian (Tab) River from its mouth to a town called Koot.	
499. Ditto .	Tr. Bo. G. S. I, 1836—1838, page 295.	Notes taken during a journey in 'Omān along the East Coast of Arabia.	
500. Ditto (Lieutenant.)	Ditto .	Descriptive Sketch of the Islands and Coast situated at the Entrance of the Persian Gulf.	
501. Whitelock (Lieutenant H. H.)	Ditto .	An account of the Arabs who inhabit the Coast between Ras-el-Kheima and Abothübee in the Gulf of Persia, Generally called the Pirate Coast.	
Wicquefort .	... ..	See Mandelslo.	
502. Willcocks (Sir W.)	Cairo, 1903 .	The Restoration of the Ancient Irrigation Works of the Tigris.	
503. Williams (S. W.)	London, 1883 .	The Middle Kingdom (2 volumes).	
504. Wilson (Colonel D.)	J. R. G. S. III, 1833.	Memorandum respecting the Pearl Fisheries in the Persian Gulf.	
505. Winchester (W.)	Tr. Bo. G. S. I-II, November 1838.	Memoir on the River Euphrates, etc., during the late Expedition of the H. C. Armed Steamer *Euphrates*.	
506. Ditto .	Ditto	Note on the Island of Karrack in the Gulf of Persia.	
507. Ditto (Dr. J. W.)	Tr. Bo. G. S. VI, September 1841, May 1844 (Reprint of 1865.)	Note on the Practicability of Advancing an Army from Europe into Asia by the Provinces of the Euphrates and Tigris.	
508. Winckler (Dr. H.)	Der Alte Orient, Part I for 1899, also as a pamphlet, Leipzig, 1903.	Die Völker Forder-Asiens.	
509. Windt (H. de.) .	London, 1891 .	A Ride to India across Persia and Baluchistan.	
510. Wolf (Lieutenant)	J. R. G. S. III, 1833.	Narrative of Voyages to explore the shores of Africa, Arabia and Madagascar. (Analysis of Owen's Voyages.)	
511. Wrede (A. von) .	Brunswick, 1873	Reise in Hadhramaut. (By H. F. von Maltzan.)	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
512 Wustenfeld ( )	......	Bahrein und Jomama.	
Yakut . .	......	See Meynard.	
513. Young (G) .	Oxford . .	"Corps de Droit Ottoman."	
Yule (Sir H.) .	......	See Polo (Marco).	
514. Yule (Sir H.) and Burnell (A. C.).	London, 1886 .	A Glossary of Anglo-Indian Colloquial Words and Phrases.	
515. Ditto .	London, 1888 .	The Diary of William Hedges, Esq. (3 volumes, Hakluyt Series).	
516. Ditto .	......	Cathay and the Way thither.	
517. Zehme (A.) .	Halle, 1875 .	Arabien und die Araber seit Hundert Jahren.	
518. Zwemer (The Rev. S. M.) .	Edinburgh and London, 1900.	The Cradle of Islam.	
519. Ditto .	G. J. XIX, January 1902.	Three Journeys in Northern Oman.	

II.—ANONYMOUS BOOKS AND ARTICLES.

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS
520. . . .	London, 1703 .	A collection of Voyages undertaken by the Dutch East India Company.	
521. . . .	Asiatic Journal, Volumes XVIII of 1824 and XIX of 1825.	......	
522. . . .	London, 1825 .	The Three Brothers, or the Travels and Adventures of Sir Anthony, Sir Robert and Sir Thomas Sherley.	
523. . . .	London, 1828 .	Sketches of Persia from the Journals of a Traveller in the East.	
524. . . .	1837 .	Edm. Robert's Embassy to the Eastern Courts of Cochin, Siam and Maskat; etc., 1832—1834.	
525. . . .	Asiatic Journal, September 1838	The Island of Kharak or Charrack.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
526. . . .	J. R. A. S. X.	Cuneiform Inscriptions.	
527. . . .	J. Bo. Br. R. A. S. XXI.	......	
528. . . .	Internationale Revue, July—September 1899.	Der Streit um Maskat.	
529. . . .	Internationale Revue, 1899.	Strategische Streifblicke nach dem Persischen meerbusen.	
530. . . .	Edinburgh Review, April 1902.	British Policy in Persia and Turkish Arabia.	

III.—OFFICIAL AND CONFIDENTIAL WORKS AND REPORTS.

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
531. Abdul Rahman, Hakim.	1873 .	(Tour in the Minow, etc., District.)	
532. Atkinson-Willes (Rear-Admiral G. L.)	Simla, 1903 .	Memorandum, dated 8th December 1903, on places visited in the Persian Gulf during Lord Curzon's tour.	
533. Barlow (Major J. A.) etc.	Simla, 1889 .	Gazetteer of Baghdad.	
534. Bell (Colonel M. S.).	1885 .	Military Report on South-West Persia.	
535. Ditto . .	Simla, 1889 .	An account of the British wars with Persia.	
536. Brazier-Creagh (Surgeon-Major G. W.) (A. M. S.)	Simla, 1895 .	A reconnaissance through Persian Baluchistan and Eastern Persia.	
537. Collingwood, Bewsher, and Selby.	......	Surveys in Mesopotamia, 1880—1866. (A collection in the Q. M. G.'s Branch.)	
538. Colvill . .	......	Report on Plague (Enclosure to Lt.-Colonel L. Pelly's, No. 46 of 1866, dated 4th May 1866.)	
539. Ditto . .	......	Report on the Plague in Mesopotamia 5th June 1875, G. I.'s., No. 48 Gen.-A. September 1875.	

Author.	Place, date, etc., of publication	Title.	Remarks.
540. Constable and Stiffe.	1898 .	Persian Gulf Pilot.	
541. Douglas (Captain J. A.).	Simla, 1897 .	Report on a journey from India to the Mediterranean.	
542. Dowding (Captain H. H.).	Simla, 1903 .	Koweit.	
543. Ffrench-Mullen (Surgeon-Major T.)	......	Notes on Cholera in Persia (Administration Report, 1889-1890.)	
544. Galindo (Lieutenant R. E.).	Simla, 1890 .	A record of two years' wanderings in Eastern Persia and Baluchistan.	
545. Gerard (Colonel M. G.).	Calcutta, 1883 .	Notes of a journey through Kurdistan.	
546. Ditto . .	Simla, 1886	Report on routes in Western and Southern Persia.	
547. Herbert (A.) .	London, 1886	Report on the present state of Persia and her mineral resources. (Consular.)	
548. Hyslop ( ) .	......	Memoir on the climate and diseases of Southern Turkish Arabia.	
549. Jayakar (Colonel P. S. G.), I.M.S.	......	Report on the Recent Epidemic of Cholera in Masqat and Matrah (Administration Report, 1899-1900.)	
550. Jennings (Captain R. H.).	Calcutta, 1886 .	Report of a journey through Western Baluchistan.	
551. Kemp and Somerville (Commanders)	Simla, 1903 .	Reports on Khor Musa and Chahbar Bay dated respectively 20th June 1903 and 1st July 1903.	
552. Khanikoff (N.) .	Calcutta, 1883 .	Translation from the French of ——'s Memoir on the Southern Part of Central Asia.	
553. MacGregor (Lieutenant-Colonel C. M.)	Calcutta, 1872 .	Central Asia, Part V.	
554. Markham (Lieutenant C. J.).	Simla, 1889 .	Narrative of a journey through Persia.	
555. Maunsell (Lieutenant F R).	1888 .	Communications in South-Western Persia.	
556. Ditto . .	1889 .	Reconnaissances in Mesopotamia, etc.	
557. Ditto (Colonel F. R)	London, 1904 .	Handbook of the Turkish Army.	
558. Miles (Colonel) .	.. ..	Report on a visit to Dhafar. 1883, in Government of India, Political Proceedings, May 1884, and visit of the Political Agent, Muscat, to Ras Fartak, 1884, in Administration Report, 1881-1885.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	Remarks.
559. Napier (Captain G. C.).	1876 .	Notes on Horse-breeding Operations in Persia.	
560. Napier (Captain G. S. F.).	Simla, 1900 .	Military Report on Southern Persia.	
561. Pelly (Lieutenant-Colonel L.).	Bombay, 1866 .	Report on a journey to the Wahabee Capital of Riyadh.	
562. Possmann (Julius)	Karachi, 1889 .	Official History of the Persian Gulf Telegraph cables.	
563. Povah (Major J. R.).	Calcutta, 1887 .	Gazetteer of Arabia.	
564. Powell (Commander W. J.).	Calcutta, 1873 .	Voyage on the Euphrates: Suklewich to Muskeneh.	
565. Preece (J. R.) .	Calcutta, 1884 .	Notes of a journey made between Shiraz and Jask.	
566. Rigby (Lieutenant-Colonel C. P.).	Bombay, 1861 .	Report on the Zanzibar Dominions. (Selections from the Records of the Bombay Government LIX, New Series.)	
567. Ross (Lieutenant E. C.).		Memorandum on Makran. (Selections from Bombay Records CXI, Bombay, 1868.)	
568. Ross (Lieutenant-Colonel ?).		Note on Tribes, etc., of Central Arabia, 1879—1890.	
569 Robertson (P. J. C.).	1878 .	Report on his journey to the Karun River.	
570. Sawyer (Major H. A.).	Simla, 1891 .	Report of a reconnaissance in the Bakhtiari Country.	
571. Selby (Commander W. B.).	......	Memoir on the Ruins of Babylon. (Selections from the Records of the Bombay Government LI, New Series, 1859.)	
572. Somerville (Lt. Commr.).	Simla, 1905 .	Report on Khor Kaliya.	
573. Sykes (2nd Lieutenant P. M.).	London, 1894 .	Routes and Notes of a third journey in Persia.	
574. Thomson . .	London, 1868 .	Report on the Population, Revenue, Military Force and Trade of Persia. (Consular.)	
575 Tweedie (Colonel W.).	Calcutta, 1888 .	Turkish Arabia, being an account of an official tour in Babylonia, Assyria and Mesopotamia.	
576. Vaughan (Lieutenant H. B.).	Calcutta 1890 .	Report of a journey through Persia.	

Author.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
577. Vaughan (Captain H. B.).	Simla, 1892 .	Reconnaissances in Persia.	
578. Wheeler (J. Talboys).	Calcutta, 1884 .	Memorandum on Persian Affairs.	
579. Wheeler (Lieutenant O. E.).	Calcutta, 1884 .	Gazetteer of Arabia, Part I, General Outline.	
580. Willcocks (Sir W.).	Cairo, 1905 .	The Irrigation of Mesopotamia. (Private and Confidential.)	

IV.—ANONYMOUS OFFICIAL WORKS.

Area.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
581. Euphrates .	London, 1872 .	Report from the Select Committee on the Euphrates Valley Railway. (Parliamentary.)	
582. Karun . .	...	The Karun River Project.	
583. Mesopotamia .	1844—1853 .	Surveys in Mesopotamia (MSS.)	
584. Ditto .	Bombay, 1857 .	Selections from the Records of the Bombay Government, New Series No. XLIII.	
585. Ottoman Empire	London, 1881 .	Reports on the Administration of Justice in the Civil, Criminal and Commercial Courts in the various Provinces of the Ottoman Empire. (Parliamentary.)	
586. Persia .	London, 1880 .	Persia (Parts I and II, War Office.)	
587. Do. .	Simla, 1902—1904.	Gazetteer of Persia, Part I, 1902, with additions, etc., 1903 and 1904.	
588. Do. .	Calcutta, 1885 .	Gazetteer of Persia (Part III).	
589. Do. .	Calcutta, 1892 .	Ditto (Part IV).	
590. Do. .	Simla, 1895—1899.	Routes in Persia (Part II, 1895, with Appendix, 1899).	
591. Do. .	Calcutta, 1898 .	Routes in Persia (Part I).	
592. Do. .	Simla, 1898 .	Ditto. (Part III).	
593. Do. .	London, 1858 .	Agreement regarding Protection of Rights of Property in Persia. (Parliamentary.)	

	Area.	Place, date, etc., of publication.	Title.	Remarks.
594.	Persia	London, 1864	The Persian Telegraphs. (Parliamentary.)	
595.	Do.	London, 1888	Agreement regarding Persian Telegraphs. (Parliamentary.)	
596.	Persian Gulf	Bombay, 1856	Selections from the Records of the Bombay Government, New Series No. XXIV.	
597.	Ditto	Calcutta, 1865	Correspondence relating to the Arab Pearl Fisheries.	
598.	Ditto	London, 1898	Persian Gulf Pilot (4th edition, Admiralty and Corrections in 1905).	
599.	Red Sea	London, 1900	Red Sea and Gulf of Aden Pilot (5th edition, Admiralty).	
600.	Slave Trade	1865, 1882 and 1892.	Instructions for the guidance of the Captains and Commanding Officers of Her Majesty's Ships of War employed in the Suppression of the Slave Trade.	
601.	Turkey	1878	Reports in relation to Trade with Turkey in Asia, Persia, Central Asia. (Consular).	
602.	Turkey	Simla, 1889	Turkey in Asia and Persia (Sections II and III.)	
603.	Do.	Simla, 1894	The Development of the Military Strength of Turkey. (Translation.)	
604.	Turkish Arabia	Calcutta, 1874	Précis (First Connection of the H.E.I.C. with Turkish Arabia).	
605.	Wahabees	1864	The Wahabee Conspiracy.	
606.	Slave Trade	1890	Protocols and General Act of the Slave Trade Conference held at Brussels, 1889-90.	
607.	India	......	Summary of the Principal Measures of the Viceroyalty of :— (1) The Marquess of Dufferin and Ava, December 1884—December 1888. (2) The Marquess of Lansdowne, December 1888—January 1894. (3) The Earl of Elgin and Kincardine, January 1894—January 1899. (4) Lord Curzon of Kedlestone.	
608.	East Indies, etc.	London, 1862	Calendar of State Papers, Colonial Series, East Indies, China, and Japan, 1513—1616. Edited by W. Noël Sainsbury.	
609.	Ditto	London, 1870	Ditto 1617—1621.	

	Area.	Place, date, etc., of publication.	Title.	REMARKS.
610.	East India, etc.	London, 1878	Calendar of State Papers, Colonial Series, East Indies, China, and Japan, 1622—1624. Edited by W. Noël Sainsbury.	
611.	Ditto.	London, 1884	Ditto. 1625—1629.	
612.	Ditto.	London, 1892	Ditto. 1630—1634.	

V.—MONOGRAPHS CONTAINED IN THE PERSIAN GULF ADMINISTRATION REPORTS FROM 1873-74 TO 1904-1905.

	Subject.	Article.	Administration Report.	Pages.
613.	Dates	Date culture at Bushehr. (Edwards.)	1877-78	43—45.
614.	Do.	Date culture (Hakim)	1883-84	39—45.
615.	Do.	Introduction of date palms into India (Hakim).	1885-86	16—20.
616.	Do.	Date cultivation in 'Arabistan (McDouall.)	1894-95	62.
617.	Fish	Oman fisheries (Maciver)	1876-77	61.
618.	Do.	Sea fisheries (MacIver)	1880-81	44—67.
619.	Geography	Province of Fars	1875-76	6—27.
620.	Do.	Karah Aghaj River (Andrews)	1877-78	13—16.
621.	Do.	Description of the Bahrain Islands (Durand).	1878-79	15—18.
622.	Do.	Topography of Khuzistan (Robertson.)	1878-79	19—26.
623.	Do.	Geography of 'Oman (Miles)	1878-79	117—119.
624.	Do.	Note on the tribes of 'Oman (Miles).	1880-81	19—34.
625.	Do.	Visit to Ras Fartak (Miles.)	1884-85	19—23.
626.	Do.	Notes of a tour through 'Oman and El Dhahirah (Miles).	1885-86	22—38.

Subject.	Article.	Administration Report.	Pages.
627. History	Memoir on Nejd (Ross)	1879-80	36—61.
628. Do.	Summary of the history of 'Oman from 1728 to 1883 (Ross).	1882-83	22—29.
629. Do.	Bi- phy of Saiyid Sa'id (Miles)	1883-84	20—37.
630. Do.	The Portuguese in Eastern Arabia (Miles).	1884-85	24—40.
631. Do.	Biography of Saiyid Sultan (Miles)	1887-88	22—31.
632. Do.	Family of Ibn Rashid (Ross)	1888-89	15—17.
633. Do.	Pedigree of 'Arabistan Chiefs	1889-90	12.
634. Meteorology	Medical topography of Masqat (Jayakar).	1876-77	96—105.
635. Do.	Climate of Bushehr	1877-78	9—10.
636. Mules	Persian mules (MacIvor)	1879-80	15—35.
637. Opium	Cultivation of opium in Persia and Exportation (Lucas).	1874-75	28—31.
638. Do.	Opium exported from Bushehr	1877-78	87.
639. Do.	Persian opium (Lucas)	1878-79	31—33.
640. Do.	Opium exported from Bushehr	1879-80	86.
641. Do.	Ditto	1880-81	90.
642. Religion	Pilgrims from Persia	1877-78	88.
643. Do.	Ibadhiyah sect of 'Oman	1880-81	35—41.
644. Salt	Salt caves and trade (Hakim)	1879-80	65—67.
645. Specie	Specie movements	1877-78	126.
646. Surveys	Persian surveys	1877-78	11—13.
647. Vessels	Statistics of native craft	1878-79	40—42.
648. Weights, etc.	Persian weights, measures and time.	1877-78	22—24.

VI.—PRÉCIS CONNECTED WITH THE PERSIAN GULF GAZETTEER.

649.—Selections from State Papers, Bombay, regarding the East India Company's connection with the Persian Gulf, with a Summary of events, 1600—1800. (Printed, 1908.)

650.—Précis of Correspondence regarding the Affairs of the Persian Gulf, 1800—1853. (Printed, 1906.)

651.—Précis on Maskat Affairs, 1856—1872. (Printed, 1905.)

652.—Précis of Maskat Affairs, 1892—1905. (Printed 1906.)

653.—Précis of Correspondence regarding Trucial Chiefs, 1854—1905. (Printed, 1906.)

654.—Persian Gulf Gazetteer: Part I.—Historical and Political Materials—Précis of Katar Affairs, 1873—1904. (Printed, 1904.)

655.—Persian Gulf Gazetteer: Part I.—Historical and Political Materials—Précis of Bahrein Affairs, 1854—1904. (Printed, 1904.)

656.—Persian Gulf Gazetteer: Part I.—Historical and Political Materials—Précis of Turkish Expansion on the Arab Littoral of the Persian Gulf and Hasa and Katif Affairs. (Printed, 1904.)

657.—Persian Gulf Gazetteer: Part I.—Historical and Political Materials—Précis of Koweit Affairs, 1896—1904. (Printed, 1904.)

658.—Persian Gulf Gazetteer: Part I.—Historical and Political Materials—Précis of Nejd Affairs, 1804—1904. (Printed, 1904.)

659.—Précis on Slave Trade in the Gulf of Oman and the Persian Gulf, 1873—1905. (With a Retrospect into previous history from 1852.) (Printed, 1906.)

660.—Précis on Naval Arrangements in the Persian Gulf, 1862—1905. (Printed, 1906.)

661.—Précis on Commerce and Communication in the Persian Gulf, 1801—1905. (Printed, 1906.)

662.—Précis of Correspondence on International Rivalry and British Policy in the Persian Gulf, 1872—1905. (Printed, 1906.)

663.—Précis of Mekran Affairs. (Printed, 1906.)

664.—Précis of Turkish Arabia Affairs, 1801—1905. (Printed, 1906.)

665.—Persian Gulf Gazetteer: Part I.—Historical and Political Materials—Précis of Persian Arabistan Affairs. (Printed, 1905).

666.—Précis of the Affairs of the Persian Coast and Islands, 1854—1905. (Printed, 1906).

فهرس دليل الخليج

الجزء السابع التاريخي

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة


لوحة نسب آل خليفة (من العتبي) الأسرة الحاكمة في البحرين

رقم/١

القسم الرئيسي من فرع آل سلمان

هذا التقسيم يشمل جميع شيوخ البحرين عدا واحدًا

بيان يوضح علاقة هذه اللوحة باللوحة رقم/٢ ورقم/٣



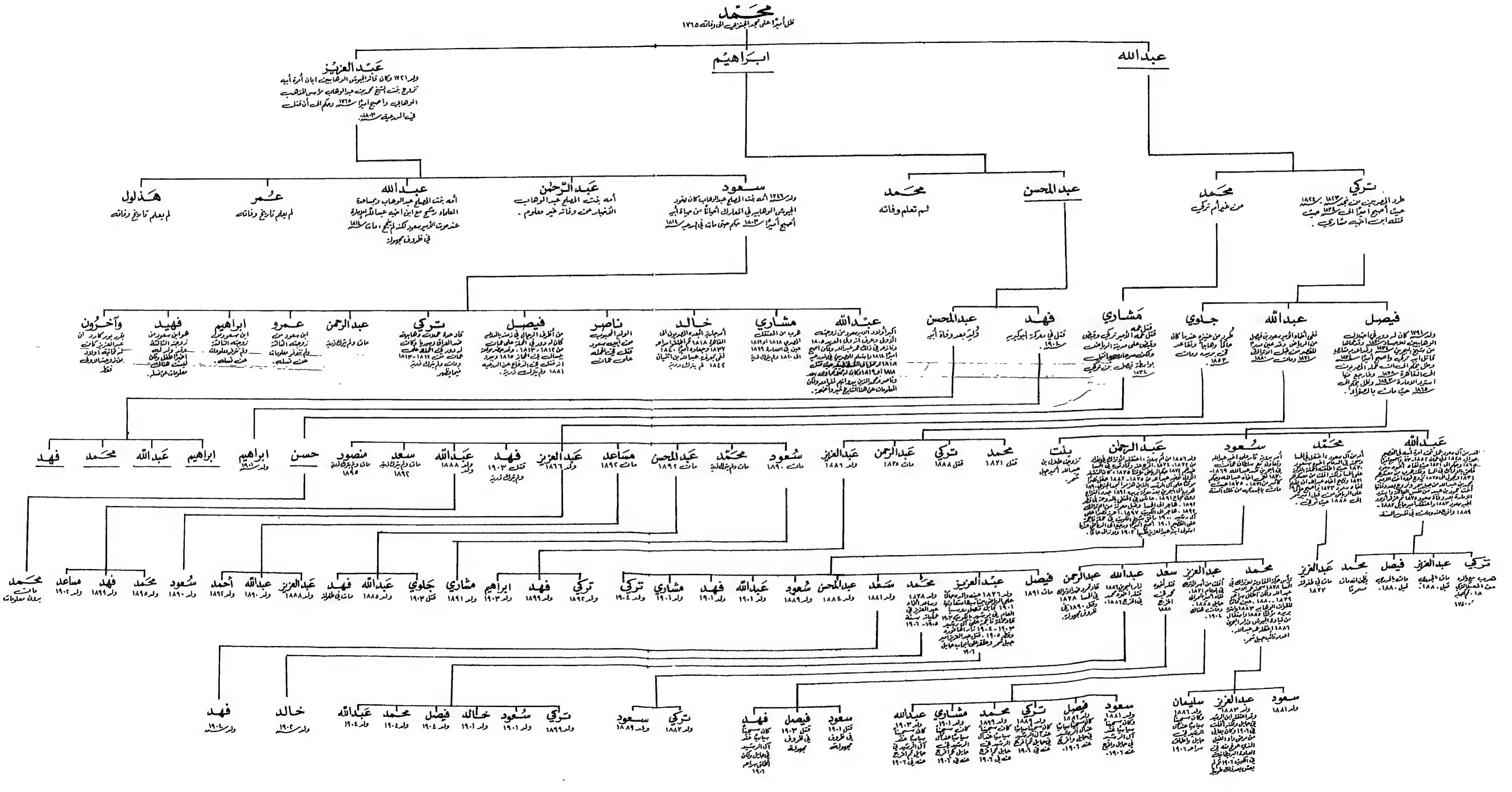
الترتيب الزمني للحكام من هذه العائلة

الاسم				
خليفة بن محمد	قبل وبعد	١٧٦٦		
أحمد بن خليفه	قبل	١٧٨٣	حوال	١٧٩٦
سلمان بن أحمد عبدالله بن أحمد	مما بعد	١٧٩٦	-	١٨٢٥ معًا
عبدالله بن أحمد خليفه بن سلمان	من	١٨٢٥	-	١٨٣٦ معًا
عبدالله بن أحمد محمد بن خليفه		١٨٣٤	-	١٨٤٠ معًا
عبدالله بن أحمد	فقط	١٨٤٢	-	١٨٤٣
محمد بن خليفه	فقط	١٨٤٣	-	١٨٦٨
علي بن خليفه		١٨٦٨	-	١٨٦٩
عيسى بن علي		١٨٦٩	-	الوقت الحالي

...ال هذه اللوحة هو سنة ١٩٠٧ م
...ـه تشمل ... كاملة بسلالة خليفة
...مد مؤسس هذه الأسرة حذفنا منها جميع الاناث.
الأبناء مرتبة من اليمين الى اليسار حسب
...ر سنًا.
الولادة والوفاة في بعض الأحيان تقريبية.
لا يذكر تاريخ الوفاة وظروفها لبعض
...ن يفهم من ذلك أنه كان حيًا سنة ١٩٠٦ م
...ام غير المبينة في اللوحة رقم ١ و/٢/
...كون موجودة في اللوحة رقم/٣ وإلا
...كون مدونه في لوحات قطر أو الاحساء.

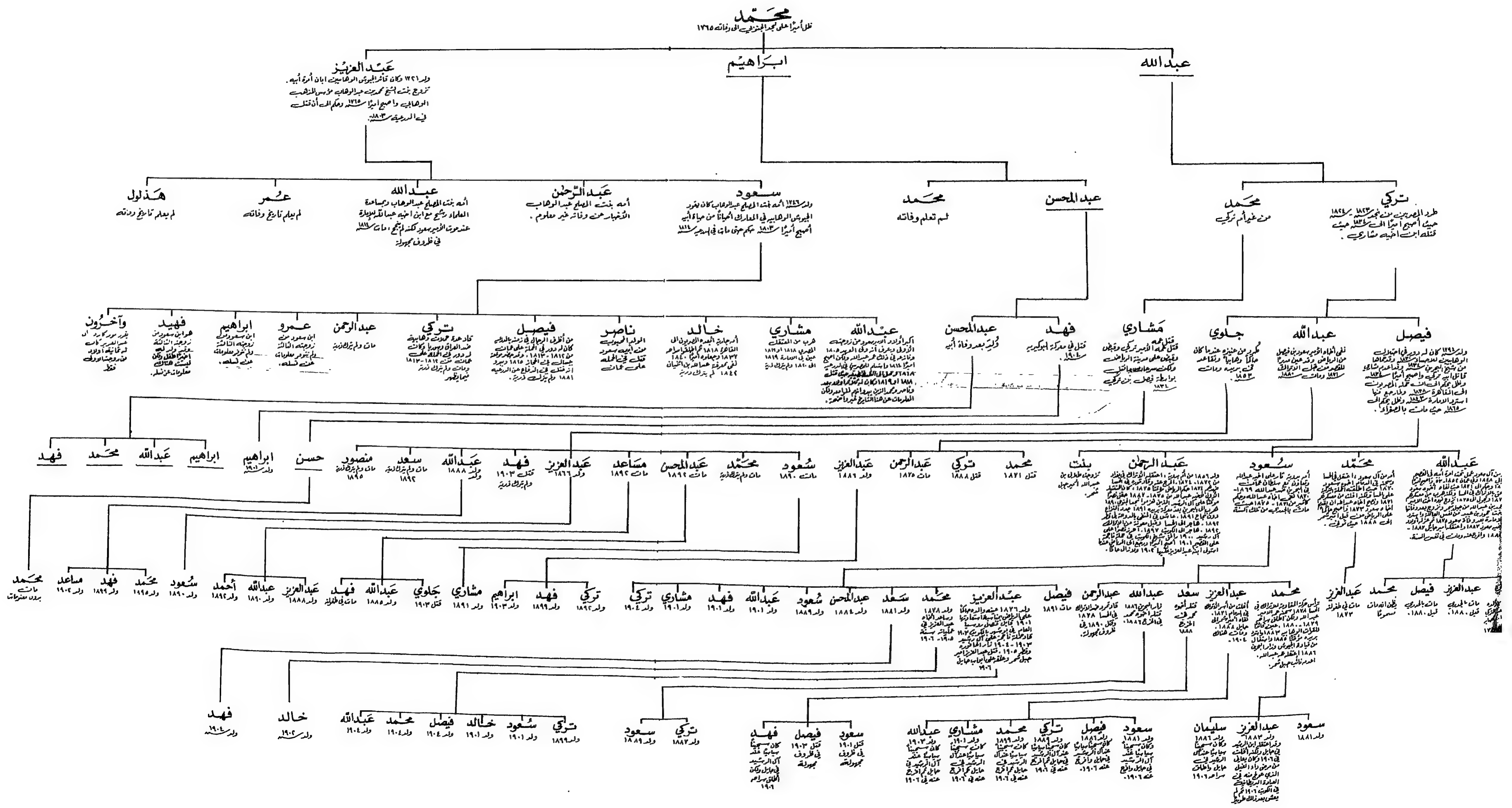
شجرة نسب آل محمد فرع عائلة آل سعود الحاكمة في نجد الجنوبي

للربط بين هذا الفرع وغيره من فروع العائلة ولأجل الترتيب الزمني والملاحظات أنظر اللوحة رقم ١



شجرة نسب آل محمد - فرع عائلة آل سعود الحاكمة في نجد الجنوبي

للربط بين هذا الفرع وغيره من فروع العائلة ولأجل الترتيب الزمني والملاحظات أنظر اللوحة رقم ١



لوحة نسب عائلة آل خليفة (من العتبى) الأسرة الحاكمة في البحرين

لوحة رقم ٢

القسم الأدنى من فرع آل سلمان ولم ينجب هذا الفرع أحداً من الحكام لكن أنجب وزيراً أو اثنين.

للربط بين هذا الفرع وفرع آل عبد الله أنظر اللوحة رقم ١

ملاحظات:

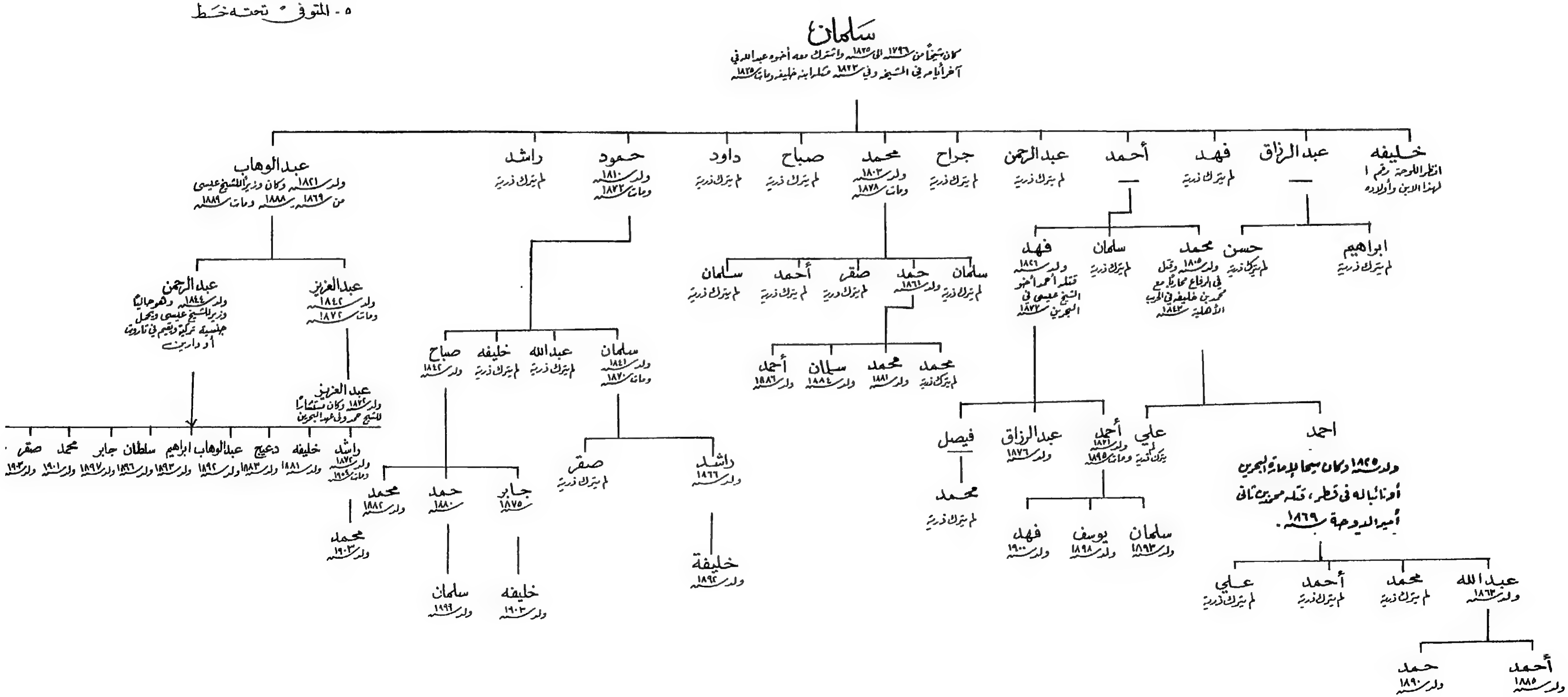
١ - تاريخ الانتهاء من هذه اللوحة هو سنة ١٩٠٢

٢ - كل الأسماء الواردة هنا هي للذكور فقط وقد حذفنا الاناث

٣ - ان ترتيب السن هو على أساس ان الأكبر سناً على جهة اليمين

٤ - إذا لم تذكر سنة ولا ظروف الوفاة فان الرجل كان حياً في سنة ١٩٠٦.

٥ - المتوفى تحته خط



لوحة نسب آل خليفة (من العتبي) الأسرة الحاكمة في البحرين

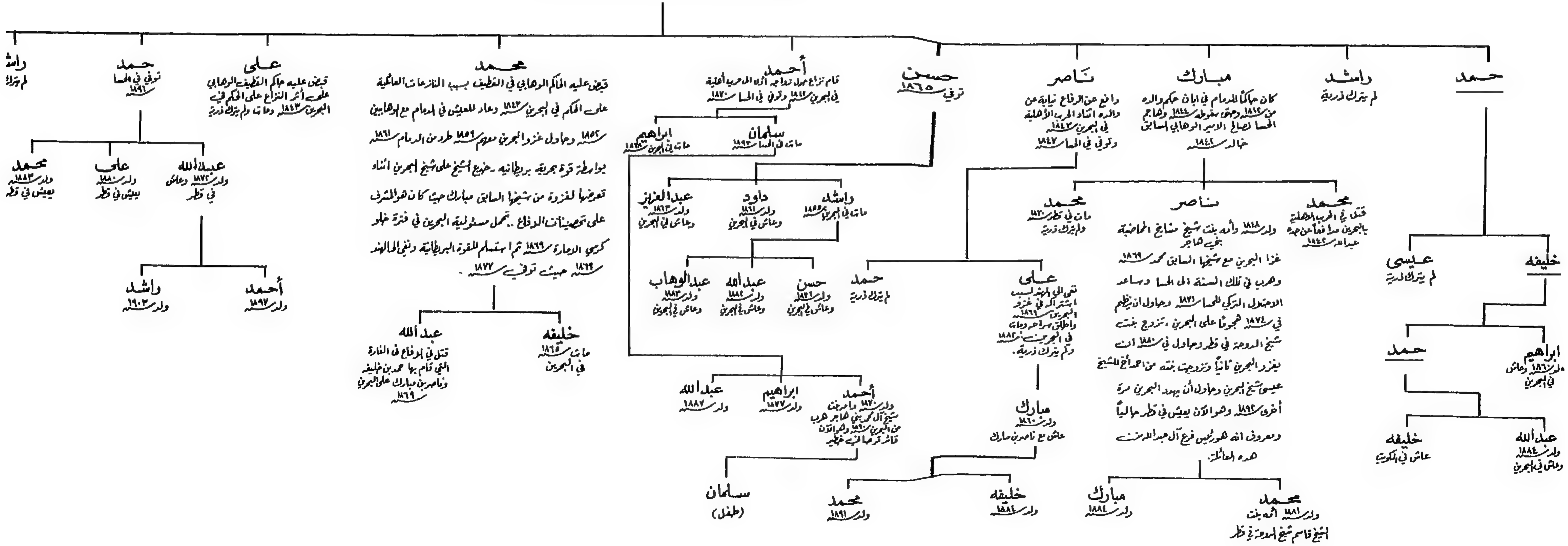
لوحة رقم / ٣

فرع آل عبد الله

فيما عدا (عبد الله بن احمد) مؤسس هذا الفرع فإن هذه الأسرة لم تنجب أي شيخ ممن حكموا البحرين

عبد الله

كان شيخاً للبحرين بالاشتراك مع أخيه سلمان فترة من الوقت قبل سنة ١٨٢٥ وكان يساعده في المشيخة ابن اخيه خليفه من سنة ١٨٢٥ الى سنة ١٨٣٤ وشاركه الابن الاكبر لأخيه محمد من سنة ١٨٣٤ - سنة ١٨٤٢ وسنة ١٨٤٢ طرد محمداً الذي قام ضده بحرب وفي سنة ١٨٤٣ طرده محمد ولم يعد شيخاً للبحرين فعاش مشرداً وكان يهدد البحرين من وقت لآخر بين سنتي سنة ١٨٤٣ وسنة ١٨٤٩ حيث توفي في مسقط.



ملاحظات

١ - تاريخ اكمال هذه اللوحة هو سنة ١٩٠٧
٢ - ان هذه اللوحة تشمل قائمة كاملة للذكور من خليفه بن محمد مؤسس أسرة آل خليفة وقد حذفنا منها الاناث واقتصرنا على الذكور
٣ - الأخوة مرتبون بحيث يكون الاكبر سناً عن جهة اليمين
٤ - تاريخ الميلاد والوفاة تقريبي في بعض الاحيان.
٥ - اذا لم تذكر ظروف وتاريخ الوفاه فمعنى ذلك ان الشخص كان حياً في سنة ١٩٠٦.
٦ - الاشخاص الوارد ذكرهم في اللوحة رقم/١ ورقم/٢ كانوا يقيمون في البحرين ما لم ينص على سوى ذلك. أما الموجودون في لوحة /٣ فهم في الحسا أو قطر ما لم ينص على غير ذلك.

لوحة أسرة آل ثاني (من المعاضيد) وهي الحاكمة في الدوحة قطر

جدول زمني للشيوخ من هذه العائلة .

ثاني بن محمد :- مجهول التاريخ
محمد بن ثاني :- سنة ١٨٧٦
جاسم بن محمد منذ سنة ١٨٧٦

ملاحظات

١ - ان تاريخ انجاز هذا الجدول كان سنة ١٩٠٧
٢ - ان قوائم الأسماء هنا خاصة بالذكور فقط وقد حذفنا النساء .
٣ - رتبنا اسماء الأبناء بحيث تجد الأكبر على جهة اليمين .
٤ - ان تاريخ المواليد بعض الحالات تقريبية
٥ - اذا لم يذكر تاريخ الوفاة ولو منا سببها فالمفهوم ان صاحبها على قيد الحياة في سنة ١٩٠٦
٦ - لقد ذكر الشيخ قاسم بن ثاني نسب اجداده على الوجه الآتي :
ثاني بن محمد بن ثامر بن علي بن محمد بن سالم بن محمد بن جاسم بن سعيد بن علي بن ثامر بن محمد بن علي بن معضاد بن مشرف وقال ان معضاد هكم واحد جبر بن التي رحلت منها عائلته لسوء المناخ هناك وبعد في الكويت استقرت القبيلة بقطر .
٧ - لقد كان للشيخ جاسم ابن آخر اسمه علي قتل في احدى المعارك قرب الدوحة سنة ١٨٨٨
٨ - لقد كانت للشيخ جاسم بنت تزوجها الشيخ ناصر بن مبارك من اعيان البحرين سنة ١٨٨٠

ثاني

- **محمد** (١)
  كان شيخاً على الدوحة وقد تنازل لمصلحة ابنه جاسم سنة ١٨٧٦ وتوفي في سن متقدمة سنة ١٨٧٨
  - **قاسم** (٢)
    عينه الأتراك قائم مقام على قطر وخلف والده في مشيخة الدوحة سنة ١١٧١ . واعتزل في قرية الوسيل حوالي سنة ١٩٠٠ تاركاً مسؤولية القائم مقامية لأخيه أحمد ومحتفظاً لنفسه بالمشيخة عمره الحالي دون الثمانين .
    - خليفه — ولد سنة ١٨٥١
    - ثاني — ولد سنة ١٨٥٦
      - محمد — ولد سنة ١٨٧٩
      - فهد — ولد سنة ١٨٨١
      - فيصل — ولد سنة ١٨٩٦
    - عبد الرحمن — ولد سنة ١٨٧١ عين حاكماً على الوكره تحت امرة والده
      - مبارك — ولد سنة ١٨٩٤
      - سعود — ولد سنة ١٨٩٧
    - عبد الله (٣) — ولد سنة ١٨٧٦ وعين حاكماً على الدوحة تحت امرة والده سنة ١٩٠٦
      - علي — ولد سنة ١٨٩٤
      - حمد — ولد سنة ١٨٩٦
    - محمد — ولد سنة ١٨٨١
    - علي — ولد سنة ١٨٩٢
    - فهد — ولد سنة ١٨٩٥
    - عبد العزيز — ولد سنة ١٨٩٦
    - مبارك — ولد سنة ١٨٩٨
    - سلمان — ولد سنة ١٨٩٩
  - **أحمد**
    ولد سنة ١٨٥٣
    عين حاكماً للدوحة تحت امرة أخيه جاسم وكان ممثلاً له في مهام القائم مقامية بعد سنة ١٩٠٠ . قتله أحد الخدم من بني هاجر سنة ١٩٠٥ .
    - محمد — ولد سنة ١٨٧٧
    - عبد الله — ولد سنة ١٨٨٠
    - علي — ولد سنة ١٨٨٣
    - عبد الرحمن — ولد سنة ١٨٨٦
    - ناصر — ولد سنة ١٨٩٢
    - خالد — ولد سنة ١٨٩٣
    - عبد العزيز — ولد سنة ١٨٩٤
    - خليفه — ولد سنة ١٨٩٦
    - سيف — ولد سنة ١٨٩٨
    - جبر — ولد سنة ١٨٩٩
    - احمد — ولد سنة ١٩٠٣
  - **جبر**
    ولد سنة ١٨٧٨
- **ثامر**
- **عيد**

لوحة أسرة السليمي من السبيع الحاكمة من عنيزة بالقصيم

الترتيب الزمني لأمراء عنيزة من هذه الأسرة .

سليمان بن يحيى - التاريخ غير مؤكد

عبد الله بن سليمان } حكما بالاشتراك قبل سنة ١٨٥١
ابراهيم بن سليمان }

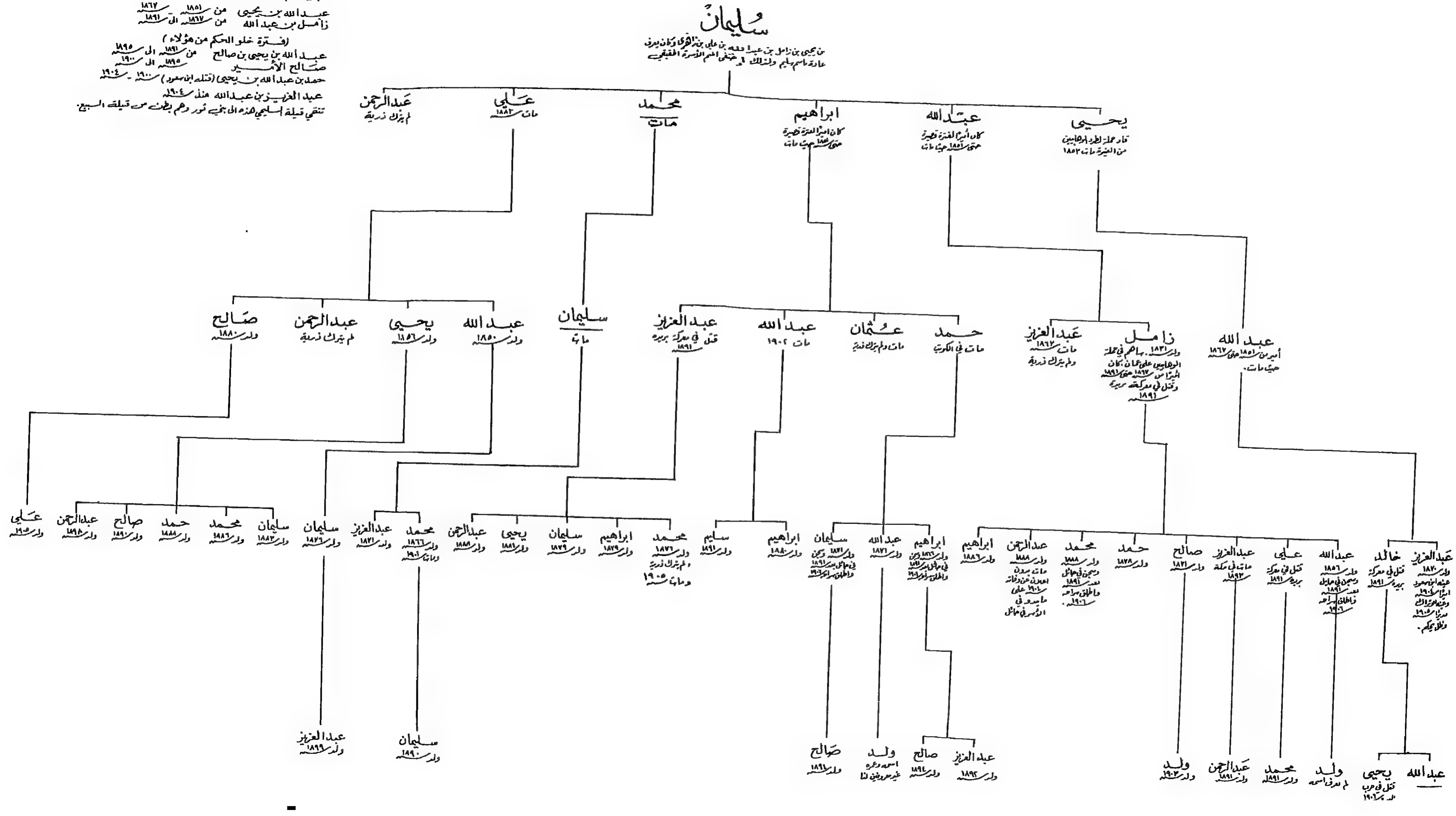
عبد الله بن يحيى من سنة ١٨٥١ - سنة ١٨٦٧
زامل بن عبد الله من سنة ١٨٦٧ الى سنة ١٨٩١

(فترة خلو الحكم من هؤلاء)

عبد الله بن يحيى بن صالح من سنة ١٨٩١ الى سنة ١٨٩٥
صالح الأمير ١٨٩٥ الى سنة ١٩٠٠
حمد بن عبد الله بن يحيى (قتله ابن سعود) سنة ١٩٠٠ - سنة ١٩٠٤

عبد العزيز بن عبد الله منذ سنة ١٩٠٤

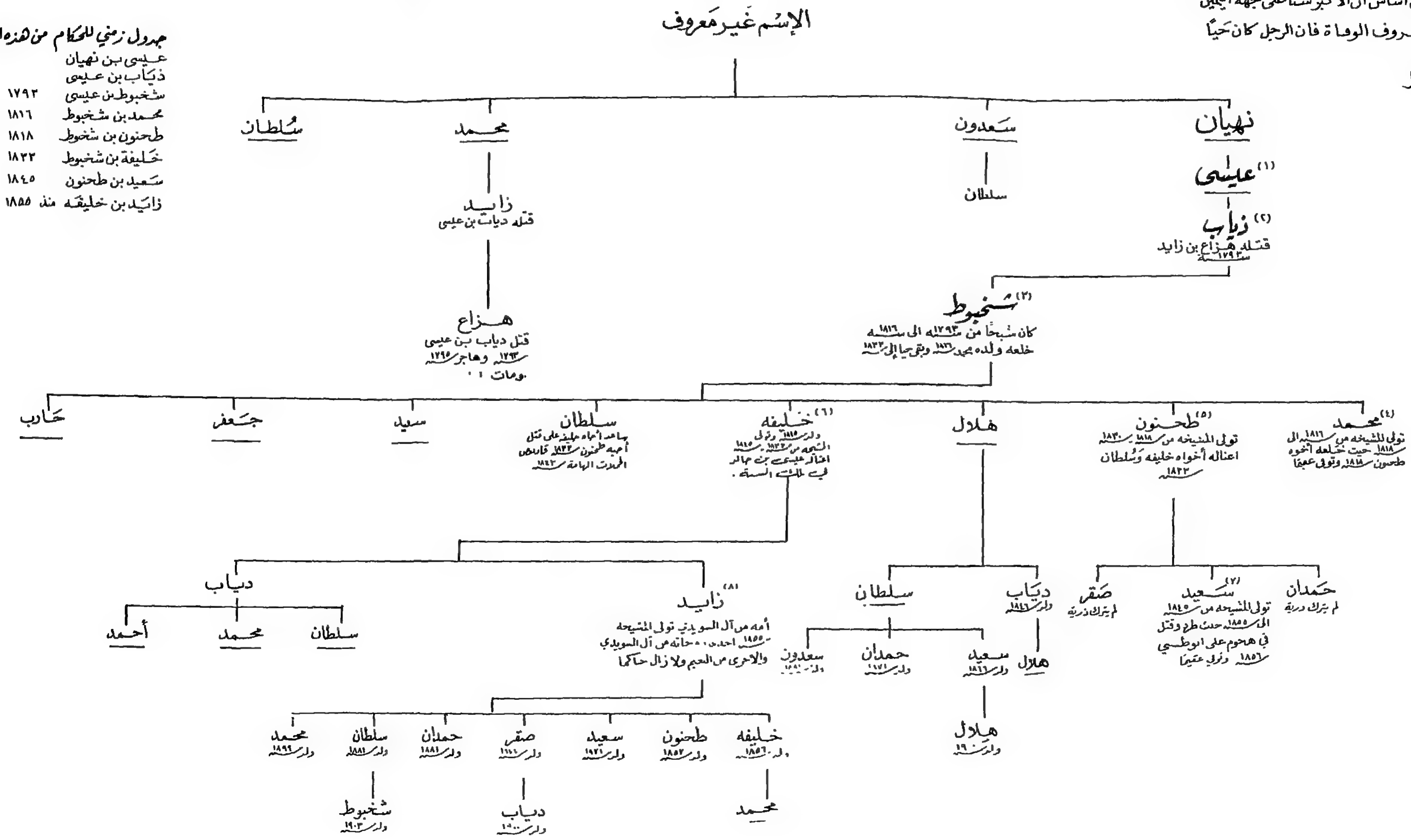
تنتمي قبيلة السليمي هذه الى بني ثور وهم بطن من قبيلة السبيع.



لوحة نسب آل بوفلاح (من بني ياس) العائلة الحاكمة في أبوظبي (عُمان المتصالح)

مُلاحظات:

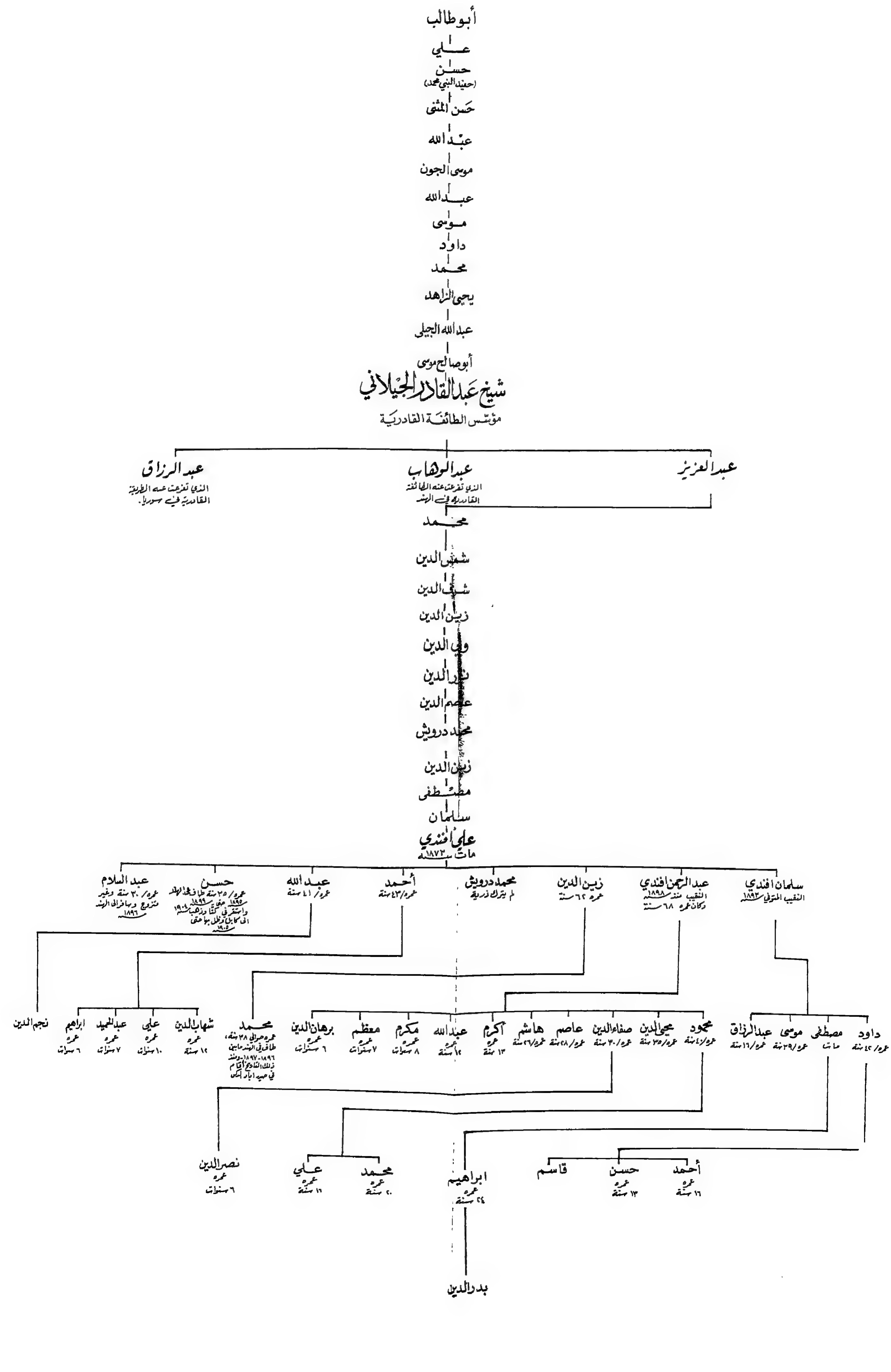
١ - تاريخ الانتهاء من هذه اللوحة هو سنة ١٩٠٢
٢ - كل الأسماء الواردة هنا هي للذكور فقط وقد حذفنا الاناث
٣ - ان ترتيب السن هو على أساس ان الاكبر سنًّا على جهة اليمين
٤ - إذا لم تذكر سنة ولا ظروف الوفاة فان الرجل كان حيًّا في سنة ١٩٠٦.
٥ - المتوفى تحته خط



جدول زمني للحكام من هذه الأسرة

الحاكم	من		إلى
عيسى بن نهيان			
ذياب بن عيسى			
شخبوط بن عيسى	١٧٩٣	-	١٨١٦
محمد بن شخبوط	١٨١٦	-	١٨١٨
طحنون بن شخبوط	١٨١٨	-	١٨٣٣
خليفة بن شخبوط	١٨٣٣	-	١٨٤٥
سعيد بن طحنون	١٨٤٥	-	١٨٥٥
زايد بن خليفة	منذ ١٨٥٥	-	

لوحة نسب السادة القادرية النقباء في العراق التركي



لوحة نسب أسرة أبو الخيل (من عنيزة) حكام بريدة بالقصيم


لقد رتبت هذه اللوحة بمعرفة المستر ج.ك جاسكين في سنة ١٩٠٥. وقد نقحها الكابتن س. ج نوكس المعتمد البريطاني في الكويت وكذا الكابتن بريدوكس المعتمد البريطاني في البحرين سنة ١٩٠٦. وقام بمساعدة الأول - عبدالعزيز بن حسن الذي قام بدور هام في أحداث بريدة ما بين سنة ١٨٧٥ وسنة ١٨٩٢

ترتيب زمني لإمارة الأمراء من هذه الأسرة

١ - مهنا بن صالح من ١٨٥٠ - ١٨٧٤
٢ - حسن بن مهنا ١٨٧٤ - ١٨٩١
خرجت الإمارة عن العائلة ١٨٩١ - ١٩٠٥
٣ - صالح بن حسن ١٩٠٥ - ١٩٠٦

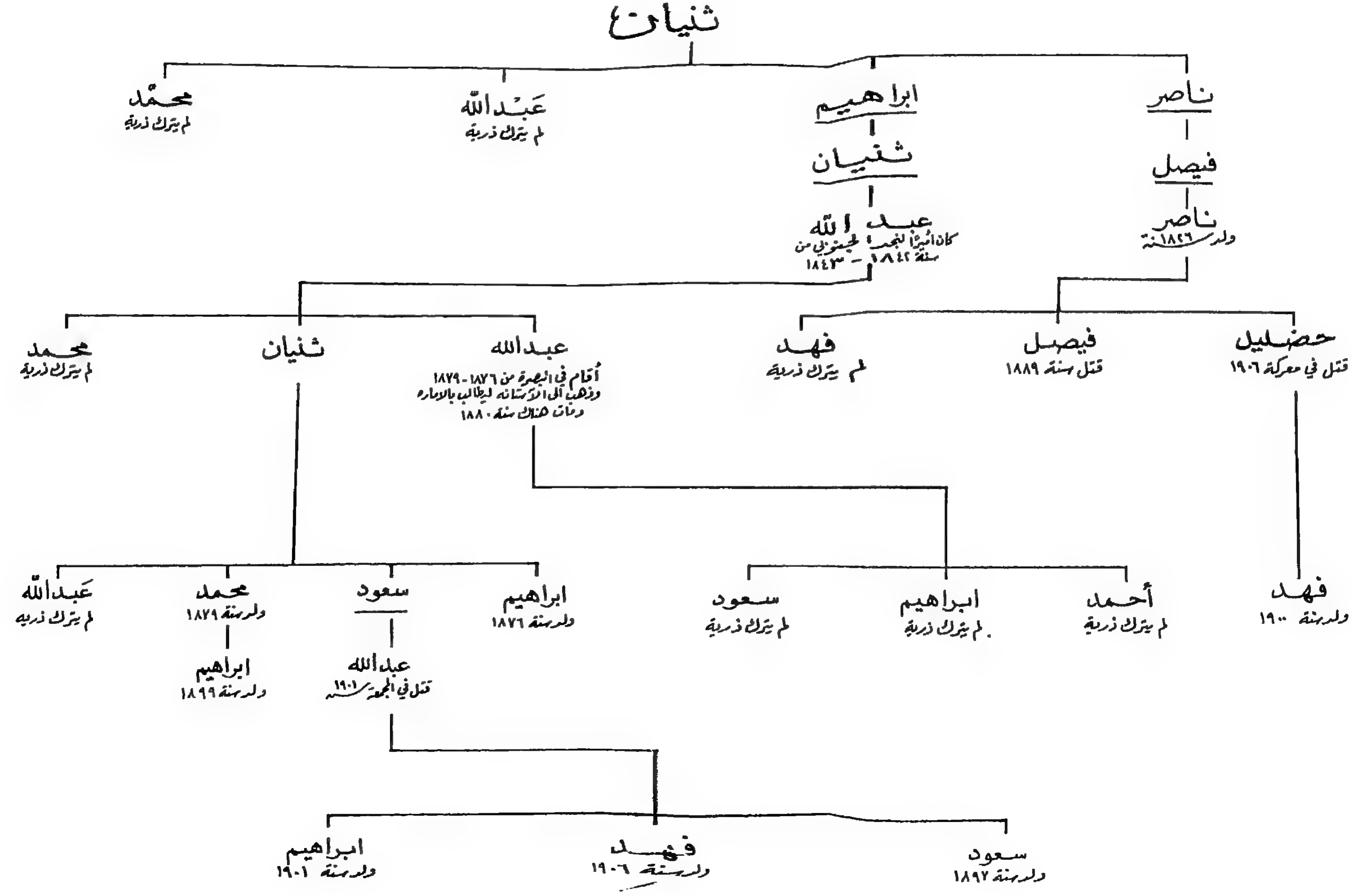
ويبدو أن الإمارة خلت منهم منذ سنة ١٩٠٦

لقد أرسل مهنا بن صالح من الرياض لحكم بريدة من قبل الأمير الوهابي فيصل بن تركي. ويبدو أنه لم يكن على اتصال سابق بالمكان. ويتصل نسب أسرة أبو الخيل. كالامراء الوهابيين - بقبيلة عنزة عن طريق المصاليخ من ولد علي - ويقال انهم حلوا محل قبيلة وطنية هناك اسمها آل عليان يزعمون انهم من الدواسر أو من تميم.



لوحة نسب أسرة ثنيان فرع آل سعود حكام نجد الجنوبي

ملاحظة: للربط بين هذا الفرع وغيره من فروع العائلة ولأجل الترتيب الزمني والملاحظات الأخرى أنظر اللوحة رقم / ١



شجرة نسب القواسم في الشارقة بساحل عُمان

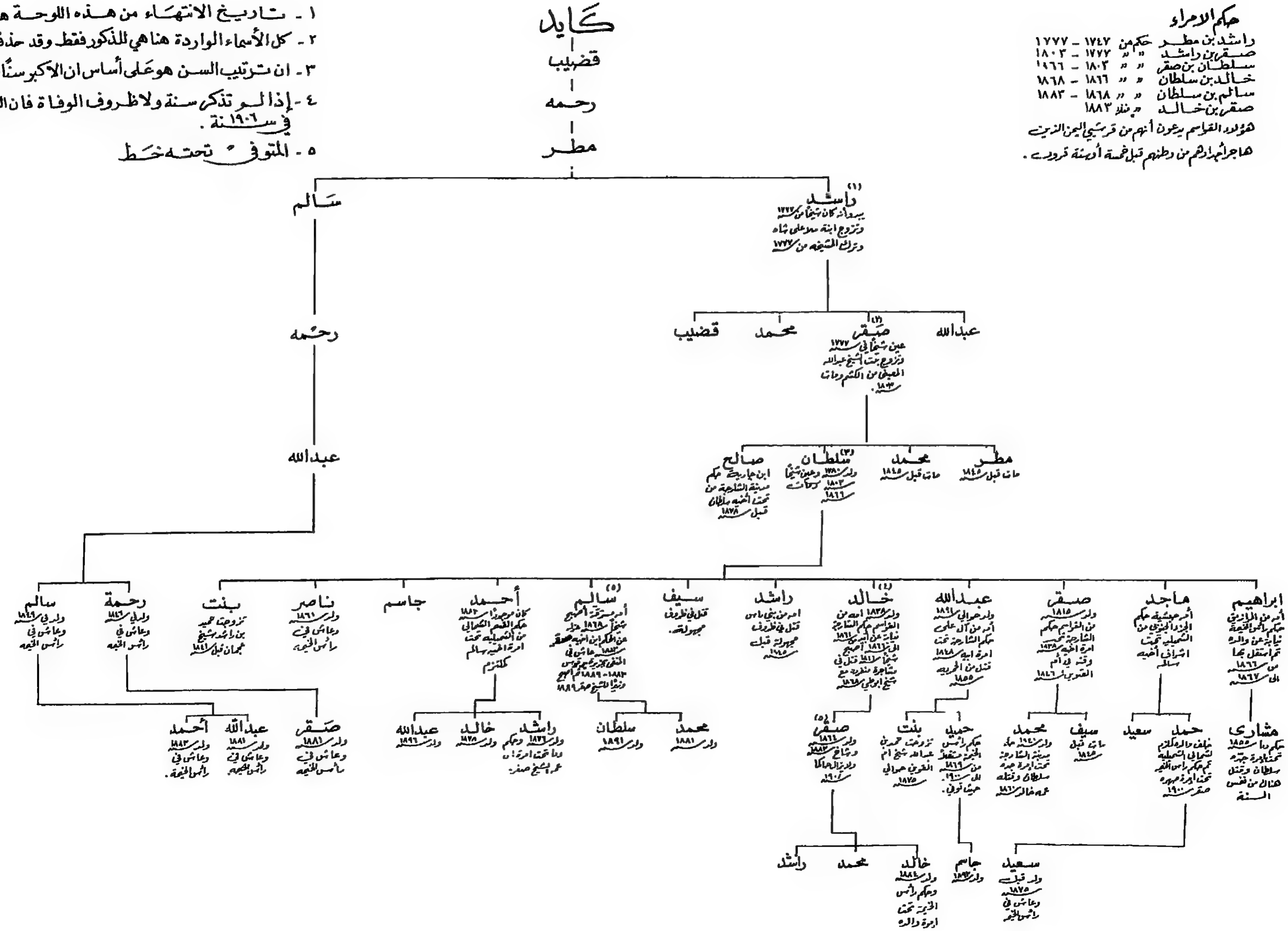
مُلاحظات:

١ - تاريخ الانتهاء من هذه اللوحة هو سنة ١٩٠٢
٢ - كل الأسماء الواردة هنا هي للذكور فقط وقد حذفنا الاناث
٣ - ان ترتيب السن هو على أساس ان الاكبر سنًّا على جهة اليمين
٤ - إذا لم تذكر سنة ولا ظروف الوفاة فان الرجل كان حيًّا في سنة ١٩٠٦ .
٥ - المتوفى تحته خط

حكم الامراء

راشد بن مطر حكم من ١٧٤٧ - ١٧٧٧
صقر بن راشد " " ١٧٧٧ - ١٨٠٣
سلطان بن صقر " " ١٨٠٣ - ١٨٦٦
خالد بن سلطان " " ١٨٦٦ - ١٨٦٨
سالم بن سلطان " " ١٨٦٨ - ١٨٨٣
صقر بن خالد " منذ ١٨٨٣

هؤلاء القواسم يدعون أنهم من قريشيي اليمن الذين هاجر أجدادهم من وطنهم قبل خمسة أو ستة قرون .



لوحة نسب عائلة القواسم (حكام لنجه سابقاً)

جدول زمني يبين تتابع الشيوخ من هذه الأسرة على حكم لنجه .

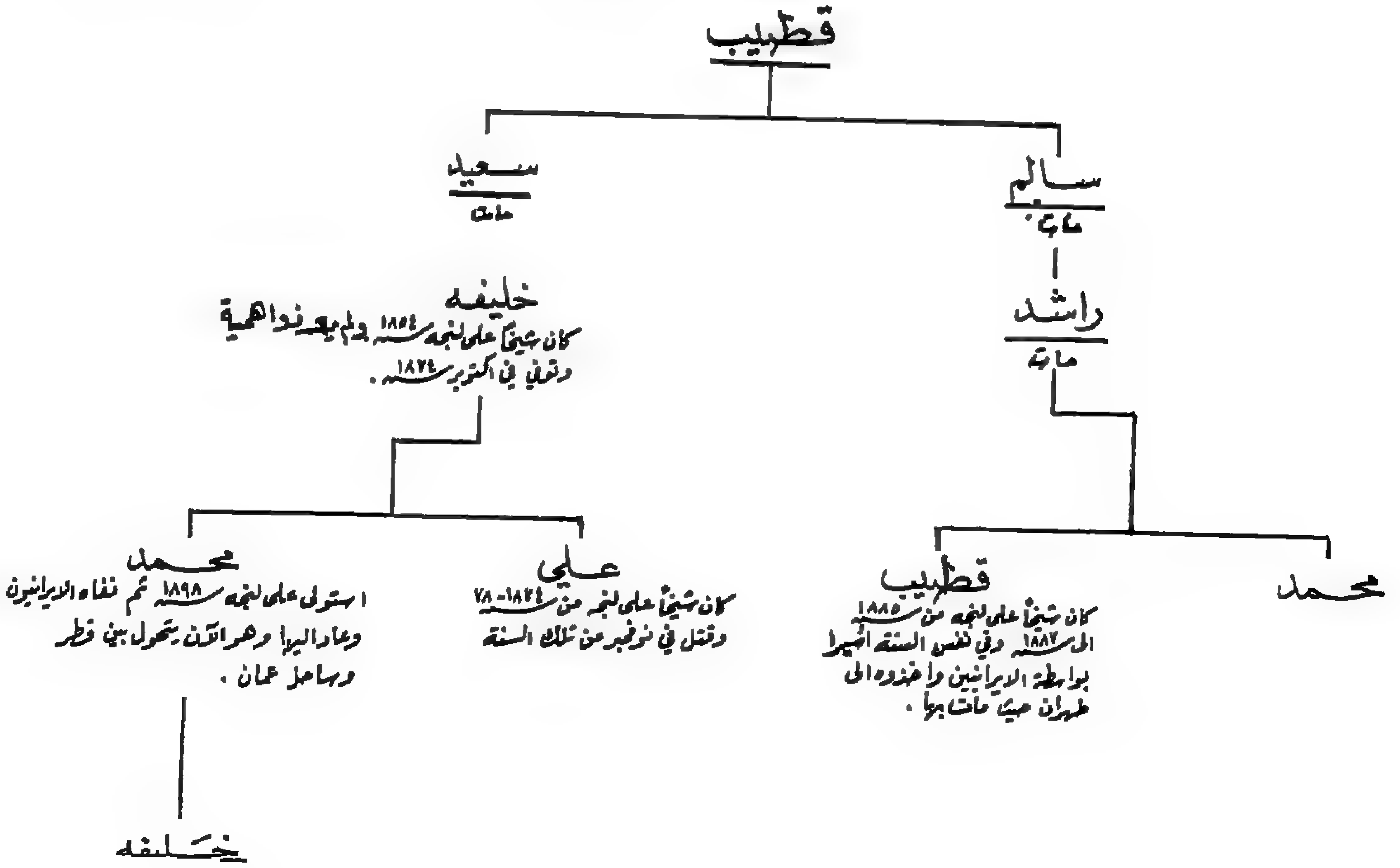
خليفه بن سعيد	من سنة	١٨٥٤ ـ ٧٤
علي بن خليفه	من سنة	١٨٧٤ ـ ٧٨
يوسف	من سنه	١٨٧٨ ـ ٨٥
	(انظر رقم "٣" في الملاحظات)	
قضيب بن راشد	من سنة	١٨٨٥ ـ ٨٧
نواب ولاة ايرانيون	من سنة	١٨٨٨ ـ ٩٧
محمد بن خليفه	من سنة	١٨٩٨ ـ ٩٩

ملاحظات :

(١) هذه الأسرة ترتبط بقرابة قريبة لأسرة القواسم التي تحكم الشارقة ولم نستطيع تحديد مؤسس هذه الأسرة الاان قضيب كان شيخاً على لنجه سنه ١٨٠٥ وكان يقال أنه عم الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة .

(٢) اما محمد بن قضيب ـ وربما هو ابن قضيب المشار اليه بعاليه ـ فقد كان حاكماً على لنجه سنة ١٨٢٩ ثم قسمت في تلك السنة بين شيخي الشارقة وام القيوين .

(٣) هذه اللوحة كما يبدو ليست كاملة وقد أمليت في سنة ١٩٠٧ عن لسان محمد بن خليفه شيخ لنجه السابق وكان يجب ان يذكر فيها يوسف الذي حكم لنجه منذ سنة ١٨٧٨ الى ٨٥ وهي السنة التي لقي فيها مصرعه على يد قريبه الشيخ قضيب انظر صفحة ٢٠٦٤ من الجزء الثاني من دليل الخليج (الطبعة الانجليزية)



لوحة نسب آل سعود (من عنيزة) الأسرة الحاكمة في جنوبي نجد

هذه اللوحة قد صنفت بمعرفة المستر ج. ك. جاسكين سنة ١٩٠٥ ونُقحت في سنة ١٩٠٦ بمعرفة الكابتن س. ج. نوكس المعتمد البريطاني في الكويت بمساعدة عبد الرحمن بن زيد الوكيل المعتمد لآل سعود ولقد كانت خارطة الكولونيل روس في التقرير الاداري عن الخليج لسنة ١٨٧٩ - ١٨٨٠ هي الأساس الذي بنى عليه المستر جاسكين عمله.

جدول زمني لحكم الأمراء الوهابيين من هذه الأسرة في جنوبي نجد

	الاسم	مدة حكمه	العاصمة
١	محمد بن سعود الى سنة	١٧٦٥	الدرعية
٢	عبد العزيز بن محمد	١٧٦٥ - ١٨٠٣	—
٣	سعود بن عبد العزيز	١٨٠٣ - ١٨١٤	الدرعية
٤	عبد الله بن سعود	١٨١٤ - ١٨١٨	الدرعية
٥	فترة خلو الحكم منهم	١٨١٨ - ١٨٢٠	الرياض
٦	مشاري بن سعود	١٨١٩ - ١٨٢٣	
٧	تركي بن عبد الله	١٨٢٤ - ١٨٣٤	
٨	فيصل بن تركي (الفترة الأولى)	١٨٣٤ - ١٨٣٨	
٩	فترة خلو الحكم	١٨٣٨ - ١٨٤٠	
١٠	خالد بن سعود	١٨٤٠ - ١٨٤٢	
١١	عبد الله بن ثنيان	١٨٤٢ - ١٨٤٣	
١٢	فيصل بن تركي (الفترة الثانية)	١٨٤٣ - ١٨٦٥	
١٣	عبد الله بن فيصل (الفترة الأولى)	١٨٦٥ - ١٨٧١	
١٤	سعود بن فيصل	١٨٧١ - ١٨٧٥	
١٥	عبد الله بن فيصل (الفترة الثانية)	١٨٧٥ - ١٨٨٧	
١٦	فترة خلو الحكم	١٨٨٧ - ١٩٠٢	
١٧	عبد الرحمن بن فيصل سنة	١٩٠٢ ——	

ملاحظة:

تنتمي أسرة آل سعود في اطارها العام الى آل مقرن التي تنتمي بدورها الى قبيلة المصاليخ من ولد علي من قبيلة العنزة

مقرن
ابن فرحان بن ابراهيم بن موسى - بن ربيعة

|

محمد

|

سعود
الذي سميت الأسرة كلها باسمه فيما بعد وهي اسرة آل سعود

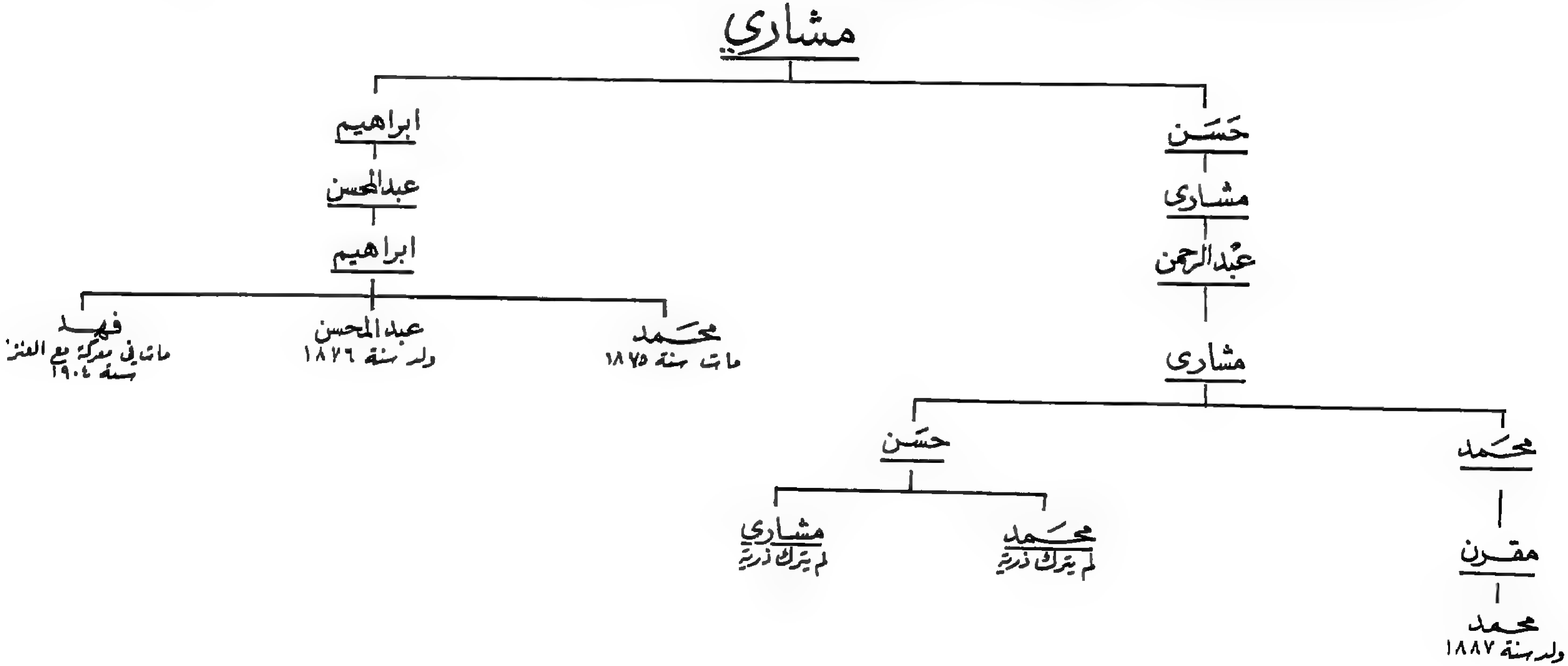
فرحان	ثنيان	محمد	مشاري
أنظر اللوحة رقم ٩	أنظر اللوحة رقم ٨	أنظر اللوحة رقم ٧	أنظر اللوحة رقم ٥

ملاحظات:

١- إن أولاد وأحفاد سعود بن محمد هم المذكورون في اللوحات رقم ٢-٥
٢- مقرن ينطق عادة مجرن
٣- ربيعة (أو ربيع) قيل إنه عين نفسه شيخاً على الدرعية في سنة ٨٥٠ هـ

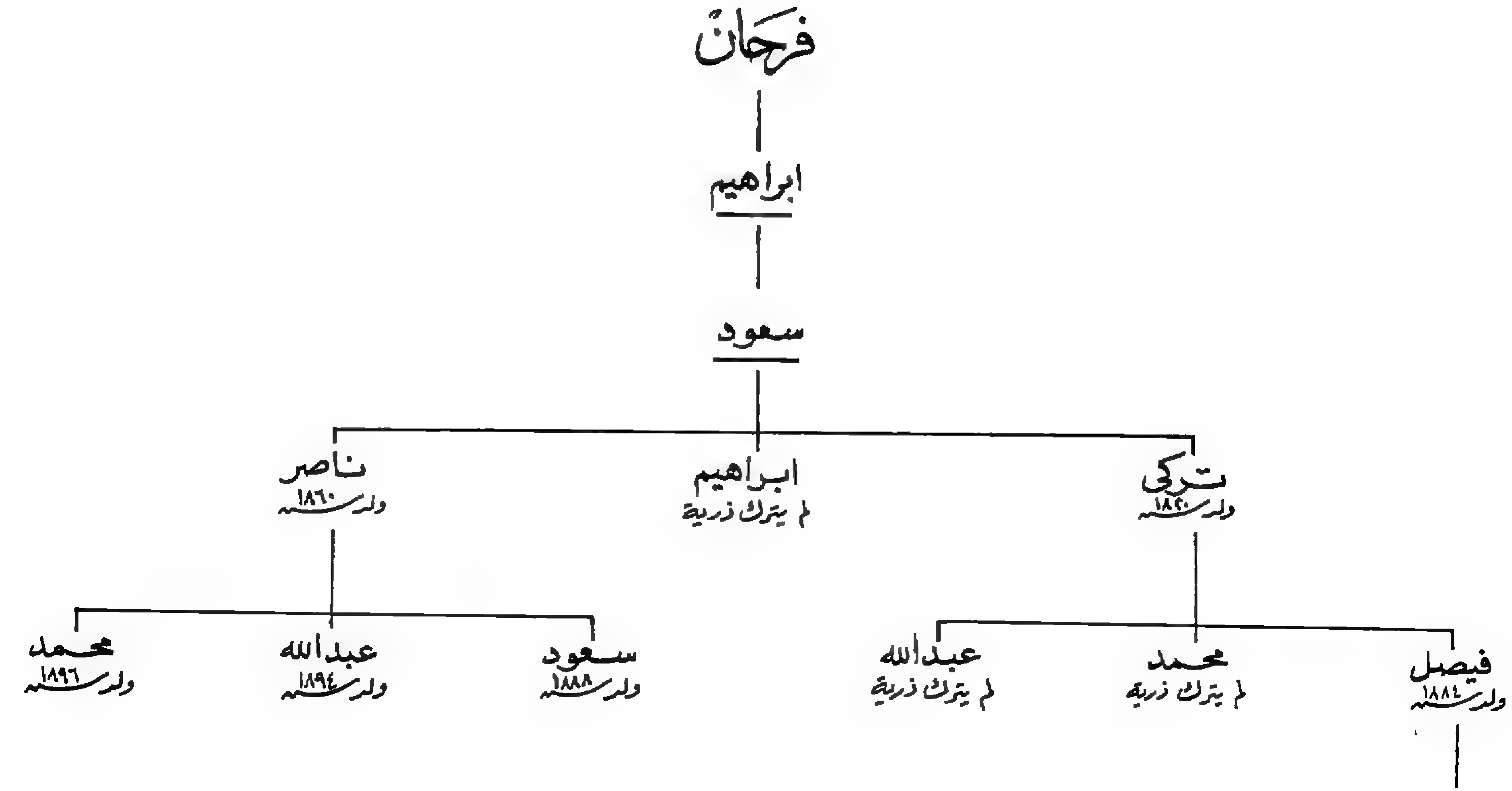
لوحة أسرة مشاري فرع آل سعود الأسرة الحاكمة في نجد الجنوبي

ملاحظة للربط بين هذا الفرع وغيره من فروع العائلة لأجل الترتيب الزمني والملاحظات الأخرى أنظر اللوحة رقم ١



لوحة الأسرة الحاكمة فرع فرحان من آل سعود في نجد الجنوبي

للربط بين هذه اللوحة والفروع الأخرى من العائلة لمعرفة الترتيب للحكام وللملاحظات الأخرى انظر اللوحة رقم (



لوحة نسب أسرة آل بو خريبان من النعيم الحاكمة في عجمان من ساحل عمان

ملاحظات :

١ - تاريخ الانتهاء من هذه اللوحة هو سنة ١٩٠٢
٢ - كل الأسماء الواردة هنا هي للذكور فقط وقد حذفنا الاناث
٣ - ان ترتيب السن هو على أساس ان الاكبر سناً على جهة اليمين
٤ - إذا لم تذكر سنة ولا ظروف الوفاة فان الرجل كان حياً في سنة ١٩٠٦ .
٥ - المتوفى تحته خط

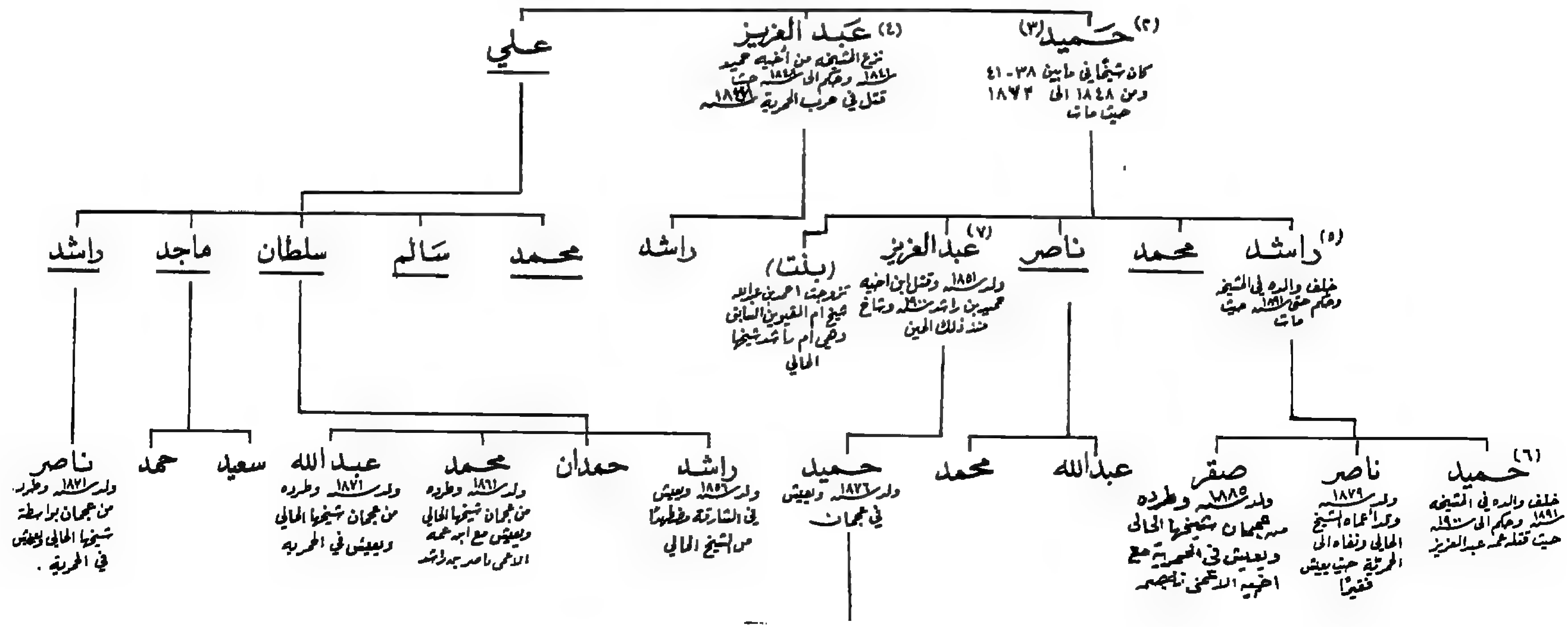
جدول زمني لولاية الحكام

الحاكم	المدة
راشد	
حميد بن راشد	
راشد بن حميد ما قبل	١٨٢٠ - ١٨٣٨
حميد بن راشد من	١٨٣٨ - ١٨٤١
حميد بن راشد ومن	١٨٤٨ الى ما قبل ١٨٧٣
عبد العزيز بن راشد من	١٨٤١ - ١٨٤٨
راشد بن حميد من قبيل	١٨٧٣ - ١٨٩١
حميد بن راشد	١٨٩١ - ١٩٠٠
عبد العزيز منذ	١٩٠٠ -

راشد

حميد

راشد (١)
كان شيخاً منذ ما قبل ١٨٢٠ - ١٨٣٨ حتى مات سنة ١٨٣٩



شجرة أسرة آل بوفلاسة (من بني ياس) الحاكمة في دبي بساحل عُمان

مُلاحظات:

١ - تاريخ الانتهاء من هذه اللوحة هو سنة ١٩٠٢
٢ - كل الأسماء الواردة هنا هي للذكور فقط وقد حذفنا الاناث
٣ - ان ترتيب السن هو على أساس ان الأكبر سناً على جهة اليمين
٤ - إذا لم تذكر سنة ولا ظروف الوفاة فان الرجل كان حياً في سنة ١٩٠٦.
٥ - المتوفى تحته خط

جدول زمني للشيوخ الحاكمين من هذه الأسرة

مكتوم بن بطي	١٨٣٣	—	١٨٥٢
سعيد بن بطي	١٨٥٢	—	١٨٥٩
حشر بن مكتوم	١٨٥٩	—	١٨٨٦
راشد بن مكتوم	١٨٨٦	—	١٨٩٤
مكتوم بن حشر	١٨٩٤	—	١٩٠٦
بطي بن سهيل	١٩٠٦	—	

